

المجلد الأول

العدد الأول

أپولو

مجلة فنية لخدمة الشعر العربي

لسان حال جمعية ابولو

تصدر مرة فى كل شهر

سبتمبر سنة ١٩٣٢

صاحب الامتياز ورئيس التحرير { أحمد زكى أبو شادى

الادارة { بشارع الملك المعز رقم ٩ بضاحية المطرية بمصر

التليفون { ١١٩٦ زيتون و ٤٠٤٥٦

مطبعة التعاون

تصدير

أبولو ! مرحباً بك يا أبولو ! فانك من عكاظ الشعر ظل
عكاظ وأنت للبلغاء سوق على جنباتها رحلوا وحلوا
وينبوع من الإنشاد صاف صدى المتأدبين به يبل
ومضمار يسوق الى القوافي سوابقها إذا الشعراء قلوا
يقول الشعر قائلهم رصيناً ويحسن حين يكثر أو يقل
ولولا المحسنون بكل أرض لما ساد الشعوب ولا استقلوا

***

عسى تأتيننا بمعلقات نروح على القديم بها ندل
لعل مواهباً خفيت وضاعت تذاع على يديك وتستغل
صحائفك المدبجة الحواشي ربى الورد المفتح أو أجل
رياحين الرياض يمل منها وريحان القرائح لا يمل
تمهد عبقري الشعر فيها لكل ذخيرة فيها محل
وليس الحق بالمنقوص فيها ولا الأعراض فيها تستحل
وليست بالمجال لنقد باغ وراء يراعه حسد وغل

احمد شوقي



احمد شوقي بك



من الحقيقةِ الملموسةِ وليس من الخيال الشعرى الخلاّب تستمدُّ هـذه السطور قوتها فى التنبيه إلى الحاجـة لمثـل هـذه المجلة للنهوض بالشعر العربى وخدمة رجاله والدفاع عن كرامتهم وتوجيه مجهوداتهم توجيهاً فنياً سامياً .

ولايختلف اثنان فى أن الشعر العربى تسامى وانحط فى آن : تسامى بتأثره بنفحات الحضارة الراهنة ونزعاتها الانسانية وروحها الفنية ، وانحط بما أصاب معظم رجاله — ولا أستثنى الكثيرين من المجيدين ـ من الخصاصة التى ما كانت لتدركهم فى عصور الحفاوة بالأدب الخالص حيث لم يكن يُعاب التكسب بالشعر ، فتدلى الشعر معهم تبعاً لعجزهم المادى وتبرمهم بالحياة وعزوفهم عن الانتاج الفني الذى يطالبهم بالجهد والتدبر وهكذا صارت حالة الشعر العربى فى عصرنا هذا خليطاً كريهاً من الحسن والقبح من الجودة والاسفاف ، من السمو والانحطاط ، وذلك بصورة شاذة غريبة .

ومما كان ضغثاً على إبالة الشعور القوى بالفردية فى ممالك الشرق التى طالما خلقت الأصنام ثم عبدتها ، فخال هذا الشعور دون كل تضافر ، وساعد على استمرار التحاسد والتناحر بين الأدباء عامة والشعراء خاصـة ، فانصرفت معظم الجهود إلى الشخصيات بدل التعاون على بناء هيكل الشعر الخالد وتمجيد رمز علويّته (أبولو) .

وهذه الروح الفردية ـ روح التخاذل والتنابذ ـ لاتزال متفشية للاسف فى جميع مظاهر الحياة العربية من اجتماعية وسياسية وأدبية وعلمية . وكان لمحرر هـذه المجلة الحظ من الجانب العلمى فى العمل على تكوين مؤسسة علمية غايتها القضاء على هذه الفردية بما تبثه من الثقافة العلمية نظرياً وتطبيقياً ، ونعنى بها مكتب النشر الزراعى ومطبعة التعاون مع مجلات « مملكة النحل » و « الدجاج » و « الصناعات الزراعية » والهيئات التى تنطق هذه المجلات العلمية بلسانها وهى « رابطة مملكة النحل » و « الاتحاد المصرى لتربية الدجاج » و « جمعية الصناعات الزراعية » وهى سائرة فى خطتها الانشائيـة الاصلاحية المثمرة ، كما كان له بدافع من هـذا الشعور الحظ فى الاشتراك بتأسيس هيئات أخرى عامة وخاصة تنزع إلى مثل هذه الغاية وفى مقدمتها « المجمع المصرى للثقافة العلمية » و « الجمعية البكتريولوجية المصرية » .

ولم يكن منتدَحٌ عن الالتفات بعد ذلك الى الأدب وحقوقه وأداء واجب الزكاة

نحوه ، فكان من حظنا تأسيس « رابطة الأدب الجديد » فى القاهرة بعد تأسيسنا شقيقتها فى الاسكندرية ، فأثبتنا سريعاً جدارتهما بالتأميل فيهما لتحقيق التعاون الاخوى بين الادباء ، وأخذت نظيراتهما من الجمعيات تتجلى فى سوريا وفلسطين والعراق والهند وغيرها من أقطار العالم العربى بحيث يرجى فى وقت قريب أن تتعدد فروع هذه « الرابطة » فى شتى الاقطار العربية وأن تصير قوة يؤبه لها فى الاصلاح الأدبى وخدمة الادباء . وفى سبيل هذا الفلاح المنشود يتوفر الآن على خدمتها بمجهوده المتواصل سكرتيرها العامل كامل أفندى كيلانى .

ونظراً للمنزلة الخاصة التى يحتلها الشعر بين فنون الأدب واعتباراً لما أصابه وأصاب رجاله من سوء الحال ، حينما الشعر من أجلّ مظاهر الفن وفى تدهوره إساءة للروح القومية ، لم نتردد فى أن نخصه بهذه المجلة التى هى الأولى من نوعها فى العالم العربى ، كما لم نتوان فى تأسيس هيئة مستقلة لخدمته هى « جمعية أبولو » وذلك حباً فى إحلاله مكانته السابقة الرفيعة وتحقيقاً للتآخى والتعاون المنشود بين الشعراء ، وقد خلصت هذه المجلةُ من الحزبية وتفتحت أبوابها لكل نصير لمبادئها التعاونية الاصلاحية .

وقد راعينا أن ننزه المجلة عن طنطنة الألقاب والرتب حتى ما جرى العرف — بالتسامح فيه ، حتى تظهر على مثال أرقى المجلات الأوروبية التى من طرازها ، وحصّناها ضد عوامل التحزب والغرور ، فلا غرض لها بعد هذا الا خدمة الشعر خدمة خالصة من كل شائبة ، تسندها خبرتنا الصحفية فى مدى سبعة وعشرين عاماً ، وهى خبرة لا نباهى بها ولكن نذكرها لاطمئنان القراء ضمانةً لثباتنا الدائم فى هذا العمل الصحفى الذى لا نجهل صعوباته ، وضمانةً لتدرجنا فى تحسينه بنسبة ما يناله من تعضيد ، مع حرصنا الدائم على نشدان الكمال .

هذا هو عهدنا للشعر والشعراء . وكما كانت الميثولوجيا الاغريقية تتغنى بألوهة (أبولو) رب الشمس والشعر والموسيقى والنبوة ، فنحن نتغنى فى حِمَى هذه الذكريات التى أصبحت عالميةً بكل ما يسمو بجمال الشعر العربى وبنفوس شعرائه ، ولنا من الاخلاص شفيع يساوى بين النقد واطراء ، ويكسبنا العضد الذى ننشده من امراء الشعراء وأعيانه ، والثقة التى نستأهلها من جميع أنصاره م؟ —

احمد زكي ابو شادي



بنفسجة فى عـــروة

جعلتُ فى عُـــروتى بنفسجةً تَزينُ صـدرى ، ونِعْمَتِ الزينـهْ
هل فى ذواتِ الجمالِ أكملُ من عزيزةٍ فى خُشوعِ مسكينهْ ؟

شنشنةٌ قـــد تَخِذْتُها لىَ فى عامى ، وقصدى عن العـذول خفى
أشبـهُ شىءٍ بطبعِ مالكتى أضحى شعاراً لعبــــدِها الدَّنِفِ

زُهَـيرةٌ كلُّ مَن يلاحظهـا تروعُهُ بالحيـــــاءِ واللُّطْفِ
إنْ خَفِىَ الحسنُ فى مَخابئها نمَّ به فائحٌ من العَـرْفِ

تَرِفُّ فى عروتى ، وقلبى من ورائهـــا خافقٌ ومحتجبُ
فبَرْدُها فى جــوارِه عَجَبٌ وحَرُّه فى جـــوارها عجبُ

عيْنٌ فُـوَيْقَ الفؤادِ تحْسَبُهُ يرنو بها من مكامِنِ الظلّ
خفَّتْ بجفنين شقَّ هُدْبُهما عن كَحَلٍ فيهِ زُرْقةُ الكُحْلِ

راودنى الطفلُ حين أبصرها عنها بما للصغار مِنْ حِيَلِ
مطوِّقاً فى التماسِها عُنُقى وسامحاً ما اشاءُ بالقُبَلِ

فاستلَّها من مكانها وأنا ادفعـه دفع من يُرَغِّبُهُ
كم من حبيبٍ وأنت تُبعِده تَصُدُّه صدَّ مَن يقرِّبُـهُ !

من ذلك الطفلُ ؟ صورةٌ بلغت بها العناياتُ غايةَ الحُسْنِ
فظُنَّ ما حُسْنُ أُمِّهِ ، ولقــد أقول بالِغْ ما شِئْتَ بالظَّنِّ !

أعطيتُهُ زهــــرتى فقلّبها هنيهةً مُحسناً سياستَهُ
حتى إذا ما قضى لُبانَتَهُ وكاد يُبدِى لها شراسَتَهُ



خليــــل مطران بك

تَوَثَّبَتْ أُمُّهُ وقد لمحتْ ما كان منه ، خفيفة القَدَم
وارتجعتْها منه مُبالِغَةً لديهِ بالترضياتِ فى الكَلِمِ

فَرَوَّتِ العَيْنَ من محاسِنِها وانتشقتْ عِطْرَها على مَهَلِ
ثمَّ أعادت الىَّ ضائعتى مُوَرَّداً وجهُها من الخَجَلِ

أأصلحتْ مِن وَليدها خطأً وليس فعلُ الوليد بالنُّكرِ ؟
أم أدركت ما أكِنُّ من شَغَفٍ بها ، فباحت بأنها تَدْرى ؟!

أم سألَتْ جارَةَ الفؤادِ بما تعلمُه من صحيحِ أخبارى
وليس فى المنبئين أصدقُ مِن جارٍ بإنبائِه عن الجارِ

أم شكرتْ لى ، على تظاهُرِها بجهل وَجْدى ، صبرى على وجدى ؟
أم أشعرتنى . بِالْلطْفَ ما فعلتْ بأنْ ما عندها كما عندى ؟

خليل مطران

راحة السلو

هاتِ كاسَ السلوِّ تشفِ فؤادِي وأرِحْني مِن مدمعٍ وسهادِ
حَسْبُ نفسى ما حُمِّلَتْ من وفاءٍ ووِدادٍ لغير أهل الوداد
طالما جادتْ العيونُ بدمعٍ ليتها فى النوى عيونُ جماد !
ليتنى صنتُ مَدْمعِى لزمانٍ بالرزايا مُراوِحٍ ومُغادِى
كنتُ كالطفل يبذل الدمعَ ، لايد ري بأن الدموع خيرُ عَتاد
قادنى حُبُّكم الى الحزن ، فاليو مَ عَصَيْتُ الهوى وعَزَّ قيادى
وعَقَا وُدُّكم بقلبى ، فلا عا د زمانٌ أضعتُ فيه سَدادى
ونَسِينا عُهودَكم فدعوا ذكـ رَ عهودٍ عَدَتْ عليها العوادى
وامْنَعُوا الطيفَ أن يُلِمَّ بعينٍ نعمَتْ بعد بَيْنكم بالرقاد !
مَرحباً بالسُّلُوِّ يُنعمُ نفساً أنِسَتْ بَعْدَكم بعيشِ الوحاد

فليالى السُّلُوِّ أشهى لقلبي — من ليالى الوصالِ بَعْدَ البِعاد
يازمانَ الهوى أضعتُكَ فى الغَيِّ — (م) فياليتنى أطعتُ رشادى
لاتَ حينَ الأحبابِ يانسمةَ الليـ — ل فقد أصْلَدَ الجَفاءُ زنادى
فاحمِلى سلوتى تفوزى بشكرٍ — مِن وَفِيٍّ لم يَنْسَ بيضَ الايادى
إن تكنْ سلوةُ المحبّين زُهْداً — فاشهدى أننى من الزُّهَّاد :

احمد الزين

❧❧❧

موت وحياة

أهاج دَوِيُّ البَحْرِ صرخةَ آمالى — وبدَّدَ أحلامى وَبلبلَ بلبالى
رأيتُ به الأمواجَ ملءَ اصطخابها — تَقَاتَلُ مثلَ الحظِّ فى عُمرىَ البالى
وتلتهم الصخرَ الاشمَّ أمامَها — كما طوَّح الدهرُ الخؤونُ بآمالى
تأمَّلتُه فى حَيرةٍ بعد حَيرةٍ — وفى وجلٍ تالٍ على وجلٍ تالِ
وقد جدَّدَ الحزنَ الذى نال مهجتى — سنينَ كأنى حاملٌ همَّ أجيال
رأيتُ به عُقْبَي الحياةِ ومنتهى — مطامِحها العُليا من الحبِّ والمالِ
هشيمٌ من الأمواج قَتْلَى وكم بها — عواطفُ ضاقتْ بالحياةِ وأمثالى
أُطِلُّ عليها فى وجوم ولوعةٍ — كأنى أرى الأخرى أمامى وأهوالى
وقد نسيتْ نفسى وجودى وأشعِرَتْ — وجوداً من الآلام فى روعة الحالِ
فيا حُزنَ قلبٍ كالغريبِ بعالَمٍ — غريبٍ لأهليه الأبرِّين والآلِ
دَفنتُ أسيفاً عزمتى ومواهبى — لَدُنْ عُدَّ من ذنبى همومى وأعمالى
وحَيًّا أخلائى جهودى وما درَوْا — جهودى التى ماتت لحزنى وإقلالى
فيا موجُ مُتْ حولى فموتُك راحةٌ — وموتُكَ مرآةٌ لموتى وإذلالى
وإنْ كان لى فى الفكر دنيا جديدةٌ — تعالتْ عن الدنيا باحساسها العالى
غنمتُ بها روحَ الجمالِ التى سمتْ — عن الجسمِ واستولتْ على حُبِّيَ الغالى

احمد زكى ابو شادى

مهد يعنيني



« كان الشاعر سائراً فى طريقه فرأى افواجاً من التلاميذ الصغار سائرين فى طريقهم من المدرسة الى منازلهم فذكر ان ولده قادم فى فوج من هذه الافواج وظل يتصفح الوجوه حتى عثر عليه . والقصيدة التالية تمثل شعوره الابوى فى هذا الظرف »



فى هـذه الأولادِ لى ولـدٌ ... هو زينةُ الدنيـا وبهجتُها
أشقى — وما يَدرى — لأُسعدَه ... لكنه للعـيـن قرتهـا



ما روضـةٌ بالحسن زاهيـةٌ ... فينانةٌ تصبيك نفحتهـا
ما طاقـةٌ بالورد موثقـةٌ ... تسمو على الزهرات زهرتها
ما كل حسن رائع فُتنت ... نفسى وجلَّتْ منـه فتنتها
إلا شأه — بحسنه — ولدى ... ومرادُ احـلامى ومنيتها



ها إننى أُلفيه عن كثَبٍ ... فى مشيةٍ زانته خطرتهـا
ها قـد رآنى فهو مبتهجٌ ... فى غبطةٍ تعلوه بسمتهـا
مِثـلَ القطا يسمو به مرحٌ ... وله رشاقتهـا وخفتهـا
ها إنه يدنو ليسعدَنى ... بتحيةٍ ، الحسنُ آيتهـا

ها إنْ صوتاً ساحراً ملأت نبراته نفسي ، ونغمتها
وتحيةٌ ، حيًّا بها ولدى هى عالَمٌ بالحسن أنعتها
هو (مصطفى) نفسي ومُلهمُها شتى الأماني وهو غايتها

كامل كيلانى



آية الصبح

غرَّدَ العصفورُ للصبح فهيَّا ! قُمْ بنا نسعَ الى الروض سويّا !
آية الصبح تجلت ، قمْ بنا ! قبل أن تُطوَى بضوء الشمس طيَّا
إن نور الله فى بهجته دلنا أن له سراً خفيا
وكأن الكون فيه ملكٌ يتغنى نغماً حلواً شجيا
سكب الحسنُ على جبهته ماءَه فانتعش العالمُ ريا
كل شيء ضاحك مبتهج بعث الصبحُ مواتَ الكون حيا
فهنا الريحانُ فى أوراقه ناشراً من روحه روحاً زكيا
وهنا النرجس فى جلبابه لابساً من حسنه ثوبا بهيا
وهنا الورد على أغصانه خجلاً من حسنه الزاهى حييا
وهنا الطير تغنى لغةً فهم الزهرُ لها معنى خفيا
كلما غرَّد منها طائرٌ خِلتُه كان إلى الطير نبيا
وهنا الاشجار فى خضرتها لبست ثوباً من الحسن زهيا
خلع الصيف عليها بردَه وحباها ثمراً حلوا جنيا
رضى الله على الدنيا فما تبصر العين من الدنيا دنيا
كفُّ جبريل عليها نثرتْ من رُبَى جنته حسناً نديا
مِن حياة الخلدِ أو مِن حسنه ما يعيد الميتَ فى الانفس حيا
أو مشى يوسف فيها طرباً وحبا الجوَّ بها عطراً زكيا
وحبا الانظارَ مِن طلعته ما يعيد الحبَّ فى النفس فتيا
فاذا ما عبث الحبُّ بها جعلتْه مثلا منه عليا



يا حبيبي سرْ بنا فى روضـــــة نرو ِ منها الطرفَ إنْ كان صديا
والذى صـــــوَّر فى الكون لنا بيـدىْ إحسانه حسنـاً سويـا
والذى نمق من قـــــدرته كلَّ ما ينطق بالحق جليـا
والذى قلبى ونفسى صنعـــــه كنت منــــــه أزلياً أبديـا
والذى سوّاكَ من نور الضحى بعد أن لم تـك فى ماضيك شيـا
انتَ وحيى ، أنت فى جنته تُنزل الشعرَ عـــلى قلبى نديـا
بالذى أرسلنى منــــــك الى كل مَن يشعر للحب نبيـا
والذي أكسب نفسى نغماً باعثاً للحسن فى النـاس دويـا



عثمان حلمى

والذى ابـــــدع فى صوتك ما يمـــــلأُ السمعَ به خمراً شهيـا
غنّــى شعرى وقـل فى طربٍ : غـرّدَ العصفورُ للصبح فهيـا !
جلّ من أنشاكَ فى صـــــورته مثلا فى حسنك الزاهى عليا
وحبانى الحبّ حتى ما أرى غـيرَ حبي كان حـبّاً عبقريا
جلَّ من ارســــــل منى شاعراً يتغنَّى فيك بالشعر شجيـا
انت فى شعرى جميلٌ خالــــدٌ بعد ما يَطوى حياتى الدهرُ طيـا

آه لو تفهمه لم تنسنى
أبدَ الدهرِ ولو كنتَ نسيا
هاكَ رتّله فنى ترتيله
ما يعيد الناقمَ الباكى رضيا
فهو مثل الصبح ، فى آيته
ما يعيد الأملَ الذاوى قويا
ها هو الصبح ! فلولا حسنه
كانت الدنيا جحيماً ابديا
سطر الرحمنُ فى صفحته
نورَه نوراً سماوياً سنيا
و أجاد الله فى صنعته
لم يدع فى خلقه للنقص شيا
ليت شعرى ما عسى جنته
تلك حيث النفس لا تلقى رديا ؟!
طهرتْ من نقصنا وابتهجتْ
من سناه كاملا فيها جليا
ليتنى رضوانُها أو ليتنى
مَلَكٌ فيها يظلُّ الدهرَ حيا
وارى شخصَك فيها ملَكاً
نتناجى الحبَّ فى الخلد سويا
نتناجى حُبّنا عن كثب
ويكون الحبُّ حباً ابديا
ونرى الرحمنَ فيها أو نرى
مَن يرى الرحمن فى الخلدِ هنيا
فهناك المثلُ الاعلى لمن
عرفَ الادنى من الدنيا قويا
قم إذنْ نسعَ الى الروض سويا
يا حبيبى ، فتح الصبحُ فهيا !
لا يطيب العيش لى منفرداً
أو أرى وحدى جلالَ الحسن شيا
لو ملكتُ الخلدَ وحدى لم اكن
لا عن النفسِ ولا عنه رضيا
نزعتْ نفسى الى مؤنِسها
او حبيبٍ أجتلى منه المحيا

عثمان حلمى

قبل السفر

أنشرْ قلاعَكَ ياربانُ ، إنَّ بنا
شوقاً إلى البحرِ أو مَيْلاً الى السفرِ
وغنّنى فى الهوى لحناً أردّدُه
فى هَدأة البحر أوفى جلوة القمرِ
غداً تغيب الأمانى عن نواظرنا
لكنها لم تغبْ بالذكر عن فِكَرى
غداً أودّع بالألحاظ آسرتى
ولا أودّعها بالقلب والذكَرِ
غداً أخاطر فى الامواج أركبُها
فان أحلى المنى فى المركب الخطِرِ
غداً سأمضى الى هم أعُدُّ له
ما شئتُ مِن عزمةٍ أو شئتُ من سهرِ



محمد عبد الغنى حسن

***

أقسمتُ يا بحرُ لا تكتمْ لآسرتى أنباءَ غيبى ... ولا تكتمْ لها خبرى
أقسمتُ يابدر حَدِّثْ مصرَ عن أرَقى على هواها وحدِّثْ مصر عن سهرى
أقسمتُ يا زهرُ واذكرنا بعاطرةٍ من نفحة الصبحِ أو مِن نسمةِ السحَرِ

***

أخى ! غداً ملتقانا بعد غُربتنا فى عالَمِ الفكرِ لا فى عالَمِ النظرِ
اذا رويتَ بماء النيل منهمراً فاذكرْ أخاك بكأسٍ غيرِ منهمرِ
وإن تعطرتَ من أزهارِ روضتهِ فابعث بشىءٍ لنا من زهرِه العطرِ

***

أمَّاه ! فرّقنا التعليمُ فاحتملى وباعدتْ بيننا الأيامُ فاصطبرى
أيامُ نأيِىَ فى « دار العلوم » مضتْ فى غمضةِ العينِ أو فى لمحةِ البصرِ
غداً أعود اليكم ظافراً طَرِباً كما يعود أخو الهيجاء بالظَّفَرِ !

محمد عبد الغنى حسن



السلحفاة

تَـثَـنّى ولكنَّ بعطفْ حَجرْ ... وتمعن فى الصدِّ لا عن خَفَرْ !
شهدنا فلم نرَ فى المعجباتِ ... كَوهْن السلحفاةِ فَخمَ الخطر
محجَّبةٌ كالضمير انطوى ... مُخَبَّأَةٌ كالضمير استتر
لقد نازلتْ دهرها فاتق ... مِجنَّ السُّلَحْفَاةِ حتى اقتدر


السيد حسن القاياتى

تَجيءُ السُّلَحْفَاةِ جَوْنُ الظلامِ ... إذا بات آسٍ يُناغى القمر
تَبرَّأ من حِسِّها شتوةً ... وتحيا ربيعاً حياةَ الشجر
مخبَّأةٌ بين شِقَّىْ رحىً ... سوى الرأس إنْ خبَّأته ابتدر
تقلَّبُ ناظِرتَىْ حيَّةٍ ... بدا رأسُها من رِحَافِىَ حَجر

يَلِجُ بها الصَّومُ لا عن هُدَى — وتبعد فى البردِ لا عن سفر
اذا طعمتْ فنَباتُ النجومِ — وإن وردتْ فحياةُ السَّحَر

***

سُلَحفَاتُنا ما أحبَّ النجىَّ — إذا أقبلت وأرقَّ السمرْ
جمالٌ يُناغِىَ بصمتِ الجمالِ! — متى كلمت وجنةٌ أو حَوَر؟!
بجسمانِ مُكفَأَةٍ كالجفانِ — تجدُ السلحفاة سعىَ الأُكر
تهَادٍ كمختبل بالقيود — إذا هبَّ من سقطات عثر!
كأنَّ سواعدَها الواثباتِ — يَدَا سابح يستبيه الخطر!
لأُظفارها فى الثرى خطة — كعهد الكفيف بخط الإِبَر
خُطَى حَذِرٍ سيرُها للنجاة — طليعتنا للغيوب الحذر
تسامت كثيباً إذْ الغافلون — فداء السلحفاة كانوا الحفر
هو المجدُ أخلدَ حتى هوى — مُساميه أو جَدَّ حتى بهر

***

تبارَك من أنشأ المبدعاتِ — دليل القضاء حياة القدر
لدَى العادياتِ مَضاءُ القضاء — وفى الواهناتِ أناةُ القدر!

حسن القاياتى



قصيدة ممتازة

تفخر (جمعية أبولو) بقصيدة فريدة تتألف أبياتُها من مجموع العناوين الفنية التى تفضَّل بها على هذه المجلة أحد أعضاء الجمعية حضرة الرسَّام المبدع والأديب الفاضل محمد محسن بدوى افندى بمصلحة الموانى والمنائر بالاسكندرية . فلحضرته نهدى أخلص الشكر والتقدير لمعاونته الفنية القيمة ولغيرته الأدبية الكريمة .

النرجيلة

اهيم بها كما هام (الـ يهوديّون) بالذهبِ
عـلامَ محبتى فمها وليس ببـاردِ الشنب ؟
إذا انتسبتْ فنسبتُـها إلى الأعجام لا العـرب
إلى (كسرى)، وماذا بعـد (كسرى) الفُرْسِ من نسب؟



محمد الأسمر

سليـلةُ معشرٍ ظفـروا من العليـاء بالسبب
عليهـا تاجُهـا سِمـةٌ وبرهـانٌ على الحسب
مِنَ الجمرِ الذى عبدوه فيما مرّ من حُقب
مُتَوَّجَـةٌ بربّهـم فيـا للتاجِ من عجب !
تَقيـهِ به، وهـل مِنَ بَعـدِه أربٌ لذى أرب ؟ !

***

ويحسبُهـــا مُقبّلُها مزمجرةً من الغضب
وعندى أنها ضحكتْ مُقهقهةً من الطرب
وتَصمتُ حين تتركها فيـــا لله للأدب
ويا أنفاسىَ الحرَّى لأنفاسٍ من اللهب!

محمد الأسمر

على ساحل بورسعيد

على الساحلِ المأهولِ قِفْ بجوارى وشاهدْ بعين النقد سِربَ جَوارى
فواتنُ عنهنَّ الثيابُ تكشَّفتْ وكم سوأةٍ للكاسياتِ تُوارى



عبد الله بكرى

عماثيلُ: للفنّ البديع نماذجٌ وللمقتنى قد صِرْنَ خيرَ عوارى (١)
فلو عُرِضَتْ (فينوسُ) لم تلقَ مُعجباً بها، ثم لم تظفرْ بغيرِ بَوارِ!

(١) جمع عارية: ما يستعار.

ويقذفهنَّ الموجُ مثـلَ لآلىءٍ على الشطّ منهُ لم تُصَبْ بدوارِ
فهنَّ كصيد البرِّ ، والبحرُ لم نزلْ نطاردهُ دوماً ونحن ضوارى
إذا أنت لامستَ التى تستطيبُها نعمتَ ولم تلطمك ذاتُ سُوارِ
تعطَّشْنَ لم يَروين فى البحر غُلة وفى وصلِ مَن يهوينَ رىُّ أُوار (١)
أوانسُ لا يحلمن إلاَّ بزيجةٍ وبيتِ نعيمٍ حافلٍ بشوارِ ...

عبد الله بكرى







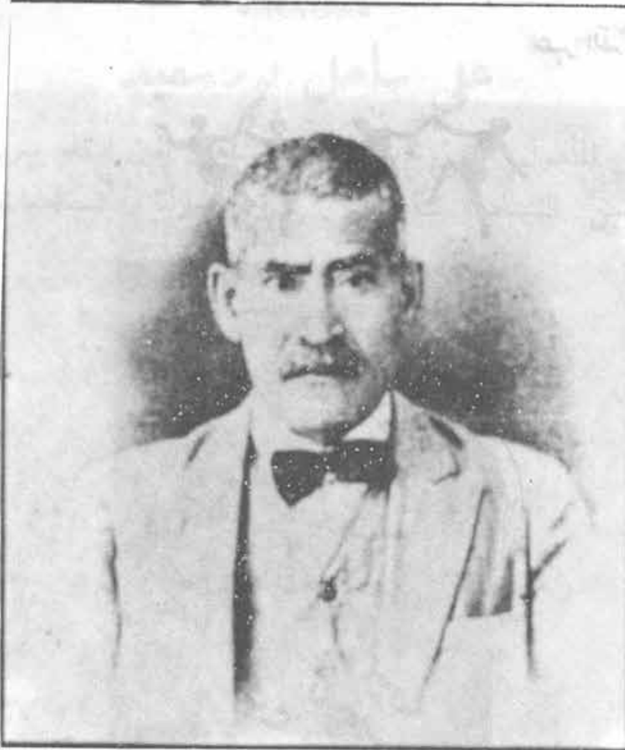
من همومى

مِن هُمومى فيكِ ما جرَّ عنى وَجَعَ المرْضَى ، وذُلَّ البائسين
رُحْتُ أستشفى ، فما ألفيتُ لى مِن دواءٍ ، غيرَ تَردادِ الأنين
آهِ ، لولا الحبُّ ياقاتلتى عِشْتُ فى الأحياء عيشَ الناعمين
إنَّ عندى من أحاديثِ الهوى روعةَ الدنيا ، وَشَجْوَ العالمين
بَيْنَ عَيْنَىَّ ، وَمَا حوْلَهُما صُحُفٌ منشورةٌ للقارئين
يَعْطِفُ السَّطْرُ على السَّطْرِ كَمَا يَعْطِفُ الباكى على الباكى الحزينْ !

***

(١) الأوار : العطش ، والشوار : اللباس والزينة .

يا قتيلَ الغيدِ لا تُخفِ الهوى وَاحتَسِبْ نَفسَكَ بَيْنَ الهالكينْ
هاتِ عَيْنَيكَ ، وَخُضْها لُجَّةً غَرِقَتْ فيها دُمُوعُ العاشقينْ
هِيَ كالكوثرِ فى حُرمتِهِ مَوْرِدِ الرُّسْلِ ، وَحَوْضِ المتّقينْ !
رَفْرَفَ (الرُّوحُ) عليها ، وَمَشَى فى نَوَاحِيها (إمامُ المرسلينْ)



احمد محرم

حَرَمُ العِفّةِ ، أَوْ قُدْسُ التُّقَى لَمْ تُدَنِّسْهُ ذُنُوبُ الخاطئينْ
ذَابَتِ الأَنْفُسُ فيها وَجَرَتْ فى عُبابٍ مِنْ هُيامٍ وَحَنِينْ

***

يا كِتَابَ الدهرِ ، حَسْبِى مَا وَعَتْ صَفَحَاتُ الحبِّ ، مِنْ دُنْيا وَدِينْ
هِيَ لِلزُّهّادِ وِرْدٌ سَائِغٌ وَهِيَ جِدٌّ بَالِغٌ للعاملينْ

احمد محرم

خطرة ضمير

يا نائياً والفــؤاد فى أثرِهْ   مضناكَ سلْه إن شئتَ عن خَبرِهْ
قد عزّه شــوقُـه فأسهره   يا ويحَ للمستهامِ من سهرِه!



محمد صادق عنبر

يَطوى من الليــل بُردَه تعباً   لم يشكُ مَنْ طوله ولا قِصَرِهْ
مردداً فى نجومــه بصَراً   حتى تملَّ النجومُ من بصرِهْ

وكلما لاح بينها قمرٌ هفا به شوقُه إلى قمرِهْ
يا رحمتا للمحبِّ ما صنعتْ به عيونُ المها على حذرِهْ
كم يشتكى من صدودِ فاتنه إذا غفا عاذلوه فى سَحَرِهْ
ويرسل الدمعَ من محاجره يَسيل منظومُه بمنتثرِهْ
يا ساكنَ القلب وهو ملتهبٌ سلمتَ من حرِّه ومن شررِهْ
رفقاً بمضنى غدا على خطر وراح من حُبه على خطرِهْ
مَن مُسعد الصبّ فى هوى رشأ الحسنُ فى دَلِّه وفى خفرِهْ
والغصنُ يهتز فى غلالته والبدرُ باد منها لمنتظرِهْ
مَنيّةُ المستهام ناظرُه ومُنيةُ المستهام فى حَوَرِهْ
يا خائفَ السحر لا مررتَ به فالسحر فى لحظه وفى سمَرِهْ
ويا صريعَ العيونِ خُذْ حذَراً مِن فاتكِ الطرف جِدِّ منكسرِهْ

***

ما أنسَ لا أنسَ ساعةً عدلتْ عُمرى، مدّ الالهُ فى عُمرِهْ
نعمتُ فيها من أنسه طرباً بالحسن يبدو فى الجمِّ من صُوَرِهْ
يؤنسنى والعذول يُضجره أفديه فى أنسه وفى ضجَرِهْ
رحماك يا هاجرى، بلغتَ مدى هجرِ الذى أنتَ منتهى وطرِهْ
تجدُّ فى التيه ما يجدُّ به هواك، مهلاً أسرفتَ فى ضررِهْ
يا نظرة قد جنت علىّ؛ وهل جنى على مغرمٍ سوى نظرِهْ؟
لم أجنِ غير الهوى ولا ظفرتْ يداىَ إلا بالمرِّ من ثمرِهْ

محمد صادق عنبر



ماذا يضيرك ؟

ماذا يَضيرُكِ والأيامُ عاصفةٌ بزهرةِ الحبِّ أو زهر الرياحينِ
أن تقطف الحسنَ من قبل الرواحِ به فما الزمان على حسنٍ بمأمونِ
وتُسعفيه وقد أمسى على تلفٍ من الغرام فؤادٌ جِدُّ محزونِ
فهل لياليك عند النيل عائدة إذْ استمدَّ حديثاً منك يحيينى؟



سيد ابراهيم

لولاكِ ما عرفتْ نفسى الغرامَ ولا حسبتُ لولاكِ أنَّ الحبَّ يَضنبنى

* * *

رَدَّدْتُ ذكراكِ أثناء الرحيل ضُحًى عند الجزيرةِ ما بينَ البساتينِ
والشوقُ يَعْصِفُ بالذكرى فيوقظها فيا لَهُ مِن جوًى فى الصدرِ مكنونِ

والوردُ يَعبق ريَّاه فيُلهمني ... عن أجمل الناس فى روحٍ وتكوينِ
والطيرُ يُرسل أناتٍ فأحسَبُها ... عن الهوى والمنى والشوقِ تدعوني
والبحر يُضمر موجاً ثم يُظهره ... كالقلب ما بين تحريكٍ وتسكينِ !
وصاحبي المثلُ الأعلى مودّتهُ ... يهوى هـواىَ وما يُبكيه يبكيني
فقلتُ : ياليتَ أهلَ الحسن قد بذلوا ... مِن نعمةِ الوصلِ يوماً للمساكينِ
وبدّلوا بؤسَ دنيانا بنعمتهم ... فلا نرى الدهرَ صَرْعَى الخُرَّدِ العِينِ
إنَّ التى لجمالِ النفس أعبدها ... لا زال حظى منها حظ مغبونِ
وإنْ تكنْ لا تراها الدهرَ عابسةً ... رقيقةُ القلب مِنْ عطفٍ ومِنْ لينِ
فقال لى صاحبي والودُّ يدفعه ... للعتب ، وهو بأقصى الهجر يغريني :
ماذا أفادكَ لمَّا أن كلفتَ بها ... « وكان حظك منها حظَّ مغبونِ »
فى ذمةِ الحب ما ضيعتَ من زمن ... وما تحملتَ من ذلٍّ ومن هُونِ
فاتركْ هواها ولا تصبرْ على قلقٍ ... مِن حُبِّها ودعْ الذكرى الى حينِ !
فقلتُ : هل لِنباتِ الشمسِ إن حُجبتْ ... نسيانُها وهى روحُ الماءِ والطينِ ؟!

سيد ابراهيم



تِهْ يا حبيبُ !

نَقَضَ الوفاءَ وأعلنَ العِصيانَا ... ومضى وخلّفَ فى الفؤادِ مكانَا
وازوَرَّ عنكَ فلم تكنْ متجهماً ... ممـا لقيتَ ولم تكنْ غضبانَا
سيانِ عندكَ وصلُه وصدودُه ... فلقد بلوتَ مِن الهوى ألوانَا
زعموك مِن خَوَرٍ تئن فأبصرُوا ... إذ أبصروكَ الجُلْمُدَ الصَّوانَا
يا قلبُ مالكَ لا تروعك مُقلةٌ ... قد هدّمَتْ من غيرِكَ الأركانَا
أكذاك تَصْمُدُ للغرام ، فإن قسَا ... يوماً عليكَ تقاوم الوجدانَا ؟!

* * *



مصطفى محمود الكيك

تِهْ يا حبيبُ إذنْ ولا تكُ شامتاً … لى مهجة لا تعرفُ الأشجانَا
واهْجرْ محبَّك ما حلا لك هجرُهُ … فاذا عزمتَ فجدِّدْ الهجرانَا !
انى لأُقسِم لن ترانى واجماً … مما تجىء به ولا حيرانَا
إنَّ الذى جعلَ الزمانَ مطيةً … أمِنَ النوازلَ فيه والحِدْثانَا

مصطفى محمود الكيك



تحت الكرمة

يا ليلُ فاسْتُرْ علينا سِرَّ خَلْوتنا … واتْرُكْ نجومكَ طىَّ الغَيْمِ تحتجبُ
وغيِّبِ البدرَ، إنَّ البدْرَ يفضحُنا … ولا تدَعْ نسماتِ الصُّبحِ تقتربُ
ما كلُّ يومٍ يوافينِى الحبيبُ ولا … فى كلِّ يومٍ ينالُ الوصلَ مرتقبُ
أتتْ إلىَّ تناجينى وقد غفلتْ … عينُ الرقيبِ فلا لومٌ ولا عتبُ
تسيرُ سافرةً حيناً وتحجبها … حيناً عن النظرِ الأوراقُ والقُضبُ

شَبَّهْتُها وأنا فِى الكَرْمِ منتظرٌ بالبدرِ وارَتْهُ فى تَسْيارِهِ السُّحبُ !
جاءَتْ تواصلنى فى كَرْمَةٍ سَتَرَتْ غرامَنا وتدلّى فوقنا العِنَبُ



غادل الغضبان

تَمُرُّ من تحتنا الركبانُ سائرةً فيقطعُ العَوْدَ من أنفاسِنا الرَّهَبُ !
حتى إذا ابتعدتْ عنا أواخرُها عُدْنا يُنَفِّسُ عنّا اللَّهْوُ واللَّعِبُ
نطوفُ بالكَرْمِ تحمينا خمائِلُهُ وتكتُمُ الوَقعَ من أقدامنا العُشُبُ
قضيتُ ليلىَ مَعْها فى مسامرةٍ يُجيزُها الحارسانِ الطهرُ والأَدَبُ
لم نَصْحُ من غفلةٍ كانت تحيطُ بنا إلاَّ على عَبَراتِ الفجرِ تنسكبُ
ودّعتُها آسفاً والعينُ دامعةٌ والقلبُ مثلَ جريحِ الطيرِ يضطَرِبُ
قبَّلتُها قبلَ وَشْكِ البينِ مرتعشاً وقَبَّلتْنى وسارتْ وهى تنتحبُ
ياصبحُ فرَّقتَنا مِنْ بعدِ خلوتِنا ياليتَهُ لم تُزَحْ عن وجهِكَ الحُجُبُ

عادل الغضبان



ابولون والشعر الحيّ

بقلم الدكتور على العنانى

— ١ —

١ — فى عالم الشعر اختلاف كثير فى الخيـال والتفكير ، وفى بيئات الشعراء تغاير وفير فى الحظوظ والجدود .



الدكتور على العنـانى

فمن الشعر ما هو غنـائى فى المـدح والهجاء والوصف والحماسـة والفخر والنسيب ، ومنه ماهو قصصى ينتزع من الخيال والطبيعة أو من الحوادث والوقائع أو من مزيج منها قصة واحدة أو مجموعة أقاصيص يذيعها ويرويها .

ومن الشعر ايضاً ما هو تمثيلي يستعيد الماضي ويبرزه فى صورة الحاضر متمثلاً

فى ذلك المكان والأشخاص والحوادث والمفاجآت .

ومنه ما هو حكيم يكشف عن اسرار الطبيعة ويحل الالغاز الكونية ويحدّ الفضيلة أو يبين مكارم الا خلاق ، يهذب النفوس ويضع نواميس الاجتماع .

أما الشعراء فنهم المعدم المستجدى الذى يعيش من التكسب بشعره ، تفرحه الهدية وتنعشه الجائزة ، وتفرج كربته فسحة الأمل ، فهو معدم آمل .

ومنهم المعدم اليائس الذى لاتندى له راحة انسان ، ولايلين له قلب رحيم،فهو بأس يائس ، مطمور فى عيشه وحياته مهما غرد بشعره وخياله .

ومن الشعراء من أثرى بشعره وصار به أميراً ، أوكان من أجله وزيراً ، تقلد بفضله الوزارتين ، وجمع بسلطانه بين الرياستين .

ومن الشعراء أيضاً من سما فوق كل ذلك : فلا يؤلمه بؤس ، ولا يفرحه ثراء ، ولا ينتابه يأس ، ولا يعزيه أمل ، بل هو السعيد بنفسه وبخياله وشعره . له الدنيا وما فيها وهو يزهدها ، وله الأشراف على الملك والملكوت والتجول بين عالمى الشهادة والغيب . رغباته فى الملأ الأعلى قائمة ، وشهواته فى عالم المادة متلاشية . لا تراه يزهو ويلهو ، ولا تبصره ييأس ويئن ، تتغير الأحوال والأوضاع وهو على صورة واحدة ونمط مستقر لا تغير ولا اضطراب فيه .

ولماذا هذه الاختلافات فى عالم الشعر ؟ وأى نوع منه هو الحى وأى صنف هو الحكيم ؟

ولماذا هذه المتناقضات فى الشعراء ؟ وأيهم أفضل ؟ وأيهم أهدى ؟ وأيهم أجدى ؟

***

٢ — جواب هذا كله عند أبولون إله الصنائع والفنون . فهل من رحلة إليه ؟ وهل من نقله الى رحابه لنستلهم منه السر فى ذلك ونستوحيه جلية الأمر ؟ نعم لا بد من هذه الرحلة ! ولا بد من رؤية الاله العظيم الفنان ! فهيا بنا اليه !

هيا بنا إلى معبده فى ديلفى !

هيا بنا إلى عرشه وسط عروش الآلهة على قمة الاولمب !

هيا بنا إليه فى معبده ! وعلى عرشه ! وفى أى مكان آخر يحوم فوقه ويرفرف عليه !

٣ — وبينا أنا على أهبة السياحة فى أثير الخيال باحثاً عن الشعر والخيال فى رحابه الأعلى وأفقه الأسمى إذا بى قد فاجأتنى ضجة جـذبتنى اليها ! فاستجليتها فاذا بها مشادة عنيفة بين شاعرين قد احتكما اخيراً الى ثالث سوّى ما كان بينهما من خلاف !

امتعنى حديث هؤلاء الشعراء الثلاثة واستهوانى الى متابعة سماعه وارجاء الرحلة إلى أپولون إلى وقت آخر وفرصة قريبة .

أما الشاعران المتجادلان فاحدهما مطبوع ولـكنه بأس ، وثانيهما عبقرى غير أنه يأس . وشعر الأول حى ، ونظم الثانى طلى . فذكر كل واحد منهما لصاحبه ما هو فيه من بؤس وأمل أو بؤس ويأس . فاجتمعت كلمتهما على الـعُدم والبؤس والفاقة والفقر فى كل شىء إلا فى الخيال الشعرى ،فهو عندهما خصب وهما ملكاه والقابضان على صولجانه . والقائمان على ثرواته وكنوزه . واختلفا فى أمر اليأس يظهره الشاعر العبقرى ويستنكره صاحب الشعر الحى ، واشتدت الخصومة بينهما فى ذلك وقوى اللدد .

وبينما هما فى نزاع وتنافر وتنابذ تناحر إذا بشـاعر حكيم قد مرّ بهما مستغرقاً فى عالم الخيال الحـكيم لايشعر لهما بوجود ولا يدرك منهما اثراً لنزاع أو ضجيج . فاستوقفاه وكانا يعرفانه من قبل وأحسب أنه ابوشادى واحتكما اليه وقص كل واحد منهما عليه قصته فقال للعبقرى :

أيها الشاعر العبقرى إن وحى خيالك الشعرى ينزله عليك شيطان من شياطين عبقر ، يلهمك به ضروب الشعر واسـاليبه وأخيلته وفنونه ، وهو فى ذلك يهدى ويضل ويرشد ويغرر ، فيجود شعرك تبعاً لذلك ويضعف،فتسعد بذلك وتشقى . واذا كنت مع هذا معدماً فربما ألقى شيطانك فى قلبك اليأس . وبئس البؤس مع اليأس !

وأما أنت أيهـا الشاعر المطبوع فانك تستلهم صور الشعر وخياله من وحى إله صناع فنان يلهم الصنائع والفنون من أپولون سلالة الآلهة أهل الطراز الأول وصاحب المـكانة الرفيعة بين آلهة الأولمب . والسعيد فى فنه وفى الهامه اذا ألهم أو أوحى فانه يلهم الحيـاة والسعادة ويوحى بمكنونات الـكون واسرار الوجود ، فيكتسب عنه الأسـرار ويحل الالغاز ويهدى الى الحقيقة وقوة الحيـاة فى صورة الخيال . فأنت أيها الشاعر المطبوع لا تنطق إلا بالشعر الحى المعبر بالهام من أپولون عن معنى الحيـاة فى الوجود العـام بأسره ، فأنت شاعر حى وأنت شاعر مطبوع



أبولّون (إله الشعر) يصلح وتراً موسيقياً لكيوبيد
(إله الحب)

وانك وإن كنتَ يائساً فأنت سعيد بحياتك وبنظرك الى الحياة ، كلك أمل وكلك رجاء . لايتطرق اليأس من أية ناحية اليك إذ لا يأس مع الحياة .

٤ — وبعد هذه الكلمة الحكيمة التى قد وقعتْ بين المتخاصمين وأعادت اليهما السكينة قال الشاعران لصاحبهما الشاعر الحكيم :

ومن أنت أيها الشاعر الحكيم ؟ وهل أنت غنى وسعيد ؟ أم أنت معدم وفقير ؟ أم بائس يائس ؟ فأجابهما قائلا :

نعم ، أنا شاعر حكيم . أعرف الفقر ولا أدرك له أثراً فى نفسى ، وأتميز الثراء ولا أطلبه ، وأشرف على الشقاء وآثاره وأنا بعيدٌ عنه ، وأنظر إلى الشر ووقعه وهو لايدرك إلىَّ سبيلاً .

فقالا له : وكيف كان ذلك ؟

فقال : زعموا أن البارى حين خلق خليقته وأوجد الانسان على سطح البسيطة قسم المعمورة منها على افراده ، فأخذ كل واحد بنصيبه تبع حظه وبقى الشاعر الحكيم بلا نصيب مطلقاً . وكان كلما تجول فى المعمور وجده مملوكاً ، وكلما مرّ بقوم ضنوا عليه بمأوى يأوى اليه عندهم ، فلم يبق له الا الجبال والدهناء وسطح الماء ، غير انه لم يقو على الالتجاء اليها والاقامة فيها ، فذهب الى ربه وشكا اليه ما حل به من تركه منبوذاً عن هذا التراث المادى العظيم .

فقال له البارى : وأين كنت حين التقسيم ؟ قال الشاعر الحكيم : كنتُ يا مولاى مستغرقاً فى جمالك وجلالك وعزتك وعظمتك وقدرتك وحكمتك وبديع خلقك وانسجام خليقتك ، باحثاً عن كنهك محض الخير وعن سبب خلقك ما خلقت وعن السر فيه ! فقال له الرب : وهل الأرض وكل ما فيها من نعم وخيرات أحبُّ اليك من استغراقك فى جلالى وابداعى ؟ دع الأرض وما فيها واركن الى رحابى يعظم شأنك وتسعد سعادة كلية تكون بها فوق كل مؤثرات السوء والشر . فقال الشاعر الحكيم : رضيت يامولاى ولا أفكر الا فى هذا الملأ السعيد فى رحابك الأسمى ومنه أنظم للناس شعرى لعلهم به يهتدون .

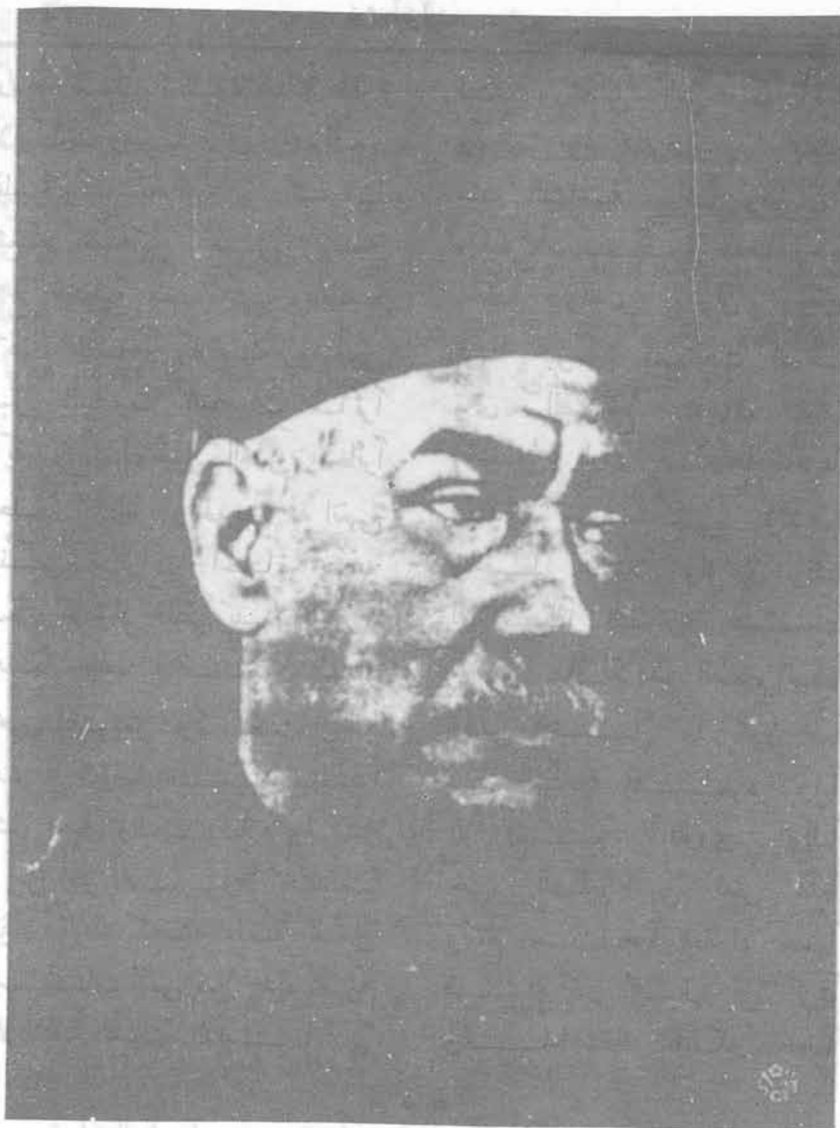
***

٥ — ومهما يكن من أمر هذه القصة وما تشتمل عليه من ايضاح فى الموضوع فاننا لازلنا على عزمنا فى أمر الرحلة الى إله الشعر أبولون ، وسنحدثك عنه وعن آثاره فى مقالنا الآتى وموعدنا به قريبٌ .



محمد حافظ ابراهيم

الشّعرُ بَعــدكَ لن يعيشَ يَتيماً ... والنَّظْمُ دونَكَ لن يهــونَ نظيماً
وزَّعْتَ رُوحكَ فى الحياة فأطلعتْ ... عُمراً ، وصيرتِ المماتَ عــديماً
طُبعتْ بهـا الآياتُ للأدبِ الذى ... ما زلتَ فيـــه على البعادِ زعيماً
أدبٌ تسير الشمسُ بين ركابهِ ... فى الخافقيْنِ وتحفظ التَّعليماً
يحيا عــلى كرّ الزمانِ ولم يكن ... ليمــوتَ لو غابَ الشعاعُ رميماً
مِنْ طينِ (مصر) نما ومِنْ أنفاسها ... والأرضُ لا تُنمِى الشُّعورَ ذميماً
نَحْتُ الحيـاةِ وتارةً تمثيلُها ... عاشا مثالاً مِنْ نَـــداهُ وسيماً
ما كان رَمْزاً للقسامةِ مَظْهَراً ... كالكنزِ خَبَّأَ حالياً وقسيماً
لا يَستخفّ بما يصــوغ كِيانَه ... فيجيء مُعْجِزُه الجرئ قويماً
إنْ كان تَنقُصه الرشاقــةُ تارةً ... فمن الرشاقةِ ما يكون سقيماً
يُلقيه فى الحفلِ العظيمِ رسالةً ... فيهزّ صحباً إذْ يَهُزُّ خصيماً
كالأنبياءِ يفيض عن ايمانه ... باللفظ شَهْداً والبيانِ شميماً
فى جوهريّ الصّوتِ يدوى عالياً ... حتى إذا أشجاكَ عادَ حليماً
خضعتْ له المُهَجُ العزيزةُ وانثنى ... بالراحِ يَشفى عانياً وكليماً
فترى الحياةَ تدبُّ فى ألفاظه ... والصوتَ ينهض بالحروف رخيماً
وتراه فى المعنى وفى المبنى سَما ... فوق النّبوغ إذا التَّفوّقُ رِيما
وينال بالالقاءِ عُمراً آخراً ... مِنْ رُوحهِ ويَزيده تفخيماً
ولكم يموتُ الشِّعرُ مِنْ مُتعثّرٍ ... فتراه فى أبهى الجمالِ هشيماً
حزنتْ نفائسُه لفقدك حينما ... موتٌ كموتك يُشبه التكريما
تمضى الى دُنيا الخُلودِ وقبلها ... مُلْكُ الخيالِ مَرحْتَ فيه نسيماً



المغفور له

محمد حافظ ابراهيم بك

(١٨٧١ — ١٩٣٢ م.)

رُوحٌ شَباةُ السَّيف حِدَّةُ خاطرٍ فيه ، ووَحْيُ الفنِّ فيه أقيما
لاقى الحُروبِ ودامَ فى حَرْبِ المُنَى ومَضَى ولم يَعرِفْ بها التسليماَ
غلبتْ بَسالتُه الزَّمانَ وأشرقتْ منه البشاشةُ سالماً وسليماً (١)
يتميَّز القَدَرُ العَتِىُّ بنظمه ويَقُصُّ أسرارَ القضاءِ رحيماً
جمعَ الشبابَ مع المشيبِ فأطلعا حِكَماً وآياتٍ تَزينُ حكيماً
زَهَت الفصاحةُ والرَّصانةُ والحِجى فيها نُجوماً تَستَحِثُّ نُجوماَ
يَبنى البيوتَ العامراتِ مآثراً وهى الصوامعُ للجمالِ سليماَ
ويَصوغُ للوطنِ العزيزِ ذخائراً (النيلُ) باركَ كَنزَها فأُديماَ
حلْوُ الدُّعابةِ والحديث فما انتهى مُتذوِّقٌ منه نُهًى ونديماَ
يَنسَى مراراتِ الحياةِ بقُرْبهِ والحَظَّ خَتلاً والزَّمانَ لئيماَ
صافِى الفؤادِ فليس يَنبِضُ مَرَّةً الا صَفِيّاً للنفوسِ حميماَ
عَلَمٌ بقامته ونخوةِ قلبهِ كم صانَ للأدبِ الصميمِ صَميماَ
يحيِى القريضَ وكم يُغيث رجالَه والفَنُّ أجملُ ما يكون عميماَ
يحنو على البؤساءِ حين استعذبوا منه الشِّفاءَ بشعره ترنيماَ
نَشَرَ المحبةَ والسَّلامَ ولم يَذُقْ الاَّ ألِيماً للورى وأليماَ
كم مِنْ أيادٍ للمروءة حُجِّبَتْ حتى العليمُ بهنَّ ليس عليماَ
حَفِظَ الوفاءَ كحفظهِ لُغةَ العُلَى وأشعَّ سحراً للعقول جسيماَ
هيهاتَ أنسى مِنْ نداه مَحبَّةً قد كان يُسبغها علَىَّ كريماَ
لولا المحبةُ فاضتْ الدنيا أسًى وغدا شقاءُ الهالكينَ جحيماَ

* * *

يَبكيك وِجدانُ العُروبه مُنقذاً والجهلُ قد نشرَ الظلامَ بهيماَ
يَبكيك مَنْ عبدوا الوفاءَ ، وكلنا ذاكَ الوفىُّ المرتجيك قديماَ
أماَّ أنا فأردُّ دمعى ، طائراً فوق الأثيرِ لكىْ أراكَ نعيماَ
وأعاف مِنْ شعرِ الرثاءِ مَناحةً وأداه ذكراً شاملاً ومُقيماَ
رَبِحَ الذين رَثوْكَ شأوَ مَفاخرٍ وعَدا الذى أغفلْتَهُ التَّعظيماَ
لكنْ وَدَدْتُكَ مَنْ يصوغ لىَ الرِّثا عن أن أصوغَ لك الرثاءَ كليماَ

---

(١) سليماً : جريحاً .

شعرٌ تُقاسُ به الحياةُ ومَجدُها ويُخلِّدُ الظلَّ السريعَ رُسوما
ولكم تمناه الاديبُ كنوزَه عن أن تدومَ له الحياةُ خديما
وتُعَدُّ من نِعَمِ الحياةِ وبرِّها نفسٌ كنفسك لا تُسيء خَصيما
طُبِعَتْ على الزُّهْدِ النقيِّ وقدَّرتْ في الجاهِ غَبناً واليسارَ غريما
ما الحيُّ الاّ نفحةٌ علويةٌ ما الميْتُ الاَّ مَنْ يعيش أثيما
فلكَ البقاءُ السَّرْمَدِىُّ فانما خُلِقَ البقاءُ لمن يموتُ عظيما

احمد زكى أبوشادى





قطعة من رواية عنترة

حوار بين مالك ابى عبلة واخويها وبين عبلة لاقناعها بالعدول عن عنترة

زُهير لصخر : (صخرُ) ما يبتغي أبي ؟ ليتَ شِعري ما وراءَ النداء ؟

صخر : ما لا يَسُرُّ

زهير : والدي ثائرٌ (وعبلةُ) غَضبىَ أنا أخشى بأن سيحدث أمرُ

مالك لعبلة : سيدور الحديثُ حول (ابن شدَّا

دَ) خُذِي الحذرَ (عبل) في الناس شرُّ

مالك لصخر : قل لها (صخرُ) كيف صرنا حديثاً

عبلة : ليكنْ يا أبي ! فماذا يَضُرُّ ؟

مالك : (عبل) أصغى ! فى أرضِ نجدٍ شبابٌ
أطلعــــوا فى سمائِها أقمارًا
منهمو الأُســــدُ جُرأةً وثباتاً
والقــــوارينُ نِعمةً ويسارًا

عبـلة : مِثلُ مَنْ ؟

مالك : ما جهلتِ (سرحانَ) يا (عبـ
ل) ، لم يخفَ عنكِ ليثُ الصحارَى

عبـلة : ذلك المحتمى بدولة (كسرى) المعنّي لفارسَ الأنصارَا
لا تراه ولا تلاقيه إلا فى ركابِ العدوّ حيث أغارَا

صخر : أو كعمرٍو ؟

عبـلة : ومَن بربّكَ (عمرٌو) ؟

صخر : عامرىٌّ مِن أرفعِ البيـدِ دارًا

زهـير : من (بنى الأشـترِ) الـكثيرين مالاً
ونخيلاً وضيعـــــةً وعقارًا

عبـلة : قد عرفتُ الغلامَ : ذاك الفتى النِّضْـ
وُ الذى لا يُطيق يَـقتل فارًا !
كلَّ يوم مع العـذارى كثيرَ العُجْـ
بِ مستحيياً كاحدى العـذارَى !
أترى يا أبى وأنتَ أخى يا
(صخرُ) كيف انتقيتُما الاصهارَا !

زهـير : وأنا لا أرى (عُبَيْلَةَ) خيراً
مِن أبيكِ ولا أخيـكِ اختيارًا
أنتِ مفتونةٌ بأسودَ عبدٍ
مِن بنى عمنا تَسربلَ قارًا !

عبـلة : أوَتعنى الذى حمى حوضَ (عبسٍ)
وكسا البيدَ سؤدداً وفخارًا ؟!
والذى قـلّدَ الوقائعَ والأيا
مَ (عَبساً) وخـلّدَ الاشعـارًا ؟!

يا (زهير) اتئد متى ! كانت الألـ
وانُ تَبنى وتَهدم الاحرارا ؟ !

لم يحطّ السوّادُ من أسَدِ القفـ
رِ ولم يرفعْ البياضُ الحمارا !

أرأيتَ السوادَ قد عَبّدَ الليـ
لَ كما عبّدَ البياضُ النهارَ ؟ !

جرّرَ الناسُ في النهارِ قيودَ الـ
عيشِ ، مَنْ كدَّ أو سعَى أو دارا





أنين

أئنُّ وماذا يُفيــدُ الأنينْ
وأنتِ – كما أنتِ – لا ترحمينْ ؟

وما حيلتى ؟ إنْ تباعدتُ عنكِ
أحِنُّ للقياكِ كلَّ الحنـــينْ

حنينى اليـكِ حنـينُ فتًى
يكاد يذوب وما تشـــعرينْ

الى الله أشكو – فينكر ما بى
من الوجد قلبٌ عليكِ حَنونْ

يخـاف عليكِ شـكاةَ فى
وأنتِ التى فى دمى تُسرفينْ

ونحـاو لدىَّ كؤوسُ الرّدى
لعـلكِ يومَ الرّدى تُشفقينْ !



محمود صادق

فلو كان حُبىَ ذنباً عفوتِ ... ولو كان قلبُكِ صخراً يلين
اليكِ وفأنى ومنكِ شقائى ... وحسبى من الحظ ما ترتضين
تخطّى قضاءكِ فوق الفؤا ... دِ فلله ماخَطَّ فوقَ الجبين

* * *

الأمل الضائع

يميناً ، لقد ذابتْ حشاشةُ مؤمنٍ ... بحبكَ فانظرْ ما الذى أنتَ صانعهُ
أُعلل نفسى بالخيالِ وبالمنى ... وإنْ يكُ حظى من رجائكَ ضائعهْ
رجاءٌ كمرّ الطيف زارَ مودِّعاً ... وهَمٌّ كليلِ الصبِّ طالتْ وجائعهْ
فلا أنا حى هادىء البال ناعمهْ ... ولا انا ميت تستقر مضاجعهْ
سلاماً ! رويدالدمع ، ماأنتمشفق ... أماناً ! رويد البثّ ، ما أنتسامعهْ
سأفنى ويفنى كلُّ قلبٍ معذبٍ ... بحبكَ حتى تستكين أضالعهْ
أليسْ قضاءُ الله حقاً وفاؤه ... على الناس حتى تُستردَّ ودائعهْ ؟ !

محمود صادق



المساء فى الصحراء

دنا الليـلُ والصَّحْراءُ فى روعةٍ له ... وإنْ لُمِحَتْ فى راحةٍ وسُكونِ
ولم يَبْقَ من شمس الغروب ونورها ... سوى لوعـة فى صُفرةٍ وحنينِ
تُقَبِّل كثبانَ الرمالِ ، وكلُّ ما ... تقبِّل فى وجدٍ ويأسٍ حزينِ
غزتْها جنودُ الزِّنجِ والوقتُ مُسعفٌ ... وكم داولتْها فى ألوفِ قرونِ
هو الوقتُ لا يرعَى جمالاً برحمةٍ ... وكلُّ سعيدٍ عنده كغبينِ
دنا الليلُ والشمسُ السخيةُ أخلفتْ ... حرارتُها موتاً وبُخْلَ ضنينِ
وأقبل قُرُّ الليل قبلَ مجيئه ... فيا لخؤونٍ سابقٍ لخؤونِ !
تَهارَبَ منه أهلُها وتجمّعوا ... على النار مثلَ العابدين لدينِ
ومدّوا الأيادى السائلاتِ نوالها ... فنادتْ عليهم فى لسانٍ مُبينِ
ووزّعَتْ السحرَ الذى يرتجونه ... حياةً وايناساً وأمنَ أمينِ
تكاد العيونُ الناظراتُ لهيبَها ... تَناولُ منها ذُخْرَها لسنينِ
وتبخل حتى بالدخانِ يفوتها ... وتُؤْخَذُ من ألوانها بفنونِ !
وقد وقفَ الجمّالُ والجملُ الذى ... عليها أطلالاً فى خشوع مَدينِ
كأنّ بها للشمسِ رُوحاً تنوَّعتْ ... وقد سُجِنَتْ لكن كغيرِ سجينِ !
وهل دانت الصحراءُ الآنَ لشمسها ... جماداً وحيّاً قبل جودِ عُيونِ
كأنّ تلالَ الرمل كنزُ أشعةٍ ... من الشمسِ فاعتزّتْ بكلِّ ثمينِ
دنا الليلُ فاخطفْ قبل فوتٍ مُنوَّعاً ... من الظِّلِّ والأصباغِ غيرَ مَهينِ
فهذى صنوفٌ من حياةٍ تبدّدتْ ... وهذى مَعانٍ مِنْ مُنىً ومَنونِ

احمد زكى أبوشادى



بين الحياة والموت

أتحتَ الشمس أم تحتَ الترابِ ... حللتِ اليوم يا ريّا الشبابِ ؟
فقد نُبّئتُ مِن عامٍ تولّى ... بأنكِ قد عزمتِ على الذهابِ
وأنّ الطِبَّ قلّبَ راحتيْه ... وأطرق ثم آذنَ بانسحابِ
وما أقبلتُ فى العُوّادِ يوماً ... لأسألَ أين أنتِ مِن المُصابِ
فهل قصّرتُ ؟ لا أدرى ، ولكنْ ... فزعتُ لدى السؤالِ مِن الجوابِ
خشيتُ يقال قد وهنتْ فماتت ... فآثرتُ الوجومَ على الخطابِ
رأيتُ الريبَ أروحَ لى وهذى ... لأوّلُ راحةٍ فى الارتيابِ
فما أقسى اليقينَ اذا تولى ... بآمالٍ واحلامٍ عِذابِ !
أغالط فيكِ نفسى فهو أجدى ... عليها مِن خطوبٍ فى الصوابِ
وأوهمها بأنّكِ لم تزالى ... بقيدِ العيشِ ناعمةَ الأهابِ
فإنْ ترجُ الدليلَ على حياةٍ ... أقلْ : هاتى الدليل على تبابِ
فإن قالت : أما غابت طويلا ... أقلْ : لِمَ لمْ تكن رهن اغترابِ ؟
وهل كل الغياب يكون موتاً ... اذا ما الموت كان مِن الغيابِ ؟
فأنتِ لدىّ شئٌ غير شئٍ ... وأحجية من العجب العجابِ
أرى فيكِ الحياةَ ترفّ زهراً ... سقاه الموتُ مِن سمٍ مذابِ
فتوحش حيث تأنس منك نفسى ... وتنعم حين تجزع من عذابِ
مزيجٌ انتِ من دنيا وأخرى ... ينازعنى التسلّى والتصابى
فأيهما بهذا اليوم أحرى ؟ ... غبيتُ وسوف أمعن فى التغابى
وإنّ فتى يجيب على سؤالى ... أشرُّ لدىّ مِن وحشٍ بغابِ
أفرُّ مِن الألى عرفوكِ طُرّاً ... وأغلقُ دونهم سمعى وبابى



محمود عماد

مخافةَ أن يسوقوا عنكِ ذكراً فأعرف ما توارى بالحجابِ
وذكركِ كان قبل اليوم عندى أحبَّ الىَّ من عذب الشرابِ
أرجّيهِ حديثاً او نسيماً ولستُ اميل فيه الى اقتضابِ
فأمرى حالَ فيكِ لأىِّ حالٍ أهذا الفصلُ من ذاك الكتابِ ؟
كتابٌ كان متسقاً فصولاً وهذا الفصلُ عنها جِدُّ نابى
فغيبي ما بدا لكِ أن تغيبي وحلّى فى وهادٍ أو هضابِ
وظلّى فى حدودِ الكون صوتاً يُردَّد فى عمارٍ أو خرابِ
حليفةَ صحةٍ أو فى اعتلالٍ وفى صفوٍ وإلا فى اكتئابِ
ولكنْ حاذرى من أن تموتى فقد اسقطتُ هذا من حسابى !

محمود عماد



أدب الجاحظ

تأليف حسن السندوبى ، ٢٤٧ صفحة ، ١٦ ¼ سم . × ٢٤ ¼ سم .
الثمن ٢٠ قرشاً ، المطبعة الرحمانية بمصر

لا يعنينا من التحدث عن هذا السفر النفيس فى هذه المجلة سوى الناحية الشعرية وإن كان يجب أن يَعنى كل أديب يقدِّر شأن الجاحظ فى الادب العربى من وجهةٍ عامة ، وناهيك بكتاب أخرجته غيرة أديب مثقف كالسندوبى أحبَّ الجاحظ وعمل على جمع أخباره وتتبع روائعه سنين عديدة حتى جاء تصنيفه هذا دائرة معارف جليلة عن علَم من أعلام النثر العربى فى جميع العصور .

قال السندوبى : « تعلق الجاحظ بالشعر وحاول التبريز فيه والتفوّق فى مناحيه تبريزه فى النثر وتفوقه فيه وارتقاءه الى قمته وقبضه على ناصيته . ولكن الطبيعة أشدُّ ضَنّاً من أن تبلغ بانسان ذؤابة الكمال ، ولذلك لم ينل من الشعر ما أمَّل ولم يبلغ فيه ما قدَّر ، فرجحت كفة ميزانه فى النثر وشالت أختها فى الشعر . وكان يقول : طلبتُ علم الشعر عند الاصمعى فوجدته لا يعرف الا غريبه ، فرجعت الى الاخفش فوجدته لا يحسن إلاَّ إعرابه ، فعطفت على أبى عبيدة فرأيته لا ينقل الا فيما اتصل بالاخبار وتعلق بالانساب والأيام ولم أظفر بما أردت الا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات » .

وكان فى صباه يعد العروض ميزان الشعر ومعياره فلما لم يأنس اليه ولم ينل منه مأربه تناوله بالانتقاص فيما بعد ، وهذا طبيعى من الجاحظ لانه كان حرّاً يكره غالباً الاسجاع والاوزان فلم يكن من اليسير تعوده النظم ، ثم انه بفطرته غير شاعر بل حكيم دقيق، وقد يستوعب الشعرُ الحكمةَ ولكنَّ الحكمة وحدها لن تخلق الشعر، وهذا حكم الجاحظ نفسه على رجال العلم الذين قصد اليهم فى بداية دراسته للشعر والعروض . ولكن الجاحظ يقدر مع ذلك الوزن والروىّ بالنسبة لتأثير الشعر

المنظوم فى النفوس حتى قال إنه لا يُستطاع أن يُترجَم ولا يجوز عليه النقل ، ومتى حُوِّلَ تقطع نظمه وبطل وزنه وذهب حسنه وسقط موضع التعجب منه وصار كالكلام المنثور ، والكلام المنثور المبتدأ على ذلك احسن من المنثور المنقول عن موزون الشعر. وقد نُقِلت كتب الهند وتُرجمتْ حكم اليونان وحُولت آداب الفرس فبعضها ازداد حُسناً وبعضها ما انتقص شيئاً . ولو حُوِّلت حكمة العرب لبطل ذلك المعجز الذى هو الوزن ، ثم أنهم لو حوَّلوها لم يجدوا فى معانيها شيئاً لم تذكره العجم فى كتبهم التى وضعت لمعاشهم وفطنهم وحكمهم . وقد نُقلت هذه الكتب من أمة الى أمة ومن قرن الى قرن ومن لسان الى لسان حتى انتهت الينا ، وكنا آخر من ورثها ونظر فيها » .

ورأينا أنّ خيرَ الشعر فى جوهره ما قبلتْ معانيه النقلَ الى أية لغة دون أن تفقد رواءَها الفنى المستمدّ من خيالها ومغزاها واتجاهاتها ، وهذا لا ينفى اعتبارنا لأثر الايقاع الموسيقى فى النفوس . وليس رأى الجاحظ الاَّ رأياً غريباً عما يحسّ به الشاعر الصميم . ومما يروى للجاحظ من الشعر قوله :

وكان لنا أصدقاءُ مَضَوْا تفانَوْا جميعاً وما خلَّدوا
تساقَوْا جميعاً كؤوسَ المنو نِ فمات الصديقُ ومات العدوّ

وقوله وهو مريض :

لئن قُدِّمَتْ قَبْلى رجالٌ فطالما مَشَيْتُ على رِسْلى فكنتُ المقدَّما
ولكنّ هذا الدَّهرَ تأتى صُروفُه فتبرمَ منقوضاً وتنقضَ مُبْرَما

ومثل هذا النظم يزدان بالحكمة ولكنه ضعيف الشاعرية . والشعر قد يُلقَط من أفواه العامة ولكنه ليس مما يبتدعه تصنُّع العلماء والفقهاء ، وقد الجاحظ أنصف نفسه والشعر بتخليه عنه .

***

اسواق الذهب

تأليف أحمد شوقى بك ، ١٣٤ صفحة ، ١٦ ¼ سم . × ٢٤ ¼ سم .
الثمن خمسة قروش ، مطبعة الهلال بالقاهرة .

يتضمن هذا الكتاب طرائف من حكمة شوقى بك ونماذج من شعره المنثور وقد لجأ الى السجع فى فصول منه وذافع عن السجع غير المتكلف بقوله (ص ١٠٨) :

« السجعُ شعْرُ العربية الثانى وقوافٍ مرنة ريضة خُصَّت بها الفُصحى ، يستريح اليها الشاعر المطبوع ، ويرسل فيها الكاتب المتفنّن خيالَه ، ويسلو بها أحياناً عما فاته من القدرة على صياغة الشعر ، وكل موضع للشعر الرصين محلٌّ للسجع ، وكل قرار لموسيقاه قرارٌ كذلك للسجع ، فانما يوضع السجعُ النابغ فيما يصلح مواضع للشعر الرصين ، من حكمةٍ تُخترَع أو مَثَلٍ يُضرَب أو وصفٍ يساقُ ، وربما وُشِّيَتْ به الطوالُ من رَسائل الادب الخالص و رُصِّعَتْ به القصار من فِقر البيان المحض ، وقد ظلم العربية رجالٌ قبَّحُوا السجع وعَدُّوه عيباً فيها ، وخلطوا الجميل المتفرّد بالقبيح المرذول منه يوضع عنوناً لكتاب أو دلالة على باب أو حشواً فى رسائل السياسة أو ثرثرة فى المقالات العلمية . فيا نشء العربية ان لغتكم لسريّةٌ مثريّةٌ ولن يضيرها عائب ينكرُ حلاوةَ الفواصل فى الكتاب الكريم ، ولا سجع الحمام فى الحديثِ الشريفِ ، ولا كل مأثور خالد من كلام السلف الصالح » . وهو بذلك يقرر مذهباً له ، وفى اعتقادنا انه قلما يكون السجع خالياً من التكلف برغم المرانة الطويلة الا لأفذاذ من أمثال شوقى بك ، وانّ ضبط القوافى أسهل من ضبط السجع . بيد أن من لا يطيب له السجع لن يحرم النماذج التى تبهجه من «أسواق الذهب» ، مثال ذلك مقطوعته عن الجمال (ص ١٠٤) إذْ يقول : « جمعت الطبيعةُ عبقريتَها فكانت الجمال ، وكان أحسنَه وأشرَفَه ما حلَّ فى الهيكل الآدمىّ ، وجاور العقلَ الشريفَ والنفسَ اللطيفةَ والحياةَ الشاعرة . فالجمالُ البشرىُّ سيدُ الجمال كلّه . . . لا المثَّال البارع استطاع أن يخلعَه على الدُّمى الحسان ، ولا للنيِّرات الزُّهْر فى ليالى الصحراء ما له من لمحةٍ وبهاء ، ولا لبديع الزَّهر وغريبه فى شباب الربيع ما له من بشاشةٍ وطيب . وليس الجمالُ بلمحة العيون ، ولا ببريق الثغور ، ولا هيَفِ القدود ، ولا لؤلؤ الثنايا وراء عقيق الشفاه ، ولكن شعاعٌ عُلْوىٌّ يبسُطُه الجميلُ البديعُ على بعض الهياكل البشرية يكسوها روعةً ويجعلها سحراً وفتنةً للناس» . وهذه النبذة من رائع شعره المنثور.

وبعد ، فقد كنا ولا نزال نعتبر شوقى بك فى طليعة من أنجبتهم العربية من الشعراء الموسيقيين ، وهذه الروح الموسيقية تتجلَّى حتى فى « أسواق الذهب » الذى نعده كتاباً مدرسياً للغة وللاسلوب الكلاسيكى ولصور من الحياة والمعانى العصرية ، وهو بهذا أولى بالدراسة من كثير من الكتب العتيقة الشائعة فى البيئات المدرسية .



من أشهى الأمانى التى طالما جالت فى صدور الشعراء أن تنشأ بينهم رابطة تعاونية تصون كرامتهم وصوالحهم الأدبيـة والمادية دون أن يضحّوا فى سبيلها بمذاهبهم الخاصة ، وإنْ تكنْ مثل هذه الرابطة فى ذاتها مدرسةً نقديةً ووسيلةً للتفاهم فيما بينهم وتقريب آرائهم بعضها من بعض وتبادل الخواطر والنزعات الاصلاحية . وما أجَّل تكوين مثل هذه الجامعة سوى الروح الفردية التى ما تزال متفشّـيةً فى بلاد العروبة وإنْ كانت روح التعاون أخذت فى الظهور حديثاً بصورةٍ تدعو الى الارتياح والتأميل.

ونحن نعـدّ من حظنا النجاح فى تأسيس (جمعية أبولو) وأن ينتظم فى سلـكها جمهرةٌ من كبار الشعراء والنقاد ، كما نغتبط لاستطاعتنا التوفيق بين مذاهبهم المختلفة حيثما ينبغى ذلك التوفيق ، ونرجو أن يتبع ذلك ما نتمناه من تعاون أدبى واصلاح .

وسيرى حضرات الأدباء فى مواد الدستور الآتى نظاماً عملياً سهلا دلَّتْ الخبرة على نجاح نظيره فى جمعيات أخرى ، ويُلاحَظ أن العنصر المـالى لا أثر له فيه بحيث اذا استدعى أىُّ مشروع خاص مالاً له جُمع هذا بالاكتتاب . وأمّـا النفقات الاعتيادية للجمعية فتؤخذ من ايراد هذه المجلة إذْ ليست لها أيةُ صبغة تجارية . وقد أذعنا الدعوة الى هذه الجمعية من قبل ولا تزال أبوابها مفتوحة للشعراء خاصة ولمحبى الشعر ونقّـاده عامة ، لأن فائدة مثل هذه الجمعية تعظم باتساع نطاقها وأعمالها ، كما أن قيمتها تضيع اذا ما أصبحت — لا قدّر الله — هيئةً حزبيـةً ، وما قتل العلم والأدبَ فى بلادنا الا التحزُّبُ الشخصى الذميم .

ولنا غبطةٌ أخرى بنجاح هـذا العمل وهو تدعيم الصحافة والهيئات الفنية فى مصر بهذه المؤسَّسة الجديدة فان ثقافتنا القومية يعوزها تـكوين هذه المؤسَّسات ونموُّها ، وكرامتنا الأدبية ترتبط بذلك . ومن الخطأ الـكبير أن تشغلنا السياسة عن كل ما عداها وخصوصاً عن الاقتصاديات والعلوم والفنون التى يجب أن تُعَـدّ من أقوى دعائم الاستقلال القومى .

***



دستــــــــور

جمعية أبولو

المادة (١) — الاسم : يُطلق على هذه الهيأة الأدبية اسم « جمعية أبولو » .

المادة (٢) — مركز الجمعية وفروعها :

(أ) تكون القاهرة (عاصمة مصر) موطن المركز الادارى للجمعية .
(ب) يجوز انشاء مراكز فرعية للجمعية في شتى الاقطار باذن مجلس الجمعية

المادة (٣) — أغراضها :

(أ) السمو بالشعر العربي وتوجيه جهود الشعراء توجيهاً شريفاً .
(ب) ترقية مستوى الشعراء أدبياً واجتماعياً ومادياً والدفاع عن صوالحهم وكرامتهم.
(ج) مناصرة النهضات الفنية في عالم الشعر .

المادة (٤) — الأعضاء :

(أ) عضوية الجمعية مفتوحة في جميع الاقطار للشعراء خاصة وللادباء ومحبي الأدب عامة ممن يهمهم تقدم أغراض الجمعية ، وتُرْسَل الطلبات بغير رسم الى السكرتير .
(ب) للأعضاء أن يستقيلوا حينما يشاؤون، ولكن عليهم أن يعززوا بأمانة أغراض الجمعية ماداموا محتفظين بعضويتهم .
(ج) لمجلس الجمعية أن يعتبر الأعضاء الذين يتصرفون ضد أغراض الجمعية في حكم المستقيلين .

المادة (٥) — المجلس :

(أ) يتألف مجلس الجمعية من خمسة عشر عضواً ، وهم الرئيس ونائبا الرئيس والسكرتير الدائم ومن الخمسة الأول من أعضائه الأصليين ومن ستة آخرين

لاتمام العدد القانونى ، وهؤلاء ينتخبهم المجلس سنوياً من بين أعضاء الجمعية مع العناية الخاصة بتمثيل البيئات الشعرية المختلفة وذلك فى الاسبوع الأول من شهر سبتمبر .

(ب) فى حالة الوفاة أو الاستعفاء يحلّ أقدمُ الأعضاء المنتخبين محل الأصليين ويُكمِّل المجلس العدد القانونى بالانتخاب من بين أعضاء الجمعية فى اول جلسة للمجلس .

(ج) تتألف من بين أعضاء المجلس لجنةٌ تنفيذيةٌ قوامُها الرئيس (أو أحد نائبيه فى حالة غيابه) والسكرتير الدائم وثلاثة أعضاء يختارهم المجلس ومهمتها تنفيذ قرارات المجلس واعداد المباحث والمشروعات لدراسته .

(د) على المجلس أن ينعقد مرة كل ثلاثة شهور على الأقل بعد أن يعلن السكرتير الأعضاء بذلك قبل موعد الاجتماع باسبوع . ولا تكون قرارات المجلس صحيحة إلا إذا حضر اجتماعه خمسة أعضاء على الاقل .

المادة (٦) — الرئيس ونائبا الرئيس والسكرتير :

(أ) ينتخب المجلس سنوياً من بين أعضاء الجمعية رئيساً له ، ويجوز اعادة انتخابه، كما للمجلس أن يختار رئيس شرف للجمعية من بين كبار الرجال الممتازين المناصرين لأعمالها .

(ب) ينتخب المجلس سنوياً نائبين للرئيس ويجوز إعادة انتخابهما .

(ج) يتولَّى رئيس تحرير مجلة (أبولو) ومؤسس هذه الجمعية سكرتاريتها بصفة دائمة ، ويتولى بعد وفاته أو بعد اعتزاله السكرتارية من يتولى تحرير المجلة المذكورة .

المادة (٧) — لسان حال الجمعية :

تُعتبر مجلة (أبولو) لسان حال الجمعية .

المادة (٨) — المؤتمرات والحفلات :

(أ) يكون للجمعية مؤتمر سنوى عام ، وللمجلس تعيين تاريخ ومكان الاجتماع وبرنامجه .

(ب) للمجلس أن يقرر عقد مؤتمرات خاصة وغيرها من الحفلات المناسبة متى شاء ، إما مستقلاً أو بالتعاون مع هيئات أخرى .

المادة (٩) — تعديل الدستور :

للمجلس أن يدخل تعديلات فى دستور الجمعية ما دامت هذه التعديلات متفقة وروح الدستور العامة ولا تتعارض مع القواعد الاساسية المدوَّنة فيه ، بشرط مراعاة الرغبات العامة الغالبة للأعضاء وبعد الاعلان عن التعديل المقترح فى مجلة (أبولو) قبل موعد الاجتماع الذى سيُطرح فيه التعديل بثلاثة شهور ، وتصدر قرارات المجلس فى ذلك بأغلبية أربعة أخماس مجموع أعضائه فى جلسة كاملة الهيئة .





فى السجن

نظم ابن زيدون هذه القصيدة الجائشة بالحزن مع التصبر والألم وهو فى السجن وبعث بها الى صديقه الوزير الكاتب أبى حفص بن برد ، وقد اخترنا نشرها مع بعض التعليق الأدبى لمناسبة ظهور ديوان ابن زيدون الذى سنتناوله بالملاحظة فى العدد الآتى :

ما على ظَنِّىَ بَاسُ يجرح الدَّهْرُ ويأسُو
رُبَّما أشرفَ بالمَرْ ءِ على الآمالِ ياسُ
ولقد يُنْجيكَ إغفا لٌ ويُرْدِيك احتراسُ
والمحاذيرُ سِهامٌ والمقاديرُ قِياسُ (١)
ولكم أجْدَى قُعُودٌ ولكم أكْدَى التماسُ (٢)
وكذا الدَّهرُ : إذا ما عزَّ ناسٌ ذلَّ ناسُ
وبنو الأيامِ أخيا فٌ (٣) سَرَاةٌ وخِساسُ

(١) قياس : جمع قوس (٢) اجدى : اغنى ، اكدى : اخفق (٣) اخياف : مختلفون

نَلْبَسُ الدنيـا ، ولكنْ مُتْعَةٌ ذاكَ اللِّبَاسُ
يا (أبا حَفصٍ) ، وما سا واكَ فى فهمٍ (إياسُ) (١)
مِنْ سَنا رأيكَ لى فى غسَقِ الخَطْبِ اقتباسُ
ووِدادى لكَ نَصٌّ لم يُخَالِفْه قِيَاسُ
أنا حيرانُ وللأمـ ـرِ وُضوحٌ والتباسُ
ما تَرَى فى معشرٍ حا لُوا عن العَهْدِ وخاسُوا (٢)
وراَوْنى سامِرِيًّا (٣) يُتَّقَى منه المَسَاسُ
أذْؤُبٌ هامتْ بلحمى فانتهاشٌ وانتهاسُ
كلُّهُمْ يسأل عن حا لى وللذئبِ اعتساسُ

***

إنْ قسَا الدَّهرُ فللما ءِ من الصَّخْرِ انبجاسُ
ولئنْ أمسيتُ مَحْبو ساً فللغيثِ احتباسُ
يَلْبَدُ الوَرْدُ السَّبَنْتَى (٤) وله بعدُ افتراسُ

***

فتأمَّلْ كيف يَغْشَى مُقْلَةَ المَجْدِ النُّعَاسُ
ويُفَتُّ المِسْكُ فى التُّرْ بِ فيُوطَا ويُدَاسُ

***

لا يَكُنْ عَهْدُكَ وَرْداً إنَّ عَهْدِى لكَ آسُ (٥)
وأدِرْ ذِكْرَى كأساً ما امتطتْ كفَّكَ كاسُ
واغتنمْ صَفْوَ الليالى إنما العَيْشُ اختلاسُ
وعَسَى أن يَسْمَحَ الدَّهْـ ـرُ فقد طال الشِّماسُ (٦)

***

(١) هو القاضى إياس بن معاوية الذى كان يضرب به المثل فى الالمعية (٢) خاسوا : خانوا .
(٣) السامرى : عظيم من بنى اسرائيل عبد العجل وتحاماه الناس (٤) الورد السبنتى : الاسد الجرئ
(٥) اى لا يكن عهدك كالورد فى سرعة الذبول فان عهدى دائم كالآس (٦) الشماس : الامتناع

اخترنا نشر هذه القصيدة ـ التى اتفق لها أنها أول قصائد الديوان ـ لجملة أسباب منها أنها مثال لنظم ابن زيدون النابى عن الصناعة والتكلف ، ومنها أنها تعبر عن فلسفته القدرية فى إبان الشدة والحزن ، ومنها ما يتجلى فيها من الجراءة فى التعبير وتطويع اللغة ، ومنها مسحة التأثر بالأدب القديم بحكم الدراسة وإن عاش فى بيئة مجددة.

فأما عن تجرد هذه القصيدة عن الصناعة المتعمدة الملموسة فى غير قليل من شعر ابن زيدون فمشهود فى أول ابياتها الذى لن يرضى عن شطره الثانى كثيرون ، ومع ذلك ففيه من عدم المبالاة وقلة الاكتراث حينما هو فى موقف الشكوى ما يجعلك تنسى خروجه عن المألوف فى الصياغة وهكذا يتجلى المعنى الشعرى فوق كل اعتبار آخر . ومع صعوبة القافية لا يتعثر ابن زيدون ولا يتقعر ولا يسفّ ولا يجىء ببيت واحد يتجاوز حاجة المقام . وأما عن فلسفته القدرية التى تسخر من الحياة تارة وتتفاءل أخرى وتستغيث وتتمرد بالتناوب فمفعمة بها أبياته . ومثل هذه الفلسفة تُسْتَحَبّ فى ردّ الجشع ولكنها ليست فلسفة الطموح الشريف الا حينما تنقلب الى اضمار المتوثب الآمل المرتقب الفرصة إذْ يقول :

إنْ قسا الدهرُ فللما ءِ من الصخر انبجاسُ
ولئن أمسيتُ محبو ساً فللغيثِ احتباسُ
يلبد الوردُ السَّبَنْتَى وله بَعْدُ افتراسُ

وأماً عن جراءته فى التعبير وتطويع اللغة فأظهر مثل لذلك قوله :

وادِرْ ذكرىَ كأساً ما امتطتْ كفكَ كاسُ

وقوله .

أذؤبٌ هامتْ بلحمى فانتهاشٌ وانتهاسُ
كلُّهم يسألُ عن حا لى وللذئب اعتساسُ !

وأماً عن تأثره بالأدب القديم وان عاش فى بيئة مجدّدة فمثال ذلك قوله :

لا يكنْ عَهْدُكَ وَرْداً إنَّ عهدى لكَ آسُ

أخذه من قول العباس بن الاحنف :

ولكننى شبهتُ بالورد عهدَها وليس يدوم الوردُ والآسُ دائمُ

وكثيراً ما تكررت هذه المعانى فى صور مختلفة فى أشعار القدامى .

فالقصيدة فى جملتها ممتازة بمناسبتها ، وبخيالها ومعانيها ، وبمغزاها الأدبى وتعابيرها ، وتمتاز فوق كل هذا بانها صرخةٌ طبيعيةٌ من فؤادٍ كبير محزونٍ تتنازعه عواملُ شتى من الرفعة والسقوط والحب والبغض والجزع والامل ، فهى فى مجموعها قصيدة انسانية مكفولة لها الحياة بين نماذج الشعر المدرسىّ .



﴿ تلحين الأوبرات ﴾

بعد التحية ـ أتشرف بأن أفيد حضرتكم علماً أنه بناء على كتابكم المؤرخ ٢٤ أبريل سنة ١٩٣٢ قد قررت لجنة التأليف والنشر الموسيقية تلحين الأوبرا « الآلهة » وأن



محمود حلمى

أقوم أنا بتلحينها . وقد ابتدأتُ فى تلحين هذه الأوبرا فى ٩ يونية سنة ١٩٣٢ وتمّ تلحينها فى ٢٧ يونية وقد عرضتُها على اللجنة فتقرر أن تكون قطع هذه الأوبرا ضمن القطع المرشحة للطبع فى سنة ١٩٣٣ ووكلت اللجنة أمر إعطائها لأحد المسارح لى بصفتى الخاصة .

لذا أخبركم أنني على أتم استعداد لأن أعطى ألحان هـذه الاوبرا لأى مسرح مصرى دون مقابل . فاذا تم الاتفاق بينكم وبين أى مسرح أو صالة فأرجو مراسلتى إما بعنوان اللجنة أو بعنوانى الخاص بميدان محمد على رقم ١٩ بقسم الخليفة .

وتفضلوا بقبول تحيتى ؟

محمود حلمى

(رئيس لجنة التأليف والنشر الموسيقية)

ميدان باب الحديد رقم ٢
بأول شارع ابراهيم باشا بالقاهرة

***

﴿ كرامة الأدب ﴾

تلقيتُ مغتبطاً نشرتكم عن اصدار مجلة « أبولو » فأكبرتُ هذه الهمة التى لاتهدأ ، وهذا الدافع الوجدانى النبيل الذى يزجيكم الى الأمثلة العليا من الاصلاح العلمى والأدبى والاجتماعى . وفى الحق انّ مجموعة المجلات الشائقة النفيسة التى أخرجتها غيرة أبى شادى وبراعته الصحفية لما تفتخر به الصحافة العربية ومما يُعد عملاً قومياً جديراً بأن نحيطه بسياجٍ من الحبّ والصيانة ، باذلين أقصى ما فى وسعنا لمؤازرة منشئها الفاضل حرصاً على صحته الغالية التى يبذلها رخيصةً فى خدمة مراميه العالية ، وضمانةً لاستمرار هذا العمل الفذّ الجليل .

ولقد أعجبتنى كلمةٌ قديمةٌ لكم وهى أن الرجل المتسامى (الايديالست) يجب أن يُستَغلَّ للخير العام بدل أن يُلام ، لذلك تروننى أبعد الناس عن لومكم لتحملكم أعباء جديدة مالية وذهنية وادارية قد لايقوى عليها الجبابرة من الافراد وهى أولى بأن تكون فى كنف المصالح الحكومية ، وأرى فرضاً علىَّ بدل ذلك أن أعاونكم المعاونة الشاملة على قدر طاقتى ، لأنى أعلم علم اليقين أنّ الرجل المتسامى مثلكم لا يستطيع أن يصدّ نفسه عن إقدامها وحبّها للاصلاح ، فهذه هى نفس «الرائد» (pioneer) ، وهى الروح التى فتحت لنا عوالم جديدة من الفكر والمادة بقيادة العظماء الانسانيين . وغاية رجائى أن يعرف هذه الناحية الجليلة فيكم أبناء العربية فى شتَّى الأقطار كما نعرفها نحن فى مصر حتى تصبح قريباً مجلة « أبولو » الرمز العالى لكرامة الأدب ، ولن يتحققَّ هذا ما لم تتوافر الوسائل المادية لمنشئها العظيم حتى لا يبقى ليلَ نهار يُحرق نفسَه ليستضىء سواه بنوره .

وإذا كانت النفوسُ كباراً تعبتْ فى مرادها الأجسامُ

وإن لمن الانصاف أن أقول إنّ من المعجزات إصدار مثل هذه المجلة فى الوقت

الحاضر الذى بلغ فيه تناحرُ الأدباء ما بلغ حتى كادت تضيع كرامتُهم أجمعين الى جانب كرامة الأدب الضائعة .

ومِن البطولةِ فى زمانٍ تناحُرٍ هذا الاخاء الشائقُ الممدودُ

وقد عهدتُ فى أبى شادى التعالى عن كل هذا ، وعرفتُ فيه الصراحةَ وحبَّ الخير والتعاون ، حتى أن أقسى نقده الأدبى إذا جرح لا يُدمى ، فيُقبَل بارتياح وقلّما يُقرأ بامتعاض لأن حبّ الاصلاح وروح الانصاف تتجليان فيه ، وهذه فضيلة مشهورة عنه . لذلك لم يكن عجيباً من ناحية إقدامكم على اخراج هذه المجلة فى الظروف الحاضرة ، فأنتم أجدر الأدباء باخراجها لرفع مستوى الشعر والشعراء وحسبكم



محمد عبد الغفور

حرصكم على أن لا تغمطوا فضل أحد الى جانب نقدكم المساوىء لأجل علاجها ولأجل علاجها وحده . ومن أجل كل هذا أهنئكم بهذه الخطوة الجريئة الموفَّقة ، بل أهنىء نفسى واخوانى الأدباء وأتمنى لكم النجاح الباهر .

وقبل أن أختم هذه الكلمة أودّ الاشارة الى خطة قويمة أعجبتنى فى برنامجكم الذى اغتبطتُ لقراءته ، وتلك هى رغبتكم فى تجريد هذه المجلة من ألقاب المجاملات التى استغلّها صغار الأدباء استغلالاً شائناً فى مجاراتهم للأعلام المبرزين ، وعندى أن مجرد اسماء شوقى ومطران وحافظ مثلاً تحمل من رموز العظمة فوق ما تحمله ألقاب المجاملات التى أصبحت مبتذلةً حتى بات تلميذ المدرسة الثانوية (إن لم أقل الابتدائية) يلقب « أستاذاً » !

فالى الامام إذنْ فى حزم وثبات وتفنن لتحقيق برنامجكم الاصلاحى الجميل ، فان الشعر العربى جدير بهذه الخدمة العظيمة كما أن شعراء العربية أهل لهذا البر والتعاون ؟

زفتى : محمد عبد الغفور
(منظم التعاون)

(منذ سنوات ونحن نظفر من صديقنا الكاتب الفاضل بشتى المساعدات مادياً وأدبياً ، ولذلك لم يكن مستغرباً أن يكون أول السابقين الى تحيتنا وتشجيعنا وإحسان الظنّ بنا فى كرم نفسٍ عاليةٍ . وصديقنا الكريم ـ وهو من رجال التعاون العاملين ـ يؤمِّن معنا بلا شك على أن أىَّ نجاح نلقاه فى عملنا ليس سوى ثمرة التعاون الذى نظفر به ، فالى هذا التعاون وحده يجب أن يُنسب كلّ خير نمتدح به فنحن لا نملك بمفردنا أيةَ موهبةٍ كفيلةٍ بذلك ، ويد الله مع الجماعة — المحرر)





﴿ أبولو أم عطارد ﴾

إنَّ مساهمتى فى تحرير العدد الأول من مجلة «أبولو» ستكون نقداً لهذه التسمية التى لنا مندوحةٌ عنها فيما أعتقد ، فقد عرف العرب والكلدانيون من قبلهم ربّاً للفنون والآداب أسموْه «عطارد» وجعلوا له يوماً من أيام الاسبوع هو يوم الاربعاء ، فلو أنّ المجلة سُمِّيَتْ باسمه لكان ذلك أوْلى من جهات كثيرة : منها أن « أبولو » عند اليونان غير مقصور على رعاية الشعر والأدب بل فيه نصيبٌ لرعاية الماشية والزراعة ، ومنها أنّ التسمية الشرقية مألوفةٌ فى آدابنا ومنسوبةٌ الينا . وقد قال ابن الرومى فى هذا المعنى :

ونحن معاشرَ الشعراء نُنْمَى الى نَسَبٍ من الكُتَّاب دانِ
أبونا عنــــد نِسبتنا أبوهم (عُطاردُ) السماوىُّ المكانِ



عباس محمود العقاد

وكذلك أرى أنَّ المجلة التى تُرْصَد لنشر الأدب العربى والشعر العربى لا ينبغى أن يكون اسمها شاهداً على خلوّ المأثورات العربية من اسمٍ صالحٍ لمثل هذه المجلة ، وأرجو أن يكون تغيير الاسم فى قدرة حضرات المشتركين فى تحريرها ؟

عباس محمود العقاد

***

(قد استعرضنا اسماء شتَّى لهذه المجلة قبل اختيار اسم « أبولو » ولم ننظر اليه كاسم أجنبي بل كاسم عالمى محبوب وفى ذهننا قول المرحوم حافظ ابراهيم بك :

فارفعوا هــــذه الكمائمَ عنَّا ودعونا نشمُّ ريحَ الشمال !

وليس فى الأمر أىُّ انتقاصٍ للمأثورات العربية كما أننا لا نرى النقلَ عن الكلدانيين أفضل من النقل عن الاغريق ، لا سيما وعطارد (Mercury) فى نسبته

الأدبية عالمى كذلك ، وهو فى الأساطير الرومانية نفس هرمس (Hermes) فى الاساطير اليونانية ، ولكليهما صفات ثانوية تتصل بالزراعة وما الى ذلك الى جانب



ابولو



عطارد

رعايتهما للفنون ، فلا يجوز أن يُقصَر النقدُ على تسمية أبولو حينما أخصّ صفاته رعاية الشعر والفنون ، وهذا وحده ما يَعنينا فى هذه المجلة — المحرر) .



﴿ جرأة العود النميرى ﴾

من أعسر الاشياء على باحثٍ حرّ الرأى أن يجهر برأيه فى موضوع شديد العلاقة بالتقاليد ، وعلى الاخصّ اذا كان لتلك التقاليد رابطةٌ باللغة . فالشعر العربى - من أقدم عصوره حتى اليـوم - يُعتبر فى مجموعه احد العُمد الثابتة التى تقوم عليها اللغة العربيـة . فاذا اردتَ أن تنظر فى الشعر القديم (ونعنى به الشعر العربى حتى نهاية القرن التاسع عشر) نظرة حرة طليقة من اسر التقاليد ، كان لا بدّ لنا من أن نتريث وأن نفكر طويلاً فيما يكون اثر الفكرة الحرة من نقد الشعر العربى وهو على ما نعرف من تغلغله فى صميم الحياة العربية ، بل وفى صميم كل الاشياء التى تمتّ الى العربيه بسبب ، ولكن لابدّ مما ليس منه بدّ .

عرّف العربُ الشعر بانه الكلام الموزون المقفى ، اى الكلام الذى يجرى على بحر من بحور الشعر الموضوعة وينتهى بقافية واحدة ، وعندهم أنّ كل مايجرى هذا المجرى من الكلام شعر . والحقيقة أن هذا التعريف الذى ينصرف على اكثر ما قال العرب من الكلام الموزون المقفّى أبعد الاشياء عن تعريف الشعر ! فقد يكون كلام موزون مقفى وبينه وبين الشعر بُعْدُ ما بين الموت والحياة من الفروق ، وقد يكون كلام منثور يمتّ الى الشعر باقرب الاسباب . إذن فمعتقدنا ان الوزن والقافية لا يكوّنان الشعر ، أى انهما ليس مما يتقيد به الشعر ، بل على الضد من ذلك

يستعين الشعرُ بالوزن والقافية لتكون له تلك الانغامُ الموسيقية التى تميز الشعر على بقية ضروب الكلام. واذنْ تكون الشاعرية اصل اداتها الوزن والقافية أى على الضدّ مما ذهب اليه العرب من القول بان الوزن والقافية اصل اداتهما الشاعرية .



اسماعيل مظهر

أما اذا جارينا العرب على تعريفهم فقد ضيقنا حدودَ الشعر وقتلنا الشاعرية ، لان كل انسان يشعر بوجوده قد يكون شاعراً فى بعض الظروف وإنْ عجز عن التعبير بكلام موزون مقفّى . وعلى مقتضى التعريف الذى وضعه العرب قد يصبح اكثر النُّظّـام شعراء ، وقد تخرج الكلمات الشعرية الجامعة برمتها من حظيرة الشعر وهى من عيون الشعر الأخّاذ !

خذ لذلك مثلاً احدى المعلقات كمعلقة عنترة أو امرىء القيس أو النابغة، أو خذ أول قصيدة نشرت فى ديوان جِران العَوْدِ النُّمَـيْرِىّ فى ديوانه الذى نشرته دار الكتب المصرية حديثاً ، وهى قصيدة قصرها على الكلام فى زوجته ، ليس فيها من الشعر الا النظم والقافية والغريب فى الكلمات التى تشعر منها باستيحاش كما لو كنت بين قبور فى صحراء تناوحت من حولها رياحٌ فى يومٍ عاصفٍ ! خذ هذه أو غيرها من الكلام المنظوم المقفّى وقارنها بكلمات منثورة نُقشت على قبر روفائيـل ترجمتها :

«كانت الطبيعة تخشى وهو حىّ ان يفوقها ، فلما مات خشيت من بعده أن تموت !»

وقل لى أيهما الشعر ؟ أقول النابغة الذبيانى :

زعم البوارحُ انّ رحلتنا غـداً وبذاك تنعابُ الغُرابِ الأسـودِ
لا مَرحباً بغـدٍ ولا أهـلاً به إنْ كان تفريقُ الاحبةِ فى غدِ

أم قول عنترة :

ما راعنى الاّ حمـولةُ (١) أهلها وسْطَ الديارِ تَسَفُّ (٢) حَبّ الخِمْخِمِ (٣)
فيها اثنتانِ وأربعون حـلوبةً سُوداً كخافيةِ الغرابِ الاسحمِ (٤)

أم قول المقنع الكندى :

يلومننّى فى الدَّيْنِ قومى وانمـا ديونىَ فى أشياء تُكسبهم حمـدَا
أسدّ به ما قـد أخـلُّوا وضيَّعوا تغور حقوقٍ ما أطاقوا لها سـدّا

أمْ قول عمرو بن كلثوم :

ألاهُـبِّى (٥) بصَحْـنِك (٦) فاصْبَحِـينا (٧) ولا تُبـقى خمـورَ الاندرينـاَ (٨)
مشعشةً كأنَّ الحُصَّ (٩) فيهـا إذا ما المـاءُ خالطها سَخينـاً

قلْ لى بربِّكَ : أشعر فى هذا وفى ألوف مما يجرى مجراه ، أم فى تلك الـكلمات القصيرة التى نقشت على قـبر روفائيل ، وهى عندى توازى ألف قصيدة مما نسميه شعراً ؟

وإذنْ وجب علينا أن نضع تعريفاً جديداً للشعر . وقـد يمكن أن نضع تعريفاً نناقش فيه ، ولـكن نلجأ الى كاتب من أعرق كتاب القرن التاسع عشر فى الادب الانجليزى هو الاستاذ « كرتهوب » صاحب كتاب تاريخ الشعر الانجليزى ، وهو حجة بين أقرانه ، وعمدة من عمد النقد الادبى ، قال فى تعريف الشعر : « ماهيـة الشعر عبارة عن الهام يصدر عن شاعر موهوب . أما مصدر هذا الالهام فأمر يعدو حدود البحث والانتقاد » .

وانما تزيد الشاعرية أو تنقص بمقياس حده الاوسط مقدرة الناقد على تتبع مصدر

---

(١) الحمولة : الابل التى يحمل عليها . (٢) تسف : تأكل . (٣) الخمخم : بقلة ذات حب اسود سيء التأثير على البان الغنم . (٤) الخوافى : اواخر ريش الجناح مما يلى الظهر . والاسحم : الاسود .
(٥) هبى : قومى من نومك . (٦) الصحن : القدح الواسع الضخم . (٧) الصبوح : شرب الغداة .
(٨) الاندرين : قرية فى الشام كثيرة الخمر . (٩) المشعشعة : الرقيقةمن العصر او من المزج والحص الورس.

الالهام فى الشاعر ، فاذا استطاع النقد أن يصل الى عمق يُعرف عنده مصدر الالهام فالشاعرية ناقصة غير كاملة ، واذا عجز النقد عن أن يصل اليه فالشاعرية قريبة من الكمال . وأنت تنظر فى ديوان من دواوين الشعراء فيستوقفك بيت أو أبيات أنت تشعر بان الشاعر نفسه لم يعرف كيف صبَّ معناه فى ذلك القالب من الكلم واللغة . وتشعر بان المعنى والتصوير من صنع الالهام لامن قوة الصناعة ، من صنع الطبع لامن التَّطَبُّع ، وانما تقاس شاعرية الشاعر بقدر ما فى شعره من أثر هذا الالهام . وعلى هذا لايبعد أن يكون الشعر عبارة عن تعبير عن الوجدانيات بالماديات من طريق الالهام ، لا من طريق الصناعة ولا التكلف .

ولا شكَّ عندى فى أن هذا المذهب الذى ذهب اليه فى تحديد الشعر ينقص من مجموع ما يعتبر شعراً فى كل لغات العالم ، لا فى اللغة العربية وحدها ، ونحن لو أردنا أن نستخلص الشعر الحقيقى من دواوين الشعراء لنزلت كميته الى نسبة لاتتصورها ولكننا نكون قد فزنا بالشعر الذى يؤثر فى النفوس ويقوّى مشاعرها ويحفز عزيمتها ويهذبها ويزكيها ، ونكون قد خرجنا من الشعر بأثره التهذيبى مجموعاً فى قليل من المجلدات ، بدل أن نتركه مبعثراً فى آلاف من الدواوين ، ونكون قد فصَّلنا بين الشعر الصحيح والنظم ، وفرّقنا بين معقولين من معقولات الأدب ، لكل منها مركزه وخطره من مستحدثات العقل الانسانى .

ولما بدأت اقرأ ديوان جِران العَوْدِ النُّمَيْرِىّ عاودتنى كل هذه الافكار والاعتبارات التى تجمعت فى عقلى الباطن بوحى فكرة لم اكن أتبينها على وجوهها الصحيحة ، وأخذتْ تنمو فى نواحى شتيتة من نفسى . ولكن لماذا لاارسلها حُكماً مقطوعاً به فى تحديد الشعر وتحديد النظم ؟

يبدأ ديوان جِران العود بقصيدة قالها فى زوجته تقع فى ثمانية وأربعين بيتاً ، حسنة النظم قوية التركيب بينة التعابير ، ولكن ليس فيها شىء من اثر الشعر على ما اعرف الشعر وعلى ما اعتقد الشعر أن يكون ! وأخذت أتابع القراءة فى صفحات الديوان القليلة مستهدياً بفكرتى حتى وقعت على ابيات هزّتنى من اعماق نفسى وتجسيم الخيالُ فيها رائقاً واثر الوجدان جلياً بيناً ، وبعدتْ عن التكلف بقدر ما حسنت صناعتها ، قال فيها (ص٣٠) :

أدِهقَانُ حال النأىُ دونك والهجرُ وَجَمْعُ «بنى قلع[1]» فموعدُكِ الحشرُ

(١) بنو قلع : فخذ من مالك بن كنانة .

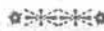
ألا ليتنا من غير شيء يصيبنا « بتهلك(١) » لا عين تُحس ولا ذكرُ
بعيداً عن الواشين ان يَمْحَلوا بنا وراءَ الثريا والسماكُ لنا سِترُ
ألا ليتنا طارت عقابٌ بنا معاً لها سببٌ عند المجرة أو وكرُ
ألا طرقت دِهقانةُ الركب بعد ما تقوّض نصفُ الليل واعترض النسرُ
فقد كانت الجوزاءُ وهناً كأنها ظباء امام الذئب طرّدها النَّفْرُ
فلما ألمّتْ والركابُ مُناخةٌ إذِ الارض منها بعد لمّتها قفرُ

معانٍ من الوجدان تعبر عنها صناعة قويةٌ وسبكٌ ظاهر الجودة ومطاوعةٌ بين المعنى واللفظ ، وتصويرٌ لحادث هزّ أعماق النفس فساير الالهام الى ما ترى من معنى تسيغه النفسُ ويرقق حواشيها ويمزج بين شعورك وما أحسّ الشاعر فتتلابسا كأنكما نفسٌ واحدة ! وهذا عندى هو الشعر ، وما دونه النظم والصناعة .

أما الشعر العربى فقد وُلد ميلاداً جديداً فى بداءة العقد الثانى من القرن العشرين: ميلاد كانت ثمرته هذا الجنين الذى لايزال يسوق بنفسه فيما خلف الماضى من عثرات وما تراكم حوله من اكدار ، ولكنه سوف يشقُّ لنفسه طريقاً الى الامام ليخلص بالشعر الى اولمبه الجديد .

نعم وُلد الشعر ميلاداً جديداً فى مصر وسوريا والمهجر الامريكى ، على انه لا يزال متأثراً بصناعة الماضى على نِسَبٍ تتفاوت ومقادير تتفاضل ، بيد أنه وُلد وسوف يشبّ ويترعرع ويؤتى أكله الطيب بعد حين ما ؟

اسماعيل مظهر



﴿ على شاطىء بورسعيد ﴾

لم تصلنا هذه القصيدة الظريفة (ص ١٨) مُشكَلةً ولم يسمح الوقتُ بمراجعة ناظمها الفاضل ، فلم ندر هل يرمى الى « صيد البر والبحر » فى البيت السادس وهو ما يتبادر الى الذهن فيكون هكذا نصّ البيت :

فهنّ كَصيدِ البرِّ والبَحْرِ لم نَزَلْ نُطارِدُهُ دَوْماً ونحنُ ضَوارِى

(١) مكان قفر .

وتكون المطاردةُ موجَّهةً الى « صيد البر والبحر » وحده ولا شأن لها بالبحر ذاته ، أم يرمى الى أنَّ البحر فى بور سعيد يتعدّى على حقوق هذه الضوارى لكثرة افتتان هذه الحسان (وهى صيد البرّ) به ، ومن أجل هـذا تُطارد البحرَ دوماً هذه الضّوارى إذْ نجد منظرَ الاستحمام المشترك بين الجنسين على الشاطىء بحيث :

إذا أنتَ لامَستَ التى تَستَطيبها نِعِمتَ ولم تَلْطِمْكَ ذاتُ سِوَارِ !
تَعَطَّشْنَ لم يَرْوِينَ فى البَحْرِ غُلَّةً وَفى وَصْلِ مَنْ يَهْوَيْنَ رِىٌّ أُوار

وهكذا يصح فى هذا البيت أن يقال إن المعنى فى بطن شاعرنا الظريف !



﴿ النقد والمثال ﴾

لصديقنا الشاعر احمـد الزين آثار لطيفة وإن لم تكن جديدة كقصيدته « راحة السلو » التى أتحفنا بها ونشرناها فى هذا العدد من « أبولو » (ص ٨). بين ما نشرناه من النماذج المتنوعة ، وهو الى جانب ذلك مولعٌ بالنقد الأدبى كما ترى من مقالاته المنشورة فى صحيفـة « الاهرام » بعنوان « النقد والمثال » والتى يحتكم فيها الى قراء « الاهرام » حينما هؤلاء القراء أو أغلبهم مشغولون بالمسائل العامة ، وهم بالاجمال أبعد ما يكونون عن نضوج ملكاتهم الأدبية بل لا يجوز الاحتكام اليهم فى تطوُّرنا الأدبى الحاضر ، وما أفسد الادب فى مصر مثل متابعة الجمهور ومجاملته بدل قيادته تدريجياً الى المثل الاعلى .

وقد طلع علينا حديثاً هذا الصديق الكريم بمقال دار معظمه حولنـا وحول ترجمة الشعر والتجديد والاكثار فى النظم ، ونحن يسرنا أن ننقل هنا نقده بنصّـه تشجيعاً للنقد الادبى فى ذاته ومساعدةً على استخلاص الحقيقة . قال :

« تحدّثتُ فى الفصلين السابقين عن عناية الشعراء بتهذيب الالفاظ وتجويدها مع تقييد اذهانهم بالمعانى المرجوعـة التى ابلاها الزمن واخلقتها كثرة الاستعمال ، وجمود قرائحهم عن ابتكار المعانى الحية والاغراض الجديدة ، التى يكون بها الشاعر قائداً لامته ، مربياً لابناء جيله ، مخضعاً لسلطان شـعره ميولهم ونزعاتهم ، حاملا لواء الزعامة النفسية فيهم ، مستحقاً للرقابة الخلقية عليهم ، بما ينفثه فى أذهانهم من معانى شعره التى تتصل بحياته وحياتهم اتصالا قوياً ، وتصور شعوره وشعورهم

تصويراً دقيقا ، وذكرتُ من أسباب هـذا الجمود ودواعيه ما أراه أقوى اتصالا ، وأشد تأثيراً ، ومثّلت له من شعر الجاهليين وغيرهم بما فيه الكفاية .



احمد الزين

وأريد اليوم ان اتحدث عن شيء آخر مما يعاب به الشعر ، وهو عناية الشعراء بالمعاني مع تقصيرهم فى البيان اللفظى فان اللفظ والمعنى جسد وروح ، ومتى فرّقت بينهما فقد اضعتهما كليهما ، والمعنى مهما غلا الشاعر فى اختراعه وتجديده ، واجتهد فى تحسينه وتجويده ، تافه القيمة صغير الخطر ضائع الاثر اذا أُدِّى بالفاظ ضعيفة النسج مفككة الاوصال ، أو موضوعة فى غير مواضعها التى يحسن فيها الاستعمال او ترى الالفاظ مظلمة النواحى بما فيها من تكلف ، محجوبة المعانى بما فى العبارات من تعمل وتعسف او تكون عارية عن الطلاوة اللفظية التى تكسو الشعر رواء وبهجة ، فيجتذب الاسماع اليه انقياداً ورغبة ، فطلاوة الكلام انما هى بشاشة وجهه وطلاقة محياه ، فاذا قرأتَ القصيدة العارية عن هـذا الطلاء تلقتك ابياتها عابسة الكلمات مقطبة العبارات ، تنصرف عنها الاسماع ، وتنقبض عنها القلوب ويخيل لك انك ترى حديقة ذاوية الاغصان ، كابية الالوان .

واذا كان هذا مكان الطلاوة اللفظية ومنزلتها من الشعر فلا بدع ان تعدّ من مقومات الشعر وعناصره ، وبقدر حظ الشعر من الطلاوة والرونق يكون تأثيره

فى النفوس أبلغ ، وانقياد العواطف اليه أيسر ، واذا فقده شاعر فى شعره فقد أشبه ناظم المتون فى مختلف الفنون ، مهما كان حظه من المعانى المبتكرة وقدرته على اختراع الخيال ، وحرصه على رصانة العبارات والتراكيب .

وكثيراً ما ترى هذه العيوب اللفظية ظاهرة فى شعر صنفين من شعراء عصرنا : فتجد ضعف النسج وانحلاله وتفكك العبارات وانطفاء الرواء وفقد الطلاء وسوء التأدية فيما ينظمه النقلة والمترجمون ، فانهم ينطقون بغير وجدانهم ويشعرون بشعور غيرهم ولا يحسون بما يحسّ به ابناء جنسهم ، فهم قراء لا شعراء ، وناقلون لا قائلون .

ولا ارى علة ذلك الا عدم خبرتهم وقلة علمهم باللغة المنقول عنها الشعر أو المنقول اليها ، فلا يقدرون على حفظ الحرارة والحياة فى الشعر الذى يريدون نقله حتى يصل الينا ليحدث فى نفوسنا ذلك الاثر البليغ الذى نسمع به فى نفوس ابناء لغته ، بل يموت ذلك الشعر الحى فى طريقه الينا بجهل نقلته ومترجميه ، فنحسب ان ما يقال عن صاحبه ليس الا مبالغة فى الاطراء واسرافاً فى الثناء .

وحسبك من امثلة ذلك ترجمة ابى شادى لرباعيات حافظ الشيرازى ، وانى اورد هنا ابياتاً من هذه الترجمة ليتبين لك ما ذكرت ، قال :

حينَ أزرار ذلك الورْدِ تنفـ ـضُّ كؤوساً ويحمل الخمرَ نرجسْ
آهِ ، ما أسعدَ العليمَ بفنٍّ قرمزىٍّ يحرّرُ الرّوحَ والنّفسْ !
يمّمِي والسلافَ يا فتنتى النهـ ـرَ فنفنى طىَّ الكؤوسِ الهمومْ
انّ وقتَ الحياةِ أيامُها العشـ ـرُ كوردٍ فى البشرِ لا فى الوجومْ
يا أُولى الحبِّ فى عناقِ الايادى حيثما الوقتُ دائرٌ منسيا
أوْقفوه متى تمثّلَ دوْرى لِتُرَى ذكرياتُ (نِيسانَ) فِيَّا !
بين حسناءَ فى ابتسامٍ وعودٍ توقظُ الفجرَ ثم قلبٍ تحلّلْ
ومَلاذٍ وخمرةٍ رقصتْ لى بدمى لستُ جودَ (حاتم) أسألْ !

فحدّثنى إذن أيها القارىء الاديب عما يريده بالفن القرمزى ، وعما تراه فى هذا الاغراب والتعمية باستعمال هذه المجازات الخفية والاستعارات البعيدة التى هى أشبه شىء بالاحاجى والالغاز منها ببيان الشعراء ، ثم حدّثنى كذلك عن المسوغ لهذا الغلط العروضى فى البيت الثانى بزيادة حرف على الجزء الاخير من تفاعيله ، وهلا

ترى معى أن قوله : (طىّ الكئوس) أشبه بكلام كتاب الدواوين ورؤساء الاقلام منه ببيان الشعراء الذين يجب ان يترفعوا عن مبتذل الكلام وعامى الالفاظ وأن تكون عباراتهم امثلة صادقة للجدّة والطرافة ؟ ألم يكن الذوق الشعرى يقضى عليه بأن يقول : (بين الكئوس) مع انها اقرب الى اللسان ، وأدنى الى الاذهان من عبارته الأُولى ؟

ثم حدثنى بعد ذلك فى روية وهدوء عما ترى فى هذا الشعر كله من لفظ مستحسن او تركيب شعرى مستعذب ، او طلاوة لفظية تملك لبك وتجتذب سمعك ، او عبارة فيها أثر قليل من الرصانة والبيان ، أو بيت واحد ترك فى نفسك بعض الاستحسان ، وعلقت ألفاظه ومعانيه بالقلب واللسان ، كل ذلك يأبى عليك الانصافُ ان تدّعيه فيه ، مهما تكن من اصدقائه ومحبيه .

وبعد ، فهلا ترى معى ان هذه الترجمة نفسها أحق بالترجمة ؟! وكذلك جميع الترجمات الكثيرة التى بين ايدينا لشعر الخيام وغيره لا نرى فيها الا ضعف النسج وسوء الاداء ورثاثة الاساليب وتكلفاً فى العبارات والتراكيب ، واذا كنتُ افضل بعض هذه الترجمات على بعض فانما ذلك تفضيل نسبى لا ينقض رأيى فيها .

وفى اعتقادى أن وديع البستانى قد احسن بعض الاحسان فى ترجمته لشعر الخيام فهى على الاقل ترجمة واضحة المعانى ظاهرة الاغراض تستطيع بها أن تعرف رأىَ الخيام ومذهبه فى الحياة وما يقصد اليه فى كل بيت من ابياتها ، وانى أورد فى هذا الفصل بعض أبياتها لعلك بعد ذلك تشاركنى فيما أرى من هذا التفضيل وإن لم تسلم من هذه العيوب العامة التى اشتملت عليها الترجمات الاخرى ، قال :

ربِّ رحماكَ ما كسبتُ ثواباً ... لا ، ولا كنتُ مستحقاً عقاباً
إنما قلتُ ما رأيتُ صواباً ... ووجودى علىَّ كان مصاباً
وعزائى الجميلُ كان الحباباً ... وكفانى التوحيدُ ذخراً فانى
لم أعدِّدْ فى دينىَ الاربابا

حلَّ عيدُ النيروزِ والانسُ حلاَّ ... والرَّبيعُ الزاهى الجميلُ تجلى
وثغورُ الازهار ترشفُ طلاَّ ... صاح لاحت فى دوحنا يدُ موسى
صاحِ مرتْ بالروض انفاسُ عيسى ... عاد فصلُ الربيع والنفسُ طابتْ
صاحِ والعيشُ والسلافةُ طاباَ

وليالى داودَ ليستْ تعودُ والمغنىّ رهنَ الفنا والعودُ
فقم أنظر ! فاليوم أزهر عودُ فوقه بلبلٌ يغنىّ لوردِ
شفَّه السقمُ من غرام ووجدِ يا حبيباً فى وجنتيه اصفرارٌ
ماشت الخمرُ لا ذبلتَ اكتئاباً

وكثيراً ما تجد هذه العيوب اللفظية أيضاً من ضعف النسج وابتذال التراكيب وعدم استقرار القوافى وسوء التأدية فى شعر هؤلاء المكثرين الذين يعجلهم طلب الشهرة والحرص الشديد على معرفة العامة بهم وذيوع اسمائهم على الالسنة عن الروية والاتئاد فى عمل الشعر واحكام نسجه وتقويم نظمه ، واختيار الفاظه وتوطيد قوافيه ، واذا كان من حق هؤلاء على الادباء أن يشجعوهم فان من حقهم عليهم كذلك أن ينبهوهم الى مواضع الضعف ليعملوا على تقويتها ، ويعرفوهم وجوه النقد ليتداركوها بالاصلاح والتهذيب ، ولا أود أن اورد فى هذا الفصل امثلة من شعرهم فحسبك منها ما تطالعنا به الصحف اليومية والاسبوعية والشهرية من هذا الشعر فى كل حادثة مهما صغر شأنها ، وقل اهتمام الناس بها .

فهذان صنفان من الشعراء يشوهون معانيهم بسوء بيانهم ، ويذهب ضعف ألفاظهم بما يريدونه لقصائدهم من روعة وتأثير ، ويرجع ذلك الى قلة علمهم باللغة واساليبها ، وجهلهم بطرق البيان التى لا عوج فيها ولا التواء ، ونفورهم الشديد من قراءة شعر المتقدمين وحفظ المختار منه فيتكوّن لديهم من الذوق الفنى فى اختيار الالفاظ ونقدها ما يصلحون به أساليبهم ، ويقوّمون به ألسنتهم ، ويتعرفون منه وضع الالفاظ فى مواضعها وكيفية استعمالها ، وانتقاء الجيد منها . واثقل شىء على نفوسهم أن يقرأوا كتابا جامعاً فى الادب القديم أو قصيدة فيها بعض ألفاظ غريبة ، أو بحث لغوى دقيق عن اسرار اللغة والفروق بين اساليبها ، وأقوى حججهم فى الاعراض عن ذلك أن هذه الكتب وهذا الشعر وتلك البحوث كانت فى عصور مضت باهلها وآثارها ، فلتمض اذن بعلومها واشعارها ، وغاية علمهم باللغة وقواعدها وآدابها ما تلقنوه من هذه الكتب المدرسية الضيقة التى لا تنهض بغرض ولا تفى بحاجة » .

***

وبعد ، فنعتذر الى رصيفتنا «الاهرام» لنشر هذا النقد بنصّه مادام موجّهاً فى

معظمه الينا لأنّ الانصاف لحضرة صديقنا الناقد الفاضل يحتّم علينا نشر رأيه برمته ولكننا لن نطيل فى الردّ عليه فخير الكلام ما قلّ ودلّ ، وحسبنا أن نجمل النقط الآتية تعليقاً على دعاويه :

(١) لحضرة الناقد روحٌ بابويةٌ فى اصدار أحكامه : فهو لا يرى لأية مسألةٍ وجهين ، ولا يتصوّر انّ من الجائز وقوع الصواب فى غير جانبه ، ولمّا كنا لا نعرف فيه الغرور فهذا التعثّر بلا شك من آثار الروح القديمة التى يمتدحها ويطالبنا بأن نشاركه فى التعلّق بها.

(٢) إذا كان شغفنا بالأدب العربى ومَفاتنه ودراسته أكثر من ربع قرن غير كافٍ لصقل ملكتنا العربية ، فهذا الرأى حجة على ذلك الأدب لا علينا ! ولكن يهوّن من هذا الحكم أن صديقنا الفاضل لم يقرأ لنا شيئاً يستحق الذكر فهو يصدر أحكاماً فى قضية يكاد لا يعرف شيئاً عنها ! وهو ينسى اعجابنا بالأدب العربى الحيّ تطبيقاً وتقديراً ، ومن شواهد ذلك منذ سنوات مساعينا المتواصلة للتنويه بالشاعر الفحل المغمور (ابن حمديس) وتشجيعنا لطبع ديوانه الى أن قررت وزارة المعارف تدريسه بعد أن جعله فقهاؤنا المتشاعرون سامحهم الله نسياً منسياً ، ودعوتنا أخيراً لانصاف الشاعر العربى المعاصر (محمود ابو الوفا) حينما خذله المتشدقون بمحاسن الشعر العربى الصميم الذى يُعَدُّ (أبو الوفا) رمزاً له .

(٣) ان الدرس الذى يجب أن يستفاد من ملاحظات حضرة الناقد انه وامثاله فى حاجةٍ ماسةٍ الى الدرس الطويل والامعان فى الأدب الأوروبى قبل هذه الجراءة على النقد ، لأن هذه الجراْة القاصرة تظهرهم بمظهر العجز التام عن فهم ما يبعد عن المألوف المتداول فى الادب القديم .

(٤) من الترجمات مايوصف بالترجمة الشّرحية وهذا جدٌّ سهلٍ وميسور ، وقد أدى تشجيعه فى الماضى الى تشجيع سوء التصرّف بالآثار الفنية من الشعر الاجنبى ، والشواهد على ذلك كثيرة أمامنا . وإنما الحرية بالتشجيع هى الترجمة الامينة للاصل وهو ما يسخط عليه صديقنا الناقد فى حين أن الشرح لهذه الترجمة المركزة للشعر الفلسفى أوالوجدانى لا تعيبها بل هى واجبة فى بعض الاحايين .

(٥) يعيب حضرته من التعابير ما يفهمه تماماً وما يستمتع به كلٌّ متضلع من الآداب الأجنبية ، وعندى أن آدابنا جديرة بأن تُلقَّحَ بهذه التعابير الجديدة .

مثال ذلك نقده لقول الشيرازى عن الخمر أنها « فنّ قرمزى » (وإن كان يوجّه هو النقد الينا !) . فما وجه النقد ياسيدى الفاضل وما ذنبنا نحن فى حرصنا على هذا التعبير ، ومَنْ ذا الذى لايفهم هذا التعبير ممن تذوّقوا ذلك « الفن » الساحر الذى يذهب بالهموم ويحرّر الروح والنفس ؟

(٦) يتسرّع حضرته فى الانتقاص ، مع أن الناقد الحكيم يجب عليه أن يفترض أنّ من ينقده يتساوى معه على الأقل فى مرتبه الادراك والعاطفة والفهم ، بل من الخير أن يفترض أنه أفضل منه ، وبذلك لا يسفّ الى الأوليات المفهومة . مثال ذلك قوله : ألم يكن الأَوْلَى به أن يقول « بين الكؤوس » بدل «طىّ الكؤوس » التى هى أشبه بكلام كتاب الدواوين ورؤساء الأقلام ؟! وهذا مثال من عبادته للالفاظ وتحكّمه العجيب ، لأنّ كلمة « طىّ » تفيد معنى الاغراق وهذا ما لا تفيده كلمة « بين » . ومثال ذلك تشدّده العروضى وهو المطلع على الاباحات العروضية الكثيرة فى الشعر القديم ومعظمها مرذول لا تقبله الآن .

(٧) نحن لا ننقل عن الآداب الأجنبية الاّ ما يشوقنا ونتأثر به ، لاننا لسنا مأجورين لاحد ولا مرغمين على الترجمة ، ولا ننظم الاّ ما نفهمه ونستسيغه ، ولا نعدم قراء عديدين يحبونه بدليل نفاد طبعة هذه الرباعيات وغيرها من المترجمات والمؤلفات التى لا تروقه ، وبدليل الحاح الاصدقاء علينا فى اعادة طبعها حينما لا تحول دون ذلك سوى شواغلنا العديدة فى الوقت الحاضر . واذا كان لمثل هذا الادب كثيرون من المستحسنين بين أدباء العصر أفليس الأَوْلَى بحضرة الناقد الفاضل أن ينظر للوجه الآخر من المسألة بدل أن يتشبثّ بأن صواب الحكم فى جانبه وحده ؟! لقد انقضى عهد الثرثرة والصياغة اللفظية ، ولن يكون الشعر الجديد شراباً يستقى بالملعقة فى غير جهد لمتناوله ، بل هو تحفة تُعْرَضُ لتُدْرَسَ فى غير اعلان عنها لمن يقدرها ويريد أن يستمتع بها دون أن يعبأ مبدعها بعدد المقدرين أو المنتقدين لها ، لأن الرجل الفنان المخلص لا يتملق الجماهير وانما يعبر عن وجدانه وحده غير عابىء بنتيجة ذلك ، وليست له أية غاية سوى ارضاء عاطفته ووجدانه . والشعر الفلسفى الجديد على الاخص تقوم فيه الكلمة بمقام البيت والبيت بمقام القصيدة ، وهو كالرّاديو فى تأثيره اذا وجد الاستعدادَ لقبول وحيه، وأمّا اذا انعدم هذا الاستعداد فلن يكون له بطبيعة الحال أى أثر . وهذا ما نجده فى الراديو فأبسط الآلات قادرة على التقاط الانغام المحلية حينما أفواها وأعظمها هى وحدها التى تستطيع أن تتصل بالأمواج البعيدة المصدر وتستوعب دقائقها وتفاصيلها . وفى هذا القدر كفاية الآن آملين أن تقوم هذه المجلة تدريجياً بتصحيح مقاييس البحث والنقد وتهذيب الملكات الشعرية كيفما كانت العقبات التى تواجهها الآن فى نشر رسالتها الاصلاحية .



السيد توفيق البكرى

أدبه وشاعريته

فى ذمة الله ، لقد فارقنا هذا الاديب الكبير منذ أيام قلائل عائداً الى التراب ، فأكرم الله وفادته ، ورفع فى منازل الأبرار مقامته .

بكينا الراحل العزيز فشطرٌ من الدمع لحادثة الفراق ، وشطرٌ للأدب العربى يهوى علَمٌ من أعلامه الكبار فى جوف الأبد القاتم الأعماق ، ففى ذمة الله يا محمد .

كلمة فى الأدب الحديث

من الانصاف قبل أن نعرض لأدب الفقيد العزيز السيد محمد توفيق البكرى وشاعريته ، أن نتحدث قليلاً عن الأدب الحديث ، وكيف أن الأديب الواحد أو الشاعر الواحد من أهل هذا الأدب قد يقع بين حكمين مختلفين ، لا فى عامة شعره — فذلك شأن عام — ولكن لاختلافه هو فى ذاته ، وتقلّبه فى صورتين متباينتين تقوم كل صورة منهما فى ناحية من حياته ، فمن الادباء والشعراء من تقوى مواهبه يوماً بعد يوم ، وتتسع موارده على توالى الزمن وتعاقب الايام ، ومنهم الذى يقصر به الطبع ، وتحتبسه المكنة ، فيقف حيث وقف سواه من جماعة العاجزين وفريق المتخلفين ، ومنهم الذى يعجبك أمسه فتكرمه ، ويغيظك يومه فلا تكاد تسيغه ، ولِكُلٍّ من هؤلاء شاهد من شعره يدلّك عليه ، وبينة من كلامه تحدثك عنه وتريك مكانه ، وما هذا الأدب قديمه وحديثه الاّ صورةٌ من ذلك المهمه الذى يقول فيه مسعود أخو ذى الرمّة :

ومهمهٍ فيه السّرابُ يلمح   يدأب فيه القوم حتى يطلحوا
ثمّ يظلون كأن لم يبرحوا   كأنهم أمسوا بحيث أصبحوا



السيد محمد توفيق البكرى

(١٢٨٧ — ١٣٥١ هـ.)

البكرى

أول ما يُلقيه البكرى فى روعك وهو يطالعك بأدبه ، أنه شاعر فحل ، وكاتب كبير ، وإنك لتبقى معه فى هذه الحال ، وعلى هذه العقيدة ، وإن جال فى نفسك أو قام فى ناحية منها أنك مغلوب على رأيك ، أو مضطهد فى شعورك وحكمك .

فى أدب البكرى قوّة مستبدة عليها كثير من جلال الأدب ، وفيها شىء غير قليل من عظمته وكبريائه ، فأنت حين ترى فيه مكاناً للضعف لا تلبث أن تدفعك هذه القوّة الى الامام ، وتصيح فى وجهك بصوتها الذى يشبه هزيم الرعد : (سر ولا تقف) وإنك لتحبّ أن تسير ، وتكره أن تقف ، وإنّك لتظلمُ البكرى إذا ظننت أنه لم يمت غير أمس ، وأنه قد أدى رسالته ، واستكمل أدبه .

إن الفقيد العزيز لطويلُ العهد بالموت ، وان هذا الاثر الذى نراه اليوم من أدبه البارع ، لهو مثال مبتسر ، وصورة غير كاملة .

لقد كان والقلم فى يده ، وذلك اللسان الذّرب فى فمه ، يُعَدّ فى الصف الأوّل من رجال الأدب ، وقد تطاول الزمن ، وتباعد المدى بينه وبين هؤلاء ، فمنهم من سبقه ، ومنهم من وقف معه ، ونام بجانبه ، غير قائم العذر ، ولا ناهض الحجة ، وما من مرية قط فى أنه لولا ذلك الحدث الرائع الذى دفن قلمه وهو حىّ ، واعتقل لسانه قبل أن يعتقله الموت ، لاستوفى حقه من بدائع الفنّ ، ومحاسن الصناعة ، ولاكتسب أدبه القوىّ من المنعة والحصانة مايدفع بكلّ متهجم الى الوراء .

نظرة فى شعره

فى شعر البكرى من إشراق الديباجة ، وجودة السبك والصياغة ، وجزالة اللفظ والمعنى ، ما يدلك على شاعرية عالية ، وعبقرية طامحة ، وهو فى مقطعاته مولع بالمعانى المخترعة ، والمقاصد البديعة الاّ أنه مع كل هذا قليل الاحتراس فقد يقع فى الأخطاء اللغوية حيناً ، ويعمد الى ترديد ما قاله الاوائل حيناً آخر ، وقد يضطرب تارةً فى شعره ، فلا تظنّ به الاّ أنه قد أراد التجوّز ، أو تعمد التقصير ، ثقةً بنفسه ، وادلالا عليك . قال فى قصيدته التى نظمها فى الحرب اليونانية العثمانية لعهد السلطان عبد الحميد :

أما ويمين الله حلفةَ مُقسمٍ لقد قمت بالاسلام عن كُلّ مسلمِ

(مقسم) فى الشطر الاول من البيت لا معنى لهـا . فلو انه قال (حلفة صادق) مثلاً لكان أمثل ولـكنها القافية . وهو يقول بعد هذا البيت :

فلولاك بعد الله أمست دياره بأيدى الاعادى مثل نهب مقسَّم

و(مثل) فى الشطر الثانى من هـذا البيت أضعفت المعنى ، أو هى قد أفسدته ، والشأن أن يقال (أمست نهباً مقسماً) ولـكن المانع ظاهر ، وهو مانع ضعيف لو أُحسن نظم البيت ، قال :

له فى الاعادى حـملةٌ يعرفونها وأكبرُ منها حـملةٌ من تـكرُّمِ

فى هذا البيتِ نَظَرٌ الى قول المتنبي :

هُم المحسنون الكرّ فى ساحة الوغى وأحسنُ منه كَرُّهُمْ فى المكارم

ولك أن تقول بانه على كثب من قول ابن هانى :

ضَرّابُ هامِ الروم منتقماً ، وفى أعناقهم مِنْ جوده أعباء

تجرى أياديه التى أولاهمو فـكأنهـا بين الدماء دماء

لولا انبعاثُ السيف، وهومُسلَّطٌ فى قتلهم ، قتلتهم النعماء !

قال :

وزجّوا جوعاً كالدَّبَى فى عديدها فألقاهمو فى جوف دهيـاء صيلم

لا يزال شعراء العرب يتنازعون تشبيه الجيوش بالدّبى فى كثرتها ، وهو عندهم كثير ، ومنه قول إياس بن قبيصة الطائى يصف كتيبة :

« ومبثوثةٍ بَثَّ الدَّبَى مسبطرَّةٍ »

قال فى وصف الخيل :

ومن كُلّ ذيّالٍ كأَنّ هُوِيَّهُ هُوِىُّ شهابٍ ، أو عُقابٍ محوّم

وقال نابغة بنى جعدة يصف فرسه :

فَظَلَّ يجاريهم ، كأَنّ هُوِيَّهُ هُوِىُّ قطامىٍّ من الطير أمعرا

ومثله قول ابن أبى سلمى فى فرسه :

فما سوذنيقٌ على مربأ خفيف الفؤاد حديد النَّظَرْ

رأى أرنباً سنحت بالفضاء فبـادَرَها وَلَجاتِ الخمَرْ

بأسرع منها ، ولا مِنزعٌ يقَمِّصُه رَكْضُه بالوَتَرْ

وقد درج البحترى على هذا الاثر فقال :

يهوى كما تهوى العقاب ، اذا رأت صيداً ، وينتصب انتصاب الاجدل

وهو كثير .

قال البكرى فى وصف الدرع :

ومن كلّ حصداء دلاصٍ كأَنها على عاتق الاجنـاد بردةُ أرقم

وفى ذلك يقول محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمى :

وعلىَّ سابغـةُ الذيولِ كأَنهـا سِلْخٌ كسَـانيـهِ الشجاعُ الارقمُ

وليس هـذا فحسب، فأشعار العرب حافلة بهـذا التشبيه . وهذا شيخنا المعرى يقول :

كأثواب الاراقم مزّقتهـا تخاطتها بأعينهـا الجـرادُ

ويقول البـكرى فى السوف :

وبيضٍ كلون الملح، أمّـا متونُها كنملٍ على نهْىٍ من الماء عُوَّمِ

أكثر القوم من هذا ، فقال المنتخل بن عويمر الهذلى فى سيفه :

« كَـلَوْنِ الملحِ ضَرْبَتُهُ هَبِـيرُ »

وقال قيس بن الاسلت :

« أبيضُ مثل الملح قطّـاع »

ولحقهم المعرى فقال :

« ومشتهراتٍ أشبه الملحَ لَوْنُها »

هذا ما قيـل فى (الملح) ، وأكثر منه ما قيل فى (النمل) ، وحسبك ما قاله البحترى يصف سيفاً :

وكأنما سُود النمال وحمرها دبّت بأيدٍ فى قَراه وأرجلِ

قال البـكرى فى وصف المدافع :

ومن منجنيق يستطير شواظه بفُوّهةٍ فيــه بابِ جهنّم

وقد ورد هذا البيت فى بعض الروايات على صورة أخرى وهى :

وَسُودٍ جِـثِىٍّ كالا كامِ دوافعٍ بِحُمْرٍ كأشباهِ الصواعقِ رُجَّمِ

وفى كلتا الصورتين ما يشير الى قول بن هانىء فى أساطيل المعزّ الفاطمى :

إذا زفرتْ غيظـاً ترامت بمارجٍ كما شبّ من نار الجحيم وقـودُ

فأفواههنّ الحاميـات صواعقٌ وأنفاسهنّ الزافراتُ حــديدُ

قال البـكرى :

كأنّ نصـالِ البيض وسط عجاجها شِرارٌ تعالى فى دخانٍـ مخيّم

وقال بشار بن برد :

كأنّ مُثارَ النقع فوق رءوسهم وأسيافنا ، ليلٌ تهاوَى كواكبه

وهو أبلغ وأظهر . ومن الاخطاء اللغوية فى هذه القصيدة قوله :

أمدّ لهـم فى الحـلم اعاً رحيبةً فزادوا طماحاً فى عُتوّ ومَـلامُ

يريد (مَدّ) وليست أمدّ فى معناها ، فانما يقال أمدّه بالمال أو بغيره اذا أعانه ويقال لؤم الرجل يلؤم لؤماً ومَلاْمَةً ولآمةً لا غير ، أما المـلاْم فاللئيم أو من يعذر اللئام ، وقال :

أسال لجاج الأرض بالجند يلتوى كأغـدرة الوديان فى كل مخـرم

والوادى لا يجمع على وديان ، وقال :ـــ

يَطـيرُ قُشارىٌّ الحديد بأفقها بجبل وتينٍ ، أو بكفٍّ ومعصم

القشر والقُشار واحدُ القشور ، فأماّ قشارىٌّ فلم تَرِد بهذا المعنىً لا فى الافراد ولا فى الجمع ، ولعله أراد أن تقوم الياء مقام ياء النسبة ، وفى القصيدة أشياء أخرى يعرفها الناقد البصير .

للسيد البكرى قصيدة أخرى فى فصل الربيع يقول فى مطلعها :

أصبح وادى الغر قـــد أخضرَ كالسيف الصَّـــدى

فى البيت خلل من جهة التشبيه فهم انما يشبهون الماء اذا علته الخضرة بالسيف يعلوه الصدأ . وهذا واضح مستقيم ، أما تشبيه الوادى المخضرّ أو نحوه بهذا السيف فغير مقبول ولا متقارب . وقد تدوول هذا الوصف فأصبح من الصور الرثة فى أدبنا العربى ، واليك مايقوله المعرى فى جدول راكد :

تطاولَ عهـــدُ الواردين بمائهِ وَعُطّلَ حتىّ صار كالصارم الصّدى

قال البكرى :

يسيل فى أصـــيله بفضـــــةٍ وعســجدِ

ويقول المعرىّ :

تظنّ به ذوبَ اللّجـين ، فانبدت له الشّمسُ أجرتْ فوق ذوبَ عسجد

قال البكرى :

هبّت به ريح الصّـــبا فعـاد مثل المـــبرد

ويقول المعرى :

إلى بُرَدَى حتى تظـلّ كأنها وقد كرعت فيـه ، لَوَاَثِمُ مبرد

قال البكرى ، وقد تخطينا كثيراً من أبيات قصيدته اختصاراً للنقد :

كواكبٌ منثورةٌ كلؤلؤٍ مبـدّدِ

ويقول المعرى :

تبيت النجوم الزهر فى حجراته شوارع مثـل اللؤلؤ المتبدد

قال البكرى :

والفجر فى ظلامـه مثـل حسام مغمد

جُرّدَ منــه بعضه والبعض لم يُجـرّد

ويقول البحترى :

وليل كأنّ الصبحَ فى أخرياته حُشاشةُ سيفٍ ضمّ إفرندَه غِمدُ

فأنت ترى معنى هــذا البيت البارع شائعاً فى بيتىْ البكرى . وإنك اذا نظرت الى هذين البيتين من جهة الصناعـة رأيت فيهما من الاضطراب والتواء المقصد

ما يسوءك ، وانّ فى ادخال أداة التعريف على كلمة (بعض) فى البيت الثانى لخطأً لغوياً ما به من خفاء ، ومن العيوب البيّنة فى هذه القصيدة قوله :

أحسُّ قومى أنّهم أحرارُ غَيْرُ أعبُد

منع كلمة (احرار) من الصرف وما هى كذلك . ومما يعجبك من أدب البكرى قوله :

وما أذّن القوم لمّا أتا ا صلاة الجنازة يوم الوفاة
وأُذِّن للطفل يوم الولا د ، فهذا الاذان لتلك الصلاة !

وقوله :

النّاس يخشون من جاه المليك وما لديه لولاهمو فى مُلكه جاه
كصانعٍ صنماً يوماً على يده وبعد ذلك وجوه ويخشاه !

وقوله :

لا تعجبوا للظلم يغشى أمّةً فتنوء منه بفادح الاثقال
ظُلمُ الرعيّة كالعقاب لجهلها ألَمُ المريض عقوبة الاهمال

القضية سواء فى قول البكرى وقول فيكتور هوجو : «لا يكون الحكام ذئاباً الا اذا كان الشعب من الخراف » .

رحم الله أخانا البكرى ، وجزاه عن الأدب خير الجزاء .

احمد محرم





حافظ ابراهيم

أدبه ـ شخصيته

لست حين اكتب عن حافظ ابراهيم بالذى يطمع فى أن يوفيه حقه فان ذلك يتطلب وقتاً وبحثاً مستفيضين ، كما يتطلب توفراً على دراسته لا أدعيه . فكل الذى اريده بهذه الكلمة هو أن اذكر بعض ملاحظات عن أدب حافظ وشخصيته اكثرها قد علق بذهنى وقت أن كنت اسعد بمقابلة حافظ ابراهيم فيغمرنى بفيض حديثه العذب الممتع فيخيل الىّ انى قد عرفت من شخصيته وادبه ما غاب عن الكثيرين ، وان كنت قد تبينت الآن — بعد أن مات حافظ وكتب فى موته كثيرون — ان الرجل كان هو هو فى حديثه معى ومع الآخرين .

ولا عجب أن ينظر أكثر الذين عرفوا حافظ واتصلوا به — لا عجب أن ينظروا اليه جميعاً نظرة واحدة لأن حديث الرجل كان مرآة نفسه فقد كان حافظ فى الحياة بوهيميا لايعرف المداراة ولا يعرف الرياء ولا يعرف الدسَّ . ومن كان هـذا شأنه فانك تعرف نفسه وشخصيته من غير كبير عناء .



حسن الجداوى

لقد كان حافظ يعتبر نفسه اشعر شعراء العربية فى هـذا العصر ويقول ذلك ، وكان يعرف كيف يلقى شعره وكيف يسبغ عليه من مقدرته على الالقاء رواء قد لا تجده فيه اذا ما أعدت قراءة القصيدة فيما بينك وبين نفسك ، فكان يجد من تشجيع جمهور السامعين لقصائده وكثرة ما يعيدون أمامه من طلب تكرار البيت مرة ومرات ما يزيد اعتقاده رسوخاً فى كفايته ونبوغه، بيد انى من الذين يعتقدون أن حافظاً لم يكن مخطئاً كثيراً فى تقديره لنفسه .

قابلته بعد المهرجان الذى أُقيم لشوقى مباشرة ، وكنت قد قرأت قصيدته التى قال فيها :

أميرَ القوافى قد أتيتُ مبايعـاً وهذى وفودُ الشرق قد بايعتْ معى

فقلت له : لمَ هذه المبايعة العلنية ؟ فقال : أمّـا هذه المبايعـة فكانت فرضاً محتوماً وقد جاءت وفود من البلاد الأخرى تبايعه وما كان يمكن أن تتخلف مصر . فقلت : وعلى رأسها زعيم شعرائها ؟ فقال : أنت الذى تقولها ... ثم أخـذ يحدثنى عن شوقى وعن أن شوقى اشعر الشعراء بغير شك وعن انه سما فى الشعر الى أوج لم يسم اليه شاعر قبله ، كل ذلك فى غير رياء ولا تصنع وقد كنا وقت ذلك منفردين فى حديقة الاسماك، والرجل يعرف عنى انى لست من اصدقاء شوقى

فما كان فى حاجة لأن يتصنع ، ولعله قد تأثر من كثرة ما سمع من مديح الشعراء لشوقى أيام المهرجان أو لعله حفظ لشوقى أن تقدم وعانقه حين ألقى بقصيدته فنسى ما بينهما من منافسة ربع قرن كامل ! على انني لا اذكر انني تذوقت قصيدة شوقى فى ذكرى كارنارفون بمثل ما تذوقتها حين أخذ حافظ يتلو على هذين البيتين :

أفضى الى ختم الزمان ففضَّه وحبا الى التاريخ فى محرابه
وطوى القرون القهقرى حتى أتى فرعون بين طعامه وشرابه

وهو يفسر ما فيهما من معانٍ ويقول إنه لو لم يكن لشوقى غيرهما لكفاه ذلك مدحاً وقد ظلت المنافسة قائمة بين شوقى وحافظ — وان شئت الحق فقل بين شوقى واتباعه وحافظ وانصاره ـ وكان ما يأتيه اتباع شوقى يثير ضحك حافظ واستهزاءه ولكنه كان يثور ويغضب ويهدر حين يعتقد أن شوقى نفسه امتنع عن الحضور فى حفلة هو من شعرائها أو اشترط عدم حضور حافظ ليبعث هو بقصيدته ، وكان يقول فى كثير من المرارة : شوقى لا يريد أن يذكر اسمى بجوار اسمه مع ان لنا ثلاثين سنة والناس يقولون شوقى وحافظ كما يقولون زفتى وميت غمر وسميط وجبنه . . .

وحافظ هجاء مقذع فى هجائه ، ولكنه ما كان يذكره الا لاخصائه . . . على انه كان ينظر الى الغمس فى الهجاء نظرة العرب لا النظرة الحديثة ، اى انه كان ينظر اليه كتفكهة لا كشتم واساءة أدب . . ومن ظريف قوله عن عدوين له ، والاشارة هنا يفهمها الاخصاء :—

لى عدوان لم يناما عنى وقد نامت الخطوبُ
. . . كله ثقوب ومدمن كله عيوبُ

وكان حافظ بوهيمياً فى ملبسه وفى معيشته . سكن فى أيامه الاخيرة الزمالك وكان ينزل يومياً ليجلس بقهوة نيو بار بميدان الاوبرا فكان لا يذهب ولا يعود الا راكباً سيارة أجرة مع أن الترام يأخذه من أمام عتبة داره فينزله أمام القهوة مباشرة ! ولكنه كان يعنى بهذا كله كأنه احد ملوك العرب القدماء ، وكان من تبذيره ان يشترى سيجاراً يتراوح ثمن الواحد منه بين الثلاثين والخمسين قرشاً . يفعل ذلك لانه متلاف للمال لم يفكر قط فى اكتنازه مع أنه بدأ حياته بائساً ، ومثله كان أولى به أن يستعز بالمال ولكن حافظ وان كان كثيراً ما شكا البؤس لم يمتدح الغنى فى وقت من الاوقات .

ولعل أظهر ما فى حافظ انه كان يحب ان يتكلم وكان يحسن التكلم ، حتى ان جلساءه كانوا يأبون على أنفسهم أن يقاطعوه . بيد انه هو نفسه كان لا يطيق ان يقاطع لا لأنه كان لا يحسن الاصغاء بل لانه كان يعرف عن كل موضوع يعرض الحديث له من البيانات والملح والطرف مايخشى ان ينساه او ما يريدك ان تستمتع به ، فكان يتلوها على السامعين الواحدة تلو الاخرى وهم بنشوة حديثه العذب مأخوذون يودون لو لم ينته الرجل من حديثه !

وكثيراً ما كانت لحافظ مداعبات قاسية مع جلسائه ولكنها كانت دائماً مما يستساغ ويُطرب له . زار بورسعيد فى يولية سنة ١٩٢٦ فأقام صديقى محرر (أبولو) واخوانه أدباء بورسعيد حفلة تكريم شائقة له فى الكازينو، كما نظموا له نزهةً جميلة فى القنال . فلما جلس حافظ فى الزورق وجد أمامه الشاعر الاديب على افندى محمد الالفى فلم تعجبه صورته وأنشد على الفور مازحاً :

أباشادى ! أبا شادى ! لقد أكمدتَ حُسادى
ألم تنظرْ على الألفىّ مثل القردِ فى النادى !

فضحك الجميع وطربوا وأولهم الشاعر الالفى. وقد وصف هذه النزهة وأحاديثها وصفاً بديعاً صديقى محرر (أبولو) فى ديوانه الزاخر « الشفق الباكى » (ص ٩٣٨) الذى كان من حظى الأدبى قيامى بنشره ، وفى نفس الديوان (ص٩٣٠) القصيدة العامرة التى أُلقيت فى حفلة تكريم حافظ .

وقد جارى حافظ النهضة الوطنية والعلمية والاجتماعية فى جميع أدوارها :

دعا الى ضم الصفوف ومقاومة الغاصب والاستعداد للقائه متحدين لامتنابذين، فهو شاعر دنشواى ، وشاعر وداع كرومر ، وشاعر النهضة الوطنية الظاهر والمستتر ، وقد دعا لانهاض اللغة العربية واحيائها ، ودعا الى الاحسان والمؤاساة ، ودعا الى كل ما هو خير لمصر وللمصريين .

وساير حافظ النهضة الادبية الحديثة ولكن فى شىء من التردد ، ولعل ذلك راجع الى متانته فى اللغة العربية ورغبته في ان لا يفتح على نفسه باباً جديداً لنقد الجامدين من النقاد .

على ان حافظ قد مات وخلف ثروةً من الشعر القومى جديرة بأن تخلد . ولحافظ قصائد لم تنشر أعدها ولم تأت المناسبة لالقائها . ولقد أنشدنى مرة قصيدة جامعة عن الجامعة المصرية — قارن فيها بين جلالة الملك منشىء الجامعة وبين الفراعنة بناة الاهرام وفيها ويقول :

. . . . أين بانى العلم من بانى الهَرَمْ؟
كل ما فيها على إعجازها انها قبرٌ لجبارٍ حُطم !

وهو فى الحق تقدير صحيح للأهرام جرأ هو على القول به .

ففى ذمة الله ياحافظ وفى ذمة الخلود فقد تركتَ مصر التى قلت عنها .

فما انت يامصرُ دار الاديب ولا انت بالبلد الطيب
وكم فيك يا مصر مِن كاتب أقال اليراعَ ولم يكتب

ولكن مصر لن تغفل ذكراك م؟

حسن الجراوى



التمثال المغشى فى سايس

❊ قصيدة مختارة من نظم الشاعر الألمانى العظيم شلّر ❊

(تعريب الدكتور على العنانى)

فتًى ساقه ظمأُ المعرفةِ الحارُّ
الى سايس فى وادى النيل
ليتعلمَ حكمةَ الكهنةِ السرّية ، وقد
وصلَ بسرعة الخاطر وحدّةِ الذكاء الى درجاتٍ تُذكر .
دائماً تدفعه شهوة المعرفةِ والرغبةُ فيها الى البحث ،
وقلّما تمكن الكاهنُ من تهدئة هذا الشغوف ،
اللاّهج بقوله : « ماذا يكون لى ،
إذا لم يكنْ الكلُّ كاملاً ؟
أيوجد هنا أكثر وأقلّ ؟
هل الحقيقة مثل السعادة المادية
كميةٌ فقط يُنال منها القليل أو الكثير ؟
وعلى الدوام تُبْتَغَى الزيادة فيها ؟
أليستْ الحقيقةُ واحدةً لا تتجزّأ ؟
إنزعْ نغماً من لحنٍ !
أمْحُ لوناً من قوْس قزَحٍ !
تجد أنّ كلّ ما بقى لك ليس شيئاً
ما دام الكلُّ الجميلُ للحنِ واللونِ ناقصاً » .
وبينما كانا هكذا يتحادثان ،
وقفَا صامتين داخلَ المَعْبَدِ
إذْ وقع نظرُ الصبىِّ
على تمثالٍ جسيمٍ سُدِلَ عليه ستارٌ .
فنظر الغلام متعجباً الى قائده وقال :
« ما هذا المخبوء تحت السّتار ؟ »

« الحقيقة » كان جواب الكاهن ، فرفع الفتى عقيرته
قائلا : « ماذا ؟ — نحو الحقيقة وحدها أسعى
وهى بعينها التى يحجبها عنى الانسان ! »

***

فأجاب الكاهنُ : « سل القوة الالهية عن ذلك —
فانها قالت : لا يوجد فانٍ يرفع هذا الستارَ
حتى أرفعَه أنا بنفسى ،
ومَن مدَّ يداً أثيمةً ملوَّثةً بالرِّجْسِ
الى الغِشاءِ المقدَّسِ المنيعِ
ليرفعَه قبل الاوان فانّه كما قالت الآلهة . . . »
فنادى الصبى : « الآن » فقال الكاهنُ :
« . . . فانه يرى الحقيقة » فكان جواب الفتى : « وحىٌ غريبٌ !
وأنت نفسك ، أنت ، أما رفعته أبداً ؟ » فرد الكاهنُ :
« أنا ؟ — كلا ثم كلا ! وما حاولتُ هذا قطّ » .
فتعجب الشاب وقال : « عسيرٌ علىَّ أن أفهم هذا —
أيكون هذا الحاجزُ الدقيقُ هو الحائلُ دون ما أبتغى ؟ »
فقاطعه الكاهنُ قائلا : « وقانونٌ أثقلُ يابنىَّ مما تظنّ .
حقيقةً هذا الستارُ الرقيقُ خفيفٌ على اليدِ
ولكنَّه ثِقْلُ القناطير على الضمير » .

***

الى البيت عاد الشابُّ ملىءَ الفكرِ .
وفيه انتزعتْ منه الرغبة الحارةُ فى المعرفة
النومَ ، وألهبت فيه ناراً ، وأقضَّت مضجعَه .
ففرَّ منتصفَ الليل من فراشه الى المعبد .
وقد ساقته خُطًى رهيبةٌ اليه مع انزعاجٍ ووجلٍ .
هناك تخطى السّورَ دون أىّ صعوبةٍ
والى الداخلِ دفع نفسه متشجعاً
فصار فى بَهْوِ العبادة والصلاةِ .

***

هنا وقف الصبىُّ الآنَ مرتعد الفرائص .
قد أزعجه الانفرادُ فى هذا السكون الرهيبِ
الذى لاتقطعه نَبْـأةٌ بَلْهَ رَجْـعِ الصَّدى
من الاجداثِ المظلمة كلما وقع القدمُ .
مِنْ فوق ، مِنْ كُـوَى القبة أرسل القمرُ

شعاعاً ممتَقعَ اللّون فى زُرْقَةِ الفضّةِ
فلمح التمثالَ فى رهبةٍ إذ بدا له
فى غِشائه الفضفاضِ وسَط الظلام
كأنَّه إله عظيمُ الجبروتِ .

***

الى هناك تقدّم الفتى بخطوات ثقيلة بطيئة
وأخـذتْ يدُه العابثةُ تهمُّ بمسّ مُقدَّسِ الاقـداسِ
فاضطرب محموماً وجد مقروراً
واندفع الى الوراء بيدٍ خفيّـةٍ لا تُرَى
فناجاه ضميره الخالص معنفاً :
ماذا تريد أن تصنع هنا أيها الشّـقى ؟
أراغبٌ أنت فى إهانة التمثال ؟
أما نطق الوحىُ قائلا :
« لا يوجد فانٍ يرفع هذا الستارَ حتى أرفعَـه بنفسى ؟ »
ولـكن ألم يقل نفسُ هذا الوحى بعد ذلك :
« مَنْ يرفعْ هذا الستارَ يَرَ الحقيقةَ ؟ »
وهنا نادى الصبىُّ بصوت جهورىٍّ : انى لا أرفعه .
مهما كان الأمر . انى أريد رؤيتها » .

... رؤيتها !

صدى طويل حسبه الفتى تهكماً عليه .

***

نطق بهذا ورفع الستارَ .
والآن تسألون : ماذا حدثَ له ؟
لا أدرى . أصفرَ مغشياً عليه
وجده الـكهنة فى صبيحة الغد
ملقى بجوار نصب أيزيس،
وما رآه وما عرفه ما نطق به لسانه ،
لأنه فقد التّـنبُّه إلى الابد ،
وانتزع منه الـكدرُ النفسَ
وألقى به فى الرَّمْسِ
غير أنّ كلمة محذّرة كان يفوه بها
كلما أثقل عليه سائلٌ مُلحٌّ وهى :
« ويلٌ لمن يطلبُ الحقيقةَ من طريق الاثم ،
انه لا يسعد بها مَدَى الحياة » .



المجلد الأول

العدد الثانى

أبولو

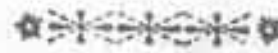
مجلة فنية لخدمة الشعر العربي

لسان حال جمعية ابولو



تصدر مرة فى كل شهر

اكتوبر سنة ١٩٣٢











صاحب الامتياز ورئيس التحرير { أحمد زكى أبوشادى





الادارة { بشارع الملك المعز رقم ٩ بضاحية المطرية بمصر

التليفون { ١١٩٦ زيتون و ٤٠٤٥٦

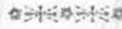








تحية أبولو



أَقبلَتْ فى رُوائها تتهادى مثلما تلبسُ العروسُ الحريرا
جَنَّةٌ مُشْرِفٌ عليها «أبولُو» مِنْ سَمَاءِ الفُنُونِ يَبْعَثُ نُورَا
روضةٌ يَبْسِمُ الجمالُ بها عن نَفَحَاتِ الرَّبيعِ تَشفِي الصُّدُورا



خليل شيبوب

حَفَلَتْ بالبيانِ سِحراً ، وبالفنِّ ضِيَاءً ، وبالحياةِ سُرُورا
أطلعَتْ كلَّ كوكبٍ يَحْمَدُ السَّارى سُرَاهُ وقد هَدَاهُ مُنيرا
وتحلَّتْ بزاهراتِ المُنَى تُشْرِقُ حُسْناً فيها وتَنْدَى عَبِيرا

نَظمتْ مَحفِلاً من الشِّعْرِ معقوداً ... يُناجى فيه الضَّميرُ الضَّميرَا
فى قوَافٍ كأنهنّ عَذارى الرَّوْضِ ... يَرْفُلْنَ بالضّياء حَبيرَا
ومَعانٍ كأنهنّ رُقى السِّحْرِ ... ونَظْمٍ يجلو المُنَى تَصْويرَا
هَمَساتُ النُّهى لهنَّ وَميضٌ ... يَتجلّى بين السُّطورِ سُطورَا
وَتَناجِى الشُّعُورِ يَبْعَثُ فى النَّفْسِ ... شُعوراً ويَستفيضُ الشُّعُورَا

* * *

هاجَنِى ذلك التَّناغِي فأنشَدْتُ ، كما هاجتِ الطيورُ الطيورَا
وأنا طائرٌ كسيرُ الجَنَاحَيْن ... أُدارى فى العُمْرِ قلباً كسيرَا
أتَغَنَّى بما بقلبي من الحزنِ ... كأنى بالحُزْنِ ابغى السُّرورَا
إنما رائدى الوَفاءُ لِصَحْبي ... لا أُبالى عُسْراً ولا تيْسيرَا
لا ، ولا أن يُقالَ لى : أَنتَ أحسنتَ ... قليلاً ، ولا أسأتَ كثيرَا
إنَّ لى مِن إخلاصِ نفسى شفيعاً ... ومِن الضَّعْفِ فى الزَّمانِ عذيرَا

خليل شيبوب

* * *

(تلقّينا جملة قصائد بليغة ورسائل أدبية كريمة تحيةً لهذه المجلة فاكتفينا بنشر هذه القصيدة العصماء منتهزين الفرصة لنكرّر أخلصَ الشكر على هذه الحفاوة العظيمة التى ظفرنا بها من الصحافة العربية ومن الأدباء الافاضل فى أقطار شتّى ، ومؤملين أن تبلغ المجلة بفضل غيرتهم ومعاونتهم الصادقة المنزلة السامية التى ننشدها جميعاً لها — المحرر)





العودة

« عاد الشاعر إلى منزل صباه فوجده تغيرت معالمه وتنكرت ، فكتب القصيدة التالية »

هذه الكعبةُ كنّا طائفيها ... والمصلين صباحاً ومساءَ !
كم سجدنا وعبدنا الحسنَ فيها ... كيف بالله رجعنا غرباءَ ؟!
دارُ أحلامي وحبي لقيتْنا ... في جمودٍ مثلما تلقى الجديدْ
أنكرتْنا وهي كانت إن رأتْنا ... يضحك النورُ إلينا من بعيدْ !

* * *

رفرفَ القلبُ بجنبي كالذبيحْ ... وانا أهتف : ياقلبُ اتّئدْ !
فيجيب الدمعُ والماضي الجريح : ... لِمَ عدنا ؟ ليت انّا لم نعُدْ
لِمَ عدنا أوَلَم نطوِ الغرامْ ... وفرغنا من حنينٍ وألمْ
ورضينا بسكونٍ وسلامْ ... وانتهينا لفراغٍ كالعدَمْ ؟!

* * *

أيها الوكرُ اذا طار الأليفْ ... لا يرى الآخرُ معنىً للسماءْ
ويرى الأيامَ صفراً كالخريفْ ... نائحاتٍ كرياح الصحراءْ
آهِ مما صنع الدهرُ بنا ... أوهذا الطللُ العابسُ أنتَ ؟
والخيالُ المطرقُ الرأسَ أنا ! ... شدّ ما بتنا على الضنكِ وبتّ

* * *

أين ناديكَ وأين السَّمَرُ ؟ أين أهلوكَ بساطاً ونُدامى ؟
كلما أرسلتُ عيني تنظرُ وثبَ الدمعُ الى عيني وغاما !
موطنُ الحسن ثوى فيه السَّأَمْ وسَرت انفاسُه فى جوِّه
وأناخ الليـــلُ فيه وجثمْ وجرتْ اشباحُه فى بهوه !

* * *



الدكتور ابراهيم ناجى

والبِلى أبصرتُه رأيَ العِيانْ ويداه تنسجان العنكبوتْ
صحتُ : يا ويحك تبدو فى مكانْ كلُّ شيء فيه حيٌّ لا يموتْ !
كلُّ شيءٍ مِن سرور وحَزَنْ والليالى من بهيجٍ وشجِى
وأنا اسمع أقـدامَ الزَّمَــنْ وخُطى الوحدة فوق الدَّرَجِ !

* * *

ركنيَ الحانى ومغنايَ الشفيقْ وظلالَ الخلدِ للعانى الطليحْ
علم الله لقد طال الطريقْ وأنا جئتكَ كيما استريحْ

وعلى بابكَ التى جَبهتى كغريبٍ آبَ من وادى المحنْ
فيكَ كفَّ الله عنى غربتى ورسا رَحْلى على أرضِ الوطنْ

* * *

وطنى أنتَ ولكنّى طريدْ أبدىُّ النفى فى عالم بؤسى
فاذا عدتُ فللنجوى أعودْ ثم أمضى بعد ماأُفرغ كأسى!

ابراهيم ناجى

عمرى الجديد

يا حاسبَ الحظِّ فى حُبّى وفى أدَبى وناسياً بثَّ أنّاتى وآهاتى
ما هذه نفثاتِ الوجدِ صاعدةً لكنها مهجتى ذابتْ بأنّاتى
آثرتُ قصفَ شبابى حينما اغتربتْ نفسى بدنيا التدنّى والاساءاتِ
فصرتُ أُنفق ساعاتى بلا كَللٍ فى الجهدِ، مُحتقراً لذّاتِ ساعاتى
كأننى صِرتُ من دنيايَ منتقماً آبَى لها فضلَ ايجادى ولذّاتى
إنْ كانَ فَضْلٌ لها خَلْقى فقد خَلقتْ نفسى لأبنائها شتَّى المسرّاتِ
كما خَلقتُ شُخوصاً من مخيّلتى وقد خلقتُ جِناناً من خَيالاتى
أَحْيا كدوداً لأُفنى العمرَ مبتدِعاً عُمراً لنفسِىَ من فنّى وآياتى
فصرتُ مثلَ إلهٍ لا انتهاءَ له قد صاغ تكوينه من رُوحِه العاتى
فانْ يَعِشْ فهو عمرٌ لا مثيلَ له وإنْ يمتْ فهو عيشُ اللانهاياتِ!

احمد زكى أبو شادى



قوة وضعف

قُلْتُ أطويهِ بما في قُوتي   من أعاصيرَ تهُدُّ الأقوياءَ
فطواني في ثنايا ضَعْفِهِ   فإذا بي أتَرامى كيف شاءَ
فتماسكتُ ، وعُدتُ القهقرى   أنفضُ العُجْبَ ، وألقي الكبرياءَ
وجعلتُ الضعفَ عوني في الهوى   فأصبتُ الطبَّ منهُ والدواءَ
لأنَّ مَنْ أحببتُ ، فازددنا هوىً   وتمادى الحبُّ ، فازددنا وفاءَ
سلكَ الدمعُ إلى آماقِهِ   سُبُلاً كانتْ مِنَ الدمعِ خلاءَ
وانثنى يسألُني : ماذا أرى ؟   وهوَ يُغضي مِثلَما أُغضي حياءَ
أنا يا مولايَ مُضناكَ الذي   يشتهي القُربَ ، ويشتاقُ اللقاءَ
لا أرى الدنيا التي جُنَّتْ بها   أمَمُ الأرضِ لِمولايَ الفداءَ

* * *

قوّتي ضعفٌ ، وضعفي قوةٌ   فاخشعي يا نفسُ ، أو طيري هباءَ
يسقُطُ الصخرُ ، ويمضي صُعُداً   ساقِطُ التُربِ ، فيحتلُّ السماءَ
إنما السلطانُ في الدنيا لِمَن   يُعجِزُ الأيامَ حزماً ودهاءَ

* * *

إنْ طلبتَ الأمرَ ، فارفُقْ واتَّئِدْ   أو خشيتَ الناسَ ، فاخشَ الضعفاءَ
وإذا الحِكمةُ عزَّتْ مَطلباً   فاسألِ الشعرَ ، وناجِ الشعراءَ

احمد محرم



آلام فنانه

تصبَّرْ للشقاء وإنْ تمادى فما برح الذكاءُ به خليقاً
تروم من الزمان غنًى وفضلا لقد كلفته أملاً سحيقا
يذوب أخُ الفنون لمجد شعبٍ ولا يلقى لمصرعِهِ شفيقا
خُلقنا للبلاء فكيف نرجو بأن يُخلي البلاءُ لنا طريقا ؟!


محمود رمزى نظيم

وأرسلنا المدامعَ من دماءٍ على وجناتنا سالتْ عقيقا
تضيق نفوسُنا عما نلاقى وكيف بمثلها أن لا تضيقا
يجرّعنى الزمانُ الصبرَ مراً ويلزمنى الإباءُ بأن أطيقا
أرى فنّى له الدنيا صديقاً ولم أر لى من الدنيا صديقا
وأَظهر للورى مرحاً طروباً وتحمل مهجتى حزناً عميقا
تعهدتُ القناعةَ ماءَ وجهى وحالفها الحياءُ فما أُريقا
ولو أنى بعثتُ حريقَ قلبى على الدنيا لألهبها حريقا !
ولست ألوم فى ذاك الليالى وقد صيَّرننى حراً طليقا

محمود رمزى نظيم

وحي الشعر

أنتَ مَنْ يا عازفاً فوق قلبي ... أغنياتٍ تسيل من وجداني ؟
أنتَ مَنْ يا ساكباً فوق روحي ... ضوءَ حبٍّ يسيل كالطوفان ؟
أنتَ مَنْ يا مَنْ يُسِرُّ الى النفـ ... ـس بنجوى الأرواح من رضوان ؟
أنت مَنْ يا مَنْ يفكُّ قيودَ الـ ... ـلفظ فيسمو بهِ جناحُ المعاني ؟
أنت مَنْ يا من تغلغل في النفـ ... ـس فأَبدَى المستورَ من أشجاني ؟
أنتَ مَنْ يا مَنْ يُرِيني رسماً ... لجنانٍ في نَجْوةٍ عن زماني ؟
أنتَ مَنْ يا من ينقّلُ روحي ... في جمال الأشكال والألوانِ
أنتَ مَنْ يا مَنْ يمرُّ بنفسي ... كلحاظٍ في مَعْرَضٍ من حسانٍ ؟

* * *

أيها الجاذبي من المـدَرِ الدا ... وي الى عرشِ ربّةِ الألحانِ
ومحيطي بكلِّ ما يملأُ النفـ ... ـسَ ضياءً ، وناشراً إيماني
أنتَ وحيُ الشعرِ المرفرفُ عني ... في حياةٍ أجتازها كالأغاني
مثلما تحمل النسائمُ شدواً ... شرَّدَتْهُ ترنيمةٌ في جنانٍ
يحمل اليومُ تابعاً سابقيهِ ... من حياتي خيطاً من الأكفان
أنا أشدو والجوُّ يبلع شدوي ... وأغنّي ... لكن الى ذوبانِ
وكذاك القلبُ الذي لكَ فيه ... أيها الوحيُ نغمةٌ ومثاني
يتلاشى يوماً فيوماً ، فقلْ لي ... يومَ يفنى وينتهي وجداني
أَتُغنّي يا وحيُ فوق فؤادٍ ... كان يصبو لصنوهِ المتفاني ؟
كان يُلقي في صمته فوق نفسي ... أغنياتٍ كانت غذاءَ بياني

* * *

أيها الوحيُ ! مَنْ هبطتَ عليهِ ... قبلَ خلقي ، وقبلَ حلِّ لساني ؟
عربيّاً كان الفتى أم غريباً ؟ ... وشقيّاً أم كان خِلَّ أمانِ ؟
وشجيّاً أنّاتُهُ تتوالى ؟ ... أم طروباً خِلْواً من الأحزانِ ؟

وَملولاً من عيشهِ أم رضيّا ؟ ووديعاً أم كان كالبركان ؟
أيُّ داءٍ قضى عليهِ ؟ وهل ما ت صبوراً وكاتماً ما يعانى ؟
باسماً تستر ابتسامتهُ الحزن ، وتخفى جُرحاً سَلَتْهُ الأمانى

* * *

أيها الوحىُ ! هاكَ أوتارَ قلبى قطَّعَتْها أناملُ الأشجانِ
غير هذا الذى يرنُّ صداهُ خافتَ الجرْسِ ، ذائبَ التَّحنانِ
فاعزفْ الآن فوقهُ ما يعزِّى ويهزُّ الأعصابَ من ألحانِ
غَنِّ يا وحىُ ما يسامرُ رُوحى ربما عُدْتَ فافتقدْتَ كِيانى

حسن كامل الصيرفى

الاربعــون

مضى زمانُكَ أم لا زال ممــدودَا وَجفَّ عودكَ أم ما زال أملُودَا ؟
إنى رأيتُ وقاراً صادقاً حــذِراً وكانَ مِن قبل هذا فيكَ تقليدا
ترنو الى الحسنِ مأخوذاً بروعته ولستَ تعلن إعجــاباً وتأييدا
وانت شاعره المصدوقُ مِن قدم لم تألُ ألوانَه فى الكون تعــديدا
أزاجرٌ من رشاد كان مستتراً أم زاجرُ السنُّ انسَى طبعَك الجودا ؟
أأربعــون منَ الاعوام قادرة على إحالةِ ماءِ النبع جلمــودا ؟
هــذا هو السحر والايام ساحرةٌ لا مَن يُثير الرقَ او يحرق العودا !

* * *

يا سامرى الحْفل إنى كنتُ بهجتَه وكنتُ أشجىَ طيور الحفل تغريدا
واليومَ صرتُ غريباً فيه منزوياً لا أرفع الرأسَ أوْ أنْ أتلعَ الجيدا
هــذا زمانكمو ، إنى مضى زمنى فأبلغوا الغيدَ أنى أرهب الغيدا !
أخافُ منهنّ طرفاً ساخراً لبقاً مُفقّهاً بلغاتِ الشِّعْر عربيــدا
يُلمُّ يوماً بلمّاتى فيفضحها ويبصرِ البيضَ فيها تدركُ السودا
ميدان سَبْق به الأفراسُ مرسلةٌ يُغرى الغوانىَ تصويباً وتصعيدا

لكن رويدَ التى ترتاعُ إنْ نظرتْ ... شيبا بِفَوْدىَّ منثوراً ومنضودا
الشيبُ غايتُها يوماً وإن بعدتْ ... فهل أعدَّتْ لهذا اليوم تمهيدا ؟
وإنها غايةٌ للغيدِ حاسمةٌ ... ليست لتقبل تحويراً وتجديدا
فليس غيرَ الصِّبا مَجْد لغانيةٍ ... فان تولّى الصِّبا لم تلقَ تمجيدا
بينا صِباى له مِن حكمتى عِوضٌ ... فسوف أبقى على الحالين محمودا
بالأمس أُلبستُ ثوباً منه متّسقاً ... واليوم ألبسُ تاجَ الفضل معقودا

* * *

عهودَ لهوى وداعاً إن بى شُغلا ... عنه بجِدٍّ طريفٍ ليس معهودا
مُرٌّ المذاقِ ، ولكن فى مرارته ... نفعٌ لمدمنِ حلوَى باتَ ممعودا
حلوى الشبابِ وإن طابتْ لها عِللٌ ... تهدّدُ القلبَ بالاتلاف تهديدا
وليتَ شعرَكَ ياقلبي أَمِنْ أملٍ ... فى البرء أم لم تكن بالبرء موعودا ؟
كابدتَ ما لم يكابد قلبُ ذى بصرٍ ... فهل فقدتُكَ أو ما زلتَ موجودا ؟

محمود عماد



سيف مبتور

بَسَمَ الليلُ وازدَهَرْ ... وصَفتْ ساعةُ السَّحَرْ
فاملأ الكأس بالطِّلَى ... وادنُ منّى فَمَ الزَّهَرْ
واشفِ قلبي بمزجها ... وهى كالشمسِ ـ بالدُرَرْ
واسقني حيثُ لا رقيـ ... ـبَ سَوى النجمِ والقمر
كأسُ راحٍ شَذِيَّةٍ ... أُمها بَهْجَةُ الشَّجَرْ
مَنْ لَحانى لشُربها ... وهواها فقد غَدَرْ
هاتِها واسقنى ولا ... تَخشَ من لائمٍ جَهَرْ
كلُّ مَنْ لام فى الطِّلَى ... فهو لا شك من حَجَرْ
صاحِ دَعنى فاننى ... مُحسنُ الظنِّ بالقدَرْ



طاهر الطناحى

واعذرْ الصبَّ فى الهوى ... رَحِمِ اللهُ من عَذرْ
انّ لله رحمــــــةً ... وَسِعت كلَّ ما بَدرْ
فاسقنيها سُــــلاَفةً ... تَقتُلُ الهمَّ والكَدر
وتردُّ الذى مَحَــت ... مِن شبابى يدُ الفِكَرْ
أنا ما بين لوعــةٍ ... وظـلام قد اعتكَرْ
هَمّىَ الحُبُّ والعــلا ... ذاك من أعظم الكِبَرْ
وزمانى مُحــاربى ... ولظى الحرب مستعِرْ
لا أبالى بكيـده ... فليكدنى اذا قَدَرْ !
هىَ نفسى وهِمّتى ... ليس تُضنيهما الغِيَرْ
طالما فُزتُ من زما ... نىَ بالنصرِ والظفرْ
وَجَنى القلبُ بعضَ ما ... كان يبغى من الوطرْ
غير أنى مُهنّدٌ ... حَكَمَ اللهُ فانكسرْ

طاهر الطناحى

نجـوى والد

وافى (الصباحُ) بنُ (الظلا م) على البسيطةِ يَبسِمُ
والزهرُ طيبُ عَبيرِهِ يذكى المحبَّ ويلهمُ
والريحُ تدوى فى الفضاء كأنها تتألَّم
والطيرُ فى أعلى الغصو ن بلحنه يترنَّمُ
ورأيتُ وجهك والسَّما ت بما شعرتَ تترجم
أرسلتَ طرفك فى الفضاء وقد علاه تبسُّم
ماذا يريبك يا بنىَّ أبا لسعادةِ تحلم ؟
أم راقك الأفقُ الجميـ ل وسُحبه تتقدم
هذى الحياةُ وما بها مما يهون ويعظم
قد جئتَها عرَضاً وأنـ ت بأهلها لا تعلم
تلهو ، ولا يُشجيك ما يشجى الكبيرَ ويؤلم
جذلانَ تفرح لو يز يد على نصيبك درهم !

* * *

أمحمد والأمرُ أمرُ كَ ما تحل وتبرم
انى لأمرِك طائعٌ فيما ترى وتصمم
ولأنت مصدر قوتى وسعادتى لو تعلم
وأراك نورَ هدايتى والكونُ داجٍ مظلم
وأراكَ شهدى فى الحيا ة فيُستساغ العلقم
ويهون عندى بعد ذا ك شقاؤها إذ تنعم

* * *

ياليت شعرى والحيا ةُ بأهلها تتحكم
لولا وجودى يابُنىَّ أكنت منها تسلم ؟
مَن ذا الذى يدرى ؟ فللأرواح ما لا يُفهم
شاعت ، وشاكلها التجا نسُ وهو لغزٌ مُبرَمُ !

سيد ابراهيم



فى انتظار الربيع

هَيِّئى لى جَوّاً أَزُورُكِ فيه ... كلما شاقنى الهوى أن أراكِ
هيِّئى لى جَوّاً إذا ما طلعتُ ... لم أجدْ فى سَمائهِ إلّاكِ
هيِّئى لى جوّاً يَطير به الحبُّ ... ملاكاً على جَناحَىْ ملاكِ
هيِّئى لى جوّاً يطير هواىَ ... فى سَماهُ فيلتقى بهواكِ



محمود ابو الوفا

طائرَيْنِ كما نشاءُ ونهوى ... فى سَمائِى إنْ شِئتِ أو فى سَماكِ
طائرَيْنِ هناكَ لم نخشَ شراً ... مِنْ أعادِىَّ فى الهوى وَعِداكِ

حيث ألقاكِ فى سموات حُبٍّ ... مثلَ ما تشتهينَ أن ألقاكِ
أنا منكِ وأنتِ منّىَ روحاً ... فالىَّ إلىَّ ، رُوحى فِداكِ
إنْ تكنْ هذه التقاليدُ حالت ... بين روحى وما اشتهتْ مِنْ جناكِ
فغداً يُقبِل الربيع فيُنضِى ... ما على وَردهِ من الأشواكِ !

محمود أبو الوفا

الرشاقة

قلْ للرشاقة : هذه مرْآكِ ... رقصتْ على الأزهارِ والاشواكِ !
عُزِفتْ لها الأنغامُ وهى كأنها ... نَغَمٌ من الاحلامِ والادراكِ
ذابت كذوب النهر بين خمائلٍ ... والنهرُ بين تسلسل وتباكى
واللحنُ يضحك تارةً ، وهنيهةً ... يبكى ، فيلعب بالفؤاد الباكى
سِيلى مسيلَ خواطرٍ وعواطفٍ ... ما سِلنَ فى كَنفِ الهوى لولاكِ
فى كلّ حالٍ منكِ ألفُ معبّرٍ ... عماً يُكتّمهُ الجمالُ الحاكى
يَدرى به العشّاقُ إنْ لم يدره ... مَنْ لم يَذُقْ مَرآكِ أو مَعْناكِ
البحرُ تحتك واثبٌ ومُرَقّصٌ ... لمّا رَقَصْتِ وفى أنين الشاكى !
أحسنتِ يا بنتَ الحياة فهكذا ... روحُ الحياةِ ، وهل لها إلاّكِ ؟
هَفتِ العيونُ إليك وهى نفوسُنا ... وهفتْ اليك نواظرُ الأملاك
انَّ الذى جعل الجمالَ منارةً ... للحبّ لم يَحرِم مُنىَ الافلاك !

* * *

ياليلةَ الكنزِ/نو عَبيتكِ نِعْمةً ... وحفظتُ فى قلبي الشجىّ نداكِ
فى هذه الساعات أعمارُ الهوى ... فاذا مَضَتْ عشنا ببعض مُناكِ !
هذى المُنى والذكرياتُ وجودُنا ... ولو أنّ أهلَ الحبّ رهنُ هلاكِ
عاشوا على الأخطار ، حتى صفوُهم ... خطَرٌ ، وحتى الأمنُ بين شِراكِ !
عبدوا الرشاقةَ والجمالَ وآمنوا ... بهما فمن خَلقَ القلوبَ بَرَاكِ
فاذا عُبدتِ فكلُّ دِينٍ شافعٌ ... واذا جُحِدتِ فلن يُغيثَ سِواكِ !

احمد زكى أبو شادى

طيف الخيال

طيفَ الخيالِ ، سلمتَ من عُذّالى — أنَّى سريتَ إلىَّ ، غيرَ مُبالِ
البيدُ دونَكَ والرُّبىَ لم أستطعْ — إذلالهاَ . بتصُّورى وخيالى
ما كنتُ أحسبُ أنَّ سِحْرِ غرامِها — رغمَ المُحالِ يجئ بالآمالِ



زكى غازى

دخلتْ على طَرَفىْ حِذاءٍ ناعمٍ — حَذَرَ الوشاةِ بنا دُخولَ نِمالِ
فتنبّهَ القلبُ الذى حلّتْ بِهِ — قَبلَ الجُفون وَهم باستقبالِ
فتعجَّبتْ كيف انتبهتُ ولم تكد — تخطو إلىَّ ! فقلتُ : أنتِ ؟! تعالى !
وتساءلتْ عنىّ وعن حُبىّ لها — فأجبتُ بالتقبيل كلَّ سؤال !
قالت : نظمتَ الشعرَ فى غيرى كما — شاء الهوى أو شئتَ نظمَ لآلى
قلتُ : اسلمى ؛ قد كان شعرى سُلّماً — وبه رَقيتُ إلى هواكِ العالى
عانقتُها حتى صحوتُ فلم أجدْ — إلا الوسائدَ والفراشَ حيالى
ذهبتْ كما جاءت خيالاً باسماً — قد شفَّ حتى ما يرقُّ لحالى !

زكى غازى

ذكراك

(١)

ذكراكِ يَبعثُها نَبضُ الفؤادْ
فكيف أُغفلها والوجْدُ عادْ
فَعُدْتُ أشكو الجوَى
في طولِ هذى النّوى ؟

* * *

نجوايَ ينقلها في رُوحِهِ شِعْرِي
والليلُ يحملها في زَورَقِ الفجرِ
الى شواطىء سمعكْ
فهل جرى فَيْضُ دمعِكْ ؟

(٢)

في هيكلِ الوجدانْ في مَعْبَدِ الذكرَى
ضَرْبٌ مِن الألحانْ يُعظّمُ الشّعرا
يُوَحّدُ الأوزانْ ويجهلُ البَحْرا
لكنّ موسيقاه تستأسرُ الإحساسْ
الحبُّ في نَجواهْ كالعمرِ في الأنفاسْ
يسمو بنا مَعناه عن عالمِ الأرماسْ

(٣)

دقاتُ قلبي اسمعيها ماذا سَمعتِ إذَنْ ؟
تحكى الثواني وفيها مَباهِجٌ ومِحَنْ
لكنّما الأيامْ تخلدُ الآلامْ

وترسم الاحـــــلام
عـــلى صفاءِ القلبْ

فَوَسِّدى الرأسَ صدرى وقيِّـــــدى خفقاتِه
واستخلصى منــهُ سرِّى وأَثبِـــــتى خطَراتِه
فـكلُّ صدرٍ يُسِر ما يُبكى أو ما يَسُرْ
وفيه شَرٌّ وخـــــيرْ
وفيــــه بُغضٌ وحُبْ

فان تحسَّسْتِ شـــــرّاً يجوس فى صفوِ قلبى
فبدِّليــــــهِ بخير وغــــــيِّريهِ بحُبٍّ
فـليس يَجْمُلُ زَهــرٌ فى ساحة الحربِ نامِ
وليس يَحْسُنُ غُصنٌ على الخـوائبِ سامِ

(٤)

كُنَّـــا . . أتدرينَ ماذا كُنَّا قُبَيْلَ التَّمازُجْ؟
كنـا عصـافيرَ تهـوِى الى صـــحائفِ مائجْ
لـــــترتوى ، فاذاها شـــهيدةٌ طىَّ جَوفِه
مَضيفَـــةٌ عنــدَ وَحْشٍ المـوتُ إكـرامُ ضيفِه
كنـا كذلك . . . حتى توَحَّـــــدَتْ روحانا
فــلم نَزَلْ نتسامى فـيما يَبُلُّ صَـــدانا
لا نرتوى من إناءٍ طِـلاؤُهُ من وَهْمْ
ترنــو اليـهِ الأفاعى فـــــاؤُهُ كالسُّمْ

(٥)

أنشـــودةُ العصـــفورْ فى ربقةِ الحـــبْسِ
لم يــــدرِها المأســــورْ فى ربقـــــة النفسِ
يظنُّــه يشـــــــدو فى حبســـــــه مِثْلَهْ
وما شـــــــدا إلاَّ ليكتمَ الذِّلّهْ . . . !

* * *

وصرخـــــةُ الأمواجْ مِن قبضــــــةِ الجَزْرِ
تصـــــبو الى الإفراجْ من سُــــــلطةِ البحر
نوعٌ من الاصـــواتْ في مسمعِ الغِرِّ ! !
لا يطـلب الانصاتْ منهُ . . فـلا يدرى
يظنهـــــا تلهــــــو في ذاتهـــــا مِثـلهْ
وما جـــــرتْ إلا لهـذهِ العِـلَّهْ . . !

(٦)

لا اشتـــــــهى في الحُبّ ما يشتهى غـــــيرى
إنْ زَلَّ يوماً قلبْ فالرُّوحُ في الإِثْر
وزلَّـــةُ الأرواحْ لا ترتجى الغفــــــرانْ
وَمِبضَـعُ الجــــرَّاحْ في ميِّتِ الأبدانْ

كالنُّورِ في القــــــبرِ

لا ينفــــعُ النُّـوَّامْ أو يطــــــردُ الإظلام

عن فاقـــــدِ السِّرِّ .

* * *

لا ينقضـــــــى حُبّ غِــــــذاؤهُ روحى
يُوحى الى نفســــــى يا سِحرَ ما يُــــــوحى !
يهـــــزُّ أوتارَ قلبي بأعــــــذب الألحانْ
حتى أحســــسّ كأنّى في عالم الرحمــــــن
ذكراهُ لا تخـــــتفى في عالمِ من جُحودْ
إلا إذا ما اختــفى جسمى وراءَ اللُّحودْ
فهل تمـــــرُّ قليلاً ذكراىَ في خاطرِكْ ؟
غـنىٌّ بآمـال حُبّ يُغَنّ عن شاعِرِكْ
صـوتٌ كلَحظِ العيونْ يسرى بكلّ فتـــــونْ
الى القلوب حَــــنونْ يُصغى اليـــــهِ السكونْ

إصغـــاءة لا تـكون
إلا لهمس الشفاه بسر هــــذى الحياة
بـــــين الفتى والفتاة !

حسن كامل الصيرفي

لهــــــفة

أسفى وقد شاب الغرا م ولم يطل بك عهدنا
يا مأمل طاحت به الـ أيام لما أن دنا !
يالهف نفسى حين أنـ ظر لا أراها بيننا !
يا نعمتى لو شاء دهـ رى أن يرد الزمنا !

سير ابراهيم





الروح الجديد

الذى يجب للشعر العربى
كى يؤدى فى الحياة رسالة الشعر السامية



لست من الشعراء ولا ممن يتبعهم، لكنى أحب الشعر وأطرب له . وقد قرأت بدء شبابى دواوين كاملة وأعجبت بطائفة غير قليلة من الشعراء قدماء ومحدثين . وكان أمرؤ القيس بعض من وقف عندهم اعجابى زمناً غير قليل ، على أنى أحس منذ زمان



الدكتور محمد حسين هيكل بك

بعيد ومنذ اطلعت على آثار شعراء الغرب بأن الشعر العربى لم يقتحم كثيراً من ميادين الشعر الخاصة به . والناقدون يفسرون هذا بأن نشأة الشعر فى البادية من شبه جزيرة العرب قد ضيقت نطاقه وحدَّت من دائرته وهذه حجة غير مقنعة فى رأيى . فهى إن صحت لا يمكن أن تعتبر غلاً فى عنق الشعر بعد أن امتدَّ سلطان الحضارة الاسلامية الى بلاد غنية بأساليب الشعر وفنونه وبالميادين التى اقتحمها . ولستُ أرى كذلك أن الدين قد كان سبب هـذا القصور الذى قعد بالشعر عن اقتحامه الميادين جميعاً . فالدين يفتح أمام الشعر ميادين كثيرة جداً ويشجع عليها ، ومع ذلك قعد الشعر عن اقتحامها . فلا بدَّ إذن من التمـاس الأسباب لهذا النقص فى أطوار الأمم التى تتكلم العربية من نواحيها التاريخية والاجتماعية والسياسية. وربما ظن بعضهم وجوب التماس هذه الاسباب كذلك فى ناحيـة الجنسية ، وهل كانت السامية التى ينتمى اليها أكثر المتكلمين بالعربية سبباً فى هذا النقص أو لم تكنه .

ومهما يكن ما تسفر عنـه نتيجة هذه المباحث من الأسباب فان مسايرة الشعر العربى لنهضة الشرق الاخـيرة وإنْ لم يسابق فيها عناصرَ النهضة الأخرى تدعونا لنذكر أن لا سبيل إلى اقتحامه ميادين جديدة والى اندفاعه فى تيار النهضة بالقوة الواجب أن يندفع بها الا اذا اقتحم رافعو لواء الشعر هذه الميادين بروح جديدة : روح غير

هذه الروح الانانية التى تحصرهم أكثر الأمر فى دائرة ضيقة من عواطفهم الوقتية او تفكيراتهم السطحية أو أخيلتهم القليلة الارتفاع. نعم ! يجب أن يقتحموا الميادين الجديدة بروح منبسطة قديرة على أن تحلق فى جو العالم كله وتتصل به ، ملقيـة عن كاهلها حدود المكان والزمن، مرتفعة الى السماوات العلى، متصلة بالملائكة والشياطين، ثائرة على كل عتيق بالٍ ، متوثبة فى ثورتها لتنتظم آلهـة الاغريق والمصريين القدماء وما خلفت الميثولوجيا فى الامم والعصور المختلفة فى تحليقها وسموها، مجاهدة لتنقّي ذلك كله وتطهّره وتخلق منـه فى عالم الشعر خلقاً جديداً . أحسب أن اقتحام ميادين الشعر الجديدة بهذا الروح، كما أن غزو الصالح من الميادين القديمة بهذا الروح كذلك ، كفيل بأن يدفع بالشعر الى صدر النهضة ، وأن يجعل منه الاداة الروحية القوية التى تحطم الكثير من الاغلال وترتفع بالشرق فى سماء الحرية والحب والحق والجمال .

وهذا الروح يجب له قبل كل شيء أن يرتفع بالشاعر عن شعر المناسبات الى ما يصدر من وحى الروح والهام العاطفة وفيض الفكر ، ويجب أن تكون غايته تصوير الكمال فى صور تأخذ بمجامع النفس وتطير بها على أنغام الشعر الموسيقية لترتفع فوق مستـواها ولتبرّ نفسها ولتحسّ معنى الكمال احساساً عميقاً يشعرها ضرورة الدأب للجهاد فى سبيله . فهى إذا قرأتَ شعراً يصور لها الكمال فى الحب أو الكمال فى الحرية أو الكمال فى الأمل أو الكمال فى الألم أو فى أى ما شئت من معانٍ وعواطف وأخيلة أثيرية الحدود دائمة الاتساق والاتساع شعرَتْ بأن فى الحياة معانيَ غير هذه المعانى التى يحيي الناس ويجعلونها غاية جدهم ومنتهى أملهم ، وشعرتْ بأن وجودها الحيّ بيننا يقتضى دوام محاولة السمو لدرك هذه الغاية . وكلما تنزهت هذه المعانى عن مناسبات الحاضر وبلغت فى روعة تصويرها ما يُرَجى للكون كله من كمال كان الشعر أكثر شعراً وأكثر أداءً للغرض المقصود منه وأكثر تحقيقاً لرسالته السامية فى هذا الوجود .

أتراني أطمع فى أن يحاول أصدقاؤنا الذين يقومون على نهضة الشعر فى مجلة (أپولو) اقتحام ميادين الشعر بهذا الروح القويّ الجديد الثائر ؟ ذلك أكبر رجائى ؛ ومن أجل ذلك كتبت هذه الكلمة ؟

محمد حسين هيكل



الرقص الفرنجى

﴿ فى شعر ابن حمديس ﴾

قال ابن حمديس وقد سأله رجلٌ أديبٌ من الاندلس أن يصف له راقصةً على مذهبهم فى رقص قيناتهم ، وذلك أنَّ الراقصة منهم تشير بأنملها وهى تغنىّ الى كلّ عضوٍ وما يحلّ به من تعذيب الهوى : فان ذكرت دمعاً أشارت الى الغيرة ، وإن وصفت وجداً أشارت الى القلب ، وهى مع ذلك تعبّر عن تدلّل المحبوب وتذلّل المحبّ بما يليق بهما من الاشارات الحسنة والحركات المنبهة على ما أرادت :

وراقصةٍ بالسِّحرِ فى حرَكاتِها　　تُقيم به وزنَ الغناء على حَدِّ
مُنغّمةٍ ألفاظَها بترنُّم　　كما (مَعْبَداً) مِنْ عِزّهِ ذِلّةَ العبْدِ
تدُوسُ قلوبَ السامعين برخْمةٍ　　بها لقَطَتْ ما لِلّحونِ من العدِّ
بقدٍّ يموتُ الغصنُ مِن حرَكاتِه　　سُكوناً ، وأين الغُصْنُ من نُزهة القَدِّ
وتَحسِبها عمّا تُشيرُ بأنمُلٍ　　إلى ما يُلاقِى كلُّ عضْوٍ من الوجْدِ
بنا لابها ماتَشْتكي من جوَى الهوى　　وأدْمُعِ أشواقٍ مُخدِّدةِ الخدِّ !

* * *

فى هذه المقطوعة تتجلّى مميّزات الشعر الكلاسيكى : فابن حمديس يدع التوشيح جانباً ويلجأ الى بحر الطويل ، فيصف لنا متأنّياً مشهدَ الرّقص بأسلوب جزلٍ وألفاظٍ عربيةٍ أصيلةٍ ، وينظر النظرةَ التقليديةَ المحترمةَ الى التشبيهات العربيّة المأثورة دون أن يكون المقلدَ الأعمى . ومن كلّ هذا يكتسب الشعر الكلاسيكى (أى المدرسى المأثور) حرمته ، لأنه يحرص على أروع التقاليد الشكليّة ولكنه يقرنها الى قوة المعانى الشعرية بحيث أنّ المجدّد (الرومانطيقى)

الذى يهيم بصنوفٍ حديثةٍ من الأوزان والأخيلة والمعانى والموضوعات لايتردد مع ذلك فى تقدير ذلك الشعر الكلاسيكى ، لأنه وإن يكنْ تقليدىّ الديباجة والصياغة الاّ انه يجمع اليها قوة شعرية ممتازة . وإنك لواجدٌ كلّ بيت من هذه الأبيات المتقدمة زاخراً بالمعانى الشعرية . ولهذه المناسبة نقول إنك قد تجد شاعراً كلاسيكىّ النزعة فى مناسبات (كما هو حال شوقى بك فى معظم شعره) ورومانطيقياً فى مناسبات أخرى (كشأنه فى دراماته الشعرية) ، واذا كان القديم من الشعر الحى الممتاز معدوداً كلاسيكياً فبيننا غير واحد من الشعراء ينحو هذا النحو بسليقته وثقافته حينما ينحو سواهم عكس ذلك : فشوقى بك مثلاً فى جملته شاعر كلاسيكى بينما الدكتور ابراهيم ناجى شاعر رومانطيق . ومع هذا فكلاهما بفطرته الشعّرية السليمة يقدّر شعر ابن حمديس المتقدم خير تقدير نظراً لروحه الشعرية التى تتلاقى عند قوّتها مذاهب الشعراء المختلفة وتشترك فى احترامها .

ومما تقدم يتضح أنّ الشعر القديم لا يعنى حتماً الشعر الكلاسيكى والعكس بالعكس ، كما أن شعراً بعينه قد يجمع فى القصيدة بين الاسلوب الكلاسيكى والمعانى المثالية والشذوذ أحياناً عن ذلك كما رأيت فى قصيدة ابن زيدون المنشورة فى العدد الماضى ، وقد يجمع بين الاسلوب الكلاسيكى والمعانى المستّحدثة الطريفة كما يلاحظ لبعض فحول شعرائنا من المعاصرين والسابقين (قد نشرنا أكثر من نموذج لذلك فى هذه المجلة) ، والتقدير لهذا الشعر أمرٌ نسبىّ ولذلك تختلف الاحكام بين النقاد .

وقد قيل لنا فى معرض النقد إنّ الشعر العربى بعيد عن الروح الكلاسيكية بالمعنى المتواضع على هذه الكلمة ، وان الشعر الكلاسيكى قوامه البعد عن الغناء فى الشعر ، وتجافى الذاتية ، وطلب الكمال فى الشكل ، الخ . وفى الواقع أننا حاولنا الاعتدال فى التعريف وفى التطبيق بما كتبناه فى هذا الباب ملائماً للشعر العربى ولنا سند أدبى فى ذلك من نظرات لافرين فى كتابه دراسات فى الادب الأوروبى (Lavrin's Studies in European Literature). مثال ذلك أن الاغراق والتسلسل فى الوصف تفليةً وتحليلا (مما كان يلجأ اليه شعراء الاغريق واللاتين وكما نراه فى شعر ابن الرومى) كثيراً ما يُسَمّى كلاسيكياً (راجع « دراسة الشعر The Study of Poetry » تأليف بلاكوود وأزبورن ص ٨٥) ولكننا أحرصُ من الاقتصار على هذا النهج من البيان عند تعريف النسق الكلاسيكى لشعرنا العربى ، وليس هذا بدعة منا حينما التواضع العام يجيزه (راجع Webster). ونحن لانجد التصوّر الدرامىّ

الصِّرفَ المشهودَ في نظم هومير وشكسبير وسوفكليس وأمثالهم من الإعلام السابقين ظاهراً فى الشعر الشرقى جملةً بل نجد بدله التصور النسبي والميل الى القدرية او المصادفة والعناية بالحوادث بدل العناية بدراسة الشخصيات المرتبطة بهذه الحوادث ، وكل هذا من تأثير البيئة والظروف واختلافها بين الشرق والغرب . بيد ان هذا لا يدعونا الى تجريد الشعر الشرقى عامةً والشعر العربى خاصةً من الاهلية لوصف القسم التقليدى الممتاز والمأثور الرائع منه بالشعر الكلاسيكى وإنْ تباين فى بعض صُوَرِهِ ومَرَامِيه وفى نسبته الأثرية بين عصر وعصر وبين تلك العصور وعصرنا هذا ، ولكننا نستثنى على كل حال الشعر الغنائى المحض فهو قسم بذاته وله أصوله ومميزاته وله خروجٌ ظاهرٌ على رزانة وهيبة الشعر الكلاسيكى الاصيل ، ومع هذا فلو جاء ناقدٌ معارضٌ واعتبر الشعر الغنائى القديم المتسامى الرصين الديباجة ولا سيما الحماسى منه مثالا من أمثلة الشعر الكلاسيكى على اعتباره نموذجاً عالياً مأثوراً فى البيان والصياغة والمناسبات التاريخية لما استطعنا أن ننكر عليه هذا الحقَّ فى التقسيم كلَّ الانكار .





العمر والأمانى

مُنًى تناثرن حول النفس ذابلة   كما تناثر حول الدوحةِ الورقُ
تأبى التجاريبُ الا ان تودّعها   بين الطموح وبين اليأس تصطفق
والعمر يجرى كما يجرى السحاب فما   يعود ما جدّ منه وهو يستبق
وإن أُعيدَ فلا حمدٌ لعودته   هى الليالى غضابٌ او بها خرَق

وكالاعاصير فى قلبى مضاضتُها … او كالجحيم وفيها القلب يحترق !
نظرت للسالف الماضى فواجزعاً … اذا تساوت به فى المقبل الطرُق
ونظرتى لحياتى وهى مقبلة … اليوم غيَّرها سارٍ بها نزق
تبدلتْ نظراتى فى الحياة كما … تبدل اللون لما طاشت الحدق
ما لى وما للمنى ماجدٌ بى زمن … الا وطاح بنفسى عاصفٌ حنق
لون الحياة كلون النفس تبصرها … بما تراها فلا مينٌ ولا ملق
فى غاية النفس والدنيا وسرها … تحير الخلق فى سرٍ له خُلقوا
غادٍ على الارض فيها رائحٌ جزعٌ … ذوالصبر يطوى ويطوى الجازع الحمق
وكلنا فى الليالى صاعد جبلا … تزلُّ اقدامنا عنه وينزلق
متى بصرت بالآم الحياة ضحى … أيقنت اى رجاء ضمه الغسق
والحبّ والبغض إن جدَّا زوالهما … حق ، وأى جميع ليس يفترق ؟
وادمع لى حيرى فى محاجرها … ولى فؤاد ولكن بالاسى خفق
فكنت احسب احلامى محققةً … ولا محالة حتى لاح لى الشفق
آمنتُ ان وجودى كله خدع … وان نفسى تحكى كلَّ من سبقوا !

***

سفينة العمر

ركبت سفينة لا كالسفينِ … ببحر موجه هوج السنين
له صخب يجاوبه دوىٌّ … كأن برجعه نذرَ المنون
ركبتُ وكان حظى فى ظلامٍ … بليلٍ كان مسودَّ الجبين
كأنَّ ظلامه خيم تناهت … به ظلماتها للمستبين
ظلام فوق ظلمته ظلام … وأحلك ما تراءى للعيون
فلا شمس ولا قمر منير … كأن الليل أغرق فى دجون
وسارت بى على مهل تهادى … سفينتىَ التى لا كالسفين
فريحُ الموت تصرخ عن يسارى … وموج الحين يرعد عن يمينى !

وبين وساوس للخوف حيرى أبالسة تعبّر عن فنون
وساوس قد عبثن أسى بقلبي ودمّرن البقية من يقيني
وسارت فى عباب العمر نفسى قليلا مثل تكرار القرون
إذا بسفينتى فى العمر ضلت ونازعها الرجاءُ هدى المنون
ظللت أكافح الاقدار حيناً وما تجدى مكافحتى لحين
وثمّ وقفتُ وقفة ذى خبالٍ وعقلٍ جُنّ اضعافَ الجنون
وصحتُ : أما لذعرى من ختام ؟ أما لليل من صبح مبين ؟
فما سمع النداءَ نداءَ نفسى سميعٌ ثم عدتُ بلا يقين
وكنتُ سئمت حين سمعت صوتا ظننت بانه صوت المعين
إذا بسفينتى صدمتْ بصخرٍ فطاحت بى بليلٍ للمنون
ظللتُ بها وظل الدهر يرمى دفيناً بعدنا بعد الدفين !

عثمان حلمى



حائر ؟!

اطمأنّ الليلُ إلا من فؤادٍ خافقٍ يرجُفُ كالطيرِ الذبيحْ
مستطارٌ هائمٌ فى كل وادِ أفما آنَ له أن يستريحْ ؟

***

إنه يحيا كما يحيا الطريدْ باحثاً فى الأرض عن مأوًى أمينْ
حَيْرَةٌ لجّت على هذا الشريدْ ليتَه يلقى شُعاعاً مِنْ يَقينْ

***

ودُموعٌ طيّعاتٌ إذْ تسيلْ إيهِ ، كُفّى يا دُموعى ، لا تَسيلِي !
كلٌّ ما فى الكونِ والناسِ ضئيلْ عن دُموعى ، وهى أغلى ما بَقِى لِى !

***

أنا لا أبكى على ماضٍ ذهَبْ لا ، ولا مستقبلٍ ضاعَ هَبَاءْ
إنما فى النفس معنًى مُضطرِبْ لم أجِدْ رمزاً له غيرَ البكاءْ !

* * *

أنا لا أعرفُهُ لكن أُحسْ باضطرابٍ حائرٍ يَغْشَى ضميرى !
أفلا قلبٌ مِنَ الكونِ يُحِسْ ما بقلبى ؟ فأرى مَرْأى شعورى

* * *

لم أجِدْه ، إىْ ، ولو كان لما كانت الحَيْرَةُ فى هذا الوجود
فليمرَّ العُمْرُ ولْأَحْيَ كما شَاءَتْ الاقدارُ كالطَّيفِ الشَّرُودْ !

سيد قطب

(نشرنا هذه القصيدة معجبين بها وكنا نودّ أن نعلّق عليها من قلمنا بشىء من النقد الأدبى ، ولكننا آثرنا عرضَها على حضرات القراء ليشاركونا فى ذلك ، ويهمنا تبيان : (١) الروح الفلسفية التى فى هذه القصيدة وقيمتها الفنية ، (٢) مزايا أسلوبها ودلالته بالنسبة لدقائق التعبير ، (٣) ماهى الشواهد النامّة على عصريتها ؟ (٤) بماذا تفضل الشعر العصرى المألوف عامةً ثم ما كان من طرازها ؟ (٥) أى مظاهر للتجديد فيها ، وما روعة موسيقيتها ؟ (٦) هل لها نظائر فى شعرنا الكلاسيكى ؟ (٧) ما هى أمارات الشاعرية القوية فى القصيدة إطلاقاً ، وكذلك بالنسبة لسنّ الشاعر وثقافته ؟ (٨) ما هى عيوب هذه القصيدة ؟

ولعلّ هذا التوجيه كاف لدراستها دراسةً أدبيةً مفيدةً ، وسننشر فى العدد الآتى خير ما يبلغنا من النقد بشرط أن لا يكون مسهباً مملاً . وآخر موعد لتلقى ذلك هو يوم ١٥ أكتوبر الجارى — المحرر)





حكاية وردة

(كتبها الشاعر فى طرس جعله كفناً لوردة ذبلت عنده وهى هدية من آنسة فاضلة ووضع تلك البقية من الوردة فى وعاء من أوعية الزينة البيتية مورق مزهر هو أشبه بالمهد منـه باللحد)

هـذى حكايةُ وردةٍ تَحْلَى بسيرتها السِّيَرْ
شغلتْ مكاناً من حيا تى لم يزلْ عَبِقَ الأثرْ

***

فى ذلك الزمن الذى هو أمس لا عهدٌ عهيدْ
لكن أشَرْتُ ببعده إذ كلُّ منصرمٍ بعيدْ
ظَفِرَتْ يداى بها وكا نت آيةً بين الزَّهَرْ
من فاخر الورد الذى يَسبي بروعته الفِكَرْ
ممشوقةٌ أوراقهـا مضمومةٌ ضمَّ الشفهْ
تشفى ببهجتها أوامَ المقـلة المترشِّفهْ
عذراء جادتْ لى بهـا عـذراء من اخواتهـا
بعفافها وعبيرها وبشائقاتِ صفاتهـا
حفظتُها حِفْظَ الحر يص عنايةً وتعهُّدَا
ومَنحتها حظَّ الحصـ يص رعايةً وتودُّدَا
أحللتُهـا مستبشراً خيرَ المواضعِ فى الحمى
وظللتُ أياماً أجا ودُ نفحةً وتبسما

حتى اذا ما آذنَ الـ قَدَرُ المتاحُ ببعدها
زاد الشَّجى فى النفس رُزْ ءٌ مرتين بفقدها
فى البَدءِ مات بها الجمَا لُ وعمرُهُ أبداً قصيرْ
لكنْ أقام عَبيرُها فجعلتُ سلوايَ العبيرْ

* * *

هـذى عروسُ الورد أم سَت بِزةً أوشِبهَ ذاكْ
جِسمٌ ألمَّ به الردى فاجفهَّ والروحُ ذاكْ
صَيَّرْتُ جَيبى مِن شَما ل الصدر موطنَها الأَمين
ولبثتُ آناً بعـد آ نِ أنشِقُ العطرَ الكمين
طِيبٌ أحِسُّ بشمِّهِ ما ظلَّ فيها من رَمَقْ
وعلى توالى نقصِهِ منها يزيدُ بىَ الفَرَقْ
أخشى وأحزنُ كُلَّما مَرَّتْ سويعاتُ الوصالْ
وأوَدُّ لو بجِوارها للقلبِ مُدَّتُها تُطالْ
لكنْ متى حُمَّ القضا ءُ فليس يدفعه الحَذَرْ
ماذا يَرُدُّ عليك فَرْ طُ الحرصِ والجارى قَدَرْ؟
أصبحتُ يوماً وهى قد جادت بفضلةِ عِطرِها
وبدا عليها أنها فاضتْ بقيَّةُ عمرِها

* * *

فاستوحشتْ نفسى وكنـ تُ بجارتى مستأنِسَا
وأَسِيتُ أقصى ما تجيزُ طبائعُ الزَّهرِ الأَسَى
لا تقبل الازهارُ أنْ تُبكَى وغايَتُها الفِدَى
هى للتهانئِ فى الحيا ةِ وللتعازى فى الرَّدى
لكن ضَنَنْتُ بوردتى عن أن تُرَدَّ الى الثرى
آثرتُها لىَ دونه وحَرًى بها أن تؤثَرا
تلك التى بحياتِها ملأَتْ عيونَ المعجبينْ
عادت عقيبَ مماتِها رِهنَةً لها شَبَهُ الجنينْ

شَبَهٌ صنعتُ بِوَحْيِهِ لحداً حكى المهدَ الجميلْ
ما المهدُ الا اللحدُ فى حَدَّيْن بينهما سبيلْ
شاكلتُ بينهما وما قصدى مُشاكلةُ الصِّفَهْ
لكنْ يُهانُ القلبُ أحياناً ببغضِ الفلسفَهْ
المهدُ رَمْزُ العَوْدِ أو رَمزُ الوجود مجدَّدَا
والعَـودُ فى الاحياء ليس يكون الا مولِدَا
فلمعنَيينِ كلاهما فيه رجاءٌ أو عَزاءْ
هيْـأتُ ذاك المهدَ موفورَ المحاسِنِ ما أشاءْ
أرجـو به التبشيرَ إنْ كان التجدُّدُ يُؤمَلُ
أو أبتغى التذكيرَ والتَّذكرى نُشورٌ أولُ

* * *

النفسُ أمٌّ كالطبيعة ليس تفتأ تَخلُقُ
وتُعيدُ فى رسم جَديد كلَّ شىء يَخْلُقُ
فبالابتكار تصوغُ ماً يَهدِى اليه وَحْيُها
وبالادّكارِ ترُدُّ أشباحاً شجاها نأيُها
ما أعجبَ الذكرى وأشفاها لتبريح الجـوَى
نورٌ به تجلو النُّهى ما حجّبتْ عنها النَّوى
ولوردتى ما دمتُ حيّاً بَعْثةٌ فى خاطرى
وبهِ يُقبِّلُها فمى وبه يراها ناظرى
فاذا جرى أنى نسيتُ وربما نسىَ الفطِنْ
فالمهدُ يمنح يقظةٌ طَرْفَ الضمير اذا وَسِنْ
مَهدٌ بشكل خميلةٍ غناءَ حانيةِ الغصونْ
أنزلتُها مِن قلبه فى منزلِ السرِّ المصونْ
فى كل يوم حوْلَ ذاك المهدِ أسرابُ المنىَ
وطوائفُ الفكَرِ السوانحِ فى تلاميع السَّنىَ
ما بينَ مُمسِيةٍ ترَفرِفُ حوله أو مصبحَهْ
شبهَ الفراشِ تخالُها زهراً يَطيرُ بأجنحَهْ

يَعقِدنَ رؤيا للتى ماتت فتحسَبُ حالِمهْ
وعلى رقيقِ الشَّدوِ يُو قِظنَ العروسَ النائمهْ
فتعودُ تلك الوردةُ الـ زهراءُ زاهيةَ الوَرَقْ
ملءَ الضميرِ بحسنها وكأنها مِلءُ الحَدَقْ
لا تَبْعَدِى أَىْ وردتى ما غابَ الا مَن سلا
لله ما أخلى الفؤا دَ إذا من الذكرى خلا
ما ماتَ مَن لمحبِّه قلبٌ وفىٌّ يُنشِرُهْ
القلب يطوى الغيبَ فى أثر الحبيب فيُحضِرُهْ
تالله انك ما مكثـ ـتِ عن الحياة مُغيَّبَهْ
لَنَضيرةٌ فى مُقلَتىَّ وفى فؤادى طيِّبَهْ

* * *

يا رَبَّةَ الشِّيَمِ النبيـ ـلةِ هكذا نُبْلُ العطاءْ
كلٌّ الازاهرِ للتى هى منكِ فلتَكُنِ الفداءْ
فازت ببعض القربِ منـ ـكِ وذاك عِزٌّ لا يُرَامْ
فلذاك أمستْ فى الورو دِ وقد أقيم لها مَقامْ
أدَّتْ اماناتِها ادا ءَ الحقِّ فى دار الشقاءْ
واليكِ أهدتْ عُمرَها بمماتها ، فلكِ البقاءْ

خليل مطران





ابولون والشعر الحى

بقلم الدكتور على العنانى

— ٢ —

١ — لقد تحدثنا اليك أيها القارىء الأديب عن الشعر وضروبه ، والشعراء وأقسامهم وعلاقة الشعر الحى وشعرائه بآله الشعر أبولون مع الاشارة الى حقيقة هـذا الاله اليـونانى الرومانى ، والى مكانته بين آلهة الأولمب . ولقد وعدناك فى آخر هـذه الالمامة العجلى السابقة بالقيام برحلة روحية الى رحاب هذا الآله نستطلغ بها كنهه ونقف بمساعدتها على دوائر عمله . ووفاء بالعِدة أحدّثك عن ذلك الآن .

٢ — كنت بمدينة الاسكندرية ثغر مصر الأكبر يوم أن وعدتك بهذه الرحـلة الروحية وقد حاولت وأنا بهذه المدينة اطلاق عنان الفكر موجهاً اياه الى عالم الاساطير القديم فما كان ينطلق الا الى عظمة الاسكندرية التالدة والطريفة وتاريخ تأسيسها ومؤسسها العظيم ، وآثار الفلاسفة الهيلنيين فيها متدرجاً فى ذلك من بدء نشأتها الى عصر المرأة معجباً بما فيه من رقى عقلى وازدهار علمى . ثم الى الفترة التى تلت هذا العصر آسفاً لما جاءت به من فتور وركود الى اول عهد النهضة الحديثة تقريباً . ولأمر ما اضطررت الى العودة الى مدينـة هليوس (هليوبوليس) حيث اقطن وأقيم .

وبينا أنا ذات يوم قد استيقظت من نومى مبكراً ، كعادتى ، واذا بأورورا (الفجر) ذات الأصابع العنمية قد أرسلت نوراً معلناً إشراق هليوس (الشمس) فى مركبته ذات الجياد الأربعة ، فتنبهت اليه وانتظرت إشراقه .

ولما بدا فى حافة الافق هللت اليه ، وقدست له ، ومجدته بعظيم آثاره وتقدمت اليه بأدعية ورجاء فاستجاب الدعاء وقبل الرجاء قائلا : ما حاجتك ؟ قل وأوجز فقد دعوت سميعاً ورجوت كريماً ! فقلت :

يا آله الشمس ورب النور ، ومصدر الحياة ، وقوة الخصب والانتاج ، انا نراك كل يوم تشرق علينا بعظمتك وجلالك فتضيء الأرض والسماء ، وترسل الينا منك حرارة الحياة ، وقوة الخصب ، واشعة الخير والسعادة . ولكننا نسمع أيضاً بالآه لا نراه يقال إلآه النور ويعرف عند اليونان باسم (أپولون) ويدعوه الرومان باسم (أپولو) أو (سول) . فما الفرق بينكما ؟ وأين هو الآن ؟ وما دوائر اختصاصه ؟

على الفور أجاب هليوس وهو مستمر فى قيادة مركبته صاعدة فى قبة السماء : على ضوئى اقرأ هذه الصحيفة التاريخية الاثرية تجد فيها كل ما تريد .

قال ذلك هليوس واذا بى قد وجدت بين يدى رقّاً ملفوفاً ، عليه كتابة اغريقية قديمة مترجمة الى كل اللغات الحية ما عدا العربية . ولما قرأتها وجدت أنها ترجمة حياة الآله أپولون . واليك ملخصها بقدر ما يسمح المقام :

٣ — يعرف أپولون بأسماء كثيرة ، والأعظم منها فويبوس — أپولون (Phoibos - Apollon) ، ومعنى فويبوس الشمس والفصاحة وأپولون الفراش ومرآة العين (آلة يستعملها الطبيب لكشف العين) أو آله . فيكون معنى فويبوس أپولون — آله الشمس واله الفصاحة أى الذاكرة ولتفكير والخطابة والشعر ، أو بعبارة أعم اله العلوم والفنون والصنائع .

ومن اسمائه الرئيسية دليوس (Delios) نسبة الى جزيرة دلوس التى ولد بها ، وكينتيوس (Kynthios) نسبة الى جبل كينتوس الموجود فى هذه الجزيرة ، وليتويدس نسبة الى أمه ليتو (Leto) ، ونوميوس (Nomios) ومعناه قانون أى القانونى فى الغناء والالعاب الرياضية وپيآن (Paean) أى طبيب ، وپيتيوس (Pythios) نسبة الى پيتيو أى دلفى مهبط وحيه

٤ — ينسب فويبوس — أپولون الى عظيم الاسرة الالهية زويس أو جوبتر فهو والده وأمه ليتو أو لاتونا . وهو وأرتيمس أو أديانا توأمان .

تقص" الاساطير الاغريقية القديمة أن فويبوس — أپولون ولد فى جزيرة ديلوس احدى جزر أرخبيل سيكلاد فى بحر ايجه . ولما حملت ليتو فى أپولون من جوبتر تعقبتها زوجه هيرا ، فهامت ليتو على وجهها فى البلاد مختبئة من هيرا المتعقبة لها . وأخيراً وجدت هذه الهائمة لها ملجأ منيعاً فى جزيرة ديلوس ، أختبأت فيه . ويقول قُصَّاص الاساطير اليونانية إن مناعة هذه الجزيرة أمام هيرا كانت فى طبيعتها الخاصة لانها كانت صخرية جرداء مجهولة ولأنها كلما اهتدت اليها هيرا انتقلت من مكانها فى الحال الى مكان آخر فى البحر حتى لاتعثر زوج جوبتر المغيظة المحنقة على المعتصمة بهذه الجزيرة الغريبة فى طبيعتها .

ولما ولد فويبوس — أپولون بهذه الجزيرة استقرت وامتلأت بالشعاع الذهبي وأخصبت وأزهرت ، ورفرف فوقها الطير . ولهذا كان يحتفل بعيد ميلاد أپولون بهذه الجزيرة .

٥ — لم يفرق شعراء الاغريق المتأخرين بين أپولون وهليوس فكلاهما الشمس، وكلاهما رمز النور والحرارة والخصب . وفى أواخر القرن الخامس قبل الميلاد عرف الرومان أپولون ، وكان آله الشمس عندهم يسمى سول (Sol) فدعوا ذاك الاله الاغريقى باسم أپولو (بحذف النون فى آخر الكلمة) ولم يفرق الرومان كذلك بين أپولو وسول ورأوا فيه مارآه شعراء الاساطير الاغريقية المتأخرين .

والواقع أن هليوس هو قرص الشمس ونورها المادى ، وأپولون هو الضياء المحض والنور المعنوى يدل على ذلك اسمه فويبوس — أپولون اذ أن فويبوس معناه الفصاحة أو الشمس بمعنى الضوء المحض ، والنور العقلى حتى يتناسب هذا المعنى مع معنى الفصاحة أى الخيال والشعر ويؤيد هذا التفسير لمعنى فويبوس — أپولون أن أمه تسمى ليتو أى الخبء ، أو الاختفاء ، أى ظلام الليل، أو الظلام من حيث هو. وأصل الوجود العام الظلام المعنوى وعنه نشأت قوة النور المحضه نشأة فويبوس ـ أپولون عن أمه ليتو أى الظلام .

معروف أن كوكب الشمس يرسل أشعة مادية ، وينبعث عنه نور طبيعى . وبهذا النور الطبيعى ، وفيه ، تظهر كل استنارة عقلية مثل : المعارف والعلوم والفنون ،

والحق والحقيقة ، والفضائل الاجتماعية . ومعنى هـذا أن النور ينقسم الى قسمين احدهما معنوى فى العقل والثانى مادى فى العين .

بهذا نفهم الفرق أيضاً بين فويبوس — أبولون وبين هليوس . فالأول رمز النور المعنوى والهـه ، والثانى عنوان النور المادى وكوكبه الذى يصعد فى السماء ويهبط ثانيـة الى الارض ، فتتكون به الفصول وتنشأ الحياة المادية فى الانسان والحيوان والنبات وبه يكون الخصب اذا اعتدل ، والجدب اذا اشتد .

وقد نشأ هليوس فى عهد الآلهة التيتانيين بهذا المعنى المادى ، والفكر اليونانى القديم لم يسبح بعد فى عالم المعنى والخيال . ولما انتصر زويس على التيتان وجلس على عرش الالهـية الاسمى على قمة الأولمب أرسـل من لدنه نوراً معنوياً الى العقل الانسانى فسما الانسان بفكره الى عالم المعنى وانكشفت له قوة الخيال فأدرك ما فى الشمس وضوئها من القوى المعنوية التى رمز اليها بفويبوس — أبولون نجل زديس وليتو، فهو النور المعنوى والهـه الذى يبدد كل ظلام . وهو ناموس النواميس الأولى وعلام الغيب والمطلع على الماضي والحاضر والمستقبل . ومنزل الوحى والمنبي بما كان وما سيكون . وهو اله الفكر والذاكرة ، والعلم والفن ، والشعر والخيال ، والموسيقى والغناء ، والزراعة والطب . وهذه الصنائع وتلك الصفات لاتظهر ولا تنمو الا فى نور الالهام وصفاء الفكر وقوة الذاكرة ، أو بعبارة جامعة فى الحيـاة العقلية ، فأبولون هو رمز هذه الحياة ومصدرها وموجدها فى الانسان .

وكما أن الشمس جميلة وفتية وقوية على الدوام فقد تصور العقل اليـونانى أن أبولون فتى جميل قد خـلد فيه الشباب والصبا ، وكمل فيـه الجمال والانسجام ، وتوافرت له القوة العظمى السرمدية .

٦— مما تقدم نعرف مقدار كثرة الدوائر التى اختص بهـا فويبوس — أبولون ومدى اتساعها وهو مع مباشرة العمل فيها بنفسه قد ضم اليه عدداً من الالـهات يُعرفن بربات الفنون قد اختصت كل واحدة منهن تحت اشترافه وقيادته بدائرة

خاصة بها ومحل اقامتهن حول الينابيع الفياضة فى جبال هَليكون وبَرناسوس التى ماؤها يبعث النشاط الروحى فى الانسان . واقدم الاساطير الاغريقية تعد منهن ثلاثا احداهن عروس التفكيروالثانية فتاة الذاكرة والثالثة قينة الطرب والغناء .

ولما اتسع نطاق هـذه الاساطير بقوة أبولون وصل عددهن الى تسع . وهن بنات الآله الاكبر زويس وأمهن امنوموزينـا (Mnomosyna) أى الذاكرة وترجع فى نسبتها الى التيتان ، وترى فيهن الأساطير اليونانيـة والرومانية أنهن آلهات الشعر بأنواعه والموسيقى والغناء والفنون الجميلة والتاريخ العام على التوزيع كما سيجىء بعد . وهنّ يقطنّ حول الينابيع الفياضة على جبال هليكون وبرناسوس وبندوس كما تقدم وكثيراً ما كن يصعدن الى قمة الأولمب مقر آلهة الطبقة الأولى ويقمن أمام للآلهة تحت قيادة أبولون بالعابهن الرياضية الرشيقة ، ويعرضن صناعاتهن عليهم ، ويطربنهم بأناشيدهن وأصواتهن الرخيمة ، وألحانهن المتناسقة موقعة على الآلات الموسيقية .

وقد اختلفت الاساطير فى أمرهن من حيث الزواج والبتولة : فنها ما جعلتهن كلهن أبكاراً ، ومنها ما نسبت اليهن الزواج عدا أورانيا آلهة علم الفلك فانها كانت تعاقب كل من يباريها فى فنها . ومعنى الزواج فى عرف الاساطير اباحـة النبوغ فى فنون تلك الفتيات والذى ينبغ فى أى فن من فنونهن ينعت بأنه ابن آلهة هـذا هذا الفن ولذلك رغبت أورانيا عن الزواج .

وكان شعراء اليونان القدامى يبدأون قصائدهم بمخاطبة آلهات الفنون ملتمسين منهنّ المعونة كهومير فى مطلع أودسيته إذ يقول :

ألا حدثينى فتاة الشعر عن رجل
جمّ المصُاب يهيم بعد أن حطّم طروادةَ المقدسة
وعرف الناسَ ورأى المدن ووقف على العادات .

وبأسمائهن عنون هيرودوت تاريخه العام كل قسم منه باسم واحـدة منهن .

٧ — واليك اسماءهن وفنونهن على الترتيب المصطلح عليه :



كليو — آلهة التاريخ

(١) كليو (Klio) إلهـة التاريخ . نراها فى صورتها جالسة وعلى رأسها اكليل من الغار وفى يدها رَق مفتوح الى نصفه وبجوارها جونة فيها ملفات تاريخية .



كاليوبة — آلهة الشعر الحماسى

(٢) كاليوبة (Kaliope) إلهـة الشعر الحماسى وهى أجل خديناتها وتمثلهن فى بعض الاحيان . وهى تصور جالسة وفى يدها اليمنى القلم وفى الاخرى اللوح .



ملبومينة ـــ الهة المأساة

(٣) ملبومينة (Mlepomene) إلهـة التراجيديا أى المأساة . تظهر واقفة طويلة القامة فى هيبة ووقار ، وتحمل فى يدها اليمنى هامة حزينة وفى الاخرى خنجراً وعلى رأسها اكليل من الشربين .



تاليا ـــ الهة الكوميديا

(٤) تاليا (Thalia) إلهـة الكوميديا أى الرواية المفرحة المصحكة ، والشـعر

الهزلى . تراها واقفة وفى يدها اليمنى هامة مبتسمة وفى اليسرى هراوة الرعاة .



بوليهمنيا ــــ إلهة شعر الحكمة الدينى

(٥) بوليهمنيا (Polyhymnia) إلهــة الشعر الحكيم الدينى والفصاحة ، ولذلك تصور مفكرة معقوداً على رأسها اكليل من الغار .



اورانيا ــــ إلهة علم الفلك

(٦) أورانيا (Urania) عروس السماء وإلهــة علم الفلك ولذلك تمثل جالسة وفى يدها بركار ومتوسدة الكرة السماوية .



اويتربه ــــ الٓهة التلحين

(٧) أويتربه (Euterpe) إلهـــة صناعة التلحين والنفخ فى الناى ، والتوقيع على الآلات الموسيقية تراها مصورة وهى تنفخ فى مزمارين .



اراتو ــــ الٓهة الشعر الغزلى

(٨) إراتو (Erato) إلهـــة الشعر الغزلى والنسيب وأناشيد الأفراح . وهى مصورة واقفة تضرب على مزهر .



تربزيكورا — إلهة الرقص

(٩) تربزيكورا (Terpsic hore) إلهــة الرقص مرسومة وهي واقفة في ثوب فضفاض تضرب على قيثارتها .

هذا ولنكتف الآن موقتا بما أجملناه اليك من نصوص الصحيفة التي تلقيناها عن هليوس والتي مرت الاشارة اليها في الفقرة (٢) وسنعود اليها في فرص اخرى .

— ٣ —

١ ـ مما تقدم نعرف كنه أبولون ، ونقف على دوائر اختصاصه ، وندرك مقدار نفوذه في الاساطير الدينية اليونانية ، والأدب الاغريقي في العموم ، والشعر بجميع أنواعه على الخصوص ، ونفقه سيادته على آلهات الفنون التسع ، ومزاولة القيادة لهن وجعل مجهودهن الفني يرجع الى تصرفه . فهو والحالة هــذه رمز الحياة الفعليـة اليونانية القديمة ولولاه ماكان شعر هومير وبندار ، وأنا كريئون وتؤكريت ، ولا روايات أيشلوس وسوفكلس ، وأوريبيد وأرستوفانس،ولا فصاحة ديموستينس وأيشنس ، ولا تاريخ هيرودوت وتوكوديدس واكسنوفون ، ولا حكمــة الفلاسفة السبعة وفيثاغورس وسقراط وأفلاطون وأرسطو ، ولا تصوير ونحت پراكستيلس وفيدياس وأبلس وزُيكسيس .

لم يكن مجهود فويبوس - أبولون قاصراً على الاغريق فحسب بل تعداه الى الرومان فانتج عندهم آثار شيشرون وهوراس ، وفرجيل وأوفيد ، وليفيوس وتاسيتوس ويوفينال .

٢ — وإن تعجب لتعدد اسماء الآلهة عند اليونان والرومان وتصوير اشخاصهم ونحت تماثيلهم فاعلم ان هذه الاسماء ، وتلك التماثيل والصور لا تدل على اشخاص حقيقية وهيا كل مادية ، وانما تجعل هذه الشخصيات والهيا كل والصور والتماثيل رموزاً لقوى الطبيعة ونواميسها المسخرة لقوة القوى المرموز اليها عندهم بالاله الاكبر زويس أو جوبتر .

ولا يغيب عنا ان الاساطير الدينيـة اليونانية هى أجمع وأمتع اساطير العالم المتمدين القـديم . وهى على تقـادم عهـدها لا زالت حية ، وحاكمة فى عالم الأدب الراقى والثقافة الآرية الاوربية حتى الآن . وليس من الميسور لأديب أن يفقـه روح الأدب الاوربى قديمه وحديثـه ، ولا لعالم بحاثة يريد ان يصل الى لب العلم فى القرن العشرين الا اذا كان ملماً بأساطير الهيلنيين وأدبهم وفنونهم وحكمتهم .

٣ — واذا كانت اللغة العربية تُعد من اللغات الحية فذلك لانها ارتبطت باللغات الحيـة قديماً وأخذت عنها ما جعلها تكوّن حلقة كبرى فى تاريخ المدنية الانسانيـة العامة ولانها الآن توثّق عرى روابطها باللغات الحية الحالية مشرئبةً الى أخذ سيرتها الاولى بنقل مجهودات التفكير الحاضر اليها والارتواء من ينابيع المدنية الحديثـة .

٤ — ونظرة بسيطة فى تاريخ تطور اللغة العربية تذكرنا بمجهود العرب والاعاجم المستعربين فى خدمةهذه اللغة ، وتعرّفنا الحـكمة فى اشتغالهم بنقل الفلسفةاليونانية اليها وتدوين علوم اليونان بها فى غضون العصر العباسى . نذكر ذلك فتدرك مقدار النهضة العقلية الـكبرى التى وصلت اليها لغتنا حتى صارت بتلك النهضـة الفلسفية العلمية لغةَ الحـكمة والعلم والتأليف والتدوين، وغدت ادمغةُ الناطقين بهاالمستنيرين ادمغةَ بحثٍ وتفكيرٍ وانتاجٍ .

أجل ، صارت اللغة العربية بتلك النهضـة العلمية السالفة الذكر لغـة الحـكمة والتدوين ومع ذلك فان ثمار العقل الاغريقى فيما يختص بالفنون الجميلة والادب والتاريخ لم تصل إذ ذاك الى هـذه اللغة . فقد جهل العرب اساطير اليونان القديمة

وفنونها الجميلة وشعر هومير وبندار وغيرهما من شعراء اليونان ولم يعرفوا تاريخ الاغريق الا ابتداء من عصر الاسكندر .

واذا كانت اللغة العربية ترنو الآن الى الحياة الكاملة والى الزجّ بنفسها فى صفّ اللغات الاوربية الحية ، فأجدرْ بها ان ترجع الى ما فاتها من القديم فتتعرّفه والى الحديث فتتقيده . واذاً فهى فى حاجة كبرى الى نقل أساطير اليونان وما يتبعها من أدب وفن اليها ، إذ هى أسمى ما فى القديم وهى روح الجديد فى جميع أنحاء الثقافة الاوربية العامة التى تغترف منها بحكم الطبيعة . ومحاولة معرفة هذه الثقافة كاملة مع عدم الالمام بدين اليونان وعقائدهم فى اساطيرهم والوقوف على فنونهم وآدابهم ضربٌ من المحال .

٥ — اذا تقرر هذا وفهمناه على وجهه الصحيح فسرعان ما نحمد للدكتور أبى شادى نهضته الادبية الشعرية فى مجلة (أپولو) وفى تسميتها بهذا الاسم الفنى الجميل ، الاسم الأثرى العالمىّ الجليل. ولا شك ان مؤسس المجلة ومحررها قد لاحظ هذا النقصَ الادبى فى لغتنا وثقافتنا الذى أشرنا اليه فأراد ان يسدّ هذا الفراغ بمجهود مجلته وقد رمز الى ذلك باسمها المختار .

يعمل الدكتور ابو شادى بمجهود الجبابرة فى تلافى هذا النقص والسمو بالادب والشعر العربى وباللغة العربية الى الغاية الكبرى التى لا تدرك الا بالقديم والجديد فى الثقافة الانسانية العامة . وأساس هذه الثقافة بقسميْها يرتكز على الاساطير والفنون والآداب والعلوم والحكمة اليونانية . ورمزُ هذا كله هو الآله فويبوس ـ أبولون . وأجدر بمجلة أبى شادى الناهضة التى تعمل لهذا الغرض ان تُتوَّج بهذا الاسم التاريخى العظيم .



ابو العلاء فى المنام

فلو سمح الزّمانُ بها لضَنَّت   ولو سمحتْ لضنَّ بها الزّمانُ!

هو أول شعر وقع عليه نظرى لأبى العلاء بل هو أول شعر جِدّى قرأته فى مستهل حياتى الأدبية أيام حداثتى، وكنت قد عثرت عليه بين أوراق متناثرة مهيّأة للوقود ولم ألبث بعد ذلك أن وقعت فى يدى أبيات مختارة من شعر المعرى فى لزومياته. ولشدّ ما كانت دهشتى حين لم أجد فى شعر صاحبها مدحاً أو ذماً كما عوّدنا اكثر الشعراء من قدماء ومحدثين: فقد وجدت فى اللزوميات رجلاً لايعدو الحقيقة فى كل ما يقول، ورأيت شاعراً من طراز آخر غير أولئك الذين ألفتُهم فى ذلك العهد يملأون الدنيا مديحاً وهجاء.

ورأيتُ من صديقى كامل كيلانى اعجاباً باللزوميات وفتنة بالمعرى ما ضاعف اعجابنا معاً بهذا العبقرىّ الفذّ. فكنا نقرؤها معاً وعلى انفراد، وكان كل منا ينشد صاحبه مايعجبه منها، ومن ذا الذى لا يعجب حين يقرأ لأبى العلاء هذه الأبيات التى تفيض رحمةً وحناناً:

وابكِ على طائرٍ رماه فتىً   لاهٍ فأوهَى بفهرِهِ الكَتِفَا
أو صادَفتْه حِبالةٌ نُصبَت   فظلَّ فيها كأنما كُتِفا
بكَّرَ يبغى المعاشَ مُجتهداً   فقُصَّ عند الشروق أو نُتِفا
كأنَّه فى الحياة ما فرعَ الـ   غصنَ فغَنَّى عليهِ أو هَتَفا!

وقوله الذى يمثل زبدة فلسفته فى الحياة:

عملٌ كلا عَمَلٍ، ووقتٌ فائتٌ   ويدٌ إذا ملَكتْ رَمَتْ ما تملكُ
وشخوصُ أقوامٍ تلوح، فأُمَّةٌ   قَدِمَتْ مجدَّدَةً وأُخرى تهلكُ
أمَّا الجسومُ فللترابِ مآلُها   وَعييتُ بالأرواحِ أنَّى تسلُكُ!

أصبح ابو العلاء يملك علينا كلَّ مشاعرنا: ففى كل مجلس نذكر اسمه ونتغنى بأبياته ونستشهد بها فى كل مناسبة وأمام كل شخص أديباً كان أو غير أديب!

نعم، كان ابو العلاء عندنا ولا يزال الشاعر الفذّ الذى:

تتَصرَّمُ الدنيا وتأتى بعده أممٌ وأنت بمثلهِ لا تسمعُ (١)

وفى ذات ليلة رأيتُ فى منامى كأنى فى مكان فسيح خُيل إلىَّ انه قلعة يشع النور الطبيعى فيه من كل جانب وفى احدى زواياه سرير قد استلقى عليه شيخ فى ثياب بيضاء وعليه غطاء ابيض، ذلك الشيخ هو ابو العلاء المعرى شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء ، ورأيتنى أدنو منه وكأن ذلك شيءٌ مألوفٌ عندي وخاطبته قائلاً : « هل لسيدى الاستاذ ان يصحبنا فى نزهة جبلية ؟ » فشخص إلىَّ ببصره قائلاً :

هيهات لا أستطيع السيرَ ويحكمو فليس يُطلقُ هذا الدَّهرُ مأسورَا !

فلم ألبث أن صحوتُ من نومى فرحاً مسروراً وأنا أكرر هذا البيت وكتبته خوفاً من نسيانه ، وقد كنت استكثر على نفسى حتى رؤية أبى العلاء فى المنام » !

ولعل انشغال بالى بالمعرى فى يقظتى ومنامى هو سر هذا الحلم العجيب فلطالما تغنيتُ بشعره فى مناسبة وغير مناسبة، وقديماً شُغِلَ به الأدباء والعلماء ومَن اليهم فى العصور الملضية ورأوه فى أحلامهم وتمثلوه فى حياته وبعد مماته : فمن ذلك ما رواه احد معاصريه ، قال : « واذكر عند ورود الخبر بموته وقد تذاكرنا الحاده ومعنا غلامٌ يُعرف بأبى غالب بن نبهان من أهل الخير والعفة، فلما كان من الغد حكى لنا قال : رأيت فى منامى البارحة شيخاً ضريراً وعلى عاتقه أفعيان متدليتان الى فخذيه وكل منهما يرفع فمه الى وجهه فيقطع منه لحماً يزدرده وهو يستغيث ! فقلت وقد هالنى : من هذا ؟ فقيل لى : هذا المعرى الملحد ! »

وقد روى ابو العلاء فى لزومياته ابياتاً تشعرنا بأنها ردٌّ على احد الحالمين به حين عرض عليه حُلماً لا ندرى كيف رواه وإن وضَّحه المعرى أحسن توضيح فى أبياته التاليـة :

رآنى فى الكرَى رجلٌ كأنّى من الذَّهب اتخذتُ غشاءَ راسِى
قلَنسُوَة خُصصتُ بها نُضاراً كَهُرْمُزَ أوكمَلْكِ أولى خُراسِ
فقلت مُعبِّراً : ذهبٌ ذَهابى وتلك نباهةٌ لى فى اندراسِ
ومَنْ لأخيكَ لو يحدو رِكاباً بأفراس يطأن على الفراسِ
أقمتُ وكان بعض الحزم يوماً لركب السُّفن أن تلقَى المراسى

وقد روى القفطى عن القاضى أبى عمرو عثمان بن عبد الله الكرَجى انه كان وهو طالب يقع فى دين أبى العلاء ،فرأى فيما يرى النائم كأنه فى مسجد وكأنّ على صُفَّةٍ

(١) من قصيدة رثاه بها الامير ابو الفتح المعرى شاعر حلب فى ذلك الوقت .

فيه رجلاً شيخاً ضريراً بادناً (١) والى جانبه غلام يشبه ان يكون قائده قال القاضى : وكنت واقفاً تحت الصُّفة فى نفر من الناس وهـذا الشيخ يتكلم كلاماً لم أفهمه . ثم التفت الىّ وقال : ما حملك على الوقيعة فى دينى وما يدريك لعل الله غفر لى (٢) قال: فاستحييتُ منه وسألت عنه فقيل هو أبو العلاء ، فلما أصبحتُ أقلعتُ عن النيل منه واستغفرتُ الله لى وله .

ثم مضى على ذلك دهرٌ وأنسيته ودخلت المعرة فزرت مسجدها للصلاة فاذا هو كما رأيت فى النوم واذا الصُّفة كعهدى بها وعليها راهبٌ يضفر البردى . فتقدمت اليه وسألته عما يصنع فعرفت انه يصنع الحصر لهـذا المسجد وكان على ديره ان يؤدى للمسجد هـذا العمل كلما احتاج اليه . قال : فلما اذكرنى ذلك ما أنسيته سألت عن قبر أبى العـلاء فزرته فاذا هو مهمـل فى مكان أشعث وقـد نبتت عليه الخبازى ثم جفت — فقرأت عنده واعتذرت اليه وذلك فى أوائل القرن السابع » .

وأرى أن اختم هـذه الـكلمة بهـذه الابيات التى هى فى حكم الوصية للمـكان الذى اشتاق أبو العلاء أن يُدفن فيه وإن كان فيها روح الدعابة والسخرية :

ودِدْتُ وفاتىَ فى مهمـهٍ ... به لامـع ليس بالمعْـلَمِ
أموتُ به واحـداً مفـرَداً ... وأُدفن فى الأرض لم تُظلمِ (٣)
وأبعـدُ عن قائل: لا سلمتَ ! ... وآخـر قال : ألا يَسْلمِ !
أُحاذرُ أن تجعـلوا مضجعى ... إلى كافـرٍ خان او مُسلمِ
إذا قال : ضايقتنى فى المحلّ (م) ... قلت : أساؤا ولم أعلمِ !

وقوله :

إذا متّ لم أحفِلْ بمـا اللهُ صـانعٌ ... إلى الأرض من جدب وسقى غيوثِ
وما تشـعر الغبراءُ ماذا تجنّه ... أأعظُمُ ضأنٍ أم عِظامُ ليوثِ !

سيد ابراهيم

(١) والحقيقة ان حالة ابى العلاء كانت عكس ذلك . قال فى لزومياته :

تحفَّوا بالكلام واكرمونى ... على ما كان من جسدٍ نحيل

(٢) من قوله فى اللزوميات :

أأخشى عـذاب الله والله عادل ... وقد عشت عيش المستضام المعذب؟!

وقال :

أأصبح فى الدنيـا كما هـو عـالم ... وأدخل ناراً مثل قيصراً أو كسرى؟!

(٣) اى التى لم تحفر قط لحفرت ، يريد لم يدفن بها احد من قبل .



في الواحة

نأتْ عن لذَّةِ العمرانِ حتَّى   كأنّ النُّسكَ تَعشق والتخلي
ولم تَعرفْ سوى الصحراء مأوًى   تفرّ اليه من خصمٍ وخلّ
ولكنّ الحياةَ أبتْ عليها   وحادَ العيش في موت وذُلّ
فأطلعتْ العواطفَ في رُباها   وأعطتْها التأمُّلَ والتَّسلّي
فصارتْ وهي في نُسكٍ مقيمٍ   مثالاً للتبتُّل والتحلّي
كما أخفى خفوقَ هواه شيخٌ   يُحجّبُ لوعةَ الحُبِّ الأجلّ
مما فيها النخيلُ بباسقاتٍ   شواعرَ بالضياءِ وبالتعلّي
نوازعَ للسماء على صلاةٍ   شوامخَ في شعور المستقلّ
وكم حلّ التناقضُ كلَّ شيء   فلم نعدمْه في أدنى محلّ
فما تلقى القَنوعَ بها قَنوعاً   وإن فتّشتَ في فرعٍ وأصلِ
وما هذي الرمالُ وقد تعالتْ   بأرفعَ مِن وهادٍ في تدلّي
ولا العُشبُ الموزّعُ ثَمّ يحيا   ذليلاً، بل تراه كمستذلّ
ولا الماءُ الذي يُزجيه نَبعٌ   يَسير بغير احساسٍ ودلِّ
وما صُوَرُ الضياءِ وقد تناهتْ   بظلٍّ، بعد ظِلٍّ، بعد ظِلّ
بأبدعَ أو بأكملَ مِنْ ظِلال   للُبٍّ ذاقَ مِن جُزءٍ وكُلّ
وتَلقى للصلاةِ بها تجلّتْ   مَثابةَ شيخها أبهى تجلّي
تجمّلها بربوتها بياضٌ   وزيّنها التقشّفُ والتملّي
وجلسةُ شيخها بالبابِ حيناً   يُسبّحُ في خشوعٍ لم يُملّ
لَدُنْ تَلقى الصَّبا فيها طريحاً   قريراً أو بتحنانِ المُطِلّ
حوَتْ فيها العبادةُ كلَّ شيءٍ   فكلٌّ في طريقتِه يُصلّي !

احمد زكي ابو شادي

المسحورة

من وصف ابى شادى

الزّنبقُ المسحورُ يَرْقُبُ حُسنَها والنُّورُ يعبد نورَها ويمورُ
فيصدُّه الطُّهرُ المعِزُّ جمالها ويَهِمُّ يلثم وجهَها ويثورُ
عرضتْ عليه فتونَها فى جِلسةٍ الحُلْمُ فيها الفاتحُ المنصورُ
ونضتْ ثيابَ النّاسِ حين دِثارُها مُهَجٌ وفنٌّ رائعٌ وسرورُ
نامتْ كنومِ الزهرِ وهو معطَّرٌ والجوُّ من أنفاسِه مغمورُ
وتزاحمتْ للذكرياتِ أشعَّةٌ والذكرياتُ جميلُها موفورُ
نامتْ على إلهامِها ونعيمِها ومِن التخيُّلِ نعمةٌ وحبورُ
وقد احتواها الصَّمتُ فى إيوانه وكسا الجمالَ المستقلَّ النورُ
يتأمّل القَدَرُ العتىُّ بهاءَها طرِباً ويرعى الحُسْنَ وهو فخورُ
ما كان مثّالٌ يقدِّس فنَّه بأحقَّ مِنْ وحى له التعبيرُ
جُمِعَ الجمالُ مع الجلالِ حيالَها فتشرَّبتْهُ عواطفٌ وشعورُ
يتذوقُ الفنّانُ من تكوينِها وكأنه نَغَمٌ سَرَى وعبيرُ
ويحار فى السِّحر الذى خضَعتْ له حين الوجودُ ازاءَها مسحورُ
وكذا الحياةُ عزيزُها كذليلِها ولقد يُساوى الآسرَ المأسورُ !

الزعيم

ومُخرَّقٍ عنه القميصُ تخالُهُ بين البيوتِ من الحياء سقيمَا
حتى اذا رُفِعَ اللواءُ رأيتَه تحتَ اللواء على الخميسِ زعيمَا !

فى هذين البيتين من الشعر القديم المأثور صورةٌ فنيةٌ رائعةٌ ، وكأنهما فصلان سريعان من فصول السِّينما ، ولكنَّهما على أبهى وضوحٍ . ونحن نسر بتحليلٍ فنىٍّ لبلاغتهما المعجزة ، ولعلَّ قراءنا الافاضل يتسابقون إلى ذلك .

المسحورة

The Enchanted





البطل يوسف كرم

(ذكرى ازاحة الستار عن تمثاله فى اهدن)

دقّوا البشائرَ فى البلادْ   اليومُ يومُكَ يا كَرَمْ
انظرْ ! قد اهتزّ الجمادْ   ولصوتك اختلجَ العدَمْ !
ضجّتْ جبالُكَ والوهادْ   (صنّينُ) يقذف بالحُمَمْ
الشمسُ جلّلها السوادْ   والجوُّ لعلعَ وادلهمْ
نهضتْ رجالك للجهادْ   فى الحقّ مرفوعَ العلَمْ
السيفُ محلولُ النّجادْ   والخيلُ تعلُكُ باللُّجُمْ
فَنِيتْ اسودُكَ أو تكادْ   والارضُ قد صُبغتْ بدمْ
لا تضطربْ ، بلغوا المرادْ   شخصتْ لنصرهمُ الامَمْ
قتلاكَ قد مسحوا الرّمادْ   وتنفّضتْ تلك الرِّمَمْ
اسمعْ صدَى زفراتِهمْ :   « يحيا كَرَمْ ! يحيا كَرَمْ ! »

يوسف السودا





ابولون

إ آله الغناء

بقلم عيسى اسكندر المعلوف صاحب مجلة « الآثار » ومؤلف تاريخ الأسر الشرقية العام

ماهو ابولّون

فى الأساطيراليونانية (الميثولوجيا) أنابولون (Appollon) هو الـهالغناء الذى اخترعهُ ولقنه عرائس الشعر التسع وهنّ بنات المشترى من زوجته ناموزينى . وأما أبولّون فلولادته قصة عندهم معروفة مآلها انه وُلد فى جزيرة دالوس اليونانيـة من أمه لاتونا معشوقة المشترى هو وشقيقته (ديانا) الهـة الصيد . فرمى ابولون الحية بيتون عدوة والدته باسهمه فقتلها ولذلك سمي (بيتيان) ، وعرفت الالعاب التروّضية المقامـة له باسم (الالعاب البيتيكية) ، كما سُمّى (بالداليانى) نسبة الى جزيرة دالوس مسقط رأسه ولذلك قصة معلومة .

وكثيراً ماسمّى ابو الشعراء هوميروس العظيم ابولون هـذا باسم (فوبوس) وقال : انه ينتقم بسهامه وانه الـه الاغانى والآلات الموسيقيةذوات الاوتار وسماهُ العلامة المرحوم سليمان البستانى افلّون أو فيبوس بقوله (الالياذة العربيـة ص ٢٠٧ و ٢٠٩ ، الخ .) (١) :

منحتكم آل الأُلمب اعتزازاً قهـر مزيام ثم عَـوداً جليـلا
فبغيبوس فرع زَفس المعلَّى من سهـام الرّدى يهيل همولا

(١) راجع فى فهرست الالياذة العربية للبستانى فى كلمة « افلون » .



عيسى اسكندر المعلوف

وفى الشـرح فوائد كثيرة عنه فليراجعها من شاءَ .

ومن ألقابه إلـه النهار والشمس ، وإلـه الرعاة ، وملقن الشعراء ، وصاحب قوس اللجين ، ورشَّاق النبال ، ومطرب الالهة ، الى غير ذلك .

وتزوج أبولون مثل آلهة الأولمب بكثير من النساء فرزق من كاليوب (اورفه) إله الشعر وغيره من غيرها . وذكر المؤرخ هيرودوتوس : أن اسم أبولون عند المصريين (هوروس) ، وان الرومان اقتبسوا عبادته عن اليونان .

عبادته وهياكله وتماثيله

اشتهرت عبادة ابولون عنـد اليونان والرومان وأُقيمت له الهيا كل ونُصبت لهُ التماثيل وعقدت الحفلات والالعاب احتفاءً به على عادتهم فى احترام آلهتهم ومثَّلوهُ فى بلاد اليونان تارة بهيئة انسان جعـد الشعر قد تنكب قوسـه وألقى سهمه عن قريب يمازجه الغضب ، وطوراً بشكل شاب امرد بغاية الجمال مكلل الراس بأشعة وفى احدى يديه عود الطرب أو ملف من الورق . وفى الالياذة العربية (الصفحة ١٠٠٤)

رسمه وهو بصورة « فتى جميل الطلعة ذى شعر طويل مرسل وبيده قوس وسهام أو قيثار » واحياناً يمثل وبيده عصا الرعاية.

وأُقيمت له الهياكل الفخمة ولا سيما فى دلف ودالوس وفى آسية الصغرى فى ميلات وباتار (من مدن ليسيا) وتينيذس قرب الدردنيل التى تسمَّى الآن (بوزجه آطه) أى (الجزيرة الشهباء)

وكانت تقدم القرابين فى هياكله من الثيران السود والنعاج والخيل والحمير. وخصص به من الحيوانات الذئب والبجع والصرصور والديك والباشق والبازى، ومن النباتات الزيتون والغار والتمر هندى. وكان مغرماً بالبازى والغراب وطير الماء.

وغالب أپولون مرسيا بالنفخ فى الشبَّابة فغلبه وسلخه حياً، وله أخبار كثيرة لا محل لها هنا.

آثاره

اعتقد اليونان ان المشترى ابا الآلهة هو الهواء لانه يحيط بسائر الخليقة، ونبتون البحر الذى يروى الارض، وأپولون الشمس التى تنيرها وتحميها، فلذلك كانت أعظم آثارهم لهذه الآلهة ومدنهم متاحف لها.

فسنة ١٥٠٣م. وُجد تمثال ابولون، وسنة ١٩٠٤م. عثروا فى سبرطة اليونانية على عرشه وتمثاله ايضاً، وسنة ١٩٠٥م. كشفت اعمدة هيكله فى مدينة كلاروس قرب أزمير، وسنة ١٩٠٢م. وجد هيكل أپولون فى خرائب ميله اليونانية، ثم هيكله فى دلفى وآثار اخرى له فى غيرها.

وهكذا لاتزال الآثار القديمة المنبعثة من الارض تظهر لنا عجائب تلك الآثار التى تنافسَ بصنعها بناءً وحفراً وتزييناً الاغريقيون حفاوةً بآلهتهم ولاسيما (أپولون) هذا الذى تفوّق بكثير من المزايا فتفوقت آثارُه وأقاصيصُه على غيره.

وأما شقيقته (ديانا) آلـهة الصيد فهى ارطاميس ايضاً. ولا يزال على ساحل البحر المتوسط بين بيروت وجبيل قريتان احداهما (بلّـونه) باسم هذا الالَه والثانية (طاميش) وفيها دير قديم باسم ارطاميس مما يدل على انتشار تلك العبادات قبلاً بيننا.



بنت النيل

أتمَّ النيلُ رحلتَه وأضحى ... كريماً بالخيالِ وبالنَّوالِ
فلاحتْ بنتُه فى الروضِ تَسْقِى ... بخمرِ جمالها صَرْعَى الجمالِ
قد اصطبغتْ بصبغتِهِ وطافتْ ... بفتنتها على المُهَجِ الغوالى
تسيل رشاقةً ويسيل تبراً ... ويحتكمان فى حظٍّ الرجالِ
ويَقْطُرُ لفظُها باللحن حتى ... ليُرْشَفَ فى خشوعٍ وابتهالِ
تأمَّلَ بلبلٌ غنَّى ، وأصغى ... بسمع مُدَلَّهٍ وافى الخيالِ
وشاركتْ الأزاهرُ عاشقيها ... ففاضتْ بالعبيرِ وبالسُّؤالِ
وتمشى فى اعتدالِ القَدِّ خَتْراً ... لألوانِ الملاحةِ والجلالِ
ويَصحبُها النسيمُ وقد تَنَدَّى ... بنَضْرَتِها فيُنعش كلَّ بالِ
وتَتبعها القلوبُ بلا مَلالٍ ... وهل تَهوى القلوبُ بلا ملالِ ؟
ويَخطر جَنْبها حُسْنٌ دخيلٌ (١) ... فتمنحه المجالَ ولا تُبالى
كأنَّ الكائنات لها عبيدٌ ... من القمرِ المُطِلِّ الى الرمالِ
تلألأَ وجهُها بالضَوْءِ ، لكنْ ... بِضَوْءِ النِّيل والنَّبْتِ المُوالى
فكانت رُوحه السَّارى المُحَيِّي ... نُفوساً كُنَّ من هذى الظلالِ
تُغَذَّى مِنْ صَباحتِها وتنمو ... برقَّتِها فتَنْعَمُ بالكمال
وتُعبَدُ قُربَها الصخرُ المُعَلَّى ... بتقديس الخوالدِ والخوالى
ولم يَدرِ الأُلَى حَجُّوا وزاروا ... وناجَوْا مصر فى ماضٍ وحالِ
بأنَّ فتاتَها هى سِحْرُ مَنْفٍ ... وآيةُ حُسْنِها الفَذِّ المثالِ

احمد زكى أبو شادى

(١) اشارة الى الجمال الاجنبى الذى تمنحه المصرية فرصة الظهور دون ان تخشى منافسته اياها .

طريق المقبرة

عَرَفْتُها في سِنِّها المُبَكِّرَهْ   حَيِيَّةً بينَ الْبَنَاتِ خَفِرَهْ
حَدِيثُها العَذبُ كَذَوْبِ السُّكَّرَهْ   يَتْرُكُ في أَعْمَاقِ نَفْسِي أَثَرَهْ
كأَنَّمَا أَلْفَاظُهُا الْمكَرَّرَهْ   عَزْفٌ كَمَنْجَا في ثَنَايَا حَنْجَرَهْ
حِجَاجُها الْمُفْحِمَةُ الْمؤَثِّرَهْ   ضَرْبٌ مِنَ السِّحْرِ جَهِلْتُ مَصْدَرَهْ
يَاحُسْنَهَا سَاعِيَةً مُشَمِّرَهْ   تَخْرُجُ صُبْحاً والفِجَاجُ مُسْفِرَهْ



عبد الرحمن خليفة

والطَّيرُ فِي أَعْشَاشِهَا مُنْحَجِرَهْ   في حُلَّةٍ مَوْشِيَّةٍ مُحَبَّرَهْ
وميدعٍ (١) فَوْقَ الْقَمِيصِ سَتَرَهْ   تَغْدُو إلى مَدْرَسَةٍ مُشْتَهِرَهْ
بَيْنَ نَوَاعِمٍ حِسَانِ الْبَشَرَهْ   يَمْشِينَ فِي مَوَادِعٍ وَحِبَرَهْ

(١) فى اللسان : الميدع كل ثوب جعلته ميدعاً لثوب جديد تودعه به اي تصونه به ، ويقال ميداعة ، وجمع الميدع موادع لانك ودعت به ثوبك اي رفهته به .

وَمَوْكِبٍ مَلاَئِكِيٍّ أَكبَرَهْ … في نَاظِرِي جَلاَلُ مَعْنًى سَحَرَهْ
مِنْ كلِّ ذاتِ مِنسَجٍ وَمِئْبَرَهْ … وَكُتُبٍ وَقَلَمٍ وَمِحْبَرَهْ
وكلِّ ذاتِ أُسْرَةٍ مُيَسَّرَهْ … وَعِيشَةٍ نَاعِمةٍ وَمَحبَرَهْ (١)
لَمْ تُرَ يَوْماً دُونَهُنَّ مَقْدِرَهْ … وَإِنْ تَكُنْ حَالُ أبيهَا مُعْسِرَهْ
حِذَاؤُها ونَعْلُها المُخَصَّرَهْ (٢) … ما نَقِبَتْ وَمَا عَلَتْهَا غَبَرَهْ
في ثَوْبِها الغَسِيلِ تَمْشي بَخْتَرَهْ … تُكْسِبُهُ بصَقْلِهِ والجَنْدَرَهْ (٣)
قَشَابَةً وجِدَّةً وَمَجْدَرَهْ … في أُذُنَيْها عَطَلٌ وَالقَصَرَهْ (٤)
ولم تُحِطْ بِمِعْصَمَيْها أَسْوِرَهْ … بِعَنَمَاتٍ (٥) في يَدَيْها عَشَرَهْ
تَجمعُ شَعْرَ رَأْسِهَا لِتَضْفُرَهْ … قد جَلَّلَتْ سَوادَهُ لِتَسْتُرَهْ
لاَطِئَةٌ (٦) تحوكُهَا مِنْ بَكَرَهْ (٧) … مِن وَبَرٍ تُزِيل عنه زِئْبَرَهْ
بَيْضَاءُ زَوْرَاءُ حَكَتْ نِصفَ كُرَهْ … أَوْ بَيْضَةً لِنِصْفِها مُنكَسِرَهْ
نِيطَتْ بهَا ذُؤَابَةٌ مُنْتَثِرَهْ … كَزَهْرَةٍ عَلَى الرُّبَى مُنَوِّرَهْ
تَلْبَسُها إنْ خَرَجَتْ مُعْتَجِرَهْ … مَا أَبْهَجَ التاجَ وَأَبْهَى مَنْظَرَهْ
كأَنهُ عَلَى جَبِينِ قَيْصَرَهْ … أَمِيرَةٌ في سِرْبِها مُؤَمَّرَهْ
محفوفَةٌ بِتِرْبِها مُشَهَّرَهْ … كالنَّحْلِ حَوْلَ مَلْكَةٍ مُطَيَّرَهْ
تَخرجُ تَرْتَادُ الرياضَ النَّضِرَهْ … مَرَادُها مَجْنَى الزُّهُورِ العَطِرَهْ
تَأْكُلُ مِن كلِّ بهيجٍ ثَمَرَهْ … عَرَفْتُهَا تِلْمِيذَةً مُفَكِّرَهْ
لمْ تَكُ في وَاجِبِهَا مُقَصِّرَهْ … أَوْ تَكُ في تَرْتِيبِهَا مُؤَخَّرَهْ
بل هي أَوْلَى فَصْلِها المُصَدَّرَهْ … خَطِيبَةٌ - إن دُعِيتْ - مُؤَثِّرَهْ
مُنشِئَةٌ - إِن كَتَبَتْ - مُحَرِّرَهْ … فَنَّانَةٌ بَارِعَةٌ مُصَوِّرَهْ
عازِفَةٌ ، بنَانُها مُقَدِّرَهْ … طاهيَةٌ ، أَلوانُها مُبتَكَرَهْ

---

(١) المحبرة : مصدر ميمي من الحبرة وهي النعمة التامة وسعة العيش (٢) نعل مخصر لها خصران مستدقان (٣) جندر الثوب . اعاد وشيه وحسنه بعد ذهابه (٤) القصرة : العنق وقصر الرقبة (٥) اى بأصابع عشرة تشبه العنم وهو نبت احمر تشبه به الأصابع ، وانث العدد مراعاة للمعنى (٦) اللاطئة : قلنسوة صغيرة تلطأ اى تلزق بالرأس (٧) البكرة ما يلف عليه الخيط تشبيهاً لها ببكرة البئر وهي خشبة مستديرة في وسطها محز وللحبل في جوفها محور تدور عليه .

تجتاز من كل امتحان أوعره — قد قطعت مرحلة موعره
وأحرزت شهادة معتبره — ثم رأى والدها ما لم تره
زواجها من جاهل ذي ميسره — إذ ظن فيه ربحه ومتجره
رأى فطير لم يقدر ضرره — وبعد لأي قبلته مجبره
فاعجب لذات هيئة مصغره — ناحلة الجسم لعوب بالكره
ما جاوزت في السن إحدى عشره — قد خطبت واحتجبت مستتره
وانقطعت عن درسها معتذره — إذ أمهروها مائة مقدره
وأزوجوها من غبي نكره — ذي ثروة موروثة وأثره
وطمع يغض منه وشره — وشغب وصخب وثرثره
وسحنة تشبه وجه بقره — في ليلة الإهداء نادى معشره
مستنفراً ألفافه وزمره — وداعياً ألافه ونفره
لحفلة في بيته مختصره — ودعوة عليهم مقتصره
ومقصف أعده في منظره — فحضروا في ضجة وزمجره
وقهقهات عاليات منكره — ونال كل من طعام حضره
وشربوا من أشربات مسكره — وأخذوا في ضحك ومهذره
ونصت الحسناء تبكي حذره — بين قيان وشموع مزهره
وصعد الزوج بنفس موقره — بعبء دين قد أحس خطره
يكثر في أذياله تعثره — لمتقاض دينه قد أنذره
تخيلته إذ رأته قسوره — وحينما مد إليها بصره
في صلف يبدي لها تنمره — وهم أن يقضي منها وطره
تضعضعت أركانها منذعره — مرتاعة باكية مستعبره
وشردت كظبية منفره — عادة سوء بيننا منتشره
وزيجة كميتة مقدره — تفتح للنسل طريق المقبره!

عبد الرحمن خليفة

(نشرنا هـذه القصيدة لصديقنا الأديب اللغوى والشاعر المطبوع ، لأنها مثال بارز للنظم الكلاسيكى القديم حتى كأنها من شعر رؤبة لولا أنها تتناول موضوعاً اجتماعياً عصرياً . والملحوظ أن عدداً من أعلام شعرائنا بفطرته وبحكم ثقافته أيضاً لا يرتاح الى غير النظم ذى القافية الواحدة ولا يستطيب سواه . وهو يفعل ذلك عن سليقة لا عن محاكاةٍ ، وقد أتقن هـذا الضرب من النظم أيما اتقان بحيث يستطيع بسهولة أن يمزج ألفاظه بمعانيه وأخيلته مزْجاً فنياً موسيقياً رائعاً ، حينما يتعثَّر إذا هو لجأ الى غيره من ضروب النظم كالتَّواشيح أو القوافى المزدوجة أو الزَّجل أو الشعر المرسل أو الشعر الحرّ ، الخ. ومهمتنا الدعوة الى التجديد ومحاربة الدَّجل النظمى والصناعة اللفظية والقضاء على تسخير الشعر لأعراض الحياة وقشورها، ولكن هذا لا يجيز لنا الحجر على انتاج أولئك الشعراء الممتازين اذا كانت طبائعهم لا تجاوب بينها والأساليب النظمية الحديثة ولا تتأثر بغير الألحان القديمة ، وإن كانت نظراتهم الى الحياة نظرات عصرية فنّية شريفة . والزمن كفيل بأن يبدّل بالأذواق أذواقاً أكثر تمشياً مع الروح العصرية الحرّة — المحرر) .



ملجأ القـرش بالسودان

أَبَى الخَطْبُ الاّ أن تنامَ غِرارا ... وتُذرِى دُموعاً ما تكفُّ غِزارا
فتاةٌ دَهتْها النائباتُ فمن لها ... بذى هِمّةٍ فى الناس يَدفع عارا
رمتْنى بطَرْفٍ خاشعٍ متحير ... فكان لأحزانِ الفؤاد مَثارا
وقالت : أما منكم لِذِى البثّ مُنجدٌ ... يُجيرُ اذا ريبُ الزّمانِ أغارا
وأنتم من العُرب الطَّويل نِجادُهم ... لِزاماً عليهم يَمنعون ذِمارا
نفوسهمو أيانَ حلُّوا تكفَّلتْ ... بأن يلجوا بابَ الحياة غِمارا؟
فكفكفتُ من دمعى وقلت من الذى ... تُريدين أو من تحمدين جوارا؟
فقالت : وهل فى القوم من يَبذُل القِرى ... ويَرفعُ فى عصر الحضارة نارا؟
أتسأل عن حالى وأمرى واضحٌ ... ونومىَ دهراً عن جفُونى طارا
وحولى أطفالٌ صغارٌ بمنزل ... خلاء ، فمن لى أن أعول صغارا؟
الى الله أشكو ما ألاقيه إننى ... أموت وأحيا بالهموم مِرارا



وطفلٍ كساه الجوعُ من ظَـلُماتِه فأمسى وما يَدْرى النهـارَ نهارا
بَرَاه الأَسى سهماً فلو قـد رأيتَه لولَّـيت من مرأى الغـلام فرارا
تَقاذَفُه — مَدَّ النهـار — شوارعٌ وفى الليـل يعتاد المقـاهىَ دارا
يقول بصوتٍ خافتٍ ما أمرَّه بسمعي : أقلنى فى الخطوب عثارا !
فلمَّا بميسور مـددتُ له يدى وأَنْشأ عنى شخصُه يتوارى
أَشَرْتُ له : أيَّـان تذهب يا فتى ؟ فقال وأُذرى الدمع : نحن حيارى !

* * *

ويمتُ دارى وانفـردتُ بموضع وجاذبنى حَىٌّ الشعور حِـوارا :
ترى ذلك المسكين كيف مبيته وقـد ضاق ذرعاً بالمعـاش وحارا
وماضيه لم يشهـد به ما يسره وحاضرُه يملى عليه صَغارا ؟
فواهاً على غصن ذوى فى اخضراره وواهاً على ماء النضارة غارا
لقد جعلَتْ هذِى اللَّـيالى من الأَسَى تَطولُ وكانت قبل ذاك قصارا
وَيُوشِكُ إنْ طَالَتْ بنا الحالُ أَن نُرى لـكلِّ قبيـلٍ سُبَّةً وشَنَـارا

* * *

فللهِ فِتيـانٌ تَخَلَّدَ ذكرُهم بِسَعْىٍ كامثـال الأَعارب سـارا
رَأَوْا امَّةً قد مَـزَّق الفقر شَمْلها فشادوا لهـا ـ رغمَ الحوادث ـ دارا
وقـد جمعوا قرشاً لقرش فما مضى له العـامُ إلا واستحال نُضَـارا
فلا غروَ أن نبنى من القرش مَلْجأً اذا ما وجـدنا عاملين غَـيارى

* * *

هلُمُّوا نُخَفِّفْ من مُصاب بلادنا فَـنُدْرِكَ شَأْواً ما يُشَقُّ غُـبارا
فمـن مُبلغٌ نَشْءَ البـلاد بأننا نُعلقُ آمالاً عليه كِـباراً
لعـلَّ له نفساً تشرِّف أمـة وتـكسبُها يومَ الجلاد فخارا
لعلَّ بجنبيـه لِزَازَ عظيمة جريئاً على العِـلاَّتِ يُدرك ثارا
ولم أر مثـل الفقرِ يَدْهم أُمَّةً فيترك عِقـدَ المكرمات نِثـارا
اذا العلمُ لم تـكفُلْهُ فى النَّاس حِرفةٌ فأَقربُ شيء أن يَجُـرَّ بَوَارا

* * *

بَدار لهم ان ينقضَ الفقر ظَهرَهم — لقد فاز من يأتى الأمور بَدارا
وكونوا حمى يأوى له وجِدَارا — وعَطْفاً على المسكين قبل هلاكه
فقام الى إسعافهم يتبارى — دعى الله شَعْباً أرَّقَتْهُ ضِعافهُ

واد مدنى (السودان) : عبد الله عبد الرحمن





الشعر العربى

بين اليقظة والخمـــــود

بلغتنى دعوة «أبولو» فتذكرتُ فى الحال أنه آن لنا ان نحاول انقاذ الشعر العربى من الهوة التى تردّى فيها منذ سنين : فقد هجم العوام المتعالمون على مملكة الشعر واحتلوها كما يتفق أحياناً ان يحتل السوقةُ نقطةً من أجل الاحياء ، وتذكرت ما تجنيه بعضُ الصحف اليومية والاسبوعية فى التسامح الممجوج فى نشر مايصل اليها من شتّى المنظومات . وتذكرت أيضاً أنه من حقّ الشعر علينا ان يكون له صحيفة بجانب ما لدينا من الصحف فى مختلف الشئون .

ان العصر الذى نعيش فيه هو عصر النثر ، لاعصر الشعر ، وليست مصر وحدها ولا العالم العربى وحده بدعاً فى إيثار النثر على الشعر ، فليس فى فرنسا اليوم شاعر واحد يذكّر بشعراء القرن السابع عشر أو التاسع عشر ، لأن عصرنا عهد حركة وسرعة ، ولا يفلح فيه الا الكلام المرسل الطليق .

ولكن هذا لا يمنع من الايمان بأنه لا تزال لدينا جوانب وجدانية تتشوّف الى التغنى بالشعر البليغ ، لأن الطبيعة لا تزال تتأنق فى خلق دواعى الشعر ، ولا يزال



الدكتور زكى مبارك

فى الدنيا نجوم تتألق ، وأزهار تتفتح ، ولا تزال الارض تذلل خدّها لمن يمشى عليها من أسراب الظباء .

ومن واجبنا حين نفكر فى انهاض الشعر ان نسعى لربط نهضته بنهضة الغناء : فن الاجرام الأدبى ان يكون عندنا مغنٍّ مثل محمد عبد الوهاب ثم نتركه يتقمّم الاغانى العامية فيحييها بفنه على حين لا يجد الشعر الفصيح من يسمع به فى رواية او انشاد ، وانه لغرم كبير ان تفقد اللغة الفصيحة تلك العذوبة الموسيقية التى يخلعها الغناء على القصائد الوجدانية .

ان شبان اليوم لا يعرفون الشعر ولا يتناشدونه ، وتلك خسارة فادحة : لأن الذى لا يعرف الشعر لن يكون يوماً كاتباً مجيداً ولو لطخ وجهه بالمداد !

وبعد ، فأمنيتى لدى منشىء مجلة « أبولو » ان يكون من اقسى الناس فى اختيار ما يقدَّم اليه من الشعر ، وان يتحامى الانحلال الذى سماه قوم « التجديد » فان التجديد علالةٌ تشبَّث بها الضعفاء ممن لا يصبرون على تكاليف النظم الرصين .

ليس فى الشعر قديم ولا جديد ، ولكن فيه مزيف وصحيح ، كما قال أحد شعراء الاتراك ، فلنجتهد دائماً فى افهام شبان اليوم ان الشعر لا يزال فناً ، وأنه كسائر الفنون لا ينهض به الا العبقريون . وسبحان من لو شاء لهدانا جميعاً الى سواء السبيل ؟

زكى مبارك

* * *

(لقد أحسن الدكتور زكي مبارك في تنبيهه الادباء الى ضرورة الحفاوة بالعربية السليمة في أغانينا ، ونحن نؤمن معه بأن اللغة العربية طيّعة للأغاني العذبة ، وأزجالنا العصرية يجب أن تكون سليمة اللغة بعيدة عن العامية كيفما كانت روحها العصرية ولهجتها .

ونحن عند ظن حضرة الدكتور الفاضل في دقة الاختيار لمواد هذه المجلة ، دون أن نثبّط همم شعرائنا الناشئين المجيدين ، ذاكرين دائماً أنّ تباين الأذواق كثيراً ما أدّى الى التعسُّف في الاحكام والى الشطط العظيم فيها . ونحن على كل حال ننظر الى الشعر في ذاته لا الى الشعراء ، وعندنا أن الشعر المزيف والشعر الصحيح كلاهما موجودٌ في القديم والحديث على السواء ، ولا مشاحة في أنّ حركة التجديد أمر واقع في جميع الفنون ، في الصياغة والروح والغاية ، والحياة ذاتها في تجدّد وتحوّل مستمر فلا يمكننا انكار ذلك في الشعر .

بقي علينا أن نشير الى بعض ما تفضل به الدكتور زكي مبارك في صحيفة (البلاغ) مرتبطاً بهذا الموضوع وهو نقده لما أسميناه « الشعر الكلاسيكي » وقال اننا نعني به الشعر القديم ، وهذا غير صحيح فانما نعني « الشعر التقليدي » . وقد شرحنا مراماً في غير هذا المكان من المجلة ، وكذلك نقده لكلمة (أبولو) معتبرها ثقيلةَ النطق وهي التي تجلت في نظم أشهر شاعر موسيقي عصري وهو شوقي بك وليست بأثقل من اسم (أرسطو) الشائع بل هي خفيفة الظل .

ولاحظ حضرة الاديب الفاضل أنّ من الخير أن لا نكثر من نظمنا في المجلة وهذا ما نبتغيه ، ولكن الضرورة ألجأتنا وتلجئنا الى هذا الاكثار النسبيّ في اعدادها الأولى فتحاً لابوابها المتنوّعة . واذا آثرنا فيما بعد أن لا ننشر فيها الا أيسر شعرنا فما ذلك اطاعة لرغبة صديقنا الذي يرى « أن هناك ناساً يؤمنون بأنّ هذا الفاضل يستطيع أن يكون كلّ شيء ولكنه لا يكون شاعراً مجيداً الاّ اذا تغير فهمُه للشعر وعرف أن الشعر فنّ وروحٌ ، ولا يكفي ان يكون كلاماً محبوساً في قواف وأوزان » ، وانما يكون ذلك منا مراعاة للواجبات الصحفية الملائمة لا أكثر ولا أقلّ ، لان بين هؤلاء الناس أنفسهم من يرى أنّ صديقنا الفاضل الدكتور زكي مبارك » يصلح أن يكون كل شيء ولكنه لا يُرْجىَ ان يكون ناقداً أديباً في أيّ وقت ، ويتمنون لو تسامى (البلاغ) عن كتاباته » . ونظنّ ان صديقنا الفاضل لا يرضيه كما يرضينا تطبيق أحكام هؤلاء الناس عليه ، ونحنُ من باب أوْلىَ لا نأبه لاحكامهم ولا يعوزنا تفهّم الشعر الصحيح وتذوّق خصائصه من بيانهم ، فالادعياء والهدّامون والمغرورون في كل بلد كثيرون ، وإن كانت وفرتهم غالبةً لسوء الحظ في وطننا الشقيّ بأمثالهم — المحرر)



جمعية أبولو

كان لتأليف هذه الجمعية الادبية رنّة فرح فى قلوب الشعراء ومحبّى الشعر لا تقل عن ابتهاجهم بصدور هذه المجلة ، وذلك بالنظر الى مبادىء الجمعية المتسامية وأغراضها العلمية لرفع مستوى الشعر وصيانة كرامة الشعراء وانصاف النابهين المغمورين منهم. وقد أمطرنا البريد رسائل عديدة بين تقدير وتهنئة من مصر وجيرتها من الاقطار العربية نكتفى بالاشارة اليها مع الثناء على فضل أصحابها ، كما نثنى على صحافتنا الغيورة التى احسنت استقبال هذه الزميلة الجديدة بمحبة خالصة .

ويتألف مجلس ادارة الجمعية من حضرات : احمد شوقى بك (رئيساً) ، وخليل مطران بك وأحمد محرم (نائبىْ رئيس) ، وأحمد زكى أبو شادى (سكرتيراً) ، ومن حضرات الاعضاء الآتية اسماؤهم : الدكتور ابراهيم ناجى والدكتور على العنانى وكامل كيلانى ومحمود عماد ومحمود صادق وأحمد الشايب وسيد ابراهيم وعلى محمود طه ومحمود أبو الوفا وحسن القاياتى وحسن كامل الصيرفى .

وتتألف اللجنة التنفيذية من حضرات : أحمد شوقى بك والدكتور على العنانى والدكتور ابراهيم ناجى وسيد ابراهيم واحمد زكى أبوشادى .

***

ومجلس الادارة مدعوّ للاجتماع بكرمة ابن هانى بشارع مبرح بن شهاب بالجيزة عند الساعة الخامسة بعد ظهر يوم الاثنين ١٠ أكتوبر سنة ١٩٣٢ للنظر فيما يهم الجمعية من الاعمال المعجّلة وسيسبق الاجتماع تناول الشاى بدعوة من رئيس الجمعية .

ولما كانت هذه أول جلسة عملية للمجلس بعد تأليف الجمعية فالسكرتارية ترحّب بأى اقتراحات مفيدة يرى حضرات الاعضاء تقديمها منذ الآن لينظر فيها المجلس عند اجتماعه ، كما تحثّ جميع حضرات الاعضاء على حضور الجلسة . وستؤخذ صورة فوتوغرافية تذكاراً لهذا الاجتماع الاول الذى يهمنا أن لا يتخلّف عنه أحدٌ من حضراتهم .



محمد حافظ ابراهيم

﴿ ما له وما عليه ﴾

لا أستطيع أن أقول إن حافظاً كان المثل الأعلى للشاعر العصرى ، فانها مجاملة كان يأباها حافظ المخلص للحقيقة والأدب . وليس لناقدٍ مثلى أن ينظم قصيدة فى مدحه ، وإن كان فى قدرتى أن انصفه وأن أسجل له فضائله الحقيقية ، وهى وحدها أبلغ وأجدى من تخيل صفات شعرية بعيدة عنه كل البعد .

لقد كان مثال الشاعر النابغة وإن لم يكن مثال الشاعر العبقرى ، وكان واسع الحفظ وإن لم يكن واسع الاطلاع ، وكان مثال الأديب المتَّزن البارع وإن لم يكن مثال الأديب المثقَّف العميق ، وكان مع ذلك مثال اللغوى الخبير بأسرار اللغة ودقائقها ، وكان متواضعاً بعيداً عن الزهو والخيلاء كما كان عفّ اللفظ سمح الخلق عذب الحديث.

إننا لنجد فى مزايا حافظ ما يكفى للاشادة بفضله من غير أن نغالى أو نسرف أو نتجنَّى على الحقيقة التى نحرص عليها جهدنا .

فقد كان ـ يرحمه الله ـ دولةً من الظرف، وعالماً حافلا من الأنس ، وجعبة أخبار وطُرف ممتازة ، وديوان شعر مختار، وخزانة أدب حافلة متنقلة تقرأ فيها نخبة من أبدع ما خلَّفه العرب . وكان رائع الانشاد ، حسن الأداء ، متخير اللفظ ، موسيقى النظم. وكان الى هذه المزايا الباهرة نفَّاعاً لاصدقائه ، كما كان ملاذاً للأدباء الناشئين ومشجعاً لهم على السير فى طريق النهوض والنجاح . وإنّ العبرة السامية التى نستخلصها من حياة حافظ هى فضل التعاون فقد قامت عليه حياته ومجده ، ولو تمثلنا الشيخ محمد عبده مغفلاً شأن حافظ وخاذله لما كان لحافظ شأن يذكر ، كما أننا لو تمثلنا أن أبا تمام خذل البحترى ولم يقدّمه الى بلاط الخليفة لكان شأن البحترى كشأن ابن الرومى معاصره ؟

كامل كيلانى

تكريم حافظ فى بور سعيد

ننشر فى هـذا العدد الصورة التاريخية لحفلة تكريم فقيد العروبة والأدب المرحوم محمد حافظ ابراهيم بك فى بور سعيد سنة ١٩٢٦ ، وهى التى أشار اليها صديقنا حسن صالح الجداوى فى مقاله الممتع بالعدد الماضى من هـذه المجلة . ومما يحضرنا عن هذه الحفلة أن الشاعر الظريف الرشيق عبد الله بكرى ألقى كعادته قصيدة فكاهية الروح استهلها بقوله :

دَعْنِى من الجِدِّ ، دَعْنِى فبَابُهُ لم يَسَعْنِى !

فقاطعه المرحوم حافظ بك مداعباً بقوله :

« يعنى يا أخى مِنْ تخانة جسمك ؟ ! »

ولكنَّ الشاعر الذى قدَّر بسليقته هذا الاعتراضَ لم يمهله ، فقال متابعاً :

لا مِنْ تخانةِ جسمى فذاكَ ما لستُ أَعْنِى !

فضحك المرحوم حافظ بك وطرب لهذا البيت ، ولكنَّ الشاعر المجيد الخفيف الروح كان أسبق الى تقدير خاطره فأتبع ذلك بقوله .

أراكَ تضحكُ ، لكنْ اضحكْ على غيرِ ذقنى !

فماج الحاضرون بالطرب وأغرق فى الضحك المرحوم حافظ بك ابراهيم . والقصيدة كلها على هذا المنوال الظريف ، ولذلك تأسفنا كثيراً عند ما علمنا أن صاحبها افتقدها ، ولعلَّه يُوَفَّق الى العثور عليها فيطيب لنا حينئذ نشرها كاملةً .





صورة تذكارية لحفلة تكريم شاعر مصر الكبير محمد حافظ بك ابراهيم في كازينو بورسعيد
يوم ٢٧ يوليو سنة ١٩٢٦



الفن الشهيد

الذكرى التاسعة للمرحوم الشيخ سيد درويش — ١٥ سبتمبر سنة ١٩٣٢

ذكرى تجلُّ على مدَى الأعوامِ كالفنِّ فى ملكوتهِ المترامى
طُبِعَتْ مآثرُها بأحلامِ النُّهَى وزهَتْ على الأشعارِ والانغامِ
مِنْ أىِّ نبعٍ أو بأيَّةِ آيةٍ لسواه يُحْمَدُ ذلك المتسامى ؟
الميِّتُ الحىُّ الذى مِنْ وَحْيِهِ لُغَةُ القلوبِ ونشوةُ الأحلامِ
(السيِّدُ) الفَرْدُ الصَّناعُ بنفسِه والخالقُ المعصومُ من إبهامِ
الضاحكُ الباكى بكلِّ يتيمةٍ وُلِدَتْ من الاتراحِ والآلامِ
خلدتْ وإنْ أفنتْ أُبُوَّتَها كما يُفْنِى الضياءُ مسارحَ الإظلامِ
مصريَّةُ النفَحاتِ الاَّ أنَّها كالنفسِ أخلدُ من لُغًى وكلامِ
وطَنُ البلابلِ والأزاهرِ زفَّه للفنِّ بين كواكبِ الأعلامِ
المحسنين الى الحياةِ بروحِهِمْ كالانبياءِ تقدَّسوا عن ذامِ
الفَنُّ طَهَّرَهُم كما قد طهَّروا صُوَرَ الوجودِ بنغمةٍ وسَلامِ
ولو انَّ منهم مَنْ تَذَوَّقَ عُمْرَهُ سُوءَ الجزاءِ مرارةَ الظُّلاَّمِ
الهادمين العبقريةَ حينما لا يهدمون مصائبَ الأيَّامِ
دُنيا أعاجيبٍ يحار لها الحِجَى وتَغيبُ حكمتُها عن الأَحلامِ
حتى كأنَّ العيشَ ليس سِوَى الرَّدَى وكأنَّ هذا الموتَ عُمْرُ دَوامِ !

* * *

اليومُ يومُكَ يا شهيدَ غرامِ يا بائعَ الإبداعِ بالاسقامِ
يا واحداً فى روضِ مصر تطلعتْ شتى الرياضِ له وللالهامِ
أوحيتَ ذكركَ لى ولَحْنُكَ مالئٌ لُبى ورقصُ الفاتناتِ أمامى
العارضاتِ جمالَهنَّ قصائداً للحُبِّ فى صدٍّ وفى استسلامِ



سيد درويش

صورة فريدة لنابغة الموسيقى مهداة الى مجلة (أپولو) من ولده ، وهى غير الصورة الباسمة المشهورة التى أشار اليها الشاعر فى قصيدته

والنابضاتِ بكلّ ألحانِ الرّضَى والحظ بين تهافُت اللُّوّام
هـذى النماذجُ مِنْ جمالِ سامِ شِعْرُ الحياةِ ووقعُها ما أبدعَتْ
لكَ فى عواطفِ وجهِكَ البسّامِ ما كُنَّ أجملَ لى من الرسمِ الذى
خذلتْه بين مَظاهر الإنعامِ الساخرِ الهازِى مِن الدنيا التى
جَمُّ الغِنَى عن دَهْرِهِ المتسامِى حتى انتهى ومَضَى بحسرةِ يائسٍ
والآنَ كُلٌّ فى التحسُّرِ ظامِى والناسُ فى جهلٍ بآيةِ فنِّه
أنتَ الغَنِىُّ عن البكاء الهامِى ويُرتّلون لكَ الرثاءَ ولم تزلْ
وتَعُودُ تبكيها بقلبٍ دامِى ! ما أصْغَرَ الدنيا التى تُفْنِى العُلَى

احمد زكى أبوشادى



الاتقان والتصويب

نشكر لحضرات الأدباء تنبيههم إيّانا الى ما قد يفوتنا سهواً أو تقصيراً من أخطاء نظراً لقلة المعاونة الميسورة لنا فى الوقت الحاضر ، لأنه يهمنا إخراج المجلة على أحسن ما يستطاع من الدقة والضبط خصوصاً ونحن نُعنَى بنشرها فى البيئات المدرسية ، ولذلك نغتبط لتلقّى ما يتفضلون به علينا من نقدٍ وملاحظة. مثال ذلك البيت الثالث عشر من قصيدة « المساء فى الصحراء » (ص٣٩) الذى لحظنا تحريفه عند المراجعة فصوابه هكذا :

وقد وقف الجمّالُ كالجملِ الذى أطلَّ عليها فى خُشوعٍ مكينِ

وهذه المجلة مفتوحة الأبواب لكل نابه ، وتعمل على تقدير كل مبدع ، وعلى اظهار كل شاعر مجيد مغمور ، ولكنها لا تستطيع أن تذيع طبعات جديدة من الشعر القديم وإن تساهلت بالنسبة للنماذج الأولى من أعلام شعرائنا . وقد غمرنا البريد بالكثير من هذا الضرب من النظم ، وبودنا لو استطاع حضرات الشعراء توجيه مجهودهم هذا الى النواحى التجديدية التى يفتقر اليها الشعر العربى سواء فى الصياغة أو فى المواضيع الانسانية ، أو فى الروح الفنية العالية ، وما أفقرنا الى ضروب الشعر الوصفى والشعر القصصى والشعر التمثيلى بصفة خاصة ، والى التخلى بقدر الامكان عن القافية الواحدة ، والى العزوف عن شعر المناسبات الوقتية الى دراسة الحياة والتفاعل الصادق معها ، مع التعبير عن عصرنا عن طريق التعبير الخالص عن نفوسنا فى غير ماتصنع ولا تكلف . وهذه هى رسالة (أبولو) الاصلاحية واليها تتجه هذه المجلة تدريجياً ، وبغيرها لا يكون لاصدارها قيمة . ونرجو أن يسايرنا فى ذلك كل غيور على نهضة الشعر العربى واحلاله المكانة العالمية اللائقة به والتى اخترنا اسم هذه المجلة مطاوعة لتخيلها واستلهاماً لوحيها .

***

الأدب الخالد

بقلم صديق شيبوب

المحرر الأدبى لجريدة « البصير » بالاسكندرية

ما أكثر الادباء إذا عددتهم وما أقل من يبقى منهم إذا تخيرتهم ، وما أكثر ما تنتجه العقول والاقلام وما أقل ما يتبقى منه على توالى العصور والاعوام . انظر هذا السيل المتدفق الذى يقذف به الادباء فى كل اللغات . ترى ما الذى يبتلعه منه محيط الزمان العظيم فيغرقه فيما يغرق ، وما الذى يظل منه طافياً فوق امواجه الهائلة ، قائماً كالصخرة رسوخاً أو كالمنارة المضيئة هداية للاجيال المقبلة الى سواء السبيل .

ليس بين الفنون الجميلة فن أوسع باباً من الأدب يلجه كل من خط سطراً وعرف كيف يدير القلم بين انامله ، وكل من تمخض ذهنه فولد فكراً مهما كان هزيلاً وعرف كيف يعبر عنه . ولكم أريق من مداد على القرطاس ، وكم شحذ الفكر ، وكم انتج العقل ، ولم يلبث الزمان أن فعل فعلته فى هذا كله فمحا المعالم وطمس



صديق شيبوب

الرسوم ، ولم ينج منه الا الصالح القوىّ الذى قدر أن يقاوم عواصف الاجيال والقرون . ومن الادباء من كان فى عصره جهبذاً نحريراً ينسج على غراره ويهتدى بنبراسه فصار اليوم نسياً منسياً . ومنهم من عاش نكرة لايعرفه غير القليل من اصدقائه ومات مغمور الفضل وقد صار اليوم علماً من اعلام الأدب تتداول الالسنة اسمه وتحفظ العقول آثاره .

واذا نظرنا الى ما وصل الينا من منتجات العقل فى الأدب وجدناها كلها أو اغلبها مما تمثل الانسانية تمثيلاً صحيحاً فى عواطفها وشعورها أو ممايعبر عن الانسانية تعبيراً صادقاً . فكم تغزل المتغزلون ، وكم رثى الراثون ، و كم قصّ القصّاصون ، و كم تحدث المتحدثون ، فلم يخلد منهم الا من كان صادق الشعور صحيح العاطفة حسن التمثيل ولم يخلد منهم الاالذين عبروا عما تختلج به قلوب الناس وتعتلج به نفوسهم. ولطالما استوقفتنا ابيات من الشعر أو قطع من النثر أو قصة مستطردة لرواية تمثيلية فقلنا : لحى الله هذا الكاتب الكبير كأنه يعبّر عن نفوسنا ويتحدّث عما فى اذهاننا ويمثل طبائعنا من فضائل ونقائص .

وهذا الصدق فى التعبير والامانة فى التصوير معيار صادق للأدب الخالد . فالانسانية واحدة فى كل اجيالها واطوارها . هى واحدة فى عواطفها وشعورها ، فى فضائلها ونقائصها ، فى خيرها وشرها ، فى شريف ماتسمو اليه وسافل ماتصدف عنه . والكاتب الخالد هو من عرف هذا كله واجاد تصويره ، فكأنه فيما ينظم أو ينثر لا يعبر عن شعوره وحده ، ولا يصور احداً من الناس بل يعبر عن شعور الانسانية ويصور فى شخص واحد الانسان بجملته .

وهل لنا أن نضرب الامثلة على هذا الذى نقول ، هذا أدبنا العربى : لقد خلد امرؤ القيس وطرفة بن العبد حتى بلغ الينا شعرهما ، وانما اشتهر الواحد منهما بقصيدة أو قصيدتين عالج فيها آمال الشباب وروى احاديثه ، فاذا هما يصوران حياة الشباب ونزقه . ولقد عاصرهما شعراء كثيرون ، وكان فى عصرهما من يفضل هؤلاء عليهما ولكن الانسانية على توالى عصورها عرفت كيف تنصفهما . ومن اليوم يذكر علقمة الفحل مثلاً وكان معاصراً لامرىء القيس ينازعه الشعر حتى وجد من فضله عليه ؟ أما اليوم فعلقمة الفحل يكاد يكون نكرة ، وأما امرؤ القيس فهو صاحب المكانة العليا فى الشعر العربى .

وابو الطيب المتنبي — ومن فى البلاد العربية يجهل اسم ابا الطيب ولا يروى شيئاً من شعره — فما سر ذيوع شهرته وسيرورة شعره على الالسنة ؟ أليس لانه لاتكاد تجد حالة نفسية ، ولا تكاد تشعر بحزن أو ألم أو حبور إلا تبادر الى ذهنك أو جرى على لسانك بيت لأبى الطيب فيما تشعر به ؟ واذا تصفح الأديب ديوان المتنبي خرج بمائة بيت ونيف تمثلت فيها عواطف الانسانية فى صدق شعور وحسن تصوير وجميل اداء ، ناهيك عن قصائده العظيمة المحبوكة روائع وبدائع .

وكم من الشعراء عاصروا أبا الطيب وكم جاء منهم بعده : كان بعض معاصريه ينكرون عليه شاعريته وكان لهم أتباع وأشياع اكثرمما كان له ، وكانوا ينازعونه ذيوع الصيت ورسوخ القدم ، امثال ابى فراس الحمدانى وغير ابى فراس . وقد قام بعده شعراء كثيرون كصفى الدين الحلى والشاب الظريف وابن معتوق . فمن يذكر اليوم هؤلاء جميعاً الا اذا ذكرنا تاريخ الأدب وتناول الباحثون تسلسل الشعراء ؟ ولقد كان الفارض إمام عصره وظل شعره يدرس فى الكتاتيب الى سنين مضت ولكنه لم يقو على صدمات الزمان وهو اليوم لولا تصوفه وما نظم فيه لانكر عليه بعضهم مكانته فى الشعر !

* * *

هـذه أمثلة من الأدب العربى قليلة لأن الادب العربى ضيق المجال لم يتناول غير الشعر من فنون الادب . فاذا ألقينا نظرة على الادب الغربى وجدنا الشواهد جمة . لنأخذ فن القصص مثلاً ، وموضوع القصة فى أغلب الاحيان غرامى يقوم على علاقة حبية بين رجل وامرأة . وقد وُضع من القصص الى يومنا هذا ما لا يُحصى عدده . فما هى تلك التى خلدت الى يومنا والتى اذا طالعناها مرة شعرنا بحاجة الى اعادة مطالعتها ؟ انها ولا شك تلك التى تصف العلاقات القائمة بين الرجل والمرأة على التعميم لا بين رجل وامرأة على التخصيص ، وهى التى تصف عواطف الرجل والمرأة لا عواطف رجل وامرأة . والعلاقات بين الرجل والمرأة والعواطف التى تولدها هذه العلاقات هى تاريخ الانسانية فى الصميم من حياتها ومشاعرها . لذلك خلدت قصص على قدم العهد بها مثل « دفنس وخلوه » وزال ذكر قصص أخرى على حداثة العهد بها، وهذه عديدة لا سبيل الى احصائها . أجل ، لقد ابتلع النسيان الهائل أكثر القصص التى عاشت كما تعيش الأزهار ، صباح يوم ، ثم ذبلت ، وزال منها كل أريج عطر . وهناك قصص لم يقدرها ابناء الجيل التى ظهرت فيه حقَّ قدرها ثم انصفتها الاجيال التى أتت بعدها فجعلتها بين خير ما ولدت العقول البشرية . ومن هذه رواية «فيدر» التمثيلية للشاعر الفرنسى « راسين » فقد سقطت فى القرن السابع عشر سقوطاً رائعاً ، ثم ما لبثت ان تبوَّأت المكان اللائق بها بين بدائع الفن الخالدة لانها تمثل حب المرأة تمثيلا عنيفاً حقيقياً فى صدق عاطفة وشدة وَلَهٍ وحنان .

فالشاعر الخالد ، والقصصى الخالد ، والكاتب الخالد هو اذن من ينظم ويؤلف ويكتب للانسانية جمعاء على اختلاف عصورها وتباين ازمانها ، لا من يكتب لعصر معين وبيئة خاصة ؟

صدبق شيبوب





السيد محمد توفيق البكرى

كأديب وشاعر

منذ عدة سنوات تجول بخاطرى رغبة شديدة فى الكتابة عن السيد محمد توفيق البكرى ، غير أن شواغل الصحافة وطريقتها الكتابية فى انتهاز المناسبات ، ومسايرتها لحوادث الأيام ، وتناولها كل ما يعلق باذهان الجمهور ، وما يدور فى خلده سواء أكان جداً أم هزلا ، مهماً أم تافهاً — كل ذلك شغلنى كثيراً عن كتابة شيء عن هذا الأديب الكبير الذى ابتسم له الدهر حيناً ثم قلب له ظهر المجنّ ، وأزجى اليه من اوهام النفس ، واضطراب الحسّ ما شقى به عهداً طويلاً ، وحرم دولة الأدب العربى خدماته ، ومحا اسمه من سجل الأدباء الأحياء قبل وفاته بعشرين عاماً .

وقد كنت راغباً شديد الرغبة فى الكتابة عن هذا الأديب ، لأن كثيرين يجهلونه ، ولان بعضهم ما يمسك بكتابه « صهاريج اللؤلؤ » ويتصفح فيه سطراً أو سطرين حتى يدعه جانباً ، ويتمثله كالحريرى فى اسلوبه وإغرابه . وللحريرى فى مقاماته شهرة بهذا الاغراب ، جعلت هذه المقامات — وا أسفاه — كمّاً مهملاً ، وأثراً مطموساً لا تستبينه العيون ، وليس لها فى النظر اليه نصيب .

وإنى لأذكر ان استاذاً لى كنت أتلقى عليه فن الانشاء ، رأى معى يوماً هذه المقامات ، فاختطفها من يدى وكاد يقذفنى بها انتقاماً منى لقراءة هذه المقامات ، وجعل يوبخنى وينهانى عن تصفح مثل هذه الاسجاع الغريبة والالفاظ الضخمة ، كأنه خشى أن انسج على هذا المنوال ، وانهج هذا النهج فى زمن يرتاح الى السهولة وينفر من الصعوبة ، ويطمئن الى رفاهية العيش ، وينفرّ من خشونته .

وما كان هذا الاستاذ ليصرفنى عن اسلوب الحريرى وامثاله لولا أننا فى زمن غير زمانهم ، وفى بيئة غير بيئاتهم ، ولكل زمان اسلوبه ، ولكل بيئة ذوق تستسيغ النسج على مثاله .

وما كان الحريرى وامثاله كالهمذانى الا فى زمن استساغ هذا الاسلوب ، أو قبله على الاقل ، ولم يرفيه مايراه أهل العصر الحاضر من الركاكة والتنافر والتنكب عن الذوق السليم .

وكذلك كان السيد محمد توفيق البكرى فى كتاباته النثرية وفى مؤلفه « صهاريج اللؤلؤ » على الاخص . فقد كان فى زمن يقبل هذا الاسلوب المسجّع وكان قرناؤه ينهجون هذا المنهج حتى الذين اشتهروا منهم بالزعامة الأدبية والعلمية والخطابية كمحمود سامى باشا البارودى الشاعر الفحل ، والاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، والزعيم الأكبر سعد زغلول باشا . واليك بعضاً من كتاباتهم فى هذا العهد الذى كان يجمعهم جميعاً ، والذى بدأوا فيه النهضة الادبية التى نجنى ثمارها فى هذه الايام .

قال المرحوم محمود سامى باشا البارودى فى مقدمة ديوانه : « اللهم انى احمدك على ماهديت ، واشكرك على جزيل ما أسديتَ ، واستعينك على رعاية ما اسبغتَ من النعم ، واستهديك لشكر ما اثبت من الدّعم ، واعوذ بك من عثرات اللسان ، وغفلات الجنان ، كما اعوذ بك من غدرات الزمان ، وبغتات الحدثان ... » الخ .

وكتب الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فيما كتب وهو مجاور بالازهر تحت عنوان « الكتابة والقلم » :

« ان مما انبسطت به ايدى الضرورات ، وانتجته مقدمات الحاجات ، انشاء لسان القلم ، نائباً عن المتكلم فيما يتكلم » ...

وقال المرحوم سعد باشا زغلول فى كتاب ارسله الى الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده :

« تفضل أدام الله فضله على خريج حكمه ، الناشىء فى نعمه ، بكتاب هو المحكم آياته ، المعجز دلالاته ، الشافى لما فى الصدور ، الكاشف لحقائق الأمور ، الهادى الى سبيل الرشد والى صراط مستقيم ، فسر لمرآه ، سرور المريض بالشفاء وافاه ،

وتلاه متدبراً دقيقَ معناه ، مكرراً رقيق مبناه ، فازداد ايماناً بفضل مولاه ، ويقيناً بحكمة من أوحاه ، وشكراً لله على صحة من أهداه ، دامت نامية وارفة الظلال » . . .

وبديهى أن المغفور له سعد باشا زغلول لو كان قد استمر على هـذا الاسلوب الى وقتنا هذا لما لقى من يعجب ببيانه ، ولما جذب اليه المثقفين وعامة الجمهور .

على أن السيد محمد توفيق البكرى أوغل فى هـذا الاسلوب ، وتعمق فيه كثيراً وساعده فى ذلك ثروته اللغوية ، وحفزه اليه فى كتاب « صهاريج اللؤلؤ » حبُّه ان يضمن سطورَه نُخباً من الحكم ، وأقاويل من جوامع الكلم ، وأمثولات فى المواعظ والاعتبار ، وألفاظاً مهجورة فى هذا الاوان . قال فى مقدمته :

« .. وقد التزمتُ فى اكثر عبارتها فصح الحجاج ، ولسان رؤبة بن العجاج ، وأنا اعلم ان من الادباء من ينفر من الغريب ، ولا ينفر من الدخيل ، لاستيلاء العجمة على هذا الجيل ، فلم يثننى ذلك عن ان اودع كلام الاعراب بهذا الكتاب ، واحذو فيه فى اثر تلك الرفاق ، بما فى هذه الاوراق :

اين امرؤ القيس والعذارى إذْ مال من تحته الغبيطُ
استنبط العرب فى الموامى بعدك واستعرب النبيط »

إذن لم يكن ليكتب السيد البكرى هذه الصهاريج بهذا الاسلوب الا لتلك الغاية التى رمى اليها من أن يحيي اسلوب فصحاء العرب ، ويعيد ما درس استعماله من الفاظهم العربية المهجورة . وهذه غاية شريفة ، ولا شك ، ولكن هل أحسن السيد فى ما ذهب اليه ؟

ان من يطلع على هـذه الصهاريج يشهد بان مؤلفها غنى المادة ، قوى الحافظة تؤاتيه الالفاظ الغريبة كما تطاوعه الالفاظ السهلة ، ولكن سجعاتها تختلف بين القوة والضعف ، فهو يجيد حيناً ، ويتكلف حيناً آخر ، وهو يسمو الى المعانى البليغة ، وينزل منها الى التافهة . وربما ضاعت المعانى البليغة فى السجعات الركيكة أو الالفاظ الحوشيّة . ولكن يمكننا أن نقول إنه سجّاعٌ من الدرجة الاولى وكاتب من الدرجة الثانية .

وقد تخلل هذه الصهاريج شعر هو فصل الخطاب فى قيمة هـذا الرجل من الادب العربى . فكل من يقرأ هذا الشعر تأخذه تلك الفصاحة وهذه السلاسة

اللتان امتاز بهما السيد فى شعره عنه فى نثره ، وكان جديراً بان يكون فى الطليعة من شعراء العصر الحاضر .

ويمكنك أن تفهم الفارق بين شعره ونثره فيما كتبه وفيما نظمه فى وصف سفينة تشق عباب البحر . فقد قال فى كلمة نثرية :

« . . واخذت السفينة تشق اليمّ شق الجلم ، فى ريح رخاء ، وزعزع ونكباء . فهى تارة فى طريق معبد ، وميث مطرد ، وطوراً فوق حزن وقردد ، وصرح ممرد ، فبينما هى تنساب كالحباب اذا هى تلحق بالرباب ، وتحلق كالعقاب ، فتحسبها تارة تحت القتام جبلاً تقشع عنه الغمام ، وتخالها مرة عائماً على شفا ، قد غاب الا هامة أو كتفا ، والبحر آونة كالزجاج الندى أو السيف الصدى ، يلوح كالصفيحة المدحوّة ، أو المرآة المجلوّة ، وحيناً يغرب زخاره ، ويموج مواره ، فكأنما سيرت الجبال ، وكأنما ترى قباباً فوق افيال ، وكأنما قبوراً فى اليم تحفر ، وألوية عليه تنشر ، وكأن العِدَّ (البحر) يمخض عن زبد ، وكأن الدوىّ من جرجرة الآذى زئير الأسد ، وهزيم الرعد » .

هذا ما كتبه نثراً فى وصف السفينة والبحر ، واقرأه بعد ذلك شعراً فلا شك انك واجد بينهما فارقاً عظيماً ، قال :

أجدّك هل تدرى وقد سرتُ والدجى
يخال على الآفاق درعاً مسرّدا

أخوض عباباً فوق فلكٍ تظنها
على سروات اليمّ قصراً مشيّدا

تهادى به مثل العقاب وتارة
ترقى من الامواج صرحاً ممرّدا

وترزم حيناً فيه حتى كأنها
تجوز على العلات حزناً وقرددا

خضارة مرآة السماء فلم تزل
ترى وجهها فيه وإنْ بعد المدى

فان أشرقتْ فيه الغزالةُ خلتها
كعين بجوف البحر تقذف عسجدا

وان لاح تحت الماء بدر رأيته
كماويّة يعلو على متنها صدى

وربّما خلت النجوم عشية
لآلىء فى قاعيه مثنى وموحدا

هنا فارق عظيم حقاً بين شعره ونثره كما فى غير هذا الموضوع مما نظمه ونثره ،

حتى اننا نستطيع أن نقول إن السيد توفيق البكرى شاعر من شعراء الطبقة الاولى على قلة ما نظمه ، ولو كان الزمان قـد ابتسم له كما ابتسم لغيره أو لو أنه امهله حتى يتم خدماته للأدب لاخرج ثروة شعرية يقدرها كل لديب ويعجب بها كل قارىء . واننا لنتمثل فى هـذا الصدد بتلك الابيات التى قالها :

وفى وسعةِ المرء نيلُ العلا وقد يمنع المرءَ ما يمنـعُ
صغيرٌ من الامر يلهيه عن بلوغ العظائم أو يقطعُ
كعين تحيط بهذا الوجو د جميعاً ويحجبها اصبعُ !

وللسيد توفيق شذرات شعرية تحوى حكماً بالغة ، منها :

الناس يخشون من جاه المليك وما لديه لولاهم فى ملـكهِ جاهُ
كصانع صنماً يوماً على يده وبعد ذلك يرجوه ويخشاهُ !

ومنها :

لا تعجبوا للظلم يغشى أمـةً فتنـوء منـه بفادح الاثقالِ
ظلمُ الرعيـةِ كالعقابِ لجهلها ألمُ المـريض عقوبةُ الاهمالِ

طاهر الطناحى





انشودة مختارة من أناشيد الشاعر الألمانى

هينرش هينا

تعريب الدكتور على العنانى

لستُ أدرى علامَ هذا يدلّ ،
اننى هكذا حزين ؟
أسطورةٌ من قديم الزمان تطل ،
وصداها فى الفؤادِ كمين.

* * *

هواء بارد والجوُّ جون ، (١)
والرينُ يجرى فى هدوء وصفاء ،
وعلى قمة الراسى شعّ لونٌ
أُرْجُوانىٌّ من حافة السماء .

* * *

تلك أم حسناء جالسة ،
تُبدى الجمال وترنو من علٍ .
أساورها من النُّضار لامعة ،
وشعرها ذهبي مُرسَلٌ.

* * *

تمشطه بمشطٍ من الذهب ،
وهى تغنى فى تلك الغضون .
وعجيبٌ ما لهذا الغناء من طربٍ ،
ورقة لحنٍ وصوت حنون .

* * *

وبدا الملاّح فى زورقٍ صغير ،
مروعاً من وقع المستَمع .
لم ينظر أمامه الى الصخر الكبير ،
بل جذبه اليه المرتفع .

* * *

أنى اخال أن الامواج تبتلع
فى النهاية الزورق والملاّح .
وهذا ما يفعل صوتها المصطنع ؛
صوت لورَلَىْ (٢) فى المساء والصباح .

(١) اسود (٢) Lureley فتاة من جن الماء كانت تخرج من الرين وتجلس على قمة جبل لورلى Lurley وتغنى بصوت جيل يذهل السامع وقد ذهب كثير من الملاحين ضحية لهذا الصوت السماوى الجميل.



الشاعر هينا هينزش

مقطوعات منثورة

للشاعر الفيلسوف رابندرانات تاجور

تعريب احمد زكي بدوى

ان عينيك القلقتين الحزينتين تطلبان كُنهي كما يطلب القمرُ أعماقَ البحر .
لقد وضعتُ حياتي قبلةَ عينيك من أدناها الى أقصاها من غير أن أخفي عنك شيئاً ، وهذا ما جعلك تجهلينني .
لو كانت حياتي جوهرةً لكسرتُها مئات القطع وصغتُ منها عقداً يزيّن عنقك ،
لو كانت حياتي زهرة صغيرة جميلة لنزعتها من أصلها وتوّجتُ بها شعرك ،
ولكن حياتي قلبٌ ياحبيبتي ليس له شواطىء ولا أعماق !
انك تجهلين حدود هذه المملكة مادمت ملكتها !

لو كانت حياتي لحظةَ سرورٍ لتحولتْ الى ابتسامة لطيفة يمكنك ادراكها في لحظة .

لو كانت حياتي ألماً لانقلب الى دموع رائقة تجلي سرها العظيم بلا كلمة ،



رابندرانات تاجور

ولكنها حبٌّ ياحبيبتي .

مسرّاتها وآلامها لا تُحدُّ ، وحاجاتها وثروتها لاتنتهي . انهاقريبة منك كحياتك ولكنك لا تستطيعين ادراكَ كنهها .

***

قال : « حبيبتي ! ارفعي عينيك ! »

نهرتُه بشدة وقلت : « ابتعد ! » فلم يتحرك .

وقف أمامي وقبض على كلتا يديَّ فقلت « اتركني ! » فلم يذهب .

مال بوجهه نحو اذني ، فنظرت اليه صائحة « ألا تخجل؟ ! » فلم يتحول .

قبّلَتْ شفتاه خدي ، فارتعشتُ قائلة : « لقد تماديت كثيراً ! » فلم يخجل .



احمد زكي بدوي

وضع زهرةً بشعرى فقلت : « لا فائدة ! » فوقف ساكناً .
أخذ اكليل الزهر من عنقى وذهب . فأخذتُ ابكى وأسأل قلبي : « لِمَ لا يعود الىّ ثانية ؟ ! »

* * *

حبيبتى ، أهواكـ ! اصفحى عن حبي !
أنا كطائر ضلّ طريقه فوقع فى الشركـ !
عند ما اهتز قلبي فقَدَ قناعه واصبح عارياً. دثّريه بشفقتك ياحبيبتى واصفحى عن حبي !
حبيبتى ! اذا لم تستطيعى محبتى فاصفحى عن ألمى !
لا تنظرى الىّ شزراً عن بعد .
سأعود الى مأواى وأجلس فى الظلام ،
وسأخفى خجلى المكشوف بكلتا يدىّ .
حبيبتى ! أشيحى وجهك عنى ، واصفحى عن ألمى !
حبيبتى ! اذا كنت تحبينني فاصفحى عن سرورى !

اذا خفق قلبي من فرط السعادة فـلا تضحكى من هجرى الشاق .
عند ما أجلس على عرشى وأحكمك بقســوة الحب ،
وعندما تكونين كالهــة ، امنحك نعمتى واحملك بكبريائى فاصفحى عن سرورى .

* * *

أتناول يدها واضغطها على صدرى
فأحاول ملء ذراعى بجمالها وإمطار ضحـكتها العذبة
بوابل من القبلات وارتشاف لمحاتها الفاتنة بعينى .
آه ! ولـكن أين ذلك ؟ من ذا الذى يستطيع فصلَ الزرقة عن السحاب ؟ !
أحاول امتلاك الجمال ، فيتملص منى ، تاركاً الجسم بين يدىّ لاغير
فأرجع مخدوعاً تعباً .
كيف للجسم أن يلمس الزهرة التى لا تمسّها إلا الروح ؟!

الوقت

قالتْ الطيرُ : « لقد حلّ الشـتاءْ واستبدّ البردُ ، وازداد الصـقيعْ
فوداعاً أيهــــا الغصن وداعاً سـوف ألقاكَ إذا جاء الربيـعْ

* * *

قالتْ الاوراقُ للغصن : « وداعاً أيها الغصنُ ، فقل حـلّ الشتاءْ
سوف ألقاك اذا ما الطـيرُ عادت فى الربيع الطلقِ تشـدو بالغناءْ »

* * *

ثم قال الوقتُ للناس : « وداعاً إننى أنفسُ شيء فى الوجـــودْ
ترجع الأوراقُ والطـيرُ جميعـاً وأنا ـ من حيث أمضى ـ لاأعودْ »

(عن الايطالية) كامل كيلانى



ريحانة شوقى على قبر حافظ

قد كنت أوثر أن تقول رثائى ... يا منصف الموتى من الأحياء
لكن سبقت ، وكل طول سلامة ... قدر وكل منية بقضاء
الحق نادى فاستجبت ولم تزل ... بالحق تحفل عند كل نداء
وأتيت صحراء الإمام(١) تذوب من ... طول الحنين لساكن الصحراء
فلقيت فى الدار الإمام(٢) محمداً ... فى زمرة الأبرار والحنفاء
أثر النعيم على كريم جبينه ... ومراشد التفسير والإفتاء
فشكوتما الشوق القديم وذقتما ... طيب التدانى بعد طول تناء
إن كانت الأولى منازل فرقة ... فالسمحة الأخرى ديار لقاء
ووددت لو أنى فداك من الردى ... والكاذبون المرجفون فدائى
الناطقون عن الضغينة والهوى ... والموغرو الموتى على الأحياء
من كل هدام ويبنى مجده ... بكرائم الأنقاض والأشلاء
ما حطموك وإنما بك حطموا ... من ذا يحطم رفرف الجوزاء ؟
أنظر ! فأنت كأمس شأنك باذخ ... فى الشرق ، واسمك أرفع الأسماء
بالأمس قد حليتنى بقصيدة ... غراء تحفظ كاليد البيضاء
غيظ الحسود لها وقمت بشكرها ... وكما علمت مودتى ووفائى
فى محفل بشرت آمالى به ... لما رفعت إلى السماء لوائى

***

(١) المراد بالامام فى البيت الامام الشافعي. (٢) يشير الشاعر الى الاستاذ الامام محمد عبده .

يا مائحَ السُّودانِ شَرْخَ شبابِهِ وَوَلِيَّهُ فى السِّلْمِ والهَيْجَاءِ
لمَّا نَزَلْتَ على خَمائِلِهِ ثوَى نَبْعُ البَيانِ وَرَاءَ نَبْعِ الماءِ
قَلدْتَهُ السَّيْفَ الحُسَامَ وَزِدْتَهُ قَلماً كَصَدْرِ الصَّعْدَةِ السَّمْرَاءِ
قَلَمٌ جَرَى الحِقَبَ الطِّوَالَ فَما جَرَى يَوْماً بِفاحِشَةٍ وَلاَ بِهِجَاءِ
يَكْسُو بِمِدْحَتِهِ الكِرَامَ جَلاَلَةً وَيُشَيِّعُ المَوْتَى بِحُسْنِ ثَنَاءِ

* * *

إسْكَنْدَرِيَّةُ . يا عَرُوسَ المَاءِ وَخَمِيلَةَ الحُكَمَاءِ وَالشُّعَرَاءِ
نَشأَتْ بِشَاطِئِكَ الفُنُونُ جَمِيلَةً وَتَرَعْرَعَتْ بِسَمَائِكِ الزَّهْرَاءِ
جَاءَتْكِ كالطَّيْرِ الكَرِيمِ غَرَائِباً فَجَمَعْتِهَا كالرَّبْوَةِ الغَنَّاءِ
قَدْ جَمَّلُوكِ فَصِرْتِ زَنْبَقَةَ الثَّرَى لِلْوَافِدِينَ وَدُرَّةَ الدَّأْمَاءِ
غَرَسُوا رُبَاكِ عَلى خَمَائِلِ بَابِلٍ وَبَنوا قُصُورَكِ فى سَنَا الحَمْرَاءِ
وَاسْتَحْدَثُوا طُرُقاً مُنَوَّرَةَ الهدى كَسَبِيلِ عِيسَى فى فِجَاجِ المَاءِ
فَخُذِى كأَمْسِ مِنَ الثَّقافَةِ زِينَةً وَتَجَمَّلِى بِشَبَابِكِ النُّجَبَاءِ
وَتَقَلَّدِى لُغَةَ الكِتَابِ فإِنَّها حَجَرُ البِنَاءِ وَعُدَّةُ الإِنْشَاءِ
بَنَتِ الحَضَارَةَ مَرَّتَيْنِ وَمَهَّدَتْ لِلمُلْكِ فى بَغْدَادَ وَالفَيْحَاءِ (١)
وَسَمَتْ بقُرْطُبَةٍ وَمِصْرَ فَحَلَّتَا بَيْنَ المَمَالِكِ ذِرْوَةَ العَلْيَاءِ
مَاذا حَشَدْتِ مِنَ الدُّمُوعِ «لِحَافظٍ» وَذَخَرْتِ مِنْ حُزْنٍ لَه وَبُكَاءِ ؟
وَوَجَدْتِ مِنْ وَقْعِ البَلاءِ بفَقْدِهِ ؟ إنَّ البَلاَءَ مَصَارِعُ العُظَمَاءِ
اللهُ يَشْهَدُ قَدْ وَفَيْتِ سَخِيَّةً بالدَّمْعِ غَيْرَ بَخِيلَةِ الخُطَبَاءِ
وَأَخَذْتِ قِسْطاً مِنْ مَنَاحَةِ ماجِدٍ جَمِّ المآثِرِ طَيِّبِ الأَنْبَاءِ
هَتَفَ الرُّوَاةُ الحَاضِرُونَ بِشِعْرِهِ وَحَدَا بِهِ البَادُونَ فى البَيْدَاءِ
لُبْنَانُ يَبْكِيهِ وَتبْكِي الضَّادُ مِنْ حَلَبٍ إلى الفَيْحَا إلى صَنْعَاءِ
عَرَبُ الوَفَاءِ وَفَوْا بذِمَّةِ شَاعِرٍ بانِى الصفُوفِ مُؤَلِّفِ الأَجْزَاءِ

(١) الفيحاء : دمشق الشام .

* * *

يا حافظ الفصحى وحارس مجدها ... وإمام من نجلت من البلغاء
مازلت تهتف بالقديم وفضله ... حتى حميت أمانة القدماء
جددت أسلوب (الوليد) ولفظه ... وأتيت للدنيا بسحر (الطائى)
وجريت فى طلب الجديد إلى المدى ... حتى اقترنت بصاحب البؤساء[1]
ماذا وراء الموت من سلوى ومن ... دعة ومن كرم ومن إغضاء؟
إشرح حقائق ما رأيت ولم تزل ... أهلاً لشرح حقائق الأشياء
رتب الشجاعة فى الرجال جلائل ... وأجلهن شجاعة الآراء
كم ضقت ذرعاً بالحياة وكيدها ... وهتفت بالشكوى من الضراء
فهلم فارق يأس نفسك ساعة ... واطلع على الوادى شعاع رجاء
وأشر إلى الدنيا بوجه ضاحك ... خلقت أسرته من السراء
يا طالما ملأ الندى بشاشة ... وهدى إليك حوائج الفقراء
اليوم هادنت الحوادث فاطرح ... عبء السنين وألق عبء الداء
خلفت فى الدنيا بياناً خالداً ... وتركت أجيالاً من الأبناء
وغداً سيذكرك الزمان ولم يزل ... للدهر إنصاف وحسن جزاء

احمد شوقى

* * *

أقيمت لفقيد الادب المرحوم محمد حافظ ابراهيم بك يوم أول سبتمبر حفلة تأبين كبرى فى مدينة الاسكندرية نظمتها (جماعة الادب المصرى) واشتركت فيها (جمعية أبولو) و (رابطة الأدب الجديد) . وقد تليت فيها قصيدة شوقى بك المتقدمة فعن لنا أن نكتب كلمة تعليقاً على قصيدة شوقى بك وملابساتها التى سوف يتساءل عنها أدباء الغد .

كنا فى الاسكندرية لما فجعنا بوفاة صديقنا حافظ ، وكنا اثر ذلك فى زيارة شوقى بك فوجدناه متأثراً غاية التأثر لوفاة الفقيد ، ولم تكن صحة شوقى بك على ما يرام حينئذ فقدمنا اليه عزاءنا وقابلناه بعد يومين فسألناه إذا كانت مرثيته

(١) يشير الى الشاعر الفرنسى فيكتور هوجو .

المرتقبة لحافظ ستنشر نشراً شعبياً أو فى الامكان اختصاص العدد الأول من (أبولو) بها . فقال إنه سيعدُّها لذكرى الأربعين ، وربما كان من الخير أن تكون إذاعتها عامةً . فاكتفينا بهذا الرد منه وقدَّرنا أن الرجل لا يمكن أن يقصر نحو ذكرى زميله العظيم ، وقد كان حينئذ شوقى بك معتلَّ الصحة ويستحق ا كيداً الاشفاق عليه . نقول هذا لمناسبة النقد الشديد الذى وُجِّه اليه فى بعض الصحف لعدم مبادرته الى رثاء حافظ . والواقع أنّ هذا النقد مبنى على اساءة الظن بالرجل ، وليس مبنياً على معرفة حقيقة ظروفه النفسية والصحية فى هذه الآونة . وعندنا أن سبب هذا الظن السيء يرجع فى النهاية الى بطانة شوقى بك فى سالف السنين ، فمثله كأمراء الشرق يُحمد ويُلام بقدر تصرفات بطانته ، سواء شعرنا بذلك أم لم نشعر ، ومن حسن حظ الأدب أن يكون سكرتير شوقى بك فى الوقت الحاضر رجلاً مهذباً محبوباً هو احمد افندى عبد الوهاب الذى يخلق بحسن شمائله جواً من المحبة وحسن التفاهم حول شوقى بك .

قدَّمنا بهذه السطور انصافاً للحقيقة والتاريخ . وبعد ، فنعتبر من حسن التوفيق أن وُجِّهتْ الى شوقى بك تلك الحملة السالفة الذكر كيفما كانت أسبابها لأنها ألهبته سخطاً وجعلتْ أسلوبه قوياً عنيفاً منذ بدايته بهذا البيت الطبيعى الذى أوحتْ به ظروفه :

قد كنتُ أوثر أن تقول رثائى   يا مُنصفَ الموتى من الاحياءِ

وما كان يملك شوقى بك أن يقول سواه فى فورة عواطفه . فكان ميزان قصيدته الخالدة بمعانيها وانسانيتها وبصياغتها وموسيقاها الحزينة .

وفى رأينا أن أوْلَى الشعراء برثاء حافظ وأقدرهم على ذلك اثنان شوقى ومطران ، فان لهما به من العلاقات الشخصية المديدة مايجعل لشعرهما روعةً خاصةً لن يبلغها أى شاعر آخر يقدِّر الفقيد تقديراً ثقافياً فقط .

وأنت إذْ تقرأ قصيدة شوقى تشعر على الفور بأن قوتها ليست مستمدةً من شعوره الوجدانى وإحساسه نتطلع العالم العربى لوفاته فقط ، بل أن دفاعه عن نفسه وثورته لكرامته تشتركان فى املائها ، وهذا ملحوظ فى القسم الاول من القصيدة بصفة خاصة .

وقد وعتْ المرثيةُ الى جانب هذا عَرْضَ حياةِ الفقيد ونوازعِه بأسلوبٍ شائق

جاء آيةً فى السهولة والموسيقية الأخَّاذة حتى أن المعانى القديمة التى تلاقيك لا تقل فى جاذبيتها الجديدة عن أخواتها المستحدثة. ومما طبعَ القصيدةَ بطابعٍ فنى تنقُّل الشاعر من الحسرة الى الوصف الى الخيال الرائع الى الحكمة البالغة فى تسلسلٍ وانسجامٍ لا أثر للتفكك فيه ، وإنما فيه فورة تكاد تكون متواصلةً ، ووراءه ثقةٌ بالنفس تجعله يختار من التعابير ما يسترعى انتباهك واهتمامك مثل خطابه الموَّجه الى الاسكندرية وفيه من جميل التخيُّل وقوة التوجيه ما فيه إذ يقول (غير عابىء بأحكام العروض فى مستهلّ هذا الشعر الموسيقى الجميل) :

اسكندريةُ ياعَرُوسَ الماءِ ... وخميلةَ الحكماءِ والشُّعراءِ
نشأتْ بشاطئك الفنونُ جميلةً ... وترعرعتْ بسمائكِ الزهراء
جاءتك كالطيرِ الكريم غرائباً ... فجمعتِها كالربوةِ الغنَّاء
قد جَمَّلوكِ فصرتِ زِنبَقةَ الترى ... للوافدين ودُرَّةَ الدأماء
غَرَسُوا رُباكِ على خمائل بابلٍ ... وبَنوا قُصورَكِ فى سَنا الحمراء
واستحدثوا طُرُقاً مُنوَّرةَ الهُدى ... كسبيل عيسى فى فجاج الماءِ
ماذا حشدتِ من الدموع لحافظٍ ... وذخرتِ من حُزْنٍ له وبُكاء؟

والملحوظ فى هذه الابيات البديعة تأثُّر شوقى ببيئته الفلسفية وقت نظمها فقد كان يسمع تكراراً الامداح الشعرية الغزلية فى مدينة الاسكندرية وفنونها القديمة وفلسفتها من تَيِّم الحكمة الدكتور على العنانى . وما دمنا قد أشرنا الى أقدر الشعراء على رثاء حافظ فلا نريد أن يفوتنا التنويه بالقصيدة الممتازة لنشاعر العصرى على محمود طه المهندس المنشورة فى العدد الخاص بحافظ الذى أصدرته جريدة (السياسة) بتاريخ يوم الجمعة ٢ سبتمبر ، فقد تناولت هذه القصيدة انسانية حافظ وروحه الاجتماعية تناولاً بديعاً لم يُوفَّق اليه أىُّ شاعر آخر فى رأينا ، وجاءت متممةً لرثاء الراحل العظيم كما خلّدتْ لنا نموذجاً فنياً من شعر الرثاء العصرى .





فى خرائب بعلبك

اللهُ أكبرُ كيف كانت حالُـها ... آطامُ مجدٍ هـذه أطـلالُـها
ربضَتْ على صدر الزمانِ وأوثقت ... كلتا يديْه فخارَ كيف يَنالُها
وطئتْ جبابرُها الركام كأنما ... داستْ على هام الزوال نِعالُـها
عُمدٌ تصعّد ناظريْكَ بشُمّها ... فيردُّ عنهـا ناظريْك جلالُـها
وتحار هل هى فى الثّرى أم أنها ... علقتْ بناصية الفضاء طوالُـها !
جدرانُها المتـداعياتُ تخالُها ... لشموخِها تهوى بها أثقالُـها !
ما إن يحيِّر ناظراً إصعادُها ... حتى يحيّرْ ناظراً إنزالُـها
رضَمٌ لو انك سرتَ فى جنباتها ... لخشيتَ أن تهوى عليك ظلالُـها
فى صخرها تحْـيَى النُّسورُ كأنها ... منحوتةٌ فى صُمّه آجالُـها !
وتطل من رجم الطُلول أُسُودها ... فـكأنما رجمُ الطلولِ دحالُها
برزتْ بأشداقٍ فُغِـرْنَ مخافةً ... من أن تُمسَّ بشرّةٍ أشبالُها
أُسْدٌ تذودُ عن الحياضِ فمن يردْ ... تلك الحيـاضَ أرابه إجفالُها

* * *

لمن الدّمى فى ساحتيْها نازلت ... غير الزمان ولن يكفّ نزالُها ؟ !
حلدت بآلهـة القرون كأنما ... تلك القرونُ مَرَدْنَ وهى عيالُها
وتدلّ شامخةً على أخلافها ... فـكأنما حقٌّ لها إدلالُها
رصدت مخابىء فنهـا فبكفها ... مفتاحُها ، وبكفّـنا أقفالُها

* * *

بينا تهيم النفسُ فى عَرَصاتها | وتسائل العرصاتِ مَن نُزّالُها
ألقتْ على الحقب الخوالى نظرةً | فتقهقرتْ هيابةً أجيالُها !
فاذا بأفروديت (١) نصب بحيرة | رقراقةِ الجنباتِ راق زلالُها
عريانةٌ وشعورُها مسدولةٌ | تصطاد آساد الدّحالِ حبالُها
حتى اذا انتفضتْ تشعَّثَ شعرها | وأطلَّ تحت ذؤابتيه جمالُها
حرّى اللهاث لو النسائم أقبلت | لتصرّمتْ بلهاثها أذيالُها !
تتطاير الشهواتُ من نظراتها | وتفور فى حدقاتها أميالُها !
وتغوص خلف خيالها من عشقها | فيضمها تحت المياه خيالُها !

* * *

إحدى عذارى الحب ثَمّتَ أعولتْ | أفليس من فرط الجوى إعوالُها ؟!
تتلمّس الابواب منهكة القوى | لا تستقرُّ على قرار حالُها
عمياءُ لا تدرى أذلك هَدْيُها | يقتادها أم انّ ذاك ضلالُها ؟
قد سمّرتْ أهدابها أجفانها | فترجرجت فى وقبها آمالُها
والدمعُ بلَّ جناحَها فلو انها | همّتْ لعاق عن المطار بلالُها

* * *

ما هذه الاشباحُ يزحمُ بعضُها | بعضاً ، وتعتلق الهباءَ ضئالُها ؟
خطراتُ رؤيا لم تمرَّ مرورَها | فى خاطرى حتى امّحتْ أظلالُها
البومُ يَنعقُ والغراب محوّمٌ | والارض أوشك أن يحين زوالُها
خربٌ وهذى شاخصات رسومِها | لا الارض تطويها ولا زلزالُها
الدهرُ مَطمَحُها فامّا أنها | تغتال هذا الدهرَ أو يغتالُها !

شفيق المعلوف

نزيل سان باولو (البرازيل)

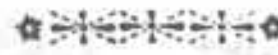


(١) الاسم اليونانى لعشتروت السهة الجمال وفينيس عند الافرنج .



ديوان ابن زيدون

شرح وضبط وتصنيف كامل كيلانى وعبد الرحمن خليفة ، ٤٦٣ صفحة ، ١٦ ¼ سم . × ٢٤ سم . بغلاف من القماش . الثمن ٢٥ قرشاً بورق جيد و ٣٠ قرشاً بورق ممتاز . مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر



من حسن حظ هذا الديوان أن يقف على طبعه أديبان مشغوفان بالأدب العربى لا يقدمان الغاية التجارية المحضة على الخدمة الأدبية النزيهة ، ولذلك لم يبخلا عليه بجهد سنةٍ كاملةٍ ضبطاً وتصحيحاً وشرحاً . وقد أمعنا النظر فى الخطّ المغربى فساعدهما ذلك على الاهتداء الى أسباب التحريف والتصحيف اللذين وقع فيهما النسّاخون المتعجلون ممن لم يتذوقوا للأدب طعماً فأساءوا الى المأثورات العربية المنقولة اساءات جمة بجهودهم العاثرة . وقد جعل الشّارحان مبدأهما استبقاء الأصل ما دام مستقيم المعنى مقبولاً ولم يتعرضا الاّ للنصوص المصحّفة والمحرفة والناقصة . فهما اختلفتَ معهما فى مواضع فلا يمكن أن تجحد أنهماقاما بعمل مجيد وأن الاخطاء المطبعية قليلة فى الديوان برغم حجمه الكبير . وأول خاطر يتبادر الى ذهنك عند تصفُّح هذا السفر الضخم هو الرغبة الحارة فى الاتقان والاستيفاء فانّ الناشرَيْن الفاضلين بذلا مجهوداً كبيراً ليضمنا هذا الكتاب كلّ ما يتعلق بابن زيدون من شعر ونثر ودراسات هامة رغبةً فى المعاونة على تفهمه من كل النواحى الأدبية التاريخية .

وقد صُدِّر للديوان بقصيدة رقيقة لشوقى بك حلل فيها ابن زيدون وفنّه ورحّب بنشر ديوانه ثم أُتبعتْ بمقدمة وإلمامة مسهبة بقلم كامل كيلانى تناولت المجهود المبذول فى تصحيح الديوان وأمثلة لما كان فيه من تحريف وأسباب العناية

بشعر ابن زيدون ونظرة المناهج الأدبية المألوفة اليه ، ثم الكلام عن عصره وملوك الطوائف ونشأة ابن زيدون وشاعريته مع مقارنته بالبحترى ، ثم النظر فى أسباب سجنه وحُسّاده وحبّه ولادّة ومنزلته بوجه الاجمال فى الادب العربى . وأُلحق بالديوان فصلٌ طويلٌ عن رسائل ابن زيدون وأخباره وعن شعر الملكين (المعتضد والمعتمد) مع صفحات مختارة اتماماً للفائدة من نفح الطيب والمعجب وعقد الجمان للعينى وغيرها من المراجع الشهيرة ودراسات الدكتور احمد ضيف والسكندرى وعلاّم سلامة واحمد زكى باشا . فمن كل هذا ترى مظاهر الرغبة فى الاستقصاء والدرس الشامل . ومع هذا فقد أعلن حضرة كاتب المقدمة (كامل كيلانى) أنه سوف يخرج كتاباً خاصاً عن « ابن زيدون — أدبه وعصره » ، كما سيخرج كتاباً آخر عن (ملوك الطوائف) فكأنما قد اعتبر هذا الكشكول المنوّع المفيد — تقدمة وتذييلاً للديوان — بمثابة مذكرة أولية لينتفع بها المتأدبون ، وسوف ينتفعون منها بلا شكّ انتفاعاً وافياً ، وعلى الاخصّ بعد أن قررت وزارة المعارف المصرية تدريس ابن زيدون فى المدارس الثانوية هذا العام ، كما لابدّ من أن يستفيد المتأدبون من الشروح اللغويه والادبية الوفيرة التى ذيلت بها صفحات الديوان .

قال حضرته : « ما كدت أبدأ فى درس ابن زيدون ، شعره ونثره ، وأتقصّى أخباره وأخبار عصره ، حتى رأيت ما راعنى ، وأدهشنى ما رأيتُ . لقد كنت استكثر عليه اسم شاعر اعتيادى فصرت استقلّ له الآن اسم شاعر كبير ، وكنت اكرهه لكلفه بالصنعة التى بغّضت الينا اكثر شعراء ذلك العصر وأفسدت علينا اكثر الأدب العربى ، فاذا بى أحبّ هذا اللون الرائع من الصنعة المعجبة التى تمتزج بالنفس وتهيمن على القلب وتحبّب فيها أشدّ الناس بغضاً لها ، وقدعرف ابن زيدون كيف يتخذ من الصناعة والبديع أدوات للافتنان فى الأداء والتعبير والابداع فى تصوير أروع المعانى الساحرة وأدق الخوالج النفسية ، واذا بها نفس تطرب الى الجمال وتفتنّ فى التعبير عنه ، وطبيعة سمحة صناع لا التواء فيها ولا تكلف ، وقد صدق القائل : (كل طعام يتناوله الصحيح ينقلب الى صحة ، وكل طعام يتناوله المريض ينقلب الى مرض) ، وهكذا كرّهنا المقلدون فى الصنعة والبديع كما حبّب الينا المبدعون كثيراً من ألوان الصنعة والبديع . الحق انّ ابن زيدون ساحر بيانى خلاّب يتخذ من الصنعة وسيلة للروعة والدقة وحسن الاداء ، كما يتخذ المصور

الماهر — من مختلف الألوان والاصباغ — وسيلة للتعبير عن أدقّ وأخفى الاسارير واللمحات . ولا أكتم القارىء أننى من ألدّ أعداء الصنعة اللفظية ، ولكننى من أشدّ انصارها إذا جاءت عن هذه الطريق . ولقد أراد بعض الكتاب أن يعيب على ابن زيدون وأناتول فرانس أنهما من رجال الاساليب ، ونسوا أن الاسلوب العالى هو غاية تنخلع دونها الرقاب ، وان طول المرانة والدرس تخلق من صاحبها الكاتب الحاذق والشاعر اللبق ولكنها أعجز من أن تخلق الكاتب الموهوب والشاعر العبقرى أو تلهمهما الاسلوب العالى الذى يحاول بعض الادباء أن يزرى به ويحقره » .

وقال فى موضع آخر : « لكل شاعر من الفحول طابع خاص يمتاز به شعره : فاذا امتاز المعرى بالفلسفة فى شعره ، وامتاز المتنبى بالحكمة ، وامتاز ابن الرومى بالغوص على المعانى النادرة ، وامتاز ابو العتاهية بالزهديات ، وابو نواس بالخمريات ، والبحترى بحسن النظم ، وأبو تمام بالصناعة ، وابن حمديس بالوصف ، فأى ميزة امتاز بها شعر ابن زيدون ؟ ميزة ابن زيدون التى تكاد تفرده من شعراء العربية هى الفنّ ، فهو شاعر فنى قبل أن يكون فيلسوفاً أو حكيماً أو غوّاصاً على المعانى أو وصّافاً » .

وأشار حضرة الكاتب الى أنّ امهات المعانى مشتركة بين الناس على اختلاف لغاتهم وأزمانهم وبيئاتهم وأجناسهم ، وانما الاختلاف فى الدقائق والتفاصيل ، وأن الانصاف يقضى عليك بدراسة أى شاعر دراسة مستوعبة قبل المجازفة بالحكم عليه ، وأنك اذا تصدّيتَ للتفضيل بين الشعراء فيجب أن تقارن بين روائعهم وبدائعهم ، أمّا ما يقولونه عفو الخاطر أو فى ساعات الكلال والضعف فلستَ جديراً أن تحكم به على شاعريتهم ، فقد تخرج الشجرة الممتازة — الى ثمارها الشهية الغضة — ثمرة فجة فلا ينقص ذلك من قيمتها .

وكل هذا جميل تنطوى فيه مبادىء أدبية عالية ويمليه روح الانصاف . ولمّا كنا مطالبين بابداء رأينا فى شعر ابن زيدون وديوانه فيحسن بنا أن نقول أولا كلمة عن الديوان ذاته إتباعاً للتمهيد السابق : فأول ما نلاحظه خلو هوامش الديوان وذيله من ترجمة لولادّه محبوبة ابن زيدون حينما ترجمتها واشعارها أوْلَى بعنايتنا من شعر الملكين (المعتضد والمعتمد) لأنها كانت أهم عامل فى انضاج شعر ابن زيدون . وثانياً نرى أن فى نشر هذا الديوان وأمثاله خدمة جليلة للادب العربى لانه مثال من مأثوراته النفيسة . وليس نشر هذا الديوان معناه تقديم مشق جديد

لينسج الشعراء المعاصرون على منواله فالأمر بالعكس ، إذ كل الفائدة تنحصر أو يجب أن تنحصر فى حيازتنا حلقة من حلقات النهضة للشعر العربى تساعدنا على دراسة تطوره وتاريخه ، وأما الشاعر العصرى فله من عصره وثقافة أقوى مادة يستمد منها بيانه وخواطره وأخيلته . وثالثاً لا نبالغ اذا ما وصفنا ابن زيدون بشاعر العواطف فانها تجول وتثب فى معظم شعره ، ولا نوافق على أنه يكاد ينفرد بالتفنن فى الشعر حتى يصح أن يقال إنّ الفنّ ميزة شعره ، لانه اذا كان المراد بالفن « التعبير البالغ المؤثر » فلجميع شعرائنا الممتازين مواقف فنية رائعة وليس ابن زيدون بالذى يختصّ بأكبر قسط من هذه الموهبة . ورابعاً نرى أن الصناعة الفخمة فى شعر ابن زيدون من تأثير بيئته العالية المفتونة بالبهرج والعظمة ، وقد صارت طبيعة عنده فاندمجت بسهولة فى معانيه الشعرية وقلما شذَّ عن ذلك . وخامساً نرى فى شعر ابن زيدون نماذج للأدب القديم بتأثير دراسته الطويلة لذلك الأدب حتى كأن الرجل لم يكن يعيش فى صميم أوروبا فكان يرسف أحياناً فى أغلال التقليد وهذا هو نفس الملحوظ على نفس شعرائنا فى العصر الحاضر خصوصاً ونحن فى دور انتقال حتى كأن نفوسنا تتوسّط المعركة المتواصلة بين القديم والحديث . وسادساً لانوافق على أن امهات المعانى مشتركة بين الناس على اختلاف لغاتهم وأزمانهم وأجناسهم وان الاختلاف يقع فى الدقائق والتفاصيل ، وانما نوافق على أن امهات العواطف تشترك بينهم ، وأما المعانى فقد تختلف جد الاختلاف كما أن الحسن فى بيئة قد يعد قبيحاً فى أخرى وهلمّ جرا ، زدْ على هذا أن الطبيعة فى استحداث مستمر للتخيل الانسانى لافى الفروع فقط بل فى الامهات أيضاً وأمثلة ذلك عديدة فى نماذج الادب العالمى . وسابعاً نرى أن خير مهذب ومكون لشعر ابن زيدون كان تناوب النعمة والنقمة عليه بل قلْ النقمة المتواصلة المتنوعة من عناء الحكم وعناء الحب وعناء السجن .

فى ديوان ابن زيدون روائع شتّى نبه الى جانب منها الناشران الفاضلان وله شعر سلس طبيعى لا أثر للصناعة فيه مثل قوله فى ولادة لما اشتغلت عنه بحب الوزير ابن عبدوس منافسه العنيد :

أكرمْ بولاّدةٍ ذُخْراً لمدّخرٍ لو فرّقَتْ بين بيطارٍ وعطّار
قالوا : أبو عامرٍ أضحى يُلمُّ بها قلتُ : الفراشةُ قد تدنو من النّارِ
عيّرتمونا بأنْ قد صار يخلفنا فيمن نُحِبُّ ، وما فى ذاكَ من عارِ
أكلٌ شهيٌّ أصبْنا من أطايبهِ بعضاً ، وبعضاً صفحنا عنه للفار !

وقوله :

أمَّا مُنَى نفسى فأنتِ جميعُها يا ليتنى أصبحتُ بعضَ مُنَاكِ !
يدنُو بوصلك حين شطَّ مَزَارُهُ وَهْمٌ أكاد به أُقبّل فاكِ !

وقوله :

عليكِ السلامُ سلامُ الوداعِ وداعُ هوىً ماتَ قبل الأجَلْ
وما باختيارٍ تسلَّيْتُ عنكِ ولكنّنى مُكْرَهٌ لا بَطلْ
ولم يَدْرِ قَلْبِيَ كيف النزوعُ الى أن رأى سيرةً فامتثلْ !

وتتجلَّى صناعة المفتن فى عواطف الشاعر المطبوع بنونيته الجميلة فى ذكرى أيام الوصال (ص ٤) على أروع صورة وفى لاميته « شكوى وألم » (ص ١١٢) وفى رثائه لابن ذكوان (ص ١٥٣) وفى رثاء أم المعتضد (ص ١٨٤) وفى سلوى المضطر (ص ١٩٥) وقد نقلنا قبلا بعض أبياتها ، ولكن الذى ينفحنا بهذه الروائع تتغلب عليه روح القديم بصناعته الجافة أحياناً فيقول لنا (ص ١٥٨) :

لعمر هواكِ ما وَرِيَتْ زنادٌ لِوَصلٍ منكِ طال لها اقتداحِى

وهذا من التعابير السقيمة العتيقة التى لصقتْ به من انتهاجه مناهجَ القديم ولكنها لحسن الحظ غير كثيرة فى شعره .

***

ولا يسعنا أخيراً إلا تهنئة الناشريْن الفاضلين ومطبعة الحلبى باظهار هذا التراث الكريم الى عالم الأدب فانه من العوارف التى يجب أن يقدّرها الأدباء فى العالم العربى تقديراً عملياً بالاقبال على شرائه ونشره خصوصاً فى البيئات الدراسية .



فهرس





المجلد
الأول
العدد
الثالث
أپولو
مجلة فنية لخدمة الشعر العربي
لسان حال جمعية ابولو
تصدر مرة فى كل شهر
نوفمبر سنة ١٩٣٢
صاحب الامتياز
ورئيس التحرير
أحمد زكى أبوشادى
الادارة
بشارع الملك المعز رقم ٩
بضاحية المطرية بمصر
التليفون
١١٩٦ زيتون
و ٤٠٤٥٦



ليالى ألفريد دى موسيه

﴿ معرّبة نظماً ﴾

بقلم اسماعيل سرى الرهشان

مثل فرنسا الآن فى تكريم الشعراء واكبارهم كمثل العرب قبل أن تزول لغتهم وتدول دولتهم . وما عُنيتْ شبيبة الأمة الفرنسية بشاعر أكثر مما عُنيت بالشاعر المترجم له « ألفريد دى موسيه » ذلك الشاعر العبقرى اليقظ الخاطر ، الحى الوجدان ، الحاضر الاداة ، البعيد الغور فى خياله وأفكاره . أعرف فى أشعاره روح الفن وقوة الخيال والشعور الحاد وعلى الأخص فى لياليه الخالدة فقد تجلت فيها شاعريته فنمّت حديثَ نفسه الجيّاشة ووساوس قلبه الخفّاق وأمانى وجده الفياض ودلت على عشقه المبرح وحبه الأبدى وشعوره الفضفاض بمحاورته مع إلـهة الشعر (LA MUSE) متمثلاً بشعراء الصابئة من اليونان الاقدمين فجاء بكل ما يجول فى أوهام العاشقين من خطرات الغرام وحقائق الهوى ، وبالجملة فهى جماع فلسفة الحب . فاذا لوحظ جنوح فى أفكاره أو شطط فى آرائه فعليه وحده التبعة ، وانى غير مسئول إلا عن الامانة فى التعريب وقد لزمتها حتى كاد التعريب يكون حرفياً بل كان، ولنا أن نستفيد من شاعرية الرجل المطلقة فى تربيـة الروح والخيال ونطرح هذيانه بعد تبيينه وتمحيصه .

وقـد ذهبتُ مع الفرنسيين فى التقفية المباينة للقافية العربية اظهاراً لطريقتهم المتبعة ، لأن جسم الكلمة الفرنسية كثيراً ما لا يحمل روح المعنى فيلجأ شاعرهم

لاطلاق القوافى والاتيان بالكلمة المؤدية للمعنى حرصا على المعانى فانها روح الشعر ومادته ، غير انى لسعة اللغة العربية ما كنت أصادف حرجاً كالذى يصادفه الاعجمى فلزمتُ القافية العربية فى أكثر أشعارى هنا .

***

أما المترجم له (ألفريد دى موسيه) فقد وُلد فى باريس سنة ١٨١٠ ميلادية فى بيت اعتيادى من شارع سن جرمن وبعد أن شب وانهى دروسه فى مدرسة هنرى الرابع درس الطب والحقوق والتصوير ولكنه أولع بالأدب والشعر فتأدب على فكتور هوجو ونوديه فأنشأ الروايات الممتعة والاشعار الغضة وقد طُرد من المدرسة سنة ١٨٣٧ م. بسبب تأليفه رواية (منظر فى فوتيل) عقب علاقته الغرامية المحزنة بالبارونة (جورج سانت) الا أن العشيقين تفرّقا أخيراً فى (فنيس) فكثر هذيان المسكين فى أشعاره . وما صادف تاريخ الشعر الفرنسى أرقّ ولا أشجى مما صادف فى شعر دى موسيه حتى دعاه الشعب (شاعر الحب والشباب) وما الشاعر الا كذلك والا فهو حكيم ، وما الشعر الا (زفرات فى كلمات) والا فهو منطق . وغربت شمس حياته وهو فى السابعة والأربعين بعد أن تأكّل جسمه بالابسنت ولعب الشطرنج ، وفى ما يلى نبذة لا بد منها فى هذا المقام عن تاريخ الشعر الفرنسى ؟ المعرّب

نبـــــذة

في تاريخ الشعر الفرنسى

كان الشعر عند الفرنسيس قبل استعراب الأندلس كما كان عند أمم الغرب كافتهم على غير ماهيته لديهم الآن : كان قفراً لا ماء فيه ، جامداً متراصّاً فى أبنية قصصية لا تينية يتحفظها نفرٌ من القساوسة والاساقفة فى أديرتهم كاشعار (فرجيل) وغيره ، يتغنّون بها وهم لا يفقهون معناها .

وكانت القافيــة مطلقة إلا فى الاحرف الصوتية الأخيرة منهــا فى كل بيتين متواليين مثل (fermé) و (parté) ، فلما جاور العرب الفرنسيس استرق هؤلاء



الفريد دى موسيه

جورج سانت

من العرب سماعا وتقليداً ما انسجمت به أشعارهم فأتأمت القوافى الرنانة العذبة ومن ثمَّ أصبح الشعر عندهم يشتمل على أنواع الشعر العربى من الغزل والنسيب والمدح والهجاء والمجون واللحن والموسيقى والحماسة وغير ذلك وأمست القافية وهى تجنيس الأحرف الصوتية الأخيرة متجنسة معها الاحرف الساكنة قبلها مباشرة فى نهايتى البيتين أو القطعتين من الشعر مثل (aimé) و (fermé) . دلّ على ذلك المسيو (رينه دوميك) فى كتابه الرائج فى جميع مدارس فرنسا الى اليوم .

والمنظوم فى تاريخ الأدب الفرنسى أقدم من المنثور ، وأعرق منظوماتهم القديمة هى (أغانى رولان) نظمّها مجهول فى أواخر القرن الحادى عشر . ورولان هو قائدجيوش شارلمان الذين حاربوا الاندلسيين و (شارلمان) هو ذلك الامبراطور العظيم الذى سعى لدى الخليفة العباسى (هرون الرشيد) حتى أذن الاخير لحُجّاج النصارى بزيارة (بيت المقدس) وكانت ممنوعة قبل ذلك فأكبر الفرنج عمل امبراطورهم هذا وتبارى شعراؤهم وأدباؤهم فى مدحه بالقصائد وانشاء القصص .

ومما ذُكر فى هذه الاغانى أن المسلمين ما كان لهم أن يستطيعوا قهر رولان لولا خيانة رسوله (غانيلون) الى (مارسل) المولّى من المسلمين على (سرقسطة) فقد انضم الرسول الى المسلمين فغدر هؤلاء برولان . ولما عاد بمن بقى معه من جنده يقصد الى فرنسا باغته أهل (نافارا وغاسقونية) ممالئو المسلمين فى مضيق (رونسينو) من جبال (البيرينيه) فكان هرجٌ ثار به النقع حتى نكّر الاشباح فطُعن رولان خطأً من يد مستشاره المخلص (أوليفيه) ثم طعن الأخير أيضاً من العدو فقضى وكانت الهزيمة . وهناك أغانٍ تنشا كل تلك مثل (زيارة شارلمان بيت المقدس) وغيرها من الأغانى القصصية الفصحى التى ترجمت بعدُ بلغة القرن الثانى عشر الفرنسية .

وأول الآخذين عن العرب من الفرنسيس هم أهل الجنوب ، ذلك لأن أول ما فتحوا فتحوا اقليمهم واستوطنوه فخالطوهم وتزوجوا من بناتهم وفلحوا أراضيهم وشيّدوا من مدنهم مثل (نربون وقرقسون وفراقسين) وغيرها واستخدموا أسرى الفرنج فى بناء القصور الفخمة (كالقنطرة والزهراء والقصر والحمراء) وسواها فسرت لغة البعض الى أذهان الآخرين وتبادلت الافكار بين الفريقين ضرورة بالمخالطة . وقد كان المسلمون حينئذ أعلى كعباً وأعظم شأواً فى

الحضارة والتمدين وأوفر من الفرنج علماً وأدباً ، فنسل اليهم الفرنج من كل حدب يترعون من مناهل العلوم والآداب العربية فى المدارس والجوامع (باشبيلية) و (قرطبة) و (غرناطة) و (سرقسطة) و (طليطلة) و (بلنسية) وغيرها ثم يعودون الى بلادهم يعلمون الطلاب على الطريقة المتبعة فى المعاهد الاسلامية لليوم . ومن أشهر تلامذة الفرنج المتأدبين على العلماء المسلمين فى اشبيلية (البابا سليفستر الثانى — ٩٣٠ - ١٠٠٤ م.) الذى جاور هناك ثلاثة أعوام قبل البابوية إذ كان اسمه (جربر) ثم رجع الى أوروبا علاَّمة حاذقاً دهش من معارفه الفرنج فتخطفه ملوكهم وأمراؤهم مؤدباً لأولادهم ، ومازال يتدرج على مراقى العظمة والاجلال حتى انتهت اليه درجة البابوية أخيراً .

ومن ذلك الحين دبت الغيرة فى نفوس أدبائهم وشعرائهم فأهملوا حفظ أشعار اللاتين وعكفوا على حفظ أشعار العرب وأزجالهم والتغنى بها حتى أن فقراءهم فى القرن الحادى عشر كانوا يسترفدون الناس على الأبواب فى الطرق بانشاد الاشعار الاندلسية الملحَّنة فيشجيهم سماعها ويطربون من تلك القوافى الرنانة ويجزلون العطاء اليهم ارتياحاً لما سمعوا لا لما فهموا لأنهم كانوا يجهلون البتة لغة العرب .

ومما ساعد الفرنسيس وغيرهم فى الاقتباس من أدب الاندلسيين تلك التواليف والاعلاق التى كانت مكتنزة فى قصر قرطبة وبيعت بخسة حين الفتنة على أثر انقراض ملك بنى أمية ، فوصلت الى أيدى مستعربى الفرنج وترجموها ونشروها فى مدارسهم فهذبت من ملكاتهم كثيراً ، فأمثال (ابن زيدون) و (ابن خفاجة) و (أبى الحسن المايورقى) هم أساتذة شعراء الفرنج بلا جدال .

ومن أعمل العوامل الصاعدة بالشعر الفرنجى اطلاقاً تعارف الملوك والأمراء من الفرنج والمسلمين ابَّان الحروب الصليبية فى زمن لويس التاسع (١٢٧٠ م .) إذ تبينوا قدر شعراء العرب وأدبائهم وكتَّابهم عند ما رأوهم عياناً مثل (عمارة اليمنى الشاعر) و (العماد الكاتب) وغيرهما من أطباء وحكماء فراحوا معجبين ، وانتبه فيهم الشعر والأدب من خموله حتى أنشأوا عام ١٣٢٣ م . فى مدينة طولوز جامعة أدبية دعيت (مدرسة المعرفة السارة — Collège du gai seavoir) تخبر شعر الشعراء وتوزع عليهم جوائز من أزهار مصوغة من ذهب أو فضة ، كل وما يستحقه . وفى أواخر القرن الخامس عشر حبست احدى المحسنات أموالاً جمة على هذه الجامعة

فأثرت هذه وزادت رغبة الشعراء فى التهافت عليها متنافسين فى ترقية الشعر وتحسين المنطق وتهذيب اللغة وما زالت هذه الجامعة خالدة للآن وتسمى (أكاديمية لعب الازهار) وكان فيكتور هوجو ومعاصروه ممن نالوا جوائز هذه الجامعة .

وما زال الشعر والأدب والتمثيل يتعالى اسلوبها ويعذب ماؤها حتى بلغت شأواً سامياً زمنَ لويس الرابع عشر (١٦٣٨ — ١٧١٥ م .) فكانت دار الماركيزة (رامبويه) ندوة للشعراء والادباء يتناشدون فيها الاشعار ويتناظرون ويتحاورون بالملح واللطائف الادبية الغضة ، وكثيرات من فضليات السيدات قلدتها فكان العصر عصراً ذهبياً للشعر والادب .

وسنة ١٦٣٥م. أسس الكاردينال (ريشيليو) الاكاديمية الفرنساوية ثم أنشئت بعدها أكاديميات للفنون والآداب والآثار والاخلاق والسياسة والرياضة وغيرها وظهر لفيف من الشعراء والادباء فى القرن السابع عشر مثل (بالزاق وديكارت) ، ثم أنشأ (اسكندر هاردى) مسرحاً فى باريس لتمثيل روايات أخذ موضوعها من اسبانيا لما خلفه العرب فيها من تراث الأدب .

ومن شعراء ذلك العصر وكتابه (بيير قورنيل) (١٦٠٦ — ١٦٨٤ م.) صاحب رواية هوراس الشهيرة و (راسين) (١٦٤٩ — ١٦٩٩ م.) مبدع طريقة (كلاسك) وناظم روايات (اندروماخه) و (السيد) و (اتالى) التراجيدية ثم (بوالو) الشاعر الهزلى الهجاء و (موليير) مُبدع المضحكات (كوميدى) و (فنلون) مؤلف (تليماك) و (لافونتين) القصصى و (مونتيسكيو) و (بوفون) و (فولتير) الذى رمى فى كل موضوع بسهم و (دويدور) صاحب دائرة المعارف و (جان جاك روسو) . وبعدهم جاء (فيكتور هوجو) و (سانت بيف) و (الفريد دى موسيه) و (دى لامارتين) وغيرهم من فحول شعراء القرن التاسع عشر وهكذا أخذت تنجب فرنسا الشعراء العبقريين والكتاب المجيدين عاماً فعاماً حتى رأت (ادمون روستان) (وجان ريشيبين) و (اناتول فرانس) و (بول بورجيه) وكثيراً سواهم من معاصرينا فى القرن العشرين .

وأسبق أمم أوروبا فى الاقتباس من الشعر والادب العربى هم الاسبان والطليان حتى نبغ من الاولين الشاعر (لوب دوفيكه) ونظم نحو الف وثمانمائة رواية تمثيلية ، والشاعر (فالديرون) و (لوقين) وغير أولئك . وظهر من الآخرين الشاعر

(دانتى) (١٢٦٥ — ١٣٢١ م .) من أكبر الشعراء القدامى طبق ذكره الخافقين بكتابه (المهزلة الالّـهية) وجعله ثلاثة أبواب : باب جهنم وباب السراط وباب الجنة ، والكتاب مدهش غريب وهو آية فى البلاغة والعبقرية رغم ما فيه من شذوذ الرأى والخروج على العقيدة .

وقد لبثت العربية بعد زوال الحكم العربى من (صقلية ونابولى) لساناً رسمياً لحكومة الملك (رجار) المدعو (روجر الثانى) ملك صقلية ومن جاء بعده من الملوك زمناً قصياً . وقد قرّب الملك المذكور منه كثيراً من علماء الاسلام (كالشريف الادريسى) صاحب الجغرافيا وأحفاد (ابن يشكر) علماء النبات والحيوان وغيرهم من الشعراء والكتاب . وانتشرت اصطلاحات العربية فى شتى لغات الفرنج ولبثت تنقش الكتابة العربية على المبانى والقصور فى أوربا حتى بعد أن دالت دولة العرب[1] فسبحان مبيد الأمم والقاضى بالعدم القائل فى محكم كتابه العزيز : لكُلِّ أمَّةٍ أجَلٌ إذا جاءَ أجلُهم فلا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون .



ليـــلة مايو

آلهة الشعر

أيها الشاعرُ خُذ قيثارتكْ وأنِلْنى قُبلةَ المستمتِعِ
زهرةُ النسرين فجراً أصبحتْ تفتحُ الاكمامَ عند المطلعِ
والربيع ابنُ مساءٍ واحدٍ فيه هبَّتْ نَسماتُ الموْضعِ
رصدتْ فى الرَّوْض أطيارُ الرُّبى فى انتظار الصبح لمَّا تهجعِ
وثوتْ فى العُشب حين اخضوضرت صفحةُ الروضةِ مثوى المولعِ
أيها الشاعرُ خُذْ قيثارتكْ وأنِلْنى قبلةَ المستمتِعِ

(١) راجع السنة الحادية عشرة من مجلة الهلال .

الشاعر

لقـد أوحش الوادى بتلك الدُّجُنَّـةِ
تَخفتُ مطاف الطيف فى ليل وحشتى
هناك له ظلٌّ بارجاء غابةٍ
طفا الظلُّ إذْ يمتدُّ من جوف خضرةٍ
له قـدمٌ تجتثُّ أعشاب روضةٍ
فيـا لغريبِ الوهم يدعو لخيفتى
يلوح ويخفى ، يا لذُعرى ولهفتى !

آلهة الشعر

أيهـا الشاعرُ خـذ قيثارَتكْ   انمـا الليـل على خُضر الرُّبَى
قـد يهزُّ الريحَ فى ثوب الشذَى   فبدتْ ترقص فيـه طرَبا
تُبعَثُ الغَـيرَةُ عند الليل فى الـ   وردة البكـرِ فتُـبدى الغضبَـا
ثم تنضمُّ على الفرفور قـد   حطَّ يحسو خمرةً فانقلبَـا
فاستمعْ إذْ كل شىءٍ سامعٌ   وافتـكرْ فىَّ انا سر الشجونْ
وأتنى الليـلةَ إذْ طاب الصفا   نأتنسْ تحت غصون الزيزفونْ
فشاع الشمس فى مغربهـا   فات للنـاس وداعاً طيِّـبَا
كل شىءٍ فى ازهارٍ والطيـ   بةُ أختُ الدهر تبـدى العجبَا
وهى تَملأَى بعبيرٍ وجوًى   وغـرامٍ وحنانٍ وزفـيره
كسريرٍ ضمَّ زَوْجين لدى   نضرةِ العمرِ على الفـرشِ الوثيره

الشاعر

تُرَى لِمَ قلبى فى خفوق وثوْرةٍ ؟
وماذا بجسمى من كلالٍ وهِزَّةٍ ؟
أحسُّ ومِن لا شىء احساسَ وحشةٍ
أيا طارقاً بابى دعِ الطرْقَ بالتى
ترَى لِمَ مصباحى بدا نصفَ ميِّتٍ

على انه الوضّاء يدعو لروعتي ؟
فيا ربّ ما لي تقشعرُ طبيعتي
أآتٍ يناديني ؟ ومَنْ ؟ لا ، لحجرَتي
خلوتُ بها وحدي ، وذا دَقَّ ساعتي
فيا لشقائي ، آه — بل يا لوحدتي !

الآهة الشعر

أيها الشاعرُ خُذْ قيثارتكْ · انما خمرُ الصِّبا فيَّ اختمَرْ
في وريدي ثارَ قد يهتاج معه · بودةَ الولهان في الليل الأحمَرْ
ثارَ صدري والنعيم ازداد بي · واستبدَّ الأُنسُ بي ، مامن مفرْ
ونسيمٌ ظامىء قد يبستْ · شفتي من نارِه حين استعرْ
آهِ يا كسلان ، ما أجملني · نظرةً فيَّ وما أبهى النظرْ
هل نسيتَ القُبلةَ الأولى وقد · لمستْ كفُّك ثوبي في حذَرْ
حينما أبصرْتُ وجهاً شاحباً · منك لما جئتَ خلفي في الأثرْ
في بكاءٍ ، في هوانٍ ، في هوىً · واقعاً بين يديَّ في الخطَرْ
قلبك الأسوانُ قد آسيتُه · من هوان الحبِّ ، هل مِن مدَّكَرْ
أسفاً إذ كنتَ صبّاً ليِّناً · كدتَ تقضي من غرامٍ وسهرْ
واسِني الليلةَ ، اني يا فتى · كدتُ أقضي بالاماني والفِكرْ
هل حديثٌ في الدُّجى أحيا به · لغدٍ ، إنَّ غداً طيّ القدَرْ ؟

الشاعر

أأنتِ التي ناديتني حين وحدتي ؟
إلٓهة شعري دمتِ في كل عزّةِ
أيا خالداً محياكِ ، أوّاه زهرتي !
فذاتك ذاتُ الطّهر ذاتُ الامانةِ
وفيها غرامي ما حييتُ وصبوتي !
أجلْ أنت يا شقراء لهوى وفتنتي

نعم أنت أختى ، أنت أنت عشيقتى !
يخيَّلُ لى ليلا وفى حين هدأتى
كأنك فى ثوب من التبر مخبتى
يذرُّ شعاع الضوء فى ساحِ مهجتى !

الشاعر الشعر

أيها الشاعرُ خذْ قيثارَتكْ | اننى خالدة والدهرَ لكْ
ساءنى مرآكَ منهدَّ القوى | ومن الاحزان تسهو فى الحلَك
أنا كالطائر ناداه مِساً | فرخه الاخضرُ من زُغب حصلْ
جئتُ أبكى معكَ من جوف السما | مثل ذاك الطير لما أنْ نزلْ
فاتنى يا صاحب الهمِّ ائتنى | فعليك الهمُّ عادٍ والملل
إن شيئاً من جروحات الاسى | أنَّ فى قلبك حتى خبَّلكْ
إن ظلاً من سرور قد طفا | إنَّ طيف الحظ وهماً خايلكْ
فأتنى نضرَعْ أمام الله فى | ذكر أحلامك إلنى ولنُغنَ
ولنرتِّلْ فى هناءٍ غابرٍ | لك أو همٍّ مضى طوعَ الزمنْ
ولنجدِّدْ ذكرَ أيامٍ مضتْ | صدفةً فالعمرُ ولَّى فى الشجنْ
وليدُرْ معنا حديثٌ فى المنى | فى اعتزازٍ فى مجونٍ قد سكنْ
ان هذا الليلَ حلمٌ ممتِعٌ | أوَّل العهدِ بابعاد الحزَنْ
ولندبِّرْ سفرةً فى مجهلٍ | فيه لا يعرفنا أهلُ الفتنْ
وحدنا نذهبُ فالدُّنيا لنا | بيننا يجرى حديث وسمرْ
هاك (ايقوسيا) وفيها خضرة | و (بايطاليا) اسمرارٌ فى البشرْ
فى رُبَى (اليونان) أمى خير ما | تشتهيه النفس من حلو العسلْ
عند (أرجو) أو (بتليون) التى | زانها القربانُ من دهر رحلْ
عند (مسَّا) قدَّستها شهرةٌ | بحمامٍ مبهجٍ فيها زجلْ
عند (بليون) نباتٌ مرسلٌ | مثل شعر الغيد تجلوه الحُلَلْ
عند (تيتاريز) فى زُرقتها | وخليج الفضة اشتدَّ الجذلْ
تتراءى فيه بيض (الاردفِ) (١) | صفحة الماء كمرآةِ النُّزُلْ

(١) طائر يشبه البجع ولكنه ناصع البياض .

فيه (أوللوسّون) مع (كامير) مِن ظلها المبيضّ يضنينا الشُغُلْ
صاح قل لى : أىُّ حُلمٍ ممتعٍ ذهبىٍّ فى ثنايا النغماتْ
كيف يجرى الدمعُ فى اعيننا ونذيرُ الهمّ فتناهُ وفاتْ ؟
فى صباح اليوم إلفى عند ما تطرق الاجفانَ أنوارُ الضُّحى
وملاكٌ فى وسادات الكرى حادبٌ فوقك ساهٍ قد صحا
ناثرٌ زهراً من الزنبق إذْ يتهادى الروح فى الشِفّ الرقيقْ
كان يتلو من أراجيزِ الهوى معك فى الخلوة ما يشجى العشيقْ
هل ترى أنَّا نغنى فى المنى أم نغنى فى الجوى أم فى السرورْ ؟
أم نغنى فى دماءٍ هُدِرَتْ ورحى الحرب على الخلق تدورْ ؟
أم نفوت الصبَّ موقوفاً على سُلَّمٍ قد حِيكَ من خيط الحريرْ ؟
أم تُرى تلقى رُغاء الخيل فى ذاريات الريح من جهد المسيرْ ؟
ولنقلْ أىُّ يدٍ قد أشعلتْ فى مصابيح استعزَّتْ عن عددْ ،
فى مصابيحٍ نهاراً ومساً جرمُها فى عالم الحبّ اتَّقدْ ،
أشعلتْ زيتَ حياةٍ قُدِّستْ زيت حبٍّ ما رأيناه نَفَدْ .
ولنصح فى جو (تاركين) ألا (دوننا الظل بوقت قد سمحْ)
ولنغصْ فى قاع بحرٍ زاخرٍ لالتقاط الدرِّ نلهو فى مرَحْ
أم نسوق العنزَ فى عبثٍ الى شجر الابنوس ؟ ما أبهى الشجرْ !
أم ترى حتى السما قد غضبتْ مثلما يغضب محزونو البشرْ ؟
أم ترى نتبع صياداً سرى فى جبالٍ وعرةٍ قد تُفزعُ ؟
يقنص الصيادُ آرامَ الفلا وهى فى نوحٍ اليه تضرعُ !
لكناسِ الامسِ ترنو عينُها وبأخرى لظباءٍ ترضعُ
صائدُ الآرام قد ينحرُها ثم يرمى حصةَ الكلب لهُ
كلب صيدٍ ماضغاً قلبَ الرَّشا ! تَعِس الصائدُ ما أجهلهُ !
أم تُرى نرسم عذراءَ على خدها الوردىّ حسنٌ وخجَلْ
خرجتْ تسعى الى القُدَّاس إذْ بفتى يتبعها شهمٍ بطَلْ
نظرتْ عفواً اليه خلفَها فاحتمتْ فى أمها عند الوجلْ
نسيتْ ممَّا بها قُدَّاسَها أيصلى المرءُ فى هذا الخَبَلْ ؟!

تسمع الغادة في رعدتها | في فضاء بين سهل وجبل
شنّة الفارس في عُدّته | خلفها فوق جواد قد صهل
أم ترى ندعو كماة سلفوا | لفرنسا في الفتوحات الأُوَل
ونناجيهم على أن يُبْعَثوا | مثلما كانوا بأبراج القُلل
ويعيدوا السيرةَ الأُولى لنا | سيرة الأمن وادراك الأمل
ونريهم كيف أمسى مجدُهم | نعمة الفخر بشعر وزجل ؟
هل لنا أن نلبس الابيضَ في | حفلة التأبين ؟ شيءٌ ما حصل !
أمثالٌ من (بونابرت) نرى | في حياة كل ما فيها مثل ؟
كم سطا ، كم كرَّ ، كم أردى ، وكم | حشَّ في الهامات حشاً وقتل
قبل أن يأتي ملاكُ الموت في | ليل (واترلو) على خُضْرة تل
جاءه - الرُّوح والقى طعنةً | من جناح هدَّدتْ منه الأجل
فذراعاه صليبٌ فوقَهُ | وقضاءُ الله ما فيه حِيَل
أم ترى نعطي اهتماماً قِدْحةً | كل ما فيها سباب وخطل ؟
خطَّها الهجَّاء من اضغانه | واسمه اسمٌ بيعَ سبعاً مبتذل
ذلك المنكود بالفقر وقد | عاش بين الخلق كالشيء الهمل
جاء لما جُنَّ من غيرته | خائرَ العزم كاصحاب الشلل
سبَّ شهماً وسرياً فاضلاً | قصد الحظ اليه واكتمل
وسريٌّ القوم في عزَّته | لا يبالي فالذي سبَّ انخذل
خُذْ إذنْ بل خذ إذنْ قيثارَتكْ | إنني ما عدتُ صمتاً أستطيعْ
وجناحي دفءٌ يُعليني على | نسمات الريح من فصل الربيعْ
انني قد كدت أعلو للسَّما | وأفوت الارضَ والناسَ لكا
دمعةٌ منك فربي سامعي | ولديك الوقت كافٍ للبكا !

الشاعر

اذا كنتِ لا تبغين شيئاً شقيقتي
من الشفة الحرَّى سوى نيل قُبلةٍ ،
أو انَّكِ قد ترضينَ مني بدمعةٍ ،
خُذي مني الاثنين لا عن كلالةٍ .

ومن حبنا ذاك الذى فى السريرة ،
اذا ما صعدت للسما عند هجرتى ،
فانىَ لا أشدو بذكرى طماعتى ،
ولا مجدىَ الماضى ولا عهد غبطتى
فوا أسفاً ـ حتى ولا عند محنتى ،
فى فى سكوتٍ لا يفوه بلفظةٍ
لأسمع من قلبى أحاديث لوعتى .

الشهر الشعر

أترى أنى إذاً فى ثورتى كنسيمٍ فى الخريفِ الرَّطبِ مَرْ ؟
يتغذَّى وهو يَسرى للبِلى بدموعٍ أسقطتْ ثوب الشجر
ولمن لا يحسب البؤسَ سوى نقطةٍ من ماءِ وجدٍ قد ألمْ ؟
آه يا شاعرُ ، ماذا ؟ ـ قبلةٌ ـ ؟ أننى أعطيكها لا فى ندَمْ
عودُ عُشبٍ جئت كى أنزعه من هنا والهم فى القلب احتدَمْ
ذاك من عُشب بَطالات الفتى والى الخالق ايكال الالمْ
ان وجد المرء مهما كان فى شرعة الشبان طبع من قدمْ
دعهُ يزدَدْ انّ لوعات الصّبا خير جرحٍ فيه تقديس الذممْ
جرح قلبٍ من خيالات الدجى أترى القلب سوى دوحٍ ودَمْ ؟
لا يُرى المرء عظيماً فى الدّنى بسوى الآلام والوجد العَمَمْ
فاذا أمّلْتَ صيتاً خالداً كنْ جريحَ القلب يا رب القلم
لا تدع صوتكَ صوتاً خافتاً ودع الفكرَ ورتّل لا تنَمْ
هل حلا للناس انشادٌ سوى فى محبٍّ عاش مقطوعَ العشَمْ ؟
لىَ فى ذا زفراتٌ حيّةٌ لا يواتيها فتورٌ أو عدَمْ
يجمعُ الماء مثالٌ بالِغٌ ولكم فى عيشة الطير حِكَمْ
بعد ما ساح طويلاً فى الجوا عاد للعشّ كليلاً فى الظلَمْ
شرعت أفراخُه تجرى على شاطىء البحرِ تشكّى من نهمْ
ومتى ما أبصرتْهُ قربها طفقتْ تلهو على أمواه يمّْ
كم تمنتْ عوْدَ حاميها لها كلها يرقبُ تقسيم القِسَمْ

فسعتْ للأَب ترجو رزقَها ... فى صياحٍ ، فى ابتهاجٍ ، فى نغمْ
كل فـرخ باعثٌ منقاره ... لفم الوالد يستعطى النِّعَمْ
صعـد الوالد فى رفق الى ... ربوةٍ والقلب منـه من ضَرَمْ
أخـذ الافراخَ من تحنانهِ ... فى جناحَيْ بسطَةٍ لمّـا جَثَمْ
ورنا كالمذنب الآسف للـ ... ـقُبَّة الزرقاء يُضنيه الندَمْ
كان مضروباً ولما عاد إذ ... بحشاهُ راح يجرى منـه دَمْ
عبثاً قد غاص فى اللجَّـة والـ ... ـحُكمُ لله وما شـاءَ حكمْ
وكأنَّ القـاعَ كالصحراء لم ... يلقَ قوتاً وعلى الشاطئ لمْ
قلبه أمسـى له طعماً وقد ... أبصر الموتَ بعيْنَيْ متَّهمْ
فى انقباضٍ فى سكوتٍ ناشراً ... لجناحيْه على صخر العـدَمْ
حولَهُ أفراخهُ فى غفـلةٍ ... وزّع العطفَ عليها وقسَمْ
فى حنـانٍ أبوىٍّ فيـه قد ... نفض الأوجاعَ عنـه والألَمْ
عندما أبصر صـــدراً خاشعاً ... ودماً قد سال منــه كالعنَمْ
سلَّمَ الأمر حزينـاً مذعناً ... والردى أهوَلُ أدواء النَّسَمْ
أخذَتْهُ سكرةٌ فى لذَّةٍ ... وخشوعٍ وارتعـاشٍ فانهـدَمْ
غـير أن الطير قد لمَّ القُوَى ... وهو يهـذى من حرارات السقمْ
هالهُ أن يُسلمَ الروحَ على ... مشـهد الافراخ يعروها الزَّأَمْ
وإذاً همَّ باجهـادٍ ، ولو ... لم تكن أفراخه ما كان هَمْ
منشباً أظفـــارَهُ فى قلبه ... فى صياحٍ موحشٍ من ذا الألَمْ
يُشبعُ الكونَ وداعاً محزناً ... بصُراخٍ كلُّـه همٌّ وغمْ
فزعتْ منـه طيورٌ غادرتْ ... ساحل البحر فطارتْ للقممْ
أوقف الناسَ صدى صرخته ... وهوى المسكينُ فى مهوى الرِّمَمْ
بعـد أن أوصى على أفراخـــه ... ربَّهُ والخلق عقباه العـــدَمْ.
أيها الشـاعرُ رفقـاً — هكذا ... مثَلُ الشـاعرِ فى أُمَّتـهِ
يبهج النــــاسَ بشعرٍ ممتعٍ ... وهو يحـيى العمرَ فى أنَّتهِ
هو فى الخلق لدى أعيادهم ... مثلُ هذا الطَّير فى قصَّتهِ
إنْ تغنَّى فى رجاءٍ خُلَّبٍ ... يُدخلُ الشكَّ على نِيَّتهِ ،

أو تغـنى فى ابتئـاس أو أسىً … أو غرامٍ زاد أو محنتهِ ،
لم يكنْ هـذا التغـنّى كافياً … لخلاص القلب من غمّتهِ .
كلُّ إطـراءٍ يلاقى منهمو … كسيوف الطّعن فى مهجتهِ ،
كسيوف رسمتْ فى الريح أقـ … ـواس إعجابٍ لدى خدعتهِ ،
وعلى الأسيـاف آثارُ دم … توقظ الغـافلَ من غفلتـهِ

الشاعر

إلـهةَ شعرى ! آهِ ، هل من نهايةٍ ؟
كفى طمعاً ! كُفّى فقد نلتُ حصتى
على الرمل لا تبقى رسوم الكتابةِ
إذا عصفتْ ريح الشمال وهبّتِ .
رأيت صباىَ اليوم فى كل نضرةٍ
على شفتى قـد كمَّ يشدو وهمّتِ
إذا أبصرَ الاطيـار غـنى وغنّتِ
ولكننى قـد تنفثُ النار زفرتى
وأىٌّ نشيدٍ شئتُ نقعاً لغُلّتى
اذا عالجتْهُ راحتى فى ربابتى
تقطعت الأوتار من عزم لوعتى !



ليـــلة اغسطس

آلـهة الشعر

مُـذ الشمسُ دارتْ بأفقِ السّما … تدورُ على المحورِ المضطرِمْ ،
ومن يوم جازَتْ من السرطا … ن مداراً يضىءُ بها مِنْ قـدمْ ،
عدَتنى السعادةُ حتى لبثـ … تُ على الصمتِ مُغتمّةً والألمْ

وأرقبُ وقتَ نداء الحبيـ ... ـبِ فضاعَ زمانى ولمَّا أنمْ .
فوا أسفاً — مِن زمانٍ بعيـ ... ـدٍ ومغناهُ قفرٌ عرته الظُّلمْ ،
وأيام ماض سعيـدٍ قضتْ ... ولا يوم يبعثُ بعد العدَمْ .
ووحدى أجىءُ على خفيةٍ ... علىَّ قناعٌ أخاف التُّهَمْ ،
وأسند فى حَسـرةٍ جبهتى ... على بابهِ فى اتّهـامِ القضا ،
كأرملةٍ أجهشتْ بالبـكا ... على قـبر طفلٍ وحيـدٍ قضَى !

الشاعر

سلاماً للوَفِيَّة والعَروبِ ! (١)
سلاماً يا اعتزازىَ يا غرامى !
نخيرُ علالةٍ عنـد القلوبِ ،
مشرَّدةٌ تعود الى الوئامِ .
أرى رأيى لديك أرى هوانى ،
هُما هَمَّا إذنْ أن يرفعانى .
سلاماً مرضعى ، أمى ، سـلامى !
سلاماً فابسطى الرَّاحات ، إنى
أتيتكِ يا مواسيَتى أغنِّى .

الـهة الشعر

أيا قلبُ جارَتْ عليـه النُّوَبْ ... وجرَّت اليـه الأمانى التعَبْ
لِمَ العَوْدُ مستأخراً دائماً ... إلىَّ وفـيمَ اعتزمتَ الهرَبْ ؟
وعمَّ تفتش إنْ لم تجِنْ ... لنَـيل المـنى فرصة تنتهَبْ ؟
وما أنت تحمـلُ إن لم تكُنْ ... حمولتـك الهمَّ فوق النَّصبْ ؟
وما أنت تعمـلُ ان تبتعدْ ... وبى وحشـةٌ للضحى فى وصَبْ ؟
لانك تتبـع صـفر الاما ... نىِّ فى الليـل بالبرق لمَّا خلبْ .
فلمْ يبـقَ من مُتعات الحيا ... ةِ لتدركها إنْ حمدتَ الطلَبْ ،
سـوى قارصِ اللوم فى جُبنا ... وعتب القبيـلِ إذا ما عتَبْ .

---

(١) العروب — الشديدة العطف على صاحبها .

وحيث تذاكر قفرٌ وأنـ ... تَ بعيد وليتكَ لم تبتعِـدْ
على أن فى شرفتى هذهِ ... قعودى ، ويا نِعم ما أقتعِدْ
وأسـوار بستـانك المزدهى ... أراها فأدهش ممـا أجِـدْ
أراكَ تقـوم على لهفـةٍ ... أليفَ سهـادٍ وحظِّ نـكِدْ
وشيءٌ من الحسن والعزِّ قـد ... دهاكَ وعن سجنه لم تحِدْ
ونبتٌ يسمى (رعاءَ الحمـا ... م) تغافلتَ عنه تَخِفَّ القصَبْ ،
على أن منــه غصون الطَّلا [1] ... أتيحَ الهناءُ لها واقترَبْ ،
فـكانتْ عيونكَ من دمعها ... ترى رىَّ هذا الطَّـلا قد وجبْ .
وهـذا النبـات كرمزٍ يدو ... م لحبى فلا يُبتلى بالعطَبْ
أيا صاحبى سوف نقضى معـاً ... وإهمال شأنكَ عـين السببْ
ونفحةُ حُبـكَ تلك التى ... تضوعُ وتسمو كطيرٍ سما ،
ستعـلو بتـذكار حبى الى ... طباق الهواءِ ورحبِ السما .

الشاعر

ولمَّا سرْتُ فى الرَّوضِ الأنيقِ ،
مساءً والازاهرُ فى طريقى ،
بصرْتُ بزهرةٍ صفراءَ قامتْ ،
على النسرين تبسمُ فى خفوقِ .
وكمْ فى القبالة كالشَّقيقِ ،
ترنَّح فوق ذا الغصن الرَّقيقِ ،
يكادُ يجىءُ بالطَّـلْع العجاب ،
وصُغرَى الزهرتين . أشدُّ حسناً ،
كذا يحيى الرجالُ على التصابى !

السرى الشعر

أوَيلاهُ ! — أنى ذهبنا رَجُلْ ... وأنَّى رحلنا دموعٌ تسيلْ !
وأقـدامُ التُّربُ أودَتْ بهـا ... كذا عَرَقٌ بالجبـينِ البليلْ !

---

(١) الطلا فى الغزلان والنحل صغارها ، وفى النبات الطلع الجديد .

مَعارِكُ لا ينتهى هَوْلُها ... وظماى سيوفٍ شكتْ مِنْ ظماً ،
تصيب الفؤادَ على خدعةٍ ... بجرحٍ يجود لها بالدّما .
وأن الحياة بكل البلا ... دِ على حالها لم تحل بالقِدَمْ
تشهّي ، تلهّى ، رجاءٌ ، ندمْ ... ومَدٌّ يدٍ ليدٍ من ضَرَمْ ،
فظلٌّ المثّل لا يمّحِى ... وذات الرواية والمسرحِ
ومنْ ثمَّ يدعوه غشٌّ الأنا ... م ليحضر للمحفل الأروحِ ،
ولا شيءَ فوق الثرى ثابتٌ ... سوى هيكل البشرِ الناخرِ ،
فيا أسفى لكَ يا صاحبي ... فما أنت للآن بالشاعرِ
ربابتُكَ الصمتُ أودى بها ... فلا شيءَ يدفعُ عنها الكرَى ،
وأغرقتَ قلبكَ فى لجّةٍ ... من الوهمِ مضطرباً حائراً ،
ولم تدرِ أنّ غرام النسا ... ءِ ثليمُ الشباة فكيكُ العُرَى
يُزَيّفْنَ بالدمع كنزَ المنى ... بنفسك والصبُّ لم يعلَمِ
وربُّكَ أعلمُ أنّ الدمو ... عَ من الناس فى حبهمْ كالدمِ

الشاعر

وحين مررْتُ فى الوادى مُعَنّى
إذ العصفورُ فوق الغصن غنَّى
رأى خُضر الفراخ هناك وَهْنا ،
تعالج موتَها ليلاً فأنّا
شدا لجراً ، ويشدو الفجر مضنى
ألا معبودتى ! نوحى الهُوَينا
فربى عند فَقْدَ الكل مَغْنَى
تعالى الله ، والآمالَ أدنى

الـهة الشعر

وماذا تلاقى غداً عند ما ... يجرٌك حسُّك فى معزلِ
عن الناس تنزح فى غفلةٍ ... وحيداً الى . الوطن الاوّل ؟
وايديك تلك التى كمْ جنَتْ ... سيعلو عليها غبار البِلَى

غبارٌ يصيبك من خلوةٍ ولا حول تملك فيها ولا،
فأيّةُ ناحيةٍ تنتحي وأنتَ النزيل بقبرٍ خفي،
لتبحثَ عن ذرّةٍ من هدوء الحياة وما أنتَ بالمنصَف
وصوتٌ ستسمعه صارخٌ عليكَ هنالك لا يغفلُ:
أجبْ ما عملتَ وقد كنتَ حيـ ـاً وتعملُ ما شئتَ لا تُسألُ؟
أأنتَ توهّمُ أن تنتسَى كما يُنتسى الأنسُ عند الكمَدْ؟
أأنتَ تظنُّ إذا ما تبيَّنتَ جسمكَ أن تعثُرَنْ بالجسدْ؟
وقلبكَ معكَ على خلوة فمن منكما يا ترى الشاعرُ؟
هو القلبُ لا شكَّ أن تسألنْـ ـه سها لا مجيبٌ ولا آمرُ!
فقد يشرخُ الحبُّ سوداءهُ ومنحوس رغبته والألمْ،
سيُلقى عليه صخور الأسى وقد لامس القلبَ شرٌّ الأمَمْ،
فما أنتَ تأنس فيه سوى بقيّاتِ قلبٍ تروع البطلْ،
بقايا تحرّكُ ما زال فيـ ـها حياةٌ كحيّات سفح الجبلْ
فيا للسما! منْ يقيكَ الأذى؟ ومن أين لى يا أليفى الحيَلْ!
متى ما نهانى القوىُّ المتيـ ـنُ عن القرب منك وماذا العملْ؟
متى ما جناحاىَ رغماً علتْ بجسمى تشعُّ كلون الذهبْ،
لترفع شخصى الى خالقى وتسلبنى منكَ يا خيرَ صَبْ!
أمسكين! كنا نظنُّ الهوى حديداً فلا نرعوى بالنُّذُرْ
بغاب عطيلٍ متى ضعتَ فى ظنونكَ فى ايِّ حلم يسرْ،
تظللكَ دوحٌ لها خضرةٌ وحورٌ علا فوقنا أبيض
وكم كنتُ أرغبُ فى نزهة وأخرى وأخرى فلا ترفضُ
وقد كنتُ حوريةً بضّةً وجِنّيّةً فى ربيع الشبابْ
وكانتْ تقشّرُ دوحٌ هنا لك تسمّى (البتولا) بأرجاء غابْ
وأدمعُنا سائلات مدى رياضاتنا ثمَّ لا ترقأ،
وتسقط كالذهب المخلِص ببلور ماءٍ فلا نظمأ
فماذا فعلتَ أيا عاشقى بأيام ذاك الصبا والهنا؟
صباكَ جنى ثمرى يانعاً فأين صباكَ؟ وأين الجنَى؟
وخدُّكَ كانت به وردةٌ ومنها الآلهةُ قد أعجبت

فدتْ يدَيها وسلّتْ قوى   عيونكَ والسحرَ ثمَّ انثنتْ
ودمعكَ أجرَته دمعا غبيّـ   ـا وفاتتكَ صفراءَ ممّا جنتْ
هذا مثلما ضاع حسنُ الصِبا   سيفقدُه منك رواهُ التُّقى
وأنى وأنتَ أحبُّ الورى   الىَّ وأعذبهم منطِقا
متى غضِبتْ هذه الآلهة   وقلنَ لروحكَ ثمَّ اصعِدى ،
اذا ما هبطتُ اليكَ أرا   كَ ولا باللسان ولا باليدِ

الشاعر

بما أنَّ ذا الطيرَ فى غابهِ   يغنّى ويجهدُ فى عيشهِ ،
على الغصن يبكى ويشكو الأسى   اذا فسدَ البيضُ فى عشّهِ ،
بما أنَّ كُبرَى الزهور متى   تفتّحُ فى الصبح حين انبثقْ ،
ترى غيرها من زهور الطلا   تفتّقُ عن قشرها فأنفتقْ ،
ولمّا رأتْ هذهِ تلك فى   نموٍّ تداعتْ إذنْ والغسقْ ،
بما أنَّ بين غياض الخلا   وتحت كواكبَ خُضْر الرُّبى
هناك يُرَى خشبٌ يابسٌ   طريحٌ يطقطقُ لمّا كبا ،
بما أنَّ فى عَبر سهل الطبيـ   ـعة وهى الخلود فلا تنعدمِ ،
يُرى المرءُ لا يهتدى فى الحيا   ة لعلمٍ يقال كأنْ ما عَلِمْ ،
سوى سعيه دائماً فى الدُّنى   ونسيانه دائماً ما فَهِمْ ،
بما أنَّ تلك الصخور القوِ   يّة تمسى رماداً ولم تجمدِ ،
بما أنَّ كلاً يُسام الفنا   ليرجع منبعثاً فى الغدِ ،
بما أنَّ ذا القتل يُجرى دماً   يصحُّ لقاحاً لخلقٍ جديدْ ،
بما أن فوق القبور يجـ   ـئُ الثرى للأنام بنبتٍ مفيدْ ،
بساقٍ عليهِ قوامُ الحيا   ة من القمح والساقُ أيضاً يبيدْ ،
فيا ربّتى ، آهِ — فيمَ اهتما   مى إذنْ بالمهاتِ وإلاَّ الحياة؟
أحب وأرضى اصفرارى ، أحـ   ـب وأرغبُ فى الهمّ ويلاه ! آهْ !
أحب وفى قبلةٍ أجتنى   أسلّمُ روحى ولم أندمِ
أحبُّ وأرغبُ أن تستفيـ   ـضَ على خدّىِ الذابل العندمى ،

دمـوعٌ تُراقُ ولمَّا تجـ ... فَّ ، ولو جفَّ مما ألاقى دمى
أحبُّ وأشـدو على شهوةٍ ... بذكر هـوان الهـوى والجَذَلْ
وبلهاءُ تجربتى يومهـا ... مريعٌ وفيـه بلوغ الأملْ
أريدُ الحـديثَ تباع الحديـ ... ثِ أكرّرُ فى الحبّ تلك الجُمَلْ
بأنى اذا كنتُ أقسمتُ أنْ ... أعيشَ وحيـداً بلا غادتى
فانى إذَنْ قـد جلبتُ الرَّدى ... لنفسى غراماً بلا رحمـةٍ .
تخلّصْ فؤادى من الكبر قـد ... براكَ ولا تخشَ من أىّ حىّ
فـؤادى ، فأنتَ ملىءٌ وكمْ ... ظننتَ خلوَّكَ من كلّ شىْ
تقتَّـلْ ، تَعدْ صاحياً ، واعتمِلْ ... لنفسكَ منكَ ازهراراً وهمْ
فبعـدَ الغــرامِ ونـيرانهِ ... وجوبٌ على الصبّ أن يضطرمْ
ويلزَمُ بعد ائتلافِ الهوى ... بأنَّ هـوى القلب لا ينعدِمْ

ليــلة اكتوبر

الشاعر

وجدى الذى قاسيتـهُ ... قد فرَّ كالحُلم المزايلْ
لم أدرِ للذكرَى البعيـ ... ـدة من شبيهٍ أو مماثلْ
إلاَّ ضبابٌ واهنٌ ... فجراً تلاشى فى الشمائلْ
ومع النـَّدَى يفنى إذا ... سطع الضياءُ على المنازلْ .

الـهة الشعر

وماذا إذَنْ كان يا شاعرى !
لديكَ وأىُّ شقـاءٍ خَـفِى
أبانك عـنى أيا هاجـرى ؟
فَوَيلاهُ — ما زلتُ فى مخوَفِ

فما ذا الأسى ليس بالظاهر
وكم فيه نحتُ ولم أنصف ؟

الشاعر

ذلك همٌّ هيّنٌ يعرفهُ كلُّ الرجالْ!
لكنْ متى كنا وفى الـ قلبين وجدٌ وانشغالْ،
فاذنْ نظنُّ وقد عدا عادى الجوى فينا وجالْ،
ألاَّ سوانا فى الحيا ةِ يسامُ آلام الجبالْ

إلهة الشعر

ألا ليسَ همٌّ يُرى هيّنا
سوى همِّ نفسٍ ترى هيّنَهْ
فيا صاحبى اليوم سرٌّ العنا
سيشتطُّ عن نفسك المحزنهْ
فثقْ من ودادى وراعِ الذمّمْ ،
فانَّ السكوتَ ولىّ ظلمْ
وما الصمتُ إلا شقيق العدمْ،
وكم بالشكاوى عزاءُ السمير
وربَّ حديثٍ شهىٍّ يسير
يخلّصُ من وخزاتِ الضمير

الشاعر

إن كان قد آن التحـ دُّثُ فى عذابى والسقمْ
فبأى أسماءٍ أسـ ـمّى ياترى هذا الألمْ؟
أصبابةٌ أم جنّةٌ أم غيرةٌ أم خُبرهمْ؟
بل أىُّ شخصٍ فى الدُّنى يسطيعُ منها المغتنمْ؟
أرجو الحكايةَ عن هوًى فى ذلك الوجدِ العممْ ،

ما دمتُ معكِ بخلوةٍ ... نجلسُ قربَ المضطرَمْ
نخذى الرَّبابةَ واقربى ... منى ، وفكرى الملتَهمْ ،
صحّيه أنت برنّةِ الـ ... أوتارِ ينعشْه النغمْ .

الآلهة لشعر

لعلَّك من قبل شكوى أسا
كَ أيا شاعرى نلتَ منه الشفا ؟
هو الحُلم يُوجِبُ فى ذا المسا
حديثاً بغير هوًى أو جفا .
فان كنتَ تعرف انى كما
علمتَ أعزُّ المواسين لكْ ،
فلا تشركنّىَ معك بما
جنيتَ بذكرَى جوًى زايلكْ .

الشاعر

انى شفيتُ النفسَ من ... تلك الزمانةِ ، بؤسها
داءٌ وفيه كلّما ... فكرتُ شككتُ النُّهى
ومتى ذكرتُ مسالكاً ... هانتْ حياتى عندها ،
فكأنَّ شخصاً ثانياً ... غيرى أراه اجتازها .
أإلاهتى لا تفزعى ... فبنفحِ ما تتنفّسينْ ،
نملكُ لا فى خشيةٍ ... ان نكشفَ السرَّ الرفينْ .
عذْبٌ بُكانا فى الجوَى ... وكذاك عذْبٌ الابتسامْ
فى ذكرِ ماضٍ سوف يُنـ ... ـسَى مع أساهُ والسقامْ .

الآلهة الشعر

ممـيرىَ انى كأمٍّ رؤومْ ،
لدى مهد طفل عزيزٍ ثوَتْ

حدبتُ كذلك خوفَ الهمومْ ،
على مُهجةٍ فيك كم أُغلقتْ .
تكلّمْ ، أليفى ، — فقيثارتى
صموتٌ لتلحين ساهى الرنمْ
تتابعُ صوتك وفقَ النغمْ .
وبين شعاعات هذا السّنا ،
كحُلمٍ تَكشّف فى خِفّةٍ ،
سيذهب طيف زمان العنا .

الشاعر

أيامَ كدّى أنتِ لا غيرك أيامُ الحياهْ !
آهاً ثلاثاً وحدَتى لولاكِ ما كرّرتُ آهْ .
والحمدُ للمولى على عودى اليكِ — حجرتى ،
حجرة درسى من قديـ م العهد عهد النعمةِ .
يا موضع المأسى ويا جداران بيتى الموحشِ ،
يا مقعدى المغبرّ يا مصباح أنسى المنعشِ ،
أىْ أنت يا قصرى أيا كونى الصغير ومسرحى ،
أىْ غادتى يا ربّة الـ شعر الذى لا يمّحى
الشكرُ للهِ على أنّا سنلهو بالغِنا
فتردُّ نفسى رحبةً بعد انقباض فى العنا ،
وستعرفون الامرَ أجْ مع إنّنى أبغى المقالْ
وترَوْن ماذا تجلب الـ مرْأة من كيد الرجالْ :
إنسانةٌ — يا أيها الـ ألآف جرّتْ محنتى
أسفاً وأنتمْ رُبّما قد تعرفون حكايتى
هى مَرأةٌ فتّانةٌ ولها خضعتُ بذلّةٍ
كالعبد يخضعُ عند سـ يّدهِ خضوع الهيبةِ .
يا نيرَ رقى ! فيك قد بى قد أُصيب بنكبةٍ
فقدَ القوىَ وشبابَه طيشا فما من قوّةٍ
لكنّنى فى كل وقـ تٍ كنتُ قرب خليلتى ،

كنتُ السعيدَ احسُّ أنْ ... ى قد ظفرتُ بنشدَتى.
وتجاه ساقيةٍ معاً ... كنا نسيرُ بنشوةِ
ليلاً هناك ونستريـ ... حُ على كثيب الفضّةِ ،
والحورُ مبيضٌّ نوا ... هُ أمامنا فى هِزّةِ ؛
يكشفُ عن بُعدٍ لنا ... سَنَنَ الطريق برَوْعةِ ؛
وكذاك أنظرُ فى سنا ... ءِ البدر عند الجلوةِ
وَلدىَّ هذا الجسم ما ... ل ألى ذراعَىْ صبوتى،
وكفىَ فانى كنتُ لا ... أدرى لأَيَّةِ غايةِ ،
أو فيمَ كان اقتادنى ... أملى هناك ورغبتى،
إذ راحَ سُخط الآلهه ... سُخطاً شديد الوطأةِ
طلب الفداءَ كأنهُ ... لضحيةٍ فى حاجةِ
فأرادَ لى هذا العقا ... ب لِلاَ أقلّ جنايةِ ،
إلاَّ محاولتى أُجـ ... رِّبُ أنْ أنال سعادتى.

السنة الشعر

خيالٌ لأَعذب ذكرَى بدى
يعود الى ذهنكَ المضطربْ ،
على أثرِ خطَّه من مدى
ففيمَ المَخاف من المنقلبْ ؟
أمن صدق ما أنت حاكيه أنْ
كفرْتَ بأيام صفو الزَّمنْ ؟
فأن كان حظكَ غيرالحَسنْ ؛
فتاىَ ، فكُنْ مثله فى الاقـل
بسيماً لتلك الشجون الأُوَلْ.

الشاعر

كلاَّ ففى حزنى وآ ... لامى اصطنعتُ الابتسامْ
وكما علمتِ بلا انتفا ... ل أبتغى بسط الكلامْ ،

أشكو اليكِ سئامتى وعجيب وهمى والهُذاءْ
وأقول عن وقتى وسا عةَ أقبلتْ فُرَصُ الهناءْ
قد كان ذاكَ إخال فى احدى لييلات الخريفْ
بأساءَ تشبه هذه الـ ليلةَ فى القُرّ المخيفْ
وأنينُ عصف الريح يصـ فر بالصفير المستديمْ
قد هزَّ فى رأسى الهمو مَ السود والوجد القديمْ
قد كنتُ ألزم شُرفتى رهنَ انتظار عشيقتى



وجميعُ مافى الكون صا غٍ فى سكون الظلمةِ
إذْ بى أُحسُّ الضيقَ من نفسى وبعضَ الغُمَّةِ
حسّ أنّى بالشكّ لا سوجدان شكَّ خيانةِ
واظلمَّ شارعُ مسكنى وخلتْ مسالكُ حارتى

وإذا بطيفٍ حاملٍ ناراً يمرُّ بخفّةٍ
بيْنا الشّمال لها هبو بٌ عند باب الحجرة ،
إذ كان يُسمعُ ثمّ صو تٌ تنهُّدٍ فى خُفيةٍ .
لم أدرِ كيف لأىّ شؤ مٍ أم لأيّة طيرةٍ ،
أسلمتُ عقلى ثائراً متخلفاً فى ذلّةٍ .
وهناك كنتُ أُحسُّ فى وهْم بقيّة قوّةٍ
فشعرتُ أنى فى ارتعا شٍ عند دقّ الساعةِ
دقّتْ ! وما خوْدى تجى ءُ فرحتُ فى إطراقه ؛
ولبثتُ أبعثُ ناظرَ ى الى الطريق بوحدتى .
ما قلتُ بعد اليك أيـ ـةُ غـيْرةٍ يا ربّتى
قد أشعلتها المرأةُ الـ حرْباءُ داخل مهجتى ؛
ما كنتُ أعشقُ غيرها واذا مُنيتُ بلحظة
من يوم مناها لكا ن اليوم يوم منيّتى .
لكنّنى رغم الهوى فى بأس تلك الليلةِ ،
أجهدتُ نفسى كى أُحطّ مَ والمهاةَ علاقتى
ودعوتها مثّةَ مها ةَ الغدر خود الخدعةِ ؛
وذكرتُ كل مصاوىء فى حب تلك الغادةِ .
أسفاً لذكرى حسنها الـ مقضىّ فى الأزليّةِ ،
لمهـــانتى وتألّمى فى بؤس تلك اللوْعةِ .
طلع النهارُ . وقد ملل تُ من انتظار عشيقتى .
أكَرَى غراراً اذ أهوّ مُ فوق حافة شرفتى
وفتحتُ جفنى لوليـ ـد الفجر سمح الطّلعةِ
وتركتُ طرفى زائغاً متردّداً فى حيْرةٍ ،
إذْ بىَ عند المنحنَى من رأس تلك الحارةِ ،
أسمعُ صوت السير فى حذر وكل هوادةِ
ربّاهُ كُنْ لى إنها هى يا لَتلك الدهشةِ !
دخلَتْ - تُرى من أين جئْتِ وفيمَ فقدُ الليلةِ ؟
وَيلى - ومن ذا قد أتى بك يا تُرى فى الساعةِ ؟

بل أين ذا الجسمُ الوضى ء امتدَّ حتى الضحوةَ ،
وأنا هنــا سهران وحـ دى ليس ترقأُ عبرتى ؟
فى أىِّ بيتٍ ، أو سريـ رٍ ، كنت مع مَنْ ، فتنتى
أغدورُ هــل من جرأةٍ لكِ بعد تلك السقطةِ ،
أن تبعثى فكِ الأثيـ مَ الى طهارة قبلتى ؟
ماذا تريدين إذن قولى – بأيّـة غلةٍ ،
تتحضّـنينى بين عط شى ساعديكِ ، مسيئتى ؟
إذهبْ ومِلْ عـنى وبا عدْ يا خيال خليلتى
وارجعْ لقبركَ إن تـكن منـه بُعِثتَ لمحنـتى ،
دعنى لنسيان الهوى أبداً وعصرِ شبيبتى
وإذا ذكرتُـك فليكُنْ ذكرك حـلم الغفوةِ .

آلهة الشعر

خفّض عليـك فأنى اليكَ يا صاح أضرعْ
فى حديثكَ وجدٌ منه أخاف وأفزَعْ ،
أى – يا أعز أليف ! ما زال جُرحك جرحا
جرحاً تهيَّأ يشـكو أذاهُ يطلب فتحا ،
وَيلى عليـه فأنى أراهَ أبعـدَ غـورا
كـذاكَ بُرْءُ كلوم الـ حياة ببطىء سيرا .
فانسَ الهموم وهوِّنْ لعـلَّ نفسك تبرا
وامحُ اسم شرِّ نساءِ الـ وجود كيداً وغدرا
تلك التى ليس يرضى لهـا لسانىَ ذكرا .

الشاعر

لعنـاً عليك وتعساً اليـك أوّل أنثى ،
قـد علَّمتنىَ غدراً ولقَّـنتنىَ نكثا
وعوَّدتنىَ سخطى وأفعمتنىَ رعبـا
وأفقـدتنىَ عقـلى فما أرى لىَ لُبَّاء

تَبّاً لعينك فيها يا مرآةَ السوء ظُلْمَهْ
قضتْ بشؤم غرامي ولوعتي المدْلَهِمَّهْ ،
إلا تُوارى وتُخفى فى جوف ذاك الزّمانِ ،
ربيعَ عمرى وأيا مِى العذاب الحِسان
وفاتن الصوت منكِ وذلكِ الابتسامُ ،
ونظرةٌ ذات خِدعٍ وارَى أذاها الغرامُ
بواعثٌ سوّأتنى فساءَ منى الكلامُ
أسبُّ حظّى وسعدى كأنّـهُ الأوهامُ .
شبابكِ الغضّ مهما نَبَتَتْ بِهِ الأيّامُ ،
قد أودع اليأسَ قلبي فشبّ فيه الضرامُ.
إنْ كان فى الدمع شكّ منى وكان ارتيابُ ،
فذا لدمعٍ غزيرٍ أجراهُ منكِ انتحابُ
خزياً اليكِ فأنى قد كنتُ ما زلتُ غِراً
كالطّفل لم أدرِ خيراً منكِ ولم أدرِ شرّاً
قلبي كزهرة روْضٍ راحتْ تفتّحُ فجراً
فتحتُهُ لك رحبا حيث الغرام استقرّا
قلبٌ بغير حصونٍ تحميه إن خاف ضُرّا
لا بدّ يُخدعُ سهلاً . لا بدّ يُحتلّ قهراً،
لكنّ ما دام فيه ال إخلاص يزداد طهراً ،
فالطُّهر للقلب يكفى والأُنس بالطُّهر أحرى
عاراً عليك وسخطا يا أُمّ حزنى وهمّى
يا أُمّ أولى سقامى يا أصلَ وجدى وغمّى
أنتِ التى من جفونى فجَّرْتِ عين الدموع
عيناً ولا شكّ تجرى بغير وقف النبوع ،
تفيض من غَوْر جرحى وما لجرحى اندمالُ
لكنّ فى مرِّ مائى هذا كفى الاغتسالُ
وفيه أنى سألقى ذكراكِ ـ حيث الزوالُ

آلهة الشعر

يا شاعرى قصّرْ حكا يةَ مرآةٍ سوْآءَ غادرْ ،
ما دام وهمُك غير يو مٍ ليس يلبث أن يغادرْ
لا تفضح اليومَ الأخيـ ـر بذكر صاحبة الجرائر
فاذا احترمتَ الحبَّ كنـ ـتَ اذا أردتَ فتى العشائرْ
ان كان فوق طبيعة الـ إنسان مهما أن يكابرْ ،
غفرانُ سوء الغير يا حقهُ مع النُّوَبِ الكبائرْ ،
وَفّرْ عليك الحقدَ ا نَّ الحقد مقراضُ الضمائرْ
واذا تعصَّى الصفحُ فانـ ـسَ فانمّا النسيان غافرْ
قد ساد فى الموتى السلا مُ وهم نيامٌ فى الحفائرْ
وكذا عواطفُنا وقد أُطفئنَ تُدفنَ فى السرائرْ
هـذى رفات القلب لم تعدم رخاماً غيرَ ثائرْ
فاحرصْ ولا تمددْ يديـ ـك إلى مضاجعها وحاذرْ
لمَ لا ترى فيها ذكرْ ت بهوْل تلك القصةِ
غيرَ الخيال وغيرَ حُـ ـبٍّ مبتلٍ بالخدعةِ ؟
أتُرى بلا جدوى مضى فى الناس حكم القدرةِ ؟
أتظن أنَّ الله يرْ غب أن تصاب بنكبةٍ ؟
حاشا ففى صدمات قلـ ـبك حفظُ تلك المهجةِ
فتفتَّحتْ وتسلَّكتْ فيها سبيل السلوةِ
والمرءُ تلميذٌ معلّـ ـمه التضنّى والسقم
لمْ يدرِ شيئاً فى الدُّنى ما دام لم يُسَم الالمْ
شرْعٌ شـديدٌ ظالم لـكنّـه الشرع الجلل
صنوُ القضاء وفى الوجو د له المضاء من الازَلْ ،
ذاك الذى يَقضى عليـ ـنا الحزنَ فى يوم العماد
هذا وبالاوْصاب تُشْـ ـرَى كلُّ لذّات العبادْ ،
والزرعُ محتاجٌ لِـ ـرِىٍّ فى بلوغ الاستواءْ

وكذلك الانسان تُنا — جئه الحياةُ الى البكاء ،
والساقُ يُنتزَعُ من أديم الارض رمزاً للسرور
ساقٌ تطرَّى بالنـدَى — يخفيه اكليـل الزُّهور
أوَلستَ قلتَ الىَّ أنـ — ـكَ قد شُفيتَ من الجنون؟
أوَلستَ شاباً ناعماً — ومعزَّزاً أنَّى تكون .
قُلْ لى وتلك مباهج الـ — ـعيش المحبَّب فى الحياة ،
لو لم تكنْ بالدمع نيـ — ـلَتْ كيف كان الحال آه .
فى حين مثواكم على الـ — أعشاب فى ذيل النهار ،
إذْ كنتَ والإلف القديـ — ـمَ تدير كاسات العقار ،
قلْ لى وأخلصْ هل رفعـ — ـتَ الكأسَ إلاَّ بعد أنْ ،
أحسستَ قدر الأُنس حـ — ـتى رحتَ تقتنص الزمن .
هل كنتَ تعشق خضرة المرعى وأصناف الزهور ؟
هل كنتَ تهوَى صوت (بترارك) [١] وتغريد الطيور ،
وكذا الفنون أو الطبيعية فى (ميشيل) [٢] أو (شكسبير) ،
إلَّمْ تكن آنستَ فيـ — ـها الرَّوحَ اثناء الزفير
أم كنتَ تدرك الانسجا — م السمحَ فى سيما السماء
وسكونَ ليلٍ هادىءٍ — وسكينةَ وخريرَ ماء
إلَّـمْ تكنْ جعلتكَ حُمَّى الوجد ثمَّ او السهاد ،
متخيّلاً أبدىَّ را — حة كل روحٍ فى العباد ؟
والآنَ انتَ أما تجِدْ — تَ صبيَّةً كخليلة
ومتى شددتَ على يديـ — ـها فى حلول الهجعةِ ،
حيث الشباب يُنمُّ عن — ذكرى هناك قصيَّةِ ،
هلاّ يروعك الابتسا — مُ من المهاة البضَّةِ ؟
أتراكَ لم تذهب واياها معاً للنزهةِ ،

---

(١) بترارك — شاعر ايطالى شهير ألف كل اشعاره جانب نافورة فوكلوز تشبيباً فى صاحبته الجميلة (لورادي نوف) ١٣٠٤ — ١٧٣٤ .

(٢) ميشيل انج — رسام ايطالى وهو اعظم مصور وجد فى العالم ١٤٧٥ — ١٥٦٤ .

فى بطن غابٍ مزهرٍ وعلى كثيب الفضّةِ ؟
فى ساح صرحٍ أخضرٍ والحور هزّ بروعةِ ،
يهديكما سَنَنَ الطريـ ق بستر ليل مسكتٍ ،
هلاّ ترى والبدرُ وضّا ء مبيد الظلمةِ ،
جسماً جميلاً فى ذرا عيك انثنى فى مَيعةِ ؟
هلاّ شعرْتَ كما جرَى قبلاً برُجعَى الغبطةِ ؟
هلاّ مشيتَ ممتَّعاً فى إثر تلك الغادةِ
فاذَنْ علامَ النوْح والـ شكوَى وذكر الغُمّةِ ،
ولقـد زهـا الأمل المخلَّد تحت أيدى المحنةِ ؟
وعلامَ تحقد فى الغرا م على شباب الخبرة ؟
متكرِّهاً ألمـاً به أدركتَ أهنَى حالةٍ ؟
أىْ — يا فتاىَ لتشكر الخَـوْد المحوّنة التى ،
أجرَتْ دموعك إنهـا منحتك أنفع منحةٍ .
لا تشكُها فالله قد أدلَى بتلك المرْأةِ ،
لتحسّ بعد غرامها سرَّ المنَى والنعمةِ .
كانتْ تحبكَ وهى قد أدَّتْ أشقَّ مهمَّةِ
لكنْ قضى لك حبُّها تجريحَ خامِ المهجة
فهى العليمة بالحيا ة فعلّمتْك وولّتَ
وأتتكَ أخرى تجتنى أزهار أولى النسوَةِ
فأسفْ لها ـ فغرامها المفقود حُلم اليقظةِ
نظرتْ جروحَك ما لها فى برئها من حيلة
فاعلم بأنّ دموعها صدقٌ وما من خدعة
قد علّمتْك الحبّ كيـ ف يكون فاشكرْ واسكتِ .

الشاعر

حقاً تقولينَ فالبغضاء مأثمةٌ وثورةٌ كلها ملأَى من الخطر
لها دخانٌ إذا ماراح منتشراً فى القلب رحتُ أُحسُّ الضيق فى صدرى
إذَن إلاهة شعرى الآن فاستمعى ثمَّ اشهدى بعد تبريحى على قسى

بالاعين الزُّرقِ مِمَّن بتُّ أعشقها ... وبالسماء وبالا فلاك والحُمَمِ ،
بجمرة الشُّهب تذكو فى توهُّجها ... بالزُّهرة اضطرمت فى أى مضطرَمِ ،
تشعُّ كالدرَّة العصماء فى أُفقٍ ... تألَّقتْ فيه ما أبقتْ على الظُّلَمِ
وبالطبيعة فى أقصى جلالتها ... وبالخليقة لم أحنثْ وبالنَّسم
وبالضياء نقياً هادئاً هُدِيَتْ ... به المشاةُ بجنح الليل فى الأُجُمِ
بالعشبِ ، بالخضرةِ ، المخضلّ جانبها ... بالغابِ ، بالمرْج ، مكتظّاً من النَّعمِ ،
وبالحياةِ على الدنيا وقوَّتها ... بمادةِ الكونِ لم أندمْ على قسمى ،
إنى طردتك من وهمى وذاكرتى ... أشلاءَ مجنونِ حبٍّ كان بالقِدَمِ ،
وأنت باقصَّةَ البؤس الذى دُفنتْ ... ذكراه فى غابرٍ لا شك منعدمِ ،
وانتِ يا من قديماً كنت حاملةً ... لاسم الحبيبةِ عذبٌ لفظه بفمى ،
لَئن نسيتُكِ فالنسيانُ لحظتُهُ ... لتبقَ لحظةَ صفحٍ طيّبٍ عَمَمِ .
صفحاً ـ فحبل غرامى باتَ منصرماً ... وكان عند الاهى غيرَ منصرم
بدمعةٍ من دموع الحبّ باقيةٍ ... أهدى اليكِ وداعا خالدَ الرَّسْم
إذَنْ هلمِّى نبيِّنْ ما يخالجنا ... يارَبَّة الشِّعر من حُبٍّ بلا سَأم

وأنشدى نغمةً روحاءَ مشجيةً ... كعهدنا فى ليالى الصفو والنعم
وهذهِ نفحات الزَّهر عابقةً ... تُحيِينُ مطلع صبحٍ هادىءٍ شبم
هيَّا معى أيقظى حسناءَ ثانية ... عشقتها تقطفْ الازهار فى رَنَمِ
هيَّا انظرى كيف تصحو من سكينتها ... تلك الطبيعة تُنبى كِلَّة العدَمِ (١)
ولنمضِ معها لتجديد الحياة متى ... أطلَّ بِكر شعاع الشمس للأُمم

ليـــلة ديسمبر

الشاعر

وبينا كنتُ تلميذا ... بليلٍ قمتُهُ أرِقا
أضاءتْ غرفتى فإذا ... بجانب مكتبى ألقى ،
صبيَّا أسود الثوبِ ... حزيناً مشبهى كأخٍ

بوجهٍ شاحبٍ حسنٍ أتي في ضوء مشكاتي
فتحتُ صحيفتي فتلا وأغفى فوقَ راحاتي
لحان الصبحُ وهو على ظنون وابتسامات .
وحين بلغتُ خامسةً وعشراً سرتُ في مهَلِ
أدوس العُشبَ في غابٍ وتحت الدوح شبهٌ لي،
فتيً أسودُ الثوبِ أراهُ مشبهي كأخٍ
سألتُ الشبحَ يهديني وفي يمناهُ قيثاره
وفي يسراهُ أزهارٌ لحيًّا الشبحُ من زاره
وأومأ لي بأصبعه الى تلٍّ علا جارَه
ويومَ ذكرتُ أحبابي وكنتُ بحجرتي وحدي ،
وأبكي بدءَ تبريحي رأيتُ مؤانساً عندي
غريباً أسودَ الثوبِ أراهُ مشبهي كأخٍ .
بوجهٍ عابسٍ ساهي علتْ يدُهُ الى اللهِ
وأخرى تنتضي سيفاً فرَقَّ لهمِّيَ الداهي
وردَّد زفرةً ومضى كحُلْمٍ ضائعٍ واهي .
ويوماً كنتُ في عُرْسٍ دعيتُ إليه للأُنس
مددتُ يدي الى كأسي فكان قُبالتي إنسي
مضيفٌ أسود الثوبِ أراهُ مشبهي كأخٍ .
ويخفقُ تحت سترته قميصٌ في البِلَى فاني
وتاجٌ ذابلٌ فدنَت ذراعانا وحيَّاني
فدقَّ الكأسَ بالكأسِ وإذ بالكأس شطرانِ .
مضى عامٌ فكان مَسا حدَبتُ على سرير أبي
وأذكر وقتِ موتتهِ وإذ بفتىً تعلق بي
يتيمٌ أسودُ الثوبِ أراه مشبهي كأخٍ .
بكى فعليه اكليلٌ من البأساء والقبضِ
ومن آلامه ألقيَ ربابتَهُ الى الارضِ
وأدلَى ثوبَه القاني وضمَّ السيف بالعرضِ .
صديقٌ عشتُ أذكره وأعرفه ويعرفني
ففي حِلِّي وفي سفري أرى ذا الطيفَ يصحبني

ملاكاً كان أمْ جاناً فأنى كنتُ لازمنى.
ملتُ وقد عمدتُ الى حياة أو الى حَـيْنِ
(فرنسا) شئتها منفى ولا صبرى على الهوْن
فرحتُ وراءَ آمالى لأدفع عادىَ البَيْن
ففى (بيزا) لدى (الآبنين) و (كولنيا) امام (الرينْ)
ووادى (نيس) تتبعه (فلورنسا) تسرُّ العينْ
(بريج) فيها معاملها تشقُّ (الآلب) فى شقينْ
لدى الليمون فى جنوا وفى (فبفى) زها التفاحْ
وبعد (الهافرْ) (فينسيا) و (ليدو) المرعب الارواحْ
هناك الموجةُ الصفرا بعُشب فنائها ترتاحْ
غياضٌ تحت أنجمها أصبتُ العينَ والقلبا
بجرحٍ دائمٍ دامٍ هناك يُزَحْزِحُ الكرباء
ملالٌ أعرجٌ قد سا ربى يستروح العُشبا.
مجاهلُ قد ظمئتُ بها فأُنكِرُها وتنكرنى
أطاوعُ ظلَّ آمالى وثَمَّ أعادنى زمنى
لناسٍ كنتُ تاركهم على البهتان والفتَنِ
ربوعٌ كم أنا فيها بعثتُ لجبهتى كفِّى
وتحتُ مناحةَ الثكلى ونفسى فاتها إلفى
كشاةٍ صوفها نضَّت فناحتْ من أذى الحيْفِ.
فأنِّى رحتُ للنومِ وأنِّى سرتُ للموتِ
وفى سهلٍ وفى جبلٍ خيالٌ خافت الصوتِ
حزينٌ أسود الثوبِ أراهُ مشبهى كأخ.
تُرى من أنت يا هذا؟ وخَطوى وفق خُطواتكْ
زفيرُك لا أصدِّقهُ لعلَّك حظِّىَ الحالكْ
فماذا الدمعُ تسفحهُ وماذا فى ابتساماتكْ؟
أراكَ فأقبلُ القدرا أنيبى مثل أنَّاتكْ
وآهى أختَ آهاتِكْ

تُرى من أنت يا هذا؟ ولست ملاكَ الحامى

تُريدُ مذلّتي عجباً وقد أبصرتَ آلامي
تَبِعتُ خُطاكِ مذ عشري ن عاماً كامرىءٍ عامي
أمبعوثٌ ولا تَرْضَى مشاركتي بأنغامي
ولا في درء آلامي ؟

رأيتُكَ زائري الليلةْ فقلتُ الشؤمُ قد حانا
تهزُّ الريحُ نافذتي ووحدى كنتُ سهرانا
سريرى كان متكَأً ذكرت عليه هِجرانا
أحسُّ سراج أيامى خفوقاً راح وسنانا
كأنَّ الأُنس ما كانا

جمعتُ رسائلَ الحبِّ وشعراتٍ من الخَوْدِ
لأُسمعَ نغمةَ الماضى وأذكرَ خالد العهدِ
بآثارٍ مقدَّسةٍ يُهزُّ بلمسها زَندى
ودمعُ القلبِ ملتَهِمٌ عليه أعينى تُندى
وتنكرهُ بيوم عيدِ

هناءٌ راح ما أبقَى من النُّعمى سوى الأثَرِ
لفافاتٍ من الشِّعرِ وأبياتٍ من الشِّعرِ
فتهتُ ببحر أوهامى غريقَ الهمِّ والفكرِ
وأبحثُ لا أرى أحداً فنحتُ على هوىً عِطرِ
صريعٍ في يد القدَرِ

ختمتُ بأسود الشمع على آثار من أهوَى
وعدتُ بها لموضعها بكيّاً آلف النجوى
مهاةَ الضّعفِ والكِبرِ سيُحرمُ قلبك السلوى
دعى التضليلَ كم دمعاً سكبتِ معى وكم شكوى
أحُبّاً كان أم دعوى ؟

أفيضى أنَّةً وجوًى ففيكِ الوهمُ غدّارُ
وداعاً. واحصرى الساعا تَ ان شطت بنا الدارُ
فبينى وازدهى بالكبر انّ الكبرَ غرّارُ
وقلبى لم يزل رحْباً اذا سكنتهُ أكدارُ ،

فنـاركِ فوقهـا نارُ
وبعداً فالطبيعةُ قد قضتْ ان لاتكملكِ
ملكت الحسنَ يا غفلىَ وليس الصفحُ خلّتكِ
فبينى لستُ أفتقدُ كـل شىءٍ حين افقدكِ
وذرّى حبنا فى الرّيـح مهما كان طال بكِ
إذا شاءت صبابتكِ
ولكنّى أرى شبْحاً بطيئاً دبَّ فى الليل
وطيفاً فى الستار ثوى وأقبلَ حائماً حولى
فمن ذا أنتِ ياصفرا ء يا مسودّة الحُلل
ترى هل صورتى انعكستْ على المرآة؟ واخبلى
لعلَّ الوهمَ خيّل لى
ألا مَنْ أنتَ ياطيف الـ شباب فلم تذرْ شيّا؟
أجبْ ـ لِمَ كلما أزمعـ تُ نأياً تبتغى اللقيا؟
ألا مَنْ أنت ياضيف الـ هموم معى المدى يحيا؟
فمالك بى أخا حَزَنى أبات الهمُّ مقضيـا
عليكَ معى على الدنيا؟

الطيف

أخى مهلاً ـ أبوك أبى ولستُ ملاككَ الحارسْ
أعيشُ ولا أرى صحبى ولستُ بحظك العابس
فلم أعرفْ لكمْ خطواً كأنّى فى الدنى هاجس
ولستُ الإلاهاً او جاناً فقد ناديتنى باسمى،
متى شبّهتنى بأخ ومعك أعيش من قِدمِ
وأثوى إن أتاك المو ت فوق القبر فى الندم
وقلبك لى من المولى فإنْ نزلتْ بك الشدّه،
اغثكَ فنادنى إنّى لعونك فى الأسى عُدّه
ولا تلمسْ يداكَ يدى أخى ـ إنى أنا (الوحده)

وداع هكتور (١)

مقطوعة للشاعر الألمانى شلر (Schiller)

نقلها الى العربية الدكتور على العنانى ، طبق الاصل الالمانى

اندروممخة (٢)

أيريد هكتور نأياً دائماً ،
حيث أخيل (٣) بيد عاتية هاجماً
يقدم لباتروكلس (٤) قرباناً رهيباً ؟
من ذا يكون لطفلك أديباً ،
يعلمه الرماية وتقديس الارباب
إذا ابتلعك الاركُس (٥) اليباب .

هكتور

زوجى الوفية ، ارقأى الدمع !
فشوقى الى الوغى حديد اللذع ،
وهذى الذراع حمى برجاموس (٦)
مدافعاً عن موقد الآلهة الأمِن

---

(١) Hektor هو ابن ملك طراودة والقائد الأعظم لجيش أبيه ضد الجيش الاغريقى فى الحرب المعروفة بحرب طروادة ، يودع زوجه اندروممخة عند خروجه للحرب .
(٢) Andromache زوج هكتور . (٣) Achill أكبر أبطال الجيش اليونانى فى حرب طراودة . (٤) Patroklus من أبطال اليونان فى حرب طروادة وهو صديق أخيل ومن أجله وبتأثيره تقدم أخيل للمقاتلة . (٥) Orkus دار الظلال (دار الآخرة) الواقعة تحت الأرض وتسمى أيضاً هادس (Hades) وترتاروس (Tartaros) واربوس (Erebos) . (٦) Pergamus بلاد برجام فى شمال آسيا الغربى الى الجنوب من طراودة وقاعدتها برجامون ، واليها تنسب الرقوق وهى الجلود الرقيقة التى تتخذ للكتابة ويعرف بالاسم برجامنت .


افريدريج شلر

أموت ، وحامياً للوطن
أهوى الى اعماق استيكوس[1] .

اندروماخة

الى الابد لا أسمع ترنان سلاحك ،
ولَقِيَ تبقى دروعك فى مراحك ،
ابرياموس[2] بيت البطولة العظمى انفطر .

(١) Styxus أو Styx نهر الرعب والظلام الموصل الى عالم الظلال .
(٢) Primas ملك طراودة ووالد هكتور .

أنت صائر حيث لا نهار يلمع ،
يبكيك كوكيتوس[1] والمكان بلقع،
وحبك فى نهر ليتى[2] يندثر .

هكتور

كل أشواقى وكل فكرى .
فى نهر ليتى سوف تجرى ،
ولكن حبي اليك لا يفوت .
صه ! العدو لدى الاسوار قريب .
قلدينى السيف وليغادرك النحيب !
حب هكتور ـ فى ليتى ـ لايموت .



مرثيـــة

﴿ من أوائل شعر جون ملتون ﴾
مترجمة عن الانكليزية

هاتوا الزهورَ التى تذوِى إذا تُركَتْ ... والوردَ أبيضه والأحمرَ القانى
وكلَّ ريحانةٍ خضراءَ يانعةٍ ... وكلَّ عُـودٍ ندىّ الزهرِ فينانِ
والنرجسَ الغضَّ مبيضاً ومنتقعاً ... مثلَ العيونِ عليهـا دمعُ أحزانِ
هاتوا البنفسجَ يحنِى رأسَه حزناً ... كأنَّ إطراقه اطراقُ اسوانِ
والياسمينَ الذى دلَّ الشحوبُ به ... على زهادةِ هذا العالم الفانى
ضَعُوا الأزاهيرَ اكليلاً على جَدَثٍ ... ثوى به خيرُ أحبابى وخِلاّنى

(١) Kokitos نهر الضجيج أو العويل والبكاء ، وهو أحد الانهار الموصلة الى دار الظلال (٢) Lethe نهر النسيان يشرب منه الموتى فينسون ماكانوا عليه فى الدنيا من ألم وعناء وضيق .

ملاحظة :ــ هذا نوع من الشعر الاكلاسيك الحديث تعرف فيه مقدار تأثره بالأدب اليونانى . وأنّى لك فهمه إذا كنت غير مطلع على أدب اليونان ؟ !


عبد اللطيف النشار

درع القلب

مترجمة عن شكسبير

أقوى الدُّروع فؤادٌ لا وُصومَ بهِ — وصاحبُ الحقِّ يومَ الرَّوْعِ معصومُ
ولا يقِى الزَّرَدَ المحبوكَ مضطرباً — ضميرُه بسوادِ الظلمِ موسومُ

***

تجمل

مترجمة عن لورد بيكونسفيلد (دزرائيلي)

كفكفْ دموعكَ لا تعربْ بوادرها — عمّا بقلبكَ من حُزْنٍ ومن شَجَنِ
وإنْ لقيتَ التى تهوى فكن مَرِحاً — وفى فؤادِكَ ما فيه من الحَزَنِ
أكتمْ حذارَكَ من بينٍ تَوقعهُ — وكنْ كأنك لن تنأى مدى الزمن

***

نسب

مترجمة عن لورد تينسون

لا أرى النُّبلَ أن تكون حسيباً رقةُ القلبِ تفضل التيجانا
وغنىٌّ عن أن يُعدَّ فلاناً وفلاناً مَن كان أرفعَ شانا
من يكون الايمانُ بعضَ سجايا ه غنيٌّ عن أن يزيدَ بيانا

عبد اللطيف النشار

ما صنعت الآن فيها

لمدام مارسلين ديسبور فالمور

(تعريب اسماعيل صبري الدهشان)

كان لى عندكَ قلبي وأنا قلبُكَ عندى
بدلاً قلب بقلب عوضاً سعدٌ بسعدِ
قلبكَ استرجعتَ منى فانا من غير لبٍّ
قلبك استرجعتَ لكن أنا قد ضيعتُ قلبي
تلكم الاوراق والزهـرة بل ذات الثمار
تلكم الاوراق والزهـرة فى لون البهار
ما صنعتَ الآن فيها حاكى النائى الجليل
ما صنعت الآن معها من جميلٍ يا جميل
مثل طفل مستكين حُرِمَ الامَّ الودود
مثل طفل مستكين ماله حام يذود
فُتنى أبلو غراماً جاء بالعيش المرير
فُتنى اضمر وجداً ويرى الله الضمير



اسماعيل سرى الدهشان

كيف تدرى رب يوم يصبح المرء وحيدا
كيف تدرى رب يوم شاء صبٌّ أن يعودا
سوف تأتيني تنادى حيث لم تلق الجواب
سوف تأتيني تنادى فترى الوهم الكذابْ
بقوى الحلم ستأتى آسفاً تطرق بابى
مثل ما كنت محباً ربَّ حلمٍ كالسرابِ
واذنْ تلقى جواباً : (هى ماتت من زمنْ)
خبرٌ يصميك لكن مَنْ يسرِّى عنك مَنْ ؟

اسماعيل سرى الدهشان

عمريات فتزجرالد

ترجمة ابو شادى

(كان من حظنا فى العام الماضى بفضل معاونة « رابطة الأدب الجديد » نشر «رباعيات عمر الخيام» نظماً اعتماداً على ترجمة الزهاوى النثرية من الأصل الفارسى، ويطيب لنا الآن أن نذيع تباعاً هذه الترجمة عن الانجليزية . وقد أسميناها «عمريات فتزجرالد » لأن الأديب الانجليزى ادوارد فتزجرالد تصرّف كثيراً فى النقل فوجب اشتراكه فى نسبة هذه الرباعيات . ولن يفوتنا تزيينها بالصور الفنّية مع التعقيب عليها بالشروح الوافية فيما بعد . وقد التزمنا الترجمة الدقيقة ونفس البحر المعهود فى الرباعيات الفارسية — المحرر)

(١)

قمْ ! فانّ الشمسَ التى غزَتْ النّجْـ ـمَ فأقصَتْهُ عن مَجَالِ المساءْ
ساقتْ الليلَ مِثْلَهُ مِنْ سماءٍ فأصاب البروجَ سَهْمُ الضياءْ !

(٢)

قَبْلَمَا مات كاذبُ الفجرِ خالتْ أُذُنى صوتَ مَنْ ينادى بحانٍ :
« حينما الهيكلُ المُهَيَّأُ يدعو لِمَ يُغفِى عنه أخو الايمانِ ؟ »

(٣)

حينما الدِّيكُ صاحَ ، صاح الأُلَى كا نوا أمامَ الخمَّارةِ : « افتحْ وأسْرِعْ ! »
« أنتَ تدرى كم مِنْ قليلٍ سَنَبْقَى ومَتَى ننقضِى فهيهاتَ نَرْجِعْ ! »

(٤)

جَدَّدَ الشَّوْقَ ذلك النّيروزُ ومَضَى لاعتزالِهِ النّابهُ النفسْ
يَدُ (موسى) البَيضاءُ مُدَّتْ على الغُصْـ ـنِ ، و (عيسى) مِن الثرى يتنفَّسْ !

(٥)

(إرَمٌ) قـد مَضَتْ بجنَّةِ وَرْدِ وتوَلى (جمـشيدُ) والابريقُ
وَتَبقَّتْ فى الكَرْمِ ياقُوتَةٌ تَزْ هو ، ومن مائِهِ جِنانٌ تُفيقُ

(٦)

قمُ (داوود) مُطْبَقٌ فاستَعَضْنا فهوىٌّ الغناء ـ شَدْوَ الهَزَارْ
«السّلافَ! السّلافَ!» صاح لدى الورْ دِ ليبدو بخدِّهِ الاحمرارْ!

(٧)

إمْلأْ الكأسَ ثُمَّ أَلْقِ بنارِ (للربيعِ) ثوْبَ (الشِّتاء) الفاترْ
ذاك طَيْرُ الزَّمانِ ليس له إلْـ لاَّ قليلٌ لِطَيْرِهِ ـ وهو طائرْ!

(٨)

وسواءٌ فى (نيسبور) و (بابلْ) وسـواءٌ فاضتْ بحُلْوٍ ومُرِّ
فسلافُ الحياةِ فى دَرِّ سائلْ مِثْلُ أوراقِها بِنَشْرٍ ونَثْر

(٩)

قلْتَ فى كلِّ مَشْرِقٍ أَلْفُ وَرْدٍ ذاك حَقٌّ ، فأين وَرْدٌ لأَمْسِ؟
إنَّ بدءَ الصَّيْفِ الذى يجلب الوَرْ دَ (بجمشيد) مِثْلَ (كيكَبادَ) يُمْسِى

(١٠)

فلْتَدَعْهُمْ يمضون! ما شأْنُنا نحْ نُ (بكيكَباد) أو (بخُسْرُو) العظائمْ
ولْتَدَعْ (زالَ) مِثْلَ (رُستم) فى السُّخْ طِ وفى جُودِهِ المُرَحِّبِ (حاتمْ)!





الحنين

(الحنين المِلحُ قد يتجسَّد شخصاً)

أمسى يعذّبنى ويضنينى شوقٌ طغَى طغيانَ مجنونِ !
كيف الشفاءُ ولم يعدْ بيدى الا أضاليلٌ تداوينى ؟ !
أغدو كما أهوى أفصّلها وأحوكها خِدَعاً تنسّينى !
أبغى الهدوءَ ــ ولا هدوءَ وفى صدرى عُبابٌ غيرُ مأمونِ
يهتاج إنْ لجَّ الحنينُ به ويئنّ فيه أنينَ مطعونِ
ويظلّ يضربُ فى أضالعه وكأنها قضبانُ مسجونِ !
ويحَ الحنين وما يجرّعنى من مُرِّه ويبيتُ يسقينى !
ربّيْتُهُ طفلاً بذلتُ له ما شاء من خفضٍ ومن لينِ
فاليومَ لما اشتدَّ ساعدُهُ وربا كنُوّارِ البساتينِ
لم يرْضَ غيرَ شبيبتى ودمى زاداً يعيشُ بهِ ويُفنينى !
كم ليلةٍ ليلاءَ يتبعنى لا يرتضى خلاًّ له دونى
أُلفى له همساً يخاطبنى وأرى له ظلاً يماشينى
متنفّساً ناراً أحسُّ بها وكأنها لفحُ البراكينِ
ويضمّنا الليلُ العظيمُ ، وما كالليلِ مأوًى للمساكين !

ابراهيم ناجي

قلـــبي !

قلبي . . . ، وما قلبي سوى نغْمةٍ تضيع فى أصوات مَنْ يَنْعَـقُونْ
غَنيَّ بها الليلُ زماناً على قيثارةٍ يَجْثُو لديها السكونْ
حــتى اذا الفجــرُ أتى دوْرهُ تسلّمَ الأَوتارَ بِمَّــنْ يَبِــينْ
وراحَ يُلقى فوقهــا لحْـــنَهُ والكوْنُ مصْغٍ ذاهلٌ فى فُتونْ
حتى إذا جاشـتْ بألحـانهِ آهاتُهُ من كاسرات الشجونْ
تقطّعــتْ أوتارُهُ مثلمـــا تقطّع الإعصارُ غضَّ الغصونْ
فشرّدَتْ فى الجوِّ أَصداءَهُ وضاع فى الصبحِ بديعُ الرّنينْ
فكان قلبي . . . فاسمعى رَغْمَ ما يَضجُّ فى الآفاق . . . هل تسمعينْ ؟

* * *

قلبي . . . ، وما قلبي سوى دَمْعَةٍ جا لتْ بعينَىْ عاشـقٍ ، أو حزينْ
فى عُزلةٍ لم يعرفِ الناسُ مَنْ يبكى بها من زُمرةِ البائسـينْ
وهل يُحِسُّ الناسُ فى أُنسِهمْ آلامنَا ، والناسُ فى الضاحكين ؟
ترقرقتْ بين الجفون التى قضَى عليهـا السُّهْدُ فى كلِّ حِينْ
أن ترقُبَ الأيام فى مرِّها وهل غفا يوماً رقيبٌ أمينْ ؟
فكان قلبي . . . دَمعةً أشرقتْ ولم تَزَلْ رقراقةً فى الجفونْ
فبادلينى مثلها دمعـــــــةً تضىءُ مثلَ النجمِ . . هل تذرفينْ ؟

* * *

قلبي . . ، وما قلبيَ ؟ ! هل تعرفينْ ؟ جهلْتهُ حقاً ! . . . فماذا يكونْ ؟
لا نغْمَـةٌ تمضى ! . . ، ولا دَمْعةٌ تجفُّ ! . . ، لكنْ ومْضةٌ فى دُجونْ
فراقبيهـا ، واقـرإِى عنـد ما تضىءُ ما تـكتب أَيْدى الشجونْ
ســطورُ أيامٍ على صَفْحـةٍ مِنْ خالص العمر مَضَتْ فى أنينْ
فاستخلصيها من كتـاب الأسى وردِّدِى بالله ما تقرئـينْ . . !

حسن كامل الصيرفى

وصف

ناشدتِ وَصْفَكِ حين وَصْفُكِ نامِ ... في هــــذه الخطَرات والانغامِ
تتأمَّل الاحلامُ في عينيْكِ ما ... يتأمَّل الهاوى ويهوَى الظامى
دُنيا من النِّعَمِ التى ما حَدَّها ... حَدٌّ من الاحزانِ والآلامِ
عُودى الى رقص الشباب بخفــة ... من كل فتَّانٍ ومن بسَّامِ
وتفنَّنى بالوضع فى صُوَرٍ لها ... صُوَرٌ من الإِنعام والإِلهامِ
وتدفَّقى نَغَماً يسيل مع المُنى ... كسيل رقصك فى خلال ظَلامِ
صوتٌ تحنّ له ملائكةُ السما ... ويُبَثُّ فى النُّورِ الطروبِ أمامى
غنّى وغنّى ، وارقصى وتبسَّمى ... وتفنّنى للحبّ والأحـــلامِ
أنتِ المؤمَّرةُ العزيزةُ دائماً ... فالفنُّ مخلوقٌ لعيش دوامِ
تتجمَّع اللذاتُ حولَكِ معرضاً ... كتجمُّع الاشـواق للايتامِ !
وتدور حولك للخيال سوابحٌ ... سبحَ العواطف حول شمس غرامى !
لا عاش مَنْ لم يغتنم بك لذةً ... من هــذه الالوان للأيامِ !
قطفتْ لوجدانى الحزين صبابتى ... منها الشفاءَ وللفؤاد الدامى
وأخذتُ أنظر ثم أنظر ناهلاً ... عذبَ الدواءِ لجرحيَ الملتامِ
حتى شُفيتُ ، فكان وصفك هكذا ... دَيْناً علىَّ ، فهل رضيتِ هيامى ؟

احمد زكى أبو شادى





الشراع

شعر مطلق [١]

جلستُ ذات مساءٍ مرسلا بصرى
الى هذه الآفاقِ وهى بواسمُ
وتوقدُ النارَ فى عزمى وفى فكرى
عواطفُ صدرى ، انهنّ مضارمُ

* * *

هدأ البحرُ رحيباً يملأ العينَ جلالا
وصفا الافقُ ومالت شمسُه ترنو دلالا
وبدا فيه شراعُ
كخيال من بعيد يتمشّى
فى بساطٍ مائجٍ من نسجٍ عُشبِ
او حمامٌ لم يجدْ فى الروضِ عُشّا
فهو فى خوفٍ ورعبٍ

(١) الشعر المطلق او الشعر الحر غير الشعر المنثور لان نثر الشعر انما هو افتكاكه من قيود الوزن والقافية . فان حفظت القافية صار هذا الشعر نثراً مسجعاً ، وكتبنا الادبية طافحة بالنثر المسجع . اما الشعر المطلق فمذهبه فى الاحتفاظ بالوزن فقط . اما القافية فقد اختلفوا فى ابقائها او اغفالها ، وقد آثرنا ابقاءها فى هذه القصيدة . وان كل شطر من هذه القصيدة يرجع الى مثله من بحور الشعر او من مجزوئها . وقد تنفر الاذن من مثل هذه القصيدة فى بادىء الامر من تناكر الاوزان والتفاعيل ولكن من يتلو القصيدة مرتين لا يلبث ان ترتجع اذنه بحكم التكرار نغمة الوزن المفقودة . وفى هذه القصيدة ابيات تامة أوحتها المناسبة — الناظم.

إنهُ غيمةٌ سرَتْ فى سماءِ
قدَ صفَتْ زرقتُها
لكنما هذا جناحُ طائرِ
مرفرف فى ملعب الضياءِ
يجرُّ زورقاً على الدأماءِ
والشمسُ فى الافق بدتْ صفحتها
أكبرَ ياقوتةِ كنزٍ فاخرِ

٭ ٭ ٭

وقفَتْ وراءَ غمامة بيضاء
شفافة كالبرقع الشفّافِ
سكبتْ أشعةَ نورها فى الماء
فكأنها عمدُ العقيق طوافِ
حمَلْتَ قصورَ مدينةٍ غنّاء
منها بَوادٍ فى السنا وَخوافِ
والنارُ شاملةٌ لكل بناءِ
متوقّدٍ خلفَ الغمامِ الصافى
ترسلُ العينُ لحظَها لاختراقِ
ذلك الغيمِ وهو فى إبراقِ
شاهدٌ حالَ بلدةٍ فى احتراقِ !

٭ ٭ ٭

نزلتْ شمسُ المساءِ
فى مجالى الخيلاءِ
تتهادى كعروسٍ لبست ثوبَ الحياءِ
أشعّتُها فى الماءِ حيّاتٌ عقيانِ
قد انسَبْن فيهِ لاعباتٍ إلى آنِ
ثم غابتْ كأنما رسبَ الجمرُ فما أطفأتْه هذى المياهُ
لبثَ الافقُ قانياً يتجلَّى من وراءِ الغيوبِ فيه الالهُ !

٭ ٭ ٭

والشراعُ الخفيفُ في حَيْرَتِهْ
ليسَ يدري
أين يسري
والظلامُ البهيمُ في بُردَتِهْ
همٌّ بالوقعِ كَنَسْرِ
لا تُرَعْ ياذا الشراعُ السائرُ
في فيافي الماءْ
قبلَكَ الاقوامُ فيها سافروا
واستقروا في الفناء!

سافروا لم يعرفوا طِيَّتَهم فاذا الاعصارُ في الماء كَمِينْ
وَهُمْ في عرض هذا البحرِ لم تؤوِهِمْ فُرْضَةٌ ميناءِ أمينْ
غَرِقُوا لم يأتِ عنهم خَبَرٌ لعزاء الأهل والمرتقبينْ
ألا إننا مثلهمْ في الحياةِ ولكنَّه ثَبَتَ الزورقُ
نسيرُ الهُوَيْنا، ولكننا نسيرُ وسوفَ بهم نلحقُ

* * *

طلعَ النجمُ كما يبتسمُ
ثغرُ حسناءَ ابتسام الاملِ
فكأن الحبَّ فيه ينجلي
عن مُنىً فاتنةٍ نفسَ الخلي
كلُّ نفسٍ كسماءٍ تُعْتَلي
وبها الآمالُ هذي الانجُمُ
وعلى الأُفق بهارُ
قامَ لمَّا ودَّعَ الليلَ النهارُ
أيهذا الشراعُ حسبُكَ جَوْبا
عُدْ إلى أيِّ مبيتٍ قَرُبا
وانتزعْ عنك كساءَ الليلِ ثوباً
شَحِبا
تحتكَ اللجةُ السحيقةُ تدوي

فوقك اللانهايةُ الا بديه
وامامكَ الأفقُ البعيدُ يُضللُ
فى فهمه المتفكرُ المتأملُ
أنتَ كالأنجمِ تهوى
انتَ كالاغصنِ تذوى
أو الزهرِ قد أفقدتهُ السمومُ رائحةَ الأرجِ العبهريه!

* * *

لقد ضربَ الظلامُ على البرايا
سرادقهُ فرصّعتِ النجومُ
كما تشتدُّ فى العمر الرزايا
فتنذرِ هلُ البصائرُ والحلومُ
فاذا الماء بساطٌ أسودُ
وإذا الافقُ ستارٌ أربدُ
والريحُ رفرفةُ الساعاتِ طائرةً
الى حيثُ لا ترجعُ
والماء ذوبُ أمانى النفسِ ثائرةً
الى ربها تضرّعُ
أين الشراعُ فانه لا يُنظرُ
كذاك يتلاشى الطيفُ بعد طروقِ
فيستترانِ بالليل العميقِ!

* **

ألا يا شراعا فى الظلام يسيرُ
كهمّك همى والحياةُ مسيرُ
ذهبتُ فما أدرى... كزورقِكَ الذى
أخذتَ به مستعجلاً كلَّ مأخذِ
أمامىَ آفاقُ الحياةِ بعيدةٌ
تَلينا جميعا وهى غرٌّ جديدةٌ

أنبقى سائرينَ إلى الغيوبِ
ونبقى كاظمينَ على اللُّغوب
ولكنَّ نجماً فى السماء يُنيرُ
عليه تسيرُ
فكيفَ إليه تصيرُ
كنجمىَ هذا النجمُ يُشْرِقُ زاهرًا
هى غاية أرمى إليها سائرًا
حائرًا
فى دُجى الليالى
ولا أُبالى
بما بى قد صَنَعْنَ على التَّوالى

قد اسودَّتِ الدنيا ولا نورَ أهتدى به وتولانى أسىً ونزاعُ
حياةُ الورى كالبحرِ لا منتهىً له وحُبِّى على بحرِ الحياةِ شراعُ!

خليل شيبوب

(نرحّب كلّ الترحيب بصياغة هذه القصيدة الى جانب روحها الفنية الممتعة . ولا نقول هذا مجاملةً فليس للمجاملة سبيلٌ الى هذه المجلة ، وإنما يرجع تقديرنا للشعر الحرّ free verse الى سنوات مضت — راجع « مختار وحى العام » ص ٤٤ — وفى اعتقادنا أنّ الشعر العربى أحوج ما يكون الآن الى الشعر الحر والى الشعر المرسل blank verve إذا أردنا أن ننهض به نهضةً حقيقةً لا سيا فى مجال القصص والتمثيل — المحرر) .



فلسفة العبرات

يَسقطُ الجنديُّ فى الهيْجا قتيلْ فترى الدَّمعَ بعينْيهِ يسيلْ
تركَ الكون مُقراً بالجميلْ ولسانُ الدهرِ بالشكرِ كفيلْ
فلِمَ الدَّمعُ يَسيلْ ؟



طلبة محمد عبده

ويحيِّيك صديقٌ راحلٌ صادقُ الودِّ وفىٌّ بالعهودْ
فترى الدمعَ وقدْ روَّى الخدودْ عن قريبٍ بسلامٍ سيعودْ
فلِمَ الدمعُ يسيلْ ؟
ويلاقيكَ حبيبٌ قادمٌ كنتَ بالأمس اليه فى اشْتياقْ
فيفيضُ الدمع إبَّانَ التلاقْ أُطفِىء الشوقُ وقدْ زال الفِراقْ
فلِمَ الدمع يسيلْ ؟
وترى الامَّ على قبْر ابنها تسكب الدمعَ وفى الدمع حياهْ
إنما الموتُ قضاءٌ وقدَرْ ومماتُ الجسمِ بعثٌ ونجاهْ
فلِمَ الدمعُ يَسيلْ ؟

طلبة محمد عبده

الشعـــاع الخابى

لاحَ لى من جانبِ الافق شعاعْ بينما أخبط فى داجى الظلامْ
فى صحارى اليأس أسرِى فى ارتياعْ حيث تبدو موحشاتٍ كالرجامْ
حيث يسرى الهولُ فيها واجمًا !
ويطوف الرعبُ فيها حائمًا !
والفناء القفرُ يبدو جاثمًا !
وترَى الاشباح فى رأسِ التِّلاعْ كالسَّعالى أو كأشباح الحِمامْ
فاغراتٍ تَتَشهَّى الابتلاعْ تنهشُ اللحمَ وتفرِى فى العِظامْ

* * *

فتَلَفّتُّ على الضوء يلوحْ مثلما تلمع عينُ الساحرِ
أوْ كما تهمسُ فى الأجداثِ دوحْ أو كمعنًى شاردٍ فى الخاطرِ !
قد تلفَّتُّ بقلب مستطارْ
طالما رَجَّى تباشيرَ النهارْ
شفَّهُ الذعرُ وأضناه العثارْ

* * *

ثمَّ ماذا ؟ . . . ثم قد ساد الحَلَكْ فجأةً ، والقبَسُ الهادى خَبَا
ثم أحسستُ بدقّات الفَلَكْ لاهثاتٍ تتراخى تعبا
رجفةَ الخائف أضناه العَياءْ
وهو يعدو واجفاً عَدْوَ الطّلاءْ
حينما يُدركها غولُ الفناءْ
واذا قلبى خفوقٌ مرْتبِكْ ليس يدرى لخلاصٍ سَبَبَا
حوله الظُّلْمةُ فى أيِّ سَلَكْ حيث يَنْسَى الهاربون الهرَبا !

* * *



سيد قطب

قلتُ : ماذا ؟ قال لى رجْعُ الصَّدَى : لا تقلْ : ماذا ، ولا تسأل علاماً ؟
هاهُنا وادى المنايا والرَّدَى حيثُ يطوِى الضوءَ فيه والظلاما !

ها هنا تثوِى الأمانى ، ها هنا !
فى مَهاوى اليأسِ ، فى كهفِ الفنا
كلُّ شىءٍ هالكٌ ، حتى أنا ...

ثم ضاع الصوتُ يفنى بَدَدَا وتلاشَى ، تاركاً منه النماما
وإذا بى صِرتُ وحدى مُفرَدَا لا أرى شيئاً ولا أدرِى إلاما !

سيد قطب



الحياة

(استعراض للحياة فى شارع)

جَلَستُ يوماً حينَ حلَّ المساءْ وقد مضى يومى بلا مُؤنِسِ
أُريح أقداماً وهَتْ مِنْ عياءْ وأرقُبُ العالمَ من مجلِسِي

* * *

أرقبه ، ياكدَّ هذا الرقيبْ فى طيبِ الكونِ وفى باطِلِهْ
وما يُبالى ذا الخضمُّ العجيبْ بناظرٍ يرقب فى ساحِلِهْ

* * *

سيّانِ ما أجهلُ أو أعلمُ من غامضِ الليلِ ولُغْزِ النهارْ
سيستمرَ المسرحُ الاعظمُ روايةً طالتْ ، وأين الستارْ ؟!

* * *

عييتُ بالدنيا وأسرارِها وما احتيالى فى صمُوتِ الرمالْ
أنشد فى رائعِ انوارها رشْداً فما أغنم إلا الضلالْ

* * *

أغمضتُ عينى دونها خائفاً مُبتغياً لى رحمةً فى الظلامْ
فصاح بى صائحُها هاتفاً كأنما يوقظنى مِنْ منامْ :

* * *

أنت امرؤٌ تزرح تحت الضَّنَى لم يُبقِ منك الدهرُ إلاّ عنادْ
وكلُّ ما تلمحه من سنا يهزأ بالجذوةِ حلفَ الرَّمادْ !

* * *

وكلُّ ما تُبصره من قُوَى تدوى دوىَّ الريحِ عند الهُبوبْ
يعجب من مبتئسٍ قد ثوَى يرنو الى الدنيا بعينِ الغُروبْ

* * *

أنظرْ ! تجدْ شتىَّ معانى الجمال منبثّةً فى الارض أو فى السماءْ
ألا ترى فى كلِّ هذا الجلالْ غيرَ نذيرٍ . طالعٍ بالفَناءْ ؟

كم غادةٍ بين الصِّبَا والشبابْ تأنّقَ الصانعُ فى صُنعِها
تَخطرُ والانظارُ تحدو الرِّكابْ ولفظةُ الاعجابِ فى سَمْعِها!

* * *

وربما سار الى جنبها مُدلَّهٌ ليس يبالى الرقيبْ
يمشى شديدَ العُجْبِ فى قُرْبِها إذْ راح يُوليها ذراعَ الحبيبْ

* * *

وانظر الى سيَّارةٍ كالأجَلْ مجنونةٍ ليست تُبالى الزِّحامْ
هذا الرَّدى الجارى اختراع الرجُلْ هل بعد صنع الموتِ شىءٌ يُرامْ؟!

* * *

وانظرْ الى هذا القوىّ الجَسَدْ الباترِ العزم الشديدِ الكفاحْ
قد أقبل الليلُ فحىِّ الجَلَدْ فى صابرٍ يدْأَبُ منذ الصَّباحْ

* * *

أجبتُ : يا دنيايَ مَنْ تخدعينْ؟! انى امرؤٌ ضاق بهذا الخداعْ!
مَزَّقتِ عن عيشي هنىّ السنينْ لأننى مزّقتُ عنكِ القناعْ!

* * *

انّ الجمالَ الساحرَ الفاتنَا يا ويحه حين تغير الغضونْ
ويعبث الدهرُ بحلوِ الجنى وتستر الصبغةُ اثمَ السنينْ!

* * *

وهاته السيارة العاتيهْ وربُّها الجبارُ كالبرقِ سارْ
ما هى الا شُعَلٌ فانيهْ نصيبها مثلُ شعاعِ النهارْ

* * *

وارحمتاه للقوىِّ الصبورْ يقضى الليالى فى جهادٍ سخيفْ
وكيف لا ابكى لكدحِ الفقيرْ أقصى مناه ان ينال الرغيفْ؟!

* * *

كم صِحتُ إذْ أبصرتُ هذا الجهادْ ومِيسمُ الذلةِ فوقَ الجباهْ
يا حسرتا مما يلاقى العبادْ أكلُّ هذا فى سبيلِ الحياهْ؟!

* * *

وفى سبيل الزادِ والمأكلِ نملأ صدرَ الارض إعوالاَ
كم يسخر النجمُ بنا من علِ وكم يرانا الله أطفالاَ!

* * *

يا ربّ غفرانك إنّا صغارْ ندبُّ فى الارض دبيب الغرورْ
نَسحبُ فى الدنيا ذيولَ الصَّغارْ والشيبُ تأديبٌ لنا والقبور!

ابراهيم ناجى



الدموع الرخيصة

اخىَّ! إذا سمعتَ عويلَ باكٍ فلا تحزنْ عليه وامْتَهِنْهُ
لتنفعْه إذا ما كنتَ بَرّاً به فاعنفْ عليهِ وانأَ عنْهُ
أُخىَّ! إذا سمعتَ أنينَ شاكٍ فلا تعطفْ عليه ولا تُعِنْهُ
فانكَ إن صَنَعْتَ به جميلاً تُلاقِ الشَّرَّ كلَّ الشرّ منْهُ
أُخَىَّ! اذا رأيتَ فتىً بشوشاً تبيَّنْتَ الأسى فيه فَصُنْهُ
أحقُّ الناس بالأَعوانِ مَنْ لم تدَنِّسْهُ الدُّموعُ ولم تَشِنْهُ
ولم يُؤلمْ مسامعَ مَنْ يَرَاهُ بشكوى لاعجٍ لا بدَّ منْهُ

عبد اللطيف النشار

في حضرة الأرواح

أيها الدارُ التي كنتُ قديماً أتلقى الوحيَ عنها والنسيما
إنَّ همساً لم يزل فيكِ مقيماً بينما أهلوكِ قد صاروا رميما

* * *

همسُ إنسيٍّ هنا أم همسُ جِنّيّ ما له يسرِي بقلبي قبل أُذني ؟
إنني أطرَبُ ، لكن مَن يغنّي إنني ابكي فمَن يبعث حُزْني ؟

* * *

هذه الأشباحُ تبدو مِن أمامي كسحابٍ يتراءى في الظلامِ
راقصاتٍ شادياتٍ في احتشامِ مالها ليست تحيّي بالسلام ؟

* * *

إنني أعرف هاتيكَ الخصورا وشممتُ مرةً تلكَ الشعورا
وخبرْتُ ذلك الحسنَ النضيرا نخبرتُ العيشَ حلواً ومريرا

* * *

ها هنا أولُ عهدى بالحياةِ ها هنا ألقيتُ أُولَى نظراتي
ها هنا قدّمت طرسي لدواتي ها هنا طار بأشعاري رُواتي

* * *

هذه مَدرستي إنْ كان غيري درسَ الدنيا بلوحٍ أو بسفْرْ
اين مما رُحتُ أجلوه بشِعري ما جلاه الغِرُّ مِن (نحوٍ وجبرٍ) ؟

* * *

أيها الأرواحُ ناشدتُكِ قُربا أفما زلتِ كعهدى بك غضبَى ؟
لا تخاف جسداً منيَ صَلْبا أنا رُوحٌ ذائبُ الأعطافِ ذوْبا

* * *

قد خلَعتُ جسدى قبل دخولِي هذه الدارَ وطهرتُ ميولي
ذاك ، أو ما كنتُ أحظى بالوصولِ وأراكِ خلفَ أستارِ العقول

* * *

إيْ وربي ، إنَّ للعقل ستارا يحجبُ الأشياءَ ليلاً ونهارا
بينما يُدركها القلبُ اقتدارا ويرى ما اظلمَّ منها قد أنارا

* * *

أيها الارواحُ هيّا فالمسينى ألمس الذاهبَ مِن عمرى الثمينِ
فادا عشرون عاماً صِرنَ دونى وإذا بى فى الصّبا غضّ الجبينِ

* * *

الصّبا ، ياحبّذا هل تذكرينا كيف كان العيشُ فى تلك السنينا ؟
حدّثينا عنـــــه هوناً حدّثينا إننا مِن طول عهدٍ قد نسينا

* * *

أين أشخاصُكِ يا أرواحُ أينا هلْ رعَى القبرُ لها زهواً وحُسنا ؟
لا تُجيبي ، فسؤالى دون معنى إنّ مَن يسأل يا أرواح جُنّا !!

* * *

إذهبي عنى سريعاً وابعـــدِى خلفَ أقطار الظلام السرمدى !
بل قِفى ! إنى هنا لا أهتدِى وإلى الباب خُذينى مِن يَدِى !

محمود عماد

الى الحزين

أعبرْ حياتكَ خوْضاً كالخائضينَ وعوْمـا
علامَ يأسٌ ذُبـاب لم يَبلغْ النَّجْمَ حوْمـا ؟
ولا تَنـاوَمْ ، ففى المو تِ سوف تَهلك نَوْما !
ولا تقُـلْ لىَ : لولا كان الزّمانُ ولوْما !
فلستَ وحدكَ منـه تروم ما شئتَ رَوْما
وليس لِلهِ سُوقٌ فتشترِى منـه سَوْما !

* * *

هى المقاديرُ منهـا قـومٌ يحاربُ قوْما
والهـمُّ يمضِى فما لى أُوتيهِ بالحـُزْنِ دَوْما !؟

* * *

إشبعْ سروراً وضحكاً وصُمْ عن الحزْن صَوْما
مَنْ عاشَ يوماً حزيناً فعُدّه مات يَوْما !

مصطفى صادق الرافعى

سدرة المنتهى

ودوحةٌ فى السماء نابتـةٌ بين الفراديس زهرها الاجلُ
قامتْ على غرسها ملائكة يكاد يبدو عليهمو الوجلُ!
وريُّها من عصير أدمعهم وما لهم غير ريها شغـلُ
من اول الدهرعا كفون على أغصانها مايصدهم مللُ
يبكون إنْ زهرة بها ذبلتْ كأنما فى نضارها أملُ
يبكون والدهر ساخرٌ بهمو كأنما فى عقولهم خبلُ !
ويذرفون الدموعَ من جزع أيّـان حاموا وأينما انتقلوا
ملائكُ الله كلهـم فرحٌ وهم جميعاً على الاسى جُبِـلوا
فى كل صبح يعودهم مَلَكٌ لا خائف مثلهم ولا وجلُ
موكَّـلٌ بالنفوس يقبضها وما له غـير قبضهـا عملُ
كأنه حين ينتهى أجـلٌ مما يرى الله شاربٌ ثملُ !
له جناحان أينما خفقا حلّ الردى منه اين يرتحلُ!
وللازاهير حين نضرتها فى اول العهد بالمنى شغُلُ
حتى اذا ماتغيّرتْ وهفتْ بها الاعاصيرُ ساقها الازلُ
فللمنايا اذا دنتْ حِيـلٌ وللمنايا اذا دنت سُبلُ
قد قدرت فى السماء من أزلٍ حياتنا والانام ماعقلوا
حتى، متى يصبح الانام ويمـ سون غضاباً وخطبهم جللُ !؟

* * *

المجنونة

فى غابةٍ مجهولةِ السرّ مملوءةٍ بالشـوكِ والزهرِ
أبصرتُها فى ظلمةٍ تجرى من خلفها ولدانها تجرى
إنسيّـةٌ هى أو لسرعتها جِنيّـةٌ فالعينُ لا تدرِى !
تبكى وتضحك فى تقلبها بمدامع تجرى على النحر

وبكاؤها سحرٌ فان لها ... قلباً يضم صلابةَ الصخر
تقسو وتعطف فهى غاضبة ... فى حين تُبدى باسمَ الثغر
وتكاد تذهل من تلونها ... فكأنها الحرباء فى قفر!
سحرت بنيها فهى ساحرة ... بالطبع لم تعكف على سحر
فتانة تغرى مظاهرها ... أما الحقيقة فهى كالقبر!
فتنت بنيها فهى غانيــة ... فى العين منهم بل وفى الفكر
وهى العجوز، هى العجوز اذا ... ذكرت تبوء باشنع الذكر
لكنها معبودة ابداً ... منهم! لعل لذاك من سرّ!
كم بلغوا عن غدرها قصصاً ... وأقلها المملوء بالغــدر!
وهمو سكارى فى محبتها ... من غير ما كأسٍ ولا خمر
وهمو حيارى فى وجودهمو ... ووجودهم كسحابة تجرى
أبصرتُها فى الغاب جارية ... صخّابة مسدولة الشعر
وتكاد تغضب حيث لا تدرى ... وتكاد تبسم حيث لا تدرى
تغذو بنيها حين تفجعهم ... فى انفسٍ صيغت من الشر
ورأيتها فى الغاب تأكلهم ... أكلا ولكن أكل مضطر!
ولقد أراها جد ساكنة ... من بعد طول الضحك والبشر
ظلت طويلَ الدهر عابثةً ... بهمو وهم فى غمرة الدهر
حتى توارى الكلُّ عن نظرى ... بين النجود وشامخ الصخر
مجنونةٌ دنياكمو، وكفى ... بىَ ما أبنتُ لها من السر!

عثمان حلمى





لَيَالِي نَاجِي

(١)

الشاعر والنهر

مكانيَ الهادئ البعيدْ كنْ لي مجيراً من الانامْ
قد أمَّكَ الهاربُ الطريدْ فآوهِ أنتَ والظلامْ !

✿ ✿ ✿

ما حيلةُ الليلِ في عياءْ انهكني فتكهُ البطيءْ
أإنْ خبا العمرُ في الفناءْ من فحمةِ الليل استضيءْ ؟

✿ ✿ ✿

يا أيها النهرُ بي حسدْ لكل جارٍ عليه تنعطفْ
أكلٌّ راجٍ كما يودْ يروى ظماه ويرتشفْ ؟

✿ ✿ ✿

وكلٌّ غادٍ له نصيبْ من مائك الباردِ الشبِمْ
ومنْ حبيبٍ الى حبيبْ ترنو حَناناً وتبتسمْ !

✿ ✿ ✿

يانهرُ رويت كلَّ ظامي فراح ريّانَ منْ يذقْ
فكنْ رحيماً على أوامي فلي فمٌ باتَ يحترقْ !

✿ ✿ ✿

يانهرُ لى شعلة بجنبي هادئةُ الجمـر بالنهارْ
فان دنا الليل برّحتْ بى وساكن الليـل كم أثارْ

* * *

وقفتُ حرانَ فى ازائكْ فهـل ترى منك مُسعِدُ ؟
وددت التى بها لمائكْ لعلها فيك تـبرُدُ !

* * *

هاجَ لظاها فان سكنْ فرحمةٌ منك لا تُحَدْ
وان عصتْ نارها فكنْ قبراً لها آخرَ الابدْ !

* * *

تربنىَ الهاجرَ الشتيتْ وقـربه ليس لى ببـالْ
وكلمـا خلتنى نسيت مرّ أمامى له خـيالْ

* * *

تمـرُّ ذكرى وراء ذكرى وكل ذكرى لهـا دموعْ
وتعـبرُ المشجيات تترى من كل ماضٍ بـلا رجـوعْ

* * *

يا من أرى الآن نصبَ عينى خياله عـطّر النسمْ
بالله ما تبتغيه مـنى ولم تدع لى سوى الألمْ ؟!

* * *

فى ذمةِ الله ما أضعتم من مهجٍ اصبحتْ هـباءَ
لم نجزكم بالذى صنعتم إنا غفرنا لمـن اساءَ

* * *

لا تحسبوا البرءَ قـد ألمْ فلم يزل جرحنا جديدًا
يخـدعنا أنـه التـأمْ ولم يزل يخبـأ الصديدًا !

هبنا شكونا بـلا انقطاعْ ما حظ شاكٍ بـلا سميعْ
وحظ شعرٍ اذا أطاعْ ؟ يا ليته عاش لا يطيعْ !

يضيع فى لجةِ الزمنْ مبدّداً فى الورى صداهْ
ولن ترى فى الوجود مَنْ يدرى عذابَ الذى تلاَهْ

يا أيها النهرُ جئتُ ابكى وجئتُ اشكو وجئتُ اَسى!
طال عذابى وطال شكى ومات قلبى وما تأسّى!

ابراهيم ناجى

بستان الصحبة

دخلتُ للصحبةِ بستانًا ألفيتُ فيه الزهر فينانًا
أعجبت فى نفسىَ من حسنه وقلت شاء الله ما كانا
الوردُ والريحان فى رقة تملؤنى ورداً وريحانا
والغصن كم ابصرته راقصاً كأنما أبصرت نشوانا !
والطير من فرحتها أنشدت لى من جمال الودّ ألحانا
وللامانى البيض فى جوّه جوّ يزيد القلب ايمانا
فقلت : يانفسى علام الاسى ؟ فى الناس مَن ادعوه رحمانا
ملائكاً فى الناس من طهرهم دعوتهم صحباً واخوانا
علام من امطرهم سخطه ومن دعى الاصحاب ذؤبانا ؟
علام من حذر من غدرهم ومن دعا الخلان غربانا ؟
علام من اسخطه طبعهم وخالهم يوماً وعقبانا ؟
نور التجاريب التى أظهرت لهم خفايا الغبن احيانا
والمرء فى نشوته جاهل يحسب بعض الشر احسانا !
يخال نوراً وهو فى ظلمة ويحسب الاعداء خلصانا

* * *

دخلتُ بستانى على غرةٍ وقد جعلتُ الود بستانا
حسبت انى نلت كل المنى وانّ لى فى الدهر اعوانا

دخلت بستانى ومُدَّتْ يدى — أجنى بها الازهار الوانا
مددتها أجنى بها وردة — فما اختفى من شوكها بانا !
وخلّفتْ من شوكها فى يدى — جراحها تُنبي بما كانا
فقلت فى الريحان بعض الشذى — استبدل الوردة ريحانا
فهبّ من جانبه منتنٌ — ريح يزيد الجو انتانا !
فقلت خذ تفاحة حلوةً — لعلها تشبع جوعانا
فلاح لى الدود باحشائها — يثور فى كفىَّ غضبانا !
ألقيتها غضبان فى ثورة — هل يحمل التفاح ديدانا ؟
وقلت خذ من مائه جرعة — تترك قلبي منه ريانا
ألقيتها من طعمها من فمى — وعشت فى عمرىَ ظمآنا !
فقلت : يا نفس أهذا الذى — أبصرت فيه الحسن فينانا ؟!
انّ خداعاً كل ما لاح لى — وأن زوراً كل ما كانا
ومِلتُ أبغى راحةً بعد ما — افعمنى البستان احزانا
خميلة ترقص من حسنها — ترقص أغصانا وافنانا
نظرتُ فيها ما عسى شأنها — فأبصرتْ عيناىَ ثعبانا
وراعنى منظره وانتهت — تجاربى ! لا كنتَ بستانا !
فررتُ منه ابتغى مهرباً — كفى بنفسي بعض ما كانا !

عثمان حلمى

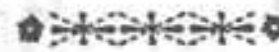


ميلاد الفجر

الشاعرُ الغَزِلُ الذى سحرَ الهوى — وسبا الجمالَ ورقَّصَ الانغاما
فتنتْه معجزةُ السماء فلم ينمْ — يرعى النجومَ وينشد الالهاما
حتى اذا ما الفجر أقبل وخيّمه — والارضُ تنفض حولها الاحلاما
ملكتْه أحلامُ الخيال فغاب فى — لُجَجِ الخيالِ وفى الصلاة تسامىَ
خشعتْ مشاعرهُ كأن امامه — (عيسى) يبدّد وحشة وظلاما

لم يُعرَفا (١) بأب وزان كليهما أمٌّ تُضيء بطهرها الأيّاما
تبع (المسيحَ) الفجرُ فى استهلاله عهداً يردّ الشكَّ والاحجاما
غنّتْ ملائكةُ الجمال بذكره وأستْ بحلو غنائها الآلاما
فاذا الهواء تشبّعتْ أمواجُه باللحن وامتلأ الفضاء سلاما
والبحرُ يرتقب الشعاعَ كأنه لوحُ القضاء يسجل الاحكاما !
سكنتْ به الامواج إلاّ موجةً ناجتْ فؤاداً صاخباً وغراما
أمّتْ رسولَ الشعر حتى قبلتْ قدميه — مطفئةً اسىً وضراما
فشدا بلحن الحبِّ ثم تشبعت صُوَرُ الوجودِ نشيدَه البسّاما
فحبتْ طلوعَ الفجر بالحسنِ الذى سمعته منه مُرتلاً أنغاما !

احمد زكى أبو شادى



الى حضرات الشعراء والنقاد

تجمعت لدينا طائفة ممتازة من الرسائل والقصائد اضطُررنا الى تأجيل نشرها لندرسها أولا، ومرغمين كذلك بحكم فراغ المجلة، وإنْ كنّا قد زدنا حجمها الى ١٥ ملزمة بعد أن كانت تصدر أولاً فى ثمان ملازم فقط، فنرجو قبول عذرنا مؤقتاً.



(١) السيد المسيح والفجر.



خلف الغلالة

خَلفَ الغِلالَةِ تُستَشهَى مَحاسِنُها ... عُرْيانَةً آنَةً ، مَكسُوَّةً آنا
كأنَّها ذِكرياتُ الوَصلِ ـ ماثلةً ـ ... حاكَتْ لها لحظاتُ الدهرِ قُمصانا
واستَملَحَ النَّظَرُ الهاوي مَفاتِنَهُ ... فصَوَّرَ المَلَكَ المَرئِيَّ إنسانا
وَموقِفي طالَ ، لا صَرفاً ولا صِلَةً ... حَيرانَ بالمَشرَبِ الرُوحيِّ نَشوانا
تُملي على الفنِّ من ألحاظِها شَجَناً ... يُدْنِيهِ القَلبُ لِلمَعمودِ ألحانا
تحيَّةَ الضارعِ المَولى لِسيِّدِهِ ... فَرَدَّ تِمثالُها الحسّاسُ خَجلانا
بِبَسْمَةٍ أطمَعَتني حِينَما بَدَرَتْ ... مِنها فدانَيتُها في الخَوفِ كَسلانا
إذْ هَدَّدَتْ خُطُواتي وَهيَ ضاحِكةٌ ... قالَتْ : تقدَّمْ إذاً تُكمِلْ ضَحايانا !
فقُلتُ : دونَكِ قلبي لا انتِفاعَ بِهِ ... لمّا شَرَعتِ عَلَيهِ الطَّرفَ طَعّانا
قَدْ كانَ يُؤمِنُ بالحُسْنى وَفيكِ رأى ... حُسناً ، فَبَدَّلَ بالايمانِ إيمانا
رُدِّي إليهِ صَلاحاً كانَ جُنَّتَهُ ... إنْ اسبَلَتْ خَفِراتُ الغِيدِ وسْنانا
فكَمْ تأثَّمَ إلّا عِندَ رؤيتِهِ ... جمالَكِ اليومَ مِتلافاً وفتّانا
وفي الأُنوثةِ تَبدو فيكِ كامِلةً ... شَفاعةٌ لِشَقيٍّ راحَ وَلهانا
ناءٍ على حَرَبٍ ، آتٍ على أدَبٍ ... كَمُذنِبٍ يَتَلَقّى مِنكِ غُفرانا !
إذا ألَحَّ فقَدْ لَجَّ الغَرامُ بِهِ ... وكيفَ يَلتَمِسُ المَفتونُ نِسيانا ؟!
فَفَوَّقَتْ مِعصَماً يَقضي المَصيرَ وفي ... قلبي تَخاوُفُ بَثَّتْ في أشجانا
قالَتْ : أيَكفيكَ قَلبي صالحاً بَدَلاً ؟ ... فقُلتُ : أشهَدُ أنَّ اللهَ أحيانا !
وعُدْتُ أحمِلُ قلباً كادَ يُنكِرُني ... لَولا تَبادَلَ بالجِسمَينِ قَلبانا
وَلي سَفيرٌ أمينٌ عِندَها وَلَها ... عِندي سَفيرٌ ، وجِسمانا رَعايانا

اسماعيل سري الدهشان



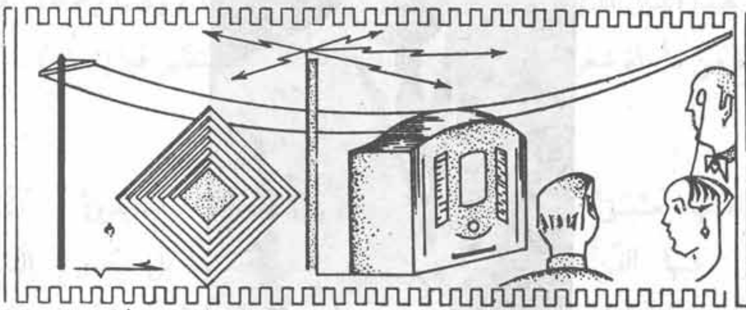
خلف الغلالة

دراسة الفنّان ج. ل. أرلود

G. L. ARLAUD

صائد النغم

هلمّا صديقىّ العزيزين واغنما
من الصفو ما يهواه مستمعان
ففى كل شبر سهواء عواطف
وفى كلّ خفق للأثير أغانى
تناجت بها الارباب من كل جانب
ويخطفها العُبّاد وهى دوان
فتغنم أعمار من الانس حولها
وتولد أحلام لهم وأمان
أدرها على سمعى كأنى بسمعها
أذوق سلاف الخلد بين غوان
سمونا الى الارباب بالروح والمنى
ونلنا من الارباب كنز معان
وليست عصا موسى بأروع سحرها
من السحر فى مفتاحها ببنانى!
تطاوعنى أسرارها وبيانها
وقد شملت أسرار كل بيان!



صائد النغم

أجازت لنا التّجوال فى الأرض كلها
وفى غيرها فى لمح بضع ثوان!
فما هذه الدنيا التى نحن أهلها
سوى بعض دنيا سُخّرت لجنان
ولو أنّ عصر المعجزات التى خلت
أعيد لدان الناس دون توان!
هو العلم لم يترك مجالا لجاحد
وسابق أجيالا سباق رهان
ففاز بمجد للنبوّة شامل
وهام بشأو للألوهة دان!
ولم يبق إلا أن يحاول مبدعا
عوالم أخرى أو نعيم جنان!
وأن يصبح الانسان ربّا مهيمنا
على الروح يرضى أمره الحدثان!

الى عروس القنال

(بورسعيد)

وَهَبَتْكِ الطبيعةُ الحسنَ حتى صرتِ كالغيدِ فى بهىِّ الخضابِ
كدْتِ أن تفهمى الدلالَ اختيالاً بجمالٍ وتفهمى ما التَّصابى !
لك خدٌّ نعيمُه وَهَبَتْهُ قُبلاتُ السَّحاب حُلوَ الرُّضابِ
قبَّلَتْكِ الامواجُ حتى كأن الـ ـموجَ ذو راحةٍ بلثم الترابِ !



مصطفى حسن البنهاوى

يُبدع الحورُ فى رمالك خُلداً موحياتٍ لنا مُنىَ الأرباب !
قد مَنحْنَ النَّسيمَ شِعراً وعطراً ومَنحْنَ الرقيبَ ماءَ السَّرابِ
واتخذْنَ الأمواجَ ستراً ولهواً مثل شمسٍ تغيب خلفَ السحابِ
هنَّ فى الماء والرمالِ حياةٌ ومُنى الحسنِ والهوى والشبابِ

مصطفى حسن البنهاوى



نفرتيتى والمثّال

(تُمثّل هذه الصورةُ الفنيةُ المثّالَ تُحتمس وهو مُكبٌّ على نحت تمثال للملكة نفرتيتى الجالسة أمامه فى القصر الملكى بمدينة أخيتاتون (Akhetaton) (تل العمارنة) عاصمة المملكة المصرية فى ذلك العهد . وقد تملكه حُبُّها فجعله يتلكأُ طويلاً فى نحت التمثال ، ثم أخذه الى بيته وجعل من إحدى مقاصيره هيكل عبادة لهذا التمثال الذى مات صاحبه دون أن يُتمّه مفتوناً بروعتها وجمالها ! وهذه صورة من مأساة شعرية تمثيلية من نظم محرر هذه المجلة ستظهر فيما بعد) .

* * *

سَماءٌ لديْها يَعْبَقُ الحُبُّ والمُنى ... وفيها خَيالُ العابدينَ تَناهَى
تَقَمَّصَ فيها الفَنُّ إحساسَ عاشقٍ ... يُمَثّلُ حُسْناً بل يَصوغُ إلَهَا !
تملّكَهُ الرَّوْعُ العظيمُ فإنّه ... يُترجمُ عن رُوحِ الحياةِ مَدَاهَا !
فيرفع لحْظاً ما تعَوّدَ رَفْعَهُ ... الى مَنْ أذَلَّتْ بالجمالِ جِباهَا
هو الفَنُّ سُلطانٌ على كلِّ دولةٍ ... يُبدّلُ مِنْ ضَعْفِ النفوسِ قواهَا
ويُكْسِبُها مِنْ بَعْدِ فقرٍ لهَا غِنًى ... وأيُّ غِنًى لولاهُ بَزَّ غناهَا
تأمّلْهُ بينَ الحُبِّ والفَنِّ مُبْدِعاً ... له جُرْأةٌ فى خَشْيَةٍ تتلاهَى
وهاتيكَ بِنتُ الشَّمْسِ فى عرشِها استوَتْ ... وحسبُكَ مِنْ رَوْعِ الشموسِ سَنَاهَا
تجلَّتْ لنا فى عِزَّةٍ حينما بَدَتْ ... لَهُ مَثَلاً أعْلَى وليسَ سِوَاهَا
ففى كلِّ مَرْأًى حولها عالَمٌ له ... يَفِيضُ باحساسٍ ويُشْرِقُ جاهَا !
وما فاحَ عِطْرٌ للبنفسجِ قُرْبَها ... كعطرٍ ومَعْنًى للملاحةِ فاهَا !

تحدَّثَ منها كلُّ لونٍ ونشوةٍ حديثَ فتونٍ للنفوسِ كفاها
وتلقى تهاويلَ الجمالِ حيالَها رهينةَ تقديسٍ تؤله فاها!
فيا غِبطةَ الفنَّانِ والدَّهرُ حاسدٌ روائعَه والفنُّ باتَ رضاها
تُطاوعُه في جلسةِ الصَّمتِ لذَّةٌ ويُفصِحُ هذا الصَّمتُ فوق لُغاها
ويجْبُلَ للتِّمْثالِ حُسْناً، وعِنْدَهُ تَفَنُّنُهُ عَجزٌ وليس مُناها!
وقد تخجَلُ الأصباغُ في ريشةٍ له مِنَ الوصفِ عَمَّا شاقه وحَكاها!
فيَبقى مَدَى السَّاعاتِ في اليأسِ والمُنَى ويَنشقُّ ما شاءَ الزَّمانُ شَذاها
وَيَخْبَأُ في البيتِ المُقدَّسِ مَعْبَداً مَفاتِنَها: تِمثالَها وحُلاها!
فيُنْصِفُهُ حتى الزَّمانُ بحرصِهِ قُرُوناً على إبداعِهِ وهَوَاها
ولم يَكْمُلْ التِّمثالُ، والفنُّ صافِحٌ فَمَنْ ذا الذي صاغَ الجمالَ إلهَا؟!

احمد زكي أبوشادي





الطاهيان

(للسنة الأولى الابتدائيـة)

قِـردانِ مـن أذكى القـرو دِ تعوَّدَا حُسْنَ النِّظام
قد رتَّبا البيتَ الجميـ لَ، وأتقنا طبخَ الطَّعامْ



الطاهيان

متعاونين على الحيا ةِ ، بكلِّ جدٍّ واهتمامْ
قد ذلّلا كلَّ الصّعا بِ ، وأدركا أقصَى المرامْ
وتبادلا مِن فَرْطِ حُبِّ هما احتراماً باحترامْ
وتقارضا وُدّاً بوُ دٍّ ، وابتساماً بابتسامْ
قد أخلصا وصفا ودا دُهُما ، فعاشا فى وئامْ
فى كلِّ شيءٍ قلّدا الانـ سانَ ، الاّ فى الكلامْ

كامل كيلانى

القطة الذكية

(للسنة الثانية الابتدائية)

(١)

لى قِطّةٌ مشغولةٌ بالبحثِ فى الأشياء
حتى هواءِ غرفتى والطّيرُ فى السماء !

تجرى هنا وها ُهنَا ! — َتقْفِزُ فى أشكالِ
تُعلّم الأولادَ مَكـ — ـراً ُمزْعجاً للبالِ
صارتْ مثالا ُيتقى — ِمنْ َمكْرِها المحتالِ
حتى رأينا طردَها — ِمنْ غايةِ الآمالِ !
لكنها قد لجأتْ — ِمن َمكْرِها للحيلهْ
تريد أن نُبقِيَها — فى بيتنا خليلَهْ

(٢)

تركتْ شؤونَ اللهو واتْـ — تَخَذَتْ ِمن العقلِ الُمعينْ
ومَضَت تدقّقُ فى ُشؤو — نِ البيتِ تدقيقَ الرّزينْ
وكأنما هى تكنسُ — وكأنما هى تدرسُ
ولكلِّ أمرٍ َمظْهرَهْ — ولكلِّ حالٍ َملْبَسْ
حتى غدونا نحسبُ الـ — قطّةَ صارتْ كالأميرَهْ
وكأننا كنا على — ذَنبٍ وُترْمَى بالجريرَهْ
وَمَضتْ تُشَوِّقُ كلَّ طفـ — لٍ للمَجالى النافِعَهْ
بوقوفها ووثوبها — نحو الأمور الرائِعهْ



القطة الذكية

والآنَ تُبصِرُها وقد قبضتْ وعاءَ السمَكهْ
كمدرّسٍ متأمِّلٍ جَمِّ المُنى والحَرَكهْ
فغدتْ لنا أستاذةً واستأثرتْ بمحبّةِ
والحسنُ يُكرَمُ دائماً حتى ولو في قِطّةِ

* * *

الأغانى

(للسنة الرابعة الابتدائية)

استمعْ للأغانى فهى مثلُ النَّسيمْ
كم شدتْ بالأمانى كم بكتْ بالحنينْ

* * *

إنْ تَدَعْها تَذُبْ فى ثَماتٍ أليمْ
فاستمعْها تُصِبْ مِنْ جمالٍ ثمينْ

* * *

استمعْ للأغانى تَغَنَّمْ عُمرَها
سَمعُها بافتتانٍ نِعمةٌ أو صَلاهْ

* * *

فاقتبسْ سِحرَها ناهلاً سِرَّها
واعتبرْ خَيرَها مِنْ مَعانى الحياهْ

احمد زكى ابو شادى



قطتي

(لرياض الاطفال)

قِطّتي صَغيرَهْ واسْمُها سَميرَهْ
شَعْرُها جَميلُ ذَيْلُها طَويلُ



احمد خيرت

لِعْبُها يُسَلّي وَهْيَ لي كَظِلّي
عِنْدَها المهارهْ أنْ تصيدَ فارَهْ

احمد خيرت



الفرفور والنحلة والوردة

للشاعر الفرنسي (ارنولت)

١٧٦٦ — ١٨٣٤

(للسنة الثالثة الابتدائية)

تعريب اسماعيل سرى الدهشان

يا وردةً وعمرُها قصيرُ ... يَصفعُها النحلةُ والفرفورُ
عجبتُ للشهمةِ والوضيعِ ... جارا عليك يا ابنةَ الربيعِ
قد شجَّك الفرفورُ كالمجنونِ ... يعبَثُ فى جوهرك المكنونِ
معربداً مغتصباً منك القُبَلْ ... وما جنىَ من طائلٍ فى ذا العملْ
تحتلبُ النحلةُ منك العسجدا ... تُحيلُه فى البيت شهداً جَمُدا
فهى بما تُعنى تذوق الشهدا ... وتسكن الحصنَ يضمُّ الجندا
وبعد حين يُقبلُ الشتاءْ ... ويَذْبلُ الوردَ البهىَّ الماءْ
ويهلك الفرفورَ محمومُ القضا ... كأنه ما طار فى هذا الفضا !

المغزى :

إىْ يا بنىَّ خذُوا بهِمَّةِ حازم ... للدرس من اوقاتِكم وقتَ الصِّغرْ
أتُرى من العقل التَّمادى فى الهَذَرْ
حتى اذا ما عضَّكم نابُ الكِبرْ
تَتَنَدَّمونَ ولاتَ ساعةَ نادمٍ ؟

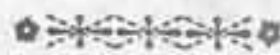




اليهـا . . .

ما لكِ قطّعتِ حبالَ الهـوى يا منيةَ القلبِ وسلوَى الحزينْ
أزريتِ بالعهـد الذى بيننا ولم تَرَىْ منىَ ما تزدرينْ
صدَقْتكِ الحُبَّ وقد بانَ لى أنكِ فى حُبكِ ما تصدقينْ
بسمتِ بالأمس ويا ليتنى عرفتُ من أمركِ ما تكتمينْ
أيقنتُ أنى هالكٌ فارحمى وودِّعى مضناكِ إذْ تدفنينْ !

طاهر الطناحي



نقمة الحب

(ضُمنت مغزى قصة تمثيلية مؤثرة)

فتّانةٌ أسرتْ نُهـا ىَ بأىِّ سحرٍ مستهينْ
لكنّها أمَلٌ لمن أنا فى مودّته رهينْ
وشعورُه أنّى الوفىُّ واننى نعمَ الأمينْ
فى روحِه ما يأسر الـ انسانَ مِن لُطفٍ ولينْ
كم من هموم فى الحيا ةِ جَزى الحَـدِينَ بها الحَـدينْ !



(مَدْلينُ) رفقاً بالذى سلبت روّيتَه الشجونْ



محمد مصطفى الماحى

لم أنس عذبَ حديثك الـ شافى ولا سحرَ الجفون
أمران كلٌّ منهما خطرٌ ورَوْعٌ لا يهونْ
حقُّ الصديق، وإنه حقٌّ على بُعدٍ مَصُونْ
وهوىً تملَّكَ مهجتى ينمو على رغم السنينْ
فاذا أجبتُ نداءَه أمسيتُ أجبنَ مَنْ يخونْ
واذا صَدَفْتُ عن الهوى كان السلوُّ من المَنُونْ

⁂

(مَدْلينُ) لم يذبل هواكِ وليس قلبى بالضنينْ
لكنْ رضيتُ مِنَ الهوَى بالهمِّ والألم الدفينْ
ولربَّ صعبٍ فى الحياةِ أحبَّ من سهلٍ مَهينْ
ما قيمةُ الدنيا اذا ما ضُيِّعَ الشَّرَفُ الثمينْ؟

محمد مصطفى الماحى



ابولون والشعر الحى

بقـلم الدكـتور على العنـانى

— ٣ —

عظمة أبولون عند اليونان

١ — بطولته : نعود ثانية الى (فويبوس — أبولون) متحدثين عن بطولته وشجاعته وأعماله الجليلة فى هـذه الناحية وما له فيها من أثرعظيم مما جعله فى صف الآلهة الاقوياء . فقد اقتحم الصعاب العظمى وخرج منها ظافراً وقابل كوارث فادحة مردية تغلب عليها بجرأة وحزم وان كان قد اهتزّ لها عرشه وزجت به الى محنة قاسية خرج منها وعلى هامته اكليل الفوز والظفر وتحت قدميه مستقر ثابت ارتكز عليه عرش ألوهيته المنيع ، فأقيمت له الأعياد وشيدت الهياكل ونصبت التماثيل .

تروي الأساطير الأغريقية القديمة أن تيمس (Themis) آلـهة العدل تعهدت (أبولون) بالغذاء منـذ اللحظة الاولى التى برز فيها الى عالم الوجود فكانت تطعمه الأمْبروزْيا[1] (Ambrosia) طعام الآلهة وتسقيه النِّيكتار (Nektar)[2] شرابهم فنما فجأة وشدن فى لحظات قليلة وبلغ اشده واستكمل قواه بعد بضع ساعات من مولده . نخفت اليه آلهات كثيرات لخدمته ، فعرفهن بنفسه ملخصاً ذلك فى أنه آلـه الرماية ورب المزاهروملهم الشعر ومنزل الوحى ، وبعد ساعات قليلة من ميلاده أخذ يضرب فى الفضاء والعراء باحثاً عن بقعـة هادئة صالحـة يُنزل فيها وحيه بحيث لا تكون نائية عن الناس ولا يحول دون هدوئها ضجيج ولا جلبة . وبعد معاينة

(١) عسل النحل الشهى . (٢) رحيق الازهار الطهور .

أمكنة كثيرة فى البلاد اليونانية وقع اختياره على الوادى الصخرى المعروف باسم ديلفى (Delphi) أو بيتو (Pytho) .

فى هذا الوادى كان هيكل وحى تيمس آلهة العدل التى تعهدت (أبولون) بالتغذية كما سبق قائماً وآهلا بقاصديه . ولحبها القلبي لابولون تنازلت عن هيكل وحيها اليه عن رغبة وطيب خاطر، فشكر اليها (أبولون) تلك المنحة العظيمة . ولما دنا من الهيكل وجده قد أحاط به أفعوان جسيم رهيب يمنع الداخل فيه فصوب الى مقاتله سهاماً حادة قاتلة ، ورغم ان جميعها قد أصابه فانها لم تصمه ، فهجم الاله (أبولون) الشاب القوى وتناوله بيديه القاتلتين فحطمه ومزقه شرَّ ممزق ، وبذلك استولى اله الشعر والشدو والغيب على هيكل وحيه بشدة بطشه وحدَّة بأسه . وبانتصاره على هذا الافعوان الرهيب (بيتون) سمى أبولون (بيتيوس) كما اشرنا الى ذلك فى مقالنا السابق .

نال (أبولون) قوة الايحاء والاخبار بالغيب وما هو فى طى الخفاء وفى ظلام المستقبل من أبيه (زُويس) أو جوبتر الاله الاكبر ، وإذنْ فوحى ديلفى يعبر عن رغبات هذا الاله الاكبر وعن قضائه وقدره .

بقى هيكل ديلفى ووحى النصب ذى الارجل الثلاث متنزل غيب (أبولون) محصناً بقوة هذا الاله لا تمتد اليه يد عابث ولا بطن إله ، الا انه ذات مرة وفد عليه (هيراكلس) بن (زُويس) وأخو (أبولون) ، وكان هيراكلس قوياً عاتياً . ولما سأل العرافة وحى أخيه (أبولون) وأجابته بما لم يرد جذبها من مكانها بقوة وألقى بها خارج الهيكل وقذف بالنصب فى صحنه ! فوثب (أبولون) للدفاع عن حرمه والذود عن حماه وقبل أن يبدأ النضال بين الأخوين الالهين أدرك أبوهما (زويس) الحالة وتدارك الامر وصالح بين ولديه وأودع قلبيهما محبة خالصة وميلاً صادقاً يتبادلانهما فبقيا بذلك اخوين مؤتلفين على الدوام .

أظهر (أبولون) فى حروب ابيه (زويس) ضد التيتان والجيجانت شجاعة الآلهة الاقوياء بمهارته فى الرماية وسرعته فى العدو، فكان عضداً لوالده وساعداً قوياً له وقد أحبه والده لذلك ، الا أنه أغضبه مرة بأن أصاب بسهامه بعض السكاليب فعاقبه بأن صعق ولده اسكولاب (Aeskulab) اله الطب ، فتألب (أبولون) على والده وأشعل غضبه بهذا التألب عليه فأبعده أبوه عن الاولمب مقر الآلهة العظام .

فى هذه المحنة القاسية التى وقع فيهـا (أبولون) بابعاده عن الأولمب ذهب الى خدمة أدميتوس (Admetos) ملك بريه فى تساليـا فرعى له المـاشية كانسان ثم دعى أيضاً أنعام لأوميؤن (Laomeon) فى طروادة بآسيا الصغرى . ولما لم يدفع له لأوميؤن المذكور أجره رماه بطاعون قضى على سكان طروادة والبـلاد المجاورة لهـا .

لم يستكن (أبولون) ولم يستسلم لهـذه المحنة بل هرع الى پوزيدون أو نبتون الـه الماء وتآمر معه على اسقاط عرش أبيه ، الا أن هذه المؤامرة لم تنجح وعاقبهما زويس بأن يعملا فى بناء أسوار طروادة .

ووقعت ذات يوم مداجاة بين (أبولون) وپان (Pan) بأن فضل الأخير صوت الناى على نغمات المزاهر فاحتكما الى ميداس (Midas) ملك ليديا لحكم بصحة رأى (پان) وتفضيله على رأى (أپولون) ، لحنق هذا الاله عليه وعاقبه بأن علق على اذنيه أذنى حمار! وتجاسر مارزياس (Marozas) على أن يفتخر على أبولون بأنه يجيد النفخ فى الناى اكثر منه فقتله شر قتلة !

ومن حوادث (أپولون) المشهورة أن نيوبه (Niobe)زوج أمفيون Amphion أحد اولاد (زويس) وهى أم عدد كبير من الاولاد والبنات رفعت قيمتها ودرجتها من حيث الامومة على قيمة ودرجة (ليتو) أم (أپولون) فغضب لذلك وقتل اولادها وأرتيمس أختـه قتلت بناتها !

٢ — ذرية أپولون : تقص السير الأسطورية كثيراً من أخبـار (أپولون) وحوادثه من جهة اتصاله بعدد وفير من الآلهات ومن بنات الانسان الحسان وأنه اعقب منهن ذرية كثيرة . فمثلا قد اعقب من كورونس (Koronis) أسكولاب الطبيب وجد الاطباء ، ومن اكرويزا (Kreusa) أيون (Yon) جد الأيوثيين أو اليونان ، ومن كاليوبه (Kaliope) الـهة الشعر الحماسى أورفويس (Orpheus) الـه الطرب والغناء والانشاد. وكان اذا غنى أو أنشد تأثرت الـكائنات كلها بصوته العذب الرخيم وتبعته الوحوش والانعام والاسماك والطيور ، وسارت خلفه الجبال والآكام والصياصى والآطام !

٣ — اعياده : اقام الاغريق لأبولون أعياداً ومواسم كثيرة لاتساع دوائر نفوذه وتعـدد نواحى عمله . وكانت هذه الاعياد محل اقبال كبير عليها وسرور عام بهـا

يشمل جميع طبقات الشعب فى كل الاقاليم الاغريقية وملحقاتها فى ايطاليا الجنوبيــة وسيرانيكا بشمال افريقيا وشواطىء آسيا الصغرى وجزر البحر الابيض .

ومن اشهر هذه الاعياد تلك الاعياد الهيكانتية التى كان يحتفل بهـا فى بلوبونيز المعروفة الآن باسم مورا . ومراكز هذه الاعياد فى سيكبون ومسينا وأميكيتا واسبرطة . وكانت تبتدىء بمؤثرات محزنة كنشيد الاشعار المليئة بحوادث الهمّ والاكتئاب ، ويتبع ذلك على الاثر الابتهاج والفرح بالشاد اشعار السرور والمرح . وكل هـذا رمز للطبيعة عند دويهـا وذبولها فى الشتاء واعشاب الارض ونضارتها فى الربيع .

وتحتفل اسبرطة أيضـاً بالاعياد الـكارنيئية ، وتشترك فيها سيرانيـكا ورودس وسيسيليا وجنوب ايطاليا .

وفى أثينا واقريطش أو كريد وفى فوكيس حيث يوجد وحى ديلفى تقام الاعياد الديلفينية . وفى وقت هذة الاعياد كان يحتفل بالعيد الديلى فى جزيرة ديلوس مسقط رأس (ابولون) ، وأنت خبير بقيمة هذه الاعيـاد ومدى تأثيرها فى الادب اليونانى شعراً ونثراً وخطابة وفصاحة ، الى غير ذلك مما هو مدون فى أدب الهلينيين .

٤ — المعابد : أشهر معابد (أبولون) معبد ديلفى فى فوكيس . وفى داخل هيكل هذا المعبد هوة عميقة نافذة فى الصخر ينبعث منها على الدوام هواء رقيق بارد شذىّ العرف شديده يحـدث فى الرأس دواراً تخرج الانســان عن حالتـه الطبيعيـة . وفوق هذه الهوة وعلى فتحتها يقوم نصب ذو ثلاث أرجل وهو مصنوع من الذهب الابريز ، وعلى هذا النصب تجلس العرافة فيتيا (Phythia) اذا دُعيت للنطق بوحى (أبولون) . وبفعل الهواء الذى تقدم وصفه تخرج فيتيا عن الطور الطبيعى الى حالة الغيبوبة ، وفى أثناء ذلك تنطق بألفاظ متقطعة لا اتصـال فيها ولا قصد يبدو منها فيأخذها الـكهنة وينظمونها شعراً أو يرتبونها سجعاً ثم يقدمونها للمستنبىء فتذاع وتشاع . وهى بمرونة أسلوبها وغموض معانيها تتحمل الضدين وتشير الى النقيضين ، حتى اذا وقع أحد المعنيين فهو ما أرادت سواء أفهم الناس منها ما وقع أو استنبطوا العكس ، لأن الخطأ ليس فيها وانما جاء فى الاستنباط وهى صادقة على الدوام !

لنذكر هنا مثلاً واحداً لذلك : لما أغار الفرس على اليونان كان اليونان فى جميع حركاتهم الحربية يستنبئون وحى (أبولون) ، فحدثهم الوحى ذات مرة بأن نصرتهم فى

« الحصون الخشبية » ففهم أهل اسبرطة من ذلك أنهم يتركون مساكنهم ويتحصنون في أكواخ من الخشب وفعلا نفّذوا ذلك ، وأهل أتينا عمدوا الى تفسير ذلك بالسفن الحربية فهمّوا ببنائها والاكثار منها فكانت لهم حمى وكانت سبباً في ردّ الفرس والانتصار عليهم ، أما أهل اسبرطة فقد اصابهم من سكنى الاكواخ الخشبية ما أصابهم من الحر والبرد فساءت حالهم ، واذن فالاسطورة صادقة بما فسرها به الأتينيون وغلط فيه الاسبرطيون !

ولأبولون في رومة معبدٌ ضخمٌ فخمٌ وآخر على جبل بلاتين ، وله أيضاً تماثيل أثرية من العهد القديم . وأجمل تمثال له من صناعة النحاتين المحدثين تمثال بلفيدير القائم في حجرة بالفاتيكان تعرف باسم بلفيدير فسمى التمثال باسمها .



الشعر الحي

ما هـــو ؟

بقلم أحمد الشايب

مدرس النقد الادبي بكلية الآداب بالجامعة المصرية

— ١ —

إني لاغالب نفسي وأدافعها كلما هممت بالكتابة الى هذه المجلة الناهضة (أبولو) أما أنا فأود الخلوص تواً الى موضوعي أو موضوع أبولو ، وأما نفسي فتأبى الا الوقوف عند صاحب هذه المجلة لتعرف له جهوده المتنوعة النشيطة في نواحي الحياة المتنوعة النشيطة والخامدة كذلك . ومهما أساير نفسي في هذا الشعور فأنا مضطر ان أختطف الكلام اختطافاً وان اجتزىء منه بالاقل والا طال القول وتشعبت نواحيه. ألم ترَ الى الدكتور أبي شادي يملأ الوادي بشعره ثم ينشىء مجلة «عالم النحل» بانجلترا ثم « مملكة النحل » بمصر ويؤسس غيرها من المنشآت الاقتصادية وفي طليعتها مجلتي «الدجاج» و« الصناعات الزراعية » ومكتب « النشر الزراعي » . وأخيراً يتحفنا

برابطة الادب الجديد ثم بجمعية أبولو ثم بهذه الصحيفة ؟ ! هذه ناحية يغبط عليها حقاً ، وناحية أخرى يُرحَم لها ويستحق التشجيع بسببها : تلك الجهود المتتابعة ، فرأس يذوب تفكيراً ، وشباب يُهدر انتاجاً ، ومال ينفق تباعاً ، حينما هو يحتمل صابراً باسماً . . . . صدقنى أنى طالما غاضبته اشفاقاً عليه ، وحاولت صرفه بعض الشيء الى نفسه وآله وماله ولكن فى غير جدوى ! فالدكتور أبو شادى له فلسفة صوفية أو



احمد الشايب

تكاد ، يقول لى : انها قوة فى نفسى إن لم توجَّه الى هذه النواحى فاين تتجه وتتنفس ؟ أتُنفق فى الشر ؟ ! وما لى ولفلسفته وقد أعيتنى معه الحيل ؟! فلأتركه وفلسفته ، ولأمضِ لشأنى ! ولكن أى شأن هذا ؟ ثق أنى لن أفلت منه او من جماعة أبولو هؤلاء ، وهاءنذا مضطر أن أتحدث معهم الى القراء فى ناحية من نواحى البحث الشعرى ، فى الشعر الحى ـ ما هو ؟

— ٢ —

ليس يعنينى هنا أن أقف عند حد الشعر وتعريفه ، فانه على الرغم من كثرة ما قيل فى ذلك ومن عناية العلماء بهذا النحو من البحث لست أرى من النهج المنطق خيراً كثيراً للادب عامة أو للشعر خاصة . ان الذى يعنينى هنا انما هى الخواص الفنية التى تكسب الشعر حياة وقوة وجمالا ؟ يعنينى هنا عناصر الشعر ، وصلتها بالطبيعة الانسانية ، وأسباب حياة الشعر وخلوده .

أول شيء لفت أنظار الباحثين من عهد الفلاسفة الاقدمين اليونانيين الى اليوم

انما هو لغة الشعر الموسيقية ، فتلك الاوزان والمقاطع وهذا التنغم والتنويع وهذه البحور والقوافى ، كل أولئك امتازت به لغة الشعر ، واستأثرت بمعظمه دون النثر ، وأقول بمعظمه لان النثر ذو أسلوب موسيقى كذلك وان كانت موسيقاه دون موسيقى الشعر ، فهذه لغة القلب وتلك لغة العقل وللعقل تنغيم فى التفكير المنطقى وفى تنسيق المعانى ، وسَوْقِها للاقناع وقوة الحجة والبرهان .

هذه اللغة الموسيقية ليست فى الحقيقة وحدة مستقلة فى الشعر توجد بنفسها وتعد عنصراً مستقلا ، له مصدره وحياته الخاصة ، يخلق ويضاف الى الشعر فيكسبه الروعة والجمال ، كلا وانما هذه اللغة الموسيقية ظاهرة طبيعية لعنصر آخر يعد جوهرياً فى باب الشعر ، بل هو ألزم العناصر وأولاها بالاعتبار ، ذلك العنصر هو العاطفة (Emotion) . فمهما تكن درجة هذه اللغة فى الناحية الموسيقية ، ومهما يكن نوعها فلا تَعْدو ان تكون نفحة العاطفة وصداها الذى ينم عنها ويصدح على مثالها صريحاً صادقاً ، والا فما بال الناس يقولون عن الشعر إنه لغة العاطفة ؟ وأى شىء فى الشعر أروع من تلك العاطفة الصادقة التى تظفر بلسان يلائمها ، أو تجد لغة هى ترجيعُها الحقّ ، وقيثارتها السليمة ؟ ! ماذا تُحس حين تسمع أو تتلو قول البحترى : —

لم يكن يومُنا طويلاً بنعما ن ، ولكن كان البكاء طويلا

أو قوله : —

وقفةٌ بالعقيق أطرحُ ثِقْلاً من دموعى بوقفةٍ فى العقيق

ألستَ تشعر بتلك العاطفة الشجية الآسفة الوفية التى تختلج فى نفس الشاعر ، وتتردد بين جوانحه حتى بدت فى هذه اللغة الموسيقية الشجية المترنّحة ، والتى هى الغالب الطبعى لتلك العاطفة النفسية ؟ وهذا قول المتنبي : —

مُلِثَّ القطر ، أعطِشها ربوعاً والاّ فاسقها السمَّ النقيعا
أسائلها عن المتدِّيريها فلا تدرى ، ولا تذرى دموعا

تُحسُّ فيه عاطفة ساخطة حانقة ملأت نفس الشاعر حتى ثارت وانفجرت بهذا الاسلوب القوى العنيف .

— ٣ —

هذه العاطفة تختلف حزناً وفرحاً ، رضاء وسخطاً ، روعةً وزرايةً ، حماسة واستكانة الى غير ذلك من نوازع النفس وبواعثها ، ولا بد لكل نوع من لغة

خاصة ذات موسيقى تلائمه من حيث الدرجة والنوع ، أو أنّ تلك العاطفة لا تستطيع الحركة والحرية الا اذا ظفرت بلغتها التى خلقت لها والتى هى صداها الطبيعى ، وصوتها الجميل ، فموسيقى الحماسة غير موسيقى الحزن ، وهذه تخالف موسيقى الروعة، وهكذا تجد للنفس فى كل حال حركة خاصة تمتاز من سواها بعدد الانفاس وأطوالها ، ونتيجة ذلك طبعاً أن تكون اللغة التى تؤدى كل عاطفة غير نظيرتها ، ومعنى هذا اختلاف التفاعيل والبحور الشعرية باختلاف فنون القول . تجد ذلك فى الشعر العربى كما تجده واضحاً جداً فى الشعر الفرنجى . وعلى هذا الاساس نستطيع أن نفهم ماورد فى كتب الادب العربي من غلبة بعض البحور فى فنون خاصة ، فبحر يجود فيه الرثاء ، وآخر للرقص والغناء ، وثالث للشكوى ، وكذا الشأن فى الاوزان الاجنبية ، يعرف ذلك من درس العروض المقارن .

كيف تتوافر للشعر هذه العاطفة التى تثمر تلك اللغة الموسيقية ؟

لا يمكن توافرها للشعر إلا إذا كانت حيّة فى نفس الشاعر حياة قوية عميقة ، فنفس الشاعر هى المنبع الاول لقوة العاطفة الشعرية ، وهى بذلك المنبع الأول لتلك اللغة الموسيقية ، ونحن ملزمون أن نبحث فى نفس الشاعر عن خواص هذه اللغة فى وضوحها ، وقوتها ، وجمالها ، فى نوع موسيقاها ودرجتها ، فالاسلوب صورة لنفس الكاتب ، وهى اجدر أن توصف بالجمال أو القوة أو الوضوح مما يَعُدُّه الناسُ صفة للفظ مرة وللمعنى مرة أخرى ، ولكنه فى الاصل أوصاف لنفس المنشىء شاعراً أو ناثراً . ولست أدرى ما يقول الناس إذا حاولت التعمق قليلاً فى بحث هذه الموسيقى ، ما نشأتها الاولى ، أهى العاطفة وكفى ، أم نستطيع أن نخطو خطوة أخرى وراء هذه العاطفة نفسها ، فنسأل : لم كانت العاطفة نفسها ذات حركة ترجيعيّة غير عادية فيها هذا التنغيم والترديد ، فاستلزمت لذلك لغة خاصة غير مألوفة هى هذه اللغة التى حدثناك عنها ؟ هل لنا أن نقول قولاً عضوياً مادياً بأن العاطفة هى كذلك صورة لنبض القلب ، أو ترديد النفس عند الفزع أو السرور ، وهذا النبض الذى يصحب العاطفة أو ينشأ عنها يختلف باختلاف ما يرد على النفس من مؤثرات فهو مرة سريع وأخرى بطىء ، ومرة قوى وأخرى ضعيف ، وهكذا نجد هذه الظاهرة المادية وفق العواطف المعنوية ؟ فلم لا يكون هناك ارتباط بين هذه اللغة المادية وتلك اللغة الصوتية ، فكلتاهما نبض وتقسيم وتفاعيل ؟ ولم لا يكون هذا الثالوث وحدة متصلة الاجزاء ؟

ستقول : والغناء ، أليس هو أصل الوزن العروضى فى كل اللغات ؟ ولكن الغناء نفسه او ترديد الصوت ما مصدره ؟ أهو شي غير ما قلنا من عاطفة نفسية ظهرت صوتاً صرفاً أو لغة منغمة موسيقية ؟!

ومالنا ولهذا التورط فى شيء قد لايجدى ، وكل ما يهمنى أمر واحد هو أن لغة الشعر مشتقة من نفس الشاعر أو هى صورتها الطبيعية ، فما أحرانا أن نترك نفوسنا تتكلم بطبيعتها دون أن نحبسها فى التكلف والاغراب أو فى محاولة التعمية والابهام .

— ٤ —

ليس الشعر صنعة من الصناعات تتناولها الأيدى وتعملها الآلات ، ولكنه فن روحى يصدر عن النفس الشاعرة ، وحياة هذا الشعر تنبع من حياة هذه النفس وحياة هذه النفس معناها تلك العاطفة الصادقة والشعور الحاد الذى يستطيع استلهام الكون والانسانية ويوقظ فى النفس لوناً عاطفياً صحيحا ثابتاً ، غير وقتى زائل .

كثيراً ما يُعجَبُ نُقَّادُ الأدب العربى برثاء أبى تمام محمدَ بن حُميد الطوسى :—

كذا فليجلَّ الخطبُ وليفدحِ الأمرُ فليس لعينٍ لم يفضْ ماؤها عذرُ
تُوُفِّيَتْ الآمالُ بعدَ محمدٍ وأصبحَ مشغولا عن السفر السَّفْرُ

ويُراعون بهذا التهويل والتفخيم ، ولكن خبرنى أتشعر الآن بروح صادقة لهذا التهويل تبعث فى نفسك التياعاً وأحزاناً ؟ أكبر الظن عندى أن قيمة هذه الأبيات مرتبطة بذلك الشخص المرثو ، وبصلة هذا الشخص بالشاعر ، وبزمان الميت ومكانه . وأما صلة هذا الرثاء بالدنيا عامة، وبالعاطفة الانسانية كلها ، فلا تكاد تحسها . ولكن أنظر إلى قصيدة المعرى فى الرثاء :—

غيرُ مُجدٍ فى مِلَّتى واعتقادى نوحُ باكٍ ولا ترنُّمُ شادِ
وشبيهٌ صوت النعِيِّ إذا قيـ ـسَ بصوت البشير فى كل نادِ
أبكتْ تلكم الحمامةُ أم غنَّـ ـتْ على فرع غصنها الميادِ ... الخ

تجد المعرى يشعرك بحزن خالد ، ويعرض عليك طبيعة الحياة والموت ، ويمثل لك مصارع الانسانية ومآلها ، فهو بأن يرثى الحياة كلها أجدر من أن يرثى فقيهاً . استعرضْ هذه القصيدة وانظر هل ترى سوى سجل خالد عام لعواطف الناس جميعاً نحو الموت والحياة فى كل زمان ومكان ؟

للنقاد كلام كثير عن العاطفة الشعرية وخواصها وكلها تتركز فى صدقها وخلودها ولن تصدق أو تخلد إلا إذا كانت عميقة شاملة .

— ٥ —

ولكن ما سبيل إثارة العاطفة فى نفس القارىء حتى يحرص على الشعر ويجد فيه متعته دائماً ؟ الخيال ، ولكنه الخيال الصادق ، ذلك الذى ينقل العاطفة فى نوعها ودرجتها من نفس الشاعر الى نفس القارىء ، ولن يكون ذلك بالتحدث عن الكوارث وآثارها والتهويل الفارغ بشأنها ، ولكن بتصوير منبع العاطفة ونقل ملابساتها ، ثم عرضها فى أسلوب جميل حتى يرى هذا القارىء فى الشعر ما رأى الشاعرُ نفسه فى الطبيعة ، وهنا يتساويان أو يتقاربان .

وللخيال قيمة كبرى فى فنون الأدب الاخرى ، فى القصص والروايات لا يعنينى الآن تفصيله فلا تركه .

ولكن قبل أن أتركه أحيلك أو أوجه نظرك إلى سينية البحترى أو رثائه المتوكل لتلمس أثر الخيال ، وتحس آثاره فى حياة الشعر وروعته :—

مَحَلٌّ على القاطُولِ أخلَقَ داثِرُهْ وعادت صروفُ الدهر جيشاً تغاورُهْ
كأن الصَّبا توفى نذوراً اذا انبرت تُراوحه أذيالُها وتباكرُهْ
ورُبَّ زمانٍ ناعم ثَمّ عهدُهُ تَرِقُّ حواشيه ، ويُورِقُ ناضِرُهْ
تغيَّر حسنُ الجعفرىِّ وأنسهُ وقُوِّضَ بادى الجعفرى وحاضرُهْ
تَحَمَّلَ عنهُ ساكنوهُ فُجَاءَةً فعادت سواءً دورُهُ ومقابرُهْ
ولم أنسَ وَحْشَ القصر إذ ريع سربهُ وإذ ذُعِرَت أطلاؤه وجاذرُهْ
وإذ صيحَ فيه بالرحيل فَهُتِّكتْ علىَ عَجَلٍ أستارُهُ وستائرُه

ألستَ ترى ما رأى البحترى عقبَ مصرع المتوكل ؟ ألم تُثِرْ فى نفسك تلك العواطف التى ملكتْ عليه نفسه حتى قال هذا الشعر ؟ ثم قل لى هل سلك سبيل التهويل ، أو ذكر لك هنا الموت والسَّفْر ؟ إن الشاعر إذا ترك هذا التصوير الذى يثير العاطفة ويبعثها ثم اكتفى بذكر آلام نفسه وأشجانه فربما لا أصدقه ولا أتأثر لآثاره لأنى لا أرى داعيها والحاملَ عليها ، وإنما أسمعُ دعاوى بلا دليل فلست ملزماً أن أبكى لبُكائه ، أو أفرح لفرحه ما دمتُ لا أرى داعى الفرح والبكاء

— ٦ —

اللغة الموسيقية ، والعاطفة الخالدة ، والخيـال الصادق ، هى أعصاب الشعر وعضلاته ، وهى أخيراً روحه ، ولـكن ينقصه الهيكل العظمى ، فذلك هو الفكره أو الحقيقة أو العنصر العقلى كما يسميه بعض النقاد . ولست اريد مجرد الحقيقة أو المسألة المسلم بها فقط ، وإنما اريد العقيدة ،أريد تلك الفـكرةالتى يدركها الشاعر ، ويتشبث بها ويتهالك عليها مقتنعاً حريصاً غيوراً كأنها رسالته ، بل هى فى الحق رسالته الروحية يلبسها تلك العناصر الاخرى التى تعرضها على الجمهور سائغة كأنهـا فن خالص ، وهى فى الواقع ذائبة فى الفن غارقة فى سحره وجماله ، أشبه بالموسيقى القائمة على الاناشيد والمقطوعات ، فهى شعر ذائب فى الموسيقى أو موسيقى شعرية .

أتُصَدّقُ أن المعرى فى رثائه يريد أن يقول لنا لا فرق بين بكاء الحمامة أو غنائها أو يريد الحديث عن القبور وكثرتها ، أو يود أن تطير فى الجو ؟ الحق أن المعرى يعرض علينا مهزلة الحيـاة وهوانها ، ويرى فى الفناء الحقّ الخالد ، ويبتسم لهـذا الحق ، ويراه أليق بالقبول فى غير فزع . هذه هى الحقيقة التى أبرزها لنا وعرضها علينا فى صـور واشكال من اصـوات الحمام ، وكثرة المقابر ، وتسوية الموت بين الناس . كذلك الحـال فى رثاء المتوكل فقـد اراد البحترى أن يخبرنا بإقفار منازله وذهاب الخير بوفاته ومذلة اصابت آله ، وخراب تلك المنازل التى كانت تضج بالحياة فعادت تضج بالصمت والممات .

— ٧ —

ولـكنى للآن لم أقل لك ما هو الشعر الحى ، واكتفيت للآن بتحليل الشعر الى عناصره وبيان قيمتها ليس غير. ولـكن أسألك : ما عتاد هذا كله ؟ ما مصدر الفـكرة والعاطفة والخيال والعبارة ؟ نفس الشاعر ، لا أريد أن أقول نفسه فذلك تعبير غير دقيق ، وإنما أريد (شخصيته) ـ تلك الشخصية هى مصدر هذا الشعر ، وهى باعث الحياة والخلود . أليست هذه الشخصية هى التى تـكسو الحقائق ثوباً من ـ العاطفة والخيال فتكسبها إمتاعاً وروعة تحمل النـاس على قراءة الشعر مرة ومرة ، وتجعلهم يعودون اليه التماساً لغذائهم النفسى ؟ الحقيقة خالدة ولـكنها ليست ممتعة إذ ليس فيها جديد لاتحادها فى كل العقول ، ولـكن الشىء الجديد إنما يكون من وحى العاطفة وطريقة تصويرها أى من ناحية الشخصية . ـ

وربما كانت هذه الشخصية فى حاجة الى تفصيل عريض لبيان عناصرها وصلاتها بالآثار الفنية ، وأنواعها المختلفة ، ولكننى اكتفى هنا بهذه الاشارة ، وأقول إن هذه الشخصية يجب كذلك أن ترتكز على مزاج جميل حاد وعلى ثقافة أدبية عميقة شاملة تتسع لكل زمان ومكان ، وتتعالى على التاريخ والبيئات ، وتتمثل الانسانية كلها لا جنساً خاصاً ، والدهر جمعه لا عصراً بعينه ، وتكون عبارة عن الطبيعة المشتركة بين الناس جميعاً حتى تأتلف مع كل قارىء . وفى هذه الحال فقط تستطيع هذه الشخصية أن تكون مصدر شعر عالمى هو شعر الحياة والخلود .

وبعد ، فهل لنا أن نرجو من شعراء (أبولو) أن يسجلوا أنفسهم فى ثبت الخالدين ؟





مستوحى دانزيو

كنت فى العشرين أو نحوها من العمر ، لما استقل دانتزيو نسافةً الى فيومى فاحتلَّـها لانه كان يعارض فى تسليمها لغير ايطاليا . فهزنى هذا العمل من شاعرٍ ، وكنت أتصور ان الاقدام الحربى على حلّ المشكلات السياسية ليس من خلق الشعراء . فكتبت يومها مقالا بعنوان « الشاعر الجندى » وما زلت أحرص من ذلك الحين على الالمام بحياة شاعر ايطاليا العظيم . فقرأت نتفاً عن حوادث حبّـهِ وغرامه ، وطالعت ما تيسرت لى مطالعته بالانكليزية من كتاباته وجمعت نبذاً من أخباره ، فلما طلب الىَّ الصديق الدكتور أبوشادى كتابة كلمة لمجلتهِ رأيت أن أوافيها بشيء عن دانتزيو فى صومعتهِ .

على قمم الآكام الحرجاء المطلة على شواطىء ريفيرا جاردونى وبحيرة جاردا بايطاليا بيت غريب يقطنه رجل ينـدر أن تقع على رجل أغرب منه أطواراً . ويعرف هذا القصر فى أندية العالم الادبية باسمهِ المختصر — وهو الفيتوريالى . وليس قاطنهُ بأقل شهرة منهُ لانه يجيب إذا ناديت جبرائيل دانتزيو ـ دانتزيو الشاعر والجندى،الطيار والفنان ، المتقشف والمادى ، الناسك والعاشق ، رجل العمل ورجل الخيال والاحلام .

ولاريب فى أن دانتزيو من أغرب المعاصرين أطواراً، ومن أشد الشخصيات المعروفة تعقيداً ، والقصر الذى جعلهُ مستوحاهُ يعكس لك أنواراً من حياتهِ ، ويمثل شخصية صاحبهِ أفضل تمثيل ، ففيه يلتقى العالمىُّ بالصوفى ، والروحى بالجسدى ، والمادى بالكمالىّ ، فيحتدم النزاع بينها للسيطرة على القصر وصاحبهِ .

ففى الفيتوريالى تجد تمثالاً للزهرة الى جانب صور للعذراء ، وآلهة الوثنيين تمشى جنباً الى جنب مع القديس فرنسيس الاسيزى ، وشعائر المسيحية من سلام ومحبة



فؤاد صروف

تحاذيها مذكرات الحروب وشارات القوة والبطش ، وآثار الابهة والفخامة فى جوار علامات الزهد والتنسُّك ، واحدث ما أخرجتهُ الفلسفة المادية يعانق أحلام الروح وأشباح الخيال . على أن فى اجتماعها اتساقاً واندماجاً ، حتى لتحسب القصر نفسه لمحة من لمحة الخيال ، بل كأنه حلم شاعر ، تصوَّره ناسك وبناه جندى ، يشرف عليهما جبَّار يستطيع أن يدمج الاجزاء فى كل متسق منسجم .

هنا اختار دانتزيو أن يقضى سنى حياتهِ الاخيرة ، وفى هذا القصر يعيش بعيداً عن الناس ، والظاهر انه يفاخر به أعظم المفاخرة ، ويعدّهُ أتمَّ طريقة أعرب بها عن ذات نفسهِ .

أن روحه الحائرة استقرت هنا ، ولكنه مازال يتابع — مع أنه أوفى على السبعين ، ويدعو نفسه عاملاً من عمال الكلام فقط — العناية بطبع كل مؤلفاتهِ ووضع سيرةِ حياته والاشراف على بعض الصناعات اليدوية ، فى حوانيت صغيرة بناها لذلك خاصة فى حديقة قصرهِ .

واليك ما كتبهُ عن قصرهِ الى صديقهِ الروحى وزميله فى الحرب والسلام السنيور موسولينى إذ انبأهُ باهداء هذا القصر الى الامة الايطالية . قال : « أعيش واعمل وألحن فى عزلة الفيتوريالى ، واعنى بجدرانه بنفس العناية التى أوجهها لكل صفحة من صفحات كتاب لى . فكل غرفة نظمتها ، وكل أثر من الآثار التى اقتنيتها يمثل فى نظرى طريقة من طرق الاعراب والافصاح عن الذات . هنا ذكرياتى ، ومحبتى وكتبى ، وأحلامى . لقد أسست هنا مسرحاً فى الهواء الطلق وانشأت مدارس ومعامل لاحياء الفنون والصناعات الايطالية القديمة . هنا اطرق الحديد ، وانفخ الزجاج واطبع بقطع من الخشب ، واحفر فى العظام ، واقطر العطور .. و.. و..، وكما وهبتُ من قبل كلّ ما قدم لى أهب الآن كلّ ما أقتنى » .

***

وليس داننزيو مبالغاً إذ يقول انهُ يعيش بمعزل عن الناس ، إذ ليس اندر من الذين يؤذن لهم فى تخطى عتبة بابهِ ، واندر من ذلك خروجه من بيته أو الحديقة التى تحيط به . وقد شوهد أحياناً يسير وحده فى طريق مهجور من طرق الريف مرتدياً رداء قائدٍ فى سلاح الطيران الايطالى ، حاسر الرأس ، ولكن ذلك قليل . وإذا لجّ بهِ حبُّ الحركة ، هبط الاكام الى البحيرة حيث له سفينة كانت قبلاً من مطاردات الغواصات وهى السفينة التى طارد بها فى فبراير سنة ١٩١٨ إحدى السفن النمسوية . ويقال إنه هو الذى اطلق على هذا الطراز من السفن اسمه الخاص (MAS) وهى الحروف الأولى فى الكلمات الثلاث من المثل الايطالى المشهور (Mememto Audere Semper) تذكر دائماً أنه تُقدِم .

على أن عزلة دانزيو ليست وحدة وانفراداً ، فله اتباع كثيرون وخدم وحشم . وهناك الكونت ماروني المثّال الذى اتمّ المعجزة بتحويل الفيتوريالى من كوخ حقير الى قصر فخم ، وهو يعيش فى بيت خاصّ به فى احدى نواحى الحديقة ، ويتبعه جيش من الحدادين والحفارين وصانعى الزجاج وغيرهم .

***

أما المعيشة فى القصر فمعيشة نسك بوجه عام. فكلّ من سكانه حتى الخدم والحشم يدعى باسم جديد ، هو اسم ناسك إذا كان رجلاً أو اسم راهبة إذا كانت سيدة . ويتقدم الاسم « فرا Fra » أى أخ للرجل أو «سور Suor » أى أخت للسيدة . وغرف القصر سميت كما تسمى غرف دير . وكل سكانهِ يتناولون الطعام معاً على مائدة طويلة

يجلس دانتزيو على رأسها كأنه رئيس الدير . فبعد الصلاة ، يتقدم الخدم وهم مرتدون ثياب النساك ، حاملين قصاعاً تحتوى على طعام ، غاية فى البساطة، كأنه أكل الصوامع .

ومع أن دانتزيو يعيش معيشة راحة ، من الناحية الجسدية، إلا أن شعلة التوليد فى دماغه لا تخبو ، ولكنه يشتغل كلما طاب لهُ الشغل فقط . فقد يقضى اسبوعين لا يخط كلمة واحدة ، ثم تليها فترة اسبوعين أو ثلاثة أسابيع ، يصبح فيها عبداً لملكة التوليد ، يطيع أوامرها حتى لقد يشتغل أحياناً نحو ١٦ ساعة كل يوم ! فاذا هبط عليه الوحى ، دخل مكتبهُ — وهو يدعوه معمل عامل الكلام — ومن ثم لا يسمح لاحد أن يدخل عليه ولا هو يخرج منهُ إلا ليتناول شيئاً من الطعام أو حظاً من الراحة . أما طعامه فى هذه الاحوال فقليل جداً ، لانه يعتقد أن تيار الافكار يكون أصفى وأنقى إذا كانت المعدة فارغة ، بل انه يبدأ فترات العمل النشيط بصيام ، وفى أثناء ذلك لا يتناول إلا طعاماً قليلا مرة فى اليوم ، ويؤثر العمل فى الليل ، فيجلس أمام مكتبه حتى ينبلج الفجر .

وهو الآن يعنى بطبع مجموعة كاملة من آثاره العلمية فى ٤٤ مجلداً مبوّبة كما يلى :—

(١) اشعار الحب والمجد
(٢) الروايات النثرية
(٣) المآسى والدرامات
(٤) كتابات متفرقة

وينتظر ان يتم طبعها فى أواخر هذه السنة . وقد اكتتبت الحكومة لهذا العمل بستة ملايين ليرا إيطالية ، وهى عناية منقطعة النظير ، إذ لم يعرف من قبل ، ان حكومةً اشتركت فى طبع مؤلفات كاتب حىّ !

* * *

أما العناية التى يبذلها دانتزيو فى تصحيح الكتب قبل طبعها فتفوق الوصف . فانه يراجع تجارب الكتاب ثلاث مرات قبل ان يسمح بالطبع ، يضاف الى ذلك انه ينقح تنقيحاً دائماً مؤلفاته القديمة والحديثة ، حتى يبلغ بها درجة الكمال الأدبى ، كما يراها . وقد قيل انه قد يسهر ليلة بكاملها ليعيد كتابة جملة واحدة . وقيل انه قد يقضى أسابيع ، يناقش فيها طابع كتبه — وهوعالم أديب — بالرسائل والتلغرافات ، فى لفظة فردة !

ويحسب دانتزيو انه نال جزاء هذا النصب اذ يشعر إنه اخرج شيئا كاملاً . ومع ذلك فالكلمة الفردة التي نقشها على مدخل داره هي : « الراحة » !

فؤاد صروف



من شخصية شوقي بك

لمّا كانت لي صلة وثيقة بالمغفور له شوقي بك وكان يعطف على مجهوداتنا في « جماعة الأدب المصرى » و « رابطة الأدب الجديد » وكنت في حياته أراه كل يوم تقريباً في الاسكندرية اثناء اصطيافه فانّ من الواجب عليّ أن أعلّق بشيء من الملاحظات على أقوال بعض حضرات النُّقّاد تبرئةً لذمتي وانصافاً لذكرى الفقيد العظيم .



علي محمد البحراوي

فقد ذكر حضرة الدكتور طه حسين ما يُفهم منه ان شوقى بك كان متأثراً بمنافسته لحافظ ابراهيم بك وانه من أجل ذلك قصَّر فى واجب التعزية اثر وفاته ، والحقيقة أن شوقى بك كان شبه محتضر فى ذلك الوقت ، وفوق ذلك فالرجل بطبيعته يجزع من المآتم والجنازات بل من الوجوه الجديدة اذا ما فوجىء بها ففاجأة افذهابه الى قبر حافظ هو بمثابة حكم بالاعدام عليه ، وهذه مسألة لا يعرفها إلا خاصة أصدقائه وطبيبه. وقد جاءت مرثيته لحافظ آية من آيات البيان العربى ومن لوعة العاطفة القوية والموسيقى الحزينة ، كما تخللها الدفاع عن خلقه وكرامته ، فمن العجيب بعد ذلك أن ينعت الدكتور طه حسين هذه القصيدة الرائعة الجامعة بأنها « فاترة » ، ولكنّ فن الدكتور النقدى لم ينهض هذه المرة لأنه لم يستطع أن يقدم لنا برهاناً واحداً على فتورها وهى التى كان لها صدى عظيم فى جميع النفوس .



الدكتور طه حسين

وأشار الدكتور زكى مبارك الى اعتزاز شوقى بك بشعره ، وانه كان يصادق ويخاصم على هذا الأساس. وهذا صحيحٌ فى جملته، ولكن من الانصاف أن أقول إن الفقيد كان متأثراً الى حدٍ كبيرٍ ببيئته، وقلما وُجد من أفرادها من يخطّئه بصراحة. فلما وُجد بجانبه من الأفاضل من كان يجرؤ على ذلك أحياناً مثل الدكتور سعيد

عبده (راجع مقاله التأبينى فى مجلة « روز اليوسف ») كان شوقى بك يرضخ للنقد أخيراً ويستفيد منه . وهذا ما وقع فعلاً فى (جمعية أبولو) فانّ نظامها ونظام مجلتها خالفا تماماً ما كان يألفه شوقى بك طول حياته الأدبية : فقد حُرِّمتْ فيها الألقاب الطنّانة لأول مرة فى تاريخ الصحافة المصرية ، وعملت الجمعية على مقاومة شعر الحفلات والتطلع الى الشعر الفنى وحده . وماشَى شوقى بك هذه الحركة التجديدية بسرور وارتياح وغبطة ، وعُنى بها أعظم عناية فى أيامه الاخيرة . ولذلك كانت فجيعة (جمعية أبولو) بفقده عظيمة فوق مصاب العالم العربى بأسره . ومن هذا يُستخلص أن كراهية شوقى بك للنقد الأدبى لم تكن ترجع الى طبيعة نفسه بقدر ما كانت ترجع الى تملّق حاشيته السابقة أو افراد منها إياه ، فقد كانوا يتظاهرون بأنهم ملكيون أكثر من الملك ، وكانوا يستغلون ذلك التظاهر أيما استغلال !

وقد أشادت هذه المجلة بالأثر الطيب الذى كان للاديب الفاضل احمد افندى عبدالوهاب سكرتير شوقى بك فى خلق جو صالح من المحبة حوله ، وهذا حق . وسيذكر الادباء لعبدالوهاب افندى هذه الحسنة دائماً . وكان من أثر ذلك حَدَبُ شوقى بك على الادباء العاملين أو المغمورين بعد ان كان يُتَّهم بعكس ذلك سابقاً ، فرأيناه يبعث بكتاب رائع من الادب والعطف الى وزير مصر المفوض فى باريز معالى فخرى باشا توصية بالشاعر المصرى النّابه محمود أبو الوفا. ورأيناه يبعث بكتاب نبيل مطوّل الى الدكتور أبو شادى مشيداً بروحه التجديدية الرائدة ، بالرغم من المساعى التى كان يبذلها سابقاً وسطاء السوء للتفرقة بينهما .

ومع اعتكاف شوقى بك فان كلماته وتصريحاته كان لها مدًى بعيد من التأثير والوقع ، وأمثلة ذلك أمامى عديدة . ومن أغربها فى إحدى جلساته قُبيل صدور مجلة (أبولو) اطراؤه لمؤسسها بحيث شغل الجلسة كلها تقريباً فى التنويه بالدكتور أبوشادى ومناحى عبقريته وجهوده وتضحياته وروحه المتسامحة . وقال فيما قال : لو كان والده حياً لكان مثله وزيراً فى حكومة وفدية ..... وسرعان ما ذاعت هذه الكلمة فى الثغر ، حتى إذا وفد الدكتور الى الاسكندرية بعد ذلك أدهشه بل ذَعره أن يجد فى استقباله على المحطة جمعاً غفيراً من أدباء الثغر ووجهائه وبعض مندوبى الصحف وأحد المصورين أيضاً مما كان شبه مظاهرة غير منتظرة ! ومما يزيد من قدر شوقى بك فى هذه المناسبة أن مبدأ الدكتور أبوشادي فى مخاطبته كان دائماً مبدأ الصراحة التى



المغفور له

احمد شوقى بك

فى شيخوخته

سنّها ابنُ حزْم بقوله : صديقُكَ من صدَقَك لامن صدَّقكَ ، فلم تكن هناك أيةُ مجاملة خدَّاعة بينهما .

وأشار بعض الكتاب الى أنانية شوقى بك التى كانت لا تقبل أىَّ ضرب من المنافسة ، ثم ذهب الدكتور زكى مبارك الى أن شوقى بك يَعنى نفسه ولا يعنى حافظ ابراهيم بك بقوله فى مرثيته لحافظ :

ما حطَّموكَ وإنما بكَ حُطِّموا من ذا يُحطِّم رفرفَ الجوزاءِ ؟!
أُنظرْ ! فأنتَ كأمسِ شأنُكَ باذخٌ فى الشرقِ ، واسْمُكَ أرفعُ الاسماءِ

والحقيقة أن هذا الخطاب موجَّه الى حافظ ابراهيم بك نفسه كما يدلّ سياق القصيدة دلالةً صريحةً . وفوق ذلك فان شوقى بك كرر أمامى وأمام أصدقائى استغرابه لتظاهر المازنى ورفقته بالدفاع عن حافظ وهم الذين حاولوا تحطيمه من قبل فكانت النتيجة وبالاً عليهم ، واعتبر تصرفهم الاخير محاولة مصطنعة للنيل منه (شوقى بك) تحت ستار الحماسة لحافظ . فهذا التصريح من شوقى بك هو نفس المعنى المتضمَّن فى بيتيه المشار اليهما .

انى لم أرافق شوقى بك إلا فى شيخوخته ، وهذه صفحة أمينة من مذكراتى عنه ، ومن الصعب علىَّ الحكم على نفسيته فى أدوار سابقة حتى أقول ما له وما عليه، ولاأحبّ مجاراة غيرى من النقَّاد فيما أجهله ، ولكن من الانصاف للتاريخ أن أسجّل هذه السطور عما أعرفه معرفة أكيدةً فيما أُثيرَ البحث حوله . ولا يتسع المقام الآن لأكثر من هذا القدر ، وربما كانت لنا عودة الى هذه الذكريات الغالية ؟

على محمد البحراوى





لوحة فنان

أبدعَ اللهُ فى السموات والبحـ ـرِ ، فمن للمُصوِّرِ الفنّان ؟!
أترى الشعرُ يستطيع او الرّسا مُ مهما استعانَ بالألوانِ ؟
كيف يَحكى مهما علا وتسامَى قوةً أعجزتْ فنونَ البيانِ ؟
بورسعيدُ وهَلْ سِوى بورسعيدِ مسرحٌ للجمال بين الأماني
جئتها أنشد الحياةَ هُروباً من عناءٍ أمضَّني وشجاني
وتحمَّلتُ ذكرَها بعد بيني لايُطيق السلوَّ عنها جَناني
آهِ ، لولا مطالبُ العيش حولى وفؤادى مِن همِّها جدُّ عاني
ما تبدّلتُ من هوى بورسعيدِ لا ، ولا طيبِ سحرها بمكانِ

***

تنشد الخلدَ وهو منك قريبٌ ماثلٌ بافتنانه للعَيانِ
فترى البحرَ وهو جدُّ مهوبٍ صار ملهىً للفاتناتِ الحسانِ
كم فتىً فى رحابه وفتاةٍ بعد يأسِ الصُّدودِ مجتمعانِ
وترى ربةً تداعب أخرى وهما بالحياة تبتهجانِ !

***

ما يفيد المحرومَ إذْ يبصر النعمةَ غيرُ الشعورِ بالحرمان ؟!

صبر ابراهيم



غياب ديوجين

احتسب الشاعر محمد طاهر الجبلاوى كلباً نفيساً منذ أشهر فرثاه واشترك فى رثائه سبعة من شعرائنا المعروفين بينهم العقاد وشكرى ، فقال العقاد :

حُزناً على كلب (طاهرٍ) فانه طاهرُ الكلابْ
تشابها فى خليقة واتفقا شيمةَ الصّحابْ
وربّما عَىَّ (طاهرٌ) وكلبُه حاضرُ الجوَابْ
فليس يوفيه حقَّه من اكتئابٍ أو انتحابْ
الا اذا باتَ نابحاً نَبْحَ المساعيرِ فى الخرابْ
عَوْعَوْ عَوَوْوَوْ بلا وَنىً ولا انقطاعٍ ولا اقترابْ !

* * *

لا تسألوا رحمةً له قد رحم الله واستجابْ !
لعلّه مات قانطاً من قلةِ الاكل والشرابْ
منتحراً فى شبابه وهكذا يفعل الشبابْ
أراحه الموتُ من ضَنىً أنقذه القبرُ من عذابْ
فليحمدْ اللهَ ربّه مَنْ جاع فليرضَ بالترابْ !

وقال شكرى فى مطلع قصيدته الظريفة :

يا شاعراً مات كلبُهْ وعُضّ بالرُّزء قلبُهْ

ثم مرّتْ شهورُ الحزن وتبنى الشاعر كلباً آخر لمح فيه معالم الذكاء والفلسفة فأسماه (ديوجين) . وكانت لهذا الكلب منزلة عزيزة عند الشاعر ولكنه فى ذات يوم غادر المنزل الى غير عودة فكان وقع هذا المصاب عظيماً عنده .

وكتب العقاد كتاباً الى ديوجين الحكيم بطرف الشاعر فاتفق أن وصل الكتاب وديوجين شاردٌ من البيت الى حيث لم يعد فأرسل اليه الشاعر صاحب ديوجين هذه القصيدة :

غادرتَني واختفيتَ فأيَّ بيتٍ قصدتَ
ما كان حظُّكَ منّي أقلَّ مِمّا طلبتَ
اللّحمَ والخبزَ عندى والعطفَ والودَّ فُتَّ
وحجرةً لكَ فيها من الرغائب شتّى
وشاعراً فيلسوفاً مُلبّياً إنْ عَوَيْتَ



محمد طاهر الجبلاوى

* * *

كم من كتابٍ نفيسٍ بلا حساب قطعتَ
وكم صحيفةِ شعرٍ خطفتَها وجَرَيْتَ
فما ضُرِبْتَ لذنبٍ ولا بقولٍ نُهِرْتَ

* * *

لم يَبترِدْ بعضُ وجْدٍ على عزيزٍ(١) خلفتَ
فقدْتهُ طيَّ لَحْدٍ وأنتَ حيّاً فقدْتَ

(١) اشارة الى كلبه السابق المفتقد .

وكان فيكَ عزاءٌ من رُزْئِه لو دَرَيْتَ
فمن لِرُزْأَىَّ أبغى اذا مَضَى ومَضَيْتَ ؟

* * *

فى كلِّ حيٍّ ترانى مُسائلاً : أين بِنتَ ؟
وكلما شِمْتُ كلْباً أقوله هو أنتَ !
وأرجعُ الدارَ علّى أراكَ للدار عُدْتَ
فما اهتديتُ بِسَعْيِى ولا الىَّ اهتديتَ

* * *

فيا (ديوجينُ) قُلْ لى ما ذا دهاكَ فغِبْتَ ؟
وكلبةٌ (١) كنتَ تَهْوَى خَلَّفْتَها وهجرتَ
فلا وداعاً جيلاً ولا سلاماً تركتَ
فهل خشيتَ ضلالاً (٢) من الهوى فارتحلتَ
أم اكتويتَ بنارِ من الغرامِ فَهِمْتَ
سيانِ فى الحبِّ هذا وذاكَ أنَّى ذَهَبْتَ !

* * *

بالله قلْ لىَ ما ذا بعد الفراق وجدتَ
وبين قوم كرامٍ تعيش كيف أردتَ
لا يحرمونك عطفاً ورأفةً إنْ شكوتَ
أم أنتَ بين صغارٍ لا يرحمون — وقعتَ (٣)
مُوثَّقاً فى حِبالٍ بغير ذنبٍ جَنَيْتَ
تُجَرُّ فى كلِّ دَرْبٍ فإن عَصَيتَ ضُرِبْتَ
وصَرْخَةٌ لك تَمْضِى ما بينهم إنْ غَضِبْتَ

* * *

مِصْباحُك اليومَ يُنْجِى من كلِّ شرٍّ رأيتَ
فاحمِلْه وانشدْ صديقاً من الأنامِ ألِفْتَ
عليكَ منّى سلامٌ فى أىِّ دارٍ حلَلْتَ !

محمد طاهر الجبلاوى

(١) اشارة الى كلبة جار الشاعر . (٢) اشارة الى زهد سميه الفيلسوف . (٣) يشير الى سوء المعاملة التى يلقاها الكلاب فى أيدي الاطفال بمصر .



عباس محمود العقاد

(من ريشة الفنان المصري احمد صبرى)

وقد تناول العقاد هذه القصيدة تناولاً بديعاً بروح فكهة فكتب الى الشاعر مواسياً وملتزماً نفس البحر والقافية فى قصيدته :

أمستْ كلابك شتىً وأنتَ يا صاح أنتَ !
كلبٌ نجا وهو حيٌّ وآخرٌ خرَّ ميْتا
ما بين تاركِ دُنْيا وتاركِ لك بيْتا !
قُلْ لى بربكَ ماذا على الكلابِ جنيتَ ؟!

***

حتى ديوجينُ ولَّى يا سُوءَ ما قد صَنعْتَ
والله ما كان يَأبَى لو صادفَ الخُبزَ بحْتا !

أوجدْتَ يوماً عليه | فصادفَ الادْمَ زيتا
تقول قد راح يَهْوَى | مِنْ قوْمِه الغُرّ بِنْتا
لا تلزمْ الحُبَّ ذَنْباً | من الصّيام تأتى !
فاحملْ رغيفا تَجِدْهُ | فى أىّ صَوْبٍ نَظَرْت !
مِصْباحُه ليس يُجْدِى | فلا تُضِعْ فيه وقْتا
أنعمْ به من حكيمٍ | الى ديوجين مَتّاً
رأى السلامةَ حقاً | ومَنْ رأى الحق أفتى !

و (أبولو) يضمّ صوته الى الشعراء المواسين ، راجين أن تكون هذه الفجيعة خاتمة أحزان صديقنا الشاعر وإن دان لها الادب بهاتين الطرفتين — المحرر.





جمعيـــة ابولو

يطيب لنا تكرار الشكر للصحافة العربية فى شتّى الاقطار لتنويهها بهذه الجمعية وبالمجلة الناطقة باسمها ، وقد رحّبت جميعها بروح التضامن الذى بثّته هذه الجمعية بين شعراء العربية وهو تضامن فى خدمة الفنّ والحرص على الكرامة ونشر التعاون والاخاء الفكرى بين الشعراء ونقاد الشعر . وقد روعى فى تكوين مجلسها أن يكون ممثلاً أيضاً لألوان شتّى من الأدب الشعرى وسيُراعَى هذا المبدأ كذلك فى الانتخابات المقبلة حتى تتنزّه الجمعية دائماً عن الاهواء الشخصية وعن التحزّب الذميم وأن تكون وجهتها مجرد خدمة الفن للفنّ .

وتبعاً لهذا المبدأ فهذه المجلة ترحّب بالنقد الأدبى الخالص ولو تناول أعضاء مجلس الجمعية ورئيسها ومحرر المجلة ذاته ما دامت آداب المناظرة مرعيةً . وليس

للمجلس سيطرة على ضمير المحرر بأكثر من سيطرة وزارة الحقانية على ضمير القاضي النزيه الذى يلتمس منها المشورة أحياناً دون أن يسخّر حكمه لأىّ هوىً أوغرض . وعلى هذا المبدأ المقدّس سيسير دائماً تحرير هذه المجلة ، فالمحرر له مطلق الحرية فى التصرف ما دامت مبادىء الجمعية الأساسية مرعية حسب دستورها السابق نشره (ص ٤٦-٤٨)، وما يعنى الجمعية بصفة خاصة إذاعة قراراتها واحترامها كما أنّ مايعنيها بصفة عامة التبشير بمبادئها الاصلاحية تاركةً التفصيل والتطبيق فى المجلة لتصرف محررها المسؤول .

وقد كنا نود أن تكون هذه الكلمة من شكر وبيان مقرونة بخير الظروف لولا فجيعة الشعر العربى وفجيعتنا فى رئيس الجمعية الاول وشاعر العربية الاشهر المغفور له احمد شوقى بك الذى فوجئنا بوفاته فى فجر يوم الجمعة ١٤ اكتوبر الماضى . فقامت الجمعية بواجبها الاليم من نعيه الى العالم العربى معتمدة على الصحافة والراديو وقام أعضاؤها بالاشتراك فى الجنازة وحمل النعش كما اشتركوا فى تقبل عزاء المعزين لشعورهم أنهم من أسرة الفقيد الذى بُنِيتْ شهرته الكبرى على عبقريته الشعرية وكانت رئاسته لجمعية أبولّو رمزاً لذلك. وكذلك عُنيتْ الجمعية بالاشتراك مع رابطة الادب الجديد بكل ما فيه تكريمٌ صادق للفقيد العظيم وستخصص هذه المجلة العدد الآتى لذكراه كما ستُعْنى فى المستقبل وفى أى وقت بنشر خير الدراسات الخاصة بشعره وأدبه مع نخب من المراثى ومن شعر الفقيد وعلى الاخص ما لم يسبق نشره من شعره ومن الصور التاريخية والاجتماعية والشخصية له . ولعلنا نوفق الى القيام بواجب التقدير والاحترام لادبه وذكراه .

ونحن ننشر فيما يلى خلاصة قرارات المجلس فى جلستيه اللتين عُقدتا فى شهر اكتوبر الفائت .

* * *

﴿ الجلسة الاولى ﴾

برئاسة أحمد شوقى بك

اجتمع المجلس بكرمة ابن هانى بالجيزة فى يوم الاثنين ١٠ اكتوبر سنة ١٩٣٢ وبعد تناول الشاى بدعوة من الرئيس وأخذ صورة تذكارية للمبكرين من الاعضاء قبل غروب الشمس نظر فيما لديه من الاعمال وأصدر القرارات الآتية بالاجماع :—

(١) انتخاب حضرة الدكتور احمد ضيف الاستاذ بدار العلوم عضواً بمجلس الجمعية بدل حضرة محمود عماد افندى الذى اعتذر بكثرة شواغله .

(٢) بالنسبة الى طريقة توزيع المجلة فى العاصمة يشير المجلس :

أولا — بالاتصال مباشرة بالاندية والمعاهد العلمية .

ثانياً — بالاتصال بالحوانيت المشهورة او الملائمة بالجهات المزدحمة بالسكان لتتولى بيع المجلة بحيث يوجد العدد الكافى من هذه الحوانيت فى جميع أنحاء العاصمة لتلبية طلبات القراء وحتى لا يكونوا تحت رحمة باعة الصحف وتحكمهم .

(٣) بما أن الجمعية مؤسسة لخدمة فن الشعر ، وبما أن هذا الفن ضرورى للحياة الادبية ، فمن الحقّ على وزارة المعارف أن تشجع الجمعية تشجيعاً أدبياً ومادياً.

الجلسة الثانية

برئاسة خليل مطران بك

اجتمع المجلس بمنتدى (رابطة الادب الجديد) بالشرق الاكبر بميدان حليم رقم ٥ بالقاهرة فى يوم السبت ٢٢ اكتوبر سنة ١٩٣٢ فأوقفت الجلسة عشر دقائق حداداً على رئيس الجمعية الاول ثم قرر المجلس بالاجماع : —

(١) انتخاب حضرة صاحب العزة خليل مطران بك رئيساً للجمعية والدكتور على العنانى وكيلا لها . وقد أبّن الرئيس الجديد سلفه بكلمات مؤثّرة .

(٢) انتخاب اسماعيل سرى الدهشان افندى عضواً بالمجلس فى المحل الشاغر .

(٣) قبول عرض (جمعية الطلبة لنشر الثقافة) بشأن رعاية جمعية أبولو لحفلة التأبين التى ستقيمها تلك الجمعية لذكرى المرحوم شوقى بك وانتداب حضرة صاحب العزة خليل مطران بك لتمثيل جمعية أبولو فى الحفلة المذكورة .

(٤) من حيث أنّ وزارة المعارف أعلنت أنها ستقوم بحفلة جامعة لتأبين المرحوم شوقى بك بالنيابة عن جميع الهيئات الادبية فالمجلس يرى تكليف حضرات خليل مطران بك والدكتور على العنانى والدكتور أحمد ضيف بتمثيل جمعية أبولو فى اللجنة التى دعتها وزارة المعارف للاشتراك فى إعداد تلك الحفلة والقيام بمهماتها.

(٥) اصدار عدد خاص من مجلة (أبولو) لذكرى المرحوم شوقى بك على أن يكون توزيعه يوم حفلة التأبين وان يقوم أعضاء المجلس بنصيبهم من المجهود فى تحرير العدد باعداد موادّه ، على أن تُسلم الدراسات قبل يوم ١٠ نوفمبر الى محرر المجلة .



ميلاد شاعر

مهداة الى روح احمد شوقى بك

بدأ الشاعر فى إنشاء هذه القصيدة مساء الاثنين ١٠ اكتوبر اثر عودته من حفلة الشاى التى أقامها المغفور له احمد شوقى بك لمجلس (جمعية ابولو) قبيل اجتماع المجلس برئاسته وانتهى منها فى فجر يوم الجمعة حيث كانت روح بلبل (كرمة ابن هانىء) فى طريقها الى ملكوت الله وعالم النور .

وكأنما كان الشاعر يصف فى قصيدته هذه بعث الشاعر العظيم فى الحياة الأخرى ودخوله جنة المأوى ويقف من ذلك البشر الطافح فى أمسيتها واصباحها ورياضها وأنهارها بذلك البعث موقف الحقيقة لا موقف الخيال .

فالى روح شوقى نهدى قصيدة البعث والميلاد .

* * *

هبط الارضَ كالشعاع السَّنِيِّ ... بعصا ساحرٍ وقلبِ نَبيِّ
لمحةٌ من أشعةِ الروح حلّتْ ... فى تجاليدِ هيكلٍ بشَرِيِّ
ألهمتْ أصغرَيْهِ من عالمِ الحكـ ... ـمةِ والنورِ كل معنًى سَرِيِّ
وحَبتهُ البيانَ رِيّاً من السحـ ... ـرِ بهِ للعقولِ أعذبُ رِيِّ
حينما شارفتْ به أفقَ الأرْ ... ضِ زَهَا الكونُ بالوليدِ الصبيِّ
وسبا الكائناتِ نورٌ مُحيّاً ... طافحِ البشرِ عن فؤادٍ رَضِيِّ
صُوَرُ الحُسْنِ حُوَّمٌ حَوْلَ مهدٍ ... حفَّ بالوَرْدِ والعَبيرِ الزكيِّ
وعلى ثغرِهِ بريقُ ابتسامٍ ... رفَّ نوراً بأرجوانٍ نديِّ
وعلى راحتيْهِ رَيحانةٌ تنـد ... ى وقيثارةٌ بلحنٍ شَجِيِّ
حَنَتْ فوقَ مهدهِ تتملّى ... فجرَ ميلادِ ذلكَ العبقريِّ
وتَساءلنَ حيرةً — مَلَكٌ جا ... ءَ إلينا فى صورةِ الانسيِّ ؟!
من تُرى ذلكَ الوليدُ الذى هـ ... ـشَّ لهُ الكونُ من جمادٍ وحَيِّ ؟!

مِنْ تُراهَ ؟ فرنَّ صوتٌ هتوفٌ مِنْ وراءِ الحياةِ خافِى الدَّوِىِّ:
إنَّ ما تَشهدونَ ميلادُ شاعِرْ !

* * *

كان وجهُ الثرى كوجهِ السماءِ طافِحَ البشرِ مُستفيضَ الضياءِ
حِينَ ولّى الدُّجى وأقبلَ فجرٌ واضحُ النُّورِ مشرقُ اللألاءِ
بهجٌ فى السماءِ والأرض يُهدِى مِنْ غريبِ الخيالِ والإيحاءِ
صفقَتْ عِندهُ الخمائلُ نشوَى وشَدا الطيرُ بين عودٍ وناءِ
مَظهرٌ يبهرُ العيونَ وسحرٌ هزَّ قلبَ الطبيعةِ العذْراءِ
وجلا فى بدائع الفنِ روضاً نمقته أناملُ الاغـــراءِ
ما الربيعُ الصَّناعُ أوفى بناناً منه فى دقة وحسنِ أداءِ
نَسَقَ الارضَ زينةً وجَلاها نَسماتٍ من وجهِهِ الوضاءِ
ربوةٌ عندَ جدولٍ عند روضٍ عند غيضٍ وصخرةٌ عند ماءِ
فزها الفجرَ ما بدا وتجلَّى وازْدهى بالوجودِ أىَّ ازدهاءِ
قالَ : لم تبدِ لى الطبيعة يوماً حين أقبلتُ مثلَ هذا الرُّواءِ !
لا ، ولم يَسرِ ملءَ أذنى وعينى مثلُ هذا السَّنى وهذا الغِناءِ
أىُّ بُشرى لها تجمّلَتْ الار ضُ ورانت فى فاتنات المرائى ؟!
عَلّها نُبِّئَتْ من الغيبِ أمراً حملتهُ لها نجومُ المساءِ !
قالَ ماذا أرى ؟ فردّد صوتٌ كصَدى الوحىِ فى ضمير السماء :
إنَّ هـذا يا فجرُ ميلادُ شاعرْ !

* * *

كانَ فجرٌ وكان ثَمَّ صباحُ فيه للحسنِ غدوةٌ ورواحُ
بكرَتْ للرياض فيه عذارى تَستَبيهُنَّ نَشوةٌ ومِراحُ
حين لاحتْ لهنَّ رنَّ هتافٌ وَعلَتْ بالدعاء منهنَّ راحُ
قُلْنَ : ما أجملَ الصباحَ فما حـــلَّ على الأرضِ مثلَ هذا صباحُ !
فتعالوا بنـا نُغنِّى ونلهو فهنا اللهوُ والغِنـاءُ يُتاحُ
وهنا جدولٌ على صفحتيهِ يرقصُ الظلُّ والسنا الوضّاحُ
وَعلى حافتيـهِ قامَ يُغنِّيـنا من الطيرِ هاتفٌ صدّاحُ
وَفراشٌ له من الزهـرِ ألوا نٌ ومن رَيِّقِ الشعاعِ جناحُ



علي محمود طه

رنَّ في نشوةٍ يناديه نـوَّا رٌ وعطرٌ من الثرى فوّاحُ
وهنا ربوةٌ تلألأ فيها خضرةُ العُشْبِ والندى اللمَّاحُ
ونسيمٌ كأنَّه النَّفَسُ الحا ئرُ تُصغي لهمسه الادْواحُ
مثلَ هذا الصباحِ لم تلدِ الشمـ ـسُ ولاجادتْ الشموسُ الوضاحُ
لكأنّا بالكونِ أعلامُ ميلا دٍ وعرسٌ قامتْ له الافراحُ!
أيّ حسنٍ نرى؟ فردّد صوتٌ شبهُ نجوى تُسرُّها الارواحُ:
إن هذا الصباحَ ميلادُ شاعر!

* * *

وتجلَّى المساءُ في ضوءِ بدرٍ وشفوفٍ غُرِّ الغلائلِ حُمرِ
وسماء تطفو وترسبُ فيها الـ ـسحبُ كالرَّغوِ فوقَ مائجِ بحرِ
صورٌ جمّةٌ المفاتن شتّى كرؤى الحُلم او سوانح فكرِ
لا ترى النفسُ او تحسُّ لديها غيرَ شجوٍ يفيضُ من نبعِ سحرِ

أُفقُ الارضِ لم يزلْ فى حواشـــــيه صَـدًى حائرٌ بألحان طير

وبأحنائه يرفُّ ذَماء من سنا الشمسِ خافقٌ لم يَقرّ

وعلى شاطىء الغَدير وُرُودٌ أغمضت عينها لمطلعِ فجرِ

وسرى الماءُ هادئاً فى حوا فيه يُغنّى ما بين شوكٍ وصخرِ

وكأنّ النجوم تسبحُ فيه قبلاتٌ هفتْ بحالمِ ثغرِ

وكأنّ الوجودَ بحرٌ من النو رِ على أفقهِ الملائكُ تَسرى

هتفتْ نجمةٌ : أرى الكونَ يبدو فى أساريرِهِ مخايلُ بشرِ

وأرى ذلك المساءَ يثير السحـــــرَ والشجوَ ملءَ عينى وصدرى

أتُرانا بليلةِ الوحى والتنــ زيل ؟ أم ليلةِ الهوى والشعرْ ؟!

ما لهذا المساء يشغفنا حســ ناً ويورِى بنا الفنونَ ويُغرى؟!

أىّ سر ترى ؟ فرنّ هتوفٌ بخفىٍّ من الصدى مُسْتَسِرٍّ :

إنّ هذا المساءَ ميلادُ شاعرِ !

* * *

قمرٌ مُشرقٌ يزيد جمالا كلما جدّ فى السماء انتقالا

وسكونٌ يرقى الفضاءَ جناحا هُ على الأرضِ يضفوان جلالا

هذه ليلةٌ يرفّ بها الحسـ نُ ويهفو بها الضياءُ اختيالا

جوُّها عاطر النسيم يثير الـ شجوَ والشعرَ والهوى والخيالا

واذا النهرُ شاطئاً ونميراً يتبارى أشعةً وظلالا !

وسرى فيه زورقٌ لحبيبيـ ن شجيين ينشران وصالا

يبعثان الحنين فى صدر ليل ليس يدرى الهمومَ والأوجالا

شَهِدَ الحبُّ منذ كان روايا تٍ على مسرَحِ الحياة توالى !

وجرتْ ملءَ مسمعيه أحاديـــــثُ عفا ذكرُها لديه ودالا

ذلك الباعثُ الاسى ومثيرُ الـ نار فى مهجة المحبّ اشتعالا

لم يجبْ قلبُه لميلاد نجم لا ، ولم يبكِ للبدور زوالا

بيد أن القضاءَ أوحى اليه ليذوقَ الآلامَ والآمالا

فأحسّ الفؤادَ يخفق منه ورأى النورَ جائلا حيثُ جالا

فسرتْ فى دمائه لوعةٌ تمـ ـلأ منه العروقَ والأوصالا

وتجلَّتْ له الحياةُ وما فيـ ـها فراعتْه فِتنةً وجمالا
فجثا صارخاً : أرى الكون ربى غيرَ ما كان صورةً ومِثالا !
لم يكن يعرف الصبابةَ قلبي أو تَعى الأذنُ للغرام مَقالا
أتراها تغيرت هذه الأر ضُ أم الكونُ فى خيالىَ حالا ؟!
رَبُّ ! ما ذا أرى ؟! فرنَّ هتافٌ مُستسِرٌّ الصدى يجيبُ السؤالا:

إنَّ هذا يا ليلُ ميلادُ شاعرْ!

* * *

وتجلَّى الصَّدى الهتوفُ الساحِرْ فى محيطٍ من الأشعةِ غامرْ
وسكونٍ يضفى على الكون روعاً وقفت عنده الليالى الدوائرْ
واستكانَ الوجودُ والتفت الدَّهـ ـرُ وأصْغَت الى صداه المقادرْ
لم يَبِنْ صورةً ولكن رأتهُ بعيون الخيال منَّا البصائرْ
قال : يا شاعرى الوليدَ سلاماً هزَّت الارضَ يومَ جئتَ البشائرْ
فاليكَ الحياةَ شتَّى المعانى واليكَ الوجودَ جَمَّ المظاهرْ
لا تقل كم أخ لك اليومَ فى الأ رض شقىّ الوجدان سهمانُ حائرْ
إن تكن ساورتْه فى الارض آلا مٌ وخفَّتْ به الجدودُ العواثرْ
فَلِكَىْ يستشفَّ مِن خلل الغيـ ـبِ جمالا يجلو سنى . الخواطرْ
ولكى يَنْهَلَ السعادةَ من نبـ ـعٍ شهىّ الورود عذب المصادرْ
فلكم جاء باليقين نبىٌّ ولكم جُنَّ بالحقيقة شاعرْ!
إنما يسعدُ الوجودُ وتشقو ن وانى لكم مثيبٌ وشاكرْ
ولكم جنَّتى — اصطفيتكم الآ ن لتحيوا بها جميلَ المآثرْ
فاسقوها جداولاً ورياضاً واجعلوها سرحَ النُّهى والنواظرْ
واجعلوا النهرَ كيف شئتم ومدُّوا شاطئيْه بين المروج النواضرْ
ماؤهُ ذوبُ خمرةٍ وسنا شمـ ـسٍ وريًّا وردٍ وألحانُ طائرْ!
واجعلوا هضبةً ترفُّ عليه ذات صخر منوَّر العشب عاطرْ
وضعوا النخلة الجنيَّة فوقَ النبـ ـع فى الموقف البديعِ الساحرْ

واجعلوا جنتى قصيدةَ شاعرْ !

* * *



الاجتماع الأول والأخير برئاسة المغفور له احمد شوقي بك لمجلس (جمعية أپولو) في كرمة ابن هاني

ادخلوا الآنَ أيها المحسنونَا
جنّةً كنتمو بها تُوعَدُونَا
فاجعلوها من البدائعِ زُونَا
واملأوها من الجمالِ فُنونَا
املأوها فَنّاً وليس فُتونَا
وانشدوا الأمنَ فوقها والسكونَا
غيرَ لحنٍ يرفّ فيها حنونَا
تتغنّى به الطيورُ وُكونَا
وسنىً مشرقٍ يضيء الدّجونَا
سرمديّ الشعاعِ يمحو المنونَا
ريّق النّورِ ليس يؤذى العيونَا
وتغنّوا بها كما تشتهونَا
وَصِفُوها جداولاً وعيونَا
ووروداً نَديّةً وغصونَا
لا تثيروا بها الهوى والمجونَا
واحذروا أن تُذَكِّروا (المجنونَا)
فلقد ثابَ من هواه شُجونَا
وخلا مهجةً وجَفّ شؤونَا
وهو فى جنّتى أسعدُ شاعرْ!

***

أيها الشاعرُ اعتمدْ قيثارَكْ واعزفْ الآنَ منشداً أشعارَكْ
واجعلْ الحُبَّ والجمالَ شعارَكْ وادْعُ ربّاً دعا الوجودَ وبارَكْ
فزها وازدهى بميلادِ شاعرْ!

علي محمود طه
المهندس

توزيع أپولو

تنبيه هـــام

(١) تُطْلَب (أپولّو) من جميع المكاتب الشهيرة . وقد اشتكى عددٌ من القرّاء فى القاهرة من صعوبة الحصول على المجلة ، فظهر أنّ الباعة قصّروا بعدم النداء عليها وبعدم حملها فى جهات كثيرة من العاصمة مما دعانا الى الشكوى الى حضرة المعلّم على حسن الفهلوى المتعهد الشهير لتوزيع الصحف والمجلات العربية بالعاصمة . ولمّا كان يهمّ حضرته كما يهمنا نشر هذه المجلة وخدمة القراء فهو يرحب دائماً بأية شكوى أو اقتراح كتابة أو تليفونياً (تليفون ٥٩٠٩٣) وقد وعد باصلاح موضوع هذه الشكوى . ونحن نعتمد على حضرات القراء فى حثّ باعة الصحف على حمل المجلة والمناداة باسمها .

* * *

(٢) ويتولى توزيع المجلة فى الاسكندرية والوجه البحرى حضرة الفاضل ماهر افندى فرّاج ، وهى ميسورة فى جميع الأكشاك بالثغر فضلاً عن أيدى باعة الصحف. ولم يدّخر حضرته وسعاً فى التعاون معنا بغيرة واخلاص يُشكر عليهما ونشرها فى جميع البنادر والمراكز فى الوجه البحرى. وهو كذلك مستعد لتلقّى أى شكوى أو اقتراح لخدمة المجلة . ويُكتَب الى حضرته بعنوانه فى الاسكندرية .

* * *

(٣) ويتولّى التوزيع فى الوجه القبلى حضرة المعلم محمد على سراج ببنى سويف . وهو مستعدٌ لتوريدها الى أية جهة فى الوجه القبلى لا تبلغها المجلة الآن ، ويرحّب بمكاتبته فى هذا الموضوع من القراء الذين يجدون أيةَ صعوبة فى الحصول على المجلة .

* * *

وأمّا عن ارسال المجلة الى الخارج فالادارة مستعدةٌ لارسالها الى أية جهةٍ فى العالم بسعر النسخة ٣٠ مليماً خالصة أجرة البريد اذا كان المطلوب أقل من مائة نسخة وبسعر النسخة ٢٥ مليماً خالصة البريد اذا كان المطلوب مائة نسخة فأكثر. ويُشترط أن يُدفَع التأمين مقدماً ثمن المطلوب من عددين على الاقل ، وأن يُسدَّد المطلوب على أثر وصول النسخ ، والاّ خُصِم الثمن من مبلغ التأمين . ومتى استنفد مبلغ التأمين امتنعت الادارة تبعاً لذلك عن ارسال اعداد اضافية . ويجب بناءً على هذه التسهيلات أن تُباع المجلة فى الخارج لدى المكاتب الكبيرة المتعهّدة بما يقرب من سعرها فى مصر .

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٩	١٨	الدهس	الدهر
١٢٩	٣و٤	صواب البيتين هكذا :—	

الزّنبقُ المسحورُ يرقبُ حسنَها ويهـمٌ يلثم وجهَها ويثـورُ
فيصدّه الطُّهرُ المعِزّ جمالَـهـا والنورُ يعبـد نورَهـا ويمـورُ

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٨٦	١٦	فشاع	فشعاع
١٨٩	١١	تلقى	نلقى
١٩١	١١	البؤسَ	البؤسُ
١٩٦	٢١	فقدَ	فقدِ
١٩٨	٣	هذا	كذا
٢٠٠	١٤	ولىّ	ولىّ
٢٠١	١٩	الرفين	الدفين
٢٣٠	١٨	كذاك يتلاشى	كذا يتلاشى
٢٣١	١٩	verve	verse
٢٣٣	١٣	بعد هذا السطر يُضاف هذا البيتان :	

ثم أزمعتُ الى الأفقِ الصَّبوحْ أرتجى فيه أمانَ الحائرِ
أصعدُ الرّابى وأهوِى فى السُّفوحْ وكأنّى طيفُ جنٍّ نافرِ

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٤٥	٢٠	معجرة	معجزة
٢٧٤	١٨	انه	أن

وقد ضربنا صفحاً عن بعض أخطـاء مطبعية فى الشكل من السهل ادراكها ويسرّنا دائماً تنبيه القراء ايّانا الى وجوه الصواب .

فهرس

تراجم ودراسات

المراثى الشعرية





المجلد الأول

العدد الرابع

أبولو

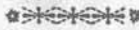
مجلة فنية لخدمة الشعر العربي

لسان حال جمعية ابولو



تصدر مرة فى كل شهر

ديسمبر سنة ١٩٣٢

















صاحب الامتياز ورئيس التحرير { أحمد زكى أبوشادى

الادارة { بشارع الملك المعز رقم ٩ بضاحية المطرية بمصر

التليفون { ١١٩٦ زيتون و ٤٠٤٥٦



عدد خاص

لذكرى المغفور له

أحمد شوقي بك



تمثال الفقيد

للمثال الاستاذ الحويك

أمير الشعراء أحمد شوقي بك

يوسف أحمد   ١٣٥١ هجرية

فى سكونِ الليلِ ناح البلبلُ   وغداةَ الليـلِ طاحَ الأملُ
وهوى صرحُ النهى بين الأنينْ   والشجنْ
فسرتْ لوعتُـه مَسْرَى الحنينْ   فى البدنْ

ثكل الشعرُ   وخبا البـدرُ
وبكتْ مصرُ   وجفـا الصبرُ
وطوتْ (شوقى) المنونْ

الوداعَ المـرّ يا روحَ البيـانْ   فى أسى الذكرى وتبريح الحنـانْ
من نفوسٍ لاَعَهـا فرطُ النحيبْ   فذوتْ
وقلوبٍ راعهـا حرُّ الوجيبْ   وانتهتْ

نفـذ الأمرُ   وعفا السّحرُ
ومضى العمرُ   فنبـا الفكرُ
وجرى الدمعُ الهتّـونْ

محمد فريد عبد القادر

تصدير

ليس أشقّ على الأديب من رثاء الأديب ، فما بالك بتأبين شاعر العربية الأشهر المغفور له أحمد شوقى بك الذى خسر عالم الأدب العربى بوفاته خسارة منقطعة النظير فى عصرنا بل فى عصور كثيرة .

وان من البرّ بالأدب الذى كان المغفور له شوقى بك رمزاً حيّاً له ومن البرّ برئاسته لجمعية أبولو أن نصدر هذا العدد الخاص من مجلتنا يوم حفلة التأبين الكبرى التى اشتركت الجمعية فى تنظيمها برعاية وزارة المعارف المصرية ، وما نرمى باصداره الى اكثر من انصاف هذا الرجل العظيم متجرّدين عن كلّ محاباة ، متقدّمين بهذا المجهود الصغير الى محراب التاريخ النزيه .

ولقد كُتب عن الفقيد فى حياته الكثير مما له ومما عليه فلا يعنينا تكرار شىء من ذلك لأن سجلاّته ميسورةٌ للنُّقَّاد ولطلبة الأدب ، ولكن يعنينا هنا وفى مقام الذكرى الطيّبة أن ندوّن نماذج من تقدير الأدباء وشعورهم بهذه الفجيعة الأليمة تاركين لهم الحرية فى حدود اللياقة لتسطير عواطفهم وآرائهم ما دمنا لا نرمى الى غير الحقّ والانصاف ، بعيدين كلّ البعد عن مجاملة أسرة الفقيد حيثما لا تجور المجاملة . وهو مبدأ حرصنا عليه مع الفقيد ذاته عمراً مديداً ، ونعتبر الحرص عليه الآن ألزم ما يكون حتى يمكن لدارس الأدب فى المستقبل أن يرجع الى هذه الصحائف مطمئناً .

ولقد تلقّينا العديد من المراثى الشعرية والمقالات فحرصنا على أن لا ننشر الا ما يتّفق والمستوى الفنى لهذه المجلة أو مايدانيه بقدر الاستطاعة سواء مما تلقيناه أو مما اطلعنا عليه ، وتخلّينا عما وجدناه بعيداً عن تصوير شخصية الفقيد أو مواهبه أو ما اشتممنا منه رائحة التحامل أكثر من روح التقدير ، ومع ذلك سمحنا بنشر ما اعتبرناه بريئاً من ضروب النقد الأدبى . ولم نبحْ الكتابة المطلقه فى غير تقيّدٍ ما ودون شرط الا لأخصّ آل الفقيد ولسكرتيره الأديب ولكنهم تحاشوا استغلال هذه الحرية .

ولا بدّ لنا من أن ننبّه الى أنّ هذا العدد ليس سوى تمهيد لدراسات متوالية

عن الفقيد العظيم ، كما أنّ هـذه المجلة لن تقصر فى توفية مثل هذه الذكرى لشاعر النيل المغفور له محمد حافظ ابراهيم بك إذا ما عاونها أصدقاؤه على ذلك .

ولا يسعنا الاَّ تقديم وافر الشكر الى اسرة الفقيد الكريم والى صحافتنا وعلى الاخصّ الى الصحافة المصوَّرة والى الشعراء والكتَّاب الأماجد الذين آزرونا فى اخراج هذا العدد ، وقد حلَّيناه بنخبٍ من شعر الفقيد غير المتداول أو الذى لم يسبق نشره الى جانب نشر قصيدته الوصفية البديعة عن هيكل أنس الوجود مع صورة فنية من ريشة الفنان المصرى البارع شعبان زكى . وغاية رجائنا أن يكون من هذا المجهود بعض العزاء للقلوب الحزينة الثاكلة التى مضَّها أن تشهد مصرع الفن والابداع والعبقريه الفـذّة ، وتشتاق الى الاطمئنان الى خلود هـذا الروح العجيب الساحرِ الذى يطفئه ويخرسه الموت ، وأن تستفيد من عظة الموت البالغة أقصى ما يُستفاد من دروس الحياة والخلود :

فالعبقريةُ لامحلَّ لِكُنْهِها ... أبداً ، وليس جلالها لفناء
كلُّ الجمال مطوَّعٌ لجمالها ... كلُّ الوجود يخصّها بدعاء
تحْيَا وتفنىَ ، والحياةُ وضدُّها ... سيّانِ فى ملكوتها المتنائى

احمد زكى ابو شادى



حياة شوقي بقلمه

كتب المغفور له شوقي بك حياته بقلمه الى أن قطع العقد الثالث من عمره
وقد نُشرتْ في الطبعة الاولى من « الشوقيات »



سمعتُ أبى رحمه الله يرد أسلنا الى الاكراد فالعرب ويقول إن والده قدم هذه الديار يافعاً يحمل وَصاة من احمد باشا الجزار إلى والى مصر محمد على باشا ، وكان جدى وأنا حامل اسمه ولقبه يحسن كتابة العربية والتركية خطاً وانشاء فادخله الوالى فى معيته ثم تداولت الأيام وتعاقب الولاة الفخام وهو يتقلد المراتب العالية ويتقلب فى المناصب السامية إلى أن اقامه سعيدباشا أميناً للجمارك المصرية . فكانت وفاته فى هذا العمل عن ثروة راضية بددها أبى فى سكرة الشباب ثم عاش بعمله غير نادم ولا محروم، وعشت فى ظله وانا واحده اسمع بما كان من سعة رزقه ولا أرانى فى ضيق حتى أندب تلك السعة فكأنه رأى كما رأى لنفسه من قبل أن لا أقتات من فضلات الموتى .

ثم ذكر طرفاً من سيرة جده لوالدته ، إلى أن قال عن نفسه :

أنا إذن عربى ، ترکى ، يونانى ، جرکسى ، بجدتى لابى :أصول أربعة فى فرع مجتمعة تكفله لها مصر كما كفلت أبويه من قبل . الى أن يقول :

أما ولادتى فكانت بمصر القاهرة وأنا أحبو اليوم الى الثلاثين. حدثنى سيد ندماء هذا العصر المرحوم الشيخ على الليثى قال : لقيت أباك وأنت حمل لم يوضع بعد فقصَّ علىَّ حلماً رآه فى نومه فقلت له وأنا أمازحه : « ليولدنَّ لك ولد يخرق كما تقول العامة خرقاً فى الاسلام » .

ثم اتفق أنى عدت الشيخ فى مرض الموت وكانت فى يده نسخة من جريدة الاهرام فابتدر خطابى يقول : هذا تأويل رؤيا أبيك يا شوقى ، فوالله ما قالها قبل فى الاسلام أحد ! قلت: وما تلك يامولاى؟ قال: قصيدتك فى وصف «البال» التى تقول فى مطلعها :

حفَّ كأسَها الحبَبُ فهى فضـــةٌ ذهَبُ

وها هى فى يدى اقرأها ! فاستعذت بالله وقلت : الحمد لله الذى جعل هذه هى « الخرق » ولم يضر بى الاسلام فتيلاً .

أخذتنى جدتى لأمى من المهد وهى التى أرثيها فى هذه المجموعة وكانت منعمة موسرة فكفلتنى لوالدى وكانت تحنو علىّ فوق حنوها وترى لى مخايل فى البر مرجوة. حدثتنى أنها دخلت بى على الخديو اسماعيل وأنا فى الثالثة من عمرى وكان بصرى لا ينزل عن السماء من اختلال أعصابه ، فطلب الخديو بدرة من الذهب ثم نثرها على البساط عند قدميه فوقعتُ على الذهب أشتغل بجمعه واللعب به فقال لجدتى :إصنعى معه مثل هذا فانه لايلبث أن يعتاد النظر الى الارض! قالت:هذا دواء لايخرج إلا من صيدليتك يامولاى ! قال: جيئى إلىّ به متى شئت إنى آخرمن ينثر الذهب فى مصر ! ولا يزال هذا الارتجاج العصبي فى الابصار يعاودنى،وكان المرحوم الشيخ على الليثى كلما التقت عينه بعينى ينشد هذا المصراع للمتنبي :

(محاجرُ مسكٍ ركّبتْ فوق زئبقِ)

ثم عرض لنشأته الدراسية فذكر أنه دخل مكتب الشيخ صالح فى الرابعة من عمره ، وأخيراً التحق بمدرسة الحقوق فوجد ممانعة من ناظرها بسبب صغر سنه ، ومكث بها سنتين ثم دخل قسم الترجمة وتخرج منه بعد سنتين .

قال : وبينما أنا أتردد على المغفور له على باشا مبارك فى شأنٍ ورد عليه مرسوم من المعية بطلبي اليها فكان سروره بذلك أضعاف سرورى بالنعمة المفاجئة فذهبت الى السراى وهنالك استؤذن لى على المرحوم الخديو توفيق باشا . فلما مثلت بين يديه ولم أكن رأيته من قبل ولكن مدحته مراراً وأنا فى المدرسة خاطبنى بهذا اللفظ الشريف : « قرأت يا شوقى فى الجريدة الرسمية أنك أعطيت الشهادة النهائية وكنت أنتظر ذلك لألحقك بمعيتى، لكن ليس بها الآن محل خال، فهل لك فى الانتظار ريثما يهيء الله لك الخير » . فاستلمت أذيال العزيز وقبلتها ثم قلت: حسبي يا مولاى أنك قد ذكرتنى من تلقاء نفسك الشريفة، وأى خير يهيء الله لعبدك أفضل من هذا ؟ فأطرق هنيهة وقال: قد سمعت أن أباك عطل من الخدمة فأبلغه اننى ربما أدخلته فى عمل قبلك. ثم تمهل وأذن لى فى الانصراف .

لبثت فى المعية بضعة شهور انتظرفرجاً يأتى به الله. وكان المرحوم على باشا مبارك لم يقطع عنى الراتب إلى أن كان يوم كثر غيمه وتثاقل مطره فخرجت قبيل الأصيل



شوقى بك فى صباه

فى حاجة لى على حمار أبيض كان لوالدى وبينما أنا عائد الى منزلى أجتاز ميدان عابدين بصرت بالعزيز فى بهو السراى يشرف منه ، فنزلت عن الدابة أمشى كرامة للمليك المطل" وأمرت الخادم أن يبتعد بها وأن يلاقينى خلف القصر ثم مشيت على الاقدام حتى إذا انتهيت من الميدان اعترضنى رسول من الأمير يدعونى اليه فوافيت حضرته وانا لا أعرف السبب ، وكان معه ساعتئذ المرحوم عبد الرحمن باشا رشدى فتحلى الحليم بصورة الغضب وقال : أليس لى أن أطل من بيتى حتى نزلت عن حمارك وألجأتنى إلى الاتثناء ؟ قلت: عفواً يامولاى اهكذا أدبنا الأوئل حيث يقول شاعرهم:

وإذا المطىُّ بنا بلغنَ محمداً فظهورهنَّ على الرجالِ حرامُ

فتبسم ضاحكاً ثم قال : انكم معشر الشعراء تتفاءلون بالغيوم وهذا اليوم من أيامكم فاسمع للباشافان عنده لك فألا ، فالتفت الباشا عندئذ إلى وقال: الآن أمرني أفندينا أن أبلغك تعيين أبيك مفتشاً فى الخاصة الخديوية ، وأما أنت فتعين بعد شهر. ثم مد العزيز إلى يده فقبّلتها واجماً ، قد غلب على السرور حتى أنساني الشعر وكان ذلك وقته !

ثم عرض الفقيد لأول عهده فى وظيفته بالمعية السنية وكيف أراد له الخديو توفيق أن يدرس فى أوربا الآداب الفرنسية والحقوق وكان ينقد ستة عشر جنيهاً نصفها من الخاصة ونصفها من المعية وأعطاه يوم سفره مائة جنيه بعث بنصفها إلى مدير الارسالية ليهيء له جميع ما يحتاج اليه ، ووصف ركوبه البحر لأول مرة إلى مارسيليا على أن يقضى عامين فى مدينة « مونبليه » وعامين فى « باريس » . ولما انقضت السنة الأولى التمس من الخديو توفيق أن يأذن له فى الحضور إلى مصر فأبى عليه أمنيته وأوصاه أن يبقى أربع سنوات كاملة فى أوربا ، وأرسل اليه خمسين جنيها لينفقها فى رحلة يختارها إلى أى بلد سوى مصر ، فتقبل دعوة رفاقه الفرنسيين إلى مدنهم المتفرقة فى الجنوب وقضى فيها شهرين ، ووصف ما رأى فى هذه الاقاليم الفرنسية من كرم ضيافة ، إلى أن يقول وصفاً للفلاح الفرنسى :

وعرفت الفلاح الفرنسى فى داره وكنت ألقاه فى مزرعته وأماشيه فى الاسواق فيخيل لى انه قد خلف العرب على قرى الضيف واكرام الجار ، وكان اعجب ما رأيت مدينة « كركسون » : وجدتها قسمين وألفيت القوم عليها صنفين فمنهم الباقون الى اليوم كما كان آباؤهم عليه فى القرون الوسطى ، بناؤهم ذلك البناء ولباسهم ذلك اللباس وعاداتهم وأخلاقهم تلك العادات والأخلاق .

وبعد انتهائه من السنة الثانية سافر فى صحبة الطلاب المصريين ومدير الارسالية الى انجلترا على نفقة الخديو توفيق ومكث فى انجلترا شهراً ، ولم يلبث هو واخوانه أن سئموها . وفى السنة الثالثة أصيب بمرض شديد كان فيه بين الحياة والموت وأشار عليه الاطباء أن يقضى أياماً تحت سماء أفريقية فوقع اختياره على الجزائر وكان دليله اليها أحد القضاة الفرنسيين الموظفين بها ، إلى أن يقول :

أما جوّ الجزائر فلا يعدله بين الجواء فى صحوه وطيب نسمته مع توقد شمسه الا جنوب فرنسا ، ولم أتأثر فيها كتأثرى من رؤية المصريين فى القهاوى البلدية إذ

أكثر أصحابها وغلمانها منهم ، إلى أن قال : ولا عيب فى الجزائر سوى أنها قد مُسخت مسخاً ، فقد عهدت مساح الاحذية فيها يستنكف من النطق بالعربية ، وإذا خاطبته بها لم يجبك إلا بالفرنسية !



شوقى بك فى شبابه

وبعد أن أقام الفقيد فى الجزائر أربعين يوماً عاد إلى باريس وحصل على الشهادة النهائية. ورأى الخديو عباس أن يبقى ستة أشهر أخرى وعاد الى مصر بعد ذلك . وفى سنه ١٨٩٦م. انتدب لينوب عن مصر فى مؤتمر المستشرقين الذى عقد فى جنيف بسويسرا فأقام بها شهراً ثم رحل الى بلجيكا وزار المعرض الذى أقيم فى مدينة « أنفرس » ثم أصيب برمد فى عينيه فسافر الى الاستانه ومكث بها أربعين يوماً .

ويروى كيف سمى ديوانه «الشوقيات» فيذكر صلته وهو يطلب العلم فى باريس بالامير شكيب ارسلان وقد تمنى عليه أن يرى مجموعة شعره وأن يسميها «الشوقيات»، الى أن يقول :

كانت وفاة والدي من نحو ثلاث سنوات فكان لي عجبا أن وجدتُ بين أوراقه شيئاً كثيراً لي من مشتّت منظومي ومنثوري ما نُشر منهما وما لم يُنشر ، قد كتب بعضه بالحبر والبعض الآخر بالرصاص ، والكل بخط يد المرحوم وقد لفه في ورقة كتبتْ عليها هذه العبارة : «هذا ما تيسر لي جمعه من أقوال ولدي احمد وهو يطلب العلم في أوربا فكنت كأني أراه وإني آمره أن يجمعه ثم ينشره للناس لانه لا يجد بعدي من يعتني بشؤونه وربما لم يوجد بعده من يعنى بالشعر والآداب» . فبينما أنا ذات يوم تعبٌ بهذه الأوراق حيران لوصية الوالد كيف أجريها زارني صديقي مصطفى بك رفعت فحدثته حديثي فسألني أن أعيره الاوراق أياماً ثم يعيدها اليّ ففعلت ثم لم يمض شهر حتى بعث بها إليّ وإذا هي قد نُسِختْ بقلم سليم يؤيده ذوق صحيح بحيث لم يبق إلا أن تدفع الى الطابع فاخذتها وبودي لو وفيتُ صديقي المشار اليه حقه من شكر الصنع وأنا أقول في نفسي لئن صدق أبي في الاولى لقد ظلم في الثانية فان الخير لايزال في الناس .

ثم أورد كيف أسقط من شعره ما لا يحب نشره ووعد بنشر قصائده في أجزاء متتالية .

***

إلى هنا انتهى ما كتبه الفقيد بقلمه عن حياته وكان قد بلغ في ذلك الوقت ، وهو ما انقضى عليه أكثر من ثلاثين عاماً ، قمة الشهرة فكان يدعى « أمير الشعراء » في مصر وغيرها من أقطار العالم العربي ، ومازال الزمن يمضي به ومجده في امارته يزداد تألقاً ، فان السنين التي قضاها شوقي بعد ذلك كانت حافلة بالعظائم إذ قضى حوالى خمسة عشر عاماً ينشر عيون القصائد في شتى الأغراض السياسية والاجتماعية وتَلقى قصائده من الجمهور في مصر وغيرها الاعجاب والتقدير . ثم وقعت الحربُ العظمى وتغير وجهُ الحالة السياسية في مصر وكان حظه من هذا التغيير أن نُفي الى الخارج وقضى من حياته في المنفى نحو خمسة أعوام لم ينس فيها وطنه وأهله فخلد له ولهم وللتاريخ العربي اثارة من شعره لا تمحى على ذكر الدهور . فلما وضعت الحرب أوزارها عاد شوقي فيمن عادوا الى الوطن ونحا منذ هذا الحين بالشعر والأدب منحى جديداً غير ما كان ماضياً فيه بنفس الهمة والشغف الذي كان يحسه في صباه وشبيبته، وما زال يعمل لهما حتى اللحظة الاخيرة من حياته .

شوقى الوالد

عزيزى الدكتور أبو شادى

طلبتَ الىّ أن أكتب الى مجلة « أپولو » كلمة عن والدى ، ولجمعية « أپولو » دين فى عنق لن أنساه . لن أنسى ما حييتُ منظر أعضاء الجمعية يحملون نعشه ، فيا له من يوم ! ويا لها من ساعة ! أذهلنى فيها هذا النعش وهو يتهادى على مناكبكم ، كما كان يتهادى أبى فى حياته ، بين خلصائه وأصدقائه ! فلا يسعنى حيال ذلك إلاّ أن ألبيّ دعوتك ، وأبعث الى « أپولو » بكلمة أعدّها ديناً أقضيه لوالدى أولاً ، ولجمعية « أپولو » ثانياً !

ماذا تطلب منى عن أبى ؟ . . . وفى أية ناحية من نواحى حياته ؟ . . . العبقرية ؟ النبوغ ؟ الخلود ؟ . . . لن أحدثك عن ذلك شيئاً . أدع ذلك للتاريخ ولمن يحسنون الكلام فيه . ولكنى أجمع لك فى كلمةٍ إحدى نواحيه الخلقية ، وكانت حائط بيتنا وعماد أسرتنا . . . واعفنى أيها الصديق من تفصيل ذكرياتٍ تهتاج فى قلبى لواعج الشجون !

كان أبى يغنى فى حبنا صغاراً ، ويلاعبنا ونلاعبه أطفالاً ثم . . . صادقنا وصادقناه شباناً ـ كان فى ذلك يلقى علينا الدرسَ الذى ألقاه عليه أبوه من قبل ، فكان من أثر ذلك ما قاله فيه يوم مات :

أنا من مات ومن مات أنا ! لقىَ الموتُ كلانا مرتين !
نحن كنا مهجةً فى بدن ، ثم صرنا مهجةً فى بدنين !
ثم عدنا مهجة فى بدنٍ ، ثم نُلقَى جثةً فى كفنين !
ثم نحيا فى « علىٍّ » بعدنا وبها نبعث أُولى البعثتين . . !

* * *

ما أبى إلا أخٌ فارقتُه ودّه الصدقُ وودُّ الناس مين !
طالما قمنا الى مائدةٍ ، كانت الكسرةُ فيها كسرتين !
وشربنا من إناءٍ واحدٍ ، وغسلنا بعد ذا فيه اليدين !
وتمشّينا يدى فى يده ، مَن رآنا قال عنا أخوين !

* * *

رحم الله جدى ! رحم الله أبى !

على شوقى



احمد شوقى بك ونجلاه

فى قصر الحمراء بالأندلس

أثنـــاء منفاه

قبيل المنفى

عند ما اعلنت الحرب الكبرى كنا مع والدى فى تركيا فبرحناها على الفور عائدين الى مصر إذ أن الاشاعات وقتئذ فى الاستانة كانت تدل على أن تركيا سوف تدخل فى الملحمة ... ولكن الحال كان قد تبدل فى مصر! كذلك نظام الحكم، فصار يخشى لقاء والدى أصدقاؤه الذين كانوا بالأمس - فى أيام بأسه - لا يتركون له ساعة للراحة من كثرة طلباتهم وحاجاتهم حتى اضطر فى أواخر أيام حكم سمو الخديو السابق الى أن يفتح لنفسه غير الباب العمومى باباً صغيراً متوارياً فى الحديقة ليفر منه! وقد ذكر لنا أن صديقاً حميماً له شهده - بعد عودته من الاستانة - سائراً فى الطريق فانتقل هذا الصديق الى الرصيف المقابل حتى لا يتهم بمصافحته أحد رجال النظام القديم! لذلك كم قابل والدى بارتياح حكم السلطة العسكرية فى ذلك الوقت حينما كلفته بمغادرة مصر لينجو من الدسائس ولا يتألم بمثل هذه المشاهد، وهو الشاعر الشديد التأثر والاحساس، وقد أشار الى ذلك فى قصيدته البائية التى نظمها بعد عودته من المنفى حيث قال:

وداعاً أرضَ أندلسٍ وهذا ... ثنائى إنْ رضيتِ به ثوابا
شكرتُ الفلكَ يوم حويتِ رحلى ... فيا لمفارقٍ شكر الغرابا!
فأنتِ أرحتنى من كل أنفٍ ... كأنفِ الميت فى النزع انتصابا!
ومنظرِ كلِّ خوّانٍ يرانى ... بوجهٍ كالبغيِّ رمى النقابا!

وأرى أن هذه الظاهرة التى لفتَ نظرى اليها والدى فى صغرى ما تزال باقية بل تغلغلت الى حدٍّ مؤلم وربما كانت مصر هى البلد الوحيد الذى يقبل الناس فيه بعضُهم على بعض بنسبة المنفعة التى يستطيعون أن يحصلوا عليها؟

حسين شوقى





احمد شوقي بك

في كهولته

اليوم الأخير

(عن صحيفة الجهاد)

استقبل « شوقى » يوم الخميس ١٣ اكتوبر سنة ١٩٣٢ كما كان يستقبل أمثاله من الايام ، وما درى أن شمس هـذا النهار لن تطلع عليه مرة أخرى إلا وهو فى جوار ربه ، وقد رآه أصدقاؤه كما كانوا يرونه فى أيامه السالفة نشيطاً حلو البادرة وإن كانت السنون والاحداث قد أعيته باعبائها فبدا شاحباً كثير التحوط والتخوف. وقد تناول طعام غذائه واستراح متمدداً على كرسيه الى وقت الأصيل فاستقل سيارته للتنزه على سُنته وبرفقته وكيل أعماله وكاتب شعره الذى يلازمه فى السنتين الاخيرتين فى غدواته وروحاته . وقد طاب له ارتياد الاماكن الخلوية ، فما زالت السيارة تسير به الى ان وصلت طريق السويس فى صحراء مصر الجديدة فرأى أن يترجل مستنشقاً للهواء الطلق .

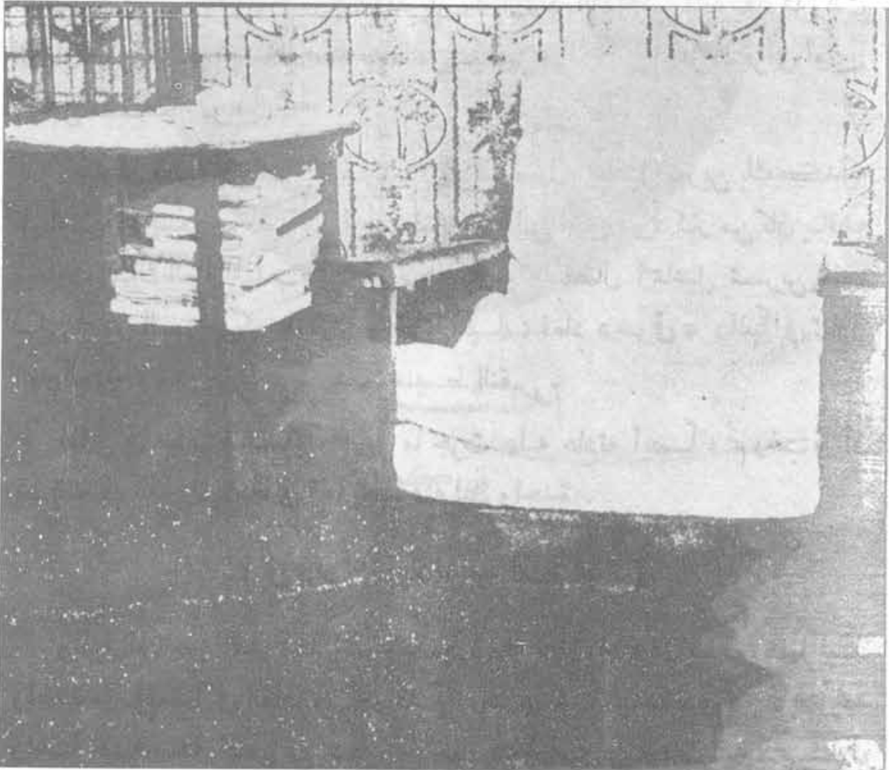
وبعد أن قضى أربه من النزهة ، عاد قاصداً منزل اسماعيل شرين بك كدأبه كل أمسية إذ يسمر مع نخبة من كرام القوم فى مجلس أنيق ، وأكثر من كان يناقشه ويحاوره هناك العالم المهذب فؤاد سليم بك والسيد المفضال اسماعيل شرين بك ، لكن مجلس السمر لم يكن منعقداً فى تلك الليلة ، فعاد « شوقى » راغباً فى تناول طعام العشاء ، وهو منشرح الصدر ، منبسط النفس .

تعشى فى مطعم (سلستينو) على ما جرت عليه عادته أيضاً ، ثم رغب فى أن يتم بقية البرنامج الليلى الذى قلما يحيد عنه ليلة واحدة .

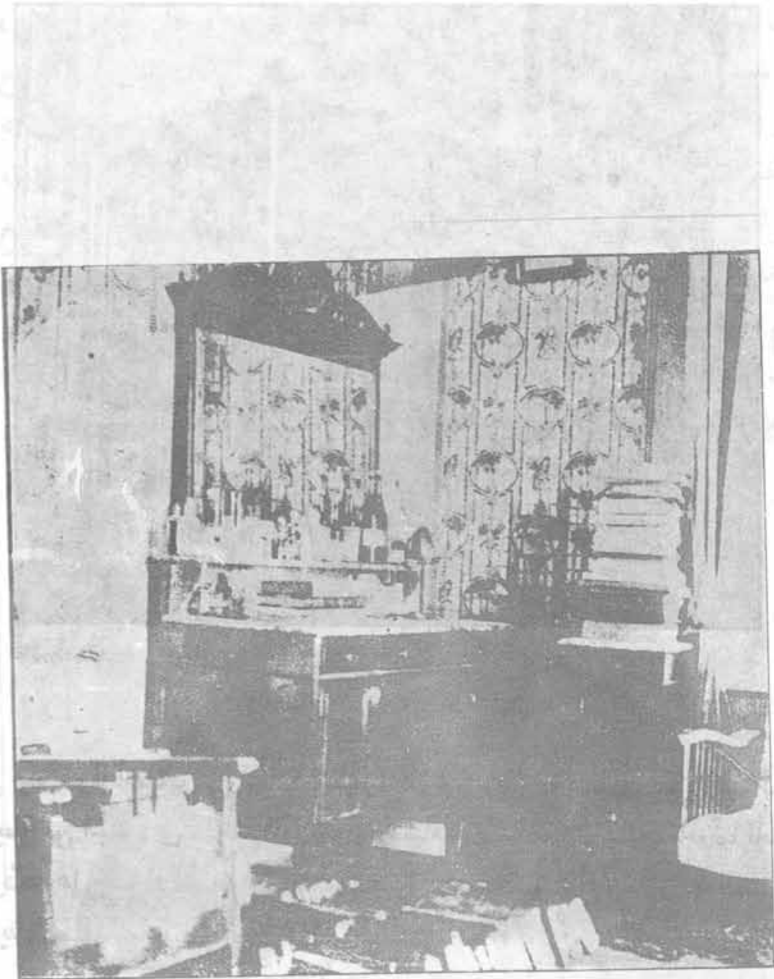
(فى دار « الجهاد » — ليلة الوفاة)

وبقية البرنامج الذى أخذ نفسه به زيارة دار « الجهاد » فلم ينقطع عنها ليلة واحدة ما دام مقيماً فى القاهرة بل هو قد يكررها فى الليلة الواحدة ، وهو لا يفتأ يجد راحة نفسه ساعة يجلس فى حجرة صاحب « الجهاد » ويتحدث اليه ، ثم يتناول قهوته ويستقل سيارته فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل فيأوى الى فراشه .

وصل دار « الجهاد » حوالى الساعة العاشرة من مساء الخميس ، ولما رأى حجرة صاحب « الجهاد » تموج بالزائرين تلك الليلة رغب فى التحول الى حجرة سكرتيرية التحرير فجلس هناك . وفطن صاحب « الجهاد » الى جلوس « شوقى » فى الحجرة المجاورة فاستأذن من زوّاره وانتقل الى حيث يجلس « شوقى » وجعل يحييه ويسأله عن صحته فيحمد الله عليها ، ثم بدا « لشوقى » أن يدخن سيجارة وأن يقدم أخرى لصاحب « الجهاد » وجلسا يدخنان . وحانت التفاتة من صاحب « الجهاد » فلمح « شوقى » يعالج سعلة خفيفة فاستفسر منه عن أسبابها ورجا أن تكون آثار برد أو تسرب هواء ، فأجابه «شوقى» : انى أشعر بآثار برد فى قصبة الرئة وقد يكون مسبباً عن تغيير الأجواء بين الفصلين . ثم شرب القهوة ، ولم يبد على ملامحه ولا على قسماته شيء غير مألوف . انتهى حديث البرد ثم قال لصاحب « الجهاد » : لعلى أصيب دفئاً فى بيتى الآن فلأتأهَّب للذهاب . فودعه صاحب « الجهاد » كما يفعل

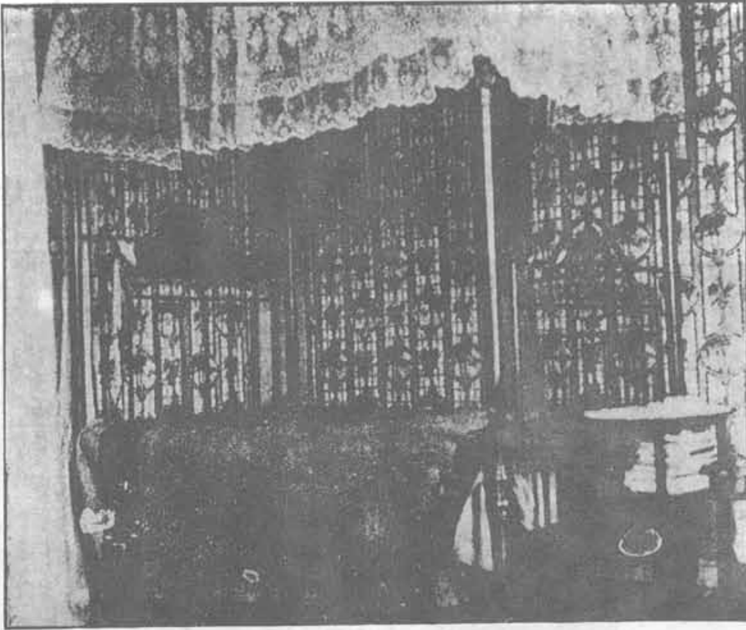


(الكرسى الذى اعتاد الفقيد الاستراحة عليه فى غرفة نومه وبجانبه منضدة كتب)



﴿ جانب من غرفة نوم الفقيد ﴾

وهى التى نظم فيها الكثير من شعره الأخير وكانت أيضاً بمثابة مكتبة له .
وقد قررت أسرة الفقيد استبقاء هذه الغرفة على حالها للذكرى التاريخية



(السرير الذى مات عليه الفقيد)

كل ليلة . ولما أشرف على اعتلاء السيارة قال للسائق : رويدك فى السير فان أمامك أربطة من الجنود فى منطقة الجيزة ، وقد شاهدتَ مايفعلون عند مغادرتنا للمنزل . وودّعه على باب « الجهاد » فريق من أسرة دياب بسنهوت ، وسارت به السيارة الى ما ينتظره بعد ساعات .

(فى كرمة ابن هانىء — نوم ويقظة)

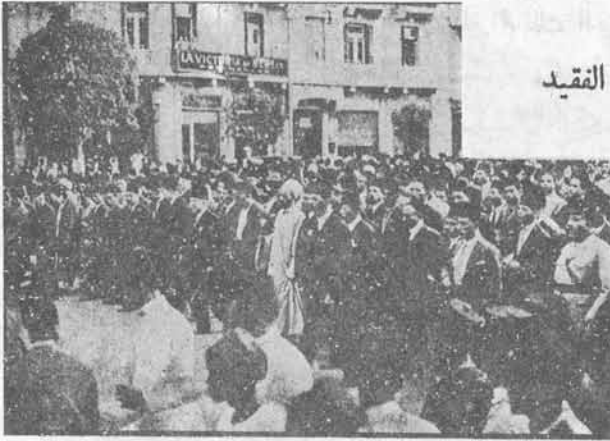
بلغ « شوقى » منزله الساعة الحادية عشرة ، وصعد الى مخدعه ، وطفق خادمه الخاص يقوم بخدمته ويهىء له حوائج الليل ثم أرخى عليه سدول الكلة ، وذهب لينام . وما كاد الخادم يدخل فى النوم حتى سمع صلصلة الجرس يستدعيه الى حجرة سيده فقام مسرعاً ، وله عادة قد جرت على ذلك . فلما انتهى الى حجرة النوم رآه مستيقظاً وكانت الساعة الثالثة أو تزيد فشكا بعض ضيق فى التنفس ، وطلب ماء ساخناً وورق كافور ، فبادر الخادم وأحضرهما . غير أن « شوقى » رأى هذه النوبة لا تعالج بعلاجه هو الذى يباشره « بنفسه » ، فطلب الى الخادم استدعاء أحد الطبيبين اللذين يعلجانه دائماً ـ الدكتور برسكا ، والدكتور جلاد ـ

فذهب الخادم يستدعي بالتلفون الدكتور جلاد ، ثم عاد الى الحجرة ، فرأى سيده يطلب استدعاء أفراد الأسرة وايقاظهم ليراهم تلك الساعة ، فصدع بالامر ، ثم عاد اليه يخبره ان السيدة البارة قرينته ستحضر ، غير أن « شوقى » رأى الفترات الباقية تتلاحق ، وأن الحين وشيك ، فأراد ليقول الكلمة الاخيرة ولو لم يحضر أحد من أفراد أسرته ، قال لتابعه : — انى أشعر بانتهاء أمرى فبلغ يا « احمد » سلامى وتحيتى الى أصدقائى ، وقل ذلك لاحمد أفندى عبد الوهاب فهو يعرفهم . وهنا حضرت السيدة قرينته فاذا هو يسلم الروح الى بارئها . وقد حضر الطبيب ولكن لات حين علاج ، فقد حُمَّ القضاء ، وسكنت تلك الانفاس التى كانت تروِّح على الناس فى فترات الحياة كلما اشتدت نكباء الدنيا

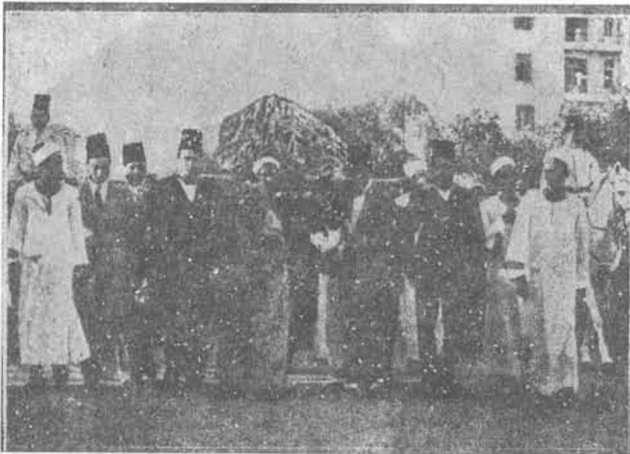




﴿ نعش الفقيد محمولاً من داره ﴾



جنازة الفقيد



نعش المغفور له شوقي بك

وَحَمَلَتُهُ من أعضاء (جمعية أپولو)

إثنى عشر عاماً
فى صحبة أمير الشعراء

سيدى الدكتور رئيس تحرير مجلة « أبولو »

أأشكرك أم أعاتبك ؟

أبتْ همتك الجبارة أن ترحم ضعيفاً مثلى فى ظرفٍ طار فيـه لبه بدداً ، وحار فكره فزعاً ، فطلبت الىّ كلمة عن مولاى فى وقتٍ ليس بيسير علىَّ فيه غير الجزع الذى عطل الذاكرة الا من أسبابه .

ومرت الأيامُ وما كنتُ بسبب هذه الحالة لك وفياً ، فحسبتَ ضعفى علىَّ ذنباً وعددته جرماً ، والله يعلم أنى ما أذنبت ولا أجرمت وما كنت الا لرحمتك وتسامحك أهلاً .

عدتُ الى ذاكرتى استنجدها منك واليك فاذا هى تطالعنى بنباريس ذات هالات وأضواء ، أو هى أشعة من النور تقابل أشعة السماء ، وما كانت هذه الاشعة والاضواء الا سجايا مولاى أمير الشعراء .

فقد وعى رحمه الله فضائلَ الامم فى صدره وأبرزها عرائس حكمة وأخلاق ، ثم زفها الى عصره فاذا هى ثمرة الدهور وخلاصة الحكم فى كل العصور .

فاذا كنتَ ياسيدى الدكتور يريدنى أن أتكلم عما أعرفه من نواحى العبقرية فى مولاى وهى كما تعلم أنت ويعلم كل المعاصرين واسعة الأرجاء متعددة النواحى بعيدة الأطراف ليس من اليسير أن يُطاف بها فى كلمة قصيرة وانما يكون ذلك اذا فسح لنا الوقت فى كل ما يتطلبه الانصاف لهذه العبقرية الفذة فى التاريخ وأفسحتَ لنا جانباً من كرمك فى صحفك .

أما اذا كنتَ ياسيدى تريدنى أن أتكلم على ناحية خلقه العالى الرفيع فوالله لقد لازمتُه ملازمةَ الظلّ فلم أقع منه فى سرٍّ ولا فى جهرٍ على ما ينفر الذوق المكمل ويشمئز منه الطبع السليم .



احمد افندى عبد الوهاب

فقد كان رحمة الله عليه عفّ اللسان نقيّ الضمير وديع القلب مؤدب الظاهر والباطن باراً بأهله . كثير الحدَب على الضعفاء والمساكين ، فما رأيتُه عبس فى وجه على ندرة ذلك جداً حتى أسرع الى استرضائه واستمالة قلبه ، وما رأيته الا مبتسماً يبعث النصح فى غير عنف فيقوى به الضعفاء ويثبت الاقوياء . أما قوله فلم يك قاصراً على ما يسطر فى صفحات الكتب وما يدبج فى القصائد . كلا ! وانما كان له فى مجالسه الخاصة ما تتشنف به الآذان وتتحلى به الأجياد وتسطره على شغافها القلوب .

ولن يفوتنى أن أختم كلمتى القصيرة هذه بشكر حضرات اعضاء (جمعيه ابولو) على ما قاموا به نحو فقيدنا العظيم ، وأعد حضرة رئيس تحرير مجلتها بالعودة اليه بكلمات فى الاعداد القادمة اذا تقبل عذرى الحاضر ووعدى القابل ؟

احمد عبد الوهاب

***

من مذكراتى عن الفقيد

﴿ فى ميدان البرج ببيروت ﴾

كنتُ ومولاىَ فى بيروت سنة ١٩٣٠ وفى صباح يوم من أيام شهر يولية حبّب إليه أن يجلس فى قهوة تجار بميدان البرج . ولم نكد نأخذ مجلسنا حتى طلع علينا رجلٌ يهبّ الزهوُ من أرداته ونكاد نلمس الغرور متورماً فى أوداجه ؛ وأبى هذا المخلوق إلا أن يأخذ مكانه على منضدة بقرب التى نجلس إليها ، ولم يستقر بهً الجلوسُ حتى أطلق يديه بالتصفيق الصاخب حتى إذا جاء الجرسون أمره فى غلظة وخشونة باستحضار أرجيلة « شيشة » ! فاسترعى هذا الرجل وحركاته ونبراتُ صوته الجافةانتباه مولاىَ الذى كان يخيل إلىّ ساعتئذٍ أنه يتأهب للنظم . فالتفت إلى وقال : يظهر أن هذا الرجل « سارق امرأة » ! قلت : وكيف ذلك ياسيدى ؟ قال : لأنى رأيته يشبه الرجل الذى سرق امرأته ؟ ثم ابتسم وقال : كنت هنا من عامين وكان معى سليمان افندى فوزى صاحب الكشكول والاستاذ عبد الوهاب فدعانا أحدهم لزيارته فى قريته الواقعة فوق الجبل ووعدنا آننا إذا زرناه سيشنف آذاننا بسماع صوت امرأة حسنة الصوت ، وزاد فى ترغيبه لنا فقال : وهى المرأة التى سرقها زوجها الحالى من زوجها الأول وفرّ بها من السودان عائدينْ الى بلادهما الأصلية وهى لبنان ، فكل هذا من أجل صوتها !

فرغبنا طبعاً فى سماع هذه المرأة المسروقة وفى سماع هذا الصوت الذى يغرى على سرقة امرأة من زوجها ! وفعلا ذهبنا الى زيارته وسمعنا المرأة ، وكان صوتها لا بأس به وإن كان لا يبعث على سرقتها ! وليس فى كل هذا شىء ، ولكن الأمر العجب هو أن المرأة كانت تغنى احدى قصائد « الشوقيات » ، فقال أحد رفاقنا : انها لطيفة الذوق باختيارها هذه القصيدة تحيةً لصاحب « الشوقيات » .

وحصل أنها أخطأت فى الالقاء خطأ أمّيا فالتمسنا لها العذر وعزوناه الى الملحّن الذى حفّظها .

وبعد انتهائها من الغناء جاءت الى جانبنا فسألها أحد أصحابنا : منْ الملحن ؟ فقالت : « ابن عمى » تريد زوجها ، فعجبنا ! فسألها آخر : ومَن المؤلف يا ترى ؟ فما كان أشدّ دهشة رفاقنا حين أجابتهم : وأيضاً إبن عمى هو المؤلف !



﴿ شوقى بك فى أواخر عمره ﴾
صورة تذكارية بين صديقه الموسيقار محمد افندى عبدالوهاب
(عن يساره) وسكرتيره الخاص احمد افندى عبدالوهاب (عن يمينه)

وكان زوجها آخذاً كرسيَّه فى ناحية من الحجرة التى نسمر فيها جالساً عليه جلسةَ الزهو والفخار ، فسأله أحد الصحاب قائلا : هل هذه القصيدة من تأليفك ياسيدى ؟ فما كان منه إلا أن ألقى برأسه الى الخلف ونفث كلّ ما فى فمه من دخانِ النرجيلة وهزّ برأسه أى نعم !

فالتفت إلىَّ صاحبى لفتةَ المتعجّب ! فقلت : إنه ليس ببعيد على سارق امرأة أن يسرق قصيدةً !

احمد عبد الوهاب

(هذه البنذة الشائقة من مذكرات احمد افندى عبد الوهاب عن المرحوم شوقى بك تنم عن قيمة هذه المذكرات من الوجهتين الأدبية والتاريخية . وستشمل بين محتوياتها العديدة آراء الفقيد فى بعض رجالات مصر وسوريا ، ورأيه فى خطته السياسية والوطنية ، ونظرته فى مؤهلات الزعامة ، ورأيه فى نقد خصومه ، وكيفية نظمه الشعر وأوقات ذلك ، مع صور عديدة له وقصائد لم تنشر من قبل . وسنعلق على هذا التأليف الشائق بعد صدوره وبعد اطلاعنا عليه — المحرر) .



﴿ شوقى بك فى شيخوخته ﴾

جالساً فى إحدى شرفات كرمة

ابن هانى بالجيزة



تأبين الفقيد يوم الوفاة

(١) مرثية محرر ابولو

(نشرت فى جريدة المقطم)

أهذا هو الجسمُ الذى كان انسانكْ ... أهذا هو الكنزُ الذى عُدَّ جثمانكْ ؟
أهذا هو الظلُّ الذى كنتَ ساكناً ؟ ... أهذا هو السفرُ الذى ضمّ ديوانكْ ؟
أهــذا مآلُ العبقريةِ بعدَ ما ... أدمتَ لسحرِ العبقريةِ ألحانكْ ؟
فُجِعْنا بهذا الخطبِ فيكَ ، وانّه ... عميمٌ ، وما استثنيتُ مَنْ أنكر واشانكْ
ـأنْ لم نكنْ بالأمس نبسمُ للمُنى ... لديكَ ، وكم خانَ الزمانُ الذى خانكْ
كأنا جُمِعْنا للوداعِ فيا أسًى ! ... ويا لَوعةَ الفنّان يشهدُ فقدانكْ
ختمتَ كتاباً للحياةِ وإنْ تكنْ ... خططتَ لسفرٍ آخرٍ منكَ عنوانكْ
وإنْ أسرفَ اللوّامُ لوماً فانني ... إذا سألَ التاريخُ أذكرُ احسانكْ
بكيتُ وقد جاء النّعيُّ يثيرنى ... بكاءكَ فى المنفى تُسائل أوطانكْ
وانّى الذى يَنْسَى الاساءةَ راضياً ... وهيهات أن أرضَى كغيرىَ نسيانكْ
فواعجبي ممن برَى الحقدُ قلبَهُ ... وآثرَ حتى فى المنيةِ عُدوانكْ !
وما أنتَ بَعْدَ الموتِ الا كجنّةٍ ... فما تُلهبُ النيرانُ للحقدِ نيرانكْ
رحلتَ بايمانِ التقىِّ فلم تَحُلْ ... وحَسْبُكَ للديّان أن صُنتَ ايمانكْ
وما هدّهُ استهتارُ عيشٍ مُنوّعٍ ... كأنّكَ فى الحالَيْن حالفتَ ديّانكْ !
وفى ذمّةِ العرفانِ ما قد بذلتَهُ ... اذا رفضَ الحُسّادُ للمجد عرفانكْ
أحبُّ جمالٍ كنتَ تُسديه للورى ... صحائفُ للتاريخ أشبعْنَ ألوانكْ
وآياتُ أنغامٍ بلفظٍ مسلسَلٍ ... فكلُّ قصيدٍ زفّ كالراحِ أوزانكْ
إذا لم تُطعهُ الرّوحُ يفتنْ مِسْمَعاً ... ويُعطِى لموسيقى الملاحةِ وجدانكْ
ومَنْ ذا الذى يَنْسَى خيالاً موزّعاً ... على الكونِ حتى صرتَ تخلقُ أكوانكْ ؟!
مواهبُ شتّى إنْ غُررتَ بقدرِها ... وأكبرتَ مِنْ بعدِ التفرّدِ بنيانكْ
فهل أنتَ الا آدميٌّ وإنْ تكنْ ... عظيماً ، وقد أثقلتَ فى الحُكمِ ميزانكْ ؟!
حكيمٌ بشعرٍ لا يُحسنْ سياسةً ... لذلك قد ضاعفتَ فى العيش أحزانكْ

فنمْ هانئاً ، بل طُفْ بدنيا جديدةٍ من الشّعرِ ، وانظرْ فى خلودكَ شُهبانَكْ
وخلٌّ لنا فى حكمةِ الموتِ هذه كثيراً من الاعباءِ ما كُنَّ شُغلانَكْ
تَحَدَّ جَريئاً مَنْ تحدَّاكَ كى يفى الى الادب العالى بمافاتَ حُسْبَانَكْ !
فهذا وهذا وَحْدَهُ صدقُ همَّةٍ والا فلقِّنْ راحةَ النَّومِ أجفانَكْ !
ودع تُرَّهَاتِ الشانىء الساخطِ الذى يُجرِّدُ شعراً صُغْتَ مِنْ كل ما زانَكْ
ودعنى اكرِّرْ شكرَ قلبى وحسرتى ووداً على الايام لم أسْلُ سُلْوَانَكْ
مَضَيْتَ كمُلْكٍ باذخٍ هُدَّ أصلُهُ ولكنْ له ذكرى تُصاحب إرْنَانَكْ
وخلَّفْتَ صيتاً بين قدحٍ ومدحةٍ وحسبُكَ عُمْراً حين تملأ أزمانك
وكم مِنْ دَعِىٍّ منكرٍ فيكَ آيةً وغايتُه ألاَّ يُبلِّغَ أكفانَكْ !

احمد زكى ابو شادى



(٢) مرثية رئيس تحرير الجهاد

فى منتصف الساعة الرابعة من صباح اليوم ، (الجمعة ١٤ جمادى الثانية سنة ١٣٥١ هجرية الموافق ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٢ ميلادية) أو قبل هذه الساعة بدقائق استأثر الله بأمير الشعراء .

وفى هذه الساعة عادت الى بارئها تلك الروح العبقرية التى أرقصت قلوب الامم العربية جيلين من الزمان بفنونٍ من الشعر أو نفثات من السحر لاتجود الفطرة بمثلها على أصحاب المواهب إلا فى قليل من العصور .

* * *

شوقى مات ! مات كما مات أخوه حافظ ولمَّا ترقأ دموع الباكين على أدبه وعلى شمائله وصفاته ، فجاء موت أمير الشعراء جرحاً دامياً على جرح لم يندمل بعد .

مات كما مات حافظ على غير مرض سابق ولا علة قديمة . وهكذا أبت الاقدار الآن تسلب العالم العربى أنضر زهرتين كان يتضوَّع أريجهما فى كل بلد ينطق بالضاد ، وهكذا أبت الاقدار إلا أن تسلبنا أعظم درتين فى تاج الأدب ، وأن تسلبنا إياها بغتةً وعلى غير أهبة لاحتمال المصاب .



ثكلت العربية شوقى صبيحة اليوم بعد ان ثكلت حافظاً . فواحرّ قلب العربية على الفقيدين ! مات شوقى فليبكه الفتيان والشيوخ ، ولتبكه الأوانس والسيدات فى مصر وفى أخواتها العربيات ، فقد كان شعره قطعاً موسيقية بارعة من وحى العبقرية يتغنى بها أبناء هذه اللغة العزيزة وبناتها فى كل حين وفى كل مكان .

ذهب شوقى فانقضى بذهابه عهد الفحول من الشعراء الذين أحيوا فى عصرنا الحديث مجدَ الاقدمين .

مات الذى أورث العربية مجداً تالداً ، وزادها فيضاً خالداً على فيض خالد . وهذا ديوانه الفخم فى مجلدين يملآن النفوس إكباراً والقلوب بهجة بما يحتويان من بدائع القول الخالد وأشتات المعانى الرائعة وأفانين الأسلوب الممتنع الا على أمراء الصياغة المطبوعين .

وهذه رواياته المسرحية الأخيرة يكفى بعضها برهاناً مبيناً على العظمة الباقية على وجه الزمان .

مات شوقى فانتظم فى سلك الخالدين . وكم يكون موت العباقرة ، نعم كم يكون فناء أشباحهم أول خطوة تخطوها أرواحهم فى سبيل الخلود بما تتوارثه الاجيال المتعاقبة من آثارهم التى لا تفنى ولا تنساها سلالات المستقبل مهما استحالت الاحوال وتطاولت الدهور .

ولعل معانى العظمة فى شوقى لن تزداد بعد موته الا وضوحاً وجلاء : ذلك ان ورثة آثاره من أبناء هذا الجيل والاجيال القادمة سيشتغلون بشاعريته الفذّة عن شؤونه العرضية الاخرى ، وذلك أن الناس لن يهمهم كيف كان يأكل شوقى ويشرب ، ولا كيف كان يلبس ويظهر بين الناس ، ولا ماذا كانت رغائبه ومطامحه ، ولا ماذا كان يحب من دنياه أو ماذا كان يكره . وانما الذى سيهم الوارثين لآثار شوقى من عشاق الأدب فى الامم العربية هو نفاسة ما ترك من كنوز عبقريته وذخائر أدبه . فهذه هى الباقية ، أما ماعداها مما كان لشوقى او عليه فى أيام العمر الفانية فقد انقضى أمره بانقضاء الاجل . ومن فضل الله ونعمته على الناس ان يجعل أسمى ثمرات المواهب البشرية ملكاً باقياً للانسانية لا تناله يد الفناء ، فى حين تنقضى الامور الثانوية العارضة بانقضاء أيام الحياة !

فليقل من يشاء فى دنيويات شوقى ما يشاء . ولكن للادب دولة عالية العروش سينادى منادى الخلود من فوق منارتها العليا : لقد مات أمير الشعراء غير منازع ! لقد مات شوقى ! فليبكه المصريون ، وليبكه العرب فى كل بلد عربى أو يقطنه عربى ، وليبكه المسلمون فى أنحاء المعمور ، فقد كان شوقى شاعر العربية وشاعر الاسلام ، وكان أثمن درة فى تاج الادب ، وقد انتزعت هذه الدرة فى منتصف الساعة الرابعة من صباح اليوم !

الى عالم الخلود ! الى جوار حافظ ! لقد رثيته فكان مطلع مرثيتك :

قد كنتُ أوثرأن تقولَ رثائى   يا مُنصفَ الموتى من الاحياء

والآن تنعمان باللقاء ولم يطل الفراق !

الى عالم الخلد يا أمير البيان ، تشيعك الأكباد الحرى والدموع الجارية والقلوب التى مهما خفقت بعرفان أياديك على أبناء العربية فى مدى جيلين من الزمان ، فلن تؤدّى لك ما أنتَ أهله أيها الراحل العزيز ، أيها العظيم الخالد ، من الشكر والحمد والثناء .

رحمة الله عليك ياشوقى ورضوانه وبركاته الطيبات .

محمد توفيق دياب



(٣) مرثية رئيس تحرير البلاغ

من أيام قليلة ودّعت مصر حافظاً واليوم تودّع شوقى ، فلا عجب إن هى فتّ الأسى فى عضدها وتخاذلت قواها وأحست كأن الردى يحاربها فى خير أبنائها وكأن قلبها من هذه الحرب يكاد ينخلع . وقد كان شوقى بيننا الى أمس ، بل الى شطر من الليل ، كأحسن ما يكون صحةً وأطيب ما يكون حديثاً ، تريض وزار وعقد مجالس الأدب التى يعقدها كل ليلة ، ثم عاد الى داره لا يشكو ألماً ولا يفكر إلا فى ما قد ينفح به الأدب غداً ، ثم نام هادىء النفس ونامت معه آماله فى الغد ، ثم ها نحن أولاء نفتقده فى صباح هذا الغد فيقال لنا إن الردى عدا عليه فطواه ، فما ندرى

أنبكيه أم نبكى أنفسنا ، ونجزع من دنيانا هذه الخؤون أم نزدريها ! وهى فى الحق خليقة بأن تزدرى ، وشوقى خليق بأن نرسل من ورائه الدموع .

لم يكن شوقى شاعراً وكفى ، بل كان مجداً لمصر فى عصره كله . وعصره هذا يمتدّ من أخريات عهد اسماعيل باشا الى اليوم ، فهو يبسط جناحيْه على نصف قرن كامل تقلبت فيه على الشعر والأدب أطوار ، منها اللين ومنها العنف ، فما ونى شوقى فى واحد منها ، ولا كان الا السابق فيها جميعاً ، حتى اذا عقدت له رياسة الشعر بعد ذلك لم تكن هذه الرياسة مرتبة يرفع اليها بل كانت شهادة بالمرتبة التى وصل اليها. ولم تقف هذه الرياسة عند حدود مصر بل تجاوزتها الى كل بلد ، فصارت رياسته بذلك رياسة لمصر وصار مجده مجداً لمصر . وقد نبحث فى تاريخ الأدب العربى كله فلا نجد لوطننا من الرياسات فيه إلا القليل النادر ، وقد تكون رياسة شوقى أكثرها كلها إجماعاً وأشدّها بروزاً .

وقد كان شوقى فى أول نشأته شاعراً يمدح وينسب ، وكان قد تعلق بالخديو السابق فجعل أغلب شعره فيه . وكان الخديو يعمل لاذكاء الروح الوطنى فانطبع شعر شوقى بهذا الطابع وظهرت له حينئذ روائع سوف تبقى ما بقى فى الدنيا شىء يسمى الأدب . أمانسيبه فى ذلك العهد فهو مما يمتزج بالقلب ويجرى مجرى الأمثال . وتقلبت على مصر بعد ذلك احداث وأُبعد شوقى إلى الاندلس ثم عاد فشرع يشق بالشعر طريقاً جديداً فوضع رواياته من ناحية وأغانيه من ناحية أخرى ، ففتح فى الأدب الحديث فتحين وأثبت أن الشعر العربى يستطيع أن يحاكى الشعر الافرنجى وأن يكون على المسرح لسان العاطفة والتهذيب كما هو فى القصائد لسان المدح والرثاء والنسيب . وبهذا ملأ شوقى كل جوانب الأدب : ووضع على رأسه تاجاً لم يضعه شاعرٌ عربىٌّ قبله ، وحق لمصر أن تفخر بأن ابنها هو الذى كسب هذا التاج .

فهذا الجثمان الذى يحمله النعش اليوم هو جثمان رجل كان مجده الأدبى مدى خمسين عاماً مجداً لبلاده ، ومجداً للغته . وسوف يبقى هذا المجد لاتزيده الأيام إلا علواً ولا تزيد معدنه إلا نصوعاً ما بقى شعرٌ وأدبٌ . وسوف تتدارس الأجيال المقبلة رواياته كما يتدارس أبناء أوروبا الآن روايات شاكسبير وراسين وكورنيل . وسنذهب نحن ويذهب كل أصحاب الغنى والجاه فتطوينا الأيام جميعاً ويبقى شوقى علماً يذكر به العصر الذى عاش فيه .

فلينم شوقى هادئاً فى قبره فقد أدّى واجبه ومرَّ فى الدنيا كما لم يمر قائد ولا فاتح، وهذه الدمعة عليه دمعة آسٍ لفراقه راثٍ لفجيعة بلاده فيه . فرحمه الله وأسكنه الجنة وخفف مصابنا فيه »؟

عبد القادر حمزة



(٤) مرثية الدكتور على العنانى

ألقيت على قبر الفقيد

الدوام لله وحده ، وكلٌّ نفس ذائقة الموت ، وان الى ربك الرجعى ، وفى جواره خلود الطاهرين

. مات شوقى ولا نعلم رزءاً مثل رزئنا فيه ولا حزناً كحزننا عليه .

مات شوقى فصعدت روحه السامية الى عالم السعادة المحضة والخلود ، وواريناجثمانه فى باطن هذا الثرى يتجاذبنا ألمٌ لا حدّ لقسوته بمواراة رفاته ، وشملتنا غبطة بصعود روحه الى جوار ربه فى عالم الخلد السعيد .

مات شوقى فاصبح للانسانية كهوميروس وهوراس وكتاليس وديكرت ، ولكن هؤلاء جميعاً يُذكر كل واحد منهم بانه قد ابتدأ عصراً فى الادب أو الحكمة . وشوقى ابتدأ حياته الشعرية عصراً زاهراً فى تاريخ الادب العربى وابتدأ نهايته فى هذا اليوم وفى تلك اللحظة القاسية عصراً أدبياً آخر مشبّعاً بروحه الصافية وخياله الشعرى والهامه الحكيم سيرويه التاريخ الادبى . وانا قد تلقيناه تراثاً خالداً ثميناً من شوقى العظيم تحافظ عليه وتنميه « جمعية أبولو » أوأسرة الشعر الحى ، وجميع الهيئات الأدبية فى العالم العربى وفى طليعتها « رابطة الادب الجديد » وفروعها فى الشرق .

نعم مات شوقى ! ففى ذمة الله أيها الراحل العظيم وفى وديعته يارب الشعر الحىّ ويازعيم النهضة الأدبية العربية ورئيس « جمعية أبولو » وركن « رابطة الادب الجديد » . اللهمّ الهمنا فيه الصبر ، ووفّقنا لخدمة ما تركه لنا من تراث خالد ثمين فى الأدب والحكمة ، وعظم الله أجركم ، وإنا لله وإنا اليه راجعون »؟

على العنانى

(٥) مرثية الدكتور ناجى

(ألقيتْ على قبر الفقيد)

قل للذين بكَوْا على (شَوْقى) النادبين مصارعَ الشُّهُبِ
والهفتاهُ لمصرَ والشَّرْقِ ولدولةِ الاشعارِ والأَدَبِ !
دنيا تقوّض اليومَ فى لحدِ وصحيفةٌ طُوِيَتْ من المَجْدِ
ومُسافرٌ ماضٍ الى الخُلْدِ سَبَقَتْهُ آلاءٌ بلا عَدِّ !
هـذا ثَرَى مصرَ الكريمُ ، وكمْ أكرمتَهُ وأشدتَ بالذكرِ
يلقاكَ فى عطفِ الحبيبِ فنمْ فى النُّورِ لا فى ظُلْمَةِ القبْرِ !
كم من دفينٍ رُحتَ تُحييهِ وبَعَثْتَهُ وكففتَ غُرْبَتَهُ
فاحْلُلْ عليه مكرّماً فيهِ يا طالما قدَّسْتَ تُرْبَتَهُ
يا نازلَ الصحراء موحِشَةً ريّانةً بالصمتِ والعَدَمِ
سالتْ بها العَبَرَاتُ مجهشةً وجرتْ بها الاحزانُ من قِدَمِ !
هـذا طريقٌ قـد ألفناهُ نمْشِي وراءَ مُشَيَّعٍ غالِ
كم مِنْ حبيبٍ قـد بكيناهُ لم يُنْجِ من خُلْدٍ ولا بالِ
لكنّ يومَكَ فى فجيعتهِ هو أولُ الأيّامِ فى الشَّجَنِ
وكأنّما الباكى بدمعتهِ ما ذاقَ قبلكَ لوعةَ الحَزَنِ !
فاذهبْ كما ذهبَ الربيعُ مَضَى قد شيَّعَتْه مدامعُ الزَّهَرِ
واهدأْ كما هدأَ النسيمُ قَضَى فى هدأة الأضواء والشِّعْرِ
ما كنتَ الا أمةً ذهبتْ والعبقريةُ أمّةُ الامم
أو شعلةً أبصارَنا خلبتْ ومَنارةٌ نُصِبَتْ على عَلَمِ
يا راقداً قد بات فى مَثْوَى بَعُدَتْ به الدُّنيا وما بَعُدَا
أين النجومُ أصُغْ كما أهْوَى شعراً كشعرِكَ خالداً أبدَا ؟!
لكنّ حُزْنى لو علمتَ بهِ لم يُبْقِ لى صَبْراً ولا جُهْدَا
فاعذرْ الى يومٍ نفيكَ بهِ حقَّ النبوغِ ونذكرُ المَجْدَا

ابراهيم ناجى

(٦) مرثية السيد التفتازانى

(ألقيتْ على قبر الفقيد)

اللهمَّ قدرنا على مقابلة القضاء بالرضا ، وارزقنا الاجر بالصبر ، وبصرنا بجلال الموت ، وأشرقْ علينا بنور عطفك حتى ينير ما غشيته الظلمة من أبصارنا بهول هذا المصاب الصادع !

مات شوقى ، فانطوى جيلٌ من أجيال العربية ، وأغمد سيفٌ من سيوف الاسلام ، وأنزل علمٌ من أعلام الشرق عن سارية العظمة والعبقرية ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

ليس شوقى بأمير الشعراء ومقدمهم فحسب ، ولا بذلك الينبوع الذى استقت منه يوانع الجيل المزدهرة ، ولا بذلك النور الذى ملأ الدنيا ، ولكنه بلا شك المظهر الاقدس لمنة الله فى عالم الأدب ، والحسنة الخالدة لمصر فى نهضتها الادبية ، بل هو الروح التى جمعت أشتات الجسد الواحد ، فهو الرباط الوثيق بين مصر وبين جميع الناطقين بالضاد ، بل هو فوق ذلك مجمع مفاخر أمة فى رجل .

سيوفِّى الشعراء عميدَهم حقَّه من رثاء وكذلك سيصنع الكتاب اذا ما استبقت اقلامهم الواجب يؤدونه لامام من أئمتهم ، ولكن موقفى أنا من شوقى ـ وقد لقى ربه ـ موقف المبشِّر له بغفران الله ، فقد كان شوقى حسيباً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعترته الطيبة الطاهرة ، إذْ لايخلو شعره الخالد من نفحة من نفحات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن الاشادة بذكرى آله وعترته ، فقد شاطرهم فى نهج البردة مصابهم الخالد وصورهم فى مجمل شعره بالصورة الطبيعية لهم ، مباهياً بهم ، مفاخراً بأرومتهم ، مصوراً لمبلغ تضحياتهم فى سبيل الاسلام والمسلمين .

من هذه الناحية يعتبر أهل البيت فى انحاء الدنيا أنهم أصيبوا فى الصميم بفقدان شوقى ، فقد كان الفرد الجامع المنافح عنهم المتمسك بالعروة الوثقى فى محبتهم .

أما المسلمون فقد وجدوا فى شعر شوقى سوراً منيعاً وقاهم فى ظروف كثيرة عبثَ الهدَّامين وثرثرة الدسَّاسين الذين لا يرقبون فى الاسلام إلاًّ ولاذمةً ، وها كم ديوان شوقى ، بل ها كم سائر شعره ، استذكروه لتروا مبلغ ما وفى به للاسلام كدين وللمسلمين كاخوان فى الله .

أمَّا أبناء العربية جميعاً ، فستعلمون مبلغ ما نكبهم به الدهر فى هذا المصاب الصادع ، حين تتجاوب اصداؤه فى الشام والعراق واليمن وسائر انحاء المغرب من طرابلس الى أقصى مراكش ، وسيعتبر كلٌّ من لامسَ ذوق شوقى فى أدبه ، وكل مقدرٍ لشخصيته الفذة فى هذا الجيل انه أصيب بفقدان شوقى فى سويداء القلب .

أنزله الله منازل رحمته وحشره فى عداد من أحبهم من الانبياء والمرسلين والشهداء والصالحين والعلماء العاملين ، وحسنَ اولئك رفيقاً .



نماذجُ منوعةٌ

من شعر شوقى

(ومعظمها لم يسبق نشره)

نشيد النيل

النيلُ العذبُ هو الكوثرْ والجنَّةُ شاطئُه الاخضرْ
ريّانُ الصفحةِ والمنظرْ ما أبهى الخلدَ وما أنضرْ !

* * *

البحرُ الفيّاضُ القُدُسُ السّاقى الناسَ وما غرسُوا
وهو المنوالُ لما لبِسُوا والمنعِمُ بالقطنِ الأنورْ

* * *

جعلَ الاحسانَ له شرْعاً لم يخلُ الوادى مِنْ مرْعى
فترى زرعاً يتلو زرعاً وهُنا يُجْنَى ، وهنا يُبْذَرْ

* * *

جارٍ ويُرى ليس بجارٍ لانْاةٍ فيهِ ووقارِ
ينصبُّ كتلّ مُنهارِ ويضجُّ فتحسبه يَزْأرْ

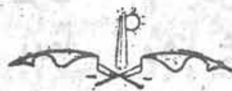
* * *

حبشيٌّ اللونِ كجيرته مِنْ مَنْبعهِ وبُحَيْرته
صَبَغَ الشَّطَّينِ بسُمْرته لوناً كالمسكِ وكالعنبرْ!



الوطن

عُصفورتانِ في الحِجا زِ حلَّتا على فَنَنْ
في خامِلٍ من الرِّيا ضِ، لا ندٍ ولا حَسَنْ
بَيْنَاهُما تَنْتَجِيا نِ سَحَراً على الغُصُنْ
مرَّ على أيْكِهما رِيحٌ سَرَى من اليَمَنْ
حيَّى وقال: دُرَّتا نِ في وِعاءٍ مُمتَهنْ!
لقد رأيتُ حولَ صنْعا ءَ وفي ظِلِّ عَدَنْ
خمائلاً كأنّها بَقيّةٌ من ذي يَزَنْ
الحَبُّ فيها سُكَّرٌ والماءُ شَهْدٌ ولَبَنْ
لم يَرَها الطيرُ ولم يَسمَعْ بها إلاّ افْتَتَنْ
هيّا ارْكَباني نأتِها في ساعةٍ من الزمنْ
قالتْ له إحداهما والطيرُ منهنَّ الفَطِنْ:
ياريحُ أنت ابنُ السَّبيـ ـلِ، ما عرَفتَ ما السَّكَنْ
هَبْ جنَّةَ الخُلْدِ اليَمَنْ لا شيْءَ يَعدِلُ الوطَنْ!





﴿ صورة فنيّة لشوقى بك فى أوج نضوجه الأدبى ﴾

البحر الابيض

أمِنَ البحر صائغٌ عَبقريّ بالرِّمال النَّواعم البيضِ مُغرى
طاف تحتَ الضُّحَى عليهنَّ والجوْ هرُ في سُوقِهِ يُباعُ ويُشرى
جِئنَهُ في مَعاصم ونُحورٍ فكسا مِعصَماً وآخرَ عَرَّى
وأبى أن يقلِّدَ الدُرَّ واليا قوتَ نَحْراً وقلَّدَ الماسَ نَحْرا
وتَرَى خاتَماً وراءَ بنانٍ وبناناً من الخواتم صِفْرا
وسِواراً يَزينُ زَنْدَ كَعابٍ وسِواراً من زَنْدِ حسناءَ فَرَّا
وترى الغِيدَ لؤلؤاً ثَمَّ رَطْباً وجُماناً حَوالَيِ الماءِ نَثْرا
وكأنَّ السماءَ والماءَ شقَّا صَدَفٍ حُمِّلا رفيفاً ودُرَّا
وكأنَّ السماءَ والماءَ عُرْسٌ مُترَعُ المَهرجان لَمْحاً وعِطرا
أو رَبيعٌ من ريشةِ الفنِّ أبهى مِنْ ربيع الرُّبى وأفتنَ زَهْرا
أو تهاويلُ شاعرٍ عَبْقَريٍّ طارحَ البحرَ والطبيعةَ شعرا
يا سَوادَيْ فَيرُوزَجٍ ولُجَيْنٍ بِهِما حُلِّيَتْ مَعاصِمُ مِصْرا
في شُعاعِ الضُّحَى يعودانِ ماساً وعلى لَمْحَةِ الأصائلِ تِبرا
ومَشَتْ فيهما النُّجومُ فكانت في حَوَاشِيهما يواقيتَ زُهْرا
لكَ في الارضِ مَوْكبٌ ليس يألو الـ رِّيحَ والطيرَ والشياطينَ حشرا
سرْتَ فيهِ على كُنوزِ (سُلَيما نَ) تعدُّ الخطَى اختيالاً وكِبْرا
وترنَّمْتَ في الركاب فقُلْنا راهبٌ طاف في الأناجيل يَقرا
هو لَحْنٌ مُضَيَّعٌ لا جواباً قد عرفنا له ولا مُستَقَرَّا
لكَ في طَيِّهِ حديثُ غرامٍ ظَلَّ في خاطر المُلحِّن سِرَّا
سَيِّدَ الماءِ كم لنا من (صلاحٍ) و (عَلِيٍّ) وراءَ مائك ذِكْرَى
كم مَلأناكَ بالسَّفين مَواقيرَ كَشُمِّ الجبال جُنداً وَوَفْرا
شاكياتِ السلاح يَخرُجْنَ من مصرٍ بمَلْمُومةٍ ويَدْخُلْنَ مِصْرا
شارعاتِ الجناحِ في ثَبَجِ الما ءِ كَنَسْرٍ يشدُّ في السُّحْب نَسْرا
وكأنَّ اللُّجاجَ حينَ تَنَزَّى وتسدُّ الفجاجَ كَرّاً وفرّا
أُجَمٌ بَعضُهُ لبَعضٍ عَدُوٌّ زَحَفَتْ غابةٌ لتمزيق أُخرى!
قَذَفَتْ هَهُنا زَئيراً ونابا ورَمَتْ هَهُنا عُواءً وظُفْرا
أنتَ تغلي الى القيامة كالقِدْ رِ، فلاحِظْ يَوْمُها لكَ قَدْرا

الخلفاء الراشدون

الخلفاءُ الراشدونَ أربعهْ ... مَرضيّةٌ سُنّتهمْ مُتّبعهْ
فى الذِّكر لم يُغْفَل لهم حَديثُ ... وذِكرُهمْ سَيِّرَهُ الحديثُ
العُمَران (١) وابنُ (٢) أرْوَى وعلى ... فى الذِّروة الشمّاء والأوْج العلى
خلائفُ الله أئمةُ الهُدَى ... وَطّأ للحقِّ بهمْ ومَهَّدا
كلّهمو ابنُ أمسهِ ويَوْمهِ ... عِمادُ داره عَميدُ قومهِ
هُمُ النجومُ فى سماء غالبِ ... ومطلع الهادى المنيرِ الغالبِ
نماهمو كما نماهُ فِهرُ (٣) ... فبينهم واشجةٌ وصِهرُ
معادنُ الوفاء والاخاء ... صَحابةُ الشِّدَّة والرّخاء
ما مَنعوا اللهَ ولا نبيَّهْ ... قِيادَ نفسٍ سَمْحةٍ أبيَّهْ
وما الحَوَاريّونَ خَلْفَ عيسى ... أحثَّ منهم للنجاةِ عِيسَا (٤)

* * *

رُعاةُ شاءٍ وتِجارُ مالِ ... كالرُّسْل فى هذا وفى الكمال
قد كفلوا الاسلامَ فى صباهُ ... فأيّهم نادَى دَعى أباهُ
بالنفسِ والنفيس أيّدوهُ ... وبالقنا والرأى شيّدوهُ
وأمّنوا ديكَ الهوى فصاحا ... وآمنوا بفجره مُنصاحا
كلهمُو فيه الحبيبُ الأوّلُ ... أعطوهُ غاياتِ الرضى ونوّلوا
فاسبقْ إذا الحقُّ دعا مستنصِرا ... وكنْ إذا عُدَّ الحماةُ الخِنصَرا
ما حَمّل النفسَ على الأشقّ ... كقائل الصدقِ وحامى الحقّ

* * *

حتى جبا الأرضَ اليهم مَنْ جبَا ... وملكوا الدنيا فكانوا أعجبَا
حدّثْ عن الخليفة الخميصِ (٥) ... والمَلكِ المخرّقِ القميص
مثل الجوادِ زانه الاضمارُ ... والشمسِ زادت حسنَها الأطمارُ
لا يعقدون فى الجباهِ العسجدا ... بل الترابَ للمليك سُجَّدا
وتحتَ أقدامهمْ التيجانُ ... يندبُها اللؤلؤُ والمرجانُ
كِسرى ببطنِ الأرض عطلُ المفرق ... وقيصرٌ يندبُ تاجَ المشرقِ !

(١) ابو بكر وعمر . (٢) عثمان . (٣) هو ابو غالب سيد قريش ومن اجداد الرسول .
(٤) العيس الابل ، اى هربا من الدنيا وطلباً للآخرة . (٥) الجائع .

اخوان الدهور

حينما قُتِل المغفور له بطرس غالى باشا فى مصر برصاصة من يد ابراهيم ناصيف الوردانى فى سنة ١٩١٠ هاجت النفوس واستاء كثير من الاقباط لوقوع الجريمة على زعيم ووزير قبطى، فأوحت ربة الشعر لشوقى بك ابياتاً فى ذلك ولكن هذه الابيات بقيت مطوية لم تعلن حينئذ ولم تنشر فيما طبع من شعره وهذا نصها :

بنى القبط إخوانَ الدهور رُوَيْدَكُمْ ... هَبُوهُ « يَسُوعاً » فى البَرِيَّةِ ثانيا
حَملتُمْ لحكم اللهِ صلبَ (ابْنِ مَرْيَم) ... وهذا قضاءُ اللهِ قد غَالَ (غالياً)
سديدُ المرامى قد رماهُ مُسدَّدٌ ... وداهيةُ السوَّاسِ لاقى الدواهيا
ووالله لو لم يُطْلِقِ النارَ مُطلقٌ ... عليهِ لأَوْدَى فجأةً او تَداويا
قضاءٌ ومقدارٌ وآجالُ أنفسٍ ... اذا هىَ حانتْ لم تُؤخِّرْ ثَوَانِيا
نبيدُ كما بادت قبائلُ قبلَنا ... ويَبْقى الأَنامُ اثنيْنِ : مَيْتاً وناعيا
تعالَوْا عسى نطوى الجفاءَ وعَهْدَهُ ... ونَنْبُذُ أسبابَ الشِّقاقِ نواحيا
ألَمْ تكُ (مِصرٌ) مَهْدَنا ثمَّ لَحْدَنا ... وبينهما كانت لكلٍّ مَغانيا
ألمْ نكُ من قبل (المسيح بن مريم) ... و (موسى) و (طهَ) نَعْبُدُ النيلَ جاريا
فهلاّ تساقَيْنا على حُبِّهِ الهوى ... وهلاّ فَدَيْناهُ ضفافاً وواديا
وما زال منكم أهلُ ودٍّ ورحمة ... وفى المسلمين الخيرُ ما زال باقيا
فلا يَثْنِكُمْ عن ذِمَّةٍ قتلُ (بطرسٍ) ... فقدْماً عَرَفْنا القَتلَ فى الناسِ فاشيا

الجدَّة

لى جدَّةٌ ترأفُ بى ... أحْنَى عَلَىَّ مِنْ أبى
وكلُّ شىْءٍ سَرَّنى ... تَذهبُ فيهِ مَذْهَبى
إنْ غَضِبَ الأهلُ على ... كُلِّهِمْ لم تَغْضَبِ
مَشَى أبى يَوْماً إلىَّ ... مِشْيَةَ المؤدِّبِ

غَضْبانَ قد هدَّدَ بالضَّربِ وإن لم يَضرِبِ
فلم أجدْ لى منهُ غيرَ جَدَّتى مِنْ مَهْرَبِ
فجعلَتْنى خَلفَها أنجو بها وأختبي
وهى تقولُ لأبى بلهجةِ المُؤنِّبِ :
وَيْحَ له ! وَيْحَ لهذا الوالدِ المُعذِّبِ !
ألم تَكُن تَصنعُ ما يَصْنَعُ إذْ أنتَ صَبي ؟



الهرة والنظافة

هِرَّتى جِدُّ أليفَهْ وهى للبيْتِ حليفهْ
هى ما لم تَتَحرَّكْ دُمْيَةُ البيْتِ الظريفهْ
فإذا جاءتْ وراحتْ زِيدَ فى البيْت وَصيفَهْ
شُغلُها الفارُ تُنَقِّي الرَّفَّ منه والسَّقيفَهْ
وتقومُ الظُّهْرَ والعَصْرَ بأورادٍ شَريفَهْ
ومِنَ الأثوابِ لم تَمْلِكْ سِوَى فرْوٍ قطيفَهْ
كلَّما استَوسَخَ أو آ وَى البراغيثَ المُطيفَهْ
غَسَلَتْه وكَوَتْه بأساليبَ لطيفهْ
وحَدَتْ ماهو كالحمَّا مِ والماءِ وظيفهْ
صَيَّرَتْ ريقَتَها الصَّا بونَ والشاربَ ليفَهْ
لا تَمُرَّنَّ على العَينِ ولا بالأنف جيفهْ
وتَعَوَّدْ أن تُلاقى حَسَنَ الثوبِ نظيفهْ
إنما الثَّوْبُ على الانسانِ عُنوانُ الصحيفهْ

أنس الوجود

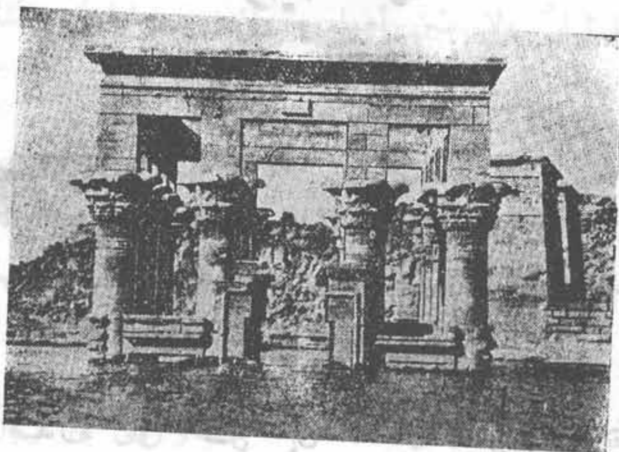
قِفْ بتلك القصورِ فى اليمِّ غَرْقَى ممسكاً بعضُها من الذعرِ بعضا
كعذارى أخفيْنَ فى الماء بَضّاً (١) سابحاتٍ به وأبدين بَضّا
مُشرفاتٍ على الزّوالِ وكانتْ مشرفاتٍ على الكواكبِ نُهْضا
شابَ من حولها الزمانُ وشابتْ وشبابُ الفنونِ ما زال غضّا
رُبَّ نقشٍ كأنما نفضَ الصا نعُ منه اليديْن بالأمس نفضا
ودهانٍ كلامعِ الزّيتِ مرّتْ أعصُرٌ بالسراج والزيتُ وضّا (٢)
وخُطوطٍ كأنها هُدْبُ ريمٍ (٣) حَسُنَتْ صَنعَةً وطُولاً وعرْضا
وضحايا تكاد تمشي وتَرْعَى لو أصابتْ من قُدرةِ الله نبْضا
ومحاريبَ كالبروج بَنَتْها عزَماتٌ من عزمةِ الجِنِّ أمْضَى (٤)
شيّدَتْ بعضَها الفراعينُ زُلْفَى (٥) وبنى البعضَ أجنبٌ يترضَّى (٦)
ومَقاصيرَ أُبدلتْ بفُتاتِ الـ مسكِ تُرْباً وباليواقيت قَضّا (٧)
حَظها اليومَ هدَّةٌ وقديماً صُرِفَتْ فى الحُظوظِ رَفْعاً وخَفْضا
سَقَتْ العالمين بالسعدِ والنحـ سِ الى أن تعاطتْ النَّحْسَ مَحْضا (٨)
صنعةٌ تُدْهِشُ العقولَ وفَنٌّ كان إتقانُهُ على القومِ فَرْضا !

* * *

يا قصوراً نظرتُها وهى تَقْضِي (٩) فسكبتُ الدموعَ والحقُّ يُقضَى
أنتِ سطرٌ ومَجْدُ مصر كتابٌ كيف سام البِلَى كتابَكِ فَضّا
وأنا المحتفى بتاريخ مصر مَنْ يَصُنْ مَجْدَ قومهِ صان عِرْضا
رُبَّ سِرٍّ بجانبيْكِ مُزَالٍ كان حتى على الفراعين غمضا

---

(١) بضا ، البض : الرخص الجسد . (٢) وضا : وضاء . (٣) ريم : غزال : (٤) امضى : احد .
(٥) زلفى : تقرباً . (٦) يترضى : يطلب الرضا . (٧) قضا : حصى . (٨) محضا : خالصاً
(٩) تنهد .



هيكل انس الوجود

قُلْ لها فى الدعاء لو كان يُجدِى :   يا سماء الجلال لا صِرْتِ أرضا !
حار فيك المهندسون عقولاً   وتولَّتْ عزائمُ العلمِ مَرْضَى
أين مُلْكٌ حيالها وفريدٌ   من نظام النعيمِ أصبحَ فَضّا (١) ؟
أين فرعون فى المواكب تَتْرَى   يركضُ المالكين كالخيل ركضا ؟
ساق للفتحِ فى الممالك عَرْضاً   وجلا للفخارِ فى السِّلم عَرضا
أين (إيزيسُ) تحتها النيلُ يجرى   حكمتْ فيه شاطئَين وعَرْضا
أسدلَ الطرفَ كاهنٌ ومَليكٌ   فى ثَرَاها وأرسلَ الرأسَ خَفْضا
يُعْرَضُ المالكون أسرَى عليها   فى قيودِ الهوانِ عانين جَرْضَى (٢)
ما لها أصبحتْ بغير مُجيرٍ   تشتكى من نوائب الدهرِ عَضّا ؟
هِىَ فى الأسرِ بين صَخرٍ وبحرٍ   مَلْكَةٌ فى السُّجونِ فوق حَضَوْضَى (٣)
أين (هُورُوسُ) بين سيفٍ ونَطعٍ   أبهذا فى شرعهم كان يُقضَى ؟
ليت شعرى قضى شهيدَ غرامٍ   أم رماه الوشاةُ حقداً وبغضا ؟
رُبَّ ضربٍ من سوطِ فرعون مَضٍ   دون فعل الفراق بالنفسِ مَضّا
وهلاكٍ بسيفهِ وهو قانٍ   دون سيفٍ من اللواحظِ يُنضَى (٤)
قتلوه ، فهل لذاك حديثٌ   أين راوى الحديث نثراً وقرضا ؟

(١) فضا : مفضوضاً . (٢) جرضى : مغمومين . (٣) حضوضى : جبل فى البحر (٤) ينضى : يسل .

رواية عنترة

المشهد التاسع

ضرغام :سيدَ الحيّ
مالك .: ألف لبيْكَ ضِرْغامُ تكلّمْ ! أثمَّ شيءٌ تقولُ ؟
ضرغام : سيدَ الحيّ عبلةُ اختارهاالقلبُ فهل لى إلى الزّواجِ سَبيلُ ؟
مالك : والمهرُ يا ضِرْغامُ
ضرغام : مهرُ عبلةَ ؟ إقترحْ تَرَهْ
قدّرْهُ أو خلّ إلى عبلةَ أن تُقَدِّرَهْ
وغالِيا ما شئتُما فيه وُظنَّا المقدرَهْ
مالك : المهرُ يا ضِرغامُ غالٍ فاجتهدْ أن تحذَرَهْ
ضرغام : سلْ تاجَ كِسرى واقترحْ عمامةَ المناذِرَهْ
سلْ سُبْحَةَ القيصرِ اوْ فاطلُبْ صليبَ القيصرَهْ !
مالك : المهرُ فوقَ ذاكَ
ضرغام : قُلْهُ لا تخفْ أن تذكُرَهُ
مالك : إسمعْ إذنْ ! أصِخْ لهُ ! المهرُ رأسُ عنترَهْ !
ضرغام : (لنفسه)
له الويلُ ماذا قالَ ؟
مالك : قد وجمَ الفتى
ضرغام : أبا عبلةَ اذكرْ هولَ ما أنت سائلُ
مالك : جَبُنتَ ؟!
ضرغام : معاذ الله ما الجبنُ فى دمى
مالك : فلِمْ ضِقتَ ذَرْعاً ؟
ضرغام : مَهرُ عبلةَ هائلُ
أأمشى الى الفلْحاءِ أخطفُ رأسَهُ فِداءُ الذى أمشِى اليه القبائلُ
كريمٌ لعمرى ، والكرامُ قدِ انقضوا شجاعٌ ، وشُجعانُ الرجالِ قلائلُ
إذا قال بذَّ القائلينَ رنينُهُ وما بَذَّهُ فى أيْكةِ البِيدِ قائلُ

هزارُ البوادِي طارحتْه بشجوِها ... رُباهُ وغنّتْ فى صداهُ الخمائلَ
وما بيْننا ثارٌ ولا بيْن أهلهِ ... وأهلِى عداواتٌ خلتْ وطوائلُ
مالك : وعبلةُ يا ضرغامُ ؟
ضرغام : ما شأنُ عبلةٍ ؟
مالك : أليس فِداها فى الحِجازِ العقائلُ ؟
ضرغام :
أجلْ وفِداها الشمسُ ما التفّتِ الضُّحى ... عليها وما رفّتْ عليها الأصائلُ
مالك :
أأنتَ تخافُ العبْدَ ؟
مالك : لِمْ لا أخافُهُ ... تخافُ وتُرجَى فى الرجالِ الفضائلُ
وإنّ ابنَ شدادٍ وإنْ ذاعَ بأسُهُ ... فتىً مِلءُ بُردَيهِ عفافٌ ونائلُ
من العُصْبةِ المسطورِ فى البيْت شعرُهم ... قصائدُهم أستارُهُ والوسائلُ
مالك :
فمالكَ مصفرّاً كأنّك هالكٌ ... من الخوفِ قبلَ الطعْنِ والضربِ زائلُ ؟
تعال زهيرُ أسمعْ حِسبْناهُ حائطاً ... (يقبل زهير)
زهير : فما هوَ ؟
مالك : ركنٌ فى العواصِفِ مائلُ
وأمّلْته سيفاً فلمّا لبستهُ ... إذا هو عودٌ أنكرتْهُ الحمائلُ
وقلتُ غماماً يُطِرُ الحىَّ فى غدٍ ... فكانَ جهاماً مالنا فيهِ طائلُ
وقلتُ كليبٌ نستطيل بصهرِهِ ... إذا هو كلبٌ !
ضرغام : ضلَّ ما أنتَ قائلُ !
وأقسمُ لولا ظبيةٌ تحتَ خيْمةٍ ... وغُصنٌ حوتْهُ فى الحجالِ الغلائلُ
لما رُحتَ إلا جُثّةً فى الثّرى لقًى ... نالتْك من قبلِ المَغيبِ الغوائلُ !
مالك : تجرأتَ يا ضِرغامُ
ضرغام : ما تِلكَ جُرأةٌ ... ولكنْ كما قد كِلتَ لى أنا كائلُ !
مالك :
كفَى حَسبُ يا ضِرغامُ حَسبٌ وقاحةً ... فما أنتَ إلا شُكْرُ الزّهوِ خائلُ
لقد قلتَ قولاً شفّ عمّا وراءَهُ ... وقامتْ على لؤمِ النّجارِ الدلائلُ

ولا يرفعُ الابطـالَ أنك مِنهمُو فـمـا هـذهِ للباسلين شمـائلُ
وما لكَ كالأبطالِ سيفٌ تجيلُهُ ولـكـنْ لسـانٌ بالسفاهةِ جائلُ
أيُذكَرُ عبدُ السوءِ فى كلِّ قفرةٍ وذكرُكَ يا ضِرغامُ فى البيدِ خامِلُ
أما أنت كالفلْـحاءِ صِنديدُ قومِهِ ! أما لَكَ كالفلْـحاءِ سيفٌ وعامِلُ ؟
ألا حَسدٌ للعبد؟

ضرغام : لا ! لستُ حاسداً ولا أنا للنّـارِ الأكولةِ حامِـلُ
أأحسِدُ مَن يحيى العُـفاةُ بمـاله ويأوِى اليتامَى ظلّهُ والأرامِلُ؟
أأحسِـدُ من لا يَعصِمُ البيدَ غيرهُ إذا زَحفتْ مَن أرض كسرى الجحافلُ
أأحسِـدُ من يُرجىَ لتأليفِ قومِهِ اذا افترقتْ تحتَ الملوكِ القبائلُ ؟

مالك :
يؤلفنا عبدٌ ، أما ثَمَّ سيِّـدٌ عن العبد يغنينا ؟ ! أما ثمَّ عاهِـل؟
إذنْ فليسُمْـنا الخسْفَ كِسرى وقومُه وقيصرُ والرومُ الجفاةُ الأراذِلُ
أيمنعنا عبدٌ ؟ إذنْ نحنُ عُـزَّلٌ ! فأينَ عوالينـا وأينَ المَـنَاصِـلُ؟

ضـرغام :
لقد عِـيلَ صبرى للّـذى أنا سامعٌ

مالك : إذا الصبرُ لم ينفَـدْ فما أنتَ فاعِلُ ؟

ضـرغام :
عقابٌ يُنسِّـيكَ الوقاحةَ عاجلٌ وآخرُ متروكٌ الى الغَـدِ آجلُ

مالك :
روَيدكَ يا ضِرغامُ ما لكَ هاذِيا ومالَـكَ قد ضاعتْ لديْكَ المنازِلُ ؟
فما العبْدُ إلا كالدُّخانِ وإن عَلاَ الى النّـجمِ مُنحطٌ الى الارضِ سافِلُ

ضـرغام :
تعالَ ! تأهّبْ !

(يمسك بكتفيه فيهزّه هزاً)

مالك : كاهلى ! خلّ كاهِلى !

ضـرغام : أقالَبُ زُبْـدٍ ذاكَ أمْ ذاكَ كاهلُ ؟

زهير (صائحاً):

هلُمّوا سَراةَ الحىّ هاتُوا رجالَـكم

مالك : الىّ فعبسٌ فاجأتْهـا النوازِلُ !

مالك : يا عبْسُ

(ويرى عنترة قادماً فيجرى نحو الحى هو وابنه زهير)

عنـترةٌ ؟

المشهد العاشر

عنترة (من وراء الستار) :لبيكَ ما بكُم؟ خو٘فٌ من السيْل أمْ خو٘فٌ من النارِ؟

أللهُ أمّنَ بالفلْحاء سِر٘بَكمو أفـعَى الصّريم وليثِ القفْرةِ الضارِى

(يظهر عنترة)

المشهد الحادى عشر

مَن الفتىَ من أرى؟ ضرامُ أنتَ هُنا! أغارةٌ ؟ أين عهـدُ الجارِ للجـارِ ؟

أجئتَ تَسبي مَهاتى ؟

ضـرغام : حبتُ أخْطُبُها

عنـترة : ما أجلَ الصّـد٘ق لم يُلْبَس بإنـكارِ

فما جرى ؟

ضـرغام : نال مِنـا مالكٌ وبَغى عليكَ بالشتم هذا العائبُ الزّارِى

حتى انصرفْتُ اليه كى أؤدّبَهُ

عنـترة : يا ليتَ أدّبتَـهُ تأديبَ جبّـارِ

ضِرغامُ

ضـرغامُ : عنـترةُ

عنترة : اسمعْ بيننا شَرَكٌ — فى حبِّ عبلةَ قد يدنو من الثارِ
فاجعلْ لنفسِك أنثى غيرها أرَبًا — فانَّ عبلةَ آرابى وأوْطارِى
ضرغام :
وأنتَ فاعبُدْ سِواها إننى رَجلٌ — جعلتُ عبلةَ أوثانى وأحْجارِى
تعالَ نذهبْ الى شمْسِ النهارِ معاً — نقولِ عبلةُ قد خُيِّرتِ فاختارِى
فما ترى أنْتَ ؟
عنترة : رأيي أن نَصير إلى — جمالِ تضْحيةٍ أو فضلِ إيثارِ
رأسى ورأسُك فى الميزان قد وُضِعَا — وحُكم سُيفِك أوسيْفى هو الجارِى
مَن ماتَ منا قضىحقَّ الهوَى كرماً — وليْس بالموْتِ دون الحبِّ من عارِ
ضرغام :
رأيتَ عنترَ رأياً لستُ أتْبعُهُ — يأباهُ حُبِّى وإعجابى وإكبارِى
واللهِ لا جمعتْنا ساحةٌ
عنترة : لِم لاَ ؟ — الحربُ تجمع مغواراً بمغوارِ
ضرغام :
هبْنى قتلْتُكُ
عنترة : ماذا ضرَّ
ضرغام : كيف إذنْ — تكونُ فى البيدِ أنبائى وأخبارى؟
ألستُ شِبْلاً فتيًّا من شبولتها — فهلْ أجرِّبُ فى الرئبالِ أظفارِى ؟
وكيف أفلقُ رأساً ملؤهُ شرفٌ — أحقٌّ من جبَهاتِ الرومِ بالغار ؟
وكيف أضربُ عُنْقاً فى أمانَتِها — كرامةُ القوْمِ من بَدْوٍ وحُضّارِ ؟
وكيف أدمى لِساناً طالما سُقِيَتْ — بشهدِهِ البيدُ من شرْبٍ وسُمّارِ ؟
عنترة ينادى : يا عبلَ
عبلة (من وراء الستار) : لبيكَ ياابن العمِّ

(تقبل عبلة)



شوقي الشاعر

هذا شاعر نبه الجيل باسمه ، وعقد شعره على جبين مصر تاج الزعامة فى الشعوب العربية ، وكانت قصائده بالأمس القريب متطلع أدباء الشرق ومرتقب كتابه وشعرائه .

شاعر تهيأ له من أسباب الشعر ما لم يتهيأ لغيره ، وحبته العنايات بما لم تحب به شاعراً عربياً قبله من مواهب فنية خصه الله بها ، وحظوظ سعيدة مقدرة سمت به الى منزلة سامقة من المجد وذروة شاهقة من الشهرة والصيت الذائع .

ولقد عبر شاعرنا محيط الحياة بين عبرى الميلاد والموت محوطاً باعجاب الكثيرين من الخاصة والعامة ، وشهد بعينه تألق نجمه فى سماء البيان، وهو ما لم يتح لأفذاذ الادباء والفنانين فى هذا الشرق العريق فى أدبه وفنه . وبلغ ببعض الصحف فى مصر منذ سنوات قلائل أن خصت كل قصيدة يختصها بنشرها بمائة من الجنيهات ، وذلك ما لم نسمع به أيضاً من عهد ملوك العرب حتى فى أوساط الغرب الأدبية وهى التى لم تضن على العلم والأدب والفن بالجليل من التقدير الأدبى أو المادى .

ولقد عجل القضاء بشوقى الى نهاية كل حى وهو لا يزال ينفح الأدب بنفحات شعره ، وحطم الموت يراعه وهو ممسك بها بين قرطاسه ومحبرته فى فترة مرض غير رفيق وضعف شيخوخة ما كدّرا من صفاء تلك القريحة اللماحة ، ولا خدشا مرآة ذلك الذهن المشرق الوقّاد .

وفوجئنا بنعيه بعد أيام قلائل جلسنا واياه على مائدته فى رفقة من صفوة أدباء مصر نتحدث فى شؤون الأدب ونعدّ للشعر مستقبلا ذهبيّ الاحلام ، فراعنى نعيه وجزعت لمصابنا فيه بعد أن فقد الشرق به وبحافظ ألمع كوكبين فى سماء الشعر انكدرا متعاقبين قبل أن يتم عامٌ دورته .

ورحتُ أسائل نفسى: « هل أدىّ شوقى رسالة الشاعر الى عصره ؟ » ذاك سؤال أحاول الآن أن أضع جوابه في حيرة رجعت بأسبابها الى قصر الزمن الذى مضى على انقطاعه عنا ونحن الناس نتأثر بحياة الحى الزائل ولو إلى حين ، وقد تلابسنا من حياته الماضية القريبة أحوال يكون لهـا فى أحاديثنا وكتاباتنا أثر لا نفطن اليه اليوم وقد لا نقرّ أنفسنا فى الغد على ما أصدرناه من أحكام واستغناه من آراء .

ورجال الأدب فى مصر لا يزالون فى مضطربِ أفكارٍ لا تعرف هديها الى ما تصبو اليه من المثُل العليا ، ولا يزال معترك الجدل حامى الوطيس بين دعاة المدرستين الحديثة والقديمة بل بين أنصار المدرسة الواحدة فى تعريف مقاييس الشعر وتكييف صوره وتحديد ألوانه .

بيد أنى أدفع برأى غير فطيرٍ نماه شعور برىء أقرت أحكامه دراسةً ترجع الى أدب لا يتعصب لقديم ولا لجديد .

***

من دلائل الشاعرية فى الشاعر إفصاح بيانه عن فكرته ووضوح مراميه فى شعره وأداء ألفاظه لمعانيه أداءً وافياً لا اضطراب فيه ولا غموض .

فاذا وُفّق الى ذلك كله فى أسلوب رشيق وديباجة صافية وسياق مرتب فهو شاعر بطبعه وسليقته .

وكان شوقى رحمه الله أقدر شعراء عصره فما ظفر بمعنى جيد الا وأفصح عنه بألفاظ مختارة تقع فى الأذن موقع النغم الساحر والصوت الرخيم . فاذا ما كان المعنى مبتكراً رائعاً فقد نفذ بأنغامه وموسيقية بيانه الى قرارات النفوس وشغاف القلوب وهذا ما لم يتوفر فى شعره كثيراً .

وديباجة شوقى أشرق ما تكون حتى لكأنك تقرأ المختار لفحول شعراء الجاهلية والاسلام ، وأسلوبه جامع لمحاسن الاساليب الشعرية البديعة وإن لم يبلغ شأو البارودى فى قوة الحبك ودقة الاحكام .

يترسل شعر شوقى فى سبعة جداول شعرية: (١) شعر المديح والرثاء و(٢) شعر الحب و(٣) الشعر الوصفى و(٤) الشعر الاجتماعى و(٥) الشعر التاريخى و(٦) الشعر الدينى و(٧) الشعر القصصى . ونمر على شعر المديح لأن الشاعر انقطع عنـه من أمدٍ بعيدٍ

وليس فيه ما هو جدير بالدراسة أو النقد، وإن حوى ألواناً من الوصف والغزل والنسيب.

أما الرثاء فقد أجاد شوقي فيه وأبدع، بل لا أعدو الحقيقة اذا قلت إنه المتفرد فيه منذ كان شعرٌ عربيٌّ الى اليوم، أما شعر الحبّ فهو شعر تضجّ له النفس ساخطة وتشارك الوجدان فى استهجانه والنفرة منه، والحق أن شوقى بعيد عن الحب بعد الباطل عن الحق وليس فى بعضه الا القليل النادر الذى يترسل مع النفس ويرضى به الوجدان، وهو لا يعد فى شعره الا بنسبة الماس الى حجارة الأرض. أما شعر الوصف فبعضه شعر تجديد والبعض الآخر شعر تقليد تغلب فيه الصنعة ويبدو التكلف واضحاً جلياً. ومن الغريب أن تجد للشاعر فى هذا الباب صورتين مختلفتين كل الاختلاف: إحداهما تمتّ ببيانها وألفاظها الى الشعر العربى القديم والاخرى تتجه بمعانيها الى الشعر الغربى، وقصيدته فى شكسبير جمعت الصورتين فجاءت آية من آيات الشعر العصرى الحديث. بيد أن شوقى لم يوفق مرة واحدة فى وصف صورة من صور الطبيعة، وهى فى رأيى ينبوع صفاء الشاعرية وروحانيتها والمعين الذى لا ينضب للجمال والملهم الخالد الفن الذى يجدد بريشته وأصباغه شباب الحياة ويملأ كتابها من سحره وفتونه وعبقرية خياله، وترى فى قصيدة وصف الربيع أو غيرها ما لا تهتز له نفس زاولت مهنة الحياة الشعرية وشغفت بالفن والجمال.

أما الشعر الاجتماعى والشعر التاريخى فتفوقه فيهما تفوقه فى شعر الرثاء، وقصيدته فى صدى الحرب العثمانية ويربو عدد ابياتها على الثلاثمائة من وزن وقافية واحدة تعدّ من معجزات الشعر الحديث. وهى ملحمة رائعة تفيض بشتى مظاهر الحماسة والوطنية والخوالج الانسانية فى بيان متين ومعان سامية وألفاظ تسيل ماء وتؤجّ ناراً.

أما قصائده فى التاريخ فلا أرى شاعراً لحق غباره فيها وقصيدته فى حوادث النيل أو سينيته الاندلسية أو قصيدة النيل أو غيرها تتحدّى الزمن بخلودها.

أما الشعر الدينى فقد كان لشوقى فيه نفحات طيبات وآيات رائعات وكثيراً ما ضمن شعره فى مناسبات جميلة إيماناً قوياً بما أنزله الله من أديان وشرائع وكم تغنى بجمال السيد المسيح وتمجيد رسالته من حب وسلام وإخاء، وأرى أنه بزّ الأباصيرى فى قصيدته نهج البردة وله فى ميلاد النبى (صلعم) قصيدة رائعة المعانى تفيض بموسيقيتها ومعانيها جلالا وجمالا وزهادة وتصوفاً.

ويُعدّ شوقى الشاعر الموفق فى هذا النوع من الشعر مما يدلنا على صفاء قلبه وقوى ايمانه . وأما شعره القصصى فلى فيــه رأى وهو ان شوقى وإن كان من البادئين بوضع الحجر الأول فى هــذا النوع من الشعر فى لغة العرب إلا انه اتجه ناحية واحدة فجعل ينضح من اناء التاريخ دون غيره فاخرج لنا كليوباترا وقمبيز وعلى بك الـكبير ومجنون ليلى .

وأرى أن هذا النوع من القصص لا يفيد كثيراً فى ترقية مستوى الشعر العربى ولا يكسب الأدب مادة قوية ولا يعد من نفائس التأليف ، وأرى أن الشعر القصصى المنشود ذلك الذى يستقى خياله من نبع الحياة ويستمدّ وحيه والهامه من حوادث عصره وأخلاق ناسه وصور حضاراته ، غير أنى لا أغمط شوقى فضل نبوغه فى هذا المضمار ولا انقص من عظيم جهده وكفى أنه فى طليعة من وضعوا القصة العربية شعراً وفى مقدمة من أخرجوا الرواية من سفر التاريخ .

* * *

وأرى أن شوقى قد أدّى رسالة الشاعر الى عصره بقــدر ما هيأه الله وأتاح له ذكاؤه وأدبه وعلمه وشاعريته . وإنْ قصَّر شوقى فى بعض النواحى الشعرية كما أسلفنا القول عنــه فجاءت دواوينه الثلاث خلواً من شعر الوجدان فهذا لا يفوّت عليــه حسناته فيما بقى لنا بعد ذلك من شعره . وحسبه أن يكون شاعر الاجتماع أو التاريخ فهذا رديرد كبلنج شاعر الامبراطورية البريطانية لا تجــد الانسانية فى شعره ظلا تتفيؤه أو نبعاً تبل من مائه صدى أحشائها ، شعرٌ لا أثر للوجدان ولا للعاطفة الانسانية فيه ومع هذا فهو شاعر الامبراطورية وحامل جائزة نوبل . فما لنــا اذن نستعدى على شوقى الأقلام وليس من شوقى كثير لدينا ؟

أجل ، كان شوقى مقلداً فى بعض شعره ولـكنه كان منتجاً وقد أردناه أن يبدل نهجه فى الشعر ويبدأ من حيث بدأنا نحن ولـكنا لم نذكر أننا ابتدأنا من حيث انتهى هو !

لقد أدّى شوقى رسالته إلى عصره غير مقصِّرٍ ونفض راحتيه من هذه الدنيــا ، وأتم رحلته فى الحياة ، فليؤدِّ كلُّ شاعــرٍ منكم رسالته ولتـكونوا مخلصين للأدب والفن فان فى أعناقكم أمانة القادة فوجّهوا الجيل إلى الكمال وأنبتوا منه لمصر نباتاً صالحاً ناضج الجنى طيب الثمر ؟

علي محمود طه
المهندس

شوقي وأنداده

اذا كان الشعر حسب تعريف ليخ هنت هو موسيقى وإقناع وخيال وصور فهل هذه الاوصاف بجميعها فى شعر شوقى ؟ وهل هو شاعر كامل ؟ وما نصيب مطران من هذه النواحى ؟ ثم ما نصيب حافظ أيضاً ؟

أولاً ما هى الموسيقى فى الشعر ؟ ان اول ما نصف به شعر شوقى انه موسيقى وأول ما نصف به شعر الزهاوى مثلا أنه لا موسيقية فيه فما معنى هذا ؟ ذكرت احدى الجرائد الفرنسية مقارنة بين شوقى وبول فاليرى شاعر فرنسا الاكبر فى العصر الحاضر ، فذكرت هذه الموسيقية ، وهى على حق . ان شوقى وفاليرى اتفقا فى هاته الصفة ، ولا أعرف شاعراً سبقهما فى ذلك غير بودلير . هذه الموسيقية هى البراعة فى اختيار اللفظ ، وانسجامه ليؤدى المعنى المطلوب . قرأتُ فى ماكبث لشكسبير سطراً تقوله اللادى ماكبث ويدها ملوثة بالدم ، فشعرت ان روحها تهبط وتعلو كعاصفة ، شعرت من هذا السطر بنفس مجرمة تتنازعها الاهواء . وشعر حافظ موسيقية فقط ، والثلاثة الباقية : الاقناع والخيال والصور غير موجودة ، ومطران لا يعنى بالموسيقية كثيراً ، ويعنى بالخيال والصور .

والموسيقية من حيث أنها تحتاج الى اللفظ والصياغة والانسجام ، فهى اذاً فى حاجة الى الالمام العظيم باللغة ، هذا الى ذوق خاص لا يمكن اكتسابه بسهولة والى اذن تحسن الاستماع وتمييز الانغام !

ولا بدع انه ليس من موسيقية فى اللفظ كموسيقية القرآن .

أما الاقناع ، فهو قوة خاصة فى الشعر ، بحيث يضطرك الشاعر الى متابعته ، والى السير وراء رأيه والايمان به ، ويملك عليك مشاعرك ، بدون أن يُملّك ، او يشعرك انه يقودك ، وأنت تتبع ساحراً جباراً لا خلاص لك منه .

ولعل المثل الأعلى فى ذلك هو الشاعر راسين . أما شوقى فقد كان على جانب كبير من هاته القوة ، وإذا اقتنع هو نفسه ، وراح يدافع عن قضية هى جزء من حياته او حياة أمته ، وراح يصف شيئاً له فى نفسه مكانة ، فانه احياناً يبلغ الذروة ، ويصعدك معه ، الى حيث تقتنع بما رأى وتؤمن بما حدثك عنه .

اما الخيال ، فهو الناحية التى قصر فيها شوقى ، وأبدع فيها مطران وانعدمت من شعر حافظ ، ومن الخيال مايسمونه باللغة الانجليزية Fancy وفى هـذا يجود شاكسبير ويمتاز أو لايشق له غبار ، ولا أدرى مقارباً له فى الادب العـربى الا فى قصيدة شوقى حيث يخاطب توت‌عنخ آمون شاعره بنتاؤر ويشكو له ضجة الموسيقى حول قبره :

مصر الفتاة لم توقّر جدّها   دقّتْ وراء مضجعى جازبندَها

فهذه الروح الساخرة التى يداعب بها توت عنخ « حفيدته » مصر ويشكو بها ضجره لانها تضرب جازبندَها خلف قبره ـ هذه الروح التى تكسو الحبيب ، او البطل الذى نتكلم عنه ، ثوباً من السخر الرقيق ـ هـذه قليلة ، قلة متناهية فى الشعر العربى ، كثيرة فى شكسبير وكولردج وبيرون . على ان الخيال واطلاق العنان للتصورات العالية لا للاستعارات والكنايات اللفظية كثير فى شعر مطران ، يزخر به ويعلو الى آفاق هائلة . اما حافظ فلا خيال له وذلك لحرصه على الموسيقية فقط ، ولعدم المامه بالادب الغربى .

اما الصور الشعرية فقليلة كذلك فى شعر شوقى : نعنى بذلك انك تقرأ قطعة للشاعر فلا تملك الا ان ترى الشىء مرسوماً أمامك بوضوح جسماً قوياً بارزاً . وشعر شوقى الاخير موفق فى ذلك ، ظاهر فى شعره المسرحىّ . أما شعره الأول فى المديح وفى الغزل الذى يبدأ به قصائده فهو بالطبع ألفاظ مرصوصة مصوغة لا تؤدى صورة ولا ترسم شيئاً . والمشهور عن شكسبير ان الفرق بينه وبين غيره من الشعراء ومؤلفى الروايات المسرحية ان كل لفظة ترسم صورة ، فما بالك بالسطر او بالقصيدة ، واننا فى اذهاننا نختزن ألفاظاً وهو يختزن ويبرز صوراً واضحة قوية ! ويقول اكبر نقاد المسارح ان المؤلف المسرحى الذى يملأ روايته بالالفاظ التى ترسم الصور بسرعـة فى ذهن الجمهور هو الذى يظفر باكبر قسط من النجاح .

وهـذه الميزة كانت على أتمها فى شعر ابن الرومى : خـذ مثلا قصيدة حريق بغداد ، وفى شعر البحترى احياناً : كقصيدة الايوان .

أما مطران فى شعراء العربية فهو ممتاز فى هذا : فله قصائد منفردة منقطعة النظير فى الصور ترسمها وتنقلها الى الاذهان . خذ مثلا قصيدة فتاة الجبل الاسـود ، أو قصيدة الجنين الشهيد .

فانت ترى فى الختام ان شوقى تميز بكثير من صفات الشاعر الكامل ، ولو مدّ الله فى أجله واستمر فى المنهج الذى انتهجه أخيراً لبلغ مدًى لا يُجارَى . وبارك الله فى مطران ، وفى أدبه المشرق العالى المطبوع بطابع الخلود ؟

ابراهيم ناجى



جولة فى أدب شوقى

قد تقسو الحياةُ على الأديب فتلفظه وتئد من نواحى عبقريته : ذلك بأن كل ذى نعمة محسود ، والناس أعداء ما جهلوا فلا يزال يتنقل فى سر من الحياة على غير مسمع من الناس يتبرم بالحياة ويزهد فى الدنيا ويتهم الفضيلة ويتجنَّى على الأدب . فاذا أراد نفسه على الوصف لم يجد منها غير مرآة صدئة ونفس لاغبة وخيال لايتراءى غير أشباح مبهمة . فاذا انتقل إلى المدح لم يجد خلاقاً حسناً بين القلوب المدخولة المُضِبَّة له على حقد فيأتى بالمتكلف المسترذل . والجانى عليه فى ذلك بيئته وجفاف الثرى بينه وبين قومه . على هذا النحو درج الالوف من الادباء وقضوا فما نبـه لهم ذكر ولا عظم لهم خطر .

وقد يولد الأديب فى بيئة رافهة ناعمة لا يتصل بذنابى الناس وأوشابهم فاذا تناول بؤس الحياة وشظفها نزل إلى لُجَّةٍ لا يهتدى إلى مناطها ولا يسبر غورَها وعزت عليه الحقيقة ونضب أمامه الخيال . وهكذا تستطيع ـ لو حاولت ـ أن تتلمس للشاعر مهما سمت منزلته سقطات وهفواتٍ بل نواحى مبتورة لا يمضى فيها المجيد فى غيرها حتى يكون ناظماً متشاعراً .

أما شاعرنا فقد طُبع على غرار خاص ونشأ نشأة متباينة المنازع فواتاه التوفيق من يوم مدرجه ، وأتاه التوفيق لأنه كان أديب الخاصـة بل سمير الملوك والأقيال فنبت كما نبت ابن المعتز : بديع الوصف ، رائع التشبيه ، سامى الخيـال ، شريف العبارة ، جيد الأسلوب ، متين السبك ، تحسُّ حين يطالعك شعره أنك فى حضرة العظيم . يظهر لك ذلك بوضوح حين يذكر السيدة مريم طريدة قومها فيأبى إلا أن يجعلها خيالُه السامى فى صولة ودولة وحاشية لاتجدها لغير الامراء والملوك إذ يقول :

« ضربت فى طول الأرض وعرضها ، يوسف حاديها وجبريل هاديها ، والقدس ناديها ، والطهارة أرجاء واديها » . وتراه فى نجائه لأبى الهول يتصور فيه سمير الدهر ونديمه ومناجى العصور حيث يقول :

أبا الهولِ أنت نديمُ الزما ... نِ نجىُّ الأوانِ سميرُ العُصُرْ

ولو رجعت البصر فى رائيته فى الانقلاب العثمانى وسقوط السلطان عبد الحميد لرأيت من شوقى عظيما يستعرض اعمال عبد الحميد استعراض من يحاسبه على أعماله فى عَتْبٍ عليه كأنه ندٌّ له فى جلاله وجبروته بعد أن قدم لعتبه هذا وصفاً ليلدز قلما يتفق لشاعر مثله .

شاعرية شـوقى

ومن ينكر على العظيم عبقريته ويجحد فضله وقد نفخ فى الشعر من روحه وأمدّه من وحيه فأيقظ الأدب العربى وخَلع عليه خِلعاً غربية موشاة بثقافة جامعة فكان الابن المتحضر البار الذى أرضى القديم وأنصف الجديد فشعر شوقى صورة ناطقة عن عبقرية مخلده . كثرة فى إجادة وابتكار للمعانى المحدثة مع إصابة للرأى فى كثيرها. وهو فى قوله مصور بارع يتابع الوصف متمهلاً مترفقاً فى موضع الرفق ،ولا أدل على ذلك من شعره الغنائى الذى يكاد يسيل له صلد العواطف و تَنْماث له الجوانح مما سار وتناقله الناس وتغنوا به وهو رقيق فى عتبة حزين كل الحزن فى رثائه كأنما يواسيك بأفلاذ قلبه فتراه يناجى اسماعيل باشا صبرى نجاء تحسّ فيه باللوعة يضطرم نارها فى قلبه يستحلفه فيها بعهوده القديمة وعوارفه إذ يقول .

قلْ لى بِسابقةِ الودادِ : أقاتلٌ ... هوَ حِينَ يَنزلُ بالفتىَ أمْ شاف ؟

وتراه يأتى على ذكر العلة التى انتابته حين يقول :

لجَّتْ على الصَّدْر الرحيبِ وبرّحَتْ ... بالكاظم الغيظِ الصفوحِ العافى
ما كانَ أقسَى قلبَها مِنْ عِلةٍ ... عَلقَتْ باكرَم حَبَّةٍ وشِغافِ

ذلك ما تحسّ به فى وجده على أديب رئْدٍ له .

وتراه يشتد فى موضع الشدة فيخرج لك صوراً حسية تكاد تلمسها باليد: صوراً لها قوة الأخذ ومتين التناسق والترتيب . ولا غرو فالعقل الراجح والطبع الملهم والتمكن من القريض كل أولئك كانت عوامل مجتمعة على موافاته بالحكم الرائعة وبث الحمية واستنهاض الهمم فى أسلوب راق ممتع .

أذكرْ له إن شئتَ مثال التضحية وكيف أنها أساس الحرية وبها توطد العروش:

تاجٌ ترَى فيه إذا قلَّبْتَهُ جُهْدَ الشَّريفِ وهِمَّةَ الصُّعْلوكِ
خَرَزاتُه دمُ أُمَّةٍ مَهضومةٍ وَجُهودُ شعبٍ مُجْهَدٍ مَنهوكِ

وتراه يبدع فى ضرب الأمثال للجاهل الأحمق إذ يقول:

يا طيرُ والأمثالُ تُضرَب للَّبيب الأمثل
دُنياكَ مِنْ عاداتِها ألاَّ تَكونَ لأعزَلِ

وما أحرصه على أن يكون باحثاً عن الحقيقة ولكن فى مناط العقل، فتراه فى وصف نابليون يبالغ ولكن فى احتراس إذْ يقول:

كِدْتَ مِنْ قتلِ المنايا خبرةً تعلم الآجالَ أيانَ تحينْ

وإذا كان لنفس الشاعر خطرات وجموح تندّ عن الحقيقة وتعجب بالخيال لأنه الخيال فقد كان الرجل كأنما أعجب بقول القائل:

وأخفتَ أهلَ الشّركِ حتى أنه لتخافك النُّطَفُ التى لم تُخلقِ!

فكان عند هذا الخيال الشارد يجاريه بقوله:

تُعَلَّمُ حِكمَتُه الحاضرينَ وتُسْمِع فى الغابرينَ النُّطَفْ!

شوقى الأول

وما كان الفقيد ليجحد نعمة تقلب فى أكنافها وجر مطارفها فى قصر مولاه. وما كان ليرضى بولائه له كسائر رعيته فحسب دون أن يصوغ له بُرُدَ الثناء فى كل مناسبة، بل رأى أن يقف شاعريته التى كفلها مولاه وأحاطها بحدبه ورعايته على البيت الكريم وآله.

وما كان لشاعر مهما سمت بيئته وزكت أرومته أن يتخذ لوناً واحداً فى معظم شعره يستطيع فيه أن يرازم ويباين فى عباراته ويجدد فى أساليبه حتى يأخذه الأين ويعيا بما أخذ. أما شوقى فقد خضع لهذه النظرية على الجملة فى دوره الأول ولكنك تحسّ بروح عالية وعبقرية وفية تطالعك فى شذرات تَقْدُرُ فيها ملكة الشاعر وتتوسم لهذا الشعر اليافع حياةً أحفل وأروع. ذلك اللون من الثناء والمدح

والوصف الراق الذى قدَّمتُ لك قد انتظم الجزء الأول من ديوانه فى جل منظوماته إذْ كان يتلمس لها السبيل ويستطرد اليها فى كل مناسبة .

شوقى الثانى

حتى اذا تطور الزمنُ وعصفت بالبلاد هوجُ الحوادث لفتّتْ فيما لفتّتْ هـذا الشاعر وكان ذلك بداءة فتح جديد لشوقى الجديد .

على أن ذلك الشيخ الشاب انما كانت تسعده الحوادث ويمده حدثان الدهر فى أخريات أيامه . وتلك فرص إن كانت لم تواته فى مقتبل حياته فانها أَمْلَتْ له حتى يستجمع قواه ليخرج لنا درر المنظومات ومنظومات الدرر موسومة بطابع جديد يتلاءم مع نهضة فكرية علمية ، فما كان لشوقى الموالى للبيت الكريم وآله أن يظل قابعاً فى مجثمه والزمن يمر من حوله سراعاً دون أن ينزل منه فى المعقد والإزار . بل آثر أن يمرح فى جناب الأدب الخصيب، فتفنن ما شاءت له روحه الفياضة وما عنّت له شاعريته حيث كانت تدفعه بعنف إلى مطابقة الحياة فى ألوانها ، وإلى موافاة كل حدث جَلّ أو صغر بخلجات نفسه ووحى وجدانه وشعوره الحى نحو نهضة العالم عامة وأمته خاصة، فترى له طاقات ومجاميع من نفثات قلبه فى المؤتمر الشرقى الدولى ، فى مشروع القرش ، فى تخليد ذكرى الدرويش ، فى نجاء توت عنخ آمون ، فى خلع السلطان عبد الحميد ، فى الدستور الجديد ، فى مؤتمر الأئتلاف ، فى كل لون من ألوان الحياة التى لايستوعبها الحصر .

وما كان للشاعر المفرد أن يكثر كل هذا الاكثار فتكثر عليه المآخذ وتتخلف بالرغم عنه سواقط فى عجلته هـذه ويكون من التاريخ موضع البحث والتمحيص لولا أن الفقيـد لم يشأ أن يخدع العـالم فى شاعريته وأن يحتجن دون الناس ماهم فى مسيس الحاجة اليه نخاض غمار الأدب مدجَّجا بالعزيمة مليئاً بالثقة من نفسه يحاول أن ينهض بالأدب وحـده ويؤثر أن يتحمل أعبـاء طوره فكان عصراً حافلا بالأدب وحده .

نثره أخيراً

على أن رَبّ القريض أنف أن يكون صاحب راية القريض بينما تخفق الراية الأخرى فى العُدْوَة الثانية لغيره. كبر عليه ذلك فرأى أن يَلِجَ بابه ولوجاء مصلياً

وارتاح إلى ثرائه وذيوع شعره وإشادة الدنيا بذكره فاستمدّ المعونة من قريضه لمنثوره وأتى بشذرات صاغها اسماطاً وقلائد، وهى وإن كانت فى جهرتها قوية حفيّة بالاكبار إلا أنه كان يركب أحياناً مَتن الاعتساف فترى الماء الصافى السلسال الذى تتذوقه فى شعره يكاد يغيض ، وترى نفاراً بين مسجوعه فى قوله فى الموت :

« وإذا الملك والسوقة سواء . حقيبة المنية كل يوم فى ركاب ، من مناكب ورقاب ، تحمل الشيب والشباب الى رحى البلى فى اليباب ، فيدور عليهم الدولاب ، فاذا هم حصى وتراب ! »

حفله بالحوادث التاريخية

أما اضطلاع الرجل بالتاريخ والمامته بالعلوم فكانت جل عنايته فى شعره ونثره فتراه يطالعك فى مستهل قصيدة بقوله :

اللهُ أكبرُ كم للفتْح مِنْ عَجبِ يا خَالد التُرك جَدِّدْ خالدَ العربِ

وتراه ينتقل فى موضع آخر يذكرك بحديث يوشع وشمسه بقوله :

قِفى ياأختَ يوشع خبرينَا أحاديثَ القرونِ الغابرينَا

ثم هو فى موقف آخر يبيح للعالم الضليع البحث والتمحيص ، يشبهه فى ذلك بأهل بدر حيث يقول : « والعلم بدرىٌّ أُحِلَّ لأهله ما يصنعون » .

ولم ينس أن يغترف من التاريخ الحديث ما يضمنه شعره المحدث حيث يقول فى رثاء نابليون :

حول استرليز كان الملتقى واصطدامُ النسر بالمستنسرينْ

ذلك ما نعدّه مخلداً للتاريخ وما نَعُدهُ التاريخ مخلداً له من ناحية أخرى .

إلا أنه قد يُحسّ الشاعر بثورة فى نفسه ووخز ضميره تناله منهما اللوعة والحسرة فتفيض نفسه بالحوادث يستروح بها فى كلامه ويخفف من لواعجه فتراه يسرف فى ذكر سلسلة منها للشيء الذى يتناوله حتى ليداخلك الشك أنه موكل بذكر فذلكة تاريخية لهذا الشيء ، وماذلك الا نفثة المصدور وزفرة الملىء. فتراه يسرد لك فى وصف قناة السويس بعد مطلع بديع شيئاً عن اسمعيل والتقاء الأحمر بالأبيض وموسى الكليم ويوسف وروح الله والعذراء والاسكندر وعمرو بن العاص ونابليون . وتراه فى موطن آخر يسوق هذا الحشد حين يأتى على مناجاة الأهرام يقول : « فى هذا الحرم

درج عيسى صبياً ، ومن هذا الهرم خرج موسى نبياً ، وفى هذه الهالة طلع يوسف كالقمر وضياً ... »

مسرحياته

عرف الناس فى شوقى الشاعر النابه المجدد فذهبوا يلهجون بذكره ويكبرون شعره ونثره حتى ذهب بهم الغلو الى حد تقديسه وتمجيده ! وكلما طالعهم بقول عدُّوه نسيج وحده وبهرتهم جدته فأنستهم قديماً قِيلَ وراعتهم صَبْوَةُ الانتصار لشوقى فرانت على قول غيره من الشعراء السابقين . وما كان ذلك إلا حافزاً للرجل يهيب به إلى الدأب والاجادة ليحقق للتاريخ ما أشاد به قومه ، فأخرج الغريب من الروايات المسرحية مما عُدَّ مفخرةَ العصر الحديث ورأى أن قد سبقه الى فكرته سيد القريض الشاعر الضليل وقفى على نسجه شاعر الحب والغزل ابن ابى ربيعة وترسم من أتى بعدهما طريقهما . رأى ذلك ثروة حازت الاعجاب فجعلت لهم ناحية مفردة فى التاريخ فعمل على ان يضيف الى هذا التراث ثروة خصبة حضرية عصرية فاستعدى على المجنون شاعريته وخياله تترضّاه فى ان يخرج من شعره الخالد قصصاً تمثيلياً مفرداً فى بابه فكان قريضاً أرضى المجنون برصانته وجدته وكثرة مائه ، وما عتم أن تابع ذلك برواية قمبيز التى قامت لها قيامة النقاد . فلم توهن من عزمته فأخرج رواية عنترة وأميرة الاندلس وما كان حين أخرج مصرع كليوباتره أو على بك الكبير إلا مخرجاً للقصة الدرامية فى مغزى رائع التأثير أَخّاذٍ بالنفوس .

تفاعله الأدبى

قلما ينبه العظيم فيُسْعِدُ الامة بنباغته ويَسْعَدُ هو على حساب ثروته إلا أن يكون فوق اجادته لما أخذ به نازلا من أهل الأدب عند ما يرضى الناس والأدب ، وذاهباً مع الساسة والمفكرين بمايرتاح له الفكر وتصبواليه النفس اذا فنيت فى حب الوطن . وما كان أخلق شوقى ان يكون ذلك الانسان فقد سعد لا بالثراء يحوز منه الكثير لأنه ما طمحت نفسه إلى ثراء المال وحده بل ليكون رب الدولتين ، وكأننى بروحه الجياشة بالآمال وبهمامةِ نفسه التى ما فتئت تلج به ان يكون فوق ما يمكن ان يكون تدفعه دفعاً الى الغاية التى لا يقدر مناطها غيره فما وجدناه متطامناً مرتاحاً لما وصل اليه من إمارته لدولة الأدب فى جميع ألوانه ، وما قنع الناس منه على ثرائه وجدّته بما أخرج لأنهم رأوا فيه معيناً لا يَنْضُبُ فسعدوا وسعد ، وما أدوم سعادتهم وما أخلد سعادته ؟

محمد رزق الرهشانه

احمد شوقى

ذكريات (١)

لقد يكون من مفاخر حياتى الصحفية أنى لقبت احمد شوقى بك فى سنة ١٨٩٩ على صفحات « الاهرام » وأنا حديث العهد بتحريرها بأمير الشعراء ووصفت قصائده « بالشوقيات » ، وكانت « الاهرام » يومئذ الميدان الوحيد لخياله الراق. وكان المرحوم صاحبها بشارة تقلا باشا الذى رثاه احمد شوقى بالبيت المشهور الذى ذهب أحد شطريه مذهب المثل : « رجل مات والرجال قليل » من أكبر المعجبين بشوقى وبشعره وبذكائه وحصافته .

ولا أدعى جواز اطلاق هذا اللقب على شوقى أكبر شاعر فى عصرنا على ما اعتقد وقد يكون أكبر الشعراء فى العصور الخوالى أيضاً لأنه جمع بين الحضارتين القديمة والحديثة والأسلوبين العتيق والجديد ووفق بين الطارف والتليد . ولكن متابعة الكتاب والادباء للاهرام فى ذلك حتى اليوم أعطت للقب مكانته وأحلته المحل الذى أريد منه وأريد له وكذلك وصف قصائده ، ولما ظهر حافظ ابراهيم بشعره الرائع أطلقت عليه « الاهرام » لقب « شاعر النيل » فأقر الكتاب والصحف ذلك اللقب. ولا أدرى من الذى لقب خليل مطران بعد ذلك بشاعر القطرين وامام الصناعتين ولكن أدباء تلك الأيام وشعراءها كانوا يضعون احمد محرم فى هذا الصف صف الثلاثة ، وكان المرحوم اسماعيل باشا صبرى الذى كانوا يلقبونه بحق وصواب باستاذ الشعراء يتغنى بشعر هؤلاء الاربعة ويطيب له التحدث عنهم ، واذا نظم أحدهم معنى مبتكراً يهتز له طرباً ويُهزّ به مدحاً وترديداً . وكان يقول إن شيطان الشعر يحلق بشوقى حتى يغيب عن مداركنا وخيالنا . أما السبب الذى دعا الى تلقيب احمد شوقى بأمير الشعراء فهو أن الخديوى عباساً كان يهمل شوقى بعض الاهمال لاعتقاده ، بل لأنهم أدخلوا على نفسه ، أن أحمد شوقى «شاعر» فقط . وانه هو بحاجة الى رجل سياسى لما كان بينه والانكليز من الكفاح والجلاد فاجتمع لازالة هذا التوهم من صدره المرحومون بطرس باشا غالى (وقد كانت به نزعة للأدب والادباء) وبشارة باشا تقلا ومصطفى باشا

(١) آمل من القراء اغتفار كلمة الانانية لان مجلة (ابولو) تطلب منى ملحة ذكريات شخصية بحتة .

كامل. وكان بطرس باشا يطلب من الخديوى أن يسمح له بتوظيفه شوقى فى الخارجية بضعفى مرتبه الذى كان يتناوله من قلم الترجمة فى السراى، وكان بشارة تقلا باشا يعرض على سموه مثل هذا العرض ليوليه تحرير «الاهرام» فتأييداً لذلك وضع شوقى فى مكانه من الأدب وامارة الشعر الى أن قربه الخديوى وناط به كثيراً من المهام فقام بها خير قيام. فأولاه ثقته وقدمه على جميع رجاله وطرد من خدمته حسين زكى وزامر الذى قال صاحب «مصباح الشرق» يومئذ فى وصف خروجه من السراى: «إن خروج زامر من المعية ألذ من خروج البرغوث من الاذن». وبعد أن كان الكتاب يلقبون شوقى بأمير الشعراء أعطاه الخديوى بعد انعاماته الكثيرة التى غمره بها لقب «شاعر الأمير».

* * *

كان احمد شوقى بك يسكن داره فى حى الحنفى والشيخ زكى سند مؤسس «جماعة مكارم الاخلاق» يسكن فى حارة السقايين وكنت أسكن فى ذلك الحى. فكنا متجاورين وكنا فى كل صباح نلتقى فى الطريق فيذهب شوقى الى سراى عابدين والشيخ زكى الى مدرسة اليسوعيين للتدريس وأذهب أنا الى ادارة جريدة «المحروسة». فكان الكثيرون من الأزهريين الذين لا يصدقون ان خريجاً من خريجى مدارس فرنسا كاحمد شوقى يستطيع قرض ذلك الشعر الراقى كقصيدته فى الخديوى توفيق:

لك مصر يجرى تحت عرشك نيلُها ولك البلادُ عريضُها وطويلُها

وكقصيدته فى مؤتمر جنيف:

همتْ الفلُك واحتواها الماءُ وحداها بمن تقلّ الرجاءُ

وكلتا القصيدتين كان الطلبة يحفظونها. فكانوا يقولون أن الشيخ زكى سند صديقه هو الذى يساعده فى نظم هذه القصائد لما يرونه بين الاثنين من الصداقة ولاجتماعهما كثيراً لأنّهما من حيٍّ واحدٍ.

كان شوقى لا يتعرض للسياسة فى شعره، فلما قربه الخديوى ووكل اليه الكثير من الشؤون السياسة تحولت قصائده من الخيال البحت والحكم والوصف الخ. الى السياسة التى كان يتأثر بها كمدحه السلطان عبدالحميد لأنه شاعر أمير مصر ولحملته على رياض باشا فى حادثة الحدود وقد زار الخديوى الجيش وانتقد نظام إحدى الأورط فعدّ اللورد كرومر ذلك اهانة لكتشنر باشا طلب من أجلها الترضية، وكان رياض باشا رئيس الوزارة فتبرأ من عمل الخديوى وذهب الى الفيوم حيث قابل سموه واستصدر منه

تلغرافاً الى كتشنر باشا يثنى فيه عليه وعلى نظام الجيش وكحملته على هذا الوزير عند افتتاح مدرسة محمد على الصناعية لأنه ألقى خطاباً قال فيه للورد كرومر أنه يعتمد عليه فى انجاح الجمعية والمدرسة . وقبل أن يطلع صباح اليوم التالى طلع شوقى على الجمهور بقصيدته التى يقول فيها :

كبيرَ السابقين من الكرامِ   برُغْمى أن أنالك بالملامِ
مقامُك فوق مازعموا ولكن   رأيت الحق فوقك فى المقامِ
خطبتَ فكنت خطباً لاخطيباً   أُضيفَ الى مصائبنا العظامِ !

وكقصيدته فى اللورد كرومر يوم وداعه وكانوا قد عقدوا له اجتماعاً فى الاوبرا ليتمكن من الخطابة . وحضر الاجتماع الامير حسين كامل فألقى اللورد كرومر خطابه الشديد اللهجة فذم عصر اسماعيل على مسمع من ابنه وحمل على المصريين لأنهم لم يقدروا عمله فى تحريره أصحاب الجلاليب الزرق ، فنظم شوقى قصيدته المشهور التى يقول فى مطلعها :

أيامُكم أم عهد اسماعيلا   أم أنت فرعون يسوس النيلا ؟!

فقابلها الرأى العام بالارتياح العظيم لان اللورد كرومر آلم المصريين فى كرامتهم حتى أن السيد حسن موسى العقاد الذى كان يقف فى وجه الخديوى مستنداً الى ذراع اللورد كرومر أرسل اليه تلغرافاً وهو يركب الباخرة من بورسعيد ضمّنه أشد اللوم للورد على كلامه القارص .

ولما عاد احمد عرابى من منفاه هزت روح عودته وهو على ما كان عليه من الكبرياء شاعر السراى شوقى فقابله بقصيدته :

صَغارٌ فى الذهابِ وفى الايابِ   أ هذا كل شأنك يا عرابى ؟!

على أن تحول شوقى الى السياسة وتحول شعره اليها لم يحوله ولم يحول شعره عن بعض الصداقات العالقة بشغاف قلبه كصداقة المرحوم مصطفى كامل فانه رحمه الله قطع صلته بالسراى الخديوية بعد اتباع الخديوى سياسة الوفاق مع السير الدن غورست ووجه مصطفى كامل يومئذ كتاباً مفتوحاً على صفحات الصحف الى الخديوى وكان هذا الكتاب شديد اللهجة، ولكن ذلك لم يقطع ما بين شوقى ومصطفى كامل حتى أن شوقى كان المواسى الوحيد لمصطفى فى ابان مرض الموت وقصيدته فى رثائه من أروع الشعر. نظمها شوقى فى الليل ونشرت فى الصباح وذهب مذهب المثل قوله فيها :

دقاتُ قلبِ المرء قائلةٌ له إنَّ الحياة دقائقٌ وثوانِ

كانت الحادثة من الحوادث تقع صباحاً فلا يحل المساء حتى تذاع بين الجمهور وبقصيدة شوقى لأنه كان للحوادث تأثير شديد عليه يهز اعصابه ويستثير نفسه ويحفز خياله . وكان أكثر ما ينظم الشعر وهو ماش أو واقف أو جالس الى أصحابه يغيب عنهم بذهنه وفكره . فقلما يجلس الى مكتبه للتفكير وعصر الذهن ، فاذا جلس الى المكتب فلتدوين ما يكون قد نظمه واستوعبه فى ذاكرته . فبين سيكارة وأخرى يجد فكرته وبين كلمة وأخرى يجد الظرف الموافق لهيكل الفكرة وكان شديد الحذر ينتقى ألفاظه كما ينتقى معانيه ، لأنه كان شاعراً سياسياً فى كل أشعاره وفى كل أطواره الشعرية .

ولو أن قصائد شوقى ومنظوماته جُمعت بالتتابع مع مراعاة زمن نظمها والظروف التى دعت الشاعر الى النظم وبيان ما فيها من اشارة وتلويح وتلميح لكان من ذلك فى نظرى وعقيدتى أجل ديوان ولكان هذا الديوان أصدق تاريخ لحوادث مصر منذ عهد الخديوى توفيق الى اليوم. وأما جمع ديوانه على الطريقة التى جمع فيها بعض شعره فى العهد الأخير فعمل لا يفى شعر شوقى مقامه من الشعر والتاريخ معاً .

ولربما كان الامر سهلا بعض السهولة اليوم ، ولكنه يصير مستحيلا بعد بضع سنين إلا إذا كان شوقى قد دون ذلك بيده كما كان يعد ؟

داود بركات



صورة من شوقى

لست متعنتاً ولا مسرفاً اذا قلت : ان شوقى آخر حسنة فى الشعر العربى جادت بها الطبيعة ، وسلبنا الموت اياها . ولم أرم بذلك القول باطلا وذلك لان الدنيا أصبحت عقيماً فى الرجال ، بل استطيع أن أقول إنها تستطيع ان تلد للنبوغ أعظم من اكنر و لندنبرج وغيرهما من أفذاذ المادة ، ولكن هيهات ان تطلع أفذاذاً من ابطال الروح والخيال السامى كشوقى ، لان الفن الخالص من المادة قد تقلص من هذه الدنيا وطغى عليه الفن المادى ، وان رجال الجمال من هذا الفن اذا اخترم الموت منهم واحداً فلن تعوضنا الدنيا عن مثله ، وناهيك بشوقى الذى كان فى الطليعة من هؤلاء الرجال .

ولستُ مسرفاً اذا قلت ان قصيدة شوقى فى النيل أروع قصيدة عرفها الشعر العربى من لدن امرىء القيس بن حجر الى عصرنا هذا .

لست متعنتاً اذا حدثتك أن شوقى بزّ المتقدمين من أمثال أبى تمام و البحترى و أبى العلاء فى عيون قصائدهم .

فقد جارى الاول فى بائيته ففاته ، والثانى فى سينيته فسبقه ، والثالث فى فائيته نخلفه وراءه . وانك لجد مشدوه اذا علمت ان هذا الرجل الذى تحسّ وأنت تحادثه أنه نصف أوروبى يأتى بهذا الشعر الذى يعجز عنه هؤلاء الفحول فى عربيتهم .

عرفتُ أمير الشعراء بشعره وكنت فى الخامسة عشرة ، وكنت وقت ذاك فى اقليم من الصعيد أجلس فى أويقات الاصيل مع صديق من سنى قبالة دارنا ، وكنت أحسّ بالشعر كما يحس طفل فى سنى ، وكنت أقرأ أنا وصديقى فى الشوقيات فيفوتنى اكثرها واتفهم أقلها ، ولكنى كنت معجباً بشوقى كما يعجب الطفل بأبيه وكنت أروى منها أبياتاً لأترابى مجرّحة فى عربيتها ورويها . ولا زال اعجابى بالرجل يكبر معى حتى طرحتنى الطوارح ولزتنى السنون ، ولا زلت أذكر يومى السعيد يوم تقدمت الى أمير الشعراء للتعرف به ، وكان ذاك عقب قفوله من منفاه فى سنة ١٩٢٠ . كنت فى دار للخيالة رفقة أستاذ كريم ، من رجال الجامعة القديمة ، وكان الظلام قد بدأ يغشانا ، وقد أخذ دوىّ الآلة فى أزيزه منذراً بابتداء عرض الصور ، فاذا بصاحبي ينبهنى الى رجل قصير ضاوٍ ممسك بعروة سترته ، يسير رافع الرأس ، وخلفه ثلاثة يميلون الى الطفولة أكثر من ميلهم الى الشباب ، ويقول : شوقى ! فتشوقت فى كثير من الفضول وأدمنت النظر حتى حلّ الرجل فى كرسيه يتبعه هؤلاء الثلاثة ، ثم عم الظلام مطبقاً وعرضت الصور ولكنى لم أتبين منها شيئاً فقد ظلت نفسى منصرفةً الى هذا الداخل ، وأخذتُ أعمل الرأى ، كيف استطيع التعرف الى هذه الشخصية الفذة ؟ فقر رأيى على التقدم اليه فى نهزة الراحة بين عرض الصور ، وأخذنى زمعٌ شديد ، حتى أنى لم أكاشف صاحبي ببغيتى ، فما تكشف الظلام حتى بادرتُ اليه تاركاً صاحبي مدهوشاً ، وكشفت له عن نفسى ، وأعلنت أنى ممن ينظم الشعر ، وأود ان يسمع منى بعض ما قلت ، فتبسم رحمه الله ونظر الى كبير هؤلاء الثلاثة وقال : ياعلى ! ما مواعيد الغد ؟ فأجابه من ورقة صغيرة عنها . فالتفت الىّ وقال يسرنى ان تزورنى غداً فى الرابعة بعد الظهر فى المطرية . فسلمتُ شاكراً وعدت ، وحدثت صاحبي بما حدث فهنأنى .

أشرق عليّ الغد ، وكان يوما صائفا ، وقد بكر الحر فى شهر مايو وحل الموعد فأدركتني حيرة : هل أتخلف لمكان هذا القيظ لانى رأيت انه لا يليق ازعاج شاعرنا العظيم فى قيلولته ، أم أبادر يحثنى هذا الشوق الذى ينتابنى للمكث لحظة مع أمير شعرائنا ؟ فاعتزمت قطار الضواحى وعرجت على كرمة ابن هانى ، وأرسلت مع الخادم بطاقتى فدعانى رحمه الله الى الطابق الثانى ، فاذا أنا بهذا الشاعر الذى قد أتى بالمعجز يكاد لا يبين فى كرسيه اللين وقد انتضى عنه سترته . فرحب بى برقة أنستنى الفارق العظيم الذى بينى وبينه ، فاسمعته من نظمى قصائد استحسنها رحمه الله رقة منه وعطفاً.

ثم تحادثنا فى شؤون أخرى ، ولن اكذب الله فقد أدركنى شىء من خيبة الامل فقد كنت أحسب ان شوقى لا ينطق الا شعراً ، ولا يتحدث الا شعراً ، ولا يسير الا بالشعر فاذا به غير ذلك ، مثلى ومثلك ! اوكان يتنكب الشعر فى كلامه ولا يشير اليه فى حديث . وكنت احفظ من قصائده الكثير ، فكنت أسأله فى بعض معانى هذه القصائد فكان يجيبنى إجابة رجل لم يقل هذه القصائد ، ولم ينظمها ! فحضرتنى عند ذلك كلمة لفولتير ، قالها عن نفسه : وهى أنه عند ما كان يكتب يخيل اليه ان آخر كان يتولى ذلك عنه ، وكان يتهم نفسه عند قراءة كلامه !

ثم اتصلت بعد ذلك بشوقى اتصال ولىّ او قريب ، كنت ألقاه كل ليلة فأحسّ بروحه الشعرية تظلل المكان .

كنت اعرّج على مكتبه بين الخامسة والسادسة مساء ، حيث كنت ألقى ولديه وهما صديقان حبيبان لى ، وكنا لا نفترق ، وكانت هذه احدى حسناته الىّ رحمه الله ، فكنا نجلس يؤلفنا الشباب بمرحه ؛ وكنا نتنادر طوراً ونجدّ طوراً آخر حتى اذا أظلتنا السابعة طرق آذاننا صوت حذاء يحتك بالارض فنحذر جميعاً أنه هو ، فلم نلبث طويلا حتى يطل علينا ببسمة حلوة ، ما ذكرتها اليوم الا وجدت على قلبي منها غمزاً ، ثم يفيض معنا فى شؤوننا حتى تحسبه كأحدنا ، ثم ينقطع كل هذا فجأة ، ويرجع الى نفسه فيصبح كأنه ليس معنا ، فهناك تسمع غمغمة كأنها آتية من غور بعيد ، كما يقول أستاذنا مطران ، ثم لا يزال بين ذلك يمسح على جبينه بيده ، ونحن عند ذلك سكوت ، فاذا بلغ آخر مناجاة نفسه ، هبّ واقفاً وتركنا من غير ان يسلم أو يبتسم .

وكان رحمه الله لا يذكر ما نظمه من قصيد رائع فى زمنه الخالى . حدث أنى كنت أماشيه يوماً وكنت قد قرأت فى صبيحته قصيدة فى «عكاظ» نسبها صاحبها اليه وكانت القصيدة لمطران ، وهى فى بعلبك ، فحدثته فى ذلك وتلوت عليه مستهلها فقال : لا أعلم ربما تكون لى ، لأنى قد نظمت كثيراً . فقلت إنها لمطران وقد التبس على صاحبه «عكاظ» ، فأجابنى مبتسماً : لقد ضاعت على مطران المسكين ! ولم نلبث فى مسيرنا طويلاحتى طلع علينا صاحب «عكاظ» مسلماً، فحاجّه رحمه الله فى هذه القصيدة ، فأصر صاحب «عكاظ» أنها له ، وأن رقتها وسلامة لفظها أخلق به، فأصررت أنا أنها لمطران ، وقد قرأتها فى ديوانه ، فاستطال علىّ صاحب «عكاظ» عفا الله عنه، وألح فى تأييد رأيه ، فقال له : ياشيخ فهيم ، ارجع الى مصادر هذه القصيدة وتبينها فانى لا أحب أن أغصب أحداً حقه ؟ وانصرفنا ، فاذا بكتاب من صاحب «عكاظ» يعتذر فيه الىّ من الغد وقد أصلح ما تورط فيه من خطأ فى العدد التالى لظهور هذه القصيدة .

ولو شئت ان أعدد من حسنات شوقى الكثيرة لملأت كتباً فقد كان رحمه الله فريداً فى كل شىء ، فى خلقه وفى مروءته وفى برّه ، ولن نظفر بمثله بعده . طيب الله ثراه ورحمه رحمة تعادل ما أحسن به الى اللغة والأدب والخيال ؟

احمد محفوظ



شوقى امام التاريخ

شخصيته وحكمته المطبوعة

تمهيد

اتفق الى أن كتبتُ فصولاً مطولة عن شعر شوقى فى سنة ١٩٢٥ وهى فصول منزهة عن الغرض يجدها القارىء فى كتاب « الموازنة بين الشعراء » وكانت فرصة طيبة عرفت فيها أخلاق النقاد المعاصرين . ويعزّ علىّ أن أصرح بأن جمهرة النقاد كانت من أصحاب الصحف الأسبوعية، وكان شوقى عوّدهم التطلع الى مائدته الفاخرة وجيبه الثقيل ! وكانوا كلما احتاجوا الى «بره ومعروفه» طافوا حول شعره يتلمسون ما فيه من نقائص وعيوب ، وكان الرجل يغار على شعره غيرة الكريم على عرضه ،

فكان يخرس ألسنتهم ، ويقصف أقلامهم ، بالهدايا والهبات . وقد ظن أولئك أولئك المساكين أنى أكتب عن شعر شوقى لنفس الغرض الذى يسوقهم ويحفزهم الى الكتابة عن شعره ، فكانوا يتقدمون الىّ ناصحين ، وكان نصحهم يتلخص على اختلاف ألوانه فى هذه الكلمة الطريفة : « ان شوقى لا يحترم من ينصفه ! » والاحترام الذى يفهمونه هو السخاء والكرم والجود ، وهذا النوع من الاحترام يبدو لعينى بغيضاً ممقوتاً لا يتطلع اليه إلا سفلة الناس . وليت شعرى كيف يحتاج الرجل الى هبات الاغنياء ورغيفٌ واحدٌ يكفيه يوماً وليلة ، وليس بطن الانسان إلا وعاء حقيراً لا يستحق أن تذل فى سبيل ملئه النفوس ! ولكن هذا هو الذى وقع لنقاد ذلك العصر مع الأسف الموجع ، وقد استطاع أولئك المرتزقون أن يشوهوا النقد الأدبى أبشع تشويه ، وأن يقلبوا الحقائق الادبية قلباً كريهاً ، وأن يروضوا الجمهور على الاعتقاد بأن الرجل لا يقول كلمة الحق إلا مأخوذاً بغرض دفين.

وقد عرفتُ بالتجربة أن شوقى كان كما وصفه أولئك الواصفون لا يحترم من ينصفه ، وتجلت لى حقيقة ذلك فى سنة ١٩٢٨ يوم قدم طاغور مصر وأقام له فى داره حفلة استقبال . كنت يومئذ مدرساً بالجامعة المصرية وكنت صديقه وكان الدكتور طه حسين من خصومه الألداء ، فدعا الدكتور طه لاستقبال طاغور فى منزله ولم يدعنى ، لأن الدكتور طه كان موظفاً فى الدرجة الثانية وكنت موظفاً فى الدرجة السادسة ، وفرق ما بين هاتين الدرجتين كان من الأمور التى يفهمها جيداً أمير الشعراء الذى عودته الحياة الرسمية أن يحترم الرسميات ! ثم وقع يومئذ ما هو أبشع من ذلك : فقد كان دعا المسيو ساروليا ثم علم أن الجمهور هاج على ذلك الاستاذ لكلمة ندّت فى محاضراته بالجامعة المصرية ، فكتب اليه شوقى ينبئه بأنه « سحب الدعوة » وانه يرجوه ان يريح نفسه من الحضور لدار الكرم والجود « كرمة ابن هانىء » على أيامها وأيامه تحية وسلام !

وكانت هذه أيضاً فرصة طيبة عرفت فيها أخلاقى : فان تلك الهفوة لم تنقص تقديرى لشوقى ، شوقى الشاعر . أما شوقى الصديق فقد ثرت عليه ثورة عنيفة ، وعدتُ لا أقابله حين ألقاه مصادفة إلا بنفس الزاهد العيوف . وقد اتفق أن تلاقينا عفواً فى بهو الكونتنتال فى ربيع سنة ١٩٢٩ وكنت مع الدكتور منصور فهمى ، فسألنى شوقى عن انصرافى عنه ، فأجبته بكلمات فيها جفاء ، فالتفت الى الدكتور منصور وقال : إن شوقى بك والد الجميع ، وأنشد :

نميــل على جوانبه كأنّا   نميــل إذا نميل على أبينا
نقلّبه لنخبر حالتيه   فنخبر منهما كرماً ولينا

ثم توالت الأيام ، وكانت تزيد فى يقيننا بأن شوقى الشاعر شخصية منفصلة تمام الانفصال عن شوقى الذى يعرفه الناس كانسان اجتماعى يخطىء ويصيب بين الحق والواجب ، وكان أن رأيته لآخر مرة فى مسرح حديقة الازبكية يوم اجتمعنا لمعاونة الأديب محمود أبو الوفا ، وأسرعتُ اليه أحييه ، وأقبل أبو الوفا يسلم عليه . وكدت أصرخ فى وجهه : قبّـل يد الشاعر أيها الجاحِد فقد شرّف قدرك بشعره ! وكانت عاطفة طبيعية : فقد كان شوقى فى ذلك اليوم وهو محطّم مهدودٌ يبدو لعينى فى وقار الصّديقين . ولما علمتُ أنه سيقيم حفلة شاى فى داره لأعضاء (جمعية أبولو) خطر ببالى أن أسعى لحضور تلك الحفلة ، خشية أن تكون آخر مرة يرى الناس فيها أمير الشعراء ، ولكنى رفضت أن أذهب بدون دعوة ، ثم كان ما مرّ بالبال صحيحاً ، وكانت آخر مرة يستقبل فيها شوقى رجال الأدب فى داره ، فياحسرتا على ما ضيّعتُ من تلك اللحظات الطيبات !

لم أسىء يوماً الى شوقى الشاعر ، والحمد لله ، وإن كنتُ بعت حظى من شوقى الصديق ، وقد عانيت فى سبيل إعجابى بشعره نكبات عديدة ، فان ناساً كانوا يودون لو هدموه ، ومن أولئك الناس رجال احترمهم وأرى فيهم مخايل العبقرية ، ولكنهم أولعوا بالنيل من ذلك الرجل ، وسلكوا الى هدمه شتى الشعاب ، وكان الرجل عظيم الشاعرية حقاً وكان أصلب من أن تنال منه معاولُ الهادمين ، فعادوا يتمسحون بأعتاب الخُلق والوطنية ، وكانت لهم فى ذلك جولات رسم خطواتها الشيطان . والأخلاق والوطنية عكاز يتوكأ عليه كل مغرض حقودٍ ، وستظل الاخلاق والوطنية دعامة يستند اليها ضعفاء النفوس والعقول ما دام أهل الشرق يحسنون الاستماع الى أدعياء الوطنية والاخلاق !

الخُلق لله ، والوطنية لله ، كما أن الدين لله ، فلنترك لشوقى أخلاقه ووطنيته ، ولننظر فيما أبدع من آيات الشعر البليغ ولنخص بالذكر شعر الحكمة الرائعة .

الحكمة فى شعر شوقى

اول ظاهرة واضحة فى شعر شوقى هى التماس الشاعر لغرائب الحكمة فى جميع القصائد والمقطوعات ، وقد آثرتُ أن أقف هذا المقال التقديرى على تلك الظاهرة البارزة فى شعره وهى ليست ملحوظة فى شعر الكهولة وحده ، وانما ترجع الى ميل

فى نفس الشاعر منذ صباه . ومن الجميل أن يكون الشاعر حكيماً ، ولكن الأجمل ان ترد الحكمة عفواً بلا تكلف ولا افتعال . وقد وقع لشوقى ان عقّ اسلوب القَصَص أحياناً كثيرة فى سبيل الحكمة ، وغالب سياق القصائد رغبة فى تدوين الكلام الحكيم . من ذلك قصيدته الهمزيه التى أنشأها منذ نحو ثلاثين عاماً لتلقى فى المؤتمر الشرقى الدولى الذى انعقد فى مدينة جنيف سنة ١٨٩٤ . وهى قصيدة مطولة وصف فيها مصر وحكوماتها وأهلها منذ العهد القديم ، وجرى القصَصُ فيها مسلسلا لم يعقه الا التنقل الى الحكمة التى كانت تطرد أحياناً الى نحو خمسة أبيات مع أنه كان يكفى أن تقع فى شطر بيت لتكون لفتة طريفة لاينقطع بها سياق الحديث . مثال هذا كلامه عما لحق مصر من الذل بعد عهد فرعون ، فقد وصل به هذه الابيات :

إن ملكتَ النفوس فابغ رضاها ... فلها ثورة وفيها مضاءُ
يسكن الوحشُ للوثوب من الأمـ ... ـر فكيف الخلائق العقلاءُ ؟
يحسب الظالمون ان سيسودو ... ن وان لن يؤيّد الضعفاءُ
والليالى جوائرٌ مثلما جا ... روا وللدهر مثلهم أهواءُ

ثم عاد الى القصص فنظم ثلاثة عشر بيتاً عن رمسيس وسيزوستريس الذى وصفه بالتواضع وكره الكبرياء ، ودعاه هذا الى القاء الحكمة فقال :

يُولد السيدُ المتوّج غضّاً ... طهّرته فى مهدها النعماءُ
لم يغيره يوم ميلاده بؤ ... سٌ ولا ناله وليداً شقاءُ
فاذا ما المملقون تولّو ... ه تولى طباعه الخيلاءُ
وسرى فى فؤاده زخرفُ القو ... ل يراه مستعذباً وهو داءُ
فاذا أبيضُ الهديلِ غرابٌ ... واذا أبلجُ الصباحِ مساءُ

وقد تطّرد الحكمة عند شوقى لغرض مقصودٍ فتأتى رائعة : مثال هذا قصيدته فى مشروع ملنر ، وهى قصيدة كان يجب بترها من الديوان لولا حرمة التاريخ ، ومشروع ملنر كان فتنة من أخطر الفتن ، وكان ناس دعوا له واستدرجوا شوقى الى الدعوة له ، فكتبت ألومه فى جريدة «المحروسة» ، فلما تلاقينا اعتذر بأنه قال القصيدة مأخوذاً بالحاح بعض الناس . والقصيدة دعوة الى الرضا بالضعف ، ولكنها من اظرف ما يُنوّم به الضعفاء ، ولم أجد فى حياتى كلمة باطل صيغت فى مثل هذا الاسلوب الطريف :

قد صارت الحالُ الى جدِّها وانتبه الغافل من لعبهِ
الليث والعالمُ من شرقه فى هيبة الليث الى غربه
قضى بأن نبنى على نابه ملك بنينا وعلى خلبه
ونبلغ المجد على عينه وندخل العصر الى جنبه
ونصل النازل فى سلمه ونقطع الداخل فى حربه
ونصرف النيل الى رأيه يقسمه بالعدل فى شربه
يبيح أو يحمى على قدرة حق القرى والناس فى عذبه
أمر عليكم أو لكم فى غدٍ ما ساء أو ما سرّ من غبه
لا تستقلوه فما دهركم بحاتم الجود ولا كعبه
نسمع بالحق ولم نطَّلع على قنى الحق ولا قضبه
يَنال باللين الفتى بعضَ ما يعجز بالشدة من غصبه
فان أنستم فليكنْ أنسكم فى الصبر للدهر وفى عتبه
وفى احتشام الأسد دون القذى اذا هى اضطرت الى شربه
قد أسقط الطفرة فى ملكه من ليس بالعاجز عن قلبه
يا رُبَّ قيدٍ لا تحبونه زمانكم لم يتقيدْ به
ومطلب فى الظن مستبعد كالصبح للناظر فى قربه
واليأسُ لا يجمل من مؤمن ما دام هذا الغيب فى حجبه

أليس يرى القارىء أن هذا باطلٌ صُوِّر فى أبرع اسلوب ؟ ومع هذا فالشاعر حكيم فى طبعه حتى حين يتأنق فى تصوير الأباطيل ، فاننا مهما رميناه بالدعوة الى الضعف واللين لا نستطيع ان ننكر أنه كان أحكم الناس حين قال :

يا رُبَّ قيدٍ لا تحبونه زمانكم لم يتقيدْ بهِ

فان الزمان قد يفك القيود حين يرى فيها مغالبة لطبيعة الحياة وحقوق الاحياء كما بدأ يفعل فى معاهدة فرساى .

وكان يطيب لشوقى أحياناً أن يبدأ قصيدة بالحكمة ثم يطيل كأنما كانت الحكمة غرضه المقصود ، وأكثر ما كان يقع ذلك فى قصائد الرثاء . ومن اوضح الشواهد فى هذا ما ابتدأ به قصيدته فى كارنارفون :

فى الموت ما أعيا وفى أسبابِهِ كلُّ امرىءٍ رهن بطىِّ كتابِهِ
أسد لعمرك من يموت بظفره عند اللقاء كمن يموت بنابه
إن نام عنك فكل طب نافع أو لم ينم فالطب من أذنابه
داء النفوس وكل داء قبله هم نسين مجيئه بذهابه
النفس حرب الموت إلا أنها أتت الحياة وشغلها من بابه!
تسع الحياة على طويل بلائها وتضيق عنه على قصير عذابه
هو منزل السارى وراحة رائح كثر النهار عليه فى إتعابه
وشقاء هذى الروح من آلامها ودواء هذا الجسم من أوصابه!

تلك ثمانية أبيات فى الحكمة يجد بعدها القارىء أحد عشر بيتاً حاول الشاعر صبغها بصبغة الكلام الحكيم، وهذه المقدمة الطويلة تبدو لنا مستثقلة بعض الشيء لأننا نلمح فيها آثار الافتعال، ولكنا نقف خاشعين حين نصل الى قوله فى وصف ذلك العالَم المجهول الذى يُسمَّى عالم البقاء:

يا صاحبَ الأخرى بلغت محلةً هى من أخى الدنيا مناخُ ركابه
نُزُلٌ أفاق بجانبيه من الهوى من لا يُفيق وجدّ من تلعابِهِ
نام العدو لديه عن أحقاده وسلا الصديقُ به هوى أحبابِهِ
الراحةُ الكبرى مَلاك أديمه والسلوة الطولى قِوام ترابِهِ!

وللقارىء أن يتأمل البيت الأخير فهو من أجود ما قيل فى وصف ما بعد الموت من قرار وسكون.

ولشوقى قصائد دعت اليها ظروف وقتية، ضمَّنها كذلك حِكماً وقتية! فقصيدته فى العمال منظومة مفتعلة تحدث فيها عن الانتخابات البرلمانية لأن ظروفها اقتضت ذلك، واسمع كيف يقول:

أيها الجمعُ لقد صر تَ من المجلس قابا
فكنْ الحرَّ اختياراً وكن الحرّ انتخابا
انّ للقوم لعيناً ليس تألوك ارتقابا
فتوقع أن يقولوا: مَنْ عن العمال نابا؟
ليس بالأمر جديراً كلُّ من ألقى خطابا
أو سخا بالمال أو قدَّ م جاهاً وانتسابا
أو رأى أميةً فاخـ ـتلب الجهل اختلابا

والقوم الذين يعنيهم شوقى هم الانجليز ، والعمال مدعوّون ان يراقبوا الانجليز حين ينتخبون النواب ، والمطلوب ان ينتخبوا الدكتور محجوب ثابت ! ولكن هذه المنظومة لم تخل مع ذلك من أبيات حكيمة سبقت اليها فطرة الشاعر الحكيم حين أخذ يقول :

انّ لى نصحاً اليكم إن أذنتم وعتابا
فى زمانٍ غَبِىَ النا صحُ فيه أو تغابى
اين انتم من جدودٍ خلدوا هذا الترابا
قلدوه الأثر المعجزَ والفنَّ العجابا
وكسوه أبدَ الدهر من الفخرِ ثيابا
أتقنوا الصنعةَ حتى أخذوا الخلد اغتصابا !
انّ للمتقِن عند الله والناس ثوابا
أتقنوا يحببْكمُ اللهُ ويرفعْكم جنابا
أرضيتم أن تُرى مصر من الفن خرابا
بعد ما كانت سماءً للصناعات وغابا ؟

وبساطة هذا الشعر من سِماتِ جماله وخصوصاً اذا لاحظنا انه يخاطب به طبقات العمال ، وخطابهم يفرض اليسر واللين فى العرض والأداء .

وليس من الغلو فى شىء ان نصرح بأننا معجبون أفتن الاعجاب بقوله فى هذه القصيدة يوصى بالادّخار اتقاءً لحوادث الأيام :

انما العاقل من يجعل للدهر حسابا
فاذكروا يومَ مشيبٍ فيه تبكون الشبابا
انّ للسنّ لهمّاً حين تعلو وعذابا
فاجعلوا من مالكم للشيبِ والضعف نصابا
واذكروا فى الصحة الداءَ اذا ما السقم نابا

وقد تبدو هذه الأبيات عاديةً عند من لا يتأمل فيما تشير اليه من اعقاب شيخوخة ذات الويل والعذاب ، ولنذكر دائماً انه يخاطب العمال الذين تغلب عليهم الغفلة عن مصائر من يهرمون وهم مُعدِمون .

ولا ينبغى ان تفوتنا هذه الفرصة فنهمل التنويه بهذه الظاهرة الغريبة فى حكمة شوقى : فان الرجل فيما يظهر من شعره ومن اخلاقه الحيوية كان مأخوذاً بالحرص على طيبات العيش ، وكان مشغوفاً بمعاودة التفكير فى الأخلاق المعاشية ، والأخلاق المعاشية هذه كلمة نراها انسب ما يُصوَّر به حرص شوقى على اسباب الحياة . وانظر قوله فى النحل :

مخلوقةٌ ضعيفةٌ من خُلُقٍ مصوَّرَهْ
يا أُما قل ملكها وما أجلَّ خطره !
قفْ سائل النحلَ به بأيِّ عقلٍ دبَّره
يجبْك بالأخلاق وهى كالعقول جوهره
تُغنى قوى الأخلاق ما تُغنى القوى المفكره
ويرفع الله بها من شاء حتى الحشره !

ليتأمل القارىء فى قوله « من خُلق مصوَّرة » ووصفه الأخلاق بأنها جوهرة كالعقول ، يريد انها هبة دقيقة خفية لا يعلم أسرارها غير علاّم الغيوب ، وهذا معنى لا يدرك الا بدقة التأمل ، فان الخلق الصالح خُلق العيش والحياة من الأسرار الخفية ، فكم ناس يُوَفَّقون فى حياتهم المعاشية ، وليست هناك أسباب ظاهرة لما رُزقوا من توفيق ، غير أن الخبير بأحوال العيش يعرف أن هناك دقائق نفسية وخلقية يتيسر بها العيش والرزق ، وإن كان أصحابها فى ظاهر الأمر من العابثين الماجنين . ولينظر القارىء ايضاً قوله :

أليس فى مملكة النحل لقومه تبصرهْ ؟
مُلكٌ بناه أهله بهمة ومجدره
لو التمست فيه بطا ل اليدين لم تره
تُقتل أو تُنفى الكسا لى فيه غير منذَره !

وهذه صورة صحيحة لحياة النحل ، وفيها عبرة لمن يرون اختلال الجماعات الانسانية ثم لا يعرفون أن أسباب ذلك الاختلال ترجع الى مهادنة اهل البطالة والفراغ.

***

لننتقل بعد هذا الى الحكمة الفطرية فى شعر شوقى ، ونريد بها الحكمة التى تقع فى ثنايا القصيد من غير تكلف ولا افتعال . وشواهد ذلك كثيرة ، منها قوله يخاطب الخليفة مهنئاً بالعيد :

أمثلك يمنع الأوطان خيراً وانت خُلقت من خيرٍ طباعا ؟
شجاعاً كنت فى يوم عصيب توقّيها المحبة والدفاعا
جنحتَ الى السلام فكان حلماً وقدماً زيّن الحلمُ الشجاعا
ومن صحب الحياة بغير عقل تورّط فى حوادثها اندفاعا

فان البيت الأخير وقع موقعاً طبيعياً لم يشنه تصنع الحكمة ولا اختلاق أسباب القول الحكيم .

وقصيدة نهج البردة تفيض بشواهد الحكمة الفطرية ، ولنقرأ هذه الأبيات :

رمى القضاء بعينىْ جؤذر أسداً يا ساكنَ القاع أدركْ ساكن الأجمِ !
لما رنا حدثتنى النفس قائلة يا ويح جنبك بالسهم المصيب رُمى
جحدتها وكتمت السهم فى كبدى جرحُ الأحبة عندى غير ذى ألم
رزقتَ أسمح ما فى الناس من خلق اذا رزقت التماس العذر فى الشيم
يا لائمى فى هواه والهوى قدَرٌ لو شفّكَ الوجد لم تعذل ولم تلم
لقد أنلتك اذناً غير داعية ورب منتصتٍ والقلب فى صمم !

والأبيات الأربعة الأخيرة مضمخة بعبير الحكمة ، وأرقّها عندى وأوجزها قوله : « والهوى قدر » . وقد حدّثت الدكتور طه حسين عنها مرة فابتسم وقال : « وعدٌ مكتوب علىّ ومقدّر على الجبين ! »

ولنقرأ قوله فى وصف الدنيا :

يا نفسُ دنياك تخفى كل مبكية وإنْ بدا لك منها حسن مبتسم
فضّى بتقواك فاهاً كلما ضحكت كما يفض أذى الرقشاء بالثرم
مخطوبة منذ كان الناس خاطبة من أول الدهر لم ترمل ولم تئم !
يفنى الزمان ويبقى من اساءتها جرح بآدم يبكى منه فى الأدم
لا تحفلى بجناها أو جناياتها الموت بالزهر مثل الموت بالفحم !

وقوله فى فخار الأصل بالفرع :

قد أخطأ النجم ما نالت أبوته من سؤدد باذخ فى مظهر سنم
نموا اليه فزادوا فى العلا شرفاً ورب أصل لفرع فى الفخار نُمى

وقوله فى شمائل الرسول :

محبة لرسول الله أشربها قعائد الدير والرهبان فى القمم
ان الشمائل إن رقت يكاد بها يُغرى الجماد ويُغرى كل ذى نسم

وقوله فى صاحب البردة :

مديحه فيك حب خالص وهوى وصادق الحب يملى صادق الكلم
الله يشهد أنى لا أعارضه من ذا يعارض صوب العارض العرم؟
وانما انا بعض الغابطين ، ومن يغبط وليك لا يذمم ولا يلم

وقوله فى يتم النبي :

ذكرت باليتم فى القرآن تكرمة وقيمة اللؤلؤ المكنون فى اليتُمِ!

وقوله فى المفاضلة بين محمد وعيسى :

أخوك عيسى دعا ميتاً فقام له وأنت أحييت أجيالاً من الرمم
والموت جهل فان أوتيت معجزة فابعث من الجهل أو فابعث من الرجَم

وقوله فى حرب من لم يغن فى تقويمهم السلم :

لما أتى لك عفواً كل ذى حسب تكفل السيف بالجهّال والعمَم
والشر إن تلقه بالخير ضِقتَ به ذرعاً وإن تلقه بالشر ينحسم !

وقوله فى فضل الحرب :

دعوتّهم لجهادٍ فيه سؤددهم والحرب أسُّ نظام الكون والأمم
لولاه لم نر للدولات فى زمن ما طال من عَمَد أوقرّ من دعَم
تلك الشواهد تترى كل آونة فى الأعصر الغُرّ لا فى الأعصر الدهم
بالأمس مالت عروش واعتلت سُرُرٌ لولا القذائف لم تثلم ولم تَصَم

والحكمة هى قوله: « والحرب أس نظام الكون والأمم » ، ومابعدهذا الشطر جرى مجرى الشرح والتقرير ، وقوله فى فضل العدل على القوة :

واترك رعمسيس : ان الملكَ مظهرهُ فى نهضة العدل لا فى نهضة الهرَمِ

ويطول القول لو مضيناً نستقصى ما اتفق لشوقى من روائع الحكمة الفطرية ، وانها لتقع لهسائغة مستطابة كالورد النمير . وانظرقوله يخاطب من شيدواقبر نابليون :

حصّنوا ماشئتمو موتا كمو هل وراء الموت من حصن حصين؟!

وقوله فى ذكرى دنشواى :

شهداءُ حكمك فى البلاد تفرّقوا هيهات للشمل الشتيت نظامُ !

وقوله فى صلة مصر بالسودان :

فمصر الرياض ، وسودانها عيون الرياض وخلجانها
وما هو ماء ولكنه وريد الحياة وشريانها

وقد جرى الشاعر فى هذه السبيل حين ألف رواياته المسرحية ، فليتصفحها القارىء ليرى صحة ما نقول .

* * *

وبعد عرض هذه النماذج فى صور الحكمة ومواقعها فى شعر شوقى يحسن بنا أن نقرر ان ذلك الرجل استقى تلك الحكم من تجاربه اكثر مما استقاها من مطالعاته: فقد عاش زمناً عيشة محرجة مضجرة لا يعرفها الا من ابتلى بمثلها أو بما يقاربها ، وماظن القارىء بمن يعاشر الملوك ويذوق ما فى كؤوس السياسة من علقم وصاب؟ لهذا نراه صادقاً غير متكلف حين يقول :

أخا الدنيا ، ارى دنياكَ أفعى تبدل كل آونةٍ اهابا !
وأن الرُّقط ايقظ هاجعات واترع فى ظلال السم نابا
ومن عجب تشيّب عاشقيها وتغنيهم وما برحتْ كعابا !
فمن يغترّ بالدنيا فانى لبست بها فأبليتُ الثيابا
لها ضحك القيان الى غبى ولى ضحك اللبيب اذا تغابى !
جنيتُ بروضها ورداً وشوكاً وذقتُ بكاسها شهداً وصابا

زكى مبارك





﴿لوحة الرخام التذكارية﴾

وهى من عمل المثال المسيو سيمان وستُعَلق فى كلية الآداب بالجامعة المصرية

ذكريات

عن حياة المدرسة ومدرسة الحياة

— ١ —

أود أن أرفع جانباً يسيراً من الستار الذى أرخاه تطاول الزمان على بعض النواحى من تلك العبقرية التى تألق نورها فى سماء العروبة حيناً من الدهر، لا يقل مداه عن ١٩٠ يوماً و ١٧،٠٠٠ يوم، أى من أول اكتوبر سنة ١٨٨٥ الى اليوم الرابع عشر من مثله فى عامنا الحاضر.

ولعلى أتمكن من إرسال شعاع ضئيل على ما أحرزه «شوقى» من سعود متواصلة، وتوفيقات متوالية، منذ كان يتلقى العلم الى أن بويع بامارة الشعر.

سأقصر كلامى على طائفة قليلة من ذكرياتى عن الخالد «شوقى» فى حياة المدرسة وفى مدرسة الحياة.

— ٢ —

فلنرجع الى سنة ١٨٨٣. وهى السنة التى تشرّفتُ فيها بدخولى الفرقة الرابعة (أى السنة الأولى بالاصطلاح الحديث) من مدرسة الادارة التى صححوا (فى سنة ١٨٨٦) اسمها هذا المغلوط فجعلوه مدرسة الحقوق (وهو اسم مغلوط أيضاً. ولذلك بيان ليس هنا محله).

كانت المدرسة قد انتقلت من مقرها القديم المعهود فى سراى مصطفى باشا فاضل (بدرب الجماميز) الى دار البدراوى الباقية الى اليوم بشارع سوق الزلط (من قسم باب الشعرية) على مقربة من دار السادة الاشراف الاماجد آل العروسى، الذين آلت الى أحدهم مشيخة الازهر.

وفى العام التالى أقبل فوج جديد من التلاميذ للحلول محلنا فى الفرقة الرابعة. وفى الذى بعده جاء فريق آخر ممن أسعدتهم المقادير بالانتظام فى سلك هذه المدرسة العالية.

من الطبيعى أن يتطلع أبناء الدار بشيء من الزهو والخيلاء الى الطارئين عليهم والمنضمين اليهم .

كان فى جلة الوافدين سنة ١٨٨٥ ، فتى نحيف نحيل ، هزيل ضئيل ، قصير القامة، وسيم الطلعة (تقريباً) ، بعيون متألقة (تحقيقاً) ولكنها متنقلة (كثيراً) . فاذا نظر الى الارض دقيقة واحدة ، فللسماء منه دقائق متمادية . وإذا تلفت صوب اليمين، فلا يلبث أن يرمى ببصره نحو الشمال . وهو ، مع هذه الحركات المتتابعة المتنافرة ، هادىء ساكن وادع كأنما يتحدث بنفسه الى نفسه أو يتلاغى مع عالم من الارواح . ما كان يلابسنا فيما نأخذ فيه من اللهو والمرح ، ولا يتهافت معنا على تلقف الكرة بعد الفراغ من تناول الطعام .

هذه صورة مصغرة لاحمد شوقى عند أول عهدى به فى حياه المدرسة .

— ٣ —

كان المرحوم الشيخ محمد البسيونى البيبانى من علماء الازهر المعدودين .

وقد آتاه الله بسطة فى الجسم والعلم فكان بديناً فطيناً ، وكان قصيراً فوق قصير لانه كان طويلاً مكيراً ، لا تخطئه النكتة البارعة اللاذعة . وكان يدرس لنا فنون البلاغة فى كتاب من تصنيفه هو « حسن الصنيع فى المعانى والبيان والبديع » . أما خارج المدرسة ، فكان متخصصاً بنظم القصائد فى مدح الخديو توفيق ، كلما حلّ موسم أو أطل عيد . وكان إماماً له فى الصلوات ، إلا صلاة الفجر .

ما لبث أن رأى فى تلميذه شوقى بواكير العبقرية وبوادر المواهب الربانيـة . فأنشأ الاستاذ يعرض قصائده على تلميذه قبل أن يرسلها الى المعية السنية فالى « جريدة الوقائع المصرية » وغيرها من الصحف العربية . وكان شوقى ، ببساطة التلميذ الناشىء ، يشير بمحو هذه الكلمة وتصحيح تلك القافية وحذف هذا البيت وتعديل ذياك الشطر . والاستاذ يغتبط بقوله وينزل على رأيه .

وأحسن ما أذكره للاستاذ البسيونى ، رحمة الله عليه ، انه كان يتحدث بذلك الينا والى الفرق المتقدمة علينا (وفيها أصحاب السعادة عثمان باشا مرتضى وابوبكر يحيي باشا وعلى ثاقب باشا وشاكر بك احمد) دون أن تأخذه العزة بالاثم أو أن تغريه الكبرياء الملازمة للمدرّس ، بانكار الفضل الذى منحه الله للدارس .

فهذه أول سعادة أحرزها شوقى .

على أن الاستاذ البسيونى تحدث بهذا النبوغ الباكر الى صاحب العرش ، وأفهمه أن بين أثواب الصغير احمد شوقى براعة نادرة وذكاء رائعاً ، وانه خليق برعايته العالية ليكون زهرة يتضوع شذاها فى مشارق الارض ومغاربها .

وكانت هذه الشهادة من أكبر الاسباب التى حفزت الخديو توفيق فى سنة ١٨٨٧ الى إرسال شوقى على نفقته الخاصة لاتمام الدراسة العلمية فى باريس ولتغذية مواهبه الغريزية بما يراه فى الغرب من روائع البدائع . وقد تحققت له وفيه الآمال . فكانت هذه ثانية السعادات .

— ٤ —

عاد شوقى الى مصر .

فكان فى جملة المستخدمين فى ديوان المعية السنية . وظهرت له فى الخديو توفيق تلك الامداح التى سارت بها الامثال وتغنى بها الركبان .

لكن الله اختار الخديو توفيقاً الى جواره فى أواخر سنة ١٨٩١ .

وجلس على الاريكة ولده وولى عهده صاحب السمو الخديو عباس الثانى ، (فى ٨ يناير سنة ١٨٩٢) وكانت نزعته افرنكية ، لانه تلقى العلم فى « أكاديمية ترزيانوم » بعاصمة النمسا ، أُدْرِج وأمضى زمان الصبا فى ربوع أوربا . فلم يكن لصاحبنا شوقى سوق رائجة عنده ، بل أدرج فى سلة المهملات الذين يصح عليهم رأى المرحوم محمد بك عثمان جلال ، حينما كتب على باب غرفة شاعر الخديو إسماعيل : « إنما نطعمكم لوجه الله » .

هكذا ، أخذت منزلة شوقى فى التدلى وأخذ نجمه فى الأفول . حتى انه كان كثيراً ما يطلب متى أن أُوصى به صديقى المفضال حمزه بك فهمى الذى كان انتقل من نظارة الداخلية الى رياسة « أقلام عربى ديوان خديوى » . وهو من أهل الفضل الصحيح ومن ارباب الأدب المتين ، وصل الله فى حياته .

— ٥ —

دار الزمان دورته .

وبعثت الظروف السياسية الخديو عباساً إلى أن يتذوّق الادب العربى . فعاد شوقى يتدرج فى الرجوع الى مكانته حتى وصل الى الذروة العليا ، بل الى الغاية التى

ليس وراءها غاية . فاصبح من اقـرب المقربين ومن اصحاب الـكلمة المسموعة والرأى النافذ .

وإذا بى أرى صديقى المفضال حمزة بك فهمى يخاطبنى فى استرعاء شوقى إياه ! والحياة مبادلة ، والدهر أخذ وعطاء .

— ٦ —

كان شوقى يسكن فى دار أبيه ، وهى التى انتهت اليها كل الثروة الضئيلة الباقية عن اجداده . فـكان فى اول أمره يرى من تمام سعادته انه لا يجيئه الجابى اوصاحب الملك فى آخر كل شهر لمطالبته بكراء البيت ! وهذه الدار القديمة لا تزال قائمة وراء مسجد الشيخ صـالح ابى حـديد فى خـط الحنـفى . ويا بعـد ما بيـنها وبين ما أنشأه هو من كرمـة ابن هانى فى المطرية ، تتلوها الـكرمات الثلاث فى الجيزة ، الى عش البلبل فى طريق الاهرام .

وكان بجوار تلك الدار القديمة رجل من اهل الثروة واليسار ومن ارباب الفضل الصحيح والوقار التام ، هو المرحوم حسين بك شاهين . رزقه الله بثلاث بنات هن عنوان الصيانة والأدب والـكمال . وكان الشباب الذهبى من « ابناء الذوات » الذين ذهبت ثروتهم بفعلهم اوبفعل آبائهم الاقربين، يتهافتون عليه . فيتأبى ويتعذر. ويقول لى وللمرحوم محرم بك رستم (صهر صديقى بل أخى الابر الا كمل لبيب بك البتانونى) ان هؤلاء المتهافتين لايخطبون الفتيات، ولـكنهم يترمقون الثروة الطويلة العريضة التى ستؤول الى كل واحدة منهن بعد حين قريب أو بعيد .

وشاء ربك ان يفوز ذلك الماجد المفضال بمصاهرة ثلاثة من افضل الناشئة المصرية :احدهم شوقى ، والثانى احمد بك عمر المهندس البارع النزيه المستقيم،وثالث الثلاثة السرىّ المرحوم يعقوب حلمى بك .

هكذا أنعم الله على شوقى بالزوجـة الصالحة بكل معانى الـكلمة . فاستراح من متاعب الحياة البيتية ، ومن مصاعب العيشة المادية.فتفرغ لاستمداد الفيض النورانى وتلقى الالهام الربانى ، حتى تفرد بالبراعة التى ليس بعدها براعة .

وانبت لمصر ، والحمدلله ، نباتاً حسناً .

— ٧ —

من السعادات التى أنعم الله بها على « شوقى » سعادة لم يشركه فيها شاعر آخر . لم يهج احداً ، ولم يقل هجراً ، وكان من أ كابر أنصار العروبة ومن اعاظم خدّام

الاسلام . بذلك تنطق قصائده وتشهد مواقفه . وذلك خارج عن دائرة هـذه الذكريات ، فأترك الكلام عليه لغيرى .

بيد اننى لا أرى بأساً بالاشارة الى القصيدة التى تقرب بها الى الله والى رسوله المصطفى عليه الصلاة والسلام . فقد نظم « نهج البردة » ونزّهها عن خرافات القصّاص وأكاذيب المُدّاح .

طالما عارض الناس « بردة » البوصيرى فى القديم وفى الحديث بمئات ومئات من المنظومات . لكن الصيت بقى لهذه « البردة » وحدها الى الآن . على أن قصيدة شوقى ، وإنْ لم تزحزحها عن مكانتها ، فانها قد نالت شرفاً ليس له نظير . ذلك بان الاستاذ الاكبر شيخ الازهر وخاتمة المحدثين فى مصر ، الشيخ سليم البشرى رحمة الله عليه ، مع جلالة قدره وسمو مركزه ورفيع مقامه ، قد تولى بنفسه وبقلمه شرح هذه القصيدة . وقد صاغها شوقى وهو لا يزال فى سن الفتوة . لكن براعته فيها جعلت شيخ الشيوخ يعرف فضلها ويقدر ناظمها ثم يتوفر على شرحها . وما رأى الناس لذلك مثيلا قبل شوقى .

— ٨ —

عند ماجلس المغفور له السلطان حسين كامل على عرش مصر ، كان السواد الاعظم من ابنائها يعاديه ، بسبب الظروف السياسية التى احاطت ارتقاءه الى الاريكة . لكنه ما لبث بكياسته وحسن سياسته ان جعل كل من فى مصر مخلصاً فى ولائه ، يترنم بمحامده ، ويأسف على أن ولايته للأمر جاءت عند الاقتراب من نهاية العمر .

وتلك من نعم الله التى لا يظفر بها إلا الأقل من قليل من الناس.

فكان شوقى اشجع انسان بمصر فى ذلك العهد المملوء بالمخاوف والاهوال ، والذى كانت السلطة العسكرية البريطانية قابضة فيه بيد من حديد على كل النواصى والاقدام ، بل على الافكار والاوهام . فقد صارح شوقى السلطان حسيناً بما كان موضوع التهامس بين كل اثنين يلتقيان ، إذ أرسل اليه قصيدته المشهورة التى أشار فيها الى الحال القائمة بقوله :

(ان الرواية لم تتم فصولا)

والتى يقول فيها :

أألخون إسماعيل فى أبنائه ولقد وُلدتُ بباب اسماعيلا ؟

قامت قيامة السلطة العسكرية البريطانية لهذا النذير واضطربت كل الاضطراب ، لانها خشيت أن تنتشر بقعة الزيت فى رقعة مصر بسبب هذه الصيحة الشوقية التى كان لها أثرٌ بعيد فى النفوس ووقع فعّال فى القلوب ، فأمرت بنفيه . فتخير الاندلس مُقاماً .

فكان فى عمل السلطة إحسانٌ له وللشعر وللعروبة من حيث قدّرت الاساءة واطفاء النور .

من هناك كاتبنى شوقى يطلب كتباً يستعين بها على تعرف مجد الاسلام وفخر العروبة فى الاندلس . فبادرتُ وارسلت اليه « نفح الطيب » و «المعجب بتلخيص أخبار المغرب » و «قلائد العقيان» وأيضاً . . . كتاب رحلتى « السفر الى المؤتمر » .

ماذا أقول عن دهشتى بعد أسبوع ؟ أعاد لى الرقيب العسكرى تلك الكتب ومعها كلمة فيها ملاحظة على أن هذا الصنيع من موظف بالحكومة قد لا يتّسق لواجبات الوظيفة !

وبعد ذلك بيومين أو ثلاثة ، جاءنى الصديق عديل شوقى بك وهو احمد بك عمر لأتوسل الى المرحوم رشدى باشا حتى يسعى عند السلطة فى عدم إعادة المال الذى كان ارسله الى شوقى ليعيش به فى بلاد الغربة . فكأنها كانت تريد أن يتكفف شاعر الشرق رغم ثروته الطائلة أو أن يموت هو وأولاده من الجوع فى بلاد الغرب !

وشاء ربك تكليل مساعى رشدى باشا بالنجاح . فاخذ احمد بك عمر يبعث بشىء من مال شوقى الى شوقى فى منفاه ، ولكن فى اوقات معلومة وبمقادير محدودة .

— ٩ —

لا أريد ان أتحدث هنا عما كان المرحوم السلطان حسين يوالينى به من أسباب الحفاوة والالتفات ، حتى انه اختارنى بمثابة مستشار فنى لكريمته النبيغة ، صاحبة السمو سيدتى الاميرة قدرية هانم .

لكننى أتحدث الآن عن امر يخصّ شوقى ايام منفاه .

فقد كان السلطان حسين يدعو الذين استخلصهم لوده ، فرادى وجماعات ، لتناول الغداء معه من حين الى حين فى سراى عابدين . وحسبى ان اقول إنه بعد الفراغ من الطعام ، تفضل فدعانى الى تناول القهوة بالبهو الكبير . فجلس فى الركن الشمالى الشرقى والمرحوم محمود شكرى باشا الكبير على يمينه ، وصاحب هذه الذكريات على يساره .

أخذ يتحدث عن النهضة العلمية وعن التطور فى الحركة الادبية. فاستعرض الرقى الذى حدث فى الصحافة وفى الاغانى القوميـة . ودار الكلام بنوع خاص على المرحوم اسماعيل صبرى باشا وعلى ما أُوتى من الفتوح فى هذه الابواب التى جعلته إمام الناظمين فى كل فن من فنون العهد القديم ، وفى كل مطلب من مطالب العصر الحديث .

ثم سألنى — رحمه الله — عن ترجمة كلمات كثيرة ، ومنها لفظة Mentalité . فقلت له ان هذه الصيغة قد استحدثها القوم لمعنى خاص يقاربه فى العربية قولنا « ذهنية » ، « عقلية » .

وحينئذ ، انتقل الى الكلام عن طرافة التفنن عند شعراء الافرنج . ثم سألنى : أيوجد بين العرب الآن من فى قدرته أن يماشيهم مع هـذه « العقلية » الجديدة وهذه « الذهنية » الحديثة ؟

فقلت : ان هذه المزية قد تفرقت فى كثير من شعراء العصر ، ولكنها اجتمعت كلها فى شوقى . . .

وهنا ظهرت لى إشارة من المرحوم محمود شكرى باشا ، فتشجعت بها على المضىّ فى الكلام ، وقلت لمولانا السلطان :

ان شوقى ممن تزدان بهم الدول ، وإن مثله لو كان فى زمان الخلفاء لتخاطفتـه دمشق وبغداد وقرطبة ...

فتكررت الغمزات من ناحية شكرى باشا ... بالموافقة والمطابقة .

فاندفعت أتغنى بمحاسن شوقى ، وبما أفاضه على العروبة والاسلام من نفثاته ، وبما منحه للشعر والادب من نفحاته ، وان هذه وهذه حسنات باقيات وآثار خالدة.

وهنا تزايدت الاشارة الرقيقة الدقيقة من المرحوم شكرى باشا ...

فعاودت الهجوم على الموضوع ، سيما وقد آنست من السلطان ما يشعر بالرضى والقبول . فقد التزم الاطراق والاصغاء فى سكوت وسكون .

وهكذا تماديت حتى الى كلمة فيها جراءة . شجعنى عليها ما رأيتـه من موقف السلطان . فقد قلت ما معناه بالاختصار :

أيصح أن تبقى مصر محرومة فى عهدك السعيد ، بلبلها الغريد ، وان يرفرف هذا الطائر الفريد الوحيد بجناحيه على قرطبة وطليطلة وعلى اشبلية وغرناطة ، بعد ان خرجت منهـا العروبة خروج الأرواح من الابدان ؟ ان الذى ترمقه الثقافة

العربية والقومية المصرية من ابن اسماعيل ومولى النيل ان يعمل بالخطة الكريمة التى رسمتها اريحيته النبيلة لنفسه التى صاغها الله من الخير للخير ، فيعيد الى القاهرة رونقها المجتمع فى أثواب شوقى .

وهنا تكررت الاشارة وتوالت الغمزات من محمود باشا شكرى . فأدركت أننى قد أكون تجاوزت الحد . ولكن السلطان ما زال مصغياً ، كأنه يطلب المزيد من الكلام . وماذا عسيت أن أقول بعد أن قد استوعبت كل ما فى الصدر ، بل كل ما يجيش بالخاطر ؟ فبقيت ساكناً منتظراً تحول الحديث الى موضوع آخر من السلطان نفسه ، او صدور اشارته بالانصراف .

وقضى ربك بالخلاص من هذا المأزق .

فبعد برهة قصيرة ، وقف السلطان . فوقفنا . ثم تقدمت فقبلت يده الكريمة وانصرفت .

وقابلت فى الردهة الصديق المفضال احمد بك احسان . وفيما أنا أرفّه عن نفسى بمحادثته ، وأتنفس الصعداء لخروجى من ذلك الموقف ، إذا بالمرحوم شكرى باشا يهرول ورائى . ثم طفق ينهال بتعنيفى على اندفاعى فى تقريظ شوقى رغم الاشارات المتوالية التى كان يبديها لى من حين الى حين للتخفيف من غلوائى فى الحديث ! فلم يكن من سبيل للاعتذار سوى ان السلطان كان مصغياً تمام الاصغاء ، وأننى فهمت من اشاراتك انك راضٍ عن صنيعى تمام الرضاء ، بل أنك قد تكون سبقتنى الى تقرير هذه فهذا عذرى ، وما فعلت سوى نصح السلطان بما انطوت عليه سريرتى واستقر فى صدرى .

* * *

لست أدعى ان كلامى كان له أثر فى نفس السلطان. ولكن الذى أعرفه ان الله سبحانه وتعالى جعله يضيف حسنة كبيرة الى حسناته الكثيرة ، فأصدر أمره بعد ايام الى المرحوم رشدى باشا ليسعى باسمه الكريم لدى السلطة فى ارجاع شوقى الى وادى النيل . وقد كان .

— ١٠ —

اكبر سعادة نالها شوقى ، بل سعادة السعادات التى أفاضها الله عليه فى الثروة والجاه وكل مطالب الحياة ، ان الشعراء المتعادين فى كل زمان ومكان قد اتفقت كلمتهم فى جميع

أقطار العروبة وفى عصرنا هذا على تمجيد شوقى ومبايعته فى حياته بالامارة عليهم .

فصار باقرارهم جميعاً (أمير الشعـراء) حقـاً . وهو لقب لم ينله قبله إنسان ، وهيهات ، هيهات ان يتجدد مثل هذا الحادث فى مستقبل الايام !

فالبيعة الصحيحة بشروطها المعتبرة شرعاً وسياسـة ، قد انعدمت فى كل بلاد الشرق. ورأينا الخلفاء فى ثنايا التاريخ يتلقفون هـذا اللقب وهـذا المنصب بطريق الوراثة ، يضاف اليها صيغة صورية للبيعة ، الى ان انعدمت هـذه الصيغة الشكلية أيضاً ، باستيلاء السلطان سليم العثمانى على مصر وملحقاتها واغتصابه الخلافة فى اوائل القرن العاشر للهجرة .

ثم تمادت السنون والقرون الى ان أتاح الله لنا ان نرى البيعة فى أعلى مظاهرها ومعانيها ، وعلى اكمل مشاهـدها ومجاليهـا فى الحفـلة النـادرة المثـال التى توارد الشعراء اليها من سائر الاقطار وبايعوا فيها شوقى بك مبايعـة رسمية جهرية باعتماده اميراً لهم . فقد خاطبه حافظ عن نفسه وعنهم بقوله :

أميرَ القوافى قد أتيتُ مبايعاً وهذى وفودُ الشرق قد بايعت معى

وهذا اللقب كان قداطلقه عليه الناس قبل تلك البيعة الصحيحة بزمان طويل . ولا غرو ، فان « ألسنة الخلق اقلام الحق » .

— ١١ —

فى انتظـار أميرالشعر الجديد ، الذى قد لا يأتى به الزمان ، يحق للجيل الحاضر أن يفاخر الاجيال الماضية ويباهى الاجيال الآتيـة بانه حاز الشرف الاكبر بظهور امير الشعراء فيه . وفى ذلك ما فيه من معانى المجد الدائم لمصر فى هذا العصر .

وسبحان الحى الباقى لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

— ١٢ —

والى الله تعـالى نتوجه بقلوبنا داعين ان يديم لمصر مولانا الملك المعظم فؤاد الأول ، فقد اصبح عصره زينة العصور بما يتواثب فيه من النهضات وما يترادف من وجوه الاصـلاح فى أسباب الحياة وفيها الأدب العربى القومى . وذلك كله بعنايته العالية ، وبارشاده الكريم أقر الله عينيه بسمو ولى عهده آمين .

احمد زكى باشا

الاخلاق فى شعر شوقى

قالوا إن سيدة ذهبت لتوديع ولدها ، وقد اعتزم سفراً طويلا ، فلما تحرك القطار ودعته بأبلغ قصيدة شعرية عبّرت بها عن آلامها وتباريحها القاتلة .

على أنهـا لم تنظم فى هذه القصيدة الرائعة بيتاً واحـداً ، ولم تنطق فيها بكلمة واحدة .

ولـكن قصيدتها كانت — رغم ذلك — لا تقل عن أبلغ قصيدة قالها شكسبير أو المعرى ، ولم تـكن قصيدتها تلك إلا زفرة زفرتها ودمعة ترقرقت فى عينيها .

ولا زلت أجدنى فى موقف وداع هذا النابغة الراحل إلى دار الخلود ، لاأستطيع أن أودعه بغير هذه القصيدة الصـامتة التى تتلخص فى زفرة حارة ودمعـة مترقرقة وذهول يستولى على النفس حتى ليكاد ينسيها كلَّ واجب .

ولقد هممتُ مراراً أن أكتب شيئاً عن الزعيم الراحل الجليل ، فلم استطع الى ذلك سبيلاً ، فان الـكتابة عن شوقى وتحليل شعره ودرس أدبه تتطلب وقتاً ويقظة ودقة .

أما الوقت فأصدقائى الأدباء يعلمون بأننى أستطيع أن أظفر بكل شىء فى هـذه الأيام إلا الوقت . وأما اليقظة فقد حل محلها الذهول بهذا الخطب الجلل . وأما الدقة فلا سبيل اليها فى مقام تستولى فيه الدهشة ويستبد الذهول بالعقول .

وقد هممت بكتابة كلمة عن روايات شوقى بك ثم ارجأت كتابتها إلى حين ، وهممت أن أصف آخر ليلة قضيتها مع شوقى بك فمنعنى الأسى والحزن عن كتابة شىء ، وأرجأت ذلك كله إلى الظروف والمناسبات التى أرجو أن تـكون قريبة .

وقد حفزنى إلى كتابة هذه الـكلمة السريعة القصيرة عن الأخلاق فى شعر شوقى بك أن كثيراً من الأدباء نعوا عليه الاكثار من ذكر الأخلاق فى شعره وعدوا ذلك عليه من المآخذ والعيوب ، وظن بعضهم أن شوقى كان يذكر الأخلاق فى شعره بمناسـبة وبغير منـاسبة ، وقد كان جديراً — فى زعمهم — أن يقتصر على ذكرها مرة أو مرتين . ولهم العذر فى ذلك فان اكثر من عابوا عليه ذلك قوم لايفهمون الأخلاق إلا فهماً سطحياً . ولو أنك سألت أكثرهم أن يعرف لك

الاخلاق كما يفهمها لما زاد على تعريفها بأنها مجاملة الناس وارضاؤهم والرضوخ لتقاليدهم ومصطلحاتهم الحقيرة التى يتقنها أبعد الناس عن الاخلاق .

ولو أن شوقي كان يُعنى بهذا النوع الحقير من المواضعات والمجاملات التى تعجب الناس وترضيهم لما كان لشعره أية قيمة .

بلى ان شوقي كان يشيد بذكر الاخلاق ويرى أن الأمم لا ترتقى بغيرها . ولو وقف أكثر شعره على تقرير فضل الاخلاق لما كان مبالغاً ولا مكثراً .

وليس شوقي وحده هو الذى عنّى نفسه وملأ شعره بذلك فقد شغل المعرى نفسه ووقف أكثر لزومياته على نعى الأخلاق ، وقلما تمر بك صفحة من اللزوميات من غير أن تسمع فيها صرخة داوية تكاد تصم الآذان فى نعى الأخلاق والتبرم بلؤم الناس وصغار نفوسهم فتراه مرة يقول :

جنوا كبائر آثام وقد زعموا أن الصغائر تجنى الخلد فى النار !

أو يقول :

لو غربل الناس كيما يعدموا سقطاً لما تحصل شىء فى الغرابيل !
أوقيل للنار : «خصى من جنوا» اكلت أجسادهم ، وأبت أكل السرابيل
هل ينظرون سوى الطوفان يغمرهم — كما يقال — أو الطير الأبابيل
سبحان من ألهم الاقوام كلهم أمراً يقود الى خبل وتخبيل !

أو يقول :

كتاب محمد ، وكتاب موسى وانجيل ابن مريم والزبور
هدت أمماً فما قبلت ، وبارت نصيحتها ، فكل القوم بورُ !

أو يقول :

والحق يهمس بينهم ويقام للسوءات منبر

أو يقول :

اذا قلت المحال رفعت صوتى وان قلت اليقين أطلت همسى !

أو يقول :

ينفون منى معنىً لست أحسنه فان صدقت عرتهم أوجهٌ عبس

أو يقول :

هم أسارى منايام، فما لهمُ اذا أتاهم أسيرٌ لا يفكون

أو يقول :

فأفٌ لعصريهم - نهار وحندس - وجنسى رجال منهم ونســـاء

أو يقول :

ربيت شبلا ، فلما أن غدا أسداً عدا عليك ، فلولا ربه أكلك !

ثم ماذا ؟ لو شئت لملأت صفحات هذه المجلة وهى كثيرة بشعر المعرى وحده فى التبرم بأخلاق الناس ، وقد ذكرت من ذلك شيئاً فى « رسالة الغفران » ، والمعرى بعد شاعر واحد له أشباه كثيرون فى العربية وغيرها من اللغات ، فهل نرى أحداً من هؤلاء قد أسرف حين ملأ أكثر شعره بالأخلاق وتغنى بها ورأى بحقٍ أن الأمم لا بقاء لها بغير الأخلاق :

وإنما الأمم الاخلاق ما بقيت فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

الأمم الأخلاق ! صدق شوقي بك الذي خبر عصره وبلى أخلاق معاصريه وعرف نقائصهم ورذائلهم وبرم بصغار نفوسهم وتألم من دسهم ونفاقهم وقد رأى بعض الأدباء يلتمسون معونته المادية والأدبية ، فاذا ظفروا بها فضلوه على كل شعراء الدنيا من قدماء ومحدثين ، ونحلوه أسمى ألقاب العبقرية والخلود ، فاذا انقطع عنهم فيض معونته نقضوا كل كلمة كتبوها ثناء عليه وملأوا الدنيا ازراء به وتحقيراً من غير أن يستشعروا أىَّ خجلٍ فلا غرو أن نسمع هذه الصرخة تدوى من فم شوقي فتملأ الآفاق وهو يقول :

ولا المصائب إذ يرمى الرجال بها بقاتلاتٍ اذا الاخلاقُ لم تُصِب

وقد كان شوقى يؤمن إيماناً وثيقاً لا يتسرب اليه لمحة من الشك ان الاخلاق هى كل شىء ، وأن كل مصيبة مهما جلت هينة ميسورة يسهل المتغلب عليها اذا كانت عدة الامة أو الفرد الخلق المتين .

فهو يقول فى رواية « أميرة الأندلس » (ص ١٠٣) : فكم من تاجر بمنزلة أبى الحسن قد نكب فذهب عنه كل شىء الا الخلق ، ثم لم تمض مدة من الشهور أو الاعوام حتى سمع الناس وتحدثوا ان التاجر فلاناً تغلب بالخلق على نكبته فعاد دولاب تجارته

كأمس عظيم الحركة عميم البركة ، ومثل أبى الحسن فى خلقه وأمانته وشرف اسمه فى الأسواق لا يبعد أن يقوم من هذه السقطة ورجلاه فى العافية » .

على أن شوقى لم يشغل نفسه بالاخلاق فى شعره ونثره فحسب بل شغل أكثر مجالسه بالتحدث عنها .

وقد كان شوقى يرحمه الله — يحدثنى فى آخر ليلة قضيتها معه عن ألمه الشديد وحزنه العميق على فساد الاخلاق وصغار النفوس ، فأنت تراه قد شغل شعره ونثره ومجالسه بهذه الرسالة العالية التى أدّاها أحسن أداء ، ولم يغفل أداءها فى أية فرصة سنحت له ، وما أروع قولة فى نشيده الخالد :

على الاخلاق خُطوا الملكَ وابنوا   فليس وراءها للعزّ ركنُ

كذلك قامت نهضات الامم الحقيقية وأفلح دعاتها وقادتها بالاخلاق ، وبالاخلاق وحدها نجحت دعوة الرسول ، فلم يتردد حين لامه عمه عبد المطلب على ثباته فى دعوته التى ألبت القبائل عليه ، فأجابه الرسول من غير تردد ولا رهبة :

« والله ياعم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن اترك هذا الامر أو أهلك دونه ماتركته » .

وبهذا الخلق المتين مدحه الله فى كتابه الكريم فقال :

« وانك لعلى خلق عظيم »

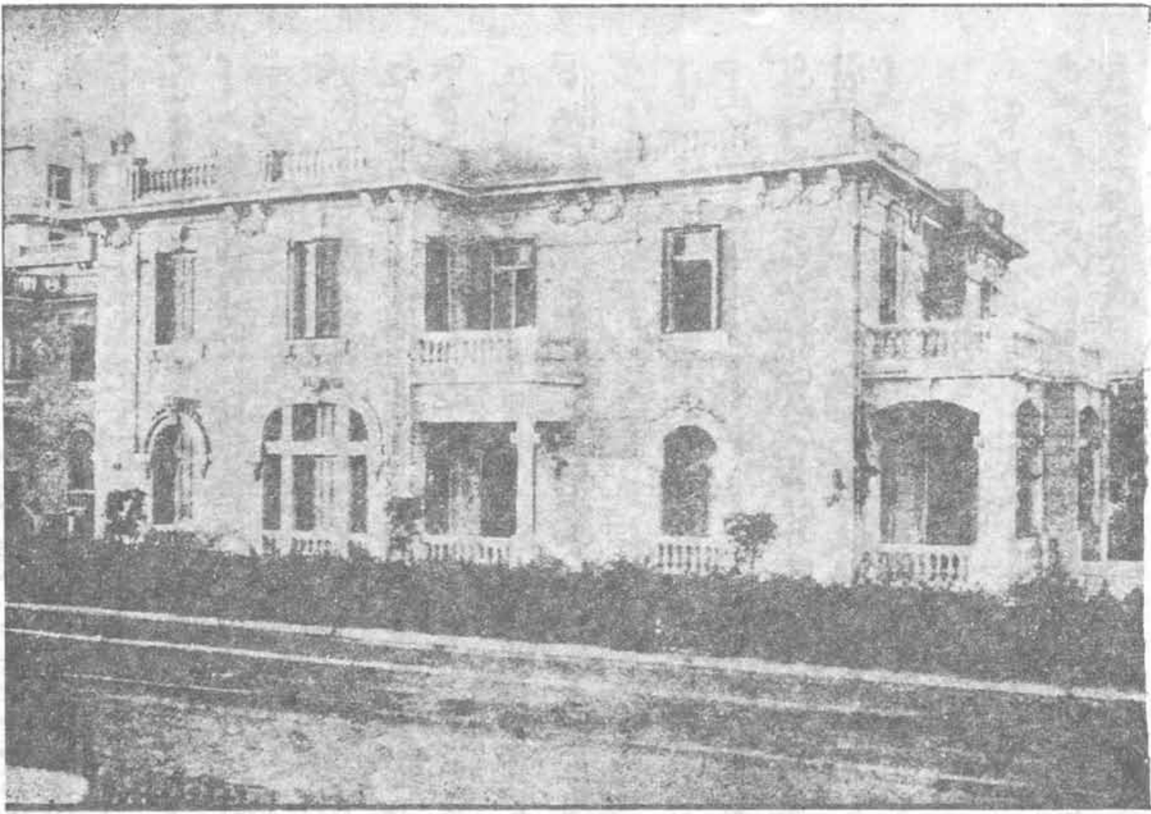
هـذا الخلق العظيم هو الذى تغنى به شوقى فى شعره ونثره وردده فى نومه وصحوه ، ورأى أن نهوض الأمم لا يتحقق بدونه وان كل شعب يفقد هذه الميزة الكبرى سائر فى طريق الفناء والاضمحلال :

وليس بعامرٍ بنيان قوم   اذا اخلاقهم كانت خرابا

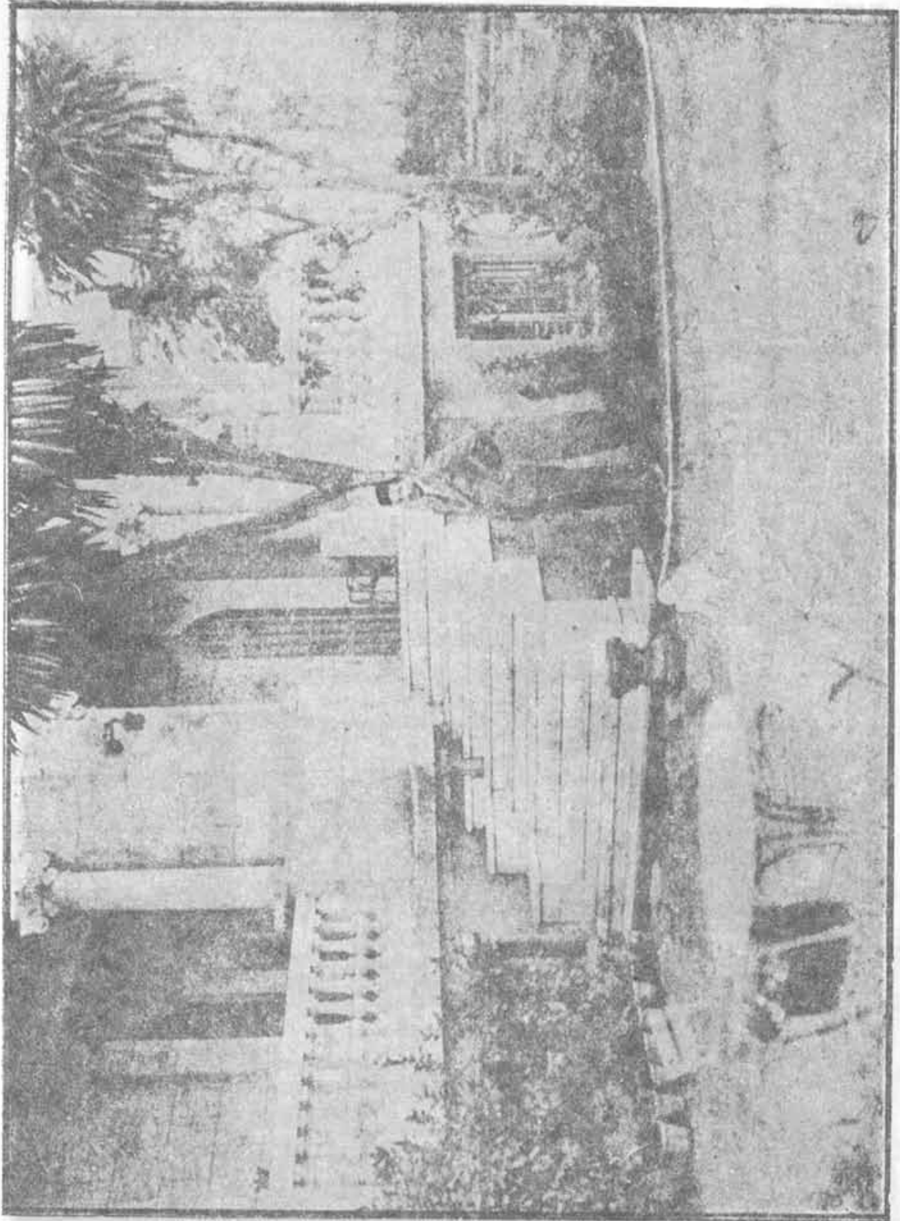
رحم الله شاعر الاخلاق رحمة واسعة .

كامل كيلانى

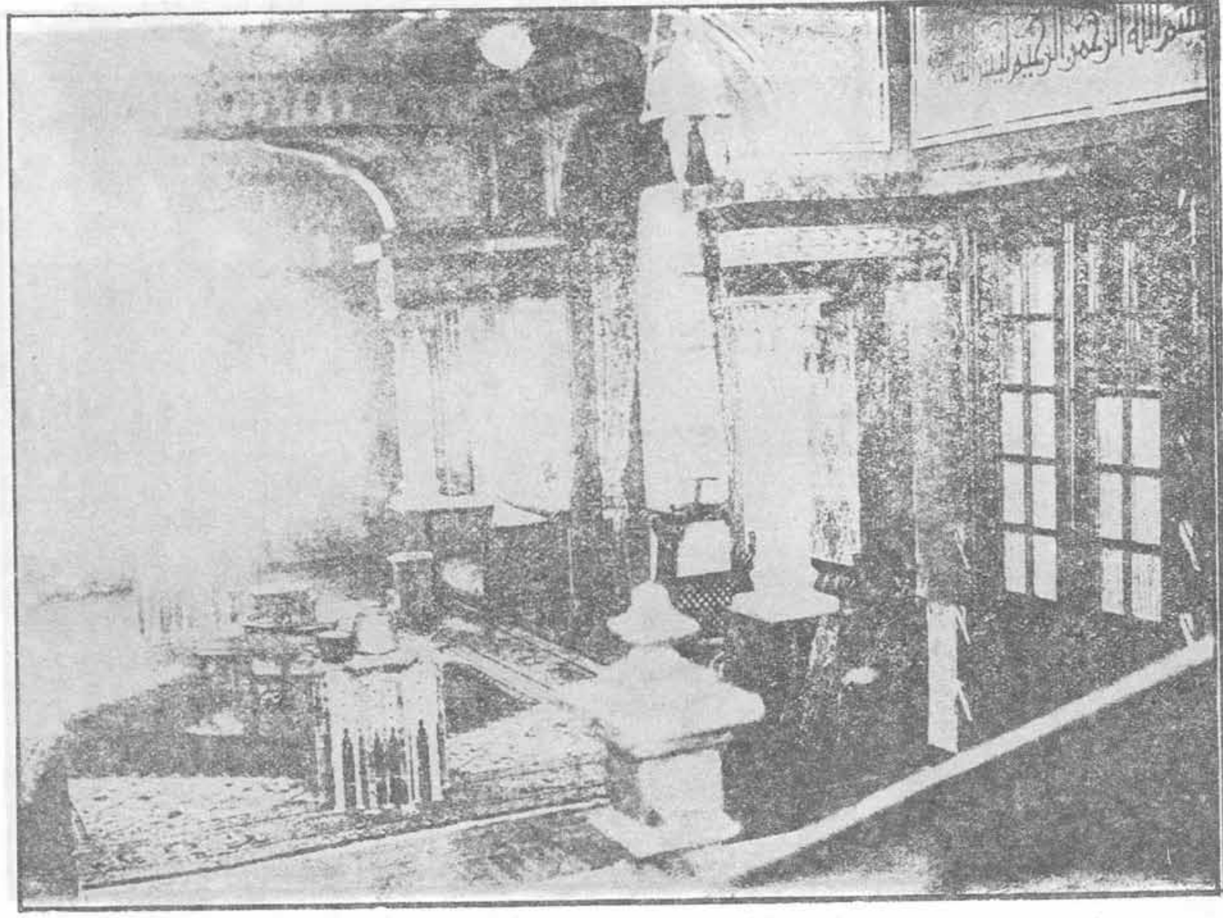
سكرتير رابطة الادب الجديد



﴿ كرمة ابن هانى : منظر منزل شوقى بك من الخارج ، وهو واقع فى شارع مبرّح بن شهاب بالجيزة ﴾



﴿ في حديقة كرمة ابن هانئ على صفحة النيل ﴾



﴿ البهو العربى فى كرمة ابن هانى ﴾

الشعر الفنى

فى نظم شـــوقى بك

— ١ —

هل يستطيع الباحث الذى يعرض لشوقى بك أن يـلمّ به من كل نواحيه ؟ إننى أستبعد ذلك فان الشاعر الذى ظل فيض قريحته يملأ الشرق نيفاً واربعين سنة لاتتيسر دراسة شعره دون انقطاع طويل لهذه الدراسة لا تتهيأ أسبابه الآن لمتأدب فى مصر بل فى الشرق .

وليس من شك فى أن شوقى نظم كثيراً من ذلك الشعر فى شتى المناسبات وقد كان مقيداً فى معظمها بقيود أهونها عدم قدرته على التحلل من ظروف بيئته واتصاله ببعض الهيئات الرسمية شطراً كبيراً من حياته ، وهناك ظاهرة أخرى واضحة هى أن اتصال شـوقى بك بسواد الشعب محدود وهو لذلك لم يكن موفقاً كل التوفيق فى التعبير عن الأمانى الشعبية الخاصـة ، أما الأمانى القومية العامـة فهو فيها شاعر مصر المجلّى .

وإذا عرضتُ هنا لشعر شوقى بك فانما أعرض للجانب الفنى منه ، وحسبى درس الشعر الفنى بين ما نظمه شوقى فهو لُبُّ الشعر وغايته ، بل هو الشعر الذى يتطلبه العصر . أما شعر الحفلات والمناسبات والمجاملات فلا جدوى فنية منه ولن يبقى إلا ببقاء ذكرى مناسباته ، حينما الشعر الفنى هوشعر الخلود . وقد انتقدتُ شوقى بك مراراً فى حياته لعنايته بشعر المناسبات والحفلات كما انتقدتُ جانباً من أساليبه ، وآرائى فى ذلك معروفة ولازالت هى هى ، فلا حاجة بى الى تكرارها خصوصاً وكل مايعنينى هنا انما هو الاشادة بحسناته وجوانب شعره الفنى .

— ٢ —

وستلاقى غيرقليل من الجهد وأنت تتلمس الشعر الفنى فى « الشوقيات » . ولست أدرى كيف جاء ترتيب جمع القصائد فيه ، فلا هى جُمعت بالقافية والروى كما كان يفعل

الشعراء والناشرون القدامى ، ولا هى جُمعت حسب تقسيم الموضوع كما يفعل بعض المحدثين . ولكن الواقع ان عدم نشر شعر شوقى بالترتيب التاريخى جناية أدبية على شعر شوقى ذاته ، فسيقف الذى لايعرف مناسبات شعره بعد ذلك موقف الحائر لا يدرى متى قال هذا ومتى نظم ذاك ، لأن كل شعره فى صياغته وقوة نسجه سواء . وإنى لأذكر - كلما ساورتنى شبهة الترتيب التاريخى لقصيدتين من شعر شوقى - رأياً كان يردده سعادة احمد زكى باشا وهو :

« لا فضل لشوقى فى كل هذا الشعر فانه رسول قوة ملهمة ، وليس للرسول أكثر من فضل أداء الرسالة » .

والواقع أن هذا الرأى جدير بالتأمل والتفكير ، فان شوقى كان شاعر أمة صاغته أمانيها وشحذته آلامها فخرج معبراً عن هذه الامانى مصوراً لتلك الآلام ، ولم يحدّ من ذلك غير عزلته بحكم ظروفه السياسية . خرج يؤدى رسالة العصر الذى يعيش فيه وقد لايدرى هو لماذا اختير دون غيره لاداء تلك الرسالة ولكنه يجد فى نفسه القدرة على أدائها والسلام . وهذا الرأى يؤيد ماذهبنا اليه من أن قوة النسج والصياغة تكاد تكون متوازنة فى شعر شوقى قديمه وحديثه ، فهو شاعر عبقرى والعبقرية هبة تجىء وتذهب على غير مقياس تاريخى معروف ، بل لقد تنزل فى جيل لا يدرى أهله جميعاً من أمرها شيئاً !

وأذكر أن صديقاً من الادباء الممتازين كان واضح الاعجاب بالمعنى الذى تضمنه البيت الآتى الذى نظمه شوقى على لسان قيس فى رواية « مجنون ليلى » :

ليلى ، منادٍ دعا ليلى فخفّ له نشوانُ فى جنباتِ الصدرِ عربيدُ !

وكان الصديق يلقى البيت القاه بديعاً فذكره لشوقى وسأله عن ظروف نظم هذا المعنى الرائع . فاهتزّ شوقى للبيت لدى سماعه اهتزازنا له وغاص فى لجة من التفكير أذهله عن سؤال الصديق لحظة . فلما انتبه وذكر السؤال بادر الى الجواب ولم يكن إلا كلمة واحدة هى : « لا أدرى ! »

وهذا حق ، فان شوقى لم يكن يدرى كيف هبط هذا المعنى عليه ، فهو وحى العبقرية !

ويذكرنى هذا بمقال جيد قرأته فى مجلة المقتطف (عدد نوفمبر سنة ١٩٣٢) عن شوقى بقلم الشاعر المعروف مصطفى صادق الرافعى درس فيه شوقى على طريقته فى

دراسة الشعراء . والواقع أن الرافعى وُفِّق فى مقاله الى حد لم يكن يُنتظر من أحد شعراء المدرسة القديمة . ولكن ثمة مسألة جديرة بالبحث : تلك هى اعجابه ببراعة شوقى فى استخراج المعانى وتوليدها من معانى غيره من الشعراء المتقدمين أوأخذه على شوقى عدم توفيقه الى ذلك . والرافعى شاعر نابه قد يكون بارعاً فى صنعته ولكن نصيبه من الروح الفنية محدود فى رأيى ، وقد يكون استخراج المعنى وتوليده واللعب بذلك أو التفنن فيه (كما يسميه) من كمال الصنعة عنده ولكنه ليس من كمال الشعر فى شىء ، فالشعر الفنى لا يجرى عليه ما يجرى على سائر المنظوم من أقيسة التوليد والاستخراج : فانى مثلا لا أدرى تلك الصلة فى الاستخراج والتوليد بين قول شوقى

ما تراها تناست اسمىَ لما كثرت فى غرامها الأسماء !

وبين قول ابى تمام :

أتيتُ فؤادها أشكو إليه فلم أخلصْ إليه من الزحام !

مهما رأى الرافعى فيهما من صلة أو شبه صلة ، فليس يكفى أن يتشابه موقفان لشاعرين فى الحياة ليكون الأخير منهما مولّداً أو مستخرجاً لمعنى الثانى !

— ٣ —

وأبرز ضروب الشعر الفنى الذى نود أن ندرسه فى نظم شوقى هى الشعر القصصى والشعر التاريخى التحليلى والشعر الوصفى والشعر التمثيلى .

أما الشعر القصصى فقد عالجه شوقى فى شبابه وكانت له فيه بضع محاولات ثم انصرف عنه بعد ذلك أو لوته عنه ظروفه فلم يعد اليه ، وهى خسارة أدبية وفنية لا تعوَّض فلو أن شوقى استغلّ هذه العبقرية الشعرية الفياضة فى الشعر القصصى لكان لنا منه الآن فنٌّ خصبٌ آمرٌ .

وأما الشعر التاريخى التحليلى فهو لونٌ طريف فى الأدب الجديد ، وليس المقصود منه مجرد سرد لحوادث التاريخ لا تعتمد على أساس ، ولكنه دراسة لتلك الحوادث وتحليل لعناصرها ومقدماتها تحليل متفهم لمراميها مدرك لغاياتها .

وأنت ترى منها كيف يستطيع المؤرخ البارع أن يسجل حوادث التاريخ فى صدق ويستطيع مع ذلك أن يستولى على لبّك وان يشعرك بالعطف على قضيته أو على قضية بلاده ويكسب تأييدك لها ويوجه شعورك معه : تحزن إن حزن وتفرح لفرحته . وهكذا

كان شوقى الشاعر المؤرخ . ومن المدهش حقاً أن تعثر فى « الشوقيات » بل أن تطالعك بعد المقدمة القصيدة التى قالها فى المؤتمر الشرقى الدولى المنعقد فى جنيف سنة ١٨٩٤ والتى مطلعها :

همتْ الفلكُ واحتواها الماءُ وحداها بمن تقلّ الرجاءُ

وإنك لتعجب إذ تقرأ هذه القصيدة بهذا النضوج المبكر لشاعرية شوقى من ناحية اللفظ والاسلوب،وتعجب بالشاعر الشاب المقيد بظروف ذلك العصر — الذى قال القصيدة فيه — كيف يتاح له أن يؤرخ لك هذه النزعة الشعرية الجديدة كأحسن ما يكتب شاعر عصرى مثقف اليوم إذا عرض لتاريخ مصر على الطريقة الحديثة . وفى الحق لقد عرف شوقى كيف يكتب تاريخ بلاده وينشر مجدها ويفخر به على العالمين :

" وبَنينا فلم نُخلّ لبانٍ وعَلَوْنا فلم يجزنا علاءُ

وملكنا فالمالكون عبيدٌ والبرايا بأسرهم أسراءُ !

فان هذه الروح القوية المدهشة جديرة بالاعجاب ، لا سيما إذا حافظت على مظاهر حيويتها حيث يقول :

قلْ لبانٍ بنى فشاد فغالى : لم يجز مصر فى الزمان بناءُ

ليس فى الممكنات أن تنقل الأجْـبالُ شمّاً وان تُنال السماءُ !

ثم انظر إلى هذه الرّوعة فى قوله :

أجفل الجنُّ عن عزائم فرعو نَ ودانتْ لبأسها الآناءُ

شاد مالم يشد زمانٌ ولا انشـأ عصرٌ ولا بنى بنّاء !

أو فى قوله يتحدث عن ديانات المصريين القدماء وهيا كلهم :

هيكلٌ تنثر الدياناتُ فيه فهى والناسُ والقرونُ هباءُ

وقبورٌ تحطّ فيها الليالى ويُوارَى الاصباحُ والامساءُ !

ثم يعرض لبعض النظريات التاريخية الخاطئة التى يروّجها بعض المؤرخين عن مصر وينبرى لدحضها :

فاعذر الحاسدين فيها اذا لا موا فصعبٌ على الحسود الثناءُ

زعموا أنّها دعائمُ شيدَتْ بيد البغْى ملؤها ظلماءُ

دُمّر الناس والرعية فى تشـ(م) ييدها والخلائق الأُسراءُ

ثم يرد الحجة فى حماسة :

أين كان القضاء والعدل والحكـ (م) مةُ والرأىُ والنهى والذكاءُ
وبنو الشمس من أعزّة مصر والعلوم التى بهـا يُستضاءُ ؟!

ثم يعلل تسخير الفراعنة للأسرى :

ورأوا للذين سادوا وشادوا سُبّـةً أن تسخّـر الأعداءُ

ثم ينافر ويفخر فى قوة :

إنْ يكنْ غير ما أتوه فخارٌ فأنا منك يا فخارُ بَراءُ !

وهذه الروح القوية الصامدة لا يستطيع الباحث المدقق أن يردها إلى أواخر القرن الماضى ، فان روح التحليل والترتيب المنطقى فيها كثيرة على ذلك العصر .

وتسير القصيدة على هذه الوتيرة من تسجيل تاريخ الفراعنة ومجيد أعمالهم فى تحليل وفخر حتى يصل الى غزوة الهكسوس أو الرعاة للأراضى المصرية وهزيمتهم للفراعنة واحتلالهم لمصر ، فانظر الى تمهيده البارع :

ليتَ شعرى والدّهرُ حربُ بَنيهِ وأياديه عنـدهم أفعـاءُ
ما الذى داخل الليالىَ منا فى صبانا والليالى دَهاءُ ؟!

ثم ينتقل الى سرد الوقائع فى تصدير بارع كذلك :

فعلا الدهرُ فوقَ علياء فرعو نَ وهمّتْ بملكه الأرزاءُ
أعـلنت أمرَها الذئابُ وكانوا فى ثياب الرعاةِ من قبلُ جاءوا !

وتأمل الروح التى تسود هذا القول :

وأتى كلُّ شامتٍ من عِدا المـ ـلك إليهمْ وانضمّتْ الاجزاءُ
ومـضى المالـكون إلا بقـايا لَهُمُ فى ثرى الصعيد التجاءُ

وانظر الى التأسّى والحسرة البارزة التى يمهد بها لوصف الهزيمة :

فعـلى دولة البناةِ سـلامٌ وعلى ما بنى البناةُ العفاءُ
واذا مصرُ شاةُ خيرٍ لراعى السـ ـوء تُؤذى فى نسلِها وتساءُ

وانظر اليه يصف ظلم الفاتح الغاشم :

قـد أذلّ الرجالَ فهى عبيدٌ ونفـوس الرجال فهى إماءُ

وانظرْ اليه كيف يصوّر سوء السياسة والتفريق فى المعاملة :

ولقـومٍ نُواله ورضـاهُ ولأقوام القـلى والجفاءُ

ففريق ممتعون بمصر وفريق فى أرضهم غرباءُ

ثم أنظر اليه كيف ينقد هـذه السياسة وينعى سوءها ويصوّر أثرها ويتحدث عن نفسيات الشعوب :

ان ملكتَ النفوسَ فابغ رضاها فلها ثورةٌ وفيها مَضَاءُ

يسكن الوحشُ للوثوب من الأسـر فكيف الخلائق العُقلاءُ ؟!

ويصف عهد مصر تحت نير هؤلاء الرعاة ويبرر خنوعها لاستبدادهم ويعلل ذلك فى دقة المؤرخ المتزن :

لبثتْ مصر فى الظلام الى أن قيل مات الصباحُ والاضواءُ

لم يكن ذاك من عمىً ، كلُّ عين حجب الليلُ ضوءها عمياءُ !

ويتحدث عن نهضتها للتخلص من ذلك الأسر :

ما تراها دعا الوفاءُ بنيها وأتاهم من القبور النداءُ

ليزيحوا عنها العدا فأزاحوا وأزيحتْ عن حقها الأقذاءُ

وأعيد المجدُ القديم وقامتْ فى معالى آبائها الأبناءُ

ويتحدث بعد ذلك عن تاريخ مصر فى ذلك العهد الذى عقب خلاصها من حكم الرعاة حديثاً كله الفخر وكله الاعتداد بمفاخره التالدة :

إيهِ سيزوستريسُ ماذا ينال الو صف يوماً أو يبلغ الاطراءُ ؟

كثرت ذاتك العلية أن تحصـى ثناها الألقاب والاسماءُ

لك آمونُ والهلال إذ يكـبر والشمس والضحى آباءُ !

ولك الريفُ والصعيد وتاجا مصر والعرشُ عالياً والرواءُ

ولك المنشآتُ فى كلّ بحرٍ ولك البرُّ أرضه والسماءُ

ثم يتحسرْ ويتمنّى لو لم تزل هذه الايام :

ليت لم يبلك الزمان ولم يبـل لملكِ البلادِ فيك رجاءُ

هكذا الدهر حالةٌ ثم ضدّ ما لحال مع الزمان بقاءُ

وينصرف من ذلك الى الكلام على غزوة الفرس لمصر بقيادة قمبيز :

لا رعاكَ التاريخُ يا يوم قمبـيز ولا طنطنتْ بك الانباءُ

دارت الدائرات فيك ونالت هذه الأمةَ اليدُ العسراءُ

ويستطرد متحدثاً فى لوعة الحزين ، ويصف أسر الملك فى حسرة الوطنى المتأسّى :

رِجىء بالمالكِ العزيزِ ذليلا لم تزلزلْ فؤادَه البأساءُ

يبصر الآلَ إذْ يُراح بهم في — موقف الذلّ عنوةً ونجاءُ

ويصف أسر بنت فرعون ووضعها فى الاغلال واهانتها وتعذيبها على مشهد من أبيها :

بنت فرعون فى السلاسل تمشي أزعج الدهرَ عريُها والحفاءُ
فكأنْ لم ينهضْ بهودجها الدهـــرُ ولا سار خلفها الأمراءُ !

ويصف تعذيب فرعون واثارته بالتفنن فى وسائل الاهانة والاستثارة :

وأبوها العظيم ينظر لمّا رديت مثلما تردّى الاماءُ
أُعطيت جرةً وقيل اليك النهـر قومى كما تقوم النساءُ !
فمشت تظهر الاباءَ وتحمى الدمـــع أنْ تسترقّه الضراءُ !
والاعادى شواخصٌ ، وأبوها بيد الخطب صخرةٌ صماءُ !

وأنت تحسّ ولا شك بالقدرة العظيمة على تصوير الوقائع من هـذه الأبيات الرائعة ، ومن الأبيات التى تليها :

فأرادوا لينظروا دمع فرعو ن ، وفرعون دمعه العنقاءُ !
فأروه الصديق فى ثوب فقرٍ يسأل الجمع والسؤال بلاءُ
فبكى رحمةً وماكانَ مَنْ يبــكى ولكنما أراد الوفاءُ
هكذا المُلْكُ والملوكُ وإنْ جا ر زمانٌ وروّعتْ بلواءُ

ويكفى هذا القدر فالقصيدة طويلة وهى جديرة بالمطالعة والدرس لأنها من أجلّ ما نظم شوقى من الشعر الفنى بل هى جماع مظاهر فنه ، فتستطيع لو تأملتها أن تدرس فيها كل خصائص شعره الفنى وميزاته وإن كان قد طال عليها الوقت ، لأن روح شوقى لم تتغير كذلك ولم تتغير سمات شعره ولا خصائصه وإن تغيرت على مر الزمن أفكاره وآراؤه وبعض أساليبه .

وقد استطال استقراؤنا بهـذه الناحية فى شوقى على غير ما يتسع المقام لأننا لا نطمع فى أن نرسم للقارىء دراسة وافية للشعر الفنى عند شوقى فى هذا الحيز المحدود ولا فى أضعافه ، ولكن كل ما نطمع فيه هو أن نثير فى نفسه الرغبة فى درس هذه الشاعرية العظيمة . فليرجع القارىء الذى يستهويه هـذا الجانب ، جانب التحليل التاريخى من الشعر الفنى ، الى « الشوقيات » فانه سيجد روعته بارزة فى قصائد (صدى الحرب) و (نكبة بيروت) و (أبو الهول) وغيرها .

— ٤ —

أما الشعر الوصفى فنريد أن نسجل ـ قبل أن نتحدث عنه فى شعر شوقى ـ ان هذا الضرب من الشعر الفنى يفتقر اليه الشعر العربى كل الافتقار ، فان شعراء العرب الذين تعرضوا له ـ مع قلتهم ـ لم يتركوا لنا منه ثروة تمتع الرغبة الفنية ، وقد شغل أكثرهم عنه بشواغل السياسة أو الحياة أو العيش يسخرون لها الشعر ويصرفونه اليها دون الالتفات الى هذا الضرب الفنى الصرف الذى لا يرضى إلا الفن .

لا ننكر أن بين عيون الشعر العربى قصائد وصفية رائعة ولكننا نقول إن الوصف كان ـ ولو نسبياً ـ من الفنون شبه المهجورة عند شعراء العرب ، فان كنا ننعى ذلك عليهم وقد كانت حياتهم على ما نعلم من جفاف ومن تشابه مملول فكيف نحن الآن فى هذه الحياة الزاخرة الصاخبة التى تستدعى شيئاً من الفن يرفه عن النفس بعض هذا التكالب المادى البشع ؟!

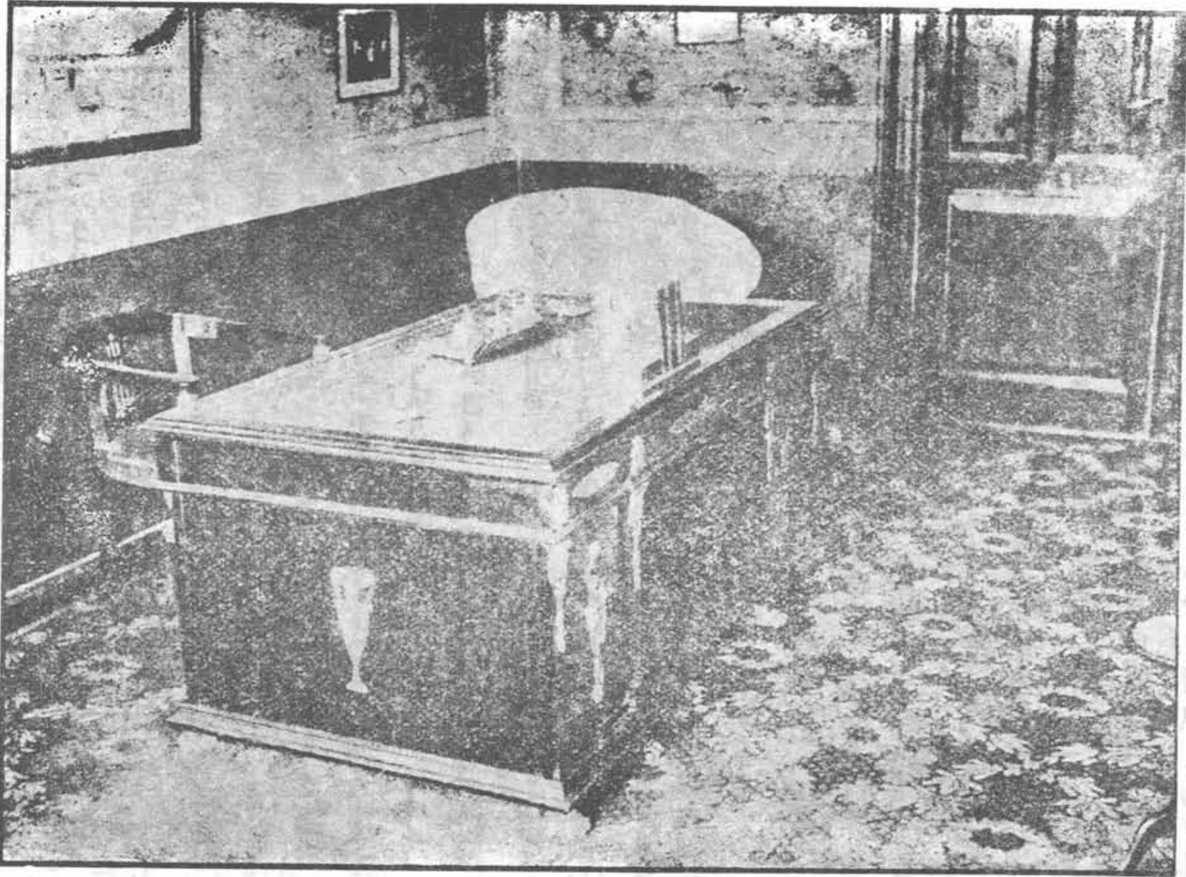
وإذا كنا نعد القصيدة التى قالها شوقى فى المؤتمر الشرقى الدولى جماعَ شعره التاريخى التحليلى فهناك قصيدة أخرى فى شعره الوصفى لا تقل عنها روعة ورقة وجمالاً ونستطيع أن نقول مطمئنين إنها هى الأخرى جماع شعره الوصفى وان فيها جلّ سمات وميزات هذا الضرب من شعره : هذه القصيدة هى الخاصة بحياة النحل. وان كل من لديه ولو فكرة بسيطة عن طبائع النحل ونظام معيشتها وعاداتها ليعجب من هذه الدقة التى استطاع شوقى ان يتوخاها والتى دلت على دراسته لهذه الحشرة فى سنة ١٩٢٣ (وقت نظم القصيدة) معتمداً على مطالعاته فى تأليف ميترلنك الأديب البلجيكى الشهير، فانك تدهش حين تقرأ لشوقى عن الملكة :

تحكمهم راهبةٌ ذكّارةٌ مغبّرهْ
عاقدةٌ زنّارَها عن ساقها مشمّرهْ

وترى دقّته فى وصف النحلة العاملة :

تلثّمتْ بالأرجوان وارتدته مئزَرهْ
وارتفعتْ كأنها شرارة مطيَّرَهْ !
ووقعتْ لم تختلجْ كأنها مسمَّرَهْ !

ثم تنظر الى هذا التصوير الدقيق لعادات النحل :



❁ مكتب الفقيد الكريم ، وقلما كان يستعمله إذ كان يجلس ويؤلف في حجرة نومه ❁

تقتل أو تنفى الكسا ـ لى فيه غير مُنْذَرَهْ
تحكم فيه قيصرَهْ في قَوْمها موقَّرهْ
من الرجال وقيو دِ حكمهم محرَّرَهْ
لا تُورث القومَ ولو كانوا البنين البرَرَهْ !
الملكُ للاناثِ فى الـ ـدستور لا للذكَرَهْ !

وتنظر الى قوله يصف سرح العاملات لجمع الرحيق من الأزهار وعودتها الى أقراصها لخزن ما تجمعه :

وتذهب النحلُ خفا فاً وتجىء موقَرَهْ
جوالبُ الشمع من الـ خمائل المنوَّرَهْ
جوالبُ الماذىّ من زهرِ الرياض الشيّرَهْ

وما أوفق تسميته للمسالك بين الاقراص « بالأدورة » ووصفه لعودة النحل محملة اليها :

حتى إذا جاءتْ به جاست خلال الأَدْوِرَهْ
وغيَّبته كالسلا ف فى الدنان المحضَرَهْ

وفى الواقع انهذه دقة لا تتاح إلا لباحث قضى فى درس طبائع النحل وتأمل حركته وقتاً ليس بالقليل ، وهى تدل على مبلغ عناية شوقى بموضوعه واهتمامه باستيعاب كل فروعه والاطلاع على ما يتعلق به ، وهذا هو الذي تعبنا فى توجيه أنظار شعراء العربية اليه فليس يكفى أن يحفظ الشاعر طائفة من الالفاظ اللغوية وأن تطيعه أوزان الشعر ليملأ الدنيا نظماً فى غير طائل !

ولشوقى قطعة وصفية عن « روما » يصف فيها تماثيلها وهيا كلها :

وتماثيلُ كالحقائق تزدا دُ وضوحاً على المدى وإبانهْ
مَنْ رآها يقول : هذى ملوك الدّ هر ، هذا وقارُهُمْ والرَّزانهْ
وبقايا هيا كلٍ وقصورٍ بين أخذ البلى ودفع المتانهْ

ولا يجوز أن يعرض باحث للشعر الوصفى عند شوقى ولا يذكر قصيدته الرائعة فى (أنس الوجود) التى يقول فيها :

قف بتلك القصور فى اليم غرقى ممسكاً بعضها من الذعر بعضاً
كعذارى أخفين فى الماء بضاً سابحات به وأبدين بضاً

أو قوله فى وصف جدة نقوشها ورسومها :

رب نقش كأنما نفض العسا نع منه اليدين بالأمس نفضا !

ثم انظر الى دقة وصف رسوم الضحايا :

وضحايا تكاد تمشى وترعى لو أصابت من قوة الله نبضا

ولا يمكن أن ننسى لشوقى قوله فى وصف منظر طلوع البدر :

يادرة الغواص أخرج ظافراً يمناه يجلوها على النظار
متهللا فى الماء أبدى نصفه يسمو بها والنصف كاس طار

أو قوله يصف ضاحية الجزيرة بالقاهرة فى قصيدة (رحلة الاندلس) المعروفة :

لبست بالأصيل حلة وشى بين صنعاء فى الثياب وقس
قدها النيل فاستحت فتوارت منه بالجسر بين عرى ولبس

ويكفى هذا القدر من الشعر الوصفى . وفى الحق ان شوقى أضفى على الشعر العربى الوصفى خيالا جديداً رائعاً ، وقد استطاع هذا الشاعر المنجب أن يدخل معانى رقيقة سامية فى ألفاظ جزلة فخمة .

— ٥ —

وقد أتحف شوقى جمهرة المتأدبين أخيراً بهذه الروايات التمثيلية التى بدأتها رواية (مصرع كليوباترا) وأخراها فيما نعلم هى (عنترة) التى قضى رحمه الله ولما تخرج من المطبعة بعد . وقد كانت خطوة جريئة من شوقى أن يقدم فى كهولته بل فى شيخوخته الشعرية على مثل هذا العمل الجليل الشأن ، ولم يكن من السهل والحركة الذهنية لشوقى فى أواخر يقظتها تقريباً ولم تتعود فى نشاطها الأول إلا الغوص على معانى النظيم أن تجىء فتخلق الموضوع خلقاً تاماً وتخرج لنا رواية مؤلفة متماسكة الأجزاء تصور بيئة خاصة وحياة خاصة وترسم شخصيات وعقليات ونفسيات جديدة. لم يكن هـذا كله فى ميسور شوقى بك فى ظروفه الأخيرة فاستعان هذا الشاعر العظيم بالتاريخ ، التاريخ الذى يستطيع هو أن يهضمه وأن يتفهم دقائق مراميه فيجعل من احدى حوادثه أو انقلاباته نواة يرتكز عليها فى وضعه فكرة روايته الشعرية . وهكذا أخرج لنا شوقى (مصرع كليوباترا) و (مجنون ليلى) و (على

بك الكبير) و (عنترة) وكلها تمتّ الى التاريخ بصلة أو بشبه صلة ولكن المهم أن يتخذها الشاعر نواة يسير هو فى حبك خيالها .

وأنت – لهذه الطريقة المتشابهة فى روايات شوقى بك الاربع – تحسّ فيها كلها بروح واحدة متشابهة الأثر ، ثم ترى أن خصائص نظمها وسماته والروح الشعرية التى تسودها متشابهة كذلك لانك تستطيع أن تدرك عند اول قراءة لاحدى مقطوعاتها انها من شعر شوقى بك التمثيلى وإن لم تكن قد مَرَّتْ عليك من قبل ، ويكفى أن تقرأ رواية من روايات شوقى لتدرس فيها روحه وخياله وخصائص شعره التمثيلى جميعاً : ففى مصرع (كليوباترا) ترى هذا الشاعر يوزّع روحه وعبقريته على عدة شخصيات تتحدث كل منها فى ناحية ولكنها تتحد فى قوة الاسلوب والصياغة وإن تفاوتت أغراضها ومعانيها أحياناً .

غير أن هناك أمراً جديراً بالتأمل ، وهو أن شوقى بك كان فى بعض مواقف رواياته جريئاً على القيود الشعرية السخيفة التى فرضت على الشعر العربى فرضاً ثقيلاً وإن لم يجرأ عليها شوقى قبل ذلك فى حياته الشعرية الحافلة . وهو بذلكساير الحركة التجديدية الأخيرة ومشى فى طليعتها ، فاستحق تقدير المجددين بعد خصومتهم .

وقد بعث شوقى فى نفوس المتأدبين ميلاً جديداً إلى الشعر التمثيلى ووجه اليه عناية الحياة الأدبية وإن لم يكن أول من فعل ذلك فقد سبقته عدة محاولات كان لبعضها شىء من التوفيق وإن كان نصيبها من التوفيق دون ماتستحق ، لأنها لم تقترن بنفوذ شوقى الاجتماعى . ولكن المأثرة التى لاينساها الشعر التمثيلى الآن لشوقى بك هى أن هذا الشاعر العظيم غامر فى الواقع بشهرته الأدبية الكبيرة لما دخل هذه الحلبة ، وانه استطاع بقوة منه أن يدخل على هذا الضرب روحاً جديدة وأن يثير حوله حركة أدبية محمودة ؟

علي محمد البحراوي
سكرتير جماعة الادب المصري



قم إلى الأهرام واخشع واطّرح   خيلة الصيد وزهو الفاتحين

وترفّق إنما تمشي على   حرم الدهر ونادي الأولين

وادّرِ بالأحجار واحذر منبرا   لم يسعه قدر المؤمنين

ادع قومي من ذرى خوفه   لم يزل كالصباح المستبين

قل لهم عمركم أمة   حرروا الحق وقوما صابرين

حلف الدهر على ثورتكم   ولدى الناس عليها مجمعين

حزت البيت وطابع من   دم عليهم وعبيد آخرين

فرأى مالم ير في دهره   مصر تستكبر والأبطال دين

رجل تأوي إليه أمة   ووزير يتولى الثائرين

وبهود نزل الورد بها   فتعثت بعصم معرضين

وجموع نزلوا ما التقت   بجموع بالمواضي مصلتين

وسواد بيض أوجه الحمى   آه لو كان سواد الغابرين

وشباب نبتوا في وطني   نبتة الحق وأطفار اليقين

وفتوه أبس أطفالهم   كان أسرى روحهم في الآخرين

زادهم سعد ثباتا في حمية   كالحسام العضب والرمح الثمين

أيها الشيخ الحبي أكبر الصبا   أرهف الشيب وشرك الناشئين

﴿ نموذج من خط شوقي بك ﴾

شوقى فى الشباب

قبس النبوغ فى الصغر

كرت ثمانية وثلاثون سنة على العام الذى قيده شوقى فى سجل تاريخ الادب العربى بقصيدته التى مطلعها :

« همتْ الفلكُ واحتواها الماء وحداها بمن تقل الرجاء »

وإنما رأيت أن تكون تلك القصيدة القديمة الجديدة موضوع هذا المقال ، لأن أمير الشعر قد نظمها وهو فى السادسة والعشرين ، فهى من أجل ذلك مرآة شبابه ، وشبابه المبكر ، وما نحب فى هذه الكلمة إلا أن نجلى عليك صورة الشاعر فى سن الشباب . نجليها عليك من شعره ، أو قل من قصيدته التى افتتحنا بمطلعها المقال ، والشعر كما يقولون مرآة الشاعر .

وأول ما يجب أن نلاحظه فى قصائد شوقى جميعاً أنها ذات طابع خاص ينميز به الشاعر عن سواه ، والطابع الخاص فى نثر الناثر البارع وفى شعر الشاعر الفنان يعرف من لفظه ومعناه ، ولكن طابع شوقى لا يقتصر على هذا الذى يشترك فيه الكتاب والشعراء طراً ، وإنما يضاف اليه طابع آخر جدير بالعناية والتمحيص : هذا الطابع هو الهدوء فى أدق المواقف والتعقل فى أذكاها للعاطفة ، وهدوء الرجل وتعقله يحملانه على التسامح مع من يضارونه ومن يحاسنونه ، وعلى الأخذ عن الأخلاق فى النقد والهجاء ، وعلى حشد ما يجب أن يحشد من المعلومات فى القصيدة التى يريد أن يخرج بها الى الناس ، ثم على ترتيبها وتبويبها وبطوالع المنطق فيها للحكمة والموعظة . هذا هو الطابع أو تلك هى الطوابع التى يتفرد بها شوقى فى الشعراء طراً ، وهو الى ذلك يمتاز بفضيلة ثانية ما أحسب أن شاعراً فى الغرب نافسه فيها ، فلكل امرىء فى حياته أطوار وتغيرات ، وما يعقل أن تكون أخلاق المرء وعاداته فى شبابه هى أخلاقه وعاداته فى كهولته وفى شيخوخته ، ولكن شعر شوقى فى الخامسة والعشرين هو شعره فى الستين من نواحيه جميعاً ، فما يستطيع أحد أن يفرق فى سجل الشاعر الموهوب بين ما أوحته اليه حياته فى الشباب وما أوحته اليه فى الشيخوخة ، وذلك لغز فى الرجل يخطىء من يعتذر عنه بأنه عاش طوال عمره فى بحبوحة من العيش فلم تنحرف حياته أبداً .

نعم إنه لاعتذار المخطىء ، فاذا كان شاعر العصر لم تدركه علة الفقر فالغنى يدركه الكثير من العلل : يدركه الحب وهو علة ، ويدركه طيش الشباب وهو علة تصيب الثرىّ أكثر مما تصيب الفقير ، لكنّ مستوعب شعر شوقى لا يجد فيه أثراً لبرحاء الحب ولالطيش الشباب .

ولقد أحببت أن أبحث عن تفسير لهذا اللغز ، وبدافع من هذه الرغبة اخترت قصيدته التى قرأت مطلعها عليك ، فقد أُوحى بها الى الشاعر وهو فى عهد الطيش والنزق والمغامرة من عهود الشباب ، وهى مع ذلك قطعة رصينة هادئة مرتبة يبهرك منها المعنى أولا والعلم ثانياً ، فقد رتب أمير الشعر فيها تاريخ مصر ترتيباً لا يتأتى لغير عالم فى التاريخ ، حتى الأقاصيص القديمة حشدها فيها حسبما تلزم المناسبة ، وكان ذكره للتاريخ فى إيجاز غريب لا يتأتى مع الشعر إلا إذا كان صاحبه نابغاً فذاً .

وقبل أن أرتب لك التاريخ فى هـذه التحفة الفنية الخالدة ، أنبهك الى أن الرجل قد تعلم فى أوروبا ، وتعلم المتعلم فى أوروبا لا بد أن يغير فى طابعه شيئاً ، ولكن شوقى فيما يظهر من شـعره لم يكن إلا مصرياً عربياً يهزه الشرق دون الغرب ، وستجلى عليك هذه القصيدة التى قالها بعد عودته من اوروبا بزمن قليل ، فتعرف كيف لم يتأثر الرجل بمدنية الغرب وطابعه وحيويته .

وأدعوك أيهـا القارىء إلى التريث قليلا حتى أقول لك إن شوقى — عوض الله العربية عنه خيراً — لم يكن إلا مجدداً إلى أبعد حدود التجديد ، فما عرفنا شاعراً فى العربية يدخل على شعره من العلم ما حرصت قصـائد شوقى عليه ، فهو قد طوع العلم للشعر تطويعاً نادراً ، وتكلم عن التاريخ ومجد الاختراعات والمخترعين ، حتى ليتيقن من يقرأ شعره أنه قد ألف فى القرن العشرين وللقرن العشرين وحده ، وما نعرف شاعراً فى العربية قد جدد الألفاظ وصقلها وأحياها بالاستعمال كما فعل شوقى عليه رحمة الله .

والقصيدة التى اخترناها موضوعاً لهـذا الحديث قد نظمت عام أربع وتسـعين وثمانية وألف أى منذ ثمانية وثلاثين سنة ، فاذا لاحظت كيف كان نصيب مصر من المدنية على هذا العهد عرفت أن شوقى لم يكن إلا سيد المجددين .

وتتألف (كبار الحوادث فى وادى النيل) من ثلثمائة بيت إلا قليلا ، وقد رتبت من ناحية التاريخ ترتيباً غريباً فى دقته ، وكان مستهلها فى وصف البحر ، إذ قالها الشـاعر النابغ فى المؤتمر الشرقى الدولى المنعقد فى مدينة جنيف فى سبتمبر من عام ١٨٩٤ وكان مندوباً للحكومة المصرية فيه . وبعد الابداع عن البحر كان الابداع فى

وصف صانعه وهو الله . ثم تطرق الى الاشادة بمجد مصر القديمة وعظمة ملوكها ، وكيف شادوا الأهرام وسواه من الآثار الخالدة واتخذ من هذه المناسبة فرصة للرد على ما ادعاه بعض المؤرخين من أن هؤلاء الملوك لم يكونوا إلا الظلمة المتجبرين . فلما أن تركت القصيدة هذا العهد خرجت الى الاسف على حال البلاد لما دخلها الهكسوس فهدموا آثارها وظلموا أناسها ، وأنحى باللائمة على المغتصبين فهجاهم ألذع الهجو . ثم تكلم الشاعر عن ظهور أحمس ودحره للهكسوس وإشراق المجد القديم على مصر ، حتى إذا وصل الى رمسيس مجده وذكر مآثره ومآثر جده سيتى وتكلم عن سيزوستريس والآلهة المصرية القديمة وروى عنها بعض الأقاصيص ، ولم ينس الأدب فى ذلك العهد الغابر فتكلم عن بنتاؤور .

فلما أن تجاوز الشاعر هذا العهد من عهود التاريخ ذكر فتح فارس لمصر بمليكها قمبيز ، وكيف أساء الفاتحون الى البلاد ، وتوغل فى دقائق التاريخ فذكر كيف ظلمت الأسرة الملكية المصرية إذ ذاك :

جِيءَ بالمالكِ العزيزِ ذليلا ... لم تزلزلْ فؤادَه البأساءُ
يبصر الآل إذ يراح بهم فى ... موقف الذلّ عنوة وبجاءُ
بنت فرعون فى السلاسل تمشى ... أزعج الدهرَ عريُها والحفاءُ
وأبوها العظيم ينظر لمّا ... رديت مثلما تردّى الاماءُ
أعطيت جرةً وقيل اليك النهـ ... ـر قومى كما تقوم النساءُ
فمشت تظهر الاباءَ وتحمى الدمـ ... ـع أن تسترقه الضراءُ
فأرادوا لينظروا دمع فرعو ... ن وفرعون دمعه العنقاءُ !
فأروه الصديق فى ثوب فقرٍ ... يسأل الجمع والسؤال بلاءُ
فبكى رحمةً وما كان من يبـ ... ـكى ولكنما أراد الوفاءُ
هكذا المُلْكُ والملوكُ وإنْ جا ... ر زمانٌ ورُوّعَتْ بلواءُ ،

هذه قصة من التاريخ القديم ساقتها المناسبة الى الشاعر سوقا ، وإنما ذكرناها كلها لتعلم منها كيف كان الرجل يذكر التاريخ فى قصيدته ، حتى الاقاصيص لم يغفلها فى سجله الرائع ، ولم يكد الرجل يختتم قصة الفرس حتى وقف أمام فتح الاسكندر لمصر وتخليصها من أيدى العجم فالبطالسة ، وما كان من حكم كليوباترة وقصتها مع أنطنيو وأوكتافيو وموتها منتحرة ، ثم دلف الى روما فمجد دولتها وأشاد بما كانت عليه من عز ومنعة .

ثم فصل فى تمجيد الله عجيب ، وفى تعقيب شوقى بتمجيد الله على ذكر مجد مصر والرومان معنى عظيم الروعة والجلال . فلقد شاء له إيمانه أن يمجد الله ما دام قد مجد مخلوقاته أولا وشاء له إخلاصه أن يعتذر عن عبادة مصر القديمة لمعبوداتها المعروفة ويبرر هذه العبودية وشاءت له عنايته بالعلم والتاريخ أن يذكر هذه المعبودات القديمة . واختار لها هذه المناسبة فاسمع :

ربِّ شقت العباد أزمان لا كتـ ـب بها يهتـدى ولا أنبياء
ذهبوا فى الهوى مذاهب شتى جمعتهـا الحقيقة الزهراء
فاذا لقبوا قوياً إلـهاً فله بالقوى إليك انتهـاء
وإذا آثروا جميلاً بتنز يه فان الجمـال منك حباء
وإذا أنشأوا التماثيل غراً فاليك الرموز والايمـاء
وإذا قدروا الـكواكب أربا باً فمنك السنى ومنك السناء
وإذا ألهوا النبات فمن آ ثار نعماك حسنه والنمـاء
وإذا يمموا الجبال سجوداً فالمـراد الجـلالة الشماء
وإذا يُعبد الملوك فان الملك فضل تحبو به من تشاء
وإذا تُعبد البحار مع الأسمـاك والعاصفات والأنواء
وسباع السماء والأرض والأر حام والأمهات والآباء
لعلاك المذكرات عبيد خضـع والمؤنثات إماء
جمع الخلق والفضيلة سر شف عنه الحجاب فهو ضياء

وأخذ شوقى بعد ذلك يمدح آلهة مصر فتناول إيزيس وآبيس وأوزيريس. فلما أن جاء موسى استقبله بالحفاوة الشديدة وذكر قصته مع فرعون ، حتى إذا ولد عيسى هلل له وكبر ، ثم نعى للقراء دولة القياصرة وتقوض صرح روما وذهاب ريحها .

فاذا وصلت القصيدة الى النبي ألم بمولده وجهاده وسيرته عليه الصلاة والسـلام وامتدح صفاته امتداحاً رائعاً وذكر كـيف اتسعت دولة الاسـلام ، فاذا امتدح الاسلام أوجب الشاعر على نفسه أن يمتدحه فى مصر فتكلم عن عمرو بن العاص وما آثره ، فصلاح الدين الأيوبى وقصة الصليبيين معـه ، فدولة المماليك ، فدخول نابليون ، فمحمد على باشا ، فسعيد، فعباس .

ولا بد من تعليق يقتضيه المقام على هذا التاريخ فهو كتاب مفصل لتاريخ مصر

ليس أبدع منه فى ايجازه واسهابه . ومن أراد أن يلم بتاريخ مصر فعليه بهذه القصيدة العصماء التى تثبت أن العلم يطاوع الشعر ولا يعصيه ، والتى تثبت أن الشاعر قد قرأ فى حداثته الكثير المفصل عن مصر والعلم ، وهذا العلم هو الذى أبعد طيش الشباب عن شوقى فقد توفر عليه رحمه الله فى صباه حتى صرفه تقريباً عن كل ما عداه من مرح ولهو ومتاع .

***

وبعد ، فانا ذاكرون لك بعض الأبيات العظيمة فى هذه القصيدة التى ننصف إن نسمها ديواناً ، بل هى ديوان شعر وسجل تاريخ وكتاب علم وسفر دين كل منها رائع عجيب .

سنذكر لك بعض الأبيات وإن كان المختار يحار فى أيها أشهى للنفس ، فترى كيف كان المعنى وكيف كان اللفظ وكيف كانت الموسيقية عند شوقى وهو لم يتجاوز السادسة والعشرين من العمر .

نذكر لك روعة الوصف فى قوله :

ضرب البحر ذو العباب حواليها سماء قد اكبرتها السماء
ورأى المارقون من شرك الار ض شباكاً تمدها الدأماء
وجبالاً موائجاً فى جبال تتدجى كأنها الظلماء
ودوياً كما تأهبت الخيل وهاجت حماتها الهيجاء !

فهل رأيت فى وصف البحر أبرع من هذا الذى نظمته يراعة فتى فى السادسة والعشرين ، وكيف ترتفع السفينه فكأنها تسير فى السماء وكيف تمد الشباك فى الدأماء (البحر) فاذا السفين يسير فيه كما تروح الروائح وتعدو العوادى فى الارض ، ثم كيف تماوج الجبال وتدوى الموجة كالجواد المسرع وتتسلسل اللجج وتتصل كالهضاب فى رمال الصحراء تتغاير كل صباح وكل ليل افاذا وصف السفر قال:

نازلات فى سيرها صاعدات كالهوادى يهزهن الحداء !

الله لهذا البيت الذى ينتقل بك من ضوضاء المدينة وحياتها إلى صميم الصحراء ، ويعود بك إلى ما قبل ألف سنة فاذا بحداء العربى لناقته يملأ اذنك ويطربك ، وكأنك تسمعه وتوقعه بقدميك !

ثم اسمع تسبيح الأمواج لله :

وإذا ما علت فذاك قيام وإذا ما رغت فذاك دعاء !
فاذا راعها جلالك خرت هيبة فهى والبساط سواء !
والعريض الطويل منها كتاب لك فيه تحية وثناء !

نعم ترتفع الموجة فيقول الشاعر ان ارتفاعها قيام للصلاة وترغى فصوت ارغائها دعاء الله ، حتى اذا هالتها عظمة سيد الكون بعد أن أخذت تستطلعها فى سيرها وارتفاعها زمناً خرت ـ والموجة تمر وتتلاشى ـ فسقوطها وانبساطها اجلال للخالق واكبار ، فاذا انبسطت فهى كتاب مفتوح ليس فيه الا حمد لله وثناء ، فهل قال هذا شاعر من قبل ؟ ! هل قاله وفيه هذا الاتزان والتكافؤ والتشبيه والموسيقية واللفظ ؟؟. ثم هل قاله شاعر عربى وهو لم يتجاوز السادسة والعشرين ؟

وإذا جاء ينبوع الحكمة فاقرأ :

إن ملكت النفوس فابغ رضاها فلها ثورة وفيها مضاء
يسكن الوحش للوثوب من الأسـ ـر فكيف الخلائق العقلاء ؟!
يحسب الظالمون أن سيسودو ن وأن لن يؤيد الضعفاء
والليالى جوائر مثلما جا روا وللدهر مثلهم أهواء

حكمة تقال فى كل زمان ومكان ، تُقال فى الظالم وفى الدهر فتردع من يظلم ، وترد من يطغى وتذكر من غره النسيان . حكمة قدت من التجارب قداً واستلت من التاريخ استلالا ، والتاريخ موعظة وعبرة لم يغفلها شوقى ابداً ، فهو لا يرويه غراماً فى الفخر بالعلم ، وإنما يرويه ويبرز منه الحكمة فيذكرها محكمة رائعة منطبقة على كل مناسبة .

والآن نعود بك إلى قطعة ذكرناها عن ظلم الفرس للأسر المصرية المالكة فأعد قراءتها تتملك جسدك قشعريرة ، وتأخذك الضغينة على الظالم والتفجع للمظلوم ، فهل أعظم من وصف هذا الاضطهاد مما ذكره شوقي، وإذا أسهبت كتب التاريخ فهل تستطيع أن تصل الى اعماق نفسك وتصف الحال كما وصفه هذا الشعر العتيد ؟ واليك بعد ذلك أبياتاً فى الهجاء قالها شوقي عن كليوباترة والأفعى التى لدغتها فماتت :

سلبتها الحياة فاعجب لرقطا ء أراحت منها الورى رقطاء !
لم تصب بالخداع نجحاً ولكن خدعوها بقولهم حسناء !
قتلت نفسها وظنت فداء صغرت نفسها وقل الفداء !

هجاء ليس فيه على مرارته قبيح ولا فجور ، وانما روعى فيه التجديد فما خرج فيه الشاعر عن أخلاق الرجل المهذب ، ولو انه وصف كليوباترة بالحية والحية خير ما توصف به المرأة الجميلة المغرية الخادعة ، ولو إنه قال أن قتلها لنفسها أحقر من أن يكون تكفيراً عن سيئاتها ، ثم ولو أنه أصغرها حتى عن القدرة على الخداع فقال إنها لم تخدع وإنما خدعت بالاطراء فظننت نفسها اميرة القلوب وسلطانة الهوى والغرام .

وبحيلك فى ذكر المدح على القطعة التى مجد بها الله فى هذه التحفة الرائعة والتى عرضناها عليك ، فالحق أن للناس أهواء هى التى حملت بعضهم على تأليه القوى ، وبعضهم على تأليه الجميل ، وتأليه الأوثان والكواكب والنبات والجبال والملوك والبحار والأسماك ولكن مرجع هذه الآلهة كلها إلى الله خالق تلك الآلهة ، فأنعم به اعتذاراً عن شتى ألوان هذه العبودية !

وإذا قرأت فى وصف شريعة عيسى عليه السلام :

لا وعيد ، لاصولة ، لا انتقام لا حسام ، لا غزوة ، لا دماء
ملك جاور التراب فلما مل نابت عن التراب السماء !

أخذتك روعة ليس لجلالها حد ، ففى بيت واحد أجمل شوقي فى شريعة عيسى فأسهب وجمع ولم يترك قولا لقائل . ولقد ذكرت فى أول الحديث أن الرجل كان مسالما متسامحاً وفى هذين البيتين دليل المسالمة والتسامح : ففى البيت الثانى مرق الشاعر بلباقة من قصة عيسى والخلاف عليها بين المسلمين والمسيحيين .

أما مدح سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فاسمع منه :

فرأى الله أن تطهر بالسيف وأن تغسل الخطايا الدماء
وكذاك النفوس وهى مراض بعض أعضائها لبعض فداء

فلقد وجب الجهاد فى سبيل الله إذ ذاك .

أيرى العجم من بنى الظل والماء عجيباً أن تنجب البيداء
وتثير الخيام آساد هيجاء تراها أسادها الهيجاء ؟

ثم يتدرج الحديث الى تاريخ مصر منذ فتحها عمرو بن العاص ، فيتكلم عن عمرو وعن صلاح الدين واشتباكه مع الصليبيين وفى ذلك يقول :

ليس للذل حيلة فى نفوس يستوى الموت عندها والبقاء !

فهل فى الفخر والمدح أروع من هذا ؟ ضاق الذل بالمسلمين ذرعاً وهو يحاول الدخول فيهم فلا يستطيع ! وكيف يستطيع وهم قوم يستوى عندهم الموت والحياة ؟!

ثم ذكر المماليك فسجل عليهم مساوئهم حتى فى جباية الضرائب ، فلما جاء نابليون استقبله الشاعر بفصل جاء فيه :

ولو استشهد الفرنسيس روما لأتتهم من رومة الأنبـاء
علمت كل دولة قد تولت أننـا سمها وأنا الوباء !

يثبت لك هذان البيتان ان الرجل فى سنه المبكر لم يقتصر فى قراءته على كتب العرب . فلقد ذكر روما وذكر الامم التى احتلت مصر جميعاً وأنبأ عن كل منها فى جمل قصيرة ، ولو أن نابليون سمع ما قيل فيه لعلم أن هناك من هو أخلد منه على الدهر ، فاسمع :

سكتت عنه يوم عيَّرها الأهرام ، لـكن سكوتها استهزاء !
فهى توحى اليه : أن تلك واتر لو ! فأين الجيوش ؟ أين اللواء ؟

الأهرام تهزأ بنابليون وتعرف من أمر المستقبل ما لا يعرفه سواها . هذه المطلعة الخالدة الثابتة فى مكانها والجيوش تتحرك وتقهر وتنتهى حينما الأهرام تلقاها بالاستهزاء لأنها تعرف السر الروحى فى هذه البلاد وتعلم ما يخبئه الزمن فى جعبته !

نعم انتصر وافعل ماشئت فستخذلك فى القريب واترلو ، بل وستقبر قوتك وتطيح بفتوحك الى الأبد !

ولقد هزت الشـاعر نـكبة مصر بقناة السويس ، وألهمته أبياتاً رائعة تضمنهـا الحديث عن سعيد :

جمع الزاخرين كرهاً فلا كا نا ، ولا كان فى ذلك الالتقاء !
أحمر عند أبيض للبرايا حصـة القطر منهما سوداء !

وأنا أترك لك استبانة الجمـال فى هذا الشعر ، لأقول لك فى خاتمة هذا المقال الذى نالت العجلة منه ، أنك تلمح اعتداد شوقي بنفسه وبقدرته فى أكثر قصائده ، فهو يختتم هذه القصيدة بالحديث عن عباس الثانى وعن نفسه معاً :

عزيز الأنام والعصر سمعاً فلقد شـاق منطق الاصغاء
إن عصراً مولاى فيه المرجَّى أنا فيـه القريض والشعراء
هذه حكمتى ، وهـذا بيـانى لى به نحو راحتيك ارتقـاء
كيف تشقى بحب حلمى بلادٌ نحن أسيافها وحلمى المضاء ؟!

تكلم عن عباس وعن نفسه معا لأنه قضى شبابه ببابه ونال من عطفه. فالشاعر الفذ الذى يحس نبوغه وهو فى السادسة والعشرين، هو رجل ثابت العزيمة لا بد أن يصل الى المكانة التى يريدها.

هذه كلمة عجلى عن الشاعر المجيد فى شبابه المبكر، فهل تصلح صورة للرجل فى ذلك العهد؟ إن تكن صورة فهى فى ملامحها وألوانها مرآة شاعر قد تسنم ذروة النبوغ شاباً، فلو أنه مات فى السابعة والعشرين لكتب له من الخلود ما يكتب له اليوم، وتلك ميزة الزعامة تبدو فى كل عهد وكل موطن وكل زمان؟

محمد نزيه



منزلة شوقى وأثره

تجرى حوادث الطبيعة والاجتماع على معايير تختلف قيمتها وآثارها باختلاف الوضع والزمان. وتحتكم هذه المعايير فى الحياة الانسانية فلا تفوت للانسان من حرية الاختيار الا قدراً بينه وبين الجبر الصرف فارق ضئيل لا يكاد يُرى!

أما هذه المعايير فلا ضابط لها فى تصريف حظوظ الناس: فهى تضرب فى ذلك عن غير قصد وتخبط خبط عشواء، وترمى أحد الناس بأشد الكوارث وتحبو الآخر بمباهجها وتزوّده بما فى وسع الدنيا ان تزوّد به الذوات الفانية من المجد والعظمة العالمية.

وأنت ترى ان فى التاريخ حوادث لا تعيد نفسها، على الضد مما يذهب اليه البسطاء إذ يقولون أن التاريخ يعيد نفسه. فان التاريخ يتعاقب وتتشابه اجزاؤه. أما أن يعيد نفسه فوهم من الأوهام وتجريد للذهن لا أثر فيه من الحقيقة. والانسان بطبعه محتاج للاوهام شديد الميل الى التجريد والى الاشياء الخفية المقنعة يجرى وراءها ويعبدها من دون كل الاشياء التى جعلته انساناً حقيقياً بصفات الانسانية!

من الامثال التى نضربها على ذلك امثال يمكن ان نتناولها من اطراف الحياة الانسانية على اختلاف وجوهها وتلاحق صورها الشتيتة: فان غاليليو مثلا قد

ُوجد فى عالم يحتاج الى فكر مثل فكره ليكشف عن سر نظامه الفلكى وعن أن الارض هى التى تدور حول الشمس . وهذا الحادث لن يتكرر فى التاريخ ، فمرة واحدة لا أكثر يمكن ان يوجد نظام كالنظام الشمسى يحتاج فى كشف سره . ومرة واحدة تتهيأ الفرصة لانسان مثل غاليليو ليستعين بالرياضيات والبصريات ليعرف ذلك السر . كذلك كان الامر مع نيوتن فان النظام الذى كشف عنه غاليليو كان يحتاج الى تعليل ، ومرة واحدة يوجد نظام فلكى كنظامنا الشمسى يحتاج الى تعليل ويكون من نصيب نيوتن . ومرة واحدة يحتاج نظام النشوء العضوى الى تعليل فيكون من نصيب داروين . وهذه الحوادث وأمثالها لن يعيدها التاريخ ، فانها انما تقع لاول وآخر مرة فى تاريخ الدنيا وتكون من نصيب أفراد خصوا بأرقى الكفايات ، كما خصوا بأسعد الحظوظ . ومرة واحدة أيضاً تظهر دولة كدولة المغول لا تعرف للفن قيمة ولا للآداب وزناً ولا للمدنيات حرمة ، تمضى فى سبيلها الحربى وتنوء بقواتها على الدولة العربية فتحطمها وتبيد آثارها وفنونها وتقضى على آدابها وتترك الشعر فى هذه الدولة العربية ـ بعد ان أتت على الطارف منها والتالد ـ يكاد يلفظ أنفاسه الأخيرة . ومرة واحدة بعد ذلك يظهر شاعر كشوقى فيتلقّى بقايا الشعر العربى الذى أبقت عليها دولة المغول فيحيى منه الموات ويصبح بحكم الظرف الذى وجد فيه ، وبحكم المواهب التى مكنته من احياء الشعر العربى ، أمير الشعراء ورافع علم الأدب العربى فى طليعة القرن العشرين . فمجد شوقى إذن يكوّنه عنصران لا ينفصلان : عبقرية غير منكورة ، وحظ باسم أبقى عليه القدر طوال قرون ليجعله من نصيب مصر وشاعرها العظيم .

فمنزلة شوقى اذن من الشعر العربى منزلة الحلقة تصل بين ماضى الشعر فى العربية وبين العصر الحاضر ، لا ليقف امرها عند هذا الحد ، بل لتتجلّى بامانة الشعر كما خرجت من أيدى القدماء ثم ليُصَبَّ فى القالب الذى سوف يَصُبُّه فيه المجددون من أبناء القرن العشرين فى العالم العربى . ومرةً واحدةً أيضاً تتهيأ الفرصة لعبقرى موهوب يجد فيها الشعر العربى محتاجاً للتجديد ، ومحتاجاً لاقتحام أبواب الحياة الواسعة المستفيضة ، فيخرجه من الحيز الذى حبسه القدماء فيه حتى مات على يد المغول ، ثم نفخ فيه شوقى نسمة الحياة . أما ذلك العبقرى السعيد الموهوب فمن ذا يكون ؟ القدر وحده كفيل بان يخرجه من الاصلاب الى البطون ثم الى الحياة ثم الى التراب ، بعد ان يبنى المجد بلبنات الفنون ، ويترك للشعر العربى آثاراً مخلدة .

بجانب هذه الناحية التى يهىء فيها الزمان قليلاً من الموهوبين السعداء لظروف لن يعيدها التاريخ ليبنى بتلك الظروف اعظم صرح فى هيكل مجدهم ، تجرى الطبيعة على أقدارها فتظلمهم ، ويكون ظلمها متزناً مع ما هيأتهم به فى ظروف الحياة السعيدة ! فان الطبيعة تلقى فى قلوب الناس ان ذلك العبقرى الموهوب يجب أن يكون مجرداً عن النقائص متحلياً بكل الكمالات الانسانية . وقد يسعده الحظ حيناً فيجرى الناس على أنه ذلك الرجل ، فاذا دارت عجلة الزمان دورة أخرى ، وتخطت بالناس عصر ذلك الرجل الكبير ، وجددت الحظوظ العالمية فى مراقى العلم والفن ، قيس قدر الرجال دائماً بمقدار الفارق بين الزمانين وبمقدار ما دارت عجلة الزمان على الاشياء وعلى عناصر الاشياء وعلى الفنون والآداب ، فيخرجون من جماع ذلك بما نعتبره الظلم الاكبر فى وزن الرجال وتقييم أعمالهم ووزن آثارهم !

غير أن شاعرنا الكبير شوقي قد يخرج عن هذه القاعدة بعض الشيء وقد يتناوله سلطانها فى أكثر الاحيان. يخرج عنها لانه أحيا قديماً ولم يبدع جديداً ، ويدخل تحت سلطانها لانك لن تستطيع ان تقيّم شوقي وان تزنه الا بميزان تضع فى احدى كفتيه الشعر القديم ، أو بالاحرى مبدعات الشعر القديم ، وفى الأخرى شعر شوقي . على أنك لا تلبث ان تفعل هذا حتى تجد ان كفة شوقي قد شالت وشارفت على السماء ، وأن كفة الشعر القديم رجحت وقاربت الأرض ! هذا اذا انت مضيت تقارن المختار من المجموع القديم الذى أفلت من تخريب المغول ، بالمختار من شعر شوقي . وانك لواجد بعد ذلك أن الدعوى العريضة التى يدعيها الذين اخذتهم صيحة المبالغة والعجز عن تقييم الآثار الادبية من أن شوقي قد جدد فى أساليب الشعر وفى معانيه وتراكيبه ، دعوى لا يستطيعون أن يقيموا دليلا واحداً عليها . فان شوقي شاعر جديد بعصره وزمانه ، قديم باساليبه ومعانيه وتراكيبه ومنازعه ، وقد يشارف فى بعض هذه النواحى على افق الطبقة الثانية من القدماء ، وقد ينزل فى نواح أخرى الى الطبقة التى رضيت بامثال صر در وأبى الشمقمق ان يكونوا شعراء ، بالمعنى الذى نفهمه من الشعر فى دواوين البحترى وابى تمام وابن هانىء والمتنبي .

أما الفارق الوحيد الذى يفصل بين شوقي وبين شعراء العهد القديم فتجديده فى القوالب التى صبّ فيها الشعر العربى . وغالب الظنّ ان عبقرية شوقي مسوقة الى هذا غير مختارة . فان روح العصر والبيئة حكماً اضطر شوقي لأن يصبّ الشعر

القديم بأساليبه وتراكيبه ومعانيه فى قوالب يمتزج فيها روح الأدب العربى الصميم بحاجات هذا العصر ومقتضيات البيئة . ولولا هذا لما استطعنا ان نقول إن شوقي قد أحيا الشعر العربى ، لان احياء هذا الشعر معناه اقتباس الاساليب القديمة ، وصبها فى قوالب تلائم ذوق هذا العصر . وان هذا الأثر وحده لجدير بان يجعل شوقى أمير الشعراء فى عصرنا هذا ؟

اسماعيل مظهر

◆◆◆◆◆

شعر شوقى

مضى أربعون عاماً أو نحو ذلك وشوقى يحمل لواء الشعر العربى وجعل شعراء العرب يسيرون وراءه فى جميع الاقطار العربية ، ويقرؤون شعره ويغبطونه او يحسدونه على مكانته . فكان لشوقى الفخر فى الحصول على هذه الزعامة رغم ما لقى فى سبيل ذلك ، وكان له الفضل فى أن جعل وادى النيل منبع هذا الشعر وموطنه ، وكان لمصر أن تزهو بما أوحت اليه من أخيلة لا شك فى أنها هى موردها العذب : فان ما نزل بها من حوادث وما مر بها من إحَنٍ وما بقى بها من أثر تلك الثقافة العربية المتأصلة فى نفوس أدبائها وعلمائها ومن أساليب التفكير لديهم وفى نوع الادراك والتعبير ، ثم ما يتمشى فيها من أثر الدين والاخلاق فى نفوس أبنائها ـ كل ذلك ملك من نفس شوقى وهذب من خياله وكشف له عن دقائق الافتنان حتى أصبح كما رأيناه وعرفه الناس من كبار الفنانين والشعراء واكتسب هذه القريحة النادرة التى شهد له بها جلة أدباء العرب وشعراء العربية .

ربما كان الحكم على شعر شوقى الآن عسيراً او ناقصاً او خاطئاً لأن المعاصرين لكبار الرجال لايكادون يحكمون عليهم حكماً صحيحاً خالياً من الحقد أو مملوءاً بالاعجاب لما يكون من أثر فى النفوس بسبب الاتصال بهؤلاء الرجال بنوع من الحب أو البغض . وكثيراً ما يدفع الغرور بالناس فى بعض العصور الى الجرأة فى الحكم على المسائل الفنية الخالصة بدون علم سابق ولا دراسة صحيحة ولا ثقافة كافية ولا سيما فى الحكم على الأدب والأدباء من شعراء وكتاب وبخاصة فى أوقات الفوضى العقلية التى

تكون فى عصور الانتقال كما هى الحال فى بلاد الشرق الآن . ولكن على الرغم من ذلك فان للفنون شعاعاً يخترق حجب الظلمات ويمزق ستور الضغائن : فان الفنون سرٌّ من اسرار الكون ، والفنيون رسل الجمال تؤمن النفوس برسالاتهم أو هى كالعبير يعطر الاجواء ويتمشى فى ذرات الهواء . ولا يجرؤ انسان مهما علت منزلته فى الادب أن ينكر ما كان ويكون لشوقى من أثر فى الشعر العربى الحديث ومنزلة فى عالم الادب حتى كاد يكون ذلك اجماعاً . أما ما يلصقون به من عيوب وما يرمون به خياله من نقص فذلك مما لا يخلو منه انسان مهما سمت عبقريته أو خلصت نفسه أو صفا خياله ، وكثيراً ما تكون هذه الآراء ناشئة من اختلاف الناس فى تذوق المعانى وتفاوتهم فى معرفة أوجه الافتنان .

لقد تخطى شوقى أدواراً فى حياته الفنية فكان يرد فى أول أمره موارد القدماء فامتلأت نفسه بصور من شعر فطاحل الشعراء الاقدمين كأبى تمام والبحترى وابن الرومى والمتنبي وأبى العلاء وغيرهم ممن أتى من بعدهم فتبعهم فى أساليبهم وألفاظهم ومعانيهم وأخيلتهم ، وما مدحه للخديوى توفيق ونجله عباس الا ضرب من المحاولة فى محاكاة هؤلاء الشعراء وهو ظاهر فى أسلوبه الغزلى . ألا ترى هذا فى مدح الخديوى وهو يهنئه بقدومه من الاسكندرية :

نصبن لنا فى مسرح الحدق الهدبا وجاذبننا الالباب يأخذنها غصبا !
لواهى بالسفح انحدرن الى الضحى شموساً وودّعن الأصيل به سربا
وغادرننا لا ألسن غير أعين تسائل عن أمر الخفىّ الذى دبّا

الى آخر هذا الكلام الذى ترى ديباجته وقد طال عليها القدم . وقد تقيد فى هذا النوع بأخيلة القدماء من ذكر الوشاة والعيون وأثرها وغير ذلك مما هو معروف من أوله فقال :

ان الوشاة وإن لم أحصهم عدداً تعلموا الكيد من عينيك والفندا !
لا أخلف الله ظنى فى نواظرهم ماذا رأت بىَّ مما يبعث الحسدا ؟!
لولا احتراسىَ من عينيك قلت ألا فانظر بعينيك هل أبقيت لى جلدا ؟!

وهكذا كان أسلوبه فى بدء قصائد المدح بالغزل ، وله فى ذلك بدائع على نحو ماهو معروف عند القدماء من المبالغة فى الاوصاف ونسبتها الى الممدوح ، وقد دفعته الحوادث فتخطى هذا الدور الى أدوار أخرى لا يسعنا الآن ذكرها جميعاً .

ولكنه منذ نشأته وهو يميل الى الابتكار والابداع فى أسلوبه وخياله حتى لقد تقرأ فى كلامه معنى غيره فيخيل اليك أنه معنى مبتكر لم يسبق اليه . ذلك لان الشاعر الفنى كالمصور الماهر يرسم مناظر الطبيعة كما يرسمها سواه ولكنك ترى براعته تدل عليه وأسلوبه يعبر عن افتنانه وما فى نفسه من أسرار الفن وتمكن الجمال منه كما تجد المصور يرسم ما رسمه غيره ولكنه يؤلف بين اللون واللون ويبرز ما بينهما من التناسق والمشاكلة فيخيل اليك أنه شيء جديد . وهل الفن الا هذا السر الذى بثه الله فى نفوس الفنانين فيبرز كل منهم ما فى نفسه وما علق بها من ادراك وما قدر عليه من تنسيق ؟ والعجيب فى شعر شوقى أنه يمدح رجلا واحداً نحو ربع قرن بكلام كثير وقصائد طويلة ولا يكاد يشعر القارىء بالملل من قراءة هذه المعانى المتشابهة ولا بابتذال او تكرار ! واذا كبا قلمه أو ضنّ عليه خياله بشيء جديد ستر ذلك بافتنانه حتى لقد يدفع القارىء نفسه دفعاً لتذوق كلامه على الرغم مما فيه أحياناً من غموض وابتذال ! وكثيراً ما يكون ذلك فى غزله الصناعى الذى يبدأ به قصائد مدحه ومع ذلك ففى غزله الخالص صبغة خاصة به ورقة وجزالة ، فتجد وأنت تقرؤه كأنّ عاشقاً تقطعت به الاسباب فأخذ يشكو ويئن من بلواه فيقول :

علموه كيف يجفو فجفا ظالم لا قيت منه ما كفى
مسرفٌ فى هجره ما ينتهى ! أتراهم علموه السرفا ؟!
جعلوا ذنبي لديه سهرى ليت بدرى إذ درى الذنب عفا !

أما ابتكار شوقى فاظهر ما يكون فى شعره عن أسرته وأولاده وتفننه فى رسم ما كان حوله وما يجول بنفسه من شعور وحب وحنان ، وهو حادث جديد فى الشعر العربى الحديث واشبه ما يكون بشعر ابن عباد الاندلسى . وأصدق ما يكون فى الدلالة على نفس شوقى من حيث صلته باسرته وحبه أهله بل هو صورة من صور أسلوبه الفنى فى رسم الحوادث المنزلية وتصوير جزء من حياته بألوانه الحقيقية بأسلوب خلاب جميل (بسيط) غير متكلف يرسم عطف الوالد ودلال الاولاد ثم حب هؤلاء لهم ، لا بكلمات عامة جوفاء بل بسرد الحوادث ورسمها ، فاذا قرأتها فكأنك ترى الطفل يحبو أمامك ويدل على أبيه فيضحك لضحكه ويبكى لبكائه . أرأيته كيف يخاطب ابنته وهو فى موقف الرجاء وكأنها أكبر أمنية له ؟ ألا تسمع صوته يتهدج وعبراته تكاد تسيل حناناً على ابنته ؟ اسمعه يقول :

وأسأل ان تسلمى لى السنين وان ترزقى العقل والعافيه
وان تقسمى لأبرِّ الرجال وان تلدى الانفسَ العاليه
ولكن سألتك بالوالدين وناشدتك اللعب الغاليه
أتدرين ما مرَّ من حادث وما كان فى السنة الماضيه
وكم ُبلتُ فى حلل من حرير وكم قد كسرت من الآنيه
وكم قد خلتْ من أبيك الجيوب وليست جيوبك بالخاليه
وكم قد مرضت فأسقمته وقمت فكنت له شافيه
ويضحك إن جئته تضحكين ويبكى إذا جئته باكيه ؟!

وكل ما قاله فى أولاده بديع جميل يدل على انتحائه فى الشعر ناحية واحدة لم يأخذ فيها شيئاً عن غيره ، وعلى أنه يميل الى رسم النفوس والحوادث وينظر نظراً صادقاً فيما حوله .

ومما يمتاز به شعر شوقى مابه من ثقافة جدية تظهر فى كل نواحى كلامه ، ولكن شوقي فى آخر أيامه كان أعظم ما يكون شاعراً وأبدع ما يكون مبتكراً بما أخرجه من آيات الشعر العربى فى قصصه التمثيلية . فهذا النوع جديد يحسب شوقى من أئمته ومن مبتكرى أساليبه مهما قيل فى ذلك ، وما كان لأحد أن ينكر قدرته وافتنانه ومحاكاته أساليب كورنى وراسين رغم كل نقص فنى فى هذه القصص .

ألا ترجع معى أيها القارىء الى أوائل شعره فأذكرك بنظم القصص على ألسن البهائم والطيور ، ولعل ذلك هو البذرة الأولى فى ميله الى نظم الشعر القصصى ؟ وقد ظهر فى هذا النوع ضربٌ من السهولة فى النظم ربما لا يُرضى أهل الأدب المغرمين بالصناعة والرصانة .

ولقد كانت تتقاذف شوقى الحوادث التى يمر بها فتزيد من الهاماته وخياله الشعرى لأن نفسه كانت حائرة مضطربة طلقة كنفوس جميع الفنيين، يريد أن يستمد الوحى والالهام من كل شيء يحيط به. لذلك كانت حوادث مصر الأخيرة منذ الحرب العالمية الى اليوم منبعاً من منابع شعره ، وكان هذا الاختلاف السياسى والتقلبات الاجتماعية من دواعى توليد المعانى فى نفسه .

وماذا نقول فى شوقى وشعره وما فيه من أمثال سائرة وحكم غالية ؟ لا نريد أن ننقد شعره الآن، ولا أن نذكر كل ما له وعليه ، فلنا جولة أخرى إن شاء الله م؟

احمد ضيف

شوقى منحة أجيال

اذا مُنح الانسان موهبة الشعر ونزل عليه إلهام الخيال ونال حظاً من الأدب وفقهاً فى اللغة واستعمل تلك الموهبة واستغل ذاك الخيال واستعان بحظه فى الأدب وانتفع بمعارفه فى اللغة وكان ذا ذوق سليم وشعور حى فياض واشتغل مع كل هذه المؤهلات العقلية الفنية بقرض الشعر وراض نفسه على المرانة فيه فانه ينتج شعراً طلياً جذاباً يأخذ بالقلوب ويملك المشاعر بما فيه من شاعرية راقية وخيال سام وجودة فى الأسلوب وملاحة فى التعبير ، وربما عُدَّ صاحب هذا الشعر اذا بلغ فيه المنزلة السامية من الفحول ووصل به الى الانخراط فى سلك الطبقة الأولى من طبقات الشعراء .

ويوجد من نوع هذا الشاعر كثير من الشعراء ، ولا يخلو عصر أوجيل من وجود العدد الوافر من هذا النوع . وما أكثر شعراء العربية الآن فى جميع بلاد العرب الذين تتوافر فيهم هذه الصفات ويمتاز بعضهم على بعض فى نواحى هذه النعوت .

وليس من الضرورى لهذا النوع من الشعراء حتى المبرزين منهم النبوغ فى العلم وسعة الاطلاع فى المعارف والخبرة العميقة فى التاريخ والوقوف على دقائق الظواهر الاجتماعية ومسائل المجتمع الانسانى والاشراف على ألغاز الطبيعة وأسرار الوجود العام ، فكثيراً ما نجد من الشعراء الممتازين بموهبة الشعر وطلاوة النظم من لم يزد تعليمه وتهذيبه المدرسى على الدراسة الابتدائية . ومَن كان هذا شأنه فلا ننتظر من شعره الطلى العبقرى أكثر من الخيال المجرد من الأحكام العلمية والنظريات الفلسفية والظواهر الدقيقة الاجتماعية وان اشتمل على نوع من الحكمة المعروفة فى شعر المتنبي وتجرد عن الفلسفة المأثورة فى شعر ابى العلاء ، والأولى ترمى الى المعنى السامى الاجتماعى فى التركيب البديع والثانية قصد بها أبو العلاء الى الفلسفة الفنية الاصطلاحية ومذاهب الفلاسفة ، والأولى تأتى الهاماً والثانية تعلماً ولا يتعلمها الا العلماء الفلاسفة المثقفون .

اذا اجتاز الشاعر دور الدراسة الابتدائيه والتربية المدرسية الأولى وانقطع عن هذا العمل الى غيره وأربى على سنى التعليم فليس فى وسعه ولا فى طبيعته أن يستأنف بنفسه التثقف فى العلوم والفنون والحكمة ، وليس من السهل له أن يقف

على روح التاريخ مهما قرأ فى التاريخ ولاأن يفهم سلسلة المجهود العقلى الانسانى حلقة بعد حلقة مع اتصال الحلقات وإحكام الارتباط .

لهذا لاننتظر من شعر امثال هؤلاء الشعراء سوى الشاعرية الرائعة الخلابة فى الأسلوب العذب الجذاب لنتفكه بقراءته ونطرب لسماعه غير منتظرين بعد الفن اللفظى الممتع والابداع القوى فيه شيئاً من الفنون الجميلة ، أو نوعاً من العلوم القديمة والحديثة ، أو لوناً من الثقافة العقلية العامة ، أونحواً من الحكمة الاصطلاحية الفنية فى مذاهبها المختلفة التى تفسر الوجود الكلى من حيث المبدأ والتغيير والمصير .

* * *

فوق هذا النوع من الشعراء وعلى هامة الأدب الراقى يوجد نوع آخر من طراز خاص ممتاز . وهذا النوع السامى الممتاز من الشعراء هو الذى تتوافر فيه — على وجه كامل — الصفات والنعوت والمؤهلات التى يكوّن كلها أو جلها النوع الأول الطبيعى المألوف من الشعراء ويمتاز مع ما تقدم بتربية علمية عالية وتهذيب عقلى كامل واسع يستجمع بهما فى ذهنه مع موهبة الشعر وسمو الخيال ثقافة جامعة شاملة تجعل صاحبها يشرف على اسرار الوجود الكلى وألغاز الكون العام ويفقه علوم الانشاء وروح تاريخه العام وتاريخ مجهوداته العقلية من بدء العصور الأولى حتى الآن .

هذه الثقافة الواسعة العالية هى بالطبع الينبوع السامى الجدّى الذى يغترف منه الشاعر الممتاز والامام الجليل فيجتمع له فى شعره بذلك وبسمو الخيال وطلاوة النظم وبموهبة الشعر الابداع اللفظى والمعنى الرائع الجذاب والحكم العلمى الفنى الصحيح بما يشتمل عليه شعره من علم وفن وحكمة سامية وفلسفة فنية عالية وعبرة من التاريخ الانسانى وعظة من روحه الحاكمة فيه .

ومثل هذا النوع نادر الوجود ، وعلى الاخص فى الأمم التى لم تستكمل بعد ثقافتها ولم تصل فى رقيها العلمى الا الى حد محدود ليس شائعاً فى الغالب فى كل الافراد بل فى بعضهم ، وقليل ما هم .

واذاً نحن الآن فى نهضتنا العلمية لم نصل معها الا الى حالة لو قارناها بمثلها فى الرقي العلمى الأوربى لوجدناها فى درجة النهضة التى كانت عليها أوربا فى عهد الريناسنس أو احياء العلوم .

وينتج من هذا أننا لسنا فى دور ننتظر فيه من كل شعرائنا أن يكونوا — مع تمتعهم بمواهب الشعر وقوة الخيال إلى آخر ما أوردناه عند الكلام على النوع الاول من الشعراء — بالغين حدود الثقافة العامة الجامعة ، لأن هذا ليس فى طبيعة جيلنا الحاضر بالنسبة الى الشرق بل يحدث فى جملة أجيال آتية يمكن حصرها اذا قيس نهوضنا بنهوض أوربا ، وعلمنا أننا لا نصل الى ما وصلت اليه هذه القارة الآن الا بعد أجيال بعدد الاجيال التى بين عهد الريناسنس والعهد الحاضر .

***

اذا تقرر ذلك فلانكون مغالين اذا قلنا بأن شوقى أمير الشعراء منحة أجيال أعنى الأجيال الغابرة منذ عهد امرىء القيس إلى الآن وأجيال آتية لا ندرى عدّها وإن قدرناها بعدد الأجيال التى بين عهد الريناسنس فى أوربا والوقت الحاضر .

أجل ، شوقى أمير الشعراء منحة أجيال غابرة وآتية لأنه جمع بين اسمى موهبة للشعر وأرق خيال فيه وبين الثقافة العامة الجامعة الحديثة التى امتاز بها من بين شعراء العربية فى الماضى والحاضر . وانى لنا بمثله تجتمع فيه كل هاتيك الخلال ؟ ان هذا لعمرى لايوجد ولايتحقق إلا على غيرسنن طبيعي وفى استثناء غيراعتيادى . ومتى يسمح الدهر بغير سنته ويظهر باستثناء فى نواحيه ؟ ربما حدث هذا فى جيلنا الحاضر أو بعد أجيال .

***

لست فى حاجة الى ايراد أمثلة من شعرشوقى ونثره الحكيم للدلالة على أنه وهو المفرد العلم فى الذروة وفوق الهامة بالنسبة الى موهبة الشعر فيه وفى أعلى مكانة من التفوق ، كما أننى لست فى حاجة أيضاً إلى أن أسوق نبذاً من انتاجه الشعرى والنثرى مستدلا بها على مدى تهذيبه العالى وثقافته العامة السامية ، فشعر شوقى كله عذب وكله رائع ونثره كله بديع وكله حكيم مع امتلائهما بالعلم والفن والفلسفة والتاريخ والارشاد والهداية والأحكام الصادقة والعظة والاعتبار . ولا يفقه شوقى ويبلغ مدى مايرمى اليه شعره ونثره الا مثقف ثقافة شوقي : فهو على سهولته وعذوبة اسلوبه كنز مكنون وسر محجوب سترفع حجبه البحوث العلمية العميقة المتوالية لأرباب العقول الراجحة والمعارف الواسعة على توالى الأيام والدهور .

نعم لسنا فى حاجة الى أن نتعرض هنا لشعر شوقي ونثره للدلالة على مكانة موهبته الشعرية وثقافته العامة السامية ، ولكنى استأنس بأثرين جليلين من آثاره العظيمة وتراثه

الاول الخالد أحدهما يرجع الى شاعريته والثانى الى ثقافته، والى القارىء البيان بالاجمال:

نفح شوقى اللغة العربية وأدبها والخيال العربى ومكانته فى فن الشعر التمثيلى التى خلت منه الآداب العربية الى عهد قريب دراً ثمينة وغرراً وسيمة هى رواياته : كليوبترة ومجنون ليلى وقمبيز وعلى بك أودولة المماليك وعنترة ، فبرهن بهذه الروايات الأدبية على سمو الخيال العربى الذى رماه بعض النقاد بتخلفه عن مكانة الخيال الآرى لعدم انتاجه فن الشعر التمثيلى الموجود فى آداب الآريين .

وكتاب «أسواق الذهب» فى نثر شوقى الحكيم يحتوى على كلمة غالية فى وصف البحر الابيض المتوسط ــ الأرجوحة الأولى للعقل البشرى ومهد المدنية الانسانية ونقطة اتصالها من أول وجودها حتى الآن ومستقرها الطبيعى فى المستقبل مادامت القارات قارات والبحار بحاراً .

هذه الكلمة الحكيمة الغالية اذا أنت قرأتها ونفذ فهمك الى أغراضها وألممت بما فيها من حكمة وبيان وعلم وعرفان أدركت مقدار ثقافة شوقى وعلمه الجمّ واطلاعه الواسع وحكمت معى بأنه منحة أجيال ونعمة دهور .

قال شوقي : البحر الأبيض المتوسط سيد الماء ، وملك الدأماء ، مهد العلية القدماء ، درجت الحكمة من لجه ، وخرجت العبقرية من ثبجه ، ونشأت بنات الشعر فى جزره وخلجه . بدت الحقيقة للوجود من يبسه ومائه ، وجرب ناهض الخيال جناحيه بين أرضه وسمائه !

العلوم نزلت مهودَها من ثراه ، والفنون رَبيت فى جمال رباه ، والفلسفة فى ظله وذراه ، (بنتاؤر) وُلد على عِبرْه ، و(هومير) مُهِّد بين سحره ونحره ، ونحت الالياذة من صخره ، و(هيرودوت) دون متونه على ظهره ، و (الأسكندر) نمى اليه بفتحه ونصره !

ثم قال بعد وصف ساحر خلاب على نمط ماسقناه مخاطباً ناشىء الكنانة :

لآبائك عنده ــ منذ ماجت أمواجه ولجت لجاجه ، وهدر عجاجه ، وانثنى للرياح شراعه وساجه ــ جوار الأكرمين، وصحبة المحسنين ، وكنف السماح الخيرين .

تلك اللجة ــ أيها الناشىء ــ هى من أوطانك عنوان الكتاب ، ومصراع الباب ، ووجه الخميلة ، وظاهر المدينة ، وعورة الحصن ، وان قوماً لهم على البحر ملك وليس

لهم منه فلك ، لقوم دولتهم واهية السلك ، وسلطانهم وإن طال المدى الى هلك .

فلله أنت يامنحة الاجيال ونفحة الدهور ! ذكراك خالدة فى النفوس وتراثك على الدوام فخر الادب وتاجه ؟

على العنانى



شوقى وحافظ

ليس لنا ونحن نكتب عن شوقى وحافظ الآن ، إلا أن نودّع الشاعرين الكبيرين بكلمة طيبة رضيّة ، نستخلصها من جانب القلب لتكون إكليل عطف ورحمة على قبر الفقيدين .

فقد كانا أول من قرأتُ له من شعراء العربية وحفظت من شعره ، وكانا أول من شجعنى وأنا ناشىء على المضى فى رحلتى الأدبية بقدم ثابتة بما قلدانى من شعرهما الرقيق ، فحقّ علىّ أن أوفيهما حقهما عندى وقد نزحا الى دار الخلود .

شوقى وحافظ اسمان تغنت بهما الألسنة جيلا من الزمن ، وردد شعرهما كل ناشىء فى عالم الأدب فى مصر وغيرها من البلاد العربية ، فهما من الشعر كعتبتى الدار .

جاء شوقى وحافظ فى عهد نهضة أدبية جديدة ، فكانا نجمين متألقين فى سمائها . ففى نظمهما كانت تتجدد لغة العرب بعد أن رثت حبالها فى يد الزمن ، وكان هم الأدب فى عصرهما أن تستعيد اللغة العربية جمالها ، ويبعث الشعر القديم من مرقده ، فرأى فيهما ضالته المنشودة وإن كانا لم ينفردا بهذا الفضل ، فالبارودى وصبرى والبكرى لم يقصر شأوهم فى ذلك عن شاعرينا الفقيدين .

لم يَسمُ نظر الجيل الماضى عن هذا الحد ، ولم يتطلع شعراؤه إلى أكثر من تلك الناحية التى ترمى الى ترسم خطى المتقدمين من شعراء الدولة العباسية وصدر الاسلام ، ولم يطالبهم أحد بأكثر من ذلك ! فجميع المشتغلين بالحركة الأدبية فى ذلك العهد كانوا يتذوقون بذوق العصور الماضية .

على أن شوقى وحافظ وإن اتفقا فى هذا المذهب ، فقد كانا يختلفان من بعض الوجوه فيما ينظمان . يرجع ذلك الى البيئة التى نشأ فيها كل من الشاعرين ، فترى فى

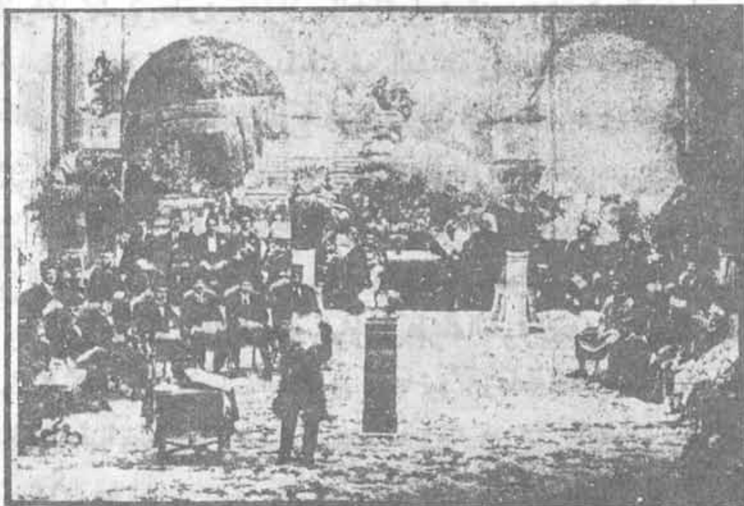


﴿ شوقي وحافـظ ﴾

صورة تذكارية أخذت على مسرح الأوبرا بالقاهرة
في مهرجان تكريم شوقي بك سنة ١٩٢٧ م.



﴿ من أعيان الشعر فى مهرجان شوقى بك ﴾
يرى الى يساره خليل مطران بك فالشيخ محمد عبدالمطلب
والى يمينه حافظ ابراهيم بك فشبلى الملاط بك



﴿ فى مهرجان شوقى بك سنة ١٩٢٧ ﴾
على مسرح الاوبرا بالقاهرة

شعر شوقى أثر النشأة الأرستقراطيه ، فهو ربيب الحكم وخدين الحكام ، لم يحوله الزمن عن طبيعته ، ولم تخرجه تطورات الاحوال عن فطرته . أما حافظ فهو ابن الشعب وربيب المجتمع ، فى كنفه نشأ وبين أحضانه عاش ، فكان يتغنى بأفراحه لأنه يشاطره إياها ، ويهتف بأشجانه لأنه ممن يكتوون بلهيبها .

فظهرت فى شعر الأول روعة وسطوة ، وفى شعر الثانى حرارة ولوعة ، وكلا الشاعرين مخلص لطبعه صادق لفطرته .

وقد عاش الشاعران حتى رأيا النهضة الحديثة يندفع سيلها فيجترف فى طريقه كلّ قديم ، وشاهدا من رجالها شعراء ونُقاداً جديدين ، مبشرين ومنذرين ، فتوالت عليهما حملات النقد ، واشتدت عليهما اقلام الكتاب ، حتى صارا هدفاً لكل ناقد . وهما الشاعران اللذان تنزّها فى عرف الجيل الماضى عن كل نقد ، واعتصما عن كل عيب ، وتلقّى ذلك الجيل رسالتيهما بصدر رحيب .

عانى شوقى وحافظ تلك الحملة العنيفة واصطليا نيرانها ، فكان حافظ يرى من السلام ان يقف عند حدوده ، وأن يطأطىء رأسه للزوبعة ، حتى لا يصاب منها بصائب أو يتقرب من رجالها بما عهد فيه من البشاشة واللطف فيبعدهم عنه ، ولكنه مع ذلك كان يشهد بصدق تلك الحركة ويعترف بأن للتطور سبيله فى كل شىء .

ولكن شوقى الذى خُلعت عليه إمارة الشعر وأجلس على عرشه ، لم يكن من السهل عليه أن يتلقى تلك الحملة فكان يغضبه كل نقد ويزعجه كل ناقد ، فجرد جيشاً من الكتاب للذود عن شعره ، وآخر لمحاربة خصومه والسهر على حراسة عرشه . ولو علم رحمه الله لترك الامور تجرى فى مجراها ، وترك شعره للحياة ، يأخذ حظه منها كما تُقدر له . وحسب الشاعرين أنهما تبوّآ زعامة الشعر حيناً من الزمن لم يكن ينازعهما فيها منازع ، وحسب الادب انه وجد فى شعرهما قنطرة بين القديم والحديث ؟

محمد طاهر الجبلاوى



شوقي في الاندلس

— ١ —

أما وقد صار شوقي في ذمة التاريخ ـ تاركاً آثاره الأدبية يقول فيها التاريخ كلمته النزيهة التي لا تعرف الخداع ولا المجاملة ، ولا تفهم هذا الاثر المشهور «اذكروا محاسن موتاكم» هذا الفهم اللفظي السطحي الذي لا يلائم البحث العلمي ولا يناسب النقد الأدبي — فمن الحق علينا أن نقف من هـذه الآثار موقف المؤرخ الذي يحاول الانصاف ولا يعنى بغير الحق والامانة لعله ينصف هذا الشاعر الجليل الذي لا يستطيع الآن دفاعاً عن نفسه إلا بتلك الآثار نفسها ، كما أن هذه الآثار مجال عزته واعتزازه ومن أجلها ذكره الناس في حياته وهم يذكرونه بعـد مماته ، وبقدر ما فيها من أسباب الجمال والقوة والخلود يبقى شوقي مذكوراً .

نحن لا نعرف شوقي مثلما نعرف آثاره ، بل لا نعرف شوقي الا بآثاره الأدبية فهي تراثه الذي ينبيء عن جهوده الحيوية ، ويصور أفكاره وعواطفه ، ويعرض علينا شخصيته مهما يكن لونها الأدبي والخلقي ، ولذلك نبادر فنسجل هنا أن هذه الشخصية ستبقى مجهولة أو على الأقل غامضة بعض الغموض حتى تتقدم الايام وتسمح الأحوال بأن يطبع شعر شوقي كله ويذاع ما لم يذع منه ومعه تاريخه وملابساته التي تعين في فهم الشعر من ناحية ، وفي إنصـاف شوقي من ناحية أخرى ، وأما تلك الأحكام التي تصدر على هـذا الشاعر الجليل منذ الآن فهي فيما أرى تقريبية أو ناقصـة .

أقول هـذا لأني أذكر وأكثر الناس يذكرون معي أن النقد الأدبي ليس نوعاً من المجاملة الانسانية يقوم على المديح والثناء والإشادة الفارغة بالآثار الأدبية وأصحابها ، كما يذكرون أيضاً أن ليس النقد فناً هجائياً أساسه الثلب وتتبع الاخطاء وانتحالها والوقوف من الشعراء والكتاب موقف العدو الناقم يلبس المنظار الاسود ويصدر عن شعور حاقد كلما حاول قراءة الأدب أو دراسته ، ولا ذنب على الأدب في ذلك ، وإنما الذنب ذنب الكاتب أو الناقد أو ذنب ما بينهما من صـلة العداوة والبغضاء .

ولكن النقد الأدبي فى أصح مذاهبه مسألة استعراض الآثار الأدبية وبيان ما فيها من المحاسن والمساوىء الفنية ، ثم رد هذه الخواص إلى أسبابها المعقولة وعللها الواضحة . نعم ، إن كلا من التاريخ العام والخاص يعين فى فهم هذه الآثار ويلقى عليها ضوءاً يبين لونها السياسى والاجتماعى ووجهة صاحبها حين قال ، ولكن شيئاً هاماً يسمو على التاريخ ويكاد ينفصل عنه ، هو نظرات الكاتب الثاقبة وطريقة تصويره ، نظرته العميقة التى تستمد الأفكار والعواطف من الطبيعة الانسانية الخالدة التى لا تكاد تغيرها الدهور وإن غيرت من صورها ، ثم هذا الاسلوب الفنى الذى هو مثال الشخصية الممتازة التى ينفرد بها الأديب والتى هى هو وكفى .

وأول ماعن لى ـ فى الكتابة عن شوقى الشاعر بمناسبة هذه الذكرى السريعة ـ أن اختار قصيدة من روائعه وأتبين فيها شخصيته الأدبية ، وكنت آثرت قصيدة أبى الهول لاعتقادى أنها من آثاره الممتازة ، ولكن عدلت عن ذلك بعد حين رغبة منى فى توسيع أفق البحث وحرصاً على أن أرى هذا الشاعر حيث بدأت شاعريته الخالصة تقوى وتنمو ، وحيث وصلت إلى مستواها السامى الذى لم تكد تتجاوزه وتعلو عليه فيما بعد ذلك إلا قليلا . وقد خيل إلى انى أستطيع رؤيته على هذه الصورة بالأندلس فى منفاه . على أنه ـ فيما يظهر لى ـ يصعب الظفر بشخصية شوقى الأدبية فى قصيدة واحدة أو فى بعض قصائد لاختلاف أطواره الحيوية والفنية كما سنرى .

ـ ٢ ـ

نشأ شوقى الشاعر فى ظل اسماعيل وولد ببابه ، وحباه هذا البيت الكريم برعايته ناشئاً حتى شب وترعرع . فمن الحق على شوقى أن تكون باكورة شعره عرفان هذا الجميل وتسجيله ، وهذا هو أساس اتجاه شوقى ونزعته ليكون شاعر القصر ولسان اسماعيل وآله . وقد كان ذلك كله ، فصار شوقى فى هذا الدور الاول من حياته يعبر بشعره عن اتجاه القصر وتقاليده أكثر مما يعبر عن نفسه وشخصيته . فلبس لذلك هذا الثوب الرسمى الذى تنسجه مقتضيات الملك ونزعاته ودواعى البيئة الحاكمة . هذا من الناحية الموضوعية وأما الناحية الفنية فقد كانت تقليداً ومعارضة للشعر القديم يذهب شوقى فى نظمه مذهب شعراء الملوك ، والخلفاء فى بغداد على الخصوص ، ولا بأس على شوقى من ذلك فى أوليات عهده بالشعر ، فالفنى يبدأ حياته دائماً بالتقليد وتأثر النابهين من السلف . ولكن الخطأ العظيم هو الفناء فى هؤلاء

السابقين والسير على مناهجهم دون الدلالة على مذهب فنى خاص أو ابتكار أسلوب يلائم قانون الرقى وتغير البيئات .

شوقي ، إذاً ، شاعر القصر . والقصر كان يومئذ متصلاً بالخلافة الاسلامية التى تشرف على أقطار شتى . فليس غريباً أن ترى الشاعر يذكر حكومة مصر وجالها ومكانة الخلافة وجلال الآستانة ، ثم يذكر الاسلام والمسلمين ، ويتجه بنظره الى طبيعة الحكومات ومزاجها والى تقاليد القصور ورحابها دون النظر إلى طبيعة مصر ومزاج المصريين . فكان يستوحى الحكومات وأفرادها ، وقلما كان يستوحى هذا الشعب المصرى أو الاسلامى ، بل قلما عُنى بما تعرضه عليه طبيعة بلاده إلا عرضاً أو قليلا . وهكذا بقى شوقى مطمئناً إلى هذه المكانة التى وضعته فى صف المقربين إلى السماء وباعدت مابين وبينه الارض حتى حالت الاحوال وذهب إلى منفاه .

ولما عاد من الاندلس صادف بمصر نهضة ثائرة تريد حياة جديدة فى كل شىء فى السياسة والتعليم والاجتماع والاقتصاد ، وصادف مذاهب سياسية تمثل هذه النهضة فحاول مسايرة ذلك بشعره ليكون السجل الخالد لهذا التاريخ الحديث . فشوقى يتجه فى كثير من المناسبات إلى عرش البلاد يعرف له آثاره الجليلة ، ثم ينثنى إلى رجالات مصر فيسلكهم بين الابطال الفاتحين . ويتردد بين الاحزاب السياسية متغنياً بمناهجها دون أن يفرغ لاحداها ويقف عنده ودون أن يكون له هو مذهبه الخاص يقيم عليه رسالة أو يستمد وحياً والهاماً . هكذا كان شأنه مع المعاهد العلمية والنوادى الاجتماعية ، فشوقى فى الفترة الاولى شاعر القصر وهو فى الفترة الثانية شاعر الحكومة مع شىء غير قليل من الشاعرية الاجتماعية والفنية والتاريخية .

لم يفرغ شوقى لنفسه ولفنه فى هذين العهدين السالفين . ولم يسلم شعره من المجاملات السياسية والاجتماعية ، بل ومن الصنعة الفنية التقليدية ، فكانت آثاره مزيجاً من ألوان شتى قلما تأتلف أو تكون شخصية محدودة واضحة المعالم ، فلأتركه هنا وهناك ولأبحث لعلى أظفر بشوقى شاعر العاطفة والعبرة وإذا ظفرت بشعر العاطفة والعبرة فقد ظفرت بما أريد .

قلنا إن شوقى كان شاعر القصر أول أمره ، وكان وثيق الصلة بسمو الخديو عباس الثانى ، ولما قضت الأحوال أن يغادر الخديو مصر وأن يتبوأ المرحوم صاحب العظمة السلطان حسين كامل عرش هذه الديار وقف شوقى مرتاعاً لهذه الحوادث

التى توالت عليه وأمامه فحالت بينه وبين سيده أو صديقه الأول وسلبته مكانته السامية ، وأورثته الحزن والأسى ، وعرضت عليه معجزت القضاء والقدر ، حتى ثارت فى نفسه عاطفة الحزن وتنبه الى الحياة وصروفها وما فيها من دواعى العظة والعبرة ، وابتدأ شوقى يستمد شعوره من نفسه هو لا من نواح تقليدية كانت تستلزمها حياته الأولى ، وهنا ظهر شوقى الشاعر : فارق سيده أو صديقه ، وهو مضطر أن يفى له فلا ينساه سراعاً ، ولكنه يجد سلطاناً جليلاً هو عم الخديو عباس يجلس على العرش ، وهذا نوع من العزاء عنده ما دام الملك فى بيت اسماعيل ويجد الانجليز يعرفون لهذا السلطان جلاله ، ويعرفون لبيت اسماعيل مكانته ، فهو مضطر إذاً أن يتئد ويحفظ التوازن بين هذه النواحى ولكنه توازن الحذر الحزين وكفى ، وهذا الحزن هو الطابع الواضح لشعر شوقى من ذلك الحين حتى نفى وعاد ، وبقيت آثاره عنده حتى مات رحمه الله .

هذا الحزن لم يكن ثورة عنيفة ، وإنما هو حزن تصحبه وتهدئه العبرة والحيطة ، وهو كذلك حزن مقسم بين ناحيتين أو نواح ثلاثة : فشوقى حزين على نفسه وتطور حياته إلى هذه الحال ، وهو حزين على صديقه أو سيده الذى غادر الديار ، وهو حزين اخر الأمر على مصر . ومهما يكن هذا الحزن قوياً فى الاتجاه الشخصى فهو حزن جميل أوحى إلى الشاعر نغمة فنية جميلة تسمعها فى قصيدته (حسين كامل) التى قالها لما ولى العرش وهى قصيدة تتلخص كما قلت لك فى هذا الحزن يصحبه الحذر والاعتبار :

الملكُ فيكم آل إسماعيلا ... لا زال بيتكمُ يظلّ النيلا
لطف القضاء فلم يُمل لوليّكم ... ركناً ، ولم يشف الحسود غليلا
هذه أصولكمُ وتلك فروعكم ... جاء الصميم من الصميم بديلا
الملك بين قصوركم فى داره ... مَنْ ذا يريد عن الديار رحيلا
(عابدين) شُرّف بابن رافع ركنه ... عزّاً على النجم الرفيع وطولا
ما دام مغناكم فليس بسائل ... أحوى فروعاً أم أقل أصولا

شوقى يصور ناحية العزاء والسلوى ، ويضمر فى نفسه لوعة وحزنا ، ويحاول الثبات أمام القضاء والقدر صابرا راضيا ، ولكن شعره كما ترى ينم عن نفس شاعرة مرتاعة

مضطربة استطاعت أن تبدو فى هذا الأسلوب الذى لم يتحلل بعد من محفوظات الشباب ومعارضة العبارات القديمة والذى نودُّ لو كان أطبع صوغاً وأكمل اتساقاً ولكنه مع ذلك مرضٍ مقبول . ثم يستمر شوقى فيذكر رجال هذا البيت المجيد ومآثرهم فى نشر الحضارة بوادى النيل مولياً وجهه شطر الماضى يتناسى أو يدارى ما هو فيه لعله يجد منفذاً من هذا الحرج الشديد حتى يصل الى الانجليز وعرفانهم كرامة البيت المالك وتداركهم الأمر :

حلفاؤنا الأحرار إلا أنهم   أرقى الشعوب عواطفا وميولا

لما خلا وجه البلاد لسيفهم   ساروا سِماحاً فى البلاد عُدولا

وأتوا بكابرها وشيخ ملوكها   مَـلِكاً عليها صالحاً مأمولا

ولكن الشاعر يلمس معجزة القدر ويرى النحس عابثاً بالعروش والمهالك ووجه البسيطة يلبس جلد الحرباء ، فيثوب ويصطنع هذا العزاء :

سبحان مَنْ لا عزَّ إلا عزُّه   يبقى ولم يك ملكه ليزولا

لا تستطيع النفسُ فى ملكوته   إلا رضًى بقضائه وقبولا

ومهما يقل الشراح إنه يشير إلى ما ألم بتركيا أو بمصر فليس من شك عندى أنه يستمد من نفسه هو هذه العبرة والرضوخ للقضاء ، ثم يحاول أن ينقلب إليها مسلياً ، ثم يستمر فيذكر وفاءه ويغمسه فى ذكرى الحروب وآثارها المنحوسة . أليست الحروب سبب هذا البلاء الذى أصابه وغير من شأنه ؟ ولكنه يتنبه لنفسه وموقفه فيعود إلى إسماعيل وبنيه :

أأخون إسماعيل فى أبنائه   ولقد وُلدتُ بباب اسماعيلا ؟!

ولبست نعمته ونعمة بيته   فلبست جزلا وارتديت جميلا

ووجدتُ آبائى على صدق الهوى   وكفى بآباء الرجال دليلا

ثم يخاطب المرحوم السلطان (حسين كامل) :

إرقأ سرير أبيك والبس تاجه   واكرُمْ على (القصر المشيد) نزيلا

مَرّتْ أويقاتٌ عليه مُوحِشاً   كالرمس لا خُلواً ولا مأهولا



يا أكرمَ الأعمام حسبك أن ترى للعبرتين بوجنتيك مسيلا
مِن عَثرة ابن أخيك تبكى رحمة ومن الخشوع لمن حباك جزيلا
ولو استطعتَ إقالةً لعثاره من صدمةِ الأقدارِ كنتَ مقيلا

وفى آخر هــذه القصيدة خلع شوقى شيئاً من نفسه على المصريين فدعاهم إلى التوكل والصبر على هذا البلاء فى اسلوب المتألم الذى ينتظر أحداثاً وخطوباً أخرى ولـكن ذلك كله يتركز فى هذا الشعور الذى ملك نفس الشاعر فى هذه الفترة الطارئة وهو سقوط المضطرب الحزين .

— ٣ —

ولـكن هــذه الروح التى تسود القصيدة الآنفة ، والتى تدل على اتجاه شوقى ، ثم محاولة شوقى أن يمثل دور الوفى أو المحتاط ، كل ذلك استتبع نفيه فغادر مصر الى الأندلس .

وهنا يظهر الحزن قويا صريحاً ، ولـكنه حزن على نفسه وما أنتابه . وحزن على مصر وأحداثها ، وهنا كذلك يمد شوقى بصره وبصيرته الى الحاضر والماضى يستمد منهما العبر والعظات ويفيض عليها من نفسه الحزينة التى تترك ملاعب الصبا ومهد الشباب ، وترى النكبات تهجم على البلاد وتتحكم فيها النوائب ، ولا شك أن هذه تخلق فى النفس حسرة وجلالا وتحملها على التبصرة والاعتبار. تقرأ ذلك فى قصيدته المنثورة « قناة السويس » :

« تلـكما يا ابنىّ القناة ، لقومكما فيها حياة ، ذكرى اسماعيل ورياه ، وحُليـا مفاخر دنياه ، دولة الشرق المرجاة . . . تعبرانها اليوم على مزجاة ، كأنها فُـلك النجاة خرجت بنا بين طوفان الحوادث ، وطغيان الـكوارث، تُـفَـارق برّاً مغتصبه مُضرىً الغضبة ، قد أخذ الاهبة واستجمع كالأسد للوثبة . . . إن للنفى لروعة ، وإن للبين للوعة ، وقد جرت أحكام القضاء بأن نعبر هذا الماء حين الشر مضطرم، واليأس محتدم ، والعدو منتقم ، والخصم محتكم ، وحين الشامت جذلان مبتسم ، يهزأ بالدمع وان لم ينسجم، نفانا حكام عُجم ، أعوان العدوان والظلم ، خلفناهم يفرحون بذهب اللُّـجم ، ويمرحون فى أرسان يسمونها الحـُـكم » .

فقد أباح النفى للشاعر ان يسرى عن نفسه ويصرح ببغضه حكومة مصر إذ ذاك

ويرى فيها وسيلة لأغراض الاحتلال ومظاهر لارادته وسلطانه : «ضربونا بسيف لم يطبعوه ، ولم يملكوا أن يرفعوه أو يضعوه ، سامحهم فى حقوق الأفراد ، وسامحوه فى حقوق البلاد ، وما ذنب السيف إذا لم يستحى الجلاد» .

وهنا نجد الشاعر صريح النقمة ، فاضت نفسه بشعورها كما وجدت متنفساً ، ولكنه مع هذا بصير يشتق من الحوادث الآيات والعبر ، ويستنبط من التاريخ العظات والسور : « أنظرا تريا على العبرين عبرة الأيام ، حصون وخيام ، وجنود قعود وقيام ، جيش غيرنا فرسانه وقواده ، ونحن بعرانه وعلينا أزواده ، ديك على غير جداره ، خلا له الجو فصاح ، وكلب فى غير داره ، انفرد وراء الدار بالنباح» . ومن لا يذكر سلطان الانجليز وسيطرتهم على القناة والبرية أيام الحرب العظمى ... وبعد أن أفاض الشاعر فى ذكر الحوادث التاريخية التى لابست طورسيناء ختم كلمته بقوله: «ثم انظرا اليوم تريا القناة فى يد القوم إن أمنوا ركزوها ، وإن خافوا هزوها» .

لم تخل هذه القصيدة المنثورة من عاطفة الحزن ومن التأمل والتفكير ، وهى مع ذلك تمثل حال مصر فى تلك الفترة تمثيلاً قوياً واضحاً . أما هذا الأسلوب فليس فيه جديد ، ولا يروق أكثر الناس هذا السجع لأنه يحول بينهم وبين قراءته وتفهم معانيه ومافيه من تصوير وأفكار . وشوقى يعترف أنه قلد فى هذا الأسلوب الزمخشرى والأصبهانى ، وماذا عليه لو عمد الى الارسال ؟ أظن نفعه كان يكون أعم ، وربما استطاع أن يخدم الكتابة الحديثة ، ولكن شوقى حريص على الموسيقى اللفظية ورنة الأسلوب .

وهنا نلاحظ أن شوقى أعرض عن ذكر الخديوى واتجه اتجاهاً تاريخياً شخصياً وستجد ذلك واضحاً جداً فى أندلسياته .

— ٤ —

وأخيراً نجد الشاعر فى الأندلس ، وكم فى الاندلس من آثار عربية ، وكم تثير الأندلس من ذكريات تاريخية مجيدة ، فتلك الآثار تحدث عن دول كانت ملء الدهر ورجالات سلبوا عروشاً وفقدوا ملكاً كبيراً ، كان للأدب فى ظلالهم سوق رائجة وللفن فى رحابهم آيات رائعة خالدة ماتوا فخلدتهم الآثار ، ورددت أصداءهم الأحاديث والاشعار ، وهناك ظفر شوقى بعين ثرارة تفيض عزاء وسلوى ، وتملأ النفس عبرة واعتباراً ، فاتخذ من ذلك معيناً لشعر هو الشعر فى عاطفة ، جمع فيه بين الحاضر والغابر ، ووصل بين الشرق والغرب ، ولاءم بين نفسه و نفوس غيره من الشعراء .

نزل شوقى بلاد الأندلس ، وفى نفسه ذكرى مصر ماثلة وتلك الحوادث التى أقصته عنها . فاذا به يرى الحمراء ، ويذكر فى أرجائها موقف البحترى من موائد كسرى بعد مقتل المتوكل ، ثم يذكر ابن عباد وابن زيدون ولسان الدين بن الخطيب وعبد الرحمن الداخل صقر قريش . وهكذا بقى يستخرج من الماضى صور الحاضر ويقول فى ذلك الشعر معارضاً الأندلسيين وغيرهم حتى ودع الاندلس وعاد إلى مأواه .

غير هذا المكان أوسع صدراً للموازنة بين البحترى وشوقى فى هذه الوقفة على آثار الماضين ، فقد يكون بينهما فى الظاهر ما يدعو الى الموازنة ، وقد يُضعف هذه الموازنة ما بين الحالين من فروق جوهرية تجعل الموازنة نوعاً من السخرية والعبث ، ولكن الواقع أن شوقى وقف بقصر الحمراء وذكر سينية البحترى :

صنتُ نفسى عما يدنس نفسى ... وترفعت عن جدا كل جبس

وأخذ يعارضها بقصيدته « الرحلة الى الأندلس » :

اختلافُ النهار والليل يُنسى ... اذكرا لى الصبا وأيام أنسى
وصِفا لى مُلاوةً من شباب ... صُوِّرت من تصورات ومَسِّ
وسلا مصر : هل سلا القلب عنها ... أو أسى جرحه الزمان المؤسِّى ؟
كلما مرت الليالى عليه ... رقّ ، والعهد فى الليالى تُقسِّى
مستطارٌ إذا البواخر رنّت ... أول الليل أو عوت بعد جرس
راهبٌ فى الضلوع للسفن فطنٌ ... كلما ثرن شاعهن بنقس
يا ابنة اليم ما أبوك بخيلٌ ... ما له مُولعاً بمنع وحبس
أحرام على بلابله الدو ... حُ ، حلال للطير من كل جنس ؟!
وطنى لو شُغلت بالخلد عنه ... نازعتنى إليه فى الخلد نفسى !

ثم أخذ شوقى يصف مشاهد مصر والنيل والقاهرة وضواحيها وآثارها . وهو تصوير تشترك فيه العبرة مع الحزن حتى يقول :

يا فؤادى لكل أمر قرارٌ ... فيه يبدو وينجلى بعد لُبس
عقلت لجّةُ الأمور عقولا ... كانت الحوتَ طول سبح وغَسِّ
غرقت حيثُ لا يُصاح بطاف ... أو غريق ولا يصاخُ لحِسِّ
فلك يكسف الشموس نهاراً ... ويَسومُ البُدور ليلة وكس !

ولما فرغ من الناحية المصرية انتقل إلى حيث يقيم ، فاستعرض تاريخ العرب فى الأندلس استعراض إجلال وعظة :

أين مروان فى المشارق عرش أموى وفى المغارب كرسى ؟
سقمت شمسهم فردت عليها نورها كل ثاقب الرأى نطس
ثم غابت وكل شمس سوى هاتيك تبلى وتنطوى تحت رمس !
وعظ البحترى إيوان كسرى وشفتنى القصور من عبد شمس

واذا استمررت فى قراءة القصيدة ولا سيما هذا القسم التاريخى تلمس آثار البحترى وروحه واضحة بينة ، فانظر فى قول البحترى يذكر إيوان كسرى :

ليس يُدرَى أصنع إنس لجن سكنوه أم صنع جن لانس !
غير أنى أراه يشهد أن لم يكُ بانيه فى الملوك بنكس

وهذا قول شوقي يذكر قصور قرطبة :

فتجلت لىَ القصور ومَن فيـ ـيها من العزّ فى منازل قُعْس
ماضَفَتْ قط فى الملوك على نذ لِ المعالى ولا تردّت بنجس

ويتضح ذلك جداً حين يذكر الحمراء ويوازنها بالقصر الابيض فى المدائن ثم يختم القصيدة بهذا البيت الذى يختصرها اختصاراً :

واذا فاتك التفاتٌ الى الما ضى فقد غاب عنك وجه التأسّى !

— ٥ —

وأما معارضته ابن زيدون فى قصيدته النونية :

اضحى التنائى بديلا من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا !

فيظهر أن شاعرنا استطاع أن يتسامى بعاطفته أو نظرته فى أول القصيدة لمـّا تحدث عن العرب والوفاء لهم ، وكم فرق بين الوفاء لمحبوبة هى ولادة بنت المستكفى بالله لدى ابن زيدون وبين الوفاء لدولة ذاهبة هى — لدى شوقى — جلال الدين والأخلاق .

يستهل شوقي قصيدته بخطاب ابن عباد ويوازن بين حاليهما :

يانائح الطلح أشباه عوادينا نشجى لواديك أم نأسى لوادينا ؟
ماذا تقص علينا غير أن يداً قصت جناحك جالت فى حواشينا !
رمَى بنـا البين أيكاً غير سامرنا أخا الغريب ، وظلا غير نادينا

والحق أن شوقى هنا ظاهر واضح لايتأثر مثالا ولايحاول صنعة لفظية لانه انفرد بعاطفة شاكية ربما كانت أوسع أفقاً وأسمى درجة من عاطفة ابن زيدون الفردية :

آهاً لنا نازحىْ أيك بأندلس وإن حللنا رفيفاً من روابينا
رسمٌ وقفنا على رسم الوفاء له نجيش بالدمع ، والاجلال يثنينا
لفتية لا تنال الأرضُ أدمعَهم ولا مفارقهم إلا مُصلّينا
لو لم يسودوا بدين فيه مَنْبَهةٌ للناس كانت لهم أخلاقُهم دينا !

ويذكر مصر ويعود الى التمسك بالصنعة اللفظية ويقرب من ابن زيدون فى أسلوبه التصويرى :

ياساريَ البرق يرمى عن جوانحنا بعد الهدوء ويهمى عن مآقينا
لمّا ترقرق فى دمع السماء دماً هاج البكا فخضبنا الأرض باكينا
الليل يشهد لم تهتك دياجيه على نيام ولم تهتف بسالينا

* * *

ويا مُعطَّرة الوادى سرتْ سحراً فطاب كل طروح من مرامينا
هل من ذيولكِ مسكىٌّ نحمله غرائبَ الشوق وشياً من أمالينا
الى الذين وجدنا وُدَّ غيرهم دنيا وودَّهم الصافى هو الدينا

وبعد الشكوى وعدم غناء الصبر يعود إلى مصر ومجدها ومشاهد النيل وآثاره ثم يعرج على حاله هو السابقة ، وكيف تنبه الدهر إليهم بعد نومه عنهم : —

ولم ندع لليالى صافياً ، فدعت (بأن نُغَصَّ فقال الدهر : آمينا !)
لو استطعنا لخضنا الجوَّ صاعقة والبرَّ نارَ وغىً ، والبحرَ غسْلينا
سعياً الى مصر، نقضى حقَّ ذاكرنا فيها إذا نسيَ الوافى وباكينا

وتنتهى قصيدته بالحنين الى والدته بحلوان .

* * *

ولشوقي نظير آخر فى الغربة والألم ولكنه ظفر بملك عتيد كان آية الشرق فى الغرب ، ذلك هو صقر قريش أو عبد الرحمن الداخل الفاتح الثانى للأندلس والمقيم فيه مجد أمية بعد أن أُديل منها لبنى هاشم فى الشرق ، وشوقى يعارض هنا لسان الدين بن الخطيب في موشحه :

جادك الغيثُ إذا الغيث همى | يازمانَ الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك الا حلما | فى الكرى أو خلسة المختلس

قال شوقي يرحمه الله :

مَن لنضو يتنزى ألمَا | برّح الشوقُ به فى الغلس
حنَّ للبان وناجى العلمَا | أين شرقُ الأرض من أندلس ؟

• • •

بلبلٌ علمه البينُ البيانْ | بات فى حبل الشجون ارتبكا
فى سماء الليل مخلوعُ العنانْ | ضاقت الأرضُ عليه شبكا
كلما استوحش فى ظل الجنانْ | جُنَّ فاستضحك من حيث بكى
ارتدى بُرنُسَهُ والتثما | وخطا خُطوةَ شيخ مرعَس
ويُرى ذا حدَبٍ إن جثما | فإنْ ارتدَّ بدا ذا قعَس

وفى الحق أن هذا التوشيح قصة حقة لبطل من أبطال التاريخ استطاع شوقى أن يصورها تصويراً خيالياً رائعاً ، وأن يستنهض بها همة الشباب لو صحا الشباب ، وأن يبعث بها عاطفة الإجلال لهذا الصقر ومحبته والاشفاق عليه فى جهاده الأول أو بعبارة أخصر استطاع الشاعر أن يضم الناس الى جانب هذا البطل العظيم . ترى فى هذا التوشيح كيف انسلّ عبد الرحمن الداخل بين الخطوب وهو يتحرق حزناً على مجد أمية الزائل، وطموحاً الى مجد آخر يعوض عليه فى الغرب ما أفلت منه فى الشرق ولكن شوقى يسايره ، ويخلع عليه من نفس الحزن والأسى :

ناحَ إذْ جفناى فى أسر النجومْ | رسفا فى السهد ، والدمعُ طليقْ
أيها الصارخ من بحر الهمومْ | ما عسى يُغنى غريقٌ عن غريقْ
إن هذا السهم لى منه كُلومْ | كُلُّنا نازحُ أيكٍ وفريق
قلبٌ الدنيا تجدْها قِسَماً | صُرِّفتْ من أنعُمٍ أو أبؤس
وانظر الناسَ تجدْ مَنْ سَلِمَا | من سهام الدهر شجته القِسِى !

ثم أخذ يعرض قصة هذا البطل فى تصوير قوى ، ويلم بما كان بين أمية والعباس وما قام به هذا البطل فى الأندلس من مجد يقوم على الخلق المتين والعزيمة الصادقة حتى مات وذهب رمسه وبقى ذكره فى ألسنة التاريخ . ولن نستطيع هنا استعراض هذا الموشح البديع وإنما نجده يتلخص كما قلت لك فى الحزن والاعتبار .

— ٦ —

وبعد لأى يودع شوقى منفاه إلى مصر، ويودع الأندلس هذا الوداع فى عاطفة وإن كان قديم المنهج تقليدىَّ الأسلوب :

أنادى الرسمَ لو ملكَ الجوابا وأجزيه بدمعى لو أثابا
وقلَّ لحقه العبرات تجرى وإن كانت سواد القلب ذابا!
سبقن مُقبِّلاتِ الترب عنى وأدين التحية والخطابا
نثرتُ الدمع فى الدمن البوالى كنظمى فى كواعبها الشبابا!

***

وداعا أرض أندلس! وهذا ثنائى إن رضيت به ثوابا
وما أثنيتُ إلا بعد علم وكم من جاهل أثنى فعابا
تخذتك موئلا فحللتُ أندى ذراً من وائل وأعزَّ غابا

***

أحقٌّ كنت للزهراء ساحاً وكنت لساكن الزاهى رحابا؟
ولم تكُ (جورُ) أبهى منكِ ورداً ولم تك (بابلٌ) أشهى شرابا؟
وأن المجد فى الدنيا رحيق إذا طال الزمان عليه طابا؟

وليس من شك عندى أن هذه القصيدة تتكشف عن عاطفة فرحة تخلو أو تكاد من ذلك الحزن الذي كان يغشى شعر شوقى وهو فى صميم النفى وفى الأندلس، فلا تحسّ هنا إلا الوفاء وعرفان الجميل والسرور بالعودة الى الوطن :

ويا وطنى لقيتكَ بعد يأس كأنى قد لقيتُ بك الشبابا
وكل مسافر سيؤوب يوما إذا رُزق السلامة والإيابا
ولو أنى دعيتُ لكنتَ دينى عليه أقابل الحتمَ المجابا!

وقد عاد شوقى الى وطنه وأخذ منذ وصوله يتصل بالحياة الاجتماعية لمصر والمصريين، وحسبك أن هذه القصيدة أنشدت فى اجتماع لجان التموين (بالأوبرا الملكية سنة ١٩٢٠ م.) أيام كان الغلاء آخذاً بالخناق والحياة المادية حرجة مضطربة وقد تناول الشاعر ذلك فى القسم الثانى من هذه القصيدة.

لست أزعم أن هذا كل ما قال شوقى فى الأندلس، بل ربما كان الأرجح بل

الواقع أن لشوقى شعراً كثيراً قاله هناك لم يتيسر نشره للآن ، ومهما يكن الأمر فاننا نستطيع من هذا القسم الصغير الذى أشرنا إليه فى هذه السطور أن نتمثل شوقى فى هذه الفترة من حياته تمثـلاً أدبياً ممتازاً :

(١) فأول ما نلاحظ أنه لم يكن لشوقى مذهب اجتماعى أوفلسفى أو فكرة خاصة عن الحياة وكيف تكون ، لأن شوقى لم يكن إلى هذا العهد من شعراء الفكرة الذين يدعون الى مبدإ محدود معين ، فعهده الأول عهد ثناء على القصر ورجاله ثم تصوير ما يلابسه من مظاهر الملك وجلاله ، وهذا المذهب قديم شاع بين كثير من شعراء العرب فى القرون الأولى أيام كانوا يتخذون الشعر وسيلة للحياة المادية يوزعونه بين المديح والهجاء ، دون أن يكون هو نفسه غاية لجماله ولتصوير المشاعر والعواطف ، ودون أن يكون الشعر وسيلة لأداء ما يسمى الرسالة الحيوية للشاعر كالوطنية والاستقلال والاشتراكية والحرية وما إلى ذلك ، وربما كان من الغبن والإرهاق أن نطلب ذلك الى شوقى فى تلك البيئة العامة أو الخاصة التى كانت تحيط به، فقد كان يوجَّه إلى مدحة الخديو أو الخليفة لا لفكرة الوطنية أو الزعامة الشرقية. وإنما كان ذلك كله لهذه الصلة بين شوقى وبين هذه النواحى العليا ، وهى صلة رسمية ليس غير عتادها الأشكال والمظاهر لا العقائد والمبادىء . فلم يكن شعره فى أوليات حياته — على أنه شعر المبتدىء — ممتازاً عن الشعر القديم فى موضوعه ومنهجه .

ولما نُفى انبعثت فى نفسه معانى حب الوطن ، وعدم الاغترار بالأيام ، والاعجاب بالبطولة ، ووجوب التبصر والاعتبار ، وكل تلك معان جزئية عامة لا تكوّن مذهباً إجتماعياً عاماً ، ولا تتضام فكرة فلسفية وعقيدة ممتازة يحيا بهـا الشاعر ، بل ربما كانت معانى طارئة بسبب هذا النفى ذهبت حدّتها بذهابه وإن بقيت أثارة منها فى شعره آخر حياته .

والحق أنك لا تجد هذه الخاصة إلا فى عدد قليل جداً من شعراء العربية كالمعرى والمتنبي وأبى نواس وطرفة وجميل ، وإن كان لأكثر شعرائها شخصيات فنية واضحة ولـكن شعر المبادىء والعقائد عندنا قليل إلا إذا رأينا فى النفعية مبدأ فنياً !

واذا كان لابد لنا من ذكر فكرة كان شوقى يدور حولها أيام المنفى فهى العودة الى مصر وكفى .

(٢) وأما عواطفهُ التى سادت شعره واستأثرت به فى أول الأمر فالغالب انهـا

كانت عواطف شخصية ، وقلما كانت تتناول الناحية الاسلامية العامة أو الصالح المصرى . هى فى الغالب تلك المشاعر التى تتجه الى شخصه وما يصله بهذه الجهات العليا ، وقد رأينا فيما استعرضنا من شعره آنفاً أن عاطفة الحزن تملكته فى منفاه وربما لم يكن من المبالغة اذا اعتبرناه حزناً على نفسه وبعده عن مصر وعن آله وخاصة أمه (بحلوان) :

كنز (بحلوان) عند الله نطلبه خيرَ الودائع مِن خير المؤدينا
لو غاب كلٌّ عزيز عنه غيبتنا لم يَأته الشوقُ إلا من نواحينا
إذا حملنا لمصر أو له شجناً لم ندرِ أىٌّ هوى الامَّين شاجينا

وربما كان من الحق أيضاً أن ما صحب هذا الحزن من العبرة والبصر فى التاريخ واستنباط المواعظ واستعراض الآيات ، كل ذلك كان خير ما امتاز به منفاه . فقد جعله شاعراً مديد البصر والبصيرة يشرف على الحياة ويصل بين الماضى والحاضر ، وسِرٌّ ذلك الشعور هو ما ألمَّ به وما حدث حوله :

فى بُرهة يذر (الاسِرّةَ) نحسُها مثلَ النجوم طوالعاً وأفولا

فإذا كتب لشوقي أن يُقرأ شعره الأندلسى فقد يكون ذلك لما فيه من هذه الناحية التاريخية . ولا سيما (صقر قريش) و (الأندلس) . ففى هاتين تغلب العاطفة العامة السامية التى تجد النفوس فيها مجال الروعة والإيناس .

(٣) لاتجد لشوقى خيالاً مبتكراً إلا فى النادر ، وطريقة تصويره البيانى ، ليست إلا تأثراً لأساتذته من الشعراء السابقين . فالرسم والوفاء له . والوقوف عليه والتشبث به . وإرواؤه بالدموع ، والمواقف المحجلة ، والرمس الخالى ، وصنعاء وقس والعقيق والعرصات وغيرها ، كل تلك يستخدمها شوقى فى تصوير معانيه المتصلة بالحوادث العصرية . نعم يحاول شوقى عند ما يصف الآثار المصرية ومشاهد النيل أن يتحلل من هذه الصور تحللا لفظياً ويسدل عليها شيئاً من حزن نفسه كما كان يفعل البحترى وابن زيدون وغيرهما :

وأرى (الجيزةَ) الحزينة ثكلى لم تُفق بعدُ من مناحة (رمسى)

والحق أنه هو الحزين :ـ

أكثرت ضجةَ السواقي عليه وسؤالَ اليراع عنه بهمس

وقيامَ النخيل صفّرن شعراً وتجردنَ غيرَ طوقٍ وسَلسِ
وكأن الاهرامَ ميزانُ فرعو نَ بيومٍ على الجبابرِ نحسِ !

(٤) اسلوب شوقى هو اسلوب البحترى والمتنبى وابن زيدون والشريف وغيرهم من تلك المثل التى احتذاها الشاعر ورأى فيها القوة والجمال والرصانة والموسيقى مما هو أليق بمعانيه ونزعته فى المحافظة على لغة القرآن كما هى بلاغة وقوة ، وكم كان يكره شوقي هذه الميول الى تنوع القافية فى القصيدة أو النزول الى ليان الأسلوب وهلهلته ، بل كان يعجب دائماً بهذا الرنين الموسيقى الذى يقرع الأسماع ويضمن له التأثير والاعجاب مهما يكن مداه طولاً وقصراً .

واذا كان لابد من اختصار ذلك كله فى كلمة واحدة فلا شك عندى أن شوقي كان يتجه فى شعره الى الماضى اكثر من الحاضر ، واذا استطعنا أن نقول بأن حافظاً كان شاعر (مصر المظلومة) فقد كان شوقى ... ماذا ؟ ؟

احمد الشايب

◆◆◆◆◆

شوقى والمتنبى

فى ثوبٍ

أتيح لى منذ عشر سنوات ان أتصفح كتاباً ألفه ابوسعيد محمد بن احمد العبيدى وسماه « الابانة عن سرقات المتنبى » . وكنت وقتئذ متشبعاً بالاعجاب بالقدماء واكبارهم وتقديسهم ، وأرى أن كل من اوغل فى القدم من الشعراء كان اجود شعراً وأعلى كعباً فى اللغة والأدب . وقد تأثرت بفكرة : « ما غادر الأول للآخر شيئاً» او كما قال « عنترة » فى معلقته :

هل غادر الشعراء من متردمِ أم هل رفعت الدارَ بعد توهمِ ؟

فلما وقع بيدى هذا الكتاب قلت إن ذلك ليس بالجديد ، فالمتنبي شاعر القرن الرابع الهجرى وقد سبقه عدد غير قليل من الشعراء الاسلاميين والمخضرمين ، بل سبقه اكثر من مائة وخمسين شاعراً هم فحول شعراء الجاهلية الذين كانت القبائل

تعتزّ بهم وتفاخر بنبوغهم ، فليس بعيداً ان يكون المتنبي قد أخذ عن بعض هؤلاء الشعراء شيئاً ، خصوصاً فى أوائل عهده وفى مطلع حياته الشعرية .

وشرعت أتصفح الكتاب متمعناً فيما يحويه ، فألفيت صاحبه يتبرأ فى مقدمته من الظلم ، ويتشيع للعدل والانصاف ، ثم هو ينعى على ادباء زمانه ومتأدبيه حالةً نعيها نحن على متأدبى زماننا وناشئته ، إذ يأخذون بالشهرة فى الادب ، ولا يحكّمون الفهم والادراك أو القواعد الادبية فيما يقرأون أو يسمعون . فهم يتشيعون للشاعر أو الكاتب متى كان اسمه معروفاً وفى المجالس بالشهرة محفوفاً . فاذا قرءوا لشاعر من هذا الطراز قصيداً ، او طالعوا لكاتب مشهور مقالا حكموا له بالسبق والتقديم . وتحدثوا معجبين ببلاغته وفصاحته وما له من سمو الفكرة وسعة الخيال واصابة المرمى ، وما الى ذلك مما لا ينهض به كل قصيد او مقال من القصائد والمقالات التى تزدان بامضاء أديب مشهور .

وقد حدثنى أديب مجهول أنه كتب مرة قطعة أدبية فى رثاء والدته ، وكتب عليها أنها ترجمة لقطعة وضعها «أناتول فرانس» يرثى بها والدته . ثم قدم الأديب المجهول قطعته لاحدى المجلات العربية الكبرى فحازت إعجاباً كبيراً لدى رئيس هذه المجلة وعنى بنشرها بين المقالات الأولى فى مجلته !

وما ذلك الا لأن أناتول فرانس قد حاز من الشهرة ما جعل كل شيء ينسب اليه محبوباً مقبولا . ويظهر أن الشهرة تعمى عن العيوب ، فهى تقرب الشخص إلى الناس بحيث ينسون نقائصه ولا يرون زلاته ، ويتمثلونه دمية بريئة من كل عيب ونقص ـ استغفر الله ـ بل انهم يتمثلونه صنماً لا يبحثون فى حقيقته ، ولا يجيزون لانفسهم يوماً أن ينقدوه أو يذموه ، وأغلب الظن انهم كذلك يعمون عن محامده ! واذا كانت له ناحية أو نواح جديرة بأن تفرد بالتقدير والاعجاب طمت الشهرة عليها ، فاغرقتها بين سائر النواحى التى يتشيع لها الجهلة والطغام . وكذلك الشهرة فى زماننا وفى الزمان الذى شكا منه صاحب كتاب « سرقات المتنبي » بل فى كل زمان تضعف فيه الثقافة ويعدم فيه جمهرةُ المتعلمين سعةَ الاطلاع ، وامعانَ النظر ، وكثرةَ الدرس ، وتحكيمَ الفهم والادراك .

وقد ظننتُ أن صاحب « سرقات المتنبي » سينهج لنفسه منهجاً حسناً خصوصا بعد ما قدمه فى مقدمته من التبرؤ من الظلم والتشيع للعدل والانصاف ، ولكن الرجل

- على ما يظهر - كان موغر الصدر على المتنبي ، وكان حاقداً عليه كل الحقد لشهرته التي حازها واصبحت كالقدر الذى لا يغالب ! وقد حفزه على وضع كتابه هذا كلمة سمعها من اديب متشيع للمتنبي فى أحد مجالس الرؤساء ، خلاصتها : «سبحان من ختم بهذا الفاضل (يعنى المتنبي) الفحول من الشعراء واكرمه ، وجعل له من المحاسن ما يعثر فيه كل من تقدمه . ولو أُنصِف لعلق شعره كالسبع المعلقات من الكعبة » .

فردّ عليه ابو سعيد بكلام لولى لادع اثبته فى مقدمة كتابه . وهو من أجود مايرد به على خصم ، وينتقص به مقدار شاعر قد امتلكت شهرته القلوب والاذهان واصبح لا حيلة لحاقد عليه الا أن أن يتمحل عند ذمه فى ثنائه ، ويستعير محامده - لاظهار نقائصه ، ويستخدم دلائل قوته لاشهار مواطن ضعفه بأسلوب أدبى أظن لوعنينا بدرسه فى هذه الايام لأغنانا عن الأساليب المنحطة التي يستخدمها بعض الكتاب فى المهاترات الأدبية والسياسية ، ولكان لنا من ذلك أسلوب فنى يلذ لكل أديب ومحب للأدب أن يقرأه للفن فقط ولو لم يكن له صلة بموضوعه .

على أن أبا سعيد قد ذكر للمتنبي سرقات هى أبعد ما تكون عن وصف السرقة ، بل أن بعضها يشهد بفضله ، ويدل على أن أبا سعيد قد بالغ وتجاوز حدّ أوصاف السرقة والسلخ والمسخ والنسخ التى يذكرها علماء البديع ، وأوغل فى ذلك كله حتى ترى ان الرجل قد لجّ فى غلوائه ، وتجنّى على المتنبي فى كثير من الابيات التى ادعى أنها مسروقة . وما رأيك فى قول أبى سعيد من أن أبا الطيب المتنبي قد أخذ هذا البيت :

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعله لا يظلم

من قول محمد البيدق الشيبانى :

الظلم طبعك والعفاف تكلف والطبع أقوى والتكلف أضعف

وما رأيك أيضاً فى قول المتنبي :

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم

هل ترى كما رأى أبو سعيد أنه مأخوذ من قول محمد البجلى الكوفى :

هذا الزمانُ شئومُ كما تراه غشومُ
الجهل فيه جليل والعقل غثّ ملوم
والمال طيفٌ ولكنْ على اللئام يحوم

تقول هل ترى كما رأى ابو سعيد مع أن معنى بيت المتنبي يخالف معنى البيت الثانى من هذه الابيات الثلاثة وهو الذى يشير ابوسعيد أن المتنبي سطا عليه فسلبه معناه ؟ هذا فضلا عن اختلاف الصياغة التى هى فى الحقيقة أهم ما يعول عليه الناقد النزيه ، والتى هى الميزة التى تنفرد بها شخصيته كل شاعر وكل أديب . أما المعانى فهى شائعة على افواه العامة اكثر من شيوعها على افواه الأدباء ، وهى تتوارد على خواطر الكبار والصغار والعلماء والجهلاء . والفضل فى أن يكون الانسان له ملكة يستطيع بها التعبير عن هذه المعانى . وتختلف منازل الادباء باختلاف القدرة فى اجادة التعبير وحسن البيان وقوة التأثير . وان الامىّ الجاهل ليلهج من المعانى بما لو صيغ صياغة فنية لكان آية من آيات البلاغة ومعجزة من معجزات البيان .

لذلك لا ارى ان السرقة الادبية لا تكون سرقة حقيقية الا اذا سطا الاديب او الشاعر على صياغة شاعر من الشعراء وعلى خياله وانتحل شخصيته فى تعبيره الذى يميزه عمن سواه مع الاخذ من معناه أولفظه . أما اخذ المعنى مجرداً وصوغة صياغة فنية أخرى يبثّ فيها الشاعر روحه ، ويطبعها بطابعه ، فليس ذلك بسرقة . وانما مثل الشاعرين فى هذه الحال كمثل مصوّرين وقفا امام منظر واحد من مناظر الطبيعة المشاعة بين الجميع ، فرسم كل منهما له صورة تتسق مع ذوقه ، وتتفق واحساسه بالجمال ، ومقدار تأثره به . فترى لكل منهما طابعاً خاصاً مع وحدة المنظر ، وتطالع فى كل صورة منهما روحاً تختلف عن الأخرى ، وذوقاً يخالف ذوق الآخر . ويمكنك فى هذه الحال ان تحكم أيهما أبرع فى التصوير ، واقدر على استخدام موهبته أحسن استخدام .

وهذا ما أريد ان اقرره بين شوقى والمتنبي . فشوقى بدأ حياته بالنسج على منوال المتنبي واستمر على هذا المنوال طول حياته ، وكأنه تشبع بروح المتنبي من الصغر فلازمته هذه الروح ، وأخذ فى كثير من الاحيان يقلد صياغة المتنبي ويحذو حذوه ويعارضه . وله فى هذا الاحتذاء وتلك المعارضة كثير من القصائد .

على ان احتذاء المتنبي ومعارضته ليستا من السهولة بحيث يغفل الناقد عندها ما وهب شاعر كشوقى من مقدرة على إحكام الاحتذاء والتقليد ، وما منح من ملكة خصبة تساعده على ان يعارض شاعراً من اكبر شعراء العربية ويجيد فى تلك المعارضة الى حد جدير بالتقدير ، وإن كبا فى بعض الاحيان أو غلبه ضعفه امام قوة المتنبي .

لقد تقرأ القصيدة من قصائد شوقى التى يعارض او يحاكى فيها قصائد المتنبي فتحسّ فيها بتلك القوة التى امتاز بها المتنبي ، وتشاهد من فيض المعانى والحكم مايقنعك بانه شاعر فياض . فاذا رجعتَ الى قصيدة المتنبي وجدتها بمثابة الدليل الذى يرشد شوقى ، والقائد الذى يقوده ، ولكنك تجده فى بعض الاحيان يسبق الدليل اوالقائد بخطوات كثيرة ويزيد عليه وترى مظهر هذه الزيادة فى عدد الابيات والاغراض المتعددة التى يقتضيها الموضوع .

ولنضرب لذلك مثلاً فى هذه العجالة قصيدة شوقى « صدى الحرب » فى وصف الوقائع العثمانية اليونانية . فان عدد ابياتها ٢٦٠ بيتاً تناول فيها مدح السلطان عبد الحميد ، وعيد جلوسه ، ومعجزات الجنود على الحدود ، والحالة فى بحر الروم ، ومنعة السواحل العثمانية ، وزينب المتطوعة فى الموقعة ، ومضيق ملونا ، والقائد عبد الازل باشا ، وهزيمة طرناد ، والتلاقى على سهل فرسالا ، وغضب دوموقو ، وأحلام اليونان ، وعفو السلطان ، والتماس القبول .

فهذه القصيدة هى عدة قصائد مجتمعة قد اختلفت اغراضها وصورها وان اتحدت فى الوزن والقافية ، وهذا ما ساعده على اطالتها الى هذا الحد .

فاذا قارناها ببائية المتنبي التى يمدح فيها كافوراً والتى مطلعها :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب   وأعجب من ذا الهجر والوصل اعجب !

وجدنا أن شوقى قد اتخذ هذه القصيدة كالدليل فى نظم قصيدته . ولم يكتف بذلك بل انه عمد الى سلخ تراكيبها ومعانيها وسطا على نحو عشرين بيتاً من ابياتها . نقول سطا وسرق نحو عشرين بيتاً من سبعة وأربعين وهى عدد أبيات قصيدة المتنبي ، وادخلها بصياغتها فى قصيدته . وقد كنا نتزهه عن السرقة لو انه أخذ معنى هذه الابيات دون الصياغة التى هى طابع الشاعر ومظهر شخصيته . ولكنه لم يتورع عن أن يغتصب ابياتاً شادها المتنبي بقوة سليقته ، ومتانة طبعه وقدرته على تصريف القول بما لم يستطع احد قبله ان يصرفه حتى غالبت ملكته القوية جميع انداده من الشعراء وظهرت عليهم وجعلته يقول :

ودع كل صوت غير صوتى فاننى   انا الصائح المحكىّ والآخر الصدى

لم يتورع « شوقى » فأخذ عشرين أو اكثر من العشرين بيتاً ، وبدأ قصيدته بالصياغة التى بدأ بها المتنبي قصيدته فقال :

(بسيفك يعلو الحق والحق اغلب)   وينصر دين الله ايان تضرب

كما قال المتنبي فى مطلع قصيدته :

(اغالب فيك الشوق والشوق اغلب)   واعجب من ذا الهجر والوصل اعجب

يأبى شوقى إلاأن يأخذ الشطر الآخر من بيت المتنبي ، فيقول فىموضع آخر :

تبالغ بالرامى وتزهو بمـا رمى   (وتعجب بالقواد والجند أعجب)

وهذا نفس ما فعله شوقى فى مطلع قصيدة أخرى ، بل فى مطلع عدة قصائد . من ذلك قصيدته فى مدح الخديو السابق الذى يقول فى مطلعها :

(يود من الارواح ما لا توده)   ويفتك فيها مسرفاً وهى جنده)

فقد اخذه من مطلع قصيدة المتنبي فى مدح كافور وهو :

(أود من الايام ما لا توده   وأشكو اليها بيننا وهى جنده)

ولست أريد أن أتوسع فى هذا الباب ، فقد اعددت له كتاباً خاصاً . وحسبي فى هذا المقال أن أتحدث عن قصيدة « صدى الحرب » التى نحن بصددها ، والتى كان شوقى نفسه يفاخر بها فى أيامه الأخيرة ، وقد جعلها ثالث قصيدة فى الجزء الأول من ديوانه الجديد .

قال شوقى فى مطلع هذه القصيدة أيضا :

(وينصر دين الله أيان تضرب)

وهل تحسب أنه عبر هذا التعبير لو لم يكن المتنبي قال فى بعض أبياته :

(أراقب فيه الشمس أيان تغرب)

وقد يحسب بعضهم أننا نتجنَّى على شوقى حينما نقول أنه سرق الصياغة ، ولكن الواقع أنه سرق أو على الأقل اهتدى بتعبير المتنبى لكى يفصح عما فى ضميره . وهذا اذا لم يكن سرقة فهو احتذاء وتقليد .

ويقول شوقى :

ومملكة اليونان محلولةُ العرى   (رجاؤك يعطيها ، وخوفك يسلب)

وقد أخذه من قول المتنبي :

إذا لم تنطْ بى ضيعة أو ولاية   (فجودك يكسونى ، وشغلك يسلب)

ويقول شوقي :

تروح المنايا الزُّرق فيه وتغتدى (وما هى إلا الموج يأتى ويذهب)

فأخذه من المتنبي وسلخ خياله فجعله للبحر بدل الفرس فى قول المتنبي يصف فرسه:

له فضلة عن جسمه فى اهابه (تجيء على صدر رحيب وتذهب)

ويقول المتنبي فى وصف فرسه بعد البيت السابق :

(شققت به الظلماء أدنى عنانه فيطغى وأرخيه مراراً فيلعب)

(وأصرع أىّ الوحش قفّيته به وأنزل عنه مثله حين أركب)

فيأتى شوقى ويسطو على هذا الوصف ويقول فى وصف الحاج عبد الأزل باشا وفرسه :

اذا شهداها جدّدا هزة الصبا كما يتصابى ذو الثمانين يطرب

(فيهتز هذا كالحسام وينثنى وينفر هذا كالغزال ويلعب)

الى أن يقول :

(ذرونى وشأنى والوغى لا مباليا إلى الموت أمشى أم الى الموت أركب)

وأنت إذا قارنت هذا البيت والذى سبقه ببيتى المتنبي تجد أن شوقى قد سطا على خيالها سطواً واضحاً ، ورأى أن لامفر من أخذ كلمتى « يلعب » و « أركب » مع أخذه من خيال المتنبي معناه .

وانظر الى شوقى إذ يقول :

(فقبلت كفاً كان بالسيف ضارباً وقبلت سيفاً كان بالكف يضرب)

ثم أقرأ بعد ذلك قول المتنبي :

(إذا ضربت فى الحرب بالسيف كفه تبينت أن السيف بالكف يضرب)

ولا والله ، لوأن شوقى أخذ المعنى وصاغه صياغة أخرى تسمو عن صياغة المتنبي أو لو أنه وضعه وضعاً أقوى من وضع المتنبي ونفث فيه من شاعريته لما بخلتُ عليه بالتقدير والاعجاب ، لأنه يكون قد أتعب نفسه وأتى من عنده بشيء ينبغى أن يكافأ عليه بالتقدير والاعجاب .

ولكن شوقى رحمه الله كان مغرماً بالتقليد الى حد كبير . وهذا التقليد تلحظه فى عدة نواح من آثاره التى خلفها حتى فى رواياته وكتابه النثرى (أسواق الذهب)

الذي وضعه على نسق (أطواق الذهب) للزمخشري ، (وأطباق الذهب) للأصفهاني، وليس هنا مجال واسع للافاضة في هذا الموضوع .

واسمعه وقد أراد أن يعارض المتنبي وهو يخاطب كافوراً ويقول له :

(سللتَ سيوفاً علمتْ كل خاطب على كل عود كيف يدعو ويخطب)

فيأتي شوقي ويقول ـ معارضاً أو محاكياً أو محاذياً أو غاصباً أو ماشئت فقل ـ وهو يخاطب السلطان عبد الحميد :

(حسامك من سقراط في الخطب أخطب وعودك من عود المنابر أصلب)

وهذا مسخ ما بعده مسخ لبيت المتنبي . وما أشبه هذا التعبير بقول القائل : « طربوشك أحسن من طربوشه ، وعصاك أجمد من عصاه » ، على أنه فضلاً عن هذا التقليد والتعبير الممسوخ قد وقع في خطأ نحوي في هذا البيت حيث قدم « من » والمفضول : « من سقراط » و « من عود المنابر » على أفعل التفضيل : « أخطب » و « أصلب » ، والصحيح أن يقال :حسامك أخطب من سقراط ، وعودك أصلب من عود المنابر .

وقد وقع في مثل هذا الخطأ في البيت الذي يليه :

(وعزمك من هومير أمضى بديهة وأجلى بياناً في القلوب وأعذب)

وأراد أن يغطي السرقة في الشطر الثاني فقال أجلى (بالجيم) بدل أحلى وفي القلوب بدل في الفؤاد كما قال المتنبي :

(فان لم يكن الا أبو المسك أو همُ فانك أحلى في الفؤاد وأعذب)

وفي هذا التغيير بين أحلى وأجلى ، وفي الفؤاد وفي القلوب، مايدل على أن السرقة والتلاعب مقصودان .

وقد أخطأ شوقي ايضاً في قوله :

فلما دجى داجي العوان وأطبقت (تبلج والنصرَ الهلالُ المحجّبُ)

و (النصر) في هذا البيت مفعول معه و (الهلالُ) مصحوبه . وقد تقدم هنا المفعول معه على مصحوبه ، وهذا خطأ نحوي لانه من المقرر عند علماء النحو ألاّ يتقدم المفعول معه على عامله فلا تقول « والنيلَ سرتُ » ولا على مصحوبه فلا تقول : « أقبل والجيشَ الاميرُ » . وما في هذا البيت ينطبق على هذا المثال . والصواب أن يقال فيه : تبلج الهلالُ والنصرَ .

نرجع فنقول إن شوقي أبى الا أن يوغل فى الاخذ من قصيدة المتنبي غير هيّاب ولا وجل ، وكأنها مباحة له ، فاذا قال المتنبي :

ولو جاز ان يحووا عـلاك وهبتها (ولكنْ من الاشياء ماليس يوهب)

تبعه شوقى فقال :

فلولا سيوف الترك جرّب غيركم (ولكنْ من الاشياء ما لا يجرّب)

واذا قال المتنبي :

واظلم اهل الظلم من بات حاسداً (لمن بات فى نعمائه يتقلب)

انتحل شوقى الشطر الثانى من هذا البيت فقال :

سلاماً (ملونا) واحتفاظاً وعصمة (لمن بات فى عالى الرضا يتقلب)

واذا قال المتنبي :

وكل امرىء يولى الجميل محبب (وكل مكان ينبت العزّ طيب)

حسده شوقى فابى ألا ان يأخذه لنفسه أو يأخذ صياغة الشطر الثانى ويصيغها فى شعره بلا تورع ولا إباء ، فيقول :

وهل انت الا الشمس فى كل أمة (فكل لسان فى مديحك طيب)

وانك لتجد فى بيت شوقى تخلخلاً وعدم ارتباط لأن الشطر الثانى غير منسجم مع الأول كانسجامه فى بيت المتنبي الموضوع فيه وضعاً طبيعياً .

وكذلك اذا قال المتنبي :

(وأخلاق كافور اذا شئت مدحه وان لم أشأ تُملى علىّ وأكتب)

يأتى شوقى فيحسب انه سيلحق المتنبي فى هذا المعنى وفى هـذا الوضع القوى المحكم المملوء قوة وشعوراً والذى يصل الى الغرض من اقرب طريق . نقول يأتى فيقول مخاطباً السلطان :

(مدحتك والدنيا لسانٌ واهلها جميعاً لسانٌ يمليان وأكتب)

ويقول المتنبي مخاطباً كافور بعد البيت السابق :

(اذا ترك الانسان اهلاً وراءه ويمم كافوراً فما يتغرب)

فيقول شوقى :

(يلاقى بعيد الاهل عندك اهله ويمرح فى أوطانه المتغرب)

لا أريد ان أطيل فى ايراد الامثلة من قصيدة واحدة أودع فيها شوقى كثيراً من صياغات المتنبي وتعبيراته واخيلته ومعانيه . ولقد جرت بينى وأحد الاصدقاء مناقشة فى هذا الصدد فكان اعتذار هذا الصديق عن شوقى انه قال هذه القصيدة فى مفتتح حياته مع انه قالها فى اوج نضوجه الشعرى وفى عهد كهولته . على انه اذا كانت هذه القصيدة ليست من عيون الشوقيات التى يفاخر بها شوقى فلماذا وضعها فى صدر الجزء الاول من ديوانه الجديد ، ولماذا لم يحذف الابيات التى انتحلها من المتنبي وغيره ؟ ثم لماذا بدت هذه الروح فى كثير من اشعار شوقى حتى فى قصائده الأخيرة بل فى آخر مرثية له ، وهى التى رثا بها حافظ ابراهيم ؟ ونذكر هنا على سبيل المثال قوله :

وودتُ لو أنى فداك من الردى والكاذبون المرجفون فدائى !

فقد نسجه من قول المتنبي :

تطيع الحاسدين وأنت مرءٌ جُعلتُ فداءَه وهمُ فدائى !

ونستطيع ان نأتى بكثير من الشواهد على ذلك حتى من قصائده الاخيرة التى لم يمض عليها غير بضع سنوات . أليس شوقى هو الذى حذا حذو المتنبي فى مطلع قصيدته التى مدح بها على بن منصور الحاجب ، والتى بدأها بالغزل فقال :

بأبى الشموس الجانحات غواربا اللابسات من الحرير جلاببا
المنهبات قلوبنا وعقولنا وجناتهن الناهبات الناهبا
الناعمات القاتلات المحييا ت المبديات من الدلال غرائبا
حاولن تفديتى وخفن مراقباً فوضعن ايديهن فوق ترائبا
وبسمن عن برد خشيت أذيبه من حر انفاسى ، فكنت الذائبا !

واستمر فى هذا الغزل الى ان تخلص الى ممدوحه :

حال متى علم ابن منصور بها جاء الزمان الىَّ منها تائبا

فجاء شوقى على هذا المنوال وعلى هذه الصياغة نفسها وان اختلفت المعانى فقال :

بأبى وروحى الناعمات الغيدا الباسمات عن اليتيم نضيدا
الرانيات بكل أحور فاترٍ يذر الخلىَّ من القلوب عميدا
الراويات من السلاف محاجراً الناهلات سوالفاً وخدودا
اللاعبات على النسيم غدائراً الراتعات مع النسيم قدودا

أقبلن فى ذهب الأصيل ووشيه   ملء الغلائل لؤلؤاً وفريدا

إلى آخـر ماقال . . . .

وأحسب أننى لو أطلت فىهذا الباب لما اتسع له نطاق هذه المجلة . ولست أريد أن أظلم شوقىأو أتجنىعليه خصوصاً بعد أن خلا ميدانه واصبح فكرة بين طيات الزمن بعد أن كان شخصاً مجسماً له مطامعه التى كان لايألو جهداً فى ارضائها بما جُبلت عليه نفسه من حب الشهرة والغرام بها والسعى اليها من كل سبيل .

نعم لاأريد أنأظلمه ولا أتجنى عليه ، وأنا أعلم أن له من القصائد العصماء ماتكفى الواحدة منها لأن تخلد ذكره ، وأن لهمن الفضل فى النهضة الأدبية الأخيرة مايجب أن يعترف به كل من يتصدى للكتابة عنه ، ولكننى أقصد فيما أكتبه فىهذه المجلة وما كتبته فى مجلات أخرى ، وما سوف أكتبه فىكتاب خاص،الى أن أتحرى خدمة الحقيقة والأدب نفسه ، لالأن أتشيع للأسماء والألقاب مهما بلغت هذه الأسماء والألقاب من شهرة وخطر ؟

طاهر الطناحى



معارضات شوقى فى المرآة

البردتان — الداليتان — السينيتان

وجلست لأكتب عن شوقى بعـد ما مضى عليه فى جوار ربـّه اكثر من أربعين نهاراً وأصبح هو وشعره أمانة فى يد التاريخ الذى لايغبن ولا يحابى .

وكان بودى أن يواتينىالفراغ فأتناول ناحية منشعره بنوع من الدرس والتحليل تطمئن اليهنفسى و نفوس القراء . ولكنالشواغل وما أكثرها والظروف وماأقساها أبتْ إلا أن يجىء بحث اليوم قاصراً على دراسة قصائد ثلاث هى فى الحق عرائس شعره . عارض فيها ثلاثة شعراء يشهد التاريخ أنهم كانوا من أعلام الشعر وحاملى لوائه فى عصورهم : ونعنى بهم أبا عبيـد الله البوصيرى فى بردته — وأبا اسحاق الحصرى فى داليته — وأبا عبادة البحترى فى سينيّته . بَيْد أنى أعلم أنّ قصيدة واحدة من هذه القصائد الثلاث التى نحاول اليوم دراستها لو شئنا تحليلها والموازنة

العادلة الدقيقة بينها وبين مقابلتها لما وسعنا هذا العدد بأكمله ولذلك سنقتصر فى دراستنا لها على المقابلة السريعة بينها والاشارة الى المعانى التى اشترك فيها الشاعران والتى انفرد بها كل منهما ، وهل كان الثانى مبتكراً فى معارضته أومقلداً ، وإذا كان مقلداً فما مبلغ نجاحه وتوفيقه فى هذا التقليد .

البردتان

كان أبو عبد الله صاحب البردة تقياً صالحاً مشغوفاً بالعبادة متفانياً فى حب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعن هذا الحب الطافح فاضت هذه المنظومة الطويلة فهى فى الحق صورة لنفسه الطاهرة ومرآة لاحساسه نحوالرسول وآل بيته.وحسبك أن تعلم أنه كان مريضاً فشفى بفضل نظمها وإنشادها وأنه كان يرى الرسول صلى الله عليه وسلم خلال نظمه لها وأنه قد أتمّ لابى عبد الله فى نومه بحثاً كان قد استعصى عليه إتمامه .

فهل كان شوقي كذلك ؟ وهل كان متعلقاً بالرسول مشغولاً به كما كان صاحبه ؟ وهل كانت له بالرسول تلك الصلة العالية التى اجتمعت لابى عبيد الله وتحدث عنها جلّ المؤرخين ؟ هذا ما لانستطيع تحديده ولانريد الخوض فيه حينما نحن نجله عن أن يكون قد نظمها لتنازع بردة صاحبه مكانتها أمام الموتى وهو القائل :

أرى زمراً مشيعةً وأسمع أيْما صَوْتْ
ولو عَقَلوا لما نطقوا جَلالُ الموْتِ فى الموْتِ

ولكن الذى أعتقده ولا أومن بسواه أن شوقى رحمه الله انما نظمها حباً وطمعاً فى الشهرة التى نالها صاحبه ، وهذا الغرض وحده هو الذى حداه الى إخراجها واخراج أخواتها على ما سترى .

وكأنى به قد أراد أن يشتهر فى جميع الأوساط ويتعرف الى كل الطبقات فنظم هذه القصيدة الدينية التى قربت بحق ما بينه وبين المتدينين والمتصوفين فى هذا البلد ولهذا لاتتراءى لك فى بردة شوقى تلك العاطفة الفياضة التى تكاد تلمسها فى بردة البوصيرى ولا تلمح فيها الروعة والجلال اللذين تلمحهما فى أختها ، لا لأنها أقل منها بلاغة وانسجاماً ولكن لانه يعبر فيها عن شعور غيره ، وليست النائحة كالثكلى . ونعود الى البوصيرى فنجده قدقسم بردته قسمة تقريبية الى عشرة أقسام بدأها بالغزل وشكوى

الزمان ، ثم التحذير من النفس ، ثم المدح ، وحاكاه شوقى فى ذلك وإن كان قد زاد فى بعض النواحى وأوجز فى بعضها الآخر .

وقد طرّق البوصيرى لمدح الرسول وهو بيت القصيد بأكثر من خمسة وعشرين بيتاً،وأسرف فى ذلك شاعرنا حتى أوصل مقدمته الى خمسين بيتاً ، وسننظر أأحسن فى ذلك أم أساء .

يقول البوصيرى فى مطلع بردته :

أمِنْ تذكّرِ جيرانٍ بذى سلمِ مزجتَ دمعاً جرى من مقلةٍ بدمِ

ويقول أمير الشعراء :

ريمٌ على القاع بين البانِ والعلمِ أحلّ سفكَ دمى فى الأشهُرِ الحُرُمِ

وأنا أعتقد أنّ شاعرنا قد وُفِّق كثيراً فى اختيار هذا المطلع الموسيقى الرائع وكان أبرع من صاحبه استهلالا وأحسن ابتداءً . ولو أنه استعمل شطر البيت الخامس من بردته فى بناء ذلك المطلع الذى تراه فوق ما يبدو فيه من حسن السبك وائتلاف الألفاظ يحمل بين طيّاته معانى جديدة سامية حينما لم يزد صاحبه على هذا المعنى المطروق ونعنى به بكاء الانسان على فراق أحبته ولم يخرجه هذا الاستفهام الذى له مكانته من البيت عن كونه مبالغة غير مقبولة .

وقد ترى ذلك التقليد الذى حدثتك عنه واضحاً جلياً اذا قرأت للبوصيرى هذا البيت :

محضتنى النصحَ لكن لست أسمعهُ إن المحبَّ عن العذّالِ فى صممِ

وقرأت الى جانبه قول شوقى :

لقد أنلْتك أذناً غير واعية وربّ منتصتٍ والقلبُ فى صممِ

ويدرك مقدار عجزه عن مداناته .

وتخلص البوصيرى من ذلك الى ذم النّفْس والتحذير من هواها بالبيت الآتى :

فانّ أمّارتى بالسُّوء ما اتعظتْ من جهلها بنذير الشيب والهرمِ

ولو قرأت ما قبله وما بعده لرأيت أنه انتقال طبيعى لا يكاد يدرك بينما ترى شاعرنا ـ حين لم يوفق الى بيت يتخلص به من الغزل الى ما يريد ـ ينتقل انتقالا جديداً لا صلة بينه وبين ما قبله ويفصل ما بين المعنيين بحرف النداء فيقول :

لم اغش مغناك إلا فى غضون كرى ـ مغناك أبعدُ للمشتاق من إرم
يانفسُ دنياك تخفى كل مبكية ـ وإن بدا لك منها حُسْنُ مبتسم

وقد ذكر البوصيرى فى هذا الصدد أكثر من خمسة عشر بيتاً ضمَّن كل بيت حكمة خالدة قُدِّر لها الذيوع فسارت مسير الشمس فى الآفاق ـ وكذلك فعل شوقى وزاد عليه فى رائع الحكم وبالغ العظات .

ولقد تخلص بعد ذلك كل منهما إلى مدح الرسول وهو قوام هذه المنظومة ، فقال البوصيرى :

ولا تزوَّدتُ قبل الموت نافلةً ـ ولم أصلِّ سوى فرضٍ ولم أصُمِ
ظلمتُ سنّة من أحيا الظلامَ الى ـ أن اشتكت قدماه الضرَّ من ورمِ

وقال شاعرنا :

وإنْ تقدم ذو تقوى بصالحة ـ قدَّمتُ بين يديه عبرةَ الندمِ
لزمتُ باب أمير الأنبياء ومن ـ يمسكْ بمفتاح باب الله يعتصمِ

وكلاهما قد أحسن التخلص وأجاد الانتقال ، وإن كان الانسجام فى الأصل أظهرَ والاتصالُ أشدَّ وأوضحَ . وإخالك لا تجهل أن (أمير الأنبياء) الذى ورد فى هذا البيت تعبير جديد لم يُسبق اليه الشاعر .

وقد تحدَّث كل من الشاعرين بعد ذلك عن مولد الرسول ، فقال الأول :

أبانَ مولدُه عن طيب عنصرِه ـ ياطيبَ مبتدأ منه ومختتم

وقال الثانى :

أسرتْ بشائر بالهادى ومولده ـ فى الشرق والغرب مَسْرَى النور فى الظلم

وأنت ترى أن البيت الثانى وإن كان أبلغ فى التصوير وأوضح فى الاتساق فان الأول يتجلَّى فيه حبُّ المادح للممدوح وتفانيه فى شخصه ـ فضلا عما يحمله الشطر الأول من المعانى السامية التى لا تخفى على اللبيب .

وقد قال الأول بعد البيت السابق :

وبات إيوانُ كسرى وهو منصدع ـ كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم

وأراد شاعرنا أن يحاكيه فى ذلك فقال :

ربعت لها شُرفُ الإيوان فانصدعت ـ من صدمة الحق لا من صدمة العدم

وبهذا التشبيه الجميل استطاع الأول أن يصف لك حالتين : حال ايوان كسرى وحال الفرس عند مولد الرسول كل منهما فى شطر من البيت حينما لم يستطع شاعرنا بعد الجهد أن يعبر ببيته إلاّ عن المعنى الأول منهما ، مع ما بينهما من بون شاسع تستطيع أن تلمحه فى الفرق بين قول الأول : انصدع الايوان ، وقول الثانى : ريعت الشرفات .

ولقد أسهب شوقى بعد ذلك فى ذكر معجزات الرسول فذكر الاسراء والمعراج والهجرة ثم انتقل إلى الغزو والجهاد وشرف القرآن ، وذكر فى ذلك أكثر من مائة بيت ولعل السبب الذى مكنه من ذلك انما هو اتساع نواحى الفضل عند الرسول وكثرة ما أثر عنه من حميد الصفات وجليل الأعمال. ولقد تعرض البوصيرى فى بردته لوصف القرآن الكريم وعجز العرب عن معارضته وذكر فى ذلك فصلا كاملا يستريح أليه الباحث وأجمل ذلك شاعرنا فى أبيات قلائل ليس فيها ما يستحق الاعجاب ويستأهل الثناء سوى هذا البيت :

آياته كلما طال المدى جُدد يزينهنّ جلالُ العتْق والقِدَم

أما الغزو والجهاد فى سبيل الله فقد تحدّث عنه كل منهما كما أسلفنا وإن كان البوصيرى قد اقتصر على وصف المسلمين وانتصاراتهم وبسالتهم فى الحروب وما شابه ذلك حينما شوقى لم يقف عند هذا الحد بل تراه يتحدث اليك عن سر الفتح الاسلامى ، وحال الناس قبل الاسلام ، وفائده الحروب والدولات التى قضى عليها الاسلام ، ويبسط أمامك صفحة خالدة من تاريخ المسلمين فى حياتهم الأولى ، وهذه محمدة لأمير الشعراء وميزة له لانستطيع اغفالها .

وبعد هذا ترى البوصيرى يناجى الرسول صلى الله عليه وسلم فى عدة ابيات ضمنها الاعتراف بالذنب وطلب المغفرة والتوسل بالرسول وتعليق الآمال عليه والتشرف بتسميته باسمه ، ويقلده شوقى فى كل ذلك فيبدع ويجيد ولا سيما فى المعنى الأخير حيث يقول :

يا أحمد الخير لى جاهٌ بتسميتى وكيف لايتسامى بالرسول سَمى

وإن كان لم يقل فى ذلك اكثر من بيتين اثنين مما جعلنا نشك فى اخلاصه فيما يقول . ثم يختتم الاول بردته بعرض مطالبه وبسط آماله والضراعة الى الله وطلب الرحمة والمغفرة ، وكذلك يختتم شاعرنا بردته بالصلاة على ارسول وآل بيته الطيبين الطاهرين .

بعد هذه الموازنة السريعة بين البردتين نستطيع ان نقرر ما يأتى :

أولاً : أن شوقى قد طرق فى بردته نواحى عدة لم يطرقها صاحبه وقد أجاد فيها حتى لنكاد نعتقد أن الاول لوتحدث عنها لما بلغ مبلغه . من ذلك وصف الشريعة الاسلامية وأثرها فى نفوس العرب ومبلغ حب العجم لها واقبالهم عليها ، واستمع اليه إذ يقول فى ذلك :

شريعة لك فجرت العقول بها عن زاخر بصنوف العلم ملتطم
يلوح حول سنا التوحيد جوهرها كالحلى للسيف أو كالوشى للعلم

ومن ذلك الخلفاء الراشدون ومبلغ علمهم واخلاصهم وغيرتهم على الاسلام والمسلمين ويصف لك شيئاً مما حدث لعمر عند موت الرسول ، واليك بعض ما قاله فى (على و عثمان) رضى الله عنهما :

من كالإمام إذا ما فض مزدحماً بمدمع فى مآقى القوم مزدحم
الذاخرُ العذب فى علم وفى أدب والناصرُ الندبُ فى حرب وفى سلم
أو كابن عفان والقرآن فى يده يحنو عليه كما يحنو على الفطم
ويجمع الآى ترتيباً وينظمها عقداً بجيد الليالى غير منفصم

وثانياً : أن بردة شوقى قد انتظمت طائفة من الحكم الخالدة ابتكر بعضها واقتبس بعضها الآخر من الأصل الذى عارضه . وقد تصرف فى هذا الذى اقتبسه تصرفاً محموداً ميّزه وأظهر فضله فيه — هذا الى ما تمتاز به من جزالة الألفاظ وتنوع المفردات واستقرارها مما يدل على ثراء الشاعر وانقياد العربية اليه .

أما بردة البوصيرى فمن الاشياء الجلية التى تمتاز بها أنها :

أولا صورة صادقة لنفس صاحبها كما حدثتك وترجمان ناطق بما يحسه نحو ممدوحه بخلاف بردة شوقى فانها محض ترسم واقتفاء وتقليد لا صلة فيها بين المادح والممدوح إذا قيست بالأصل المعارض ، اللهم إلا صلة العقيدة التى لا يستطيع تحديدها غير صاحبها . ولعل هذا الاخلاص والصلاح اللذين توفرا لصاحبها هما اللذان قدرا لها الذيوع والرواج بين آلاف من نوعها .

وما كان شوقى رحمه الله لينكر على صاحبه مكانته من الرسول أو ينافسه حبه له وتعلقه به وهو القائل فى أدب الفضلاء وتواضع العظماء يخاطب الرسول :

مديحه فيك حبٌّ خالص وهوى وصادق الحب يملى صادق الكلم
الله يشهد انى لا أعارضه من ذا يعارض صوب العارض العرم

وثالثاً : انك تلمح فيها المعانى مرتبة متصلا بعضها ببعض حتى لتكاد تحسبها فصولا مستقلة كل فصل له مطلعه ومقطعه ، بينما ترى بردة شوقى قد اختلطت فيها المعانى بحيث ينتقل من توسل الى مديح ثم إلى وصف ومناجاة ثم يعود بك إلى التوسل ويستطرد فيذكرلك شيئاً من الصفات على حسب ورودها فى ذهنه من غير ترتيب ولا نظام

ورابعاً حسن الانتقال حتى لتكاد تقرأ القصيدة كلها فلا تحسُّ فيها بتخلص أو انتقال وهذا لم يتوفر لشوقى لأن أبياته التى اختارها لتكون واسطة انتقال كانت تائهة غريبة لا صلة لها بسابقها ولا علاقة لها بتاليها ولهذا أثره فى تجزئة المعانى وعدم ارتباطها وتآلفها فى ذهن القارىء والسامع .

هذه موازنة اجمالية بين البردتين وسنعود اليهما فى فرصة أخرى بالتحليل الجزئى والمقابلة الكاملة .

﴿ الداليتــان ﴾

نستطيع أن نقول بعد الذى قدَّمناه إن شوقى بك قد عارض ميمية البوصيرى فى جملتها ولكنا سنراه فى هذه القصيدة قد أمسك بريشته ونصب الأُصل المعارض أمامه وأخذ ينقل منه ويستمليه جزءاً جزءاً كما يجلس المثال إلى صورة عهداليه صنعها. وهذا النوع من المعارضة على مافيه من تكلف واعتناء لو أجاد فيه الشاعر لوجد من الاعجاب والتقدير مايرضيه وقلما تخفى الفوارق أو تجهل الحسنات فى مثل هذا النوع

وقد قدر لهذه القصيدة التى نحن بصددها الرواج والانتشار حتى أصبحت تعرف بمطلعها « ياليل الصب » كما تعرف معلقة إمرىء القيس بقفانبك ولها فى الأُدب العربى وتاريخه مكانة سامية ولهــذا تصدى لمعارضتها اكثر من اثنى عشر شاعراً كان من أفضلهم أمير الشعراء الذى نعالج دراسة معارضته اليوم ـ وسنمر فى موازنتنا بالاصل وتابعه سراعاً لننظر الى أى حد آصاب شاعرنا فى معارضته .

يقول الحصرى فى مطلع قصيدته.

يا ليل الصبِّ متى غــدُهُ ؟ أقيامُ السَّاعةِ مَوْعدُهُ ؟

ويقول شاعرنا :

مضْناكَ جفاه مرقــدُه وبـكاهُ ورحَّمَ عُوَّدُهُ

وأنت ترى أن شوقى فضـلاً عن اقتبـاسه هذا المطلع من مطلع نجم الدين القمراوى إذ يقول فى معارضته لهذه القصيدة .

قد مـل مريضك عوّدُه ورثى لأسيرك حسّدُه

ومن أحد أبيات الحصرى إذ يقول .

لم يبق هـواك له رمقاً فليبك عليـه عـوّدُه

فضلاً عن ذلك فانه لم يصل فى رأينا الى ما وصـل اليه صاحبه من الدلالة على طول الليل وما يعانيه المحب المهجور فيه .ويقول الحصرى بعد ذلك .

فبكاه النجمُ ورقّ له مما يرعاهُ ويرْصُدُه

ويحا كيه شوقى فيقول :

ويناجى النجْمَ ويتبَعُـه ويقيم الليـل ويُقْعِدُه

ولا اخالك تجهل الفرق بين مناجاة النجم ومتابعته للسّاهد وبين رقته له وبكائه من أجله ولا ريب أن البيت الأول يشتمل على ما تضمنه الثانى ويزيد عليه هـذا الابتكار الجيل . ويتحدث ابو اسحاق عن الحبيب ودلّه ونفوره فيقول .

أصبت عيْناى له شركاً فى النّوم فعزّ تصيُّدُه

فاذا ماجاء شاعرنا ليعارضه فى ذلك قال :

كم مد لطيفك من شركٍ وتأدّبَ لا يتصيَّدُه

وهذه مبالغة ممقوتة عكست المعنى الذى عبر عنه صاحبه وأصبح بيته عاجزاً عن أن يتضمن أكثر من أنه نام ليرى طيف الحبيب حتى إذا تراءى له لم يشأ أن يراه أو تأدّب عن أن يراهاوعلى هذا المعنى يتضح لك التناقض الذى وقع فيه الشاعر إذا قرأت الى جانب ذلك البيت الذى يليه مباشرة :

فعساك بغمض مسعفـه ولعل خيالك مُسْعِدُه ؟!

ولست أدرى بعـد ذلك لم يتمنى النوم وهو الشرك الذى يريد أن يتصيد به الحبيب إذا كان يتحرج من تصيده فيـه ؟ ! وأنّى للخيال أن يسعده وهو يتردد فى الاستمتاع به ؟ !

ويقول البوصيرى :

خدّاك قدْ اعترفا بدمى فعلام جُفونك تجْحَدُه

ويجىء شاعرناليعارضه فى ذلك فيقول :

جحدت عيناكَ زكىَّ دمى أكذلك خدكَ يجحدُه

وأنت ترى أن كل ما عمله انما هو قلب الاصل وجعل الصدر عجزاً والعجز صدراً ، وفضلا عن أن هذا ليس من المعارضة فى شىء فان الاول يثبت اعتراف الخدود بدمه والثانى يشك فى ذلك ويتساءل عنه !

من هذه الموازنة السريعة نستطيع أن نقول إن المعانى المشتركة بين الشاعرين وما اكثرها كان الاول أبعد فيها منالا وأحسن اختياراً وأسمى مأخذاً . ولم نر معنى قد اقتبسه شاعرنا فتصرف فيه على النحو الذى رأيناه فى البردة وصقله صقلا يميزه ويدل على ما فيه من مجهود وابتكار . ولقد اسهب كل منهما فى ناحية غير التى أسهب فيها صاحبه . وفى اعتقادى أن المعانى التى انفرد بها شوقى كانت مثلاً أعلى فى سمو الخيال ودقة التصوير واتساق الالفاظ ، ولو تعرض لها ابو اسحاق لما تسنى له أن يأتى بأبلغ منها واليك طرفاً من هذه الابيات التى انفرد بها وهى تصور لك الحب فى أعلا درجاته :

ما بال العاذل يفتحُ لى باب السلوان وأوصدُه !
ويقول تكاد تجنّ به فأقول وأوشك أعبُدُه !
مولاى وروحى فى يده قد ضيّعها سلمتْ يَدُه

﴿ السينيتان ﴾

لقد كان من السهل علينا أن نوازن بين القصيدتين السابقتين وبين نظيرتيهما لأن شوقى فيهما كما رأيت كان يسير هو وصاحب الأصل الذى يعارضه فى اتجاه واحد وكان إما أن يقلّد ذلك الأصل أو ينسج على منواله . أما هاتان القصيدتان فان الشاعرين لم يتفقا فيهما إلا فى الوزن والقافية وطفق كل بعد ذلك يتغنى بليلاه — فعكف البحترى على وصف الايوان وما على حوائطه من صور ونقوش وتماثيل : وصفه وهو كذلك فى عنفوان الدولة وشبابها ، ثم وصفه بعد أن زالت الدولة واقفرت جنباته وعبثت به الأيام ومشت عليه يد الزمن الجائر فمحت طلاوته ومسحت رونقه ورواءه — ثم وصف فى طريقه الخمر ومجالسها وأثرها فى النفوس ورأينا شوقى يحن الى مصر وساكنيها فيذكر الجزيرة وجمال موقعها ويخلع عليها من رائع التشبيهات وجمال الصفات ما لم يجر به لسان شاعر من قبل — ثم يتحدث عن الجيزة وحقولها ومزارعها وعن الاهرام وأبى الهول وغيرهما من مفاخر مصر .

وبعد ذلك ينتقل بذهنه الجبار طفرة الى الاندلس فيصف لك ديار بنى الأحمر ويتحدث عن حصن غرناطة وقصر الحمراء وأبهائه وقبابه ونقوشه وتهاويله ، ثم ينتقل بك بعد ذلك الى وصف شبه الجزيرة وجوها الصافى وهوائها العليل ويتحدث عن رياضها وحراجها وحقولها وجنانها ويذكر بعد كل ذلك فضلها عليه وعلى بنيه .

هذه نظرة عامة فى القصيدتين وسنعرج عليهما مسرعين لنتبين مبلغ توفيق كل منهما وإصابته .

لقد ذكر البحترى اكثر من عشرة أبيات فى شكوى الزمان وبث ما يعانيه من بؤس وعناء ثم تخلص إلى غرضه وهو وصف الإيوان بهذا البيت الجميل :

حضرت رحْلىَ الهموم فوجَّهـــــتُ إلى أبيض المدائن عنسى

وتخلص شاعرنا الى الحنين الى وطنه بهذا البيت الرائع :

وطنى لو شُغلتُ بالخلد عنه نازعتنى اليه فى الخلد نفسى

وهذا البيت فضلا عن انّه وصلة مناسبة بين ماقبله وما بعده فانه بيت خالد جمع الى جزالة اللفظ شرف المعنى واصبح مثلا سائراً فى حب الوطن والحنين اليه .

ولقد تسمع مطلع البحترى :

صُنتُ نفسى عمّا يدنس نفسى وترفعت عن جدى كل جبس

وتسمع الى جانبه مطلع شوقى :

اختلافُ النهار والليل ينسى اذكرا لى الصبا وأيام أنسى

فتحس فى الأخير روعة وجلال وترى فوق ذلك المناسبة القوية بينه وبين المعانى التى يريد أن يتحدث عنها وهى الحنين والذكرى ـ وقد زاده هذا الالتفات البديع رونقاً وجمالا .

وبعد ، فان الحق يقضى علينا أن نعترف لشوقى فى هذه القصيدة بالاجادة والابداع ، وقد لانكون مغالين إذا قلنا انه قد فاق صاحبه وفضله فى نواحٍ كثيرة لأنه هنا إنما يعبر بحق عن إحساس فياض ويترجم عن عاطفة متقدة ويصور لنا شعوراً صادقاً نحو وطنه ومستقر أهله وعشيرته إن لم يَسْمُ على شعور أبى عبادة نحو كسرى وايوانه فانه لا يقل عنه قوة وأسراً ولا يتردد شوقى فى أن يصرح لنا بذلك فيقول :

وعظ البحترى إيوان كسرى وشفتنى القصور من عبد شمس

وقد تمتاز سينية شوقى إلى جانب ما تقدم بحسن السبك ومجانبة الاغراب وانسجام الألفاظ وسهولتها ويندر أن تعثر فيها بأكملها على مثل قول البحترى يصف الايوان:

مغلق بابه على جبل القبق إلى دارتى خلاط ومكس

حلل لم تكن كاطلال سعدى فى قفار من البسابس ملس

وقد حملت هذه القصيدة بين طياتها كثيراً من المعانى الخالدة التى لم يسبق إليها الشاعر وضمنها غير قليل من الحكم البالغة والأمثال الرائعة والأجزاء التى تصدى لوصفها من وادى النيل قد أزرى فيها بايوان كسرى وواصفيه — وتأمل حسن التعليل وروعة التصوير فى قوله يصف الجيزة :

وأرى الجيزة الحزينة ثكلى لم تفق بعدُ من مناحة رمسى
أكثرت ضجة السَّواقى عليه وسؤال اليراع عنهُ بهمس
وقيام النخيل ضفرن شعراً وتجردن غير طوق وسلس

ثم انظر إلى هذا الثوب الجميل الذى خلعه على الجزيرة وموقعها من النيل حيث يقول

هى بلقيسُ فى الخمائل صرحٌ من عبابٍ وصاحب غير نكسِ
حسبُها أن تكون للنيل عرساً قلبها لم يجنّ يوماً بعرسِ
لبستْ بالأصيل حلةَ وشىٍ بين صنعاء فى الثياب وقسّ
قدَّها النيلُ فاستحت فتوارت منه بالجسر بين عُرْى ولُبسِ

وهذا البيت الاخير له من نفسى مكانة خاصة، وما مررت به إلا استرعانى ما فيه من جلال وجمال .

وما أشد اعجابى بشوقى وعبقريته إذا رأيته يزفر زفرة الألم على فرقة ذلك الوطن العزيز ويترجم عن حزنه الكامن وحنينه الطافح بتلك الأبيات الخالدة :

يا ابنة اليمّ ما أبوك بخيلٌ ما له مولعاً بمنعى وحبسى ؟
أحرامٌ على بلابله الدَّو حُ ، حلالٌ للطير من كل جنس ؟
كلِ دارٍ أحقُّ بالأهل إلا فى خبيث من المذاهب رجس
نفَسى مرجلٌ وقلبى شراع بهما فى الدُّموع سيرى وأرسى

وإذا انتقلت معه الى حيث يصف قصر الحمراء بعد أن لعبت به يد البلى ومحت جدَّته حادثات الزمان ، رأت صفاء الفكر ودقة الملاحظة وعرفت كيف كانت منزلة

هذه الاطلال المتداعية والرسوم الدراسة من نفس الشاعر تملى عليه فيكتب وتوحى اليه فيقول :

مشت الحادثات فى غرف الحمـ ... راء مشى النَّعى فى دار عُرس
هتكت عزة الحجاب وفضّت ... سِدّةَ الباب من سمير وأنس
عرصاتٌ تخلتْ الخيلُ عنها ... واستراحت من احتراس وعسّ

ثم نراه بعد ذلك يشرف بخياله الفسيح على شبه الجزيرة ويلقى عليها نظرةً جامعة تصور لك صفاء سمائها واخضرار أرضها وجمال رباها،ويقف منها فى النهاية موقف المتواضع المعترف بالجميل ويناجيها قائلا :

يا دياراً نزلت كالخلد ظلاّ ... وجنى دانياً وسلسال أنس
محسنات الفصول لا ناجرٌ فيـ ... ـها بقيظٍ ولا جمادى بقرْس
لا تحس العيون فوق رباها ... غير حور حوٍّ المراشف لُعس
كسيتْ أفرخى بظلك ريشاً ... ونما فى رباك واشتد غرسى

ثم يختتم قصيدته بتلك الحكمة الخالدة :

وإذا فاتك التفاتٌ الى الما ... ضى فقد غاب عنك وجه التأسّى

حينما يختتم البحترى قصيدته بهذا البيت الغريب الذى لايشعر بالانتهاء فيقول :

وأرانى من بعدُ أكلف بالاشرا ... ف طراً من كل سنخٍ وأنس

تلك إلمامة وجيزة عن هذه الفرائد الثلاث التى هى فيما نعتقد من أروع ما جادت به قريحة شوقى : تلمح فيها التحبير والتأنق فى تخير الالفاظ واصطفاء المعانى — ولا نستطيع أن نقول اننا بهذه النظرة الخاطفة قد استوعبناها دراسة وتحليلا ، فذلك ما لايسمح به فراغنا وفراغ هذه الصفحات كما أسلفنا، ولايزال كل بيت من أبياتها كنزاً مملوءاً بالنفائس من أية ناحية أتيته عثرت فيه على جديد وسنفرد فى المستقبل لكل واحدة من هذه القصائد فصلا خاصاً نتناولها فيه بالتحليل والتمحيص ونقف القارىء على ما لا نستطيع وقوفه عليه فى هذه العجالة .

ونعتقد أن شعر شوقى فى مجموعه ثروة عقلية لا يستطيع النشء الانتفاع بها إلا إذا درسها الادباء والمحققون دراسة تجلى غامضها وترشد الى مواضع الجمال منها ، ولا عجب فقد تهيأ لصاحبها من الثقافة العالمية والتهذيب الفكرى والنبوغ الشخصى ما يندر اجتماعه لغيره وسيظل هذا الميراث الذى قدر لمصر أن تحتويه خالداً

ملحوظ المكانة لايقل روعة وجلالا عما حملته الينا صحائف التاريخ من تراث الشعراء فى مختلف العصور .

ولئن كان مصاب الشرق فيه عظيما وخطب مصر فيه أليما فلهما فى هذا التراث الخالد عزاء وسلوان ؟

طه محمد عبده



استعداد شوقى

لعلنا لا نغلو اذا قلنا إنه لم يتهيأ لشاعر أىّ شاعر من البيئات المكونة والعوامل المواتية ما تهيأ لشوقى فى اخراج شاعريته وانضاج عبقريته : فقد نشأ فى بحبوحة من العيش الوارف الظلال ، البعيد ما بين جنبات النعيم ، فشبّ وترعرع تحوطه النعمة السابغة وتحدوه السعادة الكاملة وتلحظه عناية بيت اسماعيل ، وما أدراك ما بيت اسماعيل . فكان من هذه الناحية على ما كان عليه ابن المعتز الشاعر الخليفة من بنى العباس ، ولهذا من الأثر فى توسيع ميدان الشعر وتمديد متناول الوصف ما يجعل الشاعر طائر الخيال ساحر البيان . وهذا ما كان عليه فقيدنا العزيز فقد تفجر فيه الشعر عن نبع فياض مكث يفيض على الشعب العربى نصف قرن كامل نميراً صافياً وسلسبيلاً جارياً ، وكلما نهل منه وعلّ اشتد ظمؤه والتهب أواره ، فلله أنت يا شوقى ولك الله أيها الشعب الحزين !

من عادة الشعراء أن يكون لكلّ هوًى يحسن أن يقول فيه . فاذا ما قصد الى غيره بان نقصه وضعفت شاعريته ، ولكن شاء الله جلت قدرته أن يركب شوقى على غير ما ركب الشعراء فلم يجعل له نفساً واحدة كما جعل لكل شاعر ، وانما أودع بين جنبيه نفوساً لكل غرض من الشعر نفس اذا أراد حملها فبلغ بها ما يريد وفوق الذى يريد ، أو هو جعل له نفساً واحدة ولكنها ذات اصباغ وألوان وذات قدرة معجزة على التشكل بما يطلب من أشكال : فهى كالماء الصافى يتلون بتلون الاناء ، أو هى كالعجينة المرنة تطيع المصور لها أنى شاء . ولست أرى لذلك فى شوقى من مصدر بعد الذى ذكرت من سعة الخيال إلا وفاءه لكل ذى صلة به وفاء ليس يعدله وفاء .

نعم وفى شوقى لكل ذى صلة به ، وكلما كانت الصلة عامة اشتد تأثيرها فيه على عكس المعروف فى طبيعة الانسان ، حتى أصبح كالسلك الكهربائى يتموج لأدنى اهتزاز فترى لتموجاته من الاثر البالغ ما يحرك سواكن الاشياء ويبدد غياهب الظلماء فاذا الناس فى دهشة منه مأخوذون ! وفى شوقى للطبيعة فى جميع مظاهرها فوصفها فى جميع أثوابها . ووفى لنفسه فأعطاها حقها وحفظ لها حريتها وقدسها . ووفى لاسرته فكان الحاكم بغير صولجان المطاع المحبب الى كل جنان . ووفى لاصدقائه فكان لأصغرهم الأب الشفيق ولوسطهم الأخ الشقيق ولأكبرهم الابن الحقيق . ووفى لبيت اسماعيل فصاغ له من حبات قلبه ماصاغ وأبدع فى ذلك ما شاء له الابداع . ووفى لمصر أم الجميع فكان قيثارتها المرتلة لبشائر أفراحها فى غير بطر ولا أشر المرددة لألحان أتراحها فى غير يأس ولا ضجر منذ كانت مصر والتاريخ لم يكن الى ان اختاره الله لجواره كان الله له وأحسن عزاءنا فيه .

ولقد أبى وفاؤه رحمه الله أن يقف به عند هذا الوطن الخاص فتعداه الى غيره من أوطان ذات ضروب وانسان . تعداه الى الوطن العربى لحمل لواء لغته وآخى شعوبه فكان السبّاق الى حيث لم تقف به غاية ولم تحد منه نهاية ، والى الوطن الاسلامى فأرسل فى روحية الاسلام وفى صاحب دعوته من رصين الشعر ما علا به الى السماء حتى جاوز الجوزاء . ثم الى الوطن التركى العثمانى معقد الخلافة ومشرق التاج فربط بينه وبين كل ما تقدم من أوطان رباطاً وثيقاً ليس فى مقدور غيره من انسان . بل الى العالم جميعه فيما تدعو اليه الأديان وتريده قضية السلام والوئام فكان رسول الانسانية الصادق التعبير وداعية الأخلاق الشديدة التأثير ، وبهذا الاستعداد وهذه المواهب وهذا الاتجاه خلق شوقى لذكره مكانة الخلود ؟

السباعى السباعى



أين شوقي من الوطنية

ان الفجيعة فى أمير الشعراء حملتنى المساهمة فى تكريم تلك العبقرية الفذة وتخليد ذكر صاحبها العظيم بالكشف عن ناحية من نواحيها المتفرقة .

وبعد لأى أخذتُ الناحية الوطنية فى تلك الروح العالية . وقبل الخوض فيها هل لك ياعزيزى القارىء أن تصاحبنى فى الطواف بها لا على أن تكون كفتى موسى بل نتبادل الرأى ونتعاون على الفهم ونغلق وراءنا كل باب نلجه إلى أن نصل إلى قرار أقرك وتقرنى عليه ؟ أظنك لا تمانع . وقبل كل شىء رأيت التحقق من ماهية الوطنية، وإنى أرى وترى معى أن الرأى الذى يصفها بشعور خفى يحمل الفرد دائماً على خدمة وطنه ما استطاع إلى ذلك سبيلا هو أقرب الأقوال لتفهم ماهيتها . إذنْ فلنمسك بتلابيبه ونطبقه على الراحل الكريم لنعرف إلى أى مدى وصل فى ذلك المنحى . ولما كانت الوطنية وليدة للوطن أخذت أبحث عن التحديد العلمى له فوجدت أن صاحبنا شذّ عن ذلك التحديد وكوّن لشخصيته الجبارة وطنين أحدهما خاص به وهو مصر وثانيهما عام وهو البقاع التى يقطنها الناطقون بالضاد .

من أجل ذلك وجهت دفة القلم ناحية وطنيته المنبعثة من وطنه الخاص تاركاً قسمها الآخر لأعلام الأدب لاخراجها بما يلائمها من روعة وجلال إذ هم أجدر الخلق بتصويرها . ولا اخالك أيها القارىء تخالفنى فى ذلك .

نفى أمير الشعر فأحسّ بروعة النفى وُشتت فى بلاد نائية عن الآل والصحب والولد فلمس لوعة النأى . أتدرى لماذا نفى ولأى أمر شرد ؟ لأن له وطنية ضايقت المستعمرين وتحققوا خطرها على مركزهم فى مصر . من أجل ذلك كتب عليه النفى وسجل عليه التشريد فقاوم ما فيهما من روعة ولوعة برباطة جأش وصبر جميل بالرغم من انتقام العدو وتحكم الخصم وابتسام الشامت . يا لله ما سبب هذا البلاء ؟ وطنية صادقة وعاطفة نبيلة تحت تأثيرها تام بما تشاهده معى فى هذه الأبيات من غرسه حب الوطن فى نفوس الشعب وافتدائه بالغالى والنفيس بل ذهب إلى جعله ديناً للأحرار :

لنا وطنٌ بأنفسنا نقيه   وبالدنيا العريضةِ نفتديهِ !

لا تلوموها ! أليست حرة وهوى الأوطان للأحراردين؟

ثم اسمع اليه يحن إلى وطنه حنيناً ليس له مثيل فيما سبقه :

وطنى لو شُغلت بالخلد عنه نازعتنى اليه فى الخلد نفسى !
وهفا بالفؤاد فى سلسبيلٍ ظمأ للسواد من عين شمس
شهد الله لم يغب عن جفونى شخصه ساعةً ولم يخل حسى

ثم لاحظ معى تجسم هذا الحب فى قوله :

ويا وطنى لقيتك بعد يأس كأنى قد لقيت بك الشبابا
ولو أنى دعيت لـكنت دينى عليه أقابل الحتم المجابا
أدير اليك قبل البيت وجهى اذا فهت الشهادة والمتابا
انى أحب وإن شقيت به وطنى وأوثره على الخلدِ

لعلك تقرنى أيها السيد على أن هذا أولى خدماته لوطنه . ثم تعال ننتحى ناحية غير هذه تجد أن شوقى رأى أن حياة الجماعات لا تـكون قويمة الا اذا كان أساسها العلم فدعا اليه وطالب به بقوله :

ربوا على الانصاف فتيان الحمى تجدوهمو كهف الحقوق كهولا
فربّ صغير قوم علموه سما وحمى المسومة العرابا
وكان لقومه نفعاً وفخراً ولو تركوه كان اذاً وعابا
فعلم ما استطعت لعل جيلا سيأتى يحدث العجب العجابا

ثم أصغ اليه فى خطاب المتطلعين إلى المعالى :

ياطالباً لمعـالى الملك مجتهـداً خذها من العلم أو خذها من المال
بالعلم والمال يبنى الناس ملـكهم لم يُبن ملكٌ على جهـل واقلال

ولم يغمط المرأة التى يصفها بحجر الأساس فى الأسرة وقواعد المجتمع وأركانه منذ قام الى يوم ينفض حقَّـها من التعليم بل أوجب تعلميها ضارباً أحسن الأمثال برسول الله عليه السلام وبنسائه الشريفات:

هـذا رسـول الله لم ينقص حقـوق الأمهات

العلم كان شريعة لنسائه المتفقهات
رضن التجارة والسياسة والشؤون الأخريات

ولم يسكت على ذلك بل وخم عاقبة جهلها :

وإذا النساء نشأن فى أمية رضع الرجال جهالة وخمولا

ثم اتجه ناحية الشباب مخاطباً دماءهم الحارة عن أهميه العلم لمطامحهم ومركزه من أمتهم :

هل علمتم أمة فى جهلها ظهرت فى المجد حسناء الرداء
باطن الأمة من ظاهرها إنما السائل من لون الاناء
فخذوا العلم على أعلامه واطلبوا الحكمة عند الحكماء
واقرأوا تاريخكم واحتفظوا بفصيح جاءكم من فصحاء
واحكموا الدنيابسلطان فما خلقت نصرتها للضعفاء
واطلبوا المجد على الأرض فان هى ضاقت فاطلبوه فى السماء !

ثم ختم بنتائج الجهل وشؤمه على الامم :

الجهل لا تحيا عليه جماعة كيف الحياة على يدىْ عزريلا

بذلك نخرج من هذا الباب بسلام مقرين تلك الخدمة أيضاً ثم لنبحث عن باب آخر نلجه : نرى أن شوقى لاحظ أن لا أمة بلا خلق :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فان همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وبدونها لا مدنية ولا حضارة .

وليس بعامر بنيان قوم اذا أخلاقهم كانت خرابا
وإذا ما أصاب بنيانَ قوم وهى خلقٍ فانه دهى اسٌّ

ثم اتجه ناحية العمال مخاطباًبلغة المعلم الحكيم :

أيها العمال افنوا العمر كدّاً واكتسابا
واعمروا الارض فلولا سعيكم أمست يبابا
اتقنوا يحببكم الله ويرفعكم جنابا
واهجروا الخمر تطيعوا الله او ترضوا الكتابا
انها رجس فطوبى لامرىء كف وتابا
ترعش الايدى ، ومن يرعش من الصناع خابا

ثم قال مشيداً بالطموح :

شباب قُنَّعٌ لا خير فيهم ... وبورك فى الشباب الطامحينا

ثم تجهم مظهر بساطة الحياة ووجوب العمل :

دقات قلب المرء قائلة له ... إن الحياة دقائق وثوان
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها ... فالذكر للانسان عمر ثان

بعد ذلك الوعيد حبب اليهم الحياة لانها سلم الخلود :

ومن سرّه ألا يموت فبالعلا ... خلد الرجال وبالفعال النابه
ما مات من حاز الثرى آثاره ... واستولت الدنيا على آدابه

ثم يزيد فى الترغيب :

وروموا النبوغ فمن ناله ... تلق من الحظ أسنى التحف
إمرة النـاس همـة لا تأتى ... لجبـان ولا تسنى لجبس

ألا ترى معى أن شوقى قام بقسطه فى حمل لواء النهضة المصرية كشاعر قومى ؟ لقد استنهض الأمة وأرشدها الى صلاحها وشجع شبانها وبث فيهم روح النشاط وقوى من قوائمهم وحثهم على الرقى ورفعة الوطن . أظنك أسبق منى فى الايمان بما آمنت . إذن لنجعل خاتمة المطاف ما قام به شخصيا لاعلاء شأن وطنه لأنى أشعر بسحابة من النصب كادت تقاربك أيها الصاحب العزيز .

إن تلك العاطفة المتأججة فى نفس شوقى خلقت منه بطلا شجاعاً جالد أترابه الشعراء ونازل لداته إخوان القوافى الى أن حملهم على مبايعته بالامارة فى ملأ من الناس قال فيه منافسه « شاعر النيل » :

أمـير القوافى قد أتيت مبايعاً ... وهذى جموع الشعر قد بايعت معى

وبذلك وضع تاج إمارة الشعر على هامة وطنه الذى يحبه ويتعشقه كما عرفت مستولياً عليه-وسالباً إياه من موطنه الذى ظهر ونبغ وعاش فيه. والى هنا ياسيدى القارىء الـكريم لا أستطيع حبس عبرة تترقرق فى مآقىّ فاسمح لى بذرفها على رجل هذا شأنه وعز عليه أن يترك ذلك التاج دون هيل وهيلمان فاتجه الى المسرح وأنشأ له الروايات المعروفه ولم ينس فن الغناء فقـام بترقيته بما تسمعه من الموسيقار الفنان محمد عبد الوهاب . بذلك تم له ما أراد وترك وراءه تاجاً مرصعاً بأنفس اللآلىء الفنية . فرحمتك اللهم بهذا الراقد فى مهد الأبد ؟

محمد على فرج الله

المراثى الشعرية

نماذج مختارة

(وسنتبعها فى العـدد القادم بغيرها مما أتحفنا به حضرات الشعراء)
وضاق عنه نطاق هذا العدد

الصبح الداجى

سبق الصباحُ إلى المغيب مبكراً ... مَنْ ذا رأى شمساً تغيبُ صباحا؟!
يا يومَ (شوقى) قد عصفتَ بروضةٍ ... وسلبتَ مصرَ الهاتفَ الصدّاحا
غادرتَ أقلام البيان هوامداً ... وتركت ألسنة الدُّموعِ فصاحا
وحجبتَ روحاً كان مشرق نورها ... بسنا المعالى يَبعثُ الأرواحا
من كان لا يَنسَى بفقدِكَ صبره ... نسىَ السُّرورَ وودَّع الأفراحا

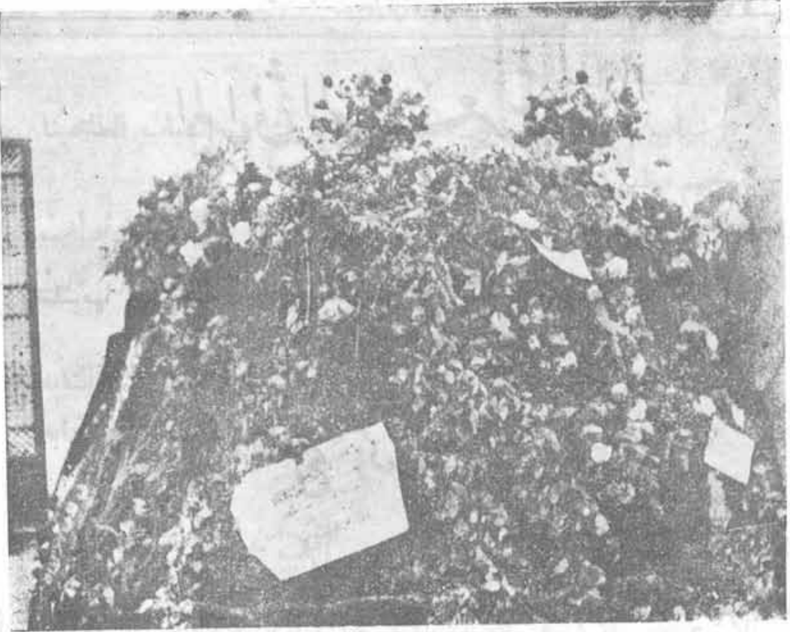
الصاوى على شعلان

قبر العبقرية

(أُلقيت عند ضريح الفقيد فى الجمعة الأولى لوفاته)

طوفوا بقبر العبقرية وانشقوا ... أرَجَ الخُلودِ الساطعِ الفوّاحِ
طوفُوا به وتنسَّموا مِنْ رُوحهِ ... ما كان مِنْ نُبْلٍ به وسماحِ
يَثْوى هنا (شَوقى) الذى لو يُفتَدَى ... لفداه خيرُ الناسِ بالأرواحِ
يَثْوى هنا (شوقى) العظيمُ فيا له ... قبرٌ حوَى جيلاً من الاصلاحِ
(شوقى) يزاملُكَ الخلودُ بنوره ... والذكرُ كلَّ عشيةٍ وصَباحِ
نَمْ فى جوارِ اللهِ، يحمدْكَ السّرى ... وانزلْ من الجنَّاتِ خيرَ جناحِ
سيظلّ اسمُكَ للبيانِ كأنّه ... فى جبهةِ الأيامِ نجمٌ ضاحِ

محمود ابو الوفا



﴿ قبر شوقي ﴾

يامؤنسَ القبر حين القبرُ موحشُنَا ومَنْ يُرامُ برغم الموتِ ايناسُهْ
كنا نبادلُه الاحساسَ في طرَبٍ واليومَ احساسُنَا في الموتِ احساسُهْ

ابو شادي



(الشعراء والأدباء عند قبر شوقي في الجمعة الأولى لوفاته)

وقفة على قبر شوقى

(ألقيت فى اجتماع الأدباء والشعراء يوم الجمعة الأولى لوفاته)

أسرةُ الشعر وحرّاسُ الأدبْ … قدموا اليوم ليقضوا مايجب
كلّلوا الشعر بريحان الرُّبى … وسقوه بدموعٍ وحَدَبْ
فانفضْ التربَ وأنشِــدْهم كما … عهدوا لحناً على السمع عَذُبْ
أوْ صِفْ الخلدَ لهم وصفَ امرئ … لم يخالطْ قولَه يوماً كَذِبْ
قد عمرتَ الدهرَ حيناً ، أفهل … آن أن تعمرَ ذا الربعَ الخَرِبْ ؟
كنت للأحياءِ فخراً ، أفهل … آنَ أن يفخر سكانُ التُّرُبْ ؟
غلبَ الموتُ شجاعاً طالما … صارعَ الدهر وحيداً فغلبْ
ليس فى الموت عجيبٌ ، إنما … غفلةُ الناس عن الموت العجبْ !
غرباءٌ نحن فى الدنيــا ، ولا … بدَّ يوماً أن يؤوب المغتربْ
أيها القبر أتعلمُ آن فيـــ … ـــك رفاتاً هو ميراثُ العربْ
فيكَ يا قبرُ أمانٍ طالما … سهر الجيلُ عليها وتعبْ
فيكَ ياقبرُ دفينٌ خالد … كان بالأمس الى المجد يثبْ
فيكَ ياقبرُ أنيسٌ ساحرٌ … فَكِهُ المحضرِ بسّامٌ طرِبْ
فيكَ فخرُ النّيلِ يا قبرُ فته … وافخرْ اليومَ على الدنيا وطِبْ !

* * *

مستنيرُ الشهبِ فى الأفق خبَا … ومعينُ الضادِ فى التربِ نضبْ
طالما رُوِّيَ منه ظامئ … طاف فى الأرض وأعياه النصبْ

* * *

إيه يا شوقى وقد كنت لنا … خيرَ عونٍ فى فجيعات النُّوَبْ
ترسل القولَ وفى طياته … سلوةُ الباكى وأنس المكتئبْ
جلّ فيك الرزءُ حتى مانَعِى … أىَّ قولٍ كان فى الرزءِ يجبْ !

شَغل الشاعرَ عن نظم الرّثا وثنى الكاتب عن نسج الخُطب
ليتَ ناعيك تخطّاك إلى عشرات من جرائيم الأدَب!
زبدُ الناس على الدّهر ثوى وأرى ما ينفع الناسَ ذهَب!
هكذا الدهر وهذا شأنه كلُّ ما فيه مثيرٌ للعجب!

طلبه محمد عبده

هبة السماء

راحوا بأرواح ظماء يتهافتون على الفناء
جفّت حلوقٌ بعدهم لم تلقَ دونهمُ روَاء
واهاً لكأس كالخلود ومنهلٍ فيه الشفاء
كنّا اذا ضَجَّ الفؤادُ وضاقَ بالدّنيا وناء
نَمْضى اليهِ فنستقى ونعبُّ منه كما نشاء
فاليومَ إذْ شَطّ المزارُ بكمْ وقد عزّ اللقاء
وبَخلْتمُ بُخلَ الضّنينِ نحسَبُنَا قَطَراتُ ماء!

***

أين الأمينُ على الامارةِ والحريصُ على اللّواء؟!
قبَسٌ أضاء العالمين كما تُضيء لهمْ ذُكاء
ثم اختنقَ خلفَ الغُيوبِ مخلّفاً ظُلَمَ المسَاء
فكأنما هبةٌ السماء قد استردّتها السّماء!

***

جَزَعُ الرّياضِ لطائرٍ غنّى فأبدعَ فى الغناء
حتى اذا خلَبَ العقولَ وقيل سِحْرٌ لا مِراء!
ولّى عن الايكِ الفخور به الى عَرْضِ الفضاء
فكأنه والسُّحْبُ تَطويهِ فيمعنُ فى الخفاء
دُنْيا من الأمَل الجميلِ قد استبدّ بها العفاء!
ووراءها شفقٌ مِن الذكْرى كجرحٍ ذى دِماء!

وتسائلُ الدُّنيا التى ناطتْ به كلَّ الرَّجاءْ
عن أىِّ سرٍّ طارَ عنْ هذى الرُّبى وعلامَ جاءْ ؟!
قُمْ يا فقيدَ الشِّعرِ وانْـظرْ أىَّ حفلٍ للرثاءْ !
أممٌ يُصبِّرُ بعضُها بعضاً ، وَهيهاتَ العزاءْ !
هـذى الجموع الباكياتُ الساخطاتُ على القضاءْ
قاسمتَها أشجانَها ووفيتَ ما شاءَ الوفاءْ
أوَلمْ تجِدْكَ لسانَها الـشاكى إذا احتدمَ البَلاءْ ؟
أوَلمْ تكنْ غِرِّيدَها ونديمَها عند الصَّفاءْ ؟
لِمَ لا تُوفِّيكَ الجميل وتستقلُّ لك الفِداءْ ؟ !

* * *

ومُنَعَّمٍ بين القصورِ قد استتمَّ له الثَّراءْ
ما بالهُ حَملَ الهمومَ وجشَّم القلبَ العناءْ ؟ !
وينوءُ بالعبءِ الذى هو عن أذاه فى غَناءْ !
ويحَ الذكاءِ وما يكلـفُهُ من الثمنِ الذَّكاءْ !
أضنَى قواه ولم يدعْ من جسمهِ الا ذماءْ
والمجدُ يُوغِلُ فى حنا يا روحهِ ، والمجد داءْ !

* * *

صَرحٌ من الادب الصميمِ له على الدنيا البقاءْ
الدَّهرُ يحمى ركنَـه والفنُّ فى روح البناءْ

* * *

(شوقى) ! على رغم التفرُّدِ والتفوُّقِ والعلاءْ
ذاكَ الرقادُ بساحةٍ كلُّ الرجال بها سواءْ
وبرغم ذهنٍ كالفراشةِ حولَ مصباحٍ أضاءْ
مثواكَ لا تشكو السكونَ ولا تملُّ من الثواءْ

ابراهيم ناجى

رثاء الموسيقيين

فى اربعين شــوقى

(بمسرح حديقة الازبكية)

رُفع الستار عن منظومة كبيرة من الموسيقيين والمغنين يتوسطهم الموسيقار الفنان محمد عبد الوهاب ، واهتزت الأوتار جميعاً بنغم حنون من (الصبا) الشجىّ الحزين الراسى الى قراره ، واذا بصوت عبد الوهاب ينشج ويتهدّج بقوله :

حطّموا الاقــداحْ مثلَ ما حطَّمتْ حُزناً قدَحِى !
ودّعوا الافــراحْ طُوِىَ اليومَ بساطُ الفَرَحِ !

« • »

ماتَ خيرُ الشعراءْ فابكِ يا قلبي! فذاوقتُ البكاءْ!

« • »

خلدوا ذكراهُ فى كلّ القلوبْ — خلّدوها !
مجّدوا ذكراهُ شباناً وشيبْ — مجّدوها !

« • »

عاش كالزهرةِ عِطراً ونَدًا وكسا الفنّ جلالاً خالدًا
لن تردّوا بعضَ ما أسداكمُ أبداً ، مهما فعلتمْ أبدًا
انّ دمعى يتكلمْ ! فاسمعونى ! انّ قلبي يتحطمْ ! فاعذرونى !

« • »

مات خيرُ الشعراءْ فابكِ يا قلبي! فذا وقتُ البكاءْ!

وسمع الحاضرون ما يقول عبد الوهاب والقلوب تنافس الاسماعَ وعياً وتأثراً . وأسدل الستر وانصرف الحضور يجدِّد بعضهم لبعض العزاء إن استطيع ، وتمت حفلة الفنانين بذكرى من غذَّى الفنّ وأرضاه .

﴿ تعليقات سعادة احمد زكى باشا ﴾

لقد اختصّ الله أمير الشعراء بسعادات وتوفيقات قد شرحنا بعضها فى مقام آخر (ص٣٨١) ولكن اجلالى لهذه المجلة جعلنى استجيب طلب ولدى النجيب وسميّى الأبرع فى كتابة هذا الفصل لمجلته المحبوبة . وكلامى هنا مقصور على الناحية الفنية بالمعنى الحديث ، على اننى لا أريد التبسط فيما نفحِ به الأغانى القومية والموسيقى الشرقية ثم المسرح العربى . كل اولئك قد أفاض عليه روحاً يماشى عصرنا الذى نعيش فيه ، ولكن مع ربط التطور الحديث بما كان للغة من فخر قديم وللعروبة من مجد تليد .

فعلى غيرى أن يتحدث عن هذا الروح السارى فى هالة من الانوار .

أما الآية التى جاء بها شوقى للشرق وللفن فى حالة وجوده ، والتى ما يزال ينفخ فيها الحياة بعد وفاته ، فهى الناطقة ببرهان الالحان ، الماثلة للعيان بألوان الأنغام فى شخص محمد عبد الوهاب .

نظر شوقى بنور الله الى النبوغ الكامن فى حنجرة هذا المراهق الناشىء ، فاستخلصه لنفسه ، وقربه من صحبه ، ثم افاض عليه سجال الثروة حساً ومعنى ، ونفث فى فيه سحر الشعر ، وصاغ لفنه جواهر القول ، حتى طلع علينا بذاك الصوت الباهر الساحر ، وأصبح وله ذياك الصيت النادر الطائر . فكان عبد الوهاب وتبارك الله ! وكان له يد فى تهذيب الرنين الموسيقىّ فى تلك النفحات الشوقية . فكأن شأنهما معاً فى هذا المجال ـ وفى هذا المجال وحده ـ كالبحر يمطره السحاب .

وبهذه المناسبة أرى التنويه بحادث شهدته منذ بضعة أيام وفيه البرهان على أن عرفان الجميل من مكارم الأخلاق .

نال شوقى وهو يدبّ على ظهر الارض كلّ ما يتمنى من سعادات مادية وأدبية وكان من احسان الله اليه أن الشرق كله قام وقعد عند ما نعاه الناعى . وما زالت الجرائد والمجلات — حتى الاعجمية — تعرب عن فضائله الى اليوم ، وستتحدث الى ما بعد اليوم بزمان طويل عن أمير الشعراء .

وتلك سعادة لم يظفر بها أسعد السعداء . هذه امصار الشرق قد تسابقت الى تكريم ذكراه فى سلسلة من حفلات التأبين ، بل اننا فى المصر الواحد وفى القاهرة بنوع التخصيص رأينا القوم يتنافسون فى اقامة حفلات متوازية ومتوالية . وما أكثم

◆◆◆

ولد سنة ١٨٦٨
دخل مكتب الشيخ صالح
سنة ١٨٧٣
خرج من المدرسة الخديوية
ودخل مدرسة الحقوق
سنة ١٨٨٥

◆◆



◆◆◆

سافر الى اوروبا لتتمة الدراسة
سنة ١٨٨٧
عاد الى مصر من اوروبا
سنة ١٨٩١
نفى الى اسبانيا سنة ١٩١٥
عاد الى مصر من منفاه
فى خريف سنة ١٩١٩

◆◆

﴿ شوقى فى صباه ﴾

الشخصية الشعريه المحبوبة التى كان يتهافت عليها الاقران حينئذ
وقد كان الفقيد مشغوفاً بالموسيقي والشعر منذ نعومة أظفاره



﴿ شوقى وصفيه الموسيقار الفنان محمد عبد الوهاب ﴾
ورأينا ان شوقى وُلد ليكون موسيقاراً فصار شاعراً ألحانه نظمه

الحق فان اكثرها يرمى الى نوع من طلب الشهرة والتهريج ، أو الى لون من ألو
الإستغلال والترويج ، والاقل من القليل من هذه الحفلات خالص لله وللفن والعبقر

ومن طراز هـذا النزر اليسير ، تلك الحفلة التى اقامها عبد الوهاب ، بل ع
الاحسان ، بل سيد العارفين بالجميل .

ففيها تمثل الوفاء بما ترضاه محامد الأخلاق ، وفيها رأيتُ العجبَ العجابَ !

هل أتاكم حديث آلات الطرب : ان الأوتار المشدودة والمعادن المطروقة والمسبو
والمصبوبة والعيدان المنشورة والمربوطة والمشقوقة ، كانت كلها فى اتساق واتزان
وفى تناسب وتجانس ، وهندام تترنم ... ثم تتكلم ... ثم تترحَّم ! وبين الآهات
والنبرات زفير يترجم عن الأنين ، الى شهيق يعبر عن البكاء الذى يبعث البكاء
ولكن ... كانت الابصار شاخصة ، والقلوب واجفة ، والألسن منعقدة ، والرؤوس
مطرقة . كل ذلك السكون التام وكل ذلك السكوت العميق لئلا تنفر الملائكة التى
تنزلت من سماوات العلا واستقرت كأنها الطير على تلك الرؤوس ! فلم تكن تسم
للقوم رجزاً ولا همساً ، ولا تكاد تصدق ان فيهم حركة أو حساً . . . الى ان انتهى
التلحين الحزين ، ومن العجب العاجب ان انساناً واحداً لم يسمح لنفسه بالتصدي
والتصفيق ! فقد تمادى الناس على حبس الايدى والانفاس خوفاً من التشويش على
ما بقى من اثر ذلك الترتيل فى التسبيح الذى انزله الله على قلوب من جنات الفراديس

هذه الظاهرة الفريدة فى بابها جعلتنى استغرق فى الذكرى وارجع الى التاريخ
الاسلامى فرأيت فيه حادثتين يشبهانها وإن كانت هى اكثر روعة منهما : احداهما فى
عهد الامويين والثانية فى عهد العباسيين ، وهكذا نرى التاريخ يعيد نفسه .

وقعت الأولى فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك والثانية فى أيام هارون الرشيد .

كان الخليفة الاموى قد عهد الى معبد امام المغنين فى عصره بأن يلقن الالحان
والانغام الى جاريته المشهورة وهى سلامة القس . وكان الاستاذ وتلميذته فى عسكر
الوليد (أخى الخليفة) ، وهناك وافاه الحمام فتكفل الوليد بحفلة الجنازة حتى اذا حمل
القوم سرير الجنازة على الأعناق ، خرجت الجارية من خدرها وقبضت على السرير
بيدها وأخذت تبكى وهى تنشد آخر شعر علمه لها باللحن الذى تلقته عنه وهو قول
الأحوص :

قد لعمرى بتّ ليلى كأخى الداء الوجيعِ
ونجىّ الهمّ منى بات أدنى من ضجيعِ
كلما ابصرتُ ربعاً خالياً فاضت دموعى
قد خلا من سيد كا ن لنا غير مطيعِ
لا تلمنـا إن خشعنا اوهممنا بالنشوعِ

فانصرف الناس عن النظر اليها واضربوا عن الاهتمام بأخى الخليفة وهو قائد العسكر الأعلى ـ (عن الاغانى) .

أما الحادثة التى وقعت فى أيام الرشيد فخلاصتها ان الشاعر ابن مناذر مات له صديق هو عبد المجيد بن عبد الوهاب . وكان عبد الوهاب هذا محدثاً جليلا ، فقال الشاعر يرثيه بقوله :

لأقيمنّ مأتماً كنجوم الليـل زهراً يلطمن حرّ الخدود
موجعات يبكين للكبد الحر ى عليه وللفؤاد العميد

فلما بلغ هذا الشعر امّ المتوفى قالت وانى لأبرنّ بقسمه ! فأقامت مع اخوانه وجواريه مأتما وقامت تصيح فيه : « واى ويه،واى ويه » ! فكانت على ما قيل اول من أحدث ذلك « الصوات » فى دولة الآلام . ولكن الشاعر ابن مناذر رأي ان ذلك النواح غير مستقيم فى الوزن واللحن فقال لصاحب له : لا أرى نساء ثقيف ينحن على عبدالمجيدعلى استواء (أى فى النغم) . قال لهصاحبه : وما تحب ؟ قال أتخرج معى اطارحك ؟

وفى الخلاء تطارحا القصيدة ، التى نظمها فى رثاء عبد المجيد حتى حفظها صاحبه ثم وضعا لها لحناً .

فلما جاء ميعاد المناجاة خرجا الىالمسجد وبعد تأدية الفريضة وقفا تحت دار المأتم وكان النساء على سطحها يندبن ، حتى اذا جاء ميعاد الراحة لزمن السكوت فحينئذ اندفع ابن مناذر وصاحبه فى تلحين القصيدة ومنها :

كلّ حى لاقى الحمام فمود ما لحىٍّ مؤمّلٍ من خلود
لا تهاب المنون شيئاً ولا تبـقى على والد ولا مولود
ان عبد المجيد يوم تولّى هدّ ركنا ما كان بالمهدود
هدّ عبد المجيد ركنى وقد كنت بركن انوء منه شديد
ما درى نعشُه ولا حاملوه ما على النّعشِ من عفافٍ وجود

الى شاعر الخلود

ناحت عليك أبولّو !...

ما أطلعتْ مثلَ (شوقى) أمّةُ العربِ — شمسٌ من الشرق فوق السبعةِ الشهُبِ
مِنْ جبهة الفلكِ الوهّاج شعّ هُدًى — ما زال من قُطُبٍ يمشى إلى قُطُبِ
ضاحى السبيل على (سيناءَ) سُدّتُهُ — مرصّعُ العرش فى تاجٍ من الذّهبِ
هىَ العروشُ على الأسياف قائمةٌ — وعرشُ (شوقى) على الأقلام والكتبِ
رفّتْ على هامة (الجوزاء) رايته — فى موكبٍ كشعاع الفجر ملتهبِ
كرسيّهُ السُّحْبُ مثلَ الشهْب نيّرةٌ — والوحىُ يخفق بين الشّهْبِ والسُّحُبِ
سَلِ البلاغةَ كم ألقت مقالدَها — والعبقريةَ فى مِحْرابِهِ الأشبِ
رُواة أبياته فى كلّ حاضرةٍ — وجُندُ آياتهِ فى كل مُغتربِ
فاضت على ضفّةِ (الوادى) جداولُهُ — فيا لنيلٍ حيال (النيل) منسكبِ
قالت قوافيهِ للأهرام هامسةً : — كم بيننا فى خلود الذكر من نسَبِ !
شعرٌ تنزّل عن وحىٍ وعاطفة — من سِدرة المنتهى مِنْ أرفع القُبَبِ
بَنى فمكّن حتى صار دولتَهُ — جرى فغبّر حتى فاز بالقصبِ
مشى معَ (المتنبى) فى روائعهِ — ونال عن (شكسبير) رايةَ الغلبِ
أعاد خيمة (ليلى) فهىَ خافقةٌ — بقلب (قيس الهوى) مشدودةِ الطنبِ
وهزّ قلبَ (كلوبطرا) وصاحبَها — كأنّ عهدَها عن مصر لم يغبِ
عصرٌ لشوقى : تساوى فى أوائلهِ — وفى أواخرهِ ما جاءَ من عجبِ
قال : « انتهيتُ ! » وأنّى ينتهى؟ ولهُ — مُلكٌ عريضٌ وجاهٌ واسعُ الحسَبِ
فتحٌ مبينٌ وأيّامٌ محجّلةٌ — والفتحُ بالكتبِ مثل الفتح بالقضُبِ !

***

لله يومُكَ والأشجانُ فى صُعُدٍ — لمّا نُعيتَ وعينُ الشرق فى صَبَبِ
ناحت عليك(أبولّو)!.. فهىَ ذارفةٌ — على ترابك دمعَ ابنٍ لفقد أبِ
وصوّحتْ « كرمةُ الإلهام » إذ نضبت — أغصانُها الخُضْرُ من سلسالِكَ السكِبِ
أرى « الخليل » وهولُ الخطبِ روّعهُ — ترويعَ صبٍّ على إلفيه (١) منتحب

(١) شوقى وحافظ .

تلفتت نحوهُ الفصحى معزّيةً ... هيهاتَ أن يتعزّى قلبُ مكتئبِ
كانوا ثلاثةَ أطيارٍ على فَنَنٍ ... نَضْر الأزاهر حَولَ المرتع الخصبِ
فسدّد الدهرُ سهماً من كنانتهِ ... على (الكنانةِ) أصمى مهجة العربِ !

* * *

أبا عليّ !.. سقاك الغيثُ عن بلدٍ ... طيّبتَهُ بشذاً من ذلك الأدبِ
بنتُ البقاع شجاها موتُ نابغةٍ ... رنّت قصائدهُ فى السهل والهضبِ
كسوتَها بُردةً كالارز زاهيةً ... لا تستبيح حواشيها يدُ النُوَبِ
سقْياً لعهدك والأيام باسمةٌ ... والقوم حولك مثلُ الجحفل اللجبِ
والدهرُ يكتب والاجيال منصتةٌ ... والناسُ فى مرح والنهر(١) فى صخبِ
واها لها ذكريات كيف أنشرها ... وقد طواها قضاءُ الله بالحجُبِ
أتيتُ عن (جارة الوادى) وبى ظمأٌ ... ولو إلى نَهلة من وِرْدكَ العذبِ
سقيتَها من كؤوس الخلد مترعةً ... هيهات تفرغ فى الوادى على الحقب
أغنيّةٌ رَجّع الحادى شواردَها ... شوقية الروح والانفاسِ والطرَبِ

* * *

يا شاعرَ الخلدِ !.. والدنيا تشيّعُهُ ... أنشدْ قصيدتك الكبرى على الشُّهُبِ
أذكر لنا ما وراءَ القبر من عِبرٍ ... وابعثْ ضياءَ الهدى من ظلمة التربِ
أسامعٌ أنت خلف الغيب أنّتَنا ... أم أنت فى ركْبٍ منْ نودِى ولم يجبِ
أسالمٌ ثَمَّ من واشٍ ومنتقد ... أعالمٌ ما ستلقى (الضاد) من نَصَبِ
وهل رأيت الالى خلّدت ذكرُهم ... من مالكٍ فاتحٍ أو سيدٍ أربِ
وهل شهدتَ (ندىّ الشعر) محتشداً ... وهل جلستَ إلى أترابك النُّجُبِ
تَسقى وتُسقَى على ظلٍّ وحاشيةٍ ... من خمرةِ الشعر لا من خمرة العنبِ
قلْ ما تشاءُ وصفْ واشرح حقائقها ... واكشِفْ لنا عن خفايا الشكّ والريب

* * *

حنّتْ اليكَ عذارى الخلد واستبقتْ ... عرائسُ المجد فى أثوابها القشُبِ
والتاجُ لاح على فودَيْك مؤتلقاً ... كالشمس فى موكب الأنوار واللهبِ
كأنّ (صبرى)(٢) وحادى الوجد لجّ بهِ ... فهبّ يسعى الى لقياك عن كثَبِ

---

(١) البردونى : نهر زحلة المشهور . (٢) شيخ شعراء مصر المرحوم اسماعيل باشا صبرى .

يصيح بالملأ الأعلى : ألا اسمعوا ... ما قاله (حافظ) فى خالد الخطب :
إن الامارة لم تسلس أعنتها ... فى الشرق الا لذاك الشاعر العربى !

حليم دموس



النيل الخالد

عجباً ! أتوحشنى وأنت إزائى ... وضياء وجهك مالئ سوداثى !؟
لكن جرى قدر وإن أبت المنى ... بنوى أحبتنا لغير لقاء
جرحوا صميم القلب حين تحملوا ... الله فى جرح عزيز شفاء
الطيب المحمود من عمرى مضى ... والمفتدى بالروح من خلصائى
لا بل هما منى جناحا طائر ... رميا ولم يك نافعى إخطائى
الصاحبان الاكرمان تولّيا ... فعلام بعد الصاحبين بقائى ؟
لم يتركا بردّاهما غير الأسى ... لأخيهما ما دام فى الأحياء
وحيالى الخلطاء إلا أننى ... متغرب بالعهد فى خلطائى
أيراد لى من فضل ما مجدا به ... إرث ؟ اذن جهل الزمان وفائى !
إن نحى بالذكرى فلا تبديل فى ... صفة ، ولا تغيير فى الأسماء
يا صاحبىّ غدوت منذ نأيتما ... أجد الحياة ثقيلة الأعباء
لا ليل عافية هجعت به ، ولا ... يوم نشطت به من الإعياء
انا واحد فى الجازعين عليكما ... وكأنما ذاك البلاء بلائى
فاذا بدا لكما قصورى فاعذرا ... او شفعا لى مسلفات ولائى

***

مهلاً أمير الشعر غير مدافع ... ومعز دولته بغير مراء
كم أمة كانت على قدر الهوى ... ترجوك ما شاءت لطول بقاء
متمكناً من نفسها إيمانها ... أن لم تكن ممن حيوا لفناء
فاذا المنايا لم تزل حرب المنى ... وإذا الرزيئة فوق كل عزاء

فى مصرَ بل فى الشرق منها لوعةٌ … سَدَّت على السُّلوانِ كلَّ فضاء!
أتوى مُوَيجاتِ الأثيرِ كأنها … حَسْرى بما تُزجى من الانباء؟!
بَعَثَ الشرارُ بها ثقالاً لو بدا … ما حُمِّلَتْ لبدت نِطافُ دماء!
جَزَعُ الكنانةِ كاد لا يَعدو أسىً … أمِّ القرى ومناحةَ الفَيحاء
وبحضرموتَ على تنائى دارها … شكوى كشكوى تونسَ الخضراء
بالامس كان هواكَ يجمع شَمْلَها … فى فُرْقَةِ النزَعاتِ والاهواء
واليومَ فتَّ رَداكَ فى أعضادِها … ما أجلَبَ البأساءَ للبأساء!

* * *

أفدِحْ بما يلقاه آلُكَ إنْ يكنْ … حُزنُ الأباعدِ جَلَّ عن تأساء
حُرِموا أبًا برًّا نَمَوا وترعرعوا … من جاهِهِ فى أسمح الافياء
وكفقدهم فَقَدَ الغرانيقُ العُلى … عَلَمَ الهُدَى للفتْيةِ النُّجباء
وكَرُزْئهم رُزِىءَ الرجالُ مُرجَّبًا … عَفَّ اللسانِ مهذَّبَ الايماء
يتناولون من الصحائف وَحْيَهُ … فتكون كلُّ صحيفةٍ كَلِواء!
ما عشتَ فيهم ظلْتَ بُلْبُلَ أيكهم … فى الأمْن، والرئبالَ فى اللأواء
لك جَوُّك الرَّحْبُ الذى تخلو به … متفرِّداً والناسُ فى أجواء
عذلوكَ فى ذاك التعزُّلِ ضَلَّةً … إن التعزُّلَ شيمةُ النُّزَهاء
ما كان شغلُكَ لو دَرَوا الاَّ بهم … لكن كرهتَ مشاغلَ السُّفَهاء
ولَعلَّ اعطفَهم عليهم مَن دنا … بالنفع منهم وهو عنهم ناء
أنزلْتَ نفسَكَ عند نفسِك مُنزَلاً … يَأْبى عليها الخسفَ كلَّ إباء
فرعَيتَ نِعْمَتك التى أثَّلتَها … ورعَيتَ فيها جانبَ الفقراء
تقْنِى حياءَك عالماً عن خُبْرَةٍ … أنَّ الخصاصةَ آفةُ الأدباء
وترى الزكاةَ لذى الثراءِ مَبَرَّةً … منهُ بهِ ووسيلةً لِزَكاء
كم من يدٍ أسديتَها وكسوتَها … متأنِّقاً لُطفَ اليدِ البيضاء

* * *

عصرٌ تقضَّى كنتَ مِلءَ عيونه … فى اربعينَ بما أفدْتَ مِلاء
يجلو نبوغُكَ كلَّ يوم آيةً … عذراءَ من آياتهِ الغرّاء
كالشمس ما آبت أتت بمجدَّد … متنوِّع من زينةٍ وضياء
هِبَةٌ بها ضَنَّ الزمانُ فلم تتحْ … الاَّ لأفذاذ من النُّبغاء

يأتون فى الفترات بُوعِدَ بينها ... لِتَهيُّؤ الاسباب فى الأثناء
كالانبياء ومَن تأثَّرَ إثْرَهم ... من عِلْيَةِ العلماء والحكماء
رفعتك بالذكرى الى أعلى الذرى ... فى الخُلْد بين اولئكَ العظماء
مَنْ مُسْعِدِى فى وَصْفها او مُصعِدِى ... دَرَجاتِ تلك العزة القَعْساء
ومُطَوَّعٌ لى من بيانى ما عصى ... فاقولَ فيك كما تُحِبُّ رِثائى
لى فيك من غُرَرِ المديح شوارِدٌ ... أدَّتْ حقوقَ علاك كلَّ أداء
ووفتْ قوافيها بما أمْلى على ... قَلَمى خُلوصُ تَجِلَّتى وإخائى
ما ذا دهانى اليومَ حتى لا أرى ... إلا مكانَ تفجعى وبكائى ؟!

* * *

(شوقُ) لا تبعدْ وإنْ تك نِيَّةٌ ... ستطولُ وَحْشَتُها على الرُّقباء
تالله شمسُك لن تغيبَ، وإنهـا ... لَتُنيرُ فى الإصباح والإمساء
هى فى الخواطرِ والسَّرائرِ تنجلى ... ابداً، وتَغْمُرُهن باللألاء
والذُّخْرُ أغلى الذخرِ ما خلفته ... من فاخرِ الآثار للأبناء
هو حاجة الأوطان ما دالت بها ... دُوَلٌ من السَّرَّاء والضراء
سَيُعاد ثم يعاد ما طالَ المدى ... ويظلُّ خيرَ مآثر الآباء
يكفى بيانَك أن بلغتَ مُوَفَّقاً ... فيه أعزَّ مَبالِغ القدماء
بَوَّأتَ مصرَ به مكاناً نافست ... فيه مكانَ دِمشقَ والزَّوراء
ورددتَ موقِفَها الاخيرَ مُقدَّماً ... فى المجد بين مَوَاقف النُّظراء
لك فى قريضك خُطَّةٌ آثرتها ... عَزَّتْه على الفُصحاءِ والبُلَغاء
من أىِّ بحرٍ دُرُّهُ متصيَّدٌ ... وسَناهُ من تنزيل أىِّ سَماء
ظهرت شمائلُ مصرَ فيه بما بها ... من رِقَّةٍ ونُعومَةٍ ونَقاء
ترخيمُها فى لحنه متسامَعٌ ... ونَعيمُها فى وَشْيِه مُتراء
شعرٌ مرَى مسرَى النَّسيم بلطفه ... وصفا بروْعته صَفاءَ الماء
تَرِدُ العيونُ عُيونَه مشتفَّةً ... ويُصيبُ فيه السمعُ رِىَّ ظَماء
ويكادُ يُلْمَسُ فيه مشهودُ الرُّؤَى ... ويُحَسُّ هَمْسُ الظنِّ فى الحوْباء
فى الجوِّ يؤنس من يحلق طائر ... والدوِّ يؤنس راكبَ الوجناء
عجباً لما صرَّفْتَ فيه فُنُونَه ... من فِطْنةٍ خلاَّبةٍ وذكاء

فلكلٍّ لفظ رونقٌ متجدِّدٌ ولكلِّ قافية جديدٌ رُواء
تُجلى الجمالُ به كأبدع ما انجلت صُوَرٌ حسانٌ فى حسان مراء
ولربما راعَ الحقيقة رسمُها فيه فما اعتصمتْ من الخيلاء!

* * *

حيَّاك ربك فى الذين سَموا إلى أمَلٍ فأبلَوْا فيه خيرَ بلاء
مِنْ مُلْهَمٍ أدى امانة وَحْيه بعزيمة غَلّابة ومضاء
متجشم بالصبر دونَ أدائها ماسِيمَ من عَنَتٍ وفرط عَناء
للعبقرية قوة عُلْوِيَّة فى نجوة من نفسه عصماء
كم أخرجت لأولى البصائر حكمةً مما ألمّ به من الأرزاء
حتى اذا اشتعل المشيبُ برأسه ما زادَ جُذْوتَها سوى إذكاء
فالداء يُنحِلُ جسمَه ونشاطُها يُخفى بروْعته نشاطَ الدّاء
جسمٌ يقوِّضُه السَّقامُ، وَهَمُّها متعلق بالخلقِ والانشاء
عَجَباً لعامَيْه اللذين قضاهما فى الكَدِّ قبل الضَّجعة النَّكراء
عاما نزاعٍ لم يُهادِنْ فيهما نُذُرُ الرَّدى وشواغلُ البُرَحاء
حَفلا بما لم يَتّسِعْ عمرٌ له من باهر الإبداع والإبداء
فَتحٌ يلى فتحاً، وصرحٌ باذخٌ فى إثره صرحٌ وَطيدُ بناء
هذا إلى فِطَنٍ يقصر دونها مجهودُ طائفة من الفُطناء
من تحفةٍ منظومةٍ لفكاهة او طُرْفةٍ منظومة لغناء
او سِيرَةٍ سِيقتْ مساقَ رواية لمواقف التمثيل والإلقاء
تجرى وقائعها فتجلو للنُّهى منهاَ مَغازىَ كُنَّ طَيَّ خفاء
فاذا الحياةُ عَهيدُها وعَتيدُها مَزْجٌ كمزج الماء والصَّهباء
تَطفُو حقائقُها على اوهامها وتَسوغُ خالصةً من الأقذاء

* * *

يا مَن صَحِبْتُ العُمْرَ أشهدُ ما نحا فى الشعر من متباين الأنحاء
إنى لَيحضُرُنى بصادقِ حالهِ ماضيك فيه كأنه تلقائى
مِن بدْئهِ وحِجاكَ يفتحُ فَتحَهُ لِلْحِقبةِ الأَدبيَّةِ الزَّهْراء
حتَّى الختامِ ومِن مفاخر مجدو ما لم يُتحْ لِسِواكَ فى الشعراء

فأرى مثالاً رائعاً في صورةٍ ... للنيلِ تملأُ منه عينَ الرائي
النيلُ يجرى في عقيقٍ دافقٍ ... من حيثُ ينبعُ في الربى الشمّاء
يَسقى سهولَ الريفِ بعد حُزونهِ ... ويُديلُ عمراناً من الإقواء
ما يعترضهُ من الحواجزِ يعدُهُ ... ويعدْ الى الإحياء والإرواء
حتى إذا ردَّ القيافَ جنّةً ... فيما علا ودنا من الأرجاء
أوفى على السدِّ الاخير ودونَهُ ... قُربُ المصيرِ الى محيطٍ عفاء
فطغى وشارفَ من خلافٍ زاخراً ... كالبحر ذى الإزباد والإرغاء
ثمَّ ارتمى بفيوضهِ من حالقٍ ... في المَهْبِطِ الصادي من الجرعاء
فتحدّرتْ وكأنَّ منهمراتها ... خُصَلٌ من الأنوارِ والأنداء
مسموعةُ الإيقاعِ في أقصى مدًى ... جَذْلى بما تُهدِي من الآلاء
إنْ أخطأتْ قَطْراً مواقعُ غيثِها ... أَخْطَتهُ باللمحاتِ والأصداء !

* * *

للهِ درُّ قريحةٍ كانت لها ... هذي النهايةُ من سَنًى وسناء
رفعتكَ من علياءِ فانيةٍ الى ... ما ليسَ بالفاني من العلياء !

خليل مطران



الشعر

بعد كبيره وأميره

الشعر بعد مُصابهِ بكبيرهِ ... في مصرَ جلَّ مصابهُ بأميرهِ
بيناهُ يبكى حافظاً بشهيقهِ ... إذْ قام يبكى أحمداً بزفيرهِ
لم يَقضِ بعضَ حِدادهِ لنصيرهِ ... حتى أحدَّ أسىً لفقد مُجيرهِ
ما إنْ خبتْ في الأفقِ شعلةُ نارهِ ... حتى انطوتْ في الجوِّ لمعةُ نورهِ
بالأمس ظلَّ مُرَزَّأً بِمُبينهِ ... واليومَ باتَ مفجّعاً بمُنيرهِ
أخذت فرزدقَهُ المنونُ وضاعفتْ ... جُلّى مصيبتهِ بأخذِ جريرهِ
رُزآنِ ملتهبانِ قد نضحتْهما ... عينُ العُلى من دمعها بغزيرهِ

فالشعر بعدهما استطالَ بكاؤهُ ... وتموّجَتْ بالحزن كلُّ بحوره
وَهزارهُ ترك الصداحَ وليثُهُ ... أحِنَتْ أماديه سماعَ زئيرِه

***

يا نيّراً لجُمِعَ القريض بموته ... فبكَتْه عينُ وزينه وكسيره
وَخلتْ سماءُ الشعر بعد افوله ... من مشرقات شموسه وبدوره
ومُؤمَّراً لم تنتقضْ بوفاته ... فى الشعر بيعتُهُ على تأميره
لك فى الخلود مكانةٌ ما نالها ... فرعون فى ديماسه وحفيره
إنّ الدفين مضمّخاً بحنوطه ... دون الدفين محنّطاً بشعوره
إنّ المتوّج فوق عرش ذكائه ... يعلو المتوّجَ فوق عرش سريره
ما مات من تركت لنا أقلامهُ ... صُوَراً خوالدَ من بنات ضميره
صوراً تمثل ذاتَهُ وصفاتَهُ ... حتى يَقُمْنَ لنا مقامَ نشوره
فكأنه وهو الدفين بقبره ... حىٌّ يعيش بحزنه وسروره
وكأنه فى القوم ساعةَ حَفلهم ... متكلمٌ بنظيمه ونثيره !

***

لابى علىٍّ من قريحة شعره ... وحىٌ أتى من جبرئيل شعوره
كم قد رمى الغيبَ الخفىَّ فؤادُهُ ... بذكائه فأصاب كشف ستوره
وتَصوّر المعنى الدقيق فردّه ... كالصبح منفلقاً أوانَ ظهوره
يأتيك بالمعنى الجميل قد اكتسى ... من وشيِ سندس لفظه وحريره
فالشعر قد دُكت جبالُ فنونه ... إذ موتُ شوقي كان نفخةَ صُوره
يا راحلا ترك القوافى بعده ... محتاجة المحيا الى تفكيره
لهفى على ذيّالك القلم الذى ... يتطرّب الأرواحَ لحنُ صريره
الشعر كنت أميرَهُ وسميرَهُ ... فمن المسامرُ بعد فَقْد سميره
حرّرته من رِقِّ كلِّ تصنُّعٍ ... فبَدَتْ فنونُ الحسن فى تحريره
سخَّرتَ من أوتاره ما لم يكن ... ليطيعَ غيركَ قطّ فى تسخيره
ولكم شدَوْتَ بنغمة من بمّه ... ولكم صَدَحْتَ بنغمة من زيره
تمايل الأبدانُ فى إنشاده ... طرَباً وليس يُملّ من تكريره

***

يا أهلَ مصر عزاءكم ، فصابكم أمرٌ قضاهُ الله فى تقديرهِ
الشعر قد ثُلَّتْ بمصر عروشهُ بوفاة سيِّدهِ وموت أميرهِ
عَلَمان من أعلامه كانا بهِ يتنازعان السَّبْقَ فى تحبيرهِ
لكليهما الهرمان قد خشعا أسىً والنيل مدَّ أنينه بخريرهِ !

معروف الرصافى



أروع مرثية لشوقى

رثاؤه لوالدته

لا نرى أنسبَ فى ختام شعر المراثى من نشر المرثية الفريدة التى فاضت بها شاعرية شوقى فى ندب والدته التى كان يحبها الى درجة العبادة ، وكأنه فى كثير من أبياتها يرثى نفسه ويبكى مآلَ الانسانية . وقد نظم الفقيدُ الكريمُ هذه المرثية الرائعة فى ظروفٍ مشجيةٍ حقّاً : وذلك على أثر اعلان الهدنة بينما كان يعلل النفس بالعودة الى الوطن العزيز ولقاء آله وصحبه وفى مقدمتهم والدته الحبيبة . فما كاد يداعب هذا الأمل حتى وافاه البرق بنعى أحبّ الناس اليه ، فأثر هذا المصاب الجلل فى نفسه تأثيراً بليغاً، وبعد ساعة كتب هذه المرثية الرائعة التى تحاشى مراجعتها ونشرها من فرط تأثره ، فبقيت مستورة بين أوراقه الخاصة .

***

الى اللهِ أشكو مِنْ عوادى النوى سَهْماً أصابَ سويداءَ الفؤاد وما أَصْمَى
من الهاتكاتِ القلبَ أولَ وهلةٍ وما داخلتْ لحماً ولا لامستْ عظما
توارد والناعى فأوجستُ رنةً كلاماً على سمعى وفى كبدى كلما
فما هتفا حتى نزا الجنبُ وانزوى فيا ويحَ جنبى كم يَسيلُ وكم يَدمَى
طوى الشرقَ نحو الغرب والماءَ للثرى الىَّ ولم يركب بساطاً ولا يَمَّا

أبانَ ولم يَنْبُسْ ، وأدّى ولم يَفُه   وأدمى وما داوى ، وأوهى وما رَمّا

اذا طُويتْ بالشهبِ والدّهم شقّةٌ   طوى الشهبَ أو جابَ الفدافية الدُّهما !

ولم أرَ كالاحداث سهماً اذا جرتْ   ولا كالليالى رامياً يُبعد المَرْمى !

ولم أرَ حكماً كالمقادير نافذاً   ولا كلقاء الموت من بينها حَتْما

الى حيث آباء الفتى يَذهبُ الفتى   سبيلٌ يدين العالمون بها قِدْما

وما العيشُ إلا الجسمُ فى ظل روحه   ولا الموت الا الروح فارقتْ الجسما

ولا خلدَ حتى تملأ الدهرَ حكمةً   على نزلاء الدهرِ بعدكَ أو علما

زجرتُ تصاريفَ الزمانِ فما يقعْ   لىَ اليوم منها كان بالأمس لى وَهْما

وقدّرتُ (للنعمان) يوماً وضدّه   فما اغترّتْ البوسى ولا غرّتْ النعمى

شربتُ الاسى مصروفةً لو تعرضتْ   بأنفاسها بالفم لم يستفق غمّا

فاترعْ وناولْ يازمانُ ! فانما   نديمُكَ (سقراطُ) الذى ابتدع السّما !

قتلتُكَ حتى ما أبالى أدرتَ لى   بكأسك نجماً أم أدرتَ بها رَجْما !

لكِ الله من مطعونةٍ بقنا النوى   شهيدة حربٍ لم تقارفْ لها إثما

مدلهةٍ أزكى من النار ظفرةً   وأنزه من دمع الحيا عبرةً سجما

سقاها بشيرى وهى تبكى صبابة   فلم يقو مغناها على صوبه رسما

أستْ جُرْحها الانباء غيرَ رفيقةٍ   وكم نازعٍ سهماً فكان هو السهما !

تغارُ على الحىّ الفضائلُ والعلا   لما قبّلتْ منها وما ضمّت الحمّى !

أكانت تمنّاها وتهوى لقاءها   اذا هى سمّاها بذى الأرض مَنْ سمّى؟!

ألمّتْ عليها واتّقتْ ثمراتها   فلما وُقوا الاسواء لم ترها دمّا

فيا حسرتا ألاّ تراهم أهلةً   اذا أقصر البدر التمام مضوا قدما

رياحين فى أنف الولىّ وما لها   عدوٌّ تراهم فى معاطسه رغما

وألاّ يطوفوا خشّعاً حولَ نعشها   ولا يُشبعوا الركن استلاماً ولا لثما

حلفتُ بما أسلفتِ فى المهد من يدٍ   وأوليتِ جثمانى من المنّة العظمى

وقبرٍ منوطٍ بالجلال مقلدٍ   تليدَ الخلال الكُثر والطارفَ الجمّا

وبالغاديات الساقيات نزيله   من الصلوات الخمس والآىَ والاسما

لما كان لى فى الحرب رأىٌ ولا هوًى   ولا رمتُ هذا الثكلَ للناس واليتما

ولم يكُ ظلمُ الطير بالرقّ لى رضاً   فكيف رضائى أن يرى البشرَ الظلما؟!

ولم آلُ شبانَ البريةِ رقّةً   كأنّ ثمارَ القلب من ولدى ثمّا

وكنتُ على نهجٍ من الرأى واضحٍ أرى الناس صنفين : الذئابَ أو البُهْما
وما الحكم إلا فى أولى البأس دولة ولا العدل إلا حائط يعصم الحكما

***

نزلتُ رُبى الدنيا وجناتِ عدنِها فما وجدتْ نفسى لأنهارها طعما !
أريجُ أريجَ المسك فى عرصاتها وان لم أرح « مروان » فيها ولا « لخما »
اذا ضحكتْ زهواً الىَّ سماؤها بكيتُ الندى فى الارض والبأسَ والحزْما
أطيفُ برسمٍ أو ألمُّ بدمنةٍ اخال القصورَ الزهرَ والغرفَ الشُّما
فما برحتْ من خاطرى « مصرُ » ساعة ولا أنتِ فى ذى الدار زايلتِ لى وهْما
اذا جنّنى الليلُ اهتززتُ اليكما فجنحاً الى سعدى وجنحاً الى سلمى
فلما بدا للناس صُبْحٌ من المُنَى وأبصر فيه ذو البصيرة والأعمى
وقرّتْ سيوفُ الهند وارتكز القنا وأقلعتْ البلوى وأقشعتْ الغُمَّى
وحنَّتْ نواقيسٌ ورنَّت مآذنٌ ورفتْ وجوهُ الأرض تستقبل السلما
أتى الدهرُ من دون الهناء ولم يزلْ ولوعاً ببنيان الرجاء اذا تمَّا !
اذا جال فى الأعيادِ حلّ نظامها أو العُرسِ أبلى فى معالمه هَدْما
لئن فاتَ ما أمّلته من مواكبٍ فدونك هذا الحشدَ والموكبَ الضخما !
رثيتُ به ذاتَ التُّقى ونظمتُه لعنصره الأزكى وجوهره الأسمى
نمتكِ مناجيبُ العلى ونميتها فلم تُلحَقى بنتاً ولم تسبقى أمَّا
وكنتِ اذا هذى السماءُ تخايلتْ تواضعتِ لكنْ بعد ما فتَّها نجما !
أتيتِ به لم ينظمْ الشعرَ مثله وجئتِ لأخلاق الكرام به نظما
ولو نهضتْ عنه السماءُ وتمخَّضتْ به الارضُ كان المزنَ والتبرَ والكَرْما !



كلمة ختامية

والآن نتأهّب لنُلقى القلم بعد اشرافه على هذه الذكرى لفقيدنا العظيم ـ نلقيه بشعور من الألم الدفين والتردّد الحزين ، والخاطرُ المكلومُ يردّد :

ليتني ما خُلقتُ فى الناس حتّى لا أرى غايةَ العظائمِ موْتا
والجَنانَ الذى تألّقَ وحْيا بين عُمْرٍ مُقيَّدٍ ليس يَحْيا
والحكيمَ الذى يُناضلُ جيلاً ناصرَ العقلِ قد تَردّى تمثيلاً
قَتلَتْهُ الأيّامُ رغمَ انتباهِ رغمَ طبٍّ ورغمَ مالٍ وجاهِ
وتُركنا نرى (الحياةَ) السّخافهْ ونرى (الموْتَ) بَعْدَها كالخرافهْ !

ونُشفق على وجداننا من ثورة اليأس فنعود نتلمس العزاء فى صور من التفاؤل بمآل الانسانية ، وببقاء الجوهر دون العرض ، وبالذخيرة النفيسة من الأدب العالى التى تركتها لنا تلك المواهبُ العزيزة المفقودة . وننتهى أخيراً فى عجز وتعثر الى الايمان بأنّ الأثر هو ظلٌّ الأصل بل توأمهُ ، وأنْ خلودَه خلودٌ لمصدره ! وهكذا نصطنع العزاء ، ونعكف على دراسة هذا الأثر ، ونعتبر فى ذلك رمزَ الاكبار للفقيد الكريم ومعنى الاعتبار للأحياء .

وقد رأى مجلس (جمعية أبولو) أنّ فى هذه الدراسة تقديراً أجْدَى مراراً من حفلات التأبين المألوفة ، وإنْ كان قد لبَّى دعوةَ وزارة المعارف لاقامة حفلة تأبين شاملة باسم جميع الهيئات الأدبية ، واشترك فى تنظيم الحفلة وفى القيام بالتأبين ذاته بواسطة مندوبيه وفى مقدمتهم رئيس الجمعية ووكيلاها وسكرتيرها ، كما أخذت الجمعية تحت رعايتها حفلة طلبة الجامعه المصرية ، وبعثت بأعضائها من الشعراء لتعزيز غيرها من الحفلات التأبينية ، وهكذا قام الشعراء بواجبهم نحو الراحل العظيم منذ اللحظة الأولى لهذه الفجيعة المروعة . ولكن اهتمام الجمعية الأكبر دام موجَّهاً الى واجب الذكرى الدراسية ، ولا نعد هذا العدد الخاص من (أبولو) الا تمهيداً له ما بعده من بحوث جليلةِ الشأن نؤثرها على المراثى الشعرية .

وقد رأى القرّاء أننا جعلنا مبدانا الشامل لتحقيق هذه الغاية روحَ الانصاف فما حجرنا على شىء اعتقدنا أن الاخلاص يمليه ، وسمحنا بنشر النقد الأدبى النزيه

حتى لا يعتبر هذا الأثر من قبيل المجاملات الواهية التى لهـا مناسباتها ثم تنقضى .

وعندنا أن مرثية رئيس تحرير « الجهاد » التى نُشرتْ يوم الوفاة من خير ماقيل فى تحديد واجب النـاقد الأدبى . فقد كان مباحاً فى حياة الفقيد تنـاول شتَّى العوامل المحيطة به حتى بعض ما يعتبر من العناصر الشخصية الخاصة ، ولـكن جلُّ هذا إن لم يكن كله مما يُتناسى بعـد وفاته لأن الغرض الاصلاحى قد انتهى بوفاة الشاعر ، ولا يعبأ الناقد المنصف فى أغلب الأحوال بعـد ذلك الاَّ بالأثر الأدبى وحده وبالملابسات التى تفاعلت معـه حقيقة وبينها طباع الشاعر وظروف بيئته التى كيفت شاعريته .

ومن الانصاف لمن يريد أن يضع شوقى بك موضعه من العبقرية أن يذكر حالة الشعر العربى حينما نبغت شاعرية الفقيد على حداثة سنه ، وحينئذ يقدّر جراءته فى مناحيه التجديدية . وتلك دراسة يجب أن تقترن بآثار مطران فى ذلك العهد وهى آثار رائعة أشاد بقيمتها شوقى بك نفسه وقد كانا من أصفى الاصدقاء .

ونرى أن حياة الفقيد الرسمية لم تَحُلْ فى ذاتها دون قرضه الشعر العالى ، وإنما البيئة فى ذلك العهد لم تـكن منبهةً للشعر الفنى الذى تَجلَّى أخيراً وحفز اليه الشعراء الشبانُ المثقفون تثقيفاً أوروبياً ، فسار الفقيد فى معظم الاحوال فى طليعة الحركة التجديدية إذ لم يكن يرضى أبداً أن يتخلَّف عن أىّ نهضة حديثة ولو تردَّد أولاً . ونعدّ أنّ التخلّى عن مركزه الرسمى وبأسهِ القديم لم يحرّره تحريراً فنياً فقد كان حراً دائماً من هـذه الوجهة ، بل جعله يسعى لتعويض صولة المـاضى عن طريق العظمة الفنية بانتاجه الوافر الممتاز، فـكان له فى ذلك عزاء خاصّ الى جانب استمتاعه الفنّى ، وهو تطوّر لا بدّ أن يؤمِّن عليه خاصة الأدباء النقّـاد وكل باحث نفسانى دقيق .

ولعلَّ أظهرَ مـيزةٍ لشعر شوقى حلاوته الساحرة ، وعندنا أنه لو لم يكن شاعراً لـكان موسيقياً ، فهو بفطرته طروبُ النفس موسيقىُّ الرُّوح، فلا عجب إنْ سحرَ بأنغامه العـالمَ العربىَّ بأسره حتى فى المواقف التى قـد لا تبلغ فيها جودة شعره الدرجة المعهودة منـه وحتى فى نماذج شعره التقليدى الذى تتراءى فيـه معانى المتقدمين وأخيلتهم أو المعانى السائرة فى عصره .

هذا هو مفتاح الاعجاز فى شعر شوقى — هو موسيقيته الفريدة النابعة من حسٍّ رقيق وطبعٍ مصقول . وهى التى خلبت الألباب وكان من ردّ فعلها أن

نشأت مدرسة محافظة كادت تكفر بالمعانى الشعرية الرائعة وبأسمى الشعر الفنى وتجرى وراء الرنين الموسيقى وحده ، وهذا من العجب بمكان !

كان شوقى بك فى العهد الخديوى ذا نفوذ عظيم و كانت البواعث للشعر الفنى محدودة جداً كما ذكرنا ، فلما دال ذلك العهد وذاق شوقى بك مرارة النفى — وإن كان قد رحّب به أولا فراراً من الجوّ السياسى الموبوء — وهى مرارة حدّثنا عنها شخصياً فيما بعد وألمع اليها فى شعره الأندلسى ، لم يكن له عزاء الاّ فى الانهماك الأدبى ، وهذا سر انتاجه الأخير الذى نما وتضاعف بحافز المنافسة الأدبية التى قويت فى العهد الحديث وانزوى أمامها غيرُ واحدٍ من مشهورى شعرائنا المحافظين الذين نبهوا فى الجيل السابق . وكما أنّ الأمير مؤمَّر على رعاياه جميعاً فكذلك كانت نفسية شوقى بك تنزع الى أن يضرب فى كل باب من أبواب الشعر بسهم ، فكان شاعر النهضة العربية وشاعر الاسلام وشاعر الوطنية وشاعر الفنون الوصفية وشاعر الحب والأغانى الخ . حتى يشمل انتاجه جميعَ ميادين الشعر أو ما يُظَنّ أنها ميادين الشعر ، وهو مدين بهذه الروح لنشأته الرسمية وفى سبيلها لبث يكافح الى آخر لحظة من حياته . وقد حدثنا رئيس تحرير «الأهرام» عن شوقى بك فقال آسفاً إنه ما كان ينبغى له أن يعمل فى أواخر عمره ، ونسب الى هذا المجهود العنيف تدهور صحته أخيراً . ولكنْ بغضّ النظر عن الأسباب الطبيعية التى آلت الى إعيائه — وفى مقدمتها انهماكه فى التدخين حتى وهو فى مرض الموت — فاننا لا ندرى كيف كان من المستطاع لذهنٍ وقّادٍ كذهن شوقى أن يقنع بالهمود اذا كان فى طاقته أن يشتعل ويضىء .

ومما لا جدال فيه أن شاعرنا العظيم أجاد إجادةً فذّةً فى أكثر من ضرب من ضروب الشعر ولا سيما فى الشعر الوصفى والشعر التاريخى الذى ينقلك الى قرون خلت فتعيش بين أهلها الأحياء ، وما نشك لحظة ان جاهه ونفوذه ساعداه كثيراً على احياء اسمه وصيته ، ولولا هذا الجاه والنفوذ لما ظهرت له رواية تمثيلية واحدة على خشبة المسرح نظراً لجمود مسارحنا المصرية . وقد عيب عليه أن رواياته لا يتجلى فيها فنّ التمثيل ، ولكنّ العائبين أو معظمهم لا ينكرون أنّ شعره فى نفس هذه الروايات من أرقى الشعر العربى الحديث . وآيةُ العجبِ انّ شوقى فى شيخوخته أبى إباءً أن يسبقه الشبان الى أىّ انجابٍ جديدٍ لا يُساهم فيه ، فحفزه هذا الى وضع رواياته الشعرية التمثيلية وله من مطالعاته ومشاهداته ومن ذاكرته القوية كنز زاخر بالمرائى والتجاريب وأسرار اللغة يستمدّ منه العون . وكان فى أول الأمر ينزع الى الاوبرات ثم آثر

عليها الدرامات الشعرية ففتح الباب الذى أُغلق بوفاة المرحومين نجيب الحداد واسماعيل عاصم . ومهما يكن من شأن رواياته التمثيلية فلا نزاع فى أنها أتاحت له فرصاً بديعة لتصوير ألوان الحياة والموت أيضاً ، ذلك التصوير الخلاَّب الذى لم تفارقه سلاسته المعهودة ودقته الآسرة . ومَنْ ذا الذى لا يتأثر بقول كليوباطرة الناعمة اليائسة وهى تتهيأ للانتحار :

يامَوْتُ طُفْ بالرُّوحِ واسرقْها كما ... سرقَ الكرَى عينَ الخلىِّ السالى
حتى أموتَ كما حييتُ كأننى ... بيتُ الخيال ودُميةُ المثَّالِ
وكأنَّ إغماضَ الجفونِ تَنَاعُسٌ ... وكأنَّ رَقدَتىَ اضطجاعُ دلالِ

وهذه الابيات يقولها شيخ فى الستين من عمره ! هنا دقة التصوير وجراءة الخيال وحلاوة اللغة الفاتنة . وفى الحق أن شوقى كان فنَّاناً فى لغته ، ولو لم يجامل المحافظين ويسترضيهم بأساليب لغوية عتيقة أحياناً لما ارتفع صوتٌ بمؤاخذته . ومع هذا فقد طوَّع اللغة تطويعاً ببراعته فى مواقف شتى ، وكان طبعه الموسيقى يتغلب على التنافر الذى يعترضه فى معظم الأحوال . ولكنه حاول أن يرضى جميع المدارس الأدبية بمثل محاولته أن يكتسح جميع ميادين الشعر الجليل والصغير منها على السواء ، ولا نعتقد أنه أصاب بهذا التصرف الذى لم يكن ليتفق مع طبيعته فكانت له من ورائه عثرات وسقطات . كذلك لا نراه على صواب فى مجاراة العامة بنظم الأغانى العاميه وإن سمَت معانيها ، فقد كانت هناك ندحة له عن ذلك وهو حارس لغة القرآن والشاعر الذى تذوب عربيته السليمه رقة ويقبل عليها الجميع ، ولا نؤمن بأية دعوى عن ترقيته للأغانى فانه — طيب الله ثراه — لم يحاول أن ينهض بالجماهير بل آثر أن ينزل الى مستواهم اللغوى ، ولو أنه حاول أن يسمو بهم لجاءت محاولته هذه قدوة الجيل ولا نساق خلفه كثيرون من مؤلفى الأغانى . أما الحال الآن فعكس ذلك تماماً ، وقد تجرأ تبعاً لذلك غير واحد من شعرائنا النابهين على وضع الأغانى العامية والمباهاة بها مادام شوقى قد سبقهم الى مثل ذلك ، وكأنما لا شخصية لهم ! وهذه مؤاخذة ردّدناها على مسمع الفقيد فى حياته وكان كلُّ دفاعه أنه أراد أن تكون الاغانى شعبية وأنه لم ينس نصيب العربية السليمة من شعرٍ للغناء ، وقد نظم بناء على هذا النقد قصيدتيه الاخيرتين للآنسة ملك ، وكان فى وسعه أن ينظم شتى المواويل والأدوار العربية السليمة التى تصلح على مدى الزمن للعالم العربى بأسره

لا لعامة مصر وحدهم ، كما هو شأن رواياته الشعرية التمثيلية وما تضمنته من شعر بديع رائع جدير بأن يُستشهد به فى شتى المواقف .

فُتِن شوقى بك بالتاريخ كما فُتن بالوصف التصويرى فكانت له بدافع هذا الميل روائع شعرية خالدة ، كما تجلت شواهد التاريخ وعظاته فى الكثير من شعره وبينها ثلاث ملاحم فى وقت نسى الشعرُ العربىُّ الملحمةَ وتكييفها ، وهذه مفخرة له لا يجوز ان ينساها أىُّ مؤرخ . وفُتن بالمتنبى عن طبع مشغوف بالحكمة وعن صفات مشتركة بينهما فكان متنبى عصره ، وإن ساقه الغلو التقريرى أحياناً الى نماذج من النظم لا هى فى الشعر الفنى الخالص ولا هى من شواهد الحكمة العميقة . مثال ذلك مطلع آخر قصيدة له :

المُلكُ بالمالِ والرجالِ   لم يُبنَ مُلكٌ بغير مال

وحتى بيته المشهور :

وانما الأُمَمُ الاخلاقُ مابقيتْ   فانْ همو ذهبَتْ أخلاقُهم ذهبُوا

ليس من الشعر فى شىء ، وإن كان آيةً من الحكمة الساذجة . ولكنّ الشعر والحكمة تجتمعان فى مثل قول شوقى :

دقّاتُ قلبِ المرء قائلةٌ له   إنّ الحيــاة دقائقٌ وثوانى

وقوله :

فما العبدُ إلاّ كالدخان وإنْ علا   الى النجم منحطٌ الى الأرض سافل

وقوله :

ومنْ تبسمْ الدُّنيا اليه فيغتررْ   يَمت كقتيلِ الغيدِ بالبَسَماتِ !

وتوجد نماذج للحكم الشعرية أخرى نفيسة فى « شوقياته » كما يوجد بجانبها غير قليلٍ من النظم الخبرى التقريرى الذى لا نعده من الفلسفة الشعرية فى شىء .

وما كان شوقى بك بطبيعته وبظروف بيئته الأولى الشاعر الاجتماعى ، ولكن بيئته الثانية بعد الحرب وتعلّقه الجديد بالجهور خلق منه الشاعر الاجتماعى المؤثر فى ظروف جمّةٍ ، وإن كان كثيراً ما تردّد وتحوّل بحكم اعتباراته السياسية الخاصة مما دعا الى مؤاخذته الشعرية . وعندنا أنه انتزع هذه المكانة انتزاعاً من حافظ ابراهيم بك ، لأن حافظ كانت تنقصه الوثبات القوية الأخّاذة والخيال الرائع المحبوب وقدرة التصوير الفنى المتجلية فى شعر شوقى مهما يكنْ من استجابة حافظ لعواطف الشعب

استجابة فطرية ، وهكذا تمت لشوقى بك الفتوح فى ميادين متعددة حتى فى الميدان الذى كان من اختصاص منافسه الكبير الذى كاد يعتزل الشعر اعتزالاً قبل وفاته بزمن خلافاً لشوقى بك الذى أخذ يناضل عن صولجانه الى آخر رمق من حياته وكان يستفيد من النقد وإن امتعض منه دائماً .

وقد كان الفقيد العزيز مثالاً لوداعة النفس بين أصدقائه ومريديه — وداعة الأديب المهذب ، وكان وفياً جداً لآله ، ولولا انه اعتاد ان يجعل شعره أساساً للصداقة والخصومة لشمل وفاؤه الجميع ولما كان هناك تناقض غريب فى طباعه وفى أوصاف المؤرخين له . وكان بطبيعته يميل الى الإصغاء أكثر من ميله الى الكلام ولكننا ننكر أنه كان اعتيادى الحديث ، اللهم إلا بين من لا تربطهم به وشائج الصداقة القوية فكان يضن ضناً بحديثه وبعلمه وأسراره . وقد كان حاضر الفكاهة سريع الخاطر حيثما لم يوجد مجال للكلفة . زرناه قبيل وفاته بأربعة أيام وذكرنا له ان العدد الثانى من (أبولو) كان عاطلاً لأنه حرمه شعره فابتسم وقال على الفور : وأنا كذلك كنت عاطلاً ! (يشير الى مرضه) . وعلاقاتنا الودية به التى ترجع الى أكثر من ربع قرن كانت فى ذاتها شفيعاً دائماً فى رفع أية كلفة بيننا ، وفى أخذ آرائه الصريحة الحكيمة فى شتى المسائل بغير تردد منه ، وفى مجابهته بنقدنا وان ساءه . نقول ذلك دفعاً لما سمعناه وقرأناه عن نزول حديثه دون المستوى المعتاد ، بعكس الحال لشعره الخالد . والحقيقة ان حديثه على صورتين : منه ما يخص به صفوة خلصائه . ومنه ما يقتصد فيه كثيراً بين زائريه ، وقد علمته تجاريب الايام أن يكون على حرص وحذر ، وهو بهذا الدافع أبى أن يدون مذكراته الشخصية كما اقترحنا عليه وكان بين أعذاره أن الناس ينفرون من الحق المؤلم وهو لا يريد أن يقول غير معتقده .

وفى هذا السجل التاريخى الأدبى المهدى الى ذكراه لم يسع غير واحد من مريديه الأفاضل إلا أن يشير الى طبيعة الفقيد الكريم فى الحرص الشديد على مكانته الأدبية وكيف أن المتجرين بالأدب استغلوا هذه الطبيعة اسوأ استغلال ، وما زال نفر منهم الى الآن يريد ان يعلن عن نفسه على حساب الفقيد ويريد أن يتظاهر بانه ملكى أكثر من الملك ، ومن هذين الظرفين نشأت خصومات ومنافسات متعددة ما كان يجوز مطلقاً أن تنشأ لو أن الفقيد الكريم لم يحفل بشيء من ذلك ، فان

التاريخ خيرُ منصفٍ على مدى الزمن ، ولا يجوز للرجل العظيم أن يأبه لتحامل المتحاملين أو أن يستدرجه أيُّ اعتبار لمنافسات غير مقبولة ، فلكل فنان طبيعته وآثاره وحسناته ، ومن خير الادب وكرامته أن يطلق لكل متفنن الحرية والتشجيع لانجاب أروع حسناته ، ومن غنم الادب ان نظفر بمجموع الحسنات لشتى الرجال . وعلى هذا المبدأ السامى قامت (جمعية أپولو) التى توَّج الفقيد العزيز مآثره برئاسته لها ومده يد التعاون الأخوى لأعضائها الشعراء ونقاد الشعر بعد أن كان مشهوداً بفرديته ، وكان هذا مبدأ تطور جديد عظيم الأثر فى الحياة الأدبية بمصر . ولذلك صدق سكرتير «جماعة الادب المصرى» حينما ذكر فى مقاله (ص ٢٧٨) إن فجيعة جمعية « أپولو » بفقده عظيمة فوق مصاب العالم العربى بأسره ، وقد سبقنا حضرته الى ملاحظات سديدة نوافقه على معظمها وربما عدنا الى بعضها فى المستقبل.

وكانت الصراحة سائدة فى هذه البيئة الشعرية العائلية حتى ان الفقيد الكريم لم يسؤه أخيراً أن يشدَّد عليه فى التخلى عن شعر الحفلات والاكتفاء بالشعر الفنى وحده . وهذه صورة جِدُّ مختلفة عما شاع وذاع عنه فى سالف السنين .

وقد نوَّه أستاذانا سعادة احمد زكى باشا وحضرة خليل مطران بك بوداعة المرحوم شوقى بك وظرفه وتجرُّده عن الهجو فى شعره ، ولم يُنكرا فى الوقت ذاته أن حاشية الفقيد كانت مسؤولةً عن أقسى الحملات المغرضة على الكثيرين من الأدباء وعن اثارة حرب طاحنة ما كان يجب أن تثار مطلقاً فى بيئة تريد ان تخدم الأدب لوجه الأدب . فما علة ذلك وما تفسيره ؟ هذه نقطةٌ لن يفلت منها أيُّ مؤرخٍ نزيه . وعندنا ان الفقيد العزيز دمثُ الخلق بطبيعته ولكنه يتأثر ببيئته الى حد كبير (subjective) ، حتى أنك لتجد دائماً شعره متأثراً بآخر مطالعاته ومجالسه ونظراته ، وإن اصطبغ بموسيقيته أو بنزعةٍ لغويةٍ خاصةٍ أو نحو ذلك ، فكأنه مَراءٍ متعددة . وهذا لا ينافى فى الوقت ذاته ان عبقريتَه منبعثة من نفسه خلافاً لحافظ ابراهيم بك الذى كان مرآة نخمة لمشاعر أمته وكان نبوغه من وحى امته لا من ذاتيته هو ، وهو رأيُ أستاذنا مطران أيضاً . ويتصدَّى للتأريخ الأدبى فى هذه الآونة مستمرين فى حملاتهم الغاشمة على المدارس الأدبية فى مصر وناشدين الشهرة الفانية على حساب الفقيد نفسُ المتملقين الذين أساءوا الى كرامة زملائه من الشعراء والأدباء بما اختطوه من خطةِ الملق له والانتقاص من زملائه وأنداده فى حياته . ولكن اليقظة الأدبية الأخيرة فى الجمهور أخذت تستنكر تصرُّفهم هذا أشدَّ الاستنكار

وأضعافَ استنكارها ذلك فى حياة الفقيد العزيز الذى يجب أن يتآلف الجميعُ حول ذكراه فى محبةٍ وتعاونٍ كما تجلّى ويتجلى ذلك فى (جمعية ابولو).

واذا كان لانسانٍ أن يودِّع الحياةَ قريراً على أكمل وأهنأ صورة، فهكذا ودّعها شوقى بك بعد أن أدّى رسالته فى شتّى النواحى وترك من الذخائر الأدبية ما لاينال منه الفناء مهما طحنها النقد وغربلتها الأحداث وتلقفتها العوادى. وقد كان كفيلا لذكائه النادر وعبقريته الفذة باستبقاء مذهبه الشعرى وجهوده حيةً بحياته ولكن من المستبعد جداً أن ينشأ ندٌّ له يستطيع أن يقيم له علماً خفاقاً مثل علمه بعد ان تطوّرت المناحى والأذواق والأساليب الشعرية فى العهد الأخير تطوّراً عظيماً هزّ شوقى بك نفسه فلم يثبت قدميه إلا انتاجه العظيم وكفاحه ومواهبه الساحرة. ففى ذمة التاريخ ما أنجبَ وما أبدعَ لخدمة الشعر والعالم العربى حتى رفعَ اسمَ مصر فى شتى الممالك الى جانب ما بلغه من الصيت الرفيع والشهرة الذائعة لنفسه. واذا كان لشعراء الشباب أن يستفيدوا من حياته العظيمة — وهو الواجب عليهم — فهذه الصحائف المتقدمة بمثابة تمهيد لذلك: فلهم أن يستفيدوا من عوامل التفوّق، وعليهم أن يتجنبوا دواعى المؤاخذة، وما كان التفوق إلا فى خدمة الشعر للشعر وفى التعاون الفنى الباهر الكفيل باظهار أجمل المواهب وتساندها لرفعة هذا الفنّ الجميل.



جمعياتنا الادبية

سألنا غيرُ واحدٍ من القراء عن صلاتنا بالجمعيات الأدبية ومبلغ ارتباط (جمعية أبولو) بها، لمناسبة ورود ذكر بعضها فى تأبين المغفور له شوقى بك. وجوابنا على ذلك أنها صلات حبية تعاونية، وفيما عدا ذلك فجمعية أبولو مستقلة تمام الاستقلال ولها مهمتها الخاصة ألا وهى خدمة الشعر والشعراء. وأشهر هذه الجمعيات هى:—

(١) «رابطة الأدب الجديد» ومركزها العام ميدان حليم رقم ٥ بالقاهرة، ولها فروع فى العواصم المصرية وفى عواصم العالم العربى. والغاية منها تنتهى الى غرضين أساسيين: التعاون الفكرى الأدبى والتآخى الاجتماعى، فهى جمعية أممية لها فوائدها الأدبية كما لها فوائدها الاجتماعية، وهى فى دائرة اختصاصها تشبه من بعض الوجوه حركة جمعيات الشبان المسيحيين.

(٢) «جماعة الأدب المصرى» ومركزها شارع المسافرخانة رقم ١٥ برأس التين باسكندرية وهى متخصصة لدراسة الأدب المصرى قديمه وحديثه بشتّى وسائل الدراسة،

وتسدّ بوجودها فراغا من وجهة منزعها الخاص الذى كان مهملا الى حدٍّ كبير .

(٣) « جماعة نشر الثقافة » ومركزها نقابة الموظفين بالاسكندرية . وهى هيئة تعمل للحركة التهذيبية العامة ولها معهد خاص باسم « معهد الثقافة » وتتناول بحوثها شتّى المعارف العامة والدراسات الأدبية . وغايتها تثقيف الجمهور ورفع مستوى التفكير الأدبى .

(٤) « جماعة الإسيست » (Les Essayistes) ومركزها شارع المناخ رقم ١٥ بالقاهرة . وهى ترمى الى نشر روائع الأدب العالمى وتبادل الثقافتين العربية والغربية ولا سيما الثقافة الفرنسية ، ولها مجلة ممتازة تصدر باللغة الفرنسية .

وجميع هذه الهيئات قامت وتقوم بواجبها خير قيام نحو فقيدىْ العربية والشعر العربى المغفور لهما محمد حافظ ابراهيم بك و أحمد شوقى بك ، فحق علينا التنويه فى هذا المقام بغيرة أعضائها الأفاضل وحرصهم على التآزر مع (جمعية أبولّو) فى خدمة الشعر وتقدير أعلامه .

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٠٩	٧	الأوئل	الأوائل
٣٢٣	١	اثنى عشر	اثنا عشر
٣٢٣	٢٣	المكال	الكامل
٣٢٩	٨	أن	كأن
٣٣٧	١٢	رباِن	ريان
٣٤٠	٢٧	زئبراً	زئيراً
٣٤١	٢٢	للميك	للمليك
٣٨٣	٢٠	متى	منّى
٣٩٢	٢	يفكون	يفكونه
٤١٠	١٨	وبطوالع	وبتطويع
٤١٥	١٠	جاء	جاد
٤٣٣	٢٥	البغصاء	البغضاء
٤٣٦	٢	معجزت	معجزات

وربما فاتتنا أخطاء أخرى ومعظمها مما يسهل تقديره وادراكه ، ولكننا على أى حال نرحّب دائماً بمعاونة الادباء وحرصهم على الدقّة فى صفحات هذه المجلة .

فهرس

صفحة



المجلد
الأول

العدد
الخامس

أبولو

مجلة فنية لخدمة الشعر العربي

لسان حال جمعية ابولو




تصدر مرة فى كل شهر

يناير سنة ١٩٣٣




صاحب الامتياز ورئيس التحرير } أحمد زكى أبوشادى

الادارة } بشارع الملك المعز رقم ٩ بضاحية المطرية بمصر

التليفون } ١١٩٦ زيتون و ٤٠٤٥٦








لقد كان رزء العربيــة بفقد زعيمى شعرها الـكلاسيكى محمد حافظ ابراهيم بك وأحمد شوقى بك من أقسى الأحــداث فى تاريخها الأدبى . وقد تفجّرت عيون الشعر بالرثاء الحار فى الاقطار العربية المختلفة كما تجمّعت طائفة من الدراسات القيمة الموهوبة الى روحى الشاعرين العظيمين .

ولم يَفُت (جمعية أبولّو) أن تقوم بالواجب الأدبى نحو ذكراها العزيزة ووقفت العددَ الماضى من هذه المجلة على ذكرى المغفور له شوقى بك وهى تتمنّى أن يساعدها أصدقاء المرحوم حافظ ابراهيم بك على إصدار نظير هذا العدد خاصاً بذكراه كذلك.

بيد أنّ ما أخرجتْـه أقلامُ المؤرّخين والنقّـاد وما أوحت به خواطرُ الشعراء الممتازين ـ غير ما نُشر فى مجلات وصحف خاصة كالمقتطف والهلال والملحق الأدبى لجريدة السياسة ـ يجمع صفوةً رائعةً من نماذج الأدب العصري لا يجوز إغفالها .

ولمّـا كانت هــذه المجـلة متخصّصة للشعر ونقده فهى أولى المجلات بتسجيل مختارات من هــذه النماذج التى سوف تصبح تاريخيةً بعــد حين . ولهذا رأينا أن نخصّص جانباً من (أبولو) لنشر نُخب منها فى هذا العدد وفى الأعداد التالية . وهى نُخب متنوعة الألوان لا نقول إنّ فيها الغثّ والسمين بل نقول إنها تمثل شتّى الاذواق الفنّـية والصوّر . ونحن ننزّه هذه المجلة دائمـاً عن نشر أىّ شيء غثٍ فيها كيفما كان مصدره ويطيب لنا أن نردّ على أى نقد معين يوجّه الى ما ننشره ، ولـكننا نأبى أن تَقْصَر المجلة على لونٍ واحدٍ من الأدب الشمرى خصوصاً فى دور الانتقال الحالى من النزعة الـكلاسيكية الى النزعة الرومانطيقية ، إذ يساعد نشرُ النماذج المختلفة على

المقارنة المفيدة وعلى التعرّف الى المدارس الشعرية المتنوّعة القائمة فى العالم العربى ، وهو تمهيد لابدّ منـه وعلى الاخصّ فى العام الأوّل من حياة هذه المجلة قبل أن يجتذب المجددون من أنصارها أعيانَ الشعر الى الوجهة الخاصـة التى تنطق بهـا مبادؤها وروحُها الفنية .

بقى علينا أن نذكر أنّنا تلقّـينا الـكثير من الشعر والدراسات وأن ما اخترناه منها للنشر وفير ، فازاء هذا الواقع نرجو من حضرات الشعراء والأُدباء ألاّ يفسّروا التأخير الاضطرارى المؤقت فى نشر ما تجمع لدنيا من ذخائر أدبهم تفسيراً يخالف تقديرنا لمواهبهم وعرفاننا لعنايتهم بمؤازرتنا .



ذكرى شوقى

فى ربى الخلد

قِفْ فى رُبَى الخُلْدِ واهتف باسم شاعرهِ ... فسِدْرَةُ المُنتهَى أدنَى منابرهِ
وامسحْ جَبِينَكَ بالرُّكنِ الذى انبلجَتْ ... أشعةُ الوَحْىِ شعراً من منائرهِ
إلهَةُ الشعرِ قامت عن مَيامِنه ... ورَبَّةُ النثرِ قامت عن مَياسِرهِ
والحُورُ قصَّتْ شذوراً من غدائرها ... وأرسلَتْها بديلاً من سَتائرهِ
أترابُ مَرْيَمَ تلهو فى خمائلهِ ... ورَهْطُ جبريلَ يحبو فى مَقاصرهِ
والملهمون بنو هوميرَ ما تركوا ... لمّا أهلَّ لهم سَجْعاً لطائرهِ!

* * *

قال الملائكُ: مَنْ هذا؟ فقيل لهم: ... هذا هوى الشرق، هذا ضَوءُ ناظرهِ
هذا الذى لمسَ الأرواحَ فانتظمتْ ... عِقداً من الحُبِّ، سلكٌ من خواطرهِ
هذا الذى رفعَ الأهرامَ من أدبِ ... وكانَ فى تاجها أغلى جواهرهِ
هذا الذى لَمسَ الآلامَ فابتسمتْ ... جراحُها ثم ذابتْ فى محاجرهِ
كم فى ثغور العذارَى من بوارقهِ ... وفى جفونِ اليتامَى من مَواطرهِ!

* * *

سَلْ جنّةَ الخُلدِ كم ودَّتْ أزاهرُها ... لو استحالتْ عبيراً فى مجامرهِ
وصادِحَ الطيرِ لو سالت حناجرُها ... مع الصباح نشيداً فى مَزاهرهِ
والزهرَ لو كُنَّ أزراراً مُفضَّضةً ... على الذيولِ الضَّوافى من مآزرهِ!

* * *

شوقى!.. سلْ الأفق هل ثارت عجاجتُه ... لمّا ثَوَى المتنبّي فى حفائرهِ
شوقى!.. سلوا البحرَ هل جُنّتْ عواصفُهُ ... لمّا كبا بابن سينا جَدُّ عاثرهِ
شوقى!.. سلوا الليلَ هل كانت كواكبُهُ ... لمّا قضى غيرَ شَوْكٍ فى نواظرهِ!؟

في مأتم الشعرِ والاقلامُ مطرقةٌ فانْ ارادتْه غُصّتْ في محابرِهِ !

* * *

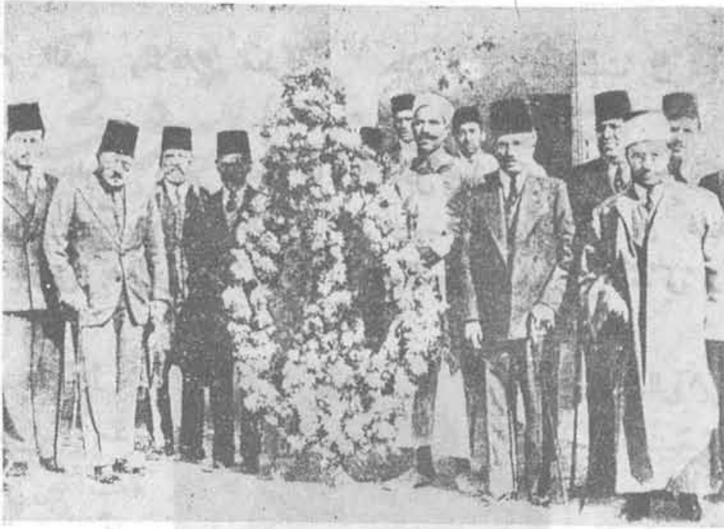
ما بلدةٌ سعدتْ بالنهر يغمرُها بكلّ ازهرَ حالى العودِ ناضرِهِ
بالبلبلِ المتغنّى في ملاعبِهِ والسنبل المتثنّى في غدائرِهِ
بالحقل ترعى به القِطعانُ هائمةً والنحلُ يرضعُ من ثديَيْ ازاهرِهِ



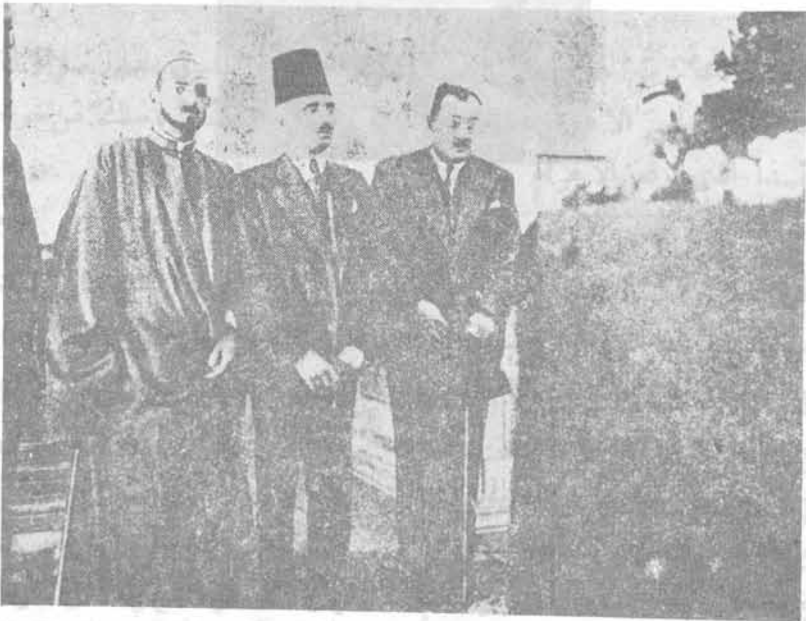
بشارة الخوري
(صاحب « البرق »)

يستقبل الفجرَ أهلوها بغُرّتِهِ ويُغرقون الليالي في سرائرِهِ
ناموا على مُمرُرِ الاعراسِ ، وانتبهوا على صباحِ بكيِّ الطرْفِ غائرِهِ
على مأتمَ من طيرِ ومن شجرِ خرساءَ كالقبر غرْقَ في دياجرِهِ
يااللوزية !.. غالَ النهرَ غائلةٌ وغارَ في لَهوَاتِ من هواجرِهِ
فلا الصباحُ ضَحُوكٌ في شواطئهِ ولا المساءُ لَعُوبٌ في جزائرِهِ
وأسلم الزهرُ أجياداً مُنَضّرةً للشوكِ جفّتْ على دامى أظافرِهِ
والناسُ في غَمْرَةٍ عمياء لا وَتَرٌ لناشديهِ ، ولا نجمٌ لسامرِهِ
ما الخطبُ بالنهر مجرى الروح في بلدٍ فردٍ رقيقٍ حواشى الذكرِ دائرِهِ
كالخطبِ يَذوِي له كَوْنٌ بجملتهِ اذا أصابَ الردى شَعْباً بشاعرِهِ !

* * *



اكليل العالم العربى
يضعه مندوبوه على قبر شوقى



على قبر شوقى
مندوبا لبنان (ابراهيم سليم نجار وبشارة الخورى)
ومعهما السيد محمد الغنيمى التفتازانى

ما للملاعبِ فى لُبنانَ مُقْفِرةً ... وللمناهل مُعطّلا من حرائرِه
وللمآذن فى الفَـيحاء كاسفةً ... كخاشع السّرْوِ فى داجى مقابرِه
وللأصائل والأسحار أَثْخَنَها ... عاتٍ من الريح إرهاقاً بحافرِه
وللجداولِ أنَاتٌ مُجرّحةٌ ... كأنها حَملٌ فى كفُّ ناحرِه
وللندى فى الثرى جَنْهشٌ ووَسْوسةٌ ... كأنها هَمَساتٌ فى ضمائرِه
أودى القريضُ فللأحزانِ ما لبست ... على سليلِ الدرارى مِن عباقرِه

* * *

تَغرّب الحُسْنُ والاحسانُ فالتمسا ... وجهاً من الأرض هشّاشاً لزائرِه
لا يستوى المجدُ الا فى مفارقهِ ... ولا يصفّق الا فى ضفائرِه
ما غادرا بلداً الاّ الى بلدٍ ... والحَرُّ يُلهبُ مِن خدّىْ مُسافرِه
حتى أطلاّ على مصرٍ فراعهما ... ما زخرفَ النيلُ من إبداعِ ساحرِه
فألقيا بعصا الترحال واعتصما ... بضفتيهِ وهاما فى حواضرِه
فأُطعِمَ الجودُ من كَفَّىْ قساورِه ... وأُشْرِبَ الحسنُ من عَيْنَىْ جآذرِه!

* * *

يا مصرُ ما انفتحت عينٌ على حسَنٍ ... الا وأطلعتِ ألفاً من نظائرِه
ولا تفتّقتْ الأفكارُ عن أدبٍ ... الا وأنبتّ روضاً من بواكرِه
لبنانُ يا مصرُ مِصرٌ فى مآتمهِ ... كما علمتِ، ومِصرٌ فى بشائرِه
هل كان قلبُكِ الاّ فى جوانحه ... أو كان دمعُكِ الاّ فى محاجرِه
أو كانَ منْبِتُ مصرٍ غيرَ مَنْبِتِه ... أو كان شاعرُ مصرٍ غيرَ شاعرِه؟!

* * *

شوقى! أتذكرُ إذْ «عاليه» موعدُنا ... نِمْنا وما نامَ دهرٌ عن مَقادرِه
وإذْ طلعتَ علينا أصفراً وَجلاً ... كالنجمِ خَلفَ رقيقٍ من ستائرِه
ونحنُ حولك عُكّافٌ على صنمٍ ... فى الجاهليةِ ماضى البطش قاهرِه
وأنت تحت يدِ الآسى ورأفته ... وبين كل ضعيف القلبِ خائرِه
ولابتسامتِك الصفراء رَجفتُها ... فى مثلها من كليل الطرفِ حائرِه؟
سألتنيهِ رثاءً ... خُذهُ مِنْ كبدى! ... لا يُؤخذُ الشئُ إلاّ من مصادرِه

* * *

قيثارةَ النيلِ كم غنّيْت قافيةً / في مِسمعِ الدهرِ مَسراها وخاطرِهِ
لو عاد فِرْعونُ كانت من ذخائرِهِ / أو خُتِّمَ الخلدُ كانت في خناصرِهِ
لكنْ ربّكِ لم يُؤْثِرْ بها أحداً / سوى (فؤادٍ) عمادِ الملك ناصرِهِ
إرثٌ لفاروق صان الله مهجتَهُ / وطائرٌ كم حكَى عن سعد طائرِهِ

بشارة الخوري
(الاخطل الصغير)



شاعر الدنيا

لا الأمس يسلبك الخلودَ ولا الغدُ / هيهات انت على الزمان مخلَّدُ
تتجدد الدنيا وقلبك وحده / دنيا تعيد شبابها وتجدِّد
لك من خيالك عالم متناسق / بهج تنمق خلقه وتجوِّد
أما البسيطة فهى فيه خميلة / ولع الربيعُ بها ورحت تغرد
وسكبت فى الانغام قلبك دمعة / لا كالدموع ورحمة تتنهد
خلع الحياة على البلى فكأنه / للبعث من قبل الأوانِ يمهد
قيس وليلى(1) بعد طول كراها / ثغر يرفُّ ووجنة تتورد
بعثا كعدهما القديم فمن رأى / تلك العيون يجول فيها الأغيد!

* * *

فى كل قافية حياة تُجتَلى / ومُنًى تضوع وزفرة تترددُ
صور الجزيرة ما جلوت من العلا / والحسن لا ما أوّلته الحسَّد
الحب والخِيمُ المنيفة والقرى / ولبانة عند الكثيب وموعد
وسكينة الصحراء الاّ هازجاً / طرباً يعيد حداءه ويردِّد!

* * *

(1) اشارة الى رواية (مجنون ليلى).

يا شاعر الدنيا لقد أسكرتها ماذا تغنيها وماذا تنشد ؟!
خفَّت بزينتها اليك مشوقة سكرى تداعب كأسها وتعربد !
وجلت على الشعراء قبلك حسنها لكن أراك شهدت ما لم يشهدوا
نظروا الى خير الوجود وحسنه شزراً كما نظر الضياء الأرمد
الزاهدين بها ولو كشفت لهم سرَّ الحياة المشتهى لم يزهدوا
أطريت فتنتها فدع فى غيه من راح يعذل حسنها ويفند
العبقرية شعلة من نارها حمراء ناضرة اللظى تتوقد
والشعر والنغم الشهى ورحمة تسع الوجود ونقمة تتوعد
يا فتنة الدنيا يذمك معشر والخير كل الخير فى أن يحمدوا
أهب نبوغك بالحياة وحبها وانا الضمين بانه لا يخمد
الكنز بين يديك فانثر دره انى أراه يزيد حين يُبدَّد !

* * *

يا شاعر الدنيا نديُّك حافل والجمع مصغ والمواكب حشد
يتنظرون السحر من جباره هيهات دون السحر باب موصد
يُشكى اليك وانت رهن منية وتزار فى عنت الخطوب وتقصد
ولقد يرجّى السيف وهو مثلم ولقد يهاب الليث وهو مصفد
فاذهب كما ذهب الربيع على الربى منه يدٌ وعلى النفوس له يد
ولك الامارة فى البيان يقرها امس الزمان ولا يضيق بها الغد
يعلى ابو الفاروق من بنيانها ويصون عزة ملكها ويؤيد

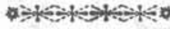
محمد سليمان الاحمر

(بدوي الجبل)



الفلسفة فى شعر شوقى

للدكتور منصور فهمى
استاذ الفلسفة فى الجامعة المصرية



حرصت الفلسفة فى مختلف ادوارها ونواحيها على ذلك المعنى السامى الذى أسماه شوقى « عبقرية الطبيعة » واراد به الجمال . وقد تغلغل هـذا المعنى فى شعره منذ تغنى به الى ان نزل بشاعرنا القضاء المحتوم .

فمنذ القديم عنيت الفلسفة بجمال الأفكار ونسقها، وعنيت بجمال العمل وخيريّته ، وعنيت بتذوق الجمال فى الوجود الظاهر ، وعنيت بدقائق الحركة النفسية ورشاقة النفس فى تجمعها وتركزها وامتدادها وانبساطها لتتصل بعالمى الباطن والظاهر ، ولتشرف تارة على روعة الغيب وتارة أخرى على جمال النواميس .

ومنذ القديم حرصت الفلسفة على ان تلم باشتات العلم ، وان تتلمس مختلف المعارف لتردّ ذلك المجموع الى أصول تحصر وكليات تمتلك . وقد يكون فى ذلك الحرص دليل على ان الافهام تتطلع الى تخليص معانى الوحدة المضيئة من غيوم الكثرة المتلبدة .

ولقد كان شوقى حريصاً على أن يجمع فى شعره الحكيم الكليات السامية التى كانت تخلص له من جزئيات العلم ، وتحقيقات التاريخ ، وعبر الحياة الاجتماعية ودقائق حوال النفس. فكان يقول: «ان الشعر ابن ابوين ـ التاريخ والطبيعة» وكان يقول:

والشعرُ ما لم يكن ذكرى وعاطفةً أو حكمةً فهو تقطيعٌ واوزانُ

وعلى اساس النزعة الفلسفية من التوجّـه الى الكليات ، وعلى هـذا النحو من تحديده الشعر ، بث شوقى فى تشبيبه ، ووصفه ، واجتماعياته ، وزهادته ، وتدينه ، وتأثره ، كلّ الأصول التى تتكشف عن الجمال فى روعته ، والحكمة فى سلطانها ، والفلسفة فى روحها ، — والشواهد على ذلك كثيرة .



ومنذ القديم راضت الفلسفة اهلها على عادات من التواضع العلمى له اساليبه حتى ان الجزم والقطع اكره الى اكثرهم من التردد والحيرة ، وبخاصة اذا استطالت اذهانهم الى اعقد المسائل : كالنفس ، والموت ، والحياة ، والحقيقة ، والحكم على قيم الأمور .



الدكتور منصور فهمى

وقد يبدو ذلك التواضع العلمى ويلوح ذلك التحير العقلى فى شعر شوقى عن هذه المسائل فيقدر مشاق البحث ويعلن العجز عن الوصول الى ادراك تلك الاسرار . ويظهر ذلك فى مخاطبته للنفس إذ يقول :

ضُمّى قناعَك يا سعادُ او ارفعى هـذى المحاسن ما خُلقن لبرقع
الضاحيات الضاحكات ودونها ستر الجلال وبُعدُ شأوِ المطلع

***

ذهب « ابن سينا » لم يفز بك ساعة وتولت الحكماء لم تتمتع
هـذا مقام كل عز دونه شمس النهار بمثله لم تطمع
ما بال « احمد » عَىّ عنك بيانه بل ما « لعيسى » لم يقل او يدَّعِ

واذا مست عبقريته مسألة الموت تحتضن الحـيرة شعره وترضعه روعة ووداعة وتسليماً فيقول :

في الموت ما أعيـا وفي اسبابه كلُّ امرئٍ رهن بطي كتابه

وكذلك يقول :

يا صاحب العصر الخالي ألا خـبرٌ عن عالم الموت يرويه الألبَّـاء ؟
أمَّا الحياة فأمر قد وصفت لنا فهل لما بعـد تمثيل وإدناء ؟
بمن أماتك قل لي : كيف جمجمة غـبراء في ظلمات الارض جوفاء ؟

وعند ما يتحدث عن سر الحياة فيما نقرأ له من نثر أو شعر تتحدث معه الحيرة الفلسفية في قلق وصفاء فيقول في الحياة : « قل لمن اطال التفكير ، وبالغ في النكير ، وكدَّ باله ، ومدَّ بلباله ، واحترق احتراق الذبالة :

خلِّ اهتمامك ناحيةً وخذ الحياة كما هيَهْ ! »

كذلك يقول : « الحق ان افتئات الفلسفة على ضنائن الله سفه . وان علم الحياة عند الذي يهبها ويستردها ، والذي يقصرها ويمدها ، والذي يخلقها ويستجدُّهـا ، والذي كل حي سواه يموت ، وكل شيء ما خلاه يفوت » .

ويقول عند ما يفكر في كنه الحقيقة : « أتينا العناصر من عنصرها ، ورددنا الجواهر الى جوهرها . اطرحنا فاسترحنا ، وسلمنا فسلمنا ، وآمنا فأمنا . وما الفرق بيننا وبينك الا انك قد عجزت فقلت : سر من الاسرار ، وعجزنا نحن فقلنا : الله وراء كل ستار ! »

واذا نظر شوقي الى مسافة تقدير القيم وهي من اهم مسائل الفلسـفة الحديثـة يبدو تحيره فيما تواضع الناس على رفع قيمته حتى أن عواطفه وتفكيره قد تشككه احياناً في قيمة العلم ومظاهره فيقول :

فأفٍّ على العـلم الذي تدَّعونه اذا كان في علم النفوس رداها !

ويقول : « لو طلب الى الناس ان يحذفوا اللهو وفضـول القول من كلامهم لـكاد السكوت في مجالسهم يحل محل الكلام ! ولو طلب اليهم ان ينقوا مكاتبهم من تافه الـكتب وعقيمها ، وألاّ يدخروا فيها الا القيم العبقري من الاسفار ، لما بقي لهم من كل ألف رق الا رق ! »

على ان لا هل الفلسفة اكثر من اسلوب فى استعراض مسائل الكون والحياة وفهمها : فمنهم من يستخدم عقله الخالص فى شدته وعنفوانه لينظر الى الأمور من جهة الواقع المستقل عن العقل ووجوده . ومنهم من يستخدم قوى نفسه جميعاً بما تشمله نفسه من حدة الحساسية ودقة التفكير ولطف الوجدان لينظر الى الامور نظرة تنطبع عليها مسحته النفسية ويربط بين ادراك الامور وبين حدة حساسيته ولطف وجدانه . وقد يبدو للناظر ان هذا الصنف من النظر موضع للتناقض ، ولكن لو أنصف الناظر لرأى ان للعقل الخالص الجبار اسلوبه الخاص العالى ؛ وللنفس الحساسة اسلوبها المميز الكريم : فمنطق العقل الخالص يتحاشى التناقض ومظاهره ، وأما منطق النفس والعاطفة فيسير مترنحاً طروباً ويبدو مضطرباً ولكنه بالرغم من مظاهر الاضطراب فنصيبه التوفيق والصواب . وفلاسفة هذا الاسلوب الثانى انما يدركون الحياة وآثارها النفسية فى صورها المتغيرة بتغير شؤونها وثقافاتها وحضاراتها .

وكان شوقى كهؤلاء الفلاسفة يحسّ بجمال الوجود والحياة المنبث فى نواحى متقابلة فيخيل للرأى أن ثم تناقضاً حيث لا تناقض .

فقد تسمعه يترنم بنغمة المسالم المستسلم الذى يدع الامور لتصاريف الزمان فيقول :

فدعْ كلَّ طاغيــة للرما ن فان الزمان يقيم الصَّعَرْ

وقد تسمعه فى نغمة المستأسد فيقول :

ياطـيرُ والامثالُ تُضـ ـرَبُ للبيب الامثـلِ
دنيـاك من عاداتهـا ألاَّ تـكون لاعـزل
جُعلت لحـرٍّ يبتـلى فى ذى الحيــاة ويَبتلى
يُرمى ويَرمى فى جهـا د العيش غـيرَ مغفل
مسـتجمعٌ كالليث إن يجهـل عليـه يجهـل

وقد نجد شوقى لايترفق بمن ينكرون قديمهم فيقول :

لا تحذُ حذوَ عصابةٍ مفتونة يجدون كل قديم شىء منكرا
ولو استطاعوا فى المجامع انكروا من مات من آبائهم او عمَّرا !

ثم يقول من ناحية أخرى ليحضّ بشتى الاساليب على السبق الى التجديد :

قلْ للشباب زمانكم متحركٌ هل تأخذون القسط من دورانِهِ ؟

ويقول :

مصرُ تمجِّدُ مجدَها بنسائها المتجددات
النافرات من الجمو د كأنه شبح المماتِ !

وشوقى يجهر بلذائذ الحياة ونعيمها فيقول :

روِّحوا القلبَ بلذَّات الصبا فكفى الشيب مجالا للكدرْ
فصبا الخلد كثيرٌ دائم وصبا الدنيا عزيز مختصرْ

وينشد للزهادة والصدِّ عن الدنيا فيقول :

ليت شعرى الى مَ تقتتل النا سُ على ذى الدنيَّةِ الفتانهْ
عالم قُلَّبٌ واحلام خلقٍ يتبارى غباوةً وفطانهْ

ويقول على قبر نابليون :

يا كثيرَ الصيد للصيد العلا قمْ ! تأملْ كيف صادتك المنون !
قمْ ترَ الدنيا كما غادرتها منزل الغدر وماء الخادعين

وشوقى يمجد المال ويعلى شأنه فيقول :

بالعلم والمال يبنى الناس ملكهم لم يُبن ملك على جهل واقلالِ
هاتوا الرجال وهاتوا المال واحتشدوا رأياً لرأيٍ ، ومثقالا لمثقالِ

ثم يعارض ذلك بقوله :

ولم أر مثل جمع المال داءً ولا مثلَ البخيل به مصابا
فلا تقتلك شهوتُه وزنْها كما تزن الطعامَ أو الشرابا

وقد يترنم الشاعر الكبير بجمال القوة فيقول :

ولكن على الجيش ترقى البلادُ وبالعلمِ تنشد اركانَها

وقد يغرد للسلام فيقول :

« جبريلُ » أنت هُدى السما ء وانت برهانُ العنايهْ
أبسطْ جناحيك اللتيـن هما الطهارةُ والهدايهْ
وزدْ « الهلال» من الكرا مةِ و « الصليبَ » من الرعايه
فهما لربك راية والحرب للشيطان رايه

***

يتبين جلياً مما قدمنا ان نفس شوقي الشاعر كانت تتوثب الى كل ما فى الوجود من متنوّع المعانى ، وكان يستفزها معنى الجمال حيث كان فى أيِّها ، ومهما تعددت لديها سبله فقرارها عند الجمال ومرجعها اليه .

ومثل الشاعر فى ذلك مثل الفيلسوف الذي ينفسح له افق الفروض والآراء فيتسع صدره لمختلف المذاهب وهو يشخص دائماً الى الحقيقة ، وكلاهما يحيره نسق الجمال ونسق الحق ، وكلاهما يرنو للوجود من أنبل ناحيتيه أو من ناحية واحدة : من ناحية ذلك النسق الواسع الابدي الازلى ، من ناحية الله .

إذن كان شوقي يشجى من كل نغمة : يشجى اذا هو انشد للزهد ، ويشجى اذ انشد للنعومة . يشجى اذا هو تغنى للحرب ، واذا هو تغنى للسلام . يشجى اذا هو حيا الغابر ، ويشجى اذا هو حيا الحاضر .

على اننا اذا ذكرنا موجزين عدة نواحٍ من شعر شوقي يبدو فيها معنى الجمال ونزعاته الفلسفية ، فمن الحق ان نشير اشارة خاصة الى شعره الذى تبدو فيه معانى الذكريات ، تلك المعانى التى تسمى عند الفلاسفة بالزمن النفسي . ولعلى لا أسرف اذا قلت إن مايتجلى منها فى شعر شوقي انما هو صفوة من الشعر الانسانى يهتز له القلب لانه يفصح عن اخطر ما يضمر الزمان وعن اصفى ما يمكث من التاريخ :

قم ناجِ جلق وانشدْ رسم مَنْ بانوا مشتْ على الرسم احداثٌ وأزمانُ
هذا الاديم كتاب لا كفاء له رثّ الصحائف باقٍ منه عنوان

***

مررتُ بالمسجد المحزون اسأله : هل فى المصلى أو المحراب مروان ؟!
تغيَّر المسجدُ المحزونُ واختلفت على المنابر أحرارٌ وعبدان
فلا الأذان أذانٌ فى منارته اذا تعالى ، ولا الآذان آذان !

ففى ذمة الخلد انت ايها المتغنى بالجمال ! وفى ذمة الله يا شاعر الطبيعة والوصف والوجد والذكريات ! نذكرك وليت لنا مواهبك فى احياء الذكرى . نذكرك ذكر من قدرك واعجب بك وتذوق ودك الجميل وكان خليقاً بأن يقابل ذلك الود بتحية صادقة . نذكرك ونحن نوقن أن ما تركت من الذخائر الأدبية الخالدة ستظل متاعاً عزيزاً وأنساً للأجيال ومفخرة من مفاخر الشرق العربي ، فعلى روحك السلام !

شاعر الكون

شاعِرَ الكونِ عزٌّ فيك عزائى — كيف مثلى يَفيكَ حقَّ الرثاء؟!
انت أحْرَى بأن تُؤدَّى لك الرُّو — حُ فداءً إن صحَّ معنى الفداء
يا بناتِ القريضِ قد مات شوقى — فَمْنَ فاندُبْنَ نكبه الأُدباء
وأطِلْنَ البكاءَ دهراً طويلاً — ذا أوانُ النحيبِ والبُرَحاء
كم أعزَّ القريضَ إذْ حَمَلَ الرا — يةَ فاعتزَّ جانبُ الشعراء

« • »

يا أميرَ البيانِ نظماً ونثراً — وسرىَّ الخيالِ خلفَ المرائى
لكَ روحٌ كم حلقتْ فى عُلاها — وصلت بيننا وبين السماء
لك وصفٌ يدقّ عن كل وصف — دونه الرسمُ غاية فى الجلاء
ومَعانٍ كأنها الوحىُ تولى — لرسول من نخبة الانبياء
فى فصيحِ الألفاظ تنظم كالدرّ — فيبدو القصيدُ جمَّ الرواء
وأناشيدُ فى المحافل سارت — كَسير الرّياح فى الأجواء
كم تغنى بها (محمد)[1] حتى — لقبوه بها أميرَ الغِناء
وأقاصيصُ للمسارح تبقى — أبدَ الدهر مُبْتَغَى كلّ راء
فى سبيل الخلود (شوقى) وقد كنـ — تَ بحق مخلد العظماء
كم نفحتَ العظيمَ منك رثاءً — فغدا بالرثاء فى الاحياء
روحُ عيسى فى روحك الحىّ تبدو — فتردّ الحياةَ بالإيماء!

« • »

أيها الشرقُ مات (شوقى) فرجِّعْ — نَغَمَ الحزن واحتفلْ بالبكاء
مات قلبٌ عليك فاضَ حنيناً — فانظمْ الدمعَ آيةً للوفاء
لك يا مصرُ كلَّ يومٍ مُصابٌ — فمتى يأذن الأسى بانتهاء؟
ما فرغنا من يوم (حافظ) حتى — مات (شوقى)... فياالهول القضاء!

هاشم عبد الحى

(١) محمد عبد الوهاب الموسيقار الشهير.

نبي الشعر

جلَّ الالٓـهُ (أبولُّو) فى مراقيهِ ... وجلَّ من جبل (الأولمبِ[1]) كرْسِيهِ
وقُدِّسَتْ حكمةٌ فى الشعر مرسلةً ... جاءت منظمةً كالدرِّ من فيه
له التصرفُ فى وجدانِنا وله ... حقُّ التصرف أنَّى شاء يُزْجيه
إن شاءَ يُطربنا غَنَّى فتلْبسُنا ... روحٌ من الوجد أو روحٌ من التِّيه
أو شاءَ يُحزننا فالعُودُ فى يده ... يُبدِّلُ النَّغَمَ أو يُرخى أواخيه[2]
فليس يلحقه عَتْبٌ على عمل ... باتت مشيئتُهُ فى الخلْق تُجريه !

* * *

بالأمس خَصَّ نبيَّ[3] الشعر مَرْتبةٌ ... واليومَ يَرفعهُ عنَّا ويُمليه
قد جاءَ منْ وطنِ الالهامِ يُبْلِغُنا ... رسالةَ الشِّعر فى أسمى مَعانيه
ويَمَّمَ (النيلَ) فاستوحى الحَمَامُ به ... روحَ الحيَـاة على شدوٍ يغنّيه
وبثَّ فى الزهر أنفاساً يُردِّدُها ... عند الصباح وَحُسناً فيه ما فيه
وهبَّ للبحرِ يُملى ما يُردِّدُه ... وأَرسَلَ الريحَ تَروى عن أواذيه[4]
وفى جناح الدجى أرْسَى سكينَته ... وعلَّمَ الغصْنَ صوتاً فى تثنيه !

* * *

تِـلكم جنودُ الهوَى تُوفِى مُسَخَّرَةً ... ما كان يودِعُه فيها ويُوليهِ
الحبُّ باطنها ، والشعر مظهرها ... والكونُ مسرحُها أو ما تناجيه !

* * *

واليومَ أكمل ما أوحى الالٓـهُ به ... وتلكَ دعوتُهُ فرضٌ يؤدّيهِ
مَن للحياةِ اذا غاضتْ يفجّرها ؟ ... مَن للشعور اذا ما مات يُحييه ؟
(أبولّو) أنت الذى ولَّيْتَه علَماً ... فكيف تأخذ منه ما تُولِّيه ؟
هى الحياةُ تبدَّتْ فى دُجُنَّـتِها ... وضاعَ فى الكون صوتٌ لا يؤاتيه !

الخرطوم — (كلية غوردون) محمد عثمان محجوب

(١) جبل أولمبوس فى بلاد اليونان ، وكان يعتقد قدماؤهم ان قنه المجللة بالسحب مسكن الالـهة
(٢) اوتاره . (٣) شوق . (٤) امواجه .

﴿ قبر فقيد الغناء والتمثيل ﴾

المرحوم الشيخ سلامه حجازى

الذى أنشأه مريدوه ، وهو مثال نبيل لما ينبغى عمله لشوقى وحافظ ولغيرهما من أعلام الفن والأدب والعلم فى مصر





احمد شوقی بك

صورة المستوحى الشارد اللب

أمير البيان

إحتفى التاريخُ بالسفرِ الجليلِ مرجعِ الآداب من جيلٍ لجيلِ
وارتقى الراحلُ شأواً خالداً قد بنى منزله قبل الرحيلِ؟!
يا أميرَ الشعرِ هل يأسى الذى ساهم الأبطالَ فى المجد الأثيلِ؟!
إنما الروعةُ فينا والأسى ما لنا نحو التأسّى من سبيلِ

« • »

بكت الضادُ ، فهل بارقة منك تهديها الى الصبر الجميل؟
أم مضى العهدُ ودالت للبلى قوةٌ أوحتْ بياناً لرسولٍ ؟
إنه الموت تحدّى لغةً فى صميم القلب بالكَلْمِ الوبيل.
فلحاً للموت مما آدنا ورثاءٌ لبيانٍ مستحيلِ

« • »

مبدعَ القصةِ فى الشعر وما كان فى الفصحى لها ضوءُ فتيلِ
نهضةٌ أجدتْ علينا مسرحاً عربىَّ اللفظِ والروحِ النبيلِ
تزدهى الآدابُ فى باقته بُدِّلتْ فيها ازدهاراً بذبولِ

« • »

ذى (كلوبترا) وما أروعها لمحةُ الماضى وترجيعُ الهديلِ
أُنصفِت التاريخ فيها وامَّحتْ لوثةُ الذام وإرجافُ الدخيلِ
قد تلألا فى سناها أفقٌ زاهرُ المجدِ على العهد الطويل.
صورةٌ من مصر فى نشوتها تبعث الأيامَ من وادٍ ظليلِ
شاهداها الشمسُ والنيلُ ، وما أصدق الأشهاد من شمسٍ ونيلِ
زهتْ الأولى على عرش (مِنا) وجرى الثانى بماءٍ سلسبيلِ
تمجدُ العزةَ فيها والهوى والجنانَ الثَّبْتَ فى الخطبِ المهيلِ
وترى الملكةَ فيها لبأةً تفتدى الوادى بإيثارِ الأفولِ
(الحياة الحبُّ) من ألحانها متعةُ النفسِ وتأساءُ الخليلِ

وذِهِ (مجنونُ) ليلى أَنْ رام (قيس) قرب (ليلى) ومضى | من حياةِ البدوِ مقطوع المثيلِ في فنــاءٍ من هواها وذهولِ
يتلقّى الوحيَ عن شيطانه | فيجيدُ الوصفَ في الشعر الذلولِ
يذكر (الغيلَ) وما أمتعه | من لقاءٍ ودجاءٍ يوم (غيلِ)
يملأ البيدَ بها مقتحماً | عادة القومِ ومرعىّ الأصولِ
وهي تجزيه عن الحبِّ هوى | حازمَ العطفِ رحيماً بالعليلِ
لكنْ العرفُ وما أنتجه | عبثُ المجنون من قالٍ وقيلِ
منعاها قربَ (قيسٍ) وقضت | في هواه وقضى بعد قليلِ
قطعةٌ رائعةٌ في فنِّها | صورةُ البيد وعاداتُ القبيلِ
قد تلتها دررٌ منضودةٌ | كنتَ في إبداعها خيرَ كفيلِ

« • »

والأغانيُّ التي هذّبتَها | برقيق اللفظ والمعنى الجزيلِ
عزفُ موسيقى وسحرٌ عجبٌ | وسموٌّ بقلوبٍ وعقولِ
يسلك (الليلُ) بها سيرته | بين شدو الطير أو بين العويلِ
ها هنا شجوٌ وفي الدوح أسًى | وهناك الوجد في القلب الكليلِ
وعيونٌ ساهداتٌ في الهوى | وعيونٌ ساهياتٌ في سدولِ
يُلمَحُ الفجرَ على هدأتها | كبيانٍ لاح من طرف كحيلِ
فتوارى لوعة الليل الى | أن توارى الشمس في اليوم النزيلِ

« • »

وترى (البلبلَ حيرانَ) به | شغفُ المفتونِ بالورد البليلِ
أسكرته منه أنفاسُ الرضا | وسبتهُ حمرةُ الخدِّ الأسيلِ
يلعب الليلُ به من فَنَنٍ | ناعس الطرف إلى فرع نحيلِ
مال نحو الورد ما نَبَّهَهُ | وخزُ شوكٍ أو جراحاتُ نصولِ
هام بالقرب فغنّى طرباً | ثم ذاق الحتفَ في دمع الذليلِ

« • »

خطواتٌ خالداتٌ قد نضتْ | عن نواحي الفكرِ أثوابَ الخمولِ

وفنونٌ صعد الشعرُ بها وأصابتْ منكَ إرواءَ الغليلِ

« ٠ »

تلك (شوقى) قلةٌ من كثرةٍ وضئيلٌ عُدَّ من ارثٍ جليلِ
ثروةٌ حافلةٌ أودعتَها حكمةَ الدهر واصحاحَ النقولِ
انتقيتَ الدرَّ فى جوهرها وخلقتَ النَّبت فى الأرض المحولِ
فاسترحْ فى جنةٍ راضيةٍ بجوارِ الحقِّ مكفولَ القبولِ

محمد فريد عبد القادر



عرش يتهدم

ثُلَّ عرشُ القريض من أركانِهْ وتخلى كسراه عن إيوانِهْ
وطوى الموتُ دولةً من بيانٍ لم يشدها الرشيدُ فى بغدانه
أيها الموت ! مَن نعيتَ ؟ رويداً ! كاد قلبي يكفّ عن خفقانه !
حين قالوا : قضى أميرُ القوافى حل يوم الحساب قبل أوانه !
لا روى النيل بعد شوقى حزيناً قلبه لا يسيل من أجفانه !

« ٠ »

فُجِعَ الشعر بعده فى ابن حجرٍ وأصيب البيان فى سحبانه
لا لعمرى ، مابات ينصف شوقى من يرى السابقين من أقرانه
إن شوقى عنوان خير زمان فاستبينوا الكتابَ من عنوانه
ما ونى فى خطاه بل سار يقفو عصرَه وهو آخذٌ بعنانه
وكذا الشاعر الأريب تراه صورةً حيةً لأهل زمانه

« ٠ »

أمم الشرق أرهفت أذنيها ... تستعيد الغناء من كروانه
قل لهم : قد رماه سهم المنايا ... وهو يشدو فمال عن غصن بانه
بعد أن جاب شعره كل أفق ... وسرى كالنسيم فى سريانه
رب ركب حدا به ، رب خدر ... دار فيه على لسان حسانه



محمود غنيم

رب تلميذ قد أكب عليه ... مثل اكبابه على قرآنه
هو نجوى الخلى إذ يتغنى ... وهو سلوى الحزين فى أحزانه
هو ينبوع تستقى الوعظ منه ... مثلما تستقيه من لقمانه

« ٥ »

جاء شوقى فوجه الشعر أنى ... شاء كالفلك فى يدى ربانه
فكأن القريض كان عييّاً ... وهو قد حل عقدة من لسانه
رب حالك أمده بأغان ... هى مثل النمير فى جريانه
كلما مرت الشباة عليها ... حن قلبى فذاب فى تحنانه
فكأن الفؤاد إذ ذاك طير ... ذو جناحين ضل عن أغصانه
أتراه أقام فى كل قلب ... فرأى ما استكن من أشجانه ؟!
كم زمان أعاده بعد طى ... فكأنى أعيش فى ابانه

لكأنى بخيل قمبيز جاءت فأذلّت فرعونَ فى طغيانه
وبقيسٍ أمسى يهيم بليلى مع وحش الفلاة فى قيعانه
وكأنى بقيصر الروم صبّاً لاهياً بالغرام عن سلطانه
وكأنى أرى المماليك حولى وفتى عبس فوق ظهر حصانه !

« • »

يامحيطاً طغى على واصفيه فانثنوا غارقين فى طوفانه
قسماً ما توغلوا فيه لكن هو بحرٌ مشوا على شطآنه !
مثلوا ساحليه للناس لكن لم يغوصوا على يتيم جمانه
ليت شيطانه أفاض عليهم بعض إعجازه وسحر بيانه
فلقد كان حين يرثى دفيناً كاد يسرى الصدى الى آذانه !
ربّ نجمٍ هوى فلما رثاه عاد من فوره الى دورانه !
فكأنّ المسيح ينفخ فيه فتعود الحياة فى جثمانه !
قد تحدّى المصورين بما لم يستطعه مصوّرٌ ببنانه
ببيان يصوّر الصمتَ والصو تَ وضوء الشهاب فى لمعانه
ويراع لو كان فى عهد موسى خاف من سحره على ثعبانه !
وخيال الى عطارد يسمو فيقصّ الأخبار عن سكانه
ويجوب المحيط شرقاً وغرباً ثم يروى للناس عن حيتانه
ويزيح الستار عن كل صدر فيرى ما انطوى على كتمانه
شاعر لم يقف بباب أمير آملاً أن يصيب من إحسانه
لايقول القريضَ زلفى ، ولكن هو فن يُوحَى الى فنانه
لا رعى الله من يتاجر بالشع ر ويرضى بالبخس من أثمانه
إنّ حرص الفتى على فنه من بعض حرص الفتى على إيمانه !

« • »

مات شوقى فتى سبيل المعالى مهجةٌ قد أسالها فى بيانه
ليس شعراً ما ليس ينحته الشا عرُ نحتاً من قلبه وجنانه
كلُّ بيت لشاعر قطرة من دمه قد تدفقت من لسانه
مات شوقى وخلدته القوافى فأظلّوا عليه من ديوانه !

محمود غنيم

الفجيعة المفجعة

أحقّاً رمَى الموتُ فى مصرَ (شوقى) ... فروّعَ من موته كلُّ شَرْقى ؟
لقد حُرِمَ الشعرُ قريتَه ... فأظلم من نوره كلُّ أفق
فمن مُبْلغٌ الشمسَ أن ضحاها ... ثوى فى سواد الثرى طىَّ شقّ ؟
ومن مُبْلغٌ الزَّهْرَ أن سناها ... عَرَتْهُ يد الموت رهناً بحُقّ ؟
إذا لَبَدَتْ فى غد قطعة ... من الليل توفى عليها بحَقّ
لقد كان (شوقى) يصوغ ضياها ... ويُغلِى به كل وجه وعنق
وينسج أبراده من سناها ... تضىء على لابس مستحقّ
وكم شاد (شوقى) عن الطير شعراً ... وعن مِزْهر ومثانٍ و « رقّ »
وكم صاغ شوقى من الزَّهر نظماً ... يهبّ أريجاً على كل أفق
يرى فى الطبيعة وجهَ جمالٍ ... فيذكى على حسنه قلب عشق
وينظر فى الكون منظرَ حُكْم ... فيُخرج من صمتها آىَ نطق
ويبحث فى مصر عما اجتلاها ... وعما ابتلاها ، فينمى ، ويُنقى
فأما عن الخُلق فهو رسولٌ ... إلى الخُلْق يصلحه أو يُرقّى
فكم صاح فى مصر (شوقى) ونادى ... بأنّ عُلاها على ركن خُلْق
وحثّ على العلم فهو سراجٌ ... وقاد إليه الشباب بحِذق
وأحيا لشبّانها نهضةً ... وربى عليها الطباعَ برفق
وغذّى على الشعر ألبابَهم ... فكانوا لنهضتها لُسْنَ صدق
فإن ذُكِرَ الشعرُ ألفيت (شوقى) ... أميرَ القوافى جديراً بسَبْق
فكم للأمير فرائدُ عينٌ ... تفيض بحكم وفنٍّ وذوق
تقصُّ حياة الأواخر شعراً ... وتحكى سطور الأوالى بنَسَق
يشاطر (هوميرَ) نظمَ الحياة ... فهذا بشقٍّ وذاك بشقّ
صدًى لفم الدهر فى الشرق ينعى ... ويقضى فيُفنى ، ويُطرى فيبقى
فرائدُ لمّا يسعنى سوى أن ... أشير إليها ، وذلك طوق
لعمركَ ما إن وفيتُ بشىء ... فلم يوفِ (شوقى) سوى شعر (شوقى) !

فرحات عبد الخالق

الشعر الفنى
فى نظم شوقى بك

يقول الفاضل على محمد البحراوى سكرتير (جماعة الأدب المصرى) فى مقاله هذا المنشور فى العدد الخاص من « أبولو » صفحة ٣٩٨ : « وأذكر أن صديقاً من الأدباء الممتازين كان واضح الاعجاب بالمعنى الذى تضمنه البيت الآتى الذى نظمه شوقى على لسان قيس فى رواية مجنون ليلى :

لَيْلَى ، منادٍ دعا ليلى فخفّ له نشوانُ فى جنباتِ الصدر عربيدُ !

وكان الصديق يلقى البيت إلقاءً بديعاً فذكره لشوقى وسأله عن ظروف نظم هذا المعنى الرائع . فاهتزّ شوقى للبيت لدى سماعه اهتزازنا له وغاص فى لجّةٍ من التفكير أذهله عن سؤال الصديق لحظةً . فلمّا انتبه وذكر السؤال بادر الى الجواب ولم يكن إلا كلمة واحدة : لا أدرى ! » قال الكاتب : « وهذا حقٌّ ، فان شوقى لم يكن يدرى كيف هبط هذا المعنى عليه ، فهو وحى العبقرية ! »

ثم أشار الكاتب الى مقالى الذى نشره « المقتطف » عن شوقى رحمه الله وزعم أنى وُفِّقتُ فى هذا المقال الى حدٍّ لم يكن يُنتظر من أحد شعراء المدرسة القديمة... قال : « ولكن ثمة مسألة جديرة بالبحث : تلك هى اعجابه ببراعة شوقى فى استخراج المعانى وتوليدها من معانى غيره من الشعراء المتقدمين أو أخذه على شوقى عدم توفيقه الى ذلك » . ثم تفضل علينا حضرته بثناء عظيم هو أن نصيبنا من الروح الفنّية محدودٌ فى رأى حضرته ، وكان يستطيع أن يقول إنه لا نصيب لنا من هذه الروح . ثم زعم ان الشعر الفنّى لا يجرى عليه ما يجرى على سائر المنظوم من أقيسة التوليد والاستخراج ، الخ .

وكأن الكاتب يذهب الى مناقضتنا ويحتج ببيت شوقى الذى هبط عليه وحى العبقرية ، لأن هذا الوحى فى رأيه يجعل المواقف متشابهة فى الحياة . وأظنه لو سئل مثلاً على ذلك لقال : كما يتشابه الناسُ فى الأكل والمضغ بأسنانهم وأضراسهم الطبيعية أو الصناعية ... فلا يقال إن أحداً قلّد أحداً فى ذلك !

ولكن ماذا يرى الكاتب إذا قلتُ له إن شوقى لم يصدق فى قوله : « لا أدرى ! »

وإن الكاتب نفسه لم يصدق فى قوله : « وهذا حقٌّ فان شوقى لم يكن يدرى الخ...»؟
ان شوقى كان يدرى نخدع سائله ، وانك أنت لم تدر نخدعتَ قراءك ، لأن ذلك المعنى الذى تقول إنه رائع وانه وحى العبقرية وهو قول شوقى :

لَبيكِ ، منادٍ دعا ليلى نخفَّ له   نشوانُ فى جنباتِ الصَّدر عربيدُ!

هو بعينه قول المجنون :

دعا باسم ليلى غيرَها فكأنما   أطار بليلى طائراً كان فى صَدرِى!

وبيت المجنون أشد امتلاءً بالحسن وأبدع تصويراً للمعنى وأسلم فى عباراته من التكلف وأبعد عن التلفيق الذى يجعل القلب نشوان عربيداً كأنه ليس فى أضلاع صاحبه بل فى حانة بولانا كى ...!

وفى بيت شوقى غلطة نحوية يجب أن لا تخفى على أيّ أديب ؟

مصطفى صادق الرافعى

* * *

(سننشر مختارات أخرى من المراثى والدراسات فى العدد الآتى)





الناى المحترق



كم مرةٍ يا حبيبي والليلُ يَغشى البرايا
أهيم وحدى وما فى الـ ـظلام شاكٍ سوايا
أُصيِّر الدمعَ لحناً وأجعل الشعر نايا
ما أتعس الناىَ بين الـ ـمنى وبين المنايا !
أظلُّ أطلب منه سلوى تبلُّ صدايا !
وهل يلبِّى حطامٌ أشعلته بجوايا
النارُ توغل فيه والريحُ تذرو البقايا
ما زال يشدو حزيناً مرجِّعاً شكوايا
مستعطفاً مَنْ طوينا على هواه الطوايا
حتى سرى لى خيالٌ عرفتُه فى صبايا
أدنو اليه وتدنو لثغرِه شفتاىَ
إذا بحلمٍ كذوب واستيقظتْ عيناىَ
ورُحتُ أَصغِى وأُصغِى لم أَلفِ إلاّ صدايا !

ابراهيم ناجى



الأمل الطائح

أيها الهاوى الى وادى الفناء   أملى المعسولُ فى واديكَ طاحْ
شدتُ صرحاً من تمنٍّ ورجاء   فاذا صرحى تذروه الرياحْ

* * *

كيف بالعيش اذا ضاع الأملْ ؟   اسبحى يا نفسُ فى لُججِّ الخيالِ
لاتقولى «ليس» بل قولى «لعلْ»   وتعالى نئد اليأسَ تعالى

* * *

لكأنّى قتُ أجتاح الجبالْ   أو تعلقتُ بأسباب القمرْ
أوطلبت الدفء فى قطب الشمالْ   وافتقدتُ الشمس فى وقت السحرْ !

* * *

لا لعمرى ! أنا ما رمتُ محالاَ   غير أن الناس فى الدنيا طباعْ
كلفتنى بسطةُ العيش ابتذالاَ   وأديم الوجه غالٍ لا يباعْ

* * *

ليس أغلى من إبائى فى يديَّا   فليمدَّ الدهرُ للباقى يديه
أنا لا أطلب غيرَ القوت شيَّاً   واذا ما عزَّ لا أبكى عليه

* * *

ها هو العالم من عينى قريبْ   غير أنى لىَ دينٌ وهو دينْ
فكأنى فى الورى خلقٌ غريبْ   أترانى لستُ من ماءٍ وطينْ ؟!

محمود غنيم

قرة العين

يَهلُّ الوليـدُ مَـهَلَّ القمرْ فيجلو سناه ضياءَ البصرْ
لقَد كان فى الغيب ريْبَ أبيه فما بين أنثى وبين ذكرْ
وقد كان فى القلب حلوَ رجاءٍ فأصبح فى العين مجلى النظرْ
تجيـش الأمانى على ذِكـره ويحلو على شفتيه السَّمَرْ
إذا صاح فى البيت هزَّ صداه جوانبَـه كاهتزاز الشجرْ!
كأن صداه صـدى العندليب إذا العندليب شدا فى السحرْ
يُهرِّج من غـير ما كلفةٍ فيضحكُ غير الثغور الحجرْ!
فيجعل من بيتـه مسرحاً ففيه «الكوميديا» وفيه الصُّوَرْ(١)
فتلهو به الأمُّ حـين الفراغ كَلَـهْوِ الوليد بضرب الأُكَرْ
فلولاه كان الفراغ مريراً وكانت حياة البيوت أمَرّ
يروح أبوه وفى جيده حبالُ الزَّايا عليه تُزَرّ
فما هو إلا عناق لذيذ يحل عراها كحل الشَّعرْ
تذوب الهمومُ على قبلةٍ من الفم حلو اللمى والأشرْ
وتصفو الحياة على بسمةٍ تضيء دجى النفس إذْ تعتكرْ
وتذكو المحبـة فى نظرةٍ من العين انسانها والحـوَرْ
ولـكنَّ — سبحان ربى — إذا حَبا الشَّـهد فى النحل أعطى الابَرْ!
فهـذا الذى يستدرّ النعيمَ لأهليه يورى لهم بالشررْ!
اذا صحّ طفلك أصبح نفعاً وإن هو ضُرَّ فذاك الضررْ
فأنت الذى دونه قـد غـدا عليلاً اذا اعتلَّ منه ظُفُرْ!
إلى أن يُبـلَّ فأنت عليـلٌ وحتى ينام فأنت السَّهرْ!
تودّ لو آن الذى ساءه يسوؤك وهو صحيـح يُسَرّ
ويا ربمـا كنت ذا شـقوة وطفلك لا يستبين الخـبرْ
وتؤثره بالذى كنتَ قـد تضنّ به عن جميع البشرْ
تموت ليحيي ، وتشـقى ليبقى سعيدَ الفؤاد قريرَ البصرْ
تريد الخـلودَ برغم الردى فيحمل طفلك منك الاثَرْ!

فرحات عبد الخالق

(١) يريد الصور المتحركة اى الخيالة — « السينما ».

الآمال الخادعة

إنى أرى الآمالَ لوحةَ راسمٍ ... تُمْحَى فَتُمْحَى صفحةُ الرسَّامِ
زَبَدٌ من الأمواج يعلو فى الدُّنا ... كالآلِ يبعد باقتراب الظامى
هاتِ الكؤوسَ نَعُبُّ ممّا خبّأت ... ذكرى الشبابِ وخمرةَ الأحلامِ
فأصوغ مما أحتسى شعرَ الأسى ... وأردّد الأوزانَ من آلامى
وأَسِحُّ بالدمعِ الثّمينِ، وليس لى ... أملٌ سوى أملٍ يزيد سقامى!

حسن محمد محمود





فى القرية
أو
أبناء الطبيعة

رونقٌ شاع فى الثرى وعلى الـ ... ـروضةِ لطفٌ من السما مسكوبُ
ما أرقَّ الأصيلَ سال بشفًا ... فِ شعاعٍ منه الفضاءُ الرحيب!
كلُّ شىء تحت السماء بلونٍ ... شفقىٍّ موردٍ مخضوب
وكأن الآفاق تحتضن الأر ... ض بآصالها اطار ذهيب
متّعْ العينَ! انّ حسناً تراه الـ ... آنَ من بعد برهة منهوب
والذى يخلع الأصيل على الأر ... ض بكفّ الدجى أخيذ سليب

منظر للحقول إذْ تشرق الشمـ ـسُ جميلٌ وإذْ يحين الغروب
ولقد هزّنى مسيلُ غديرٍ وعلى جانبيه روضٌ عشيب
يظهر الشيء ضدّه وتجارى بسواها محاسنٌ وعيوب
وكذاك المرعى الخصيب يجلّيـ ـه الى الناظرين مرعى جديبُ

« • »

ثم دبّ المساءُ تقدُمه الأطيا رُ مرعوبةً وريحٌ جنوبُ
وغناءٌ يتلو غناءً ورعيا نُ بقطعانهم تضيق الدروب
يحبس العينَ لانتشار الدياجى فى السما منظرٌ لطيف مهيب
شفقٌ رائع رويداً رويداً تحت جنحٍ من الظلام يذوب
وترى السحبَ طيةً تلو أخرى قد أجيد التنسيق والترتيب
وتراها وشعلةُ الشفق الأحـ ـمر تبدو أثناءها وتغيب
كرمادٍ خلاه وانزاح عنه قبسٌ وسط غابةٍ مشبوب!

« • »

ثم سدّ الأفقَ الدخانُ تعالى من بيوت للنار فيها شبوب
أنه يبعث الفراهةَ والأنـ ـسَ لقلب الفلّاح حين يؤوب
يعرف اللقمة الهنيئة فى البيـ ـت مجدٌّ طولَ النهار دؤوب
برهة ريثما انقضى سمرٌ تقـ ـطرُ لطفاً أطرافُهُ وتطيب
واستقلّ السريرَ أو حرمةَ القـ ـشّ يريد استراحةً متعوب
سكنت كلُّ ناقة واستقرّت واستفر الأسماع حتى الدبيب
واحتواهم كالموت نومٌ عميقٌ وتغشّاهمُو سكونٌ رهيب
ولقد تخرق الهدوء شويّاتٌ وديكٌ يدعو وديكٌ يجيب!
أو نداءاتُ حارسٍ وهو فى الـ أشباح يبدو لعينه ما يريب
أو صدى طلقة يبيت عليها أحد الجانبين وهو حريب

« • »

ترك الزارعُ المزارعَ للكلب فاضحى خلالهنّ يجوب
شامخٌ كالذى يناط به الحـ ـكم ، له جيئة بها وذهوب!
انّ جهدَ الفلاح خفف عنه جهده فهو مستكنٌّ اديب

وهو فى الليل غيرَه الصبحَ وحشٌ | هائجٌ ضيقُ الفؤاد غضوب
فاحصٌ ظفره ونابيه ، أحلى | ما لديه اظفاره والنيوب
انه عن رعاية الحقل مشغو | لٌ وفى ترك أمره معتوب
وكثيراً ما سره انه را | ح جريحاً ورأسه مشجوب !
ليرى السيد الذى ناب عنه | ان حيوانه شجاع اريب
ولكيلا يرى مسامحة منه | فيختار غيره وينيب !

« ٥ »

للقرَّيات عالم مستقلٌ | هو عن عالم سواه غريب
يتساوى غروبهم وركود النفـ | ـس منهم وفجرهم والهبوب
كطيور السماء همهم الأو | حدُ زرعٌ يرعونه وحبوب
يلحظون الآفاق آناً فآناً | ضحكهم طوعَ أمرها والقطوب !
أترى الجوَّ هادئاً أم عصوفاً | أتصوب السماء أم لا تصوب ؟
ان يوم الفلاح مهما اكتسى حسـ | ـناً بغير الغيوم يوم عصيب
وهو بالغيم يخنق الأفق والقلـ | ـب جميل فى عينه محبوب
للقرى روعة وللقرويـ | ـين اذا صاب ارضهم شؤبوب
تبصر الكلَّ ثم حتى الصبايا | فوق سيماهم هناء وطيب
يفرح البيتَ انه سوف تمسى | بقراتٌ فيه وعنزٌ حلوب !
ويرى الطفل انَّ حصته إذ | يخصب الوالدان ثوب قشيب
اذكياء عيونهم تسبق الالسـ | ـنَ عما ترومه وتجيب
والذى يستمدّ من عالم القر | ية وحياً وعيشة للسبيب
مطمئنون يحلمون بأن الـ | ـخير والشر كله مكتوب
لا يطيرون من سرور ولا حز | نٍ شعاعاً لانه محسوب !

محمد مهدى الجواهرى



وصف ممثل

مثَّل الوجدَ بيننا والشجونَا وأرانا من الحياةِ فنونَا
ودعانا ونحن شتَّى فسوَّت آيةٌ منه بيننا أجمعينا
فاذا الكلُّ هادئاً أو صخوباً واذا الكلُّ ضاحكاً أو حزينا
صُوَرٌ للزمان جدَّد منها فاستعارت من فنِّهِ تلوينا



محمد طاهر الجبلاوى
(ريشة الفنان صلاح الدين طاهر)

ومعانٍ له تمثَّل فيها لم تغادر شعورَنا المكنونا
لستَ تدرى أمسرحٌ يستبينا أم حياة فى مسرح يحتوينا ؟!
وقفاتٌ له تملكتْ اللبَّ حسبنا الخيالَ فيها يقينا!

* * *

إيهِ يا منطقَ الفنونِ شهدنا بِدَعاً منك لم تزل تشجينا

ووعينا خلائقا ودروساً تملأ النفس روعة وحنينا
فكأنّ الأيام بين يدينا ماثلات أحداثها والسنينا
وكأنّ القلوب ألقت قياداً لك فى ذلك المجالِ مكينا
صرخةُ المستجير فى الروع كدنا نترامى وراءها منجدينا
وأنينٌ أخذت فيه علينا سبلَ الحسّ فاستطبنا الأنينا
ذلك الشعر غير انى أراه يملأُ السمعَ روحه والعيونا
رائحاً غادياً على مسرح والفنّ يبثُّ الحياة كالسحرِ فينا !

محمد طاهر الجبلاوى



مسينا

(كما رأيتُهُ)

جبلٌ ثائرٌ يُطلّ على البحـ ـرِ كنسرٍ يُطلُّ مِنْ عليائِه
قد رأيناه يستضىء من الفجـ ـر فيُلقى عليه بعض ضيائه !
تتراءى خلاله لمعاتٌ كالشعاع الهشيم حين استوائه !
قد جلوناه فى الصباح جميلا كيف يبدو لنا جمالُ مسائه ؟
عبرت ماءه « لا مارتينُ » تمشى فى هدوء الخليج لا ضوضائِه

« • »

هى دنيا من الحياة وعيشٌ قد ظفرنا بحسنه وروائِه
قد أتيحت لنا حظوظٌ فكنا أسبقَ الركب فى مراكب مائه
جبلٌ شامخٌ أطلّ على الأر ضِ وفاض الغمام فوق سمائه
يتعالى على البسيطة كبراً كتعالى العظيم فى كبريائه
أدركتنى على السفين حظوظٌ من سنا صبحه وطيب هوائه
وصفا جوُّه فكان كقلبي فى تقله الهوى وحسنِ صفائِه !

اكستر — انجلترا
محمد عبد الغنى حسن



القلب الهائم

يامُوحِيَ الشعر جَمّعْ مِنْ شوارده … قلبي ، فقد قسّمته الرّوحُ ألحانا
ووقّعتْها على أوتارها نَغَماً … بدائعُ الكونِ حتى ذاب تحنانا
ومرّتْ النسماتُ الهائماتُ به … على الحِمَى فملأنَ الجوّ آذانا !

« • »

يامُوحِيَ الشعر ، قلبي طاف فى كلمٍ … عوالماً ، فتلقّتْ منهُ أوزانا
هى الحياةُ التى أرسلْتُها نَفَساً … يتلو سواهُ ... وكلٌّ ذاب أشجانا
فهل من الصعب أن يرتدّ لى نَفَسى ؟ … أو أن يُجمّعَ قلبي مثلما كانا ؟!

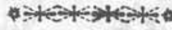
« • »

قلبٌ تفتح فى عهد الربيع ولم … يغمضْ ليطبق منهُ اليأسُ أجفانا
صحا على الحب . . . ثم اهتزّ مضطرباً … ساعاتِ حزنٍ ، ولكن طار جذلانا
وعاد يرسل شدواً مِن مشاعره … آناً . . . ويرسل شدواً مطرباً آنا
وصلٌ عن نفسه فى عالمٍ جُمعتْ … أطرافُهُ من نواحى الأرض أوطانا
هيمانَ ، يبحث عن شيء يجاذبهُ . . … حتى مَ ياوَحْيُ يبقى القلبُ هيمانا ؟!
على جناحَيْ خيالٍ ظلّ مرتفعاً … فى الجوّ يحمل من دنياه ألوانا
تفرّدَ القلبُ فى أجوائه صُعُداً … ولم أزلْ أنا فوق الأرض حيرانا !
فهل يعود وفيهِ من عوالمها … ما يملأُ النفس إيماناً وسلوانا ؟
وهل يعود ولم تسلبهُ رحلتُه … بعضاً من الوَتَر الحسّاسِ وجدانا ؟

« • »

يا مُوحِى الشعر ، ناجِ القلب انّ له لذاذة تتجلى فيــه تبيانا
يلذّهُ أنْ تناديه وتنشــدَه ما كان يسمع فى الأحلام أحيانا !

حسين كامل الصيرفى



مناجاة

يا مَنْ أتانى طيفهُ فى المنامْ
لـكنّنى آلمتـهُ بالمـلامْ
اللهَ فى صب غدَا للسقامْ
يبدى لى الاعذارَ عن بُعدهِ
إذ زاد طولُ النأى عن حـدّه
نهباً وطال السـهدُ فى وجده

أينتْ عهودٌ للهـوى والودادْ
ألقاك فى الأحلام رغمَ البعادْ
يامن أراه دائمـاً فى الخيالْ
يا هاجرى فى بُعـده النأى ؟
فاسمحْ بوصلٍ منك للرائى
محلقا فى وده الصـافى

حتى اذا طالبتُـه بالوصالْ
ومن غدتْ لقياه عينَ المحالْ
هل من لقاء بعد هـذا الجفاءْ
ازداد هجراً رغم إلحافى
ولم يرم فى النأى انصافى
فالنأىُ سيفٌ حـدُّه مرهفْ

هل اغتدى فى الهجر رهنَ الشقاءْ
يا من له فى عقلىَ الباطنِ
لا تجفنى فى عيشىَ الآمنِ
وأنت نعم المشفقُ المنصفْ ؟
طيفٌ أراه دائمـاً فى المنامْ
ولا تكنْ لى كالسحاب الجهامْ

يا حبذا لو صحَّ يا فاتنى
انْ كنت لا ألقاكِ ياهاجرى
هيهات أن أنساك من خاطرى
حُلمى وأضحى الودُّ رمز السلامْ
فى يقظتى فالنأىُ صـعب أليمْ
وطيفك المحبوب بادٍ مقيمْ

يا مَن له فى القلب حبٌّ عميقْ
ومَن له كالرمح قـدٌّ رشيقْ
ومَن له قلب رقيق شفيقْ
ومَن له فى الحسن وجـه جميلْ
ومَن له طبع كريم نبيـلْ
هل من لقاء او وصال قليلْ ؟

يا ما لـكا قلباً غدا فى النياعْ
إن كنت لا تبغى سوى الانقطاعْ
ولابساً تاجَ الهـوى والعفافْ
عنى لحبي ليس فيـه انحرافْ

متولى نجيب

لحد الحب

يا مهدَ الحب أيا تَمهْـدَهْ أصبحتَ على زمن لحدَهْ !
وغدوتَ لذكراه طفلا يجرى دمعى أبداً عنده
أقفرتَ مِن الآمال ومن نورٍ كمْ أذكرَنى عهده
وجرى عمرى فى الحزن فما أسطيع وقد ولّى ردَّهْ
وشبابى جـذوتُه خمدت لأُكابدَ من شيبى بردَه
يا مهـدَ الحب أيا مهده لم تبقَ لنضرتنا جِـدَّهْ
هـل ترجـع أيامٌ سلفت أم هى ليست بالمرتدَّهْ ؟
وحبيبى يصدقنى وعـدَهْ فيهـا أو يخلفنى وعـده
والزهـر يفتّح عن طرب فالنحل جنى منه شهده
ونسيم الصبح وبهجته وغروب الشمس وما بعده
أين الاحباب فانهمو تركوا من يهواهم وحده ؟
ومضت أيامٌ وفـؤادى ما ذاق بهـا الا وجده
وجرت دنيـايَ بصحبتها فلها خيلٌ ولهـا عُـدَّهْ
ودفنتُ الحبَّ وأحزننى يومٌ ابصـرت به لحـده
ونسيتُ الحبَّ وبهجته يا مهـد الحب أيا مهده !
لا بدَّ لمن ينساه العمر له مِنْ يأسٍ لا بـدَّهْ
ويئسنا من تلك الدنيـا مِن لينٍ فيها او شـدَّهْ
وعرفناها إن أبصرنا خـيراً أبصرناها ضـده
متناقضـةً لا يأمنهـا إلاّ مَن سلمها رُشـدَهْ !

عثمان حلمى



سراب الامل [1]

قد بكينا على هوًى وأمانٍ ... عالجتْها الأقدارُ نشراً وطيّا
وأرى عالقَ الرَّجاءِ بكفّيَّ (م) هباءً ، لم أنلْ منه شيّا !
آهِ ... لو تغسلُ الدموعُ جراحاً ... آهِ ... لو ينفع البكاءُ شجيّا
لفَّها الدَّهْرُ فى حنادس يأسٍ ... لا أرى للمُنى بصيصاً مُضيّا



توفيق احمد البكرى

وأمدُّ الكفّين ، أحسبُ أنّى ... واجدٌ فى الظلام منها خبيّا
واخالُ الأشباحَ تجرى أمامى ... صُوَراً من مُناىَ خلقاً زريّا !
ظلماتٌ يحجُبن وَهْمَ خيالى ... ان يرى بينها طريقاً سويّا
أينَ ... - لا أينَ - لليقينِ سبيلٌ ؟ ... قد ضللْتُ الصَّوابَ شكاً وعِيّا

(١) الى صديقى الاديب محمد رشاد رشدى القصصى الناشىء والناقد الحدث فهو اعرف الناس بظروف هذه القصيدة .

وَهوايَ الطهورُ لم يَعْدُ نفسي شابَ من خيبةِ الصُّدُودِ فتيّا
والأماني الحسانُ كالنغم الحلـــــــو اذا ضاع في الرياح ذَرِيّا !

« • »

فاملئي كأسَك الدهاقَ وهاتِيـــــــها ، أروِّي بها فؤاداً صديّا
واترُكي في قرارها قُبلاتٍ خالدٌ بردُهُنّ في شفتيّا !
فاذا الموتُ ضمَّني في فناءٍ رحمةً ما لقيتُ رَوْحاً ورِيّا
كلما رُمتُ للهناء شراباً سقطت كأسُ نشوتي مِن يَديّا !

توفيق أحمد البكري



حب وأمل

أعنـدكَ أنّ لي قلباً يذوبُ وأني رغـم ذلك لا أتوبُ !؟
وأني قـد دعوتُ وبُحَّ صـوتي وأنك لا ترقّ ولا تجيب !؟

« • »

فؤادي - لا رأيتَ جوى فؤادي - جريحٌ ، ظامئٌ ، عانٍ ، سليبُ
يشيّب بعضُ ما ألقى البرايا فهـل أغراكَ اني لا أشيب ؟
طبيبي أنت يامرٌّ اعتلالي ومن عجب يؤرّقـني الطبيب !
كتمتك ما يلاقيـه فؤادي تحدَّثَ عن تألمـه الوجيب
فكنتُ إذا كبحتُ جماحَ شعري رأيت الدمع عن شعري ينوب
اذا أخفيتُ ما بالقلب حيناً اذاع لهيبَ مهجتيَ اللهيب
فواقلباه من قلبي وعيني يصيب من الدواهي ما يصيب !

« • »

ذنوبي أنني قـد ذبتُ وجـداً وهـل حبّيكَ ياروحي ذنوبُ ؟!

فكم حرّكتُ أشعارى فطاشت سهامُ تصبّبي وهوى النسيب
سهامى وهى ألفاظ جفاء وسهمُكَ وهو قتّال مصيب



طاهر محمد ابو فاشا

تغيب وأنت ثاوٍ فى فؤادى حبيبى مَنْ يَغيب ولا يغيب
يقدّمنى له حبٌّ صدوقٌ ويغرينى به أملٌ كذوب

طاهر محمد أبو فاشا

الامل فى الارجوحة

آذنتني بنواها وتمادتْ
ليتها حين أتاحتْ لى هواها ما أتاحتْ!

« ١ »

ما دها البلبلَ يعتاضُ عن الأيكِ مكانا؟
ما ثنى العصفورَ عن وكر يرى فيه الأمانا؟

ما نهى النحلةَ عن زهرٍ دوت فيه زمانا ؟

ما عسى رابَ ملاكى في وفائى ؟
ألعلّى كنتُ أدعو لهلاكى بولائى ؟!

« ٠ »

اذكري الليلَ ونجوانا عن العهدِ العتيدِ
اذكري النجمَ ومسرانا الى وادى الخلودِ
اذكرى الوردَ وما أدّت رسالاتُ الورودِ

اذكرى حلوَ الأمانى اذكرينى !
اذكرى وصفكِ فى عذب الاغانى وارحمينى !

« ٠ »

هل تجدّين فتمحين من القلب الرجاء ؟
أو تعودين تعيدين الى النفس الصفاء ؟
أحفظت العهدَ أم صرتِ من الحب خلاء ؟

أنصفى دمعَ عيونى برضاكِ !
واسمعى فى زفرة القلب أنينى من جواكِ !

« ٠ »

لكأنّى قد تناسيتُ مع الحبّ الدلالاَ
إن للدلّ من الإذلال بالهجر نكالاَ
فعساها الآن تستبدل بالنأيِ وصالاَ

وكفانى ما تجنّت وكفاها !
ليت آمالى تداعت أو تظلّت فى حماها !

محمد فريد عبد القادر



زهرة فى حديقة

زهرةٌ من فاتنات البشرِ
أُولعتْ بالجنى جنى الزَّهَرِ
هل شممْنا مِنْ شذاها
وهى ملءُ العين ملءُ الفِكَرِ ؟

***

طَالعَتْ فى زهرِها صودَتَها
ما تَرَى الزَّهرَ علا وجنتَها
فغدتْ فى الرَّوضِ من أنضرِهِ
فتنةٌ فى الكونِ ما أثبتَها !

***

هى تَجْنِى من زهورٍ وورودْ
ومنانا فى ورودٍ بالخدودْ
مَنعَتْنَا سطوةُ الحسنِ جَناها
أكذاكَ العدلُ يا زيْنَ الوجودْ ؟!

***

أنتِ كالروضةِ والروضُ كريمْ
يَنْفَحُ العطرَ شفاءً للسقيمْ
فليكنْ يا حسنُ جودٌ وسخاءْ
لحبيبٍ فى حمى الحسن يُقيمْ !

***

نحن جُدنا بقلوبٍ ودموعْ
قدَّمتْ للحسنِ قربانَ الخضوعْ

غير أن الحسنَ ما قدَّرها
رحمةَ اللهِ لقربانٍ يضيعْ !

* * *

رأفة بالقلب ، يكفى ضجرى
وارحميهِ مثلَ ذاوِى الزَّهَرْ
عطفك السامى وما أنبلهُ
أنعشَ الزهرَ ببعضِ النظرِ !

ام درمان — السودان محمد أحمد محجوب





قصرٌ معطل

لمن القصرُ غارقاً فى الظلامِ كسفينٍ رستْ ببحرٍ طامى ؟
بين دَوْح يُخال أشباحَ جنٍّ قائماتٍ بين الثرى والغمامِ
يصدمُ الريحَ فى سراها فما تسـ ـمع الا أنينها المترامى !
ونباحَ الكلاب تحميه . ليلاً حبذا الكلبُ فى الدجى من حامى
هى سكانُه وقد نزح السكا نُ عنه فى غابرِ الأيام
ما ترى فيه مِنْ سِراجٍ وإنْ كا ن مِن النجمِ فى سراجٍ سامى

قال لى صاحبي وكان دليلى بين تلك الدروبِ والآكام :
ها هنا مربط الخيول ولا خيلُ وهذى منازل الخُدَّام
وعرينٌ للسبع لا سبع فيه وبروجَ الحمام دون حَمام
ثم هذى حظائرٌ تُطلِع الاز هارَ قبل الاوان فى إرغام
وهنا كان للغوانى غديرٌ يتيممنه للاستحمام
واثباتِ اليه فوق أراجيح أُقيمتْ عليه فى إحكام
قلتُ حسبي الذى أرى قال بل دَعْنى أريك الغلوَّ فى الأحلام
ثم أسرى بنا الى حيث تسري ربَّةُ الشعر بالخيال النامى
فى عِراشٍ مِن الكروم دوانٍ بين وشى الورود والأكمام
وتماثيل تحسب الروحَ فيها وتراها جديرةً بالسلام !
وقبابٍ يدور مِن حولها الما ءُ كما دار عابدٌ بالمقام !
وخدورٍ جلا الثقابُ عليها معجزاتٍ من ريشة الرسّام
غرفٌ اصبحت ملاعبَ لِلجنّ وكانت ملاعبَ الآرام
خَلع الليلُ والخرابُ عليها وحشةَ الدور شُيّدت مِن عظام !
قلت هذا النعيم اجمع ياقو م ، سجيناً هنا بلا اجرام
أفرجوا عنه يظفر الناس منه بالذى يشتهون من أوهام
كيف يمضى هذا النعيم هباءً بينما بعضه مُنى أقوام ؟
أفيبقى معطلا مثلُ هذا القصر والكوخُ مُتخَمٌ بزحام ؟!
مَن تُرى ربُّه وكيف تولَّى عنه فى غير حسرةٍ وملام ؟
قيل هذا لمُترف قد بناه لمتاعٍ محلّلٍ أو حرام
جامعاً فيه للسعادة أسبا باً يراها خليقةً بالدوام
ثم زالت نعماه عنه فلم يلبثْ به غير لحظةٍ كالمنام
قلت : إنَ الشقاءَ أحذق مِن أن يُتّقَى بالقصور والآكام !
وهو إن يُزمعْ الإغارةَ فالنّفسُ أسيرٌ له وفرخُ النعام
قل لمن يحسب السعادةَ رهناً بحطامٍ : اكبرتَ شأنَ الحطام
انما هذى السعادةُ حقٌ لضميرٍ فى راحةٍ وسلام
غاب هذا الضميرُ فى ثوب مَلْكٍ أو بثوب القصّاب والفحام !

محمود عماد

عاصفة فى سكون الليل

أشرق كالصبح غراءَ الجبين • وانشري نورك يهدى العالمين
واطلعي فى ليل حزنى كوكباً • تعصميني من ضلال العاشقين
واطرحي فى قفر عمرى زهرة • عَلَّها تنمو وتزكو بعد حين
وابسمي تبسمْ لنا بيضُ المنى • واضحكي تضحك لنا غرُّ السنين
واهتفي تستيقظْ الروح التى • طالما غنتك باللحن الحزين

« • »

ها هو الليل كما كان بدا • يحمل الحزن لقلبي والحنين
هيكل الأحزان (١) فى مذبحه • قرّب العشاق قربان العيون (٢)
رتّل الشمّاس (٣) فيه لحنه • وصدى ترتيله هذى الشجون
عطره (٤) أحزانُ أزهار الربى ! • ونداه عبراتُ البائسين
وسرىّ النّسم فى أحشائه • مهج ذابت وأرواح فنين
كل شيء هان فى شرع الهوى • ياملاكى ، والهوى ليس يهون !

« • »

لم ير الليل سوى بنت هوىً • قرأتْ ما ستعانى فى الجبين
لبست فى بدئه ثوبَ الهوى • وبأخراه ثيابَ النادمين !

« • »

وعميدٍ بات مطويَّ الحشا • فى سكون الليل مبحوحَ الأنين
قام فيه مثلَ طيفٍ عابر • وكأن الليل محرابُ القرون !

« • »

ومغنٍ غلب الحزن على • وترِ اللهو لديه والمجون
ليس يدري فكرُه ما لحنه • وهو رجع السحر من ماضٍ شطون !

« • »

(١) الهيكل المعبد والمراد بذلك الليل . (٢) قربان العيون الدموع والنوم . (٣) المراد بالشماس هنا الموت (٤) اى العطر الذي يلفه الليل هو احزان الازهار .

وأليف سامرَ الليل على ذكر عهد من عهود الغائبين
كلهم خفَّ ... ولم تبق سوى ذكريات أرعشت أفقَ الجفون

« • »

أيها الليل أتينا نشتكى فاستمع شكوى الحزانى المتعبين !
هدَّنا الحزنُ ، وأضنانا الأسى وبرانا الوجد فى دنيا الشجون
قد شكوناك وجئنا نشتكى لك شيئاً فى خيال الذاهلين

« • »



محمد عبد المعطى الهمشرى

انى يا ليل أحكى غنوةً فنيتْ فيك على مرّ السنين
واستحالت فى البلى قبّرة تتغنى فى دجى وادي المنون!
إننى يا ليلُ أحكى حزمةً من شعاع فى سماء الحالمين(١)
ضمّها نحوك فكرٌ هائلٌ أزعج الأرباب بين الثائرين !

(١) لان الاحلام ترسم الاشياء أجمل من حقيقتها .

واستحالت عندها من غضبٍ زهرةً فى عالم غيرِ مبين
تنفح الموت ... وتدلى عودهـا نحو أشباح المنايا العابرين !

« • »

إننى عاطفةٌ قد غالهــا منك فكرٌ طيه الموت دفين
حاولت تعرف أسرار الأسى منك يا ليلُ وأسرارَ الأنين
فاستحالت جدولاً تعبره فزعاتُ الموت ليلا فى سفين(١) !

« • »

هــذه أغنيتى رتّلتُها لكِ يا دنياىَ فى ديرِ السكون(٢) !
لحنها أنتِ ، وحزنى وقعها ونذير الموت بعض السامعين !
لا تلومىّ ما بهـا من حزن إنما الأحزان موسيقى الحزين
أعذب الألحان لحن أُفرغت فيه أنات الأسى طىّ الحنين
عانقينى فى الدجى !... اقتربى ! إننى أفزع ممـا تفزعين
قرّبى خدّك !... ضمينى إلى صدرك الحانى !... التمى هذا الجبين!
أتركينى فيك أفنى مثلما فنيتْ فى الله روح الناسكين !

« • »

إنما نحن كركبٍ ضلّ فى تيهِ صحراء بقومٍ تائهـين
قد نسينا كل ما كان لنا وتركنا فى غدٍ ما سيكون !

كلية الآداب بالجامعة المصرية
م. ع. السحشرى



(١) المراد بهذه التشبيهات تفسير ما تلاقيه روح الشاعر من حزن وألم فى الحياة .
(٢) دير السكون هو الليل .



﴿ صفاته ومميزاته ﴾

يمتاز الشعر الغنائى بكونه سهل الميزان سلس الأسلوب قوىّ المعنى يمكن فهمه بسهولة . ويجب أن يكون هذا الشعر خلواً من كل تعقيد لفظى أو معنوى حتى يمكن فهمه بمجرد سماعه .

ولا يجب أن تكثر فى الشعر الغنائى الجمل الاعتراضية ، فقد تكون هذه الجمل جميلة فى الشعر غير الغنائى إذا وضعت فى موضع حسن إلا أنها فى الشعر الغنائى كثيراً ما تكون سبباً فى عدم فهم المعنى وخصوصاً اذا لم يكن للملحن أن يتحاشى ذلك أثناء تلحينه .

وإن الاكثار من الاقتباس والاستشهاد بالحِكم لهو من أصعب الأمور على الملحن — إذا أراد إبراز المعنى — وقد سئل الموسيقى برنارد عما يصعب عليه تلحينه من معانى الشعر، فقال إن معانى الشعر عنده كلها سواء ، أما ما يصعب إظهار معناه فى التلحين فهو استشهاد الشاعر بقولٍ مأثور .

وأحسن الشعر الغنائى ما كان طويل المدّ قصير المقاطع حتى يسهل للملحن أن يطيل فى النغم من غير ان يضطر إلى تجزئة الجمل فلا يضيع المعنى .

وقد كتب أحد الشعراء فى المجلة الموسيقية التركية فى السنة الماضية نبذة عن الشعر الغنائى ذكر فيها انه لا يمكن تلحين أى شعر إلا اذا كان غنائياً . وقد حكم هذا الشاعر على الشعر غير الغنائى حكماً قاسياً — وانه لمن الأسف أن نسمع مثل ذلك من كثير من الموسيقيين المصريين فى العصر الحاضر — فليس معنى كون الشعر غير غنائى أنه لا يمكن تلحينه. فوسيقى الألفاظ موجودة فى كل شعر، ويدلنا على ذلك ما نسمعه فى كل يوم فى المسارح والابهاء من الاشعار الملحنة التى لا تمتّ الى الشعر الغنائى بأية صلة . فى مقدور الملحن أن يجعل من الشعر غير الغنائى أغنية

جميلة . وقـد لحن الموسيقار محمد عبد الوهاب عدة قصائد غير غنائية ومع ذلك فقد أخرجها إخراجاً بديعاً . وليس الشعر فقط هو الممكن تلحينه بل قد يُلحَّن النثر أيضاً، وقد لحن الموسيقار حسين صالح قطعة نثرية تلحيناً يشكر عليه. وليس الموسيقار حسين صالح بأول من وضع لحناً لنثر بل ان المرحوم جاليو الموسيقى الهندى وضع لحناً لقطعة حماسية نثرية سنة ١٩٢٥ فكان أول لحن لنثر بعـد العصر العباسى ، إذ كان فى ذلك العصر كثير من الألحان الموضوعة لقطع نثرية .

ويظن البعض الآن أن الشعر الغنائى يجب أن يكون غزلا أو ما يشابه ذلك ، غير أن هذا الرأى لم يكن معمولا به الا بعد أيام المماليك ، بل وليس معمولا به الآن الا فى مصر، أما فى الخارج فتوضع الألحان لـكل معانى الشعر ويوضع الشعر الغنائى فى جميع الأغراض .

وليس فى مصر للشعـر الغنائى منزلة عظيمة لتفشّى العامية ولاستعمال الزجل فى معظم الأغانى العصرية ؟

محمود حلمى

القاهرة : (رئيس لجنة التأليف والنشر الموسيقية)





ما أعظم الهم !

(أغنية للشـاعر توماس هاردى)

ما أعظمَ الهمّ فى عمرى وأكثرَهُ وما أقـلّ مسراتى وأفراحى !

مِن يوم أنْ حُمّ للعينين أن تقعا على جبينٍ كقرنِ الشمس وضّاحِ !

أكلُّ هذى الليالى فى تباطئها ... لمّا تبين لك ياهمى بايضاح :
«ما أعظمَ الهمَّ فى عمرى وأكثره ... وما أقلَّ مسراتى وأفراحى»
أما أعادت لك الذكرى مصوَّرة ... تلك الليالى التى مرت كأشباحِ ؟ !



احمد كامل عبد السلام

ألم يساعفْكِ عطفٌ منكِ يرحمنى ... فتسمعى من لسانٍ منه مِفصاح :
« ما أعظمَ الهمَّ فى عمرى وأكثره ... وما أقلَّ مسراتى وأفراحى »
«مِن يوم أن حُمَّ للعينين أن تقعا ... على جبينٍ كقرن الشمس وضّاح »



الطفل النائم

مترجمة عن فيكتور هوجو .من ديوانه (أوراق الخريف)

في الغرفة المظلمة ،
بجانب مذبح صغير ،
ينام الطفلُ في ظلٍّ
فراشِ والدته .
بينما هو نائمٌ
فتح جفنَه الورديّ
من جانب الأرض الكثيفة
إلى السماء .

* * *

كان يرى أحلاماً كثيرة ،
يرى في هذه اللحظة
رمالاً من الآكام
مملوءة بالماس ،
يرى شموساً ملتهبة
وسيدات جميلات
تحمل أرواحاً
بين أذرعها الفاتنة .

* * *

رؤيا سَحَرَتْهُ ..!
إنه يرى قنواتٍ من الماء
يخرج من قراراتها
صوتٌ يغني

ويرى شقيقاته اكثر جمالا
ووالده بجوارهن
ووالدته ذات أجنحة
مثل الطيور .

* * *

إنه يرى ألفَ شيء
أكثر جمالاً أيضاً ،
يرى زنبقاً ووردا
يملأ الردهة
وبركاً وبحيراتٍ
ينزلق فيها السمك
ويرى الموجة تجرى
الى قصبٍ من الذهب .

* * *

بدون عنايةٍ وبدون اجتهادٍ
أنت تنام في الطريق ،
وإنّ الهمومَ
— بيدها الباردة
وبظفرها اليابس
على جبهتك الساذجة
التي ليس بها أي تجعيد —
لا تكتب : الغد !

* * *

إنه ينام بريئاً !
وإن الملائكة الأبرار
الذين يعرفون تقدم
النوع الانسانى ،
عند ما رأوه أعزلَ
وبدون خوفٍ وبدون حيطةٍ
قبلوا ـ وعيونهم دامعة ـ
يديه الصغيرتين .

***

ومَسَّتْ شفاهُهُمْ
شفتيه الشهديتين
والطفلُ يراهم كأنهم يبكون
وهو ينادى : جبرائيل !

ولكنْ الملاكَ لمسَهُ
وبينما يهزّ فراشه
وضع إحدى يديه على فمه

* * *

والأخرى تجاه السماء
ومع ذلك فإن امّهُ
أسرعتْ عند هزّ الفراش
معتقدة أن وحشاً وهمياً
كان يضغط عليه .
دهشتْ مُتَبَاهِيةً
لمّا سمعته يتنهد
وجعلته يتبسم
بقبلة منها .

كلية الحقوق ــ الجامعة المصرية

اقبال بدران



أغنية لفيكتور هيجو

ما زلتِ نائمةً والفجر قد وُلِدَا ... وبابُ غرفتك الزهراء مقفولُ
وكيف تُغفينَ والوردُ الجميلُ صحَا ... فاستيقظى إننى بالحبّ متبولُ . .
يا فتنتى انتبهى ... واصغى لمحبوبكْ
يشدو بلحن الغرامْ
يبكى الضنى والسّقامْ . . !

الكلُّ يطرق باب السحر فى فَرَحِ ... فالفجر قال : أنا نورُ النهار بدَا
والطيرُ قالت : أنا الألحانُ أجمعها ... وقال قلبي : أنا الحبُّ الذي عُهِدَا
يا فتنتيَ انتبهى ... واصغى لمحبوبكْ

يشدو بلحن الغرام
يبكى الضنى والسقام ..!



مختار الوكيل

إنى لأعبدُ فيكِ الحسنَ يا أملى ولستُ أدري أخودٌ أنتِ أم حورُ؟
ربى الذى ضمّ روحينا بقوّتهِ يا مُنيتى، صاغ طرفى وهو مسحورُ!
يا فتنتى انتبهى واصغى لمحبوبك
يشدو بلحن الغرام
يبكى الضنّى والسقام ..!

مختار الوكيل



الشمس والكون

بين الشـــروق والغروب

أشرقت في حياء ذات سوار   قد بدا المجد والجلال عليها
ألفت الكون موحشاً ومسجى   ساهماً يبعث الشكاة إليها
صبها شفه النوى ، وبراه   موقف البين والوداع لديها
وانثنى في ارتقابها بعزاء   أنه أمس قام بين يديها !

* * *



محمد زكي ابراهيم

روعة الدل والهيام ولقيا الصـــب نضو الأسى : أثار هواها
أرسلت دمعها يسح من النو ر عليه ليستبين رضاها

فانبرى يبدأ الحياة كما كا نت حياة بشجوها وهناها
والتظى الوجدُ فى فؤادها بعـ ـدُ : فجمّت دموعها من شجاها
***

لم يُرَعْ بعدُ ، أو يراع عهوداً من صميم الجمال والإيمان
فانثنت عنه ، لا تعيه ، وجرّت ذيلها فى الفضـا بكل مكان
واعتلاها الوجومُ ، واصطبغ الأفـ ـقُ بما فى الجلال من ألوان
يُعجزُ المرءَ أن يقصّ حديثاً فيه تبدو صناعةُ الرحمن
***

وهوى خلقها ليثأر منها لؤمُ دنياك وهو أسودُ جونُ
هو ذا الليلُ .. إيهِ يا أيها الليـ ـلُ أجبنى : أليس فى ذاك مَيْنُ
ثم فى لمحةٍ ، ودون وداعٍ غاب ركبٌ ، وقام يسخر حَيْنُ
ركبُ نورٍ ، تلاهُ ركبُ ظلامٍ هل لِدُنيا تسوق ذلك أمْنُ ؟!
***

كل لونٍ من الغروب تراه من حديثِ السماء يُنْشَرُ نشرًا
ليس فيه نفاقنا ، ومن الصمـ ـتِ مقالٌ يبثُّ كالقولِ سرًّا
إن فى هذه الجبالِ من النو ر أو النار إن تبيّنْتَ أمرًا
إن فى هذه البحار من الرو عةِ كنزاً وللمفاتن ذُخْرًا

محمد زكى ابراهيم

الى القمر

لنا فى الجوّ أجنحةٌ تطيرُ فتفزع عند رؤيتها النسورُ
قد اجتزنا الهواءَ ، فليت شعرى أيحملنا إلى الفلك الأثير ؟!
كأنى بالزمان وقد دنا مِنْ يدِ المتناول القمرُ المنير !
وصار الكوكبان على اتصال لكل عند صاحبه سفير
فإن نحن اجتوينا الأرض يوماً يجدّ بنا إلى القمر المسير

سليلَ الارض مالَكَ غيرَ بَرٍّ بأمِّك لا تُزار ولا تزور ؟
أيكفى الأرض نورُك من بعيد وأنك حولها أبداً تدور ؟
وهل فى شرعة الأنصاف ألاّ نراك وبيننا أمدٌ قصير؟
أتأنس بالضيوف اذا ألمّوا بساحك أم يزيد بك النفور ؟
ألا خففتَ عبء الأرض هونا فأمك آدها النسلُ الكثير ؟

« ٥ »

أمانٍ كنّ أحلام الأوالى فهل يأتى بها الزمن الأخير؟
زمانٌ أدت الوجناء فيه رسالتَها وقام بها البعير
رأى ابن العاص أن البحر خلق كبير فوقه خلق صغير
فقال له أبو الخطاب أمسِكْ فإن ركوبه أمر خطير !
فهل مَن يُبلغ العمرين أنا الى الأفلاك أصبحنا نطير
وأنا فوق سطح البحر نَطفو وفى أعماق لجته نغور
تعالى الله ! إن العلم أمسى وليس وراءه شىء عسير !

محمود غنيم



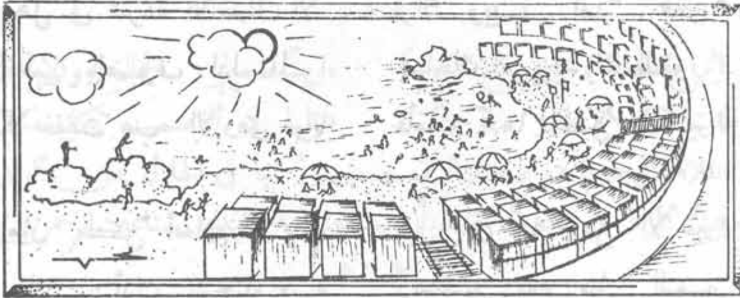
شاطىء الأحلام

خليج استانلى — رمل الاسكندرية

ردّوا شعاعَ الشمسِ حيث تُطِلُّ ودعوا الحسانَ مكانَها تحتلُّ
الخالعات من الثياب أجلَّها واللابساتِ الحُسْنَ وهو أجلُّ
مِنْ كل لونٍ للأزاهرِ صبغةٌ فيهِ وإنْ ملكَ البيانَ الفُلُّ
فى مَسْرَحِ البحرُ وثّابٌ به مثلَ العواطف يَعتلى ويَزِلُّ
والموجُ يعبثُ بالصخور كأنها مُهَجٌ يحاربها الهوى فتَذِلُّ
(فينوسُ) (١) تمرح فيه بين مَفاتِنٍ ويَلى (كيوبيدَ) (٢) العزيزَ (أپولُّو) (٣)

(١) الـهة الجمال . (٢) الـه الحب . (٣) الـه الشعر .

وَطَنُ الألوهةِ فى الحياةِ بما وعتْ فلكلّ رمزٍ للنعيمِ مَحَلُّ
لا تَسْقِنى الخمرَ المعتقةَ المُنَى حين العيونُ تشوقنا وتَدِلُّ



(خليج استانلى)

هذه الكابينات الانيقة كأنها حلقة الاولمبياد والبحر ملعبها ، وهذه هي عرائس البحر وجنيات البحر ــ الصاوى

حين السواعدُ فى الشهيّ لِسُمْرَةٍ أشهى الكؤوسِ نذوقها ونَعِلُّ
الحُسْنُ لم يُعْبَدْ طَهُوراً عارياً بأحبَّ مِنْ هذا الذى يَبتلُّ
واللهوُ لم يُغْنَمْ بريئاً حالياً بأرقَّ مِنْ صَفْوٍ عليه نُطِلُّ
فرحتْ به الأمُّ الطبيعةُ مثلما لاقَى الوصالَ العاشقُ المعتلُّ
مَرْأى حياةُ الشعرِ مِنْ أوزانهِ ويعود للاكثارِ فيه مُقِلُّ
ومُنًى مِن الأحلامِ ترقصُ حولَنا ومن الحقيقةِ ما حكاه الظلُّ
كَرُمَتْ فكلٌّ ناهلٌ مِنْ طيبها وقستْ فأىُّ صَدًى هناكَ يُبَلُّ !

احمد زكى ابو شادى





ابن زيدون

﴿ أولية ابن زيدون ﴾

نزل بمدينة قرطبة رهط من بنى مخزوم من جهات المغرب فيمن نزح إليها من القبائل وكان بيت بنى زيدون من أكبر بيوتاتهم جاهاً وثقافة وأدباً وكان صاحب الترجمة احمد بن عبد الله بن احمد بن غالب بن زيدون أحد أغصان هذه الشجرة المباركة. ولد بقرطبة سنة ٣٩٤ هـ. فى الوقت الذى تضعضعت فيه الحكومة المروانية فانقسم المسلمون على انفسهم وتخاذلوا واستعانوا بالأجنبي وصاروا شيعاً متعادين متعاندين.

وتقسموا ألقاب الخلافة فكان منهم المعتضد والمعتمد والمستعين والمقتدر والمعتصم والمؤتمن ... الخ، يتشبهون فى ذلك بملوك المشارقة:

مما يزهدنى فى أرض أندلس   أسماء مقتدر فيها ومعتضد
ألقاب مملكة فى غير موضعها   كالهرّ يحكى انتفاخاً صولة الأسد

فلا عجب اذا كثر الوزراء، ولا عجب اذا سمعت بلقب ذى الوزارتين يتقلده الكثير والناس على دين ملوكهم — فى هذا الجو الغائم الواهن المتخاذل المرجف نشأ ابن زيدون.

﴿ مبلغ شهرة ابن زيدون ﴾

لقد أعجب رجال الأدب فى مختلف أقطار العالم بأدب ابن زيدون فاعترفوا له بثرائه العريض ومادته الخصيبة وتراثه الذى خلفه مفخرة للعرب والعربية. أدرك قومُه خطورةَ شأنه فأحلوه فى السويداء من قلوبهم وتربع منهم فى الصدور قبل أن يحل صدور المجالس، وعاش بينهم موئل القاصد وركن الأدب الركين.

وكان من المحتم أن نسمع بتهافت الأدباء والمؤرخين على أدبه يدرسونه ، وشعره يعارضونه، ونثره يحاكونه، وتاريخه يترجمونه ، امثال ابن خاقان فى كتابه قلائد العقيان وابن نباتة المصرى فى كتاب سرح العيون وصاحب الذخيرة وابن غدارى المراكشى فى البيان المغرب والصفدى فى تمام المتون وابن فضل الله العمرى فى مسالك الأبصار وغير هؤلاء .

وما كان الغرب فى حفله بالرجل وبأدبه دون العرب ثقة : فقد وقف كثير من رجالاتهم أنفسهم على درس كتابته وشعره لمّا بلغهم عنه من ذيوع الشهرة وخلود الأثر ، حتى اذا جاسوا خلال خمائله واستروحوا عبير أزاهره ذخروا منه لبلادهم فترجم له منهم : هندرك الهولاندى المختص بالعلوم اللاهوتية عن صاحب قلائد العقيان وكتبت لهذه الترجمة شروح وابحاث وطبعت فى ليدن سنة ١٨٣١ م . ، والعلامة دوزى تلميذ هندرك صاحب تاريخ مسلمى الأندلس ذكر أدب ابن زيدون فى كتابه وأكبر فيه نباغته ، والمستشرق بستورن الذى ترجم الرسالة الجدية إلى اللاتينية وبدأها بترجمة حياة ابن زيدون .

﴿ بيئة ابن زيدون ﴾

للبلاد الأندلسية فضلا عن موقعها الجغرافى ميزتها على غيرها من الأقاليم بوفرة الخيرات وانتشار الصناعات وتعاقب الدول ذات الحضارة والشأن عليها حتى صح فيها قول القائل :

فى أرض اندلس تلتذ نعماء ... ولا يفارق فيها القلبَ سراء
وكيف لا يبهج الأبصار رؤيتها ... وكل روض بها فى الوشى صنعاء
أنهارها فضة ، والمسك تربتها ... والخزُّ رَوْضتها ، والدر حصباء
قدميزت من جهات الارض حين بدت ... فريدة وتولَّى ميزها الماء

ناهيك بجناب مريع يخصب العقل ، وبساتين زاهية زاهرة تفتق الذهن وتنضج القرائح ، وعمارة مترامية الاطراف تبعث فى النفس الخيال البعيد ، وأنهار سلسالة تصفو لها الخواطر وتذهب فى أوديتها الأفكار ، وحضارة ومدنية ينفسح لهما مراد البلاغة وتسمو بصورها المعانى الشعرية . وارتباط الوشائج وخلاط الناس ومايتطلبه

العمران من اجتماع وسياسة كل أولئك مناهل للشاعر والناثر لا يكاد يمعن فيها حتى يجد فسحة فى القول فتواتيه الحكم والامثال ويُفتَن بمدرسته الحضرية فيخرج إليك بألوان متغايرة لمنازع الناس المتباينة ، وتجد ذلك النوع من الغزل المشرقىّ قد خلع عذاره وتجرد من قيوده فى الأندلس لأنه رأى حياة أمتع ونفوساً أروج ، وتجد الوصف الذى تناولهُ مختلف الشعراء منذ الجاهلىّ إلى أن يقع فى العباسىّ قد أصبح جديد الشباب فى بلاد الاندلس ، وحلبة الغواة العاكفين على الدعابة واللهو التى كان لا يخوض غمارها إلا الخليع الماجن من الشباب الشرقىّ الطائش اصبحت فى بلاد الاندلس أضاميم من لهاميم العرب يتصايح فيها الامير قبل الحقير .

من أجل ذلك ألفيت نابتة اندلسية تتعشق للجمال وتغرم بالوصف وتبدع فى الخيال وتصف مجالى الأنس والشراب وتأتى على ضروب السرور والنشوة بما لم يتلاحق بهم غيرهم فى هذا المضمار

مع هذه النابتة وبين هذا الشباب وفى هذه المدرسة نبت ابن زيدون فى بيت رفيع العماد لديه من الثراء والجاه ما يمكنه من استبطان اللذة ومن تقرب الناس إليه واختلاطهم به فكان زعيم الادباء وأديب الزعماء

﴿ منزلة ابن زيدون الأدبية ﴾

اشتغل بالادب ناشئاً فبرع فيه وبلغ الغاية فى النظم والنثر ولقد أطبق معاصروه على فواقه عليهم وسلموا اليه قياد الأدب بدولتيه ، ولا أدلّ على ذلك من قول ابن بسام : « كان ابو الوليد غاية منثور ومنظوم ، وخاتمة شعراء بنى مخزوم . فاق الأنام طرّاً ، ووسع البيان نظماً ونثراً ، إلى أدب ليس للبحر تدفقه ، ولا للبدر تألقه ، وشعر ليس للسحر بيانه ، ولا للنجوم الزهر اقترانه ، وحظ من النثر غريب المبانى ، شعرى الألفاظ والمعانى » . يحكى من سعة بيانه أن ابنته توفيت فوقف للناس عند منصرفهم من الجنازة ليتشكر لهم فما أعاد عبارة قالها لاحد . وهذا عجيبٌ ، ولا سيما من محزون فقد قطعة من كبده .

﴿ حياته ﴾

قضى ابن زيدون شطر حداثته الاول فى قرطبة مولعاً بالادب عاكفاً على الاطلاع ، فسما به أدبه الى مقام كان فيه مضرب المثل فى البلاغة . فكان يرجع اليه

فى كتابة أعمال العظماء وظلامات ذوى الحاجات الى الولاة ، ومن ثم نبه ذكره الى أن اتصل بالوزير ابن جهور ولقب بذى الوزارتين ، وما كان ليتسامى الى مقامه إلا لتسامى أدبه حتى دعاه أدباء قومه ببحترىّ الاندلس تشبيهاً له ببحترى المشرق .

ولقد هام بحب ولادة بنت المستكفى الخليفة الأموى وكانت برزة أديبة شاعرة عمرت طويلا ولم تتزوج . وقد ابتذل حجابها بعد موت أبيها فتحبب اليها الأمراء والكتاب وكانت على خلق جميل يشهد لها بالعفة المؤرخون كلهم .

وكان من صرعاها ابن زيدون ولها معه طرف وملح ، لانه كان حظيها قبل غيره . وكانت تقوم المنافسة بين عشاقها أدبية علمية ، كل يكد خاطره ويهذب قوله ليكون حظيظها . وقد أفلح ابن زيدون فى استمالتها اليه أو بالحرى أفلح أدبه فى أن يأخذ عليها انجابها قبل غيره ولا سيما معارضه فى حبها الوزير أبو عامر بن عبدوس الملقب (بالفار)، إذ تمكن ابن زيدون من إقصاء خصمه بقارس قوله وزاجر شعره فكانت تشمس منه كلما تسقط القرب منها وتدلّ عليه وتهزأ به . ولقد مرت عليه وهو فى هالة من حاشيته أمام داره يتنادرون ويسمرون وكانت قرابة داره بركة آسنة المياه فنادته باسمه فتطلق وجهه ونهض يحييها فأنشدته قول أبى نواس وهى تشير الى البركة :

أنت الخصيب وهذه مصرُ فتدفّقا فكلاكما بحرُ !

ولقد قدمنا لك أن ابن زيدون نشأ فى جوّ الانحلال السياسى ـ الجو المغرض المتملق الذى لا تستتبّ دولته الا على النفاق والمهالأة . من أجل هذا كان الرجل محسوداً على منزلته فزجته السعاية به الى غيابات السجون مغضوباً عليه من مولاه ابن جهور ، وعبثاً حاول التنصل مما ألحق به ولم يغن عنه الاعتذار والاستتابة وضرب الامثال والحكم من غضب ابن جهور شيئاً . حتى اذا أمضى بضع سنين فى السجن تحين الفرصة وخرج من السجن هارباً وتخفى مدة كان فى خلالها يحاول الاتصال بحاكم اشبيلية المعتضد وذلك بعد أن يئس من استرضاء ابن جهور واستعتابه بلداته وخاصته . وحين مهد لنفسه اتصاله بابن المعتضد رحل الى اشبيلية وأقام هناك وزيراً شطره الثانى من حياته شاغلا مثل مقامه السياسى والادبى فى وطنه الاول . وكان يحنّ الى مسقط رأسه الفينة بعد الفينة ويتذكر أيامه الميامين الغرّ مع ولادة فتفيض نفسه بفرائد الادب وتظهر فيها اللوعة والحسرة على ما فقد حتى وافته منيته وهو سفير المعتمد سنة ٤٦٣ هـ .

كتابته

كان ابن زيدون رجل ثقافة مضطلعاً بمختلف العلوم متأدباً متهذباً وهو مع غزارة علمه وأدبه وصفاء قريحته وقوة سليقته يميل إلى التأني والروية فلم تكن كتابته عفو الخاطر ولا مَبْعثاً للوجدان الثائر . والبديهة البادهة انما كان لباب مصاص التأنق والتمكث ، ووليد الذوق السليم والطبع الحصيف. واذا علمت كيف كان ابن زيدون مليئاً بالعلوم، واقفاً عند عامة الحوادث قديمها وحديثها ، آخذاً من كل فن بطرف ، امكنك أن تقدر للرجل بعض قدره وأن تدرك سرّ اجادته وتخيره للحوادث التاريخية يضمنها كلامه ويوشى بها عباراته فتلتئم وتتآلف حتى لتُحسَّ أنَّما سيقت هذه الحوادث وتلك الامثال وهاتيك الحكم ليتمثل بها ابن زيدون فى كلامه بداءة . يظهر ذلك بوضوح حين تقرأ له من رسالته الجدية ما يستعطف به ابن جهور وهو سجين مغضوب عليه ، وهو :

« حنانيك قد بلغ السيل الزبى ، ونالنى ما حسبي به وكفى . وما أرنى لو أمرت بالسجود لآدم فأبيت واستكبرت، وقال لى نوح اركب معنا فقلت سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء ، وامرت ببناء صرح لعلى أطلع إلى إلـه موسى ، وعكفت على العجل، واعتديت فى السبت ... » حتى اذا أتى على آخر ما ذكر من حوادث قال : « لكان فى ما جرى على ما يحتمل أن يكون نكالاً ويُدعى ولو على المجاز عقاباً » .

ابن زيدون الناقل

على أن الدارس لكتابة ابن زيدون يرى ميزة قلَّما ينهجها غيره فاحتسبت من حسناته . ذلك أنَّه لكثرة حفظه ودرسه كان يأتى بمعظم قوله منقولا بمبناه أو بمعناه عن غيره بغير أن يتكلف النقل ولكنك لا تحس إلا أنَّ هذا قد تناول كلام غيره فَلفَّه فى ديباجةٍ من بلاغته ، وحَلاَّه ونمنمه بقريحته الصناع ، فأخرجه للناس فى طراز مبتكر جديد . ومن الغبرة لكاتب كابن زيدون واهتضام لحقه أن يقال إنه كان نَقلة لغيره دون أن يعول على نفسه فيما يقول ، بل إن مثله ليحفل بالمعنى يواتيه فى مقام فيملكه اسماطاً وقلائد ثم هو بعد يرتاح الى نفسه حين يشعر أنه صائغ ماهر.

وكم كان يأتى بالمبدع نادر المثال مما عدَّه الأدب من تراثه وحده فله من تراثه رسالته الجدية يمدح ابن جهور :

« وهــل لبس الصباح إلا برداً طرّزته بفضائلك ، وتقلدت الجوزاء إلاّ عقداً فصلته بمآثرك ، واستملى الربيع إلاّ ثناءً ملأته من محاسنك . . . »

﴿ عنايته بالازدواج ﴾

وإذ كان الرجل أندلسياً رقيقاً مجيداً فى الوصف كسائر معاصريه كان لايعنى بالسجع بل بالازدواج بحيث يمثل المعنى المفرد بعبارات متباينة متنوعة متفاضلة فى الجودة وقوة السبك وشدة الأثر فتراه يقول :

« إن سلبتنى أعزك الله لباس نعمائك وعطلتنى من حـلى إيناسك وأظمأتنى إلى برود إسعافك ونفضت بى كف حياطتك وغضضت عنى طرف حمايتك بعـد أن نظر الأعمى إلى تأميلى لك وسمع الاصم ثنائى عليك وأحس الجماد باستنادى إليك فلا غرو قد يغصّ الماء شاربه ويقتل الدواء المستشفى به ... »

﴿ ابن زيدون صفوح ينسى الاساءة ﴾

وكم يملأ نفسك إعجاباً بكتابة الرجل واكباراً لأخلاقه حيث تراه صفوحاً ناسياً اساءة ابن جهور اليه وهو يخاطب صديقاً له :

« رب مجتهد ما خاب الا لانه جاهد ، والله لقد أظهرت مدحه وأضمرت نصحه، وتممت على الصاغية له ، وجريت ملء العنان الى الاعتلاق به ، أسقيه السائغ من ميـاه ودى وأكسيه السابغ من برود حمدى ، وأجنيه الغض من ثمرات شكري ، واهدى اليه العطر من نفحات ذكرى ، لا يفيد منى التحبب اليه الا ضياعاً لديه ، ولا يزيدنى التقرب منه الا بعداً عنه ... »

وإذ قد وقفت على تمكن ابن زيدون من نثره الجـدى وبلوغه الغاية فى جميع نواحى القول التى طرقها فلا تنسى الى جانب ذلك أنه كان حـديد اللسان بذيئه سبق ابن عبدوس فأفحمه برسالته الهزلية التى طبقت المشرقين وتناقلتها العصور الأدبية وهى شديدة الحفل بها وبقائلها توضح غامضها مرة وتترجها أخرى.

ومنها :

« إنك راسلتنى مستهدياً من صلتى ماصفرت منه أيدى أمثالك ، متصديا من

خلتى لما قرعت دونه أنوف أشكالك ، مرسلا خليلتك مرتادة ، مستعملاً عشيقتك قوّادة ... »

ومنها :

« ان قارون أصاب بعض ما كنزت ، والنطف عثر على فضل مار كزت ، وكسرى حمل غاشيتك ، وقيصر رعى ما شيتك ، والاسكندر قتل دارا فى طاعتك ، واذدشير جاهد ملوك الطوائف بخروجهم عن طاعتك ، والضحّاك استدعى مسالمتك ، وجذيمتك الأبرش تمنى منادمتك » إلى أن قال : « وانك المقول فيك كل الصيد فى جوف الفرا

وليس على الله بمستنكرٍ أن يجمع العالم فى واحدٍ »

❊ شعره ❊

قد يذهب بك الحدس الى أن ابن زيدون كان طلعه استنفد وقته فى المدارسة والبحث ولم يجد من الفراغ واللهو والمجانة وألوان الحياة ما ينمى به شاعريته . ولكن حدثاً غريباً قد فتح مغلق قلب ابن زيدون واستدعاه فأجاب داعيه : ذلك هو حب ولادّة له وخلاطها به ومنافسته غيره من الأدباء والشعراء له فى حبها . كل اولئك عوامل جعلت من الرجل الضليع فى النثر ضليعاً فى الشعر ، ذلك بأن غادته إنما أغرمت بأدبه قبل ان تغرم بدلّه وشكله ، ولذلك حبته دون غيره من رصفائه بقربها منه ، فكان عند ظنها به رشيقاً فى شعره سلساً فى عبارته مجيداً فى قوله : إذا نسب خلته صاحب بثينة ، واذا مدح أربى على شاعر مزينة ، فكأنما صيغ شعره من التبر ، وفضل فى نضارته الزهر ، وكلامه على الجملة يشهد له بجودة الطبع وإتقان الصنعة فتراه يقول :

بينى وبينكِ مالو شئت لم يضعِ سِرٌّ إذا ذاعت الأسرار لم يُذَعِ
يا بائعـاً حظَّه منى ولو بُذلتْ لىَ الحيـاةُ بحظى منه لم أبعِ
تِه أحتملْ واستطل أصبر وعزَّ أهنْ وَوَلِّ أقبلْ وقل أسمعْ ومُرْ أطعِ

❊ غزله ❊

قدمنا لك أن باعثاً خطيراً كان اكبر العوامل على إخصاب شاعرية ابن زيدون وافساح مجال القول له : ذلك هو هيامه بولادّة وذوبه فى حبها وارساله الشعر الذى يختلط بالروح رقةً وبالهواء لطفاً يستديم عهدها . فكانت العاطفة تملى عليه ، فيكتب خلجات نفسه ، ويبعث اليها بافلاذ قلبه ، ومن قوله إذ ذاك :

أخـذتِ ثلثَ الهوى غصباً ولى ثلث ... وللمحبين فيما بينهم ثلثُ !
تاللهِ لو حلفَ العشاقُ أنهمُ ... موتى من الوجد يوم البين ما حنثوا !
قوم إذا هجروا من بعد ما وصلوا ... ماتُوا فإِن عاد من يهوونه بُعِثوا !

ومن قوله حين ودع ولاّدة ذات يوم مرتجلا :

ودّع الصـــبرَ محبٌّ ودّعكْ ... ذائعاً من سِرِّه ما استودعكْ
يقرع السن على أنْ لم يكن ... زاد فى تلك الخطى إذ شيَّعكْ
يا أخا البدر ســـناءً وسناً ... حفظ الله زماناً أطلعك
إنْ يطل بعدك ليلى فلكم ... بتُّ أشكو قِصرَ الليل معك !

ومَن لرجالات الشعر الغزلين أن يأتوا بمثل نونية ابن زيدون التى تهافت كبراء الأدب على معارضتها فى حياته وبعد مماته أمثال أبى بكر بن الملح والصفدى وصدر الدين بن الوكيل وغيرهم فما تلاحق بركابه شاعر ، ومنها :

أضحى التنائى بديلا من تدانينا ... وناب عن طيب لقيانا تجافينا
إن الزمان الذى ما زال يضحكنا ... أنساً بقربكم قد عاد يُبكينا
غيظ العدى من تساقينا الهوى فدعوا ... بأن نَغَصّ فقال الدهر : آمينا !
فانحلّ ما كان معقوداً بأنفسنا ... وانبتّ ما كان موصولا بأيدينا
بنتم وبنَّـا فما ابتلت جوانحنا ... شوقاً إليكم ولا جَفَّت مآقينا
حالت لفقدكمُ أيامُنا فغدت ... سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا
كأننا لم نبت والوصـل ثالثنا ... والسعد قد غضّ من أجفان واشينا
سِرّان فى خاطر الظلماء تـكتمنا ... حتى يكاد لسان الصبح يفشينا !

﴿ عتبه ﴾

ونرى الشـاب ابن زيدون حتى يسـاجله ابن عبدوس حبّ ولادة يعتب عليه منازعته له قلب محبوبته ولـكن فى عظمة وفخر فتراه يقول له :

أثرتَ هزبر الشرى إذ ربضْ ... ونبهته إذ هدا فاغتمضْ
أبا عامرٍ ! أين ذاك الوفاء ... إذ الدهر وسنان والعيش غض ؟
حذارِ ! حذارِ ! فإن الـكريم (م) إذا سيم خسفاً أبى فامتعض

على أنك ترى له لوناً آخر فى عتبه حين ضعضعته الحوادث وهدمته غيابة السجن

فاذلت من كبريائه وطامنت من نفسه ... تراه فى حاله هذه يعتب فى خضوع وخنوع على ابن جهور فى اسلوبٍ من الاستعطاف والاسترحام يقول له :

أيهــذا الوزير هأنا أشكو والعصى بدء قرعها للحليم
وثواء الحسام بالجفن يثنى منه بعد المضاء والتصميم
أقصير مئين خمس من الأيــام ، ناهيك من عذابٍ أليم ؟!

ثم ترى له شذرات من قصيدة فى هذا المعنى بعث بها الى مولاه فى ذيل رسالته الجديّة :

وإنى لتنهانى نهاىَ عن التى أشار بهـا الواشى ويعقلنى عقلى
أأنقض فيك المدح من بعـد قوة فـلا اقتدى إلا بناقضة الغزل
هى النعل زلت بى فهل أنت مكذب لقيل الأعادى انها زلة الحسل ؟
ألا إن ظنى بين فعليْك واقف وقوفَ الهوى بين القطيعة والوصل !

﴿ التصبر وادخال السلوى على نفسه وترقب الفرج ﴾

وما كان ذلك العقل الوفير والنفس العظيمة والعلم العليم ليعدم فى محنته عزاء له فكان خياله يرفّـه عنه فى بلواه ، وكان بصره بمواقع الخطوب والمامه بحوادث الزمن يواسيانه فى محنته ، فيتمنى ويتشكى ويذكر الامثال التى تبعث من نفس كليمة مرزوءة ثم يرجع على نفسه يواسيها ويتعلل بالأمل :

إن قسا الدهر فللمـــا ء من الصخر انبجاسُ
ولـئن أمسيتُ محبو ساً فللغيث احتباس
ويفتّ المسك فى التـــر ب فيوطا ويُداس

وما ألطف وصفه لنفسه ووشاته حين يقول :

كأن الوشاةُ وقد منيت بافكهم أسباط يعقوبٍ وكنتُ الذيبا !

وما أحكمه حين يقول :

ما على ظنىَ باسُ يجرح الدهر وياسُو
ولقـد ينجيكَ إغفـا لٌ ويرديك احـتراس !

﴿ وثوق الرجل من نفسه ومعرفتـه لقيمته الادبية ﴾

ولقد يغرّ الـكاتب الغرّ بقوته فيتمطق بنفس ذهابة عن قدرته ويذهب الناس على إثره فى تنقصه . أما ابن زيدون فما أحراه بعد أن فرغ من معرفة أقدار الناس

ومنازلهم أن يتحدث عن نفسه حديث الواثق منها المتطمئن لمبلغ اجادتها إذ يقول :

أحين رف على الآفاق من أدبي غرس له من جناه يانع الثمر
وسيلة سبباً إلا تكن سبباً فهو الوداد صفاء غير ما كدر

وكأنه رأى أنه نال من قيمته الأدبية فأنزلها دون منزلتها فتحدث الى التاريخ يستوحيه أن يحتفظ بتراثه والى أهل الأدب ان يعنوا به فقال :

سيُغنى بما ضيعت مني حافظ ويعلى لما أرخصت من خطرى مُغْلِ

هجاؤه

أمّا هجاؤه فكان مرّاً لاذعاً ، يدلك على مبلغه فوق ماتقدم ذكره فى رسالته الهزلية ما تراه له يخاطب به ابن جهور قائلا :

لا تخش لأمتى بما قد جئته من ذاك فىّ ولا توقّ عقابى
لم تخط فى أمرى الصواب موفقاً هذا جزاء الشاعر الكذّاب!

وتراه فى ذمه لابن عبدوس (الفار) يمعن فى هجائه ويدفع التهمة عن نفسه بقوله :

عيّرتمونا بأن قد صار يخلفنا فيمن نحبّ وما فى ذاك من عارِ
أكلٌ شهىٌّ أصبنا من أطايبه بعضاً ، وبعضاً صفحنا عنه للفارِ!

حسن الاعتذار

وما إن تقف لهذا الشاعر العالم المطلع على اعتذاره حتى تؤخذ لتصرفه وتمكنه وحسن تخلصه من الحوازب :

وهلا جنيت الأنس من وحشة النوى وهوْل السرى بين المطية والرحل؟
وأين جوابٌ منك ترضى به العلا إذا سألتنى عنك ألسنة الحفل؟

ولقد تعترف للرجل بمكانته السامية وتكبر من خطره حين يخرج بك من اللوم عليه الى كيل المدح والثناء له حيث يقول مادحاً المعتمد بن عباد بعد ان مدح ابن جهور قبله :

مهما امتدحتُ سواك قبلُ فإنما مدْحى الى مَدْحى لك استطرادُ
يغشى الميادينَ الفوارسُ حِقْبةً كيما يعلمها النزالَ طِرَادُ

تنظر كيف كان منه هذا التنصل الحسن إذ وقف نفسه على المدح فمرن فيه حتى إذا أجاد أهدى ثمرة مدحِه الى الممدوح ؟

محمد رزق الرهشان



فى المعبد

وقفتْ تُناجى (الشمسَ) حين تجاهلتْ أنّ الشموسَ بحبّها تتلالا
نطقتْ بروح الشمس واستوحتْ بها معنىً يبوحُ به الالـهُ تعالى
ومن الرموزِ حقائقٌ ودقائقٌ حتى نكاد نرى الأصيلَ مثالاَ
وقفتْ تحنّ لها الضّحايا مثلما حَنَّ بخورُ تجاهها إقبالاَ !
فى الهيكلِ المُصغِى اليها رهبةً حتى الظلالُ بهِ وَقَفْنَ ظلالاَ !
وترى النّقوشَ تقمّصتْ أشكالَها أممٌ تُطلُّ ولا تُريدُ زوالاَ !
وكأنما العمُدُ التى رَفَعتْ مَدى هذى الفنونِ بزهوِها تتعالَى!
وإذْ القُدُورُ تَضمّختْ أنفاسُها بالحبِّ من أنفاسها[1] يتوالَى
والشّمسُ تبسمُ روعةً وتألُّهاً لِمَ لا وقد عشقَ الجمالُ جمالاَ؟

* * *

هذى حياةُ النيلِ ربَّةُ عرشهِ ومُنَى (أتون) رشاقة وجَلالاَ
وقفتْ تصلّى والصّفوفُ وراءها كالدهر يجمع نحوَها الآمالاَ
رفعتْ يداً بالزّهْرِ وهو شفيعُها وتمدّ أخرى فى ابتهالٍ طالاَ
والحُورُ والولدانُ من أتباعها حتى الخيال لهنّ ليس خيالاَ !
واذا بأخناتون يُنصت غارقاً فى الحُلْمِ يرقب حوله الأجيالاَ
وهبَ السلامَ الى القلوبِ مؤاسياً ورأى الحروبَ سفاهةً وضلالاَ

(١) يشير الى نفرتيتى زوجة عاهل مصر اخناتون وهى المرثيه فى موقف الصلاة والابتهال .

وتحالفا (١) والشمسُ فيما اشرقتْ ... بهما ضياءً خالداً وكمالاً
وكأنَّما هذى الأشعَّة لم تزَلْ ... مِنْ ذلك الأمسِ العظيمِ مقالاً
نطقتْ بها الذرَّاتُ لو يُصْغَى الى ... ما حُمِّلَتْهُ تفاؤلاً وسؤالاً
والفنُّ ينتظم القرونَ فانه ... روحُ الزمانِ فما يَهابُ مُحالاً!

أحمد زكى أبو شادى —



الصائدة المتجرِّدة

حَوَّاءُ أمْ جِنِّيَّةُ البَحْرِ ... فى الصَّيْدِ أمْ نَضَتْ مِن الحرِّ؟!
خَلَعتْ ولكنْ فى حِمَى هَيَفٍ ... قدْ لفَّها بالرَّوْعِ فى سِتْرِ
ولقَدْ أعدَّتْ فوْقَ هامَتِها ... ثوباً لِبَغْتَتِها من الشَّعْرِ
إنْ فوجِئَتْ تُرْسِلْهُ سَاتِرَةً، ... خَيرَ المِثالِ لِناحِتِ الصَّخْرِ
كنموذجِ الفنَّانِ هيَّأها ... مُسْتَلْهِماً من سَبْطِها النَّضْرِ
ملأ الشَّبابُ إهابَها ثِقَةً ... فَعَزَتْ قلوبَ الناسِ بالبَهْرِ
خَمْرُ الحياةِ فَمَنْ تَرَشَّفَها ... لمْ يُعْنَ بالآمالِ والعُمْرِ!
قامت على رَمْلٍ غدا تِبْراً ... ومَشَتْ على حَصْباءَ كالدُّرِ
فعَدَتْ وكلُّ الحسنِ فى شَطْرٍ ... وجميعُ خلقِ اللهِ فى شَطْرِ!
فكأنَّها بَلْقِيسُ فى سَبَإٍ ... فى مَعْزِلٍ إلاَّ عن الطَّيْرِ
نهزَتْ رياضَتَها على طَوْدٍ ... لِتَسُوسَ مُلْكَ الحُسنِ فى طَوْدٍ

* * *

يا بنتَ موسَى أنتِ واقفةٌ ... فوقَ المياهِ ولستِ فى ذُعْرِ!
السحرُ ضمَّنَهُ أبوكِ عصًى ... لكنْ عيونُكِ مبعثُ السِّحْرِ!
حَمَلَتْكِ أمواهٌ مُرَقْرَقَةٌ ... لا ذاتُ ألواحٍ ولا دُسُرٍ

---

(١) اخناتون ونفرتيتى .



الصائدة المتجردة

﴿ دراسة الفنّان ج. ل. أرلود ﴾

والموجُ من دَهَشٍ على دَعَةٍ يرتدُّ بعدَ المدِّ لِلْجَزْرِ !
وَخَطَوْتِ فوق الماء لا عجباً فالماء يحْمِلُ صورةَ البدرِ !
فنَجَوْتِ منه ، وإنما عجبٌ رائيكِ يَغْرَقُ وهو فى البَرِّ !
للماء حيث وقفتِ جرجرةٌ هىَ نَفْثَةٌ نمَّتْ جَوَى الصَّدْرِ
إن تسْخري فالناسُ سُخريةٌ مَرَدُوا على التَّضليل والمَكرِ
إن يَسْتُروا سَتَروا على شرٍّ أوْ يظهروا ظهروا على خَيرِ
ياليتهمْ حاكوكِ تعريةً كم لابسٍ فى حُكم مُستعرى !
صيدى أو السمَىْ لَهْوَ محتفظٍ إن الجمالَ الرَّخصَ لا يُغرى
والخلقُ طُلاَّبٌ لِما جهلوا والفكر فى مُستغلَق السِّرِّ

* * *

ما الصيدُ للأسماكِ تسليةً ولديكِ كلّ الصيد فى البرِّ ؟!
فاغشِ الرياضَ فأنتِ للزَّهرِ مخلوقةٌ ، والحسنُ للزَّهر
قد كان هذا البحرُ مُضطرِباً وَلَكمْ أبادتْ ثورةُ البحرِ
رَوَّضْتِهِ كالوحشِ قرَّ فما تَخْشَيْنَهُ للنَّابِ والظُّفْرِ !
إنّ الذينَ رأوكِ قد وَقفوا أسْرَى وحتَّى اليمّ فى الأسْرِ !
وَبدَا جبينُ الماء من فَرَقٍ خَوْفَ انقضاءِ لِقاءَةِ العَصْرِ
وَوَداعِ من زانتْ حواشِيَهُ مُتَغَضّناً كالعاشِق العُذْرِى
والموجةُ المُزْبدَّةُ اطَّرَحتْ تَجْثو لدى قدَمَيكِ فى العِبْرِ !

اسماعيل سرى الرهشان





الشعر

﴿ ومنزلته فى الآداب العربيـة فى مصر والشرق ﴾

قرأتُ فى مجلة « أبولو » (عدد أكتوبر الماضى) مقالا ممتعاً لصديقى الدكتور محمد بك حسين هيكل محرر « السياسة » ، عرض فيه للشعر العصرى فى اللغة العربية ومنزلته فى الآداب العصرية فذهب فى مقاله مذهباً أخـذ يذيعه منذ زمان مضى على صفحات « السياسة الاسبوعية » حيناً وفى كتبه حيناً آخر . على أننا لا نريد أن نورط الدكتور هيكل بك فندعو ما كتب مذهباً جديداً فى الادب ، لان ما كتب فى هـذا الموضوع لا يتعدّى حدّ أنه فكرة حاول من طريقها أن يصوّر حالة الادب العربى ليقول إن الشعر العصري قـد فاته النثر بمراحل واسعة ، فى حين أن الشـعر كان من الواجب أن يتصدّر زعامة الأدب العربى . وجاء فى مقاله ذلك ما يلى :

« ... أحسُّ منذ زمان بعيد ومنذ اطلعت على آثار شعراء الغرب ان الشعر العربى لم يقتحم كثيراً من ميادين الشـعر الخاصة به . والناقدون يفسرون هذا بأن نشأة الشعر فى البادية من شبه جزيرة العرب قد ضيقت نطاقه وحدّت من دائرته . وهذه حجة غير مقنعة فى رأيى . فهى ان صحت لا يمكن ان تعتبر غلا فى عنق الشعر بعد ان امتد سلطان الحضارة الاسلامية الى بلاد غنية بأساليب الشعر وفنونه وبالميادين التى اقتحمتها . ولست أرى كذلك ان الدين قـد كان سبب هذا القصور الذى قعد بالشـعر عن اقتحامه الميادين جميعاً . فالدين يفتح أمام الشعر ميادين كثيرة جـداً ويشجع عليها ، ومع ذلك قعد الشعر عن اقتحامها . فلا بد إذن من التماس الاسباب لهـذا النقص فى أطوار الامم التى تتكلم العربية من نواحيها التاريخية والاجتماعية والسياسية . وربما ظن بعضهم وجوب التماس هذه الاسباب كذلك فى ناحية الجنسية

وهل كانت السامية التى ينتمى اليها أكثر المتكلمين بالعربية سبباً فى هذا النقص أو لم تكنه » .

وهذه الفكرة فى بحث الدكتور هيكل بك قضية تتبعها قضية أخرى هى أن الشعر العصرى جارى الشعر القديم فلم يستطع أن يقتحم ميادين الحياة جميعها فقصر عن اللحاق ببقية صور الادب فى العصر الحديث . أما السبب الذى يعزو له الدكتور هذه الظاهرة فينحصر فى قوله : « أن لا سبيل الى اقتحام الشعر ميادين جديدة والى اندفاعه فى تيار النهضة بالقوة الواجب أن يندفع بها ، الا اذا اقتحم رافعو لواء الشعر هذه الميادين بروح جديدة : روح غير روح الانانية التى تحصرهم اكثر الامر فى دائرة ضيقة من عواطفهم الوقتية او تفكيراتهم السطحية أو أخيلتهم القليلة الارتفاع » فكأنه يريد أن يقول إن الشعر العصرى قد ورث عن الشعر القديم ضيق الخيال وسطحية التفكير وفراغ الأخيلة ، وأنه لهذا انحصرت دائرته وحددت ميادينه بحدود الانانية التى غزت الروح العربىّ وأثرت فى كل الشعوب التى ورثت العرب فى أدبهم وصور ثقافتهم جميعاً .

ومحصل الفكرة التى تجول فى رأس الدكتور ينحصر فى أن الأدب العربى لم يقتحم ميادين الحياة جميعها وأن الأدب العصرى ورث هذه الظاهرة ، وأنه لاسبيل الى التخلص من آثار هذا النقص إلاَّ بأن يقتحم الشعراء المحدثون ميادين الشعر بروح جديدة أما الأسباب التى قعدت بالعرب عن اقتحام ميادين الحياة مثبوتة فى الشعر والأسباب التى قعدت بالمعاصرين عن التخلص من آثار الوراثة التى ورثناها عن العرب وكيف نستطيع ان نخلق ذلك الروح الجديد الذى يمكّن الشعراء من اقتحام ميادين الحياة كلها ، فأمور لم يعرض لها الدكتور هيكل بك فيما كتب فى « أبولو » ولا فى غيرها من الصحف

على انى لست أدرى بادىء بدءٍ لماذا لا يكون للروح الدينية أثرٌ فى صدّ روح الشعر عن الانبعاث فى ميادين جديدة واقتحام ميادين الحياة برمتها ؟ قد يقولون بأن روح الدين لم تصدّ أدباء أوروبا وشعراءها عن ذلك ، غير انهم فى ذلك انما يغفلون عن حقيقة تضع فارقاً عظيماً بين الأثر الذى خلفه الدين النصرانى فى أوروبا والدين الإسلامى فى الشرق . على ان هذا الفارق لم يكن راجعاً الى طبيعة الدينين ، بل الى طبيعة البيئة والنشأة التى نشأت فيها شعوب الشرق وشعوب الغرب . فكان من

أثر هذا أن تكونت فى الشرق حضارة قامت على الدّين ، أما فى الغرب فقد تكونت عقيدة دينية قامت على الحضارة .

نعم لا ننكر أن عيسى عليه السلام قد بلغ شغافَ روما وفى يد النصاره كتابٌ منزّلٌ تكوّنتْ أجزاؤه من روح النسك الاسيوية . ولكن الحقيقة ان الحضارة الرومانية ابتلعت هذه الروح وظلت طليقة من آثار الاسيويات بكل صورها ، فظلت كل صور الثقافة طليقة من الآثار التى قد تقمع العقل والمشاعر عن ان تسبح حيث أرادت وأينما شاءت ، حتى لقد امتدّ خيال ملتن الى الفردوس المفقود وخيال دانتى الى الكوميديا . فدخل كلاهما الميدان بشعور غير مفسد بالتقاليد وخيال غير مقيَّد بالقدسيَّات ، الى الحد الذى يصد الروح الأدبية عن الانبعاث فى سبيلها المرسوم. وعلى الضد من هذا كان الشرق : فان القرآن قد أدّى رسالته وحصر اعجازه فى البلاغة والإيجاز . وقال بصريح العبارة « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » ثم « وما فرطنا فى الكتاب من شىء » . فالشعر غير مبتغى فى ذاته ، والكتاب حوى كلّ شىء . فاذا تذكرنا ان هذه النصوص المقدسة تقيد ضمائر المسلمين كما تقيدها قواعد الدين الأصلية من صيام وصلاة وزكاة وحج ، أفلا يكون من المنطق الصحيح ان تصدّ هذه الروح القدسية آخيلة الشعر عن الانبعاث فى اقتحام ميادين جديدة فى الحياة تتناول صور الحياة على حقيقتها ؟ ثم مَنْ مِنَ الشعراء يحاول بعد نزول القرآن ان يقتحم ميادين الحياة بعد ان انتقلت الحياة العربية بكل صورها من الدنيا الى الآخرة. وبعد أن اعجز القرآن العرب من طريق البلاغة وصور لهم ان هذه الحياة طريق الآخرة وخادمتها ، وساعد روح النسك الاسيوية على أن تتمكن هذه الفكرة من أهل الشرق الاسلامى فَتَعْصِرَ أخيلتهم عصراً وتحدّدها تحديداً ؟ لهذا تجد ان كل صور الأدب العربى قد نزعت الى خدمة الأغراض الأخروية دون الأغراض الدنيوية ، فحدّدت كل صور الثقافة ومنها الشعر فأعجزته عن اقتحام ميادين جديدة فى الحياة أو فى طرفٍ واحدٍ من أطرافها الشتيتة ، ولقد أصبح الشعر بعد ذلك أداةً تخدم الأغراض الأخروية ككل أدوات الثقافة الأخرى : كالنثر والفلسفة والكلام . وإذن يكون الشعر قد قيَّده الدينُ وأثَّر فيه فصدَّه عن اقتحام الميادين التى ينعى الدكتور هيكل بك على الشعراء المحدثين عجزهم عن اقتحامها . واذن يكون الدواء الوحيد هو تحرير الأفكار وفكُّ الضمائر من اسارها القديم ، وحلّ الأخيلة عن خدمة الأغراض الدنيوية .

بعد هذا نتساءل: هل تحررت الأفكار فى الشرق بحيث تستطيع أن تفك اغلال الماضى وتقتحم ميادين جديدة فى الشعر والحياة ؟ اللهم كلاً !

من رأى الدكتور هيكل بك ان النثر قداقتحم ميادين جديدة لم يقتحمها الشعر وأنا أوافق على هذه الفكرة ، ولكن هل استطاع النثر أن يقتحم طريقه الى النقد التاريخى فى أشياء تتناول الاخرويات أو القدسيات ؟ هل استطاع ان يتناول البحث النقدَ الأدبى فى علاقته بالادب الدينى ؟ وهل ينكر أحد أن علاقة الادب العربى بميادين الدين وثيقة الى درجة أن الفصل بين الطرفين مستحيل ، وأن تجريد الادب من النقد يجرد الادب من كل المبررات التى تجيز لنا ان ندعو الادب العربى أدباً على اطلاق القول ؟ هل اتصل الادب النثرى بالعلم ؟ وهل اقتحم طريق الفلسفة ؟ هل استطاع ان يبث فينا روح العلم والفلسفة كما بثها فولتير وبايل وهمبولد وداروين وغيرهم من عظماء الغرب ؟ لم يستطع النثر ان يصل الى شيء من هذا ، وعلى هذا يكون النثر أيضاً فى حاجة الى اقتحام ميادين جديدة فى الحياة يأخذ عدته لها من روح جديدة . واذن يكون كلا عنصرىْ النهضة الادبية فى احتياج الى روح جديدة تفتح لهما ميادين يقتحمانها .

هذا شأن النثر الذى يعتقد الدكتور هيكل بك انه بزّ الشعر وتقدمه فى ميادين الحياة . فهل يصح لنا ان ننعى على الشعر عجزه عن اقتحام ميادين الحياة جميعاً ، فى حين أن النثر قد عجز بالفعل عن اقتحام باب واحد من تلك الابواب التى أكل مصاريعها الصدأ ولا تزال مغلقة اغلاقاً محكماً ؟ ثم ألا ترى معى أن الميادين التى اقتحمها الناثرون لا تزال محصوره فى الانانية التى « تحصرهم اكثر الأمر فى دائرة ضيقة من عواطفهم الوقتية أو تفكيراتهم السطحية او أخيلتهم القليلة الارتفاع » كما يقول الدكتور هيكل بك فى الشعر والشعراء . على أن النثر أيسر من الشعر طريقاً وأسلس قياداً وأبين سبيلا . وعلى هذا يكون عذر النثر فى العجز عن اقتحام أكثر ميادين الحياة غير بيّن تماماً ، ما لم نعد بالبحث الى نشأة النثر والشعر الى أصولهما والمؤثرات التى أثرت فيهما منذ قيام الاسلام الى اليوم .

نعود بعد هذا الى السبب الثانى الذي ذكره الدكتور هيكل بك وشك فى أن يكون سبباً فى صدّ الشعر عن اقتحام ميادين الحياة جميعاً ، وهو «الناحية الجنسية» التى يبدى شكه فيها بقوله « وهل كانت السامية التى ينتمى اليها أكثر المتكلمين بالعربية سبباً فى هذا النقص أو لم تكنه » .

ولا شك مطلقاً فى أن الروح الدينية قد صدّت كل المحتكين بها فى الشرق عن الانبعاث فى سبيل اقتحام ميادين الحياة . فالفرس وهم من أصل آدىٌّ ، لا من أصل سامى ، لا ينزلون عن العرب تقيُّداً بهذه الروح لا فى العصر الحاضر ولا فيما سبقه من العصور . ولكن لماذا لا يكون لنشأة الساميين وبيئتهم أثر فى كل هذا ؟ فالساميون الذين يمثلهم فى العصر القديم ملوك الرعاة الذين غزوا مصر واليهود الذين يمتد تاريخهم الى أبعد العصور ولا يزالون الى اليوم خير من يمثل السامية ، كلهم قبائل رحل نشؤوا فى الصحراء وتأثرت عقولهم وأخيلتهم بفكرة الوحدة والاطراد التى غرستها فى نفوسهم طبيعة البلاد التى نشؤوا فيها . فهم والعرب شرع فى حكم التأثر ببيئة واحدة وبأخيلة بعينها . ولقد كان أثر الدين الموسوى فيهم كبيراً لا يقل عن اثر الدين الاسلامى فى العرب والذين وقعوا تحت سلطانهم . والمصريون كما ثبت اخيراً لا يمتّون للسامية بنسب ، بل هم سلالة من سلالات البحر الأبيض المتوسط لا علاقة لهم بآسيا على اطلاق القول ، كما أثبتت البحوث العلمية الجديدة فى نشأة الشعوب . فلماذا يكون الأدب فى شمال البحر الابيض المتوسط غيره فى شاطئه الجنوبى ، والدم واحد والاخيلة واحدة ؟ ان أثر النشأة والبيئة وأثر العقائد والتربية ، كل هذا له نتائجه فى قمع الفكر والخيال ، واذن تكون النتيجة ان السامية ، لدى الظاهر ، لا تحمل مسؤولية الذى يبدو على الادب الحديث وعدم قدرته على اقتحام ميادين الحياة . ولكن اذا أردنا ان نصل الى الحقيقة لا إلى الظاهر ، وجب علينا ان نتساءل : ماهى البيئة ؟ أليست هى مجمل الظاهرات التى تبدو على جماعة من الجماعات منتزَعة من طبائعهم وغرائزهم ؟ واذا صحَّ هذا وقبلناه راجعين به الى حقيقة العلم لا إلى المنطق فحسب ، استطعنا ان نُحمّل السامية بروحها الأخروية ـ التى هى صورة من صور الطبع الرسيس من الساميين ـ كثيراً مما يبدو على الأدب الحديث من العجز عن اقتحام ميادين الحياة ، واستطعنا ان نجعل أثر هذا الطبع فى تصوير العقائد وتحديد ميولها ونزعاتها بيننا فى التأثير الذى يدل على الشعوب التى غزتها السامية بأفكارها وعقائدها . ولهذا وجب علينا ان نربط بين النقد الأدبى وبين نشأة الشعوب التى ننقد آدابها ، وأن نتغلغل فى صميم تاريخها وندرس عقائدها واخيلتها والاتجاهات التى تتجه فيها اقيستها المنطقية على الأخص ، وإلاّ فاننا ولا شك نعجز عن أن نجعل للنقد اثره الأقوم فى توجيه الأدب ، لأن النقد لدى الواقع هو هذه الأداة التى توجّه الآداب فى اية طريق يختار .

على اننا بعد كل هذا نتفق والدكتور هيكل بك على اننا نحتاج الى روح جديدة

نستطيع من طريقها ان نفتح للآداب الجديدة ميادين جديدة فى الحيـاة . غير اننا نحتاج الى هذه الروح فى النثر والنقد كما نحتاج اليها فى الشعر . وما هى هذه الروح ؟ عندى انهـا روح التحرُّر من التقاليد وفكّ العقول والاخيلة من اسارها القديم ، والفصل بين الدنيا والآخرة ، وبالأحرى بين الحياة والموت .

إن النثر والشعر صورتان من صور الادب العـالى لهما فى كل لغة من لغات العالم الحية قديماً وحديثاً اثرهما وشأنهما الاعلا . غير ان النقد ، وهو عنوان هذا العصر ، لا يمكن ان يتركهما من غير ان يتحداهما بسلطانه الذى قال فيـه إدورد كيرد انه سلطان لم يفلت منه الدين مستوياً على عرش القداسة ، ولا القانون مستوياً على القوة والسلطة .

ولـكن لأية صورة من صور النقد نحتاج لـكى نفلح فى ان نفتح للنثر والشعر ميـادين جديدة يقتحمانهـا الى صميم الحياة ؟ لا شك فى اننا نحتاج الى النقد الحر الذى لا يفلت منه الدين فى علاقته بالأدب ، ولا القانون فى علاقته بالأنظمة الاجتماعية . أما الى غير هذا من صور النقد فلا حاجة لنا .

جُعلتْ الحياة حرة طليقة ، وعلى هذا شاءت الطبيعة الحياة ان تـكون . واذن فلا يستطيع أن يقتحم ميادينَ الحياة إلاّ الاحرار . أما غيرهم فلا نصيب لهم فى الحياة بل نصيبهم الموت والفناء ؟

اسماعيل مظهر

حائر !

قبل أن أعرج على هذه القطعة الشعرية من الناحية الفنية ، أو أتكلم عن قيمتها الأدبيـة ، أقف هنيهة عند عنوانها « حائر ! » : ذلك اللفظ الذى يشعر حقيقة بالاضطراب وعدم الاستقرار .

يشعر الانسان أحياناً شعوراً غير اعتيادى ، يملك عليه كلَّ حواسه ومشاعره ، شعوراً عميقاً لايدري كنهه ولا مأتاه ، ولا يعرف عنه إلا أنه سبب له انقباضاً ،

إن كان شعوراً بألم ، أو انبساطاً ، إن كان شعوراً مصحوباً بلذة أو سرور . وقد يصل به الانقباض إلى درجة السآمة والضجر ، فتبدو عليه الكآبة ، ويستولى عليه الحزن واليأس ؛ ثم هو يحاول أن يخلص بنفسه من هذه الحال المضنية ، التى يقاسى ألمها ، فلا يجد ثمة طريقاً الى الخلاص ويزيد فى انقباضه تفكيره فى الخلاص منها ، ثم لا يلبث أن يستسلم لليأس ، ويغمره الحزن ، وتثور ثائرته ، فلا تهدأ الا بعد أن يطفئها بقليل من العبرات التى تجود بها عيناه .



عبد العزيز محمد عطية

هكذا كان الشاعر سيد قطب عند ما بدأ بتسطير هذه المقطوعة ، وهذه هى الحال التى يعانيها كثير منا ، الا انه كان أقدر على التعبير عنها وطاوعه بيانه ، وطاوعته شاعريته على ابرازها صورة واضحة جلية لا تدل الا على الحيرة ، ولا تعبر الاعن عدم الاطمئنان ، وتقفنا على ما كان يختلج فى صدره من شعور واحساس. وكلما كان الشاعر قادراً على التعبير عما يجيش فى صدره من العواطف النفسية المختلفة كان واضح الشاعرية ، وسما مركزه بين الشعراء كشاعر .

مقدمة لابد منها للحديث عن هذه القطعة « حائر ! »

ونعود بعد ذلك الى الكلمة فنجد أن الشاعر قد انتحى فيها ناحية فلسفية حينما اتخذ من فؤاده طريداً شريداً هائماً على وجهه فى الاودية يبحث عن مأوى يسكن اليه ، ويجد فيه شيئاً من اليقين الذى ينشده ويتمناه . وهو عند ما يقول :

اطمأنَّ الليلُ الا من فؤادٍ خافقٍ يرجف كالطير الذبيحْ
مستطارٌ هائمٌ فى كل وادِ أفما آنَ له أن يستريحْ ؟!

* * *

انه يحيا كما يحيا الطريدْ باحثاً فى الأرضِ عن مأوًى أمينْ
حيرة لجتْ على هذا الشريدْ ليته يلقى شعاعاً من يقينْ !

* * *

كان يشعر بالحيرة التى كان يعانيها فؤاده ، وهل الفلسفة إلاذاك ؟ خصوصاً وأن هذه الحيرة لم تكن لأمر من الأمور التى تدعو للحيرة عادة فى الحياة اليومية المعروفة فلم تكن حيرة « لماضٍ قد ذهب ، ولا مستقبل ضاع هباء » ولكنها كانت حيرة نفس ثائرة غير مطمئنة ، وفؤاد مضطرب غير مستقر . أما عن النقطة الثانية (مزايا أسلوبها ودلالته بالنسبة لدقائق التعبير) فقد يكون فى مقدمة كلمتى هذه ما يصلح عنها جواباً .

ويدل على عصرية هذه المقطوعة بعدها عن الأغراض التى اعتاد الشعراء سابقاً السير على نهجها وعدم الحيدة عنها والتى هوت بالشعر العربى إلى درجة غير محمودة ، فقد حملوا الشعر مالم يخلق له وجعلوه خاضعاً لاحكام الظروف والمناسبات الرخيصة ، فلم يكن املاءً من شعورهم وترجماناً لعواطفهم ، ومرآة لاحساسهم ومشاعرهم .

ننظر بعد ذلك الى الكلمة فى ألفاظها وما حملته من معانٍ : لبعض الألفاظ دون بعض نغمة موسيقية خاصة تجعلها عذبة محبوبة تطمئن الآذان لسماعها ، وترتاح النفس عند قراءتها ، وهذه الالفاظ كثيراً ما يحتاج اليها الشاعر ليعبر بها عن المعانى النفسية الدقيقة الحساسة التى يريد أن يقولها ، وهذه الميزة تبدو ظاهرة فى تلك القطعة ، ولعل هذه أوضح مميزاتها فى الشعر العصرى . واذا أضيف إلى هذا ما ذكرته من وضوح التعبير فيها ، والغرض الذى قيلت فيه ، وموسيقية ألفاظها كانت هذه أهم مظاهر التجديد فيها .

أمّا الاجابة عما إذا كان لهذه القطعة نظائر فى شعرنا « الكلاسيكى » فتبدو عسيرة متشعبة النواحى يضيق المجال هنا عن شرحها بالدقة المطلوبة ، لأن هذا الموضوع يحتاج إلى مقال خاص . فكثيراً ما يوجد فى الشعر « الكلاسيكى »

شيء من هذه الروح ولكن ينقصها الترتيب والدقة والاتجاه ، وهـذه الناحية فى الشعر — وإن وجدت — فى شعرنا الكلاسيكى قديماً وحديثاً إلا أنها لم تتخذ لها اتجاهاً مقصوداً وانما كانت تأتى فى الشاعر عفواً وفى ثنايا شعره .

أما أمارات شاعريتها القوية فهذا أمر يشعر به السامع ولكنه لا يستطيع التعبير عما أحسّه من قوة وجمـال ، وكل ما يعلمه أنه شعر عند سماعها باطمئنان ، وأنهـا صادفت عنده قبولا . ولكن لماذا ؟ لا يدرى !

ونحن اذا راعينا سنّ الشاعر ولون ثقافته وجدنا أنه قد وصل إلى مرتبـة فى الشعر ، وإلى اتجاه خاص ، يصح أن يقال فيه : انه ليس الاتجاه الذى كان يتجهه عادة من هو فى سنه وفى مثل ثقافته من الشعراء .

وبعد ، فقد يعزّ على انسان يعجب بقطعة من الشعر أن يحسّ فيها عيوباً ، وقد يكون غير مصيب فى هذا ، إلا أن اعجابه بها قد يعميه عن نواحى الضعف فيها ؟

عبد العزيز محمد عطية



الزعـــيم

وتخرّقٍ عنـه القميصُ تخالُه ... بين البيوتِ من الحياء سقيما

حتى إذا رُفِعَ اللواء رأيتَه ... تحت اللواء على الخميسِ زعيما

أما أن هذين البيتين رائعان ، وأما أن الشاعر قد أجاد فى ارسالها أو جاوز حدّ الاجادة فذلك ما نسلّم به ويسلّم به معنا القراء . ولكن الذى نريد أن نتحدث عنه هو موضع الروعة ومحل الاعجاز وسر الجمـال فيهما . ولعل موضـع الاعجاز فى هذين البيتين هو أنهما يصوران لك النفس العالية فى صورتين مختلفتين ، صـورة هادئة وادعة لا تود أن تعلن عن نفسها أو تشعر من حولها بوجودها ، وصورة متوثبة عاملة تتضاءل النفوس بجانبها وتتجلَّى فيها البطولة والتضحية وهما يمثّـلان على وَجازتهما أمام ناظريك فصلين من فصول الخيَـالة : يتراءى لك فى الأول مخلوقاً ضئيلاً يتعثر بين المنازل فى أسماله البالية ، ويتوارى عن العيون حياء وخجلاً حتى

لتحسبه هزيلاً مريضاً ويسدل عليه الستار ، وأنت أشد ما تكون إشفاقاً عليه ورحمةً به . ثم يرفع الستار فى البيت الثانى عن ذلك المخلوق الضئيل وقد نُفخ فى بوق الجهاد ونادى منادى الحرب فتزعّم قومه وكان من جيشه فى الطليعة ، ثم يسدل عليه الستار وأنت أشد ما تكون اعجاباً به وسروراً . بل إن فى هذين البيتين من سرعة الانتقال التى تكاد تجمع بها فى ذاكرتك بين الصورتين وتقرن بين الحالتين ما لا تستطيع أن تظفر به من الخيَـالة .

وإخالك بعد ذلك قد فهمت أن سرّ الابداع فى هذين البيتين ليس هو دقة التصوير فحسب ، فإن ذلك موجود فى الشعر العربى بكثرة ، بل إن هذا المعنى نفسه قد سبق الشاعرَ اليه كثيرٌ من الشعراء ، يحضرنى منهم الآن العباس بن مرداس إذْ يقول :

ترى الرجلَ النحيف فتزدريه وفى أثوابهِ أسدٌ مزيرُ

ولكن موضع الابداع إنما هو فى سرعة الانتقال والجمع بين حالتين متناقضتين كل منهما فى ناحية تقريباً .

ونحن لا نزال نعتقد — حتى يأتينا القراء بغير ما نعتقد — أن حظ هذا النوع البديع من الشعر العربى ولا سيما الجاهلى منه كان ضئيلاً . ولقد كان الشاعر يجهد لغرضه بعشرة أبيات أو تزيد ثم لا تراه بعد ذلك يجيد الانتقال ... وها هو زهير ابن أبى سلمى زعيم الشعراء فى هذا العصر لا يستطيع أن يتخلص إلى مدح هرم ابن سنان بعد أن ذكر فى وصف الديار والاطلال أكثر من خمسة عشر بيتاً إلا بهذا البيت الذى لاعلاقة له بكلا الغرضين (الوصف والمدح) :

دَعْ عنكَ ذا وعَدِّ القول فى هرمٍ خيرِ البُداةِ وسَيِّدِ الحُضْرِ

ولعل أبدع ما نعلمه فى هذا قول الشاعر العربى يصف ديار أهله بعد اغتراب طال مداه :

بالأمس كان بكِ الظباء أوانساً واليومَ فى عرصاتِكِ الغُرْبانُ

فقد استطاع الشاعر فى هذا البيت وحده أن ينتقل بفكرك مسرعاً من حالٍ الى حال تخالفها .

وأحسب أن شاعرنا عند إرساله هذين البيتين كان متأثراً إلى حدٍ كبير بقول عنترة العبسى يخاطب عبلة :

ضحكت ُعبَيلةُ إذ رأتنى عاريا خلِقَ القميص وساعدى مخدوش
لاتضحكى منى ُعبَيلَةُ واعجَبى منىّ اذا التفتت علىَّ جيوشُ !
ورأيتِ رُمْحى فى القلوب محكماً وعلىَّ من فيض الدماء نقوشُ !

فهو كما ترى يصور لحبيبته منظرين : رفع الستار عن الأول فاذا به خلق الثياب جريح الدراعين ، وفى المنظر الثانى كشف لها عن بطولته واقدامه وصبره على لقاء أعدائه . وحول ذلك صورة من الضرب والطعن والكرّ والفرّ : والموقف واحد تقريباً وإن كان شاعرنا قد أجمله فى بيتين فحسب .

واذا كان هذا الانتقال الخبرى رائعاً وجميلاً كما رأيتَ فانه فى باب الانشاء أروع وأبدع ، بل يكاد يكون من ألزم الأشياء الى شعراء المسرح ، كما ترى فى النماذج العالمية الممتازة ؟

طلبة محمد عبده



اثنا عشر عاما

فى صحبة أمير الشعراء

تأليف احمد عبدالوهاب أبو العزّ سكرتير المرحوم احمد شوقي بك، ١٩٢ صفحة، ١٢ سم. × ١٥¾ سم. الثمن ٥٠ مليماً . مطبعة مصر بالقاهرة .

لا نبالغ اذا قلنا إن هذا الكتاب الصغير الحجم الكبير الدلالة مما لا يستغنى عنه أىّ أديب ُيعنى بحياة شوقى واقتباس الشواهد من عاداته الخاصة وطباعه لتفسير نزعاته الفنيـة ومرامى شعره ، وإن كنا نتمنى على حضرة المؤلف اصدار جزء ثان يضمنه الكثير من البيانات التى لم تسمح العجلة بنشرها فى هذا الجزء . وقد استهله

مؤلفه الوفىّ الفاضل بمقدمة بليغة أتبعها بسيرة الفقيـد العظيم ثم بفصل ممتع عنونه « كيف كان ينظم الشعر » وبصور من أدقّ أخلاقه كبِرّه بوالده ووالدته وأختـه ومعاملته لآل بيته ولخدمه ورأيه فى النقد وفى بعض المجالس واجتماعه بسعد باشـا ونوادر زيارته لسورية وآرائه فى بعض معاصريه وعطفه على المرضى واشفاقه على المريض ، وأشقّ الساعات فى حياته ، ثم بفذلكة تاريخية عن أدوار حياته ومؤلفاته وعاداته ووطنيته وقوة ذاكرته وعن حياته البيتية وتفاصيلها. وقد أعقب ذلك بنبذ مما ظهر فى الصحف على أثر وفاة الفقيد من ذكريات وتأبين. وهذه مجموعة خليقة بأن يستهدي بها كل مؤرخ وأديب ناقد ، وحرية بشكرنا لمؤلفها الغيور ، متمنين أن يوفق قريباً الى إعداد الجزء الثانى من هذه المذكرات للطبع ، فليس بيننا من هو أقدر منه لاداء هذا الواجب . وسيكون من حظنا فى المستقبل التعليق فى هذه المجلة على جانب من هذه المذكرات القيمة التى لا تنسب هفواتها الانشائية والمطبعية إلاّ لسرعة النشر ، لا سيما ومؤلفها الغيور أديب فاضل وشاعر متصوّف دقيق التعبير .



المثالث والمثانى

نظم حليم دمّوس ، جزآن فى ٥٤٨ صفحة ، ١٧$\frac{1}{4}$سم. × ٢٤$\frac{1}{4}$ سم.
تتخلله صورٌ عديدة

تلقـينا هذا السفر الضخم من زميلنا الفاضل صاحب جريدة (الأقلام) فشاقنا الاطلاع عليه لأنه فريد فى طرازه ، وانتهينا من ذلك الى أنه كشكول ذكريات اجتماعية وتاريخية وشخصية بجانب ما فيه من شعر فنّى وإن كان هذا الأخير هو أقل ما فيه. فكتاب مثل هـذا يرتاح اليه العديدون ممن تربطهم بهذه الذكريات وشائج خاصـة ويندر أن يرتاح اليه القارىء المنقب عن الشعر الفنّى الخالص .

فأمّـا عن هـذه الذكريات الشائقة فمثال لهـا زيارة المرحوم حافظ ابراهيم بك للبنان (ص٢٤٠ — ٢٥٠ من الجزء الثانى) ولـكن معظم هـذه الذكريات سورية ولبنانية الصبغة ، وكنا نتمنى لو أن هذه الذكريات الشخصية وشعر المناسبات الخاصة جُمع فى كتاب مستقلٍّ لمن يعنيهم واقتصر الديوان على الشعر الخالص أو ما يقرب

منه مثل قصيدة « الرائد » (ص ١٩٧ من الجزء الثانى) التى تعدّ من أحسن شعر حليم دموس وفيها يقول :



حليم دموس

يكاد يُزيحُ السترَ عن كلّ غامض ويفتتح الأفلاكَ فى غزواتهِ
يطالع سفرَ الكون حتى اذا انثنى أضاف على المكتوب من صفحاتهِ
فيرتشفُ الوُرّادُ مِن قطراتِهِ ويقتطف الرُّوَّادُ من ثمراتهِ
وينظم للأجيال خيرَ قصيدةٍ يدوّنهـا التاريخُ فى حسناتهِ
وينشدُها السُّمَّارُ فى هدأة الدُّجى ويذكرها الطيَّارُ فى رحلاتهِ
وما العمرُ إلاّ رحلة اثر رحلةٍ يكابدها الإنسانُ قبلَ مماتهِ
فمن عاش عيشَ الظافرين تبسَّمتْ له صفحاتُ الكون فى خلواتهِ
ومَنْ مات موتَ الرائدين مغامراً فدَى العلمِ كان الموتُ بدءَ حياتهِ !

ومن المتأدبين من يتطلع خطأً الى الدواوين الضخمة فى حين أن ما يعنينا هو الشعر الفنّى القيّم ، فما كان يضير حليم دموس لو أفرد لشعره الفنى ديواناً خاصاً حتى ولو جاء صغير الحجم ، فهذا وحده هو الشعر المقدَّر له أن يعيش . وخطأ آخر يقع فيه كثيرون هو المباهاة بسرعة النظم حينما الأجدى اتقانُ الاثر الفنى بغضّ النظر عن الزمن الذى يستدعيه هذا الاتقان .

وما دمنا قد نبّهنا الى حسنات شاعرنا فيجب أن نذكر منها فى الجزء الأول « الدنيا أم » ص ٧ ، و « هل تعلمون ؟ » ص ٧٤ ، و « تمنيات طفل » ص ٨٤ ،

و « الحقّ للحق » ص ١٤٦ ، و « حكمة الصغار » ص ١٥٥ ، و « سلوى » ص ١٧٦ ، و « همسة الطفل » ص ١٨٢ ، وفى الجزء الثانى « بين عامين » ص ١ ، و « الأمومة » ص ١٨ ، و «أمواج الدهر» ص ٢٥ ، و « مناجاة طيف » ص٢٩، و « الأم ورضيعها » ص ٣٣ ، و « قبل ذلك » ص ٣٨ ، و « مشهد الفجر » ص ٤٤ ، و « فى غاب بيروت » ص ٥٦ ، و « الشاعر والجرّاح » ص ٩٩

وقد خاطب المرحوم شوقى بك صاحب الديوان بقوله (ص١٥٣ من الجزء الثانى): « الشاعر الأرقّ الأدقّ » يشير الى رقة تعابيره ودقّة أسلوبه الذى يميل فيه الى السهولة والى الموسيقى التقليدية فى معظم الأحوال ، وهو ما ينزع اليه معظم الشعراء المصريين خلافاً للشعراء اللبنانيين الذين يستهويهم الخيال الشعرى الجامح فى معظم الأحوال اكثر من غيره من العناصر الشعرية .



مجلة الضياء

لمنشئها مسعود عالم النّدوى ، العدد ٤٠ صفحة ، ١٥¼ سم. × ٢٤¾ سم.

سُررنا بهذه المجلة المفيدة التى تلقّينا منها حتى الآن ستة أعداد آخرها ما جاءنا به البريد بتاريخ أكتوبر سنة١٩٣٢، وهى تُنشَر شهرياً من مدينة لكنو بالهند واشتراكها السنوى خارج الهند ٧ شلنات . وهى موصوفة بأنها مجلة علمية أدبية تعليمية ، ولذلك نجدها متناولةً من الموضوعات أمثال : علم الجغرافيا والعرب ، والاسلام فى أوربا ، وتأثير الاسلام فى الشعر العربى، والعلة الثانية من علل المدارس العربية ، والمسرة ما هى ؟ الخ . وعنوانها :

AL - DHIA, Lucknow, India.

ولا بدّ أن يبتهج كلُّ مطلع على هذه المجلة الممتازة برسالتها لخدمة الأدب العربى فى الاقطار الهندية الشاسعة ، وهى من أجل ذلك جديرة بكل تعضيد من أنصار الضاد أينما كانوا ، وسيجد محبّو الشعر مقالات شائقة خاصة بالشعر بين مختلف بحوثها مثل مقالات تأثير الاسلام فى الشعر العربى ، فضلاً عن نماذج من الشعر العربى من نظم أدباء الهنود وهى مكتوبة باليد بقلم واضح ومطبوعة بالحجر طبعاً نظيفاً سليما .

تصويبـــات

الصحفة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٥٨	١٠	يومه بحثاً	نومه بيتاً
٤٦٠	١٩	أصرت	مرت
٤٦٣	١٥	اعتناء	عنــاء
٥١٧	١٩	عرة	عزة
٥٢٠	١٥	وردد	ورددنا
٥٢١	١٦	للرمان	للزمان
٥٢٢	١٢	وماء	ومأوى
٥٢٣	١١	حيا	حـيَّى
٥٢٥	٣	مرسلةَ	مرسلةٌ
٥٢٥	٩	مرتبةٌ	مرتبةً
٥٢٦	٢	سلامه	سلامة
٥٢٩	٧	العرفُ	العرفَ
٥٣٦	١	المحرق	المحترق
٥٤٠	١٩	استفر	استفز
٥٥٠	١٩	لقادر	القادر
٥٤٣	٧	والفن	الفن
٥٥٣	٣	وبروجَ	وبروجُ



فهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٩/٦٤٦٠



المجلد الأول

العدد السادس

أبولو

مجلة فنية لخدمة الشعر العربي

لسان حال جمعية ابولو

تصدر مرة فى كل شهر

فبراير سنة ١٩٣٣

صاحب الامتياز ورئيس التحرير } أحمد زكى أبو شادى

الادارة } بشارع الملك المعز رقم ٩ بضاحية المطرية بمصر

التليفون } ١١٩٦ زيتون و ٤٠٤٥٦

مطبعة التعاون



تفضلت صحيفة (البلاغ) المصرية فى عدد ٢٩ ديسمبر الماضى بالسطور الآتية من قلم حضرة ناقدها الأدبى :

« صدرت مجلة (أپولو) للشهر القادم فسبقت ميعادها ودلت بذلك على همة القائمين بتحريرها . ومعظم المجلات الاوربية الأدبيـة والعلمية تسبق ميعاد صـدورها بأسبوعين أو ثلاثة . ويمكن القارىء أن يجد الآن فى المكاتب أعـداد شهر يناير لعدة مجلات أوربية .

« وقد عيب على المجلة اتخاذها اسماً اغريقياً وهى خاصـة بالشعر العربى واقترح عليها أن تسمى « عكاظ » أو « عطارد » ولكن الذين ذكروا هاتين اللفظتين قد نسـوا أن « عكاظ » اغريقية أيضـاً وهى تعريب « هيكات » ولسنا نظن أن عطارد عربية .

« ولكن لمـاذا لم يكتب (أپولو) كما كتبه الطبرى مثلا فانه ذكره فى تاريخه باسم أبلون .

« ولسنا نظن أن مجلة تختص بالشعر لا تجد عندنا الجمهور الذى تستحقه ، ولكنا نظن مثل (أپولو) لو اختصت بالفنون الجميلة لاتسعت دائرتها وزادت فائدتهـا . وخاصة اذا علمنا أن هذه الفنون لايزال الجهل بها أكبر من الجهل بالشعر . وعندنا الآن مدارس للفنون الجميلة لو ان صبتها وجدوا مجلة شهرية تعينهم على فهم دروسهم أو على التوسع فيها لكان من ذلك فائدة لهم وللجمهور . »

ونحن لا نردّد هذه السطور زهواً بتقدير الزميلة الكريمة ، وانما لنعطى صورةً كاملةً من رأى حضرة الناقد الفاضل ثم لنتخلص من ذلك الى الاعتبارات الآتية :

(١) يسرنا أن نسجل غـير مرة عطف الصحافة على (أپولو) ، فانها الى جانب فائدتها الثقافية الملموسة لا تنافس أية صحيفةٍ أو مجـلة لا فى مصر وحدها بل فى العالم العربى بأمره ، وهى بوجودها تسدّ فراغاً محسوساً فى أدبياتنا وتقوم بخدمةٍ بارزة لأبناء العربية . ومن ثمّةَ كان لها أن تتطلّع الى معاضـدة كلّ غيورٍ على

نهضة الأدب الشعرى ولا سيما رجال الجامعتين الأزهرية والمصرية ورجال دار العلوم فضلاً عن رجال الكليات والمعاهد العربية فى العالم العربى بأسره وأفاضل المستشرقين. فالشعر كان وما يزال ديوان النفس العربية الخالصة ، وذخائر هذا الشعر النفيس جديرة بالاعزاز والتقدير حيثما نُطِقَ بالضاد . ولهذا نسجل مغتبطين مناصرة الصحافة الغيورة لنا وأخذها بيد هذه المجلة المتعاونة الودودة الى أخواتها جميعاً .

(٢) لقد كان الرائد فى تسمية هذه المجلة اعتباراً فرداً : هو أن تحمل اسماً فنياً عالمياً يلائم صبغتها ، فلم نر أجملَ ولا أنسب من (أپولو) . وهذه الصياغة أخف ظلا من (أپولون) ، وليس فيها أىُّ شيء يمس كرامة العربية التى استوعبت فى تطورها الكثير من مختار الألفاظ الأجنبية حتى أن كلمة « استاذ » التى يرددها الكثيرون باعجاب يونانية الاصل بل والصياغة ، ولا غبار على ذلك فالثقافة الانسانية مشتركة والعبرة بمبتكرات الفكر الانسانى وبجمال الذوق الفنى . وهذه المجلة لم تنشأ الا لخدمة الأدب العربى فهى أولى من غيرها بالحرص على كرامة لغتنا الشريفة .

(٣) ليس الغرض من هذه المجلة ولا من شقيقتها صحيفة (الامام) الأدبية أن تكونا فرديتين ، وكذلك حال المجلات الاخرى المسؤول عنها محرر هذه المجلة ، بل أمنيتنا تدعيمها جميعاً على أساس تعاونى حتى لا تكون حياتها مرتبطة بحياة مؤسسها ، إذْ لم يقتل معظم الاعمال فى الشرق غير الروح الفردية ، وهكذا تعمّ وتستمر فائدتها . والنيةُ متجهة الى تأسيس هيأتين تعاونيتين : احداهما (مكتب النشر الزراعى) ليتولى الخدمة الزراعية العلمية ، والاخرى (ندوة الثقافة) لتتولى الخدمة الادبية الفنية ، مع توثيق عرى التعاون بين الهيأتين ما دام الغرض المشترك بينهما خدمة الثقافة العامة على أساس شعبي . ومتى تحققت هذه الأمنية استكملنا هذا البرنامج فلن يشقّ على الهيئة التعاونية المتخصصة للخدمة الأدبية الفنية إخراج مجلة مستقلة أو أكثر لخدمة الفنون الجميلة غير الكلامية كالموسيقى والنحت والتصوير الخ. اذا لم يقم غيرنا بهذا الواجب .

(٤) ان تقدير الجمهور حتى المثقف للصحافة الفنية محدود مع الأسف ، ولا يسعنا الاَّ الاعتماد على مؤازرة الزميلات لتنوير الاذهان حتى لا يستمرّ مقياسه الغريب للمجلات على أنها كمية ووزن وعدد دون اعتبار للجوهر وبنات الافكار ! ونحن من جانبنا نبذل أقصى ما فى وسعنا لاخراج هذه المجلة فى أرقى مستوى مستطاع يتفق ومواردها المالية ، وكلما زادها القراء والهيئات الادبية اقبالا زدناها تحسيناً غيرَ مسؤولين .

ذكرى شوقي

موت الشاعر

آه ما أجملها كانت حياتى انها ملأى بأشتات الفنون
آه ! إنى مبصرٌ شمس وفاتى انها الظلمة تبدو فى العيون !

* * *

أيها الكون سلامٌ لك منى وسلام لك من قلبى المعنَّى
بلغى ياشمسُ هـذا الكونَ عنى انني فيه ومنه اليوم مضنى
قد بدا بى اليوم وهنٌ أىُّ وهنِ وبأذنى صوت هـذا الموت رنّا
لحنه لمّا تغنى شرُّ لحنِ ليته ياصاح يوماً ما تغنّى !

سمعت أذنىَّ فانهلّت شئونى !

أيها الروض ـ وما الروض ؟ نسيتُ كل شىء ـ آهِ منواىَ الجميلُ !
أدرَى طيرك انى قد فنيتُ ؟ أدرَى غُصنك ؟ أمعنى يميلُ ؟!
يا رعى الله زماناً قد حييتُ فيك والروح بواديك تجولُ
رَضىَ الحبُّ ، وإنى قد رضيتُ أتُرَى يعروك من بعدي الذبولُ ؟

أيُّهذا الروض يا مَثوَى شجونى !

أيها الليل الذى عمَّ الأناما فيك أنـاتى ووجدى وسهادى !
كم عشقت البدر إذ يبدو تماما فتولى فيك ياليلُ رشادى
ولكم ياليلُ أحببتُ الظلاما حينما يقضي بصمتٍ للعبادِ
ليت شعرى ظلمة القبر إلاما ؟ ألهـا صبحٌ لذى عينين بادِ ؟ !

أم ستبقى سرمداً فى كل حين ؟!



شوقى بك وأولاده

بمنزله بضاحية المطرية سنة ١٩٠٧ م .

ايها النجم ! سلامٌ يا رفيقي ... في الدجى والكون يعلوه السكونُ
أيٌّ عهد بيننا ؟ ايّ صديق ... كنتَ لي يا نجمُ إذ تطغى الشجونُ
انني ابغي بتعبيرٍ دقيق ... منك لي يانجمُ ما سوف يكونُ
قد غُصِصتُ - قبل - من دنيا بريق ... حينما ساءلتُ قومي ما المنونُ
آهِ ! مَنْ يشرحُ لي معنى المنونِ ؟!

أيها الحبُّ ! وداعاً ووداعَا ... والى « لا ملتقى » إني أسيرُ
قد مضتْ عني لياليك سراعا ... تسبق الطيرَ رواحاً إذ يطيرُ
فسماعاً أيها الحب سماعا ... ان خطبي اليوم يا حُبُّ خطيرُ
أترى يا حُبُّ هل نرجو اجتماعاً ... في ظلال الخلد أم أين المصير ؟!
ألها ، أم لقضاءٍ يدّريني !

وبنفسي أفتدي ياحُبُّ ظبيا ... ما درى حبي الى يوم مماتي !
ما كتمتُ الحبّ عن نجواه عيّا ... بل لظني أن ما ابغي مُواتِ !
أمل كان بنفسي قد تهيّا ... ليس يدري المرء ما في الغيب آتِ
أمل لي لم يكن مذ كان شيّا ... ومن الخير أكاذيب الحياةِ !
شكّها يا صاح خيرٌ من يقينٍ !

آهِ ! من ينظم أشتاتَ المعاني ... فيصوغ الدرّ للناس كلاما ؟
آهِ من تلهمه بعدى المغاني ؟ ... فاذا الالهام وَحْيٌ لا يُسامَى !
آهِ من يشجوه يوماً ما شجاني ... فاذا بالجسم قد ذاب غراما !
لِيَ شِعرٌ كان كالسبع المثاني ... قلتُه ، لكن لماذا ؟ وعلاما ؟
انهم يا صاحِ حقاً غبنوني !

وذوَى الشاعرُ فالدنيا على ... اثره تبكي ويبكيه الوجودُ
سار نحو الخلد من ساعته ... ولقد يحظى بمرآه الخلودُ

فاذا الدنيا خلاء مقفرٌ واذا الصمت على الكون يسودُ
واذا الاحباب فى ثوب الضنى كلهم بالدمع ياصاحِ يجودُ
كلهم بادٍ بأثوابِ الحزينِ

عبد الغنى الكبيتى



معجزة الشعر

ملأ الحياةَ ترنّماً وهديلاَ وقضى فروّعها بُكًى وعويلا
الطائرُ الغرّيدُ خلّف صمتُه فى الروض إقفاراً به وذبولا
من أسكر الأيامَ حياً شدوُه فى الموت أسكرها أسًى وذهولا
ما زلتُ أسخر بالنعيّ معللا نفسى ، بشكّى فى الذى قد قيلا
حتى رأيتُ بكل روض وحشةً تركته مهصورَ الغصونِ محيلا
ولمحتُ أسرابَ الطيور حزينةً خرساء ، لاشدواً ولا ترتيلا
وشعرتُ بالجلّى يدبّ دبيبها لا خالياً أبقت ولا مأهولا
صمتٌ ، وإطراقٌ ، ودمعٌ لم يدع للنفسِ لا شكّاً ولا تأويلا
وإذن فقد أقوت مغانى الشعر فى الـ دنيا وبات لواؤه محلولا
وطوى الحِمامُ صحيفةَ الأدب المنيـ ـع به ، وأغمد سيفَه المسلولا
الساحر الفنانُ ينفذ سحره بين القلوب محبَّباً مقبولا
والشاعر الموهوب خلّد شعرُه أمماً ، وغذّى أنفساً وعقولا
أتراه قد ذهب الزمانُ بخير ما جاء الزمان؟ أجبْ! فصبرىَ عِيلا!
شوقى! دعوتك أن تقول ، فلبِّنى إنى عهدتُك للدعاء قَبولا
قد روّع الدنيا رداك فعزّها فى خطبها الدامى ، وعزّ النيلا
لا كاد من حسى المصاب وأخذه أصغى وأرهف مسمعى لتقولا!
كم معشرٍ كفروا بمجدك ضلّة وأتيتهم بالمعجزات دليلا
إن الذليل إذا أحسّ بعزة يطغى ، فترجعه الحياة ذليلا!
فأتم معجزة النهى وابعث لنا من شعرك المُفْنى الفناءَ رسولا

ليس الخلود بأن تعيش محبباً ... للناس أجمع صاحباً وخليلا
إن الخلود كما عرفتكَ هادئاً ... وتقيم حولك ضجة وصليلا !

« • »

يا أيها الباكى على شوقى تكا ... د تذوب من طول البكاء نحولا
تبكى مصابَ الشرق فى البانى له ... مجداً أشمَّ على الزمان أثيلا
تبكى مصابَ الفن فى البانى له ... صرحاً يرد الطرف عنه كليلا
أسدى له قَصصاً بسيل سلاسة ... ويفيض موعظة ويعذب قيلا
تبكى رسول الشعب زال خياله ... عنا ولم يك شعره ليزولا
تبكى النبوغ هوى بشوقى نجمه ... يا أيها الباكى ! بذلت قليلا . .
ما كنت شوقى واحداً فى جيلنا ... فرداً ، ولكن كنت وحدك جيلا !

« • »

يا يوم شوقى ! لم نجد لك فى الزما ... ن ، ولا لشوقى فى الزمان مثيلا
روَّعت دنيا ما يزال يروعها ... ألاَّ ترى عنه الحياة بديلا
قد مَدَّ فى سبب الحياة بشعره ... وأقام فوق جبينها إكليلا
ما إن هوت فى شاطئيها أنجم ... إلا وكان بيعثهن كفيلا
قد كان فى عصر الحضارة يوشعاً ... ردَّ الشموس الهاويات أفولا
«قيس» سلى فى خطبه «ليلى» وسيـ ... رتها وأطلق دمعه المغلولا !
ويكاد « قمبيز » تسيل دموعه ... شجناً ، ولم تك قبله لتسيلا !

« • »

شوقى ! يجول الدمع فى عينى وفى ... قلبى ، ولم يزمع أساىَ رحيلا
ولشدَّ ما يدمى فؤادى أننى ... لن أستطيع الى العزاء سبيلا
لا أنشد الصبر الجميل فلم يعد ... ـ مِن بعد مصرعك ـ الجميل جميلا
أبداً يحيينى خيالك فى الكرى ... وأراك تطفو رقة وقبولا
فأروح أسمعك الجديد ومنه أنـ ... ـك قد رحلتَ عن الحياة عجولا !
أروى مصابك بالدموع سخينة ... وأراه خطباً لا يطاق جليلا
فتروح تربت منكبيَّ براحة ... يا طالما أفعمتُها تقبيلا !

فيهزنى الحزن الدفيق فأرتمى سكرانَ مشبوب الجوى مذهولا
فاذا صحوت صحى الأسى بجوانحى وبكيت من حزن عليك طويلا
كم مرة أصغيت لى ، فرثيت للـ ـفنان يقضى فى الحياة خمولا
وتحيك لى حللَ الثناء قشيبة فتردّنى جمَّ الحياء خجولا !
ياليت شعرى كيف حال الشعر فى الأ خرى ؟ وهل هو شأنه فى الأُولى ؟
سقم ، وآلام ، وحيرة شاعر لم يلق حتى للدموع مسيلا !
أم أن فى كنف الخلود وفيئه ظلا لأرباب البيان ظليلا
يلقون فيه العبء عن أكتافهم ويكفكفون المدمع المبذولا ؟
يا طالما قد كنت تسأل مَن مضوا كنه الحِمام وسرَّه المجهولا
فلتخبر الباقين عن سرِّ الدى لاقيت وارفع ستره المسدولا !
من راح عن سر الردى متسائلا يوماً سيُلْفَى فى غدٍ مسئولا !
نم فى ظلال بديع شعرك واطّرح عبء الحياة ، فكم تراه ثقيلا
تحنو عليك من النعيم سحابة تسقى رفاتك بكرة وأصيلا

مصطفى كامل الشناوى



حُلم تعجل

فارقَ الروضَ مسرعاً يتعجَّلْ لم يقفْ لحظةً ولم يتمهلْ
نزل الروضَ فى دُجَى الليل كالحلم وخلاَّه حينما الصبحُ أقبلْ
ملأ الدَّوحَ من غِناءٍ شجىٍّ نفح الزهرَ بالنسيب المهلهلْ
كان لمَّا يرتل اللحنَ فى الليل يهزّ القلوبَ هزّاً فتذهلْ
أيقظ النائمين فى كلِّ فجٍ ودعا للخلاص كلَّ مكبَّلْ
مزجَ الحكمةَ الرصينةَ بالشعرِ ، وسقَى القريضَ من كلِّ مَنْهَلْ !



(أحمدٌ) ياوحيدَ عصرك فى الشعر ، ألاَ نفحةٌ من الشعر تُرْسَلْ ؟

أتصاممتَ عن نداء الذى كانَ إذا ماتلى قصيدَك هَلَّل؟!

* * *

يا مُقيلَ القريض من عثرة الضعف وحامى البيان فى كلّ مَحْفِل
سوف يُبلى التراب جسمَك فى حين سيبقى قريضُك العذبُ يُنْهَل
ستقول الأيامُ قد عاش كالزهر وسرعانَ مثلَه ما تحوَّل
ستقول الأزمانُ قد ترك العطرَ بياناً بالرائعاتِ تجلَّل
ستقول الأيام خلَّدتَ «ليلى» بقصيدٍ من نسمة الفجر أجمل
«وكلوبطرةٌ» تمدُّ يَدَ الشكر (م) إلى المنصفِ العظيم المبجَّل
قد جلاها تقيةً من ظنونٍ سيئاتٍ، جرى بها كلُّ مِقوَل
فإذا المرأة اللعوبُ على الرَّوْعِ حسامٌ مَنْ رامه ليس يُمْهَل!

* * *

يا أبا الشعر إنّ طفلكَ أمْسَى خائرَ الروح عانياً يتململ
حينما أعلنوه بالخطبِ كادتْ روحُه من كيانه تتسلل
صاحَ: ويحى من بعد أن غاب عنى مَن رعانى بعطفه وتكفَّل
وغذانى من سلسلٍ مستفاضٍ فَصَّل الكونَ فى سناه وأجمل
قدَّم الحكمةَ العجيبةَ للناس سُلافاً، وطاب منه التأمُّل
كنتُ فى الطوع إنْ دعانىَ للنظم، ويا طالما هتفتُ فأقبل
ويح نفسى قد مات من كان يلهو بلُبابِ الحياة، إذْ كان يعمل
والذى خصَّنى بكلِّ حنانٍ والذى صاننى عزيزاً مُدلَّل
عِفْتُ هذى الحياةَ من بعد شوقى كيف أحيا؟ ومَن به أتعلل؟

* * *

طِبْ رِقاداً يا موقِظَ الحسِّ فى الشرق،فقد خَلَّفَ القريضُ وأنسل
أنت ما مُتَّ رغم موتك إذْ ليس بميْتٍ مَنْ شعرَه الدهرُ رتَّل
أنت باقٍ ما دام فى الناس شعرٌ يَتَسامَى وأنفسٌ تتغزَّل
أنت باقٍ فى الدوحِ والروضِ والماء وفى الحقّ والهوى تتمثل!

* * *

فى صميم الدجى نشرتَ جناحيكَ وولّيتَ مسرعاً تتعجل!

مختار الوكيل

شوقي الشاعر

— ١ —

لم يدر بخلدى يوم كتبت بحثى عن « شوقى » فى صيف العام الماضى أن سيقدر له الظهور بعد أن يصبح الرجل فى ذمة التاريخ ، بل كنت ممتلئاً أملا ورغبة فى أن أحاضر وأن أدعو الراحل الكريم الى استماع محاضرتى عنه ، ولكنه الدهر والأيام تأبى على مصر الأسيفة الا أن تطوح بأفذاذها وتدعها تندبهم وتبكيهم . وإننى أرى واجباً على أن أنشر بحثى هـذا راجياً أن أوفق فى وقت قريب إلى دراسته دراسة مستوفاة . أما الآن فسأقتصر على بحث أسلوبه ثم نتحدث عن شعره المصرى ثم نعرج على دينه وتجديده ونختتم بذكر وصفه .

دراسة أسلوبه

من المسلم به أن شوقى قد أوتى قدرة فائقة فى جودة التعبير ومتانة الاداء ، وهو يمتاز بالاسلوب الفخم والتراكيب القوية والنغمة الموسيقية الخلابة ، حتى أنه حين يأخذ المعنى القديم يصوغه صوغا جديداً يملؤه بالروعة والجلال ، وتحس كأن المعنى جديد طريف . ولا أريد أن أطيل فى هـذا فأعرض أمام القراء نماذج من شعره ، ولكن شيئاً واحداً أحب التحدث عنه : ذلك هو استعمال شوقى لبعض ألفاظ قديمة يحب أن يحييها ، وأن يبعثها بعد موتها ، فهل من العيب على الشاعر أو الكاتب أن يُدخل فى قوله تلك الألفاظ الغريبة ، التى تحتاج إلى كشف وإيضاح ؟ عَدَّ النافدون ذلك عيباً على شـوقى ، ولكنا نرى العيب كل العيب لا يكون إلا فى الاكثار منهـا ، إذ تضيع حينذاك روعة الفن وجماله تحت سمـاء ملبدة بالغيوم ، محجبة بألفاظ كثيرة مجهولة ، مع أن الكاتب أو الشاعر لن يجنى من وراء ذلك فائدة ما ، إذ لن يستطيع قارئه أن يحفظ كل ما جاء به من ألفاظ جديدة غريبة ، ولا يسعه إلا أن يلقى بقوله دبر أذنه . أما أن يأتى الأديب فى ثنايا شعره أو كتابته بقليل من تلك الألفاظ ففيه الخير كل الخير ، ولا يلومه على ذلك إلا من لا يعرف معنى الفن وروعة الفن ، ونحن على هذا المقياس لانرى غضاضة فى شعر شوقى حين يطرفنا فى

الحين بعـد الحين بألفاظ عربية فصيحة ، نجهلها ونستعمل عوضا منها ألفاظا عامية ، لاندري ماذا يقابلها من فصحى العربية ، بل إنا لنشكر لهؤلاء الشعراء الذين ينبتهم الزمن فى الفينة بعـد الفينة ، إذ يحيون اللغة ويمدونها بنوع من القوة والنماء ، ويظهرون محاسنها وقدرتهـا على التعبير والاداء ، من غـير أن تقف حجر عثرة فى سبيل ما نريد .

غير أنا إذا حمدنا لشوقى ذلك وهو جدّ محمود فاننا نريد أن نذكر تأثير طريقة الشعراء المتقدمين فيه ، إذ أنه من المعلوم لدينا أنهـم كانوا يبدأون قصائدهم بالغزل والنسيب ، وقد أخذ بذلك شوقى فى بعض قصائده كقوله فى مشروع ملنر :

إثنِ عنان القلب واسلمْ بهِ ... من ربرب الرمل ومن سربهِ
ومن تثنى الغيد عن بانه ... مرتجة الأرداف عن كثبه
ظباؤه المنكسرات الظبـا ... يغلبن ذا اللب على لبـه
بيض رقاق الحسن فى لمحة ... من ناعم الدر ومن رطبه

وقوله عند اطلاق سجناء المحاكم العسكرية :

بأبى وروحى الناعمات الغيـدا ... الباسمات عن اليتيم نضيـدا
الرانيات بكل أحور فاتر ... يذر الخلىّ من القلوب عميدا
الراويات من السلاف محاجراً ... الناهلات سوالفاً وخدودا
اللاعبات على النسيم غدائراً ... الراتعات مع النسيم قدودا

فانت ترى غرامه بالمتقدمين قد ألقى به إلى تقليدهم فى بدء قصائد سياسية خطيرة بمقدمات غزلية كما كان الاوائل مثل المتنبي والبحترى يفعلون .

وعلى ذكر التقليد أرى أن قصيدة شوقى التى بدأها بقوله :

اختلافُ النهـار والليـل ُينسى ... اذكـرا لى الصبا وأيامَ أنسى

ليست تقليداً لقصيدة البحترى التى قالها فى إيوان كسرى وإن كانت الروح التى أملت على شوقى قصيدته هى روح الذكرى التى أملت على البحترى أيضاً .

شعره المصرى

يتنازع شوقى وطنان ، إذ هو مصرى نشأ فى مصر فغذته بدرّها وثمرها ، وتركى بجده وخاله ، وقومه وآله ، فلا نعجب إن أصبح يحنّ إلى الترك حنين المرء الى أصله والفصيل الى أمه ، على أن حنينه الى هذا الوطن القديم لم يكن فقط لانتمائه اليه مآل أمه وابيه ، بل لانه قد كان فى يد الترك تلك الخلافة التى تربط بين المسلمين وتوحّد من جماعتهم ، ولذلك فإنك تحسّ وأنت تقرأ قصيدته (انتصار الترك فى الحرب والسياسة) بروح المصريين تنطق معه بل بروح الشرق الذى كان يهنأ ويغتبط حين يرى الخلافة قوية ناهضة . ولقد كان شوقى صادقاً يوم قال :

تحيةً أيها الغازى وتهنئةً ... بآيةِ الفتح تبقى آيةَ الحقب !
لمّا أتيت ببدر من مطالعها ... تلفّتَ البيت فى الاستار والحجب
وهشت الروضة الفيحاء ضاحكة ... إلى المنوّرة المسكية الترب
وأرّج الفتح أرجاء الحجاز ، وكم ... قضى اللياليَ لم ينعم ولم يطب
وازينت أمهات الشرق واستبقت ... مهارج الفتح فى الموشية القشب
هزت دمشقُ بنى أيوب فانتبهوا ... يهنئون بنى حمدان فى حلب
ومسلمو الهند والهندوس فى جذل ... ومسلمو مصر والأقباط فى طرب
ممالك ضمها الاسلام فى رحم ... وشيجة وحواها الشرق فى نسب

وإذن فهو يتصل بالترك بثلاثة أسباب : نسبه وآله ثم الإسلام والجامعة الشرقية ، ويشاركه المصريون فى السببين الاخيرين ، فلا غرابة إن مدح الترك أو حياهم ، على أن شعره فى مدح الترك كان يعبر عن النفسية المصرية يومذاك لأنها كانت ترمق الاستانة بعين الإجلال والاعظام .

وتبدو لنا شرقية شوقى كذلك حين تنزل بأى ناحية من نواحى الشرق نكبة أو كارثة أو ينال نجاحاً وخيراً ، فانه يقوم بواجب العزاء أو يرتل أناشيد الغناء ، فقد ألفت بين الشرق جروحه ، ووحدت قلوبه آلامه وأشجانه ، فعلينا كما عليهم قيود وأغلال نرمق الخلاص منها بعين التفاؤل وقلوب الآمال ، وحقاً كلنا فى الهم شرق .

بيد أنى أريد أن أخصّ مصريته ببعض البسط ، بعد أن تحدثنا عن تركيته

وشرقيته ، فنرى شوقى يتحدث كلما عنت له الفرصة بمجد المصريين وحضارة المصريين ، وهو فى كل ذلك يستقى من عواطف فياضة وقلب نابض بحب مصر . واسمعه يقول فى المؤتمر الشرقى الدولى :

قل لبانٍ بنى فشاد فغالى — لم يجز مصر فى الزمان بناء
فاعذر الحاسدين فيها إذا لا — موا ، فصعبٌ على الحسود الثناء
زعموا أنها دعائم شِيدت — بيد البغى ملؤها ظلماء
إن يكن غيرَ ما أتوه فخارٌ — فأنا منك يا فخارُ براء !

وفى الحق ان تلك القصيدة — وهى طويلة — تعتبر قيثارة لتاريخ مصر ، تسمع منها نغمة الغبطة والرضى ، والفخر والعظمة ، حين تكون مصر فى ذروة رقيها ، وقمة مجدها ، فان داخلتها الليالى — والليالى دهاء — سمعنا حديث النفس المصرية ، وهى تتحفز مجدة لاسترداد مجدها ونيل حقوقها . ثم اذا سمعت شوقى يحدثك عن دين مصر القديم أخذ بيدنا الى حيث يفكر الانسان الأول فيعبد المظاهر ويظل يرقى حتى وصل الفكر المصرى الى توحيد الاشياء فى (أزريس) التى تعتبر بحق من مفاخر مصر الخالدة ، حتى اذا ضلت العقول ولم تهتد الى الصواب أرسل الله رسلاً هم قضاة الحقيقة وهم أئمة الهداية ، تسمع هذا وكثيراً غيره فى تلك القصيدة الخالدة .

« شوقى » مصرىٌّ يخفق قلبه بحب مصر إن نأى عنها ، أو امتدت اليد الطائشة فطوّحت به بعيداً عن مصره المحبوبة ، ولنستمع اليه يحدثنا عن غبطته وفرحه يوم عاد الى وطنه بعد منفاه فتراه يقول :

ويا وطنى لقيتُكَ بعد يأسٍ — كأنى قد لقيتُ بك الشبابا
ولو أنى دعيت لكنت دينى — عليه أقابل الحتمَ المجابا
أدير إليك قبل البيت وجهى — اذا فهتُ الشهادة والمتابا !

ويقول وهو فى الغربة :

وطنى لو شُغلت بالخلد عنه — نازعتنى اليه فى الخلد نفسى !

وهو يعدّ مصر عروسَ الشرق وزينته ، شبت عن الطوق وهو لا يزال فى مهده . واذا كان شوقى يحب مصر من كل قلبه فهو يدعو شباب مصر الى أن يضحوا بكل شىء فى سبيلها ، وكلٌّ شىء فى سبيلها هينٌ رخيصٌ ، بل هو لا يتورّع أن يجعل

للكنانة فى قلوبنا تلك المنزلة التى نهبها لأقدس شىء فى الوجود ، واسمعه يقول للشباب :

وجه الكنانة ليس يغضب ربكم　　أن تجعلوه كوجهه معبودا
ولُّوا اليه فى الدروس وجوهكم　　واذا فرغتم فاعبدوه هجودا
إن الذى قسم البلاد حباكمو　　بلداً كأوطان النجوم مجيدا
قد كان ـ والدنيا لحودٌ كلها ـ　　للعبقرية والفنون مهودا !

وهو لا يبخل بقلمه وشعره أن يكون هادياً لمصر مرشداً لها كلما رأى الوطن يناديه ، ومصر العزيزة تدعوه . فيوم نادوا بأن مصر نالت دستورها وبرلمانها أرسل صيحته الى الناخبين يرشدهم الى أماكن من يستحقون النيابة عنها ، وكم هو مصيب يوم دعا الى هؤلاء الذين يدركون صوالح الأمة ويؤثرونها بكل ما أوتوا من صحة ومال ، فليست دار النيابة موطناً للتفاخر ، ولكنها بناء للأيام والحقب ، ورفع للملك على أقوم الأساس ، ثم انظر الى آماله بعد ان قامت دعائم (البرلمان) حيث يقول :

يا رب قوِّ يدَها وشدَّها　　وافتح لها السبلَ ولا تسدَّها
وقسْ لكل خطوة ما بعدها　　وعن صغيرات الأمور حدها
واصرف الى جد الشئون جدها　　ولا تُضع على الضحايا جهدها
واكبح هوى الانفس واكسر حقدها　　واجمع على الأم الرءوم ولدها

ثم هو لا تقف آماله فى رفعة مصر ومجدها على البرلمان والدستور ، بل هو يدعو دائباً جاهداً الى الإقدام والجد ، ومجاراة العصر الحاضر الملىء بآيات البطولة وسمات الاقدم ، حتى ليحسب الحياة والمال سراباً خداعاً بجانب خيال المجد والصبر فى معاناة العلم والأدب والصناعة . واقرأ قصيدته (رحالة الشرق) لترى فيها آماله الكبيرة التى يود لو سمح الزمن بتحقيقها ، ثم انصت اليه حين يقول فى قصيدة ثانية :

فاض الزمان من النبوغ فهل فتى　　غمر الزمان بعلمه وبيانه
أين التجارة وهى مضمار الغنى ؟　　أين الصناعة وهى وجه عنانه ؟
أين الجواد على العلوم بماله ؟　　أين المشارك مصر فى فدانه ؟
أين الزراعة فى جنان تحتكم　　كخمائل الفردوس أو كجنانه ؟
أئذا أصاب القطن كاسد سوقه　　قمنا على ساق الى أثمانه ؟
الملك كان ولم يكن قطن فلم　　يغلب أبوسّنا على عمرانه
بالقطن لم يرفع دعائم ملكه　　فرعون والهرمان من بنيانه !

دار العلوم العليا
بالقاهرة

احمد احمد بدوى
(سكرتير جماعة الأدب المصري الاسلامي)

شاعر الانسانية

لا لقومٍ . ولا لِدينْ　　أنت للنَّاس أجمعينْ !
أهلُكَ الوحىُ والهُدَى　　دينُك الحقُّ واليقين
سِرْتَ فى الارض رافعاً　　مشعلَ الخلد فى الجبين
فكأنّى بك السَّما　　أودعت فى لظًى وطين
أنت للجيل ، إنما　　للذرارىّ بعد حين
الطغاة المهدّمين　　للبناة المشيّدين
للملوك الخلعين　　للعبيد المتوَّجين
للصعاليك ، للذين　　خدّروا الأُسْدَ فى العرين
للزناة المسيطرين　　للأباة المستعبدين
أنت للشوكِ للورودْ　　للنبيين فى القيود
للبُذيِّين ، لليهودْ　　للنصارى ، للمسلمين
لا لقومٍ ولا لدينْ　　أنت للناس اجمعين !

***

مصحفٌ قصَّتْ السُّورْ　　فيه اسطورةَ البشَرْ
كلما أسمعَ العلى　　آيةً شرّف المدَرْ
حرمُ الوحى لوّن الحبُّ فى عَدْنِه الصُّوَرْ
فعلى كلّ صورة　　مرضعُ القلب والبصرْ
صورٌ يِمن بالرؤوس　　وتجلَّين بالفِكَرْ
فكأنى بهن أحدِرن　　من عبقرٍ أثرْ
يا نخوراً بزفوة الشعر　　والحبَّ فى الوَتَرْ
هازىء القلب بالطرَرْ　　ضارباً بالدمى الأُخَرْ
نسك الفنّ — حين قبلته — فيك والحصرْ

أيها الحارس الامين هيكلَ المنطق المبين
يا أميرَ المشرّدين اخوةَ الشمسِ والقمر !

* * *

لا لقومٍ ولا لدين أنت للناس أجمعين !

* * *

ما الصِّبا فى ترنُّمه فى هواه وفى دمه
وصباحُ الربيعِ يفترُّ عن عاجِ مبسمه
والمساءُ الولهانُ يُصغى لهمسات أنجمه
والاقاحُ البرىءُ ينفثُ أحلامَ بُرْعمه
مثل سحرٍ تذيبهُ روحُ شوق بمرقمه
ما الهوى فى تألمه والدجى فى تجهّمه
والسما فى انتقامها واللظى فى تضرّمه
وصراخ البرىء فى نزوةٍ من تظلّمه
والمعرى على الورى ثائراً فى تهكّمه
مثل شوق تثيرهُ غضبةٌ من جهنّمه
ماعلى النورِ واللهبْ وعلى الزهر فى الغضب
إن أنت شاعرَ العرب نائحات بمأتمه

« ٥ »

بلبل الارض والسما ناشر النور فيهما
مالىء الأرض حكمة وسما الحب أنجُما
يا أخا المعدمين ما كنت فى الناس معدما
انما البؤس ذقته فى فؤادٍ تألما
فى نفوس تظلّمت وشعورٍ تظلّما
عشتَ كالنور ملهماً وكعباس متخما
ثمن الغار ما دفعتَ دموعاً ولا دما
إيهِ شوقى ! خافظ كان أشقى . . . وأعظما
كان يستلهم البؤوس وتستلهم الدُّمى

كنت تغفو متيماً حين يغفو ميتما
عرشك الشعر والذهب عرشه الشعر والخشب
آه ! فى دولة الادب أى ملكين كنتما !

« • »

عشت فى النفى مثلما عاش فى الخزة الحبب !
بين أمى من الجلا ل وأشهى من الطرب
عشت فيه كبلبل مر فى العيد واحتجب
حاملا من جناحه رعشة الخط فى الزغب
لست أنساك طائفاً فى اليواقيت والذهب
فى قصور الحمراء تستنطق المجد فى الحرب
تسأل الفن ، رافع الرأس ، عن أسرة العرب
فأرى سن أمية فيك ظلاً من النسب

« • »

نم عن الغار ما دفعـ ت دموعاً ولا تعب
إيه شوق ! لحافظ كان فى بؤسه أحب
كان يغفو متيماً حين تغفو ميتما
أى ملكين كنتما أمس فى دولة الادب !

الياس أبو شبكة



الساحر

أرسلوا الدمع واذرفوه سخيا واندبوا اليوم شاعراً عبقريا
مات من جاء بالبيان لنا سحراً (م) وأهدى الأسماع لحناً شجيا
والذى صور الحياة لنا شعراً (م) وأبقى مدى الحياة دويا
والذى علم القلوب معانى الـ (م) حب معنى ظاهراً ومعنى خفيا

لم يكن واحداً يهون ولكنْ كان إذْ كان واحداً أوحديًّا
لم يكن واحداً يهون ولكنْ كان جيلا قد انطوى أبديًّا
لم يكن واحداً يحيط به القو لُ وتُبْنى عنه المقالةُ شيًّا
انما كان عالماً من فنونٍ وشعورٍ مازال ينبض حيًّا
كيف أرثيك يا أميرَ القوافى أبدمعى ؟ — والدمعُ ليس كفيًّا
أم بشعرى ؟ والشعر بعدك أضحَى ليس يشفى فى القلب داءً دويًّا
ودولة الشعر بعد فقدك دالتْ وطوى الدهرُ عصرَها الذهبيًّا
واذا الدهر بعد ذلك دهرٌ عاش فيه ربُّ الخيال شقيًّا
واذا انت بعد ذلك ذكرى تعمرُ القلبَ غدوةً وعشيًّا

ابراهيم زكى

✡✡✡

مأتم الطبيعة

(مرثية من الشعر الحر)

أطرقَ الطيرُ على هام الغصونْ كذبيح نغرتْ فيه الكلامْ
ودجا الكونُ وسجَّاه السكون بدثار الموت ، والموتُ ظلامْ
وذكا فيه لُهابٌ للشجون أخرس الشادى بشجوٍ وغرامْ
أى خطب قد دهاهْ ؟ وأمَضّ أطبق فاهْ ؟
أُرى شامَ الجِنانْ خمدت فيها الحياهْ
فبكى ؟!
أم رأى مَلْكَ الكنارْ هامداً فوق الكُثُبْ
ومزامـــيرَ الهزارْ مثلَ عيدانِ الحطبْ
فاشتكى ؟!
أم فرى مهجتَه ظفرُ العقابْ ومضى فى جنبه سهمٌ سديدْ
فسرى فيه من الموت لعابْ وغدا يخفق كالقلب العميدْ
فى نزوع يتلهّى بالنغمْ
صارخا مما دهاه ..

من فناءٍ وعَدمْ ؟!
إنه يبكي مماتَ الشاعريهْ...

« • »

وخرير النهر فى الوادى كأنغام النّواح ،
ومسيل الماء من جَفن البطاح ،
أدمع الكون وعبْرات الطبيعهْ ...
كلّ طيرٍ ناحَ فيها .. ناعياً !
كل غُصن مال فيها .. رائياً !
كل نَبعٍ سال فيها .. باكياً !
عبرت يمٌّ المنايا وأعاصير الأسى ،
غالت الرّبّان منها فهوت ..
ثكلى على شطّ المنون .. لاهفهْ
ترسل الأنّات من قلب حزينٍ .. هاتفه :
كللوا النعشَ بريحان الغِياض .. والنّجودْ !
وادفنوه بين أزهار الرّياض .. والوُرودْ !
ليضوعَ الطّيب من أردانه فيها حياة ومماتاً !
وانشدوا والطيرَ فى حفل الرّثاء ، كل صبح ومساء !
لم يمت « شوقى » وفى الشرق شعاعٌ من سناه !
سائلوا الأيام والأحلام والدنيا وماضمت أفانين الحياه !
أين من قيثارة الكون نشيد كان يحبوها الهناء ؟!
واسمعوا فيها صداه !

* * *

دولةٌ قامت على عرش الحياهْ ... من شعورٍ وجهادٍ ودماءْ
شاعرٌ فى الأرض لم يلقَ مُناهْ ... فرَقى يشدو لسكان السماءْ !

محمود حسن اسماعيل

الشعر الفنى

فى نظم شـــوقى بك

اطلعتُ على ما كتبه الشاعر المعروف مصطفى صادق الرافعى (ص ٥٣٤) تعليقاً على بحثى ، وكنت أظن أن حضرته فى غنىً عن أىّ تأكيد عن اخلاصنا فى خدمة الأدب ، فليس كاتب هذه السطور ولا « جماعة الأدب المصرى » بالذين يجحدون مواهبَ أحدٍ فضلاً عن مواهب الرافعى سواء وافقهم أوخالفهم ، وليست « أبولو » الاّ مجال التحقيق الجرىء والانصاف . وهذا لا ينفى توجيه النقد البرىء فى حدود معقولة وفى موضوعات معيَّنة . وليكنْ الرافعى مجدّداً فيما يهوى



على محمد البحراوى

(بريشة الفنان النمساوى الفريد مرتاج — سنة ١٩٣٠)

ولكنى أراه شديد المحافظة والتقليد فيما أخذتُه عليه هنا ، ولى كل العذر فى وضعه بين شعراء المدرسة القديمة .

وأمّا عن بيت المرحوم شوقى بك على لسان قيس فى رواية مجنون ليلى :

لَيْلَىَ ، مُنادٍ دعا ليلى فخفّ له   نشوانُ فى جنباتِ الصّدر عربيدُ !



مصطفى صادق الرافعي

مفروضٌ فيــه تمثيل روح قيس وشاعريته . فاعتراض الرافعي عليه غـير وجيه ، زدْ على ذلك أنّ قول شوقى « نشوان فى جنبات الصّـدر عربيد ! » فيـه تصويرٌ بارعٌ لحالة القلب الخفوق المضطرب — وهى حالةُ قلبِ العاشقِ المروع . وهـذا التشبيه البديع هو موضوع السؤال لأنّ معناه فريدٌ وهو لبُّ البيت السالف الذكر ، ولا أرى نكتة الرافعي مما يُستساغ فى هذا المقام .

وأحسب أنّ ماذكرته عن تشابه المعـانى الى حـدّ ما فى المواقف المتشابهة مع اختلاف الأداء الفنيّ ليس مما يعاب على الشعراء وليس ممـا يدعو الى اتهام أحـدهم بالتوليد والاستخراج من معانى غـيره ، فكثيراً ما تماثل العواطف الانسانية والتصوّر الشعرى بل ودقائق التعبير أحياناً بين شعراء ممتازين .

انّ الموضوعَ ينحصر فى أنّ الرافعي لا يزال ينظر الى معانى الشعر على طريقته المتشبعة بقواعد التوليد والاستخراج التى حَطّ بها من قيمة مقالة الجيد عن شوقي فى مجلة «المقتطف» والتى لا يريد أن يقتنع بخطئها وإن اقتنع الشعرُ واقتنع المنطقُ . أمّا الغلطات النحويةِ التى يجرى الرافعي وراءها فى شعر شـوقى فلم تكن — ولن تكون — موضوع بحثى فانى قانع بدراسة لبّ الشعر وبتأمل معناه ، تاركاً ما خلا ذلك لعلماء النحو والعروض وهم قلما يحفلون بفنّ الشعر وروحانيته ؟

على محمد البجراوى
(سكرتير جماعة الادب المصرى)

* * *

(أعلنت وزارة المعارف المصرية عزمها على اصـدار كتاب حافل بالمراثى والدراسات التى كُتبتْ عن المرحوم شوقى بك فرأينا ازاء ذلك أن نكتفى بالمختارات التى نشرناها فى هذه المجلة وفى شقيقتها صحيفة « الامام » ، وإن كانت صفحاتُ المجلة ما تزال مفتوحة للدراسات الأصيلة وحدها . ولا يسعنا الاّ شكر وزارة المعارف على حفاوتها بالشعر فى شخص الفقيد الكريم — المحرر)





فى هدوء الليل



ها هى الشمسُ إذْ هوتْ فى الفضاء غادة أجفلتْ تريد الخباءْ
غادة شيَّبتْ بنى حــــواء وهى فى سنّ كاعبٍ عذراءْ
أيها الليــلُ إن فيكَ عزائى أنا قد نُؤتُ بالنهار وناءْ
أَخفِنى فى خــواطر الظلماءِ لستُ مثل الفراش أهوى الضياءْ!



ها هو الليلُ قد طرقْ فى خشوعِ
يبعث الشـكّ والقلقْ فى الضلوعِ
بعثر النجمَ فى الغسقْ كالقطيــع
وطـلى صفحة الشفقْ بالنـجيـعِ
ربّ جفن به انطبق فى هجـوعِ
وسواه شكا الفرقْ بالدمـوعِ!



أجفل الضــوء من جيوش الظلام وتولّى عرشَ الطبيعة حامُ (١)
فإذا الليــلُ كالمحيط الطامى رسبتْ فى قراره الأَجـرامُ
وطفتْ فوق سطحه المترامى كلُّ دوح خفتّتْ بها الأَحلام
فالتمسْ فيه كلّ معنى سامِ عجزتْ عن بلوغه الأَوهامُ

(١) حام بن نوح جد الزنوج كما تقول الخرافة — استعمل رمزاً للسواد.

نبهوني لدى السَّحَرْ نَـبَّهـوني
وخُذوني الى النهرْ ودعـوني
أنا والماءُ والشجرْ في سكونِ
أملأ السمعَ والنظرْ بالفنونْ
ثم أفضي الى القمرْ بشجوني
ليس سرى لدى البشرْ بعصونِ !

« • »

هاهنا أُنشدُ الطبيعةَ شعرى فغناءٌ طوراً وطوراً أنينا
أنشد الطيرَ إن ظفرتُ بطيرٍ فإذا لم أجد أناجي الغصونا
كلما أوغرَ الخلائقُ صدرى فتحتْ لى صدراً أبرَّ حنونا
لا أذاعتْ أشعةُ الشمس سرى ليت بيني وبينهنّ قرونا !

« • »

ها هو الديكُ قد صدحْ بالأذانِ
وسنا الفجر قد لمحْ للعيانِ
في وشاحٍ من الفرحْ أرجواني
هزم الليل والجرحْ في الطعانِ
والندى حوله نضحْ كالجمانِ
منظرٌ صامتٌ طفحْ بالمعاني !

محمود غنيم



شروق الشمس

ولقد شهدت الشمس عند شروقها ... وهّاجة ينجاب عنها الغيهب
من أفق بحر الروم يسفر بعضها ... فوق الخضم وبعضها متحجّب
فكأنها لمّا تبدّى نصفها ... والنصف في خلل الغمام مغيّب
حورية قد حجّبت من وجهها ... جزءاً وجزء سافر لك معجب
جلواء تحسبها أفاقت من كرى ... كانت به منذ احتواها المغرب
وكأنما قد جدّدت وازّينت ... وغدت لمقبل يومها تتأهب
وتطل من علياء مطلعها على ... كون بعودتها اليه يرحّب
خلت تسامى في الفضا حتى اعتلى ... قرص لها وسط السماء مذهّب
تتوهج الألوان فيه : فصفرة ... ملء العيون وحمرة تتلهب
يرمي الفضاء سماءه وعبابه ... بأشعة من حوله تتشعب
بينا ترى ذهباً إذا هي فضة ... بيضاء تكسف كل عين ترقب
وجرى بمخضر العباب بياضها ... نهراً يفيض من السماء ويسكب

اكستر — انجلترا :

فخري أبو السعود





شاطيء الاعراف

كيف خلقت فكرتها ؟

هى ذكريات حزينة تحاول أن تحجبها أكفان سنوات أربع فتهتكها أشباح سوداء ما تزال تتراءى أمام عينىّ .

كنت آنئذ فى المنصورة وقد مرت علىّ فيها سنوات ثلاث تغيرت فى أثنائها نفسى وحالت إلى صورة باهتة من الأمل المكتئب اليائس .

ولست أدرى أكان جوّ المنصورة هو الباعث على ذلك ؟ وهل كان فى أمسيات شتائها الحزين المنقبض ما بعث فى نفسى هذا الشعور المتشائم نحو الحياة ؟ أم كان ذلك على أثر خلجة . . أستغفر الله . . بل خلجات كثيرة خفق لها قلبي فى أدوار حداثة مرت بين التاسعة والخامسة عشرة التى انتهت وما انتهت الى الثامنة عشرة من عمرى ؟

هى خلجات أنهكت قوى هذا القلب وأحالت شعاعَ الأمل الربيعىّ الضاحك الى خطفات باهتة من شَفَق شتاء ، وما تزال تخفق على ضعفها فى محراب الحب .

وزادت هذه الحال فى نفسى سوءاً ، فهبطت نفسى من جراء ذلك الى قرار من الحزن سحيق لاأدرى سببه فلم أجد بداً من أن أترك هذا البلد الحزين حسب مشورة الأطباء إلى بلد آخر أجد فى جوّه سلوى ، فاخترت القاهرة مقاماً .

ولكن كان ما خفتُ أن يكون : فقد هاجت سماء المدينة الأزلية وروحها العتيدة الناعسة الحالمة على أعتاب القدم والأبد . . . أقول هاجت كل ذلك الحزن الى أبعد قراره فى نفسى ولاسيما حينما وقفتُ على مقربة من الجزيرة أرقب النيل من ناحية

بدا لى فيها ذلك الازلىّ كأنه شاعر يغنى فى جانب الموت أغانى تلاشت معانيها فى حواشى الألحان ..! ثم تركت القاهرة إلى « نوسا البحر » وهى قرية تتكىء على النيل ويخيم عليها جوّ المنصورة اكثر ما يكون وحشة وانقباضاً .. مكثتُ بهذه القرية خمسة أيام كنت أختلف فى أمسياتها مع قريب لى إلى مكان هادىء يشرف على النيل فى مشهد رائع طالَعَتْهُ على مبعدة أشجارٌ باسقة من الصفصاف واللبخ والجيز وهائش الغاب فكانت تكسبه روعة فى الليل ضافية وكأنها بعض عباد البراهمة فنيت نفوسهم فى ذهول العبادة وهم ينصتون بألف أذن الى مزامير الآلهة ! ثم كانت بعد ذلك كله نواة قصيدة « شاطىء الأعراف » : فالنيل لم يكن غير نهر الحياة والموت فى هذه الأعراف ، والظلمة المروّعة التى كانت تألف نفسى اليها هى رهبة الأبدية فى هذه الأعراف أيضاً .

وقد مضى الآن على هذه القصيدة سنوات أربع ونشرتُ منها متفرقات فى « السياسة الأسبوعية » وهاءنذا أعود بعد تنقيحها فأقدمها الى قراء مجلة « أبولو » الغراء كاملة لا ينقصها شىء .

لقد انتهت قصيدةُ شاطىء الأعراف ، ولكن هذه الروح العلوية التى غمرت سماء حياتى بنور جمالها الباهت الحزين وهى تصاحبنى فى شاطىء الأعراف ما تنفكّ تصاحبنى بعد شاطىء الأعراف .

فإلى هذه الروح التى أرهفت أذنى لسماع أصداء مواكب الآباد ، الى هذه الروح التى تتغنّى بها كل مشاعرى كما يتغنّى الجدول بكل أمواجه ، الى هذه الروح العالية واليها وحدها أهدى هذه القصيدة ؟

كلية الآداب — الجامعة المصرية م . ع . الهمشرى

الذكريات

عند ما خدَّرَ الفنَاءُ شكاتى وسقانى كئوسه المنسيات
بَعثَ الشعرُ من لدُنه نسيماً فائحَ العطرِ طيّبَ النغمات
هزّ قلبَ الصبىّ فأيقظ فكرى فهفت بى سفينةُ الذكريات
فى خضمّ الافكارِ تطوى بى الوقتَ (م) وتهفو إلى ضفافِ الحياة

* * *

كلما حاولتْ لهنّ رجوعاً دفعتها اللجّاتُ منها اليها
رقصتْ فى شراعِها الريحُ حتىّ حطمته وحطّمتْ دفتيها
رحمةً منكِ يا رياحُ ورفقاً وَدعيها ومن ينوحُ عليها
فلهُ فى الحياةِ كالبرقِ آماً لٌ تساريهِ فى دجى شاطئيها

* * *

ترمقُ الشاطئين من خللِ الدمْ عِ حزيناً فلا يكادُ يبينُ
غير نورٍ يلوحُ كالومضِ شقّتْ فوقهُ السحبُ فهو فيها كنينُ
وسناً يزدهى عليه كلون ال طيّفِ كابٍ، على الدجى موهونُ
هو حبُّ الذين قد ذكروه وشجاهمْ بعد الفراقِ الحنينُ

* * *

وتؤاتيه ضجّةُ العيشِ همساً مثلما يسمعُ الجنينُ الهزيعا
يتمشّى صخبُ العواصفِ فيهِ مشبهاً فى كرى المنونِ نسيما
وضجيجُ الأيامِ ينغمُ كالجرْ سِ خفوتاً يسرى إليهِ بهيما
أبداً مايزالُ يهمسُ فى المو تِ صداها بأذنهِ مستديما

* * *

وخلالَ الاصداء صوتٌ حنونٌ تائهٌ بينَ ضجّةِ الانواء
يتخطّى عصفَ الأعاصير وثباً لا يبالى بهولِ هذا الفناء
ولهُ جنّةٌ يرجّعها المو تُ كنجوى من عالمِ الأحياء
ترهفُ الأذنُ نحوها ثم ترخى فى ذهولٍ يجيب بالاغضاء

* * *

إنّه الحب ما يزالُ يُعاني ... كُلَّ هَوْلٍ ويمتطى كلَّ صَعْبِ
يجشم الصخرَ فيهِ والسَّرَبَ الدَّا ... جى ويَطْوى سَهْلاً خَصيباً لِجَدْبِ
وسَوَاء لديهِ كلّ عَنُوتٍ ... أو ذَلُولٍ على طَرِيق الدَّرْبِ
ليسَ يَخْشَى اللَّجاجَ فى كلِّ حينٍ ... أو يخافُ الرَّدَى على كلِّ سرْبِ

* * *

ويكَ ياحبّ أينَ تمضى إذا مَا ... نَسَجَتْ حولكَ المَنُونُ شِباكَا
وَبَعَثَتَ الأَنْفاسَ مَعْسُولَةً حَيرى ... إلَيْها تَبُثُّها شَكْوَاكَا
أترى يا هَوَى ستقتحمُ المو ... تَ وتلقى كالنَّفسِ مِنْهُ رَدَاكَا
أمْ سَتَبْقى حتّى تراكَ صَيُوداً ... فى غِياضِ الفِرْدَوْسِ تَرمى هُناكَا؟!

* * *

تنزعُ النَّفسُ للشرورِ وتهوى ... هى منها عَناصِراً فى الرُّوحِ
إنما الشرُّ مَفزَعٌ لشَجاها ... لو خَلَتْ من قَداسَةِ التَّسْبيحِ
ولها منه مَسْبَحٌ ومَطيرٌ ... مطمئنٌّ على فضاء اللُّوحِ
وهو كالحبّ كَوثَرٌ ونماءٌ ... وهو مَرعىً للرُّوح جمّ الشُّروحِ

* * *

أيها الحبّ أنت للموت موتٌ ... ذو غِلابٍ على البلى مستخفُّ
أنتَ صِنْوُ الحياة وارثة المو ... تِ ونورٌ على الآكه يَرِفُّ
سوف تبقى بعد الفَناءِ سَبُوحاً ... فى فضاءٍ من الأثيرِ يَشِفُّ
تَلْحَظُ الكونَ فى سُباتِ المَنَايا ... مثلَ رُؤْيا تَهْوِى بهِ وتَدِفُّ

* * *

(الشاعر ينتبه فجأة على ضجيج سفن الموت فيرتاع ويناجى الوقت)

ويكَ ياوقتُ! اتَّئِدْ! أينَ أمضى؟ ... تائهاً فوقَ هاتِهِ الأمْواجِ
فوق مَكسُورةِ الجَناحِ دَهَتْها ... عَصْفَةُ الجانحاتِ والليلُ داجِ
فى خضمٍّ تَدْوى العواصفُ فيه ... ناعياتٍ نورَ الشُّموسِ السَّاجى
عاصفاتٍ عليهِ تَعْتَنِقُ المو ... جَ وتَعْدُو لغيرِ ما مِعْرَاجِ

* * *

﴿ سفن الموت ﴾

نصلتْ من غبارِها سُفنُ المو ... تِ وسارت بمن تقلُّ خِفافا
لفَّها الموتُ فى غياهِبهِ السُّو ... دِ وأسرى يَطْوى بها الأسْدافا
وبها رايةٌ تُشير الى الشطّ (م) وروحٌ يهدي له زَفْزافا
كلما طافَها الفَناءُ بصوتٍ رَفَعتْ قلعَها له إرْهافا!

* * *

خاضتْ الموتَ مُسرعاتٍ مع الوقـ ... ـت ترانى الحياةَ فى طَخْياء
تطِسُ الموجَ خفةً ثم تعلو ... فى سماءٍ من البِلى دَكْناء
وَشَّعَ الموتُ جانبيها اصفراراً ... فأفادتْ منه ضِياء المساء
فى شفوفٍ إبْرَيْسَمٍ سابحاتٍ ... بشراعٍ مرقرقٍ من ضِياء

* * *

طائراتٍ على جناحِ حبارَى ... سابحاتٍ على بُطونٍ سُمانَى
شتّتَ الوقتُ جمعَهن فراحتْ ... عابراتٍ على الرَّدَى أُحْدانا
يَنْفَحُ النِدُّ فيه ريّا خُزامى ... مُومَضٍ حاطهُ الشَّذَى إدجانا
ينْهبُ الشاطِئانِ عبقَ شذاها ... فيُؤاتى زَهْريهما نَعْسانا

« • »

وأرى فلكى الكبيرَ عليه ... يتهادَى من بينها مَبْهوتا
فاجأتهُ الويلاتُ من كلِّ صوبٍ ... خلّفَتْه من عَصْفِها مَبغوتا
فى ذُنابى الأفلاكِ يَهفُو الى الشطِّ (م) فيلوى به الردى مَكبُوتا
فاذا عادَهُ من الشطّ طيفٌ ... شذّ من قلعهِ يُسارى الحوتا

« • »

ولكم مرّتْ الليالى أمامى ... مُسرعاتٍ، يَلُحْنَ مثلَ الظلالِ
وكأن الساعات فيهنّ واليو ... م وكلّ الأوقات نورُ الزوال
فيك ماتت هذى السنونُ أيا ليل (م) وباقي الأحقابِ فى اضمحلال
تنْشُرُ الوقتَ فى الحياة لتطويه (م) جديداً والبعض فى أسمال

الشاعر والآلهة

(يستفيق الشاعر مرة أخرى على نور يَغْشى الأُفق فيستفسر الآلهة عن ذلك فيجيبه)

الشاعر

أيّ نور هذا الذي يبهر الأُفـ ق ويَزْهُو مُغَشّياً جَنَباتِه ؟

الآلهة

هو ياشاعرى الصغير رِكابى ويَشعُّ الضياءُ من مِشْكاتِه
قد تخطَّى إليكَ كلَّ هبوبٍ ومُسِفِّ اللُّجّاتِ في مانجاتِه

« • »

وبدا فوق صَفْحَةِ الأُفق «أپّو س(1)» يُقِلّ الأنوارَ في مَرْكَباتِه

« • »

يا لَه مركباً غلائِلُه النُّو رُ ومن خالِصِ الأثير شِراعُه
احْتَوَتْهُ الأَنْوارُ في رَكْبِها الضّا فى ودانَى طَرْفَ الأَواذى شُعاعُه
فتَراءت مثلَ القَناديل تَترى حوله ، فوقها يَرِفُّ التماعُه
أو رُؤًى في كَرًى تراءى وِضاءً ضَمَّ أَطْيافها إليْهِ قِلاعُه
قد تهادى بين الظلامِ كحُلمٍ ذَهبيٍّ على جناحٍ فضّى !
من رُؤى أول الكَرَى وهى تَسرى مُسرعاتٍ من العُيونِ الغُمْضِ
حوله مَوْجتانِ قد حَوتاهُ وهو فيها يَرِفُّ مثلَ الوَمْضِ
يعكسُ السحرُ فوقه كلَّ حين في زَهيِّ الأطيافِ من كل محضِ

« • »

(الآلهة تنصح الشاعر أن تحمله الى الفردوس فيصرّ على مرافقتها)

أنتَ ياشاعرى تحمّلتَ صبراً في حياةٍ محفوفةٍ بالزوالِ
هيَ رؤيا حلمٍ ويقظتُه المو تُ ، وقَفْرٌ سماؤهُ من آلِ

---

(1) اله النور عند الاغريق .

تبدأ العيشَ في الذي تنتهي فيـ ـهِ سوادٌ على قفيرٍ خالى
ونهارٌ يمضي بساحةِ ليْلَيْـ نِ هو العيشُ وهو عمرٌ خيالى

« • »

إيهٍ ياشاعرى تحمَّلتَ صبراً في عذابٍ قد فاق كلَّ عذاب
لكأنى أراكَ في نشوةِ الفكرِ (م) شَكِيّاً تشكو من الأوْصاب
أترى ترتضي اصطحابى الى الجنَّـ ـة مثوى الشوادِنِ الأسرابَ
حيثُ تلقى ما تشتهيه من الآ مالِ في الأشرباتِ والأسلابَ

« • »

﴿ جنة الشعراء ﴾

تستطيبُ الجلوسَ في ظلِّ أيْكٍ رَفْرَفَ الطيرُ فوقه أسرابا
يَتغنى بين الثمارِ بلحنٍ هل سمعتَ القيانَ غنَّتْ طِرابا
من وحِيْدَيْن يسجعانِ سروراً وشَجِيَّيْن يشدُوانِ انتحابا
وجرى الماءُ في الغديرِ رحيقاً وجرت فوقه الزهورُ حبابا

« • »

جنةٌ صاغها الالهُ من السِّحر (م) ففيها صبابةُ السعداء
نورُها من وشائعٍ من هواء فهى منه في رقةِ القمراءِ
وتغنى الاطيارُ فيها اصطخابٌ فصباها من عبقرىٍّ الغناء
من خيالِ الاشعارِ قد صاغها اللهُ (م) ففيها روائعُ الشعراء

« • »

سترى «افرليز» (١) تجرى على العشـ ـبِ وتهفو إلى شراع المراكبْ
و « تفاتيس (٢) » في ضفائرِها الصفر (م) تغنى تحت الثلوج الأشاهبْ
و « عذارى الينبوع » تعزف موسيقى (م) ربيعٍ فوق الضفاف الشواعبْ
سوف تلقى هناك كلَّ نعيمٍ فتقضّى فيها جميعَ المآرب

« • »

(١) دمية القتها الالـهة ايزيس في النيل فاستحالت الى حورية تعابث الامواج والشراع.
(٢) قصة حزنها مشهورة عند ما قهرتها آلهة بابل وأشتار في بلدة نيكور.

(الشاعر)

أمطرتك الرحماتُ ياربة الشعر (م) وجادتكِ فائضاتُ اليمين !
كنت سلواي في الحياة ، وفى المو تِ أراكِ ، على دجاه ُخذيني

(وتتركه آلهة الشعر فى الفردوس وتهمّ بالمسير فيصيح الشاعر بها)

ماأرى ؟ تزمعين بعد رحيلا ؟ ربة الشعر - ويكِ - لا تتركيني !
أيةً تذهبين فى ذلك الموتِ ؟ (م) ولكن هيا !... خذيني !... خذيني !

(آلهة الشعر)

شأن نفسى وذاك فىَّ غرامٌ أن تلاقى الخطوبَ والأهوالا
اقتبلْ أنت ناعماً وتفكهْ فى جنان طابت جنىً وظلالا
سوف آتيك بالذى قد أراهُ فوق شط الأعراف ، فاهدأ بالا
إننى سوف ألتقى بمنايا تصرعُ الريح ، تنسف الآجالا !

(الشاعر)

آه ! ياطائفَ الخيال تعالى ! وابقَ جنبي ولا تغامرْ وحدكْ
كيف تلقى الرَّدى وأنت ضعيفٌ وسهامُ المنونِ يقصدْن قصدكْ
ونديٌّ الانوار يلفحُ وجهكْ والنسيمُ العليلُ ينسلُ شعركْ
فاذا غالك الفناءُ بسهم كيف أرضى الفردوس داراً بعدكْ ؟!

(آلهة الشعر)

قِرَّ نفساً فاننى لا أبالى بشعوبٍ ولستُ أخشى الحِماما
انا فى رُوحِها الكريهةِ روحٌ لا تلاقى المنونَ إلا سَلاما
أنا كالبارقِ السماوىّ نورٌ لا ينى فى مُضيِّه يترامى
هو يبدو من حيثُ يَحسَبُه النا سُ تعاطى من المنيةِ حاما !

« ٥ »

هاكَ مُفلكى على الدُّجى يتراءى مُستضاءً . كالكواكب اللَّماحِ
بهر الموتَ نورُه . . فهو أعشى يتحاشى من خطفه بالرَّاحِ
يومِضُ الليلَ بالسَّنا مُستطاراً فى اصفرارٍ يحكى اصفرارَ الاقاحى
صَنعتهُ إلهةُ الشعر كيما تتخطى به شِبَاكَ الرياحِ

« • »

فاصْطحِبنى إذن عليه وهيَّا فوقَ هوْلِ الفناء نمضى سوِيَّا
فلقد تطبَّيك رُؤيا المنايا وتَراها حُسناً اليك صَفيَّا
كنت طفلا على المشيبِ لعوباً مشيباً على الصِّبا كُنتيّا
تستمدُّ الحياةَ من نورِكَ البا لى وتسْهو إلى سناهُ شجيّا

« • »

لم تكن غيرَ طائفٍ من ضياء قد طواه به ظلامٌ مُجْنِح
حظُّهُ من حياته ما رآه من تهاويل جوِّهِ وهو يسْبَحْ
فهو من ذِكرِها الحبيبَ مطافٌ لرُؤًى فى ضيائه التِبْرِ تَلْمَحْ
ذِكرَاتٌ ... يرْتادُهنَّ لقاءً مُتعقِباً فى الخيالِ بُعداً مُبرَّحْ

« • »

ونُهَيْرٍ مُرقْرقٍ كنَفَتْه غابةٌ بين دَغْلِها ينسابُ
بَسطتْ فوق مائه العَذْبِ ظلاً تحت عطف الأمواج لا ينْجابُ
حَجَّبتهُ عن العيونِ طويلا وهداها له الصِّفاءُ المُطابُ
سحرَ العالمينَ منه رحيقٌ فاذا هم من صَفْوه شُرَّابُ

« • »

تطلبُ السعْدَ وهو منك قريبٌ تدَّعِى الحزْنَ وهو عنك بعيدُ
قد طويْتَ الحياةَ تجهدُ فيها ليت شِعرى فهلْ جَدَا المجهودُ
تنفحُ الناسَ من شَذى زَنبق « النُّود » وَهُمْ فى كرى الحياةِ رُقودُ !
قد أضَعت الحيـــــاة كلَّ ضياع فى حُطام فان هو التخليدُ !

« • »

(الشاعر يسمع أرغن الموت على فلك الآلهة)

يا خيالى ! ماذا يَطوفُ بقلبى يا خيالى ماذا يُسـارقُ اذنى ؟
أىّ شىء أحسّ .. أىّ دَبيبٍ مستلذٍ .. يُخدِّرُ الرُّوحَ مِنّى ؟

﴿ الآلهة ﴾

إنه ارْغُن الغنـــاء يُغنّى ويعيد الحيـــاةَ فى مثل لَحْن
جَهْوَرِىٌّ الموجاتِ تَنْفُخُ فيه مُسْمِعاتٌ يفضن من كلّ فنّ

« • »

هاكَ لحن الجمال .. هاك صَداهُ هاكَ لحن الهوَى ولحن التّفانِي
هاك لحن الأسَى .. ولحن التأسّى هاك لحن الآمال .. لحن الأماني
هاك لحن الصّبي ولحن التّصابي هاك لحن المشيب والحرمانِ
هاك كلّ الحياة مرّتْ كلحنٍ وصداها يعجُّ في الآذانِ

« • »

﴿ أرغن الغناء ﴾

واهاً له من ناءْ ألحانه زَفْزافْ
في صَمتِ وادي الفناءْ تُعانِقُ الأسْدافْ

« • »

يَضِجُّ في الامواجْ مُصْطَخِب الصَّوتِ
يزهى على الإدْلاجْ من شَفَقِ المَوْتِ

« • »

مفيضُهُ من دموعْ يَسكُبُها اللّحْنُ
وصَمْتُها مَقطوعْ يَنْهَبُه الحُزْنُ

« • »

دَوّى على الأصداءْ يُمعِنُ في الظّلْمَا
يُسامِرُ الجَوْزاءْ ويَنْفَحُ الحُلْمَا

« • »

عَجِيجُهُ صَيّاحْ كالبُوقِ في الآذانْ
يُهاجِمُ الأدْواحْ مِنْ غيرِ ما استِئذانْ

« • »

فالكَوْنُ في رَجْفِ كالكوكبِ الخَفّاقْ
خاضًا من الخَوْفِ في مَسْبَحِ الآفاقْ

« • »

وتارَةً يَخْفِتْ في غَسَقِ اللّيْلِ
كالرّوحِ لو تَصْمُتْ في صَخَبِ الوَيْلِ

« • »

فتَحْسَبُ المَوْجا يَلعَبُ بالأرضِ
يرُجُّها رَجّا وبَعْدَها ... يَمْضِي

« • »

يَعلُو على النّجمِ ويلمس السَّقْفا
كأنّ في حُلمٍ طيفاً به رَفّا

« • »

فطافت الذّكرى بقلبه النّائي
كالظِلّ لو أسرى بصفحةِ الماء

« • »

في دُجْنَةِ الآبادْ ترعشُ كالأشباحْ
كالجمرِ تحت الرّمادْ من فوقه النّدُّ فاحْ

« • »

فلاحَ في الليلِ بستانُهُ السّاجي
مُعطّرَ الذيلِ في أفقٍ داجي

« • »

وتحت ظلّ وريفْ مقعدُ مَنْ يَهْوَى
يخطف فيه رَفيفْ من السّنا أضْوَى

« • »

وتلكَ ،لا بَلْ هَذِي مَلاعبُهُ لا تُحْصَى
ليس لها من نَفاذِ قطّ ولا تُسْتقصَى

« • »

كم مَرّ فيها ربيعْ ومَرّ فيها خَريفْ
وكم مَشَى في خُشُوع يُناغِمُ الشادُوفْ

« • »

يلهو على النَّبْتِ ويَقْطُفُ الزّهْرا
يخفّ في صمتٍ يَسْتَرِقُ الطّيرا

« • »

﴿ صور اللحن في الصبي ﴾

وأبدلَ النّعْما إلى الصّبيَ الغَيْسانْ
فصوّرَ القُدْما في مَنْظرٍ فتّانْ

« • »

جوٌّ من الأثيرِ مُذَهَّبٌ فِضى
سماءُ أيكٍ شجيرٌ يَرِفُّ فى الأرضِ

« • »

مُنَوَّرٌ النُّوارْ كالمخملِ المُفَوَّفْ
طرَّزَهُ النُّوبَهارْ مُفرَّقاً مُؤلفْ

« • »

﴿ صور اللحن فى المشيب ﴾

وأبدلَ النَّغْمـا الى شحوبِ المشيب
فصوَّر العدما فى منظرٍ كئيبِ

« • »

جوٌّ من البرْدِ أعصارُهُ ثجُّ
يذيبُ فى الجلدِ روحاً به الثلجُ

« • »

ودَغَلٍ مُصوَّحْ يشتقُّه الذُّبولْ
لا طائرٌ فيَصدَحْ به ، ولا خميلْ

﴿ صور لحن الأمى ﴾

وأبدلَ النغما فى رنةِ الحُزْنِ
فصوَّر العدما فى منظرٍ مُضْنِى

« • »

حديقةٌ فيْحاءْ فى زَمنٍ ربيعْ
يغشى انقباضُ الشتاءْ فى حُسْنها الوديعْ

« • »

﴿ صور لحن الأمانى ﴾

وأبدلَ النغما الى صغيرِ الامانىِ
فصوَّر العدما من أزْهرِ الالوانِ

« • »

مشْجرةٌ غنّاءْ سِحريَّةُ الأزْهارْ
تسطعُ فى دَكْناءْ من عبِقِ الأعْطارْ

﴿ مطلعُ الشاطىء ﴾
(الشاعر ينتبه مبغوتاً)

إيه ربَّاه ما أَراه أمامى ؟ أىّ نورٍ فى أيّما أَسدافِ ؟ !

﴿ الالٓـهة ﴾

هو شطُّ الأَعرافِ ...

﴿ الشاعر ﴾

أَيَّة شطٍّ ذا المُسَمَّى بشاطىء الأعرافِ ؟

﴿ الآلهة ﴾

هو مثوى الألحان بعد شَتاتٍ ومَقرُّ الأرواح بعد طَوافِ
تَرْقُبُ الموتَ والحيـاة تَسيرا ن على الوقتِ وهو كالرجَّاف !

﴿ وصف الشاطىء ﴾

فى انتحاءٍ عن العوالم قاصٍ حيث يَرْقى السكونُ مرقى الفضاء
وطيور القضاءِ تنعَبُ فى المو تِ نعيباً يزيد هولَ الفناء
غير أن السكون ينهشه نهـ ـشاً ويمشى الخفَى على الضوضاء
سرمديٌّ البقاء يحكم فى الموتِ (م) ويبقَى على بقاء البقاء !

* * *

وإذا ما استمعتَ هالك صمتٌ فى عويل الآزال والآبادِ
يستجيبُ الفَنَاءَ وهو بعيدٌ فيُلاقى منه سكونَ الجمادِ
حُلمٌ مزعجٌ تراه بها الأر ضُ وهـذا الفناء مثل الرقادِ
استطارتْ له وَحقَّقه العدم (م) من الخوف فى المنايا العوادِى

* * *

ليس شىءٌ يحيي المُنى فيه إلا ابْيضاض الثلوج فوق الصخورِ
مثل صوب العِهادِ تلحق بالبعض (م) وتَنْهالُ فى اصْطِخابٍ نكيرِ
تَطِسُ الصَّخْرَ والكهوفَ وتَنْقضُّ (م) عليها مثلَ انقضاض النّسورِ
لهَفى ! كلّ ما أرى فهو موتٌ ينذرُ الأرضَ موعداً بالنّشور

* * *

يستريحُ الزّمانُ والموتُ فيه بعد طولِ التطْـواف والجولانِ
وكأنَّ الزمانَ خامَرَهُ الخـو فُ فأضحى مع الردى فى احتضانِ
وتلاشَى بـه رويـداً رويداً ثم أهوى عليه كالوَسْنانِ
فإذا بالفنـاء يحكمُ فرداً فـوضويّـاً على جَلال المكانِ !

* * *

هو وادٍ للموتِ يَنشُرُ فيـه شِبهَ دنيا تفنَى وشبهَ حيـاةِ
يبسطُ الوقت كالخضمّ ليَطْويـــــه ويعـدو عليـه كالسَّعْلاةِ
مزّقت نفسـها الرّياحُ عليه داويات من فوقه مُعوِلاتِ
لغطٌ يشبه الحيـاةَ بما تحوى (م) ولـكنْ خِلوٌ من الأصـواتِ

* * *

تبصر الدَّوْحَ صاعداً فى فضاءٍ يتَراءى عليـه كالأشباحِ
فى لَبُوسٍ من الدّياجيرِ داجٍ لفّه غَيْهَبٌ مُسِفٌّ الجنـاحِ
وترى البرْقَ مومضاً يترامى فى ثنايا الاسْدافِ مثل الجراحِ
أو كحربٍ على الظلامِ عوانٍ قام بين الاجسادِ والارواحِ

* * *

وترى الموجَ فوقه يركبُ الموجَ (م) ويعلـو مُهاجـاً شُـطْآنَهْ
ظُلماتٌ من فوقها ظلماتٌ تعجز الطّرفَ فى مَداها الابانَهْ
مُدْجِنَاتٌ . . هواضِبٌ . تترامى فى اصطخابٍ . . فى ليلة أرْوَنانهْ
ربِّ ! أين المفرُّ منهـا وهـذا شَبَحُ الموتِ قد أطالَ جِرانهْ ؟!

* * *

هِيَ هذى السنينُ تمضى عِجالاً مُسرعاتٍ تجرى على التيارِ
تتلاشى فى بعضـها ثم تحيي لتعيـد التمثيلَ فى الاعمـارِ
مُشبهاً بعضُـها على العمر بعضاً لو خلتْ من تبايُنِ الاوْطارِ
والهـذا الفناء !... والهواهُ ! والهـذا القضـاء والاقدارِ !

* * *

أيها الوقت كم أطحت بعيش خضل كان وارف الأظلال
حيث كنا وقد تحقق فيه كل حاج من سانح الآمال
كل يوم يزداد حسناً ولطفاً ثم تمضى الغدى على منوال
لم يكدر سماءه أى غيم ومضى ناعماً بأحسن حال

« • »

وتوافيك أنة وعويل من ظلام الكهوف والغيران
أهى شكوى الأحلام يصرعها المو ت وشكوى مما تقاسى الأمانى ؟!
أم هى الروح تستغيث وتبكى من عدو فى الموت ذى شنآن ؟!
أم هو الموت فى الظلام يغنى أم عزيف يدوى من الجنان ؟!

« • »

الآلهة

إيه ياشاعرى ! كفاك مقاماً ها هنا .. فالفناء جم الضفاف
ليس شط الأعراف هذا ولكن هو ركن من شاطئ الأعراف
سترى مخبأ الليالى وتلقى مصرع الوقت فى دجاه الضافى
حيث لا معلم هنالك يهدى لا ، ولا فوقه يصاح لطاف !

« • »

فسترى فلكها يشق الدياجى فى ذميل مسيره ركاض
يمخر الموج والعباب بقيدو م شتيم على الردى خواض
ثم أرسى وقد عراه رجيف فوق شط من المخاوف ناض
ليس رؤيا عليه غير ظلام ليس حس عليه غير انقباض

قبر الليالى

فاذا هيكل يلوح على الأفق عليه من المنايا شحوب
قاتم الجو أغدف كنفته بلجاج من الظلام شعوب
ترسل الطرف نحوه فيلاقى حجنة الموت فوقه فيؤوب
وحشة تصرع الأمان وخوف إثر خوف على الردى محسوب !

* * *

يُفزع الجنَّ والاناسي ويُضني رُسُلَ الليل أن تخوض ظلامَهْ
لو رأوه خرُّوا لديه سكارَى يسألون أيَّان يوم القيامَهْ
ولراعتهمُ المخاوفُ تجْثو خلفه في الظَّلام ثم أمامَهْ
أين ألقى الضياءَ في ظلُماتٍ تنهبُ البرقَ في الفناء نهامَهْ!

* * *

قِفْ تأمَّله وهو يعترض المو جَ فيمضى من نحْتِهِ جيَّاشا
هو قبرُ الحياة يقصده الوقتُ (م) جَزوعاً من هوله رعَّاشا
فاذا ما احتواهُ أرسَلَ نجوا هُ رذاذاً من خلفه ورَشَاشا
هو دمعُ الزمان وهو « الرَّحيم القلب » لم يلق في الحياة المحاشا!

﴿ الآلهة تناجي الشاعر ثانية ﴾

إيهِ ياشاعري! كفاك مقاماً ها هنا فالفناءُ جَمُّ الضفافِ
ليس شطُّ الاعراف هذا ولكن هو ركنٌ من شاطيء الاعرافِ
سترى مخبأ الليالي وتلقى مصرع الوقت في دجاه الضافي
حيث لا مَعْلمٌ هنالك يَهدى لا ، ولا فوقه يُصاخُ لطافي!

* * *

فسرى فلكها يشقّ الدّياجي في ذميلٍ مسيره رَكاضِ
يمخر الموجَ والعبابَ بقيدو مٍ كريهٍ على الرَّدى خوَّاضِ

* * *

وإذا بيَ أحسّ صوتاً حنوناً طائفاً في الردى بأرخم جرْسِ
يتهادى على السكون رخياً ويناجى الأرواحَ في مثلِ همس
وهي في الموت لا تحسّ بنجوى من غناءٍ ولا تصيخ لحسّ
سكنت سكنةً يعانقها الصمـ ـتُ وأسرى بها فناءٌ مفسّى

* * *

أخذ الصوتُ في ازدياد « خفوتٍ » وسجوٍّ على السكونِ مديدِ
مستديراً على الفضاء يداني طرف هذا الفضاء حدّ الوجودِ

وبدا فوق هامة الأفق نورٌ ساطعُ الجوّ خاطفٌ من بعيد
وإذا موكبٌ يتيه عليه مثل قصرٍ من الضياء مشيدِ!

***

هو ركبُ الحياة يمشى حثيثاً مستخفاً إلى « ضريح الليالى »
فهو مثوى الاحقاب بعد تمام ومقرّ الاجيال بعد اكتمال
قفْ تأملْ! فلك الحياة عليه ملكٌ فى وضاءةٍ وجلال
عبقريٌّ الجمال فى سندسٍ خضر (م) يغنّى فى بهرةٍ واختيالِ!

***

ومرت خلفه « زوارقُ » شتّى تتراءى كأنها أحلامُ!
فترى « زورق الجمال » عليه مسمعاتٌ غناؤهن سلامُ
وترى « زورق الشرور » عليه مسمعاتٌ غناؤهن سقامُ
وترى خلفها زوارقَ شتى منشئاتٍ ... وكلها آثامُ!

***

جُبلتْ هذه الحياةُ على الشرّ (م) وإن كان نامياً فى الخيرِ
وأرى الخيرَ من عارِ ضرارِ وَجدت خصبَ أرضها فى الشرّ
إنّ هذا التراب وهو قبيحٌ فاح من روحه أريجُ الزّهر
ليس هذا النعيم غير شقاءٍ فحذارِ.. حذارِ.. من أمّ دَفْرِ!

***

ومضى الركبُ فى الردى وتلاشى أثرُ الركب فى « ضريح الليالى »
فكأنّ الحياة كانت مناماً وغرور الحياة طيف خيالِ!

السكون الحاكم

أيهذا السكونُ! يا حاكمَ المو تِ! وصنوَ الآزالِ والآبداتِ!
كنتَ قبل الحياة تحكم فى المو تِ، وها أنت حاكمٌ فى المماتِ!
أيها العدم! أين أسرى حبيبى؟ أيها العدم! أين أسرت حياتىِ؟!
أين مثوى الضياء؟.. أين أراهُ؟ أين مثوى الغناء والأصواتِ؟

« • »

أيها العدْمُ أين تنعسُ فى الصّمْ تِ وتلقى لديه راحةَ جفنِكْ؟
قِفْ ودعنى أبثّ إليك شكاتى والتباعى مُهَمْهماً فى أذنِكْ!

« • »

لم أجدْ فى الحيـاة لى اذْناً تسـ ـمعُ شكواىَ أو فؤاداً حنونـا
ولذا قد أتيتُ أشكوكَ ما بى فلقـد ترْحمُ الكئيبَ الحزينـا

« • »

كان لى فى الحياة قلبٌ طروبٌ يتغنّى كالطائر الصدّاحِ
أحرق الحزنُ منه ريشَ جناحيـ ـه وأهوى به كسيرَ الجناحِ !

« • »

فتحملْ منه أساه وفرّقْـ ـه على ذلك الفضاء شعاعـا
قبل أن يقضىَ الفـؤادُ ويمضى حاملاً معه فى الفناء التياعـا



﴿ ساحر الوادى المغنى ﴾

(فى الابيات التالية يتخيل الشاعر مغنياً فى وادى الموت يغنى الفانين لحناً صامتاً وهو بعينه المغنى الذى كانت موسيقى الوجود تستمد ينابيعها منه وتفرقها على الربيع والاطيار والمياه والنور . . . يتخيل الشاعر وقوف المغنى صامتاً بقيثارته المحطمة يعزف عليها فلا تساعفه الالحان)

« • »

ساحرَ المـوت ! طال صمتك هيّـا رجـعِ اللحنَ . . أيهـذا الشادى !
قمْ أيا عازفَ المنـونِ وغنّـى وابعثْ النغـم فوق صمتِ الوادي

« • »

أترك الدوحَ والينابيعَ تحيا لتعيدَ الحـزينَ من آهاتكْ
فلكم فاح نشرُها وهى تسرى لتحـيّي الصباحَ فى نغماتكْ
لهفى ! ما أراك تبعث لحناً ! فاخبر الشعر ما دهى قيثاركْ ؟
سوءة لليدِ التى عطلتْها ! وعفت فى غنائها أوتاركَ !

« ٥ »

هاك موجُ الفناء يقذفه اليأ سُ على شاطىء السكونِ الرَّهيبِ
يستجيب الأصداءَ وهى تعانى ما يعانى .. فما لها من مجيبِ !

« ٦ »

وأرى روحك الشحوب دفوفاً تشتكى للسكونِ من ألحانكْ
غنها من سماء فنـِّـك لحناً فلقد تستفيق من أحزانكْ

« ٧ »

كان إنشادك المبارك فجراً مستهلا وضىءَ نورِ الحياة
ليت شعرى فأين أذوى وأينتْ قد أقرت ألحان ذى الأغنياتِ
لهفى ما أراكَ تبعثُ لحناً فاخبر الشعر ما دهى قيثاركْ ؟ !
سوءةٌ لليد التى عطلتها وَعَفَت فى غنائها أوتاركْ !

* * *

شرح وتعليق

الأعراف كما فسرها المفسرون مكان بين الجنة والنار، واطلقت هنا على شاطىء خيالى يقع وراء عالم الحياة ويشرف على عالم الموت .

بعد أن مات الشاعر حملته آلهة الشعر على زورقها السحرى فى بحر الوقت وأرست به على هذا الشاطىء ...

والشاعر يصف لنا كلّ ما رآه فى طول رحلته من عجائب الموت التى تحلم بها كل شاعرية تسلم زمامها الى الخيال المطلق !

وعند ما يصل الشاعر الى شاطىء الأعراف يصف لنا هذا الشاطىء ثم يروعه بحر هائج مصطخب يشرف عليه شاطىء الأعراف فيصفه لنا : هذا البحر هو « بحر الوقت » !

ويعترض هذا البحر على صفحة الأفق هيكل قصر خرب به فتحات مظلمة تنساب فى خلالها مياه بحر الوقت وتفنى فى أحشاء المجهول والعدم : هذا الهيكل الحالك هو « قبر الليالى » التى كانت تدفن أشلاءها فيه أثناء الحياة .

وبينما كان الشاعر يرعى ذلك طلع عليه موكب فخم من زوارق سحرية يتقدمها فلك عليه خيال ملاك يعزف على قيثارته ...

هذا الملاك هو الحياة تقود عناصر الوجود من الجمال والشر ... الخ . فى زوارقها ، ومرّ ذلك الموكب فى بحر الوقت واختفى فى غياهب هذا القصر الذى هو قبر الليالى ، ثم أرخى على العالم ستار العدم والصمت !



الشريدة

تذكرتِ الماضى فهاجت شجونُها وحنتْ الى الذكرى ففاضت شئونُها
وألقت يدَ الآلام كرهاً برأسها على كفِّ حيرى لم تجد من يعينها
ورامت خلاصَ النفس من لجة الأسى فرت بها الذكرى فجنّ جنونها

« • »

فتاة سقاها الدهرُ كاسات سخطه وزادت على مر الليالى شجونُها
تسير بصحراء الحياة شريدةً تمزق ساقيْها عناءً حزونها
وتهفو بها الذكرى حنيناً فتنحنى وتسبح فى ساجى الدموع جفونها
وتلهب داجى الليل من زفراتها بنيران آلام تجيش أتونها
يُسيل دموعَ العين حرٌّ بكائها ويصهر حباتِ القلوب حنينها

« • »

تناجى شباباً أذبلته يد الأسى وأيام عزٍّ ناضراتٍ غصونُها
وعهداً تولى كان ريَّانَ صافياً أفاض عليها كل معنى يزينها
وحباً طهوراً لم يدنس عفافُه وليداً أحاطته بعزٍ يصونها

« • »

تولى ولم يترك لها غيرَ آهةٍ يقطِّع أوصالَ الفؤاد رنينُها
ونفساً من الأحزان باتت كئيبةً ووجهاً جرى فيه شحوبٌ يشينها
أناخ عليها الدهرُ فى ميعة الصبا وأسلمها للبين دهر يخونها
تـبدّلَ بالنعمى شقاءٌ ملازمٌ وبالشدو فى ظل الأمانى أنينها
فياليت شعرى هل يبدّد سقمَها ويصفو من الأكدار دهرٌ يهينها ؟!

عبد العزيز محمد عطية



السير وولتر سكوت

ان الذى يعنينا من حياة السير وولترسكوت شيئان : الاول أثر الدرس المنظم فى العقل الموهوب ، والثانى البطولة الادبية الممتازة ، والانتاج الهائل الذى أنتجه وولتر سكوت ولم يكن له نظير غير أنتونى ترللوب ، وشتان بين الاثنين فى العمق والعبقرية!



السير وولتر سكوت

ولد وولتر سكوت فى أغسطس سنة ١٧٧١ م . من عائلة عريقة فى المجد ، يمتد نسبها الى أمراء اسكوتلاندة وأبطالها ، وكان ابوه محامياً وأمه ابنة طبيب كبير .

وقد أصيب وولتر بالعرج فى سن الطفولة ولازمه العرج طول حياته ، وفى هذا شبه بينه وبين بيرون . وقد قضى جزءاً كبيراً من طفولته فى قصر جده ، وفى هذا

القصر المحاط بجلال الطبيعة وأروع صورها تشربت نفس الطفل بما ظهر بعد في الاديب الخالد !

دخل مدرسة ادنبرة العالية ، فتميز بين أقرانه بميله المفرط الى الادب والشعر وقراءته الواسعة فى غير الدروس ، وغرامه بالتاريخ وبخاصة بتاريخ اسكوتلاندة وآثارها ، ومهارته فى بحث الاوراق القديمة الخاصة بتلك الآثار . ومما يذكر له على سبيل المثل انه فى الخامسة عشرة حضر الشاعر بيرنز الى ادنبرة واحتفى به اعلام الادباء فيها ، فأعجب الشاعر بيرنز ببيتين من الشعر قرأهما تحت صورة ، ولم يدر مصدرهما فى ذلك الجمع من الادباء والاعلام غير سكوت .

وفى جامعة ادنبرة درس المحاماة وتخرج محامياً ، واشتغل فى مكتب أبيه ، ولكن ميله الى الادب كان أقوى من ميله الى المحاماة، وما كان أشد فرحه عند ما عُين فى سنة ١٧٩٩ م. عمدة لبلدة سلكركشير ، وأعطى مرتب ٣٠٠ جنيه فى العام ، فتم له بذلك ما يريد من الفراغ ومن الانكباب على الادب والشعر . ولم يكن درسه للادب والشعر والتاريخ درس لهو واستمتاع ، شأن غيره من الشباب ، ولكنه كان درساً منظماً عميقاً جافا ، وكان بحثاً مستفيضاً قوياً ، وكان كلما آنس باباً للاستزادة طرقه ، فانه أعجب بالأدب الألمانى فدرسه ، وترجم أغانى بورجر ، وما لبث أن تزوج بسيدة غنية ، وجمع أغانيه فى سنة ١٨٠٢ م. ثم طبعها .

وسكن بعد ذلك بلدة اشستيل على نهر التويد ، ومرت حياته إذ ذاك على وتيرة واحدة : يستيقظ من الساعة الخامسة صباحاً ، ويوقد ناره بيده ثم يخرج ليرى خيله وكلابه ، ثم يعود فيكتب حتى الفطور ، ويعاود الكتابة بعد الفطور ، ثم يمضى الى تأدية أعماله اليومية حوالى الظهر .

وفى سنة ١٨٠٥م. كتب قصيدة «السيد الاخير» فرفعته الى الصف الاول من شعراء الانكليز ، وأتبعها بأخريات فى نفس العظمة والجلال ، كمارديون ، وسيدة البحيرة ، وقد صادف نجاحاً هائلا كان نفسه لا يتوقعه . وانهمر عليه المال فاشترى ضيعة كارتلى ، وبنى فيها قصراً كقصور ألف ليلة وليلة ، على جانب النهر .

وكان قد كتب قصة وافرلى منذ سنين ، ولكنه أطلع صديقاً عليها فلم يرض عنها ، ولم ينصحه بالاستمرار فيها ، فتركها جانباً ، وأخذ ينشر أعمال غيره كدريدن وسويفت ، ثم خطر له أخيراً أن يعاود وافرلى ، وكان قد اشترك فى عمل مطبعى تجارى هائل كلفه مالا طائلا ، ولم يكن سكوت بكل ثروته وانتاجه الوافر كفؤاً

لذلك الاسراف ، وكان مدير الشركة صديقاً له دالة عليه . فكان يذهب الى الرجل الطيب فيأخذ قسطاً بعد قسط فيعطيه ،ولكنه فرغ صبره ذات يوم وصاح بصاحبه: «ناشدتك الله ألا ماعاملتنى كانسان لا كبقرة حلوب !» وكانت حالة الشركة تمضى من سىء الى أسوأ ، وتكدست فيها الكتب التى لا تباع . فأخذ سكوت يكتب قصة وافرلى وكان يكتبها بدون ان يضع اسمه عليها ، فلقيت نجاحاً لا نظير له ، وقام العالم يتساءل عن « العظيم المجهول » ! والمدهش انه كان يبدأ القصة وينتهى منها فى أربعة أسابيع خلاف ما كان يحرره من مقالات وقصص صغيرة وأشعار ، والمدهش أيضاً أنه اتخذ الحيطة الكاملة حتى لا يُعرف أنه مؤلف وافرلى . وكان القصر مفتوحاً للضيوف والاصدقاء ، ولم يكن يخطر ببال أحد ان هذا السيد الذى يجد وقتاً لاكرام ضيوفه والتنادر معهم ، هو نفس العظيم المجهول الذى ينتج ذلك الانتاج الضخم المنقطع النظير.

وتمّ المجد والشهرة له . وكان يشعر انه عثر على منجم ذهب ، فاندفع فى البذخ ، يبنى ويزين ويشترى ، ومدير الشركة يكتم عنه الافلاس المحدق به والكارثة المقبلة ، وأخيراً وقعت الواقعة وعلم سكوت ذات يوم انه لم يفلس فقط ، بل ان عليه ديناً يبلغ ١١٧٠٠٠ جنيه ! وهنا البطولة الممتازة والشهامة الخارقة ، فانه أبى ان يعطف عليه دائنوه ، ولكنه طلب مهلة فقط ، وأخذ يؤلف ويكتب ، ليسدّد ذلك الدين العظيم وحده بلا مساعد ! ولكن ذلك الجهد الجبار كان فوق ما تحتمل الصحة وما تقوم به العافية ، فأخذت أعراض الضعف والوهن تبدو عليه ، ولم يكن يبالى ويقول إنه لن يمتنع عن العمل حتى يموت !

واخيراً دكّ الجبل ، فقد أصابته نوبة شلل فى غرفته وهو يكتب ، فعولج منها ولكنه لم يعد يوماً ما وولتر سكوت القديم . نعم كتب وألف كثيراً بعد إصابته بالشلل ، ولكنها اعمال عليها أثر السقم والانحلال .

وسافر الى ايطاليا وغيرها يستشفى . وعاد معافى قليلا ، فاستأنف اعماله ، ولكنه ما كاد يمسك القلم حتى هوى من يده ، فبكى بكاء مراً .

وأخيراً عاودته نوبة أخرى فمات بين أهله وذويه وكلابه .

مات وقد ترك تراثاً هائلا خالداً . وبكته اسكوتلاندة التى مجّدها وفتن الناس بحسنها وعظيم آثارها وبطولة أبنائها ، وبكاه العالم الذى قرأ وافرلى بين الاعجاب والدهشة .

وماذا يجرؤ منتقدوه أن يقولوا ؟ قالوا هو غير فنان ، وانه رجل تاريخ يقص قصة اعتيادية يجيد حبكها . أين هو من جين أوستن التى تكتب فتبدع فى الوصف الدقيق والتحليل العجيب ؟!

وان ردّنا على ناقديه هو أنه كان يخلق لك المدينة العظيمة بناسها وشوارعها وقصورها واسواقها ، وينزلك للطواف فيها : فامامك المدينة التى تضج ضجيجا وتزدحم بمختلف الاشياء ، فاذا لم ترقك وانت عند بابها تسمع ضجة الزحام فليس الذنب ذنب سكوت ولا المدينة ولكن ذنبك أنت لانك لم تتغلغل فى أحشائها لتعثر على الجميل الممتع والبديع الساحر !

تحية واجلالا لوولتر سكوت وشعره الدافق الجميل ، ورواياته القوية ، وأدبه الخالد !؟

ابراهيم ناجى



جون كيتس

(١٧٩٥ — ١٨٢١ م .)

بقلم الآنسة إقبال بدوانى

بكلية الحقوق — بالجامعة المصرية

وُلد كيتس والقرن الثامن عشر يحتضر ومات فى أوائل القرن التاسع عشر ، فلم ينعم بالوجود فى هذه الدنيا ومضى فى زهرة الشباب وفى ربيع العمر فى منتصف العقد الثالث . وحكاية حياته فى حد ذاتها قصة مؤلمة وفاجعة شديدة ، والذى يعجب له المرء أن يخلف هذا الشاب الصغير أعمالا خالدة وضعته فى مرتبة العباقرة من الشعراء العالميين .

كان كيتس على نقيض « بيرون » و «ورد سورث» و « شيلى » و « كوليردج» لا يعنى بالمسائل الانسانية الهامة من الحرية والمساواة والاخاء ، تلك التى أُثيرت عقب ظهور الثورة الفرنسية ، لأنه كان قد وهب شاعريته وقلبه للجمال ، فراح يتغنى به فى كل قصائده ، وينشده فى كل المواطن . وله كلمة خالدة فى الجمال ننقلها فى هذه الذكرى ، وهى :

« الجمال هو الحق ، والحق هو الجمال — هـذا هو كل ما تعرفه على الأرض وكل ما تحتاج الى معرفته » .

فلا بدع ولا غرابة إذا قلنا إن مقصـد كيتس من الحيـاة كان يتلخص فى كلمة واحدة هى « الجمال » : فاذا قرأت له شيئاً ، وجدت كيف يذهب بعيداً عن أهـل زمانه ويختلى بنفسه يتحدث إلى أشباح الناس الذين مضت على موتهم دهور سحيقة فيخرج لك من آلهة الاغريق وابطالهم صوراً ومواضيع رائعة الجمال . . .

وقد كان يحتذى شعراء عصر أليصابات وعلى الأخص « سبنسر » ، ثم أحيا فن العصور الوسطى الرومانطيقى ، كما اكثر من تقليد اليونان .

واطول قصائده « انديميون » تقصّ علينا فى أسلوب حديث حكاية غرام ديانا والفتى انديميون القديمـة . ويظهر احياؤه فن القرون الوسطى جلياً فى قصـيدته ايزابيلا ، حواء سنت ايجنز ، وهذ الضرب من الشعر وجّه العقول والافكار توجيهاً جديداً . وتبعه فى ذلك الفن « تينيسون » و « روزيتى » ولـكنه ظل البارز المتفوّق فى ذلك المضمار .

وشعره الغنائى هو بلا شك أجمل ما فى اللغة الانجليزية ، ويكفى المرء أن يقرأ «أنشودة الى العندليب » أو « إلى الخريف» فيعرف كيف بلغ كيتس القمة فى هذا الضرب من الشعر ، إذ لاجدال أنه كان من أبرع الشعراء فى رسم الصـور الذهنية وجعل الكلمات المجردة ذات قوة روحية غريبة .

يكفى المرء أن يقول إنه كتبَ سحراً لاشعراً ، وأنه لم يكن شاعراً فحسب ، وهو فى الحقيقة يعدّ مقياساً للذوق الشعرى لدى كل انسان : فمن فهم كيتس وقدّرَهُ قَدْرَهُ فقد فهم الشعر وقدّره . . .

مات هـذا الشاعر الخالد فى روما الخالدة التى راح يتغنى بها كثيراً . مات قبل الأوان فى سن الخامسة والعشرين ، ولا يعـلم سوى الله ماذا كان يحدث لو مدّ له الأجـل ، ورغم هـذا فقد خـلد اسمه فى النابغين وهو كما يقول أرنولد عنه « مع شكسبير » .

كتبتُ هذه الاثارة منوّهةً بعبقرية يلمسها كل من قرأ الشعر الانجليزى، فان كنت أطمع فى شىء جديد فانما هو رغبتى الى المختصين من أدباء العربية الذين درسوا الشاعر أن يعملوا على نقل أشعاره الخالدة إلى لغة الضاد .



زيوس ويوروبا

ZEUS & EUROPA

(كبير الآلهة ونموذج الجمال)

شاقَه الحُسْنُ وكم شاقَ الجمالْ كلُّ ما في الكونِ بل ما في الخَيَالْ
ليس بدعاً مِنْ إلَهٍ قادرٍ أن ينال الحُسْنُ منه الابتهالْ
أو مُحَالاً مِنْ جمالٍ مُعْجِزٍ أن ترى المألوفَ منه كالمُحَالْ!

« • »

خطرتْ بنتُ المليكِ السافِرَهْ في رُبى الشاطئ تلهو سَاحِرَهْ
والمروجُ الخُضْرُ تَزْهُو حَوْلَهَا بين نُورٍ ومَعَانٍ ناضرَهْ
وبدا الشاطئ في رُوحِ الصِّبَى وأماني الحبِّ فيهِ طائِرَهْ

« • »

ورآها دُميةَ الفنِّ (زيوسْ) وغنى الدنيا وأحلامَ الكؤوسْ
فاشتهاها وهو أسمى منزلاً وهي أسمى منه في حُسْنٍ يسوسْ
وأبى استهواءها الا عَلَى صورةٍ للفنِّ تستهوى النفوسْ

« • »

فتراءى في خيالِ الحيوانْ الأليفِ الطبعِ والجمِّ الحَنانْ
صورةَ الثَّوْرِ البهيِّ المنظرِ الخفيفِ الظِّلِّ ترضاه الحسانْ
واكتسى مِنْ لونهِ الصافي حُلَى فاذا المَرْجُ بمرآهُ يُزانْ!

« • »

ودنَا مِن ربَّةِ الحسنِ التى قد تَجَلَّتْ فى مَصَفٍّ الأكَمَهْ
فى دعاباتٍ يُحيِّيها بها كتحيَّاتِ القلوبِ الوالهَهْ
الْتَقَتْ الخوفَ وناجتْه كما داعبَ الطفلُ الدُّمَى المستألهَهْ!

« • »

وأتَتْ بالزَّهْرِ إكليلاً له ثم عقداً شاقَها فى جيدهِ
فازدهَى فى نشوةِ الحُبِّ كما يَزْدَهِى المعتزُّ من تأييدهِ
وانثنَتْ تركبُهُ فى خِفّةٍ فأتمتْ حظَّه فى عيدهِ!

« • »

ومضى فى اليمِّ يجرى سابحاً غانماً مُلكاً فريداً راجحاً
وجمالاً عبقريّاً بينما كان هذا الكونُ يرنو صادحاً
وتولَّى يحمل الحسنَ الى حيث يلقى الحُسْنُ عرشاً صالحاً

« • »

وتَجَلَّى بعد ذا فى صورتِهْ حين (يوروبا) بدتْ فى رُتبتِهْ
وارتضتْه بَعْدَ لأيٍ زوجَها حين عَدَّ الكونَ مَرْأَى زوجتِهْ
كم كبيرٍ بصغيرٍ يَحْتَفِى وصغيرٍ بكبيرٍ لم يَتِهْ!

احمد زكى أبو شادى





لو كان..!

(أغنية مترجمة عن الشاعر الفرنسى الفحل (هيجو) من ديوانه
« أغانى الغسق* »)

لو كان عشبٌ ناضرٌ يروى حديقتَهُ السماءْ
طولَ الفصولِ مُنوَّرٌ بعضُ الزهور به وِضاءْ
يُجْتَنَى ملءَ اليدينْ زنبقٌ أو ياسمينْ
لجعلتُ ثَمَّ طريقَها تمضى عليه كما تشاءْ

* * *

لو كان قلبٌ مغرمٌ للمجد يَحْيَ والعلاءْ
يُعطى الحياةَ ويبسم ويُضَحِّى دَوْماً فى سخاءْ
لو يُرَى — فى ذا الفؤادْ خَفْقُهُ أسمى المُرَادْ
لجعلتُ ذاك وسادةً لجبينها ذاتِ البهاءْ

* * *

لو كان حُلْمٌ فى الهوى مُتَعَطِّرٌ فيه الهواءْ
فى كل يومٍ قد ثوى فيه رُؤًى فيها الهناءْ
حُلُما فيه الإلهْ مَزَجَ الروحيْن .. آهْ !
لجعلتُه وَكْراً لقَلْبِكِ يا مُنَاىَ والرجاءْ

* مزج المترجم فى هذه القصيدة مجزوء الكامل بمجزوء الرجز ومجزوء الرمل معاً ومع ذلك فانّ موسيقية القصيدة مرعية وإن بدا لأول وهلة أن مجزوء الرمل يتنافر مع باقى الأبيات ولكن عند قراءتها للمرة الثانية نلحظ اطّراد الموسيقية .

« ٥ »

(قطعتان مترجمتان عن الشاعر الانجليزى اللورد بيرون)

مجد الشاب

لا تَحَدَّثْ عن عظيمٍ مجدُهُ فى الدهرِ سارْ
إنَّ أيامَ صبانا هى أيامُ الفخارْ

عبثاً

عبثاً أَكُدُّ فَخَلِّنى أقضى وَعُودِىَ مُورِقُ
عِشْ مثلما أنا عائشٌ واعشقْ كما أنا عاشقُ
فإلى الترابِ المنتهى ومن التراب المَخْلَقُ
وعلى اليسيرِ إذنْ فتًى دى ظلٌّ حيناً يخفقُ

احمد كامل عبد السلام



الى الحرب

(أوحت إلى الشاعرة بهذه القصيدة قصيدةٌ انجليزية للشاعر الامريكى Alan Seegar كتبها قبل ذهابه مجاهداً فى الحرب العظمى حيث مات سنة ١٩١٦ م . وعنوانها :

I Have a Rendez-vous With Death

وهى على لسان جندى ذاهب للحرب)

نظم الآنسة سُهير قلماوى بكلية الآداب بالجامعة المصرية

قد وعدتُ الموتَ أن ألقاه ليلاً عند سفح التلّ فى فصل الربيعْ
يومَ دَوَّى مدفعُ الاعـداء ليلاً منذراً بالموتِ والفتكِ الذريعْ

* * *

صرخـةٌ للموتِ فى أعماق قلبي هل أفى بالوعد ذا الوعدِ المريعْ
داعيَ المـوت أتدعو فى شبابى وتمنّى بالشفا القلبَ الوجيعْ
إيه يا داعى ! أتدعـونى لأنى ليس لى فى هـذه الدنيـا شفيعْ ؟
إنما المـوتُ ينادينى وحتماً سألبيّ مَنْ ينادى ... سأطيعْ !
سأوافى المـوتَ فى الميعاد ليلاً عند سفح التلّ فى فصلِ الربيعْ

* * *

يعلمُ اللهُ لَـكَمْ تحلو الحيـاةُ لمريضٍ إذْ يرى طيفَ المنـونْ
تلك حالى الآن . لـكنْ كيفَ أخشى رهبة الموت ؟ ومَنْ عهدى يصون ؟
كم أحبُّ العيشَ فى فصل الربيعِ كم أحبّ العيش فى الفصل الحنونْ
كم أحب العيش ربّاهُ ، ولـكنْ لن أخونَ العهدَ ، عهدى لنْ أخونْ
بل .. أُوافى الموتَ فى الميعادِ ليلاً عند سفح التلّ فى فصـلِ الربيعْ

* * *

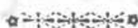
عند ما أسمعُ للروح دبيباً يبعثُ الخضرةَ فى أرضٍ مواتْ
عند ما أُنشقُ أنفاسَ الربيعِ وتُغَـنـى الطـيرُ أشجَى النغماتْ
عند مايحلو لشيبٍ وشبابٍ عودُ أيام الهنـاء المـاضياتْ
لن أرى زهراً ولن أسمع طيراً لا ، ولن تَـلْـتَذّ نفسى الذكرياتْ
بل .. أوافى الموتَ فى الميعاد ليلاً عند سفح التـلّ فى فصلِ الربيعْ

* * *

ها هى الايامُ ولتْ لم أبَرِّدْ نارَ قلبي من أمانيه العذابْ
وإذا هذا الذى أصبو إليه لاح لى كالنجم فى وسْطِ السحابْ
لن أراه زَهْرَ جَهدى وعنائى لن أراه ، لا ولا مثل السرابْ
بل هنا فى صمت ذا الوادى الرهيبِ سيوارينى مع الليل الترابْ
إذْ أُوافى المـوتَ فى الميعادِ ليلا عند سفحِ التلّ فى فصلِ الربيعْ

* * *

آهِ يا شعرَ رجائى قبل موتى أنت يا شعرُ أيا سرَّ الوجودْ
أنت لاتبلى على مرِّ الزمان أنت تبقى بعد أنْ يَيْبَسَ عُودْ
غَنِّهمْ يا شعرُ آمالى وأنى قد قضيتُ العمر أصبو للخلودْ
غنِّهم بعدى أناشيد شبابى غَنِّهمْ أنى وفىٌّ بالعهودْ
إذْ وعدتُ الموت أن ألقاه ليلاً عند سفح التل فى فصل الربيعْ
وأنا اليومَ أوافى الموتَ ليلاً عند سفح التل فى فصل الربيعْ



الانتظار

بين اليأس والأمل

(لفكتور هوجو — سنة ١٨٢٨ م.)

من ديوانه « الشرقيات »

أيُّها السِّنجابُ إصعَدْ واعلُ رأس السِّنديانَهْ
فوق غصن كاد يُعلى للسَّموات مكانَهْ
فى اهتزاز أو تثنٍّ دائم كالخيزُرانَهْ
أيُّها الكُرْكىُّ ها الأسـ ـوارُ أبْلتها الزَّمانَهْ
طِرْ إليها واقتعدْها فلها منكَ الأمانَهْ
مِن قِلاع الجندِ طِرْ واقصـ ـدْ الى دير الدِّيانَهْ
ومِن الأجراسِ للأبـ ـرَاجِ طِرْ فى كلِّ آنَهْ !



أنتَ يا شيخَ النُّسورِ طِرْ من العُشِّ الحَصينْ
واعتلِ الطوْدَ المشيـ ـبَ الذى آخى السِّنينْ
شابَ من كرٍّ شُيِّحَدَّ بيَّضتْ منهُ الجَبينْ !



أنتِ يا منْ لا تذوقيـ ـنَ الكرَى إلاّ اضطرابَا
أبداً ما فاتك الفجـ ـرُ على صَمْتٍ وآبَا
إصعدى ثم اصعدى يا طائراً شبَّ شَبابَا
أنتِ يا قُبَّرَةَ الجـ ـوِّ اصْعَدِي واغشى السحابا!

« ٥ »

وإذنْ مِن فوق دَوْحٍ أو بأسوارِ الرُّخامْ
أو مِنَ القـنّةِ تسمو فوقَ أطوَادٍ جِسامْ
أو بأجْواء سمـــــاءٍ تتجـــــلّى بالضَّرامْ
أو من الافق المُقصَّى بين أطبـــــاق الغمامْ
تُبصرون الآن صَحْبي ريشةً من ذا الحمامْ
أو جواداً لاهثاً مِنْ عدْوِهِ سَفَّ اللِّجامْ
مُرجماً عندى حبيبى فهو لى كلُّ الأنامْ!

اسماعيل سرى الدهشان

الزمن والحب

(لشكسبير)

لمّا أرى أيدى الزمانِ العاتيهْ تسطو على دُرر العصورِ الخاليهْ
تمحو المنائرَ والقصورَ العاليهْ تبلى النحاسَ فما لهُ من باقيهْ
وأرى المحيطَ بموجه يتدفّقُ فوق الاديم وبعد ذا يتفرّقُ
والارضُ تعلو بعد ما هى تُغرَقُ طوراً تغورُ ومرةً تتفوّقُ
وأرى التحوُّلَ بالمهالك يلعبُ حتى المهالك نفسها قد تعطبُ
أجـد الحِمامَ معلماً لا يكذبُ فلسوف يَسلبنى هوايَ ويَذْهَبُ
فأخاف أفقدُ من رعتْه محبتى ويفيض دمعى ، والمدامعُ حيلتى!

سيد على حسان



تذكار صورة

(نظمها الشاعر عن صورة أخذت له وصديق أديب فوق أصل شجرة عظيمة قد نُشرت فبقى أصلها كقاعدة تمثال ، فكوّنا التمثال فى جلستهما ، وقد ظهر صاحبه فى الصورة متجهم الوجه حزين النفس فى حين تجلت أسارير الشاعر ضاحكة فرحة ، فقال هذه القصيدة محاولا تخليد هذه الصورة الفريدة)

جمعتنا ، فأحسنتْ ، بالخيالِ صورةٌ ضُمِّنَتْ جميعَ الجمالِ
مجلسٌ مثل أيكة مرصودٌ لرجال الفنون كالتمثال
قد جلسنا به ، فأنت عبوسٌ وأنا واضح البشاشة خالى
لست أدرى من مثّل الحقّ فينا أنا أم أنت ياحميدَ الخصال ؟
بل أنا الكاذبُ البشاشةِ والبشرِ ، المُعَنَّى من الهموم الثقالِ !

« • »

وتُرى أنت يا فتى تزْعم الجدّ (م) لتبدو مُقطباً فى الخيالِ ؟
فيقال الفتى المفكرُ والنَّدْبُ وربُّ الجلال والاجلال ؟
أتُرى أنت للتظاهر عبدٌ ؟ كنت أحجوك خادماً للمعالى !
أنت يامن نهضت للفنّ والشعر وللحق والهوى ، لا تُغالى
نحن فى مجلسٍ براءٍ من الزيفِ مَلىء بخالد الحُسْنِ حالى !
نحن فى جنة « الجزيرة » فانهض وانفضْ إن شئتَ عنك ثوبَ الملال

« • »

قد جلسنا أمامنا النيلُ يجرى فى ابتهالٍ ، وخلفنا الدوحُ عالى
ودنت من مغيبها الشمسُ فى الغرب ، فسارتْ مليئةً بالدلال
هبطت فوق قمة الهرم الأكبر ترتاح من ضنى وكلال

ومشتْ بين ضجـة وعويل   وتوارت في روعةٍ وجلال
لم تصخ للنواح ردّده الطيرُ   وراحت غريقةً في الظـلال
طمستْ والسحابُ فيه كثيرٌ   من سناها وفيه جلَّ الجـمال
ورجعنا وفي الفؤادِ لهيبٌ   زاد من نارهِ دنوُّ الهـلال

مختار الوكيل



ديكي

رأى في الليل مُلهمة فصـاحا   وهزَّ على جوانبـه الجناحا
وردّد في سكون الليل صوتاً   فأسمعَـهُ الروابي والبطـاحا
وصـفق في سرور وانشراح   وداعب بالجناحين الرياحا
وجاوبه على بُعـدٍ رفيقٌ   وأسمعـه الصـبابة والنواحا
وما زالا على النغمات تشجى   إلى أن أطلع النورُ الصباحا
فقامت من مضاجعها أناس   رأوا في الصبح آمالاً فساحا
وساروا ينهبون الأرض نهباً   وقـد لبسوا البشاشة والسماحا
لهـم بالله والدين اعتصـام   ومن يركن الى الله استراحا
وما خاب امرؤ يسعى لرزقٍ   ولكن خاب من ألقى السلاحا

« • »

عجيب أن ترى ديكي المفدّى   يقول الصـدق والحق الصرحا
ينادي : الله اكبرُ كلَّ شيء   فسبحه غـدواً أو رواحا

« • »

فياديكي لقد أرسلتَ صوتاً   لقيتُ به الهدايةَ والفلاحا !

محمد أحمد يوسف



وصف موقف

ولمّا التقينا بعد هجرٍ وأقبلت ... تُحاذِرُ أن تدنو ، وتدنو تحاذرُ ...
وقفتُ أُريها الصبرَ اكذبَ ما يُرى ... على عاشقٍ مِنْ غيرِ صبرٍ يُصابِرُ
وكيف وما فى الناسِ مثلىَ هائمٌ ... أعودُ وما فى الناسِ مثلىَ هاجرُ ؟
كذبنا بعينيْنا سُؤالاً وردَّهُ ... وكلٌّ بكلٍّ هازىءُ القلبِ ساخرُ
فأوْحَى لقلبى أنْ يثورَ مخاطِراً ... إليها هوًى فى قلبها لا يُخاطِرُ
فلم تكُ إلاَّ غصنَ نورٍ قد اكتسَى ... عِناقاً وتقبيلى عليهِ أزاهِرُ
وجُنَّ غرامِى واغتدتْ بين أذْرُعى ... كأنْ قفصٌ فيهِ تخبَّط طائرُ ...

مصطفى صادق الرافعى

اجعلينى حُلماً

عند مايُغمِضُ الكرى عينيْكِ ... وتطوفُ الأحلامُ ولْهىَ عليكِ
إجعلينى حُلماً يطوفُ ويَسْرى ... من قلوب الورى الى شفتيْكِ
املِكُ الحبَّ من جميع نواحيـ ... ـهِ نقيّاً يهفو اشتياقاً إليكِ
إجعلينى حُلماً لذيذاً شهيّاً ... مثلما يحلُمُ الفقير بمُلكِ !

* * *

الطيورُ التى تسابقُ فى الرّوْ ... ض ، وتشدو حُلوَ الغناءِ بأيْكِ
ترسل السِّحرَ طاوياً كلَّ أُفقٍ ... كى يَصُبَّ الأنغام ، فى أُذنيْكِ
هى تدرى يا روحُ أنّكِ صوتٌ ... عُلوىٌّ الأنغام ، إياكِ تحكى
والزهورُ التى تُضمّخُ دوْماً ... من شذاها الجوَّ الجميل بمِسْكِ
ما شذاها إلاّ هديةُ صبٍّ ... بلّلتْها عينُ الندى وهى تبكى !
والنسيمُ العليلُ يَربِتُ مثلى ... فى حنان الهوى على خدّيْكِ
والمديحو إعجابهم بكِ جمعاً ... ينثرون الاعجابَ زهراً عليكِ
إجعلينى حُلماً فأجمع منهم ... شملَ حُبٍّ يُخيفهُ طيفُ شِرْكِ

حسن كامل الصيرفى

هنا

هنا مذْ خمسةٍ كرّتْ ومَنْ كالعام ِ في الكَرّ ؟
على هذا الغدير وفى حنايا الشَّجَرِ النضْر
وقد سنحتْ مغرّدةً طيورُ البرِّ والبحر
وجاءتْ نسمةٌ تسعى بما في الروض من عطر

« . »

هنا والغربُ منزلقٌ به قرصٌ من الجمرِ
رمى بشراره سُحباً فصرن حرائقاً تجرى
وضاع لها على الدنيا دُخانٌ لونه يُغرى !

« . »

هنا والدهرُ بسَّامٌ وعُسرُ الحبّ في يُسرِ
وقفتُ أنا وحوّائى نعُدُّ الموجَ في النهر
ونقطف ما بجنتنا من الاوراق والزهر
ولا حيّةٌ ترعانا ولا الشيطان ذو المكر
فمن شفةٍ إلى خدٍّ هفتْ ويدٍ الى خَصر
وهمسٍ ذاب في الانفاس من صدرٍ الى صدر
وتعبيرٍ وتفسيرٍ لما ندرى وما ندرى
وآمالٍ وأحلامٍ فرضناها على الدهر !

« . »

هنا مذْ خمسةٍ فرّتْ ومَنْ كالعام في الفرّ ؟
تلقّى آدمٌ حوّاءَ وافترقا على أمر !

« . »

وها آدمُ قد عادَ الى الجنة في حذْرِ
ولم تصحبه حوّاءُ ، فهل تأتى على الاثر ؟
نعم ! بل لا ! فحوّاءُ تقيم اليوم في القبر !

محمود عماد

ساهر

بين زهور الخيال

ذكّرتني بكِ الرياضُ النواضرْ وأعادت اليَّ ماضي الخواطرْ
جريانُ الغدير يجرى دموعى ومسيلُ الدموع يدمى المحاجرْ
ملأ الصبَّ من جمالكِ سحراً شفقُ الخدِّ تحت ليل الغدائرْ
فوق صبحٍ من المحيَّا صبوحٍ يكشف السترَ عن ظلام الدياجرْ
يامثالَ الجمال من «أفروديتى» (١) ومثالَ الصدود من كل كاسرْ
ما جنى الصبُّ من غرامك إلا ما جنى قيسُ من بنيَّة عامرْ!

* * *

فى سكون الظلام — فى وحشة الليـل وضوء النهار بين المقابرْ
نقلتنى الى حدائق نُضرٍ من رياض الخيال حمرُ المياثرْ (٢)
بين تلك الرياض زهرةُ رندٍ كم نقت بلبلا وأودت بطائرْ
قمتُ فى ليلها — ويشهد جفنى — أنسج الشعرَ من رقيق المشاعرْ
لونُها كان فى الجمال يتيماً حسدَتْ حُسنَه حسانُ الأزاهرْ
ساءلتْ ياسُعادُ نفسى رباها أىّ روض أرى؟ لأىّ المعاشرْ؟
أىّ وادٍ لقيتُ حتى كأنّى لبنى عذرةٍ (٣) هدتنى المقادرْ؟
فانثنتْ زهرتى وقالت بعطف: دولةُ الحبّ والجمال الساحرْ
دينها الذلّ — من يشاء لديها عزة النفس فى الهوى فهو كافرْ!
وأنا فى الرياض طيفُ سعادٍ وأنا الوحىُ فى هوى كل شاعرْ
قلتُ: يا زهرتى أرى الحبَّ يقسو فاجعلى للهوى بحقك آخرْ!
فانثنى عودها وقالت: فؤادى مستهامٌ وشوقهُ متكاثرْ
قلتُ: والعهدهل سلاه؟ فقالت: انه حافظٌ لعهدك ذاكرْ
قلتُ: والنوم قدجفانى! فقالت: إنتصفناه! انَّ طرفىَ ساهرْ!
قلتُ: والدمع لايجفّ! فقالت: «فيض دمعى من البعاد كوائرْ»

(١) إلــهة الحب والجمال عند الأغريق (٢) المياثر: الحمر من مراكب ملوك الفرس القدماء (٣) بنى عذرة: قبيلة كانت تعيش فى بلاد العرب، ويروى أنهم كانوا اذا أحبوا اشتد بهم الحب حتى الجنون.

غـير أنى أخاف من عاذلينا ... لو يذيعون ما وراء الستائرْ »
وكثيرٌ عواذلى فى هـواها ... قوتل الناسُ من وحوشٍ كواسرْ!

* * *

سامرٌ فى الخيال أُشربتُ فيه ... من بنات الدنان بنت المحاجرْ (١)!

صالح جودت





ربيع كالخريف

هو الرَّبيعُ... ولكن أين بهجتُه ؟ ... وأين ما كنتُ ألقى فى مغانيهِ ؟
هو الربيعُ... ولكن لا أحسُّ به ... ولستُ أشعر شيئاً مِنْ معانيهِ !
هو الربيعُ، نعمْ.. فى عُرْف دائرةٍ ... مِنَ الزمان، ستمضى بَعْدُ تطويهِ
لكنهُ فى اعتقادى صورةٌ وُضعت ... عن الخريفِ بتزويقٍ وتمويهِ
ما كلُّ فصل تبدَّى زهرُهُ ألقاً ... هو الربيعُ أميرُ الزَّهْو والتِّيهِ
أو كلُّ فصل تعرَّى فيه أخضرُهُ ... هو الخريفُ كما نمضى نُسَمِّيهِ
فربما- وجَدَتْ نفسٌ منعَّمةٌ ... ربيعَها فى خريف الناس يُخفيهِ
وليس تشعرُ نفسٌ حُسْنَ مَطْمحها ... إلا إذا اندمجتْ أحلامُها فيهِ

* * *

هو الربيعُ... ولكن عند مبتهجٍ ... هو الربيعُ.. ولكن عند أهليهِ
لكنّنى فى خريفى بتُّ منتظراً ... سقوطَ أوراق عمرى فى تلاشيهِ!

حسن كامل الصيرفى

---

(١) بنت المحاجر كناية عن الدموع.

آلامى

التناسى ليس يُنسى كيف أنسى رمزَ أنسى !؟
قلتُ أسلو بالتأسّى والنوى فاشتد بؤسى
مخلصاً يومى كأمسى أو أوارَى تحت رمسى
ويح قلبي كم يعانى ليته من غير حسّ !
إن أقلْ قلبي تعافى عادت الذكرى بنكس
كاد يودى بى حنينى مثلما أودى بقيس
كم زرعتُ الودَّ لكن لم يبن فى الناس غرسى
آسِىَ الجرحى ترفق ليس لى جسم للمس !
فى خضمّ الشك سَيري ليتنى أنجو وأُرسى
رمتُ فهمَ الناس لكن لم أفز حتى برسّ
نوقد المصباحَ والحقُّ (م) سما عن ضوء شمس
اصفحى يانفس وانسِى لم تفِ الدنيا لإنسى !

سمير على حسان



القلب الشارد

أسدلَ الليلُ دُجاهْ فإذا الكونُ سكونْ
واعتلى همُّ الحياهْ عرشَ قلبي المستكينْ
كلُّ ما فى الكون رقراقٌ سَمُوحْ
غير قلبي فهو مكلومٌ جريحْ
تارةً يشدو وأطواراً ينوحْ
وهو أحياناً مع الليل يهيمْ !

« • »

رَفَّ فى دوحِ الشجونْ شارداً يبغى مُناهْ
انَّ لى فيه عيونْ لترَى ما لا تراهْ
وشدا الألحانَ فى هذا السكونْ
بنواحٍ خافتٍ يحكى الانينْ
قائلاً : مالى سوى الليل خدينْ
مُسْعفٍ فى ثورة الهمّ الأليمْ !

« • »



العوضى الوكيل

ردَّدَ الدَّوحُ صداهْ فى اهتزازاتِ الغُصونْ
وبُكاهُ لِبُكاهُ بندًى ملء العيونْ !

العوضى الوكيل



ضيف ثقيل

(يشكو الشاعر من خطرة استولت على ذهنه وطردت سواها من الخواطر)

هبطتْ بالنفس في الليلِ البهيمْ واستقرّتْ من فؤادي في الصميمْ
خطـرةٌ ما كان أشقاني بها صـيّرتْ ذهني مجالاً للهمومْ
بعد ما كان مراحاً للنعيمْ!

قـدمتْ كالضيف فاستقبلتُها بابتسامٍ مُشرقٍ عند اللقاءْ
وأعـرتُ القلبَ ساعاتٍ لها فثوتْ واستمرأتْ فيه الثَّواءْ
فتاها يا ترى عنه تريمْ؟!

أنا في الجـدّ وفي اللهوِ بها جـدُّ مشغولٍ أعاني كالعليلْ
لازمتـني يا لها من صاحب لي وفيٍّ قد غـدا جـدّاً ثقيلْ
ونزيـلٍ أرتجي ألاَّ يُقيمْ!

أيها الخطـرةُ قلبي مستباحْ ما على النازل فيه من جُناحْ
أفسحي صدرَكِ لا تخشَيْ سوى صولةِ الفكرِ اذا ما الفكرُ طاحْ
مِنْ عتوٍّ فيكِ أو قهرٍ أليمْ!

طلبة محمد عبده





الملكات والشعر

— ١ —

يستطيع من يلمّ بتاريخ الأدب العربى أن يقف على كثير من الظواهر التى تردد فى العصور المختلفة وتتكرر فى آثار الاشخاص مع ما لمنتجات الأدباء فى كل عصر من صبغة خاصة واتجاه معين . ويستطيع الباحث فى تاريخ الأفراد سواء أ كان ذلك التاريخ أدبياً أم سياسياً أن يقرر نزعة خاصة تسود الفرد وتغلب عليه حتى يعرف بتلك النزعة ويعدّ من أبطالها وممن اشتد تعلقهم بها . وربما كانت له ألوان أخرى من النزعات ولكنها لم تصل إلى درجة من القوة والظهور بحيث يتيسر لها أن تزاحم النزعة الغالبة وأن تكون لها مكانتها من تلك القوة وذلك الظهور — وليس ينازع واحد من الأدباء فى أن ابن خلدون كان بصيراً باللغة العربية متفقهاً فى اصول الفقه خاصة وفى العلوم الدينية عامة ولكن تنازع الملكة قد أثر تأثيراً قوياً فى معرفة الناس له وفى تقدير الباحثين حتى صار اسمه مقروناً بفقه التاريخ وعدّ ابن خلدون فى سائر الدوائر الأدبية وعند الباحثين مؤرخاً قبل أن يعد لغوياً أو فقيهاً أو غير ذلك مما بلغ فيه ابن خلدون درجة يعتدّ بها ، وكذلك الشأن فى حال الجاحظ فقد كان بصيراً بالدين متمذهباً بالاعتدال مبرزاً فى فنون التصانيف عارفاً بمكنون اللسان العربى ، ولكننا نعتبره أديباً ظريفاً فيه رقة وسلوة وفكاهة قبل أن نعده من الفقهاء أو المحدثين أو اللغويين أو نظار المتكلمين .

— ٢ —

فليس من شك إذن فى أن تزاحم الملكات أمر ثابت مقرر ، وأنه لا بد من أن يغلب على المرء فن خاص من فنون المعرفة . ويصل فيه الى درجة يعتبر من أجلها إماماً ومرجعاً فى هذا الفن ، وأن الملكات فى فنون مختلفة لا تتيسر لفرد ما ولا يمكن أن يكون هذا الفرد كاتباً جيد الكتابة ، وأن يكون فى الوقت نفسه شاعراً

جيد الشعر كما لا يمكن أن توجد ممن يشتغلون بمسائل المعرفة من يعتبر عمدة فى القانون وإماماً مع ذلك فى التاريخ ، وانما يدرس النابغون على أن بعضهم كاتب أو شاعر أو فيلسوف أو مؤرخ ، وربما يدرس بعض الأدباء على أنه موفق فى أسلوب خاص من أنواع الأساليب وأنه لم يتيسر له أن يحذق أساليب الكلام جملة وأن يجعل أسلوبه فى كل مقام مرناً ملائماً لما يكتب فيه موضوعات العلوم والآداب — ولهذا التزاحم فى الملكات لا يرضينا أن يقصد الشاعر الى دراسة ما تغاير ملكته ملكة



محمد قابيل

الشعر ، إذ يقع التزاحم بين الملكتين وليس من نتيجة لذلك إلا أن تضعف الملكة الثانية وإن كانت غالبة فى هذا التزاحم . فلا يصير الشاعر الى ما كان ينتظر له لو لم يقصد الى توفر على ذلك الفن الذى زاحم الملكة ووصل فى تلك المزاحمة الى حد التعجيز لها والاضعاف . وقد يكون هذا التزاحم نفسه علة قضاء على الملكة الشعرية فيحرم الوجود شاعراً ، والمجتمع الانسانى شديد التطلع للشعراء لما ينفسون من أعباء الحياة ويرفعون من أعباء الجد ، ولأن التحلل من الحقائق والخلاص من قيودها مريح ، ولأن الشعراء عمدتهم الخيال والشعر عماده العواطف وفى ذلك منتهى لهو النفوس وعبث الميول وتنشيط الأهواء وتغذية العواطف — أريد أن أقول إن معالجة مسائل الفلسفة ونظريات الاجتماع ومواد القانون وقوانين الطبيعة والكيمياء وغير ذلك مما تعوق الشاعر عن الوصول الى ما يستطيع أن يصل

اليه من رقة فى الاسلوب ودماثة فى اللفظ وروعة فى الخيال وتحليل للعاطفة ، وتُعنى بآثار الشعور لما ينشأ عن مزاحمة حقائق العلوم وملكاتها لملكة الشعر ، فيلحق بها الوهن ويتطرّق اليها الضعف وتأخذ سبيلها الى التقلص والذبول .

— ٣ —

وليس أدلّ على ما سقته فى هذا الحديث مما نجده فى غير موضع من أمثلة الشعراء الذين لم يحظوا باحراز المنزلة الأولى فى باب المفاضلة عند الناقدين ، وأسفر النظر فى منتجاتهم من الشعر عن اعتباره من الأمثلة التى لا توجه اليها عناية ولا تستحق من المرء استظهاراً — فهذا بديع الزمان الهمذانى كان شاعراً وقد جُمع شعره فى ديوان ، وقلما يعنى به الشعراء فى الشعر ، وقلما يحفظ منه الأديب لمنفعته فى الأدب ، ذلك لأن شعره لتأثير ملكة الكتابة لم يصل الى درجة من الجزالة والروعة وتضمُّن المعانى السامية أو الحكمة الصادقة أو الصُّور المستطرفة أو العاطفة الثائرة ، وانما كان سهلا لا يتمدح فيه إ كثر من المداعبة المقبولة والتظرف المعقول والملح التى تعلن عن ظرف البديع وميله إلى ما قد يشبه الخلاعة أو يجانس المجون ثم ما رغب فى التعمية به من الالغاز والأحاجى ومحسنات البديع — وهذه نماذج من شعره يقف منها القارىء على ما نلمحه من ضعف واقفار فى باب الاختراع وغير ذلك مما يعتبر علة لتزاحم الملكات . قال البديع :

قسماً لقد نسج الحيا ... خلع الربا فأجاد نسجا
وشجاك لحن العندليـ ... ـب ونغمة القمرىّ أشجى
واذا المروج مرجت فى ... أطرافهن الطرف مرجا
شبهت أنوار الربيـ ... ـع كوا كباً والروض برجا

وقوله أيضاً :

ياحريصاً على الغنى ... قاعداً بالمراصدِ
لست فى سعيك الذى ... خضت فيه بقاصدِ
إن دنياك هذه ... لست فيها بخالدِ
بعض هذا قائماً ... أنت ساعٍ لقاعدِ

— ٤ —

ولم يكن بديع الزمان الهمذانى بدعاً فى الادب العربى ، ولا كان وحده ممن بدا

فيهم تزاحمُ الملكات وغلبت عليهم الكتابة فلم يصلوا الى مرتبه راقية فى الشعر ، بل إن المعرى كذلك من تلك الامثلة التى تنازعتها ملكات شتى من الشعر والفلسفة والفقه والنحو وغير ذلك من سائر المعارف التى زكت أيام هذا الفيلسوف . وكانت فى نفسه رغبة فى الالمام بذلك كله فأخذ كثيراً من مبادىء الفلسفة عن شيوخ اللاذقية وانطاكية ودرس على أهله أولا وعلى شيوخ حلب كثيراً من معارف الملة الاسلامية التى ترجع فى جملتها الى علوم اللغة والدين . وكان تطلعه إلى تحقيق هذه الرغبة من أهم العوامل التى زحزحته عن منزلة البحترى والمتنبي وأضرابهم من شعراء الطبقة الأولى — ذلك بسبب تضمين الشعر لتلك المبادىء الفلسفية وما قصد اليه أبو العلاء فى لزومياته من مسائل الاجتماع وما خصّ به فى غير موضع من شعره من تصوير لكثير من الخواطر التى تخامره وحده ولا تجد العواطف العامة فيها ما يلذّ لها ويصور انفعالاتها وما يعتريها من حب أو بغض أو ألم أوفرح أوغير ذلك — ولسنا نشك فى أن عزلة المعرى قد فوّتت عليه كثيراً مما يجب أن يلابسه الشاعر، فجاء شعره غريباً فى المعنى وغريباً كذلك فى اللفظ والتركيب ، وكل ذلك ولاشك مظاهر وهن فى ملكة الشعر وأثر لتزاحم الملكات وتنازعها . ونحن نظن — قصداً للايجاز — أن القارىء لا يحتاج إلى أن نسوق له أمثلة من شعر المعرى لتكون بمثابة استشهاد على تقرير ما نلمحه فيه من آثار إضعاف الملكة فاللزوميات كلها وغير قليل من شعره يقع فيه مايعلن عن تخلفه عن استاذ المدرسة القديمة وحكيم الشعر (أبى الطيب المتنبي).

— ٥ —

هذا وليس يصعب على من له إلمامة بالأدب العربى عند المغاربة أن يستطلع أثر ذلك التزاحم فى ملكة الشعر عند الاندلسيين وظهور الصبغة الفقهية أو النحوية فيه ، إذ كان إحراز المناصب عند الاندلسيين قائماً على مبلغ إلمام الاديب وقدرته على حذق ألوان شتى من مسائل العلوم وفنونها . فكان شعراء الأندلسيين فقهاء ، وفقهاؤهم شعراء ، وهؤلاء مع ذلك قد حذقوا مسائل النحو ووقفوا على شذوذه ومكنونه . فقسمت لذلك الملكة إن قيل بوحدتها ، وتزاحمت الملكات إن قيل بتعددها ، ووقع فى شعرهم ما يدل على تأثير الملكات الأخرى من ذكر الغصب والاستيعاب فى شعر محمد البطليوسى كقوله :

غصبوا الصباحَ فقسموه خدودًا　　　واستوعبوا قضب الاراك قدودًا

فهذا الغصب وذلك الاستيعاب كلاهما يكثر وروده وتكرره فى باب الفقه وأصوله. ومن أمثلة ما يُستشهد به فى هذا الباب قول القسطلى :

فقد تخفض الأسماء وهى سوا كُنّ ويعمل فى الفعل الصريح ضميرُ

فأنت ترى كذلك أن الخفض والاسم والسوا كن وعمل العاقل والفعل والضمير وغير ذلك مما يجرى كثيراً على ألسنة النحاة ويكثر وروده فى كتاباتهم وتصانيفهم. والنتيجة التى أريد أن أنتهى اليها أن قصد الشاعر إلى دراسة مسائل العلم ونظريات الفلسفة مما يضعف ملكة الشعر فيه ومما يكسب شعره نحواً من التعقيد ومظهراً من مظاهر المعاظلة. ولا تنقاد له ما ينقاد لسليم الملكة من رقة فى اللفظ وروعة فى الخيال وتجديد وابتداع فى باب المعانى واستحداث للصور الرائعة المحبوبة وتصوير للانفعالات النفسية وشرح للعواطف وغير ذلك مما يحفل به الشعر والشعر الصحيح وما يستحق أن يسمى شعراً. ولعلنا نوفق إلى ذكر ماتتم به ملكة الشعر فى حديث تال ؟

محمد قابيل





كورنى والتمثيل فى فرنسا

(ننشر هذه المقدمة لترجمة رواية هوراس التى نقلها الى اللغة العربية الدكتور احمد ضيف وذلك لما تحتويه من وصف عصر الشاعر كورنى وما كان هناك من أثر الحياة الاجتماعية فى عالم التمثيل. وستظهر هذه الرواية فى عالم الأدب قريباً)



حياة كورنى

ولد بيير كورنى بمدينة رُوان « شمال فرنسا » فى اليوم السادس من شهر يونيو

سنة ١٦٠٦ م . ، وكان أبوه من أسرة معروفة بين رجال القضاء والتشريع ، فوجهه لدراسة القانون ، وبعد أن أتم دراسته دخل فى زمرة المحامين سنة ١٦٢٤م. ، ولكنه كان خجولاً فيه شيء من العيّ والحَصَر فلم يكن قويّ الحجة ولا فصيح اللسان ، وكان يميل بطبعه الى قرض الشعر ، فاندفع بهذا الميل إلى معالجته ، وكان الشعر فى ذلك الوقت أظهر ما يكون فى نظم الروايات التمثيلية فنظم رواية « ميليت » ومثلت وكان عمره إذ ذاك ثلاثة وعشرين عاماً . ومنذ ذلك الحين انقطع للتأليف المسرحى ،



الدكتور احمد ضيف

فبرع براعة عظيمة واشتهر بسعة الخيال وقوة الابتكار ، وألّف عدة روايات ومرّ بأطوار مختلفة من حياته الفنية . فعالج تأليف القصص التمثيلية فى مختلف أنواعها ، وكان فى أول أمره يميل الى (المسْلاة) وهو النوع المعروف (بالكوميك comique) وقد ألف فى ذلك قصصاً تحسب من أفضل ما أخرج فى هذا النوع ، ومثلت رواياته فى باريس ونجحت نجاحاً عظيماً .

وفى سنة ١٦٣٦ م . أخرج قصته «السيد» التى كانت أول قصة عظيمة ممتازة ظهرت على مسرح باريس ، وكانت هذه الرواية فاتحة عصر جديد فى تاريخ المأساة

(تراجيدى tragédie) تجلت فيها عبقرية كورنى ، فأصبحت رواياته آية من آيات التمثيل فى فرنسا ، ثم ظهرت قصته « هوراس Horace » سنة ١٦٤٠ م . ولم تكن أقل من سالفتها و«سنا» سنة ١٦٤٠م. أيضاً وپوليوكت وموت پومپى سنة١٦٤٣م.

وبعد أن بذل جهداً عظيماً فى رواياته التى تعد من الطراز الأول فى فن التمثيل مرت به برهة فتور أخرج فى أثنائها عدة روايات لم تصل الى منزلة رواياته الأولى وكأنها كانت حثالة خياله . فلزم منزله أعواماً وانسحب من الميدان . ثم أراد الرجوع اليه مرة أخرى فلم يفلح وخيم على اسمه النسيان ، حتى لقد ذاع نعيه بعد موته بخمسة أيام ! وكانت وفاته فى أول يوم من شهر اكتوبر سنة ١٦٦٧م. ، فكانت حياته كلها هى مؤلفاته وكانت مؤلفاته هى كل حياته .

﴿ التمثيل فى عصر كورنى ﴾

كان أثر المرأة عظيماً فى أوروبا أواسطَ القرن السادس عشر لا سيما عند الأمم اللاتينية ، وبالأخص فى بلاد إيطاليا ، حيث امتدّ منها ذلك الى فرنسا ، وقد استولت المرأة على الاجتماع وسيطرت على عقول كبار الناس . فانتشر فى المجتمعات تعشق المرأة والإعجاب بها ، والتقرب إليها بكل ما يمكن من أنواع الملق والتظرف (galanterie) حتى أصبح من مفاخر الرجل أن يكون عاشقاً ، ومن مفاخر المرأة والإشادة بذكرها الاستيلاء على قلب الرجل ، لكن بدون أن يأسرها غرامها فتخضع لعاطفتها خضوع الموالى لساداتهم ، كما كانت الحال عند العشاق من عامة الناس . بل كانت تقف أمام هذه القوة بكل ما لديها من ارادة وحزم ، وتظهر ما لنفسها من كرامة وإباء ، مع ما تحتفظ به لحبيبها من صدق وإخلاص . وقد سار هذا الخلق مسرى النسيم فى الاجتماعات وعند خاصة الناس ، وتخلق به كبار القوم حتى تسرب فى نفوس الفنيين والأدباء ، الذين يمثلون الاجتماع فى آثارهم الفنية . فعمد الشعراء الى رسم هذا الخلق الاجتماعى ، واتجهوا الى عرض حوادث الحب والغرام ، ذلك الحب المصبوغ بصبغة الاخلاص وكرم النفس ، ومزجوا ذلك بنوع من الحماسة فأدّى هذا الى المبالغة فى الاتصاف بالفضائل كالبسالة والتضحية بالنفس فى سبيل الفضيلة مما جعل كثيراً من هذه الصفات خيالية أكثر منها حقيقية . فكانت أشبه بما نعرفه فى حياة العرب القدماء البدويين . ولكنّ العربى ورث ذلك عن آبائه ، وتخلق بأخلاقهم ، وساعده عيشه ونظام الحياة لديه على الاتصاف بتلك الفضائل .

ظهر ذلك الخلق الاجتماعي على ألسنة الشعراء في فرنسا ، وكان الشعر إذ ذاك أظهر ما يكون في الروايات التمثيلية ، فتمشت هـذه الحال في الشعر التمثيلي ، وصار من أغراضه الدعاية الى الاتصاف بالفضيلة : من حماسة واخلاص . ومزج الشعراء ذلك بالتفاني في حب الوطن والذود عن الأهل ، وجعلوا هذا كله يسيرُ بجوار عاطفة الحب ، ولم يكد يخرج التمثيل عن هذه الحال إلا ما كان من بعض الروايات الفكاهية أو (المسلاة) المسماة (بالكوميدي) التي كان الغرض منها الترويح عن النفس . أما غير ذلك فكان كله من نوع المأساة (تراجيدى) .

﴿ كورنى وقصصه التمثيلية ﴾

في هذا الموقف ووسط هذا الاجتماع ظهر كورنى في عالم التمثيل « من سنة ١٦٢٥م. الى سنة ١٦٥٠م.» فرأى أن موضوع المأساة يجب أن يكون نبيلاً عاماً، أو حادثاً من الحوادث العظيمة ، أو أسطورة حماسية تملأ نفس الجمهور وتهيج عواطفه، فأخذ موضوعات رواياته من الحوادث التاريخية وبعض الأساطير المقتبسة من التاريخ ، كي يدعو الجمهور الى الاقتناع بها ، ويتناسى ما فيها من المبالغة . ورأى أن المأساة التي لا يكون موضوعها رائعاً انما هي مسلاة « كوميدى » ، وأن الفرق بين المأساة والمسلاة أن الحب في المأساة يدفـع بالانسان الى الدمار ، ويلقى به إلى التهلكة ، وتذوق انواع المصائب ، بخلافه في المسلاة . وكان يرى أن للمأساة حرمة تقتضي أن يكون ما فيها من حوادث أعظم من العشق ، حتى تتبين همم النفوس العظيمة ، وتظهر كبار آمال الشعوب ، بما لحياتها القومية من كرامة وبسالة وانتقام من الأعداء وأن تكون المصائب التي يلاقيها الانسان في سبيل ذلك أشدّ مصائب الحب ، وأن تكون خسارته أعظم من خسارة حبيبة أو عشيقة .

﴿ أشخاص كورنى في قصصه ﴾

هكذا بنى كورنى رواياته على الصراع بين الاهواء النفسية وأداء الواجب ، أو بين سلطان الاهواء ورفعة المقاصد وعلو النفس . فجعل رجال قصصه من الشجعان البسلاء وأظهر أمام الجمهور أنبل ما عرف الناس من النفوس ، وأدعى ما يكون من ذلك الى الاعجاب . فوصف النفوس البشرية كما يجب أن تكون لا كما هي عليه في الحياة ، وجعلهم يضحون بكل شيء في سبيل الواجب عليهم والمحافظة على شرفهم .

فكان كورنى أول من عمل على عرض صور الحياة على خير ما تكون وعلى أفضل

حال ، لاسيما ماكان خاصاً منها بالناحية الخلقية وعاطفة الحب ، والواجب على الانسان لوطنه وأهله . فعرض النفوس القوية القاهرة ممثلةً فى كبار الناس وفحول الرجال كالملوك والقواد وأهل الارادة والحزم الذين تحملهم كرامتهم على أن يقهروا أهواءهم ويسيطروا على نفوسهم ، وجعل من هؤلاء المثل الأعلى لبنى الانسان . ولقد تجسم فى نفسه ذلك المعنى النبيل فيما يجب أن يكون عليه الانسان من أخلاق فاضلة : فمثّل لك الصراع بين العاطفة والواجب ، إذ يعرض عليك فتى فى موقف النزاع بين أبيه وحبيبته أو بين شرف أسرته وسلطان غرامه ، ويجعلك تعتقد أن كلا الأمرين حق ، وكلا المتنازعين على صواب . يريك الفتاة تقف بين أبيها وحبيبها ، وتجد نفسها أمام واجب عليها أن تقوم به ، لأن فى ذلك تأييداً لقومها ودفعة لمجد أهلها ، كما تجدها أيضاً أمام أهوائها يملكها الحب ويملأ نفسها الغرام لانسان هو عـدو لبلادها « كما هى حال كاميل مع كورياس فى قصة هوراس » فيجب عليها فى آن واحد أن تعتز بشرفها وشرف قومها ، وأن تحمل على ارضاء نفسها فى وجوب الاخلاص لحبيبها . فماذا عسى أن يكون أمرها وهى فى موقف تخاف فيه أن يتغلب قلبها على عقلها ؟ من هنا كانت روايات كورنى ترمى إلى عرض حياة الانسان النفسية بما فيها من عظمة وجلال وجمال ، وقوة وإرادة ومجد ، وشقاء وآلام وأسقام ؟

احمد ضيف





الوصايا العشرة الصحية

قُمْ باكراً ! قُمْ باكراً ! واقطعْ نهارَكَ فى العملْ
واستَنْشِقِ الجَوَّ النَّقِـــــــــىَّ وداوِ بالشمسِ العِلَلْ

وعليكَ بالحِمْيةِ إكسـيرِ الحياةِ لِمنْ أكَلْ
والجسمُ كالآلاتِ إن نظُـفتْ طَوَّلتَ الأجلْ
والنومَ وسْطْ، فهو شـرٌ الضُّرّ إن طالَ وقَلْ
والثوبَ رحبْ، إنّ ضـيقَ الثوبِ للجسْمِ شَللْ
واسكنْ فسيحاً ذا هـواءٍ وبه الدِّفْءُ اكتَمَلْ
ويميل للشهواتِ مَنْ حُرِمَ الرياضةَ عن كسَلْ
فى الانشراحِ سلامةٌ والعقلُ فى جسمِ البطلْ
فاعهدْ الى الأعضاءِ تَطْبيقَ العلومِ على العملْ

اسماعيل سرى الرهشان



غنّ

يا حبيبى غنّنى غَنِّ وأجزْ بعضَ الأسى عنى
انَّ حُبِّى لكَ منشأه حُبُّ أهل الفن للفنّ
غنِّ مِن معنى الهوى غنِّ غنِّ معنًى منكَ أو منى
غنِّ من حُبِّىَ لى غنِّ انّ من صوتك ما يُغنى
يا رشيقاً فى تمايله وهو مُغنينّ لِمُفْتَنّ
غنِّ لى ما شئتَ من لحن ثم دعنى فى الهوى دعنى
ثم دعْ لى سكرتى وحدى ياوحيدَ الناسِ فى الحسن!

عثمان حلمى



لون من الأدب

(أبو نواس — عمر الخيام — حافظ الشيرازى — أبو العلاء)



وقف الفقيهُ يلقى على صبيان مكتبه الحكاية التالية :

أهدى الخليفة هارون الرشيد عقداً لجاريته المحبوبة خالصة فذهب أبو نواس وكتب على باب مقصورتها :

لقد ضاع شعرى على بابكم كما ضاع عقدٌ على خالصةٌ !

ولما قرأت الجاريةُ هذا البيت ذهبت غاضبةً إلى الخليفة وأخبرته بذلك ، وشعر أبو نواس فأسرع الى باب المقصورة ومحا الجزء الاسفل من العين ولما كان الجزء الاعلى يشابه الهمزة تماماً صار البيت بعد ذلك :

لقد ضاء شعرى على بابكم كما ضاء عقدٌ على خالصهْ !

وحضر الخليفة فلم يجد في البيت ما يوجب العقاب .

هذه هى المرة الأُولى التى التقيتُ فيها بأبى نواس . ومضى بعد ذلك ردح من الزمن وأنا لا ألتقى به الآن فى الحكايات الخرافية التى تجعله هو وجحا فى صف واحدٍ، وكثيراً ما تجمع الحكايات الخرافية المضحكة بينهما فى مجلس الخليفة الرشيد كل منهما يسابق الآخر فى التهريج والتندر ، وقلما يفرق العامة وأشباه العامة بين الرجلين !

ضاعت الصورة القديمة التى طُبعت فى ذهنى حين قرأتُ شعر أبى نواس وحل محل صديقه القديم عندى عمر الخيام وحافظ الشيرازى وأبو العلاء المعرى إذ فلسفة

الجميع فى الحياة تلتقى عند نقطة واحدة وهى الفناء ، فان فلسفة الثلاثة الأول تتلخص فيما يلى : إذا كانت الدنيا لا قيمة لها وكل ما فيها مآله للفناء (واللبيب اللبيب من ليس يغتر بكون مصيره للنفاد)(١) فما أجدرنا أن نسرع الى اقتناص اللذات قبل فوات الوقت . وقد أجمع ثلاثتهم على هذا الرأى اجماعاً يكاد يكون تاماً ، فقال أبو نواس :

غدوتُ على اللذات منهتك الستر ... وأفضت بنات الشرّ منى إلى الجهر
وهان علىّ الناس فيما أريده ... بما جئت فاستغنيت عن طلب العذر
رأيت الليالى مرصدات لمدتى ... فبادرت لـذّاتى مبادرة الدهر
رضيت من الدنيا بكأس وشادنٍ ... تحير فى تفضيله فطن الفكر
مدام ربت فى حجر نوح يديرها ... عَلَىّ ثقيل الردف مضطمر الخصر
صحيح مريض الجفن مدنٍ مباعد ... يميت ويحيي بالوصال وبالهجر
كأن ضياء الشمس نيط بوجهه ... وبدر الدجى بين الترائب والنحر
اذا ما بدت أزرار جيب قميصه ... تطلع منها صورة القمر البدر
فأحسن من ركضٍ الى حومة الوغى ... وأحسن عندى من خروج الى النحر
فلا خير فى قوم تدور عليهم ... كؤوس المنايا بالمثقفة السمر
تحياتهم فى كل يوم وليلة ... ظبي المشرفيات المزيرة للقبر

وقال أيضاً :

جريت مع الصبا طلق الجموح ... وهان علىّ مأثور القبيح
وجدت ألذّ عارية الليالى ... قران النغم بالوتر الفصيح
ومسمعة اذا ما شئت غنت ... « متى كان الخيام بذى طلوح »

* * *

تمتع من شباب ليس يبقى ... وصل بعرى الغبوق عرى الصبوح
وخذها من معتقة كميت ... تنزل درة الرجل الشحيح
تخيرها لكسرى رائدوه ... لها حظان من طعم وريح

(١) لأبى العلاء المعرى

ألم ترنى أبحث الراح عرضى وعضّ مراشف الظبي المليح
وأنى عالم أن سوف تنأى مسافة بين جسمانى وروحى

وقال عمر الخيام :

انما الفُلْكُ قصدُه كلُّ سوء بكلَيْنا مبدّداً روحَيْنَا
فارقأ العشبَ واشربِ الخمر واغنم قبل يوم ينمو على تُرْبَيْنَا !

* * *

سوف أصفو على المحيَّا الجميلِ مااستطعتُ النعيمَ فى قُرْبِ نهر
حيثُ زهرٌ وخمرةٌ أحتسيها مثلَ عهدٍ مضى وعهدٍ سيجرى

* * *

انا لا استطيع عيشاً بعبء هو جسمى بغير راحٍ تشيعُ
ما ألذّ لأوانَ إذ يُقبل الساق بكأسٍ أخرى فلا استطيعُ !

* * *

نال سمعى فى الحان فجراً منادٍ : يا ظريفاً بنا المدلّهَ امسى
قمْ وبادرْ للكأس ملأً فتحظىَ قبل من يصنعون طينك كأسًا!

* * *

اغنمْ الوقتَ حيث سوف تولى لك روحٌ خلفَ الستار الألـهى
واشربْ الخمرَ حينما لست تدرى لك مبدأً ولا مآلَ التناهى

* * *

أتقـضّى الحياةَ كالعابدِ النفس وفى الفكرِ فى شؤونِ الحياةِ
اشربْ الخمرَ فالحياةُ إلى الموت فدعها فى السكر أو فى الثُّباتِ!

* * *

عادت السُّحبُ فى بكاء على العُشْبِ وفى الخمر ما يردُّ شجانا
ذاك مرأًى لنا ، فياليتَ شعرى حينما نغتديه مَن ذا يرانا ؟!

« • »

كنتُ فى حانةٍ سألتُ عن الماضين شيخاً مستغرقاً فى الشرابِ
قال: دعهم واشرب! فكم من أناس مثلنا قد مضَوْا لغير مآبِ

« • »

أسعدْ النفسَ أيُّهذا الحبيبُ واشربْ الخمرَ فى ضياء البدرِ
ليس من ضامنٍ غداً ، وكثيراً سوف يبدو لكن بنا ليس يدرى!

« • »

ذاك سيرُ الحياةِ ، قافلةُ العمرِ عجيبٌ ، فاغنمْ حبوراً بأرضِ
يانديمى! ماذا تخاف من البعث؟! ألا هاتِها ! فذا الليلُ يمضى !

« • »

لاتسلْ عن شؤون عهدٍ سيأتى لا ، ولا عن مصابه فهو فانِ
فاغنم الساعةَ التى أنتَ فيها واتركْ الفكرَ فى بعيدٍ ودانِ

« • »

وقال حافظ الشيرازى :

بمَّى والسلافَ يافتنتى النّـهرَ فنفنى طىَّ الكئوسِ الهمومْ
إنَّ وقتَ الحياةِ أيامُـهَا العشرُ كوَردٍ فى البشرِ لا فى الوجومْ

« • »

الصِّبا منبعُ السّلاف الشهىّ فاشربوا مغرقينَ ذلَّ الصبابهْ
انما الكون هزّةٌ لخراب وخرابُ الأربابِ يتلو خرابَهْ

« • »

حدَّثتْنى : انى لك العمرَ طوعٌ فتشجّعْ وصُنْ هواك بحلمِ
آهِ اما القلبُ؟ قال صوتٌ حكيمٌ: كتلةٌ من دمٍ حوتْ ألفَ همٍّ !

« • »

منحتنى فى البدء كأسَ غرامى ۝ وهوأسرى ، وبَعدُ كأسَ عذابى
ثم لمَّا احترقتُ روحاً وجسما ۝ وهبتنى للريح مثلَ الترابِ !

« • »

حولَ صون الحياة تصخب أموا ۝ هٌ بِنَقبٍ ، والعمُر هن انسكابِ
وقريباً سيقذف الدهرُ يا صا ۝ حِ متاعَ الحياة من كسر بابِ !

« • »

إإتِ واجلسْ والحبَّ وافتحْ من الوردة قلباً ، والخمرُ فيضُ الاناءْ !
ايها العاشقُ الجريحُ الذى ينشد (م) برءاً سلْ مِبضعاً عن شفاءْ !

« • »

ولكن ابو نواس يمتاز عن هؤلاء بانه كان مسلماً معتقداً أو متظاهراً بالاعتقاد ، وإن لم يمنعه ذلك من أن يطلق لنفسه العنان فى اقتناص اللذات فى غير حياد ولا خجل ، وهو لم يقف عند الغاية التى وصل اليها عمر الخيام والشيرازى بل تخطاها إلى أعنف وأفظع درجات اللذات الشاذة وضروبها المشروعة وغير المشروعة . ولمَّا لم يستطع أن يوفق بين ذلك ومعتقده الدينى لجأ الى حيلة طريفة ليلقى بها عن كاهله كل تبعة دينية كانت أم خلقية فابتدع له مذهباً يقرر فيه فى صراحة وثقة أن عفو الله وغفرانه أوسع من أن يضيقا بذنب مذنب أو باساءة مسىء ! بل تمادى فى غوايته فراح يزين للناس المعاصى طمعاً فى سعة عفوالله ويؤكدلهم أنهم سيندمون على ترك جرائمهم حين يتجلى عفو الله فى الآخرة ! فيقول :

تكثَّرْ ما استطعتَ من الخطايا ۝ فانكَ بالغٌ رباً غفورا
ستُبصرُ إن قدمتَ عليه عفواً ۝ وتلقى سيداً مَلِكاً كبيراً
تعضُّ ندامةً كفيْك مما ۝ تركتَ مخافةَ النَّار الشرورا !

وقال :

رُدَّا علىَّ الكأسَ انكما ۝ لاتدريان الكأسَ ما تُجدِى
خوَّفتمانى اللهَ ربَّكما ۝ وكخيفتيهِ رجاؤه عندى
لاتعذلا فى الراحِ ! انكما ۝ فى غفلة عن كنه ماتسدى
لونلتما ما نلتُ ما مزجت ۝ الا بدمعكما من الوجد

هاتا بمثل الراح معرفةً بلطافة التأليف والودّ
مامثل نعماها اذا اشتملت الا اشتمال فم على خدّ
إن كنتما لا تشربان معى خوفَ العقاب شربتها وحدى !

ولا كذلك ابى العلاء المعرى الذى لا يستطيع أحدٌ أن يقول إنه كان متعصباً لدينه أولغيره من الاديان بل كان موقفه من جميع الاديان واحداً لا يفضل ديناً على الآخر. وكان كثيراً ما يعيب على الناس بانهم متدينون لغاية إما طمعاً فى الجنة او خوفاً من النار ، ولذلك كان ينادى دائماً :

توخَّ جميلاً وافعليه لحسنه ولا تحكمى أنّ المليكَ به يجزى
فذاك اليه إن أراد فلكه عظيمٌ والا فالحمام لنا مجزى
فان الذى تهوين من رتبة الرضا يسير لدى ما تتقين من الرجز !

وعلى الرغم من هذا فانك اذا تقصَّيتَ سيرته الخاصة فى حياته لم تجد حرجا فى أن تقول إنه كان زاهداً فى الدنيا زهداً قلما يجاريه فيه أحدٌ .

ومن العجيب أن الفكرة التى جعلت من الدنيا جنة ينعم بها أبو نواس وعمر الخيام وحافظ الشيرازى هى بعينها التى جعلت من الدنيا سجنا لأبى العلاء واضطرته إلى أن يسجن نفسه باختياره ويعزف عن ضروب اللذات وأفانين النعيم طائعاً مختاراً زاهداً فى كل ألوان الحياة الناعمة ثم يتخذ من ذلك مذهباً مستوثقاً راضياً فيقول :

اذا كان علم الناس ليس بنافع ولا دافع فالخسرُ للعلماء
قضى الله فينا بالذى هو كائنٌ فصحَّ وضاعت حكمةُ الحكماء
وهل يأبق الانسان من ملك ربه فيخرج من أرض له وسماء
سنتبع آثار الذين تحملوا على ساقة من أعبُدٍ واماء
لقد طال فى هذا الانام تعجبى فيا لرواء قوبلوا بظماء !
أُرامى فتشوى مَنْ أعاديه أسهمى وما صاف عنى سهمه برماء
وهل أعظمُ إلاّ غصون وريقة وهل ماؤُها الا الأجنىّ دماء
وقد بان أن النحس ليس بغافل له عملٌ فى أنجم الفهماء
نهاب أموراً ثم نركب هولها على عنت من صاغرين قماء
يقولون إن الدهر قد حان موته ولم يبق فى الأيام غير ذماء
وقد كذبوا ، مايعرفون انقضاءَه فلا تسمعوا من كاذب الزعماء !
وكيف أقضى ساعةً بمسرة وأعلم أن الموت من غرمائى ؟ !

خـذا حـذرا من أقربين وجانبٍ ولا تذهلوا عن سـيرة الحـزماء

***

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهةً وحقٌّ لسكان البسيطة أن يبكوا
يحطمنا ريبُ الزمان كأننا زجاجٌ ولـكن لايعاد له سبك !

***

أعنْ باكياً لجَّ في حزنهِ وسلْ ضاحكَ القوم ممَّا ابتهجْ !

سيد ابراهيم





رواية سعاد

(يقع هذا المشهد فى ختام الفصل الثالث بعد شكوى حارة من سعـاد لعمها الـكبير الذى يحبها ويعطف عليها ، فيعدها بأن ينقذها من الزيجة المهياة لها مادامت غيرَ راضيةٍ عنها ، حتى إذا أتى بيت أخيه — والد سعـاد — وشربا القهـوة أخـذا يتحادثان)

عم سعاد (لأخيه) :
ألا إننى غيرُ راضٍ عليكَ ولستُ أراكَ شقيقاً لِيَهْ !
والد سعـاد : لمـاذا ؟

عمها : لانك لم تستمع الى الرُّشدِ فى حكمتى الهاديه
وغرَّك ماترتجى من غِنىً فأوقعتَ بنتك فى الهاويه !
والدها : تمهّلْ أخى وأينْ ماتريدُ !
عمهـا . إذنْ سأجيبك عما بِنِيَّه
لقـد جئتَنى مرةً زائراً ونفسُك جذلانةٌ هانيـه
وقلتَ : أتانىَ يرجو (سعا دَ) غنىٌّ ومن أسرةٍ راقيه
وما كان إلا مُسِنّاً قضى زمانَ الفُتوّةِ والعافيـه



محمد فريد عين شوكه

وقد ضَعْضعتْـه حياةُ السّقا مِ وكانت على نفسه قاضيه
فرجلٌ الى القبرِ ممـدودةٌ وأخرى تُمَدُّ الى الهاويه
خيالٌ كأسطورةِ الهازلين أو الطيفِ مِن حُفرة خاليه
وقلتَ بأنـك شـاورتهـا فكانت بخطبته راضيـه
ولو صحَّ أنّ الرضى كالاباء فذاك رضى مهجةٍ آبيه
وخادَعْـتَنى بأرقٌ الحديـ ث ، ولـكنها خدعةٌ واهيه
وبعضُ الخداع يقود الخدا عَ حتماً الى عَثرةٍ قاسيهْ

فقد جاءت البنتُ تشكو اليَّ اعتسافكَ في لوعةٍ باكيَه
ولو أنصفتْ محضتْكَ العُقوقَ وثارتْ على روحِكَ الطاغيه!

والدها (في دهشة):
أحقاً تقولُ؟

عمها: وهل أفترى عليكَ؟ وهل ذاك من شانِيَه؟

والدها: كذلك حالي!

عمها (في تهكم): أتحسبُ يُجدِي عليْكَ خداعُك لي ثانيه؟

(ثم ينادي سعاداً من وراء الباب حيث كانت منصتةً للحديث هي وأختها الكبرى)

تعالَيْ سُعادُ لنسمعَ مِنْكِ الحقيقةَ واللفظة الشافيه'

(فتأتي سعاد وتجلس بعيدةً عنهما وقريبة من الباب الذي خرجت منه فيسألها عمها)

سعادُ! أترضَيْنَ هذا الزواجَ؟ (فتنظر سعاد إلى أبيها ثم تلبث صامتة)

عمها (يشجعها على الكلام):
أدْلي برأيكِ في مصيركِ واعلمي أنْ ليس في قول الصراحةِ عارُ

سعاد: ماذا أقول وأنتما أدرى بما فيه لنفسي ذِلَّةٌ وبوارُ؟!

عمها: بل صارحينا بالذي تبغينه!

سعاد (وقد تجرأت بعطف عمها):
أنا لست راضيةً به!

عمها (يخاطب أباها): إسمعْ أخي! ماذا ترى؟ أفَبعد ذاك حوارُ؟!

والدها (في لطف):
أسعادُ مهلاً! ذا خطيبك سيّدٌ شهمٌ له بين الرجال وقارُ
من أغنياء المالكين، وعيشُه رغدٌ وعزٌّ دائمٌ ويسارُ
فارضي بحكمي، إنني لك ناصحٌ واصغي لرأيٍ ليس فيه ضرارُ!

سعاد: أبتِي حنانَكَ! إنني لا أرتضي شيخاً يكاد قوامه ينهارُ!

عمها (إلى والدها) :

ماذا تقول أخى ؟

والدها (فى عنف) : أقول مهدداً لا بد أن ترضى بمن أختار ! ا

أتكون آمرةً وتلك بُنيَّتى ؟

(تهتاج أخت سعاد لهياج أبيها فتعنفها من وراء الباب)

أسعادُ انك لم تراعى حُرمةً لأبيكِ أو تُبدى التأدُّبَ فى الجدل

وعصيتهِ فيما أراد وما ارتضى ولو انه لك خادمٌ لم يحتمل

حقاً لقد أخطأتِ كلَّ خطيئةٍ ووقعتِ فيما قد وقعت من الزلل

فتجيبها سعاد باكية :

أنا لستُ مخطئةً ولست عصيةً بل ذاك حقى فى الحياة ونظرتى ا

فيثور والدها فى غضبه صائحاً :

بل أنت فاشمة ! (فيهم أخوه ويمسك به ويعنّفه)

عمها : لا تعجلن بالسخط إن الحق شرٌّ بليةٍ

أشفقْ على هذى الفتاة فانها فى القول لم تخطىء ولم تتعنتِ

بل حَقَّها ترعى لانك بعتَها بيع السوائم دون أية رغبةٍ ا

والدها (فى هياج وغضب) :

والله لن أرضى باهوائها لها

(تسمع سعاد ذلك فتقوم باكية منتحبة ويهم عمها بالخروج غاضباً ويقول مخاطباً أخاه)

إذن لاخير فى قولى ونصحى وما لى عنـد مثلك من رجاء

وما دام الغنى ما تبتغيه فما يُجديكَ نُصحى أو ولائى

ولكن سوف تندم حين تلقى جزاء الدهر فى يوم الجزاء !

(ثم يخرج غاضباً لا يلوى على شىء)

— ستار —

دار العلوم العليا محمد فريد عين شوكر





ديوان عتيق

الجزء الاول

نظم عبد العزيز عتيق ، الجزء الأول فى ١٦٠ صفحة ١٣½ سم . × ١٩½ سم . مع مقدمة بقلم سيد قطب

نحن فى هـذا العصر شديدو التطلع لمـا ينتجه الشباب ، شعراً أو غير شعر ، ونستدل بذلك الانتاج على المستقبل ، لاننا نوقن ان النهضة المقبلة تقوم على اكتاف الشباب وحده ، ونحن فى النظر الى مجهود الشباب فريقان : فريق يقسو عليه ويوده كاملا ، ولا يسمح بنقص ولا ضعف ، فاذا آنس فيه هنة ولو صغيرة هدمه هدماً ، وأعمل فيه معوله بلا شفقة ، والفريق الآخر أوسع رحمة ، واكثر تقديراً للظروف والبيئة ، وما الى ذلك . ونحن من الفريق الأخير : لا نسرع الى الهدم ، ولا نحبه ولا ندعو اليه ، ولـكن نبحث فى الرماد الخابى ولو عن قبس ، وفى الليل الحالك ولو عن شعاع ! فاذا ظفرنا بمـا يبشرنا ولو ببعض البشرى ، فرحنا به وشـجعناه ، واظهرناه للناس . نحن نتوخى المحاسن ، ونغوص على الدرر ولو فى أعماق اللجـة ، ننشر النبوغ الدفين فى هذا البلد ، وما أكثر المغمور المنسى منه !

ولذلك حين ظهر ديوان عتيق أفرغنا له وقتاً ، ودرسناه قصيدة قصـيدة ، وقصدنا أن نستبين أموراً عدة : أولا أثر القديم فى هذا الشعر الجديد، وثانياً مجهود الشاعر العصرى فى التجديد ومداه وعمقه ، وثالثاً احاطته بالحياة وفهمه لها ، ورابعاً أثر المحاكاة والتقليد ، وهل للشاعر نزعة استقلالية وطابع خاص ؟

كنت أراعى فى تقديرى له ظروفه الخاصـة ، فهو مايزال فى عهد الدراسة ، ثم أنه لا يزال غضّ السن ، غضّ التجربة ، وإن كان النبوغ لا يقـاس بسن ولا زمن ، فان كيتس تألق نجمه وهو فى سن عتيق ، وشاكسبير كـتب دراماته الخالدة فى عمر فوق ذلك بقليل ! ولـكن يجب ان نذكر أننا فى مصر ، وأن مدارسـنا ما تزال

تسقينا الأدب الغثَّ البالى السخيف ، تنقشـه فى عقولنا ، وتطبعه فى صفحات خواطرنا ، ونحن فى عهد يؤثر فيه كل التأثير ذلك الذى يسقوننا إياه !

ومَن منا ينسى مواضيع الانشاء السخيفة التى كنا نكتبها ، ولم نكن نعنى فيها بغير اللفظ الجميـل المرصوف ، وأما المعنى والدراسـة العميقة والبحث الدقيق فلم نكن نعرفها ولا أنظارنا تُوَجَّهُ اليها .



عبد العزيز عتيق

أضفْ الى ذلك الاطلاع المحصور الضيِّق فى عهد الدراسة ، ولا أدرى هل الشاعر عتيق قرأ كثيراً من الشعر الغربى ، فان الاقتصار على دراسة الأدب العربى وحده لا تكفى لاتقان الشعر ، ولا لتجديده ، وإن كان الشاعر الموهوب غير محتاج لشىء ، فان هومير لم يكن يعرف غير لغة قومه حين كتب الالياذة ، وشـاكسبير لم يكن يعرف غير الانجليزية !

الجيد فى شعر عتيق انه يستلهم احساسـه ، ويُلقى العنان لتصوراته ، يرسلها محلقة كما تحلق الطيور أسراباً أسراباً ، شادية أو نائحة ، تستقبل الصـبح أم تودع الشمس الغاربة ، هى على كل حال جموع من الطير ، تضرب بأجنحتها فى عرض الفضاء !

وقد يؤخذ عليه انه كثير التشاؤم ، غاضب على الدنيا ، ساخط على الحب ، يرى قتاماً فوق قتام : وهذه النزعة الباكية ، نزعة السخط والتمرد والثورة ، تراها فى الشعر الحديث كله ، فهل الشباب اليوم لا يجد فى الحياة شيئاً جميلا ؟ أين النور والحسن ، والصبا ، والسماء والبحر ؟ أين السحر المتغلغل فى كل شيء ؟ لو نصحتُ للشاعر عتيق بشيء لنصحت له بقراءة شعر روبرت بروك ، فانه كان فى مثل عمره ، ولكنه كان يحب الحياة ، يحبها حباً مستفيضاً . وكان وهو فى وسط القتال فى الدردنيل يدعو الله انه اذا قدّر عليه الموت ، فلا يبخل عليه بعد الموت بركن فى الآخرة ، وجعبة يحمل فيها ما كان يعزه فى الحياة ، من وجه ولون وزهر وسماء ، فيخلو خلوته ليستعرض ما فى الجعبة مما كان يحبه ، فيقلبه ويشمه ، ويقبله ، وينظر الى كل ذلك نظرة الأم الحانية على طفلها المعبود :

وأحسن ما فى ديوان عتيق الرحمة والصفح : انه يغضب ، ويسخط ، ويثور ثم يغفر ، ويبسط لاحبابه قلباً نقياً ، فياضاً بالعطف والحب والرضى .

على ان القصيدة التى تفردت بالحسن هى القصيدة التالية : فان فيها تجديداً ، ونزعة استقلالية ، وروحاً غربية ، فى لفظ عربىّ صافٍ :

(عهد جديد)

وكالأمل المحبوب وجهُكِ حينما تطالعنى منه العيون النواعسُ
هو الصبحُ ! لولا ان بالصبح حاجةٌ الى شاعر تهفو اليه العرائس !
أحبُّ فيسمو بى العفاف الى الذرى ويرفعنى أنى على الحسن حارسُ !
أظلّ به أشدو وما كنت شادياً ولكننى من ذلك النور قابسُ !

والآن ما أثر المحاكاة فى شعر عتيق ؟

اقرأ مثلا قصيدة « خواطر » (صفحة ١٣٤) تجد طيف العقاد يطالعك من ورائها .

أنا لا أذمّ العقاد ، ولا أطعن فى شعره ، ولكنى أقول للشاعر عتيق : دع العقاد جانباً ، فان له طابعه الخاص ، وحاذر أن تقلد العقاد أو غيره فان هذا ما يسمى بالانجليزية Mannerism . وأذكر ان الشباب فى عهدٍ ما كانوا يحلقون رءوسهم عند حلاق لطفى بك السيد ويطلقون سوالفهم كما كان يطلقها ، وعند ذلك كانوا يزعمون أنهم جميعاً أصبحوا لطفى السيد أدباً وفلسفةً !

ياصديقي الشاعر ! أطلق العنان لسجيتك ، واستمر في استلهامك نفسك ، واعمل كما يقول جيتة : من الداخل الى الخارج ! إنا نرى نجمك في سماء المستقبل ! واخيراً تحية اعجاب وتشجيع لك؟

ابراهيم ناجي

وحي الاربعين

قصائد ومقطوعات نظم عباس محمود العقاد في ١٧٦ صفحة

١٢½ سم. × ١٦½ سم . الثمن ٥٠ مليماً . مطبعة مصر بالقاهرة

لصاحب هذا الديوان فضلٌ على الأدب العصري كناقدٍ حصيفٍ وشاعرٍ حكيمٍ وقف في طليعة المحاربين عبادة الالفاظِ التي أساءت الى الشعر العربي أساءةً بالغةً في عصور متوالية .

والمتصفح المنصف لديوانه الجديد الانيق لايسعه إلا الاغتباط بمقدمته عن الشعر العصري . وقد أصاب كل الاصابة في تذكيره الادباء بأن الشعر هو التعبير الجميل عن الشعور الصادق ، وانه عالمٌ لاينحصر في قالب ولا يتقيد بمثال ، وأن النظر الى الدنيا لن يتسع ولن يصح ولن يكمل إلا بخيال كبير ، وأن من يريد أن يحصر الشعر في تعريف محدود لكن يريد أن يحصر الحياة نفسها في تعريف محدود . وهو يسائل باهتمام : أين غرائب الاحساس التي تختلف الى غير نهاية في كل طور من أطوار النفوس؟ وبعد هذا السؤال يقدم لنا العقاد نماذج شتى من غرائب هذا الاحساس ، وهي لبُّ ديوانه الجديد .

يقع هذا الديوان في ثمانية أبواب ومقدمة ، وتشمل الابواب: تأملات في الحياة ، وخواطر في شؤون الناس ، وقصص وأماثيل ، ووصف وتصوير ، وغزل ومناجاة ، وقوميات واجتماعيات ، وفكاهة ، ومتفرقات . وتتجلى فيها جميعاً الروح التي أشرنا اليها ، كما تزدحم في صفحاتها روائع شتى على معظمها سمة التفكير والفلسفة ، وعلى القليل منها مسحة العاطفة الخالصة .

يقول العقاد في صفحة متوارية من ديوانه :

إذا الدهر لم يعرف لذي الحقّ حقّه   فللدهر منّي موطئ النّعلِ والقدَمْ

إذا جاز بيعُ الذكرِ فى شرع أمةٍ فلا كان مِنْ ذكرٍ ولا كانت الاممْ

وهذا شعار الأبىّ ، وصرتٌ نبيل له نظائره فى صفحات الديوان من حكم صادقة جديرة بأن يستظهرها الشبابُ وغير الشباب من الغيورين على سلامة الاخلاق فى أمتهم ومن المهيبين بها الى المثل الاعلى ، وذلك مثل قوله :

أنصفتَ مظلوماً فأنصفْ ظالماً فى ذلةِ المظلومِ عذرُ الظالمِ

وقوله :

فما تحمد العينان كلَّ بشاشةٍ ولا كلّ وجهٍ عابس بذميمِ
قطوبُ كريمٍ خاب فى الناس سعيُه أحبّ من البشرى بفوز لئيمِ

وقوله :

أقلُّ من الصخر امرؤ ضمَّ جسمه أمانةَ روح لم يَصنْها لمأرب

وقوله :

لايستقلّ القوم فى آمالهم الا استقلوا بَعْدُ فى الافعال

وتطالعك من أول صفحة فى الديوان ألوان من «غرائب الاحساس» التى يعنى بها العقاد والتى يخيل الينا أنه لايود أن يسجّل له من الشعر سواها ، فيفاجئك بقوله :

صحَّ جسماً فشاقت الارض عينيـه جمالا وفتنة وضياء
صحَّ نفساً فشاهت الناس حتى كره الارضَ حوله والسماء !

ومن بدائع هذا الديوان مقطوعاته وقصائده عن سحر الدنيا ، وانذار الغضب الى الحق المحتجب ، وعلى بحر الحياة ، ومافوق الحياة ، وعلى الشاطىء ، ولا ضيف فى الخان ، وضلال الخلود ، والشمس ، وعدل الموازين ، وعم صباحاً — عم مساءً ، وتكاليف العظمة ، وعيد ميلاد فى الجحيم ، ومباراة ، والقبلة ، والجسم الضاحك ، والى الغرق ، وزهرة لاتذبل ، وأيعشقون ؟ وعلى ضريح سعد — وما كل هـذه الحسنات بالقليلة فى كتاب هو خامس أجزاء ديوانه الحافل .

وبينما نرى العقاد مالكاً ناصية اللغة جزل التعبير قويه فى مواضع كثيرة اذا به أحياناً يتعثر فى تعابيره بغير موجب ، ونخال ذلك راجعاً الى اعتداده بنفسه وسخطه على القُدامى المعابدين للصور الكلامية وللالفاظ الجوفاء . مثالُ ذلك قوله : يوم عصبصب (ص ٦٧) وكانت له ندحة عن استعمال هذا اللفظ النافر ، وقوله (ص ٤٥) :

دليلٌ على أن ان الكمال محرّمٌ أناث خُلقنا بيننا وذكورُ

فضعف التعبير فى هذا البيت ظاهر ، وقوله (ص ٤٦) :

أسيءْ ظنونك لكن مكرهاً أبداً كمن يظن ببعض الآلِ والحرَمِ

وقوله (ص ٥٢) :

حتى الأفاضل عرضة لهوى الهنات البادرهْ

وقوله (ص ٨٢) :

إذا قلت زوراً فهو من صدق شيمتى ومن يصف الدنيا يصف خيم ختال

يريد طبعَ ختال ، والشعر العصرى فى غنًى عن أن يُتخم بلفظة خيم ، ومثل قوله (ص ٩٢) عند وصف خليج ستانلى :

سَلْ عُصبةً سكنت « جنبـ فَ » تكلّفٌ بك أم كلفْ ؟!

فانهذه الالتفاتة ليست مما يتفق والمحتوىالفنّى لشعر العقاد ، ومثل قوله(ص٩٥):

حىٌّ الجمال كما بدا أولا فدونك والجيفْ !

فلفظ « الجيف » مما ينبو استعماله فى مثل ذلك القصيد الوصفى لمعرض جمال حينما ذلك المشهد كفيلٌ بان يُنسِى الشاعرَ كلَّ صورة قبيحة ويجعله يتحاشى مثل هـذه الاشارة ، ويخيل الينا أن العقاد لم ينظم هذه القصيدة تحت سلطان ذلك الوحى. كذلك قوله (ص ١٠٧) :

عيد الشباب فلا كلا م ، ولاملامَ ولاخرفْ

وقوله (ص ١٠٧) :

واذا الجدولْ ناغى نفسه فهى أصداؤك من غير كلامْ

وقوله :

والذى أرهبه وا أسفاً هجرك المدعوُّ بالموت الزؤامْ

وقوله (ص١٠٨) :

هذه الروعة هل تجمعها فى مدى يوم لحوم وعظامْ ؟

وقوله (ص١٢٩) :

عينُ ياعينُ لانظرْ ؟ هاهنا ؟ هاهنا الخطرْ !

وقوله (ص ١٧٢) :

كلنا صائرٌ كما صرتَ يوما والذى قد صنعتَ ليس بفانِ

فان هذه التعابير الضعيفة الركيكه لاتليق بشعر العقاد .

وكذلك نرى العقاد أحياناً شديد التركيز فى أسلوبه حتى يكاد لا يبين عن مراميه كما هو ملحوظ فى قصيدته « فلسفة حياة » (ص ١٧) ونلمح فى بعض قصائده خواطر سابقة كما فى قصيدة ضلال الخلود (ص٣٥) فهى تذكرنا بقصيدة الشاعر البابلى لعبد الرحمن شكرى .

وبعد ، فنهنىء صاحب الديوان والشعر العصرى بهذا الأثر الجديد الذى نضمه الى ذخائر أدبياتنا ، ونقول إن ثروتنا الشعرية تتألف من فرائد شتى عالية وأن شعر العقاد من بين نماذجها المختارة لانه فى مجمله يمثل لوناً مستقلا من الشعر الفلسفى الذى لن نستغنى عنه . ولما كانت هذه المجلة و« جمعية أبولو » لا تدينان بعبادة الافراد وانما يعنيهما تمجيد المثُل العليا والكشف عن نواحى الجمال الفنى فى الشعر العربى قديمه وحديثه ، فلذلك يسرنا التنويه بهذا الديوان الجديد للعقاد على هذا الاعتبار وحده ، راجين أن يتناوله حضرات النقاد بهذا الروح الخالص من شائبة التحامل المعتاد على كل رجل جهير ، فان هذا التحامل المزدول وذلك التأليه الاعمى سيان فى نظر الناقد الفنى الغيور على خدمة الادب وحده .



شـــــوق

شاعريته ومميزاتهـا

بقلم أنطون الجميّل بك ، ٩٥ صفحة ، بحجم $13\frac{3}{4}$سم . $19\frac{3}{4}\times$ سم . الثمن ٥٠ مليماً .
مطبعة المعارف بشارع الفجالة بالقاهرة .

يكاد ينقسم نقاد الأدب والشعر خاصة فى العالم العربى (ونسميهم نقاداً من باب التجوز) الى فريقين : فريق يجنح الى التأليه والتقديس ، وآخر ينزع الى التحامل البغيض ، وكلاهما بعيد فى محاولاته عن الأصول الفنية . وقد أشار الى الفريق الاخير الكاتب المعروف كامل كيلانى سكرتير « رابطة الأدب الجديد » فى محاضرته التمهيدية عن موازين النقد الأدبى . وأما الفريق المعتدل المنصف الذى يفقه النقد

وتطبيقه فهو ضعيف الحول يكاد لا يُشعَر بوجوده وإن كان المستقبل له . وفى سبيل اعلاء كلمة الانصاف الأدبى كان مجهودنا فى نشر هذه المجلة وفى نشر صحيفة « الامام » ، ومثال بارز لذلك إصدار العدد الخاص بذكرى المرحوم شوقى بك فى ديسمبر الماضى .

ولا نعدّ الكتاب الطريف الذى أصدره الجميّل بك جامعاً لبحوثه عن شوقى من هذه الضروب النقدية ، وانما نعده لوناً من الدفاع البارع ومن تصوير الجمال أوتخيله أحياناً . وهل ثمة أجمل من البحث عن الجمال أوتصوره وعرضه على الألباب بصورة فنية خلابة كما فعل الجميّل بك ؟ ولعل أصلح عنوان لكتابه أن يدعى « حسنات شوقى » فقد كان بارعاً فى استخلاص كل جميل رائع من مئات الابيات التى تزدحم بها دواوين المرحوم شوقى بك وفى اظهارها بأبدع صورة وتحبيبها الى نفوسنا أيّما تحبيب ، وكأنما الجميّل بك كان ناظراً فى مرآة نفسه الصافية لا باحثاً منقباً فى نفسية غيره بما لها وما عليها ، وهذا التنقيب وحده هو النقد فاذا انعدمت الموازنة والفحص والاستقصاء تبع ذلك انعدام النقد الصحيح .

وخلاصة رأي الجميّل بك فى شوقى من الوجهة الفنية « انه لم يشد الى قيثارة الشعر وتراً جديداً ، ولكنه استخرج من الأوتار التى ضرب عليها غيره من الشعراء أنغاماً مستجدة عذبة المستمع . وكثيراً ما أصبح القديم جديداً بفضل ما أكسبه من جمال اللفظ والتركيب وروعة المعنى الذى ظهر بمظهر التجديد » .

ولعل أغلبية الادباء تعزز هذا الرأى الناضج وتشكر معنا للجميّل بك جهده الطيب ، ولا يسعنا الا أن نحثّ جمهرة الادباء وطلبة المعاهد الدراسية بصفة خاصة على اقتناء هذا الكتاب الممتع .



صديقى رينان

قصة اجتماعية مصوّرة تأليف حسين شوقى مؤلف « رواية ابن الأحمر » و « رسائل فى الحضارة المصرية القديمة » ، ٦٢ صفحة بحجم ١١½سم . × ١٥½ سم . على ورق فنّى سميك . مطبعة مصر بالقاهرة . الثمن خمسون مليماً .

كلُّ مقدِّرٍ لأدب شوقى لا بد وأن يغتبط بقراءة هذا الكتاب الطريف الممتع لانه من قلم نجله الاديب الشاعر الفاضل حسين شوقى الذى ورث عن والده

مواهبه الادبيـة وإن كان جميع أولاد المرحوم شوقى بك قد تكملوا بجمال الذوق واللطف الذى اشتهر به والدهم العظيم . وقد اشتركت أيضاً فى هذه الوراثة الآنسة المهذبة خديجة العلايلى حفيدة الفقيد الكريم ولها شعر وسيم باللغة الفرنسية وصور فنية قيمة .



حسين شوقى

قرأنا هـذا الكتاب فوجدنا هذه الصفات متجلية فيه : (١) عرض قصة الحب الاول والوفاء له فى أسلوب رشيق جذاب مؤثر ، (٢) إتحاف القارىء بمشاهد حية من المجتمعات الاوربية الليلية لطبقات مختلفة ، (٣) دراسات نفسية متنوعة صبغتها ريشة مثقفة دقيقة ، (٤) طرف أدبية وتاريخية منثورة فى تضاعيف الكتاب.

فهذا الكتاب إذن قصة صغيرة ومذكرات سياحة ومحدث أدبى كلها مجتمعة فى تصنيف واحد ومكتوبة بأسلوب شعرى خلاب . وهذا مادعانا الى استعراضه دون غيره من تآليف كاتبـه الفاضل المولع بالتاريخ المصرى القديم وبالحضـارة العربية وبالميثولوجيا عامة .

قرأنا الكتاب فى نحو ساعة من الزمن وعلقنا على هوامشه ، وكنا نود اقتباس بعض فقراته للدلالة على شاعرية مؤلفه لولا ضيق فراغ المجلة ، ولهذا نكتفى بالتنويه به ، وما نشك فى أن أى قارىء مثقف سيستمتع به استمتاعاً . وأما عن لغة الكتاب فسهلة وسليمة ، ولم نعثر به الا على القليل من الاخطاء المطبعية ونحوها كذكر « شيقة » فى معنى « شائقة » و« حماس » بدل « حماسة » و« الحرمان من الشىء »

بدل «حرمانه» و«قليل الغاية به» فى معنى «قليل العناية به» و« العجوز» فى معنى « العتيق » و « مرحاً مصطنعاً » (ص ١١) حينما يريد « مرحاً طبيعياً » الخ .

وهى هفوات لا تنقص من قدر الكتاب وليست مما تسلم منه المطبوعات فى مصر برغم كل عناية مبذولة . ومن رأينا أن المؤلف كان يستطيع أن يستغنى عن الجملة الاخيرة فى الصفحة الختامية لانها مما يضعف الأثر الدرامى المقصود اليه بهذه الخاتمة الحزينة .

فنهنىء المؤلف الأديب بذوقه الادبى وبشاعريته الرشيقة ونتطلع بمحبةٍ وسرورٍ الى آثاره المقبلة ، ولعلنا نظفر بينها بطرفٍ من شعره الفنى المنظوم .



الرســالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون لصاحبها ورئيس تحريرها احمد حسن الزيات ، ويشترك فى تحريرها الدكتور طه حسين وأعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، صفحات العدد ٤٢ ، بحجم ٢٣ سم. × ٢٩ سم .

ثمن العدد عشرة مليمات .

لانحتاج لاى تمهيد فى التنويه بهذه المجلة القيمة التى يجدر بمصر الناهضة أن تستكثر من طرازها بين صحفها الاسبوعية ، فان من العيب الفاضح أن يضيع الادب الجدّى الناضج وأن يسخر الصحفيون من عقول الشباب . ومهما قلنا فى نقد البيئة المصرية فلا مشاحة فى أن الشعب المصرى مطواعٌ للمرشد الحصيف الامين ، فجدير برجال الصحافة المصرية أن يستغلوا هذا الميل الطيب فيه وأن يغذوه بنفائس الادب الحىّ . فاذا شكرنا لناشري هذه المجلة المهذبة المفيدة مجهودهم فانما نعبّر عن عقيدتنا ونمتدح ماندين به بل مايدين به كلُّ أديب مصلح فى هذا البلد المسكين . ومما يزيدنا غبطة أن الشعر الجيد لم يحرم جانباً من هذه المجلة النفيسة التى نتمنى لها الحياة المتواصلة والنجاح الاكيد .



النهضة الحضرمية

مجلة أدبية اصلاحية مصوّرة ، تصدر فى أول كل شهر عربى ، لمحررها السيد طه بن ابى بكر بن طه السقّاف . تصدر فى ٣٦ صفحة بحجم ٢٣ سم . × ٣٠ سم . بدل اشتراكها السنوى ١٢½ شلناً ، وعنوانها رقم ٨ ـ ١٠٩ بسنغافورة .

عُرِفَ الحضارمُ بتأثّرهم بالأدب المصرىّ العصرى بصفةٍ خاصةٍ كما عُرفوا بعطفهم على العالم العربى الذى عَدُّوا أنفسَهم شطراً منه ، ولهم صحف معروفة تبادلها جرائدُنا مطبوعاتها ، ولكن لم تُعرفْ لهم حتى الآن مجلة أدبية ممتازة . لذلك لا يسعنا الاّ الترحيب بهذه المجلة التى ظهرت فى أول يناير الماضى لاظهار الأدب الحضرمى نثراً ونظماً . وقد تضمن العدد الأول تأبيناً للمرحوم شوقى بك ومقطوعات من شعراء حضرموت خليقة بالعناية والدرس .



تصويبات

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥٤٥	١٧	الودّ	الورد
٥٥٣	٢٣	الآكام	الآطام
٦١٢	٩	برب	دبرب
٦١٦	٧	الطغاة	للطغاة
٦١٩	٧	ودولة	دولة
٦٢٣	١١	مقالة	مقاله
٦٣٧	١٧	الصَّبي	الصَّبي
٦٤٤	١٣	غنّى	غنّ
٦٤٤	١٧	أوتاركَ	أوتاركْ
٦٤٦	٣	يدَ	يدُ
٦٥٤	٩	يَحْيَي	يَحْيا
٦٧٧	١٥	مُفْتِنٌ	مفتنٌ
٦٨٧	١٩	تنقل كلمة « وما » الى الشطر الثانى	

فهرس

ذكرى شوقي

شوقى الشاعر

— ٢ —

رأيه فى التجديد

يرمون شوقى بالجمود ويقولون إنه محافظ يحب القديم ويحنو عليه ، ولكن شوقى له رأيه فى التجديد : فهو لا يبغض القديم كله بل يراه أساساً صالحاً نبنى عليه . وفى الحق ان العراك بين القديم والجديد عراك طال عليه الزمن ، والمصلح الحقيقى لا يقلب الأمر بعنوان كونه قديماً أو جديداً ، ولكنه ينظر إليه فقط بعنوان كونه مفيداً للأمة أو غير مفيد ، أما نبذ الشيء لكونه قديماً وقبول غيره لأنه جديد فهو أبعد مايكون عن الحق والصواب ، ولقد صدق أستاذنا المرحوم محمد عبد المطلب حين قال :

مازوا الجديدَ من القديم وما دروا   أنّ الجديد من القديم سليلُ

وشوقى يبغض من كل قلبه تلك الطائفة التى تدعو إلى هدم كل قديم ، ثم لاتستطيع أن تقيم بناء جديداً أو تشيد حضارة رائعة بل كل همها فى هدم القديم وإذا دعوت أحد هؤلاء للبناء قصر :

وأتى الحضارةَ بالصناعةِ رثةً   والعلمِ نزراً والبيانِ مثرثرا

ولكم نقم شوقى على هؤلاء وسماهم عصابة مفتونة .

وأريد هنا أن أذكر رأيه فى نقطتين : المرأة واللغة .

شوقى لاينكر أثر المرأة فى الأسرة والمجتمع ، فهو يراها ضوء المنزل ونور المسجد وحسن الدنيا وزينة الحياة ، ، ويرى أنها فوق ذلك هى ذات اليد الطولى فى تكوين ابنها ، فهى إن شاءت كان شجاعاً مغواراً ، وإن أرادت كان جباناً هيوباً ، وإن نشّأته على الفضيلة نشأ فاضلا كريماً ، أو ربّته على الضلالة والغىّ كان ضالاغويا . فهو فى يدها قضيب لدن يطاوعها كيفما صوّرته ، وعلى أى خليقة شاءته ، فهو

صداها ، وهى باعث كل محمدة أو مذمة . واستمع إلى شوقى يخاطب المرأة بعنوانها ملكاً قائلا :

لولا التُّقى لقلتُ لم يخلق سِواكِ الولدا
إن شئتِ كان العير أو إن شئتِ كان الأُسدا
وإن تُرد غيّاً غوى أو تبغ رشداً رشدا
والبيتِ أنتِ الصوتَ فيه وهو للصوت صدى
كالببغا فى قفصٍ قيل له فقلّدا . . . .
وكالقضيبِ اللدنِ قد طاوع فى الشكل اليدا
يأخذ ما عوَّدتِه والمرءُ ما تعوّدا . .


احمد احمد بدوى

وإذا كانت المرأة أكبر معلم للطفل ، والطفل ينشأ على ما عُوِّد فلا غرابة إذن حين نرى شوقى داعيا صباح مساء إلى تعليم المرأة وتثقيفها ، لتجلس فى مكانها الذى هيَّأته لها الطبيعة . وهو يرى أن أخذ المرأة بنصيب من الثقافة وقسط من التعليم مما دعا إليه الكتاب والحديث وسيرة السلف الثقاة ، فلقد كانت سكينة تملأ الدنيا علما وأدبا ، وها هى ذى مجالسها الحافلة بالعلماء والادباء ، وكانت هى راوية تهزأ بالرواة ، وإن حضارة الاسلام الغابرة لتنطق عن مكان المسلمات : ففى بغداد عالمات متأدبات ، ولدى دمشق الجوارى النابغات ، وفى رياض الاندلس الهاتفات الشاعرات ، بل إن الاسلام لم يحجر على المرأة وأباح لها أن تأخذ بحظها من التجارة والسياسة وما اليهما ، ولم يمنع المرأة من أخذ حظها من العلوم والمعارف ، وأنصت حين يقول شوقى :

هـذا رسـول الله لم ينقص حقوقَ المؤمنات
العـلم كان شريعةً لنسـائه المتفقهـات
رُضنَ التجـارةَ والسيا سةَ والشئونَ الأخريات

ولـكم يأسف حين يديو بعينيه فيرى المرأة المصرية فى هوة عميقة من الجهل لا تبصر فيها ضوءاً أو لا ترى نوراً ، وحينذاك يشفق على من بيدهم زمام الثقافة والتربية فيشكر جهودهم ويأسف على أن المرأة المصرية لاتهب لهم من المساعـدة ماهم به جديرون .

وهناك نقطتان تتعلقان بالمرأة . إحداهما زواج الـكبار بفتيات صغار ، ولـكم ينقم على هؤلاء الذين جلل الشيب أفوادهم وملأ السفه قلوبهم والصَّغار أفئدتهم ، والشهوة السافلة نفوسهم ـ تلك النفوس التى لاتعرف العطف ولاتفهم معنى الرفق ، فيذهبون للزواج على نساء طيبات أخيار ، بعد أن شاطرنهم نعم الصبا ، وسقينهم بكأس السرور ، وولدن لهم البنين والبنات ، ثم لا يأبهون لذلك كله ، ويأبون إلا التمتع بطفلة صغيرة ، أقل سناً من أحفادهم وحفيداتهم ، إغراء بالمال الذى حلل كل غير محلل ، وسحر القلوب ، حتى أضحت الأمهات تحت تأثيره كالحجارة أو أشد قسوة ، فتدفع الأم بنيتها لأشأم مضجع وترمى بها فى غربة وإسار ! وليست الغربة بأن يعيش المرء مع قوم لايعرفهم فحسب ، بل أن يساكن من لايفهمه ، ولا يستطيع أن يفهمه ، فيعيشا فى غربة فكرية هى أشد على النفس من الوحشة والاسار . ولقد ينقم شوقى على هذا الزواج ، حتى ليحسب أن الزنا إن قيس به لايعدّ شيئاً ، واسمعه يقول :

المـال حلل كلَّ غير محلل حتى زواج الشيب بالأبكار
سحر القلوب فرب أم قلبها من سحره حجر من الأحجار
وتعللت بالشرع ، قلت : كذبته ما كان شرع الله بالجزّار
مازوجت تلك الفتاة وإنمـا بيع الصبا والحسن بالدينار
بعض الزواج مذمم ، ما بالزنا والرقّ إن قيسا به من عار
فتشتُ لم أر فى الزواج كفاءة ككفاءة الأزواج فى الأعمار

والمسألة الثانية مسألة الحجاب والسفور ، ولعل شوقى أبدع أيّما ابداع فى تلك القصـيدة التى أبان فيها عن رأيه فى الحجاب والسفور : فقد شبه المرأة بطائر هو ملك الطيور ، جمال صوت وحسن ترتيل ، يزرى بمعبد والموصلى ، ويعيد عهد داود فى مزماره وجميل شدوه ، حتى اذا خطر على الملاعب لم يدع لممثل ، فى غلائل

من أشعة الضحى ، وقلانس طاهرة بيضاء ، ولكنه لو جعله فى نضار مجلل بالحرير ، ولفه فى سوسن وحفه بالقرنفل وحرق حوله أزكى العود وأغلى الصندل ، وحمله فوق العيون عند رأس الجدول ، ودعى كل أغرّ محجل فى ملك الطيور ، فأتته بين محبذ ومدلل ، وأمر ابنه فالتقاه بوجهه المتهلل ، وأهدى اليه فيلوذج لم يُهدَ للمتوكل ،



(وفود الامم العربية والمدعوون الى حفلة الشاى التى اقامها وزير المعارف المصرية)

وزجاجة فضية مملوءة من سلسل ، كل ذلك لا يغنى ولن يعدّه الطائر ذا فضل وكرم مادامت حياته مشوبة بالرقّ مهددة بالقيد ، بيد أنه مع ذلك لا يستطيع الا أن يحرص على هذا الطائر لانه غالٍ ثمين . فشوقي إذن لا يؤمن بالسفور بل يلجأ الى الحجاب مكرهاً مضطراً لأنه اذا احتكم الى الطبيعة وجد الطائر إما أسيراً أو قتيلا كما قال :

أنتَ ابنُ رأيٍ للطبيعة فيك غير مبدّل
أبداً مَروعٌ بالأسار مهـدّد بالمقتلِ . . .
إن طرتَ عن كنفى وقعت على النسور الجهل !

ثم احتكم الى الحياة فرأى أن الدنيا مهما غالطنا أنفسنا لا تكون للأعزل ، ولا للغبىّ الذى يعلل نفسه بعذب الأمانى وحلو الآمال ، ولكنها جعلت لذى الجهاد

يُبتَلى ويَبتلي من غير ضعف أوجهل ، هذا ويرى شوقى فى التهتك الذى انغمست فيه المرأة داعياً الى الافساد .

والنقطة الثانية مسألة اللغة . ولأدع الدكتور هيكل يحدثنا عن ذلك حيث يقول : « ولقد ترى شوقي يغلو فى شرقيته وعربيته أحياناً ، ولقد تراه يتعمد ذلك فى لفظه ومعناه ، وسبب ذلك هو ما يراه من ضرورة مقاومته تلك النزعة القائمة بنفوس كثيرة تصبو الى نسيان ما خلف السلف من تراث والأخذ بكل ما يلمع به الحاضر من رواء الغرب .

وقد يكون غلوّ شوقى أكثر وضوحاً فى جانب اللغة منه فى جانب المعانى ، فهو بمعانيه وصوره وخيالاته يحيط مما فى الغرب بكل ما يسيغه الطبع الشرقي وترضاه الحضارة الشرقية . وأما لغته فتعتمد الى بعث العديم من الالفاظ التى نسيها الناس وصاروا لايحبونها لأنهم لا يعرفونها ، ولعل سر ذلك عند شوقى أن البعث وسيلة من وسائل التجديد ، بل قد يكون البعث آكد وسائل التجديد ، نتيجة ما وجد من أرباب اللغة من يفيضون على الالفاظ القديمة روحاً تكفل حياتها ، والبعث له الى جانب ذلك من المزايا أنه يصل بين مدنية دارسة ومدنية وليدة يجب أن تتصل بها اتصال كل خلف بسلفه » .

هذا ما قاله الدكتور ، وأضيف الى ذلك أن شوقى يرى اللغة العربية موطن الجمال وينبوع العذوبة حيث يقول :

إن الذى ملأ اللغات محاسناً جعل الجمالَ وسرَّه فى الضادِ

والآن بعد أن بينت لكم رأيه فى المرأة واللغة ، أترك لكم الحكم عليه إن كان من المجددين ، أو من المحافظين الأقدمين .

— ٣ —

ديانته وتمتعه

يرى شوقى ان الانسان متدين بطبيعته ، يسعى بكل ما أوتى من قوة ليدرك لغز هذا العالم وما يملؤه من أسرار تغمره وتحيط به ، ويسعى كذلك ليعرف من أوجده والى أين يسير ، ولكنه وهو يبحث وينقب لا يستطيع الوصول الى الحقيقة والصواب ، وإن كان يحوم حول مركزها ، فهو إن جعل القوة إلـهاً فله بالقوة استمداد من الخالق ، واذا آثر الجميل بالتنزيه فالجمال حباه من الله ، واذا

أنشأ التماثيل فالى المولى الرموز والايماء ، واذا قدر الكواكب أرباباً فمن الله السنى والسناء ، واذا ألّه النبات فمن آثار نعماه ، واذا سجد للجبال فالمراد الجلالة الشماء ، واذا عبد الملوك فالملك فضل يحبو به من يشاء هكذا ضلت العقول فى صباها تسعى الى الحقيقة ويسترها ظلام الجهل حتى جاءت الرسل فانتهت الى الله الأسماء والأفعال .

بهذا يؤمن شوقى ، ولهذا فهو يرى أن أولئك الذين ينكرون الديانات ويسعون فى هدمها ليسوا من الصواب فى قليل ولا كثير ، ولقد ظلت الديانات ينسخ بعضها بعضاً كما ينسخ الضياء الضياء حتى جاء محمد حامل لواء الاسلام دين الشمائل ، ودين الأنفة والسيادة روحه ، والاقدام والعمل من آياته الكبرى ، والمجد ينبوعه ومورده .

من عادة الاسلام يرفع عاملا ويسوّد المقدام والفعّالا
ظلمته ألسنةٌ تؤاخذه بكم وظلمتموه مفرطين كسالى
هذا هلا لكمو تكفّل بالهدى هل تعلمون مع الهلال ضلالا؟!
سرت الحضارة حقبة فى ضوئه ومشى الزمان بنوره مختالا
أيام كان الناس فى جهلاتهم مثل البهيمة أرسلت إرسالا !

ولكم يأسف ويحزن حين يرى الاسلام ذا الحضارة والمدنية يهبط به قومه الى أحط الدركات فيحكم الناس على الاسلام بأهله ، ولا يتورعون من رميه بكل نقيصة وإلصاق التهم به ، وما أروع قوله :

فقل يارسول الله ياخير مرسل أبثك ما تدرى من الحسرات
شعوبك فى شرق البلاد وغربها كأصحاب كهف فى عميق سبات
بأيمانهم نوران : ذكر وسنة فما بالهم فى حالك الظلمات ؟
وذلك ماضى مجدهم وفخارهم فما ضرهم لو يعملون لآت ؟

يرى شوقى فى الاسلام حافظاً لاركان المجتمع أن تنهار ، فهو بما شرع من الزكاة يمنع تلك النفوس الثائرة التى تصبح ذئاباً إن لم تنل مايخمد جذوتها ويبرىء كلومها ، وهو يرى أن صاحب الدعوة الاسلامية إمام الاشتراكيين ، بيد انه يداوى المجتمع بالرفق واللين ، والدعة والهدوء ، من غير وثبة ولا طفرة ، إذ الطفرة ما دخلت شيئاً لا أفسدته . وانصت اليه يقول :

عجبت لمعشر صلّوا وصاموا ظواهرَ خشية وتُقّى كذابا
وتلفيهم حيال المال جسماً إذا داعى الزكاة بهم اهابا
لقد كتموا نصيب الله منه كأن الله لم يحص النصابا !
يريد الخالق الرزقَ اشتراكاً وإن يك خصّ أقواماً وحابا
فما حرم المجدّ جنى يديه ولا نسى الشقىّ ولا المصابا

ويقول مخاطباً النبي :

الاشتراكيون أنت إمامهم لولا دعاوى القوم والغلواء
داويت متئداً وداووا طفرة وأخفّ من بعض الدواء الداء

وهناك شيء واحد أحب أن أوجه للنظر اليه : ذلك هو ايمانه بالخلافة وتشبثه بها حتى لقد حمل حملة كبرى على « مصطفى كمال » يوم ألغى الخلافة فسمى فتواه خزعبلة وقوله ضلالة وما أتى به كفراً صريحاً . وهو يؤمن كذلك بان الخلافة يجب أن يحملها من يستطيع حمايتها ، ويقدر على الذود عن حياضها ، فلا تبذل العاجز يدفع عنها براحته . وتشبث شوقي بالخلافة يعود الى انه يراها الجامعة الكبرى التى تجعل المسلمين جميعاً فى كل بقاع الأرض جسماً واحداً يشعر بما يلم به من سرور أو ينزل به من محن .

ولكنك تعجب بعد هذا كله إذ ترى شوقى ذلك المسلم الملىء بالايمان مولعا باللذة شغوفاً بالطرب ، ولكن غرابتك لا تلبث أن تزول يوم تعلم ان الاسلام يدعو بملء فيه الى أن ننال حظنا من الحياة كاملا غير منقوص .

— ٤ —

وصفه

شوقى واصف ماهر ، يحدثك حقاً عن شعوره واحساسه ، ولا يقنع بأن يصور لك الشيء حتى يجعلك تحسّ باحساسه وتشعر بشعوره . وما أجمله حين يصف لك تلك الليالى الراقصة ، الحافلة بصنوف اللذة والترف فهنا خمر حف كأسها الحبب وهنالك ظباء تنسرب ، تلبس الحرير واللجين والذهب ، حتى اذا بدأ يصور لك الراقصين رأيت قدوداً تثب :

فهى مرة صعدٌ وهى مرة صببُ

ورأيت الرؤوس مائلة تحتجب فى الصدور ، والنحور قائمة ، والنهود هامدة والخصور واهية :

والمدام اكؤسها ما تغيض والعلبُ

ولقد أحسن شوقى حين اتخذ لوصف تلك الليالى هذه البحور من الشعر التى تريك الحركة ، وتجعل نفسك واثبة كما يثب الراقصون . وفى الحق لقد أبدع شوقى الابداع كله فى وصف تلك الليالى وما فيها من جمال ولذة ، حتى انك حين تقرأ شعوره يصور لك الخيال الذى يبعثه فيك هذا الشعر حفلة من تلك الحفلات الشهية البديعة .

لندع هذا ولنذهب معه الى جبال سويسرا حيث يحدثك حديثاً يملأ قلبك روعة وجلالا ويغمرك باحساس عميق وحب لتلك الصورة التى هى قطعة من الجنان أو هى أبدع روضة من رياض الطبيعة ، فهنالك الجبال شماء عالية أضحت بيوتا للغمام :

والسفح من أى الجهات أتيته ألفيته درجاً يموج مدوّرا
والنجم يبعث للمياه ضياءه والكهرباء تضىء أثناء الثرى
والماء من فوق الديار وتحتها وخلالها يجرى ومن حول القرى
متصوّباً متصعداً متحملا متسرعاً متسلسلا متعثرا
والارض جسر حيث سرت ومعبر يصلان جسراً فى المياه ومعبرا
والفلك فى ظل البيوت مواخراً تطوى الجداول نحوها والأنهرا

ألا تعجب من تلك الصورة البديعة التى يصورها شوقى بريشته ، ولو خرجت من يد مصور ماهر لأضحت صورة تفتن الألباب ؟ وما أجمله كذلك حين يصف (كوك صو) ذلك الموقع الجميل فى فروق حيث الماء جار ، والغادات سافرات ظاهرات عفيفات ، والاصيل يفيض تبراً وينسج به للربى حللا وينثر على الخليج ذهباً خالصاً ، ويضع فى جيد الخميلة عقداً وفى آذانها قرطاً ، وتنعكس الاشعة على رؤوس الجبال فيضاء السفح وتنار الرأس .

ثم اذا أصغيت الى شوقى وهو يحدثك عن جمال الربيع وما فيه من بهجة وحياة أحسست بالطبيعة باسمة ضاحكة حيث الرياض زاهرة غناء تتجاوب الأطيار على أغصانها :

ما بين شاد فى المجالس ايكه	ومحجبات الايك فى الادواح
غرد على أوتاره يوحى الى	غرد على أغصانه صداح
بيض القلانس فى سواد جلابب	حُلين بالاطواق والاوضاح
رتلن فى أوراقهن ملاحناً	كالراهبات صبيحةَ الافصاح
يخطرن بين أرائك ومنابر	فى هيكل من سندس فياح

ثم هنا وهناك ترى النبات منشورة أعلامه بين أحمر قان وأبيض ناصع ، وورد فى سرر الغصون مفتح متقابل ، يمر النسيم بصفحتيه كما تمر الشفاه على خدود الملاح والنسرين والياسمين مضيء مشرق والبنفسج ثا كل حزين ، والشمس ضاحكة باسمة تبعث شعاعها الى النيل فتحسبه مسارب من الزئبق ، ولا زال الربيع حديقة القلب وروضة الروح ، مثله فى الزمان كالشباب فى العمر كلاهما محبب الى النفس عزيز لديها .

وهناك نوع من الوصف ينفرد شوقى بالابداع فيه : ذلك هو وصف الآثار المصرية . واذا كان أبو الهول رابضا فى مجتمعه يطل على عالم يستهل وآخر يحتضر ، فان شوقى يقف بجانبه يستلهمه تاريخ الفراعنة يوم كانوا يعتزون الى الشمس والقمر ، يرفعون الحضارة ويؤسسون شامخ المجد ورفيع المدنية ، ويستخبره عما راع البلاد يوم غارة قمبيز ، وخيله التى تجرف البلاد بالنار ، ويستنبئه عن البطالسة والقياصرة والأديان التى دان بها المصريون منذ كانت « إيزيس » إلى أن جاء عمرو بن العاص . وكان شوقى يشعر بأن أبا الهول ليس جسماً من حجارة صماء ، بل هو روح لمجد المصريين يصيبه ما يصيبهم من رفعة ومجد ، أو انحطاط وانحلال ، بل هو الروح الرابضة هناك عند الهرم تحرس الكنانة إن أصابها مكروه أو ألمت بها فاجعة .. وانى لا أكتم الحق ولا أكتمك ما أشعر به من إحساس يغمرنى وروح تغمر فؤادى كلما قرأت قصيدته الخالدة أبا الهول ، فأراه ينقلنى من حديث لذلك التمثال الصامت الناطق الى سر الحياة وتطاولها ، وكأنى أصغى لهذه الروح المجسمة وهى تلقى على تاريخ المدنية والحضارة ، وهكذا أبدع شوقى فى وصف حسه وشعوره حين يقف الى أبى الهول يحدثه ويناجيه .

فاذا أخذ بيدنا شوقى الى أسوان حيث « أنس الوجود » ـ ذلك الأثر المحتضر الذى جمع العبر ـ سمعت منه وصفاً دقيقاً لتلك القصور الغرقى وكأنه يرسم لك نقوشها ودهانها ، وخطوطها ومحاريبها وضحاياها ومقاصيرها بذلك الشعر

الذى يجمل لك المنظور مسموعا ثم هو لا ينسى أن يستخبر الآثار عن مجدها وعظمتها يوم كان فرعون يركض فى مواكبه وايزيس تحكم النيل، والكهنة والملوك يخفضون لديها الطرف . وفى الحق لقد قضى شوقى ماعليه يوم جلس الى تلك الآثار يقرأ فيها مجد مصر الشامخ المتين ، واسمعه يقول :

صنعة تدهش العقول وفن كان إتقانه على القوم فرضا
يا قصوراً نظرتها وهى تقضى فسكبت الدموع والحق يقضى
حار فيك المهندسون عقولا وتولت عزائم العلم مرضى
أين مُلك حيالها وفريد من نظام النعيم أصبح فضّا ؟
ما لها أصبحت بغير مجير تشتكى من نوائب الدهر عضّا ؟

ولنسر مع شوقى يحدثنا عن الحضارة أيام « توت عنخ آمون » فتسمع منه روعة الفن وجلاله ، وتسمع منه ما يجول بنفس كل مصرى من تمجيد آبائه ووضعهم حيث يليق بهم فى أعلى مراقى العظمة والجلال ، وترى شوقى يمجد فيهم أكثر ما يمجد ذلك الخلق الذى كونه فيهم حب الخلود ، حتى تفردوا به فلم يسبقهم سابق أو يلحقهم لاحق ، ولكن بجانب الشعور بالعظمة نحس بما فقدناه من تلك الخلال النبيلة والعظمة النفسية ، ونشعر بما نحن فيه من تأخر فى الثقافة والحضارة .

فآباؤنا الذين انشؤوا أول مدنية عرفتها الشمس ، ورفعوا تلك الأطواد الشامخة التى تدل على نفس دائبة صبورة ، آباؤنا الذين ملكوا الدنيا وسيطروا على العالم المعروف فى عهدهم ، آباؤنا الذين خلفوا تلك الحضارة التى تنطق بما لهم من نظر ثاقب وفكر رجيح ، آباؤنا الذين تفردوا بحب السبق والخلود ، آباؤنا هؤلاء يخرجون من قبورهم فلا يرون أمامهم إلا شعباً أعزل لايملك من وسائل الدفاع حيلة ، فالبر خال من القنا ، والبحر لايشارك حيتانه وأسماكه إلا سفن ليس لنا فيها شبر ولا فتر ، والأمة غير حافلة بتلك الحضارة التى بناها لها الآباء . واستمع الى شوقى يناجى توت عنخ أمون :

قل لى أحين بدا الثرى لك هل جزعت على العرين ؟
آنستَ ملكاً ليس بالشاكى السلاح ولا الحصين
البر مغلوبُ القنا والبحر مسلوب السفين
لمّا نظرت الى الديار صدفت بالقلب الحزين . .

لم تلق حولك غير «كار تر» والنطاسىّ المعين
أقبلت من حجب الجلال على قبيل معرضين
تاج الحضارة حين أشرق لم يجدهم حافلين
والله يعلم لم يروه من قرون أربعين !

وحقاً ان اباءنا ينظرون الينا من سماء خلودهم نظرة الغاضب العاتب ، على ما فرطنا فى ديارهم وأضعنا من حضارتهم ، وينظرون الى تخلفنا - وهم أرباب السبق - نظرة الأسى والحسرة ، فهلموا واسمعوا تلك الصيحات التى تنبعث من قمم آثارهم داعية الى الجد والعمل والاقدام ؟

احمد احمد بدوى
(سكرتير جماعة الادب المصرى الاسلامى)





مفاخر الهدايا

للعروس المحسنة

(ازهار الربيع)

وَفدَ الربيعُ اليكِ قبلَ أوانهِ يهدى أزاهِرَه على استحياء
مِن كلّ بارعة الجمال يُرى بها شَبَهٌ لبعض صفاتك الحسناء
فى النظم أو فى النثر من طاقاتها لطفُ البيان ورَوْنق الاخفاء
ثمّ البديعُ بحسنها فرأى النُّهى من فنها ما ليسَ بالمترائى
أبهجْ با كليلٍ أُعِدّ مُنَمْنماً لكِ من أزاهرَ غضّةٍ غرّاء
لوشئتِ صيغ من الفريد وما وفى لكن أبيْتِ وكان خير إباء
هل فى يد الدّهقان أبهجُ زينةً من زينة البستان للعذراء

« . »

(صفو السماء)

صفتِ السماء تخالفت من عهدها والفصلُ للأمطار والأنواء
شفافةً يبدي جميلُ نقائها مافى ضميركِ من جميل نقاء
جادت عليكِ بشمسها وكأنها لك تستقلُّ جلالةَ الاهداء

« . »

(فرائد اللؤلؤ)

هذى مليكات اللآلىء أقبلت تفترّ عن قِطعٍ من اللألاء
باد صفاء القَطر فى قسماتها وتنافُسِ الألوان والأضواء
ظلّت تكوّنُ فى حشَى أصدافها كتكوُّن الأنوار فى أفياء

وقضت عصوراً سيدات بحارها ... يُسعَى لها من أبعد الأنحاء
حتى اذا حُملتْ اليكِ سبيةً ... مجلوبةً في جملة الآلاء
وجدَتْ عزاءً فى رحابك طيباً ... عن عزها الماضى وأىَّ عزاء
بلقائها حُسناً يضاعِف ما بها ... من رونقٍ ونفاسةٍ وبَهاء
وجوارِها شيماً كرائم صُنتِها ... فى خدْرِ عصْمتِها عن الرُّقباء

« . »

(يتيم الماس)

لاغرْوَ انَّ الماس أكرمُ جوهرٍ ... خبَّأتْه أرضٌ من كنوز سماء
كم فى مناجه تسهَّد كوكبٌ ... متوقداً كأخيه فى الظلماء
يشتاق أن يلقى الصباح ولو توَى ... ويساء أن يبقى سراجَ مساء
حتى حليتِ به فقرَّ منعَّماً ... وغدَا تحرُّقه توهُّجَ ماء
ولعلَّ منفرداً بجيدك عالقاً ... متفوّقاً قدراً على النظراء
دُعِى اليتيمَ من التوحُّد فادَّعى ... حقاً عليك لكل حِلفِ شقاء
ومن الكياسة وهو أصلب جوهرٍ ... ان رَقَّ رقةَ أدمع الفقراء
فأصاب عندك والشفاعةُ لاسمهِ ... حظ اليتيم وفازَ بالايواء
مايَغلْ من شيءٍ فانَّ لحكمةٍ ... جلت غلاءَ الماسِ فى الأشياء
هو بالمتانة والسَّنى مرآةُ ما ... بِكِ من وفاءٍ ثابت وذكاء

« . »

(مصوغات الذهب)

يامعدنَ الذهب الذى فى لونه ... للشمس مسحةُ بهجةٍ ورواء
يامدنىَ الأرَبِ البعيد مناله ... ولقد أقول منيلَ كل رجاء
يا مرخصاً من كلّ نفسٍ ما غلا ... حاشا نفوس العِليةِ النبلاء
إن ألْهتْكَ الناسُ كُنْ عبداً هنا ... واخضع لهذي الشيمة الشماء
وزنِ التى دفعتْ ضلالك بالهدى ... وسوادَ مكرك باليد البيضاء

« . »

(فى منبت الحرير)

عجباً أرى ، ولعل أعجب ما يُرَى ... دنيا الخلائق تنبرى لفداء

لسَّاحة للغيب شاعرة به … حتى ليحضرها الخفى النائى
تلك الرواعى كلّ أخضر ناعم … من كل ناعمة الخُطى مَلساء
مَن بثّ فيها وهى تقنى قزّها … مِن بذلها أعمارَها بسخاء
ان الذى تقضى شهيدةَ نسجِهِ … لكِ فيه سعدٌ وامتدادُ بقاء

* * *

(فى مجنى القطن)

هَبت صَبيّاتُ المزارع بُكرة … يخطِرنَ بينَ السَّير والاسراء
من كلّ عاصيةِ النُّهودِ بها تُقىً … مِطواعةِ الأعطاف ذات حَياء
نادى بها البُشرَاءُ حَىَّ عَلَى الجنَى … فغدت تُلَبّى دعوةَ البُشرَاء
والقطنُ موفٍ ضاحكٌ ببياضِهِ … وَصَفائِهِ من كُدْرَةِ الغَبْراء
يَشْقُقْنَ مِثلَ السِّترِ من جَنباتِه … ويخضْنَ شِبْهَ البحرِ فى الأثناء
متغنّيات من أهازيجِ الصّبى … ما شاء وَحْىُ هوًى وطيبُ هَواء
يُنشِدْنَ من وَصْفِ المحيلة جِلْوَةً … لِعَروسِ شِعْرٍ زَيِّنةٍ هيفاء
حوريَّةٍ عَيناءَ أبهَى مايُرى … فى الغِيدِ من حوريَّةٍ عَيناء
وَفَّرَ الالهُ لها العطاءَ فلم يَعُدْ … عن بابها عافٍ بغيرِ عَطاء
وبأمرها تَعرى الحقولُ فتنثنى … أُمُّ العُراة بميرَةٍ وكساء
تلك التى أكبرتُها ونعتُّها … بأحاسِنِ الأوصافِ والأسماء
كانت عروسَ توهُّمٍ فتتحقت … بصفاتها وغدت من الأحياء
أعرفْتِها ؟ فلقد أكون بمسْمعٍ … منها أقولُ الشعرَ وهى إزائى

* * *

(فى المناسج)

لله أجهزةُ الحديد مُدارةً … تأتى بأثوابٍ زهتْ ومُلاء
عجبٌ ضخامتُها ودقةُ صُنْعها … كم رقةٍ فى غِلظةِ الاعضاء
مَن كان يحسبُ أنَّ عنترةَ يُرى … متفوّقاً ظرفاً على الشُّعراء
قال امرؤٌ من سامعى ضوضائها … وشُهودِ تلك الجهمة السَّوداء
إنَّ ابتساماً لاح منها عندما … جاءتْ بهذى الحُلَّةِ البيضاء

* * *

(صوت الجمهور)

اليومَ عيدٌ فى تقاسُم حظه للبائسين رِضًى وللسُّعَداء
ماأسطاع فيه الدَّهرُأشكى كلَّ ذى شكوى وهادنَ كلَّ ذى بُرَحَاء
عمَّ السرورُ وتمَّ حتى لم يكدْ أثرٌ يُرَى لتفرّق الأهواء
كلٌّ به من شاهدٍ أو غائبٍ أثنى عليكِ وقد ثنى بدعاء
لم يجتمع خلقٌ كما اجتمعوا على إعجابهم بصفاتِك الزّهراء

خليل مطران



مخدع مغنية

شاعَ فى جوّه الخيالُ ورفَّ الـ حُسْنُ والسحرُ والهوى والمراحُ
ونسيمٌ معطر خفقتْ فيـــــه قلوبٌ ورفرفتْ أرواح
ومُنىً كلهنَّ أجنحةٌ تهــــفو ودنيا بها يرفُّ جَناح
ومن الزهر حولها حلَقاتٌ طاب منها الشذا ورقَّ النفاح
حملتْ كلُّ باقةٍ دمعَ مفتـــونٍ كما تحملُ الندى الأدواح
وهىَ فى ميعةِ الصِّبا يزدهيها ضحِكٌ لا تَملُّه ومزاح
وغناءٌ كأن قمريّةً سكـــرى بألحانِها تَشيعُ الراح
أخلصتْ وُدَّها المرايا فراحتْ تتملى فتشرق الاوضاح
كشفتْ عن جمالها كلَّ خافٍ وأباحتْ لهنَّ ما لا يباح
مَعبدٌ للجمال والسحر والفتـــنةِ يُغدَى لقدسهِ ويُراح
نامَ فى بابه العزيزُ (كيوبـــيدُ) ولكنْ فى كفهِ المفتاح !
إنْ ينمْ فالحياةُ شدوٌ ولهوٌ أويُنبِّهْ فأدمعٌ وجِراح ؟!

***

دخلتْ بى اليه ذات مساءٍ حيث لا ضجةٌ ولا أشباح

لم نكن قبلُ بالرفيقين لكنْ هيَ دنيا تُتيحُ ما لا يُتاح
وجلسنا يهفو السكونُ علينا ويُرينا وجوهَنا المصباح
هتفتْ بي: تراكَ من أنت ياصا حِ؟ فقلتُ: المعذَّبُ الملتاح:
شاعرُ الحبِّ والجمال. فقالتْ: ما عليه اذا أحبَّ جُناح!
واحتوى رأسيَ الحزينَ ذراعا ها ومرَّتْ على جبينيَ راح
وأحسَّتْ لفحَ اللظى منْ شفاهٍ أحرقتْها الأنفاسُ والأقداح
فمضتْ في عتابها: كيفَ لم تد رِ بما برَّحتْ بك الأتراح؟
إن أسأنا إليكَ فاليومَ يجزيـك بما ذقتَهُ رضًى وسماح
ولكَ الليلةُ التي جمعتنا فاغتنمها حتى يلوحَ الصباح!

***

قلتُ: حسبي من الربيع شذاهُ ولعينيَّ زهرُهُ اللمَّاح
نحن طيرُ الخيال، والحسنُ روضٌ كلُّنا فيه بلبلٌ صدَّاح
بَليَتْ في هواه منَّا قلوبٌ وأصابتْ خلودَها الأرواح!

علي محمود طه
المهندس

البحر

أيها الزاخرُ ذو الصدر الرحيب كم طوى صدرُكَ من سرٍّ رهيبِ
قد شهِدتَ الكونَ، والكونُ فتى وستراه الى وقت المشيب
كم قرونٍ عصفت وانقرضت وخطوبٍ نزلت إثر خطوب
ومحيّاك وزينٌ، ناظرٌ بابتسامٍ تارة أو بقطوب
ساخراً مما يلاقيه الورى مِن نعيم زائل أو من كروب
هازئاً مما أثاروا بينهم مِن جدال أو نزاع أو حروب
ثائراً حيناً وحيناً هادئاً باعثاً رعبا وأمناً للقلوب
مهلكاً طوراً وطوراً منقذاً كعدوٍّ ناقم أو كحبيب

باسماً حيناً وحيناً عابساً في كلا الحالين ذو شأن عجيبِ
حلةٌ تزهى بها الدنيا كما تخطر الحسناء في الثوب القشيب

* * *



الدكتور محمد عوض محمد

عانقتكَ الشمس من أفق السما وهي تجرى من شروقٍ لغروب
هل رأى العالم في غيركما كيف يحلو مزجُ ماءٍ بلهيب ؟

* * *

قلبك الهادىء لا تزعجه زعزعٌ نكباء ثارت في الهبوب
لم تحرّكْ منك إلا ظاهراً دافعته لشمال أو جنوب
تحته قلبٌ عميقٌ ساكنٌ هازىءٌ من حادث الدهر العصيب

* * *

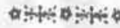
ليتَ شعري ما الذي تضمرُ في قلبك الهائل من أمرٍ غريب ؟
عالمٌ آياته قد أتعبت فكرة الحاسب أو عقلَ الأديب !

محمد عوض محمد

الصهباء

ناولتُـها الصهباء ، قالت : إننى للماء ظمأى لا الى الصهباء
فأجبتُها : هو ما طلبتِ وانما وَرْدُ الخدودِ رأيته فى الماء

محمود ابو الوفا



فى الريف

وقاطرةٍ تصبّ الماءَ صَبًّا ! فتحسبه من البلّوْرِ ذَوْبا !
أو السَّمكَ المشرّدَ سار وَفْداً أو الوُرْقَ النوافرَ طِرْنَ سِرْبا
أو الأفعى تُهرولُ فى التواء ولـكن ليس تُـلقِى فيكَ رُعبا
أو الغرُّ المحجلة استُفِزّت تدافَعُ مَنكِباً ، وتميدُ جنبا
وتسمع من دويّ الماء صوتاً أجشّ ، على زئير الأُسـدِ أرْبى
بدا يُرْغى ويزبد حين يَلقَى حصونَ الصخر يدفعُها فتأبى
فما هو أن يرى بالحصن ثغراً فيجرى ينهب المِسقاةَ نهبا
شربتُ به على ظمأ ، فروّى فؤاداً بابنةِ الريف استطبَّا
تهادى فى مزارعَ ناضراتٍ تُجرِّرُ ذيلَـها ، فتثير حَرْبا
ويبعث فى غدائرها نسيمٌ بريحانٍ ودوحِ الحبِّ هبا
وشقشقت العصافر فوق دَوحٍ يمدُّ ظلالَهُ شرقا وغربا
وأقبلت الفتاة إلى غَدير تدفق من خلال الأرض عذبا
بَدَتْ تقتادُ غادات حسانا أشِمْتَ البدرَ إذْ يقتادُ شُهبا ؟
وفوق رءوسهن جِرارُ ماءٍ يتيهن بها كرَبّ التاجِ عُجبا
لعمركَ ؛ هلْ ترى فيهن إلا حدائقَ من محاسنهن غُلبا ؟
بنات الريف ، لازلتُنّ وَحْيِي وشعرى ، ما حييت بكنّ صَبًّا !

فرحات عبد الخالق

طائر مروع

أفزعَتْه السُّحبُ فى أُفق السماءْ واستثارَ الخوفُ إجفالَ الغُصونْ
هـل ترَى تجْفلُ صـداً للهواءْ ؟ أم ترَى تجفل مِمّـا فى الظنونْ
وهو فى كَـنَفِ الغصُون المـائجـهْ فى ارتعاشِ الخوفِ مفلوجُ الجناحْ !

« • »



محمد محمد ابوشادى

كلما انسابَ على الروض الظلامْ ليوارى الشمسَ فى الأفقِ البعيـدْ
وشرُودُ الرّيح تجرى فى الغَمامْ تَصخبُ الأوهامُ كالموج الشديد
وهو يدعو فى خُشوعٍ للالـهْ أنْ يُفادَى وهو فى أسرِ الرّياحْ !

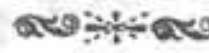
« • »

لقىَ النجمَ صريعاً قد هوَى مُطفأً من خشْيةِ طىِّ الظلامْ
ورأى مِنْ حولهِ الايكَ ذوَى وكأنَّ الأيكَ قبرٌ للسّلامْ
وسكونَ الموت قـد سجّى المكانْ وغصونَ الأيك جفّتْ فى نواحْ !

« • »

ايَـلِي الإظلامَ بالحُبِّ الصَّباحْ وجمالُ النُّور يبـدو ويُباحْ
فاذا الإشعاعُ للأرواحِ راحْ أم تُـرَى تَذْوِى وتذروها الرّياحْ ؟
جثمَ الطائرُ مثلَ الشاعِرِ في صلاةٍ من فؤاد وجِراحْ !

محمد محمد ابو شادى



مصرع ورقاء

في ضُحَى يومٍ قد اشتدَّ الهجيرْ وغدا الكونُ سكوناً في سكونْ
لجأتْ ورقاءُ منه تستجيرْ فوق غصنٍ بين هاتيكَ الغصونْ

« • »



محمد برهام

أخـذتْ تشدو بصوت واجف قد تبيَّنتُ الأسَى في جَرسِهِ
حينما الصائدُ عنهـا مُختفِ يُضمرُ الشرَّ لها في نفسِهِ

« • »

سدَّدَ السهمَ اليهـا فهوتْ من ذُرَى الغصنِ الى عرضِ الطريقْ

لحظة أو دونهـا ثُمَّ قَضَتْ فاذا الموتُ هو البرُّ الشفيقْ !

« • »

راح يونو فى سرورٍ من بعيدْ ليت شعرى أىّ شىء سَرَّه ؟
كلُّ ما تبصر فى هـذا الوجودْ ماعـدا الانسان فأمنْ شَرَّه !

« • »

أتراه بعـد حينٍ يألمُ حينما يذكرها أم ينـدمُ ؟
لهفَ نفسى أيهـذا المجـرمُ ما الذى قد كنتَ منها تنقمُ ؟!

« • »

ليتَ حواءَ عقيمٌ لم تلدْ فبنوها اليوم شَـرٌّ مستطيرْ
قد قسا منهم فؤادٌ وكبِـدْ فأصابوا بالأذى حتى الطيورْ !

محمد برهام



الروض المصوح

عشيتْ عينى ؟ أمْ الرّوضُ اعـتكرْ بظلامِ الليل ؟ أم ماذا أرّى ؟
هـل جَنتْ خاشعـةً سُوقُ الشجرْ وانحنى الزهرُ سجوداً فى الثرّى
أمْ جِنـانُ الخُلْدِ عفـّاها البشرْ حُمِل الفأسُ إليها فانبرّى :
هادماً ما نظّمتْ كفُّ الإلهْ مِنْ بديعِ الفنِّ فتّانِ النظامْ !
عابثاً فيها بمـا اسطاعت يَـداهْ وهو ـ لو يدرى ـ حَرامٌ وحَرامْ !

* * *

وشذا الرَّيحانِ كمْ ضاعَ هَباءْ لَـمْ تعطرْ ريحُه قطرَ النّـدى !
وبَسيمُ الورد يشكـو البُرحاءْ هصرتْ أعوادَه ريحُ الرَّدى
وفصيحُ الطيرِ من حُزنٍ تراءى أخرسَ اللّحن ذبيحاً هامدًا

ليت شعرى مَنْ سوى الدهر أساهْ فغدا يشدو بأنغام الحمامْ !؟
ونشيدُ الموت لا يعلو الشفاهْ فَهْوَ معنى الصمت مَطْوِىّ الكلامْ !

***

وصراخُ الشمألِ العالى يصيحْ فى الجذور الصُّمّ : هلاّ من جوابْ !
أمسِ هامَسْتُنّ منّى كلّ ريحْ مثلما يهمس فى الجام الحَبابْ
وأراكنّ كأطراف الجريحْ ساكنات كالّلقى فوقَ التراب
لا نباتٌ ، لا ظلالٌ ، لا مياهْ روضة الفردوس غشّاها القتامْ
وغدت مسرحَ ذؤبانِ الفلاهْ عاث فيها كلُّ ذى نابٍ وهامْ !

***

كم تناغى الطيرُ فيه وبنيهْ وقدودُ البانِ ماستْ راقصاتْ
وعَروسُ الزّهْرِ من عُجْبٍ تتيهْ وعيونُ الماء تلهو جارياتْ
وعبيرُ السَّوْسنِ الفياح فيهْ يُلْهم الولْهانَ ريحَ العاشقاتْ
وبكى العاشقُ ما شاء هَوَاهْ فسقى الغرسَ بينبوع الغرامْ
وَهْوَ يبكى الآنَ ما كان رآهْ جنَّةً صارت كأطلال الرِّجام !

محمود حسن اسماعيل

راقصة

لها قَدَمٌ لا تستقرّ كأنّها أحسّت بشوكٍ أو بلذع ضرامِ
تأطّرَ أعلاها وأسفلُها معاً كأنهما لم يُخلَقا بعظامِ
اذا وَثبتْ فالظبيُ بعدَ تخلُّفٍ وإنْ أرنتْ فالمُهرُ بعدَ جمامِ
وإنْ هدأتْ فى رقصةٍ خلتَ دُميةً زهتْ بدماليجٍ لها وخِدَامِ
على ضَعْفِ خَصْرٍ دقّ حتى حسبتُه غِرَارَ دقيقِ الشَّفْرتَينِ حُسامِ !

احمد نسيم



نفثات شاعر

دموعٌ كشؤبوبِ السحابِ هَوامِ ... كأنك من همٍّ صريعُ غرامِ
تعالَ فحدِّثني أكنْ لك مُسعداً ... يرفّه من داءٍ عليكَ عقامِ
أحاجيك : ما سُكرٌ بغير سلافة ... وما لذعُ إحراقٍ بغير ضرامٍ ؟
هو الحزنُ فاصبر ما استطعت على الاسى ... وقمْ بحقوق الصبر خير قيامِ
ألم ترنى كيف احتملتُ فلم أبح ... بشكوى ، ودهرى بالكوارث رامِ
وما زعزعتنى العاصفاتُ كشامخ ... رسا بهضابٍ فوقه وإكامِ
وما عصمتنى غير نفس أبيّة ... أهابت بها للكرّ نفس « عِصامِ »
وللدهر مِرنانٌ رددت سهامها ... وقابلتُها من جعبتى بسهامِ
رضيت من الأيام حتم قضائها ... ودنت لمقدورٍ علىَّ لزامِ
ومن نكد الدنيا صداقة معشرٍ ... مُرائين فى شتّى الوجوه لئامِ
أفاعٍ يروق العينَ نقشُ إهابها ... وتحت النّيوب العُصْلِ نقعُ سِمامِ
يودّون لو حليتهم بنفائس ... كرائمَ لا تُهدَى لغير كرامِ
وما ذكرونى غير عام مصابهم ... على طول عامٍ قبل ذاك وعامِ
على أنه حولٌ أدارت يمينه ... علىَّ الأسى صرفاً بأكبر جامِ
فقدتُ صديقىَّ اللذين تبوآ ... من الشعر أعلى ذروةٍ وسنامِ
أمضّ فؤادى موت «شوقى» و«حافظ» ... وموتُ كريم العنصرين همامِ
« هلالٌ » ومن يذكره يذكر خميلة ... تفتّح فيها النّوْرُ غبَّ غمامِ
وأصبحتُ فى جيلٍ نبا بىَ ودُّهم ... وساء ثوائى بينهم ومقامى

وليس لهم غيري اذا جدَّ جدُّهم ... وخطبُ الرزايا حولهم مترامِ
ولو شِئتُ كانتْ لى زعامةُ شعرهم ... وكنت لمن يأتمُّ خيرَ إمامِ
وكان «عميد الشعر» أول ناصرٍ ... يدافع عمَّا قلتُه ويحامى
شوارد تزرى «بالحطيئةِ» هاجياً ... وتُعيي «جريراً» فى مديح «هشامِ»

* * *



احمد نسيم

عجبتُ لناس كلما مات ميتٌ ... تبا كوْا بأوصافٍ عليه ضخامِ
أقاموا له سُوقاً بغير تجارة ... فباعوا كلاماً زائفاً بكلامِ
وعاشِ فما بلوا صداه بقطرةٍ ... ولا زوَّدوه فى الطوى بطعامِ
وما ردَّدوا منعاه الا ليظفروا ... بترديد ألقابٍ لهم وأسامِ
هواةُ ثراءٍ حطموا كلَّ نابهٍ ... خلت يدُه من ثروة وحطامِ
ولو قدروا أن يمنعوا الغيثَ ما همى ... لرىٍّ أوار أو لنقع أوامِ
حلفتُ يميناً لست رائىَ ميتهم ... ولا بمحيّي حَيِّهم بسلامِ
ولا أنا بالراجى اذا نزل الردى ... بنفسيَ أن يمشى الرجالُ أمامى

فربَّ نساءٍ كنَّ أصدقَ في البكا — اذا نُحنَ خلفي مِنْ شجاً وهيامِ
ثواكل لا يرجعنني بنقيصةٍ — اذا ساخ جسمي في بطون رجامِ
يصحن حيالَ القبرِ في إثر نازل — على بعض أشلاءٍ وبعض رمامِ
تسيل مآقيهنَّ بالدمع فائضاً — مسيلَ ربابٍ فاض غير جهامِ
تخال العيونَ الحمرَ سكرى بمائها — قوارير صهباء بغير فدامِ
بربِّك دعني من رجال بلوتهم — فنمُّوا بأشياء عليَّ جسامِ
اذا نهشوا لحمَ الكرام حسبتهم — ضباع فيافٍ أو ذئابَ موامِ
أذاعوا جهاراً أن دائيَ معضلٌ — وأنَّ فؤادي بالوجيعة دامِ
وهان عليهم أن أبيت على جوىً — ولي مقلةٌ لم تكتحل بمنامِ
فأخلف علامُ الغيوب ظنونَهم — وأذهب ما بي من ضنًى وسقامِ

« • »

شديدَ القوى لا تغترْ بسلامة — وبحرُ الليالي بالمنية طامِ
فكم من سليمٍ في الصباح محسَّدٍ — تردَّى بموت في المساء زؤام
وكم من طريح هامد بفراشه — وكانَ فتى ذا شرَّة وعرامِ
ولم أرَ مثلَ الموت فارسَ غارةٍ — له الفوز فيها عند كل صدامِ
مقاديرُ تجرى والحمام بمرصد — وكل امرىء رهنٌ بيوم حمامِ

« • »

حييتُ على رغم العداة فلا حيوا — ولا شملتهم ساعة بوئامِ
على أي حال لا هدَى الله سعيهم — لصلح يعيد الودَّ بعد خصامِ
أشحتُ بوجهي صادفاً عن عصابة — رموني بأيدي غادرين طغامِ
ومَن يرض بالضيم استبيح حريمُه — وحلَّ به مكروهُ كل حرامِ
وما كنت يوماً بين صحبيَ عابثاً — برعي ذمارٍ أو بحفظ ذمامِ
خُلقتُ وفياً لا أحيد عن الهوى — ولو اكثرَ اللوَّام فيه ملامِي
خليلي لا تبكى الحياة وهمَّها — بأربعة تذرى الدموع سجامِ
اذا عشتَ في الدنيا وساءك بدؤها — فلا ترج فيها غير حسن ختامِ
ومهما تعشْ فالحالُ واحدةٌ بها — بياض ضياءٍ أو سواد ظلامِ
وليس نكيراً آخرَ الدهر أن نرى — من الغبنِ أقداماً تقاسُ بهامِ

احمد نسيم

الربيع الباهت

دارَتْ فصولُ العامِ لكنَّ الاسَى
قد عكَّرَ الصافى ، وسوَّءَ دَوْرَتَهْ

فأتى ربيعٌ كالمريض محطَّمٌ
أطيارُهُ فى مُنْتَداها ساكتَهْ

وزهورهُ ، ليستْ زهوراً ، إنما
هى من ثَرَى الأرماس كانت نابتَهْ

سَكَبَ الاسَى ماءً على ألوانها
فمَحَا طلاوَتَها فبانتْ باهتَهْ

لاتستثيرُ العَيْنَ فى نظراتها
فكأنها جَسَدُ البَغِىّ المائتَهْ

حتى النسيمُ يميل عن أغصانها
عَفَّاً ، فألمَحُها دواماً ثابتَهْ

عَكَفتْ على يأسٍ كغانيةٍ مضتْ
فى الدَّيْرِ عاكفةً هنالك قانتَهْ !

« • »

إيهٍ ربيعَ الصَّمْتِ ! إنى مُنْشِدٌ
اغْنِيَّةَ القلبِ الجريحِ الخافتَهْ

فإذا تجاوَبَ فى نواحيكَ الصَّدَى
فاعلمْ بأنَّ الليلَ يرثى ميّتَهْ

واغسلْ بأدْمُعِكَ البواقى جُثَّتى
وانْشُرْ على وجهى الزهورَ الباهتَهْ

كانت تجاهد فى الحياة لترتوى
من حُسْنِها تلك النفوسُ الميّتَهْ

فتنقَّلَ الداءُ الخبيثُ ، وغالها
فاستسلمتْ ، وتجرَّعتْهُ صامتَهْ !

حسن كامل الصيرفى

الأمانى

أجرى وراءَ الأمانى
لكنَّ دهرى يعوقْ

قد أشهرَ الحربَ عمداً
على فؤادى الخفوقْ

« • »

لى فى حياتىَ مغزّى قد حار فهمىَ فيه
فقد كسانى ضباباً من الهوى هِمتُ فيه !

« • »

بينى وبين الأمانى عُمران مِنْ مثل عُمرى
وليس عندىَ إلا عُمرى ، وذا ملكُ غيري !

« • »

انّ الامانىَ رمزٌ لكلّ لغزٍ عسيرْ
أعملتُ فكريَ فيها الى النّضالِ الأخيرْ

العوضى الوكيل

سجين الليل

أيها الليلُ يارهيبَ السكونِ يا مُثيراً بما جنيتَ شجونى
جدّدِ اليأسَ ما أردتَ وحرّكْ لاعجَ الحزن فى نزيل السجون
واتركِ الناسَ يعبثون قليلاً فى حياةٍ مليئةٍ بالفتونِ
لعبَتْ فى رؤوسِهم نشوةُ الخمـر فقاموا إلى اجتلاء المجونِ

« • »

وقفَ الساهرُ المعذّبُ يرنو لنهارٍ يجرّ فى أبوابهْ !
لم يَذَرْهُ الظلامُ غيرَ قتيلٍ بين آكامِه وموحشٍ غابه
دان شعب النهار بعد ذكاء وطغى كاسرُ الدجى فى رقابه
حين أجرى دماءَه لقّبوها شفقَ الشمس لا ضحيةَ نابه !

« • »

لا إخالُ النجومَ إلا دموعاً تملؤ الليلَ من عيون النهارِ
أبعدوا الشمسَ فى الدجى فأسالت شغفاً بالحياة هذى الجوارى
ساريات تودّ لو تسحق الليــــــــلَ وتمحو شقاوةَ الاسحار
وأراها على الدياجر بيضاً كاللآلى على نحورِ الجوارى

« • »



صالح جودت

أيها الليل يارفيقَ شبابى عِشْتُها فى حماك عشرين عامَا
قَدّرَ الله ان تكون لنفسى ايها السجنُ فى الحياة مُقاما
قسماً بالإِله لو خيّروها لتمنّت على الدجى الاعداما
هو سجنُ الظلام ما طاب إلاّ للذي كان يعشق الإِجراما

« • »

رقدَ الحالمون ليلاً وراحوا فى دُجى الليل يطرحون الهموما

غافل الكلُّ فى الظلام أساه وتناسى فؤادَه المكلوما
حسب الليلَ عن أساه حجاباً فتمنىَّ لعهده أن يدوما
وصَبا للسوادف الحُلْكِ حتى لو تَوَلىَّ لكان يُطفى النجوما !

* * *

ها هو الليل فالسكونُ رهيبٌ ولواء الكرى يسود الأناما
غير جمع الأرواح فى سامر الليل تُغَنِّى وتبعث الأنغاما
لا يعيها مِن الخلائق سمعٌ غير سمعِ الذى يقيم الظلاما
تُنشِدُ الناس ان غدر الليالى بالبرايا يصوِّر الأحلاما

* * *

حين غرَّ النيامَ صمت الليالى وهى فى جمعهن تمعن كيدا
قامت الصادحاتُ توقظ أهليها وتُعلى الغناءَ فيهم رويدا
أخذتها عواملُ العطف لمَّا لم تجد للظلام فى الظلم حدَّا
فأفاق الذى تبين ما فى لجة الليل مشفقاً وتصدَّى

* * *

يسهر الليلَ شاعرٌ ليس يجنى من أمانيه غيرَ سود الأمانى
وعليلٌ مستسلمٌ فى دُجاه لرسول الآلام والأحزان
ولعوبٌ على الشباب غرير قطع الليل بين أيدى الغوانى
ومحبٌّ حبيبَه يتجنىَّ بذل العمر فى ادِّكار الحسان

* * *

فأخو الشعر ساهرٌ من أساه وطريح الفراش جمّ الانين
يبعثان الدموع فى ماحل الليل فتجرى على فيافى الشجون
وأخو اللهو ساهرٌ ليس يدرى ما طوى الليلُ فى ثياب السكون

باعث صيحةَ المجون ضحوكٌ ليته مُبْدِلي بقلبي الحزين

« • »

كلُّ تلك الرعود في كل وادٍ من صدى المشتكي ورجع السالي
وأنينِ المريض في وحدة الليـل ونجوى المحبِّ طيفَ الخيال
وصخيبِ السجينِ من وحشة السِّجن ونقسِ القيود والأغلال
خالطتها ترنيمةُ الروح حتى بدَّد الصارخون صمتَ الليالي

« • »

بعثوا والسكونُ يغشى البرايا صيحةً أيقظت بقايا النيامِ
صَرَخَتْ في وجوههم أن أفيقوا واطرحوا النومَ يا أولي الأحلامِ
تلك آمالكم تُشاد مَدى الليـل وتعلو بها يدُ الأوهامِ
إرثُها في الصياحِ من حسراتٍ تدرس النفس يا ضحايا الظلامِ

« • »

زال مُلْكُ النهار والنور فيه حين أرخى الدجى عليه الستارا
فالتمسنا على الدياجر قبساً ونصبنا على الظلام الأوارا
ورضينا بلمحة من شعاع قد تجلّتْ فذكرتنا النهارا
وبدا الفجرُ بعدها وتبدّت غرةُ الأفْقِ تبعث الأنوارا

« • »

فصحا العالمُ الحديثُ وحيّي مطلعَ الشمس واستبان الجمالا
ورأى النورَ فاهتدى وتهادى وتجنّى على الليالي الضلالا
وتناسَى الظلامَ بعد ذكاء وسناها واستقبل الآمالا
وأفاق السجينُ من وحشةِ الليـل فألقى القيودَ والأغلالا !

صالح جودت

الوحدة

إنى سئمتُ من الأنام تخلّتى | فى وحدتى كى أستطيبَ حياتى
ضاعت حياتى بينهم عبثاً كما | ضاعت هناك النفسُ فى الغمراتِ
أنا ما حييتُ كما أردتُ وإنما | أنا قد حييتُ كما أرادَ لداتى
متكلفاً ما ليس فى خُلقى ولا | طبعى ، ومتصفاً بغيرِ صفاتى
متضاحكاً والقلبُ يغمره الأسى | مترنماً والنفسُ فى أزماتِ
متفاضياً عما يقال ، وسامعاً | ما لا يردّده صدى كلماتى
مستوحشا ما دمت بين جموعهم | فاذا انفردتُ أنستُ بالخلواتِ
متغافلا ما دمت أنى بينهم | فاذا انفردتُ صحوت من غفلاتى

« . »

دعنى فلى فى وَحدتى ما ليس لى | فى الناس من مُتَعٍ ومن لذّاتِ
أصغى الى صوتِ الفؤاد وكاد من | صَخبٍ هناك يغيب فى الاصوات
وأزيل عن نفسى الذى قد شابها | فى الناس من ريبٍ ومن شبهات
وأقيم فى ركنى وأنبذ عالَماً | سدّت علىّ الناسُ فيه جهاتى
ولربّ ركنٍ لا يضيق به الفتى | مادام فيه مطلقَ الحركاتِ
ويضيق بالارضِ الفضاء اذا مشى | فيها وكان مقيدَ الخطواتِ

« . »

دعنى فلى فى وَحدتى ما ليس لى | فى الناس من طربٍ ومن نشواتِ
أخلو بنفسى استشفُّ شجونَها | وأبثّ فيها صادقَ العزَماتِ
وأطيل فى هذا الوجودِ تَفكُّرى | وأجيل فيه ثاقبَ النظرت
وأسير فى الكونِ الجليلِ ممجّداً | ما فيه من بِدَعٍ ومن آياتِ
وأهيم فى دُنيا الخيال محققاً | ما عزّ فى دنياى من رغباتِ
وأهيب بالذكرى فترجع أعصرٌ | وأعيد ماضى العيشِ فى لحظاتِ
وتقرّ نفسى بالسكينةِ ناسياً | ما كان لى فى الناس من ثوراتِ

ابراهيم زكى

وطـــن الحسن

كالطير من فَنَنٍ الى فننِ | قلبي ، ومن غُصنٍ الى غُصنِ
الحسنُ نور ساغه بصرى | والحسن صوتٌ رنَّ فى أذنى
والحســنُ لى رىٌّ وفاكهة | والحسن خمر الروح والبدنِ
كم منظر حسنٍ كلفت به | ورجعت منه لآخرٍ حسن
ما ان أملّ لمنظـر بهج | أبداً ولم أسأم على الزمن
عينى وقلبي لا يروقهما | الا الحياة كثيرة الفتن
والحسن يزهو فى تباينه | ما للهوى والحسن من وطن
فى الناس حسن وجوههم ، وبهم | حسن النفوس ، لحسنهن غنى
والشمس فيها الحسن ما طلعت | واذا هوت فالحسن يفتننى
والبـدر أبدع ما أشاهـده | لما تجلّى لى وأعجبنى
الحسن فى الدنيا مبعثرة | آياتهُ للناظر الفطن

« • »

لاتحجبوا عنى محاسنكم | إنى عليها جدّ مؤتمن
الريب أبعـد ما يساورنى | مهما استوى من منظر حسن
هل كنت الا شاعراً لبقاً | راض الحياة كثيرة المحن
ورأى مباهجها ونقمتها | وأحبَّ منها أبدع السنن
ما أجمل الدنيا لمبتهج | إن عافها قلبٌ على ضغن
قلبي هو العصفور منتقلا | فى الحسن من فنن إلى فنن
أهوى الجميل من الحياة ولا | أهوى قبيحاً ليس يعجبنى
وأغضّ من طرفى فما نظرت | عينى قبيحاً قد يروّعنى
ويبين لى قبح وانكره | فـكأنه للعين لم يبن
ياويح نفسى لا تساجلنى | حلو الهوى فى السر والعَلَنِ
ياويح قلب لا يشاطرنى | حبي ولا يرتاح فى سكنى
قلبي وشعرى جنةٌ أنفٌ | ياويحه مَن ليس يعرفنى

عثمان حلمى

أنا ؟!

أنا كالزهرةِ في جوفِ الفلاهْ قد عفا نَضرتَها حرُّ الرمالْ
ونأى عن رِيِّها نهرُ الحياهْ فبدتْ — رغم صباها — في هزالْ

« • »

وثوى بين ثناياها الذبولْ حيث لم تسعدْ بريٍّ أو بقوتْ
وغدَتْ تذْوي كما يذوي العليلْ وستَفْنىَ بعد حين وتموتْ !

« • »

لا ترَوموا أن تروا فيها عبيرًا لا ، ولا ترجوا بها عِطْراً زكيًّا
كيف يُرجَى العطرُ فوّاحاً غزيرًا من زهورٍ لم تجد قوتاً وريًّا ؟!

« • »

أنا كالطائر مهضومُ الجناحْ ليس في قدرته أن يرتفعْ
كلّما حاول أن يعلو البِطاحْ لم تساعِدْه الذُنابَى فوقعْ !

« • »

فانزوَى يشكو حزيناً ما دهاهْ بنواحٍ يملأ القلبَ شجونَا
وعويلٍ تسمع الأذْنُ صداهْ فيثير الوجدَ والحزن الدّفينَا

« • »

لا تلوموهُ إذا أنّ وناحْ إنه يندبُ عيشاً قد مضَى
واعذروهُ إنْ شكا اليوم وباحْ وارحموهُ إنْ تولىّ وقضَى !

محمد فريد عين شوكه



فى الصحراء

فى ليلة من ليالى الخريف المقمرة ، المحتبسة الهواء ، وفى صحراء المقطم وبين هذا القفر الرهيب الموحش ، كانت تتراءى بضع نخلات نابتة فى هـذا العراء ، صامتات فى وجوم كئيب . من بين هذه النخلات ، نخلة طويلة سامقة ، تجاورها نخلة صغيرة ناشئة ... وبين هاتين النخلتين دار حديث ، وكانت مناقشة ومناجاة !

الصغيرة :

ما لنا فى ذلك القفر هنا ما برحنا منذ حين شاخصاتْ ؟
كل شىء صامتٌ من حولنا وأرانا نحن أيضاً صامتاتْ !
تطلع الشمس علينا وتغيب
ويطلّ الليل كالشيخ الكئيب
وأرى الأفلاك تغدو وتؤوب

— وهجير وأصيل — وشروق وأفول — ثم نبقى فى ذهول
ساهاتْ !

أفلا تدرينَ يا أختى الكبيرهْ ما الذى أطلعنا بين اليبابْ ؟
أيما اثمٍ جنينا أو جريره سلكتنا فى تجاويف العذابْ ؟
قد سئمتُ اللَّبثَ فى هذا المكان
لِبثة المصلوبِ فى صُلب الزمان !
أفما آن لتبديلٍ أوان ؟

حدثيني كم سنشقى ؟ — حدثيني كم سنلقى ؟ — حدثيني كم سنبقى ؟
واقفات

الكبيرة :

إيه يا أختاه لا أدرى الجواب ودفين السرّ لم يُكشف لنا
منذ ما أُطلعتُ فى هذا الخراب وأنا أسأل : ما شأنى هنا ؟

فيجيب الصمتُ حولى والسكون !
وأنا أخبط فى وادى الظنون
لست أدرى حكمة الدهر الضنين

غير أنا حائرات — والليالى العابثات — تتجنى ساخرات
لاهيات !

ربما كُنّا أسيرات القدر تسخر الأيامُ منّا والليالى
تضرب الأمثالَ فينا والعبر وإذا نشكو أساها لا تبالى

ربما كنا مساحيرَ الزمن
قد مُسخنا هكذا بين القنن
فى ارتقاب الساحر المحيى الفطن

فإذا كان يعود — فكّ هاتيكَ القيود — نخرجنا للوجود
ظافرات !

أو ترانا نسلَ أربابٍ قُدامَى قد جفاها وتولّى العابدون
جفّتِ الكأسُ لديها ، والندامى غادروا ندْوَتَها تنعى القرون ؟!

أو ترانا مسخَ شيطانٍ رجيم
صاغنا فى ذلك القفر الغشوم
وتولّى هارباً خوف الرجوم ؟!

فبقينا فى العراءْ — يحتوينا كل راءْ — وسنبقى فى جفاءْ
شارداتْ !

لست أدرى أكل شىء قد يكون ! فتَلقّى كلٌّ شىء فى سكونْ
واذا ما غالنا غولُ المنونْ فهنا يغمرنا فيضُ اليقينْ !

« • »

ثم ساد الصمتُ كالطيف الحزينْ
وتسمتُ لأقدام السنينْ
وهى تخطو خطوةَ الشيخ الرزينْ
هامساتٍ فى الرمالْ — منشداتٍ فى جلالْ : كل شىء للزوالْ
والشتاتْ

سيد قطب

كما جرى

حسناءُ : لمّا أن رأتْ عِمامتى كالهرَمِ
وجُبّتى فضفاضةً مثلَ لباسِ المُحْرِمِ
ولِحْيتى تَحْسَبُها شعرَ فراءِ أسْحَمِ
وسُمْعتى مَصونةً فوقَ مَناطِ الأنْجُمِ
قالت لنفسها — وقد ضَاقت بداءٍ مُحْكَمِ :
رُقْيةُ شيخٍ واصلٍ أنفعُ من طِبِّ عَمى !

***

دَقت ببابى صَحْوَةً كَمُقدِمٍ فى مُحْجِمِ ..
قالت : أنا جارتُكمْ قلت لها : تَقدّمى !

وَرُحْتُ أُلقى جُبَّتى على يدى ومِعْصَمى . . .
فأقْبلَتْ ، وقبَّلتْ فى خجْلَةِ المُحْتشم

« • »

وَبَقِيتْ تَلْثم جُبَّـ ـتى — بلا تَأَثُّمِ
فقلتُ : يالهفى ، أغَيْـ ـرَ جُبتى لم تَلْثُمِ ؟
أَيْنَ فمى مِنْ جُبتى ؟ ياليتَ جُبتى فمى !

« • »

وبعْدَ أن أطلتُ فى طَلْعتها توسُّمى . .
قامتْ بِرأسها كمَنْ يرْمى إلى التكلُّم
وَشرَعتْ تَبْذُلُ مِنْ ثنائها المُنمنَمِ
تقولُ : جاءَتنى لمَّـ ـا عَلِمَتْ ترَحُّمى
ثمَّ مَضتْ تَبثُّنى الشَّـ ـكْوَى — عَلى تَلعثمِ . . .
تعزُو إلى الصُّدَاعِ ما بِرأْسِها مِنْ ألم
لاحظْتُ دَمْعاً قانئاً فى خدِّها كالضَّرَمِ
ظننْتُها تَبْكى دَماً مِنْ حُزنها المُخيِّمِ
ثمَّ عرفْتُ أنَّنى ضَرَبْتُ فى توَهُّمى . . .
إنَّ الدُّموعَ اشْتَبهتْ فى صَحْنِ خدٍ كالدَّمِ !

« • »

واللهِ لمَّا أنْ بَدَتْ تُومِى بطرْفٍ مُرْتمى
حَسبتُ شَكْواها لِمَا بطرْفِها مِنْ سَقمِ !

« • »

أدْنَيْتُها منِّى ، وقلْـ ـتُ : لاتُرَاعى واسْلِمى !
فرَفعتْ عَصائباً عَنْ رَأسِها الملْتثِمِ

فأخذتْ أناملى تلهو بشعرِ أدهمِ ... !

« • »

تمتمتْ بالآياتِ فى صوتٍ خفوتٍ مبهمِ
ثم انثنت كفىّ إلى جبينها المنسجمِ
ثم دنتْ مِنْ خدّها الـ ـموَرَّدِ المبتسمِ
ثم ارتختْ عليه مسْ تنيمة لمْ نقمِ ....
كأننى فى سكرةٍ كأننى فى حُلُمِ

« • »

وضيفتى مصغية إلى فمى المتمتمِ
ترنو بمقلتين ترْ ميانى بأسهمِ
لم تبدِ لى تململاً كشادنٍ مستسلمِ
لم أستمعْ منها سوى أنينها المرخَّمِ
تمثالُ حسنٍ جاثمٌ يبدو بلحمٍ ودَمٍ !

« • »

قلتُ : وكفّى حظيتْ بخدّها المنعَّمِ :
أينَ أنا مِنْ قبلةٍ ؟ ياليتَ فى يدى فمى !

محمد شوقى امين

طاحونة الهواء

فى المكس فى ظلالها جلسنا ونحن اطفالٌ بكلّ معنى
نجهل ما الدنيا وما علمنا من أمرها غير السرور يُجنى
نطرب من لاشىء إن طربنا ونملأ الجوّ إذا ضحكنا
ولا نبالى أو نقيم وزنا لناقدٍ يغضبُ إن صرخنا

قد فتح الزهرُ البهيُّ منا ... زهرُ شباب انفساً وسنا
هناك فى ظلالها جلسنا ... فى يوم صيف إن مشى تأنى
والجوُّ كالجحيم غير أنَّا ... خلناه فردوساً لنا وَعْدنا
وكان فينا عاشق مغنَّى ... وكان كالعصفور حين غنى
أسمعنا لحنَ الهوى فزدنا ... انساً على أنس بنا وأمنا

« • »

ثم سكتنا برهة وكنَّا ... كأننا نعلم ما جهلنا
للغيب صوتٌ فى النفوس رنَّا ... نسمعه بالهمس أين رنَّا
يملأ ألبابَ الأنام حزنا ... والحزن أقسى ما يبين معنى
دقيقة واحدة سكنَّا ... نسمع صوت الغيب إذ سكنا
طاحونة بالهمس كلمتنا ... فأورثْ الحزن الدفين منا
تجهل ما نبغى اذا نطقنا ... وتفهم المعنى اذا سكتنا
أجنحة تجرى وما فهمنا ... لجريها لغزاً ولا عرفنا
قال حكيم فى الامور منا ... أ كبر منا فى الحياة سنَّا :
تدرون معنى صوتها ؟ فقلنا : ... كلاَّ ! فانا كلنا جهلنا !

« • »

طاحونةٌ دنيا كمو وإنَّا ... لها حبوبٌ تستجيرُ طحنا
تطحننا الدنيا وما علمنا ... للغزها معنى ولا فطنا
نحن ثمار الغيب ، غير أنَّا ... نحن حصادُ الغيب لو علمنا
وإن أقسى الصوت لو عرفنا ... أغنيةُ الطحَّان إن تغنى !

« • »

هنا انتهى كل السرورمنا ... وصحَّ فى الانفس ما سمعنا
هنا افترقنا الكلُّ ما رجعنا ... لجلسة كمثلها أو عُدنا
كم فى الحياة للحياة معنى ... وكم بها من الفناء معنى !

عثمان حلمى

التمثال الحى

محتنى صروفُ الدهر الا حشاشةً من الألم المدفونِ والحسرة الكبرى!
احبكِ ، لا التصريحُ يوماً بنافعى ولا الكتمُ ، إنى قد شقيت به دهرا
ولكننى أهواكِ سمراءَ فتنةً وأهوى عناقاً وارتشافَ اللمى قسرا
وأن تسندى الرأسَ الجميلَ وتُغمضى على كتفى حتى يحولَ الدجى فجرا
فيحلو وداعى للحياة ، فما بها سوى حلمى أن ألثم الشعّرَ والثغرا!

« • »



الدكتور رمزى مفتاح

وأهواكِ نَبْعاً مِن حنانٍ ورحمةٍ تحنُّ له نفسى ليغمرَها غمرا

« • »

وأهواكِ للحبِّ القديم الذى نما ودوّى الامانى قبل أن تدركى العشرا
وما كنتِ الا سرَّ حسن مكتَّمٍ وما كنتُ الا يافعاً يجهل السرا
فيا ليت شعرى ما الذي أنبتَ الهوى والزمنى الاخلاصَ والمطلبَ الوعرا؟
وأوحى الرضى بالشجو فى اللذة التى أراها جمالا فى عذابٍ يُرَى مُرَّا

وأسمعنى نجوايَ منغومةَ الصَّدى أهذا الذى يدعونه الفنَّ والشعرا ؟!
أم الحبُّ مكتومٌ وفى الناس حافز الى نظرة فى الكون من مُقلة حسرى
ترجِّى جمالا غير مالم تفز به فترمى الورى والصخر والزهر والطيرا
وليست ترى فى كل مَرأى ومرصدٍ سوى وجهك المعبود حُلواً به نضرا
وترتدّ .. ، لا رىَّ سوى الرىّ للذى تشفّ به الحمَّى على كبدٍ حَرَّى !

« • »

خذونى الى عهد الطفولة مرةً وردُّوا علىَّ العمرَ والطفلةَ السَّمْرا
وأيامَ لا نلتقى على اللثم ناهياً وأيامَ لا نلتقى على نظرة زجرا
ومجلسنا فوق الرمال(١) وما نرى من العيش الا الحبَّ والنعمة الكبرى
رمالٌ ألفناها ... فيا مولدَ المنى لقد كدت تعطينى الودادةَ والإصرا
فأشهدتها انى ألاقي مودة وأشهدت فى آفاقها النهر والبحرا
فهبتْ بها طىّ الرياح مقادرٌ مطوّحة لا تدرك الشرَّ والخيرا
فيا زهرة حاشايَ أهفو لغيرها أرى فيك أوراقاً مهدَّلة حيرى
وفيك بقايا ناضرات رويتها من الامل المكذوب فى نشوة الذكرى
وانى لأخشى ، حين أحنو مناجياً عليك ، فؤاداً لا يرَى القطر والعطرا
فأدفع عنى الذكر ، والذكرُ مؤْئلٌ حييتُ به حيناً وأخفيتُه ذخرا . . .

« • »

سأجرع مُرَّ الصبر او خدعةَ المنى طويلاً ... الى أن نلتقى مرةً أخرى

« • »

وأبدعتْ الآلامُ تمثالَ شاخصٍ تمرُّ به الأيامُ منهوكةً صُفْرا
كأنّ المنى واليأسَ والحبَّ والقلى يضيق بها جسماً فيحملها صخرا !

رمزى مفتاح

(١) رأس البر



الغد

يا حَنانا كَكَيْدِ الآسِى الرؤوم ... وشُعاعاً يُشتَهى بعدَ الغُيوم
أنا فى بُعْدِكَ مفقودُ الهُدَى ... ضائعٌ أعشَى الى نُورٍ كريم
أشترى الاحلامَ فى سُوقِ المُنَى ... وأبيعُ العُمْرَ فى سُوقِ الهُموم !
لاتقُلْ لى فى غدٍ موعدُنا ... فالغَدُ المَوْعودُ ناءٍ كالنجوم !

« • »

أغداً قلتَ ؟ فعلّمْنى اصطبارا ... ليتنى أختصرُ العُمْرَ اختصارا
عَبَرَتْ بى نَشْوَةٌ مِنْ فرَحٍ ... فرَقَصْنَا أنا والقلب سكارَى
وعَرانا طائفٌ من خَبَلٍ ... فاندفعنا فى الأمانى نتبارى
سنذمّ النورَ حتى يَتلاشى ... وندمُّ الليلَ حتى يَتَوارَى !

« • »

انفردنا أنا والقلب عشيًّا ... ننسج الآمالَ والنَّجْوَى سويًّا
فركبنا الوهمَ نبغى دارَها ... وطوينَا الدَّهرَ والعالمَ طيًّا
فبلغناها وهلَّلْنَا لها ... ونزلنَا الخُلْدَ فينَاناً نديًّا
ولقينا الحسنَ غضًّا والصِّبا ... وتَمَلَّيْنَا الجلالَ الأبديًّا !

« • »

قال لى القلبُ : أحقاً مابلغنا ؟ ... كيف نام القَدَرُ السَّاهرُ عنَّا ؟
أتراها خِدعةً حاقتْ بنا ؟! ... أتراها ظنةً مما ظننَّا ؟



الدكتور ابراهيم ناجى
(صورة حديثة للشاعر العاطفى البدع)

قلتُ : لاتجزعْ فكم من منزلٍ عزَّ حتى صار فوق المتمنَّى
أذن اللهُ به بعدَ النَّوَى فثوينا واسترحنا وأمِنّا !

« • »

يا جِنانَ الخلْدِ قدَّمتُ اعتذارى إذْ يطوف الخلدَ سقمى ودمارى
أيها الآمرُ فى مُلْكِ الهوى اعفُ عن لهْفةِ رُوحى وأواري
أشتهى ضَمَّك حتى أشتفى فكأنى ظامئٌ آخذُ ثاري !
غير أنّى كلّما امتدتْ يدى لعناقٍ خِفتُ أن تؤذيكَ ناري !

« • »

أيها النورُ سلاماً وخشوعَا أيها المَعْبَدُ صمتاً وركوعَا
ملكتْ قلبِي ولُبِّي رهبةٌ عصفتْ بالقلبِ واللُّبِّ جميعَا
ربَّ قولٍ كنتُ قد أعددتُه لكَ إذْ ألقاكَ ، يأبَى أن يُطيعَا
وحَبيسٍ مِنْ عتابٍ فى فمى قد عصَانى ، فتفجَّرتْ دمُوعَا !

« . »

لذَعتنى دمعةٌ تلفح خدِّى نبَّهتْنى من ضلالٍ ليس يُجدي
واختفتْ تلك الرُّؤَى عن ناظرى وطواها الغيبُ فى سِحْرِىٍّ بُرْدِ
وتَلفَّتُّ فلا أنتَ ولا جنةُ الخلدِ ولا أطيافُ سَعْد
وإذا بى غارقٌ فى مِحْنَتى وبَلائى ، أقطعُ الأيامَ وحْدِى !

« . »

هاتِ قيثارى ودَعْنى للخيالِ واسْقنى الوَهْمَ ! وعلِّلْ بالمحالِ !
ودعْ الصدقَ لمن ينشده الحِجْى خصمىَ فاغمرْ بالضلالِ
وخذ الأنوارَ عنّى ، ربما أجدُ الرحمةَ فى جوفِ الليالى
خلِّنى بالشوقِ أستدنى غداً فغداً عندى كآبادٍ طوالٍ !

ابراهيم ناجي

طائر الحب

فى عاصفة المـــوت

عند ما يَضْـفو على الرملِ الغديرْ فيجفّ المـاءُ والموجُ النثيرْ
ويُنضّى فوق شطّيه الغميرْ (١) لذبولٍ أورث الحسنَ ضنَى

* * *

عند ما يسكن شدوُ العندليبْ فوق غصنٍ للخميلاتِ رطيبْ
ويُلَفُّ الكونُ فى صمتٍ كئيبْ لذبولٍ أورث الحسن ضنى

* * *

عند ما تعدو الرياحُ العاصفات داوياتٍ فى ثنايا العَذَبات
هاوياتٍ فوق صخرِ الآبدات لذبولٍ أورث الحسنَ ضنَى

* * *

عند ما تأفل فى الموت النجومْ كاسفاتٍ نورّها الزاهى الوسيمْ
ويغشّى أفقَـها ليـلٌ بهيمْ لذبولٍ أورثَ الحسنَ ضنَى

* * *

عند ما يَفنى الحنينُ المحرقُ ويولّى إثره مَن يعشقُ
أترى يبـقى الهوى لايخلقُ لذبولٍ أورث الحسنَ ضنَى !؟

* * *

---

(١) الغمير: العشب الندى

عنـد ما تذكر طيَّ القبرِ روحي حسنَك الضّاحي.. فتهفو مِنْ ضريحي
لتراكِ ... فـترى أيَّ قبيح لذبولٍ أورث الحسنَ ضنَى

« • »

ستؤاتيكِ كألحانٍ شذيَّهْ ضمَّها غيهبُ ليلٍ الأبديَّهْ
وهو جبَّارٌ يسوق البشريَّهْ لذبول أورث الحسنَ ضنَى

« • »

ستغنيكِ بلحنٍ فائضٍ من كل فنّ
يا ملاكي!

ستراعيكِ دجاهـا
ويناجيـك هواهـا
يا ملاكي!

فاسمعيهـا في المياه الهامسه بين أشجار المروج الناعسهْ
يا ملاكي!

سوف تشكو لك منكِ من تجنّيـك وتركي
يا ملاكي!

فاسمعيهـا في الأغاني الخافتهْ والأغاريد الحزانَى الصـامتهْ
يا ملاكي!

م. ع. الهمشري

الحبيب المجهول

لقد كان هذا الكونُ قبل التقائنا بعينيَّ قفراً موحشاً يتجهمُ
وكنتُ غريباً فى الحياة مشرَّداً بلا غايةٍ فيها على العيش أرغم
إذا سرتُ أمضى شاردَ اللبِّ ذاهلاً أقلب طرفى حائراً أتبرم
وفى النفس أشواقٌ لشىءٍ جهلته وفى القلب نيرانٌ عليه تضرَّم
أُحِسُّ فؤادى غائباً عنه شطره وبالنفس شىءٌ لست أدريه مبهم
فلما التقينا صحتُ صيحةَ ظافرٍ وأحسستُ أنِّى بالسعادة مفعم
وطالعنى نورٌ لعينيكِ فامَّحت دياجيرُ نفسى بينما الكون يبسم

احمد كامل عبد السلام

فى محراب الجمال

طأطىءْ الرأسَ للجمالِ وآلِهْ ثم سبِّحْ بحمده وجلالِهْ
انَّ للحسن صولةً ، ومحالٌ أن تنال الكمىّ قبل صياله
انظروا للمدلِّ قد قلدته عينه من فتورها بنباله
فهو يرمى بنبْله مرةً لا مستهيباً ، ومرةً بدلاله !

• • •

يا حبيبى هذا مَجالٌ ولسنا ياحبيبى من أهله ورجاله
إن شعرى شكاةُ قلبى ، وهل لى غير شعرى بحسِّهِ وخياله ؟!
ذاكَ شعرٌ حوَى فؤادى المُعَنَّى ربَّ شاكٍ يذوبُ فى أقواله . . .

طاهر محمد ابو فاشا

قصة الحب

باعث الشعر والصبابة مالى / كل يوم أراك جم الدلال
تبعث الوجد فى النفوس لتبقى / مفرد الحب فى قلوب الرجال
وتغالى اذا رجاك حبيب / ليت شعرى أما كفاك التغالى ؟!
انت راض بما تراه ، وراض / بصنوف العذاب صب الجمال
قد هداه الجمال حساً وروحاً / وبراه الجوى ووقع النبال
عبد الحسن صادقاً فى هواه / والفؤاد العميد للنار صال
كان خلواً من المحبة قفراً / غمر الحب فيه كل مجال
واستمر الحبيب ينفث سحراً / هو سحر العيون سحر المقال
نفذ السحر واستقر هواه / والعجيب العجيب يوم الوصال
يوم أن دارت الكؤوس وكانت / من خمور الشفاه جد غوالى
عرف الحب يوم ذاك ولكن / كان يوم الوصال بدء النزال
هو يوم من السعادة نشقى / بعده النفس فى القيود الثقال !

« ٠ »

ان للحب لو عرفت جنوناً / هو سر البقاء فى الأغلال
ليس يدرى له الطبيب دواء / ان داء الغرام جد عضال
كم محب اذا أفاق تراه / يذكر العهد والليالى الخوالى
ويرود الحياة شرقاً وغرباً / ويرد الحياة بعد الزوال
يذكر الوصل والحديث وسكراً / من جفون يدرن كل وبال
فائض الوجد باحثاً عن هواه / لو يرد الغرام فرط الخيال
فجنون الغرام قاس وباق / كيف يخبو الغرام بعد اشتعال ؟!

« ٠ »

ان للحب قصةً قد توالت في مَجالى الحياةِ والاجيال
كل يوم تزيد فصلا ولكن ذلك الفصل من قديم الليالى
هو جزء من الحياة معادٌ في جديد من الثياب وحال
ومن العجب أن يكون هواناً قصة قد تكررت بالتوالى
ليت شعرى أما هناك جديد في قلوب النساء والأبطال
يبهر اللب بالطرافة حيناً ويغذى الغرام في الأطفال



محمد احمد محجوب

تجديد الغرام أصبح عندى كجديد الثياب لا بدّ بال !؟
ربّ ثوبٍ للعين يبدو قشيباً زاهياً كان قبل في الاسمال !

* * *

ويحَ حبي أما أراه جديداً فيه شيء من الطرافة غال
ام أرانى على قديم زمانى أرسل القلب خلف كلّ غزال
وأوالى على هواه زمانا وهو قفرٌ من المحبة خال ؟ !

ام درمان ــ السودان

محمد احمد محجوب

بسمة الحيـــاة

يا بسمةً منهـا الحياةُ تبسَّمت ... فحسبتُـنى من خيرةِ السعداء
قد كنتُ أنظر للحياةِ عَبوسَةً ... ورأيتُ فيها غضبةَ الرمضاء
تُرغى وتُزبد تارةً فتضلـّنى ... فكأنَّنى فى ثورةٍ الدأماء
لانتْ مَلامسُها وفى أحشائها ... لهبُ السَّعير وعاصفُ الانواء
يابسمةً رقَّتْ وفى إشراقِهـا ... مُتَـعُ الحياةِ ومَرجعُ السرّاء
الآن تغمرنى الحياةُ بلطفها ... وأحسُّها تسرى بلا ضوضاء


مصطفى الدباغ

« ٥ »

الكونُ مؤتلقٌ كأنَّ نجومَـه ... زُهرُ الرياضِ تفيض بالايحاء
نخواطرى مبنوثةٌ فى تمِّـهِ ... بثَّ الضياء على الجبين الماء
وأكاد أقرأ فى الدُّجى مكنونَـه ... حتى أرى المتقارب المتنائى
أتنسَّم الريح الحنون لأنها ... فيها عبيرُ الروضة الغناء

وإذا أريج الورد يعبق باسماً ... فأخالها فى الوردة الحمراء
بين ابتسامتها وبين حنينها ... تاهَ الفؤاد وضلَّ فى البيداء
وتسرنى فى وَحدتى أطيافها ... فكأنها أملٌ من الجوزاء
والليلة الربداء يصفو جَوُّها ... إن مرَّ طيفُ خيالها الوضَّاء
وإذا نسيمُ الروض ساجلَ خاطرى ... فإخالها فى النسمة الفيحاء
وإذا زهور الروض داعبها الحيا ... فإخالها فى الديمةِ الوطفاء
فى الشذّة النكراء يبدو نورُها ... فيزول طيفُ الشدة النكراء
كم دمعةٍ مهراقةٍ فى حبّها ... إن الدموعَ قصائدُ الشعراء

يافا (فلسطين) : **مصطفى الدباغ**



الثأر

خَفِّفى العَزْفَ ، أَصلِحى الأَوْتارَا ... وَخُذِى لى من الكمان الثَّارَا
كيف أَلهُو مُغَنِّياً بكمانٍ ... تطلبُ الفنَّ من ذَويه جهارًا ؟
وأرانى وقد بدأتُ حياتى ... أُلْهَمُ الشعرَ من جُفون العَذارَى
لىَ فيهنَّ فتنةٌ هى كَنْزى ... أنفسُ الكنزِ يجمعُ الأنوارَا
حوَتِ الحُسنَ ، إنما الحُسنُ سحرٌ ... يُخرِسُ اللُّسنَ ، يُبْهِرُ الأَبصارَ
ما تراءَتْ بينَ الخميلة إلاَّ ... أخذَ البدرُ فوقَنا يتوارَى
لىَ شِعْرٌ إنْ تَنْأَ عنى مُثارٌ ... هادِئُ الشَّدوِ إن أصِل مَنْ أثارَا
حَيثُ عَزْفٌ على الكمانِ صَدَاهُ ... يُرقصُ الورقَ ، يوقظُ الأزهارَا
حيثُ حبٌّ مع الخيال مُقيمٌ ... وشَبابٌ مع الجمالِ حَيارَى !

مصطفى اسماعيل الدهشان

لا أحبك !

نبَتَ الشوكُ بقلبي في مكان الزَّهرِ
ومضى كالبرق حُبي أو كضوء السحرِ
صار قلبي مقفراً كالصحراءْ

يا حبيبي لا أحبّك زمنُ الحب مضى
قد مضى حبي وحبّك وانتهينا للرضى
وانقضى الحبُّ كما شئنا وشاءْ

نمتَ من بعدى ونمتُ بعد ما همتَ وهمتُ
واسترحتم واسترحتُ وسكنتم وسكنتُ
ليس بعد اليوم خوف أورجاءْ

إنما الحب حمى وهوانا هذيان
فلمَ الحزن لما ولما هذا الهوان ؟!
ذهب الحب وما عاد الشقاءْ

إنما الحب ضياءْ أو كظل لا يدوم
أو كطير في السماءْ في جناحيه الهموم
طار حتى لم يعدْ بين الفضاء

أو كعصفور يغني في فؤاد العاشق
نغمات للتمنى أو كفجر صادق
ثم تطفى الشمس فى أعلى السماء

ليس للحب ضياءْ بعد أو للحب ظلُّ
ذهب الحب هباءْ أيّ قلب لا يملُّ
جذوة قد أُطفئت من غير ماءْ

يا حبيبي لست مني لا ولا قصدى رضاكا
يا حبيبي فأنا عني وكفاني وكفاكا
ان للحب ابتداءً وانتهاءْ !

عثمان حلمي



إليا وصموئيل

نظرَ الشيخُ نظرةً من حنانٍ   للفتى الساحرِ النُّهَى اللوذعىْ
نظرةً أُشْبِعَتْ بإلهامِ روح   كإلـهٍ بوحيِـهِ الأزلىّ
ربّتَ الساعدَ القريرَ قريراً   فسرى النُّبْـلُ فى الشعورِ الفتىّ
وترى زُرقةَ السماء تراءتْ   فى رضاءٍ من الالـهِ العلىّ
نفذتْ من غضونِ نافذة البيـ   ـتِ كطيفٍ من السَّما قُدسىّ
وتجلـّى المصباحُ بالنور أموا   جاً كموج الحيـاة فى كل شىّ
وَبدا فى سكونه الآسرِ اللبـ   ـلُ كمعنىً بمهجـةِ الألمعىّ
وتخال الأَصباغَ فى مَلبسِ الشيـ   ـخِ بياناً من الشعاع السـنىّ
لـكأنَّ الزمانَ وهو مسنٌّ   مُشرقٌ لابنهِ المليحِ الصبىّ
وكأنَّ الـكتابَ فى يده النشْـ   ـرُ لسرِّ الوجود من بعـد طىّ
تـلمح الحكمةَ العميقةَ والفكـ   ـرَ بوجهِ مُنوَّرِ النفس حىّ
وترى شَعرَه المهيبَ نصوعاً   كجلالِ الحقيقةِ الأبدىّ
مَشهدٌ صاغهُ الزّمانُ ليحيـا   فى عصورٍ بشاعرٍ ونجىّ
كان لوناً من نقشِ أحداثهِ الكبـ   ـرَى ومعنىً من فنّهِ العبقرى

***

هتف الوحىُ فى نُهى الطفل إذْ قا   مَ ليُصْغى الى الولىّ الوفىّ
فتغدَّى من روحـه بجمال   وتحلّى منه بأبهى الحُلىّ
ومضَى فى الزمان يغزو جريئا   بانياً مَعقلَ الشعورِ الأبىّ

أَمٍّ أَسْعِدَتْ به فى حياةٍ ... وَتمـاتٍ بروحِـه العلوىّ
مثلما اسعـدَ البيانُ بمرأى ... دائمِ النفحِ بالجمالِ السرىّ

* * *

رُبَّ طفلٍ رَعتْه أمٌّ حَنونٌ ... وأبٌ فى كفاحِ عيشٍ شقىّ
وتولاّه هاديًا مَنْ تَولىَّ ... وحبـاه بعطفه الأبوىّ
وأثاروا فيـه الرُّجولةَ والنُّبْـ ... لَ وصدقَ التجمّـل الروحىّ
صيَّرتْه الأقدارُ مِنْ قادةِ الفِكْـ ... ـرِ نبيًا أو فى مقامِ النبىّ

أحمد زكى أبو شادى





التمثال السجين

لمناسبة مرور ربع قرن على وفاة فقيد الوطنية المصرية المغفور له

مصطفى كامل باشا

يا طيفَ تمثالِ الزعيمِ الشهيدْ ... أثرتَ فى الصدرِ كرامَ الشجونْ
ولُحتَ للنفسِ مِثالَ الخلودْ ... وإن تَعامتْ عن سَناكَ العيونْ



(تمثال مصطفى كامل باشا)



الشكوى الرمزية التى رفعها المغفور له

مصطفى كامل باشا

الى فرنسا يستصرخها للدفاع عن حرية بلاده

أطفتَ بالقوم فما استقبلوكْ إلا بذكرى من وفاءٍ هزيلْ
فاعذرْ ـ سقاك الحبُّ ـ مَنَ أنكروكْ لايعرف الجاحدُ وجهَ الجميلْ !

« • »

سُجِنتَ أزماناً وطال العقوقْ فاغفرْ اذا أعيا عليكَ النصيرْ
القومُ أسرَى ليس فيهم طليقْ أيرتجى المسجونُ غوثَ الاسيرْ ؟!

زكي مبارك



ذكرى مصطفى كامل

نادَى (الشبابَ) فهبَّ من إغفائهِ بطلٌ يهزُّ الجيلَ رَجْعُ ندائهِ
حَيٌّ على مَرِّ الدهورِ مُدَجَّجٌ تتساقطُ الأجيالُ حولَ لوائه
تفنَى الوقائعُ ، وهو فى مرَحِ الصِّبى جذلانُ مغتبطٌ بطول بقائه
سيفٌ أضاءَ الحقُّ ملءَ فرندهِ وتألَّق الايمانُ ملءَ مضائه
نَظرَ الكماةُ فما رأوْا ذا رَوْنَقٍ فى حُسْنِ رَوْنقهِ ، وصدْقِ بلائه
عَضْبٌ حمَى عِرْضَ (الكنانة) حَدُّهُ ورعَى ذِمامَ الشرقِ فى أبنائه
وجَدَ المُغيرَ يجولُ فى أحشائها فأبَى القرارَ ، وجالَ فى احشائه
اللهُ أوْدَعَهُ حَمِيَّةَ رُسْله وأمدَّهُ بالنصرِ مِنْ خُلفائه
أوْفَى على الوادى ، فكبَّر واحتفَى (بالمصطفى) المختارِ من زعمائه
النافِثِ العزَماتِ فى اكنافه والباعث النهضاتِ فى انحائه
المُستعانِ على العدوّ اذا طغَى المستعينِ . بصبره وإبائه
مَنْ لايرى أنَّ الجهادَ مروءة حتى يكونَ المرءُ من شُهدائه
مَنْ علَّمَ (المصرىَّ) حُبَّ بلادِهِ وأقامَ مِنْ دمه مِنالَ وفائه
مَنْ أنكرَ اليأسَ المُذِلَّ وعابَهُ لا خى الحياة ، فدَّ حبْلَ رجائه

ما قال حين صَبا (بلادى) يشتكى ... ألمَ الهوى ويضجُّ من بُرَحائه
لكنَّها نَجْوَى المشوق ، وآيةٌ ... عُذريَّةٌ مِن حُبِّهِ وولائه
لم يَلقَ (قَيسٌ) فى هوى (ليلاهُ) ما ... لاقى ، ولا (ابنُ حزام) فى (عفرائه)
أدّى الرسالةَ ، والمهالكُ هُتَّفٌ ... لجلال مشهده ، وحُسن أدائه
نورٌ من الوَحى المبارك ساطعٌ ... فى أمَّةٍ حَيرَى ، وشَعْبٍ تائه
ورسولُ حقٍّ ما استبدَّ به الهوَى ... يوماً ، ولا أعياهُ مُعْضِلُ دائه
أبرى بحكمته النفوسَ اذا التوتْ ... ورمى الغوىَّ بمَكْرِه ودهائه
يستنزل الخصْمَ العنيدَ على يدٍ ... تتناول المريخ من عَليائه
أخذتْ (كرومر) فاستبيح ولم يزل ... يسقى عصارة بغيه وعدائه
يبغى على الشعب الضعيف بأرضه ... ويغالب الديَّان فوق سمائه
ألقى السلاحَ ، وراحَ ينعقُ ، ما له ... جُندٌ سوى هذيانه وهُرائه
ذُعرتْ لنكبته الجنودُ أعزةً ... وتفزَّعَ الاسطولُ فى دأمائه
عَدْلُ القضاءِ أدال من طُغيانه ... فى (دنشواي) ومن أثيم قضائه
لما أتى المستضعفين حديثُه ... ألِفَ الحمامُ السجْعَ بعد بكائه

* * *

يا ناصرَ الضعفاء مُتَّ ولم ينم ... جَلّادُ هذا الشعبِ عن ضعفائه
ولّى زمانك يا صريعَ همومه ... فاسأله هل ولَّى زمانُ عنائه
الدهرُ شاغبه فأوهن عظمه ... وطغَى عليه فزاد فى أعبائه
يشقى بحمل الداءِ ، لولا حاجةٌ ... فى نفسِهِ ، لقضى على حوبائه
لما ذهبتَ وكنت مرجع أمره ... ذهبَ الطبيب المرتجَى لشفائه
خلفاؤك الامناء بعدك حضَّرٌ ... والمرءُ مرجعه الى امنائه
جعلوا هواكَ شريعةً ، وتجنبوا ... مَن مال عنك ، وضلّ فى اهوائه
هم عدة (الوادى) ليوم سلامه ... وعتادُه المرْجوُّ فى هيْجائه
نشط (الشباب) وقيل يا مصر انهضى ... وبدا سبيلُ الحق بعد خفائه
وإذا الشباب مضى يحاول مطلباً ... نفذ المحال ، وجال فى اثنائه
قُل للالى نعموا ، وبين عيونهم ... شعبٌ تردَّى فى جحيم شقائه
لا تسخروا بالشعب فى أعراسكم ... هو فى مآتمه وفى أرزائه

عرف الرجالُ بك الحياةَ ، وأبصروا ماذا يوارى الموتُ تحت غطائه
وتبينوا ان الهوان لقانع من دهره بنفاقه وريائه
ما ميّتٌ الاحياء غير منافق بالى الضمير ، مكفن بردائه
دين السياسة ، والرجال مراتبٌ أنت الامامُ الفردُ من فقهائه
ما للممالك إن رمى (عزريلها) بالغاصب المغتال غير جلائه
وأشدّ أبناءِ البلاد عداوة مَن لا يرى (المحتلّ) من اعدائه
هى فى جلالتها حمى ابنائه ومضاجع الماضين من آبائه
أفمن يبيع بلاده كمجاهدٍ ينأى بها عن بيعه وشرائه ؟
شَعْبُ الكنانة ليس من أخلاقه أن يخذلَ الموفين من نصرائه
إن الألى سمعوا الحديثَ ملفّقاً جهلوا الصريحَ المحْضَ من أبنائه
لسنا حُماةَ (النيل) إن ظفروا به حتى يسيل دمُ الرجال كمائه !

احمد محرم

ذكرى دنشواى

لما فكّر البعضُ فى إقامة حفلة تكريمية للمرحوم أحمد فتحى زغلول باشا فى فندق شبرد بمناسبة تعيينه وكيلا للحقانية ، وكانت النفوس لم تهدأ بعد من أثر حادثة دنشواى ، طُلب الى المرحوم احمد شوقي بك أن يشترك بقصيدةٍ فى الاحتفال . وقبيل الحفلة أرسل مظروفاً ، فلما فُتح وجدت فيه الابيات التالية التى بقيت مكتومةً الى يومنا هذا . وقد ظفرنا بها من صديقنا الشاعر على محمود طه عضو مجلس (جمعية أبولو) . قال رحمة الله عليه :

اذا ما جمعتم أمرَكم وهممتمو بتقديم شىء للوكيلِ ثمينِ
خُذوا حبلَ مشنوقٍ بغيرِ جريرةٍ وسروالَ مجلودٍ وقيدَ سجينِ
ولا تعرضوا شعرى عليه فحسبه من الشعر حُكمٌ خطّه بيمينى
ولا تقرأوه فى (شبرد) بل اقرؤا على مَلأ فى (دنشواى) حزينِ !

فتيانه العصر

رجلاً تُنادى إذ تقول «محمداً» أم غادة ذكّرتها متعمداً ؟!
انى أرى شعراً تكسّر لامعاً كالماء مسّته الصبا فتجعّدا
وأرى محيّاً ليس من اثرٍ به للشَّعر محفوٌّ الجوانب أجردا
لا لحيةً مما عرفت وشارباً كان الجدود به يخيفون العِدَى !
والحاجبُ المعهود بُدِّد شمله فاذا به قد صار خيطاً أسودا
والخدُّ والصدغ استعارا صبغة فابيضّ هذا حين ذاك توردا
وأرى قواماً دقّ خصراً وارتمى ردفاً يسيرُ تخطّراً وتأوّدا
ويشير أنّى حلّ عرفاً ذاكياً فكأنّ من وشى الحديقة ما ارتدى
واذا سمعت سمعت لفظاً هافياً آناً ، وآناً آهةً وتنهُّدا
ما هذه شيم الرجال وإن تكنْ «بمحمد» قد نوديتْ و«بأحمدا»
ما من غناء للرجولة فى اسمها إن كان معناها شريداً مُبعَدا

* * *

فتيانَ مصرَ - وليس قولى شاملا منكم فتى جمٌّ الرجولة أيّدا
أنتم لمصرٍ سبّةٌ ولنيلها وبرغمها أن قد روى منكم صدى
ياليتها عقمت فلم تنجبكمو فالعقم أفضل من وليدٍ أنكدا
لمن التحببُ بالنعومة وهى من حق النساءِ رأين فيه تفرّدا ؟
أَلهنّ ؟ بينا هنّ لم يحببنكم الا خشانَ اللمس عزماً أو يدا؟
لم تشغف الأنثى بأنثى مثلها يوماً فكيف بمن بأنثاه اقتدى ؟
تأبى ذكورُ السائمات تشبهاً بأناثها ورضيتموه على هُدى
أحسبتمو أن الطبيعة ميزتْ فى خلقها جنسا على جنس سُدى ؟
كونو رجالا ثم كونوا كيفما شئتم محيّاً ناضراً أو أربدا
إن الرجولة علةٌ لوجودكم وهى الجمال لملتحٍ أو أمردا

محمود عماد

مجنونة

خرجتْ خلسةً من القبر تسعى ومضتْ تذرعُ المسالك ذرعَا
حملتْ خرقةً من الكفن البالى نجاءً من العيون ودِرْعا
هيكلٌ تفرقُ النواظرُ منه فيه للبؤسِ مستقرٌّ ومرعى
تتأذَّى منها النفوسُ وتخزَى انها أُوثقتْ بآدَم فرعا

« • »

جدَّتِ السيرَ فى خُطى رائعاتٍ وهى تمضى بغير رشدٍ وتسعى
خطواتٌ أرادها الجسمُ سيراً ورأى غيرَ وصله السيرَ بدعا
وعيونٌ لم يجر فيها ابتسام لا ، ولا عالجتْ بكاءً ودمعا
وشفاه تُرَدِّدُ الهمسَ لحناً هوَ أقسى الألحانِ معنىً وسمعا
لا تعيرُ الحياةَ لفتةَ سارٍ يتملَّى سرَّ النجوم ويرعَى
هى فى غيبةٍ عن الشمس والليل وعن سورة الخلائق جمعا
وقَّعتْ لحنها الحزين وسارت تتهادى فتملأُ النفس روعا

« • »

أىُّ خطبٍ جنت عليك المقاديرُ فما اسطعتِ للمقادير دَفْعا
أيُّ سهم صماكِ فى القلب قتّالاً فما اسطعت للقذيفة نزعا
أىُّ حزنٍ أنفدتِ فيه دموعاً لم تخلّفْ لآجلِ العيشِ دمعا

« • »

أفقدوكِ الرشادَ ظلما وأحرى لو وردنا مواردَ العيش صرعى
بيننا ياسليبةَ الرشدِ قُربَى سوفَ أُرْثَى فى العاقلين وأُنعى

« • »

كلُّ ما يملك السعيدُ جنونٌ هل جنينا بمسكة الرشد نفعا
حدَثانُ الحياة أيسر فهماً لسليبي الحجى وأندى وأرعى !

محمد السبر

فى ليلة . . .

(ترى الى أين السرى ياترى ؟)

فى ليلةٍ . . . أوّاه من ليلةٍ   فيها سحابٌ داكنٌ ذو دُهَمْ
والدوحُ فى ناحيةٍ ينثنى   والموجُ قد يسرى وقد يرتطمْ
والريحُ ، ريحُ الفكر ، ياللسما !   والدّوح ، دوح الفكر ، يا للعِظَمْ !
ربّاه ! هذا الفكر ماذا يَرى ؟



محمد ابو الفتح البشبيشى

يرى شباباً ذابلاً ذاوياً   وفيضَ نورٍ قد خطا للعدمْ
يرى شهاباً لامعاً ثاقباً   وفى فضاء الكونِ قد ينعدمْ
أفى فَضاءِ الكونِ يَفْنَى ولا   يحسُّ مَنْ بالكونِ رُكناً هُدِمْ
أفى غِمارِ القوْمِ يَفْنى ولا   يحسُّ حادى القوم بابنِ الظُّلَمْ ؟!

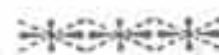
يَصبُّ قلباً دامياً خافقاً ... في صفحةٍ يُشجى عليها القلمْ
ويَلْتقِي في القوم أجراً له ... على دِمَاهُ النازفاتِ الصمّْ !
شكرانُهم .... نكرانُهم والذي ... قد جَعَلَ الهمَّ بقدر الهِمَمْ !
لو عاش في كُرَةٍ غيرها ... لكوفيء المرءُ على ما علِمْ
فذاكَ شأنُ الأرض مِن يومها ... وذاك أمرُ الكونَ منذ القِدَمْ
يرغد ربُّ الجهلِ في عيشها ... ويُترَكُ العَالِمُ نَكراً حُطِمْ !

محمد ابو الفتح البشبيشي



سدوم

« وكان أهل سَدوم أشراراً وخطأةً لدى الرب فأمطر الربُّ عليها كبريتاً وناراً ، وقلبت تلك المدن وكل الدائرة وجميع سكان المُدُن ونبات الأرض ولُعِنت لعنة أبديةً » — (التوراة)



مَغناكِ ملتهبٌ وكأسُكِ مُترعَهْ ... فاسقى أباكِ الخمر واضّجعي مَعَهْ
لم تُبقِ في شفتيكِ لذّات الدُّما ... ما تذكرينَ به حليب المرضِعَهْ
قومي ادخلي ، يا بنتَ لوط ، على الخنا ... وازنى فانَّ أباكِ مهّد مضجعَهْ
إن تُرجعي دمَكِ الشهيَّ لنبعهِ ... كم جدولٍ في الأرض راجع منبَعَهْ

لا تعبإي بعقابِ ربك ، إنه جرثومةٌ من ناركِ المتدفّعه
فى صدركِ المحموم كبريتٌ اذا لعبتْ بهِ الشهوات جُرَّ أضلعه
فى صدرك الدامى مناجمُ للخنا أورثتِها نار الدرارى المزمعه
فبكلّ صقعٍ من ضلوعك قسمةٌ خِلَعٌ على لهبِ الشباب موزّعه
إيهٍ سدومُ بُعثتِ من خَلَلِ اللظى حمراءَ فى شهواتكِ « المتشرّعه »
فى كلّ جيلٍ من لهيبك سُنّةٌ سكرى محطمةٌ عليهِ مخلّعه

* * *

عَقبَتْ بىَ الذكرى اليكِ فاشعلَتْ قلبى وأجفانى رؤاكِ الموجعه
شاهدتُ من خَلَلِ اللهيب حدائقاً كانت نواضرَ فى الفصول الأربعه
نشقتْ من الفردوس عبقةَ سحرهِ ومن السماء طيوبَها المتضوّعه
خضراءَ طاهرةَ الغِراس كأنها بصفاء عدْنٍ لا تزال مبرقعه
وكأنّ من تكفيرِ آدمَ نفحةً فيها ومن صلوات حواءٍ دعه
ورأيتُ غدراناً مراضعَ تربةٍ بأجنّةِ الزهرِ النديّ مرضّعه
ومَراوحَ الفجرِ الجميلِ على الذُّرى يَلقى عليها كلُّ طيرٍ مخدعه
ورأيتُ حوراً فى شفوفِ زنابقٍ بيضاءَ من لبنِ الجِنانِ مشبّعه
نَفخَ الصبى بنهودِها فتكوّرت وتبسّمت عن وردةٍ مترفّعه

* * *

ماذا فعلتِ ، سدومُ ؟ أين جواذبٌ كانت على تلك الخدورِ مجمّعه ؟
فيمَ استحالَ لُبانُكِ النامى الى خمرٍ بكاساتِ اللهيب مشعشعه ؟
خمّرتِ حسنكِ لا ليصبح طاهراً لكن ليستهوى النفوسَ فتجرعه
وجعلت غرغرةَ الافاعى كأسَهُ ليذوقَ منها كلُّ قلبٍ مصرعه
سكرتْ بكِ الدنيا ، سدومُ ، فكلّها زمرٌ على طرُقِ الحياة متعتعه
وأثرتِ حنجرةَ الفُجور فأطلقت نغماً على نغمِ الجحيم موقّعه
أغنيةً حمراءَ أنشدها الخنا مزقاً على أوتارك المتقطّعه

أسدومَ هـذا العصرِ لن تتحجَّبي فبوجهِ أمّكِ ما برحتِ مقنّعه
كانت منكرة كوجهكِ عنـد ما هبّتْ عليها من جهنّمَ زوبعه !
قذفتكِ صحراءُ الزنا بحضارةِ ثكلى مشوّهةِ الوجوهِ مفجّعه
بؤرٌ مستّرةُ الفسـادِ بخدعةٍ نكراءَ بالخزّ الشهيّ مرقّعه

« ٠ »

أسليلةَ الفحشاءِ نارُكِ فى دمى فتضرّمى ما شئتِ أن تتضرّمى
أنا لستُ أخشى من جهنم جذوةً ما دامَ جسمى ، يا سدومُ ، جهنّمى
طوّفتِ بى ميتا بأروقة اللظى فحملتُ تابوتى وسرتُ بمأتمى
وعصبتِ بالشَبَقِ المجمَّرِ جبهتى فرفعتها فى عصرى المتهكمِ
علّمتنى لغـةَ النبوءة عنـد ما فجّرتِ ألغامَ السموم بمنجمى
مهلاً .. كلانا ، يا سدومُ ، مسلّح فلظاكِ فى جسمى وثأرىَ فى فمى !
سيّرتِ قلبي فى المهازل شاعراً وذرَرتِ مسحوقَ العظاتِ بمرقمى
فكأنّ غضبةَ أنبيائك عند ما احرقتِ عاشت فى اللظى المتكلمِ
أبغىٌّ هـذا العصر خمرُكِ فاغرقى وأسقى ذرارىّ الورى واستسلمى
وبمجمع الغرباء نامى حقبة ثم اعدلى عنه لآخرَ وارتمى
وتمرّغى ماشئت فى حمأ البِلَى حتى يجفّ بك الرّضاعُ وتهرمى
حتى يفورَ الدودُ منك وينثنى يمتصّ جيفـةَ عِرضِكِ المتهضّمِ
حتى تضاجعـكِ الافاعى فى الدجى ويصير حسنُكِ مخدعاً للأرقمِ
حتى يدبّ الموتُ فيك وتمّحى ذرّيّـةُ المهد الاثيم المجرم

بيروت : الياس ابو شبكه

سر مغلق

رجِّعى ياريحُ أنغامَ الصبى قد حلَتْ أنغامُه فى مِسمعى
واستعيدى ذكرَ أيامٍ مضتْ فصداها أينما كنت معى
واذرفى يا عينُ دمعاً هاطلاً . ان أيامَ الصبى لمْ تَرجع
فشبابى قد تولَّى نورُهُ ومشيبي كالخيال المسرع
قد مضى عصرُ الصبي فى وثبة وأنا عبد الجمالِ الألمعى
لست أرضى الموتَ فى غضِّ الصبي وأنا من خمرهِ لم أشبع !

« • »

أنا طيرٌ لم يغنِّ لحنَه أنا نجمٌ فى الورى لم يسطع
أنا روضٌ لم يفتح زهره أنا كرمٌ نبته لم يطلع
أنا بحرٌ لم تثرْ أمواجه أنا رعدٌ قصفه لم يسمع
أنا بركانٌ ولكن ناره خمدَتْ فيهِ فلم تندفع
أنا صخرٌ فى خلاء موحِشٍ صامتٌ من وحدتى لم أفزع
أنا صداحٌ بمرجٍ مخصبٍ حائرٌ فيه كصبٍّ مولع !

« • »

أنا مخلوقٌ حقيرٌ لم أذقْ فى حياتى لذةً فى موضع
أنا لفظٌ خطَّه الغيبُ على شفةِ الفجرِ فلم ينطبع
أنا معنًى ناطقٌ من نفسهِ أنا عينٌ غرقتْ بالادمع
أنا حُرٌّ ضمنَ حبسٍ ضيِّقٍ هو عندى كالفضاءِ الأوسع
أنا سِرٌّ غامضٌ جوهرُه أنا حيٌّ غير أنى لا أعى
أنا إنسانٌ كباقى اخوتى غير انى غيرهم فى مطمعِى

« • »

لستُ أدرى أرقيقٌ أمْ أنا رجلٌ فظٌ غليظٌ مدَّعى

أم جميلٌ مستحبٌ أم ترى ضيغمٌ يبدو بشكل أروع
أم نسيمٌ منعشٌ عندَ الضحى أم أنا فردٌ ذكيٌّ ألمعى
أم ملاكٌ جاءَ من قلبِ السما أم أنا كالأحمقِ المنخدع

« • »

لستُ أدرى مَن أنا أو ما أنا فأنا سِرٌّ بقلبِ المبْدِع !

برمانا — لبنان : اديب سركيس



الليالى

قد بات ينعم فى أنسٍ وايناسِ وبِت أضربُ أخماسى بأسداسى
يارب إنَّ الهوَى مرُّ المذاق ، فلا قدَّرتَ للناس أن يُسْقَوْهُ من كاسى
كىْ لا يذوقَ حبيبى من سلافتهِ فيُصبح الآسُ محتاجاً الى الآسى
نفسى فداؤكِ يا مَنْ لا أبوح بها ضنّاً بذكرتها فى ألْسُن الناس

* * *

وليلة بين أصحابٍ سواسية من كلّ أروعَ ضافى السَّرْو والباس
إذا تحدَّث سال الظَّرْفُ من فمه وإنْ يُحدَّثْ تراه مُطرِقَ الرّاس
قضَّيْتُها حسبما شاء الغرامُ لها وحسبما يقتضى تكريمُ جُلاّسى
فى روضةٍ حليتْ بالياسمين وبالـ فلّ الزكىّ وبالنّسرين والآس
فكم هتكنا قواريراً مُفضَّضةً مِن عِتقِ يونان أومنْ سَبْىِ نِسْطاسى

* * *

يا حُسنَ تلك الليالى لو تعود لنا كيما نؤدّى حقوقَ الكاسِ والطاس

محمود أبو الوفا



فى شروق الشمس

أمعِنى يانفسُ فى هذا الضياءْ هوَ ذا الصبحُ على الكون أفاءْ
بعدَ ليلٍ ناءَ فاستعدَى الفناءْ أترى يحمل داءً أو دواءْ ؟

« • »

أرسلى ياشمسُ إشعاعَ الحياهْ يملأ العالمَ روحاً بسناهْ
فيفوح الزهرُ من عطرِ نداهْ ويهيم الطيرُ لايدري مَداهْ

« • »

وابعثى النشوة تجلو شجنَا هو ليلٌ مائج ماسكنَا
وعذابٌ أوسعَ القلبَ ضَنَى فأمدَّيه خيالاً بالمنَى

« • »

أنتِ ياشمسُ لنا رمزُ اليقينْ بينما الظلمةُ رمزٌ للظنونْ
وبها من عبثِ اللهو فتونْ بينما الجدّ بسرّاكِ رهينْ

« • »

وَزّعى فى نِصْفَىْ الدنيا العملْ وامنحى الراحةَ كلاّ لأجلْ
هذه الارض كخُذْروفٍ وَجِلْ يسرع الدورةَ فى غيرِ عطلْ !

« • »

باعدى الليلَ فنى الليل لغوبْ أو أتمى أملى قبل الغروبْ
دعوةٌ ما إن ترَى مَنْ يستجيبْ لوعة المحبوب فى قلب الحبيبْ !

محمد فريد عبد القادر



عن الشعر العربى

بقلم الدكتور يوليوس جرمانس
الاستاذ فى المعهد الشرقى بجامعة بودابست

سألنى الدكتور زكى أبو شادى الذى قرأتُ شعره وآثاره النقدية باستمتاعٍ وافرٍ أن أبدى آرائى عن الشعر العربى والتطوّر المنتظر له .

وان رفضى إجابة هذه الدعوة ليُعَدُّ تخلياً منى عن الكياسة الواجبة وإن كنت بقبولها أضع نفسى فى موضع حرج ، إذ كيف يستطيع أحد أن يحكم على موسيقى لم تسحره أنغامها منذ طفولته ؟ وكيف يستطيع غريب أن يتذوّق تذوقاً تاماً نشوة الطرب الدينى التى يشعر بها صاحب ديانة خاصة ؟ فالشعر كالموسيقى أو كالدين انما هو تعبير عن الشعور العميق لأمَّـةٍ ممثّلةٍ فى تاريخها ، وفى آمالها وأفراحها ، وفى مخاوفها وآلامها .

وربما استطاع المراقبُ الخارجىُّ أن يتبين الفروق أو النقط البارزة التى تجعلها تختلف عن مقياس ذوقه الخاص ، ولكنه سيبقى دائماً ناقداً محلّلاً فقط ولن يكون من أهل الاختصاص .

وبالرغم من هـذه الاعتبارت فانى ألبىّ دعوة الدكتور زكى ابو شادى لأنى أشعر أن رأى أحد الخارجين عن دائرة الناطقين بالضاد وقد تعلم العربية من الكتب قد يكون بالنسبة لقراء العربية ذا أهمية ، وذلك فقط لأنه ينظر الى الأمور من الخارج .

فبادىء ذى بدءٍ يوجد اختلاف لافت للنظر بين اللغة العربية واللغات الاوربية من حيث انه بينما تحولت الألسن الأوروبيـة تحوّلاً عظيماً فى خمسمائة وألف من

السنين حتى أصبح لا يستطيع أيّ جرمانى أو فرنسى أو ايطالى أن يفهم ما كتبه جدوده ، فان اللغة العربية بقيت متبلورةً على المثال العبقريّ الذى أبدعه القرآن ، فأى انسان يقرأ كلمة الله يستطيع أن يقرأ أيضاً بسهولة أدب الأمويين والعباسيين والأدب المصرى الحديث .



الاستاذ الدكتور يوليوس جرمانس

وانّ سبب هذا التبلور اللغوىّ يرجع الى روح المحافظة الشديدة فى الاسلام وطبع اللغة العربية ذاتها ، فهى إن تكن مرنة وغنية بلهجاتها الشائعة فقد تشبّثت فى كبريائه بصيغ الإعراب الجامدة حينما تجيىء ساعة الجد للتعبير الكتابى . فهذه النزعة للتبلور فى اللغة العربية — وهى مشتركة بين جميع اللغات السامية —

رسمت حدوداً جامدة لتطور الأساليب الأدبية . وبانتشار اللغة العربية بقيت أساليب اللغة من بلاد العرب — وإن كانت لم تدم معصومةً من الأثر الاجنبي — بقيت المُثُلَ العليا للشعر العربي الى أيامنا . وقد اتصل الاسلامُ اتصالاً وثيقاً — فى سيره الى المجد — بالثقافة الاغريقية . وعُرِّفت أوروبا بالثقافة الاغريقية والمعرفة والعلم الاغريقى عن طريق العرب ، ومع ذلك فالمُثُل العليا الاغريقية والرومانية وصُوَرُها لم يُلتفت اليها ولم يعزّها العرب . فالأساطير العجيبة فى حماسيات هومير وجدت لها مَنْفَذاً الى القصص الشعبية (الفولكلور) ، ولكن فيما عدا كِسَرٍ شاردةٍ فانّ الاسطورة الحماسية الاغريقية والدرامات والقصائد الاغريقية لم تُترجم أبداً الى العربية . ان الفن الابيقى (القصصى الحماسى) والدرامى كان غريباً عن عرب البادية ، والسبب فى ذلك يرجع الى ان الشخص الوحيد والمقياس الوحيد المعروفين للشاعر كانا شخصه وأخيلته . كان للشاعر دائماً غرض فردىّ فى نظمه : ذلك أن يتفتّح عن نفسه ، وأن يصوّر إعجابَه ومَقْتَه ، وبسالتَه وحريةَ نفسه ، فهو لا يُلقى نوراً شعرياً على دائرة غنية من الفكر . كان للشاعر الجاهلى المثالى غرض واحد : هو أن يرسم الحياة والطبيعة كما هما مع اضافة قليل من الخيال ، فما كان يقوله الشاعر فى أبياته اختبره بنفسه فرسم صورةً بدقةٍ صادقةٍ وعبّر عن ذلك بأنقى الالفاظ وأنبل صيغ التعبير ، وكان ينظم قصيده مما كان يعرفه قبلا سامعوه .

وقد عبّر زُهير عن المثل الشعرى الجاهلى فى بيته :

وانّ أشعرَ بيتٍ أنتَ قائلُه بيتٌ يُقالُ إذا أنشدتَه صَدَقا

فما أبعد الفارق بين وصف طرَفة للجمل فى ملعقته بدقةٍ فى التشريح لا تلذنا وان كانت فاتنة للبدو خاصة ، ووصف درع أخيلس فى الالياذة حيث يُصهر الدرع ويُطْرَق ويُنحت ويُصقل أمام بصر السامعين الذّهنى . هذا الوصف زَخِمٌ (dynamic) فى قوته وفى نشوئه الدّرامى . وأمّا الوصف العربى فساكنٌ ، فهو يلخص التفاصيل بدقة متناهية ولكن تنقصه الطاقة على التجرد من الشخصية وجعل الظواهر الموضوعية فى طبيعتها الموضوعية . ففى العمل كما فى الفكر يبدأ العربىُّ من ذاتيته ويعود اليها . يعيش فى الحاضر ولا يلحظ تحول الماضى ولا الحاضر ولا المستقبل فهو فى تجلّيه غير تاريخى يرى الظواهر فى تفاصيلها ، وفى

وجودها جنباً الى جنب — بعضها مع بعض ، ولكن يفوته تطوّرها وتحوّلها المتنقل دائماً . وهذا الخُلق للأمة العربية معبّر عنه جِبلّة فى اللغة فانها النُّصُبُ المتحجّر للفكر الانسانى . انّ بناءها متماسكُ الهندسة بحيث لا يسمح بأىّ انحراف عن صلابة خطوطه . وهى تدفعُ الافكار الجديدة المستمرة والماجلة فى أشكال هندسية متحجرة . مثل هذا المظهر الخارجى للافكار والمشاعر الداخلية كان ملائماً جداً لروح العصور الوسطى التى كانت متماسكة الهندسة خلافاً لعهد الرينسانس وللعصر الحديث حيث أعطى فن النحت والتصوير المرن حرية أعظم للابتكار وللتقدم . كان نمط العصور الوسطى رومانسكياً وغوطياً فكان سامياً ونبيلا وأكثر اقتراباً الى الألوهية ، بينما الرينسانس تؤكد الانسانية بكل صغائرها وآمالها السارة . وليس اتفاقاً أن الفكر والأدب العربى ترعرعا فى العصور الوسطى وأنجبا أخطرَ فِهما.

أُسِّست الثقافة الأوروبية على المُثُل العليا ليونان وروما . وكانت الفترة الطويلة التى تبعت سقوط روما كدولة سياسية عصرَ ظلامٍ نسبيٍّ فى أوروبا نَشرت فى أثنائه شُعلةُ المعرفة العربية بصيصاً من النور . وظهرت على المسرح شعوب جديدة من آسيا لا علم لها بتراث يونان فكان عليها أن تجاهد قروناً حتى تكتشف من جديد الكنوز القديمة وتقدّرها وتنميها فى حياةٍ جديدةٍ . ان الثقافة الأوروبية فى تجلّيها ثقافة انتقائية ، وهكذا كانت الثقافةُ الاسلامية فى أوجها . انّ الثقافة الاوربية ثقافة موانىء حيث يجرى التبادل بين منتوجات جميع الأجواء والبقاع فتستعمل اكثرها فائدة وملاءمة . فهى لا تعترف بأى مقاييس سابقة صارمة سواء للحكم أو للتقدير ما عدا قابلية البضائع للبيع وقيمتها . وتتبع هذا أذواق التجار الذين يشترون أيَّ شيء يروج . انّ الروح النفعية لأوروبا أعطتها مرونةً وقلقاً وحدّةً وجوانبَ متعددة تطورت الى ثروةٍ منقطعة النظير . انّ التقدم هو الكاشف الدائم للصفات الفطرية تبعاً للظروف التى تسوقها ارادة الناس ليستبقوا أنفسهم فى حركةٍ حيوية .

كانت الثقافة الاسلامية أيضاً انتقائية (eclectic) فى حدود أصلها العربى ، ولكنها عانت ضربة خطيرة من اكتساح المغول الذي دمَّر مراكزها الرئيسية ، وحينما كان يمكن أن تتعافى فى مصر وسورية حُوّلت خطوط المواصلات العالمية الرئيسية من البحر الابيض المتوسط الى الاطلانطيقى وتولّى الأتراكُ القيادة السياسية فى العالم الاسلامى وكان الاتراك منظمين بارعين للجيوش وأسياداً حازمين ولكنهم لعبوا دوراً متواضعاً فى دائرة الثقافة .

(للمقال بقية)

الشعر المصرى

صلة الأدب بالفن — ما هو الشعر ؟ — رسم المثل الأعلى — الادب المصرى والشعر المصرى

لا نستطيع أن نعرض للحديث عن الشعر المصرى دون أن نذكر الادب المصرى الذى يمثل هذا الشعر جانباً من رسالته . فنحن فى حاجة الى التعرف الى « الادب المصرى » بل الى الادب اطلاقاً تعرفاً صريحاً . فالادب الحى هو تصوير الحياة وتحليل وقائعها والتعبير عن أمانيها وخوالجها ، واذا كان الادب جاداً فى أداء تلك الاغراض فلن تكون رسالته الا رسم المثل الأعلى .

وفى الواقع إن رسالة الأدب هى رسالة الفن ، وان سبيل الفن فى بث مبادئه هو سبيل الادب فى تصوير الحياة ورسم مُثلها العليا وإن تباينت الوسائل التى تتخذها الرغبة فى رسم المُثل العليا لهذه الانسانية المتشعبة المسالك . ويخال للباحث أن كل هذه الاسباب ترجع الى أصل واحد ، وانما يقوم الادب على متعة العاطفة وحدها بينما قد يكون الفن متعة للحس والعاطفة . والفن بعد ذلك روح الجمال والفتنة حتى ان الادب البارع هو الادب الفنى ، ولا زال الشعر الفنى أروع ضرب الشعر .

وليس من الميسور تحديد علاقة الادب بالفن فكلاهما لاغنى للآخر عنه ، فالفنان فى حاجة إلى بصيرة أدبية نافذة وروح نقادة حتى يوحى إلى فنه بآيات الخلود ، والاديب فى حاجة الى طبيعة فنية صافية والى روح مطبوعة على التفنن حتى يسجل آثاره الادبية الفذة .

أما الشعر فقد كانت الحدّة تأخذنا إذا عرضنا به : هل هو أدب أو فن ؟

ولكن اذا تقررت هذه الصلة بين الادب والفن فليس يعنينا بعد ذلك أن يكون الشعر ادباً أو فنا أو مزيجاً من الأدب والفن .

وتبحث عن أي أدوات الفن أقرب الى الامتزاج بالشعر فتجدها الموسيقى : فالشعر والموسيقى من نَبْعٍ متجانس ، إذ الشعر يشجى العاطفة ولا يشبع الحس والموسيقى هى اداة الفن التى تشجى العاطفة ولا تشبع الحس . ونحن إذ نستمع الى الموسيقى لا نشجَى لانها مجرد نغمات منتظمة تهز مشاعرنا ولكن لأن هذه النغمات تبعث فى نفوسنا معانى سامية وتثير ذكريات شتّى وقد تكون الموسيقى هذرة غير منتظمة التوقيع فتحرك استيحاش النفس لغرابتها أو لقدم عهدها ولكنها تشجيها كما تشجى ا

معانى الشعر مهما عدا الزمن المتجدد النزعات على أساليبه وألفاظه . فالموسيقى الخالدة كالشعر الخالد لا يعنيهما انسجام النغمات ولا انتقاء الالفاظ لأن خلودها فيما يثيرانه من معانٍ رائعة.

ولست تجد وصفاً صادقاً للشعر الا وهو وصف صادق للادب أيضاً ووصف صادق للفن كذلك . واذا فرغنا من بحث الصلة بين هذه المظاهر كلها فاننا أحوج ما نكون الى الالتفات للشعر وخلع تلك التعاريف القديمة عنه .

فالتعريف الرجعى للشعر بحدود القافية والوزن كلام لم يعد يصلح موضوعاً للنقاش أو للجدل الآن ، والقول بأن الشعر هو حديث الشعور ولغة العواطف وترجمان الاحساس الخ . حديث غير محدود ولامفهوم كل الفهم لأن هذا التعريف إن انطبق على الشعر فقد يكون اكثر انطباقا على غير الشعر . وحتى التعريف الجديد للشعر الذى عرضه الناقد الكبير اسماعيل مظهر فى العدد الأول من «أبولو» بأنه تعبير عن الوجدانيات بالماديات لا يسلم من الاعتراض فان تصرفات الانسان المادية هى فى الواقع تعبير عن الوجدانيات بالماديات .

وقد يكون اقرب التعاريف الى الدقة هو تعبير الدكتور هيكل بك فى العدد الثانى من « أبولو » فان الشعر غايته تصوير الكمال فى صور تأخذ بمجامع النفوس وتطير بها على أنغامه الموسيقية لترتفع فوق مستواها ولتبز نفسها ولتحس معنى الكمال ، فهو يريد أن يقول بعبارة أخرى أن مهمة الشعر يجب أن تكون رسم المثل العليا وهى مهمة الادب والفن كما قلنا بل هى مهمة العلم كذلك فيما نعتقد .

والواقع ان التعريف الجديد للشعر يجب أن يسمو على الاوضاع الأدبية العتيقة التى أحاطه بها الزمن ، ويجب أن يتخطى من غير شك ذلك التقسيم العجيب الذى لا أذكر أين قرأته والذى يرى تقسيم الحياة الى شعر وعلم وفلسفة يجب أن تبقى أقسامها متباعدة لا تتداخل ولا تمتزج ولا تتعاون على فهم حقيقة أو درس مسألة !

إن رسالة الشعر الآن هى رسالة الأدب اطلاقاً وهى رسالة الفن إطلاقاً كذلك: فالفكرة الناضجة أو الخاطر الموفق أو السانحة الطريفة يسجلها الأدب ويسجلها الشعر وتسجلها الموسيقى ويسجلها التصوير ، كل منها يحللها بأسلوبه الخاص ويبرزها بوسائله الخاصة . فالقطعة النثرية الجيدة هى قصيدة شعرية ذات روعة ، وهى قصة

شائقة، وهى لحن ساحر، ثم هى صورة تستوقف نظر المتفنن البارع، فلا معنى مطلقاً لهذه الحدود السخيفة بين الأدب والفن ولا بين الشعر وسائر تفاعلات الحياة، لأنها فى الواقع حلقات يجب أن تتعاون كلها على رسم المثُل العليا التى ننشدها لهذه الحياة .

إذا تقرر فى الذهن ذلك كله انتقلنا منه إلى تعريف « الأدب المصرى »، ماهو؟ وما هى غايته ؟ فاذا كان الأدب هو تصوير الحياة والتعبير عن أمانيها وخوالجها وكانت غايته هى رسم المثَل الاعلى فقد انتهينا من هذا إلى أن الادب المصرى هو تصوير الحياة المصرية فى البيئة المصرية معبّراً عن آمالها وأمانيها، مترجماً عن خوالجها وغاياتها، ويكون هدفه إذن هو رسم المثل الأعلى المصرى .

ولا يمكن أن يقال إننا إذ ندعو إلى العناية بالأدب المصرى ندعو الى الحزبيـة الأدبية وإلى صرف الاذهان عن فكرة العالمية الأدبية، فنحن لانتمسك بالرغبة فى الاهتمام بالادب المصرى إلا لنصل الحياة الأدبية المصرية بالحركة الفكرية العالمية وإلا لنضيف إلى سلسلة التفكير العالمى حلقة مصرية لها طابعها المصرى وسماتها المصرية الخاصة .

والشعر المصرى على هذا الاساس هو ذلك الشعر الذى يصوّر الحياة المصرية فى بيئتها الأصيلة وهو المترجم عن شعورها المعبر عن خوالجها الراسم لمثُلها العليا، وهو فى الوقت نفسه من الشعر العالمى الانسانى لأنه يصوّر آلام ناحية من نواحى الانسانية، ويرسم لها المثل الاعلى .

والشعر متأثر إلى حد بعيد بظروف البيئة والعصر، أما الزعم بأنه مرتفع عن ظروف البيئة وخارج عن تأثير العصر والوسط فهو رأى لا يملك أصحابه من البراهين عليه إلا التمشدق بعبارات سحرية رنانة وإن كانت لاتؤدى الى معنى معقول . إنهم يريدون أن نعتقد أن الشعر مجرّدُ وحى إلـهى يهبط على الشعراء من السماء غير متأثر ببيئة أو عصر أو وسط . ومعنى ذلك أن نتخلى عن أروع ضروب الشعر العصري وهى الشعر القصصى والشعر التمثيلى والشعر الوصفى، لانه لايمكن أن يستملى الشاعر وحى هذه الضروب الشعرية الا من ظروف البيئة والعصر، بل ان شعر الغرام والشكوى والبكاء وسائر ضروب الشعر القديم لا يمكن أن ينطق بها الشاعر من غير تكلف اذا لم يكن من ظروف بيئته وعصره وظروفه ما يدفعه اليها ويثير أساها وذكراها

فى نفسه . ولقد انتهى ذلك العصر الذى كنا ندرس الشاعر فيه بمجرد أدبه غير متأثرين بظروف عصره وبيئته بل وبظروفه الخاصة .

واذا انتهينا من هـذا كله ومن اثر البيئة والعصر وظروف الشاعر فى روح شعره فان علينا أن نعود الى الموضوع الذى أردنا أن نعرض له فى هذا البحث وهو « الشعر المصرى » .

ولكن اذا تقرر فى الذهن تعريف لهذا الشعر المصرى ، هل نستطيع أن نقول إن لنا الآن شعراً مصرياً ! وهل لنا الآن شعراء مصريون ؟ والى أى حد وُفق هؤلاء الشعراء المصريون فى التعبير عن خوالج البيئة المصرية وترجمة أمانيها ؟

اننا نرجىء التحدث عن هذا كله الى البحث المقبل م

على محمد البحراوى
(سكرتير جماعة الادب المصرى)



ادكتاتورية فى الادب ؟ !

يشعر كلُّ المشتغلين بالادب فى مصر شعوراً عميقاً بأن عصراً من عصور الانتقال قد آن اختتامه وان الحياة المصرية تستقبل جيلا جديداً . ويحسّ كل أديب أو مشتغل بالأدب أن العصر الذى يستقبل أمجد وأعظم من العصر الذى يستدبر ، وأن الروح التى تبعث فى الأدب المصرى بهذا الشعور روح متوثبة فياضة تنزع الى الحرية والى التشوق الى الادب الطليق والى النقد والى الثورة الحاطمة التى تفك كل قيد وتأتى على كل عقبة تحاول ان تصدّ تيارها عن الترسل فى سبيل الانطلاق الذى لا يُحدّ بحدٍّ ولا يقف عند غاية الا ريثما يترسم غاية أخرى يعمل على الوصول اليها.

بجانب هذا يشعر الناشئون ، وهم زهرة عصر الانتقال ، وعماد عصر النهضة المقبلة ، بأن قيوداً تهيأ لهم وأغلالا تحاك لاذهانهم ، وحبالا تفتل لغلّ خيالاتهم وحبس انفعالاتهم ما بين نظرية لم تدرس ، وقول لا يعرف قائله لماذا قاله ، او زعم لا يدرى مَن يرمى به الناشئين فى أية ناحية من نواحى الحياة الادبية يود أن يكون لزعمه الأثر البالغ او الموعظة الحسنة . وعندى أن هذا الشعور حقيق بأن تدرس اسبابه وان تقال فيه كلمة الحق على ما يعتقد قائلها أنه الحق .

والحق أن فى مصر فئة تحاول أن تكوّن لها دكتاتورية فى الادب تقول فلا يرد لها قول وتقضى فلا قضاء الا ما قضت به ، وترمى عن قصد أو عن غير قصد ، فلا يجب أن يخرج السهم من كنانته الا صائباً كبداً أو محرقاً قلباً أو مدمياً أديماً فتستروح فى دماء الادب المراقة وفى همم الشباب المهزوم ريحاً تحقق معها مظاهر تلك الدكتاتورية والأثرة التى لم تسكن قلباً الا وهجوه الادب ولم تعلق بذهن الا وقاطعه العلم.

على أن تاريخ الادب لم يخل يوماً من مثل ما نشعر به اليوم فى مصر : ففى القرن الثامن عشر نشأ فى انجلترا صموئيل جونسون وهو أديب عقد له الانجليز لواء الزعامة على الادب ، أو بالاحرى استطاع أن يحمل لواء الزعامة على أمثال فيلدنج وميلورى وبوزويل وأوليفر جولد سميث وغيرهم من افذذ الكتاب والشعراء ووضع للغة الانجليز معجماً عُدَّ أكمل معجم فى عصره ، وكتب رسالة رسيلاس أمير الحبشة وهى من أعيان النثر الانجليزى فى كل العصور ووضع أعظم ما كتب فى الادب الانجليزى من التراجم ، حتى قال فيه بوزويل الذى عاشره وترجم عن حياته : «ان البدء فى الترجمة عن حياة مَن بزَّ كل ابناء آدم فى كتابة التراجم أمر عسير » . وهو اطلاق لم يناقش فيه كاتب من الكتاب لا فى عصر بوزويل ولا فيما عقبه من العصور . وكان جونسون فقيراً معدماً كمعظم الادباء ، فأراد ملك انجلترا أن ينعم عليه بمعاش ضئيل يقوم بأوده ويسد بعض حاجته ، فرفض أن يقبل المعاش لانه عرّف كلمة (pension) فى معجمه تعريفاً يجعل فى قبوله معاش الملك بعض الاتهامات لكرامته ! ولم يقبل المعاش الا بعد أن ناقشه فى ذلك كبار أهل اللغة وأقنعوه بأن قبول المعاش من الملك لن يكون فيه ذلك المعنى الذى ذهب اليه.

هذا الرجل بأدبه الجم الواسع وعلو نفسه وتسامى غاياته ومُثُله العليا لم ينع عليه شىء الا ما ظهر عنده من روح التشامخ على غيره من الادباء وإن كان بحق ، ولم يعب عليه ناقد الا دكتاتوريته التى حاول أن يقيد بها الأدب الانجليزى فى عصره وان يحبسه بين جوانب من خيالاته وغاياته مهما اتسعت فانها لن تساوى الطبيعة ، وكن الأدب ، ولن تبلغ فى القوة مبلغ الحياة ، مرتع الادب الخصيب .

وفى فرنسا ظهر فولتير الثائر على كل ما فى الوجود : الثائر على الادب وعلى الدين وعلى الحكومات والدولات : فولتير الذى يقول فيه جون مورلى المؤرخ والاديب الانجليزى المعروف : « سيعرف الناس اذا ما اكتملت فى عقليتهم كفاءة القياس التاريخى ان اسم فولتير ينزل فى تاريخ الانسانية منزلة حركات الفكر الفاضلة كحركة

الاصلاح الدينى والنهضة الاوروبية » . وهو الذى يقول فيه ويل ديورانت المؤلف الأمريكى المعروف : « اذا قلت فولتير فكأنك قلت فرنسا » . كتب سبعة وتسعين مجلداً من أمجد ما كتب فى اللغة الفرنسوية ، وكان أول من مزج الادب بالعلم حتى أن فرنسا لم تعرف نظرية نيوتن فى الجاذبية الا من كتابات فولتير . وكان سامى النفس طليق الروح والعقل مشبوب العاطفة ملتهب الخيال . ضمه والكردينال ده روهان مجلس من مجالس الادب التى كانت تعقد فى ندوات فرنسا المعروفة فى القرن الثانى عشر وأخذ يتكلم بصوت مرتفع بضع دقائق كلاماً متصلاً فائض المعانى فصيح اللفظ قوىّ السبك . فقال الكردينال : «من هوذا الذى يتكلم بصوت عال؟ » فرد عليه فولتير على الفور : « هو شخص لايحمل اسماً كبيراً ، ولكنه يستطيع أن يجوز الاحترام للاسم الذى يحمله » . وكان مجرد الرد من صعلوك كفولتير على نبيل من نبلاء فرنسا وعلى الاخص الكردينال ده روهان جريمة لا تغتفر ، فكيف به وقد تطاول فى الرد الى حيث لا مجال لمغفرة ؟ وفى اليوم التالى ظهر فولتير فى مسرح من مسارح باريز فى لفائف وأربطة لان الكردينال كان قد أوعز الى بعض رجاله بتأديبه موصياً اياهم بأن يحاذروا على رأسه فربما يخرج منها شىء صالح ! وقصد فولتير الى مقصورة الكردينال ضعيفاً يتعثر وطلبه للمبارزة فكان نصيبه السجن فى غيابات الباستيل !

فولتير هذا قد نعى على عصره الناقدون لان دكتاتورية فولتير وإن كانت عن جدارة الا انها صدّت الادب الفرنسى عن ان يترسل وأن يساير التجديد والاطلاق فلا يقف عند غاية وقف عندها فولتير أو أعظم من فولتير .

وأنت إذ تنتقل من صموئيل جونسون وفولتير الى الذين يحاولون أن يقيموا دكتاتورية الأدب فى مصر الناشئة ، تقع على أقزام يحاولون أن يلبسوا جلود جبابرة عظام . فهم يحاولون أن يتبدّلوا من العظمة التى عقدت لغيرهم لواء الزعامة فى غير مصر من الأمم فلسفة بائرة يجدر أن نسميها « فلسفة الوضع » ، فيحاول كل منهم أن يجعل لنفسه وضعاً وأن يتخذه فى الوضع صورة يترسمها لتكون طريقه الى الدكتاتورية التى يحاول أن يفرضها على الأدب وأن يخفق بها الناشئين فى الادب . فترى أحدهم وقد ظهر فى صورة كتب تحتها «الاستاذ الكبير دهقان الادب العصرى» ...وعنوان الاستاذية شَعر كَثّ ارتفع من فوق الرأس وقد تفتّل وانبرمت أطرافه وغطى مافوق الاذنين ليقول المفتونون هو ذا صورة من « شوبنهور » وهاهى الفلسفة

تفيض فى شعره وتشعّ ! ألا تراه كيف نظر الى الأرض يفكر وكيف وقف شعره رهبة فى عظمة الافكار التى تدور فى خلايا مخه ؟ ! وتجد الآخر وقد تبدل من معجم جونسون وتراجمه ومن مجلدات فولتير وعلمه جلسة يكعو فيها على أحدجنبيه وصوتاً يخرج من أعماق الصدر تعملاً لا فطرة ، وكبراً يأخذ به الصبية الذين يحاول أن يتخذ منهم بطانة وشيعة يستخدمها فى الاعلان عن ذاته الشريفة وعن أدبه الجم وفلسفته العريقة ورسالته التى أداها لأهل هذا الجيل التعس ، فى حين أن غاندى يشفق على نفسه أن يقال فيه أنه صاحب رسالة أُدّيت لأهل هذا الجيل !

نعم ، هذه « فلسفة الوضع » وهؤلاء هم « أدباء الوضع » ! وما كان الوضع ليخرج أدباً أو يتمخض عن رسالة بذاتها . إنما هو أداة للكبرياء ، وذريعة للطغيان ، ووسيلة الى الرزق الحلال أو الحرام .

غير أن الوضع لابدّ له من كلام يؤيده ، وما أكثر الكلام ! فطاغور لم يحز جائزة نوبل عن استحقاق وجدارة ، وإنما أصابته جائزة نوبل خبط عشواء ، كما تنزل الكارثة أو تحل المصيبة بالهادئين الوادعين ! وطاغور ليس له فلسفة وليس له شعر : إنما هو رجل يستطيع أن يتلاعب بالكلمات فتخرج فى صورة شعر ولكنها ليست شعراً ! وأميل لودفيج رجل سطحى ، فى حين أن أندرى موروا ، إن كان أعمق منه ، إلاّ أنه يساوى لودفيج من حيث الصناعة الأدبية ! ومصر ليس فيها شعر ولا شعراء ، وإنما فيها ناثرون (لأن أكثر «فلاسفة الوضع» عندنا من الناثرين) ثم يجيء دور الثقافة اللاتينية والثقافة السكسونية (ونحن نتكلم بالثقافتين كما تتكلم الببغاء وقد عجزنا عن فهم كلتيهما) ! ثم الطعن فى غلزورثى بعد أن يكون «الفيلسوف» منهم قد سطا على كتاب له ، والانتقاص من شعر بيرون بعد أن يكون الشاعر منهم قد سرق نصف قصيدة من قصائده !

على هذه الصورة تقوم بين ظهرانينا « فلسفة الوضع » وعلى هذه البضاعة يعتمد « أدباء الوضع » . والامثال على هذا لا تحصى . يقال لأحدهم إن ثقافتك لاتينية ، فيقول: لا ! ثقافتى لاتينية سكسونية ،ليقال له الاديب «ذو الثقافتين» ! ويدعى الآخر أن ثقافته سكسونية ، ومادام الانجلوسكسون يسودون الدنيا ، إذن فثقافته السكسونية يجب ويلزم وينبغي ويتحتم ـ الى آخر ما هنالك من هذه الصيغ ـ أن تسود الثقافة

اللاتينية ، وإذن يكون أجدر من صاحب الثقافة اللاتينية بجائزة نوبل للأدب إذا ما اختل توازن الافلاك وفكرت اللجنة القائمة على توزيع الجوائز فى أن ترميه باحداها كما رمت طاغور !

و « أدباء الوضع » إنما يسيئون إلى أنفسهم والى الأدب ، فان الرجل الذى يكذب على نفسه ثم يعوّدها على الكذب ، لا يلبث أن يعتقد فى صحة ما كذب به على نفسه . فاذا تمادى « أدباء الوضع » فى طريقتهم هذه فلا يلبثون أن يخيل اليهم أنهم عظماء بالحقيقة لا بالوضع ومن ثم يصابون بجنون العظمة فيفقد ميدان الأدب منهم أدباء قد يخرجون شيئاً ذا قيمة اذا تواضعوا للأدب ولم تأخذهم الدعوى والغرور . أما الأدب فلا يلبث أن يستحجر فى أيديهم فيخرج ميتاً لا قيمة له ولا حياة فيه ، لأن « أديب الوضع » لن يكون أديباً بالذات بل آديباً بالصورة ، وما دامت الصورة أغنته عن الأدب فما له والدرس والانقطاع ؟ ! لقد وجد فى « الوضع » الوسيلة التى يجدها غيره فى الاكباب ومدارسة الأدب ! ومن هذا نخلص الى نتيجتين : موت الأدباء ، وموت الأدب .

من الأمثال التى نضربها على « أدباء الوضع » قول أحدهم : « إن الشعر فى ذاته فن جميل ، وكل ماهو فن هو فى ذاته كمالى ، وفى مقدور كل انسان أن يدعه دون أن يحسّ نقصاً أو فراغاً البتة » .

وهذه أقوال لا تخرج عن الأحلام فى شىء ، فالشعر ليس فنا فحسب ، إنما الشعر فطرة يساعد الفن على إخراجها محبوسة فى قوافٍ وأوزان . فكأنه نفى أصلَ الشعر وجعل الاداة أصلاً ، ثم قضى بأنَّ الفن كمالى ، والكمالى هو كل ما فى مقدور الانسان أن يدعه من غير أن يحسّ نقصاً أو فراغاً البتة . ونحن نسائل السيد الأديب : هل يستطيع أن ينكر أن نظام الحياة الانسانية لا يخرج عن كونه فناً أو مجموعة فنون ؟ ثم ان شعور الانسان بالحاجة الى ما هو ضرورى والى ماهو كمالى نسبي صرف . فالمتوحش لا يشعر بحاجة الى عمامة بيضاء وحولها اطار من النسيج الابيض . فهو إذن يحكم على من يلبسها بأنه مسرف فى تقدير الضرورى وأنه عاجز عن التفريق بين ماهو ضرورى وماهو كمالى . وكذلك الأرواح : فالروح الكثيفة المادية لا تشعر بحاجة الى الشعر فهو عندها كمالى . أما الروح اللطيفة الابدية فتشعر بأن الشعر ضرورى ، وأنها إذا لم تسبح فى سماء الشعر ماتت فيها الروحانية أو

بالأحرى فقدت وجودها . والفارق هنا نسبي صرف كما لايجب أن يغيب عن ذهن السيد الكبير .

ولما اراد أن يدلل على صحة مذهبه هذا رمانا بالدليل الآتى : « ان مصر الحديثة لم تكن فى حاجة مطلقاً الى الشعر ولا الى الشعراء . وآية ذلك أن محمد على باشا منشىء مصر الحديثة (ولاتنس منشىء مصر الحديثة هذه لان لها محلا من الاعراب لا يعرفه الا السيد دهقان الأدب العربى) لم يكن يرى حاجة الى الشعر ولا الى الشعراء فلم يستعن بالشعر فى توطيد ملكه أو يستمد من الشعراء قوة فى تدعيم حكمه، وانما كان كل همه موجهاً الى خلق مصر كدولة مستقلة لها سيادتها وعظمتها ، فلم يجد بدآ فى القيام بنهضته القوية الوثابة من التسليح بسلاح العلم ، ومن التمسك بعروة الدين » ، الى آخر المقال .

ونحن نسائل الدهقان الكبير : اية علاقة بين البحث فى أن الشعر ضرورى أو كمالى وبين حاجة المغفور له محمد على باشا الى الشعر فى اقامة ملكه ؟ هذا أولا ، ثم ألا يدرى الدهقان الكبير ان سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام قد استنصر بحسان بن ثابت وخلع البردة على كعب بن زهير ؟ ومن أين أتى له ان محمد على باشا لم يكن ليتخذ من الشعراء ألسنة يدعم بها ملكه لو أنه وجد من الشعراء الأكفاء نفراً يعززون قوته ؟ ومن ذا الذى ألقى فى روع السيد أن الشعر يخدم أغراض الدول والسياسة ويكون شعراً له قيمة فى الحياة ؟ ان نابليون لم يكن فى حاجة الى الشعر عندما شيد أعظم امبراطورية ظهرت فى أوربا . فهل يمكن ان يكون فى ذلك دليل أو شبه دليل على ان فرنسا لم تكن فى حاجة الى الشعراء وان الروح الفرنسوية قد تكاثفت فيها الماديات الى درجة انها لم تحس بان هوغو الشاعر قد عاش و مات ؟

ومن الامثال على تناقضه قوله : « ان الشعر لم يخلق للعلم مطلقاً ، وليس مما يرتجل لتحقيق القواعد وتضمين الأوضاع » فكيف به يكون أداة للسياسة واقامة الدولات ؟ وكيف يكون فى اقامة ملك محمد على باشا من غير استعانة بالشعر دليلا على ان الشعر غير ضرورى ؟ ثم يقول : « وهو فى نفسه خروج على النفس وتمرد على العرف ، وهو لا يكون بليغاً الا حيث يخرج عن حد المألوف ، ولذلك يقال أبلغ الشعر أكذبه » نعم ياسيدى ، أبلغ الشعر أكذبه فى الأدب الذى تعرف ! أما فى

الأدب الذى يعرفه مرديث وتنسون وبيرون وكبلنج وجوته وشيلر وهوغو فتعبير صادق عن ألوان تستحيل اليها النفس الانسانية لم تستحل اليها نفسك يوماً من الايام لتشعر بأنها موجودة وانها حقيقة تقوم دليلا على الوجود كما يقول ديكارت « انا افكر ـ أنا إذن كائن » وكما يجب أن يقول الشاعر « انا أشعر ـ أنا إذن كائن » .

هذا مثال من الامثال التى تدلنا أوضح الدلالة على التعاريج التى يتخذها « أدباء الوضع » سبيلا الى التأثير فى الأدب . أما ذلك الخلط بين ماهية الشعر ومحمد على باشا منشىء مصر الحديثة ، فأين تلافيف الادمغة القوية التى تستطيع أن تدرك ماوراءها من المرامى والغايات ؟

ننتقل من هذا الى « زعيم المجددين دون منازع ، وحامل لواء التفكير الحر غير مدافع » ، فنجده يقول : « قد يكون الشعر فى حياتنا الحاضرة مما لاضرورة له ، بل أزعم ان لم تعد له الضرورة التى كانت له فى العصور السابقة ، وذلك انه كان فى تلك العصور الخالية من طبيعة الحياة ، باعتباره اللسان المعبر عما فى الحياة من مختلف الالوان والمشاعر ، ولهـذا كان القدماء يقولون ألشعر ديوان العرب . والحق أن الشعر فى ذلك العصر البائد كان يصلح لان يكون ديواناً لحياتهم الساذجة الى حـد بعيد ، لانه كان يتناول جل انواع حياتهم وأغراضهم وهى حياة محدودة وأغراض متواضعة . ومع هذا ومع ما كان للشعر العربى من منزلة ومكانة ، فانه لا يكفى وحده مطلقاً لتعرف آثار العرب ، وبعكس هذاالشعر اليونانى فأنت تستطيع ان تلتمس ما تبحث عنه من آثار العقل اليونانى والحياة اليونانية الفلسفية والروحية والفنية فى الشعر اليونانى نفسه ، فى الالياذة والاودسا مثلا » .

هذا بعض مايقول « زعيم المجددين دون منازع ، وحامل لواء التفكير الحرالغير مدافع » . ونحن نسائله فى تواضع :

أولا — ما الذى حمله على أن يقيس حياة المصريين ، وهم أصحاب أمجد حضارة من الحضارات القديمة ، وهم مقدمون على حضارة أمجد من حضارتهم الماضية ، بحياة العرب ؟ وكيف يكون قياسه مع هذا صحيحاً فيفرض ان المصريين يحاولون أن يجعلوا من الشعر وحده ديواناً لحضارتهم كما فعل العرب ، ثم يطلق بعد ذلك حكمه ـ واستناداً على هذا القياس التمثيلى الضعيف ـ بان الشعر مما لاضرورة له ؟ إبد لنا مبرارت حكمك يا زعيم المجددين !

ثانياً — اذا كان الشعر لم يكف لان يكون ديوانا نطالع فيه حضارة العرب على غرابتها ، فكيف كفى لان يكون ديوانا نطالع فيه الحياة اليونانية الفلسفية والروحانية والفنية ؟ اذن يازعيم المجددين يكون النقص هنا فى العرب لا فى الشعر. أليس كذلك ياحامل لواء التفكير الحر غير مدافع ؟ أم هو لزام على المصريين أن يتبعوا أدنى المثل الادبية عندك لا أعلاها ليصح حكمك فيها وفى الشعر عتواً وكبراً ؟!

ثالثاً — ما دام الشعر اليونانى قد أمكن أن يكون ديواناً سجلت فيه حياة اليونان التى يقول فيها أكبر المؤلفين انه لا يوجد شىء تحت الشمس الا وهو يمت لليونانية بسبب ، فلماذا لا نحتذى اليونان ونترك العرب ، وبذلك يصبح الشعر من الضرورات لا كما تزعم أنت من انه مما لا ضرورة له ! أفتنا فى رؤيانا هذه يازعيم المجددين !

ثم يقول زعيم المجددين :

« لقد كان هوميروس يفهم الشعر اليونانى حق الفهم ، ولذلك كان يصور المعانى البديعة فى اللفظ المختار الذى لا يند عنه السمع ، ومع هذا فلم يكن شعره ليخلد هذا الخلود لو لم يتناول ادق العواطف الانسانية ويصور دفين النزعات النفسانية ادق تصوير » .

هنا يتكلم زعيم المجددين عن « اليونان » . إفهم معى جيداً أيها القارىء : انه يتكلم عن اليونان ، ولكن انظر فى عبارته التى تلى هذه ، فهو يقول :

« أما الآن وقد تغير فهمنا للحياة عن فهم العرب القدماء للحياة ، واتسعت أطماعنا ، وتعددت مطالبنا ، واختلفت أذواقنا ، وبلغت الانسانية فى حاضرها هذا الشأن ، وقطع العقل البشرى مرحلة كبيرة فى سبيل التطور والرقى ، فقد أصبحنا فى غنى عن الشعر ، وأصبح لا يوفينا حاجتنا ، وأصبحنا حين نود التماس هذه الحياة نفزع الى النثر ، والى كتاب النثر المجيدين » .

والآن أفتنا يازعيم المجددين : فى رجل يحاول المقارنة بين أمتين فيقول لنا ها هى أمة فهمت الشعر فأصبح ديوانا لحضارتها ، وها هو شاعر يدعى هوميروس فهم الشعر وخلد بالشعر وصور المعانى البديعة فى اللفظ المختار الذى لا يند عنه السمع وأخرى لم يتسع الشعر ليكون لحياتها البدائية ديوانا وانها لم تفهم الشعر وليس فيها

شاعر استطاع كما استطاع هوميروس ان يصور المعانى البديعة فى اللفظ المختار ، وأنا زعيم المجددين اقول لكم اتبعوا مثل الثانية ولا تتبعوا مثل الاولى ، كونوا عربا ولا تكونوا يونانا ، لأستطيع ان أقضى فيكم بحكمي وان أقول لكم ان الشعر مما لاضرورة له وانه يصلح لليونان ولا يصلح لكم ، وإن صاح لليونان فانبذوهم ولم يصلح للعرب فاحتذوهم لا لشيء إلا لأستطيع أن اقول لكم أن النثر اجدى بكم لانى ناثر وفيكم شعراء ، ولانى حاولت ان أكون شاعراً فأخففت ولان حادثة البدارى أُمتّع بها فى وصف الكاتب ولا أتذوقها فى وصف الشاعر ؟!

ايه أيتها الحقائق المخيفة ! ايه ايتها الدكتاتورية المنهارة السخيفة !

يقول زعيم المجددين غير مدافع :

« ولقد قالوا قديما ان الشعر هو الكلام الموزون المقفى . وانا أقول (وكيف لا يكون لزعيم المجددين غير مدافع كلام يخالف به كلام القدماء ولو باطلا) ان كل انسان يستطيع ان يقول هذا الكلام الموزون المقفى . ولكن ليس معنى هذا انه يستطيع الآن ان يحدث فى نفسى الأثر الذى يحدثه الكاتب . »

« كل انسان » يستطيع أن يقول هذا الكلام الموزون المقفى ! يستنطق يازعيم المجددين !

هذا كلام له خبيء معناه ليست لنا عقول !

أما إذا عجز هذا الكلام الموزون المقفى عن أن يحدث فى « نفسك » نفس الأثر الذى يحدثه الكاتب ، فما لنفوس الناس ونفسك ؟ فنفسك لاتشعر بالأثر الذى يحدثه الشعر كاملاً ، أفتلزم جميع الناس أن تكون نفوسهم كنفسك ؟ ثم تحملهم بعد ذلك إفكا على أن يخضعوا لحكمك فيقولوا معك أن الشعر مما لاضرورة له .

زعموا ان ديوجنيس أتى حلقة أفلاطون يوماً فوجده يعرّف الانسان فيقول : «ان الانسان حيوان أنسل ذو رجلين» فأتى بديك نتف ريشه ثم رماه فى وسط الحلقة وقال لهم هذا إنسان افلاطون ! وما أشبه الفارق بين مفهوم الشعر فى عقل زعيم المجددين والشعر كما يجب ان يفهم بالفارق بين انسان افلاطون والانسان الحقيقى ! وما أشبه الانسان الذى صوّره زعيم المجددين بأن فى مقدوره ان يقول الكلام الموزون المقفى بديك ديوجنيس مقيساً بالشاعر الذى هو من بنى آدم وحوّاء !

وبعد ، فهذا مظهر من المظاهر التي يتخذها «أدباء الوضع» و «فلاسفة الوضع» أداة للمباهاة بأدبهم وتجديدهم ، وهذا مقدار ما نقع عليه فى « أدباء الوضع » من أعراض لا تحملها جواهر بل تحملها صور فارغة .

ادرسوا يا « أدباء الوضع» وزنوا الكلام ولا تنسوا ان للناس عقولا بها يزنون ماتقولون وفى مستطاعهم أن يزنوا أقوالكم بالدرهم والمثقال .

صَفُّوا أنفسكم يا « أدباء الوضع » من الدعوى ، واعرفوا أن المنطق ليس لكم وحدكم ، بل وكونوا على يقين من أنكم اذا استطعتم ان تخلصوا بانفسكم مما زينتم لها ، فلا شكّ فى اننا سوف نجدكم كما سوف تأنسون انتم انكم قد أصبحتم أقل تناقضاً وأنفسكم مما أنتم ؟

اسماعيل مظهر

الملكات والشعر

— ٦ —

تفضَّلت علينا مجلة (أبولو) بإذاعة حديث سابق فى أمر الملكات وما يقع فيها من التزاحم الذى يعمل على إضعاف بعضها وتقوية بعضها الآخر — وقد اعتمدنا فى ذلك الحديث على أمثلة من شعر من لم تسلم لهم ملكة خالصة ولا وصلوا فيه الى المرتبة الأولى بين من عاصروهم من الشعراء . وذهبنا إلى أن هناك مجالاً كبيراً لتطبيق هذا المبدأ فى شعر البديع الهمذانى لتعلقه بالكتابة ، وأبى العلاء المعرى لتعلقه بالفلسفة والاجتماع ، وفى شعر كثير من شعراء الأندلس لمعالجتهم مسائل النحو والفقه والكلام وسواها مما غص شعرهم بكثير من مصطلحاته ، وبدا فى صورة لا تحرك العاطفة ولا تهز الوجدان ولا تقوم بالمهمة التى ينبغى أن يقوم بها الشعر . ونعلم كذلك أن عبد الله بن المقفع لم يقصد إلى معاناة الشعر ولا نظم بعض المواضع الخيالية فى كتاب (كليلة ودمنة) لقصور فى ملكة الشعر ومزاحمة ملكة الكتابة لها ـ ذلك الأمر الذى جعل ابن المقفع كاتباً مجيداً وجعله شاعراً مقلاً مع شيء من التساهل والتجوز .

ومهما يكن من شيء فان الامثلة غير قاصرة على فئة بعينها ولا على عصر بعينه، ولكننا لا نرى فرداً حاول أن يمهر فى نوعين متباينين من أنواع العلوم أو الآداب الا عُرِف بأحدهما دون الآخر، أو لم يصل فيهما الى درجة من سلمت له الملكة وصح أن يعد من أئمة ذلك العلم أو فحول ذلك الفن.

— ٧ —

واليومَ نريد أن نعرض لبعض أسباب التقوية فى باب الشعر ومدّ الملكات بما ييسر لها الانتاج الوجدانى الصالح، ويمهد السبيل لاستحداث طرائف الصور التى لم يشبها شائبة التشويه بتأثير تلك الملكات المتزاحمة والميول المتباينة. غير أن هناك أصلاً تقوم عليه تلك الأسباب، ولا يتم وجودها إلا إذا كان ذلك الأصل فى نفس المتأدب، بحيث يرجى له أن ينمو بالمعالجة ويصفو بالتعهد والصقل — ذلك هو الاستعداد الفطرى لقول الشعر. فكثير من الناس قد استظهروا مستجاد الدواوين. وطرائف المنظوم وحصلوا على غير قليل من مادة اللغة، وأحاطت بهم بيئة تضم بين جوانحها فنوناً من المشاهدة وألوان المرئيات والمحسوس ولكنهم حين يعالجون قرض الشعر يتعملون ويبالغون فى التعمل، ويتكلفون تكلفاً تبدو صبغته فى آثارهم، وتخرج به عن باب الجيد المطبوع من الشعر ويذهب ببهاء الخطرة النفسية والصور المستطرفة ما بدا فى شعر الشاعر من مظاهر ذلك التعمل وظواهر تلك المعالجة والمعاناة.

وقد يكون (شوقى بك) فى مقدمة من أمدّتهم الطبيعة بالفطرة والاستعداد الشعرى الذى أخذ سبيله الى النمو بالدراسة والتحصيل، والذى كان عاملا على اتجاه ميل (الأمير) إلى تلك الناحية من النبوغ حتى ملك ناصية الشعر وأحرز غايته فجاءت صور شعره عارية عن تكلف المعالجة — كأنما هى وحى الخاطر أو خطرة الوحى، فكل لفظ وضع حيث ينبغى أن يكون، ومبناه فى كل فن رقيق خلاب يحمل على التغنى ويهز قارئه أو سامعه. وما صار شعر (شوقى) جارياً على ألسنة الجمهرة من الناس، ولا كان سريع التعلق بالأفهام إلاّ لأنه شعر حقاً وشعر مستجاد صادر عن فطرة قوية وملكة سليمة، وخال من آثار التعمد أو ظواهر الاختلاط التى استقلت بكثير من الدواوين قديماً وحديثاً، فلم تحيها الالسنة ولا عمرت بها

الأفئدة ، وإنما ظلت حيث لزوميات المعرى رهينة المكاتب الجامعة ودفينة الخزائن المظلمة .

ولم نذهب بعيداً وفى مصر كاتب لم تسلس له ملكة الشعر ولكنه يأبى إلا أن يتكلفه ، وأن يقرر فى أذهان الشداة فى الأدب أنه شاعر ليس كمثله شاعر ، ويأبى إلا أن يرى فى شعره وحده أمثلة الطرافة النادرة والتجديد المعقول ؟ ! وهو على ما نزعم واهن الملكة ، عالة فى باب الفكرة ، سقيم فى مبنى شعره إلى حد التعمية ، على ما استغله من آثار العاطفة فى غير الآداب العربية — تلك الآثار التى تلائم البيئات التى نبتت فيها ، ولا تتفق مع الأذواق المنقولة إليها ، وإن عرض لها ذلك الناقل بكثير من التمويه والتزييف .

بهذا كله نستطيع أن نفهم رأى الناقد الانجليزى السير كوين فى أن الفيلسوف قد يتعلم الفلسفة ، ولكن الشاعر لا يتعلم الشعر وإنما يولد شاعراً ، إذ يقصد بذلك الاستعداد والموهبة التى تعدّ نواة للملكة وتقوى بالمادة اللغوية وبآثار البيئة وبالمهارة فى الانتفاع واللباقة فى التصرف وغير ذلك من الوسائل التى تمكن للشاعر فيما يعالجه من فنون الشعر ، فيوفق فى الاختيار اللفظى ومراعاة الملاءمة بينه وبين المقصود فيه . يرق عند حكاية الانفعال الرقيق ، ويثور حيث ينبغى أن يحتدم الخاطر ، ويكون له فى النتيجة ما يعد مثلا فى رقة اللفظ ودقة المعنى وحسن الذوق وتصوير العاطفة ، وما الشعر إلا ذلك كله فإن أقفر منه أو نال حظاً ضئيلا كان من باب المنظومات العلمية ولم يعد يختلف عن ألفية ابن مالك فى قليل ولا فى كثير .

— ٨ —

وبدهىّ أن انواع الفِطر عرضة للاستحالة والتلون إذا لم تمدّ بأسباب التقوية والتهذيب ، واذا لم تحطها بيئات تلائمها وتهىء لها المنهاج الشعرى السليم . وقد ينزع الناشىء إلى ما ينبىء عن وجهة ميله ، ثم لا يلبث هذا الاتجاه أن يستحيل حيث لم تمهد لتقويته الاسباب ، ولاحظّ للناشىء ببيئة لا تعمل على تنميته . وقد يولد الصغير شاعراً كما يقول السير كوين ولكنه لم يستكمل وسائل التنمية لموهبته من الامتلاء بالمستجاد من شعر الفحول فى أطوار التاريخ الأدبى ، فيخبو ضياء ذلك الاستعداد ويعلوه الصدأ ويأخذ الفرد سبيلا آخر غير ما كان يتوقع له .

فالاكثار من حفظ الشعر وتفهمه له تأثير كبير فى تقوية الملكة وإن كان ذلك التأثير بطيئاً لايبدو الا بعد أن يفيض المحفوظ ثم يفيض فيضا يمده بالصورة اللفظية التى ينشدها التصوير للعاطفة الجديدة والمعانى المستحدثة وحكاية الانفعالات التى أثارتها البيئة الخاصة وهاجها العصر الخاص .

وليس من شك فى أن البارودى شاعر وإذ لم يقصر فى أسلوب الشعر ومظهره عن المعروفين من شعراء العربية كأبى تمام وأبى فراس وغيرهما ممن عارضهم هذا الشاعر فضارعهم وصرعهم أو تخلف عنهم قليلا — وما تم ذلك للبارودى إلا لأنه أحاط بشيء غير قليل من مأثور الشعر العربى ومستجاده ، فقوى ذلك فى نفسه الملكة وكان له منه ذخر لفظى ينفق منه فى صوغ الشعر وتصريف المنظوم الملائم لميوله ونزعاته وسائر ما اكتنفه من آثار بيئته . وما كان البارودى بدعاً فى ذلك فقد سبقه كثير من شعراء الاندلس على اختلاف مراتبهم واعتمدوا فى مد الملكة وتقويتها على دواوين المشارقة ، فافتلذوا مكنونها وتوفروا عليها دراسة وتحصيلا . ولم يعد موضع غرابة أن يذيع الشعر فى الاندلس ذيوعاً لم يقتصر على فئة بعينها وإنما تناول الطبقات كافة من الملوك إلى السوقة ووقع لأكثرهم المعنى النادر واللفظ الساحر .

— ٩ —

ومع ذلك فان المادة اللفظية التى ينتفع بها فى باب الشعر سبيلها المحفوظ منه . وحفظ الالفاظ مجردة عن مواضعها فى العبارات عزيز الاستقرار وقليل الجدوى ، فكثيراً ما يحذق بعض الناس غير قليل من ألفاظ المعاجم ثم هم مع ذلك لا يوفقون إلى حسن التصرف فيها والانتفاع بها فيما يكتبون ولا يتم لهم البصر بمواطنها الملائمة ومواضعها المعقولة . ولعل بعضهم يفاجأ حين يطلب إليه أن يكتب رسالة أو يلقى كلمة فى محفل — ولست أدرى بأى مادة يصوّر الشاعر خواطره ويرسم نفسه إذا لم يتملىء رأسه بما هو أداة ذلك التصوير من ألفاظ الانفعالات المتباينة والصور المختلفة التى يستمدها من حفظ زهير وامرىء القيس والنابغة وحسان بن ثابت والفرزدق وبشار والمتنبي والمعرى والبحترى وأبى نواس وابن الرومى وابن هانى وابن المعتز والبارودى وشوقى وغير هؤلاء ممن تدفعه الرغبة والميل الى حفظهم وفهمهم ودراستهم إذا تمت له أداة الدراسة والتحليل .

وقد لا يتمالك الانسان نفسه من الضحك حين يقول بعض الشداة فى الادب : ولمَ أعنف نفسى بتلك الصور القديمة من شعر البادية وآثار الاعراب وما الذى يحملنى على أن أعالج مظاهر التسول فى دواوينهم وأنا لا أريد أن أقول فى المدح ولا فى الرثاء ولا فى سائر الفنون المألوفة فى شعر هؤلاء السابقين ـ وانما أريد أن أقول فى الوقفات والغريب من أحاديث النفس وخواطرها ، وانما أريد أن أكون جديداً حقاً متنصلا من كل قديم — أقول قد لا يحبس الانسان نفسه عن الضحك عند سماع ذلك ممن لا يقوم لسانه عوجاً ولا كان له من محصول اللغة ـ وهى أداة التصوير ـ ما ييسّر له أن يقول نظماً لا شعراً . فوهم من الشاب الحديث والشاعر الناشىء أن يحجم عن حفظ الكثير من رصين القديم وطريف الجديد لتنمو فى نفسه ملكة الشعر وترتسم فى ذهنه الرنة النظمية السليمة وتمدّه منتجات الادباء بما يقدره على صوغ الخواطر النفسية والمشاهدات الرائعة والصور الحديثة المتناسقة فى قالب لفظى له قدرة على التصوير ، وبينه وبين مقصود الشاعر صلة متينة ورابطة قوية . وسنجعل اتمام الحديث فى فرصة أخرى ؟

محمد قابيل

نقد « وحى الاربعين »

نقد الدكتور أبو شادى على صفحات « أبولو » شعر العقاد فى كتابه « وحى الاربعين » ـ نقده بعطفٍ كثيرٍ وتقديرٍ ـ نقداً هيناً ليناً ، ومع ذلك غضب العقاد وثارت ثائرته كعادته إذ لا يتسع صدره للنقد البرىء ولا للملاحظة ، كأنما أنشئت مثل هذه المجلة لتكيل المدح والتقريظ . وكنا نفهم أن الثقافة توسع أفق الفكر ، وأن الفلسفة التى يحبها العقاد كما يقال ويدخها عاملاً فى الشعر تجعله أكثر أناة وأرحب بالاً . ولكنه غضوب يعدّ النقد تجريحاً لمقامه ، ويعد هؤلاء الذين يجرؤن على نقده ناقصى الثقافة كلهم دونه علماً واطلاعاً ! إذن فكيف يأثمون ذلك الاثم الذى لا غفران له ؟ !

والواقع أن كثيراً من الادباء ـ وإن عظمت غيرتهم الأدبية ـ يخشون ان ينقدوا العقاد ، لا لأنه سيردّ الحجة بالحجة ، بل لأنه سيثور ويغضب ، وهو فى ثورته وغضبه

بادىء اللسان ، لا يتقى الله ولا يتورع ! إذن فسيصير المجال ، لا مجالَ نقد ومحاجة ، بل مجال Blood - sport كما يقول الأنجليز ، والناقد هو الذى سيخسر حتماً لأن العقاد لا يبارى فى ذلك المجال ! والعقاد لو أنه عاش للأدب فقط ، ماخرج على الأرجح مرة عن حدود الأدب ، ولكن السياسة قاتلها الله أجازت له اللذع والقذع فصار من السهل عليه أن ينتقل من مهاجمة الأحزاب إلى مهاجمة الافراد .

ولقد ترددنا طويلا قبل أن نكتب هذا النقد ، وقال أصحابى : لافائدة من ذلك ، فهو لن يرد عليك نقدك بل أنه سيسخر منك ويسرد لك الألفاظ التى سبق أن سردها للأب أنستاس وللزهاوى ! قلت : فليفعل !

إن العقاد شديد الأيمان بأنه هو الوحيد الذى يقرأ ويفهم فى هذا البلد المسكين ، وله العذر حين يرى أن الناس هنا إما فريق يزن شعره بموازين مفهومة عادية ، وإما فريق قليل القراءة لم يقلب شعر أمثال « توماس هاردى » ومن فى طبقته . . .ولذلك فالعقاد آمنٌ مطمئن اعتماداً على أن الناس هنا لا يقرؤون !

ولكننا بحمد الله قرأنا ما قرأه العقاد ، وربما زدنا عليه قليلاً أو كثيراً ، وفرغنا من قراءة مقاييس النقد القديمة للجرجانى وغيره ، وانتهينا من المناقشة فى اللفظ والبيان والبديع ، ذلك الكلام الذى عفى عليه الزمن ، والذى كان يقاس به أدباء الجيل الماضى لا أدباء الجيل الحاضر .

والعقاد بالطبع قد شبع من المناقشة فى الألفاظ . . . ومع ذلك فهو يحب أن ينقده النقاد كما ينقد زكى مبارك كتاب عبد الله عفيفى ، فيراجع الضم والنصب والخفض. يتمنى العقاد ذلك ، ليلتفت الى ناقده هـذا ويقول له بحق : إنك لا تعرف كيف تنقد لأنك تضيع وقتك فى السفاسف ، ثم يعقب على ذلك ببضعة ألفاظ ظريفة نودّ للعقاد أن يشطبها من معجمه !

أما نحن فلا نجادل فى اللفظ ، فقد تكون الكلمة نابية ومع ذلك لها سحرها وغرابتها : فالألفاظ فى سياق الشعر كالتقاسيم فى الوجه الجميل ، ترى كبراً قليلا فى الأنف ، أو سعة ما فى الفم ، ومع ذلك يكون الشذوذ هو آية السحر فيه . . . والمصطلح عليه أن الفن الكامل الذى لانقص فيه ليس بفن ! إذن فلمنكرر أن اللفظ لا يعنينا كثيراً ، وإنما يعنينا أن هناك شيئاً من عدم التدقيق فى معنى الكلمات وانتقائها فى ديوان العقاد : وأذكر بهذه المناسبه أن الأديب الكبير أستاذنا خليل

مطران قال لصديق مرة إن من عاداته أن يتشكك فى كل كلمة يقرؤها أو يقولها ، فيراجعها ويبحث عن أصلها ، وكثيراً ماوجد أنه يتبع الخطأ الشائع وأن تشككه هذا قد نفعه دائماً وهداه الى أشياء ما كان يتوقعها . كذلك أذكر أنى قرأت فى كتاب Possible Worlds تأليف هالدين مقالا شائقاً عن فائدة الشك ، يقول فيه إننا خسرنا كثيراً باستسلامنا للايمان المطلق وأننا يجب أن نشك وأن ندعو الناس الى التشكك حتى يحسنوا الوصول الى الحقائق . . . !

دعانى هذا إلى مراجعة كل كلمة فى « وحى الاربعين » ، حتى التى كنت أوقن بمعرفتى لها معرفة تامة ، فاقتنعت أن العقاد ، اعتماداً على مايعتقده فى نفسه من الاطلاع الواسع ، قد أخذ يهمل . أقول له هذا دون حاجة إلى سرد هاته الألفاظ لسابق قولى بأن اللفظ لايهمنى ، ولكى لا أزعجه بما اكتشفت ، ولكى لاأجرح مكانته الادبية التى يعتزّ بها ! وكأننى أرى العقاد الآن يهزّ رأسه ساخراً !

لقد ذكر الدكتور ابوشادى على سبيل المثال بضعة ألفاظ يراها خارجة عن المألوف ولا يرضاها الذوق ، ويراها مشوهة للجمال الفنى تشويهاً مريعاً ، فماذا يقول حضرة الدكتور حين يمعن فى « قنبرة شللى » ... صفحة ٣٤ — التى « يود » هاردى فيها أن يستنقذ من ركام الارض أشلاء تلك القنبرة الهزيلة » — إذ يقول العقاد :

الآن صوتُ الشعر خلد صوتها تبغى الخلود لجسمها المتطاير

فانظر بالله ياسيدى الدكتور ، وياسيدى القارىء ، و ياسيدى العقاد إلى كلمة (المتطاير) . . . إلى هذه القنبلة التى تثور من تلك الرمام الهادئة الهزيلة البالية ! لتكن لفظة (المتطاير) صحيحة الاشتقاق من (طار) ، ولكن يالله من الصورة الفكرية التى تحدثها فى أذهاننا — الصورة الفكرية التى هى أهم ما فى القصيدة فى نظر النقاد الحديثين بعد القيمة الفنية .

دعنا من هذا وانظر إلى أجمل قصيده فى الديوان ، وانظر كيف يشوهها العقاد بألفاظ لايدقق فى اختيارها ، وهى قصيدة « ليلة البدر » . مثال ذلك

رشفةٌ من ثغركَ العذبِ النضيرْ أو من الكأسِ احتوتها شفتاكْ

أنظر الى كلمة « احتوتها » وتصور الشفة التى تحتوى الكأس ماذا يكون شكلها ! فاما أن الحبيب له « ضبّ » عظيم ، أوأن هذا الحبيب يمدّ شفتيه مدّاً عجيباً ليتلقّى القبلة ..! لا أدرى !

ثم انظر الاهمال فى انتقاء اللفظ فى قصيدة :

«ماذا عليه ؟!» ... ماذا عليه اذا استوى وإذا التوى ماذا عليه !

ألم يجد العقاد لفظتين غير « استوى والتوى » لحبيبه الجميل ؟

دعنا من ذلك كله فما قصدت أن أتكلم عن اللفظ ، وإنما أسرد هذا عرضاً على سبيل المثال .

لننظر نظرة عامة فى شعر العقاد : العقاد يحب الفلسفة فى الشعر ، ويؤثرها على العاطفة ، ولا أدرى ممن تلقى هذا الدرس ؟

قرأت فيما قرأت كتاباً اسمه « مقالات نقدية من القرن التاسع عشر » ــ وأرجو أديبنا العقاد أن لا يفوته هذا الكتاب الثمين ، فسيجد فى كل مقال منه أن الشعر عاطفة ! فى آخر صفحة ٣٠٠ مثلا ، نجد هذا التعبير : « الشعر عاطفة » ويفسر فى أسفل الصفحة أصل كلمة « عاطفة » — التألم — أو بعبارة أخرى قبول النفس قبولاً حاراً للانفعالات .

إذن ففكرة إدخال الفلسفة فى الشعر ، مجرد التعبير عن كل فكرة فلسفية شعراً ، هى فكرة عجيبة ! والأعجب منها أن تخطر للعقاد فكرة فيها غرابة وفيها فلسفة : فيكون الجواب « والله دى تنفع شعر » ! وتتحول الفكرة الفلسفية شعراً بالفعل ... وهكذا حتى يتم « وحى الأربعين » ؟

يجوز أن العقاد نظر الى كل جوانب الحياة ، وأحاط بها كمفكر لا يفوته أى شىء كما يقال ، ولكن الأجدر بهذى الفِكَر كتاب فلسفة لا ديوان شعر على طراز « حديقة أبيقور » لأناتول فرانس مثلا . وقد خطرلى كثيراً أن أتعرف الى العقاد وأن أنصح له بهذه التجربة ، فسيجده كتاباً مدهشاً ينتظر له رواج عظم وتقدير أعظم ! ومن هذا يتبين أن الفكرة التى قام عليها الديوان غير وجيهة !

نعود الى قيمة الديوان فنصرف النظر عن اللغة ونلتفت للأسلوب :

ماهو الأسلوب ؟

إذا وافقنا الناقد المشهور « روبرت لند » على أن الأسلوب هو توافق الكلمات وانسجامها وحسن صياغتها حتى تؤدى المعنى المطلوب بحيث إذا كنت تصف عاصفة مثلا فلا يصح أن تختار كلمات هادئة تعبر عن حزن وهدوء ، إذا وافقنا «روبرت لند»

على هذا التعريف ، فليس أسلوب العقاد بشيء ممتاز، لان الكلمات فى شعره دارجة ومتصلة اتصالا دارجاً لاترسم صورة ولا تحدث إيقاعاً .

وإذا وافقنا الكاتب المشهور ريمى دى جورمون على أن الأسلوب الممتاز هو شيء مكون من عناصر ثلاثة ، هى بحسب أهميتها وتوافرها : دقة الشعور، وصدق النظر ، وقوة التفكير، فليس أسلوب العقاد بممتاز لأنه لا يوافق التعريف ، إذ أنه يقدم التفكير ويؤخر الشعور !

نصل الآن إلى قيمة الشعر نفسه بعد مافرغنا من اللغة والأسلوب :

هذا عمل فنيّ يقدمه العقاد ، ونحن نأسف لاضطرارنا إلى قياس العمل الفنى « بمسطرة » وإنا لأول من يعترف بأننا نوافق إمرسون فى مقاله « الشاعر » على أن النقاد هم قوم لهم إلمام ببضع قواعد للجمال والفن ، ولكن ليست لهم دقة إحساس الشعراء ، وعمق شعورهم . نوافق إمرسون ونقول إننا نبرز هذه المقاييس والموازين مضطرين ، لأننا فى زمن ساء فيه فهم الشعر ، وشاعت فيه فوضى غريبة ، وكثر الضلال ، وطغى البرّاق المزيف على الصادق الأصيل !

لقد قرأنا كتاب النقد العملى فى الآداب لريتشاردز وفيه أحدث الآراء عن نقد الشعر ، وقد عقد فيه فصلا ظريفاً عن « الردىء فى الشعر » فرأينا أنه يحكم على الشعر بالموازين الآتية :

١ — الكأس التى يقدم فيها الشعر

٢ — طريقة الاداء

٣ — قيمة الاحساس أو الشعور ، أو التجربة التى أوحت القصيدة للشاعر .

أما عن عيب الكأس التى يقدم فيها الشعر فهو مانعته الدكتور أبوشادى بالتركيز. أما ريتشاردز فيقول لك : انك تدعونى لشرب الشاى مثلاً فتعطينى شاياً ولكن تقدمه لى فى فنجان قهوة صغير ! وهذا النقص العجيب شائع ومتعب فى شعر العقاد . تخطر له فكرة فيضوغها شعراً وأنت وشأنك ، والذى لايفهم شعر العقاد « على كيفه » — ولعل الاستاذ يعتقد ايجازه هذا ايجاز البلاغة الذى قرأنا عنه فى البديع والبيان — ورحم الله أيام زمان ! انه يعتقد أن هذا الخفاء هو خفاء الفنّان العبقرىّ ، كخفاء شكسبير مثلاً حين يؤلف درامة مثل « هملت » تبقى على الأجيال موضع فحص وبحث ، وللكتاب عنها كل يوم رأى جديد . . شتان بين « وحى الاربعين » و « هملت » !

سيقول أديبنا العقاد ساخراً أيضاً : هات أمثلة للكأس الصغيرة يقدم فيها الشعر الكبير ! فهاهو المثل : قصيدة (على قبر سعد) :

خلا قبرُ سعدٍ مثلما كان بيته خلا منه حيناً ثم آواه رحبه
أمرّ به فى كلّ يومٍ وربما مررتُ به يوماً وفى القبر ربه

يريد العقاد أن يقول شيئاً ، ماهو بالضبط ؟ لاتدري ، لأن الكأس هنا صغيرة جد الصغر ! وأذكر فى هذا الباب كلمة قرأتها عن ارسطاليس مؤداها « أن العمل الفنى لابد له من حجم » ولكن العقاد لايلحظ ذلك ، وأمامنا من شعره على سبيل المثال « الازاهير الآدمية » و « سرّ أبى الهول » ! من هذا الطراز.

والميزان الاول شديد الصلة بالميزان الثانى وهو طريقة الاداء ، واليك ما يقوله ماثيو أرنولد عن سوء الاداء : تعبير عام مفكك ضعيف بدل أن يكون خاصاً دقيقاً متيناً . اليك مثلا هذا الشعر العجيب :

ياحبذا البحر فى عُمقٍ وفى سعةٍ لو كان من سكر أو كان من عسل
كذلك الناس فى بحر الحياة لهم سخف من القول فى صدق من العمل

ولو كان قال : «صدق من القول فى سخف من العمل» لكان أجدى وأصلح .

واسمع أيضاً :

دليلٌ على أن الكمال محرم اناث خلقنا بينها وذكور
فما المرء فى جسم وروح بكامل ولكن كل العالمين شطور

على أنه أحياناً يشعر بهذا النقص مؤكداً أن القارىء يفهم مايريد فيفسره فى أدنى الصفحة كما يصنع فى قصيدة «مدينة الشمس» أو يكتب مقدمات طويلة يجعلها تفسيراً لأبيات قليلة كان فى امكانه أن يحسن الاداء فيها عن المعنى الذى يريده كقصيدة « صراع بين ندين » ، وهكذا وهكذا حتى آخر الديوان .

نجيء الآن الى قيمة الديوان : يقال إن شاعرنا العقاد قرأ كتباً كثيرة عن القيم فى الفنون والآداب ، فهل يجهل أن العمل الفنى لا يقاس الا بالشعور ، بقيمة التجربة التى أملت العمل، وبقيمة التأثير على القارىء أوالناظر دون أن يشترط فى هذا التأثير أن يكون تأثير سرور ومتعة ؟ فاذا أسمعتنى شعراً فصحتُ معجباً بشعرك فليس هذا معناه أن العمل الفنى كاملٌ بل العبرة بما يأتى :

(١) هل الفكرة أو التجربة التى أوحت الشعر جديدة أو مهمة أو طريفة ؟ فماذا تجد مثلا من الجدة أو الأهمية والطرافة فى مثل هذا الشعر من (وحى الأربعين): «اعرف مانرميه» فمن يجهل ما يلقى يجهل ما يجنى - غير الحكاية القديمة «يحكى أن غزالاً عطش مرة فلم يفكر فى الطلوع قبل النزول . . .» وخذ مثلاً «نقمة فى نعمة»:

نعمةُ الاحساس ما برحت نعمةً فى طيها نِقَمُ

فهل هى غير الشطرة المشهورة (ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله) ؟

وقصيدة «ذات وجوه» يصف الدنيا :

فان تحمد وسامتها صباحاً فقد تنعى دمامتها مساء

ماذا تقول أكثر من المثل السائر : يوم لك ويوم عليك ؟

(٢) ماذا يحدثه الشعر أو العمل الفنى فى نفس القارىء ؟ لقد قلت إن السرور النفسىّ ليس بمقياس والاعجاب الشخصى بقصيده هنا وهناك ليس بمقياس لان لجمهرة النـاس ما يسمونه فى علم النفس أوضاعاً attitudes اصطلحوا عليهـا فيما يختص بالحب والصداقة والحياة وما الى ذلك ، وعلى حسـب هذه الاوضاع يعجبون أو لا يعجبون . فماذا نعنى بالقيمة الفنية اذاً ؟ نعنى أن يستحثنا الشعر للعمل، نعنى ان يسمو بنا الى أجواء أعلى وان يشحذ أعصابنا شحذاً جديداً . فهل هكذا «وحى الاربعين» ؟ أصِفُ اليك تأثيره علىّ : لقـد كنت مسافراً فى سفر طويل فـلم استصحب معى غير «وحى الأربعين» معتقداً انه يكفينى كتابٌ من العقاد ليروح عنى فى السفر الشاق. تصفحته لأول مرة فلم أفهم كثيراً منه . فاتهمت نفسى وفهمى واهتاج أعصابى أنى لم أفهمه بدل أن أهـدأ وأروّح عن نفـسى ، ولو كان دأبى فى القراءة دأب عامة القراء لرميته من يدى ولم أعد اليه ، ولـكن هذا كتاب للعقاد المطلع الواسع الفكر كما يقال لنا . إذن لا بد من شىء وراء هذا الغموض ، وأرحت أعصابى قليـلا ثم عـدت فتناولته وقرأته مثنى وثلاثاً . فكانت النتيجة أنى فهمت ما يعنى (وبَسْ) وسرتنى هنا وهناك قصيدة أو اثنتان ، وفكرة أو فكرتان ، ولـكن من عادتى أن أحـكم على العمل بأجمعه كقطعة فنية كاملة ، لا على سـطر هنا أو هناك . وساءنى منـه أنه لا يكتفى بأن يكون متأثراً بتوماس هاردي بل يأخـذ معانيه أخـذاً ولقد مرّ على كما مرّ على العقاد وقت كنتُ أقرأ فيه توماس هاردى صباح مساء ،

فأنا أعرف كل كلمة فيه . أذكر على سبيل المثال قصيدة (الهـداية) أخذها العقاد من قصـيدة To The Stars ، وفكرة تشبيه الدنيا (بالخان) أخذها من قصيدة (الفجر الجديد) لتوماس هاردى فى كتاب (كلمات الشتاء) وهكذا . . وهكذا .

***

لاأنـكر أن فى الديوان إبداعاً أحياناً ، وتجديداً أحياناً ، ولـكن ليس هذا هو المنتظر من مثل العقاد إذا صح مايقوله مريدوه عن مواهبه ؟

عبد الحميد شكرى



مناجاة ...

للشاعر فليـكس فارس على قبر والده

كان حبيب فارس اللبنانى فى طليعة الثائرين على الظلم فى بلاده ، وقد لجأ الى القطر المصرى منذ نصف قرن فأصدر فى القاهرة جريدة «صدى الشرق» ونشر فيها مؤلفات عدة باللغتين العربية والفرنسية ، وقد شغل فى اوائل شبابه وظيفة رياسة القلم الاجنبى فى لبنان أولا على عهد رستم باشا ثم شغل الوظيفة نفسها فى دمشق فى أيام ابى الدستور مدحت باشا ، وانطلق بعد ذلك فى ميدان الصحافة والخطابة والتأليف حتى أدركته الوفاة فى المريجات من أعمال لبنان بغياب ولده الشاعر فليكس فارس كبير مترجمى بلدية الاسكندرية . ولما توجه هذا الأديب الخطيب الشاعر فى

الصيف المنصرم لتمضية أجازته فى مسقط رأسه وقف على قبر أبيه فجادت قريحته بهذه الأبيات الفياضة بالشعور :

أمستريحٌ أنتَ يا والدى وراءَ هذا الحجر البارد ؟
هل حُطَّ عن روحك وقرُ البقا فادرج الزائلُ فى الخالدِ ؟
أم أنت منا حالم تجتلى أشباحنا فى هجعةِ الراقدِ ؟
أناظر أنت وقوفى الى مشعلك المنطفىء الخامدِ ؟



فليكس فارس

يمتدّ إشعاعى اليه كما ينجذب الموقودُ للواقدِ !
أسامعٌ صوتى وما نبرتى الاّ تمادى صوتك الهامدِ ؟
أما كلانا موجة فى الضيا وراءَ هذا الأفقِ الراكدِ
حيث يلاشى الدهر فى جريه فيُكشف التوحيدُ فى الواحدِ ؟!

* * *

أبى لقد جُزتَ الثمانين فى ارجاء هذا المشرق الماجدِ
فكنتَ فى آفاقهِ شعلةً تهدى صراط الحق للجاحدِ

سُدتَ اليراعين بنور الحجى في مستهـلّ الزمن الراشدِ
فكنت من (رستم) في قدره وكنت من (مدحت) كالساعدِ
حُرّانِ كل منهما لم يكن يعرف الآنَ الحق من سائدِ
ما اخترتَ بعدَهما سيداً غير شباةِ القلم الشاردِ
يجول في القطرين ، ما فوقه الا الضميرُ الحيّ من قائدِ
مرّت بك الدنيا ولما تزل تحدجها بالناظر الراصدِ
صمدتَ للايام في كرّها فاندحر الوثّاب للصامدِ !

* * *

أيامك الاولى وقد دُوِّنت أقـرأها في الليل كالعابدِ
إخال نفسي قاطعاً شوطها أبصرها بالباطن الشاهدِ
أرى شعوري وجهودي بها إذ لم يكن قلبي ولا ساعدي
كانني انتَ بعهدٍ مضى مجـدداً في الوطن الجامدِ
أورثتني في فطرتي شعـلة تخذتها في مسلكي رائدي
مشت أمامي فالتمست الذُّرَى وسرتُ لا ألوي على حاسدِ
ينير إشفاقَ ما أجتلي في مقـلة الطامع والحاقدِ
سرتُ واياك قبيل الضحى حتى انسدال الغسق الرابدِ
حُجبتَ عني في الدياجي فهـل فارقني فـكرُكَ ياوالدي ؟! . . .

* * *

أجثو على قبرك لا أشتكي مرارةَ المستوحش الفاقدِ
أسجد منضماً لنفسي وهل يخلق دمـع الشوق بالساجدِ ؟
ما باد من ذاتك الا الضنى وهل سوى الطارىء من بائدِ ؟
أشباحُنا امواجُ هذا البقا صادرُها في اليمِّ كالواردِ
عرفت أن الدهرَ وهم فما ينال هذا الدهرُ من زاهدِ !

فلبكسي فارسي

هى ماتت

إيهِ يا أُختاهُ ... يا أختَ الشقاءْ هل سئمتِ الحبَّ فينا والثّواءْ؟
هل شُفيتِ بعد أن عزّ الشفاءْ؟ هل وجدتِ الموتَ للداءِ الدواءْ؟
أم تُراهُ زادَ بلواكِ بلاءْ؟

إيهِ يا اختاه ... يا اختَ الشجونْ مُذْ فُقِدْتِ أَذْرِفُ الدمعَ الهتونْ
قرَّحَ الدمعُ عيوناً وجفونْ انني أصبحتُ من صَرْعَى القضاءْ
وَمَحا يأسى من الدنيا الرجاءْ

فى سكونِ الليل يحلو لِى البكاءْ فأروّى القبرَ من روحى الوفاءْ
أترُى روحكِ تسرى فى المساءْ فى سلامٍ وسكونٍ وصفاءْ؟
أم ترُى حيرى تهيمُ فى الفضاءْ؟!

إيهِ يا أُختاهُ ... حتّامَ السكونْ حدّثينى ربما الخطب يهون
أسمعينى رَنّةَ الصوتِ الحنونْ انما صوتُكِ لى خيرُ عزاءْ
لهفَ نفسى ... تسمعُ الأختُ النداءْ؟

يا صخورَ القبرِ رفقاً بالعليلْ يا مَلاكَ الموتِ لا تؤذِ الجميلْ!
وادىَ الموتِ تقبّلْ ذا النزيلْ! ساكنى وادى الفناءِ الأوفياءْ
أكرِموا مَنْ شارَكتكُمْ فى الفناءْ!

يا حياةً عِشْتِها كانتْ مماتْ أنتِ فى القبرِ ومِنْ قبلُ رفاتْ
أنتِ سرتِ من سُباتٍ لِسُباتْ ضمَّكِ الموتُ ومن قبلُ العناءْ
فمضيتِ مِنْ عفاءٍ لعفاءْ!

هل نسيتِ عهدَنا عهدَ العذابْ يومَ كان العيشُ كالسُّمِّ المُذابْ؟
كم شربناهُ ... ويا مُرَّ الشرابْ كم طلبنا الموتَ مِن ربِّ السماءْ
ورضيناهُ نصيباً وجزاءْ!

كم رددنا الطرفَ والطرفُ حَسيرْ وسكبنا الدمعَ والقلبُ كسيرْ
وسَئِمْنا العيشَ فالسَّعْيُ عسيرْ آهِ يا رَبَّاهْ حَتَّامَ الشقاءْ ؟
انّ حُمَّى العيش فى جسمى كَداءْ !

لِمْ خُلِقْنا ؟ لِمْ نعيشُ ؟ لِمْ نموتْ ؟ وعَلامَ السعىُ والسَّعْىُ يَفوتْ ؟!
أتُرَى نأتى ونمضى فى سكوتْ ليس فينا مَنْ جَلاَ سِرَّ البقاءْ ؟!
لَمْ ولَنْ نَعْرفَ معنى الانتهاءْ !

آهِ لو أدركُ ذا السرَّ العجيبْ قبل أَنْ آوِى الى الوادى الرهيبْ
يوم يُشْفَى القلبُ مِنْ داءِ الوَجيبْ ويناديني الى اللهِ السماءْ
ويزيلُ اللهُ عَنْ عينى البكاءْ !

أترى قُدِّرَ للنفس الخلودْ ؟! كلُّ من يدرى يولِّى لنْ يعودْ
قد عَرَفْتِ اليومَ ماسِرُّ الوجودْ فارحمينى ! خَبِّرينى ! ما الفناءْ ؟
إنْ نفسى فى عذابٍ وعَناءْ !

سهير قلماوى



قيصر وفرعون

الى جلالة الملك فؤاد الاول لمناسبة زيارته للاهرام بالجيزة
وفى صحبته جلالة الملك فكتور عمانوئيل الثالث يوم ٢١ فبراير سنة ١٩٣٣

(مترجمة عن الاصل الانجليزى للشاعر جون درنكووتر)

بأىّ نشاطٍ طرُوبٍ فى التراب اللازوردىّ والارض البرتقاليةِ كان نقاشهُ منذ خمسة آلاف سنة مضتْ يَنقل الى الحياة عصافيرَ سحريةً صغيرةً ومجاديفَ تغمس فى نيلٍ خيالىّ بجوار براعيم اللوتس والحلفاء المُزْهِرَةِ على اللوحة التى أُبدعتْ لتزيّن قبر زوجةِ فرعون !

(وكان هذا قبل أن يأتى اسم ايطاليا الى مصر بزمنٍ مديدٍ)

* * *

صارت القبورُ عتيقةً ، وصاحت روما الامبراطورية بفيالقها شمالاً وجنوباً ، وأرسل قيصرُ الى فرعون سيفاً فكان التراب فى فم فرعون . بَيْدَ أن لفظةً أرقّ ذهبت من التيبر الى النيل حينما سُمع صوتُ أنطونيو تحت شفق كليوباترا .

(وكان الحبُّ المرْوِىُّ(١) مُشْتَعِلاً وقتئذ لما جاءت ايطاليا الى مصر)

* * *

ومَرّت روما القديمة ، تفتّتتْ صخورُها، طُرِحَتْ أكاليلُها ، سيّر الرجالُ عظمتَها بحديثهم ، مات قيصرُ وكان الموتُ تاجَهُ ، وفى الشمس المصرية المحترقة قامت كذلك صوالج وسقطت الى أن صارت طيبة وممفيس كقمرين فُقِدا بعيداً فى طريقين لن يستطيع أحدٌ أن يخبر عنهما !

(١) المأثور

(لذلك جاء الزمنُ بشقائق النعمان لصيتِ [1] ايطاليا ومصر)

* * *

كتبتْ العصورُ رَمْلَها . نحن نقرأ قلبَها فى تواريخ ساطعة أو قاتمة . الآن أنطونيو قديمٌ لنا كما كان فرعون الأول قديماً له . مصر وايطاليا سيّان ، هما الآن ذكرى للرجال ، وتراهما الآن سيين تتيقظان للجلال الحىّ ثانيةً .

(مِثلُ هذه الحياة — كما ربما لن تأنسَ حياةٌ — جاءت من ايطاليا ومصر)

* * *

اليومَ يُقابل مصرَ المتوّجةَ مَليكٌ رومانىٌّ فى أُبّهةِ الملك ، بينما عُروشُ السنين البعيدةِ والاسطورية تُهدِى الى رؤيا جديدة : مليكين لغاية منوّرة حديثاً ، مليكين لأمرٍ استُكْشِفَ حديثاً ، يسيران فى عالمٍ جديدٍ فى سَلاَمٍ : هما فرعونُ وقيصرُ تُوِّجا حديثاً .

(اكتبْ اذنْ من لَهَبٍ ولاءَ اليوم حينما جاءت ايطاليا الى مصر)

* * *

وتأتى مصرُ بضيفها الملكى فى هذا اليوم ليتسلقَ الرابيةَ حيث بنى الفراعنةُ العظامُ القبورَ التى تشق السماء وما تزال متماسكةً . تقف الآن فخورة بالعصور قادئة ثانيةً تلك الألفاظ الحية حينما نقش هو منذ خمسة آلاف سنة مضت عصافيره السحرية الصغيرة .

(أغنية تقديرٍ باسم الجمال فان ايطاليا جاءت الى مصر)



(١) لذكرى

الى قنبرة ...

To a Skylark

للشاعر الخالد ب . ب . شيلي



سلامٌ عليكِ شعاعَ الجمال ... وركبَ السموِّ وروحَ الطربْ
مُحالٌ تكونين طيراً ، مُحال ... وهذا غناؤكِ شيءٌ عجبْ
يذوبُ من القلب ، صافى الجلال ... ليخلد فى آبداتِ الحقبْ
غناءٌ شجىٌّ ، فريدُ المثال ... يشارفنا مِن ثنايا السُحبْ !



عن الأرضِ دوماً طلبتِ البعادْ ... وطرتِ الى حيثما ترغبينْ
كأنك — والجوُّ مثلُ المدادْ — ... سحابةُ نارٍ به تسبحينْ
نشرتِ جناحيكِ فوقَ الوهادْ ... وفوقَ المتالع إذْ تعبرينْ
وأرسلتِ لحنك فيه الودادْ ... وفيه الشجونُ وفيه اليقينْ !



إذا مالتِ الشمسُ تبغى الغروبْ ... وسال على الأفق صافى الذهبْ
أضاء السحابُ بسحرٍ عجيبْ ... وشاع الجمالُ به واستتبْ
وأقبلتِ مثلَ خيالٍ طروبْ ... يطوف جهولاً خلال السحبْ
كأنك فى الجوِّ لغزٌ غريبْ ... يحيط به البشرُ أنَّى ذهبْ !



إذا طرتِ مانقك الارجُوانْ ... وذاب حواليكِ نم المحسرْ
كأنك فى الرائع الأضحوانْ ... — على رغم علمىَ — نجمٌ ظهرْ
اذا كان لم ينعم الناظرانْ ... برأى خيالك لمَّا سفرْ

فيكفى أغانيك تغزو الجنان وفى الروح أو حولها تمتقر !

* * *

وهذاك مصباح (١) ضوء قوىّ ينير السماء اذا ما بدا
كقرص رمى بشعاع سنىّ يدعبنا من بعيد المدى
ولكن بفجر النهار البهىّ تراه يبين ويمضى سُدى
ويهجرنا حسنه العبقرى إذا ما كذاك أنت بالهدى !

* * *

يفيض غناؤك فوق الاديم ويسمو فيلمس سقف السماء
وينشر فى الكون سحر عميم يفاوح أرواحنا فى الغناء
كما يبعث البدر خلف الغيوم سناه العجيب ويزجى الضياء
فنحسب أن الوجود القديم غريق ببحر لجين وماء !

* * *

جهلناك ... ما أنت ؟ ما تشبهين ؟ وماذا جمالك ياساحرة ؟
اذا الجو ران عليه الدجون وحطت به السحب الزاخرة
ونام به قزح مثل نون وجاد بأمطاره الغامرة
يفوق غناك القوىّ الحنون جداه وآياته العامرة !

* * *

كأنك - من خلف نور الحجى ومن بينه - شاعر ثائر
يتمتم آياته فى الدجى ويطغى عليه هوى جائر
وينشر - إمّا هواه سجا - على الكون ، إحساسه الغامر
يقود الى عالم مرتجى جميل ، به يهدأ الخاطر !

* * *

كأنك خود زكا حسنها وطابت أرومتها العاليه
يشع سناء بها خدرها وتبسم حجراته الزاهيه

(١) القمر



الشاعر شيلى
(١٧٩٢ — ١٨٢٢ م.)

يُحَدِّثُها بالهوى قَلبُها فيشغل مهجتَها الخاليه
فتُقبل نحو الهوى رُوحُها فتشرب ألحانَهُ الغاليه!

* * *

كأنكِ بين وهادِ النَّدَى سراجٌ من المسجد الصادقِ
يَشيع سناه اذا ما بَدا ويخفى على الأثر كالفارقِ
يبعثر أضواءه كالمُدَى على الزهر والعوسج العالق
فتحجبُها ، لم تبل الصَّدَى ولم تَأتَنِسْ بالبهَى الآبقِ !

* * *

كأنكِ بين الرُّبى وردةٌ ثوتْ بين أوراقها الزاهيهْ
تُنامِمُها فى الدجى هَبَّةٌ من الريح ، تتركها واهيهْ
وتحمل - فى طيها - نسمةٌ أريجٌ وريقاتها الغاليهْ
وتلك لَعمرِ الهوى حيلةٌ تلوذ بها النسمةُ العاديهْ !

* * *

بديعٌ غِنائكِ لا يُوصَفُ وصوتُكِ ليس له من نظيرْ
فقطرُ الندى حسنُه أجوفُ - اذا حط - وقتَ الربيع النضيرْ
وغطّى الربى شكلُه الألطفُ وأيقظ وردَ المروج الكثيرْ
فإنّ الجمالَ الذى نعرفُ حقيرٌ ، وحسنُكِ حسنٌ خطيرْ!

* * *

بحقّ جمالك يا قُنبَرَهْ تقولين ما جال فى خاطركْ ؟
وماذا دهاه وما كوَّرَهْ فشاع سناه على ظاهركْ ؟
غناؤكِ فى الحبّ ما أبهرَهْ! ولحنُكِ فى الخمر مِن ساحركْ
يفيض . بحنجرةٍ ماهرَهْ تَبثُّ المَسَرَّةَ فى سائركْ !

* * *

أغانى السرورِ إذا ما دوتْ وأنشدَها فى الأنام القِيانْ
واغنيةُ النصر إنْ رُدِّدَتْ تميت من ارعب قلبَ الجبانْ
إذا ما شدوتِ فقد أنصتتْ ومادتْ من السحر إنسٌ وجانْ
وبادتْ أغانى الهوى وانطوتْ على إثرها أغنياتُ الطمانْ!

* * *

فـقـُصّى الحقيقةَ إذْ تشرحينْ تُرَى أىُّ شىءٍ ينابيعُ لحنِكْ؟
وأىُّ بحارِ الهوى تركبينْ؟ وأىُّ حقولٍ تمشَّتْ بجنبكْ؟
وأىُّ سُهولٍ وأىُّ حُزونْ؟ وأيُّ سماءٍ تُرَى فوق أرضكْ؟
وما الحبّ عندَكِ؟ كيف الحنينْ؟ وكيف صرعت الهمومَ بطَـفرِكْ؟!

* * *

حَباكِ الإلهُ بروح السرورْ وأبعدَ عنك الضنَى والضجرْ
وأخلاكِ من حازبات الأُمورْ وأعطاكِ سِرَّ المنى والسَّمَرْ
وأنتِ تحبين حُبّاً يدورْ كريمَ الخيال بديعَ الصورْ
ولا تعرفين زمانا يجورْ ويأتى بخاتمةٍ لا تَسُرْ!

* * *

يَطيرُ خيالُكِ صوبَ المهاتْ يُصوِّرُ عقبي الوجود الدنىءْ
ويَبحث فى فاسفات الحياةْ بأحلامه فى الرقادِ الهنىءْ
بما يُعْجزُ الباحثين الثقاتْ ويبهرُهم بالبيان الجرىءْ
وإلاّ فـكيف أتتْ ساحراتْ أغانيكِ تَسبي كَمجرًى مُضىءْ؟!

* * *

نَهيم غراماً بسرّ الوجودْ وتُغنى بأمرِ الذّنى بَعْدَنَا
وتُغرق فى ذكر ما لا يعودْ وتُكثر من شرح ما فاتنَا
وإنْ كان ذا الدهرُ يوماً يجودْ ببسمةِ ثغرٍ فكم ساءنا
ولا بُدّ أنّ أغانى السعيدْ يخالطها ثائراً حُزنُنَا !

***

لو آنا خُلِقنا نعافُ الغرورْ ونحتقرُ البغضَ والكبرياءْ
لو آنا نشأنا بفكرٍ حقيرْ وطَرْفٍ يعافُ الهوى والبكاءْ
لو آنا درجنا بغير الشعورْ وعشنا على جهلنا والغباءْ
لكنّا جهلنا دواعى السرورْ سمتْ بالأغانى لِأَوْجِ السماءْ !

***

لَعِنْدِي أغاريدُكِ المبدعهْ وأبياتُ شِعْرِكِ ملءَ البيانْ
تفوق كؤوسَ الهوى المترعهْ وتفضل كلّ أغانى القيانْ
وتُزرى بأسفارِنا المتعهْ وما قد حوته كنوزُ اللسانْ
لَئِنْ طرتِ عن أرضنا مُسرعهْ فأوجُ السماء مقرُّ الحنانْ !

***

ألا ليتَ لى نصفَ هذا الهناءْ ويا ليت عقلى شبيهٌ بعقلكْ
فإن بعقلكِ نامَ الصفاءْ يصفّق إنْ فاضَ إلهامُ حُبّكْ
وهذا المراءُ وفيه البهاءْ شعورُ جَنانى بضعفى وقدركْ
فأَصغى الى لحنِ هذا الغباءْ كما أنا أُصغى طَروباً للحنِكْ !

مختار الوكيل

لمحة عن شيلي

يكفي شيلي فخاراً تَزَعُّمُه عن جدارة الأغنية الانجليزية وهو في ميعة الصبي ، وحسبه شرفاً أن يموت في الثلاثين تاركاً خلفه آثاراً فنية لم يتح ، وربما لن يتاح ، لعباقرة المعمرين من الشعراء أن يخلفوا ما يبزّها مهما حاولوا وجاهدوا ... فلو قلنا إن تفكير هذا الشاب الخالد وخياله كانا فوق طاقة النوبغ لما كنّا حائدين عن الحق ولما كنا مبالغين .

وهذه القطعة التي عنيتُ بنقلها اليوم (To a Skylark) تعتبر بدون مبالغة من أجمل إن لم تكن أجمل القطع الليريكية في الأدب الانجليزي قاطبة ، ويأتي بعدها قطعة في الجمال له أيضاً أسماها (Ode to the West Wind) .

ثم لا تنس أنه بمسرحيته (The Cenci) قد برهن على أنه مفكر جبّار الذهن . والمُجْمَعُ عليه تقريباً أنها خير المسرحيات من طرازها بعد مسرحيات شكسبير الخالد .

وقد أطلقوا على هذا الشاعر الفذّ اسماً غريباً هو (شاعر الشاعر) : ذلك لأنه يطوف بعواطفنا وإحساساتنا ، عن طريق شعره ، في عوالم جميلة بهيجة سحيقة مجهولة منا . وقد قال ينعته وليم واطسون :

« هو وردة القصيد القدسية المتوقدة الملتهبة .

« تتمثل فيها كلُّ الألوان ، وتعبق بكلّ العطور ، وتنبت بها كل البراعم .

« يغمرها شعاع الشمس الذهبي ، ويغدق القمر عليها خيوطه الفضية ...

« في حين هي في حاجة إلى أن يتأصل جذورها في الأرض » .

ولعل في كلام واطسون شيئاً من الحقيقة ، إذْ أنّ خيالات شيلي الرائعة كانت بعيدة بعداً سحيقاً عن عقول الناس على اختلاف درجاتهم . ولا تزال تحتاج الى كثير من العناية والانتباه عند دراستها ، وستبقى إلى الابد موضع الدهشة ، والاحترام والدراسة .

وليس هناك من يدعي أنه يحب شيلي أكثر من سائر الناس — الذين قرأوه طبعا — إذْ الكلُّ على التحقيق يتساوون في حبه وتقديره ..

عاش شيلى معظم حياته القصيرة بإيطاليا ، فكتب روائع قصائده بعيداً عن وطنه انجلترة .

مات فى الثلاثين من عمره ، فى الوقت الذى وصل فيه بحق إلى ذروة مجده الشعرى ، غرق وهو يبحر من بيزا .

وقد دفنت بقاياه فى المدفن البروتستانتى برومة ، ملاصقة قبر كيتس العظيم ، وقد كتب على قبره (Cor Cordium) أى قلب القلوب .



فلسفة الحب

(مقتبسة من الشاعر الانكليزى شيلى)

رأيتُ ينابيعاً تمازجْن بالنهرِ ... وشاهدتُ أنهاراً تخالطن بالبحرِ
وشِمتُ نسيماً فى الاعالى ملازماً ... لعاطفةٍ جاشتْ بصدرىَ إذْ يَسْرى
لكلٍّ على وجه البسيطةِ زوجهُ ... وقد خلتْ الدنيا من المُنفرِدِ الوتر
قضت سنّة الرحمن فى خلقه بأن ... يلازمنا المحبوبُ كالطير فى الوكْر
فلا عذرَ إن لم أمتزجْ بحبيبتى ... لأحيا سعيداً فى اغتباطِ مدى عمرى
وبينا الجبالُ الشُّمُّ قبّلتِ السّما ... تعانقتِ الأمواجُ فى المدِّ والجزر
وانْ زهرةٌ تزهو على خِدْنِها فلا ... سبيلَ الى عفوٍ ولا خيرَ فى الزّهْر
وهالِك ضياءُ الشمس عانق أرضَنا ... وقبّل وجهَ البحر نورٌ من البدْر
فما قيمة التقبيل فى الكون كله ... اذا لم تقبلنى المليحة فى ثغْرى؟!
وانْ كان كلٌّ ضمَّ حباً فكيف لا ... أضمُّكِ يا روحَ الفؤاد الى صَدْرى ؟

قسطنرى داوود



الى ...

يا راجيا لُطْفَ الحمارِ طَلْعَتَهُ هل عند رِجْلَيْهِ سوى رَفَسَاتِهِ؟!
كُلُّ الكلامِ يَضيعُ فى آذانِه ما دمتَ لا تَحْكيهِ فى نَهَقَاتِهِ
والعقلُ تَخْلُقُهُ العصَا فى ظَهرِه ضَرْباً يُترجِمُ جِلدُهُ لَذَعاتِهِ
إنّ الحمارَ وإنْ تَلَقَّبَ فى الورَى بالفيلسوفِ ... هو الحمارُ بذاتِهِ!

مهداة . . . من

مصطفى صادق الرافعى





اتفاقات لا مفارقات

هناك غاية فى الكمال العالمى تحسّ بها العبقرية العظيمة وتشترك فى فهمها على بُعد ما بينها من وحدة الزمان والمكان . ومن عجائب هذه الاتفاقات ما وجدناه مشتركاً بين « عبقرية » العقاد فى قصيدته « غزل فلسفى » وبين الشاعر « الصغير »

شلى فى قصيدته «ابيسيكديون» ثم بين ما وجدناه أيضا مشتركاً اشتراكاً غريبا فى قصائد للعقاد يصف بها طلول طيبة وبين قصيدة واحدة للشاعر تيوفيل جوتييه وهى « معبد الأقصر » مما حدانا الى ان نعتقد أن العقاد كان تيوفيلا منشوراً يستعرض فى العربية كلّ ما استعرضه تيوفيل الفرنسى .

والآن والآن فقط أمدّ يدى مصافحاً العقاد ومهنئاً اياه على مقدرة هذا المرصد الفلكى الذى يرصده لجمع كل ما تشتت فى الآفاق من أشعة عقول الشعراء الاقدمين ؟

م. ع. الهمشرى



الشعر الغنائى والزجل الغنائى

فى كل يوم تظهر طائفة من الأغانى الحديثة ، منها القصائد والمونولوجات والطقاطيق والتواشيح وغيرها ، إلا أن أقل هذه الأنواع عدداً — برغم روعتها الفنية — هى القصائد والتواشيح وغيرها وهذه هى ألحان شعرية ، أما الباقى فهو ألحان زجلية . ولا ندرى لم لايكون للشعر سوق فى الغناء كما للزجل ؟

وتنقسم الأغانى الزجلية الآن إلى أنواع : منها الطقطوقة والدور والمونولوج .الخ. أما الشعر بحالته الحاضرة فليس له من الأنواع الا القصيدة والموشح ، كأن هذه الانواع الأخرى لايمكن أن تكون شعراً !

ولو تصفحنا تاريخ الغناء لوجدنا أن الطقطوقة والدور وبقية هذه الأنواع الزجلية كانت موجودة فى الشعر حتى أواخر العصر العباسى الثانى حيث حل الموشح محلها ، لما لشعر الموشح من السهولة فى التلحين . غيرأن هذا لايمنع أن يكون من شعر الموشح أو من أى نوع من أنواع الشعر طقاطيق وأدوار وغير ذلك .

وقد أراد بعض الموسيقيين أن يجعل من الشعر هذه الأنواع ، وقاموا فعلا بذلك ، إلا أنهم هزموا أمام احتجاج المتمسكين بالقديم وما وجدوه من الصعوبة فى ايجاد الشعر السهل الذى يفهمه الجمهور بسهولة فى حين أنه من السهل التسامى تدريجياً بالجمهور ليستسيغ لغة الغناء العربية المهذبة المصقولة ، وهاءنذا أكتب للشعراء على

كل حال لـكى يناصروا الموسيقيين بنظم شعر غنائى سهل حتى يمكن رفع مستوى الموسيقى الغنائية باستعمال الشعر العربى فيها .

ويظن بعض الناس أن الشعر لايمكن تلحينه إلا تلحيناً شبيهاً بتلحين القصائد القديمة ، أمثال قصائد المرحوم فقيد الشعر الغنائى الشيخ نجيب الحداد التى كان يغنيها المرحوم الشيخ سلامة حجازى ، وتوقيعها خال من الروح العصرية التى نجدها فى ألحان المرحوم الشيخ سيد درويش مثلا ، غير أن ذلك يرجع إلى قاعدة عند بعض الموسيقيين : هى أن تكون للألحان الشعرية هذه الصيغة الخاصة التى يملّها الجمهور.

وقد ابتدأ بعض الموسيقيين فى الخروج عن هذه القاعدة فلحّن الموسيقى محمد القصبجى (ياغائباً عن عيونى) وأخرج الموسيقار محمد عبد الوهاب عدة قصائد منها (على غصون البان) إخراجاً جديداً ، فأثبت أن من الشعر مايكون أجمل فى التلحين من الزجل ، إلا أن هؤلاء الموسيقيين المجددين لايمكنهم أن يكسروا تلك القيود نهائياً فيجعلوا من الشعر طقطوقة ودوراً ، وذلك لكثرة أعداء التجديد فى مصر .

وليس هذا العمل مستحيلا كما يظن البعض ، فقد كانت هذه الأنواع الزجلية مستعملة فى الشعر قبل عصر المماليك ، وكانت هناك أنواع أخرى من الشعر الغنائى غير مستعملة الآن . ويدلنا على وجود هذه الأنواع فى الشعر ماذكره كتاب (الاغانى) من أوزان موسيقية لقطع شعرية مما يدل على أنها ليست قصائد — فليس للقصيدة وزن موسيقى من ذلك الطراز — فهى اذن نوع من الانواع التى استعملت الآن فى الزجل . وفى كتاب (ألف ليلة وليلة) قطع غنائية شعرية لا يمكن أن تكون إلا أدواراً وأخرى لايمكن أن تكون إلا طقاطيق .

ويمتاز الشعر عن الزجل فى الموسيقى بمميزات عديدة : منها أن اللحن الشعرى يبقى موجوداً أمداً أطول من اللحن الزجلى ، وذلك لأن الشعر يبقى مفهوماً أبد الدهر مادامت اللغة العربية الفصحى مرعية ، وأما الزجل فيتغير بتغير اللغة العامية .

وقد سئل أحد موسيقيي الانجليز عن سبب اندثار الألحان الانجليزية بسرعة (ولا يُظن أن هذه السرعة هى كسرعة اندثار الألحان المصرية) فقال إن اللغة الانجليزية دائمة التغير ، فهناك ألحان انجليزية قديمة لايفهمها الشعب الانجليزى الآن. كذلك الحال فى اللغة العامية فانها دائمة التغير ، بخلاف اللغة العربية التى ظلت وستظل باقية لايمسها أى تغيير أو تبديل أساسى لانها لغة القرآن المقدس ، فكم من

ألحان زجلية فنيت وكم من ألحان شعرية ظلت باقية من عصر الى آخر : فالتواشيح الأندلسية باقية إلى الآن يحفظها كل موسيقى ، فى حين أن كثيراً من الألحان الزجلية التى وُضعت بعد تلك التواشيح قد اندثرت ، ولو كانت باقية لما فهمها أحد.

وقد يقول البعض لِمَ لَمْ تَبق القصائد كما بقيت الموشحات ؟ فالجواب على ذلك أن موسيقى القصائد لا يمكن حفظها بسهولة لخلوها من الوزن ، ومع ذلك فقصائد المرحوم الشيخ سلامة حجازى يحفظها الناس الى الآن ، فى حين أن ألحان المرحوم الشيخ سيد درويش ــ وهى لاتقل قوة عن الاولى ــ قد اندثرت أو كادت تندثر .

وليس ما يدعونى الى النداء بعمل طقاطيق وأدوار ومونولوجات شعرية هو كون الالحان الشعرية تبقى أكثر من الالحان الزجلية فقط ، بل لان هناك مميزات أخرى يمتاز بها الشعر عن الزجل فى الغناء ، فالزجل لايمكن أن يحوى من المعانى ما يحويه الشعر ، فليس من السهل مثلا عمل نشيد قومى زجلى يحوى من المعانى والالفاظ القوية ما يمكن أن يحويه نشيد قومى من الشعر ، فان فى ألفاظ الشعر ما يمثل المعنى تمام التمثيل وقد قال شوقى بك إن فى اللغة العربية من الالفاظ والمعانى ما تعجز عن أدائه اللغة العامية .

وعلى العموم يجب أن يكون للشعر الغنائى ما للزجل الغنائى من المنزلة وذلك بتنويعه وتسهيله واستعماله فى جميع أنواع الاغانى ؟

محمود حلمى

(رئيس لجنة التاليف والنشر الموسيقية)

(ان ملاحظات حضرة الكاتب الملحن الفاضل مطابقة لآرائنا التى نعمل لتحقيقها منذ زمن . وقد سبق لنا حثّ بعض حضرات أعضاء « رابطة الزجّالين » على نظم الزجل الفصيح بدل الزجل العامى ، ويسرنا كثيراً أن ننتهز هذه المناسبة لنشكر له مؤازرته الاصلاحية — المحرر)



الانتقاص التقديرى

ولماذا لاننعته هكذا ؟ أليس الشاعر الوصّاف الممتاز على محمود طه يُنعت فى مجلة الرسالة بالشاعر « الشاب » أى الناشيء ؟ أليس الشاعر العاطفى الذائع الصيت ابراهيم ناجى موضع الرعاية كتلميذ صغير لابراهيم المصرى فى جريدة « البلاغ » .

هذان شاعران كبيران فى طليعة شعراء (أبولو) يُنظر اليهما برغم تفوقهما وشهرتهما بهذه النظرة ممن يدّعون أنهم أمناء على الأدب الحيّ ومن أنصار الجديد وحراس النهضة ، ففى أي زمان من التناقض نعيش ؟

وما هذه المقاييس الفنية الرفيعة التي يتحدّث عنها ابراهيم المصرى ويشفق على ناجى فلا يريد أن يطبقها منذ الآن على شعره « الناشىء » ؟!

انّ ابراهيم المصرى كاتب مجيد ولكنه ابن الأمس القريب ، ومن الوصمة للشعر العصرى أن تُفسحَ جريدةٌ شهيرةٌ لمثل هذا الانتقاص من قلمه ، ويُخيَّل اليَّ أن أصحابنا « المجددين » الذين من هذا الطراز لايقلون أنانية عن الشيوخ الذين يحملون عليهم ، فكلا الفريقين يرمى الى غرض واحد وهو الشموخ والتعالى على حساب الشعراء الذين تنطق (أبولو) باسمهم ، يقابل ذلك من ناحية أخرى العبث الذى يستمرئه جماعة « الفيلسوف الأكبر » . وهذه فوضى مابعدها فوضى ، ولا علاج لها الاّ بتساند شعراء (أبولو) تسانداً شريفاً مجرّداً عن الانانية وفى الوقت ذاته كافلاً بصيانة كرامتهم وانصاف مواهبهم وآثارهم ؟

احمد كامل الشربينى

(رأينا أن عندنا من نماذج الشعر العصرى الكثير الذى نفتخر بترجمته الى أية لغة حيّة ، ونحسب أن ما نشرته مجلة « الرسالة » وجريدة « البلاغ » هو من باب المداعبة فقط ، وإن كان كثيرون قد حملوا ذلك على محمل جدّى وجاوزوا حضرة الكاتب الفاضل صاحب هذه الرسالة فى نقده وسخطه ولكننا نكتفى بنشر ماتقدم.

وقد سبق لنا أن نوهنا فى هذه المجلة بشعر على محمود طه وبشعر العقاد ، ونرى هذه المناسبة ملائمة لكلمة عن شعر ناجى نقولها فى غير تحفظ : فان هذا الشاعر الحلو الموسيقى الجياش العاطفة هو فى نظرنا بمثابة اكتشاف عظيم للأدب العربى ، ولو رُزق ناجى شاعراً غربياً ليريكياً يعجب به فيستوعبه وينقل روائعه الى لغة أجنبية حيّة — كما رُزق الخيام فتزجرالد — لكان لأدبنا من وراء ذلك سمعةٌ طيبة . لقد كان بيرون وشلى وكيتس وأندادهم — على بُعد صيتهم وشهرة تفنّنهم — من شعراء الشباب ، ورأينا أن ناجى الآن على أتم نضوجه وسيبقى هو هو بعاطفته المشتعلة وموسيقاه الساحرة على مَدَى العمر . وناجى قصصىٌّ بارع ، ومن ثمة كان لشعره العاطفىّ مسحة القصة وهذا مايزيده جمالاً ، ولو لم يكن له غير ما نظم حتى الآن

لكفاه صيتاً وخلوداً ، فالشاعر غير مطالب بأن ينظم فى شتى الفنون الشعرية ولا أن يكون مكثاراً ، وحسبه أن يعبر عن خوالج نفسه بنسق فنىّ رائع ، وهذا ماوُفّقَ اليه ناجى كل التوفيق فى شعره العاطفى — المحرر)



الشعر ووظيفته

تباهى هـذه المجلة بانها لسان الحق والانصاف ، فمن الطبيعى إذن أن ننتظر منها إفساحَ صـدرها للنقد البرىء ولو وُجّه الى فريق من أصدقائها أمثال الدكتور طه حسين والشيخ احمد السكندرى وعباس افندى محمود العقاد بل الى محررها نفسه .



محمد رضا ابو الفتح

فالدكتور طه حسين لا يرى أن مجهود الشعـراء العصريين قد أدّى الى اكثر من ردّ الشعر العربى الى بعض شبابه فى الدولة العباسية والى حدٍّ محدود ، فى حين أن كل منصف يدرس الممتاز من الشعر العصرى فى العالم العربى ويقارنه بالآداب العالمية يحكم حتماً بنهضةٍ رائعةٍ للشعر الحديث لم يكن يحلم بها أحد من قبل - وهى

نهضة وليدة الثقافة الواسعة والتفاعل مع الحضارة الراهنة . ثم انه يؤاخذ الشعر المصرى الحديث بأنه لايمثل النفس المصرية ولايحقق اطماع الروح العربية ولايهتف بما للشرق من آمال وأحلام ولا يمثّل للشباب المثُل العليا الخ. وأرى ويرى كثيرون غيرى أن صديقنا الدكتور غير موفق فى هـذه الملاحظة أيضاً فانّ الشعر المصرى الحديث يمثل أصدق تمثيل كل ما يدعو اليه ، اللهمَّ الاّ اذا أراد من الشاعر أن يتنبه الى هـذه المهمة لأن تأتى عفواً فى شعره . وهو اذا تنبه الى ذلك فسد شعره حتماً وانحط الى مستوى المقالات الصحفية المألوفة . ثم يزعم الدكتور أن الشعر فى حياتنا الحاضرة مما لا ضرورة له ! وهذا تصريح عجيب من رجل ممتاز مثله تثقّف فى فرنسا وتفهَّم معنى الفنون الجميلة (وما الشعر الا مثال لها) وقيمتها فى تهذيب الشعوب . وما شأن الشعر الصافى الحقيقى ياسيدى الدكتور بالمنظوم الرنان الذي كان يتخذه العرب وسيلة للتفاهم والتعامل الأجتماعى والسياسى ؟ ومن المضحكات المؤلمة أن يرى الدكتور الفاضل شعرنا العصرى عاجزاً لعزوفه عن وصف تحليل حادثة البدارى ومثيلاتها من الحوادث . فهل هو يجهل أن الشعر غير مطالب بشيء من ذلك ؟ هل ينسى أن كل ما يرتقب من الشاعر أن يتفاعل مع عصره وحوادثه بأية صورة من الصور الفنيـة لا بصورة معينة بالذات ؟ فليس معنى أن الشاعر مرآة عصره وجوب التصوير الواقعى المجرد من كل فن .

ومن العجيب أن يقول الدكتور إننا لسنا فى عصر العاطفة بل فى عصر العقل وأن النثر صنو العقل وأنه أخذ يحل محله ، وأن النثر الفنّى يستطيع التغلب على الشعر . وأرجو أن لا يؤاخذنى الدكتور طه اذا قلت — مع احترامى لمواهبه — ان هذا خلطٌ فى خلط ! فنحن من أحوج الناس الى الفنون الجميلة فى شتى العصور (هذا على فرض أن عصرنا تنبتّ فيه العاطفة ــ وهو فرض مردودٌ) ، ولا معنى لان يوضع النثر مقابلاً للشعر وانما الذى يقابله هو النظم ، وليس ما يسميه بالنثر الفنى الا شعراً منثوراً . واذا قدر القراء شيئاً من كتابات الدكتور طه حسين فانما يقدرون منها ما يتّسم بسمة الشعر كأجزاء من كتابه الحديث (فى الصيف) . أما وظيفة الشعر العربى فلم تتغير بتاتاً على اعتبار أنه فن جميل ، وانما كل ما حدث هو التسامى بالشعر فى موضوعاته الفنية واستثناء القول المنظوم الذى كان يُنسب زوراً الى الشعر . وينتقص الدكتور طه ثقافة الشعراء المعاصرين حينما غير واحد منهم لايقلون عنه ثقافة إن لم يبزّوه ، وحسبي أن اذكر على سبيل المثال الدكتور ابراهيم

ناجى الشاعر الوجدانى المتفنن . وإن انكار ابداع هؤلاء الشعراء الممتازين فى شتى المناحى الشعرية لجحود عجيب لا معنى له فيما أرى سوى حرص الدكتور طه وشيعته على الاشادة بكتاباتهم والتفرد بالزعامة الادبية على حساب الشعراء المبرّزين الذين فاقوا الكتاب بمراحل فى تفننهم وإنجابهم .

وأما عن استاذنا الشيخ السكندرى فيستشهد على حقارة شأن الشعر بنهضة مصر فى عهد محمد على وتجردها منه ، وفى الواقع أنها لم تتجرد من شعرائها الممتازين حتى فى عهد محمد على ، وانما كان تفوّقهم بنسبة زمانهم ، أضف الى ذلك أن نهضة مصر العلوية قامت على كتفى فرد عظيم ولم تقم بجهود أمة متثقفة ، ولو كانت الامة متشبعة بعناصر النهضة لما خمدت جذوتها فيما بعد . وليس الشعر كالحلية الكمالية لمن ينظر الى التهذيب الراقي فان الفنون الجميلة على اختلافها مدرسة لاغنى عنها لصقل الطباع وتهذيب الملكات والسمو بالمثل العليا للامة . وكم وددت لو أن الدكتور طه والشيخ السكندرى ومن كان على رأيهما استطاعوا الاستماع الى الشاعر الانجليزى الفحل المستر جون درنكووتر وهو يحاضر عن قيمة الشعر ووظيفته وضرورته كفن جميل لكل أمة حية ، بله الانسانية عامة . ومن غرائب ما قرأته للشيخ السكندرى إنكاره على شوقى بك التنويع فى البحور برواياته المسرحية ، وهو مجارى فى ذلك عباس افندى محمود العقاد ، فى حين أن هذا التنويع على المسرح مما يتفق تماماً والحرية فى التعبير التى تلائم تقاليد المسرح وتنفى الشعور بالتكلف : ذلك التكلف المعدود من أكبر عيوب التمثيل المسرحى ـ فكان الأولى بشيخنا الجليل تقدير هذه الروح الحرة لشوقى بك .

هذه خواطر عنت لى على أثر تصفحى لتلك الآراء الشاذة فى العدد الاخير من مجلة (المعرفة) التى تشكر على أىّ حال لعنايتها باستجماع هذه الاراء واعطائنا فرصة لتمحيصها ووضع حد لتطرفها وشذوذها الغريب ؟

محمد رضا أبو الفتح



العبقرية الشعرية

الى الشاعر الناقد الرافعى

قرأتُ المقال الممتع الذى دبجته براعتكم البليغة حول قول المرحوم شوقى بك :

ليلى ، منادٍ دعا ليـلى نخفَّ له نشوانُ فى جنبات الصدر عربيدُ

وقـد اخـذت عليكم فيه مواطن ثلاثة ، أدلى بها لـكم ولقراء مجلة (أپولو) الغراء ، للاطلاع :—

(الموطن الأول)

قلتم (فى بيت شوقي غلطة نحوية) والظاهر انكم اردتم بتلك الغلطة قوله(منادٍ دعا) لاعرابكم لفظة (منادٍ) مبتدأ وهو نكرة ، وأقول إن الأولى اعراب (مناد) فاعلا مقدماً لفعل (دعا) على حد قول الشاعر (وصال على طول الصدود يدوم) فقد روى ابن مالك عن الأعلم وابن عصفور انهما قالا فى اعرابه (ان وصال، فاعل يدوم المذكور) ، وهناك امثلة كثيرة لا حاجة لذكرها . ولا ريب فى أن هذا من مجوزات الضرورة التى لم يسلم منها شاعر .

(الموطن الثانى)

قد ذهبتم الى ان بيت شوقى السابق الذكر مأخوذ من قول المجنون :

دعا باسم ليلى غـيرها فكأنما أطار بليلى طائراً كان فى صدرى

وبذلك أنكرتم ان يكون بيت شـوقى من وحى العبقرية ، أما أنا فأقول : ان العبقرية غـير مقصورة على ابتكار المعانى وحدها ، وانما قـد تكون فى طريقـة الاداء وفى انتقاء اللفظ للمعنى وفى كل شيء يظهر فيه التفوق على ذوى الفن باختلاف المظاهر . وزد على ذلك ان فى الشعر أداءً مظهره اللفظ كما أن فيه معنى ، وهو لا يستطيع القيام بجناح واحد ، وقد تظهر العبقرية فى الاول دون الثانى . فبيت شوقى المشار اليه من وحى العبقرية إن لم يكن فى معناه ففى طريقة التعبير عن المعنى ، وآية ذلك ما يخالط النفس من الانفعال لدى الاستماع له وفقه معناه فهو يحمل فى ثناياه قوة كهربائية تهز النفس لدى الانشادهى مظهر من آثار العبقرية ، على أنى أفهم من بيت شوقى غير ما أفهمه من بيت المجنون إذ أن هذا يريد ان الداعى باسم ليلى أطار طائر فؤاده لا الى جهة خاصـة بمعنى انه زايل موضعه الى غيره ، أو هو على حـد قول الشاعر العامى العراقي .

لمن اشوف اهواى مجبل عليـه كلبي يكع للكع من بـين ايديه

يريد ان قلبه يسقط على الارض لدى رؤية من يهـوى ، ولا فرق بين قول المجنون وقول هذا الشاعر العامى سوى أن المجنون أطلق موضـع الارتماء وهذا قيده بمـا يشـعر به العاشق فى مثل هـذا الحال . أما شوقى فانه ولا ريب يريد ان الفؤاد خف الى موضع النداء ظانا ان ليلى هناك لاجل اللقـاء .

واذا قارنا بين قول شوقى والمجنون من وجهة التعبير والفكرة نجد هذه الفوارق

(١) يؤخذ من قول شوقى (نخف) ان فؤاد العاشق اتجه الى موضع الصوت عن طوع واختيار بعامل الهـوى ، بخلاف ما يؤخـذ من قول المجنون (أطار) للزوم هذه وتعدى الأولى .

(٢) ان شوقى قرر حالة طبعية لدى كل عاشـق عند النداء باسم المعشوق ولذلك لم يحتج الى مثل قول المجنون (فكأنما) .

(٣) جعل المجنون فؤاده طيراً من الاطيار ، وهذا التشبيه كما يظهر مما لا يستسيغه الذوق لانه غير طبيعى ولفظة (اطار) هى التى دفعت المجنون الى ان يجعل فؤاده كأحد الاطيار اما شوقي فقد نعت فؤاد العاشق بما ينبغي ان يكون عليه من السكر بخمرة الهوى .

(٤) ان شوقي قرر حالة الفؤاد قبل النداء باسم ليـلاه فهو ثمل بخمرة الحب مالىء جنبات صدره بعربدته ، وذلك مالم نجده فى قول المجنون المذكور .

(الموطن الثالث)

والذى يظهر من الموجز السابق ان بيت شوقى المـذكور من وحى العـبقرية وان شوقي كان صادقاً فى قوله « لا أدرى » عند ما سُئل عن ظروف وضع البيت المشار اليه . وأنا لا أدرى أيضاً كيف ساغ للرافعى ان يكذب شوقى فى موضع كل حجته فيه هو الظن وحده وهو لا يغنى شيئاً ولا سيما فى موضـع الرد والتدليل ، على ان جواب شوقى بقوله « لا أدرى » لا يقتصر صدقه فيما هو خالص الابتكار . وهنا أود ان اذكر لحضرة شاعرنا الناقد أنى قد سبق لى أن وضعت قصيدة فى عبقرية ام كلثوم الغنائية دون ان احيط معرفة بالظروف التى رافقتنى عند وضعى لها ما خلا اتصالى بذات الموضوع . وأكثر الشعر يوضع فى ظروف مجهولة من قبل الشاعر ؟

حسين الظريفي

بغداد — العراق :



الخيال الشعرى عند العرب

بقلم أبى القاسم الشابى ، ١٤١ صفحة ، ١٣ ½ سم . × ١٨ ¾ سم .
مع مقدمة بقلم زين العابدين السنوسي . مطبعة العرب بتونس

هذا كتاب يحوى مجموعة محاضرات ألقاها الشاعر التونسى المجيد أبو القاسم الشابى على جمهرة من المتأدبين فى تونس يعالج فيها الخيال الشعرى لدى العرب. ونحن لاننكر على الشاعر الفاضل دقة بحثه وأمانة فكره ورجاحة رأيه فى أغلب المواضع مع عذوبة لفظه ، وتحريه الحق والصدق عند كل فكرة ، وتمشيه مع النطق السليم فى كتابته ، والأديب الشابى من شباب العروبة المجددين كما تنم عليه روحه الحية . يسخر من القدامى ولا يحب أن يعترف لهم بفضل كبير على الخيال الشعرى ، بل هو يذهب الى أبعد من هذا ، أجل هو يرى أن ليس لهم من الخيال الشعرى نصيب وهو وإن كان قد استدل على ذلك ببعض أشعار للفحول المتقدمين إلا أننا نراه غالى كثيراً فى حكمه . ويقيننا أن الذى دفعه إلى هذه المغالاة إنما هى رغبته فى شحذ القرائح واستنهاض الهمم ، حتى يصل الخيال الشعرى على أيدى شباب العرب إلى درجة سامية لم يحلم بها السابقون فى هذا الميدان . فلا جدال فى أن العرب كانوا على نصيب ممتاز من الخيال الشعرى ، خصوصاً بعد تمازجهم بالفرس واليونان فى عهد بنى العبّاس ، على نقيض مايذكره المؤلف من انهم لم يتأثروا بهؤلاء ولم يمتزجوا بأولئك لعنجهية وغطرسة فيهم . ونحن نرى فى كثير من شعر العهد العباسى خيالا رائعاً لايقل عن خيال فطاحل الشعراء الغربيين الذين يستشهد المؤلف بهم فى غضون محاضراته القيمة . فهذا البحترى يصف الربيع فيبدع الابداع كله فى قوله :

أتاكَ الربيعُ الطلقُ يختال ضاحكاً   من الحسن حتى كاد أن يتكلما
وقد نبه النيروزُ فى غسَق الدجى   أوائل ورد كنّ بالأمس نوّما

يفتقها بردُ الندا فكأنه يبثّ حديثا كان قبل مكتما
فمن شجرٍ ردّ الربيع لباسَه عليه كما نشّرتَ وشياً منمنمَا
أحلّ فأبدى للعيون بشاشة وكان قذى للعين إذ كان مُحرمَا
ورقّ نسيمُ الريح حتى حسبته يجيء بأنفاس الاحبة نعمّا!

وهذا المتنبي يقول في وصف بطلهِ في ساحة الوغى :

وقفتَ وما في الموت شكّ لواقفٍ كأنك في جفن الردى وهو نائمُ
تمرّ بك الابطالُ كلمى هزيمة ووجهُكَ وضاحٌ وثغرك باسمُ
تجاوزتَ مقدار الشجاعة والنهى إلى قول قوم أنت بالغيب عالمُ!
ضممتَ جناحيهم على القلب ضمة تموت الخوافي تحتها والقوادمُ
بضربٍ أتى الهاماتِ ، والنصرُ غائبٌ وصار إلى اللّباتِ والنصرُ قادمُ
حقرتَ الرُّدينيات حتى طرحتها وحتى كأن السيف للرمح شاتمُ!

وشعراء الاندلس كانوا على جانب عظيم من الخيال الشعري ، فهذا ابن حمديس يقول في وصف بركة يجرى اليها الماء من شاذروان ومن أفواه طيور وزرافات وأسود:

والماء منه سبائك من فضة ذابت على دولاب شاذَروانِ (١)
فكأنما سيف هناك مُشَطبٌ ألقته يوم الروع كفُّ جبانِ
كم شاخصٍ فيه يطيل تعجباً من دوحة نبتت من العقيانِ
عجباً لها تسقى هناك ينائعاً ينعت من الثمرات والاغصانِ
خُصّت بطائرة على فنن لها حسنت فافرد حسنها من ثاني
فاذا أتيح لها الكلام تكلمت بخرير ماء دائم الهملانِ
وكأن صانعها استبدّ بصنعة فخر الجماد بها على الحيوانِ
وزرافةٍ في الجو من أنبوبها ماءٌ يريك الجرىَ في الطيرانِ
وكأنما ترمى السماء ببندق مستنبط من لؤلؤ وجمانِ

(١) رفرف

إلى آخر هذه القصيدة الممتعة من وصف رائع وخيال رائق لايتاح إلا لعبقرية جبّارة . وهذا ابن الرومى يقول فيبدع فى رثاء (بستان) المغنية ، ويمدح (وحيد) فيجيد كذلك الاجادة كلها وغير هؤلاء كثيرون قرأ لهم شاعرنا الناقد فيما نظن .

والذى أراه أن الشابى توّاقٌ إلى الاصلاح نزاع إلى الطفرة بالشعر ، وهذه خلة حسنة ما لم تصحب بالتطرف البعيد فى امتهان الخيال العربى فى الشعر . وما عدا هذا ، فالكتاب جميل ، عذب الأسلوب رشيق العبارة ، وهو من الكتب النادرة التى تبعث على التفاؤل بمستقبل الشعر خاصة والادب بوجه عام ؟

مختار الوكيل



الرسالة

مجلة الثقافة العـــالية

يحررها

﴿ احمد حسن الزيات والدكتور طه حسين ﴾

وغيرهما من أعضاء لجنة النشر والتأليف تصدر كل اسبوع مرة مؤقتا

الى حضرات الشعراء والنقاد

ازدحمت مواد هـذه المجلة ازدحاما منقطع النظير فى تاريخ المجلات العربية بحيث اضطرتنا الى وقف النشر والتأليف لترجمة عمريات فتزجرالد وليالى ناجى ولغيرها مؤقتا حتى لا يفوتنا تقديم شعراء وأدباء الشباب المجهولين . وكل القصائد والمباحث التى نتلقـّاها تعرض على لجنة النشر ، وهى تشير باذاعة ما تختاره منها تباعا وقد تراكمت الواجبات على محرر هذه المجلة بصفة خاصة بحيث لايستطيع الرد شخصيا على ما يتناوله من الرسائل فنرجو قبول عذرنا القهرى

تصويبـــات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦٢٩	١٠	ترمق	يرمق
٦٣٥	١٩	يحذر	يحدّر
٦٣٥	١٧	ارغن الغناء	ارغن الفناء
٦٣٦	٥	ارغن الغناء	أرغن الفناء
٦٣٩	٢	النور	النُّسور
٦٥٥	٢	الشــاب	الشــباب
٦٦٢	١٤	وماندرى	ولاندرى
٦٧٩	١	الغناء	الفناء
٦٧٩	٣	يكون	تــكون
٦٩٤	١٤	المزدول	المرذول
٧٣٩	١١	أبوابه	أثوابه
٧٤١	١٥	حبيَـه	حبيُـه
٧٤٢	٩	الصياح	الصباح
٧٤٩	١١	تعرو	تعزو
٧٦٥	١٧	فتغدى	فتغذى
٧٦٩	٢	مَن	مَنْ
٧٧٧	٧	بأروقه	بأروقة
٧٧٧	١٥	حَمأ	حَمَأٍ
٨٢٠	١١	وتزوى	وتزرى

فهرس

صفحة





المجلد الأول

العدد الثامن

أپولو

مجلة فنية لخدمة الشعر العربي

لسان حال جمعية ابولو

تصدر مرة فى كل شهر

أبريل سنة ١٩٣٣

صاحب الامتياز ورئيس التحرير { أحمد زكى أبوشادى

الادارة { بشارع الملك المعز رقم ٩ بضاحية المطرية بمصر

التليفون { ١١٩٦ زيتون و ٤٠٤٥٦

مطبعة التعاون



مدرسة أبولو

سُئل شاعر معروف عن رأيه فى زميل آخر مشهور فقابل السؤال بمحض ابتسامة فسَّرها الاشقياء بأنها ابتسامة السخرية ، واكتفى بذلك منتقلا الى حديث آخر !

ليس من حرج فى ذلك ولم تذهب الابتسامة بشىء من فضل المبتَسَم منه ، ولكن الأدب قد خسر من وراء ذلك ، ولا نودّ أن نقول إن الاخلاق قد خسرت أيضاً فليس من شأننا أن ندلى هنا بخطبة منبرية .

الأدب قد خسر لأنه حُرِمَ المناقشةَ الجدّيةَ المفيدة التى حلّت محلّها السخرية الغامضة ، وما هذه السخرية فى الواقع الاّ مثال العجز والضعف وفقدان الايمان الفنىّ .

ننتقل من هذا الى مثال آخر غريب لما يمليه الغرض : عُنى شاعر ناقد بالموازنة بين بيتين فى الرثاء أحدهما لشاعر قديم والآخر لشاعر معاصر ، فحمل على الأخير حملة هوجاء بحق وبغير حقّ . فلما فرغ من حملته الغاشمة القاسية عرض نقده على صديق فنبهه الى الخطأ الجسيم الذى وقع فيه — ولم يكن يعنى خطأ التحامل بل خطأ استبدال البيت المذموم بالبيت الممدوح — فما كان من شاعرنا الناقد على أثر دهشته الا أن أطرق قليلاً ثم أحَلّ مبتسماً فى غير حياء ذلك البيت الممدوح محل هذا المذموم واحتفظ بروح المؤاخذة العنيفة للشاعر الذى يبغضه !

هذان مِثالان معيبان للونٍ من النقد نلمسه فى مصر ونخشى أن يسرى منها الى الاقطار العربية الأخرى . وهذا النقد الغريب — وما هو من أصول النقد فى شىء — لا يتفق وُجوده والتسامى بالأدب . ومن أجل هذا يعمل شعراء أبولو على تطهير بيئات الشعر بقدر الامكان من هذه العيوب ، فليست رسالتنا قاصرة على التسامى بالشعر من شتى الوجوه بل تشمل فوق ذلك التسامى بالنقد الادبى ذاته . وإن كل تجديد بلغ ما بلغ من الرقىّ ليهون إذا كان الشعراء يسمحون بأن يبخس

بعضهم بعضاً حقّه ، لأن هذا يؤدّى لا محالة الى تضليل القراء ولو وقتياً ، والى المغالطة فى تأريخ الأدب ، والى مقاومة تيارات النهضة الصحيحة ، وما هكذا تكون روح الأديب الصافى النفس الفنىّ النزعة .

إنّ مدرسة أبولو مدرسة تعاون وانصاف واصلاح وتجديد ، وعلى هذه الأركان وحدها يقوم بناؤها . فأمّا الفردية والأنانية والتصنع والتظاهر بالعظمة والتحامل البغيض وانكار المواهب فصفات أبعد ماتكون عن مبادئها ، وهى تبرأ منها وممن يجعلون الشهرة غاية لا منبراً لآرائهم . وكم نُكِبَ الشرق بالتنابذ وحبّ التفرد ، فليس يبهجنا أن ينكب الشعر العربى بأمثال ملوك الطوائف لكل منهم حاشيته وأوهامهُ وغرورُه وألقابهُ الزائفة :

ألقابُ مملكة فى غير موضعها كالهرّ يحكى انتفاخاً صورةَ الأسدِ !

وليس لهؤلاء عاقبةالاّ نفس العاقبة التى انتهى اليها ملوك الطوائف ، وأما الاساءة الى الشعر ذاته فهى مانعمل على تجنبه .

الشاعر لامارتين

أعلنت « الجمعية الفنيّة » فى بيروت رغبتها فى الاحتفاء بذكرى مرور مائة عام على زيارة شاعر فرنسا الكبير ألفونس لامارتين لربوع لبنان ، وقد تنقّل فيها ردحاً من الزمن وألّف كتابه المشهور (رحلة الى الشرق) فأودعه الرائع من خياله الشعرى وبيانه الساحر وذكرياته الممتعة . ونعدّ من الوفاء للأدب ومن ذكرى الجميل هذه العناية الطيبة من « الجمعية الفنية » البيروتية . وقد فتحت باب الاشتراك فى هذا الاحتفال التذكارى لجميع محبي الأدب الفرنسى وعلى الأخص لمحبي أدب لامارتين من أهل الشرق العربى .

الشعر العالى

« من الشعر العالى ما هو عسيرٌ » : كلمة قالها الشاعر الانجليزى النابغة جون درنكووتر فى أثناء محاضرته القيمة عن الأدب الجدى الناضج فى شعر ملتن وأقرانه ، وهو شعر لا يُستَساغ ولا يُستوعَب بسهولة بل يحتاج الى ذهن مستوعب مثقف ونفس فسيحة الحدود حتى يمكن أن يقدّر التقدير اللائق به . وهذا رأى سليم جدير

بالذيوع والترديد فى صحفنا ومجالسنا الأدبية لأنّ بين قرائنا من يحمّلون الشعراء مسؤولية تذويقهم الشعر بالملعقة دون أن يكلفوا أنفسهم أقل عناء لتفهم نواحي الحياة والجمال فى نماذج الشعر المختلفة ولتذوّق ضروبه :

الشعرُ صعبٌ وطويلٌ سُلّمُهْ ... اذا ارتقى فيه الذى لا يعلمُهْ
زلّتْ به الى الحضيضِ قَدَمُهْ ... يريد أن يعربَه فيُعْجِمُه !

وما دمنا قد أشرنا الى فضل درنكووتر فلنا أمنية عنده كمؤلف بارع واسع الاطلاع : وهى أن يضمّن تأليفه الجليل (المجمل للادب The Outline of Literature) فى طبعته التالية ما يجدر بتصنيف عالمى من هذا الطراز أن يستوعب من تاريخ الأدب العربى ، ولندع نظير هذه الامنية لنصراء الآداب الشرقية الأخرى وفى مقدمتها الادب الفارسى .

اذا كان من الشعر العالى ما هو عسير فمن المراجع الادبية العالمية ما يستدعى تأليفه عنتاً طويلا وجهداً عظيماً ، ولقد أنصف درنكووتر الادب الغربى إجمالا بمجمله السالف الذكر ولكنه نسى الادب الشرقى على الرغم من توفر مراجعه بالانجليزية ، ولن يغنى عن هذا النسيان إشارته الى عمر الخيام .

هذه أمنية نسوقها الى ضيفنا النابغة مقرونة باعجابنا بفضله الذى تجلى فى مؤلفاته ومحاضراته النفيسة .

ترقية الاغانى

نشرنا فى هذا العدد رسالة بليغة عن الزجل وشعر الأغانى للزجال الاديب المعروف محمد افندى عبد الرسول سليمان خريج التجارة العليا والمفتش بوزارة الحقانية . ورسالته التى نوجه اليها الانظار صريحة فى انتصاره للاسلوب العربى السليم ونفوره من العامية الدارجة ومن مبتذل المعانى . وهى دعوة نعززها باخلاص وقد عملنا فى الواقع على نصرتها من قبل دعايةً وتأليفاً .

ليس شعرُ الأغانى قاصراً على لون واحد من الشعر ، ومن حسن التوفيق أن الشعر العربى أصيلٌ فى ليريكيته وتستطيع ضروبه ان تحتمل صنوفاً من التعابير والموسيقى تلائم شتى البيئات . فمن الخطل بعد ذلك أن نجعل الأغانى العربية السلسة المهذبة خادمة للأغانى العامية المبتذلة ، وأن نترك تأليف الأغانى للجهلة من العامة أو لاشباه العامة .

ولما كان الناقد المجيد لا بدّ له من ثلاث صفات يشترطها الاصوليون ، وهى :
(١) أن يكون بارعاً فى الاندماج الذهنى بالموضوع الفنى الذى ينتقده ، و (٢) أن يكون قادراً على التمييز بين ضروب الاختبارات وطرح غثّها من سمينها ، و (٣) أن يكون خبيراً عارفاً بقيم الإشياء — لما كانت هذه الصفات أساسية للناقد الفنى الصادق المنصف ، فليس من العجيب اذا كان مثل هـذا النقد فى حكم المعدوم تقريباً فى البيئات العربيـة لتفشى الجهل والاهواء غالباً ، ولشغف معظم النقاد بالظهور والتعالى على حساب المؤلفين . وكل ما يرجى فى الوقت الحاضر ان يزكى كلُّ قدير موهوب عن أدبه ويساهم فى المجهود المشترك لرفع مستوى الأغانى العربية عن طريق الشعر السهل الجيد والزجل العربى السليم ، غير عابىء بالنقد السطحى الذى كثيراً ما يلق به المغرضون ناسين أن الزمن هو خير حكم وأن الشعر كالخمر لا بد له من أن يعتقه الزمن قبل أن يصدر الفنُّ حكمه الحاسمَ على قيمته وأثره ، وهذا هو شعور الغربيين نحوه .

الحرية فى النظم

كتب الدكتور محمد عوض محمد فى مجلة « الرسالة » ينتقد نظم الشعر المرسل blank verse والشعر الحر free verse وقال إننا أصبحنا اليـوم وا كثر الادباء متفق على أن إرسال القافية لايلائم الشعر العربى وأن الشعر الحر (أو « مجمع البحور » كما نعته) سيكون شأنه شأن الشعر المرسـل فينادى به بعض الـكتاب حيناً وقد يستفحل أمره زمناً ما ثم لايلبث أن تخمد جذوته ويذهب كما ذهب الشعر المرسل من قبـل .

والواقع أنه لا ضرر من التعريف بكلا الضربين من الشعر حتى اذا ماوُجِدَت مناسبات لعرضهما (وهذه لم تظهر بعد مع الأسف فى الأدب العربى) لم تـكن أدواتنا قاصرة . وخيرُ مجـال لـكلا الضربين من الشعر هو مجال التمثيل والملاحم الـكبرى ، ولا غبار على شاعر عصرى يسلك هـذا المسلك فى تأليفه ونظمه ، وقد لايسرّ الآذان المستعبدة للقافية الواحدة ولـكن الزمن كفيل بتبديل الأذواق .
وليس شأن من ينظم الشعر الحر شأن الطاهى المفسد فالمقارنة بعيدة ، ولـكن شأنه شأن الفنـّان الحرّ لا الفنـّان المقلّد ولا الصانع المقيّد . ولا شأن لنا بالأعلام

السابقين فلكل زمن رسالته . وما نشك فى أنّ الزمن كفيل بانضاج أساليب الشعر الطليق كما أنضج من قبل أساليب الشعر المقفى .

انّ الشعر الطليق من أنسب ما يلائم الدرامات على المسرح متى نظمه شاعر ناضج موسيقى النزعه بعيد عن الاسراف والشذوذ المتعمد، ونحن نتنبأ له مطمئنين بالمستقبل المجيد فى الأدب الغربى . وكلّ شعر حيّ تطور فى نظمه تباعاً ، وهذا شكسبير الذى يستشهد به الدكتور عوض لم يُرضه أن يتبع شوسر الذى ثار من قبل على الأوزان التقليدية الموروثة عن الأدبين الاغريقى والرومانى فابتكر إباحات جديدة فى نظم سونيتاته وكان إماماً بارعاً فى الشعر المرسل . وكانت كل طبقة جديدة من الشعراء تأتى فى ميدان الأدب تثور على بعض القيود لمن سبقتها ، فكما ثار (شيلى) و (كولردج) على (پوب) ثار (وتمان) على شعراء القرن التاسع عشر وجاء الرائد الموفّق لحركة الشعر الحرّ غير عابىء مطلقاً بالتقاليد السابقة ، ثم انتقل وحيُه الجريء الى أوروبا .

وكما اتسعت الموسيقى العالية لالحان ديبوسى واسترافنسكى التجديدية بعد ألحان بيتهوفن وموزار فلا غضاضه اذا وسع الشعر العصري وتمان وإزرا باوند وريتشارد ألدنجتون وأمثالهم من روّاد الشعر الحرّ . وقد كان السخط عاماً على الشعر الحر فى أول نشأته فى الغرب ووُجد كثيرون ينكرون كيانه الشعرى ولكن الأذواق تحولت كثيراً فى أقلّ من عشرين سنة ، وقد أرخ هذا التحول السريع كثيرون من نقاد الأدب الغربى وفى مقدمتهم هاربيت مونرو فاذا بهم يرون أن سرعة هذا التحوّل كانت فوق كل حسبان بحيث أن النماذج الأولى للشعر الحر (فى سنة ١٩١٢ مثلا) وهى التى كانت تُحسب ثورية فى صياغتها فى ذلك الوقت — أصبحت تعدّ الآن ضعيفة الجرأة تكاد لاتكون ثورية !

انّ النقد الذى وُجّه الى احمد شوقى بك والى خليل شيبوب وإلى ايليا ابى ماضى نقد ضعيف لا مبرّر له : فالشاعر الحر يرمى الى تعزيز الفطرة السمحة ، فهو يقدم نظماً يتفق وما تقتضيه ظروف النظم من إطالة أو اختصار ، من تقفية أو إرسال ، حسب ما يوحيه ذوقه وإملاء المناسبة بشرط أن يكون كل ذلك شعراً موزوناً سواء أكان كاملا أم فى أجزاء متمشياً بعضها مع بعض . فهو يشعرنا بروح التحرر وبالبعد الكلى عن الصناعة وعن التكلّف كأنما هذا الشعر كلام معتاد وصاحبه شاعر مطبوع

يرتجله ارتجالاً ، وهو ازاء ذلك يطلق لشاعريته العنان فيتحفنا بخير ما تستطيع أن تنجبه مواهبه الطليقة من الاجادة الفنية الخالصة .

هذه مرامى الشعر الطليق سواء أكان مُرْسلا أم تام الحرية ، وهذا الشعر الى جانب ذلك أقرب من سواه للتطبع بعصرية زمنه لانه غير مقيد بقيود فهو يتكيف بوحى الذوق الفنى وحده فى عصره ، وكلما تغير الذوق تغيرت الأساليب الموسيقية وبقيت للشعراء حريتهم التامة فى النظم .

وقراء (أبولو) يلحظون أننا مع احترامنا لكل أثر فنى سواء أكان تقليدى الصياغة أم جديدها لم يفتنا تشجيع الاساليب الجديدة بادئين بالقافية المزدوجة وسنشجع تدريجياً نماذج الشعر المرسل والشعر الحر وإن كنا نعتقد أن مجال التمثيل هو أنسب مجال لهما ، ولنا كل الثقة بأن الجيل الآتى سيعرف لهذين الضربين من الشعر خطرهما وسيحتفى بهما الحفاوة الواجبة . واذا كانا لم ينالا التفاتاً من الشعراء السابقين فذلك راجع الى الروح التقليدية عند البعض والى الرغبة فى استرضاء الجماهير عند البعض الآخر ، ولكننا لا يهمنا غير ارضاء الفن والفن وحده .

الشعر الرمزى والقصصى

لاحظ القراء تشجيعنا للشعر الرمزى والقصصى ، وليس معنى ذلك أننا نفضلهما إطلاقاً على غيرهما من ضروب الشعر . وانما لاحظنا ان الاسلوب الخبرىّ المحض كان من عوامل الإسفاف فى الشعر العربى بحيث انحدر به الى مستوى نظم الجرائد الرخيص الذى تكاد لا تسلم منه أمة من الأمم ، وإن كان قد تفشى فى صحفنا العربية تفشياً مخجلاً .

انّ الجمال جمالٌ حيثما كان ، وكيفما تشكل ، ولكن من الاساليب والمواضيع ما يكاد يضاد روح الشعر ، ولو أن الشاعر الملهم المتفوق تشعّ روحانيته من أى أسلوب وفى أي موضوع ومجال . ولكننا لانتناول الشواذ ، ولا يعنينا فى هذا المقام الاّ معالجة الضعف وأسبابه . ومن ثمة شجعنا ونشجع الاساليب الكفيلة بالقضاء على النظم الخبرى الذى يكاد يشبه مقالات الصحف ، ضنّاً منا بابتذال الشعر العربى ، ولأجل هذه الغاية ذاتها شجعنا ونشجع القوافى المتعددة والنظم الحرّ . ونحن فى الوقت ذاته نعترف بأن كلّ هذا لن يخلق مواهب فى من حُرِمَها ، وإن كان سيصدّ ذوي المواهب عن الابتذال .



صلوات فى هيكل الحب

عذبةٌ أنتِ ، كالطفولةِ ، كالأحلامِ كاللحنِ ، كالصباحِ الجديد
كالسماء الضحوك، كالليلةِ القمراء كالورد ، كابتسام الوليد
يا لها من وداعةٍ وجمالٍ وشبابٍ مُنعَّمٍ أملود !
يا لها من طهارةٍ ، تبعثُ التقديـ ـسَ فى مهجة الشقيّ العنيد !
يا لها رقةً ، تكادُ يَرِفّ الوَرْ دُ منها فى الصخرةِ الجلمود !
أيّ شيء تُراكِ ؟ هل أنت «فينيسُ» تهادت بين الورى من جديد
لتعيدَ الشبابَ والفرحَ المعسـولَ للعالم التعيسُ العميد !
أم ملاكُ الفردوس جاء الى الأر ض ليُحْيي روحَ السلام العهيد !
أنتِ ... ، ما أنتِ ؟ أنتِ رسمٌ جميلٌ عَبْقريٌّ من فنّ هذا الوجود
فيكِ ما فيه من غموضٍ وعمقٍ وجمالٍ مُقدَّسٍ معبود
أنتِ ... ، ما أنتِ ؟ أنت فجرٌ من السحر تجلى لقلبيَ المعمود
فأراه الحياة فى مونق الحسن وجلّى له خفايا الخلود
أنت روح الربيع ، تختال فى الدنيـا فتهتزُّ رائعات الورود
وتهبُّ الحياة سكرى من العِطْـر ، ويدْوى الوجودُ بالتغريد
كلما أبصرتكِ عيناىَ تمشين بخطو موقَّعٍ كالنشيد
خفق القلبُ للحياة ، ورفّ الزّهـرُ فى حقل عمرى المجرود
وانتشت روحىَ الكئيبة بالحبّ وغنت كالبلبل الغريد
أنت تحيين فى فؤادي ما قد مات فى أمسيَ السعيد الفقيد
وتشيدين فى خرائب روحى ما تلاشى فى عهديَ المجدود

من طموح الى الجمال ، الى الفن ، الى ذلك الفضاء البعيد
وتبنين رقه الشوق ، والاحلام والشجو ، والهوى ، فى نشيدى
بعد أن عانقت كآبة أيامى فؤادي ، وألجمت تغريدى
أنت أنشودة الاناشيد ، غنا ك إلاه الغناء رب القصيد



ابو القاسم الشابى

فيك شب الشباب ، وشحه السحر ، وشدو الهوى ، وعطر الورود
وتراءى الجمال يرقص رقصاً قدسياً على أغانى الوجود
وتهادت فى أفق روحك أوزا ن الأغانى ورقة التغريد
فتمايلت فى الحياة كلحن عبقرى الخيال ، حلو النشيد :
خطوات سكرانة بالاناشيد وصوت كرجع ناى بعيد
وقوام يكاد ينطق بالالحان فى كل وقفة وقعود
كل شيء موقع فيك ، حتى لفتة الجيد واهتزاز النهود
أنت ... أنت الحياة فى قدسها السامى وفى سحرها الشجى الفريد
أنت ... أنت الحياة فى رقة الفجر وفى رونق الربيع الوليد
أنت ... أنت الحياة كل أوان فى رواء من الشباب جديد

أنت ... أنت الحياةُ فيك وفى عينيك آياتُ سحرها الممدود
أنت دُنيا من الأناشيد والأحلام والسِّحرِ والخيال المديد
أنت فوق الخيال، والشعر، والفن وفوق النُّهى وفوق الحدود
أنت قُدسي، ومَعبدى، وصباحي، وربيعى، ونَشوتى، وخلودى



يا ابنةَ النُّور، إننى أنا وَحْدى مَن رأى فيك رَوعة المعبود
فدعيني أعيش فى ظلك العذب وفى قرب حُسنك المشهود
عيشة للجمال والفن والإلهام والطُّهر والسنى والسجود
عيشة الناسك البتول يُناجى الرَّبَّ فى نشوةِ الذُّهول الشديد
وامنحيني السلامَ والفرحَ الروحيَّ ياضوءَ فجرى المنشود
وارحميني، فقد تهدَّمتُ فى كونٍ من اليأس والظلام مشيدِ
أنقذيني من الأسى، فلقد أمسيت لا أستطيع حملَ وجودى
فى شعاب الزَّمان والموت أمشى تحت عِبءِ الحياة جَمَّ القيود
وأماشي الورَى ونفسيَ كالقبر، وقلبي كالعالم المهدود:
ظُلمةٌ ما لها ختامٌ، وهول شائع فى سكونها الممدود
واذا ما استخفَّنى عَبَثُ الناس تبسَّمت فى أسىً وجُمود
بسمةً مُرَّةً، كأننيَ أستلُّ من الشَّوك ذابلات الورود
وانفخي فى مشاعري مرَحَ الدنيا وشُدِّى من عَزمىَ المجهود
وابعثى فى دمى الحرارة، عَلِّى أتغنَّى مع المُنى من جديد
وأبُثَّ الوجود أنغامَ قلب بُلبليٍّ، مكبَّلٍ بالحديد
فالصباحُ الجميل يُنعشُ بالدِّفءِ حياةَ المحطم المكدود
أنقذيني، فقد سئمت ظلامى! أنقذيني، فقد مللت ركودى!



آهِ يازهرتى الجميلة لو تدرين ماجَدَّ فى فؤادى الوحيد!
فى فؤادى الغريب تُخلَقُ أكوانٌ من السُّحر ذات حسن فريد

وشموسٌ وضَّاءةٌ ونجومٌ تنثر النورَ فى فضاءٍ مديد
وربيع كأنه حُلُمُ الشَّاعر فى سَكرة الشباب السعيد
ورباةٌ لا تعرف الحَلَك الداجي ولا ثورة الخريف العتيد
وطيورٌ سحريَّة تتناغَى بأناشيدَ حلوة التغريد
وقصورٌ كأنها الشَّفق المخضُوب أو طلعة الصباح الوليد
وغيومٌ رقيقة تتهادى كأباديدَ من نُثارِ الورود
وحياةٌ شعريةٌ هى عندى صورة من حياة أهل الخلود
كلُّ هذا يشيده سحر عينيك وإلهامُ حسنك المعبود
وحرام عليك أن تهدمى ما شاده الحُسْن فى الفؤاد العميد
وحرام عليك أن تسحقى آمـ ـال نفس تصبو لعيش رغيد
منكِ ترجو سعادة لم تجدها فى حياة الورى وسحر الوجود
فالإلـهُ العظيمُ لا يَرْجُمُ العَبْدَ اذا كان فى جلال السجود!

توذر الجريد — تونس : ابو القاسم الشابى



إلى فينوس

يا ربَّةَ الحسنِ إنَّ الشعرَ أسقمَنى وأفعَمَ النفسَ آلاماً وأشجانا
أطوِى الحياةَ شريداً لاأرَى أمَلاً كشاردِ الطيف يسرى الليلَ حيرانا
وبى ذهولٌ ، وبى وَجْدٌ ، وبى ألَمٌ وبى حنينٌ يذيبُ القلبَ أحيانا
كم زَوَّرَ الشعرُ آمالا مُزَخْرفَةً وخادعَ القلبَ بالأحلامِ أزمانا
ثم انتبهتُ فطارتْ كلها بَدَداً وأعقبتْ لوعةً حَرَّى وأحزانا
بالهفَ نفسى! لكَمْ جُرِّعْتُها غُصَصا أذكتْ لها فى صميم القلب نيرانا

كم طعنةٍ يافؤادي فيك سَدَّدَها … مَن كنتَ تحسَبُهُ في الحبِّ رحمانا
ومن وقفتَ عليه العمرَ تَعبُدُهُ … وتبذُلُ الروحَ أنَّى شاءَ قربانا
وما طلبتُ على حبي وتضحيتي … غيرَ الوفاءِ ولو ألقاهُ إحسانا
ما أرخصَ القلبَ في شرعِ الأُلى رُزقوا … بعضَ الجمالِ فما أعلَوْا له شانا !

* * *

هـذا فؤادي على أطلالِ أضلُعِهِ … لَقىً ، جريحٌ ، وما ينفكُّ لهفانا
ياليتَ شعري أيقضي العمرَ مُطَّرَحاً … أم هل يرى من نعيم الحب رضوانا
ياليتَ (فينوسَ) ترعاني فتجعلني … في الحبِّ أسعدَ مخلوقٍ بدُنيانا
حسبي مِنَ الهمِّ ما لا قيتُ من زمني … حسبي من البعد والتعذيب ما كانا
وما يَسوؤُكِ لو أبدَيْتِ لي أملا … أسرى على ضوئه الفتانِ جذلانا !؟

* * *

هذي ضراعة عبدٍ خاضعٍ رُفعتْ … لربةِ الحسن ألحانا وأوزانا
قد صاغها من نجيعٍ بات ينزفُهُ … قلبٌ يعاني من الآلام ألوانا
إنْ تُدْركيه تَعُدْ فيه سعادتُهُ … أو تُهمليه قضى في الحبِّ تحنانا !

احمد كامل عبد السلام



الى نوســا

منكِ الجمالُ، ومنّى الحبُّ يا (نوَسَا)[1] فعلّلى القلبَ، إن القلبَ قد يئسا
ياحبذا نسمة من (توحةٍ) خطرت أطالت النفسُ من أسبابها النفسا
أضمها ضمَّ مشتاق به خبلٌ قد رام كتم هوى أحبابه فنسا[2]

* * *

إن تسمعى قرعَ ناقوس بقريتكم فى مطلع الفجر ينعى الليلَ والغلسا
فإنه قلبى المنكودُ يذكركم فهل سمعتِ بقلبٍ قد غدا جرسا؟!
وإنْ تألقَ برقٌ فى سماوتكم فإنه من لهيب القلب قد قبسا

* * *

الروحُ إن ظمئت يوماً فحاجتُها خمرٌ سماويةٌ فاحت بها قدسا
وأنت يا «توحُ» روحانيةٌ خُلِقتْ لكى ترينا عُلا الجنّاتِ منعكسا!

* * *

هذا جمالُكِ يدعونى لأعشقه لكنّ ثغركِ يا دنيايَ ما نبسا
الله يشهد أنى حين أذكركم أذيل دمعاً على الخدين محتبسا
عسى نسيم الصبا يسرى فيسعف بى قلباً يموت حزيناً فى الغرام ... عسى!
فإن بعثتِ لنا من (توحةٍ) خبراً فكم يحبك هذا القلب يا (نوَسا)

م. ع. الهمشرى

---

(١) من ضواحى المنصورة (٢) فقصر

لقـــاء

على شاطىء البحيرة

تعانقنـا بروحينـــا ورجّعنـا أغانينـا
وأعلنّـا الى الاقدا ر من فرحٍ تلاقينا

وأنشـدت الطيورُ على بحيرتهـا أغانيهـا
وراحت تملأُ الدنيا بما قد كان يشجيها

كأن الـكونَ يا روحى بما فى الـكون يهواكِ
فما غنت طيور الـ حبّ الا عند مرآكِ

نسيمُ البحر يا روحى عليلٌ أنّ مِن باسكْ
يقبّـل هُدْبَ ثوبك فى خشوع العابد الناسكْ

وهذا الموج ماغنى لغيرك فاتركى الدلاّ
سماعُ الموج فى طرب لحيّ الموجَ يا ليلى
فمـا رقت حواشيه لغيركِ يا حياة القلب
ولا ازدانت جوانبه بغيرك ياملاك الحب

وهذا الزورقُ السارى يحاكى مشيةَ البطّ
يميل لأننا فيه . . . ويرهب طلعة الشطّ
وتلك القبةُ الزرقاء يا للقبـــةِ الزرقا
تزيد غرامَنا وتسو ق ما نرجو لنا سوقا
حياتى ! فتنتى ! قلبي ! سعادةَ حبي الغالى !
إلهُ الحب باركنا . . وذلك كلُّ آمالى !

المهدى مصطفى



ظلام ونور

نزل الظلامُ فلاتَ حين مُقامى لم يبق غيرُ مدامعى وسلامى
هبط العُقابُ على الديار فلفّنى فى جنحه وأظلّنى بقتام
والسيلُ قد غمر المدائنَ والقُرى وطغَى كما يطغَى العُبابُ الطّامى
نفسى تحدّثنى بأىّ مُغرَّقٍ لاحولَ لى فى لجّه المترامى
فلأىّ أرضٍ بعدُ أنقل مُتعَباً قدَمى وأحملُ هيكلى وحُطامى
ضاقت علىّ الأرضُ وهى مَفازةٌ فوق امتدادِ الظنّ والأوهامِ
سكنت سكونَ القبر ثم تناوحت فيها الرياحُ كساهرٍ بسقامِ
ثَكلى اذا أنّت أحِسُّ كأنها راحت تُدَوّى فى صميم عِظامى

* * *

كفّاكِ أومأتا الىّ وقالتا: مَنْ للرميّةِ يَقتفيها الرّامى
فنفضتُ عنى الموتَ وهو ملازمى حيث التفتُّ فما أراكِ أمامى
أجتاز أىّ كتائبٍ مرصوصةٍ وأشقّ نحو حِماكِ أىّ زحامِ
سدٌّ من الدنيا ومن أغلالها وعوائر الألبابِ والأفهامِ
فاذا خلونا عاودتنا ساعةٌ رقدَ الهوى فى ظلّها البسّامِ
هلّت على أفق الحياة ونوّرت وتألقت فى خاطر الأيامِ
كم من رُؤًى عزّت علىّ تكشفت فرأيتها بنواظر الإلهامِ
وسعادةٍ شردت وعزّ منالها فقنصتها فى نشوة الأحلامِ
وعرفتُ ماطعمُ الهدوء، أنا الذى لم ألقَ ساعةَ راحةٍ وسلامِ!

ابراهيم ناجى

قبيل العيد

الى أختى الصغيرة

بينما الناسُ نيامٌ وادعونْ وظلامُ الليل غشّى العالَما
وطيورُ الروض تأوِى للوكونْ ووحوشُ الغابِ باتت نُوَّما

* * *

ومياهُ النهر تجرى كالحُباب (١) وجفونُ الزهر غشاها الكرى
وأخو السهد (٢) توارى بالحجابْ بعد أن ملَّ التنزّى (٣) والسرى

* * *

كنتُ يا أختى كأنى فكرةٌ بين رفض وقبول تضطربْ
أو غريقٌ غشيته لجةٌ مرة يبدو وأخرى يحتجبْ

* * *

كنتُ يا أختى كما شاء السهادْ بين همٍّ وشقاءٍ استعرْ
كفؤادٍ شفَّه طولُ البعادْ أو كعمرٍ كاد يفنيه القدرْ

* * *

بيد أنى فى همومى ذاكرٌ عهدَكِ الماضى ودمعى منسجمْ
وفؤادى فى ضلوعى حائرٌ وبنات الصدر شوقاً تضطرمْ

* * *

فاذكرى العهدَ الذى حثَّ الركابْ حاملا سعدى إلى وادى العدمْ
اذكريه بين أهلى والصحابْ ثم قولى : كان ، لكن لم يدمْ

* * *

عندما يدعو المنادى للصلاه ويتم النصرُ للفجر الوليدْ
وتدب الروح فى جسم الحياه ويشى الصبحُ بأنفاس الورودْ

---

(١) الحباب : الحية (٢) المراد القمر (٣) التوثب والانتقال .

* * *

اذكرينى وابعثى أختى السلامْ فبريد الصبح يُعنَى بالغريبْ
اذكرينى كلما غنى الحمامْ أو تهادى عند عُشٍّ عندليبْ

* * *

وإذا العيدُ اتى يا زينبُ وارتدى الأترابُ أثوابَ القصبْ
ومضت كلُّ فتاةٍ تلعبُ فخذى حظك من هذا الطربْ

* * *

وإذا عنّى فتاةٌ تسألُ أو أتى الإخوانُ عنى يبحثونْ
فلتقولى عن قريب يُقبلُ رغم أنف البعدِ والدهر الخؤونْ

محمد مصطفى الطهراوى



مناجاة الليل

ألا ياليلُ مالكَ من خليلٍ تصون ودادَه وتصون عهدَه
فكم من ساهرٍ ياليلُ يبكى حبيباً وارتضى ياليلُ سهده
وكم ياليلُ من قلب رقيقٍ خلفتَ ظنونه وجفوت وده
يناجى فيك محبوباً عزيزاً تهون مطالبُ الأيام بعده
فهل يا ليلُ تذكره وفيّاً وتذكر أنه سيظل عبده
وهل يا ليلُ عندك من رقادٍ فتذكرنى إذا ماكنت عنده
بحسبك جفوة مرَّتْ بقلبى فلم تقصر مداه ولم تصده

محمود احمد البطاح

وقفة فى حيـــاة

ليس فى مصر فؤادٌ يستجيبْ لفـؤادِ الشــاعرِ المغـتربِ
غلب الطيش على تلك القلوب وسرى فيها سِمامُ الـكذبِ
وفؤادى عاد كالقفر الجديب بعد ما كان كروض معشبِ
تبسم الأزهار فيه والورودْ

« • »

أرجعُ النفسَ إلى الماضى السحيقْ رُبَّ ماضٍ تسكن النفس اليه
ويلتا ! ما ذلك الصمتُ العميق إى ! وما الهول الذي فى جانبيـه ؟
ذلك المـاضى ؟ فـياحزنى الطليق هاتِ ما عنـدك لا تبخلْ عليه
واشتعل فى القلب إن كان يفيدْ !

« • »

أين أيام شبابى المشرقات ؟ قـد تولّتْ ! فوداعاً يا شـبابى !
أين ليلات صحابى المبصرات ؟ قـد تولت ! فوداعاً يا صحـابى !
أين ؟ لا أين بهاتيـك الحـياة عبثاً تسـألُ من غـير جوابِ
والذي قد فات هيهات يعودْ

« • »

وربيعُ العـمر ولّى عَجـلا ما اجتنينا فيـه الا الندما
هـو ضيف حـلَّ ثم ارتحلا ليتـه ظـلَّ نزيلا مكرما
ونذير الشيب لمّا أقبـلا طـيَّر الأمن ، وهاج الألما
ما لقلبي اليوم فى ذعر شديدْ ؟

« • »

أنا من ضـل بصحراء الحـياه فهو فيها كالشـعاع الحائر
يضمرُ البيدَ بفيض من سـناه ثم لا يحظى بطرف شاكر

أشخوصٌ؟ أم صخورٌ؟ ما عساه يتراءى لخيال الشاعر
ذلك الناطق فى هذا الوجودْ

« • »

أنا مَنْ قد عاش فى دنيا الخيالْ وهى دنيا لا يراها البشرُ
يسطع النورُ عليها والجمالْ ويُوَشّى جانبيها الزَّهَرُ
ليس فيها من خصام أو جدالْ لا ، ولا تسكن فيها الغِيَرُ
بعضُ ما فيها نعيمٌ وخلودْ

« • »

كم دعوتُ الناس للخلد المقيمْ وهمُ فى غيِّهمْ لا يسمعونْ
أوغلوا فى الذل ، والذلُّ أليمْ وإذا صحتُ بهم يستهزئونْ
لا يُبالون بلومٍ من مليمْ وكأن العقل فى الدنيا جنونْ
رحمة الله لانصاف العبيدْ !

« • »

قاربَ الشوطُ على أن ينتصف فى طريق لم أجد فيه أنيسا
أبداً أمشى ، ولكن أرتجفْ من مصير غال من قبل النفوسا
أي فؤادى ! أنت يارمز الشرفْ هو ذا الرامسُ يختطُّ الروسا
وغداً يا صاحِ تحويكَ اللحودْ !

« • »

أقُصارَى المرء من أيامه جَدَثٌ يُحفَرُ فى جوف فلاه ؟
والرقيقُ العذبُ من أنغامه يتلاشى بين طيات دجاه ؟
ويضيق المجدُ عن إقدامه ثم يُنسى كلما طال نواه ؟
كاد ليل الشكّ فى النفس يسودْ !

« • »

أنا من قد ودَّ فى الشعر البقاءْ فهو حى ، وهو مجدي المستطيل
لا تخلهُ من جنون الشعراءْ فوسيعُ الملكِ فى معنى قليلْ
أفمَنْ يسكر من خمر الدماءْ مثلُ منْ يسكر بالمعنى النبيلْ ؟
خلنى والشعر ، وانعمْ بالقيودْ

صاحبٌ لايعرف الغدرَ ولا يرهق النفس بلوم أو عتابْ
كلما مرّتْ لى الدنيا حلا ومضى يمسح آثار المصابْ
ست ألحاه على الدهر . ألا مَنْ يبيع الخلد بالقفر اليبابْ ؟
يانعيم الخلد ، وُقّيت الحسودْ !

« • »

قال لى الشعر بصوت لايبينْ : كم إلى كم أنت تبكى خائفا ؟
غنّ ياصاح ، ودع عنك الانين وانطلق بين الروابى هاتفا
وأرح نفسك من عبء الشجونْ هـل ترى إلا نظاماً زائفا
يسبق العاجز فيه والبليد ؟

« • »

وهفا الشاعرُ كالطير بهيجا لا يبالى بعظيم أو حقيرْ ؟
يملأُ الدنيا صياحاً وضجيجا أرأيت الطير فى وقت البكورْ
وإذا ما النفس ودّتْ أن تهيجا من نفوسٍ ترتضى عيشَ الاجيرْ
هدأ النفس بأنغام القصيدْ

عبد العزيز عتيق

فى محراب الألم

جئتكَ والبؤسُ قد برانى ياليـلُ ، والدمع فاض سيلا
أبكى على خيبة الأمانى ابكى على السعد قد تولّى

« • »

عشرون قضيتها شقيّـا بقلبيَ المرهفِ الرقيق
وهل تعد الأنامُ حيّـا من ناه من قلبه الغريق؟

« • »

ودّعتُ فيها المنى جميعا   ودّعتُ فيها الجمالَ طُرًّا
مللتُ أحلامَها سريعا   وجئتُ أبغي الفناءَ حُرّا

« • »

ظلامُ قلبي يا ليلُ بعضٌ   من ظلمةٍ فيكَ أجتليها
ونارُ قلبي يا ليل ومضٌ   من نجمةٍ فيكَ أصطفيها!

« • »

خذني إلى صدرك الرحيبِ   وضمني في السكون ضمّا
وطُفْ على نجمتي الحدوبِ   أُذيبها في الظلام لنا!

« • »

طِرْ بي لعلّ النجومَ فيها   من يفهم الشعر والأغاني
لعلّ التي بها نزيها   يُعِزُّ شعري بلا دهان

« • »

واحرّ قلبي يا ليلُ، ألقى   في كل ما أجتلي شجونا
تطير عني المنى وأبقى   في عزلتي شارداً حزينا

« • »

قد خانت الحبّ والعهودْ   حوريةٌ عشتُ أفتديها
خانت! وكان الهوى الوليدْ   يهشّ من حولنا وجيها

« • »

قد كنتُ ودّعتُ كلّ نُعمى   إلا هواها الذي احتواني
فحينما طار، قلتُ حلما   مضى به هازئاً زماني

« • »

قد قال دهري: «خذ الشرابْ   واهل لتنسى هموم عيشك»

فقلتُ : « أعطيتنى الحبابْ وقلتَ : خمراً ! فيا لغشّك !

« • »

«غيبتَ لى الصابَ طىّ كأسِك وقلتَ هيّا فاشرب هنيّا !
إنْ كان موتى مفتاحَ أُنسِك فهاتها ، هاتها ، رَويّا ! »

« • »

« يا دهرُ لاتكثرْ الخداعْ إنى كرهت البقاء ، فاسعدْ
وارفع عن الوجه ذا القناعْ وقفْ على جثتى ، وغرّدْ ! »

« • »

قل : « ها هو الشاعر المغنى البائس المجهد الطريدْ
قاومته فأستخف منى وسامنى هجوه الشديدْ »

« • »

« وكلما طار فى الفضاءْ محلقاً صادحاً طروبا
سلبته ريشه فناءْ مجندلا فى الثرى كئيبا »

« • »

« قاوم نيري فكان جَلدًا وكان ذا شرّةٍ وعزمِ
أغرقت آماله فأبدى حزماً لدى الخطب أىّ حزم »

« • »

فكلما غار فى الدياجى نجمٌ له ، جاد بالأغانى
يظل فى شعره يناجى ما غاب فى الدجن من أمانى

« • »

إنْ كان فى الناس مَنْ تولّى فحقّر العيش وازدرانى
فإنه الشاعرُ المُعَلّى الصادحُ المرهف الجنانِ !

« • »

أردته أن يكون عبدى فشاء إلا أكون عبده
واليوم اذا مات جئتُ أهدى له القرابين والموده

مختار الوكيل

بابـــا!

يصيح « بابا » إذا ما مسّه الألمُ ... أو يرسل الدمعَ وهو الشاهد العَلَمُ
لاتحرجوه فبابا عنده وَزَرٌ ... أو تؤلموه فدمع العين يحتدمِ
بأشهر عشرة بانت عواطفه ... غراً ويعوزه التبيان والكلم
لم يتّخذ غير « بابا » للخطاب ولا ... « ماما » فذلك منه المنطق الخذِم
يقولها فى الرضا أو غاضباً حرداً ... فالخير بالشرّ فى الالفاظ ملتئم
كأن « بابا » هو الدنيا بأجمعها ... وأن « ماما » هو الاله الرازق العلِمُ

* * *

« بابا » فِدى لك يا روحى وعاقبتى ... إذا ثويتُ وأبلى جسمى العدم
ما كنت أحسب للارواح أمثلة ... حتى أتانى « جواد » انه فهم
إذا بكى فكأن الروح منتزع ... وإن شكا فكأنّ القلب مصطلم
لطالما أنا أستصبى فأرقصه ... فانما أنسه الترقيص والنغم
وربما يتغنى سادراً فرحاً ... يردد الصوت لا ينتابه السأَم
يجمجم الصوت فى تعريف مأربه ... من دون معنى ولكنا له فهم
إن قال بابا وأومى لى فأحمله ... كما يريد لانا حوله خدم
أو يحتكم فهو حكم لا يعقبه ... شخص واجراؤه فرض وملتزَم!
ليؤلم النفس أن تمنى مآربه ... رفضاً فينهكها من رفضها الندم

* * *

يسطو على الكتب والاوراق يمزقها ... مزقاً فظيعاً ففى أصواتها نغم
وإن خرجت ينادينى بلهجته ... « بابا » فتثبت من تلقائها القدم
عهد الطفوله فى الاعمار مسعدة ... كأنه بينها — مستعذباً — حُلم

بغداد

مصطفى جواد



اللغـــز

أنا الروضُ لكنْ أنكرتْني جداولُه
أنا الغصنُ لكن باعدتْني بلابلُه
أنا الأُفقُ لكنْ جانبَتْني أصائلُه
ولاحَ مع الفجرِ الجميل تجاهُلُه
ومرَّ بيَ الإصباحُ يبدو تَغافُلُه

فصوَّحَ هذا الروضُ ، وانكَسرَ الغصنُ   وأصبحَ هذا الأُفقُ تجهلُهُ العَينُ !

فأين خريرُ الماء ؟ أين الجداولُ ؟
وأين رنينُ الصوْتِ ؟ أين البلابلُ ؟
وأين الصباحُ الغَضُّ ؟ أين الاصائلُ ؟
وأين مضى الفجرُ الجميلُ المخايلُ ؟

* * *

أنا الواحـةُ المجهولُ بَدْءُ طريقِها
تُسِرُّ إلىَّ الشمسُ نجوَى شروقِها
وتَمنحُني فى الغرب كأسَ غبوقِها
وتُلقى علىَّ الزُّهْرُ مَعنى بريقِها
وتأسرُني الأحلامُ مثلَ عشيقِها

ولكنها الصحراءُ تُدفِنُ قاصدى   وتُفسِدُ حبّاتُ الرّمال موائدى

لقد مرّ بى جيلٌ مِنَ الدهر غافلُ
وتاهتْ بأنحاء الصحارى قوافلُ
يُغرّرُ بالحادى سرابٌ مخاتِلُ
وتمضى سنونُ الجهلِ حولى تداوَلُ !

* * *

أنا العابرُ الملاّحُ أبهمَ ساحلُهْ
وقفتُ على موْجِ الخِضَمّ أسائلُهْ
عن الساحلِ المجهول ضاعت دلائلُهْ
وبانت عن الملاّحِ طُرّاً مخائلُهْ
فثارَ علىَّ الموجُ ، قاسٍ تحامُلُهْ
وحطّمتْ الريحُ الغشومُ سفينتى وهل فى منار الحربِ تُجْدِى سكينتى ؟

لقد غمرَ الموجُ الغضوبُ الشّواطئا
وغطى جميعَ الصخر إلاّ النّواتئا
لقد جاءنى جيْشُ الفناء مُفاجِئا
وبى رغبَةٌ فى العيش فلأَمْضِ هازئا !

* * *

سأهزأ بالإصباح إنْ جاءَ ناعِمَا
وأهزأ بالإصباح إنْ جاءَ غائما
وليلى سَواءٌ إنْ دجَى بىَ ساهِمَا
كئيباً ، وإنْ أبْدَى النجومَ بَواسِمَا
وإنْ جاءَ دهرى غاضباً ومُسالِمَا
سأسْخرُ مِنْ دُنيايَ دوْماً فترتدِى ثياباً مِنَ الحقّ الصريح فأغتدِى

علِماً بما خلفَ الثيابِ ، وما درَى
بماتطمسُ الأثوابُ من خُدْعَةِ الورَى
سِوَى الهازىء المُغْضى على كلّ مايرَى
لقد حيّرَ الأفكارَ مَنْ عاشَ ساخِرًا !!

حسن كامل الصيرفى

الغـــد

قد سألتُ الغدَ عن أخباره فتلقّانى بصمت وسكونْ
فاذا بى غارقٌ فى سـرّه مثلما تغرقُ فى اللجّ السفينْ
إيه ، يا غدُ ، قد فسّرَ لى أمسِ ما كان ، فما ذا سيكونْ ؟
أيها الجاثمُ فى محرابهِ هات لى عنك شعاعاً من يقينْ !

محمد برهام



الهيكل العظمى

أخى أبصرتُ بالامس صديقـا لأبى شادى
فهيّج كامنَ النفس وذكرنى باجـــدادى
وذكرنى بمـا ألقاه بعد الموت من تلفِ
وزهّدنى بمـا فى العيش من مجدٍ ومن ترف
صديقاً كان قبل اليو م معدوداً من الانسِ
وآض لهيكلٍ يحفظ للأبحاث والدرسِ
تساوت عنده الساعا تُ والايامُ والحقبُ
أللأعراب أم للهند أم للفرس ينتسبُ
هتفــتُ به أناجيــه وما يسمع نجـوايا
ورحتُ مفكراً فيــه فهانت كلّ دنـيايا
أهبتُ به : ومَن أنت ؟ تخلت الثغـرَ يبتسم !
ترى يا صاحِ مَنْ كنتَ وكيف انتابك العــدم ؟
أقضّيتَ زمان العيش محــزوناً ومبتئســا
وما سرك هذا الدهر الا ريثما عبســا

ترى هل سرك الدهرُ وهل أسعدك الجدُّ
وأدركت مدى الغايات أم أخطأك السعد ؟
أكنت الطيبَ السيرة لا تقسو على الناس ؟
أم الجبار لا يرحم شأن الظالم القاسى ؟

« ٠ »

ترى يرجع هذا الهيـ ـكلُ المظمىّ انسانا
ويلقى بعد هذا المو ت اخواناً وخلانا ؟
وهل نرجع بعد المو ت احياء كما كنا
فويح النفس وا أسفاً لأية غاية جئنا ؟!
أللقوت وكم جرّ الى التهلكة القوتُ
فان تمتد اعمارٌ فان الحتف موقوت ؟
أللنسل وما يبقى على أيامها أحدُ
ولا ينفع فى المقدا ر لا مالٌ ولا ولد ؟
أللعلم وكم ضاعت على الأيام أوراق ؟
أللعلم وكم ضاقت بأهل العلم أرزاق ؟
نقضّى زهرة الايا م فى هم وأمراض
وما من قانع فى النا س عن أيامه راضى
وما ذا ضرّ لو نلنا من الدهر أمانينا
فلم نضجر بدنيانا ولم نر بأساً فينا ؟
فيا من نال من دنيا ه ما يرجوه من أرب
لقد قضيت أيامى على بؤس وفى نصب
لقد أثقلنى الدهر باعباء وأرزاء
فهل عند جلال المو ت ما يحسم لى دائى ؟!

« ٠ »

أخى ان البقاء النذ رَ فى الدنيا لأهليها
تشابه كلُّ ما فيها فباديها كخافيها !

سيد ابراهيم

السعادة

تَرجو السعادةَ يا قلبي ، ولو وُجِدَتْ في الكون لم يشتعلْ حُزْنٌ ولا أَلَمُ
ولا استحالتْ حياةُ الناسِ أجمعُها وزُلزلتْ هاتِه الأكوانُ والنُّظُمُ
فما السعادةُ في الدُّنيا سوى حُلُمٍ ناءٍ تُضَحِّي له أيّامَها الاممُ
ناجتْ به الناسَ أوهامٌ مُعَرْبِدَةٌ لمَّا تَغَشَّتْهُمُ الأحلامُ والظُّلَمُ
فَهَبَّ كلٌّ يُناديهِ ويَنْشُدُهُ كأنَّما الناسُ ما ناموا ولا حَلَمُوا!

* * *

خُذْ الحياةَ كما جاءتك مبتسماً في كفِّها الغارُ أو في كفِّها العَدَمُ
وارقصْ على الوردِ والأشواكِ متَّئداً غنَّتْ لك الطيرُ أو غنَّت لك الرُّجُمُ
واعملْ كما تأمُرُ الدُّنيا بلا مَضَضٍ والجِمْ شُعورَكَ فيها ، إنها صَنَمُ
فمَنْ تألم لم تَرْحَمْ مضاضتُهُ ومَنْ تجلَّدَ لم تهزأ به القِمَمُ
هذي سعادةُ دنيانا ، فكن رَجُلاً إن شِئْتَها — أبدَ الآبادِ يبتسِمُ!
وإنْ أردتَ قضاء العيش في دَعَةٍ شِعْرِيَّةٍ لا يُغَشِّي صَفْوَها نَدَمُ
فاتركْ الى الناس دُنياهم وضجَّتَهمْ ومابنَوْا لنظام العيْش أو رَسَمُوا
واجعلْ حياتك دَوْحاً مُزهِراً نَضِراً في عزلةِ الغابِ يَنْمو ثم يَنْعَدِمُ
واجعلْ لياليكَ أحلاماً مُغرِّدَةً انّ الحياةَ وما تدْوِي به حُلُمُ!

نوزر الجريد — تونس : أبو القاسم الشابي

أريد...

أُريد فتاة إنْ هتفتُ بها أتتْ تغنّي بشعري في حنانٍ وفي بِشْرِ
أُريد التي قد صوّر الشعرُ حسنَها فقصّر في رسم الملاحة والبهرِ
أُريد الجمالَ الفذَّ — مَنْ قد طلبتُه صغيراً — ومَنْ أبقى له طالباً عُمْري
أُحبّ الجمالَ الحيّ في كلّ كائنٍ فلا فرق بين الحسن في الغيدِ والبدرِ
وقد يلمس الفنّانُ في الكونِ مُتعةً ويلحظ حُسناً في الدمامة والشرّ
فيمضي يُذيع الخيرَ في الناس جاهلاً بأنّ ذريعَ الشرّ عاقبةُ الخيرِ

مختار الوكيل

الرزق

(أنشودتنا هذه الى البائسين ليس غير : أما حضرات المترفين الناعمين فلا نريد منهم أن يقرءوها ، فأنشودة العزاء لا توجه الا الى الحزين)

أمسِكِ الدمعةَ فى آماقها ودعِ الأمرَ إلى خالقِهِ
هذه الدنيا لجبٌ آفاقها واترك الرزقَ إلى رازقهِ
إنْ يشأ أعطى وإن شاء أبى

وهو فى الحالين ربٌّ عادلُ سخّرَ الشمسَ لنا والقمرا
لطفُه ضاق النّواحى شاملُ بسط الرزق لنا أو قتّرا
كم حباكَ الفضلَ ، بلْه الذهبا

أولمْ يَحْبُكَ منه البصرا وحباكَ السمعَ منه واللسانا
منشئا أنشأنا مقتدرا ثم أعطانا زماناً ومكانا
فاشكر الله على ما وهبا

خَلق الأرضَ وما فيها لكا خالقٌ قام اليها فدحاها
ثم سوّاكَ عليها مَلِكا مستبداً بدجاها وضحاها
تصرع الليثَ بها والثعلبا

ليس يجدى الليثَ ناباه ولا ذلك الثعلبُ يغنيه دهاؤهْ
أكِلا الاثنانُ فيما أكِلا لضعيفٍ هذه الدنيا غذاؤهْ
سالبٌ حُكمَّمَ فيما سلبا

ولك اليابسُ والماءُ وما دبَّ من مكمنه أو سَبَحا
فاشكر الله على ما أنعما واتّبعْ سُبلهِ ما أوضحا
لا أرى من ضلّ فيها أو كبا

واذا أبصرتَ شيخاً معدمَا أو أديباً طاوياً أحشاءهُ
فاذكر الله ، وقل ما أحكمَا ! ليس يحصى عبدُه آلاءه
ذاك فضلٌ سرّهُ قد حُجبَا !

يا أخا الضرّاء فى الدنيا هنيئا لك ما تلقى من الخطبِ الجسيمِ !
هو من مولاك فاكرعه مريئا واستزدْ من ذلك الخير العميمِ
تلقَ فى الأُخرى جزاءً عجبَا

يا أخا الضرّاء لا تشك ولا تبتئس وارضَ بأحكام الحكيمِ
ما أرى صابك إلا عسلا فاحسُه واشكر لمولاك الحكيمِ
ما ابتلى عبداً به : بل ما حبا !

واذا صقت بصرف الدهر ذرعا فحذار الشكّ فى الله حذارِ
انّ من أنشأها فوقك سبعا وطحاها من جبالٍ وبحارِ
صادقُ البطشِ إذا ما غضبا

فاخشه واشكرْ له ما يَفعلُ واتّهم حسّكَ فيما يَجِدُ
واعقلْ الشيء الذى لا يعقلُ جفنُنا ياصاحِ جفنٌ أرْمَد
ربما ظنّ الصباحَ الغيهبا !

محمد الأسمر





مناجاة الفراش الأصفر

الفراش الأصفر هو ذلك الطائر الضئيل
الذى يتنقل فوق الزهور والأعشاب تحت الشمس

يا طائراً لا يكفُّ هل أنت نجمٌ يرفُّ
أم أنتَ خطفةُ نورٍ أم أنت قلبٌ يخفُّ
تطير ندباً طروباً فوق الزهورِ تدفُّ

* * *

شابهتنى فى شبابى بل إن جسمى أخفُّ
قد كان ريش جناحى من عسجد يستشفُّ
وكنتُ بالدهر دوماً مستهزئاً أستخفُّ
حتى لقيتُ شديداً من الليالى يشفُّ
قد شاب قلبي - فنفسى عن السرور تعفُّ
وأصبح الحزنُ حولى من كل جنب يحف
وسوف يذبل قلبي غداً — ودمعى يجفُّ

م . ع . الهمشرى

على ضفـاف الغدير

جَنِّبانى خليجَ بحر الرومِ وقفا بى على ضفاف الغديرِ
هـاهنا الغيـدُ فى عِدادِ النجومِ حُمْنَ حولَ المياهِ مثلَ الطيورِ

« • »

هنّ أقبلن بارزاتِ الصدورِ ثم شمَّرنَ كلَّ ذيلٍ عفيفِ
يا لها من طهارةٍ فى سفورِ جُمِع الطهرُ كله فى الريفِ

« • »

قد كشفْن الذيولَ عن سيقانِ أرأيتَ الدُّمى وهنّ عوارى ؟
وتقدمن فى خُطىً مُتوانِ يتأرْجحْنَ خيفـةَ التيّـارِ

« • »

رفـعت ذيلَ حالكٍ فى السـوادِ عن حواشِي موردِ اللونِ دامى (١)
فاذا طىّ هذه الابرادِ شفقٌ لاح تحت جنـح الظـلامِ

« • »

فاذا مارأيتَ رأىَ العينِ منظرَ السوقِ غُصُنَ فى الأمواجِ
قلتَ وادٍ أديمُه من لُجينِ نبتت فيه غابةٌ من عاجِ

« • »

ركعت كلُّ غادة هيـفاء كركوع البتولِ فى المحرابِ
فـرأت ظلَّ وجههـا فى الماء ورأى الماءُ فيـه ظلَّ العـبابِ

« • »

رُمْنَ غمـسَ الجـرار فى الآذىّ فأبى غمسَها دلالاً وتيها
فاذا ما انتصرن نصرَ الـكمىّ ضحكتْ كلُّ جرةٍ ملءَ فيها !

« • »

---

(١) ترتدى القرويات غالباً اردية سوداء تحتها غلائل حمراء.

ثم أدبرنَ يحتملن الجرارَا تتثنى من تحتها الأجيادُ
ما دلالاً تميس تلك العذارَى كلّ لدْنٍ تؤوده منآدُ

« • »

رفعت عند سيرها باليمين ذيلَ ضافٍ مهفهفٍ معثارِ
واتّقت بالشمال فوق الجبين غزوات الشعاع للابصارِ

« • »

سِرْن سيرَ المجدّ عند الورودِ فاذا ما صدَرْنَ سِرْن اتئادا
أرأيتَ الظليمَ عند الشرودِ أو رأيت اللباةَ إذ تتهادى !

« • »

وعجبنا لحاملات الجرارِ كُحْنَ فوق الرءوس كالأبراج
كيف تبدو فى عزمةِ الجبارِ ذات جسم كالزئبق الرجراج ؟!

« • »

تلك سوقٌ مصقولةٌ فى العراء لم تَمِسْ فى جواربٍ من حريرِ
ورءوسٌ خُلِقْنَ للاعباء لارءوس ألفْنَ قصّ الشعورِ !

« • »

ما توهَّلنَ فى ظلام الخدورِ أو طلين الاديمَ بالألوانِ
بل جرت فى الوجوه جرىَ النميرِ حمرةُ الشمسِ صبغةُ الرحمنِ !

« • »

سائلانى عن أهل تلك المغانى إن هذا الاديم مسقط رأسى
لقنتنى طيورُه ألحانى وسقانى هواه أولَ كأسِ

« • »

مسْرحٌ قد صعدتُه منذ حين وعليه لعبتُ دورَ الغلامِ
لكَ يا ريفُ زفرتى وحنينى لكَ عندى تقديسُ أهلِ الغرامِ !

محمود غنيم

فى يوم مطير

ما للطبيعة قد بدت فى ثوب صبٍّ مدنفِ
ما للبلابل قد ثوت فى عشها لم تهتف
ما للرياض بليلة بدموعها كالخائف
مالى أرى شمس الضحى فى خدرها كالموجف
عهدى بها حورية وهّاجة لا تنطفى
هل راعها متعنتٌ فى حجبها لم ينصف؟!

«٠»

بكرت للروض الجميل لادفع الهمّ الدخيلْ
فسمعت صوتاً قاصفاً حجب الطيور عن الهديلْ
ولمحت لَمْماً قد بدا كالذّعرِ من حُسنٍ قتيلْ
فوقفت حيراناً أصفق هـاتفاً متألمـا
وأسفتُ مما قد رأيت وظلّ قلبي واجما
وغصصت حتى لم أقل شيئاً ولم اتكلما!

«٠»

يا روض ما بالك قد ذبلتَ فهيجت أشجانى؟
يا قلب مالك قد خـفقْتَ فغيبت ألحانى؟
أين الغوانى الصادحات بلحنها الروحانى؟
المنعشات الماحيات مرارة والاحزان؟
مابال زهرك قد ذبلْ ما بال سعدكَ لم يطلْ
مابال طيرك لم يقلْ فيزيل مابى من أسى؟!

محمود محمد درويش



الهيكل المستباح

وَقفتْ بالباب في ثوبٍ رقيقْ تفتح البابَ لقُطَّاع الطريقْ
كم سروقٍ نال منها جانباً ومَضَى ... ما أعجبَ اللص الطليق!
يا مضيفاً للذى حلَّ به واسع الصدر رحيباً لا يضيق
كيف بالله تراءيتَ لهم باسمَ الثغر ، وفى النفس حريق ؟

« • »

جئتُها في ليلةٍ فابتسمت بسمةً تفترُّ عن حَرِّ الشهيق !
ثم قالت : مرحباً ! يا مرحباً بأخى اللذاتِ ! أهلاً بالعشيق !
ها هى الزهرةُ يا محلَ الهوى فاظفروا بالشهد وامتَصُّوا الرحيق !
واطرحوها زهرةً قد ذَبُلَتْ في ربيعٍ ناضرٍ غضٍّ وريق !

« • »

زمهريرُ البرد يُضنى جسداً عارياً إلا من الثوب الرقيق
جسداً لو يبعث النسمُ به يتنزَّى — كيف بالله يطيق ؟
جَعَلَتْ منه الليالى سلعةً ما الليالى غيرُ تجارٍ رقيق !
عرضوها فى طريقٍ شائكٍ ترقب المبتاعَ من أهل الطريق
هكذا أختى ، ولكن مرحباً بأخى اللذات ! أهلاً بالعشيق !

« • »

أيها القوم استبيحوا عِفَّتى واشربوا من ماء وجهى ما اريق
يا أخا اللذات أمْعِنْ فى الهوى واجترعْ من خمر سحرى ما أذيق
دَنِّس الحسنَ الذى نوّتُ به عانِقْ الهيكلَ والقدَّ الرشيق
لامِسْ النهد وجَرِّدْ طهره وتمتّعْ من شفاهٍ كالشقيق
هاتِ من سمّ المحيا قبلةً تتجرى فى خدودٍ من عقيق
وتمعّنْ إنْ تَشَأْ فى أعينٍ فيهما من شعلةِ الحبِّ بريق
وانزَعْ الثوبَ فهل يجدى وقد بات ثوب الطهر يا صاحِ خليق؟

« • »

فتأمّلْتُ جمالاً ضائعاً لاح من أنحائه قلبٌ سحيق
وتطلّعتُ اليها لحظةً فإذا الحسناء فى صمتٍ عميق
عجباً لم ألقَ إلا جسداً ذائباً فى مرجل الدمعِ غريق
جسداً فى ذلةٍ يربطه رابطٌ باليأس مشدودٌ وثيق
جسداً تبدو عليه شقوةٌ ويرى فى حومة البؤس المحيق
جسداً قد مات إلا نَفَساً رَدَّدَتْهُ من زفيرٍ وشهيق

« • »

وانقضى الليل فناديتُ أمَا آنَ يا مرمَى البلايا أن تُفيق
فتحتْ فاها وقالت : مرحباً بأخى اللذات ! أهلاً بالعشيق !
قلت : لا أبغى متاعاً ليس لى ! جنّبيه ! ما أنا إلا صديق !
خبرينى يا ابنتى انت التى لقيت فى خدرها ألفَ عشيق :
هل وجدت الرفق منهم ساعة هل وجدت الطاهر القلب الرفيق؟

« • »

يا إلّهى كيف أعددْتَ لها بعد دنياها عذاباً ؟ هل تطيق ؟
أشقىٌّ الدهرِ يشقى بعدَه وهو بالرحمة فى الأخرى خليق!؟

صالح جودت



مسرح التمثيل

(من قصيدة ألقيت فى مسرح ثانوية بغداد المركزية)

جيلٌ يفاخر فى الحضارة جيلا متماثلان : حقيقةً وهيولى
هذا يمدّ على الرشيد وصحبه ظلاً بارجاء الزمان ظليلا
ويظل يبعث من بعيد فضائه طلق الهواء يهبّ فيه عليلا
تلقى الحياة لديه من أعبائها حملاً على وجه الحياة ثقيلا
ما زال يرسل عن هداية وحيه فى العالمين من الفنون رسولا
يوحى رسالة ربه فكأنه جبريل حين يناول التنزيلا
كانت أيادى الفن فيه جميلة تولى جميل الفن فيه جميلا

« • »

يا عهدَ هارون الرشيد ، تحية لك تحمل التكريم والتبجيلا
الق اليدَ البيضاء ثم اشهد على وادى السلام من الحضارة جيلا
بعث الحياة جديدة فى روعة ومضى يشق الى النجاح سبيلا
وأقام دار الفن عامرةً به تحيي القريض وتبعث التمثيلا
رفع القواعد من هياكله التى كانت رسوما قبله وطلولا

« • »

يا مسرحَ التمثيل بُلغتَ المنى وحييت فى ظل الزمان طويلا
ولقيت فى دنياك ما ترجوه من سعد الحظوظ : مهنداً مسلولا

تغدو على الأجيال ممتنعاً به ... تقسو كثيراً تارةً وقليلا
وتنال من بؤس الزمان فيغتدى ... ويروح من دون الطباع غسيلا
وإذا تألم كائن صورت ما ... يضنيه سهلاً عِبؤه محمولا
وبداعة التصوير فيما صورت ... غير الجميل بها يرد جميلا

« • »

يا مسرحاً لعب الشباب بصدره ... متمثلين لناظريه شكولا
مثلت من صور الحياة مظاهراً ... مازال فيها كلنا مشغولا
من لوحة فى الحب غير صديقة ... تحوى العناق وتشمل التقبيلا
ومناحة فى الحزن أضرمت الحشا ... واستنزفت غرب الدموع سيولا
ومهازل مأثورة لذوي النهى ... يبدو بها شبحُ الحياة هزيلا
هذا جمال الفن فارع حقوقه ... واجعل على الدنيا له التفضيلا

« • »

ان الحياة رواية قد مثلت ... فى العالمين فصولها تمثيلا
خلدت على وجه الخلود فلم تزل ... ترخى وترفع فى الزمان سدولا
هذا يروح بها وذلك يغتدى ... متنقلين عمومة وخؤولا
كلٌ يحث بها الرحيل وإنما ... فى ضمن دائرة نحثّ رحيلا
طلعت فصولٌ من شؤون جمةٌ ... تتلو لعمر أبى الحياة فصولا
كلٌ يطالع فصله لكنما ... يبقى لدى ادراكه مجهولا !

بغداد (العراق): حسين الظريفي



زوبعة فى السودان

برقٌ يلوح من الجنوب ويختفى ... عالى الذؤابة كالأشمّ المشرفِ
يجلو الظلامَ وكلُّ شىءٍ خابىءٍ ... فيه لعين الناظر المتشوّفِ
فترى السحابَ عليه أبيض ناصعاً ... أو دا كناً تحت الفضاء الأجوفِ
وترى المرابع والحقول زهية ... وترى العروشَ على الدّيار الوُقّفِ
من كل جاريةٍ هناك رداحةٍ ... تختالُ فى «ثوب الزّراق»(١) المفهَفِ
لا يبهر المتطلعين بَهارُها ... إلا ليونة خصرها المتعطفِ
ولجت وسدّت بابها مذعورة ... كالشادن المتلفت المتخوّفِ
وزوابع السودان تخلعُ قلبها ... وتدقُّ رعداً مثله لم يقصفِ
طلع الهبوب عليه من صحرائه ... دون الدُّوَيم(٢) كهاجمٍ متعنفِّ
طيّاتهُ تربٌ وملءُ جيوبه ... حشرات ذاك السبسب المتطرّفِ
فملا البيوت وشالها فاجتاحها ... فى غير مرحمة وغير تلطُّفِ
والكون أظلم من مغار وطاوطٍ ... قد لَفَّ هيكلَهُ بجبّة أسقفِ
كل النوافذ محكمٌ إغلاقها ... والذرُّ يطرف مقلة المتلحّفِ
والأم قد جمعت فلائذ كبدها ... وأصاخ كلٌّ بالسماع المرهفِ
ودوى بجوف الليل سَطْلٌ صاخبٌ ... لولا الزوابع فى الفنا لم يُقذَفِ
مازال يرسل صدَّه ودفاعه ... صخب الطبول مع الرياح الزفزفِ
حتى تقشّعت الهبوبة وانجلت ... ظلماتها والسحبُ لم تتصرّفِ
فهناك عبّأت الجواءَ نسائم ... قد رطّبت فى الكون كلَّ مجففِ
ردّت إليه الروح بعد كِتامها ... عنه وكان لها شديدَ تلهُّفِ
ولقد أطلّت أختنا واستجمعت ... بثيابها قنديلها أن ينطفى !
لكن تلقّتها هناك صواعقٌ ... حمراءُ ذاتُ تدربُلٍ وتخطُّفِ

(١) لباس نساء السودان (٢) اسم بلد فى السودان على النيل الابيض .

ورأت على ضوء البروق فسمَّرت ... شبحاً لظلّ السارق المتعجرفِ
ذئبٌ تستر بالهبوب كأنهُ ... خفاشُ ذيّاك الظلام الأسدفِ
لم يلقَ إلا السَّطلَ غنماً بارداً ... فى حين ولّت تستعزُّ بمُسعفِ
ثم انثنتْ والماءُ فى آثارها ... وشلٌ فردّت ضيفها لم يحتفِ
وتساكبت قطراته بتمنُّع ... فتقطُّعٍ فتدفعٍ فتجرُّفٍ
يهمى وقد أجرى الغياثُ مسارباً ... للماء تنفذ من خلال الأسقفِ
ما زالُ آلُ البيت كلٌّ منهمُ ... يلقى التقطُّرَ فى صحافِ الرفرفِ
حجرات ذاك الدار عُدْنَ مصافياً ... للماء تنجز داخليٌّ تصرُّفِ
فالليلُ أروع والعيون سواهرٌ ... والغيث افظع سيبه لم يكتفِ
وانشقت الاحجار عن حشراتها ... فتدفقت تسعى بغلٍّ المشتفى
من كل ذى ذنبٍ يشال كزورق ... يختال فى بحر السّمام المُزْعِفِ
فاذا اتكأت على الجدار فعقربٌ ... واذا حفيت جزاك صِلٌّ مختفِ
ما زال هذا الغمْرُ فى تسكابه ... لثمانٍ ليلاتٍ بغير توقفٍ ا
حتى اذا انقشع السحابُ ونوّرت ... شمسٌ أشعّت فوق قاعٍ صفصفِ
وكأنَّ هذا الكون بحرٌ غامرٌ ... والدرّ سُفنٌ ارسيت لمجدّفِ
ومضى الرجالُ وفى الأكفّ فؤوسها ... يتجاوبون على مَدًى كالهُتّفِ
وتساءلوا عمّا ألمَّ بدورهم ... جرّاءَ ذيّاك الخريفِ المُعْصِفِ
ومضى الصغارُ يخوّضون بأبحرٍ ... أو يبحثونَ بمائها المتخلّفِ
كم من صغيرٍ ساخ منهم غارقاً ... فى هوّةٍ لخفائها لم تعرَفِ
فهناك ولّوْا جازعين فبلغوا ... أمَّ الصبىّ ويا لَهَوْلِ الموقفِ
ما جىءَ إلا بعد يومٍ بآبنها ... لفراسخ جُرفتْ بسيلٍ متلفِ
ولقد بكته فصوتها متهدّجٌ ... والعينُ تزخر فى الدموع الذرّفِ
الأمهاتُ خفيفةٌ لمصابها ... يسمعنَ فى الاطفال قولَ المُرجفِ

يحبسن من أطفالهن مخافة والطفل يعلق بالمروع الاخوف
ما ارتاحت الدنيا ليوم ذى صحا إلاّ وعادَ سحابُها لتألُّف
فكذلك السودانُ فى إعصاره وسيوله وهبوبه المتضعِّف
فى ذلك الجوّ المخوف مقيمة ناس تعزُّهم شهادةُ منصف
سُودُ الطوالع غير أن قلوبهم بيضاء تنبئ عن هُدىً وتعفّف
إن قام منهم قائم فجاهداً وإذا أكبّ فقارئاً فى المصحَف
لايخنعون ولا تلين قناتهم وإذا أهينَ ضعيفهم لم يضعف
مِن معشرٍ حامُ بن نوح جدُّهم وصلوا تليدَ المجدِ بالمستطرف
إمّا اصطحبتَ تحفّظوا لعهودهم وإذا وفيتَ فنهمُ الحلُّ الوفى

كلية الآداب — بالجامعة المصرية : عامر محمد بحيرى



الساحر ....

غنِّنى بالسحر غنِّ تُسعِدُ القلبَ الكسيرْ
واملأ القلبَ خيالاً من شُعاعٍ وعَبيرْ
واملأ الروحَ صفاءً أيّها الراوى القديرْ
أعطِنى بالقلبِ شعراً إنه روحٌ طَهورْ
أيها الشادى ، بنفسى شِعرُكِ الحىُّ المنيرْ
فى ظلالِ الروضِ تاهتْ عن هوًى حالٍ كبيرْ
جئتَ تُزجيهِ بلحنٍ هو إلهامُ الضميرْ
إنما الشعرُ حياةٌ لِمُنَى القلب الكسيرْ

جميلة محمد العلايلى

الشارد

أيُّها الشاردُ عن وكر الهوى قد عَفَا من بعدك القلبُ وذاب
كنتُ لا أشهد إلا نضرةً فاذا النضرةُ قد أمست يباب
كنتُ لا أسمع إلا بلبلا فاذا الشادى على الايك غراب
كنتُ لا أشرب إلا خمرة فى كؤوس قد مُلِئْنَ اليومَ صاب
كنتَ لى يا تاركى فى لوعتى انت والألحان والكأْس طِلاَب

« ٥ »

لستُ أنسى فى حياتى ليلة أنصفَتْنَا بعد ما طال الغياب
قرّبَت منّا فمَا نحو فم وتقضّتْ بين لوم وعتاب
وسكون الليل أذكى شجوَنا وظلام الليل مسدول النقاب
لم أكن أعرفه يوماً قبلها أننى كنتُ غريقاً فى سراب

« ٥ »

لكَ شَعرٌ ذهَبيٌّ ساحرٌ ضاع فى مَوْجاته قلبى وذاب
لكَ خدّان تبدّتْ فيهما حُمرة تنساب من قلبى المذاب
والعُيُون الزُّرْقُ من فوقهما رائحات غاديات كالسحاب
حين قالوا انّ آلامَ الفتى ليس يغنيها من الدهر الذهاب
خفتُ هذا العيش أن يمضي بنا أو يعيد الشيب أهوال الشباب
مشفقاً بالصبّ من آلامه أن يضيع العمر فى هذا العذاب !

صالح جودت





الى الريح الغربية

(عن شلى)

(هــذه القصيــدة فى نظر النقاد أجمل قصائد شلى وأ كثرها تعبيراً عن الجمال الفنى فى الشعر على الاطلاق)

يا أيتها الريح الغربيــة المجنونة ، يا نفسَ الخريف ، انت يامن تساق الاوراق الميتة امام كيانها الخفى ، كارواح تهرب من ساحر يطاردها : صفراء وسوداء شاحبة ومحمرة ملتهبة : شبه جموع رُوِّعت بوباء . انت يا من تدفعــين البــذور المجنَّحة الى قبورها القائمة الباردة فلا تزال دفينة فيهـا حتى تجىء اختك غادة الربيع فتنفخ فى نفيرها فتطير الاكمام الجميلة اسراباً اسراباً تغتذى فى الهواء وتملأ السهول والتلال ألواناً وعبقاً .

يا أيتها الروح المجنونة ، طائفة هنا وهناك ، ايتها المخربة الحافظة ! استمعى ! استمعى ! أنت يا من على عبابك بينما تحتدم السماء مضطربة تتناثر السحب كما تتناثر الاوراق على الأرض كأنما انتزعت من اغصان السماء والمحيط ، وينتشر رسلُ المطر والبرق على سطح الآذىّ المائج ، ويمتد من حواشى الأفق نحو السماك خصل العاصفة المقبلة كشعر مرفوع من رأس ماردة جبارة ! يا أغنية السنة المنصرمة : أناخ فوقها هــذا الليل المطبق كقبر كبير ، قبته هذه الابخرة القوية المتجمعة التى من جوها الجامد ينهمر المطر وتندلع النار وينفجر البرد ! استمعى !

لو انى كنت ورقة تحملينها ، أو سحابة مسرعة تطير معك ، لو كنت موجــة ألهث تحت ظلال قوتك وأقاسمك جبروتك — وأنا دونك حرية — انت يا من

لاسلطان لشيء عليها ، أو لو عدت صبياً اصحبك في طوافك خلال السماء ـ واذن كنت لا أدخر حلماً حتى أجاريك في سرعتك العلوية ـ ما جهدت كما أصنع الآن وصليت ادعوك في محنتي . ارفعيني كموجة أو كورقة أو كسحابة ، انى أقع على اشواك الحياة. انى أدمى . إن ثقلا من الساعات كبّلني وقوّسني أنا الشبيه بك في جنوني وخفّتي وكبريائي . اتخذيني قيثارتك كما تصنع الغابة ، وإن تجدى اوراقى تتساقط كما تتساقط اوراقها فان ضجيج ألحانك القوية سيأخذ من كلينا لحناً خريفياً عميقاً عذبا وإن يكن حزيناً .

ايتها الروح العنيفة كوني روحي ، كوني انت أنا وادفعي افكارى الميتة امامك حول الكون كالأرواح الذابلة ، لعلها تستعيد حياة جديدة ، وبتكرار هذا القصيد انشرى لهباً ورماداً من موقد مضطرم ، انشرى كلماتي بين الناس وكوني على شفتي للدنيا الغافلة نفير نبوّة .

ايتها الريح اذا كان الشتاء مقبلا ، فهل الربيع بعيد ؟

ابراهيم ناجى



من مشرقيات فكتور هوجو

(لازارا كانت تحقّ آية الخلق الجميل)

أرأيتم كيف تعدو فوق مغبرّ السبيل
بين نسرينٍ وزهرٍ رفّ في العشبِ البليل ؟

« • »

بين سُوقِ القمح والخشخاش ذى اللون النضير
في دروب موحشاتٍ لا يُرى فيها نفير
في جبالٍ ، في سهولٍ بين غابٍ ذى صفير

أرأيتم كيف تعدو وهيَ كالظبيِ الغرير
غادةً تمّ صباها في خطى الدلّ تسير؟

« • »

سلة الوردِ على الرأس كإكليل الأميرة
وَبدَت جذلى تهادَى في تثنّيها مثيرة

« • »

ما أُحيْلاها ! ذراعـ ـا ها كأنهما رخام
إستدارا لجبينٍ كاد يغزو في الظلام !

« • »

فتراءت مثلَ آنيةٍ زهاها عنفوانْ
أو دُمى المَرمَرِ في مَعْبَدٍ ذَيَّاكَ الزمانْ !

« • »

وتُغَنّي للصَّبا أنشودة كانت تجيدْ
كلما قد رتّلتها هزّت الصُّلبَ الجليدْ
وتُعَرّي قدميْها فوق أجفان البحيرهْ
تتبَعُ الغادات عدواً بين أزهارٍ وخضرهْ

« • »

بينما تمشى الهوينا إذْ بها خفّت تسير
تعبرُ الجدولَ وثباً وهيَ في الثوب القصير
قدماها رفعاها فهى عصفورٌ يطير !

« • »

ومتى تلتئمُ الحلْقةُ للرقص المساءْ
وترى جلجلةَ القطعان عادت في ثُغاءْ
حيثُ يمسى الجمعُ في لَهفٍ لها عند اللقاءْ

تقبل الهيفاءُ مع زهرتها ذاتِ الرُّواءْ

« • »

بُهِتَ الباشا (عُمَرْ) وهو والى (نيجربونْ)
وَلَكمْ قلباً أَسَرْ سحرُ كحلاءِ العيونْ
فبدا يعرض ما يعرض طوعاً للشجونْ
واعداً مَنحَ الكبارِى وأساطيلِ الحصونْ
وسلاحِ وجوارى مِن سَفينٍ ومُتونْ
وعمامتهِ الحريرِيّـَ ـةِ مِمَّا يَحْذِقونْ
ورِداءِ بلآلِ يرتديه المترفونْ
ومعدّات قتالٍ وقرابين المنونْ
بأياديهـا اللُجَينِيَّةِ صيغتْ لتصونْ
والدمشقية والْ... والْ... أين ثَمَّ الحاسبون !؟

« • »

وكنانته من الابريز مَلآى بالنبالْ
تحتها جِلدُ النَمِرْ فوقه ماضى النصالْ
وبنفس المدَّخِرْ كلّ هذا للجمالْ !

« • »

وهو ما زال على اسـ ـتعداده للتضحياتْ
بقصورٍ وعبيـدٍ وجَـوارٍ بالمئاتْ

« • »

وكلابِ الصَّيد تزدان بأطواق العقيقْ
والأولى اسودّوا من (الألبان) من شمس الطريقْ

« • »

(وفرنكاتٍ) حواها ويهودٍ والعميدْ
(وبكشكٍ) باهرِ الالوانِ كالقصرِ المشيدْ

« • »

وبُرُدْهات الحمومِ (ببلاطات المزايكو)
بقلاعٍ مشرفاتٍ بزوايا لاتُدَكّْ

« • »

وبمصيفه المنعكس الصورةِ فى ماء الخليجْ
فى نواحى (سيرنيكا) المصيفِ الصافى البهيجْ

« • »

بجوادٍ عربىٍّ ابيض اللون كحيلْ
كان ربَّاه صغيراً فغدا نعمَ الزميلْ
ذى لجام ذهبىٍّ إن عدا راح يسيلْ
عَرَقٌ منه من الفضةِ بالصدرِ الجميلْ!

« • »

بل باسبانيةٍ قد بُعِثتْ من (باى تونسْ)
هبة المتبوع للتابع فى الغربة تونسْ!

« • »

رقصها عند الأميرْ كان (فاندنجو) السريعْ
يكشف الثوبَ القصيرْ عن حُلى الساق البديعْ

« • »

كل ما نال وحازا فى تصابيه يهونْ
فاذا ما احتاز (لازا) كذب الوعد الخئونْ
نالها لم يعط شيئاً مرخص الحسن المصونْ
قنص الخادعُ ذاك الصيدَ فيما يقنصونْ
وكم استغوى الغوانى قومُ خِدْعٍ يمكرونْ

« • »

لم يكن باشا (عمرْ) بل من الشوار كانْ
ليس للنعمى أثرْ عنده بل للطعانْ
أسود العينين لايملك الا (القربانْ)

مِن برنز أثّر الطّلْقُ عليها بالدُّخانْ
عِلك الجوّ وماءَ البحر يشق فى هوانْ

« ٥ »

وهو قد يملك أيضاً امرءٌ أنّى نزلْ
مالكٌ حرية الفرد بمعصوم الجَبَلْ

اسماعيل سرى الدهشان





قصة البخت النائم

للشاعر عثمان حلمى

قصة « البخت النائم » هذه قصة فارسية الأصل أكبر الظن أنها وضعت أيام كانت للفلسفة الالهية فى الشرق سوق نافقة تعرض فيها مذاهب المتكلمين فى القضاء والقدر والجبر والاختيار وما اليها من المسائل ، معززة بالدليل المنطقى أو بالقصة الطلية تؤثر فى النفس من طريق الشعور، غيرمعتمدة على الاساليب الجدلية والقضايا المنطقية .

وهى تتلخص فى أن أخوين ورثا من أبيهما نصيبين متساويين ـ أرضاً زراعية ـ ثم أخذ كلّ يستغل مزرعته فأفلح أحدهما حيث أخفق الآخر ، ومن ثم حسد هذا أخاه وتمادى به الحقد حتى فكر فى اغتياله . غير أن طيف الأب تراءى له وتحدث اليه فنزع من رأسه نية الاغتيال ولكنه لم يستل الضغينة من قلبه ، فاعتزم السطو على

جنة أخية عساه أن ينال من شجرها وثمرها وزهرها منالاً يفثأ غيظه ويروّح على كبده ، حتى اذا همّ بانتقامه انبرى له «بخت» أخيه ماثلا لديه فى إهاب حارس قام بباب تلك الجنة يذود عنها شرة كل عادٍ فى غلة ربها الوادع فى هناءته المطمئن فى رخائه .

وتحدث « البخت » الى يحيي فألقى فى روعه أن يقظته هى سر نجاح أخيه . أما بخته هو فنائم فى قفر سحيق . فاذا أراد ان يحاكى أخاه فلاحاً وسعادة فما عليه الا ان يوقظ ذلك النائم من سباته بعد أن يجتاز ما بينهما من صعاب وعقبات .

فالمسألة هنا هى كما ترى مسألة حظ صاحٍ وآخر نائم، أو هى مسألة قضاء وقدر لادخل فيها لكفاية ولا لاختيار .

ومضى يحيي يجتاز الامصار ويجوب الفيافى والقفار ، وكما نجا قبله أبطال القصص من الفرسان والشطار ، فكذلك نجا يحيى من كل ما اعترض طريقه من الأهوال والاخطار . نجا من الاسد لا يروى من ظمأ ولا يشبع من جوع ، ونجا من قاطع الطريق صاحب الكنز الدفين ، ونجا من الملك لم يسعده الملك ولا أفاء عليه أمناً أو هناءة . نجا وهو منهم على موعد لقاء يدلى لكلٍّ فيه بما أفتى «البخت» من جواب مسألة أو طب لداء .

وأخذ يحيي السير حتى بلغ مداه فاذا هو على رأس نائم يغط فى نومه العميق ، فلما أيقظه أسرّ اليه هذا أنه هو بخته فأخذ يحيي يناجيه بآلامه وآماله فهدّأ البخت روعه وأفتاه فيما سأله ووعده بالسعادة والهناءة .

وعاد صاحبنا أدراجه يحثث الخطى نحو بلاده وقد استطار الفرح لبه وركبه شيطان الطمع والغرور . فلما التقى بالملك وأطلعه على سر قلقه وشقائه عرض هذا عليه أن يشاطره ملكه فأبى واستكبر ، ومضى حتى اذا التقى بقاطع الطرق أعرض كذلك عن كنزه وكلّ ما حوى من أموال ونفائس غوالٍ . وهكذا أضاع الفرصة ولم يبق بدٌّ من أن ينقلب حظّه عليه غصة ، فما هو الا أن وقع على الاسد وعلم هذا من ضلاله وفساد رأيه ما علم حتى وقع عليه الاسد يفرى لحمه فرياً ويطحن عظمه طحناً ويطويه فى الهالكين .

فالمسألة هنا هى كما ترى مسألة سوء رأى وفساد تدبير ، لا مسألة قدر لامفر منه ولا محيص .

هذه هى القصة . أما معالجة مواقفها وتصوير مواقعها واثارة دفائنها واستخراج عبرها ومواعظها وصقل مبانيها وإحكام معانيها وبعث الحياة قوية دافقة فى أجوائه وبقد الاضواء جلية ساطعة فى أرجائها فقد وفق الى ذلك الشاعر المجدّد المطبوع عِتماد حلمى توفيقاً كبيراً ؟

محمد أبو العز

* * *

تمهيد

كانتْ الدُّنيا التى نحيا بها والتى نمرحُ فى أحـزانها
والتى تدخـل من أبوابها دون أن نحفل من سلطانها
والتى نجهلُ من أسبابها كل ما يدعو الى إحسانها
والتى تَسْخرُ من طلابها والتى قامت على ميزانها

رسلٌ للغيب مِن صُنع القدمْ
كانت الدنيا ولا زالتْ قسمْ

مرّ قابيل ومرّت بعـدَهُ أممٌ فى الأرض من أمثالِها
كلها ينشدُ فيها سعدَهُ ويُرجى الخيرَ فى أعمالِها
كم سعى الانسان فيها جهدَهُ وتمنى النجح فى آمالِها
ثم يأبى الحظ الا ردَّهُ رغم ما يبذلُ فى إبدالِها

كانت الدنيا ولا زالتْ قسمْ
وحظوظ الناس من خط القلمْ

كتب الغيبُ وللغيب قلمْ ليس يمحى خطه حتى العدمْ
انما الدنيا حظوظ وقسم كلٌ حىّ حظه فيها رُسِمْ
أيها الثائر فيها لا تلم زدت فى الثورة حزناً وألمْ
وتذكر أنت من لحم ودم أنت من مثل عظام ورممْ

ان من أحيا وأفنى الناس لم
يُطلع الناس على ما قد علمْ

بيديه خط من خير وشرْ صوراً فى الكون تتلوها صورْ
بعضها يُحزِنُ والبعضُ يَسرّ هكذا ينبيء تاريخُ البشرْ
كلُّ ما مرّ من الناس خبرْ أو رواياتٌ على الارض تمرْ
وهى فى الدنيا لمن عاشَ عِبرْ وغبيُّ الناس من لم يعتبرْ

وحياةُ الناس ليلٌ مدلهمْ
والتجاريبُ دروسٌ وحكمْ

عاشَ فى الارض مع الاسلافِ مَنْ عرف المطوىَّ من أنبائهمْ
قصصاً يقرؤها أهلُ الفطنْ فيشيع النورُ فى آرائهمْ
ويرون الحقَّ فيها لمْ يكنْ منكراً الا لدى أهوائهمْ
أيها الساعى مع الايام كنْ من دعاةِ الخير لا أعدائهمْ

وتعلم لحكيمٌ من عَلمْ
قصصاً تمحق بالنور الظُّلَمَ

انما اكتبُ يا قارىء لكْ قصةً فى كل عصر مُثّلَتْ
لم يقفْ يوماً عن السير الفلكْ لا ، ولا الاعمارُ يوما اجّلتْ
يبرح النورُ ويغشانا الحلكْ ويرى الموتَ غداً مَن لم يمتْ
سنةُ الدنيا فمن يحيا هلكْ أى مخلوق من الموتَ فلتْ

قصةٌ واحدةٌ عمرُ الامم
فرحٌ نزرٌ وجمٌّ من ألمْ

هذه القصة أرويها كما سُمعتْ من والدِ عن والدِ
ليس لى حظ بها إلا بما سوفَ أجزاه بنقد الناقدِ
قصة واحدة ماجتْ بما بيد الفرد القدير الواحدِ
قصة تحكى لنا ما رُسِمَا فى الورى من صادرٍ أو واردِ

أن ما قد كانَ من صنع القدمْ
كانت الدنيا ولا زالتْ قسمْ

القصـة

كان فى فارس فى عصر مضى رجـلٌ من خير ابناء العجمْ
قطع العمرَ رضيّاً ، والرضى يبرىء الانفس من كل ألمْ
مؤمن القلب بتصريف القـضا يزرع الارضَ ولا يصغى لهـمّ
ظلّ فى نعمته حتى قضى بعـد أن جاز بها حدَّ الهـرمْ

ترك الدنيا ولم يحزنْ ولمْ
يعـرفِ الحقـدَ ولم يدرِ الندمْ

لم يكن للشيخ إلا ولدان عُنى الشيخُ طويلا بهما
ورثاه فى سلام وأمان واستغلا بَعْدَهُ أرضهما
حرص الاثنان لايختصمان حكما العدلَ على ما اقتسما
وعلى الحسنى تولى الفتيان رضيا القسمة لم يحتكما

لغريبٍ أو قريبٍ لهما
وانتهى الامرُ ولم يختصما

وتولّى كلُّ فرد منهما شـأنه ما خـلا أو أحـجما
واستمدّا العونَ من رب السما واستعانا الله فى امرها
يبرحان الصبحَ يسعى بهما أمـلٌ يبعثُ من عـزمهما
وإذا الليلُ سجا أو أظلما عاودا دارَهما واعتصما

وهما أضعف من أن يعلما
ما طـواه الـغيبُ يوماً لهما

ومضى بالولدين الزمنُ وهما بين كفاح وجهادْ
ونتاج الارض هذا ثمنُ للذى قد بدلا وقت الحصادْ
وهو إمّـا سىءٌ أو حسنُ ربما جاءهما لا كالمرادْ
ومن الارض جوادٌ محسنُ ومن الارض حرىٌّ بالفسادْ

يتجلى الحظُّ ما بين العبادْ
لا بكدٍّ لهمو او باجتهادْ

وهنا تلمح بطشَ القدرِ وهنا تعرف ضعفَ البشرِ
فأخٌ يرشف كأسَ الظفرِ وأخٌ يجرعُ كأسَ الكدرِ
روض هذا حافلٌ بالثمرِ وخلا ثانيهما مِن ثمرِ
لم يدع ثانيهما للنظرِ بهجة من قيمة أو منظرِ
خصَّه الدودُ بأكل الزهرِ
إنْ بدا فى الروض بعضُ الزهرِ

تربةُ الارض هنا واحدةٌ كيف جاد البعضُ والبعضُ أبى
جنةٌ تربتُها جاحدةٌ نَبتها يورى الاسى والغضبا
فهى فى إقفارها هامدةٌ بينما الاخرى تفيض الذهبا
والليالى نفسها شاهدةٌ وهى لا تدرى لهذا سببا
يا لضعف الناس مما كتبا
كاتبُ الغيبِ لهم واحتجبا

طاودا الزرعَ فهذا ظافرُ أينما يسعى وهذا خاسرُ
أملٌ ناءٍ وحظٌ عاثرُ وفؤادٌ ضلّ عنه الناصرُ
واذا الظافر بشرٌ ظاهرُ وفؤادٌ بالامانى عامرُ
كلما لاحَ لأمرٍ خاطرُ منه فى الدنيا فسعدٌ حاضرُ
أملٌ دانٍ وعيشٌ ناضرُ
وأميرٌ أين ولّى آمرُ

فاذا ما اختلتَ فى جنتهِ خلتها الفردوسَ من فيضِ الثمرْ
واذا أبصرتَ من غرتهِ خلتها من فرحةٍ نورَ القمرْ
يبعثُ البهجةَ من بهجتهِ أينما ولّى وأيان حضرْ
وافر الاجلال فى عيشتهِ مستحبّ القولِ محبوب السمرْ
هكذا الحظ اذا أعطى غمرْ
واذا أدبر بالناس سخرْ ا

واذا ما سرتَ فى الاخرى فما تبصرُ العينُ جميلا أبدَا
فهشيمٌ أو قضيبٌ حُطِّما حصدَ الدودُ بها ما حصدَا
ان هذا الامر من وحى السما ليس من صنعِ حقودٍ حقدَا
وكذا الحظ اذا الحظ رمى يقهرُ النفسَ ويبرى الجلدَا
واذا شئتَ صلاحاً أفسدا
واذا أضرمتَ ناراً أخمدا

بعد هذا الصبرِ والجهد الطويل وحياةٍ حفلتْ بالعملِ
يأسَ المنكودُ من كل سبيل لصلاحٍ وانثنى فى مللِ
ثائراً فى غضبة القلبِ الملول جازعاً فى حسرةٍ أو وجلِ
ويناجى النفس فى همٍّ ثقيل فى حياةٍ مُلئتْ بالعللِ
خائرَ النفسِ قليلَ الاملِ
غاضبَ المهجةِ جمَّ الجدلِ

وجدالُ النفسِ فى خيبتها موجعٌ فى وقعه كالندمِ
فى كراها هو أو صحوتها ألمٌ ما مثله من ألمِ
يتولى النفس فى هدأتها ولو ان النفسَ نفسُ المجرمِ
انما الانفسُ فى ثورتها تتلظى كاللهيبِ المضرمِ
فاذا ما سكنتْ لم ترحَمِ
مِن ضميرٍ صامتٍ لم يعلَمِ

كم تمنّى الموتَ والموتُ قريبُ وبعيدٌ فهو فى جدٍّ الشباب
كلما حاوله لا يستجيبُ منه قلبٌ فيه موفور الطلاب
موقفٌ فى هذه الدنيا عصيبُ وعجيبٌ فهى دار للعجاب
كل ما فيها مخيفٌ ومريبُ وهى تجرى بالورى جريَ السحاب
ولكم ذلتْ وعزتْ من رقاب
بينها وهى مجالٌ للصعاب

وكذا فكّرَ فى قتل أخيهِ   وتجلت فيه روحُ الحسدِ
لا كريهٌ ، لا ولا غيرُ كريهِ   ما سيأتيه غداً فى موعدِ
وطّدَ العزمَ على ما يبتغيهِ   واحتوته نزواتُ الجسدِ
كلما ثارت حقودُ النفس فيهِ   يستمدُّ العزم عونَ الجلدِ

ومضى يرقبُ إصباحَ الغدِ
فى سكونٍ كسكونِ الأبدِ

أأخى أفضلُ منى ؟! إننى   كدتُ أن أفقد عقلى كمدا !
وعجيبٌ انه يفضلنى   لا بعقل أو ذكاءٍ ابدا
خصّه الله بحظٍ حسن   أكثر المالَ لهُ والولدا
ويكادُ الحزنُ أن يقتلنى   وغدت نفسىَ لا تخشى الردى

والليالى لم تدَعْ لى جلدا
لا ، ولا بالنفسِ للخيرِ صدى

حِرْتُ فى أمرى وفى أمر الزمنْ   وأخى هذا طروبٌ ينعمُ
خبرونى من بحظ الحظّ مَنْ ؟   إننى مقصدَه لا أفهمُ !
ليس فى الدنيا جميلٌ أو حسنْ   كل ما فيها حياة تؤلمُ
ان من صوّر حظى لم يزنْ   أبداً بالعدل فيما اعلمُ

فأرى الدنيا بنفسى تظلمُ
وحياتى حسرةٌ أو ألمُ

وهنا عاودَهُ صوتُ الضميرِ   ورأى والدَهُ كالشّبحِ :
كُفَّ يا يحيي عن الامر الخطيرِ   أىُّ شرٍ ولدى لم يُفضح
بئس هذا من سبيل ومصيرِ   كلُّ عذرِ ولدى لم يُفلحِ
انى يا ولدى خيرُ نذيرِ   لك فارجع للهدى وانتصحِ

ومضى عنه خيالُ الشبحِ
وهو فى جلسته لم يبرحِ

ما الذى أعملُ ؟ انى حائرُ وفؤادى بالاسى لا يستقرّ
ويح حظى ! إن حظى جائرُ وضميري ليس يدعونى لشرّ
أأخى جعفر هـذا غادرُ أم هو الحظُّ بآمالى غدرْ ؟
فهو أنّى سار يوماً ظافرُ وهو أنى كان بالكسب ظفرْ
سوف أمحو كلَّ ماخطَّ القدر
بيدى ، إنى عنيدٌ مقتدرْ !

غير أن القتلَ أمرٌ جللُ ما الذى أكسبهُ من بعدِ قتلِه
أترى يفعم قلبي الاملُ أمْ ترى يهجرُ قلبي بعضُ غلّه
أم ترى يهدم قلبي الوجلُ أم ترى أُزعج من رؤيةِ ظلّه
إننى يثقلنى مايثقلُ والدّمُ المسفوكُ يعييني بحمله
وأظلُّ العمرَ مهموماً لأجلِه
ربما أهلكته من غيرِ قتلِه

أسرقُ الناضجَ من أثمارِهِ حين يرخى الليلُ أستارَ الظلامِ
وأُزيلُ الزهرَ عن أشجارهِ وأُرى أمثاله كيفَ انتقامِي
فاذا أصبح فى أنصارهِ لم يروا فى روضه اىَّ حطامِ
ثم يعنى الروض من آثارهِ غير آثارِ توارت فى القتامِ
وهنا ترفلُ نفسى فى السلامِ
ولو انى ذقتُ فى هذا حمامِي

ومضى يسرق من روضِ أخيهِ فى هدوء الليل والناسُ نيامْ
واثقاً بالنجح فيما يبتغيهِ كلُّ ما يحملُ حقدٌ وانتقامْ
وبدا السخطُ على الايام فيهِ واضحاً والسخطُ ينميه الظلامْ
ان فى تدميره ما يشتهيهِ فهو لاصبرٌ لديه أو سلامْ
لا ، ولا فى الارضِ حقٌّ أو نظامْ
لا ، ولا فيهـا حلالٌ أو حرامْ !

(البقية فى العدد الآتى)



نمـــاذج

(من شعر النشّار الكبير بعث بها الينا ولدُه الشاعر عبد اللطيف النشار)

أيها المحـــزون

أيها المحزونُ فى جُنح الدجى   حائراً ما بين يأسٍ ورجا
يشهد الليل اذا الليلُ سجى   انه رهنُ الأسى رهنُ الهموم

« • »

أيها المحزونُ إن لاح الصباحْ   وانجلت شمسُ الضحى فوق البطاحْ
فاذا مرت به أزكى الرياحْ   خالها من بؤسه ريحَ السمومْ

« • »

أيها المحزونُ فى الروض النضيرْ   ليس يسلى نفسَه عذبُ الهديرْ
بك صدرٌ غصَّ بالماء النميرْ   وفؤادٌ حوله البلوى تحومْ

« • »

ابتسمْ وافرحْ ودع عنك الحزَنْ   واملأ الجفنَ بلذاتِ الوسنْ
وابتهجْ واطربْ ولا تخشَ الزمنْ   انما يضنى الفتى داء الوجومْ

« • »

ايها المحزون كن طلق المحيا   واغتنم يوم الصفا مادمت حيا
انما الأيام تطوى الحزن طيا   لا تظن الحزن فى الدنيا يدومْ

« • »

أود أن أعيش محفوظ الكرامة ولو فقدت في سبيلها كل شيء حتى لا أعيش بدونها وهي أثمن شيء في الحياة محمد النشار

مثال من خط النشار الكبير

أيها المختـــال

أيها المختالُ في ثوبِ السرورْ غرّكَ اليومَ بدنياك الغرورْ
انمـا الايامُ تطوى الحزنَ طيّـا وهى مثل الطيف فى جفن النؤومْ

« • »

ايها السابحُ فى جوّ الوجودْ مسرفاً فى اللهو محلولَ القيودْ
عُدْ قليلا ، قد تجاوزتَ الحدودْ وارتقبْ جيشَ الاسى قبل الهجومْ

« • »

ايها المختالُ لا تفرح مليّـا الليـالى منـذراتٌ فتهيّـا
انمـا الايام تطوى الصفو طيّا لا تظنّ الصفوَ فى الدنيا يدومْ

« . »

غنّ يا عصفور

غنّ يا عصفورُ غنّ قد ملـكتَ القلبَ منى
غننى عند طلوع الشمـ ـس تنف الهمّ عنى
ايه يا عصفور ما أحلا ك فى ترجيع لحنى
كلما رددتَ صوتاً طاب للغصن التثنّى
إنّ أحلى الرقص ما كا ن على لحن المغنّى
أنت ياعصفورُ من رو حِكَ فى جنات عدنِ

نلتَ يا عصفورُ فيه ما تمــنى المتمنى
لك فوق الدوح إلفٌ ليس يدرى ما التجنى
ليتنى مثلك يا عصفو ر فى الروض أغنى
عائشاً بين الندى والزه ر عيشَ المطمئنّ



المرحوم الشاعر محمد حمدى النشار

أشرب المــاءَ قراحا فيه من زهرٍ وعينِ
وأرى الحبة تكفيـ نىَ والقطرة تغـنى
سابحاً فى الجوّ حراً رافلاً فى ثوب أمنِ
إن ترع غيرى أعا جيبَ الليالى لم ترعنى
لستُ أخشى عاديا ت الخلق من انس وجنِ
أيها العصفور ما الايا م الا دار حزنِ
نحن منها فى قيود الا أسر نلقى كل غبنِ
الكريمُ الحرُّ يشقى وعليه الدهرُ يجنى
واللئيم الوغدُ من دنـ ياه فى أرفع شأنِ
فاذا أدركت يا عصفو رُ سرّ الخلق منى
فابتهجْ بالعيش نفساً واحمد اللهَ وغنِّ!

محمد حمدى النشار



أفروديت وأدونيس

APHRODITE & ADONIS

هَلُمِّي دُمُوعَ الجمالْ هَلُمِّي ولا تكتفى
ويا جَذوةً فى اشتعالْ أطيلى ولا تنطفى
لهيباً بقلبي الوَفِي !

* * *

جَنَتْ قُرْبَهُ (أفْرُديتْ) تنوحُ نواحَ المرُوعْ
بقلبٍ كسيرٍ شتيتْ يَسيلُ مَسيلَ الدّموعْ
ويُفْشي الأسَى فى الرُّبوعْ

عَلَتْ صرخةٌ داويهْ فهزتْ عَتِيَّ الصخورْ
كأنّ المُنَى الفانيهْ تطوف بأهلِ القُبورْ
وتُحيي الشَّجَى والثُّبورْ

أحبّتْهُ دونَ الورَى وما الحبُّ إلاّ الخلودْ
ولكنّه ما ارتقَى حياةَ الغرامِ السعيدْ
شغوفاً بوحشٍ بصيدْ

فجُنّتْ جنونَ الغرامْ اذا القدرُ استنزفَـهْ
ولم يَبقَ الاّ ضرامْ تخادعـه مُتْلِفَهْ
وتمنحـه مُخلِفَهْ

جنتْ قُربَهُ عاريَهْ وقد غرقتْ طيَّ يأسِ
سوى فضْلةِ باليهْ من اليأسِ ، فاليأسُ يمسى
فناءً لجسمٍ ونفس

وأسندتْ الرأسَ ولهَى وصاحت بسخطِ الغرامْ
فأصغى (أپولّو) اليها وأقسمَ أن لا يُضامْ
إلهٌ يسوسُ الأنامْ

وبينا (أدونيسَ) تدعو وقد أطبقتْ ناظريْها
بصوتٍ من الرُّوح يحدو ويدعو البرايا لديْها
وتُزجى الضحايا اليها

إذا الكونُ ساجٍ سقيمْ فنالَ (الألمَ) الصمَمْ
سوى من (أپولو) الرحيمْ وقد نال منـه الألمْ
فكم خصَّها بالنغمْ

فأنبتَهُ زهـرةً هى الأَنمونُ الجميلْ
نشاهدُها حسرةً . عـلى ألمٍ يستحيلْ
به الحبُّ موتَ العليلْ

ففارقَها فى المساءْ مُصِراًّ على صيدهِ
وما هابَ موتَ الضياءْ وكم مات فى مَجْـدهِ
ولا خاف من ألحدِهِ

وغادرَها وهى فى تَلَهُّفِها ظامِئهْ
وفيها شعورٌ خَفى بنشوتِها الخاطئهْ
وحسرتِها الناشئهْ

وما كادَ أن يتوارَى وان يَتحدَّى الظلامْ
كَن وَدَّ يغزو النهارا - وإنْ فاته - فى اقتحامْ
ولو غاب بين الغمامْ

إذا بالجوادِ العزيزْ من الجهدِ يَلقَى العثارْ
وبالموتِ طفراً يُجيزْ لرتٍ[1] بدَا - أخذَ ثارْ
من الفارسِ المستثارْ

فلاقى (أدونيسُ) حَتْفَهْ على الارضِ بين الدماءْ
ولم يعرف الموتُ رأفَهْ لحسن ربيبِ السماءْ
له فى الألمبِ الرجاءْ

ورنّتْ له صيحةٌ فناح الفضاءُ الرحيبْ
وثارت له ثورةٌ وأنَّ الوجودُ السليبْ
وقد شامَ فقدَ الحبيبْ

وطارت له (أفرديتْ) بلوعتها والهوى
فألفته ميتاً يبيتْ مَبيتَ المُنَى فى الثرى
وقد كانَ زينَ الورى

ولكنها فى ذهُولْ عَداها الدَّمُ المزْهِرُ
عذابٌ ويأسٌ يَطولْ ومَوْتٌ له آخرُ
كذاك الهوى المقفِرُ

(١) الرت هو الخنزير البرى او الحلوف (Sus Scroga)

فيا لوعـةً للطبيعةْ بغصنٍ وماءٍ وصخرٍ
تراءت معانى الفجيعةْ بها فى سكونٍ وذُعْرْ
وناحتْ برسمٍ وشعر

« ٥ »

هلمّى دموعَ الجمالْ هلُمّى ولا تكتفِى
وياجذوةً فى اشتعالْ أطيلى ولا تنطفِى
لهيباً بقلبي الوفى !

احمد زكى ابو شادى



أغنية آريل

(مقتبسة من شكسبير)

« أبوكَ يا (فردنند) قد مات وهْوَ غريقُ
طواه بحـرٌ خِضَمٌ نائى الشُّطوطِ عميقُ
والبحرُ — مُنْذُ قديمٍ — إلى الهلاكِ طريقُ »

***

« أبوكَ يا (فردنند) قدْ ماتَ وهو غريقُ
ونـام نوماً عميقاً فما تراهُ يُفيقُ

عِظامُـه مَرْجانٌ وكلُّ عَينٍ عَقيقُ »

***

« أبوكَ يا (فردنندُ) قد مات وهو غريقُ
هوى إلى القاعِ لمَّا طواه بحْرٌ سحيقُ
فاحْزَنْ ، فأنتَ عليهِ بِكلِّ حُزْنٍ خليقُ »

***

الآن حقَّ لىَ الطربْ وبلغتُ من دهرى الأرب
سأكون حراً مُطْلقاً وأطير من فوق السُّحُب

***

يا رفاقي تمَّ لى — اليومَ — هنائى
ومسرورى
لن ألاقى فى حياتى من شقاء
ونكير

***

يا رفاقى هنئونى بعد أن نلتُ السَّعادهْ
وجديرٌ بالتهانى كلُّ من نال مُرادهْ

***

سوف أمشى فى اختيالٍ وتأنى
سوف أمرحْ
تمَّ لى أنسى ، فما لى لا أغنِّى
حين أفرح ؟

***

تمَّ لى أنسى وأدركتُ مُرادى وأتى يومُ خَلاصى من اسادى

سوف أقضى كُلَّ ليلى ونهارى طائراً كالنحل، أشدو كالهزارِ
بين زهر الروض، أوفوق الروابى فى مُتون السحب، أوموج البحارِ

***

حقٌ لى أن أطربا حَقٌ لى أن ألعبا
فلقد تمَّ رجا ئى، وبلغتُ الأربا

(الجزء الأول من هذه الاغنية يمثل أنشودة آريل فى تبليغ فردننـد نبأ وفاة أبيه، والجزء الثانى يمثل أنشودته حينما ظفر بحريته — وكلتاهما مقتبسة من رواية « العاصفة » لشكسبير، وقد بسطها الشاعر للاطفال فى كتاب سيظهر قريباً)

كامل كيلانى



غروب الشمس

أُنظر الشمسَ تهادت للغروبْ وعدا الأفقَ من الغرب احمرارْ
قم فودِّعها فقد حان المغيبْ ثم ودع معها وجهَ النهارْ

***

كوكبٌ ينوى من الافق ارتحالا ذهبيُّ اللون يكسوه البهاءْ
أرسل النورُ على اليمِّ شعاعاً فترى الماء كينبوع الضياءْ
هَبَطَتْ نحْوَ الثرى عَنْ عَرْشِها بَعد أنْ حَلَّتْ به أوجَ العلاءْ
وَوَهى لما تدلت خَرُّها أ كذا يخمد بركانُ السَّماءْ ؟ !
هَبَطَتْ نحْوَ الثرى خاضِعَةً لنظام الكون أو حكم القضاءْ
جَرَّدَ الليلُ عليها جَيشَهُ فلَوْ اسْطاعتْ لهمَّتْ بالبكاءْ
واستحت أن يظفر الليلُ بها فبدا فى وجهها لونُ الحياءْ
وَدَّعتْ واسْتَوْدَعتْ مُلكاً لها إنّ هذا الكون ملكُ الأقوياءْ
فمضى النورُ وحلت ظلمةٌ وجرت فى الكونِ ساعاتُ المساءْ !

عبد الغنى الكتبى

الطائر

(للسنة الثانية الابتدائية)

أيها الطائرُ غرِّدْ كلَّ صبحٍ ومساءْ
واملأ الروضَ حنيناً وتفرَّدْ بالغناءْ
وامضِ فى الجوِّ طليقاً آمناً كلَّ اعتداءْ
إن مَنْ يقتل طيراً هو والجانى سواءْ

الثعلب والديك

(للسنة الثالثة الابتدائية)

الثعلب : أيها الديكُ سلاماً هو عنوان الوفاء
أنت لى خلٌّ قديمٌ فتقدَّمْ للقاء
الديك : كيف تدعونى صديقاً يا أشدَّ الخلق مكرا ؟!
لستَ لى إلا عدوّاً يبتغى قتلى غدرا
الثعلب : أيها الديكُ شجانى صوتُكَ العذبُ الجميلْ
فاقتربْ منى لتحظى عنه بالأجر الجزيلْ
الديك : لاتخادعنى ودعنى مستقرّاً فى حياتى
إنما الحيطة عندى خيرُ أسباب النجاةِ

على عبد العظيم





أعمى زوج حسناء !

يا جمالَ الصِّبا وأنسَ النفوسِ خبِّرينا عن زوجك المنحوسِ !
حدِّثى أنت عن عماهُ «الحيسى» وصِفِى لى الغرامَ بالتحسيسِ !

« • »

حدِّثينا عن اللهيبِ المفدَّى وجمالٍ يُصيِّرُ الحرَّ عبداً
وجنونِ الاعمى اذا ما استجدى وهو يعشى لناره كالمجوسِ !

« • »

يا جمالا فى التُّربِ يُلقى ويُرمى يا لَظُلمِ الحظوظِ والحظُّ أعمى !
وبلائى أنى أسمِّيه ظلماً وهو لفظٌ ما جاء فى القاموسِ !

« • »

آه من قسوةِ الطبيعة شقَّت ظلمةً فى مكانِ نورٍ ورقَّت
دونَ قصدٍ لعينه فاستبقت كوَّةً فى فضائها المطموسِ !

« • »

كوَّة تنفذ الحفيظةُ عنها ويُطلُّ الدهاءُ والخبثُ منها !
طالعتنا فى طلعةٍ لم تزنها «كالفتيل» الحقيرِ فى الفانوسِ !

« • »

كذليلِ الابقارِ إذ ربطوه وتراهم بخرقةٍ عصَّبوهُ

فاذا ما عصاهمو ضربوه وتمشى على غناء «الأدوس» !

« • »

وتراهُ تقولُ يقطر بغضًا حيوانٌ يريد أن ينقضّا
حسبك الله ! عشتَ تنظر أرضًا فابقَ فيها ! حُرِمتَ نورَ الشموس !

« • »

وصف أصلع

يامعجبًا تاه على صَحْبِهِ ! برأسِهِ بُورِكَ من رأسٍ !
فنصفُه الأعلى به أجرَدٌ عارٍ ولكنَّ القفا .... مَكسِي
يا حُسْنَه مِنْ « بَتِناج » به تمشى القباقيبُ بلا حسٍّ !
« يبرطع » البرغوثُ فى ساحِها ويشرد المسكينُ لا يَرْسِي !

« • »

حسناء بجانبها امها الدميمة

وغادةٍ تجلس فى جانبي كأنَّها الزهرةُ فى كمِّها
أبدعُ ما تنظر عينُ امرىءٍ وخيبةُ الله على أمِّها !

ابراهيم ناجى





عن الشعر العربى

بقلم الدكتور يوليوس جرمانس
الاستاذ فى المعهد الشرقى بجامعة بودابست

— ٢ —

ان دوحة الأدب العربى أخذت تذبل أوراقها ولكنها لم تمت ، وحفظتها صلابتها — التى عاقت توجهها نحو أدب الملحمة ، والقصة ، والمسرح ، والرواية — من الدمار المطلق . هذه الصلابة حفظت تقاليدها حية الى اليوم — متحجرة قديمة ولكنها لاتزال تنبض بالحياة . هنا الطمى وهنا المِنحات ، وان اللغة العربية العجيبة لفى حاجة الى يد فنان ! فعندنا مجموعة من الشعر العربى تزخر بالأسماء : بعضها كبير وعظيم ، ولكن فى معجم علاه الغبار . وان الاوروبى ليقف حائراً أمام العظمة المندثرة ، على أن فى القرون الطويلة التى كان المجد فيها هو العزاء الوحيد فى الاضمحلال الحاضر أخذ الشعراء يرجعون بأبصارهم الى قمم شاهقة ، محاولين أن يصعدوها مقلدين . ولكنهم انما كانوا كالمسنّين الذين يتذكرون طفولتهم ويحنون اليها ، فتبدو عليهم مسحة الأطفال . وما أشدّ التنافر بين اللحى الشائبة ونشاط الأطفال ، وان مايبدو صادقاً وقوياً فى فم الشاب، لايكون الا صراخاً فى فم أدرد لرجل هرم عاجز . ان فمه سيعيد نفس الكلمات ولكنه سيأثم ضد أول مبادىء الشعر : الاخلاص !

فقد كان الشاعر الجاهلى يتغنى بالرماح فيدعوها العوالى ، أو الصَّعَدة ، ويتغنى بالحراب فيدعوها الاسل أو الخِطى أو السمر أو السمهريات أو الردينيات . فكل انسان كان يعلم أنها كانت تصنع من خيزران يرد من الهند من ميناء « الخط » فى البحرين —

التى كانت أهم مكان يصنع هاته الحراب ، ونسبةً اليها عرفت « بالخطية » وكانت قناة الرمح تقوّم بواسطة النار حتى تصير سمراء اللون ومن هنا جاء اسم « السُّمر » . أما سمهر فهو رجل ، وردينة فأمرأة من « الخط » كان كلاهما يصنع الحراب ويطلق عليها اسمه . وكلمة رديني لاعلاقة لها بكلمة « ردن » أى غزل ولا بكلمة « مِردن » أى مغزل .

فالشعر العربى القديم مملوء بهذه الاشارات الى أسماء كهذه ، وباستعارات غريبة على القرن العشرين . إنه بمثابة خزانة لمعرفة متجمعة يعبر عنها بلغة دقيقة تسر آذان الذين يؤثرون التفاصيل على الجمال المشيد بأكمله ، الذين يفرحون بالدرة الواحدة لابجمال العقد بحاله .

ووقف تذوّق قراء العربية للأدب عند حد خاص ، وهذا الحد الخاص حفظ لنا نوعاً من الادب قد مات من قديم ومنع تطوّره ونموّه فى مَناحٍ جديدة .

فى الاقاصيص الاغريقية أن هرقل أراد أن يقتل انتيوس ، فرماه الى الارض عدة مرات ولكنه كان ابن الارض فاستمد قوته منها فرفعه هرقل الى الهواء وخنقه هناك .

وكذلك تهب الأم الأرض قوة وإلهاماً لكل فن مات بعد أن انفصل عنها ، وكذلك يجب أن يتعلق الأدب بكل مايحيط به كنبات ينمو منه . والفن والشعر ككل فن يجب أن يستمدّا مواضيعهما من التربة الوطنية ، ويجب أن يخلصا للحقيقة الراهنة التى تحيط بهما . فصبّ القوافى وتقليد الاوضاع القديمة التى فقدت أى معنى فى الوقت الحاضر انما هى وسائل باطلة ومؤدية الى السقوط ، فان رجل القرون الوسطى كان يسرّ بالجمال المعمارى للكنائس الغربية ، ويقسم بما أملته العقائد التى حفظها من القديسين بالأمر . ولكن رجل اليوم تهمه الحقائق ، وأخذ يفكر لنفسه . وأصبحت أوضاع الفن فى النقش والنحت والمعمار والموسيقى والادب حرة طليقة وأصبح المعنى يغلب على الشكل ، والغاية هى التى تعنينا .

بقيت نقطة واحدة : أيتبع الأدب العربى النماذج العربية أم الشرقية ؟ ليس الاسلام ثقافة شرقية وضعت ضد المسيحية ، فمهدُ كليهما الشرق ومنابعهما متشابهة . وجاء على الاسلام وقت لبس فيه بمدينة بغداد روحاً غربية أرسطاطاليسية أكثر من أوروبا نفسها . وردّ المسلمون بعد انهزامهم فى (طوروس) الى أفريقيا وآسيا حيث اضطرتهم ظروف اقيلمية جغرافية الى بقاء التطور والنمو فى حدود ضيقة ، وإذن فقد حكم التاريخ على المسلمين بذلك كما أصبحت المسيحية غربية لنفس الدوافع .

الاسلام فى وسط أوروبا — لنفرض أن العرب قد نجحوا فى طريقهم الى الاستانة . إذن لـكان الاسلام قد نما ومدّ كلّ قواه المستترة وساعدته الظروف الجغـرافية ، وإذن لـكان المسلمون قد أصبحوا أبطال الغرب بدل الاوربيين المسيحيين اليوم . وان تأخر حال الامم الاسـلامية اليوم لاذنب للاسـلام فيه — بل للتطور التاريخى والموقع الجغرافى . وتفوق الثقافة الاوربية ناشىء من الجرى وراء الحقائق ، والنظرة الموجبة للحياة ، والجهاد ضد التعصب للعقائد . ولا بدّ للشرق من أن يقفو خطاها اذا أراد أن يتحرر من قيود الماضى ، اذا أراد أن يحيا فى الحاضر . فليس الامر أمر الشرق والغـرب ، ولـكن أمر نظرة قديمة للحياة لا تتفق والمـكتشفات الحاضرة للعلم وما أنتجه — هـذا فى ناحية ، وفى الناحية الاخـرى أمر التناسب فى الفن والتشريع مع الحاجات اليومية .

انا لا أحضّ على تقليد أعمى للنماذج الغربية . أنا أحضّ على الصدق فى الادب والاخلاص للحياة الحاضرة فى لغة طبيعية صافية . فليتنبه كتاب العربية الى درس المسائل المعقـدة فى الحياة ، وليصوروا آلام الفـلاح وآماله وافراحه ، ومشاكله الصغيرة وأوهامه وفشله . وليصوّروا حوارى القاهرة المظلمة حيث يذاكر الطلبة وليصفوا جمال « الحريم » حيث تحلم المرأة بالحظ وتذوى فى ألم . وكفانا ماكتب فى الماضى عن القمر والنجوم والفراشات ، وماكتب عن المجـد القديم وانتهى الى هذه الحال المحزنة . لابدّ للشعر العربى من أن يستيقظ من الماضى ليخلق حاضراً . دعنا من الـكلمات الرنانة الجوفاء فان الحياة صارت تضيق بمثل هذا . دعنا ننظر الى المعنى الداخلى للحياة ونعبر عنه بكلمات بسيطة يفهمها التلميذ . وانى اؤكد ان الشعر العربى سيكون صيحة الميدان المبشرة بارتفاع للاسلام لانظيرَ له . واذا عجز الـكتاب عن أن يحققوا آمال قراء العربية ومطامعهم ، فانهؤلاء سيلتفتون بالطبع الى الادب الغربى وينسون لغتهم .

ولقد اعتقدتُ من كتابات ابى شادى ان الجيل الجديد الذى يقوده هو يتبع مبادىء سليمة للشعر ، وأن حماسته وعبقريته لـكفيلتان بأن يزجياه الى النصر .



سماسرة الأدب

اطلعتُ على مقال فريدٍ للأديب المعروف عباس محمود العقاد حمل فيه حملةً مشروعةً على سماسرة الأدب ، وقد استهلّه ببشرى زفّها الى قرائه وهى نفاد الطبعة الأولى من ديوانه « وحى الأربعين » . فأمّا عن هذه البشرى فكلُّ أديب حرّ لابد أن يطرب لها ، إذ كيفما كانت نظرةُ الأدباء الى شعر العقاد فما لاجدال فيه أنّ أدب العقاد وأدب أقرانه أوْلَى بالدراسة من الكتابات البذيئة التى تُنسَب زوراً الى الأدب وقد شاعت فى مصر شيوعاً مخجلاً بل تخصصت لها بعضُ الصحف ولا حسيب ولا رقيب ، فى حين أن الأولى أن يُعهد الى وزارة المعارف باصدار الرخص للصحف والمجلات الأدبية ومراقبتها ، وأن يُترك لادارة الامن العام الاشراف على الصحف السياسية .

أقول إن الأدباء الذين لا يرضيهم شعر العقاد وغير العقاد ويودّون استثناء هذا وذاك من زمرة الشعراء ينسون أنهم فى الواقع يسيئون الى الأدب الجدّى ، إذ لا يستفيد من وراء هذه الخصومات غير أنصار الأدب الرخيص إن صح لنا أن نسميه أدباً .

ولكنى أخالف العقاد فى استنتاجه أنّ رواج ديوانه ـ على قلة المطبوع منه ـ دليلٌ على إقبال القراء على شعر الخاصة . فلولا أن العقاد صحفىٌّ معروفٌ ـ وقد استغلّ صحيفة « الجهاد » للترويج لديوانه ـ حتى بنشر الأمداح الخاصة التى لا يعنى بنشرها أى أديبٍ مشهور — لما لاقى شيئاً من هذا الرواج الذى يبشرنا به ، خصوصاً فى ظروف الأزمة الحاضرة . وعلى هذا فلا بدّ لنا من الاعتراف بأن الاقبال على الأدب الجدّى ما يزال أمراً خيالياً فى مصر ، ولا عبرة بنجاح العقاد ولا هيكل ولا المازنى ولا غيرهم من الأدباء المتصلين بالصحف المشهورة ، لأن لهم من طبيعة مراكزهم مايسهّل لهم وسائل الدعاية والترويج لمؤلفاتهم ، ولو غادروا هذه المراكز وحُرموا التقريظ والدعاية لما لاقوا غير الكساد المحقّق .

قلتُ إن حملة العقاد على سماسرة الادب حملةٌ مشروعةٌ لولا أنه مخطىء فى التطبيق ، إذ كان ينبغى له أن يبدأ بنفسه : فهو فى طليعة من تحكموا فى أقدار

الأدباء الممتازين وفى مقدمة من حملوا حملةً غير مشرفة على غير واحد من رجالنا البارزين بل على نفس أساتذته . وكان الأولى بالعقاد أن يوجّه حملته الى أصحاب الجرائد وبعض المحررين الذين يقصون عن الميدان الأدبى كثيرين من النابهين . أمّا وهو قد وجّهَ هذه الحملة الى مثل اسماعيل مظهر ومصطفى صادق الرافعى والى غيرهما من أعلامنا الذين كان لهم فضل مأثور على الأدب العربى لمّا كان العقاد نفسه نكرةً من النكرات فهو يعرض نفسه الى نفور الكثيرين من أهوائه العمياء .

يعجب العقاد من إحجام معظم الأدباء البارزين عن نقد كتبه، ولا أرى محلاً للعجب: لأن العقاد لا يرضيه ما هو أقل من التقديس ، واذا شاء أن ينصفه أيّ ناقد مستقل لم يكن جزاؤه غيرَ لطمةٍ منه ناسباً اطلاع ناقده وتدقيقه الى الجهل والتحامل! فالعقاد نفسه مسؤول عن هذه الحالة كما أنه مسؤول عن المقالات السخيفة التى تشيد بعبقريته « الجبارة » وبنحو ذلك من التهريج .

يدّعى العقاد أنه لم يتحايل على الشهرة . ولا أعرف تحايلاً أسوأ من التظاهر بالعظمة والايحاء بأساليب شتى لمن يلفون حوله للاشادة به واستغلال مركزه الصحفى لهذه الغاية . ويظهر أن هذا مرضٌ عند العقاد ظهرت علاماته الأولى منذ كانت تصدر جريدة « الرجاء » ، ولولا خصومته مع بعض الأدباء الذين كانوا يناصرونه ويحسنون الظنّ به ـ فلقوا من جحوده ما لقى كلُّ أديب آخر عاونه — لما عرفنا ما عرفنا من أساليب العقّاد العجيبة لاقتناص الشهرة مما يبزّ كل وسيلة مقبولة أو غير مقبولة لجأ اليها أيّ أديب آخر ازاء تجاهل المجتمع أو جمود الرأى العام .

فليدعنا العقاد إذن من هذه المباهاة وليهذّب من أساليبه بدل لوم الادباء الذين ينفّرهم منه بأخلاقه . ليتورّعْ قليلاً قبل أن يهاجم رجلاً منقفاً عالى النفس مثل اسماعيل مظهر ، وقد كانت ولا تزال مجلته (العصور) من المراجع الثقافية الممتازة فى دور الكتب . فاسماعيل مظهر من الافذاذ الذين استوعبوا ما استوعبوا من أصول الفلسفة والنقد الادبى والاطلاع العام الغزير ، وقد ضحّى الكثير لخدمة آرائه الحرة ، والعقاد على أى حال فى منزلة تلميذٍ من تلاميذه . ثم ماذا نقول عن نقده للرافعى هذا النقد المسفّ ؟ أليس الواقع أن كلا من العقاد والرافعى قد سجّلا فى نقد نشيد شوقى العيوب الملحوظة عند عامة الناس ، وليس ما سجّلاه بما يؤبه له حتى

يباهي به أحدهما أو يدّعيه الآخر ؟ ومهما يكن من شيء فانه يؤسفني أن يجرد الرافعي العقاد من شاعريته وأن يجرد العقاد الرافعي من ألمعيته الأدبية واللغوية النادرة التي تؤهله للاستقلال بآرائه اللغوية . ولعلّ العقاد امتعض من أبيات الرافعي المنشورة في العدد الماضي من (أپولو) وقد حسبتُها كما حسبها غيري موجَّهة الى العقاد . (تلقينا الأبيات المشار اليها من الرافعي منذ شهور ، ولا نعرف لها أيّ علاقة بالعقاد ، وانما عددناها مثالاً للشعر الفكاهي . وقد تأخر نشرها بسبب ازدحام مواد المجلة . ونحن على كل حال ننزه صفحات هذه المجلة عن الطعن الجارح ، ولا تهمنا غير المناقشة الأدبية البريئة سواء كانت لنا أو علينا — المحرر) .

ومن أغرب ما يقوله العقاد عن اسماعيل مظهر ان مظهر يريد أن يتشبّه به ، ويستشهد على ذلك بمباحث طرقها مظهر وطرقها العقاد من قبل بل يستشهد بتشابه العناوين ! فهل العقاد يتشبه بالمازني لأنّ المازني سبقه بالبحث عن ابن الرومي ، وهل يتشبه بطه حسين لأنه سبق العقاد بالتعريف عن جيته ، وهل يتشبه بأبي شادي لأن أبا شادي سمّى ديواناً قديماً له « وحي العام » وجاءنا العقاد بوحي الأربعين ؟ أليس هذا من غرور « أبي العبس » وهل بعد هذا غرور ؟ وهل يفوت صاحبنا الذي يستشهد في مقال أدبي بما يقوله نكرة عنه في جريدة « الزمان » التونسية ويتهافت على ذلك أنّ كثيرين من ادبائنا البارزين يظفرون بأبلغ من هذا التقريظ ثم لايعبأون باذاعته في مثل هذا المجال ؟

لقد قرأتُ ما نُشِر في مجلة (أپولو) من النقد الفني لشعر العقاد ولسلوكه كناقد وأديب فلم أرَ فيه شيئاً من التحامل ، وإن خالفتُ بعض حضرات الكتاب في جانبٍ من استنتاجاتهم . والمطلع على أحدث التصانيف في نقد الشعر وموسيقيته (وفي مقدمتها كتاب تشارد بورْزمْيت عن « المثال والتغير في الشعر » ورسالة لاسيل أبركرمبي عن « الشعر : موسيقيته ومعناه ») فضلاً عن المؤلفات الاصولية الذائعة ، لايمكنه أن يدّعي أنّ النقّاد الذين تناولوا « وحي الاربعين » خالفوا أصول النقد الأدبي النزيه في شيء .

وقد نسب الهمشريُّ وغيره الى العقاد تعمُّدَ النقل عن شعراء غربيين بارزين فرجعتُ الى النصوص المشار اليها فوجدتُ تشابهاً عظيماً في المعاني وأثراً جلياً للاستيحاء ، ولكني أستبعد كثيراً أن يكون العقاد قد تعمد ذلك ، وغاية ما يقال

أنه وقع فيما وقع فيه المازنى من قبل من تأثير مطالعاته ، وهو مالا يسلم منه شاعر أو كاتب بدرجات متباينة . وأخشى أن فتح هذا الباب يؤدى الى مهاترة لانهاية لها خصوصاً والعقاد بارع فى المجادلة الصحفية إن لم أقل السفسطائية ، بدليل مناقشته الواهية فى عيوب فنية بارزة يلمحها كل ذى بصر فنى وذوق سليم .

وخلاصة رأيى أن العقاد مفكر قبل أن يكون شاعراً وجدانياً ، وهو رجل له خطره وفضله . ولولا طباعه الشاذة وغروره المتناهى لانتفع بهالأدب انتفاعاً أتم ، ولكن الغرض والانانية مما يفسد آراءه وأحكامه ، حتى أكاد لا أستطيع أن أقول باطمئنان اذا كان النفع من أدبه يفوق كثيراً الضرر من محاولاته الهدّامة المغرضة . واذا كنا نرفض نزعته التحكمية فيجب أن نرفض كذلك تحكم خصومه الذين لا يريدون لشعر العقاد الظهور والذيوع . وهم لو استطاعوا ذلك ـ ولن يستطيعوه ـ فأىُّ جدوى تعود على الادب من حصر نماذج الشعر؟ وما الفائدة من وراء هذه الدكتاتورية التى نحارب بها دكتاتورية أخرى ؟ !

محمود الخولى



شاعر يعلن اسلامه

بعد ألف سنة

(النابغة الشيبانى مسلم وليس بنصرانى)

ليس أشدّ على التاريخ ولا أوجع للحقيقة من الهفوة يهفوها العالم الكبير فلا تُعرف أنها هفوة بل تستقبل بالرحب والسعة فى صدور المجالس وبطون الحلقات وفواتح الكتب على انها حقيقة لا شك فيها ، ثم تتوارثها الاجيال ويسبغ عليها القدم ثوباً خادعاً من الجلال الكاذب تتراءى فيه كأنها بنت البحث وسليلة الدرس والتنقيب ، إذ على قدر شهرة العالم وبعد صوته يكون ذيوع ما يصدر عنه . بل ان هناك أمراً آخر لا ينبغى إغفاله وهو أن العادة قد جرت على احترام آراء العلماء

الكبار وعدم مناقشتها ومن هنا يكون الضرر أبلغ والشفاء أبطأ ، إذ لو أن القضية كانت صادرة من رجل خامل الذكر لكان فى الاذهان استعداد للشك فيها وان كانت حقاً ، فأما وهى صادرة من رجل محقق وعالم مبرز أومؤرخ جليل فلا موجب لاسلاف الشك وتقديم الحذر .

وقد يهفو المؤرخ الكبير فتكون هفوة التاريخ : ذلك أنه قلما كان علماء التاريخ فى الماضى ينقبون عما يكتبونه وانما كان همهم على الرواية والكتب ينقلون عنها ، والحقيقة التاريخية كانت دائماً موضع بحث ولكن قل من ملأ يده منها ، ذلك أننا



محمد خالد

نشاهد فى عصرنا الحاضر — على ما نحن فيه من حضارة — الحادثة الواحدة يرويها عدد من الرواة وفى كل رواية مخالفة ظاهرة للأخرى فكيف بالماضى وقد كانت وسائل الانتقال بطيئة وأداة نشر العلم محدودة !

أسلفنا هذه المقدمة بين يدى الموضوع الذى أردنا نشره نعتذر عن هفوة التاريخ أو على التحقيق من هفوة الأديب الأكبر ـ بل فخر اللغة العربية الامام ابى الفرج الاصفهانى مؤلف «الأغانى» ـ فى حق الشاعر الفحل النابغة الشيبانى . أما هذه الهفوة فهى زعم أبى الفرج أن النابغة كان نصرانياً حيث يقول فى صدر ترجمته له : « وكان فيما أرى نصرانياً لانى وجدته فى شعره يحلف بالانجيل وبالرهبان وبالايمان التى يحلف بها النصارى » . وقد أثر ابو الفرج فيمن جاء بعده من مؤرخى الآداب

العربية فعدّوا هذا الشاعر نصرانياً تأثراً بما رواه ابو الفرج ، وهكذا غلط التاريخ مع النابغة طوال هذه الحقب وأخرجه عن دينه فى الكتب ألف سنة أو تزيد !

وانى لأحمد الله أن وفقنى الى اصلاح هذا الخطأ التاريخى فقد كنتُ فى أوائل مارس أتصفح ديوان النابغة الذى طبعته دار الكتب الملكية فأحسنت طبعه وأجادت ضبطه وقد رأيت الدار أثبتت ترجمة صاحب « الاغانى » للشاعر فى أول الديوان وفيها يقول عن النابغة ما أسلفنا ذكره، ثم مررتُ بالديوان مروراً خفيفاً فادركت لأول وهلة أن النابغة مسلم وليس بنصرانى بل انه يعلن اسلامه من فوق مأذنة فى كل قصيدة ينشدها ، وليس هذا من قبيل الاستنتاج أو التوليد بل ان لفظ « الاسلام » جاء فى مواضع أخرى وقائع حال لا تصدر الا عن مسلم ولا يتشبه بها نصرانىّ مهما كانت مرونته ومطاوعته للظروف .

وانى أشرك القراء معى فى هذا الحكم فأنقل لهم بعض الشواهد ثم أحيلهم على الديوان ليتتبعوا سائر قصائده فهى حافلة بالامثلة والبراهين .

جاء فى صفحة ١٧ :

وتعجبنى اللذاتُ ثم يعوجنى ويسترنى عنها من الله ساترُ
ويزجرنى الاسلامُ والشيبُ والتقى وفى الشيب والاسلام للمرء زاجرُ

وفى الصفحة ٥٢ يصف الشاعر حصار مسلمة بن عبد الملك لمدينة « طرنده » ويقول بلسان المسلمين :

تدعو النصارى لنا بالنصر ضاحية (١) والله يعلم ما تخفى الشراسيفُ (٢)
قلعت بيعتهم عن جوف مسجدنا فصخرها عن جديد الارض منسوفُ
كانت اذا قام أهل الدين فابتهلوا باتت تجاوبنا فيها الاساقيفُ (٣)
فاليوم فيه صلاة الحق ظاهرة وصادقٌ من كتاب الله معروفُ

وفى صفحة ٢٢ يقول :

ولولا الله ليس له شريك إلهُ الناس ذو ملكٍ وعرش
لباركنى من الخرطوم (٤) كأس تكاد سؤور نفحتها تنشّى

(١) ظاهرة (٢) جمع شرسوف وهو غضروف معلق فى اعلى كل ضلع (٣) جمع اسقف (٤) الخمر

فأنت تراه فى الشاهد الاول قد جاهر بالاسلام وتحصن به من اللـذات ، وفى الشاهد الثانى تبصره مجاهداً كبيراً فى سبيل الله ، وفى الشاهد الثالث ينفى الشرك بالله ، وهذه هى أخص خصائص الاسلام وأظهر مظاهره ولا سبيل لاحد بعد ذلك أن يتشكك أو يمين .

« • »

بعدهذا نعود الى صاحب «الأغانى» فنعتذر عنه من هذه الهفوة بذلك العمل العظيم الخالد: عمله فى تأليف كتابه « الاغانى » واحيائه آداب اللغة وفنونها فيه. وانى لاقرر من غير حذر أو تردّد ان كتاب « الاغانى» هوالكتاب الذى حفظ على اللغه آدابها ووعى لها شعرها ، ولولاه لجهلنا اسماء كثيرين من الشعراء بله شعرهم .

والذى أرجحه هو أن أبا الفرج لم تقع له نسخة كاملة من ديوان النابغة والا لما عزّ عليه أن يستدرك هذا الخطأ اليسير فهمه .

بقى أن أبا الفرج يقول إن النابغة يحلف بالانجيل والرهبان . وقد تصفحتُ الديوان فوجدت هـذا الحلف قليلا جداً فى شعره ولم أر لفظ الانجيل الا فى مكان واحد ولعـله الذى رآه ابو الفرج ، على ان الشاعرلم يورد الحلف ارتجالا وانما حكايةً عن غـيره من الرهبان المتبتلين على عادة كثير من الشعراء حينما يريدون تأكيد شيء واقراره ، وعلى أى حال فان حلف المسلم بالانجيل والتوراة وغيرها من الكتب السماوية لايتجافى مع عقيدته الدينية فان الاسلام يقرّ هذه الكتب ويأخذ أهله بالايمان بها ؟

محمود خالد

الشـــاعر المستحجر

هاجنى عباس افندى محمود العقاد فى الصفحة الادبية التى يكتبها بجريدة (الجهاد) من غير أن أعرف لأىّ شيء هاجنى ولا اية حاجة فى نفسه أراد ان يقضى بما أسفّ فيه من بائر القول وظاهر العنت والسخيمة التى ظهرت بين سطوره . ولقد تساءل الأدباء لماذا يهاجنى العقاد فلم يجدوا ولم أجـد من سببٍ ظاهرٍ الا أن العقاد ،

كما يقول اديبنا الكبير مصطفى صادق الرافعى ، هو العقاد ! ولا حيلة فيما لا حيلة للناس فيه ، الا فيما شاءت الاقدار أن تطوى فى نفس العقاد من صفات تُظهر الانسانية فى الصورة التى يمثلها العقاد فى هذا الزمن عظةً وذكرى ، لتذكر الناس بما فيهم من أصل حيوانى وجبلة وحشية ، كأن تقول لهم : أيها الناس — اذا نسيتم اصولكم الوحشية ، فها دونكم من أخلاق استاذ حروف المطبعة من بنط ٣٦ «العقاد» وصفاته مثلٌ حيٌّ عليها، ما يمنعه عن أن يكون ما كانت أصولكم فى الغابات والكهوف الا القانون والا حبل الجلاد والا المقصلة !

فلقد تطاول واستعظم وشمخ بأنفه الى السماء عزة بالاثم . فلما تناوله القانون أخذ يتذلل وأخذ يتنصل مما كتب وأخذ يبكى خلال المحاكمة ، وحط أنفه فى الرغام، ومضى يهذى كمن أصابهم الهلاس ويصيح : أريد شمساً ، أريد ضوءاً ، أريد وأريد، حتى لقد أخذت الناس عليه الشفقة وقالوا مسكينٌ زلت به القدم وخانته العبارة ، فليرحمه القضاة يرحمهم الله ! ولكن القانون لا يعرف الرحمة الاّ مع الراحمين ، كما انه لا يعرف مع المتعاظمين بغير عظمة، المتجاهين بغير جاه ،الاّ العدل فى جبروته وقوته .

هذه صورة أولى من العقاد . أما الصورة الثانية فاليكها : كتب أحد أدبائنا منبهاً فى مجلة (أبولو) على بعض سرقات العقاد من الشعراء الغربيين ، فانكمش العقاد وصغر وتضاءل وأخذ يزجى الى ذلك الأديب الرسول بعد الرسول ليتفاهم وإياه على ان يرحم ضعف العقاد وان يستر الفضيحة ، وان الله كما يقول عجائز القرى حليمٌ ستارٌ !

وهذه صورة ثانية من العقاد . وأما الصورة الثالثة فانا لا نبخل بها : فانك اذا رأيت ضعف العقاد فى الصورة الثانية فانك ولا شك تنكره فى احدى المكاتب وقد سأله أديب فى كثير من الأدب الجم رأيه فى شيء يغضب العقاد ان يقول فيه رأياً ، صحيحاً أو غير صحيح . وكيف لا تنكره وهو يتطاول على ذلك الأديب ارتجالاً وللاشيء ويتنقصه والأدباء بأسفه العبارات ويقول فى ناشئة الأدب أنهم فقاقيع وانهم حثالة الزمن وثمالة الكأس التى زهدت فيها الاقدار ! وبمقدار هذا يكون الفرق بين العقاد اذا قدر ، فانه لا يعفو . اما اذا أسر وصرّت عليه رجل الغراب كما يقول المثل العربى ، فانه ينكمش ويتماوت كالثعالب ، وتندك قامته المديدة حتى تصير بضعة أشبار ، وهى على ماعهدت تشرف على النخلة السحوق .

هذه هى الصورة الثالثة . أما الصورة الرابعة فيصورها لك العقاد متهجماً على

الزعيم الاكبر المغفورله سعد باشا . واذا كنت لاتعرف كيف تهجم وكيف تطاول فاعرف أن بعض أعضاء الوفد إبّان تكوينه قد أخذ على رئيس تحرير «الاهرام» انه يفرغ عليهم من الالقاب ما لا يجب ان يفرغ على غير الرئيس احتراماً لشخصه واجلالا له فى المكانة التى تليق برئيس الهيأة التى تسعى فى سبيل استقلال البلاد . وكان العقاد محرراً فى «الاهرام» يهذب رسائل الاقاليم. ولقد أفضى اعضاء الوفد بما أرادوا امام العقاد وكان يتلقى الاوامر اليومية من رئيس التحرير ، فانفجر انفجار البركان يرمى سعد بما رمى به كل عظيم فى مصر . واذكر من الاعضاء الذين سمعوا كلامه احمد لطفى السيد بك وعبد العزيز فهمى باشا والمرحوم المكباتى بك على ماروى لى رئيس تحرير « الاهرام » . وممن كانوا فى الحجرة ثلاثة أحياء يرزقون وواحد حى لا يرزق الا من جرائد الوفد وهو العقاد !

واليك الصورة الخامسة . فان هذا الحى الذي لا يرزق الا من جرائد الوفد ، وينادى كل يوم على صفحاتها إفكاً «بالاستقلال التام أو الموت الزؤام» يروّج سراً فى مجالسه الخاصة بان المصريين خيرلهم أن يقبلوا من الانجليز نظام الدمينيون على أن تترك انجلترا للمصريين الحرية الكاملة فى تكييف شكل الحكومة ، كأن تكون جمهورية مثلا ، ومثلا فقط . كلا ! استغفر الله ! بل انه يناقش فى هذا أدباء معروفين وقد نقل الىّ هذا الحديث سلامة موسى ، وهو رجل مستقيم الفكر حرّ الرأي يقول ما يعنى ويعنى مايقول .

وانتم فى جميع هذه الصور لاترون العقاد الحقيقى : ترون فى احدها العقاد الحانق المتأله ، وفى الثانية العقاد الضعيف المستكين ، وفى الثالثة العقاد الشتّام السباب ، وفى الرابعة العقاد المتهوّر المفرط ، وفى الخامسة العقاد المقنع ــ العقاد الدومينيونى عليه من النفاق السلام !

وانى لأريد أن أصور لكم العقاد فى صورة سادسة : فانه وهذه حاله لايتورع عن ان يرمى الناس بان « منهم من يمشى مع الحسد والضغينة ، فكلما امتلأ قلبه باكبار انسان اشتد ضغنه عليه واشتدت رغبته فى تنقصه والاساءة اليه» . وهو بهذا انما يعبر عما فى نفسه للناس من حنق وحفيظة . والآن فليتفضل وليقل لماذا هاجنى ولاىّ سبب اخذ ينتقصنى من غير ان أتعرض له بمدح او بذم ؟! وأقول مدحاً لان من الذين مدحوا العقاد وأكبروه وأعانوه على أن يكون شيئاً مذكوراً ، من ناله العقاد أكثر مما نالنى منه ارتجالا وسخيمة ، مع انى ولله الحمد لم أرتكب جريمة

ان أبنى فى العقاد لبنـــة واحـــدة ، والاّ لانقضت هـــذه اللبنة على أم رأسى ، كما انقضت كل لبنة وضعها اديب فى اساس العقاد على رأسه ، فتركت اثراً قائماً على ان الشاعر القديم لم يعن بقوله :

خلقت على ما فىّ غير مخير هواى ، ولو خيرت كنت المهذبا
أريد فلا أعطى واعطى ولم أرد وامسى وما أعقبتُ الاّ التعجبا !

الا من كان العقاد أو من هو على شاكلته ممن توسل بهم الاقدار بين فترات الزمان ليقيس الناس عليهم الفارق بين الانسانية فى صورتين : احداهما يمثلها العقاد والاخرى يمثلها سقراط الفيلسوف .

واى شىء تذكر للعقاد من أدب النفس أو صفاء الفكر ؟ أقوله فى احمد لطفى السيد بك الذى يملأُ قلبنا احترامه بانه « الفيلسوف العجر » ؟ أم وصفه الاستاذ محمد حسين هيكل بك وهو احد كبار رجال صحافتنا واحد عمد الادب الحديث بانه « الغر المصطول » ؟ أم قوله فى صاحب الدولة محمد محمود باشا وهو احد كبار رجال الدولة بانه « الاحمق المغرور » ؟ فاى شى يجب ان يُسْقَى العقاد سوى السمّ الذى يسقى الناس ؟ وكأنه بما تعلم وبما عرف من اشياء أشبه بأفعى سقيت سماً ، لتزداد شرتها وتقوى عُدَّتُها على فعل الشر !

ولقد استشرى العقاد حتى خيل اليه ان أقدار الناس واعراضهم حرم مباح ، وكبر فى نفسه الغرور حتى لقد ظن بان تعفف الناس عن ايذائه بمثل ما يؤذيهم به ليس عن فضل ولا عن أدب ، ولكن عن خوف من عظمته كما يدعى ، فى حين ان الحقيقة انهم يدارون بذاءته كما يعرف كل الناس . وان البغاث ليستنسر فى قفر أجرد ، وان حبة البر لتطغى ، ولكن قبل أن تدور عليها الرحى وتهشمها أوتتركها هباء بددا !

وما كنت لاكتب فى العقاد شيئاً ، لولا أنّ احد الاصدقاء قد نبهنى الى شىء غاب عن ذاكرتى . فقد نشرت فى عدد مارس من مجلة (أبولو) مقالا تحت عنوان « أدكتاتورية فى الأدب » نقدت فيها الدكتاتوريات الأدبية وقلت إن هذه الدكتاتوريات من أخطر ما يتعرض له الأدب فى أمة من الامم من الاحداث الجسام لانه يغمر الناشئين ، ويغوى الكبار ويزيدهم غروراً فنفقد بذلك الأدب والأدباء . وضربت أمثالا بدكتاتورية صموئيل جونسون فى انجلترا ، ودكتاتورية فولتير فى

فرنسا ، وقلت إن دكتاتوريات هؤلاء إن كانت عن جدارة فانها نعيت على الادب الانجليزى والادب الفرنسى ، فما بالك بدكتاتوريات قد يحدثها من يجدر بنا ان نسميهم « ادباء الوضع » واخذت أرسم صوراً تعريفية لادباء الوضع ، والظاهر ان احدى هذه الصور العامة قد لبست العقاد ، وجاءت متصلة على قدر غروره وعلى قدر ما فى نفسه من دعوى ، فكان أن هاجنى من غير ان يمر العقاد بخاطرى ! واليك تلك الصورة .

جاء فى مجلة (ابولو) ص ٧٩١ فى العدد السابع :

« وتجد الآخر (هذا بعد أن وصفت صورة أولى من أدباء الوضع) وقد تبدل من معجم جونسون وتراجمه ومن مجلدات فولتير وعلمه ، جلسة يكعو فيها على احد جنبيه ، وصوتاً يخرج من اعماق الصدر تعملا لا فطرة ، وكبراً يأخذ به الصبية الذين يحاول ان يتخذ منهم بطانة وشيعة يستخدمها فى الاعلان عن ذاته الشريفة وعن أدبه الجم وعن فلسفته الادبية ورسالته التى أداها لاهل هذا الجيل التعيس، فى حين ان غاندى يشفق على نفسه ان يقال فيه انه صاحب رساله أُديت لاهل هذا الجيل» .

ولقد تخيلت هذه الصورة تخيلا . لانى لم يضمنى والعقاد مجلس ابداً ، اللهم الا هنات من ايماءة فى شارع أو دقائق فى مكتبة . ومن الغريب ان يشعر العقاد ان هذه الصورة تلابسه فيحنق ويرتفع صدره ويهبط غيظاً ثم يهاجنى فى «الجهاد» ارتجالا ومن غير أن يذكر سبباً . إذن فمن ذا الذى أعلمه أن هذا الثوب مفصل على قدر حقيقته ؟ ومن ذا الذى أشعره بانها مُدْيَةٌ ؟ انه انما ينم بذلك عن أنه أحد «أدباء الوضع» والحمد لله إذ اهتدينا الى أحد أعضاء « عصبة الوضع » ، كالمجرم الذى يوثق نفسه ويتقدم طائعاً للاتهام ! وهذه عندى أولى حسنات العقاد نسجلها له فى كثير من الغبطة ، لأن أقل ما فيها فى الدلالة يبشر بانه سوف ينفع فيه التهذيب .

ولعله قد تخيل انى لم أنقد شعره قصوراً . غير انى امسكت عن شعر العقاد عن عقيدة : وعقيدتى الراسخة هى انه مستحجر ـ شأنه فى الشعر شأن بقايا الحيوانات البائدة التى تطمر فى جوف الارض ويبدلها التفاعل الطبيعى من الحالة العضوية الى الحالة المعدنية ، فاذا استحجرت سماها علماء البلنتولوجيا بالحفريات ، فما تدل الآن على ان فى عصر من العصور الجيولوجية قد عاش حيوان هذه بعض صفاته أوهذه صفاته. وشأن العقاد فى الشعر شأن هذه الحيوانات وشعره كبقاياها : وانت ما حيلتك فى

بقايا مستحجرة ؟ أتستطيع أن تهذبها لتكون شيئاً آخر ؟ وما ينفعك نقدك لما ارادت الطبيعة ان تكون عليه هذه البقايا ؟ فالبائد بائد ، والعقاد بائد كشاعر .

واذا أردت المثال فخذ قوله :

أرى فى جلال الموت إن كان صادقاً   جلالةَ حقٍّ لا جلالةَ باطلِ

أرأيت اذن كيف يكون الاستحجار ! فان الموت اذا اشترط أن يكون صادقاً فالاحتمال الآخر قطعاً ان يكون هنالك موت كاذب ؟ ثم هل رأيت التواء الفكر وتعقد النظر ؟ !

وديوانه الاخير « وحى الاربعين » اى وحى أعوام طويلة قضاها العقاد يعالج الشعر ويصانعه لعله يسلس قياده ، فاذا به بعد هذه السنين المديدة لا يعرف بحور الشعر ويخلط تخليطاً كما جاء فى نقد الرافعى لديوانه . فقد جاء فى ذلك النقد ما يلى :

« وفى ص ١١٥ (الجسم الضاحك) .

ثغرك الضاحك ، لا بل وجهـ   ـك الضاحك ، لا بل كل جسمك

لا بل الدنيا التى تو . . . . مض نوراً حول نجمك »

قال الرافعى : « فهذا النظم من العروض الثانية من الرَّمل ووزنه :

فاعلاتن   فاعلاتن   فاعلاتن   فاعلاتن

ولكن البيت الأول وزنه هكذا :

فاعلاتن فاعلاتن   فاعـ   ـلاتن فاعلاتن فاعلاتن »

قال الراوى : « فلما بلغ الرافعى من نقد العقاد هذا المبلغ أشفق على العقاد ان يسقط مغمياً عليه وتدور به الدنيا فأمسك عن أن يزيده من هذا ! » على ان نقد الرافعى لم يزدنى الا اعتقاداً بأن العقاد شاعر مستحجر ، وما قام عندى دليل على استحجاره بقدر ما أقام « وحى الاربعين » . ولعل العقاد يعرف بحور الشعر بعد أن يبلغ أرذل العمر باذن الله

واذا أردت دليلا آخر فاقرأ قوله :

تنشقتُ من فِيكَ عطر الثما   ر أو نكهة العنبِ الناضج

فلو قلت أطعمتنى قبلة   لأنبأت عن صدق الطازج !

وتصور أيها القارىء شخصاً واقفاً بعرض الطريق يحرك ضبتيه ويلوك بين أسنانه شيئاً ويطيل المضغ حتى يسيل لعابه ، فاذا حملك حب الاستطلاع على أن تسأله: ماذا تمضغ؟ أجابك انى انما امضغ قبلة «تنشقتها» من فم حبيب خيل الىّ أنّ فيها عطر الثمار ونكهة العنب الناضج فاوسعني الأن ألوكها وأمعن فيها مضغاً ولوكاً حتى يسيل لعابي على صدرى . ولا يتبادر اليك انى أسخر منك فانى انما اعبر لك بهذا عن صدق طازج لم يفسد ولم ينغل بالزمن بل هو من خيالى الفياض الذى يفيض بالمعانى الجديدة غير معوق عن الجريان !

اذا وقع لك مثل هذا فايّ المعانى يتصل بفكرك لاول وهلة؟ هل يتصل بفكرك من معنى الا أن هذا الرجل معتوه ؟ !

ثم تخيل رجلا يذهب الى حبيبه ويميل اليه فى دلال ويقول : أطعمنى قبلة يا حبيبي ! فهل لهذا الحبيب ـ إن لم يكن معتوهاً مثل محبه ـ الا احد طريقين : فاما الكرباج ، وإما الفرار حذر ان يصيبه من جنون محبه « حادث مكدر » ؟!

قال الراوى : فاردتُ أن أعرف ما شأن هذا الرجل الذى يلوك القبل ويمضغها بعد أن يتنشقها من فم الحبيب حتى يسيل لعابه ، فسألته : مَن تكون أيها الانسان؟ فنظر شطر السماء مولياً بوجهه عنى أنفةً ـ وهذا شأنه ـ وقال : ألستَ تعرفنى ؟ أنا العقاد الشاعر الفحل والفيلسوف الأكبر صاحب أسمى رسالة أديت لاهل هذا الجيل والظاهر أنك لا تفهم شعرى... إذن فكن على يقين من أنك سوف لا تفهم منه الكثير ولا القليل لانك ضعيف العقل مغرور مصطول ! على أنك اذا اردت ان تفهم منه شيئاً فاجعل حبيبك يطعمك القبل وقف بعرض الطريق وامعن فيها مضغاً حتى يسيل لعابك !

أليس هذا أثر من الآثار التى يتركها بيت العقاد فى خيال مَن يريد أن يستوعبه؟ وهل دليل على الاستحجار أبلغ من هذا ؟ ! والواقع ان العقاد أراد ان يتخذ من الشعر صناعة فلم تسلس له . غير أننا على الرغم من هذه العقيدة سنعود الى شعر العقاد لنعرّفه كيف يكون نقد الشعر .

وقد يخطىء الشعراء جم الخطأ إذ يطيرون مع الخيال وحده أو يستسلمون للعاطفة وحدها وليس لهذا الخطأ الا أن ينتج أحد أمرين : إما ضعفاً فى الصناعة ، وإما تهويشاً فى المعنى . فاذا اراد الشاعر ان يتقى هذين فعليه أن يلاحظ أمرين :

الاول — الأثر الذى يتركه شعره فى نفس قارئه والصورة التى يطبعها فى مخيلته. فاذا تخيل شاعر نفسه واقفاً على شاطىء غدير يتسمع للاصوات ولما تناجيه به الطبيعة من لغتها الحية ثم صاغ شعره الذى يصوّر به هذه الحالة فقال : وكنت أرهف أذنى للسمع حيناً وأرخيهما حيناً آخر. فأىّ صورة تنطبع فى ذهنك توّاً الاصورة بهيمة ترفع أذنيها حيناً وترخيهما حيناً آخر تستجمع الاصوات وتستكشف ماحولها؟! وانها لتكون صورة فاسدة حتى ولو تخيلت غزالا ! ولكن ماذا عليك لو تخيلت حماراً أو بغلا ؟ فانت حر ما دام الامر محصوراً فى اذنين ترهفان ثم ترتخيان ! واى شىء أطول من الحمار أذناً ؟!

الثانى — ان يلاحظ الشاعر فى المعنى ما يشترك معه فى الافكار، ولاشتراك الافكار (association of thoughts) شأن كبير فى الشعر ، وهو بحث نفسىّ عميق سوف نوفيه حقه من الدرس بعد . ولا بأس من أن نمضى فى شرحه باختصار : فانك اذا قلت « نهراً » اشتركت مع فكرة النّهر كلّ ما يتصل به ـ فتتخيل الشجر والماء والانسياب والحيوانات والظلال وما الى ذلك لما تجرّ فكرة النّهر أو صورة النهر من الصور الاخرى . فاذا سمعت مثلاً قول العقاد :

تنشقتُ من فيك عطر الثما ر أو نكهة العنب الناضج
فلو قلت أطعمتنى قبلة لانبأت عن صدق الطازج

فأية صور تشترك فى مخيلتك مع هذه الالفاظ ؟ فان « تنشقت » تجر الى ذهنك توّاً علبة السعوط والتنشق والمنديل الاحمر يخرجه شيخ معمم من جيب قفطان بلدى ويضعه على أنفه ويتمخط بعد أن يعطس . و « أطعمتنى قبلة » تجر الى فكرك المضغ وتحريك الضبتين واللوك حتى يسيل لعابك . وهذا ما أريد أن أنبه اليه شعراءنا الناشئين والذين نرجو منهم الخير العميم للادب واللغة . أما العقاد الشاعر المستحجر فسوف يقول: ما هو « اشتراك الافكار » ؟ لقد قال به كل علماء النفس . ولكن ليعلم العقاد ان العبرة هنا بالتطبيق ، وسوف اكون أول من يطبق هذا المبدأ النفسىّ باسلوب علمى على نقد الشعر ، وستسجله لى (أبولو) فعله لايتبجح بعد هذا ولا يتهمنى بأنى أريد ان اكون العقاد والعياذ بالله . على انى سأبدأ فى عدد (أبولو) المقبل بشرح هذا المذهب التطبيقى الجديد فى نقد الشعر وأتناول فى أول ما أتناول شعر العقاد ، ويرحمه الله !

اسماعيل مظهر

توارد الخواطر

ورد ذكر عباس محمود العقاد فى العدد السابع من (أبولو) فذكر الممشرى أن قصيدة العقاد (غزل فلسفى) مقتبسة من قصيدة شلى (ابيسكديون) وقصيدة العقاد فى وصف طلول طيبة هى من قصيدة تيوفيل (معبد الاقصر) ، وقد ذكر الدكتور أبو شادى أن هناك توارد خاطر بين العقاد وعبد الرحمن شكرى وأن قصيدة (ضلال الخلود) تذكره بقصيد شكرى عن (الشاعر البابلى) .

وذكر عبد الحميد شكرى فى العدد السابع أيضاً أن قصيدة العقاد (الهداية) مأخوذة من قصيدة توماس هاردى (الى النجوم) ، وأن فكرة العقاد فى تشبيه الدنيا بالخان مأخوذة من قصيدة هاردى (الفجر الجديد) .

وأحب أن أذكر للقارىء شيئاً من توارد الخاطر الذي يحدث للعقاد لعله يجد فيه تسلية لغرابته .

قال العقاد فى صفحة ٢١٣ من ديوانه :

يا ليت لى ألفَ قلبٍ تغنيك عن كلّ قلبِ
وليت لى ألفَ عينٍ تراك من كلّ صوبِ

ومما منظور فيهما الى قول شكرى فى الجزء السابع من ديوانه فى قصيدة (آية الحسن) :

قد صار لى ألفُ عينٍ بعد رؤيتكم من بعد ما كان لى كالناس عينانِ
وصار لى ألفُ قلبٍ أرتجيك بها ياليتنى زدت فى روحٍ وأشجانِ

وقال العقاد (ص ٢٢١) :

لبيك يا بحرُ من داعٍ نطوفُ به ظمأى فنروى ولم تعذبْ مساقيهِ

وهى من وحى شكرى فى قوله :

إن لم أنل منه ما أروى الغليل به قد يحمد المرء ماءً ليس يرويهِ

وقال العقاد (ص ٢٢٤) :

ما للمحبّ سوى قضاءٍ واحدٍ ثغرُ الحبيب له المقرّ الناقِ



عبد الرحمن شكري



أتراك تحفل كلّ شارق غيهبٍ هبط القضاء به الى الاسدافِ
انّ القضاء لما يهمك وقعه فيمن تحبّ من الورى وتجافى
وأنا المعانق للقضاء بأسره فى جسم أغيد كالندى شفّافِ !

وهى أيضاً من وحى شكرى فى الجزء الرابع من ديوانه (ص ٢٦) :

إن راقب الناس فى الافلاك طالعهم فان عينيك لى سحرٌ وتبيانُ
وان طرفكَ نجمُ الحظّ أرقبُه سعدٌ ونحسٌ واحسانٌ وحرمانُ

وقال العقاد من نفس القصيدة :

لو كان حظك من جمالك حظنا أوجفتَ تطلب صحبتى إيجافى
أو كانت الدنيا تروقك بعض ما راقت بحسنك كنت خيرَ مصافى

وهى من قول شكرى فى الجزء السابع من ديوانه (ص ١١) :

خير لنفسك أن لم تدر ماضمنت من فتنة الخلق فى حسنٍ واحسانِ
اذاً لافرطتَ من سكر ومن خبَلٍ ورحتَ تنعم فى ظلمٍ وعدوانِ

ومن قوله فى الجزء ٧ (ص ٢١) :

ومن العدل ان يحب صبيحٌ حسنَه كى يكونَ جدٌ رحيمِ

ومن قوله :

ولو كنت تدرى كنه حسنك كله غدرت ولم يعنف عليك رقيبُ
وعربدتَ من سُكرِ الجمال ، وإنه لسكرٌ اذا فكرت فيه يطيبُ !

ويقول العقاد فى نفس قصيدته :

هى حجة القدر العزيز على امرىء يرميه حين يثور بالاجحافِ

وقد قال شكرى :

وكيف أجحد هذا الكون خالقه وفيك لله آياتٌ وبرهانُ !؟

وقال العقاد (ص ٢٥٥) :

وحيّانا بزهر من رباها فيا للورد يهدى الياسمينا !

وهو من قول خليل مطران :

زانت الرأس بفلٍّ هو بالرأس تحلَّى
مارأت قبلك عينى وردةً تحمل فلاَّ

ومن أغرب ماحدث من توارد الخاطر للعقاد قصيدته الموسومة « نبئينى» ص ٣١٦ :

لست أهواك للجمال وإن كا ن جميلا ذاك المحيا العفوفْ
لست أهواك للذكاء وإن كا ن ذكاء يذكى النهى ويشوفْ
لست أهواك للدلال وإن كا ن ظريفاً يصبو اليه الظريفْ
لست أهواك للخصال وإن ر فّ علينا منهنّ ظلٌّ وريفْ
أنا أهواك « أنت » ، « أنت » ، فلا شيء سوى « أنت» بالفؤاد يطيفْ

فان هـذه قطعة من قصيدة المرحوم طانيوس عبده الشهيرة التى كانت تغنى فى المجالس :

أتيتُ فألفيتهـا ساهرهْ وقد حملتْ رأسَها باليدينْ

وقد نشرت فى ديوان طانيوس عبده المطبوع حديثاً ولـكنها مثبتة أيضاً فى كتاب « مختارات الزهور » تصنيف أنطون الجميل بك وهو مطبوع قبل ديوان العقاد بسنين ، وفى هذه القصيدة يقول طانيوس عبده :

أحبّك لا لجمال وُصِفْ فـكان السبيل الى كل عجبْ
ولا لـكمالٍ به تتصفْ صفاتك فى كلّ صوب وحدبْ
ولا لذكاء عجيب عُرِفْ فـكان الرسولَ الى كلّ قلبْ
ولـكنّ هذا الفؤاد افتتنْ (بأنتِ) و (أنت) المنى والمرامْ
وكلّ الذى فيك حلوٌ حسنْ وكلّ الذى فى فؤادى غرامْ

ومن أغرب مايذكر فى باب « توارد الخاطر » قصيدة للعقاد (ص ٢٧١) ليس بين أبياتها رابطة ووحدة فهى مجموعة أبيات لم يخرج منها بيت واحد عن ديوان عبد الرحمن شكرى ، وكاتب هذا المقال يعتقد أن عبد الرحمن شكرى أعظم شاعر عاطفى كتب بالعربية فى هذا الوجود الفانى .

قال العقاد :

وأبعث فيه الشعر لو قد بعثته على صخـرة ردَّت علىَّ ندائى

وهى من قول شكرى :

وهل تنفع النجوى وقلبك صخرةٌ ؟ ألا خابت النجوى لدى كل صخرةٍ !

وقال العقاد :

ولو كافأ البغض الضرار لاضمرت عداءك نفسى قبل كل عداء

وهى من قول شكرى (جزء ٧ ص ١٠) :

انى أهابك من حسن تجور به حتى لأقلاك فى اثناء أحيان

ومن قوله (جزء ٧ ص ٣٢) :

لو كنت شاهد عبرتى وصبابتى لمّا برمت بصدك المتمادى
لعلمت انك بالسلوّ وبالقلى أحجى ، ولكن لا يطيع فؤادى

وقال العقاد :

ألا ليت لى ياطلعة النور أعيناً عداد نجوم فى السماء وضاء
أراك بها شبع الجوانح رؤية وأوفيك حق الحسن كل وفاء

وهى من قول شكرى (جزء ٧ ص ٩) المشار اليه سابقاً :

قد صار لى ألف عين بعد رؤيتكم من بعد ما كان لى كالناس عينان
كى لا يضيع جمال منك أبصره ورقة اللفظ فى سحر وتبيان
بل ليتنى الكون طرا ليس يبصركم سواى فى الخلق من وحش وانسان

وقال العقاد :

وما خسر الدنيا ولا الدهر شاعر تبدله طراً بيوم صفاء

وهو من قول شكرى (جزء ٧ ، ص ٤٥) :

وعطفك عندى نهزة لا ينالها الى أبد الآباد إسعاد خاسر

ومن توارد الخاطر فكرة المجوس وهى فكرة غير قريبة ولا شائعة . قال العقاد :

وياليت لى سحر المجوس لعله معين على اسر القضاء ذكائى

ولشكرى اكثار من ذكر المجوس وولع بالفكرة . قال (جزء ٧ ، ص ٣١) :

طرفٌ تألق منك حتى خلتُه قبس المجوس يضىء للعبّادِ !

وقال (جزء ٥ ص ١٧) :

فإن ذكراك فى فؤادى كالنار فى معبد المجوس !

وأما معنى بيت العقاد الاخير فهو من قول شكرى (جزء ٥ ، ص ٤٦) :

ويا ليت لى عزم القضاء وحوله فتحمد بين الناس منك العزائم

وقال العقاد :

تعلم قلبي كيف ان رغيبة على خطوة تمي على القدراء

وهو من قول شكرى (الجزء الاول ص ٤٤) :

رضينا بالبعاد وأنت دانى فصرت على بعادك كالأمانى

واذا كان القارىء يرى بعداً كبيراً بين البيتين فانى اذكر له ان العقاد اخذ بيت شكرى الاخير فقال فى قصيدة اخرى (القريب البعيد) بالصفحة ١٥٩ :

بعيد مدى منك القريب المؤمل واقرب منه النازح المتعلل

ولشكرى ايضاً فى المعنى (جزء ١ ، ص ٣٢) :

بعثت عينىَ منها نظرة قربتنى منه حتى بعدا

وقال العقاد من نفس القصيدة :

أردنا لهذا الحسن نفساً محسّةً ولم تدر ان الحسن لونٌ رداء

وهى من قول شكرى (جزء ٧ ص ٣٣) :

قد كنت أحسب كل حسن فطنة تودي بقسوة وحشة الأضداد

فنيت منك بغير ما أملته أسفاً لقلب منك غير جواد

وقال شكرى أيضاً (جزء ٧ ص ١١) ومنها أخذ العقاد تشبيه الحسن بالرداء :

أنسى جمال رداء أنت لابسه حتى كأن لم يكن حال له ثانى

وقال العقاد يستنكر ملامة الاقدار :

وهل تملك الدنيا لنا ما نريده فننعى عليها خلة البخلاء ؟

وهى من قول شكري (الجزء الخامس ص ٤٧) :

علامَ تُرى الدنيا الذي لا نناله وتزجى نفوساً كى تتوق وكى تظما

ولو كان قلب المرء بالعقل حكمه لما زوّد الاقدار مدحا ولا ذمّا

وللعقاد قصيدة (ص ١٤٥) تجدها بمعناها ووزنها وموسيقاها بديوان شكرى (الجزء ٧ ص ١٦) ، ولعل هذا أغرب توارد للخاطر عثرت عليه !

وسأقتصر على مثال وللقارىء الرجوع اليه . ولا يظنن أحد أن هذا من باب

المعارضة التي كلف بها أهلُ المدرسة القديمة فان ديوان شكرى طُبع قبل ديوان العقاد بما يقرب من عشرين سنة ونفدت طبعته ، وليس من معنى المعارضة أخذ المعنى كما هو . قال العقاد :

صفه لى صفه وما كا ن بمجهول الصفات
أترى أملح من خطرته فى الخطرات ؟
أترى أصبح من خديه بين الوجنات ؟
أترى أعدل من قامته فى الصعدات ؟
ضاحكاً كالصبح يمحو بالضياء الظلمات
صفه فى كل كساءٍ ، صفه فى كل الجهات ؟

وهذا الجزء يقابل قول شكرى من القصيدة :

سألوا : فى أي حال هو أحلا فى الصفات ؟
قلت : أحلا ما تراه فى حديث اللحظات
فاذا أرخى لحاظاً كان أحلا فى السّبات
وهو أحلا منه إن فاه وأحلا فى الصمات
وهو أحلا ماتراه عاطياً باللفتات
واذا صدّ فما أحلاه جهم النظرات
فاذا لان فما أحلاه طلق اللمحات
كلُّ حال منه أشهى حالة فى الحسنات !

فترى أن العقاد لم يزد على المعنى سوى قوله : صفه فى كل كساء ، صفه فى كل الجهات ، فأتلف بذلك ماقصد اليه شكرى من صفة حالات الحبيب المتعلقة بصورة الحسن فيه . وأما العقاد فيذكر الكساء والجهات كأن الحبيب فى كساءٍ غيره فى كساء ، أو هو هنا غيره هناك !

وديوان العقاد عامر بتوارد الخاطر إلى درجة تثير أشد الدهشة : فكل قصيدة غزلية له لها أصل فى ديوان شكرى بتشابه وتشويه يطرحان الخيبة والغم فى قلوب مريدى العقاد . وقد اقتصرتُ هنا على توارد الخاطر فى أبيات أبيات . أما تشابه القصائد بجملتها فقد تركته لضيق المقام ، وقد أفردت لذلك فصولا أقصدبها الى دراسة شكرى بقدر ماتسمو مدارکی الى ذاك الأدب وما يستوعب قلبي من نغمات تلك القيثارة الالـهية ؟

رمزى مفتاح

الملكات والشعر

— ١٠ —

كانت الغاية التى نسعى اليها فى بحث الملكة أن الذين لا تقصر ميولهم على الشعر يصابون بتنازع الملكات ، ولا يوفقون فيما يعالجونه من مناحى الشعر ، ولا يبرأ شعرهم من مظاهر الركة أو الجفاف الذى أدى اليه الوهن فى ملكته بتأثير مازاحمها من ملكة الكتابة أو طبيعة من طبائع التفقه فى فرع من أفرع المعارف — ذلك لان الشاعر على ما أزعم لا بد له لأن يكون متأثراً أن يؤثر جانب الحس على جانب التعقل ، وأن يصرف نفسه عن عوامل الابهام والتعمق فيما يتناوله فى شعره من ألوان الفكر التى لا يتيسر له أن يكون ظافراً فيها إلا اذا كان لمن يقف لها حظ من التأثر وإيمان بقوة الشاعر فيما صوره من خواطر النفس وأحس بعض الاحساس بمشاركة الشاعر له فيما تغلل فى أعماقه من ذلك ، وكان له مصدر إيلام أو برم . أما اذا خاطب العقل كما كان الشأن فى شعر ابى تمام والمعرى فانه لن يحظى بنزوع النفوس اليه ، ولن يكون فى درجة الوجدانى ذيوعاً وتأثيراً ، ولن يكون له حظه من البقاء والخلود. ولذلك أستطيع أن أكون صريحاً فى مخالفة الدكتور طه حسين وأن أذهب الى غير ما ذهب اليه فى المفاضلة بين أبى تمام والبحترى ، إذ لا يرضينا ما يثقلنا ويعنفنا فى شعر أبى تمام من إغراق فى الفكرة ، وغلو فى الدقة ، وفردية فى تصوير الاحساس ، وغرابة فى اعلان الخاطرة ، وسوى ذلك كثير مما يخرج الشعر عن حد اللذة والتلهى به ويجعله أشبه شىء بقوانين الفلسفة ، تحتاج ما تحتاجه من ضبط النفس واستجماع للحس ، دون أن يكون ذلك كفيلا بنجاح الفرد فيما يتلمسه من اللذة فيما يقصد اليه من أثر الشاعر . ولكن البحترى شاعر قبل كل شىء ، وشاعر يصور ما يلذ للعاطفة تصويره ، ولا يقصد الى تكلف فى الاغراق وإغراب فى الاحساس . وهو الى جانب ذلك خفيف الروح ، محبب الى القارىء لسهولة تناوله ولطف مأخذه وان لم يتحلل من غفلة التأثر ولم تبرئه طبيعة عصره من نوازع المجاملة .

وقد أوجبت على الشاعر الناشىء تحصيل الاداة فى التصوير والامتلاء بما ييسر له شرح الخاطر من صور اللفظ فى أساليب الشعر ، ومعرفة ما تحمل عليه الملاءمة

من الاختيار له ليتم اعلان العاطفة النفسية فى صراحة وايضاح . أما أن يظل نافراً من دراسة الصور القديمة فذلك مما يقعد بملكته عن النماء ، وسوف نحسّ دائماً بقلق حين نقرأ الشعر لما نلمح فيه من ظاهرة الركة وعقلة الملاءمة والانسجام اللفظى . وسوف نتأمل شعر اكثرهم فلا نجد فيه لمحة من الافصاح عن مقصد الشاعر وسوف نشيع هذا النوع من الشعر كما نشيع شعر عباس محمود العقاد بيسمة الاشفاق على الشاعر ، لما سلكه من مسالك التعسف والتكلف ، دون أن نرى فى أكثر شعره ما يبرر غروره وادعاءه للتأثر وعمق الاحساس ، وغير ذلك مما يريد ان يكره المتأدبين إكراهاً على الاعتراف به وتصديقه من غير خبرة أو إحساس .

— ١١ —

ولا أريد أن أطيل فى هذا كثيراً فسوف أعود الى صاحبنا فى القريب — ولكننى أحب الآن أن أشير إلى شىء جديد تنمو به ملكة الشعر وتكسبه حظاً غير قليل من الرقة والطرافة ، وتيسر للشاعر أن يحذق فنوناً من الاغراض قد لا تتم لمن لم ينعم بمثل بيئته فى جمالها ولهوها وفى عظمتها وجلالها ـ ذلك هو البيئة : تلك البيئة لها أثر فى خلق الشعراء وتكوينهم . فأكثر ما يطبع الشاعر إذا كانت غنية بالمشاهد ومنمية للعاطفة ، وأكثر ما تبدو آثار الجفاف والقحولة إذا كانت البيئة على ذلك النحو فى إمدادها لخيال الشعراء وتلوين الاذواق. ولست فى حاجة لأن أسوق أمثلة من شعر البادية لتحقيق مجانسته للبيئة وفقره بتأثيرها من الهيئات المنظمة والعاطفة الخفية بعض الخفاء والنزعة الوجدانية السامية التى لا تتعلق بعالم الحى ولا تستهويها المادة .

العربى ساذج ، ولذلك تراه أكثر ما يكون صريحاً فاذا تغزل لا يرضيه إلا أن يفصّل اجزاء المحبوبة ويأتى على وصف كل جزء وتشبيهه بما يزيده جمالا وبهاء . والعربى البدوى لا يرضيه إلا ان يعبث بهذا الجمال ، ويمتع نفسه بلقية أو عناق ، وقد يسترسل فى ذلك أحياناً كما ترى فى قصيدة البدوى فى وصف الجميلة :

الوجهُ مثلُ الصبح مبيضٌّ والفرعُ مثلُ الليل مسودُّ
وكأنها وسنى إذا نظرت أو مدنف لمّا يفقْ بعدُ
بفتور عين ما بها رمدٌ وبها تداوَى الاعين الرّمدُ

وتريك عرنيناً به شَمَمٌ ... وتريك خـداً لونه الوردُ
والمعصمان ما يرى لهما ... من نعمةٍ وبضاضـةٍ زندُ
ولهـا بنـان لو أردتَ به ... عقداً بكفك أمكن العقدُ !

ثم يذكر بعد ذلك ما لا مجال لسرده لوضوح ما فيه من إسراف وعبث . وهكذا كان الشعر العربى فى بيئته الاولى وفى الحياة الاجتماعية التى يغشاها الفساد العام وفى الحيـاة العقلية التى لا ترجع فى تكوينها إلى أساس محترم . فلما تمّ اختلاط العربى ببعض العناصر الآرية وكان لمدنية الفارسيين أثر كبير فى تهذيبهم أخـذ الشعر كما أخذ البدوى بحظ من العذوبة والرقة والاحاطة فى نظر الحياة . وحين قامت دولة للعرب فى الاندلس نعم الشعر العربى ببيئة لم يسبق له بهـا عهد ، ومهر الشعراء فى باب التصوير الشعرى لتأثير مشاهد البيئة . وعلى كل حال فقد أخذ الشعر فى سائر الاقاليم سبيله الى الرقة والتهذيب وتحمل غير قليل من لواعج النفس الصادقة ، وتحمل كثيراً من زفرات العاطفة .

— ١٢ —

وأىّ شعر أبلغ فى التأثير ، وأنمّ عن اللواعج ، وأدلّ على عمق الاحساس من قول البحترى يندب (الجعفرى) قصر الخليفة المتوكل :

تغير حسنُ الجعفريّ وأنسُـهُ ... وقُوّض بادى الجعفريّ وحاضرُهْ
تحمل عنه ساكنوه فجاءةً ... فعادت سواء دورُه ومقابرُهْ
إذا نحن زرناه أجدّ لنا الاسى ... وقد كان قبل اليوم يبهج زائرُهْ
ولم أنس وحشَ القصر إذ ريع سربه ... وإذ ذعرت أطلاؤه وجآذرُهْ
كأن لم تبت فيه الخلافة طلقة ... بشاشتها والملك يشرق زاهرُهْ

وهكذا يذوب البحترى أسًى وحسرةً على تلك الدولة البائدة وذلك العز الزائل ، ويأخذ من نفسه ما صار اليه القصر من وحشة عميقة ، ورهبة موحشة ، وحياة قد أقفرت من مظاهر اللهو والمـرح ، وفنون العبث التى تحفل بهـا القصور والشرفات .

هكذا كان شأن الشعراء الذين تهيأ لهم نوع من البيئات المدنية ، حتى من تكلف الحكمة منهم قد وقع له كثير من الشعر هو صورة النفس ولمحة الخاطر .

قال المتنبي :

وكيف التذاذى بالاصائل والضحى إذا لم يعد ذاك النسيم الذى هبَّا !!
ذكرتُ به وصلا كأن لم أفز به وعيشاً كأنى كنت أقطعه وثبا
وفتانةِ العنيْن قتالة الهوى إذا نفحت شيخاً روائحها شبَّا !
فيا شوقُ ما أبقى ، ويا لى من النوى ويادمعُ ما أجرى ، ويا قلب ما أصبى !

وأىّ نفس أشد اكتئاباً كنفس ابن الرومى فى رثائه لولده ؟ وأى دمع أكثر غزارة من دمعه ؟ وأى أب رحيم ينفطر انفطاره ويتحرك أسى ويذوب أسفاً كما كان هذا الشاعر بعد فقد ذلك الابن ؟ إنك لتراه يندب الأمل المحطم بموته ، ويعجب لقلبه كيف لم ينفطر على أثره ، ولعينه كيف لم ترو قبره بدمعها المنهمر . قال ابن الرومى :

ألا قاتل اللهُ المنايا ورميها من القوم حبات القلوب على عَمْد
توخى حمام الموت أوسط صبيتى فلله كيف اختار واسطةَ العقدِ
لعمرى لقد حالت بى الحالُ بعده فياليت شعرى كيف حالت به بَعْدِي
فقدت سرورى كله إذ فقدته وأصبحت فى لذات عيشى أخا زُهْدِ
سأسقيك ماء العين ما أسعدت به وإن كانت السقيا من العين لا تُجدِي
عجبتُ لقلبي كيف لم ينفطر له ولو انّه اقسى من الحجر الصَّلْدِ

إذن فليس هناك ما يحمل على الشك فى أن ما سقناه من شعر من نبتوا فى غير البيئة البدوية يدلنا على تأثير البيئة فى الاقدار على الرقة وفى تهذيب الملكة وحدة الخاطر وصدق الاحساس ، وذلك ما نريد ان نقرره فى هذا الحديث .

وقد اقرأ فى (اشعة وظلال) ـ وهو ديوان حديث من الشعر المبتكر للدكتور ابى شادى ـ وقد أعثر على قطعة من الشعر قام بترجمتها الدكتور وهى للشاعر الانجليزى جيمس رسل لويل فى موضوع « التجديد والزمن » ، وهى وما يماثلها مما تنبيء بنزعة الغربيين فى التطور وعدم التقيد بما دان به الأسلاف إذا لم يثبت صلاحه — فى حين أن الشاعر العربى مولع بذكرى الماضى ، وشديد

التعلق به ، والحنين عليه ، ومولع باحترام تقاليد الاسلاف ، وموروثات الماضين وإن كانت خباء وناقة ، أو رسماً وطللا !

أريد أن أقول إن ملكة الشعر ترقى برقى البيئة اذا كان الشاعر متأثراً متصلا بها اتصالا قوياً غير سالك مسالك التقليد ولا مدفوعاً بدافع المجاملة . وقد يساعد فى ذلك أيضاً ماخص به الأديب من حسن الذوق ، وما وهبته الطبيعة من حسن التصرف ودقة الاحساس وقوة الملاحظة وسائر المعنويات الموهوبة التى تثبت انتفاعه بما يلمح أو يسمع أو يقرأ ، أو ما يحسه فى أعماق ومكنون فؤاده فيتجلى شعره - لما وهبه - صورة لكل نفس وشبحاً لكل احساس ، ورسماً لكل عاطفة ، وطيفاً لكل خاطر ، ومتى وصل الفرد الى ذلك صح له أن يحمل لواء الشعر وألاّ يوسم بسمة الناظمين .

وبعد أن فرغت مسألة الملكة وتقويتها لا يسعنى الا أن أشكر أسرة (أبولو) ، وآمل أن أكون على صلة بها بما أتناوله بعد من دراسة الشعراء .

محمد قابيل



ميلاد الشاعر السجين

جبرائيل دانزيو

(لمناسبة الاحتفال فى ايطاليا ببلوغه سن السبعين فى السابع من الشهر الماضى)

يتطلع اليوم الكثيرون من أحفاد وسلالة قيصر الى أفق السياسة الايطالية يفتشون بعيونهم الرومانية الدعجاء عن «جبرائيل دانزيو» معبود الشعب الذي

كان الى وقت غير بعيد متربعاً فوق عرش قلوبهم ، ولكن سرعان ما يرتدّ البصر خائبا حسيراً ، ذلك أن دانتزيو قد احتجب من أفق حياتهم الوضّاء بل لم يعد خافياً



جبرائيل دانتزيو

أنه اليوم سجين « الفيتوريالى » وأن ذلك الشعاع الذى يحاول « الدوتشى » القاءه ليخفى به فعلته انما كشفه الآن تماماً الكاتب المعروف مستر برتون، عندما ذهب الى ايطاليا خلال الشهر الماضى ، ليحقق بنفسه الاشاعات التى ملأت جو لندن ومجتمعاتها عن معقل الشاعر الايطالى الذائع الصيت .

« ه »

ونظر الىّ صديقى الايطالىّ نظرته الغامضة ، وأخذ يفتش بعينيه فى انحاء القاعة ثم قال : الى غرفتك ، ليس هنا مجال التحدث ، ان الجدران لها آذان ، هناك استطيع أن أسرّ اليك بالحقيقة ، وأبوح لك بسر رهيب !

وحين أتجول ما بين « الريفيرا جاردونى » وبحيرة « جاردا » حيث يقع قصر « الفيتوريالى » ، استرق السمع من كثيرين عن حقيقة ما حدث لدانتزيو، جبرائيل

دانتزيو أعظم شخصية ظهرت على مسرح السياسة العالمية بعد الحرب العظمى ، هذا الرجل الخيالى المحاط بالاسرار والغموض، والذى تجده كل شىء : فهو جندى وبحار وطيار وشاعر وقصصى وزير نساء ، هو الذى لا يكاد يذكر اسمه الا مقرونا « بفيومى » .

يالله ! كيف تناسى اليوم الشعب الايطالى « بطل فيومى » ، ذلك الشاب الطموح الذى انحدر من أصل دلماسى ، وكانت كل آماله منحصرة فى ضم دلماسيا الى ايطاليا ، حتى اذا بلغ الثانية والخمسين من العمر وجه نفسه الى تعلم الطيران حتى نبغ فيه ، واصبح من أمهر الطيارين فى العالم ، وعند ما أعلن اعتزامه القيام برحلة الى اليابان ، ضلل أنظار الحلفاء لانه بدلا من ان يطير الى اليابان قام على رأس قوة مؤلفة من أربعين مدرعة ، مقترباً من فيومى ، ضارباً بقرار ولسن القاضى برفض تسليم ميناء فيومى الى ايطاليا عرض الافق ، حتى اذا ما اصبح على قاب قوسين منها او ادنى ، تصدى له الجنرال بتالوجا قائد الحامية ، ولكن دانتزيو لم يعبأ به ، بل اعتمد على طلاقة لسانه وقوة بيانه وخطب خطاباً حماسياً أثر فى نفس الجنرال وجعله ينضم اليه ويسلمه مفتاح الميناء . ولما لامه العالم على فعلته ، وكيف أقدم على خرق حرمة المعاهدات الدولية أجاب برد مفحم بدأه بقوله :

« أستحلف فرنسا التى أنجبت هيجو ، وانجلترا التى أخرجت ملتون ، وامريكا التى خلقت لنكولن ، أن تكنّ شاهدات عدل على ما قد أتيته ، انا ابن الوطن ، الجندى المتطوع ، الذى شوهته الحرب ، ودفعته الى ضم فيومى الرضيعة الى أمها ايطاليا ! »

بهذه اللهجة استطاع دانتزيو ان يحرز عطف الملايين من سكان العالم ، على انا لانجحد فضل هذا الرجل العظيم ، فهو أول من فكر فى الفاشية ووضع مبادئها ونُظمها وتعاليمها ، ولم يكن موسولينى الا « كالممثل » وقف على خشبة المسرح ليؤدى الدور الذى كتبه دانتزيو ، وسكبت الاضواء عليه ، فأخفت الرتوش والمكياج التى تختفى تحتها حقيقة شخصيته !

فهذه الشعلة المقدسة التى كانت تلمع من فوق سهول لمبارديا ، كما يضىء اللهب المنبعث من فوهة فيزوف آكامَ فابولى وقممها ، فيمرح الشعب ويروح الشبان والفتيان يرتلون فى صوت واحد اناشيد دانتزيو الخالدة ، امثال (Matturno)

ذلك النشيد الحربى الذى كان يدفع بالجنود فى حماسة وايمان الى الصفوف الامامية فى ميادين القتال ، أو غيرها من الاناشيد القومية التى يضمها كتابه المسمى (Primavera) ، هذا العقل الجبار الذي استطاع انتشال ايطاليا من فم الدب الابيض الروسى ، الذى كان يتربص بها الدوائر فى كل حين ، ماذا حدث له اليوم ؟ أراقد هو وراء أسوار « الفيتوريالى » كما يزعمون فى أروقة روما ومنتدياتها ؟ ان التنسك والتصوف ليسا من طباع دانتزيو ، بل الخمر والنساء والشهرة والسعى وراء المجد : كل هذه صفات كانت تلازم حياة هذا الرجل ، كشاعر وكاتب وأديب . إذن فقد أصبح حقيقة ما يقال من أن هـذا الشاعر هو اليوم حزين وانه سوف يقضى بقية العمر سجيناً سياسياً فى هذه المملكة الصغيرة القائمة على ضفاف بحيرة جاردا .

« ٥ »

وبين منحنيات « الريفيرا جاردونى » يتحدثون « أمير البحيرة » ولكنهم عند ما يتعرضون لما يحدث له وراء أسوار القصر تراهم يتحدثون فى خفوت يخطر ببالى، فاسألهم سؤالا : لماذا ينزوى دانتزيو وراء هذه الاسوار القائمة دون أن يساهم فى الحركة الفاشية التى وضع تعاليمها ؟ ولكنهم يتهامسون قائلين :

بعد الحرب العظمى استطاع موسولينى أن يلبس مسوح دانتزيو وأن يتقدم بالمبادىء التى وضعها للفاشية ووقف كلاهما فى صف واحد يقاتل من أجل المجد ، ولكن الدنيا ابتسمت قليلا للدوتشى الداهية فاستطاع أن يربح المعركة . ولما كانت ايطاليا لاتسعهما وكلاهما عبقرى ، ولما لم يكن من السهولة بمكان أن يقدم موسولينى على إقصاء صديقه وقلوب الشعب مرتبطة به ارتباطاً وثيقاً فقد عرف بدهائه وكياسته كيف يرضيه فهو يعرف عنه انه شاعر خيالى وكاتب وجدانى ، لذلك أعطاه كل ما هو فى حاجة اليه : قصر منيف هو « الفيتوريالى » وقد تحول باشراف صديقه المعمارى الكونت ماروني الى جنان فيحاء ، ومنحه لقب « أمير مونتيفيزو » ، ووهبه يختاً بقائده وبحارته ، ووضع تحت أمره طيارات وحرساً خاصاً وثلة من البوليس ، وقرر فوق هذا أن تعطيه الحكومة جثث المحاربين الذين شاركوه فى الاستيلاء على فيومى : فعندما يموت أحد هؤلاء الجنود ترسل الحكومة جثته فى احتفال رهيب

لتضمها حدائق « الفيتور يالى » فى قبر وُضع فوقه مصباح كهربائى ، يظل مشتعلا آناء الليل وأطراف النهار .

« • »

ويعيش دانزيو فى قصره ، حياة شاعرية محضة : فهناك عشرات الغرف ، خصص بعضها للمكتبة أوللصلاة أوللموسيقى ، والبعض الآخر للضيوف أو للتحف أو للزينة ، وهناك مكتبه الخاص ، لايفارقه زهاء أربع عشرة ساعة فى كل يوم ، يكتب وينظم الشعر ، وهو يضع الآن بضع مسرحيات وروايات قصصية ،اشتركت وزارة المعارف الايطاليـة بستة ملايين ليرة فى شراء جزء كبير منها .

ان الذين يعرفون شاعرية دانزيو فى رواياته الخالدة ، أمثال النار والانتصار على الموت والرهبة وغيرها ، يستطيعون أن يستشفوا من خلال سطورها روحه الهائمة التوّاقة الى عبادة الجمال والى التمرغ فى أحضان الفن وكنف الحب !

وعند ما تهب نسائم الليل على قصر « الفيتور يالى » يكون دانزيو قد انتهى من النظم والتأليف ليتفرغ الى الحياة المنعمة التى لايحلم بها أى مخلوق : فبعد طعام العشاء الذى يتناوله عادة مع أصدقائه وضيوفه ، على مائدة مستديرة يرؤسها ،ينسل خفية الى القاعة الواقعة فى الجهة الغربية من الحديقة ، وهناك يكون فى انتظاره جيش من جيلات ايطاليا وغاداتها الحسان وعلى رأسهن صديقته مدام بوكارا التى اختفت من صالونات روما فجأة ، لتعيش الى جانب الشاعر الملهم المحبوب ، تستنشق من أنفاسه عبير الفن والحب ، كما يستلهم من جمالها روعة أشعاره الخالدة !

فى هذه الغرفة السحرية المترامية الأطراف، يمضى دانزيو شطراً طويلا من ليله، يريح أعصابه المتعبة على نغمات الموسيقى الجميلة ، توقعها أنامل رقيقة بضّة ، والى جانبه عدة أقداح من شراب الكوكتيل الفاخر ، يرتشفها فى لذةٍ وسكونٍ !

وجبرائيل دانزيو شاعرٌ عابدٌ للجمال ، ولكنه متهتك فى حبه الى حد بعيد ، ويعمد الى طريقة غريبة بعد هجر عشيقاته :هى نشر قصص غرامياته معهن واعلانها للملأ ، وما قصته مع الحسناء إلينورا بخافية عن الاذهان ، وكيف دفعتها فضيحته لها الى الانتحار

ولما ظهرت ايزيدودرا دنكان ، وكانت أجمل نساء عصرها ، اتصل بها الشاعر

وهام بحبها ونظم فيها من حبات قلبه معانى الوجد والحنين ، ولكنها لم تنله مبتغاه ، وكتبت اليه تقول :

« أعرف عنك أنك أذكى مخلوق وأنا اجمل امرأة ، فلو اتصلت بك ورزقت منك بطفل ، لورث عنك الذكاء وعنى الجمال فيأتى أعجوبة عصره . »

ولما سمع هذا برنارد شو الكاتب الاجتماعى المعروف ، أسرع من باب المداعبة بارسال برقية اليها ، جاء بها : « أخشى ان يرث الطفل جمالى وذكاءك فيأتى أضحوكة عصره ! » .

« • »

هذه هى صورة سريعة من حياة الشاعر السجين ، وكم من الناس يتوقون جهدهم أن يكتب لهم فى سجل الخلود مثل هذا المصير ؟

محمد امين حسونه





جواب مختصر ....

قرأت كلمة الفاضل الظريفى (أو الظريف) العراقى يدفع بها عن بيت شوقي :

ليلى ، مُنادٍ دعا ليلى فخفّ له نشوانُ فى جنباتِ الصدرِ عربيدُ !

ويقول إنه أخذ علىّ فى نقدى هذا البيت مواطن ثلاثة ، ثم يزعم أن لاغلط فى الابتداء بالنكرة هنا لان (منادٍ) فاعل مقدم لفعل (دعا) على حد قول الشاعر (وصالٌ على طول الصدود يدوم) . قال : فقد روى ابن مالك عن الاعلم وابن عصفور

انهما قالا فى اعرابه (ان وصال فاعل يدوم المذكور) . ثم عمم الكاتب على ذلك بان بيت شوقى وحى من العبقرية وانه أبلغ من بيت المجنون وأن شوقى لم يكن يدرى من أين أخذه اى لم يطلع على بيت المجنون .

وأنا فلا ينبعث نشاطى للرد على مثل هذا النقد الذى يشبه ريشة قلقة طائرة فى الجو وان قطعت من العراق الى مصر ... فشوقى لم يخترع رواية مجنون ليلى بل هو تناول شخصية معروفة لها تاريخها وأخبارها وقد طالع على أخبار المجنون فى «الأغانى» وغيره وبنى عليها روايته . ومن أخبار المجنون أنه سمع مرة منادياً يقول (ياليلى) فاضطرب ثم قال :

وداعٍ دعا إذ نحن بالخيف من مِنًى فهيج أشجانَ الفؤادِ وما يدرى
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما أطار بليلى طائراً كان فى صدرى !

أفيرى الكاتب أن شوقى كان جاهلا لم يطلع على أخبار المجنون ولم يقرأ هذين البيتين ؟ والمجنون لا يريد أن فؤاده طير ولا أنه طار، ولكنه يصور ما شعر به . فان فؤاده كان ساكناً كالطائر الجاثم فى عشه ثم اضطرب فجأة كما ينفر هذا الطائر اذا فزع لصوت أو حادث . وبهذا المعنى يكون بيت المجنون أدق وأبدع وأبلغ من بيت شوقى ، بل لا يذكر بيت شوقي الى جانبه .وبذلك الخبر تعرف ان شاعرنا لم يخترع شيئاً ولم يوح اليه شيء ولم يزد على أن قلد وتابع.وأما الغلطة النحوية فقد قال بعض النحاة فى مثل هذا المقال إن النكرة فاعل مقدم وهو رأى سخيف ردّه المحققون لان هذا وإن كان فاعلا فى المعنى الا انه مبتدأ فى الوضع والاعراب والخبر والحال . كلاهما نعت فى المعنى ولكن لم يقل احدٌ انهما فى الاعراب من باب النعت .

وقد استدل الظريفى بقول الشاعر : «وصالٌ على طول الصدود يدوم» وقال إن ابن مالك روى عن الاعلم وابن عصفور الخ . يريد أنه نقل عنهما ، فان ابن مالك ليس من الرواة . غير ان ابن مالك لم ينقل هذا وانما الذى نقله الدمامينى، وعن الدمامينى نقل الصبّان فى حاشيته على شرح الاشمونى لالفية ابن مالك . فانظر كيف أكل الكاتب هذه السلسلة . . .

والأصل أن الكوفيين يجيزون تقدم الفاعل على فعله ويرون شاهدهم على ذلك قول الزباء : « ما للجمال مشيُها وئيدا » فيقولون ان (مَشْيُها) فاعل مقدم لوئيد وهو وصف يعمل عمل الفعل ويجوز عندهم ان تقول الرجلان قام والزيدون قام ...

وهو خلط مَن لا يذوق العربية ولا معرفة له ببلاغتها ، وقد ردّ البصريون مذهب اولئك فلا يجوز عندهم ان تقدم الفاعل وإن كان بعض من اتبعهم كابن عصفور والأعلم قالوا بجوازه لضرورة الوزن كقول الشاعر :

صددتِ فأطولتِ الصدود،وقلّما وصالٌ على طول الصدودِ يدومُ

ونحن لسنا من هذا الرأي ، وهذا الشاعر أخطأ فى قوله (أطولت) وهو يريد أطلت ، واضطره الوزن لهذا الخطأ الظاهر فلا بدع ان يكون أخطأ كذلك فى الضرورة الثانية من ضرورات الوزن ، فهو ممن لا يجوز أن يُحتجّ بقولهم ، وعلى الأقل لا قيمة لشعره هذا فلا يحتج به .

وعلى التأوُّل البعيد يمكن ان يقال إن الشاعر أراد هذا التعبير : « قَلَّ وصال يدوم على طول الصدود » فلم يساعده الوزن فجاء (بقلّما) على صورتها التى كثرت لها فى الاستعمال [1] وهو يريد بها معنى قلّ فتكون ما زائدة لضرورة الوزن ووصالٌ فاعل قلّ . وهذا هو الوجه الصحيح فى اعراب البيت ، ولم يتنبه له سيبويه ولا غيره ممن تناقلوه شاهداً على اختيار مذهب تقدم الفاعل فى هذا الشعر بخاصته. والضرورة فى اعتبار (ما) زائدة فى هذا الفعل ـ الذى اختصّ بها (وقلّما) استعمل إلاّ معها — أخفّ بكثير من ضرورة تقديم الفاعل ومسخ العربية وافساد بلاغتها .

وعلى هـذا يقال فى إعراب البيت : قلّ فعل ماضٍ وما زائدة ملغـاة لضرورة الوزن ووصال فاعل قلّ . وإلغاء الحروف العاملة يقع فى العربية كثيراً فهذا من بابه.

ولعل حضرات علماء الأزهر يصححون كتبهم بهذا الوجه الجديد من الاعراب والشرح لذلك البيت المشهور ، ونصيحتى لمن ينظر فى كتب النحو ان يقرأ هذا العلم على أنه منطق للعربية فلا بد فيه من الاستيعاب والفلسفة والسليقة العربية الصحيحة القائمة على قوانين البلاغة والاعراب لا على قوانين الإعراب وحده .

وبعد ، فالغلطة فى بيت شـوقى لا تزال كما هى، ولا مسوّغ للابتداء بالنـكرة فى قوله ،ولن يجىء هذا المسوّغ لا من العراق ولا من أنقرة ....

مصطفى صادق الرافعى

---

(١) من كثرتها قال بعضهم ان قلما كلها تأتى حرف نفى.

الفنون الجميلة

قيل لى إن مصوراً بارعاً مات فى الطريق ملتحفاً السماء ومفترشاً الأرض ، وقد مات لأنه طوى الايام دون غذاء يقتات به أو يسدّ به غائلته ، مات وبين يديه عدة صور فنية عجز عن بيعها أو عجز الجمهور على الاصحّ عن تقديرها .

وتنبه الجمهور الخامل الى الخطأ الخطير فبكوا عليه ... ولست أدرى ما سرّ هذا الاشفاق الدمعى المتأخر وكان فى وسعهم الجود بل الانصاف فى حياته ؟!

يا للهول ! يموت الفن ونحن نعتمد عليه ، ونحتمى به خالدين !

كلنا نعلم أن الفنون الجميلة هى عماد الامم وقوام نهضتها ، ولولاها لما بقيت حضارات اليونان والرومان والمصريين والعرب ، وما حملته كلٌّ منها الينا من معانٍ سامية ونهضة راقية ، فقد أوجدوا فينا من فنونهم روحاً علوية تشعرنا بجمال الحياة .

وقد صارعت العصور حتى صرعتها ، وقاومت الأجيال حتى غلبتها ، وما برحت دواوين الشعراء وآثار الكتاب ودور الآثار التاريخية والمتاحف الفنية ناطقة بأبلغ حجة عن عظمة هذه الأمم وحضارتها الراقية الخالدة .

قال ماريون ـ إن تعليم الفنون ضرورى وواجب لما لها من قوة التربية العظيمة ، فان الجمال هو النظام والانسجام اللذان ينفذان الى النفس بالتخيل ، فيظهر أثرهما بما يحدثانه من الرقة واللطف والحنوّ والطلاوة والذوق والعاطفة النبيلة .

وكان العرب يسمون الفنون الجميلة بالآداب الرفيعة : فهى صورة الماضى تشعّ وضّاءة أمام وجه الحاضر لتنبعث فى صدورنا روحُ العزة والنهضة القديمة .

ويقول علماء الايثنولوجيا ان مانقوم به اليوم هو صورة قديمة لعادات أجدادنا منذ القدم ، فعجلة التاريخ تدور على محور واحد والبشر يقدمون أرواحهم شحماً لها . . . .

ومن الفنون الجميلة تتذوّق سرّ الجمال وفهمه وادراكه وحبه ، ومنها نعرف جمال الحرية وتتعرف معانيها ، إذْ الفنّ نفسه يقاس بمقياس الحرية . وكلما ازداد نصيب الفنون من الحرية سمت طبقتها فى الجمال ، وكلما ابتعدت عن طبيعة الفن الجميل واقتربت من التقليد الصناعى كانت النتيجة دميمة ، لأن العمل مقيدٌ غير حرٍ .



الآنسة جميلة محمد العلايلي

ولا يكون الفن فناً جميلاً سامياً الاّ حين يصبغ الطبيعة بصبغة النفس التى نراها وتمثلها للناظرين جامعة بين كمال الطبيعة وكمال الحياة ، فلو أننا فتشنا عن علاج يجعل للفنّ مكانه الأعلى لما وجدنا لذلك من علاج غير وفرة نصيبه من حرية النفس. وحرية النفس روح الحرية الانسانية ، ولكل أمة نصيب من الفن على قدر نصيبها من الحرية والعظمة ، فلولا الفن المتجسم فى تمثال « فينوس ميلو » لما عرفنا عبقرية اليونان الخالدة وجمال ذوقهم السليم ، ولولا الفن لما عرفنا التمييز بين الجميل والدميم .

على أن النهضة الفنية الحديثة أفسحت لنا مجال التفاؤل المكلل بالأمل البهيج فى جميع مرافق الحياة : فالموسيقى والغناء والتصوير والهندسة والبناء والشعر والنثر الفنىّ بدأ كل منها يلعب دوره بمهارة على قيثار النهضة الفنية .

واذا كان مجرد النظر إلى الرسم التصويرى لمعرض الفاتيكان برومة يسحر لبنا ويملك علينا أمرنا ، واذا كان مجرد خيال صور متحف اللوفر بباريس يسمو بنفوسنا إلى عالم السحر والجمال فما بالنا برؤياها حقاً ؟

ولو انك خلوت بنفسك تقرأ القصائد الفنية فى شعر شوقى والبحترى والمتنبي بنغمها الخالد القديم لسبحت روحك فى عالم اللانهاية حيث الفن الرائع الخلاّب .

وكذلك الحال ازاء مبدعات النثر الفنى الرائعة قديمها وحديثها حيث يجتمع الخيال وجمال المعانى الدقيقة والالفاظ الرشيقة السحرية .

ولكن وا أسفاه ! ان قلبي ليتعذب كلما رأيت عبقرية اكثر الفنانين ومواهبهم تنبت فى أحضان الفقر والبؤس ليغذيها الألم والحزن وتتلاعب بها أعاصير الشقاء . وكم من فنان ذاق مرارة الحياة وواجه الفشل فى طريقه ، قد يتذوق جمال الحياة فى حياته الخيالية وأحلامه الطويلة ، يدخل الدنيا بغير حطام ويخرج منها تاركاً أجمل الآثار. ولست أجد غير الفنان الممتاز أحقّ بالاكرام والتبجيل ، لأنه يحمل لشعبه مشعلَ النهضة والخلود .

لذلك يجب علينا ونحن نتسامى الى مَثَل أعلى وقد عرفنا الطريق الى منهل الحضارة والثقافة أن نرشف من فراته ونكافىء رُسُلَ الفنّ بسخاء وأن نشجع أهله ونقدرهم ، فهم رسل المدنية والحرية ، وكرامتهم مظهر كرامة أمتهم .

ولا يسعنى فى الختام الا أن أتقـدم الى صاحب الجلالة المليك المعظم معترفة بفضله وبيده البيضاء التى أسداها للفنون الجميلة فى عصره الذهبي فقـد ازدهر نورها وفاح شذاها .وعناية جلالته بالفنون الجميلة ـ وفى طليعتها الشعر ـ يجب أن تـكون قدوة سـامية لـكل ذى خطر من كبار رجال الدولة وكرام العقائل فى مصر ؟

جميلة محمد العلايلى



الأغانى

بين الشـعر والزجل

جزى الله (أبولو) كلَّ خيرٍ ! لقد أسعدتنى فيمن أسعدت وأتاحت فيما أتاحت أن أقرأ لذلك الملحن الفاضـل محمود افندى حلمى وأن أقف على كلمته السالفة التى تضمنت أمنية غالية طالما تاق كلُّ نابه مثقف الى تحقيقها ، وهى ان تـكون اغانينـا كافة من الشعر العربى الأنيق السهل فانها بذلك لا محالة سامية مخلدة .

ان الغرض جدٌّ خطير ؛ وجدير بمن يتصدر لعلاجه ان يكون على بينة من امر العلة ، ذا دراية وخبرة بمختلف العقاقير، وان يستعين بالصبر والحذر . وانى لمسلط بعض الاشعة على ظلال الباب ليتبينه السالك فيجتازه .

ماهية الزجل

الزجل هو شعرٌ بلسان الجمهور ، هو تصويرُ العواطف والمعانى التى تمر بالمخيـلة بريشة اللسان على نسج من الـكلمات الرقيقة المنتقاة وارسالها جملا ذات أوزان موسيقية .

نشأته

ان اول من انشأه وانشـده هم الموالى والاعاجم حـين ظهر اللحن فى التخاطب بالعربية . ولقد نما وأينع وأصبح زجل كل أمة من الامم الاسلامية يحمل طابعها الخاص . وامتاز باجادته أهلُ الفردوس المفقود والراتعون على ضفاف النيل، فان ازجالهم امتازت بالفكاهة العذبة والروح الخفيفة وبرقة الاسلوب وجماله الرائع .

مدارس الزجل

ولقد امتاز عهد اسماعيل ببناء القواعد لفنون شتى منها الزجل العصرى ، واشتهر كثيرون من فرسانه ورائديه :

فهذا قائد المقدمة النجار قد جعل الديباجة تكاد تكون عربية فصحى وقد ملأها حكماً وامثالا . وهذا أمير الميمنة عبد الله النديم صاحب (الاستاذ) قد تأنق فى أوزانه وسحر عقول العامة برحيق عتيق ، ونسج على منواله توفيق . وهذا مقدم الميسرة القوصى قد جمع محاسن اللفظ والمعنى ونظمها سلكا كله لآلىء فريدة : فن جناس تام الى تورية الى لعب بنكات العامة ولهجاتهم المختلفة فى غير تعمل . وهذا رأس القلب عزت بك صقر قد رق نظمه حتى سما على السلاف ، وراق حتى بزّ العذب القراح . وهذا نقيب المؤخرة إمام العبد قد مجن حتى عدّ انه خُلق للعب وجد حتى قارب أن يكون شدوه معجزاً . وهذا زعيم النجدة خليل نظير قد نظم الوطنية الثائرة المتأججة زجلا مقنعاً يدرك أسراره اللبيب ويجيز الأديب أسلوبه : فمن شعر عربى فصيح الى بلدىّ شهىّ جزل فكه . وإن تعجب فاعجب لمجلسه وما حوى من سحر وروائع نادرة .

تلك هى مدارس الزجل الراحلة والتى أول ما سنت فى نظام الزجل ان يكون « أحمالا » وأن يتكون الحمل من مطلع هو عبارة عن بيت أو بيتين يجدر بهما أن يصبحا عظة بالغة أومثلا سائراً، ثم من مقطوعة أواثنتين من الغزل المحتشم يتخلص بعدهما الناظم الى المعنى المقصود اليه من الزجل ثم يختتم الحمل بالدعاء .

ثم تحرر الزجل من هذه القيود رويداً رويداً ، وتفنن الناظمون فى أوزانه حتى وصل الى الذروة من الحسن والاجادة . ولقد ظهرت فى العصر الحديث مدارس عدة للزجل تحمل كل علمها الخاص :

فمدرسة قوامها محمود رمزى نظيم ومحمود عبد النبي قد امتازت ازجالها بالجد وتعليم العامة وتخليد الحوادث الهامة وبث الروح الوطنية فى عقول الشبيبة فى كلام يكاد يكون عربياً فصيحاً .

ومدرسة خاصة قد انشأها الشاعر الفحل والمتفنن المبدع والطائر الغرد محمود بيرم التونسى -ردّ الله غربته- قد اختصت بتصوير الحياة المعيشية والحوادث اليومية

لـكافة طبقات الأمة من الفقـراء ومتوسطى الحال الى الاغنياء المترفين فى قول لا تـكاد تشعر انه منظوم الا حين تصحو من سكرتك .

ومدرسة عمادها البلبل الشادى والـكنار الصادح بديع خيرى قد أخرجت من الاناشيد ما ملأ جوّ الاكواخ والبيوت والقصور .

ومدرســة قد امتازت بنظم الاناشيد الماجنــة المتهتكة والمقاطيع المبتذلة فاضطرت الحـكومة الى فرض رقابة على الاناشيد حتى تحفظ الأمةمن سمومها القاتلة. ومدرسة ملأوا بها الجو صياحاً والارض دعاية، وقد زاحموا صفافى الحروف فى المطابع فى مهنتهم ، لا تـكاد تخلو صحيفة من منظوماتهم التى كأنها الصامت من الجماد لا روح فيها ولا حراك بها .

هذى مدارس الزجل الحاضرة ،وقد لعبت هى وسابقاتها دوراً هاماً فى تـكوين الأغانى المصرية .

مدارس الأغانى

وكما أينع الزجل فى عهد أبى الأشـبال كـذلك أينعت الأغانى ، فاتخذت طريقاً آخر ولبست حلة ذات طراز جديد منذ عهد ذلك الملك العلىّ الشان الذى مدّ رجالها بالروح والمال .

ان كل من اطلع على ماكتبه العلماء الفرنسيون الذين رافقوا حملة (نابليون) على مصر وما سطره يراع (اسـتانلى لين پول) المستشرق الانجليزى عن الأغانى المصرية يجدها ثلاثة ضروب : فأما الاول فقصائد رائعة سامية لابن الفارض واقرانه يُلقيها المنشدون على الذاكرين والمتعبدين ، أو مقاطيع شعرية منتقاه تتردد فى حفلات (مولد النبى) على طراز الموشحات الاندلسية .

وأما الضرب الثـانى فقطع غزلية يرددها سـكان المدن أو أهل السواد تـكاد تـكون أساس (الطقاطيق) العصرية .

وأما الضرب الثالث فالمواويل البحرية والصعيدية وما اشتقّ منها من مربعات وواو .

واستمر الحال على هـذا المنوال حتى جاء عهدُ بعث مصر على يد أبى الاشبال، فظهر عبده الحمولى ومحمد عثمان والشنتورى وخليل محرم ومحمد سالم والليثى وأترابهم

فهيأ لهم سيد البلاد الاغتراف من معين الموسيقى الفارسية والتركية والغربية وأمدّهم بالشعراء المنجبين على الليثى ومصطفى نجيب واسماعيل صبرى والسالكين مسلكهم ، وتعاون الجميع على وضع نظام لما يُلقى من الاغانى فى «السهرة» فجُعل الابتداء لقطعة موسيقية صامتة تركية أو فارسية ـ إذ ندر المصرى ـ وهى (البشرو) ، ثم جاء بعدها الموشح العربى ببهجته الرائعة حيث يمتزج الغناء بالموسيقى المرقصة ثم تنفرد الثانية بالاعادة . ويلى ذلك الموّال العامىّ حيث تتجلى مقدرة المغنى ويقاس فنه ، وبعده الدور بالعامية أيضاً ، فيشترك الكل فى القاء المذهب ، وينفرد المطرب بالاغصان ، ثم يحدو فيرد عليه الباقون سؤالاً وجواباً ، ثم تُردّد الآهات ويقفل الدور . وبعد ذلك يقوم المغنى بانشاد القصيدة ويكون قد مضى من الليل أكثره ، فما يكاد ينتهى حتى تخرج علية القوم وتبقى العامة فينشدهم الطقاطيق حتى يصيح الديك ويصدع الدجى وتشرق الأنوار .

وبهذا النظام أرضى هؤلاء الموسيقيون القدماء الخاصة والعامة وسارت ذكراهم فى الآفاق وبقيت ألحانهم الى زماننا هذا .

وسار على منوالهم مَن أتى بعدهم من الملحنين ، واشتهر المرحوم ابراهيم القبانى وداود افندى حسنى أطال الله بقاءه . وانفرد بنظم الأناشيد المرحوم الشيخ احمد عاشور، حتى إذا ماقامت الحرب العالمية وتغيروجه الأرض وتطورت الأمزجة حاول قوم تغيير الحال ، فظهر المرحوم سيد درويش ووضع قواعد الموسيقى المسرحية فى مصر. وحين بدأ يتفنن فى النواحى الأخرى عاجلته المنية وهو لايزال شاباً يرجى الخير على يديه .

ثم انتشرت المونولوجات الهزلية والأناشيد المبتذلة والأغانى الخليعة فهبّ أولو الأمر وقادة الفكر للقضاء عليها قبل أن تذهب بما بقى فى الأمة من وقار وحياء ، وقبل أن تجنى على العادات والتقاليد وتمحو مكارم الأخلاق . فظهر فى ميدان الاصلاح احمد شوقى بك واستعان بعبد الوهاب على ترديد قصائده وأناشيده ، وحاول أخيراً أن يجعل الغناء كله شعراً عربياً مبيناً ، كما ظهرت جماعة أخرى منهم احمد رامى والدكتور صبرى وقد نظموا أناشيد ذات معانٍ سامية ومقاطيع محتشمة بلغة العامة واستعانوا على نشر أدبهم بأصوات أم كلثوم .

الخاتمة

ذلك تاريخ موجز للادوار التى مرت على الأغانى والمجهودات التى بذلت لجعلها فى ثياب عربية أو عامية .

وعندي أن علة عدم ادراك المعنى فى هذا المطلب هى عجز الملحن من الوجهة اللغوية ، فاذا كانت العربية قد أصيبت بعقم فى هـذا الزمان فلقد انجبت فيما مضى من أزاهـير الشعر ما لا يفنى على الايام والليالى . على أن لنا فى شعراء العصر ملاذاً لآمالنا ، لجدير بالسادة النجب الذين يرومون ان ينهضوا بالموسيقى والأغانى المصرية من مجراها الآسن — لا سيما أقطاب نادى الموسيقى الشرقى ولجنة النشر والتأليف الموسيقية وجماعة الأدب المصرى ـ أن يعدوا مدرسة حديثة للملحنين تتذوق فيها الطلبة حلاوة الأدب العالى ويرون جماله فان الشعر العربى الشمىّ جميل ، ثم يتفرغ الطالب للموسيقى فيأخذ بأوفر قسط من المصرية والعربية ثم التركية فالفارسية ، وبعد ما ينبغ فى موسيقى أهل المشرق يلمّ بموسيقى أهل المغرب . فاذا ما فرغ من الدرس جلس للتلحين ، فانه لا محالة خالق خلقاً جديداً وآتٍ بالفرائد والعجائب .

ذاك رأيي وما هى الا أمنية عاجز ضعيف قاصر عن اللحاق بالقادة المـبرزين الذين أناشدهم ان يشحذوا هممهم ليشيدوا صرحاً عالياً يفخر به الابناء مدى العصور

لسنا وإن أحسابنا كرمت   يوماً على الآباء نتـكل
نبنى كما كانت أوائلنـا   تبنى ونفعل مثلما فعلوا

محمد عبد الرسول سليمان

أمثـال المتنبى
وحياته بين الألم والأمل

لعل المتنبي من أسعد الشعراء حظاً بعد مماته خصوصاً فى عصرنا هذا،إن لم يكن أسعدهم جميعاً : فقد عُنى الناقدون والشارحون والمؤرخون بآثاره وبدراسة حياته عناية لم تتوفر لأى شاعر آخر. وهذا إنصافٌ جميلٌ لرجل من أفذاذ الشعراء الذين تفخر بهم العربية .

والكتاب الذى بين أيدينا اليوم هو مجهود مشكور من تلك المجهودات التى نهض بهـا أصحابها من أجل تخليد المتنبي : فقـد توفر الاديب احمـد سعيد البغدادى على جمع معظم أمثال المتنبي فى هذا السفر فأحسن الاختيار ، ولم يقتصر على جمع الامثال فقط ، بل مهد بمقدمة حوت تاريخ حياة الشاعر الكبير ، والحق الذى لا يمكن انكاره ان الاديب قـد أجاد فى هـذه اللمحة عن حياة المتنبي اجادة يشكر عليها . فقد تمشى فى مقدمته هذه منطقياً ونفسياً ، وعلل سبب ألمه وبؤسه وشرح آماله وأحلامه فى أسلوب لطيف .

ولم يقتصر الكتاب على حياة المتنبي وأمثاله المختارة فقط ، بل ألحق الاديب الفاضل به فصلا جمع به طرائف من شعر المتنبي ، ولست فى حاجة الى أن أنبه انه اختار فأحسن كلّ الاحسان .

والكتاب مطبوع طبعاً انيقاً جيلا ، ينطق بالجهد العلمى والمادى الذى بذل فيه . ورجاؤنا الى ادبائنا التوفر على مثل هـذه الدراسات لأدباء العرب حتى ننهض بالأدب النهضة التى نتمنى ؟

مختار الوكيل





أنفاس محترقة

نظم محمود أبو الوفا

١١٦ صفحة بحجم ١٢ سم . × ٨½ سم . طبع دار الهلال . الثمن خمسون مليماً

صاحب هذا الديوان من الشعراء الغنيّين عن التعريف الا فى ناحية واحدة ، وهو من شعراء العاطفة المطبوعين القليلين ، وما أكثر الشعراء الذين ينسبون الى

العاطفة ظلماً . ولكن هذه ليست ناحية التعريف به ، فمحمود أبو الوفا معروف بأنه شاعر مقل ولكنه فى الواقع غير ذلك ، بيد أنه لم ينشر الا القليل وأسقط الكثير مما قرضه فى أغراض اجتماعية وغير اجتماعية عديدة ، وسواء أكان مقلاً أم مكثراً فهو غيور على المستوى الفنى لشعره وهو معتد به ايما اعتداد كقطع من صميم وجدانه .



صورة حديثة للشاعر محمود ابو الوفا

يقال إن الشعر العربى غنى بالعاطفة ، ولكننا نجد مع الأسف الصناعة مُفسدة للكثير منه حتى لتضيع العاطفة بين مظاهر الصناعة المتعددة . ونحن نستقبل فى هذا الديوان لوناً خالصاً من العاطفة الفطرية المطبوعة التى يستعذبها كل فنان صافى النفس . وهذه العاطفة فى مجموعها غير ملتهبة ، وانما هى هادئة تنشر السلام والحب وتنادى :

تعالَىْ زهرةَ الآسِ ... نُذيعُ الحبَّ فى الناسِ
فلا يُصْبِحُ فى الدنيا ... سوى قلبٍ على قلْبِ

ولا نلقى امرأً يحيا لغير العطف والحبّ
وتغدو زهرةُ الآس شعارَ الحبّ في الناس

وهي تهتف بحبّ الجمال وعبادته هتافاً متوالياً ، ولصاحبها ذكرى بديعة للقبلة الأولى فهو يقول :

لم أنسَ أوّلَ قبلةٍ أخذتْ بها شفتاي عهدَ الحبّ من شفتيكِ !
مازلتُ بين فمي أحِسُّ شذيّ لها أتُرى لها أثرٌ يُحسّ لديكِ ؟
بَلْبَلْتِ أحلامي فَصِرْنَ أشعةً كيما يَصِلْنَ مع الضياء اليكِ
هيهاتَ أنساكِ وكلُّ حمامةٍ في الأيك تذكرني بيوم الأيكِ
لمّا وقفنا ثمّ ندّكر الهوى هل كان من عيني أم عينيكِ ؟
فاذا الذي بيني وبينك منطوٍ واذا أنا متوسّدٌ خدّيكِ
لبّيتُ لو بالروح تُشرى ساعةٌ فضّيتها والحبّ بين يديكِ !

وقد أحسن صديقنا وزميلنا رئيس تحرير « المقتطف » بتصديره الرائع لهذا الديوان الليريكي البديع ، ولا غرو ففؤاد صروف شاعرٌ ناثرٌ ومن أجدر الأدباء بتقدير الجمال الفني .

والى جانب هذا الهدوء والسلام اللذين تلحظهما في جانب كبير من شعر محمود أبو الوفا ترى الحرقة واللهفة والسخط والسخرية متجلية منفردةً أو مجتمعةً في قصائد شتّى أهمها « رثاء نفس » و « أريد » و « حيرة » و « ضحية العيد » و « الايمان » ، وفي غير واحدة منها تتزاوج الفلسفة والعاطفة أجمل تزاوج فلا تنافر ولا شذوذ .

وللشاعر من المعاني والخواطر المبتكرة ما إشتهر به مثل قوله :

أصبحتُ من خوفِ القيو دِ أخاف وسوسةَ القلائدْ

وقوله :

أريدُ وما عسى تُجدى « أريدُ » على مَنْ ليس يملك ما يريدُ ؟!

وقوله :

عهدُ الصراحةِ ما بالُ الصريحِ به   لا يملك النطقَ الا بالكناياتِ؟!
أحبُّ أضحكُ للدنيا فيمنعني   أن عاقبتني على بعض ابتساماتِ!
هاج الجوادُ فعضّته شكيمتُه   شلّتْ أناملُ صنّاعِ الشكيماتِ!

ولغة الديوان جميعها عربية الصياغة مألوفة الاساليب ، اللهم الا نادراً حين يلجأ الشاعر الى لون جديد من النظم ، وهو بذلك يبرهن على أن الشاعر المطبوع يستطيع أن يعبر عن وجدانه فى أى نسق من النظم يتاح له دونَ ماحاجةٍ الى الابتكار وإن يكن للابتكار روعته واحسانه.

ولعل اكثر القراء استمتاعاً بشعر محمود أبو الوفا هم المختلطون به لانهم يرون نفسه الرقيقة فى مرآة شعره الرقيق الصافى ، وفى الكثير منه حلاوة البهاء زهير حتى نوّه بهذه الناحية فيه المرحوم شوقى بك تنويهاً خاصاً . وقد تسري فى شعر أبو الوفا خواطر ومعان سابقة كما فى قصيدته « حيرة » إذ يقول .

الارضُ لم يَبْقَ فيها من موطن للصريحِ
من لم يُغنّ لموسى غنّى لعيسى المسيحِ

ولكن جميع شعره مهضومٌ قبلا فى نفسه ، ثم يمجّه كما يمجّ النحلُ الشهدَ ، منحدراً عن عاطفته قبل أن ينحدر عن تفكيره . وبذلك استطاع ابو الوفا ان يقدم للشعر الوجدانى العصرى هدية كبيرة القدر وإنْ صغر حجمها ، ولا تقاس النفائس عادة بالحجم والوزن .

ومن الضلال بعد هذا أن ترتقب فى الديوان ملاحم شعرية عميقة ولاضروباً من الشعر تخالف طبيعة الشاعر ، فانما هو «أنفاس محترقة» كما نعته صاحبه. وقد لا تكون الانفاس متصلة فى بعض القصائد ، ولكنها على أى حال أنفاس صاحبها وفلذات قلبه الذى يعشق الجمال فى غيرتحديدٍ شخصيّ .

ولا يسعنا أخيراً إلاّ اكبار الوفاء الأدبى بل الأريحية التى دعت كلا من « دار الهلال » و « دار المقتطف » الى التعاون على اخراج هذا الديوان عرفاناً لمواهب صاحبه المبدع وخدمةً للشعر العصرى،وقد جعلا ذلك نصيبهما من المجهود العام الذى قامت به « رابطة الأدب الجديد »للتنويه بهذا الشاعر وانصافه . وفى مثل هذا البرّ بالادب الحىّ فليتنافس المتنافسون .

الرسالة

مجلة الثقافة العـــالية

يحررها

احمد حسن الزيات والدكتور طه حسين

وغيرهما من أعضاء لجنة النشر والتأليف . تصدر كل اسبوعين مرة مؤقتاً

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٧٨٩	٣	كنانته	كنانتهـا
٧٨٩	١٨	الاتهامات	الامتهان
٧٨٩	٢٤	فى القوة	من القوة
٧٨٩	٢٦	فى التاريخ	من التاريخ
٧٨٩	٢٦	الفاضلة	الفاصلة
٧٩٠	١	والنهضة	أو النهضة
٧٩٠	٦	الثـانى	الثامن
٧٩٠	٢٤	يتخذه فى	يتخذ من
٧٩٠	٢٥	يخفق	يخنق
٧٩١	٢	رهبة فى	رهبة من
٧٩٢	٢٤	بيضاء وحولها	حمراء حولها
٧٩٢	٢٥	الابدية	الاثيرية
٧٩٣	٢٠	تكاثفت	تكشفت
٧٩٥	٢	غرابتهـا	غرارتها
٨٦٤	١٧	تُدفن	تَدفن
٨٦٩	٢٠	سبله	من سبله
٨٧٤	١٣	ولم	ولن
٨٧٤	١٤	ما بالك	مالك
٨٨٢	١٤	يغنيها	يفنيها
٩٠٢	٢٢	Scroga	Scrofa

فهرس

صفحة





المجلد الأول

العدد التاسع

أبولو

مجلة فنية لخدمة الشعر العربي

لسان حال جمعية ابولو

تصدر مرة فى كل شهر

أبريل سنة ١٩٣٣

صاحب الامتياز ورئيس التحرير | أحمد زكى أبو شادى

الادارة | بشارع الملك المعز رقم ٩ بضاحية المطرية بمصر

التليفون | ١٩٦ ا زيتون و ٤٠٤٥٦

مطبعة التعاون



الانصاف لا التشجيع

يتقدَّم الينا كثيرون من المبتدئين لنشر شعرهم باسم التشجيع حتى إذا ماعرضناه على لجنة النشر لم تجد فى معظم ذلك النظم ما يستحقّ الالتفات اليه فتوصى باغفاله. ولمَّا كان فيضُ هذا الشعر يتدفَّق علينا يومياً وأصحابه يرتقبون منا — على ضيق وقتنا — مكاتبتهم فنحن نحبّ أن نسجل هنا كلمةً عامة للاسترشاد بها .

انّ هذه المجلة لا غرضَ لها مطلقاً سوى ما أعلَنَتْه — منذ بدايتها — من مَرامٍ فنيةٍ عاليةٍ ، وهيهات أن تتأثر بأى اعتبار شخصىّ أو ماديّ أو أدبى يناقض مبادئها المعلنة . وتاريخ القلم الذى يجرى بهذه السطور يعزز ذلك ، وانّ قصفه لأهونُ علينا من الذبذبة القلمية الذائعة ومن تسخيرأدبنا لغير ما خُلِقَ الادبُ له وهو التعبير الصادق عن الحياة وما وراء الحياة .

انما يعنينا أن نكتشف الشعراء المطبوعين المتوارين وأن نعلن فضلَهم ومواهبهم دونَ أىّ اعتبار لأسنانهم ، ولا لجنسياتهم وأديانهم ، ولا لمراكزهم الاجتماعية ، وقد جرينا على هذا المبدأ طويلاً قبل انشاء هذه المجلة . وأمَّا تشجيع المبتدىء العاجز المتصنع عن طريق النشر فهو من أسوأ طُرق التشجيع ، بل هو ايذاءٌ ومغالطة .

وقد جرتْ هذه المجلةُ على قاعدة اعتبار الانصاف والتشجيع شيئاً واحداً : فالشاعر المبتدىء الذى نلمح فيه بريقَ الشاعرية لا نتردَّد بتاتاً فى الأخذ بيده تهذيباً ونشراً وتوجيهاً ، وقد نخطىء أحياناً ولكنَّنا نكونُ قد عرَّفنا الجمهور به وأعطيناه فرصةَ الظهورِ وحسن التوجيه، فاذا لم ينتفع بها لم يكن لنا به شأنٌ بعد ذلك .

ليس من الصواب أن يلجأ المبتدىء الضعيف إلى النشر بدل التجائه إلى النُّـقـَّاد ، وليس من مصلحته أن يُغالط ويتذمـَّر من النقد النزيه الذي يُوَجَّه اليه . وكم من شاعر مبتدىء — نشرنا له أخيراً — رفضنا من قبل إنتاجه تكراراً ولكن كنّا نزوّده بالنصيحة والارشاد حتى أخذ يتحرَّر شعره ، ثم عُنينا بنشره بعد ذلك فقدَّر لنا هذا الصنيع حين سخط علينا المبتدىء العاجز المغرور .

وانّ من بين صحفنا من تسيء إلى النهضة الشعرية أبلغ اساءة بتوزيع لقب الأستاذية على طلبة المدارس والمتشاعرين وبنشر النَّظم الفجّ لمجرّد ملء الفراغ على ما في ذلك النظم من عيوب عديدة أهونها أخطاء العروض والنحو . ولو فتحت تلك الصحف باباً فيها لنقد ذلك النظم (ولا نقول الشعر) — ما دامت تحفل به — لكان ذلك أجْدَى عليها وعلى قرائها . ولولا ضيق فراغنا لما ترددنا فى فتح مثل هذا الباب وإن أسخط كثيرين من الناظمين .

داء المحاكاة

على أن علة العلل التى لنا أن نشكو منها طويلاً هى داءُ المحاكاة أو الببغـاوية . وهل من الغنيمة لنا أن تظهر طبقات تلو طبقات من النظامين الأدعياء على اختلاف أسنانهم فيكون منهم أسوأ عامل على غمط الشعراء الموهوبين فضلَـهم وسط التيار الصاخب الذى يثيره أولئك المتشاعرون المتـكالبونَ على الشهرة ؟

نحن نبحث عن الشعراء المطبوعين ولو لم ينضجوا بعد ، وانَّ كل شاعر صادق العاطفة قوى الايمان يخصّ (أبولو) بشعره يستحيل علينا أن نخذله وإن تمهّلنا فى نشر ذلك الشعر بسبب حاجتنا إلى دراسته أولاً ثم بسبب ضيق فراغ المجلة . ولـكن هيهات لنا أن ننساه .

نريد الشعراء الدقيقى الحسّ الخالصى الروح، أعداء التقليد وعشاق التحرّر — أولئك الذين يستوعب شعرهم أصفى تأملاتهم وخواطرهم وأخيلتهم وشعورهم فى موسيقية قدسية التعبير . نريد الشعراء الجريئين الذين يؤمنون بنفوسهم ورسالتهم ويعبرون عن خوالجهم بحرارة الايمان وحرية الفنان ، غير راسفين فى أى قيد من القيود ، فيجيء شعرهم مرآة الروحانية المستولية عليهم ، فاذا بالقارىء يستجمع

منها المشاهد الأولى المؤثرة على مواهب أولئك الشعراء بارزةً فى لمعة فنية ساحرة ، طليقةً من القيود المرذولة ، نابضةً بالحياة العالية ، منتقلة بألباب القارئين إلى ملكوت الفنّ الساحر خلف هذا العالم المادى البغيض ، دون أن تفقد صلتَها بالانسانية الصميمة بل تريهم دوحَ الحياة الأبدية الناضجة وسرَّ الالوهة التى عرف منها الانسان ذاته .

هذا هو الشعر الذى نريده ، وقد لايكون ناضجاً فى جميع النماذج التى ننشرها فى الوقت الحاضر ، ولكنها تمهيدٌ لا بدَّ منه لما بعدها فى المستقبل القريب . وما من شعرٍ تستوعبه هذه الصفحات الاّ ولنا حافزٌ فنيٌّ قويٌّ وراءَ نشره إذ نحنُ لا ننشر الشعر اعتباطاً ، ولو جاءنا نقدٌ معيَّنٌ عن أى قصيدة نشرناها لما ترددنا فى بيان ذلك الحافز ازاءها . وفيما عدا ما ذكرنا فليس لنا ولا يمكن أن يكون لنا دافعٌ لنشر ما ننشر .

هذه خطتنا التى جرينا عليها والتى ننتظر من كل غيور على نهضة الشعر العربى أن يؤازرنا أوفى مؤازرة فى الاستمرار عليها ولو جاء حكمنا ضدّ شعره ، فان محبّ الفنّ لا يعرف الانانية ولا يغضبه غير وجدانه .

بودلير

وُجّهتْ الى غير واحد من كتّابنا النُّقاد مؤاخذةٌ على عنايتهم بجمع ملخَّصات مطالعاتهم ودراساتهم فى كتب نشروها على الناس، وهى مؤاخذة لانعرف لها وجهاً من الاعتبار ، فانّ الأدب العربى فى حاجة ماسّة الى كلّ ذلك ؛ وقرّاء هذا الأدب الذين ليس لهم تبحُّرٌ فى لغة من اللغات الاجنبية الحية ينتفعون انتفاعاً عظيماً بهذه الملخَّصات والدراسات. وكما أن أى لغة من اللغات الحية كالفرنسية أو الألمانية أو الانجليزية تستوعب آثارُها الأدبيةُ الوفيرَ من آداب الامم الأخرى فأمنيتنا أن يتضافر أدباؤنا المثقفون البارزون على أداء مثل هذه الخدمة للغة العربية على مَدى الزمن . فنحن أحوجُ كثيراً الى الترجمة والدرس والتلخيص والتعليق منا الى التأليف الاصيل اللهمّ الاّ فى مَناحٍ مُعَيَّنة . وعلى هذا الاعتبار رحبنا بكتاب (الفكر والعالم) لابراهيم المصري كما رحبنا من قبل بأمثال هذا التأليف لادباء آخرين معروفين كطه حسين وهيكل والزيات والعقاد والمازنى وغيرهم ، ونرى أنهم

أجدر بشكر القراء وعلى الاخص أولئك الذين نشأوا فى ظل المدرسة القديمة .

وليس يعنينا فى هذه المجلة من كتاب (الفكر والعالم) — وهو مجموعة دراسات اجتماعية وأدبية مذيّلة بدرامة رائعة — سوى الفصل البديع الذى كتبه ابراهيم المصرى عن بوديلير Baudelaire وهو وحده يعدل ثمن الكتاب لانه ليس محض ترجمة ولا تلخيص بل فيه الكثير من نظرات مؤلفه الفاضل – شأنه فى معظم ما يكتب

ان بوديلير شاعر مريض الحسّ متدلٍّ وقد تهافت غير واحد من الصحفيين على التنويه به فأساءوا الى ذكرى هذا الشاعر المنكوب وصوّروه على غير حقيقته وكأنما كانت كل غايتهم الاشادة بشذوذه المريض وترك نواحى عبقريته الحقّة التى لا يمكن أن نتصورها حقّ التصوّر دون الاندماج فى شخصيته بقدر الطاقة . وهذه هى الخدمة الصادقة التى أدّاها ابراهيم المصرى لقراء العربية كما فعل الدكتور طه حسين من قبل . فقد تكلم المصري عن هيكل هذا الشاعر العبقرى ثم عن موجز حياته والعوامل المؤثرة فيه ثم حلل شعره الذى جعله أكبر شعراء فرنسا بعد راسين . وقد ألقى أشعة كثيرة على شغف بوديلير المفرط بالحياة ، وعن قلقه الخامر الذي لم يكن يفارقه لحظة ، وعن تأثير الوراثة التى خلقت فيه تلك الحالة الشاذة ، وعن عاطفته الانثوية إذ كان يتبرم بالكون والناس وليس أحنّ منه ولا أشفق على الفقير والانسان . وقال فيما قال إن بوديلير ليس من الشعراء الذين يكتفون بتصوير المرئيات والتغنى بجمال الاوضاع والاشكال والاشادة بما تخفق به قلوبهم من عواطف واحساسات ، فهو لا يقنع بان يقف بالعالم هذا الموقف السلبي كمتفرج بل كان يريد أن يستبين خلف مظاهر الاشياء معناها الخالد وعلة وجودها . وقد أفرط فى شهواته متابعةً لنزوعه الى سبر أغوار الحياة فى الرذيلة فأدّى الافراط الى قتل الشهوة فى نفسه حتى بدت أمام عينيه الصارمتين تافهة راكدة متشابهة . وقد كان بوديلير يعبر أتم تعبير عن الترجح الدائم المشاهد فى القلب البشرى بين جاذبية الارض وجاذبية السماء ، وقد كانت الظلمة فى حياته مقترنة بالنور أبداً . وذكّرنا ابراهيم المصرى بأن الشاعر رابندرانات تاغور كان فى شبابه مفتوناً بشهوة الحسّ فلما أمعن فى التأمل والتفكير اعتنق الصوفية المطلقة وانصرف عن الحياة الى التغنّى بروح الله . والشاعر بول فرلين كان فى شبابه ماجناً فلما أمعن فى التأمل هو أيضاً اعتنق المذهب الكاثوليكى وانصرف عن الحياة الى تمجيد العذراء مريم والاتصال بروح الله . وكذلك فعل الشاعر فرانسيس جام وغيره . وأما بوديلير فقد

أبى ان يودّع شبابه بل لم يستطع توديع شبابه ، وكان أقوى من الشيخوخة فلم ينصرف عن الحياة واتصل مع ذلك بالله، فاحتضن الجزءين الابديين: الصورة والفكرة، الخالق والمخلوق .

بمثل هـذا التحليل البديع يتناول ابراهيم المصرى دراسة بوديلير ويتعالى عن كتابنا الذين ينعتون أنفسهم بأنصار الأدب المكشوف وهم يسيئون بتصرفاتهم الى رسالة ذلك الأدب ، وهم وحدهم المسؤولون عن الاساءة الى ذكرى بوديلير وأنداده فى الادب العربى . ويتحف المصرى قراءه بنماذج شائقة من شعر بوديلير ترجمة عن ديوانه أزهار الشر (Fleurs du Mal) إذ يقول مثلاً وهو يخاف أحلامه المروّعة: « أخشى النوم كما يخشى الناس هوة مفغورة مليئة بالذعر المبهم تقود الى حيث لا ندرى. من جميع النوافذ لا أبصر غير اللانهاية وعقلى الذى يحتله الدوار على الدوام يغار من الجمود الشائع فى العَدَم ! »

ولمّا تفجّرت نفس بوديلير ايماناً دافقاً سمعناه ينشد : « لتكن مباركاً يا ربى أنت الذى جعلتَ الالم طباً الـهياً لارجاسنا » . وهذه هى المرحلة الاخيرة التى يستقر عندها قلب بوديلير ـ مرحلة التصوف والرحمة والتجرد والعزاء .

واذا كان لنا أن نضيف شيئاً الى هذه الدراسة البديعة التى أظهرت نواحى الجمال الفنى فى هـذا الشاعر العظيم ، مغضيةً عن هفوات الشذوذ المريض ، فهى فضله العظيم فى احياء الشعر الرمزى فى الادب الغربى . وربما كان بوديلير متأثراً الى حد كبير بنظريات ندّه ادجار ألان بو (Edgar Allan Poe) فبث حبَّ الفن للفن فى الادب الفرنسى خاصة وغرس بذرة الرمزية القوية فى الشعر الفرنسى. ومع الاعتراف بأثر الوراثة فى نفسية بوديلير فقد كانت المعاملة السيئة القاسية التى لاقاها من زوج والدته مالئةً لقلبه الثائر بالسخط وهو لم يتجاوز بعد السادسة من عمره ، فنمت معه هـذه الثورةُ على المدرسة والمجتمع والتقاليد . وقد كان تقديره الفائق للجمال مما جعله بالغ الشعور بالدمامة أيضاً ، وقد كان لنفسه متعة وأى متعة من ذلك ! وليس هـذا مجال التعليق الوافى فحسبنا التنويه بالمجهود المبذول لتثقيف أدباء العربية بنفحات الأدب الغربى كما نرى فى هذا التأليف الجديد الذى نحييه .

عضوية أبولو

تتلقى طلبات كثيرة من أدباء يرغبون فى الالتحاق بجمعيـة أبولو ، ولذلك نود أن نذكر كلمةً عامةً عن عضوية الجمعية من باب البيان لمحبيها وأنصارها.

ان (جمعية ابولو) أساساً جمعيـة للشعراء ولا يهمنا فتح بابها على مصراعيه للعضوية وإن أبيحت العضوية لمحبي الشعر من الادباء والنقاد وأهل الفنون الجميلة التى تمتُّ بصلة لفن الشعر .ومجلس ادارتها تتألف أغلبيتهالعظمى منالشعراء ، وليس الى جانبهم سوى قليلين من أعلام النقاد الذين قد يقرضون الشعر أنفسهم .

واذا كانت الجمعية لا ترغب فى أن تتسع عضويتها ولا أن تتعدى دائرة الشعراء بوجه الاجمال فهى مع ذلك ترحّب بتأليف الجمعيات المحلية لدراسة الشعر وخدمة الشعراء سواء أكانت هذه الجمعيات مستقلة أم تابعة لهيئات أدبية عامة أم متآلفة مع (جمعية ابولو) مادامت وجهتها الخـدمة الفنية أولا وخدمة الشعراء والأدباء ثانياً . وقد ساعدنا فعلا على تأسيس أمثال هذه الجمعيات المحلية حتى لا تنحصر الهيئة الفكرية فى العاصمة الكبرى وحدها .

وبين ما نرمى اليه فى المستقبل أن ننشر فى أجزاءٍ ديواناً من المختارات لشعراء أبولو .

قيصر وفرعون

اطَّلعَ القراء على التحية البديعـة التى وجَّهها باسلوبه الفنى الشاعر الانجليزى جون درنـكووتر إلى جلالتى الملك فؤاد والملك عمانوئيل لمناسبة زيارتهما للأهرام فى فبراير المـاضى . وهى تحية لم يكن فى وسعنا إغفال الاشارة اليها لأنها مرتبطـة فى تـكييفها بموضوع انهاض الشعر العربى ، وهى فى ذاتها درسٌ بليغ لنـا ، إذ لا جدال فى أنه لو أتيـح لشاعر عربى أن ينظم فى هذه المناسبة لجاءَ شعـره فى الغالب مجموعة مبالغات مألوفة وأمداح شخصية منسوخة عن الشعر القديم .

وتأتى مناسبات الأعياد القومية فنقـرأ فى كبريات الصحف إشارةً عامةً إلى قصائد مرفوعة إلى مليك البلاد دون أن تُعنى تلك الصحف بنشر شيءٍ منها . فما

سرّ ذلك ؟ لا نعرف سرّاً سوى غثاثة تلك المنظومات وتفاهتها ، فى حين أن أغلب ما يُنشر لا يتعدّى القديم المعاد ، وهى جميعاً فيما نعتقد لا تليق لأن ترفع إلى صاحب المقام الاسمىّ الذى يُعَدّ فى طليعة ملوك العالم ثقافةً وأدباً . ونحن لو بدلنا من هذه العادة المنتقَدة فرضَ ملاحم فنيةٍ رائعةٍ حَريّةٍ بأن تُرفع الى صاحب العرش لتورّع المتشاعرون والنظامون عن الاقدام عليها ولخدمنا الشعر العصرى أجلَّ خدمةٍ ووجهناه توجيهاً فنياً رائعاً ، فلعلنا نجد من صحافتنا تعزيزاً لهذه الأمنية .

تكييف الشعر

لا نريد هنا أن نتناول العواملَ المؤدية إلى تكييف الشعر والمؤثرة عليه فهذا موضوعٌ متشعّبٌ متعدّد النواحي نرجئه تفصيلاً للتدوين فى كتابنا عن « نقد الشعر » حينما يُتاحُ لنا إتمام تأليفه وإصداره وانما دعانا إلى التنويه بهذا الموضوع كتاب الشاعرة الانجليزية دوروثى ماثيوز (Poetry in the Making) الذى صدر حديثاً فانه على صغره من أبدع المباحث التحليلية لموسيقية الشعر ودلالة وقع الحروف على الأحوال النفسية والظروف الوجدانية وتتابع الأخيلة وعن مزايا الشعر الحرّ وارتباطه بتأثُّر الشاعر وقْتَ النظم ارتباطاً وثيقاً وملاءمته الجميلة للفطرة وقابليته لاستيعاب فنون الشعر وعن صور الأساليب وأسبابها وفلسفتها . ونعتقد أن المتناظرين حول مبدَعات الشعر العصرى يحسنون كثيراً بالاطلاع على هذا التأليف الصغير الدَّسِم ، فهو يتضمن الكثير من الشواهد والخواطر التى يمليها الاستقلالُ وروحُ الانصاف .

فن عزت صقر

أحسن ما يُقال عن مجموعة أزجال المرحوم عزت صقر التى قدّمها إلى قرّاء العربية فى طبعةٍ حديثةٍ جميلةٍ الأديبُ الناقد الفاضل اسماعيل حسين أنها شاهدةٌ بتحرُّر ناظمها مع شغفه بترقية الأدب الشعبي . وبعد هذا فلا نعرف فيها زجلاً واحداً لم يكن فى الوسع نظمهُ باللغة العربية السهلة التى تكاد تتلاقى والعامية دون أن تفقد شخصيتها كما فعلنا فى بعض النماذج المنشورة فى ديواننا (الشُّعلة) وفى غيره ،

لاعتقادنا أن بحور الزجل المصرى بل والمواويل المصرية ونحوها مصطبغة بموسيقيّة الشعب المصرى وجديرة بحفاوة اللغة العربية السهلة، وأنّ فى استعمالها ما يقرّب الشعر العربى إلى الجمهور وما يكسبه حلاوةً ساذجةً جميلةً . فاذا ترحّمنا على فقيد الزجل المصرى ونوّهنا بآثاره فمن البرّ بذكراه أن نشير إلى أمنية الفقيد نحو التسامى بالأدب الشعبي ، وهى أمنية يمكن تحقيقها على أيدى شعراء الشباب إذا ما عرفوا تطعيم الشعر العربى الصميم بأوزان الزجل السهلة الجميلة ، وهكذا يقرّبون مسافة الخلف ما بين الخاصة والجمهور ويساهمون فى حركة توحيد اللغة العربية بقدر الاستطاعة .

أنفاس محترقة

قوبل صدور هذا الديوان للشاعر العاطفى محمود أبو الوفا بعاصفةٍ نقديةٍ كما قوبل ديوان « وحى الاربعين » للعقاد من قبل ، ونحن نعدّ من الخير للأدب هذا الاستقبال المتباين ، إذ أن أقل جدواه تنبيه القراء إلى الاقبال على هذا الأدب الرفيع والحوار فى موضوعه بدل انشغالهم بادب التسلية الوضيع (لو جاز لنا أن نسميه أدباً) وهو الشائع فى مصر شيوعاً ضاراً بثقافتها أبلغ الضرر .

وقد أعجبتنا كلمةٌ نبيلةٌ فى صحيفة « البلاغ » للكاتب الفاضل الشيخ عبد الله عفيفى (المحرر العربى لديوان جلالة الملك فؤاد) نوّه فيها بشاعرية أبى الوفا وتعجّب من تقصير الدولة نحو شاعرٍ مبدعٍ مثله حينما تحفل وزارة المعارف بتقدير الرباعين وغيرهم من الرياضيين. ورجاؤنا كبير أن لا يفوت الوزارة انصاف هذا الشاعر ، فالدولة هى المستفيدة باستغلال مواهب الشعراء استغلالاً فنياً فى وظائف أدبية ملائمة لنبوغهم .





نقد الشعر وفلسفته

الشاعرُ في رأينا هو ذاك الذي يرى الطبيعة كلَّها بعينين لهما عشقٌ خاصٌّ وفيهما غزلٌ على حِدَةٍ ، وقد خُلِقَتا مُهيَّأتين بمجموعة النفس العصبية لرؤية السِّحر الذي لا يُرَى الا بهما بل الذي لاوجود له في الطبيعة الحية لولا عينا الشاعر كما لا وجود له في الجمال الحيّ لولا عينا العاشق .

فاذا كان الشاعر العظيم أعمى كهوميروس وملتون وبشار والمعرّي وأضرابهم ، انبعثَ البصرُ الشعريُّ من وراء كل حاسة فيه وأبصر من خواطره المنبثة في كل معنى ، فأدّى بالنفس في الوجود المظلم أكثر ما كان يؤدّيه بهذه النفس في الوجود المضيء ، وقصّر عن المبصرين في معانٍ وأربى عليهم في معانٍ أخرى ، فيجتمع للشعر من هؤلاء وأولئك مَدُّ النفس الملهَمَة مما بين أطراف النور الى أغوار الظُّلمة .

والشعر في أسرار الأشياء لا في الاشياء ذاتها ، ولهذا تمتاز قريحةُ الشاعر بقدرتها على خلق الألوان النفسية التي تصبغُ كلَّ شيء وتلوّنه لاظهار حقائقه ودقائقه حتى يجرىَ مجراه في النفس ويجوزَ مَجازَهُ فيها . فكلُّ شيء تعاورَهُ الناسُ من أشياء هذه الدنيا فهو إنما يُعطيهم مادته في هيأته الصامتة ، حتى اذا انتهى الى الشاعر أعطاه هذه المادة في صورتها المتكلمة فأبانت عن نفسها في شعره الجميل بخصائص ودقائق لم يكن يراها الناسُ كأنها ليست فيها .

فبالشعر تتكلم الطبيعة في النفس وتتكلم النفس للحقيقة . وتأتي الحقيقةُ في أظرف أشكالها وأجمل مَعارضها أي في البيان الذي تصنعه هذه النفس الملهمةُ حين تتلقّى النور من كل ما حولها وتعكسُه في صناعةٍ نورانيةٍ متموّجةٍ بالالوان في المعاني والكلمات والانغام .

والانسانُ من الناس يعيش في عمرٍ واحد ، ولكن الشاعر يبدو كأنه في أعمار



﴿ مصطفى صادق الرافعى ﴾

بريشة الفنان المصرى محمد محسن بدوى

كثيرة من عواطفه وكأنما ينطوى على نفوس مختلفة تجمع الانسانية من أطرافها، وبذلك خُلق ليُفيضَ من هذه الحياة على الدنيا كأنما هو نبعُ انسانيّ للاحساس يغترفُ الناسُ منه ليزيد كلُّ انسان معانيَ وجوده المحدود مادام هذا الوجودُ لايزيد فى مدته ، ثم ليرهِفَ الانسانُ بذلك أعصابه فتدركَ شيئاً مما فوق المحسوس وتكتنه طرفاً من أطراف الحقيقة الخالدة التى تتسع بالنفس وتخرجُها من حدود الضرورات الضيقة التى تعيشُ فيها لتصلها بلذات المعانى الحرة الجميلة الكاملة . وكأن الشعر لم يجىء فى أوزان الا ليحمل فيها نفس قارئه الى تلك اللذات على اهتزازات النغم ، وما يُطرب الشعر الا اذا أحسسته كأنما أخذ النفس لحظة وردّها.

والشاعرُ الحقيقُ بهذا الاسم أى الذى يَغلِبُ على الشعر ويفتتح معانيه ويهتدى الى أسراره ويأخذ بغاية الصنعة فية — تراه يضع نفسه فى مكان مايعانيه من الاشياء وما يتعاطى وصفَه منها ثم يفكر بعقله على انه عقلُ هذا الشيء مضافاً اليه الانسانية العالية ، وبهذا تنطوي نفسه على الوجود فتخرج الاشياء فى خلقة جميلة من معانيها وتصبح هذه النفسُ خليقةً أخرى لكل معنى داخلها أواتصل بها . ومن ثم فلا ريب أن نفس الشاعر العظيم تكاد تكون حاسة من حواس الكون .

ولو سُئلت أزمانُ الدنيا كيف فهم أهلُها معانى الحياة السامية وكيف رأوها فى آثار الالوهية عليها ، لقدَّمَ كلُّ جيل فى الجواب على ذلك معانى الدين ومعانى الشعر .

وليست الفكرةُ شعراً اذا جاءت كما هى فى العلم والمعرفة ، فهى فى ذلك علم وفلسفة ، وانما الشعر فى تصوير خصائص الجمال الكامنة فى هذه الفكرة على دقة ولطافة كما تتحول فى ذهن الشاعر الذى يلوّنها بعمل نفسه فيها ويتناولها من ناحية أسرارها .

فالأفكار مما تُعانيه الأذهانُ كلها ويتواطأ فيه قلبُ كل انسان ولسانه ، بَيْدَ أن فنّ الشاعر هو فنُّ خصائصها الجميلة المؤثرة ، وكأن الخيال الشعريّ نحلة من النحل تُلمُّ بالأشياء لتُبدعَ فيها المادةَ الحلوة للذوق والشعور والأشياء باقيةٌ بعد كما هى لم يغيرها الخيال وجاء منها بما لا تحسبهُ منها ، وهذه القوة وحدها هى الشاعرية .

فالشاعر العظيم لا يُرسل الفكرة لإيجاد العلم فى نفس قارئها حَسْبُ ، وانما هو يصنعها ويحْذُو الكلامَ فيها بعضَه على بعض ويتصرفُ بها ذلك التصرف ليوجد بها العلم والذوق معاً . وعبقريةُ الأدب لا تكون فى تقرير الأفكار تقريراً علمياً بحتاً ولكن فى إرسالها على وجهٍ من التسديد لا يكون بينه وبين أن يُقِرَّها فى مكانها من النفس الانسانية حائلٌ . وكثيراً ما تكون الأفكار الأدبية العالية التى يُلْهَمُهَا أفذاذ الشعراء والكتاب هى أفكار عقل التاريخ الانسانى ، فلا تَنْفَصِل عنهم الفكرةُ فى أسلوبها البيانى الجميل حتى تتخذ وضْعَها التاريخىّ فى الدنيا وتقوم على أساسها فى أعمال الناس فتتحقق فى الوجود ويُعمل بها . وهذا طَرَفٌ مما بين الادب العالى وبين الاديان من المشابهة .

ومتى نُزِّلَتْ الحقائقُ فى الشعر وجب أن تكون موزونة فى شكلها كورنه فلا تأتى على سَرْدها ولا تؤخذ هَوْناً كالكلام بلا عمل ولا صناعة ، فانها ان لم يجعل لها الشاعرُ جمالاً ونسقاً من البيان يكون لها شبيهاً بالوزن ويضع فيها روحاً موسيقية بحيث يجىء الشعر بها وله وزنان فى شكله وروحه — فتلك حقائق مكسورةٌ تلوح فى الذوق كالنظم الذى دخلته العلل فجاء مختلاً قد زاغ أو فسد .

والخيال هو الوزن الشعرى للحقيقة المرسلة . وتخيُّل الشاعر انما هو إلقاء النور فى طبيعة المعنى ليشِفّ به ، فهو بهذا يرفع الطبيعة درجة انسانية ويرفع الانسانية درجة سماوية . وكل بدائع العلماء والمخترعين هى منه بهذا المعنى ، فهو فى أصله ذكاء العلم ثم يسمو فيكون هو بصيرة الفلسفة ثم يزيد سموّه فيكون روح الشعر . واذا قلبتَ هذا النسق فانحدرت به نازلاً كما صعدتَ به حصل معك أن الخيال روحُ الشعر ثم ينحط شيئاً فيكون بصيرة الفلسفة ثم يزيد انحطاطاً فيكون ذكاء العلم . فالشاعر كما ترى هو الاول إن ارتقت الدنيا وهو الاول إن انحطت الدنيا ، وكأنما انسانية الانسان تبدأ منه .

* * *

اذا قررنا للشعر هذا المعنى وعرفنا انه فنٌّ النفس الكبيرة الحسَّاسة الملهمة حين تتناولُ الوجودَ من فوق وجوده فى لطفٍ روحانىّ ظاهرٍ فى المعنى واللغة والأداء — وجب أن نعتبر نقد الشعر باعتبارٍ مما قررناه وأن نقيمه على هذه الاصول . فان النقد الأدبى فى أيامنا هذه — وخاصةً نقد الشعر — أصبح أكثره مما لا قيمة له وساء التصرف به ووقع الخلطُ فيه وتناوله أكثر اهله بعلم ناقص

وطبع ضعيف وذوق فاسد، وطمع فيه من لا يحصِّل مذهباً صحيحاً ولا يتَّجه لرأى جيد ، حتى جاء كلامهم وانَّ فى اللغو والتخليط ما هو خير منه وأخفّ محملاً ، فانك من هذين فى حقيقة مكشوفة تعرفها تخليطاً ولغواً ، ولكنك من نقد أولئك فى أدب مُزَوَّر ودعوى فارغة وزوائدَ من الفضول والتعسف يتزيَّدون بها للنفخ والصَّوْلة وإيهام الناس أن الكاتب لا يرى أحداً الا هو تحت قدرته . . . ، على أن جهد عمله اذا فتشته واعتبرت عليه ما يخلط فيه ، أنه يكتب حيث يريد النقد أن يحقق ويملأ فراغاً من الورق حيث يقتضيه البحث ان يملأ فراغاً من المعرفة .

وقد قلنا فى كتابنا (تحت راية القرآن) : إن أستاذ الآداب يجب أن يجمع الى الاحاطة بتاريخها وتقصِّى موادها ذوقاً فنياً مهذَّباً مصقولا ، وليس يمكن أن يأتى له هذا الذوق الا من ابداع فى صناعتى الشعر والنثر ثم يجمع الى هذين (أى الاحاطة والذوق) تلك الموهبة الغريبة التى تلف بين العلم والفكر والمخيلة فتُبدع من المؤرخ الفيلسوفِ الشاعرِ العالمِ شخصاً من هؤلاء جميعاً هو الذى نسميه الناقد الادبى .

هذه هى صفات الناقد فى رأينا . فانظر أين تجده بين هؤلاء الاساتذة المختصَرين .... فى أدبهم، المطوَّلين .... فى ألقابهم ، وانهم ليتعاطَوْن النقد وليس لهم وسائله الا ما كان ضعفةً وقلةً وإدباراً، وقد فاتهم ما لا تحمله أقدارهم ولا تبلغه قواهم وجهلوا أن الناقد الأدبى انما يلقى درساً عالياً لا يُدَلُّ فيه على العيوب الفنية الا باظهار المحاسن التى تقابلها فى أسمى ما انتهى اليه الفن من آثار تاريخه فيكون النقد تهذيباً وتخليصاً لفنون الادب كلها . وهو بهذه الطريقة يجلوها على الناس ويُبدع فيها ويزيد فى مادتها ويسهلها على القراء ويحصلها لهم تحصيلا لا يبلغونه بأنفسهم ويعطيهم من كل ضعيف ما هو قوى ومن كل قوى ما هو أقوى .

ورأيناهم فى نقد الشعر لا يزيدون على أن يعلقوا على كلام الشاعر فيجىء عملهم فى الجملة كأنه تصنيفٌ من هذا الشعر وشرحٌ له وتَصَفُّحٌ على بعض معانيه . وبهذا يرجع الشاعر وإنه هو المتصرف فى ناقده يُدِيره كيف شاء، ويجىء هذا الناقد زائداً متطفلا فتأتى كتابته وإنها لَضَرْبٌ من سخرية المنقود بناقده ويصبح وضعُ الكلام على العكس ، فالشاعر المنقود لم يتكلم ولكنه أبان قُصورَ الناقد وجهله فهو الناقد وإن سكت وذاك هو المنقود وإن تكلم .

وهذا المتعلِّق على أخبار الشاعر وشعره كتعلق التلخيص على أصله المطَّول

والشرح على متنه الموجز ، انما هو كاتب يجد من ذلك مادة إنشائية فيتصرف بها ليكتب ، ولا يراد من النقد ان يكون الشاعر وشعره مادة إنشاء بل مادة حساب مقدَّر بحقائق معينة لا بد منها . فنقد الشعر هو فى الحقيقة علم حساب الشعر وقواعده الاربع التى تقابل الجمع والطرح والضرب والقسمة هى الاطلاع والذوق والخيال والقريحة الملهَمة .

و َثمّ ضَرْبٌ آخر من تَعلُّق الضعفاء يتناولُ الشاعرَ باعتباره رجلاً له موضعه من الناس ومنزلة من الحياة ثم لا يعدو ذلك (١) وهو تزوير للمؤرخ يجعله ناقداً وتزوير للناقد يردُّه مؤرخاً . على أن هذا لابد منه فى النقد الصحيح ولكنه لا يقوم بنفسه ولا تنفُذُ به بصيرةُ النقد ، إذ الشاعر لم يكن شاعراً بانه رجلٌ من الناس وحىٌّ فى الأحياء وعمرٌ من الحوادث المؤرخة ، ولكن بموضوعه من أسرار الحياة وصلة نفسه بها وقدرة هذه النفس على أن تنفذ الى حقائق الطبيعة فى كائناتها عامةً وفى إنسانها خاصة ، ثم بقدرة مثل هذه فى النفاذ الى أسرار اللغة الشعرية التى هى الوجود المعنوى لكل ذلك والتصرف بها على طبقات معانيه حتى لا تقصر عن الغاية ولا تقع دون القصد ، فان الشعر إن هو الا ظهورُ عَظمة النفس الشاعرة بمظهرها اللغوي . ولئن كان فى نقد الشعر تاريخ لا يتم النقد الا به فهو تاريخ الشعر فى نفس قائله ، ثم تاريخ هذه النفس فى معانى الشعر من عصرها ، ثم أدب هذا الشاعر من الوجود الادبى للغة التى نظم بها . وذلك لابد أن يقع فيه تاريخ الشاعر نفسه محَصَّلاً من نواحيه فى جهات الحياة مُتعمَّقاً فيه بالاستقصاء مُتغلِّغلاً اليه بالنقد .

* * *

وان لنا رأياً بسطناه مراراً وهو أنه لا ينبغى أن يعرض لنقد الشاعر والكلام عنه الا شاعر كبيرٌ يكون ذا طبيعة فى النقد أو كاتبٌ عظيمٌ يكون ذا طبيعة فى الشعر ، أى لابد من الادب والشعر معاً لنقد الشعر وحده فيأتى الكلامُ فيه من العلم والذوق والاحساس والإلهام جميعاً فيتبينُ الناقدُ وجوهَ النقص الفنىِّ

---

(١) لم نذكر فى هذه المقالة أمثلة ولم نعين أسماءاً حتى لا يمتد الكلام فتخرج المقالة الى أن تكون كتاباً ، ولكنك اذا قرأت الشعر وما يكتب فى نقده والمحاضرات التى تلقى عن الشعراء فقد وجدت الامثلة والاسماء . . .

ويعرف بمَ نقصتْ وماذا كان ينبغي لها وما وجه تمامها ثم يعرف من الكمال الفني مثل ذلك ويُحفَظُ على الحالتين بالمعاني التي أحسَّها الشاعرُ حين انتزع شعرهُ منها وما كان يتخالجُهُ وقتئذ من الفكر ويتمثلُ له من الصور المعنوية التي ألهمته إلهامَها ، فان المعاني المكتوبة هي شعر الشاعر ولكن تلك المعاني المحسوسة هي شعر الشعر ، وانما يوقَفُ عليها بالتوهم والاسترسال الى ما وراء الشعر من بواعثه وما تموَّجتْ به روحُ الشاعر عند عمله وما عرَضتْ لها به طبائعُ المعاني ، وهذا كله لا يحسُّه الناقدُ إن لم يكن شاعراً في قوة من ينقدُه أو أقوى منه طبيعةَ شعر .

والنقد انما هو إعطاءُ الكلام لساناً يتكلم به عن نفسه كلامَ متهمٍ في محكمة ليُقيم حجةً أو يُزيحَ شبهةً أو يقررَ حقيقةً أو يبسط معنى أو يُوجِّهَ علةً أو يكشفَ خافياً أو يثبتَ نقيصةً أو يظهر إحساناً . وبالجملة فهو نَقْضُ السيئة والحسنة ووقوعُ أدلة العلم والفن والذوق مواقعَها وتكلُّمُ الكلام بذات نفسه ما تُنكرُ منه وما تستجيد. والشاعر والناقد يلتقيان جميعاً في القارىء فوجب من ثَمَّ أن يكون الناقدُ قوةً تكشف قوةً مثلها أو دونها ليُصحِّحَ فنَّ فناً مثله أو يقرَّه أو يزيدَ عليه فضلَ بيان ومزيَّةَ فكرٍ ، وبهذا يصبح القارىء كالسائح الذي معه الدليلُ وأمامه المنظر أي معه التاريخُ الناطقُ وبازائه التاريخ الصامت .

واذا كان الشاعر وشعره انما هما النفسُ الممتازة وحوادثها والهامُها ومعاني الحياة فيها ، فليس يَتَّجهُ أن يكون الناقدُ تاماً الا بنفس من نوعها في دقة الحس ولطف النظر والاستشفاف وقوة التأثر بمعاني الحياة وسموِّ الالهام والعبقرية. وبذلك يجيء النقد الصحيح بياناً خالصاً منخولاً كأنه شرحُ نفس لنفس مثلها .

وليس الأنفُ هو الذي ينقد الوردة العطرة الفيَّاحةَ وانما تنقدها الحاسةُ التي في الأنف ، وناقد الشعر إن لم يكن شاعراً فهو أنفٌ صحيح التركيب ولكن بالجلد والعظم دون تلك الحاسة التي هي رُوحُ العَصب المنبثِّ في هذا التركيب والمتصل بما وراءه من أعصاب الدماغ . فهذا الانف . . . . يستطيع أن يتناول الوردة ولكن بحسٍّ غليظٍ مَحَقَتْه الآفة كما يتناول حجراً أو حديداً أو خشباً أيها كان ، فالوردة عنده شيء من الاشياء يمتاز باللين ويختصُّ بالنعومة ويَسْطعُ بالرونق ويزهو باللون ، ويذهبُ يتكلم في هذا كلِّه ، وهذا كلُّه في الوردة ولكنه ليس الوردة .

ومتى كان البحثُ هو البحثُ في السماء وأفلاكها وأجرامها فلا يستقلُّ به الا

الناظر المركَّب أى الذى معه عينُه وتلسكوبهُ وعلمُه جميعاً، إن نقص من ذلك فبقدر نقصانه يكون ضعفه وإن تمَّ فبقدر تمامه يكون وفاؤه . ولو أمكن أن ينفصل الشاعرُ من شعره فيقطعَ مابينه وبين المعانى من نسب نفسه ويبتعد عن الشعر ليراه جديداً عليه ويميزه من كل جهاته – لكان هو الناقد فناقد الشعر هو الشاعر نفسهُ ولكن فى وضع أتم وأوفى وحالةٍ أبين وأبصر ، أى كأنه الشاعر نفسه منقحاً تاماً بغير ضعف ولا نقص .

ومن أجل ذلك نرى من آية النقد البديع المحكمَ اذا قرأته ما يُخيِّل اليك أن الشعر يعرض نفسه عليك عرضاً و يُحصِّل لك أمره ويبين حالته فى ذهن شاعره وكيف توافقَ وائتلف وكيف انتزعه الشاعر من الحياة وما وقع فيه من قدر الالهام وما أصابه من تأثير الانسان وما اتفق له من حظ الطبيعة والاشياء . وبالجملة يُورد النقدُ عليك ما ترى معه كأن حركةَ الدم والاعصاب قد عادت مرة أخرى الى الشعر .

* * *

ألا وإن شعرنا العربىَّ الجميل قد أصبح اليوم فى أشد الحاجة الى من يعلِّم القارىء كيف يذوقه ويتبيَّنهُ ويخلصُ الى سر التأثير فيه ويخرجهُ مخرجاً سرياً فى أنغامه وألحانه ويأتى به من نفس شاعره ومن نفسه جميعاً ، فقوةُ التمييز فى هذا كله على تسديد وصوابٍ ، هى التى يعطيها الناقد لقرائه. والشعر فكر وقراءته فكر آخر ، فان قصَّر هذا عن أن يبلغَ ذاك ليتصلَ به ويتغلغلَ فيه، فلابد للفكرين من صلة فكرية هى كتابة الناقد الذى هو من ناحية كمالٌ للطبيعة الناقصة ، ومن ناحية أخرى شرحٌ للطبيعة الكاملة ، ومن ناحيةٍ ثالثة هو بذوقه وفنه قانون الانتظام الدقيق الذى يبين به ما استقام فى الكلام وما اعوجَّ .

وطريقتنا نحن فى نقد الشعر تقوم على ركنيين : البحث فى موهبة الشاعر وهذا يتناول نفسه وإلهامه وحوادثه ، والبحث فى فنه البيانى وهو يتناول ألفاظه وسبكه طريقته وسنقول فيهما معاً .

فأما الكلامُ فى فن الشعر فالمراد بالشعر — أى نظم الكلام — هو فى رأينا التأثير فى النفس لا غير ، والفن كله انما هو هذا التأثير، والاحتيال على رجّة النفس له واهتزازها بألفاظ الشعر ووزنه وادارة معانيه وطريقة تأديتها إلى النفس وتأليف مادة الشعور من كل ذلك تأليفاً متلائماً مستوياً فى نسجه لا يقع فيه تفاوتٌ ولا اختلال ولا يُحمَلُ عليه تعسفٌ ولا استكراه فيأتى الشعر من وقته وتركيبه

الحيّ ونسقه الطبيعي كأنما يُفرَغُ به على القلب الانساني ليفتح لمعانيه الى الروح . والشعر العربي اذا تمت له فى صناعته وسائل التأثير وأحكم من كل جهاته كان اسمى شعر انساني : فتراه يطرد بألفاظه الجميلة السائغة وكأنه لا يحمل فيها معاني — بل يحمل حركات عصبية ليس بينها وبين أن تنساب فى الدم حائل ، فما يكون الا أن يَغْمُرَكَ بالطرب ويهزك من أعماق النفس ويورد عليك من نفحة الروح ما إن تدبرته فى نفسك وأفصحتَ عنه شعورك رأيته فى حقيقته وجهاً من نسيان الحياة الأرضية والانتقال الى حياة أخرى من السرور والاهتياج والالم والشجو يحياها الدمُ الثائرُ وحده غير مشارك فيها الامن القلب .

والذين يجهلون ذلك من امر الشعر العربي فى مزاجه الخاص فلا يعتبرونه حياً ذا طباعٍ وخصائص لابدّ من مراعاتها والنزول على حكمها وتلقيها بما يوافقها كما لابدّ من أشباه ذلك لامرأة جميلة — تراهم يُخِلّون بقوانين صناعته البيانية وينزلون ألفاظه دون منازلها ويرسلون معانيه على غير طريقتها الشعرية ويبتلونه بفضول كثيرة هى كالآفات والامراض فيأتون بنظم تقرؤه اذا قرأته وأنت تتلوى كأنما يقرعُ على قلبك بقبضة يد أو يدق عليه بحجر ...وقد فشا هذا النوع من الشعر فى هذه الايام وأصبح مظهراً لما فسد من ذوق الادب وما تلاشى من أمر اللغة وما اعوجّ من طرق الفلسفة وما عمّت به البلوى من التقليد الاوربي ، وكثيراً ما رأيت القصيدة من هذا الشعر كامرأة سُلخ وجهها ووضعت لها جلدةُ وجه ميت .... والناظم من هؤلاء لا يُصَرِّف الشعر على حدوده النفسية ولا يحكمه فيها بل تصرفه الالفاظ كيف اتفقت له على وجوهها الملتوية وتسوسه المعانى سياسة عمياء فقدت باصرتيها معاً ، ويحسبون كلامهم من النور العقلى ولكنه النور فى قطعه ثمانين ألف ميل فى الثانية فلا يكاد يقال فى هذا العالم حتى يخرج منه وينسى ويلحق باللانهاية...

وهذا الضرب من الصناعة الفاسدة هو بعينه ذلك النوعُ الصناعى الذى أفسد الشعر منذ القرن الخامس ، غير أن القديم كان فساداً فى الالفاظ يجعلها كلها أو أكثرها مُحالاً من الصنعة ، والحديث جاء فساداً فى المعانى يجعلها كلها أو أكثرها مُحالاً من البيان .

ويزعم اصحابُ هذا الشعر أنهم فلاسفة ولكنهم كذلك فى سرقة الفلاسفة لاغير .... ولو علموا لعلموا أن ألفاظ الشعر هى ألفاظ من الكلام يضع الشعر فيها الكلامَ والموسيقى معاً فتخرج بذلك من طبيعة اللغة العامة القائمة على تأدية المعنى الدلالة وحدها الى طبيعة لغة خاصة أرقى منها تؤدى المعنى بالدلالة والنغم والذوق .

فكل كلمة فى الشعر تُجتَلَبُ لمعناها من تركيبه ثم لموضعها من نسقه ثم لجرْسها فى ألحانه ، وذلك كله هو الذى يجعل للكلمة لونها المعنوى فى جملة التصوير بالشعر. وما يمرّ الشاعر العظيم بلفظة من اللغة الا وهى كأنها تكلمه تقول دعنى أو خذنى .

وكما انه لابد للازهار من جو الأشعة ، كذلك لا بد للمعانى الشعرية من جو اللغة البيانية ، فالبيان انما هو أشعة معانى القصيدة . وقد يحسبون أن الصناعة البيانية صناعة متكلفة لاشأن لها فى جمال الشعر ودقة التعبير ، وما ننكر أن من البيان الجميل أشياء متكلفة ولكنها تنزل من أساليب البلاغة العالية منزلة كمنزلة الظرف والدّل والخلاعة فى الحبيبة الجميلة .

ان هذه الفنون ليست من جمال الخلقة والتركيب فى المرأة ولكنها متى ظهرت فى الجمال الفاتن أصبح بدونها — وهو جميل دائماً — كأنه غير جميل أحياناً .

هنالك صناعة هى روح الحسن فى الحياة وصناعة مثلها هى روح الحسن أحياناً فى البلاغة (١) ، وما التراكيب البيانية فى مواضعها من الشعر الحى الا كالملامح والتقاسيم فى مواضعها من الجمال الحى . وكثيراً ما يخيَّل الىَّ حين أتأمل بلاغة اللفظ الرشيق الى جانب لفظ جميل فى شعر محكم السبك أن هذه الكلمة من هذه الكلمة كحب رجل متأنّق يتقرب من حب امرأة جميلة ، وعطف أمومة على طفولة ، وحنين عاطفة لعاطفة ، الى أشباه ونظائر من هذا النسق الرقيق الحساس. فاذا قرأت فى شعر اصحابنا أولئك رأيت من لفظ كالشرطى أخذ بتلابيب لفظ كالمجرم . . . الى كلمتين هما معاً كالضارب والمضروب . . . . الى همج ورعاع وهرج ومرج وهيج وفتنة . أما القافية فكثيراً ما تكون فى شعرهم لفظاً ملاكماً . . . ليس أمامه الا رأس القارىء .

وكما يهملون اختيار اللفظ والقافية يتسقطون فى اختيار الوزن الملائم لموسيقية الموضوع فان من الاوزان مايسخر فى غرض من المعانى ولا يسخر فى غيره كما أن من القوافى ما يطرد فى موضوع ولا يطرد فى سواه ، وانما الوزن من الكلام كزيادة اللحن على الصوت يراد منه اضافة صناعة من طرب النفس الى صناعة من طرب الفكر ، فالذين يهملون كل ذلك لايدركون شيئاً من فلسفة الشعر ولا يعلمون أنهم انما يفسدون أقوى الطبيعتين

---

(١) لنا كلام طويل فى فلسفة الاسلوب البيانى سنذكره ان شاء الله فى كتابنا الجديد (اسرار الاعجاز)

فى صناعته إذ المعنى قد يأتى نثراً فلا ينقصــه ذلك عن الشعر من حيث هو معنى بل ربما زاده النثر إحكاماً وتفصيلاً وقوة بما يتهيأ فيه من البسط والشرح والتسلسل، ولـكنه فى الشعر يأتى غناء وهذا ما لا يستطيعه النثر بحال من الاحوال.

فاذا لم يستطع الشاعر أن يأتى فى نظمه بالرويّ المونَق والنَّسج المتلائم والحبك المستوى والمعانى الجيدة التى تخلص الى النفس خلوص طبيعة الى طبيعة تمازجها، ورأيته يأتى بالشعر الجافى الغليظ والالفاظ المستوخمة الرديئة والقافية القلقة النافرة والمجازات المتفاوتة المضطربة والاستعارات البعيدة الممسوخة، فاعـلم انه رجل قد باعده الله من الشعر وابتلاه مع ذلك بزيغ الطبيعة وسرف التقليد فما يجيء الشعر على لسانه فى بيت الا بعد أن يجيء اللغو على لسانه فى مائة بيت أو كثر أو أقل.

ذلك قولنـا فى فن الشاعر، أما الـكلامُ فى موهبته التى بها صار شاعراً وعلى مقدارها يكون مقدارهُ واتصالُ أسـبابه أو انقطاعـُها من الشعر، فذلك بابٌ لايمكن بسطُ المعنى فيه ولا تحصيلُ دقائقه الا إذا صُوِّرت روح الشاعر فى تركيبها الدقيق المعجز ووُزنت فى مـيزانها الالهى وعُرف نقصُها إن نقصتْ وتمامُـها إن تمت، وأمكن تَتَـبُّعُ مواقعها من أسرار الاشياء ومساقطها من منازل الالهام، وهذا ما لا سبيلَ اليه الا بالتوهمُ النفسيِّ فان الأرواح القوية يلمح بعضها بعضاً وقد تـكون لمحةُ الروح الشاعرة لروح مثلها هى تَدَبُّرُهَـا ووزنها وادراك ماتنطوي عليه كما ترى من وضع النور بازاء النور فانهذا الوضع هو نفسُه وزنٌ لـكليهما فى ميزان البصر دون أن يكونَ ثَمَّةَ موازنة الا فى التألق والشعاع. فهما فى هذه الحالة نوران يضيئان ولـكنهما أيضاً كلمتان يبينان عما فيهما من الا كثر والاقل.

لهذا قلنا إن الشاعر لايتسع لنقده ولا يحيط به الا من كانت له روحٌ شعرية تـكافئهُ فى وزنها أو تربى على مقداره. فان هناك قُوًى روحيـة لادراك الجمال وخلقه فى الاشياء خلقاً هو روح الشعر وروحُ فنه، وقوًى أخرى لصلة العواطف بالفـكر صلة هى سر الشعر وسر فنه، وقوًى غير هـذه وتلك لتحويل ما يخالجُ النفسَ الشاعرةَ تحويلَ المبالغة التى هى قوة الشعر وقوة فنه، وبمجموع هـذه القُوى كلِّـها تمتاز روحُ الشاعر من غير الشاعر. أما ما تمتاز به هـذه الروحُ من روح شـاعرة مثلها فهو مايكون من تَفـاوت المقادير التى يهبها الله وحـده فيخص شاعراً بالزيادة وآخر بالنقص، ويهبُ أسبابها التى تـكون عنها فيوسع لواحـد ويضيق على الآخر. واذا تمت تلك القوى واستحكمت تهيـأ منها للشاعر جهاز عصبى خالص هو جهاز التوليد لا يمر به معنى الا تجسَّدَ فيه بصورة غير صورته.

وقد استوفينا الكلام على ذلك فى مقالنا « شرح النبوغ فى الأدب »[1] وهو لا غيره سر العبقرية .

فأمثلُ الطرق فى نقد موهبة الشاعر ادراكها بالروح الشعرية القوية من ناحية إحساسها والنفاذ الى بصيرتها ، واكتناه مقادير الالهام فيها ، وتأمل آثارها فى الجمال ، وتَدبُّر طبيعتها الموسيقية فى الحس والفهم والتعبير ، وتبين قدرتها على الفرح والحزن بأشجى وأرق ما تهتاج فى النفس الحساسة ، ومعرفة قوة التحويل فى عواطفها للمعانى الانسانية والطبيعية تحويلا يجعل القوة أقوى مما تبلغ والحقيقة أكبر مما تظهر وتأتى بكل شىء ومعه شىء . وليس ينتهى الناقد الى ذلك الا بالبحث فى الأغراض أى « المواضيع » التى نظم فيها الشاعر وما يصله بها من أمور عيشه وأحوال زمنه وكيف تناولها من ناحيته ومن ناحيتها وماذا أبدع ، ثم فى أى المنازل يقع شعره من شعر غيره فى تاريخ لغته وآدابها ، ثم نظرته الفلسفية الى الحياة ومسائلها واتساعه لأفراحها وآلامها وقوة أمواجه الروحية فى هذا البحر الانسانى الرجَّاف المتضرِّب الذى يبلغ فى نفوس بعض الشعراء أن يكون كالاقيانوس وفى بعضها أن يكون كالمستنقع . . . ثم دقة فهمه عن وحى الطبيعة والاشراف على جلية معناها بالهمسة واللمسة وتَسقُّط إلهام الغيب منها بالايماءة واللحظة . وهذا كله لا يستوسقُ للناقد العظيم الا اذا كان معروحه الشعرية التى اختص بها آثار الشعراء فى لغته بصيراً بمآخذها محكما لاسباب الموازنة بينها متصرِّفاً مع ذلك بأداة قوية من صناعة اللغة والبيان وفنون الأدب .

واذا كان من نقد الشعر علمٌ فهو علم تشريح الافكار ، واذا كان منه فنٌّ فهو فنُّ درس العاطفة ، وإذا كان منه صناعة فهى صناعة إظهار الجمال البيانى فى اللغة .؟

مصطفى صادق الرافعى

(١) نشر فى مقتطف شهر يناير هذه السنة .

العقاد فى الميزان

(١)

(تداعى الأفكار ونقد الشعر)

لقد تأخذنا الشفقة على عباس افنـدى محمود العقاد ، وقد تبلغ بنا الشفقة عليه ان نبدى له النصيحة خالصة لوجه الله ، لعله يتهذب ولعـله يدجن ويستأنس ويسلس قيـاده ويصقل ناسوته ، وتقوى فيه الناحية البشرية التى لا يبدو منها فى حاضره الا القامة المديدة وتقاطيع الوجه وتفصيل الجسم بيـدين ورجلين ، على الناحية الحيوانية التى تبعث فيه ذلك السعار ، فيستشرى ساباً صاخباً متبرماً بالادب والأدباء ، وبالحيـاة والاحياء ، ويخيل اليه مع حيوانيته هـذه انه العظيم المظـلوم وانه العبقرى الذى لا يكتب الناس عن كتبه راكعين ساجدين معفـّرين وجوههم أمام عظمته العالميـة ، وانه النـابغة الذى لا تنشر صورته الكاريكاتورية قبل ان تنشر صور غيره من المطموسين المصطولين أمثال من ؟ .... والله ان القلم ليعجز عن أن يذكر اسمـاءهم خجلاً من شتم العقاد للافذاذ الذين نعتهم بهذه النعوت . على أن هـذه الشفقة إن بلغت الحدّ الذى يحملنى ان أُزجى اليه النصيحة خالصة لوجه الله ، فانها تدفعنى من ناحية أخرى الى ان انبه الكتاب الذين ينتقـدون العقاد بل اتوسل اليهم ، ان يأخذوه فى رفق ولين وان لا يقسوا عليه فى النقد وان يتجاوزوا عن الكثير من أخطائه الادبيـة والنفسية ، لأن الرجل احوج الى العـلاج والى الجرعات المهـدئة منه الى الجرعات المهيجة ، ولعل الكتاب يشفقون معى عليـه ، فيأخذون فى تحليل ذات نفسه تحليـلاً ، ولعلهم يهتدون الى العلاج الناجع فتنقذ العقاد من نوبات ذلك الهـلاس الذي يصيبه كلما نظر فى شيء مما كتب أو يـكتب . ولا أظن الا أننى اعاون الادباء فى القيام بهذا الواجب نحو زميل حلت به كارثة ، فأصارحهم جاداً لا هازلاً ، آسفاً شاعراً بما على من مسئولية، ان العقاد مصاب « بجنون العظمة » . ووالله انى لا أتحامل عليه ، بل أقول فيه ما اعتقد أنه الحق . ووالله انى لمعتقد بجانب انه مصاب « بجنون العظمة » أنّ هذا الطور قد ولد فى عقليته فـكرة ثابتة permanent thought وهو طور من الانحراف العقلي يصيب بعض الناس ، فيبدو المصاب به عاقلا فى كل تصرفاته قياساً

فى كل معاملاته، اللهم الا اذا مست هذه الفكرة الثابتة بخير أو بشر ، فهنالك يأخذه الهلاس. والفكرة الثابتة فى عقل العقاد انه الاديب الفرد، وانه الكاتب الفرد، وانه الشاعر الفرد ، وانه الجبل الاشم الطويل ، فكيف تتطاول اليه فقاقيع الادب وحثالة هذا الزمن من الكتاب والادباء ؟ والظاهر من حدة النوبات التى تصيب العقاد ، ان الاصابة مستمكنة من نفسه الى الحد الذي لا تجدى فيه الجرعات الشديدة وانى اقترح على الأدباء أن يعالجوه بجرعات هادئة ، وان يوجهوا كل جهدهم كى يظهروا للعقاد أنه يزن نفسه بميزان فى إحدى كفتيه مليون طن من العرفان البارز الشديد ومعها العقاد ، وفى الأخرى عدد من أدباء هذا البلد كلهم من الوزن الخفيف ، فاذا شالت كفتهم خيل للعقاد أنه هو الذي رجحهم ، لا العرفان . أما هذا العرفان فالسفاهة التى عُرفت فى العقاد والدعوى العريضة والغرور وجنون العظمة . وانى لاقسم مرة ثالثة بانى ما عدوت فى هذا شيئاً من عقيدتى فى عباس افندى محمود العقاد وفيما هو مصاب به من مرض نفسى تأصل فيه وزاده تجاوز الادباء طغياناً على نفسه ، يرحمه الله .

ولقد أخطأ كثير من الكتاب فى وصف الجرعات التى يجب أن تسقى للعقاد: فذهب البعض الى القول بانه يسرق قصائده من شعراء الانجليز مثل شيلى وكيتس وغيرهما من فحول الادب العالميين ؛ وظنوا أن هذه الجرعة مهدئة نوعاً ، والذى أراه ان هذه الجرعة تحرك فى نفسه عوامل الزهو الى درجة تبعده عن الاتزان . ولكن الجرعة التى تهدئ أعصاب العقاد على ما اعتقد هى أن يواجه بالحقائق ، لان للحقيقة صدمة لها أثر يجدد الانفعال ، ولكنها تنتهى على كل حال بهدوء نوعى. والذين يقولون إنّ العقاد يسرق قصائده من أدباء الانجليز انما يسيئون إلى الادب الانجليزى بأن تكون فيه أشباه السخافات التى ينظمها العقاد نظماً فاسد النواحى ، ويفرضون أن العقاد يعرف الانجليزية معرفة تمكنه من الوقوف على دقائق المعانى الشعرية فيها . وهذا كثير وكثير جداً على العقاد ، لانها جرعة تزيده غروراً وتطوح به إلى الشذوذ العجيب . ذلك فى حين ان الواجب يدعونا الى أن نجابهه بالحقيقة . والحقيقة ان معرفة العقاد باللغة الانجليزية سطحية لا تمكنه من الوقوف على دقائق المعانى الشعرية الا الى الحد الذى يستطيعه المعجم الذى يضم مفردات اللغة من فهم لفلسفة سبنسر مثلاً . ومعرفة العقاد باللغة الانجليزية لا تتعدى المعجم . واحاطته بالآثار الادبية الانجليزية لا تزيد عن أنها مذاكرات لقليل من « المطالعات reviews » التى تظهر نقداً أو تعريفاً بالكتب مما تنشرها

المجلات والجرائد فى صحائفها الادبية وهي كثيرة ، وقد يظهر للكتاب الواحد عشرات من المراجعات فيها مختلف الآراء وفيها مختلف الاتجاهات فى الوزن والتقبيح ، فيكب « العقاد المعجم » عليها ويستوعب منها « العقاد المعجم » ما يستطيع استيعابه وعلى قدر فهمه للغة ، ثم يصيغها فن العربية باسلوبه المعروف غير مسؤول بالضرورة عما فيها من خطأ أو صواب . وانما تظهر فى مجموعها كأنها نتيجة الدراسة ، ولكن للمراجعات التى تنشرها الصحف عن كتب الادب .

وشأنه فى هذا شأنه فى الشعر : فهو يسطو على الدواوين الانجليزية ولكن الذي يسطو عليها فى الحقيقة هو « المعجم » لا العقاد . فتخرج المعانى محللة غير متماسكة ، وكأنها معرض عام لسلع « تحت الربع » . أما اذا أخذ العقاد الهلاس هذه المرة ، فان الجرعة المهدئة التى أضعها له هى ان أتحداه أمام ادباء يعرفون الانجليزية ونختار له قطعة من الشعر على أن يترجمها نثراً لا شعراً . . . . ثم نصحبه بعشرة معاجم انجليزية .

على اننا سنعالجه فى هذا النقد بجرعة ابتكرناها للعقاد سميناها « جرعة العقاد فى نقد الشعر » ، ومن خصائصها انها تركيب علمى مكون من عناصر لايمكن أن تنالها المسائل الخلافية من حكم الذوق أو الاختيار ، سوف يكون لها على العقاد أثر كبير فى تهدئة أعصابه المضطربة ، فاذا لم تنفعه وأصابه الهلاس مرة أخرى ابتكرنا له غيرها ، وقد آليت على نفسى ان لا أتركه الا شخصاً له اتزان العقلاء ، حسبة منا لوجه الله الكريم .

أما هذه الجرعة المبتكرة فتتكون من مبدأ أساسى فى علم النفس عن لنا أن نطبقه فى نقد الشعر لأول مرة فى تاريخ النقد . أما وصفها فاعلم ان فى علم النفس مبدأ سماه علماء السيكولوجيا تداعى الافكار (association of thoughts) وقد يقول البعض اشتراك الافكار أو تسلسل الافكار أوجر الأفكار وعندى أن تداعى الافكار أقوم اصطلاح للتعبير عن المقصود تماماً ، لان الفكر يدعو الفكر .

ولقد كان لمباحث النفعيين فى انجلترا أكبر الاثر فى تحديد هذا الاصطلاح والتعريف به فى خلال القرن الثامن عشر . وكان للفيلسوف الانجليزى هرتلى الاثر الاول فى شرح هذه القاعدة فقد عرفها القدماء قبل هرتلى امثال ارسطو وأبيقور وكان الفيلسوف لوك الانجليزي أول من استعمل اصطلاح تداعى الافكار وسماه (association of ideas) غير انه لم يطبق هذا المبدأ الا فى دائرة ضيقة .

على اننى أريد قبل المضى فى تطبيق هذا المذهب على الشعر وعلى شعر العقاد أولا أن أشرح بعض المقاييس فى نقد الشعر لتكون قاعدة للكلام فى شعر العقاد

اذا تناول شعره مقياساً منها ، وسأقتصر هنا على ذكر أهم المقاييس ثم أعقب على ذلك بشرح المقياس الجديد الذى أطلق عليه « تداعى الافكار فى نقد الشعر » .

المقياس الاول — فى اللفظ

قال الفيلسوف (لوك) انه يخرج عن طوقنا ان نزيد على معانى الالفاظ معنى جديداً لم يكن لها من قبل لاننا نتلقى الالفاظ عن أسلافنا محدودة المعانى محصورة الدلالة — فلا يمكن اذن ان ندعى انه فى مستطاعنا ان نضيف الى معانى الالفاظ معانى جديدة صرفة لاتحتملها مدلولات الالفاظ على ما تناولناها من أسلافنا . وهذه القاعدة تطرد فى الشعر وفى النثر : فليس الشاعر باكثر قدرة من الناثر على خلق معانٍ أو مدلولات جديدة للألفاظ وكلاهما شرعٌ فى العجز عن ذلك . اذن فما هى القيمة الحقيقية التى تجعل اللفظ عنصراً من عناصر التركيب الشعرى ؟

أما هذه القيمة فتأتى عن ناحية الجو الذى يخلقه اللفظ فى سياق الشعر : فان الشاعر يحتاج الى المام واسع بألفاظ اللغة ومشتقاتها وتصريفها واوجه البلاغة والبيان فيها. وبذلك يستطيع ان يتخير اللفظ الحسن ، الموسيقىّ الوقع. ولموسيقى اللفظ اثر فى خلق ذلك الجو الذى نسميه « الجو اللفظى » فى الشعر على ان يقع اللفظ من السياق موقعاً متخيراً لاينِدّ عنه السمع ولا يفسد معه المعنى ، ولا يسقط به الخيال ، وبحيث تكون كل ملابسات اللفظ غير ممجوجة ، فتبقى الوحدة التى يحاول الشاعر ان يملك بها نفس قارئه متصلة السياق من غير أن يؤثر اللفظ النابى فى تشتيت هذه الوحدة وقطع تسلسلها ، فان للشعر وحدة اذا فقدها فقد كل ما فى الشعر من جمال الصناعة وقوة الحبك ، وفقد الاثر الذى يحاول الشعر ان يتركه فى نفس القارىء .

المقياس الثانى — الموسيقى

ان بين الشعر والموسيقى آصرة قويةً : فقد تجد شعراً حسن اللفظ مختار المفردات قوى الصناعة حلو الديباجة ثم تشعر بان هذا الشعر ينقصه شىء هو الموسيقى . ولحسن الوضع مع اختيار اللفظ اكبر اثر فى موسيقى الشعر.

مثال ذلك : أسمعنى الشاعر النابه على محمود طه قصيدة له مطلعها :

لاتفزعى يا أرض أو تفرقى   من شبح تحت الدجى عابر
ما هو الا آدمىٌّ شقى   سموه بين الناس بالشاعر !

ثم أخبرنى بعد ذلك انه يستحسن ان يغير لفظة « أو » من الشطر الاول بلفظة « لا » فيكون البيت :

لاتفزعى يا أرض ! لا تفرقى   من شبح تحت الدجى عابر !

فكان له من ذلك أن أبدع جواً موسيقياً آخر فخم الموسيقى وجعل للبيت روعة جديدة تفقدها مع «أو» وتأنسها مع «لا»، ذلك فى حين للفظة «أو» فى الوضع الأول نصيبها من ألفة الموسيقى، ولكنها ألفة غير الألفة التى تقع عليها فى تركيب البيت على وضعه الثانى.

ومثل آخر: كان نسيم يسمع حافظاً رحمه الله قصيدة له هذا مطلعها:

دمٌ هو عند الله أزكى وأكرمُ ألا فى سبيل الله ذيالكَ الدمُ

والبيت فيه موسيقى حسنة وله تركيب قويم، ولكن حافظاً أشار على نسيم بأن يقلب الصدر عجزاً والعجز صدراً فيكون:

ألا فى سبيل الله ذيالكَ الدمُ دمٌ هو عند الله وأزكى أكرمُ

فزادت بذلك الموسيقى فخامة ولبستها روعة لا تجدها فى الوضع الأول، وأصبح مطلع القصيدة خطابياً ورناته تشعر ببهزة جديدة مع أن التركيب لم يتغير والالفاظ واحدة والمعنى هو بذاته. وهذا سر من أسرار الصناعة فى الشعر، لا يلاحظه كثير من الشعراء، فيخرج شعرهم ناقص الموسيقى إن لم يفقد الموسيقى بتةً، والموسيقى من العناصر الاساسية فى تجويد الشعر.

المقياس الثالث — المعنى

لابد أن يكون المعنى متسقاً متسلسلاً بعيداً عن الانقطاع، لأن لجمل المعنى أثراً كبيراً فى الاحتفاظ بألفة القصيدة، فاذا لم يحتفظ فيها بالاتساق بدت كرقع الثوب المختلفة الألوان. مَـثَلُـكَ إذا أخذت قطعاً من روائع الفن المعمارى وحاولت أن تكوّن منها وحدة فاذا لم تراع الالفة فى ذلك التكوين أخرجت من هذه الروائع المفردة كلاً قبيحَ الصورة بعيداً عن الجمال.

المقياس الرابع — الوزن والقافية

لا اختيار للشاعر فى الوزن ولا فى القافية، فانه لا يعرف من أى وزن ولا على أيه قافية سوف تكون قصيدته قبل أن يضع أول بيت فيها غالباً، ولكن عناصر الشعر تراعى فيما بعد ذلك. على أن مطالع القصائد تكون فى الغالب أقوى من نهاياتها، لأن المطلع يطغى على كل ما يجيش بصدر الشاعر من الانفعالات والاحاسيس فيُلقى فيه بكل ما يحس ويشعر. والقصائد الضعيفة المطالع قصائد ميتة غالباً، ولكن

الاوزان والقوافى تتفاوت من حيث الوقع والموسيقى. وملاءمتها لمقتضى الحال ترجع الى الحاسة الموسيقية التى تلابس نفس الشاعر فى مختلف الحالات. وهذه هبة يتفاوت فيها الشعراء تفاوتاً كبيراً.

المقياس الخامس — الخيال الشعرى

هو الذى ينتج الوحدة التى تتركها القصيدة فى نفس القارىء. فاذا توزع هذا الخيال وتفكك فقد الشعر قوة الوحدة التى هى من صناعة الشعر بمثابة المثل الاعلى الذى يرمى اليه الشعر.

المقياس السادس — الذوق الشعرى

وهو المقياس الجديد الذى أريد ان أطبقه فى الغالب على نقد شعر عباس أفندى محمود العقاد، ولا شأن لنا بشرح هذا المذهب من الوجهة السيكولوجية بل نمضى فى شرحه بالامثال: فاذا قلتَ مثلاً « صادق الرافعى » دعت الفكرة فيه فِكَراً أخرى من أشد الفِكَر فى ذهنك تعلقاً بالاديب الكبير، وأهمها بمناسبة نقده للعقاد مقالاته فى « البلاغ ». ثم اشتركت مع هذه الفكر اذا كنت قرأت مقالاته مايتعلق بهذه المقالات، وتشبيه العقاد بثور كبير يفرّ من الجزار فراراً بعد أن يخيل اليه ان الله بعثه فى هذا الزمن ليزحزح الجبال، ثم بيتاً من شعر العقاد يخرج من يده مغمىً عليه والعقاد يسعفه بالشرح الذى هو بمثابة التنفس الصناعى!

على ان تداعى الافكار فى الشعر له ثلاث حالات: فأما لفظ يدعو فِكَراً أخرى، وإما معنى مجملاً من بيت أو عدة ابيات يكون معنى يدعو معانى او فِكَراً أخرى، وإما لفظ او تركيب لا يدعو اى معنى ولا اى فكرة. والمعانى والفكر ندعوها القرائن لان لكل لفظ أو معنى قرينة تدعوه اليها من الذهن ويتصورها تصوراً. إذن فمن الالفاظ المستعملة فى الشعر ما يدعو قرائن تفسد الذوق الشعرى وتشوب الخيال بالتدنّى والاسفاف كقول العقاد:

تنشّقت مِن فيكَ عطر الثما ... رِ أو نكهةَ العنب الناضجِ
فلو قلتَ أطعمتنى قبلةً ... لأنبأت عن صدقِ الطازجِ

خذ مثلاً قوله « صدق الطازج » فما هى القرائن التى يدعوها « الصدق

الطازج » ؟ لايدعو شيئاً ! وهنا تشعر بفضاء وخواء فى الخيال ، إذ لايمكنك أن تتصور معها شيئاً ؛ لامعنى ولا خيالاً ، وهذا من مفسدات الشعر والالفاظ التى تدعو قرائنَ ولو فى ابتذالٍ وتدنٍّ خير من الالفاظ الخاوية التى لاتدعو قرائن البتة . « فالصدق الطازج » كلام ليس بعده شىء ، كلام حيث لايدعو صورة ولا فكرة ولا خيالاً . وهذا أيضاً مما يميت الشعر ويولد فى النفس شعوراً بالامتعاض والنقص ، لان القارىء يشعر بانه خرج من عالم فيه شىء الى عماءٍ لا شىء فيه دفعةً واحدةً ، أو كمثل من يخرج من حمام بخارى حرارته ٤٥ سنتجراد ، الى معمل ثلج تنقص درجة حرارته عن الصفر عشرين درجة !

ومن الذوق الفاسد أن يقول العقاد « تنشقت » ولا يقول « تنسمت » لان الاولى لفظة فاسدة القرينة فى الشعر ، لان التنشق يدعو السعوط والتنحنح والعطاس أو تنشق الماء عند الوضوء والتنحنح ثم البصق ، وهذه كما قلنا تدعوها القرائن. ذلك فى حين ان « تنسمت » لفظة جيدة القرينة ، لان التنسم يدعو هواءً بليلاً وعطراً تحمله نسمة عابرة . فأين قرائن الأولى من قرائن الثانية ؟

وفساد القرينة يكون دائماً على مقتضى وضع اللفظ فى موضع ما، فلفظة فاسدة القرينة فى موضع قد تكون جيدته فى موضع آخر . فالحكم على فساد القرينة أو جودته يكون دائما على مقتضى الوضع والمعنى والسياق . ولماذا تكون « أطعمتنى » فاسدة القرينة؟ لانها فى مجال الكلام عن قبلة ، ومن قرائن الاطعام المضغ واللوك وسيل اللعاب وتحريك الضبتين . وهذا لا يكون فى مجال القبل ، الا عند العقاد . فأطعمتنى مثل ألقمتنى أوأبلعتنى ، ولكل من هذه قريناتها : فألقمتنى تدعو فكرة العقاد فاغراً فاه جهد اتساعه وفى فم حبيبه « قبلة » كأنها حجر . وأبلعتنى تدعو فكرة العقاد يزقه حبيبه القبل كما يزق الطير أفراخه . وبئس الحبيب والقبلات ! ولو أنه قال :

تنسمتُ من فيكَ عطرَ الثما ... رِ أو نكهةَ العنبِ الناضجِ

ثم حذف البيت الثانى لاستقام المعنى وصلح وجادت كل القرائن التى تدعوها لفاظ البيت . ولقد وقعت كلمة « أطعم » فى شعر العرب كثيراً فكانت فى الغالب جيدة القرينة كقول المتلمس :

آليت حَبَّ العراقِ الدهرَ أطعمهُ ... والحبُّ يأكله فى القرية السوسُ

لان الحب مما يطعم . أما القبل . . . فهي أيضاً مما يطعم أو يلقم أو يبلع ولكن بتلك الصورة عند العقاد وحده .

ولا يقتصر فساد القرينة أو جودتها على الالفاظ : فقد تكون كل الالفاظ جيدة القرينة ، ولكن تركيبها ووضعها يخرج معنى فاسد القرينة كقول بعضهم :

ترهف الاذن نحوها ثم تغضى في ذهول يجيب بالاغضاء

فارهاف الاذن ثم ارخاؤها يستحدث معنى يدعو فكرة بهيمة لا فكرة شاعر يدعو الذكريات ، وكفى !

* * *

سأمضى الآن في نقد شعر العقاد من ناحية الذوق الشعرى ، وأطبق المقياس الجديد على « وحى الأربعين » لعلنا نخلص من ذلك بطريقة جديدة معقولة من النقد يكون العقاد موضع تطبيقها لأول مرة . أما بقية المقاييس فقد نشير اليها عند الضرورة ، ثم نعود الى نقد شعره من ناحيتنا اذا رأينا ضرورة لذلك واتسعت صفحات (أبولو) لمثل ذلك النقد .

« الخلاصة الأولى والأخيرة » ـ قال العقاد :

صح جسماً فشاقت الارضُ عينيه جمالاً وفتنةً وصباءَ
صح نفساً فشاهت الناسُ حتى كرهَ الأرضَ حوله والسماءَ
عجباً للحياة ما سرَّ فيها جانبٌ ترتضيه الا أساءَ !

والمعنى هنا مختلّ في عدة مواضع : فمعنى السوء هنا ينصرف على الجانب الذى يُرضى في الحياة ، في حين انه يريد أن يقول إنه ما أرضى جانب في الحياة الا أساء غيره ، وأن الحياة ترضى الجسم دون النفس ، لان ما فيها من السوآت يرضى الجسم وليس فيها من حسنات ترضى النفس . غير ان تركيب الشعر هنا يدل على تعمل يقصد به اظهار الحياة في ثوب بغيض على غير حقيقة ، ولا يستقيم المعنى الا اذا انصرف السياق الى انه ما أساء جانب في الحياة الا وأرضى غيره . ولكن وضع القطعة بحيث يظهر ما يسيء معقباً لما يرضى ، يشعر بان الحياة ترضى لتسيء فقط ، في حين أن الحياة قد تسيء لترضى في كثير من الاحيان . وفي هذا انكار لطبيعة تعاقب الصور والحالات من الحياة ، على الضد من كل تجانس في نظام الطبيعة . والبيت الاخير هو محور القطعة ولم يقصد به الا تفسير البيتين الاوَّلين ، فعجز العقاد عن التعبير بما ينصرف عليه المعنى الذى أراده من بيتيه الاوَّلين وخرج بمعنى يُظهر ان ما يسر في الحياة لا بد من أن يسيء اطراداً !

و« كره الارض حوله والسماء » تحدث معنى يدعو الى الفكر ان الارض حوله كما أن السماء حوله لا من فوقه، وان النفوس اذا صحت لم تكره الارضيات وحدها بل تكره العلويات أيضاً . وفى هذا فساد للمعنى عند من يقرأون الشعر ليفهموا دقائق معانيه. و« ترتضيه» تنصرف على الحياة مباشرة، فيكون المعنى ان كل ماترتضى الحياة من جوانبها الشتيتة لابد من ان تقصد به الاساءة فى حين ان المقصود « ترتضيه» اى ان الجانب الذى نرضى به فى الحياة لابد من أن يسىء، وسواء أ كان هذا أم ذاك ففى المعنى تفكك وانشعاب يفسد القطعة كل إفساد .

« سحر الدنيا » ـ قال العقاد :

أفيمضى بسحرها كاهنُ ما ت وفيها الشموسُ والاغصانُ ؟ !

فى البيت ضعف كبير فى التعقيب لان مابين الشموس والاغصان فارق لايحد ولو انه قال الظلال والاغصان لتلاءمت النواحى التى تقترن بالمعنى فى الذهن ، ولاستقام التعقيب : فلا يصح مثلا أن نقول السماء والحذاء والنجم والحصى الا فى مقام المفاضلة أو المقابلة لافى مقام تعقيب ، وهذا يدل على تفكك فى وحدة الخيال يدعو الى الذهن صوراً سريعة تنهب الفضاء من السماوات العلا الى الارض الدنيا ، ولا تترك بعدها الا خواء لا صور فيه الا كصور السينما اذا عُرض الفلم بسرعة ألف ميل فى الساعة !

« جلال الموت » —قال العقاد :

أرى فى جلال الموت إن كان صادقاً جلالةَ حقٍّ لا جلالةَ باطلِ !

انظر الآن ما يدعو هذا المعنى من الفكر والصور . فهل هنالك جلال موت كاذب ؟ وهل هنالك موتان أحدهما كاذب والآخر صادق ؟ وإن كان الموت كاذباً فهل يرى العقاد جلالة باطل لاجلالة حق ؟ واذا كان للحق جلالة فهل للباطل أيضاً جلالة ؟ وما هى جلالة الباطل ؟

ثم يعقب على هذا البيت ببيت آخر يقول فيه :

فلاتجعلنَّ الموتَ حجةَ كاذبٍ لمدحةِ مذموم ٍ ورفعةِ سافلِ

وهو يريد أن يقول لا تتخذ الموت ذريعةً لمدح من لا يستحق المدح . فيقدم لما يريد بهذه المقدمات الطويلة الفاسدة التى تدعو الى الذهن صوراً قلما يخلص منها بالمعنى المراد الا بجهد شديد ، لان تكاثر الصور المتنافرة فى الشعر مضيعة للشعر وللمعنى معاً .

« رأى واحد فى وضعين مختلفين » — قال العقاد :

زعموا الانسانَ قرداً قد تَرَقَّى وتَحَلَّى
واناسٌ يزعمون الـ قرد انساناً تَدلَّى
هو رأىٌ واحدٌ نقـ لبه علواً وسفلا

اغمض عينيك الآن ايها القارىء وتصوَّر رأياً واحداً كهذا ثم اقلبه علواً وسفلاً ، واستجمع الصوَّر التى يمكنك أن تستخلصها من معنى العقاد : فالبيت الاول يدعو للفكرة فى مذهب النشوء والتطور . ثم يقابله فى البيت الثانى خرافة عجائز طولون اللاتى يقلن بأن القرد انسانٌ سُخط لخطيئة أتاها لعلها كخطيئة العقاد فى نظم الشعر . ثم حاولْ ان يطَّرد فى ذهنك قلب المعنيين علواً وسفلا . فهل يطاوعك عقلك أو خيالك أو حتى وهمك ؟ قل مثلا إن النشوء والترقى هو بعينه الانحطاط والتدنى ، قُلِبَ علواً ، وقل إن الانحطاط والتدنى هو بعينه النشوء والترقى ، قُلِبَ سفلاً ، ثم خذ بتلابيب العقاد ولا تتركه إلا فى صحراء العباسية. تقول مثلا: أكل الفأر الخشب ، وحطمت الشجرة الهواء . فيقول لك العقاد : اقلب هذا المعنى وانت تخرج من ذلك بنفس المعنى والصورة . قل : أكل الخشبُ الفأر وحطمت الشجرة الهواء ! وبهذا يريد العقاد ان يكون شاعراً فيلسوفاً يؤدى رسالة التخريف والتهريج لاهل هـذا الجيل. يرحمنا الله من العقاد ويرحم العقاد من نفسه !

« الحياة والتفكير » — قال العقاد :

ما لى أفكر فى الحياة ولا أرى شيئاً يقرّ بها على التفكيرِ
انىّ مضيتُ بها انقطعتُ كأننى شجرٌ على الدنيا بغير جذورِ

وأنت ترى أن الخطاب فى الشطر الاول من البيت الثانى للمفرد ويعنى بهذا المفرد نفسه فيقول كأننى ثم يأتى ماذا ؟ يأتى شجر وهو جمع... وللتشبيه فى علم البيان أربعة أركان وهى طرفاه ووجهه وأداته . فاذا قلت « العقاد كالنعامة فى الفرار » من الرافعى مثلاً — فالعقاد هو المشبَّه والنعامة المُشبَّه به ويقال لهما طرفا التشبيه والفرار وجه الشبه والكاف أداة التشبيه . فهل يصح أن يقول مثلاً « العقاد كالنعام فى الفرار » والعقاد مفرد والنعام جمع بينما نعامة واحدة تكفى لتشبيه العقاد على ما أرى ، كما ان شجرة واحدة بغير جذور تكفى لتعريف العقاد ؟ وتصور العقاد غابة من شجر البلوط أو السنديان اجتثٌ من فوق الأرض ماله من قرار ! وما صدق العقاد فى شىء صدقه فى هذا ... فهو شجرة بغير جذور ، تستطيع أن تخلعه من عالم الشعر فلا يقاومك فى خلعه جذر واحد يمتٌ الى الشاعرية الصادقة بسبب.

وكان خير له أن يقلب البيتين وما أبرعه فى قلب المعانى فيقول :

مالى أفكر فى الحياة ولا أرى   شيئاً يقرّ بها على التكوين
أنّى مضيتُ بها انطرحتُ كأننى   ثورٌ على الدنيا بغير قرون !

وهنا وهنا فقط يصح تشبيهه .

« أم شحيحة » — قال العقاد :

يا شحّ دنيا لم تجُد   الا تولاّها الندمْ
لا ترضع الابناء الا   بدواة وقلمْ
وبالربا مضاعفاً   غُولِطَ فى كلِّ رقمْ !

ماذا يدعو المعنى هنا من الصور والافكار ؟ تدعو أمّاً هى الدنيا تقعد كما تتهيأ الامهات لارضاع أولادهن وقد أخذت العقاد على صدرها ثم أخرجت ثديها لترضعه ، فاذا بهذا الثدى دواة غمس فيها قلم من قصب مجوف أسلمت بطرفه الى فم العقاد لترضعه حبراً أسود أو أحمر . أما حقيقة هذا الحبر فعند العقاد خبرها اليقين .

ثم ادع لذهنك الربا المضاعف والمغالطة فى كل رقم ، ثم ادع قرائن هذا التعبير فهل يبدر الى ذهنك الاّ الصيرفى شيلوك فى رواية « تاجر البندقية » مع ما يتبع ذلك من الصور ؟

ثم على أى شيء يعود فعل « غولط » مبنياً للمجهول ؟ فاذ قال العقاد ان الربا هو الذى غولط ، فكيف يفسر المعنى ؟ وإذا قال ان أبناء الدنيا هم المعنيون ، كان من الواجب ان تضاف واو الجماعة الى الفعل فيقال غولطوا .وما تغالطنا الدنيا ولا الصيارفة ، ولكن يغالطنا العقاد ويدّعى انه شاعر .

هو وضميره

ولقد علّمنا مصطفى صادق الرافعى فى أحد ردوده على العقاد لغةجديدة تترجم بها التوريات التى يحشرها العقاد فيما يكتب لتدل عند العارفين بترجمة ما يكتب على حقيقة ما يريد ـ قال الرافعى :

«ونحن لا نقرأ الكلام كما يقرؤه الناس عادة بل نترجمه بما وراءه من أثر النفس وانفعالها وأحوالها وطبيعتها، فان النقد عندنا انما هو كشف روح الكاتب أوالشاعر ثائرة ومطمئنة ومزخرفة ومطموسة وسامية ومنحطة . فاذا ترجمنا كلام العقاد من قاموس نفسه عندنا كان هكذا :

١ عندى ما يشغلنى ـ ليس عندى ما أردّ به

٢ اذهب الى عالم الاشباح الذى أرسلت بك فيه منذ سنوات ـ دعنى الآن من فضلك كما تركتنى مدة سنوات مضت .

٣ لن تظفر منا بعد اليوم بجواب ـ هأنذا أعلنت هزيمتى» .

وما أشبه هذا ان يكون درساً جديداً فى قراءة العقاد نحاول أن نطبقه على «هو» اى العقاد و «ضميره» أى ضمير العقاد . قال يرحمه الله :

هو — ماذا أقول ؟ ظلمته وجحدته حق الثناء وانه لعظيمُ

يقول العقاد عن ضميره : والله انى مكسوف جداً من ضميرى ولا أدرى ماذا أقول بعد ان ظلمته وجحدته حق الثناء ، وقضيت من عمرى زمناً طويلاً واضعاً ضميرى على الرف كلما ألحَّت على حاجات الدنيا مع انه شىء عظيم كان من الواجب على ان لا أهمله كل هذا الاهمال ولا أن انبذه هذا النبذ الطويل .

ضميره — قل انه خير الانام ، وانه عالى المقام ، وانه مهضومُ

يقول ضمير العقاد للعقاد . لاتلم نفسك أيها العقاد على انك اهملتنى ونبذتنى ووضعتنى على الرف فانك على الرغم من اهمالك ضميرك وعلى الرغم من أنك نبذته فانت خير الانام جميعاً ، وانك عالى المقام ، وانك لم تهمل ضميرك الآن إلا لانك مهضوم الحقوق فى دنياك هذه .

هو — هيهات أخسر ذلك المال الذى تدري مصادره ، وانت عليمُ

العقاد لضميره — انفلق ايها الضمير ولا تأخذنى بهذا الخداع وبهذا النفاق! فهما لان ملمسك ومهما أغريتنى فهيهات أن تحملنى على ان اخسر فى سبيلك ذلك المال الذى تعلم من اين مصدره وكيف احصل عليه بكدّ النفس وبيع الضمير والفكر والقلم ، وكم احمل فى سبيل الحصول عليه من سب وشتم وعض ورفس .

ضميره — لك ان تبوح اذن بباطن سره وتلوم من هو فى الخفاء ملوم
قل إن رب المال اثقل خاطرى فكبا بحمل الصدق وهو كظيم

ضمير العقاد للعقاد : — مادام أن المال عندك فى هذه المنزلة وهو اسمى عندك منى (أنا ضميرك) اذن فليس بشىء أن تبوح بباطن السر الذى يأتيك بالمال وتصب اللوم على من اغراك بالمال لتبيعنى (أنا ضميرك) واعتذر عن ذلك بان صاحب المال اثقل خاطرك بالمال فكبا خاطرك وجعلك تقول غير الصدق ، وان خاطرك فى هذا كئيب كظيم .

هو — أفأنت خصمي يا ضميرُ ؟ أناصح لى بالجنون ؟ أهازل ؟ أسقيم ؟
اتريد أفضح آجرِ يَّ وارتدى ثوب الصغار ، فيبرح المكتوم ؟

وهنا يقول العقاد لضميره : لا شك فى أنك خصمى وعدوى أيها الضمير ما دمت تشير علىّ بهذا النصح الفاسد . يخيل لى انك تنصح لى بالجنون ! هل أنت هازل؟ هل أنت سقيم أيها الضمير ؟ هل تريد ان أفضح آجرِيّ واقول فيهم الصدق الذي أعرف وأفضح أسرارهم فارتدى بذلك ثوب الصغار مع زعماء الوفد ورجال صحافته الذين يعدونني بذلك المال الذى أبيعك من أجله ؟ هل تريد أن يبرح المكتوم وافضح هؤلاء بافشاء أسرارهم التي إن أفشيتها لبست أنا ثوب الصغار ولبسوا هم ثوب العار ؟

ضميره :

كيف الخلاص ؟ إذن تنقص قدره وامسخ فضائله ، ودعه يهيم
قل إنك الرجل الغيور ، وانه فدم ، وإنك بالعقول رحيم
لا ترتدى ثوب الصغار ولاتشى بالآجرين ، وغيرك المحروم
وتروح بين الناس صاحب سمعة ينفضّ حولك مسكها المختوم

يقول ضمير العقاد للعقاد : كيف اذن الخلاص من هذه الورطة الشديدة ؟ اذا كنت لا تريد ان تفشي سر الوفد ورئيسه الذي يمدك جاهه بالمال، اذن فلا سبيل لك الا ان تنتقص قدره وتمسخ فضائله بقلمك المقذع وسبابك وشتمك، وهو لا يلبث ان يهيم على وجهه فى الارض فراراً من عظمتك . أما سبيلك إلى هذا فهيّن : قل انك (العقاد) الرجل الغيور وانه (رئيس الوفد الذى يؤجر العقاد) فدم أي جاهل غبيّ وانك لا تريد ان تزيد على هذا شيئاً لانك رحيم بالعقول تحترمها ولا ترغب فى تبديدها . وانت بهذا لا ترتدى ثوب الصغار ولا تشى بآجريك (الوفدورجاله) ما دمت انت الذى ينتفع بمالهم وغيرك هو المحروم . . وماشأنك بغيرك ؟ ينفلق ! وبذلك تستر نقائصك كلها وتروح بين الناس صاحب سمعة عاطرة ينفضّ من حولك مسكها المختوم .

هو :

بوركت ياهذا الضمير فانتَ لى ابداً بتهوين الصعاب زعيم
الآن فاذهب تستريح فاننى سأظل أقعد غاضباً وأقوم

أولستُ بالرجل الغيور ؟ أجلْ أنا الرجلُ الغيورُ ! وحبّذا التعليمُ

العقاد — بارك الله فيك يا ضميرى المرن المطاط فانك زعيم بتهوين الصعاب ، وحماك الله على هذه النصيحة الغالية التى صادفت فى نفسى هوًى : والآن فاذهب أيها الضمير العزيز إلى الرفّ الذي كنت عليه طوال عمري واسترح . أما أنا فسأظل حانقاً غاضباً أقعد وأقوم وأقوم واقعد حتى تتاح لى الفرصة التى أنال فيها من آجريّ غرضى واقضى لبانتى . ألم تنصح لى بأن أظهر بمظهر الرجل الغيور لاخفى ماوراء الغيرة من خيانة وسقم وجدان. هأنذا أعلن أننى الرجل الغيور ، وان آجريّ أقدام أى جهلاء أغبياء ، وحبذا ما علمتنى ويا حسن ما أشرت به عَلَىَّ . سأتبع رأيك وأعمل باشارتك . واذهب الى الرف ، أو الى جهنم !

قال الراوى : أما الشطر الذي يقول فيه العقاد « ساظل أقعد غاضباً وأقوم » فماذا يدعو من الصور والأفكار ؟ يدعو العقاد غاضباً حانقاً متحرقاً ملتاعاً مادام بعيداً عن غرضه الذى أشار به ضميره . يصور العقاد وقد احمر وجهه وجحظت عيناه ووضع يديه فى خاصرتيه كما يفعل لاعبو الجباز فى « التمرين الثالث » وأخذ يقوم ويقعد حنقاً وغضباً وسيظل قائماً قاعداً الى الابد !

وما نمَّ شعر العقاد عن نفسه بقدر ما نمَّ حواره بينه وبين ضميره ، وانك لتسمع هدير الحنق والالتياع بيّناً بين أبياته .

ولنا عودة إلى شعر العقاد فى « وحى الاربعين » سوف نسجلها على صفحات (أبولو) خدمة للأدب العصري وللنقد الحرّ النزيه ؟

اسماعيل مظهر



توارد الخواطر

ذكرتُ فى العدد السابع من أبولو أمثلة من توارد الخواطر فى شعر العقاد . وقد كتب العقاد فى الجهاد (٤ ـ ٤ ـ ٣٣) يقول بأنه هو المسروق لا السارق ثم وصف ناقديه بأنهم « أنذال » !

وسأذكر أمثلة أخرى مبتدئاً من أول الجزء الثالث من ديوانه المطبوع سنة ١٩٢١ وقد طُبع الجزء الاول من ديوان شكرى سنة ١٩٠٨ والسابع سنة ١٩١٧

وقال العقاد (ص ٢٠٢ — قصيدة الموسيقى) :

وما المطربُ الشادى بمبدع لحنه ولكنه شبّابة تترنم

والفكرة مأخوذة من قول شكرى فى قصيدته (لص أم أديب) :

وإنك كالمزمار أخرس أبكم ... إذا لم تهيئه النوافخ للزمر

وإنك كالمزمار ما لك منطق ... إذا لم تهيئك الاصابع بالنقر

وقال العقاد من نفس قصيدته :

ويا رب وجه يطرق السمع حسنه ... إذا غنت الاوتار أو يتنسم

وهو من قصيدة شكرى (حسناء تغنى) جزء ١ ص ٢٨ :

رب لحن كأنه المنظر الغض ... يبث الآمال والاوطارا

ومن قوله فى قصيدة النغمات (الجزء الأول ص ١٩) :

لو صورت فأقامت غير خافية ... كانت اجل الذى يستعبد الحدقا !

كأن شيئاً من الحب الذى غربت ... به الخليقة فى أثنائها انبثقا

وقال العقاد :

تهزين أعطاف البخيل فيكرم ... ويصغى إليك المشمخر فيرحم

وهو من قول شكرى فى (النغمات) :

تثير من نزعات القلب مرحمة ... ترد عادية المستأسد الشرس

وقال العقاد :

وأوغل بالذكرى فأزعم انه ... قديم كعهد القلب أو هو أقدم

وهو من قول شكرى فى قصيدته :

وتبعث الذكر للعهد الذى ضمنت ... فتودع القلب وجداً غير ملتبس

ومعنى البيتين ان النغمات التى نسمعها الآن قد تمت الى النغمات التى كان يسمعها الانسان قديماً ولها فيه أثر بعينه . فهذه النغمات الحديثة قد تثير فينا طرباً يمت الى احساس قديم كامن مع الغرائز الانسانية .

وبديهى ان تشابه هذه الابيات من قصيدة واحدة معناه ان القصيدة كلها منظور فيها الى قصيدة شكرى .

وقال العقاد ص ٢٠٥ :

عزيزٌ علينا العيش حراً وحولنا أسارى الهوى من فائزٍ ومخيّبِ

وهو نفحة من قول شكرى (ج ١ ص ٥٨) :

ان عذاب الحب لى نعمة وجاحد النعمة كالكافر

وللعقاد قطعة اسمها القمة الباردة فى تسعة أبيات يشبه فيها انطلاق الفكر الى نهاية المعرفة والتفكير بالانفراد على قمة باردة بعيدة عن حركات الحياة فى العالم . قال :

اذا ما ارتقيتَ رفيع الذّرى فاياكَ والقمة البارده

هنالك لا الشمس دوّارة ولا الارض ناقصة زائده

ولا الحادثات وأطوارها مجددة الخلق أو بائده

وفكرة القصيدة مأخوذة بجملتها من قصيدة شكرى (خطوة عن عالم الحسّ — بالجزء الخامس ص ٥٢ وهو مطبوع سنة ١٩١٦) . قال :

خطوة لا خطوتها أبدَ العمر خطت بى عن عالم الارواحِ

أخرجتنى عن عالم الحس حتى خلت انى أقضى بحينى المتاحِ

غاب عنى الوجودُ واستشعر الحسُّ اغتراباً عن صرف دهرى الوقاحِ

خلت انى فى النوم ابصر حلماً كيف اغنى والقلب وسنان صاحى

رحت أسعى كمصحر بان عنه الصحب فرداً ذا وحشة واطّراحِ

او كذى الجرم حين طال به السجن يضل الطريق عند السراحِ

عالم غير عالم الحسّ ابقى فيه عوناً على الصروف الشحاحِ

فلما ذكر الشاعر خروجه عن عالم الحس مثّل ذلك بعدة تمثيلات فخال انه فى النوم يقظان صاحٍ ، او مصحر يجتاب الفيافى ، او السجين يضل عند اطلاقه ـ فاكتفى العقاد بواحدة منها وهى العزلة على الجبل . وشكرى يقصد بالخروج عن الحسّ انطلاق الفكر الانسانى وراء المعرفة المحدودة او المقيسة والنظر الى الكون كما ينظر اليه إلـه يرقب حركات الآباد . وهذا واضح فى قوله :

حيث تبدو النفوس فيه جهاداً عاريات عن جسمها والوشاحِ

وارى أوجه الدهور التى فاتت بسلم من امرها وكفاحِ

وقد مضى شكرى فى تفكيره البعيد القرار حتى اختتم قصيدته :

وابتغيت الطريق ارجع للحسّ فاشفى به اوارَ التياحي
غير انى أضللته ومضى بى الخطو حتى انكرت وجه رواحي
خطوة إثر خطوة فيه حتى قد هدانى خطوى لنهج النجاحِ
خذ بقولى ولا تضل عن الحسّ فيارب نعمة فى انتصاحِ
انما الفكر خطوة تنقل المرء فحاذر اضلال وجه المراحِ

وكذلك يختتم العقاد مقطوعته يحذرنا هذا التحذير :

ويا بؤس فانٍ يرى مابدا من الكون بالنظرة الخالده
الى الغور ! أما ثلوج الذرى فلا خير فيها ولا فائده

اذن فانا غير متحامل اذا كنت اقول انه لايمكن ان يكون اتفاق الفكرتين اقرب ولا اتم من هذا . وبعد قصيدة العقاد هذه قصيدته (موكب) بناها على ان الحبيب ـ لجماله ـ ليس فرداً ولكنه موكب حافل من الشباب والجمال والزهو وما الى ذلك فيقول :

موكب حافل يموج بفرد ليس من قل مثله بقليل
اى فرد فى الناس ناهيك من فر دٍ يلاقيك باختيال قبيل
فتلفتَ تلفتَ السيد الآ مر فى مُلكك العريض الطويل

وهى من قول شكرى (جزء ٧ ص ٢٥) :

هم يحسبونك واحداً فى أمة ولأنت دنيا الحسن لو عرفوها

ومن قوله (جزء ٧ ص ٥٨) :

أم نسيت الدلالَ والملكَ والدو لةَ ام أنت آمرٌ وامامُ

ويقول العقاد فى هذه القصيدة :

لن يضل الجمال فى الأرض يوماً وسبيلُ الجمال كلّ سبيل

وهو من قول شكرى (جزء ٧ ص ٢٥ أيضاً) :

لاتحسب الحبَّ أعمى ضل رائده الحب أبصر بالاخلاق والسير

وقبل هذا البيت مايدنو بالمعنى الى بيت العقاد أكثر من ذلك .

وقال العقاد (ص ٢٠٩) :

انى لاسأل نفسي وهى معرضة عنى فمن ذا تلبي لو يناديها ؟!

وهو من وحى شكرى فى قوله (جزء ١ ص ٣٤) :

الى أراقب نفسى فى تمنيها وحالة اليأس ترضينى وأرضيها

ثم يقول العقاد :

قد كان درك الأمانى ليس يقنعها فاليوم منيتها الكبرى تمنيها

وهو من قول شكرى (جزء ١ ص ٢٨) :

كيف أثنى على الزمان إذا كا ن ارتقابُ الآمال من عزماتى

ويقول العقاد :

هبنى سلوتُ أحبائى فهل عشيت عينى؟ فليست ترى شيئاً ما آقيها

أأجدبتْ روضةُ الحسن التى غنيت بالزهر أم بات كاسيها كعاريها ؟!

وهما من قول شكرى (جزء ٧ ص ٤٥) :

وان كنت أدرى أن عيشى خدعةٌ وحلمٌ تقضّى أو أكاذيبُ سامرِ

أرى الزهر غضاً يانعاً طلّه الندى ملياً بأن يشجو ظِماءَ النواظرِ

وقطعة العقاد هذه لا تزيد عن ثمانية أبيات . وبعدها قصيدته (الروضة الساكنة ـ ص ٢٠٩) يشبه فيها سكون النبات بالنوم فى الصيف :

هجعت منها ذراها والجذوع الراسياتُ

والفكرة مأخوذة من مقال لشكري فى كتاب الثمرات المطبوع سنة ١٩١٦ (ص ٦١) :

(ترى الأزهار فى الصيف ناعسة كأنما أنامها طرف الشمس باقتدار لحظاته)

ويقول العقاد :

نسمت من عالم الروح عليها نسماتُ

وهو أيضاً من قول شكرى (الثمرات ص ٦١) :

(وكأنما حفيف الغصون صوت ينادى المرء من عالم آخر أو هامس يهمس فى أعماق نفسه)

ويقول العقاد :

سكنتْ نفسى اليها واحتوتها النغماتُ

كسكون العين بالليل مشى فيها السباتُ

وهما من قول شكرى فى قصيدة (حديقة الصيف — جزء ٤ ص ١) يشير إلى الهجير :

يدع المرء ناعساً فاتر النطق والنظرْ
يدع المرء ناعماً نائم الهمّ والفكرْ

ويقول العقاد :

روضتى ظللها الموتُ وظلتها الحياةُ
بين موت وحياة لاتضيق المهجاتُ

وهما من قول شكرى فى قصيدة الموت (جزء ٧ ص ٤٢) :

وما العيش إلا ميتة بعد ميتة وما الخير واللذات إلا عواريا
فيا ليت ان العيش يخلفُ ميتةً دراكاً كما يطوى النهارُ اللياليا

وللعقاد بعد هذه القصيدة قطعة (الشمس الضائعة) فى خمسة أبيات (ص ٢١٠) وخلاصتها قوله :

وصاح من خلفهم داع يقول لهم :
ما ضاعت الشمس لكن الانام عَموا !!

وقد قال شكرى فى قصيدة (تحية الشمس — جزء ١ ص ١٧) :

ما رأى ضوءك غرٌّ بسوى الطرف الحسيرِ

وتجد فى كتاب « الروح الحائر » لمحمد لطفى جمعه المطبوع سنة ١٩١٢ مقالة (مبصر وضرير) متضمنة هذا المعنى وأكتفى بالاشارة اليها لتفاهة المعنى . وتأتى بعدها قصيدة العقاد التى سماها (نفثة) وهى أبيات لا رابطة بينها — ولذلك كان يسميها فى طبعة ديوانه القديمة (أسئلة وأجوبة) . وهو يقول فيها :

غربوا قلبي وهم وطن ومضوا عنى وما ظعنوا
هجروا والهجر مبعدة ليتها تجتابها السفنُ

وهذا المعنى قديم لاكته العرب وألبسته مختلف الصور، وقد قال شكرى (جزء ١ ص ٤٢) :

انما يوحشُ فى القرب التجافى مثلما يوحشُ فى البعد افتقادُ

وتجد المعنى فى قول الازدى :

تقربت ليلى كى تثيب فزادنى بعاداً على بعد اليها التقربُ

وبيت العقاد الاول هو بعينه بيت ابن زيدون :

شحطنا وما بالدار نأىٌ ولا شحط
وشط بمن نهوى المزار وما شطوا

كما أن فيه من قول ابن الدمينة المشهور :

ولكنّ قربَ الدار ليس بنافع اذا كان من تهواه ليس بذى ودِّ

وقول البابى :

مرام دنا منى وعزّ مناله فلا بعده يدنى ولا قربه يجدى

وقول شرف الدين الصنعائى :

وأشد ما يلقى المحب من الهوى قرب الحبيب وما يكون تلاقى

وقول ابن الرومى :

هى فى العين وهى أبعد من نجـ ـم الثريا فهى القريبُ البعيد

وقول ابى العلاء فيا دارها بالخيف ... وقد استعمل العقاد هذا المعنى أيضاً فى قصيدة أخرى سماها (القريب البعيد — ص ١٥٩) يقول فيها :

بعيدُ مدّى منك القريب المؤمل واقرب منه النازح المتعلل

وقد قال شكرى (جزء ١ ص ٤٤) :

رضينا بالبعاد وانت دانى فصرتَ على بعادكَ كالامانى

وقال ايضاً (جزء ١ ص ٣٢) :

بعثت عينىَ منها نظرة قرّبتنى منه حتى بعدا

نعود الى قصيدة العقاد (نفثة) فهو يقول فيها أيضاً :

ایُّ فردوس علمت به لم يحطه الموت والاحَنُ
هذه الجناتُ نبصرها هل لنا فى بعضها وطنُ

وهى من قول شكرى (جزء ٤ ص ٢٣) :

فيا بؤساً ويا تعساً لصبٍّ شقيٍّ فى الفرادسِ والجنان

وقال العقاد من قصيدته :

ليس لى فى مبصرٍ أملٌ كلُّ شيء فيه لى شجنُ
شاهدت الاوصافُ فى نظري سرها المخبوء والعلنُ

وهما من قول شكرى (جزء ٧ ص ٤٧) :

عبثٌ جمالك فى الصدود وفى الرضى عبثٌ هيامُ فؤادىَ المقروف
أو بعد ذا حالٌ أخاف صيالها ولقد برمت برائقٍ ومخوف

وبعد هذه قصيدة للعقاد (ص ٢١٢ — العبوا وارتعوا) :

العبوا يازهرةِ الحسن تعالى المبدعُ وانهبوا العيش فما للمكث فيه موضعُ

وهى مأخوذة من قصيدة لطانيوس عبده نشرت سنة ١٩١١ اسمها (اضحكوا اضحكوا) ومنها :

اضحكوا اضحكوا ولو كان كذبا واجعلوها الحياة ضحكا ولعبا
وانهبوا العيش بالملذات واللهـ ـو فخير اللذات ما كان نهبا

* * *

وما بى الزراية بالعقاد شاعراً أو غير شاعر ، ولكنى اخشى ان يظن كبار الادباء ان امثالى من متتبعى حركة الادب لا ينزلون الناس فى منازلهم ؟

رمزى مفتاح

مزالق ابن زيدون اللغوية

الشعراء فى كل أمة ملوك الأدب ويجوز للملوك ما ليس بجائز للسوقة فان غلط الملك قالت وليجته : « هكذا اقتضت السياسة » ، وان وهم الشاعر قال الأدباء : « هذا ما أجبرته عليه الضرورة » فساغ للشاعر ما لم يسغ للناثر وألّف الناس الكتُب فى « الضرائر » وقالوا « ما قيس على كلام العرب فهو منه » والسبيل إلى

ذلك « أن نقيس منظومنا على منظومهم ومنثورنا على منثورهم ». أجل ، إن الوزن والقافية يحدثان أثراً موسيقياً فى هوى[1] الأدب ولكنهما يتحجران عليه واسعاً ولا يطلقانه فى رياض الابداع والاجادة ، ومن ثمّ احتاج الشعر إلى التفصيل والتطويل والتأويل والترتيب ، وإلى ذلك أشار الشريف المرتضى فى أماليه بقوله عن الشعراء: « وكلام القوم مبنى على التجوّز والتوسع والاشارات الخفيّة والايماء على المعانى تارةً من بُعد وتارةً من قُرب لأنهم لم يخاطبوا بشعرهم الفلاسفة وأصحاب المنطق وانما خاطبوا من يعرف أوضاعهم ويفهم أغراضهم » فلذلك يكاد القلم يشرق بمداده حينما نعزم على كَتْب وهمة لغوية لشاعر من الشعراء ولكن لا منتدح لنا عن هذا العزم الذى أعزمناهُ صديقٌ كريمٌ وشاعرٌ مبدعٌ مجدّدٌ مجوّدٌ ، فنقول :

١ — ورد فى ص ٣ من ديوان ابن زيدون الذي طبع فى هذه الأيام :

ولئن أمسيتُ محبو ... ساً فللغيثِ احتباسُ

ففى هذا البيت اجتمع « قسم وشرط » غير مسبوقين بذى خبر ، فالجواب بحسب ما ذكره فصحاء الامة يكون للسابق منهما وهو « القسم » وهذه اللام فى « لئن » موطئة له دالة على وجوده ، كقوله تعالى فى سورة المائدة « لئن بسطت إلىّ يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك » ولذلك تجردت « ما » بل سلمت من الفاء ، ومنه قول حليف الغرام وتوأم الحبّ عبد الله بن الدمينة يعاتب فتاته بل حياته :

لعمرى لئن أوليتنى منكِ جفوةً ... وشبّ هوى قلبى اليك شَبوبُ
لبئس إذن عون الخليلَ أعنتنى ... على نائبات الدهر حين تنوبُ

ومنه قول « أبيقورىّ الشعراء » عمر بن أبى ربيعة :

لئن كان إياه لقد حال بعدنا ... عن العهد والانسان قد يتغيّر

وقولُ « بخيل الشعراء وكانز البيضاء والصفراء » أبى العتاهية .

---

(١) جمع هوٍ ، وهو الصفة المشبهة من «هويه يهواه» ويسميه بعضهم « هاوياً » ويجمعه على «هُوَاة» فيلتبس بالساقط والسُّقّاط وكل أديب فى غنىً عن هذا الالتباس الكريه ، ونزيد على ذلك أن اسم الفاعل لايؤدى معنى الصفة المشبهة تماماً .

لئن كان لك المال الـ . . . . مُصفّى إنّ لى عِرضاً

أمّا ابن زيدون فقد جعل الجواب للشرط وربطه بالفاء فقال « فللغيث . . . » اضطراراً لا هوادة فيه ، وقد وهم المرحوم احمد شوقى فى قوله بصفحة (١٠٨) من رواية كليوباترا :

لئن فرّقنا الدهرُ فقد تجمعنا الذكرى

وكان قادراً أن يقول « لقد تجمعنا الذكرى » كما فى قول ابن أبى ربيعة المتقدم ، فليس فى تعبيره ضرورة ، وقال ابن عقيل :« وقد جاء قليلاً ترجيح الشرط على القَسَم عند اجتماعها وتقدّم القسَم وان لم يتقدم ذو خبر ، ومنه قوله :

لئن مُنيت بنا عن غِبّ معركة لا تُلفِنا عن دماء القوم ننتفل »

ولو قال ابن عقيل : إنها ضرورة شعريّة ، لكان ذلك الصحيح فقول ابن زيدون من هذا القليل ، وقول شوقى — رحمه الله — من ترك الفصيح الى ما ليس بفصيح مع استمكانه من التخير (١) .

٢ — وورد فى ص ١٢ من هذا الديوان قوله :

من قال إنك لست أوحد فى النهَى والصالحات فدان بالاشراكِ

فربط جواب الشرط « دان » بالفاء ولو لغير الدعاء وهذا غير جائز فى اللغة ، وانما سبيله الدعاء لانه بمعنى الأمر كما فى قول ذى الرمة :

إذا ابن أبى موسى بلالاً بلغته فقام بفأس بين وصليك جازرُ

قال البغدادى فى الخزانة : « وقوله فقام بفأس ، هو جواب إذا ودخلت الفاء على الفعل الماضى لأنه دعاء كما تقول : إن أعطيتنى فجزاك الله خيراً ، ولو كان خبراً لم تدخل عليه الفاء (٢) » . وقد استعمل ابن زيدون الجواب الدعائى فى قوله — كما جاء فى ص ٧٤ :

ومتى سعيت لنازح متعذّر فوجدته سهل المرام قريبا

---

(١) قرأنا من رواياته « كليوباترا » و « مجنون ليلى » فوجدنا فيهما غلطاً غير قليل فى اللغة والتعبير والنحو والضبط .
(٢) خزانة الادب « ٢ : ٢٣٤ » من طبعة دار المصور .

أى « فجده سهل المرام » بعون الله تعالى ، وقال أحد الكتّاب فى ص ٩٨٦ سنة ١٣٥١ للمعرفة: « والماضى لا يحتاج إلى الفاء إذا وقع جواباً للشرط » قلنا : إلا فى الدعاء كما قدمنا ، وكان فى سع ابن زيدون أن يقول :

من قال إنك لست أوحد فى النهى والصالحات يدين بالاشراك

فان المضارع يستحسن رفعه بعد فعل الشرط الماضى إن كان جواباً للمضارع وإتباعاً لهذه السبيل قال شوقى :

إن رأتنى تميل عنى كأن لم يك بينى وبينها أشياء

٣ — وجاء فى ص ١٧ :

أما وأرتنى النجم موطىء أخمصى لقد أوطأت خدى لأخمص من يخطو

فعدى « أوطأ » إلى مفعوله الأول مرتبةً مع لام التقوية فالأصل « أوطأت لأخمصَ خدّى » وهذا لا يجوز فى المتعدي إلى مفعولين بنفسه ، قال عثمان بن عفان — رضى الله عنه — فى خطبة له خطب بها الناس: «ولنت لكم وأوطأتكم كتفى[1]». ومنه قول المرأة الشاميّة للدلال أبى زيد الناقد المدنى: « فانا لم نوطئك أعقابنا ونحن نريد خلافك[2] » وقول المنصور بعد قتله أبا مسلم الخرسانى : «إنّه من نازعنا هذا القميص أوطأناه ما فى هذا الغمد[3] » فكان ابن زيدون قديراً أن يثنى « خداً » ويقول : «لقد أوطأت خدى أخمص من يخطو» بتقديم المفعول الثانى مرتبة على الأوّل كقوله تعالى : « تؤتى من تشاء » وقول علىّ — ع — « واذكر الله من بلغه ... »وقد ورد هذا التقديم فى «أوطأ» وقال فى أساس البلاغة: « وأوطأته دابتى حتى وطئته » . واستعمل ابن زيدون هذا الوجه بنفسه فى قوله كما فى ص ٩ :

« بل ما عليك وقد محضت لك الهوى » والعرب تقول « محضتك الهوى »

٤ — وورد فى ص ٢٧ قوله يمدح المعتضد الاندلسى :

يذلّ له الجبار خيفة بأسه ويعنو إليه الأبلج المتغطرف

(١) شرح ابن أبى الحديد « ٢ : ٤٨٢ » عن تاريخ الطبرى سنة « ٣٤ هـ »

(٢) الاغانى « ٤ : ٢٨٩ »

(٣) المروج « ٢ : ٢٣٦ »

وقد بُلغ « يعنو » بالى ، والصواب تبليغه باللام ، ومنه قوله تعالى : « وعنت الوجوه للحى القيوم » والمقيس فى شأن اللام وإلى « أن تعاقب اللام إلى فتحلّ محلها للتخفيف » فيقال « دعا اليه وله ونسب وعز اليه وله » ولا يجوز العكس البتة فلا يقال « قال اليه ونصح اليه ووفقه اليه » مكان « قال له ونصح له ووفقه له » لابتعاده عن المعنى المراد وخروجه عن السليقة العربية ، وقد ذكروا أن « إلى » فى قولهم « الأمر اليك » مرادفة للام ، وكلام العرب لا يؤيده فان التقدير « الأمر موكولٌ ومسنَدٌ وموسَّدٌ اليك » . ومن عادة العرب « الحذف » فى التعابير المتداولة كثيراً كقولهم « فاذا أنا به فى الدار » و« كيف لك به » و« من لنا به » و« لم يزل به حتى فعل » فالتقدير « فاذا أنا شاعر أو باصر به فى الدار » و « كيف الظفر لك به » و « لم يزل متصلاً به حتى فعل » وقد يقدر غيرها مما يؤدي معناها ، وقد تأتى « إلى » واللام مع فعل واحد لاختلاف المعنى مثل « استقام له واليه » و « صلى له واليه » فان وردا لمعنى واحد فاللام مرادفة نحو « قصد اليه وله وقدّم اليه وله وأهدى اليه وله » أما « عنا له » فاللام هى الأصيلة فى المصاحبة ، وقد استعمل ابن زيدون الوجه فى قوله بالقصيدة نفسها :

وأن نتلقى السخط عانين بالرضا لغيران أجفى ما يرى حين يلطف (١)

٥ — وجاء فى ص ٥٢ من الديوان قوله :

. . . . . . يأنف المربط فى العتق منه والتطهم

معدياً « أنف » إلى مفعوله « المربط » بنفسه والعرب تُصْحِبُهُ « من » لأنه من الأفعال النفسية التى يستقر حدوثها فى النفس ويؤتى بـ « من » معها للسببية كما يقال « جزع منه وضجر منه وارتاع منه وفزع منه وفرق منه » وسمع فى بعضها عنهم وجهان فقالوا : « حذر منه وحذره وخشى منه وخشيه وخاف منه وخافه وأمن منه وأمنه » ووجدت أنا « فرقه » بكسر الراء بمعنى « فرق منه » فصار

---

(١) قال الشارح فى جملة شرح البيت : « وقد عنانا رضا صاحب غيرة » وعانين فى البيت بمعنى « دالين خاضعين » من « عنا له يعنو » فهو غير متعدٍّ كما بان فى الشرح فالأصوب « نتلقى السخط بالرضا خاضعين لذي غيرة . . . »

مثل « سئم منه وسئمه » واستعمله متعدياً بنفسه « قابوس بن وشمكير » الامير الشاعر فهو القائل :

ولى نفس حرّ تأنف الضيم مركباً وتكره ورد المنهل المترنق[١]

وهذا ليس من المقيس ولا سيما وأنه من باب « فَعِل يَفْعَلُ ». أما المقيس فى هذا الباب فهو إحلال المفعول محلّ الفاعل المبدّل. قال الجوهرى: «وقولهم سفِه نفسَهُ وغبِن رأيَهُ وبطِر عيشَه وألِم بطنَه ووفِق أمرَه ورشِد أمرَه ، كان الأصل سفهت نفسُ زيد ورشد أمرُه ، فلمَّا حُوِّل الفعلُ إلى الرجل انتصب مابعده بوقوع الفعل عليه لانه صار بمعنى سفَّهَ نفسه » وكان الفراء يرى أنه من احلال المفعول محلّ التمييز قال : « لما حوّل الفعل من النفس إلى صاحبها خرج ما بعده مفسراً ليدل على أن السفه فيه ، وكان حكمه أن يكون : سفه زيد نفساً لأن المفسّر لا يكون إلا نكرة ولكنه ترك على اضافته ونصب كنصب النكرة تشبيهاً بها » ، وكان لا يجوز عنده تقديم هذا المعمول لأن المفسر لا يتقدّم .

٦ — وورد فى ص ٥٤ منه قوله :

لئن شاقنى « شرق العقاب » فلم أزل أخُصّ بممحوض الهوى ذلك السفحا

وقد قدمنا أن مثل ربطه الجواب « لم أزل » بالفاء غير فصيح لتقدم القسم المحذوف الموطّأ له باللام قبل « إنْ » الشرطية ، ثم إننا لو سايرناه فى اتخاذه الوجه الضعيف بجعله الجواب للشرط لا للقسم لم نجد بداً من مؤاخذته على ربطه الجواب الشرطىّ بالفاء مع استغنائه عنها ، لأن « لم » كلا النافية لا تربطان بالفاء إذا كانا فى أول جواب الشرط ، ومن ذلك قول الشاعر :

كأنك شمس والملوك كواكبٌ إذا طلعت لم يبدُ منهن كوكبُ

أمَّا تأويله بأن الاصل « فأنا لم أزلْ . . . » فبعيد متكلف . وجاء فى ص ٧١ قوله :

فلئن تسمنى الحادثاتُ فقد أرى للجفن فى العضب الطرير ندوباً

وأنا أُرى الأصل « لقد أرى . . . » ووقع فيه تحريف ، ويؤيد ما ارتأيتُ قوله بالولاء :

ولئن عجبت لأن أضام وجهور نعم النصيرُ ، لقد رأيت عجيبا !

فقد جعل الجوَاب للقسم لا للشرط ؟

(يتبع) مصطفى جواد

(٢) معجم الادباء « ٦ : ١٤٨ »



شاعر مخبول

يصف الحب

(عن رواية صياد الخيال لجان سرمان)

أيها الحبُّ عنيفٌ أنتَ جداً وثقيلُ الظلِّ مرهوبُ الشذاةِ
أنت مرُّ الطعم ، شهدٌ مستساغٌ أنت جهمُ الوجهِ حلوُ البسماتِ
أنتَ كالجبل — علوّاً وهبوطاً — تحت أقدام الغواني الراقصات
أنت – في عنفٍ – كقلب الطفل قاسٍ لا يبالي ما أتاه من أذاةِ
فارغٌ خاوٍ كمنطادٍ صغيرٍ في يدِ الطفلِ ، وصلدٌ كالصفاةِ
صاخبٌ أنتَ ، وقاس ، ورحيمٌ مفرطُ القسوةِ ، جمُّ الرحماتِ

كامل كيلانى



مرثية لشكسبير

لا تخشين الآن شمساً ملهبهْ
ولا شتاءً ريحُه مضطربهْ
رسالةٌ أديتها منتخبهْ
وعدت تسعى للأصول المتربه
إنما إلى الأرض جميعاً من غنيٍّ وفقيرْ

أصبحت لا تخشى عظيماً إن عبسْ
أو سَوط عاتٍ فى الاساءة انغمس
ولا تعانى الآنَ عَيش المُبْتَئِسْ
قد استوى السَّرَخْسُ والدوحُ اليبِسْ!

إنّـا إلى الأرض جميعاً من أميرٍ وحقيرْ

الآنَ لا تَرهبُ برقاً لمَعَا
ولاتهاب الرعدَ إما صدّعَا
ولا وشاةً خبزوا الشرَّ معًا
لَئِن تكن رشفتَ حُلواً مسرعًا
لقد شربتَ المرَّ دهراً موجعًا
وإن عشتَ فيه شمْلٌ جُمعا
ألفيته عند الملمات صُدّعَا

إنّـا الى الارض جميعاً سوف تحوينا القبورْ
الأرض أمٌّ والى الأمّ يؤدّينا المسيرْ
إنْ تدعُنـا شوقاً إلينا فالى الأمّ نحُورْ
إنّ الذى يَحِس عند الموت من رَوعٍ كثيرْ
ليس سوى وشائجٍ إذا دَنا الموتُ تَثُورْ

محمد أبو الفتح البشبيشى



النرجس المائى

(مقتبسة عن وردسورث)

تجـولتُ يوماً فـريداً كما تسير السحائبُ فوق الجبالْ
وما كدتُ أنظر حتى رأيتُ بقـرب البحـيرة بين التلالْ

وتحت الشجيرات فوق المياه أزاهر فاقت حدود الجمالْ
رأيتُ الأزاهر فوق أديم المياه ، وأجمل بماءٍ زلالْ



متولى نجيب

رأيتُ الأزاهرَ تهتزّ حينْ هبوب النسيم بصفو الليالْ
رأيتُ الالوف من الزهر تهتزّ صوب اليمين وصوب الشمالْ
رأيت صفوفَ الازاهر عند خليج تميل بأحلى دلالْ
وترقص حيناً وتهتزّ حيناً صفوفا صفوفاً ولا من كلالْ
تحاكى النجومَ المضيئة فوق المجرة أو هى مثل الهلالْ
سُررت لرؤية نرجسِ ماءٍ بديعِ الجمالِ خفيفِ الظلالْ
وانىَ عند اضطجاعى وعند اجتيالى وحيداً — وأىّ اجتيالْ —

وحين اشتغالى بفكر عميق وحينَ عُلوّى بأوج الخيالْ
وعند خلوّى من الفكر حيناً من الدهر إذ لا همَّ عندى ببالْ
يجول بذهنى منظرُ هذى الأزاهرَ حيناً كسحرٍ حلالْ
فيرقص قلبى سروراً كما تهزّ الأزاهرَ ريحُ الشمالْ

متولى نجيب



الوداع يا سوسو ... !

معربة عن ألفريد دى موسيه من ديوانه (أشعار جديدة)

Poésies Nouvelles

(سوسو) وداعاً إذا ما الدهرُ فرّقنا وما سعدنا بحبّ غيرَ أيامِ
ورُبَّ - ياوردتى الشقراء - خيرَ هوًى هنيهةٌ أبرمتْهُ أىَّ إبرامِ
ياليتنى الآن أدرى أين يجذبنى نجمى الضليلُ على خوفٍ وإحجامِ
اليومَ أذهب يا عصفورتى عجِلاً مهما بعدتُ فنكِ - الدهرَ - إلهامى



إنى سأمضى وثغرى جدُّ مضطرمٍ مِن قُبْلَةٍ ألهبتْ فى القلب نيرانا
قد استراحَ جبينٌ فيك مُؤْتَلِقٌ على ذراعىَّ يا محبوبتى آنا
هل تشعرين بقلبى وَهْوَ مضطربٌ على فؤادكِ ذَا الخفّاق جذلانا
سأذهبُ اليومَ يا عصفورتى عجِلاً مهما بعدتُ سأقضى العمرَ لهفانا



ما أعظمَ السحرَ فى حُزْنٍ به نَطَقَتْ - يامُنْيةَ القلبِ - توديعاتُ عينيْكِ
يا طفلتى كلُّ شىءٍ مِنكِ يَفتِنُنى حتى دموعكِ تجرى فوق خديْكِ

إلى الحياةِ تناديني وتُلهمني — على الشقاء — عزاءً نظرةٌ منكِ
سأذهبُ اليومَ يا «عصفورتي» عَجِلاً مهما بعدتُ فإني دائماً أبكي

* * *

ياليتَ ذكراىَ تبقى وَهْيَ عاطرةٌ — إذا نسيتِ غرامي بعدَ ترحالي —
كباقة من شَذيّ الزهرِ ذاويةٍ تُخفينَها في حنايا صدركِ الغالي
تبقى السعادةُ أنىَّ كنتِ يا أملي والذكرياتُ معي يَصْحَبْنَ تَجوالي
(سوسو) وداعا اسأرعى العهدَ ما تركتْ لىَ الحياةُ فؤاداً فيه آمالي !

أحمد كامل عبد السلام

ليتك بجانبي

(مترجمة عن الشاعر الفرنسى أندريه لامبير)

ليتك بجانبي عند انبثاق ضوء الفجر الساحر
الذى يبهج الحديقة ويوقظ طيورها وينعش أزهارها
ويرسل خيوطه المنبعثة تتلألأ على صفحة الجدول
بينما كل ما فى أعماقى المضنية يتهدم ويتكسر . . . ويلتهب ويذيبنى
وليس لى مسلٍّ غير دموعى ولا معزٍّ غير الامل بلقياكِ

« • »

ليتك بجاني عند ما يهب النسيم يداعب شعورى
فانطلق فى سماء الخيال . . أتمثل انه يداك الكريمتان الناعمتان
عند ما تعبثان بشعرى فى هدوء ورفق
واذكر وقتاً مرَّ علينا فى نعيم فيغلب علىَّ الالم ويطغى
وتنهمر عبراتى على وجهى ولا أجد تلك اليد الرقيقة
التى تخيلتها منذ لحظة والتى طالما كفكفت غرب دمعى !

« • »

ليتك بجاني كلما نادت نفسى نفسك الطاهرة وتعطشت روحى إلى روحك الفياضة

وكلما نزل بي من سقم وحل بي من ألم لا سمعك دقات قلبي وأنات فؤادي
واسرّ لك باطمئنان كل ما في قلبي من خلجات وما في نفسي من نزعات
وأشكو الألم الذي ينخر في قلبي جراحات عميقة تنزف دماءه
وأودعك الامل الذي يجيش به صدري وأكنّه بين أضلاعي

« • »

ليتك بجانبي بعد ساعات عملي عند ما آوي الى مسكني المحبوب الخالي
وأجلس في غرفتي وحيداً مع آلامي
أناجي خيالك وأبثه حبي وعذاب نفسي
وأتخيل أن وجهك الفاتن يرنو إليّ
وان صوتك الشجي يهمس في أذني كلمات حبك العذبة
وان شفتيك القرمزيتين الملتهبتين تطبقان على شفتيّ
فألتهب حنيناً إلى قبلاتك التي تسيل حلاوة وحياة
وصدرك الناهد . . . وضماتك المملوءة حناناً وحرارة . . !

« • »

ليتك الى جانبي عند ما تغيب أشعة الشمس
وتفارق الكون إلى حين مختفية وراء الافق . . . ويكتهل الليل
حينئذ في دياجي الظلمة أصعّد الزفرات
وأطلق التنهدات وانثر العبرات
وأشعر في وحدتي بأنني حزين كئيب مهموم
مثل نحلة في حديقة قاحلة بدون أزهار
أو سجين في أعماق سجن لا يرى فيه ضوء النهار

« • »

ليتك بجانبي عند ما تجتاح روحي العواصف الهوجاء
في محيط خضم من الهواجس والافكار السوداء
وتبحث يائسة ، على شاطىء أيّ بعيد
ستلفظها تلك الامواج الثائرة المزبدة !

« • »

ليتك بجانبي عند ما يغمرني الحب وتفيض بي العاطفة
فتخنقني العبرات السخيفة ويعذبني السهر
وترهقني الذكريات القاسية واشرب كؤوس الاسى مترعة لبعادك
ولكني أجد في عذابي وآلامي وسهري لذة حلوة استمرئها ولا أملها

« • »

ليتك بجانبي عند ما يمسي المساء فاجلس الى غرفة نافذتي
أتطلع شارداً الى تلك النجوم المنثورة اللامعة
بطرف دامع وصدر جريح وقلب مضنى
تنتابني الأوصاب وتتناوبني الهموم
ومن فرط ما بي من شجن أحدق في الأفق البعيد
بعين جازعة لأرى . . . وقد حجب النور عنها
سحابة كثيفة من الحزن مفعمة بالدموع

« • »

ليتك بجانبي في ليالي سهادي الطويلة
لاسند رأسي المثقل بالتعب على صدرك الحار الحنون
ولنتناجي ونتناغى ويسكب كل منا في نفس الآخر آيات حبه وغرامه
وننسى آلامنا ونستقبل أمانينا . . .
ليتك بجانبي عند ما أنظر الافق
محاولا تمزيق حجب المستقبل الملبد بالغيوم
لاستطلع ما خطه لنا بنان القدر في سجل القدر
وأسائله أن يرفق بنا وبامانينا وأحلامنا

« • »

ليتك بجانبي حين ما تحور عزائمي دون هذا الفراق
ويصب في نفسي الدهر الأسى والجزع ويبعث الى رأسي أشباح اليأس وخيالات الأوهام
لتجددي للنفس مطامعها وتنيري أمامها سبل الحياة المظلمة
وتبددي ديجورها الحالك بأشعتك الملائكية
فانني لا أتنفس الحياة والرجاء السعيد الا عندما تهب عليّ نسمة من نسمات روحك الخالدة
التي تنعش القلب وتجدد العهد وتحيي الآمال

« • »

ليتك بجانبي عند ما أرفع صلاتي كل يوم
لتضمى دعاءك الى دعائى ونبتهل اليه
ان يجمعنا فى جنة الخلد أحباء
ويمنحنا على هذه الأرض الصبر والعزاء

« • »

ليتك بجانبي طول مدة الحياة
فانت نصفى الآخر الذى انشده وابتغيه

« • »

ليتك بجانبي على هذه الأرض فانا لا أطيق الحياة بعيداً عنك لانني لا أجد فى العيش لذة ولا هناءة . . . الا بقربك
ولا أرى بشاشة الحياة الا ابتسامتك
ولا ألمس وداعة الانسانية ولطفها الا فى وفائك وولائك
وليتك بجانبي حينما تذهب روحى الى السماء
وفى الابدية التى لانهاية لها بعد الموت . . ليتك بجانبي !

احمد يسى

(كلية الحقوق – بالجامعة المصرية) ٠

مرثية غنائية

(السير ولتر سكوت يرثى دنكان)

فُتّ المنازلَ والربوعْ — وتركت ناراً فى الضلوعْ
كالنبع وقت الصيف لما أن نضبْ
النبع يرجع بينما حظّى ذهبْ
لم يبق لى غيرُ الدموعْ — غاب الحبيبُ ولا رجوعْ

« • »

تُجنَى السنابل لو يزيد عن الحدود نضوجها
لكنما تُنعى الخلائقُ فى غضون شبابها
ريحُ الخريف تهبّ بالاوراق بعد جفافها
لكنّ زهرتنا ذوت لمّا تبدى حسنها

« • »

يا ساقاً مسرعةً — فوق الرمالْ
يا عقلا مبدعاً — بين الرجالْ
يا زنداً قاطعاً — وقت النزالْ
قد نمتَ حتى النوم طالْ

« . »

مثل الندى فوق القفار
أو رغوة فوق البحارْ
فقّاعة فى عين ماءْ
لما ذهبتَ ولا لقاءْ!

سيد على حسن



الحرمان

أعبدُ الحُسْنَ زها فى كوكبٍ أجتليه صامتاً لم أعْرِبِ
وهو لم يشعر باحساسى وبى خاطرٌ من حُسْنهِ فى موكب
مُشْرِقٍ مِنْ نُورهِ مُكَهْرَبِ فائضُ الكأس شهى المَشْرَبِ

***

لم أَبُحْ بعدُ إليهِ بالهوى أُودعُ الأنفاسَ فى حَرِّ الجوى

والذى ما بين جنبيَّ اكتوى لمسَ الكأسَ . . . ولكنْ ما ارتوى
وأتى النهرَ . . . ولكنْ ما هوَى يُطفئ الحُرْقةَ فيهِ ، بل ثوَى

* * *

وقفتْ رُوحى على أبوابهِ تَنْشقُ الأعطارَ من أثوابهِ
وتَعُبُّ الشِّعرَ من آدابهِ وتَضُمُّ الزَّهرَ فى أكوابهِ
وهو لايدرى بمَنْ فى بابهِ شاعرٌ قد هتفَ الحسنُ بهِ

* * *

كلمَا آتى بمَعْنىً مُغْرِبِ عن هوى قلبٍ ولوعٍ مُتْعَبِ
أجدُ الألفاظ حَيرَى تختبى فهى (١) كالدمعة فى عَينِ الأبى
وهى كالفكرة فى ذِهْنِ الصَّبى وهى كالفتنة فى قلبِ النبى

* * *

هى كالشيخ إذا حاول أمرَا فدعاءُ الشيبُ أن ينظر قبرَا
فانثنى والذهنُ فيهِ ألْفُ ذِكرَى يُودِعُ الكأسَ ليُسقَى اليومَ مُرَّا
يشهَدُ الحسنَ بنفسٍ جِدَّ حَسْرَى ويرى النورَ بعينٍ منهُ عَبرَى

* * *

وهى كالزورق فى الشطِّ مُقيَّدْ رَكِباهُ ناعِمَا حُبٍّ مُوَرَّدْ
يشتهى الزورقُ أن يحبُو ويَبْعُدْ بالسعيدين عن الناس ليسعَدْ
دون أن تَرْمُقَهُ السُّفنُ فيُحسدْ فيظَلُّ القيدُ فى الشاطئِ مُرْصَدْ

* * *

---

(١) الضمير فى هذا البيت وكل الابيات التى تليه يعود على الالفاظ الحائرة

هى كالحسناء فى الدير تولَّى قلبها فى عالمٍ زاهٍ تجلَّى
ورأت فيه فتاها يتملَّى حسنها مِن بعد أن كان تسلَّى
فأحسَّتْ رغبةً فى النوم عجْلَى فمضَتْ تعْدُو إلى حيث المصلَّى

* * *

هى كالنوم يمسُّ الجفنَ مسًّا ثم يمضى - إثْرَهُ حُلْمٌ ويُنسَى -
مسرعاً يخشى من العالم همْسا تاركاً أجفانىَ السَّكْرَى تُؤَسَّى
فقدَتْ ساقِيهَا ، والكونُ أمسَى عابثاً يحطِمُ بالتسهيد كأسا

* * *

حارت الألفاظُ بين الشفتينْ حيرةَ الرغبة فى قلبٍ يحِنّْ
ظامىءٍ ، والنهرُ جارٍ مطمئنْ يشتهى الخمرةَ والساقى يَضِنّْ
وهو فى عزَّةِ نفسٍ لم تهُنْ عنده يوماً وإنْ جَلَّ الثمنْ

* * *

كلَّما حاولتُ أنْ أُظهر سِرِّى نوَّحتْ مأساتىَ الأُولى بفكرى
وعوَتْ مأساتىَ الأخرى بصدرى فتوقَّفتُ على حافةِ عمري
أنظرُ الكأسَ ولا أشربُ خمرى ويُعَزِّى القلبَ إلهامى بشِعرى!

حسن كامل الصيرفى

***

جحود (١)

رنت العينُ مرةً للفضاء ثم قالت : طودٌ أشمُّ إزائى

(١) هاتان القطعتان نظمها بالانجليزية جبران خليل جبران ثم ترجمهما نثراً انطونيوس بشير .

قالت الأذنُ : لست أسمع صوتاً منه يدوى فى جانب الصحراءِ

« • »

وانبرى الأنفُ قائلاً : كذَّبَتْنَا إننى لاأشمّ ريحَ جبال
وأجاب اللسانُ لو كان طودٌ ثَمَّ أدركتُ طعمه فى الحالِ

« • »

ثم قالت بدورها اليدُ : ما أحـ ـسستُ لمساً لشامخٍ فى يبابِ
هكذا قرّر الجميعُ وقالوا : زاغت العين عن طريق الصوابِ !

رياء

نامت الأمُّ فى جوار الفتاةِ فاذا الكلُّ غارقٌ فى السباتِ
ثم فاها بما يكنّان فاسمعْ تلك نجوى البنات والأمهاتِ

« • »

قالت الأمُّ : يابنيةُ تبّاً لكِ تبّاً من حيّةٍ رقطاءِ
أنا لولاك ما اكتهلتُ ولكن كنت فى عود كاعب عذراءِ
لك ركنٌ تبنينه بانهدامى وحياةٌ تحيينها بفنائى
ليتنى أستطيع وَدِدْتُ حتى أحتسى ما احتسيتهِ من دمائى !

« • »

قالت البنتُ : يا أميمةُ تبّاً لك شمطاء ذات وجهٍ دميمِ
كم تريدين أن أعيش كما كنـ ـتِ تعيشين فى الزمان القديمِ
أنت غلٌّ فى معصمىّ ثقيلٌ وحجابٌ بينى وبين النعيمِ
ليتنى أستطيع وَدِدْتُ يا أمّ آه حتى أشمّ ريحَ النسيمِ !

« • »

صَحَتْ الأمُّ بعد ذاك فصاحت : يا ابنتى ! ياحمامتى ! عانقينى
عانقتها فتاتُها ثم قالت : أنت روحى وراحتى ! قبّلينى!

محمود غنيم



باب الحقيقة

(مثال من الشعر الصوفى)

سَرت بك ليلاً وهى فى سَبَحانِها الى قدس الأقداس فى غير ضلة
ترسَّمها السارى ولم يدرِ انها هدايةُ أهل السبق فى الابدية
يحنُّ اليها القلب تحنانَ عارفٍ وتصبو اليها كلُّ نفسٍ قوية
وكم ردَّ عنها قلبُ ولهان مدنفٍ تمنَّى رضاها لمحةً بعد لمحة
ولكنه لم يحتمل من صقالها مصارعَ أهوالٍ وأرزاء محنة
فراح يظن التّيه صرفاً عن الهوى ويحسب أن الحب تقديس دمية
ولو انه أوتِى كتاباً مفصَّلاً تعرَّف منه صفحةً بعد صفحة
وصابر حتى لاح فجرُ يقينها وشارف ليلى وهى فى غير جلوة
وساءلها عن سر ماحجبتْه من محاسنها خلفَ الستور الكثيفة
وناشدها الذكرى بصرعىَ جمالها وسمّى ضحاياها لدى كل أمة
وكان له فى السبق حظٌّ محاولٍ جرت باسمه الاقدارُ فى الازلية
فان سمحت يوماً بنظرة رحمة ولانت له بعد اللتيّا أو التى
هنا همزةُ الوصل التى هى منفذٌ الى باب سرِّ السرّ : باب الحقيقة

محمد الغنيمى التفتازانى



الأشواق التائهة

ياصبيمَ الحيَاةِ ! إنّى وحيدٌ مُدْلج ، تائهٌ ، فأيْنَ شُرُوقُكْ ؟

يا صميمَ الحياة ! إني فؤادٌ ضائعٌ ، ظامئٌ ، فأين رحيقُكْ ؟
يا صميمَ الحياةِ ! قد وجمَ النايُ وغامَ الفضا ، فأين بروقُكْ
يا صميمَ الحياةِ ! أين أغانيكَ ؟ فتحتَ النجوم يُصغي مشوقُكْ

* * *

كنتُ في فجريَ المُوَشَّحِ بالأحلامِ عطراً ، يرفُّ فوق ورودِكْ
حالماً ، ينهلُ الضياءَ ويُصغي لكَ ، في نشوةٍ بوحي نشيدِكْ
ثمّ جاء الدجى ... وأمسيتُ أوراقاً بداداً من ذابلاتِ الورودِ
وضباباً من الشذا .. يتلاشى بين هولِ الدجى وصمتِ الوجودِ
كنتُ في فجركَ المُغلَّفِ بالسحرِ فضاءً من النشيدِ الهادي
وسحاباً من الرؤى ... يتهادى في ضميرِ الآزالِ والآبادِ
وضياءً يعانقُ العالمَ الرحبَ ويسري في كلِّ خافٍ وبادِ
وانقضى الفجرُ فانحدرتُ من الأفقِ تراباً إلى صميمِ الوادي

* * *

يا صميمَ الحياةِ ! كم أنا في الدنيا غريبٌ ! أشقى بغربةِ نفسي
بين قومٍ لا يفهمونَ أناشيدَ فؤادي ، ولا معانيَ بؤسي
في وجودٍ مكبّلٍ بقيودٍ تائهٍ في ظلامِ شكٍّ ونحسِ
فاحتضنّي ، وضمّني لكَ بالماضي فهذا الوجودُ علّةُ يأسي

* * *

لم أجدْ في الوجودِ إلّا شقاءً سرمديّاً ولذّةً مضمحلّهْ
وأمانيّ يُغرقُ الدمعُ أحلاها ويُفني يمُّ الزمانِ صداها
وأناشيدَ يأكلُ اللهبُ الدامي مسرّاتِها ويُبقي أساها
وورُوداً تموتُ في قبضةِ الأشواكِ ... ما هذه الحياةُ المملّهْ ؟

* * *

سأمٌ هذهِ الحياةُ مُعادٌ وصباحٌ يكُرُّ في إثرِ ليلِ
ليتني لم أفدْ إلى هذهِ الدنيا ولم تسبحِ الكواكبُ حولي !
ليتني لم يُعانقِ الفجرُ أحلامي ولم يلثمِ الضياءُ جفوني !
ليتني لم أزلْ كما كنتُ : ضوءاً شائعاً في الوجودِ غيرَ سجينِ !

ابو القاسم الشابي



الجنة الضائعة

كمْ من عُهودٍ عذبةٍ في عدْوةِ الوادي النضيرْ
فِضّيةِ الأسحار مُذهبةِ الأصائل والبكور
كانت أرقَّ من الزهور ، ومن أغاريد الطيور
وألذَّ من سحر الصِّبا في بَسْمَة الطفل الغرير
قضيتها ومعي الحبيبةُ لا رقيب ولا نذير
الاَّ الطفولة حولنا تلهو مع الحبِّ الصَّغير
أيام كانت للحياة حلاوة الروض المطير
وطهارةُ الموج الجميل ، وسِحْرُ شاطئه المنير
ووداعة العصفور ، بين جداول الماء النمير
أيامَ لم نعرف من الدُّنيا سوى مَرَحِ السُّرور
وتَتَبُّعِ النَّحْل الأنيق وقَطْفِ تيجانِ الزهور
وتسلُّق الجبلِ المكلل بالصَّنَوْبَر والصخور
وبناء أكواخِ الطفولة تحت أعشاش الطيور
مسقوفةً بالورد ، والاعشاب ، والورق الغضير
بنِى ، فتهدمها الرياحُ ، فلا نضجّ ولا نثور
ونعود نضحك للمروج وللزَّنابق والغدير

ونخاطب الاصداء ، وهى ترفّ فى الوادى المنير
ونُعيدُ أغنيةَ السَّواقى وهى تلغو بالخرير
ونظلُّ نركض خلف أسراب الفَراش المستطير
ونمرُّ ما بين المروج الخضر فى سكر الشُّعور
نشدو ونرقص - كالبلابل - للحياة وللحبور
ونظلُّ ننثر للفضاء الرحب والنَّهر الكبير
ما فى فؤادينا من الأحلام أو حلو الغرور
ونشيد فى الأفق المنوِّرِ من أمانينا قصور
أزهى من الشَّفَق الجميلِ ورونقِ المرج النضير
وأجلّ من هذا الوجود وكلّ أمجاد الدُّهور...
أبداً ، تدللنا الحياةُ بكل أنواع السرور
وتبثُّ فينا من مراح الكون مايغوى الوقور
فنصيرُ ، ننشدُ لهونا المعبودَ ، فى كلّ الأمور
ونظلُّ نعبَث بالجليلِ من الوجود وبالحقير .
بالسائل الأعمى ، وبالمعتوه ، والشيخِ الكبير
بالقطة البيضاء ، بالشاةِ الوديعةِ ، بالحمير
بالعُشْبِ ، بالفننِ المنَوّرِ ، بالسَّنابلِ ، بالسفير[1]
بالرَّملِ ، بالصَّخرِ المُحطَّمِ ، بالجداول ، بالغدير
واللهوُ والعبثُ البرىءُ الحلوُ مطمحنا الأخير
ونظلّ نَقفزُ ، أونغنى ، أونثرثرُ ، أو ندور
لا نسأم اللهو الجميل ، وليس يدركنا الفتور
فكأننا نحيا بأعصابٍ من المرحِ المثير

(١) ما تساقط من اوراق الشجر .

وكأننا نمشي بأقدام مجنَّحة تطـــــير
أيام كنا لُبَّ هذا الكون ، والباقي قشور
أيام تفرشُ سبلنا الدنيا بأوراق الزهور
وتمرُّ أيامُ الحياة بنا ، كأسراب الطيور
بيضاء ، لاعبةً ، مُغرِّدةً ، مجنَّحةً بنور
وتُرفرفُ الأفراحُ فوق رؤوسنا أنَّى نسير!

* * *

آه! توارى فجريَ القدسيُّ في ليل الدهور
وفنى ، كما يفنى النشيدُ الحلوُ ، في صمت الأثير
أوّاهُ! قد ضاعت عليَّ سعادةُ القلب الغرير
وبقيتُ في وادي الزمان الجهم أدأبُ في المسير
وأدوسُ أشواكَ الحياة بقلبيَ الدامي الكسير
وأرى الأباطيل الكثيرةَ والمآثم والشرور
وتصادمَ الأهواء بالأهواء في كلِّ الأمور
ومَذَلّةَ الحقِّ الضعيف وعِزَّةَ الظلم القدير!
وأرى ابنَ آدمَ سائراً في رحلةِ العُمُرِ القصير
ما بينَ أهوال الوجودِ ، وتحتَ أعباءِ الضمير
متسلِّقاً جبلَ الحياةِ الوعرِ ، كالشيخ الضرير
دامي الأكُفِّ ، مُمزَّقَ الأقدامِ ، مُغبَرَّ الشعور
مُترنِّح الخطواتِ ما بين المزالق والصخور
هالتْهُ أشباحُ الظلامِ ، وراعهُ صوتُ القبور
ودوىُّ إعصارِ الأسى والموتِ في تلك الوعور!

* * *

ما ذا جنيتُ من الحياة ومن تجاريب الدُّهور
غيرالندامةِ والأسى واليأسِ والدَّمع الغرير؟
هذا حصادى من حقول العالمِ الرَّحْبِ الخطير
هذا حصادي كلُّهُ فى يقظةِ العهْدِ الأخير

* * *

قدكنتُ فى زمنِ الطفولةِ والسذاجةِ والطهور
أحْيا كما تحيا البلابلُ والجداولُ والزُّهور
لا تحفلُ الدُّنيا ، تدورُ بأهلها أو لا تدور
واليومَ أحْيا مُرهَقَ الأعْصاب مشبوب الشعور
مُتأجِّج الاحساسِ ، أحفلُ بالعظيم وبالحقير
تمشى على قلبي الحياةُ ، ويزحفُ الكونُ الكبير
هذا مصيرى ، يا بنى الدنيا ، فما أشقى المصير !

تونس : ابو القاسم الشابي

حنانيك

حنانيكَ ما دنياكَ الا على هُدَى تفرقنا يوماً لتجمعنا غدَا
وما دام قلبانا على الود والهوى حريصين ، فلنلبث حبيبين سرمدَا
صروفٌ من الدنيا تعودتُ حملها فألفيت فيها الذلَّ فى الحب سؤددَا
وانى ليكفيني رضاكَ وبعده فما فيكِ يادنيا ضلالٌ ولا هُدَى

* * *

دموعى فصنها أن تهان وكنْ بها رفيقاً فقد أضحت لىَ الآنَ موردَا

فأنهل منها كلما جف موردي من الصبر أو ضاقت بيَ الأرضُ مقعدَا
حنانيكَ ، قد جفت من اليأس أدمعي وباتت شجوني مثلما بتُّ مسهدَا

محمود احمد البطاح



قســـوة

سأقسو فلا أحنو ولا أترَحَّمُ وانزع من قلبي الحنان فأنعمُ
سأقسو مع القاسين يلهون غبطة فلا شيء أشكوه ولا شيء يؤلمُ
سأقسو لاجلو الهمّ عني فينجلي فلا دمع ابكيه ولا همّ اكتمُ
سأقسو وما كان الجفاء سجيتي ولكن لان الكون يقسو ويظلمُ
سأقسو وايّ الناس يلقى نصيبه من العيش مُرّاً ثم لايتجهَّمُ ؟
سأقسو على رغمي واجفو على أسى وما كنت قاسي القلب أجفو وأظلمُ
سأقسو فتبْ ياقلبُ واقسُ فطالما خفقتَ حناناً فاشتفى منك لُوَّمُ
سأقسو ولكن في السويداء رحمةٌ وعطفٌ ، وفي الأجفان دمعٌ يترجمُ



سأقسو وما في الناس قلبٌ عرفته يئنّ اذا آسى ويحنو ويرحمُ
سأقسو وقد كان الحنان يؤزُّني فيفرى حشاشات الفؤاد ويسقمُ
سأقسو وقد أصبحت شيخا مهدَّماً فقلبي من الأرزاء نهبٌ مقسَّمُ
سأقسو وقد باتت أمانيَّ في الثرى تُلاطم عصف الريح والريح تلطمُ
سأقسو لأن النفس تشقى بعطفها على حين أن الخلق بالغدرِ مغرمُ
سأقسو فلا أحنو لتغريد طائر ونوح حمام بالأسى يترنَّمُ
سأقسو فلا أبكى لدمعة بائس رماهُ من الأقدار غدرٌ وأسهمُ
سأقسو لأني لا أجازى برحمتي لحظى من الأحياء بغضٌ ملَثَّمُ
سأقسو وأرمى القلبَ من بين أضلعي وأبْدِلُهُ صخراً فلا يتحطمُ !

فايز العمروسي

القلب الميت

ياقلبُ هل عصرتْ دماءَك راحةُ الموت الأثيمْ ؟
فهمدتَ كالأمل الحزين بمهجة الطفل اليتيمْ
وسكنتَ كاللحد العميق بخيمة الليل البهيمْ
شردتْ حياتك فى فضاء الكون من وجد تهيمْ
حامت على كأس المنون يحفّها الحزنُ الأليمْ
يلهو بها نحسُ الشجون وتشتكى عصفَ الهمومْ
فتهافتتْ .. والجامُ غرّارٌ إذا ولِعَ النديمْ
ولهانةً مالتْ يرفّ بها الهوى الطاغى الغَشومْ
فاذا بهـا بدداً كأنفاسٍ سَرَيْنَ مع النسيمْ
لا حِسَّ ياقلبي ... خمدتَ فصرت كالجسد الرّميم
واهاً عليكَ تناهبتكَ يدُ الرّدى العادى الظلومْ!

« • »

بالأمس كنتَ تئنّ فى صدرى أنين شجٍ عميـدْ
وترنُّ فى جنبيَّ ذا خَفَـق وذا بأسٍ شـديدْ
تنزو إذا خطر الجمـالُ وإن تولى قد تميـدْ
نشوان من خمر الصبابة ما بدتْ حسناءُ رودْ
فى حيرة النزقِ الشديد وخفّة الظبي الشرودْ
تهفو على الحسن الرّفيف وكلّ بسّام بَرودْ
من خُرّد الغيـد الملاح ومن أزاهير الورودْ
عفّ الهيام اذا تحبّ وان عشقتَ فلا صُدودْ
تتلو بمحراب الضلوع مراثىَ الامل الوئيـدْ
فى كل شادٍ حطمت آرا به سودُ الجدُودْ
ومؤمّلٍ أذوى أمانيـه هوى الدهر العنيـدْ
وتلوح ما بسمَ الورى قيثارة الطّربِ السعيدْ
تُملى على الايام أنغـامَ السعادةِ فى الوجودْ !

« ٥ »

واليومَ واقلبي ! أراكَ معفراً فوق الترابْ
كجناح فاختةٍ تقسَّمَ جسمَـها ظفرُ العقابْ
سال الدم القانى عليك فلاح كالشفق المـذابْ
قد كنت قبلُ تفيض بالذكرى وآمالِ العذابْ
كالزَّهرة الفيحاء تنفحُ بالمنى روضَ الشبابْ
ما لى أصيح اليومَ استوحيـك آياتِ المتابْ
عَلِّ أسأتك بالهوى وأمانىَ الحبِّ الـكذابْ
وأثمتُ إذ أوردتُك العثرات فى خـدع الطِّلابْ
فأراعُ من خَرَسٍ عَراكَ ..فلا ملامَ ولا عتابْ
حضنتك عاديةُ الردى فنزحت لاتبغى المآبْ
فارقت دهراً كلُّه همٌّ وزيفٌ واختـلابْ
ورحلتَ عن دار تخلق أهلـها طبعَ الذئابْ !

محمود حسن اسماعيل

الحسناء الباكية

كشَفـتْ لله حزناً صدرَها غادةٌ هيفـاءُ تشـكو أمرَهـا
فى أنـينٍ سَرمَديٍّ خافتٍ يخلع النفسَ وينضو صبرَها
بعَثَتْهُ يتشـكّى قَدَراً لم تجدْ فى صرفه ما سَرَّها
هذه الانَّاتُ رقَّتْ كالصَّبَا ومَرَتْ فى الليل تروى سِرَّها

• • •

خَيَّمَ الليلُ على دنيا الكرَى وطَوى الاجفانَ فى الليل الهجوعْ
غير جفنٍ يتمنَّى غائباً ما له يوماً الى الدنيا رجوعْ
لاتراه الليلَ الاَّ ساهداً يتأسَّى عن هواه بالدموعْ
يُطفىءُ الشوقَ فتُذكى نارُه كلما أنْ جَدَّ للذكرى نزوعْ

« ٥ »

يحسد الموتى شجىٌّ ساهرٌ قرّحَ الجفنَ بدمعٍ لا يغيبْ
هذه الحسناء شابت روحُها فى فنون الحزن من قبل المشيبْ
وقفتْ تستفسر الليلَ : أما آنَ يا ليلُ عن الدنيا المغيبْ ؟
طالما يا ليلُ عالجتُ الهوى فى مَجاليكَ وعانقتُ الحبيبْ

« ٥ »

ذكرياتٌ من عهودٍ قد خلَتْ لم تزل ترتاد تيهَ الذاكره
إرثُها اليومَ محبٌّ يشتكى وحبيبٌ ناعمٌ فى الآخرهْ
لِمَ يا ليلُ عيونٌ لم تذقْ لوعةَ السهد وأخرى ساهرهْ ؟
لِمَ يا ليلُ نفوسٌ تجتلى لذةَ الدنيا وأخرى حائرهْ ؟

« ٥ »

حرّكَ الحسناءَ فى صمت الدجى همَسَاتٌ رُدِّدَتْ فى صومعَهْ
هى أنات فؤادى المجتلى بشجَى الدنيا ونفسى المترعَهْ
هى نجوى الروح من عزلتـه يتناجى والذى يبكى معَهْ
هى هزّاتُ خيالٍ ناضرٍ قد سقاه الدمع حتى أينعَهْ

« ٥ »

فتناست ما بها من شقوةٍ لحظة إذْ أرهفَتْ لى أذنيها
وسعتْ ليلاً إلى صومعةٍ عبثتْ الأيام ألجانى إليها
وأقمنا الليل فى الشكوى وقد قلتُ ما عندى وقالت ما لديها
فتحيرْتُ وحارتْ أدمعى أعلى بلوايَ تبكى أم عليها ؟

صالح جودت



سوف أنساك

عصفَ الدّهرُ بآما لِ محبٍّ مستهامْ
وأبى الشوقُ على عيـ نِ محبٍّ أن تنامْ
ومِن الشوقِ سعيرٌ مثلُ مشبوبِ الضّرامْ

* * *

شَدَّ ما يَلقى فؤادى من تباريح الهيامْ
كم تذوَّقتُ أفاويـ قَ وصالٍ وغَرامْ
وتحملتُ من الهجـ ـرِ أفانينَ السّقامْ

* * *

سوف تخبو نارُ حبي ما لِلحُبِّ من دوامْ
ثم أنساكَ وتنسا نى وينسانا الغرامْ
ثم لا يبقى على الأيـ ـامِ حبٌّ أو خصامْ

كامل كيلانى

ضراعة

يا مَنْ يصون لها قلبي محبَّتها ومن إليها تناهتْ كلُّ أشواقى
هلاَّ رثيتِ لقلبٍ باتَ مُحترقاً وماء عينٍ على الخدَّين رَقراقِ
ظلمتِنى فى الذى قد فاتَ مِنْ أملى هل تسلكين سبيلَ العدل فى الباقى؟
وردتُ حبَّك لم أنهل سوى غُصَصٍ للهِ للهِ ، ما أقساكِ مِنْ ساقٍ !

. . .

كم بتُّ أُنشدها ما قلتُ من غزلٍ فيها ويشكو لها همى وإطراقى
أشكو إليها ولا جدوى ، فوا لهفى ! حتى الهوى أنتهى منه باخفاق
يا قلبُ قيّدتنى بالأمس فى شركٍ فاليومَ يا قلبُ هل تسعى لاطلاق ؟

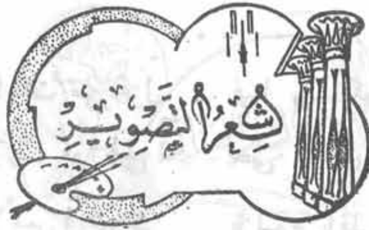
محمد برهام



بيضة الفصح

« بيضةُ الفصح » صورةٌ من زمانٍ خصَّها أهلهُ ببعض صفاتِ
جعلوها رمز الحياةِ فكانوا أصدقَ الناس نظرةً فى الحياةِ
فهى وجهٌ من اصفرارٍ نضارٍ وهى طيفٌ من اخضرارِ النباتِ
ومثالٌ مِنْ حُمْرةٍ فى بياض كدماءٍ تلوحُ فوقَ ظباةِ
أمسكتْ سُبْحةَ القرونِ بكفٍّ بسطتْ من شؤونها صفحاتِ
فرآها « الرُّومانُ » أقدسَ قربا نٍ يزكّى القنوتَ والصلواتِ
وكساها « الكلدانُ » أثمنَ عقدٍ باركتْهُ الكهَّانُ بالعبراتِ
ونَضاها « لويسُ » من كرةِ المدْ فعِ سرًّا يدبُّ فى الغَمَراتِ
هاتفاً بالسلام فى غسَقِ الحرْ بِ كفجرٍ يطارد الظلماتِ
لن يزال « التاريخُ » يلفظ منها أيةَ الخلدِ فى فم « السنواتِ »

مرسى شاكر الطنطاوى



الاحدب

(مشهدٌ من الاسطورة المكسيكية « الحنطة الثائرة »)

فى قديمِ الآبادِ غرَّدَت الارضُ بلحنِ المحبّةِ القدسىّ
لم يكن أهلُها سوى كلِّ محبوبٍ سعيدٍ وكلِّ قلبٍ وفىّ
فاستوَى الأحدبُ الخبيثُ على العرشِ كئيباً بملكهِ السفلىّ
حائراً لا يرى سبيلاً الى الثأرِ من الناسِ والوجودِ الهنىّ

***

استوى الأحدَبُ المروِّعُ كالقردِ وأوْفَى بروحهِ ابليسُ
فوق صخرٍ كقلبهِ ، اخضرٌ كالماء إذا ناله النباتُ الحبيسُ
مَشْهَدٌ للتناقضِ الجمِّ من فنٍّ عجيبٍ فيه النفيسُ الخسيسُ
وتراءى الأصباغُ فى جوِّه القاسى كما يجتلى النحاسُ الرسيسُ(١)

***

أىُّ دنيا هذى من الصخرِ والمعدن والطحلب الذى ساء لونا ؟!
أىُّ مرأًى هذا الذى يجعل الفنّانَ يهوى ويكره الفنَّ عيْنا ؟!
أىُّ سوءٍ يُطلّ من هذه اللوحةِ للفنِّ إنْ تمثّل معْنَى ؟!
أىُّ رَمْزٍ وأىُّ نُطقٍ وإفصاحٍ وهَوْلٍ ووحشةٍ تتجنَّى ؟!

***

(١) الرسيس : الأثرى الصدى.

جلس الاحدبُ المروِّعُ حيرانَ ومن حولِه الطيورُ الكواسرْ
فى نظام الحُرّاسِ حولَ زعيمٍ وجههُ صورةُ الرَّدَى والمخاطرْ
وترَاءى الطيورُ أنفسها لوناً من الشرِّ ساكناً وهو طائرْ
فى سوادِ الجلبابِ والمعطفِ الابيضِ كالليلِ مقْحِماً نورَ ثائرْ

***

مَشهدٌ داعبَتْه رُوحٌ من السحْر فأوحَى بروحِه الأَرىِّ
وتجَلّى البخورُ فيه ضحايا فى دخانٍ يُصاغُ من كلِّ حىّ
وعجيبُ النقوشِ والنحتِ فى الصّخرِ تهويلٌ للزمانِ العتىِّ
هو مَرْأًى أحارُ من نظرتى فيه ... أفيهِ غباوةُ العبقرىِّ ؟!

***

صاحَ : « يا عبدُ ! خُذْ إلى ظاهرِ الأرض حريصاً رُسْلاً لنا أوفياءْ
خُذْ لها ذلكَ (التحاسُدَ) و (الاثرةَ) و (المكرَ) و (الدَّنا) و (الرياءْ) ! »
قال هذا وقد ركع العبدُ ولاءً والطيرُ أصغى ولاءْ
وهو فى فرحةٍ بما وُفّقَ للأرضِ من الرُّسْلِ كى تُعانى الشقاءْ !

احمد زكى ابو شادى

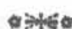


الانتظار

لعينيكَ احتملنا ما احتملنا وبالحرمان والذلِّ ارتضينا
وهانَ إذا عطفتَ ولو خيالا واين خيالك المعبودُ أينا ؟!

تعالَ فلم يعد في الحيّ سارِ وهوّمت المنازلُ بعد وهنِ
وران على نوافذها ظلامٌ وقد كانت تطلّ كألف عينِ
تعال! فقد رأيتُ الكون يحنو عليّ ويدرك الكرب الملمّا
ويجلو لي النجوم فازدريها واغمض لا أريد سواك نجما!
ومنتظر بابصاري وسمعي كما انتظرتْكَ أيامي جميعاً
وهل كان الهوى إلا انتظاراً شتائي فيك ينتظر الربيعا!
أرى الآباد تغمرني كبحرٍ سحيق الغور مجهولِ القرار
ويأتمر الظلام عليّ حتى كأني هابطٌ أعماق غارِ
وتصطخب العواصفُ ساخرات وتطعنني بأطراف الحرابِ
وتشفق بعد ماتقسو فتمضي لتقرع كل نافذةٍ وبابِ
فصحت بها الى أن جفّ حلقي فحين سكتُّ كلمني إبائي
واشعرني العذاب بعمق جرحي واعمق منه جرح الكبرياء
ولما لمْ تفز بلقاك عيني لمحتك آتياً بضمير قلبي
واسمع وقع أقدامٍ دوانٍ وانصت مصغياً لخفيف ثوبٍ!
واخلق مثلما أهوى خيالا! واستدني الامانيَ والحبيبا
وابدع مثلما أهوى حديثاً لناءٍ صار من قلبي قريبا
مددت يديّ في لهف اليه أشاكيه بمحتبس الدموع
فيسبقني الى لقياه قلبي وثوباً ثم يبرد في ضلوعي
فتصطخب العواصف ساخرات وتطعنني باطرافِ الحراب
وتشفق بعد ما تقسو فتمضي لتقرع كل نافذةٍ وباب!

ابراهيم ناجي



ما للغرام وما لي!

أرقتُ منه الليالي ما للغرام وما لي!
أما كفاه نحولي؟ أما كفاه هزالي؟

الحبُّ فيه بقائى والحبُّ فيه زوالى
ولذةُ الحبِّ دينى ولو ركبتُ ضلالى
يطوف بالحبِّ قلبى فراشة لا تبالى
قلبٌ بغير غرامٍ جسمٌ من الروح خالى

« • »

أما رأيتَ حبيبى ؟ أما سمعت ابتهالى ؟
أنظره كيف تَهادى من رقة ودلال
للحظه كهرباءٌ مسَّت بغير اتصال
وللشفاه احمرارٌ كجمرة فى اشتعال
والثغر يبدى ثنايا عشقتُ منها اللآلى

« • »

قل للاحبة رفقاً بحالهم وبحالى
يبدون صدّاً ولكن هم ينشدون وصالى
ما أقصر العمر حتى نضيعه فى النضال !

كرمة ابن هانىء ـ الجيزة : حسين شوقى

صلاتى

أحقاً كنت فى قربى لعلى واهم وهماً
تكلمْ سيدَ القلبِ وقُلْ لى : لم يكن حُلماً
دنوتَ الىَّ مستمعا فبحتُ وفرطَ ما بُحتُ
بعادُك والذى صنعا وهجرُك والذي ذقتُ
وحبِّى ! ويحه حبى تَبيُعكَ حينما كنتُ
تكلمْ سيدَ القلبِ وقلْ بالله ما انتَ !

أرى في عمق خاطركَ جلالاً يشبه البحرا
وألمح في نواظركَ صفاءَ الرحمة الكبرى

وأنت رضًى وتقبيلُ وأنت ضنًى وحرمانُ
وفي اللحظات تقتيلُ وفي البسمات غفرانُ !

وأنت تَهلُّلُ الفجرِ وبسمتُه على الافقِ
وحيناً أنةُ النهر وحزنُ الشمس في الغسقِ

وأنت حرارةُ الشمسِ وأنت هناءةُ الظل
وأنت تجارب الامسِ وأنت براءة الطفلِ !

وأنت الحسنُ ممتنعًا تحدَّى حصنُه النجبا
وأنت الخيرُ مجتمعًا وعندك عرشه الاسمى

وعندك كلُّ ما أظما وردَّ القلب لهفانا
وعندك كلُّ ما ادمى وزاد الجرح إثخانا

وعندك كلُّ ما أحيا وشدَّد عزمة الواهي
حنانُكَ نضرة الدنيا وقربُك نعمةُ الله !

وفيمَ هواجسُ القلب وفيم أطيل تَسآلي
أحبك أقدسَ الحبِّ وحبك كنزيَ الغالي

سناكَ صلاة أحلامي وهذا الركنُ محرابي
به ألقيتُ آلامي وفيه طرحتُ أوصابي

هوًى كالسحر صيّرني أرى بقريحة الشهبِ
وطهّرني وبصّرني ومزّق مغلقَ الحجبِ !

سموتُ كأنما أمضى · الى ربٍّ يناديني
فلا قلبي من الارض · ولا جسدى من الطين !

سموتُ ودقّ احساسى · وجُزتُ عوالم البشرِ
نسيتُ صغائرَ الناسِ · غفرتُ إساءةَ القدرِ !

ابراهيم ناجى

النور الجديد

وصلتِ ما مرَّ مِنْ عمرى بآتيهِ · فرُحْتُ أكحل عينى من مرائيهِ
مَجْلَى من النُّور لم أبلُغ مَطالعَهُ · أنّى اتجهتُ ، ولم أُدرك تناهيه
الصبحُ يبلُجُ تيَّاهاً بصادحهِ · فى مسْمَعيَّ جديدٌ من أغانيهِ
والفجرُ .. قبل ارتحال الفجر لمَّح لى · عمّا يضمِّنُ صُبحى فى معانيهِ
والطيرُ تهتفُ والأزهار رانيةٌ · كأنها تتحرّى مَن تناجيهِ !

« ٠ »

هذا هو الحائرُ الشادى على ذِكَرٍ · من الحسانِ المواضى من لياليهِ
يسامرُ الليلَ بالإنشاد يُطربهُ · ويوقظ الفجرَ من رُؤيا دياجيهِ
ويلثم الصبحَ لم تُفتَحْ كمائمُهُ · ويعبدُ الحُسْنَ لم يظفرْ بتأليهِ
قد أرْهَفَ الحبُّ بالشكوى مشاعِرَهُ · ونبَّه الفنَّ إحساسُ الهوى فيهِ
ما لوْعةُ القلبِ إلاّ فى ابتسامته · وحيرةُ الدمع إلاّ فى مآقيهِ
مارَعْشةُ النُّور إلاّ من تلهُّفِهِ · وحيرةُ النجم إلاّ بعض ما فيهِ
هذا هو الشاعرُ المسحورُ قد أسرَتْ · إلَـهَةُ الحسنِ سرّاً كان يحويهِ
فراح يُسكرها من مُهْجةٍ عُصِرتْ · خمراً ، ويسحرها ممّا يغنّيه
وعاد أسعدَ قلباً منهُ فى زمنٍ · كان الفؤاد به يمضى الى تِيهِ

« ٠ »

أصغيتُ للطير مبهوتاً فأدهشني ما تفهم الطيرُ عنى دون تنويهِ
فرُحْتُ أنظرُ حولى فاقتنعتُ بما يردّدُ الطيرُ عنى فى تناغيهِ
النُّور يبسُط لحوى كلَّ راحتهِ ويملأُ النفسَ ممّا فى أياديهِ
ما قيمةُ الصوت إن لم يستعدهُ صدًى من مُهجة الكون يسرى فى نواحيه؟!
وقيمةُ الرّوح إن لم تسترحْ لهوًى وقيمةُ القلبُ إن لم يُبْدِ ما فيهِ؟!

حسن كامل الصيرفى



لمحات

فجر الحسن

أيها المشرقُ فى عليائه حسنك العالى على الدنيا سبانا
أنت لحنُ الحبّ فى الارضِ تغنّى ذلك الطير بضاحيه افتتانا

الذاكر الناسى

يامن يغنيه شعرى كالنور فى قُرب شمس!
ومن يغار فؤادى منه على حب نفسى
ضلّ الذى قال يوماً إن البعاد يقسّى
صحيحٌ هجرك يضنى وذكر حبّك يُنسى

صورتك السماوية

ما البدر إلا صورة لك يا وحيداً فى البهاء
عكست محاسنها البهيّة حين واجهت السماء

حبّك

لقد كان مثل النسيم الخفىّ يُحَسّ ولا يرتئيه البصرْ

فلما تجافيتَ شاع الهـوَى وأصبـح مثـل شعاع القمرْ !

قِصَرُ الخلود

خُلقنـا لنلهو فى الحيـاة بجبنـا ونسعد فى رحب من العيش واسع
وما كنتَ الا الحسن فى كل شائع وما كنتُ إلا الحبّ فى كل ذائع
ملأت الليـالى من سناك وسامة وأترعتهـا من صبوتى بمدامعى
صحيفتنا فى الارض خالدة بنـا ومن بعدنا تبقى بشدو السواجع
فكم لقّنت هذى الطيور أحبـةً فرجّعت الذكرى بافق المسامع
وفى النغم التخليد من غفوة الردى وفى سرمدٍ من عالم الحب شاسع
ويحزننى أن يقصر الخلد دوننـا فياليت شعرى هل ستبقى اذن معى ؟

حياتى

كأن حيـاتى غنـوة جاهليـةٌ شـدتها الليـالى للقرون بـلا معنى
كأنى أنا فيها شجىٌ غنـائها أقام لهـا ذكرى تغنّى بهـا الاذنا

الشيخوخة

الحمـد لله إنى على حداثة سنّى
هرمتُ فى كل حب وشبت فى كل حزن !

البدلة الصفراء

يا قطرة من ندى رفّت على زهرهْ !
يا قمراً ساطعاً قد لاح فى صُفرهْ !



يا لمعةً سطعتْ فى الفجر من دُرّهْ ؟

مكنّ محبك من ثغرك ذا . مرّةْ !
دعنى على فيك كى أطفىء بى جمرهْ
فنى رضابك لى يامنيتى خمرهْ
كم أشتهى لو أمو ت راشفا ثغرهْ !
وإن أمت فشعا ع ذاب فى قطرهْ
أو أننى نحلة ماتت على زهرهْ

القمر العاشق

ألم تر البدرَ مصفرّاً به مرضٌ كأنه أنا يا دنياى تشبيها ؟
صادته منك لحاظ فى سماوته فبات فى لوعة منها يقاسيها
فى الأرض منها قلوب الناس شاكية وفى السماء « ملاك » الليل يبكيها

« • »

أم هل ترى نوره كالدمع منسكباً يهمى على وجنة الأزهار يرويها
يبثّ أحزانه للنجم ممتثلا وللنجوم قلوب ما تواسيها
فيا له من شج قد راح مشتكياً إلى شجٍ من هموم ليس يدريها

« • »

هذى النفوس إذا حانت منيتها فنى عيونك سحر سوف يحييها !

نصائح الشيب

نصائح الشيب تحكى ضياء شمس الشتاء
ما تدفىء المرء لكن احسانها فى الضياء

الحب والطبيعة

ألم تر للحب كيف انبرى يصوّر فى الكون أبهى الصورْ ؟

وكيف ترقرق منه النسيمُ ... وكيف ترقق منه القمر؟
وكيف تهذب منه الحمام ولم يُرَ فى البوم هذا الاثر؟

أيها التائه

أيها التائه خفف من خطاك ! إن فى القبر فؤاداً ما سلاك
شيّع الأحلامَ فى رقدته وسلا الكلّ ولم يذكر سواك
ليس يبغى أن يرى الجنة فى « نفخة الصور » .. ولكن أن يراك

م . ع . الهمشرى



لولاك

لولاكِ ما ذقتُ الحياةَ شهيةً صفواً من الاكدار والاوهام
ولما نظرتُ: فكل معنى ضاحك فيها يشوق مع الاسى أحلامى
ولما رُبيتُ على الحنان أذوقه من أعين تروى الفؤاد الظامى
ولما رأيتُ الحظَّ يبسم ساعة متهللا فتبسمت آلامى
ولما رقصتُ مع الزهور صباحها ومساءها فى نشوة وغرام
ولما شدوتُ مع الطيور بروضةٍ فيها الخريرُ مرَقَّصُ الانغام
انى لأحفظ كلَّ ما أسديته ولسوف أذكره مدى الايام

محمد الوشادى



شجون مهجور

ياخليلىَّ بالمنى علّلانى واذكرا الصِّدقَ: هل تطيب الأمانى؟
لا ! وأيم الذى أمات وأحيا وسقانى بالحب كأسَ الهوان

« ٥ »

ربّ ليلٍ قطعتُه فى صفاءٍ   فى خدور المقنّعات الحسانِ
بارتشافِ الرضاب عذباً رحيقاً   من ثنايا نُضِدْن كالأقحوانِ
وحديثٍ أرقّ من نسَمِ الصُّبحِ   وأحلى من سلسبيل الجنان



عبد الله عبد المجيد

مِنْ فتاةٍ للسحرِ ترْنو بعينٍ   ذاتِ فنٍّ تشوق منه المعانِي
لو رآها الذى تنسَّك جيلاً   تتثنَّى كموجةِ الالحانِ
لتصابَى بحبّها وتغنّى   بهواها وفات لحنَ الأذان !

« ٥ »

ايه ياليلُ نبّنى عن حبيبى   هل دهاهُ من وجْدِه ما دهانى ؟
أمْ تراه — وقد رمانى بهجرٍ —   ناعم البال شأن كل الغوانى ؟

عبد الله عبد المجيد

شمس لا تغيب

علمتُ لكلِّ عجيبٍ سَببْ ... وحيّرنى مرّهُ هذا العجبْ
محيّا مدى عمرهِ مَشرقٌ ... قلْ الشمسُ مذكوّنت لم تَغِبْ
فبسمتُه خلقةٌ فى اللمى ... وعبستُه كلفةٌ إن غضبْ
تدفّق منه شعاعُ السنا ... فناءَ الاثيرُ به، واضطربْ
اذا هاجم الليلَ إشعاعُهُ ... فما حِيلة الليلِ الا الهربْ
بهاءٌ محا فى النهارِ الظلالَ ... وفى الليل أخفى ضياءَ الشُّهبْ
وما سرّ ذا الومضِ فى الناظرين ؟ ... هل الروحُ مشرقةٌ عن كثبْ ؟
عجيبٌ بزوغُ الضيا من سوادِ العيـــون ، ... كأنّ الظلامَ التهبْ !

« • »

وما لاحَ وجهُ رقيبيَ إلاّ ... تيقّنتُ أن الجميلَ اقتربْ
أتوق لمرأى مُحيّا الرقيبِ ... لما بينَ قُربيهِمَا مِن نَسَبْ

« • »

أيا مُطلعاً فى المساءِ الصباحَ ... ويا مُجلياً ، ما بسمتَ ، الكرب
لحاظُكَ فى القلب تُذكى لظىً ... وبشرُكَ يُطفئُ فيه اللهبْ
وحتى مَ ذى النظراتُ التى ... تحيّر فى فهمها كلّ لُبْ ؟
أسِحرُكَ من فِعلِ هاروتها ؟ ... ولحظُكَ منْبتُ بنتِ العِنَبْ ؟
أتُطلق هذي السهامَ اعتباطاً ؟ ... والاّ فما هوَ منها الاربْ ؟
سواءٌ أسدّدتَ أم لم تسدّدْ ... نبالكَ ، فى القلب منها عطبْ
تُرى هل تغاضيكَ عن مُذنِبٍ ... تجنٍّ ؟ به فى رِضاكَ الريب
فحسبيَ علمك انى عشقتُ ... وسِيّان منكَ الرضى والغضب
وماذا يضيركَ انى الشهيدُ ... وأنتَ البريء وما من عتب

وإن كنتَ في فتنتي لاعباً ... فيا حبذا منك هذا اللعبْ

نقولا الحداد



الغروب

لا الكأسُ تُنسِي ولا الأحلامُ دائمة ... كلاهما ينتهي في صَحوةِ الفشلِ
أحببْتِ ظلمةَ هذا الليل ... واعجباً ... أما كفاكِ سوادُ الأعينِ النُّجلِ
وفيهما وحيُ نفسي في ضلالتها ... وَهَدْيُ رُوحي وما يُنجي من الزللِ
لا تنظري الشمس «ليلى» وانظري دَنِفاً ... غداً ستطلعُ ، لكني إلى أجلي
دنيايَ قائمةٌ « ليلى » وما وقعتْ ... رجلي على غير شوكٍ أو على وحَل
فلتغربْ الشمسُ أو تُشرقْ فقد ألفتْ ... نفسي سواداً طوى نفسي من الأزلِ
وما أنا غيرُ شيء في الوجود له ... حِسٌّ وقلبٌ جريحٌ غير مُنْدَمِلِ
وما أنا غيرُ أشعاري أرددها ... وحدي وأصغي لها نشوانَ في جَذَلِ
أنشودةُ الطائر الحيرانِ رجّعها ... صدى جفاكِ فلم تُسمعْ ولم تُقلِ
نفسي بقيةُ كأسي ، ليتني ثمِلٌ ... من حُلوِ شهدكِ ، لكنْ لست بالثملِ
عيناكِ خمري التي أحيَي بنشوتها ... عيناكِ شعري : رويٌّ لي على نَهلِ
خمري وشعري وأحلامي إذا انطبقتْ ... عيناكِ حالمةً والشمسُ في الطفَلِ !

محمد عبده عزام



يا قلب !

كم أقاسي من الحياة هموماً ... سِرُّها أنتَ يا فؤادي بحُمقِكْ
صدَّ عنكَ الحبيبُ – يا لهفَ نفسي – ... هل تُطيقُ الحياةَ من غير حبكْ
فاذْرفْ الدَّمعَ يا فؤادي ولكن ... هل يعودُ الحبيبُ من أجل دمعكْ

ذهبتْ عنك ، هــل تفيد الأمانى ؟ ذهبتْ عنكَ ، هل ترى عَوْدَ أمسكْ ؟

« ٥ »

هل رأيتَ المحبَّ يوماً أبيّاً فـتَسُومُ الحبيبَ خُطّةَ عسفكْ ؟
ما علمتُ المحبَّ إلاَّ مطيعاً لا يُقادُ الغرامُ فى مثل عنفكْ
يا حياتى هل لى اليك سبيلٌ هل سيأتى عيدٌ أرى فَجْرَ ثغركْ ؟
لا أطيقُ البعادَ عنك نهاراً هــل أطيق الفــراق فى طول ِ هجــركْ
قد سئمتُ الحياة من بدْء عمرى ما رَضيتُ الحياةَ الاَّ لاجلكْ
بَسمةٌ منكِ تملوْ النفس آما لاً ، وتُحيي الفؤادَ نظرةُ وحيكْ

احمد كامل عبد السلام



أنت من أنت

سألتنى ووَجْهُها فى يديها تحجبُ الطرفَ عَن جَنىَ وَجْنتَيْهَا :
« أترانى جميــلةً ؟ » قلتُ : هلا جئتِ (فينوسَ) فاحتكمت ِ إليهــا ؟
جرِّرِى فى الحياء ثوبَ الدلال وانتضى قَدَّ فتنةٍ واختيــالِ
وتثنىِّ كالبانِ أو كالغزالِ وسليها عن ساحرٍ قتَّــال !
أسبلى فرعَ ليلةٍ ظلماء إجتلى صُبحَ وجهكِ الوضاء
أرسلى نظرةَ السُّها للْماء وانثنى فاسألى عن الاغراء !
نضّدى لؤلؤاً كريمَ الثنــايا وابسمى ما رأيتِ عذبَ التحــايا
واسجعى كالطيور عوداً ونايا واسألى بَعدُ عن عـدا د الضحايا !
هو ذا الوحىُ جاء فى (التلمود) تخذَتْهُ (فينوسُ) رمزَ الخلود
فاقرئيهِ فى حسنك المعبودِ ورضابِ اللما وورد الخدودِ !
وارفقى بى لا تسألينى جوابا لستُ أسطيع للجمال خطابا
أنت ! مَن أنت قد فقدتُ الصوابا أنتِ معنىً كسا العقولَ حجابا !

محمد فريد عبد القادر



تحية مصر لفلسطين

(القيت فى حفلة الشاى التى دعا اليها سعادة راغب بك النشاشيبى عمدة القدس واعضاء المؤتمر الطبى)

أهِبْ ببيانك الصافى تدفّقْ وقفْ بالقدس واهتف فى رباهُ
وقم نقضى الحقوق اذا دُعينا أليس الشرقُ يجمعنا حماهُ ؟

« • »

سلام الله من أبنـاء مصر إلى أرض البسالة والفتوّة
من المهدِ الذى هزّ البرايا الى مهد القداسة والنبوّة !

« • »

مِن الوطن الـكريم على الليالى الى الوطن الـكريم على الجوارِ
مِن الوادى الخصيب بلا نظيرٍ الى الوادى المـكلل بالوقارِ

« • »

وقد رقّتْ حواشيه الى أن رأيت الطود يخضرّ اخضرارا
لقد فاض الجلالُ عليه حتى كأنّ عليه من نورٍ ازارا

« • »

تهبُّ به النسائمُ ساحراتٍ كان أريجها أنفاسُ موسى
وتأتلق الحياةُ على الروابى كأن على الروابى كفُّ عيسى

« • »

وتنظر روعةَ الاسلام فيه وقـد غمر المدائنَ والبـابا
فحيث تدير فى الأنحاء عيناً فنورُ محمدٍ مـلأ الرحابا !

حللنا فى ذراكم يوم عيد بعدنا فيه عن مصر مزارا
فألفينا لديكم ألف عيد تنسّينا الأحبة والديارا

« • »

وكم عبرت بلا فرح ليال وكم بالله اعيادٌ تمرّ
وكيف تطيب أعيادٌ وتحلو لصادٍ والفمُ المحرومُ مُرٌّ؟!

« • »

وكيف تطيب أعيادٌ وتحلو اذا عزّ التعاهدُ واللقاء
فان العيد عيدٌ يوم ندنو ويجمعنا التفاهم والإخاء

« • »

بنى القدس التفتُّ فسرّ قلبي جهودٌ بالشدائد لا تبالى
أرى روح الحياة تفيض فيكم وعزمكمو يفيض على الليالى

« • »

أرى أملاً وقلباً حيث أمشى واعثر بالحياة إذا التقيتُ
الى أن قال قائلُكم لديكم بأقصى الأرض بحرٌ وهو ميتُ!

« • »

خرجنا أمس فى ركبٍ جليلٍ نؤدي للمنية ما علينا
فلما أن بلغناه جميعاً وقرّ الركب عند الشط عينا
عجبت لمن يسمى ذاك ميتاً وقلت يمين ربى ذا إفتئاتُ
أميْتٌ من يحيينا ابتساماً وتشرق فى جوانبه الحياةُ؟!
نزلنا فارحين على ذراه فراشاتٍ تحوّم فيه وثبا
يكاد المرء يشربه سروراً كأن الملح فيه صار عذبا!

« • »

(أراغب)(١) قمتُ أهدى عن (علىّ)(٢) تحيات الكريم الى الكريم
وإن أشكر يداً لك وهى تُسدى فتلك يدُ العظيم الى العظيمِ!

ابرهيم ناجى

(١) راغب النشاشيبى بك (٢) الدكتور على ابراهيم باشا



قصة البخت النـــائم

للشاعر عثمان حلمي

— ٢ —

سار حتى بلغَ الروضَ النضيرا وهنا أبصر فى الليــل خيالا
واقفاً ينتظرُ الامر الخطـيرا شبحاً يزداد بالليــل جلالا
الشيخ : قال إنى لا أرى الا حقيرا مقبلاً أم سارقاً يبغى نضالا
لستَ يا هذا على الشر قديرا أن تنالَ الليل من شرٍّ منالا
عُدْ كما جئت ويكفيكَ خبالا
انى أحمى الفتى نفساً ومالا

يحيي : أنت من أنتَ وما ذا تلفظُ ؟ ما الذى تبغيه منى ؟ ما تريدْ ؟
البخت : إننى حظ أخيـك اليقظُ إننى أحميه من كل حسودْ
يحيي : كيف عن روض أخى تمنعنى وأخى أقربُ لى من كل فردْ ؟
مالـهُ مالى فلا يُرجعنى عن دخول الروض فى الناس أحدْ ؟
البخت : إننى أحميه من كلِّ حقودِ منـك أحميـه وممـا تحملُ
لم تسدْ فى قومها نفسُ حسودِ لا ، ولا ساد بحقـدٍ رجلُ
يحيي : فاذنْ قل لىَ مَنْ أنت اذنْ انى كدت لمـا ألقى أجنْ
البخت : قلتُ إنى بختُـه الصاحى فلا تُـكثرْ المؤلَ هنا والجـدلا

أيها الحاقد لا تحقد على أحدٍ فالحقدُ يُدنى الزللا
لا يُنيل الحقدُ يوماً أملا لا ، ولا للحظ حقدٌ بدلا
وإذا ما الحظ يوما أقبلا يُنبتُ الزهرَ بصخرٍ أمحلا
إن للحظ جنوداً وعلى
أمرها قامت جنودٌ فى العلى

يحيى : إيه يابختَ أخى الصاحى ألا دلنى إن كنت تدرى أين بختى
لم أحقق فى حياتى أملا لا ، ولا أبهجنى زرعى ونبتى
كلما أزهر روضى ذبلا عَمِلَ الحظُ على ذُلى ومقتى
وسعى الدودُ به حتى خلا وكظمت الغيظ فى صبرى وصمتى
دلّنى إن كنت تدرى أين بختى
فلقد فضّلت عن عيشىَ موتى

البخت : بختكَ النائم فى قفرٍ بعيدٍ فى بلادٍ غير هذا البلدِ
دونه بيدٌ ترامت بعد بيدِ وسبيلٌ فى طريقِ الاسدِ
فستلقاه وحيداً فى صعيدِ نائماً من تعبٍ فى مرقدِ
سرْ إلى بختك فى عزمٍ شديدِ وتزوَّدْ بالمنى والجلدِ
إن صحا من نومه لم يرقدِ
بعدها حتى انتهاء الابدِ

إن صحا من طولِ نومٍ لم ينمْ بعدأن يصحوَ لا يهوى الكرى
لا تُرعْ من شكله حين يهمْ لا ، ولا تخبره عما قد جرى
لا ، ولا تغلظْ عليه بالكلمْ فهو بالغيب عليمٌ قددرى
كلّ ما قدخطّ فى الغيب القلمْ وهو يدرى الغيب من شأن الورى
ويرى من أمرهم مالا ترى
يعلم الحكمة فيما قُدّرا

سرْ ودعنى إننى بخْتُ أخيكا بخته الصاحى الذى لا يرقدُ
سرْ الى بختك إنى سأريكا أين تلقاه وماذا يقصدُ
فهو يورى شعلةَ الآمال فيكا ويُريكَ السعد فيما تنشدُ
سرْ فانى لأرى السعدَ وشيكا أن ترى نيرانه لا تخمدُ
ثم عُدْ فهو أمينٌ مرشدُ
صادقٌ يرعاكَ فيما تقصدُ

رَجعَ السارقُ عمادبّرا يائساً فى نفسه من كل شرْ
ومضى عما أتى معتذرا للذى فى كفّه سيرُ القدرْ
غادرٌ لكنه ما غدرا كلما فكّر أعيته الفكرْ
أينما سار وأيان سرى يوسِعُ النفسَ بوخزْ كالابرْ
أأخر أجزيه من نقصى بضرْ
بئس من يحمل حقداً أو غدرْ

وسعى فى ألم يُبرى الندمْ نفسَه الحيرى على ما فكرا
وانثنى فى ذلةٍ عما عزمْ خائر الأعصاب ينوي السفرا
لترى فى وجهه لونَ الألمْ ويُبين الوجه ماقد أضمرا
أىُّ سرٍّ هو فى النفس كُتِم لم يَلُحْ فى الوجه أو ما ظهرا
لترى فى كلّ وجهٍ أسطرا
كتبَ الدهرُ عليها ماجرى

ومضى لا ينثنى عما عزمْ يتولىّ صامتاً شأنَ الرّحيل
كل ما يحمل من وجد وهمْ واضح فى ذلك الوجه الجميل
هدم الدهر به ما قد هدمْ من كيانِ الجسم والقلب العليل
ومحا من وجهه ما قد رسمْ فيه من نور سوى نزرٍ قليل

فهو كالوردةِ تسقى للذبول
رافلٌ في خرقٍ كابنِ السبيل

وسعى يحمـلُ زادَ السفـرِ كلَّ ما قد خفَّ فيما يحمـلُ
شرُّ ما يقنيهِ حملُ الفِـكرِ يتجـلّى في دجاهـا الاملُ
لم يدع من خلفه من أثرِ غير دمعٍ بالأسى ينهملُ
تركَ البيت بلا منتظـرِ ومضـى حيث يريد الرَّجلُ
في ظلامٍ حالكٍ ينتقلُ
يتولاه الأسى والوجلُ

وهنا أطرق في ذل وحزنِ وتولتهُ ضروبُ الشجنِ
أيُّ نفسٍ لو رأتْ جنةَ عدْنِ فضلتها عن جحيم الوطنِ
أي قلب كان من إنس وجنِّ لم يزلزله فراقُ السكنِ
غير أن النفس يغريها التمنّي فترى فيه ضروبَ الفتنِ
ويرى الانسانُ غيرَ الممكنِ
طمعاً في الخير مثلَ الممكنِ

وسرى يحدو به صوتُ الطمعْ في قفار دونها هول القفارِ
تارةً يهوى وأخرى يرتفعْ في هضاب الارض أو قفر الصحاري
لوّحته الشمس حتى لم تدعْ موضعاً لم تُصله منه بنار
وهو في قوة نفسٍ تندفعْ في اقتدارٍ دونه كلُّ اقتدار
وكأني بالفتى في الليل ساري
قاتل يهرب أو ساعٍ لثارِ

وهو في وحشته لا مؤنسُ تتعزّى نفسُهُ الحيرى بهِ
غير اشجان بها تحتبسُ وطماحٍ سكنتْ في قلبهِ
ساعة يسعى وأخرى يجلسُ آخذاً من زادِه أو شربِه

بعضَ ما يحمل هـذا النفسُ من حطام خففتْ من كربهِ
ولقد يلهو بها عمّا بهِ
لحظة من همه أو رُعبهِ

فاذا ما نال من راحتـهِ ما يُعيد العزمَ فيـه انطلقا
ينهب الأرض الى حاجتهِ ساعياً يطوى الفلا والطرقا
ويروضُ النفسَ فى شدتهِ كلمـا شاهـد منهـا نزقا
مفرد يشقيه من وحدته وحشةٌ أوجعُ من كلِّ شقا
ويعزى نفسَه بالملتقى
ملتقى البخت إذا ما أطرقا

وسعى حتى رأى عن كثبِ أسداً يرعى الفلا فى غضبِ
أين من صادفه لم يُرعَبِ أين من واجهه لم يهربِ
قال : يا ربى ويا روح أبى نجيانى اليـوم ممـا حلَّ بى
قرب الوحشُ فهل من مهربِ منه فالوحشُ أتى فى طلبي
رفرفى فوقىَ يا روح أبى
وارعنى يا ربّ مما حلّ بى!

الاسد : فأتى يجرى اليـه الأسـدُ قائلاً :قفْ أيها الانسان قفْ
قفْ وقل لى أى أمرٍ تقصدُ لا تُرعْ من هول بطشى أو تخفْ
ما الذي فى القفر هذا تنشدُ ستلاقى الموتَ ان لم تعترفْ
ما الذى بين الصحارى تجدُ قل بحقٍّ لىَ عنه وانصرفْ
أم تُرى تحسبنى أنت هدفْ
أم رماك اليوم فى أرضى السخفْ؟

يحيي : قال ما عنـدى خفىٌّ أضمرُ لا ولا كنت عدواً للاسودِ

ملكَ البيدِ الذى لا يجسرُ   أيّ إنسان عليه فى الوجودِ
كنت من لقياك هذا أحذرُ   يوم ساقتنىَ بيد بعد بيد
ولقد هدّم نفسى السفرُ   ورمانى الحظُّ فى هول شديد

إننى أقبلت من وادٍ بعيدِ
لى قصدٌ لا تضعْ فيه جهودى

أيها الانسان إن شئتَ سلاما   وأماناً لك من بطشى فعِدنى
إن بلغت القصد أونلت المراما   ورأيت البخت ان تسأل عنى
تسأل البخت اذا بختك قاما   عن حياتى والذى أبغى وأعنى
فاذا عدتَ فلا تخش الحماما   لو حكيت الصدق فى حالى وشأنى

وسلام وأمان لك منى
أنت لو ترجع بالصدق فعدنى

إن بختى يا مليك الفلواتِ   نائمٌ فى موطنٍ قفرٍ بعيدِ
كم دعوتَ الحظّ لم تنفع شكاتى   أوصحا البختُ من النوم الشديد
ولكم أكثرت لله صلاتى   طال فيها من قيامى وقعودى
ثم أشفقت على مرّ حياتى   حينما أبصرت حظى فى جحود

وهو يأبى لىَ أن يخضّر عودى
أو أرى نجمىَ يوماً فى سعودِ

ولكىْ أوقظ حظى النائما   جزتُ تلك البيدَ واجتزتُ القفارا
ربما أرجع يوماً سالما   لبلادي وبها أجنى الثمارا
لم أكن فى أيّ قصدٍ حالما   إنما أمّلتُ آمالاً كبارا
لا ولا كنت غبياً هائما   حينما فارقت أوطاناً ودارا

أوقد العزم باضلاعىَ نارا
غير أن الحظ فى عمرىَ جارا

الاسد : لا تخف بل سر إلى البخت وسل لى — بختك النائم عن أسباب جوعى
فاذا عـدت فخبرنى وقل لى — أى شىءٍ مشبعى عند الرجوع
أنا لا أشبع من شرب وأكلِ — لا ، ولا أهدء عن فتكٍ ذريع
لا ، ولا أصبر عن سفكٍ وقتلِ — لا ، ولا تهدأ عن شرٍّ ضلوعى

أسميعٌ أنتَ أو غيرُ سميعِ
هل دواءٌ عنده يبرىءُ جوعى

لك هذا — ثم سار الرجلُ — خائفاً يعبثُ فيه الوجلُ
يتهادى جزعاً لا يعقلُ — ما الذى من بعد هذا يعملُ
سائلاً للنفس ما المستقبلُ — ألى شرٍّ جديد يُقبلُ
أم إلى خيرٍ عميم يقبلُ — وسعى فى عزمة ينتقل

آملاً بالخير فيما يأملُ
آملاً لم ينبُ عنه الأملُ

وسعى حتى إذا ما ابتعدا — واطمأنت نفسهُ من خطرِ
قال : يا نفسى أنى غير هدى — كنت فكرتِ بأمر السفرِ
فشقائى ليس يُمحَى أبدا — هو أنى كنتُ فى منتظري
أألاقى فى طريقى الاسدا — أىُّ بختٍ صاغهُ لى قدرى

نام حتى جزت بيد الكدرِ
ورأيت الهلك رغم الحذرِ

ها هو البدر مضىءٌ فى السما — ملأ الكونَ بإشعاع الضيا
وتجلى الله فيما رسمـا — وتجلت حكمة الله لـيا
وبدا لى أنَّ ما قد عُلِمَا — هو نزرٌ من عظيم خفيا
صُورٌ تبقى وكانتْ قِدَمَا — هى إذ تبقى كما كانت هبـا

تنتهى والسرُّ فيها بقيا
بعدنا بين ظلامٍ وضيا

وسَرَتْ بى ظُلمٌ فوق ظُلَمْ — كنتُ فى حالكها لا أبصرُ
كلُّ هذا كان قبلى فى القدمْ — وسيبقى بعد موتى يُنظرُ
والذى يفعمُ نفسى بالألمْ — هو جهلى ما يريدُ القدرُ
انما عمرُ البرايا كالحلم — ويُبين الغيبُ ما لا يضمرُ

ما حياةُ الناس إلا مظهرُ
خلفه منها عجيبٌ منكرُ

ظلّ يمشى والأسى يتبعهُ — وهو إلا عن لقاء البخت لاهى
فاذا صوتٌ علا يسمعهَ — قائلا: قف ! قال: ماذا يا الهى ؟
ربما وافى الفتى مصرعهُ — والفتى يسعى على غير انتباهِ
كلُّ صوتٍ واضح يفزعهُ — كيف لا يفزعُ هذا وهو ساهى

وهو إلا عن لقاء البخت لاهى
وهو إلا عن طلاب السعدِ ساهى؟!

فرأى شخصاً عجيبَ المظهرِ — أشعثَ الشعر غريبَ المنظرِ
وافرَ الهيبة جمَّ الحذر — أشيب اللحية كثَّ الشعر
مستقيم العودِ ملءَ النظر — واقفاً كالنسر بين الحُفر
وجهه فيه معانى الكدرِ — لحظة من غيظه كالشررِ

قال ما عندك لى من خبرِ
أنت جن أنت ام من بشر ؟!

الشيخ : ما الذى ساقك ياهذا الغريبُ — ما الذى قادك فى هذا المكانِ
أنت فى عينىَّ مخلوقٌ مريبُ — لم يَلُحْ لى فيك معنىً للامانِ
ألأمرٍ جئتَ أم أنت رقيبُ — ترقبُ الغامضَ من حالى وشأنى؟
سترى موتك والموتُ قريبُ — منك لو تكذب فى أىِّ بيان

واذا شئتَ سلامى وأمانى
قل لماذا جئتَ فى هذا الاوان

يحيى : قال فى خوف أماناً وسلاما أيها الشيخُ أعرنى منك سمعا
لم أرد شرّاً ولاشئتُ اجتراما إننى أبعد عن ذلك طبعا
إن بختى أيهذا الشيخُ ناما فانا اليوم الى بختىَ أسعى
فاذا ما إن صحا بختى وقاما ورعانى وهو للانسان يرعى
عُدتُ أجنى النفع أو حاولت نفعا
وتخذتُ البختَ فى الايام درعا

الشيخ : فاذا ألفيته حدِّثْه عنىّ ثم إن عدت أجبْنى عن سؤالى
إن لى كنزاً عظيمَ القدر يُغنى ليس يجدينى ولا يُسعدُ حالى
ها هو الكنزُ قريبٌ هو منىّ ثم لا أستطيعُ تصريفاً لمالى
أيُّ أمرٍ لىَ عن نفعىَ يُثنى ألأنَ الناسَ أعداءُ حيالى؟
ما الذى يعرفُ فى تصريف مالى
ولأقضى العمرَ فى أسعد حالِ

يحيى : لك هذا - ثم ولّى ومضى بعد أن زوّده خير سلامِ
سار فى رحلته يطوى الفضا بفؤاد دائم الأشجان دامى
كلما جدَّ الأسى يرمى القضا بملامٍ زاد عن كل ملام
لم يَعُدْ فى نفسه أىّ رضى عن حياة مابها أى انسجام
مرَّ فيها لم يهيأ لسلام
مَثَلُ الاعمى سعى بين الظلام!

بعد أن فارق هذا الرجلا ومشى ينهبُ قفر البيدِ نَهبا
كان ان صادفَ صوتاً أجفلا ولوان الصوتَ صوتُ الريح هبّا
وبدا يبصرُ أشباحَ الفلا كجنود زحفتْ شرقاً وغرباً
فيرى منها فريقا مقبلا وفريقاً جدَّ حتى ازداد قربا

وهو الآنَ عن لقاء البخت يأبى
زاعماً أنَّ المنى تزداد قربا

واذا ما حلَّ فى قفر رآه من بعيد لم تجده العين شيّا
ضجَّ بالنقمة وازدادَ أساه وسعى نحو مكان البخت سعيا
وأثار الذكر للماضى نهاه وأراه كيف أمضى العمر بغيا
ولقد يحيي به الذكرى مناه ولقد يرمى بها النسيان رميا
كلما أثقله الفكر وأعيا
قال هيا أنت يانفسى هيّا!

ومضى يمشى على صبرٍ وصمتِ وسعى حتى رأى فى الأفقِ
أثرَ العمران من نورٍ ونبتٍ وبيوتاً فى حدودِ الشفقِ
قال: يا بشرى لقد أقبل بختى أبشري يامهجتى واصطفقى
أنت جاوزت حدود الصبر أنت وبلغتَ الآن حدَّ القلق
بعد أن ذقتِ جزاء النزق
حلّقى بين الأمانى حلّقى

بلغ المسكين سورَ البلدِ والدجى ينشر أستارَ الحلكْ
ودنا، ما إن رأى من أحدِ واضحٌ غير نجوم فى الفلكْ
سائرات مالها من مقصدِ كل نجم سالكٌ فيما سلكْ
قال: مالى ضائعٌ لا أهتدي لمكان البختِ اهل بختى هلك؟
إيه يابختيَ ماذا جدَّ لكْ
أسدٌ لاقيته أو قتلكْ

إننى أنحى علىَّ التعبُ وتولانى من المشى النصبْ
تعبتْ نفسى وعزَّ المطلبُ واذا ناديتُ بختى لم يجبْ
«نم إلى الصبح» لعلى أرقبُ فى صباح الغدِ فى الأرض سببْ
سبباً يدنو به لى الاربُ فلقد مِتُّ وما نلتُ أربْ
وحياتى عجبٌ تلو عجبْ
ماءُ حى غاضَ فيها ونضبْ

همٌّ أن يرقدَ والنومُ اذا ما مَلَكَ الأجفانَ فيها مَلَكُ
واسعُ السلطان لم يخشَ انهزاما ولأرواحِ الورى يمتلكُ
هو عصفورٌ على الاوكارِ حاما وهو انّى سار فيها يسلكُ
ملكٌ عند ضياء الشمس ناما فاذا مالت دعاه الحلكُ
فاذا النوم علينا مَلِكُ
يملكُ الارواحَ فيما يملكُ

ورأى الحراسُ فى الليل شبحْ فتناجوا لحظةً ماذا يكونْ
انّه جاسوسُ أعدانا فُضِحْ أمسكو فلأعدانا عيونْ
فهو لو يتركُ بالامر نجحْ وهو لا يعلم ماذا يعملونْ .
فاذا ما اقتربوا منه وضحْ ورأوا وجهَ الفتى رأىَ اليقينْ
وهو من فوقه لا يبرحونْ
حاملين الموتَ فيما يحملونْ

ثم صاحتْ بالفتى تلك الجنودُ صارخات فوق أسوار البلدْ
أنت يا هذا الفتى ماذا تريدُ ؟ قفْ والا متّ يا هذا النكدْ !
قفْ فما يجديك سعىٌ أو يفيدُ لا ، ولا ينجيك دفعٌ أو جَلَدْ
وكأنّ الصوتَ فى الليل رعودُ قال « ويحى ليت أمى لم تلدْ »
ما الذى فى هذه الليلة جدْ ؟
هل لبؤسى أو لآلامىَ حَدْ

أمسكوا المسكين فانقادَ لهمْ وهو لا يعلم ماذا يضمرونْ
هو يفنيه شقاءٌ وألمْ وهمو فى قسوةٍ لا يرحمونْ
وكأنى بفتانا فى حلمْ تتلقى نفسه أيدى المنونْ
وهو يسعى حيث يسعى للعدم وهمو من شانه لا يعلمونْ

غير جاسوس لأعداء خؤونْ
سوّلتْ للجند ما شاءوا الظنونْ

أصبح الصبحُ فقادوا الرجلا كاسفَ البالِ امامَ الملكِ
وهو يكتم فيهم وجلا وعجيبٌ أنه لم يهلكِ
فلقد لاقى الأذى واحتملا منهمو كل عذابٍ مهلكِ
وهمو مهما أتى أو عملا سلكوا فى الامرِ شرّ المسلكِ
وهو فى قسوتهم لم يسلكِ
بينهم إلا جميلَ المسلكِ

سُئل المسكين ماذا أمرهُ قال : لا انطق إلا فى أمانِ
قيل : ماذا شأنه أو عذره لا تخف من ملكٍ جمّ الحنانِ
ملكٌ بالعدل يجرى أمرهُ هو فى الأمة معبودُ الزمانِ
ملكٌ بالحلم يسمو قدرهُ لا تخف من حلمه أىّ افتتانِ
كل من يقصدهُ فى أى شأنِ
حقق الله له كلّ الامانى

قال : إنى رجلٌ لا شأنَ لى يكمو قطٌ ولا لى خطرُ
لىَ بختٌ نائمٌ فى معزلِ هو لى أنّى سعيتُ الوطرُ
سرتُ لما أن دعانى أملى نحوه والبختُ عنى مدبرُ
لو صحا يبسمُ لى مستقبلى وأرى الدنيا لنفسى تزهرُ
ولقد هدّم نفسى السفرُ
وأرانى منه ما لا ينظرُ

يا مليكى قصتى تحزنُ مَنْ عرف الأيام فى قسوتها
إنما الدنيا مجالٌ للفتنْ ترهب الألباب من شدتها

لم تدع لى من ديارٍ أو وطنْ ... تركتنى ضائعا فى مقتها
كلما زادت أذًى زدت ضغنْ ... واعترانى الضعفُ من قوتها
أين ذلى ، أين من عزتها؟
أين ضعفى أين من شدتها ؟

وحظوظٌ هذه الدنيا فمَنْ ... تعسٍ فيها وكم فيها سعيدْ
كاذبٌ فى شرعة الأيام منْ ... قال أنى بالغ ما قد أريدْ
غافلٌ يسعدُ إذ يشقى الفطنْ ... هكذا الدنيا فما فيها جديدْ
هكذا يجرى كما يجرى الزمنْ ... ما له إن هو ولّى من مقيدْ
فشقيٌّ فى البرايا وسعيدْ
قِسَمٌ ما إن لنا عنها محيد

يا مليكى هكذا شأنُ القدرْ ... جعل اللهُ لك الدنيا سلاما
كل ما أبغيه أن دعنى أمرّ ... نام بختى وهو لا يبغى قياما
فاذا أيقظته أجنى الثمرْ ... ثمرَ الجهد فقد متُّ سقاما
وأسىً ما بين مشيٍ وسفرْ ... لم يدع لى باقياً الا عظاما
وازال الهمُّ عن عينى المناما
جعلَ الله لكَ الدنيا سلاما

لا أراك الله بطشَ الزمن ... ورعاك الله مما يحزنُ
قصتى تحزنُ من لم يحزنِ ... لا جميل سردها او حسنُ
لم يجر فى مهجتى او بدنى ... غير سعيي نحو ما قد يمكنُ
نحو بختى وهو لا يرحمنى ... هو فى قفرٍ بعيدٍ يسكنُ
ورجوعى بمرادى ممكنٌ
لشقاءٍ ذكره لا يحسنُ

لا تضع جهد حياتى يا مليكى ... وكفانى كلّ ما ضمت حياتى
فلقد ثارت من الدنيا شكوكى ... فى وجودى وترقبتُ مماتى
يا سليلَ المجد يا خيرَ الملوك ... لا تزد فى شقوتى قبل وفاتى
خلنى امضى لحالى يا مليكى ... لا تزد فى شقوتى او حسراتى
فلقد تجديك يوما دعواتى
حينما تصعد لله صلاتى



طيف الربيع

مع الشاعر

« للربيع نشوةٌ تمدّ الروح بشذا الخلدِ البهيّ »

* * *

خلا المكان الا من أنفاسك ترفُّ عليّ ،وخلا المكان إلا من طيفك يبدو من وراء ناظرى ، ووراء ناظري قلبي الأمين يخضع لناموسك .

خلا المكان ولكنىأشعر أن العالم يحوطنى وأن المكان مليءٌ باخيلة تهف أمامى محسوسة ولا وجود لها إلا فى قلبي الوسيع .

وللخلو غفوةٌ شبيهــة بغفوة النائم امتطيتُ معها جوادَ الربيع وهو يجتاز بى محيط العالم الروحانى مأخوذةً بسكرة الربيع ويا لها من سكرة ! رشفت خمرها بكأس فم الروح الرفيف وهو يحملنى على الصعود إلى ملكوت الخلود حيث يسكن الروح الأليف .

وعلى بساط الربيع انبسط جسمى وقد استشعر قلبي بما وراءَ الربيع .

سهوتُ عن نفسى . . . ونسيت كيانى فى عالمى المحدود .

خلف َشعاعٍ من الضوء سرتُ حيث لا أدرى والنسيم يحملنى برقة إلى حيث أبغى . ويا لها من رحلة شاهدت فيها من جمال الكواكب الربيعية ما بهرنى بهاؤه.

سمعت صوتا يحاكى نغمة العود رقة تماوج نبراتهُ بين حنين والتيــاع ، وبدأ الضوء خلف الشجر الكثيف يداعبنى فى حذر ويستهوينى للدنو منه . واليــه ذهبت وتجاهه جلستُ ، استنطق الضوء مرّه وقد ظهرت ملامح الشبح الرزين...

سمعتُ قلبه يشدو شعراً ويوقع نغماً ... اقتربت منه وأنا أترنح طرباً ، ولكنه ابتسم ابتسامةً موشاة بالأنين وقال : أوَلم تسمعي صراخ قلبي — قلبي يضايقني خفوقه.. وكدتُ من فرط الحس له اسمع قلبي يجاوبه صداه ، قلت: لا تسمّه خفوقاً ، سمّه شعراً ولحناً ، . . انه الشعر يفيض على جوانب قلبك الحساس فيجيء في أذنك كالنبض السريع . . .

وبدت مني التفاتة إلى حيث يعلق نظره فوجدت النجوم بلألئها تستمد من عينيه قوة الاشعاع فقلت : عيناك . . . أرى الربيع مرتسماً بجلاء فيهما ! فتأوه ملتاعاً وقال : أوَتحسبين يا صغيرتي ربيع العمر يخلد؟ . . . وولّى الربيع فعزّني . . . قلت : لا ، ولكنه يذهب ليعود ويعود ليذهب . . . أو يخلد الخريف ؟ . . . ان عجلة الحياة تتطلب من الفصول شحماً وهو لا بدّ لها ونحن شحم الفصول ، فلنكن شحم الربيع . ان الربيع أخلد الفصول يا ملاكي وإن ولّى .

هب أنّ طيراً أصابه رشاش قادر فعجز الطير الكسير عن اجتياز الفضاء الوسيع أفلم يهدأ في وكره ليغني ، وما ضرّ الطير لو هدأ وغنى . . .

فصرخ من الأعماق : قلبيَ . . . قلبي . . . قلبي صريع الحب ، قلبي قتيل الغرام يئن ويشكو فهل من دواء ؟

قلت : وقلبي طليق الحب ، كبير الأماني ، رحيب الصبا ، فاعطني ما تبقى لك من الآلام !

أعطني ظلام قلبك وخذ ضياء قلبي ، قلبي في حاجة إلى الظلام ليكتشف ما وراء أسراره الرهيبة .

خذ رشفة الخلد لتخلد ، وأعطني جرعة الفناء لأفنى ! حاول أن يلمس قلبك الجريح قلبي المُعانِي وإن مرض قلبي فالدواء بين يديك يسير . . . . .

حاول أن يلمس قلبُك قلبي ولا تحاول أن ترعاه ، بل دعني أرعى قلبك البئيس ولست أحرص عليه لنفسي فقد صارعت جرثومة الانانية حتى قتلتها ولكني أحرص عليه لك وللشعر والحياة ....

فان وفّقتُ إلى نجاح عمليتي عشتُ بجانب شعرك أستوحيه الطهر والاطمئنان، وإن أخفقتُ كنت الشهيدة الجديرة بالرثاء . . . .

قال : وكيف تُضنين نفسك فى سبيل شبحٍ فرّ عنه الربيع ؟

قلت : أو لست صورة الحياة وأنا أحب الحياة ؟ . . . أو لم يهبك الربيع ازدهاره وعبيره وأنا أحبّ الربيع ؟ . . . أنا أحبك فى الخريف فالربيع عندى ملء قلبي ! فتعال أضمك إلى هذا القلب لأشعرك بحيوية الربيع ، ورتل يا طائرى أسمى أغانيك على فنن قلبي فهو وكرك الأمين ! رتل ! رتل ! ولا تحاذر من النسيم !

ما لى وللاجسام شأنٌ يا أليفى ، أنا أحبّ روحك ، وروحك أحبّ إليّ من الحياة . . .

أى جسم أطلبه وأىُّ قلب أنشده . . .

لا شيء ! لا شيء !

ولكن سلنى أى روح أرجوه ؟ . . . روح الشاعر ، روح الملهم ، روحٌ ترفّ عليَّ فتهبنى نسمات الحياة يجرى عبيرها فى شرايينى فتحبونى بالحياة فأحيا بالشعر وله .

فردّد الشاعر والدّمع يحاول أن يخونه : قلبي . . . قلبي . . . أو تحسبينه يكفل لى البقاء طويلاً ؟ وكاد يهوى على الارض بغير هوادة . . . ولكنى أسندته شفوقةً على صدرى الصغير الحنون . . . وبكيت له وعليّ ، وبكيت عليّ وله . . .

قلت : عشت نصف عمرك بقلبك فعش النصف الآخر بروحك ، ودع قلبك يخفق شعراً ولا تجشّمه عناء الحب الجديد ، . . . ولا أظن أن الطير يأوى الى بقايا الحصون — فلو فعل لقضى على نفسه وعليك . . . عش بروحك العظيم ودعنى أحملك برفق على جناحىْ روحى إلى حيث تريد أن تقيم .

اسكب دموعك فى قلبي ، وانشد ربيعك من قلبي ، وعش بأمانى الربيع كما تحب أن تخلد : نحن أقل غباءً من البشر يا أليفى . فلم لا نحطم قيود البشر الوضيعة ونشيد لهم حياةً من الروح أمجد وأبهى ؟ . . .

الحياةُ أنشودةٌ طويلةٌ أولها الأمل وآخرها القنوط . . وجيلٌ من الامل يعادل ساعة من القنوط فى تفكيره فاجعل أملك فى الله عظيماً وخلِّ عنك . . . خلِّ عنك الماضى بذكرياته فان جرثومة الذكرى المؤلمة فتاكة ، فحاول أن تقتلها وارشف من منهل الامانى والمرح ما يحلو لك . . . وخلّ عنك . . .

* * *

وهنا تلاشى هيكلى أمام روحى وفتحتُ عينىَّ ليقرأ فيهما ماعييت عن ايضاحه...
فتحت عينى فلم أر شيئاً ووجدتنى على بساط الربيع فى عالم الخيال !؟

جميلة محمد العلايلى



أدب النقـــد

اكتساب احترام الناس خير من اكتساب اعجابهم

ج . سيمون

لما كتبتُ مقالى السابق عن سماسرة الأدب كان اكبر ظنى أنه سيؤثر تأثيراً حميداً فى نفس أديبنا العقّاد لأنى فى الوقت الذى لم أجحـد فضل الرجـل كمترجم وملخص وشاعـر وكاتب مع دفاعى المتَّـزن عنه لم يفتنى تنبيهه الى اكبر عيب له وهو خضوعه لشيطان نفسه بحيث أصبحت هـذه النفس المريضـة أكبر عدوّ له وصار يطاوعها فى غمط حقوق الناس وفى خلق العداوات حوله بغير موجب لذلك، ثم هو بعد كل هذا يشكو من جفاء الناس بينما هذه الجفوة يستقرّ أصلها فى نفسه .

كنتُ على شىء من التأميل ، وكنت انتظر من العقاد إمّـا أن يسلك سبيل الأديب المثقَّف فيعلق بقلمه وبنزاهة وأدب على ما يُوجَّه اليه من النقد ، وامّـا أن يُسقط هـذا النقـد إسقاطاً تاماً ولا يتعرّض له . ولـكنه حفظه الله جاء بشتائم لا تليق أن تصدر من مثله فى مكانته الأدبية التى يدّعيها . فقد طلع علينا فى جريدة (الجهاد) بفصل عنوانه « شكر واجب » يذكرنا ببيانات الشكر التى تتبع اعلانات الوفيات ، وكلُّ سطر فيه ينمّ عن اضطراب عصبي عنيف وعن نفس مقهورة ، وقد رصّعه العقاد بأمثال هذه التعابير: « المنكوبين والأدعياء ، أو شاب من السوقة ، الأنذال ، اللئيم ، رقاعة » الخ .

وأتبع ذلك بفصل من ايحائه فى مجلة (روز اليوسف) هو آية فى التشهير بزملائه والتفنن فى انتقاصهم حتى بسلاح السياسة المرذول.

فماذا تقول للأفاضل من المستشرقين الذين يطلعون على صحفنا العربية ويجدون أحد أدبائنا المشهورين ينعتُ زملاءه الادباء الذين اهتموا بنقده أمثال مصطفى صادق الرافعى واسماعيل مظهر والدكتور رمزى مفتاح والدكتور ابو شادى وعبد الحميد شكرى ومحمد قابيل والدكتور زكى مبارك وأحمد كامل الشربينى ومحمد على غريب وغيرهم من أفاضل الادباء – ولا أحشر نفسى فى زمرتهم وإن تشرفتُ مثلهم بشتيمة العقاد لى — ماذا تقول لهؤلاء المستشرقين دفاعاً عن العقاد وهو يصف هؤلاء الزملاء الكرام بأنهم «أوشاب من السوقة» و « أنذال » ، وأما العقاد فهو وحده الارستقراطى النبيل !

أما كان الأولى بالعقاد أن يدع هذا النقد – مهما قسا – يأخذ مجراه ، لانه المستفيد منه على أىّ حال بترويج ديوانه ، ولأن الحق وحده هو الذى يبقى بعد عاصفة النقد ؟ أى فائدة استفادها القراء والادب العربى من تهافت العقاد على مثل هذه الشتائم المنكرة ؟ وهل يشرف أدبنا وأدباءنا أن يطلع المستشرقون ثم مؤرخو الادب فيما بعد على هذا الاسفاف العجيب ؟ وهل يريد العقاد أن يقنعنا بعد هذا التَّدَنِّى أن بين القراء المثقفين من يمكن أن يعجب بتصرفاته هذه ويمتدحه من أجلها؟ وهل أدباؤنا البارزون محصورون ما بين موظف وتلميذ ؟

إذا قلنا مثلا ان ما يذيعه عبد الرحمن صدقى بايحاء العقاد عن فلسفة النور فى شعر العقاد ادعاء هو تصنع من أوله الى آخره ومنظور فيه الى كتابات (ألفرد نويز) ودراسته الموسومة «شاعر النور» ، واذا قلنا إن تهويش العقاد عن وحدة القصيد ليس بالامر الجديد فقد تناوله من أئمة الشعر العصرى خليل مطران منذ اكثر من ربع قرن وتناوله من أعلام العربية العلاَّمة الآمدى كما هو مذكور فى كتاب زهر الآداب ، واذا قلنا ان الكلام فى شعر الحالات النفسية الذى يباهى به العقاد موضوع طُرق مراراً فى شتى المؤلفات وفى مجلات الشعر الاجنبية ، وعلى أقلام أدباء العروبة وبينهم فى مصر الدكتور زكى مبارك وان العقاد يمتاز نقده بتجاهل هذه المبادىء نفسها فى احكامه ، وإذا قلنا إن توارد الخواطر بين العقاد وغيره من الشعراء المعاصرين وسواهم كثير حتى مع شوقى الذى يصغره العقاد ، واذا قلنا إن العقاد يستدرّ عطف القراء عليه كشاعر بتمسحه فى الوفد فى حين انه لاعلاقة مطلقاً بين نقده كأديب وبين مذهبه السياسى إن كان له مذهب . . . إذا قلنا هذا وأمثاله من الحقائق المعروفة فماذا فيها يستدعى أن ينعتنا العقاد من أجله بأوشاب من السوقة ؟

لو انني فى محل العقاد لصححتُ هذه الملاحظات ان كان فيها خطأ ، واذا شمختُ وتعاليتُ فلأتركها بغير ردّ وأدع للزمن انصاف الحقيقة إذا كان نُقّادى مغرضين. وأما التظاهر بعدم المبالاة ثم القاء مثل هذه الالفاظ المنكرة على نخبة من أفاضل أدباء العربية والايعاز الى المجلات السياسية لتحميه بستار من الاختلاقات ضد زملائه فلا تجيزه فطنة ولا كياسة ولا فلسفة ولا أدب ، وهو سبّة كبرى لادب النقد فى مصر يخجلنا وايم الله ذكرها فى مصر فما بالك بذيوع حديثها فى الخارج ؟ !

ماذا يكون الحالُ لو جابَهَ كلّ أديب ناقديه بمثل هذه الشتائم ؟ ألا تكون النتيجة وَأْدَ النقد الادبى بدل انعاشه وتهذيبه ؟ لماذا لم نَرَ مثلاً الدكتور طه حسين ـ وهو عندى فى طليعة أعلام العربية — يستاء من النقد الشديد الذى وجّهه اليه غير واحد من النقاد ؟ولماذا لم نَرَ الدكتور ابو شادى يثور لمثل هذا النقد الذى وُجِّه اليه فى البلاغ وفى صحيفة الجامعة المصرية ؟ ان الرجل المثقف المشبع بروح الفن لايجوز له ان يغضب هذه الغضبات العقادية المحزنة ، بل يجب أن يفسح صدره للنقّاد ، وهذا يجب أن ينطبق بصفة خاصة على العقاد لان تحامله على الادباء معروف ولولا ذلك لكان فضله بارزاً وأثره فى الادب العربى صافياً جميلاً .

نعم يجب على الاديب المثقف أن يقدر أن كل نقد — مهما قسا — هو لخير الادب فى النهاية ، وعليه أن يتغاضى عن القشور وان يعبأ باللباب وحده . ومتى كان مؤمناً برسالته التى يؤديها فهو يكل الى الزمن تأييد رسالته مكتفياً بالبيان الفنى لا أن يتكالب هذا التكالب على الحط من نظرائه.

وهل كان الرافعى مغالطاً حين قال إنه لا يقرأ مؤلفات العقاد حتى يستأهل كل هذا السباب ؟ الواقع ان الرافعى لايقرأ العقاد ، وما عرف (وحى الاربعين) الاَّ من نسخة أهديت له من أحد المعجبين بالعقاد وقد تحدّى الرافعى ان ينقد هذا الديوان الذى عده آيةً فى الاعجاز ، وقد وقع مثل ذلك عن كتاب (ابن الرومى — حياته من شعره) وغيره . فاذا كان العقاد يتألم كل هذا التألم من النقد فخير له أن يدعو أصدقاءه الى تجنب هذا التحدّى المقصود ، وإن كان كثيرون من الادباء يرون ان العقاد نفسه هو الذى يبعث بهؤلاء الرسل الى الرافعى والى سواه ليخلق عاصفة من النقد حول كتبه تسهيلاً لرواجها . على انى لا أذهب هذا المذهب ، وانما يعنينى أن أقول إن هذا النقد جميعه مفيدٌ وسوف تصحح

الايام ما فيه من تحامل وعيوب ، والادباء والادب مستفيدون كثيراً من هـذا الحوار ، وكل رجائي الى العقاد والى نظرائه الافاضل أن يضبطوا أنفسهم ويتعالوا الى مستوى النقد الفني النزيه بعيدين عن الشخصيات والصغائر . ويسرني كثيراً ان أجد « ابولو » حريصة على هذه الغاية ؟

محمود الخولي

(نحن لا نسخط على أيّ نقد أدبي يوجّه الينا حتى ولو كان مغرضاً ، لأن من مهمتنا تشجيع حرية النقد . ولو كنا نقدر أنّ الدراسات الحاضرة ترتبط بشعر العقاد فقط لقفلنا بابها لأن فيما نشرناه دلالة كافية على اتجاه معظم النقاد ، ولكننا نعتبر هذه المباحث ذات فوائد عامة جليلة . وهي إن كانت في ظاهرها تحوم حول شعر العقاد فهي في حقيقتها تتعداه الى مذاهب الشعر والنقد الأدبي . ونحن على أي حال قد أعلنا من قبل تقديرنا لمواهب العقاد ولأدب العقاد فلن يؤثر على تقديرنا أي اعتبار آخر سواء جاء من ناحية العقاد نفسه أو من ناحية نقاده .

وزميلنا العقاد يعلم اننا وجهنا الدعوة الى اصدقائه تكراراً للتنويه على صفحات هذه المجلة بأي فضل له فاتنا ذكره ، كما يعلم اننا آخر من يرضيه أن يغمط العقاد أو غير العقاد فضله وحقه . وقد امتنعنا فعلاً عن نشر الكثير من النقد الذي وُجّه اليه كما خففنا كثيراً من لهجة ما نشرناه ، فما كنا ننتظر منه بعد هـذا أن يحشرنا في زمرة خصومه فليست المناظرة من مرادفات الخصومة ، وزميلنا الفاضل لا يجهل ان المجلات العلمية الأدبية التي نصدرها هي ألسنة لهيئات ثقافية محترمة ، واذا كان لنا شرف تأسيسها فهي ليست فردية الصبغة بل عمادها التعاون في كل شيء . وهي ما تزال تقوم على أساس العناء والتضحية ، وقد نالت دائماً احترام جميع الحكومات المصرية على اختلاف نزعاتها فيؤسفنا كثيراً بعد هذا أن نرى منه التلميح باننا من صنائع الحكومة الحاضرة في حين أننا نربأ بمجهودنا أن يكون مسخراً لأية حكومة وفي حين أن صاحب الدولة رئيس الوفد المصري وكثيرين من الوفديين أعضاء في هيئاتنا . أفلم يكن الأولى بزميلنا العقاد ان يتورع عن هذا الضرب من التحامل وحب الاساءة ؟ وهل يعدّ هـذا الاختلاق ضدّنا لوناً من ألوان النقد الأدبي ؟ ! — المحرر)

نشيد بنت النيل

لأديبنا الكبير مصطفى صادق الرافعي روحٌ قويٌّ في أدبه وشعره ، وله ديباجةٌ صافية صفاءَ روحه ، رقيقةٌ رقةَ إحساسه ، نبيلةٌ نبلَ عواطفه وخلقه ، تحسُّها وتتأثر بها فيما تسمع له من أناشيد وشعر غنائي .

ولقد كان مما ينقص اللغة العربية والشعر بخصوصه إلى وقت قريب أن لا يتناولا خواطر الشعب وخلجات نفسه في أناشيد سهلة يسيغها الشعب ويرى فيها تصويراً لروحه ويناجي بها آماله ، فجاء الرافعي يردّ هذه التهمة عن العربية والشعر بما وضع من اناشيد يعرف القراء والقارئات كثيراً منها ، ويتغنون بها في مجامع جدهم ولهوهم .



الآنسة الفنانة ماري سلامة قدسي

وقد وضع أخيراً نشيداً مطلعه « وادينا : وادينا .. كصفو الندى » وجعله على وزن من الغناء ووزن من الشعر ، لتتغنى به السيدات والأوانس وطالبات المدارس ، فكأنما اقتبس من مرح الفتاة المصرية روحه ، ونسج من جمال الطبيعة المصرية خيوطه ، وكأنما تشرق في ديباجته ومعناه خواطر كل فتاة وسيدة مصرية ، وتلتقي عنده أماني كل أنثى من بنات النيل .

وقد أتيح لهذا النشيد موسيقية بارعة ، وملحنة ملهمة هى الآنسـه مارى سلامة قدسى ، مدرسة الموسيقا بمدرسة البنات فى بنهـا ، فوضعت له لحنـاً موسيقياً ، سكبت فيه من روحها الفنانة رقة الأنوثة ، وصفاء الوجدان ، وسحر الموسيقا ، فجمع بذلك – إلى جزالة الشعر ورقتـه – رقة اللحن وحسن الأداء ، فـكأنك إذ تسمع هذا النشيد يجمع بين قوة شعر الرافعى وحلاوة تلحين مارى ، ترتفع درجات عن هذا العالم الأرضى إلى عالم آخر ، فيه سحر ، وفيه فتنة ، وفيه عاطفة ، فى أنغام تسمعها حيناً صاعدة تحـدث عن عزم المصرية ، وحيناً خافتـة تهمس فى روحك معانى من رقتها وظرفها ووداعتها .

وقد وضع هذا النشيد فى الأصل لمدرسـة البنات الثانوية فى طنطا ليلقيـه تلميذاتها فى الحفلة السنوية التى تجمع سراة المدينة وأعيانها وعقائل سيـداتها ، فقوبل مقابلة استحسان وإعجاب فائقين ، ثم لم يلبث أن ذاع فى كل مدارس البنات بمديريات الغربية والمنوفية والقليوبية ، ورغب كثير من السـيدات أن يغنينه فى بيوتهن ، فطبعت له ملحنته النابغة « نوتة » موسيقية ، ليسهل على الجميـع أن يكون فى متناول أيديهن ، وأن يكون نشيداً قومياً لبنت النيل. وهذا مجالٌ جدير بحفاوة شعرائنا النابهين المجدّدين ؟

سعيد العريان



العقـاد نبيـــل

قرأتُ ما كتبه حضرة الأديب الدكتور رمزى مفتاح عن اقتبـاسات العقاد الـكثيرة من شعر شكرى ، وعلى فرض صحة ذلك جميعه (وهو ما لا أقرّه) فلا أرى فى ذلك محلاً للعجب ولا للمؤاخذة، فقد كان شكرى زعيم إحدى المـدارس الجديدة التى تفرّعتْ عن أدب خليل مطران ، وقد كان هبوط المطران الى وادى النيل بمثابة فتح جديد للأدب المصرى فاستفاد منه كل شاعر نابه فى مصر وفى المقدمة المرحومون اسماعيل صبرى باشا ومصطفى نجيب بك وأحمد شوقى بك ومحمد حافظ ابراهيم بك . فلا غروَ اذا اقتفى العقاد آثار استاذه شكرى ولا عيب إذا لبث متأثراً به الى حـد

كبير ، وليس ينقض ذلك أيّ خلاف وقتى بينهما فالعقاد كان وما يزال عظيم الاعجاب بشكرى كما أن شكرى معجب بالعقاد .

كذلك لا أرى غباراً على العقاد فى محاكاته الطبيعية قليلا أو كثيراً لا علام الشعراء البارزين فى الشرق أو الغرب مادام لذلك صدًى فى نفسه وليس تصنّعاً منه . واذا كان هناك لومٌ بعد ذلك على شاعرنا الكبير فانما يرجع الى توتّر أعصابه واعتلال صحته ، وهذه نقطة لا يجوز أن تغيب عنكم . ولا شك فى أنه غير راضٍ بينه وبين نفسه عمّا ندّ به قلمه من تعابير جارحة لم يكن يتعمّدها وقت ثورته القلمية ، وما من شك كذلك فى أنه يتبرأ من الحملة التى قام بها بعض أصحابه فى بعض المجلات السياسية ضدّ مناظريه من الأدباء وعلى الأخصّ ما نُسِج من الأوهام حول مدرسة أبولو وحول المجلات الثقافية الممتازة التى كان للدكتور أبو شادى الفضل فى خلقها ، فقد خدمت هذه المجلات الوطنية العلم والأدب فى مصر خدمة منقطعة النظير وكانت خير مدرسة ثقافية لشباب الامة . ولا يجوز أن تنسب تلك الحملة الى العقاد بالذات فليس العقاد من يهرب من الميدان الأدبى ويلتجىء الى المهاترة والاختلاق السياسى نكايةً بمناظريه الأدباء ، وهو ذلك المثل العالى للشهامة والرجولة الكاملة . ونظراً لما أعرفه عن العقاد أجزم بترفعه عن ذلك المتذبذب الصحفى ولا أعتبر من قاموا به الا خصوماً له فى ثياب أصدقاء ؟

حسن فرحات

(يسرنا نشر هذا الدفاع وإن لم نقرأ ما يعززه من ناحية زميلنا العقاد نفسه فى حين أن ما نُشر فى مجلة «روزاليوسف» هو بقلم أقرب الناس اليه ، ولا تعليق لنا عليه الاّ بنشر صورة حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا والى جانبه رئيس تحرير هذه المجلة فى معرض « رابطة مملكة النحل » — ودولته عضو فيها — ليرى الذين يحلو لهم استغلال السياسة كسلاح لطعن الابرياء أننا لا نعرف للسياسة أي طعم فى خدمة العلم والادب ، وأن أعمالنا لم تنل عطف جميع الاحزاب والزعماء والوزارات المصرية المتعاقبة الاّ لتجرّدها من الاغراض الشخصية والاهواء الحزبية والسخافات السياسية التى تُستغلّ للتفريق بين أبناء الامة الواحدة حتى أصبحنا أضحوكة جميع الشعوب المثقفة .

ولمّا كان حاضر ومآل هذا المجهود ثقافياً محضاً فأىُّ لذة للهدّامين من توجيه

المطاعن الينا شخصياً الا مجرد الرغبة فى الانتقاص والتفنن فى الاساءة كما لاحظ بعض أصدقائنا النقاد؟!

وقد اعترض حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا على ما نُشر ضدنا فى



صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا فى معرض رابطة مملكة النحل

مجلة «روز اليوسف» كما تفضل دولته بنفسه وأبلغنا ذلك تلفونياً مساء ١٣ أبريل الماضى . وأما زميلتنا المحترمة فقد رأت من اللائق تسخير صفحاتها للانتقاص منا ولم تر من اللائق نشر ردنا الهادىء ، ولكننا لن نحيد عن خطتنا المستقلة الامينة قيد شعرة — المحرر)

لغـــة الشعر

لا أظننى أتقدم اليوم برأى حديث لم يطلع عليه الأدباء وعلماء الأدب اذا قلت إن اللغة خاضعة للجو فى بدء خلقها . ثم هى بعد ذلك خاضعة للزمن

فى تطوّره: تميل معه حيث يميل وتسايره كلما تقدم بها وسار . هذه حقيقة كشف عنها العلم وكشفت عن نفسها وسفرت للعيان حينما فكر العلماء وبحثوا فى تاريخ اللغات.

ففى مصر مثلا خُلقت اللغة المصرية القديمة : خلقها الجو الهادىء المعتدل وغذتها مناظر الوداعة والبساطة وأخذت تنمو ويرعاها الزمن . ثم ألمت بها صروف التاريخ تحوّر فيها إلى أن بدلتها بلغة العرب التى نزل بها الكتاب المقدس فقدسها .

فنحن الآن أمام أمر واقع : هو موت لغتنا المصرية وقيام اللغة العربية النزيلة بيننا التى لا بد أن تكون — ازاء هذا — لغة أدبنا وعلمنا . وهى على ما هى عليه صالحة للعلم الذى ليس له وطن كما يقولون وليس له ذوق موضعى كذلك، ولكن هل هى صالحة لأن تكون لغة أدبنا وشعرنا ؟



كما تخضع اللغة للجوّ والبيئة كذلك يخضع لهما الشاعر ويتأثر بهما إلى حد بعيد: فاللغة اليونانية غير اللغة العربية والشعر اليونانى يباين جد التباين الشعر العربى فى أخيلته ومعانيه . وعليه فكان يجب أن تكون اللغة التى ننظم بها الشعر المصرى وليدة الجو المصرى حتى يخرج الفن فى حلة نسجتها له الطبيعة ، ولكن هذه الحلة مزقها التاريخ وغير مستطاع نسجها لظروف قد يطول شرحها .

وانما الذى يجب الآن والذى نريده اليوم ونعنيه فى مقالنا هذا هو أن نعمد الى اللغة العربية — لتكون أقرب الى الذوق المصري وأدق فى التعبير عن عواطفنا — فنأتى على الكلمات النابية الغريبة بالاهمال والنسيان حينما نصور حالات النفس المختلفة أو عند ما نعبر عن أى معنى شعرى يغمر نفوسنا ، ونحن إذا أردنا هذا فلسنا فى حاجة إلى كبير عناء ، بل حسب الشاعر أن يرسل نفسه على طبيعتها ارسالا خالياً من الكلفة والتعمل . وحينئذ يلهم الألفاظ التى يتطلبها احساسه وتتلاءم والبيئة التى يعيش فيها ويحيا لها .

وأما الشاعر الذي نقرأ قصيدته فنجد فيها عدة ألفاظ وحشية وهى فى الوقت نفسه ميتة، هذا الشاعر بين اثنين :إما انه عجز فى ميدان التقليد ولم تحتمل ساقاه الجري الكثير وراء القافية المتحدة فى القصيد، ففتش عن هذه الألفاظ فى أعماق المعاجم ووضعها وضعاً أرغمه

عليه الاضطرار ، وهذا كما أرى لا يستطيع مدافعة عن نفسه ولا يحق لناقد أن يخلق له العذر اللهم إلا إذا كان التقليد عذراً للفنان يستوحى آلهة الشعر ويستلهم احساسه المرهف الطليق .

وإما انه تعمد وضع هذه الالفاظ بقصد احيائها ، وهذا نقول له إشفاقاً على الفن منه : لم يكن الفن الجميل يوماً وسيلة لبعث كلمات عفت وتساقطت من بين أصابع الأيام . ولن يكون الفن الجميل يوماً وسيلة لهذا والا فهو النظم (العلمى اللغوى) المقيد بسلاسل الأغراض ، وتلك الكلمات انما ماتت لأنها لم تخلق لهذه المناظر المتسقة ، فضلا عن نضوج العصر وارتفاع مستوى الشعور .

* * *

اذا فرغنا من هذا فقد خلصنا إلى أنه يجب أن يكون لنا شعر مصرى تسري فيه الروح المصرية وروح الجدة والطرافة حتى يستطيع مؤرخ الآداب حينما يعرض لتاريخنا بَعْدُ أن يصدر حكمه فى ثقة وجرأة بأنه كان فى مصر شعراء أثبتوا وجودهم وحياتهم فى النصف الاول من القرن العشرين .

الاديب بيننا الآن يطالع الشعر العربى مثلا فيرى له فى كل عصر ومكان ميزته التى يتميز بها وسمته التى يتسم بها : ففى الشعر الجاهلى يحس الهمجية ونظام القبائل المحافظة ويرى البادية تسبح فيها العيس وتنطلق فى ارجائها الظباء ، وفى الشعر الاسلامى والاموى يلمس آثار الحزبية لبعض الخلفاء والفرق الدينية وبه كثير جداً من ألفاظ الدين الذى نهض بهم ، وفى الشعر العباسى تبرز آثار الحضارة والترف ويسمع منه صدى امتزاج العرب بالفرس واليونان ، وهكذا كل عصر فى كل بلد .

ثم يطالع لاحدث الشعراء فى مصر ، فيطالعه مزيج من القديم والحديث وخليط من التجديد والتقليد فيضطرب ويحار ، وأخيراً لا يستطيع أن يحد هذا النوع من الشعر فى فترة واحدة من عصور الادب . فشاعر يرى أنه لا يستقيم الشعر إلا (بالاحراج والادغال والقلوص والبادية المتسعة الارجاء) وآخر يسخر من أخيه ويرى أن التجديد فى (جبال الجليد وتكاثف الضباب الذى يحجب ضوء الشمس أو فى السطو على آثار الغربيين) وثالث يخرج مترنحاً مشوّهاً من كل هذا ... ومصر — شهد الله — غنية بما يستثير قرائح آلاف الشعراء . . . على أننى أجرؤ على القول بعد هذا بأنها نهضت تبدل ابتسامة الخجل بابتسامة الرجاء ؟

المهدى مصطفى

الأدب شيء والحزبية شيء آخر

قالوا إن عباس افندى محمود العقاد غاضب يهدد بقبضة يده الأرض والسماء وقالوا إنه لا يفيق من ثورة غضبه ولا تهدأ نفسه حتى يتعاثر حوله عباد مائدته وأصفياء أنسه ومرحه يسألونه فيم غضبه ، ولاى شيء ثورته ، والدنيا فى حذائه والسماء قلنسوة يملأ بها رأسه ؟ فتهدأ نفسه لهذا التحليق ويستقر ويخرج من دنيا الغضب الى جنة الرضى ثم يسدد أنفه الى كبد السماء فيدميه بأرنبته ويظل رأسه غارقاً فى السحاب كأنه المنطاد السبوح. وأخيراً جداً يتنزل من عليائه فيجيب سائليه عن سر غضبه : إن هناك فقاقيع فى الادب يشتمونه وينتقصون عبقريته ويأخذونه بالنقد طوراً وبالتعنيف أطواراً ، وان رجله ذات الاصابع الست ، لتكتب خيراً مما يكتب اولئك الفقاقيع ، وان طرف ردائه ليحمل من المعانى ما هو أفضل مما تحمل أذهانهم الخربة ، وان سيجارة واحدة يدخنها لهى أفضل للبشرية كلها من عمل خصومه ، وانه لو تثاءب وتمطى لأفاد العالم خيراً مما يفيده أولئك ، وان التراب الذى يدوسه بقدميه الجبارتين لهو أسمى تفكيراً وأوفر جلالاً وخلوداً ، وهكذا ... الى آخر هذا الخلط العجيب الذى ابتلى به الادب العربى فى القرن العشرين على أيدى العقاد وأمثاله فى مصر .



كيف يحترم العقاد زملاءه الادباء مثال للنقد التصويرى عن مجلة (روز اليوسف)

فالعقاد افندى لاينام ولا يأكل ولايشرب حتى يؤدى واجب العبقرية فى شتم منتقديه. وعنده لهذا الشتم برنامج لطيف معقول فهو يصفهم جميعاً بأنهم فقاقيع قادر على ان يسحقهم بقدميه ولكنه يتورع من هذا رحمة منه واشفاقاً ، ثم يتدرج الى شتم آبائهم أولاً على قاعدة أن الاب أولى بالتقديم ، ثم تنساق شتائمه الى أمهاتهم واخواتهم واقاربهم فاذا انتهى من الانساب عرّج على المكانة فوصفهم بأنهم اوشاب من السوقة كانوا قديماً يتسوّلون باسم الادب ويستنجد بشهادة الشيخ عبد الرحمن البرقوق والاديب توفيق سامى ناظر مدرسة عزبة العبيد التى كان العقاد افندى مدرساً فيها .

وقبل ان يجتريء أحـد على مراجعته فيما يقول يفترض هو ان انساناً ما سأله: لماذا لا ترد عليهم ؟ فيجيب على هذا السؤال المفترَض: وهل يليق بمثلى ان يتولى الرد على اولئك الفقاقيع او يهتم لما يقولون او يفكر فيما ينتقدون؟!

واذن فنحن صغار لايصح ان يتنزل العقـاد افندى الى الرد علينا حتى نصيب من وراء رده شهرة دونها شهرة جريدة (مصر) حين كان يحرر فيها ...

لكن هذا العقاد افندى الذى يتأثم الردّ على منتقديه لانه لا يعبأ بهم ، لا يرى مانعاً فى ان يخاطب بالتليفون، اي والله بالتليفون، مجلة من المجلات لتشتم بالنيابة عنه خصومه ومنتقديه وتصور احدهم وقد تلقى من ادب العقاد ضربة فى صدره فاد لها المسكين وترنح وبقى العقاد عالى الرأس مهيب الطلعة كانه أحد العمالقة تركتهم موجة النسيان منذ فجر الانسانية .

وهذا العقاد افندى الذى لايعبأ بناقديه هو الذى أملى تلك الكلمة لكى يقول فيها كاتبها إن اولئك الذين ينتقدونه انما يقدمون على هذه الخطيئة لانهم وزاريون ، ولما كانت الوزارة فى وهمه تكره العقاد افندى وتبغضه من صميم قلبها فان اولئك الكتاب الذين ينتقدونه انما يرضخون فى نقده لمشيئة الوزارة !

والعـقاد افندى هو كاتب الديمقراطية . ولما كان كاتب الديمقراطية بغيضاً الى الوزارة المستبدة ولما كانت الوزارة تستطيع ان تستخدم اولئك الكتاب الصغار الذين لايهتم لهم العقاد افندى ولا يعبأ بوجودهم اذن فالنتيجة معروفة وواضحة وهى اننا كتاب وزاريون مأجورون !

لكن كيف وصل العقاد أفندى الى هذه النتيجة من غير ان يلقى باله الى الخطأ الشنيع فيها ؟ فهو كاتب الديمقراطية ، هذا حق لا ريب فيـه ، لانه يدبج كل يوم

مقالات عن حوادث اضطهاد العمال وتعذيب متهم برىء ، وهى مقالات لو لم يكتبها لوجدت الجريدة مائة الف تلميذ وشاب يكتبونها بمثل اسلوبه ، ويستطيعون ان يبدأوها بما يبدأ به مقالاته عادة « من المسلم به . . . » «و . . غير خاف على ذوى العقول النيرة . . » ولو لم يكتب فيها لما استطاع ان يقبض مليماً واحداً من مرتبه الذى يعيش به ،وينفقه على ما يحب ويهوى.

لكن كاتب الديمقراطية هذا البغيض الى نفس الوزارة هو بعينه وأنفه ولسانه الذى كان منذ شهور يتهدد بالانضمام الى تحرير جريدة « الاتحاد » حيث ادعى أن إحدى السيدات الفضليات قد فاوضته فى هذا الامر . وهو هو الذى لا يكاد يحتويه مجلس حتى يرفع عقيرته شاتماً ساباً لان فلاناً الكاتب يرزق من احدى الصحف التى كان يحرّر فيها نحو مائة جنيه فى الشهر وهو لا يصيبه الا نصف هذا المرتب!

هذا هو الكاتب الديمقراطى الذي نلفه فى اليسير من حوادثه ولا تفضحه حتى يتحرك هو لتكذيبها، وهذا هو الكاتب الذى يحرض غلمانه على أن يشتموا نقابة الصحافة لا لشىء سوى انها اهتمت بالزميل السجين محمد توفيق دياب ، بينما هى لم تول العقاد اهتمامها حين كان محبوساً حبساً بسيطاً !

ونحن وزاريون ، لماذا ؟ لأننا ننقد أدب العقاد وشعره! وعلى هذا فالعقاد حين يكتب مقالا فى الأدب عن « شكسبير » مثلا أو ينظم قصيدة فى « الشيطان الازرق ذى الرأس المدبّب » انما يعارض بمقالته الأدبية وقصيدته الشعرية الوزارة القائمة ، حيث قد يكون للوزارة رأى فى « شكسبير » يخالف رأيه ، أو يكون لها اتجاه فى وصف « الشيطان الأزرق » غير ما يصف !

وإذن فالذين ينقدون أدبه وشعره وزاريون والعياذ بالله ، وإن كان أحدهم ــ هو كاتب هذه السطور ــ ما يزال يعانى ديون الخسائر التى تكبدها بسبب مضايقة الوزارة له فى ست صحف أصدرها من تعطيل وغير تعطيل ، فنحن وزاريون ولو اننا وفديون ، لماذا ؟ لاننا ننقد شعر العقاد وأدبه! وان سخافة العقاد لتحمله على ان يجعل ادبه وشعره مبدأً وطنياً يكون ناقده خائناً للوطن غير وفىّ للجهاد !

وبعد ، فمن يذكر البابوية فى أقسى مظاهرها حين كان الطعن فى دابة القسيس طعناً فى شخصه الجليل : والطعن فى شخصه الجليل طعن فى الدين ، والطعن فى الدين كفر وإلحاد ومروق ؟!

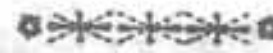
وعلى هذا النحو يكون الطعن فى شعر العقاد افندى ، كالطعن فى شخصه ، والطعن فى شخصه طعن فى مبدئه ، ونحن نسلم بأن الطعن فى المبادىء خيانة ، ولـكن مبدأ العقاد افندى . . . ما هو ؟ وأية صلة بينه وبين شعره وأدبه ؟

لـكن هل يجهل العقاد افندى الفرق بين الادب والحزبية ، أم يتظاهر بالجهل لينال من خصومه على حساب هذا الجهل ؟ إن الادب شىء والحزبية شىء آخر ولا صلة بينهما ، ونحن حين ننتقد شعره وأدبه لا نعرض لمبدئه الذى يتظاهر به ، فاذا كان قد عجز عن الردّ وتلقف الحجر بفمه فليس من الرجولة فى شىء أن يحارب خصومه بمثل هذه الوسيلة الفاشلة .

بقى أمر آخر هو أن غلمان العقاد افندى يتهمون خصومه بأنهم يحقدون عليه ! يحقدون عليه لماذا ؟ لانه أديب فى الشرق وفى الغرب ، وماذا يكون أيضاً لو أن العقاد افندى أصبح « أناتول فرنس » آخر ؟ أى حقد يحمله خصومه له وهم يعيشون بعيدين عنه غير طامعين فى شىء مما يرزق به ، وإن كان هو يطمع فى أرزاق الناس ويرى أنه أحق بها دونهم ؟ !

فليخفف العقاد افندى من غلوائه ويهدم هذه المآذن العالية التى يشيدها من محض خياله ، فان هذا هو الأليق بمن ينتسب للأدب ويدّعى التوفّر على خدمته الخالصة ؟

محمد على غريب





المهرجان السنوى

لجمعية أبولو

بناءً على المادة الثامنة من دستور (جمعية أبولو) قرر مجلس الجمعية مبدئياً فى جلسته المعقودة بتاريخ ١٢ يناير الماضى برئاسة خليل مطران بك الموافقة على اقامة

مهرجان سنوي للجمعية ابتداءً من هذا العام بحيث يكون موسماً للشعر تعرض فيه أنفس الآثار الفنية التي تصل إلى الجمعية من العالم العربي في حفل فني جامع. وسينظر المجلس في التفاصيل في جلسته الآتية التي ستنعقد عند الساعة الخامسة بعد ظهر يوم الأربعاء ٢٤ مايو الجاري بمكتب الجمعية بميدان السيدة زينب بالقاهرة.

ويرحّب سكرتير الجمعية بتلقي الاقتراحات التي يرى حضرات الشعراء عرضها على مجلس الجمعية في جلسته الآتية.



ذكرى حافظ

سنخصّص عدد يولية الآتي من (أپولّو) لذكرى الشاعر المصري الكبير النفس محمد حافظ ابراهيم — على ما أعلنّا من قبل بناءً على قرار (جمعية أپولّو) — لمناسبة مرور سنة على وفاته. ويؤسفنا أن نقول في صراحة إن كثيرين ممن عُدّوا بين أصدقاء الفقيد في حياته قد تغافلوا عن واجب التعاون لاحياء ذكراه بعد مماته، فاننا لم نتلقّ حتى كتابة هذه السطور الاّ اليسير من دراسات تستحقّ النشر عن شاعرنا الفقيد كأنما لم يكن ملءَ الاسماع والابصار في حياته التي طُويت صفحاتها منذ شهور معدودة!

أيُّ روحٍ متخاذلةٍ هذه التي أوحتْ إلى شوقي أن يقول عن هذا البلد: «كل شيءٍ فيه يُنْسى بعد حين»، وقد صدق كلّ الصدق في هذا التعبير فانّ شوقي نفسه كادَ يُنْسى بين مريديه!

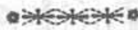
تتناسب عظمة الأمة — في اعتقادنا — ومبلغ ضميرها الانساني الحيّ. ونحن الذين نسمح للموهوبين بأن تُهضم حقوقَهم أحياءً وأمواتاً، ونسمح للتطاحن الحزبي بأن يستولى على جميع ميادين الحياة من سياسة وعلم وأدب وفنّ لا يجوز لنا أن نباهى بشيءٍ من العظمة. ان العظمة الحقيقية ترتبط بمبدأ «الانصاف» وكلّ رسالة — كيفما كانت صبغتُها — تقف في وجه الانصاف ليس لها من الشرف والجمال مايستحقّ أيّ تقدير. لذلك يعنينا كلّ العناية في المناظرات الأدبية وغيرها أن نترك باب الانصاف مفتوحاً على مصراعيه، فان التحامل طريق الهاوية.

ليست مصر هي الأمة الوحيدة التي غُبن فيها الفنانون فان جنايات الامم الأوروبية على رجال الفن أشهر من أن يُعرّف بها، ولم يكن نصيب الشعراء من البؤس بأهون

من نصيب الموسيقيين والنقاشين والمثَّالين ، حتى صاح الشاعر التراجيدى النابه البائس توماس أُتوى (Thomas Otway) فى يأسه البالغ : « آه ، مَنْ ذا يودّ أن يكون شاعراً فيجوع ويُمقَت ويُزدَرى ؟! » وقَدْ مات فى فقرٍ مُدْقعٍ أليمٍ على ما روى مؤرّخوه ، وضع القصصى الانجليزى فيليب لندسى أقصوصةً مؤثرة حول حياته الشقية . ومثل هذه المأساة تكررت فى حياة شعراء كثيرين كارنست دوسن وبوديلير وفيرلين . ولكنّ الاحوال تبدلت فى اوروبا،ومهما يكن من شىء فليس فى اوروبا الآن من الشعراء مَن يعانى مثل تلك الخصاصة الساحقة ويصف آماله المقتولة الممثَّل بها كما وصفها الشاعر المصرى عبدالحميد الذيب حين قال :

أمانىّ تفريها الخطوب رأيتها كاشلاء قَتْلَى فى رؤوس حراب !

إنّ المواهب الفنية فى مصر ليست مهملة فقط بل هى محاربة بنذالة منقطعة النظير،وقد عرفناوتذوّقنا نحن كيف يُحارب مجهود الشباب الجرىء لخدمة الصناعات الزراعية فى مصر من نحالة ودجانة وغيرها ولا من مُسائل ولا رقيب ، بينما تداس المصلحة العامة بالاقدام تحت سمع الدولة وبصرها .ولو مردنا أمام جمع من الرجال المسؤولين اليقظين كيف حوربت وما تزال تُحارب هذه المجهودات حتى الساعة لحاروا فى العقاب الصارم الذى يجب ان ينزل بالآثمين.وماذا نقول عن المواهب الضائعة للفنَّانين المصريين وعن تقصير الدولة فى تنظيم استغلالها ؟ ليس الشعر الفنى هو نظم المناسبات من أمداح وغيرها تفيض بها أنهار الصحف ، وانما للشعر مجاله الرائع فى جميع ملابسات الحياة لتصوير الجمال وتهذيب الأذواق وترقية الشعور وخلق المثل الاعلى.وللدولة وسائل شتى فى استغلال هذه المواهب الضائعة والانتفاع الفنى بها أحسن انتفاع ، بدل ترك هؤلاء الفنَّانين فى بؤس وتشرُّد.فكيف نتهاون وننام ؟



مهرجان للمولد النبوى

الدين والفنّ من نبعٍ واحدٍ فلا غرابة إذا حفلت الآداب العالمية بنماذج رائعة من الشعر الدينى . وإذا نظرنا الى الشعر العربى نظرة استقصاء فمن العسير علينا ان نقول إنّ فيه نماذج عالية من هذا الشعر عندما نستثنى شعر التصوُّف الرمزى ، ونحن نشمل بهذا الحكم بردة البوصيرى ومعارضاتها . وليس الذنب فى ذلك واقعاً على الأدب العربى ، وإنما مرّ هذا القصور منشؤه انّ الشاعر العربى الدينى

النزعة ضعيف فى أساليبه الفنيّة فيجىء قصيده بدائىّ الصورة ، وما تزال هذه الحالة مطّردةً الى الآن .

وقد سمعنا عن دعوةٍ لصديقنا الهرّاوى يرمى بها الى إقامة مهرجان شعرى فى المولد النبى ، وهذه بلا شك دعوة شريفة . ولكن ما نعترض عليه هو تكليف الشعراء بهذا النوع من الشعر سواء أكانت لديهم العاطفة المشبوبة لقرضه أم لم تكن ، كما كانوا يُكلَّفون تكليماً بالنظم لمشروع القرش ونحو ذلك من المناسبات العامة التى يحتجّ عليها الفنُّ الخالصُ أشدَّ احتجاج .

نحن نستمتع بقراءة كلّ ضروب الشعر متى كانت متسّمة بالصدق وحرية التعبير والسماحة والجمال ، ولسنا ممن يحصرون الشعر فى دائرةٍ واحدةٍ كما يفعل غير واحد من النقاد . فلو أُتيح لنا الاطلاع على نماذج رائعة من الشعر الدينى فى الأدب العربى الحديث لهلّلنا لهـا وكبرنا ، ولكننا ما نزال نبحث عن الشاعر الدينى الموهوب فلا نراه ، ونستبعد كثيراً أنّ هذه الدعوة ستظهره لنا فيخرج لنا أثراً يحاكى « ظهور المسيح » للشاعر الانجليزى النابه جون ميسفيلد .

بيدَ أن ما يَعنينا فى هـذا المقام هو التنبيه الى ضرورة التنحّى عن كل ما يُحلّ الصناعة فى الشعر محل الفطرة الصافية والطبع الخالص ، سواء أكان ذلك فى مجال الدين أم فى سواه ، ولا يرضينا استمرار اللهو بنظم المقالات الصحفية كنماذج للشعر العربى الحديث وإن احتمى الناظمون بالمولد النبوىّ الشريف .



القيثارة

نظم الياس أبى شبكه ، ١٣٩ صفحة بحجم ١٥ سم فى ٢٣ سم . الثمن أحد عشر فرنكاً . طبع مكتبة صادر فى بيروت

أما أن اخواننا الشعراء السوريين أهل عاطفة ملحة ، وذوو شعور فياض ؛

وخيال متدفق ، فهذا ما لا يحتمل شكاً ولا يحتاج الى دليـل ينهض من أجله ، كأن لطبيعة بلاد سورية الزاخرة الوافرة البهاء السخية الحسن يداً قوية فى بنـاء الخيال فى شعر أهل تلك البلاد : فهذا الارز بجماله ، وذاك لبنان بجلاله ، يوحيان أرق الاحاسيس الشعرية وأرقها ، ثم شيء آخر قد أفاد شعراء هـذه البلاد تلك الميزة فى الخيال ، وذلك الارهاف فى العاطفة والشعور ، ذلك هو احتكاكهم بالفرنسيين ودراستهـم للشعر الفرنسي . ومن ينكر إخصاب الشعر الفرنسى من ناحية الشعور والخيال ، وهل هناك من لم يهتز وجدانه طرباً أو حزناً لدى قراءة أشعار لامرتين وهيجو وموسيه وأندادهم ؟

فشاعرنا الياس ابو شبكة قد ظفر بهاتين الخلتين ، فكان له من الشعر ما يهز الوجـدان ويحرك أوتار الافئدة . والـكتاب الذى بين أيدينا اليـوم هو كما سماه الشاعر (القيثارة) ضمنه النبذة الاولى من ديوانه ، وهو غير مُبَوَّبٍ ، وأحسب أنه ليس فى حاجة إلى تبويب إذ يكاد يقتصر على نوع واحـد هو الشعر الوجدانى الخالص . فمن أول قصيدة يتحدث الشاعر عن شعوره الخاص ، ويطلق وجـدانه كيفما أراد حراً طافراً فى فضاء لا نهاية له من الخيال والعاطفة المشبوبة ، ويكاد يسير على هذا المنوال حتى ينتهى الـكتاب ، لولا عـدة قصائد فى الطريق عن مسائل اجتماعية أو شبه فلسفية ونحوها وهو لا يجيد فى أمثـال تلك القصائد التى توحيها الظروف الاجتماعية أو التفـكير الفلسفى (وفى الواقع ان شعراءنا الذين يجيدون هذه الابواب معدودون) ولـكننا نرى الاجادة كل الاجادة فى قوله :

أودّك فى خاطر القبر سـراً ... يردّدُ ذكراك فى مسمعى
فيهرب منك العذول وآتى ... أُبلل خـديك من أدمعى
وأنزع من جانبيك الفؤاد ... وأُخبئه فى دجى أضلعى

فهذه الابيات المنتزعة من قصيدة غريبة للشاعر تحت عنوان (أودّك ميتة ص ٣٩) رائعة تمثل أحاسيس مضطرمة ووجداناً ثائراً . وفى قصيدة (نرجيلتى) وصف رائع لا يصح إغفاله و(فوق المقبرة) قصيدة ممتازة يجب أن نشير إليها ، هذا بينما المجموعة لم تخل من سقطات لفظية مثل :

غزال من الأُنس قد هدّ حيلى ... وما تاب عن فعله واعتذرْ

فى قصيدته (قلب الملاك حجر) ، ويقول فى نفس القصيدة :

في كبدى علّة من جفاه رآها طبيبي تحت الخطر

فهذا إسفاف في اللفظ لا يليق بشاعر رقيق مثل الأديب أبي شبكة .

ولنا ملاحظة بسيطة على الكتاب : وهى أن الأديب صاحبه قد وضع به عدداً من القصائد مشيراً أمامها الى أنها من نظم الصبا ، ونحن كنا نفضل عدم نشرها ، فهى وإن كان في بعضها رقة وجمال لا تتناسب ومستوى الأشعار الأخرى في الديوان ، اللهم إلا اذا أراد الشاعر أن تكون بمثابة شواهد على مراحل نضوجه الأدبي فتكون قيمتها تاريخية بحتة .

بعد هذا نعود فنقول إن هذا الديوان من طلائع الدواوين التجديدية في الشعر العربي على الرغم من الهنات التي تعتوره ، وإذا علمنا أن الاديب أبا شبكة قد طبعه عام ١٩٢٦ ميلادية اطمأنت نفوسنا الى شعره الآن وعلمنا أن صاحب « القيثارة » خليق أن يخرج للعالم العربي عملاً أسمى وأقرب الى النضوج والكمال ؟

مختار الوكيل



لامرتين

بقلم الياس ابى شبكة ــ ٩٤ صفحة بمقياس ٢٠ × ١٤ سم . ــ طبع مكتبة صادر ببيروت
الثمن أربعة فرنكات

« أود أن أذهب الى الشرق لابحث عن تأثيرات شخصية في ذلك الملعب الرحب حيث وقعت حوادث العالم القديم ومثلت السياسات والاديان ، أود أن أقرأ قبل الموت أجمل صفحة من سفر الخليقة ، فاذا اهتدى الشعر في ذلك الملعب الى صور جديدة فلا أتردد عن حملها في زوايا مخيلتي رجاء أن أتوصل بذلك الى اعارة الآداب ألواناً جديدة » .

تلك كانت رغبة الفونس ده لامرتين شاعر فرنسا العاطفي في زيارة الشرق حيث نزل في ربوع لبنان وألّف كتابه « رحلة الى الشرق » فأودع فيه من روائع خياله في وصف تلك الربوع ماجعل اللبنانيين يمجدون لهذه الزيارة ذكراها بعد مائة من السنين . وهذا الكتاب الذى ألفه الشاعر الياس ابو شبكة عن لامرتين أحد آثار

هذا التمجيد، وقد سرد فيه حياة الشاعر وغرامياته ومؤلفاته وذكر شيئاً من مذكراته وأشعاره و نبذاً من خطبه بأسلوب جميل لولا بعض الهنات التي تتلاشى في دقة البحث.

على أن الذي يعنينا من هذا كله تلك الحياة التي عاشها ذلك الشاعر العاطفي شعلة تحترق في يد آلهة الشعر على مذبح الحب فأخرج للعالم أنفاسه التي لم تفقد حرارتها ولن تفقدها، وظل يغمس ريشته في دمائه ويستلهم ذكريات غرامياته التي كان أقواها حبه لجوليا شارل تلك التي سما في حبها وكان لتعليمه الأول أثر في هذا السمو فلم تكن أنظاره تتطلع إلا إلى أفق بعيد من النور البهي يلهيه عن أرجاس الحياة، ونلمس ذلك في كتابه «رفائيل» تلك القطعة الدامية التي نحس فيها أنفاس عاشقين ونلمح بين سطورها لهباً لم تستطع الأيام محو شيء منه ... ذلك أنها صفحة الأسى الخالد، ومأساة الوجود السرمدية، وقد ترجمها إلى العربية في أسلوب قوي وروح حيّ الاديب الكبير احمد حسن الزيات.

وكان لديوانه الأول التأملات الذي أصدره في عام ١٨٢٠ في اربع وعشرين قصيدة أثر قوي في مجد هذا الشاعر فقد وجّه اليه الانظار، حتى أنظار الذين لا يأبهون بالشعر. وقد كتب الاسقف ده تاليران أعظم رجال السياسة في ذلك العهد الى الاميرة دي تالمون عند ما أهدت اليه نسخة من هذا الديوان «... اني أؤكد ان وراء ذلك الشعور المتدفق من هذه القصائد رجلاً رجلاً، وسنتحدث عنه بعد».

أما قصائده: البحيرة والوحدة واليأس والايمان والخلود وغيرها، تلك التي استوحاها من حب جوليا، فهي أثر خالد لا يفقد حلاوته في أي لغة ترجم اليها. ولعل قصيدة «البحيرة» هي القصيدة الوحيدة من روائع الأدب الغربي التي نالت في لغتنا العربية محلا سامياً فنقلها شعراً ونثراً ما يربو على العشرة من الكتاب والشعراء.

ولعل لامرتين أشبه روحاً بابن زيدون أو بابن زريق البغدادي في قصيدته التي مطلعها «لا تعذليه فان العذل يولعه»، وهو أقرب الشعراء الأوربيين الى الروح الشرقي، ولعل ذلك راجع الى أنه انما كان يستمد من معين إنساني تنهل منه نفوس الناس جميعاً: ذلك معين الألم واللوعة في نشدان الحب والحياة؟

حسن كامل الصيرفي



تصويبات

صفحة ٨٦٦ صواب البيت الثالث هكذا:

أيهذا الغد قد فسّر لى   أمسُ ما كان ، فماذا سيكون؟

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٨٧٥	١٠	يبعث	يعبث

صفحة ٩٣٠ سطر ٢٠ صحة البيت :

«وعطفك عندى نهزة ليس بعدها   الى أبد الآباد إسعاد خاسرِ»

صفحة ٩٣١ سطر ٢٠ صحة البيت :

«أنسى فناء جمال أنت لابسهُ   حتى كأن لم يكن حال له ثانِ»

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٠٠٩	١٨	البشبيشنى	البشبيشى
١٠١١	١٤	فيك	منك
١٠١٦	٩	حسن	حسان
١٠٢٠	٢٠	شُرُفكْ	شروقكْ
١٠٢١	١٠	الرجب	الرحب
١٠٢١	١٩	وَوُرُداً	وورودا

فهرس





المجلد الأول

العدد العاشر

أپولو

مجلة فنية لخدمة الشعر الحي

لسان حال جمعية ابولو



تصدر مرة في كل شهر

يونية سنة ١٩٣٣



صاحب الامتياز ورئيس التحرير | أحمد زكي أبوشادي

الادارة | بشارع الملك المعز رقم ٩ بضاحية المطرية بمصر

التليفون | ١١٩٦ زيتون و ٤٠٤٥٦

مطبعة التعاون



الشعراء فى الميزان

تَدَفَّقَتْ علينا رسائل ومَباحث شَتَّى فى نقد الشعر والشعراء سننشر مختارات منها تباعاً . وبين ما تلقَّيناه رسائل تقديرية لما سبق لنا نشرُه وعلى الأخص لكتابات الناقد الأديب القدير اسماعيل مظهر ولطريقته فى التحليل النفسى للشعر . وقد أعجب غيرُ واحدٍ بما أظهره حضرات الكتَّاب من ضبط النفس والتغاضى عن الصغائر وروح الدعابة والمفاكهة حتى فى مواقف الدفاع ازاء التحامل الشديد الذى وُجِّه اليهم والينا فى حين أننا متجردون من كل دافع شخصى . ونحن يسرنا كل هذا ، فالأخذ والردّ لهما نهايةٌ ، ولا تبقى الا الكلمةُ النزيهةُ الطيبةُ وليس أجمل من سعة الصدر والتسامح . وخدمةُ الأدب خدمةً صادقة تتطلب كلَّ هذا .

ولمَّا كان فراغُنا أضيق من أن يتَّسع لا كثر مما نشرناه من نقدٍ لشعر زميلنا العقَّاد فنرجو قبولَ عذرنا إذا اكتفينا بما نشرناه حتى الآن من مباحث ورسائل نقدية عنه اللهمّ الاَّ اذا وُجِدَتْ مناسبةٌ خاصة لذلك ، ونرى من العدل أن يُخَصّ نقد غيره من الشعراء فى المستقبل بنصيبٍ من فراغنا كما لاحظ أحدُ حضرات النقاد فى هذا العدد . واذا كانت بعضُ هذه المباحث لم تُسْتَوْفَ بَعْدُ فلعلّ ما نشرناه منها كافٍ للدلالة على قيمتها الأدبية واتجاهها .

وأخيراً نرجو من حضرات الشعراء أن يؤمنوا باحترامنا وتقديرنا لمجهودهم ، وأنّ نشر النقد لشعرهم فى هذه المجلة — سواء أقسا أم لان — لا يَعنى أكثر من حرية منبرنا العام ، دون أن نكون مُلزَمين بالموافقة على آراء حضرات النّقاد أو بالاخذ بمذاهبهم الفنّية . وصفحاتُ (أبولو) ترحب فى كلّ وقتٍ بكلّ ما يؤدّى الى إنصاف الشعر والشعراء إنصافاً لُحمتُه وسَداهُ التحقيقُ

والتدقيقُ لا التَّهريجُ والتصفيقُ . وليس أحبّ الينا من أن يكون فى طليعة من يُنقَد شعرهم أعضاء مجلس (جمعية أپولو) ومحرر هذه المجلة بالذات ، وصفحاتها ترحّب بهذا التعاون النقدى الحرّ من أيّ أديب غيور ، فلا يكره النقدَ غيرُ العاثر والمغرور ، ونحن بحمد الله نعتبر من مقدمة رأس مالنا الشجاعة الأدبية ولا نقبل بتاتاً أيّ مجاملة فى سبيل الحق والنور .

ويطيب لنا بهذه المناسبة أن نشيد بروح التسامح الحرىّ بان يُقتدى به من رئيس جمعيتنا خليل مطران بك ، وفى كلمة نزيهة عنه ذكر لنا الشاعر الشهير عبدالرحمن شكرى اعجابه واحترامه لمطران ، وذلك : « (١) لأنه أقدر الشعراء على اللغة وأكثرهم اطلاعاً ، (٢) لأنه مع قدرته على اللغة كان أول من نهج منهجاً جديداً وبثّ فى الشعر روحَ العبقرية وبرّز فى هذا المنهج أعظم تبريز ، (٣) لنزاهته فى حياته الأدبية — تلك النزاهة التى سمتْ به عن الأحقاد التى لا تليق بزعيم » .

وهذه الملاحظات من شكرى تقبل الترديد الكثير ، وهى خليقة بأن يستوعبها كلُّ من تحدثه نفسه بان يكون فى الطليعة . ولم تؤسَّسْ هذه المجلة ولا (جمعية أپولو) لخلق الاصنام ولا لحرق البخور ، وانما لتخدم الشعر ذاته ولتخدم الشعراء كوحدةٍ معنويةٍ ، فاذا أسخط هذا المبدأ علينا محبّي الزعامة واتّخذوا من منبرنا الحرّ حجةً لاتهامات شتّى تُكال ضدّنا فنحن نشفق عليهم ونحبّ أن نذكرهم بحقيقتين : (١) الأولى انه يستحيل علينا أن نبخسهم فضلهم مهما تفنّنوا فى التقوّل علينا ومحاولة ايذائنا لأن أساس احترامنا لا نفسنا يعتمد على احترامنا لسوانا ، وكلّ من لا يتجمّل بروح الانصاف والتعاون انما يكون صغيرَ النفس ، و (٢) الثانية انّ هذا العبث الصبيانى سيبقى وصمة فى سيرتهم الادبية ودليلا على انهم لم يبلغوا صيتهم الا بوسائل مفتعلة من تَصَنُّع ومهاترة ، ومثل هذا الخزى لأدباء مواطنين — حتى وان لم يحسّوا به — يؤلم كلّ غيور يشتهى أن يكون تاريخ الأدب المصرى شريفاً نقياً .

« نصرّح مرة أخرى اننا لانعرف للشخصيات ولا للانقسامات الحزبية — كيفما كان لونُها — طعماً ولامعنى فى أمةٍ أحوج ما تكون الى التعاون الصحيح بين جميع أبنائها . وقد وسعت جهودُنا دائماً تقدير العاملين النابهين من شتى الاحزاب والهيئات لان هذه هى روح الثقافة الصادقة ، وأمّا البغض أو الملق أو التحزُّب فمظاهر وصفات من أحطّ ماجَنَى ويَجْنِى على الشعوبِ — وعلى الشعوب المستضعفه على وجه

التخصيص ـ ولا يمكن أن نقبل تسرُّبَها الى عملنا مهما عُودينا وأوذينا فى سبيله .

الشاعرية والانتاج

من الحقائق المعترَف بها انّ من أقوى الأسلحة التى اعتمدت عليها الامم المتحاربة فى الحرب العالمية قتل الروح المعنوية فى خصومها .

ويظهر أنّ فريقاً من الادباء المتجردّين من روح الأدب ينظر الى زملائه نظرة المحاربين فيعنيه قهرهم بكل الوسائل المستطاعة ، ومن بين هذه الوسائل قتلُ الروح المعنوية فيهم ! والمشهودُ انهذا الفريق يتّصف أعضاؤُهُ بقلة الانتاج وبالتخاذل والجحُود وبالتملّق والرياء ، لا تعرفهم غير المقاهى والمظاهرات التهريجية والغرف المهملة فى ادارات بعض الصحف حيث يتخذونها مراكز لمحاربة مَن يشاؤون من الأدباء المنجبين لغاياتهم النفعية الخاصة .

ومن أغرب الخرافات التى يروّجونها انّ الشاعرية الممتازة مقصورة على قلة الانتاج وعلى هذا الاساس يعمدون الى قصّ جناحىْ كلّ شاعر مُنجبٍ يحاول أن يطير ... صحيحٌ انَّ بعض الأدباء المخلصين يرى أن قلة الانتاج كثيراً ما تلازم الاجادةَ . وهذا وهمٌ قديمٌ ، والشواهد التاريخية ضده أكثر من أن تُعدّ . ولكنّ أولئك السّادة الهدّامين الذين نعنيهم بهذه الكلمة يرمون الى أبعد من ذلك ، إذ يهمهم القضاء على الروح المعنوية عند كل شاعر مُنجبٍ لانهم هم أنفسهم مصابون بالعقم والافلاس .

انَّ الشاعرية المطبوعة متى سندتها الثقافةُ اللغويةُ والثقافةُ العامةُ لايجوز أن تُحاسَب على انتاجها بأية صورةٍ من الصُّوَر ، فقد يتفق أو لا يتفق لجودة الشعر أن تصاحب كثرة الانتاج أو قلته وليس حتماً أن كل شاعر مقل مجيدٌ ولا كلّ شاعرٍ مكثر غير مجيد ، فانما الشعراء منابع وربّما تسرّبَ ماءُ النبع الى غير ظاهره وفى الواقع لانعرف شاعراً مطبوعاً الا وهو مُكثر بفطرته فى خواطره الشعرية فاذا تخلّف كثيرٌ منها عن نظيمه فانما يرجع ذلك الى عوارض لا تتصل بشاعريته مثل تهيُّبه أو عدم ثقته بنفسه أو ضغط شواغل الحياة عليه . فالحملة التى يدبرها هؤلاء العجزة من الصحفيين أو غيرالصحفيين على الشعراء النابهين المنجبين بين وقت وآخر والتى يرمون بها الى تثبيط مشاعرهم وعواطفهم المتوثبة ليتساوى الجميعُ فى الركود والجمود — هذه الحملات لانتيجة لهاعند ما تُفلح غير خسارة الأدب ذاته بحرمانه إنتاج أولئك الشعراء ، وهى اذا لم تفلح كانت خزياً لصحافتنا التى نشتهى ترفّعها عن مثل هذا

الهذيان . وقد لحظنا هذه الحالة بصورة بارزة فى أحد شعرائنا المقلين المجيدين ، وعندما لجأنا الى تحليل نفسيته اعترف بأن التهيب يتملكه اذا ما حاول النظم وانه تأثر بتلك « التعاليم » . وقد بذلنا ما فى وسعنا لمعالجة هذه الحالة النفسية عنده وكانت النتيجة أن ظفر الشعر العصرى بانجاب جديد موفق له وقد أصبح فى عداد الشعراء المنتجين الذين نسعد بمطالعة آثارهم .

الشعر للشعر

وفى الواقع لن يستطيع أى دعي ولا أي ناقد مغرض كان أم مخلصاً أن ينال من نفسية الشاعر إذا كان الشاعر مؤمناً برسالته ومتى كان ينظم الشعر للشعر ذاته بدافع وجدانى ولا يعنيه بعد ذلك أى اعتبار خارجى . وبلوغ هذه الصفة الروحية ليس بالأمر السهل ، فنحن فى شبابنا نحن الى التجاوب وتبادل المحبة ، ولذلك يتوق الشاعر الشاب الى من يستمع الى شعره . وكلما أغفله الجمهور أو الصحف واعتقد بصلاحية شعره ثار لذلك . ثم يحين الوقت الذى يشعر فيه بأن لديه رسالة روحية يريد أن يذيعها وينشد المنبر الذى يستطيع أن يدلى من فوقه برسالته فلا يجده أو يقاومه الأنانيون أشد مقاومة ويحولون دون بلوغه اياه لأسباب مختلفة ،فيكون هذا مثاراً لحرب أخرى بين شعراء الشباب ومن يصدونهم ، وينزع كل من الفريقين الى خططه الخاصة لبلوغ مأربه !

هذا تصوير لامبالغة فيه للصراع الأدبى فى مصر فى ناحية من نواحيه . ولذلك اعتبر كثيرون تأسيس (جمعية أبولو) وانشاء هذه المجلة فاتحة عصر جديد زاهر للتعاون بين الشعراء وخدمة الشعر العربى ، على أن يكون أساس هذا التعاون انصاف المواهب لا خلق الاصنام ولا استنسار البغاث. ونحن نستهدى فى عملنا بمجلس قوى وبلجنة للنشر غيورة على انصاف كل ذى موهبة ممتازة فتدرس جميع ما ينشر فى هذه المجلة وتوصى بما ترى فيه الفائدة للشعر والشعراء . ولكن بعض الشعراء برغم ما نبذله من الجهد للتعاون والانصاف قد يستهدف لحملات غاشمة عليه فى بعض الصحف والمجلات ، واذا بكل هذا يكاد يقضى على روحه المعنوية ويفسد إنتاجه . بيد أن كل هذا يهون لو أن الشاعر تدرع بروح الاعتداد والايمان برسالته، ولا يعنى ذلك الغرور بالنفس فالأديب المثقف الغنى النفس لن يتملكه الغرور ولن يخشى النقد بل ينشده ويستفيد منه ويراجع نفسه تكراراً أمامه ، لعله يكتشف فيه ما قد ينفعه لتقويم شعره . ولكنه بعد تكرار المراجعة لايخضع لمثل هذا النقد

اذا ما وجده سخيفاً مُعْرِضا لا جدوى منه ، ولا يُجارى المتشاعرين الذين يتمسّحون بادارات الصحف لتنشر شعرهم أو لتكتب عنهم أو ليأمنوا نقد محرريها بل يسخر من الجميع ويحتفظ بكرامته ونفسيته .

الشاعرُ روحانيُّ النبع ، فاذا غالب الدوافع الخارجية المادية وغيرها واطمأنت نفسه الى الاستمتاع بآثار وجدانه ، وجعل لذلك المحل الأول من غبطته ، لم يبال بعد ذلك بنظرة الجمهور الى شعره . واذا تألّم وقتياً لاغفال رسالته فله أن يثق بان الجوهرَ اللامعَ لن ينساه الزمن ، ولابدَّ أن يشعّ عاجلاً أو آجلاً من خلف الأستار .

ليكن مذهبُنا الخالدُ أنّ الشعر للشعر ، وبعد ذلك ليكنْ الباعثُ الشعريُّ للشاعر على طبع آثاره هو مجرد حنينه الى الاندماج فى الانسانية اذا ما استوعبت شِعْرَهُ كأنس الصديق باصدقائه المدعوّين الى مائدته . كذلك حُبُّ الحياةِ لنفسهِ الفنيّة (لا من وجهة الأنانية بل من وجهة الإعزاز للروح الشعرية المحبوبة فى ذاتها) يدعوه الى إذاعة هذه الآثار لأنه يشعر بوجدانه أنها أغلى شطر من نفسه ، بل أكثر من ذلك : فهو يضع نفسه فى صفّ الآلهة بما يخلقه من آثار فنّية ، ونَشْرُهَا يعزّز ارتياحه الى أنه روحٌ خالدٌ فى الوجود .

ومتى أدّى الطبعُ أو التطبّعُ الى هذا الصفاء فى نفس الشاعر صغرت فى عينه أوهامُ الناس وتحاسُدُهم ونزاعُهم وعظمت شاعريتُه ، وكان جديراً بان يؤتَمن على رسالة « الشعر للشعر » .

مجنوں لیلی

أشرنا من قبل إلى الخدمة الجليلة التى يؤدّيها أدباؤنا المترجمون إلى الأدب العربى . وفى مقدمة الهيئات المحسنة فى هذا السبيل لجنة التأليف والترجمة والنشر التى كان من آخر حسناتها الأدبية اصدار ترجمة (هرمن ودروتيه) بقلم الدكتور محمد عوض محمد نقلاً عن الأصل الألمانى لجوته ؛ فأتحفت الأدب العربىَّ بتحفةٍ جديدةٍ من كنوز الغرب وساعدت على تنمية المكتبة العربية العالمية ، وهى فى نظرنا من أسمى الأمانى التى يجب أن نعمل على تحقيقها للتسامى بثقافة لغتنا . واذا كنا نقدّر لجنة التأليف والترجمة والنشر من هذه الناحية فيهمّنا أن نقدرها من

ناحية أخرى وهى أن تعمل بالاتفاق مع أفاضل المستشرقين على ترجمة روائع الأدب العربىّ إلى اللغات الأوروبية .

نكتب هذه السطور لمناسبة صدور الترجمة الانجليزية لمجنون ليلى بقلم الأستاذ أرثر جون أربرى ، وقد كنا مع المغفور له شوقى بك فى الصيف الماضى حينما وافاه كتاب المستر أربرى من كيمبردج مستأذناً فى ترجمة هذه الدرامة المعدودة أحسن درامات شوقى. فكان الفقيد مبتهجاً بهذا التقدير، وكم كنا نودّ لو أنه حىّ الآن ليرى هذا الأثر البديع لمجهود مستشرق فاضل كالمستر أربري .

انّ قصة « مجنون ليلى » فى الأدب العربى هى نظيرة « هيرو وليـاندر » أو « روميو وجوليت » فى الأدب الغربى ، وهى أشهر من أن يُعرَّف بها لدى أبناء العروبة ولكنها مجهولة عند الغربيين . ومهما يكن فى هذه الدرامة من إبهام أو ضعف فهى أثرٌ أدبىٌّ نفيسٌ ، ومن الغنم لنا التعريفُ بها لدى الاوروبيين ، خصوصاً إذا عُنيتْ إحدى فِرَق التمثيل الانجليزية بتمثيلها . وقد تصفَّحنا هذه الترجمة فأعجبتنا قدرةُ المستر أربرى على التوفيق إلى حدٍّ بعيدٍ بين الأصل العربى والنقل الانجليزى بحيث لم تَفُتْهُ حتى الاستعارات والتشابيه العربيـة الصميمة ، ورأيناه يستعملُ النظمَ المرسَلَ بسهولة بديعة ، وهو النظم الذى يلائم الدرامات والمآسى ، وهو والشعر الحرّ أنسبُ لها مراراً من النظم العربى ذى القافية الواحدة لأن الحرية والسماحة فى التعبير ألصق بالحياة وأجدى على الفنّ .

وإذا شكرنا للمستر أربرى هذه المنّـةَ على الأدب العـربى فيجب أن لا ننسى شـكرنا العملى له : وهو إقبالنا على هذا الأثر الممتع الذي تعب كثيراً فى إخراجه حتى يكون لهذا الاقبال التشجيـع المنشود له ولغيره من أفاضل المستشرقين فى تبادل الثقافة بين الشرق والغرب .

النظم والشخصية

فى مَبحثٍ شائق للاستاذ اسبيت (Speight) من جامعة حيدراباد بالهنـد نشرته حديثاً مجلة الشعر الانجليزية عن افصاح النظم عن شخصية الشاعر ذكّـرنا الاستاذ بأن الناقد المجيد هو الذى يستطيع أن يميّز ويوضح النغمة الشخصية للشاعر الذى ينقده ، وأن الواجب علينا أن نعوّد أنفسنا على وجهات النظر الأخرى ، وأنه

لا يمكننا أن نحكم بعدل دون مقارنة وبغير أن تستثيرنا للحكم الراجح عقولٌ أكبر من عقولنا . وقد تكلم عن دراسة أندرو برادلى (Andrew Bradley) عن الشعر وخلص منها بنتيجتين هامتين : الاولى ان الشعر — كالفنون الاخرى وكالدين والفلسفة — يحاول دائماً أن يعبر عن شيء يتكهَّن به مبهماً وغاية تعبيره أن يشير اليه . والثانية أن الشعر روحٌ لا نعرف من أين مصدره وهو يتكلم بلغته الخاصة حينما يريد وهو حاكمنا قبل أن يكون خادمنا . وليست هذه الحقائق بالجديدة لدى الشعراء المثقفين ولكنها مجهولة عند كثيرين من الكتاب المحافظين الذين يتناولون نقد الشعر والشعراء جاهلين أو متجاهلين عنصر الشخصية وعوامل التعبير فى الشعر ، وبين هؤلاء من يحسبون مع ذلك مجهود هذه المجلة لتصحيح مقاييسهم البالية نكبة على الشعر العربى !

دراسات الشايب

صرَّحنا غير مرةٍ أننا نقدّر بوجه خاص نقد الشاعر للشاعر اذا ما تجرَّد عن الهوى . ويسرُّ القراء أن يعلموا أننا تلقَّينا وعداً صريحاً من الناقد الضليع احمد افندي الشايب مدرّس الأدب العربى بكلية الآداب بالجامعة المصرية بأن يوافى (أبولو) شهرياً بدراسةٍ مستقلة وافية عن شاعر من المعاصرين فى غير ترتيب خاص . وستشمل دراساته الاولى خمسة شعراء معروفين وهم : محمود ابو الوفا ومحمد الهراوى وابراهيم ناجى وعلى الجارم ومصطفى صادق الرافعى .

وأخصّاء الشايب يعرفونه شاعراً عاطفياً يقرض الشعر لمتعته الخاصة ، وناثراً مبدعاً فى كل سطر من سطوره روح الشعر ، ولكن طبيعة حياته المدرسية وجّهته أخيراً أقوى توجيه الى الدراسات الأدبية والنقد الادبى فى محاضراته الجامعية وفى كتاباته الى المجلات الراقية . وكلٌّ مستمتعٍ بما دبّجته يراعتهُ يقدّر صفاءَ النفس وعمقَ التفكير واستقلال الرأى وقوة البيان المتجلية فى كتابته الموهوبة هبةً خالصةً الى الادب وحده . فلنا أن نعدّ هذه المؤازرة منه غنماً لأبولو ولقرائها نشكره له .





قصة البخت النـــائم

للشاعر عثمان حلمي

— ٣ —

الملك : وهنـا رقَّ له قلبُ الملكْ وأحسَّ الصدقَ فى أقواله
إن إحسانى وعطفى شملكْ أيها الغامضُ فى أحواله
فاذا حققتَ يوماً أملكْ ووجدتَ البختَ فى إقباله
عُدْ الينا بعده كى نسألكْ ما الذى شاهدته من حاله
أصدوقٌ هو فى أقواله
أو كذوبٌ هو فى أقواله

ثم لا تنسَ إذا قابلتَهُ بعد أن يصحوَ أن تسأل عنى
قل لهذا البخت إن حادثتـه ما الذى يعلم من حالى وشأنى
إن لى ملكاً اذا شـاهدته قلتَ فيه انه جنَّةُ عـدن
وتلطفْ أنت إن ساءلتـه عن حياتى والذى أبصرتَ منى
مَـلِكٌ بالعدل للأُمـة يبنى
مجدها لم يطو من حقدٍ وضغنِ

وأسأل البختَ : أما من سببِ لامى قلبي فانى لستُ أدرى
غير همٍّ دائبٍ فى طلبي وشجون كدن أن يذهبن صبرى

لست أدرى كيف يحمى غضبى ... دون أن أزعج فى ملكى بشر
وحياتى غايةٌ فى العجبِ ... رغم ما قد نلتُ من جاهٍ وقدرِ
ولقد ضاق بهذا الملك صدرى
فمتى أهدأ فى سرّى وجهرى

أُبصرُ الايامَ فى عينىَّ سودا ... وأرى الدنيا بعين الحاقدِ
ملَّ قلبي الواجدُ العانى الوجودا ... وغَدَتْ نفسى كنفس الزاهدِ
لا أرى فى هذه الدنيا سعيدا ... خُلق الناس بكونٍ فاسدِ
وأساهم أين كانوا ان يبيدا ... رجع الكلُّ بهم خالد
ولدٌ يشقى شقاءَ الوالد
وتساوى هابطٌ بالصاعدِ

أين ألقى راحتى الكبرى ولى ... فى جلالِ الملكِ ما ليس لدونى
وحياة الملك زادتْ مللى ... كلما عشت بها زادت شجونى
لم يعد لى بينها من أملِ ... فى وجودى فتى تهدا ظنونى
ومتى يبرحُ عنى وجلى ... ومتى ينعم قلبي بالسكون
كدتُ أن أفقد فى عمرى يقينى
ورأيت العيشَ فيه كالمنون

يحيي : قال ـ هذا لك يا خيرَ البشرْ ... أسألُ البختَ فبختى يعلمُ
فإذا ما عدتُ يوماً بالخبرْ ... زالَ عن نفسك هذا الالمُ
إنما الايام بالناس تمرْ ... وحياةُ الناس فيها حلمُ
حلمٌ يزعج والدنيا كدرْ ... أىُّ فردٍ من أذاها يسلمُ
وعميقٌ سرها لا يُعلمُ
وغبيٌّ الناسِ فيها ينعمُ

وسعى يحيي الى غايتهِ في سكون ومضى في حالهِ
لم يفكرْ قطُّ في راحته لا ولا دار الهدى في باله
يعملَ الفكر على عادتهِ ويثيرُ الهمُّ من بلباله
غير راضى النفس عن حالته تبعثُ الآلامُ من آماله
صوراً تترك في أمثاله
ما يُبين العزمَ في اعماله

كلما فكر في حال الاميرِ كيف لا يرضيه ملكٌ واسعُ
أتُرى يزعجه صوت الضمير أم بملكٍ غير هذا طامعُ
ملكٌ ينعم في ظل القصور وافرُ النعمة فيها وادعُ
قال: أنىَّ لى بمخلوق شكور لم يَلُح لى فى الحياة القانعُ
أين في الدنيا القريرُ الوداعُ
إن يكن فيها مليك جازعُ

موقفٌ من عجب حيَّرَهُ وأثار الشكَّ في أعماق قلبِهْ
ملك في مجده ما سرَّه كلُّ ما شاهد من مجد بقربه
أيُّ شر في الهوى أبصرهُ تركت آثاره جرحاً بلبه
أيُّ حال في الورى نفره ملكه الواسع أو كفران ربه
ربما أحزنه سرٌّ بقلبه
فهو لا يذكر لى أسباب رعبه

وحياة الملك في بهجتها إن بدتْ يوماً لمن يجهلُها
تأخذ النفسَ على غرتها وتُريها كلَّ ما يذهلُها
توقظ الألباب من غفلتها وترى الأنفسَ ما يثقلُها
وتحسّ النفسُ من هيبتها رهبةً لا رهبةٌ تعدلُها

من حياةٍ هي لا تعقلُـها
وجلالٌ وافرٌ يصقلُـها

ومضى يحيي وحيـداً ما له من أنيسٍ غير تلك الفِـكَرِ
يلعنُ الدنيا ويبـكى حاله ثائراً من ضرباتِ القـدرِ
يوقظ الصبـحُ به آماله والدجى يسقيه كأسَ الحذرِ
لم يدعْ وقعُ الضنى أوصاله سالمـاتٍ وانثنى بالبصر

منه يُطفى نورَهُ بالـكدرِ
وغدا يحيي ضعيفَ البصرِ

ما الذى يرجوه من طول العنا بعد هذا السفر المرّ الطويل
وهو لليوم حـزينٌ ما جنى غير ألوانٍ من الهمّ الثقيلِ
فاذا ما ذكـرَ البختَ انثنى غاضباً من رقدة البختِ الضئيلِ
فهو أقصى أهـله والوطنـا عنهُ واختطّ له شرَّ سبيـلِ

ورماهُ البختُ فى شرٍّ وبيلِ
ما له أنَّى تولَّى من مثيلِ

ورأى يحيي قبيلَ المغـربِ شبحاً أسودَ فى ثوبٍ قـذرْ
قال : يا ويحى أهذا طلبي أم شقاءٌ آخرٌ لى ينتظـرْ!
ضلَّ بختى بى فهل من سببِ لهدى نفسيَ فى هـذا السفرْ
سفرٌ قد هدَّنى من تعبِ دونَ أن أعلم للبختِ مقرْ

سفر طالَ ولـكن لم يذرْ
لحياتى فى المنى غير أثرْ

وسعى نحو مـكانِ الشبحِ فرأى شخصاً ضعيفـاً راقدا

راقداً من تعبٍ لم يبرحِ — قالَ: هل أوقظ هذا الهاجدا؟
ثم نادى مرةً، لم يُفلحِ — فى الندا، إذ ظلَّ هذا جامدا
ثم نادى ثانياً، لم ينجحِ — فى نداه، ثم هزَّ الساعدا

ثم هزَّ الجسمَ جسماً باردا
فانثنى الراقدُ حيّاً قاعدا

قال: من أنت وما هذا الكرى — أيها النائمُ؟ ما هذا الرقادْ؟
قم ويكفيكَ رقاداً ما ترى — ان طول النوم يقفوه السُّهادْ
إن نوماً خالداً تحت الثرى — وإذا نحن مضينا لا نُعادْ
هكذا المشهود من حال الورى — غايةُ العمر انتهاءٌ ونفادْ

وحياة الناس سعيٌ وجهادْ
ليس يجديهم هُجودٌ ورقادْ

فاستوى الجالسُ فى جلستهِ — وعلى عينيه آثارُ الوسنْ
ورنا والنومُ فى مقلتهِ — عالقٌ بالجفن من طول الزمنْ
لا يلوح الخيرُ فى نظرتهِ — أو على هيئته شيءٌ حسنْ
لبث الجالسُ فى دهشتهِ — لحظةً فى صمته حتى اطمأنْ

وكأنَّ الوجهَ منه وجهُ جِنْ
وهو فى جلسته مثل الوثنْ !

قال يحيي فى اضطراب: أنت منْ — أنت لا تعقلُ أم أنت صنمْ
وغريبٌ أنت من أيِّ وطنْ — أنت ياهذا أجبنى ثم نمْ
أنت إنسٌ مثلنا أم أنت جِنْ — وسميعٌ أنت أم أنت أصمّْ
حرتُ فى أمرك قل لى أنت منْ — أنت راعٍ فأذن أينَ الغنمْ

أم طريدٌ أنت من نارٍ ودمْ
أم تمادى بك فى الدنيا الألمْ؟

البخت : قال يا يحيي ألا تعرفُنى ؟ إننى بختُكَ يا يحيي اطمئنْ !
بختك النائمُ قد أيقظتنى من سباتى وتجشمتَ المحنْ
وأنا اليوم وقد انقذتنى بالمنى والعزم من طول الوسنْ
أنا صاحٍ لك لا يمنعنى عن أمانيك صعابٌ أو زمنْ
سترى السعد من الآن فكنْ
عند ظنى لا تخيبْ لىَ ظنْ !

إننى أعلمُ ما لا تعلمُ أنا سرٌّ لم يذعه القِدَمُ
قد جرى بى مذ خلقت القلمُ لك فى الغيبِ وما يجْترمُ
كاتبُ الغيبِ وما يعتصمُ منهُ مخلوقٌ ولا يُسترحَمُ
قِسَمُ : هذا سعيدٌ ينعمُ أو شقىٌّ أو جهولٌ مجرمُ
كلُّ ما فى الارضِ هذا قِسَمُ
ليس من قوّتها مُعتصمُ !

إيه يا يحى وقد أيقظتنى عُدْ ولا تخش شقاءً أو تخفْ
أنت كم جهلاً بسرّى لُمتنى دون أن تعرف ما مثلى عَرِفْ
كلما صادفتَ شراً زدتنى لعنةً وازددتَ فى الغيظ سخفْ
وتجاوزتَ إلى أن جئتنى بعد أن أصبحتَ فى حكم التلفْ
عُدْ ودع عن نفسك الحيرى الاسفْ
عُدْ فإن الوقت يا يحى أزفْ !

أنت بعد اليوم فى ظل السلامِ أنا أرعاك بعين لا تنامُ
أنا حاميك ومثلى خيرُ حامى لك حتى يتولاك الحمامُ

لا تخف فى موقف أىّ انهزام　　لاولا يزعجْك فى الدنيا احترامُ
لك فى اليقظةِ أو عند المنام　　حارسٌ يرعاك منى لا ينامُ

كل أيامك سعدٌ وابتسامُ
ليس ينبوعك قصدٌ أو مرامُ

فاستمع لى إننى أنصحكا　　فاحفظ النصح ولا تكثر كلاما
لا ، ولا تشك فغرٌّ من شكا　　حظَّه أو أوسع الدنيا كلاما
واذا لاحت الارض لكا　　فرصةً فازدد نهوضاً واعتزاما
وانتهزها إن من قد تركا　　فرصةً فى العمر لم يبلغ مراما

إن من عن فرص العمر تعامى
لم يَعُدْ يملك فى العمر زماما

لا تدعْ من فرصةٍ قط تمرْ　　واذا ضاعت فلُمْ نفسَكَ لُمْ
أنت إن ضيعتها ضعتَ هدرْ　　وتندمت وما يجدى الندمْ
زمنٌ قدّره فيها القدرْ　　زمنٌ قاس سريع لم يدمْ
فاذا ولتْ تولاك الكدَر　　واذن تدركُ ما معنى الألمْ

قم اذن واسع الى شأنك قمْ
لا ترع يوماً ولا تجزع لهمّْ

يحيى : قال ـ يا بختى لقد أفرحنى　　كلُّ ما قلتَ فهبنى منك صبرا
مرَّ بى دهرى وما أنصفنى　　لا ، ولم يجعل لمجهودىَ قدرا
وركبتُ الصعب، ما أسعدنى　　لحظةً بل زاد بى فى العيش سخرا
ولقد صادفت ما أحزننى　　ولقد ضقت بهذا الكون صدرا

كلما ازددت على الايام خبرا
زدت من قسوتها حزنا وقهرا

أيها البختُ وهل تعلمُ ما نالنى فى سفرى من تعبِ
أنت لو تدرك ما حالى لما كنتَ الا راحمى من كُرَبى
أعلى غير هدى أسعى وما كان لا بدّ له من سببِ
سببٌ للسعد والنحس وما كان فى جدهما من لعبِ
والذى يفعمنى بالعجب
هو جهلُ النفس أصلَ السببِ!

كيف أرتدُّ الى أرض الوطنْ دون أن أحسب ما سوف ألاقى
فى طريقى أسدٌ قاسٍ خشنْ جائعٌ خلصنى منه نفاق
هل دواءٌ يبرىءُ الجائعَ مِنْ جوعهِ اذ كره وقتَ التلاق
فاذا ما سكنَ الداءُ سكنْ وانتهى عن ضررى أو عن لحاقي
فهو قد قابلنى دون اتفاق
ولقد فارقته بعد اتفاق!

ثم لا تنسَ سؤالَ الشيخ عنْ كنزه وهو مقيمٌ فى انتظارى
وهو مخلوقٌ عجيبٌ لم يكنْ ابداً إلا مخوفاً فى القفار
هجرَ الناس وفى القفر سكنْ مفرداً بين جبالٍ وصحارى
وحياتى لو تغافلتُ ثمنْ عنه إذ يبطش بى بطش اقتدار
فأجبْ يا بختُ عن سؤلى حذارِ
من غريب لم يرد غيرَ خسارى!

وهناك الملكُ العانى أجبنى بالذى تعلمُه عنه وتدرى
ملكٌ آسٍ حزينٌ لم يدعنى ان أرى وجهك لا بعدُ عسرِ
ما الذى يذهب عنه كلَّ حزن دلّنى إن كنتَ تدرى أىَّ سرّ
واذا ما عدتُ يوماً لم يلمنى هو فى جهلى ولا استصغر قدرى
كيف يقضى العمر فى خوفٍ وذُعرِ
وهو لم يعكفْ على اتيانِ شرِّ

البخت ـ قال : لا تكثرْ من السؤلِ وسرْ — أنا أُوحي لك ما سوف تقولُ
انا أرعاكَ فلا يزعجك شرْ — أينما مِلتَ فبالسعدِ تميلُ
هكذا أودعَ بي سرَّ القدرْ — وهو سرٌ قصرت عنه العقولُ
سوف لا تبصرُ الا ما يسرْ — لو سمعتَ النصحَ والنصحُ ثقيلُ

لا تُضع من فرصةٍ فهي تزولُ
ردُّها لو هي زالتْ مستحيلُ

ومضى يحيي إلى حيث أتى — فرحاً في سيره نحو الوطنْ
قائلاً للنفس : يا نفسُ متى — أبلغ الأهلَ وفي ايِّ زمنْ
قلبُه من كلِّ همٍّ أفلتا — يفتدى فى طربٍ لا في شجنْ
لم يزل بعد الذي لاقي الفتى — قلبُه قلبَ طروبٍ ما سكنْ

يأخذ الدنيا واقبالَ الزمنْ
بهدوءٍ وضميرٍ مطمئنْ

وإذا لاح له البدرُ تغنَّى — بالأمانى للضياء الساطعِ
وإذا ما اشرقتْ شمسٌ تمنَّى — ان يرى الأهل بعيشٍ وادعِ
نسيَ الماضي بما مرَّ وافنى — منه ما افنى بسوء الطالعِ
وإذا أبصر وجهَ الحسن أثنى — شاكراً كفَّ القديرِ الصانع

ومضى عنه خيالُ الجازعِ
فهو مأخوذٌ بأمرٍ واقعِ

نبتَ العُشبُ على أعلى القممْ — وانثنى النوّارُ بين النرجس
وكأنَّ الزهرَ في روضٍ رُسِمْ — بيدٍ لم تقترف من دنسِ
كلما هبَّ على الزهرِ نسمْ — عُطِّرتْ منه بروح قدسى
كادتْ الأرضُ ابتهاجاً تبتسمْ — وتجلّت في الثياب السندسى

في هضاب كلها لم تغرسِ
في الفلا إلا بذوقٍ سلسِ

صوَرٌ شتَّى من الحسن لها أيُّ وقعٍ في فؤاد الناظرِ
أفعمت فناً وطارت بالنهى في صفاءٍ بجناحيْ طائرِ
طرفُ يحيي عن جناها ما لها أو سها عن كلِّ حسنٍ ساحرِ
فهو نشوانٌ بما لاح بها من رضاءٍ وجمالٍ باهرِ
في هضابٍ رُصِّعت بالناضرِ
من كمالِ صنعِ ربٍّ قادرِ

لم يرعه القفرُ أو وحشتُه ورأى غيرَ الذي قد أبصرَا
صوراً هامت بها مهجتُه وهي ما أنكرها واستنكرا
لم يكن إلاَّ الأسى آفتَهُ حينما عادى القضا والقدرا
ورأتْ في ثورة مقلتُه غير ما يلقاه في الكون الورى
كان أعمى في ظلامٍ لا يَرى
فانتهى النحسُ واضحى مبصرا

تضحك الدنيا له عن ثغرها كلما لاحت له بيضُ الأماني
ولكم جالتْ به في شرِّها ورمته في شقاءٍ وهوانِ
ولكم حيَّره مِن مكرها ما يثيرُ الحزنَ في صفوِ الجنانِ
عجزت مهجتهُ عن قهرها ولقد يعجزُ عنهُ الثقلانِ
ظلَّ في الماضي حزين النفس عاني
فانثنى يسعى على نور الأماني

هكذا الأيام والدنيا إذا ما هيأت للمرء أسبابَ النجاحِ
لا يرى الإنسانُ في الدنيا ظلاما بل يرى الليلَ منيراً كالصباحِ

ويرى فى ضجةِ الدنيا سلاما   ويرى فيها مجالاً للطماحِ
إن صحا بين المنى أو هو ناما   لم يدرْ فى نفسهِ غيرُ الفلاحِ
دائم البهجة موفور المراح
يتلقى كلَّ أمرٍ بانشراح

ان لون النفس من لون الليالى   وضياء الوجه من ضوء الفؤاد
وحياة الناس من حال لحالِ   والليالى رائحات وغوادى
ووجود الناس فيها كالخيالِ   مهجٌ تمضى وعمرٌ للنفاد
والمنايا عن يمين وشمالِ   يتلمسن أساليب الفساد
وقليلٌ بالغٌ بعض المرادِ
وكثيرٌ خائب بين العبادِ

لا ترع من قسوة الدنيا ولا   تملأ الدنيا بكاءً وعويلا
واتخذ للخير فيها سبلا   لا تظنَّ الخير فيها مستحيلا
وانهب العمر اذا ما أقبلا   نحوك الحظُّ ولو كان ضئيلا
فرصٌ ضيَّعها من غفلا   لم تجد ان أفلتت عنها بديلا
لاتكن فى هذه الدنيا خمولا
واتخذ فيها الى النُّجح سبيلا

واذا أبصرتَ من حظ خمودا   أو رأيت الحظَّ لم ينهضْ بكا
لا تزد نفسك بالحزن جمودا   لا ، ولا تشف غليلاً بالبكا
متْ اذا ضيعك الحظ شهيدا   للامانى فالردى خير لكا
من حياة تبصرُ الايامَ سودا   بينها والعيشَ فيها حلكا
لا تنم نوم خمولٍ هلكا
سلك الناس سوى ما سلكا

جدَّ يحيي ومضى يحيي طروباً   بعد أن جرَّب ألوان الشقاء

لم يَعُدْ يحيي كما كان كئيبا ما حزينٌ وطروبٌ بسواء
عاد من رحلته صدراً رحيباً وفؤاداً لم يزد غير صفاء
ورأى من بهجة الدنيا عجيباً ما رأته عينه رهن العناء

فله فى سيره خيرُ عزاء
من جمال الأرض أو حسن السماء

وسعى حتى أتى قصر الامير بعد ما جاس خلالَ البلدِ
فتلقاه ببشرٍ وسرورٍ بعد أن صافح يحيي باليدِ
أبشيرٌ لىَ أو لى كنذيرِ قال قل لى لا تخفْ من أحدِ
قل لىَ الحقَّ ولو كان شعورى عكس ماتعرفه من مقصدى

هل أمى نفسىَ فعل الحسد
أم أساها علَّةٌ فى جسدى؟

يحيى : يا مليكى إننى أحمل سرّا فاخل بى إن شئت أن تعلم سرى
أخرج الجند وهبنى منك صبرا ثم عدنى لا تجازينى بشرّ
واستمع لى لا تحقر لىَ قدرا والتمس لى يا مليكى كلَّ عذر
ان بحتى بخفىّ الغيب يدرى وهوقد علمنى ما لستُ أدرى

فاستمع لى لا بغيظ أو بذعر
وتقبَّلْ كلَّ ما أوحى ببشر

الملك — قال : قل ما قاله البخت فانى لى قلبٌ خافق لم يطمئنْ
وأمان وسلام لك منى وجزاء لك فى البشرى حسنْ
هل سألت البخت فى لقياه عنى وصحا أم ظل يغشاهُ الوسنْ
ما الذى يعرف من حالى وشأنى ان لليوم فؤادى ما سكنْ

كل شيء وله عندى ثمنْ
فأبِنْ لى شرَّ آلامى أينْ!

يحيي : يا مليكي قال في ردّ سؤالي عنك أنت امرأةٌ مثل النساء
لا يُساس الملك الا بالرجال هكذا تقضى تعاليمُ السماء
ضرب الله لنا خيرَ مثال فالدجى والصبح ليسا بسواء
إنّ في تبديلها نيل المحال ليس في تغييرها غير العناء
كل من يبرأ من داءٍ بداء
ما له بين البرايا من دواء !

فاتركى مظهرَكِ القاسي وكوني حيث كلُّ الخير في صدق المظاهرْ
والبسى ثوبك في ظلّ السكونِ وابعدى عن شجنٍ للنفس قاهرْ
لم يغير طبعهُ أيُّ فطينِ كيف يخفى الحق عن مقلة ناظرْ
زوّدى نفسك بالحق المبين لا يضير النفس عند الحق ضائرْ
وارجعى كامرأة فالكذبُ غادرْ
وضياء الحقِ مثلُ الصبح سافرْ

ما لأنثى مثلُ ما للرجل طبعُها لو فطنتْ غيرُ طباعهْ
فهي لا تحسنُ غيرَ الوجل وهي لا تقوى على مثل صراعهْ
ولها في عمرها من عملِ غير ما يعمله صلبُ ذراعهْ
وهي لا تطربُ إن لم تنسلِ وهي لا تقوى على غير اتباعهْ
وهي في مقلته بعضُ متاعهْ
وهي لا يعجبها غيرُ دفاعهْ !

كلُّ هذا كان من أسباب همكْ للاسى أصلٌ وللحزنِ سببْ
هكذا فاستبعدى عنصرَ غمّكْ ليس فيما قلتُه أيّ عجبْ
واظهري بالمظهر المجدى لرسمك انّ من غيَّرَ طبعاً لم يُصِبْ
ما خفي ما قلتُه عن بعضِ علمكْ لا ، ولا جئتُ بمينٍ أو كذبْ

أبعدي نفسَكِ عن هذا النصبْ
وخُذي زوجاً أميناً في النسبْ

تَوِّجي الملكَ أميناً عاقلاً   واجعليه لك زوجاً وأبا
رجلاً في كل شيء كاملاً   مستقيماً ليس يدري التعبا
لم يكن غِرّاً ضئيلاً جاهلاً   جرَّب الايام فيما جربا
وادعَ النفس شجاعاً باسلاً   لا ضحوكاً ، لا ، ولا مكتئبا
إن دعته النفسُ للظلم أبى
وإذا أبرم أمراً ما كبا

الملكة : جئتَ لي بالحق لا بالكذب   أيها الذاكر لي من صدق بختهْ
لم يكن غيريَ نسلٌ من أبي   نخشى أن يذهب الملكُ بموتهْ
وأبى الا بقاء الملك بي   وخلود التاج والمجد ببيتهْ
فدعاني ولداً في نسبي   وهو أخفى الحق عن شعبي بصمتهْ
ثم وليت مليكا بعد موتهْ
ومضى والسرُّ مرهونٌ بوقتهْ

فاذن أنت الذي يصلحُ لي   إنني أهواك من كل فؤادي
كن معي زوجاً وحقِّقْ أملي   إن هذا هو لي اقصى مرادِ
وإرعَ لي مُلكَ أبي واحفظه لي   وارقَ يا يحيي معي عرش بلادي
كن معي انت ولا ترتحلِ   وغداً في الناس يا يحيى أُنادي
بك في قومي مليكاً في بلادي
باسمك الميمونِ يدوي كل نادي

لا تخيبْ ليَ يا يحيى رجاءا   وتذكر كل ما مرَّ بعمركْ
ستراني كيف أفديك وفاءا   وترى قومي َقد هاموا بذكركْ

فحياة لم تزد إلا صفاءا   وبلادٌ همُّها إعلاءُ قدرِكْ
ونعيمٌ لم يفض إلا بهاءا   كجزاءٍ لكَ يا يحيى لصبرِكْ

لاتضع من غفلةٍ فرصةَ عمرِكْ
ولك الأمر وإنّي رهنُ أمرِكْ

يحيى — قال يحيى : إنني لا أقبلُ   كلّ ما قلت فبختي قد صحا
وهو يرعى كلّ ما قد أعملُ   وإذا أفسدتُ أمراً أصلحا
ملءُ قلبي في حياتي أملُ   دونه الملكُ إذا ما نجحا
إنّ حظي في حياتي مقبلُ   خابَ من يقنعُ أو ما طمحا

وعلى من شئته أن يفرحا
فاتركيني ! إنّ بختي قد صحا !

الملكة : كيف لا تقبلُ يا يحيى رجائي   أيُّ مجدٍ بعد هذا ترتجي !؟
ترفضُ التاجَ بكبرٍ وإباءٍ   وهو أقصى غايةٌ للمهجِ
إنما تسعى على غير اهتداءٍ   في ظلامٍ دامسٍ لم يُبلجِ
هل ترى أحسنَ مني في النساءِ   أمْ بملكي أنت لم تبتهجِ ؟!

أنت لم تنهج قويمَ المنهجِ
فامضِ عني بسلامٍ واخرجِ !

ثم حيّا ربةَ التاجِ وسارا   دون أن يحسبَ للآتي حسابا
زاعماً أن الذي كان انتصارا   والذي أبرمه كان الصوابا
لم يفكر، لا، ولا شاء انتظارا   أسدل الحقُ على العقل حجابا
أمّلَ المسكينُ آمالاً كبارا   دونها الملكُ إذا ما الملكُ طابا

وهو لم يفتح من الآمال بابا
أخطأ المسكينُ رأياً ما أصابا

نسيَ الماضي وما صادف فيه من صعابٍ وشقاءٍ وسقامِ
لم يُحدّدْ في المنى ما يبتغيه كلُّ ما صادفه دونَ المرامِ
لم يفكرْ بعد في أيّ كريه فهو ما فكّرَ إلاّ في السلامِ
كيف والبختُ صحا وهو يفيه أينما كانَ بآمالٍ عظامِ

كيف يرضى بقليلٍ من حطامِ
بينها ملكٌ عظيمٌ مترامى ؟!

وتمادتْ نفسُ يحيى في العنادِ خيّمَ الحمقُ عليها والجشعْ
نسيَ النصحَ فما أصغى لهادي وتجلتْ فيه آياتُ الطمعْ
طمعٌ لم ينم في جوّ السدادِ وغرورٌ بهوى النفس اندفعْ
والذي يبرح في غيرِ اقتصادِ من أمانيه بما يخشى صُرِعْ

ما له من صاحبٍ غير الجزعْ
والذي لا يسمعُ النصحَ وقعْ

والذي ينسى التجاريبَ كبا وأضاع النفسَ في العمر هبا
والذي لم يتخذها سببا في طلاب النجح يوماً تعبا
والذي يعمى عن النور نبا عن سواءِ الحق مهما دأبا
طالما عانى الاسى وانتحبا من أبى غير الذي الحظُّ أبى

والذي عادى الليالى نكبا
بيدٍ تمحو الذي قد حسبا

أتُراه بعد أن ودّع يحيى بهجة الملك قريرَ النفس ضحى
وهو لم يكسب من السالف شيّاً لا ، ولم يجن من الحاضر ربحا
كم سعى حتى أضاع العمر سعيا كادحاً يزداد في الأيام كدحا
وهو في ضوء المنى يسعى ويحيا دون أن يبلغ رغم الجهد ربحا

أترى لم يدَّكر للبخت نصحا
فطوى إلا عن الاحلام كشحا؟

أترى يحيي طروبا بهجا   أم ترى عاوده صوتٌ خفى
هامسٌ فى نفسه بين الدجى   همسَ من يبعث دوحَ الاسفِ
ها هو الليل على يحيي سجى   هل تُرى ظلٌّ حليف الصلفِ
أم تمادى الليـل حتى أحرجا   قلبه ، أم بالاسى لم يعصف ؟
كم بجنح الليل من سرٍّ خفى
يبلغ النفسَ حدودَ التلف !

حينما تلتفت النفسُ الى   صُوَرِ الماضى بعين الحاضر
وترى الآمالَ صارت مللا   أو تلاشت فى الزمان الغابرِ
أو ترى العمرَ تولَّى عجلا   بين أشجانٍ وهمٍّ قاهرِ
دون أن تبلغ يوماً أملا   فيه أو فرصة سـعد ظاهرِ
يا ضياع النفس بين الحاضرِ
بيـد الذكرى وبين الغابرِ !

وهنا أطرق يحيي أسـفا   فى سكون الليل إطراقَ الاسى
فلقد أحيا به ما سلفا   هامسٌ فى نفسه قـد همسا
قائلٌ : يا أيها المرء كفى   غفلةً ! كم من غبيٍّ تُعِسا
أنت ضيَّعتَ الامانى سرفا   وتساوى بك من قد يئسا
والعمى إن هو غال الانفسا
يتساوى الصبح فيها بالمسا

أرفضتُ التاجَ عن رأيٍ حكيمِ   أم رفضتُ التاجَ عن رأيٍ سقيمِ
فرصةٌ ضاعت فيا نفس أقيمى   بعدها يا نفس فى ظلِّ الهمومِ

هل سواها ؟ إنني غير عليم وصروفُ الغيب كالليل البهيمِ
ربما عُدت الى بؤسى القديم إننى يا مهجتى جدّ ملومِ
هل شقاء وأسى مثلُ النعيمِ
ومليك قادر مثل العديم ؟!

ضاع من ضيّع فى العمر الفرصْ فهو لن يلقى سواها عوضا
وهو لا يرجع الا بالغصص أينما حلّ وأيان مضى
بالغ أقصى الأماني مَن حرص وأضاع المفرطون الغرضا
ان من لا يقنص الوقتَ قُنص وأذلته تصاريف القضا
وكذا العمر كبرق أومضا
فاذا لم تعنَ بالعمر مضى

ويح نفسى ما لها عادَ أساها ويح عيني ما لها جفّ كراها
إن نفسى لم يفارقها مناها ومنى نفسيَ ما عشت ضياها
وجلال الملك ما نال رضاها لا ، ولا التاج الذى يرضى هواها
فهى إمّا عددت لى مشتهاها فلتذق من حزنها كأس رداها
فرصة ولّت وفى العمر سواها
فرصة تبلغ بالنفس رجاها

غير انى قد صحا بختى وقاما وهو يحميني ويرعى أملى
لستُ ألقى فى الورى الا سلاما أينما سرتُ فبختى قِبَلى
فعلام الخوف والوجدُ علاما وهنائى هو فى مستقبلى
أوسعتنى النفسُ فى أمرى ملاما وبدت قسوتها فى جدلى
سوف أمحو فى حياتى وجلى
إن أطال الله فيها أجلى

ظل يحيى بين يأسٍ وأملْ   لم يودّعه اصطبارٌ أو جلدْ
لم يزعزعه من النفس جدلْ   بين أخذ من أمانيه وردْ
لم يساوره من الفكر كللْ   بعد أن فارق أنوار البلدْ
لا، ولم يقعده فى السعى مَلَلْ   لا ، ولا فى طلب المجد زهدْ

كلما جـدت به الآمال جـدْ
ما انثنى عما تمنى أو قصدْ

وعلى بُعد رأى الشيخ المهيبا   واقفاً وقفـةَ شرٍّ فوق تَلْ
قال يحيى : ربِّ ألهمنى نصيبا   من صوابٍ واكفنى شرَّ الزللْ
وسعى حتى غـدا منه قريبا   سعى من يحمل فى النفس الوجلْ
ثم حيّا ذلك الشخص العجيبا   بابتسامٍ وهو بالخوف ثملْ

قائلاً فى نفسه لما وصلْ :
ربِّ كن لى واكفنى شر الرجلْ !

الشيخ : قرنا الشيخ له فى حـذرِ   قائلا : ماذا رأى البخت لنا ؟
هل وجدتَ البخت أم لم تعثرِ   بالذى أمّلته بعد العنا ؟
وسألت البخت أم لم تذكرِ   حالنا للبخت او أهملتنا
ها هو الكنز كسرٍّ مضمرِ   لم يزل فى تربة الارض هنـا

قل بحقٍّ ربما أخبرتنا
بجديدٍ يا فتى ينفعنا

يحيي : أيها الشيخ سألتُ البختَ عنكا   قال: هذا قاتلٌ يخشى المصيرا
زاده الخوفُ من العالم شكاً   فهو لا يلقى من الناس نصيرا
انت تخشى منهمو بطشاً وفتكا   فسكنت البيدَ منبوذاً حقيرا
انت لا تسكنها زهداً ونسكا   إنما تخشى من النـاس ثبورا

هكذا القاتل لا يبصر نورا
أينما يسعى ولا يلقى سرورا

دائم الخوفِ شديدُ الحـذرِ دائبُ الحزنِ عميقُ الكدرِ
وافرُ الهمّ مريبُ المنظر ثائرُ النفس حـديدُ البصرِ
دَمُ من اهلكتَه لم يُهدَرِ عبثاً حتى ولو . لم تظهرِ
ولقد صرتَ طريدَ البشر فاقضِ هذا العمر بين الحُفَرِ
وإذا لحتَ لهم فانتظر
بطشةً تُدنى بعيدَ العُمُرِ !

فاتخذ إن شئت فى الناس خدينا يكتم الاسرار ما عشت امينا
يحفظ العهد ويأبى ان يكونا كلما عاشرته يوماً خؤونا
جرّب الايام والدنيـا سنينا أودعته نفسه عقـلا رزينا
كلما جربته ازددت يقينا فيه وازداد الفتى ودّاً متينا
صرّفا كنزكما لا تستكينا
واقضيا العمر صفاءً وسكونا

قسّما كـنزكما بينـكما لك نصفٌ ولمن صادقتَ نصفُ
ليس يدرى الناسُ ما سرّكما لا ، ولا يفضحه غلٌّ وعنفُ
صرّفا ما عشـتما كـنزكما ليس يسعى بكما خوفٌ وضعفُ
هو يغشى الناس بالمال فما كان فى الناس له ظلمٌ وعسفُ
وكذا يحلو لك العيش ويصفو
أيها الشيخ ولا يغشاك خوفُ

الشيخ : قال إنى لأرى فيك خدينا لك نصفُ الكنزِ لو تبقى معى
لا تدعنى حائر النفس حزينـا وامح من نفسىَ بعضَ الجزع
ما عجيبٌ ان أرى فيك أمينا لم يعش بالمين أو بالخـدع

إن نفسي تعرف الشخص الخؤونا وهي فيمن جربت لم تخدع
ها هو الكنز فصرّفه معي
فهو إن ظلّ هنا لم ينفع

يحيي — قال يحيي : أيها الشيخ أفقْ أنت لا تعرف ما تبغيه نفسي
ان بختي بعد ما نام أرقْ وانتهى السالفُ من همي ويأسي
وصحا وهو بسعدي ينطلقْ وهو يحميني من فقر وبؤس
فاستمع لي أيها الشيخ وثقْ إنني أفلتُّ من حزنٍ ونحس
كيف تُرضيني بنصفٍ أو بخمسٍ
أو بكلِّ الكنز لو كان لنفسي ؟!

عُرِضَ الملك على نفسي فما رضيتْ نفسي بملكٍ واسعِ
أبنصفِ الكنز تغريني كما أُغريتْ نفسي بتاجٍ لامعِ
ثم ما ثارتْ لرفضي ندما لا ، ولا كنت أسيّ بالجازع
ان بختي لحياتي رسما مجدها العالي بنورٍ ساطعِ
كيف أرضى بقليل ضائع
بعد ملك لا يُدانَى شاسعٍ ؟!

ثم حيّا الشيخَ في لطف وولى في ابتهاجِ الظافرِ المنتصر
زاعماً في نفسه حمقاً وجهلا أنه جاوز حدّ الظفرِ
كيف يدري أنّه خابَ وضلاً وهو في نشوته لم يحرِ
بعد ما لاقى من الايام هولا ثم أولته صروفُ القدرِ
فرصاً ضيعها لم ينظرِ
كيف ضاعت وانتهت بالصعرِ

طلعت من بهجة الصبح البشائرْ وبدا من جانب المشرق نورُ
وطوى عن طلعة الحسن الستائرْ بيدِ فنّانةٍ ربٌّ قديرُ

فاذا الكونُ بروحٍ منه عاطرْ يتجلى الحبُّ فيها والسرورُ
متعةُ الاعين فيها والخواطرْ وضياءٌ لدجى النفس ينيرُ

وكأنَّ النفسَ عصفورٌ يطيرُ
أو كأنَّ الصبحَ للنفس بشيرُ !

صورةٌ تبعثُ فى نفسِ الحزينِ هَدْأةَ الوادعِ فى ظلِّ السكونِ
تملأُ القلبَ بنورٍ ويقينِ وتزيل المرءَ من ماضى الشجونِ
وتبين الحسنَ حسناً للعيونِ ساطعَ الغرَّةِ فى شتى الفنونِ
بُعثتْ من رقدةٍ بعد المنونِ بيدٍ تقطر بالحسن الهتونِ

توقظ النائمَ من فنٍّ دفينِ
وتبين الفنَّ فى الحسنِ المبينِ

فتَّح الصبحُ على الكون بنورِ فيه آياتُ المنى عند الورى
وتجلى بسنى الله القديرِ وصحا الوسنانُ من سكر الكرى
وتراءى الخلقُ فى خير شعورِ يبلغُ الخيرُ به أعلى الذرى
هكذا الصبح بديعٌ فى البكورِ فيه للاعينِ أحلى ما ترى

ومن الصبح جميلٌ كالبشيرِ
ومن الصبح مريبٌ كالنذيرِ

هاك يحيي هبَّ فى الصبح حزينا خافق المهجة جمٌّ الندم
ماعسى يارب هذا أن يكونا ؟ قال يحيي بلسان الألم
مالنفسى طفحت منى شجونا ولقلبي كالسعيرِ المضرَمِ ؟
ربما أبلغ فى يومى المنونا فلقد أبصرته فى حلمى

إننى أبصرت فى النوم دمى
يلغ الوحشُ به فى نَهَمِ !

لم يسر يحيى قليلا حينما لاحَ عن قربٍ له شخصُ الاسدْ
رِيعَ من منظره القاسى فما ترك الخوفُ له أىَّ جلدْ
قال : أدركنىَ يا ربّ السما وارعنى يا خالقى مما أجدْ
لا تضيعْ يارب يوماً لى دما ربّ واجعل لأسى قلبىَ حدّ
ليس لى إلاّك يا ربّ فجُدْ
بخلاصٍ فعليكَ المعتمدْ !

أقبل الوحشُ عليه غاضبا صاخباً بالشر حتى اقتربا
قال : ما خلتك إلا كاذبا كيف غررتَ بمثلى كذبا
كنتَ فى أى مكان غائبا وصحا بختُك هذا أم أبى
إننى خلتك منى هاربا فتكلم ! هل عرفت السببا
سبب الجوع فجوعى ما خبا
زدتُ فى بُعدكَ عنى سغبا ؟!

وهنا حدّثهُ يحيى بما جدّ من رحلته طولَ السفرْ
ثم أوحى بالذى قد علما من حياة الوحش من خير وشرْ
قال : قال البختُ والبختُ كما قال يجرى بالذى قال القدرْ
فاستمع من نصح بختى حكما إننى جئتك منه بالخبرْ
هو سرٌّ فتقبَّله كسرّ
ثم دعنى بعدُ فى حالى أمرّ

قال إن شئتَ دواءَ السغب كلْ من الناس غبياً احمقا
دمُه يكفيك شرّ اللغب ويذود العظمُ عنك القلقا
ذاك ما قد قاله فارتقب ذلك الانسان إمّا طرقا
ان بختى صادقٌ لم يكذب لا تكذّبنى فبختى صدقا

ان بخــتى بصواب نطقا
ولسانى ليس يدرى الملقا

وهنا انقضّ عليه الاسدُ قائلاً: انت الغبي الأحمقُ!
هــل ترى غيرك يوماً اجدُ صادقاً بين البرايا يصدقُ
فرصة أنت! أعنها أقعدُ؟ إننى انزهى ضاعت أخرقُ!
أين من يحيى دمٌ او جسـدٌ طاح فيه الوحش الا خَوِقُ
بقيت بعد المنايا تنطق
انه هذا الغبيّ الاحمق!

وانتهى يحــيي من الدنيا ولمْ يجن من رحلته الا العدمْ
ما محا المكتوبَ فى لوح القدمْ لا، ولا غيَّرَ ماخطّ القـلمْ
هكذا الدنيا حظوظٌ وقِسَمْ كلٌّ حيٍّ حظه فيها رُسِمْ
خاطىء من يغتدي فيها بِهَمْ وغبيٌّ مَن تمادى فى الالمْ
وحكيمُ الناس فيها مَن علمْ
أنها كانت ولا زالت قِسَمْ!

(انتهت القصة)





ماكبيث لشكسبير

الفصل الخامس — المنظر الخامس

دَنْسِينِين — المَعْقِل من الداخل

(يدخل ماكبيث وسيتون وجنوده بين الطبول والاعلام)

ماكبيث: انشروا هذه البنودَ، انشروها واجعلوها بظاهر الاسوار
ليت شعري ما زال يعلو صياحٌ معلناً انهم دنوا فى المَسَارِ (١)
نحن فى معقلٍ حصين منيعٍ مستخفٍّ بمثل ذاك الحصارِ
فليموتوا من حوله أَثَرَ القحطِ (م) وبَرْدٍ يعود بالاضرارِ
نحن لولا اعتزازهم بجنودٍ قد تخلَّت عنا اليهم ضوار
للقينا العدوَّ وجهاً لوجهٍ فرمينا بهم وراءَ الديارِ

(يسمع عويل النساء فى الداخل)

ما ذلك الصوتُ؟ من أينَ هذه الضوضاءُ؟

سيتون: مولاى هذا صياحُ النِّساء، هذا البُكاءُ (يخرج)

ماكبيث: قد كدت أفقد من خوفٍ مذاقته نعم، قد انصرمت للخوفِ أوقاتُ
مشاعرى اليومَ منّى لا يحرّكها ليلٌ رهيبٌ تعالى فيه صَرْخاتُ
وان جلدى وما يعلوه من شَعَرٍ إذا ألمّت به تلكَ المُلِمَّاتُ
تراهُ منتفضاً كالدَّغْلِ منتصباً له على قصص الشؤمِ انتعاشاتُ

(١) المصدر « المسير » المستعمل شاذ لان قياسه من باب ضرب على مفعل بفتح العين، فكان الأصح ان يقال مسار كمعاش.

موائدُ الهولِ قد مُدَّت وقتُ إلى طعامها فى ظلام الليل أقتاتُ
حتى تشبَّع فكرى من روائعها فلا أُرَوَّعُ
(يعود سيتون)
ما تلك النداءاتُ ؟

سيتون : إن المليكة يامولاىَ قد رحلتْ (١)
ماكبيث : فى ساعة الضيقِ تَنهالُ الفجاءاتُ

قد كان أولى بها لو أنها انتظرت حتى تُلَمَّ لهذا الخطب أشتاتُ
غدٌ يمرُّ ، وفى آثاره أبداً غدٌ تَدِبُّ به للدهر خُطُوَاتُ
هو السجلُّ كُتِبْنَا فى صحائفه لكلِّ مبتدىء فيه نهاياتُ
والناسُ حمقى مضَوْا فى دَرْبِ آمُسِهِم (٢) حتى احتوتهم قبورٌ مُدْلَهِمَّاتُ
هيا اطفئوا ، أطفئوا القنديلَ قد ذهبت أنوارُه ! إنما الدنيا خيالاتُ !
ممثلون تَلَهَّوْا فوق مسرحها ثم انقضَوْا وتلاشت فيه أصواتُ
كأنها قصةٌ خرقاءُ يسردُها أحيمقٌ قد أكدَّتْهُ الشروحاتُ !
(يدخل رسول)

على لسانِكَ أمرٌ أسرعْ ! أَبِنْ ما تُريدُ !
الرسول : مولاىَ ياذا الفضل إنِّــى لا أجورُ وأعتدى
سأقول ما قد شاهدتْ عينى وما لمستْ يدى
لكنّنى لم أدْرِ كيفَ الأمْرُ

ماكبيث : قلْ ياسيدى !
الرسول : بينما كنتُ حارساً ربوةَ التلِّ وعينى للأفقِ حيث يَدُورُ
وإذا بى رأيتُ غابة « بِرْنَامَ » إلينا على الطريق تَسيرُ !

ماكبيث : كاذبٌ يا رقيقُ !

دعنى أقاسى منك سُخْطاً لو أنَّ قولىَ زُورُ
فاصطحبنى مدى ثلاثة أميال ترى غابةً إلينا تَمورُ (٣)

(١) ماتت (٢) آمس جمع امس (٣) تتحرك مسرعة.

ماكبيث: إن كان كذباً ما ترى أو قصةٌ مزوَّرَهْ
فإنما تُشنق حيّاً فوق أدنى شجرَهْ
يميتك الجوعُ الذى لستَ تُطيق أثرَهْ
وإنْ يكن ما قلتَه حقّاً نقلتَ خبرَهْ
فلستُ مَن يأخذُ عند مثلِ هذا حَذَرَهْ
أعدُّ نفسى للدفا ع والوغى المنتظرَهْ
وأستثير الشكُّ فيما زيّنت لى السَّحَرَهْ
قُلْنَ: تجرّأْ لا تخفْ فأنت أهلُ المقْدُرَهْ!
إنْ تسعَ برنامُ لدَنسينينَ تُلْقِ المغفرَهْ
والآن قد سارت لدَنْسينينَ غابٌ مُشْجِرَهْ
إلى السلاح، للسلاح وأخرجوا للعسكرَهْ!
إن كان ما قد ادّعى حقاً فكيف المَعذرَهْ
لا فرَّ، بل ولا احتمى بالحصن إلا الخسرَهْ
انى سئمتُ اليومَ من شمسِ الحياةِ النيّرَهْ
وقد وددتُ هذه الدُّنيا تزولُ بعثرَهْ
دقّوا لها الأجراسَ فالساعةُ هَوْلٌ خطرَهْ!
يا ريحُ هيّا فاعصفى! تعالى يا مُدمِّرَهْ!
إن كان موتٌ فسلا حُ الجيش يحمى أظهُرَهْ!

(يخرجون)

عامر محمد بحيرى





خلود الشعر

سيفنى الشعرُ لو أنّا نسينا الألمَ الخالدْ
فلا دَمْعٌ ، ولا شكوَى ولا عانٍ ولا ساهِدْ

سيفنى الشعرُ لو أنّا نسينا آلابتسامات
فلا تَفْنى بمعبودٍ فناءَ اليومِ فى الآتى

سيفنَى الشعرُ لو أنّا عَمِينا عنهُ فى الكونْ
فلا حُسْنٌ ولا مُتَعٌ ولا سِحْرٌ لِمُفْتَنّ

سيفنى الشعرُ لو أنّا جَهِلْنا خَفْقةَ القلب
فتمضى الرُّوحُ فى الدنيا بلا وَحْىٍ ، ولا حُبّ

سيفنى الشعرُ لو أنّا حبسنا الرُّوحَ فى الجسمِ
فلا كَوْنٌ تطوفُ بهِ طوافَ الحقِّ بالظُّلْمِ

سنستغنى عن اللهفاتِ من أنفُسنا الحَيْرَى
إذا ما راحت الدنيا بجهلٍ تهجُرُ الشِّعرا

سنستغنى عن اللفتات من أعيُننا العطْشَى
إذا فرَّ إلَهُ الشعرِ حين نقوِّضُ العرْشا

أنستغنى عن الأنفا س ، والانفاسُ أشعارُ ؟!
فلا نطمعُ فى الفردَوْ س ، أو تُرْهِبُنا النّارُ

لنا الآمالُ ، والأحلامُ ، والدنيا بأجمعِها
بِبَسْمتها ، ببهجتها ، بلوْعتِها ، بمدْمَعِها

فيومَ نفارقُ الدنيا وتلك قصيدةُ اللهِ
سنغرقُ فى صداهُ العذْ بِ بينَ ضيائه الزّاهى

ونُصبحُ نحنُ ألحاناً تردِّدُنا فراديسُهْ
أمانينا هياكِلُهُ ونجوانا نواقيسُهْ .

حسن كامل الصيرفى



نشيد الطيف الخالد

أو

عزف الضمير

(هتف بى طيف فى سرى ، فألقى فى روعى معنى لا أدرى لخبره مبتدا ، ولا لأوله منتهى ، بيد انى أحسستُ به زفرات تصعّد من قرارة نفسى ، وكأنه جلجلة الجرس يناغى فى مهده ، أو صدى قرع الصفوان بعود نحاسى صقيل ، أو دقات ساعة الزمن وهى مثبتة فى قلب تقول : الرحيل ، الرحيل ، فتجاوب هذا الصدى فى سفح الأفق من فضاء الابدية اللانهائى بهذا الرنين الذى انبعث من الفؤاد على أسلات اللسان مقاطع موسيقية طربت لها وحدى)

ايهِ يا ريحانة (١) الوادى السحيقْ أنعِشى الاجيالَ من غورٍ عميقْ

---

(١) الصورة التى كانت فى نفسى ساعة هذا النداء ، أنى وقفت على قمة جبل تسامى فى الارتفاع يكنفه واد سحيق مكفهر ، وفى وسطه زهرة مفردة على عود ضئيل مصفر ، تترنح شيئاً قليلاً ، فوقع فى خلدى أن هذا هو وادى الفناء ، وان هذه الزهرة تحرسه من أحقاب متطاولة !

نفّسى عنى أزيزَ المرجلِ واهـزجى لى هزَجَ الحـادي الرفيقْ

« • »

إصدحى يُصغى لنا قلبُ الزمنْ ردّدى الأنغامَ من وحىِ الـشجَنْ
رجّعى ما شئتِ من أغْـنِـيَّةٍ تصف الاشجانَ فى نفسِ الشجنْ

« • »

حدّثى أختاه عن ذاكِ الأملْ حين كان الـكونُ فى طىّ الأزلْ
كان فى عمياء لا نعرفها نحن فيها كالمعـانى فى الجُمَلْ

« • »

حين كان الله فى عليائه يسمـع التقـديسَ من انوارهِ
وحدةُ الـكون جمالُ الأونِ مَظهرُ التنزيهِ فى إظهارهِ

« • »

حين ، لا حين ولـكن صانعٌ جلّ ذاتاً عن خفيات الفِكَرْ
إنما الحينُ سرابٌ خادعٌ خلّب الـبرق له أجـلى أثرْ

« • »

قالت : اسمـع يا نديمَ السهـرِ همسةَ الاصداء من رجعِ الحنينْ
آهِ ! لو أسطيع ان يؤذن لى لسمعتَ اللحنَ فياضَ الأنينْ
نفثةُ الشعر على قيثارتى وحـديثى صادقُ الوحى يقينْ
انما الأمر عماءٌ غامضٌ لاتجلّيه عميقاتُ الظنونْ

« • »

لا ، ولا هذى العقول النائرهْ فى فيافى الفـكر تهذى هاذرهْ
هذه الذراتُ تمشى حائرهْ سابحات فى فضاء عائرهْ
عابسات فى وجوم ثائرهْ أين ؟ لا أين ، ولـكن سائرهْ
من سماء الله جاءت حادرهْ عن معمّى الـكون تجلو سافرهْ

« • »

تسمع الآلام منها والأسى تقرأ الآمال عنها والمنى
وهى كالاحلام فى قلب الدجى وهى مزجٌ من قنوط ورجا

« • »

مُطفِلٌ فارق عينيها الكرى زادها الوجدُ التياعاً وجوى
ودّت أطفالها كهفَ النوى حين ضلت عنه لا تدرى المَدَى

« • »

رنةٌ فى هزمها تحكى الأثيرْ أصل هذا الكون من نفح العبيرْ
سرٌّ هذا انها عزفُ الضميرْ بلحونٍ مثل أنات الأسيرْ

« • »

زهرة لاحت لنا فى السحر من بديع الزهر كانت أملا
قالت : اسمع ، لا تكن تحت الثرى بل سمواً فوق أطباق العلا

« • »

إن هذا الجسمَ مولودُ التراب يا له من هائمٍ نحو اليباب
لاتقل : كيف ؟ وهذا الأثرُ دائم المسرى كارسال السحاب

« • »

مطلع التفكير شىء آخرُ مهبط الأسرار روحٌ ساحرُ
منزعُ الآمالِ حىٌّ خالدٌ منشأ الابداع زاهٍ زاهرُ

« • »

عجبٌ للنور فى جوف الظلامْ ! عجبٌ للنار تزكو فى الرّهامْ !
عجبٌ من محض هذا العجبِ ! أىُّ شىء للبرايا فى وئامْ ؟

« • »

لاح شخصُ الكون فى سفح الوجودْ بعد طىٍّ فى غيابات العدمْ
ليت شعرى ! أى حاليه تسودْ ؟ إتّخاذ القاع أم مثوى الديمْ ؟

« • »

في ظلال الحب كانت زورةٌ ... وانجلى المكنون عن سر الجمالْ
لست من ليلى ولا وعد الهوى ... إنما الكون جمالٌ في جمالْ
إنما الآلام فينا نزوة ... تحفز الروحَ إلى صفو الكمالْ

« • »

جذوةُ الآمال فينا تتقدْ ... لا تجدّ السير ، يا صاح اتئدْ
كلنا نسعى إلى ذاك العَلَمْ ... نحن ندنو وهو منا يبتعدْ
غاية أحسبها مجهولة ... ألقِ هذا الحمل عنا واقتصدْ
ربِّ ! هذا القبر ما أطوله ! ... فيه يهوى الركب من وادي الأبدْ !
أبد الماضي ، وما الماضي سوى ... دقة الناقوس في فلك الأمدْ
ربِّ ! هذا الرحب ما أضيقه ... يخمد الأنفاس كالداء الألدْ

« • »

ربِّ ! هذا الليل ، ما أروعه ! ... يرعب الآساد في جوف الأجمْ
ربِّ ! هذا الشبح ما أضعفه ... بين هذا الخلق من شتى الأممْ !

« • »

يتراءى خافضاً هامته ... والبرايا منه خوفاً تضطربْ
هل تراه حاملاً راياتها ؟ ... أم تراه الليث ، والليثُ يثبْ ؟

« • »

راقها منه جمالُ المنظرِ ... راعها فيه حديدُ النظرِ
أقبلت تسعى إليه في ارتيابِ ... رتلت للشيخ آيَ الخفرِ
هيمن الشيخ عليها في ازورارِ ... نظرة الجبار وحي الشذرِ !

« • »

هزّ رأساً ثم ولى راكضاً ... يعتلي القمة في عليا اليفاعْ
لمحة الناقد في أحشائها ... تكشف الأسرار من خلف القناعْ

« • »

نظرة فاحصة منه على صفحة الخلق أضاءت سبلا
مفردٌ في الخلق طلاع الذرى مطلق التفكير جوّاب الفلا

« • »

صورةٌ للكون في باطنه مستجاش الروح وثّاب الخطى
آية الاعجاز في ظاهره مستسرٌّ العقلُ نزّاع القوى

« • »

شارك الأملاك في عالمها يقرأ الحكمة في لوح القضاء
نازع الأطيار في أجوائها جاذب الأفلاك أجواز الفضاء

« • »

غاص في غور المحيط اللجبِ يفتق الأصداف عن حُرّ الدررْ
سخر الأنجم في مطلبه أنطق الفولاذ يدوى في السحرْ

« • »

ما ظلام الكون إلا كسفٌ من شعاع النور ، أو لمع الضياءْ
ما حياة الخلق إلا حفنة من سديمٍ ، أو مَنينٍ ، أو هباءْ
هكذا الدنيا ، تراها لمحة ومطايا الكون يحدوها الفناءْ

« • »

ساد في الكون ظلال وسكون غير أنات القلوب الداميات
أنةُ المصدور من ظلم العباد نفثة الحيران في سر المهات

« • »

مال عرشُ الكون عن ميزانه حين عبّ الشيخ من كأس المنونْ
جلل الآفاق حزنٌ في وجومْ ضل شبلُ الغاب عن ليث العرينْ

« • »

إن في جنبيّ ناراً تستعرْ يا فؤادُ اهدأ خفوقاً واستقرْ
إن في الأحشاء ناراً تضطرم يا حنيني خفّ عنى واصطبرْ

«•»

يا حياتى هدأةً بعد الصخبْ مزّق الاحشاءَ همٌّ فى نصبْ
أيما تبغين من هذا المطافْ ؟ أى شوق فى حناياكِ انسكبْ ؟
قالت : اسمع نغماً من مِزهرى ثم لمنى بعد ذا أو فاستجبْ
قلت : هاتى همسةً هـادئة إن قلبي لا يسليه الطـربْ !

«•»

ثم راحت تتغنَّى فى أنينْ يا جمالَ الكونَ ، يا دمعَ الحزينْ
أنت لغزٌ فى غيـابات السنـــينْ هل ستبقى ؟ أم تقفّى الظاعنينْ ؟
قلت : كفّى ، لا تهيجى لى الكمينْ إن هـــذا مبعثُ الداء الدفينْ

«•»

حرّكت أوتارها غرد الطـــير وناحْ
هيجت أشجاننــا جاذب الليل الصباحْ
إيهِ يا ليل تحدث كم جريح فيك ناحْ ؟
كم قرون قد تولت ؟ كم ثكالى فى نواحْ ؟
كم عليل يتلوّى ؟ فى حناياك استراحْ
فيك يا ليلُ فتونٌ فيك يا ليل فلاحْ
أنت معـــنى خالدٌ فى ضمير الكون لاحْ
غنّ يا ليلُ قصـــيدى وارو ِما بعد الصباحْ
قد حباك الله حسناً هاتِ ما يشفى الجراحْ

صادق ابراهيم عرجون

النهر المتـــدفق

هَبَطَ الارضَ من قديم الزَّمَانِ بارِقٌ في السماء قَيْـدُ العَيـانِ
شَقّ ثَوْبَ السحابِ ، فالرّعدُ صوتٌ من صَدَى المَزْقِ طنّ في الآذانِ
وهَوَى كالمُسِفّ يَلْتَبِطُ الأ رْضَ ،مُسجّىً كالهَامِدِ الوَسْنَانِ
وأدِيمُ البَطْحاء قفرٌ مَحِيلٌ زَاخِرُ الرَّمْلِ ، مَاِرُ الكُثْبانِ
ورَوَاسٍ من الجبال تعالَتْ كَسَوارٍ يرفعْنَ صرحَ الكيانِ
قِنَنٌ في الجواء ، أرهَفْنَ سَمْعاً يَلْتَقِطْنَ الأخبارَ من كُلِّ جانِ
ليس في الأرضِ نأمَةٌ لاناسٍ غيرُ صوتِ الرّياحِ والثَّوَرانِ
زعْزَعٌ ضَلَّتِ الدَّبُوُرَ ، فرَاحا يَرْجُوانِ اللّقاءَ في دَكَضَانِ
يَسْحَبَانِ العَجَاجَ (١) ذَيْلاً طَويلاً مِثْلما تَرْسِمُ الخُطَا قَدمَانِ
وأزِيزٌ ، وضجّةٌ ، ودُخَانٌ ألبَسَ الأفقَ أسْوَدَ الطَّيْلَسانِ
ثم لاَحَت بوَادِرٌ من حَياةٍ صَخِبَت بالسَّوَامِ والانْسَانِ
ومَضَى هَامِدُ البُرُوقِ فَتِيّاً يَتَلَوّى في السَّيرِ كالأفعوَانِ

« • »

كنتُ يا نفسُ ، يومَ ذلِكَ بَرْقاً في السموات ، في أبرّ مَكانِ
وشققتُ السحابَ ، أهبطُ أرضاً ظلتُ فيها كالتّائِهِ الحيرانِ
جئتها زَاهِدَ البقاء طَرِيداً من حلال (٢) البروقِ والتَّهتانِ
ثم أبقى ، وحين تظمأُ نفسى أركبُ الموتَ ، جاهدَ الرّقلانِ (٣)
وأحُثّ المطيّ ، أقطع شوطى آيباً للبروق في سريانى
حيث كُنّا نعودُ بعد شَتَاتٍ فيمَ جُهْدُ الحياةِ والزّمَلانِ ؟

« • »

(١) العجاج : التراب الذى تثيره الخيل أو الريح (٢) الحلال : جمع حلة وهى القرية (٣) الرقلان والزملان : ضربان من السير السريع .

أنا يا نفسُ ذلك النهرُ يَجْرى ... ضَلَّةً في المسيرِ والرَّحلانِ
كَوْثَرٌ في الفلاةِ أتْعَبَهُ الركض ... فأمسى يكبُّ في الجَرَيانِ
سادرٌ عمرَهُ الطويلَ حثيثاً ... طامياً في الجفافِ والفيضانِ
يتخطى الصُّخُورَ وثْبَ جَمُوحٍ ... كاسرِ القيدِ ، مُستبدِّ العنانِ
حادياً بالخريرِ ركْبَ الليالى ... مُشجياً بالهدير سمْعَ الزَّمانِ
مُسْتَقِرٌّ النوى بصدر أجاجٍ ... بعد جُهد الاسغابِ (١) والصَّدَيانِ
وشفاهُ الأجاج عَطشى للثمِ ... من شفاهٍ معسولةِ الذوقانِ
فلقاءٌ ، ولا لقاءُ حبيبٍ ... بعد طول النَّوى ، وقُرْبِ التدانى
ناشرٌ صدرَه العريضَ بضمٍّ ... باسطٌ شطَّه الطويلَ لعانِ
صَاخباتٌ أمواجُه مُقْبلاتٌ ... مُدْبِراتٌ عن سِيفهِ (٢) في رهانِ
راقصاتٌ لبسْنَ من زبدِ البـ ... ـحْرِ حُلًى كالعقود والتيجانِ
عاصباتٌ رؤوسها من جُفاءٍ ... غاسلاتٌ شُعُورَها في جُمانِ
تعكس الشمسُ ضَوْءَها فتراهُ ... حبباً كالعقيق والمَرْجانِ
ذاهلاتٌ عن بَعْضها كحيارَى ... لمحَتْ في الشُّطُوط أشباحَ جَانِ
وترى البحرَ غاضباً في هديرٍ ... وترَى النهْرَ سَاكناً في أمَانِ
وترى النهرَ صَاخباً يَتلوَّى ... وترى البحرَ مطمئنّ الجنانِ
وَصَفيرُ الرياح ألحانُ نايٍ ... ودَوِيٌّ الكهوفِ هزْجُ كمانِ
ذاك بحرُ الحياة يا نفسُ فيه ... ضجةٌ من تطاحُنٍ ودِهانِ
حَرَكاتُ الأمواج فيه هُبُوبٌ ... لقتالٍ ، وشدَّةٍ ، وطعانِ
وقويٌّ أدالَ حَقَّ ضعيفٍ ... وضعيفٌ ينوءُ في خزيانِ
واقتبالُ الأمواج فيه سباقٌ ... لطلابٍ ، كأننا في رِهانِ
أنا يا نفسُ ، ذلك النهرُ مَاضٍ ... أتغنّى الحياةَ كالجذلانِ
وأمرُّ الحديثَ للغابِ دَهْرِى ... مثلَ قولٍ أذيعهُ خلّانى

(١) الاسغاب والسغب بمعنى الجوع (٢) سيف البحر بكسر السين هو ساحله

وأسوق المياهَ أروى فجاجاً يانعاتٍ المروج والطيّانِ (١)
وأنا الظامىء « الطريدُ » أروّى صاديات ، والقلبُ فى ظمآن
وأُقضّى الحياةَ أرجُزُ كالطيرِ عزاءً للواجِدِ الولهانِ
فاذا دقّتِ النواقيسُ يوماً أرهفَ الكونُ سمعَهُ للاذانِ
وانقضى العيشُ ، وارتجعنا كما كُنّا هباءً فى مَجهلِ الأكوانِ
ليس جدّ الحياة ، وهى ظلالٌ غيرَ نوْحٍ وضجةٍ وأغانِ
ليتها ، والفناءُ يُنضبُ مائى أسمعُ الشدوَ من هتوفِ القيانِ
حيث كُنّا نعودُ بعد شتاتٍ فيم جُهْدُ الحياةِ والزّملانِ

احمد نوفيق البكرى



نشيد الخيام

صوّتَ الديكُ والهزارُ تغنى فلماذا يعيقك الإغفاءُ ؟
وجرى الفجرُ جدولاً من ضياءٍ فاذا الأرضُ كلها لألاءُ
قم نبادرْ هذا الصفاءَ ونغنمه فقد لايعود هذا الصفاءُ
فرشنا معطفُ الربيع الموشّى والنديمُ الوردية الحمراءُ !

الليالى خوادعٌ لم تصن قط موعدا
أىُّ عيش منعم لم تذره منكدا
لا تَكِلنى إلى غدٍ أنت لاتملك الغدا
ربما نابك الاسى ربما غالك الردى !

قم ولا تحتفل بوعظ مُراءٍ زخرفٌ كلُّه وعظه وطلاءُ
يكدح الليلَ والنهارَ فهلاّ فى سبيل الإحسان هذا العناءُ

(١) الطيان نوع من الزهر البرى .

ودلو يملك الوجود ويكفيه (م) رغيفٌ ومسندٌ ورداءُ
قل له لاتعظ على غير جدوى هى نفسى جهنم وسماءُ !

* * *

كأسُ خمرٍ هىَ الحياة وها نحـ ـن فقاقيعُها الضئالُ الطوافى!
هات من وجنتيك عذبَ سلافٍ ومن الزقّ هات عذبَ سلاف
وانقر المزهر الحنونَ على سمعى تزُل غمتى ويصفُ ارتشافى
قبل أن تنزع الليالى كئوسى من عصيرِ الردى بسمٍّ زعاف

اترع القلب لذةً قبل أن تفجأ النوى
أىّ نورٍ وما خبا أىّ زهر وما ذوى
قصر بهرام قد خوى قصر جمشيد قد هوى
وهنا الذئب قد عوى وهنا البوم قد أوى

أنا يارب عبدك المتجنى وكفى شافعاً لديك اعترافى
لا تلمنى على ذنوبىَ إن كا نت ذنوبى تعدُّ بالآلافِ
ربَّ كوز مشوَّهٍ نبذوه رفع الصوت طالبَ الانصاف
أىّ ذنب جنيتُه الأَنى عند صنعى اهتزت يد الخزّافِ ؟!

* * *

عالمٌ كله رياءٌ ومكرٌ ضائعٌ بين كاهن وامامِ
يزعمان اكتشافَ ما قدَّر الغيب ولم يخرجا عن الاوهامِ
قسَّما الناس للنعيم وللنار احتجاجاً بفطرهم والصيامِ
فاذا الاعينُ اللواحظ نامت عنهما فالحرام غير حرامِ

خلنى فى غوايتى جاهراً كلَّ مجهرِ
غارقاً بين أبيض من كئوسى واحمر
وغديرٍ وروضةٍ وحبيبٍ ومزهرٍ
لاتضاعف مآثمى بضروبِ التسترِ

أجلٌ غيرطائلٍ لا تضعه بعصير النفوس بعد الحمامِ

لتكنْ ما تودُّ نفسك لكنْ لا تحاول بها أداة الانامِ
واذا سرت فى الرغام فخفِّفْ جائر الوطأ رحمة بالرغامِ
انه من معاصمٍ ونحورٍ وشفاهٍ واكبدٍ وعظامِ !

رئيف خوري
طرطوس العلويين : (مدرس الادب العربى بكلية الشرق)



السفينة الحائرة

سرتُ فوق اليمِّ فى الليلِ الحزينْ أغرقُ الآمالَ فى لجتهِ
وأقمتُ الليلَ موصولَ الانينْ أندبُ الوجدانَ فى عُزلتهِ

« • »

كم بكيتُ الناسَ طرّاً حينما خلقُهم فى المدلهمِّ اشتركوا
إنما مَن كان لحماً ودما يتشكى الهمَّ من حيث شكوا
والذى أدهشنى أنْ كلما لحوا الدمعَ بعينى ضحكوا !
خففى يا عينُ مما تسكبينْ واتركى العالمَ فى نومتهِ
إنما الانسانُ من ماءٍ وطينْ ونماء الاثمِ فى حومتهِ

« • »

يا سفيناً سار من غيرِ دليلْ يحمل الناسَ إلى شطِّ الأسى
مُدْلجاً بالناس جيلا بعد جيلْ تائهاً من يوم نوحٍ ما رسا
جهل السفّان من أين السبيلْ وإلى أىِّ يقود الانفسا
ساءل الموجاتِ هلاّ يستبينْ ما طواه اليمُّ فى ظلمته
هاهو السفّان لليمِّ رهينْ ونفوسُ الناس فى رحمتهِ !

* * *

يا لنفسى إنها قد هالها أن ترى الاحزانَ فى ثوبِ الفرَحْ

كلما تلمح نفساً حولها ... وجدتها طرحت عنها الترح
رب نفس قدّر الموت لها ... غرقت بين الندامى والقدح
فتناست انها تطوى السنين ... ثم تلقى الموت فى رهبته
وتناست من ضجيج الشاربين ... انها تسلك فى شعبته

« • »

لو صحا الانسان من جهل الكرى ... لرأى المودة من حيث أتى
ذلك الروح من الغيب سرى ... والى الغيب سينهى الرحلة
وكذا الجسم إلى الموت جرى ... أفما كان تراباً ميتا ؟
عد بنا للموت وارجع بالسفين ... عبثاً حاولت فى دفته
قد تولانا إلى المهد الحنين ... وتشوقنا إلى ضفته

« • »

يا ضفاف الموت طالت غيبتى ... خبرى بالله أنى نلتقى ؟
أنفد السفان ما فى جعبتى ... من بقايا الصبر فى قلبي الشقى
رحمة بالله ردى غربتى ... بعد عشرين (١) أشابت مفرقى
واجعلينى فى عداد الآمنين ... فى حرام الموت ! فى عصمته !
وارسلى فى القلب من نور اليقين ... لمحة تكشف عن ظلمته !

صالح جودت

شكوى وألم

رب يا من خلقت هذا الوجودا ... عالماً رائعاً وفناً مجيدا
أنت ربى أخذته من هباء ... ثم أخرجته قوياً عتيدا
قلت: كنه! فكان لغزاً عميقاً ... وكتاباً مستعجماً ونشيدا

(١) عمر الشاعر

وبنيت السماء ذاتَ جلالٍ وجَمالٍ خلدته تخليدا
وجعلتَ الكواكب الزُّهر سُرْجاً ورُجُوماً وزينةً وجنودا
جاريات في سمتها من قديم لا حُيُوداً في سَيرها أو شرودا
آية تملأ التقيَّ خُشوعاً ويكاد الجَحودُ ينسى الجحُودَا
إنما ظلّ يا إلهيَ فكرى في وُجود نلقى به التنكيدا
هل لخيرٍ ربّاهُ قد كان حتماً أن يجيء العذابُ فيه شديدا
هل يكونُ الوجود أحقرَ قدراً لو تكونُ الحياةُ عيشاً رغيدا؟
أم يُصيبُ النظامَ فيه اختلالٌ لو أقمنا به مُقاماً حميدا؟
عللونا وزينوا كلَّ قولٍ كلّ قول نرى له تفنيدا
انَّ من يبدع الوجودَ جديرٌ أن يقيم العذابَ منه طريدا
ذاك أو يخلق العقولَ جماداً أو تكونُ القلوبُ فيه حديدا!

« ٠ »

بهظتنا الحياةُ يا ربُّ هماً وشقاء فأفنتْ المجهودا
حطمتنا آلامُها ورمتنا بالدواهى وأنجزتنا الوعيدا
خدَّدَتْ خدَّنا الدُّموع اللواتى سِلنَ حتىَّ تركنه أخدُودا
غضَّنَتْهُ وهو الأسيلُ النقىُّ ثمَّ أذوت في وجنتيه الوُرُودا
وحنتْ قدَّنا ثقالُ الرَّزايا بعد أن كان ناعماً أملودا
حمّلتنا ما حمّلَتْهُ الرَّواسى ألماً قاتلا وحُزناً مديدا
فاحتملنا وما نفثنا شُواظاً أو لفظنا على الحياة وقودا
بل بكينا بعد الدُّموع دماءً ونطقنا مع الأسى تنهيدا
وصَبرْنا مذ قيل صبرٌ جميلٌ وجعلنا للصبر قلباً جليدا
وسلكنا مع الحياة طريقاً جعلته الحياةُ صعباً كؤودا

« ٥ »

هَلْ دَحَا اللّهُ هَاتِهِ الأَرضَ دَاراً … وقَرَاراً أم جَاحِماً مَوْقُودا ؟!

وَبَرَانا لِكَىْ نكونَ عِبَاداً … أم إلى دولَةِ العَذابِ عَبيدا ؟!

ليتَ شِعرى أرقعةُ الارض دَسْتٌ(١) … نَاوَلَتْهُ الأقدارُ رُوحًا مَرِيدا ؟

أم تُرَاهَا كَدُمْيَةٍ ذَاتِ خَيْطٍ … وَهَبَتْها مُدَاعِباً عِرْبِيدا

أم تُرَاهَا إِلَهةٌ تَتَسلَّى … أنْ تَرى رَهْطَها رُكُوعاً سُجُودا

« ٥ »

مَا نَظَرْتُ الحياةَ الاَّ تَرَاءَتْ … لى دُموعاً ولَوْعَةً وقيودا

لَسْتُ ألقى إلاَّ شجِيًّا بَكِيًّا … أو حزيناً أوْ وَالِهاً أو شَهيدا

كُلُّ شَىْءٍ سَنَنْتَهُ يا إلهى … قَدْ جَعَلْتَ الآلامَ فيهِ بُنُودا

هِىَ فى الحبِّ تَجْعَلُ الحبَّ جَمْراً … وفُؤادَ المُحِبِّ مُضْنًى عَميدا

وَهْىَ فى عَالَمِ الفضيلةِ سِجْنٌ … قيَّدتنا بقهرها تقييدا

وهْىَ فى عَالَمِ الودَادِ احْتمالٌ … واتِّبَاعٌ لِمَا يَسرُّ الوَدُودا

وَأراهَا خَلْفَ السُّرور نَذيراً … تَمزُجُ الكَأسَ عَلقَماً وَبَرُودا

وأراها مع التَّفكّرِ شَوْقاً … وَحَنِيناً ينْفِى لَدىَّ الهُجُودا

وأراهَا مِن حَيْرةِ الغدِ خَوفاً … يَجْعَلُ القَلْبَ راجِماً مَكْدُودا

« ٥ »

كلُّ حَىٍّ يَشكُو وكُلٌّ يُناجى … بِشقَاهُ إلَهَهُ المَعْبُودا

كلُّ حىٍّ مُلْقٍ على الكفِّ رأساً … حَامِلٌ صَدْرُهُ فُؤاداً شرودا

فاسألِ اللَّيْلَ هَلْ أظلَّ خَلِيًّا … واسأل البدرَ هل أضاء سعيدا

وا فُؤادى من أنَّةٍ تتهادَى … فى هَزِيعٍ حتَّى تَهزَّ الوجودا !

وا لنفسى من صَرْخةٍ فى الدَّياجى … وَنَشيجٍ مُرَدَّدٍ تَرْديدا !

يَخرقُ الصَّمْتَ فى الفضاء وَيَمْشى … فى حَشَا اللَّيلِ رَاجفاً مَهدودا

ايه ردِّدْ أخى بُكَاىَ وأمِّلْ … علَّ فى الكَوْن ساعداً مَمْدُودا

يا أخى انَّنى لِشكوَاىَ بادٍ … ذى دُموعى نَضَّدْتُها تنضيدا

تونس :

محمد الحليوى

---

(١) الدست : رقعة الشطرنج .

حينما ...

حينما أمضتْ ذكاءُ يومَـها واستكانتْ للغروبِ المقتربْ
أخذتنى سنةٌ يا شؤمَـها ! فانطوت مسرعةً صُحْفُ الكتُبْ
غير أن العقل عاتٍ لا ينامْ

شالَ بى طيفٌ الى فوقْ الغمامْ وارتقى بى فوق آكامِ السُّحُبْ
واستمرَّ الطيف يسرى باهتمامْ فى ظلام الليل لا يشكو التعبْ
ومضى الطيفُ وئيداً فى الصعودْ

بانَ لى الكونُ كئيباً فى خمودْ ليس من حىٍّ أمامى يضطربْ
غير أنوار بدتْ لى من بعيدْ تتراءى فى اضطرابِ المرتقبْ
ثم قال الطيف: هلَ ثمَّ سؤالْ ؟

قلتُ: مهلاً إنما الدنيا بحالْ ما عهدناه على كرِّ الحِقَبْ
أخمودٌ فى ظلامٍ وظلالْ ؟ ذاك أمرٌ عجبٌ أىُّ عجبْ
بسمَ الطيفُ حزيناً واشارَا

يا إلهى : إن أمراً قد أثارا فى محيط النفس هَوْلاً يصطخبْ
ربَّ إن الامر قد أشعل نارا أخذت بين ضلوعى تضطربْ !
واستدار الطيفُ نحوى قائلا :

هل تريد الارض نوراً شاملاً ؟ حسبها الآن دُخانٌ ولهبْ
أتظن النورَ يبقى كاملاً ؟ فوق أرضٍ كل ما فيها تعبْ ؟!
فوق أرضٍ لقنت فتيتَـها : « خن أخاك اليومَ فالليلُ اقتربْ »
وأشاعت بينهم حكمتَها : « لك عيشُ اليوم، إنَّ الغد خَبْ » (١)
ثم قال الطيف لى حين الرجوع :

إنَّ ما أبصرتَ من نورٍ يروعْ مَنْ يراه فى ذبولِ المكتئبْ
قَبَسٌ قدْ لاح مِنْ خلف الربوعْ مُشرِقٌ بين القبورِ والترابْ !

محمد ابو الفتح البشبيشى

(١) خداع



قميص النوم

(كان الشاعر مريضاً فارتدى قميص النوم فشفى)

يا ليـلةً سنــحت فى العمر وانصرمت هلاّ رجعتِ وهلاّ عاد أحبابى
يا ليت شهدك إذ لم َيبـق لى أبداً لم يُبق فى القـلب تذكاراً من الصابِ
لم أنسَ مُـهديتى جلبابَها وعلى جسمى من السقــم منها أىُّ جلبابِ
قميصُ يوسف ردّ العينَ مبصرةً ففاز بالنــورِ ذاك المطرقُ الـكابى
وأنتَ لو أنّ روحاً أزمعـتْ سفـراً أعدتَها وخيالُ المــوت بالبابِ
فذُدْ خيالَ المنايا اليومَ عن رجلٍ أنشبنَ فى روحه أشباهَ أنيابِ
وإن عجـزتَ فـكن فى الموت لى كفناً أمتْ والتى إلـهى غيرَ هيّابِ !

ابراهيم ناجى



مملكة السحر

هذا ضجيجُ الليالى سُدّتْ به أذناكا
فلستَ تسمع شكوى من مستهامٍ دعاكا
وأنت فى ظلمةِ النو رِ لا ترى عيناكا
فما تـكاد ترانى فى حين أنى أراكا !



هـذا مداىَ قريبٌ فأين منّى مداكا ؟
أكبَرت وصلى دلالا وأكبرتْ ذكراكا
حبّيكَ فى الأرض لكن فوق السما مثواكا
لكننى من غرامى وحيرتى فى هواكا
صوّرتُ منكَ خيالا متى أراه أراكا !

* * *

لا نال قلبي مُناه إن كان قلبي سلاكا
أنت الذى تتجنّى معذّباً مضناكا
فما لقيتك إلا كما التقى جفناكا !

* * *

يا ذاهلا عن غرامى تدلّلاً . . رُحماكا !
خلفتَ جسماً طريحاً لا يستطيع حراكا
لكنه مِن هواه يطير حين يراكا
ملأتَ قلبيَ حبّاً ولم أعد أهواكا
فلو طلبتَ مزيداً لما أصبتَ مُناكا !

* * *

يا واحداً فى عُلاه تحيةً فى عُلاكا !
لقد ترقّقْتَ حتى شابهتَ منى هواكا
فلو تحوّلتَ نوراً لكان طرفى احتواكا
ولو تحوّلتَ خمراً لكان ثغرى احتساكا
ولو تحوّلتَ روضاً وقد نشرت شَذاكا
لكنتُ فيه فراشاً أرفّ حول سناكا
وكنتُ قضّيتُ عمرى أحسو رحيقَ جَناكا !

م. ع. الهمشرى

زهرة النفس فى الربيع

ما بين يومٍ وليلٍ كستك (١) خضرُ الغصونْ
ما كنتِ بالامس الا رسماً لقلبِ الحزينْ
لو تصبح النفسُ يوماً فى مثل حُسن ازدهاركْ !
يا نفسُ خلّى الامانى وهوّنى فى ادّكاركْ
دَعِى الصبا والتناجى دَعِى الهوى والفتونْ
طوفى بها عند روضٍ قبلَ انسكابِ الصباحْ
حتّى بها نَوْرَ زهرٍ تَسفى عليه الرياحْ
وودّعيها وداعاً ولا تخافى العيونْ !
هناكَ زَهرٌ قديمٌ وأفرعٌ ذابلاتْ
مصفرّةٌ فى ترابٍ كأنهنّ الرفاتْ
تململَ المرجُ منها فحطها للمنونْ !

* * *

قد خنتَ يا مَرْجُ عهداً قد خنتَه يا قاسى
ولم تزل لكَ جاراً يا مرجُ ، هل أنت ناسى ؟
فاذرفْ نداكَ عليها كدمعةِ الياسمينْ !
قسوتَ يا روضُ انى أرى ربيعَكَ يجنى
ولستُ أهتف يوماً اليكَ يا شجوُ عنى !
فالشجوُ زهرةُ نَفسى ورىّ زهرِ الفنونْ !

* * *

ولو أطاع فؤادى وليس لى بالمطيعْ
فللرياضِ ربيعٌ وليس لى من ربيعْ
ولو رميتُ شجونى فرميهنّ شجونْ !

رمزى مفتاح

---

(١) الخطاب لخميلة الفها الشاعر

الختام

عجباً لقلبٍ هيضَ منك جناحُهُ — وجرى به نصلُ الندامةِ يذبحُ
ومضى الحِمامُ يدبّ فيه فان جرت — ذكراك طار اليك وهو مجنَّح
لهفى على الناقوس بين جوانحى — وعلى بقية هيكل لا تصلح
لا فرق بين انينه ورنينه — وصداه فى وادى المنية أوضح
ياقلب ! صهباء الهوى وبساطه — وكؤوسه المتجاوبات الصُّدَّح
وقف على متنقلين على الهوى — يبغون من لذاته ما يسنح
متبدّلين موائداً وأحبة — ما خاب من حب فآخر يفلح
فالحبُّ آسيه وراء عليله — فيهم وبلسمه على ما يجرح
ياقلبُ ! ويح ثباتنا ما ذا جنى — أترى شعاعاً فى البقية يُلمح !

« • »

يا أيها الحبُّ المقدّسُ هيكلا — ذاق الردى من عابديك مسبّح
كثرت ضحاياه وطال قيامه — وصيامه فتى رضاءك تمنح ؟
يا دوحة الارواح يُحمد عندها — فىءٌ ويعبد زهرها المتفتح
أينال ظلك والرعايةَ عابثٌ — بجلالك البادى وآخر يبرح
ويبيت يُحرمه قتيل صبابة — قضى الحياة الى ظلالك يطمح
ليلى ! حببتك كالحياة وذقتُ فى — ناديك كأساً بالأمانى تطفح
فتكسرت قدح المنى ورجعت من — سقم الهوى وهزاله أترنح
نزل الستارُ على الرواية وانقضت — تلك الفصول وفُضَّ ذاك المسرح
فالآن يا ليلى سلام مودّع — باكٍ خيالك ليس عنه يبرح
يجزيك عن قلبٍ ذوى نبتُ المنى — فيه وفارقه الربيعُ المفرح
عمراً سيلبث رهنَ حبك كله — يُمسى على ذكراك فيه ويصبح !

ابراهيم ناجى

انا أبكيك للحب

لستُ يا أمسىَ أبكيكَ لمجدٍ أو لجاهْ
سلبته منّيَ الدّنيا ، وبزّتنى رداهْ
فأنا أحتقرُ المجدَ ، وأوهامَ الحياهْ

* * *

أوْ لعُمْرٍ ، بلغتْ منه اللّيالى منتهاهْ
وتلاشتْ فى خضمّ الزّمنِ الطاغى قواهْ
فأنا ما زلتُ فى فجر شبابى أو ضُحاهْ

* * *

لا ، ولا أبكيك يا أمسى ، اذا ما قلت «آهْ»
لنعيمٍ ، لم يَنلْ قلبيَ منه مُشْتهاهْ
فبنُو الايام فى الدنيا كما شاء الإلهْ

* * *

إنما أبكيك للحبّ ، الذى كان بَهاهْ
يملكُ الدنيا ، فأنّى سرتُ فى الدُّنيا أراهْ
فاذا ما لاحَ فَجْرٌ ، كان فى الفجر سناهْ
واذا غرّد طيرٌ ، كان فى الشّدْو صداهْ
واذا ما ضاع عِطْرٌ ، كان فى العطر شذاهْ
واذا مارفّ زهرٌ ، كان فى الزّهر صِبَاهْ
فهو فى الكون جمالٌ ، يملك الأُفقَ ضِياهْ
وثُوَشّى هذه الأكوانَ بالسّحر رُؤاهْ
وهو فى قلبي ـ الذى عانقه الفجرُ ـ إلهْ !

عبقريُّ السحرِ، مِمراحٌ، وديعٌ فى سماه
يَنسجُ الأحلامَ فى قلبي بأضواء الحياه
ويُغنيني، فأنسى فى مسرَّاتِ غِناه
كلَّ ما فى الكون من حزنٍ وأفراحٍ عداه!

أبو القاسم الشابى



الأمـــل

يا ملاكاً له القلوبُ عبيدٌ
أنا واللهْ
بكَ مغرمْ

أنت ملء النهى وأنت بعيد
وبك الجاهْ
يتحرَّمْ!

أنتَ فى ظُلمةِ السمواتِ نجمٌ | يخطفُ العينَ لمحُهُ حين يسرى
يخفق القلبُ فى حبورٍ متى لا | ح، وإن غاب أرسل الدمعَ يجرى
أنت معشوقُ شاعرٍ بات يُزجى | لكَ من روض شعرهِ خيرَ زهرِ
يسهر الليلَ ينظم الشعرَ كالدُّرِّ (م) | دعاءً لفاتنٍ ليس يدرى
رُبَّ خودٍ فى رَيِّق العمرِ أصغتْ | لنُغامٍ مِن فيك يهمى بسحرِ
عسَّلتْ وقعَه ملائكة الحُبِّ | على أذنها بشهدٍ وخمرِ
سكرتْ منه فاستهامت وراحتْ | ترقبُ الخيرَ، فانقلبتَ لِشرِّ
غادرَتْها تلك البشاشةُ لمَّا | صَليَتْ من جحيم إفكِكَ وغدْرِ
آهِ.. يا مالكاً فؤادىَ، مهلاً | أنت تُخفى للقلب سوءاً لعمرى
إنْ تقلَّبتَ أو تمنَّعتَ يوماً | فرجائى ألا تُحقِّرَ شعرى!

مختار الوكيل

الأيام

تِهتَ ياصبُّ فجاءتْ تذكر العهدَ لديكْ
وتجنَّيْتَ فألقتْ قلبَها بين يديكْ
كيف بالله يذلّ الحسْنُ يا قلبي اليكْ
هكذا الأيام ! يومٌ لكَ والثاني عليكْ !

صالح جودت



الأبد الصغير

يا قلبُ ! كمْ فيكَ من دُنْيا مُحجَّبَةٍ كأنَّها حين يبدُو فجرُها « إرَمُ »[1]
ياقلبُ ! كمْ فيكَ من كونٍ ، قد اتقدتْ فيه الشُّموسُ وعاشَتْ فوقَهُ الأُممُ
ياقلبُ ! كمْ فيكَ من أفقٍ تُنَمِّقُهُ كواكبٌ تَتجلَّى ، ثُمَّ تَنعَدِمُ
ياقلبُ ! كمْ فيكَ من قبرٍ ، قد انْطفأتْ فيه الحياةُ ، وضجَّتْ تحتهُ الرِّمَمُ
ياقلبُ ! كمْ فيكَ من غابٍ ومن جبَلٍ تدْوِى به الريحُ أوْ تسْمو به القِممُ
يا قلبُ ! كمْ فيكَ من كهفٍ قد انبجست منه الجداولُ تجْرِى مالها لُجُمُ

---

(١) إرم مدينة أسطورية أحاطتها الخرافات بجوٍّ خياليٍّ مسحور ، فزعمت انها بُنيتْ على حافة الجنة : أرضها من مسك وقصورها من خالص الذهب واللؤلؤ والمرجان وسماؤها من سحر مرصَّع بالأحلام . . ، وأنها لا زالت إلى يومنا هذا فى صحراء العرب ولكنها محجوبة لا يراها أحد . . .

تمشى..، فتحملُ غُصنا مُزهِراً نَضراً أوْ وَرْدةً لمْ تُشوِّهْ حُسنَها قَدَمُ
أوْ نخْلةً جرَّها التَّيار مُندفِعاً إلى البحارِ، تُغنِّى فوقَها الدِّيَمُ
أو طائراً ساحراً ميْتاً، قد انفجرَتْ فى مُقلتيهِ جراحٌ جَمَّةٌ ودمُ
يا قلبُ! إنك كونٌ، مُدهِشٌ عجَبٌ إنْ تسألْ النَّاسُ عن آفاقه يجمُوا
كأنك الأبدُ المجهولُ.. قد عجزَتْ عنكَ النُّهى، واكفهرَّتْ حولكَ الظُّلَمُ

« • »

يا قلبُ! كمْ من مسرّاتٍ وأخيلةٍ ولذَّةٍ، يتحامى ظِلَّها الألمُ
غنَّتْ لفَجْرِكَ صوتاً، حالماً، فرِحاً نشْوانَ، ثم توارتْ، وانقضى النَّغمُ
وكمْ رأى ليْلُكَ الأشْباحَ هائمةً مذعورةً تتهاوى حولها الرُّجُمُ
ورَفْرفَ الألمُ الدَّامى بأجْنحةٍ من اللهيب، وأنَّ الحزنُ والندَمُ
وكمْ مشتْ فوقكَ الدُّنيا بأجمعها حتَّى توارتْ، وسار الموتُ والعدمُ
وشيَّدَتْ حولَكَ الايامُ أبنيةً من الاناشيدِ، تُبنَى، ثم تنهدِمُ

« • »

تمضى الحياةُ بماضيها وحاضرِها وتذْهبُ الشمسُ والشُّطآنُ، والقممُ
وأنْتَ أنتَ الخِضمُّ الرَّحْبُ: لا فرَحٌ يبقى على سطحِكَ الطَّاغى، ولا ألَمُ

« • »

يا قلبُ! كمْ قد تملَّيْتَ الحياةَ، وكمْ راقصتَها مرِحاً، ما مسَّكَ السَّأمُ
وكمْ توشَّحْتَ من ليلٍ، ومن شفقٍ ومن صباحٍ تُوشِّى ذَيْلَه السُّدُمُ
وكمْ نسجْتَ من الأحْلامِ أرْديةً قدْ مزَّقتْها الليالى، وهيَ تبْتسِمُ
وكمْ ضفَرْتَ أكاليلاً مُورَّدَةً طارتْ بها زَعْزَعٌ تدْوِى وتحْتدِمُ
وكمْ رسمت رسوماً، لا تُشابهها هذى العوالمُ والأحلامُ والنُّظُمُ
كأنها ظُلَلُ الفِرْدَوْسِ، حافِلةً بالحورِ، ثم تلاشتْ واختفى الحُلُمُ

« ٥ »

تَبْلُو الحياةَ ، فتُبليها ، وتخلعُها وتستجدّ حياةً ما لها قِدَمُ
وأنتَ أنتَ : شبابٌ خالدٌ نضرٌ مثل الطبيعةِ : لا شيبٌ ، ولا هرمُ

أبو القاسم الشابي

الغـــد

غيب تذوب به أحاجي الساحرِ وسفينةٌ في عرضِ بحرٍ ثائرِ
وجموعهم في شطه يتزاحمو ن بكل قلب ثائرٍ او طائر
يهفو الى شبح السفين ليستبيـ ن حظوظه في كف دهر غادر
فكأنما طيرٌ على أغصانه يرنو الى ضوء الصباح الباهر

* * *

وأنا إذا هوت الأماني لا أرى بين المنى وصريعها بالخائف
وأرى غداً متألقاً ... في أفقه زهرُ المنى يصبو للثم القاطف
ياقلب لا ترهب غداً ... فلربما يحييك بالآمال لحن العازف
وورودُ روضك تنتشي بسلافه من ثغرِ حبٍّ صامتٍ أو هاتف

المهري مصطفى

الذكرى

ذكرى تمرُّ بخاطري الآنا أغضي عليها الدهر نسيانا
غرقت بلجِّ الليل آونةً وطَفَتْ على الايام أحيانا
ما كان أقسى ما تجدّدُه في قلب موتور بما كانا
مالجتُ منها حالتَيْ عجبٍ كنتُ الطروبَ وكنت اسوانا
جاهدتُ نفسي لستُ أذكرها وكأنما جاهدتُ إمعانا !

« • »

هَلْ أمست الذكرى تؤرِّقنى كالامس أم باتت تواسينى ؟
أين الحنين يلوح مُتَّئداً من لذعةِ التحنان تُضوينى ؟
هذا الجوى بردٌ على كبدى بعد الجوى يذكو ويصلينى
أتحاول الآلامُ ترضينى بنزوحها عنى الى حين
أم تترك الايامُ ربوتها للريح تذروها وَتُبقينى؟!

« • »

لى عنك آمالٌ تباعدنى وغداً يمن ترجوه آمالى
فاليك يا ذكرى مُهادنتى قد لا أُحِسُّ خيالك البالى
أسرفت فيما مرَّ من ألمى وطرحتُ ما أسرفتِ من بالى
اليوم يَحْيي فى الفؤاد هوى ورد الحياة وملء أوصالى
هذا الحبيب أبرُّ بى كنفاً وأحبُّ من مَحْبُوبِكِ الخالى

محمد فريد عبد القادر

لحن اليأس

الشاعر: فى ظلام الليـلِ والدنيا سكونْ صَاحَ بى يهتفُ بالشكوَى الأَمـلْ !
حَيْرَتَـا ! لم يَدْرِ حىٌّ ما يكونْ يا رفاقي خبِّرونى ؟ ما العملْ ؟ !

« • »

ما عسى يفعـل ذو القلب المُعَنَّى ماعسى يصنـع ذو اللبِّ الكئيب ؟
جُنَّ لي حينما حظى جُنَّـا زاد خطبى كلما وافت خطوبى
لو بِعَدنٍ عشت ما أحسست عدنَـا صاح انى آذنتْ شمسُ مغيبى
ودنا منى فوافانى الأجلْ !

اليأس : إيه ياشاعرُ! ان الكون مُلكى وعليه كنت جباراً عتيّا

لم أدعْ فى الخــلق آمالا لدرك لا ، ولو كـنت على الدنيا نبيّا
كـتب الله على الأيام سفـكى منـذ كان الدهـر فى المهد صبيّا !
إنْ بكيتَ اليوم فالـكلُّ سيبكى لن ترى عندى من الكل حظيّا !

الشاعر : عادلٌ أنتَ ! فما بال الورى فى سرورٍ وانا اليوم معَنَّى ؟
عادلٌ أنت ! فما لى يا ترى فى شقاء وسوايَ اليوم يهْنَا
قد مللتُ الآنَ من طول السُّرَى وبحظى البؤسُ فى الدهر تغنَّى
وجرى الدمعُ فأضحى أنهرا لم أجد فيـه ـ لِكَىْ أنجُوَ سُفْنا

اليأس : ايه ياشاعرُ ! أيامٌ ستمضـى كل ماتلقـاه شىء غـير باق !
فاقض حقَّ اليـأس فالـكلُّ سيقضى انّ كلا سوف يلقى ما تلاقى
كم سماءٍ بدلت منى بأرضٍ وجميعٍ آلَ حتماً لافتراق
بُحْ بما تشعر يا شاعرَ ! أفضِ وامـلأ الارض مع السبعِ الطباق

الشاعر: أيهذا اليأس قد أوديتَ بى أينما سرتَ بدا فيـك نصيبى
ربَّ حبٍّ لك يوماً سار بى أترى يا يأس هل كنت حبيبى ! ؟
صاحـبى ما كنت يوماً مـطلـبى أيهذا اليأس رفقاً بالغريب
أنا فى الدنيـا غـريبُ الـكوكب كوكبٌ هالتُهُ كل الخطوب!

اليأس : أيها الشاعـرُ قـد أطـربتنى ببكاه فوق تغريد البلابلْ
سرنى منك بـكاءٌ سرنى منك دمع فوق سفح الخـد هاطـلْ
ومن الآمال هيا فاقتن كلها ـ مهما بها خودعت ـ باطـلْ
وبلحنى فى البرايا غنى ان لحـنى مطـربٌ للنـفس قاتـلْ

الشاعر:أيها اليأسُ سـلامٌ بيننا دائمٌ لاينقضى طولَ الابدْ
بارك الله بذا الحب لنا لا يَرُدِكَ اليـوم من بعـدى أحـدْ
قد تصادقنا فإما مسَّنا أحدٌ كنا عليه كأحدْ
علَّنا يا يأسُ نصفو علنا من عداءٍ بيننا أو من حسدْ

اليأس : أيها الشاعرُ كم تسخرُ مني ان ذا يا شاعرى بعضُ الامل
من يصاحبنى على الدنيا يجدنى عن طباعى طول دهرى لم أحل
أنا يأسٌ ! أبعدْ الآمالَ عنى بى شقاء الناس فى الدنيا اكتمل
ولَسِيَّان عدوى مثل خدنى انا حربٌ للفتى طولَ الاجل
الشاعر : رباهُ ان اليأس بات معاندى فأخذت أجعل منه بعدُ صديقا !
حاولتُ أن يرضى لكى أحظى به ما كان يوماً باللقاءِ خليقا
لكننى رمتُ السلامة فانثنى وطغى فطوَّقنى الأذى تطويقا
ربَّ العنْ الحظَّ الكئيبَ فانه رغم الرضاء به غدا زنديقا !

عبد الغنى الكتبى

ليـــلة

يا ليلةً وصلتنا بالنعيمِ فِدًى لكِ الليالى التى ولَّتْ على حَزَنِ
فليتَ صُبحكِ لا يَغْشَى معاهدَنا وليت أنَّ نهار الناس لم يَكُنِ !

محمد مصطفى الماحى



أبلن أو أفولن وما ورد فيه من اللغات

ومعنى هذا الاسم

طالعتُ مراراً فى مجلتكم البديعة كتابة اسم أَبُلُّن بصورة (أبولو) ، والذى أراهُ انكم اتبعتم فى رسم هذا العَلَمَ الانكليز إذ يقولون Apollo أو اللاتين وهم يقولون Apollo فى حالة الرفع فقط . وهتان اللغتان تجيزان مثل هذه الصيغة

الاسمية . وفى هذين اللسانين أمثال هذه الصيغة شيء كُثار : من ذلك بلاطو Plato فى أفلاطون ويونو Juno فى يونون وجيجرو أوكيكرو Cicero فى جيجرون اوكيكرون ، الى غيرها.

أمّا العربية فلا تجيز مثل هذه الصيغة وذلك ان (أپولو) منتهية بواو ساكنة وإذا وقع فى كلامهم شبيه ذلك يلحق بآخره هاء ، فيشبه حينئذ : قمحدُوَة وترقُوَة وسنونُوَة لكى لا تسكن الواو بل تفتح .

أو ان تشدد الواو وتحرك فيأتى اللفظ حينئذ شبيهاً بقُوَّة وفوَّة وحُوَّة أو عَدُوّ وسُمُوّ وعُلُوّ الى غيرها ، وتُعَدّ بالعشرات .

وهناك طريقة ثالثة هى : ان يسكن ما قبل الواو ، ويحرك هذا الحرف بحركة الاعراب فى المعربات ، وبحركة غير المنصرف فى الأعلام الممنوعة من الصرف ، مثل بَدْو وشَدْو وعُلو ودَوّ فى الاوّل ، ونحو مَرْو (بالفتح اسم بلدة) و بِلْو (بالكسر من مياه اليمامة) وخَرْو الجبل أو خَرْو (لقرية فى ايران) .

وهناك علة أخرى لقولنا أبُلُّن أو أفُولُّن لا (ابولو) هى : انّ الأقدمين مِنّا هكذا سموهُ . قال ابن أصيبعة (١ : ١٥) : « وحكى انه وُجد علم الطب فى هيكل كان لهم برومية ، يعرف بهيكل أبُلُّن ، وهو للشمس » اه . وسمّاهُ فى موطن آخرَ : (١ : ٤٥) أفُولُّون . قال (١ : ٤٥) : « ان المركَّبَ الذى كان يبعث به فى كلّ سنة ، الى هيكل افولون ، ويحمل اليه (الى سقراط) ما يحمل ، عرض لهُ حبس شديد » اه .

وعرَّبهُ ابن القفطى بصورة أبُلُّن . قال (ص٧٢) : « ابلن الرومى حكيم طبائعى ، ويقال هو أوّل حكيم تكلم فى الطبّ ببلد الروم ، وكان فى الزمن القديم ، وهو أول من استنبط حروف اللغة الاغريقية ... وكان زمنه بعد زمن موسى بن عمران النبيّ عم ... »

وذكره صاحب دائرة المعارف بصورة أبُلُّون (راجع ١ : ٣٣١) والظاهر ان الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف اعتمد على هذا السفر حينما كتب مقالتهُ (١ : ١٣٢ إلى ١٣٤) لان العبارات فى الكلامين المذكورين تكاد تكون واحدة والاغلاط واحدة . فقد قال صاحب الدائرة : « ومن الحيوانات التى خُصصت به البجع والديك والباشق والذئب والغريفون والصرصور والبازى » ، وقال الاستاذ

المعلوف : « وخصص به من الحيوانات الذئب والبجع والصرصور والديك والباشق والبازى » اه. وأهمل الغريفون . وكلاهما ذكر البجع. وهو وهم ظاهر لان البجع هو Pélican والمخصص به كان القنقس Cygne وهو الذى سماه الدميرى « التمّ » وبعضهم « إوزّ العراق » (راجع « لغة العرب » ٨ : ٣٥٩)



الاب انستاس مارى الكرملى

وكلاهما ذكر الباشق والبازى والصواب : النسر Vautour والبازى (راجع فى هذا البحث معلمة لاروس الكبرى ١ : ٤٨٤) . وكلاهما ذكر بين النباتات « التمر الهندى » (كذا فى دائرة المعارف أى بتثليث ثاء الثمر والصواب « التمر الهندى » بمثناتين . وذكره الاستاذ المعلوف بصورة التمر هندىّ . والصواب « التمر الهندى » الذى هو الحُمَرَ (بضم ففتح) ولم يذكر كلاهما النخل مع انه كان موقوفاً عليه.

وفى الدائرة (ص ٣٣٢) ما نصُّهُ : « وقد قال هيرودوتوس المؤرخ ان اسمه عند المصريين هوروس » ، وقال الاستاذ عيسى (ص ١٣٣) : وذكر المؤرخ

هيرودوتوس ، أن اسم اپولون عند المصريين هوروس » . قلنا : وفى قول الاثنين هيرودوتوس وهوروس غلطان : الأوّل ان هيرودوتس تكتب بلا واو بين التاء والسين ، لان الأحرف العليلة عند اللاتين واليونانيين تقسم قسمين : قسم العليل المقصور وقسم العليل الممدود . والمقصور يقابله عندنا احدى الحركات الثلاث والممدود يقابله احدى أحرف العلة الثلاثة . فهيرودوتس Herodotus مقصور الآخر فكان يجب بلا واو على حدّ ما فعلنا هنا . وأما هوروس فصحيح لفظه « حوريس » بحاء فى الأول وياء وسين فى الآخر ، كما أثبته أحمد كمال فى كتابه بغية الطالبين ص ١٧٩ و ١٨٩ والمؤلف حجة فى الالفاظ المصرية القديمة .

بقى علينا أن نثبت صحة كتابة Apollon فى لغتنا ، وعندنا ان أحسن صورة له هو « ابولن » أو « افولن » ولا فرق عندنا أن يكون بالباء الموحدة أو المثلثة أو بالفاء كما قالوا : اصبهان واصپهان واصفهان ، واشباه هذين المثالين أكثر من أن تحصى ومعروفة عند السلف ، انما المهم أن نعرف الحرف الثالث ، أيكون واواً أو لاماً مشدّدة بعد حذف تلك الواو ؟

قلنا : الأحسن ابقاء الواو والسبب هو ما تقدم ذكره من أم الحروف العليلة المقصورة والممدودة لأن الحرف الغريب الأوّل فى Apollon ممدود ويقابله عندنا الواو ، وأما الحرف الثانى الدخيل الذى فى آخر الكلمة فقصور ويحاذيه عندنا الضم غير الصريح عند قوم ، أو الصريح عند قوم آخرين ، ولهذا نقول « ابولن أو افولن » على ان الذى يقول : « ابلن أو افلن » يزنهما أو يزن كلاً منهما وزناً عربياً هرباً من التقاء ساكنين ، أولهما حرف علة ، وهو قبيح ومكروه فى نظر الصميم من الصرفيين والنحاة واللغويّين ، وإن كان قد ورد فى لغتنا ما يقارب هذا التركيب كقولهم دابّة ودويبة وغيرها .

وحذف الواو من أبلن قديم من عهد الجاهلية . نستدل على ذلك من أسماء المدن التى سمّاها به اليونانيون أو الرومان فى ديار الشرق ، حينما كانوا فيها . من ذلك الأُبُلَّة وهى من أنحاء البصرة . وآبِل (كصاحِب) وهى اسم أربعة مواضع كلها فى سورية . وكذلك أُبْلِيّ (ككرسيّ) جبل عند اجأ وسلمى . وأُبْلَى (كحُبْلَى) لجبال فى الحجاز . فهذه وغيرها كلها باسم ابلن أو اوأبولن ، الا ان العرب الأقدمين لم يعرفوا مدناً قديمة باسم « افلة أو أُفليّ أو آفِل » أو نحوها اللهم الاّ أن يقال ان « عَفشُولة » التى فى مرج ابن عامر ، و « عفلان » لجبل فى

نجد ، و« عفلانة » ، لماءة عادية فى نجد أيضاً هى كلها من هذا القبيل .

أمّا كتابة النون فى آخر ابولن أو أفولن فضرورية على كلّ حال لأنها تظهر فى اللاتينية نفسها فى غير حالة الرفع ، فيقال Apollonis مثلاً فى حالة الاضافة ، وأما فى اليونانية ، فانها ترى متصلة به لا تفارقه أبداً فى جميع وجوه اعراب الكلمة بلا شاذ واحد . ولهذا نرى من الواجب أن تكون تلك النون فى اللفظ العربى اتباعاً للأصل .

معنى أبُولُّن

لم يتفق العلماء على معنى اسم هذا الاله ، وسبب هذا الاختلاف عدم معرفتهم أصله . فلقد تضادّت الآراء فى أصل موطنه الأول حتى ليحار المرء فى اتباع واحد منها ، لأن منهم من قال انه إله شمسىّ كان يعبد فى غربى آسية ، مثل « بعل » أو « أدونس » السورى وهو « مِهْرُ » أو « مِتْرَا » عند الفرس ، ولهذا ذهبوا الى أن أصله آسوىّ ، وآخرون قالوا انه « حِسْر » (اى ازوريس) المصرى بنفسه أو حوريس أو « رع » أو « فَرَعْ » ، واما الأكثرون وفى رأسهم اتفريد ملر Otfried Müller العلامة الشهير ، فانهم يقولون بان أصله الحقيقى هَلَّنى ولا صلة له باىّ معبود آخر. وفى هذا الحدس الاخير لا تتفق الاحاديث الخرافية فى البلد الذى وُلد فيه : فالالياذة ترى انه وُلد فى لوقية ، ونشيد هُومَرِىّ يجعله يولد فى ذيلس ، ثم جاءت المأثورات بعد ذلك وروت انه وُلد فى الغابة المقدسة غابة أرتوجية وهى قريبة من أفسس ؛ ومأثورة أخرى تزعم أنه وُلد فى تجورة فى بيوتية، أو فى زستر فى اتيكة إلى آخر ما هناك من الخلافات التى لا تُحصى ولا تستقصى .

وعلى كل حال ان الذين يذهبون انه هَلَّنىّ الاصل ، لا يقولون أبداً أن معناه « الهدّام » كما قاله معرب الالياذة سليمان البستانى (ص ١٢١١) ، فهذا أحط الآراء وأسخفها ، لانه يشتق اسمه من الفعل اليونانى Apollumi وهو خطأ لا يذهب اليه إلا المبتدئون فى درس اللغة اليونانية . وكيف يُنعت الاله بالهدّام ، والناس لا تريد أن تعبده إلا ليكون محيياً قوياً معمراً مشيد أركان البيوت ومؤيدها ، بما فى مكنته من الوسائل الالهية التى فى أيديه ؟ — وعليه يجب أن يكون معناه عاملاً نشيطاً فعالاً محسناً إلى البشر ، لا متلفاً مخرّباً هدّاماً . فهدم الصفات

لا تلحق إلاّ بالأرواح النجسة الخبيثة ، أرواح الشياطين دون غيرهم .

وقدعدد العلاّمة اميل بواساك صاحب معجم أصل ألفاظ اللغة اليونانية آراء جميع من تقدمه من اللغويين الثقات وجميع من عاصره إلى يومنا هذا وبيّن فسادها الواحد بعد الآخر (راجع كتابه فى الصفحة ٧٠)

Emile Boisacq. - Dictionnaire étymologique de la lungue grecque. Paris, 1923.

وذهب إلى أن أبولن من أصل افل Apel الذي يعنى رقّى وأقام وبعث ونشر وأنمى إلى أمثال هذه المعانى . فيكون مؤدى اسم هذا الاله : « النشيط الناشر المرقى الخالق المبدى » .

قلنا : هذه المعانى لا ترى فى لغة من اللغات المعروفة اليوم فى ديار الغَرْب ، بل ترى فى اللغة العربية ، فقد قال علماء لغتنا أفِلَ الرَّجُلُ كَفَرِحَ ، اذا نشط فهو آفِلٌ . كذا فى النوادر (التاج) . أفرأيت كيف ان اللغة الضادية تحلُّ المعقدات ، وتفكّ المقفلات ، وتزيلُ المشاكل ، بينما أن سائر اللغى تبقى صامتةً لا تبدى حراكاً ؟

زد على ذلك ان وزن فَعْلُون لو قلنا : « أفْلُون » يدل على نوع من المبالغة ، فى الأعلام كما فى النكرات فزَيْدون وسَعْدون وخَلْدُون تدل على كثرة الزيادة والسعادة والخلود فى من سُمّى بأحد هذه الاسماء ، فيكون معنى افلون : « العظيم فى نشاطه » وأعمال النشاط لا تحصى . وأما فى النكرات فكقولك زَيْتون وليْمون وشَيْخون . فكل هذه الألفاظ تدل على كثرة فى الزيت واللّيْم (الماء أوالعذب منه) والشيخوخة . قال فى التاج فى مادّة ش ى خ : «قال شيخنا : الثانى (شيخون) غريب غير معروف فى الأمهات المشهورة وأورده بعض شراح الفصيح وقالوا : هومبالغة فى « الشيخ » : من استبانت فيه السن وظهر عليه الشيب . . . » فهذا ما يدعم رأينا فيحمل أفلون عليه ، وعلمه فوق كلّ ذى علم .

بغداد : الأب انستاس مارى الكرملى

(نشكر لأستاذنا الجليل بحثه الممتع ونكرّر اننا لا نرى اسم « أبولو » أثقل من اسم « ارسطو » الشائع بل من أخفّ الاسماء نطقاً ، وهو رأىٌ يشاركنا فيه كثيرون من القرّاء . بقى أن نشير إلى أنّ الذوق الموسيقى فى اللغة واحترام التقاليد فى تعريب الاسماء أمرٌ قابلٌ للتهذيب فى مختلف الازمنة ، ولا يضيرنا استعمال الصيغة الانجليزية إذا اعتبرناها أخفّ وألطف من غيرها، وقد استعملها المغفور له شوقى بك فى أبياته الرقيقة كما استعملها خليل شيبوب وغيرهما من شعرائنا الممتازين — المحرر) .



موسيقية الشعر العربى

— الوزن والقافيـة —

ان أحسن ما يُطلب اليوم فى التعابير الحيوية «الموسيقية التلفظية » التى جهلها السلف الكرام وخصوصاً التعابير الأدبية فى النظم والنثر . إننا لا ننكر أن القوم ذكروا لفصاحة الكلام حدوداً منها « عدم تنافر الكلمات » ولكنهم لم يتمكنوا من وضع مقياس لهذا التنافر فبقى مستنداً الى الذوق وما زال الذوق غير قياسى، حتى قالوا فى بيت ابى تمام :

كريم متى أمدحه أمدحه والورى معى ، واذا مالمتُه لمتُه وحدى

انه غير فصيح لتنافر كلماته ، ولو قرأوه على مقياس « الموسيقى التلفظية » لم يضعوه ذلك الموضع المعيب ، فانه متسق الكلمات منقادها مسمحها ، لا تتضارب حروفه ولا تصطدم أصواتها ، ولو صح قولهم فيه لصح فى قوله « ولا تزر وازرة وزر أخرى » من تواتر الواوات والزايات والراءات ، والحق الذى لاريب فيه أن موسيقية الآية مطردة . والموسيقى التلفظية تشمل الاوزان والقوافى والكلمات والحروف،وما هى الا « تعدد اللفظ بحسب أحرفه وتعدّد صوته على حسب مخرجه بلا تصادم فى الالفاظ محدث لاصطدام الاصوات » فالشعر يجب أن يبحث فيه عن

هذه الخصيصة كما يبحث عن قوته وبراعته فهى مساعدة له على كثرة تأثيره فى النفوس وملاءمته للطباع وثارته لخوالج العواطف، فان الشعر قد يستقبح لسوء وزنه وخشونة قافيته وهو خلو من بشاعة المعنى سالم من الابتذال . وكذلك القول فى النثر ، وها نحن أولا نبسط للقارىء الادلة :

(١) موسيقى التلفظ للاوزان والقوافى

مضى على الشعراء عصور كانوا فيها يباهون بارتكابهم أصعب الاوزان وتعلقهم بأغرب القوافى الثقيلة القليلة حتى أن أحد ملوك الاندلس (ابا يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن) كان يقترح على الشعراء عروض الخبَب لاستصعابه اياه فكانوا يتبارون فيه ، ولذلك انشده على بن حزمون المرسى قصيدة على ذلك البحر أولها :

حيّتك معطرة النفس نفحاتَ الفتح بأندلس

فاستجادها واستحسنها[1] وهذا أكره ما سمع عن مغرم بالأدب لانه قد قيده بأصفاد صدئة فكيف يجتمع الغرام والصفو ؟ تأمل القصائد الشهيرة ودواوين الشعراء الفحول تجد حسن اختيارهم للبحور والقوافى واضحاً . ألا ترى الى قول امرىء القيس أو قول أحدهم عن لسان حاله :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فانك تجد له رقة وموسيقى وتأثيراً لاتجدها فى قولى انا للتمثيل :

تعاليا نبك بذا المنزل دار حبيبي ذكره مقتلى

وإن كان فى البيت الثانى من المعنى ما هو أوجه وأوسع ، ثم انظر قولى :

قفا نبك من ذكرى الحبيب المزايل بسقط اللوى بين الذُرا فالحوامل

تجده بالنفس أليق وبالعواطف أمس[2] لان الامتداد اللفظى (من موسيقى التلفظ) فى « المزايل » و« الحوامل » أشد إثارة للروحية العربية من القافية الأولى « منزل » و « حومل » فقد تطور الوزن بهذه الزيادة اللفظية تطوراً محزناً للقارىء وليس المراد هنا الا التحزن ، ثم ان قولى :

قف نبك من ذكرى الحبيب الراحل عند اللوى الى الدخول الماحل

---

(١) المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ص ١٩٤

(٢) دخول الباء على معمول اسم الفاعل واسم المفعول بدلاً من لام التقوية مطرد فى كلام العرب وهو من القواعد التى استدركناها على العلماء ونشرنا بعضها فى مجلة المعرفة ومجلة الكلية للجامعة الاميركية ومجلة لغة العرب .

ليس فى رجَزيّته مثلُ ما فى تلك الامتدادات من اللباقة واللطافة والتحزن، والسبب ان المقام مقام توجع وتريث لامقام نخار وتسرع ، ومقام ترفق وبكاء لا مقام تهدد وتوعد ، وهذا شيء يعرف بالشعور والذوق الموسيقى المعروف المقياس، وبهذا الذوق الموسيقى يجد العاطفى قول عبيد بن الأبرص« أقفرمن أهله ملحوب» أنموذجاً لمخالفة الشاعر لمقتضى الحال فى الأوزان ،وتأمل قولى :

قفا فهنا البكاء على الحبيبِ قفا نضفِ البكاء الى النحيبِ

وهو من الوافر، ترَهُ أرق وأوقع فى النفس وأدل على مقتضى الحال ،فالوافر أحياناً أحوى للرقة مما تقدم وأوصف للحزن وأنسب باثارة العواطف، وبه نالت الشرف الخالد والتالد ومحالفة الاجيال والقرون مرثية ابن الانباري للوزير ابن بقية :

عُلوٌّ فى الحياة وفى الممات لَحق أنت احدى المعجزات

وبه سالت الرقة وتناثرت العواطف وتجسمت الحسرات فى مرثية تماضر الخنساء لاخيها وهى :

أفيقى من دموعك واستفيقى وصبراً إن أطقت ولم تطيقى

فالرثاء إذن والتوجع والتألم والترفق تستوجب الوافر وما قاربه[١] للعلل السابقة التى بسطناها من لزوم كون الوزن موافقاً لموضوع الشعر، فتقاطيع الوافر موافقة للبكاء والتحزن على حسب الطبيعة العربية وعلى هذا يجب أن تُستقرى بحور الشعر العربى ويخصص البحر أو أكثر من البحر بحال من أحوال الانسان وروحية من روحياته .

أما موسيقى التلفظ للقافية فواجب مراعاتها ـ كما قدمنا ـ لان نوع تصويت الفم بالقافية هو من الموسيقى فى القراءة ، ويحدث تأثيراً وافراً فى الاسماع ، وها نحن أولاء نذكر البيت الواحد مكرّراً باختلاف القافية فيه مع الحفاظ على الوزن لتظهر صحة ماذكرناه فانظر هذين البيتين :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

قفا نبك من ذكرى حبيب وملعب بسقط اللوى بين الدخول فرحب

تجد أن الباء أرق وأحق بهذه الحال من اللام ، ثم تأمل هذين البيتين :

قفانبك من ذكرى حبيب وملعب بسقط اللوى بين الذرا فالحوامل

قفانبك من ذكرى الحبيب المفارق بسقط اللوى بين الدخول فعالق

تجد القاف أرق وأوقع فى الحسّ وأدنّ فى الأذن وأحزن من اللام ، وبهذا المقياس ترى الفرق بين البيتين الآتيين :

(١) كالبسيط وهو الذى خلّد : (أضحى التنائى بديلاً من تدانينا)

أفيقى من دموعك واستفيقى وصبراً إن أطقت ولم تطيقى
أفيقى من دموعك واستجيبى وصبراً إن أجبت ولم تجيبى

ولهذه الاسباب الموسيقية ترى اكبر القصائد العُصْم المجوّدات « رائيات » لان الراء أرق الحروف العربية فى التقفية ، وقافية الراء هى التى ساعدت كثيراً مع الوزن على خلود قصيدة الكاتب الأبرع ذى الوزارتين أبى محمد عبد المجيد بن عبدون التى يقول فيها :

الدهرُ يفجع بعد العين بالأثرِ فما البكاءُ على الاشباح والصُّوَرِ ؟

وهى التى أظهرت الجمال اللفظى فى قول ابى العتاهية اسماعيل بن القاسم :

لهفى على الزمن القصير بين الخورنق والسدير

فكأن الراء « وعاء رقة وحنان وتحزن فى الشعر العربى » بل ان كثيراً من القصائد غير الرائية لو استبدلت الراء لقافيتها لكان لها شأن غير شأنها الأول. والراء تشبه أصوات الاوتار ولا سيما الزير ولذلك ترى الموسيقى الفرنجية تتخذها أرق النغمات فى سلم الالحان ، فهذا شىء مجمع عليه . ويلحق بموسيقى القوافى حركاتها فان الضمة والكسرة والفتحة أحرف مضمرة اذا أشبعت رجعت الى أصولها فلذلك يكون لها تأثير بليغ فى مقتضى الحال وكل حركةَ منها تناسب حالا وتستحبّ له على غيرها ، ألا ترى أن بيت الخنساء المتقدم آنفاً المكسور القاف اذا حول الى هذه الصورة :

أفيقن من دموعك واستفيقا وصبراً إن اطقت ولم تطيقا

يبتعد عن الرقة قليلا لأن القاف رقيقة والفتحة لاتوافق رقتها لتضخم رنينها بعكس الكسرة، ثم إذا حُوِّل البيت الى :

أفيقوا من أساكم واستفيقوا وصبراً إن تطيقوا ولم تطيقوا

ابتعدت القاف عن الرقة اكثر من ابتعادها عنها بالفتحة ، ولا يلزم من قولنا هذا ان الضمة تأتى دواماً للخشونة ولا أن الكسرة دائمة للرقة ولا أن الفتحة لما هو بين بين لان الحال تختلف باختلاف الحرف ، ولكن أحسن ما يقال فى الضمة « انها لا تناسب الرقة لتطابق الشفتين بصوتها وهو الى الخشونة أميل » فما يسميه علماء اللغة وآدابها بـ « تنافر الحروف » انما هو تعاكس الموسيقى التلفظية بين أحرف الكلمة ، فذلك مانع من اتساق الاصوات الحرفية الطبيعية ، والموسيقى

الرقيقة فى الحرف فى تحالفة أينما حل ومع أى حرف ائتلف . وكما تُراعى موسيقى التلفظ فى الكلمة الواحدة يجب مراعاتها فى الجملة والتعبير ، واذا تخالفت الموسيقى بين الكلمات قبحت وصعب النطق بها وقل تأثيرها ، وقد قدمنا انهم سموه تنافر الكلمات ولكنهم لم يتخذوا له من الموسيقى مقياساً وذلك ما سبب الاختلاف والاضطراب ؟

بغداد: مصطفى جواد





ابن رشيق

رأيه فى الشعر والشاعر

دخلت إلى درس عمدة ابن رشيق وفى نفسى له إجلال واكبار ولدىَّ آمال عريضة فى أن أخرج من هذا الدَّرس بمذهب شامل فى نقد الشعر وطريقةٍ محكمةِ الوضع بين تناول الآثار الادبية والحكم عليها ونظرةٍ عالية الى وظيفة الشعر والشاعر فى الحياة ـ وكان عندى مبرر لهذا التفاؤل وهاته الآمال الغزار وقد قرَأتُ تقاريظ كثيرة لكتابه وسمعتُ فى مجالس الأدب ثناءً حاراً على براعة نقده ودقة نظره وإصابة مرماه . ورأيتُ ابنَ خلدون يذكره فى عدة مواضع من المقدّمة ويثنى عليه ويجعله ثانى اثنين فى أفريقيَّة فى الادب ويجعل كتابه نمَطاً فى النقد لم يسبق اليه ولن يكتب بعده نظيره . وابنُ رشيق بعدُ من أهل القرن الخامس للهجرة وهو قد عاش فى عصر نضجت فيه العلوم العربية ودونت واستقلت فنون الآداب وانحدرت

اليه كتبُ أهل القرن الثالث مثل كتب ابن قتيبه والجاحظ وابن سلام وفيها النّـواة الأولى لفن النقد الأدبى ثم انحدرت اليه كذلك كتب أهـل القرن الرّابع مثـل مؤلفات أبى هلال العسكرى والقاضى الجرجانى والآمـدى ، وهى وان كانت تحتوى على ملاحظات فنيّة مفرّقة هنا وهناك فى غير نظام وعلى غير قاعدة إلا انهـا كانت أشبه بطفولة النّـقد وسذاجة الصِّبا ، والقريحة النقادة التى خلقت حقاً للنقد لا يعجزها أن تجعل من هاته البذور الصالحة فناً مستقلاً قائماً بذاته تجمـع شتاته فـكرة عامة ووحدة شاملة وطريقة يبتدئ منها واليها يعود .

هكذا حدّثتُ نفسى قبل البدء فى قراءة العمدة وعلى هذا الأمل أخذتُها وعكفت على مطالعتها زمناً وقلبتها ظهراً لبَطن وبطناً لظهر ولـكننى ـ وياللخيبـة ـ خرجتُ منها يائساً قانطاً وصدرتُ عنها حزيناً كئيباً وقُـلتُ هكذا قضى على الأدب العربى أن يظلّ خالياً من النّـقد وأن يبقى مرتبطاً بالرواية والبيان والبديع الى أبد الآبدين، وأن تنهج كتبه كلها نهجاً واحداً وتضرب على وَتر فردٍ وسواءٌ أخذتَ كتب القرن الأول أو الخامس فانك لا تجد إلا أقوالا متراكبة وأنقالاً متراكمة ولا تقرأ إلا الرأى ونقيضه والفـكرة وضدها متاخيين متساندين فى موطن التمثيل للنظرية الواحدة إلى غير ذلك من التشتيت والبلبلة والتداخل والفوضى والخروج عن موضوع الحديث واستطرادٍ فى غير محله وكلّما يجعل تلك الـكتبَ الـكثيرة كتاباً واحداً ونُسخةً مكررة.

وقد ساءنى من ابن رشيق بالخصوص رأيه فى الشعر والشاعر: فالشعر هو آلة المدح والفخر وتحصيل المقام عند الملوك ومن فضله ان الشاعر يخطب الملك بكاف الخطاب وينسبه الى أمّـه (١) وان الـكذب الذى أجمع النّاسُ على قبحـه حَسَنٌ فيه وأن للشاعر أن يُـطرىَ نفسه وليس لأحد من الناس أن يفعـل ذلك . ويردّ على من يكره الشعر بان النبي وجلة الصحابة كانوا يسمعونه ويحرضون عليه ويجازون قائله وان الخلفاء والامراء والقُضاة والفقهاء قالوه، وانه اذا بلغت بالدّنىء نـفسه وطمحت به همته إلى أن يصنع الشعر فانه يكفأ به الأيادى ويحل به صدر النّـادى . ثم هو لا يقول لنا ما هو الشعر فى البـاب الذى عقده لحده ، بل اكتفى بنقل آراء متبـاينة وحدود

متناقضة فى تعريفه منها الظريف ومنها المخزى الذى لا يدلُّ إلا على نظرٍ مُنحطٍ الى الشعر . والعجيبُ انه يَنْقل تلك الاقوال المأفونة ولا يعقب عليها ولا يضيف اليها شيئاً من عنده. فمجال الكلام على الشعر مجالٌ واسع والنظرة اليه تدلنا على مقياس لرجلٍ ودرجة فكره .

بلى ! ان لدينا حدّاً شعرياً صنعه ابنُ رشيق بأمر وليّ نعمته الكاتب ابن أبي الرّجال :

الشّعرُ شيءٌ حسنٌ ليس به من حرَجِ

أقلُّ ما فيه ذَهابُ الغمّ عن نفس الشَجِى

إلى آخر الأبيات .

ذلك هو الشعر — أمّا الشاعرُ فهو طالبُ فضلٍ !

قال (ص ٤٥) : « وأحمق الشعراء عندي من أدخل نفسه فى هذا الباب (أى السياسة) أو تعرّض له ومالِلشاعر والتعرض للحتوف وإنما هو طالب فضل فلمَ يضيع رأس ماله ؟ »

وهو كالمهرج فى البلاط الملوكى : قال (ص١٤٩) : « والفطنُ الحاذق (من الشعراء) من يختارُ للاوقات ما يشاكلها وينظر فى أحوال المخاطبين فيقصد محابّهم ويميل الى شهواتهم وإن خالفت شهوته ويتفقد ما يكرهون سماعه فيجتنب ذكره . . »

أليس هذا من المخزى ؟ أليست هاته وظيفة مضحك الملوك ؟ ثم إن الشاعر مأخوذ بآداب ملزم بمراعاتها فعليه أن يكون حُلوَ الشمائل نظيف البزة مأمون الجانب سهل النّاحية وطيء الاكناف ليكونَ محبوباً عند الناس مزيّناً فى عيونهم قريباً من قلوبهم ولتهابه العامة ويدخل فى جملة الخاصة .

ولك أن تقول إن هذه هى الارستوقراطية فى الصميم والتظرف فى أجمل مناظره .

ونحن نسأل ابن رشيق كيف كان البُحترُى جليس المتوكل ونديمه الدّائم وهو مَنْ يعلم قذارةَ وَوساخةَ ثوبٍ ؟ وكيف اختص أبو الفرج الاصبهانى بالوزير المهلبي

وهو لا يُطاقُ فى مؤاكلة ولا يزين المجلس بنظافة بزته ؟ أم أنّ المعول فى محبة الشاعر وقربه من القلوب غيرُ حلاوة الشمائل ونظافة الثوب ؟

والشاعر فى رأيه مطلوبٌ بمعرفة كل علم من لغةٍ وخـبَرٍ وحسابٍ وفريضةٍ وعليه أن يأخذ نفسه بحفظ الشعر ومعرفة الأنساب وأيام العرب، ولا يجوز له أن يكون مُـعجباً بنفسهِ مثنياً على شعره، وعليه أن يتواضع لمن هو دونه ويعرف حق من فوقه من الشعراء. وغايةُ ما يطلب منه أن يكون نسيبه يُذلّ ويُخضع ومدحُه يُطرى ويُسمع وهجاؤه يُخل ويُوجع وفخرُه يخبّ ويضعُ وعتابهُ يخفض ويرفع . . . . إلى آخر ما هنالكَ من الكلام الكثير الذى تبحث فيه عن كلمة تَـندُّ عفواً من قلمه تلمحُ منها نظرةً إلى صميم الشعر وفهماً عالياً لوظيفة الشاعر فلا تظفر بها ليس فى « العمدة » فقط بل فى سائر كتب الأدب القديم .

فأين نحن من حقيقة الشعر الخالدة — الشعرُ الذى هو أجلّ وأعلى صـورة ظهرتْ فيها الفكرة الانسانية — الشعر الذى يستمد من الوجود مادّته ومن القلب وحيَه ومن الموسيقى جَرْسَهُ ونغمْتَهُ ، الشعر الذى يخاطب الحواس بماديّ اللفظ ويناجي الروح بنُورانيّ المعانى فيستولى على الانسـان كله جسماً وروحاً ويرفعه إلى عالم الفكر ويُقرّبه من حظيرة القدس فيعبُّ من نهر الحيـاة وينتشى بخمرة الجمال والكمال .

بلى ! وأينَ نحنُ من حقيقـة الشاعر الخالدة ، الشاعر الذى هو رسول الحياة لأبنائها الضائعين فى دروبها الغامضة والمدلجين فى ظلماتها المدلهمة ، الشاعر الذى هو رائد المدنية وحامل شُعلة النور الالهى إلى الأمم الماشية فى حالك الظلمات أو المتخبّطة فى داهم المُلمّات ؟

وأنتَ تبحثُ عن العلة التى قعدت بالادب العربى عن اللّحاق بالآداب العـالمية والانضمام إلى تُراث الانسانية وتحاول أن تتعرّف السبب الذي أبعدهُ عن الطبيعـة الحية وفصله عن الحياة فيُمْـكنُـك أن تردّه إلى تلك النظرة الوضيعة التى كان يُنظر بها إليه والى هاته الوظيفة الحقيرة التى كانت تُـسْـنَـدُ له .

فابتداءً من اليوم الذى دخلت فيه « الرَّغْـبَـةُ » وأصبح الشاعر يتزلّفُ به إلى الملوك والأمراء ويتصيد به البيضاء والصفراء صارت حياةُ الشاعر جزءاً من حياة الممدوح ومُـكمّلاً له وملحقاً به، فهو لا يتنفسُ إلا فى جوّه ولا يحيا إلا فى

محيطه ولا يرى نفسه إلا فى مرآته ولا يفتح بصره فى هذا الكون إلا ليفتش فيه عن معنى يمتّ إلى الممدوح بصلةٍ ولا يُوجّه فكره إلا فيما له علاقة قريبة أو بعيدة به .

فالبحرُ يرمزُ إلى كرم الممدوح وسماحته :

هو البحر من أىِّ النواحى أتيتَهُ فلجَّتُهُ المعروفُ والجودُ ساحِلُهْ !

والشمسُ ترمزُ إلى وضاءة وجه الممدوح وإشراقه :

وكأنَّ الشمسَ لمّا طلعتْ فانجلتْ عنها عيونُ النّاظرينْ

وجهُ إدريسَ بن يحيى ابن على ابن يعقوبٍ أمير المؤمنينْ !

وأفق السّماء خلقه الله ليتناوله الممدوح وهو قاعد :

لو نالَ حىٌّ من الدُّنيا بمكرمةٍ أفقَ السّماءِ لنالتْ كفُّهُ الأفُقَا

والربيع يضحك لأن الممدوح جعله كذلك بأنسه :

يا سيداً أضحى الزمان بأنسه منه ربيعًا

والجبل سيمثل رصانة الممدوح وحلمه :

وإنْ هوى الجبلُ الراسى فذا جَبَلٌ راسٍ لنا بَعْدَهُ — أعْظِمْ به جَبَلاَ !

والأوديةُ تسيل ومكانُ تجمُّعِها يُشبه اجتماع الكرم فى صاحبه :

إن المكارمَ والمعروفَ أوديةٌ أحلكَ اللهُ منها حيث تجتمعُ

وهكذا وهكذا — وماذا عسى القائل أن يقول والمحصى أن يحصى؟! وهل تكفى المجلدات للاحاطةِ بمثل هذا المعنى ولواحقه وإقامةِ الدّليل على أن الشاعر القديم لا يسرّح نظره فى هذا الوجود إلا لينتزع من آياته صوراً يحتاج اليها فى نظم مديحه أو معانى يُضيفها إلى ممدوحه .

وأما قراءةُ كتاب الوجود لحلّ معضلاته وفض مُشكلاته والاشرئباب إلى أسرارهِ والإفضاءِ إلى أغواره فذلك ما ظفر به القليلون من شعرائنا الأقدمين وهم أصحاب العبقرية التى تدفعها الحياة إلى ذلك دفعاً وتضطرها اليه اضطراراً .

وابتداءً من اليوم الذى قيل فيه انّ أعذب الشعر أكذبه وانّ الكذب المجمع على قبحه حَسَنٌ فيه أصبح الشاعر غيرَ مُطالب بالصدق ولا محاسبٍ على الحق، وسواء

أجدّ أم هزل وأصاب في قوله أم خطل وخرق الطبيعة أم جاراها وخالف سُنن الله في كونه أم وافقها وأتى بالمعقول أو بالمحال وأتبع طريق الحق أم بُطل الضلال فهو غير مأخوذ بقوله ولا محاسب عن هزله ، ما دام كذبه سائغاً مقبولاً ومحاله لطيفاً ظريفاً وما دام يُسلى ويُطرب ويُلهى ويُلعب ويدفع عادى السآمة وطارق القلق!

فلكى نعرف نُحولَ المتنبى العاشق نقرأ قوله :

كفى بجسمى نحولاً اننى رجُلٌ ... لولا مخاطبتى إياكَ لم ترنى

أو قول زميله الآخر :

ذبتُ من الشوق فلو زُجَّ بى ... فى مُقلة النائم لم يَنْتَبِه

وكان لى فيما مضى خاتم ... فالآن لو شئتُ تَمنطقتُ به!

ولكى نعرف هيبة ممدوح أبى نواس نقرأ قوله :

وأخفتَ أهلَ الشركِ حتى أنّه ... لَتخافُك النُّطَفُ التى لم تُخلقِ!

أوْ قَوْلَهُ الآخر :

حتَّى الذى فى الرَّحْمِ لم يكُ صُورةً ... لفُؤادِهِ من خوْفِهِ خفقانُ!

أو قول أبى تمّام :

لقد بثَّ عبدُ الله خوْفَ انتقامِهِ ... على الليلِ حتى ما تَدِبُّ عقاربُهْ!

وحتى البكاء يكون بعينٍ واحدةٍ :

بكتْ عينىَ اليسرى فلما زَجرْتُها ... على الجَهْلِ بعد الحلمِ أسْبَلَتا معا!

فماذا وراء هذا وأمثاله الكثير جداً غير المبالغة الكاذبة والغلوّ الفاحش والبعد عن البساطة التى هى سمة الأدب العالى وعنوان القريحة المطبوعة ؟

وهاته النظرة الوضيعة هى فى رأيى علة وقوف الشعر وجموده على تلك الأنواع المنحصرة فى المدح والهجاء والفخر والرثاء كما أنها سبب رُكود ريح النقد وبقائه على عهد الطفولة. وهكذا ظلّ الشعر ضائعاً فى الذكاء واستنباط المعانى اللّبقة البارعة أو ما يسميه الافرنج « subtilités » وبقى النقد كذلك لا يشتدّ أسره ويقوى ساعده لانه قنع من الشعر بتلك المعانى البارعة والاستعارات المستجادة والكنايات اللطيفة وظلّ يتناول القصيدة بيتاً بيتاً وشعر الشاعر الواحد متجزّئاً مقسماً كل جزء

يلحقُ بنوعه فى باب البديع ولم يتناول البتة روح القصيدة وفكرتها العامة ولا طبيعة القائل ومزاجه الخاص به وذاتيته الشائعة فى آثاره ثم برد كل أثر إلى مؤثره وكل مُكوَّن إلى مكوِّنه ويتبين مدى العوامل السياسية والعوامل الاقليمية والفروق الجنسية فى تكوين الأثر وتكييف صاحب الأثر.

فلكي يتبدل أدب أمة يجب أن تتبدل مقاييسها وقد آن أن تتبدَّل مقاييسنا ليتبدل أدبنا ، فلننظر الى الشعر نظرة عالية ولنرفعه إلى درجة الوَحْي حتى يكون عنصراً من عناصر الجمال البادية والخفية فى هذا الوجود ولنطلب من الشاعر أن يكون جاداً لا هازلاً وقائداً لا مقوداً ولننظر اليه كصاحب رسالة فى الحياة يرفع الجماهير إلى مثله العليا ويغريهم بطلابها.

ذلك ما يجب أن يكون عليه الشعر والشاعر فى هذا العصر وما يجدر بنا أن نكرّره على الدّوام ونركزه فى الاذهان ؟

تونس : محمد الحليوى



الشعر الفلسفى

الحياة والموت

كان الدكتور يعقوب صروف رحمه الله فى رحلته الأخيرة الى أوروبا فجاشت نفسه بهذه القطعة الفلسفية . وقد جرى فى القصيدة على مذهب الذين يستدلون على خلود النفس بأن فناءها يجعل أعمال الخالق من قبيل العبث الذى لا يسلّم به عقل عاقل ، غير انه اعترضته بعد ذلك فكرة أخرى : هى أن فى جسم الانسان من التركيب العجيب الذى بلغ ما بلغه من التطور المستمر من قرون لا تحصى ، بل فى كل جزء من أجزاء الجسم من الحكمة والدقة والقصد ما يفوق وصف

الواصفين ومع ذلك تراه يموت وينتن وينحل جسمه الى عناصره الكيماوية فتبقى فى التراب أو تدخل فى أجسام النبات ولا يقول إن موته وانحلاله يجعل عمل الخالق من قبيل العبث ، فلماذا لا يحل بالنفوس ما يحل بالاجساد ؟ خطر له هذا الخاطر فتولته الحيرة ، ولكنه ما لبث أن خطر له فأزال حيرته فعبر عن ذلك الخاطر بابيات مفادها أن الأجسام مؤلفة من دقائق كهربائية كما أثبت العلم الحديث وهى التى سماها كهارب جمع كهرب تعريب اصطلاح إلكترون electron ويقوم اختلاف الاجسام باختلاف عدد الكهارب فيها ووضعها وحركاتها ،وعليه فاذا مات الجسم وانحل فعناصره الاصلية أى كهاربه التى يتألف منها لا تتلاشى بل تبقى فى الوجود كلها ولا ما يمنع أن تتركب ثانية بصورة جسم غير منظور لأنها فى الأصل غير منظورة أي يكون منها جسم روحانى لسكن النفس . واليك الأبيات :

سبعون حولاً لقد مرّت وما وجدت ... نفسى مقرّاً لها فى العالم الفانى
فهل إذا عمرت سبعين أخرى ترى ... من مرفإٍ بين أبحار وخلجان؟!
كلا وأجسامنا والموت يرصدها ... فالنفس مَرفأُها فى عالمٍ ثان
فرضان: إمّا فناءٌ والبناءُ له ... لغوٌ وإمّا بقاءٌ شاءه البانى
أما وأجسامنا ليست سوى صور ... مشكلات بأشكال وألوان
كهاربٌ حركتها النفس فانتظمت ... فى شكل مستودع للنفس جثمانى
حتى اذا تمّ فى الدنيا تطوّرُها ... طارت الى منزل فى الكون روحانى
وللتطوّرِ أحكامٌ مقرّرةٌ ... والنفس والجسم فى الأحكام سيان
لابد للعلم من يوم يفوز بها ... يُبيِّنُ الحقُّ فيه خيرَ تبيان

اسماعيل مظهر



تداعي الخواطر والافكار

كلمة ردٍّ على الرافعي

اطلعت على الجواب الذي نشرته مجلة (أبولو) الغراء في عددها الثامن لأديبنا الرافعي في الرد على كلمتي التي انتصفت بها لشوقي منه في العدد السابع للمجلة المذكورة، وقد وجدت (الجواب) - على اختصاره - معلول الحجة لا يغني في موضع التدليل، ولم يتناول بالنحث مما أخذته عليه سوى المكابرة والاصرار على تغليط شوقي في جملة (منادٍ دعا) من قوله:

ليلى، منادٍ دعا ليلى، فخفَّ له نشوانُ في جنبات الصدر عربيدُ!

وان المعنى مأخوذ من قول المجنون:

دعا باسم ليلى غيرها، فكأنما أطار بليلى طائراً كان في صدري!

ولله در الرافعي على هذا الاصرار على التغليط الذي لا مبرر له في مثل هذا المقام، ولو جاء من الرافعي عن ارتفاع ذراع أو باع، ما دام الغرض مقصوراً على الوصول إلى الحقيقة في صورة الأداء. وكان يكفيه حسن التوجيه مخرجاً لما وقع فيه، وجديراً به أن «يصطفي» الصمت لنفسه لا أن يدفع بها في مجال البحث والمناظرة بعد أن انكشف له غلطه في التغليط.

وكنت أود أن أتبسط في ردي على الرافعي لولا ضيق الوقت وكثرة الأشغال، وأني آتي لقراء مجلة (أبولو) الزهراء بردٍّ مطول على جوابه «المختصر» عسى ان يحل من الرافعي في موضع القبول ويكون من البوادر الحسنة التي يمكن اعتبارها مقدمة لتغيير الرافعي ذهنيته في شاعرية شوقي. وأرجو أن أكون موفقاً في ردي هذا بازالة ما علق بذوق الرافعي عن كل ما يتصل بآثار شوقي الشعرية، لما أعهده في الرافعي من الالمعية بالرغم عن «اختصار» ردي هذا على كلمته «المختصرة» التي جاءت مبتورة لتناولها طرفاً واحداً من الموضوع هو: الاصرار على اثبات الغلطة النحوية، وان بيت شوقي مأخوذ معناه من بيت المجنون.

قال الرافعي: «ان شاعرنا (شوقي) لم يخترع شيئاً، ولم يُوحَ اليه بشيء، ولم يزد أن قلد وتابع» وأقول: ان الجمل الثلاث ذات معنى واحد، وكان الرافعي في غنى عن هذه الاطالة في «جوابه المختصر» ليكون وصف الاختصار أكثر

انطباقاً على الواقع . وهنا لا بد لي أن أشرح له معنى الابتكار ليكون الشرح المذكور مستنداً للردّ عليه ، لأن العاطفة (على ما يظهر) قد ابتعدت به عن فهم ماهية الابتكار في الشعر ومظهر العبقريه فيه . فأقول : ليس الابتكار أن تأتي بخلق جديد لا نظير له في الوجود لأن ذلك ما لم يدخل في طوق ارادة البشر ، وانما هو نتيجة لما يحصل في الذهن من تداعي الخواطر والأفكار المأخوذة بالمحاكاة عن الأغيار أو التي عُرفت بالتجربة والاختبار ، ولذلك يجب أن يظل معنى الابتكار منحصراً في الاطار الذي يتمثل فيه تطور الشيء بمقتضى نواميس الحياة . والابتكار في الشعر لا يخرج عن هذا الأصل ككل ابتكار : فالمعاني في أول علوقها بالأذهان ، انما أخذت عن طبيعة الوسط ما فيه ، وعما قام به الانسان من الاختبار ، فتكونت من وراء ذلك « مجموعة ذهنية » يأخذها الجيل عن الجيل بعد أن يزيد عليها كل جيل ما وصل اليه في مدى المعرفة ، وأنت لا تروق لك خاطرة ترى في نصابها مسحة الابتكار إلا ووجدت بعد البحث والتحليل أن لتلك الخاطرة أصلاً سبقها هي مظهر تطوره في الوجود . وشوقي لم يخرج عن هذا الاصل المعروف في بيته المذكور ، فان للخاطرة التي احتملها بيته أصلا ترد اليه ، وقد يكون ذلك الأصل في بيت المجنون كما قد يكون في غيره : ذلك لأننا لا يمكن أن نعتبر بيت شوقي وبيت المجنون على اتحاد في المعنى بحال من الأحوال . ويظهر ذلك عند الرجوع ثانية الى المقارنة التي تضمنها ردي الأول في العدد السابع من هذه المجلة فلا حاجة الى الاعادة والاطناب وقد قلنا هناك أيضاً : « ان العبقرية غير مقصورة على ابتكار المعاني وحدها ، وانما قد تظهر في طريقة الاداء وفي انتقاء اللفظ للمعنى وفي كل شيء يظهر فيه التفوق » . وزعم الرافعي انى قلت في ردي الاول عليه « ان شوقي لم يكن يدرى من أين أخذه أى لم يطلع على بيت المجنون » فأقول إن ذلك مجرد تقوّل لا غير ، فلم يكن البحث دائراً على ان شوقي لم يدر من أين أخذ بيته المشار اليه لانه لم يُسأل عن المصدر وانما سُئل عن الظروف التي أحاطت به عند وضع البيت المذكور ، كما أنى لم أقل بشيء يفهم منه ان شوقي لم يطلع على بيت المجنون . وكل ما قلتـه في هذا المعرض هو : « ان شوقي كان صادقاً في قوله — لا أدرى — عند ما سُئل عن ظروف وضع البيت المشار اليه » فأرجو مراجعة الردّ الأول ثانية للاعتراف باضطراب فهم المقصود .

وقال الرافعي : « وأما الغلطة النحوية فقد قال بعض النحاة في مثل هذا المقال ان النكرة فاعل مقدم » ثم قال : « والاصل ان الكوفيين يجيزون تقدم الفاعل

على فعله ... » ثم قال أيضاً : « وقد ردّ البصريون مذهب أولئك فلا يجوز عندهم تقدم الفاعل وإن كان بعض من اتبعهم كابن عصفور والأعلم قالوا بجوازه لضرورة الوزن » وأقول ان التناقض ظاهر في قوله : « قال بعض النحاة » وفي قوله : « والاصل أن الكوفيين ... » إذ لا يمكن اعتبار مذهب الكوفيين بالدرجة التي يوضع فيها رأي البعض من النحاة ، عدا أن قواعد اللغة في الاعراب انما تقوم على مذهب الكوفيين والبصريين معاً والمذهبان متكافئان . ويثبت من وراء ذلك أن قول شوقي « منا دِ دعا » لا غلط فيه على مذهب أهل الكوفة مع امكان تخريجه على ما تقتضيه ضرورة الشعر على المذهب البصري (لا على رأي بعض من اتبعه كما زعم الرافعي) . وليت شعري ما يقول الرافعي في قوله تعالى (ان هذان لساحران) وقوله (إنا من المجرمين منتقمين) ألم يكن ذلك مخرجاً على احدى لغات العرب بصرف النظر عما ورد في هذا المجال من مختلف التأويل والتوجيه ؟ فاذا أمكن الاستناد على إحدى اللغات في الاعراب أفلا يكون الاستناد فيه على مذهب شائع ذائع كالمذهب الكوفي من باب الأولى ؟

وقال الرافعي : « إن ابن مالك لم ينقل هذا وانما نقله الدماميني » يريد ما ذكرته في ردي الأول عليه من أن ابن مالك روى عن الاعلم وابن عصفور ان وصالاً فاعل يدوم في قوله : (وصال على طول الصدود يدوم) وأقول : راجع المجلد الأول من (شرح التصريح) لخالد بن عبد الله الازهري (ص٢٦٩) وفيها تقفون على رواية ابن مالك عن الاعلم وابن عصفور . أما كون ابن مالك من الرواة فذلك مجرد تقوّل عليّ لا غير ، إذ لا يكفي لان يكون ابن مالك من الرواة مجرد ما حكاه عن الأعلم وابن عصفور . ثم رأينا الرافعي في آخر « جوابه المختصر » قد تكلف وتفلسف . وإذا كان قد جاء بشيء له قيمة ، فانما جاءه منار ذلك (من العراق لا من البقرة) ، ونحن ننتظر تصليح القاعدة والاعراب من قبل علماء الأزهر على ما يقول الرافعي !

وهنا اكتفي بما تقدم وأرجو أن تكون في كلمتي هذه كفاية تختم المناظرة .

حسين الظريفي

❊❊❊

الخيال الشعرى عند العرب

ردٌّ على نقد

فى العدد السابع من هاته المجلة كتب حضرة الأديب الفاضل مختار الوكيل عن « الخيال الشعرى » وصاحبه كلمة طيبة كلها أدب جم ونقد نزيه محتشم، وانني أود أن أحاوره حواراً هادئاً رقيقاً فى بعض ما آخذه علىّ فى الكتاب المذكور شاكراً له ما خصّنى به من ثناء .

أخذ علىّ الأديب الفاضل ذهابى الى نفى الخيال الشعرى عن الأدب العربى القديم قائلا « ان العرب كانوا على نصيب ممتاز من الخيال الشعري خصوصاً بعد تمازجهم بالفرس واليونان فى عهد بنى العباس على نقيض ما يذكره المؤلف من انهم لم يتأثروا بهؤلاء ولم يمترجوا باولئك لعنجهية وغطرسة فيهم . . » ثم ذهب بذلك على وجود الخيال الشعرى فى الأدب العربى بقصيد البحترى فى الربيع :

أتاك الربيعُ الطلقُ يختال باسماً ‏ ‏ ‏ من الحسن حتى كاد أن يتكلما، الخ.

وبنونية ابن حمديس الصقلى المشهورة فى وصف البركة ، وبأبيات أبى الطيب :

وقفتَ وما فى الموت شك لواقف ‏ ‏ ‏ كأنك فى جفن الردى وهو نائم، الخ.

ويلفتنى الى دالية ابن الرومى الغزلية فى «وحيد» ورائيته الرثائية فى « بستان» ومن ثمّ حملنى على « التطرف » و « المغالاة » وحب الطفرة ولكنه اعتذر عنى بأن ما دفعنى إلى ركوب ذلك السبيل الاّ حبّ « الاصلاح » و« الرغبة » فى « شحذ العزائم واستنهاض الهمم » ، الخ .

وانى فهمتُ من كلام الاديب الناقد ودلائله أنه يعنى « بالخيال الشعرى » غير ما أردتُ أنا منه فى فصول الكتاب ، فهو يريد به خيال المجاز والاستعارة والتشبيه وغير هاته من براعات الالفاظ والتعابير التى أشبعتها كتب البلاغة على اختلافها بحثا ودرساً . وهذا ضرب من الخيال لا انكره على الأدب العربى ولا ينكره أى باحث يحترم نفسه ورأيه ؛ بل إننى ازعم أن الآداب العربية غنية بهذا اللون من الخيال غناء مفرطاً ، وأن لها فيه القدح المعلى والسهم الموفور . ولكن الخيال بهذا المعنى ليس مما تدور عليه ابحاث الكتاب وقد تحدثت عنه فى صفحة ١٣ وسميته « بالخيال الصناعى » أو « الخيال المجازي » وقلت اننى لا أريد أن أعرض لهذا النوع من الخيال المألوف لانه وان دلّ على بعض نواحٍ خاصة

من روح الأمة فهو لايدل على « مقدار شعورها بتيار الحياة كعضو حيّ في هذا الوجود » وانما أردت منه معنى جديداً لايخلو من دقة وعمق ، فقد عنيت به (كما قلت بصفحة ١٢) ذلك الخيال الذى « اتخذه الانسان لا للتزويق والتشويق ، ولكن ليتفهم من ورائه سرائر النفس وخفايا الوجود . . . » وقلت انى أسميه « بالخيال الفنيّ » لأن فيه تنطبع النظرة الفنيـة التى يلقيها الانسان على هـذا العالم الكبير ، واسميه « الخيال الشعري » لانه يضرب بجذوره الى أبعد غور فى صميم الشعور . فالخيال الشعرى بهذا المعنى العميق الذي تلتقى فيه الروح الفنية والفلسفية فى آن ، والذى نفهم منه نفسية الأمة وندرك ما الذي لآفاقها الروحية من عمق وسعة وضياء ، ذلك هو الذي أدرت عليه ابحاث الكتاب وكسرت عليه فصوله.

والذى يدل على أن حضرة الناقد يريد « بالخيال الشعرى » ويفهم منه الصناعة البلاغية لاخيال الاحساس والشعور والاندماج فى الاشياء اندماجاً فنياً — ما ساقه من الأدلة الشعرية على وجود الخيال الشعرى عند العرب: فأبيات المتنبي التى ساقها شاهداً على ذلك ليس فيها من الخيال الشعرى الذي نعنيه أى حظ أو نصيب وانها لأبعد عنه وعن الاتصال به من كل شيء . وقصيدة ابن حمديس فى وصف البركة هى حجة ناهضة على وجود الخيال الصناعى فى الآداب العربية وأنا معه فى ذلك؛ ولكن ما حظها من الخيال الشعرى بالمعنى الذي بينته ؟ لا شيء على التحقيق ، فهى لم تخرج عن تلك التشابيه الذهبية الخاطفة التى امتلأ بها الادب العربى امتلاء غريباً ولم تعدُ تلك الروح الشائعة فى الآداب العربية التى لا تحيط من الاشياء الا بمظاهرها المادية من لون وشكل ووضع وما اليها . وهى لهـذا حجة تضاف الى ماعرضته من شواهد فى فصول الكتاب — تؤيد ما ذهبت اليه من أن روح الأدب العربى القديم مادية سطحية فى نظرتها الى الكون وتناولها الاشياء وانها لاتأخذ منها الا ملامحها البادية .

والغريب انه يناقضنى بقصيدة أبى عباده : « أتاك الربيع ...» الخ. وبالاشارة الى دالية ابن الرومى فى « وحيد » مع أننى قد أتيت عليهما وعددتهما - فيما عددت - من نوادر الخيال الشعرى وبواكيره فى الادب العربى أثناء البحث عن « الطبيعة » و « المرأة » فى هذا الادب (صحائف : ٤٨ — ٥٧ — ٦٣) .

والاغرب من ذلك ذكره أننى قلت إن العرب لم يتأثروا ولا امتزجوا بالفرس ولا باليونان ، مع أننى قلت بالحرف الواحد بصفحة ٤١ : « .. حتى أظل العصر

العباسي حياة العرب فكانت عادات وأخلاق وأمزجة وطباع ، غير ما ألف العرب من طباع وامزجة واخلاق . وكان أن اصطبغت الحيــاة الاسلامية بصبغة مشتركة من حضارات عتيدة متباينة تكوّنت منها حضارة جديدة مهلهلة ناعمــة تجمع كل ما عرف الفرس والروم والاسلام من فكر وطبع ودين. فكان لهذا كله أثر غير يسير على النزعة العربية الجافية ، وكان ان أتقن العربية كثير من الفرس والروم ونظموا فيها بأمزجة غير الامزجة العربية واذواق غريبة عن اذواق العرب . . » الخ . وانما الذي قلت غير هذا ان العرب وإن ترجموا فلسفة اليونان وعلومها وحكمة فارس وفنونهــا فانتفع بذلك الذهن العربي فانهــم لم يترجموا من آداب اليونان والرومان شيئاً ولا من آداب الهند وفارس إلا قليلا وجعلت هذا من الأسباب التي أبقت روح الأدب العربي على حالها الأولى رغم تطور أسلوبه وتغيره باختلاف العصور والاوساط . وعللتُ عزوف العرب عن ترجمة الآداب المذكورة بتشبع أدب اليونان والرومان بالنزعة الوثنية التي جاء الاسلام لمحاربتها وباعتداد العرب بأدبهم الأول وإيمانهم بأنه هو المثل الأعلى الذي لا يُحتَـذَى غيره (ص ١٤٠ — ١٤١) ولعل من أسباب ذلك أيضاً أن العرب لم يتصلوا بفلسفة اليونان وعلومها إلا عن طريق تراجمة « النساطرة » و « اليعاقبة » وهؤلاء لم يعنوا من ثقافة اليونان بالقسم الفني وانما عنوا منها بما يتصل اتصالاً وثيقاً بصفتهم الدينية اللاهوتية ، ولعل ما في آداب اليونان وفنها من روح وثنية قد كان ينفّرهم هم أيضاً منها .

« ٥ »

وبعد ، فأنا أحب أن يعلم الأديب الفاضل أنني إذا كنت أدعو إلى التجديد الأدبي واعمل له فان ذلك لا يدفعني إلى الهزء والسخرية بآداب الأجداد — كما قد حسب — بل إنني لأومن كل الايمان بما فيها من جمال فني وسحر قوي ، واعتقد انها قد آتت في عصورها الحية لأجدادنا كل ما طمحت اليه أشواقهم من غذاء معنوي دسم . ولكنني أؤمن إلى جانب ذلك أن في الحياة آفاقاً مجهولة ساحرة غير ما في الادب العربي من آفاق ، وأن هذا الادب إذا كان قد سدّ خَـلّةَ ابائنا الروحيــة فانه لعاجز كل العجز عن أن يشبع ما في أرواحنا من جوع وعطش وطموح ، وانه إذا كان لزاماً علينا أن نعجب بهذا الأدب ونفخر به كحلقة من سلسلة ذاتيتنا العربية وكمنجم ذهبيّ نرجع اليه كلما أردنا أن نصوغ لأفكارنا حليها الساحر

الجميل — فان ذلك الاعجاب لا ينبغى أن ينقلب فى نفوسنا إلى تقديس فعبادة فجمود فاطباق لأبصارنا عن كل ما فى السماء من أشعة ونجوم . هذا رأيي ، وهذا بعض ما دعوت اليه فى كتاب « الخيال الشعري عند العرب »

وما أحسب فى مثل هذا شيئاً من الغلو أو الاغراق أوتنقص أدب الأجداد أو الزراية عليه .

فان كان ناقدى المفضال يأبى بعد هذا الا اعتبارى « متطرفاً » غالياً ومتنقصاً لأدب الأجداد فليفعل وأجرى على الله ؟

أبو القاسم الشابي

الأدب الشعبي

ليس يعنيني أن أشيد بديوان (الشعلة) — آخر وأروع دواوين أبى شادي — وربما لم يعن صاحبه الآن بمثل هذه الاشادة وقد كاد يسلك مسلك صاحب (أهل الكهف) فى حصر توزيع كتابه ، ولم يحفل بعامة القراء بل فاجأهم بقوله فى الاهداء إلى ملهمةِ وحيهِ وأغانيه :

اثنان هذا الشعرُ تحفل رُوحُه ... بهما: حنانُكِ أنتِ ثمَّ حناني

ردَّدتُه نغمَ الحياة ، فانْ نأتْ ... بنواكِ عاد نشيدُهُ فرثاني

فاذا ابتسمتِ فكل شعريَ خالدٌ ... وإذا عبستِ فكل شعريَ فانِ

وودَّع كل مَنْ تعوَّدَ الانتقاصَ من النُقَّاد بقوله (قصيدة « التجاوب » ص ١٣٦) :

وإنْ آثرتَ أن تُزرِى بشعري ... وتلهو عن دُمُوعى أوْ حَنانى

حُرِمْتَ جماله ، وحسبتَ أنى ... خسرتُ ، وما خسرتُ ولا الأمانى !

ليس يعنيني ذلك ولا التنبيه إلى التنويع المحبوب فى هذا الشعر الزاخر الحافل بشتى الأحاسيس وألوان التأملات والتفاعل النفسى وبمختلف النظرات إلى الحياة وبموجات العواطف المتباينة بحيث يعطينا صورة صحيحة من نفسية وذهنية هذا

الشاعر العصرى تبعاً للمؤثّرات المتنوعة فى حين أن معظم الشعراء المعاصرين يهمه أن يظهر أمام القراء بالصورة التى ترضيهم أو التى تستهويهم أى « بالبذلة الرسمية » فقط — وحال هؤلاء الشعراء حال من ينظم للقرّاء قبل أن ينظم لنفسه مأخوذاً بروح الفن وحده .

ولكن يعنينى بصفة خاصة فى ديوان (الشُعلة) مسحةُ الأدب الشعبى ، ولست أعنى بذلك الروح القومية الخالصة الشائعة فى الديوان — روح الايمان بالتعاون وبُغض التنابذ وتقدير الزعماء على اختلاف أحزابهم كقادة فى جيش الوطن — وانما أعنى المحاولة الجريئة للنهوض بشعور الجمهور أو على الأصح ذلك التأثر بشعور الشعب والتعبير عنه فى لهجة قريبة من لهجته كما نرى فى قصيدة « المصاب » (ص ١١٣) وهى جدّ فى مزاح نظمها من بحر زجلىّ وصوّرَ فيها أبلغ تصوير فزعَ بعض الأجانب المحتالين الذين كانوا يستغلّون الفوضى الطبية فى مصر أسوأ استغلال لملء جيوبهم بالمال على حساب الجمهور الغافل . ومهما يكن من شىء فأظن أنّ تركَ هذا الميدان من الأدب الشعبى للزجالين وللنظم العامى وحده ليس مما ينهض بأدب الشعب ، بل مما يؤدّى إلى إقصاء الجمهور عن الشعراء بدل متابعتهم . وكنتُ أودّ أن أرى قصائد متعددة من هذا اللون من الأدب فى ديوان (الشُعلة) بدل الاكتفاء بعرض نماذج قليلة منه ، فلعل صاحب الديوان وزملاءه الشعراء المجددين يتحفون الأدب المصرى بالكثير من هذا الشعر فى المستقبل فيخدمون الأدبَ الشعبىَّ أجلَّ خدمةٍ وينهضون بالشعر المصرىّ نهضةً شاملةً ؟

عبد الرحيم صالح



توارد الخواطر

بمناسبة مقالة « توارد الخواطر » فى عددكم الاخير أودّ أن أشير الى قصيدة العقاد التى عنوانها « وصايا مقلوبة » فى ديوانه (وحى الاربعين) ففيها نظر الى فصل عنوانه « نصيحة ابليس » فى كتاب (حديث ابليس) لشكرى إلا أن « نصيحة ابليس » فكاهية ولا تحبب فيما تدعو اليه الوصايا المقلوبة من الدنايا ولو عن غير قصد . وقراءة الفصل والقصيدة توضح أوجه التشابه وأوجه الاختلاف .

وقصيدة « ترجمة شيطان » للعقاد انما دعا اليها اطلاعه على قصيدة « الملك الثائر » لشكرى الا ان قصيدة العقاد اميل الى السخر واليأس ونقض فيها جانب الايمان من قصيدة « الملك الثائر » وكتاب (مجمع الاحياء) للعقاد فكرته الاساسية وبعض أفكاره التفصيلية من فصل عنوانه « مؤتمر الحيوانات » من كتاب (حديث ابليس).

وقد لاحظت معانى كثيرة فى ديوان (وحى الاربعين) قد وردت من قبل فى دواوين شكرى .

قال العقاد :

هـذه الروعةُ هل تجمعها   فى مدى يوم لحومٌ وعظامْ ؟
لا ، وربى ! بل دهورٌ غبرت   قبلما تتقنها الايدى الكرامْ !

وقد قال شكرى من قبل :

ما كان مثلك فى الاكوان مَنشأُه   الا بخبرة أزمانٍ وازمانِ
استخلصتك دهور مثلما خلص الـ   ـعطر الزكىُّ ، فيا عطراً لاكوان !
مجاهل الزمن الماضى وحاضره   لصنع حسنك فى بدعٍ واتقان

وقال العقاد :

ما تغنى الطير الا بعض ما   أنت راويه ولا ناح الحمامْ !

وقد قال شكرى من قبل :

والطير ما نطقت إلا لحسنكم   فانت للكونِ طراً خير عنوان

وقال العقاد : « فيك من كل ربيع طلعة » الخ . .

وهو مثل قول شكرى :

أنت مرآة ما يجىء به الكو   ن من الحسن بكرة واصيلا
فأرى منك نسمة كليالى الـ   ـصيف حيث النسيم يسعى عليلا
وأرى منك فى الخريف شبيهاً ، الخ . الخ .

وقول العقاد :

فيك منى ومن الناسِ ومنْ   كل موجودٍ وموعودٍ تؤامْ

مثل قول شكرى :

أنت عنوانه لما أنشده فى الخطرات
كل كون كان أو لم يك من ماض وآتِ
فيك لى منه أمانىّ النفوس الساميات

وقول العقاد : « فيك من دنياك نقص رائق » :

مثل قول شكرى من قبل :

أنت جميل كالحياة محبب وان كنتَ مثل العيش مرَّ التجاربِ

وقال العقاد : « ومن الاخرى تباشير التمامْ »

مثل قول شكرى :

بعالم أنت من بشائره بشرى طيور الربيع بالزهر

وقال العقاد فى ديوانه الاخير أيضاً :

الى الغور ، أمّا ثلوج الذّرى فلا خيرَ فيها ولا فائده

وقد قال شكرى فى الجزء الاول فى هذا المعنى :

فان الزهر فى القيعان ينمو وان الثلج فى قمم الجبال

وقال العقاد :

ويا بؤسَ فانٍ يرى ما بدا من الكونِ بالنظرة الخالدهْ

وقد قال شكرى فى قصيدة « الملك الثائر » يخاطب الله :

إذاً أعِرْها لحاظاً منك صادقة تتلو لنا العيش محمودَ الصحيفات
ندرى الوجود كما ندرى الوجود بها وترتضيه بارواحٍ أبيّات

وقول العقاد :

والناس يزعمون الى قردَ انساناً تدلّى

لو قلبته وجعلته : « وقرود تحسب الانسان قرداً قد تدلّى » ، لكان هو والقطعة الفكاهية المقصودة فى فصل « قرود القرود وقرود البشر » فى كتابه (حديث إبليس) لشكرى. وكل هذه الاشعار فى ديوان العقاد الاخير الذى طبع حديثاً ؟

أحمد حلمى

العقاد فى الميزان

تتبعتُ ما نشرته أبولو والبلاغ والاهرام وغيرها من الصحف من حوار حول الشعر والشعراء فعنّ لى ابداء الملاحظات الآتية التى أرجو أن تتلقوها بقبول حسن:

(١) لقد أخطأت مجلة أبولو فى السماح بكل هذا الفراغ لنقد شعر العقاد كيفما كانت منزلته أو ادعاؤه فى الوقت الذى لا يُرضى الشاعرَ هذا النقدُ ويعدّه اساءةً اليه ولا يَعنيه مبلغ استفادة الأدب ذاته من وراء ذلك. ومتى وُجدتْ هذه الروح فالاحجام عن نشر النقد أوْلى بكم اذا كنتم مخلصين فى خطتكم وهو ما لا أشكّ فيه.

(٢) لقد أخطأ العقاد فى احتمائه براية السياسة واستغلاله المجلات والصحف السياسية لهذه الغاية وللنيل من مناظريه، فهذه سُنَّة سيئة. وبصفتى أحد المعجبين بكتابته لا يرضينى تسجيل هذه العادة المنتقدَة عليه، فهى أكيداً مُصْغِرَةٌ لمنزلته الأدبية خصوصاً وما تكتبه تلك المجلات مملوءٌ بالمغالطات وتشويه الحقائق ما بين بترٍ عجيبٍ وسوء تفسير واختلاقٍ محض. وهى منسوبةٌ اليه على أى حال، فلا مفر من أن يعتبرها مناظروه دليلا على افلاسه الادبى.

(٣) اقترح عليكم قفلَ هذا الباب بالنسبة للعقاد والعناية بنقد الشعراء الآخرين فليس من الانصاف قصر الاهتمام على العقَّاد وحده خصوصاً وهو لا يقدّر ذلك، ولا يفرّق ما بين رأى المجلة الخاص أو رأى لجنة النشر وبين آراء كتابها ومراسليها، بل يظهر لى أنه يبغض كثيراً أن يتناوله النقد الأدبى من أى ناحية، وليس له من سعة الصدر نصيب.

(٤) مهما قيل وكُتِبَ عن عيوب العقاد النفسية وعن مستوى آثاره الأدبية فعندى أن الرجل أحسن إلى أساليب النقد الأدبى ولو مجاراةً للنقّاد الغربيين، ولو لم يكن له من فضل سوى الترجمة أو التلخيص المفيد للآثار الأدبية الاجنبية لكفى هذا للتنويه به.

(٥) شعر العقَّاد كيفما قلَّبناه شعرٌ ممتازٌ فى مجموعه ولا يبخسه قدرَه ما فيه من توارد خواطر وسقطات كثرتْ أم قَلَّتْ، فقد أُخِذَ على المتنبى نفس هذا العيب ومع ذلك فلا تزال الشعر المتنبى مكانتهُ العالية فى الأدب العربى.

(٦) انّ نهضة الشعر العربى تترتب كثيراً على تساند الشعراء، ولذلك لا يجوز أن يُسمَح لأى شاعر — سواء أكان العقاد أم سواه — أن يسىء بأنانيته وجموحه إلى هذه النهضة؟

اسماعيل بخاتى



بلوتو وبرسفونه

(فى هذه القطعة مثالٌ معتدلٌ من النظم الحُرّ الجامع بين الشعر القصصى وشعر التصوير)

كم عذَّبتْ (بلوتو)(١) حياةُ الشُرُودْ — عن عالمِ الحىّ وحُسْنِ الوجودْ
قد خصَّهُ الموتُ ، وفى مُلكهِ — قد عاشَ فى اليأسِ الالهَ الوحيدْ
لم ترْضَهُ زَوْجاً ولا آمَنَتْ — بِمُلْكهِ الضافى بناتُ الأُلوهَهْ
عيشٌ كموتٍ كلُّه ، مُظْلِمٌ — وحسرةٌ ملءُ الحياةِ الكريهَهْ
كم ساءلَ الأربابَ إنصافَهُ — وساءلَ الرَبّاتِ إسعادَهُ
فلم ينَلْ غيرَ عزوفِ المُنَى — عنه كأنّ الرَدَى صادَهُ
وهكذا قضَّى حياةَ الأبَدْ — فى عُزْلةٍ بل ظُلْمةٍ للعدَمْ
لايعرفُ العطفَ عليه أحَدْ — الا صَدَى الموتِ ونوْحُ الألَمْ
حتى اذا اليأسُ تمادَى بهِ — وأظلم الكونُ جميعاً لهُ
آثَرَ أن يغزوَ ربّاتِه — ويخطفَ الحظَّ كمَنْ نالهُ !

* * *

هذى (دِمِتْرا(٢)) أنْبتَتْ زهرَها — فى المَرْجِ مُدْهامت بهِ (برسفونْ)
وأنضجَتْ ما شاقها نورُهُ — من مُثْمِرٍ يبسمُ للناظرينْ
فراحت الابنةُ فى فَرْحَةٍ — تقطف من زهرٍ ومن فاكههْ
الفرْحةُ تُسْمِى نفوسَ الوَرَى — فكيف إنْ طارتْ بها الآلههْ ؟!

(١) اله عالم الموت (٢) دمترا : الهة الأرض ، وبرسفون : ابنة دمترا الجميلة

وشامَها (بلوتو) فشامَ المُنى — فى أخذِها أخْذَ القوىِّ العزيزْ
قد يُسرف الحرمانُ ، لكنّه — إذْ يُسرفُ فى مَنْعِهِ قد يُجيزْ !
وبينما الزّهرُ لدى (برسفون) — يُحيّى سَنَاهَا ويَحْبَبا لَها
ويَنعم من لَمْسِها مِثْلما — تُناجى الجداولُ إقبالَها
وتهوَى الحشائشُ مَشْياً عليها — فما كان ذلك إذلالَها
ويَحتضنُ الماءُ أطيافَها — برفقٍ اذا الحَرُّ قد نالها
وتُلْقِى عليها الغُصونُ الظلالَ — حوانىَ بالحبِّ فى نومِها
وبينا تُغنّى أغانى الجمالِ — مياهُ الجداول ملءَ الطَّرَبْ
وكلُّ الوجود قريرٌ بها كما نعمتْ بجمالِ الوجودْ
رآها (بلوتو) فتاق إلى اغتنامِ التى يشتهيها شريكهْ
فليس لمُلْكٍ جَمالٌ يُحَبُّ — اذا حُرِمَ المُلْكُ عطفَ المليكهْ



أهابَ (بلوتو) بذاكَ الثَّرَى — فَشُقَّ ، وأقبل فى مَرْكَبَهْ
فأفزعها أنْ بَدَا عندها — وأنّ الاسارَ غدا حظَّها
وهيهات يُجدى صِياحٌ لها — ففى لحظةٍ مُسْرِعاً نالَها
وفى الأرض غار بها وانتهى — الى مُلْكِهِ ، فازدهتْ كوكبَهْ !
وكان الربيعُ حليفَ الدوامْ — على الأرض لاينتهى نَضْرَةَ
فلمّا مضت ونأت (برسفونُ) — تجلّى الشتاءُ وراحَ الربيعْ
فناحتْ (دِمترا) التى استصرختْ — لإنصافِها كلَّ ربٍّ سميعْ
ولكنْ (بلوتو) أخيراً وَفَى — الى أمِّها فترةً كلَّ عامْ
تزورُ بها الأرضَ فى نَشْوَةٍ — فتلقَى (دمترا) وتَلْقَى الزهورْ
فتبتهجُ الأرضُ من زورةٍ — لها وتُغنّى نشيدَ السلامْ
وتُكسبها من حياةِ الربيعِ — رواءً يغيب بباقى الشهورْ

ففى الأرض غيبتُها غيبةٌ ... لأنس الربيع الصبيّ الجمالْ
فيطغى الشتاء ويحيا الورى ... بذكرى الربيع الحبيب الخيالْ
وتجلس حينئذ (برسفونُ) ... على عرشها و (بلوتو) القرينْ
الى أن يحين الظهورُ الجديدُ ... فيأتى الربيعُ ويمضى الجليدْ !

***

الأرضُ تفترُّ لها خُضرةٌ ... بالزهرِ فى موجٍ جميلٍ نضيرْ
كأنه نشرُ أغانى المُنَى ... من بعدِ تجوالٍ لها بالأثيرْ
وإذْ تمتلى (برسفونُ) الرُّبَى ... لتجمعَ الزهرَ لإكليلها
يروعها (بلوتو) . بوثبٍ له ... مِنْ باطنِ الأرض لتذليلها
كصُفرةِ الحُلَّةِ تلقَى لها ... مِنْ صُفْرةِ الخوفِ ولونِ الالمْ
مروعةً تعجز عن وقفةٍ ... كما فاتها جَمْعُ رشيقِ الزهرْ
فكانت بلفتتها حيرةً ... تحدّتْ وخافتْ وثوبَ القدرْ
وما رحمَ القدرُ المستعزُّ ... ولا هابَ أمراً اذا ما اقتحمْ
وثارَ الجواذان – من ثورةٍ ... لهذا الضياء – ببحر الضياءْ
فقد ألفا ظُلمةً للماتِ ... وليلُ المماتِ بحورُ الفناءْ
ولكنْ (بلوتو) ببأسٍ له ... يصدّ بقبضته الثائرينْ
ويرنو اليها بسحرِ العتىّ ... ويخطفها بيدٍ من حديدْ
وما لمحةُ الفنِّ فى صورةٍ ... تثور على دهشةِ الناظرينْ
بأهونَ من دهشةٍ للتى ... أدالتْ نظامَ الربيعِ الفريدْ

وصارت عزاء المماتِ الوحيدْ !

احمد زكى ابو شادى





ليل الشاعر

عادت الشاعـرَ يوماً بعضُ آلام ِ الحيـاهْ
فرأى الكونَ كما قد صوّرَ الكونَ أساهْ
مِن شقاءٍ مبتـداهُ واليـه منتهاهْ
ثم جنّ الليـلُ إذ كان معى يبكى هواهْ
قال : ما للّيـل كالطوفان يطغى جانباهْ ؟!
لـكأنّ الدّورَ فُلْكٌ بِتْنَ غـرقَى فى دُجـاهْ
وكأنّ الشهْبَ أمـواجٌ تلاشَى فى ذُراهْ
وكأن السحْبَ أفلاكُ على تلك المياهْ
وكأنَّ البدر يعلوها منارٌ فى سناهْ
وكأنَّ الخلق حيتـان تهاوتْ فى ثَراهْ
وأنا حوتٌ بهـذا اليَمّ قـد ضلّ وتاهْ !

« ٥ »

اللّيلُ مُذ كانَ ليـلاً وَهْمٌ سحيقُ الحـوافى
فى هوله الشهبُ غرقَى طوْراً ، وطوراً طوافى
والليـلُ قُـبَّةُ دَيْرٍ الكـونُ فيها طَريحُ
أشباحُه فى ثراها والنجمُ فى السقف رُوحُ
والليلُ جسمُ شهيدِ والشُّهْبُ آثارُ طَعْنِ
أو طيفُ عاذلِ صبٍّ فى وجهِهِ ألفُ عيْنِ

والليلُ أُفْقُ خلودٍ أطيارُهُ من نورِ
أو روضةٌ فى جَنَاها أو زهرِها البلّورى
أو فى سماء البرايا يَمُّ الخطوب الغواشى
والنجمُ حظٌّ تلاشى أو فى طريق التلاشى
ما أحسبُ النجمَ الا صَدْعاً بهذا البناء
من زَفرةٍ أطلقتها أفواهُ أهلِ الشقاء
والليلُ ليلٌ لقومٍ أخْنَى عليهم بلاءْ
إن طاب للمرء عيشٌ فالدهر طُرّاً ضياءْ

« • »

وانبرى الشاعر يرقى فى تهاويلِ سماهْ
كان يبكى فتبدَّى البشرُ منه فى مُناهْ
وكأنى أسمع الوحىَ اليهِ او أراهْ
وأحسُّ النفسَ الصاعدَ من هَمْسِ الشفاهْ
ورأيتُ النورَ غَشّاهُ ، وبالفيض غذاهْ
وجلالُ الشعرِ والرُّوحُ السماوىُّ احتواهْ
وكأنّ الكونَ عبدٌ وهوَ فى الكون إلهْ
قلت : صِف لى الليلَ فى تلك المراقي ... ما عساهْ؟
قال : فالليلُ حجابٌ للتّجنِّى والشّكاهْ
وَحَبيبٌ بحبيب يلتقى بعد نواهْ
خُلِقَ الليلُ أميناً لفتى قُرْبَ فتاهْ!

« • »

الليلُ ظُلمةُ حظٍّ فيها بريقُ الأمانى
أو مَرْبَأٌ من نعيمٍ فيه تميس الغوانى
والليلُ محرابُ شاكٍ جَمُّ التّأبّى عَيوفِ
أو هيكلٌ للتّناجى أو مسرحٌ للطّيوفِ

أو صدرُ صَبٍّ رحيبٌ قد غُصَّ بالمؤلماتِ
تُلَطِّفُ الهمَّ فيه طوائفُ الذكرياتِ
والليلُ بحرٌ نَئومٌ أسماكُهُ النَّيِّراتُ
مَنْهِيٌّ كلَوْحةِ رسمٍ الموتُ فيها حَياةُ
أو فَضْلةٌ من رداءٍ بالسحرِ لفٌّ البرايا
فيه ثقوبٌ تدلَّى النورُ منها هدايا
و زَجْرةٌ من مَغيظٍ أو زَفْرةٌ من جحيمْ
فيها الدخانُ ظلامٌ والنارُ فيها نجومْ

« • »

ومضى الشاعرُ يحكى عن هَناهُ وعَناهْ
وكأنْ لم يبق فى دنياهُ مأخوذٌ سواهْ
يُلْهِمُ الشعرَ كما يُلْهِمُ انفاسَ الحياةْ
قلتُ : ما البدرُ الذى راح يُجلّينا ضياهْ ؟
قد وصفتَ الليلَ والنجمَ ، فأكمِلْ ! قال : آهْ !

« • »

ياعاهلاً فى بِساطِ الدُّرِّ وَشَّاهُ وَشْيَا
ياراعياً فى قطيعِ النجومِ هل تُؤْتَ مشيَا ؟
البدرُ إن لاحَ شيخٌ فى درسِ سحرٍ مهولِ
او فى الحجيجِ امامٌ صلى بألفى قبيل
أو فى جموعٍ زعيمٌ قد قام فيهم خطيباً
أو قائدٌ فى جيوشٍ يطوى الليالى حروباً
أو راصدٌ سوف يبقى فى مسرح اللانهايهْ
ما مثّل الناسُ حتى تُقْضَى فُصُولُ الروايهْ
البدرُ والنجمُ كانا قيثارةً من لآلى

لشاعرٍ حطمتها أيدى الدهور التوالى
والبدرُ والنجمُ كانا قَلْباً فرّته العوادى
والشُّهْبُ بعضُ البقايا من اصل هـذا الفـؤادِ

« ٥ »

هكذا الشاعرُ يَرْعى الـكونَ والكونُ حِماهْ
كلما أبلى شجوناً جعل الشعرَ عزَاهْ
فاذا بالشعر دمعٌ من بُكاه لشجاهْ
واذا بالشعر وجدانُ المُعنَّى وَجَنَـاهْ
فمُصابٌ فى التجنـّى ومصابٌ فى النجاهْ

محمد زكى ابراهيم



ملك البخـــلاء

بخيلٌ يُنـفِقُ الأيامَ جَمْعاً ويحْيـا بـين طيّـاتِ القماطِ
فلم يعرف من الدنيا نعيماً ولا مَعْنَىَ الوجود والاغتباطِ
جَهولٌ بالحيـاة ومبتغاها عليمٌ بالحسابِ بلا غِلاطِ
شحيحٌ فى محاربة المنـايا يبزُّ (القرش) من سِمِّ الخِيـاطِ
ويكْرَهُ أن يرى الطبّاخَ يوماً ويلْعَنُ من يسير (ببقسماط)
يعيشُ معيشةَ الصُّوفىِّ كُرْهاً فصَرْفُ القرش ضرْبٌ بالسِّيـاطِ
وأشهى ما يُرَجِّيهِ حَياةٌ بلا (بِدَل) يُفصَّلُ أو (بلاطى)
يمرُّ المعْوَزُونَ بهِ سِراعاً مخافةَ أنْ يناديهمْ . . « يا عاطى ! »
فمنْ يستَجْدِهِ فى حالِ بُؤسٍ يَكُنْ كالريحِ مرَّ على البلاطِ !

حسن كامل الصيرفى



الكشاف الأعظم

تحية صاحب السمو الملكى الامير فاروق ولى عهد المملكة المصرية
فى حفلة تنصيبه «كشافاً أعظم»

جلوتَ المنى أيها الموسِمُ ... وزانتْ ضُحَى شمسِكَ الانجمُ
وزادت رياض الحمى نضرةً ... أماليد عن زَهر تبسمُ
أقرَّ النواظرَ تهذيبها ... وتدريبها المونقُ المحكمُ
صغارٌ تُقوَّمُ أعطافهم ... لينموا صلاباً كما قوّموا
تراهم على درجات الصبي ... كمختلف الدُّرّ إذ ينظمُ
يعلمهم من مراس الحياة ... أولو الذّكر والخبر ماعلموا
فيمضون فى خوضهم لاعبين ... اذا قوّضوا وإذا خيّموا
ويضحك من خُشُب شُرَّعٍ ... بأيديهم الرمحُ والمخذَمُ
ليهنئْهم اللهوُ لاعيبَ فيه ... يشوب الصّفاء ولا مأثمُ
يذكّى النهى ويشدُّ القوى ... وما فى عواقبه مندمُ
فتنمو الجسومُ على صحة ... وتُكفى الخلائقُ ما يسقمُ
وتبنى لأوطانهم أمة ... أبرّ بها ولها أرحمُ
جنودٌ ولكن لتُرعَى الحقوق ... على يدهم ويصان الدمُ
كفاة لانفسهم بيِّنٌ ... لهم ما يحلّ وما يحرمُ
اذا استنجدوا أنجدوا المستضامَ ... ولو كلفوا جللا أقدموا

ومهما تجشمهم الواجباتُ ... مِن المطلب الصعب لا يُحجموا
فهم كالنُّسوها وحفاظها ... ورُوّادُها حيثما يَمّموا
غداً يسفر الدهرُ عن حالة ... وهم فى رجالاتها مَنْ هُم
ويحمدُ فى الشّوط تبريزهم ... اذا ما جلا نقعهُ عنهمُ
قُصاراك من نخبةٍ فى البنين ... تحبٌ ومن صفوةٍ تُكرَمُ
فكيف بها وهى معروضةٌ ... و (فاروق) كشافها الأعظمُ
تسير وأعلامها مومئاتٌ ... الى أيّها البطلُ المعلمُ
الى الفرع تنميه أزكى الأصول ... وينصره الرأىُ واللهذمُ
فخارٌ لمصر بشبل العرين ... يشبُّ ويَكلاؤهُ الضيغمُ
مَرُوضاً على الوثبات الكبار ... ومهجةُ مصر له ترئمُ
فأوّلُ مرقاته ذروةٌ ... وغير الذُّرَى ما له سلمُ
لك الله فى النشء ياخيرَ مَنْ ... يُطاع وياخير من يُخدَمُ
أسرّك من قومك المخلصين ... ولاء تبينتَهُ منهمُ
وهزّتك هزّةُ تلك الجوانح ... إذْ تتولى وإذْ تقسمُ
وراقتك بهجةُ تلك الدموع ... بمرأى أبٍ لابنه يلثمُ
سلمتَ مَلاذاً لابنائهم ... فأسنى الأمانىّ أن تسلموا
وأن تظفروا فى كفاح العلى ... وألاّ يفوتكمُ مغنمُ
تبوّأتهُ منصباً لا يقوم ... باعبائه المبشرُ المؤدمُ
فلم تسمُ عفواً الى أوجهٍ ... كما شاء مَحتدُك الافخمُ
ولكن دعاك اليه النبوغُ ... وأيّده مجدُكُ الملزمُ
كمالٌ حجىً فى اقتبال الصبي ... تبارك واهبك الأكرمُ
وخلقٌ رعى حُسنَ تثقيفه ... مثقفك الارشدُ الأحزمُ
مليكٌ على قدر الحادثات ... اذا عظمتْ شأنهُ يعظمُ

له إن يشأ نقضُ ما أبرمت ... ولا ينقض الدهرُ ما يبرمُ
قوىّ المشيئة نفّاذها ... بماضٍ من العزم لا يثلمُ
متينُ الحصاة طويلُ الاناة ... اذا سئم الجدَّ لا يسأمُ
نصيرُ العلوم نصيرُ الفنون ... مُعنّىً بأبكارها مغرمُ
يرى منه فى كل معنى طريفٍ ... على كلّ مفخرةٍ قيمُ
ويبغى لأمته خيرَ ما ... يروم الحكيمُ الذى يحكمُ
فينفعها رأيه المجتنى ... وينفعها غرسه المُطعمُ
ويبنى الصروحَ لعليائها ... بناءً على الدهر لا يهدمُ
ففى كل منتجعٍ للرُّقى ... له معهدٌ وله معْلمُ
تكاد على متوالى الفصول ... من العام أنواؤه تنجمُ
لو استنّ فى الجود ما سَنّه ... لما كان فى بلد مُعدمُ
عوارفُ تملأ رحبَ الديار ... فكيف يعدّدها المرقمُ
يتيه البيانُ بأوصافها ... ويوشك أن يُفصحُ الُمعجمُ
إلى خطط فى العلى لم تدعْ ... مجالاً يُلمّ به اللوَّمُ
ومن آية الفضل أن الأُلى ... أبوها عليه بها سلَّموا
فلو قدر السلفُ الأمجدون ... لدانَ لمحدثها الاقدمُ



أمولاىَ هذى قوافٍ سمتْ ... اليكَ ولم تُغرِها الانعمُ
جواهرُ مِن منجمٍ فاخرٍ ... تأتَّت وأنت لها المنجمُ
فما فى القلادة غير الفريد ... ولا فى الاشعةِ ما يُتهمُ
وما فى الهدية عاريّةٌ ... بها مَن يقدّمها يوصمُ
جلا لكَ شعرى بها صورةً ... على الدهر تزهو ولا تهرمُ
وما أنا من يعتفى مانحاً ... وبى من غِنى النفس ما يعصمُ

على أنها ساعةٌ للسرور ... ا تيحتْ وصدرى بها مفعمُ
فهنّأتُ ربَّ الحمى بابنه ... وأرسلتُ فكرى كما يُلهمُ
وانطقتُ قلبي بما صانه ... زماناً فلم يبتذله الفمُ
وَلأنى ولأى ، فان أنكرته ... أناسٌ فانى به أعلمُ
وأدنى همومىَ ما أخروا ... من القولِ فيه وما قدَّموا
فدُمْ للسماحة يا شمسَها ... ودُمْ للنـَّدى أيها الخضرمُ
وعاش ابنُكَ المفتدَى يقتفى ... أباهُ وفى ظله ينعمُ

خليل مطران



جولة الشاعر

قومى ! و ما قومى سوى شيعتى ... يَراعتى والليلُ والفرقدُ
أطلقتمونى شاعراً ساهراً ... والناس محظوظون أو رُقدُ
أرود ما بين الثرى والسما ... أستكْنِهُ الخلق وأسترصِدُ



أمرُّ بالزارع فى كوخه ... ما فيه تأريكٌ ولا مَصعَدُ
إن يغترب يذهب الى بَيْدَرٍ ... أو حقله يرويه أو يحصُدُ
فأكبرُ الهمَّةَ فى بؤسِه ... وعونَهُ دنيا به تجحدُ
عيش النبيين ، فأنعم به ... من كافلٍ يشقى ولا يكنَدُ
فرةً يرعى قطيعاً له ... عَصَاهُ تسترجعُ ما يشردُ
كأنه موسى على رِعْيِهِ ... فى متمة الحضر غدا يزهدُ
ومرةً يشجيه مِزمارُه ... كأنَّهُ داوود إذ يغردُ
ما أجمل الغادة فى ريفها ... أخلاقها عن قدسها ذُوَّدُ
تحمل الجرَّةَ مملوءةً ... تمشى بها ما ساندتها يَدُ
لو أدركَ الأعرابُ إجهادها ... ما كانت الأنثى إذاً تُوءدُ

* * *

وأدخلُ المدنَ أرى ما بها الزيغَ والدعوى وما يُفسدُ
كم قرَّ مغرورٌ بها مترفٌ مستمرئٌ فى عيشهِ يرغدُ
وكم شحيح كانز ماله يوغِلُ فى الجمع ولا يرقدُ
أغشى المجاميعَ على حيرة من رؤية الضدين إذ أشهدُ
كم من مناحات على راحلٍ ومهرجان لامرىءٍ يولدُ
وكم جماعات على مشهدٍ وكم من جيوش للبلى تحشدُ
وأبصر القين على كيره يجهده التطريقُ والمِبرَدُ
يجهد ما يجهد لم يجزهِ عن جُعله مُسَخِّرٌ يسمدُ
وراكباً سيارة فخمة كأنّه فى قومه السيّدُ
وراجلاً يمشى على رَسْلهِ ومسرعاً صاح به الموعدُ
الكلُّ مصروف الى قصده فأقفر الهيكلُ والمسجدُ
جانبتهم فى الطير مستبصراً وقد تآخى الصقر والصِّفْرِدُ(١)
فوق غصون الدَّوْح فى ظلها كم مستفىء عندها يربَدُ
وجدول قالَ على جسره بعضٌ وبعضُ القوم يسترفدُ
وكرمة قامت على عرشها فى الروض وهو المزهر المُوردُ
ناست دواليها . ثريّاتها أعنابُها سبحان من ينضِدُ
وطاح بى السير الى منتأى حيث الوحوش العجم والفدفدُ
اراحت النفس بما شاهدت والمرءُ مأخوذٌ بما يشهدُ
الوحشُ للوحش به رحمة فما لنا فى نوعنا نأسدُ
حتى إذا استوعبتُ أخبارَهم أُبثُ اليكم مُخبراً أنقدُ

* * *

قومى ! وما قومى سوى شيعتى يراعتى والليلُ والفرقدُ
ملكُ سليمان تُرى ملككم وانني فى شعبه الهدهدُ !

اسماعيل سرى الدهشان

---

(١) طائر جبان يدعى ابو المليح



طفل يستقبل العام السادس

كنتُ في العام الذي ولَّى صغيراً غير أني أقرأ الآنَ الكتابا
وأجيد العَدَّ ، لا أخطئ فيه وكذا أكتبُ ما يُملَى صوابا

« • »

كنتُ لا أجلس — في الغالب — إلا ضاحكَ السِّنّ ، على رُكبةِ أمي
كنتُ في خامسِ أعوامي ، فلما صرت في السادس زاد الآنَ عِلمي

« • »

أذهبُ اليومَ إلى مدرستي حافظاً دَرْسِيَ في كل نهارِ
فوق ظهري جعبتي شاهدةً باجتهادي ، وهو حَسْبي من فخارِ

« • »

كلما ينطِق أستاذيَ أصغي واعياً ما قال ، لا مُفرِّطا
وهْوَ مسرورٌ بجدّي ، إذْ أراه دائماً يَبْسم لي مغتبطا

كامل كيلاني

فوائد القصص

للشاعر الفرنسي La Fontaine لافونتين

خُذْ عن البُهمِ حكمةً او حصافهْ ضَمِنَتْها حكايةٌ أو خُرافهْ
كم تَعافُ النفوسُ قولَ حكيم فاذا صيغ قصةً لن تعافَهْ
وانْظر الاقتصادَ في النمل ، وانظرْ همة النحل واظّرافَ الزرافَهْ
لاتظنّ الذكاءَ وَقْفاً علينا فاحتكارُ الذكاء للناسِ آفهْ

القردة الصغيرة والقرد الكبير والجوزة

للشاعر الفرنسى فلوريان

١٧٥٥ — ١٧٩٤

وقردة لدْنة فى ميعة العُمرِ تملكتْ جوزةً فى غصنها ينعتْ
وظنّتَ الجوز مأكولا بقشرته عضّت فصُدَّت فقالت بعد أن غضبتْ :
« كم أسمعتنىَ أمى كل تأكيدِ من أن للجوز طعماً غير موجودِ
حتام نسمع من آبائنا قَصَصَاً يضللون به فى كل مقصودِ !
الى جهنم — بئس الجوزُ من ثمرِ ! »
ألقتْ بها فتلقاها وكسَّرها بين الحجارة سعدانٌ وقشَّرها
واعمل النابَ فيها ثم قال لها : « أرى لامك حقاً فى نصيحتها
فالجوز خير غذاء يستلذ به لكنه بعد جهد الكسر بالحجر »

المغزى :

لا يرغد العيش فى الدنيا لساكنها الا ببعض جهاد الجسم والفكرِ

قصة لويس الثانى عشر والخبز

للشاعر الفرنسى Andrieux أندريه

١٧٥٩ — ١٨٣٣

اليكم قصة عن خيرِ قرمِ فرنسىٍّ تملك خيرَ فكرِ
تجنب فى الرعية أىَّ ظلم فكان له لديهم حسن ذكرِ

« ٥ »

قد اتّهم الوشاةُ له وزيرا يسوم الذلَّ فلاحا فقيرا
فاحضر ذلك الطاغى لديهِ بلا استدعاء بينة عليهِ
وقابله على الترحاب حتى كأنْ ما كان من أمر تأتى
وقال له بألفاظ الدهاء : « دعوتك ياوزيرى للغذاء »

***

وكان المَلْكُ أوعز للطهاة باعداد العديد من الصنوفِ
وتهيئة الموائد فاخراتٍ ولكن مابها صنف الرغيفِ
فكان الضيفُ فى دهشٍ عجيبٍ يحاول كشف ذا السر الغريبِ
أهاب به المليكُ وقال : ويحكْ ! أليس الآن كل ترغب فيه نفسك
أجاب : العفو يا مولاىَ انىّ أرى ما لا رأت من قبل عينى
ولكن لاأرى خبزاً أمامى فآكل ما أريد من الطعام
فقال له المليك : اذهب بعيداً فلا أهلاً بمن آذى العبيدا
ويكفى ما رأيت الآن درسا بلطفٍ منك إحساساً ونفسا
ومادام الرغيف أهمَّ قوتٍ وافضلَ ما يقدم للغذاء
فأحرى ان نعامل موصليه الينا بالكرامة والسخاء
فنحن عيالهم فى العزّ نحيا وهم يتذمرون من الشقاء

اسماعيل سرى الدهشان



نقد الطريقة الرمزية

وشرح أثرها فى أساليب الشعر ومعانيه

مذهب الرمزيين كما أعتقد يشمل أموراً منها إحلال المشبَّه به مكان المشبه وحذف المشبه فى كثير من المواضع ، ومنها ادخال تشبيه فى تشبيه واستعارة فى استعارة وخيال فى خيال ، وثالثها الاسترسال فى وصف الهواجس النفسية من غير تمهيد أو شرح ويرمزون لهذه الهواجس بأشياء تذكرهم بها ، ورابعها انهم قد يشبهون

شيئاً بشيء آخر وهذا الشيء الثاني يشبهونه بثالث والثالث برابع الخ. ثم يحذفون كل هذه الاشياء ماعدا المشبه به الرابع فانهم يبقون لفظه كي يكون رمزاً للمشبه الاول. ولا شك أن هذا المذهب يتطلب ذكاء وانتباهاً وثقافة من الشاعر والقارىء ولكن أصحابه قد نسوا قول بندار الشاعر الاغريقي القديم (على ما أذكر) وقد أراد أن ينصح شعراء عصره: « ابذروا البذر باليد لا بالزمبيل » يعني أن الزارع إذا رمى بذراً كثيراً في مكان واحد فان النبات الذي ينبت قد يقتل بعضه بعضاً، وكذلك الشاعر إذ أدخل الصور الشعرية بعضها في بعض في جملة واحدة أفسد بعضها بعضاً. ثم ان الاسلوب قديتهم بالضعف اللغوي مهما كان صاحب الاسلوب مضطلعاً باللغة وذلك لان أسباب التعلق بهذا المذهب كثيرة وليس السبب واحداً، فمنها: (١) ان الشاعر قد يلجأ اليه عمداً متكثراً بأخيلته وصوره الفنية ناسياً قول بندار الشاعر الاغريقي الذي سبق ذكره، (٢) ومنها أن الشاعر قد يلجأ إلى هذا المذهب اذا أعوزته الكلمة الصحيحة فيضع الكلمة التي تحضره ولا يعدم وجه شبه بين مدلول الكلمة الاولى ومدلول الكلمة الثانية فتصير الكلمة التي وضعها رمزاً للتي لا يذكرها على سبيل وضع المشبه به مكان المشبه (٣) ومنها ان هذا الوضع قد يكون لمرض في مزاج الشاعر يعرفه الاطباء ـ ففي الحالة الاولى قد يكون الشاعر مضطلعاً بأساليب اللغة خبيراً بها ولكنه في أسلوبه يستوي والشاعر غير المطلع لتشابه طريقتهما والناقد معذور إذا سوّى بينهما.

فالاستكثار من الصور الفنية في الجملة الواحدة باستعمال رموز الشبه يؤدي إلى غموض الصورة العامة كما يؤدي إلى قتل الصور الجزئية بعضها بعضاً كما يقتل النبات النبات في المكان الواحد، وأسلوب الشاعر المطلع يختلط بأسلوب الشاعر غير المطلع كما فسرت وما تستدعيه هذه الطريقة من الذكاء والانتباه والثقافة ليس أعز ذكاء ولا أفضل انتباهاً ولا أجل ثقافة. ألا ترى أن حل معميات الكلمات الافقية والرأسية التي تنشر مسابقاتها في الجرائد والمجلات يستدعي أيضاً ذكاءً وانتباهاً وثقافة من القارىء؟ وهذه الطريقة الرمزية تؤدي إلى فتور العاطفة وقلة تأثر القارىء لشعور الشاعر.

ان اكثار الشاعر من قرض الشعر ليس بعيب حتى ولو أدى إلى أن يكون في شعره غير المختار، فان اجادة الشاعر المكثر واساءته قد تأتيان منه عفواً أثناء اكثاره وقد يفقد بعض اجادته اذا فقد بعض اكثاره فلا يكون الاكثار مستهجناً

الا اذا دفع الشاعر الصانع لعجلته الى طريقة الرمزيين اى الى استعمال كلمة مكان أخرى وعبارة مكان عبارة ثم الاحتجاج لهذا الاستعمال بايجادوجه شبه بين الكلمتين او العبارتين التى حلت احداهما محل الاخرى على سبيل حذف المشبه وإحلال المشبه به مكانه او احلال الرمز مكان الامر المرموز له . فهذا المذهب اذا قل اتباعه كان حلية تقبل وتستملح اذا قرب وجه الشبه،أما اذا كثر استخدامه وبعد ما بين المشبه به والمشبه المحذوف وما بين الرمز والمرموز له أدى الى المآخذ التى شرحتها فى شرح طريقة الرمزيين ، ولا شك ان المكثر العجلان قد يتأثر هذه الطريقة اذا وضع كلمة مكان اخرى أو جملة مكان أخرى. ولكن هذا التأثر قد يكون مرجعه الى اعتقاد الشاعر ان هذه الطريقة تزيد الأخيلة والصور الفنية فى الجملة الواحدة ناسياً أن الصورة تمحو الصورة كما يقتل النبات النبات فى المكان الواحد وناسياً ان هذ التكثر بالرموز لا يغنى عن سيل العاطفة المتدفق ولا عن المعنى الهام الأجل . على ان منزلة الشاعر لا تقدر بان نضع حسناته فى كفة ميزان وسيئاته فى كفة أخرى ثم نسقط من الحسنات بقدر السيئات ، فاذا فعلت ذلك ذهبت بعض السيئات ببعض الحسنات والحسنات حسنات لا يتغير عنصرها ،فمنزلة الشاعر إذاً هى منزلة أحسن شعره . هكذا يقيس الدهر اكثر الامور فيشيد بالحسنات ويقبر السيئات إذا وجد للحسنات مذيعاً .وقد تنشأ السيئات اذا أكثر الشاعر من التجارب كما يصنع الكيمائى وحاول ان يمهد منهجاً جديداً وكان جريئاً ذاهباً مذهباً بعيداً فى هذا الطريق غير المعبّد فان التجارب فى الامر الجديد غير المعروف قد يفشل بعضها كما يحدث فى معمل الكيمياء ولكن الشاعر اذا أجاد بسبب جرأته وذهابه مذهباً جديداً كانت إجادته اعظم من اجادة الشاعر المحاكى الذى يتبع الطريق المعروف المملول . وليس من المحتوم ان يفشل الاول فى كثير من محاولاته الاولى:ألا ترى أن الكيمائى قد يصيب فى أول محاولة ؟ وانما يرجع ذلك الى استعداد الشاعر واطلاعه وذكائه وتأنيه حتى يأتيه الشعر بدل أن يسعى هو الى الشعر، وانما يسعى الشعر الى الشاعر فى حالات خاصة ليس له سلطان عليها، ولكنها اذا عرضت للشاعر قدحت خياله وذاكرته وحشدت له المعانى والاساليب من غير ان يسعى اليها فتعطيه موضوع قصيدته ومعانيها وصورها الفنية من غير ان يتكلف طريقة الرمزيين اللهم الا اذا كان مريضاً بذلك المرض الذى يغريه بوضع كلمة مكان أخرى وفى هذه الحالة يتبع الطريقة الرمزية حتى فى حالات ايحاء العقل الباطنى والاندفاع الشعرى .

أما ان الشعر الرمزى يجد قراء وأنصارا على غموضه فلاسباب عديدة :



(عبد الرحمن شكرى — أحدث صورة له)

(١) ان بعض القراء يكتفى من الشعر بمدلولات بعض الكلمات وبنغمة الوزن: فبعضهم اذا قرأ قصيدة غير مفهومة لم يرعه انه لا يفهمها ولم يقلل ذلك من لذته فان لذته فى مدلولات وصور بعض الكلمات مثل النجوم والحب والأزهار والحياة. فاذا قرأ كلمة الحياة تصور ماشاء من صور الحياة أو تأثر شعوره بها ، واذا قرأ كلمة الحب ذكر مواقفه وبؤسه ونعيمه ، واذا قرأ كلمة النجوم سامر النجوم وكان حادياً لها فى السموات فيحس كأن النجوم تسير على توقيعه ويكاد يسمع لها غناء ونغماً أثناء رقصها فى دوراتها واذا قرأ كلمة الأزهار ناجته بألوانها وشذاها وكأن الحياة لديه زهرة كبيرة كثيرة الالوان أو كأن القصيدة التى يقرؤها زهرة كبيرة من زهرات الحياة والحب ومن كان مثل هذا لا يهمه فهم القصيدة .

(٢) ان بعض القراء لايكتفى بمدلولات بعض الالفاظ فى القصيدة بل يفهم القصيدة حقاً وإن كان لايفهمها اكثر الناس ولكنه يفهم فيها ما يشاء من المعانى لا ما يعنيه الشاعر ويحسب ان الشاعر يعنى ما فهم منها او لا يهمه ما يعنى الشاعر .

(٣) ان بعض القراء يفهم مايستقيم فهمه من القصيدة ويحسن الظن بما لايفهم وما يفهم منها يغريه بهذا الظن الحسن أو قد لايغريه وانما يحسن الظن بطبعه .

(٤) ان بعض القراء كالعباد فى معابد القدماء لايحمدون من الشاعر الا ما كان غير مفهوم من شعره كالعباد الذين كانوا لايحمدون كهانة الكاهن الا اذا كانت غير مفهومة ، وهؤلاء القراء يحمدون من الشعر ان يكون سراً رهيباً مغلقاً محجوباً عن النفوس كسر الحياة وكسر الموت ولا يلتذونه الا اذا كان كذلك .

(٥) ان بعض القراء له تلك الملكة وذلك الذكاء والانتباه وغيره من المواهب التى تجعله قادراً على فهم الرموز الشعرية الكثيرة المتداخلة وهؤلاء يلتذون الشعر كما يلتذ قرّاء المعميات الافقية والرأسية البحث عن تلك الكلمات التى ذكرت رموزها كما يصنعون فى ملء المربعات الخالية البيضاء فى مسابقات المجلات .

فيستجيد هؤلاء القراء مهارة الشاعر أو مجانته فى وضع الكلمات مكان الكلمات كرموز لها على هذه الطريقة المقتضبة .

(٦) ان بعض القراء لا يفهمون الشعر ولا يحاولون فهمه ولكنهم يخشون ان يتهموا بالبلادة وقلة الثقافة اذا قالوا انهم لايفهمون فيدعون فهم ما لا يفهمون .

(٧) ان للتمجيد والاستحسان عدوى كعدوى البغض أو الود أو الحب أو الاستهجان أو القدح أو التثاؤب ، فاذا تثاءب أحد الناس رأيت كثيرين يتثاءبون ، وكذلك إذا سرت عدوى التمجيد والاستحسان رأيت كثيرين من القراء قد أصيبوا بعدوى

الاستحسان وهم لا يفهمون ما يستحسنون .

(٨) ان بعض الناس يستحسن شعر الشاعر لانه صديق يثق به فى الحياة ، وما دام الشاعر موضوع ثقته فى معاملات الحياة فان شعره موضع ثقته أيضاً على جهل منه بالشعر . وهذا القياس خطأ منطقى ولكن النفوس مولعة أحياناً بالاخطاء المنطقية بل ان تلك الاخطاء المنطقية تكون فى الحياة أحياناً كما تكون التوابل فى الطعام صلاحاً ولذة فلا يسيغ المرء الحياة الا بها فى تلك الاحايين.

(٩) ان بعض القراء يزدرى الشعر المفهوم إما لانه يعد وضوحه اتهاماً لعقله بالعجز عن فهم العويص الغامض وإما لانه يضن على الشاعر بان يحدد معنى شعره ويعد ذلك غروراً منه وكبراً . ومثل هذا القارىء يود أن يشارك الشاعر فى تحديد معنى شعره فيعظم القارىء بذلك عند نفسه وهذا لا يستقيم إلا اذا كان الشعر غامضاً ، أو مثله كمثل الجليس الذى يقطع عليك حديثك كى يوضح لك معنى ما تقول. ولعل قارىء هذا المقال قد لقى من الجلساء من يجاهد ويجالد كى يفعل ذلك ويغضب اذا لم تهىء له فرصة .

(١٠) ان بعض القراء قد يستولى عليه الملل اذا كان معنى ما يقرأ مفهوماً فهو يباعد الملل عن نفسه بالتأمل فى رموز الشعر غير المفهوم.

(١١) ان بعض القراء يرى ضرورة له فى الحياة أن يعبر عما تكنه نفسه من الاشجان والهواجس وما يرى من الآراء ، فعنده شعور الفنانين وليس عنده قدرتهم على النظم أو النثر ، فلابد له من شاعر أو كاتب يفهم فى شعره أو نثره تلك الآراء ويشعر فيه بتلك الاشجان ولا يستقيم له ذلك الا اذا كان الشعر أو النثر غير مفهوم .

(١٢) ان القارىء قد يكون مصاباً بالمرض نفسه الذى يجعل الشاعر أو الناثر يضع الكلمة مكان الأخرى فيستحسن المريض طريقة المريض .

(١٣) قد يكون غموض الشاعر من أجل خطأ منطقى أو انقطاع الصلة المنطقية الصحيحة اللازمة بين أجزاء شعره وهذا كثيراً ما يعرض أيضاً للقراء فيفهمون منطق الشاعر على انه صواب وهو خطأ لانه يوافق طريقة منطقهم وتفكيرهم .

فالطريقة الرمزية من قديم الزمن يجلها كثير من القراء إذا مرت عدوى التمجيد وقد يقابلها بالعداء فى أول الأمر . والشاعر قد يدرك هذه الأسباب

وغيرها إما بالغريزة وإما بالتفكير المنظم فيرى فى هذه الطريقة منافذ له إلى الجمهور واستحسان الناس وتمجيدهم فيتعمد تأثر هذه الطريقة . وقد يكون هو نفسه كالجمهور ممن تؤثر فيهم هذه العوامل أى قد يكون الشاعر ممن يكتفى بمعانى وصور بعض الألفاظ كالازهار والنجوم والحب والحياة فلا يهمه المعنى العام ويعد هذه الالفاظ ثروة شعرية كبيرة ، أو قد يقف الشاعر أمام شعره كالعابد أمام كهانة الكاهن ، أو قد يكون الشاعر نفسه كالقارىء فيفهم فى شعره ما ترتضيه هواجس نفسه لا ما تؤديه الالفاظ ، أو قد يكون الشاعر كبعض أولياء الله الصالحين الذين يقولون كلاماً غير مفهوم فيفسره أشياعه كل تفسير يرون فيه سر الحياة وسر الموت ومفتاح مغاليق الكون .وقد يجمع الشاعر بين المكر والسذاجة فى اتباع هذه الطريقة كما يجمع الفلاح بين المكر والسذاجة . اما ان الجمهور اذا سرت فيه عدوى التمجيد يقدس الطريقة الرمزية فامر يعرفه من درس تاريخ الاديان ورموزها من عهد قدماء المصريين والبابليين والاشوريين والاغريق واليونان والرومان وغيرهم من الامم القديمة ولعل بعض المسيحيين فى العصور المختلفة لم يتأثروا تعاليم المسيح عليه السلام كما تأثروا رموز فصل من الانجيل يدعى ابو كالبس Apocalypse ولا تحسبن أن الطريقة الرمزية قاصرة على صغار الشعراء فجيته Goethe كان مغرى فى بعض مؤلفاته بالرموز ، ومن أدباء العصور الحديثة أديب قد أكثر من الطريقة الرمزية حتى ليحار الانسان فيه فلا يعرف أهو عبقرى مفكر كبير أم مشعوذ أم هو الاثنان معا واعنى موريس ميترلنك .

على أنه لا يصح أن نجعل مرجع كل شعر لا يفهمه القارىء إلى الطريقة الرمزية فقد يكون العيب عيب القارىء وقد يكون عيب الناظم وقد يكون عيب كليهما وقد لا يكون هناك عيب فى أحدهما .

فالشاعر المثقف والقارىء الذى لا يعرف من الثقافة غير القراءة كيف يلتقيان والشاعر والقارىء إذا اختلفا فى مقدار الثقافة أو فى نوعها كيف يتفاهمان كل التفاهم والشاعر المفكر الذى يبحث فى خفايا النفس والقارىء الذى لا يفكر ولا يقدر أن يبحث فى خفايا النفس كيف يتعارفان ، أضف إلى ذلك انه قلما تجد اثنين من الناس يتفقان فى طريقة التفكير أو طريقة الشعور كل الاتفاق لاختلاف صفات نفسيهما الموروثة واختلاف اتجاه الذهن وقتاً ما . ومن أجل هذه الاسباب اختلط الحابل بالنابل فى عصر كثرت وتنوعت فيه الثقافة وصار الرمزيون يحيلون على الثقافة وانواعها وطرق التفكير والشعور ومقدار العرفان إذا لم يفهم القارى

شعرهم وليس الامر كما يزعمون فى بعض شعرهم إذا صدق زعمهم فى بعضه .

وقد يقتفى الشعراء الطريقة الرمزية على اختلاف ثقافتهم فبيننا أستاذ شاعر عبقرى وناثر كبير يتعصب للقديم ويزدرى الجديد وبعض مؤلفاته لم يؤلف مثلها عربى صميم لان الصور الفنية والرموز الشعرية فى بعضها تتقاتل تقاتلاً عنيفاً تقاتل النبات فى المكان الواحد وهو مضطلع بالاساليب العربية الصحيحة وباللغة الفصيحة ولكن بعض مؤلفاته غير مفهوم بسبب كثرة التشبيهات والاستعارات والصور والرموز الشعرية التى يطمس بعضها بعضاً فى الجملة الواحدة، وبيننا شاعر آخر عبقرى يتعصب للتجديد وهو مكثر يدل إكثاره فى موضوعات مختلفة على اضطلاع باللغة ولكنه يكثر من الرموز الشعرية والصور الفنية احياناً اكثاراً قد يغطى على اضطلاعه ويجعل بعض قوله مبهماً .

ولا شك أن طريقة الثقافة فى الشعر قد تلتقى وطريقة الرمزيين أو تقترب منها وان اختلفتا فى الاصل وذلك لأن بعض الرمزيين مثقفون وان اختلفت ثقافتهم فى النوع والمقدار ولأن الشاعر المثقف لا بد أن يكون كثير الاشارات إلى ظواهر كونية وحيوية وإلى حقائق مادية وإلى حالات نفسية مختلفة ، وهذه الاشارات قد تكون شبيهة بالرموز أو الطلاسم عند الجمهور اذا لم يمهد الشاعر لها ويوضحها ما استطاع ولا يصح أن ننصح بترك الثقافة وقصر الشعر على المعانى المعروفة والصور الفنية الموروثة والحالات النفسية الموصوفة المألوفة إلا إذا كان الشعر شعراً خاصاً لطبقة غير مثقفة والا كان الشعر فقيراً معدوماً ميتاً لا روح فيه .

اما نصيحتنا فهى أن نصون الثقافة عن أساليب وطرق الرمزيين التى يستخدمها المثقفون وغير المثقفين منهم فلا نضع كلمة أو عبارة مكان اخرى كى تكون رمزاً لها ولا أن ندمج الصور الفنية بعضها فى بعض فى جملة أو بيت واحد متكثرين بذلك من الأخيلة والاستعارات والتشبيهات ومتعجلين فى ايجاد وجه شبه بين شيئين على طريقة الرمزيين .

وينبغى أن نذكر قول بندار الشاعر الاغريقى الذى سبق ذكره ومعناه أن الصور الجزئية اذا ازدحمت فى جملة واحدة طمس بعضها بعضاً كما يقتل النبات النبات وغطت على العاطفة وعلى قدرة الشاعر اللغوية والفنية؛ وينبغى أن ننبذ الاستنتاج غير المنطقى وان لا تكون الصلة المنطقية مقطوعة بين أجزاء الكلام وان نذكر

ان المعنى أوضح ما يكون فى تلك الأساليب التى يتمصصها ويتـذوقها القارىء كما يتمصص الشراب الحلو وقد يلحس شفته ولسانه بعد أن ينطق بها ، وهذه الاساليب لا تنقاد للشاعر الا فى حالة من حالتين :

(الاولى) اذا تأبى الشاعر ورفض أن ينظم الشعر حتى يسعى اليه الشعر ، وهذا يكون فى حالات خاصة من حالات المزاج لاسلطان له عليها . وهذه الحالات تقـدح خياله وذاكرته وتحشد له اطلاعه وتمده بموضوع شعره ومعانيه وعاطفته وقد يكون عقله قبلها غير متجه الى هذا الموضوع وللعقل الباطنى أثر فى هذه الحالات، ولا يستقيم العقل الباطنى فى هذه الحالات إلا اذا كان صاحبه مثقفاً خبيراً باللغـة وأساليب الفن وبينه وبين العقل الظاهرى صلة متينة وهذه طريقة من نالوا شيئاً من العبقرية .

(الثانى) اذا سعى الشاعر الى الشعر عمداً بذاكرة وذاكـرة قوية مقيداً كل الاساليب العذبة التى يمكنه ان يعبر بها عن معنى من معانى موضوعه مستجمعاً لتلك المعانى مستعيناً بكتب اللغة والادب والمعجم فيكون مثله مثل من يهىء ادوات العمارة أمامه قبل أن يبنى القصر الفخم، وهذه طريقة أساتذة الصنعة . وقد حدثنى أديب توفى الى رحمة الله انه زار مرة شاعراً كبيراً توفى أيضاً الى رحمـة الله ولم يكن الشاعر فى غرفة مكتبه فوجد الزائر القواميس وكتب اللغة مفتوحة ووجد أوراقاً قيد بها الشاعر قوافى تناسب معانى منثورة . فدهش الزائر ، ثم دخل الشاعر ورأى دهشة زائره فضحك وقال : لاتظن ان هذه الاشياء تغنى عن الملـكة الشعرية وانما هى أعوان لها وللذاكرة لاجادة الصنعة وانما مثلك مثل من رأى أتربة واحجاراً أو ادوات عمارة مبعثرة فساءه منظرها ولو عاد بعد قليل لرأى قصراً منيفاً . وقد يلجأ الى كل هذا أو الى بعضه أساتذة الصنعة كما يلجأ اليـه من وهب شيئاً من العبقرية وكما يلجأ اليه أحياناً من جمع بين الاثنتين وقد يستغنى عن ذلك العبقرى بما يُحشد له من اطلاعه فى تلك الحالات النفسية الخاصة التى يتنبه فيها العقل البـاطنى والتى لا سلطان له عليها والتى تجمع له شتات ذهنه من غير عناء وسعى من قِبله .

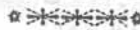
ولكن ينبغى للشاعر أن يميز بين تلك الحالات النفسية الخاصة التى يستيقظ ويتصالح فيها العقلان الباطنى والظاهرى وبين حالات أخرى لاتصلح للشعر إذ لا تتفق فيهـا يقظة العقلين الباطنى والظاهر معاً فيكون كل منهما فيها غافلا منابذاً لاخيه. وقد يشعر الشاعر شعوراً يدفعه الى النظم وقد يتألم اذا لم ينظم، ولـكنه مع ذلك لاتتفق له تلك الحالة التى تقدح طبعه وذاكرته وتحشد له نفسه واطلاعه من غير عناء . فاذا نظم الشعر

ولم تتفق له الحالة الاولى لم يكن شعره من أجود مايقول فان للعقل الباطنى خدعات وللعقل الظاهرى غفلات نسيان تكون أشبه بالسراب يظنها الشاعر فرصة وهى ليست بفرصة كما يظن المصحر السراب ماء . فالشعر طريقتان لابد من أحداهما أو كلتيهما: طريقة أهل العبقرية صغرت العبقرية أو عظمت ، وطريقة أساتذة الصنعة. ومما يؤسف له ان الطريقة الرمزية قد يتأثرها العبقريون واساتذة الصنعة فتفسد بعض ما يكتبون اذا غالوا فى اتباعها كما انه قد يفسد بعض ما يكتبون انهم لايسعون الى الشعر سعىَ ذلك الشاعر الكبير الذى هيأ أدوات عمارته قبل أن يبنى قصره المنيف ولم يشعر بزلة أمام زائره لعلمه أن ماهيأ لاينفى ملكته الشعرية ،أو يتريثون حتى تعرض لهم تلك الحالات التى يصلح فيها العقل الباطنى والعقل الظاهرى والتى تحشد لهم ما اضطلعوا به من غير عناء بل يقولون الشعر بايحاء العقل الباطنى وحده وبما يشعرون من الرغبة فى عمل الشعر من غير تهيء حقيقى له أو يعملونه صنعة من العقل الظاهرى من غير أن يعدوا له أعوانه التى استعان بها ذلك الشاعر الكبير. ولقد يفيد الشعر مخالفة الشاعر للمنطق واصوله ظناً منه انما وافق اصول المنطق الصحيح كان فلسفة لا شعراً وانما يأتى اليه هذا الوهم لان بعض ما يشرحه الشاعر من حالات النفس وما قد تجمع النفس من النقيضين والضدين ومايستعين به الشاعر من الصور لايضاح تلك الحالات النفسية وتلك الاضداد الروحية أو العقلية الحقيقية الطبيعية يخالف المنطق السطحى الظاهر المألوف وإن لم يخالف منطق الحقائق النفسية والعقلية وهنا أيضاً قد يختلط الحابل بالنابل فيحيل الشاعر على المنطق الصادق العميق وإن خالف شعره كل منطق .

ولا بد من ايضاح أختم به هذا المقال وهو أن طريقة الرمزيين تختلف مظاهرها وليست كل صفاتهم ترجع إلى استخدام الرموز وهى الصفة الاساسية : فبعضهم تغلب عليه خصائص المكثر من التشبيهات والاستعارات وإن قلت رموز الشبه فى شعره إلا أنه من الواضح ان ازدحام التشبيهات والصور الفنية يضطره إلى استخدام الرموز واحلال المشبه به مكان المشبه والاكثار من ذلك كى يجد لها مكاناً فى شعره، فيقتضب اسلوبه اقتضاباً ينافى البيان لا على سبيل الايجاز المحمود . وبعضهم ترى اكثر رموزه ليست على طريقة حذف المشبه واحلال المشبه به مكانه بل على طريقة الرمز للكلمة بما يشبهها او يقاربها أو يذكر بها . وبعضهم لا يكثر من الرموز اللفظية بل يرمز للمعنى بما يقاربه أو بما له صلة به كصلة الذكرى أو قد يرمز للحالة النفسية بحالة أوصورة تذكر بها . وبعضهم قد تكون الصفة الغالبة

عليه من صفات الرمزيين ادخال المعنى فى المعنى والصورة فى الصورة . وكل هذه الصفات لا تعاب إلا اذا كان البيان والفصاحة لا يستقيمان معها فيجب اذن أن يسهب الشاعر ويكون اسهابه هو الفصاحة فان الصور الفنية التى يقتضى البيان عنها ابيات عدة إذا سلكت فى بيت أو جملة واحده تضاءلت ، والتمييز بين الايجاز المحمود والاسهاب اللازم لا يكون إلا مع الذوق السليم والاطلاع الصحيح. والشاعر الرمزي قد يقضى أياماً فى نظم قصيدة على طريقة الرمزيين فلا تكون فى منزلة قطعة من الشعر يقولها ارتجالا فى تلك الحالة النفسية التى يستيقظ فيها العقل الباطنى ويتفق والعقل الظاهرى . وينبغى أن يميز الشاعر بين نوعين من الارتجال : ارتجال إيحاء النفس الذى يحشد للشاعر ما اطلع به من غير عناء وارتجال الناظم الذى أوتى سهولة فى النظم والذى يقدر أن ينظم متى شاء فى أى موضوع نظماً ليس بخالد، وشتان بين الارتجالين ؟

عبد الرحمن شكرى



عناصر جمال الفكرة فى الأسلوب

١ — جمال الإبهام الرمزى

هذا العنصر هو أسمى ما يصل إليه الفكر العبقرى فى نواحى تفكيره وليس هذا متيسّر عند كل الكتاب أو الشعراء وإنما نراه عند القليلين الأفذاذ الذين يترجمون للناس عن سفر الطبيعة البشرية الخالدة .

ولكى تفهم المعنى المقصود من الابهام الرمزى سأسوق لك أمثلة مما نحسّ به أو يقع لنا فى تجارب الحياة منه :

(١) هناك صور عديدة من ذكريات الطفولة ترتسم فى عقولنا وتجد فى بقائها فيها خصباً ونماء قوياً . ولعلها تكون تافهة لا قيمة لها خلقتها ظروف صبيانية ينفر منها الشباب ويضحك ، ويحاول أن ينساها الشيبُ وإن كان يجد فيها إحساسات لا يدريها . هذه الصور التافهة الكثيرة تبقى فى العقل وتركز دون غيرها من صور

قد تكون فى غاية الأهمية . . . نحاول أن نعلل ذلك ولكن للاسف لا ندرى وانما هناك تعليل واحد وهو أن هذه الصور أو الذكريات وقعت ومثلت فصولها مع حادث استرعى انتباه الشخص وأثر تأثيراً ضعيفاً أو قوياً فى حياته . فهى رموز لهذا الحادث وقد يُنسَى الحادث وتبقى هذه الرموز واضحة جلية .

(٢) أحسّ أنا وتحسون أو يحس بعضهم بشعور غريب عند ما نسمع طائر « الفتاح » فى الشتاء . هو طائر محبوب لنا جميعاً لا لشكله ولا لصوته لان هناك فى الطيور ما يفوقه جمالا وغناء وانما لشيء آخر هو رمز له : إن هذا الطائر يفد الى مصر فى الشتاء فصوته يحمل الينا صورة رائعة للشتاء — صورة الأشجار العارية المجردة والغدران الجافة من صُبابة مائها . والبرد الشفيف القارس وأكداس الأذرة المبعثرة على الشواطىء وغير ذلك من الصور التى تتألف عن الشتاء مع صوت هذا الطائر .

ولكن هل هذا يكفى لتعليل ما نحسّ أو نشعر به عند ما نسمع صوت هذا الطائر السحرى الغريب ؟ كلا ... فان هناك شعوراً آخر يمتزج بهذه الصور : هو ذكريات حداثة مرت لنا فى بدء سير قافلة حياتنا : ذكرياتٌ حلوة ومريرة قصدتنا فى عُرْف هذه الدائرة من الزمان وهى الشتاء .

على أن هناك شعوراً أبعد من هذا أيضاً : شعوراً قد يكون مكتئباً وقد يكون فرحاً . هذا الشعور يساورنا عند ما نسمع هذا الطائر ولا ندرى سبب ما يبعثه صوته فينا من غريب الاحساس ومختلف الشعور، وغاية ما نقوله إن فى صوته إبهاماً رمزياً لمعنى فى نفوسنا .

والآن نسوق لكم الأمثلة الشعرية :

يقول الشاعر أبوشادى فى قصيدته « اللهيب المقدس » :

قد رشفنا مُنى الحياة بثغرٍ وارتوينا من اللهيبِ المقدَّسْ

الى أن يقول فى خاتمتها :

ربّ شَدْوٍ بها. أطال حياتى فحياتى من اللهيبِ المقدَّسْ

فالابهام الرمزى هنا فى «اللهيب المقدس» فالكلمتان تحملان الخيال على أجنحة هفافة إلى وادٍ من أودية الجن أو الاطياف أو كما كتبت عنها فى « المقتطف »

الى مدينة سحرية من مدن الخيال . . من مدن الشفق أو الفجر أو الى معبد بوذا ألمح لهيب الآلهة المقدّس وقد حجبه الضبابُ وخفقت فيه مشاعل الانبياء ...

ان العقل الراجح ليعجز عن ترجمة اللهيب المقدس . . وان الخيال ليقف حائراً مشدوهاً أمام تفسير هاتين اللفظتين وإن كنا نجد فيهما العقل والخيال ألفة قد تصل فى بعض الأحيان الى حدود المعرفة القوية وآصرة الصداقة والخلطة . لكن هذه المعرفة والصداقة مبهمة .. مبهمة لأنها انتقلت من المجال الكامن الى اللاشعور قبل أن تنضج فى حيز الشعور المطلق القوىّ .

ونقرأ أيضاً للدكتور الشاعر فى قصيدته أغنية البرتقال :

عشقتْ عصيرَ البرتقال فذهبتْ بعصيره النارىّ من شفتيْهَا
ومصصتُ أخرى بعد أن جادت بها فاستفتُ حلوَ غرامها بيديْهَا
حتى إذا لم تَبقَ منها نفحةٌ وظللتُ كالظمآنِ عاد إليْهَا

الى آخر الابيات ...

فنجد الابهام الرمزى موجوداً هنا فى « النارىّ » وأى نعيم نارى يلتمسه القلب الحران فى ظلال هذه الجنة المتأججة ، ولكن هى جنة العشاق والنار فيها نعيم يوعد به العاشقون ولو أنزل الرحمن قرآناً على أهل القطبين لوعدهم بالنار نعيماً يشفون به صبارة البرد !

ونجد ذلك أيضاً فى شعر فيلسوف الهند العظيم رابندرانات تاغور فى كتابه (هدية العشاق) إذ يقول فى وصف الصمت : « السكون المشمس » .

والآن نسائل أنفسنا متى كان للعدم المطلق لونٌ ؟ ومتى كان لعالم الأرواح الشفاف قالب يقيد كيانه ووجوده ؟ هذه صورة أيضاً لا يقبلها العقل ولا يرضاها الواقع ، ولكن يعود فيقبلها العقل ويرضاها الواقع ثانية فاننا عندما نجلس فى بستان هادىء ساكن رأدَ الضحى ترتسم فى عقولنا صور متفاوتة لهذه الساعة التى مرت بنا ، فاذا ما استعرضنا صورة ملازمة لهذا السكون وهو الشمس فلم لا يكون السكون إذن مشمساً ؟ !

ولكن هل هذا يكفى لتعليل ما نشعر به من الاحساس الغريب عندما نقرأ لفظة « السكون المشمس » . . كلا . . فان هناك معنى أبعد وأعمق من ذلك وتكون هذه الألفاظ ابهاماً رمزياً لهذا المبهم العميق .

وتظهر هذه الفكرة السامية فى قصيدة للشاعر جميل يقول فيها :

أحبك أصنافاً من الحب لم أجد ... لها مثلا فى سائر الناس يوصف

فمنهن حب للحبيب ورحمة ... بمعرفتى منه بما يتكلف

ومنهن ألا يعرض الدهر ذكرها ... على القلب إلا كادت النفس تتلف

وحب بدا بالجسم واللون ظاهر ... وحب لدى نفسى من الروح ألطف

ولكن هل هذه الأنواع من الحب هى التى يقصدها الشاعر أم أنه ضاق ذرعاً عن ايضاحها فاكتفى بهذه التفسيرات المعقولة ؟ إنه يحس بشىء آخر أبعد مما يقصده ونحن أيضا نحس بذلك ، ولكن لا يمكننا تفسير ذلك المعنى المبهم لصنوف الحب التى تختلج فى قلب وعقل المحب الفانى فى فكرته .

وهناك نوع آخر قريب من الابهام الرمزى وهو مألوف شائع تشترك فيه الاحساسات والعواطف وترتاح اليه فى شىء من الهدوء والقناعة وتشارك الشاعر فيه فى شىء من الوفاق والتآلف وهو جمال سهل صادق يقدره العقل بالنسبة للنوع الأول كما تقدر العاطفة بجانب العقل . من أمثلة هذا النوع قول قيس :

وإن تك ليلى قد أتى دون قربها ... حجابٌ منيعٌ ما اليه سبيل

فإن نسيم الجو يجمع بيننا ... ونبصر قرن الشمس حين تزول

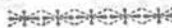
وأرواحنا بالليل فى الحى تلتقى ... ونعلم أنّا بالنهار نقيل

وتجمعنا الارض القرار وفوقنا ... سماء نرى فيها النجوم تجول

فهذه عاطفة خفية يحسّ بها كل عاشق .

ونعد القراء أننا سنتناول فيما بعد شيئاً عن : (١) جمال الايحاء أو الحصر (٢) جمال موسيقى الاوزان (٣) جمال سحر الالفاظ ؟

م . ع . الهمشرى



توارد الخواطر

— ٣ —

وقف عند حافة الدنيا شاعر السّهى وقد علت ضجات الكون الخاوية ، فاشتغلت بها العقول العاميـة : العقول الضحلة ببعدها عن التفكير العلمى وقصورها عن الفلسفة الثائرة الحية واطمئنانها الى العمى الحيوانى الذى لا يحسّ الا بما يجرى فى مرئيّه ولا يقوم احساسها الا كما يقوم احساس الحيوان على ملابسات عيشه الأدنى .

وقف الشاعر فلم يبلغ أذنه من تلك الضجات عزفٌ نئيمٌ ولا ركزٌ خفيضٌ وصمت صمانه الرهيب وقد انبعث خياله وراء أفق الفكر الانسانى انبعاث الحمائم البيض توغل فى الجواء .

ثم تحركت فى يديه أوتار القيثارة الآلهية . . فقال :

ويا منهلَ الحسن الذى أنا حائمٌ ... عليه ولم أروِ الغليل الذى بيا
ويا واحة العيش الجديب أحبه ... على جدبه لو أن فيك مقاميا !
لقد جبت هذا العيش والعيش بلقع ... وأبت وما أعقبت الا كلاليا
وأبصرت فيك الماء كالخمر سلسلا ... وأبصرت فيك الغصن فينان زاهيا
وأبصرت أثماراً هناك ومورداً ... لذيذاً فلم أملك علىّ طماحيا
فقلت لقلبي انما العيش فى الهوى ... ولا عيش الا أن تنال الأمانيا
وما أحسب النفس اللجوج شفاؤها ... من العيش ما يدنو وإن كان شافيا
فمن لى بماء الخلد أروى به الصدا ... فما الخلد الا نجعتى وشفائيا
وما العيش الا مطلباً بعد مطلب ... فكيف أرى فى العيش جذلان راضيا
ولو كنت رباً نافذ الأمر قادراً ... لاعطيت نفسى سؤلها وعباديا
حبيبيَ لا والله ما الكفر شائقى ... ولكن قول النفس ياليت ذا ليا !
جنون الامانى فيك أحلى من الحجى ... ألذّ الأمانى ما يجنّ فؤاديا !

هـذه نغمات قلب يرى الجمال بعين الشاعر التى ترى كل شىء ، ولـكنه ينكص عن الجمال محروماً أو مصرداً نـكوص الانسان فى انسانيته العاجزة عن كل شىء .

هذه قصيدة « جنون الأمانى » لعبد الرحمن شكرى .

ولما أخذ العقاد هذه القصيـدة لينظمها من جـديد — وهو يأخذ قصائد شكرى لمبرر من المبررات المحزنة التى ارتجلها له الاديب الرقيق القلب حسن فرحات فى العدد التاسع من (أپولو) — ارتأى العقاد ان يغير فيها تغييرين :

(١) العنوان ، إذ سمى قصيدته « الجحيم الجديدة » .

(٢) جعل هذه الامانى أمانى كل انسان .

فـكان هـذا هو الـكبوة التى تفلع اللب ، لان شكرى يصف حركات نفسه وذات ضميره ، فأخذ العقاد تلك الامانى فنسبها الى كل انسان وقال : ان كل انسان فى جحيم لانه يرى الحسن والسعادة والحب فلا يدرك منها اربه وان القلوب الوامقة تفنى على لظاها ويفنى الجمال .

يأخذ صفة شكرى لقلبه وامانيه فى خلود الجمال والحب فيصف بها سواد الناس وما أقل فى الناس من يصطلى من اجل ذلك مارج الجحيم ! وفوق ذلك فهـل كل الناس مصدود عن جنة الجمال يتهافت عليها فيرد ، ويتنشاها حتى يتخدد لحمه ويسلّ عليه جسمه ويخترم الداء الدوىّ سحره ؟ !

أليس فى الناس تحت ظل الورد حبيب بين يدى حبيب ، فى غفـلة الزمان أو فى يقظته ؟ !

قال العقاد واضعاً قصيدة شكرى فى وزن آخر وقافيه أخرى :

أرصـــد الله للمحبين ناراً فى سماء الجمـــال والالباب

أجـزل الطيبـات للنازليها وحماهم عن وردها المستطاب

ان منع النعـيم وهو قريب منك لهو العذاب لا كالعذاب

ويصف هذا الجحيم بنفس ألفاظ شكرى :

شادهـــا مرمراً وفجّـر فيهـا سلسبيلاً من خمـرة الارباب

(الى غير ذلك فليراجعه من أراد التطبيق خوف الاطالة)

وأخذ العقاد بقية وصفه من قصيدة أخـرى لشكرى اسمها « الفردوس » يصف

فيها الفردوس والحرمان وهو لباب قصيدة العقاد وحواشيها .

قال شكرى :

شريد اللب هامى الدمع عانى   نبتْ عيناه عن زهر الجنان
ترتل حوله الأملاكُ آياً   وطير الأيك تصدح بالأغانى
ونور الخلد وضّاء عليه   ينير الزهر من حدق الحسان
تظلّ النفس منـه فى ربيع   مذاع العطـر محمود الزمان
تظلّ النفس تمـرح فى رباه   وتبصر حولها حلمَ الأمانى

ويقول العقاد :

وبناها على النجـوم وغشّـاها   بوشى السـنا ووريق الشباب
أجزل الطـيبات للنازليها   وحماهم عن وردها المستطاب
ان منع النعيم وهو قريب   منك لهو العذاب لا كالعذاب
هذه جنة المحبين لاذوا   من ذراها بجنـة للعقاب
من شعور الملاح حيّـاتها السو   د ، وأقواسها من الأهداب
وتولى فيها عذاب المحبين   (م) بلاغ المنى من الأحباب

وهو بنصه قول شكرى عن الحرمان :

بأية شقوة قد رعت حـتى   فؤادك ليس ينعم بالأمانى !
يظل الناس حولك فى نعيم   وقلبك كالـكليم من الطعـان
فيا بؤساً ، ويا تعساً لصبٍّ   شقىّ فى الفرادس والجنان !
دماؤك فى العروق لها لهيب   كأن دماك ريقة أفعوان
تمدّ إلى وجوه القوم لحظاً   وتنشد صنو نفسك والجنان (١)
وليس الخلد إلا قرب خل   جميل النفس محمود العيان

ذكر العقاد ذلك أيضاً فى قصيدته مع الاختلاف الذى أشرت اليه وهو تعميم

(١) الجنان : الفؤاد

الوصف ونسبة تلك الامانى إلى الناس جميعاً بينما شكرى يصف نفسه . ثم عاد العقاد يقول مثله :

فإذا أضرم الجوى قلب خلٍّ وتهادى شوقاً على الا كواب
قيل هذا للوصف لا للتعاطى ولسكب النفوس لا لانسكاب
أيها العارفون هـذا جزاء ساقه الله للقـلوب الصوابى
جنة يهرع البعيـد اليهـا ويودّ المقيم بابَ المآب

وبعد قصيدة شكرى قصيدة أخرى اسمها « حلم بالفردوس » وهى طويلة غزيرة المعانى عميقة الاحساس يصل فيها الشاعر باحساسه إلى ما اثبته العلم بالتحقيق . يشير فيها إلى أن جنون الانسان بالفراديس ليس غير حنين الغرائز الانسانيـة الموؤودة ، الى العصر الذى كان يعيش فيه الانسان فى الغاب . وقد اقتصر العقاد منها على الحباب دون الغمر فأخذ من وصف الجنان والحسرة على فواتها ، وهذه القصيدة وحدها تتضمن كل ما فى قصيدة العقاد .

قال شـكرى :

فيا حُلمَ الفردوس حبك ذكرة لأيامِ عيشٍ فى الجنان وسامِ
ورثنـا ولوعاً بالنعيم وطيبه وعيش قـديم قـد مضى بسلام
ورثنا بنى حواء شوقاً وحسرة فأنفسنا ممـا تروم دوامى
وكل مرام نزجيـه تذكر لعهد جنان قد مضى ومرام
أكاد أرى الفردوس خضراً غصونه فليت مقاماً فى الجنـان مقامى
وأبصر فيها الضوء لا ضوء مثله له بهجة فى زهرها المتسامى
واسمع فيها الطـير تشدو فأنثنى وقلبىَ من ذكر الفرادس دامى
فآوى الى عهـدٍ مضى ثم أنثنى الى مقبـل من دهرنا المـترامى
وكل جمال يسحر القلب طيبه فيا ليت أوراق النعيم خيـامى
سراب طماح المرء فى غـير كنهه وما هو الا مثـل حـلم نيـام

لعمرى هذا هو الشعر العالى !

وبعد قصيدة العقـاد تلك قصيدتان فى الرثاء مأخوذتان من شعر شوقى أترك النظر فيهما لمن يعنى بذلك ، ورثاء شوقى غرير حيثما نظرت فيه وجدت ما آخذ العقاد

منه . ولعل العقاد معذور فى هذا التأثر كما قال الاديب حسن فرحات ، ولكن فى هذا وحده .

ثم تأتى قصيدة العقاد « خذوا دنيا كم » يقول فيها :

ربيـــع رياضنــا ولى أمن أعطافك النَّشرُ ؟
شذى زهرٍ ولا زهرٌ فأين الظلُّ والنهرُ
وأنظر لا أرى بدراً أأنت الليلةَ البدرُ ؟
نعم أنت الرحيق لنا وأنت النورُ والعطرُ

ولها عشرات المآخذ من شعر شكرى كقوله (جزء ٧ ص ٥٣) :

وكيف أصيب لى منجى وأنت النفس والقدرُ ؟
ومنها : أغرك مقول المتبول : أنت الشمس والقمرُ ؟
اذا ما لجَّ بى وَلهٌ فتربُ بقيعةٍ دُرَرُ
ومنها : يقنتك غير من أبغى وانت السمعُ والبصرُ
ولو انى حسبتكم جلاكم حلمىَ العطرُ

ومأخوذة أيضاً من قول شكرى (جزء ٤ ص ١٧) :

وأبصرت فيك الماء كالخمر سلسلا وأبصرت فيك الغصن فينان زاهيا
وأبصرت أثماراً هناك وموردا لذيذاً فلم أملك علىّ طماحيا

ومن قوله (جزء ١ ص ٥٦) :

زارنا والليل منبسط فرأينا طلعةَ الشمسِ

وبعد ذلك قصيدة العقاد « البحر والحياة » وقد سبقت الاشارة الى مطلعها وهو قوله :

لبيك يا بحرُ من داع نطوف به ظمأى فنروى ولم تعذب مساقيهِ

وهو من قول شكرى :

إن لم أنل منه ما أروى الغليلَ به قد يحمد المرء ماءً ليس يرويهِ

ويقول العقاد :

وانت تكبرنا طوراً وتصغرنا مَن يكبرْ العيش يصغرْ من دواعيهِ

هكذا ورد البيت بحيث لا يفسره سابقه ولا تاليه ... وكيف يكبرنا البحر وكيف يصغرنا ؟ لست أدرى ! وكيف نصغر دواعى العيش ؟ .. لست أدرى !

وبالرغم من أن العقاد شرح البيت فانى لم أفهم البيت ولا الشرح ولا فهم غيرى، غير ان الفاظ البيت بعينها وردت فى قصيدة شكرى « البحر والحياة » قال شكرى :

ويصغر فى مرآك عيش ابن يومه ... ويكبر رأى ممعن فيك سائرُ

إذن صدق الرافعى ، ومثله من يصدق ، فهو يقول : اذا التوى عليك بيت من أبيات العقاد فهو موضع ترجمة أو موضع نقل .

ثم يقول العقاد :

وفيك يا بحر عدل الموت «مطرد» ... لكن عدلك عدل غير مكروه

استعار لفظة «مطرد» ، يشبه بها اطراد جبروت البحر باطراد موجه ، وهو ممسوخ من قول شكرى فى قصيدة البحر أيضاً :

ويصطخب الآذىّ فيك كأنما اصـ ... ـطخابك من حكم المنية ساخرُ

وأما البيت الذى هو واسطة العقد فى قصيدة العقاد وبيت القصيد ، ومن أجله سمّى القصيدة « البحر والحياة » فهو قوله :

يا بحرُ اذكرتنى بحر الحياة وما ... يجيش مابين ماضيه وآتيهِ

وكل فكرة القصيدة تدور حول هذا البيت وتنبع منه وهو من قول شكرى فى قصيدة « الشلال » (ج ٧ ص ١٥) يخاطب البحر :

لك وقع الاقدار حتى لقد خلـ ... ـتك رمزاً رمزته للقضاء

ومن قوله فى قصيدة « الحياة والبحر » :

خريرك يحكى صدحة الدهر صامتاً ... كأنك دهر بالحوادث مائرُ

والفكرة مأخوذة أيضاً من شكرى من كتاب (الثمرات) المطبوع سنة ١٩١٦ من مقاله « على ظهر البحر » ص ٧٨ :

(والبحر كالنفس فإن للبحر أمواجاً وللنفس أشجاناً ، والبحر كالدهر فإن للدهر أمواجاً كأمواج البحر ، والبحر كالحياة فان البحر يفزع كما تفزع الحياة)

ويقول العقاد :

وكم قريب نفاديه ونسمعـــه اقصى الـكواكب أدنى ما أدانيه

وهو من قول ابن الرومى :

هى فى العين وهى ابعد من نجـ م الثريا فهى القريب البعيدُ

وللعقاد مآخذ كثيرة جداً من ابن الرومى اغفلت ذكرها وتجدها فى كتاب «السفود» وهو من مفاكهات مصطفى صادق الرافعى .

وقال العقاد :

والبحر حىّ ولولا ذاك ما انطلقت فينـا الحيـاة اذا عجت أواذيه

تقرأ هذا البيت فتشعر بان الرجل قال شيئاً طالما احسست به ولـكنك لم توفق الى رسم ذلك الاحساس . وجمال البيت يرجع :

(١) الى نسبة الحياة للبحر

(٢) الى انه يبعث فينا العزمة والحياة والمضاء

فأما عن الأولى فقد قال شكرى يخاطب البحر :

أخفقٌ واعصارٌ ورجع وسورةٌ كأنك حىّ نابضُ القلب شاعرُ!

وأما الثانية فهى أيضاً من قوله فى قصيدة «الشلال» :

انت ايقظتـنى وقد كـنت وسنـا نَ تخلتُ الاْكوانَ طرّاً ردائى

هاتف فى خـرير مائك قـد أذكرنى عزمتى وماضى مضائى

انت مثـل الشباب عزماً وبطشاً ووضاءٌ ، أحببْ به من وضاء

وبعد ذلك قصيدة العقاد « على شاطىء البحر » يقول فيها :

مضطـرب المـتن وترتيله اخـلد من متن الرواسى الصلابْ

وهو من قول شكرى فى «الشلال » (ج ٧ ص ١٤) :

احسب الخلد مثل مائك ينها ر ونفسى فى مائه كالهباء

ثم مقطوعة العقاد « اين السعادة ؟ » :

ياسائلى أين السعادة أين صفو العيش أينْ ؟

ان السعـادة لن تراها فى الحياة بمقلتينْ

خلقتْ لأربع أعين تخلو بها ولمهجتينْ

لك مقلتان ومهجة أترى السعادة شطرتين؟!

وهذه الفكرة مأخوذة بجملتها من شعر أمين بك ناصر الدين الشاعر السورى وله بها ولع شديد وقد أجادها وأحسن فيها مثل قوله فى قصيدة «الابتسام» التى نشرت بمجلة (الزهور) سنة ١٩١٣ :

هو نور ساطع لكنه بين قلبيْ عاشقين انقسما

فاذا ما العين بالعين التقت حاول الجزءان ان يلتئما

واذا الوجهان ضاءا فرحاً تمَّ للجزئين ان ينتظما

ولا شك ان لمقطوعة العقاد أصلا فى دواوين شكرى . غير انى لم أجد الجزء الثانى والثالث والسادس منها ، وكل ما آخذ العقاد التى اذكرها تقع فى نصف دواوين شكرى !

ثم تأتى قصيدة شكسبير للعقاد . فأحيل القارىء الى كتاب إمرسون (Representative Men) وفيه عن شكسبير مقال وافر نظم العقاد بعضه فى شكل قصيدة ! كذلك فعل فى كتاب فيكتور هيجو (وليام شكسبير) . وقد أشار العقاد الى بيت واحد مفرد بقوله : « هذا المعنى من إمرسون على ما أتذكر » !

وللعقاد مقال عن شكسبير فى كتابه (ساعات بين الكتب) مترجم كله عن امرسون على ما أتذكر !

وفى قصيدة شكسبير هذه بيت غير مقتبس من امرسون وهو قوله ·

فرد من الناس لو شذَّ الوفاء به أهونت غدر جميع الناس بالذمم

وهو من قول شكرى (ج ٤ ص ٤٥) :

لولا خيانتكم ما خلت من شجن ان الفضائل من أحلام يقظان

ويختم العقاد قصيدته بقوله :

مجاور الموت هل ألفيت فى يده بقية منك لم تقرأ ولم تشم

الى آخر هذه الفكرة المكرورة . وهنا أحيل القارىء الى مراثى شوقى التى اشتهرت بهذه المعانى كرثائه لجورجى زيدان ونقولا رزق الله وعشرات غيرها . ثم

نرى بعد هذا قصيدة العقاد « القربان الضائع » وهي مأخوذة من شكرى بجملتها . قال العقاد :

إله عرش الجمال ما بى يقصر عن وصفه خطابى
ما لضحاياى لا أراها لديك بالموضع المجاب
يأبى القرابين غاليـات ويرفع البخس غير آب

وقال شكرى من قصيدة « قربان القلب » — (جزء ٧ ص ٥٩) :

لا تخجلن اذا علمت محبة تحكى الصلاة وتشبه القربانا

وقال أيضاً (جزء ٥ ص ١٧) :

راحة عيشى ونومى خصّا لقربانها النفيسُ

وقال أيضاً (ج ٥ ص ٢٢) :

فانت أنتَ اله الحسن كم سجدت لك النفوسُ ولباك المحبونا

وانى لالفت الادباء الى أننى أكتفى بامثلة قليلة من ديوان شكرى طلباً للايجاز مع ان الواقع انك تجد فيه عشرات المآخذ لـكل معنى من معانى العقاد ، ومثال ذلك قصيدة العقاد « القريب البعيد — ص ١٥٩ » التى ذكرت لها عدة مآخذ . ولـكن القارىء يجدغيرها لاسيما فى قصيدةشكرى «القريب البعيد» (ج ٤ص٣١) وكذلك ذكرت فى المقال السابق مآخذ قليلة لقصيدة العقاد :

روضتى ظللها الموت وظلتها الحياةُ
بين موت وحياة لا تضيق المهجاتُ

مع ان العقاد استعمل هذه الفكرة وعاظل فيهـا فى مواضع عديدة من ديوانه ولها كـذلك عدة مآخذ من شـكرى . قال العقاد :

حياة لها حدٌّ ولا حدٌّ للردى فليتَ المنايا والحياة تواليا
كما تتوالى يقظة النوم والـكرى وتعقب انوار الصباح الدياجيا
اذن لتشوّقنا الحمـام اشتياقنا الى النوم واشتقنا الحياة دواليا

وهى من قول شكرى (ج ٧ ص ٤٣) وزنا وقافية ومعنى :

حمدنا مهود النوم ان شابه الردى وان لم يرع بالحلم من كـان كـاريا
رزقنا فلم لا يرزق الدود بعدنا أليست فضول العيش خلقاً دواليا؟!

فياليت ان العيش يخلف ميتة دراكاً كما يطوى النهار اللياليا !

هذه قصيدة « الموت » وهى تقع فى قرابة ثمانين بيتاً ، وستدوم روعتها مادامت روعة الموت آخر الاباد ؟

رمزى مفتاح



أدب الحرب

دراسات جديدة للادب المكشوف

للدعوة الى السلم

عرضت احدى دور السينما بالقاهرة فى أوائل هذا الموسم فيلم « الصلبان الخشبية » وهو مقتبس عن قصة للروائى الفرنسى « دولاند دور جليه » تكلم فيها باسهاب عن موقعة المارن المشهورة ، وندّد بالخسائر فى الارواح التى لحقت الشعوب ارضاء لمطامع الساسة ونزعاتهم . وقبل ذلك باسبوع ، عرضت رواية « الرجل الذى قتلته » لموريس روستان مؤلف «النسر الصغير» و«سيرانو دى برجراك»،وهى لا تخرج فى مغزاها عن رواية «الصلبان الخشبية » سوى فى تأنيب الضمير الذى لحق أحد الجنود الفرنسية بعد قتله أحد أصدقائه من الجنود الالمان فى موقعة حربية ،وانتهازه فرصة الهدنة ليرحل الى ألمانيا ويبوح بهذا السر لاسرة الجندى القتيل حتى يخلص من عذاب نفسه وضميره .

فى هاتين القصتين لون جديد من التفكير ، أطلق عليه النقاد فى أوربا اسم «أدب الحرب » أو « أدب المستقبل » ، وهذا النوع المستحدث من الكتابة هو بلا شك احدى النتائج التى تمخضت عنها الحرب العالمية الاخيرة ، وتناولت ألواناً شتى من التفكير الحر والتجديد السريع، وهو لا يتعرض كما يفهم من الاسم الذى أطلق عليه لوصف الحروب والمعارك أو كيفية تعبئة الجيوش وفن قيادتها ، كلا وانما الغرض منه الدعاية للسلام ونشر فكرة عامة ضد الحرب باعتبارها جريمة ضد الانسانية، ومن

خلال تحليلنا لاسلوبه نراه يمتّ الى الادب الواقعى بصلة قوية .

ومن الكتاب الذين تزعموا هذا النوع من الادب واشتهروا به أريك ماريا الكاتب الالمانى ، مؤلف القصة العالمية « كل شىء هادىء فى الميدان الغربى » والتى أثارت — لدى عرضها على الشاشة الفضية — إشكالا سياسياً بين الدول ، خاصة فى ألمانيا والنمسا ، وقدّروا عدد النسخ التى بيعت من هذه القصة با كثر مما بيع من الانجيل منذ بدء طبعه . وقد وضع الكاتب الذى نحن بصدده عقب ذلك قصة « فى طريق



محمد امين حسونه

العودة » ظهرت فى العام السالف ، واضطر مؤلفها بسببها الى هجر وطنه والالتجاء الى سويسرا بعد تجنسه بالجنسية السويسرية ، وذلك لما لحقه من الانتقاد المر من الصحافة ومن الرأى العام الالمانى .

وقد وضع أخيراً البروفسور لامونت عضو مجلس الشيوخ عن جامعة بريتوريا ، كتاباً أطلق عليه اسم « الحرب والخمر والنساء » وكان قد اتخذ قبل ذلك اسم

« سنت مندا » ، وقد طرد الاستاذ المذكور من وظيفته لأنه تحدث عن فظائع الحروب بشكل مروع يدعو إلى كراهية الشبان للتجنيد ، وسمعنا عن الروائى الانجليزى المعروف كربتون ماكنزى ، الذى أخرج أخيراً « ذكريات يونانيـة » ان الحكومة البريطانية قدمته للمحاكمة ، لان كتابه المذكور حوى نقداً مراً للقائمين بأمر الحرب ونشر فيه وثائق سياسية سرية تؤيد دعايته ضد الحرب ، حصل عليها وقت أن كان موظفاً بادارة المخابرات العسكرية البريطانية خلال الحرب الأخيرة . وما نظن القراء قد بعدت عن أذهانهم حكاية فيكتور مرغريت الروائى المشهور الذى طرد من عضوية مجلس الشيوخ وحُرِم وسام « جوقة الشرف » الفرنسى لانه تجرأ فى روايتـه « لا جرسون » على كشف الحقائق البارزة فى الخلق الفرنسى وتصوير نفسية وأفكار الفتاة العصرية عقب الحرب العظمى ، وكيفية استقلالها فى آرائها ونزوعها إلى رغبات آثمة . كذلك شاهدنا مسرحيات اندريه دى لورو الكاتب المسرحى الذائع الصيت ، والذى أصبح ثقة يرجع اليـه فى درس أدب الحرب ، رأينا المسرحيات التى أخرجها أخيراً تحوى هذا النوع من الكتابة ، حتى ان تريستان برنار قلده فى روايته الأخيرة « ٢٤ ساعة فى باريس » .

هؤلاء هم بلا شك زعماء هذا الأدب وأساطينه وأول من أخرج للناس صوراً صحيحة عنه ، وهناك بضع روايات قصصية صغيرة ظهرت باسلوب « أدب الحرب » نذكر منها « تاجر السيجار » لمؤلفها جلبرت فرنكاو ، وهو كاتب امريكى تحامل فيها على الالمان ورماهم بالوحشية ووصف فوزهم فى بعض المواقع بأنه كان فى صورة تشمئز منها الانسانية . ورواية « الجنود الثلاثة » وهى لمؤلف أسبانى لم يشأ أن يذكر اسمه ، و « طيور الحرب » لطيار امريكى ، و « المعركة السرية » لكاتب اسمه مترام ، جرى مؤلفوها فى الدعوة ضد الحرب باعتبارها جريمة انسانية .

ويظهر أن الكاتب الاشتراكى المعروف برنارد شو تأثر بهـذا النـوع من الأدب ، فقد طالعنا فى أحد أعداد التيمس الأسبوعية انه وضع مسرحية أطلق عليها اسم « أصدق الخبر » ، وقد عُرضت أخيراً على أحد مسارح وارسو ببولندا ، فكانت سبباً فى منع عرضها ثانية وطُرد مراقب الروايات المسرحية من

وظيفته لسماحه بتمثيلها ولانها تحمل دعاية سيئة عن الحرب . ومن المعروف أن السياسة البولندية الآن لا تقر هذه الفكرة البغيضة إلى قلوب الزعماء هناك ، وقد سبق لهذه المسرحية أن عرضت فى الولايات المتحدة ، فلاقت نجاحاً مطرداً ووضعها النقاد المسرحيون هناك فى الصف الأول .

ولما ذهب مندوب « الديلى هرالد » إلى برنارد شو ، يستوضحه عما حدث بشأن روايته « أصدق الخبر » فى بولندا وعن موقف مراقب الروايات المسرحية هناك أجابه : « انه مراقب نافع ، لان الرواية أرسلت إلى إدارة المطبوعات لاقرار ترجمتها ، ويظهر انها اعجبت المراقب هناك ، فأمر أحد مسارح وارسو بتمثيلها فى الحال ، مما اضطر مجلس الوزراء الى الانعقاد وحذفه الجزء المتعلق فيها بمناوأة الحرب . ولكنى عارضت فى هذا معارضة شديدة ، لأن حذف هذا العنصر المهم فى الرواية معناه بترها من أصلها » .



ومما نذكره هنا أن بعض الشعراء والأدباء الاولين حوت آثارهم الأدبية الشيء الكثير عن أدب الحرب : فهوميروس خلد حرب طروادة فى الالياذة ، وتولستوي تحدث عن فظائع حرب القرم فى روايته « الحرب والسلام » بعد أن شاهد هذه الحرب بنفسه وسجل وقائعها ، ودواوين الشعر الجاهلى فى الادب العربى حافلة بالكثير من الأشعار التى تصف حروب القبائل وأهوالها كحرب البسوس والوقائع التى اشترك فيها عنترة وسجلها فى أشعاره الحماسية .

على أن ما ندهش له حقاً ان حروب نابليون التى هزت العروش والتيجان فى أوروبا وأقلقت العالم فترة طويلة لم تجد من الكتاب والشعراء من تصدّى لوصفها غير ما ظهر لكارليل وهيجو وهو تافه صغير ، وأما شيللى وبيرون وسكوت وغيرهم من أعلام الأدب فى أوروبا وممن عاشوا فى هذه الفترة فلم نسمع انهم تأثروا بحروب نابليون وأخرجوا للعالم ثماراً أدبية رائعة من ايحائها ....

ولنعدْ الى التحدث عن الميزة التى اتصف بها « أدب الحرب » — سواء شعراً أو نثراً — لنقول إن أبرزها تصويره شناعة الحروب وحياة الجنود الخاصة فى المعسكرات، وما يكتنف هذه الحياة من رغبات قد نستبعدها نحن أبناء السلام !

وفى انتشار هذا الادب الصريح بهاته الصورة الحقيقيـة العارية ، المجردة من كل زخرف وتـكلف ، سبب قوى من أسباب تبغيض الشعوب فى الحروب ، وقتل روح الحمية فى نفوس الافراد والجماعات ، لانه مطبوع بطابع خاص من صور بغيضـة للجهاد ، هذا فضلا عن انه من أخطر الدعايات للشباب فى امتشاق الحسام وخوض ساحات الوغى والقتال !

ويمكننا أن نحكم أن هذا الادب قد استمدَّ روحه وأسلوبه من :

١ ـ الأدب الواقعى الذى يصوّر الحياة الحقيقية دون زخرفة ولا تهذيب .

٢ ـ الأدب الروسى — خاصةً القصصى منه — والذي أصبح زعماء الواقعيين يحاولون جدهم الوصول اليه ومحاكاته والتمشى مع نواحيه المفروضة .

٣ ـ روح الحرية التى تغلغلت فى الادب الفرنسى وطبعتـه بطابع خاص من « الادب الاباحى » أو الادب الصريح . وما إقدام بعض الـكتاب فى فرنسا (أمثال فيكتور مرغريت) على اخراج « لاجرسون » وأشباهها الا أثر عميق من آثار الحرية القلمية التى ترتع أوربا فى أحضانها اليوم ، والتى تمخضت عن الحرب العظمى ، وجعلتها تصور حياة الافراد والجماعات بما فى أوضارها من إباحيات وشواذ .

* * *

كذلك كان « ادب الحرب » — شعراً ونثراً — وكان اثره الشديد فى تنفير الناس من الحروب ونتائجها المخيفة ، ولانه عمد الى ادق وتر حساس وهو تصوير حياة العسكرية الخفية وصفاً مسهباً .

ولندلّ على شدة تعلق الناس بهذا الادب وانتشاره نقول ان كتاب « كل شىء هادىء فى الميدان الغربى » طبع منه للآن بعشرات اللغات المختلفة ملايين صوّر النسخ وقد حوى هذا الـكتاب من اثار الحروب وويلاتها ما تقشعرّ له الابدان ، وكيف انها اصبحت سبباً فى فناء الشعوب والجماعات وهذا كله نتيجة خلاف تافه يقوم بين اثنين من ساسة دولتين مختلفتين ، وارضاءً لمطامعهما ونزعاتهما الاستعمارية .

ولهذا الادب اليوم أنصار عديدون يرحبون به عن طيبة خاطر ، ويدعون اليه جهد

طاقتهم ، لانه اصبح أداة فعالة فى تقويض اركان الحروب ، ولانه سلاح ماض يشهرونه فى وجوه الذين تستهويهم اراقة الدماء وافناء المال والبنين .

على ان السؤال الذى يدور بخلد أساطينه ومروّجى فكرته اليوم هو :

هل يؤدى هذا النوع من الكتابة والشعر رسالته كاملة غير منقوصة فيحقق الآمال المعقودة على لوائه وهى . . . السلام ؟

هذا ما سوف نرى ، ولعلّ الغد يأتينا بشىء جديد !

محمد امين حسونه



الوطنية فى الشعر

قرأتُ ما نشرته (أبولو) عن ذكرى المرحوم حافظ ابراهيم فى العدد الأخير (صفحة ١٠٧٨) فأكبرتُ هذا الوفاء العالى . وكان يُشاع ان وزارة المعارف تعارض فى إحياء ذكرى شاعرنا الكبير ، ومثل هذه الاشاعة لاتخرج عن دائرة السخافة والاستغلال السياسى ضد الحكومة الحاضرة أو ضدّ وزير المعارف. وانى شخصياً لست من أشياع هذه الحكومة ولكن الأدب بمعزل عن كل ذلك. والحق يقال إنّ عطف وزير المعارف الحاضر على الشعر والشعراء لم يسبق له نظير حتى ولا فى عهد المرحوم على مبارك باشا . وغايةُ الأمر انّ وزارة المعارف أحلّت شوقى فى منزلة العبقرية التى يستأهلها ، وليس معنى ذلك أنها لاتقدر نبوغ حافظ وفضله الكبير على الشعر العربى . ومع الاعتراف بأن لحافظ قليلاً من الشعر السياسى الذى لاترتاح اليه الحكومة الحاضرة فمعظم شعره قومى عام ورجال السياسة لا ينظرون إلى الشعراء هذه النظرة الضيقة بل يعترفون لهم بالحرية الفنية المطلقة ، ويرفعونهم فوق القيود المألوفة . وانى أكتب هذه السطور وأمامى ديوان « الشعلة » لأبى شادى فأعجب لشجاعته الأدبية فى قصائده الوطنية الخالدة المتأججة اللّهب ، المتسامية فوق الاعتبارات الشخصية والحزبية ، وقد أعجبتنى بصفة خاصة أربع قصائد له : الأولى قصيدة «الشعلة» فى مستهلّ الديوان (ص ١١) وفيها يقول :

فأمّا وماضى المجدِ أصبح صورةً وماتت كما متنا السيوفُ الصوارمُ

فهل يخذلُ القوّادُ حتى بحبّهمْ ذويهم ؟ وهل دونَ التآخى الدعائمُ ؟

لخيرٌ لنا أن نغتدي دونَ قائدٍ ... مِنَ الحربِ كلٌّ في رَدَاهَا يُساهِمُ
وما أنا مَنْ يَنسى لهم فضلَ ما مضى ... ولا أنا مَنْ يَنسَى الذى هو قادمُ
ولكنما هذا التطاحنُ هُوَّةٌ ... تَرَدَّوْا بها، فالغانمُ اليومَ غارمُ

وفى هذه القصيدة تتجلّى الروحُ القومية الصادقة وإنْ كانت مشوبةً بالتحسر على ما نُكِبَتْ به مصر من جراء التطاحن الحزبى الذى لا يتفق وأحوالها الخاصة.

والثانية قصيدة « الوصايا المنبوذة » (ص ٥٩) وقد نظمها لمناسبة مرور العام الأول على وفاة المغفور له سعد زغلول باشا، ويقول فى مطلعها :

لم تَبقَ من (سَعْدٍ) لمصرَ وصيَّةٌ ... إلاَّ تَهَاوَنَّا بحقِّ بقائها
العامُ مَرَّ، فمرَّ بعد وفاتِهِ ... حُلْوُ الإخاء لمصر فى أبنائها
أسَفِى على الأعذار وهى كثيرةٌ ... جَعلتْ مواطنَ دائها بدوائها
تُهَمٌ تُكالُ بلا حسابٍ مُقْنِعٍ ... للساكنين الخُلْدَ من شهدائها
كلٌّ يبالغ فى العداء لندّه ... ماذا تَرَى تركوا لدَى أعدائها؟!

والثالثة قصيدة « الزعامة » (ص ١٠٧) وقد وجَّهها الى دولة صدقى باشا معاتباً لإصغاره من قدر الزعماء المعارضين، وفيها يحثه على بذل مجهوده لاعادة الوحدة القومية، إذْ يقول :

إنَّ الزعامةَ للتداوُلِ دائماً ... ومِنَ الرجاحةِ أن نُذيعَ صَلاحَها
يتراشق الزعماء، لكنْ فى غدٍ ... يتصافحون ويطلبون سَماحَها
فكن الجرىءَ وللمروءةِ صافحاً ... وكنْ الزعيمَ مبدِّداً أتراحَها
يتناوب الزُّعماء فضلَ قيادةٍ ... لكنْ تَضافرُهمْ يُعِزُّ سلاحَها
ليس التآلفُ غيرَ برءِ جراحِها ... حينَ التَّحزُّبُ يَستثيرُ جراحَها

وأمَّا الرابعة فقصيدة « البيئة الجانية » (ص ١١٧) وقد رفعها الشاعرُ الى دولة صدقى باشا « شاكياً من المحاربة العنيفة التى كان وجَّهها اليه بعض كبار ذوى النفوذ من أجل أعماله الثقافية العامة . والواقع انه لم يُعْرَفْ عن عَهدٍ للنور يُعانى فيه الادبُ والادباء الحلوكةَ العامة والاضطهادَ كما يعانون فى هذا العهد » على حدّ

تعبير الشاعر نفسه . وقد كان لهذه القصيدة وقعٌ قويٌّ في الدوائر الادبية وفي وزارة المعارف بالذات ، وهي بمثابة دعاية قوية للأدب والأدباء وليست قصراً على شكاية الشاعر الخاصة ، وفيها يقول شاعرُنا بيته المشهورعن هذا البلد التَّعِس :

تُحارَبُ فيه العبقريةُ مثلما يُطارَدُ لصٌّ أو يُدَاسُ عَديمُ !

في كل هذا الشعر تَتَجلَّى روحٌ جبَّارةٌ متحفِّزةٌ لاتَقبل الضيم لوطنها ولا لذاتها ، وتتعالى بشعر الوطنية عن نظم المأجورين المدَّاحين والهجائين من أذناب الأحزاب الذين يُسَمِّيهم أبوشادي « سماسرة الهوان » ويقول فيهم مناجياً وطنه:

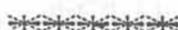
مالي وأطيافُ الربيع تَشوقني أُشْجَى كما يُشْجَى الغمامُ بموطني
فيجيءُ حتى في الربيع كأنه صُوَرُ الحدادِ لحزنٍ ولحزنِ ؟ !
وطني ! نُكِبْتَ بكل غِرٍّ نافخٍ في شُعلةِ الحقدِ المدمِّرِ لا يَني
يتظاهرون وأنت وحدكَ غارمٌ وهُمُ الجُناةُ وإنْ عُدِدْتَ المُجْتَني
كُلٌّ يحقِّر نِدَّهُ ، وكأنَّما المجدُ أن يؤذي أخاه بمطعنِ
فاذا التعاونُ سُبَّةٌ وجريرةٌ واذا التنابذُ مثلُ داءٍ مُزْمِنِ
لولا سماسرةُ الهوان لما غدا هذا الهوانُ يَنالُ عِزَّةَ موطني

ولا أنكر أن بعض الشعر الحزبي تبدو عليه سمةُ الاخلاص ، ولكنَّ معظمه نظمٌ ميتٌ لا روحَ فيه وقد تَسمَّمَ بالضغائن والاحقاد واتسم بالتكلف المرذول. ومثل ذلك الهراء الصحفي لايجوز أن يُعدّ شعراً ، ولا غرابة اذا وُضِعَ أصحابه في موضع الزراية بهم ولم ينالوا شيئاً من الاحترام الذي يناله الشاعرُ القوميُّ المتسامي فوق الاعتبارات العرضيّة الفانية. وهذا التسامي نجده في وطنيّات ولىّ الدين يكن وشوقي وحافظ وأبي شادي وغيرهم من الشعراء الذين نزَّهوا أنفسهم عن صغائر الحزبية من مَلقٍ ومُمالأةٍ وتحاملٍ وأنانيةٍ ونحو ذلك من الصفات التي عاني ويعاني الشرقُ العربيُّ من بلاياها .

واذا كان عدد هؤلاء الشعراء الوطنيين بالمعنى الاكمل ضئيلاً ، فان آثارهم ليست كذلك وهي بعيدة الأثر في قومهم بل في العالم العربي .

أنتقل بعد هذا الى مسألة غريبة يروّج لها بعضُ المجددين من الشعراء وهى ان شعر الوطنية والاجتماع ليس من الفنّ فى شىء . وأغلبُ ظنى أن حكمهم هذا نتيجة السقوط الذى تدلّى اليه الشعرُ العصرى بعد اتخاذه أبواقاً رخيصة للاحزاب السياسية فهم معذورون بعضَ العذر إذا تأثروا فى أحكامهم بتلك الحالة المحزنة المخجلة .وأما شعرُ الوطنية والاجتماع الذى يتفجّر منه الاخلاصُ وحرارةُ الشعور فلا يتعارض والجمال الفنىّ فى شىء ، وهذه قصيدة حافظ فى دنشواى من أخلد الشواهد على ذلك. وعلى هذا فالخير كلّ الخير أن نحرص على مناهل هذا الشعر الحىّ المهذّب ، وأن نفرّق بين الشعر السياسى المصطنع وشعر الوطنية الصادق .؟

محمد صبحى



أبولو فى الميزان

يعلم صديقى الدكتور ابو شادى محرر مجلة (أبولو) مدى ما أحمل له من مودة ومقدار ما أكنّ له من تقدير وما أرجو له من توفيق جزاءً وفاقاً لمجهوده الوفير وانتاجه الشامل الكثير .

لهذا ما شككتُ لحظة فى أنه لن يؤول نقدى الذى أسوقه فى كلمتى هذه إلا إلى الرغبة المشتركة فى التعاون والبحث ابتغاء الوصول إلى الحقيقة وإلا إلى أنى مدفوع برغبتى فى أن يكون انتاجُه موفقاً قدر ما هو كثير ومجهوده نافعاً مثل ما هو وفير.

وفى الحق انى لأجدنى مضطراً لأن أكاشف صديقى الدكتور أباشادى باشفاقى عليه مما يزعمه تجديداً فى الادب العربى أو فى الشعر العربى . نعم أنا مشفق عليه وعلى مجهوده الذى لو وجهه الى ناحيته الواجبة لكان أكثر فائدة أو أقرب الى الفائدة فى حين أنى لست بمشفق على الشعر العربى ولا على الادب العربى فهما بخير والحمد لله ، وسيظلان فى خير بعون الله رغم ما يحاوله المجددون أو أشباه المجددين. ولست أكتم صديقى ابا شادى ولا المدرسة الحديثة الآخذة بمبادئه أوالآخذ هو بمبادئها أنى أصبحت وكثيرون مثلى لا نطيق هذه التيارات العنيفة القوية التى

يحاولون أن يوجّهوا بها الشعر العربي — وإلا فما هذه القصائد التي تبتدىء بقافية وتنتصف بقافية ثم تنتهي بقافية ؟ وهل نضبت اللغة عن أن تدرّ قوافي متحدة لقصيدة واحدة ؟ وما شأننا نحن في أن يعجز الشاعر عن أن تنساق له القافية الواحدة في القصيدة الواحدة فيلهو بالقوافي ثم يعبث ثم يريد أن يحملنا في النهاية لا على أن نصدق أن هذا عجز منه بل على انه تجديد ؟ — وماذا يضرّ ؟ أليس الشعر الانجليزي كذلك غير مقيد بقافية ؟ وما القافية والتمسك بها ؟ وما هذا القديم والتعلق به ؟ هم اليوم لا يتمسكون بالقوافي ، وأخشى أن يجيء اليوم الذي لا يتمسكون فيه بالاوزان ، بل انهم ليرسلون القصيدة الواحدة من أوزان متعددة ، بل انهم ليكتبون القصائد الطويلة في أية ناحية من نواحي الشعر بالقوافي المزدوجة .

أرجو أن أعتذر عن نفسي وعن جمهرة كبيرة من قراء اللغة العربية عن فهم ما تذهبون اليه مما تسمونه تجديداً ونحن نحسبه نسخاً للأدب العربي والشعر العربي على السواء .

إن الشعر في أبسط تعاريفه كلام موزون مقفى ، فان فقد الوزن والقافية فلا أسميه شعراً ، ولو دققتم عنقي . إنني لا أدين بما تكتبون من هذا الكلام أو هذا الشعر «الفرانكو — آراب» وإنني لا أستطيع أن أميزه أو استسيغه أو أوافقكم على انه شعر .

وقد أفهم أن تعبث دينا ليسكا « بريمونا » فتنحت ألفاظاً من اللغة العامية وتكسبها هذه الموسيقى الافرنجية ، وان بديعة مصابني هي الاخرى تلبس بعض الكلام العامي ثوب الوزن الافرنجي ، فما عليهما عتب ولا ملام . ولكني لا أفهم الشعر العربي بجلاله وروعته ومجده وعظمته يراد به أن يتخلى عن موسيقاه بل عن شكله وعن أخصّ خصائصه .

ثم ما هذا الشعر المنثور ولماذا لا يكون النثر المشعور ؟ !

الحق ان هذا كثير ، وانكم تحت شعار التجديد تريدون أن تمزقوا كل قاعدة وتهتكوا كل تقليد ، وإلا فهل أعجزتكم اللغة كلها عن أن تجدوا اسماً لمجلتكم فسميتموها « ابولو » ؟ وهل من ضرورات الثقافة الاوربية أن نحيد عن كل ما هو شرقي أو عربي أو مصري ؟ وهل من الذوق أن نعبث بالذوق العربي كل عبث فنرسل قصائد الرثاء في قوافي مزدوجة والقصائد القصصية لا في قوافي مرسلة فحسب بل في أوزان مرسلة أيضاً ؟ إنني لا أزال أخشى أن يقترب اليوم الذي تدفعوننا فيه الى أن لا نكترث بالاوزان اكتراثاً .

إن للتجديد لحداً وللخروج على القديم لحداً وللاستحداثات لحدّاً، وان الاصل فى ذلك كله أن لا نخرج على الاصل ولا نتحلل من الشكل.

جدّدوا من المعانى ما استطعتم، وأدخلوا من الخيال ماشئتم، واعنوا باللفظ السلس الموسيقى ما أردتم، وجانبوا حوشىّ الكلام ما قدرلكم، ولكن لتحافظوا على الاصل دائماً ولتحترموا الشكل فى كل حال.

ثم ما هذه المعانى التى تريدوننا أن نكون معكم وقت التفكير فيها لنفهمها وإلا كنا فى نظركم حانقين على التجديد والمجددين؟ وما هذه الألفاظ والقوافى التى تلقون بها فى أشعاركم لتسدّ فراغاً قدرت أن تسده أو لم تقدر وتؤدى معنى أتيح لها أن تؤديه أولم يتح، فان لم نفهمها أولم نرتح لها كنا فى نظركم محافظين رجعيين، ولماذا لا تكونون أنتم المقصرين العاجزين؟ ثم ما هذا الاكثار، وما هذه الاشعار المترجمة أو التى تبدو كالمترجمة، فان دللنا كم على ذلك كنا فى نظركم عاتقين معطلين أو متأخرين ناكصين، كأنا قد تعلمنا فى الكتاتيب وأنتم تعلمتم فى جامعات السماء؟!

إن الشعر فى نظرى ونظر الذين يتذوقونه أو يسمعون عنه مجموعة من معانٍ وديباجة فى أوزانٍ وقوافٍ. هذه عناصره فليأخذ بها من أراد أن نعترف به شاعراً، فان تخلف عن عنصر منها كان عاجزاً عنه دون أن نكون نحن العاجزين عن فهمه وتقديره أو مجاراته على السواء.

هذه يا عزيزى أبا شادى عجالة أكتبها مخلصاً للشعر ولك، راغبا فى أن يكون انتاجك ومجهودك موفقين قدر ما أراهما وفيرين، وإنى واثق أنك لن تحملها منى إلا على أحسن المقاصد وأبرئها، فانت تعرف إعجابى بنشاطك، ولا أكتمك أنى ترددت كثيراً فى أن أكتب لك فى هذا لولا أنك حفزتنى لان أكتبه بل طلبت منى أن أكتب ما أريد حينما التقيت بك أخيراً فى اجتماع موسم الشعر. فهاك ما كتبت لك أن تنشره ولك أن تعلق عليه ما شئت، وللزمن والرأى العام أن يحكما على أيّنا أصلح رأياً وأقوم سبيلا؟

حسن الحطيم

* * *

تعليق المحرر

يسرنا كلّ السرور أن نتلقّى هذا النقد من صديقنا الفاضل معبّراً عن رأيه

ورأى أصدقائه من اخواننا الشعراء المحافظين .

ويلوح لنا من مراجعته أنه محصور فى النقط الآتية :

(١) الاعتراض على تغيير القوافى وعلى التخلى عنها وعلى مزج البحور .

(٢) الاعتراض على الشعر المترجم وعلى اذاعة المعانى الغربية النافرة عن ذوقنا العربى .

(٣) الاعتراض على الشعر المنثور .

(٤) اتهام الشعراء المجددين بالعجز .

ونحسب اننا تناولنا جميع هذه النقط بالدرس والتعليق عليها فى أعداد (أپولو) الماضية وقد تكلمنا من قبل عن الدافع الثقافى العام لاختيار اسم عالمى لهذه المجلة، فلا حاجة بنا إلى الرد الطويل عليها فى هذا المقام ، وقد تكون لنا عودة اليها فى المستقبل إذا ما قضت المناسبات بذلك لأن وقتنا الآن أضيق من أن يتسع لأكثر من السطور التالية إذ أننا تلقينا هذا النقد والمجلة على وشك الصدور .

(١) ليس الشعر هو الكلام الموزون المقفى حسب التعريف العربى القديم الذى يردده صديقنا الفاضل ، وانما الشعر هو البيان لعاطفة نفاذة إلى ما خلف مظاهر الحياة لاستكناه أسرارها والتعبير عنها . فاذا جاء هذا البيان منظوماً فهو شعر منظوم ، وإذا جاء منثوراً فهو شعر منثور ، وجميع الآداب العالمية الناضجة تعترف بهذين القسمين للشعر وإن أعطت للشعر المنظوم الصدارة لجمعه بين بيان العاطفة وموسيقاها .

لا فائدة من التشبث بتعريف محلى أو قومى للشعر بل يجب أن يكون التعريف الصحيح مستمداً من أسمى ما بلغ اليه الفن من تحليل لروح الشعر ومعناه ومبناه. ومتى آمنّا بذلك أصبحت مسألة القافية وتنويع البحور ومزجها أمراً ثانوياً ، لأن الشاعر الناضج الشاعرية المتمكن من اللغة الصافى الطبع لا يجوز لنا أن نلقى عليه دروساً فى كيفية استعمال القوافى والبحور فله من طبعه الشعرى خير ملهم ودليل، وان المعانى الشعرية هى التى تبحث عن ثوبها اللفظى وليس الثوب هو الذى ينبغى أن يسيطر عليها . ان الحرية جزء أصيل من الفن بل أساس عظيم له ، والتطور الفنى للشعر فى أمم شتى أظهر لنا أن هذه الحرية المهذبة تعطينا من روائع التعبير الشعرى ما لا تظهر به فى الشعر المقفى والمقيد ببحر معين ، ولا سيما فى

مجال القصص والتمثيل حيث تمتزج المواهب الشعرية بالفطرة فى التعبير فيسمو الشعر فوق مظاهر الصناعة. وليس التوشيح والنظم المتعدد القوافى من القصيد القديم الا أمثلة لمحاولة التحرر لدى القدامى من العرب. فليس عجيباً ان ينزع الشعر العصرى إلى البساطة والطلاقة والتعلق بمثل أعلى فى التعبير بدل التعلق بأساليب اللغة والبيان والبديع لذاتها.

(٢) لا غرض لنا من نشر الشعر المترجَم سوى تطعيم أدبنا بآداب الامم الاخرى كما تفعل هى نفسها ذلك، ولا ضرر علينا من هذا التلقيح الأدبى لأن نتيجته بقاء الصالح الملائم لجوّنا وبيئتنا فنحن نكسب على أى حال. ومن الخير لنا أن نقف على النظرات والخواطر الشعرية والبيان العاطفى لشعراء الأمم الأخرى. ومن كل ذلك تتشعب دراسات شتى مفيدة، وتتداعَى الخواطر الشعرية فى نفوس شعرائنا.

(٣) الشعر المنثور ضرب من ضروب الشعر معترف به لدى جميع الامم الراقية ولا يمكننا أن نجحده، وهو ليس مجرَّداً من الموسيقى. ويَرتقبُ النُّقاد ممن يؤلف الشعر المنثور أن تكون شاعريته على درجة عظيمة من القوة بحيث تعوّضنا عن بعض التخلى عن الموسيقى فى بيانه. وعلى أى حال نحن لم ننشر سوى نماذج قليلة من هذا الشعر آخرها «طيف الربيع مع الشاعر» للآنسة جميلة محمد العلايلى، وهى فيما نعلم أبرع من أجادوا وأجدن بيننا فى هذا الضرب من الشعر العصري وفى الواقع ان صور التعبير اذا كان فى أحد طرفيها الشعرُ المنظوم وفى الطرف الاخر الشعر المنثور (أو النثر الفنى كما ينعته صديقنا الدكتور طه حسين) فبينهما يقع الشعر الموزون المرسل، والشعر الموزون الحر، ثم الكلام الموزون (وهو ما يُنسب ظلماً الى الشعر)، والكلام المنثور الدارج فى الجرائدوالكتب ونحوها.

(٤) أما عن الاشفاق علينا فنقبله فى صورة واحدة وهى النقد الفنى لشعرنا كنقد ديوان «الشعلة» مثلاً بحرية فنية صادقة. وأما عن زملائنا المجددين وفى طليعتهم مطران وشكرى وناجى والشابى فاتهامهم بالعجز لانقابله إلا بالابتسام فجميعهم مارسوا ضروب النظم ببراعة فائقة ولا نعرف شاعراً من المحافظين استطاع مثلاً ان يبرزلنا تحفة رائعة كقصيدة قلب راقصة أو العودة لناجى اللهم الا اذا عدّ صديقنا الحطيم القصيدة القفطانية لأخينا الهراوى (وقد أشار اليها الدكتور زكى مبارك فى «البلاغ» فى مضبطته الفنية لمجلس الشعراء) من روائع الادب التى يجوز له بجانبها أن

يشفق علينا . نحن لا نشفق على اخواننا المحافظين لانتاجهم الذي لا يتجاوز غالباً طبعات منوعة غير مصقولة للشعر القديم ، بل يؤلمنا أن أغلبيتهم العظمى غارقة الى أذقانها فى المحاكاة ولا تفهم حتى تعريف الشعر فضلاً عن التصوف بروحانيته ، وهم بعد ذلك يتغنون بواجباتهم المقدسة نحو إنهاض الشعر العربى ويحاربون بوسائل ومظاهر شتى مجهود (جمعية أبولو) . وان الزمن المطَّرد الذى يأبى الوقوف لكفيل بأن يحكم لنا أو علينا ويعلن أى الفريقين أجدر بالبقاء : مَنْ يقاومه ويصادم قوانين الحياة ، أو من يسايره ويتطلع إلى آفاق بعيدة من الحياة المتجددة الروعة .





الحيـــاة

هاج النسيمُ العندليبَ فى السحرْ فهزّه الغرامُ وجداً فصفرْ
وغازلَ الوردَ على ضوء القمرْ وردّدَ الفضا صداه فاستمرْ
والماء غنى بخريره الشجرْ
وباتت الشمالُ تُرقص الزّهَرْ

ياحبذا الالحانُ فى الاسحارِ من بلبلٍ شادٍ وماءٍ جارِ
ومن نسيمٍ مرّ بالازهارِ تخاله يلعب بالاوتارِ
أمسى له فى كل دوحةٍ أثرْ
وكلُّ عودٍ فيه عودٌ ووترْ

مرّ النسيمُ العذبُ والعيشُ حلا والبلبلُ الشادى تلا ورتلا
وأذّن الديكُ بنا : حيّ على ...! والوقت قد طاب وساغت الطلى
فاغتنمْ الوقت وفزْ واقضِ الوطرْ
واجنِ من اللذة بالعيش الثمرْ

واختلط الفجرُ بضوء البدرِ إذِ الدرارى انتثرتْ كالدرّ
فى ليلةٍ ما خلتُها من عمرى قتلتُها سكراً وأىّ سكرِ
وكل ما شاهدتُ فيها قد سكرْ
من حيوان ونبات وحجرْ

واستتر النجمُ إذِ الصبحُ بدا ومدّتْ الصبا الى الورد يدا
يمسح عن جبينه قطر الندى تنثر ذاك اللؤلؤَ المنضدا
فالطلُّ أنجمٌ إنْ النجمُ استترْ
والروضُ كالسماء زاهٍ بالدُّررْ

والزهرُ الكؤوسُ والطلُّ طلى بين كرام الشرب باتت مُجتلَى
حتى إذا الورد بها قد ثملا عربد فى الروض النسيمُ واعتلى
فاصطكت الكؤوس والطل انتثرْ
وانسكب الشرابُ والجام انكسرْ

بينا الصَّبَا والروض فى وفاق تميل بالأغصان للعناق
تضمها من فرعها للساق تحكى الحبيبين لدى التلاق
اذا بريح صرصرٍ تُعمى البصرْ
أعقبها رعدٌ وبرقٌ ومطرْ

ما ابتسم الصباحُ حتى قطبا إذْ جاءت الريحُ تسوق السحبا
وبعد ما الهزارُ غنّى طربا صاح الغرابُ ناعباً مكتئبا

فأعقب السرورَ حزنٌ وضجرْ
وبان بعد صفوِ عيشها الكدرْ

كذا الحياةُ دأبها جزرٌ ومدْ تعاقبَ السرورُ فيها والكمدْ
فالعين إن قرت بها تلق الرمدْ وكلُّ شيء ينتهى الى أمدْ

والمرء لاينفكّ يحذر القدرْ
والموت لا يبقى غداً ولا يذرْ

طهران : ميرزا عباس خان الخليلى
(صاحب جريدة اقدام)





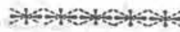
حيوان المرجان

هذه القطعة مقتبسة عن قطعة للشاعر الانجليزى منتغمرى ومن نظم المرحوم الدكتور يعقوب صروف ، وهى من أمتع الشعر العلمى المقتبس . ولكى يفهم الأدباء فهماً تاماً ما فى هذه القطعة الفريدة من قوة الوصف وحسن السبك ودقة التعبير ، نأتى على مجمل الرأى العلمى فى تكوين المرجان . فحيوانات المرجانة تبنى بيوتها على جوانب الجزر حيث عمق الماء لا يزيد عن ثلاثين قامة وترتفع رويداً رويداً إلى أن تبلغ وجه المـاء ، فاذا أصيبت الجزر بحادث طبيعى خسفتْ بها الارض كما تخسفه فى أماكن كثيرة بقى المرجان مرتفعاً لأنه يزيد بتكاثره ونموّه مقدار ما تخسف الأرض الى أن تغور الجزيرة كلها فيبقى المرجان حلقة مفرغة ويموت من داخل الحلقة وتتكسر هياكله وتصير رمالاً وتمتزج بما تلقيه عليها الأمواج من الاصداف

والاشمان والحجارة البركانية ، فتصير تربة صالحة لنمو النباتات فتأتيها بزوره محمولة على عاتق الأمواج . وقد يشتد عنف الأمواج فَتَتَنَخَّرُ بعض جوانب الحلقة وتصيّرها مرفأً أميناً للسفن . وما نراه جارياً الآن فى البحار كان جارياً فيها خلال العصور الجيولوجية الأولى فتكوّن جانب كبير من صخور الارض وجبالها من هياكل المرجان ولم تزل آثارها فى الصخور الى يومنا هذا . واليك الابيات :

ترى عجباً من كائن دأبه البنا ... ولم يَبن غير الرمس بيتاً لنفسهِ
تراه إلى العلياء يطمح شاخصاً ... ويرقى اليها شاخصاً فوق رمسهِ
أنوفٌ من الأقوات،لكنّ قوته ... مُجَاجَةُ بحرٍ فى قرارة نفسهِ
فيبنى من الصلصال بيتاً عماده ... إلى القبّة الخضراء يسمو برأسهِ
تجمّعُها من ذرة بعد ذرة ... كما جمّع الخطّاطُ أحرف طرسهِ
ويبسطها فوق البحار جزائراً ... لتقوى على سعد الزمان ونحسهِ
فتصدمها الأمواج صدمة فَيلَقٍ ... ترى المجد مرسوماً على وجه ترسهِ
فيقطع أوصالاً ويبقر أبطناً ... ويهلك ابداناً بشدة بأسهِ
وتغدو به تلك الجزائرُ والرُّبى ... مرافئ فى كيد الزمان وبؤسهِ
ويلقى عليها الموجُ بزراً وتربة ... فتصبح روضاً قد تباهى بغرسهِ
فقل لى رعاك الله أى قبيلة ... تقاوى بنى المرجان أو بعض جنسهِ
وما عمل الانسان من كل أمةٍ ... أعاربه ، أقباطه ، بعد فُرْسِهِ
وما كل ما أبقوا على الأرض جملة ... كآثار بوليبيغراء (١) وكلسهِ
هيا كلهم أهرامُهم ورؤوسهم ... كنقطة طرس خط من بحر نفسهِ

اسماعيل مظهر



البحارة

لشاعر الهند وفيلسوفها رابندرانات تاجور

هل سمعت ضوضاء الموت هناك ؟

(١) تعريب Polypegeral

هل وصل الى أذنك نداءاقد عَلَتْهُ قَعْقَعَةُ السحاب وتلاطم الامواج ؟

إنه نداء ربان السفينة فى بحارته :أن أديروا سكان[1] السفينة واجعلوها شطر الشاطىء المجهول !.. إن الوقت قد أسرع فمضى وقت الاستقرار والهدوء فى الميناء ...

هناك حيث تُشْتَرَى السلعة وتُبَاعُ فى أى مكان ، .. وبلا انتهاء . .

هناك حيث تدفع الأشياء البالية بالتعب وبالصدق فى صفاء !

« • »

أفاقوا فجأة مذعورين ، وقد استولى الوجل على القلوب ، وأخذوا يتساءلون : « أيها الرفاق .. هل تعرفون كم هى الساعة الآن ؟ .. أما آن للفجر أن يبزغ . . ؟ » لقد ساقت السحبُ أمامها النجوم فلم يَبْدُ منها بصيص .. وهل مَنْ يرى أصبعه وهو يشير ؟

« • »

إنهم يسرعون فى السير مهرولين ، وقد قبض كلٌّ على مجذافه بيده . . أما المخادع فأصبحت خالية جوفاء..والأمهات تصلى وتضرع الى الرحمن .. والزوجات قد اتخذن لهن أمكنة عند عتبة الدار .

لقد علا البكاء ، وأخذت زفرات الفراق تصعد إلى السماء ، وهناك أيضاً ربان السفينة ينادى:« هلموا يابحارة .. فالوقت قد أزف ، وبقاؤنا فى الميناء قد انتهى »

« • »

إن مكاره العالم ومساوئه قدطَفَتْ هناك على الشواطىء ، ومع ذلك فعليكم أيها البحارة أن تأخذوا أمكنتكم ، بينا أرواحكم قد خضعت للأسى هادئة مطمئنة ! . .

مَنْ تريدون أن تلوموا . . ؟ !

طأطئوا الرؤوس ، وانظروا الى أقدامكم !

إن الذنب ذنبكم ..وذنبنا !.. فجبن الضعيف وانكماشه ،وعجرفة القوى وطغيانه.. الشره الى النجاح . . الحقد النامى فى نفوس المخطئين ، وتكبر بنى البشر وتعاليهم،

(١) سكان السفينة : دفتها

والتسابُّ الذى يلحق الانسان ليلَ نهار . . كل هـذه النقائص قد حالت أمنَ الاله وسلامه إلى جلبة وضجيج تلمحها فى ثوران الزوبعة !

« • »

وكما يكشف غلاف البذرة ساعة النضوج عما يخفيه .. فلندع العاصفة تحطم هذا الغشاء، وتعلن عن سويداء قلبها فى قعقعة الرعد وتجاوب صداه !

كنى غروراً بنفسك، وتفاخراً بنقائصك .. وبهدوء الساجد الخاشع لتـذهب إلى هذا الشاطىء المجهول !

« • »

لقدعرفنا الآثام وخبرنا الذنوب صباح مساء ، كما وعينا الموت أيضـاً وعرفناه . ان الآثام لتمر من فوق عالمنا هذا متخذة شكل السحب ، هازئة منا بهذه القهقهة التى ترسلها فى البرق الخاطف .

وفجأة ستقف السحب ، وعندئذ تبدو الآية للعيان . . وعندئذ يجب أن يقف الرجال قبالتها منادين : ! نحن لا نهابكِ أيتها الوحوش الـكاسرة ! . . لقد حيينا وكانت حياتنا من أجل مكافحتك ، والآن سنسلم أرواحنا ونحن فى يقـين من أن السلام حقيقة لا خيال ، وأن الطيب من الأعمال لا ريب فيه ولا خـداع ، وأن هناك واحداً لا يموت !

« • »

لو أن الحياة لا تتخذها مقرها عند قلب المنية

لو أن زهر الحـكمة لا تتفتح عن عمد للحزن والألم

لو أن الخطيئة لا يخفت صوتها وتندثر عند إذاعتها وكشفها

لو أن التـكبر والعظمة لا يتـكسران تحت عبء الزخارف ...

إذاً مِنْ أينَ يأتى هذا الرجاء الذى يأخذ بهؤلاء الرجال من بيوتهـم ، وما أشبههم بنجوم أخذت فى الاختفاء وراء أشعة الصباح !

« • »

هل دم الشهداء ، ودموع الأمهات ستذهب هباءً فى ذرات هـذا الأديم ،

ولا يُعطونْ الفردوس بهذا الثمن ... ؟

وعند ما تُمَـزَّقُ عن الانسان حُجُبُ البشرية ، ألا يظهر له فى هذه اللحظـة عالم اللانهاية ؟ .

محمد فريد طاهر

الشباب والشيخوخة

عن لورد بيرون

(لورد بيرون أو جورج جوردون هو الشاعر الارستقراطى العربيد ، المنحدر من صلب أب عربيد وأم ملتاثة العقل بلهاء . فيجب أن نتمثل فى الذهن طبيعة هـذا الخلق لندرك قول الشاعر فى القطعة المترجمة فيما بعد أن القليلين الذين يظلون يتشبثون بأهداب السعادة بعد ذبول زهرة العمر وخمود جمرة العاطفـة هؤلاء الذين يأملون أن يسعدوا كما سعدوا فى الماضى ينساقون الى الاسفاف والتدلى الى حمأة الشهوات . فهذا المعنى هو فى الحقيقة صدى لما أصاب الشاعر وما انتهى اليه كل من أبيه وأمه. وهذا الشاعر الذى انـكبّ على ملذاته انـكباباً والذى شذ فى خلقه شذوذاً بعيداً فلم تعد تطيقه زوجه فزعمت أنه قاس وأنه مجنون وأبت العيش معه وأيدها فى إبائها الشعور العام فى ذلك العصر (حياة الشاعر من سنة ١٧٨٨ إلى ١٨٢٤) بل لم يعد يطيقه وطنه نفسه ففارقه فراقا لا أوبة له وخرج منه عام ١٨١٦ بقوله المـأثور : إما أنه لا يصلح لبلاد الانجليز أو أنها لا تصلح له — هذا الشاعر هو الذى يقسم الناس فى كبرة السن شطرين : شطر اطمأن الى النهاية المعروفة من التقاعد والخمول ، وشطر يجرى وراء سراب السعادة الماضية فيدرك السراب ، ولـكن ما ظل السراب من الحقيقة ؟ — المترجم)

« ١ »

ليست هناك فرصة يمكن للدنيا أن تمنحها كتلك التى تسلبها
وعند ما تتلاشى بهجة الفـكر فى ألفاف العواطف الخامدة
لاتسرع فى اختفائها فقط تلك النضرة البادية فوق وجنة الشباب البضة
ولـكن وقبل أن يؤذن الشباب بالرحيل تذوى أيضاً زهرة القلب الغضة

وهؤلاء القليلون الذين تطفو أرواحهم فوق حطام السعادة

ينساقون فى وشل الذنوب ومحيط الرذائل

وقد فقدوا فى مجراهم ابرة البحر التى تهديهم أو أنها تشير عبثاً الى شاطىء لن تترامى اليه بعد أسمال شراعهم الممزق

فيهبط على نفوسهم برود الموت هبوط العدم

فلا تعود تهمها نكبات الغير ولن تجسر على الامل فى أن تحدب على نفسها ثم يتجمد هذا البرود الثقيل فوق ينابيع عبراتنا .

فاذا ظلت العين تحفظ بريقها فانه بريق الجد البادى بها

واذا التمع الذكاء فاسترسلت الشفتان بسحر الحديث ونفّس الجذل عن الصدر

فى صميم الليل إذ لاتعود ساعاته تهبنا أمل الراحة الماضى

فما ذلك سوى أوراق اللبلاب تلتفّ حول البرج

فتبدو فى ظاهرها خضراء زاهية وهى فى باطنها مهدمة غبراء .

* * *

آه لو اننى يعاودنى شعورى الماضى أو لو اننى رجعت شخصى الاول أو لو اننى استطيع البكاء كما كنت أبكى منظراً بات فى ذمة الماضى ، فكما تكون الينابيع فى الصحراء حلوة عذبة وقد تكون فى حقيقتها آسنة نتنة كذلك تهمى لى تلك العبرات وسط صحراء الحياة الخرساء .

عبد المنعم دويدار



المهرجان السنوى

لجمعية أبولو

اجتمع مجلس (جمعية أبولو) برئاسة خليل مطران بك فى يوم ٢٤ مايو الماضى وقرر فيما قرّره إقامة المهرجان السنوى للجمعية فى فبراير المقبل على نحو ما أعلنا فى

العدد الماضى (ص ١٠٧٧ — ١٠٧٨) ، على أن يُذاع هذا القرار منذ الآن على حضرات الشعراء فى العالم العربى ليوافوا الجمعية بنفائس منظومهم فى شتى فنون الشعر، وبما لديهم من دراسات متنوعة للشعر والشعراء ، بحيث لايتأخر وصول ذلك إلى سكرتير الجمعية عن آخر ديسمبر سنة ١٩٣٣،حتى تتمكن الجمعية من تنظيم المهرجان التنظيم اللائق بالغاية الأدبية المنشودة منه . وسننشر تفاصيل اضافية عنه فى الوقت الملائم .

موسم الشعر

كنا انتقدنا فكرة اقامة مهرجان للشعر فى المولد النبوىّ وهى التى دعا اليها حضرة الشاعر الفاضل الحاج محمد الهـرّاوى (ص ١٠٧٩ — ١٠٨٠) ولكن الاجتماع التمهيدى الذى عقده بعضُ الشعراء والادباء لهذه الغاية أنكر الفكرة كما أنكرناها وآثر بدلها اقامة موسم سنوى للشعر.

ولما عقد الاجتماع الثانى لهؤلاء الشعراء وغيرهم يوم ٢٦ مايو الماضى بدار لجنة التأليف والترجمة والنشر كان أول بحث المجتمعين حائماً حول ما اتضح لهم من القرار السابق لجمعية أبولو فى نفس هذا الموضوع فاعتذر الشاعر الحاج محمد الهراوى بأنه لم يكن له علم به وأنكر الحاضرون فكرة تجاهل الجمعية وفضلها وخدماتها، وبناءً على اقتراح الشاعر الهيهاوى صدر قرارٌ من الاجتماع بدعوة (جمعية أبولو) للاشتراك فيه . وتبعاً لذلك وافق المدعوون من أعضاء (جمعية أبولو) على هذ التعاون ما دام لا يتعارض وخطة الجمعية .

ثم دار البحث حول تسمية الهيئة المجتمعة وتحديد أغراضها فتقرر أن يكون اسمها (جماعة موسم الشعر) وأن تكون غايتها مقصورة على اقامة هذا الموسم السنوى ، ولم يوافق المجتمعون على تحويلها إلى جمعية عامة للشعر والشعراء كما حاول بعضهم ذلك إذ عـدّوه خروجاً على الغرض الأصلى من الاجتماع واستغلالاً له فى غير المنشود منه .

وبعد ذلك انتخبت اللجنة التنفيذية للجماعة بالاقتراع السرّى فكانت النتيجة كما يلى بترتيب أغلبية الاصوات : الشعراء الهراوى ، الجارم ، ابوشادى ، الماحى، الهيهاوى ، مطران ، القاياتى .

وستتولى اللجنة التنفيذية تنظيم اقامة هذا الموسم .

جمعية عكاظ

أظهرت الشهورُ الطويلةُ التي مضت منذ تأسيس (جمعيــة أبولو) على أن فريقاً من حضرات الشعراء — وفي مقدمتهم الحاج محمد الهراوي والشيخ احمد الزين وحسن افندي الحطيم والشيخ عبد الجواد رمضان — لا يمكن أن يرتاحوا إلى مجهود الجمعية وإن اعترفوا بنبالة مقاصدها وبالمجهود العظيم الذي بذلته حتى الآن لخلق روح الاخوّة والتعاون والانجاب بين الشعراء . وسببُ استيائهم على ما يقــولون يرجع إلى التجديد «الخاطىء» الذي اتصفت به وإلى رغبتهم في المحافظة بكل حرص على الأسلوب العربي الأصيل .

ولا نعرف نحن أننا حاربنا الأسلوب التقليدي الجميل متى جاء على لسان شاعر مجيد كما رأى القراء في نماذج لشعر شوقي ومطران ومحرم وناجي والشابي وغيرهم ، فالشاعرُ الموهوبُ الناضج يعلن شعرُه الجمالَ سواء أكان أسلوبه تقليــدياً أم غير تقليديّ ، ولكننا في الوقت نفسه لا يمكن أن نجعل أنفسنا بمعزل عن الثقافة العالمية ولا يجوز أن نقاوم التفاعل الادبي الطبيعي .

وقد علمنا أنّ حضرات هؤلاء الاصدقاء اعتزموا أن يؤسســوا جمعيــة باسم (جمعية عكاظ) للدعوة إلى مذهبهم الاصولي مع اصدار مجلة باسم (عكاظ) للغرض نفسه .

ونحن نرحّب بهذا المجهود الانشائي إذا ما وُضــعَ موضعَ التنفيذ باسلوب مستقيم صريح ينطوي على تبادل الاحترام مع الزملاء والتعاون في المسائل العامة التي لا خلاف فيها . ولحضرات قرائنا الذين يرتاحون الى هذه النزعة أن يراسلوا صاحب الاقتراح حضرة الشاعر الحاج محمد الهرّاوي بدار الكتب المصرية بالقاهرة .

ونظنّ أن موقفنا جليّ صريح : فقد تقدّمنا إلى العمل بروح الجماعة والتجديد والاصلاح وبغير انتظار أي مساعدة مادية من أحد، وما زلنا محرومين حتى مساعدة وزارة المعارف وغيرها من الهيئات التعليـمية حتى الآن . وكان ذلك في وقتٍ شُغِل فيه الشعراء بالمظاهر والشخصيات وحبّ الزعامة ، فبذلنا كل ما في وسعنا للقضاء على هذه السفاسف وتوجيه الشعر توجيهاً فنّـياً خالصاً حسب اعتقــادنا . وقد لبث بعضُ الشعراء متشبثين بفرديتهم أو بالدعاية لامارة الشعــر أو بنحو ذلك من الدعايات الشخصيــة التي لا نقرّها بحال والتي لا يمكن اخفاؤها تحت أيّ ستار . فاذا وُجِدتْ جمعية جديدة ولو كانت محافظة في روحها فلن يعترض عليها أحــدٌ بل الأمر على العكس لأنّ الخلاف البريء على الآراء الفنية غنمٌ كبيــرٌ للفنّ ذاته ، وأمّا اذا اتُّخِذت الجمعيةُ وسيلةً للطنطنة بالاسماء والالقاب وللمجاملات على

حساب الفنّ ذاته (ولنا فى الماضى عِبَرٌ كثيرةٌ من هذا القبيل) فلن يكون من وراء مثل هذا التصرّف أىُّ خيرٍ ، ويكون من أصالة الرأى أن يستظلّ جميعُ الشعراء بعلم أبولو فى أُخوّتهم الاجتماعية ولهم بعد ذلك آراؤهم الفنية الشخصية يدعون اليها كما يشاءون بين زملائهم وعلى المنبر العام فى هذه المجلة وفى غيرها من المجلات الأدبية الحرة . ان من السهل خلق الجماعات ، ولكن ليس من السهل استبقاء روح التعاون بينها ، والشعراء ما زالوا مستضعَفين فأحرِ بهم أن يزيدوا وحدتهم قوة على قوة بدل الانقسامات الشكلية وما تجره وراءها من التحزبات الشخصية .



حافظ وشوقى

للدكتور طه حسين ــ ٢٢٤ صفحة بمقياس ١٤ × ١٩½ سم . طبع بمطبعة الاعتماد بالقاهرة . الثمن عشرة قروش مصرية

مِن حقّ (أبولو) ومن الحق عليها أيضاً أن تعنى بهذه الابحاث النقدية التى تتصل بالشعر والشعراء ، ولقد يكون هذا الحق لزاماً إذا كان الحديث عن « حافظ وشوقى » وكان صاحب الحديث هو الدكتور طه حسين . ولن يفهم من هذا العنوان أن هذه الفصول النقدية نوع من الدراسات الفردية الجزئية التى تعنى بهذين الشاعرين لذاتهما فقط ، وانما هى فصول كتبت لتكون مبادىء عامة تدخل فى أبواب التاريخ الأدبى والنقد الأدبى ، ولا سيما هذا النقد الخالق الذى يبغى صاحبه رسم الخطة الصالحة للانشاء والتقدير والتأثير فى البيئات ويحاول «اثارة الميل القومى الى درس الأدب والعناية به وتقوية الذوق الفنى وتوجيهه هذا الوجه الجديد الذى يلائم حياتنا وآمالنا ومُثلنا العليا فى هذا العصر الذى نعيش فيه » .

ولسنا نشك فى أن الدكتور طه حسين من دعاة التجديد وأنصاره العاملين على بسط نفوذه وسيطرته على الحياة العامة وبخاصة هذه الحياة الأدبية . فكان بذلك من أعرف الناس بهذين الأصلين اللذين يقوم عليهما ما يسمى التجديد أو النهضة أعنى الإحياء والابتكار . وقد عَرف الدكتور للكتاب المحدثين جهودهم الصادقة فى نقل النثر من أسلوب يكاد يكون أعجمياً إلى هذا الأسلوب الرائع القوىّ الذى يؤدى وظيفته الادبية والاجتماعية خير أداء ولكن الدكتور ينعى على الشعراء فناءهم فى تقليد القدامى ويرميهم بالجهالة والغرور .. أفهذا الحكم يطرد ويتناول الشعراء جميعاً من ناحية ، ثم يتناول شعر الشعراء كله من ناحية أخرى ؟ ألم يكن



الدكتور طه حسين — ريشة صبحى افندى توفيق — عن جريدة (الانذار)

البارودى مجدِّداً حتى فى الاوزان الشعرية والموضوعات والمعانى ؟ وما الرأى فى اسماعيل صبرى ؟ أفلا يجد فى حافظ وشوقى من المناهج الحديثة والنزعات الجديدة مايحمد لهما ويميزهما من شعراء العصور السابقة؟ وأخيراً ماذا يقول فى هذه المدارس الشعرية الحديثة التى تجهد جهدها فى تمصير الشعر ووضعه وضعاً جديداً يلائم الدنيا الجديدة ؟

ثم يعرض الدكتور لمسألة « الحرية والفن » دون أن يقول رأيه صريحاً ولكنه يدعو الى حرية العلماء . أفليس فى ذلك دعوة أيضاً لحرية الفنيين ؟ كنا نود من الدكتور أن يدرس هذه المسألة فى الأدب العربى ولاسيما أن لها أمثلة عند أبى نواس

ومدرستـه ، ثم يقول لنا الى أى أحد يبـاح للفنى أن يمضى وراء الجمال فى مجالاته المختلفـة ؟ وما رأيه فى نظـرية (الفن للفن) ؟ وهـل تقف غايات الفنون عند التهذيب والفضيلة ؟

للدكتور بعد ذلك فصل ممتع حقاً فى تأريخ النثر العربى فى العهد الأخير ، ومما يلفت النظر فى هذا الفصل مهاجمة الدكتور من يقولون بأسبقية النثر على الشعر فى الوجود سواء منهم القدماء والمحدثون ، وظاهر أن رأى الدكتور حق واضح فليس من شك أن الشعر لسان الحياة الطبيعـة الأولى وأن هومير سبق أرسطو ، وأن البداوة القصصية سبقت الحضارة المفـكرة العالمـة . ولـكنا نسأل الدكتور : أحقاً أن مؤرخى الأدب العربى يريدون بالنثر فى هذه المسألة ناحيته المعنوية ؟!.. الذي نعرفه أن القـدماء حين قالوا بأسبقية النثر أرادوا به الـكلام المنثور غـير المنظوم دون أن يعنوا بالناحية المعنوية ، فأخذهم الدكتور بما لا يجب أن يؤخذوا به .

ويلتقى الدكتور عقيب ذلك بشعرائنا الثلاثة حافظ وشوقى ومطـران ويتناول شيئاً من شعرهم بالنقد والتحليل ذاهباً فى ذلك مذهباً معنوياً بيانياً . . . وهو فى ذلك موفـق من غير شك ، ويظهر أن هـذا النحو من النقد ملائم تمام الملاءمـة لمذهب النقاد من أصحـاب البحترى وأبى تمام والمتنبي (فى الموازنة والوساطة) ولـكن هناك هذا المذهب الذى يقوم على وحدة القصيدة ، بل وعلى وحـدة الشاعر نفسه وشخصيته ومذهبه الفنى والموضوعى ، وفى رأينا أن هذا أجدى على الشعر والشعراء من هذه الملاحظات الجزئية التى تتصـل بالأسلوب أكثر من اتصالها بالموضوع . وقد يعتذر الدكتور بضعف هذه الشخصيات ، وغموض هذه المذاهب أو هوانها فى طلائع هذه النهضة الحديثة ، ولـكننا عن هذا نفسه نسأله : أليس يجد للبارودى وصبرى خواصهما الموضوعية والمعنوية وشخصيتهما التى تتصل بحياتهما وبعصرهما ؟ ! ثم ما شأن حافظ وشوقى ؟! حافظ شاعر مصر والمسجل تاريخها وموقفها من الاحتلال ، حافظ الصريح الشفاف ، وشوقى شاعر الغناء الحديث ، حافظ الشعبي وشوقى الارستقراطى ؟

وأما الفصل الأخير الذى درس فيه الدكتور شاعـرينا العظيمين ، ووقف فيه منهما موقفه هذا النزيه المبرور فعندنا أنه من خير ما يظفر به التاريخ الشعرى . ألمّ فيه الدكتور بحياة الشعر العربى وحياته الحديثة خاصـة وبحياة الشاعرين والعوامل

الرئيسية التى كوّنت شعرهما ولوّنته بشتى ألوانه ، ثم الطوابع التى امتاز بها كلاهما، وهو اثناء ذلك يؤرخ معهما الشعر الحديث كله والشعراء المحدثين جميعهم ويضع مقاله دستوراً للمؤرخين وسجلاً لحياة هذين الشاعرين . ولا يسعنا إلا شكر الدكتور ، ودعوة الشبان الى درس كتابه والانتفاع به .

احمد الشايب



هرمن ودورتيه

تأليف يوهان ولفجانج فون جوته وترجمة محمد عوض محمد —

١٤٤ صفحة بمقياس ١٨½ × ٢٠ سم . — أصدرته

لجنة التأليف والترجمة والنشر — طُبع بمطبعة

فاروق بالقاهرة الثمن خمسون مليماً

من المجازفات الخطيرة أن يُقتفى أثر المصدر الذى استقى المؤلف العبقرى منه جوهر عمله ، لأن الرجل الوحيد الذى يمكنه معرفة ذلك هو آخر من يحاول أن يكشف لنفسه أو للناس السر الذى بنى منه هيكل هذا العمل .

إن مهمته الوحيدة الخلق ، فهو منصبّ بكل أدوات بنائه وبكل ما عنده من الذخائر والمؤن على الانشاء وليس هو بمسؤول بعد عن معرفة مصدر هذه الأدوات والذخائر ، ففى اللحظة التى ينتهى فيها من عمله ويبدأ العالم الحائر يتكلم عنـه ويبحث وينقب عن السر أو الوحى الذى استعان به المؤلف على انشاء عمله ـ يضـع هو (المؤلف) أصبعه فى أذنه حتى لا يسمع أى صدى أو صوت من الماضى الذى تركه خلفه ، ويبدأ عقله يتجه بكليته الى الحاضر او الى المستقبل فيتهيأ لخلق جـديد ولعمـل قد تقع حوادثه فى عالم يتفاوت فى عناصر كيانه عن العالم الذى مثل فيه حوادث العمل الاول .

نعم إن الرجل الوحيد الذى يعرف مصدر هذه القصة لم يترك لنا أثراً يهـدينا اليه . ولعله تنبأ بحيرتنا ، ولعله ابتسم ابتسامة خفيفة ذات معنى حينما قرأ فى الغيب أن أكبر النقاد الالمان والفرنسيين والانجليز سيقفون حيارى حينما يتلمسون مصادر هرمن ودورتيه فيعييهم البحث ويضنيهم التنقيب ثم يطمئنون الى السكون المصرّ

والصمت الكظيم حتى يظهر فى عصرنا هـذا علاأمة منقّب فى مصر فينبش الأدب الالمـانى ويقلّب فى أمشاج الثورة الفرنسيـة حتى تتيح له الأقدار أو يسخّر هو الأقدار أن تحمل له صور الماضى كله على طريقـة « اينشتين » على بعـد الشقة فيما بينهما ويستعرضها فى صورة البروتستنتيين المهاجرين من سلزبورج،ثم تتأنق الصورة فيلمح المستكشف الفاضل فتاة من المهاجرين على قسط وافر من الجمال يقع فى حبها شاب من شبان المدن فيسألها فى شىء من المكر البرىء أن تخدم عنـد ذويه فترضى ثم ينتهى الأمر بزواج الفتى من الفتاة.

الى هذا الحادث التافه الذى يمثل كل يوم فى الحيـاة يريد أن ينسب الدكتور طه حسين مصدر قصة هرمن ودوروتيه وهو كما أرى أنا ويرى المنصفون من الادباء رأى بعيد فهو نكر واحجـاف لعبقرية شاعرنا العظيم الذى خلق « فاوست » و « فرتر » و « ولهلم ميستر ».

إن المصدر الذى استقى منه الشاعر جوته أبعد بكثير مما يظن الدكتور طه حسين وحسبك أن تقرأ ما كتبه استافورد و ولترباتر عن هرمن ودوروتيه لتعلم إلى أى حد كنا محقين فيما أخذناه على الدكتور طه حسين فى ذلك.

ومحور القصة فى ذاته بسيط ليس بالجليل الشأن ولا بالخطـير ، وكل ما فيه هو استعراض محلى وزمنى للحياة. وهى صورة لا يقبلها الذوق فى كل عصر ولا يجد فيها العقل مأوى للفكر والتأمل،وما هى إلا استعراض فنى للتاريخ مع قليل من الخيال الطموح إلى المثل العالى،بخلاف فاوست أوفرترفكل منهما قصة كل عصر وكل منهما رضى كل عاطفة ومأوى ومتعة كل عقل.

وأشخاص الأبطال فى القصة لا يبلغ منهم التأنق الفنى أو يبلغون هم من التأنق الفنى بقدر ما بلغه فاوست الطبيب أو إبليس أوفرترالشاكى المتبرم،وإنما أبطال هرمن ودوروتيه عبارة عن صور منعكسة عن صور أخرى فهى باهتة ، وأكبر الظن أن جوته تأثر إلى حـد كبير بأبطال القصص الإغريقى فى ذلك الوقت حتى غمرت شخصيات أبطاله فى هذه القصة مسحة السذاجة مع الخشونة الغفلة البريئة.

***

والآن هل أساء الدكتور محمد عوض فى نقله هذه القصة إلى لغتنا أم أحسن ؟

أما نحن فنقول إنه أساء وأحسن : أساء لأنه اختار قصة لا تلائم المستوى الذى نطمح اليه فى نهضتنا الأدبية الحاضرة، فكل منقول نريده أن يكون عالياً يستعرض الحياة فى صورة من التأمل الفلسفى العميق الذى يفتح أمام شبابنا أبواب الحيـاة فيستعرضون أسرارها ويفهمونها على حقيقتها كما فعلته فاوست وفرتر من قبل، وقد يكون من الخطأ أن ننقل اليهم قصة كهرمن ودوروتيه فيأخذونها على أنهـا نموذج من الأدب السامى الرفيع وبذلك تضيع الفائدة المرجوة من الترجمة — ونحن لا ننسى ما حدث فى الأدب الروسى إبان نشأته وما كان من أمر الروسيين الأدباء فى اغفالهم نوع ال mystery وال miracle (وهما مدرجا الرواية الانجليزية) وبدئهم بترجمة أقوى ما ظهر فى نوع ال interlude مثل رواية 4p's ثم مفاجأتهم القراء بعصر المأساة الصادقة true tragedy ثم عصر الياصابات حيث ترجموا خير روايات شكسبير .

وأحسن الدكتور محمد عوض أيضاً لأنه نقل لنا صورة مستحبة فنية محدودة الزمان والمكان استعرضت لنا عادات الالمانيين وحياتهم آنئذ وأمكنتنا أن نعرف إلى أى حد أثر الوسط المحيط بالشاعر جوته فى أدبه عامة وفى شعره خاصة ؛ فهى فى الحقيقة دراسة متممة لرواية فاوست العظيمة التى وفق الدكتور فى نقلها إلى العربية والتى نعدها عنصراً قوياً سيكون له أثر يحمد فى نهضتنا الأدبية الحديثة .

***

على أننى قبل اختتام كلمتى أريد أن أقول كلمة عن الترجمة . فهل أداها الدكتور محمد عوض محمد كما ينبغى أن تكون وكما تشترطه الأمانة فى النقل؟ لقد راجعت بعض النسخ الانجليزية والفرنسية فأدهشنى تصرف كان الدكتور مندوحة عنه . مثال ذلك قوله فى صفحة ٣٤ « فى تلك الليلة الليلاء . . . الخ » فإن لفظة ليلاء غير موجودة فى الأصل وقد أساءت إلى المعنى فإن النار كانت ملتهبة طول الليل وكان الأفق كما فى الترجمة الانجليزية فى لون أرجوانى !

وهنا مواقف أخرى نقفها مع الدكتور فى أسلوبه فهو قد تأثر تأثراً كبـيراً بالأسلوب الافرنجى وظهر ذلك فى نواحى كثيرة فى الترجمة . مثال ذلك :

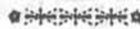
(١) فى صفحة ٢٩ قوله « ألا إن السعداء لا يدركون أنه لم تزل فى العالم معجزات تقع . . الخ ».

(٢) فى ذيل صفحة ٣١ قوله « سعيد لعمرى فى هذه الأيام : زمن التشرد والاضطراب ، سعيد جداً من يعيش فى داره فريداً وحيداً ، لا زوجة تفزع إليه ولا ولد . . . الخ » وغير ذلك وأنا أعتقد ان فى مقدور الدكتور الفاضل ملافاتها فى الطبعة الثانية .

وفى النهاية نشكر للدكتور الفاضل أنه نقل الينا صورة واضحة للشاعر العالمى جوته بترجمته لفاوست وهرمن ودوروتيه .

وكم نحمد له يداً كريمة لو تفضل فترجم لنا رواية وهلم ميستر ؟

م . ع . الهمشرى



بولس وفرجينى

نقلها الى العربية إلياس أبو شبكة ، ١٧٥ صفحة بحجم ٢٠ × ١٤ سم .
الثمن ٨ فرنكات ، طبع مكتبة صادر ببيروت

نعتقد أنه ما من أديب شرقى لم يطلع على رواية « الفضيلة » أو بول وفرجينى التى نقلها الى العربية الكاتب المبدع المرحوم السيد مصطفى لطفى المنفلوطى ، ونميل إلى الاعتقاد أن كل من اطلع عليها قرأها بلذة وشغف أكثر من مرّة واستمتع بأسلوبها الرائع لما اشتهر به المنفلوطى من جمال الصياغة وحسن التعبير وصفاء الديباجة فقد كان رحمه الله يسوق المعانى فتنقاد اليه طائعة مختارة وكانت كلماته تنبعث فى النفس كما تنبعث المياه العذبة فى الزرع المصوّح فتنعشه وتحييه وكما يتساقط الغيث على الأرض الجدبة فيورثها الخصب والنماء . وانه لمن الفضول حقاً أن نقدمه الى القراء ، فقد كان رحمه الله خالداً فى النفوس غنياً عن أى تعريف .

يسوقنا الى هذه المقدمة عنوان هذه الكلمة : رواية « بولس وفرجينى » التى عربها الأديب الياس ابو شبكة ، فنى خلوة تلوناها فى هدوء وسكينة حتى نؤدى واجب الانصاف نحو معربها ، فاذا بنا أمام تعريب يختلف غاية الاختلاف عن تعريب المنفلوطى . نعم يختلف اختلافاً جوهرياً بيناً فقد كان المنفلوطى كما يعرف القراء

يعنى بالديباجة المشرقة والأسلوب الصافى الذى يتسرب إلى النفوس كما تتسرب المنى المرموقة ، وهذه هى الناحية التى انفرد بها المنفلوطى .

أما العناية بالدقة الحرفية وملاءمة الاصل فذلك آخر شيء كان يفكر فيه المرحوم المنفلوطى .

ومن الانصاف أن نقرر فى هذه الكلمة الموجزة أن ما أغفله المنفلوطى من المزايا فى ترجمته قد تفرد به الاديب الياس ابو شبكة فى نقله ، فقد تقيد بحرفية الرواية واستطاع بتمكنه من اللغتين العربية والفرنسية أن يخرج لنا ترجمة صادقة أمينة ، هى والاصل كالحسناء وخيالها فى المرآة ، وعندنا أن لكل من المعربين فضلا لاسبيل الى جحده وانكاره .

وليس يستغنى قارىء الاسلوب العربى عن أىّ من هذين اللونين ، فمن شاء الألفاظ الموسيقية الرنانة والاسلوب السحرى الخلاب فليقرأ تعريب المنفلوطى ومن شاء الرواية كما كتبها المؤلف بلا زيادة ولا نقصان ولا تصرف فعليه بترجمة أبى شبكة .

والحق أننا قرأنا هذه الرواية فاستحسناها وأعدنا تلاوتها فزادت فى نظرنا حسنا وجمالاً ، حتى لم نستطع أن نتمالك أنفسنا من تهنئة معربها الفاضل على حسن توفيقه وإبداعه فى كل مواقف الرواية تقريباً .

وإذا كان لنا من رجاء نقدمه اليه فهو أن يزيدنا من هذه الطرف النادرة التى نرى فيها ذخيرة من أنفس الذخائر للادب العربى الحديث ، وان ثقافتنا لتستفيد أعظم الفوائد بنقل المشهور من الآثار الأدبية الغربية على تفاوت درجاتها وتنوّعها حتى لاتبقى المكتبة العربيةُ قاصرةً على أدب العرب وحدهم ، وهذا القصور يُنشىء عزلةً ضارة بمداركنا وتفكيرنا كما نشاهد عند كثيرين ممن يجهلون اللغات الأجنبية فقلما تمتد نظراتهم ويتسع أفق تأملاتهم وتفكيرهم ؟

يوسف احمد طيره



سنوحى

تأليف محمود درويش — ليسانسيه فى التربية والآداب

٧٠ صفحة بحجم ١٢ × ١٥ ½ سم ، الثمن ٣٠ مليماً

طبع مطبعة سمير بالقاهرة

فجاءت كتوبٍ ضم سبعين رقعةً مُنوّعةَ الأشكال مختلفاتِ !

استفد مما تقرأ ، ولا تستفد مما تكتب . . . هكذا يقول العلماء النفسيون وهكذا نقول نحن ناصحين للأديب صاحب رواية «سنوحى» لو صح أن نسميها رواية فتجمعها الصلة اللفظية بروايات شيكسبير وجوته وشوقى !

ليس للرواية صلب أو ما يسميه النقاد الانجليز plot وليس للرواية حاشية تكسو هذا الصلب underplot تتأنق الحوادث فيها، وليس فى الرواية ضجة الانتقال وتوارد الحركة rapidty of action وليس فى الرواية خيال سام lofty imagination وليس فى الرواية لباقة humour تستهوى القاريء ليبتسم ، أو نتهاون فنقول تتحلق بشفتيه ليضحك وإنما كل ما تفخر به الرواية هو الذخيرة من التفاصيل التى يسمونها details.

فالرواية إذن قد فقدت كلَّ عناصرها الفنية حتى أنها لم تكمل فيما حققته من الاخبار التاريخية .

وهناك موقف فى الرواية كنت أحب أن يتنزه عنه الاديب المؤلف فهو تضمينه إياها ترجمة حرفية لحادثة زوس لصديق له وهو يدخل قصر ما كبث وهذه الحادثة تفيد التنبؤ بالشر الذى سيلحق الملك دانكان .

فالأديب محمود درويش يقول على لسان بخمو :

رحماكَ يا ملكَ البلا د ويا سليلَ الآلهه
فالقلب صار معذّباً والنفس أضحت والهه
فلقد شهدتُ عواصفاً فى ليلتى متتـــاليه
والسحب تمطرنا دماً والناسُ تجرى ذاهله .. الخ .

ويقول على لسان زوس : « لقد رأيت ليلة أمس رؤى مفزعة . . كانت البروق تقصف والعواصف تدوى والسحاب يتكاثف والأرض تزلزل زلزالها . . » الخ . .

وفى الرواية أخطاء كثيرة لغوية وهناك أيضاً زحافات وخروج عن الاوزان . وأول ما صادفنى منها حديث سنوسرت فى الصفحة الثالثة وفى ذلك يقول :

ولسوف أنسى راحتى حتى أنل فخر الجهاد
خطر الجبان من الحيا ة مذلة ونفاد
أما الشجاع فانه أحرى بحب بلادى

وللقارىء أن يتأمل !

وفى النهاية نتمنى للأديب محمود درويش كل توفيق فى أعماله المستقبلة مادام لايسرع الى التأليف بغير استعداد تام ومادام يستهدى بالنقد الصحيح

م . ع . الهمشرى



الأمواج

ديوان شعر ، نظم احمد الصافى النجفى - ١٤٧ صفحة بمقياس ١٥½ × ٢٢¾ سم
طبع المطبعة العصرية بدمشق . الثمن نصف ليرة سورية

أكبر ما يجنى على الشاعر العربى ظروف البيئة التى يحيا فيها وأعظم ما يهدم فيه مُثُلَ الحرية أفكار القوم الذين لايعرفون من معانى الحرية إلا أنها الفوضى والثورة والجنون .فهذه الافكار السخيفة تحوّل الشاعرَ مرغماً الى نواحى لايجب على الشاعر أن يترامى فيها إلا اذا كانت أجنحته تحتمل السموّ فى أجوائها دون أن تعلق بريشها من ذراتها ما يشينها . ويضطر الشاعر أن ينظر الى الأفق الذى لا يستطيع هؤلاء إلا التحديق فيه ، أما الآفاق البعيدة وأما ما وراءها فليس فى هذا فائدة،ولن يعدّ الشعر المستوحى من هذه الآفاق شعراً،ولن يعتبر الشاعر شاعراً إلا ذا كتب فى الحوادث الجارية وساير القوم خطوة بخطوة .

ولكن هل يجب على الشاعر أن يكون طوع الجماهير ؟ وأن يكتب مايريدون لا مايريد وحيه ؟ لا فللشاعر رسالة أسمى من كل ذلك . . للشاعر أن يأخذ بيد الناس الى معالم النور المطموسة فى حلوكة الرغائب الثائرة فيقف عند آفاق هذا النور يغنيهم ما يذهب عنهم مرارة الانتظار حتى يبدو لهم ما وُجد الشاعر فى الحياة من أجله.

والشاعر أحمد الصافى النجفى أحد شعراء العراق المثقفين بالأدب الفارسى صاحب ديوان الامواج له نظرات نحو آفاق بعيدة إلا أن الوسط يحوّل نظرته ويقوده الى حيث يكتب الى المستر كراين ، والى العميد ، وفى مستشفى وطنى ، فلا تحس بنكهة الشعر فى ذلك . غير أنه عند ما يخلص من قيوده ويعود الى ربّات الشعر تسمع منه فى (أنغامه المشوّشة) :

أرى الشعر فى الارواح لا السجع كامناً ولا فى بحور خاليات من الدرّ
فكم شاعر ما فاه بالنظم مرة وكم ناظم ما قال بيتاً من الشعرِ

وعند مايقف أمام الحقيقة فيراها مطموسة فى أحاجى الناس مكتسية ثوباً من ألوان الحياة يحجبها عن عابديها يهتف من قرارة نفسه :

ليت الحقائق ما اكتست لوناً فما شغل الورى عنها سوى الالوانِ
تأبى السفور فما كشفت حجابها إلا تبدّت فى حجابٍ ثانِ
لا تمدحوا حسن البيان فطالما أخفى عيوب الشىء حسنُ بيانِ

الا أن هذا النفَس الجميل يتلاشى فى تكلف لم أجد له مبرراً فتجد الشاعر قد هوى من سمائه حين يقول :

فى شارع الوجدان سرْ تلقَ الهدى يا تائهاً بأزقة البرهان

على ان هذا التكلف الذى وجدتُ صوراً منه كثيرة فى صحائف الديوان سرعان ما يتلاشى أمام روح شاعرنا عند ما تجتذبه ربة الشعر فتعيده الى سمائها فتسمعه يقول بعد أن يتخطى « شارع الوجدان» و« أزقة البرهان » :

ما أسعد الحيوان غير مكلفٍ بدخول حرب الكفرِ والإيمانِ
يا ليت من فرض التساوى فى الورى ساواهم فى العقل والعرفانِ
لم نشهد الحيوانَ جُنَّ كأنما داء الجنون اختص بالإنسان

وللصافى فى ديوانه قصائد ممتازة فهو وصّاف بارع يظهر ذلك فى قصيدته «الليل

والنجوم » وإن كان فى بعض تشبيهاتها نظرٌ الى لدات أُخر ، إلا أنها تفيض بتشبيهات مبتكرة . ولعلّ شاعرنا يتحفنا عن قريب بمجموعة أخرى من شعره الصافى يكون فيها بعيداً عن آفاق الناس قريباً من المُثُل العليا التى قدّم اليها أمواجه والتى بها يحياوفى سبيلها يموت : الحقيقة ـ الحرية ـ الرحمة .

ولعله يجعل الحرية أول أمثلته العليا وهنا يكون قد أدّى رسالة الشاعر التى تنطوى عليها نفسه الحساسة الفياضة بمعانى الحياة العميقة ؟

حسن كامل الصيرفى



أعدادنا الممتازة

ونصرة المجلات الثقافية

هذا ثالثُ أعدادنا الممتازة التى أصدرناها فى العام الأول من حياة المجلة ، وبودّنا أن يحين اليوم الذى تكون فيه جميع أعدادنا ممتازة . وانما يكون ذلك حينما يُقبل القراء الاقبالَ الكافى على المجلات الأدبية والعلمية بدل اقبالهم على الجرائد الصفراء وصحف المهاترة البذيئة التى انتشرت سمومُها فى جميع الطبقات المصرية ولم يَنج منها حتى طلبة المدارس . وقد ريعت لبذاءتها النيابة العمومية ، ولكنّ هلعها واجراءاتها لن تجدى فتيلاً ما لم يكن لوزارة المعارف شىءٌ كبيرٌ من الهيمنة على الصحافة ، وما لم تحفل وزارة المعارف ذاتها بتشجيع المجلات العلمية والفنية والأدبية التشجيعَ الكافى حتى تستطيع أن تعيشَ وتطرد تلك الصحف المنحطة من المجتمع المصرى .

ولوزارة المعارف فضلٌ سابقٌ فى احياء مجلات المقتطف والهلال وفتاة الشرق وغيرها ثم فضلٌ لاحقٌ فى احياء مجلة المعرفة بعد أن كدنا نفتقدها ، ونحن نتطلع إلى معاونة الوزارة لتستطيع (أبولو) أيضاً أن تؤدّي رسالتها الثقافية فى العالم العربى خير أداء ، وفى ذلك الغنم الأدبى لمصر . وكيفما اختلفت الآراء فى موضوعات المجلة — وهو اختلافٌ مشهودٌ فى جميع المجلات الراقية — فمّما لا جدال فيه باعتراف كبار رجال التعليم فى الوزارة أنفسهم أن هذه المجلة أثبتت فى هذه الشهور

الطويلة كفايتها للنهوض بفنّ الشعر بغيرةٍ وجراءةٍ واخلاصٍ ، وقد التفّ حولها العديدون من الشعراء فى العالم العربى كما كانت واسطةً قويةً لاذاعة المجهول من أدب الكثيرين ، وكلّ ذلك لخير لغتنا الشريفة . ولن يجحد ذلك غير من كان قصير النظر يعيش فى دائرة من نفسه وصحبه ولا يحسّ بتيارات النهضة الفنية فى العالم.

ولنا فى ذمم القراء واجب التعاون على زيادة نشر المجلة والتنويه بها وحثّ باعة الصحف على المناداة عليها ، فاننا بحكم شواغلنا ونزعتنا الخاصة من أبعد الناس عن الاتصال بادارات الصحف ، ولسنا ممن يستجدون تقريظها ولا ممن يعرفون الملقَ ولا صُنوفَ المدح والهجاء واسترضاء العامة كوسائل للدعاية والاعلان ، بل نحن نرحب بنقدنا فى نفس مجلتنا . والنتيجة الحاضرة هى حرماننا من نصيبٍ كبيرٍ من المعاونة الصحفية التى كثيراً ما تُقدّم بطريقة ببغاويّة إلى كلّ صفيقٍ يتناوب الاحتلالَ لادارات الصحف ، وأصبحت تكافنا الاعلاناتُ البسيطة فى الجرائد أجوراً فوق طاقتنا .

لا حقّ لنا فى التذمُّر من شيوع الصحف والمجلات المنحطّة التى تتناول بالباطل أعراضَ الناس وأخلاقهم ومجهودهم ، وتصغر كلّ أديب مستقلّ ، وتسخّر كل شىء للدجل السياسى ، وتعمل على هدم المجلات النافعة ،ما دامت الهيئاتُ التعليميةُ وجمهرة الخاصة مقصّرين فى واجباتهم نحو المجلات الادبية والفنيّة والعلمية الراقية . ولعلّ هذه الكلمة التى نرسلها لمناسبة صدور عددنا الثالث الممتاز يكون لها أثرُها الحميدُ فى شتّى البيئات التى تقدّر منبرنا الحرّ وغيرتنا الادبية الخالصة وخدماتنا الماضية والحاضرة للادب العربى حتى نستطيع فى المستقبل أن نضاعف خدماتِنا المرجوّةَ له .

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٠١١	٢	إذ لاهمَّ	لاهمَّ
١٠٩٨	٢	غايةٌ	غايةً
١٠٩٩	٣	يعملَ	يعملُ
١٠٩٩	١١	الوداع	الوادع
١١٠١	١٢	قاستوى	فاستوى
١١٠٢	٥	العرم	العزم
١١٠٢	١٥	يحى	يحيي
١١٠٢	١٦	عَرِف	عَرَّف
١١٠٣	٦	كلاما	ملاما
١١٠٤	٢٠	لا	الا
١١٠٨	١٥	يدرى	أدرَى
١١١١	١٢	غايةٌ	غايةِ
١١١٥	١	يحى	يحيي
١١١٦	٣	الحرن	الحزن
١١٢٣	١٥	ودِدت	وَدَدْتَ
١١٢٦	٢	يصغِى	يُصْغِ
١١٣٦	١٦	مِن	مَن
١١٣٧	١٣	بالداواهى	بالدواهى
١١٤٩	٦	يمن	بمن
١١٥٩	١١	نماضر	تماضر
١١٥٩	٢٣	دكرى	ذكرى
١١٦٢	٣	الجرجابى	الجرجانى
١١٧٠	٨	يخرح	يخرج
١١٧٨	٢٢	لكان هو والقطعة	لكان هو القطعة
١١٧٩	٢٥	فلاتزال الشعر المتبنى	فلاتزال لشعر المتنبي
١١٨٢	١٤	للماتِ	للمهاتِ
١١٨٨	٢٠	مجدُكِ	مجدُكَ
١١٨٩	١٣	أن يُفصحُ	أن يُفصحَ

فهرس

المجلد
الأول

العدد
الحادي عشر

أبولو

مجلة فنية لخدمة الشعر العربي

لسان حال جمعية أبولو

عدد خاص

بذكرى المغفور له

محمد حافظ ابراهيم بك

١٨٧١ — ١٩٣٢ م.

مطبعة التعاون



شاعر الوطنية المصرية

محمد حافظ ابراهيم بك

(من ريشة الفنان المصرى محمد محسن بدوى)



فى الحادى والعشرين من يولية سنة ١٩٣٢ م . ودَّع شاعرُ مصر الكبير محمد حافظ ابراهيم أنفاسَ الحياة الدنيا فذهب بذهابه أعلى صوتٍ وطنى عرفته مصر من فوق منبر الشعر .

وقد أصدرت زميلتنا (السياسة) فى ٢ سبتمبر من العام الماضى عدداً خاصاً به كما عُنيت الصحفُ والمجلاتُ والجمعياتُ الأدبية فى العالم العربى بدراسته وتأبينه أسابيع متوالية ، الى أن فُجِعَ العالم العربى بنعى شاعر العربية الأشهر أحمد شوقى بك فى الرابع عشر من سبتمبر الماضى فباتت فجيعةُ العربية مزدوجةً بوفاة علمين من أشهر أعلام الشعر العربىّ فى عصره الحديث ، واهتمت الصحافةُ العربيةُ بأداء واجبها الادبى نحو ذكراها . وقد أصدرت هذه المجلةُ عدَدها الخاص بذكرى شوقى فى ديسمبر الفائت ورأت من أقدس الواجبات عليها إصدارهذا العدد الخاص بذكرى حافظ لمرور سنة على وفاته .

ونحن لا نحبّ التكرارَ كما لا نُعنى بما عُنى غيرنا بتناوله من الدراسات السابقة فجعلنا كلّ بحوث هذا العدد جديدة خاصةً بهذه المجلة ، وبذلنا جهدنا فى الاختيار وتخلّينا عن مألوف الرثاء شعراً ونثراً قانعين بالجديد المفيد أو بالنقد الجدّى الممتع .

وكيفما كان الحكم الفنّى على شعر حافظ فلا يمكن لأية جمعية شعرية تحترم نفسها الاَّ أن تحفل بذكراه — ذلك لأن حافظ يمثل حلقةً قويةً من حلقات الاتصال والتقدم فى تاريخ الشعر المصرى بل فى تاريخ الشعر العربى ، كما أنّهُ كان اللسان الفصيح لآمال مصر وآلامها فى زمن تفشى فيه العىّ والجبن بل البكم بين الشعراء ، وحسبك من شاعرٍ أن يكون لسان أمته المبين فى مثل تلك الظروف ، وليس من الانصاف أن تكتفى بوزن شاعر وزناً مطلقاً ولا تزنه وزناً نسبياً . ليس من الانصاف مثلاً أن تنسى ظهور البارودى فى زمن تفشت فيه الأمية والروحُ العاميةُ والضعفُ اللغوىُّ ، وضاعت ملكة البيان الشعرى ، فظهر ذلك

الشاعر المتفوّق التقليدى ليعيد للأدب الشعرى مجده القديم ولتتلمذ عليه حافظ وأنداده . واذا كنا نحن الشعراء المحدثين لا يرضينا روحُ التقليد المضيع للشخصية الفنية ، فهيهات أن ننسى فضلَ أعلام المحافظين أمثال البارودى وشوقى وحافظ فى استرجاع الثقة الأدبية لاستئناف سير القافلة بعد وقوفها. على هذا الأساس نكبر مجهودات الاعلام السابقين من شعرائنا وإن أصبحت فى ذمة التاريخ وما لها فى الغالب أن لا تكون لها أكثر من صفة أكاديمية لأثر من الآثار الأدبية التاريخية.

كان حافظ فليسوفاً اجتماعياً وسياسياً بسليقته ، وكان خبيراً بالرجال بعيد النظ ، ولذلك كان موفّقاً فى أكثر من موقف كشاعر زعيم ، ولكن الطبيعة هيأته ليكون فى الاكثر ترجماناً لأمته ، وقد أحسن التعبير عنها أيَّما احسانٍ ، وكان جريئاً كلَّ الجراءة فى تعبيره كلما أُتيح له ذلك . وبعد هذا كان حافظ شاعرَ العروبة ، وكان لإخلاصه أثرٌ بعيدٌ فى احياء روح التآخى والتعاون بين أبنائها ، وعلى الأخص بين المصريين والسوريين .

وقد عِيبَ على معظم الشعراء أنهم ينزعون إلى القديم وينظرون دائماً إلى الى الخلف ، ولكن حافظ برغم المحافظة التى قيد نفسه بها مضطراً ومختاراً كان فى طليعة من ندّدوا بذلك وهو القائل مخاطباً « الشعر » :

ضِعتَ بين النُّهَى وبين الخيالِ ... يا حكيمَ النفوسِ يا ابنَ المعالى
ضِعتَ فى الشرقِ بين قوم هُجود ... لم يُفيقوا وأمةٍ مِكسالِ
قد أذالوكَ بين أُنسٍ وكأسٍ ... وغرامٍ بظبيةٍ أو غزالِ
عِشتَ ما بينهم مُذَ الآنَ مُضَاعاً ... وكذا كنتَ فى العُصُورِ الخوالى
آنَ يا شعرُ أن نفكَّ قُيُوداً ... قيَّدتنا بها دعاةُ المُحَالِ
فارفعوا هذه الكمائمَ عنّا ... ودعونا نشمّ ريحَ الشمال !

والقائل أيضاً :

ملأْنا طباقَ الأرض وجداً ولوعةً ... بهندٍ ودعدٍ والربابِ وبوزعِ
وملّتْ بناتُ الشعرِ منّا مَواقفاً ... بسقطِ اللوى والرقتين ولعلعِ
تغيرتْ الدنيا وقد كان أهلُها ... يرون مُتونَ العيسِ ألينَ مضجعِ

وكان بريدُ العلمِ عيراً وأينقاً ... متى يَـعيها الايجافُ فى البيد تظلعِ
فأصبح لا يرضى البُخارَ مطيّةً ... ولا السلكَ فى تياره المتدفّعِ
ونحن كما غنّى الأوائلُ لم نَزَلْ ... نغنّى بأرماحٍ وبيضٍ وأدرعِ
عرفنا مَدَى الشيء القديم فهل مدًى ... لشيءٍ جديدٍ حاضرِ النفعِ ممتعِ ؟

وشعرُه مرآةٌ صادقةٌ لمجتمعه ، ونهزةٌ تحفزهم الى الأمام ، ونورٌ وجَّهه الى طريق المستقبل المأمون :

قصائدٌ هى للآدابِ مَفخرةٌ ... سارتْ مَسيرَ الهُدَى فى كل مُضْطَرَبِ
وما يزال دوىٌّ مِنْ وقائعها ... فى مِسمعِ الدهرِ للاجلالِ والرَّهَبِ
فى كلِّ بيتٍ شُواظُ النارِ مُزْعِجَةً ... للغاصبينَ وهزَّاتُ القَنَا السُّلُبِ
وكلُّ غضبةِ صِدقٍ منه بالغـةٍ ... فصلُ الخطابِ وآياتٌ من الخُطَبِ
مُرَدَّدَاتٍ بايمـانٍ كأنَّ بهـا ... مَجامعَ الوَحْيِ عن مَاضٍ من الحِقَبِ !

وقد كان حافظ فى كلّ شعره يعمل للتقدم ، فكان له أثره فى النهضة الحاضرة وحتى فى أمداحه « للدولة العلية » لم يكن مدفوعاً الى ذلك بحبّ الاستبداد وهو الذى كرهه منذ نشأته ، ولا بحبّ الرفد والجاه فقد سُدَّتْ الأبوابُ فى وجهه ، ولا بمراعاة الاعتبارات الرسمية إذْ لم يكن بالموظف حينذاك ولم يكن له شأن بالقصر ، ولكنه كان مدفوعاً بروح السياسى الذى يرى نفعَ أمتـه مرتبطاً بعظمة تركيا الاسلامية ، وكذلك كانت وجهةُ نظر المغفور له مصطفى كامل وسواه من الساسة المصريين فى ذلك العهد الى أن ظهر أحمد لطفى السيد بك وحزب الأمة بالسياسة المصرية البحتة . فلئن جارى حافظ بيئته فما كان ذلك الا فى الاحساس العـام ولم تكن مجاراة الضرير ، ولئن جارى المتقدمين أحايين فى أساليبه فذلك من تأثير محفوظه الكثير ومن تأثير تعاليم أستاذه البارودى الذى أراد أولاً أن يستعيد أزهى عصور الشعر العربى .

ومما عِيبَ على معظم شعراء العربية حتى المعاصرين منهم عنايتهم بالموسيقى اللفظية لا أكثر ولا أقلّ ، ولكن حافظاً ضمّن شعره الكثير من علل المجتمع وما رآه من العلاج لها بروح المرشد الأمين حتى لُقِّب بالشاعر الاجتماعى ، فلا نكون منصفين إذا اعتبرنا ذلك النقدَ فى غير تحديدٍ منطبقاً عليه . واذا طبقناه

عليه فانما ذلك لأن حافظاً كانت له طبيعة شعرية عرفها جلساؤه فى مرتجلاته البديعة ولكنه أفسدها بمطاوعته المتحذلقين وبحرصه على ارضاء القُدامى من الأزهريين وغير الأزهريين (على نحو ما فعل المرحوم شوقى بك فى أحايين) فكانت النتيجةُ أنه صار غالباً الشاعر النحّات المتعمّل بدل أن يكون الشاعر الحرّ المطبوع ، وحبَسَ فى نفسه أو ضاعَ فى مجالسه وفى مَباذله خيرُ شعره العاطفىّ الوجدانىّ لأن التقاليد كما قدمنا كانت تأبى عليه تدوين الشعر المرتجل المطبوع ، وطالبُ الشهرة مضطر عادة إلى مراعاة التقاليد ، وما كان لحافظ كما لم يكن لشوقى إغفال هذا الاعتبار .

ومعرفتنا بحافظ أكثر من ربع قرن أقنعتنا بصحة فطرته الشاعرة التى زكتْ فى بيئة الامام محمد عبده بقدر ما أصبحت أسيرةً لتقاليد الصناعة واللغة . فكان حافظ إذا أفلتَ من ذلك الأسر يجىء لنا مرة بالممتاز المعجب ، وأخرى بالمبتذل الذى لا يعلو فوق مستوى مقالة صحفية منظومة ، وما ذلك الاّ لأنه تارةً يعبّر عن نفسه أصدقَ تعبير أو يُدْفَع دَفْعاً باحساس أمّتهِ إلى ذلك من حيث يدرى أو لا يدرى، ومرة أُخرى يشعر بمنزلته من الشعب فينظم بعقله الواعى وحده لارضاء الجمهور فيبتعد بذلك عن الشعر الفنى ولا يُنصف سمعته الأدبية .

لم يكن حافظ إذن بالرجل الرجعىّ وإن كان محافظاً فى حدودٍ ، ولئن كان ممن نظروا إلى الشعر كلون من ألوان الغناء وممن آثروا اللفظ على المعنى متناسياً أن الشعر روحٌ وتَصوّفٌ أى اندماج كونى فى الجمال والحياة قبل كل اعتبار آخر ، فقد جاءَ شعرُه صوتاً للنهضة الوطنية وأحياناً دليلاً لها ، فلا يصحّ إذن أن يقال عن شعر حافظ إنه صيغةٌ أخرى من السجع ومن فنون الترف والترهّل الذهنى ، وان المقصود إليه من شعره مجرد الايقاع واللهو اللفظى الذى يخرجه من دائرة الشعر الرفيع إلى دائرة الموسيقى المألوفة كما هو نظم الكثيرين . لقد جمع حافظ بين المتناقضات فرضخ للبيئة اللغوية المحافظة التى اتصل بها فى كثير وثار عليها أحياناً ، فكان يذهب من النقيض إلى النقيض ، ولو أنه اكتفى بالتضلع اللغوى ثم أطلق نفسه على سجيّتها لجاءَت حريةُ تعبيره منسجمةً منظّمةً لا اضطراب فيها ولا تبذّل ، وهو الاضطراب والتبذل اللذان يتعرّض لهما السجينُ الذى يظفر بحريته ثائراً بعد حبس طويل ولكن ليعود إلى ذلك الحبس ثانية ، فهى حرية غير مأمونة وتكييفها ونتائجها على مثالها .

إن حافظاً شاعرٌ حاضر البديهة سريع التأثر (impressionist) ولكنه أفسد

طبيعتَه بالصناعة بدل إطلاقها على سجيتها ، وفلول المدرسة القديمة التي أساءت اليه وإلى الشعر العربي بتوجيهه الى ناحية النظم الذي لا ينسجم وطبيعته ما تزال تحاول الضغط على المدرسة الحديثة لتنهج ذلك النهجَ العقيم في حين أنَّ لكل شاعر فطرته وطريقته التي لن يجني خيراً ما بتجاهلها ومعارضتها . ونحن لا ندري ما ذا استفاد الشعرُ العصريُّ من اقلال حافظ الصناعي وهو المكثر بطبيعته ، أو من مقاومة فطرته السمحة السهلة . ويقيننا أنه لو لا ذلك لكان انتاج حافظ لا يقل عن انتاج شوقي ، ولكان شعره مطبوعاً بطابع مصري جميل ، ولجاء جامعاً للكثير من صُوَرِ الحياة المصرية عاطفةً ووصفاً ، تاريخاً ووعظاً ، ولتنوعت مظاهرُه ، وربما كان قد اكتسح المسرح المصري أيضاً .

ولا يسع المؤرخ الأدبي الذي يترجم لحافظ أن يغفل المنافسةَ الشاذَّة التي كانت بين حافظ وشوقي ، ثم سَرَتْ عدواها إلى شعراء آخرين ، ثم تشكَّلت بصورة حرب بين المحافظين والمجدّدين من الشعراء . ولم يكن مَبْعَثُ كلّ ذلك سوى التهافت على اكتساب الجمهور في حين أن الجمهور لا يَعْدُو الموجَ الصاعدَ الهابط الذي لا يستقرّ ولا يُؤْمَن جانبهُ على حَدّ تعبير أستاذنا مطران ، وقد كانت لمطران مواقف عديدة محمودة للتوفيق ما بين المرحومين شوقي وحافظ . فالتهافت على نيل رضاء الجمهور أو النزول بالشعر إلى مستوى الجمهور كان ضرراً بليغاً للشعر ولأعلام الشعراء الراحلين أنفسهم : فقد أنقص منزلة الشعر الفنية ، ودعا الى حروب شخصية عجيبة ، كما خلق جوّاً مدهشاً من الغرور لا نزال نرى تأثيره في تهافت الشعراء والكتاب على أماكن الصدارة من هذه المجلة وغيرها مع أن صفحاتها في منزلةٍ واحدةٍ ، ومن غرور المبتدئين الذين يتعالون عن كلمة تنقيحٍ أو ارشادٍ أو تهذيبٍ من أساتذتهم الشيوخ ويتهافتون على ألقاب المديح السخيف . وهذه روحٌ مريضةٌ قاومناها كلَّ المقاومة وإن رضختْ لها بعضُ المجلات الادبية مضطرة لأسبابها الخاصة . نعم لا يجوز التغاضي عن هذه الحقيقة بل يجب أن يستفيد من دروسها المصلحون من ابناء هذا الجيل الذين يهمّهم التسامي بالشعر العربي وبمنزلة شعرائه .



وبعد ، فنحن نُهدي الى روح حافظ الشاعرة الوطنية الحبيبة المبجَّلة هذا العدد التذكاري من (أبولو) وسِمَتُه الصراحة التي تعشَّقها حافظ منا ومن سوانا طول

حياته. وقد وقع اختيارنا على صورة فنية للذكرى لم يسبق نشرها وهي للأديب الفنّان المصري الشهير شعبان زكي وهي تمثل دار الإمام الشيخ محمد عبده في حالتها الراهنة — تلك الدار العزيزة التي قال عنها حافظ:

فيا منزلاً في عين شمس أظلَّني وأرغمَ حُسّادي وغمَّ عُداتي

والتي كثيراً ما كانت موئله ومهبط وحيه. رأينا أن ننشرها في هذا العدد التذكاري لأنها ألصق بحياة حافظ من كل ماعداها من المعالم المصرية، ولأنها مظهر الذكرى الحزينة الذي لا يجب أن يخفى عن الشعب المصري. وقد تأثر الرسّامُ الفنّان بمظهر سقف الساقية المائل فتخيله كبيت العنكبوت المكبَّر رمزاً للاغفال ودليلاً على مبلغ اهمال الدولة والشعب لآثار العظماء، وشاء الرسّامُ أن يصوّر الدار تحت تأثير غروب الشمس في لحظة أبدت الفارق الشنيع بين حاضرٍ عافٍ وماضٍ كانت فيه الدارُ مَطلَعَ الاشراق الثقافي والديني في مصر.

إن اسم حافظ لن يُنسَى في تاريخ الشعر العربي، وأما الشعر العربي ذاته فلن يصدعه ممات حافظ ولا غير حافظ كما يُوهم النّدابون، فانّ موتَ العظيم يُلهب تلاميذه وأنداده بالشعور بالمسئولية والاندفاع الى الانجاب السامي. والواقع انّ الشعر العربي يخطو الآن خطوات فسيحة نحو الكمال الفنّي المنشود، وهو ما يعترف به كلُّ ناقدٍ مطلعٍ يقارن بين الآثار الجديدة النابضة بالحياة في الشعر العربي وبين الجديد من الشعر العالمي في الاقطار الأخرى. وأمّا الذين لايزالون يبحثون في القوافي والأوزان، وفي تفضيل اللفظ على المعنى، وفي أمثال هذا الهراء، فمعذورون إذا توانوا عن الاطلاع على الأدبيات العالمية فلم ينصفوا مجهود مواطنيهم، وهم على أيّ حال من رفقة الكسل الجيل والأحكام الطائشة. ولعلّ روح حافظ تغتبط في عليائها بهذا التسامي الذي يتدرّج اليه الشعر العربي تدرّجاً حثيثاً فتتقبل من محبّيها هذا الحنانَ والولاءَ والاجلالَ الذي تنبضُ به الصفحاتُ التالية من أقلام الشعراء والنقاد.



حافظ ابراهيم

﴿ فى الميزان ﴾

الصلة بين الفن والنفس

من القسوة الأدبية البالغة ، ومن الخطأ الفاضح فى معرض التحليل والنقد ، أن نقصر عملنا على الأثر الفنىّ للأديب أو الشاعر ، وأن نقطع أو نحاول قطع الصلة القائمة بين هذا الأثر وصاحبه ، ونحن نشعر فى نفوسنا بقوّة هذه الصلة ، ونعرف ما لها من نفوذ وسيطرة فى حياتنا الادبية التى نقول غير ملومين إنها واقعة بأسرها تحت هذه السيطرة وذلك النفوذ .

نحن نقول إن الشعر فيض النفس ، ووحى الوجدان ، فعلينا اذاً أن نضم الى أدب الشاعر نفسه ووجدانه حين نريد أن نتعرف منزلته من الناحية الفنية ، وأن نضع له صورة صحيحة ، ومثالاً صادقاً .

للشاعر ككلّ فرد من الناس نفسه ووجدانه ، ومن الظلم أن ترى العاصفة تُلقى الحجارة على الينبوع المتدفق ثم تتهمه بالجمود إذا احتبس ماؤه ، أو ترميه بالحمق والسفاهة إذا تدافعت قواه فكان منتهى ما يستطيعه أن يقذف ببعض هذا الماء من خلال الحجارة فيتطاير رشاشاً أهوجَ لا يأخذ نظاماً ، ولا يستقيم فى مَسيل .

ذلك مَثَلُ الشاعر المقتدر تكتنف نفسَه أنواعُ الهموم وضروبُ الآلام فتعطل قواها المعنويّة ، أو تُلقى الحجب والاستار على أشعّتها فامّا أن تحتبس هذه الاشعّة احتباساً تامّاً فيكون السكوت ، وإمّا أن يندفع منها قَبَسٌ ضعيف يترقرق كالدمعة الحائرة فى منافذ ملتوية ، ويذهب أعمى يتعسّف ، فلا هو على هُدًى فى ذاته ، ولا الناس يهتدون به .

وإنك لتتجنَّى وتذهب شططاً حين تنكر على المصباح أنه مختنق النور أو ضئيله ، وتأبى الا أن يكون كما تريد وتقترح إشراقاً وبهجة ، وأنت ترى زجاجته قائمة فى غشاء من سواد .

حافظ فى نفسه وفنه

حافظ ابراهيم شاعر كامل العدّة ، تامّ الاداة ، أخـذ نفسه بأدب الفحول من مبرّزى الشعراء ، وراضها عليـه ، فلحق بديوانهـم ، وأخذ مكانه بين أعيانهـم ، انه لـكما أصفه لك ، ولـكن لا تطمع أن يطربك وهو محزون ، ولا أن يرضيك وهو ساخط ، كلا ـ لا تطمع أن تتلقّى من فم حافظ تلك النغمات الشهية ، والتغاريد العذبه ، الا حين تصفو نفسه ، وينعم باله وخاطره ، هو شاعر كبير النفس ، طامح الهمّة ، يرى من حقـه أن يتخطى النـاس والمراتب ، ويمشى على مناكب الايام وأعناق الحوادث ، إلى أن يقع فى منزلته ، ويخلص الى مكانه .

تعبَ حافظٌ فى هذا السبيل ، وتعبت معه أطماعه الثائرة ، فهو قد ظنّ أن له مكاناً فى ظلال العرش المصرى الذى اتجهت اليه آماله ، فهو يتحفز للوثوب ، فأخذ يضرب على قيثارته عسى أن يسمع صاحب العرش فيصغى اليه ، ويحب أن يراه ويصطنعه ، ولـكنّ قيثارةً أخرى يحملها شاعر القصر كانت تشغل سمع الامير وقلبـه ، فلم يجـد حافظ منفذاً لنفسه ، وعَلِمَ أن لا مكان له ولا لغيره فى تلك الظلال ، واليـك بعض ما توسـل به الى هـذا المطلب ، وأراقه من عصارة ذهنه فى ذلك السبيل .

قال حافظ ابراهيم من قصيدة فى عيد جلوس العباس عام ١٩٠١ :

ماذا ادّخرتَ لهذا العيد من أدبِ ؟ ... فقد عهدتك ربَّ السَّبقِ والغلبِ
هـذا هو العيد قـد لاحت مطالعه ... وكلنا بـين مشتاقٍ ومرتقبِ
يا مَنْ تَنافَسُ فى أوصافه كلمى ... تَنافُسَ العرب الامجاد فى النسبِ
لم يُبْقِ (أحمدُ) من قولٍ أحاوله ... فى مدح ذاتك ، فاعذرنى ولا تعبِ
مَشيئةُ الله فى العباس قـد سَبقتْ ... الى الجدود ، ومن يأتى على العَـقِبِ
يا مَنْ تَوَهَّمَ أنَّ الشِّعر أعذبُهُ ... فى الذَّوْقِ أكْذَبُهُ ، أزريتَ بالادبِ
عَذْبُ القريض قريضٌ بات يعصمه ... ذكر (ابن توفيق) وعن لغوٍ وعن كذبِ

ليس لنا أن نقول إن حافظاً أراد أن يخدع شوقى بتقريظه فى هذه القطعة لينتفع به أوليأمن كيده وهو يريد أن يخترق الطريق الى العرش ، فهو إنما جرى على طريقة ذوى النبل

والشرف من جمهرة الشعراء والأدباء فى التنويه بفضل الأكفاء والمتقدمين من أعلام الفنّ ، وجهابذة الصناعة ، وتلك سجية أعرفها فى حافظ ، وأذكرها له من فضائله المأثورة ، ولك فيما يلى دليل واضح يرشدك إلى الحق ، ويدلك على الصواب .

قال من قصيدة أخرى فى عيد الجلوس :

يا ليلةَ ألهمتنى ما أتيه به ... على حماة القوافى ، أينما تاهوا
انى أرى عجباً يدعو إلى عجبٍ ... الدهرُ أضمره ، والعيدُ أفشاه
هل ذاك ما وعد الرحمنُ صفوتَه ... روضٌ ، وحورٌ ، وولدانٌ ، وأمواه ؟
أم الحديقة ذاتُ الوشى قد جُلِيَتْ ... فى مَنظرٍ يستعيد الطرفَ مَرآه
أرى المصابيحَ فيها وهى مشرقةٌ ... كأنها النَّوْرُ والوسمىُّ حيّاهُ
أو إنما هى ألفاظٌ مدبّجة ... وكلٌّ لفظٍ تجلّى فيه معناهُ
أرى عليها قلوبَ القومِ حائمةً ... كالطير لاح له وِرْدٌ فوافاهُ
أرى أريكةَ عبّاسٍ تحفُّ بها ... وقايةُ اللهِ ، والاقبالُ ، والجاهُ
قل للأُلى جعلوا للشعر جائزةً ... فيم الخلافُ ؟ ألم يرشدكم اللهُ ؟
إنى فتحتُ لها صدراً تليق به ... إن لم تُحَلّوهُ ، فالرحمن حَلاّهُ
لم أخش من أحدٍ فى الشعر يغلبنى ... إلاّ فتىً ما له فى السَّبقِ إلاّهُ
ذاك الذى حكمتْ فينا يراعتُه ... وأكرم الله والعباسُ مَثواهُ

الدليل على سماحة النفس وكرم السجيّة أكثر وضوحاً فى هذه القطعة منه فى القطعة الأولى ، فحافظ يحكم لشوقى على نفسه ، وهو مجال المباراة ، ومعرض المسابقة ، وليس هذا مما يسهل على كل نفس ، وله من قصيدة أخرى فى عيد الفطر :

مطالع سعدٍ ، أم مطالع أقمار ... تجلّت بهذا العيد ، أم تلك أشعارى ؟
إلى سُدّةِ العبّاسِ وجّهتُ مدحتى ... بتهنئةٍ شوقيةِ النسج معطار

لك أن تقول بعد هذا ، إن حافظاً أحسّ أمراً غيّر رأيه فى شاعر القصر ، وجعله يتحلل مما تقيّد به ، ولك فوق هذا أن تضيف إلى همومه الكثيرة هماً جديداً ، أو أكثر من هم ، عداوة شاعر القصر ، ووعورةُ الطريق إلى العرش ،

وتضاؤلُ رجائه الذى كان يدفع به فى هذا السبيل ، وكلّ هذا مما تستفيده من قوله فى قصيدة أخرى :

طُفْ بالأريكة ذات العزّ والشانِ … واقضِ المناسكَ عن قاصٍ وعن دانِ
يا عبدُ ليتَ الذى أولاكَ نعمته … بقرب (صاحب مصرٍ) كان أولانى
صُغتُ القريضَ ، فما غادرت لؤلؤة … فى تاج كسرى ، ولا فى عقدِ بُوران
شكا عُمانُ ، وضجّ الغائصون به … على اللآلى ، وضجّ الحاسدُ الشانى
كم رام شأوى ، فلم يدركْ سوى صَدَفٍ … سامحتُ فيه لنظّامٍ ووزّان
هابوا سكوتى ، ولولاه لما نطقوا … ولا جرت خيلهم شوطاً بميدان
اليوم أنشدهم شعراً يعيد لهم … عهدَ النواسىّ أو أيامَ حسّان
أزفّ فيه إلى العباس غانيةً … عفيفة الخدر ، من آيات عدنان
من الأوانس ، جلاّها يراعُ فتىً … صافى القريحة ، صاحٍ غيرُ نشوان
ما ضاق أصغره عن مدح سيّده … ولا استعان بمدح الراح والبان
ولا استهلّ بذكر الغيد مدحته … فى موطن بجلال الملك ريان

حملة شديدة ، وغارة شعواء على شاعر القصر ، ما كان لحافظ بعدها أن يطمع فى الاتصال بصاحب العرش ، وما له ولصاحب العرش ، وقد قذف بآماله من حالق ، وردّ عليه كلّ عروس من شعره فى زِىّ طالق ، بعد أن زفّها اليه تحمل كل ما جمع تاج كسرى وعقد بوران من لآلىء غالية ، وبعد ان شكاه بحر عمان وغوّاصه لطول ما ارتكض فى نواحيه ، وتقلّب فى جوانبه ، يتصيد الدرر يهديها الى العباس فى شعره ويرصع بها تاجه ، فيزيد فى جلاله ويضاعف سنا ملكه ، واشراق عصره ؟

إنها لصدمة عنيفة لنفس حافظ ، ولأدبه وفنّه ، ولكن لا بد للنفس الكبيرة من أن تطلب حقها ، وتلتمس مكانها ، ولا بدّ للادب وفنّ الأدب من نهضة بعد نهضة ، وانبعاثة بعد أخرى .

فوق عرش الامارة بمصر ، عرش الخلافة العظمى فى فروق ، ووراء هذا المجال الضيق الذى عثرت فيه آمال حافظ وهوت صريعة ، مجال أوسع يجدر به ان يتخذه لأدبه وفنّه . ولنفسه ومطامعه . وهكذا انصرف حافظ الى هذا المجال ، وأقبل على

أمير المؤمنين ، السلطان عبد الحميد ، يتغنّى بمدحه ، ويذكر له وللخلفاء من آل عثمان فضلهم العظيم فى اقامة ذلك البناء الاسلامى الضخم الذى رفعوه على شفار سيوفهم ، وتعهدوه بدماء أبطالهم ورجال دولتهم .

قال شاعرنا الكبير من قصيدة فى عيد تأسيس الدولة العلية :

لقد مكّن الرحمن فى الارض دولةً ... لعثمان ، لا تعفو ولا تتشعّبُ
بناها ، فظنّتها الدرارى منازلاً ... لبدر الدجى تُبنى ، وللسّعد تُنصَبُ
وقام رجالٌ بالامامة بعده ... فزادوا على ذاك البناء وطنّبوا
وردّوا على الاسلام عهدَ شبابه ... ومدّوا له جاهاً يُهاب ويُرهبُ
أسودٌ على البسفور تحمى عرينها ... وترعى نيامَ الشّرقِ، والغربُ يرقبُ

وقال من قصيدة أخرى فى عيد الجلوس السلطانى :

لحت جلال العيد والقومُ هُيَّبُ ... فعلّمنى آى العلى كيف تُكتبُ
تجلّى على عرش الجلال ، وتاجُهُ ... يَهَشُّ ، وأعوادُ السّرير ترحّبُ
وكم حاولوا فى الارض إطفاء نوره ... واطفاء نور الشّمس من ذاك أقربُ

ومنها فى وصف الجيش العثمانى :

يدانى شُخوصَ الموت حتى كأنما ... له بين أظفار المنية مطلبُ
اذا ثار فى يوم الوغى ، مال منكبٌ ... من الارض والاطواد ، وانهال منكبُ
له من رءوس الشُمّ فى البرّ مركبٌ ... ومن ثائر الامواج فى البحر مركبُ

لم ينل حافظ منالاً من جانب الخلافة ، فضاع شعره فيها كما ضاع من قبل فى الامارة ، وقيل فى بعض الانباء إن اليد التى أبعدته عن هذه لم تدعه ينعم بامله الجديد ، فسدّت عليه السبيل بعد ان عمل بعض الاصدقاء والانصار لتمهيده ، وبعد أن أوشك الشاعر العاثر الجدّ أن يظفر بحاجته ، ويقع على أمنيّته .

اشتدت الحركة الوطنية فى مصر على يد الزعيم الوطنى الاول (مصطفى كامل) وصار الشعر من عناصرها ، فغامر حافظ فيها يتودد الى الشعب ويناصر زعماءه ، وفى روعه انه مُفْضٍ من هذا الطريق الى ما يبتغيه من نباهة ذكر وسعة حال ، فنظم القصائد الحماسية الملتهبة ، وجال فى ميدان الجهاد الوطنى جولات واسعة

النطاق مترامية المدى ، وقد نجح من الناحية الأدبية نجاحاً كبيراً فى هـذا المسلك الذى لم يكن من المستطاع لشاعر القصر أن يزاحمه فيه ، أو يصرفه عنه ، ولم يقصر حافظ شعره فى هذا الدور على السياسة وحدها ، ولكنه تبسَّطَ فى أدبه فتناول الاخلاق والعادات ، وشؤون الحياة العامة وأحداثها فى الامة ، فلقّبوه بشاعر النيل وبالشاعر « الاجتماعى » .

وهذه أمثلة مما نظمه فى هذه الوجوه والمناحى تحدّثك أنّه لم يُعدّ لصغائر الامور ، وأنّه مسوق بفطرته وشعوره الى مواطن الجدّ فى القول ، ومنازل العز والشرق فى الادب ، فهو بهذا الوصف شاعر الامّة والبلاد ، وشاعر الزمن والخلود .

لستُ فى هذا بمتّهم ، وما أدّعى انه استطاع أن يعصم نفسه وأدبه عمّا لا ينبغى لمثله من زلة الرأى ، وتهافت المنطق ، فانّ له لقصيدتين من الشعر الشارد ، احداهما فى رثاء الملكة فيكتوريا ، والثانية فى تتويج ادوارد السابع وقد احترز فى الاولى ولم يتحفظ فى الثانية ، فقال :

لا تعجبنَّ لملكٍ عزّ جانبه ... لولا التعاونُ لم تنظر له أثرا
ما ثلَّ ربُّكَ عرشاً بات يحرسه ... عدلٌ ، ولا مدَّ فى سلطان مَنْ غدرا
(ادوار) دمتَ ، ودام الملك فى رغدٍ ... ودَامَ جُنْدُكَ فى الآفاقِ منتصرا
هم يذ كرونكَ إنْ عدّوا عُدولَهُمُ ... ونحن نذكر إنْ عدُّوا لنا (عُمَرا)
كأنّما أنتَ تجرى فى طريقتهِ ... عدلاً ، وحلماً ، وإيقاعاً بمن أشِرا

وان له لقصيدتين أخريين فى وداع (كرومر) أخطأ فيهما القصد ، والتوى به السبيل فى أولاهما التواءً يسوء كل محبّ له ، ومطلع هذه القصيدة :

فتى الشعر، هذا موطنُ الصدق والهدى ... فلا تكذبِ التاريخ ، إن كنت منشد

ومنها :

سنطرى أياديكَ التى قد أفضتها ... علينا ، فلسنا أمةً تجحد اليدا
أمنّا ، فلم يسلك بنا الخوفُ مسلكاً ... ونمنا ، فلم يطرق لنا الذُعرُ مرقدا
وكنتَ رحيمَ القلبِ، تحمى ضعيفنا ... وتدفع عنا حادثَ الدهرِ إنْ عدا

قال شاعرنا الكريم بعد هـذا :

ولولا أسىً فى دنشواىَ ، ولوعةٌ وفاجعةٌ أدمتْ قلوباً واكبدا
وَرَمْيُكَ شعباً بالتعصب غافلاً وتصويرُكَ الشرقَ غِرّاً مُجرّدا
لَذُبْنا أسىً يومَ الوداع لِأننا نرى فيكَ ذاكَ المصلحَ المتودّدا

اللهمّ فاغفر لحافظ ،انها ليست من رأيه ، ولا من عقيدته .

أمثلة من شعره فى السياسة وشؤون الحياة

قال من قصيدته (ماذا أصبت من الاسفار والنصب) :

متى أرى النيلَ لا تحلو مواردُه لغير مُرتهبٍ لله ، مُرتقبِ ؟
فقد غدت مصرُ فى حالٍ اذا ذكرت جادت جفونى لها باللؤلؤ الرطبِ
كأننى عند ذكرى ما ألمّ بها قِرمٌ تردّدَ بين الموت والهربِ
اذا نطقتُ فقاعُ السّجنِ مُتّكئى وان سكتُّ ، فانّ النفسَ لم تطبِ
أيشتكى الفقرَ غادينا ورائحنا ونحن نمشى على أرضٍ من الذهبِ ؟
والقومُ فى مصر كالإسفنج ،قدظفرت بالماء ، لم يتركوا ضرعاً لمحتلبِ
يا آل عثمانَ ، ما هـذا الجفاء لنا ونحن فى الله اخوانٌ وفى الكتبِ ؟
تركتمونا لأقوامٍ تخالفنا فى الدين والفضل والاخلاق والادبِ

آية بارعة من إنجيل الشعر السياسى أرسلها الشاعر الكبير تحت سماء مصر ، باسم مصر ، وفى سبيل مصر ، يشكو فيها تألب الحوادث عليها ، وتشاغل الاعوان والانصار عنها ، وهو حين يذكر السجن ويتخوّف أن يُقذف به الى قاعه إن هو كشف عن ذات نفسه كلّ الكشف ، وقال كل ما يريد أن يقول ، انما يصف لك خطبَ الحرية ومُصابها ، وشقاءَ النفس الشاعرة وعذابها ، وهذه صورة أخرى من صُور الحياة السياسية التى تصدّى لوصفها ، وعمد الى تصويرها . ومن شعره فى هذا الباب قوله من قصيدة :

سَعيتُ الى أن كدتُ أنتعلُ الدّما وَعُدْتُ وماأعقبْتُ الاّ التندّما
لحَا اللهُ عَهدَ القاسطين الذى به تهدّمَ من بنياننا مَا تَهدّما
إذا شئتَ أن تلقى السّعادة بينهم فلا تكُ مصرياً ، ولا تكُ مُسلما

وقوله فى حادثة دنشواى من قصيدة طويلة :

أيها القائمون بالامر فينا هل نسيتم ولاءنا والودادا ؟
انما نحن والحمامُ سواءٌ لم تغادر أطواقنا الاجيادا
أحسنوا القتلَ إن ضننتم بعفوٍ أنفوساً أصبتمُ ، أم جمادا ؟
ليت شعرى أتلك محكمةُ التفـ ـتيش عادت أم عهد نيرون عادا !؟

وقوله من قصيدة أخرى فى هـذه الحادثة وجّه الخطاب فيها الى ممثل الدولة الانكليزية فى مصر لدى عودته إليها :

ماذا أقول ، وأنتَ أصدقُ ناقلٍ عنّا ، ولكنّ السّياسة تكذبُ ؟
إن ضاق صدرُ النّيل عما هالهُ يَوْمَ الحمامِ ، فانَّ صدركَ أرحبُ
رفقاً (عميدَ الدولتين) بأمةٍ ضاق الرجاءُ بها ، وضاق المذهبُ
إن أرهقوا صيّادكم ، فلعلهم لِلْقُوتِ ، لا للمسلمين ، تعصّبوا
ولربما ضنّ الفقيرُ بقوتهِ وسخا بمهجتهِ على من يغضبُ
فى (دنشواى) وانت عنّا غائبٌ لعب (القضاءُ) بنا ، وعزّ المهربُ
نُكبوا ، وأقفرت المنازلُ بعدهم لو كُنْتَ حاضرَ أمرهم ، لم يُنكبوا

لا تظنن حافظاً يرسل هذا البيت وهو غافل عما ترى أنت فيه معنى التنزيه للممثل الانكليزى ، والارتفاع به عن مواطن الظلم ، ومواضع الجور والعسف ، إنه ليعلم أن كلّ ما حدث فى دنشواى من كبار الحوادث وعظائم الامور ، إنما كان بمشيئة الممثل ورأيه ، وانما هو يغالط ويتهكم ، ونحن بسبيل الشعر السياسى ، وقد مضى حكم شاعرنا الكبير على السياسة فى قوله (ولكنّ السياسة تكذب . .) . قال بعد هذا :

جُلدوا ، ولو منّيتهم لتعلقوا بحبال من شُنِقوا ، ولم يتهيّبوا
شُنقوا ، ولو مُنحوا الخيارَ لأهّلوا بِلَظَى سياطِ الجالدينَ ، ورحّبوا
فاجعلْ شعاركَ رحمةً ومودةً انّ القلوب مع المودّه تُكسبُ

أنظر إلى هذا البيت ، ألا ترى فيه مصداق ما قلته لك عن غرض الشاعر ووجهته

إذ يقول (لو كنت حاضر أمرهم لم ينكبوا) ؟ إنّه ينصح للممثّل الانكليزى أن يكون رحيماً ، ويوصيه أن يتودد الى هذه الأمة بكفّ الاذى ، وأخذها بسياسة أخرى غير سياسة العصا ، قال الشاعر يخاطبه :

وإذا سُئلتَ عن الكنانة ، قل لهم هىَ أمّةٌ تلهو ، وشعبٌ يَلعبُ

وله من قصيدة يخاطب (روزفلت) حين قدم إلى مصر وألقى فيها خطبته السياسيّة المأثورة :

يا خطيبَ (الدنيا الجديدة) شنِّفْ سمعَ مصر بقولك المأثور
واخبر النّاسَ كيف سُدْتم علَى النَّا سِ وجئتم بمعجزات الدهور
وملكتم أعنةَ الريح والما ءِ ودستم على رقاب العصور
قفْ وعدِّدْ ما ثر العلم ، واذكر نعمَ الله ذكر عبدٍ شكور
وإذا ما ذكرتَ أنعمه الكُبـ رَى فلا تنسَ نعمة الدستور
يا نصيرَ الضعيفِ ما لك تُطرى خُطَّةَ القوم بعد ذاك النكير ؟
لم تُطيقوا جوارهم ، بل أقمتم فى حما كم من دونهم ألفَ سُور
ليت شعرى أكنت تدعو اليهم يوم كانوا على تخوم الثُغور ؟
يوم كانوا قذًى بعين (نُيويُوْ . . . كَ) وداءً مُستحكماً فى الصُّدور
يوم نادى (واشنجتون) فلبَّا هُ من الغيل كلُّ ليثٍ هصور
ووثبتم إلى الحياةِ وُثوباً ونفضتم عنكم تراب القبور
يا نصير الضّعيف حَبِّبْ اليهم هجرَ مصرٍ تَفُزْ بأجرٍ كبير

لانريد ان نستأثر بشعر حافظ فيما نكتب عنه ، فانّ لاصدقائه الكرام وصحابته الموفين من كتاب هذا العدد المخصص له حقّاً كبيراً فيه وفى شعره ، وحسبنا من شعره السياسىّ ما أثبتناه له ، فهو يُمثّله لك شاعراً محباً لبلاده ، حفيّاً بأمّته ، يشكو ، فلا ترتاب فى انّ مصر هى الشاكية ، ويرجو فلا تأخذك شبهة فى موضع هذا الرجاء من نفسها ، ومحلّه من فؤادها . ان فى كلّ بيت من هذا المثال المقتضب لجُرْحاً دامياً من جراح مصر السياسيّة ، وصرخةً عاليةً من صرخاتها العنيفة المتوالية ، وانك لترى بين هذين شيئاً آخر يندفع فى روعة شديدة ، ويثور فى

حرارة بالغة ، ذلك هو الأمل ، أمل مصر المعذبة ، أملها الحائر المضطرب تارة ، والحزين تارة أخرى . ومن شعر حافظ فى شؤون الحياة المصرية قوله من قصيدة يدعم بها رأى (قاسم أمين) فى الحجاب :

رجائىَ فى قومى ضعيفٌ كأنه جَنانُ وزيرٍ ، سوّدته مَنَاصِبُهْ
أقاسمُ إنّ القوم ماتت قلوبُهم ولم يفهموا فى السِّفْرِ ما أنتَ كاتِبُهْ

وقوله من قصيدة فى حريق ميت غمر :

أيها الرافلون فى حُلل الوشى يجرون للذيول افتخارا
انّ فوق العراء قوماً جياعاً يَتَوارَوْنَ ذِلّةً وانكسارا
قد شهدنا بالامس فى مصر عُرساً ملأ العين والفؤادَ انبهارا
سال فيه النُّضارُ حتى حسبنا أنّ ذاكَ الفِناء يجرى نُضارا
بات فيه المنعَّمونَ بلَيْلٍ أخجلَ الصُّبْحَ حُسْنُهُ فتوارى
يكتسون السّرورَ طوراً ، وطوراً فى يد الكأس يخلعون الوقارا
وسمعنا فى (ميت غمرٍ) صياحاً ملأ البرَّ ضجةً والبحارا
جلّ من قَسَّمَ الحظوظ فهذا يَتَغَنّى ، وذاكَ يَبكى الديارا !

فى القصيدة التى نجتزىء عنها بهذه القطعة البليغة وصف مؤلم للمنكوبين يبعث الرحمة فى أشد القلوب قسوة ، ويُغرى بالاحسان والبرّ أكثر النفوس تمرّداً على فضيلة المعروف وشريعة الخير ، ولم يكن حافظ فى هذا كله وصّافاً أو مصوّراً فحسب ، كلا ، فانّا نرى نفسه الكريمة وروحه البارة ، ممثلين فى هذه القصيدة المؤثرة تمثيلاً ناطقاً ، ولقد عرفته رحمه الله لَيِّنَ القلب ، قويّ العاطفة يقف على السائل بين يديه ، فيقع عطاؤه فى كفه قبل أن تقع كلمته من بين شفتيه . ثم لا يقنع بهذا ، ولكنه يبقى واجماً محزوناً من أجله فلا يكاد يعود الى الحديث الا إذا حمل عليه . وهذه قطعة من قصيدة له ألقاها فى مدرسة البنات فى بور سعيد :

كم ذا يكابد عاشقٌ ويلاقى فى حُبّ مصرَ كثيرةِ العشاقِ !
لهفى عليكِ متى أراكِ طليقةً يحمى كريمَ حماكِ شعبٌ راقِ ؟

فاذا رُزقتَ خليقةً محمودةً فقد اصطفاكَ مقسّمُ الارزاقِ
والعلمُ إن لم تكتنفه شمائلٌ تُعليه كان مطيّةَ الاخفاقِ
كم عالم قدّ العلومَ حبائلاً لوقيعةٍ وقطيعةٍ وفراقِ

يذكر فقيه السوء بعد هذا البيت ثم يقول فيه :

يمشي وقد نُصِبَتْ عليه عمامةٌ كالبرج لكن فوقَ تلّ نفاقِ

ثم يستطرد فيقول :

وطبيب قومٍ قد أحلّ لطبّه ما لا تُحِلُّ شريعةُ الخلّاقِ

وهو اذا وفّى هذا الطبيب حقّه من الوصف كرّ على (مهندس النيل)فأغرقه ذمّاً وتقريعاً ، ثمّ انقضّ على الاديب ـ أديب السوق ـ فأهانه وداس أدبه وبيانه وهذا بعض ما قال فيه :

في كفّهِ قلمٌ يمُجُّ لُعابُهُ سُمّاً وينفثه على الاوراقِ
يَرِدُ الحقائقَ وهيَ بيضٌ نُصَّعٌ قُدْسيّةٌ ، عُلْوِيّةُ الاشراقِ
فَيرُدُّها سُوداً ، على جَنَباتِها من ظُلمةِ التمويهِ ، ألفُ نطاقِ
عرِيَتْ عن الخُلُقِ المطهّرِ نفسُهُ فحياتُهُ ثِقلٌ على الأعناقِ

يلتفت الشاعر بعد هذا كله الى جهل الامّهات في مصر ، وسائر بلاد الشرق العربي ، والى ما له من الآثار الذميمة في حياة الأمم الشرقية فيقول :

مَنْ لي بتربية النساء ، فانّها في الشرق علّةُ ذلك الاخفاقِ
الأمُّ مدرسةٌ ، إذا أعددتَها أعْدَدْتَ شعباً طيّبَ الاعراقِ

سار هذا البيت مسيرَ المثل ، وهو من الحكم العمرانية الجليلة ، وقد ذهب الشاعرُ في هذه القصيدة مذهب المتحفظ بين أنصار الحجاب ، ودعاة السّفور ، فقال :

أنا لا أقول دعوا النساءَ سوافراً بين الرجالِ ، يجُلْنَ في الاسواقِ
يَدْرُجْنَ حيثُ أرَدْنَ ، لا مِنْ وازعٍ يحْذَرْنَ رِقبتَهُ ولا مِن واقِ
كلا ، ولا أدعوكمو أن تُسرفوا في الحَجْبِ ، والتضييقِ ، والارهاقِ

فتوسّطوا فى الحالتين ، وأنصفوا فالشَّرّ فى التقييدِ والاطلاقِ
ربّوا البنات على الفضيلة ، إنّها فى الموقفين لهنّ خيرُ وثاقِ

بهذه الابيات الحكيمة ، فصّلَ الشاعرُ العظيمُ حافظ ابراهيم فى مشكلة (الحجاب والسّفور) على السّنن الأوضح ، والطريقة المثلى . فمن حقّ هذا الحكم أن يكون دستوراً لجيلنا الحاضر وللأجيال المقبلة معاً فى هذه القضية التى تشغل الشّعوبَ الشرقية اليوم .

قال شاعرنا العظيم من قصيدة فى (رعاية الاطفال) :

لو وفى بالزّكاةِ مَنْ جَمَعَ الـ . . . دّنيا وأهْوَى على اقتناءِ الحطامِ
مَا شَكا الجوعَ مُعدمٌ ، أو تَصَدَّى لِرُكوبِ الشرورِ والآثامِ
راكباً رأسه طريداً شريداً لا يبالى بشرعةٍ أو ذمامِ
سائلاً عن وصيةِ اللهِ فيهِ آخذاً قُوتَهُ بحدّ الحسامِ

أنظر اليه كيف تناول الحياة العامّة من أساسها ، وكيف برز فى هذه القطعة من شعره زعيماً اشتراكياً كبيراً ، يجمع الفقراء حول لوائه ، ويزحف بهم فى شجاعة وجرأة على قصور الأغنياء ، يدعوهم إلى كتاب الله ويحاول أن يقتحم الاسوار إلى خزائنهم يستنقذ منها تلك الحقوق الصارخة المحبوسة عن ذويها وأوليائها .

أنظر اليه إماماً صالحاً ومعلماً حكيماً يصف لك ما ينشأ عن تعطيل حكم الزكاة من سخط الفقراء على الاغنياء ونشوب العداوة بين الفريقين ، وأن ذلك ممّا يثير الشّرور ويدفع الى اقتراف الجرائم .

قال شاعرنا من قصيدة رنّانة ألقاها فى احتفال الجامعة مطلعها (حيّاكمُ الله أحيوا العلم والأدبا) :

هذا هو الأثرُ الباقى فلا تقفوا عند الكلام اذا حاولتموا أدبا
ودونكم مثلاً أو شكتُ أضربُهُ فيكم وفى مصر إن صدقاً وإن كذبا
سمعتُ أن امرأً قد كان يألفُهُ كلبٌ فعاشا على الاصلاح واصطحبا
فمرّ يوماً به والجوعُ ينهبُهُ نهباً فلم يبق إلا الجلد والعصبا

يبكى عليه وفى يمناه أرغفة لو شامها جائع من فرسخ وثبا
فقال قوم وقد رقّوا لذى ألم يبكى وذى ألم يستقبل العطبا :
ماخطب ذا الكلب؟ قال: الجوع يخطفه منى وينشب فيه الناب مغتصبا
قالوا وقد أبصروا الرغفان زاهية : هذا الدواء فهل عالجته فأبى ؟!
أجابهم ، ودواعى الشح قد ضربت بين الصديقين من فرط القلى حجبا :
لذلك الحد لم تبلغ مودتنا أما كفى أن يرانى اليوم منتحبا ؟!
هذى دموعى على الخدين جارية حزناً ، وهذا فؤادى يرتمى لهبا

يسوق حافظ الى قومه هذه القصة اللذيذة التى تصف الحنان الكاذب ، وتمثل الحب الغادر ، ليأخذ السبيل على الذين يدعون حب مصر من أبنائها ، ويكثرون من ترديد الاقاويل الزائفة فى هذا المعنى ، حتى اذا حانت ساعة العمل تركوا البلاد فى غمرتها ، ووقفوا يتباكون خلف أنصارها ، أراد شاعرنا الموقر أن يأخذ السبيل على هؤلاء ليساهموا بأموالهم فى اقامة أكبر دار للعلم والثقافة العصرية فى مصر ، وانظر ماذا يقول بعد اداء قصته .

أقسمت بالله إن كانت مودتنا كصاحب الكلب ، ساء الامر منقلبا
أعيذكم أن تكونوا مثله ، فنرى منكم بكاء ، ولا نلفى لكم دأبا
إن تقرضوا الله فى أوطانكم ، فلكم أجر المجاهد ، طوبى للذى اكتتبا

فى هذه الطائفة من منظومات حافظ فى هذا الباب ما يغنى عن الاسترسال ، ويفى بالمطلب المبتغى ، وقد ترامت بشاعرنا الكبير همته الادبية ، فتباعد مداه ، وتقاذفت غايته ، ومن الاغراض التى تناولها ونظم فيها ، وهو يسير ممعناً ، ويذهب متدفقاً فى تلك المطارح البعيدة والمنازع القصية : الشمس — غادة اليابان — حرب اليابان — المارتينك — فيكتور هوجو — زلزال ايطاليا — أمير المؤمين عمر بن الخطاب ـ تولستوى ـ وقد أجاد حافظ فى كل هذه الابواب اجادة كبيرة ، تدل على عبقريته وعلو منزلته . فمن قوله فى مناجاة تولستوى بعد موته :

حياة الورى حرب وأنت تريدها سلاماً ، وأسباب الكفاح كثير
أبت سنة العمران الا تناحراً وكدحاً ولو ان البقاء يسير

تحاولُ دَفعَ الشَّرِّ والشَّرُّ واقعٌ وتطلبُ محضَ الخيرِ وهو عسيرُ
ولولا امتزاجُ الشرِّ بالخير لم يقم دليلٌ على أن الالـهَ قديرُ
ولم يبعث اللهُ النبيين للهدى ولم يتطلَّع للسَّرير أميرُ
ولم يعشقِ العلياءَ حُرٌّ ، ولم يَسُدْ كريمٌ ، ولم يَرْجُ الثراءَ فقيرُ
فكم فى طريقِ الشَّرِّ خيرٌ ونعمةٌ وكم فى طريقِ الطيِّباتِ شرورُ

موقف تأمل

هذا هو حافظ ابراهيم ، فهل ترى وراء كل هذا مزيداً لشاعر مصرى يعيش فى مصر ؟ إن فى مصر لحياةً زاهرة ولـكن لغير الاديب المهذب ، ودنيا ناضرة ولـكن ليست للشاعر الحرّ ، وهل تظن أن حافظاً يهزل حيث يقول :

فما أنت يامصرُ دارَ الأديبِ ولا أنتِ بالبلدِ الطيِّبِ

أتراه متجنياً عليها أو ظالماً لها أو عدواً يضمر لها البغض ويريد بها السُّوء ، وهو الذى أذاب نفسه الـكريمة شعراً فى سبيل حُبها ومن أجل حياتها ؟ أليس هو الذى يقول :

لهفى عليكِ متى أراكِ طليقةً يَحمى كريمَ حِماكِ شعبٌ راقِ ؟

أتريد ان تعرف لمَ يقول حافظ بعد هذا وغير هذا (فما أنت يامصر دارَ الأديبِ...) ؟ هو وحده يحدثك ، وهذا جوابه :

عقنى الدهرُ ولولا أننى أُوثرُ الحسنى عققتُ الادبا
أنا لولا أنّ لى من أُمّتى خاذلاً ، ما بتّ أشكو النُّوَبا

ما أراك بحاجةٍ إلى المزيد بعد هذا ، ولـكنى أزودك قبل الفراغ من هذا الموقف لتظلّ ذاكراً . قال حافظ من قصيدة :

سلامٌ على الدنيا سَلامَ مُوَدعٍ رأى فى ظلام القبر أُنساً ومغنما
فما عصمتنى من زمانى فضائلى ولـكن رأيتُ الموتَ للحرِّ أعصما

أخذ حافظ بنصيب من رتب الدولة ، وأقيمت له حفلة تـكريم كبرى ، ثمّ

استُعْمِلَ فى دار الكتب وكلّ هذا عطاءٌ نَزْرٌ ونائلٌ مُصَرَّدٌ ، وليس من هذا شىء يُرضى النفس الجيدة والعقل الكبير ، فرحمة الله عليك أيها الصديق .

نظرة فى شعره

أسلفنا لك أن حافظاً شاعرٌ فحلٌ متمكن الشاعرية قليل الأنداد، وقصصنا عليك من أمره ما فيه عظة لك بالغة ، فكن معنا فى انصافه والتماس المعذرة له اذا رأيته يهفو تارة أو يتبرم بالشعر فيتعسف فيه تارة أخرى . وانك لتراه على هذه الحال فى القصيدة الواحدة من شعره : تراه الشاعر العبقرى المنيع فى موضع منها والشاعر المتهاون المستهدف للنقد فى موضع آخر . أنظر الى قوله :

ماذا ادَّخرتَ لهذا العيدِ من أدبِ ؟ فقد عهدتكَ ربَّ السَّبقِ والغلبِ

البيت بارع يجرى على نسق جميل تلمس فيه قوّة الدافع الوجدانى وتسمع له جرساً بعيد الاثر طويل الرنين . وانك لتراه مصقولا ناعماً كثير الايماض مُستطير البريق . ولكن أترى لو أنّ حافظاً أمعن النظر فى هذا البيت أ كان يغفل عما فيه من التخاذل ؟ انه ليعلم أن قوله (ادَّخرت) يفسد عليه غرضه وينأى به عن المنزلة التى أرادها لنفسه ، وهل يفتقر الشاعر الفيّاض الى الادخار وهو الذى يسبق الاقران ويغلبهم ؟

أعجب من هذا البيت قوله فى البيت الثانى من القصيدة :

تشدو وترهفُ بالاشعار مرتجلاً وتُبرزُ القولَ بين السِّحرِ والعجبِ !

فهو فى البيت الاول شاعر مدّخر لا يأخذ موقفه الا اذا استعدّ ، وهو فى البيت الثانى حاضر البديهة متدفّق الطبع ، يقول الشعر ارتجالا ويباعد ما بين الصورتين . أما قوله (ترهف بالاشعار) فخطأ لغوىّ ، يقال أرهف الرجلُ السيفَ ورهفه اذا شحذه ورقّق حدّه ، ومراد الشاعر أن يقول إنه يشدو بالاشعار ويرقّق صوته فى انشادها فأخطأ خطأ ظاهرا ، وقال :

وتصقلُ اللّفظَ فى عينى ، فأحسبنى أرى فِرِنْدَ سُيُوفِ الهندِ فى الكتبِ

أنت ترى البيت من الشعر الرنّان وإنك لمأخوذ بجمال هذا التشبيه الذى يُريك رونقَ السيف وشَناعَتهُ فى المَشُوفِ المُظْلَمِ من الكلام ، ولكنك فى غير

حاجة الى الاذن إذا قلت إن جملة (تصقل اللفظ فى عينى) ظاهـرة الخلل والفساد لأن مرجع الصُّوَر اللفظية الى الذهن — أو هو الذوق الفنى — لا الى العـين . فما كان لها من مختلف الآثار فثمَّ الموضع وهنالك الحكم ، شأنها فى ذلك شأن الصور المعنوية ولا خلاف ، والعين والكتب فى البيت — أو فى هذا الباب كله — يستويان حُكماً لأن رونق الكلام واشراقه لا يكونان فى الورق، وأولى بهذا الوصف أن يكون فى حسن الخط وجمال الرسم لا يعدوهما ، ومن عبث المتنبي فى هذا الباب قوله :

وَمَا قُلتُ من شعرٍ تَكادُ بُيُوتُهُ إذا كُتِبَتْ يَبْيَضُّ من نورها الحِبْرُ

وأشدُّ من هـذا فى معرض العبث أن يقول :

وما أنا وَحْدِى قُلْتُ ذا الشِّعرَ كُلَّهُ ولكنْ لشعرى فيكَ من نفسِه شعرُ

قال شاعرٌ قديمٌ فى حسن الخط :

يا مَنْ اذا خطَّ الكتابَ يمينُهُ أهدى الينا الوشيَ من صنعاء

والشطر الثانى لابى تمام وأصله (أهدى اليها) . وقال التنوخي فى هذا الباب:

وَكَأنَّهُ لَيْـلٌ يَموجُ خِلالَهُ صُبْحٌ مُنيرْ

وبدائعٌ تـدع القلوبَ تكاد من طربٍ تطيرْ

ومنـه قول كشاجم :

وكأنَّ البياضَ والنُّقطَ السُّودَ عبيرٌ رَشَشْتَهُ فى مُلاَءِ

وكأنَّ السُّطُورَ وَالذَّهَبَ السَّاطِعَ فيها كواكبٌ فى سماء

وأين شاعرنا من المعانى يصفها ويقول لنا ما هى ؟ أتراه اكتفى من وصفها بقوله فى البيت السابق « وتُبرزُ القولَ بين السِّحر والعجب » ؟ كلاّ ! فما هذا من الوصف الفنّى فى شيء ، وإليك بعض ماقيل فى وصف الكلام . قال أبو تمام فى الحسن بن وهب :

تنشقُ فى ظلم المعانى إن دجتْ منهُ تباشيرُ الكلامِ المشرقِ

وقال البحترى :

وبديعٌ كأنَّهُ الزَّهرُ الضَّا حِكُ فى رونقِ الربيعِ الجديدِ
مُشرق فى جوانبِ السَّمع ما يُخْ لِقُهُ عَوْدُهُ على المسْتَعيدِ

أمَّا المتنبي فيقول :

اذا ما صافحَ الاسماعَ يوماً تبسَّمت الضمائرُ والقلوبُ

لا أزيدك على هذا فحسبك أن تعرف المذهب وترى تصرّف القوم فيه وأحسب لو أن البحترى قال « مشرق فى جوانب النفس » لكان أجود وأنّ البَوْنَ لكبيرٌ بين « سمع البحترى » و « عين حافظ » .

قال حافظ فى هذه القصيدة :

انى دعوت القوافى حين أشرقَ لى عيدُ الأمير فلَبَّتْ غُرَّةَ الطَّلبِ

غُرّة كلّ شيء أوّله ، يريد أن القوافى لبّته مُسرعة وهو مأخوذ من قول ابن الرومى :

يا مَنْ تَنَافَسُ فى أوصافه كلمى تَنَافُسَ العرَبِ الامجادِ فى النَّسبِ

وهو مأخوذ من قول أبى تمام :

تغايَرَ الشعرُ فيه إذْ سهرتُ له حتىّ ظننتُ قوافيهِ ستقتتل

وفى بيت أبى تمام من التهويل الشعرى ما ترى . وقال فى قصيدته (ياليلةً ألهمتنى ماأتيهُ به) :

انى أرى عَجباً يدعو الى عجبِ الدهرُ أضمرَهُ والعيدُ أفشاهُ

يقول هذا البيت فى وصف المشاهد التى رآها ليلة المهرجان فانظر كم بينه وبينَ قول ابن الرومى فى تهنئة بعيد النيروز :

لم يَبْقَ للارض من سرّ تكاتمهُ الا وقد أظهرته بعد إخفاء ؟

قال حافظ يصف حديقة الازبكية فى قصيدته هذه :

أم الحديقةُ ذاتُ الوشى قد جُلِيَتْ فى مَنْظَرٍ يستعيدُ الطَّرْفَ مَرْآهُ ؟

المنظر والمرأى واحد ، وقد أراد شاعرنا أن يقول ان الحديقة برزت فى منظر أنيق يغرى العين بادمان النظر فوضع (مرآه) موضع (رؤيته) فاخطأ وقال :

أرى المصابيحَ فيها وهى مُشرقةٌ كأنها النَّوْرُ والوسمىُّ حَيَّاهُ

تشبيه معكوس لأن المصابيح أشد إشراقاً من الزهر ، ولعلّ الصورة التشبيهية هنا قائمة فى اختلاف ألوان المصابيح ومحاكاتها لالوان الازهار ، وهو ما لا يستفاد من هذا البيت أو سواه من أبيات القصيدة ، واليك ما يقوله أبو الحسن التهامى لتعرف مأخذ التشبيه :

وإذا تأملت الكواكب خِلْتها زهراً تَفَتَّحَ ، أو عُيُوناً حُوّلا

وانظر ما يقول ابن النبيه ·

والليلُ تجرى الدرارى فى مجرّتِهِ كالروض تطفو على نهر (أزاهرُه)

وأزاهرهُ فى البيت خطأ ، فالصواب ، زهر وأزهار وأزاهير — قال حافظ بعد البيت المتقدم فى صفة المصابيح :

أو إنما هى ألفاظٌ مُدَبَّجَةٌ وكلُّ لفظٍ تَجلَّى فيهِ مَعْناهُ

شبّه شاعرنا المصابيحَ فى البيت السابق بالازهار ، ثم عاد فشبهها فى هذا البيت بالالفاظ المدبجة ومعانيها فلم يتجاوز ما قدمناه لك من بيان وايضاح ، فانت ترى الانتحال ظاهراً فى البيتين بل نحن نزيدك فنذكر لك قول المتنبي :

كأن المعانى فى فصاحة لفظها نُجومُ الثريّا أو خلائقكَ الزُّهْرُ

قال حافظ :

أرى (سُمُوَّ خديوينا) وقد بُسِطَتْ بالعدلِ والبذلِ يُمناه ويسراهُ

رحم الله شاعرنا الفحل انى لأظنه ردد كثيراً فى (سمو خديوينا) هذه فلما أبت أن تفارقه وطّنَ لها نفسه وأدخلها بيته كارهاً ثم ذهب يردد قول جرير :

انّ البغيض له منازل عندنا ليست كمنزلة المُحبِّ المُكْرَمُ

وبعد ، فبيت حافظ صورة من قول البحترى :

ولِيَ البلادَ فكان عدلاً شائعاً ينفى الظلامَ ونائلاً موهوبا

وللقوم مذهب معروف فى هذا الباب يقع فيه قول الحطيئة :

يداك خليج البحر ، احداهما دمٌ يَفيضُ ، وفى الأخرى عطاءٌ ونائلُ

وقول مسلم بن الوليد :

وما مرَّ يومٌ قطّ الا جرتْ به على الناس من كفّيك بُؤمى وأنعُمُ

وقوله :

غاد على كسبِ المحامد رائحٌ في راحتيه منيّةٌ ونُشُورُ

وقول ابن هانىء الاندلسى :

وللدهر سِجْلٌ من حياةٍ ومن رَدًى ولـكنّه من بين كفّيكَ ينهمى

قال حافظ :

أرى أريكةَ عبّاسٍ تحُفُّ بها وقايةُ اللهِ والاقبال والجاه

يقال حَفهُ وحَفَّ حوْلَهُ وحَفّهُ بالشّىء فقوله (تحفّ بها) خطأ لا يسوغ.
وفى القرآن الكريم (حافّين من حول العرش وحففناها بنخل) وقال البحترى :

يَحُفُّونَ مَرْجُوًّا كأنّ سُيُوبَهُ سُيُوحُ العِرَاقِ غُزْرُهاوَفُورها

ويقول جرير :

وَبَنُو الوليدِ منَ الوليدِ بمنزل كالبدرِ حُفَّ بواضحاتِ الأنْجُمِ

ومن قول الاخطل فى الخمر :

لها رِدَاآنِ ، نَسْجُ العنكبوتِ وقد حُفّتْ بآخرَ من طينٍ ومن قارِ

وقد وقع ابن هانىء الاندلسى فيما وقع فيه حافظ من الخطأ . فقال فى القائد جوهر :

يَحُفُّ بهِ القُوّادُ والأمرُ أمرُهُ وَيَقْدُمُهُ رَأْيَ الخلافةِ أجمع

ومما نُسب الى عنترة وهو بعيد :

حَفّتْ بهنَّ مَنَاصِلٌ وَذَوَابِلٌ وَمَشَتْ بهنَّ زَوَامِلٌ ونَوَاجِ

ولعلّ هذا وأمثاله منشأ الخطأ فى قول حافظ ـ قال فى (جائزة الشعر) :

إنّى فتحتُ لها صدراً تَلِيقُ بهِ إن لم تُحلّوهُ فالرحمنُ حَلّاهُ

كانت الجائزة الاولى فى هذه المسابقة نوطاً ذهبيّاً وهى التى عناها حافظ وقد حُكم بها لقصيدته هذه . يقول إنه فتح لها صدره وفتح الصدر هنا لامعنى له فهى لاتوضع داخل الصدر ولا تُعلّق على ظاهره فيحلّ الشاعر مايليه من الازرار

ويميط ماعليه من الثياب ، وهو لوفعل ذلك لبقى صدره مُقفلاً فالتعبير اذاً عامّى محض مانشك في أن شاعرنا الكبير تَرَخَّصَ فيه لِيُدَاعِبَ المحكَّمين ويشغلهم بقصيدته .

قال في عيد تأسيس الدولة العلية يذكر خلفاء آل عثمان :

وقام رجالٌ بالامامة بعده فزادوا على ذاك البناء وطَنَّبُوا

وقال جرير :

ان الوليدَ خليفةٌ لخليفةٍ رَفَعَ البناءَ على البناءِ الأعظمِ

قال شاعرنا من قصيدة أخرى يصف شجاعة الجيش العثماني وشدة مخاطرته :

يُداني شُخُوصَ الموتِ حتىّ كأنما له بين أظفارِ المنيَّةِ مَطلبُ

الوصف في المنزلة العليا من البراعة ، ولكنه ليس بالجديد ، فهو قد تقلب في صُوَرٍ شتىّ من الشعر القديم ، وما نريدُ لك إلا أن تتفقهَ في الأدب ، فاليك طائفةً من هذه الصُّوَر ، قال أبو تمام :

مُسْتَرْسلينَ إلى الحتوفِ ، كأنما بين الحتوفِ وبينهم أرحامُ

وقال المتنبي :

وَقَفْتَ ومافي الموتِ شَكٌ لواقفٍ كأنك في جفنِ الردى ، وهو نائمُ

وقال ابن هانىء :

ولقد تكون لكَ الأسنَّةُ مَضجعاً حَتَّى كأنَّكَ عن حِمامِكَ غافلُ

وهذا ابن معتوق يقول :

وَخُضْتُ إليها الحتفَ حَتَّى كأنَّنى أُفَتِّشُ أحشَاءَ المنيَّةِ عن سِرِّ

قال حافظ :

مَلَكتَ عليهم كُلَّ فَجٍّ وَلُجةٍ فليس لهم في البرِّ والبحر مهربُ

ويقول ابن هانىء :

أين المفرُّ وَلاَ مَفرٌّ لهاربٍ وَلكَ البَسيطانِ : الثرى والماءُ

قال حافظ :

تَقاذفَهمْ أيدى اللّيالى كأنّهم … بها مَثَلٌ للنّاس فى القولِ يُضربُ

وقال أبو تمام :

أبقى عَلى جَوْلةِ الأيّامِ مِن كَنَفى … رِضْوَى وأسْيرُ فى الآفاقِ مِن مَثَلِ

وقد أبرز المتنبيّ هذا المعنى فى صورة أخرى فقال :

يُخَيَّلُ لى أنّ البلادَ مَسامِعٌ … وأنِّيَ فيها ماتقول العواذلُ

ومن قول أبى تمام فى موضع آخر :

كأنّ لهُ دَيْناً على كلِّ مَشْرِقٍ … من الارض أو ثاراً لدى كُلّ مَغربِ

قال حافظ من قصيدته (ماذا أصبت من الأسفار والتعب ؟) :

انّى احتسبتُ شباباً بِتّ أُنْفقهُ … وعزمةً شابت الدنيا ولم تَشِبِ

ويقول البحترى :

صَحِبُوا الزمانَ الفَرْطَ إلاّ انّهُ … هرِمَ الزّمانُ وعِزُّهمْ لم يَهرمَ

ويقول ابو تمام (شابت نواصى اللّيالى وهى لم تَشِبِ) . وقال حافظ من هذه القصيدة :

مَتَى أرى النِّيلَ لاتحلو مَوارِدُهُ … لغيرِ مُرْتهِبٍ للهِ مُرْتقبِ ؟

ويقول أبو تمام فى المعتصم .

تدبيرُ مُعتصمٍ بالله مُنتقمٍ … للهِ مُرْتقبٍ فى اللهِ مُرْتهِبِ

قال حافظ :

وكم لبستُ الدّجى والتُرْبُ ناعِسةٌ … والليلُ أهدأُ من جاشى لدى النُّوَبِ

التُّرْبُ اسمٌ من التراب زعم حافظ أنّه جَمْعٌ فأنّثه خطأً ولُبْسُ الدُّجى أو اللّيل ممّا كثر تداوله على ألسنة الشعراء . قال حاتم الطائى :

وَليلٍ بَهيمٍ قد تسربلتُ هَوْلَهُ … إذا اللّيلُ بالنِّكسِ الضّعيفِ تجهّما

وقال العتّابى :

سَحبتُ له ذيل السُّرَى وهو لابسٌ … دُجَى اللّيلِ حتىّ محّ ضوءُ الكواكبِ

اذا ادّرَعَ اللّيلَ الجلى وكأنّه … بَقيّةُ هندىٍّ حُسامِ المضاربِ

ويقول ابن الرومي :

لَبِسَتْ دُجاهُ الجُونَ ثم هتكتُها بِوَجْناءَ يَنْمِيهَا غَرِيرٌ وشَدْقَمُ

ومن شعر البديع الهمذاني (عَلَيَّ أن ألبسَ الظلماءَ والبَيْلَبا) و يقول غيره (ويلبسُ من ظلمائها ثوبَ ثاكل) فأما قول شاعرنا (والليل اهدأ من جاشي لدى النوب) فمأخوذ من قول ابي طالب الرقي :

ولقد ذكرتك والظلامُ كأنه يومُ النوى وفؤادُ من لم يَعشقِ

قال حافظ من قصيدته (طُفْ بالاريكة) :

شكا عُمانُ وضجَّ الغائصون به على اللآلي وضجَّ الحاسِدُ الشاني

كم رام شأوي فلم يدرك سوى صَدفٍ سامحتُ فيه لنظَّامٍ وَوَزّانِ

و مُحصِّل البيتين في قول السريّ الموصلي :

والشِّعرُ بحرٌ حُزْتُ أنفَسَ دُرِّهِ وتنافسَ الشُّعَراءُ في حَصْبائه

وقال من قصيدته في تتويج الملك ادوارد :

يُصَرِّفُ الأمرَ من مصر إلى عَدَنٍ فالهند فالكابِ حتى يَعْبُرَ الجُزُرَا

ويقول المتنبي في كافور :

يُدَبِّرُ الملكَ من مصرٍ إلى عَدَنٍ إلى العراقِ فأرضِ الرُّومِ فالنُّوبِ

وقال :

سَعيتُ الى أن كدتُ انتعلُ الدَّما وعُدْتُ وما أعقبتُ الاَّ التَّندُّما

وقال ازهر بن هلال التميمي يصف جواده :

أتاك ما ولَّيتُ حتى تبددت رجالي وحتى لم أجد مُتقدَّما

وحتى رأيت الوَرْد يدمى لبانَهُ وقد هاجهُ الابطالُ (فانتعل الدما)

وقال ابن هانىء في خيل المعزّ :

له المقرباتُ الجُرْدُ (يُنعلها دماً) إذا قَرعتْ هامَ الكُماةِ السنابكُ

ومعنى البيت كله مأخوذٌ من قول الشاعر :

وما زلتُ أقطعُ عرض البلاد من المشرقين إلى المغربينْ
وأدَّرِعُ الخوف تحت الدُّجى وأستصحبُ النَّسرَ والفرقدينْ
وأطوى وأنشرُ ثوبَ الهمُوم إلى أن رجعتُ بِخُفَّيْ حُنينْ

وقال :

نُكبوا وأقفرت المنازلُ بعدهم لو كُنت حاضر أمرهم لم يُنكبوا

وهو من قول المهلهل فى كليب :

وتكلموا فى شأن كُلِّ عظيمة لو كنتَ شاهد أمرهم لم ينبسوا

قال فى قصيدة (روزفلت) :

واخبر الناسَ كيف سُدتم على النا س وجئتم بمعجزاتِ الدهورِ

اخبرَ من الافعال الرباعية وحكمه حين يكون فعل امر ثبات حركة الهمز فى اوله فيقال (اخْبِرْ) ، وعندنا ألاّ رُخصة فى قواعد اللغة فلا يشفع فى مثل هذا الخطأ البيّن ان يكون البيت مُستقيم الوزن . قال حافظ بعد هذا البيت :

وملكتم أعنَّة الريحِ وَالما ءِ وَدُسْتُمْ على رقابِ العصورِ

يقال داسَ الرجلَ والشيءَ لا دَاسَ عليه فالفعل مُتعدٍّ بنفسهِ والخطأ فى البيت واضح ، وقوله (الدهور) فى البيت الاول و (العصور) فى الذى يليه من أشنع عيوب القافية . ومن قوله فى هذه القصيدة :

قف وعدّد مآثر العلمِ واذكر نِعمَ اللهِ ذكر عبدٍ شكور

فى مادَّة عدَّدَ شبهات لغويّة لم تفصل المعاجم فى امرها وقد اختُلف فى تفسير قوله تعالى (الَّذِي جَمَعَ مالاً وَعَدَّدَهُ) فقالوا جعله عُدَّةً للدَّهر وقالوا غير ذلك واليك طائفه من اقوالهم .

قال الخازن : وَعَدَّدَهُ أي أحصاه من العدد ، وقيل هو من العُدّة ، استمدّه وجعله ذخيرةً وغنىً له .

وقال البيضاوى : جعله عُدة للنوازل ، أو عَدَّهُ مرةً بعد أخرى ، ويؤيده أنّه قُرِئَ وَعَدَدَهُ على فك الادغام .

وقال الألوسى : عَدَّهُ مَرةً بعد أخرى حُبّاً له ، وشغفاً به وقيل جعله

أصنافاً وأنواعاً ، وقال غير واحد ، أى جعله عُدّة ومُدّخراً لنوائب الدهر ومصائبه ، وَقُرِئ وعَدَدَه أى قومه الذين ينصرونه .

وقال الطبرى : عَدَّدَهُ أحصى عَدَّهُ .

وقال الفخر الرازى : فيه وجوه ، أحدها أنه مأخوذ من العُدَّة ، وهى الذخيرة ، وثانيها عَدَّدَهُ أى أحصاه ، وجاء التشديد لكثرة المعدود كما يقال (فلان يُعَدِّدُ فضائل فلان) وثالثها عَدَّدَهُ أى كثرَهُ ، وقرأ بعضهم وَعَدَدَهُ بالتخفيف .

أمّا الزمخشرى شيخ اللغويين فيقول : عَدَّدَهُ جعله عُدَّةً لحوادث الدهر ، وَقُرِئ وَعَدَدَهُ بالتخفيف من قولك له عُدَدٌ وَعَدَدٌ ، وقيل وَعَدَهُ بمعنى وعدَّهُ على فك الادغام ، نحو ضنِنُوا .

هذه أقوال المفسرين ، أمّا معاجم اللغة فتقول : عَدَّدَ المال تعديداً جعله عُدّة للدهر ، قال الاخفش : ومنه قوله تعالى (جمعَ مالاً وَعَدَّدَهُ) ويقال جعله ذا عَدد ، وَعَدَّدَ الميّتَ عَدَّ مَناقبه .

يعوزنا بعد كل هذا أن نستشهد بالشعر من أقوال الثقات ، ولا يحضرنا الآن من الشواهد سوى قول أبى تمام :

وقائعُ أصلُ النَّصرِ فيها وَفَرْعُهُ إذا عُدِّدَ الاحْسانُ أولم يُعَدَّدِ

وقول الشريف الرضى فى تهنئة أخيه الشريف المرتضى بمولودة .

للهِ شمسُ عُلاً جاءت بجوهرةٍ غرّاءَ من قمرٍ بالمجدِ مَسعودِ
ما عَدَدَتْ منك إلا نطفةً سلكتْ إلى الأمانى طريقَ الماءِ فى العُودِ

يدل سياق الكلام فى بيت أبى تمام على أنه يريد الاحصاء ، أمّا الشريف الرضى فيذهب الى معنى آخر ، والمعوّل فى كل هذا على العرب ، فالشبهة ما تزال قائمة ونحن نتجاوز بيت حافظ الى قوله :

ليت شعرى أكنتَ تدعو اليهم يومَ كانوا على تخُوم الثغور ؟

اختلف علماء اللّغة فى كلمة (تخُوم) فقال بن السّكّيت إنه سمع أبا عمرو يقول المفرد تَخُوم بالفتح ا والجمع تُخُمٌ كصَبُورٍ وصُبُرٍ .

وقال الفرّاء ، انما هى تُخُوم ، وَاحِدُها تَخْمٌ و تُخْمٌ ، وقد أخذ حافظ بهذا

القول كما أخذ به أبو تمام من قبل فقال :

أَحَلَّهُمُ النَّدَى سِطَةَ المعالى إذا نزَلَ البخيلُ على التخُومِ

قال حافظ من قصيدته فى كتاب قاسم أمين :

رجانِىَ فى قومى ضعيفٌ كأنه جَنَانُ وزيرٍ سَوَّدَتْهُ مناصبُهْ

يجرى الشاعر فى هذا البيت على نسق الظاهر الحرمى إذ يقول :

وليلٍ كوجه البرقعيدىّ ظُلمةً وَبَرْدِ أغانيهِ ، وَطُولِ قرونهِ

قطعتُ دياجيهِ بنومٍ مُشرَّدٍ كعقل سُليمانَ بن فِهدٍ ودِينهِ

بذى أوْلَقٍ فيه التفاتٌ كأنّهُ أبو جابرٍ فى خَبطهِ وَجُنونهِ

الى أن بدا وجهُ الصباحِ كأنّهُ سَنا وَجهِ قرواشٍ وضوءِ جَبينهِ

وقال فى حريق ميت غمر :

جلَّ من قَسَّمَ الحظوظَ فهذا يَتغنَّى ، وذاكَ يَبكى الديارا

وهو ينظر إلى قول الشاعر :

سبحانَ من قَسَمَ الحظو ظَ فلا عتابَ ، ولا مَلامَهْ

قال حافظ من قصيدة أنفذها من السودن إلى الاستاذ الشيخ محمد عبده :

فناديتُ باسم الشيخِ والقيظُ جمرُهُ يُذيبُ دماغَ الضبِّ والعقلُ ذاهلُ

فصرتُ كأنى بين روضٍ ومَنهلٍ تدبّ الصَّبا فيه وتشدو البلابلُ

وهو صُورة محرّفة من قول الشاعر :

وليلٍ وصلنا بين قُطريهِ بالسُّرى وقد جَدَّ شوقٌ مُطمِعٌ فى وصالكِ

أربّت علينا من من دجاهُ حنادسٌ أعدنَ الطريقَ النَّهجَ وعرَ المسالكِ

فناديتُ يا أسماءُ باسمكِ فانجلت وأسفرَ منها كُلُّ أسودَ حالكِ

وفى هذه القصيدة يقول شاعرنا :

فقلتُ إذا شاءَ الامامُ فأوبتى قريبٌ ، وربعى بالسَّعادة آهلُ

وإلاّ فانى قافُ رؤبةَ لم أزل بقيدِ النّوى حتى تغولَ الغوائلُ

البيت الأول من قول الشاعر :

عليكِ سلامٌ لا زيادةَ بيننا ولا وَصلَ الاّ أن يشاءَ ابنُ مَعمر

والثانى من قول المعرى :

ما لى غدوتُ كقافِ رؤبةَ قُيِّدَتْ فى الدهرِ لم يُقدرْ له إجراؤها ؟

وقد نبّه شارحُ الجزء الاول من ديوانه على المأخذ الثانى ولكن هذا التنبيه لا يشفع له ، ورؤبة هذا هو رؤبة بن العجاج التّميمى من أكبر الرجّازين وأقدرهم ، وقافه قاف أرجوزته التى يقول فى مطلعها :

وقاتِمِ الاعماقِ خاوى المختَرَقْ مُشتبهِ الاعلام لَمَّاعِ الخفقْ

وقال من قصيدة أخرى يمدح بها الاستاذ :

طَلعتَ لها باليُمنِ من خير مطلعٍ فكُنتَ لها فى الفوز قِدْحَ بنِ مُقبلَ

الضمير فى (لها) عائد على الأمّة ، وكان الوجه أن يقول (طلعت عليها) ومن الشواهد على ذلك قولهم (طلع البدر علينا) و (طلعتُ عليها بالردى أنا والفجرُ)

طلعوا على مروانَ يومَ لقائهِ من كلِّ أرْوَعَ بالقَنا دَعَّاس

وفى قدح بن مقبل يقول الصفىّ الحلّى :

وما زلتُ فيهم مثلَ قِدْحِ بن مُقبلٍ بِسَبْعِينَ أمسى فائزاً غيرَ خائبِ

وقال حافظ :

رأيتكَ والأبصارُ حولكَ خُشَّعٌ فقلتُ أبو حفص بِبُرديكَ أم علي ؟

وقال البحترى :

بأرْوَعَ مِنْ طَيِّ كأنَّ قَميصَهُ يُزَرُّ عَلَى الشّيخين زَيْدٍ وحاتِمِ

وقال غيره :

وَقد يَتَغابى المرءُ عن عُظمِ شأنهِ ومِن تحتِ بُرْدَيْهِ المغيرةُ أو عمرو

وقال فيه من قصيدة أخرى :

كأنَّ فؤادى إبرةٌ قد تَمَغْنَطَسَتْ بحبكَ ، أنّى حُوِّلتْ عنكَ تعطفُ

نتخطى قوله (تمغطست) إذ لا رأيَ لنا فيها بعد أن تواضع كُتّابُنا على هذا النحو من الرطانة ، وحسبنا أن نذكر لك شيأ مما قيل فى هذا المعنى . قال الصفىّ الحلّى :

انما هذه القلوبُ حديدٌ ولذيذُ الالفاظِ مغْناطيسُ

وقال آخر :

وَقَفَ الهوى بى حَيثُ أنت فليس لى مُتَأخَّرٌ عنهُ ولا مُتَقَدَّمُ

وقال حافظ :

له كلَّ يومٍ فى رضَى الله موقِفٌ وفى سَاحَةِ الاحسانِ والبرِّ مَوقِفُ

وفى الموقف الاول ما يغنى عن هذه الزيادة ، وقال :

كأنَّ يراعى فى مديحك ساجدٌ مَدامِعُهُ من خَشيةِ اللهِ تذرفُ

وقال بعض المتقدمين فى القلم :

وذى خُضوعٍ راكعٍ ساجدٍ وَدَمْعُهُ من جَفْنهِ جارِ
مُوَاظبٍ الخمسَ لأوقاتها مُنْقطِعٍ فى خدمةِ البارى

وقريبٌ من هذا قول ابن المعتز :

خاشِعٌ فى يَدَيهِ يَلْثُمُ قرْطا سَاً ، كما قَبَّلَ البِسَاطَ شكُورُ

وقول محمود بن احمد الاصبهانى :

أخْرسٌ يُنْبيكَ إطْرَاقُهُ عنْ كلِّ ما شِئْتَ من الامرِ
يذْرِى علَى قِرْطاسِهِ دمعةً يُبْدِى بها السِّرَّ ، وما يدرى
كعاشقٍ أخفَى هواه ، وقد نَمَّتْ عليهِ عَبْرَةٌ تجرى

وقال حافظ فى الاستاذ من قصيدة أخرى :

قالوا صدقتَ ، فكان الصدقَ ما قالوا ما كلُّ مُنتسبٍ للقولِ قوَّالُ

وقال صفى الدين :

وما كلُّ مَنْ هزَّ الحسامَ بضاربٍ ولا كلُّ مَنْ أجرى اليراعَ بكاتبِ

وقال فيه :

لى كلَّ حول لبيتِ الجاهِ مُنْتَجعٌ كما تُشَدُّ لبيتِ اللهِ أرحالُ

المنتجع المكان يُقصد ، والشىءُ يُطلب ، وبيتُ الجاه فى قول حافظ هو المكان ، فالخلل فى البيت ملموس ، وجمعُ رحلٍ على أرحال خطأ ، والصواب رِحَال وأرْحُل .

قال يصف مِدْحَته :

تَفتَّحَ الحمدُ عنها ، حين أسمدها منك القبولُ ، وفيها نَوَّرَ القالُ

وقال المتنبيّ :

قطَفَ الرجالُ القولَ وَقْتَ نَبَاتِه وقطفتَ أنتَ القولَ لمَّا نوَّرَا

قال حافظ فى الشيخ من قصيدة أخرى :

ما أجزل اللهُ ذُخرى قبل رُؤيته ولا انتفعتُ بإيمانٍ وتوحيدِ

وقال ابن هانى فى المعزّ :

لولاكَ لم يكنِ التفكُّرُ واعظاً والعقلُ رُشداً ، والقياسُ دليلا

لو لم تكن سَبَبَ النَّجاةِ لأهلها لم يُغنِ إيمانُ العبادِ فتيلا

قال شاعرنا فى رثاء الشيخ :

لقد كُنْتُ أخشى عادىَ الموتِ قبلهُ فأصبحتُ أخشى أن تطولَ حياتى

وقال النابغة الذبيانى :

فإنْ تحيَ لا أَمْلل حياتى وإنْ تَمُتْ فما فى حياتى بعد موتكَ طائلُ

وقال البحترى فى غلامه نسيم :

أعْظَمُ الرُّزْءِ أنْ تُقدَّمَ قبْلى ومِنَ الغبْنِ أنْ تُؤخَّرَ بعدى

ولصفى الدين الحلى فى المعنى :

ما بقائى مِن بعدِ فقدِكَ الاّ كبقاء الرياضِ بعد السَّحابِ

قال حافظ يتغزل من قصيدة فى الشاعر العظيم محمود سامى البارودى :

تَيَمَّمْتُها والليلُ فى غير زيّه وحاسدها فى الأفق يُغرى بىَ العِدَى

لا نريد الاستقصاء فى النقد وسرد المآخذ ، ولسنا بمتجاوزين قول المتنبي :

أزورهم ، وَسوادُ الليل يَشفع لى وأنثنى ، وَبَياضُ الصُّبح يُغرِى بى

قال :

وقال كبيرُ القوم قد ساء فالُنا فإنا نرى حتفاً بحتفٍ تَقلَّدا

فليس لنا الا اتقاء سبيله وإلا أعَلَّ السَّيفَ مِنّا وَأَوْرَدَا

يقال تَقَلَّد السَّيفَ لا تَقلد به ، والمعنى أنه كان متقلداً سيفاً وانه كان كالسَّيف فى مضائه وحدَّته ، وهو مأخوذ من قول الشاعر :

مَتى تَهْزُزُ بَنى قَطَن تجِدْهُمْ سُيُوفاً ، فى عَوَاتِقِهِمْ سُيُوفُ

وقوله أعَلَّ وأورد فى البيت الثانى متنافر ، والسَّبيل أن يقال أعلّ وأنهل . قال الشاعر :

تَحُومُ وتغشاها العِصِىُّ ، وحولها أقاطيعُ أنعامٍ تُعَلُّ وَتُنْهَلُ

وقال البحترى :

يا دَارُ لا زَالَتْ رُبَاكِ مَجُودَةً مِنْ كُلِّ غادِيَةٍ تُعَلُّ وَتُنْهَلُ

قال ، يعنى (فتاة الخدر) :

وترجو رجاءَ اللصّ ، لو أسْبَلَ الدُّجى على البدر سِتراً حالكَ اللّون أسودَا

ولو أنَّهم قَدُّوا غدائر شَعْرِهَا لحاكُوا لهُ منها نقاباً إذا بدَا

قوله (وترجو رجاء اللص) من التعابير النابية فى مثل هذا المقام ، وقوله (غدائر شعرها) من التراكيب الفاسدة ، وهل كانت الغدائر شيئاً آخر غير الشعر ؟ والمعنى فى البيتين مطروق . ومنه قول ابن هانى فى البيت الثانى :

يَعزُّ على الحسناء أن أطأَ القَنَا وأعْثُرَ فى ذيلِ الخميس العرمرمِ

تَوَدُّ لو انَّ اللّيلَ لُفَّ بشعرها لِيَسْتُرَ أوضاحَ الجوادِ المسوَّمِ

قال :

اذا ذَكروا منه النَّسيبَ رأيتنا ودَاعِى الهوى منّا أقامَ وأقعدَا

وإن ذَكروا منه الحماسَ حَسِبْتَنَا نرى الصَّارمَ المخضوبَ خدَّ أمْرَدَا

يصف حافظ شعر البارودى فى هذين البيتين ، وفى البيت الاول من سوء التركيب ما لا يخفى على الناقد البصير ، فأنت ترى إن كلمة (منّا) وما وراءها صُورة ناطقة من صور العجز عن أداء المعنى واصابة الغرض على وجه مقبول ، ونسق سائغ ، وقوله (أقام وأقعد) من الكلمات التى أفرط الشعراء فى استعمالها وتجافوا بها عن مواطن الرفق ، ومواضع الاناة ، وانى لمقتصد لك فى ايراد الشواهد . قال بعضهم :

(وأقام قلبي في الغرام وأقعدا) .

وقال الشريف الرضي في البرق :

كلما أنجدَ عُلْوِيّ السَّنا قام بالقلب اشتياقٌ وقعدْ

وقال :

وانّ قوامَ الدين قد عبّ بحرُهُ وعيداً أقامَ الخالعين ، وأقعدا

وقال المتنبي :

أبدى العُداةُ بكَ السُّرورَ كأنهم فَرِحُوا ، وعندهُمُ المقيمُ المُقعِدُ

أما قوله (الحماس) في البيت الثاني نخطأ لغوى ، والصواب الحماسة ، ومعنى البيتين يتمثل في قول السرى الموصلي :

جَدٌّ يطيرُ شِرارُهُ وفُكاهةٌ تستعطفُ الأحبابَ للأحبابِ

وفى عجز البيت معنىً مُقنع من قول عنترة :

فوددتُ تقبيلَ السُّيُوفِ لأنّها لمعت كبارقِ ثغركِ المتبسّمِ

يقول حافظ إن الحماسة في شعر البارودى تدفع بالمرء إلى غمرات القتال فاذا به من شدة الشوق اليها ، وفرط الشّغف بها ، يري السيف المخضّب بالدم في صورة الخدّ المورّد اشراقاً وحسناً — يقول حافظ هذا ، فما ذا ترى أنت ؟ ألا ترى الرجل مُقبلاً على السّيف يُقبّله ؟ هذا ما أراده الشاعر ، وهو معنى قول عنترة :

كم وقفةٍ لكَ ، والأبطالُ طائرةٌ والحربُ تضربُ صنديداً بصنديدِ

تقولُ للنفس ، إن جاشت اليكَ بها : هذا مجالُكِ سُودي فيه أو بِيدِي !

فى البيت الاول صورة من قول مسلم بن الوليد :

يَلقَى المنيّةَ فى أمثال عُدّتِها كالسَّيلِ يَقذفُ جُلموداً بجلمودِ

أمّا البيت الثانى فيقع فيه كثير من الصُّوَرِ ، وإنّا لذا كرون لك شيئاً منها . قال الشاعر يعنى نفسه :

وقولى كلّما جشأت وجاشت مكانكِ تُحمدى أو تستريحى

وقال غيره : (لنا الصدرُ دون العالمين أو القبرُ)

وقال المتنبي :

عِشْ عزيزاً أو مُتْ وأنت كريمٌ بين طعن القنا وخفق البنود

وقال ابن هانىء : (فإمّا حياةٌ أو حِمامٌ مواشكُ)

وقال أبو تمام :

فأثبتَ في مُستنقعِ الموتِ رجله وقال : لها من تحت أخمصك الحشرُ

قال حافظ في رثاء عثمان بك السيد أباظه :

يا ساقِيَيَّ أراني قد سكنتُ إلى ماءِ المدامعِ عن ماءِ العناقيدِ

وقال مسلم بن الوليد :

لا أجمعُ الحلمَ والصهباءَ قد سكنت نفسي إلى الماء عن ماء العناقيدِ

وقد ختم شاعرنا الكبير قصيدته بقوله :

وعظّم اللهُ في عثمانَ أجركمو في رحمة اللهِ أمسى خيرَ مغمودِ

وهو ظاهر العيوب ، فلا طائل في نقده ، وما أشبه الشطر الثاني من البيت بهذيان المؤرخين من اخواننا الشعراء .

وقال في وصف السفينة التي رجع عليها الاستاذ الشيخ محمد عبده من الجزائر إلى مصر :

فهيَ تسري كأنها دعوةُ المُضْـ طَرِّ في مَسْبَحِ الدعاء المُجابِ

وقال شاعر قديم في لحية كثيفة :

لو أنها دُونَ السماء غمامةٌ ضاقت مسالكُ دعوةِ المظلومِ

وقال من خمرياته :

خمرةٌ قيل إنهم عصروها من خدودِ الملاحِ في يوم عُرْسِ

ويقول أبو تمام :

ورْدِيَّة يحتثُّها شادنٌ كأنها من خدّه تُعْصَرُ

وقال ديك الجن :

معتّقةٌ من كفّ ظبيٍ كأنما تناولها من خدّه فأدارها

ومما قيل فى المغنى لشاعر قديم :

أقول له ، وقد حيَّا بكأس لها من مِسْكِ ريقته ختامُ
أمِنْ خدَّيْكَ تُعْصَرُ ؟ قال : كلاَّ متى عُصِرَتْ مِنَ الوردِ المدامُ ؟

قال من قصيدته (غادة اليابان) :

هكذا الميكادُ قد علَّمَنا أن نرى الاوطانَ أمَّاً وأبا
مَلِكٌ يكفيكَ منه أنَّهُ أنْهَضَ الشَّرْقَ ، فَهزَّ المغربا

وقال ابن هانىء فى المعتمد على الله :

مَلِكٌ يكفيكَ منه أنّه وَجدَ الدُّنيا ، فأعطى ما وَجدْ

كلمة الختام

للنقد الفنى الصحيح سُنَنٌ صمّاء ، وأحكام مُستبدَّة ، أوّلُ واقعٍ تحت سلطانها القاهر شخصُ الناقد وأدبُه ، وفكرُه وارادتُه ، فهو أسير هذا السلطان الذى يتحكّم بكلّ قوّته فى كلّ نفس قويّة الشعور بواجب الامانة ، شديدة الايمان بحق النقد النزيه ، وقداسة العدل الادبى ، وليس لك فى هذه القضية من مرشد أمين كنفسك ، فانت حين تقرأ لاحد النُّقّاد شيئاً لا تملك الاّ ان تضع الناقد منذ الكلمة الاولى فى المحلّ الاول من مكان النظر ، وموضع التأمل ، فهو يتلقى الحكم فى مَساقط النّظرات ، ومواقع الفكر والخواطر التى تستولى من جهتك على ما أثبت فى كتابه من وُجوه النقد وأساليبه ، وصوره وأوضاعه ، وليس للمنقود من هذا الحكم الاّ أثرُهُ يخلصُ اليه من وراء الناقد كما يخلص اثر الكتابة من الصحيفة العليا إلى التى تحتها بفعل (الورقة السارقة) . ومُجمل القول فى النقد انّه مُدْيَةٌ من العلم والذوق ، فى نِصابٍ من العدل والامانة .

أعلمُ هذا حقّ العلم ، وأُحبُّ أن يكون غيرى من أدبائنا وكتّابنا على علمٍ صادق به ، وما أريد أن أعيب أحداً ، ولكنّى أوثِرُ أن يكون لنا نقاد مُدرَّبون أصحّاء العقول والاقلام ، وأُهيبُ بالذين لايملكون هذه الأداة أن يراعوا حرمة الأدب ، وأن يكون لهم من نفوسهم زاجرٌ عن الاغارة على حرمه المقدس عابثين مُعربدين ، ولقد جهدتُ طولَ حياتى ألاّ أجعل لهذه المُدية الجارحة سبيلا إلى

يدى ، فلعلّى لا أراها وقد وُضعت فيها مرة أخرى ،وعسى ألاّ أكون قد جرحت نفسي بما كتبته عن الصديق حافظ ، وما أدّعى أنى وفّيتُ النقد حقّه، فقد تجاوزت عن كثير ممّا يقع فى هذا الباب ويدخل تحت حكمه .

وبعد ، فليس بمنصف من يظن ان هذه الأخطاء وما اليها فى شعر حافظ مما يجرح أدبه ، ويضع من مقامه وقدره ، فقد وقع لكثيرين من فحول الشعراء ، ومنهم : أبو تمام ، والبحترى ، ومسلم بن الوليد ، والمتنبى ، وابن هانى ، وابن الرومى ، مثل ما وقع له من هذه الهنات ، فما غضّ من أقدارهم ، ولا زحزحهم عن مراتبهم .

والشاعر اذا كثرت محفوظاته ، ازدحمت الصوّر اللّفظية والمعنوية فى ذهنه فاختلط بعضها ببعض اختلاطاً يجعل الاحتراس من أشقّ الامور وأصعبها ، فقد يقع المعنى ، أو الشطر من البيت ، او البيت كلّه ، من هذه المحفوظات فى شعره ، وهو يظنّه من وحى شاعريته ، وفيض قريحته ، وقد يتبيّن ذلك ويعرفه بعد حين ، وهذا ما نقوله عن ذلك القسم فى شعر حافظ ، فأما الاخطاء اللغوية فمنشأ الكثير منها شيوع هذا النوع من الخطأ فى الصحف والمجلات ، وفى الكتب التى لاسلطان لأدب اللغة عليها .

وقد كان من شاعرنا الكبير أن نظم قصيدة رنانة فى (ذكرى شكسبير) قال فى مطلعها :

يُحَيّيك من أرض الكنانة شاعرٌ شَغُوفٌ بذكرى العبقريّين مُغْرَمُ

وحدث أن لقيته بعد نشرها فقال لى : أقرأت قصيدتى فى شكسبير ؟ قلت : نعم ، وابتسمت . فضحك رحمه الله وقال : وماذا نصنع يا أخى وقد ابتلانا الله بلغة الصحف ؟ لقد أغرم كتّابها بكلمة (شغوف) فهى لاتفارق أقلامهم ، ولا تنجلى عن شفاهنا ، والصواب (مشغوف) كما تعلم ، لقد جعلت مكانها كلمة (ولوع) وانتهى الامر .

رحمك الله ياحافظ وأحسن اليك ؟

احمد محرم

مرثية مطران لحافظ

عظَّمَ اللهُ فيك أَجْرَ الضادِ وبنيها من حاضرٍ أو بادِ
راعَ آفاقَها نَعيُّكَ حتى لكأنَّ النَّعِيَّ بُوقُ التَّنادى
كلُّ قطرٍ فيه فتىً عربيٌّ فيهِ عينٌ شكرَى وقلبٌ صادِ
حدَثٌ ألْهبَ الصدورَ التياعاً حيث دوَّى وفتَّ فى الأعضادِ
من سماءِ الأهرامِ جَلَّلَ قيسو نَ وألقَى السَّوادَ فوق السَّوادِ
وعلى بهجةِ الروابعِ فى لُبـ نانَ أرسَى سحابةً مِنْ حِدَادِ
ليس بِدْعاً أنْ عُمِّيَ الشامُ والاحز انُ فيهِ تقضُ كلَّ وسادِ
ما تراهُ يقضى الصديق الذى باد بالفضل من حقوق الودادِ

***

كيف حالُ الاخوانِ فى مصرَ يا حا فظُ مِن وحشةٍ لهذا البِعادِ ؟
أين زَيْنُ النَّدِيِّ منهم — وهُم فى الظرْفِ ما هُم — وأين أنسُ النادى ؟
كلُّ حَفْلٍ شهدتَه كنتَ فيه قِبْلَةَ السامعين والأشهادِ
يأخذون الحديثَ عنك كما يَشتفُّ مَنْ يرتوى مِنَ الوُرَّادِ
فإذا ما تنادروا وتنادر تَ فأعجِبْ بورْيِ تلك الزِّنادِ
فطِنٌ تشرح الصدورَ وما تؤ ذى دُعاباتُها سوى الانكادِ
ربما كانت العظاتُ الغوالى فى شظايا ابتسامها الوقَّادِ

***

كيف حالى وأنت أدرى بما خلَّفتَ لى من فجيعةٍ وسهادِ ؟
أسعدى ياهواتفَ الايكِ نَوْحى أنا فى حاجةٍ الى الإسعادِ
أبتغى البثَّ والشجا غصَّ مِن صو تى وحَرَّ الامى أجفَّ مِدادى

***

ويحَ أُمِّ اللغات ممّا دهاها فى طريفِ الفخار بعد التلادِ
ذاقت الثُّكْلَ فى بنوَّتها الامجادِ بعد الأبوَّةِ الامجادِ

فى رفاقٍ ردّوا على كلّ أصلٍ   من عُلاها نضارةَ الاعوادِ
نضّرَ الله عهدهم وسقاهم   ما سقى الاولين صوبُ العِهادِ

* * *

نخبةٌ قلّما أُتيحَ لعصرٍ   مثل مجموعهم من الافرادِ
أيقظوها من الرقاد وقد جا   زَ مَداهُ أقصى مدًى للرقادِ
وأعادوا جمالهـا فى زُهاه   يتراءى قديمُهُ فى المعادِ
أين سامٍ وأين صبرى وحفنى   ورفاقٌ جاروهمُ فى الهوادى ؟
لحقَ اليومَ حافظ بالمجلين   وما كان آخراً فى الطرّادِ
شاعرٌ لم يُبارِهِ أحدٌ فى الأ   خذِ بالمستحبِّ والمستجادِ
يُحْكِمُ الصَّوْغَ فى القِلادِ فما يأ   تى صَناعٌ بمثلها فى القلاد
ناثرٌ تنفث اليراعةُ منهُ   نَشْوةَ الخمر فى مجاجِ شِهادِ
لم يَكَدْ فى مصايد اللؤلؤ الفا   خرِ يُبقى فريدةً لاصطيادِ
فى تراكيبهِ وفى مفردات الله   ظِ حارت نفاسةُ الحُسّادِ
كان فى سَمْعِهِ رقيبٌ عليه   يَقِظٌ من جَهابذِ النُقّادِ
يقع الزَّيْنُ منهفى موقع الزَّ   ينِ ويَنبو بالشَّين نَبوَ سَدادِ
فالمعانى تتيهُ بين المعانى   بسَنيِّ الحُلِيِّ والأبرادِ
والمبانى تعزٌّ بين المبانى   بمتين الاسبابِ والاوتادِ

* * *

عدِّ عن وصفك الأديبَ وقلْ ما   شئتَ فى الفاضل الوفىِّ الجوادِ
مَنْ يعزّى عنه المروءةَ أمستْ   وبنوها الابرارُ غيرَ عدادِ ؟
شيمةٌ لا يطيق كلفتها غيـ   ـرُ أولى العزمِ والحماةِ الجِلاد
مَنْ يعزّى عنهُ الوفاء وقد كا   ن يرى نقضَهُ من الإلحادِ ؟
خُلُقٌ ليس فى الضعافِ وما يحمـ   ـلُ أعباءَهُ سوى الأجلادِ

لم يساوِمْ بهِ فينعمَ بالاً ... لا، ولم يَرْعَ فيهِ جانبَ آدِ
مَنْ يعزّى عنهُ الصراحةَ ؟ كا ... ن الغُرْمُ فيها والغُنْمُ فى الاهمادِ
لم يَسَعْهُ وفى الضميرِ خلافٌ ... أن يرى الاعتدالَ فى المنآدِ
ما فتوحُ الآراء والجبن يطويـ ... ـها كطَىِّ النصالِ فى الأغمادِ
مَنْ يعزّى القصّادَ ـــ علماً توخوا ... أو نوالاً ـــ عن مُسعفِ القُصّادِ
ذي الايادى من كل لونٍ، واغلا ... هن فى المأثرات بيضُ الايادي ؟

* * *

مَنْ يعزّى كنانةَ اللهِ عن را ... مى عِداها بسهمِهِ المصرادِ ؟
عن فتاها الشاكى السلاحين والماضيهما فى شوا كلِ الاضدادِ ؟

* * *

انما حافظٌ فتاها ومنها ... وبها نخرهُ على الأندادِ
نشّأتْهُ وأيّدَتْهُ بروحٍ ... عبقريٍّ من رُوحها مستفادِ
بعد أن كان حاكياً وهو يشدو ... جعلَتْهُ المحكِىَّ بين الشوادى

* * *

نظمَ الشعرَ فى الصّبى نظمَ واعٍ ... لقِنٍ ناشىء على استعدادِ
بادىء صوغه وفيه فنونٌ ... بارعاتٌ لا يتّسِقْنَ لبادى
ما تعاصَى عليهِ عن عفوِ طبعٍ ... رُدَّ طوعاً لهُ بفضل اجتهادِ

* * *

غير أن القريضَ لم يكُ فى مضطربِ العيشِ مغْنياً من زادِ
أوجب الرزقُ فانتأى حافظٌ يكْدَحُ فى بيئةٍ من الأجنادِ
موحشا فى مجاهل النّوبِ والسودانِ بين الأغوارِ والأنجادِ
تتقضّى أيامُهُ فى ارتياضٍ ... وعلى أهبةٍ لغيرِ جلادِ
ولياليهِ فى الخيام ليالى ... وَسَنٍ رازحٍ من الإجهادِ

فى الصميمِ الصميمِ من نفسه الحرّ قِرمٌ مُراوِحٌ ومُغادِى
أىّ جيش يدرّبون لمصرٍ وولاةُ التدريب فيه الأعادِى ؟!
ولِمَنْ تملأُ الفضاءَ وعيداً عُدَدٌ من حديدِهِ الرعّادِ ؟!
ذاك ما ظلّ فيهِ حيناً وحَسْبُ النفس شغلاً بهِ عن الإغرادِ
غيرَ بَثّ يبثُّهُ إن أتاهُ طائفٌ من خيالهِ المعتادِ

* * *

للمقادير فى شئون الجماعات تصاريفُ رائحاتٌ غوادِ
فُتِنَ الجيشُ والبواعث كُثْرٌ فتنةً لم تكن بذاتِ امتدادِ
فاستطار السُّوَّاس واضطربتْ أحــلامُ زُرْقِ العيون فى القوّادِ
رابهم حافظٌ فعُوقِبَ فى جملــة مَنْ عاقبوه بالإبعادِ
أخذوهُ بالظنّ من غير تحقيــقٍ وما آخذوا على افنادِ
فتولّى ، وما لمؤتنفِ العيش بعينيه من ضياءٍ هادى
والجديدان يضربانِ عليهِ كلّ رَحْبٍ فى مصر بالأسدادِ
موغَرا صدرُهُ لما سِيم فى غيرِ جُناحٍ من جَفْوَةٍ واضطهادِ
عاطل النوب من كواكبه الزُّهْرِ ومن سيفهِ الطويلِ النجادِ
فهو فى مصر والبجادُ من الرقّة فى الحال غير ذاك البجادِ
لَقِيَ البؤسَ ، والأديبُ من البؤس قديماً فيها على ميعادِ
حائراً فى مذاهب الكَسْب لا يفرقُ بين الإصدار والإيرادِ
عائفاً خطةَ الجُداة وفيه طَبْعُ حُرٍّ يجود لا طَبْعُ جادِى
ولقد زادهُ شجى أنّ سُوقَ العلم كانت فى مصر سوقَ كسادِ
وسجايا الرجال رانت عليها لوثةٌ من قديم الاستعبادِ
فهمُ وادعونَ لاهُونَ بالزينــاتِ والتُّرّهاتِ والأعيادِ
عِبَرٌ مرّ فى جوانحه ما لاحَ منها مرّ النِّصال الحِدادِ

* * *

فتغنّى — أستغفرُ الله — بل ناحَ نواحاً يذيب قلبَ الجمادِ
باكياً شجوهُ ترنّ قوافيـهِ رنـينَ النبالِ في الأكبادِ
ذاك والقولُ ليس يَعدو شكاةً لو جرتْ أدمعاً جرت بجسادِ
وعتاباً لولا البراءةُ منهُ عاجلاً كان سُبّةَ الآبادِ

* * *

برئتْ مصرُ منه بالحقِّ لمَّا نشطت من جمودها المتمادى
طرأتْ حالةٌ تيقّظَ فيها لدُعاةِ الهُدَى ضميرُ السَّوادِ
فإذا حافظٌ وقد بشَّ ما فى نفسه من جَهامةٍ وارْبدادِ
وبدا للمنى الجلائل فيها أُفقٌ واسعُ المدَى لارتيـادِ
ما تجلَّى نبوغُهُ كتجلّيهِ وقد هبَّ (مصطفى) للجهادِ
يوم نادى الفتى العظيمُ فلبيَّ من نبا قبله بصوت المنادى
ووَرى ذلك الشعورُ الذى كا ن كميناً كالنارِ تحت الرمادِ
فتـأتَّى بعـد القنوط الدجوجىّ رجاءٌ للشـاعر المجْوَادِ
مَسَّ منه السوادَ فانبجست نارٌ ونورٌ من طىِّ ذاك السوادِ

* * *

أكبرَ الدهرُ وثبةً وثَبَتْـها مصرُ مُفْتَكَّةً من الاصفادِ
وثُغاء غدا هزيماً فألقَى رُعبَهُ فى مرابضِ الآسادِ
ما الذى أخرج الشجاعةَ من حيث طوَتْها قرونُ الاستبدادِ
وجلا غُرَّةَ الصلاحِ فلاحت تزدهى من غياهب الافسادِ
فإذا أمةٌ أبيَّةٌ ضَيْمٍ ما لها غير حقها من عتادِ
نهضتْ فجأةً تُنافِحُ فى آ نِ عَدُوَّيْن أسرفا فى اللّدادِ
أجنبيّاً ألقى المراسىَ حتى تقلع الراسيات فى الأطوادِ
وهواناً كأنما طبَعَ الشعبَ عليـه تقادمُ الاخلادِ
حلْبَةٌ يُعْذَرُ المقصّرُ فيها والخواتيمُ رهن تلك المبادِى
ليس تغييرُ ما بقومٍ يسيراً كيف ما عوّدوهُ من امادِ؟

غير أن الإيمان كان حليفاً لقلوب الطليعة الأنجادِ
فاستهانوا بهِ على ما ابتغوهُ ، غير باغين ، من بعيد المرادِ

* * *

لم يَطُل عهدُ مصر بالوثبةِ الأولى ودون الوصول خَرْطُ القتادِ
فتراخى فيها وثيقُ الأواخى ووهى الجَزْلُ من عُرى الاتحادِ
آيةٌ أخفقت فقيّضَ أُخرى أثرٌ من عناية اللهِ بادِ

* * *

فزعت دنشوايُ تحمى حماماً من مُلمّين كالذئاب الاوادى
فتصدّى للذَّوْد عنهُ جفاةٌ من شيوخٍ بها ومن أولادِ
حادثٌ روّعَ العميدَ — أيخشاهُ وسلطانهُ وطيدُ العمادِ ؟
لا ، ولكنّ عزّةً أخذتْهُ عن غرورٍ ببأسه واعتدادِ
سَفَهٌ جرّأ العميدَ المناكيدَ على معتقيهم الأجوادِ
فخليقٌ بهم أشدُّ قصاصٍ حلّ بالآبقين والمرّادِ
ساقها مُثلةً توهّمها خيراً وكانت عليه شرّ نآدِ
ذاع فى الشعبِ وصفُها ففشتْ آلامها فى القلوبِ والاجسادِ
وكأنّ السياطَ يحززْن فى أجلادهِ والحبالَ فى الأجيادِ

* * *

أى عالى الجبين فى الرّوع قاضى ظالميهم بجأرهِ المدّادِ
كان ترجيعُ حافظٍ نوْحَ موتورٍ فدوّى كالليث بالايعادِ
فى قوافٍ بهنّ تنطقُ لو أوتيتْ النطقَ ألسُنُ الاحقادِ
علّمتْ خافضى الجناح لباغٍ كيف شأن الحمامِ والصيّادِ

* * *

وعد الصابرون بالفوز وعداً حققتْهُ أنباؤهم باطّرادِ

انما الصبر فى النفوس جنينٌ يرهقُ الحاملاتِ قبل الولادِ
كيف يأتى به ارتجالٌ ولم يأ تِ ارتجالٌ يوماً بقولِ مُجادِ
خُلُقٌ عزَّ فى الجماعات مِنْ فَرْ طِ تكاليفهِ وفى الآحادِ
طالما خان فى النضالِ الجماهـ ـير فألقت لغاصبٍ بالقيادِ

***

بعد وثبٍ فى إثر وثبٍ عنيفٍ وارتدادٍ فى الشوط غبَّ ارتدادِ
ساورَ الأمـةَ الترددُ والتا ثَ عليها فى السير وجهُ الرشادِ
وتبدَّى الاحجامُ فى صورة زلاً ءجرَّت إقدامَ أهلِ الفسادِ
بالدعايات والسعايات حاموا حولها للسُّوَّام أو للرُّوادِ
لا تَسل يومذاك عن جَلَدِ القا دةِ فى مُلتقى الخطوبِ الشدادِ
كلما ازدادت الصعابُ أَبوْا إلاَّ كفاحاً وعزمُهم فى ازديادِ
يبذلون القُوَى وفوقَ القوى غير مبالين انها لنفادِ
والزعيمُ الأبرُّ أطيبهم نفساً عن النفس فى صراع العوادى
يئسَ الشعبُ هل ينجّيه إلاَّ حَدَثٌ من خوارق المعتادِ
مصطفى مصطفى بحسْبك إنْ يُذْ كَرْ فداءٌ أن كنت أوّلَ فادِ
مصطفى مصطفى ليهنئك أن أحييت قوماً بذاك الاستشهادِ
دبَّ فيهم رُوحٌ جديدٌ له ما بعده فى القلوبِ والاخلادِ
تنقضى الحادثاتُ بعدكَ والرُّ وحُ مقيمٌ فيهم على الآبادِ
كاد يومٌ شُيّعتَ فيه بأيديهم لمحةً من جلالِ يومِ المعادِ
صدروا عنه بالتعارف فيما بينهم وهو قوّة الاعدادِ
واستشفّوا لبأسهم فيه سرّاً كم تحامَى أن يدركوهُ العادِى

***

هذه مصرٌ الفتيّةُ هبَّت فى صفوفٍ فَتيّة للذيادِ
رجلٌ مات مخلفاً منهُ جيلاً رابطَ الجأش غير سهل المقادِ

إن دعاهُ الحفاظ أقبل غلما ... نٌ سراعٌ من القرى والبوادى
أحدثوا فى البلاد عهدَ لجاجٍ ... فى تقاضى حقوقها وعنادِ

* * *

عهدُ بَثٍّ من أنفسٍ تلتظّى ... بعدَ طول الخمودِ والاخمادِ
تخذتْ عبقريةُ الشعرُ فيهِ ... سُلَّماً للعروج والإصعادِ
أبلغت حافظاً من الحظّ أوجاً ... رَاد منه العلياء كل مرادِ
مَن رأى الشاعرَ المفوّهَ يوماً ... وحوالَيْهِ أُمة فى احتشادِ
مُوفياً من منصةِ القولِ يرنو ... باتّئادٍ ولحظهُ فى اتّقادِ
واسع المنكبين منفرج الحق ... وين يخطو خطاهُ كالمتهادى
باسماً أو مقطّباً عن محيّاً ... بارز العارضين فوق الهادى
عزّ منه العذار إلا تفاريقَ ... خفافاً فى الوجنتين بدادِ
ينشد الحفلَ فاتناً كلَّ لُبٍّ ... ببديع الالقاء والانشادِ
وبشعرٍ لا يطرف الجفنُ فيهِ ... صادرٍ عن حَمِيَّةٍ واعتقادِ
من رأى حافظا نذيراً بشيراً ... جائلاً صائلاً بغير اتّئادِ
غَرِداً كالهزارِ آناً وآناً ... حَرِداً كالخِضَمّ ذى الازبادِ
ينبر النبرةَ العزوفَ فما تسـ ... مع إلاّ أصداؤها فى الوادى
وكأنّ الاثيرَ يحمل منها ... كهرباءً تهزّ كلّ فؤادِ
فهى عزٌّ للأرْيَحِىّ المفادى ... وهى ذلٌّ للخائس المتفادى
وهى خفقُ اللواء يحدوه من إيقـ ... ـاع أبطاله إلى المجدِ حادِ
ذاك أن الرُّوحَ المرَدَّدَ فيها ... روحُ شعبٍ والصوتَ صوتُ بلادِ

* * *

أيها الراحلُ الذى ملأ العصـ ... ـر بآثارهِ الرّغابِ الجيادِ
أعجزَتْنى قبل التمام القوافى ... والقوافى تضنّ بالإمدادِ

قدك منها بيان مفخرة واء ذر قصوراً بها عن التعدادِ
بت قريراً فإن ذكراك فينا أجدرُ الذكرياتِ بالاخلادِ

خليل مطران

حافـــــــــظ

فى رأي مطران

— ١ —

بين الشعراء والنقاد اليوم معركة حادة عنيفة غير حازمة ، تجاوزت الانصاف والفن وعدت على الخلق ، وخرجت من هذه الدائرة السامية دائرة التهذيب والابتكار إلى نوع من المهاترة يضر الشعر والفن ويفسد الصلة بين الادباء جميعاً : فكل فريق سيء الظن بصاحبه يتهمه بالعجز والقصور ، هؤلاء النقاد لا يكادون يعرفون للشعراء كفاية أو جهدا ، ويقولون ليس عندنا شعراء يستطيعون الاضطلاع بما تستلزمه النهضة الادبية المعاصرة ويسدون فراغ هؤلاء الذين أدركهم الموت وكانوا أبراراً سابقين .

وأمّا الشعراء فلا يبالون بهذا كله ، فهؤلاء النقاد جاحدون وهم أعجز عن تقدير الشعر ، وتذوّق جماله ، واستبطان دخائله وأسراره ، وقد خرجوا من ذلك بقاعدة عدّوها أو حسبوها جديدة: هى ألا ينقد الشاعر إلا شاعر .

على أنك إذا نظرت إلى رأى الشعراء بعضهم فى بعض رأيت شراً مستطيراً ، واختلافاً كبيراً ، وسوء ظن يربى على مابين الشعراء والنقاد . فالمسألة فى الحقيقة ليست مسألة شعراء ونقاد وانما هى مسألة طبيعية ، ونتيجة لازمة لاختلاف الأذواق والشخصيات ، ولاختلاف طرائق النظر والتفكير ، ثم هى بعد ذلك مسألة هذه الصلات الاجتماعية والخاصة التى تصل بين الناس جميعاً ، وتعرض روابطهم الى الاستقامة أو الاضطراب . فاذا نحن حمدنا هذه الشخصيات ونزعتها الى الاستقلال فقد يكون حمدنا أكثر إذا وُجّه هذا الخلاف إلى الشعر وخدمته دون هذا التنابذ والمهاترة .

وأما نقد الشاعر صاحبه وعرفانه ذلك فهي مسألة قديمة عرفها السابقون وحاولوا صرف النحاة واللغويين والعلماء الخلص عن نقد الشعر، وقالوا لا يعرف الشعر الا من دفع به الى مضايقه، فالناقد في الأصل نصف شاعر بل ويجب أن يكون نصفه شاعراً ونصفه الآخر عالماً. فالشاعر وحده يحتكم إلى ذوقه ومذهبه الفني وفي هذا جور واعتساف، والعالم وحده يحتكم إلى الافكار والمذاهب العلمية فيفسد الفن وجماله. ولكن الناقد يجمع بين الذوق الفني الجميل والمقياس العلمي السديد، ويلائم بين هذين العنصرين ويكون منهما أحكامه التفسيرية او الابتكارية الخالقة.

وكل ما يعنيني اليوم من هذا الصراع أنه دليل الحياة والشعور بالحاجة الى نهضة إن لم تصل بالشعر الى أسمى درجاته فهي محاولة تضع الاسس وترسم السبيل الى مستقبل وطيد زاهر.

— ٢ —

ومع ذلك فأحبّ أن أقرب من جماعة الشعراء، ولكنه قرب لا يفيدهم شيئاً، أحب أن أعرض عليهم صورة من نقد شاعر لشاعر، بل من نقد شاعر زعيم، نقد مطران لحافظ، ولا يظن هؤلاء الشعراء أن هذا فناء في مذهبهم واعتراف بتفاصيله. كلا، فليس مطران عندى شاعراً من هذا النوع الذى يشيع بين شعراء العربية قديماً وحديثاً، وإنما هو طراز جديد في الشعر العربي، هو شاعر العقل والشعور جميعاً، وقلما تجد هذا النوع بين السابقين وإن حاول بعض المعاصرين أن يكونه. مطران فيما أرى عالم وأديب معاً، وهو إذن ناقد، وإذا كان لا بد من الافصاح فيجب أن نلاحظ أن هذا الثالوث المقدس — الذى جمع بين حافظ وشوقى ومطران على زعامة الشعر الحديث — ليس متحدَ المزاج والطبيعة وإن تجانس فى الدرجة والتسامى، فهم شعراء كبار يتفقون فى ذلك ولكنهم يتمايزون بعد ذلك فى كل شيء أو فى أغلب الأشياء، فاذا كان لحافظ سرعة البديهة، وحلاوة النفس، وصفاء العبارة وترديد آمال مصر وآلامها، فان لشوقى براعة الغناء، وقوة الاسلوب، وحسن التصوير، وإن لمطران صحة الفكرة. ووحدة القصيدة، وصدق النظرة، والثقافة الشاملة وسماحة الطبع وسمو الأخلاق، ومعنى هذا للمرة الثانية أن مطران ليس شاعراً فقط أو هو شاعر من هذا الطراز المثقف، هو عالم وأديب: صياغة بديعة، وشعور صادق، وخيال، خيال عام، وأفكار سديدة. فاذا التمست عند حافظ وشوقى الجمال الفني فالتمسه عند مطران والتمس معه اللذة

العقلية ، وغذاء الفكر والعاطفة أو غذاء النفس جمعاء . مطران هو الخطوة الموفقة السابقة أمام شكرى وأبي شادى والعقاد والمازنى وأضرابهم من شعراء الثقافة الحديثة .

أليس مطران شاعرا فذاً فى بابه ؟ ألست أنا محقا فى اعتبار مرثيته دراسة نقدية لزميله فوق أنها قطعة شعرية باكية ؟

الحق ان هذه المرثية مظهر صادق لرأى مطران فى حافظ فهى تاريخه أو ترجمته ، ومظهر صادق لشعور مطران نحو حافظ فهى تمثل عاطفة الشاعر نحو الشاعر ، وهى عاطفة مزدوجة فيها حزن الصداقة الشخصية ، وحزن الربطة الأدبية ، .. فكيف أرّخ مطران زميله ؟

— ٣ —

لدارسى الشعر مذاهب ثلاثة مشهورة . ومن العجيب أن مطران يلمّ بها جميعاً فى قصيدته ويوفق فى ذلك توفيقاً بارعاً ، نعم هو توفيق بارع يجمع بين هذا التقرير العلمى الصحيح ، وهذا التصوير الفنى المؤثر الجميل .

فهذا المذهب التاريخى الذى يعدّ الشعر مرآة الحياة الاجتماعية ، ولابد لفهم الشعر من فهم هذه الحياة ، ومذهب السير ذلك الذى يعد الشعر مرآة لحياة الشاعر ، ولابد إذاً من درس سيرة الشاعر حتى يفهم شعره فهماً صحيحاً ، ثم هذا المذهب الفنى الخالص الذى يقف عند النصوص الشعرية ويتبين خواصها الفنية شارحاً معللا. ولكل مذهب أنصاره ومحاسنه ، وهى كلها فى رأى مطران — وأنا أوافقه على ذلك — لازمة لفهم الشعر ونقده نقداً منصفاً سديداً ، وقد فعل . نعم فعل وزاد - كما قلت لك - حرارة العاطفة وبراعة التصوير .

ولست الآن أدرس مطران حتى أقف عند فنه وشخصيته، ولكنى أدرس حافظاً فى رأى مطران ، فلأسرْ فى طريقى وليعذرنى القراء إذا عرضت لمطران فيما مضى أو فيما يلى فذلك لانى أحببت أن أشركه مع النقاد أو أضمه حيث يجب أن يوضع فى إستواء تفكيره واكتمال نواحيه ، وذلك لأنى قد اتفق معه فى الآراء عن حافظ وقد أخالفه . فهو إذاً مميرى وزميلى فى هذه الدارسة ، بل هو أساسها كما علمت . وقد عرض لى أن أذهب هذا المذهب المدرسى فأُرتب القصيدة ترتيباً علميا ، أبدأ بهذه القطع التى تدرس العصر ، وأثنى بسيرة الشاعر ، ثم بفنه ...

ولكنني اعتبرتُ ذلك عدواناً على أسلوب مطران فاحتفظتُ به ووقفتُ عند استعراض أبواب المرثية وتسجيل ما يعنّ من الملاحظات .

أمّا مطلع القصيدة فعاطفة عامة تنتظم حزن الشرق العربي لوفاة حافظ وتمثل الرابطة اللغوية ، وهو مطلع لا يوازيه فى صدق العاطفه إلا مطلع رثاء مطران لشوقى على فرق بين عاطفة الأخوة هناك وعمومها هنا ، فتلك عاطفة حادة باكية ، وهذه عاطفة جليلة حزينة ، فحافظ له هذه المنزلة الأدبية فى بلاد الشرق العربي التى فقدتْه مآتمُها جميعاً ، ثم نرى شخصية حافظ الفكهة المحبوبة تأتلف حولها القلوب وترى فى أفاكيه حافظ مسرة النفس ، ومرارة النقد ، وخالص الموعظة ، ولكن مطران أشد الناس حزناً لفقد صديقه ، واللغة ذهبت بموته بعد أصحابه السابقين الذين يمتاز منهم بحسن اختيار الألفاظ وضوع العبارات وحسن التأليف ومراعاة مقتضى الحال .

حافظ وفيّ كريم ذو مروءة وصراحة ، مخلص لأمته :

بعد أن كان حاكياً وهو يشدو جعلته المحكيَّ بين الشوادى

نشأ حافظ يمرن على قرض الشعر معتمداً على الطبع والمرانة جميعاً ، يوفّق أحياناً ويخفق حيناً ، ولكن الشعر لا يقوت صاحبه فاذا بحافظ بين الجنود فى السودان يضيق بقيود العسكرية الصورية التي يدرب مصر فيها أعاديها ، وينفس عن نفسه بالقريض ، ولكن فتنة تثور فى الجيش ويبعد حافظ على أثرها من السودان . وتضيق به سبل العيش ويشمله البؤس ويحترق بين فقر مدقع وعزة نفس عزيزة فيبكى ويكون شعره باكياً حزيناً يصور نفسه المتألمة :

باكياً شجوَه ترنّ قوافيه رنينَ النبال فى الأكبادِ

ثم تكون الحركة الوطنية بزعامة مصطفى كامل . وإذا بنهضة تكافح عدوين : أجنبيّ محتلّ ، وداخليّ هو ذلك الهوان الذى طال مداه على البلاد فصار كالطبع الذى يصعب انتزاعه ، والذي يستلزم من الزعماء صبراً ودهاءً وبراعةً وإيماناً وطيداً . وكانت حوادث دنشواى وعسف الانجليز وازدراؤهم بالمصريين ، فكان حافظ لسان مصر الغاضبة الحانقة ، وحافظ موتور لنفسه ولمصر معه .

وكثرت فى تلك الايام السعايات وكثر المارقون ، ولكن الخلصاء بزعامة مصطفى

صبروا وصابروا وبثوا فى الامة روح التآلف والتعارف ، وامتدت آثاره إلى اليوم، فكان حافظ شاعر مصر الناهضة .

— ٤ —

أرأيت أن مطران استطاع أن يؤرخ عصر حافظ وأن يلم بسيرة حافظ ، وأن يدرس فنّ حافظ فيجمع بذلك بين هذه المذاهب الدراسية الثلاث ؟

نعم استطاع أن يبين أهم الحوادث السياسية والاجتماعية الاولى التى أثرت فى شعر حافظ وانشائه ولا سيما شعره فى الشباب والرجولة ، ثم صور لنا حياة حافظ وبؤسه ، ومزاجه وخلقه وطريقة تكوينه الشعرى . ثم هذه الاطوار الشعرية التى امتاز بها شاعر مصر الكبير ناشئاً ، وشاكياً ، ومترجماً روح مصر ونهضتها الاولى ، وأخيراً هذا الرثاء الحار الجميل .

وأنا لا أحب أن أزيد على ذلك شيئاً ، إلا أن هناك أموراً ثلاثة يجب الوقوف عندها :

فأولها أن مطران لم يتناول جميع الحوادث التى تتصل بشعر حافظ ، ولم يذكر كلّ الرجال الذين اتصلوا به وبشعره كالشيخ محمد عبده والشيخ أبى خطوة وغيرهما . ولا بأس فى ذلك فما كان الشعر مجال الاستقصاء الشديد وإلا فسد وذهب جماله ، وحسب الشاعر الإلمام والايماء وكفى .

وثانيها أن مطران لم يستكمل حياة صاحبه واعتذر بالقافية ، وفى رأيى أن ليس هذا عذراً كافياً ولا سيما لدى مطران فيستطيع تغيير القافية ويستطيع تكرار القافية . . ويستطيع غيرَ هذا . . ولكن هل أستطيع أن أرد ذلك إلى أسباب أخرى سوى ما ذكر ؟ أيكون السبب أن مطران لم يشأ التورط فى هذه الفترة الأخيرة التى تضطرب حولها السياسة الحاضرة والتى قد يكون أكثرها سراً مكتوماً ؟ مهما يكن من الأمر فعذر مطران هنا ضعيف .

وثالثها أمر يتعلق بفن مطران نفسه ، والحق أنه فنّ عجيب : فيه كما قلت لك شخصية علمية أدبية مزدوجة لم تتوافر لغير مطران بهذه السعة والقوة والجمال ، وأرجو أن أفرغ لدرس مطران نفسه فى فرصة أخرى .

رحم اللهُ حافظاً ومدّ فى عمر مطران ؟

أحمد الشايب

حافظ ابراهيم

ناحية من أثره فى الأدب

حقاً لقد جلّت مصيبة مصر فى حافظ أديباً وكاتباً وشاعراً ، ومحاضراً ومفاكهاً ومنادراً . وحافظ فى هـذا كله حقيق من مؤرخى الأدب العربى بأن يعقدوا له الأبواب ، ويسبغوا الفصول . ولست أسوق هذه الكلمة القصيرة لأدلّ على موضعه فى الأدب العربى ، وأثره بمنظومه ومنثوره فيه . فذلك شيء قد فرغ منه ، أو هو شيء لمّا يئن بعد الحديثُ فيه ، على ما يظهر . أما أنه قد فرغ منه فذلك بأن أديباً أو متأدباً فى العالم العربى لا يجهل حظ حافظ من هذا أو يقدره حق قدره . وأما أنه لم يئن بعد ، فلقد تظاهر صدر من صفوة العلماء والشعراء والكتاب على أن يدونوا فى حافظ ضخام الكتب يحصون فيها شعره ، ويستقرؤن نثره ، ويطلبون المأثور من كلمه ، وكل طريف من بدائهه فى مناقلاته ومنادراته ، وكلها حلو طريف ، وبعد أن شمر القوم فى هذا واجتمعوا له وجعل يستحثُّ بعضهم بعضاً فيه ، طاف بهم أوبنا على الصحيح (فما أبرؤ نفسى) طائف من السكون والفتور ، والجمود والركود ، فما عدتَ تسمع من أحدٍ فيه حسّاً .

وأكبر الظن أن السبب فى هذا يرجع الى السياسة ، فاخواننا من السياسة فى شغل لقد صرفهم عن كثير ، حتى عن الوفاء بما اجتمعوا له واستحمسوا من خدمة الادب العربى فى ذكر حافظ ابراهيم !

وبعد ، فانما أسوق هذه الكلمة القصيرة لأدلّ على ناحية واحدة مما أجدى به على الأدب العربى هذا الشاعر العظيم :

رُزق حافظ ، رحمه الله ، الى الطبع وإدراك الملكة ، خلالاً ثلاثاً لا تستوى لكثير : سلامة الذوق ورهافة الحسّ . والثانية قوة الحافظة . والثالثة نطاقة اللسان .

وكان حافظ رجلا يبهره حسن الصياغة ، ويأخذ فيه جمال التعبير ، فما يسقط فى قراءته فى فنون الشعر والنثر ، على لفظ شريف أو صيغة ناصحة مشرقة ، كمل بهاؤها وترقرق ماؤها ، الا تهافتت نفسه عليها وراح يلتهمها التهاماً ، وهى آخذة منه مأخذ أحلى الأصوات فى أدقّ الآذان .

ولقد قلت لك إن حافظاً كان قوى الحافظة ، ولقد بلغ من هذا موضعاً عجباً .

ولو قد كان حافظ فيمن لم ندرك أيامهم ، فلم نشهدهم ونلابسهم لأحلنا ما يروى عنه فى هذا على ما يتزيَّد به القصاص ،ويسرفون فى المبالغة فيه طلباً للافلاق والاغراب.

ولقد كان ، رحمه الله ، يتناول الصحيفة فيها القصيدة لشاعر كبير ، أو المقالة لكاتب مبرّز، فاذا عيناه تجمزان فيها جمزا حتى يأتى على غايتها. ثم يطرح الصحيفة، حتى ما تشك فى أنه إنما كان يطلب نماذج من بعض أقطارها ليعجل عليها الحكم السريع النظر ، فما يروعك بعد أيام ، بل بعد شهور ، بل بعد سنين طوال ، إلا أن تبعث المناسبات ذكر هذه القصيدة أو هذا المقال ، فاذا حافظ يروى ، بظهر الغيب، أنخر ما فيه أو أحقه بالزراية لبلوغه الغاية من الفسولة والاسفاف !

على أننى شهدت أن حافظاً لم يكن يعلق بحافظته مما يقرأ إلاما يستجيد ويستملح، وأحياناً ما يستسخف ويستقبح إذا كان لبعض من يكرههم ويتصدّى لتشهيرهم والزراية عليهم.

والعجب أن الشائع فى الاعتقاد أن من كان سريع الحفظ كان سريع النسيان فاذا صحت هذه القضية فقد حقّ أن يستثنى عليها هذا حافظ ابراهيم !

وقبل أن أتحول عن هذا الموضع من الحديث أقول إن حافظاً قبض إلى رحمة ربه وليس فى داره من الكتب إلا ثلاثة أجزاء أو أربعة من الأغانى (طبعة بولاق القديمة) وكتاباً أو اثنين فى الفرنسية ، وأثارة من الأقاصيص (الروايات) العصرية المترجمة إلى العربية فى لهجة أدنى إلى العامية ، فلقد كلف دهراً بقراءة هذه الأقاصيص حتى إذا غادر داره دسّها فى (جيبه) ليقرأها كلما تهيأ له ذلك .

وتسألنى : كيف أنه على كثرة محصوله ووفرة محفوظه من بارع الشعر ورائع النثر لا يجمع من الكتب إلا ما أحصيتُ ؟ فأجيبك بأنه لم يدع ديواناً لشاعر متقدم إلا قرأه ، وكذلك قرأ كثيراً من كتب أعلام البيان ؛ على أنه ما فرغ من قراءة ديوان شعر أو كتاب تجول فيه ألوان البلاغات إلا خلاّه ودفعه عنه باهداء أو طرحه مطرحه حيث كان تغنياً بما أصاب منه وشكته حافظته العاتية . ولقد أذكر أنه من نحو اثنتى عشرة سنة دفع إلىّ كتاب (المكافأة) لأحمد بن يوسف الكاتب المصرى ، واستحثنى على قراءته وتقليب الذهن فيه تروّياً من ناصح بلاغته، فقرأتُ الكتاب مرة بعد مرة ، وتعلقتْ بحافظتى منه كلمات وصيغ سرعان ما تخاذل أكثرها وتساقط عنها مسقط البقلة الذابلة . ثم إذا صاحبنا بعد السنين التوالى ينتظمه المجلس،

فيروى القصة من الكتاب برمتها كما جرى بها قلم الكاتب ما تكاد تنشز عليه منها كلمة ، وخاصة ما أشرق لفظه ، وتبهجت ديباجته . وما شاء الله كان !

ولقد زعمتُ لك أن حافظاً كان نطقاً ذرب اللسان ، وكان الى هذا رجلا يألف ويؤلف فكان يطاب مجلسه المتأدبون ، وكان هو عظيم التفقد لمجالس الاسمار كثيرَ الاطلاع عليها فلا تراه قط الاجياشاً بلسانه فى المجلس ، يتنقل فى خفة وظرف ، بين جد القول وهزله ، وهو أثناء هذا وهذا ينبوع يفيض بالأدب فيضاً ، ويأبى إلا أن يدفع فى حديثه بأحلى ما وقع له من رائع الصيغ .

دعك مما أفاد حافظ نفسه فى هذا الباب ، فى شعره ونثره جميعاً ، وما أجدى به على من قرؤوه شاعراً ومن قرؤوه كاتباً ، فذلك مما يخرج عن حدود هذا الحديث . وإنما الذى اريد أن اقوله إن حافظاً ، رحمه الله ، كان مجلة ادبية حية متحركة يُفشى فصيح العربية حيث كان ، ويصلح للمتأدبين أخطاءهم البيانية ما وقعت له . وكثير من الشعراء لقد كانوا يعرضون عليه قصائدهم قبل ان يطلعوا بها على الناس فيثبت لهم المتجلجل ، ويقوى المنخذل ، ويرفع المسفّ ، ويذكى الخابى . فحافظ من هذه الناحية كان قوة قوية فى إشاعة فصيح العربية وإظهار المتأدبين على كرائم المخفوّات من ألوان بلاغاتها . فكان أثره واضحاً فيما نشهد اليوم من إشراق الديباجة ، وتلاحم النسج ، وفحولة الكلام . ولا يذهب عنك بعد هذا ان حافظاً قد استظهر صدراً صالحاً من الصيغ والتعبيرات الجميلة أدت فى صفاء وسلامة كثيراً من متخير المعانى التى جاءت بها الحضارة الحديثة .

وقبل ان أختم هـذا الحديث اذكر عن حافظ خلة من خلاله إنصافاً للحق واثباتاً لصحيح التاريخ : ذلك بأنه مما انعم الله به عليه انه كان قليل الصبر على النظر فى كتب العلم والاجتماع فى حفظ قواعده والمطاولة فى تفهم قضاياه واستخراج مسائله . علوم اللغة وغيرها عنده فى هذا بمنزلة سواء ، بل لم يكن له صبر على مراجعة معاجم اللغة فيما يغم عليه من مفرداتها ، ولعل الامر إذا كرثه فى بعض هـذا تقدم الى غيره به فرجع اليه بما اصاب . اؤكد ان حافظاً قـد ثوى وليس فى داره معجم واحـد من معاجم اللغة . ولـكن لقد تهيأت للرجل فرصة لم تتهيأ لـكثير ، فقد عاشر من اول شباب السن الى غاية العمر اعلام العـلم واللغـة والادب فى عصره ، وداخلهم ولابسهم وحضر مجالسهم وحاضرهم ونادرهم وأخذ عنهم. فاتسقت له بهذا مجموعة

قيمة من علوم اللسان وسواها من قضايا الدين وعلوم الحياة. وناهيك بمن طوى العمر كله فى مصاحبة الشيخ محمد عبده والأشياخ حمزة فتح الله، وابراهيم اليازجى، ومحمد المهدى، وحفنى بك ناصف، وسامى باشا البارودى، واسماعيل باشا صبرى، وسعد باشا زغلول، وأخيه فتحى باشا، وأحمد حشمت باشا، وابراهيم بك المويلحى، وولده محمد بك، وعمه عبد السلام باشا، وابراهيم بك اللقانى، والشيخ على يوسف، وأستاذنا احمد لطفى السيد بك، وعبد الحميد بدوى باشا، واحمد بك أمين، والمرحوم عبد الحميد باشا مصطفى، وأستاذنا العظيم الشيخ احمد بك ابراهيم، وأصدقائنا الدكتورين هيكل وطه حسين والاستاذ الجليل خليل مطران وغيرهم، وسواهم من كل مَن يجرى فى أبواب العلم والأدب على عرق كريم، حتى وهو ضابط فى السودان، لقد لازم استاذنا العلامة المرحوم الشيخ الخضرى بك، وراجعه كثيراً، وتروّى عنه فى قوانين اللغة كثيراً، ولعله كذلك قد اتصل هناك بأستاذنا العلامة الشيخ عبد الوهاب النجار وأخذ عنه وذلك مما لا أتبينه إلى الآن.

ولعله قد تعاظمك بادىء الرأى ما زعمت فى بعض هذ الكلام من أن مما انعم الله به على حافظ رقة الصبر على الاكباب على كتب العلم، وفيها علوم اللسان ولعله لو قد فعل لما كان منه كلّ حافظ إبراهيم!

حافظ إنما طلب العلم فى أصفى موارده، وحصله من أكرم مناجه. وانت خبير بأن العلماء إذا أقبلوا فى اسمارهم على مذاكرة العلم، تخيروا اللب والمصاص، واصطفوا من مسائله ما جلّ معناه وقويت اسبابه، وخاصة ما اتصل منها بوسائل الحياة، واطّرحوا ما لا غناء فيه مما يكظ الذهن ولا يكاد يجدى فى تطبيق قضاياه الكثيرة، وقواعده الوفيرة فى دنيا ولا فى دين. وحافظ كان رجلاً متسعّر الذكاء، صافى الذهن، جوهرىّ الطبع، قوى الحافظة، كما أسلفت عليك، فأصاب مع هذا من صحبة من ذكرت من اولئك العلماء، وطول مذاكرتهم ومراجعتهم من الفوائد العلمية فى شتى العلوم ما لا يكاد يدركه الحساب.

وإن تعجب فعجب انني ارى ان عدم إكباب حافظ على مراجعة معاجم اللغة قد أجدى عليه فى صنعته كثيراً! ذلك بأنه — وأرجو ان يعى هذا الناشئون فى الادب بوجه خاص — ذلك بأنه ليس كل كلمة فى المعجم تصلح للاستعمال دائماً فى المعنى الذى وجهها عليه، فان الكلمة قد تصلح فى هذا المقام ولا تصلح لذاك،

وقد تتسق لهذه الصيغة وتحلو وترقّ ، إذ هي تنشز على تلك وتَستصعِب .

لهذا آثر حافظ أوشاءله القدر ألا يأخذ مفردات اللغة الا من اكرم مناجمها ، وألاّ يطالعها إلا وهي في عقود نظامها ، فيما حصل من رائع الشعر ، وما استظهر من فاتن النثر ، فعرف في شعره ونثره كليهما ، كيف يضع كل كلمة في موضعها ، وكيف يضم الجنس الى جنسه ، ويضيف الشكل الى شكله. ومهما اختلف النقدة في شعر حافظ وفي شاعريته فانهم لم يفترقوا قط في أنه كان أمهر الصاغة في هذا الزمان .

وخلة أخرى تتصل بهذا المعنى ، وهي أن بعض الشعراء إذا أعوزتهم القافية فزعوا الى المعاجم حتى إذا سقطوا عليها استكرهوها على النظم فخرجت ، في الغالب ، غريبة شامسة ، أو قلقة نابية . أما حافظ فقد سلم من هذا ، وإنك ما تكاد تطالع صدر بيته حتى تراك قد أطللتَ من نفسك على القافية .

* * *

هذه ناحية من جدوى حافظ إبراهيم على اللغة والأدب . أسأل الله تعالى أن يرحمه الرحمة الواسعة ، وان يعوض الادب العربي عنه خير العِوض ؟

عبد العزيز البشرى

حافظ ابراهيم

بين ظرفه ومجونه

وماذا أقول عن حافظ ابراهيم ، وأى جانب من جوانبه أتناول بالنقد والبحث والتمحيص ؟

إنما أود أن أمرّ في هذه العجالة على ناحية مع نواحيه البارزة الممتازة التي أتيح لى أثناء اتصالى به ردحاً من الزمن أن أتبينها وأعجب بها : تلك هي روحه الفكهة الطروبة ، بل نفسه المَرِحة الضاحكة ، بل قلبه العامر بالظرف والايمان مما كان يبدو في نظر بعض الناس استهتاراً وقلة اكتراث .

أتحدث في هذه الكلمة القصيرة عن ظرف حافظ ، ومجون حافظ ، وخفة حافظ ، وكرم أخلاق حافظ ، بل سعة نفسه إلى أبعد مدى وأقصى حدّ .

كان حافظ فى أخلاقه ومزاجه وروحه ونفسه وسخائه وشجاعته ومنطقه وحديثه بل فى كل حركاته وسكناته وسائر مزاياه أديباً كل الأديب .

وإنى لأذكره فى جلسته فى « بار اللواء » وقد التف من حوله الصحفيون والأدباء والمتأدبون وداروا حوله فى شبه حلقة وحافظ لا ينقطع « الجرسون » عن التردد على مجلسه ذهاباً وجيئة فاذا ما انتهى مجلسه كان حسابه غير يسير .

وإنى لأذكر صحفياً يُعتبر الآن من ذوى اليسار راهن حافظاً على أمر من الأمور فلما خسر حافظ الرهان أخرج من جيبه فدية رهانه ورقة مالية من فئة الخمسين جنيهاً ، وكان موقفاً عجباً كاد يُخيَّل إلىَّ بعده أنى لا أعيش فى هذا العالم المادى العنيف !

وأذكر أنى دعوتُ حافظاً إلى القناطر الخيرية حيث كنت أسكنها عام ١٩٢٣ إلى غذاء متواضع وقد جاء اليها فى بعض أصدقائه كلهم أيسر منه حالاً وأوفر مالاً ، وكانوا يركبون فى ذهابهم وعودتهم سيارة « تاكس » وقد دفع لسائقها مائة وخمسين قرشاً وهى تربو على تكاليف غذائى . فلما أظهرت له دهشتى أظهر لى دهشة أشدّ منها وعجب كيف أنى أود ان اعلمه الاقتصاد فى آخر الزمن !

وإنى لأعلم انه جنى من آخر طبعة لكتابه « البؤساء » حوالى ألفى جنيه أنفقها جميعها فى نفس الشهر الذى استولى عليها فيه !

أليس عجيباً أن تتاح لحافظ فرص عدة للثراء ثم يموت دون أن يقتنى منزلاً يسكنه فى حياته أو كفافاً من المال ينفع مَن بعده مِن ذوى قرابته ؟

وشهدت حافظاً فى داره بحلوان فى رمضان وقد استوى للافطار على مائدته جمعٌ من أصدقائه وألوان الطعام تغدو وتروح من كل شهى الطعم جيد الصنع ولكن فى أطباق من الصاج ، والتمر الهندي يقدم فى بوادق من الصاج أيضاً .

وإنى لأذكر فى تلك الجلسة أديباً كبيراً وقد قال : « لا ينقص هذه الأكلة الشهية إلا الثلج وهو لا يتكلف ملاليم» فبادره حافظ : « فلتفرض أنك فى بيتك ! »

وأذكر أنه سُئل عن صديق من أصدقائه الأفذاذ وكيف أن صديقه هذا يفضل الولائم والتردد على الموائد وهو ولله الحمد فى عيشة وارفة راضية بل كيف أن صديقه على ضعف صحته شديد النهم فقال : « إنه قضى أربع عشرة سنة يأكل (اردفر) فى الأزهر ! »

وأذكر ان اصدقاءه أرادوا ان يعبثوا معه ويماجنوه فى ليلة من ليالى رمضان ويختبروا مائدته وكانت مضرب المثل ومهبط الأدباء والعظماء فانقسموا فريقين وقد دخل فريق منهم فى ساعة الغروب فلم يكادوا ينتهون من إفطارهم حتى هاجمه الباقون، ومع ذلك فقد استطاع حافظ ان يستر موقفه وان يرد كيدهم ويدحض غلة من مجونهم وان يقدم لهم الوفير من الطعام فى أصنافه التى كان يولع بها وتجيدها طاهيته الماهرة .

وخرج حافظ الى مقهى الجندى فى الاوبرا — وكان يتردد عليه أخيراً من داره بالجيزة عصر كل يوم ، يدفع أجرة للعربة أكثر من ثلاثين قرشاً ذهاباً وجيئة ليدخن نرجيلته هناك فى حوالى خمس دقائق ، ثم يدفع ثمنها لخادم القهوة وينقده أكثر من ثمنها نظير خدمته وينصرف — والتقى به إذ جلس فى ذلك المقهى أحد أصحاب الصحف الاسبوعية وقال له : « إنما كنت أتفقدك لاقترض منك جنيهاً أنا فى أشد الحاجة اليه » فضحك حافظ وقال له : « عمرك اطول من عمرى ! »

إنى لن أنسى له رحمه الله جلسات رائعة فى دار المغفور له محمد عثمان اباظه باشا بربعماية من اعمال مركز منيا القمح ، فقد كان مجلسه فيه ندوة أدبية معدومة النظير أذكره وقد رأى شابين أحدهما وسيم الطلعة والآخر دميمها فقال من فوره للدميم مشيراً لصاحبه الوسيم : « هكذا أبناء الامهات الذين تدفع المهور الغالية لأمهاتهم ! »

كما لن أنسى طرفة لأحد أدبائنا الافذاذ إذ بادره بقوله : « وعلى هذا القياس تكون المرحومة والدتك قد دفعت (دوتا) للمرحوم والدك ! »

ودعاه صديق له ليطلعه على مقبرة بناها لوالده فقال له حافظ : وكم كلفتها ؟ فقال الصديق : « مائة جنيه بالميت ! » فقال حافظ : « دى رخره تربة تردّ الروح ! »

وسمع حافظ أن امام العبد لايفتأ يذكر أنه هو الذى خلق حافظاً فلما التقى امام بحافظ دلف اليه فى شأن مادى فقال حافظ : « والله يامولاى كما خلقتنى ! »

ورأى حافظ اماماً يكتب والقلم يتساقط منه المداد فقال « جفف عرقك يا امام ! »
ورأى إماماً فى بذلة بيضاء وقميص أبيض وربطة عنق سوداء فقال له : « زرّر قميصك الافرنجى ! »

وكان حافظ رحمه الله كثير التشكك فى صحته مشغولاً بها، يتوهم فى نفسه الأمراض

كلها ،لا يسأل عن علة إلا سأل عن عوارضها ليرى أهى منطبقة عليه أم بعيدة عنه، ثم يميل فى النهاية إلى الأخذ بأنه مريض لمجرد تشككه فى شموره بعارض من عوارضها . وقد ينتهى بالأحساس بها فيتداوى منها ويتحدث طول وقته عنها . التقى بطبيب من أصدقائه فبادره بشكواه من الأعور وأشار إلى أعلى فخذه الأيمن فردّه صديقه الطبيب بأن وهمه بعيد عن الواقع الذى يعترف به الطب لأن الأعور يكون فى الجهة اليسرى فعارضه : « وانت مالك يا أخى يمكن يكون أعور يمين ! »

ولو حاولت أن أسرد كل نوادر حافظ لامتدّ بى الوقت فلأترك المقام لغيرى يتناول بقية جوانبه الممتازة وكلها بارزة ، فقد كان حافظ رحمه الله رجلاً بكل معانى الرجولة ، أديباً بكل معانى الأديب ، وكان طيب القلب عامر النفس صافى الروح لا يحمل لأحد حقداً ولا يحاول الكيد لأحد .

وكان حافظ ينعى على أهل هذا الزمن وهذا البلد بوجه خاص ذلك القتال العنيف من أجل تلك الحياة القصيرة الزائلة ؛ بل ذلك النضال القوى من أجل ذلك العيش التافه المحدود ، وكان لا يرى المال إلا وسيلة من وسائل العيش لا غاية من غايات الحياة .

وكان رحمه الله يعرف الشيء الكثير عن رجالات هذا البلد ماضيهم وحاضرهم فقد أدرك أكثرهم فى صدر شبابه وبدء صباه ، وكانت صلته بالمرحوم الشيخ محمد عبده تمكنه من الاشراف من كثب على تصرفات كثير من الناس وحركاتهم وسكناتهم ومحاولاتهم ، لهذا لم يكن يرى واحداً منهم بالعين الأخيرة الكبيرة بل كان ينظر لهم دائماً بالعين القديمة الصغيرة ، يذكر عن كل واحد من البارزين حادثة أو موقفاً أو مناسبة ثم يعلق عليها بطرفة من طرفه او فكاهة من فكاهاته ويتندر بذلك فكان حديثه لا يملّ وكلامه لا يرغب عنه .

وكان حافظ يتبرم بميل طائفة كبيرة من جمهرة الناس هنا إلى المبالغة : فالعرب كل واحد منهم « شيخ عرب » ! وأين العرب أنفسهم ؟ علم ذلك عند الله ! والنبوغ لا يتسع إلا لواحد : فالدكتور على باشا ابراهيم جراح وكل من عداه « حمار » وسامى الشوا موسيقار وكل من عداه « حمار » ، ومحمد عبد الوهاب « المطرب الوحيد » وإذن فليس مطرب سواه ، وهذا المهندس ليس فى مصر غيره ، وذلك

الكاتب أكتب الكتاب، إلى غير ذلك من المبالغات التي تواضع الناس على أنها الاصل المقبول والواقع المعقول!

وكان حافظ يشكو من تدخل بعض المصريين فيما لا يعنيهم وانصرافهم عن شئونهم للاعتكاف على شئون غيرهم . وينعى على مصر اشتغالها كلها بالسياسة سواء فى ذلك صغيرها وكبيرها ، عالمها وجاهلها ، ذكيها وأبلهها ! وقد سمعته يقول إن انجلترا وهى سيدة الممالك تترك لعشرات من رجالها الاشتغال بادارة دفة سياستها ، أما مصر فان بها أربعة عشر مليون سياسى ! وكانت له رحمه الله نظرات ثاقبة فى المواقف السياسية وفى المشتغلين بها ونبوءات تحقق منها الشىء الكثير.

وبالرغم من أن حافظاً قد تعرض لكثير من سخط الدهر وقسوة الزمن وشظف العيش وخشونته إلا أن شيئاً من ذلك لم يؤثر فى خلقه ولا فى رأيه فى غيره من الخلق بل ولا فى الزمن والعيش والحياة .

رحم الله حافظاً وعزّى عنه أسرة الأدب وألهمهم السداد والتوفيق فى القيام ببعض ما لهذا الأديب الفذ عليهم وعلى البلاد من حق ، وكفاء ما كان له فى الأدب المصرى الوطنى من أثر ؟

حسن الحكيم

حافظ واللغة الفصيحة

كنتُ وعدت الصديق العزيز محرر (أپولو) أن أكتب كلمة للعدد الخاص بذكرى حافظ ، وأخذت أسوّف ، ولى أعذار فى التسويف حتى كاد يونية ينصرم ، وعدت أفكر فى التحلل من ذلك الوعد ، فانى على سفر ، وفوق كاهلى واجبات لا بدّ من انجازها .

ولكن ذكرى حافظ كانت تهيجنى فى كل لحظة ممثّلة فى بيته الحزين :

مرضنا فما عادنا عائدٌ ولا قيل أينَ الفتى الالمعى

ومرّ بالبال أنى شُغلت عن شهود جنازته ، فمن المروءة ان لا أُشغل عن شهود ذكراه .

وأنا أقف فى موكب هذه الذكرى عند نقطة صغيرة : هى عمل حافظ فى انهاض اللغة الفصيحة .

١ — كان حافظ من المفتونين بأدب اللغة العامية وكان يحفظ كثيراً من المواويل والازجال ، وكان ينشد محفوظاته تلك فى حماسة وإعجاب ، ولكن اتصاله بالاستاذ الامام محمد عبده حوّله الى قوة طاغية فى مناصرة اللغة الفصيحة ، وصداقته للوزير المصلح احمد حشمت باشا دفعته الى التفكير فى رياضة تلامذة المدارس على فهم لغة القرآن ، فأنشأ قصيدته المشهورة على لسان اللغة العربية :

أنا البحر فى أحشائه الدر كامنٌ فهل ساءلوا الغوّاصَ عن صدفاتى

وأخذ يخلق المناسبات للسخرية من أقطاب الأدب الحديث الذين عجزوا عن وصف ما جدّ من المخترعات على حين استطاع البدوى ان يسبغ على ناقته ابلغ الصفات واشرف النعوت ، واليك قوله فى مقدمة ترجمة البؤساء :

« تباركت اسماؤك اللهمّ ! أيدعى البعير ، وهو ذلك المركب الخشن بهذه الاسماء التى تضيق عنها بطون الكتب وهذه مراكب البخار والكهرباء لا نكاد نجد لأسمائها مرادفاً فى هذه اللغة ؟ فما عسى ان تكون حالنا بجانب ذلك العربى الذى يقول فى وصف عيشه :

الابيضان أبردا عظامى الماء والفتّ بلا إدام

وهو فوق راحلته ظالع على قتب يكاد يدمى عجانه تحت شمس تكاد تأكل ظلها فى مفازة .

تمشى الرياحُ بها حيرى مولهةً حسرى تلوذ بأكناف الجلاميدِ

اذا أردته على ان يصف تلك الراحلة العجفاء ، وأردتنا على ان نصف ونحن نستطيب من صنوف الطعام ما يضيق به صدر الخوان ، ونتبوأ أريكة « الاوتمبيل » تحت ذلك الظل الظليل ، فى مخارف ضفاف النيل ، على فراش وثير ، ومتكأ من حرير ، بين نسيم عليل ، وماء سلسبيل ، ذلك المركب الذلول الذى لا تلحق به صافنات الخيول ، فوقفنا أمامك موقف الحائر ، لا نعرف له اسماً يدل على مسماه ، ولا مرادفاً فى اللغة يؤدى معناه ! خذوا ايها القادرون على الاصلاح بيد اللغة ، وانظروا كم ادخل فيها آباؤكم من كلمة فارسية . وهذا كتاب الله بين ايديكم يأذن لكم بما ندعوكم اليه ، وهذا باب الاشتقاق وباب النحت لا يزالان بحمد الله مفتوحين لم

يصبهما ما أصاب باب الاجتهاد فادخلوا منهما آمنين » .

وخلاصة هذه الكلمة أن تخلف اللغة عن وصف المخترعات الحديثه ليس من عيوبها ، وانما العيب عيب الكسالى العاجزين الذين لم يخلقوا من الألفاظ والتعابير ما حمق البدوىّ الضالّ فى الصحراء . وسخرية حافظ التى قذف بها الأدباء منذ عشرين عاماً لا يزال لها مكان : فعندنا بحمد الله مئات من الأشباح الجميلة ترمى اللغة بالضعف والتخلف ، كأن اللغة تخلق نفسها خلقاً ثم تتقدم طائعة خاشعة لخدمة الأدباء سكان القهوات !

٢ — ومن اجل ما قرأت لحافظ رأيه فى قوة الاصطلاح ، وهو رأى نشره فى مقدمة كتاب الاقتصاد الذى اشترك فى ترجمته مع الأستاذ الجليل خليل بك مطران . وهو يرى أن الاصطلاح ليس بأوهى قوة من النقل ولا هو بدونه فى مراتب الهيمنة على اللغات « فما من كلمة تنبت ولا من لفظة تذوى الا وللاصطلاح يد فى حظها من الموت أو الحياة » .

وكانت حياة حافظ نفسها دعاية لقوة الاصلاح ، وان كنا لاحظنا أنه كان يخالف بين قوله وفعله ، فكان فى مجالسه من أوسع الناس صدراً ، وأعرفهم بحرية الرأى ، فاذا نظم قصيدة أو انشأ رسالة تكلف وتحذلق واستوحى المعاجم واغلق الباب فى وجه الاصطلاح !

٣ — واهم خدمة قدمها حافظ فى حياته الى اللغة الفصيحة هو تمكنه من الأدب القديم ، فقد كان يشعرك بجودة محفوظه وتنوّعه ان العرب أفصح الناس وابلغ الناس ، وكان يتدفع فى انشاد الشعر القديم تدفع السيل ، ثم يطوف بحدائق الملح والفكاهات البدوية والحضرية ، فلا تنصرف الا وانت أشوق الى دراسة الأدب الفصيح الذى يمكّن مثل هذا المحدّث من ناصية اللباقة والظَّرف وحلاوة الحديث .

وبعد ، فهذا ما سمح به الخاطر المكدود ، ولنا عودة فى الذكريات المقبلة ، فلن يكون هذا آخر العهد بشاعر مصر والنيل

زكى مبارك

صفحة مجهولة

من حياة حافظ

من أوليائه

فى صيف سنة ١٣٠٥ هجرية كنت طالباً فى الجامع الأحمدى بطنطا وقد سافرت فى ايام العطلة الى بلدنا القرشية ؛ ثم عدت فى أواخر شعبان من تلك السنة الى طنطا ، فاذا باخوانى واصدقائى يلوذون بفتى غض الاهاب جديد الشباب وقد أسرعوا بتقديمى اليه وتقديمه الىّ باسم الأديب الشاعر « محمد حافظ ابراهيم » ولم تمر الا عشية أو ضحاها حتى أحسست من نفسى ميلا اليه بجاذب من الأدب الذى كان نهمة نفسى حتى آل ذلك الى غرام بأدبه وما يشتمل عليه من ظرف ولطف محاضرة وبديهة مطاوعة وسرعة خاطر وحضور نادرة .

وكان دأبنا فى رمضان تلك السنة أن نصلى المغرب والعشاء والتراويح معاً ثم نلبث فى سمر ممتع ومطارحة للشعر ومذاكرة فى نوادر الأدب وما كان يطرف الحضور به مما يقف عليه من جيد القريض الى أن يأتى وقت السحور . ثم نعود بعد السحور إلى ما كنا فيه الى انبثاق الفجر فنؤديه ثم نخرج بغلس الى خارج المدينة حتى نصل الى قرب بلدة قحافة ثم نعود وقد آذنت الشمس بالطلوع فيذهب كل واحد منا الى بيته ثم نعود الى مثل ذلك إذا جنّ الليل .

وكان الذين اعتادوا الخروج معنا الى ما نخرج اليه هم :

(١) محمد حافظ ابراهيم (٢) محمد حلمى الجيزى أفندى عمدة الجيزة سابقاً (٣) السيد محمد ابراهيم صلاح التاجر بطنطا الآن (٤) الشيخ محمد ابراهيم البيومى من مدرسى الأزهر الآن (٥) كاتب هذه السطور عبد الوهاب النجار .

ظل هذا دأبنا مدة شهر رمضان وفى أواخره بصرنا بيشروش جميل الصورة فى حديقة مدرسة الفرير ، فتقدم واحد منا وطرق بحلقة الباب ليفزعه فكان المنظر جميلا . فعاودنا ذلك العمل ثلاث ليال . ولكن جماعة الفرير ظنوا تعمدذلك لاقلاق راحتهم ، فلما كانت صبيحة آخر يوم من رمضان خرجنا من المسجد بغلس وأسرعنا الخطا حتى أتينا إلى مدرسة الفرير والظلام لم يقوض خيامه ، وما أن تقدم واحدٌ منا لتحريك حلقة الباب حتى هبّ جماعة من الفلاحين قد أكنهم جماعة الفرير للقبض

علينا فعلقت حبائلهم بمحمد حافظ ابراهيم شاعر النيل ومحمد حلمى الجيزى أفندى. أما أنا والشيخ محمد ابراهيم البيومى فاسلمنا أرجلنا للريح وطرنا مع البازى عليه سواد ولما أمنّا الطلب وقفنا ننتظر اخوينا الى ان فضحنا النهار ولم يبق للانتظار فائدة فذهبنا بحمرة ما بعدها حسرة — وكان السيد محمد ابراهيم صلاح قد تخلّف عن الذهاب معنا فى هذه المرة.

ولما كان هذا اليوم آخر أيام رمضان ذهبت إلى بلدنا لقضاء العيد هناك وقد اتفقت مع السيد محمد ابراهيم صلاح والشيخ محمد ابراهيم البيومى على أن يكتبا إلىّ بما يتم من أمر حافظ ومحمد افندى حلمى وأن يلحنا لى لحناً أعرفه، وذهبت وأنا على أحرّ من الجمر - وفى اليوم الثانى من أيام العيد وافتنى تذكرة بوستة من المرحوم حافظ بك بما تمّ:

وذلك انه لم يرتفع النهار حتى ذاع الخبر وأرسلت التلغرافات لقنصلية فرنسا. وعلم كل من المرحومين نيازى افندى مهندس تنظيم طنطا وهو خال حافظ والشيخ محمود الجيزى شقيق حلمى افندى، فذهبا إلى جماعة الفرير وكلماهم فى هذا الشأن فرضوا باطلاقهما (وكانوا قد سلموهما إلى الضبطية) بشرط أن يعودا إلى المدرسة ويستسمحاهم، ففعلا وانتهى الأمر باطلاقهما.

ومما حصل لحافظ فى ذلك العهد أن خاله أغلظ له القول مرة فى شأن من الشؤون وزجره، فكتب إلى خاله :

ثقلتْ عليك مؤونتى إنى أراها واهيهْ
فافرحْ فانى ذاهبٌ متوجّهٌ فى داهيهْ!

وكان كثيراً ما يشكو الدهرَ ويندب سوءَ حظه ويتبرم بأحداث الزمن ويتمنى لو يوافيه حمامه — فمن ذلك قوله :

عجبتُ لعمرى كيف ُمدّ فطالا وما أثرتْ فيه الهمومُ فزالا
وللموتِ ما لى قد أراه مباعداً وجُلُّ مرادى ان أوسَّد حالا
فللموتُ خيرٌ من حياةٍ أُرَدّى بها ذليلاً ، وكنتُ السيد المفضالا

ولقد أوردت عليه هذه الأبيات قبيل وفاته فتعجب أن يكون هذا الشعر صادراً منه.

ومن آيات ذكائه أنه كان يسمع الفقيه فى بيت خاله يقرأ سورة الكهف أو سورة مريم أو سورة طه فيحفظ ما يقول ويؤديه كما سمعه بالرواية التى قرأ بها الفقيه !

وكان إذا وقف على بيت نادر أو شعر بارع يبادر الىّ قبل أن يُسمعه انساناً آخر ويسمعنى ما أعجبه ، وكان لا يُعجبه الا كل مرقص مطرب .

حافظ المحامى

كانت المحاكم الأهلية حديثة الوجود ، وليس للمحاماة قانون مسنون ، ولا توجد شهادات حقوقية فى طائفة المحامين ، ولم يكن نظام الامتحان قد استحدث ، فكل ذى قضية جاء بشخص وقال إنى وكلته قُبل منه .

وقد ضجر حافظ من فراغه ، فذهب الى المرحوم الشيخ محمد الشيمى المحامى بطنطا (بك فيما بعد) واشتغل عنده فى مكتبه ، وكان يسافر الى المحاكم الجزئية القريبة من طنطا ويترافع فى القضايا ويكسبها.

ولخلاف حصل بينه وبين محمد الشيمى بك ترك كتبه وترك له هذين البيتين :

جرابُ حَظِّيَ قد أفرغتُه طمعاً ... بباب أستاذنا الشيمى ولا عجبا

فعاد لى وهو مملوءٌ فقلت له : ... ممَّا ؟ فقال : من الحسْراتِ واحربا !

فأسف المرحوم الشيمى بك لخروجه وحاول استرضاءه وعودته إلى العمل معه فى مكتبه فلم يقبل .

انتقل بعد ذلك حافظ ابراهيم ليشتغل فى مكتب محمد أبى شادى بك بطنطا فمكث معه مدة كان فيها مغتبطاً كل الاغتباط ، وكان أبو شادى بك يرى نفسه قد عثر على كنز ثمين فكانا يتنادران بالأدب ويتطارحان الأشعار الى أن خرج حافظ من مكتبه الى مكتب عبد الكريم فهيم افندي المحامى فمكث فيه مدة من الزمن يشتغل عنده .

وكان مكتب عبد الكريم فهيم افندى ومكتب ابراهيم الهلباوى بك متجاورين ومحلهما كان بالوكالة التى جُعلت فيما بعد المعهد الاحمدى ، وكان كثيراً ما ينتقل الى مكتب ابراهيم الهلباوى بك الذى يسرّ بحديثه وأدبه .

❁ مرثية حافظ ❁

لأستاذه وصديقه القديم محمد ابى شادى بك

كان المرحوم حافظ ملولاً فكان قليل الكتابة بل نادرها ، وكان لا يأنس إلى تدوين شعره مكتفيا باملائه عن ذاكرته القوية ، ولذلك نجد نماذجَ خطه نادرةً وخاصة شعره . بيد أننا نجد حافظاً يشذّ عن هذه القاعدة فى مرثيته البليغة المؤثرة لأستاذه فى المحاماة وصديقه وزميله فى الأدب المرحوم محمد ابى شادى بك . وإليك نصّها الكامل كما كتبها ، وهى مثال من وفائه الرائع :

عجبتُ أن جعلوا يوماً لذكراكا
كأننا قد نسينا يوم منعاكا
إذا سلتك يا أبا شادي مطوّحةٌ
ذكرَ الأهل فشق أنا سلوناكا
ما لجة النيل والوادي وساكنه
رجعٌ لصوتك موصول بذكراكا
قد عشتَ فينا نميراً طاب موردُه
أسمى سجايا الفتى أدنى سجاياكا
فما كأولاك في برّ وفي كرم
أولى كريم ولا عقبى كعقباكا

فضيلة الوحي المعنون قد ملأتْ
أنحاءَ نفسك شغلاً عنه قضاياكا
أبليتَ فيك ملاذ المخلصين لك
وكان سهمك أنّى شئتَ فتّاكا

أجملتَ يا فضلو في قصائدهم
حتى لقد نضّروا بالحمد مثواكا

لم يُبقِ لي قيدَ شبرٍ صاحبايَ ولم
يُبقِ لي القولَ لا هذا ولا ذاكا

يا نديمَي الذكر والتسبيح كنتما
ها أنت في الخلد قد جاورتَ مولاكا

لو لم يكن لك في دنياك مفخرةٌ
سوى زكيّ لقد جمّلتَ دنياكا

[illegible]

***

رحل بعد ذلك حافظ ابراهيم الى مصر ودخل المدرسة الحربية وكان دخولها منتهى ما يتمناه . وعقب ذلك رفعت دعوى على خاله محمد نيازى افندي بمحكمة طنطا الاهلية وحُكم عليه بسنتين . فنظم حافظ قصيدة للخديوى المرحوم محمد توفيق باشا يستعطفه بها على خاله ، فوقعت قصيدته من نفس الخديوي موقعاً حسناً فأصدر عفوه عن خاله وعينه مدرساً للامراء أحمد سيف الدين ومحمد ابراهيم وشويكار هانم ، وبقى بعد مفارقتهما عهد الدراسة يستولى على مرتبه الى وفاته .

وأما حافظ فقد تخرج من المدرسة الحربية سنة ١٣٠٩هـ. وتقلبت به الاحوال الى أن صار شاعر النيل غير مدافَع . فرحمه الله رحمة واسعة وعوض مصر والعربية فيه خيراً ؟

عبد الوهاب النجار

حافظ لسان عصره

أصبحتُ أجفل من الشعر وأفرق من الكلام فيه وأستجير منه بالحذر ، وأحسب ذلك لأني عانيتُ أزم التعبير به زمناً فأخفقتُ ، وعدت أندم على ما أضعت فيه من جهد وعمر ، وأعجب للغرور الذى كان يزين لى الزهو به . ولست أتكلف التواضع ، فان هذا ما أنطوى عليه الآن من احساس ورأى ، وقد يتفق لى أحياناً أن تقع عينى على جزء من ديوانى فأفتحه وأقلب صفحاته واقرأ ابياتاً هنا وأخرى هناك ثم أطوى الكتاب وأرده الى حيث كان مدفوناً وليس بى الا الدهشة من أنى كنت أعدّ هذا كلاماً يستحق النشر والاذاعة . وكنت قديماً أتطاول على الشعراء وأتناول بالنقد واقسو فى ذلك عليهم واعنف ، بل لقد افتتحت — او على الأصح كان مما افتتحت به — سيرتى فى الكتابة بأن نقدت حافظاً رحمه الله فى سلسلة مقالات كنت أعتز بها وأعتدها شيئاً ثميناً فجمعتها ونشرتها فى كتاب بيع من نسخه القليل وتكدس اكثرها عندى فبعته لبقال رومى — لعله أمّى أيضاً — ليلف فى ورقاته ما شاء من جبن وزيتون أو يفعل بها ما هو شر من ذلك . وقلت

وقد خلصت أنفاسى واستراح قلبي : هذا خيرٌ ، فما يستحق مثل هذا النقد الا هذا المصير .

ولم يتغير رأيي فى الشعر ولكنى صححت موقفى من حافظ ، فهو عندى لسان العصر الذى عاش فيه ، وصوت الشعب الذى انجبه . ولم يكن العصر يحتاج الى ارفع من هذه الطبقة ، ولا كان الشعب يقدر ان يحسّ روحه الا فى مثل شعر حافظ . نعم ظهرت المدرسة الحديثة فى الشعر والأدب على العموم منذ أكثر من عشرين سنة ولكنها لم تكن مدرسة « شعبية » فلم تستحوذ على الجمهور استحواذ حافظ عليه ، ولم تستولِ على هواه مثل استيلائه ، ولم يتصل ما بين هذه المدرسة الجديدة وبين الشعب الا بعد أن أخذت دائرة الثقافة فى الاتساع .

لحافظ شاعر شعبي ، ولست أقصد الى الازراء به أو الغضّ منه ، فما أريد أكثر من ان اقول انه يصور روح الشعب الموجع الحزين المتجلد فى شيء من الوجوم والدهشة والحيرة : الحيرة فى امر نفسه ، والحيرة فى امر هذه المقادر التى لا تجرى الا بالدواهى والأرزاء . وما قرأت شعراً لحافظ الا أحسست ذلك منه . واكبر ظنى ان غيرى من القراء مثلى . وليس بالقليل ان يكون رجلٌ لسان امة والهاتف بنجوى ضميرها وسر روحها ، مهما كان الرأى فى قيمة الشعر من حيث هو شعر وبغض النظر عن بواعثه وعن الروح التى صدر عنها الشاعر والغاية التى اعتمدها وقصد اليها ؟

ابراهيم عبد القادر المازنى

موكب الذكريات

أو

الناى الباكى . . .

(مهداة إلى روح المغفور له محمد حافظ ابراهيم شاعر الجمال والذكريات)

مالكَ اليومَ واجماً يا خيالى … كيف لا تَرسمُ الدموعَ الغوالى؟
سقطتْ فوقَ صفحةِ الخدِّ دُرّاً … وتهادتْ مضيئةً كاللآلى

هبطتْ : كلُّ دمعةٍ كوكبٌ نجمٌ ، عظيمُ الضياء ، سامى الجمالِ
وبروحى أفديك من ألم الوجدِ ، حياتى ، ومِن ضنىً وهزالِ

« • »

وعجيبٌ يا فتنتى أن نلوحى ثرّةَ الدمع ، وهو من قبس روحى
كان خيراً — لو ترأفين بحالى — حَبْسُه ، إننى كثيرُ الجروحِ
أفلا تعلمين أن فؤادى مَنبعُ العشق والهوى والطموحِ ؟
أوَهل تُنكرين أن دموعاً منكِ تُعرى شغافَ قلبي الطليحِ ؟

« • »

ولرُبَّ ابتسامةٍ منكِ بالأمس أضاءت ببسمةٍ للسعادهْ
وأحاطت روحى بهالة حُسْنٍ طالما قد خصَصْتُها بالعبادهْ
وفؤادي يا طالما عندها صاغ قصيداً مُنضَّداً فأجادهْ
صاغه من نسائم الفجرِ شعراً وسقاه وجدانه ووداده

« • »

والذى يقتل الشعورَ ادّكارى زمنَ الوصل إذ وقفتِ جوارى
والعيونُ الظِماءُ تُوحى مع الصمتِ كلاماً يهيج منه أوارى
والشفاهُ الرقاقُ تهفو على القُربِ لرشفٍ محبَّبٍ واعتصارِ
ولهيبٌ من وجنتيكِ مضىءٌ ظلمةَ الليل .. يا له من نارِ !

« • »

كيف أنسى النخيلَ فى جانب الجدولِ طالت تروم لمسَ السماء
ترسل اللحنَ ، حينما تخطر الريح حزيناً ومُشجياً كالرثاء
شربتْ من دماء قومٍ تولَّوْا فاستطالتْ فروعُها فى الفضاء
وكذاك الحياةُ تُفنى لتُعطى وعطاءُ الحياةِ بابُ الفناء

« • »

كنتُ يا طالما أُصوِّبُ طرفي في فضاء الوجود أَنشد فَهْمَا
لم أجد غير أننا في وجودٍ يُذْهِل العالَمَ البصيرَ فيعمَى
كلُّ ما فيه مُلغِزٌ ، لستَ تدريه ، ولو كنتَ قد تمكنتَ عِلْمَا
بَيْدَ أنّا ، هُنا ، نحاول بالشعرِ بياناً لِكل لُغزٍ مُعمَّى

« • »

وإذا ما التوى على الفهم شيءٌ فابعثْ الشعرَ صوبَه يَتهادَى
إن بالشعر ينجلي كلُّ غيمٍ وبه تُصْبح الوهادُ مهادَا
أرغنُ العيش ، مزهرُ الروح ، نجواه سدادٌ لمن أراد السدادَا
يرسم الكونَ كيفما شاء ، لا يتبع رأياً ، ولا يلين انقيادَا

« • »

يا عزاءَ النفوسِ في ساعةِ اليأسِ ، وساقي النفوس راحَ السرورِ
قُمْ ، تَحدَّثْ عن الفؤاد ورجِّعْ نغماتِ الاسى ولحنَ الحبورِ
لا تُفرِّقْ بالله بين شجوني وسروري ، فكلُّ ذاك شعوري
مُلْهَمَ الروح .. قُمْ أيا شِعرُ واهتفْ أنت خدني ، وناصحي ، وأميري

« • »

ما الغرامُ الذي به نَتغنَّى كلَّ يومٍ في نثرنا والقصيدِ ؟
أهو حبٌّ الجمال والعقل ، أم هل هو حُبٌّ الفِنى وحُبٌّ الخُلودِ ؟
الغرامُ الغرامُ نورٌ من الروح ، سَبوحٌ بروحِ طيرٍ شريدِ
ساربٌ في سماوةِ الكونِ يرتادُ فضاءً مُنَزَّهاً من حُدودِ

« • »

يُذهِل الناسَ طائراً ، فإذا حطَّ بقلبٍ ، أصابه فاعتلاَّ
هو نُورٌ ، لكنه حينما يطرق القلبَ سعيرٌ في نارها القلبُ يَصلى
هو روحُ الحياة ، يستعذب الخلقُ الأماني متى بدا وأهلاَّ

يخلق العلمَ والنبوغَ ويُفنى كلَّ فنٍّ إذا طغى وتولّى

« • »

يافؤادى ، أعِدْ علىَّ غرامى وتحدث عن شقوتى وسقامى
بُثَّ فى الشعر ما عرفتَ عن الغيد ، ولمُنى إذا رأيتَ ملامى
علم الله كم قصرتُ بيانى وقريضى على الهوى والتسامى
ولكم كنتُ أنفح الغيدَ بالشعر ، فما كنَّ يستسغن كلامى!

« • »

كيف بالله يستسيغ جهولٌ آيةً من بلاغةٍ وبيانِ؟
كيف بالله تفهم الشعرَ أو كيف تحبّ البيانَ هذى الغوانى؟
هن بَرَّزْنَ فى مغازلة الناس ، وقد فُقْنَ فى صنوف الدهانِ...
ولقد كنتُ كيفما شِئْن دهراً ذا مجونٍ وخبرة بالحسانِ !

« • »

وسقى الله ذلك العهدَ ، قد كنتُ سعيداً به وكنتُ طروبَا
حيث كنا نرعى الكواكبَ زُهراً ونرى فى السكون سحراً عجيبَا
غمر الحُسْنُ كلَّ شىءٍ فبتنا نحسب الخلدَ فى الحياة قريبَا
يا رعى الله فى ثرى (أجاِ) كوخاً صغيراً لقيتُ فيه الحبيبَا...

« • »

ضرب الدهرُ بيننا فغدا الجسمُ محيلاً كدارسِ الاطلال
ونرى الشوقُ بالفؤاد فغنّى باكيَ الشوقِ فى القوافى الطوالِ
وله العُذْرُ... كيف ينسى التلاقى فى ضياء الهلال والعيشُ حالى
والسكون المقيمُ أرخى سدولاً تحجبُ الحبَّ من أذى العُذّالِ

« • »

والنسيمُ البليلُ من جانبِ الجدولِ ، يهفو يعانق الأرواحَا
هبَّ يُذكى الغرامَ فى خافقينا ثم يُنضى عن النفوسِ الجراحَا

يدفع القلب لاهثَ الثغرِ للرشف ، فيحسو من اللمى أقداحا
والعناق العنيف كم جمع القلبين فى سورةِ الغرامِ فناحا

« • »

مَنْ يقول الغرام اثمٌ وعارٌ قل له أنت جاهلٌ لستَ تدرى
أنظرْ الحبَّ فى الخمائل يا غِرُّ ، عنيفاً ما بين زهرٍ وزهرِ
وانظر الحبَّ فى الربى كم تبدّى عاصفَ الشوق بين طيرٍ وطيرِ
إنما آيةُ الحياةِ هى الحُبُّ ، فمن لم يحب عاش كصخرِ

« • »

رُبَّ حُسْنٍ فى الروض أيقظ حِسّى وأهاجَ الكمينَ من أفكارى
كم مَشى القلبُ صوبه يتغنى بنشيدٍ ممتْ به أشعارى
حبذا وقفتى مع الزهر فى الروض ، أقول القصيد فى الابكار
والطيور الخِفافُ تطفر نشوى وسُكارى ، وما انتشتْ من عقارِ

« • »

آهِ .. ما غرّرَ الجمالَ بقلبي فدهانى وصرتُ منه المُعَنّى ؟
أهو أنى نفحتُه وجدانى ودمائى مراقةً ، فتجنّى ؟
أهو أنى بكرتُ كالبلبل الصّدّاح فى الروض ساجماً أتغنّى ؟
أهو أن الدموع منّىَ حرّى صُغْتُها فى مديحه خيرَ معنًى ..؟

« • »

وأنا شاعرُ الملاحة مذ كانت ، وفى أىِّ صورةٍ تتجلّى
أجتليها بخاطرى وفؤادي وبفكري ، مما ترى العين ، أحلى
نظرة القلب بعدها نظرة العين ، وشتّان بين عُليا وسُفلى
رُبَّ أعمي العينين ينظر للشىء بقلبٍ منوّرٍ يتملّى !

***

(روضة الشعر) كيف أزهارُكِ اليومَ ، وكيف الطيورُ في عَذَباتك؟
كيف حالُ (البحيرة) الضحلة الماء ، وكيف (النخيلُ) في جنباتك؟
كيف (دوحاتُك) البواسقُ أسدلنَ شعوراً ، وكيف حال (مَـهاتك) ؟
تمتطى (الفلك) في (البحيرة) جذلى وتشمّ العبير من زهراتك

« • »

تبعث الشجوَ في الفؤاد بمجدافٍ اذا صافح (البحيرةَ) رتّل
وتغنى فينصتُ الطيرُ في الدوحِ ، ويُسبي الغناءُ أرخمَ بلبل
زهرةُ الروض في الاصيل وفي الفجرِ ، وريحانةُ الفؤادِ المبلبل
طالما صُغتُ في هواك قريضاً زاهياً كالورودِ ، بل هو أجمل

« • »

وحنيني إلى لقائكِ يَدْوِي بفؤادى دَوِيّ حيرانَ جائر
يُرسل الدمعَ والأنينَ هباءً وإذا هَمّ ، أقعدتْه المقادر
حزبته الأيامُ في ميعةِ العمرِ ، وقدّتْه بالسيوف البواتر
حطمتْ كوخَ حُبِّه ونفتْه عن فتاةِ الاحلامِ أختِ الجآذر

« • »

ربّ ، ماذا جناه قلبي فيشقى وبخمرِ الصدودِ والهجرِ يُسْقَى ؟
ماونى الدهرُ عن هواه ، فأرداه وشيكاً وسامه الخسفَ رقّا
ربّ إنى جُننتُ من وثبة الدهرِ ، وانى أكاد أزهق عشقا
وترى عائدٌ حبيبُك يا قلبُ مُنيباً ، أم عاف حُبّكَ حقّا

« • »

وتعالى يا طيرُ واسمعْ شكاتى آخرَ الليل في خفوتٍ وهمسِ
أرقبُ النجمَ في الدجى رفّافاً كفؤادى إذا طغى بيَ يأسى
وأقول القريضَ فيه عزائى وبه راحةٌ لقلبي وحسّي

وإذا عضّك الأسى ، فالقوافى عنـد جاماتها شرابُ التأسّى

« ٠ »

وإذا ما أردتَ نظمَ القوافى فليكنْ فى المروج والأزهارِ
إنها — لو عقلتَ — أطهرُ روحاً من مِلاحٍ ، غرامُها كالقمارِ
وقلْ الشعرَ فى جمال الأماسِى وترنم بحسنِ شمس النهـارِ
حَسّنَ كلُّ ما على الأرضِ من زهرٍ ومن أنهرٍ ومن أطيـار

« ٠ »

ولماذا الأنينُ ؟ حطمتَ نفسَكْ وعلامَ النحيبُ والعيشُ زَهْرُ ؟
أتعدُّ الحياةَ خلواً من الخيرِ ، وفى كلّ ما ترى العينُ خيْرُ
لا تُحَقِّرْ مستصغراً وضعيفاً ربما منه قد يُصيبك بِرُّ
رُبَّ كلبٍ أطعمتَه ، يمنع الضُرَّ إذا ما أصاب بيتَك ضُرُّ

« ٠ »

وعَـزاءُ النفوس أن تُرسلَ الشـعرَ ، إلى بارىء الدُّنا قُربانا
يَغمر الروحَ عنـد نجواه نورٌ يُفعم القلبَ رحمةً وحَنانا
ويَشيع الهـدوءُ فى كلّ فجٍّ وتُغنِّى قيثارتى الإيمانا
تَنشُدُ الخالدَ الجلالةِ والحُسْـنِ ، فَمِنْ حُسْنِـه قَبَسْتُ البيانَـا

مختار الوكيل



حافظ كما عرفته

حافظ — ومن أسماه فقد كنّاه — يظلمه من ينظر اليه شاعراً فقط ولم ينظر اليه « رجلا » كاملَ الرجولة . يعلو عن قشور الناثر اذا ما ذكر الأدب بشعره الفحل فى الشعر ونثره الفحل فى النثر ، وبقوة بيانه وبلاغة لسانه وبعذوبة حديثه إذا حدث وسعة ذاكرته اذا روى كأنما تلك الذاكرة الواسعة دواوين عن الشعر ومؤلفات

جمة من روائع البلاغة والحكمة ومعجم عربى لا نقصان فيه ولا أخطاء .

أما اذا ذكر صفاء الذهن ورقة الخلق وبسطة الكف والسماحة وصدق الود والوفاء وسذاجة الحلم والقناعة والوفاء وكل ما عدّ العرب فى شعرهم وحكمهم وبلاغتهم من الفضائل فان حافظاً — رحمه الله — كان الأول فيه والأخير أو بعد الأخير فى ما يذم ويستنكر.

أما وطنيته الصادقة فلا يعادلها الا دينه المحمدى المتين . فلك من حافظ ما شئت الا أن تنال من هاتين الخلتين دينه ووطنيته ، ولك أن تحيله عما شئت لما طُبع عليه من سماحة الخلق وحسن الطوية الاعن هاتين العقيدتين اللتين تقيد بهما ، وقد طبع على ألا يتقيد بشيء حتى التقاليد والنقل ومتابعة الناس بعضهم لبعض فى ما يجمعون عليه اما بعد البحث والتروى واما بالتصديق والمتابعة بلا بحث ولا تدقيق . فالناس جيعاً معجبون بحضارة أوروبا وتقاليد الاوروبيين، أماحافظ فانه طاف مدن أوروبا فلما عاد منها عاد ساخطاً على تلك المدن والتقاليد « التى تجعل الناس سجناء وتحرمهم الحرية باسم الحرية » فى ما يسمونه أوطانها » .

هكذا كان يقول لنا حافظ الذى كان يكره التقيد فى ما تواطأ الناس على التقيد به سواء أكان فى مآكلهم أم مسكنهم أم أفراحهم أم أحزانهم أم مجالستهم أم مسايرتهم أم معاملتهم ومع ذلك كان الشاعر الفحل المقيد بالقافية والروىّ وكان الكاتب البليغ الفذ المقيد بالسجع والعبارات الموجزة كأنها فى أوزانها قطع من الموسيقى بمقاطعها ومصارعها .

حافظ يظلمه من ينظر اليه من ناحية واحدة ولم ينظر اليه رجلاً بارزاً كل البروز من كل ناحية من نواحى نفسه وخلقه ، سواء اتفق ذلك مع خلقنا ونفسيتنا أم لم يتفق وسواء أكان مما ألفنا مدحه لانطباعنا عليه أم لم نألفه ، وسواء اتفق الناس على عدّه حسناً مواتياً ام لم يتفقوا ، فحافظ كان شخصية بارزة وأول الادلة على بروز شخصيته انك اذا التقيت به مرة واحدة كانت هذه اللقيا الواحدة كافية لأن تطبع فى ذهنك صورة جسمه القوىّ العضل الطويل العريض المتناسق المتلائم الاعضاء ورقة صوته وغنته وحركة يديه الفصيحة وتهدّل جسمه اذا مشى على حركة يدين كمجذفى السفينة وارسال عباراته فى التبسط أو فى الجواب كأنما كل نبرة توكيد جازم قاطع لا يقبل جدلاً ولا حواراً . كذلك هبّات الحكمة فى ذهنه

يجرى على لسانه وكأنها قطعة من الوحى بعبارة وجيزة ولفظ جزل تنفذ كالسهم المطلق الرنان فتقفل باب الحوار والجدل وتكون الحجة الدامغة والبرهان القاطع .

حافظ شاعر ، والشعر قطعة من الموسيقى أو هو هى ، والشرقيون موسيقيون بطباعهم ومزاجهم يستهويهم اللحن والنغم ،لذلك غلبت الشاعرية فى حافظ ووصفه وصفاته مع انى لا أجد مفاضلة بين شعره المنتقى ونثره المنمق المتين البليغ العبارة ففيمَ كانت شاعرية حافظ غالبة على نثره اذا نحن لم نضع فى احدى كفتى الميزان الى جانب الشعر او النثر عاطفة القارىء العربى ونفسيته ؟

أما الخيال وأما التخيل فى شعر حافظ فقد يكون أقل منه فى شعر سواه من فحول الشعراء ، وأما الحكمة وأما الديباجة وأما الحقيقة والواقع فهى فى شعر حافظ أقوى منها وأمتن وأصدق من شعر كبار الشعراء ، فهو بشعره يتحدث الى النفوس بقوة الحجة حتى تخال البيت اذا تلاه حافظ يدوى كالقذيفة وينفذ كالسهم ، فاما أن يخلق فى نفس السامع عقيدة واما ان يهدم ايماناً ، وهو فى الحالتين يتملك العقل ويخلب اللب ويتولد عنه الاعجاب والاقناع . وأىّ نفس لا تستثار بمثل قوله وهو يصف هلال غرة السنة وقد أطلّ على الالوان . . . ؟ وأي نفس شموس تنفلت من قوله وهو يرثى أحب الناس اليه الشيخ محمد عبده و«سلامه على الاسلام بعد محمد» ؟ وأية عقيدة لا تتزعزع وحافظ يقول فى تعيين رجل الأمة سعد زغلول وزيراً للمعارف « فما دام فى قصر الدوبارة ربُّه — فسعدودنلوبلعمرك واحد » فهل هناك خيال فتان ساحر أم هناك حقائق رائعة ليست الخ كساءٌ من اللفظ الجزل الموسيقى ؟ ألم يقض حافظ ببيت من شعره على تلك الحملة الهوجاء التى أثيرت على السوريين من أجل خطة احدى الصحف بقوله عن الأمة السورية « فصالحوها نصافح نفسها العرب » ؟ ان الذين عاشوا تلك الحقبة يذكرون ان هذا الشعر من نظم حافظ كان كافياً لمحو مجلدات من أقوال الصحف ومجلدات من أقوال الخطباء فيمن نعتوهم يومئذ بالدخلاء . . . .

كان حافظ كثير العناية بشعره ونثره يصقله ثم يصقله ثم يصقله ، حتى إذا ما أتم صقله ووثق بانه صار صورة صادقة لما يريد تصويره تغنى به وردّده فاذا أطرب واذا هو طرب لتلاوته عرضه على نخبة من الادباء الذين يختارهم لنقده ، فلا يستكبر ولا يعاند بل يباحث، فاذا هو اعتقد بأن الصواب ما قاله ناقده لا يعزّ عليه هدم ما بنى

وتشييد سواه ، أو نثر ما نظم ونظم غيره. وأول مختاريه كان المرحوم اسماعيل باشاصبرى وثانيهم خليل مطران الذى كان يقدمه على سواه ويخلص له فى السر والعلانية وينزهه عن الغيرة والمزاحمة ويعتقد أنه اذا نظم « حلق بخياله الى جوٍ عال يكاد لا يلحق بنفسه فيه » لحافظ على متانة نظمه ونثره وعلى سعة معرفته بلغته وعلى سعة روايته التى لا يلحق به فيهما لاحق كان أقل الشعراء والكتاب استئثاراً برأيه وأكثرهم تساؤلا وسؤالا واستفهاماً ، والأثرة والانانية بالادب أول دليل الفقر بالبضاعة والجهل بالصناعة.

اذا لم يكن حافظ ممن ارتدوا فضيلة ضبط النفس فكان يقول للأعور يا أعور بلا محاسنة ولا مصانعة فانه كان شديد العناية بالانتقاد فانظر اليه وهو ينتقى الفاظه للنظم وعباراته للنثر تجده فيها الصائغ الذى يقلّب جواهره ، وانظر اليه وهو ينتقى جلاّسه وعشراءه تجد الحصيف الذى يبحث عن اللطافة والذكاء والانانية فلو أنه خيِّر بين معاشرة أكابر العالم ومعاشرة الشيخ عبد العزيز البشرى ومحمد البابلى لما تردد فى نبذ الاكابر واختيار هذين العشيرين وأمثالهما ليروّح عن نفسه ما يكنه وليجد فى هذه النكتة مظهر الذكاء والفطانة واللطف ، واذا ثارت نفسه لأمر استحال عليه أن يضبط جماحها ليجامل أو يصانع .

واذا هو لم يوهب حب النظام والأناقة حتى شعره ونثره كان يكتبه على نتف من الاوراق تذوب بين أصابعه ، فأنه أوتى قوة الذاكرة حتى يستطيع أن ينشد :

علمي معي حيثما يممت يتبعني صدري وعاء له ، لا بطن صندوق
إن كنت فى البيت كان العلم فيه معي أو كنت فى السوق كان العلم فى السوق

فليس اذن من العجيب ألاّ يجدوا شعر حافظ بين أوراقه وليس من العجب ألاّ يجدوا بين مخلفات حافظ ورقاً فكل ما نظمه حافظ كان مطبوعاً فى ذهنه، وكل ما حفظه حافظ كان مصوناً فى ذاكرته ، والمحفوظ من نظمه هو القليل النادر كالقصائد التى أملاها على صديقه محمد ابراهيم هلال فطبعها فى مجلدين وكالقصائد التى نشرتها الصحف. وأما مانظمه ولم ينشر — لأنّ نشره غير موموق على بلاغته — فكثير وروانه قليلون لأنه كان يكتفى أن يرضى نفسه بنظم ماهو فيض منها وعفو السجية دون أى اهتمام بحفظه أو تدوينه ولا تأخذه بالسيئة هوادة ولا بالحسنة مصانعة خصم أو صديق . ولا أخشى ان أشبهه بالبحر ركوداً إذا لم يطب له الكلام أو الموضوع

الذى يعالج ، وبالبحر فيضاً وتدفقاً اذا طاب له الكلام أو الموضوع الذى يعالجه .

* * *

عرفته فى أواخر سنة ١٨٩٩ وقد جاء من السودان أو بالأحرى جىء به منه حيث كان ضابطاً فى الطوبجية — المدافع — بتهمة التآمر ورفاقه الضباط الثمانية عشرة مع الخديوي عباس باشا الثانى ومكاتبته سرا بعد افتتاح الخرطوم عرفته وشوق يقدمه لصاحب « الأهرام » كاتباً وشاعراً ليتولى عملاً بالاهرام ، لأن حافظاً ورفاقه أحيلوا الى الاستيداع بطلب اللورد كرومر وكيل الدولة الانكليزية وكان يطلب من الخديوى فوق ذلك اعلان استنكار عملهم والخديوى يماطل ويتردد فلما أحيلوا إلى المعاش اهتم الخديوى بأمرهم ليجدوا مرتزقهم .

وهذا ما أوصل حافظاً الى الخدمة بدار الكتب وكانت قبل هذه التسمية الحديثة تسمى المكتبة الخديوية لأن الخديوي اسماعيل أنشأها، ومع اهتمام الخديوى عباس بامره التحق حافظ بالشيخ محمد عبده وأصدقائه كسعد زغلول باشا وقاسم أمين واللقانى وأمثاله لان حافظا لم يؤتَ فضيلة ضبط النفس كما قلت فاطاع نفسه الى حيث مالت مزدرياً بمنفعته . وباستطاعتى أن أقول إن أواصر الصداقة تمكنت بيننا وازدادت مع الايام تمكناً فعرفت منه خوالج نفسه واطلعت على كل بيت نظمه وسطر كتبه قبل إذاعته ونشره . وتعب الكثيرون من أصحابه فى ان يحملوه على التداوى من داء السكر فلم يفلحوا ووفقت الى ان اقنعه بالتداوى ولكنى لم اوفق إلى حمله على الاستمرار لانه كان ملولا نفوراً بطبعه .

أكتب اليوم هذه الكلمة عنه وأكاد أحس بروز شخصيته بروزاً يطبعها فى كل ذهنى كأنه ماثل امامى ، وكان يلقانى كلما وقع نظرى عليه فى أواخر أيامه بهذه الكلمة : « لقد عشنا طويلا وعمّرنا . أفلا تحسُّ مثلى بدبيب الفناء وقرب الموت ؟ »

إن حافظاً أحس بدبيب الموت فى جسمه قبل أن يصل اليه ففاجأه وهو ينتظره وذهب إلى ربه بجبهة ناضرة وعين ناظرة ؟

داود بركات

حافظ كما عرفته

لعل فى أعناق بنى أباظة واجباً كبيراً نحو الذى قال فيهم :

بنى أباظة لا زالت دياركمو أفقَ البدور وغاباً للصناديدِ

فقد طوّقهم حافظ بمديحه الخالد ، وقلدهم من جميل شعره الرصين ، بما سوف يبقى على مر السنين ، وليس فينا من لا يشعر نحو شاعر مصر الكبير بدين يتطلب الوفاء ولكن شعوراً آخر يقعد بنا عنه هو : العجز عن حسن الاداء .

ولكنى دعيت لتخليد ذكرى صديقى بعد أن هجرت الصحافة للفلاحة ، والطرس إلى الفأس ، لا تبرماً بالادب ، ولكنه الملل واليأس ، وجئت اليوم متثاقلا ، بهمة متداعية فاترة ، ألقى الدلو فى الدلاء ، وأزاحم بمنكبى الادباء والشعراء ، تلبية لداعى الوفاء.

عرفت حافظاً من ثلاثين عاماً ، يزورنا فيملأ بيوتنا بهجة ويشيع فيها المرح ويَصرف أبناء الأسرة وشبابها إلى معالجة الادب والرياضة العقلية والمفاضلة بين الشعراء وتذوق النكات اللاذعة حلوة أو مرة ، ويرجع الفضل فى ارتباطنا به للامام الشيخ محمد عبده فقد كان صديقاً حميماً للمغفور له سليمان باشا أباظة أحد وزراء المعارف السابقين ، وكان الباشا أديباً كبيراً وشاعراً مجيداً . فأعجب حافظ به ، وافتتن هو بشعر حافظ وأدبه . ووجد الشاعر فى عميد أسرتنا ما يصبو مثله له : الأدب والشعر والجاه والوفاء وكرم الاخلاق . فلم لا يتعلق به وكفى بالأدب وحده صلة بين الرجلين تجمع بينهما وتوثق بين قلبيهما العلاقة مع امتناع المنافسة ؟!

لقد والله سمعت حافظاً غير مرة ينشد بيتاً لسليمان باشا أباظة من قصيدة له فى رثاء أخيه المغفور له السيد باشا أباظة :

ولو أنّ إظلام الليالى من الاسى ووقعَ الخطوب السود ماطلع الفجرُ

ويقول وددت لو أن لى هذا البيت من الشعر بنصف ديوانى كله .

وسمعته يردد مع شديد الاعجاب قول الباشا فى الفخر :

سيوفٌ ثباتى فى قراع الشدائد تجردها أيدى التجلدِ لا يدى

يقولون سالمهن إن كنت ذا نهى وعزمى يقول الحزم قمع المعاندِ

ثم مات سليمان فحمل صديقه الشاعر قيثارته يرسل من نغماتها أشجى عبارات الأسى ويبكيه بقصائد تلمس خلالها الحزن الصادق ذا اللوعة المحرقة .

هل قرأت قوله :

أنَّى حللتُ أرى عليك مآتما فلمن أوجّه فيك حسن عزائي ؟
لبنيك أم لذويك أم للكون أم للدهر أم لجماعة الجوزاء

« • »

لا تحملوه على الرقاب فقد كفى ما حملت من منّة وعطاء
وذروا على نهر المدامع نعشه يسرى به للروضة الفيحاء
تالله لو علمت به أعواده مذ لامسته لأورقت للرائي

« • »

خلقٌ كضوء البدر أو كالروض أو كالزهر أو كالخمر أو كالماء
وشمائل لو مازجت طبعَ الدجى ما بات يشكوه المحب النائي
ومناقبٌ لولا المهابة والتقى قلنا مناقب صاحب الاسراء
وعزائم كانت تفلّ عزائمَ ال احداث والايام والأعداء

« • »

شوقتنا للترب بعدك واشتهى فيه الأقامةَ واحد العذراء

« • »

وهل قرأت قوله :

أيهذا الثرى إلى مَ التمادى بعد هذا أأنت غرثانُ صادي
أنت تُروى من مدمع كل يوم وتُغذّى من هذه الأجسادِ
قد جعلت الانام زادك فى الدهر وقد آذن الورى بالنفادِ
فالتمسْ بعده المجرة وردا وتزوّدْ من النجوم بزادِ
لست أدهوك بالتراب ولكنْ بقدود الملاح والاجيادِ

بخدود الحسان ، بالاعين النجـــــل ، بتلك القلوب والاكبادِ
لم تلدنا حواء إلا لنشقى ليتها عاطـل من الأولادِ
سلمتنا إلى صروف زمان ثم لم توصها بحفظ الودادِ

« • »

خبرينا جهين لا تكذبينا ما الذى يفعل البلى بالجوادِ
كيف أمسى وكيف أصبح فيه ذلك المنعم الكثير الرماد ؟

« • »

رحم الله منه لفظاً شهياً كان أحلى من ردّ كيد الأعادى
رحم الله منه طرفاً تقياً ويميناً تسيل سيل الغوادى
رحم الله منه شهماً وفياً كان ملء العيون فى كل نادِ

« • »

ألهم الله فيك صبراً جميلاً كلّ من بات ناطقاً بالضادِ
بتّ فى حلة النعيمِ وبتنا فى ثيابٍ من الأسى والسهادِ

« • »

اتصل حافظ بسليمان باشا ثم بأبنائه وأفراد الأسرة جميعا ونشأت بينه وبينهم صداقة كانت تزداد مع الأيام رسوخاً ومتانة حتى امتنعت الكلفة وأصبح يحسب نفسه واحداً منهم ولا يحس فى بيوتهم بوحشة الاغتراب . والتفوا به يكرّمونه ويشيدون به ، ويتغنون بشعره ويشجعونه ، فكثر فيهم شعره ، وما نشر فى ديوانه منه إلا القليل ، وإذا كان لكل شاعر شيطان أو ملاك مُلهِم فان ملاك حافظ كان مشغوفاً « ببنى أباظة » يلهمه فى مديحهم المعجزات ، أما شيطان الدكتور طه حسين فلا يغريه إلا بالطعن والتعريض والهجاء . فهو يقول « بأن شعره فى رثاء أصدقائه « الاباظيين » متكلف لا يدل على حزن صادق ولا لوعة وانما دفع اليه بواجب المجاملة وانك تحس عند ما تقرأه كأنك تقرأ شعر طالب وضع أمامه نماذج من الشعر القديم وأراد محاكاتها فأخذ معانى القدماء وذهب مذهبهم فى

الغلو السقيم » ، ويشبه الدكتور تعزيته « للأباظيين » بتعزيته للانجليز فى فقد ملكتهم . . . .

ولست أدرى لِمَ يكون الامر كذلك وقد حدثتُ القراء بنشأة ما كان بيننا من صلة ، ولِمَ يُشبِّهنا الدكتور طه بالانجليز غفر الله له وأجدادنا عرب علموا الناس الوطنية والثبات والتضحية ، ولِمَ نعبد اليوم ما كنا نحرمه بالأمس ، ولا حرمنا اليوم ما كنا نعبده من دون الله ، ولا اتخذنا السياسة تجارة ؟..... والسبب فى هذا كله ما وجده فى رثائه من الغلو ! فهل استكشف الدكتور شعراً عربياً له أو لغيره فى الرثاء أو المدح خالياً من المبالغة والاغراق . . . . وهل أقدم الأمثلة أم أترك القراء يبحثون ؟

أما ما يعجب به الدكتور طه ويحبذه فهو رأيٌ للأُستاذ « لطفى السيد بك » فى الشاعرين الكبيرين فيقول فى كتابه حافظ وشوقى : « كنت مرة عائداً مع الاستاذ لطفى السيد بعد أن حضرنا اجتماعاً لتخليد ذكرى حافظ قبل أن يموت شوقى ، وكنا نتحدث فى أمر الشاعرين فقال لطفى بك : لقد خدعنى حافظ عن نفسه كما خدعنى شوقى عنها ! كنت ألقى حافظاً أول عهده بالشعر وكان يسمعنى كثيراً من شعره فلا يعجبنى ، فقلت له ذات يوم : أرح نفسك من هذا العناء ، فلم يخلقك الله لتكون شاعراً ! ولكنه لم يقبل نصحى وحسناً فعل ، فما زال يجدُّ ويكدح حتى أرغم الشعر على أن يذعن له وأصبح شاعراً ، وكنت شديد الاعجاب بشعر شوقى أقرؤه فى لذة تكاد تشبه الفتنة وأثنى عليه كلما لقيته ، فما زال شوقى يكسل ويقصر فى تعهد شعره حتى ساءَ ظنى بشعره الأخير ! »

وأكتفى بأن احتكم للقراء فى رأي استاذنا لطفى بك وموافقة الدكتور طه عليه . فان الأجماع يقول غير ذلك ... يقول بضعف شعر حافظ فى السنين الأخيرة من حياته ، أما شوقى فلم يدرك الضعف شعره ولا تطرق اليه الوهن وكل من قرأ قصة « مجنون ليلى » وقد أخرجها فى آخر حياته يرى فيها البرهان الساطع ، والدليل الناصع القاطع . فما تلوتها مرة الا أخذتنى هزة الطرب ونشوة العجب ، وا كبرت لغة العرب ، وشعرت بأن شوقى أراد أن تنهزم كل اللغات أمام الضاد ، فتم له ما أراد !

وفى الحق لقد جعلت « مجنون ليلى » الكثيرين مثلى تكبر فى عيونهم اللغة العربية

والشعر العربي القصصي ، وكنت أقرأ لهيجو وكورنيل وراسين ولامارتين ، وأقرأ للشعراء الحديثين من الفرنسيين فتلسع فؤادي الغيرة والحسرة ، وكنت أحسب أن لغتنا تعجز عن المجاراة ، وتقف عن المباراة ، ولا تصل لما فى الفرنسية وشعرها القصصي من روعة وحلاوة وطلاوة وعذوبة ومرونة حتى قرأت « مجنون ليلى » فغيرت اعتقادي وامتلأت نفسى غبطة .

وقد حدثت حافظاً عن « مجنون ليلى » فحبّذ وأثنى ، وكنت فى العادة اذا ما أطلقت المديح فى شعر شوقي يثور محاولاً أن يثنيني عن الثناء بنقده المر وقدرته على تخريج اللفظ وتشويه المعنى ، أما رواية « مجنون ليلى » فقد سلم معى أنها معجزة المعجزات وآية الآيات .

فليسمح لى الدكتور طه المعجب بالفيلسوف ديكارت القائل بنظرية الشك حتى يصل الى الحقيقة ، ان أشك فى اسناده هذا الرأى لاستاذنا الكبير لطفى السيد بك .

لقد كنا نعجب بشعر حافظ منذ كنا أطفالا ثم يافعين ، ونرى فيه زعيماً من كبار الزعماء الوطنيين المخلصين ، نتغنى بشعره ونفضله على سائر الشعراء لأنه كان يضرب على الوتر الحساس ، ويهيب بالشباب ويلهب العواطف ويحفز الهمم ، ويكافح اليأس والتواكل ويدعو للجهاد والامل .

وكان شوقى فى منصبه الرسمى لا يستطيع أن يخوض غمار السياسة بحرية وصراحة فانفرد حافظ يستولى على القلوب وأحرز مكانة لا تدانيها مكانة .

فأىّ أديب لم يتغنَّ بقصيده فى جميع ضروب الشعر ، وأى أديب لم يهرع إلى سماعه يتدفق فى الحفل بصوته الجهورى الممتع والقائه البديع الخلاب الذى كان يدوى بين الجماهير فيضم سحراً ونخامة جديدين الى ديباجته الساحرة الفخمة ؟

وان عهدنا بحافظ لقريب وشعره مازال عالقاً بالاذهان ، فلست أحب أن أعيد عليكم قصائده الخالدة فى البارودى ، وعثمان أباظة ، والاستاذ الامام ، وقاسم أمين ، وصبرى ، وعلى يوسف ، والمويلحى ، والاخيرة خمرية بذّ فيها أبا نواس ولم يبلغ شأوه فيها أحد :

أوشك الديكُ أن يصيح ونفسى ... بين همٍّ وبين ظنٍّ وحدسِ
يا غلام المدامُ والكاسُ والطا ... سُ وهيّىء لنا مكاناً كأمسِ

واطلق الشمسَ من غياهب هذا الد ... نّ واملأ من ذلك النور كأسى
وأْذَنَ الصبح أن يلوح لعينى ... من سناها فذاك وقت التحسّى
وادعُ ندمان خلوتى وائتناسى ... وتعجّلْ واسبلْ ستورَ الدمقسِ
واسقنا يا غلامُ حتى ترانا ... لا نطيق الكلام الا بهمسِ
خمرة قيل إنهم عصروها ... من خدود الملاح فى يوم عرسِ
مذ رآها فتى العزيز مناماً ... وهو فى السجن بين همٍّ ويأسِ
أعقبته الخلاصَ من بعد ضيقٍ ... وحبَتْه السعودَ من بعد نحسِ

« • »

وقد نزع فى الجزء الثانى والثالث من ديوانه إلى الاجتماعيات فاهتز لشعره العالم العربى كله وتبوأ المكان اللائق به تحت الشمس وأخذ بعض الناس يفاضلون بينه وبين شوقى ، وتلك مرتبة لم ينلها قبله أحد .

هل قرأت « غادة اليابان » ؟

لا تلم كفى إذا السيفُ نبا ... صحّ منى العزم والدهر أبى
ربَّ ساع مبصر فى سعيه ... أخطأ التوفيق فيما طلبا

« • »

وفى « الامبراطورة أوجينى » :

أين يوم القنال يا ربة التاج ... ويا شمس ذلك المهرجانِ ؟
أين مجرى القنال أين مميت المال ... أين العزيز ذو السلطان ؟

« • »

وفى « الزوجية » :

حطمتُ اليراع فلا تعجبى ... وعفتُ البيانَ فلا تعتبى
فما أنتِ يا مصرُ دارَ الاديب ... ولا انتِ بالبلدِ الطيب

« • »

وفى « فيكتور هيجو » :

أعجميٌّ كاد يعلو نجمه ... فى سماء الشعر نجمَ العربى

صافح العليـاء فيهـا والتقى بالمعرى فوق هام الشهبِ

« • »

وفى « دنشواى » :

أيهـا القـائمون بالامر فينـا هـل نسيتم ولاءَنا والودادَا

خفضوا جيشكم وناموا هنيئاً وابتغوا صيدكم وجوبوا البلادَا

وإذا اعوزتـكمُ ذاتُ طوق بين تلك الرُّبى فصيدوا العبادَا

« • »

أما قصائده فى تأبين الشيخ محمد عبده ومصطفى كامل وسامى البارودى وفى عزل السلطان عبدالحميد فقد جاوزت حـدَّ الابداع وجرت مجرى المثـل . فعظم خطره ، وتألق نجمه ، ووجم خصمه وأصبح شاعر النيل غير مدافَـع .

وكان اذا خلونا به يحمـل على شوقى وشعره ، ولـكنه لا يتنازل لنقـد غيره . ولا يسلم له بالامامة ولا يعترف له بالزعامة . وكان يحب كبير الشعراء خليل مطران ويخلص له وطالما سمعته يطنب فى مدحه ، ويذكر الاساتذة محرماً والـكاشف ونسيماً بالخير ، ولا يذكر بالخـير الـكاتبين المـازنى والعقاد وله فيهما وفى الدكتور طه حسين رأىٌ معروفٌ .

وكان فيما ينشره عفَّ اللسان جمَّ الأدب ، ولـكنه كان هجّـاءً شديدَ القسوة على خصومه فيما لا يعدّه للنشر . هجا المرحوم سعد زغلول باشا متهماً إياه بالأنانية ومغرياً به سمو الخديوى السابق فقال :

أنا ! أنا ! منـه كلَّ يومٍ لهـا صـدًى بيننا يرنّ

أدرك أنا وهى فى صباها ان لم تقل نحن ... قال نحن !

وغضب على المرحوم السيد توفيق فقال :

وليلةٍ بتُّ بهـا ساهراً أجر ذيل الفحش والفجر

حتى ظننتُ وليلتى عجبٌ أنى ببيت السيد الـ . . . .

وحمل على شاعرين كبيرين فقال :

لى عدوّان لن يناما عنى ولو نامت الخطوبُ

مخنثٌ كلــه ثقوبٌ ومــدمنٌ كله عيوبُ !

وقال يسبُّ كاتباً من أكبر كتاب مصر :

أخسُّ من دبَّ على ظهرها ودبت الناسُ على ظهرهِ !

وقال يهجونى فى عقر بيتى ويمدح خادمى أحمد :

اذا جئتهم طالبا لقمةً رأيتَ مظــاهرةً قادمهْ !

ألا بارك الله فى أحمدٍ ولعنة الله على الخادمهْ !

ثم سأل ما اسم هذه الفتاة ؟ قالوا فاطمه، قال حسن ! فليـكن البيت هكذا :

ألا بارك الله فى أحمدٍ ولعنة الله على فاطمهْ !

وهــكذا كنا نتمتع بحديثه الشهى ونقضى معه أياماً لن تعود غفرله الله ، وطيب ثراه ، وجعل الجنة مثواه ؟

ابراهيم دسوقى أباظه



حافظ الرجل وحافظ الشاعر

قال كارليل الفيلسوف الانجليزى العظيم فى كتابه (الأبطال وعبادة الأبطال): الرجل العظيم لا يزال المنقذ الوحيد لعصره من مهاوى الفناء والعدم ، وهو الشعلة الأولى التى تمتد إلى سائر المواد فتشعلها .

والاخلاص العميق البالغ البعيد المــدى الــكريم فى أصــله هو أول خواص الرجل العظيم سواء أكان إلــهاً أم نبياً أم شاعرا أم كاتبا أم ملــكاً ، ونحن نسمى هذا الرجل رسولا . فهو رسول أرسل الينا من العالم المجهول الغير المحدود برسالته . فلنا أن نسميه شاعراً أو نبياً أو الهاً إذ ليس هناك فرق كبير بين النبي والشاعر ، فهما فى الاصل واحد . فــكلمة Vates فى اللاتينية معناها « نبي » ومعناها « شاعر ». وكل مافى الامر ان النبي قد تناول ذلك السرّ الالــهى من الجانب الأخلاق كالخير والشر والمحظور والمباح ، والشاعر قد تناوله من جانب الجمال . فالأول يوصى الينا بما يجب عمله ، والثانى يكشف لنا عن مواضع حبنا وسرورنا ، ولــكنهما فى حقيقتهما كجزءَيــين متداخلين لا يمــكن فصل أحدهما عن الآخر .

هذا مجمل ما قاله هذا الفيلسوف عن العظيم والشاعر ، وهذا ما أراه جديراً بان أصف به حافظ ابراهيم الرجل العظيم والشاعر الفذ كما وصفتُ به من قبل لورد بيرون الشاعر الانجليزى العظيم .

أما حافظ الرجل وحافظ الشاعر فقد يتعذر علينا ان نفصل أحدهما عن الآخر، وهذا شأن كل رجل عظيم فقد تضفى شخصيته العظيمة بألوانها الزاهية على كل شىء حوله وتصبغ شعره بصبغتها الخاصة وتطبعه بطابعها المعين .

فلا نستطيع رؤية احدهما جيداً عن الآخر ، بل لا يمكننا فهم احدهما إلا إذا فهمنا الآخر . ولكنى ارى ان شخصية حافظ الرجل هى شخصية حافظ الشاعر ، ولا ألقى هذا الكلام على عواهنه ، ولكنى أقوله وأنا واثق منه كل الثقة ، متثبت منه تمام التثبت ، معتمداً على ما أعرفه عن الرجل نفسه وما انطوت عليه نفسه العالية من نبل وسمو وفضائل .

لحافظ أكثر شعرائنا الحديثين اتصالا بنهضتنا : فقد عمل على اذ كائها بقلبه وبيانه وبروحه وماله ، لم يتطرق اليه اليأس ولم يشك أو يتململ شأن الرجل الضعيف، بل ثبت فى ميدان الجهاد ثبوت الأبطال البواسل يذود عن وطنه الذى أحبه وتفانى فى حبه ، والذى من أجله عاش وفى سبيله مات بعد أن بعث فينا روح الأمل وضرب لنا مثلاً صالحاً للجهاد الوطنى .

لم يكن حافظ مريض الاعصاب أو ضعيف الارادة فيثور ويهيج ، بل كان قوى العود صلب القناة عظيم الصبر كثير الاناة فاستقل حمله الفادح فى ثبات وصمت وواصل جهاده المضنى الطويل بين عواصف عاتية لم تقو على زحزحته أو الرجوع به الى الوراء ، ووسط بحار هائجة لم يتهيبها أو يفرق منها بل اندفع فيها وسار حتى أدى رسالته كاملة وبلغها إلى بنى وطنه وفصلها لهم تفصيلا !

لم يعرف حافظ الاثرة egoism قط — والاثرة شر عيوب الرجل — بل كان فى كل حياته حلوها ومرها كريم الخلق رضى النفس حلو الحديث يستهوى السامع ويأسره ويسر الناظر فلا يود أن يتركه ، ولكنه كان بجانب ذلك عظيماً مهيباً محبوباً : فهو عظيم فى بساطته كما أنه بسيط فى عظمته ، وربما كانت هذه ميزة تفرّد بها حافظ بين شعرائنا المصريين ، فنجد فى جانبه أنساً وفى الاستماع إليه متعة ولذة .

أما عيوبه فلا إخال أحداً يعرف عيبا لحافظ إلا اسرافه الكثير — إن كان هذا الاسراف عيباً — ومهما كانت عيوبه فان حياته وما أتى عليها من صروف وما تلونت به من ألوان البؤس والفاقة ، ونفسه وما انطوت عليه من نبل وطهارة ، وطبيعته وما امتزجت به من عناصر الطيبة والوداعة ، زعيمة بمحوها وكفيلة باظهار حافظ فى أحسن صورة وفى أبهى منظر .

لقد كانت فى حافظ قوة غريبة تدفعه إلى حب الآخرين وتستهوى الآخرين الى حبه حتى يمكننا — بدون اعتساف فى القول — أن نعد حافظاً أحب الشعراء الينا ، لأننا اذا أحببنا حافظاً فاننا نقوّى حبنا للطيبة والوداعة ونزيد ثقتنا فى صفاء الطبيعة الانسانية وطهرها ، زد على ذلك أننا بحبنا حافظ نحب شعره معه ، وشعره جزء من نفسه أو هو نفسه .

شعره

وما شعر حافظ الا روحه تقمصت روح النهضة وبرزت للعيون فى أبدع قوالب الشعر وأعجب صوره ، فلم يصدر شعره عن ملكة خاصة فيه بل كان نتيجة حتمية عامة لذهن طبيعى جبار ، ومزاج قوى حاد . أفصح عن نفسه بهذه الطريقة الشعرية الرائعة ، لذلك جاء شعره صادقاً كلّ الصدق معبراً أفصح التعبير عن ذلك المزاج الحساس وتلك النفس المتألمة لوطنها الذليل ، فلم يكن أوهاماً ولا تخيلات بل كان شيئاً شعر به صاحبه وجاش فى خاطره فألهب وجد انه فأفرغه فى ذلك القالب الشعرى الخلاب .

فالصدق والاخلاص وحب الحق هى الصفات التى تميز حافظاً عن معظم الشعراء المعاصرين وهى التى صبغت شعره بصبغة ثابتة لن تزول ، وطبعته بطابع الخلود . فوفاته إذن مأساة الاخلاص .

ويظهر لى من أشعاره ان الرجل كان له عقل قوى ، وأعصاب سليمة ، وله قلب انسان يخفق بين جوانب صدره ، وانك لتسمع خفقاته فى كل اشعاره ، وانه لم يكن مريض الشعور أو ضعيف الحس ، بل كانت له عين ترى ، وقلب يشعر ، ولسان يفصح .

انظر إليه يذكر بلاده وينعى على مواطنيه التفكك وضعف الاخلاق والاسراف فى اللهو واللعب فى قصيدته « غادة اليابان » :

أنا لولا أن لى من أمتى خاذلاً ما بتُّ أشكو النُّوَبا
أمةٌ قد فتّ فى ساعدها بُغضُها الأهلَ وحبُّ الغربا
تعشق الألقابَ فى غير العلا وتفدّى بالنفوس الرتبا
وهى والأحداث تستهدفها تعشق اللهو وتهوى الطربا
لا تبالى لعب القومُ بها أم بها صرفُ الليالى لعبا !

* * *

وانك لتجد معظم شعره قد وقفه على الافصاح عن أمانى بلاده ، وإنك لتحسّ وأنت تقرأ هذا الشعر بأنات الشاعر المتواصلة وزفراته المتصاعدة حزناً على وطنه المعذب . فشعره قد صيغ من هذه الآلام ، وزفراته قد امتزجت بأنين الشعب كثيراً . وقضى ربك ان يجعل العهد الذى عاش فيه حافظ عهد آلام وجهاد ونصب وجلاد وحرب سجال بين العدو المغتصب والشعب الوادع المطمئن . إنك تحس وأنت تقرأ شعره عن حادثة دنشواى المشئومة بأنفاس الشاعر الملتهبة وهى تتحرق وجداً على قتل الابرياء ودموعه تهمى على خديه بكاء على بنى وطنه المعذبين وهو يتساءل فى حسرة وأسى عن سبب ذلك التعذيب الشنيع الذى يصوّره فى صورة تستفز الشعور وتثير جوامد النفوس وتستدر العبرات من هول المصاب وفداحة الخطب إذ يقول :

أحسنوا القتل إن ضننتم بعفو أقصاصاً أردتمُ أم كيادَا !
احسنوا القتل إن ضننتم بعفوٍ أنفوساً أصبتمو ام جمادَا !
ليت شعرى أتلك محكمة التفتيش عادت أم عهد نيرون عادَا ؟!

ويقول أيضاً فى موضع آخر مخاطباً العميد البريطانى :

جُلدوا ولو منّيتهم لتعلقوا بحبال من شُنقوا ولم يتهيبوا !
شُنقوا ولو مُنحوا الخيار لأهّلوا بلظى سياط الجالدين ورحّبوا
يتحاسدون على الممات وكأسه بين الشفاه وطعمه لا يعذبُ !

ثم تراه وهو يبثّ روح الثورة فى نفوس الشبان ويحفزهم إلى المطالبة بحقوقهم

ويذكرهم بمجدهم التالد وتاريخهم المجيد حين يقول :

عارٌ على ابن النيل سبّاق الورى   مهما تقلب دهرُه أن يُسبقَا
فتدفقوا حُججاً وصونوا نيلكم   فلكم أفاض عليكم وتدفّقَا
ومن البلية أن تباع وتشترى   مصرٌ وما فيها وأن لا تنطقَا !

وكذلك يقول :

رجالَ الغد المأمول ان بلادكم   تناشدكم بالله أن تتذكَّروا
فكونوا رجالاً عاملين أعزةً   وصونوا حمى أوطانكم تتحرَّرُوا

* * *

واذا كانت حياة حافظ قطعة من قلب الطبيعة الخالدة فان شعره قيثارة تلك الطبيعة الحزينة الباكية تشدو بآلام وطنه وأشجانه وتتغنى بمجد مصروعزها الغابر فتبعث فى النفوس همةً وتوقظ فيها حلوَ الأماني .

وقد وهبه الله قوة وبراعة فائقتين فى تصوير الاشياء تصويراً رائعاً ، فلم يكن ينظر اليها من هذا الجانب أو من ذاك ، بل كان ينفذ الى لبها وصميمها وينظر اليها بعين نافذة شاملة فسرعان ما تذوب تلك الأشياء وتتحلل أمامه وتتكشف له دفائن أسرارها ، فيعمل فيها ريشته العجيبة ويصورها أبدع تصوير ... فما أبدع تلك الأبيات التى قالها فى وصف زلزال صقلية ، فقد تعد هذه القصيدة من غرر الشعر سواء العربى أم الغربى ، فقد كان حافظ فى هذه القصيدة صادقاً كل الصدق ، دقيقاً فى تصويره كل الدقة ، شاملا في وصفه كل الشمول ، أضف إلى ذلك جمال الالفاظ وجزالتها ، وإحكام سبك المعانى الذى لا يتسنى لكثير من الشعراء ، إذ يقول :

أين رجيو وأين ما كان فيها   من مغانٍ مأهولةٍ وغوانى ؟
عوجلت مثل أختها ودهاها   ما دهاها من ذلك الثوران
رب طفل قد ساخ فى باطن الأر   ض ينادى : أمي ! أبي ! أدركانى !
وفتاة هيفاء تُشوَى على الجم   ر تعانى من حرِّه ما تعانى
وأب ذاهل الى النار يمشى   مستميتاً تَمتدّ منه اليدان
باحثاً عن بناته وبنيه   مسرعَ الخطو مستطير الجنان

تأكل النار منه لا هو ناجٍ من لظاها ولا اللظى عنه وانى
غُصت الأرض ، أتخم البحر مما طوياه من هذه الابدان
وشكا الحوتُ للنسورُ شكاة رددتها النسورُ للحيتان
أسرفا فى اللحوم نقراً ونهشاً ثم باتا من كظة يشكوان
لا رعى الله ساكنَ القمم الشمّ ولا حاطَ ساكنَ القيعان!

الرثاء

وإن كان الصدق لازماً للشاعر والشعر فى جميع فنونه فانه أشدّ لزوماً فى الرثاء بنوع خاص . وإذا عرفنا أن الصدق فى حافظ كان عنصراً من عناصر طبيعته فلا غرابة إن جاءت مراثيه كلها آيات رائعات ودرراً غوالى تسمو بصاحبها إلى مستوى شعراء المراثى العالميين . وان الذى يقرأ مرثيته المشهورة فى صديقه الامام الشيخ محمد عبده يتبين صدق ما أقول ويشعر بلوعة الصديق الذى فقد صديقه الوفىّ الأمين :

سلامٌ على الاسلام بعد محمد سلامٌ على أيامه النضرات
على الدين والدنيا، على العلم والحجى على البر والتقوى ، على الحسنات
لقد كنتُ أخشى عادىَ الموت قبله فأصبحتُ أخشى أن تطول حياتى
فوالهفى والقبرُ بينى وبينه على نظرة من تلكم النظرات!

كذلك شأنه فى رثائه لصديقه قاسم أمين ولمصطفى كامل ، ففى هذه القصائد روعة وجلالة وتصوير قوى ساحر يأخذ بلب القارىء أو السامع ويستهوى حسه وخياله .

وصفوة القول ان شاعرية حافظ كانت مِزاجاً من الابتكار والتقليد : فقد قرأ حافظ أشعار ابن الرومى، وتأثر كثيراً بشعر بشار بن برد ومسلم بن الوليد ، وحفظ كثيراً من أشعار البحترى وأبى تمام والمتنبى والمعرى ، فجاءت دراسته هذه لاشعار العرب القدامى بثروة عظيمة له لا يشك فى قيمتها . أضف إلى ذلك دراسته للأدب الفرنسى وما فى الأدب الفرنسى من جمال وحسن ورواء ظهر أثره فى

شعره، لا فى روح التعبير وحده بل تعداه إلى المعانى .

* * *

مسكين حافظ ! ما أتعس أيامك التى قضيتها وما أشقاها ! إن كنتَ لاقيتَ منا جحوداً فى حياتك فلن تعدم منا وفاء بعد مماتك . ان اسمك سيظل مذكوراً بعد أن كتب فى ثبت الخالدين . فلتنم ولتقر عيناً بين صحبك الابرار ، فان معبد شهرتك الخالدة يطل اليوم على قبرك .

وما شهرتك إلا روحك التى ستعيش بعدك فى قلوبنا ؟

نظمى خليل

حافظ

فنانٌ كما يجب

الجمال فى الحياة كثير : جمال الطبيعة ، وجمال اللذة ، وجمال الألم . والحياة فى غموضها وابهامها مظهر من مظاهر الجمال الرائع فى الوجود ، والانسان — مذ كان — مدفوعٌ إلى تصوير هذا الجمال بوحيٍ روحيٍّ من احساسه فى أسلوب يشفّ عن مبلغ هذا الاحساس ونوعه .

فكان الموسيقىُّ والشاعرُ المصوّرُ ومن الى هؤلاء الذين صفت عقولهم حتى صارت قلوباً .

وهؤلاء رسلُ الجمال فى الحياة ، وكما اختلفت رسالاتهم فى الفن قد تلونت أساليبهم بلون الشعور الذى حفزهم إلى الرمز والتعبير .

فنرى مصوراً مثلا قد ملكه جمالُ الطبيعة فقام يدعو لعبادة هذه الآلهة فى بلاغة من الصمت الناطق ، ثم نرى مصوراً آخر قد حيرته معانى الحياة ودفائن الوجود فسجد لجبروت هذا السر الرهيب ثم انبرى يصوّر هذه المعانى ويكشف عن تلك الدفائن بريشة العاطفة ومشعل الخيال .

وهكذا كان الشاعر ، وهكذا يجب أن يكون : يجب أن يقف كل شاعر فى محراب من محاريب الحياة يسبّح لآله واحد من آلهة الجمال ، ويهتف بما يوحى اليه

من سماء هذا المعبود . يجب أن يبرز فى ناحية واحدة من نواحى الشعر تطغى على كل النواحى وتميزه عن غيره من الشعراء ، أى أن تكون له قيثارة واحدة يحملها دائماً ليعزف عليها كلما شاقه العزف حتى يصل بفنه إلى ما وراء الخلود .

... وهكذا كان حافظ .

عاد من السودان فى شوق ولهفة الى مصر فرأى راية التيمس ترفرف على النيل وتداعبها نسمات السيادة والسلطان أحياناً ، تزجيها عواصف الطمع والاستبداد ، ورأى تحت هذه الراية أمة مكبلة بالاغلال الثقيلة مستكينة لهذه القيود تغط فى نومها غطيط الهادىء فى سرر اليأس ووسائد القنوط . وكلما أحست وطأة السلاسل فتحت عينيها وعولت على النهوض فتخونها قدماها وتتعثر فى حبائلها ويحلق فوق جفنيها طائر النذير والوعيد من وراء البحار فيثقلهما ويملؤهما بالنوم مرة أخرى .

هذا المنظر دفع بحافظ الى ربوة من الهم والكآبة على ضفة النيل ، وهناك رمى فى تيار النهر بالدفء الهزيل الذى كان يضرب عليه وانتزع من بقايا قلبه المحطم قيثارة الوطنية والاجتماع . وأخذ يغنى فوق تلك الربوة قصيد الألم ونشيد الأنين ، وجعل يرسل شعره ثائراً صريحاً فى ثورته ، ثائراً على الأخلاق المصرية والرجولة المصرية وفى ثورته نصيحة واخلاص . وهل ترى أدعى إلى ثورة الشاعر الاجتماعى من أن يرى أبناء شعبه يهيمون بالالقاب والشهرة العمياء وموالاة المستعمر العابث وكل هذه المظاهر التى ما تزال بيننا براقة خادعة الى ما بعد حافظ . وهو هنا يرمى فى شعره الى الاغراض السامية ويصور المثل العليا ويكشف عنها فى شجاعة فنية وموسيقية بارعة ، ثائراً فى وجه المغتصب وهى ثورة الضعيف المبحوح وفى بحة صوته وضعفه نبرات المؤمن بحقه الصليب . أقرأ شعره الآن فأتخيله وكأنى أسمع منه الأنين المر وأكاد أرى جراح قلبه والدم يسيل على جوانبها وهو واقف الى جانب مصر العاجزة النائمة ليوقظها بنحيبه ويمد بيدها الموثقة فى ضراعة الى المغتصب الجبار رجاء ان يرحم ذلها وضعفها ويفك أغلالها ثم يدعها تضمد جراحها بنفسها . وقد يشير إلى القوة الكامنة فى هذا الضعف ، والثورة الجارفة التى لا بد ان يخلقها القيد والاستعباد .

هذه الصور وغيرها تجدها حية فى قصائده الخالدة — دنشواى — مصر فوق الجميع — غادة اليابان — وأشباهها .

« ٠ »

هذه هى رسالة حافظ الشاعر التى دعا اليها ووقف فنه على خدمتها طول حياته ، ولعله كان لا يصلح الا رسول وطنية واجتماع . فلقـد حاول أن يجعل فنه باقة من مختلف الازهار ، ولـكن شاءت طبيعته غير ما أراد . ولعمرى ان الجمال الفرد الذى يشعّ من زهرة واحدة أبلغُ تأثيرا فى النفس من جمال حائر بين مجموعة زهرات .

فهوحينما نظم فى الغزل والمدح والخمر لم يكن فيه — على قلته — الا مقلداً دفعته رياح تقليدية من جنوب العصر . عرب (البؤساء) وكتب (ليالى سطيح) فخذله الفن فلم يوفق فى أسلوبه ، وإن كان قد وفق فى الغرض وأحسن القصد لأنه لم يكن الا شاعراً وشاعراً اجتماعياً فحسب . ولا ريب أنه فى كتابته هذا وتعريفه ذاك كان مدفوعاً بالنزعة الاجتماعية المتركزة فى طبيعته .

« ٠ »

يقى لنا أن نتساءل — ولابد أن نتساءل بعد الذى قررناه — كيف ارتفع حافظ بمراثيه الى درجة من الدقة والفخامة تـكاد تعدل مراثى أفحل الشعراء الذين هتف بنبوغهم الزمن فى أبهى عصور الأدب العربى ؟

لا غرابة ولا عجب ، فهو إذ يرثى إنما ينظم أنات الشعب المفجوع فى عظيم قدم نفسه قرباناً لآلهة الجهاد والتضحية ، أو مصلح كان يوقد عقـله لينير الطريق التى تظللها أشجار التقدم والنهوض . فليس غريباً اذن أن يألم حافظ وأن يرسل آهاته من أعماق قلبه الذى أذابه حب وطنه فتأتى هذه الآهات فناً شامخاً رفيعاً — رثى محمد عبده — سعد زغلول — قاسم أمين — وغيرهم من رجالات نهضتنا فـكان يرثى محمد عبده لانه يبكى محمد عبـده كما يبكيه الشعب ، وهكذا لم يضرب على نغمة فاترة واحدة ، وانما جاء شعره صدى لاحساسه المختلف ولاحساس الأمة نحو كل رجل وهذه هى القوة . وهذا هو الفن كما يجب وكما كان ؟!

المهدى مصطفى



مختارات

من شعر حافظ

للمحو والوطن

مالى أرى الأكمامَ لا تُفتَّحُ ... والروضَ لا يزكو ولا يَنفحُ
والطيرَ لا تلهو بتدويمها ... فى مُلكِها الواسعِ أو تَصدَحُ
والنيلَ لا تَرقُصُ أمواههُ ... فَرْحى ولا يجرى بها الأبطحُ
والشمسَ لا تُشرقُ وضّاءةً ... تجلو همومَ الصدرِ أو تَنزحُ
والبدرَ لا يَبدو على ثَغرِهِ ... من بَسماتِ اليُمْنِ ما يَشرحُ
والنَّجمَ لا يَزْهَرُ فى أُفقهِ ... كأنّه فى غمرةٍ يَسبحُ
ألم يَجِئْها نبأٌ جاءنا ... بأنّ مِصْراً حُرّةٌ تَمْرَحُ ؟
أصبحتُ لا أدرى على خبرةٍ ... أجدّت الأيامُ أم تَمزحُ !
أموقفٌ للجدّ نجتازُهُ ... أم ذاك للأهى بنا مَسرحُ ؟
ألمحُ لاستقلالنا لمحةً ... فى حالكِ الشكّ فأستروحُ
وتطمسُ الظلمةُ آثارَها ... فأنثنى أُنكرُ ما ألمحُ
قد حارتِ الأفهامُ فى أمرِهِمْ ... إنْ لَمَّحوا بالقصدِ أو صَرَّحوا !!

معبر الحب

هوَيْنا فما هُنّا كما هانَ غيرُنا ... ولكننا زِدنا مع الحبّ سُؤْدَدَا
وما حكمتْ أشواقُنا فى نفوسنا ... بأيسرَ مِن حُكمِ السماحةِ والنّدَى
نفوسٌ لها بين الجنوبِ منازلٌ ... بَناها التُّقى واختارها الحبُّ مَعبدَا

سجن الفضيلة

نعمن بنفسى وأشقيننى ... فياليتهن ويا ليتنى
خلال نزلن بمخصب النفوس ... فرويتهن وأظمأننى
تعودن منى إباء الكريم ... وصبر الحليم وتيه الغنى
وعودتهن نزال الخطوب ... فما ينثنين وما أنثنى
إذا ما لهوت بليل الشباب ... أهبن بعزمى فنبهننى
فما زلت أمرح فى قدهن ... ويمرحن منى بروض جنى
الى أن تولى زمان الشباب ... وأوشك عودى أن ينحنى
فيا نفس إن كنت لا توقنين ... بمعقود أمرك فاستيقنى
فهذى الفضيلة سجن النفوس ... وأنت الجديرة أن تسجنى

الدنيا الضائعة

لم يبق شىء من الدنيا بأيدينا ... الا بقية دمع فى مآقينا
كنا قلادة جيد الدهر فانفرطت ... وفى يمين العلى كنا رياحينا
كانت منازلنا فى العز شامخة ... لا تشرق الشمس الا فى مغانينا
وكان أقصى منى نهر المجرة لو ... من مائه مزجت أقداح ساقينا
والشهب لو أنها كانت مسخرة ... لرجم من كان يبدو من أعادينا
فلم نزل وصروف الدهر ترمقنا ... شزراً وتخدعنا الدنيا وتلهينا
حتى غدونا ولا جاه ولا نشب ... ولا صديق ولا خل يواسينا

الى الامبراطورة أوجينى

(عند قدومها الى مصر بعد زوال ملكها)

أين يوم القنال يا ربة التا ... ج ويا شمس ذلك المهرجان
أين مجرى القنال ؟ أين مميت الما ... ل ؟ أين العزيز ذو السلطان ؟

أين هارونُ مصر ؟ أين أبو الا | أشبالِ ربّ القصور ربّ القيانِ ؟
أين ليثُ الجزيرةِ ابنُ علىٍّ | واهبُ الألفِ مكرِمُ الضيّفانِ
أين ذا القصرُ بالجزيرة تجرى | فيه أرزاقُنا وتحبو الأمانى ؟
فيهِ للنحسِ كوكبٌ مُسْرِعُ السَّيْـ | ـرِ ، وللسعدِ كوكبٌ متوانى
قد جرى النيلُ تحته بخشوعٍ | وانكسارٍ وهابه الفتيانِ (١)
كنتَ بالأمسِ جنّةَ الحورِ ياقصـ | ـرُ فأصبحتَ جنةَ الحيوانِ
خطرَ الليثُ فى فنائكَ يا قصْـ | ـرُ وقد كنتَ مَسْرَحاً للحسانِ
وعوَى الذئبُ فى نواحيك ياقصـ | ـرُ وقد كنتَ معقلاً للسانِ
وحباكَ الزوّارُ بالمالِ يا قصْـ | ـرُ وقد كنتَ مصدرَ الاحسانِ
كنتَ تُعْطِى فمالكَ اليوم تُعْطَى | أين بانيكَ ؟ أين ربُّ المكانِ ؟
إن أطافَتْ بك الخطوبُ فهذى | سنّةُ الكونِ من قديمِ الزمانِ
رُبَّ بانٍ نأى وربَّ بناءٍ | أسلمتْهُ النَّوَى إلى غيرِ بانى
تلكَ حالُ الايوانِ يا ربّةَ التا | ـجِ ، فما حالُ صاحبِ الايوانِ ؟
قد طواه الرَّدَى ولو كان حيّاً | لمشَى فى ركابكِ الثقلانِ (٢)
وتولتْ حراسةَ الموكبِ الأسْـ | ـنَى نجومُ السماء والنيرانِ
إنْ يكنْ غابَ عن جبينكِ تاجٌ | كان بالغربِ أشرفَ التيجانِ
فلقد زانكِ المشيبُ بتاجٍ | لا يدانيه فى الجلالِ مُدانى
ذاكَ من صنعةِ الأنامِ وهذا | من صنيعِ المهيمنِ الديّانِ
كنتِ بالأمسِ ضيفةً عند مَلْكٍ | فانزلى اليومَ ضيفةً فى خانِ
واعذرينا على القصورِ ، كلانا | غيّرتْهُ طوارئُ الحدثانِ

(١) الليل والنهار (٢) الانس والجن

حادثة دنشواى

أيها القائمون بالأمرِ فينا | هل نسيتم ولاءنا والودادا ؟
خفّضوا جيشكم ، وناموا هنيئاً | وابتغوا صيدكم ، وجوبوا البلادا
وإذا أعوزتكمو ذاتُ طوقٍ | بين تلك الرُّبَى ، فصيدوا العبادا
إنما نحن والحمامُ سواءٌ | لم تغادر أطواقُنا الأجيادا
لا تظنّوا بنا العقوقَ ولكنْ | أرشدونا إذا ضللنا الرشادا
لا تقيدوا [1] من أمةٍ بقتيلٍ | صادت الشمسُ نفسَه حين صادا
جاء جُهّالُنا بأمرٍ وجئتمْ | ضعفَ ضعفيهِ قسوةً واشتدادا
أحسنوا القتلَ إنْ ضننتم بعفوٍ | أقصاصاً أردتمُ أم كيادا ؟
أحسنوا القتلَ إن ضننتم بعفوٍ | أنفوساً أصبتمُ أم جمادا ؟
ليتَ شعرى أتلكَ محكمةُ التفتيشِ عادتْ أم عهدُ نيرون عادا !؟

« • »

أيها المدّعى العمومىّ مَهْلاً | بعضَ هذا فقد بلغتَ المرادا
قد ضمنّا لكَ القضاءَ بمصرٍ | وضمنّا لنجلكَ الإسعادا
فاذا ما جلستَ للحكمِ فاذكرْ | عهدَ مصرٍ فقد شفيتَ الفؤادا

« • »

لا جَرَى النيلُ فى نواحيكِ يا مصرُ ، ولا جادكِ الحيا حيث جادا
أنتِ أنبتِّ ذلكَ النبتَ يا مصرُ ، فأضحى عليكِ شوكاً قتادا
أنتِ أنبتِّ ناعقاً قام بالأمسِ فأدمى القلوبَ والأكبادا
إيهِ يا مِدْرَهَ القضاء ويا مَنْ | سادَ فى غفلةِ الزمانِ وشادا
أنت جلاّدُنا فلا تنسَ أنّا | قد لبسنا على يديك الحِدادا !

(١) لا تأخذوا بالثأر .

الظلم المهذب

لقد كان فينا الظلمُ فوضى فهُذِّبَتْ حواشيه حتى بات ظُلماً مُنظَّمَا
تمنّ علينا اليومَ أن أخصبَ الثرَى وأن أصبحَ المصرىُّ حُرّاً مُنعَّمَا
أَعِدْ عهدَ اسماعيل جَلداً وسخرةً فانى رأيتُ المَنَّ أنكى وآلمَا
عملتم على عِزِّ الجمادِ وذُلِّنا فأغليتمُ طِيناً وأرخصتمُ دَمَا
إذا أخصبتْ أرضٌ وأجدبَ أهلُها فلا أطلعتْ نبتاً ولا جادَها السَّمَا !

زلزال سينا

نبّئانى إنْ كنتما تعلمانِ : ما دَهى الكونَ أيها الفرقدانِ
غضبَ اللهُ أم تمردتْ الأر ضُ فأنحتْ على بنى الانسانِ ؟!
ليس هذا ، سبحان ربى ، ولاذا كَ ولكنْ طبيعةُ الأكوانِ
غليانٌ فى الأرضِ نَفَّسَ عنه ثورانٌ فى البحرِ والبركانِ
رَبِّ ! أين المَفَرُّ والبحرُ والبرُّ على الكيدِ للورَى عاملانِ ؟!
كنتُ أخشى البحارَ والموتُ فيها راصدٌ غفلةً من الربّانِ
سابحٌ تحتنا ، مُطِلٌّ علينا حائمٌ حولَنا ، مُناهٍ مُدَانى
فاذا الأرضُ والبحارُ سواءٌ فى خلاقٍ : كلاهما غادرانِ

« ٥ »

ما (لمسّينَ) عُوجِلَتْ فى صباها ودَهاهَا من الرَّدَى داعيانِ
ومَحَتْ تلكمُ المحاسنَ منها حينَ تَمّتْ آياتُها آيتانِ
خُسِفَتْ ، ثم أُغرِقَتْ ، ثم بادتْ قُضِىَ الأمرُ كُلُّه فى ثَوانِ
وأتى أمرُها فأضحتْ كأنْ لم تَكُ بالأمسِ زينةَ البلدانِ
ليتها أُمْهِلَتْ فتقضى حُقوقاً من وداعِ اللذاتِ والجيرانِ

لجـةٌ يُسْعَدُ الصديقانِ فيها باجتماعٍ ويَلتقي العاشـقانِ
بَغَتْ الأرضُ والجبالُ عليهـا وطَغى البحرُ أيّمَا طغيانِ
تلكَ تَغْـلي حقداً عليها فتَـنْشَـقُّ انشقاقاً من كثرةِ الغليانِ
فتُجيبُ الجبـالُ رَجْماً وقَذْفاً بشواظٍ مِنْ مارجٍ ودخانِ
وتسوق البحارُ ردّاً عليهـا جيشَ موجٍ نائي الجناحين داني
فهنا الموتُ أسودُ اللونِ جونٌ وهنـا الموتُ أحمرُ اللونِ قاني
جَنَّدَ المـاءَ والثرى لهلاكِ الـ خلقِ ثم استعان بالنيرانِ
ودعا السُّحبَ عاتياً فأمدَّتْـهُ بجيشٍ من الصواعقِ ثانِ
أين (رجيو) وأين ما كان فيها مِنْ مَغَـانٍ مأهولةٍ وغواني ؟
عُوجِلَتْ مثلَ أختهـا ، ودهاها ما دهاها من ذلك الثورانِ
ربَّ طفلٍ قد ساخ في باطن الأرْ ضِ ينادي : أمّي ! أبي! أدركاني!
وفتاة هيفاءَ تُشْوَى على الجَمْـرِ تُعاني مِنْ حَرِّهِ ما تُعاني
وأبٍ ذاهلٍ إلى النارُ ، يَمْشِي مُستميتاً تمتدّ منه اليدانِ
باحثاً عن بناتِهِ وبنيـهِ مُسرعَ الخطْوِ مُستطيرَ الجَنَانِ
تأكلُ النارُ منهُ ، لا هو ناجٍ مِنْ لَظَاهـا ولا اللّظى عنهُ واني!

منزل الامام محمد عبده

فيا مَنزلاً في عينِ شمسٍ أظلّني وأرغمَ حُسّادي وغمَّ عُداتي
دعائمهُ التقوى ، وآساسُه الهُدى وفيه الأيادي مَوضعُ اللّبناتِ
عليكَ سلامُ اللهِ مالكَ موحشاً عبوسَ المغاني مقفرَ العرصَاتِ ؟
لقد كنتَ مقصودَ الجوانبِ آهلاً تطوفُ بكَ الآمالُ مبتهلاتِ
مثابةَ أرزاقٍ ، ومَهبطَ حكمةٍ ومَطلعَ أنوارٍ، وكنزَ عِظَاتِ

النيل

النيـــــلُ مرآةٌ تنفـ ـسَ في صحيفتهـا النسيمْ
سلبَ السماءَ نجومَهـا فهوتْ بلجّتهِ تعومْ
نَشرتْ عليـــه غلالةً بيضاءَ حاكتها الغيومْ
شفّتْ لأعيننا سوى ما شابَهُ منها الأديمْ
وكأننا فـــوقَ السماءِ وتحتَنا ذاكَ السديمْ
تجري الحوادثُ حيث تجـ ـري لا نُضامُ ولا نضيمْ

عند قبر مصطفى كامل

طوفوا بأركانِ هذا القبرِ واستلموا واقضُوا هنالكَ ما تقضى به الذممُ
هنا جَنانٌ تعالى اللهُ بارؤهُ ضاقتْ بآمالهِ الأقدارُ والهممُ
هنا فمٌ وبنانٌ لاحَ بينهما في الشرقِ فجرٌ تحيّى ضوءهُ الأممُ
هنا الشهيدُ، هنا ربّ اللواء، هنا حامي الذمارِ، هنا الشهمُ الذي علموا

« • »

إنّي أرى وفؤادي ليس يكذبني روحاً يحفّ بها الأكبارُ والعظمُ
أرى جلالاً، أرى نوراً، أرى ملَكاً أرى محيّاً يحيّينا ويبتسمُ
اللهُ أكبرُ! هذا الوجهُ أعرفهُ! هذا فتى النيلِ! هذا المفردُ العلمُ!
غُضّوا العيونَ وحيّوهِ تحيتَهُ من القلوبِ إذا لم تُسعِدِ الكلِمُ
وأقسموا أن تذودوا عن مبادئهِ فنحن في موقفٍ يحلو به القسمُ!

لوعة وأنين

أنا في يأسٍ وهمٍّ وأسًى حاضرُ اللوعةِ موصولُ الأنينْ
مستهينٌ بالذي لاقيتهُ وهو لا يدري بما ذا يستهينْ
سُوَرٌ عندي له مكتوبةٌ وَدّ لو يسري بها الروحُ الأمينْ
إنني لا آمنُ الرُّسْلَ، ولا آمنُ الكُتْبَ على ما يحتوينْ!

ناحية فى حافظ

نشكر للدكتور زكى أبى شادى خدماته الأدبية الكبيرة التى يقوم بها عامةً واصدار هذا العدد لذكرى حافظ خاصةً . واذا كان الحظ لم يسعدنى بأن أكتب عن شوقى فانى أجد الفرصة سانحة لأن أقول كلمة عن حافظ فى أهم ناحية من حياته وتقسيم حافظ من حيث هو فكرة التَمَحّت فى الوجود وحيوية لها ما للكائن الحيّ من مزايا هى :

١ — شعره الذى يصوّر فيه نفسه ونفسية الشعب ويعبر فيه عن آماله وآمال وطنه وعن الأمة وكل ما يتحرك فيها أو ما يتطلبه لها .

٢ — نفسه الهائجة الثائرة العاليـة التى تبلغ عنان السماء فى الارستقراطية والتى تصدّها عظمة المال والجاه فتنزل بها الى الحضيض فتتطرف فى الديمقراطية الى درجة كبيرة ، ونفسه العابثة البائسة المتشككة .

٣ — حياته المتناقضة المملوءة أملاً وبؤساً وسعادةً وألماً وخوفاً وشجاعة وحباً وكراهية .

وأظهر شيء فى حافظ من حيث هو كتلة حيوية تنقسم هذه الأقسام : نفسه وحياته وشعره . ونفسه هى القوة الموجهة لحياته من حيث عبوسها أو بؤسها فتظلم الدنيا ، ومن حيث أملها وانشراحها فتظهر العالم أمامه كله سرور وانشراح وبهجة وأنس . وشعره هو المظهر أو العارضة التى ترينـا نفسه وحياته وتفاعل العناصر من أثر النفس فى الحياة ومن أثر الشعر فى هيجان النفس أو هدوئها وظلمة الحياة أو بهجتها . ونفس حافظ ليست مثل نفسى ونفسك ، فلو كانت كذلك لعدّ حافظ واحداً مثلنا ، ولكن نفس حافظ كقلبه وقلبه هو قلب مصر وحياته هى حياة مصر ، فكل حادث يؤثر فى مصر نجد أثره فى نفس حافظ وقلبه وحياته وشعره أيضاً . والألم الذى يساور نفس حافظ والذى يؤثر فى نظره للدنيا ويتأثر بالتالى به شعره هو ألم مصر ، والبؤس الذى يساور نفسه هو مظهر نفسه ومظهر حياته ومظهر مصر أيضاً . وهذا التآلف بين حافظ وحياته وشعره ومصر فيه نصيب كبير من الحقيقة ، وهناك تآلف آخر بين الشاعر والفنـان فى حافظ تصبغه صبغة البؤس التى تلازم حافظ فيكون حافظ الشاعر المتوقد الرقيق والفنان الثائر المتشكك الحرّ الذى لا يراعى القيود ولا يعبأ بها ، وهناك حافظ البائس الذي يدمث الثورة على التقاليد والتشكك والهياج .

وهناك المصادمات ذات الأثر العميق الذى يبلغ من نفس الانسان — نريد أن نعرض فى حافظ حتى نعرف كيفية تحول نفسيته وتكوينها على هذا الشكل الغريب.

وأول تلك الصدمات التى صدمت حافظ هى موت والده وهو صغير مما جعل فى نفسه أبلغ الأثر لأنه صار يتيماً لا أب له فأورثه هذا حزناً كبيراً تغلغل فى قرارة نفسه وأثر فى حياته أثراً كبيراً، وكانت هذه أول صدمة له فى حياته ومستقبل عزيمته.

أمّا الصدمة الثانية فهى تمكن النزعة الأدبية منه وهذه الروح الشعرية التى هفت به وتمكنت من صبغه بلونها والتى تبعث إلى نفس الشاعر عوامل الشاعرية من رقة الشعور واتصال هذا بالرثاء لآلام الناس ومواساتهم وتلازم هذا الشباب والنفس المتقدة المرحة الثائرة فى حافظ، وفى اجتماع هذين معاً مايجعله لا يرضى بالحياة العسكرية الخشنة من جانب لأنه شاب له أمل واسع ، وهو لا يرضى بالحياة العسكرية أيضاً من حيث أنها مذبحة ودمار ، وهذا مما لا تميل اليه نفس الشاعر ذات الحنان والرقة.

فهاتان الصدمتان : تنازع الروح الشابة والروح الشعرية مع العسكرية من حيث هى خشونة وقتال دموي والألم الدفين الذى صادمه فى أول ملامسته للحياة بموت أبيه — لهما أثرهما البالغ ، وأثر هاتين الصدمتين كبير فى نفس حافظ وبالتالى فى شعره : فهو الذى صبغ نفسه بصبغة التشكك والثورة والبؤس ، وكان شعره صورة لهذا التفاعل فى نفسه وحياته.

هذه الكلمة هى نظرة سريعة مختصرة فى ناحية من حافظ ابراهيم الشامخ الضخم الذى لا يمكن لقلمى الضعيف أن يوفيه حقه ، ولا أن ينصرف اليه بحكم شواغله وضيق وقته . وهناك نواحٍ أخرى فى حافظ عن شعره وأدبه وأثرهما فى الأدب المصرى الخاص والأدب العربى على وجه عام وأخلاقه ونفسه وأثر كل ذلك فى نظرته الفلسفية الى الحياة.

وأعيد فأكرر شكرى للدكتور أبى شادى لهذه العناية وهذا التكريم لذكرى حافظ ابراهيم شاعرنا القومي ؟

احمد أنور الجندى

مضى العام والذكرى ...

على الوترِ الحنّان قد وُلِدَ الشعرُ رضيعَ لبانِ السحرِ ما نفثَ السِّحْرُ
لفائفُه في المهدِ ظلٌّ خميلةٍ على غصنها طيرٌ ومن تحتها نهرُ
اذا ما بكى أشجى الزمانَ بكاؤه وأذرت له الدمعَ الملائكةُ الطُّهْرُ
يُنسقُ وجهَ الصبح والطلُّ ذائبٌ ويصبغُ لونَ الحقل والزرعُ مخضَرُّ
ويُلقى شعاعَ الشمس فى ميعةِ الضحى على الكونِ حيث الكونُ مبتهجٌ نَضِرُ
وتنفَحُ عنه فى الأصيلِ نسائمٌ وفى الليل يزهو النجمُ أو يُشرق البدرُ
فامّا تسرْ يا صاحِ فى هَداْةِ الدُّجى لدى حَلَكٍ فيه غمامٌ ولا قَطْرُ
وإمّا تجدْ حُسنَ الحياةِ مُشوّهاً شتيماً وقد عاف ابتسامته الثغرُ
وإمّا تجدْ ظهرَ الزمانِ محدّباً أناختْ دواهٍ فوق كلكله صُفْرُ
فذلك فاخشعْ مأتمُ الشعرِ والحجى وكيف تَناساهُ وفى قلبِكَ القبْرُ !!

« • »

خميلةُ وادي النيلِ أزهرَ نبتُها فلما دهاها الصيفُ مات بها الزّهرُ
سقاها غديرٌ ثم جفَّ فغالها حَرُورٌ من الرمضاءِ محراقةٌ سُعْرُ
فلا دوحَ يأوى العاشقون لظلّهِ ولا طيرَ يشدو بالغِناء ولا قُمْرُ
تصوّحتْ الأزهار بعدَ تعطُّرٍ تجفّت وماتت بينما بَقِىَ العِطْرُ
مَلابٌ زكيٌّ فى الانوفِ شميمُهُ كشعرِ أبيٍّ فى النفوسِ له سِحْرُ

« • »

مضى العامُ والذكرى تطوفُ بأرؤسٍ كما طافَ جُنحَ الليلِ أو وقعَ النَّسرُ
مُباعِدُ ما بين الجناحين أبرَدٌ يطيرَ إليها من قوادمِهِ الذُّعْرُ
إذا جالَ عينا فى النجومِ تَفكّراً تَطايرَ من أحداقها النَّظرُ الشَّزْرُ
اذا فكر المرءُ القديمُ وفاؤه بواجبِهِ للصحبِ أعيا به الفِكْرُ
يظنُّ له عُذراً فيمضى بَيْنَهُ ولولا جحودُ الناس لاعتذر العُذْرُ

وأجَلَّ قومٌ ذكرَهُ لمواعدٍ … فيومهمُ عامٌ وساعتُهم شهرُ
مضى حافظٌ مَن كان يحفظُ قومَه … فهل حفظته فى أضالعها مِصرُ؟
فتىً كان يأبى أن يخونَ صديقه … فلما مضى خانته أصحابُه الكُثْرُ
إذا كان فى وجه الفتى دونَ ظهره … وفاءُ أخيه فالوفاءُ هو الغَدْرُ
فمن يصطحب يحفظ ومن ينس يدَّكِرْ … ومن يُوفِ لا يُذمم ولكن له الأجْرُ
حفاظك للأصحاب نذرٌ نذرتَهُ … إلى الله فانظر كيف ينعقد النَّذْرُ
وللناسِ أخلاقٌ شُكولٌ كثيرةٌ … يدينُ بها عصرٌ ويمقتُها عصرُ!

«٠»

رَعَى الله شعراً قد غُذيتُ لبانَه … ولى سَنَواتٌ أهّلَتْنى له عَشْرُ
فما كان سفري غير ديوانِ حافظٍ … وأنعمْ به سفراً إذا أعوزَ السِّفْرُ
مَزاميرُ داودٍ وعيسى بن مريمٍ … وخيرُ وصايا صاحبِ الطودِ والذِّكرُ
شواردُ كالعِقيانِ من كلِّ جوهرٍ … وحبٌّ من الرُّمّانِ ليس له قِشْرُ
وما النيلُ إلا ربوةُ الأرضِ أنبتتْ … ثماراً وإلا منجمٌ تُرْبُهُ تِبرُ
وحافظُ من قومٍ بواديهِ خُلصٍ … كبارٍ ولكنْ ما بأنفسهمْ كِبرُ
نضا السيفَ من نِقْسٍ يسيلُ ومن دمٍ … فما صدَّه طودٌ ولا عاقهُ بحرُ
فلم يكُ بؤساً حظُّه بل زعامةً … تصيخُ لها الأفلاكُ أو يُهزَمُ الدهرُ
ففى كل وادٍ فَجْعَةٌ فى صحابهِ … وفى كل نادٍ مأتمٌ قبله سَمْرُ
وفى كلِّ صَدْرٍ للوفىِّ قُلاَبَةٌ … وفى كلِّ قلبٍ من رماحتها صَدْرُ!

«٠»

جُنودَ القوافى والخطوبُ كثيرةٌ … ألا يحتمى فيكم من العطبِ الشِّعرُ؟
لقد غالَ ريبُ الموتِ أرمى شيوخكم … وللشعرِ لا للحائكين له العُمْرُ
نغيبُ كما غابَ امرؤ القيس قبلنا … ونُبقى عُكاظاً والزمانُ له كَرٌّ
وللشعرِ فى ليلِ المُحاقِ سماؤه … لكلِّ فتىً فيها كواكبُهُ الزُّهْرُ

فصوغوا القوافي للخلود وللصبا وللرأي والأخلاق ما طلعَ الفجرُ
ولا تركنوا للخلف فالخلفُ فاضحٌ لما كان يخفيه التسامُحُ والسِّترُ
اذا كان هذا الشعرُ قائدَ نهضةٍ فبالخُلقِ المحمودِ يحلو له الفخرُ

عامر محمد بحيرى



محمد حافظ ابراهيم

فى كفتى البؤس والمجانة

يتوهم البعض أننا اذا قلنا إن حافظاً كان أخا بؤس — لازمه صغيراً ، وصاحبه كبيراً — أنه كان مملقاً ، وأن فقره علة العلل فى ابتئاسه . وقد يكون الأول صحيحاً ولكن الى حدٍ ، أما الثانى فهو موضع بحث ونظر ثم خلف وجدل ، فليس كل بؤس مسبباً عن الفقر ، وحافظ بائس ، فليس بحتم نشوء بؤسه عن فقره . وقد يكون هناك المنطق صحيحاً ، فنحن نرى بين ظهرانينا الكثير من المعدمين يروحون ويغدون ونضرة الطمأنينة تعلو وجوههم ، وطائر السعادة يرفرف فوقهم ، كما أننا نرى الكثيرين ممن جادهم المال بوفرته لا يكادون يستشعرون أن هناك سعادة ، بل لا يصدقون أن هناك سعادة فهى اسم لا مسمى له وإن هى الا وهم وخيال . . .

وقد نسمع أن كثيراً من رجالات الفكر وحملة الأقلام كانوا فقراء معدمين بائسين وأن الجهلة الأغبياء كانوا فى يسر ورخاء وطالما أنشدونا :

رِزقُ التيوسِ يجيئها بسهولةٍ وأولو الفصاحة رزقُهم مسجونُ .
إنْ كان حرمانى لأجل فصاحتى فامننْ علىّ من التيوسِ أكونُ !

والمنطق فى ظاهره يحيل هذا الذى يبدو غريباً فى مظهره ، فليس بمسلم أن يعجز المفكرون — وهم المفكرون — عن أمر تناله الأغبياء المفاليك — وهم هم !

وربما تزول الغرابة اذا نحن فهمنا أَن الفكر دائبُ الطموح لا يرضى لنفسه ما هو فيه وإن كان فى العَيُّوق فهو متطلع الى العلوّ أبداً ناظر الى السماء دائماً ، يرى أَنه

مغبون وليس بمغبون ، تعس وليس بتعس ، فقير وليس بفقير ، ومن هـذا الباب وحده تهاجمه كتائب البؤس وترشقه بسهامها وترميه بنبالها ، وهكذا :

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله   وأَخو الجهالة فى الشقاوة ينعمُ

هذا هو المعقول ، أما أَن نقول — اطلاقاً — إن رجال الفكر وحملة الأقلام مهدمون بائسون فتلك دعوى عريضة نسمعها كل آن وسيعلم الباحثون مكانها من الحق والتاريخ .

على ضوء هذا الفكر نستطيع أن نقول — مع القائلين — إن حافظاً كان فقيراً بائساً . ولمَ لا يكون بائساً ؟ بل ولمَ لا يكون شيخ البائسين ؟ !

ألم يسعَ حتى كاد ينتعل الدمَ ثم لم يحظ من الحيـاة بمـا يريد ؟ ثم ألم يلبس الدجى والليل هادىء « والنجم يحسبه ثامناً للسبعة الشهب » ولـكنه مع هـذا ، ومع كل هذا غير مجدود ، ومافتئت يد المقادير تقصيه عن الأرب ؟

واستلان الحياة فجمدت ، واستعطفها فغلظت ، ولاطفها فلم تزدد الاشحاً وبخلا، وطرق على السعادة كلَّ باب فلم تزدد الا اباءً وشروداً . ولما أعيته الحيلة مع الحياة ، وفاضتْ الـكأس ، وطفح الكيل ، جاهرها هو الآخر بعدائه ، وأعلن عليها حرباً كلامية شعواء وشنها غارة حامية الوطيس ، فرماها بما رمى ، فهى العاهر البغى اللعوب القلب ، ما سرّت يوماً إلا أبـكت فى غده ، وأنها قد أضرت به فهام باختها هرباً منها وفراراً ، واستحسن مذهب مانى صـاحب نظرية تعجيـل الفناء بقطع النسل فقال :

لعـل « مانى » لاقى ما أكابده   فودَّ تعجيلنا من عالم الشَّجَبِ !

وحلق فى الجو الذي حلق فيه أبو العلاء فانطلق يقول :

عليكِ جنيتُ يا نفسى وقبلى   عليكِ جنى أبى فدعى عتـابى !

وعتب على نُوح حمل الناس معه وقد كان فى مكنته أن يتركهم يغرقون فيستريحون ويريحون ، وهو لهذا لم يُخلص للناس النية ولم يمنحهم الودّ الصحيح :

ويا نُوحاً جنيتَ على البرايا   ولم تمنحهمُ الودَّ الصحيحَا

علامَ حملتَـهم فى الفُلكِ ؟ هلا   تركتهمو فـكنتَ لهم مُريحَـا ؟

ولا أريد فى هذا المقام أكثر من أن يضع القارىء صورة حافظ العابسة التى ترتسم فى ذهنه بعد قراءته هـذا الكلام بجانب صورته الأخرى : صورة حافظ الطروب الضاحك المداعب !

حافظ الذى ذكرنا له من البؤس والتبرم بالحياة والضجر منها والثورة عليها ما ذكرنا هو حافظ الذى يملأ كل جوّ يحيط به مجانة ودعابة وفكاهة ، هو حافظ الذى يتنادر الادباء بحديثه ، ويتنادرون بنكاته حتى قال العقاد على قبره :

أبكاءٌ وحافظ فى مكانٍ ؟! تلك إحدى عجائبِ الحدثانِ !

صورتان للرجل : أولاهما عابسة يائسة بائسة ، والثانية ضاحكة صاخبة ماجنة !

صورتان متباينتان على لوحة واحدة هى الحياة !

كيف هذا ؟

وهل هـذا معقول ؟ الأمر لا يحتمل جدلاً ، فانه واقع والواقع لا يرتفع .

إذاً فكيف نفسر هذا ؟ كيف نفسر البؤس يعتنق المجانة ؟ !

لعل مجانته كانت ضرباً من التهكّم بالحياة والسخرية وعدم الحفل بها ، فهو يتهكم بالحياة ويسخر بالدنيا ، ويصوغ ذلك فى قالب من الفكاهة تحمل على أجنحة الضحكات أقسى معانى الألم ، وأبلغ معانى البؤس ، فهو إذ يرسل لك نكاته يصوّر لك حالة نفسية فى صورة بهجة تتقطع لها نياط قلبه فى الوقت الذى تمتلىء الاشداق ضحكاً لها ، وسروراً بها .

وهذا معقول ومقبول أيضاً ، لولا أن حافظاً الذى أعرفه لم يكن من فلسفة الالم الى هذا الحد بل ولا الى غير هذا الحد .

إذاً فكيف نفسر المجانة تُؤالف البؤس ؟

ألا يصح أن يكون ألم الرجل البالغ نقله طفرةً من طور البؤس الى طور المجانة ؟!

النظرية فى ذاتها من حيث هى نظرية سليمة ، فان الشىء اذا زاد عن حدّه انقلب الى ضدّه ، وأنت تشاهد كثيراً من الذين يصابون بفادح الخطوب ينقلبون محمومين هاذين ضاحكين بل وربما معربدين راقصين !

إذا صحّ هذا فهل لا يصح أن يكون حال حافظ من هذا النوع ؟!

معقولٌ أن يكون ، ومقبول أيضاً ، لولا أن ابتئاس حافظ لم يكن من هـذا فى شىء ولم يكن حافظ فى ذاته من هذا فى شىء .

إذاً فكيف نستطيع أن نفهم أنه كان بائساً ماجناً ؟!

ألا يكون الرجل لما نزلت به الهموم — وهى أثقل الضيوف ـ وضاق بها ذرعاً ، لم يجد طريقاً يرفه عن نفسه بها الا طريق المجانة فارتمى بين أحضانها يشرب من وردها سائغاً يغسل الهموم ، وينفس عن القلوب ، ويروّح عن النفوس .

وهذا هو الآخر معقول ، وربما كان مقبولا ، لولا أننا نتساءل لماذا لا ينفس عن نفسه الا حينما تزوره المادة أو تواتيه ظروف المجانة ، ولو كان هـذا صحيحاً لتطلبها الرجل كلما حزبه الهمّ وفدح ، ثم انه لو كان واقعاً لما كان مطبوعاً عليه بل لجاء متكلفاً ظاهر التكلف .

إذاً فبماذا نعلل هذا ؟

ألعله كان مطواعاً للظروف والأحوال : فهو بائس يوم تنزل به ظروف البؤس ماجن ساعة تواتيه ظروف المجانة ، فلهذا ظروفه وملابساته ولتلك ظروفها وملابساتها. وقد كان يتفق لحافظ أن يقع فى يده قسط من المال غير قليل ، فلا يكاد يستقر فى حافظته حتى يتطاير الخبر الى وليجته والى وليجة وليجته ، فيجتمعون على ما يجتمعون ، ويقضى شاعرنا سويعات أنسه ، وأويقات سروره ، حتى اذ ما نضب المال وهو لا بدّ ناضب رجع الهزار الى وكره حزيناً بائساً مهيضاً . إذاً فحافظ بائس يوم بؤسه ، ماجن يوم أنسه .

وهذا معقول ومقبول أيضاً ، لولا ... لولا ...

لولا ماذا ... ؟!

لا شيء ! لاشىء فان هـذا هو الواقع ، وبه نستطيع أن نجمع بين صورتيه المتناقضتين فيما يبدو للناظر، وهى ناحية أهملها اخواننا الكتاب لانكبابهم على شعره وتركه هو فيما دون ذلك !

وبعد فقد كان يجدر بنا أن ندرس أمثال تلك المناحى فى حياة الراحل العظيم، وهى كثيرة لم يكتب عنها الكتّاب الا عرضاً وتلميحاً .

ايها السادة الادباء ! لن نستطيع أن نفهم الشاعر من شعره حتى نفهمه هو حق الفهم ، وكم كنت مستغرباً للدكتور طه حسين أخذه على العقاد أن يكتب عن ابن الرومى فى غير شعره الى هذا الحد !

أحسب أنه اراد أن يأخذ عليه إهماله شعره ؛ وهل كان الشعر الا صدىً لامثال تلك العوامل ؟ والباحث العميق من نفذ من القشور الى المصاص ، ومن الألياف الى اللباب ؟

طاهر محمد أبو فاشا

بداهة حافظ

كان حافظ ، رحمه الله ، حاضر النكتة ، حلو الحديث ، طلق اللسان ، سريع البديهة ، وهاك مثلاً على ذلك : —

زار حافظ — أيام بؤسه — مدينة السنبلاوين ، فأضافه كبير من عائلة (سليط) وهو صادق افندى سليط — فلما دخل حافظ المنزل مع مضيفه ، جلسا فى بهو من الأبهاء الفسيحة ، وكانت صورة صادق افندى الزيتية الكبيرة معلقة على جدار من جدران هذا البهو ، فطلب منه صادق افندى أن يصف هذه الصورة ووعده خمسة جنيهات على كل بيت يقوله ، واشترط عليه ان لا يستغرق فى نظم البيت الواحد أكثر من دقيقة واحدة ، ثم اختار له البحر والقافية ، وأمسك الساعة تواً — فاذا بحافظ يتحف الحاضرين بخمسة أبيات جميلة جداً لا أتذكر منها إلا هذين البيتين وهما :

سألنا عزيزَ المجدِ اهداءَ صُورةٍ ... تموجُ بها أوصافُه والخلائقُ
فقال لنا لما رأى رسمَ صادقٍ : ... خذوا صورةَ الأمجاد، فالمجد صادقُ

فنال بذلك الجائزة ، وكم كانت دهشة الجميع عظيمة عند ما قال لهم صادق انه استغرق فى نظمها أقل من الوقت الذى أجازه اياه بدقيقتين — وليس يخفى على أحد ما فى البيت الثانى من التورية الظريفة أيضاً . وهذا مثل واضح على حضور ذهنه ، وسرعة بديهته ، وذلاقة لسانه .

فلئن فقده الشعر والأدب فانّ فقده عظيم ورزءه جسيم ، ولئن بكاه الناطقون بالضاد فى أنحاء المعمورة فقد بكوا ملكاً متوجاً فى ميدان القول نثراً أو نظماً ، رحمه الله رحمة واسعة ؟

محمد سعيد الصحراوي

حافظ الخالد

يا حسانَ القريض عهدُ الحدادِ قد أتى فارتدِى ثيابَ السوادِ
شاعرُ النيل حافظٌ مات فاشدِى بأغانى الأسى على الاعوادِ
مات مَنْ شعرُهُ جديرٌ بتبرٍ ذائبٍ أن يُخطَّ لا بالمدادِ
فأقيمى عليه مأتمكِ الأكبرَ وأتى اليه من كل وادِ

« • »

ربة الشعرِ ما فقدتِ كهذا م الشاعرِ العبقرىّ من عهدِ عادِ
مات من كان فى رياضك لا ينـ فكّ يمشى مع الصبا وهو شادِ
فبكاه الهزارُ اىّ بكاءٍ فى الرُّبَى فوق غصنه الميّادِ
وتمشّى الغديرُ وهو من الأحزان م دوماً يئنّ بين الوهادِ

« • »

ربةَ الشعر انّ حافظَ أودَى فإليه نادِى بناتِكِ نادِى
واضربى حولَ نعشهِ فى رُبَى الـ خلدِ نطاقاً من الحسانِ الخِرادِ
ولتضعه يدا نسيم الصبا فى كفنٍ من نديّة الأوْرادِ
وليَنُحْ كلُّ رائحٍ فى السموات م وفى الأرضِ ولينح كلُّ غادِ

« • »

أيها الشاعرُ العظيمُ أبِنْ لى حالةَ النابغين فى الألحادِ
أترى الموتَ غفلةً من بلايا الـ عيشِ أم أنه نظيرُ الرقادِ
أترى فى ضريحهِ جسدُ الشاعر يَبلى كسائرِ الأجسادِ
أم حسانُهُ القريض تكلؤُهُ دوماً وتحميه من بلًى وفسادِ
قفْ على منبرِ القبورِ وانشدْ شعرَكَ الجزلَ أيّما إنشادِ
أيها الشاعرُ اشرحْ الموت لى انى م إلى الموتِ فى شبابىَ صادِ

شبّـهُ الموتَ لا كما شبهوه من قديمٍ بمنجلِ الحُصّادِ
ذلك الموردُ الذى منه ماعا دلنـا واردٌ من الوُرّادِ
ذلك المنجعُ الذى ليس يهوا ه امرؤ وهـو ملتقى الروّادِ
صفْ لِىَ الروحَ كيف باللهِ بَعْدَ الـ موت تبقى على مدى الآبادِ
وصفْ القلب هل يصير خلالَ الـ تربِ خلواً من لوثة الاحقادِ
أترى يستريح من أَلْسُنِ الوا شينَ فى القـبرِ أو من الحسادِ
أترى فى التراب يرتاح من كيـ دِ الأعادى وطارئات العوادى
إن نـكن للنفاد طرّاً ففسِّرْ لِىَ معنى الحيـاة والايجادِ
أو تكُ الروحُ للفناء فخيرٌ من همومِ الحياة عيشُ الجمادِ
أو يكُ الجسمُ للنشور فأنَّى يتلاشى ويغتدى كالرمادِ

« • »

هل لنا مَنْ يُقيم بَعْـدَكَ فى سُو قِ عكاظٍ على سريرِ زياد ؟
هل لنـا من يهز شعباً غـدا يط غَى على الشرق تحت ستر الحيادِ ؟
هل لنـا من يبثنا العزمَ كَىْ لا نتوانى عن ردّ كيـد الأعادى ؟
كنت هذا جميعه أيها الشاعرُ بل كنتَ شُـعلةً للبـلادِ
فابكِ ياشرقُ حافظاً واندبى يا مصرُ مَنْ كان حافظاً للودادِ
وابكِ يا دهرُ شاعراً عبقريّ الـ شعرِ أعلى لنـا لواءَ الضادِ
قد فقدنا من كان طول سِنِيهِ واقفـاً للطغاةِ بالمرصادِ

« • »

ملكَ الشعر قد ذهبتَ وما خلفتَ فى مُلْـكِهِ سوى أجنادِ
هل نلاقى خليفةً لكَ يا (فر عونُ) يوما فى قومِكَ الامجادِ ؟
انمـا الأنفس الكبارُ سيوفٌ ينتضيها الردى من الأغمـادِ

(حيفا — فلسطين) : مؤيد ابراهيم ايرانى

فى سماء الفن

إلى روح حافظ

أضاءَ بلبل الحياةِ فأضحى نهاراً جميلاً بغيرِ مساءْ
وأضحى هجيرُ الخلودِ ظلالا وظلّ الخلود بديعَ الرواءْ

« • »

توارَى ولكن سناه طريفٌ يُنير الحياةَ ويجلو السماءْ
ويحبو الوجودَ بسرٍّ عميقٍ ويحمى الفنون رهيب الفناءْ

« • »

رأينا خلالَ الظلام بريقاً فجدّدَ فجراً بليغَ الصفاءْ
وبين الوكون المميت تَسامى فعلّم موتى النفوسِ الاباءْ
ولكن هدايا الزمانِ رياءٌ فأين عطاءٌ حواه الوفاءْ ؟
وأين شعاعٌ نبيلٌ تَهادى يُذيب الغموضَ ويمحو الخفاءْ ؟

« • »

تَوارَى ولكنْ سناه طريفٌ ينير الحياةَ ويجلو السماءْ
ويحبو الوجودَ بسرٍّ عميقٍ ويحمى الفنون رهيب الفناءْ

المهدى مصطفى



تشكرك سورية يا حافظ

فارقـد بسلام !

مات حافظ ابراهيم وكان أعظـم الناس لوعة عليـه أهل سورية . ولا غرو ، فحافظ لم يكن لمصر بكليته ، بل كانت أفـكاره أبداً تسـير وتنطلق نحو ذلك القطر الذى عرف فى أبنائه خلاناً أوفياء ، ورفاقاً خلصاء .

بكته سورية ولم تشأ أن تتعزّى عن فقده . بكت فيه صديقاً حفياً ، بكت فيـه حبيبا غالياً ، بكت فيـه ابناً ثانياً ، وعزاؤها فيه صعب المنال . وانى أجاهر بأن

لحافظ منزلة لدى أبناء سورية لا يدانيه فيها شاعر مصرى آخر ، بل أقدر أن اصرّح ان اجلالهم له يفوق اجلال أبناء النيل لشاعرهم !

كان حافظ مصرياً صميماً ، يتعدله بحب مصر ، كثير الوجد بها . لكنه أحبّ سورية حباً مماثلاً لوطنه ، فخلع عليها من قصائده خيرَ بردها ، وجللها من ألحانه بأشجاها ، ولم ير غضاضة أن يصيح :

لى موطنٌ فى ربوع النيل أعظمُهُ ولى هنا فى حماكم موطنٌ ثانِ
انى رأيتُ على أهرامها حُلَلاً من الجلالِ أراها فوق لبنانِ
حسبتُ نفسى نزيلاً بينكم فاذا أهلى وصحبى وأحبابى وجيرانى

ولا يرى وجهاً للملامة فى تعلقه بحب أبناء الشام ، وفرط ولائه لهم ، وانه ليجد نهاية الفخر فى هذه المودة ، فيذيع على رؤوس الاشهاد :

إن يكتبوا لى ذنباً فى مودّتهم فانما الفخر فى الذنب الذي كتبوا !

كان فذاً بين أقرانه شعراء مصر ، كان علماً بين الداعين الى الوئام ، كان فريداً فى نشره ألوية المحبة بين ابناء القطرين ، ولقد أجاد فى وصفه العلائق بينهما :

اذا ألمتْ بوادى النيل نازلةٌ باتت لها راسياتُ الشام تضطربُ
وإن دعا فى ثرى الأهرام ذو ألم أجابه فى ذرى لبنان منتحبُ

وطالما أشار إلى ان السوريين هم دواماً عند حسن الظن بهم ، يجعلون همّهم الأوحد خدمة كل بلد نزلوه ، وكل قطر حلّوا فيه ، بذات الاخلاص وذات المحبّة التى يخدمون بها بلادهم . وطالما أشار الى جهادهم فى مصر :

إنّا رأينا كراماً من رجالهم كانوا عليهم لدينا خيرَ عنوانِ
كم فى نواحى ربوع النيل من طُرفٍ لليازجىّ وصرّوفٍ وزيدانِ ؟
وكم لاحيائهم فى الصحف من أثرٍ له المقطم والاهرام ركنانِ ؟

ولم يكن ليقتصر عند ذكر الصداقة والاخاء فحسب بين مصر والشام ، فلكم افتخر بمفاخر السوريين كمن يفتخر بمحامد آله وعشيرته . أنظر اليه يقول فى حماسة وحمية وفخر :

بأرض «كولمب» أبطالٌ غطارفةٌ أسدٌ جياعٌ اذا ما ما وُوثبوا وثبوا
لم يَحمهم عَلمٌ فيها ولا عَددٌ سوى مضاءٍ تحامى ورده النوَبُ
أسطولهم أملٌ فى البحر مرتحلٌ وجيشُهم عملٌ فى البر مغتربُ
لهم بكل خضم مسربٌ نهجٌ وفى ذرى كل طود مسلك عجبُ
لم تبد بارقة فى أفق منتجع إلا وكان لها بالشام مرتقبُ

أو ما صاح به ههنا :

عافوا المذلةَ فى الدنيا فعندهم عزّ الحياة وعزّ الموت سيانِ
لا يصبرون على ضيم يحاوله باغٍ من الانس أو طاغٍ من الجانِ
تيمموا أرض «كولمب» فما شعرت منهم بوطء غريبِ الدار حيرانِ
سادوا وشادوا وأبلوا فى مناكبها بلاء مضطلع بالامر معوانِ
فى الكون مورقهم فى الشام مغرسهم والغرس يزكو نقالاً بين بلدانِ
إن لم يفوزوا بسلطان يقرّهم ففى المهاجر قد عزّوا بسلطانِ
أو ضاقت الشام عن برهان قدرتهم ففى المهاجر قد جاءوا ببرهان

لا يرضيه ذلك فقط ، بل انه ليذكر يد سورية على العالم واثرها فيه حتى اليوم ، وانه ليشير من طرف خفى الى عبقرية الفينيقيين — أولئك الاجداد الذين عركوا الدهر وأبلوه ، ولم يقدر بنوائبه على محق مفاخرهم وآثارهم — وانه ليبدى صراحة ان الغربيين من اميركيين وسواهم يفون ذمامهم نحو سورية بانشائهم دور التعليم فيها :

أرى رجالاً من الدنيا الجديدة فى الـ دنيا القديمة تبنى خير بنيانِ
قد شيدوا آيةً بالشام خالدة شتى المناهل تُروى كل ظمآنِ
لئن هدوكم لقد كانت أوائلكم تهدى أوائلهم ازمان ازمانِ
لاغرو إن أعجزوا فى الارض وابتكروا فيها أفانين اصلاحٍ وعمرانِ
فتلك دنياهمُ فى الجو قد نزعت أعنة الريح من دنيا سليمانِ

ما ذا أزيد بل ما ذا أقتطف من ثمار شعره الشهية ؟ لا أدرى والله أى شىء أختار وأيّه أغفل؟ وليس لى إلا أن أحيل القارىء على ديوانه وعلى قصائده المنثورة هنا وهناك فى الصحف والمجلات — التى لا يريد جمعها أحد . . . وأخاف على حظ

حافظ العاثر أن يفنى فى حظ شوقى المجدود ، فلا يُلتفت إلى جمع آثاره وحفظها !

وقف حافظ فى منتدى الجامعة الاميركية فى بيروت يرثى نفسه فى ذات القصيدة العصماء التى مدح بها الشام ، يرثى نفسه فى ألم وحرقة . . . يرثى ذاته أمام من أحبّوه وأجلّوه ، ولم يجدوا كيفية يعبرون بها عن شعورهم العميق تجاهه سوى تلك الحفلة الأدبية الكبرى يشيدون فيها بمآثره وفضله ، وتلك الحفلات العديدة فى دمشق وسواها إمعاناً فى التكريم والشكران ، وذلك الوسام بعلقة رئيس الوزارة على صدره .

وقفَ يذكر بؤسه ، ويشكو زمانه ، ويتحسر على حياته ، ويتمنى لو أُتيح له انتجاع الصحة دائماً فى رياض لبنان وجباله الشمّ ، فيصيح من كبد حرى:

يا ليتنى كنتُ من دنيايَ فى دعةٍ — قلبي جميعٌ وأمرى طوع وجدانى
أقضى المصيفَ بلبنان على شرفٍ — ولا أحول عن المشتى بحلوانِ

ثم يعود فيعرج على ذكر الموت ، ويحنّ اليه ، ويرتقب مجيئه ، وتكاد تشعر بقرارة نفسه تكاد تسيل أسى بين كلماته المحزنة :

ولّى الشبابُ وجازتنى فتوّتهُ — وهدّم السقمُ بعدَ السقمِ أركانى
وقد وقفتُ على الستين أسألها — أسوّفت أم أعدّت حُرّ أكفانى؟
شاهدتُ مَصرعَ أترابى فبشّرنى — بضجعةٍ عندها روحى وريحانى
كم من قريبٍ نأى عنى فأوجعنى — وكم عزيزٍ قضى قبلى فأبكانى
إنى مللتُ وقوفى كل آونة — أبكى وأنظم أحزاناً بأحزان!

لقد ملّ حياةً لم تبذل له سوى مرارة وحنظل ، ولم تكشف له يوماً عن صدرها إلا لترميه إياه مدججاً بسهام النوائب والمحن . ملّ حياة وجهها باسم وقلبها غدار لا يكاد يغره منها سنا محياها حتى تجابهه بنصالها المحددة ، تحترق كعبة آماله ، وتهدمها الى الحضيض .. فماذا له بها ؟ وها قد جاءته المنية أخيراً ، فاخترمته ، وحرمت اهله وصحبه وخلانه صحبته الرقيقة ، ولم تكد تضمه تحت طبقات الثرى فى ذلك القبر الموحش الحقير ، حتى أخذت اليها شاعراً كسف بصيته وعبقريته : ذكرى شاعر النيل !

فى الحياة والموت لم يصادف حافظ إلا حسكا وشوكاً . فى الحياة والموت لم يلق إلا غمطاً وتجاهلا ، فحق له وهو يعلم حظه المكدود ان يتوق الى الموت ، ليستريح من العناء ويرتاح من رؤية هذه المضادّات تقتحم عليه عرين راحته ، وتكاد تسدّ عليه منافسه ، فتذيقه من علقمها الواناً واشكالاً !

اىْ حافظ !

ان السوريين قاطبة ليكرمون فيك دائماً اخاً وصديقاً وحبيباً . يكرمون فيك شاعراً عظيماً ، شاعراً أشاد بمفاخرهم ، وحاول الجمع بين القلوب . وهذه التحية التى يزفها اليك احدهم فى هذه السطور يرجو ان تنوب لدى روحك النبيلة ، ولدى أبناء وطنك ، عن سورية وبنيها الرابضين فى الوطن والمهاجرين فى اطراف العالم . فأنت وإن مت وغادرت دار الاحياء الى دار الخلود والبقاء ، فانّ ذكراك حيّة خالدة فى أفئدة السوريين ، منقوشة ابداً على صفحات قلوبهم .

وفى ذمة الله ياحافظ !

ميشيل سليم كبير



المديح والشكوى والرثاء

فى شعر حافظ

لحافظ أشعار كثيرة فى مواقف عدة ومناسبات مختلفة ، ولهذا لُقّب بالشاعر الاجتماعى ، وشاعر النيل ، وشاعر الشعب ، الخ . وهو جدير بهذه الألقاب ، إذ أنه الشاعر الوحيد الذى كان ينطق بلسان الشعب ، فيتألم لآلامه ويفرح لما يسره . وأقرب وصف لنفسية حافظ هو ما وصفه به خليل بك مطران من مقالة ذكر فيها : «وَلع بالاجتماعيات فقال فيها وأجاد ما شاء ، كبير الآمال عاثر الجد ، تجد على أكثر منظومه أثراً من ألم النفس أو مسحة من الشكوى ، وتحمل بعض حروفه من بثّه ما يلدغ لدغ النار الكامنة فى غير متّقد»

ان لحافظ أشعاراً فى شتى المناسبات ومختلف المواقف كما أسلفنا : فاذا مدح فهو الشاعر الفذ الذى يخلع على ممدوحه ثياب الفخر والبهاء الى أبد الدهر ، وإن شكا من الزمان ومن مفارقة الأوطان والاهل والخلان صوّر لك روحه كأنها تتقلب على

الجمر فهي تعاني من الآلام ما تعاني . وما كان من أشعاره في الرثاء فهذا مما لا يجارى فيه ، فهي بجملتها دموع من قلبه تقطر دماً فلا عجب أن يجيد حافظ المراثي بعد أن نعلم أن ذلك الشاعر العظيم نشأ على البؤس والشقاء ، ولا زال يغالب الأيام وتغالبه حتى ألقى السلاح أخيراً ليرتاح الراحة الأبدية التي لا تعب فيها ولا نصَب.

لنبدأ أولاً بأشعاره في المديح : قال من قصيدة يمدح بها الشيخ محمد عبده وهي في غاية الاحكام وحسن الانسجام ، وحسبك ان تنظر كيف ذلل القوافي وجعلها سلسة الانقياد ، وكيف خلد ممدوحه في هذه الابيات الخالدات ، كما خلد نفسه في طليعة الشعراء الخالدين :

قالوا: صدقتَ، فكان الصدق ما قالوا ما كل منتسب للقول قوّال
هذا قريضي وهذا قدر ممتدحي هل بعد هذين إحكام واجلال ؟
اني لأبصر في أثناء بردته نوراً به تهتدي للحق ضلال
حللتُ داراً بها تُتلى مناقبه ببابها ازدحمت للناس آمال
رأيت فيه بساطاً جلّ ناسجُهُ عليه فاروقُ هذا الوقت يختال
بمشيةٍ بين صفيّ، حكمةٍ وتقىً يحبها الله لا تيهٌ ولا خال

بيت من الشعر يرنّ صداه في الآذان فيجاوزها فيعم الدنيا صارخاً :

هذا قريضي وهذا قدر ممتدحي هل بعد هذين احكام واجلال ؟

فيجيبه لسان الدهر قائلاً :

لا ورب البيت ، لا أرى أكرم من هذا الاجلال . وأي اجلال أحكم من الذي يخلد في صحيفة لا تنسى إلى آخر يوم من أيام الدنيا ؟ فليهنأ قائله وليهنأ من قيل فيه بالخلود الأبدي !

أما ترى الرجل في الأبيات التالية من قصيدة يمدح بها ادوار السابع ملك الانجليز يوم تتويجه كيف حنكته نوائب الأيام فجعلته خبيراً بأحوال الانجليز وسياستهم الملك وتدبيرهم شؤونه ودهاءهم أكثر من غيره ممن اتصل بهم :

خبرتهم فرأيت القوم قد سهروا على مرافقهم والملك قد سهرا
تشاوروا في أمور الملك من ملك الى وزير الى من يغرس الشجرا

وكان فارسهم فى الحرب صاعقة وذو السياسة منهم طائراً حذرا
بالبرّ صافنة داست سنابكها مناجم التبر حتى عافت المدرا
وفى البحار أساطيل اذا غضبت تر البراكين فيها تقذف الشررا
وهن فى السلم والأيام باسمة عرائس يكتسين الدلّ والخفرا

لا ريب ان الرجل بعيد الفراسة ينظر لكل ما يحيط به نظر حصيف مدرب لا تتعداه فائتة ولا تفلت منه .

لنجسُ خلال بؤسه وآلامه واتعابه ، ولننظر الى أى حد وصل به ذلك البؤس المرهق الذى لا يصمد له من الرجال الا الأفذاذ القلائل :

وددتُ لو طرحوا بى يوم جئتهم فى مسبح الحوت أو فى مسرح العطب
لعل (ما نىَ) لاقى ما أكابده فودّ تعجيلنا من عالم الشجب

هكذا فليكن قرض القريض مترجماً عما فى نفس صاحبه وما يساورها من خوالج . لازمه البؤسُ والنّصبُ من عهد الشباب الى أيام الشيخوخة الا قليلا منها ، فأرسل الشكوى الحارة المحرقة تقطع نياط القلوب وتفتت الأكباد وتناضل عن العبقرية وحقوقها عند الجمهور المستهين بها .

أو ما تراه كيف يأسف على ما جشّم نفسه من ركوب الأخطار والاتعاب ، لولا أحكام القدر القاسية التى جعلته يكتسب رزقه مضطراً بهذه الحالة المضنية ، وكيف عاد يعتذر لنفسه عما لاقته من اتعاب ، وان سبب اتعابها راجع الى والده الذى عمل على ايجاده فى هذه الدنيا ، وقد زاد على قول المعرى :

هـذا جناه أبى علىّ وما جنيت على أحد

بأن أشرك نفسه مع والده فى الذنب إذ يقول :

رميت بها على هذا التباب وما أوردتها غير السراب
وما حملتها الا شقاء تقاضينى به يوم الحساب
جنيت عليك يا نفسى وقبلى عليك جنى أبى فدعى عتابى

الى أن قال من هذه الشكوى المؤثرة :

سَعيت وكم سعى قبلى أديب فآبَ بخيبة بعد اغتراب

وما أعذرت حتى كان نعلى دماً ووسادتى وجه التراب
وحتى صيّرتنى الشمس عبداً صبيغاً بعد ما دبغت إهابى
وحتى قلم الاملاق ظفرى وحتى حطم المقـدار نابى

ولعمر الحق لوحاول أمهر المصورين ان يصور ما بسطه حافظ من شكوى فى هذه الأبيات القلائل لما استطاع ، وكأنى أراه خارجاً مع الجنود فى بعض المهامّ الى بلد بعيد وقد تقطع نعله من كثرة المشى ، فظل يسعى حافياً وقد بلل دم قدميه وجه الثرى ، حتى اذا أدركهم الليل نام ملتحفاً الأرض كغيره من الجنود فاذا أشرقت الشمس فى صباح الغد عاودوا المسير وقد تضاعفت حرارة الشمس بما يصهر الجلود ويغلى الأدمغـة . ولم يزل هذا ديدنه فى الأيام التى كان فيها ضابطاً بالسودان فى الجيش المصرى حتى أحالت لفحة الشمس وجهه المشرق بالبياض ونضرة الشباب إلى وجه قد علاه السواد كما يعلو الصدأ سيفاً لبث فى غمده أعواماً — فيا لها من أقدار ساخرة لا ترحمُ، تلك التى جعلت شاعر مصر الاجتماعى العظيم يتذمر من الحياة ويشكو من أتعابها ! يا لها من أقدار تلاعبت به كتلاعب القط بالفار حتى قال :

فلو ساق القضاء الىّ نفعـاً لقام أخوه معترضاً شحيحاً

والآن فلننتقل من شقاء متواصل إلى أدمع من دماء سكبتها روحٌ ذاقت مرارة الألم وطعم العلقم .

قال من قصيدة يرثى بها المرحوم الشيخ محمد عبده :

سلامٌ على الأسلام بعد محمدٍ سـلامٌ على ايامه النضراتِ
على الدين والدنيا ، على العلم والحجا على البرّ والتقوى ، على الحسنات

فأنت بمجرد قراءتك لهذين البيتين فى مطلع القصيدة تعرف مبلغ الحزن العميق الذى نال الشاعر بفقـد الأمام — حزن من أحسّ بعظم المصاب وفراغ المكان فى وقت كان الاسلام فى أشد الحاجة الى بقائه ليخرس ألسنة الأفاكين . والقصيـدة بأكلها تبرهن على حزن ناظمها حزناً لا تشوبه شائبة رياء أومجاملة .

بماذا تشعر حين تقرأ الأبيات الآتية ؟ ألا تشعر معى بعظم الخسارة الفادحة وقد صور ذلك الشاعر تصوير مفجوع ثاكل فأبدع التصوير حيث قال :

تباركتَ هذا الدين دين محمد أيترك فى الدنيا بغير حماة ؟

تباركت هذا عالم الشرق قد قضى ولانت قنــاة الدين للغمزات

الى أن قال :

فيا سنة مرت بأعواد نعشه لأنت علينا أشأم السنوات

حطمت لنا سيفاً وعطلت منبرا وأذويت روضاً ناضر الزهرات

وأطفأت نبراساً وأشعلت أنفساً على جمرات الحزن منطويات

الى أن قال مصوراً للحزن الذى اسـتولى على الشرق خاصة والعـالم الاسلامى عامة بفقد ذلك العالم الجليل :

بكى الشرق فارتجت له الأرض رجة وضاقت عيون الـكون بالعبرات

ففى الهند محزون وفى الصين جازع وفى مصر باكٍ دائم الحسرات

وفى الشام مفجوع وفى الفرس نادب وفى تونس ما شئت من زفرات

بـكى عالم الاسلام عالِم عصره سراج الدياجى هادم الشبهات

وهاك أبياتاً من قصيدة قالها فى حفلة تأبين المرحوم مصطفى باشا كامل يترجـم بها عن الحزن الذى استولى على الناس عند وفاته وشعورهم نحو فقد زعيم الوطنية المظيم :

تسعون ألفاً حول نعشك خُشَّعٌ يمشون تحت لوائك السيَّارِ

خطّوا بأدمعهم على وجه الثرى للحزن أسطاراً على أسطارِ

آناً يوالون الضجيج كأنهم ركب الحجيج بكعبة الزوّارِ

وتخالهم آناً لفرط خشوعهم عند المصلّى ينصتون لقارى

غلب الخشوعُ عليهم فدموعهم تجرى بلا كلحٍ ولا استنثارِ

الى أن قال:

كم ذات خدر يوم طاف بك الردى هتـكت عليك حرائر الافـكارِ

سفرت تودع أمــةً محمولةً فى النفس لا خبرا من الأخبارِ

لا ريب أن حافظاً أجاد تصوير الفاجعة على حقيقتها الواقعة تماماً . فهو بعد أن تـكلم عن ذوات الخدور وخروجهن فى جنازة الفقيد ليشيعنه الى مقره الأخير وقد مزقن أستار الحجاب وجاهرن بالسفور أمام الجماهير المشيعة للفقيد عاد فشبه

الفقيد بأمة . لتقديره له كزعيم وطني يطالب باسترداد حقوق بلاده . وقد صدق في هذا التشبيه فكل من يسعى في تحرير بلاده فهو لا شك قلبها النابض وفكرها الثاقب إذا فقدته فلا حياة لها بعده — بعد سكون قلبها من خفقانه وخمود فكرها بعد توقده — حتى يقوم فيها بعده داعٍ أو دعاة يسعون في تحقيق أماني البلاد فتُبعث من جديد بعد الموت مع الأمم الحية .

والآن لنضع القلم عند هذا الحد مكتفين بهذا النذر من حياة (الشاعر الاجتماعي) الأدبية فقط . أما حياته الخاصة فلنترك الكلام عنها للمتصلين به من أبناء مصر المجيدين ولنترك الدهر منشداً بلسانه :

خالدَ الآثارِ لا تخشَ البلى   ليس يبلى من له ذكرٌ خلدْ

الجزيرة ابا - السودان : **بشرى السير أمين**

سيرة حافظ

الى الشاعر البائس شاعر الانسانية المعذبة الناشر الحق والنور ، الشبيه بتلك الشمعة التي تذوب لتضيء لغيرها ، المتعلق بأهداب الوطن الجريح ، ذلك الذي هدمت آماله وبددت أمانيه ، وبعثرت أحلامه ومات وهو يردد « مصر فوق الجميع »

الى روحه الطاهرة المرفرفة بجناحيها في سماء آلهة الشعر بجانب عرائس الجنات في عالم الخلود ، اليك يا حافظ أهدي رسالتي . . . .

١ — مولده

في فجر يوم من أيام سنة ١٨٧١ بديروط وأسرته في عيدها الأوحد تستقبل ابنها الأوحد الذي أبت الأقدار أن تبعث به من عالمها الرهيب المجهول إلى عالم الخلد بصوره وآياته الا في ذلك الوقت الأخير وقد رفع أبوه طرفه الى السماء مردداً : « اللهم لك الثناء العاطر والشكر الجميل » !

وظل ذلك الوليد العزيز ينعم بقبلات أبويه صباح مساء حتى بلغ السنتين أو يزيد ، ثم نُكِبَ بموت والده الذي تركه بين أحضان أمه التي أضناها الأسى وحزّبها الألم وقضت من بعده وهي تتمنى لو أن تفتدي ما في حياتها من زينة وبهجة وسعادة ومال ببقائها ولو بضع سنين حتى ترى حافظها يسير سير الرجال

ويجدها كأم وقد امتلأ عافية ونضارة وجمالاً ، وكفله خاله وربّاه وقد ضاعت ثروة أبيه وأضحى لا عائل له غيره .

٢ — طفولته

ليس أمامنا من المصادر والتحقيقات ما يشير إلى طفولة حافظ بكثير ولا قليل غير حادث يتمه المبكر هذا الذى أثّر فى تكوين شخصيته إلى حد أن يقول التونى عنها : « ويظهر أن لذلك اليتم المبكر أثراً فى تكوين شخصية حافظ الدفينة الحزينة فلقد كان حافظ فى قرارة نفسه كما سيتبين بعد حزيناً ، فكان إذا خلا إلى نفسه أو إلى صديق ظهرت خفايا نفسه ، وإذا قال الشعر كان عليه مسحة كبيرة من ذلك الحزن الدفين ولذلك خلا شعره من الفكاهة وخفة الروح التى عرف بها المرحوم الفقيد فى المجالس والسوامر » . . .

أجل ، فالحزن قد طبعه بطابعه الخاص حتى انه كان لا تستجيب إلى ندائه آلهة الشعر إلا إذا ما بكى ، وفى ذلك يقول رحمة الله عليه : « لا يطيب لى نظم الشعر إلا إذا ما كنت محزوناً » .

إذاً حُرِمَ ذلك الطفلُ أبويه وأضحى يتيماً محزوناً ، محروماً تلك القبلات الحلوة الأبوية ، وهذا العالم أمامه قطعة سوداء قاتمة صاغتها يد الحزن والأسى .

أجل ، فقد قضى سنى طفولته وهو ذلك الحزين اليتيم الذى لا يشعر بعطف أب أو حنان أم ، ومدارسه التى جاس خلالها من الابتدائية حتى الجندية والشعرية يحوطها الحزن من كل مكان !

٣ — تعليمه

دخل المدرسة الابتدائية ثم لما نال جائزة التجهيزية ساءل نفسه : ماذا أصنع ؟ وبأى مدرسة ألتحق ؟ وأى الرجال أحذو حذوه وأنسج على منواله ؟ فلم يظفر من نفسه بغير هذا الجواب : « الحربية والبارودى ! » لكنه عاد إلى نفسه وقال : لماذا ؟ فظفر بهذا الجواب : « ان قامتى المديدة الفرعاء وتركيبى القوى المتين هما الدليل الناصع على صلاحيتى للحرب ، وروحى الشعرية الجميلة التى يزورنى طيفها فى الامسية الحزينة والأصيل الضاحك هى التى تمكننى من القيادة العامة التى أتوق اليها ، وبذلك أحمل السيف والقلم عن جدارة واستحقاق » .

فكان له ذلك والتحق بالحربية وخرج منها برتبة ضابط وما لبث أن وزّع على السودان يحمل بين جنبيه قلباً مملوءاً بالآمال ينشد المجد وينظر إلى السماء .

لكنه تلفت حوله فى السودان فرأى شمساً محرقة تلفح الوجوه بسعيرها وزملاء يغلب عليهم الجهل والجدب الروحى ، وان ذلك الحلم الذى نشده طالباً أخذ ينهار ، وهنا تتفتح عيون شاعريته أو بعبارة أخرى مدرسته الشعرية .

٤ — حياته

رأى اليد الانجليزية تسيطر على الجيش المصرى فزأر لكرامته المهدورة ، ورأى جهل اخوانه وشمس السودان المحرقة تحول بينه وبين نعيم الشاعرية الذى ينشده فى ظلال الجزيرة وأنديه العلماء ومجالسهم ، ورأى فى السودان برغم ما حبته الطبيعة من صور الجمال ذلك الجدب الروحى الذى يمقته ، وشكواه تتراءى لنا من خلال أبياته التى بعث بها من السودان إلى صديقه بيرم وقال فى مطلعها :

زحتُ عن الديار أروم رزقي وأضرب فى المهامه والتخوم

إلى أن يقول :

ولولا سورةٌ للمجد عندى قنعتُ بعيشتى قنعَ الظليم

ومن كتابه إلى أستاذه الإمام محمد عبده الذى يسأله فيه انتشاله من وهدته هذه فيعده خيراً ويرجع اليه ثانية يسأله : « مثل كتابى إلى سيدى وأنا من وعده بين الجنة والسلسبيل » الى آخر هذا السجع المملول الممزوج ببعض المقطوعات الشعرية الرقيقة ويعده الامام ثانية خيراً وظل حافظ متبرماً إلى أن قامت ثورة الضباط المصريين وأبعد حافظ إلى مصر مغضوباً عليه رهن المحاكمة مشدوه الفكر مبلبل الخاطر حتى صدر عفو الخديوى ورجعت اليه طمأنينته وحريته .وكانت هذه الساعة هى أحرج ساعات حياته إذ أنه رأى بعينى رأسه فشل الثورة العرابية وأستاذه البارودى معرضاً للمحاكمة ونفوذ المستعمرين قد ازداد وأمله الجندى ينهار والكرامة المصرية كأنها لم تكُ شيئاً مذكوراً .

ولما استقرت الأمور بعض الشىء رجع حافظ ثانية إلى الخدمة لكنه ما لبث أن طلق الجندية طلقة بائنة لا رجعة فيها مردداً هذه الانشودة : « أى يوم عرفت الحائم غير سماء الحرية ونور السلام ! »

انقطع للشعر والترجمة والتأليف وعاش معيشة بوهيمية هى قطعة من خيال الشاعر الذى يأبى القيود والأقفاص ولو كانت من ذهب !

وعلى ما أذكر كان حافظ قد التحق بالمحاماة أمام المحاكم القديمة قبل اتصاله بالحربية وبعد ذلك واشتغل مع بعض أعلام المحاماة فى ذلك العهد .

ومنذ ذلك الحين وهو يرسل آياته التى أقضت جانب الاستعمار تارة والرجعية تارة أخرى ، والتى عرفت بأنها آيات الوطنية والاجتماع من شاعر الانسانية وصن شاعر النيل قبل كل شيء .

ولما أن تقدمت به السن رأى الحياة الأدبية راكدة آسنة وأُتيح له عطف ولاة الأمور حينئذ فالتحق بدار الكتب المصرية فى سنة ١٩١١ وبقى فيها حتى أوائل سنة ١٩٣٢ فحرمنا شعره جلّ هذه الفترة الطويلة حتى اذا ما انقضت وأُحيل إلى المعاش أرسل صيحاته التى اشتهر بها فى وجه الاستعمار والرجعية فى هذا العهد الأخير ، ولم تنقطع صيحاته هذي الابموته فى ٢١ يوليو سنة ١٩٣٢.

٥ — بؤسه

خير من فطن من الكتاب إلى بؤس حافظ الأديب التونى إذ يقول: «هذا بؤس نفسانى روحانى ، وليس بؤس المادة والحاجة والطمع » .

أجل ! فبؤس حافظ ينحصر فى آماله المتهدمة وتماثيل مجده المحطمة وقصوره التى بناها فى الخيال ولعبت بها الرياح الهوج !

شاعرٌ من شعراء الانسانية يحمل القلم والسيف يهزّ بالأول أوتار القلوب بمايبعثه من الآيات الرائعة تارة ، وأخرى يبعث الدمع السخين من المآقى بأناته الشاكية من الظلم والظالمين والرجعية والمستعمرين وجهل أمة متأخرة تناويء المصلحين وتشايع الرجعية الجاهلة وتؤيدها ونوم شرق راكد لا يفيق ، فالاستعمار يخنق الشعب والأمة تعبد الأصنام والموتى والشرق يقدّس الجمود والركود !

يود لو أن سيفه يعمل فى الدائرة التى خُلق لها كقائد عام فلا يجد جنودا بل يرى فلولا اثر فلول وهزيمة اثر هزيمة وما يتبع ذلك من المصائب والويلات .

فلماذا لا يتملكه البؤس ؟ ولماذا لا تتهدم آماله ؟ ولماذا لا يقول :

لكننى غير مجدود وما فتئت يدُ المقادير تقصينى عن الأرب

وقد غدوتُ وآمالى مطـرحة ‏ ‏ ‏ وفى أمورىَ ما للضبِّ فى الذنب

اى وربى ، كان له أن يقول :

وحتى قلَّم الاخفاق ظفرى ‏ ‏ ‏ وحتى حطم الافـراط نابى

بدلاً من قوله :

وحتى قلَّم الاملاق ظفـرى ‏ ‏ ‏ وحتى حطم المقـدار نابى

الاخفاق اخفاقه كقائد عام ينشد حياة جديدة للجيل الجديد والاجيال المقبلة ، والافراط افراط الشعب فى جهالاته وضلاله وغيه وغفوته الشبيهة بالموت الابدى !

٦ — ملامحه وصفاته

مديد القامة ، قوى البناء ، ذو وجه صبوح ، وشاربين طويلين ، وعضل مفتول وصوت عذب ، وجسم متين خلق للجندية والكفاح .

وهو فى (مرآة البشرى) : يحب الجمال و يجتمع له و يكره القبح و ينعى على أهله ، تجابه بذلك مجابهة ، لا يتقى فى القول ولا يتحرف ، خفيف الظل ، عذب الروح ، حلو الحديث ، حاضر البديهة ، رائع النكتة ، بديع المحاضرة . إذا كتب لك يوماً أن تشاهد مجلسه أخذك عن نفسك حتى ليخيل اليك انك فى بستان تمطقت جداوله ، وهتفت على أغصانه بلابله ، وأشرق نرجسه ، وتألق ورده ، فأذكرك طلعة الحب : تانك عيناه وهذا خده ! تنفس فيه النسيم بسحر هاروت ، فاعجب لمن ينشر هذا النسيم كيف يموت ! والبدر فى ملكه بين المجرة والجوزاء ، يخلع على الروض حلة فضية بيضاء ، فلا تدرى أأمست السماء فى الروض أم أمسى الروض فى السماء ؟ كان متلافاً إلى حد كبير : فقد تجتمع له الالف ولا تمكث فى يده أسبوعاً ، متفنناً فى طعامه وشرابه إلى حد كبير .

فلننتقل الى رثائه ففيه مادة غنية خصبة تغنيك بعض الشيء ياصاحبى عن ثقل الرثاء وفنه المرذول بجانب شعرنا العصرى الجديد ، ذلك الشعر الانسانى الناظر الى السماء .

ان قصيدته فى رثاء الامام محمد عبده هى وايم الحق كتمثال صامت له ، فانظر اليه فى مطلعها :

سلامٌ على الاسلام بعد محمد ‏ ‏ ‏ سلام على أيامه النضرات !

أليس فيه من المتعة الفنية ما يحبب اليك الشاعر وشعره المتمثل فى قوله :

لقد كنتُ أخشى عادىَ الموت قبله ‏ ‏ ‏ فأصبحت أخشى ان تطول حياتى !

فن جزالة فى اللفظ ورصانة الى قوة فى المعنى والصياغة تراها فى هذه القصيدة أو بعبارة أخرى فى ذلك التمثال .

لـكننى لم يرقنى قوله :

فيا منزلا فى عين شمس أظلنى وأرغم حسادى وغمَّ عدائى

لان الشاعر فى موقفه الانسانى المشرف هذا ماكان يجدر به أن يهوى الى هذا الحضيض حيث الدنيا بما فيها من حقد وحسد وعداء .

وقد اتهمه الدكتور طه حسين فى تقليده لمسلم بن الوليد فى قصيدته « لاتدع بى الشوق انى غير معمود » لقوله فى استاذه البارودى «ردوا علىَّ بيانى بعد محمود » .

وانى رغم تسليمى ببعض نظرية الدكتور طه فان هذه القصيدة والحق يقال ليست غير تمثال بديع للبارودى الذى أَحبه حافظ ونسج على منواله فى الشعر ، وانه — أى البارودى — هو والمعري هما اللذان أثرا على شعر حافظ بآثارهما التى أَحبها كلَّ الحب .

وتتجلى الشعبية الخالصة عند شاعرنا فى رثائه لرجال الوطنية كمصطفى كامل وفريد وزغلول ، فاسمع اليه فى قوله يرثى مصطفى كامل :

أرى جلالا ،أرى نوراً، أرى ملكاً أرى محياً يحيينا ويبتسمُ

الله أكبرُ ! هذا الوجه أعرفُه ! هذا فتى النيل! هذا المفرد العلمُ !

وخير رثاء له عندى قوله فى المرحوم قاسم أمين :

الحكمُ للايام مرجعُه فيما رأيت فنَمْ ولا تَسلِ

وكذا طهاة الرأى تتركه للدهر يُنضجه على مهلِ !

ولك أن تنتقل معى من رثائه الى وصفه فتجده قد أجاد الوصف رغم اقلاله واقتصاده . انظر اليه فى قصيدته عن « الشمس » :

نظر (ابراهامُ) فيها نظرةً فأرى الشكَّ وما ضلَّ اليقينْ

تجده يستمر معك فى فخامة معانيه وجزالته القاطعة الى أن يقول :

هى طلعُ الروض نوراً وجنى هى نشرُ الورد طيبُ الياسمينْ

فيحملك على أن تتغنى بهذه القطعة كأنشودة عـذبة طبعت بطابع الخلود .
واقرأ معي وصفه هذا الذى وجهه الى صديقه عمون بك :

قصورٌ كأنّ بروجَ السما ء خدورُ الغوانى بأدوارها

فهو جميل الى حد ما ، بيد أنك ياصاحبي لوظللت تنقب فى صفحات الديوان فلن تعثر على قطعة وصفية فنية ممتازة مما تغنى به الشعراء المحدثون .

ولـكنك لو تلمست لحافظ الاعذار فى اهماله تلك الجوانب الشعرية الخالدة فليس لك أن تلتمس العذر له فى اهماله « النيـل » ذلك الاهمال المزرى به كشاعر النيل !

ألم يحلق بجناحيه أىّ يوم فى سماء النيل فى سياحة روحية ويرى آلهـة الشعر وعرائس الحب وبنات الجمال تشدو بجماله الخالد على ممر الدهور والعصور حتى يصف لنـا ما شاهد فى ثوب جميل من أثوابه الغانية التى كان يحوكها من نسج فؤاده ؟!

يقولون إن حافظاً كان قوى الحافظة وخاصة فى استظهار روائع الشعر العربى، وقد يكون هذا صحيحاً ... لـكننى أشك فى قوة حافظته لاسيما بعد أن تعدى طور الشباب الاول، ذلك لانه كان ضعيفاً فى اللغة الفرنسية لدرجة انه لم يقدر على ترجمة البؤساء ، وكتيبه الاخلاق ضعيف كذلك لعدم احاطته باسرارها ، ولأنه لم يتكلم بها ولم يقرأها كالادباء الذين يحيطون باحدى اللغات للاضطلاع بآدابها وعلومها ، وهو كما يقول مطران : « يقول الشعر فى كل مكان يتفق له أن يخلو بنفسه ، ومن عادته دخولُ حديقة الازبكية بعد الظهر طلباً لتلك الخلوة » . وكان لا يهتم كثيراً بالنهضة العلمية وذلك لاختلاطه الـكثير بعظمائنا الذين لاحظ لهم الا التندر والنرجيلة والدعابة والمجون ـ أولئك الذين لا يتسع وقتهم لمسايرة الثقافة . وكان حافظ كريم الخلق طيب القلب الى حد كبير ، وكانت حياته الدراسية والجندية والشعرية والحـكومية حياة رجل يفهم الحيـاة فى وضوح وجلاء .

٧ — آثاره

ان تحليل آثاره ونقدها هو بيت القصيد فى هذه الدراسة ، لـكننى سأوجز فى ذلك حتى تتسع صفحات « أبولو » لمثل هذه الدراسة ، وابدأ الآن بالديوان .

الديوان فى ثلاثة أجزاء وينقصه جزء رابع لم يُطبع بعد . وأول شىء يطالعك فيه

المديح والرثاء تقليداً للشعراء الاقدمين . وأنا من أشد أعداء المديح والرثاء ، ذلك لانني لا أجد فيهما تلك الآفاق الرحيبة التي خُلق الشاعر ليحلق فيها ولان آلهة الشعر يجب أن لا تتنزل من سمائها حيث الحب والحقيقة والجمال الى ذلك الدرك الأرضي حيث المادة والعبودية والضلال .

لكنني ألتمس العذر لحافظ لانه كان يجد في ذلك مايعينه على حياته المادية من جهة، ومن جهة أخرى كان يسير وراء العرف المتبع في ذاك الوقت: « ليس الشاعر بشاعر الا اذا أجاد المديح والرثاء » !

أنظر اليه في مديحه للجناب الخديوى : أترى غير نظم لاروح له ، قاله صاحبه مجاراة للوقت والتقاليد ، ومنافسة للشاعر شوقي الذى استلب منه الامارة ؟! وماذا كان يَعنيه من قوله الى الجناب الخديوي (ص ٢٣ من الديوان) :

تشدو وترهف بالاشعار مرتجلا ... وتبرز القول بين السحر والعجب !

وانظر اليه في قوله من المديح :

تعمدت قتلي في الهوى وتعمدا ... فما أثمت عيني ولا لحظه اعتدى !

أليس يستوقفك هذا البيت إلى درجة أن تقرأ غيره كقوله في المديح هذا أيضاً :

ولو أنهم قدّوا غدائر فرعها ... لحاكوا له منها نقابا إذا بدا

اذاً ليس لنا ان نقف وإياك أمام هذا المديح وغيره لأننا فهمنا أن الشعر غير المديح !

ومن هذا الشعر الصناعي قوله :

خمرة قيل إنهم عصروها ... من خدود الملاح في ليل عرس

مذ رآها فتى العزيز مناماً ... وهو في السجن بين هم ويأس

أعقبته الخلاص من بعد ضيق ... وحبته السعود من بعد نحس !

وله قصيدة في وصف أزمة نفسية، جاءت له مهلهلة الاوصال مفككة الأوصال مبتذلة

من واجد منفّر المنام ... طريد دهر جائر الاحكام

وقد نظمها وأفرغها من الروح الشعرية ففاضت روحها عند نظمها !

« ٥ »

ليس يبقى أمامنا من ديوانه غير شعره الوطني الاجتماعي ، وهو على حد قول اكثر

النقاد ميزته الواضحة التى عُرف بها فى حياته كشاعر وطنى ضرب فى البحوث الاجتماعية بسهم وافر، وسخر الشعر لأغراضه، فكان له كل ما أراد من جزالة لفظ وقوة معنى.

رأى الشعب يستكين لظلم المستعمر الغاصب، ويستكين للرجعية الجاهلة، ويستكين للتقاليد الشائعة والخرافات الفاشية، يعبد الأصنام ويقدم القرابين للموتى والمعتوهين، بعيداً كل البعد عن الحرية والنور، فقال:

ودائى كداء الدين عزَّ دواؤه وحظى كحظ الشرق نحسٌ كواكبه

فيا ليت لى وجدان قومى فأرتضى حياتى ولا أشقى بما أنا طالبه

ينامون تحت الضيم والأرض رحبة لمن بات يأبى جانب الذل جانبه

وخاطبَ أستاذه الامام يشكو قومه الذين عبدوا الاصنام والموتى وما يزالون يعبدون الأصنام والموتى:

رأوا فى قبور الميتين حياتهم فقاموا إلى تلك القبور وطوّفوا

وباتوا عليها جاثمين كأنهم (على صنم فى الجاهلية عُكف)

وحدبه وعطفه يطلان علينا من خلال قصيدته «آلامنا وآمالنا» التى يخاطب بها المرحوم الامير (السلطان) حسين كامل:

لعمرك ما أرقتُ لغير مصر وما لى دونها أمرٌ يرامُ

الى أن يقول:

أرى شعباً بمدرجة العوادى تَمَخَّضَ عظمه داءٌ عقامُ

إذا ما مرّ بالبأساء عامٌ أطلّ عليه بالبأساء عامُ

وانظر اليه فى قصيدته «حادث دنشواى» ذلك الحادث التاريخى الذى تذكره الانسانية المعذبة بقلب ملىء بالحسرات وبدمع هتون أشبه بدمع الثاكلات، تذكره كنكبة فى تاريخ البشرية الظالمة التى يفتك قويها بضعيفها، والتى اذا ما ذكرناها ذكرنا قوميتنا المهدورة وحقنا المضاع:

أيها القائمون بالأمر فينا هل نسيتم ولاءنا والودادا ؟

انما نحن والحمام سواءٌ لم تغادر أطواقنا الاجيادا!

الى أن يقول :

ليت شعرى أتلك محكمة التفـتيش عادت أم عهد نيرون عادا ؟!

أليس هو وشعره المرآة الصادقة التى تنعكس عليها صور الشعب المتألم الراسف فى اغلال الاستعباد وقيود الهوان ، يئن وما لصوته من سميع ؟

بلا شك هو أول شاعر اجتماعى فى الشرق العربى استطاع أن يضرب على الوتر الحساس ويرضى العامة والخاصة ويصبغ شعره بصبغة تميزه عن غيره وتجعله أقرب إلى جانب الحق والخلود .

وانظر اليه وقد ضاق ذرعاً بشعبنا المسكين الهـادىء الذى جرحت كرامته ولم ير فى ذلك من حرج :

أنا لولا أنَّ لى من أمتى خاذلا ما بتُّ أشكو النوبا
أمةٌ قد فتَّ فى ساعدها بغضها الأهل وحبُّ الغربا

والى قوله من قصيدة أخرى :

لقد غضب الناس من قبلنا لسلب الحقوق ولم نغضبِ
أمورٌ تمرّ وعيش يمرّ ونحن من اللهو فى ملعبِ
وشعبٌ يفرّ من الصالحا ت فرارَ السليم من الأجربِ

وانظر اجتماعيته الخالدة التى قالها بمناسبة افتتاح مدرسة بور سعيد للبنات ومطلعها :

كم ذا يكابد عاشق ويلاقى فى حبّ مصر كثيرةِ العشاقِ

والتى جمعها فى هذا البيت الخالد :

الأمُّ مدرسة إذا أعددتَها أعـددتَ شعباً طيبَ الأعراقِ

وانظر الى قصيدته فى وداع اللورد كرومر إذْ يقول :

رمى دار المعـارف بالرزايا وجاء بـكلّ جبـارٍ عنيدِ
يدلُّ بحوله ويتيه تيهـاً ويعبث بالنهى عبثَ الوليـدِ

وإن أنسَ لا أنسَ عتبه على مصر فى أبياته التى يقول فى مستهلها :

ماذا جنيتِ وما جنــاه بنوكِ أظلمتهم يا مصرُ أم ظلموكِ ؟

ونداءه فى سبيل الوئام بين مصر والشام :

لمصر أم لربوع الشام تنتسبُ هنا العلا وهناك المجـد والحسبُ ؟

وشعره الوطنى ينطق بصدق إخلاصـه ووطنيته الجائشة الفياضة التى عُرف بها الفقيد فى حياته .

ومن شعره الوطنى الذى لم ينشر فى المطبوع من ديوانه قصيدته التى نشرها «البلاغ الأسبوعى» بعدده الأول و مطلعها :

قد غفونا وانتبهنا فاذا نحن غرقى وإذا الموتُ أمَمْ

وانى أترك بقية شعره للـكتاب الذى سيصدر عنه، واكتفى الآن بالتحدُّث عن بقية آثاره ،ولـكننى لا أعذر حافظاً بأى حال من الأحوال فى أهماله الثورة المصرية وعدم ذكره أى شىء عنها يستحق أن يُشادَ به .

(ليالى سطيح)

أنشأ حافظ (ليالى سطيح) فى مواضيع اجتماعية على مثال حديث عيسى بن هشام للمويلحى الذى اشتهر به فى ذلك العهد شهرة واسعة . ولـكن كتاب ليالى سطيح يختلف كثيراً عن حديث عيسى ، ذلك لأن حافظاً باعد بينه وبين ذلك السجع المملول الذى بنى عليه حديث عيسى ، وليس معنى هذا ان ليالى سطيح خالية من السجع قوية الأسلوب ، بل انّ سجعهـا أقل من سجع حـديث عيسى بكثير وأسلوبها أقرب الى أسلوبنا الحديث

وهى نواة القصة المصرية الحديثة التى كنا نودّ من حافظ أن يقتحم أبوابها لو أنه راعى فيها الأسلوب والشكل والوحدة الفنية . ومناقشة ما جاء بليالى سطيح من الآراء يحتـاج الى أكثر من صفحات « ابولو » ، فعسى أن أوفق الى نقـده وتحليله فى فرصة أخرى .

(البؤساء)

قصة عالمية من الأدب الرفيع لفيكتور هوجو ، ترجمها حافظ — استغفر الله بل اقتبس منهـا جزأين صغيرين ولم يستطع إتمام ترجمتها لما لاقاه من المشقة والعناء لعـدم تمـكنه من أسرار اللغة الفرنسية من جهـة ، ومن جهة أخرى لغرامه المنقطع

النظير باللفظ مما حشده بالترجمة العربية ، وبالرغم من أن هوجو اشتهر باغراقه فى اختيار ألفاظه أغرق شاعرنا أيضاً فى اختيار ألفاظ الترجمة العربية حتى بعدت عن الأصل الفرنسى.

ولو قارنت بين الترجمة والأصل الفرنسى لظهرت الاختلافات التى تأخذها على حافظ وحدت به الى أن لا يقدر على اتمام الترجمة ، وسنبين ذلك كله فى فرصة أخرى .

أما كتابه فى التربية والاخلاق أو بعبارة أصح كتيبه فقد نقله الى العربية فى اسلوب سليم وعبارة سهلة تتفق ومشارب أطفالنا وللأسف لم يترجمه جميعه بل ترجم منه جزأين أيضاً !

وترجم كتابه فى الاقتصاد هو ومطران ترجمة دقيقة يرجع الفضل فى دقتها واستيعابها لمطران لا لحافظ !

٨ — تجديده

بالرغم من نسجه على منوال الشعراء القدماء فله فى الشعر نظرة أقرب الى نظرتنا ، ولو أنه لم يبرهن على ذلك الا بشعره الاجتماعى وبمنظومته الصغيرة التمثيلية «غادة بيروت» التى لا يصح اعتبارها قطعة فنية تمثيلية كما تكون القطعة الفنية التمثيلية. بل هى عندى قصيدة جديدة لحافظ ومحاولة يسيرة لتجديده لا أكثر ولا أقل ، وكانت سنحت له الفرصة الفنية بوجود تلك المادة الخصبة التى تسعف الشاعر الموهوب بما يتطلبه منه الفن من حق وجمال وتجديد يظهر لنا من قصيدته التى يقول فيها للشعر : « ضعتَ بين النهى وبين الخيال » .

٩ — شعره

من أفخم روائع الشعر العربى ، تغلب عليه الجزالة والرصانة والقوة ، ولو كان له الخيال والخصب والثقافة الحقة لخلق لنا من الآيات ما تنظر اليه الأجيال القادمة بعين الاعجاب .

١٠ — لمحة خاطفة

يعتب الرافعى على فن الترجمة خلوه من النقد التحليلى من جهة ، ومن جهة ثانية لانه لا يتعدى الشرح والتفسير ولانه ليس المثل الاعلى الذى ينشده الناقد الهادم النافذ البصيرة. ونحن من أشد أنصار النقد التحليلى ومن أشد أنصار الهدم متى

وجدنا أن الأساليب والنماذج الشعرية أو الأدبية أو الفنية التي تقدم الينا مهلهلة سقيمة لا تتفق والمثل العليا التي نتشبث بها فوق غرامنا بالترجمة التحليلية التي تساعدنا على فهم الشاعر أو الأديب أو الفنان لأنها بمثابة التحقيقات عند القاضي النزيه !

ولابد أن تسألني يا صاحبي لماذا أغفلت هذه الناحية النقدية عند حافظ فاجيبك بان شعر حافظ فيه من السذاجة والبساطة والصدق والجمال ما يجعل الناقد يقف معه موقف الصداقة والحدب لا موقف العداء .

فماذا تطلب من حافظ ونقده وقد أجاد الرجل الرثاء ونبغ فيه وشارك الشعب في آلامه وآماله وأضحت رسالته رسالة المصلح الاجتماعي الذي تحبه الانسانية المهذبة والعدالة والقانون ؟

اذاً ليس لنا أن نغلو في نقده كما نغلو في نقد شوقي أو العقاد أو الزهاوي أو أبي شادي لأن لكل منهم عوالمه التي حلق في سماواتها ومثله العليا التي نشدها . ولابد لكل واحد منهم أن يدفع الثمن غالياً لأن المثل العليا لا تعرف الهوادة ولا اللين ؟

أحمد محمد عيشى



الشاعر البائس

حياته — الكتب التي قرأها — الشعراء الذين تأثر بهم — نظرات في شعره
مظاهر البؤس فيه — اسباب بؤسه — حسنات هذا البؤس وسيآته

منذ نصف عام تقريباً أخرج الدكتور أبوشادي محرر « أبولو » كتابا خاصاً بذكرى المغفور له أحمد شوقي بك حشد فيه شتيتاً من الدراسات المستفيضة ، والقصائد الرائعة لكبار الكتاب والشعراء في مصر وفي غير مصر

وسيظل هذا السفر القيم الذي أتيح لي أن أساهم فيه بنوع من هذه الدراسات خير مرجع لمن يريد الكتابة عن هذا الشاعر الخالد في المستقبل .

واليوم يسجل له التاريخ اليد الثانية على الأدب حيث يخرج لنا عدداً خاصا بحافظ : ذلك الشاعر المغبون الذى عاش بائساً ومات بائساً ، ولا أود أن يفوتنى الاشتراك فى هذا العدد التذكارى الذى اعتقد أنه لن يقل عن سابقه جمالا وجلالا .

ولقد مضى على أكثر من نصف شهر وأنا أتصفح ديوان حافظ بدأب وشغف وأمعن فى دراسته لأتلمس ناحية غالية أو عاطفة مسيطرة على شعره أعالج فى بحثى الذى انتويته دراستها وتحليلها فكنت فى كل صفحة من صفحات هذا الديوان وفى كل سطر من سطوره أرى البؤس ماثلاً سافراً وأحس بحنق الشاعر وتبرمه بالحياة وأهلها واضحاً ملموساً فى جميع ما قرأت .

حياته

عاش حافظ ستين عاماً أو تزيد قليلا قضى الجانب الأعظم منها مكتئباً حزيناً ، وكانت حياته بوجه عام سلسلة من الآلام والمتاعب ليس فيها ما يبعث الأمل أو يساعد على السلوان . وهذه الحياة الشاقة المضنية تختلف فى أطوارها اختلافاً نقسمها من أجله الى ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : نشأ حافظ نشأة لم يفارقه البؤس فيها لحظة واحدة وتعرف إلى الحزن والكآبة فى مهده فاستنكر وجوده وتمنى فى هذه السن المبكره فناءة وفى ذلك يقول :

وودت لو طرحوا بى يوم جئتهمُ فى مسبح الحوت أو فى مسرح العطب

وقد كانت له نفس طُلَعة تميل للمجد وتكلف بالمعالى . لم ير فى تعليمه البسيط مايغذى هذه النفس النهمة فطفق يغذيها بالقراءة والاطلاع وهو بعد فتى لم يطو من طريق الحياة أكثر من عشرين عاماً . وما إن وصل إلى هذه السن حتى كان قد قرأ من أمهات الكتب أكثر من خمسين كتاباً كما يقول عارفوه والمتصلون به عن كثب وكان يقرأ الكتب بنهم وشغف ويحفظ من كل منها أحسنه وسنتحدث إليك فى موضع آخر عن نوع هذه الكتب — وقد بدأ منذ هذه السن ينظم مقطوعات قصيرة أكثرها فى المدح ومداعبة الأصدقاء .

المرحلة الثانية : لم يكد حافظ يبلغ العشرين من عمره حتى التحق بمدرسة الحربية

كضابط بمرتب ضئيل لا يكاد يكفيه ، وكان يقضى أوقات فراغه من عمله على وجازتها بين الكتب . وشاءت المقادير بعد ذلك أن يُنقل حافظ الى السودان فطوحت به يد النوى مأسوفاً على فراقه من أصدقائه وخلانه .

وكانت الحكومة إذ ذاك تعد السودان منفى للمغضوب عليهم من الجنود والضباط ومكث حافظ فى السودان بين نارين نار القيظ ونار الغيظ . وكان الحاكمون به يومئذ خليطاً من المصريين والانجليز ، وكان لاولئك السلطة الفعلية فى جميع الأمور ، وكان حافظ ينظر إلى هؤلاء والانجليز المعاشرين له بعين البغض والشنآن ، ويزداد حسرة وألماً كلما رأى نفسه وإخوانه عبيداً لأولئك القوم الطارئين . وجدير برجل كبير النفس رقيق الاحساس كحافظ أن يتأثر بما حوله وأن تظهر هذه الآثار فى نظمه ونثره ، وكتابه « سطيح » أصدق مرآة تمثل لك حياته الخاصة فى السودان ومعاملة الانجليز له ولمعاشريه من المصريين فى هذا العهد الذى يصفه لنا فى قوله :

إذا نطقتُ فقاع السجن متكئى وإن سكتُّ فإن النفس لم تطب

وسنتحدث عن هذا الكتاب بنوع من الاسهاب عند دراستنا لنثره .

أمّا آلامه فى السودان وما كان يعانيه فى بيدائه من بؤس وعذاب فقد تكفلت ببيان معظمه تلك الرسالة التاريخية التى بعث بها من منفاه الى الاستاذ الإمام يرجوه فيها أن يسعى لدى ولاة الأمور فى نقله من السودان ، وكانت هذه الرسالة أول حجر فى بناء صلته بالاستاذ الإمام .

قرأها فأعجب بها وأجاب عنها وسعى فى نقله ومن ذلك الحين بدأ حدبه عليه وتقديره له . وهذه الرسالة كما تدل على ان حافظ لم ين لحظة عن الاطلاع والحفظ والكتابة تصور لنا مقدار ما كان يعانيه من آلام ويداخله من هموم فى هذه البلاد وهى طويلة نتخيَّر منها ما يأتى :

لقد حللتُ فى السودان حلول الكليم فى التابوت ، والمغاضب فى جوف الحوت ، بين الضيق والشدة ، والوحشة والوحدة . لا ! بل حلول الوزير فى تنور العذاب ، والكافر فى موقف الحساب ، بين نارين نار القيظ ونار الغيظ

فناديت باسم الشيخ والقيظُ جمرة يذيب دماغ الضبِّ والعقل ذاهبُ

واستمع اليه وهو يقول من قصيدة بعث بها إلى احد اصدقائه بمصر يتشوق اليها ويصف آلامه وأشجانه :

وما أعذرت حتى كان نعلى دماً ووسادتى وجه التراب
وحتى صيرتنى الشمس عبداً صبيغاً بعد ما دبغت إهابى
وحتى قلم الأملاق ظفرى وحتى حطّم المقدار نابى
متى أنا بالغ يا مصر أرضاً أشم بتربها ريح الملاب ؟!

وسترى بعد أن هذه المرحلة كان لها أثر أى أثر فى انتاجه ولا سيما جانب البؤس والألم منه .

المرحلة الثالثة : وهذه مرحلة النضوج والأثمار بحق فلم يكد يستقيل من عمله ويفلت من قيد وظيفته حتى تجلى نبوغه وبدأ ينتفع بمواهبه ويتفرغ للعمل الذى خلق له . وإذا كان قبل ذلك يختلس أويقات المطالعة ويسترق سويعات النظم والتدوين فانه هنا قد تفرغ للأدب وابتدأ يقرأ الكتب الكبرى وينشد القصائد الغراء فى شتى المناسبات ، وقل أن نجد مسألة هامة أو حادثاً جللاً فى هذا العهد لم يساهم فيه بشعره . وثلاثة أرباع ديوانه أثر من آثار هذا العهد ، على أن هذه المرحلة التى تكون النصف من عمره ليست كلها مرحلة فيض وانتاج بل تنقسم بالنسبة إلى ذلك ثلاثة أقسام :

ا — فترة قوية مخصبة فى جميع النواحى ، وهى تكون الشطر الأعظم من هذه المرحلة

ب — فترة صمت وركود وإجداب ، وهذه هى مدة وجوده فى دار الكتب المصرية .

ج — فترة انطلاق ونهوض وهذه المدة قصيرة المدى لا تكاد تجاوز العام غادر فى أوله دار الكتب وغادر فى آخره عالم الفناء : وشعره فى هذا العام سياسى محض يعاتب فيه الانجليز ويذكرهم بعهودهم التى نكثوها .

الكتب التى قرأها

يقول كثير من الأدباء الذين كتبوا عن حافظ غبّ موته أنه كان معجبا بكتاب الاغانى لأبى الفرج الأصفهانى اعجاباً جعله يقرأه أكثر من مرة ، بل يذهب بعضهم

إلى أبعد من ذلك فيقول إنه لم يقرأ كتابا في الأدب سواه واعتقد أن هذا الكتاب على الرغم من شهرته وسعته في بابه لا يُكوّن وحدُه شاعراً كحافظ لأنه شتيت من أخبار معنعنة وأشعار غير مضبوطة ولا مشروحة وتراجم الكثير من الشعراء والكتاب متفرقة لا تجمعها جامعة . وهو فوق ذلك ملىء بالاخطاء المطبعية التي تستنفد الوقت في ضبطها واصلاحها — ونحن مع اعترافنا بغلاء الكتب في هذا العهد وقلة تداولها بين الأدباء لا نكاد نسلم بأن اطلاع حافظ كان قاصراً على كتاب واحد أياً كان نوعه .

وأنت إذا قرأت ديوانه بروية وامعان وقرأت إلى جانبه كتابيه « البؤساء » « وسطيح » ووقفت على ما كان يستعمله في نظمه ونثره من الألفاظ والمعاني التي لم يتعلمها في مدرسة ولَمْ يتلقها عن أستاذ — اذا عرفت ذلك وسمعت ما يقوله المعمرون من رجال دار الكتب من أَنه كان يقضي كل فراغه بين جدرانها عرفت عن يقين أَنه لا بد قد طالع كثيراً من كتب الأدب وقرأَ كثيراً من دواون الشعراء القدامى كامرىء القيس وعنترة والنابغة والمحدثين كالمتنبي والبحتري وابي نواس وأَبي تمام . وحفظ لكل من هؤلاء أحسن ما قرأَ .

والمتأمل في السطور الآتية من رسالته السابقة إلى الأستاذ الامام :

« وجمعت في كتابي هذا بين ثقة الزبيدي بالصمصامة ، والحارث بالنَّعامة ، فلم أَقل ما قاله الهزلي لصاحبه ، حين نسي وعده وحمد يده . يا دار عاتكة التي أَتغزل بل أُناديه نداء الاخيذة في عمورية شجاع الدولة العباسية »

وقوله في قصيدة « غادة اليابان » :

وتقحمت الردى في غارة ... أسدل النقع عليها هيدبا (١)

جال عزرائيل في أنحائها ... تحت ذاك النقع يمشي الهيدبا (٢)

أجلْ . من يقف على هذا وأمثاله لا يسعه إلا ان يحكم بأن حافظاً كان واسع الالمام بدقائق اللغة ثرياً في الألفاظ والمعاني محيطاً بكثير من اخبار العرب ومجالسهم حافظاً لشيء كثير من حكمهم وامثالهم . وهل يتيسر لشاعر لم يقرأ قصة اصحاب الكهف ولم يدرس تاريخ ابي نواس ويقف على مثل رأيه في الخمر حين سئل لم لا يترك الخمر؟

(١) الهيدب : السحاب (٢) الهيدبا : نوع من مشى الخيل

وانت تعلم ما تفعل بشاربها من المهانة والسخرية ! — فقال : ومن لى بعرفان ذلك وأنا أسكر قبل الصحاب ولا افيق إلا بعدهم — وهل يستطيع من لم يعلم شيئاً من ذلك ان يقول فى شعره :

فواصلنا كؤوس الراح حتى بدت للعين أنوار الصريم
واعملنا بها رأى ابن هانى فألحقنا بأصحاب الرقيم

وهل نرجى ممن لم يقرأ شيئاً عن المانوية ومذهبهم وآراءهم فى منع النسل والعمل على تعجيل الفناء ان يقول :

لعل مانِىَ لاقى ما أكابده فودّ تعجيلنا من عالم الشجب

وسأتقدم اليك بأبيات من شعره تستطيع أن تتعرف بها مقدار الكتب التى قرأها ونوع هذه الكتب إن كنت بالادب واسفاره خبيراً .

ويقول حافظ فى مدح الاستاذ الإمام :

طلعت لها باليمن من خير مطلع وكنت لها فى الفوز قدح بن مقبل

ويقول فى وصف كساء رثٍّ :

نسبوه لطيلسان ابن حرب نسبة لم تكن بذات افتراء

ويقول فى الانجليز وسوء معاملتهم :

لقد كانت الامثال تضرب بيننا بجور سدوم وهو من أظلم البشرْ
فلما بدت للكون آيات ظلمهم إذا بسدوم فى حكومته عمرْ

واذا كان الكلام من الكلام وكان لابد للناظم أو الناثر من ذخيرة كلامية يستنجدها البديهة ويستنديها اليراع ، كانت أبيات الشاعر وفقرات الناثر عنوان تلك الذخيرة .... واذا عرفت أن ابن مقبل الذى فى البيت الاول مقامر جاهلى فاز قدحه ٧٠ مرَة متوالية فضرب به المثل فى الفوز — وأنّ طيلسان ابن حرب الذى جاء فى البيت الثانى جلباب قديم بالٍ ، مدح ابن حرب أحد الشعراء فخلعه عليه فنظم فيه هذا الشاعر أبياتاً كثيرة صيرته مثلاً لكل ثوب من نوعه ومن هذه الأبيات :

يا ابنَ حرب كسوتنى طيلسانا ملّ من صحبة الزمان وصدّا
طال ترداده على الرقع حتى لو بعثناه وحده لتهدّى

وأن « سَدُوم » التي وردت في البيتين الأخيرين اسم قاض كان يضرب به المثل في القسوة والظلم وكان حاكماً على قرية من قرى لوط الخمس تعرف بهذا الاسم ايضاً وقد غضب الله على اهلها فدمرها عليهم .

اذا عرفت هذا أو أشباهه مما يستحيل ان يحتويه كتاب أو كتابان أيقنت بأن حافظاً لم يسمع بكتاب في احوال العرب وأخبارهم ، ولم يقع بصره على مؤلف أدبي أيا كان نوعه إلا طالعه وألمَّ بما فيه :

ولقد كان للتاريخ وأطواره من عنايته ما لا يقل عن عنايته بالأدب ونواحيه والتاريخ والأدب اخوان لا يُغني احدهما عن الآخر إلا بمقدار ما تغني العين عن الأذن او الأذن عن اللسان عند فاقد احداهما ... وإخالك لا تشكّ في ذلك إذا سمعته يقول في فتنة الآستانة :

يا أسيراً في سنت هيلين رحّبْ　　بأسيرٍ في سالونيك جديدِ

وقوله في احتفال اقامته الجامعة المصرية :

هنالك الغيد جادت بالذى بخلت　　به دلالاً فقامت بالذى وجبا
جزّت غدائر شعر سرّحت سفناً　　واستنقذت وطناً واسترجعت نشبا
رأت حلاها على الاوطان فابتهجت　　ولم تحسرْ على الحلْى الذى ذهبا
وزادها ذاك حسناً وهي عاطلة　　تزهى على من مشى للحرب أو ركبا

وقوله موضع ثالث مخاطباً « روزفلت » ومُعرّضاً بالانجليز :

ليت شعري أكنت تدعو اليهم　　يوم كانوا على تخوم الثغور
يوم كانوا قذًى بعين نيويو　　رك وداءً مستحكماً في الصدور
يوم نادى « واشنجتون » فلبا　　ه من الغيل كل ليث هصور

والممعن في شعر حافظ يرى أنه رحمه الله لم يكن يقصر اطلاعه على الأدب العربي فحسب بل تعداه الى الأدب الأوروبي ، فقرأ « ما كبث » لشاعر انجلترا وليم شكسبير وأعجب بها ولخص أروع مواقفها في قصيدته التي يقول في مطلعها :

كأني أرى في الليل نصلاً مجرّداً　　يطير بكلتا صفحتيه شرارُ

وإن وصفه لفكتور هوجو الكاتب الفرنسى الذائع الصيت ، ورثاءه لتولستوي الفيلسوف ليدلان على أنه قد درس مذهب كل منهما وتعاليمه ووقف على كثير من حسناته أو ميزاته التى هى عماد الوصف والرثاء . وكان كثير الاعجاب بالأدب الفرنسى على الخصوص، وما كتابه البؤساء بجزءيه ،وما تلك الحكم الشعرية التى ترجمها لروسو ونظمها إلا ثمرة من ثمرات هذا الاعجاب .

وإذا علمت أن حافظاً لم يتعلم تعليماً دينياً ولم يتصل فى صباه بالازهر ولا بأحد فروعه ورأيت كثرة اقتباسه من القرآن واستشهاده بقصصه واستعماله لتراكيبه أيقنت أن المصحف الشريف كان فى مقدمة الكتب التى يقدسها ويدأب على مطالعتها بشوق وشغف . واذا لم يكن ذلك كذلك فقل لى بربك كيف تسنّى له أن يقول فى وصف الشمس مشيراً الى قوله تعالى فى سورة الانعام حكاية عن ابراهيم : « فلما أفلت قال: إنى لا أحب الآفلين » .

نظر (ابراهامُ) فيها نظرة ... فأرى الشك وما ضلّ اليقينْ
قال : ذا ربى ، فلما أفلتْ ... قال : إنى لا أحب الآفلينْ

أو يقول فى وصف الخمر مشيراً الى قوله تعالى فى سورة يوسف حكاية عن فتى كان معه فى السجن: « إنى أرانى أعصر خمراً » :

مذ رآها فتى العزيز مناماً ... وهو فى السجن بين هم ويأسِ
أعقبته الخلاصَ من بعد ضيق ... وحبته السعودَ من بعد نحسِ

ويقول فى شكوى الزمان مشيراً الى قوله تعالى فى سورة الصافات « وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) وقوله فى سورة يوسف (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَة) :

وكم أزرت بنا الايامُ حتّى ... فدت بالكبش اسحقَ الذبيحا
وباعت يوسفاً بيعَ الموالى ... وألقت فى يد القومِ المسيحا

ولا أرى كيف فات حافظاً أن الذبيح هو اسماعيل لا اسحاق، وأن المسيح لم يقع فى يد القوم كما زعموا « وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ »

الشعراء الذين تأثر بهم

كان حافظ كما كان أبو تمام كثير المحفوظ من شعر العرب ،ولقد أثر ذلك المحفوظ فى شعره فجاء صورة صادقة لما قرأ وما حفظ . وإنه لمن العبث الواضح والغبن الفاحش أن نقول إنه قد تأثر بشاعر فرد حتى تجلّت فى شعره أخيلة ذلك الشاعر وتشبيهاته وحده وملكته طريقته فى التعبير عما يريد .

وقد يخيل إليك إذا سمعت قوله :

جنيتُ عليكِ يا نفسى وقبلى عليكِ جنى أبى فدعى عتابى !

أنه قد تأثر بالمعرّى حيث يقول :

هـذا جنـاه أبى علىّ وما جنيتُ على أحدْ

وقد ينمو فى نفسك هذا الظن إذا قرأتَ له قوله فى موضع آخر :

وإلا فإنى قافُ رؤبة لم أزل بقيد النوى حتى تغول الغوائلُ

وعرفت أن المعرى قد سبقه إلى ذلك فقال :

ما لى غدوتُ كقاف رؤبة قيدت فى الدهر لم يقدر له اجراؤها ؟

فهل هو كذلك ؟ ولمَ لا تقول فى قوله :

ليتَ شعرى هل لنا بعـد النوى من سبيلٍ للقى أم لاتَ حينْ !

إنه كان متأثراً ببشار بن برد حيث يقول :

يا ليت شعرى وقد شط المزارُ بهم هل تجمع الدار أم لا نلتقى أبدا ؟

ولم لا يكون حين يقول فى الرثاء :

رحم الله منه لفظاً شـهياً كان أحلى من ردّ كيدِ الأعادى

متأثراً أو محاكياً للخوارزمى حين يقول فى الغزل :

وكيف ونظرة منها اختلاساً ألذّ من الشماتة بالعدوّ ؟

بل قد يترجح لديك وأنت تقرأ قوله فى تأبين المغفور له مصطفى كامل :

عليكَ ، وإلا ما لذا الحزن شاملاً ؟ وفيكَ ، وإلا ما لذا الشعب باكياً ؟

وقوله فى موضع آخر :

وكنت إذا عمدت لأخذ ثارٍ أسلت البرّ بالأسد الضوارى

أنه قد تأثر فى الأول بقول المعتمد بن عباد :

علىّ ، وإلا ما بكاء الغمائم ؟ وفىّ ، وإلا مانواح الحمائم ؟

كما تأثر فى الثانى بقول كثير فى الغزل :

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطىّ الأباطحُ

الحق أنه قد قرأ لهؤلاء الشعراء جميعاً وحفظ لكل منهم وتأثر به بمقدار ما قرأ أو حفظ من شعره ، والذين يقولون إنه قد تأثر بالمتنبي أكثر من تأثره بأى شاعر آخر إنما ينظرون فى دراستهم الى ناحية خاصة لعلها قدرته وبراعته فى وصف الحروب وميادينها وما يلحق بها ، وهذا النوع من الوصف قد انفرد المتنبي بالإجادة فيه .

ونحن وإن كنا لانستطيع أن نتناسى أن حافظاً وشوقى ومنْ قبلهما البارودى قد أكبّوا على دراسة هذا الشاعر الفذّ واستفادوا جميعاً من شعره واتخذوه استاذاً لهم خصوصاً فى هذه الناحية ـ ناحية الحروب وما يدورفيها من هجوم ودفاع أوهزيمة وانتصار ـ فانه لايصح كذلك أن ننسى ان حافظاً كان ضابطاً يعيش بين الأسلحة والكتائب ويشهد بنفسه المعارك ويسمع بأذنيه قذائف المدافع وصليل السيوف .

وإذا كان شوقى وهو لم يتقلد صارماً ولم يرَ حرباً استطاع بمحض التقليد والاعتماد على الأذن تارة وعلى المخيلة تارة أخرى أن يأتى فى وصف الحروب بهذه المطولات الرائعة ، ولم يمنعه بُعده عن الوغى وعدم خبرته بالقتال ومعاناته أو معاينته له من أن يقول فى حرب الدولة العلية مع اليونان :

كأنّ الوغى نارٌ ، كأن جنودنا مجوسٌ إذا ما يمموا النار قربوا

كأن الوغى نار ، كأن الردى قرًى كأن وراء النار (حاتمُ) يدأب !

كما يقول فى موضع آخر واصفاً هزيمة اليونان :

على القلل الاجبال حيرى جموعهم شواخصُ ، ماإنْ تهتدى أين تذهبُ

إذا صعدت فالسيفُ أبيضُ خاطفٌ وإن نزلت فالنارُ حمراء تلهبُ!

فليس بعجيب أن ينبغ حافظ فى هذه الناحية وهو ابن الحرب الذى اصطلى بنارها وقضى زهرة شبابه بين السيف والمدفع وشاهد بعينيه وسمع بأذنيه وقائعها.

وقد عاصر حافظ صديقه البارودي فى أخريات أيامه وأعجب به وبشعره حتى طلب اليه ان يصدر ديوانه بصورة أو حكمة تعرفه الى القراء فتمثل بهذين البيتين من شعره:

انا ابنُ قولى وحسبي فى الفخار به وإن غدوتُ كريمَ العمِّ والخالِ

فانظر لشعرى تجدْ نفسى مصوَّرةً فيه، فمن مِقولى قد خُطَّ تمثالى

وبينا تراه يترفع عن تقليد غيره من شعراء عصره تراه كثير الميل الى محاكاة البارودى والاستفادة من شعره والاعتراف له بالفضل والنبوغ.

وإنك لترى هذه الصلة الغالية صلة التلميذ بأستاذه أو الولد بأبيه ماثلة فيما نظمه فى مدحه أو رثائه من قصائد. واستمع اليه حين يمدحه فيقول من قصيدة طويلة:

ولو أننى نافرتُ دهرى وأهلَه بفخرك ما أبقيت فى الناس سيدا

ولو لم يمدح البارودى بغير هذا البيت الخالد لكفاه فخراً وشرفاً.

نظرات فى شعره

لا أستطيع فى هذه الصفحات القليلة أن أستعرض مواضع الجمال فى شعر حافظ أو أنقد ما فيه من هنات، ولا أدعى أنى درسته دراسة تمكننى من ذلك، ولكنى سأمرّ مسرعاً على بعض المواضع التى تسترعى نظر كل مطلع على شعر.

وسأقصد فى هذه النظرة الخاطفة الى بيان ميزاته التى لابد لكل متصدر لدراسته من أن يقدرها فيقف عندها ويتبينها. وسترى أولاً أنه رحمه الله كان يتخذ من مدائح العظماء ورثاء موتاهم لبنات لبناء عظمته وشهرته، شأن الشاعر الناشىء الذى يريد أن يتعرف إلى الناس ويشعرهم بوجوده وهو بعد فتى بائس قليل الألسنة والآذان. ولهذا جاء قرابة النصف من شعره مديحاً ورثاء. وأكثر الذين اختصهم بذلك بعد الأسرة العلوية هو الاستاذ الامام ثم الاسرة الأباظية

بمديرية الشرقية .

ولمديح حافظ ورثائه صفة خاصة هي مزجه دائماً بالشكوى وإبداعه ما يعانيه من ضنك وضيق . وقلّ أن يترك مدحةً أو مرثية من غير أن يصدرها أو يطويها على حاجته . واستمع اليه حين يصدر مدحةً للخديوى فى عيد رأس السنة بهذين البيتين :

عسى ذلك العامُ الجديدُ يسرنى ببشرى ، وهل للبائسين بشيرُ ؟
وينظر لى ربُّ الأريكة نظرةً بها ينجلى ليلُ الأسى ويُنيرُ

وإذا أفلتَ مَن حاجته الوسط والبداية ذيلها بها فى النهاية ، وهل ترى دليلا على ذلك أوضح من أن تراه يختتم مدحةً رفعها الى الاستاذ الامام بهذ البيت :

يا مَن تيمنت الفتيا بطلعتهِ أدركْ فتاكَ فقد ضاقتْ به الحالُ

ويذيل مدحة أخرى بهذين البيتين :

وقد أضحيتُ من كدحى وسعيي على الأرزاقِ كالثوب الرديمِ
فلا تخلق ـ فُديتَ ـ أديمَ وجهى ولا تقطعْ مواصلةَ الحميمِ

وثانياً تجد لشعر حافظ ما يسمى فى علم البديع ببراعة الاستهلال، إذْ له مطالع رائعة كل مطلع كأنه عنوان سارع الى الآذان ليستأنس لما وراءه أو اجمال لغرض يفصله ما يليه من ابيات ، وإن شئت شاهداً على ذلك فاستمع إلى قوله فى مستهل السنة الهجرية :

أطلّ على الأكوان والخلق تنظر هلال رآه المسلمون فكبروا

أو تأمل قصيدته فى « البورصة » :

ببابك النحسُ والسعودْ وموقفُ اليأسِ والرجاءْ

وكذلك كان فى مراثيه يستفتح القصيدة ببيت لو اقتصر عليه ولم يتبعه بغيره لاستشفّ القارىء والسامع من خلاله وحده غرضه والمعرض الذى قيل فيه ـ ألست تجد ما يؤيد ذلك فى استهلاله مرثية المرحوم امين الرافعى بهذا البيت :

أمّا (أمين) فقد ذقنا لمصرعه وخطبهِ من صنوفِ الحزنِ ألوانا

وتصديره مرثية المغفور له (رياض باشا) بذلك البيت :

(رياضُ) أفِقْ من غمرة الموت واستمعْ حديثَ الورى عن طيب ما كنتَ تصنعُ

ولهذين المطلعين روعة وتأثير فى النفس لا تحسه فى مطالعِ غيره ممن اشركوا فى تأبين هذين الفقيدين .

وبينا ترى شوقى يريد ان يهنىء الخديوى فيمهد لذلك بما ينيف على العشرين بيتاً فى الغزل أو الوصف — ترى شاعرنا يبتدىء قصيدته فى الموضوع عينه بهذا البيت الرائع الذى يجمع الى جمال اللفظ وحسن اختياره شرف المعنى واتِّساقه :

مُـنًى نلتَـها يا لابسَ المجد مُعلما أديناً ودُنيا ؟ زادك لك أنعما !

وثالثاً حسن التخلص ، ولا تحسبن حافظاً كان فى كل شعره كذلك يتماشى ، ويعمد الى غرضه من اول الأمر دون أن يمهد له بوصف أو نسيب ، فان له مطولات ليست بالقليلة يتطرق فيها الى مقصده بأبيات كثيرة فى وصف الخمر حيناً وفى شكوى الزمن أحياناً ، بيد أنه كان صناعاً ماهراً فى التخلص إلى غرضه والانتقال إلى مقصده .

وها هو ذا بعد أن يذكر أكثر من ٢٠ بيتاً فى مناجاة نفسه والشكوى من تهاون المصريين وسوء حالهم يتخلص الى مدح السلطان حسين (وكان إذ ذاك أميراً) بهذه الأبيات :

وانا قد ونينا وانقسمنا فلا سعىٌ هناك ولا وئام

فلا عجبٌ إذا ملكت علينا مذاهبنا وأكثرنا نيام

(حسين ! حسين !) أنت لها ا فنبه رجالا عن طلاب الحق ناموا

وكن بأبيك لابن أخيك عوناً فأنت بكفه نعم الحسام

وله أبيات يتخلص بها من غرض الى غرض وينتقل من معنى الى غيره كأنها حلقات أفرغت على مثال يلائم كلا الغرضين السابق منهما واللاحق — كتب مرة الى صديق له يمدحه ويشتاق إلى لقائه فبدأ كعادته بالحنين الى مصر وأهلها ، ولم أكد أصل فى قراءة تلك القصيدة الى هذين البيتين :

لامصر تنصفنى ولا أنا عن محبته أريمْ

واذا تحوّل بائسٌ عن حبها فأنا المقيمْ

حتى أشفقتُ عليه من العجز عن الوصول الى ما كان يريد ، وإذا به بعد ذلك يتخلص الى مدح صاحبه بهذا البيت الذى لايشعرك بمغايرة ولا انتقال :

فيها صحبتكَ واصطفي تكَ أيها الخلُ الحميم

وإنْ تعجبْ فعجبٌ أن تقرأ له فى الغزل ودل الحبيب وجفائه ، ومرضه هو وإدنافه من جراء هجره وصده ، زهاء الثلاثين بيتاً حتى يخيل اليك ان القصيدة قد فنيت فى هذا الغرض، وأن الشاعر قد تعثر فى استرساله حتى استعصى عليه الانتقال ، ثم تراه بعد ذلك يخرج من كل ما رأيت ويتصل بغرضه الذى قصده على الصورة الآتية:

وأتت تعود مريضها لا بل أتت مني تشيع راحلاً لو تعلم

أقسمت بالعباس انّي صادق فمُريهمو بجلاله أن يقسموا

ملك عدوتُ على الزمان بحوله وغدوتُ فى آلائه أتنعم

وسترى أنه يغالط نفسه ويخالف الحق فى بيته الأخير .

ورابعاً غلبة الروح الوطني وحب مصر ونيلها على شعره ، وأنا أعتقد أن وطنيات شوقى والبارودى على قلتها وطنيات جوفاء : تسمع رنينها عن بعد فتهتز وتطرب ، فاذا دنوت منها وجدتها فارغة لاتبل صدى ولا تشفى أواماً – ومهما بالغتَ فى وصفها وإطرائها فانك لن تستطيع أن تقول فيها أكثر من أنها ساحرة رقيقة الأسلوب موجزة إلى حد يجعلها شبيهة بالحكم والأمثال .

أما وطنية حافظ فانها فضلا عن تغلغلها فى معظم قصائده وطنية حقيقية،تدل من أول نظرة على أن صاحبها يحس باحساس الشعب ويترجم لنا عبراته وخفقات فؤاده . ولهذا تراه قد استعرض فى شعره مواضع ضعفه ومواطن آلامه ووقف من أمته موقف الطبيب يتعرف الداء ويصف له ناجع الدواء .

وكيف ينتظر من البارودى رئيس الوزارة أو من شوقى شاعر الخديوى وصَفِيّــه وهما يتقلبان فى رفاهة العيش ونعيمه ولم يعرفا للبؤس معنى ولا طرق لهما الاعسار يوماً باباً ، كيف ينتظر من مثلهما أن يؤلمه إملاق معاصريه وبؤسهم فيبكى. وهل إذا بكيا تساوت دموعهما ودموع أخيهما الذى اندسّ فى غمار الشعب وحمل من مصائبه بمقدار ؟ وهيهات :

أن يعرف الشوقَ إلا مَنْ يكابدُه ولا الصبابةَ إلا مَنْ يعانيها

وكان حافظ طوراً يستنهض المصرى ويستحفزه ويذكره بمجد آبائه وتراث أجداده فيقول :

لعمركَ ما أرقتُ لغير مصرٍ وما لى دونها أملٌ يُرام
ذكرتُ جلالها أيامَ كانت يصول بها الفراعنة العظام
وأيامَ الرجالُ بهـا رجالٌ وأيامَ الزمان لها غلام
فأقلق مضجعى ما بات فيها وبات مصرُ فيه ، فهل أُلام ؟
أرى شعباً بمدرجة العوادى تمخض عظمه داءٌ عقام
فساءَ مقامُه فى أرض مصر وطاب لغيره فيه المقام

وطوراً يذكره بعيوبه ويشرح له وسائل رقى الشعوب وعوامل نهوض الأمم فيقول :

عارٌ على ابن النيل سباقُ الورى مهما تقلب دهرُه أن يُسبقا
أوكلما قالوا تجمع شملهُم لعب الشقاقُ بجمعنا فتفرقا ؟!
فتعلموا ، فالعلم مفتاحُ العلى لم يُبق باباً للسعادة مغلقا
ثم استمدّوا منه كل قواكم إن القوىّ بكل أرض يتقى
وابنوا حوالى حوضكم من يقظةٍ سوراً ، وخطوا من حذارٍ خندقا
وزنوا الكلامَ وسدّدوه فإنهم خبئوا لكم فى كل حرفٍ مزلقا

وبينما كان شوقى شاعر عباس وابن نعمته يتلمس مواضع رضاه فيرويها بقريضه ويحاذر أن يُرى شاذاً عن رغبات سيده يوماً ما ، كان حافظ ابن الشعب وشاعره حراً فى آرائه مطلقاً فى تفكيره ، لا يتقيد برأى أمير ولا وزير — ولهذا جاء شعره فى السياسة أعمق أثراً وأشد جرأة وصراحة — وإن شئت فقل جاء لساناً صادقاً عن مصر وما تحسه من عنت المحتلّ وعدوانه . ولعل أول صوت ارتفع فى الفخر بمصر والمطالبة بحقوقها والتعرض لمثالب المحتلين وظلمهم ونقد أعمالهم كان صوت حافظ . وهل استطاع غيره أن يقول للمحكمين فى (دنشواى) منددّاً بجورهم وقسوتهم :

أحسنوا القتلَ إن ضننتم بعفوٍ أنفوساً أصبتمو أم جمادا
ليت شعرى أتلك محكمة التفتيش عادت أم عهد نيرون عادا ؟!
كيف يحلو من القوىّ التشفى من ضعيف ألقى اليه القيادا

وأن يعرض فيها برجل كان ولا يزال من أشهر رجال المحاماة فى مصر فيقول :

لا جرى النيلُ فى نواحيكِ يا مصـــرُ ولا جادكِ الحيا حيث جادا
أنت أنبت ناعقاً قام بالأمــس فأدمى القلوب والأكبادا
ايهِ يا مدرهَ القضاء ويا من ساد فى غفلة الزمانِ وشادا
أنت جلادنا فلا تنس أنا قد لبسنا على يديك الحدادا

وهل سمعت أن شاعراً استطاع أن يودع (كرومر) بمثل هذه اللطمات الدامية:

الى من نشتكى عنتَ الليالى الى العباس أم عبد الحميد ؟
ودون حماها قامت رجالٌ تروِّعنا باصناف الوعيد
رمانا صاحب التقرير ظلماً بكفران العوارف والجحود
وأقسم لا يجيب لنا نداءً ولو جئنا بقرآنٍ مجيد
وانبت فى النفوس لكم جفاءً تعهده بمنهلّ الصدود
رمى دار المعارف بالرزايا وجاء بكل جبار عنيد

وهل اجترأ مجترىء على أن يبسط له عيوب عهده فى مصر كما بسطها حافظ فى قصيدة أخرى حيث قال :

نناديك قد أزريت بالعلم والحجا ولم تبق للتعليم يا لوردُ معهدا
وانك أخصبت البلاد تعمداً وأجدبت فى مصر العقول تعمدا
ووافيت والقطران فى ظل راية فما زلت بالسودانِ حتى تمردا
فطاح كما طاحت مصوّعُ بعده وضاعت مساعينا بأطماعكم سُدى
حجبتَ ضياء الصحف عن ظلماته ولم تستقل حتى حجبت (المؤيدا)
وأودعت تقرير الوداع مغامزاً رأينـا جفاء الطبع فيها مجسدا
غمزت بها دين النبي وإننا لنغضب ان أغضبت فى القبر (احمدا)

وخامساً كثرة التضمين والاقتباس ، ولا يتيسر ذلك الا لثريٍّ فى الادب واسع الاطلاع ، ومن أمثلة ذلك فى شعره قوله فى رثاء البارودى :

وأربو على ذلك الفخور بقوله : (اذا قلت قولا أصبح الدهر منشدا)

وقوله فى المدح (يريد البدع فى الابيات السابقة) :

وباتوا عليها جاثمين كأنهم (على صنم فى الجاهلية عكّف)

ومن ذلك أيضاً تضمينه أبياتاً كاملة لغيره من الشعراء كما فى قوله مضمناً بيت أبي تمام :

ألفت بين ابن السحاب وبينها فرأيت صحة ما حكاه الطائى :
(صعبت وراض المزج سيء خلقها فتعلمت من حسن خُلق الماء)

وقوله فى عيد الدستور العثمانى مضمناً بيت بشار :

روت قول بشار فثارت وأقسمت وقامت الى عبد الحميد تعاتبه
(اذا الملك الجبار صعر خده مشينا اليه بالسيوف نعاتبه)

وأنت ترى أنه لم يضمن قصيدته بيتاً الا وقرنه باسم صاحبه ، وهذه دقة وأمانة نحملها له .

وفى التضمين هنا من البراعة والجمال ما لا يقل عن مثلهما فى قول البارودى مضمناً شطر أبى نواس :

ولو كنتُ فى عهد النواسى لم يقل: أجارة بيتينا أبوك غيورُ

ولا عن قول صفى الدين من قبله مضمناً شطر المتنبي :

أشرقن فى حُلل كأن أديمها شفق تدرعه الشموس جلاببا
وغربن فى كلل فقلت لصاحبي (بأبى الشموس الجانحات غواربا)

وقد قدمنا لك فى غير هذا الموضع انه كان دائباً على تفهم القرآن وحفظه ، وقد أثر هذا المفهوم والمحفوظ فى شعره كظهور اللآلىء فى التاج أو الماسة بين لوامع الاصداف إذ زاده روعة وجمالا . وما إخال القراء فى حاجة الى بيان منزلة القرآن واسلوبه من الأدب العربي — وفى شعره من ذلك مُثل شتى أسلفنا لك جانباً منها وها نحن اولاء نعود فنتقدم لك جانباً آخر .

قال رحمه الله يمدح سليمان باشا أباظه مشيراً الى قوله تعالى فى سورة النمل (قالت نملة : يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم ليحطمنكم سليمان وجنوده) :

سليمان ذكَّرتَ الزمان واهله بعزٍّ سليمانٍ واقبال دنياه
اذا سرت يوماً حذر النملُ بعضه مخافة جيش من مواليكَ يغشاه

وقال فى مدح الاستاذ الامام مشيراً الى قصة موسى والخضر عليهما السلام (سورة الكهف) :

وكنتَ كما كان ابن عمران ناشئاً وكان كمن فى سورة الكهف يذكر

وقال من رسالة بعث بها الى رفعت بك وكيل مصلحة السجون سابقاً مشيراً الى قوله تعالى حكاية عن يوسف (اذكرنى عند ربك) :

ولو كُنْتَ فى عهد ابن عمران لم يقل لصاحبه اذكرنى ولا تنسَ . . . .

بل لقد كان يضمن أبياته الآية أو بعضها من غير تغيير كقوله :

« قتل الانسان ما اكفره » طاول الخلاقَ فى الكون وساما

وقوله فى وصف الشمس مضمناً قوله تعالى حكاية عن ابراهيم (قال هذا ربى فلما أفلت قال لا أُحب الآفلين — سورة الانعام) :

قال : ذا ربى فلما أفلت قال : إنى لا أُحب الآفلينْ !

وسادساً الالماع الى الحوادث التاريخيــة والأخبار الأدبية والمذاهب الفلسفية .

فمن الأول قوله فى الأمير عبد الله صاحب الجزائر :

ذكرتنا يوم ضاعت أرضُ أندلسٍ الحربُ بالباب والسلطانُ فى اللعبِ

وقوله حرب فى طرابلس :

أيها الحائر فى البحر اقتربْ من حمى البسفور إن كنت هماما
عام شهرين ولم يفتح سوى هوة فيها الملايين ترامى

ومن الثانى قوله فى تهنئة الخديوى بالحج :

ولما استلمتَ الركنَ هاجت شجونُه فلو أنه اسطاع الكلام تكلما
تذكر زينَ العابدين وجدَّه وما كان من قول الفرزدق فيهما

مشيراً بذلك الى ما كان من أمر الرشيد حينما رأى سيدنا على زين العابدين

وهو يطوف بالبيت فتجاهله وتساءل عنه فأجابه الفرزدق بهذه القصيدة الخالدة التي يقول في مطلعها :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته والبيتُ يعرفه والحلُّ والحرمُ

ومن الثالث قوله :

فيا ليل أنزلنى بجوفك منزلا يضل به سربُ القطا ويحارُ
وان كنت ليل المانوية فليكن على سر أهل الشر منك ستارُ

مشيراً بذلك إلى مذهب مانى الذى يقول بأن الليل موطن المصائب والشرور ، وقد سبقه الى ذلك المتنبي حيث قال :

وكم لظلام الليل عندىَ من يدٍ تخبر أن المانوية تكذبُ

وقوله في موضع آخر :

أصبحتُ كالدهرىِّ أعبد خدَّه وجبينه وأنا الشريفُ المعرقُ

مشيراً بذلك الى الدهريين ومذهبهم الذى لخصه القرآن الكريم فى قوله حكاية عنهم : (إن هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر)

مظاهر البؤس فى شعره

قدمنا لك أن البؤس من أظهر النزعات الغالبة على شعر حافظ ، وهيهات أن تجد أنمّ عن نفس صاحبه من شعره . وانك لتقرأ ديوانه فيخيل اليك أنه ذوب نفس أبية عاشت تتطلع الى المجد وفيها معداته وماتت دون أن تنال منه أكثر مما ينال الظامىء من لامع السراب. ولا تشك فى أن صاحب هذا الديوان قد اصطلى فى طفولته واكتوى فى شبابه بنار البؤس الذى تعرف اليه فى مهده ولم يتركه حتى استقر فى لحده وهو بعد شاعر رقيق العاطفة دقيق الاحساس . فكان طبيعيا أن يجىء شعره صورة لهذه النفس المعذبة ومرآة لهذا الفؤاد الواجب الذى طالما خاطبه بقوله :

يا خافقا قل لى متى تسكنُ ؟ لله ما تخفى وما تُعلنُ !

وما الذى أبقاه من مهجتى ومن فؤادى داؤك المزمنُ ؟

وسأعرض عليك طرفاً من أبياته ترى البؤس ماثلاً فيها يحدثك عن خبيئة الشاعر ويكشف لك من أمره مالم تكشفه لك الابصار .

يقول من رسالة بعث بها الى صديقه البابلى :

كيف تنسى يا بابلىُّ غريباً بات بين الظنون والأوهام
وحزيناً إذا تنفس عادت لحمةُ الليل جمرةً من ضرام
واذا أنَّ كاد ينصرع الأفـ ـقُ وتختلُّ دورة الأجرام
بات تحت البلاء حتى تمنى لو يكون المبيت تحت الرغام

ويقول فى موضع آخر نادباً حظه وسوء حاله وعقوق الدهر له ولعبقريته:

عقنى الدهر ، ولولا أننى أوثر الحسنى عققتُ الأدبا
إيهِ يا دنيا اعبسى أو فابسمى لا أرى برقك إلا خُلَّبا !

وإخالك لا تعجب بعد ذلك إذا رأيت حافظاً يصبغ بالشكوى والأنين جوانب شعره فترى بؤسه فى الوصف والغزل كما تراه فى المديح والرثاء . وها هو ذا يمدح محمد بك بيرم فيقول له فى ثنايا القصيدة :

وقد أصبحتُ من تعبي وكدحى على الأرزاق كالثوبِ الرديمِ

وانه ليخيل اليك أن البؤس قد طغى على احساس حافظ وسيطر على عواطفه حين تراه يستهل قصيدته فى عيد رأس السنة بهذا البيت :

لى فيكَ حين بدا سناكَ وأشرقا أملٌ سألتُ الله أن يتحققا

وكانت لحافظ نفس قلقة ثائرة مضطربة كما وصفها هو فى كتابه (البؤساء) لاتكاد تستقر على حال : فترة ترسب فى حضيض الألم راضية بقسمها ، قانعة بنصيبها من هذه الحياة الفانية، وهو يصور لك حالها إذ ذاك بقوله :

نحن نرضى بالقوت من هذه الدنيا وإن بات دونَ قوتِ النعام
ولئن خان قسمُنا ما شكونا لسوى الله أعدلِ القُسّام

ومرةً تطفو الى سماء الرفعة وتتماسك مطوية على الألم موهمة الناس أنها أسعدهم حالا . والبيتان الآتيان يصورانها لك فى هذه الصورة :

تماسكتُ حتى لو رأى الناس حالتى رأوا رجلاً هانت عليه مصائبهْ
وعلمتُ نفسى كظم غيظى فلم أبح بما فعلت بين الضلوع قواضبهْ

كما يمثلها فى مطاردتها لليأس واستهانتها بالصعاب قوله :

على أننى لا أركب الصعبَ مرةً ولا أكبر البأساء حين تغيرُ

وأحيانا يسأم الدنيا ومَنْ عليها فيودعها ويناجى القبر والآخرة نجوى العاشق المشتاق فيقول :

سلامٌ على الدنيا سلامَ مودِّعٍ رأى فى ظلام القبر أنساً ومغنما
أضرَّتْ به الأولى فهام بأختها فان ساءت الأخرى فويلاه منهما
فهبِّى رياحَ الموت نكباء واطفئى سراجَ حياتى قبل أن يتحطما

ولعلك تسألنى بعد ذلك : من أى شىء كان يشكو حافظ وما موضع آلامه وأشجانه ؟ . . . وجوابنا عن ذلك أنه كان يشكو من شعبه النائم عن حقوقه الساكت على آلامه ، يرى الخطر يتهدده وأسباب الفناء تحوطه ، ثم يلهو ويلعب ويفخر بالماضين وما خلفوه ، فيخاطبه مرة بقوله :

وكم ذا بمصر من المضحكا ت كما قال فيها (أبو الطيب)
أمورٌ تمرُّ وعيشٌ يمرُّ ونحن من اللهو فى ملعب
وشعبٌ يفرُّ من الصالحا ت فرارَ السليم من الأجرب

ويعجب منهم ويبكتهم على جهلهم وتأخرهم مرة أخرى فيقول :

وقل للعاجزين أما لهذا الفخر من سبب ؟
أرونى نصفَ مخترعٍ أرونى ربعَ محتسب
فهبُّوا من مراقدكم فإن الوقت من ذهب

ويشكو كذلك من نفسه الكبيرة التى بين جنبيه

وإذا كانت النفوس كباراً تعبتْ فى مرادها الأجسام

فلا هى قادرة على إصلاح ما ترى ، ولا هى قادرة على احتماله ، ولا هى راضية بالعجز بين هاتين الحالتين .

ألست ترى ذلك واضحاً فى قوله (يريد المصريين) :

ينامون تحت الظلم والأرضُ رحبةٌ لمن بات يأبى جانبَ الظلم جانبُه
فياليت لى وجدان قومى فأرتضى حياتى ولا أشقى بما أنا طالبُه

وأخيراً يشكو من عثار حظه فى وطنه وخيبة آماله فى قومه وضياع أدبه بين عشيرته واخوانه فيقول مخاطباً مصر فى نغمة البائس الحزين :

حطمتُ اليراعَ فلا تعجبي وعفتُ البيان فلا تعتبي
فما أنتِ يا مصر دارَ الأديب وما أنت بالبلد الطيِّب
فلا تعذليني لهذا السكوت فقد ضاق بى منك ما ضاق بى

وهو لا يتردد فى أن يصارحنا بأن هذا الأخير هو مصدر حزنه وسر شقائه فيقول :

أنا لولا أن لى من أمتي خاذلا ما بتُّ أشكو النُّوَبا

بيد أنه كان كثيراً ما يستكثر من نفسه هذه الشكوى ويستنكرها عليها ويبرأ ويعتذر عما فرط منها ، وفى ذلك يقول :

وما شرعتْ هذا اليراعَ أناملى بشكوى ولكنَّ اللجاج يثيرُ

أسباب بؤسه

يجدر بنا بعد كل ما أسلفناه أن نبين لك أسباب بؤس حافظ وأن نتعرف سر هذه الحسرة التى لازمته طوال حياته والتى طالما قال فيها :

حسرةٌ فى النفس لو قسمت على ذوات الطوق لم تسجعِ

وكان لزاماً علينا ان نتتبع الظروف والأحوال التى انتحت بشاعرنا هذه الناحية وحولت عاطفته الى هذا الطريق . ونحن نرى ان بؤس حافظ وإن كانت جرثومته الأولى قد وُلدت معه يوم ولد ، وصاحبته فى نموه وتدرجه فى طريق الحياة ، نرى مع ذلك ان البيئة التى احتوته والوسط الذى عاش فيه يكوّنان الجانب الأكبر من هذا البؤس الذى ترجع اسبابه الى اربع جهات :

(١) نشأته الاولى بين احضان المتربة والفاقة وملازمة العناء والشقاء له وهو صبى فى

وددت لو طرحوا بى يوم جئتهم في مسبح الحوت أو فى مسرح العطب

ورجل طلع الى المجد كحافظ حرىٌّ به ان يحزن ويكتئب اذا رأى نفسه بين قوم يقومون الناس بما يملكون ولا يعرفون للمجد سلماً سوى المال ، وألفى نفسه مع ذلك مفتقدا لهذا السلم . وليس لهذا السبب اثر بين فى شعره اللهم الا ما كان إيماء او تلميحاً كما فى قوله :

فما أنا مطلقٌ كالفكر أسري فأستبقُ الضواحك فى الغيوم

ولكنى مقيَّدةٌ رحالى بقيد العُدم فى وادى الهموم

مما يدلنا على ان الامر لو اقتصر عليه وحده لكان فى ذكاء حافظ وعبقريته ما يمحو أثره من صفحة حياته . وكم من معدمين فى طفولتهم بَسَمَ لهم الدهر بعد فكانوا من أسعد الناس حظاً وأرفعهم مكاناً .

(٢) خذلان قومه له وكساد شعره بينهم وعدم احساسهم به وتقديرهم له ولإنتاجه ،والشاعر كالزهرة يحييه التشجيع والثناء ويميته الإهمال و الازراء .

وأى اهمال أشق على النفس من أن يمرض فلا يعاد وينأى عن العيون فلا تشعر بنأيه ، وفى ذلك يقول :

مرضنا فما عادنا عائدٌ ولا قيل أين الفتى الألمعى ؟

ولا حنَّ طرسٌ الى كاتب ولا خف لفظ على مسمعى

سكتنا فعزَّ علينا السكو ت وهان الكلامُ على المدَّعى !

ولكم كان قاسياً على نفس حافظ أن يعيش فى بلد لا يعرف الفضل لذويه،ولطالما خاطب مصر بهذا البيت من شعره :

ليتَ مصراً كغيرها تعرف الفضـ ـلَ لذى الفضلِ من ذوى الالبابِ

ولقد تسمع قوله فى رثاء الأستاذ الامام :

فيا منزلاً فى عين شمس أظلنى وأرغم حُسَّادى وغمَّ عُداتى

فتعلم أنه رغم بؤسه ووحشته كان كثير الحساد والأعداء — ولهذا كان دائماً متبرماً بالحياة ساخطاً على أهلها ، وكلما نظر إلى أدبه الرائع الذى وأدوه بينهم بجهلهم وإهمالهم ازداد حسرة وألماً وردد هذا البيت المشهور من شعره :

فلولا أنهم وأدوا بيانى بلغتُ بك المُنَى وشفيتُ ما بى

وكان كلما لمع له فى سماء الامل بارق وقامت تنتعش على ضوئه نفسه العالية المزدحمة بالآمال والآلام ، وقفت المقادير بينه وبين ما يريد ، وجذبه عثار الحظ ونكد الطالع فأقصاه عن آماله ، وفى ذلك يقول :

لكننى غير مجدود وما فتئت يدُ المقادير تقصينى عن الأرب

وقد غدوتُ وآمالى مطرّحة وفى أمورىَ ما للضبّ فى الذنب

(٣) غربته فى السودان وبُعده عن أهله وأصحابه بمصر وإرغامه وهو الأبى على العيش فى ارض نائية يشتكى من حرها وعذابها مايشتكيه من معاشريه ومن رؤسائه وعنتهم وعدم تقديرهم لمواهبه . ولعل أوضح صورة لما كان يعانيه شاعرنا فى غربته هى التى اشتملت عليها هذه الأبيات الثلاثة :

نزحتُ عن الديار أروم رزقى وأضربُ فى المهامه والتخوم

وما غادرتُ فى السودان قفراً ولم أصبغ بتربته أديمى

وها أنا بين أنياب المنايا وتحت براثن الخطبِ الجسيم !

بيد أن هذه المرحلة من عمره كما قدمنا فى غير هذا الموضع هى أخصب حياته بهذا النوع من الشعر ، ولا عجب فان له فى هذا الباب رسائل خالدة وقصائد رائعة جرت مع النيل الى مصر تحمل الى أصدقائه وأخلائه بها ما يعانيه صاحبهم فى هذا البلد النازح من الأسى والعذاب .

(٤) إخفاقه فى الوصول الى الخديوى ، وما كان لنفس مهما منحها الله من الصبر أن تحتمل أكثر من عشرين عاماً ترسل فيها المدحة تلو المدحة ولا تدع فرصة تمر دون أن تتقدم اليه فيها بمنظومة بديعة . ولا تزال هذه القصائد الغراء حلية ديوانه الى اليوم .

ومع ذلك فانه لم ينل من نفس عباس اكثر مما ينال الحديث من نفس سامعه . وبينما كان شوقى يتسابق الذهب والفضة فى المثول بين يديه ، ويعيش بشعره بين عطف المليك وعنايته ، ويتقلب بفضله بين احضان الترف والنعيم ، كان حافظ يصطلى بنار العدم والمسغبة مع ضعف البون ما بين الشاعرين .

واذا كان شوقى يقول فى عيد مولاه :

مولایَ عیدك عیــد الناس كلهم وأنت جامعة الاجناس والملل
انّ الملوك على الكرسيّ مربعها وانت تجلس فی الأسماع والمقل

فما قصّر شاعرنا یوم قال فی نفس العید :

طُفْ بالأریكة ذات العز والشان واقض المناسك عن قاص وعن دان
یا عید لیت الذی أولاك نعمته بقرب صاحب مصر كان أولانی
صغتُ القریض فما غادرت لؤلؤة فی تاج كسری ولا فی عقد بوران

وفیها یقول :

الیومَ أنشــدهم شــعراً یعید لهم عهد النواسیّ أو أیامَ حسان
أزفّ فیه الی العباس غانیة عفیفة الخدر من آیات عدنان
أعلیتَ بالعدل مُلــكاً أنت حارسه فأصبحتْ أرضه تُشری بمیزان
جری بها الخصبُ حتی أنبتت ذهباً فلیت لی فی ثراها (نصف فدان) !

وما أجمل هذا البیت وما أخف دعابته علی النفس لولا ما فیه من ایماء خفی الی فقر الشاعر وحرمانه .

بل ما نظن شوقی قد استطاع مهما أجاد فی مدح مولاه ان یزید علی ما قاله حافظ فی تهنئته بالحج :

مشت كعبةُ الدنیا إلی كعبة الهدی یفیض جلالُ الملك والدین منهما
ولو أننی خُیرت لاخترت أن أری لعیسك وحدی حادیاً مترنما
حللتَ بأكناف الجزیرة عابراً فأنضرتَ وادیها وكنت لها سما
وأشرقتَ فی بطحاء مكة زائراً فبات علیك النیلُ یحسد زمزما

وكانت تلجُ هذه المدائح التی فنی فیها صاحبها أذنَ الخدیوی وتخرج من الثانیة من غیر أن تصل إلی فؤاده !

لهذا كان طبیعیاً أن یزداد ألم حافظ وبؤسه، وأن یداخله من الهموم والحسرات ما یداخل صاحب السلعة الجیدة إذا صدف عنها الراغبون.

ویخیل الیّ أن حافظاً مع ما كان متمتعاً به من عطف كثیر من عظماء مصر كالمرحوم

حشمت باشا والاستاذ الإمام فانه كان ينظر الى المليك بعين خاصة ويرى أن رضاه منتهى الآمال وفى عطفه وولائه تمام السعادة — فكان يحاول الوصول اليه عن طريق شعره ، ويطرد اليأس عن نفسه ، معتقداً بأنه لابد واصل الى ما يريد مادام له فم ناطق ولممدوحه أذن سامعة . وكان حيناً يفخر بمدائحه ويدعى أنه أتى فيها بما يعجز عن الاتيان به سواه فيقول :

كم رام شأوى فلم يدرك سوى صدف ساحت فيه لنظام ووزان
عابوا سكوتى ، ولولاه لما نطقوا ولا جرت خيلهم شوطاً بميدان
واليومَ أُنشدهم شعراً يعيد لهم عهد النواسيّ أو أيامَ حسان

ويقول فى موضع آخر :

ولوشئتُ أذهلت النجوم عن الثرى وعطّلتُ أفلاكاً بهن تدور
وأشعلتُ جلدَ الليل منى بزفرة غرامية منها الشرارُ يطير !

وأحياناً يعترف بالسبق لشوقى فى مدح مولاه ويقر له بالفضل والابداع فيقول :

لم أخشَ من أحد فى الشعر يسبقنى الا فتى ما له فى السبق الاه
ذاك الذى حكمت فينا يراعتُه وأكرم اللهُ والعباسُ مثواه

وكأنى به وقد ثبت فى روعه أن شوقى قد احتل بشعره من نفس سيده مكاناً لا يسمح لشاعر آخر أن ينازعه فيه ، فطفق يستندى رضاه ويختلس عطفه بايهامه أن مدائحه كمدائح صاحبه فى لفظها ومعناها ليستلفت نظره ويسترعى انتباهه ، وفى ذلك يقول :

الى سُدّةِ العباس وجهتُ مدحتى بتهنئةٍ شوقيةِ النسجِ معطارِ

كما يقول فى موضع آخر :

معانٍ وألفاظٌ كما شاء أحمدٌ طوتْ جزلَ بشارٍ ورقة مهيارِ

وكثيراً ما كان يغلب عليه اليأسُ ويعترف بعجزه عن مداناة شوقى كما يعترف بأنه أقل من أن يصل بشعره الى الخديوى فيقول :

لم يُبْقِ أحمدُ من قولٍ أحاوله فى مدح ذاتك فاعذرنى ولا تعبِ
فلست ممن سمتْ بالشعر همتُه الى الملوكِ ، ولا ذاك الفتى العربى

وينتقل بشعره الى مدح (ادوارد) و (فيكتوريا) و (هوجو) و (عبدالحميد) .
طرق حافظ في سبيل غايته كلّ هذه السبل على ما رأيتَ وعاد منها كلها خائباً فحوّل وجهه ناحية اخرى وابتدأ يمدح شوقي نفسه ويطري شعره علّه يذكره يوماً بخير عند مولاه ، وكم كان في هذه الامنية واهماً . واستمع اليه حين يقول في تهنئة الخديوي :

شوقي نسبتَ فما ملكتُ مدامعي — من أن يسيل بها النسيبُ الشيق
أعجزتَ اطواق البيان بمدحةٍ — سجد البيان لربها والمنطق
لم تتركا (١) لي في المدائح فضلة — يجرى بها قلمي الضعيف ويلحق
نفسٌ على شوقٍ لمدح أميرها — ويراعتى بين الأنامل أشوق
ماذا أقول وانما في مدحه — بحران بات كلاهما يتدفق ؟
العجز أقعدني وان عزائمي — لولا كما فوق السماء تحلق !

وهل تظن ان شوقي قد مُدِح في حياته أو أُبّن في مماته بأجمل من هذه الأبيات التاليـة التي كلل بها حافظ جبينه والتي تلمس فيها الحبَّ والإخلاص والاعتراف بفضل ؟ واليك هذه الأبيات التي تسيل رقة وعذوبة :

يا شاعرَ الشرقِ اتئدْ — ماذا تحاول بعد ذاكْ
هذي النجوم نظمتَها — دررَ القريض وما كفاكْ
والبدرُ قد علمته — أدبَ المثول اذا رآكْ
وسموتَ في أفق الشعو — رِ فكدتَ تعثر بالسماكْ
وحباكَ عباسُ الحا — مدِ بالمواهبِ واصطفاكْ

وقلَّ أن تجد مدحة خديوية له قد خلت من ذكر شوقي إمّا مادحاً له أو متوسلاً به عند مولاه — أفئن أخفق حافظاً في مسعاه بعد هذا اللأي المتواصل ، وخاب فأله بعد ذلك الصبر الجميل ، أفلا يصح أن يكون هذا الإخفاق وهاته الخيبة عاملين

(١) صبري وشوقي

قويين من عوامل بؤسه ؟ أعتقد أن بعض هذا كان كافياً للقضاء على نفسه لولا أنها جبارة فسيحة الآمال .

حسنات هذا البؤس وسيئاته

وإخال أن أول ما يواجهني به القارىء لو لم أتبع هذا العنوان بما يوضحه ويبين رأيي فيه هو السؤال الآتي : وهل للبؤس من حسنات ؟

وأنا أرى وأحب أن يشاركني القراء فيما أرى أن حافظاً كله ثمرة من ثمار البؤس ويد من أياديه الطيبة يقدرها له الأدب والمتأدبون . ولو تمثل البؤس للناس رجلاً لكان شاعرنا آخر أبنائه وأقربهم شبهاً به . والذين يتصدون مثلي لدراسة حافظ يرون أن شعره — وإن شئت فقل انتاجه عامة — يسير مع بؤسه جنباً إلى جنب ويتدرج معه في الوجود قوة وضعفاً ويتبعه في الحياة وجوداً وعدماً ، ويرون أنه بين يدى بؤسه كالقيثارة الطيبة بين يدى العازف كلما قسا على أوتارها المشدودة علا رنينها وارتفع أنينها .

ألست تراه وهو ضابط بالمدرسة الحربية في مصر موفور العيش بين أهله وصحبه خافت الصوت لا نسمع به إلا في المناسبات — فاذا ما ذهب إلى السودان وحل به من العناء والعذاب ما علمت حركت أنامل البؤس هذه القيثارة فأنّ أنيناً عالياً سمعناه في مصر فحرك عواطفنا وأيقظ من آلامنا وأشجاننا ما كان منسياً ؟ ولو لا ضننا بحياة الشاعر وحدبنا على شخصه وإشفاقنا عليه من عبء لم يتعود حمله لأبقيناه في السودان كذبالة المصباح تضىء للناس وهي تحترق !

ولو سايرت حياته ونظرت اليه بعد ذلك وقد عاد من السودان واستقال من عمله وقبع في كسربيته لا تصل يده الى قوته الا بعد لأى وعناء لرأيت كيف أوجد البؤس أمامه أكثر من باب ، وعلمه الاحتيال بطرقها ، والتدرع بالصبر والثبات وعدم اليأس مادام شاعراً ، والشعر مفتاح القلوب . وكان حيناً يمدح العظماء ويرثى موتاهم ، وأحياناً يغشى المجالس والأندية بشعره في مختلف الشئون حتى يبلغ رسالته ويشعر الناس به ، لعلهم يخرجونه من ظلمات البؤس الى نور السعادة والهناء .

وبعد ادراك غايته المادية أمسك هذا البلبل الصداح عن التغريد وافتقدت الآذان

صوته عندما وُظِّف بدار الكتب فى العهد الأخير براتب لم يكن فى حسبانه يوماً ما ، ومكث أكثر من سبع سنوات دفيناً فى منصبه لا يحسّ بوجوده الا من اتصل به ! وما إن خرج من الدار مُحالاً الى المعاش حتى انطلق كما ينطلق العصفور السجين وعاود الغناء والتغريد ، فأسمعنا فى السياسة ونقد الانجليز مقطوعات جريئة لا عيب فيها سوى أَنها كانت قصيرة العمر تحمل معها نُذر فنائه ، لهذا كله لا نرى بدعاً ولا حرجاً فى أَن نقول ـ وحقّ ما نقول ـ أَن حافظاً لو لم يكن بائساً لما كان شاعراً ، وانه مدينٌ الى البؤس بهذه الشهرة الواسعة ، ولولاه لما تسنى له أَن يتقدّم الى الأدب بهذه الصورة الباكية التى تذيب الافئدة وتستدرّ عصى الدموع .

وقد قدمنا لك آنفاً أَنه لم يدع سبيلاً يظن أَنه يوصله الى الخديوى الا سلكه وكان يخفق . وكان فى كل مرة يخفق فيها تتفتح أَمامه أَبواب المعانى ويكدح فكره فى اختراع أَلفاظ وطرق جديدة فى التعبير فيتنوع بذلك اسلوبه وترقى أَخيلته وتتجدد معانيه ، وفى ذلك كله نموّ فى فكره وأَثرٌ فى أَدبه لا يقل عن أَثر تقليده لشوقى فى مدح الدولة العثمانية وإطراء الخلافة يوم كانت ثم رثائها حين دالت ، وترسّم خطاه فيما كان ينظم فيه من أَغراض . ولم يعرف عنه أَنه اقتدى بشوقى فى غير هذه الناحية ، ولعله كان يعتقد أَنها هى الطريق الذى ركبه شوقى الى مجده والسلم الذى صعد عليه .

أَما سيآت هذا البؤس : فحسبك منها انها خلقت من حافظ شاعراً قانعاً متواضعاً مستهيناً بنفسه وبمكانته بين قومه ، وما كان من آثار ذلك ما نراه فى شعره من خضوع واحساس بالضعة ، ولولا هذا لما استباح لنفسه أَن يقول :

ولستُ ممن سمت بالشعر همّتُه الى الملوك ولا ذالا الفتى العربى

وكان من نتائج هذا البؤس الذى يلازمه ما نراه من اسرافه فى مدح زميل له كشوقى ، فقد أغرق فى ذلك وأتى بما يعاب . ونحن اذا تسامحنا معه وقبلنا منه قوله فى استقباله :

هذا امرؤ قد جاء قبل أوانه إن لم يكن قد جاد قبل أوانه

مع ما بينهما من قرب المسافة وضعف البون كما أسلفنا ، فما كنا لنتقبل منه بحال أن يرضى بالدون أو نستسيغ منه أن يصف نفسه بالضعة والصغار ويسجل عليها

العجز والتقصير فيقول فى رثاء (تولستوى) من قصيدة إن لم تكن أحسن من شوقية صاحبه فما هى بأقل منها :

رثاكَ أميرُ الشعر فى الشرق وانبرى ... لمدحك من كتاب مصر كبيرُ

ولستُ أبالى حين أرثيك بعده ... إذا قيل عنى قد رثاه صغيرُ

بل انى لأستنكر على رجل كحافظ يقول له الشاعر الكبير أحمد محرم :

أميرَ الشعر والشعراء سمعاً ... مقالة ذى محافظةٍ صدوق

لأنت المرء يشأى طالبيه ... فليس طلابُ شأوك غير مُوق!

ثم يأتى هو بعد أعوام من ذلك التاريخ وقبل أن تُنْسَى تلك المدحة العظيمة فيقول لشوقى فى مهرجانه :

أميرَ القوافى قد أتيتُ مبايعاً ... وهذى وفودُ الشرق قد بايعتْ معى!

ولا خلافة هناك ولا ملك ولا بيعة! وكانت لذلك نتيجة عكسية من جانب شوقى، فقد أهمل صاحبه ونسى وجوده ولم يعترف له بموهبة ولا فضل، وهكذا كان شوقى يحترم من يخافه ويتجاهل من يأمنه ولو كان أفضل الناس جميعاً .

وثمة أثر كان اسوأ لهذا البؤس ونتيجة بغيضة لا تقل عن سابقتها وتلك هى اتخاذ الشعر وسيلة للاستجداء واعتباره سلماً لغايات النفس وشهواتها ، وهذا لعمرى خطر داهم على الشعر والشعراء ، يحط من اقدارهم ويسوّي بينهم وبين المتسولين الذين يسألون الناس فى الطرقات الحافاً — وواجب على الكتاب والشعراء فى كل زمان ومكان ان يستهجنوا هذا النوع المهين من الشعر ويطاردوا قائليه — وكان ذلك على ما فيه من ضعة ومهانة شائعاً فى شعر حافظ يختتم به مدائحه ويذيل به رسائله إن نظماً وإن نثراً .

وأكبر ظنى انه لولا البؤس الذي أقضّ مضجعه وطغى على احساسه لما رضى أن ينسب إليه مثل هذا العجز الوضيع :

« أدرك فتاك فقد ضاقت به الحالُ »

ولما غفرنا له بأى حال قوله لممدوحه فى قصيدة هى تهنئة بعرس :

وكنْ لعليٍّ بهجةَ العرسِ انه بعزِّكَ فى الافراح تمتْ مزاياهُ
ولا تنسَ من أمسى يقلب طرفه فلم تر الا انت فى الناس عيناهُ

وانت ترى ان البيتين مع ما فيهما من تناقض واختلاف فقد شوّه الثانى منهما جمال الأول ومسح بهجته ورواءه . وكان من سيئات هـذا البؤس كذلك أن اتخذ شعر حافظ هذه الناحية الهادئة المتواضعة واصطبغ بهذا اللون القاتم فجاء خالياً من حماسة البارودى وفخره ومن زهو شوقى وكبريائه .

ومن يدرى كيف كان يؤول مستقبل حافظ لو أُتيح له من بلهنية العيش وسعادة الحياة ما أُتيح لصاحبه ولوحِظَ بتلك العناية التى لوحظ بها زميله .

ولقد كان حافظ يفنى فى بؤسه ويرى أنه من الغبن أن يشترك معه غيره فيه . لهذا آثر ان يحتمله وحده ، فلم يتخذ له صاحبة ولا ولداً ، ومات ولم يعقب سوى كتابين فى النثر هما كما يقول عنهما خير ما أخرج للناس فى هـذا العصر ، وديوانه المطبوع فى ثلاثة أجزاء وهو حرى بالدراسـة والتحليل — يقول شوقى رحمـه الله فى تقريظه :

لا تسألوا الأصدافَ عما أودعتْ فى هذه الأوراق كلّ عجيبِ

تلك صفحة من تاريخ حافظ ، إنْ لم تـكن قد استوعبت حياته فقد أضاءت أظلم ناحية فيها ، وكفى ؟

طه محمد عبده

المرأة فى شعر حافظ

لاتُعرف لأمةٍ نهضةٌ شاملة اذا حُرِمَتْ المرأةُ نصيبها من التأثير فى المجتمع . ومقياس منزلة المرأة الإشادة بها واعلان فضلها ونفوذها . وقد تـكون تلك الاشادة وذلك الاعلان بصور شتّى : كالدفاع عن حقوقها ، وكالتغنّى بمآثرها فى بناء هيـكل الأمة ، وكالتغزّل بجمالها . فأين شعر حافظ من كل هذا ؟

لقد كان حافظ من مدرسة قاسم أمين المنتسبة الى بيئة الامام محمد عبده وهى

بيئة حرة مصلحة ، وحسبك من قاسم كتاباه عن « تحرير المرأة » و« المرأة الجديدة » ولذلك جاء شعر حافظ من أصوات الاصلاح العالية للمرأة فى غير تردد وإن كان فى اعتدال وتدبُّر وحذر . أليس هو القائل مخاطباً قاسماً :

أقاسمُ إنّ القومَ ماتت قلوبُهم ولم يفقهوا فى السفر ما أنت كاتبُهْ
الى اليوم لم يُرفعْ حجابُ ضلالهم فمن ذا تناديه ومَنْ ذا تعاتبُهْ؟
فلو أنّ شخصاً قام يدعو رجالَهم لوَضْع نقابٍ لاستقامتْ رغائبُهْ !
ولو خطرتْ فى مصر حواءُ أمُّنا يلوح محيَّاها لنا ونراقبُهْ
وفى يدها العذراءُ يسفر وجهُها تصافح منّا مَنْ ترَى وتخاطبُهْ
وخلفَهما موسى وعيسى وأحمدٌ وجيشٌ من الاملاكِ ماجت كواكبُهْ
وقالوا لنا : رفعُ النقاب محلَّلٌ لقلنا : نعم حَقٌّ ، ولكنْ نجانبُهْ !

وفى هذه الأبيات من التهكم اللاذع والسخرية بأنصار النقاب ما فيها . وقد لبث هؤلاء السادةُ مشغوفين بحوارهم ونقاشهم الى أن تولت المرأة نفسها الفصل بينهم ، فنزعت أخيراً نقابها فى غير تردد ، وفرغت من ذلك لتلتفت الى ماهو أهمّ — الى التعليم الجامعى، وإلى استرداد حقوقها فى ادارة شؤون الوطن وفى اختيار نواب الشعب ، ثم فى الاشتراك فى المستقبل بتمثيله البرلمانى . وهذه الروح الطامحة المتوثّبة مدينة الى حافظ ابراهيم كما هى مدينة الى قاسم أمين .

ولحافظ فى الأمومة وفى منزلة المرأة الاجتماعية من روائع الشعر ما يجب ان تذكره بنات جنسى دائماً بالحمد والتقدير . أليس حافظ هو القائل :

مَنْ لى بتربية النساء فانها فى الشرق علةُ ذلك الاخفاقِ
الأمُّ مدرسةٌ اذا أعددتَها أعددتَ شعباً طيّبَ الأعراقِ
الأمُّ روضٌ إنْ تعهّدَهُ الحيا بالرىّ أورقَ أيّما ايراقِ
الأمُّ أستاذُ الاساتذةِ الأُلى شغلتْ مآثرُهمْ مَدَى الآفاقِ
ليستْ نساؤكمو حُلِىً وجَواهراً خوفَ الضياعِ تُصانُ فى الأحقاقِ
ليستْ نساؤكمو أثاثاً يُقْتَنَى فى الدُّورِ بين مخادعٍ وطباقِ

ربّوا البناتِ على الفضيلة إنها   في الموقفين لهنّ خيرُ وثاقِ
وعليكمو أن تستبين نساؤكم   نورَ الهُدَى وعلى الحياء الباقي

فهذه الأبيات نفثة مصلح حكيم ، ولكنه يصيح فى بيئة متأخرة لا يستطيع فيها أن ينصف المرأة الأ فى حقوقها الأولية . وما أظن أنّ الحرب أفسحت أفق حافظ ، ولو كانت فعلت لكافح عن المرأة المصرية كفاحاً أعظم ولحاول أن ينيلها من الحقوق ما نالته أختها الغربية وفى مقدمتها حق الانتخاب ، لان المرأة المصرية الفلاحة كانت وما زالت أحصف وأبعد نظراً من الرجل الفلاح ، وهى المدبّرة الحقيقية للاسرة المصرية ، فهى أولَى منه باستعمال الحق الانتخابى . ولم يكن حافظ ليفوته شيءٌ خاص بالمرأة فسجّل حركتها السياسية إبّان الثورة فى نونيته المشهورة .

أمّا شعر حافظ الفنى فى المرأة فلا وجود له كأنما هو لم يعشق فى حياته ، ومعنى هذا حرمان الأدب العربى كنزاً ثميناً من عواطف حافظ المقبورة . وقد قرأتُ له شيئاً من الشعر الغزلى بعضه موجّه الى المفرد المؤنث ومعظمه الى المفرد المذكر ، وكله فيما أعتقد من الغزلى الصناعى الميت .

وأين هذا مما نشرته (أبولو) لناجى وأبى الوفا والصيرفى والشّابى ولأمثالهم من شعراء العاطفة ؟ وقد اعتاد بعضُ الشعراء مخاطبة المرأة بضمير المذكر توجيهاً بالخطاب الى « المحبوب » المتسامى عن كل صفة ، ومن الجائز أن يُحتَجَّ علىَّ بأن غزل المذكر فى شعر حافظ هو غزل طبيعى فى المرأة ، وقد تفرّستُ فيه تكراراً فلم ألمح ذلك فيه ، وانما كانت الصناعة تطلّ من كل بيتٍ من أبياته فى حين أنّ أبيات ناجى التالية المذكرة الضمير نمّامة عن العاطفة الجياشة الموجهة الى المرأة ، وهى فى قصيدته « المنسىّ » :

متى يرقّ الحظُّ يا قاسى   ويلتقى المنسىُّ والناسى ؟ !
مَتى ؟ ! وهل من حيلةٍ فى مَتى   وفى خيالاتٍ وأحداس ؟
هَدَّ قرارى جَرْيُها فى دمى   وهَمْسُها فى كَرِّ أنفاسى !
وأنتَ مثلُ النجم فى المنتأَى   وفى السَّنا الخاطفِ كالماسِ
يرنو له الناسُ ويبغونه   وما يُبالى النجمُ بالناسِ !

وانتَ كاسُ الحُسْنِ لكنّنا مثلُ حَبابٍ حامَ بالكاسِ
طفا ! وقد قبّلَ أنوارَها ورفَّ مثل الطائرِ الحامى
وذاب أو جفَّ على نورها كما يذوب الطَّلُّ بالآسِ !

وأمّا أبوشادى فى أغانيه ودواوينه فوكَّل بعبادة المرأة ، ومثله رامى فى غزلياته (ولا أقول فى أدواره العامية فهى ليست موضوع بحث) ، فكيف لم تؤثر المرأة فى شخصية حافظ هذا التأثير ؟ ولماذا لم تؤثر كذلك فى نفسية شوقى ؟ هذه خسارة فنية لاشك فيها ، ولكنْ مهما يكنْ من شىءٍ فالمرأةُ مدينة الى شعر حافظ بجميلٍ عظيمٍ .

زينب سليم



تصويبـــات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٠٣٣	١١	قال هذا	قال هذا له
١٠٣٣	١٢	وُفِّقَ للأرض	بَثٌّ فى الأرض
١١٣٧	٥	ظلّ	ضلّ
١١٩٥	٢١	والانتباهاً	والانتباه
١٢٠٠	١٥	قاصرة	مقصورة
١٢٠٠	٢٩	القارى	القارىء
١٢٠٢	١٠	الثانى	الثانية
١٢٠٣	١٢	يفيد	يفسد
١٢٦٠	٨	النظ	النظر
١٢٦١	٢١	ثأثير	تأثير
١٢٦٣	١٨	ثأثيره	تأثيره
١٢٧٥	٣	قدَّ	مدَّ
١٣٠٥	٣	تلتظى	تتلظَّى
١٣٣١	١٠	وزى	وزى
١٣٧٢	٢١	ايران	ايرانى
١٣٨٧	٤	عدائى	عداتى
١٤٠١	١٦	العزر	العزيز
١٤٠٢	٧	يانفسى	يانفسى



فهرس

صفحة



المجلد
الثانى

العدد
الأول

أپولو

مجلة فنية لخدمة الشعر الجني

لسان حال جمعية ابولو

تصدر مرة فى كل شهر

وسنتها عشرة اشهر

سبتمبر سنة ١٩٣٣

صاحب الامتياز ورئيس التحرير { أحمد زكى أبو شادى

الادارة { بشارع الملك المعز رقم ٩ بضاحية المطرية بمصر

التليفون { ١١٩٦ زيتون و ٤٤٥٦

تصدير

تحية أبولو

في سنتها الثانية

عَجَباً! هل كانَ في طوقِ العَجَبْ … ما أراهُ اليومَ في مُلكِ الأدبْ؟!

حدثٌ كالحُلْمِ، أو كالسِّحرِ، أو … هوَ مِنْ هذينِ معنًى مُنتخَبْ

بعثوها فتنةً طامحةً … طلقةَ الأرسانِ، مُرخاةَ اللَّبَبْ

ذهبتْ نشوى تُغنّي، ومضتْ … تترامى في مِراحٍ وطرَبْ

رقصَ الوادي على أنغامِها … وانحنى الطيرُ، فحيّا وشرِبْ

خمرةُ الفنِّ المُصفّى، أطلعتْ … بيّناتِ الوحْيِ مِنْ أُفقِ الحُجُبْ

بنتُ أمسِ، استكبرتْ ناشئةً … فهي تستعلي على بنتِ الحُقُبْ

نازعتْها في غراراتِ الصِّبا … سُرُرَ المجدِ، وتيجانَ الحسَبْ

حَرَمُ الفنِّ، سواءٌ عندَهُ … إنْ أردتَ الحقَّ، مَنْ شابَ وشَبّْ

لا تقُلْ شيخٌ وطفلٌ؛ إنّها … مِنْ سِماتِ الزُّورِ أو آيِ الكذِبْ

ودعِ الظُّلمَ لأهليهِ، وكُنْ … أنتَ كالميزانِ للعدلِ نُصِبْ

سُنّةُ الفاضلِ، إنْ جاوزْتَها … فاتكَ الفضلُ، وأعياكَ النسَبْ

ذلكَ الحقُّ، فما بالُ الأُلى … أكثروا اللومَ ولجّوا في الغضَبْ؟

إنّما نحنو على أبنائنا … ونُحيّيهمْ شيوخاً ترتقِبْ

سكبوا الشِّعرَ على ألسنةٍ … ذابَ معنى الحُسنِ فيها فانسكَبْ

تلكَ منهمْ لغةٌ تُعجبُني … وأبو الأبناءِ ما قالوا، أحَبّْ

* * *

يَا (أَبولُّو) و (أَبولُّو) مَطْلَعٌ لِسَنَا الأَقمَارِ اوْ نُورِ الشُّهُبْ
أَنْتِ لِلشِّعْرِ رَبِيعٌ مُونِقٌ وَزَمَانٌ مُشْرِقٌ ، مَا يَحْتَجِبْ
يَا (أَبولُّو) و (أَبولُّو) مَشْرَعٌ يَجْمَعُ الطَّيْرَ، إذَا الطَّيْرُ انسَرَبْ
أَنْتِ لِلفَنِّ شَبَابٌ مَرِحٌ وَرَجَاءٌ فَرِحٌ ، مَا يَكْتَئِبْ
يَا (أَبولُّو) و (أَبولُّو) وَطَنٌ إنْ يَغِبْ عَنْهُ أَدِيبٌ يَغْتَرِبْ
أَنْتِ أَلَّفْتِ لَنَا الشَّمْلَ الَّذِي صَدَّعَ الدَّهْرُ قُوَاهُ -
لاَ تُرَاعِي ، إنْ تَجَنَّى عَائِبٌ أَيُّ شَيْءٍ يَا (أَبولُّو) لم يعبْ ؟
نَفَرَ القومُ ، وَقَالُوا : عَرَبٌ ! فَكَأَنِّى لم أَكُنْ شَيْخَ الْعَرَبْ !

* * *

كُنْتِ مَعْنًى ، وَالأَمَانِى لُجَّةٌ مَا طَفَا فِي خَاطِرٍ إلاَّ رَسَبْ
تعجَزُ القُدْرَةُ أَنْ تَلفُظَهُ فَهْوَ سِرٌّ حائِرٌ فِى كُلِّ قَلبْ
نَبَّهَتْهُ هِمَّةٌ نَافِذَةٌ حِينَ أَغْفى،فَتَلَوَّى وَاضْطَرَبْ
وَأَهَابَتْ ، فَاسْتَوى مُسْتَوْفِزاً فَاسْتَحَثَّتْهُ ، فَأَوْفَى وَاشْرَأَبْ
وَرَآها تَتَلَظَّى ، فَارْتَمَى لُجَّةً تَطْغَى ، وَناراً تَلْتَهِبْ !

* * *

يَا (أَبا شَادِي) أَسِحْرٌ مَا أَرَى أَمْ هُوَ الجِدُّ تناهَى ، فَغَلبْ ؟
يَصْدُقُ الفَرْدُ ، فَيُغْنِى وَحْدَهُ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ جُمُوعٍ ، وَعُصَبْ
لا تَرُعْ قَوْمَكَ كِبْراً ، إنَّهَا ذِمَّةٌ لِلْفنِّ ، أَوْ حَقٌّ وَجَبْ
إعْشَقِ الفَنَّ ، وَذُبْ فِيه هوًى لَسْتَ مِنْ عُشَّاقِهِ إنْ لَمْ تَذُبْ !

احمد محرم





تستقبل (أبولو) عامَها الثانى بصدور هذا العدد وهى تتطلّع من وراء الخريف والشتاء إلى ربيع جديد ناضر للشعر والشعراء ولرسالتها الاصلاحية التى تدعو اليها منذ نشأتها — وهى رسالةُ الحرية والتّسامى والـكمال .

وفى الواقع انّ صدور هذه المجلة مقترنٌ بنهضةٍ للشعر العربى منقطعة النظير ، وما كان الشعرُ فى يومٍ ما بيانَ المعاملات وأداةَ المعيشة حتى يُحتجَّ بأن النثر — فنياً كان أم غيرَ فنّى — أسبقُ منه بمراحل ، فالشعر كما قلنا تـكراراً روحٌ وتصوفٌ كونىٌّ واستجلاءٌ لغوامض الحياة وأسرار الجمال ، فهو لا يقاس ولا يوزن بالـكمية وانما معياره الروح الفنيّـة وحدها .

والشعرُ العربىّ الآن يجول جولات موفّقةً فى القصص والمسرحيات والملاحم الفلسفية والأناشيد والوجدانيات وفى الانسانيات والوطنيات بما لا عهدَ له به من قبل بهذه الدرجة أو الـكيفية . وقد أخذ يتأثر تأثراً بالغاً بالثقافة العالمية ، ويقبل لقاحات شتى كفيلة بانعاشه وتقويته ، ونتاجُ ذلك مشهودٌ فى هذه المجلة وفى مجلات أخرى ممتازة كالمقتطف والشرق والاصلاح والسمير والرسالة ، وفى الجديد من الدواوين الشعرية التى تخلّتْ عن العتيق البالى ونخص من هذه الدواوين الجديدة وحى الأربعين وأنفاس محترقة والأمواج ونار موسى وجنة فرعون وغيرها ممـا تألّق فى سماء الشعر فى شتى الأقطار العربية .

ونسمع الآن ان الشعر سقطت منزلته بعد الحرب فى جميع أنحاء العالم ، والواقع انّ هذه دعوى ببّغاوية ردّدها أولاً قلمٌ متطرفٌ ثم تناولتها أقلام أخرى وكلٌّ عمدتها أرقام المطابع وكلمةٌ جامحةٌ من هـذا الناقد أو ذاك ، فى حين أن أعظم أثر شعرى منذ أجيال وهو ملحمة « عهد الجمال » (The Testament of Beauty) لشاعر الخلود الدكتور روبرت بردجز لم يظهر الا منـذ سنوات قريبة أى بعـد

الحرب ، وفى حين أننا فى عصر دانتزيو وايديث ستويل الشاعرة الانجليزية الطائرة الصيت . ومازالت المطابع تنفحنا بآثار شعرية ودراسات بديعة فى شتى اللغات ، ولولا الأزمة المالية العالمية لما اشتكى الشعراء ولا محبو الشعر قلةً فى اصدار هذه الآثار . ومن العجيب أن نفس هذه الصيحة كنا نسمعها فى انجلترا سنة ١٩١٢ وكلُّ جيل جديد يجد شيئاً من اللذة فى انتقاص زمنه والترحُّم على سابقه بينما الثقافة — علماً وأدباً وفنّاً — سائرة الى الأمام سير الحضارة والانسانية فى صور شتى .

ومن الظواهر الحديثة المشجعة اهتمام المرأة العربية بقرض الشعر ، وقد كان من حظ (أبولو) إذاعة شعر آنستين نابغتين وهما الآنسة سهير قلماوى (التى ننتهز هذه المناسبة لتهنئتها بتفوّقها الباهر فى الجامعة المصرية) والآنسة جميلة محمد العلايلى. وأمنيتنا أن تكونا رائدتين للنهضة الشعرية بين الجنس اللطيف .

كذلك من الظواهر السارّة نهضة النقد الأدبى فقد كان فى وقت ما مَظهراً للمجاملة أو مَظهراً للتحامل فأصبح الآن ميزاناً دقيقاً أميناً . وقدرأى القراء كيف أننا جعلنا له منبراً حرّاً على صفحات هذه المجلة ودعونا الى التسامح وضبط النفس ، ولئن قسا بعضُ النقاد أحياناً فقد رحَّبنا بهذه القسوة ضد أنفسنا مثلما سمحنا بها ضد غيرنا حتى نشجع النقاد على إظهار مذاهبهم الفنية فى نقدهم ومؤاخذتهم لطرائق الشعراء المعاصرين مهما يكن فى مؤاخذاتهم من صراحةٍ .

ومهما يكن من الاختلاف فى الآراء الفنية ، ومهما يكن من التشدّد فى الأحكام وكيفما كان الفنّ شخصياً فى طابعه ، فالتعاون الاجتماعى بين الشعراء والتعاون الأدبى كذلك على قدر الطاقة مما يُطرِب له ويُحبَّذ . وبهذا الدافع ساعدنا على تكوين جماعة خاصة بموسم الشعر الذى كان لجمعية أبولو بموجب دستورها ثم بموجب قرارها فى يناير الماضى فضل السبق فى التفكير فيه كعنصرٍ من عناصر نشاطها ، ولكن لم يمنع ذلك الجمعية من التعاون مع غير أعضائها ووضع هذا العمل تحت رعاية الدولة ، وكذلك عملنا على منع استغلال الشعر استغلالاً ينقص من قدره كفكرة استغلاله فى المولد النبوي والتطفل به على أقلام المداحين .

ومما اعتاده عُبَّاد التوحيد فى العالم العربى الايمان بشاعر فرد أو باديب فرد أو بسياسىّ فرد ، ألخ . فجئنا ندعو الى الايمان بالجماعة بدل الفرد ، وكانت النتيجة هذا الانجابَ الوفير المنتقى لشعراء عديدين أكثرهم كان مجهولاً . ولا يطعن فى

قيمة هذا الانتاج إلاّ مَن تعوّد التطلعَ الى نجم واحد لايرى غيره أهلاً بأن يكون من سكان السماء!

وكما شجّعنا النقد الأدبي في الماضي فنحن نشجّعه الآن وفي المستقبل، كما ندعو الى دراسة الشعراء الأحياء قبل الاموات، فانّ من وراء ذلك فائدةً أدبيةً عظيمةً لايمكن أن يستهانَ بها. وقراؤنا يعرفون انّ الناشرين في الغرب يُصدرون مؤلفات وتراجم قيمة عن الاحياء من أعلام الأدب والعلم والفنّ، ونحن في بلادنا الفقيرة أحوجُ منهم الى ذلك حتى يمكن الانتفاع بمواهب هؤلاء الرجال أثناء حياتهم الانتفاعَ الأوفى عن طريق دراستهم ونقدهم وتنشيطهم الى أعمال أجلّ سواء أغضبتهم أم أرضتهم الكتابةُ عنهم.

وقد دعونا الى صبغ الأدب الشعبي بالأسلوب الفصيح ونشرنا في دواويننا نماذجَ لأزجال ومواويل ونحوها بالعربية السهلة المقبولة وما زلنا مقتنعين انه في وسع الشعراء والزجالين أن يساعدوا كثيراً على تقريب مسافة الخلف بين الفصحى والعامية والنهوض بالمستوى الثقافي للشعب، وهذا لن يتمّ الاّ بتوحيد اللغة على قدر المستطاع.

ولنا كلمةٌ أخيرةٌ عن الشعر من حيث جدواه وضرورته في الثقافة الانسانية: فالسعر ليس بأحط الفنون الجميلة كما يدعى بعضُهم، وانما الشعر السّامي عالمٌ من التسامي لمن لديه استعدادٌ لتفهّمهِ ومتابعته، ولا يقرأ الشعر عارفٌ به الاّ وتخيّل أمامَه مِنَ المرائي ومن الرّؤى فُنوناً مسعدةً لنفسه أوصاقلة لها أو مطهرةً لروحه فهو حياةٌ نابضة وليس مجرّدَ ألفاظٍ أو أخيلةٍ وهميةٍ. وقد كان وسيكون دائماً للفنون الجميلة أثرٌ بالغٌ في صقل الحضارة الانسانية وفي تجميل متعة الانسان وتقريبها اليه، والمغالطة في ذلك بلغة المادة وبلهجة الصانع أو التاجر لاتستحق أكثر من ابتسامة الاشفاق، فليست التجاريب الثقافية الناضجة بما يمكن هدمه بمعول المهاترة الخشبيّ، وليس الشعرُ الانسانيُّ الخالدُ المتغلغلُ في صميم الكون بيوتاً من الورق.





مصافحة اللقاء

أهابَ بنا فلبَّيْنـا   مُنـادٍ ضمَّ رُوحَيْنا
كأنّا إذْ تصافحنا   تعانقنا بكفَّيْنا
كأنَّ الحبَّ تيَّارٌ   سرَى ما بين جسمَيْنا
يُؤجّج فى نواظرنا   ويُشعل فى دماءَيْنا !

❀ ❀ ❀

مصافحة الوداع

يا أميرى ! أزفَ البينُ ومازلتَ ضنينا
إصْغ لى ! وانظرْ ! ودَعْ كفَّكَ فى كفّىَ حينا
آهِ مِنْ يُمناكَ هذى والذى منها سُقينا
علَّلتْنا بالأمانى فشربنا ظامئينا
ثم دارتْ بالمنايا فوردنا طائعينا
آه من قاسيةٍ ريّانةٍ ضعفاً ولينا
يا بَنانًا ساحراً قد حكَّمَ الأقدارَ فينا
شَفَتى موتورةٌ ظمآنةٌ جُنَّتْ جُنونا
وكأنَّ الآنَ كفّى حُمِّلَتْ ثأراً دَفينا
تتمنَّاكَ أسيراً ، عندَها العُمْرَ سجينا

طائراً ألْفَى على راحتها وكْراً أمينا
وشُعاعاً قُدُسِيّاً هادىَ النُّورِ مُبينا !

* * *

أغنية فى هيكل الحب

كم تجرَّعنا هوانا ولقينا فى هَوانا
وبلونا نارَ حربٍ لم نذقْ فيها أمانا
وإذا حَلَّ الهوى هيهات تدرى كيف كانا
فاذا ما ملك الأنفسَ أصلاها عوانا
فهو نَصْلٌ مستقرٌّ ولهيبٌ لا يُدانَى
يا حبيبي هدأ الليلُ ولم يسهر سوانا
لا الدُّجى ضَمَّدَ جُرْحَيْنا ولا الصُّبحُ شفانا
لا الهوى رَقَّ على الشاكى ولا قاسيه لانا
قد غدونا غرَضَ الرامى كما شاء رَمانا
وَافِنى باللهِ نغشَى هيكلَ الحُبِّ كِلانا
ساعة نبكى على الكأسِ ونشكو مَنْ سَقانا

* * *

رجوع الغريب

عادتْ لطائرِها الذى غنَّاها وشدَا فهاجَ حنينَها وشجاها
أىُّ الحظوظِ أعادَها لوفيّها ونجّىِ وحدتِها وإلفِ صِباهَا ؟
مشبوبةُ التحنانِ تكتم نارهَا عَبَثاً ، وتخشَى أن يبينَ لَظاهَا
ياإلفَ المنشودَ سِرُّكَ ذائعٌ نارُ الحنينِ دفينُها أفشاها

فيمَ السؤالُ ؟! أمَا يدلُّكَ جارفٌ ... مِنْ صَبوتى جازَ المدَى وتَنَاهَى
ودموعُ أشعارٍ أثرتَ نواحَها ... وجمالُكَ الوَحْيُ الذى أملاهَا ؟!

* * *

مدَّ الخريفُ على الرياضِ رواقَه ... ومَضَى الربيعُ النَّضْرُ ما يَغْشَاهَا
ما بالرياضِ ؟ كآبةٌ فى أرضِها ... وسحابةٌ تَغْشَى أديمَ سَمَاهَا
جَمَدَتْ حمائمُ أيكِها وأنا الذى ... شاكيتُها فاغرورقتْ عيناها !
لهفى عليها ! أين أنسُ الصِّبَا ... وتَنَاوُحُ الغدرانِ بين رُباهَا
أجرى عليها الصمتُ حتى لم يَعُدْ ... الاَّ مُخَيِّبُ صرختى وصَدَاهَا ؟!

* * *

تخبُو العواطفُ فى الصُّدورِ وتنتهى ... ويجفُّ فى زهرِ القلوبِ نَدَاهَا
وكأنَّ عندى اليومَ بَدْءَ صبابةٍ ... وعنيفُ ثورتِها وحُزْنُ مداها
لم تُرْوَ منكِ نواظرٌ وخواطرٌ ... الدَّهرُ أجمعُ ما يبلُّ صَدَاهَا
ما حيلةُ الآمالِ فى معبودةٍ ... لم يُبدِعْ الفَنُّ الصَّنَّاعُ سواها ؟!
قضَّيتُ أحلامى أضمُّ خيالَها ... وأضعتُ أيامى أقول : عساها !

ابراهيم ناجى

* * *

النظرة الأولى

فى النظرةِ الاولى رأيتُ الحياهْ ... تفتَّحُ لى بابا الى عالَمِ
تَصدُقُ عينى اليومَ فيما تراهْ ... أم لا ترى إلاَّ رُؤى حالمِ ؟!

* * *

أستقبلُ الأنوارَ فى لهفةٍ ... تكاد نفسى عندها تنتهى
وأنشقُ الازهارَ فى نَشْوَةٍ ... تضمَّنُ الرُّوحَ التى أشتهى

* * *

أهذه القلبَ الذى يخفقُ بهذه الكفّ التى تضطربْ
أخشى عليهِ والهوى مُحدِقُ أن يرتمى فى عالمٍ مُلتَهِبْ

* * *

يزيدهُ ناراً على ما بهِ فتنقضى الجذْوَةُ طىَّ الحلكْ
لكنّهُ طاغٍ بِعِجْرابهِ فلتحترقْ يا قلبُ فى هيكلِكْ

* * *

فى النظرةِ الأُولى جمعتُ البعيدْ مِن عالمِ الحبِّ وألوانِهِ
فى النظرةِ الأُولى سمعتُ النشيدْ فرُحْتُ مغموراً بألحانِهِ

* * *

فى النظرةِ الأُولى رأيتُ الشبابْ يحطِّمُ الأغلالَ عن ساقِهِ
ويجهلُ الماضى، وينسَى العذابْ فيخفِقُ الكونُ لخفّاقِهِ

* * *

قد كحّلَ النّورُ جفونى فلمْ يَدَعْ لطيْفِ النّوْمِ فيها أمَلْ
سينكرُ القلبُ مَعانى الأَلَمْ ويَفهَمُ الكونَ بفِكْرِ الثَّمِلْ

* * *

ما أجملَ الكونَ إذا شِمْتُهُ بنظرةِ المسرورِ لا المكتئبْ
سيرجعُ الصّبُّ الذى كُنْتُهُ وتختفى الحيرةُ طىَّ الحُجُبْ

* * *

حُطّى هنا يا رُوحُ لاتَعْبَإِى بالعالَمِ الصاخِبِ والثائرِ
حيث أُلاقى الوَحْىَ فى مَلْجَإِى يَهبطُ بالإِلهامِ للشاعرِ

* * *

هاتى مِن الليلِ ومِن سِرِّهِ ومِنْ رُؤاهُ المذْهباتِ الجناحْ
هاتى من الفجرِ ومن سحرهِ ومن هتافِ الطيرِ يَحْدُو الصباحْ

* * *

ما يملأُ القلبَ الذي ترفعينْ بهِ الى النُّورِ الذى أنْشُدُهْ
لمحْتُهُ بين طوايا السنينْ فجئتُ لهفانَ هنا أعْبُدُهْ

* * *

قد آنَ للمُجْتهِدِ أن يستريحْ وآنَ للحائرِ أن يهتدِى
والخافتِ الصوتِ الجريحِ الطليحْ بمدُّهُ الطِّبُّ بمنْ يفتدِى

* * *

يا غايةَ القلبِ الذي أجهدتْ قُواهُ أسفارُ الحياةِ الطِّوالْ
جئتُ بإيمانى فرُوحى اهتدتْ إليكِ ، فلْننعمْ بهذا الكمالْ !

* * *

كأسى قد أفرغتُها ... فامْلإيها وجدِّدى لى لحْنِىَ الضائعَا :
وأصْلِحِى الأوتارَ ثم اعزِفيها فيخلُدُ الدَّهرُ هنا سامعَا

* * *

عودِى بهذا الزَّورقِ المضطربْ على متونِ الموجِ نحو الضفافْ
سيحملُ الشاطئُ إذْ تقتربْ منهُ عن القلبَيْنِ عبْءَ المطافْ

حسن كامل الصيرفى



رسالة الكوخ

لم تكتبي لى كما وعدتِ في وعدك الصادق النبيلِ
أخشاكِ أخشاكِ أن تكونى سمعتِ ما قاله عذولى
يا لى من الحبّ لم يعدْ لى به رجاءٌ الى الوصول
تقطعت فيه كلُّ سُبلى فليس لى فيه من سبيل
وأفحمت فيه كلُّ رسلى فليس لى الآنَ من رسول
للهِ للهِ يا حبيبي ما حال من عهدك المحيل!
أيام كانت لنا ظلالٌ من عطفك الوارف الظليل
يقوم فى فيئها هوانا ملحّناً أطهر الميول
فما اشتهينا الا ونلنا من الهوى المسعدِ المنيل
وليس فى الحبّ من محالٍ وليس فيه من مستحيل!

« • »

ظهريةَ الكوخ إن تعودى فدًى لك العمر إن تُنيلى
كرمتِ عند الهوى مقيلا هيهات ينساه من مقيل
لم أنس لما جلستُ أشكو اليه من هجره الطويل
والحبُّ مُصغٍ لنا طروبٌ بالخلّ دانٍ إلى الخليل
وحولنا أمةٌ دجاجٌ محصوصةُ الريش والذيول
يطاع فى أمرهن ديكٌ يُنمى الى أكرم الاصول
يزهو على جمعهن زهواً بعرفه الأحمرِ الجميل
كأنه بينهم أميرٌ أو مستبدٌّ من البعول
فيا له سيدا مطاعا مَتاعُه ليس بالقليل
ويا لديكٍ أضحى مليكاً بلا شريكٍ ولا مثيل
وصاحبُ الكوخ فى انتشاء مؤمّلٌ فى العطا الجزيل

يروح في كوخه ويغدو مرحبا بالهوى النزيل
ونحن في أمرنا ارتفعنا عن كلِّ قالٍ وكلِّ قيل
فلم نفكر بمن الينا من ذلك الرهط والقبيل
كأنما نحن قد علونا عن عالم الرقِّ والفضول
كأننا بالهوى انتشينا أو أننا منه في ذهول

« • »

يا جيرة الكوخ أين انتم الآنَ مني ومن عويلي ؟
لم ينطفىء ما بنا اليكم من قائظ الشوق والغليل
ظهرية الكوخ إن تعودي فِدًى لك العمرَ ان تنيلي

محمود ابو الوفا

حبُّ المحال

سَلْـى مَليكَ عواطفي المحبوبَـا سَلْنِى عن الحُبِّ المذيبِ قُلوبَا
حُبٌّ (المحال) أصاب مَعقلَ مهجتي فعرفتُ فيه الصفوَ والتعذيبَـا
ياحسرةً تُفنى مَناهلَ مهجتى يا نزعةً تحيى الفؤاد طروبَا
إنى أراه مع الـظلام كأنه طيفٌ يلوح مع الحياة غريبَـا
ويطوف بى شجوُ الحنين كأننى أفنيتُ عمرَ المغرمين نحيبَـا
لو أن أحزانى تُطيع مدامعى لرأيتَ دمعى فى القريض صبيبَـا
أو أن بحر الحب يأخذ مُسْرِفاً ماءَ المدامع ما شكوتُ سُكوبَـا
أو أن ذاتكَ ما أروم وأبتغى من كلِّ قلبي ما رجوتُ حبيبَـا
لـكننى أهوى الفنونَ لأنها تحيا بمشكاةِ الخلودِ لهيبَـا
وأظلُّ افـتَـنُ بالمُحالِ لأنه روحُ الـكمالِ، فهل عشقتُ عجيبَـا؟!

جميلة محمد العلايلي



ليتني

لَيْتَنِي كُنْتُكَ يَا طَيْرَ الرُّبَى   أَرْتَعِي اللَّهْوَ ، وَأَجْنِي الطَّرَبَا
مَوْقِعٌ صَافٍ ، وَمَثْوَى نَاعِمٌ   وَمَطَارٌ ضَاحِكٌ مَا اكْتَأَبَا
لكَ مِنْ ظِلٍّ وَوِرْدٍ سَائِغٍ   صَاحِبٌ وافٍ ، وَجَارٌ مُجْتَبَى
وإلى هَذَيْنِ مِنْ زَهْرٍ أَخٌ   رُزِقَ الخَلْقَ نَدِيًّا طَيِّبَا
نَاشِئٌ بُورِكَ فِيهِ وَلَهُ   فَزَكَا نَفْسًا وَأُمًّا وَأَبَا
الثَّرَى سَمْحٌ ، وَلِلنِّيلِ يَدٌ   تُدْمِنُ السُّقْيَا إذا الغَيْثُ أَبَى
يَتَلَقَّى الشَّيْخُ مِنْ أَنْفَاسِهِ   هِمَمَ الحُبِّ وَآمَالَ الصِّبَى
إصْدَحِي يَا طَيْرُ ، أَوْ فَاسْتَمِعِي   إنَّ فِي صَوْتِي لَفَنًّا عَجَبَا
لا تَكُونِي مِثْلَ قَوْمٍ عَجَمٍ   أَنْكَرُوا الشِّعْرَ ، وَعَابُوا العَرَبَا

« • »

لَيْتَنِي كُنْتُكِ يَا شَمْسَ الضُّحَى   أَنْشُرُ النُّورَ ، وَأَطْوِي الغَيْهَبَا
كُلَّمَا طَالَعَ أَرْضًا مَوْكِبِي   هَتَفَتْ فَرْحَى ، تُحَيِّي المَوْكِبَا
تَتَلَقَّاهُ حَيَاةً غَضَّةً   وَتُرَجِّيهِ إذا مَا احْتَجَبَا
تَتَجَلَّى حُرَّةً فِي مُلْكِهَا   تَلْبَسُ التَّاجَ المُحَلَّى المُذْهَبَا
فِي رَفِيفٍ مِنْ شَبَابٍ نَاعِمٍ   يَنْهَبُ الأَبْصَارَ فِيمَا نَهَبَا
وَتَرَى الألبَابَ إذْ يَأْخُذُهَا   كَهَوَافِي الطَّيْرِ تَهْوِي عُصَبَا
مَعْرِضُ القُدْرَةِ ، أَوْ مَعْبَدُهَا   أَوْ كِتَابُ الحَقِّ ، أَوْ مَنْ كَتَبَا

جَلَّ رَبِّى مِنْ صَنَاعٍ رَائِعٍ بَارِعٍ فى صُنْعِهِ لن يُغلَبَا
يا لَهُ مِنْ عَبْقَرِىٍّ حَاذِقٍ كلما أبْدَع فنًّا أغرَبَا
فسِّرِى يا شَمْسُ مَعْنَى فنِّهِ واذْكُرِى عنهُ الحديثَ المسْهَبَا
وَاشْكُرِى مَا جَلَّ مِنْ آلائِهِ إنهُ لِلّهِ حقٌّ وجَبَا

« • »

لَيتَنى كُنْتُكَ يا جَدَّ القُرَى وأباها الأَرْيحِىَّ الحَدِبَا
تُنْبِتُ الزَّرْعَ بَهيجاً ناضراً وتقى أَبْناءَ (مِصْرَ) العطبَا
كِيمِياءُ الخَصْبِ لوْلا سِرُّهَا أَصبحَ الوادِى المندَّى مُجْدِبَا
إيهِ يانِيلُ ، تَدَفَّقْ ذَهبا واسْتعِدْ مِنْ عِزِّنا ماذهبَا
زَعَمُوا انكَ لِلذُّلِّ أَبٌ زعمُوا الزُّورَ ، وقالوا الكَذبَا
ظلمُونا ، أَنْت أَسْمَى عُنْصراً يا أَبا مِصْرَ ، وأَزكى نسبَا
أَفَما يَنهى ذوِى أَحْلامِهِمْ أَنَّهُمْ عابُوا الكريمَ المنجبَا ؟
أَنتَ أَنْجَبْتَ الفراعِينَ الأُلَى سِبقتْ الدُّنْيا اليهمْ رَهبَا
أَكْبَرَتْهُمْ أُمَمُ الارضِ التى زلزلوا مَشْرقهَا والمغربَا
رَكِبُوا الدَّهْرَ شُهُوداً ، وَارْتقوْا صهواتِ الخُلدِ فيهِ غُيَّبَا
مُعْجزَاتُ العِلمِ مِنْ أَكفانِهِم تخلقُ الدنيا ، وتبقى قُشُبَا
رَبَضُوا لِلْبَعْثِ فى أَجْدَاثِهِمْ يَرْقُبُونَ الدَّهْرَ يُزْجِى الحقُبَا
تَشْهَدُ الأَمْوَالُ شَتَّى عِندَهُمْ والتوابيتَ العُلَى والأُهبَا
تتناجى حوْلَهُمْ ، مَا بَالهُمْ ؟ ثُمَّ تستحيى ، فتمضِى هُيَّبَا
إنْ أَردْتَ الخُلْدَ فى أَوْطانِهِ فاجْعلِ الفنَّ اليهِ مَرْكَبَا
وإذا حَاوَلْتَ غايَاتِ العُلى فاتَّخِذْ مِنْ كلِّ عالٍ سَبَبَا

« • »

لَيْتَنِي كُنْتُكِ يَا دُنْيَا المُنَى ... أُطْمِعُ الرَّاغِبَ فِيمَا طَلَبَا
أَدْفَعُ اليَأْسَ ، فَلَا يَأْخُذُهُ ... وَأُرِيهِ السَّهْلَ فِيمَا اسْتَصْعَبَا
فَهْوَ يَمْضِي فَرِحاً مُسْتَبْشِراً ... يَحْفِزُ الجِدَّ ، وَيُزْجِي الدَّأَبَا
هَازِئاً بِالنَّاسِ ، إِنْ قَالُوا اتَّئِدْ ... مُوقِناً أَنْ سَوْفَ يَقْضِي الأَرَبَا
أَنْتِ مَرْمَى كُلِّ عَزْمٍ طَامِحٍ ... يَطْلُبُ الأَقْصَى ، وَيَأْبَى الأَقْرَبَا
رُبَّ سَامٍ فِيكِ يَسْتَقْصِي المَدَى ... رَوَّعَ السُّحْبَ ، وَهَاجَ الشُّهُبَا
لَمَحَتْهُ ثَائِراً يَرْتَادُهَا ... فَدَعَتْ مِنْ فَزَعٍ ، وَاحَرَبَا !
لَهَبٌ يَقْذِفُ مِنْهَا لَهَباً ... أَفَجِدّاً مَا تَرَى أَمْ لَعِبَا
وَيْحَ قَوْمٍ عَثَرَتْ آمَالُهُمْ ... فَانْثَنَوْا صَرْعَى ، وَعَادُوا خُيَّبَا
نَشَطَ الحَادِي ، فَسَارَتْ ذُلُلاً ... وَكَبَتْ أَنْضَاؤُهَا لَمَّا كَبَا
رَفْرَفَ النَّحْسُ عَلَيْهَا ، فَهَوَتْ ... وَرَمَى هَوْدَجَهَا ، فَانْقَلَبَا
تِلْكَ دُنْيَا زُخْرِفَتْ أَرْجَاؤُهَا ... فَهَفَا الأَعْمَى إِلَيْهَا ، وَصَبَا
وَقَفَ الحُسْنُ عَلَى أَبْوَابِهَا ... كُلَّمَا أَبْصَرَ وَفْداً رَحَّبَا
نَظَرَ الشَّيْخُ إِلَيْهَا فَمَشَى ... وَرَأَى الطِّفْلُ سَنَاهَا فَحَبَا
تَبْسُطُ البِشْرَ لِذِي الهَمِّ إِذَا ... عَبَسَ الدَّهْرُ لَهُ أَوْ قَطَّبَا
مَهْرَبُ النَّفْسِ ، إِذَا مَا فَزِعَتْ ... وَارْتَمَتْ عَجْلَى ، تُرِيدُ المَهْرَبَا
أَنَا فِي الصَّفْوَةِ مِنْ سُكَّانِهَا ... غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مُضْطَرَبَا
ضاق عني كلُّ رحبٍ واسعٍ ... فأنا أزداد فيها تعبا
كلما طالعتُ فيها وطناً ... طالعتْه الطيرُ نحساً فنبا
لم تزلْ تدفعني عن ظلّها ... لا تبالي أيُّ حُرٍّ نُكِبا
لستُ أشكوها ، فذنبي جللٌ ... وهْي كالجنةِ تنفي المذنبا
لا أُداجي الناسَ ، ذنبي أنني ... أمنعُ العرضَ ، وأحمي الأدبا
هُوَ مُلكي ، لو هوى ما سرّني ... إن لي ملك الضواري والظُّبا

مُلكُ (ادورد) و (فكتوريا) التى أطمعتنا نابها ، والمخلبـا
حَملتْ (مصرَ) على (أُسطولها) فهوت بين يديها سَلَبا
لمعت فى تاجهـا لؤلؤةً ما خشينا قبلها أن تُثقبا
راح فى الدأماء يطوى أُممـاً وعُصوراً هدَّها إذْ ضربا
يَوْمَ عادتْها السماوات العلى فالتوت سخطاً ، وجاشت غضبا
أدبٌ أكرمهُ فى أمَّةٍ تُكرم الاحجارُ فيها الخشبا
إن يكنْ برحُ الأذى مما جنى فجميلُ الذِّكر مما أعقبا
أين منى من يراهُ مَتجراً ؟ أين مَن أفسدَ ممن هذَّبا
ربَّ ما قصرتُ فى صالحةٍ توضحُ الحقَّ ، وتجلوُ الرِّيبا
رب ، فارحم حاسدى واغفر لمن عابنى ، مِن ذنبه ما كسبا
امسكُ القولَ عفافاً وتُقىً وهو ما يزدادُ إلا صخبا
لستُ بالواهى ، فأخشى شرَّهُ أرأيت الرأس يخشى الذنبا ؟
هـلْ درى مَنْ رامَ أن يطفئنى انما يُطفئُ منِّى كوْكبا ؟!
ما تناولتُ عطائى بيدى جلَّ ربى ، هُوَ أعطى وجبا
ألقت الأقدارُ بى فى عالَمٍ ينكرُ الرُّسْلَ ، ويُلغى الكُتُبا

« • »

ليتنى الدَّهْر الذى جربتهُ فعذرْتُ النـاسَ ، ممَّنْ جربا
حاكمٌ أعمى الهوى ، لو كنتهُ لجعلتُ الحكم أهدى مَذْهبا
أفسد الأمرَ علينا ، ومضى عاصفَ الأحداث ، يُزجى النُّوبا
فى خضمٍّ مِنْ أذاهُ هائلٍ يترامى بالمنايا وُثَّبا
حملَ الدُّنيا على أثباجه فهى تهفو صعَداً أو صببا
وطوى الأجْيالَ فى آذيِّهِ فطفا جيلٌ ، وجيلٌ رسبا
مظلمُ الأعماق ما مِنْ كوكبٍ جال فى أرْجائهِ إلاَّ خبا

ضلّلَ الناسَ جميعاً ، ورمى بالغبيِّ الألمعيُّ الدَّرِبا
ضاع عُمْرُ العلم فيه ، فاسْألوا هلْ قضى حاجتهُ أَوْ كرَبا ؟
إنما العلمُ لمنْ أَعمى النُّهى عنْ قضاياهُ ، وأَرْخى الحُجُبا

احمد محرم



المستسلم

ليس يُشجيني مِنَ النَّاسِ غِناءٌ ونُواحْ
لا ، ولا مِنْ هذه الدُّنيا غُدوٌّ ورَواحْ
قد تَساوَى الهمسُ في الآذانِ عندي والصِّياحْ
وَتساوى الآنَ عندي كلُّ ذمٍّ وامتداحْ
وأرى بُعْدِي عن العالَمِ غُنْماً ورَبَاحْ

* * *

كم صَديقٍ كنتُ أرجوه لخيرٍ وفَلاح
دائباً أمدحُ فيه في مساءٍ وصباحْ
كشفَ الدهرُ نواياه وللخِبِّ افتضاحْ
أين وَلَّى ذلك النا كثُ للعهد ورَاحْ ؟

* * *

قد تركتُ الناسَ غرقَى فى جلادٍ وكفاحْ
سئمتْ نفسى دناياهمْ وألقيتُ السلاحْ !

سيد ابراهيم

قلب الأم

يا أيُّها الطفلُ الذى قد كان كاللحنِ الجميلْ
والوردةِ البيضاء تعبقُ فى غياباتِ الأصيلْ
يا أيُّها الطفلُ الذى قد كان فى هذا الوجودْ
حُلماً يناجى هاتِه الدُّنيا بمعسولِ النّشيدْ
ويُعلِّم النَّاسَ البراءةَ ، والمحبّةَ ، والسّرورْ
وينير أعماقَ القلوب بروحه العذبِ النضيرْ
ها أنتَ ذا قدْ أطبقتْ جفنيكَ أحلامُ المنونْ
وتطايرتْ زُمَرُ الملائكِ حولَ مضجعِك الأمينْ
ومضتْ بروحك للسّماء عرائسُ النُّورِ الحبيبْ
يحملنَ تيجاناً مذهّبةً من الزّهرِ الغريبْ
ها أنتَ ذا قد جلّلتْكَ سكينةُ الأبدِ الكبيرْ
وبكتْكَ هاتيكَ القلوبُ وضمّكَ القبرُ الصغيرْ
وتفرّقَ النّاسُ الذين الى المقابرِ شيّعوكْ
ونسوكَ من دُنياهمُ ؛ حتّى كأنْ لم يعرفوكْ
شغلتهمُ عنكَ الحياةُ وحربُ هذى الكائناتْ

إنّ الحياةَ ـ وقد قضيتَ قُبيلَ معرفةِ الحياةْ ـ
بحرٌ، قرارتُه الرّدى، ونشيدُ لُجّتِه شكاةْ
وعلى شواطِئِه القلوبُ تئنُّ داميةً عُراةْ
بحرٌ، تجيشُ به العواصفُ فى العشيّةِ والغداةْ
وتُظِلّهُ سُحُبُ الظّلامِ، فلا سكونَ، ولا أناةْ
نسيتْكَ أمواجُ البُحيرةِ والنُّجومُ اللامعهْ
والبلبلُ الشادى وهاتيكَ المروجُ الشاسعهْ
وجداولُ الوادى النضيرِ، بهمسِها وخريرِها
ومسالكُ الجبلِ الصغيرِ، بعُشْبِها وزهورِها
حتى الرّفاقُ . . ، فإنهم لبثوا مدًى يتساءلونْ
فى حيرةٍ مشبوبةٍ: «أينَ اختفى عنّا الأمينْ؟»
لكنهم علموا بأنك فى الليالى الداجيهْ
حملتكَ غيلانُ الظلامِ الى الجبالِ النائيهْ
فنسوكَ مثلَ الناسِ وانصرفوا الى اللهوِ الجميلْ
بينَ الخمائلِ، والجداولِ، والرّوابى والسهولْ
ونسوا وداعةَ وجهِكَ الهادى ومنظرَكَ الوسيمْ
ونسوا تغنّيكَ الجميلَ بصوتِكَ الحلوِ الرّخيمْ
ومضوا الى السّهلِ البهيجِ يطاردونَ طيورَهُ
ويُزحزحونَ صخورَهُ، ويعابثونَ زهورَهُ
ويُشيّدونَ من الرّمالِ البيضِ والحصبِ النضيرْ
غُرفًا، وأكواخًا، تُكلّلُها الحشائشُ والزهورْ
ويُنضّدونَ من الرّبا بينَ التّضاحكِ والحبورْ
طاقاتِ وردٍ آبدٍ، تُزرى بأورادِ القصورْ

يُلقونها فى النهرِ، قرْباناً لآلهةِ السُّرور
فتسير فى التيَّار، راقصةً على نَغَمِ الخرير
كلٌّ نَسوكَ.. ولم يعودوا يَذْكرونك فى الحياة
والدهرُ يَدفنُ فى ظلامِ الموتِ حتى الذكريات
إلا فؤادٌ ظلَّ يخفقُ فى الوجودِ الى لقاك
ويودُّ لو بذلَ الحياةَ الى المنيَّة، وافتداك!
فاذا رأى طفلاً بكاكَ، وإن رأى شبحاً دعاك
يُصغى لصوتك فى الوجود، ولا يرى الا سَناك
يُصغى لنغمتِكَ الجميلةِ، فى خرير الساقيه
فى أنَّةِ المزْمارِ، فى لَغْوِ الطيُّورِ الشاديَه
فى ضجَّةِ البحْرِ المجلْجِلِ، فى هديرِ العاصفه
فى لجَّةِ الغاباتِ، فى صوتِ الرُّعودِ القاصفه
فى نُغْيَةِ الحَمَلِ الوديعِ، وفى أناشيدِ الرُّعاة
بين المروجِ الخُضْرِ والسَّفحِ المجلَّلِ بالنبات
فى آهةِ الشاكى، وضوضاء الجموعِ الصاخبه
فى شهقةِ الباكى يُؤجِّجها نُواحُ النادبه
فى كلِّ أصواتِ الوجودِ: طَرُوبِها وكئيبِها
ورَخيمِها وعَنيفِها، وبَغيضِها وحَبيبِها
ويراكَ فى صُوَرِ الطبيعةِ: حُلوِها ودميمِها
واليفِها ومُخيفِها، وحقيرِها وعظيمِها
فى رقةِ الفجرِ الوَديعِ، وفى الليالى الحالكة

فى فِتنةِ الشفقِ البديعِ ، وفى النجومِ الباسمه
فى رَقْصِ أمواجِ البحيرةِ تحتَ أضواءِ النُّجوم
فى سحرِ أزهارِ الربيعِ ، وفى تهاويلِ الغيوم
فى لمْعَةِ البرْقِ الخفوقِ ، وفى هُوِىِّ الصاعقه
فى ذلّةِ الوادى ، وفى مجْدِ الجبالِ الشاهقه
فى مَشهدِ الغابِ المجرَّدِ ، والوُرودِ الهاويه
فى ظُلمةِ الليلِ الحزينِ ، وفى الكهوفِ العاريه
أعَرَفتَ هذا القلبَ ، فى ظلماءِ هاتيك اللحود
هو قلبُ أمِّكَ ، أمّك السكرى بأحزانِ الوجود !
هو ذلك القلبُ الذى سيعيش كالشادى الضرير
يَشْدُو ويشكو حُزْنه الداجى الى النفسِ الأخير
لا رَبّةُ النسْيانِ ترْحَمُ حُزْنه ، وتَرى بُكاه
كلاّ ! ولا الأيامُ تُبلِى فى أناملِها أساه
إلاّ إذا ضفرتْ له الأقدارُ إكليلَ الجُنونْ
وغدا شَقيّاً ضاحكاً تلهو بمرآه السنونْ
هوَ ذلكَ القلبُ الذى مَهْما تَغلَّبَتِ الحياة
وتَدفّعَ الزمنُ المُدمْدِمِ فى شِعابِ الكائنات
وتَغنّتِ الدُّنْيا ، وغرّدَ بلبلُ الغابِ الجميل
سيظلُّ يَعبُدُ ذِكرَياتِكَ : لا يَملُّ ، ولا يميل
كالأرْضِ .. تمشى فوقَ تُربتها المسرةُ والشباب
والليلُ ، والفجرُ المجنّحُ ، والعواطفُ والسحاب
والحُبُّ ، تَنْبُتُ فى مواطِئه الشقائقُ والوُرُود
والموتُ ، يحفُرُ أينما يخطو المقابرُ واللُّحُود

وتمرّ بينَ فِجاجها اللذّاتُ راقصةً تميدْ
سكرَى .وأحلامُ الورى ترنو الى الأُفق البعيدْ
وتظلُّ ترقص للاسَى ، لِلّهو ، أشباحُ الدهورْ
حتى يُواريها ضبابُ الموت فى وادى الدُّثورْ
وتظلُّ تورِق ،ثم تزهرُ ، ثم ينثرُها الصَّباحْ
لِلْموتِ ، لِلشوكِ المُمزِّقِ ، لِلجداولِ ،للرياحْ
— بسماتُ ثغرٍ حالمٍ ، يفترُّ فى سَهْوِ السرورْ
وورودُ روضٍ باسمٍ ، يُصغى لألحانِ الطيورْ
وتظلُّ تخفق ، ثم تشدو ، ثم يطويها الترابْ
قُبَلٌ وأطيارٌ تُغرِّدُ لِلْحياةِ وللشبابْ
وتظلُّ تمشى فى جوار الموتِ أفراحُ الحياةْ
ويغرِّدُ الشُّحرورُ ما بينَ الجماجمِ والرفاتْ
والارضُ حالمةٌ ... تغنى بين أسرابِ النجومْ
أنشودةَ الماضى البعيدِ ..وسورةَ الأزلِ القديمْ !

توزر الجريد (تونس) أبو القاسم الشابى



خلوة

لئنْ لذَّ للعاشقينَ اللقاءْ فأحلاه ما كانَ تحتَ الظلامْ
تُظِلّ عليهمْ نجومُ السماءْ ويرمقهم ربُّها باحترامْ !

« • »

ليالى حياتى فِدَى ليلةٍ حبتنىَ أفضلَ ما فى الحياةْ
سرى كهربُ الوجدِ من مُهجةٍ إلى مُهجةٍ ، يحمل الخفقاتْ !

« • »

وحرّك فى الروض روحَ الشعور عناقُ حبيبين قبلَ النوى
فمن نورهِ المستهامِ الغيور ومن طيرهِ مَنْ شجاه الهوى

« • »

وللنسَمِ الطائفِ الحائرِ هفيفٌ جلا كلَّ أسرارهِ
يهبّ على الغصنِ الناضرِ وبغيتُه لثمُ أزهارهِ

« • »

وليست موَيجاتُ ذاك الغدير سوى خفقاتِ الحبيبِ المفارق
لقد شاء منه القضا أن يسير فسار، ومن عودهِ غير واثق

« • »

أينتهز الليلَ نبتُ الفناء وينفض عنه النسيمُ الجمود
وتلجأ للصمتِ بنتُ السماء ويبدو السكونُ على ابنِ الخلود؟!

« • »

ألا جرأةٌ يقتضيها الغرام وتسعى لاخمادِ تلك الشُّعَل
إذا ستر العاشقين الظلام فليست تروّى الغليلَ القبَل...

بوانس ايرس (الأرجنتين) الياس قنصل

البائس

أذلّه الدهرُ لا مالٌ ولا سكنُ فتى تزيد على أنفاسهِ المحنُ
إذا سعى فجميعُ الأرض قبلتُه وإن أقام فلا أهل ولا وطنُ
مُهاجرٌ بين أقطارِ الأسى أبداً كأنه بيدِ الأرزاء مرتهنُ
كأنه حكمةُ المجنونِ يُرسلها من غير قصد فلا تُصغي لها أذُنُ

كأمانيــه ممزّقةٌ كأنها وهو حيٌّ فوقه كفنُ
الهدى صرفتـكم عنه محنته إنّ العزيزَ مهينٌ حـين يمتحن
فصونوه من عزّائـه كرما ولا تخلّوه يودى شرّه الزمن
ربَّ عزمٍ يثير البؤسُ فيصـله فينبرى لسبيل الشر لا يهنُ

عبد الحميد الديب



ذكريات

تفتّـح غصنى للحياة مناديـا حبيبا على متن الوجـود موافيا
تساقى كؤوس اللهو ايام وصله وساهر نجماً فى السماء لياليا
وساير فى الروض الصفاء ولم يـكن يظن شقاءً للصفاء مؤاتيا
وتذكـر شطئان الجزيرة يومنا وكنا على صـدر النمير أمانيا
وتسمع قلبينا رياضٌ فسيحـة فتحنو علينا بالورود زواهيا
ونعلم إذْ كنّا على غصن سرحة غداة تنظّرنا فكانت أقاحيا
تطل علينا فى السماء نجومها وفى الأرض بستانٌ من الدهر حاليا
وترنو بطرف جلّل الحب جفنه وتسمو باشراق الجبين تساميا
اذا لفظتْ فالسحر فى نغماتها وإن بسمت خلت القطوف دوانيا
ويذكـر أهـرام الخـلود لقاءنا وترمى بنا الأهواء أعلى مراميا
مغانٍ بيومها طويت شبيبتى حوادث موتٍ لستُ أعرف ما هيا
ما راعنى منها سوى فرط سقمها وإدمان تفكيرٍ اشدّ تصابيا
شحوبٌ كزهر الروض جانبه الحيا فاصبح مصفرٌ الغـلالة ذاويا
أُناجى فؤادى : مالجرحك داميا ومالى أرى أجواء حبي سوافيا
أفى ظلمـة الأيام أرقب قادحاً وفى مهجة الحرّى أُعالج آسيا
لعمرى لقد أحببت حبّا مقدّسا لم أستبحْ نكرا ولم أكُ باغيا



محمد زكي فياض

ألا رُبَّ يوم للقاء مخلَّد يمرُّ على رغم الخلود ثوانيا
تطالعُنا الأَطيار كل صبيحة وتبكى علينا فى المساء شواديا
فما أُجمع الازهار الا تأسِّيا ولا أرقب الأقمار إلا مناجيا
ولا اسمع اللحن الجميل مجانةً ولكنْ أراه للمواجع حاكيا
ولم تهدر الامواج إلا بمهجتى ولم تقطر الانواء الا بكائيا
سلامٌ على دنيا شربتُ بها الأَسى وكنتُ قبيل الوجد أصخب لاهيا

محمد زكي فياض



الجبار المنهزم

تعالىْ إلى صدرى اضمُّك ضمةً تفضُّ مغاليق الحياة لناظرى
فقد طال لُبثى فى الظلامِ وحيرتى وقد طال سهدى دون داعٍ مخامر
أَفيضى على صدرى الضياء وأَرسلى شعاعاً الى قلبى ولُبِّى وخاطرى
وروحى، فقد أعيا فؤادى شرُودها ولهفتها الحيرى الى غيرِ ظاهر

أَحِنُّ الى المجهولِ علَّ غِيابهُ تضمُّ الذى منه أُعوِّضُ غابرى
أَحِنُّ الى المجهول على أرى بهِ من الصفوِ ما يُنسى كدورة حاضري
وظنِّي — وأيام الحياة توائمٌ — سأرجع مِنْ شوطى بصفقة خاسر
قطعت حياتى وَهْيَ جدٌّ قصيرةٍ كطيف شريدٍ بين داجى المقابر
فياعجبي ماذا — وقد خفَّ محملى — دعا الدهرَ أن يسعى بأثواب جائر؟
وياعجبي كيف انهزمتُ وهمتى أشدُّ وأمضى من صروفِ المقادر!!
وصيرنى أُدَمِّرْ ذلك الكونَ قادراً بقوة جبَّارِ ونقمة ثائر
هو النور من عينيك يُحْيي عزيمتى هو النور من عينيك يهدى سرائرى
هو النور يا (سوسو) ولا شيء غيره شفيع جهادى فى الحياة وناصرى
اذا امتد كفُّ الدهرِ وَهو يظلُّنى قطعت يد المقدار فى بطشِ قاهرِ

« • »

سُلبتُ حسامِي ـ إذ نأَيتِ ـ وجنَّتى فها أنذا أُمسى فريسة كافر [1] ...
تداولنى الأَهوالُ بين نيوبها وتلهوبىَ الأيام فى سُخْرِ آسر!
فياحسرتا هل قد فقدتُ تجاربى وعزمى، وإيمانى، وكلَّ ذخائري.؟
ويالهف نفسى هل أرى النورَ ثانياً فأسْحَبَ فوق الدهر أذيالَ ظافر!!

« • »

تعالى الى صدرى أضمكِ ضمةً وإلا فقد ضُمَّتْ علىَّ حفائرى ..!

احمد كامل عبد السلام

---

(١) الليل





أنفاس محترقة

— ١ —

ومبلغ علمي به وبحياته أني رأيته أول ما رأيته في مطبعة المقطم منذ سنين ثلاث وهناك عرفتُه شابا يلبس زي الشيوخ : عمامة مهذبة ، ومعطف تحته جلباب ، ينظر بعينين نافذتين تقرأ فيهما معاني الطموح والشكوى ، والأمل اليائس ، فيشغلك بصيصهما الحادّ عن سائر الملامح والسمات ، وكان يسير على رجلين إحداهما من صنع نجار ليس بالصنّاع ، والأخرى تشكو الوحدة والجهد ... ألم تفقد رفيقتها وتضطلع بالعبء فريدة تنكرُ هذه الجارة الغريبة ؟ وقال ثالثنا : هذا « أبو الوفا » الشاعر ، وتعارفنا وافترقنا . وبعد أيام قرأتُ له في « المقتطف » قطعةً من الشعر لا أذكرها الآن وإن كنت لا أنسى قوة تأثيرها ومبلغ صدقها ، وملاءمتها لما رسمت عينا صاحبها في نفسي حين لقيته . ومضت الأيامُ والشهورُ لا ألقى صاحبنا إلا لماما في المقتطف أو في إحدي المكتبات أو المنتديات الأدبية ولكني على أية حال قد انتبهت إليه وإلى شعره أُعنى بقراءاته كلما ظفرتُ به . ثم كانت « رابطة الأدب الجديد » ، وإذا بي أراه فيها ، وإذا بمهرجانٍ يكرمه وينبهُ الحكومة إليه ، وإذا به يغادرُ مصر إلى فرنسا ثم يعود شابا اجتماعياً يلبس هذا الزى الفرنجي فألقاه وكأن في عينيه سعة طارئة لا أدرى أهي آفاق الحياة الجديدة ، والآمال المستجدة قد ارتسمت على حدقتيه أم هي هذا التناسب المادي بينهما وبين قوامه الذى استقام واستطال بعد ما استبدل بتلك الساق الخشبية ساقا أخرى أشد اتساقا مع زميلتها وإن لم يزل بينهما من التنافر ما بين صنعة الانسان وابتداع الرحمن ؟ !

ولكن الشيء الميقون أن صاحبنا اليوم أظهر حيوية ، وأنضر وجها ، وأوسع أملا ، وأشد شكاة ، وأكثر صلة بالحياة والأحياء . وماذا ترجو من شاب يقفز من القاهرة الشرقية البيئة إلى باريس الغربية الطليقة الجميلة ؟ ما أبعد الفرق بين الأمل

لقريب القانع ، والأمانى الواسعة الثائرة ! . . ثم تنشأ « أبولو » وتأتلف حولها يزداد التعارف واللقاء ، ثم يهدى إلى با كورة شعره « أنفاس محترقة » .

— ٢ —

قالوا إنه خرج إلى الحياة بداءة هذا القرن العشرين ، وويل للشعراء من القرن وعشرين ، قرن الصراع بين الجسم والروح أو بين الحياة الصناعية المادية والحياة الطبيعية الأدبية ، فلم يكد يدلف إلى الوجود حتى كانت هذه الحرب المشئومة التى ـرت مقاييس الحياة ، ونقلتها من مهدها الهادىء المفكر المتبصر بين المروج والوهاد وعلى قنن الجبال وشطآن الأنهار حيث الأزهار العطرة والطيور الصادحة والسحب السارية والعواطف الصادقة . . . إلى ميدان صاخب سريع انتظم الانسان بين أدواته فصار إحداها ، لا هدوء ولا تفكير ، ولا عواطف ولا تحابّ ، مسخ الانسان أو كاد ، فحياته حركات وأعمال ، وآماله مال وغذاء مادى ، وإذا كان لابد من الترفيه عن النفس فالسنما . . السنما السريعة الصناعية وكفى !

أفى مثل هذه الحياة يزهر الشعر ويزهو ، ويحتفظ بمكانة سامية كانت له ولأصحابه فى القرون الأولى؟ ان هذه الشكاوى المرة التى لا يني الشعراء أنفسهم فى ترديدها لدليل كافٍ على أن الشعر يفقد سلطانه على الحياة ، ويتخلى عن السيطرة عليها ، وان الشعراء لا يثقون بفنهم ولا يبغون من ورائه مكانا ماديا أو معنويا ، نعم لا يبغون منه حتى المكانة المعنوية التى كان يعد بها نوعاً من الافاكيه ، وضرباً من الغذاء الروحى اللازم ، ولقد زاحمته فى ذلك هذه الألوان الفكهة الصناعية على تفاهتها فى أغلب الأحيان ، ومهما يكن من الأمر فالعصر مجدب حول الشعر والشعراء ، لا تقدير ولا تشجيع ، بل هو الإهمال والحرمان . وكيف نرجو الخير لهؤلاء الشعراء فى جوانب هذا الصخب الآلى ، والحياة العملية الطاغية ، وهؤلاء الأحياء الذين يحيون بجسمهم وعقولهم دون أرواحهم وقلوبهم ؟ لاشك أن النثر الـنيق بهذا اللون الخانق من الحياة لا شك أن الناس بذلك جدّ أشقياء .

فى هذا العهد الجاحد النكير عاش صاحبنا ، ولا اعرف بالدقة كيف درج ، ودرس ، ونبه شأنه ما دمت حديث العهد بمعرفته ، واغلب الظن انه نشأ فى احدى بلدان الوجه البحرى وانه تعلم فى احد مكاتبها تعليما أوليا وربما حفظ القرآن

الكريم وعكف على الأدب والشعر يقرأ ويحا كى شأن الفنى البادىء حتى صعد إلى القاهرة مع انتهاء الحرب الكبرى .

ولكن هناك معارف أخرى يقينية رسمها الشاعر فى ديوانه البكر رسما صريحا واضحا ، وكلها تصور لنا كيف كان خروجه إلى الحياة من أبوين لم يستطيعا أن يسعفاه من مادة الحياة بما يحقق أطماعه وآماله ، أو بما يكفيه شر الجهد واحد مالا يهوى من المداراة ، فنقم على أبويه ، وسخط على الوجود ثائراً حانقاً يلهب نفسه حس صادق ، وشعور حاد ، وعطش إلى الحياة ، ونظم ظالمة ، وتقاليد صارمة ، وزمن لئيم عات

لم يكفه أنى على عكازة أمشى تخط الصخر فى طرقاتى
ثم أنثنى يزجى على مصائبا سحبا كقطعان الدجى جهمات

وإلى هنا نلمس عنصرين هامين كونا هذا الشاعر ، أو كونا شعر هذا الشاعر أحدهما هذه البيئة العامة التى هونت من قيمة الشعر والشعراء ، وتلك البيئة الخاصة التى حرمت صاحبنا وآلمته ولم تواته بما يشبع آماله ويغذى حسه ، والثانى هذا المزاج الحاد والشعور الصادق ، والأمل البعيد والبصر بالحياة التى لم تهب الشاعر من جسمها بقدر ما وهب لها من نفسه وقلبه . وليس لهذين العنصرين إلا نتيجة منطقية واحدة هى التبرم بالحياة .

— ٣ —

التبرم بالحياة أو السخط هو الشعور المسيطر على نفس صاحبنا ، وهو كذلك الطابع المسيطر على شعره ، فاذا أردنا اختصار القول فى هذه الناحية التى تصور لنا شخصية الشاعر ، فلسنا نزيد على هذ الكلمة حرفا واحدا ، سخط على الحياة ، وصراحة فى التعبير جعلت شعره صورة صادقة لنفسه وكفى .

نعم كفى ذلك ميزة للشاعر ، وحسبك تلك الصراحة وسيلة إلى قوة الشعر وجماله وقبوله ، فليس الشعر إلا تعبيرا صادقا عن شعور صادق ، وهذا ماتوافر لصاحبنا .

كان أبو العلاء المعرى ناقما على الحياة والاحياء لأجل الحياة والأحياء ، فكان يود لو كانت الدنيا صراحة وفضلا والناس أبراراً أطهاراً متحابين لا يبغى لنفسه من ذلك شيئاً فهجر الدنيا وعاش رهن المحبسين حتى قضى نحبه ، ولكن

صاحبنا ناقم على الحياة والأحياء من أجل نفسه فيما يظهر . حرمته الحياة متاعها فنقم عليها ، ومن يدرى — لو مدت له أسباب الثراء — ماذا كان شعوره ! بل من يدرى لعل فى هذا الحرمان خيرا كثيرا للشعر . . وللحياة أيضاً ، ترى من كان يسمعنا هذه النغمة الساخطة الصريحة أو يصور لنا ناحية من العيش يحياها كثيرون منا ولكنهم يداورون ويصنعون الرياء والاحتمال ؟ !

وذا ساخط على أبويه :—

أبى وفى النار مثوى كل والدة ووالد أنجبا للبؤس أمثالى
خلّفتنى ووضعتَ الحبل فى عنق تشده كفُّ دهر جِدّ ختّال
ما كان ضرّك لو من غير صاحبة قضيت عمرك ، شأن الزاهد السالى ؟!

ما هذا ؟ إن شيخ المعرة حين سخط على الدنيا أثبت الجناية على والده دون أن يدفع به إلى النار . . ولكن كم من الفرق بين رزانة الشيخ أبى العلاء وثورة الشاب أبى الوفاء ! . . أرأيت كيف بلغ بصاحبنا السخط والتبرم ، أليس هذا غضب الشباب ؟ ما أقسى غضب الشباب ! وما ضرك أنت لو قضيت عمرك زاهدا ساليا ؟ ! ولكن هناك سخطا آخر أبسط خواصه أنه يصور لك هذا الجفاء بين الشاعر وعصره ، وله مع ذلك ميزة أخرى لا أدرى بِمَ أصفها : —

كأننى فكرة فى غير بيئتها بدَتْ ، فلم تلق فيها أىَّ إقبال
أو أننى جئت هذا الكون عن غلط فضاق بى رحبه المأهول والخالى

ولعل صاحبنا معذور على هذا السخط الصارم العنيف فلقد بلغ به نحس الطالع ونكد الجد أن صار هو نفسه شؤما على هذه الحياة : —

لو طلبت النهر أروى ظمأً لاشتكى النهرُ جفافَ المنبعِ
ولو انى تلمس التبرَ يدى حوّل التبر ترابا إصبعى

وهكذا لا تقع عينك إلا على سخط وبرم كأن الحياة خلقت عليه حربا وهو فيها وحده المهزوم ، فلا ينفك صائحاً مهما يكن الفن الشعري الذى يعالجه .

والحق أن هذا الحرمان العاتى والحظ العاثر لم يولّد فى نفس صاحبنا هذا الشعور الساخط وحده ، وإنما ولّد فيها أفكاراً وآراء هى كذلك نتيجة طبيعية لحياة صادقة

لحس مشئومة الجد : فدعوة حارة إلى التحرر من التقاليد وهذ تكثر حيث يصطدم الشاب الشاعر بهوى صادٍ ، وإعراض لاذع ، وثورة الدم الحار :—

بينى وبين هواى أبـ ـعادٌ تضلُّ بها المراصدْ
بئس التقاليـــد التى تزع القلوب عن المقاصد

* * *

ان تكن هذه التقاليد حالت بين روحى وما اشتهت من جناك
فغداً يقبل الربيع فينضى ما على ورده من الأشواك

فهل أتى ربيعك ، وهل تحقق شيء من أطماعك ؟ حقا إن التقاليد أشواك ولكن ثق أن جداً عاثراً يلم بك هو هذه الاشواك أو هو خالق هذه الاشواك ولو أن الزمان واتاك لحطمت التقاليد ، والغانيات عبيد المال والشباب ..!

ويأس قاتل يداريه الشاعر بالوهم :—

عُمْتُ أرضى بالختل فاكذب وقل لى كاذباً ، إننى منحتُك ودا
حبذا الوهم فى الحياة فلولا ه لضاقت صدرا ولم تحلُ وردا

وشغف بالحرية ، فهى عنده غاية الحياة ، وهى الإيمان الحق ، ولم يأثم آدم فى رأى صاحبنا ، وإنما حاول الحرية وترك السجون :—

لا أرى آدماً عصى الله لكنْ شاء أن يستقلَّ بالسلطان
يكره الحرُّ أن يعيش على السجـ ـن ولو كان سجنه فى الجِنان

وأستطيع أن أختصر فى هذه النواحى فى نقطة هى نتيجة النتائج ، وهى تعين موقف الشاعر من الحياة ، ولون نظرته الى الأحياء ، وعقيدته فى هذا المجتمع بل وتشير إلى مذهب لا أرى بمَ أدعوه :—

فوارقٌ ستسود الأرض مالبثت تلك العداوة بين الذئب والشاةِ
لن تبلغ المجد إلا إن صعدتَ له على سلالم أشلاء وهاماتِ
هيهات هيهات إن البُهم ماخُلقتْ إلا مطايا لأغراضِ الزعاماتِ

— ٤ —

ولكن هناك فنين من الشعر أحب أن أقف عندهما قليلا : الغزل والرثاء . هل للساخط المتبرم أن يتغزل أو هناك فى نفسه مجال لهذه العاطفة : عاطفة الحب ؟ ولم لا ؟ أليس إنسانا حياً له من الشعور بجمال المرأة والتأثر بها ما للأحياء ؟ كلا بل يزيد . نعم إن مثل هذه النفس الشاعرة أولاً والساخطة ثانياً تكون من أشد النفوس غزلا وأقواها شغفاً بالجمال ، فغيرها من النفوس غير الشاعرة لا تحس إحساسها وغيرها من النفوس الراضية غير المحرومة تبشم بنعيم الحياة وتحظى بما تود ، وأما صاحبنا «فعينه بصيرة ويده قصيرة» يرى الجمال ولا يناله فيصيح ويسخط على هذا الحرمان ، وينكر التقاليد وتحترق نفسه ولا سامع له ومن ذلك ماتقرأه فى «الصدى الضائع» (ص ٧٤) :

ليت الهوى كان حظ الاغنياء فلم ... تجمع على الفقر فى الدنيا مواجعه
أوليت خالق هـذا الحسن أرسله ... حراً يطالع فيه من يطالعه

فانظر إلى هذا الغزل الحار ، فيه حرقة الشكوى ولاذع الحرمان واللهفة الضائعة وهل الغزل الحر سوى هـذا ؟ وهل ظفر التاريخ الأدبى بمثله عذوبة وقوة لهـذه العاطفة المزدوجة عاطفة الحب المحروم ؟ كان المجنون وجميـل فى بادية الأمويين مثال هذا النوع ، وكان عمر بن أبي ربيعة مثـال نوع معتدل فيـه نوال وفيـه حرمان ، وأما أبو نواس العباسى فقد أسف ، وعندي أن النوع الأول خير الأنواع النفس الانسان ، ولنفس الشاعر ، وللشعر كذلك . وإذاً فليس من الغريب أن يتغزل صاحبنا ، بل ذلك نتيجة طبيعية لحياته العامة والخاصة ، ولا بأس عليك بعد هذا أن تسمع له هذه التغريدة الحلوة حقاً ، الجديرة بالتلحين :—

صداحة الروض ما أشجاكِ أشجانا ... نُوحى بشكواكِ أو نوحى بشكوانا
ذاب الفؤاد أسًى إلا بقيته ... الآن أذرفها من عينىَ الآنا

حتى هذه القبلة ، وهى أعذب قبلة يظفر بها الانسان ، ... عليها مسحة الحرمان ولعـل الشاعر لم يفز بأخرى تنسيه الأولى ، ومن ذا الذى يستطيع نسيان القبـلة الأولى : —

لم أنسَ أول قبلةٍ أخذتْ بهـا ... شفتاى عهدَ الحب من شفتيكِ
ما زلت ، بين فى ، أحسُّها شذى ... أترى لها أثرٌ يُحس لديكِ ؟

وأما الرثاء فهو الفن الخليق هنا بالفهم والتفسير . كان المعرى ساخطاً متبرما وكانت الحياة طريقا إلى الآخرة ، وكأن الآخرة عنده هى المستقر الطبعى للأحياء والمنتهى الذى ينشدونه جميعا ، فكان يقف من الموت موقفا مطمئناً بل موقف المحب الراضى ، وكان رثاؤه لذلك نوعا من التعزية ، والرضا ، والاتجاه الى الآخرة دون أن يكون سخطا أو تهويلا أو تبرما ، فما دامت الدنيا دار شقاء فالموت خير والحياة غرور . ولكن صاحبنا يرثى بنغمة غير هذه ، يرثى كما يرثى سائر الشعراء ، فالفجيعة عظيمة ، والميت كان عظيماً ، وكان لموته اضطراب الدنيا . . ما هذا ؟ أهذه النغمة تلائم كره الحياة والتبرم بها ؟ هذه هى المسألة . ولكنى قلت لك إن صاحبنا لا يكره الحياة للحياة ، وإنما يكرهها لأنها حرمته ، فهو يحب الحياة ولكنه يحبها مواتية مسعفة ، ولكن المعرى كان يكره الحياة وهى تواتيه وكان يستطيع أن يملأ منها جيوبه بالنضار ، فالمعرى ذو مزاج سوداوى قانع ، وصاحبنا مزاجه دموى محروم ، هذا هو السر الأول فى الفرق بين الرثاءين ، وسرٌّ آخر هو نتيجة هذه الحياة الأدبية التى يجاريها الشاعر ، هو التقليد ، فصاحبنا إذاً مقلد فى الرثاء . حلاّن لا ثالث لهما إما التقليد ، وإما الأثرة . إما مسايرة الشعور العام ، وإما حب النفس وكره الحياة التى اجهدت هذه النفس ، فليختر الشاعر احدهما او فليرفضهما !

ثم ماذا ؟

ثم أنفاس الزهر ، ثم هذه المنظومة البديعة التى تنظم آمال الشاعر ، وتصوّر نفسه وبؤسه ورأيه فى الحياة ، وليست وقفا على الحب كما يوهمنا الشاعر ، وإنما هى رأيه فى الحياة وما يجب أن تكون عليه ، وقد جعل الحب ظاهرتها ، وكم أحب أنا ان تكون هذه (رسالة) صاحبنا الى الحياة والاحياء :—

تعالىْ زهرة الوادى ندبع العطر فى الوادي
فتحملنا نسائمه كما شاءت أمانينا
ويزْجينا الصبا والحب من وادٍ الى وادى
تعالى زهرة الوادى . . . . . : الخ (ص ٩١)

— ٥ —

وبعد فما قيمة هذا الشعر ؟

اما انّ هذا الشعر من النوع الغنائى فأمر لا يحتاج الى مناقشة او إيضاح ،وأمر

لا يجلب الى صاحبه عتباً أو نقداً لأنا لانلزم الشاعر أن يكون قصاصاً أو ممثلا ، بل نحن نريد أن يخضع الشعر لإرادة الشاعر يصرفه كما شاء ، وانما نود العكس ، فالشاعر أسير شعوره وشعره ، يصدر عنه الكلام صدّي لنفسه ، ودما من قلبه ، ولهيباً من صدره أو أن نفس الشاعر تصب فى هذه القوالب الكلامية ليس غير وما كان الشعراء والفنيون اسراء تلك القوانين والقواعد الدقيقة التى يتأثرها العلماء حين يبحثون ، فالظواهر الفنية إنما هى فيض الشعور ، وزهرات النفوس .

ولكن الشعر الغنائى نفسه ذو درجات بحسب مافيه من العناصر الادبية ،وهو لذلك يقاس بغير مقياس القصص والتمثيل وبغير مقاس النثر جميعه ، وليس هنا مكان تفصيل هذه المقاييس والقواعد العامة ، وإنما نستطيع أن نلخص هذه المقاييس فى صحة الفكرة ، وصدق العاطفة ، وبراعة الخيال ، وبلاغة العبارة ، فهل حقق لنا أبو الوفا كل ذلك ؟

(١) اذا كان لابد لأبى الوفا من مذهب حيوى أو دستور للحياة يدل عليه شعره فلقد يكون هذا الدستور مكوّنا من بنود عدة تحتاج الى مناقشة ، وأما اذا أعفينا الشعر والشعراء من تنظيم الحياة ، وتهذيب سبلها ، والقيام برسالاتها ولم نؤاخذهم عما يقولون من فكر لأنها خواطر الساعة ووحى البديهة دون أن تكون قوانين مقررة ومبادىء يعتنقونها ... فلا أقل من أن ننبه القراء الى هذه الخواطر على أن لكل شاعر نابه مثقف رأيا فى الحياة ومذهباً يسيطر على فنه مهما يكن هذا المذهب واقعياً أو مثاليا ، سامياً فاضلا أو دانيا مرذولا ، وعلى كل فلا بأس اذا عرضنا لهذا الدستور الذي يضعه صاحبنا لانه نتيجة منطقية لحياته ومزاجه ولانه إحدى حلقات هذا البحث الذى يدور حوله .

يرى صاحبنا إزالة الفوارق المادية ويشكو الفقر المدقع الذى حال بينه وبين مطامعه وآماله ، ويطلب إلى الناس الصراحة وترك الرياء والمواربة ، ويثور فى وجه التقاليد التى حرمته الاتصال بالمرأة ، وفى وجه الاستعباد يصبه القوى على الضعيف ويريد العيش حرّاً غنياً سلاما ، فأيهما يرضى صاحبنا أنأخذ هذه الأفكار على أنها أحلام وخواطر طارئة دون أن تكون عقيدة أم هو مذهب يدين به ويضعه للدنيا المثالية فيما يرى ويهوى ؟ أما أنا فأغلب الظن عندى ألا هذا ولا ذاك . وانما هو

مزيج من هذا وذاك ، فهى خواطر تعد صرخات الحرمان واليأس والألم ، تصيب الشاعر أو تلح عليه فى بعض الأوقات فيصيح فزعا ، وهى مع هذا تدخل أو تمس دائرة المذهب لأن الحرمان طال ، ولأن صاحبنا يشكو الحرمان ويضع للحياة قوانينه هذه من أجل نفسه ، ولو قد أسعده الحظ ولانت له الدنيا لعكف عليها غير مُعنًى بها . . . وإلا فكيف تستقيم الحياة إذا استوى الناس ؟ أليس فى ذلك خراب العالم وجموده وذهاب المواهب وتقهقر المجتمعات ؟ على أن المداراة والمواربة من ضرورات الحياة الاجتماعية والسياسية ، ولو تكاشف الناس عما يعتقده كل فى صاحبه أو أخيه لتنافروا وتعادوا ، ففى كل إنسان مالا يرضاه كل إنسان . والتقاليد مسألة اعتبارية أو هى ظاهرة لازمة للحياة إلا فى حالة الإباحية التى تعد من الأخطار على الشعر وعلى الفن جميعا والحرية والسلم ؟ سائل الشرق والغرب ، وسائل مؤتمرات « جنيف » وسائل طبيعة الحياة : هل كانت دون حرب ؟ أفليست الحياة حربا ؟ ألا أن هذه الأفكار ثوارت سطحية ، وليس فى الامكان أبدع مما كان .

(٢) ونسأل صاحبنا عن سخطه هذا : ما داعيه ؟ ألأجل نفسه أم لأجل الناس جميعا ؟ لأجل نفسه فى الغالب .. وإذاً فشعوره شخصىّ ذاتىّ ضيق الدائرة .. وشاعرنا لذلك أنانىّ أثر . وما سبب السخط ؟ المال غالباً .. فصاحبنا مادىّ ، وهذا يهوّن من شعوره ولا يسمو به ، نعم قد يكون المال لآمال سامية ولكن صاحبنا لم يتشبث بذلك فيما قال ، . . فعاطفته للآن شخصية مادية وإذا سألنا عن نواحى العاطفة ما هى رأيناها عاطفة ساخطة تشيع فى شكوى وغزل ورثاء أو هى هذه العواطف التى تلبس ثوب التبرم والثورة . . فهل هذه هى الأنواع الغنائية التى عالجها الشعر ليس غير ؟ وإذا نحكم عليه بضيق المجال . . أما أنا فلست أصدق أن هذا الديوان يحوى جميع ما قال الشاعر . ولا بد أن هناك شعراً آخر حجزه صاحبنا عن النشر ، فقد يكون مديحاً ، وغزلا ، ووصفاً وسواها ... ثم آثر هذه الجملة بالنشر لاعتداده بها ولأنها فيما يظن صورة صادقة لنفسه ، وهنا يعرض لناهذا السؤال :

أشاعرنا صادق العاطفة ؟ أما الجواب هنا فنعم ، ومن يقرأ الشعر يشعر بهذه النفس المتألمة الثائرة الشاكية فى صراحة وقوة ، وبراعة بارعة ... أفنطمئن الى مثل هذا الشعر ونُشربه نفوسنا ؟ هذه مسألة هامة فى الحقيقة لان العاطفة الشعرية تقاس كذلك بما تبعثه فى نفوسنا من شعور وما توجهنا به نحو الحياة .. فعاطفة سارة

تحبب الينا الحياة أو تهوّنها علينا ، وأخرى تلبسها ثوبا أسود وتجعلها نكراء ممقوتة وتعرض نواحيها البائسة ليس غير .. فما الرأي ؟ مهما يكن سبب هذه الحال الثانية من مزاج للشاعر او أسباب خاصة به ، ومهما يكن سبب ذلك من وجود البؤس والشر فى الحياة فيظهر أن الشعر يصح - مع صدقه - أن يكون بلسما شافياً ، وروحا وريحانا وصورة لجمال الدنيا وواحة فى صحراء الحياة ... والحق أن صاحبنا - كما قلت لك - يعرض شر الحياة من حيث المامه به لا من حيث انه عنصر سائد ، فهو يشكو الحرمان ولا يقرّر الحرمان على انه قانون الحياة ... فهو مشغوف بالحب والمتاع والغنى والسلام . ولا أستطيع القول بانه ينشر البؤس ويسمم النفوس ، بل شكايته هذه كثر ما تأتى بالعكس فترغب الناس فى الحياة وتفتح عيونهم الى ما فيها من جمال وخيرات . واستطيع اختصار هذه الناحية من حياة شاعرنا بانه يمتح من نفسه ويتجه اليها حين يقول ، وهذا يجعل شعره صادق العاطفة ولكنه لا يجعلها إنسانية عامة .

(٣) وخيال صاحبنا عربى خالص قلّما تجد فيه ابتكاراً ، ولكنه خيال منتقىً جميل ملائم لمقتضى الحال كما يقول البلغاء ، فالليل قس « يفرى بسود المسوح » والقوانين أغلال وقيود ، وهو نفسه جواد ثائر تعضه الشكيمة « شلت أنامل صنّاع الشكيمات » والدين والدنيا خصمان ، والشيب سحاب أو ضباب ، والقلب يبقى فتى فى الحب ، والنائبات صخور فى طريق الحياة ، والدهر حرب الاحرار الى غير ذلك من هذه الاخيلة البيانية الأدبية . ولسنا نطلب من الشاعر الغنائى أن يكون ذا خيال مبتكر خالق فذلك شأن القصة والدراما ، وحسب الاديب فى دائرة الغناء أن يكون مفسّراً لمظاهر الحياة جيّد التفسير والتأويل يلائم بين ما يرى وما يحب ، يسعفه ذوقه وتجربته بالأمثلة القوية الجميلة التى تشرح المناظر والحوادث وتستسر الحياة كلها وتقدم للناس ما يشتهون من خير وجمال . وملاحظة تلفت النظر وتدل على اتصال شاعرنا بعصره هذا ، فشيء من أخيلته وليد أو هو نبت هذه الفترة التى نحيا فيها ، فهو مثلا فى الحياة « فكرة فى غير بيئتها » وهو مرة مريض بذات الجسم وأخرى بذات الفؤاد ، والقلوب حول الجمال كالنحل حول الزهر ، وذكرى شوق خلود والمروحة : —

هذى جوانح صبٍّ فى حبكم مستهام

نمجتُهـا مروحـةً لمـّا براها الغرامْ

وهنا أذكر لشاعرنا ما أكرره لـكل الشعراء ، وهو أن يشتقوا التشبيه والاستعارة والبديع كله من هـذه البيئة الحاضرة المصرية ، فعندنا النيل والأهرام والآثار ، وعنـدنا المروج والقنوات ، وعنـدنا الطبيعة المصرية الـكريمة المرحة الفكهة ، وعندنا أنفسنا وماضينا وحاضرنا ، وأخيرا عندنا الـكهرباء والطيارة وهـذه الحياة الصناعية .

(٤) أما الأسلوب ، وبكلام أدق . . . أما عبارته : كلماته وجمله ، فيكفيها حسنا أنها شفافة وليس يُطلب من العبارة سوى هذا . يقول البلغاء والنقّـاد القدامَى : جزالة ، وفصاحة ، ورقة وسلاسة . ويقول المحدثون : وضوح وقوة وجمال . . . ويصفون الأسلوب أو العبارة بهذا كله ولـكنى أعيد هنا ما ذكرته فى هذه الصحيفة غير مرة أن ليس للعبارة وصف إلا هذه الشفافية ، فالعبارة كزجاج الصورة ينمّ عنها ويحفظها ، كذلك العبارة تنمّ عن المعانى أو عن نفس الأديب وتحفظها وأما القوة وأما الوضوح وأما الجمال فهى فى أصلها صفات النفس ثم هى صفات المعانى وأخيرا يظهر لونها أو صداها فى الألفاظ والجمل . وليس الأسلوب إذاً إلا صورة هـذه النفس ، وهنا تعود إلى الذاكرة نظرية الأستاذ Buffon القائلة إن الأسلوب هو الـكاتب ، فاذا حاولت البحث عن خواصّ الأسلوب فاعلم أن منبعها هو الشاعر أو الناثر ، وإذا أبهم الأسلوب أو جفا فليس الذنب ذنب القارىء دائما وانما قد يكون ذنب القارىء أو الـكاتب نفسه لعجزه وغموض نفسه وأفـكاره . وأبو الوفا واضح فى أفـكاره مهما تـكن قيمتهـا ، قوى فى شعوره مهما يكن داعيـه ، دقيق فى خياله مهما يكن محدودا . . . وكل تلك تدل عليها عبارة شفافة . وأنا ألحُّ فى هـذا العنصر اللفظى وأحب أن أطيـل القول فيـه ، ولا سيما فى هـذه الفـترة التى استعجمت فيهـا أساليب كثير من المعـاصرين وعيت عبـاراتهم بالأداء ، وامـتزج فيهـا الأصـيل والدخيـل ، وعجز كـثير عن تطويع الأسـاليب للمعـانى المسـتحدثة أو المستعارة حتى صـاروا يخبطون على غير هداية ، ويتورطون إما فى عجمة مضطربة وإما فى عامية مبتذلة وندر الفصيح الصافى . وليس هناك علاج إلا قراءة الأساليب العربية الممتازة لأمثال البحترى وجرير وأبى نواس وأمثالهم من شعراء الأسلوب الطبعى الجميل .

وأستطيع أن أضع أسلوب صاحبنا هذا بين الأساليب العصرية الشعرية الممتازة

ويظهر أن عندنا أسلوبين يعيشان متجاورين : أسلوب محافظ تقليدى يلتفت إلى الوراء البعيد وهو أسلوب جاف يصوّر ثقافة أصحابه فقط تلك الثقافة العربية القديمة ويصرّ على هذا الاسلوب مدرسة معروفة لاأحب ذكر أصحابها الآن، والثانى أسلوب جديد مضطرب يختلف بين المعجمة والعامية ولن أسميه أسلوبا تجديديا لأن التجديد شيء سوى هذا والتجديد هو إحياء وابتكار مع المحافظة على الصياغة الصافية والموسيقى الأصلية للغة العربية . وبين هذين أو فوق هذين نجد هذا الاسلوب الذى الذى يجمع إلى الجمال الحديث قوة الأسس اللغوية المقررة فيه هذه الرقة العصرية التى تحببه إلى النفوس، وفيه هذه القوة العربية السامية ، وبالاختصار هو الأسلوب الجديد حقا أو هو الذى يجمع بين القديم والحديث ، ومن أمثلته اسلوب أبى الوفاء مع شىء من الاحتياط بالنسبة للبحور الشعرية لاأعرض له هنا لأسباب شتى ، وقد طال بى المطاف و« أپولو » خانقة ترمينا بالإسراف والتطويل ولكنى أحاول دائما الالتفات إلى الحق والواجب ما استطعت إلى ذلك سبيلا .

* * *

تسألنى عن شخصية صاحبي فهى شخصية ذاتية ساخطة معتزة بنفسها وبشعرها، وتسألنى عن رسمها « الكاريكاتورى » فهو المقيَّد فى الأغلال دون مباهج الحياة.

احمد الشايب



مزالق ابن زيدون اللغوية

— أودعه فى السجن وأودع عند فلان مالاً —

١ — وقال أبو الوليد أحمد بن زيدون :

إن طال فى السجن إيداعى فلا عجبٌ ... قد يودَعُ الجفنُ حدّ الصارم الذكر

فاستعمل « الايداع » مصدر « أودع » مع حرف الجرّ « فى » وهو متعدّ بنفسه إلى مفعوليه ، فظاهر هذا الاستعمال خطأ ، ولكنّه فصيح فى مانرى ، لأمور (أولها) أن السجن لو نصب على المفعولية متقدماً على المصدر لم يجز نصبه لضعف المصدر عن نصب معموله المتقدم عليه ، فالتجاء ابن زيدون الى الظرّفية باضافة



مصطفى جواد

« فى » كان واجباً عليه و(ثانيها) أنّ الظرف المتمكن المختص بجوز رجعه إلى الظرفية إذا كان مستعملاً للتمكين مثل « أودعه فى السجن » ومثله « وسّده الشيءَ : جعله وسادة له » فلما كان المفعول للتمكين استجازوا أن قالوا « وسّده على الشيء » فتوسّد عليه، ومنه قول الشريف الرضى ـ رحمه الله ـ :

متوسّدين على الخدود كأنّما كرعوا على ظمأٍ من الصهباء

(وثالثها) أن « أودعه السجن » من باب المجاز لأن الشخص لم يكن وديعة فى الحقيقة بل هو مكروه يُتقى شرّه بالحبس والعزل فلذلك حَسُن استعمال الايداع كالحبس والسجن و الاعتقال والوضع والادخال مما يأتى معه « فى » للظرفية ، تقول : « اعتقله فى قلعة كذا » وما أشبهه ، وقد رووا لزهير بن ابى سلمى :

يؤخّرْ فيودعْ فى كتابٍ فيُدّخرْ ليوم الحسابِ أو يعجّلْ فينقم

كذا ورد فى خزانة الأدب «٢ : ١٢٨» طبعة دار العصور ، ثم ورد فى الصفحة (٢١٨) على صورة « يؤخر فيوضع فى كتاب » فاحدى الروايتين تثبت أن « أودع الشيء فى كذا » من فصيح الكلام العربى ، ثم انهم قد استعملوه فى النثر ، قال سيبويه : « ولذلك لم نودع فى ابواب الكتاب إلا المشهور الذى لا يشك فى صحته(١) »

(١) المزهر « ١٥١١ »

ومن مشهور استعماله قول عمارة اليمنى يذكر أبا الغارات طلائع بن رزيك الوزير «وزير العاضد الفاطمى» حينما نقل تابوته من دار الوزارة المعروفة بانشاء الأفضل شاهنشاه الى تربته التى بالقرافة الكبرى وذلك سنة «٥٥٧» ه :

وكأنه تابوت موسى أودعت   فى جانبيه سكينة ووقار [١]

وقال ابن خلكان فى ترجمة أبى الفوارس طغتكين يذكر الملك المعز فتح الدين اسماعيل ما صورته «وللمعز المذكور صنف أبو الغنائم مسلم بن محمود بن نعمة بن أرسلان الشيزرى كتابه الذى سماه عجائب الأسفار وغرائب الأخبار فأودع فيه من شعره وأخبار الناس كثيراً فقد قال أودع فيه ، وقال ديك الجن الحمصى :

قالت هناك عظامى فيه مودعة   تعيث فيها بنات الأرض والدود

ومن كلام الحكماء قلوب «الرعية خزائن واليها فما أودعه فيها وجده» ومن كلام ابن ابى الحديد «حيث أودعها فى الصورة[٢]» وقال فى موضع آخر «فأما السمع للصوت فليس بعظيم عند التحقيق وانما هو بالقوة المودعة فى العصب المفروش فى الصماخ كالغشاء» ومن الكلام المنسوب الى الامام على إن «الآنية اذا لم تنشف وبقى مايودع فيها على حاله لم ينقص[٣]» فضع تحقيقنا هذا الى قول أحدهم «ويقولون : أودع عنده مالاً ، واستودع فى صندوق التوفير عشرين جنيهاً» ... فالصواب أن يقال : أودعه مالاً واستودع صندوق التوفير عشرين جنيها[٤] تجد الفرق العظيم بين رافع العربية وقامعها وخادمها وعاقها وتعلم أن النقد اللغوى لا يبنى على فتحة قاموس دقيقة أو دقيقتين بل على تحرى كلام العرب وأساليبه وفلسفة التعبير، لماذا لا يقال «أودع عنده مالا» وقد جاز «أودع فيه» وعلتها واحدة ؟ ومن حديث المسعودى فى زواج المعتضد بابنة خمارويه بن أحمد بن طولون «فيقال إنه حمل معها جوهر لم يجتمع مثله عند خليفة قط فاقتطع ابن الجصاص بعضه وأعلم قطر الندى بنت خمارويه أن ما أخذ يودع لها عنده الى وقت حاجتها اليه»[٥] ومن كلام ابن ابى الحديد «شأنه ملتجىء اليهم وغلمه مودع عندهم[٦]» فالتعبير فصيح لأنه مقيس ومسموع أما قولهم «استودع فى الصندوق كذا» فمثل «أودع فيه ...» وقد قال الأصمعى .

---

(١) الوفيات «١ : ٢٦٠» «٢٥٩» «٣١٨» (٢) شرح ابن أبى الحديد «٣ : ٣٢» «٥٤» (٣) الشرح «٤ : ٢٥٤» «٥٦٩» (٤) تذكرة الكاتب «ص ٤٢ - ٤٣» (٥) المروج «٢ : ٤٦٣» (٦) الشرح «١ : ٤٥»

وأقعد للجهل في مجلسٍ وعلمىَ في الكتْب مستودع
يضيع من المال ما قد جمـ ت وعلمك في الكتْب مستودع (١)

(استشفع به واستشفعه)

٢ — وقال أبو الوليد :

ومستشفعٍ بِىَ بشرته على ثقةٍ بالنجاح الأتمّ

فعدّى « استشفع » بالباء وهو متعدٍ بنفسه عندهم ،قال الجوهرى : «واستشفعه : سأله أن يشفع له اليه » ومن كلام الشريف الرضى فى شرح نهج البلاغة « قالوا : أخذ مروان بن الحكم أسيراً يوم الجمل فاستشفع الحسن والحسين — ع — الى أمير المؤمنين — ع — فكلماه فيه نخلّى سبيله » قال عبدالحميد بن أبى الحديد « يقال : استشفعت فلانا الى فلان اى سألته ان يشفع لى اليه . . وقول الناس استشفعت بفلان الى فلان ليس بذلك الجيد (٢) » فهو قد نقل تعبير الجوهرى واستقبح ما خالفه بتعدّي الفعل بالباء ، ولم يعلم ان الجوهرى قد عدّى « استشفع » بالباء فقال فى مادة « د ل ا » ما صورته « ودلوت بفلان اليك أى استشفعت به اليك» وظهر لى أنّ علم ابن أبى الحديد فى القضايا اللغوية متكلف ، أفإن كان « استشفع به » ليس بذلك الجيّد فلماذا قال فى شرحه « فإنهم قدروا أن يستشفعوا بها فى الآخرة (٣) » ثم قال « فامّا الشفاعة فلا يقال فيها : أدليت ولكن دلوت بفلان أى استشفعت به » وتبع الجوهرى فى ذلك ويسمى الجيّد الذى عرضه على قراء شرحه ، ونقل عن كتاب الزبير بن بكار « حدثنا محمد بن حرب ، قال :حدثنا سفيان بن عيينة عن اسمعيل بن أبى خالد قال : جاء رجل إلى علىٍ — عليه السلام — يستشفع به الى عثمان . . . » (٤) وروى هو من حديث للامام علىّ يذكر رسول الله — ص — « سألته مرّة أن يدعو لى بالمغفرة فقال : أفعل . ثم قام فصلّى ... فقال أواحد أكرم منك عليه فاستشفع به اليه وقال هو نفسه فى خاتمة الشرح « واستشفع اليه بمن أنصبت جسدى وأسهرت عينى... فى شرح كلامه (٥) » فيستبين للمتتبع أن

(١) المحاسن والاضداد للجاحظ (ص ١٢) (٢) شرح النهج (٢ : ٥٣ – ٤)
(٣) الشرح (٣ : ٧٩ ، ٣٠٥) (٤) الشرح (٢ : ٣٩٨) (٥) الشرح (٤: ٥٥٨، ٥٧٤)

« استشفع به » أكثر من استشفعه ، وفلسفة العربيّة توجب ألاّ يتساوى استشفع به » و « استشفعه » لأن الباء للاستعانة لا للتوكيد فباء التوكيد مثل « استخف به أى استخفه » و « استهان به أى استهانه » و « طرح به ورمى به وألقى به وقذف به ودفع به » ومعنى « استشفعه » طلب اليه الشفاعة لنفسه ، مثل « استعفاه واستغفره واستدفعه واستأداه واستنجزه واستعطاه واستنجده واستماحه » وغيرها ، ولكنه لم يستعمل لأنّ الاستشفاع لا يكون الا بشفيع ، وبذلك صار مثل « استعان به واستعانه واستغاث به واستغاثه » وما أدرى لم ضعّف ابن ابى الحديد « استشفع به » وهو الأصل مع وروده فى كتب اللغة ؟ ففى أساس البلاغة « واستشفعنى اليه فشفعت له واستشفع بى ، وان فلاناً ليستشفع به ، قال الأعشى :

واستشفعتْ من سراة الحىّ ذا ثقةٍ ... فقد عصاها أبوها والذى شفعا

وقال آخر :

مضى زمن والناس يستشفعون بى ... فهل لى إلى ليلى الغداةَ شفيع ؟

فلو لم يكن الأصل « يستشفعون بى » لفضلوا عليه « يستشفعوننى » فالصحيح من الأمر ما ذكرت للقارىء . وقد ورد فى الأغانى « أخبرنا يحيى ، قال : حدثنا أبى قال : أخبرنى أحمد بن صالح — وكان أحد الأدباء — قال : غضب بشار على سلم الخاسر — وكان من تلامذته ورُواته فاستشفع عليه بجماعة من اخوانه فجاؤوه فى أمره »[1] والأحسن « فاستشفع اليه بجماعة » لأن استشفع عليه الوارد فى لسان العرب تحريف « استشفع اليه » ونقله عنه الشرتونى صاحب المنجد ، والمنجد يوجب الحق والامانة والدين الصادق أن يسمى « مختصر أقرب الموارد » كما سموا « مختصر كذا » لكتب كثيرة . هذا الذى يُسِّرنا لكتابته ويا ليت مجال التفرغ يتسع لنا فنقرأ الديوان كله

(تشكيل ديوان ابن زيدون)

١ — ورد فى ص ٣ من الديوان :

وعسى أن يَسْمَحَ الدهـ . . . ر فقد طال الشماسُ

بضبط « يسمح » كيخرج وهو غلط صوابه « يُسمح » مثل يؤمن لأنّه من « أسمح » أى دخل فى حال السماح والطاعة بعد أن كان آبياً عاصيا ، والأصل للدابة

(١) الاغانى « ٣ : ١٩٩ » طبعة دار الكتب

يقال « أسمحت الدابة أى لانت بعد استعصاب » وفى الامثال « أسمحت قرونته أو قرينته » وزدْ على ذلك مقابلة الشاعر ليسمح بالشماس وهو للدابة أيضاً فى الحقيقة فالاسماح ضد الشماس ، وقد وهم مثل هذا الوهم فى ضبط القلم فى ص١٣٦ بقول الشاعر « فالصعب يَسْمَح فى عنان هواها » .

٢ — وورد فى ص١٠ (ولئن تجنبتِ الرشاد بغدرة) بكسر تاء الفعل لخطاب الانثى الواحدة ، والصواب «تجنبتُ» بضم التاء لاسناد الفعل الى المتكلم المفرد فانّه هو المتجنب للرشاد ، ويدل على ذلك قوله «لم يهو بى فى الغيّ غيرهواك» يقول لها « ان كنت أنا قد ضللت طريق الهداية بغدرى إياك فان الذى دفعنى الى ذلك حبي لك » فالهوى عنده يضيع على الانسان رشده ويملك عليه عقله .

٣ — وجاء فى ص ١٢ «لما أهين بمسحق ومَداك» بفتح الميم، والمعروف كسرها وهو المقيس ، ولعلّ ذلك قد حدث من الطبع .

٤ — وجاء فى ص ١٣ «ويلٌ للشجىّ من الخلىّ» بتشديد ياء الشجى واللغويون يمنعون تشديدها فيه لأنه على ما نرى فعل نفسى ينشأ من الانفعال الذاتى لا الخارجىّ فالفعل الذاتى شَجِى يشجى فهو شجٍ والخارجى شجاه يشجوه فهو مشجوّ وشجىّ بتشديد الياء مثل حزن يحزن وحزنه يحزنه فالأوّل ذاتى والثانى خارجىّ ، وفى المختار : ورجل شجٍ أى حزين وامرأة شجية على فَعلة ، ويقال : ويل للشجى من الخلّى مشددة وياء الشجى مخففة ؛ قال وقد شدّد فى الشعر وانشد « نام الخليون عن ليل الشجيينا » قال مصطفى جواد قال المبرد فى تفسيره أبيات الاعرابى التى أولها شكوت فقالت كل هذا تبرماً ... قد غنّت بها (منيرة المصرية المهدية) ومنها :

فلما كتمت الحبّ قالت لشدّ ما ... صبرت وما هذا بفعل شجِى القلب

وشجى مخفف الياء ومن شددها فقد أخطأ والمثل : ويل للشجى من الخلى الياء فى الشجى مخففة وفى الخلىّ مثقلة ، وقياسه انك إذا قلت : فَعِلَ يفعَل فعلاً فالاسم منه على فعل نحو فرِق يفرق فرقاً فهو فرق وحذر يحذر حذراً فهو حذر وبطر يبطر بطراً فهو بطر ، فعلى هذا شجى يشجى شجىً فهو شج يافتى كما تقول هوى يهوى هوىً فهو هوٍ [1] وقال الجوهرى بعد الكلام المنقول آنفاً «فان جعلت

(١) الكامل « ١ : ٢٠٠ — ١ »

الشجى فعيلاً من شجاه الحزن فهو مشجوّ وشجى ، كان بالتشديد لاغير » وقال أبو هلال العسكرى «قولهم : ويل للشجى من الخلىّ ، يضرب مثلاً .. والخلىّ الخلو من الهم وياؤه مشدّدة وياء الشجى مخففة أشجى يشجى فهو شج واجاز بعضهم تشديده وجعله من قولك شجاه يشجوه فهو مشجوّ وشجىّ فعيل بمعنى مفعول والمثل لأكثم بن صيفى [1] » فتعليل الجوهرى مقتاس .

قال مصطفى جواد : إن العلماء ـ رحمهم الله ـ لم يفرقوا بين الفعل الذاتى والفعل الخارجى ، فالشجى المخفف الياء يقابله الخلىّ بتشديدها ، والشجى بتشديد الياء والمشجو يقابلهما المخلى ، فعلى هذا تكون تشديد ياء الشجى فى الشطر الذى نقله الجوهرى من كلام المبرد « ضرورة لا اختيارياً ، بحسب قواعد الصرف التى ذكرها العلماء ولكننا استدركنا على العلماء قواعد كثيرة منها أنّ « فعيلاً » الصفة المشبهة تصاغ قياساً من فعل يفعل كفرح يفرح ، ولقد نشرنا هذه القاعدة فى مجلة المعرفة « ١٢ : ١٧٤٠ السنة الأولى » وحسبنا أن نذكر مايشبه « الشجى » من الامثال التى ذكرناها ، فهى « ذكى فهو ذكىّ وحىّ فهو حىّ وعىّ فهو عىّ وكدى فهو كدىّ ، ولوى فهو لوىّ ، ووجى فهو وجىّ » والقاعدة واضحة لذى اللب المستنير .

٥ — وورد فى ص٢٨ « بِمرّ القوى لا يملأ الخطب صدره » بكسر ميم «ممر» الثانية ، والصواب فتحها لأن اللفظ اسم مفعول من «أمرّه امراراً أى فتله واحكمه»

٦ — وفى ص٧٨ ورد :

تسوِّغ منه العيش فى ظلّ دولة مقابلةُ الأرجاء بالكوكب السعد

يجعل «مقابلة» فاعلاً لتسوِّغ ، والحقيقة ههنا أن الشاعر يتمنى للممدوح أن يتسوغ هو العيش فبنى الفعل للمجهول لانه بامر الله تعالى وليس المقام بواسع أن يظهر لفظ الفاعل ، وعلى هذا ، لايجوز أن تكون «مقابلة» فاعلاً فهى صفة للدولة إعراباً واسم مفعول صرفاً ، والممدوح يسوغ العيش فى دولة مقابلة أرجاؤها لكوكب السعد ، هذا هو المراد .

٧ — وجاء فى ص ٧٨ أيضا « ليهنك أن أحمدت عاقبة القصد » والأوْلى «ليهنئك» فهو الاصل ولا ضرورة تدعو الى ذلك الوجه الضعيف : تليين الهمزة وحذفها

(١) جمهرة الامثال ص ٢٠٣

٨ — وجاء فى ص ١٠٠

يجول وشاحاها على خيزرانة وتشرق فى موشيتين الخلاخل

فعلق به الاستاذان «شارحا الديوان وآبراه» ما صورته وفى الأصل: «وتشرق فى بردتين الخلاخل» وبهذه الرواية يختل الوزن ومن الحق أنهما لم يهتديا صواب الاصل فهو «وتشرق فى بردتين الخلاخل» فانهم — أعنى العرب — قد شبّهوا الساق البيضاء بالبردية واحدة البرديّ النبات المشهور، كما شبهوا ذراع الانثى بالجمارة، ويدلنا قول الزمخشرى فى أساس البلاغة «ولها ساق كانها بردية وهو فى مادة «ب رد»، فلقد أراد الشاعر أن الخلاخل تغصُّ بساقها العبلة البضة البيضاء، وهذا مما لا يصح الجدال فيه بعد هذا الايضاح المؤيد نقلاً وعقلاً.

٩ — وجاء فى ص ١٠٤ «ولا للواء الملك غيرك رافع» برفع «غير» والصواب نصبه بأنه مستثنى مقدّم كما فى قول الكميت:

ومالىَ إلا آل أحمد شيعة ومالى الا مذهبَ الحق مذهب

بنصب «آل» و«مذهب» الأولى من البيت.

١٠ — وورد فى ص ١٢٧.

«ومستحمَد بكريم الفعال عفواً اذا ما اللئيم استذم»

بفتح الميم الثانية له «مستحمد» والصواب كسرها لأنه اسم فاعل من «استحمد» أى دعا الناس أن يمد حوه بكرم افعاله» ولذلك قابله الشاعر بـ «استذم» أى دعا الناس الى ذمّ نفسه بقبح افعاله، ويبطل مع هذه الحقيقة قول الشارحين فى الحاشية «مستحمد منسوب الى الحمد» فهو بعيد عن المراد وليس له وجه وجيه أبداً.

١١ — وفى ص ١٤٠ ورده إذا أسف الشكلَ اللبيبُ فشفّه» والصواب «آسف الشكلُ اللبيبَ فشفّه» أى أحزنه حزناً شديداً. وضبط الشارحان لا يتأتى له معنىً سواء فى ذلك أكان الشكل مفعول «أسف» على الحذف والايصال أم كان مفعولاً له على ضعف، لأن شفه يرجع ضميره الى اللبيب فالفعل يجب أن يختص بالشكلِ فالشكلِ فاعل آسف كما قدمنا.

١٢ — وورد فى ص ١٦٤:

تحيينى بريحان التحفّى وتُصبحنى معتقةُ السماح

برفع « معتقة » من الشطر الثانى وذلك خطأ ، فان الشاعر كان قد خاطب ممدوحه ذاكراً نعماه على نفسه ومن هذه النعمى أنّه يحييه بريحان التحفّى لا بريحان النبات كما كان الحيريون فى عهد الجاهلية — ويجعل صبوحه من خمرة السماح أى الكرم لا مِن الخمر المعهودة ، فلذلك يجب نصب « معتقة » بأنه مفعول ثان لتصبح ، وضمّ الشارحين الكريمين لتاء « تصبح » يؤذننا بأنه مضارع « أصبحت » والأفصح « تصبح » الثلاثىّ من « صبحه أى سقاه الصبوح وصبحه كذا بمعنى اتخذه صبوحا له » ومنه القول المنسوب الى عمرو بن عديّ :

صددتِ الكأس عنا أم عمرو وكان الكأس مجراها اليمينا
وما شر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا

أى الذى لم تسقيه أنتِ الصبوح ، وكذلك قول طرفة بن العبد فى معلقته :

متى تأتنى أصبحْكَ كأساً رويةً وان كنت عنها ذا غنًى فاغنَ وازددِ

١٣ — وجاء فى ص ١٦٩ .

فكم بوأتنى ساحاتِ نعمى عـذابِ الورد وارفةِ الظِلالِ

بجرّ « عذاب » و (وارفة) والصحيح فيهما النصب لأنهما نعتان لـ (ساحات) المنصوبة .

إلى هاهنا انتهينا من الديوان وسنفرغ للبقية — إن شاء الله — وهو الهادى .

بغداد

مصطفى جواد



الشعر العربى

المعنى الذى يقصد اليه الأديب العربى من الشعر والانشاد انما هو وليد مادة من الاشتقاق اللغوى ترجع فى الأصل الى الوثنية . فقدر ان يتوارد فى معنى الشعر اذا انتحى به العربى منحى القدماء السدانة باعتبارها صورة لتصوف العصر الجاهلى والسجع الذى كان أسلوب ذلك التصوف فى البيان . ويختزل من مادة



عبدالحميد سالم

شعر وانشاد ايضاً الشعر الذى يرمز الى العبقرية والعرس الذى يدل على الجاذبية والمشاركة . والطبع فى الشعر تابع لسهولة الحرف وحسن مخرجه على اللسان وطلاوته والعناية فى الشعر العربى انما هى بالقوافى ولذلك كانت الصناعة بعد الفطرة ، وكان نقد اللغة والتوليد .

وفى الفطرة يعسر مطالبة الذوق ان يحتكم سواء كان فى مادة اللغة أو فى حالات الاجتماع . وكان ذلك شفيعاً عما غشى العربية من الخشونة فى العصر الجاهلى .

وكانت اللغة فتنة العرب لأنها جمعت صور الحضارات المندثرة .لغة كاملة لأقوام فطريين . والأصل فى الشعر العربى تفنن فى الكلام . والابتكار فيه واختراع المعانى محتاج الى ذكاء كثير . لأن مزايا العربية لا تترك مجالاً للتصور ولا للخيال بمقدار توازنها فى جزالتها وقوتها لغة قوية فى تركيبها وصيغها . ولما أراد العرب ان يقلدوا الأمم الأخرى المتحضرة فى نوع من التظرف اخترعوا الشعر . وكان الفكر العربى ذا قابلية لأن يسع ثقافة كثيرة ولكن جاهلية العصر جعلت مدار تلك الثقافة على الشعر . والفضل للغة فى تجاوز الشعر العربى حدود البيئة العربية وتمثلها فى الرمل والطلول والخيام والماء . فالشاعر الجاهلى لم يكن فناناً ولا مؤلف مغان أو خيال أو قصص لأن العناية فى الأصل كانت بالقافية . أما التصور والخيال فقد كان تبعاً لقوة التعبير بالشعر . إنما كان يطلب من الشاعر العربى أن يكون مفنناً فى الكلام وليست العربية موسيقية ولكن فى الشعر قافية توقّع . والموسيقى العربية

كالشعر العربي لايحكى صور الحالات إنما يعرب عن أثرها فى النفس وصداها . وقليلاً ما يكون للحلق أثر فى مخارج العربية انما هى لغة تعمل فى نطقها كل وظائف الفم . وكان الطبع فى الشعر تابعاً لسهولة النطق بحروف اللغة ، وحتى يقال فى باب الاستخفاف لهذا الشاعر حروف كأنها فى طبيعة النطق . وبعض الكلام أثقل من بعض : فالأفعال أثقل من الأسماء ، وكانت العرب تكره الاكثار والاستثقال ، وكان استثقالهم للحركة التى هى أقل من الحرف حتى أفضوا فى ذلك الى ان أضعفوها واختلسوها ثم حذفوها . روى أبو حاتم سهل بن محمد السجستانى فى كتابه « القراءات » قال : قرأ علىّ اعرابى بالحرم «طيبى لهم وحسن مآب» فقلت له طوبى فقال «طيبى» فاعدت فقلت «طوبى» فقال «طيبى». أفلا ترى الى هذا الأعرابى وانت تعتقده جافياً كزاً كيف نبا طبعه عن ثقل الواو الى الياء فلم يؤثر فيه التلقين ولا ثنى طبعه عن التماس الخفة . ومقدار ما كان العرب يتكلمون الاسجاع والاوزان واحكام التراكيب كانت تعنى بجرس اللفظ ونغمته . كذلك كانت السجعة أو القافية قاعدة عربية فى صناعة الكلام . وكان يراعى فيها السمع والصوت وملاءمة ذلك للذوق وتناسبه مع مذاهب الايقاع . الا ان العربية ليست موسيقية لأن مخارجها غير صوتية الا فى قليل ، ولما لطفت صناعة الشعر عند المتأخرين وصل نقد الالفاظ الى درجة الركاكة . والناقد العربى انما يقدّر الصناعة قبل تقدير المعانى، وكلما كانت قوالب الشعر عربية كان تقديره أعظم . وفى الذوق العربى يرتفع الشاعر ويهبط بالصناعة . وقد كان ابو تمام شاعراً مفتناً فى صناعته . وكان الشريف الرضى يتوخى الفاظ الكتاب . قد عرف الذوق العربى بالتنوع فى فن واحد من الشعر .

كيف كان استمداد العرب للالهام فى تلك البوادى القفر ، وكيف اجتمعت كل هذه المعانى والصور وبلاغة التعبير وسلامة التركيب فى لغة اولئك الاميين الضاربين فى جوف الصحراء؟

ان المقارنة بين معانى الشعر فى اولية العرب ومعيشتهم واجتماعهم تدل على ان السليقة العربية البيانية فى صور التعبير مكتسبة . أما الشعر فهو غنائى فى سلائق كل الأمم الفطرية ، وإن ذهن الشاعر الجاهلى وإن لم يستوعب حالات المدنيات السابقة فقد كان يتكلم وينظم بلغة وسعت الكثير من معانى وصور تلك المدنيات . وكان يدين بعبادة أخذها عن الهنود فى شكلها ونشأتها وكان البيان الذى رافق تلك العبادة كاملا فى قواعده .

وأمام الصحراء الشاسعة كان من الممكن ان تكون العرب الجاهليون أوسع خيالاً .

وأجل تصورا وكان لا بد أن تكون قابليتهم للحكمة اظهر ولكن رغبتهم عن التقليد حدد نظرهم الى الاشياء فى طبيعة متشابهة وحياة على مثال واحد بلا امجاد ولا عواصم كبيرة ولا هيا كل فخمة. وما اكتسبوه عن مجاوريهم كان عن طريق التقليد بالنظر لا بالفكر، فان العرب لم تتصل فكرياً بأي شعب. ولا يزال الذهن العربى الى الآن لا يقبل التمثيل (الاسميليشن) وصادف ان النظر العربى انصرف إلى الشعر وانه صناعة عربية بحتة ليست لأمة اخرى مثلها وعلى هذا الاعتقاد كانوا يقولون الشعر، وعلمتهم مجاورتهم للأسرائيليين ان يتكلفوا الحكمة فى كلامهم. وكانت الشريعة العبرانية كلها قصص وهى التى أشير اليها فى قول الله « انا نقص عليك الخ ». وكانت الحكمة فى الشعر العربى تمثل قوة البيان من حيث ان مبدأ الشعر العربى كان من أقوال السدنة. ومن الممكن أن يقال من هذه الوجهة ان العرب لم يستفيدوا فائدة كبيرة من العبادات التى عاصرتهم.

ولما وصل العصر الجاهلى الى التفنن فى صناعة الكلام كان الاغريق واللاتين قد فرغوا من وضع قواعد البيان والخطابة والشعر، وكان أعجب شيء بعد ذلك تقليد الذهن العربى لما رآه من فنون عقلية بحتة. وكان من حظ العرب انهم عاصروا طور الانحطاط الذى اعترى ورثة الحضارة القديمة. ويرافق الانحطاط عادة شيوع المعارف والفنون التى خلقتها الحضارة المندثرة، ولكن بقى اولئك الأميون يعيشون بفكر وطبع فطريين.

والاصل فى اللغة العربية انها لغة بيان وخطابة كأنما اختارت ان تدخر لنفسها صفحات اللاتينية فى أواخر عهدها، اذ كان معين بلاغتها فى علم الكلام. وكان فى اللغة صور ومعان أفضت الى الشعر وكان للعرب عناية كبيرة بالقافية فاستلهموا من اللغة ذلك التصوير المحلى الذى كان محدوداً بالطلول والرمل والنقلة والنخل والمطر.

وانما استلهم هيجو صور « المشرقيات » من قاموسه لانه لم يرَ الشرق. وكان تصوره وحده لا يكفى لافراغ هذه الصور فى قوالب شعرية بليغة. وكان لهيجو أيضاً عناية برنين الالفاظ وموسيقية الشعر. وقد أشار صاحب « اسرار البلاغة »(١) الى الاحوال التى ترجع الى أجراس الحروف فقال: «... وهنا أقسام قد يتوهم فى بدء الفكرة أن الحسن والقبح فيها لا يتعدى اللفظ والجرس الى ما يناجى فيه العقل النفس».

إذن من قبل ان يكون الشعر صناعة (Art) أدبية وثقافة (Culturo) كان

(١) المزهر

ضربا من الكلام المذهب المتناسب .

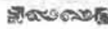
والعرب لم يخترعوا الخط وانما تعلموه ، واذا كان هذا الخط من اختراعهم اذن فهم الذين ابتدأوا هذه اللغة وتكون العربية هى اللغة الانسانية . وما دامت لهجاتها فى اولية العرب كانت متباينة فلا شك ان أجراس الحروف كانت غير ما اصطلحنا عليه من عهد نزول القرآن . ولاشك ان نغمة الشعر العربى قد تطور بطريقة نقد اللغة الذى سلكته قريش ، واستمر ذلك التطور فى أجراس الحروف وفنون الشعر حتى عصر المولدين . ثم كانت فوارق ذلك التطور حداً بين الشعر العربى الصريح والقصيد الذى أثمرته قرائح الشعراء فى الإسلام .

واذا استطعنا تمييز تلك الفوارق بدقة اعترفنا بأن ثمت شعراً عربياً مفقوداً ينشده العارف بمدى ماتبلغه العربية فى اشواط الخلق واستنباط المعانى ، ولكن كان اذا قيل لأحد من معاصرى العباسيين : انت تنظم شعراً عربياً بلغة مولدة من ألفاظ المترسلين ، كان ذلك نهاية الرقة والتظرف !

وكذلك بقيت مزايا اللغة أقوى من مزايا الشعر ، وحتى ادعى بعض النقاد العصريون أننا لو اختزلنا بيتاً أو بضعة أبيات من قصيدة لم يشعر بنقصها على نقيض الشعر الغربى .

وهذا شىء فى اللغة . وقد أشار سيبويه فى باب ما يحتمله الشعر الى ما يكون فى اللفظ من الاغراض ، إذ يحذفون ويعوضون ويستغنون بالشىء عن الشىء ، وما كان عادة فى الكلام سابق لما كان فى الشعر ، والذوق العربى الذي احتكم فى نقد اللغة كان له أثره فى دوافع الفتح ، فقد أراد العرب أن يسودوا بل أرادوا أن يحسنوا التأنق وأن يتظرفوا ؟

عبد الحميد سالم



النقد وحدوده

حرام علينا الفخر بالشعر ان نقع
نسور معاليه وقوع ذباب !
وما كبرياء القول حين نفوسنا
تجاويف ارض فى انتفاخ روابى ؟!

خليل مطران

منذ أسابيع نشرت « مجلة الشبيبة » — أحد ألسنة زميلنا الشاعر الفاضل عباس افندى محمود العقاد — كلمةً غريبةً لطالبٍ متسترٍ هو ابراهيم افندى عبده نعت فيها

رئيس تحرير (أپولو) - بغير داع الى ذلك - بانه دكتور فى الشتيمة ! فتأسفنا كثيراً لصدور مثل هذا التعبير من طالب نجيب يستوحى أدبَ زميلنا العقاد كما يستوحيه غيرهُ ممن يترددون على منزله العامر أسبوعياً ثم يكيلون لبا القدح ، وتألمنا من أن يكون هذا ثمناً للتقريظ الذى يوجّهه العقاد الى أمثال ابراهيم افندى عبده من الشباب الناهض .

لقد كان العقّادُ ممن ينعون بحقٍّ على شيوخ الشعراء المتقدمين استغلالَ مجلة (عكاظ) للمطاعن — حباً فى نيل الحظوة عند الجمهور — كل على حساب زميله ، ويسوءنا كثيراً أن يقع العقاد فى نفس هذا الخطأ مورّطاً بعض الشبّان ومستغلاً بعض المجلات الاسبوعية . ولولا أننا نعرف حسنات العقاد ومواهبه التى يحزننا أن تشوبها أمثال هذه الشوائب لما عبأنا كثيراً ولا قليلا بهذه العادة المخجلة التى آن لها أن تنقرض ، ويؤسفنا كثيراً أن نعود مضطرين فنشير الى هذا الموضوع .

وهذا رئيس تحرير (الشبيبة) الشاعر المتظرف مصطفى كامل الشناوى كان الى عهد قريب يرثى شوقى بك ثم يطعن فى خصومه المجدّدين (وما العقاد الاّ أحدهم) ، فرأينا من اللياقة فى ذلك الموقف حذف مطاعنه من مرثيته للمرحوم شوقى بك عند ما جىء بها إالينا لنشرها فى (أپولو) ، ثم دار الزمن دورته فاذا به يتملق العقاد غاية التملق ويطعن فى خصومه وقد حشرنا بينهم... وبعد هذا يحدّثنا عزيزنا الشناوى عن الأخلاق وعن الروح الشاعرة وعن الشعر الرصين ، ويخترع الخصومة اختراعاً !

انّ صفحات (أپولو) ياحضرة الزميل العزيز واسعةُ الصدر لنقدك ولنقد غيرك لنا ، حتى ولو شئتَ أن تبقى شاذاً كعادتك ، ولكن احصر نقدك فى صميم الادب حتى نستفيد جميعاً منه اذا كان فى نقدك أىُّ مجالٍ للاستفادة منه ، ولك أن تقتدى بالشاعر الفاضل حسن الحطيم الذى بعث الينا بنقده الصريح اللاذع دون أن يمنعه ذلك من مؤازرتنا باخلاص وغيرةٍ لا نجازعدد الذكرى للمرحوم حافظ ابراهيم مؤازرةَ نحفظها له حفظ الجميل .

وأما هذه الألاعيب وحرق البخور حول العقاد فليس من الكرامة فى شىء ، لا للأدب العصرى ولا لأصحابنا الممثلين فى رعايته ، وليس ممايضيرنا مطلقاً تجنّى العقاد ولاغير العقاد من الفرديين ، فلن تنهض هذه الاساليبُ المفضوحة دليلاً على متانة أدبهم ، ولن يصغر من أدبنا الاعترافُ بحسنات غيرنا ولو كان زميلنا العقاد ... ونحن نكتفى الآن بهذا القدر من المؤاخذة والعتاب ، ونتمنى أن نرى بدل هذا الصغّار تبادلَ التعاون والاحترام كما يجب أن يكون حالُ الادباء فى كل أمة حية .



أرفيوس ويوريديس

ORPHEUS & EUBYDICE

(كان أرفيوس بن الملك إيجرس — ملك تراقيا — ذا مواهب خارقة في عزفه الموسيقيّ كأنّ في لَوْرِهِ صوتَ الأُلوهة ، ولا غرو فقد كان ذلك اللَّوْرُ منحةً من أبولو — إلـه الفنون والشعر خاصةً — فاستطاع بقوته الخارقة أن يجتذب معشوقته يوريديس الفاتنة من معتصمها الجبلي . ولكنه كـكل فنّانٍ أصيل لم يكن راضياً عن نجاحه الفني وتطلع الى أقصى غايات الـكمال ، فـكان يلجأ إلى الغاب يستوحي الطبيعة كلّ جديد جميل معتمداً على سمع زوجتـه يوريديس وعلى ذوقهـا الفنّي في نقده ، وكانت هي ترى الخطر عليها في غيابه ،ولـكنها لم تشأ تثبيط همته حتى يبلغ مشتهاه الفنّي البعيد ، الى أن أحست أخيراً بالخطر الداهم من شغف الأمير أرستييوس بها فهربت إلى الغاب ، وما أحسّ هذا هروبها حتى أخذ يطاردها ، ولـكن أفعى عضتها في قدمها أثناء جريها فوقعت ميتة . ورآها أرستييورس على هذه الحالة فعاد يعض أصابع الندم . . . ثم وُفِّقَ أرفيوس الى لحن رائع فعاد فرحاً ليعزفه أمام زوجته ، فاذا به يجدها شبه نائمـة في طريقه ، فحاول ايقاظها بلحنه الجديد الساحر ولـكنها لم تستيقظ ، وحينئذ أدرك أنها ميتة ، فهوى يقبل جسمها القدسيّ في جنون من الحزن . . . . ثم شعر أنه لا ملاذ له سوى الالتجاء الى بلوتو وبرسفون ، مليـكي مملـكة الموت ، ليردّا اليه حبيبته . فذهب في جنونه وكلٌّ عدّته لوره وألحانه الساحرة التي تأثر منها الصخر فتفتح لهـا ، كما تأثر منها سربروس حارس مملـكة الموت فلم يعترض سلوكه الى داخلها ، وتأثر منها بلوتو وبرسفون ـ ولـكلّ منهما صلات سابقة بالأرض وغرامها ـ واستمعا إلى سؤله ، وهو الرجوع بمحبوبته يوريديس إلى حياته الأرضية ، فأجاباه بشرط أن لا يحدّثها ولا يلتفت اليها حتى يجتاز ظلال مملـكة الموت .

ولكنه فى شغفه نسى هذه النصيحة،فكانت العقبى استحالة محبوبته يوروديس الى خيال أسيف عاتب النظرات وما لبث أن افتقدها ... وعاد يحاول مرة أخرى أن ينالها ، ولكن على غير جدوى ، نخسرها الى الأبد ، وعاش ليذيبَ فى الألحانِ نجوى روحه الحزين)

***

عَرَفَ الحياةَ صَبَابَةً ونَشيدًا فمضى يَبثُّ جمالَها تغريدًا
واستصحبَ اللَّوْرَا (١) كأنَّ خُيوطَها تَسْتَنطِقُ الدنيا هوًى ونشيدًا
لِمَ لا وقد أهدَى (أبولو) وَحْيَها ؟ لِمَ لا وقد جعلَ الفُتُونَ فريدًا ؟
سحرَ الأنامَ بعزفِهِ ، ولطالما بالعَزْفِ قد جعلَ الأنامَ عبيدًا
وأبى الغُرورَ بفَنِّهِ وفُتُونِهِ مُتْمَوْحِيًا فنًّا أجلَّ بعيدًا
فمضَى الى الغاباتِ يخطفُ وحيَها نُوراً وظلاً شائقًا ممدودًا
ويَصوغُه لُغةَ الحنانِ عجيبةً فينالُ مِنْ إعجازِهِ التوحيدًا
وتُطيعُه المُهَجُ العصيَّةُ بعد ما كانت تعافُ الطوعَ والتقييدَا

***

ما (أرفيوسُ) سوى الألوهةِ فى لُمًى لِلَّحنِ ، واللحنُ الوجودُ الباقى
تمضى النجومُ به على دورانها وكأنَّ منه طبيعةَ الخلَّاقِ !
يأبى القناعة ، فالقناعةُ مَيتةٌ للفنِّ ، بل يَعتزُّ بالإغراقِ
كلُّ الوجودِ مُوَقَّعٌ بجمالِهِ حتى الهواءُ وخافقُ الأوراقِ
ما فى الحياة اذا وعيتَ كبيرةٌ وصغيرةٌ الا بلحنٍ راقِ
اللَّحْنُ أبدَعها وسوف يُميتها كتجدُّدِ الأحلامِ والأشواقِ
مَنْ فاتَه استيعابُها أو فهمُها بشعورِهِ المتوثِّب الدفَّاقِ
فهو البعيدُ عن الحياةِ وسِرِّها وهو الجديرُ لذاكَ بالاشفاقِ !

***

(١) اللورا : Lyre معربة من اليونانية .

نالَ العزيزةَ (يُورديسَ) بفنّهِ قَبْلاً وكانتْ فى مَلاذِ جبالِ
أصغتْ الى اللحنِ الشّهىّ فصادَها والفنُّ لا يَرْعى إباءَ جَمالِ
جاءتْ من الجَبَلِ الأشمّ مُطيعةً وهى المِثالُ بحسنها المتعالى
لكنّه لم يَرْضَ حَتّى نَصْرَهُ ولو انّه قد عُدَّ شبهَ مُحالِ
واشتاقَ أبْعَدَ مِنْ تَخَيُّلِ فنّهِ ورأى خيالاً فوقَ كلِّ خيالِ
سحرتْه أحلامُ العباقرةِ الأُلَى خلقوا مثالاً بزَّ كلَّ مثالِ
نَشدَ التناهى فى الجمالِ بفنّه وأحسَّ نقصاً عند كلِّ كمالِ
ومَضَى يجوب الغابَ يستوحى بهِ آىَ الفنونِ بروحهِ الجوّالِ

* * *

لم يَدْرِ حين مَضَى مَخَاطِرَ حظِّهِ وغدَتْ تُحاذِرُ (يورديسُ) هُمُومَهُ
لم تَرْضَ الاَّ أن يُحقّقَ حُلْمَهُ فى الغابِ حيث رأى النشيدَ نعيمَهُ
رشفَ النَّدَى والضوءَ والظلَّ الذى يحنو عليه كأنَّ منه نسيمَهُ
وأحالَ ما بهواه لحناً معجزاً والليلُ مُصْغٍ لا يفكّ نجومَهُ
لكنْ (أرستيبيُوسُ) لم يرحمْ هوًى لهما ، وكم فقدَ الغرامُ رحيمَهُ
ورأته يُزْمِعُ خطْفَها عمداً كما خطفَ الجريحُ المستثارُ غريمَهُ
ريعتْ فلم ترَ مَلْجأً لنجاتها الاَّ الهُرُوبَ وما رأتْ تَسْليمَهُ
ومضى يتابعها فأنقذها الرَّدَى والموتُ يُنقذ خِلَّه وخَصِيمَهُ !

* * *

سقطَتْ بعضّةِ أفعوانٍ خاتلٍ فى حين تهربُ مِنْ مُحِبٍّ خاتلِ
وأتى (أرستيبيُوسُ) يحسبُها هوتْ اثرَ العناءِ فذاقَ همَّ القاتلِ
ومَضَى بلوعتهِ يَعَضُّ بنانَهُ وَيِئنُّ فى ألمِ المحبِّ الغافلِ
وكأنّما قد حادَ عودَ مقاتلٍ ليرى الحياةَ بروحِ ألفِ مُقاتلِ
مهما يكفّرْ عن ذُنُوبِ عُقُوقِهِ مَنْ ذا يردّ سَنا الجمالِ الزائلِ ؟

ماتتْ فأيتمتْ النشيدَ فرُوحُها كانت مَلاذَ مُلحِّنٍ متفائلِ
كانت حبيبةَ (أرفيوسَ) وسِمِعَهُ لنشيدِهِ المتطلّعِ المتسائلِ
واللَّحنُ إنْ لم يَلقَ سَمْعًا واعيًا لِغِنَاهُ ضاعَ وماتَ ميتةَ عاطلِ!

***

سَخَتْ الطبيعةُ والسَّخاءُ بذاتِها لكنّنا قد لا نرى كلماتِها
فاذا تَفَنَّنُ (أرفيوس) مِثَالُها إذْ ضمّنَ اللحنَ الجديدَ صِفاتِها
بَلَغَ الكمالَ به وعاد كأنّه غازٍ تُحدّثُ نارهُ عن ذاتِها
وكأنّهُ إكسيرَ الحياةِ بلحنهِ وضياعُ هذا اللحنِ أصلُ مَماتِها
فاذا بجنّةِ (يُورديسَ) أمامَهُ في الغابِ شبه غريقةٍ بُسباتِها
فأطلّ من فَرَحٍ عليها عازفًا نغماتِهِ بل عازفًا نغماتِها
لكنها لم تُسْتَثَرْ بنشيدِهِ وهو الذى أعطاه سحرَ حياتِها
فرأى المماتَ مُرَوِّعًا مُتَكبّرًا فهوى يودّعُ روحَه برُفاتِها

***

غلبتْ مَشاعِرَ (أرفيوسَ) شُجونُهُ ورأى الحياةَ تُضِلُّه وتَخونُهُ
فاختارَ مملكةَ الرَّدى لتصونَه ما دامَ مُلكُ العيش ليس يصونُهُ
لِمَ لا وفيها (يورديسُ) مقيمةٌ رهنَ المماتِ كما أقامَ يقينُهُ؟
فمضى وكلُّ قواهُ حيلةُ عَزْفِهِ ولعلَّ ما أذكى قُواه جُنونُهُ
فانشقَّ صخرٌ من فتونِ نشيدِهِ ولكلِّ صخرٍ روحُه وفتونُهُ
وتدفّقَ النغمُ الحنونُ الى مدًى فأثار رحمةَ (برسفون) فنونُهُ
واذا (سِربِرُوسُ) الرَّقيبُ مخدَّرٌ واذا (بلوتو) قد عَداهُ[1] سكونُهُ
وأهابَ يَنْشُدُ (يُورديسَ) لعيشهِ والفنُّ كافلُ سؤلِهِ وضمينُهُ

(١) عداه: فاته

***

جارَى (بلوتو) (بوسفونَ) بمَنحِهِ أمنيّةَ هى كلُّ غايةِ رُوحِهِ
أمنيــةٌ هى بنتُ حُبٍّ رائعٍ ولطالما عَرَفا الغرامَ بجُرْحِهِ
لكنّما اشترطا الصُّموتَ بعودهِ حتى يعودَ من الظلام لصُبْحِهِ
فمضى يُحاذِرُ مِنْ حَديثِ فؤادهِ وفؤادُهُ يأبى موانعَ نُصْحِهِ
فأعاد نظرةَ والهٍ متهالِكٍ متحدِّثٍ بغرامهِ وبلَفْحِهِ
فأضاع منحةَ (يورديس) لعيشهِ وغدا خيالاً ما أُنِيلَ بفتحهِ
نظرتْ اليه بكل ما يعنى الهوى من عَتْبِهِ أو لومهِ أو قدحهِ
واحتال ثانيةً بلا جدوى له فأذاب فى الأَلحانِ نَجْوَى رُوحه !

أحمد زكى أبو شادى



مجلس أبولو

بسبب تَغَيُّب كثيرين من الأعضاء عن العاصمة قد أُجِّلَ عقد مجلس (جمعية أبولو) الى يوم الجمعة ٢٢ سبتمبر الجارى عند منتصف الساعة الخامسة بمركز الجمعية بالقاهرة وذلك لإجراء الانتخابات السنوية وللنظر فيما لدى المجلس من الأعمال وفى مقدمتها الدعوة الموجَّهة من (جمعية موسم الشعر) الى (جمعية أبولو) للاشتراك فى موسم الشعر . وهذا الاعلان بمثابة دعوة عامة الى حضرات الأعضاء .



نفرتيتى الجديدة

(بهذا العنوان وجّه الدكتور أبوشادى أبياتاً إلى صديقته الممثلة الفنانة الآنسة أمينة رزق ، ولكن آنستنا المبدعة حفزت شاعرنا الموهوب الدكتور ناجى إلى قصيدة طويلة بليغة الدلالة فآثرنا الاكتفاء بنشر نفحات ناجى — المحرر)

لِمَنْ هاتهِ الفتنةُ النادرهْ ؟ وما هاته الأعينُ الساحرهْ ؟
وما ذلك المرَحُ القدسىّ ؟ وما هاته الضحكة الطاهرهْ ؟
تطوف مطافَ الجنانِ العميم وتسقط كالنعمة الوافرهْ
وتمتدُّ مثل امتداد العباب وترجع كالموجة الساخرهْ
وتنقش أصداءها فى القلوب وتبقى مدى العمر فى الذاكرهْ
فيا رِقّةً سُكِبتْ فى النفوس كما تُسكب الخمرةُ القاهرهْ
نسينا بك العالمَ الدنيوىّ واسمعْتِنا نَغَمَ الآخرهْ
ويا ربةً من نواحى الألمبِ أطلّت على مُهَجٍ شاعرهْ
حنينا الرؤوسَ لمجد الجمالِ ولُذْنا بعرشك يا آسرهْ
(أمينةُ) مثّلتِ هذى الحياة وصوّرتِ أدوارَها الزاخرهْ
وحمّلتِ روحَك أثقالها وروحُك كالريشة الطائرهْ
وكلّفتِ قلبك خوْضَ الجحيم وقلبك كالجنة الناضرهْ
دَفعت به فى اللظى كالخليل وعدتِ مباركة ظافرهْ
رجعتِ من النار يا قوّةً مطهّرةً حرّةً باهرهْ

(أمينةُ) إنْ كرَّمتك البلادُ ودانت لمعبودةٍ قادره
فوالله ما فهمتك العقولُ ولا قدرت قدرك «القاهره» !
فللشعر عينٌ يراك بها بغير عيون الورى الناظره
يرى لك حُسْنَ الشعاع الجميل أغار على الظلمة الغامره
فجلّل بالسحر هذى الدُّنى وصيَّرها جنَّةً زاهره
فنوَّر أكواخَها الباليات وهلَّلَ فى دورها العامره
رسولٌ يجوس خلال الديار وينزل كالرحمة الزائره
بعين قد اغرورقت بالدموع لها مقلةُ الغيمةِ الماطره
يطوف على الناس إنسانها ومهجته للورى غافره

ابراهيم ناجى



ملك !

لما بدأت المطربةُ المشهورةُ الآنسة ملك حياتها الفنية سنة ١٩٢١ كان أول من عنى بتقديمها الى الجمهور الشاعر الوجدانى المعروف سيد ابراهيم فكتب بخطه الجميل فى الاعلان عنها بيتين رشيقين من الشعر لم يُنشَرا من قبل وأتيح لنا حديثاً الاطلاع عليها فآثرنا اثباتها فى هذا العدد :

إن الغناءَ لَيُحيي أنفساً سئمتْ هذى الحياةَ، فبادرْ واطَّرحْ سأمَكْ
صوتُ البلابل إنْ أشجتكَ رقَّتُها فكيف تَصنعُ يوماً إن سمعتَ (مَلكْ)؟!

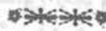




الى الآنسة أم كلثوم

قالوا : مرضتِ فقلتُ : مَنْ يشفينا   ويبثُّ ألحانَ السعادةِ فينا ؟!
لم يبق فى الدنيا سواكِ يردُّ عنـ   ـه الطرف مأخوذاً به مفتونا
أو يبق إلا من أحسَّ مكانك الخـ   ـالى الى أن تُعلنيه حنينا
لما اعتكفتِ تساءل السُّمَّارُ عنكِ (م) وسارع   الأنصارُ يستبقونا
يتضرعون اليه ليلَ نهارهم   أن يستجيبَ ضراعة الداعينا
ودَّ الجميع لو افتدوكِ وحُمِّلوا   أعباء دائك حقبة وسنينا
قد كان فى فمك الدواء لكل من   يشكو الصبابةَ حرقةً وأنينا
عُودى بينا يا شفاء قلوبنا   إنا لبرئكِ جدُّ منتظرينا !

حسن الحطيم



العيون الزرق

عينٌ مَنْ يهواكَ تشتاق الكَرَى   قلبُ مَن يهواكَ يشدو بالحنينْ
هل رأيتَ الدمعَ مِنْ عينى جرَى ؟   هل سمعتَ القلبَ موصولَ الانينْ ؟



ياشقيقَ الزهرِ والطيرِ ... اما   ساءلتْ نفسُك عنّى أخويْك ؟
أنا في رَوْضكَ اروِيه بما   فاضَ من دمعِي مدَى العمرِ عليك !



ازرعُ الآمالَ فى رَوْضِ هواكْ وارَوِّيها بدمعى ودَمِى
فإذا ما عُدْتُ ألفيْتُ نَواكْ فى ثنايا الروض يبنى مأتمى !؟

* * *

أيها الهاجر من غير سَبَبْ لو تُجافى ... أنا راضٍ بجفاكْ
العيونُ الزُّرْقُ والشَّعرُ الذَّهبْ الجآنى ... ياحبيبى ... لهواكْ !

صالح جودت



السلحفاة الصغيرة

رأيتُ سلحفاةً تسيرُ صغيرةً وأبصرتُ صندوقاً عليها من العظمِ
وقد سبحتْ فى الماء، ثم تسلقتْ صخوراً – بقرب الماء – هائلةَ الحجمِ

* * *

جرت خلفَ برغوث . وخلف بعوضةٍ وهمَّت بصيدِ الدودِ ، ثم جرَتْ خلفى
وقد أسرعتْ نحوى ، فلما رأيتها – وقد قربت منى – جريت من الخوفِ

* * *

لقد صادت البرغوثَ والدودَ بعْده وصادت بعوضاً كان أشهى غذائها
ولكنها لم تستطعْ أن تنالنى بسوءٍ ، وخابت بعد طول عنائها

(عن الانجليزية)

كامل كيلانى



ساكن الجنان المغفور له

الملك فيصل الاول



عاهل العرب

رثاء الملك العظيم فيصل الأول

هكذا هكذا شعوبٌ تُيَتَّمْ ! أيُّها الموتُ ساء غُنْمُكَ مغنمْ !
رُزِئْنا بالعظيمِ (فيصلٍ) لا يُحْصَرُ فى الخَطْب ، انما الرُّزْءُ أعظمْ
عَلَمٌ كان للعُروبةِ إيمانًا وذُخْرًا وعِزَّةً تتجسَّمْ
قد تَمَتْهُ الحروبُ والفتحُ والبأسُ كما قد نَماه مَجْدٌ تَقَدَّمْ
والصَّريحُ الصريحُ مِنْ دوحه الحُرَّةِ فى بيئةٍ بها الحُرُّ يَنْعَمْ
الزعيمُ الجرىءُ والفاتحُ الغازى أبو (غازٍ) المليكُ المكرَّمْ
بطلُ الثَّورةِ التى لم تَزل تُحكَى أعاجيبُها ويُرْوى بدَمْ
بَطَلُ السِّلمِ والمعاركِ ، سيَّانِ بتدبيرهِ الحصيفِ المُقَدَّمْ
جدَّدَ المُلْكَ مِنْ عُلَى آلِ عبّاسَ ، وكمْ عاهلٍ ومُلْكٍ تَهَدَّمْ
كم تَرَامَتْ عليه أحداثُ أعداءٍ شِدادٍ وحَزْمُهُ يَتَبَسَّمْ
وتَجَنَّى عليه أقسى عدُوٍّ فاذا الموتُ ــ بعد ما ماتَ ــ يُهْزَمْ
وإذا بابنهِ المُرَجَّى المُفَدَّى يحمل التاجَ فى إباءٍ تَجَهَّمْ
واذا عالَمُ العروبةِ وثّابٌ وَفِىٌّ ، وباسمهِ اليومَ أقسَمْ !

* * *

أيها الشعبُ ياسليلَ الأُلى سا دُوا ، وما زال مَجْدُهُمْ يُتَسَنَّمْ
نحن فى مصر نَسْمَعُ اللوعةَ الكُبْ رَى لبغدادَ والنُّواحَ المُنَغَّمْ
ذاك شِعْرُ الحياةِ مِنْ رُوحِكَ الحـــــىِّ وإنْ كان فى رثاءٍ ومَأْتمْ
نفخَ الرُّوحَ فى فؤادِكَ من قلـ بٍ كبيرٍ على رضاكَ تحطَّمْ
ماتَ فى قمةِ الجبالِ ، كما عا شَ مِثالاً من التَّسامى ومَعْلَمْ
كالشهيدِ الذي تَكفَّلَ بالرا يَةِ فى الغزْوِ فوقَ حِصْنٍ مُيَمَّمْ
يخطفُ النَّصْرَ بالدهاءِ ويمضِى طائراً جارحاً إذا النَّسْرُ هَوَّمْ
إنْ تَبكَّاهُ العِراقُ ، أو أجفل النَّهْـ رُ ، وسيفٌ بغمدِهِ يَتضرَّمْ
فالأنينُ الأنينُ أصداؤه شتَّى عميمٌ ، وقَلَّ خطبٌ يُعَمَّمْ
وقليلٌ مَنْ سادَ فى الناسِ للنا سِ ، ومَنْ عَلَّمَ الورى وتعلَّمْ
وقليلٌ مَنْ عاشَ فى الشعبِ للشَّعْـ بِ زعيماً بعِبئِهِ وتألَّمْ

* * *

ذاكَ شعرى مِنْ نارِ نفسى التى ثا رتْ وناءتْ فكدتُ لا أتكلَّمْ
هو نفسى ، تسيرُ فى موكب الغا زى وقد عادَ كالكمىِّ الملثَّمْ !

أحمد زكى أبوشادى





وجوه الطبيعة

أغيمٌ وجوهاً للطبيعةِ غضّةً وكلٌّ صبيحٌ مشرقٌ ووسيمُ
طيورٌ وأشجار وماء وخضرةٌ يداعبها عند الأصيل نسيم
وتُخجلنى فى الجدول العذب صورتى فأنّىَ وحدى بينهن دميم
ومن أين لى إظهار قلبي أمامها لتعلم أنى طاهر وكريم ؟
ولو كانت النفس الجميلة صورةً على الوجه ما شانَ النفوس جسومُ
ولانكشفتْ شتّى نفوسٍ تسترتْ بحسنٍ وفيها ساقطٌ ولئيم !

رمزى مفتاح



سخرية الدنيا

هذه قطعة من الشعر أجد فى نفسى ميلا أن أقدمها للقراء وأطلب اليهم أن يشاركونى بحثها بحريةٍ حسب اختلاف الآراء.

وصاحب هذه القطعة أحد شعراء الشباب ، ولكنه ساكن منزوٍ ، لا تكاد تحمله على نشر شيء من شعره ، إلا بمجهود عنيف ذلك انه يفهم انه يقول الشعر لنفسه ، فاذا قاله لم يعنه بعد ذلك أن ينشر ، بل لم يعنه أن يحتفظ بالمسودات ، فحسبه أنه قال ، وانه نفّس عن نفسه بما قال !

ولقد اخترت له فى كتابى « مهمة الشاعر فى الحياة » قطعة مطلعها :

اسرحى ايتها البهم على بسط منسوجة من سندسِ
اسرحى من مطلع الشمس الى أن يبيد الضوء جيش الغلسِ

« • »

لاعلا قلبُك من ذلّ الاسارْ طائف يمنعه أن يستقرا
لو تجلى لك ما خلف الستار لذت بالبيد من الانسان ذعرا
هو ذا القصّاب يختار الشفار ثم لا يلبث أن يهديك شعرا
يبلغ الأوداج يفرى المفصلا فاذا العمر كرجع النفَس
واذا ما حشرج الروح فلا من فداء بالعزيز الأنفس

وهذا الشاعر يميل بصفة خاصة الى التصوير الرمزى فى شعره ، وفى القطعة التى أحمله على نشرها اليوم نموذج من هذا التصوير .

سيد قطب

« • »

مَلّت الدنيا أساليب الفتون ساعةً فامتهدت صدر السكون
ثم أحصَتْ ما جنته فى قرون فتلت ما خط فى صُحْف السنين

الصفحة الأولى

كانت الغادة عذراء شرود درجتْ فى حجر شيطانٍ مريد
لا تبالى بنظام وقيود تطلب المتعة من حيث تكون

« • »

وأوت يوما إلى روض جميلْ فيه نبع السحر بالسحر يسيل
فيه ظل الحب ممتدٌ ظليل جاده الصفو بفياض هتون

« • »

كانت الغادة ظمأى للغرام طلبت فى النبع ما يروى الأوام
فتعرت عن ازار ولثام ثم غاصت فيه حتى ما تبين

« • »

وعلى الينبوع إبليس استوى حاك أشراكا وسماها الهوى
ورماها ليرى ماذا حوى وطواها ، قال : أنعم بالقطين

« • »

أنت لى . قالت : فما أمهرتنى ؟ قال جهد الناس . قالت : نلتنى
وبحسبي منك ما أملتنى ودنت منه دنوّ الأقربينْ

« • »

ثم ألقى فى أمانىّ الفتاه انها تأوى إلى حضن إله
قاهرٍ يسراه تسطو بالجباه ويقود الكون قسرا باليمين !

« • »

أوليست زوجة الربّ العنيد أى سلطان لها بين العبيد
ودّت العادة لو تعطى الخلود لترى كرسيَّها فى المنظرين

« • »

ودعاها بعلها ان شئت خلدا فاجعلى لهوك بين الناس جدا
إفتنيهم . ولدى الفتنة حقدا ثم كونى فيهم الطرف الحرون

« • »

ادنِ منهم فاذا داناكِ دان   فابطشى بطشة جبارٍ مهان
ثم فرى فرّ مذعور جبان   ودعيهم فى ضلالٍ يعمهون

« • »

وتعالى نخذى عنى مثالا   سوف أذكى بينهم فيك القتالا
لن ينالوا منك ما جدوا منالا   انهم يفنون فى ماء وطين

« • »

الصفحة الثانية

اتبعينى نحو آجام السباع   فهم الآن ظماء وجياع
وتبدى لهم فى زى راع   ضل عنه نهج السلم الأمين

« • »

أظهرى ضعفك حتى يثبوا   اسحرى منهم إلى أن يغضبوا
واذا ما استعروا والتهبوا   فأسلبي لينهمُ أقوى عرين

« • »

فاذا ما دبّ فى الأُسد الشقاق   ورأيت الدم فى الأرض يراق
واجتماع القول للذبح يساق   فاختفى . ثم ارقبي ما يصنعون

« • »

الصفحة الثالثة

واستحيلى جنة ذات ثمار   نشأت بين صحارى وقفار
يطلب الرحمة فيها من يحار   وإليها يلجأ المنقطعون

« • »

هو ذا قفل يجدون المسير   أرصد الوحش عليهم والهجير
فاخدعيهم منك بالعذب النمير   وضعى سمّك فيما يُطعَمون

« • »

فاذا ذاقوا حلاوات الثمر فأحيلى الروض شطرا من سقر
وابعثى الصرصر تعصف بالشجر وانشرى الريبة فيهم والظنون

« • »

فاذا ألقيت فى الناس الفساد فأثيرى بينهم ريح العناد
سوف يمضون بأسياف حداد كلهم يطلب قتل الآخرين

« • »

الصفحة الرابعة

ثم جاءت رسل الرحمة تترى أيها الانسان قد حملت وقرا
إنما تجنى بقتل النفس وزرا ضعفت عنه سهول وحزون

« • »

فاستقرت فى رُبى من عسجد حائر الطرف إليها يهتدى
فى ذراها قام أعلى معبد وعلى الأبواب قام المتقون

« • »

عبدوا الله لما قد فطروا نظروا فى خلقه فاعتبروا
وبدت آياته فادّكروا عرفوا الحق فخرّوا ساجدين

« • »

الصفحة الخامسة

أحكمت غادتنا نسج الشرك وتبدت ترتدى ثوب ملك
طاهر الأردان قد جرّ النسك وبدت فيه سمات العابدين

« • »

دلفت تمشى إلى شيخ كبير قعدُ المحراب صبار شكور
يستوى الحزن لديه والسرور غير أمر فيه اخلال بدين

« • »

ذاق ما احلو لى من الدهر ومرّا رضى الحالين اعساراً ويسرا
طلبت غادتنا فى الشيخ ثغرا لتثير الحرب بين الآمنين

« • »

قالت الدنيا : تواتيك السعادة أى قصد تبتغى غير العبادة
كل ما قدمت من دون الشهادة فى سبيل الله ، خسران مبين

« • »

تحت سفح التل واد مُغْيِلُ سكنته أمةٌ لا تعقل
عبدوا الأحجار مما جهلوا وعلى الأصنام ظلوا عاكفين

« • »

أنعم الله عليهم بالحياه فنسوا الله بأنعام وشاه
جحدوه ثم دانوا لسواه فاستحقوا منه أجر الخاسرين

« • »

قم فردّ القوم للدين القويم فلمن آمن جنات النعيم
ولمن كذب نار وجحيم قد أُعِدَّا للعصاة المذنبين

« • »

جاهد الكفار ، لا تأخذْك رهبه انما عبد مضى ينصر ربه
كل ما يلقاه عند الله قربه وله منه جزاء المحسنين

« • »

الصفحة السادسة

ثم فرت مثل حلم أو خيال تسبق الطرف إلى وادى الضلال
وبدت فى زى ربات الجمال تبتغى الزوج وتختار القرين !

« • »

أرسلت صوتا حزين النبرات أودعت فيه ضروب النغمات

من لنضوا لهم ، بادى الحسرات فقـد الأهل وجافاه المعين

« • »

انما ألجأ فيـكم لهام ينتضى فى نصرة الضعف الحسام
ويرد الشمس من كف الظلام ويذود الحزن عن قلب الحزين

« • »

ثم أبدتْ صفحةً منها وجيدا تركا القوم ركوعا وسجودا
فاذا سادتهم أضحـوا عبيـدا كلما نادت أتوها طائعـين

« • »

قال غِرٌّ منهمُ بادى الغرور جهل العقبَي ولم يدر المصير
نبئينى إننى نعـم النصـير ما جزائى يوم أردى المعتدين ؟

« • »

قالت الغادة هـذا التـل ملـكى شردونِ عنه أن أصبحت أبـكى
ذل أرباب لهم دينى ونسـكى وأرادونى لدين المؤمنـين

« • »

انهم يدعون ربًّا لايرى ليس جسما بل لطيفا قاهرا
شق وديانًا وعلًّ فى الذرىَ قدّر الرزق لبادٍ وجنـين

« • »

وهم الآن على أن يدخلوا أرضـكم : فلتؤمنوا أو يقتلوا
ولقـد أنذرتـكم أن يحمـلوا فـيردوكم أسارى مثخنـين

« • »

ودعا الداعى فأدَّى فرضـه صمد الآخر يحمى أرضـه
والتقى الانسان يفنى بعضـه باسم ذى الطول إله العالمـين

(يتبع) محمود عبد الرحمن قراعة

فى ظل وادى الموت

« نحن نمشي ... وحولنا هاته الأكوان »

« نمشي .. لكن لأيَّةِ غايَهْ ؟ ... »

« نحن نشدو مع العصافيرِ للشمسِ »

« وهذا الرَّبيعُ يَنْفخُ نايَهْ »

« نحن نَتْلُو روايةَ الكونِ للموتِ »

« ولكنْ .. ماذا ختامُ الروايَهْ ؟ »

هكذا قلتُ للرِّياحِ ، فقالت :

« سلْ ضميرَ الوجود : كيف البدايَهْ ؟ »

« • »

وتَغشَّى الضبابُ نفسى ... فصاحتْ :

فى مَلالٍ حرٍّ : « الى أين أمشى ؟ »

قلتُ : « سيرى مع الحياةِ » فقالتْ :

« ما جَنينا ، تُرى مِنْ السَّيْرِ أمسِ ؟ »

فتهافتُّ — كالهشيم — على الأرضِ

وناديتُ : « أينَ ياقلبُ رفشى ؟ »

« هاتِهِ ، عَلَّنِي أخُطُّ ضريحى »

« فى سكونِ الدُّجى ، وأدفنُ نفسى .. »

« هاتِهِ ، فالظلامُ حوْلى كثيفٌ ... »

« وضبابُ الأسى مُنيخٌ علَيَّا ... »

« وكؤوسُ الغرامِ أترعها الفجرُ ... »

« ولكنْ تحطمت فى يَدَيَّا .... »

« والشبابُ الغريرُ ولى إلى الماضى ... »

« وخلِّى النَّحيبَ فى شفتيَّا .... »
« هاته ، يافؤادُ ، إنّا غريبان »
« نصُوغُ الحيـاةَ فنّاً شجيّــا »
« قدْ رَفعْنـا مـعَ الحيـاةِ طويلا . . . »
« وشدَوْنا مـع الشَّبابِ سنينـا . . . »
« وعـدَوْنا مع اللَّيالى ، حُفَاةً . . . »
« فى شِعَابِ الزَّمانِ . . . حتَّى دَمِينـا . . »
« وأَكلْنَـا الترابَ . . ، حتى مَللْنا . . . »
« وشَرِبْنا الدُّموعَ . . ، حتّى روينَـا . . »
« ونثرْنا الأَحْلامَ ، والحُبَّ ، والآلامَ ، »
« والحُزْنَ ، يَسْرةً ويمينَـا . . . »

* * *

« ثمَّ ماذا . . ؟ هذا أنا : صرتُ فى الدُّنْـيا »
« بعيداً عن لهوها ، وغِناها . . . »
« فى ظلامِ الفناءِ ، أدْفنُ أيَّامى . . . »
« ولا أسْتَـطيعُ حتّى بُكَاها . . . »

« وزُهورُ الحيـاةِ تهوى بصَمت »
« مُحْزنٍ ، مُضْجرٍ ، على قـدَميَّا . . . »
« جَفَّ سِحْرُ الحياة . . ، يا قلْبيَ الباكى »
« فَهَيَّا نُجرِّب الموتَ . . ، هيَّا . . . ! »

توزر الجريد (تونس) — ابو القاسم الشابي

الروح الذائب

صدح الغيبُ قديماً بالذى أوحى الآله
فأذاعت جنبات الكون أسجاعَ الحياه
ثم ضاع الصوت فى أعماق ماضينا وتاه
وأذا الكون سكون فى ضحاه ومساه
وأذا الخلقُ حيارى تائهاتٍ فى دجاه
قد تناجوا : كيف جئنا ؟ مَن دعانا ؟ ماعساه ؟!
يارسول الغيب ذابت روحنا فى كأس (آه) !
وضللنا .. أين جرس الحق يدوى أو صداه ؟

المهدى مصطفى





نار موسى وجنة فرعون

مجموعتان من شعر عبد اللطيف النشار — ١٢٨ صفحة بمقياس
١٤ × ١٩½ سم . طُبع بالمطبعة المصرية باسكندرية
الثمن خمسون مليماً

عبد اللطيف النشّار — شاعرٌ وابنُ شاعر . قرأنا له طُرَفاً من شعره الجيد فى مناسبات شتّى فأعجبنا به ، والآن يسرّنا أن يُعهد الينا بنقد هاتين المجموعتين من شعره وقد ظهرا فى مجلد واحد جامع لنيف ومائة قصيدة ومقطوعة . وقد صدرت



يوسف احمد طيرة

« جنة فرعون » من قبل فى طبعة مستقلة ، فأُعيدَ طبعها الآن مع « نار موسى » ، فأحسن الشاعر بذلك . وصُدِّر لهذا الديوان (كما يجوز لنا أن نسمّيه) بمقدمتين للشقيقين خليل شيبوب وصديق شيبوب ، وكلاهما من أعلام الأدب العصرى . أما مقدمة خليل شيبوب فتتناول مبلغ فهمنا الحاضر للشعر وما نعانيه من المصاعب للنهوض به إذ يقول : « لقد صرنا نفهم الشعر وفنونه أحسن مما فهمه سلفنا فى القرون الأخيرة ، وما دمنا قد توسّعنا فى فهمه فانّ السير به الى الأمام سهل على من استقامت ملكتهم له وسلمت فطرتهم عليه ، على أننا لا نزال بعيدين عن تعريف الشعر وتبيُّن نزعاته فى النفس لأنه مزيج من حسّ وخيال وذوق وما اليها من شتّى العوامل ، ولا سبيل الى تحليلها لأنها شخصية محضة تختلف باختلاف الاقليم والنشأة والبيئة وتتفق باتفاق الانسانية والحياة . ولكننا أبناء اللسان العربى لا نزال نعانى من لساننا عقبة فى التعبير عن جميع ما نحسّه ونشعر به ، لأن القرون لم تصقل لنا الألفاظ التى تنطبق على كل أغراضنا فتجعلها أليفة مطواعة تهدينا اليها سلامة الذوق ولطافة الحسّ . لذلك جاء كثير من شعرنا الحديث — ولا أقول العصرى — طاغيةً عليه عوامل الابهام والنفور لنبوة الأداة اللغوية وجفوة اللفظ الذى يلائم ما فى نفوسنا . بل هناك — ولا جدل فى هذا — اصطفاق الثقافات الحديثة وما تجره من تباين الأذواق وتخالف الشعور ، ولا سبيل اليوم الى هذه الظاهرة لأنها فى ذمه المستقبل » . وينتقل بعد ذلك خليل شيبوب الى اطراء شاعرية النشار وامتداح

عنايته بالقصص الشرقية بدل الميثولوجية اليونانية والقصص اللاتينية ثم يثني على ديباجته الجزلة الفخمة . ويصح أن يقال بالاجمال إن خليل شيبوب لم يكن موفقا من هذه المقدمة الا فى مستهلها العام ، فلا يمكن لرجل مثقف — فى غير باب المجاملة العقيمة — أن يقول إن الشعر العربى ليس بحاجة الى أن يُطعَّم بالأدب الغربى (من الميثولوجيا والاساطير) أضعاف حاجته الى نظم القصص الشرقية الشائعة ، ولا يمكن لناقد مستقل أن يقول عن ديباجة النشار فى مجملها أنها من الجزل الفخم كما سنبين بعد . وأمَّا صديق شيبوب فقد اقتصرت مقدمته على « جنة فرعون » وهو بالاجمال أكثر توفيقاً من الشقيق خليل شيبوب لأنّ صديقاً أكثر تمرناً على النقد الأدبى ، ومقدمته لون آخر من التقريظ وإن يكن فى حدودٍ .

وعندى أنّ النشار من زمرة الشعراء المفكرين الذين قلما يبالون بالاساليب ، وهو ذاتى النزعة ، يميل الى التصوّف والقدسيات أحياناً بحنين من يسأم الحضارة ، ذو شخصية مستقلة غالباً ومقلد تارة ، وهو — على ما يلوح لى — معتدّ بنفسه كثيراً ، ونتيجة ذلك سموّ تعبيره أو سماحته وبساطته مرة واسفافه وتفككه مرات لقلة مبالاته . وهو عيبٌ أُخذ كذلك على العقاد فى هذه المجلة وغيرها . ولكن لشاعرنا فضيلة الاستقلال الذى هو قرين الشخصية ، وفى الواقع لا يمكننى أن أفهم بروز شاعر لا شخصية له .

فبينما تقرأ للنشار من شعره الفنى قصيدة « ملل » (ص ٣١) و قصيدة « فجر الامل » (ص ٥١) وقصيدة « الكتب » (ص ٥٦) وقصيدة « يوم من حياتى » (ص ٥٨) وقصيدة « قمح يوسف » (ص ٧٨) وقصيدة « هاروت » (ص ١٠٤) وقصيدة (نفوس العظماء) (ص ٩٠) وقصيدة « شروق الشمس بين المقابر » (ص ١٠٦) وقصيدة « الحسن المدّخر » (ص ١١٨) — بينما نقرأ مثل هذا الشعر الجميل للنشار — الجميل حقاً روحاً ومعنًى ولفظاً وان لم أقل ابتكاراً — تجد هذا الديوان زاخراً بشعر كثير مفكك لا نرى تفسيراً لوجوده الا اهمال النشار وعدم مبالاته بتجويد نظمه ، ونجد ما هو أمرّ من ذلك : نجد شعراً سوقياً أو مبتذلاً لا يليق أن ينسب الى النشار . مثال ذلك قصيدته « انقطاع الوحى » (ص ٤٣) فانها آية فى الضعف وقصيدة « الصين والدول » (ص ٥٣) وقصيدة « بعد سعد » (ص ٧٢) وقصيدة « ديوانى » (ص ٧٦) والتى ختمها بهذا البيت السوقى :

يا ناشرين وجلّكم همجٌ مَنْ ذا يقوم بطبع ديوانى ؟!

وأما قصيدته «الجرو» (ص ٧٧) فآية فى الركاكة ، ومثلها « الجمال والراديوم» (ص ٨٩) وربما كان لمزاولة النشار لأعمال الجرائد بعض التأثير فى أسلوبه . ولو كنتُ فى منزلة الناصح الأمين له لأشرتُ عليه بحذف مثل هـذا الشعر الذى لا نلمس فيه سوى الافتعال والبُعد عن الروح الفنّية القوية ، وما كان يضيره هـذا الحذف فله فى بقية شعره الرائع غنية كافية .

ومن شعر النشار كما ذكرت جانب من التصوّف ولكنه محدود بل شاذ، وحسبك من شاعر أن يجمع بين مدح البحر وذم الريف والتهكم على أهله ، فهذه روح ضيقة الجوانب. بقى أن أشير الى مسألة توارد الخواطر الكثير والمعانى المشتركة فى شعر النشار مع شعراء سابقين حتى يكاد يأتينا أحياناً بما يقرب من نفس ألفاظهم مثل قوله :

لا السيفُ للنصر لو تدرى ولا القلمُ كلاهما فى صراع الفكر منهزمُ

فأقول إن الشعراء المبتكرين قليلون بل فى حكم النادر، وان الشعراء المستوعبين هم أكثر من أولئك ؛ وأما الشعراء المقلّدون فهم الأغلبية الشائعة . والنشار كالعقاد من الشعراء المستوعبين، ولكنه حين ينظم يعبر عادة عن نفسه وهذه فضيلة منشودة، وقلما يكون مقلّدا . ولا أعيب شعره لا بتوارد الخواطر ولا بتداعيها لخسى منه الصدق فى التعبير ، وأحسب أنه لولا صلفُ العقاد وشغفُه بالتعظيم لما تصدّى له مثل الدكتور رمزى مفتاح لتتبع منابع خواطره الشعرية وتحليلها ، فقلما يسلم شاعر من مثل ذلك التداعى فى الخواطر الشعرية، وإلاّ ماكان الشاعرُ مرآة عصره متفاعلاً مع الآثار الأدبية لأقرانه .

وأودّ قبل الختام أن أشير الى قصيدة « أغنية » (ص ١٤) فقد قرأتُ هذه القصيدة فى أكثر من مجلة بامضاء الأديب زكريا محمد عبده المحرر بجريدة السياسة ، بينما النشّار ينسبها الآن الى نفسه، فأيهما الأحقّ بها ؟ وهل يجيز الفنّ أن ينتحل الصديق شعر صديقه ؟ هذه أعجوبة حقّاً ! وأعجوبة أخرى أن يذكر النشار « رثاء » (ص ٤٨) ومع هذه الحفاوة بالمرثىّ ـ كما يدل شعره على ذلك ـ لا يذكر للتاريخ اسمه !

ولأجعل مسك الختام لنقدى هذه الأبيات الشائعة للنشّار :

ربّما كان أعلم الناسِ بالكو نِ أناسٌ تظنّهم جهلاءَ
مَنْ قضَى العمْرَ بين شقّى كتابٍ يحسب الناسَ كلّهم أغبياءَ
وغبيٌّ مَنْ لا يرَى الرأيَ الاّ مستخيراً جُدودَه القدماءَ

يوسف احمد طبرة

احمد زكى ابوشادى

شعره فى ديوان الشعلة

محاضرة للشاعر المصرى الكبير أحمد محرم فى نادى «رابطة الأدب الجديد» بالقاهرة ، مع تصدير بقلم حسن كامل الصيرفى ، وتعقيبات بقلم محمد عبد الغفور وعبدالحميد سالم ، ٦٤ صفحة بحجم ١١½ سم × ١٥½ سم ، مطبعة حجازى بالقاهرة . الثمن عشرون مليماً .

كلّ من يعنيه دراسة شعر أبى شادى سيجد لذة وفائدة فى هذه المحاضرة القيمة وفيما ألحق بها من نقدٍ وملاحظات . ولا نرى أحسن فى الدلالة عليها من نشر التصدير الذى دبّجته براعة الشاعر الصيرفى ، قال :

(نشطت « رابطةُ الأدب الجديد » بالقاهرة هذا العام نشاطاً تُغبط عليه ، فوجّهت اليها أنظارَ الأدباء والمتأدبين وارتاحوا إلى هذه الحركة المباركة والعناية الجليلة التى وجهتها نحو دراسة المؤلفات القيمة الحديثة لمشاهير شعرائنا وكتابنا : فدُرس على منبرها « ثورة الأدب للدكتور هيكل » ، و « الفكر والعالم لابراهيم المصرى » ، و « الشعلة لأبى شادى » ، و « أنفاس محترقة لمحمود أبى الوفا » ، و « أهل الكهف لتوفيق الحكيم » ، و « وحى الأربعين للعقاد » وغير ذلك من الآثار الأدبية الممتازة التى تخرجها مطابعنا الآن . وقد عهدت « الرابطةُ » فى هذه الدراسات الى أدباء وشعراء مشهورين كبشر فارس وابراهيم ناجى وأحمد محرم وأحمد الشايب وابراهيم عبدالقادر المازنى وسيد قطب وأمثالهم .

وكانت محاضرة الشاعر الكبير الأستاذ أحمد محرم عن ديوان « الشعلة » أحدث دواوين الشاعر الوجدانى المتفنن الدكتور أبى شادى احدى المحاضرات التى ألقيت فى نادى « الرابطة » .

ورأت لجنة تحرير مجلة « أپولو » أن هذه المحاضرة لا يتسع المجال لها فى المجلة وإن تكن متخصصةً لخدمة الشعر ، وليس من المناسب تجزئتها على أعداد فرأت إصدارها على حدة تقديراً لفضل المحاضر . وقمتُ بتصديرها بكلمة وجيزة عن الاستاذ أحمد محرم الذى نلمح فى نقده الروحَ الصافى ، وكان مضرب المثل فى ضبط

النفس وتوخى الانصاف واستقصاء الحسنات ، والتنبيه فى لباقة وهدوء إلى الأوهام والأخطاء ، وكانت نقداته للسيد توفيق البكرى ولمحمد حافظ ابراهيم ولغيرهما من أعلام الشعر العربى موضوع اهتمام الأدباء والمتأدبين وتقديرهم ، وكانت الى جانب ذلك القدوة العليا فى النقد وتنزهه عن الغايات.

وانى لأذكر أنه منذ أعوام كانت تقوم فى البيئات الأدبية مفاضلات بين شعر المرحوم شوقى بك وشعر الأستاذ محرم ، وفى الحق أن أنصار شاعرنا محرم كانوا على كثير من الحق حين أقاموا هذه الدعوى ، فان بين شوقى ومحرم علاقة قوية وتقاربا بيناً : فقد امتاز شعر شوقى بموسيقيته العذبة الموهوبة ، وهذه الميزة هى التى تجدها فى شعر محرم ، ولست مغالياً اذا قلت إنها لن تفارق لفظاً من ألفاظه ، فانى لأقرأ البيت من شعر محرم فأحسّ كأنّ صدى أنغام عذبة تطوف على خاطرى فى حلم جميل

وإلى جانب هذه الموسيقى التى يتساءل عنها فى قصيدته « وجودى » والتى يحسّ تأثيرها فى أنفس قرائه فيقول :

أمِنْ أدبى تبيت الطير تبكى ؟ فما أدبى ؟ أشدْوٌ أم رنينُ ؟

تتجلى تلك الديباجة العالية وتلك الجزالة السامية التى يقدرها فيه أدباؤنا . ولن أكون إلا محقاً حين أقول إنه كان يمتاز على المرحوم حافظ ابراهيم فى الرنين العذب الذى صحب شعره الناضج ولازمه ، إلا أن مرض الشرق الذى يظمىء الفنان الموهوب وإلا الالتفات الدائم الى صوت أو صوتين دون أن يلتفت إلى بقية الأوتار الجميلة التى تؤلف أنشودة الخلود حالا دون التقدير الكافى لشاعرية أحمد محرم ، ولولا هذا المرض ما سمعنا محرم يشكو حين يحسّ الحيرة فى وجوده فيقول :

ظمئتُ ، وفى فمى الأدبُ المصفى وضِعتُ ، وفى يدى الكنز الثمينُ

ظلمت أبى ونفسى ، إن مثلى لغالٍ فى النوابغ لا يهون

كريمٌ تدفع الأخلاق عنه ويمنع ركنه الأدب الحصين

أقول فيفزع الشعراء صوتى وما أنا فى بنى وطنى ظنين

لربى ما عملت ، وعند قومى ديونى ، حين تلتمس الديون

نعم عند قومك هذا الدين ، وسيوفَّى دينك ، وستظل كما تقول :

أشدّ على الفنون يدى ، وانى لفى زمن جهالته فنون !

وإنى لأرى أمامى مشهداً لم تضعف ريشة محرم فى رسمه ولم ينقصها لون حين صوّر الحائر، فقال:

وجودى ما عرفتك غير معنى تغلغل فى الخفاء، فما يبينُ
غريقٌ فى الظلام، ولا مغاصٌ ولا جسر يلاذ به أمين
أقيم عليه سورٌ من عبابٍ تضل على جوانبه السفين
أُطِلُّ، ويضرب التيار وجهى فأين أنا؟ أحرٌّ أم سجين؟

وأضل أنا أيضاً فى عالم الاعجاب حين أقرأ له من قصيدته (من هموى):

بين عينيَّ وما حولهما صحف منشورة للقارئين
يعطف السطر على السطر كما يعطف الباكى على الباكى الحزين!

هذه لمحة قصيرة عن محرم يثبتها هنا أحد المعجبين بأدبه، ممن يسمونهم ثائرين على الأدب القديم الذى يحرص عليه محرم كقائد عظيم. وانى لأعجب بقوله حين يقيد الأدب الحديث بأنه «زيادة فنية تعطى صوراً معنوية جديدة وتخرج مزاجاً أدبياً صالحاً»، الا أننى أسأله: لماذا لا يرى فى مذهب الشعر الجديد من عناصر القوة والخلود ما يراه القائمون به والعاملون لنشره كما يقول فى محاضرته؟ وأرى الأستاذ المحاضر لايشجع الأسلوب الرمزى الذي يُعدّ الدكتور أبو شادى مبرزاً فيه، وأراه فى حيرة من قول ابى شادى:

عُودى إلى ظل المساء فنلتقى روحين للدنيا بغير رقيبِ
نمشى على أرض من الأحلام لم تبسط لغير الحسنِ والتشبيب

وقوله أيضاً:

قد رشفنا مُنى الحياة بثغر وارتوينا من اللهيب المقدسْ

ويعجب من أن منى الحياة مما يُرشف، واللهيب المقدس مما ينقع الصدى ويطفىء الغليل... مع أن الأستاذ محرم اذا ترك نفسه على سجيتها ولم يلتفت ناحية المحافظين وجدناه من أصحاب الأسلوب الرمزى وسمعناه يقول: «تمل الألفاظ مرح المعانى»، وكم فى هذه الجملة من صور شعرية جديدة!

على أن الذى يملأ نفسى إعجاباً وطمأنينة برسالة الأدب الحديث ذلك التقدير الصادر عن نفس صافية وروحٍ سام من شاعرٍ يفخر به الأدب الكلاسيكى لشاعر مجدِّدٍ موهوبٍ مؤمنٍ بفكرته مخلص لرسالته.

واذا كان لجمعية « أبولو » أن تُعنى بتيسير اطلاع الأدباء على هذه المحاضرة تامة فانها فى الوقت عينه ليسرّها أن تذيع للناس نموذجاً من النقد الحق الخالص للفنّ ، المعبر عن نفس قائله أجمل تعبير)

* * *

وبعد ، فانّ لجنة تحرير هذه المجلة تتلقى الكثير من التقريظ والتحليل نثراً ونظماً لمؤلفات رئيس التحرير وغيره ، من أعلام أبولو فتكتفى عادة بشكر حضرات الأدباء المتفضّلين على روحهم الكريمة ، وذلك حرصاً على فراغ المجلة ، ورغبة فى توجيهه الى مبادئها العامة وحدها . وحينما يوجد بحث واف مستقلّ سواء كان فى صورة مقال أم فى صورة محاضرة فان اللجنة تنشره مستقلاً كما وقع لمحاضرة الاستاذ محرم التى تعدّ نفيسة فى بابها ؟

صالح جودت

ندوة الثقافة

منذ شهور عديدة وهذه الندوة سائرة فى طريق التنظيم والتقوية ، وهى تشمل برعايتها الهيئات الآتية :

(١) جمعية أبولو
(٢) جماعة الأدب المصرى
(٣) رابطة مملكة النحل
(٤) الاتحاد المصرى لتربية الدجاج
(٥) جمعية الصناعات الزراعية

كما تشرف على هيئات أخرى ، وهى ترحّب بالتعاون مع شتى الهيئات الثقافية المحترمة الراغبة فى ذلك وتعمل على إخراج طائفة من أرقى المجلات والمطبوعات الثقافية . ولمّا كانت لاتزال صبغتها أدبية اجتماعية ، ويُراد منها فى المستقبل أن تكون هيئة تعاونية مالية لضمان استمرار هذه المنشآت المفيدة ، فمن أهمّ الخطوات لتحقيق هذه الأمنية تخفيض نفقات الادارة الى أبعد حدّ ممكن ورفع ما تتكبده الآن من تضحية . ولا بدّ لتحقيق ذلك من مناشدة أصدقائها العديدين الاشتراك فى مجلاتها وحذف الهدايا التى توزّعها بغير استثناء ، وذلك من الآن فصاعداً ؟

المراقب العام لندوة الثقافة

تصويبات

نشرنا فى الجزء الخاص بذكرى حافظ من هذه المجلّة مقالاً تقديّاً بهذا العنوان للشاعر الكبير أحمد محرم وقع فيه بعض الشيء من الأخطاء المطبعية فرأينا من الواجب الاشارة اليها فى هذا العدد .

جاء فى الصفحة ١٢٦٧ (لحافظ يحكم لشوقى على نفسه وهو مجال المباراة)والأصل: وهو فى مجال المباراة .

وفى الصفحة ١٢٦٩ (ويقع على أمنيـة) والأصـل : ويقع على أمنيّته ، (أو صار الشعر) والأصل : وصار الشعر .

وفى الصفحة ١٢٧٢ (لاتظـنّن حافظاً يرسل هذا البيت وهو غافل عما ترى أنت فيه معنى التنزيه) والأصل : من معنى التنزيه .

وفى الصحيفة ١٢٧٤ (فانّا نرى نفسه الكريمة وروحه البارّة ممثلين) والأصل ممثّلتين ، (يقف على السّائل بين يديه) والأصل : يقف السّائل بين يديه ، وفى الصفحة ١٢٧٥

كم عالمٍ (قدّ) العلومَ حبائلاً   لوقيعـةٍ وقطيعةٍ وفراقِ

والأصل: مَدَّ العلوم ، وفى الصفحة ١٢٧٦

هذا هو الأثرُ الباقى فلا تقفوا   عند الكلام اذا حاولتمو (أدبا)

والأصل أربا .

وفى الصفحة ١٢٨١ (قال حافظ فى هذه القصيدة ـ ماذا ادّخرت لهذا العيد من أدب)

انى دعوت القوافى حين أشرق لى   عيدُ الأمير ، فلبّت غُرّةَ الطلبِ

غرة كل شيء أوّله ، يريد أن القوافى لبّته مسرعة ، وهو مأخوذ من قول ابن الرومى:

يا من تنافسُ فى أوصافه كَلِمى   تَنَافُسَ العرب الامجاد فى النّسبِ

وهو مأخوذ من قول أبى تمام :

تَغَايَرَ الشّعرُ فيه إذ سهرتُ له   حتى ظننت قوافيه ستقتتلُ

هذا ماورد فى الصفحة المشار اليها ، وقد سقط بيت ابن الرومى وجاء بيت حافظ (يامن تنافس) مكانه ، وهذا هو البيت الساقط:

نَوَّبتْ بى إلى عَلىٍّ مَعَالِيهِ فَلَبَّيْتُ اوَّلَ التَّثْويبِ

وفى الصفحة ١٢٨٢ :

واذا تأمّلتَ الكواكبَ خِلْتَهَا زَهْراً تَفَتَّحَ أو عُيوناً (حُوَّلا)

والأصل :(حُولا) من الحوَل ، وفى الصفحة ١٢٨٦ :ومن شعر البديع الهمذانى (عَلىَّ أن ألبس الظلماء والبلبا) والأصل :

عَلىَّ أن لا أُرِيحَ العيسَ والقَتَبا وَألبسَ البيدَ والظلماءَ وَالْيَلَبَا

وفى الصفحة ١٢٩٠ (عليك سلام لازيادة بيننا) والأصل :لازيارة ، وفى الصفحة ١٢٩١ : وقريب من هذا قول ابن المعتزّ :

خاشع فى يديهِ يلثم قرطا . ساً كما قبّل (البياطَ) شكورُ

والاصل :البساط .وفى الصفحة ١٢٩٢ قال حافظ فى الشيخ (محمد عبده) من قصيدة أخري .

ماأجزل اللهُ ذخرى قبل رؤيته ولا انتفعت بايمان وتوحيد

وقال ابن هانى فى المعزُ :

لولاك لم يكن التفكّرُ واعظاً والعقلُ رشداً ، والقياسُ دليلا

لولم تكن سببَ النّجاةِ لأهلها لم يُغنِ ايمانُ العبادِ فتيلا

والأصل : انّ صاحب المقال أورد قول حافظ فى الاستاذ الشيخ محمد عبده :

صَحِبتُ الهدى عشرين يوماً وليلةً فقَرَّ يقينى بعد ما كان يرجفُ

وَرَدَّ هذا المعنى الى قول ابن هانى (ماأجزل الله ذخرى ، البيت) ثم جاء بالبيتين الآخرين كشاهدٍ آخر على انتحال هذا المعنى .

وفى الصفحة ١٢٩٦ (قال بن هانى فى المعتمد على الله :

ملكٌ يَكفيك منه أنّه وَجدَ الدُّنيا ، فأعطى مَاوَجَدْ)

والاصل : البحترى .



الصواب	الخطأ	السطر	الصفحة	المجلد
اكتوبر	سبتمبر	٧	١٢٥٩	١
الأيسر	الأيمن	٤	١٣١٨	١
اليمنى	اليسرى	٦	١٣١٨	١
شمال	يمين	٦	١٣١٨	١

المجلد	الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢	٥	٢	الانجليرية	الانجليزية
٢	٩	١١	الصّنّاع	الصُّنّاع
٢	٢٥	١٣	الدهر	الزهر
٢	٣١	٥	يصنعون	يصطنعون
٢	٥٣	٢	EUBYDICE	EURYDICE
٢	٥٥	١٧	خاتِل	خاتِل
٢	٥٧	٥	وبلمحه	وبلفحه
٢	٥٨	٧	الجنان	الحنان



فهرس

صفحة

تصدير

الشعر الوجداني

شعر الحب

وحي الطبيعة



المجلد
الثانى

العدد
الثانى

أپولو

مجلة فنية لخدمة الشعر العربى

لسان حال جمعية ابولو

تصدر مرة فى كل شهر
وسنتها عشرة اشهر

أكتوبر سنة ١٩٣٣











صاحب الامتياز ورئيس التحرير { أحمد زكى أبوشادى





الادارة { بشارع الملك المعز رقم ٩ بضاحية المطرية بمصر

التليفون { ١١٩٦ زيتون و ٤٠٤٥٦







مطبعة التعاون



الشعر المرسل

لزميلتنا النابغة الآنسة سهير القلماوى شكر (أپولو) على دعايتها الموفّقة للشعر المرسل فى مجلة (الرسالة) الغراء التى نعدّها فى مقدمة المجلات التى نعتزّ بها لخدمة الأدب العربى ، فقد حاورت منتقديها أبرع حوار يعجبنامنه الايمان برأيها وصدق نظراتها ، وحسبنا أن نقتطف من ملاحظاتها السديدة هذه الفقرات : « . . . . وما رأيك فى أنى أرى فى الشعر المرسل أنواعاً جديدة من الموسيقى يعجز عنها بل قد يفسدها الشعر المقفى ؟ الوزن فى القصيدة ليس بالنغم الخافت الذى تسمعه الأذن ، فهو عندى وأظنّ عندنا جميعاً أقوى موسيقى فى الشعر ، ثم هناك موسيقى الألفاظ وموسيقى الحروف ، فهل من المحتوم وجود القافية المكررة المحركة بحركة معيّنة حتى نشعر بأن هناك موسيقى ؟ .... ليطمئن قرائى فسيفنى عمرى فى الدعوة الى الشعر المرسل ، فهل يتيسر لى أن أدعو الى هذا الشعر الحديث (تشير إلى الشعر الحرّ المنوّع الأوزان والقوافى free verse) لا الذى أستسيغه الآن ؟ ولكنى لا أعرف ، فقد أستسيغه غداً . وأخيراً أرى كما أسلفتُ أن المجال ليس مجال جدال وانما خيرُ ردٍّ على خصوم الشعر المرسل هو أن أكتب وأن يكتب غيرى من أنصار الشعر المرسل قصائد نستطيع أن نقنع بها الذوق العام الذى نحترمه جميعاً ، وأن نقنع بها أيضاً مَنْ يهمنا إقناعهم » .

كلّ هذا جميلٌ وحقٌّ ، وقد قام عبدالرحمن شكرى كما قمنا من قبل بنظم الشعر المرسل، وأخيراً بنظم الشعر الحرّ،دون مبالاةٍ بالذوق العام ،"وحسبنا صفوة الخاصة من المثقفين المتنوّرين فسوف يتبعهم الذوق العام فى النهاية وإنْ طال الانتظار . وعلينا نحن أن نكوّن تقاليد الشعر الحرّ وأن نبدع من نماذجها فى غير تكلف ، وبذلك نخدم الشعر العربى الخدمة الصحيحة التى ننشدها عن طريق الزيادة فى ثروته

لا قضاءً على الميسور منهـا كما يتوهَّم بعضُ النقاد . ومن العجيب أن جميع هؤلاء النقاد ينسون أنّ للمعانى فى ذاتها (وليس للحروف ولا للتراكيب فقط) موسيقى توحى بها فى نفوسِ القراء الذين يتأثرون بهذه المعـانى ، وكما أن للفنون المتنوعة ألواناً وألواناً من الـتراكيب والبيان فمن الخطأ الفاحش تقييد الشعراء ومحاولة وأد مواهبهم فى قيود وأوضاع وتقاليد لن تؤمن بها الروح الفنـية ، بل الخير كل الخير أن يتركوا أحراراً ليعـبّروا عن أنفسهم وعن تفاعلهم النفسانى ومظاهر هذا الـكون وأسراره المشْرِفة عليهم ، وبذلك نغنم من جمال الانسانيـة الأدبىّ الـكثيرَ من النماذج الشعرية كما تغنم المسكونة بتعداد سكانها الأحياء الصالحين المتنوعى الصفات والمواهب . وياخسارةَ الشعب الذى يريد أن يُملى على أهل الفنون تقاليدَ الصنعةِ الميّـتةِ واء أكانت فى الصُّورةِ والمظهر أم فى المعنى والجوهر !

نشيد قومى

يلوم بعضُ الأدباء الشعراءَ فى مصر لتقصيرهم — على ما يزعمون — فى وضع نشيد قومىٍّ ، وذهبَ أديبٌ غيـور الى حـدّ التنديد بجمعية أبولو وبجماعة موسم الشعر ، ولا ندرى ما ذنب الجمعيتين فى ذلك ونحن نرى الشعر الحديث زاخراً بالأناشيد القومية المتنوّعة . واذا نظرنا الى الأناشيد العامة الشائعة فهذه أربعـة أناشيد قومية لشوقى والهراوى والرافعى وأبوشادى ، وكلّـها مُلحَّـنةٌ ومردَّدَةٌ ، واذا كانت ألحانها غيرَ سائغةٍ فالذنب ليس ذنب الشعراء بل ذنب الملحّـنين، والأقرب الى الانصاف أن يُشـكى من الفقر فى الملحّـنين بدل أن يشكى من عجز الشعراء .
خذ مثلاً مستهلَّ « نشيد النيل » الذى يجرى على هذا النَّسَـقِ :

حىِّ باسمِ (النيلِ) آمالَ الزَّمانْ   حىِّ فيه المجـدَ موفورَ الضَّمَـانْ
حىِّ شعباً عُمْرُهُ كالحدثانْ   دائمُ التجديدِ ، حىِّ غـيرُ فانْ

يَصرعُ الأخطارَ آناً بعد آنْ
ويَفِى العلياءَ بِرّاً والجدُودْ

حىِّ هذا المُنْـقِـذَ الرَّاوى الامينْ   يَتهادَى بين آياتِ الحنينْ
جامعاً ما بين اخوانٍ ودِينْ   هو دينُ الحُبِّ والحقِّ المتينْ

يفتدى منهم بأرواحٍ تُصانْ

عن هوى الأهوى البانى الوجودْ!

فهو معبّر أوضح تعبير عن حنان المصرى الى محيي مصر، إلى النهر المقدّس الأمين، الى ماء الوطنية الجارى، ولا ينتهى النشيد بغير الحماسة الصارخة :

لكَ (وادى النيل) غاياتُ البقاءْ لكَ ذُخرٌ مِنْ بنيكَ الأوفياءْ

يَسْقُطُ الظُّلّامُ صَرْعى كالهباءْ كلمّا آذوكَ أعطوكَ الرجاءْ

فى حياةٍ لغدِ الدانى الأوانْ

يُعْرَفُ السَّيِّدُ فيه كالمسودْ!

وليس هذا النشيدُ بأحسنها، ولكنه يعبّر عن صورةٍ من الأمانى القومية كما تعبر غيره من الأناشيد عن صور أخرى، منها، وما ننشر هذه الأمثلة الا لتحمّلنا مسئولية نقدها . أفلا يكون من التعسّف إذن هذا الصياح التقليدى بضعف أناشيدنا والادعاء بتفوّق نظائرها فى الممالك والأقطار العربية الأخرى وعلى الأخصّ فى مملكة العراق ؟ فهذا هو « نشيد العراق القومى الملكى » الذى أقرته وزارة المعارف العراقية ووزعته على المدارس على ما روته الصحف :

التاجُ ظفرناهُ والعرشُ أقناهُ

والحكمُ لنا شورى قد أصبح دستورا

والعاهلُ نفديهِ يا أمةُ حيّيهِ

وليحى لنا ظلاً !

المُلْكُ بنا ينمو والحكمُ بنا يَسْمو

القوةُ بالوحدةِ والدولةُ بالعُدّةِ

والعاهل نفديه يا امةُ الخ .

فى الشام وبَغدادِ أجدادى وأمجادى

والواجبُ يدعونا أن نرعى فلسطينا

والعاهلُ نفديهِ يا أمةُ الخ .

يا رايةَ أَوطانى النَّصرُ لعدنانْ

إن جاءكِ متعدٍّ تالله انا الجندى
العاهلُ نفديهِ الخ .

فهل مِنْ مُنصفٍ يقول إنّ هذا النشيد ـ مع احترامنا الكلّى لما تضمّنه من اخواننا عواطف العراقيين القومية ومن حنينهم الى جامعة العروبة ـ أسمى عاطفةً وأحلى بياناً وأقوى تأثيراً وأبلغ شاعريةً من نظائره من الاناشيد المصرية ؟ لا نظن ذلك ، ولا نحسب اخواننا العراقيين الفضلاء يذهبون هذا المذهب ، فلماذا يجنح نقّادنا الافاضل الى انتقاص الشاعرية المصرية الى درجة المبالغة المرذولة ؟ ولماذا لانواجه الحقيقة فنُعْنَى بدل هذا التحامل بترقية الألحان المصرية التى لم تستفق حتى الساعة من صدمتها العنيفة بفقدان عبقرية سيد درويش ؟

دلال مصر على لبنان

شكت صحيفةُ « صوت الأحرار » اللبنانية مما أسمتْه « دلال مصر على لبنان » — وهو مقالٌ جديرٌ بامعانِ رجالِ السياسةِ فى معظمه — ويعنينا هنا منه شكواها أنّ مصر لم تحتف بشعراء لبنان ، وهذا غيرُ صحيحٍ فيما نعلم ، سواء من ناحية الحكومة أم من ناحية الأدباء . وهذه (جمعية أبولو) بالذات أرادت أن تحتفى بصفتها هيئةً بشعراء لبنان كما أرادت فى مناسبة أخرى الاحتفاء بالشاعر الانجليزي درنكووتر ، ولكن فى كلتا الحالتين كان ضيوفنا مرهقين بالولائم المتعددة من الخاصة بحيث عَدّوا من الرحمة أن يُعفوا من الحفلات والولائم ! ... وأمّا عن إهداء الأوسمة والرموز التقديرية فلسنا بطبيعة الحال مسؤولين عنها ، فهذه مسائل لها صبغتها الحكومية المحضة . ونحن اذا قدرنا شعراءَ لبنان فانما نقدرهم لشاعريتهم الممتازة التى نحبّها ونحترمها قبل أن نقدرهم لصلة الجوار أولمثل ذلك من الاعتبارات ، فتقدير الفنّان للفنّان لا يخضع الى غير الاعتبارات الفنية وحدها ، وهو المبدأ الذى ترعاه دائماً (جمعيةُ أبولو) ولن تكون لها قيمة من دونه





فى المعترك

أدبى لدى الأيام جرمى وجريرتى فى الدهر علمى !
أظما ولا أحظى بغيــــــرِ مَواردٍ فى الناس تُظمى
أصغى إلى زمنى ، وطيـ ـبُ كلامه حرقات كلم
غُودرت بين حقيقةٍ حيرانةٍ أمشى ووهمى
وبقيتُ ما بقيتْ يد بقيتْ بها آثار وشم
لا أهتدى الا إلى عُصُرٍ من التخريف قدم
أغدو على حرّ الجوى وأروح فى غيظى وكظمى
يهنى المجاهد غنمـه وغنيمتى فى الجهـد غرمى
أكذا المصائر كلها إمّا لغرمٍ أو لغنم ؟
أشكو الزمان وكل همى فى الزمان علاج عـدمى
فإذا عجمت العود يو ماً لان ثم لوى بعجمى
وإذا جزمت برفع حظى عاد خفضاً فيـه جزمى
كلّ النجوم لدى الأحا ظى طالعاتٌ غـير نجمى !
رضيت بضمّ الأكثرين لهـا وما رضيت بضمى
انى حرمت وما نصحت بغـير إجحاف وظـلم
وفهمت محسوباً علىّ متى حسبت الرزق فهمى
فاذا جرتْ قِسَمُ الورى رغمى رضيتُ إذاً برغمى
إن الليـالى بالغتْ فيما بصمّ بهـا ويعمى



الآنسة رباب الكاظمى

الراميات بسهمها والراميات بغير سهم
يرمى فيصمينى الزمانُ وإن رميت فلست أصمى
سفه الزمان فلست بعد اليوم ألقاه بحلمى
سأذيقه مما أذا ق بنى العلى من غير جرم!
ضحكت ثناياه لهم مضموسة بنقيع سم!

* * *

أنا مِن أناس كلهم بدر ولكن عند تمّ
كرموا ولما يلبسوا لعداتهم جلباب لؤم
فإذا لجأتَ اليهمُ تلجأ الى هضبات شمّ
لأبى وأمى أنتمى والأطيبان أبى وأمى
وبخير عمٍّ أحتمى والعمُّ فى اللأواء يحمى
وألوذ من دهرى به فألوذ بالجبل الاشمّ
واذا الشهامةُ جاوبتـ ـك رأيت منه خير شهم
لحرِمتُ لولا سعيه الـ ـمحمود من سمعى وشمى!

* * *

أما أبِى فلقد أبَى عند القوافى غير حكمى
لم يأل جهداً سعيه فمن المهمّ الى الأهمّ
ويظل فى حلِّ الاخصّ من المشاكل والاعمّ
يبكى على أوطانه وينوح فى نثرٍ ونظم
فى أضلعٍ تذكو جوًى أو أدمع فى الوجد سجم
يقضى الليالى حائراً ما بين إفلاسٍ وسقم
يلقى حوادثها بخيـ ـلٍ من عزائمه ولجم
ان أثقل الخطب الملمّ يخفّ بالخطب الملمّ
أحشاؤه وجفونه غرض لما يقذى ويدمى
لاتهتدى أقلامه مما ألمّ به لرقم
وكأنه والوجدُ يأ خذ منه فى لُجات يمّ
وكأنه فى يومه فى جنح ليلٍ مدلهمّ
فإذا فرتُ الى حما هُ فررتُ مِنْ همى لهمى!



أكلتنيَ الأيامُ لو مَعِداتها تستطيعُ هضمى !
وطوت بها إسم العلى لو كان يطوى مثل إسمى
ويرى كما نجم السما بين الوسوم الغرّ رسمى
هيهات يخفضنى الزما ن وهمتى تسمو وتُسمى
إنى أشير الى الألى بخلوا علىَّ ولا أُسمّى
أنا للألى لا يأخذو ن الناس من مدحٍ وذمٍّ
ربأت بهم أقلامهم إن خيض فى سبٍّ وشتمِ
مِن كل ندبٍ صادقٍ يوم الوفاء وكل قرم
أنا لست أخشى الخصم إن لم أعطِ أسيافى لخصمى
أنا حربُ كلِّ محاربٍ لا يأخذ الدنيا بسلمِ
إنى ظننتُ بأننى سأفوز فى صبرى وكتمى
وزعمت ظنى صادقاً فكذبتُ فى ظنى وزعمى
يا نفسُ دهرك مغرض فخُذي الامورَ به بحزمِ
تأبى خلالكِ أن تشى بخِلال خصمك أو تنمِّى
هِمّى ولا تترددى قضت المعالى أن تهمّى !
رُوضى المصاعب واخزمى من لا يُراض بغير خزمِ



مالى رجعت من الصرا حة فى الأمور إلى المعمِّ
مِن بعد إعلانى أشير الى عظائمها وأومى
وأظل أخطى الشاكلا ت من المقاصد حين أرمى؟!



قل لليالى الربد : خصّ ى ما تشائين وعمّى

همى الجديد

خفقاتٌ صدّعتْ قلبي الجليدْ ليتَ لى كالدهرِ قلباً من حديدْ
إننى أحيا كما يحيا الطريدْ ذاوياً لم أدرِ ما هذا الوجودْ !

* * *

يانسيمَ الفجر أيامَ الربيعْ أيقظْ النفسَ ! فما هذا الهجوعْ ؟
وقدةٌ تذكو كما تذكو الدموعْ وفؤادٌ حائرٌ باكٍ شرودْ !



محمد الصاوى عمار

قد شجانى الحُبُّ حتى عافنى ليتنى ما كنت يوماً ليتنى !
شهد الله – لعمرى – إننى ما عبدتُ الحسنَ إلا مِن بعيدْ !

* * *

إننى كالناسِ مِن لحمٍ ودمْ لم أكن يوما من الصخرِ الاصمْ
فما سرّى القلبَ عن لذعِ الالمْ واسلّى النفسَ عن همى الجديدْ

محمد الصاوى عمار

نجوى وشكاة

أَبى قُمْ وَنَحِّ الرَّجْمَ عنكَ وناجِنى ... أتُسْلِمُنى للدهرِ وهو خَؤُونُ ؟!
مضى بالذى خَلَّفْتَ لى ثم فاتَنى ... وقلبى ثخينٌ بالجراحِ طعينُ
به مِن لظى وَجْدِى عليك لواعجٌ ... تَضَرَّمُ نيرانًا به وشجونُ
ولولا جلالُ الموتِ قلتُ نسيتَنى ... وألهَتْكَ عنّى فى الحياةِ شُئُونُ

* * *

تمثّلْتَ فى ذِهْنى فأجْفَلَ خاطِرى ... وعهْدِى به فى النّازلات رَصِين
وما ذاكَ مِن خوْفِى لِقَاكَ وإنّما ... عَرَانِىَ مِن هَوْلِ المَقامِ جنونُ
حَنَانَيْكَ ، هل تبكى لِحالىَ رَحْمَةً ... أعِنْدَكَ ماذا فى غدٍ سيكونُ ؟
لعلّ زمانًا أوثقَ العَهْدَ انهُ ... سَيَقْلِبُ لى ظهْرَ المِجَنِّ يَمينُ
فَنَمْ واسْتَرِحْ واهْدَأْ بقبركَ ، إنما ... حُظُوظُ البرَايا شَمْأَلٌ ويمينُ
ولو أنّهُ يُبْقِى الزّمانُ على امْرِئٍ ... فمثلى بِإِبْقَاءِ الزّمانِ قمِينُ

* * *

ألاَ أيُّها الموتُ الزُّؤامُ مُعجِّلٌ ... يُناديكَ ، مِيعَادِى متى سَيَحِينُ
صَريعُ همومٍ طالَ بالوَجْدِ عَهْدُهُ ... تمُرُّ به السّاعاتُ وَهْىَ سِنينُ
فتَخْشىَ ويَسْتَجْدِيكَ مِن فرْطِ مابه ... وأنتَ عليه يا حِمَامُ ضَنينُ ؟

أحمد فتحى

تسبيح الجمال

إن هذا المساء جدٌّ سعيدِ ... كل ما فيه كان بيتَ قصيدِ
مِن صنوفِ الجمالِ تبعث فى النف(م) س جمالاً ونفحةً من خلود

« ٥ »

ليس يُغنيني عن القرب خيالْ هل شفى الظمآن – من قبلُ – سرابْ
إنما الدنيا وما فيها ضلالْ فلنعشْ في ظلّ أحلامِ الشبابْ

محمد عبد المجيد عمر



أطياف وأصداء

يالمحةَ النور من ميراثِ سَيْناء : ماذا على النور لو أنْ شقّ ظلمائي ؟!
تفيض من ضَوْئِك الأطيافُ تغمرني منها أحاسيسُ إفنائي وإحيائي
ويَطرُقُ الحُلم وجداني فيمطره نوراً بنورٍ ، وإغراءً بإغراء
كأنما الوحيُ يحدو بي إلى شرَعٍ من بين عالم أسدافٍ وأضواء
فيسكب الذكرَ يُرديني وينشرني شيئاً من النارِ في شيء من الماء
نفحٌ يُخدِّر أعصابي ويأسرني ذكراكِ تلك ، فمنْ للذاكر النائي ؟ !

« ٥ »

يالمحةَ النور من ميراث سَيناء تغذُو ذُبالةَ أطيافي وأصدائي
موساكِ ناجى ، ولم يظفر بنفحته ماذا أبلّ به والطبّ من دائي ؟!
موساك لا هو « موسى » في تجلّده عند الخطاب ، ولا البَيْضاءُ بيضائي(١)
إني وهنتُ فلا تُضفي على وَهْني إن شئتِ ، أو لا فلا تُغنيْ بإفتائي
قد كان لي في الهوى المحدُوِّ معجزةٌ بعد الطهارة من صدقي وإغضائي
حسبي على البُعد أحلامٌ تُحلّق في نفسي ، وتجهَدُ في خلقي وإنشائي

(١) يريد يد سيدنا موسى حيث كان يضمها الى جناحه فتخرج بيضاء من غير سوء .

« • »

يا لمحةَ النور من ميراث سيناء ماذا أنال بإخفائى وإفضائى ؟
البعدُ أنسَى شعورى ما سواه ، فما يُجْدى علىَّ أقاصيصى وأنبائى ؟
سيّان شأنىَ فى يأسى وفى أملى إن كان ذا نازلى ، أو ذاك تأسائى
وكاذبُ النور فى أيدٍ تَلمَّسُهُ كصادقِ النور فيما يلمح الرائى !

« • »

يا لمحة النور مِن مِيراث سيناء كيف التقَى آدمٌ يوماً بحوّاء ؟ !

محمد زكى ابراهيم

النجمِ الغارب

أرى نجمى تأهَّبَ للمغيبِ أألقى الموتَ من قبل المشيبِ ؟
تحمَّلتُ الزمانَ وما عليه مِن الأهوال والألم العصيب
دموعٌ همَّعٌ وجوًى مُلِحٌّ فأين الشطّ يا بحرَ الخطوب ؟
وكيف تجلُّدى والمرُّ حلوى وقد جار الزمانُ على الغريب ؟
بكيتُ فلم يعد فى العين دمعٌ ولم أغنم سوى اليأس الرهيب
أرى وجهى قريراً غير أنّى أرى قلبي كمُصْطَخبٍ صبيب
كبحرٍ سطحهُ ساجٍ ويُخفى ضحايا الروح والجسدِ السليب
كقبرٍ فوقه زهرٌ ويطوى عظاماً فيه لم تظفر بطيب
غدوتُ ذُبالةً للناس ضوئى وجسمى قد تناثر فى اللهيب
دعوتُ القلب ... لم يسمعْ دعائى وحظُّ الخلق فى أسرِ القلوب !

الآنسة
ز . يسرى

وودتُ لو أن الحياةُ تحوّلت ماءً وأنّى ماؤها أسقيك
لكنّ تلك حياةُ صبٍّ بائسٍ عرف الردى مما يكابد فيك
مُلئت بكاءً فاستحالت مُرّةً فغدت كمثل الدمع لا تُغنيك
رفقا بمهجتيَ التى تدرينها قفراً رماه الحظ من واديك
وَضعت بساحتك الرجاءَ وأقسمتْ بالحبّ والاخلاص لا تعدوك !

ابراهيم ناجى



أمل الحياة

لمّا تحدثَ قلبُك اللاهى الى قلبٍ على نجوَى هواكِ أقاما
أطلقتِ لى أملَ الحياة وأرسلتْ عيناكِ فى قلبي هُدًى وسلاما

« • »

مَعنى هواكِ مع الصباح بشارةٌ للناس أنّ نهارَهمْ يُمْنُ
وهواكِ تحت الليل كلُّ مُحِبِّهِ أُنسٌ ، وكلُّ وجيبهِ أَمْنُ

« • »

أىُّ السماوات العُلى انتقلتْ بها للأرض آيةُ حسنكِ المشهودِ ؟!
أنا كلما أدركتُها برضاكِ أو بتخيُّلى أدركتُ سرَّ وجودى !

« • »

أنتِ التى انبلجَ الصباحُ تحيةً لجبينها وتنفَّسَ الفجرُ
وتفتَّحَ الزَّهرُ النَّدِىُّ بنفحةٍ مِنْ ثغرها وتَضوَّعَ العِطرُ !

محمد الهيهاوى

الروح الظامىء

ما بالُ قلبي لا يَميلْ (١) وكأنّه القلبُ العليلْ ؟ !
لو كانَ غامرَ مرةً لعذرتُه عُذْرَ المُقيلْ
لكنّه يَشْدُو ويَطْـ ـربُ فى الشُّروقِ وفى الأصيلْ
يرنو هُنا وهُناكَ يخـ ـشى أن يضلَّ عن السَّبيلْ
يا قلبُ لا تخشَ الضلا لَ ولا العَصِيَّ المستحيلْ
ماذا يَضيركَ لو رَوَيْـ ـتَ ظَماءَ رُوحٍ لا يميلْ (٦)
ما دام حُبُّكَ لاهياً هيهاتَ يُطفئهُ القليلْ
فاخفضْ جَناحَكَ مرةً لنضمّكَ الوحيُ الجليلْ
قامِرْ بكلّ عواطفى ولسوف يُرضيكَ البديلْ
فَتِّشْ هناكَ ولا تَقِفْ حتى يلاقيكَ المثيلْ
فاذا سعدتَ ، فيا هنا ءَ الإلفِ بالإلفِ الجميلْ
فتِّشْ ! وفتِّشْ ! فالقلو بُ رهينةٌ عنـد الدليلْ !

جميلة محمد العلايلي



(١) يحن (٢) يحيد

تمضي وراءَ سحابة تحنو عليك وتلثمُكْ
وأنا رهينُ كآبةٍ بخواطري أتوهَّمُكْ !

كنْ حيث شئت فما أنا الاَّ معنَّى بالمحالِ
أَغدو لقدسك بالمنى وأزور عرشَكَ بالخيالِ !

وأقول صبراً كلما عزَّ الفكاك على الأَسيرْ
روحي وروحك ربما طابا عناقاً في الأَثيرْ !

مهما تسامى موضعُكْ وعلا مكانك في الوجودْ
فأَنا خيالك أَتبعُكْ ظمآن أَرشف ما تجودْ !

« • »

قمرُ الأَماني يا قمرْ اني بهمٍّ مسقمِ
أنتَ الشفاءُ المدَّخرْ فاسكبْ ضياءك في دمي

افرغْ خلودك في الشبابْ واخلع على قلبي الصفاءْ
أسفاً لعمري كالحبابْ والكأسُ فائضةٌ شقاءْ

« • »

خُذني اليكَ ونجِّني مما أعاني في الثرى
قدحي ترنَّق فاسقني قدحَ الشعاعِ مطهَّراً !

ابراهيم ناجي

ثورة الجدول

يسيلُ - وفي شفتيْهِ الجمالُ - كلَحْنٍ على شفتَيْ غانيَهْ
مَنابعهُ مِن جِنانِ الحياةِ على تلَعاتِ الهوى الساميَهْ

« • »

سكنتُ اليهِ سكونَ المُصلِّي أمامَ جلالةِ محرابهِ
يعانقُ نُورَ الجلالِ البعيدِ ويَنْسَى الرغائبَ في بابهِ

« ٥ »

تفانيتُ فيهِ كأغنيةٍ ... مضى فى الأثير صداها الجميلْ

وذُبْتُ على ضفتَيْهِ كما ... تذوبُ الرغائبُ فى المستحيلْ

« ٥ »

وأصبحتُ فيهِ كموجاتهِ ... تداعبُنى النَّسْمَةُ الهادئهْ

أُرَجّعُ فيه نشيدَ الخلودِ ... وأُسْمِعُهُ الصخرةَ الناتئهْ

« ٥ »

وفى ليلةٍ كاكْتِئابِ الخريفِ ... جرى جَدْوَلى كالدَّمِ النازفِ

تهُبُّ الأعاصيرُ فى وَحْشَةٍ ... على صدرهِ الخافقِ الواجفِ

« ٥ »

وتأتى الطيورُ كعاداتها ... تصفِّقُ من فوقهِ آمنَهْ

فَيُفجعها مَوْتُ ذاك الهدوء ... فتصْدُرُ مِنْ ورْدِهِ ساكِنَهْ

« ٥ »

أتُرْغِى الجداولُ مثل البحارِ ... وتُزْبِدُ فى شَطِّها الحالِمِ ؟!

إذاً أين ضاعَ هدوءُ الحليمِ ... ضَياعَ المُنى فى الأسَى القاتمِ ؟!

« ٥ »

هدوءكَ يا جدولى أين ولَّى ؟ ... وهَمْسُكَ ياجدولى أين راحْ ؟

أعِدْ للضِّفافِ ترانيمَها ... ورَجِّعْ لها أُغْنِيَاتِ المِراحْ

« ٥ »

ضِفافُكَ ليست مَلاذَ الغضُوبِ ... مِن الرِّيحِ ، أو ثائراتِ الطَّبيعهْ

نَخَلَّ الهديرَ غِناءً جميلاً ... وخَلِّ الحياةَ ضِفافاً وديعَهْ !

حسن كامل الصيرفى

الحب والقمر

أنت يا بدرُ سميرٌ وأنيسْ   وشريكُ التعساء البائسينْ
تمنحُ الناسَ من الحب كؤوسْ   ومن الحب تغذّى العاشقينْ
كم تطلعتَ لما تطوى النفوسْ   من بكاء وعزاء وحنينْ
فى ظلال الوردِ فاجأتَ الجلوسْ   يرشفون الثغرَ بالثغرِ قُبلْ !

« • »

انتَ كالحبِّ اذا ما تطلعُ   فى سماء الكون قد ساد السكونْ
حيث دُنيا القلب سهلٌ بلقعُ   يجهل الحبَّ ولا يدرى الحنينْ
فاذا الحبُّ بذورٌ تُزرعُ   فوق ذاك القفرِ تنمو بعد حينْ
واذا البذرُ غلامٌ يرضعُ   مِن عصيرِ الحب فى ثدى الاملْ !

« • »

فى سماء الكون تمشى الهيدبا   تُنقذ الآمالَ من جيشِ الظلامْ
تعتلى كالحبِّ فى مهد الصبا   أَنت بدرٌ واذا الحبُّ هيامْ
دولة تحتلّ فيها رتبا   بنتُ أسبوعين شِيدت بنظامْ
تعتلى شمساً فتمسى ذهبا   وكذا الحبُّ إذا تمَّ نزلْ !

« • »

بك فى الليل زهورٌ تفتحُ   تشبع الأحلامَ من رُوحٍ وراحْ
فإذا الفُلُّ أريجاً ينفحُ   فى أَصيل الفجر إبّانَ الصباحْ
واذا النّدُّ مياهٌ تنضحُ   وعلى الدوح مِن الصُّبحِ وشاحْ
حينما الاطيارُ سَكرَى تصدحُ   بنشيدِ السعىِ حثاً للعملْ !

« • »

أَنت ربُ الحُبِّ، ربُّ الراح،أمْ   أنت ربُّ السحر ، أم ربُّ الورودْ
أَنت ربُّ الفن ، أم ربُّ النَّغمْ   أنت ربُّ الشعر، أم ربُّ النشيدْ

أَنت ربُّ العَزْفِ ، أم ربُّ القـلمْ ... انت ربُّ الموتِ ، أم ربُّ الخلودْ
أنت نورٌ فوق هاماتِ القِمِمْ ... أم الـهُ الحسنِ ، أم رب الغزَلْ ؟!

« • »

أَنت سرُّ النور ، أم ربُّ الشباب ... أَنتطفلُ اليوم ، انت ابنُ القِدَمْ
أنت سِرُّ الدهر أم وحيُ الـكتابْ ؟ ... أنت قد سجَّلتَ تاريخَ الامَمْ
دُمتَ للعشاق مرفوعَ النقابْ ... انت سايرت الأُلى شادوا الهرمْ
تحفظتَ السرَّ فى طيِّ الحجابْ ... يا غلامَ اليـوم يا طفلَ الأزَلْ !

« • »

أنت للحبِّ شريفٌ وأَمينْ ... قد حفظتَ العهدَ فى كلِّ العصورْ
لم تبح يوماً بسرِّ العاشقـينْ ... عند غابٍ أَو رياضٍ أو غديرْ
لا ، ولا أظهرتَ ذنب المذنبينْ ... حينما أنتَ على الدنيا أميرْ
لستَ إلاَّ حكمةً للنابهينْ ... يا شريفَ النفسِ يا بُرءَ العِلَـلْ !

« • »

نظرةٌ من عاشقٍ ناءٍ بعيـدْ ... مِن سوادِ العينِ تجتاز الأَثيرْ
فتلاقى نظرَ الحبِّ الفريدْ ... فى ربوع الـكوكب الحىِّ المنيرْ
تلتقى الانظارُ فى خيرِ صعيدْ ... واجتماع السَّفرِ بالنأْى المسـيرْ
قد أَرادتْ حكمةُ الحبِّ السعيدْ ... أَن تلاقَى فيه آياتِ المقلْ !

« • »

مُنتدى الشعرِ ونادى العاشقـينْ ... يا كفيلَ الزهرِ ، يا رُوحَ الضياءْ
أنتَ نفحُ الوردِ ، نفحُ الياسمينْ ... يا الـهَ الحبِّ فى عرش السماءْ
فيكَ آىُ الفنِّ فى آىِ الفتونْ ... تَتَجَـلَّى لنفوسِ الشعراءْ
يا أَخا « كوبيد » يا رمزَ الحنينْ ... مِن معانى الحسنِ أَلبستَ الحلَـلْ !

ام درمان – السودان

عبد القادر ابراهيم

قمرية الروضة

هدأتْ.... لا زئيرَ يُسمَعُ فيها لا ، ولا تعتلى بها ضوضاءُ
وسجى الجوّ فالنسيم رُخاءٌ وخريرُ الأمواهِ فيها غناءُ
وترامت عذباتها تمخرُ الجوّ (م) ومن حولها يعجُّ الماءُ
وتغنّتْ قمريةٌ من ذُرَى الدوحِ ، فبثّتْ أشواقَها ما تشاءُ
وانثنى يُقلِقُ الدجى شحرورٌ حينما برَّحتْ به الأهواءُ
بنشيجٍ كأنه لحنُ مَعْمُودٍ (م) تُزَجّيهِ فى الدجى البرحاءُ
وجرى الجدولُ الصغيرُ يُغنّى كالصبا قد أُتيحَ فيه الهناءُ
لاهياً واثباً فلا يمنع الصخرُ (م) تثنّيه ، لا ، ولا الحصباءُ
والسكون العميق أيقظ فى القلب شجوناً قد نالها إغفاءُ
وجروحاً قد مرَّ دهرٌ عليها وكأنّ الدواءَ فيها الداءُ !

« ٭ »

عُدتِ للنوح والغناءِ فسالتْ أدمعى ثرّةً وطال البكاءُ
أنتِ .... مَن أنتِ يامُجَمّعَةَ اللحنِ ، أطيرٌ مُغرّدٌ أم ناءُ ؟
لكأنى بكلِّ لحنٍ لداودَ (م) بليدٌ إذا شدوتِ ، هباءُ .. ؟
وكأنّ الأنغامَ تحتضنُ الروحَ كما يشْمَلُ الزهورَ الضياءُ
وكأنّ الذى شداه أساطينُ الأغانى فجٌّ اذا انطلقتِ هراءُ ... !

« ٭ »

عجباً للغناءِ يَهمى طليقاً فيه لحنُ الأمَى وفيه الهناءُ !
يُفزِعُ الروحَ منه أنٌّ رهيبٌ مثلما يرهبُ النفوسَ القضاءُ
ويَهُزُّ النفوسَ لحنُ غرامٍ مثلما يُنعش الزهورَ السماءُ (١)

(١) السماء : الغيث

إيهِ قمريتي الحبيبةَ غنِّى وأطيلى ففى الغناء العزاء
واسبحى ما أردتِ فى الجو، فالليـ ـلةُ يا اختُ ليلةٌ قمراء
والهلالُ الذى عهدتِ قديماً هو بدرٌ ونورهُ وضَّاء
صعدَ العرشَ كالمليكِ، فرفِّى حوله واسجعى يتمّ الصفاء
باركيهِ بلحنكِ الخالصِ العذْبِ، فيدوى بما شدوتِ الفضاء
لستُ بالحاسدِ الملوَّثِ بالحقـدِ (م) ولا خالـطَ الفؤادَ الرياء
بل أنا شاعرٌ هدانى إلى الحقّ جمالٌ عاينتُـه وبَهاء
خيرُ مَنْ يكشفُ الخبيءَ مِن الحُسْنِ ويُغْلِى مِن شأنهِ الشعراء

« • »

أنتِ لولا ما قلتُه اليومَ عن حُسْـ ـنِـك ما ذاع أنك الحسناء !
أنتِ لولا بيانىَ البيِّن النهجِ لأَوْدَتْ بفنِّـكِ الظلماء !
وأنا شاعرُ الملاحةِ والحسـ ـنِ، وأنت الخريدةُ العصماء
أنت جزءٌ مُتمِّمٌ لفنونى فأفيضى الغناءَ يسمو الأداء !

مختار الوكيل





فى خليج استانلى

أيامُ روما أم ملاعبُ قيصرٍ   تلك الملاهى البادياتُ لناظرى
مَثَّلنَ لى ما كنتُ أعهدُ صورةً   شتانَ بين ممثّلٍ ومصوَّرِ
فرسانُها غِيدٌ سللن على الورى   أسيافَ ألحاظٍ وعزَّةَ قيصرِ
أَبدينَ حسناً ساحراً ، وبدا على   أجسامهن السترُ ليس بساترِ
مستلقياتٍ لا يهبن أشعةً   يعكسنها مِن لامعاتِ الأظهرِ
متشابهاتٍ فى الملاحةِ والسنا   متنافساتٍ فى جمالِ المظهرِ !

« • »

يا جنةَ البحرِ العزيزِ ، وحسنُها   يُغرى الفقيرَ ولا يعزّ على الثرى
عرضوا جمالَكِ للجميع وحرّموا   سُكنَى رُباكِ على المقلّ المعسرِ
جناتُ عدنٍ عارضتكِ ، فانما   قد خُصَّ طِيبُ نعيمها بالخَيِّرِ !

« • »

يا بحرُ ! حلَّ الصيفُ فاهنأ بالحسا   نِ الزائراتِ فهنَّ أجدرُ زائرِ
أتراكَ أعريتَ الحسانَ فكلهـ   ن كواشفٌ لكَ عن جمال مُسفِرِ
ما كان سرّاً مِن جُسومِ الغانيا   تِ كشفتَه وعرضتَه فى مَتجرِ !
وأذعتَه للناظرين ، فلم تخفْ   شغفَ الأديب ولا نسيبَ الشاعرِ
خِدرُ الفتاةِ ازلتَ حُسنَ ستارهِ   عنها ، فيا لكَ مِن جرىءٍ قادرِ !

محمود قدرى لطفى

الغربان

بينما كنتُ سائراً فى أصيل يوم رأيتُ صائداً يضرب غراباً على شجرة مطلة على النيل فسقط الغراب فوق ظهر الموج ، فاجتمع جماعة من الغربان إليه من كل فج تتجاوب بالنداء ، وتهم بالرثاء ، وتحاول إنقاذ أخيها ، وكان يصيح وهو يقاوم اللجج الى أن غرق

الغراب ـ أقمتُ على الغصون طوالَ يومى ... فما أنكرتُ منها قبلُ شيًّا
سلامٌ يا رفاقُ فكلُّ حىٍّ ... يسير مع الرَّدَى ما دام حيًّا
مضت سبعون لى ورأيت فيها ... رصاصاً فى الفضا يدوى دويًّا
تجنّبه المقاديرِ اصطيادى ... وآمنُ جَنْبَهُ القدرَ العتيًّا
فسلْهم أىّ ذنبٍ لى لديهم ... فقاموا وجّهوا نحوى القسِيًّا
وكم زجروا فطرتُ لهم سعوداً ... وها أنا قد غدوت بهم شقيًّا
كأن الله لم يرسل إليهم ... لينهاهم — ويأمرهم — نبيًّا

« • »

سلامٌ يا غصونُ وهاكِ دمعى ... وإنْ يكُ قبلَ ذا دمعاً عصِيًّا
سلامٌ يا سماءُ وفيك جالتْ ... يدُ المقدار — أو حتفٌ تهيًّا
وقبلا كنت لى حصنا منيعاً ... فوافى الحتفُ حيث النفس تحيَا
سلامٌ أيها النيلُ المفدَّى ... فقد أشبعتنى من قبل ريًّا
وقبلا كنتَ لى يوماً حياةً ... ويطوى الآن جسمى الموجُ طيًّا
سلامٌ يا مساءُ ولا صباحٌ ... يليكَ فلن أرى النورَ البهيًّا
سلامٌ يا هواءُ وكنتَ مِلكى ... وفيكَ درجتُ فى مهدٍ صبيًّا
أتدرى أننى أصبحتُ مُلقًى ... بوجهِ الماء — ما استطعتُ المضيًّا

« • »

(جماعة الغربان تسقط على القتيل وتصيح)

سلامٌ يا أخانا أو وداع فليتَ الحتفَ وافانا سويّـا
عجزتَ عن النهوضِ وكنتَ قبلاً تشقّ الجوَّ ذا مرحٍ فتيّـا
أَلاَ لا يفخرنْ يوماً قويٌّ فان الحتفَ لا يذرُ القويّـا
جرحتَ العمرَ من قدرٍ مصيبٍ فلما جاء صار الرشدُ غيّـا
ومن يعرف يدَ المقدارِ يوماً يجد ذا الحرس مأفوناً غبيّـا !

(غراب آخر قادم من بعد)

سلامٌ !

(جماعة الغربان)

بل قضاء ، بل هلاكٌ به كلُّ الطيور غـدَا شقيّـا
سعى الانسانُ فى حتفٍ الينا وكان اليمُّ ساعدَهُ القويّـا

(قيثارة الفناء)

الى الفناء جميعاً من صائدٍ ومصيدٍ !
» » » من سيدٍ ومسودٍ !
» » » ما منكمُ ذو خلودٍ !

الى الفناء جميعا

الأرضُ والبحرُ مُلكى والجوُّ والنيراتُ
والناسُ رهنٌ بسفكى وهذه الكائناتُ
كلٌّ سعى نحو هلكٍ ولو تطول الحياةُ

سعى فكان سريعا

الى الفناء جميعا !

ذللتَ بالبطش كلاًّ سيان ليثٌ وذيبُ
لم يبق فى الكون الا على الوجود النحيبُ
كلٌّ بنارى يَصْلَى وكلُّ حيٍّ غريبُ !
أسمعت منهم سميعا
الى الفناء جميعا !

عبد الغنى السكنى





أبلون

آلهة اليونان خليطٌ من معبودات مَن تقدمهم من الملل والنحل كالبابليين والاشوريين والمصريين والهنود ، ولكنهم هذبوا العبادة وارتقوا بها بضع درجات، فأهملوا عبادة الحيوان والجماد ، وجعلوا للصفات والموصوفات أجساماً حية مدركة هيؤوها بهيئة البشر ومسحوها بمسحة اللاهوت ، فكانوا يمثلونهم تمثيلا محسوساً وينسبون اليهم جميع ما يروى عن البشر من العواطف وحاسات اللين والغضب والحلم والظلم والحسد والبغض .

كان اليونان فى جاهليتهم ورعين فى عباداتهم، مخلصين فى معتقدهم، يجنحون الى التماس عون آلهتهم فى كل شأن من شؤونهم ويعتقدون بالوحى والالهام، ولهذا شرع هوميروس فى استمداد المعونة من ربة الشعرحين ابتدأ يكتب الالياذة ، لأن النفس تجد ارتياحاً للاستكانة والاستسلام الى عضد قوى تصرف عنها اليه عبء العناية بالعمل اثناء القيام بأمر خطير — وعلى ان النصرانية والاسلام لم تبقيا لربات الاغانى والاناشيد محلا ، فان فريقاً من الناس ظل يستمد عونهن الى وقتنا هذا : فقد ابتدأ شاعر النيل المرحوم حافظ ابراهيم بك قصيدته الاجتماعية الخطيرة بقوله :



محمد حسين جبره

بنات الشعر بالنفحات جُودى فهذا يومُ شاعرك المجيد

على ان هذا الاعتقاد تحوّل فى بعض الاعصر الى اعتقاد آخر: هو ان لكل شاعر شيطاناً يؤيده .

أمّا وقد انتهينا من هذه الالمامة البسيطة عن آلهة اليونان فلنتكلم عن أبلون ثانى معبوداتهم بعد زوس رب الارباب .

يعتقد اليونانيون أن أبلون كان فى أول أمره راعياً وكان يسلى نفسه بالغناء والمزامير، ومن هنا كان إلـه الموسيقى، ومتى كان كذلك ـ وهم لا يفرقون بين الموسيقى وغيرها من فنون الجمال ـ أصبح إلـه الفنون الجميلة وبذلك أصبح إله الشعر والادب، وكان أبلون قاسياً : كلما غضب على انسان أو شعب رماه بسهم من سهامه ، وما سهامه الا الطاعون ! وقد كان كما كان آلهة اليونان فى أول امره إله حرب وقتال ثم تحضر قليلا قليلا حتى أصبح إله الحضارة والامن، فزوس رب الارباب الذى كان ينذر الآلهة بتعليقهم بين السماء والارض أصبح إلـه الضيف إذ يعتقد اليونان ان الضيف رسول زيوس، وما ذلك الا تبعاً للرقى فى الأمة ـ فدينهم لم يكن قابلا للاستحالة فحسب بل كان ديناً مرناً سهلا يتطور مع الأمة فى رقيها على أى حال ، فبعد أن كان جافاً أصبح دين شعر وآداب، وكذلك كان أبلون يرمى الناس بالطاعون فأصبح معبود النهار والصنائع والطب .

لا يمكن لمن يدرس الديانة اليونانية أن يهمل أبلون لأنه لم يكن إله الادب

والطرب فحسب بل هو من الآلهة الذين أدخلوا كثيراً من النظم الاقتصادية وغيرها في بلاد اليونان : فلقد استطاع هذا الالـه ان يؤثر في حياة اليونان التأثير الذى جعل الأمة اليونانية والعالم مدينين له بشيء كثير من حضارتهما إذ كان الدين مؤثراً في الحضارة — وكان زوس إلاهاً ميالا للغزل ولم يكن وفياً لزوجه وقد خانها أكثر من مرة ومن هذه الخيانة نشأ آلهة كثيرون ، ومن الغريب أن الآلهة الذين وجدوا من ثمرة الخيانة هم الذين أثروا في حياة الأمة اليونانية أجل تأثير وفي مقدمتهم أبلون !

لم يكن أبلون إلـه الموسيقى والشعر والحرب فحسب بل كان إلـه الطب ، ولسنا ندرى كيف استحالت الصورة التى كانت فى أنفس اليونان الأولين حتى خيلته طبيباً ، ولكن لما نرى أن أبلون رمى جيش اليونان بسهامه أى رماها بالطاعون ونحوه من الأمراض المعدية كما تمثله الالياذة نرى انها تمثله بجانب ذلك إلاهاً يشفى من هذه الامراض ، فكلما كانت تصاب مدينة يونانية بضرر كانت تعتقد أن أبلون رماها به وكانت تقوم له بالصلوات ليصفح عنها ويشفيها .

كيف وُلد أبلون ؟

هو ابن (زوس) رب الأرباب عندهم والالـهة (ليتو) وأحد التوأمين اللذين ولدتها . ولم يذكر هوميروس تفاصيل اعتقادهم من جهة ولادته . غير أن الذين تابعوا أثره من الكتاب قرروا أن المعبودة (هيرا) زوج زوس لعنت كل أرض تلتجيء اليها (ليتو) التى كانت حبلى من زوجها (زوس) ، على أن ذيونيس كانت صخرة غير مسكونة فى أرض الارخبيل فارتفعت هـذه الصخرة فوق البحر عنـد ذلك رأتها (ليتو) والتجأت اليها وبعد مخاض سبعة أيام ولدت أبلون ووعدتها مكافأة لها على حمايتها لها أن يشرفها ابنها أكثر من كل مكان فصارت من أعظم مراكز عبادته.

وكان أبلون يتنبأ للناس بالامور المستقبلة في معبده (دلف) الذى سيأتى الكلام عنه فى فصل آخر – وكان معبود المواشى ، ولذلك كان يحفظ مواشى الملك اذمنيوس ، وكان يُصور فتى جميلا ذا شعر طويل وعلى رأسه اكليل الغار الذى كان مقدساً عنده وفى يده القوس ، ومن ضروب الطيور والهوام التى كان يحميها البازى والغرار وطير الماء والصرار ، وكان معبود الدوريين.

وبالجملة فهو معبود النهار والصنائع والعلوم والطب عند اليونان والرومان ، ومما يُنسب اليه وضع اذنى حمار لميداس لانه لم يعترف بانتصاره فى المناظرة الموسيقية التى

وقعت بين أبلون ومرسياس .

وهو الذي قتل بالسهام الافعى المسماه(بيتون)التى كانت تعيث فى الارض فساداً واتخذ حيلا كثيرة لاكتساب محبة بنات الملوك وقد أحببنه كثيراً ، فهو أول (دون جوان)على الارض !

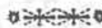
وتعلق بحب هياسفت وسيباريس ، ولكنه ارتكبت غلطة أفضت الى موتهما ، فلكى يتعزى عن فقدهما حوّلهما الى زهرتين !

وبنى له اليونان والايطاليون هياكل كثيرة ،وكانوا يقدمون له ثيراناً سوداً وأغناماً ونعاجاً وحميراً وأفراساً .

هذا ما نكتبه عن أبلون ملخصاً عن محاضرتنا المسهبة التى ألقيناها بالجامعة المصرية من عشر سنوات خلت .

أما عن معبده الساحر (دلف) وآثاره الاجتماعية الخطيرة وكيف بسط سلطانه على قارّتىْ آسيا وافريقيا من اوائل القرن التاسع قبل المسيح الى اوائل القرن الثانى بعده وكيف كان كل ملوك العالم بما فيهم فراعنة المصريين الاقدمين يستشيرون معبد (دلف) فى تدبير شوونهم ومعرفة مستقبلهم ـ أما كل ذلك فنرجو أن ندلى ببيانٍ عنه فى فرصة أخرى م؟

محمد حسين هيره





المعنى المبهم

تطوف رُوحى وراء مَعْنًى يجولُ فى خاطر الزمانِ
يمرُّ كالضوءِ فى خيالى ويُلهِبُ النارَ فى بيانى

« • »

ويملأُ اللحنُ منهُ أُذْني ولستُ أدرى مَدَى صداهُ
يطوفُ فى عالمى ويسعى ولستُ أدريه أو أراهُ

« • »

ذوَّبتُ روحى بنارِ حُبٍّ بَثَثْتُ مَعناهُ فى نشيدى
يعيش فى خاطرى وقلبى بلا زمانٍ ولا حُدودِ

« • »

تمرُّ منهُ علىَّ ذاتٌ كنَسْمَةِ الفجرِ فى الرَّبيعِ
تُطَمْئِنُ الخافقَ اضطراباً وتبعثُ البُرْءَ فى الوجيعِ

« • »

وما يزال الزمانُ يمضى ولستُ أدرى الذى أُريدُهْ
وأعجبُ الأمرِ أنَّ قلبى يَجهلُ مَعْنَى الذى يُعيدُهْ !

« • »

يا أيها المُبْهَمُ الخَفِىُّ فى خاطرِ المُبْهَمِ الزمانْ
متى يلوحُ الخفِىُّ حتى يُفسِّرَ اللغزَ عاشقانْ ؟ !

حسن كامل الصيرفى

أكذوبة الموت

أو خلود البشر

قد حرتُ فى الموتِ وفى أمرِهِ وما زواه اللهُ من سِرِّهِ
وكلما ساءلتُ عنه امرءًا أجابنى : واللهِ لم أدْرِهِ !
وقالت الأديان : إن الرَّدَى هو انتهاء المرء من دهره
ورادع الممعن فى زيغه وركْب ذى التقوى إلى أجره

قد يترك المفروغَ من شأنه ويلحق المولودَ فى فجره

وينكر التاجَ على عاهل تُخضِعُه الوحشةُ فى قبره

ويطرق البابَ على خائفٍ ويُرعد الآمنَ فى خدره

وينزل الطائرَ فوق السُّها لموطئ الاقدام من غيره

حيث تَرُدُّ المرء أعمالُه وينظر الملـكان فى أمره

يحاسبان المرءَ فى قبره عما أتاه المرء فى دهره

فيُحسن الله جزاءَ الذى أحسن فى الدنيا الى غيره

وينشر النورَ على لحده ويجعل الريحانَ من نشره

ويحصر الله رفات الذى قد ملأ العالم من شرّه

فى جَدَثٍ مُسْتَوْحِشٍ حالكٍ أَضْيق بالعصفور من وكره

والروح إمَّا حَلَّ فى غيره أو آثر الإخلاد فى بِئره

فلِمْ يقول الناس مات امرؤٌ إن هاجر الدنيا إلى قبره ؟

أليس فى القبر حياةُ امرئ تطول بالمرء إلى حشره ؟

***

وقيل : إن الروحَ فى رجعةٍ من نفخ إسرافيل فى صوره

حيث يجازَى الناسُ من ربّهم كلٌّ بما قدَّم فى دهره

وحيث تعلو هامةُ المتَّقى ويُغلَبُ الباغى على أمره

***

المرء يحيا دهره « أوّلاً » ثم « يثنَّى » العيش فى قبره

ثم يُتم « الوِترَ » فى جَنَّةٍ أو فى جحيمٍ منتهَى وتره

والعيشُ فى الدهر قصير المدَى كلحظةٍ تُقطعِ من عمره

فكيف قالوا إنه مَيِّتٌ من يوم ان غُيِّبَ عن دهره

وليس بعد رِحْلتَيه سوى جديدِ عيشٍ دبَّ فى إثرِهِ [(١)]
لا قال بالموتِ سوى كافرٍ يكذِّب الأديانَ من كفرهِ !

صالح جودت



آكام الوجود

أرسلتُ عقلى فى الوجود السامى متحرراً مِنْ ظُلمةِ الأيامِ
ووددتُ يشرح ما عساه يبين لى : هل نحن فى لُججٍ من الأوهام ؟
أم نحن ننعمُ فى حياةٍ تُستقى مِن مَنبع الإبداع والالهام ؟
فتنكّرت أسراره [(٢)] ، وتقنعت بقناعِ رُوعٍ رَهبةٍ وظلام
وتثاءبَ العقلُ الحزينُ مرارةً ورأى الحياةَ مَجاهلَ الأحلام
دنيا يعاف ورودَها مَن لم يزل بقرار أعماق الفناء الطامى
فشككتُ فى عقلى ، وقلتُ لعله قد هاله غولٌ من الآكام
هذا سرابٌ لا يبلُّ حشاشةً ويزيد فى ظمأ الشغوفِ الظامى !

« • »

لكننى - والهفَ نفسى ! - لم أكدْ أنحى على عقلى الغريرِ العانى
حتى عرتنى شِبهُ عَربدةٍ وسُكرٍ ، وانثنيتُ أصيح كالنشوان !
نسيتُ نفسى واحتوتنى رعدةٌ ! ما لى خُمِرْتُ بغيرِ بنتِ الحان ؟ !

---

(١) الرحلة الأولى من الدنيا الى القبر والثانية من القبر إلى الحشر (الجنة أو النار) الذى يتلقى فيه الانسان حياة جديدة . (٢) أسراره : أسرار الوجود .

واحسرتا ! قد رمتُ معنى للوجو ... دِ فبؤتُ مِن دنيايَ بالخسران
ورجعتُ أهذى ثم أهذر ذاهلاً ... وغدوتُ أحكى رجفةَ الحيران
وأكاد أهتف بالفناء يلفّني ... فى طيّه ، ويضمني بمكاني !

المهدي مصطفى

الطفل الجديد

لكَ اللهُ مِنْ طِفلٍ عَلَى الدَّهْرِ أُزدِفَتْ ... بنفسِكَ أهوالٌ مُحالٌ زوالُهَا
خرجتَ الى الدنيا ولستَ ببالغٍ ... سوَى السوءَةِ السوءاءِ شُؤماً مَنالُهَا
قضاءٌ عجيبُ اللونِ والطعم والشذَى ... عجيبُ شكولٍ قد توالتْ رحالُهَا
لخبطٌ على عشواءَ فى كلّ فَيْنَة ... وَأَنْتَ غريبُ الدارَ قَلْقٌ رحالُهَا
ذليلٌ إلى الأيامِ والأَنفُ راغمٌ ... تُعانى البلايا القاسياتِ كبالُهَا
وطرْفكَ مغضوضٌ وحُزنُك جاثمٌ ... وعينك فى دمعٍ غزيرٍ نُهالُهَا
نَعمْ سحرها يخبُو وتغدُو غبيَّةً ... بَعيدةَ مَرْمى الصَّوْبِ يبدُو كلالُهَا
وَيبدُو جَبيناً ناصِعاً مُتيمناً ... كطلعةِ ثكلى وَالِهٍ سَاءَ حَالُهَا
فما وَجنةٌ — نارٌ توقّد وهْجُهَا — ... بخامدةٍ طولَ الحياةِ إخالُهَا
غدتْ مثل رمسٍ طامسٍ دارج الصوى ... تعفّتْ عليه الرامساتُ شمالُهَا
وما . من نماءٍ أَرتعيهِ ونضرةٍ ... بِغَيرِ ذوًى فى قسوةٍ لتُشَاكِلُهَا
لعَمْرِى وما الأشياءُ يُعرَفُ أصلُهَا ... لندرك شيئاً كيف صارَ حلالُهَا
لأدرى بأنّ اليوْمَ أَسعد مَا ترَى ... وَأَنّ غداً كلّ الشرورِ تنالُهَا
وَأَنّ غداً مما يؤُودُ مُثقَلاً ... ولا يَفتَدِى نَفساً كثيراً ملالُهَا
غدوتُ إلى الأيامِ قَبْلكَ جاهِداً ... فأىّ وبالٍ ! يا لنفسى وبالُهَا !

السودان : يحيى محمد عبد القادر



الوطنية

فى الشعر الغرامى

(أوديتا) لستُ أنساكِ ولن أنسَى مُحيَّاكِ
ولن أنسى سويعاتٍ قضيناها (بلوتراكى)



حسن الحطيم

نسينا فيه غربتنا ووحشتَنا بمرآكِ
أغارُ عليكِ من نفسى إذا افتتنتْ برؤياكِ
وأبدعُ ما أرى سحر تنمُّ عليه عيناكِ !

« • »

أحبِّى فيك لى وطناً وأذكرُه بذكراكِ

أحنُّ اليكَ يا وطنى حنينَ مُدلَّهٍ باكِ
أحبُّكِ — مصرُ — مِن قلبي ولستُ أحبُّ إلاّكِ
وأهوى تُرْبَكِ — الغالى على قلبي — وأهـواكِ
سلامُ الله أبعثه إلى أعتابِ مَثْواكِ
اليكِ تحيتى حتى يسرَّ القلبَ رؤياكِ
سألقى وجهَكِ الغالى فيُسعدنى مُحيَّاكِ
فألقى كلَّ ما أبغى من الدنيا بلقياكِ!

حسن الحطيم

استعمار الشرق

يا شرقُ جارت محنةُ الأزمانِ ورقدتَ بين مخالب الحدثانِ
هذى الشعوبُ تناهبتكَ فريسةً فمضيتَ من خُسرٍ الى خسران
سلبتكَ أعلاقَ الحياةِ وبدَّلتْ بالامتهانِ مواضعَ التيجانْ

« • »

يا غربُ ضجت بالتمدن فيك أبواقٌ تمجِّد صالحَ العمران
حين استبحتَ ركوبَ كلِّ رذيلة لا تُستساغ بشرعةِ الوجدان
كم ذا تسوق الشرقَ لاضمحلاله رفقاً أخا الانسان بالانسان!
هلكت شعوبُ الشرق من إرهاقكم يا قومُ أين الرفقُ بالحيوان؟!
قالوا: استقلَّ الشرقُ! قلت: مهازلٌ بُنيت لتهدمَها أكفُّ البانى
لأقطِّعن سلاسلَ استعبادكم أو لا فانى لستُ مِنْ قحطان!

« • »

يا شرقُ دوَّختَ البلاد وكنتَ ربَّ الصولجان ومنعةَ السلطان
فى مَسرح التاريخ تُرهِبُ صولةً ما لى أراكَ فريسةَ الذؤبان؟!
أو لستَ غيلَ الفاتحين ومهبطَ الرُسْلِ الهداةِ ومَشرقَ العمران؟
لا تقعدنك عن حقوقكَ قوةٌ للخصمِ، واسطُ بقوة الايمان!

« • »

يا شعبُ إن كلَّتْ مَضاربُ شيبنا كفلتْ نجاحَكَ نهضةُ الشبانِ
حيٌّ الشبابَ تدفقتْ عزماتُه حمماً تمثل ثورةَ البركانِ !

العراق ــ النجف الاشرف
ضياء الدين الدخيلي



بين شاعر وطائر

غنَّتْ على زهرِ الرُّبى عصفورةٌ عندَ الصباحْ
وترنَّمتْ في بهجةِ النُّورِ المقدَّسِ حين لاحْ
فسألتُها : مَنْ أنتِ ؟ قا لتْ : لا تَسَلْ غيرَ الكفاحْ
عصفورةٌ قد كانَ يُغـ رِي نومَها ضعفُ الجناحْ
لكنها لم تَستبِحْ نوماً عن الرزقِ المُباحْ
إني أغارُ مِنَ الشعا عِ إذا سَرَى ومِن الرياحْ
وأحِبُّ أن أسعى كسعـ يهما لأحظى بالنجاحْ
ما لي أرى الانسانَ يسـ بقني بألحانٍ فِصاحْ
ما بالُه لم يَسعَ مِنْـ لي جاهداً يبغي الفلاحْ
قد صار دوني في الجها دِ وكان قبلَ في الصياحْ
وأُعيدُ أنغامَ الصَّفا ويُعيدُ آلامَ النُّواحْ
بُشراكِ يا بنتَ السما ءِ ، وحبذا الأملُ المتاحْ !
وليستنرْ بكِ عاقلٌ في ظلمةِ العقلِ استراحْ
يا مُلهمَ الطيرِ الجها دَ الحقَّ ألهمْنا الصَّلاحْ !

الصاوي علي شعلان



ذكرى شوقى

(شعر حر)

أذاكَ حُـــلمُ ؟

أيها الشرقُ ؟ أم ما ذا َترى ؟

أمْ تلكَ سُحبُ ؟

داكناتٌ حجَّبتْ شمسَ الورَى ؟

تلك رجـةٌ ذاتُ ُعنفٍ هزتْ العربْ !

تلك نقمةٌ ! ذاكَ خَطبٌ يَتَّمَ الأدَبْ !

« • »

أين الذى تَقْدِرُونْ ومَن لـكم بالأمينْ

على نظيمِ العرَبْ ؟

أين الذى كان ضوءاً أين الذى كان َفيْئاً

فى كلِّ أمرٍ حزَبْ ؟

« • »

فى شعـرِهِ ونثرِهِ ولفظِهِ سرُّ الضياءْ

في حِكَمٍ يُرسلها تزهوعلى الدنيا سناءْ !

« • »



أحمد شوقي بك

(الجريدة السورية اللبنانية)

مزجَ الشعرَ برو ح الشعبِ حتى ردَّدَهْ
فى صَدَحاتٍ ساميا تٍ فى القلوبُ مخلدَهْ

« ٠ »

ان شوقى فى صدورٍ قد وَعَتْ آثارَهْ
إنْ يكنْ فى حفرةٍ فلنا منها مَنارَهْ !

« ٠ »

فليس بدعاً أن ترى عالمَ الشرقِ حزينْ
وليس بدعاً إنْ مَضَى شاعرُ الوحىِ الأمينْ
كلُّنا نفنى ويبقى الأثرْ !

محمد أبو الفتح البشبيشى



الخير والشر

السكونُ ظَرْفٌ لأضدادٍ مقدَّرةٍ طوعا وكرها تُوَافينا فنُوفِيها
لا الخيرُ يخرج مِن دنيا تحيط بنا ولا نرى الشرَّ ينبو عن حفافِيها
جارٌ ينوح وجارٌ ضاحكٌ ، وغداً فالعكس، حتى تساوى كل منْ فِيها

لا توغرنَّك أثوابٌ مقصَّرةٌ لعلك الغدَ تمشى فى ضوافِيها
ولا تغرّنك نعمى لستَ تكفلها فانهزْ لدى اليسر شيئاً مِنْ بواقِيها

الصحب

وأحصيتُ صحبي فى سجلٍّ مودتى سنينَ يسارى كلُّ مَنْ جدَّ أثبتُ
ويومَ عثارِ الجدِّ أدرك نهضتى ولا أحداً ألقاه إذْ أتلفتُّ
فتحتُ سجلِّى مَاحِياً كلَّ صاحبٍ تنكر لى أو بات فى الضيمِ يشمتُ
فلم يبق غيرَ الجلدتين وأسطرٍ ضربت عليها اضلَّ ما كنتُ أنعتُ!

الصبر

إصبرْ كما ترجو إذا لم تجدْ مِن حيلةٍ عجلى لنيلِ الأربْ
لو لم يكن صبرٌ على حصرمٍ ما اذّوقَ الانسانُ بنتَ العنبْ

المال والخمر والشيطان

المالُ فى جيبي ولا غرَّةٌ والخمرُ فى رأسى وأمرى عجيبْ
يدفعنى الشيطانُ نحو الهوى فاحتمى فى أنّ ربى رقيبْ

الشيب

جزى الله عنى الشيبَ خيراً فإنه أهاب بنفسى أن تكُفَّ هناتُها
فيا ليت شيبي كان فى ملء صحتى وأنّ شبابى كان حين فقدتُها

اسماعيل سرى الدهشان



الرومانتيسم

فى الأدب الفرنسى

القرن الثامن عشر والأدب

كان القرنُ الثامنُ عشر قرناً هدّاماً طافراً : نقد المعتقدات ، وأنكر الامتيازات ، ونقم على الحكم المُطْلق ، وسخر من التقاليد القديمة ، ونقضَ أُسُسَ الاجتماع وناقش أصولَ الدِّينَ . آمَنَ أبْناؤهُ بفكرة الرُّقىّ البشرى فحطموا كلَّ مانع يصدُّهم عن الوُصول إلى هذا الرُّقىّ ، وكسروا كل عائق يحول بينهم وبين تلك الغاية .

واذا قلنا القرن الثامن عشر فكأننا قلنا فولتير - ذلك أن فولتير ملأ هذا القرن بشهرته واسمه وشغل الناس بآثارهِ وأفكارهِ ،وسَيْطر على عُقُول معاصريه سيطرة الملك الجبّار . فكانت سِمَةُ هذا القرن الظّاهرةُ هى غلبة العقل وتسلُّطُهُ على مناحى الحياة وعلى اتجاهِ الآداب والفنون .

واذا كانَ مسلَّماً انّ عِمَادَ الآداب الخيالُ والعاطفةُ فمن الطبْعىّ أن لا تنهض هاته الآدابُ نهضة ممتازةً فى عصر العقل والمنطق ، وهذا هو سبب فقر الآداب الفرنسية فى أزهى عصور الفلسفة ، وتلك هى علة ركودها فى أحفل عصور الفكر والتفكير . . .

كان الأدب فى القرن الثامن عشر ضئيلاً هزيلاً لأنه كان يعتمد على العقل المجرد ، وكان راكداً جامداً لأنه أحيط بقواعد آليّة وقُيد بقيود وراثية أبقته على حالة عبودية ، فقد آلَ الشعرُ فى ذلك الزّمن إلى مباحث نظرية وموضوعات فلسفية ليس وراءها إلا التفخيمُ والتّضخيمُ والتكلُّف والتعسفُ ، فان نظموا فى الغزل فبذلك الأسلوب الخليع الرقيع وبذلك الاحساس الفاتر والشعور السطحى ، وإن وصفوا الطبيعة فلكى يعددوا أنواع الرّياحين ويستقصوا أصناف الشجر . أما خلق الصُّور الشعرية ورسم المنظر الطبيعى والتعبير عن الاحساس به وما يولد من العواطف فى النفس فذلك مالا أثر له فى ذلك الأدب الجامد .

ولعلّ الصالونات الأدبية الشائعة فى ذلك العصر كانت أهمّ عائق يعوق الأدب عن التطوّر والتبديل .

فالصالونات لاتقوم إلا على التقاليد ولا تحيا إلا بالأوضاع وقد حرّمت هاته التقاليد على زوار الصالونات كلّ حرية فردية وازدرت بكل محاولة يقدم فيها الشاعر بالتحدث عن ذاته ووصف انفعالاته وتأثراته فكانت القاعدة النافذة هي عدم الخروج عن المألوف وما يدخل تحت قول شاعرنا العربي .

« قد قلتُها ليقال من ذا قالها »

وكم أضاعت الصالونات بسيطرتها على حركة الأَدب وتقييدهِ بتلك القيود الثقيلة من عبقرية ناشئة وقريحةٍ حية وثابة حاولت أن تؤدّى مشاعر نفوسها ومدركات عقولها فقضت عليها تلك الأَوضاعُ والتقاليد وفتّت فى عزائمها فسقطت فى هوة النسيان أو أُدرجت فى كفن الخمول .

وهنالك عائق آخر قعد بالأَدب وقتل فيه كلّ رُوح ونعنى به قاعدة الذوق ، والذوق هو هاته القوانين المورُوثة عن فحول القرن السالف والقوالب التى جعلت للتعبير عن المعانى بأساليب قياسية وطرق تقليدية كلّ نمطٍ من أنماط الأَدب يدرج فى أسلوبه الخاص وطريقته المرسومة . وهاته القوانين تنكر كلّ حساسة وتخرجها من جملة الأَدب ولا تتناول العاطفة أو الميول القلبية إلا كموضوعات للدّرس والتحليل — والويل كل الويل لمنْ يتنكب عن تلك الطرق المألوفة ولا يتبع هاتيكَ الخطة المعروفة .

وكانت اللغة فى القرن الثامن عشر صورةً مصغرةً من الملوكية فمن الألفاظ النبيل والشريف والعامىّ والسخيف ومن الكلمات مالا يُستعمل إلا فى الأغراض الشريفة والموضوعات النبيلة ومنها ما يسكن الأكواخ والخرائب ويعشش فى السجون ويلبس الأطمار البالية ويمشى فى الأسواق .

ومن مميزات أدب ذلك العصر فشوّ الصناعة فشواً كبيراً لأنَّ تلك القرائح الكليلة لمّا أعوزتها ملكة الخيال الخصب والعاطفة الحارة والاحساس الدافق لجأت إلى الاستعارة والكناية والتشبيه لتستر عجزها وتوارى فاقتها ولذلك شاع استعمال الكنايات البعيدة حتى أقيمت مكان الاسم خصوصاً إذا كان هذا الاسم لا يتفق ولغة الأرستوقراطية كالبيض والدجاج مثلاً فلم تعد الكناية لتقريب الصورة إلى مخيّلة القارىء أو لتقوية التعبير وانما صارت ضرباً من الألغاز يقدمه الشاعر إلى الحل بذكر أوصاف الاسم ومميزاته فاذا عرفت الاسم فقد حللْتَ اللغز .

ومن الطبيعى جداً أن تكون اللغة جافةً عاجزةً عن أداء الانفعالات النفسية خاليةً من الصور الشعرية لأنها لغة العقل المجرّد والتحليل الفلسفى والأدلة المنطقية وليست هى لغة الخيال الجامح والإحساس المرهف والعاطفة المشبوبة .

فالعقبة فى سبيل تَطوّر الأدب وانبعاث روح الحياة فيه هى هاته الآفات ولن يَقَع هذا البَعْث والتّطوُّر إلاّ بالتّعفِيَةِ على تلك الأندية الظريفة الشّرْثارة وبالثورة على القَواعد الوارثية وبقَلبِ اللغة رأساً على عَقِب .

حيرة وسآمة

فى أواخر القرن الثامن عشر ظهرت فى الآداب وفى الحياة الفكرية للنوادى ظاهرة قوية هى « يقظة الاحساس » ولم تكن قبلَ ذلك الايقظة فكرية محضة وقد كثر استعمال كلمة Sensible فى كتابات ذلك العصر ولا تكاد تخلو منها صفحة . وقد شوهد فى اشخاص الرّوايات والقِصَص تغيير محسوس فبعد أن كان يَغلبُ على صفات أولئك الأشخاص الحزْمُ والنشاط العملى وتصدر أفعالهم عن تفكير وتعقّل صارت تغلب عليهم رقة الشعور وغزارة العواطف والاستسلام إلى الاحلام والمشى مع الخيال . وقصة « هيلويز الجديدة » لروسُّو قصة حب نشأ وترعرع بين العواطف الشعرية والاندفاعات القلبية ، وقُل مثل ذلك فى رواية « بول وفرجينى » فكأن الاندفاع وراء الشهوات والجرى خلف اللذات وجعْل الحبّ مادياً والغزل خليعاً ماجناً قد بعث السآمة فى النفوس وأوجد فيها فتوراً قاتلا فشعروا بكلل مميت واشمئزاز بالغ من تلك الحياة التى أشعلت بها قلوبهم تلك الغلمةُ العارمة وكأن الاستمرار على الاندفاع فى تيار الحركة العقلية قد قتل الأندية وعمرها بالسآمة والملل لأن تلك المناقشات الفلسفية والحوار المنطقى كانت تخدع بظاهرها البراق ولكنها لاتترك فى النفس إلا أثراً من آثار الاحساس بالفراغ وقلة الجدوى إذ ليس لها غرضٌ ترمى اليه أو غاية تروم الوصول اليها ومن هنا نشأ المرض الذى غمر النفوس بالسآمة ونشر الحيرة على الأفكار ـ فكأن كلّ نفس تتساءل : أين المستقر ؟ وما دواء هذا الجمود والركود ؟ وقد بحثوا عن ذلك الدواء فوجدوه ـ الدواء هو أن ينير حياة الذكاء والعقل واللذة الحسية قبس من حرارة القلب ـ فليست السعادة فى طلب المعرفة من طريق العاطفة وليست لذة الحياة فى أن تفكر وتحلل وتقيس

وتدلل بل هى فى أن تحيا شاعرا بحركات قلبك حاساً مافيه من ثورة وسكون وقسوة ولين، منتشياً بما تثيره الأشواق القلبية من مرارة لذة وعذاب عذب، مغتبطاً بتلك الكآبة المظلمة، مستسلماً لداعى اليأس الذى يشعره براحة العدم.

وهكذا اتجهت هاته النوادى الذكية المفكرة الى الكآبة التى لا سبب لها والآمال التى لا تحد والاحساسات الغامضة والأشواق المجهولة. فكانت هاته الحالة الفكرية الطارئة تهيؤاً ظاهراً لعصر جديد يعتمد فى الأدب على أصول ونظريات لاتمت الى الماضى بصلة أو سبيل.

الرواد

إنْ جعلنا روسّو أول رائد للمذهب الرومانتيكى فما ذلك إلا لأن الرومانتيسم فى جملته وتفصيله هو الأدب الغنائى، وروح الأدب الغنائى هو التحدث عن النفس وما يعرض لها من العواطف والأميال ويعتورها من الآلام والآمال أو هو تغلب « الذاتية » ورجوع كل المطالب إلى ذات الانسان. وروسو هو أول من أدخل « الذاتية » فى عصر الفلسفة والعقل والتحليل والتعليل وقد أخذ مادة كتبه لا من البحث والاستنتاج بل من ذاته القريبة اليه، ونفسه التى بين جنبيه. وانه ليسهل على الباحث أن يستخلص من آثاره نظريات خالدة فى الأدب الغنائى وقصة « هلويز الجديدة » التى سبقت الاشارة اليها هى قصة العواطف والقلب والشعر والحب والذكريات والحسرات. واعترافاته نشيد شعرى حصة الخيال فيها أكثر من حصة الواقع.

فمصدر تلك الحساسة التى شملت تلك الفترة من الزمن إنما هو جان جاك روسو — وقد جاء حين كانت الحاجة اليه، جاء حين سمع الناس من تغلب العقل وتسلط الذكاء وجمود العقول لكثرة ما يلفت من المعقول فأحسوا بانبعاث قلوبهم لما لمسوا قلبه واتصلوا بروحه وعلموا أن المسرة هى التى تأتى من ناحية القلب لا من طريق العقل الذى عجز عن إعطائهم تلك المسرة.

وروسو هو الذى رد أبناء عصره الى الطبيعة لانه كان مفتوناً بها هائماً بسحرها شديد الأدراك لمحاسنها، دقيق الاحساس بمواضع فتنتها، وقد جعل لها مكانا فسيحاً فى كتبه وخلد على القرطاس مشاهد ومناظر من جمالها لاتقل روعة عن صور

أمهر الفنانين وكم وصف فى آثاره لأبناء جيله من شموس مشرقة وأمسيات جميلة وليالى صاحية ومروج خضراء ورياض غناء وغابات مليئة بالاسرار عميقة الأغوار؟ وكم أشركهم فى فرحة العين ومتعة الأذن التى يروقها رؤية النور وجمال الزهور ويطربها حفيف الأوراق وخرير المياه وشدو الطيور وهمسات النسيم؟

والخلاصة اننا نجد روسو فى كل منعطف من منعطفات العصر المقبل، وله يرجع الفضل فى تغليب «الذاتية» على النزعة الفكرية وفى إرجاع الجيل إلى الطبيعة الحية النابضة القلب وفى ترفيه الإحساس وإضراره الأميال القلبية وبعث الحياة الروحية التى تدرك أسرار الجمال وتخلق روح الفن وتجعل من الطبيعة هيكل عبادة وتطهير

أما الرائد الثانى للمذهب الرومانتيكى فهو «شاتوبريان» وقد يكون من العدل أن نجعله أكثر من رائد لأن أياديه على المدرسة الجديدة تجعله شديد القرابة بزعمائها عظيم الفضل على جلة أدبائها. وهو يتفق مع روسّو فى أن كلاً منهما أشاد بعزية أشواق القلب وكلف الحب وأظهر ما فيه من مادة ثرية للفن لكن روسّو كان يتناول هاته الأشواق بصفةٍ عامةٍ ويصف شدة أسرها للقلوب وطغيانها على المشاعر واقتيادها للنفس. أما شاتوبريان فالأشواق القلبية تتشكل معه بشكل آخر وتمتاز بعيزةٍ قوية: فبينما بطل رُوسو يقتنعُ من حبيبته بالحب وينتظر منها إسعاده أو اشقاءهُ نرى بطل شاتوبريان يضع قلبه فوق الحبّ أو فوق ما يكلفُه ويرى كلّ سكرة من سكراته عاجزة عن إرضائه وهو كئيب لأنه يرى أحلامه أكبر من الواقع المحدود وهو معذب لأنه يتصور مثلاً أعلى ويعرف سلفاً أنه عاجزٌ عن الوصول إليه كما يعرفُ أنه لا يستطيع الكفّ عن طلابه.

وقصة (رُنى) هى اعترافات شاب اندفع فى تيار الأشواق المجهولة لأنه سم الواقع واستولت عليه الكآبة وتغلغلت فى أعماق نفسه فلم يعد يشعر بوجوده إلا من ناحية شعوره بالسآمة ونراه يحاول التخلص من دائه فى قلة اكتراث فلا يجد من دواء لذلك الجرح الغريب الذى يحمله فى قلبه . . .

وقد قال شاتوبريان فى مقدمة (رُنى) أنه اكتشف هاته الحالة النفسية التى لم يتفطن إليها القدماء ولم يكتب فيها المحدثون وأكد أنها حالةٌ تسبق عصور التطور وتبشر بمجيء عصر الأشواق الكبيرة وذلك حين تكون ملكاتُ الشبان ملكات ناشطة وقرائحهم طامحة بالحيوية ولكنها ما تزال مكبوحة منكمشة، ولا هى مصروفة

إلى عمل معين وغاية مرسومة . وهاته الحالة تشمل ثلاثة أطوار ، فالأول : هو اللهفة البالغة إلى حد الهوس فى صرف جميع القوى التى يشعر صاحبها بأنها عاطلة مشدودة ، والثانى ، الشعور بالعقبات التى تحول دون الوصول إلى تلك الرغبات العظيمة ، والثالث : الاعتقاد بأنه لو تحققت تلك الأحلام وصارت واقعة لما أرضت القلب أو أعطته طلبته لأنه وهو يرغب فى الشىء يعلم أن لا شىء يستحق الرغبة — ومن هنا كان ذلك القنوط المستسلم وتلك الكآبة المتربعة التى تأثر بها الجيل الناشىء كله وتأصلت عروقها فيه — وإليك هاته الصيحة من (سانت بيف) : « أى رُبَى ! نحن أبناؤك حقاً فطفولتنا كانت مبلبلة بأحلامك وكهولتنا مهيجة من بلابلك ولا تزال ريحك هى التى تحركنا »

ومن أيادى شاتوبريان على المدرسة الحديثة أنه أدخل فى كتاباته تلك الصرخات والصيحات والجمل المعترضة التى تعبر عن هزات النفوس وحركاتها فى حالة الدعاء أو الشكوى أو التذكر والتى جاراه فيما الرومانتيكيون فجاءت عجباً من العجب وهو الذى جدد الصور الشعرية بما وصف من مناظر الطبيعة ومشاهد البلاد الأجنبية وأدخل الاحساسات الحارة بعد أن عفى عليها المدرسيون بأساليبهم الباردة التى تعودت أداء المعانى المتشابهة بأساليب متشابهة .

وأما مدام ده ستايل فهى أول من تكلم على الرومانتيسم فى كتابها «De L'Allemagne» وقالت بضرورة الاقتداء بأدب الألمان الناشىء الفتى .

قالت : إن من المفيد للفرنسيين أن يتعلموا من الألمان عوض أن يفرضوا على الناس الإعجاب بعبقرياتهم وليس المقصود بالتعلم هو مجرد النقل والتقليد — والفرنسيون فى هاته الآونة يزدادون كل يوم فقراً لأن ميزات أدبهم عفى عليها طول مكثهم على ما ألفوا فهى كالدرهم الذى امحت كتابته لكثرة ما مر على الايدى وقد بان عجز التقاليد المدرسية عن إرواثهم بعصارة جديدة . فلماذا لا يطلبون من شعب ناشىء قوى سر إحياء خيالهم وبعث احساسهم وتجديد آدابهم فتحيا نفوسهم بحياتها وتتجدد بتجديدها » ثم تكلمت عن أدب الألمان وقسمته الى قسمين : أدب سكان الشمال ، وأدب سكان الجنوب . وتحدثت عن نوع جديد من أدب الشماليين تجمعه كلمة « رومانتيسم » .

ثم قالت : « وكلمة الرومانتيسم كلمة دخلت منذ عهد قريب الى ألمانيا لينعت بها الشعر الذى تولد من مطوحات الفروسية وعقائد الديانة المسيحية »

ثم قالت : « ان أدب القدامى أدب غريب عند المحدثين لا يمت لهم بسبب وأما الأدب الرومانتيكي فهو عندنا فى داره وبين أهله وهو الأدب الذى يمكنه أن يبلغ الكمال على أيدينا إذ كانت أصوله نابتة فى أرضنا ولان دياناتنا ومؤسساتنا هى التى غرسته وهو وحده الذى يعبر عن عقائدنا ويتناول تاريخنا (أى القرون الوسطى) ويصور انفعالاتنا الشخصية ليحرك منا ويؤثر على نفوسنا »

وهكذا نصحت مدام ده ستايل لمواطنيها بأن يدرسوا أدب الألمان لينتهوا منه الى أدب هو فى آن واحد جديد فى موضوعه ، أوربى فى انتشاره وشموله ، قومى فى منبته وأصوله ؟

(تونس) محمد الحليوى



شعر التصوف

للتصوف فلسفة بعيدة الخيال ، وله أساليب لا يأتيها الجديد وان كانت غير محدودة المعنى ، وللتصوف فى الاسلام حالات موروثة ذات طابع خاص يمتاز بكثرة معمياته وإحالاته على الغيب ، ويمتاز كذلك بطائفة من الاصطلاحات التى لا يستطاع بها تقرير غرض أو تحديد وصف فضلاً عن إرادة معنى مجزوء ، وما عليك إذ تصادفك أو تسعى اليها الا أن تجاوز مالا تستطيع إدراكه الى ما تستطيع فان لم تفهم — وما إخالك — فعليك التسليم اذا لم يطاوعك اليقين .

هذا من مبادىء الصوفية وأما كنهها فكما يقولون شعور روحى بحقائق الوجود . وفى سبيل تلك الحقائق تكثر الإحالات على المجهول والمستحيل ؛ وتعود الحجة الى النقل والتقليد فيما لا يرويه أو يقرره لا كتاب ولا سنة .

فكرة مشتبكة وغيبوبة مبهمة يقولون إنها تسير فيما وراء العقل ومن هنا تحتاج الى ذوق خاص قد لا يؤاتى الكثيرين . وما ظننته واتى أحدا الا فى أستار الخيال .

تلك مقدمة وجيزة أردت بها التصوير لا النقد أسلك بعدها سبيلى إلى شعر التصوف . فللتصوف خيال هبط جله إلى الشعر وللمتصوفة ولع شديد بالوزن والقافية حتى أن أحدهم ليرى فى قدرته على نظمهما دليلا على صفاء روحه واستعدادها

لخرق الحجب . ومن ثمّ كثرتْ المحاولات وكثر المنظوم . وكان أكثر تلك المنظومات ذيوعاً بين رجال الصوفية أقدمها وما رويت عن البارزين منهم . فهى بمثابة حقائق تقضى قواعد الصوفية كما قدمنا بالتسليم بها وإن لم تكف فى ذاتها للدلالة على شيء.

فى هذا الجو الخالى من النقد بل الملىء بالتسليم وتوهم الشعور بما لا يقع تحت الشعور وبين طوائف متباينة الأغراض عامتهم لا يدركون من ظواهر الأشياء وسُنن الحياة وشرائط الدين وتعاليمه شيئاً . وبعض خاصتهم أناس مؤمنون رغبوا فى مُثل عليا لحياة الروح فهم يعملون لها بإضعاف الجسم وإهمال رغبات الانسان وبتقوية أرواحهم بتلك الرياضة وبالسهر والعبادة والوحدة ، والبعض الآخر من الخاصة متورطون أو خادعون فهم لا يفهمون شيئاً من هذا ولا تقوى عزائمهم الا ظاهراً على احتمال عذاب المجاهدة . والخاصة من هؤلاء وهؤلاء حظهم من الثقافة الناحية الدينية من حيث يسودها الوهم أو يتحكم فيها الغرور أو حب التغرير .

فى هذا الجو يأتى شعر التصوف فيملأ تصانيف كثيرة ويتداخل فيما بين الكلام للتدليل والقطع . وهو وإن قلت فيه الأجادة لا يمكن إلاّ اعتباره ناحية خاصة من النواحى التى اتجه إليها الشعر العربى . وتكاد تنحصر أغراض هذا الشعر فيما يأتى :

(١) الوصف وغالبه فى صورة المدح ثناءً على الذات العلية الالٓهية أو فى النبى صلى الله عليه وسلم وفى سيرته وأعماله ، أو فى غيره . ويغلب على هذا النوع أن يبدأ بغزل غثٍّ غير مقصود لذاته ، ولذلك يظهر عليه التكلف كما ينقص تصويره الذوق الغربى الحساس . وطائفة من المدائح والوصف مفرغة من أولها لآخرها فى صورة غزلية سقيمة غامضة وبها يتغنى المتصوفة فى خلواتهم . ومن الوصف والمديح ماهو مقبول الفكرة والأسلوب كهمزية البوصيرى وبعض منظومات ابن الفارض ومنه مالا قيمة ولا أثر له . ويدخل فى باب الوصف والمديح نظم ينسبونه الى العارفين منهم بحقائق عن الروح وعن عوالم أخرى وبأسرار باطنية لا سبيل الى الايضاح عنها إلا بنفس النظم المشير اليها .

وهذه الناحية منزوية حقاً عن عالم البحث فى الأدب العربى وهى بعد جديرة بالدرس والمقابلة بنظائرها من الآداب الأخرى فبعضها جدّ شبيه بليالى «دى موسيه» وبمقطوعات « طاغور » وهى وإن بزّتْ تلك فى الإبهام والغموض فانها لا تجاريها فى العظمة الفنية .

وما يأتى من المختارات التى تسترعى النظر فى هذا الباب :

ا . من قصيدة فى « الحقيقة الأحمدية » الخطاب فيها للنبي صلى الله عليه وسلم :

يا مجتلى الحقّ صِرْفاً لا يشاركه ... فى الله وهمٌ ولا رسمٌ ولا ظلُّ
يا جامعا للسّوى بيناهُ منفرداً ... بالله ما راعه فى ربّه شكلُ
يا من تحمّل مجلى الذات مُسْفِرَةً ... والكلُّ دون احتمال الوصف قد كلّوا
يا طلعة الحق فى ذاتٍ وفى صفةٍ ... الكلُّ مندثرٌ فيها ومُنْحَلُّ
الخلق والأمر فى مبناك مرتبةٌ ... لكنّ معناك رمزٌ ما له حلُّ
يا كنز نور الخفا فى عين وحدته ... يا غيث حقٍّ على الأكوان منهلُّ
تغدو فيافى الدجى من وَكْف راحته ... غياضَ أُنسٍ بماء الله تخضلُّ
يا روح معنى صفاء الكُنْه يا حَرَمٌ ... على وصيدِ سناه يسجدُ العقلُ
يا ناشر العلم مِن أخفى حقيقتِهِ ... بالعلم يا حرم التحقيق يا حِلُّ
ما لاح فيه سوى حقٍّ وأنت له ... محرابُ قوس وفيه الكل قد صلوا
حسب الجميع سناك الحق مرحمة ... يا من تحقق بالحقّينِ يا وصل

ب . من قصيدة أخرى فى نفس المعنى ونفس الخطاب :

يا أول الحُجُب العليا يحجبها ... وجه الظهور وسر السر مستترُ
يا طلعة الحق يا مجلى القديم ويا ... كنز البداية يا عينٌ ويا غيرُ
أنت الهُوِيّةُ فالآثار قد ظهرت ... فى عين ذاتك والأعيان تنفطرُ

ومنها :

هذا الذى حَجَبَتْ أنوارُهُ حُجُباً ... لولاه دُكّتْ وَدُكّ العينُ والأثرُ
هـذا الذى حمل المجلى القديم بلا ... سِتْرٍ ومن وصفه الآثار تنتثرُ
هذا الذى حمل الأسماء من قِدَمٍ ... والكون من بعض ذاك السر ينفطرُ

وهناك ما هو أكثر اغراقا فى الابهام ولكنه دون ما أوردت أسلوبا وقبولا وفيما سبق من هذا ما يكفى ولننتقل إلى إغراض أخرى .

(٢) التعاليم الصوفية وآداب السلوك فيها وفى ذلك من النظم الكثير فى الدعوة إلى سلوك طرق الصوفية والائتمار بأوامر رجالها وتسليم القياد لهم، ونزع الإرادة، واعتزال الناس، والخلوة، واعتقاد كل ما يقال أو يروى عن العارفين مما لا حدود له ولا ضبط لروايته وتأويل ما ينبهمُ على الفهم أو يتعارض مع المألوف أو الشرع من أحوال المتصوفة .

وما يأتى مثل لذلك فى التعريف بآداب المريد مع شيخه :

أخلصْ ودادَكَ صدقا فى محبته والزمْ ثرى بابه واعكفْ بناديه
وأحذر بجهدك أن تأتى ولو خطأ مالا يُحب وباعدْ من نواهيه
وكن محبَّ محبيهِ وناصرَهم والزمْ عداوة من أضحى يعاديه
واترك مرادك واستسلم له أبداً وكن كميْتٍ رميمٍ فى أياديه
ومن امارة هذا أن تُؤَوِّلَ ما عليك أُشكل اظهاراً لخافيه

ومثلٌ آخر من أداب السلوك :

ومن لم يكن سلبُ الإرادة وصفه فلا يطمعنْ فى شمِّ رائحة الفقرِ
ومن يعترضْ والعلمُ عنه بمعزلٍ ير النقص فى عين الكمال ولا يدرى
ومن لم يوافقْ شيخه فى اعتقاده يظل من الأنكار فى لهب الجمر
فذو العقل لا يرضى سواه وان نأى عن الحق نأيَ الليل عن واضح الفجرِ

وأمر بهذه الاداب دون مناقشة لأننى أقصد الى نقد الشعر لا الى نقدها ومن الاغراض .

(٣) الهجاء وعريب أن يكون الهجاء من أغراض شعر التصوف الذى تدلى البداهة على انصرافه عنه . ولكن المتصوفه ينظمون فى المنكرين عليهم أو فيمن ينقدهم أو يتعرض لهم أقذع الهجاء ويعتبرون ذلك قربى لله وتوفيقاً منه . وهذا الضرب من الشعر لا روعة له ولا فن فيه .

وقد تكون هناك أغراض أخرى ولكنها ثانوية القيمة .

والآن نستعرض شعر التصوف لنرى حظه من الموسيقى والمعنى واللفظ . فاما

أسلوبه وللفاظه فيمكن إلحاقه فيهما بالنوع (السكلاسيكى) من الشعر العربى لأن ناظميه مقلدون غير منشئين ولأنها تكاد تتخذ ثوبا واحداً تقليديا فى المدح والوصف وهما من أهم أغراض هذا الشعر .

وأما عن المعنى فهو قريب المأخذ فى بعض الحالات بعيد التصور فى الأخرى يغلب فيه التفكك ويكاد يلمس عدم القصد لما تدل عليه بعض الألفاظ من معانى لما تفيده تلك المعانى من شطط ولغو فالألفاظ تتحكم فى أكثر مانظم من شعر الصوفية واذا راجعنا ثقافة المتصوفة العامة وفضولهم على الشعر أمكننا أن نقدر أن التصوف على حالته غير دقيق . وانه بقصر عن التعبير عن المعانى الجليلة والآداب السامية التى لاشك ان التصوف لا يخلو منها وإن كنا لانرى تصويرها فيما نرى أو نقرأ بل على النقيض نرى آدابا بعضها مما لا يليق بالعقل أن يقبله .

وأما موسيقيته فهى مما يهتز له المتأثر بمبادىء التصوف وآدابه والذى لم يتهيأ له أن يزن الشعر فى فنونه وأغراضه أوحتى أن يسمعه . وليست مما تسهل إساغته للسامع المتمعن .

هذه نظرة سريعة لشعر التصوف أرجو أن أكون قد نبهت بها اليه ؟

محمد فريد عبد القادر





هرقل وديانيرة

HERAKLES & DEIANEIRA

كان هرقلُ مضربَ المثل فى البأس ، وكان كثير العشق كثير التقلّب ، وكانت مليكة حبه أخيراً الفاتنة ديانيرة التى عشقها قبله أَخِلوس أحد آلهة الأنهار ، وكان أخلوس إلـهاً قوياً واسع الحيلة ، فحاول التغلّب على منافسه هرقل إذ كان أخلوس يتشكل بصور شتّى ليفاجىء هرقل منافسه ويصرعه وهو بعيدٌ عن الحيطة والحذر . فكان هرقلُ يتغلّب عليه دائماً بالرغم من مفاجآته ، وكانت اخر صورة له ظهوره فى مظهر ثور قوىّ غلاّب ، ولكن هرقل تمكن من مغالبته وإحراز نصرة الأخير عليه إذْ انتزع أحدَ قرنيه فقدمه قرباناً الى ديانيرة ، وأقيمت بمناسبة ذلك حفلةُ عرسهما . وكثيراً ما كان هرقل ينسى بأسه وقوته ، فحدث فى حفلة العُرس أن غضب على أحد الخدم لسوء تصرّفه فضربه ضربةً أفضت الى موته بينما لم يكن يعنى سوى نهره .. . وجاءت الآلهة تحاكم هرقل فحكمت بنفيه ، ولكن عزّاه أنه سيصطحب معه ديانيرة .

سار هرقل وديانيرة الى منفاهما وفى الطريق اعترضهما نهرٌ عظيمٌ ، وقد بحثا عند شاطئه عن وسيلة لعبوره فلم يوفّقا ، وأخيراً وجدا إفينس ـ ذلك الجواد العجيب الإنسىّ الصورة الممتلىء حكمةً وعاطفةً ـ وقد أحبّ العزلة ، فواجهاه وسألاه المعاونة لاجتياز النهر فلبّى عن طيب خاطر وبدأ بنقل ديانيره . ولكنْ هرقل لحظتئذٍ خطَوَه فقدّر سرّ ذلك وهو شغف إفينس بديانيرة ، وعز ذلك صياحُها حينما اقتربا من الشاطىء الآخر ، فأسرع هرقل وسدّد الى إفينس سهماً أصماه ، ولكن قبل وفاته أدرك بها الشاطىء . وحينئذ صرّح لها بأنه يموت شهيدَ حُبّها ، ثم خضب رداءها بدمه وقال لها إن هرقل كثير الملال والتقلب وسيأتى يومٌ قريبٌ يعطى فؤادَه الى غيرها ، وحينئذ عليها أن تهدى اليه هذا الرداء الخضيب فتجتذب قلبه ثانية ، ثم مات ...

وأدركها هرقلُ أخيراً فاذا به يجد إفينس ميتا ، ورأى فى سلامتها حياةً جديدة له ، ولكنهما لم ينعما طويلاً بحياتهما الغرامية إذ قضى تقلّب هرقل بأن يهجر ديانيرة ويحبّ بدلها أيول الجميلة ، فأحزن ذلك ديانيرة حزناً عظيماً ولكنها تذكرت الرداء الخضيب فأرسلته الى هرقل وكان مع أيول حينئذ ، فضحكا من هذه الهدية التى أرسلتها ديانيرة الغبية فى عُرفهما ، وألقى هرقل بالرداء على كتفه فسقط ميتاً ..!

ولما أتى ديانيرة النعىّ الأليم بكت بدموع البريئة الآثيمة وهى فى أشدّ الندم والحيرة لاتدرى كيف مات هرقل وما مبلغ نصيبها ونصيب الرداء الخضيب فى موته وأىّ سرٍّ فى ذلك ، ولبثت تشتهى الموت منقذاً لها من حزنها العظيم ولبثتْ تسأل الآلهة ولكن الآلهة أبتْ أن تجيب . . .

***

(هرقلُ) وكمْ لهرقل العظيمْ وقائعُ تُنْسِى فخارَ القديمْ
وقائعُ فى بأسِهِ لا تُحَدُّ وفى عِشقِهِ دائماً لا تُعَدُّ
(هرقلُ) على بأسهِ صار يَنْسَى مَدَى بأسهِ ، وكذا البأسُ يَنْسَى
ففى ساعةِ الحظِّ مِنْ عُرْسهِ وقد جُمِعَ الصَّفْوُ فى أُنسهِ
أصاب بضربتهِ خادمَهْ جزاءَ تصاريفهِ الغاشمهْ
وما كان يَعْنِى سوى نَهْرهِ فراحَ الشهيدَ الى قبرهِ !

***

وجاءتْ تحاكمُهُ الآلهَهْ ولكنْ على أسَفٍ والهَهْ
فكان له النَّفْىُ منها الجزاءْ وفى النفى مَعْنًى كمعنى الفناءْ
ولكنْ أباحتْ له زوجتَهْ رفيقاً ، فألْفَى بها رحمتَهْ

***

وكانتْ (ديانيرةُ) الغاليهْ جَمَالاً تجَسَّمَ فى غانيهْ
تشوق مَفَاتِنُهَا الآلهَهْ بروعتها الحلوةِ النابهَهْ
فَجُنَّ بها (أخِلوسُ) الجليلْ وكان إلَـهاً لنهرٍ جميلْ

وحاولَ في ألفِ لونٍ وحيلَهْ يخادعُها لتكونَ الخليلهْ
وكم مرةٍ واحَ يسعَى ليُرْدِي (هرقلَ) فلم يزدجرْ عند حَدّ
(هرقلُ) العزيزُ القويّ الحبيبْ (هرقلُ) المذلّ القُوَى والقلوبْ
الى أن بدا مثلَ ثورٍ عنيدْ يروّع حتى (هرقل) الشديدْ
ولكنْ (هِرَقلُ) الجريءُ القويّ تغلّبَ مثلَ الأبِيّ الصّفيّ
تَغلّبَ مُنتزعاً قرنَهُ فأفقده أبداً فنّهُ
وكان له تحفةً يومَ عُرْسِهْ ولكنما العُرْسُ أفضَى لبؤسِهْ
وإنْ كان قد غنم الفاتنهْ وصارتْ بها نفسُه آمنَهْ

***

إلى النّفيِ قد أزمعَ العاشقانْ فسارا بروحِ الشجاعِ الجبانْ
وللحبّ معنى يبزُّ المعاني وهل يشمل الحبُّ الاّ التفاني ؟
فكلٌّ عسيرٍ لديه يسيرْ وساوَى الخطيرُ لديهِ الحقيرْ
وجاءا بسيرِهما عند نهرِ كثيرِ المخاطرِ بالموتِ يجرِي
ولم يجدا قارباً للعبورْ وقدسخط الموجُ سخطَ الدّهورْ
وبينا هُما في همومٍ ويأسِ تراءى جوادٌ شبيهٌ بإنسي
وما هو الاّ الشريدُ الحكيمْ على عزلةٍ هي مرُّ النعيمْ
تخلّى عن الناسِ مستوعبَا حياةَ التأمّلِ مستعذِبَا
وكم فيه مِنْ حكمةٍ للألوهَهْ ومن ضعف دُنيا الأنامِ السفيهَهْ
فجاءا اليه لكيْ يسألاهْ معاونةً في عبورِ المياهْ
فرحّبَ بالعوذ في مقدرَهْ وأظهرَ نخوتَه الخيّرَهْ
وأعطى (ديانيرةَ) أوّلا عنايتَه لاحِظاً مأملا
ولكنْ (هرقلُ) رأى عبرَهْ بطيئاً، فألهمَه سِرّهْ
وعزّزَ هذا صياحُ الفتاهْ وقد أوشكتْ أن تجوزَ المياهْ

فأصْمَى (هِرَقْلُ) بسهمٍ مصيبْ (إفينسَ) ذاكَ الجوادَ العجيبْ
ولكنْ (إفينسُ) رغمَ الإصابَهْ تَمكّن من أن يؤدّى حسابَهْ
وقبلَ المماتِ هوى فى وفاءْ وخضَّبَ بالدم طرفَ الرداءْ
وقال لها : « أنا رمزُ الغرامْ أموتُ شهيداً أُحَيِّى الحِمامْ
أموتُ وأعطيك سِرِّى العظيمْ بروحِ المحبِّ البخيلِ الكريمْ
إذا حان يومٌ وأعطى (هرقلُ) سواكِ فؤاداً له كم يملُّ
فأعطيه أنتِ الرداءَ الخضيبْ يعودُ إليكِ الوفىُّ الحبيبْ
فإنَّ دمى مِنْ صميمِ الغرامْ يعيش ولو ذاقَ جسمى الحِمامْ ! »
وماتَ ضحيةَ هذا الهوى ومَنْ ذا الذى خافه وارعوَى ؟
ولمّا استطاع عُبورَ المياهْ (هرقلُ) رآها جديدَ الحياهْ !

* * *

وما مرَّ عهدٌ سعيدٌ طويلْ على نَشْوَةٍ فى الغرامِ الظليلْ
فإنّ جُموحَ (هرقل) الغريرْ مَضَى بالنعيمِ العزيزِ القصيرْ
وخلّفَها فى أسًى واغترابْ تنوح على قلبها والشبابْ
وحينئذ ذكرتْ كنزَها وقد لمحتْ إثرَهُ عِزَّها
فأهدتْ إليه الرداءَ الخضيبْ هديةَ قلبٍ يُناجى الحبيبْ
وكان (هرقلُ) طرُوباً يغنّى (أيولَ) الهوَى وأحبَّ التّغنّى
وقد هزّها بالرداءِ الهديَّهْ لعُرسِها من فتاةٍ غبيّهْ
فألقى (هرقلُ) به فوق كتْفِهْ فكان الرداءُ كسهمٍ لحتفِهْ !

* * *

ولمّا أتاها النَّعِىُّ الأليمْ بَكتْ بدموعِ البرىءِ الأثيمْ
بكتْه (ديانيرةُ) النادمَهْ وناحتْ لآلهةٍ ظالمهْ
وحارتْ وثارتْ تودُّ المماتْ فليس سواه كريمُ الصفاتْ

وليس سواه طبيبٌ يُرامْ اذا خذلَ الدهرُ أهلَ الغرامْ
ولم تدرِ هل خُدِعَتْ أم أُصيبْ (هرقلُ) بموتٍ خفيٍّ غريبْ
وكم سألت في الأسى والهـَهْ فصمَّتْ ولم تَنْبِسْ الآلِهَهْ !

احمد زكى ابو شادى



جمعية أبولو

أُجريت الانتخابات السنوية يوم ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٣٣ وأسفرت عن تأليف المجلس هكذا :

الرئيس : خليل مطران . الوكيلان : أحمد محرم وابراهيم ناجى . السكرتير : أحمد زكى أبوشادى . الأعضاء : أحمد الشايب ، محمود أبو الوفا ، حسن كامل الصيرفى سيد ابراهيم ، اسماعيل سرّى الدهشان ، محمد الهياوى ، زكى مبارك ، الآنسة جميلة محمد العلايلى ، مختار الوكيل ، صالح جودت ، رمزى مفتاح .

وقد رُوعى فى انتخاب أعضاء المجلس التجانس النفسيّ وتمثيل الشيوخ والكهول والشباب من الشعراء .

واختير للَّجنة التنفيذية : حضرات اسماعيل سرى الدهشان ومحمود أبو الوفا وحسن كامل الصيرفى مع الرئيس والسكرتير .

وقدم استقالته من الجمعية كلٌّ من حضرتى على محمود طه المهندس وكامل كيلانى فقبلها المجلس مع الأسف .

وسيكون الاجتماع الآتى بنادى الصحافة بشارع جامع جركس عند منتصف الساعة السادسة بعد ظهر يوم الثلاثاء ١٠ أكتوبر الجارى .

اتحاد الأدب العربى

THE ARABIC LITERARY UNION

(جمعية ثقافية امية لخدمة الادب العربى)

منذ تكوين « ندوة الثقافة » التى تجمع الآن فى رعايتها ست هيئات علمية وأدبية وفنية ونحن نشعر بالحاجة الماسة إلى تأسيس هيئة أدبية عامة أمميّة الصبغة تكون خالصة الخدمة للأدب العربى من ناحية ، ولأهل العروبة فى المودة والتراحم من ناحية أخرى ، وتتسامى فوق كل الاعتبارات المحلية أو الشخصية ، وتندمج مع الهيئات الأخرى فى مجموعة « ندوة الثقافة » بحيث تتألف من المجموع وحدة قوية متجانسة شاملة لخدمة العلم والأدب والفنّ لا فى مصر وحدها بل فى شتى الأقطار العربية وإن كان مركز الحركة فى القاهرة ذاتها .

وللندوة مجلس مشترك ، تمثّل فيه جميع الهيئات التى تشملها الندوة برعايتها ، وهو ينظر فى صوالحها المشتركة ويقرر بالتفاهم معها ما يراه مُجدياً مع احتفاظ كل هيئة باستقلالها واستقلال مجلسها بشرط أن لا يتعارض ذلك مع هذه الصوالح المشتركة . و « الندوة » فى حالتها الحاضرة هيئة أدبية اجتماعية ، ولكنها تمهّد الى التحوّل فى المستقبل الى هيئة مالية تعاونية لتضمن حياةَ جميع هذه الاعمال المفيدة ولتكون المسيطرة عليها من جميع النواحى وكل هذا يكون بطبيعة الحال بقرار مجلسها المشترك .

وإزاء هذا العمل الثقافى الكبير ، الذى لا يضنّ بالرعاية والتعاون على أى هيئة ثقافية أخرى تريد الاندماج فيه على مثل هذا الأساس ، نأمل أن يؤازر « الاتحاد » جميع الأدباء الغيورين مع العلم بأنه ليس للعضوية بدل اشتراك وليس عليها أساساً أية مسؤولية مالية ، وأىّ نفقات محدودة للاتحاد يستمدّها من « الندوة » ، وفيما عدا ذلك يترك لمجلس إدارته تقرير ما يراه ملائماً من التدابير المالية لأعماله الاستثنائية المفيدة .

وقد وزّعنا نشرة بهذا المعنى على رجال الأدب والصحافة للاجتماع بنادى الصحافة بشارع جامع جركس عند الساعة السادسة بعد ظهر يوم الجمعة ٦ أكتوبر سنة ١٩٣٣ للنظر فى انتخاب مجلس الادارة وتنظيم أعمال « الاتحاد » .

موسم الشعر

ننصح لقرائنا المهتمين بموسم الشعر أن يتصلوا بسكرتير «جماعة موسم الشعر» حضرة الشاعر الحاج محمد افنـدى الهراوي بدار الـكتب المصرية بالقاهرة ليتلقوا كل ما يهمّهم من بيانات عن الموسم وعن شروط الاشتراك فيه .

وقد وجَّهَ مجلس الجماعة دعوةً رسمية إلى (جمعية أبولو) للاشتراك بكل قوتها فى هذا الموسم ، وبناءً على ذلك ننشر هذا التوجيه الى أعضائنا حُبّاً فى نجاح الموسم وتوحيداً للجهود . وسينظر مجلس (جمعية أبولو) إزاء ذلك فى الصورة الجديدة المناسبة التى سيتخذها احتفال الجمعية السنوى دون أن يؤثر ذلك على موسم الشعر .





الفطرة ـ الوفاء أو النفس المطمئنة ـ ذكرى محمد

ثلاثة دواوين شعرية بقلم احمـد محمد سالمـان

المدرس بمدرسة غمرة الابتدائية للبنات

تتردد فى جوانب حياتنا الأدبية فى هذه الأيام صيحات زأرت وجأرت منـذ أمد ثم خفتت ثم عادت الى الوجود ثانية ، فماذا نفهم من صـدى تلك الصيحـات ؟ لا نفهم سوى انها ثورة على الجديد والمجددين ، ثورة يقيمها اخواننا الثـائرون على النهضة الشعرية الجديدة التى يعدّونها معاول تهدم اللغة وتقوّض أركان عزها وتفسد معانيها وتعفّى على آثارها ، ولا يروق لهم قراءة بيت من الشعر الحديث إلا ساخرين هازئين ، فهل هم على حقٍّ فى ثورتهم ، وهل هم جادّون فى سخريتهم وهزئهم ؟

لقد ساءلتُ نفسى هذا السؤال مراراً لولا ثقتى القوية بخطواتنا الثابتة الجريئـة فى سبيل إنقاذ الشعر من الانحطاط يعيد الى أذهاننا ذلك الهذر الذى نقرأه فى صحائف

التاريخ فى عهد المماليك وما تلاه حتى بدء الاحتلال الانجليزى وبعض السنوات التى أعقبته . كنت أسائل نفسى كلما ردد الجوّ صيحـة من هؤلاء الساخرين فلا أعرف معنى لهذا إلاّ المعنى الذى ينطوى فى الثورة التى أقامها الجامدون فى أوروبا على من ابتكر المظلة بحجة انه يستظل فيها مما أنزله الله عليه ، وتلك الثورة القريبة العهد التى أثارها بعض العلماء فى مصر عندما فكرت وزارة الاوقاف فى إنقاذ المصلين من « الحصر » القذرة التى كانت تعشش فيها الجراثيم وتتوالد .

عرفتُ معنى ثورتهم علينا وعرفتُ أكثر من ذلك مداها وحقيقتها ، وأدركت إنْ كانت على باطل أم على حق ، وزادت معرفتى عنـد ما قرأت تلك الكتب الثلاثة وهى نموذج من النماذج التى يريدوننا على النسج على منوالها بعد قراءاتى أمثالها لمن ينظمون مثل هذا النظم ، وكنت اسمع الثناء العاطر عليهم والتهليل الداوى لهم بمقـدار الصرخات العاتية والمطاعن القاتلة التى تقابل بها .

أيـكون هذا الثناء العظيم وأشعار المدح والتقريظ من مثل قول السيد حسن القاياتى عن مؤلف هذه الكتب الثلاثة :

يا نجىّ الهدى سموتَ نبيّاً ونبيّاً سرى فقام نجيّا
فارسىُّ (سلمان) بيتك فأْذَنْ فى القوافى (سلمانك العربيّا)

صادراً عن شعور صادق وإن كان مثل هذا الثناء كلاماً مرصوصاً تحار الكلمة فى فهم جارتها أكثر من حيرة الناظم فى رصّها !

غير أن الذى يعنينى هو أن أبرهن انّ مثل هذه الأوسمة المزيفة توضع جزافاً على صدور الناظمين الناسجين على المنوال الذى يعجب مثل هؤلاء ويعجب أكثر من هؤلاء جماعة الناقدين الذين يتربعون الآن على عروش النقد فى مصر .

يقول مؤلف هذه الكتب :

وما هو إلا رجاءٌ أضاء بزيت الرضا بيتَ قلبى وعمّ !

فينال مثل هذا الثناء ويعجب به القوم الذين لا يرضيهم العجب !

فلننظر الى نماذج لبعض الشعراء المجددين .

يقول ناجى فى قصيدته « الحياة فى شارع » :

أُنظر الى سيارةٍ كالأجَلْ مجنونةٍ ليست تبالى الزحامْ
هذا الردى الجارى اختراع الرَّجُلْ هل بعد صُنع الموت شئٌ يرامْ ؟!

ويقول ابو شادى فى قصيدته « الشروق الهادىء » :

أُمَمٌ أنشدت دعاءً مجاباً ولـكلٍّ لُغَى وروحُ ابتهالِ
أنشدتْ كلها بصمتٍ رهيبٍ أو بنطقٍ كالصمتِ حيٍّ الجلالِ
انشدتْ دعوةَ الصباح فلبَّى ذلك الصبحُ من إسارِ الليالى
وأتَى هائباً توسَّلَ بالشمْس حِماهُ فأشرقتْ فى اختيالِ

ويقول الشاعر القروى (رشيد سليم الخورى) :

والبدر كالناشىء العصرىّ عادضحىً من مرقص النجم يشكو الضعف والخورَا !

ويقول إيليا أبو ماضى فى قصيدته « الـكمنجة المحطمة » :

مهجورةٌ كسفينةٍ منبوذةٍ فى الشطّ غاب وراءه ماضيها

أو :

كمدينـةٍ دكّ القضاءُ صروحها دكاً وكفَّنَ بالسكوتِ ذويها

ويقول محمود أبو الوفا فى قصيدته « القبلة الأُولى » :

بلبلتِ أحلامى فصِرْنَ أشـعةً كيما يَصِلْـنَ مع الضياءِ إليكِ

ويقول الياس فرحات :

جمالُ الليـلِ فى هـذى المرَاعى حقائقـهُ ، وفى المـُدُنِ الرسومُ

ويقول شفيق المعلوف يصف موطنه « زحلة » :

ربةُ الشعرِ على ضفـَّته تخِذتْ صفصافةَ الغور مظلـّهْ
غلغلتْ فيهـا وهـذا شعرُها علقتْ فى كل غصنٍ منه خُصْلـَهْ
والروابى خلع الفجرُ على منـكبيها الشُّعَلَ الحمراءَ حُلـَّهْ
شرب النهر لظاها بارداً وسقى ابناءَهُ فى الماء شُعْلـَهْ

إذا قال هؤلاء الشعراء المجددون هذه الفلذات المقتطعة من أكبادهم ومن الطبيعة ومن الحياة التى يعيشون فيها فبدت صورةً لعصرهم كان هـذا هو الهراء واللغو والعبث والافساد فى نظر ناقدينا وفى نظر الساخطين علينا !

أفبعد هذا تكون ثورتهم على حق ؟ إنها قائمة على شئ قد يكون إلى الحقد أقرب ، والى الخوف من النهضة التى تكتسح الباطل وتقيم الحق فى صروح ممردة من المعانى الجديدة والأساليب القريبة الى الشعور حتى يمكننا ان نسمى الشعر العربى بعد ذلك شعراً فلا نخجل أمام الأدب الغربى ولا نخجل أمام الأجيال القادمة ؟

حسن كامل الصيرفى



العاصفة للأطفال

تلخيص كامل كيلانى ، ٦٤ صفحة

بحجم ١٤ × ٢٠ سنتى ، مطبعة المعارف

لملخّص هذه المسرحية الشعرية الجميلة وَلَعٌ شديدٌ بالأساطير والقصص ، وهو يُعَدُّ من أظرف المحدثين ومن أبين الكتاب أسلوباً ، ولذلك كان موفّقاً جدّ التوفيق فى تآليفه القصصية العديدة لخدمة مكتبة الطفل ، وهى المكتبة التى تُعنى بتكوينها وحسن اخراجها مطبعة المعارف بالقاهرة فى أبهى حلّةٍ وأجمل طرازٍ .

ولما كانت هذه المجلة لا تُعنى بغير المؤلفات الشعرية فقد تخطينا مؤلفاته الاخرى القيمة التى أهدت الينا مطبعةُ المعارف مجموعةً كاملةً منها لننوّه تنويهاً خاصاً بهذه الرواية التى هى إحدى «قصص شكسبير للأطفال» فقد أبدع أديبُنا الملخّص فى أسلوبها وحسن تلخيصها ، ولاغرو فهو مالكٌ لناصية العربية نظماً ونثراً ، وقد جمع تلخيصُه بين دقة الصناعتين وإن جاء جُلُّ القصة نثراً ، ونرجو أن يوفَّق قريباً الى إخراج بقية هذه القصص الممتعة المهذبة .

وإزاء هذا الجهد القيم ونجاحه المطرد نحّيي المؤلف الغيور أحسن تحية ، ونشكر لمطبعة المعارف عنايتها الثقافية بمكتبة الطفل التى أصبحت مضربَ المثل فى الاتقان والنجاح .

الشعلة وأطياف الربيع

للدكتور أبو شادى

صدر هذان الديوانان فى عامنا الحاضر — الأول فى مستهل العام وقد جمع جانباً من شعر الدكتور أبو شادى فى الوطنيات منذ سنة ١٩٢٨ مع شعره الفنى المنوَّع حتى نهاية السنة الماضية ، وأما الثانى فقد جمع شعره حتى آخر أغسطس سنة ١٩٣٣ وكان صدوره فى أول سبتمبر الماضى ، وفى كلٍّ من الديوانين دراساتٌ أدبيةٌ مفيدةٌ

وليس الغرضُ من هذه السطور دراستهما ، فقد تناولتْ ذلك صحفٌ ومجلات شتَّى ، وقد قلتُ كلمتى عنهما فى مناسبات أخرى ، ورئيس تحرير (أپولو) يحرص على فراغها كل الحرص ويؤثر توجيهه الى غيره من الشعراء ، ولكن غرضنا التنبيه إلى العناصر الأساسية التى تقوم عليها «مدرسة أپولو» والتى تتجلَّى فى شعر أبى شادى: ففى الوقت الذى يدعو السنيور مارتينى فى مجلته الايطالية (الشعر) بمؤازرة (جمعية أدب المستقبل) الى نبذ كلّ قديم فى الخيال والشعور والأسلوب ، وفى الوقت الذى تظهر نظيرة هذه الجمعية فى فرنسا باسم (جمعية الكتاب والفنانين الثوريين) ، وفى الحين الذى يشترك فى مؤازرتهما فريقٌ من أعلام أدباء الغرب ، لا يُستكثر على مثل أبى شادى وأقرانه توجيه الشعراء الى الطلاقة والحرية المنسجمة والتعبير الصادق الفيّاض عن شخصياتهم ، مع نبذ القيود التقليدية السخيفة ، وتقديس الجمال أينما كان ، وربط الشعر بصوفيته رباطاً وثيقاً ، والتعالى به عن الأمور العرضية وبينها استرضاء الجمهور . . . .

كلّ هذا يتجلى فى شعر أبى شادى وشعر أقرانه ، والقارىء لدواوينه يرى بواكير النهضة الجديدة التى تدين بأبوّتها الأولى لمطران زعيم التجديد غيرَ مدافَع .

وانى أنصح للذين يعيبون على أبى شادى أصالته وسماحته وجراءته التجديدية التى تخدم الأدب العربى الحديث أجلَّ خدمة أن يتدبّروا لحظةً جهود لويس أراجوان وأقرانه فى فرنسا ليروا أن شاعرنا المصرى الكبير لم يسلك أيَّ مسلك غريب فيما هدته اليه فطرتُه ، وانما هو يُنفِّس عن عبقريته ويعبر عن روح عصره وإن تطلَّع أيضاً الى المستقبل البعيد — شأن كل فنان موهوب ؟

محمد عبد الغفور

سيرة حيـــاتى

تأليف توفيق فضل الله ضعون — ٣٦٢صفحة بمقياس ١٤ × ١/٢ ١٩ مم .
طُبع فى سان باولو (البرازيل) ومجلد تجليداً فنياً بالقماش —
يُطلب من المؤلف ص . ب ١١٥٨ بسان باولو

لا تتناول هذه المجلة بالدرس غير دواوين الشعر والمؤلفات التى تُعنى بدراسة الشعر ونقده ، والـكتاب الذى بين يديْ كاتب هذه السطور ليس من هـذا القبيل ولا ذاك ، ولـكن صاحبه الزميل الفاضل صاحب مجلة « الدليل » شاعر ، وكتابه الممتع الجميل محرَّر بروح البحاثة الشاعر ، وقد ضمنه أهمّ ما جرى له من الحوادث فى سوريا ومصر والسودان وسواها من البلدان فى قالب روائى فـكاهى وأصـدره بمناسبة بلوغه الخمسين من العمر . وانى لزعيم لـكل من يقرأ هذا الـكتاب انه سيجد فيه فوائد منوعة كثيرة ، وسيشوقه كثيراً أسلوب المؤلف الوجدانى .

وأما ما يروق قراء أپولو بصفة خاصة فهو شعر ضُعون . قال يصف « الهبوب » (الاعصار الرملى الهائل) فى انسودان وذلك منذ خمسة وعشرين عاماً :

اذا هجمَ (الهبوبُ) تخال طوداً رفيعَ الروقِ قد جدّ المسيرا
يحاول أن يسدَّ الأفقَ كبراً ويبنى منه (للخرطومِ) سُورَا
وفيه النارُ يغشاها رمادٌ تولِّدهُ فيمنعها الظهورَا
تلاطمَ مثلَ موج البحرِ لـكنْ بلا صوتٍ اذا لطم الصخورَا
وجاء بصمتهِ يُوحى الينا عظاتٍ قد جهلناها غرورَا :
« أنا سخط الطبيعةِ لا أُجارَى وقد جاريتُ فى سيرى الطيورَا
تشامختم علىَّ بصنعِ أيدٍ شكتْ مِنْ ضعفها أبداً قصُورَا
سـأظلمكم فلا أبقى قنوعاً وأُحرجكم فلا أبقى شكورَا
وأملأ جوفَـكم فى يوم كرّى مَراراتٍ وأُصلى العينَ مُورَا
ولـكنْ حاذروا انـكارَ فضلى فيومى الحلوُ لم يَبْرَحْ مَطيرَا
فهيّا أَوْصِدُوا ابـ ،وادعوا اذا عجز الضعيفُ دعا القديرَا ! »

« ٥ »

متى رأت السماءُ الأرضَ مادتْ … وقام النقعُ يسترها فُجورَا
تعاجلَها بغيثٍ مثلِ دمعٍ … سواه قطّ لم يَمحُ الشرورَا !

فهذه الأبيات محتفظة بجدّتها وقوتها لأنه لا أثر للصناعة فيها ، بل أبرز صفاتها حرية التعبير الصادقِ كما هو شأن كثيرين من شعراء لبنان . وهذه الحرية مما يُعاب عادةً فى مصر (حيث يؤثر الرنين اللفظى) ، وعلى الأخصّ متى اقترنت بألفاظ غير تقليدية أو ليست من محفوظ الكلام ، فحينئذ يعدّ الشعر بعيداً عن « التمام الفنى» (le fini dans l'art) وإن تألق بالشاعرية المبدعة ، بعكس الشاعر المتوسط أو الكاتب المتوسط الذي يحفظ الكثير من مألوف التعابير الأدبية فانه يُصَفَّق له ويعتبر من أعلام الفنّ ، ولكن الزمن كفيلٌ بنفيه عن بوتقته ، محتفظاً فقط بالشاعرية الأصيلة وبالفكر الأصيل وقدأصبحت لغتها مقبولةً موطَّدةً، كما جرى لابن الرومى وللمتنبي من قبل . وبعبارة أخرى ان لغة الشاعر المبتكر التى هى بنت ابتداعه قد تصدف عنها بيئته لأنها لم تألفها وقد تعتبرهامنقصة لفنه ، ولكن مآل كل جديد أن يصبح قديماً ، وغايته أن يصير مألوفاً ، وحينئذ يُعترَفُ للشاعر بمواهبه الفنية الممتازة .

نقول هذا لمناسبة الجديد فى هذا الشعر المتقدّم ، ونأسف على أن صاحبه الفاضل آثر أن يقبر شاعريته متفرّغاً للكتابة الصحفية ، ولكن فى طاقة مثله أن يبيح لشاعريته التعبير النظمى ثانيةً ، فهذا الشاعرالانجليزى المبدع دى لامار انقطع عن النظم اثنتى عشرة سنةثم عاد اليه بكل قوته ، وفترات الراحة هذه مفيدة لبعض الشعراء ، إذ يندر وجود الشاعر المتّقد الشاعرية على الدوام ، وحتى اكثر الشعراء انجاباً له ، فترات من الراحة .

فنهنىء زميلنا الشاعر الناثر توفيق فضل الله ضعون بختام العقد الخامس من عمره الحافل بالنشاط والاقدام والنفع ، ونرجو بعد بلوغه هذه السنّ الناضجة أن يعود شعره سيرته الأولى ، وأن ينال الفنّ الشعرىّ نصيباً من عنايته وخدماته؟

يوسف احمد ظبرة

الأعاصير

نظم رشيد سليم الخورى (الشاعر القروى)— ١١١ صفحة

١٦½ × ٢٢ سم. طبع بمطبعة مجلة الشرق

رشيدسليم الخورى أو الشاعر القروى وتر من الأوتار العذبة التى تنقل الينا من مهجرها أعذب أنغام يسمعها الأدب العربى بعد خفوت صوت أوتار قيثارته التى عزفت فى الأندلس أمداً .

وديوانه « الأعاصير » هو مختارات من شعره الوطنى نظمها فى فترات عصفت فيها بين جوانحه عواطف زاخرة بالحماسة والغضب والألم والتنهدات والدموع على وطنه (لبنان) : ذلك الجبل الشامخ ، وأى شاعر له قلب كقلب الشاعر القروى لا يألم ولا يثور ولا يعصف عند ما يجد ذلك الشموخ يكاد يهبط تحت أقدام الاستعمار فيصرخ مع شاعرنا تلك الصرخة القوية الضارعة الى أقوى الأقوياء :

إلـهى رُدَّ ما لك مِن أيادٍ على وطنى ورُدَّ له الإيادا
خلعتَ على رُباهُ الحسنَ فـذّاً وألبست القطينَ به الحدادا
وما شرفُ الجبال لساكنيها وشمٌ إباؤهم خُسِفَتْ وهادا

وهو يرد فى مقدمته التى صدّر بها هذا الديوان على الناقدين الذين يقولون ما شأن السياسة فى الشعر حين الشعر بعيد عن اغراض الدنيا مصوّر لمثل أعلى قد لا يكون على وجه الأرض وحجتهم فى ذلك ان « الشعر الحقيقى هو ما مثّل الحياة أكمل تمثيل والشاعر العظيم هو صورة محيطه الناطقة . هو دليل أمته الذى يتقدمها كعمود النور فى ليالى محنتها رافعاً لواءَ الحق . هو بشيرها فى الشدة ينعشها بالرجاء. ونذيرها فى الرخاء يقيها مزالق البطر » ، فهو يرد عليهم بأن لا خلاف بين الشعراء والناقدين فى شىء إلا أن ما يسميه وطنية يدعوه الناقدون سياسة . ويرى الشاعر القروى أن من الغبن الفاضح ومن دواعى اليأس القاتل أن يموت فى الأمة شاعر فتصبح الأمة بأسرها شعراء تبكيه وترثيه ، وتموت الأمة بأسرها فلا تجد لها شاعراً يرثيها . . . لذلك نرى فى أعاصير الشاعر القروى زأرة الأسد وغضبة الأبى عند ما يهتف :

أين الحماسةُ يا لبنانُ ؟ قـد بردت كالثلج ! والدمُ يا لبنانُ ؟ قد جمدا

ما فى حياتك يا لبنانُ من أملٍ حتى يغادرك الجيل الذى فسدَا

لا يستطيع حراكاً إن دعوت ولو قالوا الوظيفة تدعو خائناً لعدَا !

أو عند قوله ساخراً هازئاً :

مَنْ لا يحرّكهم ظلمٌ يجوّعهم أنّى يحرّكهم ظلمٌ اذا شبعوا ؟!

وفى قصيدته « قحط الرجال » نستمع إلى لوعة ذلك الشاعر الوطنى وغضبته الأبية عند ما يبكت الناعمين فيما يمنحهم الغاصب من ألقاب ونياشين :

ويا ناعمين بذُلّ القيود

ويا سادةً فى هوانِ العبيدِ !

أَمِنْ أجلِ تقبيلِ رِجْلِ العميدِ

وبَرْىِ الذقون لفرط السجودِ

غدرتم بشعبٍ وبِعْتُمْ وَطَنْ ؟

ثم يلتفت صارخاً عندما يعييه البحث عن رجال يخدمون الوطن فيقول :

إلـهى بُلينا بقحط الرجالِ

أما مِنْ فتاةٍ لهذا الوطنْ ؟

هذه هى صورة صغيرة عن ديوان الشاعر القروى أريد أن اقدمها لسادتنا الناقمين على الشعراء المجددين ليروا أى قلوب نابضة بالحياة وأى نفوس عارفة معانيها تلك القلوب التى تملأ العالم العربى بهتافاتها وأناشيدها غير عابئةٍ بما خلف القافلة من نباحٍ !

حسن كامل الصيرفى .



تصويبـــات

الصواب	الخطأ	السطر	الصفحة
مُجْدِبَا	مُجُدِبَا	٧	١٥
أَجِدُّ	أَجَدُّ ا	٨	١٦
نسُوكِ	نسَوْكِ	٣	٢١
مهجتى	مهجة	٢١	٢٥
قاهرٍ	قاهرَ	١٠	٢٧
باللصَّنَاع	بالصنّاع	٧	٢٨
ما لا	مالا	٦	٣٠
مطايا	مطاياً	٢٢	٣٢
مقياس	مقاس	٨	٣٥
ما لا	مالا	٨	٣٦
أثرُ	أثرِ	١٥	٣٦
أغان	مغان	١٤	٤٨
الجحيم	الحجيم	١٦	٥٨
عليها	عليها	١٥	٥٩
الينا	ينا	٩	٦٠
أشيمُ	أغيمُ	٢	٦٥
ميلاً الى أن	ميلاً أن	١٠	٦٥
شردونى	شردونِ	٨	٧١
وعلّى	وعلىّ	١١	٧١
الذرَى	الذرىَ	١١	٧١
عواطف اخواننا	اخواننا عواطف	٤	٩٣
مغموسة	مضموسة	٦	٩٥
ليتنى	ليتتى	١٣	١٠٦
مطهّراً	مطهّراً	١٤	١١٢
وهَمْسُكَ	وهَمُسُكَ	١١	١١٣
إلـهٌ	إلاها	١٠،٤	١٢٣
متحرّراً	متحررّاً	٥	١٢٧
حشاشةً	حشاسةً	١٢	١٢٧
وإضرام	وإضراره	٧	١٤٠
الإبهام	الإبهام	٢٦	١٤٣
تدل	تدلى	١٩	١٤٥

فهرس

صفحة

كلمة المحرر

ذكرى شوقى

شعر الوطنية والاجتماع

النقد الأدبى

الشعر القصصى

صفحة

شعر الحب

الشعر الوجدانى

شعر الرثاء

الشعر الوصفى



ابولو

مجلة فنية لخدمة الشعر العربي

لسان حال جمعية ابولو

تصدر مرة فى كل شهر
وسنتها عشرة اشهر

نوفمبر سنة ١٩٣٣

صاحب الامتياز ورئيس التحرير | أحمد زكى أبوشادى

الادارة | بشارع الملك المعز رقم ٩ بضاحية المطرية بمصر

التليفون | ١١٩٦ زيتون و ٤٠٤٥٦

مطبعة التعاون



الجامعة العربية

تُعنى حكومة الجمهورية الاسبانية فى الوقت الحاضر عنايةً خاصةً بتشجيع الأدب العربى وذكرى الحضارة العربية فى بلادها، ومن الواجب أن تسرنا المساهمة فى هذه الحركة الطيبة وفى تكريم الأجداد . والواقع أنّ من أمضى الاسلحة لعزتنا الاعتداد بالثقافة العربية وبالجامعة العربية شرقاً وغرباً وتنمية أُوصراها بكل وسيلة شريفة مستطاعة، فهذا كله لخير مصر ولخير العروبة قاطبــة ولخير كل قطر عربى . وما نشكّ فى أن الشعر العربى سيلعب دوره الخطير فى هذه الحركة الثقافية التى أصبحت مصر مركزاً جديراً بها ، وعلى الأخصّ فى رعاية العناية البالغة التى يشملها بهـا صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول والتى كانت من دواعى تشجيعنـا على تأسيس (اتحـاد الأدب العربى) .

الشعراء والنقاد

جَرتْ التقاليدُ السخيفةُ أن ينظر الشّـعراء الى النُّقّـاد والنقاد الى الشعراء كأنهم خصومٌ بعضهم لبعض ، فلمّـا عمد المجدّدون الى الاشادة بمزايا النقد الأدبى نشطّ النُّقّـاد وحسبوا أن أحكامهم لا مَردَّ لها ، وقلّما يُعنى بمناقشتهم المناقشة الأدبية البريئة أحدٌ من الشعراء ، وهكذا نشأتْ الحالاتُ الآتيةُ العجيبة :

(١) احتقار بعض الشعراء للنقــد الأدبى احتقاراً تاماً والتعالى على النُّقّـاد .

(٢) التظاهر بهذا الاحتقار مع محاربة ناقديهم سرّاً على صفحات الصحف والمجلات وقد تتجاوز المحاربة النُّقّـاد الى منافسيهم من الشعراء ، وهذه ظاهرةٌ كانت متفشيـة ولا تزال لها آثارها ، وقد تناولناها كما تنـاولها غيرنا بالمؤاخذة الشـديدة ، دفعاً لنتائجها الوخيمة التى سممت الأوساط الأدبية .

(٣) تصوُّر أغلبية النقاد أنهم حُكَّامٌ بأمرهم فى أقدار الشعر والشعراء، فاذا ما أراد أحدُ الشعراء مناقشتهم مناقشةً أدبيةً خالصةً عدّوا ذلك تحدّياً بل وقاحة وكالوا لذلك الشاعر اللومَ والتثريبَ العنيف!

أمّا ما ندعو نحن اليه فهو مساهمة الشعراء والنُّقَّاد فى خدمة الحركة الأدبية بحيث تكون جهودُ كلِّ فريقٍ منهم متممةً لجهود الآخر، وهذا لا يكون بغير الاحترام المتبادل مع حبّ الانصاف والغيرة على خدمة الشعر. وبديهيٌّ أن وجهات النظر تختلف والآراء تتعدّد، وقد يسفُّ بعضها وقد تفسدها الأغراض أحياناً، ولكن من الخير أن يتجنّب كلٌّ من الشعراء والنُّقَّاد التعالى المصطنع والكبرياء الكاذبة وتجاهل كلُّ فريقٍ للفريق الآخر... ومن أغرب النظريّات الفاسدة الشائعة أنّ الشاعر اذا دافعَ عن شعره فهو فى قرارة نفسه غيرُ مؤمن به! وهذا باطلٌ: فهذا كلٌّ من العقّاد وأبو الوفا عظيمُ الايمان بشعره، ومع ذلك دافع كلٌّ منهما عن شعره مباشرة أو بالواسطة دفاع الحرّ عن عرضه بغضّ النظر عن موافقتنا أو مخالفتنا لكيفية الدفاع، وقد سبقهما الى مثل ذلك المرحوم شوقي بك. والمتصفح لتاريخ الشعر والشعراء يجد الكثيرَ من الأوهام التى مَنْشَؤُها عدمُ استكمال البيان الدقيق الذى يصلح كمقدمات للاحكام النقدية، وما كانت كل هذه الأوهام لتنشأ لو أنّ الشعراء والنقاد تبادلوا الآراء والنظرات النقدية أثناء حياتهم، وكم كان يستفيد الأدب من وراء ذلك، دعْ عنك تسجيل التاريخ الصحيح. وهذا أوجب ما يكون فى بيئة بعيدة عن رقى البيئات الغربية.

نحن يعنينا جدّ العناية ما يقوله بأنفسهم أمثالُ مطران ومحرم وناجى والعقّاد وعلى محمود طه وخليل شيبوب والجارم والهرّاوى وغيرهم من الشعراء المعاصرين الذين يتناولهم النقد الأدبى حتى نستفيد من ملاحظاتهم وردودهم الأدبية، وحتى نستعين ببيانهم — عند التأريخ الأدبى — على تحليل شاعرياتهم وتقدير مذاهبهم الشعرية وعرفان مُثُلهم العليا ونواحى الحقيقة والجمال التى يقدّسونها.

وقد جرينا شخصياً على هذه الخطة فقدّرنا النقدَ الأدبىَّ النزيهَ وشجعناه كل التشجيع سواء أكان لنا أم علينا ما دام يسندهُ صفاءُ النفس لكاتبهِ وايمانه بما يكتب، وفى الوقت ذاته أهملنا كلَّ نقدٍ هزيلٍ مُغرِضٍ ورأينا من الخير للأدب مناقشة آراء النقاد الأفاضل، لا دفاعاً عن شعرنا بل تعززاً لمذهبنا الشعرى الذي

يشاركنا فيه كثيرون وحبا فى اذاعة ما نعتقده من حقٍّ وجمالٍ . وهذه المشاركة الروحيةُ الفكريةُ هى الباعثُ الذى حدا بنخبةٍ من الأدباء والشعراء ماضياً وحاضراً الى الإقبال على المساهمة فى إخراج مؤلفاتنا أو ما كُتِبَ عنّا بدراساتهم وتعليقاتهم ونقدهم الحرّ الذى لا تتسرّب اليه المجاملةُ وإن لم يتحَلّلْ عن التقدير . وهو إقبالٌ مَنشؤُهُ شَغَفُنا بنهضةٍ مدرسيةٍ مجدِّدةٍ للشعر ، بدل المواقف الفردية التى يؤثرها بعضُ الشعراء حتى تذهب بهم الأحلامُ الى أعاجيب من الإمارات الشعرية ! والى جانب هذا تصلنا دراسات تقريظية نشعر أن لحمتها وسداها المبالغة فى احسان الظن بنا ، وهذه لا يسعنا مع الأسف نشرها لا فى هذه المجلة ولا مستقلةً ، وإن عددناها مِنَناً عظيمةً موجَّهةً الينا ،ولكن صفحاتُ أبولو مفتوحة لكل ناقد معارضٍ يوجِّه الينا ما يؤمن به من مؤاخذةٍ ولومٍ بحريته التامة .

هذه خلاصةُ موقفنا وآرائنا التى يشاطرنا إياها زملاؤُنا الأفاضل من شعراء أبولو ، فنحن مع ايماننا برسالتنا لا نتهيب النقدَ ولا نتجاهله ولا نتعالى عليه ولا نتصنع الكبرياء نحوه ، بل نرحِّب به كجزءٍ عظيمٍ متمِّمٍ للرسالة الأدبية ، ونناقشه بعنايةٍ واخلاصٍ مادام يستحقّ ذلك ، ولا يعنينا غير تبيان مبادئنا وانصافها عند الحاجة بالدفاع الهادىء المعقول ، وأمّا شعرنا فى ذاته فلا يعنينا بشأنه عتابٌ ولا مؤاخذةٌ من أحد وعلى لسانا قول استاذنا مطران :

وما خِفتُ فى آنٍ عتاباً وإنْ قسا بهالناسُ ، لكنّى أخافُ عتابى !

وقد لحظنا أن بعضَ النُّقّاد يؤلمه هذا الالتفافُ حولنا بل حول مبادئنا ، ويؤلمه أكثر تناولنا دراسات النقّاد بالتحليل لنظهر ما فيها من أمور سطحية أو أخطاء لا يجوز السكوت عليها ، ولا ندرى لماذا يتألمون هذا الألمَ بينما التعاونُ أولى بتقديرهم وبينما مصلحة النقد الأدبى ذاته توجب تصفيته من الأبجديات المألوفة التى توَجَّه حتى الى كبار الشعراء بروح تقليدية لا حياة فيها ، حتى صار معظمُ النقد الشعرى مجموعةَ عظاتٍ وهميةٍ لا تصلح حتى لصغار التلاميذ ، أو صوراً من التحامل الغريب !

وبين كلّ هذه العوامل نرحّب بالتعاون الصحيح بين الشعراء والنقاد ـ التعاون الذى أساسهُ الصراحةُ والاخلاصُ وحبُّ الانصاف ، فمساهمةُ كلٍّ من الفريقين ضرورية لخدمة النهضة الشعرية ، وكلُّ محاولةٍ لصدّ هذا التعاونِ بين الفريقين هى محاولةُ الاثرة والغرور .

التقرير الفني

وما دمنا قد تناولنا بالتعليق هذه المسألة الأدبية البعيدة الأثر فبودّنا أن لا يفوتنا التعليق على ما كتبه حديثاً صديقنا الدكتور طه حسين فى زميلتنا (الرسالة) عن بول فاليرى وقصيدته « المقبرة البحرية » التى تُرجمتْ الى غير لغـة وتناولها غيرُ واحدٍ من أعلام النقّـاد بالشرح والنقد والتعليق ، على ما بينهم من بون عظيم فى التقدير بل وفى الاستهجان أحياناً . ونحن ننصح الى قرائنا بالاطلاع على مقال الدكتور طه غير منقوص ، فهو من خير ما دبجته يراعتُه فى التلخيصات الأدبية ، وهو يعزّز ما ذهبنا اليه دائماً من أن التعاون الأدبى بين الشعراء والنقّـاد أمرٌ مرغوبٌ فيه لذاته ، تخليصاً للمذاهب الفنية وانصافاً للتأريخ الأدبى ، بغضّ النظر عن فـكرة الدفاع الشخصى ، لانّ الشاعر الفنّـان فى الواقع لا يهمّـه أكثر من الخَـلْـقِ الفنّـى وقلما يعنيه من أمر الجمهور شىء ، إذ الغالب أن الجمهور على أحسنِ صورة طفلٌ كبيرٌ لا يفقه من التعمق شيئاً . . .

أمّـا ما نريد أن نُدْلى به للفائدة فى هذه المناسبة من تعليقات عنَّتْ لنا ، وإن كان فى نشرها ترديدٌ لآرائنا المعروفة ، فهى :—

(١) انّ التّـطَـلّـع الى الـكمال الفـنّى كثيراً ما يدعو الى التريُّث والتنقيح الطويل ، ولـكن هذه العادة التقليدية غالباً تؤدى الى الوسوسة ثم الى العقم . وخيرٌ منها أن يتـكيف هذا التطلّـع بصورة الانجاب : فيبقى الشاعر الفنّـان غير قانع بآثاره ، دؤوباً فى أعمال أجلّ ، نازعاً الى أقصى المستطاع من تجويد . فينشأ عن ذلك نموّ آثاره دون أن يحتّم هذا ضعف آثاره السابقة وإنْ تخيلها هو ضعيفة ، ويبقى دائماً نزوعاً الى مثل أعلى بعيد ، وهكذا يتخذ تنقيحه معنى الانتاج فى احسان ومعنى الثراء بدل الفقر النفسي والوسوسة .

(٢) سيختلف دائماً النقّـادُ والقرّاء فى تقدير الشعر حسب مواهبهم واستعدادهم الفطرى وذوقهم الثقافى وظروفهم الوجدانية ومبلغ تجاوبهم الخ . وحالهم فى ذلك حال الآلات اللاقطة لأمواج الأثير : فانّ على تـكييف هذه الآلات ، وعلى درجة سلامتها ، وعلى الأحوال الجوّية ، وعلى اعتبارات أخرى وجيهة ، تترتب درجة الالتقاط لأمواج الأثـير ومبلغ وضوحها . وهكذا يُعَـدُّ من الشطط التسرُّع فى الحـكم المنتقِص على شاعرناضج بغير التفاتٍ الى ظروف القارىء أو الناقد نفسه .

(٣) انّ الشاعر عامةَ والشاعرَ الرمزىّ خاصةً (مثل بول فاليرى) خادمٌ لعقله الباطن الطائر الحرّ ، فلا غرابة اذا حار هو نفسه أحياناً فى تقدير الصُّوَر والأخيلة التى أملتْ عليه قصيدة دون أن تأبه لعقله الواعى بل اذا نسيها تماماً ، أو اذا رأى فيها معانى غير ما كان يراه من قبل ، وقِسْ على ذلك اضطراب القراء أنفسهم حسب ظروفهم المتباينـة .

(٤) مجموعُ شعر الشاعر وحدةٌ فى نظره ، وإنْ لم يكن كذلك فى نظر الكثيرين من القرّاء والنُّقّاد ، والفنّانُ لا يطيقُ الصورةُ الواحـدة ، ومن ثمة نشأ التنويعُ فى التعبير وفى الموضوعات ، ودخل فى روع بعض النقاد أن جانباً منها يمثل الاهمال أو العجز ، فى حين أن ما يعنى الشاعر منها هو تمثيلُ شخصيته فى شتّى أطوارها وتقلُّباتها .

(٥) الشعرُ روحٌ متصوّفةٌ أى عاطفة متغلغلة متجاوبة قبـل كل اعتبار آخر ، ونفسُ تعابيره وموسيقاه قطع من هذه الروح المتصوفة ، وكلّ دراسة تتحوّل عن هذه القاعدة انما تنظر الى أنغام وأوزان وأطياف وألوان ليس الاّ ، وهذه على جمالها واستهوائها من حواشى الشعر وتوابعه وليست الشعر ذاته بحال من الأحوال ،لأن الشعر يستطيع أن يتخلّى عن جميع هذه الحواشى والتوابع الظريفة ويبقى هو الشعر وإن لم يبهرك لأول وهلة ، فى حين أنها وحدها لن تؤلف الشعر وإن بهرتك زمناً ما .

(٦) من الخير الفنى اختلافُ وجهات نظر القرّاء والشرّاح والنقاد ، لأن هذا الاختلاف يضيف ذخائر من البيان الأدبى الممتع فى كثير من الأحوال ، ولكن من الخير الفنّى أيضاً أن لا يتعالى الشعراء عن النقاد وإن كانوا غير ملزمين بترك أحلامهم الأولمبية للاشتراك فى النقاش الأرضى !

تشاتم الادباء

بعث حضرة الأديب الفاضل محرر مجلة (العاصفة) البيروتيـة بمقالة شائقة الى صحيفة (البلاغ) المصرية عن تقدير سورية للأدب المصرى وختم مقاله ملاحظاً انه اذا كان هناك تشاتم بين الأدباء فانه بين الأدباء المصريين أنفسهم !

وفى الواقع انّ ما ذكره زميلنا الفاضل صحيحٌ ، ومن العار علينا أن تستمر هذه الظاهرة القبيحة حتى ولو كانت الصداقة بين الأدباء المصريين صداقة منافع فقط — وهى ليست مثالاً للصداقة الصحيحة السامية — تزول بزوال هذه المنافع .

ليست الصداقاتُ الشخصيةُ حتميةً ، والأديبُ بالمعنى الصحيح لايجعل أدبَه وقفاً على هذه الصداقات ، ولا يجعل زوال الصداقة الشخصية موجباً الى المهاترة والاسفاف والمغالطة فى الاحكام الأدبية ، ولا استمرارها داعياً الى التحيز الشخصى ، ولايجوز بحال من الأحوال أن ينشأ جوٌّ للتشاتم والسّباب . . . لقد آن لجمهرة الأدباء التفريق بين أدب الصناعة وأدب الفطرة ، كما آن لهم أن يبتعدوا عن أدباء الصناعة وعلى الأخصّ عمن يتخذون المناورات الخسيسة وسيلة من وسائل هذا الأدب المشؤوم .

ذكرى شوقي

عُنيت « ندوة الثقافة » بالنيابة عن جمعياتها الأدبية (أبولو ، وجماعة الأدب المصرى ، ورابطة الأدب الجديد بالاسكندرية ، واتحاد الأدب العربى) بذكرى شوقى لمناسبة مرور عام على وفاته ، فأقيمت حفلة أدبية فى نادى الصحافة برئاسة الاستاذ خليل مطران مساء ١٣ أكتوبر الماضى اشترك فيها الاساتذة اسماعيل سرى الدهشان وأحمد علام والدكتور على العنانى ومحمد الهيباوى وصالح جودت والدكتور ابراهيم ناجى والدكتور أبو شادى ، وأقيمت حفلة أخرى كبيرة فى الاسكندرية نظمتها جماعة الأدب المصرى واشترك فيها الاساتذة خليل مطران واحمد على عوض والدكتور ابراهيم ناجى والدكتور زكى مبارك وحسن كامل الصيرفى ومختار الوكيل وغيرهم من أفاضل الأدباء ، ثم أقيمت حفلة ثالثة فى مسرح رمسيس مساء ١٩ أكتوبر اشترك فيها الاساتذة خليل مطران والدكتور ابراهيم ناجى وابراهيم المصرى وصالح جودت ومُثلت فيها رواية مجنون ليلى . وفى صباح يوم ١٤ أكتوبر توجه أعضاء « ندوة الثقافة » الى قبر الفقيد العظيم زائرين مترحمين ، وقد كانت جميع الحفلات رائعة خليقة بذكرى عبقرية شوقى ومآثره ، وكانت أروعها الحفلة العظيمة التى أقيمت فى الاسكندرية .

* * *

ونحن ننشر فيما يلى مختارات مما قيل فى هذه الحفلات ، وقد ظهرت تفاصيل كافية عن هذه الحفلات فى الصحف :—

— ١ —

خطبة الاستاذ مطران

فى حفلة « جماعة الأدب المصرى » باسكندرية

ان المناحة التى تجددونها هى عيدٌ للعبقرية . العبقرية فناء فى سبيل الخلود ، لا تعمل بطبيعتها الاّ لتكون ذكرى تنفع العالمين ، فهى تأبى النسيان لا لأنه جحود لفضلها بل لأنه ضياع لما أرخصت دونه أغلى قواها . ما فرحت وما تألمت إلاّ لتحيي فضيلة أو لتقضى على رذيلة . تبحَّرت وتعمقت فى التفكير وذهبت كل مذهب جديد

فى الخلق والتقدير ، انما تبغى بعنائها الشديد وصبرها الجميل أن يدوم الشعور بما شعرت به وأن تتوارث الحكمة التى ابتكرتها أو آثرتها مستأنفةَ الحياةِ على مدى الاجيال ومتصلةَ السببِ ما تعاقبت الادهار ليظل ما كان من عبر الماضى غيرَ منقطع عن فِطن الآتى . مَثَلُها مثلُ المجارى الكهربائية فى الرَّاد تُحمِّلُها العبقرية صُوَرَها أو أصواتها فتمر بآلاف التيارات التى تعارضها وتؤدى رسالتها بالصوت أو بالصورة الى من استعدَّ لتلقيها . وما تفعله الآن أمواجُ الأثير خلال الأمكنة كانت العبقرية من بدء الوجود تفعله خلال الازمنة

أيها المحيون لذكرى شوقى ! انكم لن تبعثوا رميمَه ولكنكم أنفسكم تُحيون ليس شوقى فى حاجة الى اكرامكم ، وانما انتم فى حاجة الى بقاء روحه بينكم . يسركم أو يحزنكم أو يواسيكم أو يعلمكم ما يجب أن تعلموا من أسرار الحوادث ومن عظات الوقائع قديمها وحديثها .

سلام عليكم أيها الفتيان الذين يحفظون غيباً للمجد فيهيئون بهذا الحفظ أسبابا لضروب جديدة من المجد ! سرعان ما كان الميت ، وإن جل قدره ، يموت فى مصر وشدَّ ما كان يموت لسرعة انتشار غمامة النسيان فيها وكثافة غياهبها ! أما أنتم فتأبون أن يظل فى طبيعتكم هذا الضعف المتأتى من خلتين قديمتين : تجنُّب التكاليف ما استطيع تجنبها واقناعُ النفس بان كل ما يَعْدو العيشَ لليوم فاليوم مشقةٌ غيرُ مجدية .

أنتم آمالُ الغد ولم يَرُعكم أن تكونوا أبناء الواجب، والواجبُ مُمضٌّ ثقيل يسومكم اليقظة الدائمة والعملَ غير منقطع وتوقُّل الثنيَّة بعد الثنيَّة لترِدُوا موردَ الحياة العليا، موردَ الحياة المعنوية الشريفة ، موردَ الفخر والشرف ، مهما تكابدوا دونه من نصب ، ذاكرين تلك الآية الشريفة الخليقة بان تكون شعاراً لكل أمة متقاعسة: « ان الله لا يغيروا ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . فبارك الله فيكم من طليعة خير لمستقبل هذه البلاد العزيزة ! ولئن تكن حفلتكم التى تجددونها اليوم أثراً من آثار عبقرية شوقى لحقَّ لى فيها القول: رحم الله ذلك الذى بعث فيكم هذه الاريحية وحيّاه فى كريم جواره بأحسن تحية ؟

خليل مطران

— ٢ —

ساعة التذكار

(القيت فى حفلة جماعة الأدب المصرى باسكندرية)

شَجنٌ على شَجنٍ وحرقةُ نارِ ... مَنْ مُسعدِى فى ساعةِ التذكارِ
قمْ يا أميرُ ! أفِضْ علىَّ خواطراً ... وابعث خيالكَ فى النسيمِ السارِى
واطلعْ كعهدك فى الحياة فراشةً ... غراءَ حائمةً على الانوارِ
يا عاشقَ الحرية الشكلى أفقْ ... واهتفْ بشعرك فى شبابِ الدارِ
يا مَنْ دعا للحقِّ فى أوطانه ... ومضى ليهتف فى ديارِ الجارِ
الشامُ جازعةٌ ومصرُ كعهدها ... نهبُ الخطوبِ قليلةُ الانصارِ
والناسُ اهواءٌ كخطبكَ فيهم ... (عجزتْ مواردُهم عن الاصدارِ)
والحظُّ أطهارٌ كما شاء البلى ... والعيشُ رثٌّ والسنونُ عوارِ

***

عامٌ مضى ! يا لَلزمانِ وطيّه ... فينا ويا لسواخرِ الاقدارِ !
عامٌ مضى وكأنّ أمسَ نعيُّه ... يا ما أقلَّ العامَ فى الاعمارِ !
أينَ الامارةُ والاميرُ ودولةٌ ... مبسوطةُ السلطان فى الامصارِ
خمسون عاماً وهى وارفةُ الجنَى ... تحت الربيعِ دؤوبةُ الإثمارِ !
مَدَّ الخريفُ على الرياض رواقَهُ ... ومضى الربيعُ الضاحكُ النوّارِ !

***

هيهات أنسى قبلَ بينك ساعةً ... جمعتْ صحابَك فى غروبِ نهارِ (١)
والشمسُ فى سقمِ الغروبِ وأنتَ فى ... لونِ الشحوب معصفرٌ ببهارِ
منحتْ وقد ذهبت شعاعاً غارباً ... كسناكَ طوّافاً على السمّارِ
تشكو لىَ الضعفَ الملمَّ لعل فى ... طبي مُقيلاً مِن وشيكِ عثارِ

(١) يشير الى اجتماع مجلس (جمعية ابولو) فى كرمة ابن هانى يوم ١٠ اكتوبر سنة ١٩٣٢

وكشفتَ عن متهدِّمٍ جالَ الردى ... متهجماً في صَرحهِ المنهارِ
فرأيتُ ما صنع الضنى في صورةٍ ... حالتْ ، وخلى هيكلاً كإطارِ
ووحتُ ا ألمحُ في الغيوب نهايةً ... وأرى بعينيَ غايةَ المضمارِ
وارى النبوغَ وقد تهاوى نجمُه ... والعبقريةَ وهي في الإدبارِ !
أو لم يكن لكَ من زمانك ذائداً ... وثباتُ ذهنٍ ماردٍ جبارِ ؟
أو لم يكن لك من حمامك عاصماً ... ذاك الجبينُ مكللاً بالغارِ ؟
ولبيتَ في أثر الذين رثيتهم ... وأقمتَ فيهم مأتمَ الأشعارِ
وسقيتَ من كأسٍ تطوف بها يدٌ ... محتومةُ الأقداحِ والادوارِ
والدهرُ يقذف بالمنايا دفّقاً ... فمضيتَ في متدفقِ التيارِ

* * *

في ذمةِ الاجيالِ ما غنتْ به ... قيثارةٌ سحريةُ الأوتارِ
صدحتْ بألحان الحياة ووقّعتْ ... أنغامها المحجوبةَ الاسرارِ
والفنّ ما حاكى الطبيعةَ آخذاً ... منها ومن إعجازها بغرارِ
مسترسلا رحباً كمعينٍ ثرّةٍ ... شتى السيولِ سحيقةِ الاغوارِ
متعالياً حتى الاشعة مشرقاً ! ... متألقاً كالكوكبِ السيارِ !

* * *

شوقي ا نظمتَ فكنتَ برّاً خيِّراً ... في أمة ظمأى الى الأخيارِ !
أرسلتَ شعرك في المدائن هادياً ... شبهَ المنارِ يطوفُ بالاقطارِ
تدعو الى المجدِ القديم وغابرٍ ... طيّ القرون مجلّلٍ بوقارِ !
تدعو لمجدِ الشرقِ : تجعل حبَّه ... نصبَ القلوبِ وقبلةَ الانظارِ !
تبكي العراقَ اذا استبيح ولا تضنّ على الشآمِ بمدمعٍ مدرار
وترى الرجالَ وقد أُهين ذمارهم ... جرحوا لصونِ كرامة وذمارِ
فلو استطعتَ مددتَ بين صفوفهم ... كفّاً مضرجةً مع الأحرارِ

* * *

ما زلتَ تبعثُ فى قريضكَ ثاوياً ... أو ماضياً حَفِلاً بكلِّ فخارِ
حتى اتُّهمت فقالَ : قومٌ شاعرٌ ... ناجى الطلولَ وطاف بالآثارِ !
فخلوتَ ما لم يشهدوا ، ورسمت ما ... لم يعهدوا من معجز الافكارِ !
شيخٌ يدبُّ الى الاصيلِ وقلبُهُ ... وجنانُهُ فى نضرةِ الاسحارِ
ويحسُّ تبريحَ الصبابةِ واصفاً ... مجنونَ ليلى فى سحيقِ قفارِ
ويروح يبعث كليوباترا ناشراً ... تلك العصورَ وطيفها المتوارى !
ويرى الحياةَ الحبَّ والحبَّ الحيا ... ةَ ! هما شعارُ العيش أىُّ شعارِ

ابراهيم ناجى

— ٣ —

رسالة شوق

(القيت فى جماعة الأدب المصرى باسكندرية)

فى هَدْأةِ الفجرِ ، والاكوانُ تغمرُهَا ... أحلامُهَا ، وتُناجيها أمانيهــا
وللسكونِ ترانيمٌ مُرَجَّعَــةٌ ... كأنها صلواتٌ فى تناجيهــا
والشاعرُ الساهرُ المُصْغى لآلهةٍ ... تُوحى اليهِ معانى الخلدِ يرويهــا
يُصْغى فيسمعُ فى الآفاقِ وَسوَسَةً ... كأنّها الطَّيرُ سَكْرَى فى تناغيها
يُصغى فيسمعُ ألحاناً مُوَقَّعَةً ... من جانب الفجرِ تسمو فى قوافيها
رسالةٌ مِن وراءِ الغَيبِ هابطةٌ ... مِن شاعرٍ خطرتْ أشعارُهُ تِيها
أقامتِ اللغةُ الفُصحَى لهجرتهِ ... أحزانَها ، وتجلتْ فى مراثيها
ناجى بها الارضَ من عَلْيائه فاذا ... فى الارضِ من رُوحهِ نُورٌ يواسيها

* * *

«بنى الحياةِ! على الارض التى غمرتْ
بقاعَها نَزَواتٌ من دياجيها
جُزْنا الدياجى ، وودَّعنا مغاورَها
وما صبونا الى أيامنا فيها
كنَّا نعانقُ أطيافاً محلِّقةً
إنْ مَسَّها اللحظُ ذابت فى تلاشيها
فأصبحتْ تلكمُ الأطيافُ خالدةً
مَلْمُوسَةً تتغالى فى تجلِّيها
إنَّ الحياةَ وما أعطتْ وما سَلبتْ
إنْ دققَ المرء فيها من نواحيها
لم يلقَ إلاَّ خِداعاً من مُبَهْرَجةٍ
يبدو الشَّبابُ رِياءً فى تصابيها
أمَّا المهاتُ فأحلامٌ قد آجتمعتْ
بعد التَّناثرِ فى أجفانِ رائيها
تخدِّرَتْهُ ، فلم يَخْفِقْ ليقظتِهِ
وحَرَّرَتْهُ من الدنيا وما فيها
حتى اذا ما صَحَا ألفى رغائبَهُ
قناعةً وسُمُوّاً عن مراميها
إنَّ الحياةَ لألفاظٌ منمَّقةٌ
ليست تُعبِّرُ إلاَّ عن مرائيها
وما وراء الدُّنَى ؟ حار التساؤلُ فى
تلك الحياةِ ، وحِرنا فى معانيها
حتى بلغنا وراءَ الأفقِ فاتسعتْ
آفاقُنا ، فعرفنا كيف نحكيها
فبانَ ما كان يزهو نورُهُ : ظُلماً
وأصبحَ الحسنُ والتجميلُ : تشويها
وأصبحتْ صلواتُ الناسِ : مَهزلةً
وأصبحَ الصمتُ عند الله : تأليها
وكلُّ ما كان يُشْدَى من حناجرهم :
لَغْواً ، وكلُّ جلالِ الأرض تسفيها! »

* * *

يا شاعرَ الخلدِ واتينا بما عزَفتْ
قيثارةُ الله لحناً من أغانيها
إنّا لفى ضجّةٍ صمّاء طاغيةٍ
يذكو اللهيبُ علينا مِن مَوَاليها
يا مُودِعَ الفنِّ ألواناً قد امتزجتْ
بها الحياةُ فجاشت فى حواشيها
ومُسْمِعَ الأفقِ الصَّخْرِىِّ أغنيةً
يَستلهمُ النُّورَ منها إذْ يغنِّيها
وساقىَ الشرقِ خمراً من عُصارته
لن يرغبَ الشرقُ يوماً عن تساقيها
دَعْنى أعانقُ اطيافَ الخلودِ كما
عانقتَها ، وأغنِّى فى مجاليها
ما أحقرَ العيْشَ لولا أنّ لى أملاً
فى جنَّةٍ أتسلَّى فى مَغانيها
أنسى لديها زئيرَ الريحِ إنْ عَصَفتْ
فى شاطئ اليمِّ أو فحَّتْ أفاعيها

يعانقُ النُّورُ أطيافى فيغمرها ويطلعُ الصُّبْحُ من ليلى فيخفيها
ما العمرُ إلاّ طيورٌ فى تنقُّلِها إنْ لوَّحَ اللهُ هامت فى أعاليها !
حسن كامل الصيرفى



— ٤ —

سخرية الموت بالشاعر

(ألقيت فى جماعة الادب المصرى بالاسكندرية)

فى ظلام القبورِ نجمٌ تلالاَ بعث النور يمنةً وشمالا
وتهادَى من عرْشِ مملكةِ الموتِ على الكونِ رهْبةً وجلالا
يكْشِفُ الضوءُ عن مفاتنِ أُخْرانا ، ويقْوَى فيبعثُ الآمالا
ويَقُصُّ المآلَ بعد حياةٍ تُرْهِقُ المرءَ حَيْرةً وخبالا

***

ذاكَ « شوقى » مِن بعدِ معركةِ الدُّنيا تراءى مع الظلامِ خيالا
مُرْسِلُ الحكمةِ الرصينةِ امسَى حِكْمةً سوف تُعْجِزُ الأجيالا
اسمعوه معى يَبُثُّ جَوَاهُ فى قريضٍ حوَى الهوَى والجمالا

***

« يا بلاداً ودَّعتُها وفُؤادِى ليس يسلو أيكانها والظلالا
كلما أذكر « الجزيرة » يهفو لنخيل بها سما وتعالى
واذا ما ذكرتُ « كرْمَ ابن هانى » صاح : ويحى ! كيف ارتضينا المآلا
قد قَنِعْنا بوَحْشةٍ وظلامٍ وانفردنا بحسرةٍ تتوالى
كنتُ قبل المماتِ أحسبُ فيه مُتْعَةً تُسْعِدُ الفتى ونَوالا
وهُدُوءاً من بعدِ معركةِ الدنيا ، وخيراً مُوَافِياً سيّالا
وصعيداً به الفنونُ جميعاً تتبارَى أناقةً وجمالا

فإذا الموتُ عاصفٌ من دَمارٍ هبَّ ليلاً تحطَّمَ الآمالا
وهوى للترابِ كوكبُ ذهنى ولقد كان فى السما جوّالا
كان يقظانَ فى الدجى للقوافى دأبه صيدُ ما يعزُّ منالا
ما عصانى فى الشعرِ معنىً عزيزٌ لا ولا ازورَّ عن بيانى ومالا
لم تكن صنعتى القريضَ ، ولكنْ ذاك وحىٌ من الإله تعالى
كيف حالُ الربوع من بعد أن ميلتنا مع الموت والتحفنا الرمالا ؟
كيف حالُ القريضِ ؟ هل صار فذاً عبقرياً ؟ وهل تسامى مثالا . ؟ »

***

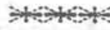
ذاك ما قيل والشعاعُ دفوقٌ والظلامُ المنيخُ ذابَ وسالا
وإذا الفجرُ باسمٌ ، وإذا الطيرُ طروبٌ ، يُزجى الغناءَ ابتهالا
وإذا نحنُ ، لاخيالَ ولا نجمَ ، نلاقى من الحياةِ الوبالا
أتراه قد كان يخدعنا الوهمُ ، وكم قبلُ قد أضلَّ رجالا ؟
لا ! فذاكَ الذى شهدنا صحيحٌ ليس يزجى ذاكَ الخيالُ الضلالا
ما عهدناه فى الحياةِ كذوباً لا ، وما كان خادعاً ختّالا
هوَ والله مُرسَلٌ ونبىٌّ أكسبَ الشعرَ رونقاً وجلالا
شعرُه دعوةُ السلامِ إلى الخلقِ جميعاً ، وضاءةً تتلالا

***

يا نبىَّ البيانِ ، مصرُ كما شئتَ وفاءٌ ولهفةٌ واشتعالا
أنت حىٌّ ما بيننا ، وسيبقى ذلك الشعرُ يفتنُ الأجيالا
خالدٌ أنتَ فى القريضِ ، وهل كان ليلقى لحنُ الخلودِ الزوالا ؟
ذلك الشعرُ قبلةُ الله للدنيا تعزّى مصيرَها والمآلا
هبطتْ من ذُرى « الأولمبِ » على الكونِ ، تهادى رشاقةً ودلالا

أسكرَتْ أنفُسَ الأنام فـادوا | وجَثَوْا عنـد وَقعها إجلالا
ثم طارَتْ إلى « الأُلمْبِ » فأضحى | بسَنـاها يعلو «الأُلمْبُ» الجِبالا

صخار الوكيل



— ٥ —

حياة الخلود

(القيت فى حفلة نادى الصحافة بالقاهرة)

عادتْ كعوْدِ المدمنِ | ينوى السلوَّ ولا يَنى
تحنـو علىَّ فهزَّنى | لعناقِها الشوقُ العريقْ
ذكرَى كذكرِ المؤمنِ | يحـلو له فى الموهنِ
إمّا يلازمـه فَنِى | أخْذاً بمأخـذهِ الرَّفيقْ
فالسحرُ تنفثُه المُقَلْ | والوجدُ يعبث بالأجلْ
والقلبُ نوّمه الخبـلْ | نومَ الوسيط فلا يفيقْ
فنـكرتُ فىَّ معـالمى | وسبحتُ سَبْحَةِ حالِم
مِن عالَمى لعوالم | فيها لـكلّ مُنىً طريقْ
وكأن جسمى ذرَّةٌ | فى الريح أو هو نفثةٌ
وتَسلمتها نسمةٌ | تَلِجُ الأثيرَ الى الرفيقْ
فرأيتُ شوقى شاديا | والروحَ صفّاً مُصغيا
ومضى سَناه حياليا | فصُعِقتُ من قدسِ البريقْ
ورأيت أنْ أتقدما | فرهبْتهُ فتلثّما
وملكتُ جأشىَ بعد ما | صوّحتُ كالغصن الوريقْ
حَيَّيْتُهُ فتبسّما | وسـعى الىَّ فسلَّما
وطلبتُ أن يتكلما | ويعيدَ لى نظمَ العقيقْ

قال : انقضت لغةُ الدُّنَى — فالحسنُ والحسنى هُنا
غيرُ الذى فى كوننا — كنَّا نصوِّرُ يا صديقْ
خمرٌ هنا ولها دبيبْ — خمرٌ بلا دنّ تطيبْ
فالروحُ عن جسمى غريبْ — من كل جارحة طليقْ
يُسقى وليس له قَدَحْ — ويُحِسُّ مثلك بالفرحْ
فاذا التمستَ له الشبحْ — لا غيرَ شفافٍ رقيقْ
سرٌّ يَشعُّ له سناءْ — واذا قبضتَ فكالهواءْ
لا شىءَ لكن فى بقاءْ — يخفى على الحىِّ الغريقْ
درٌّ هنا لا درّكمْ — والشعرُ ليس كشعركمْ
والخُلقُ غيرُ خلاقكم — وشرابنا ذاك الرحيقْ
الحورُ والولدانُ فى — مَشتايَ والمتصيَّفِ
حولى وعذبُ القَرْقفِ — يُنسى من الدنيا الحريقْ
وقفَ الحُطَيْئَةُ خادمى — والبحترىُّ ملازمى
وأبو نواس منادمى — نتذاكر العهدَ العتيقْ
ولقد أُقيمُ ببرزخى — مع حافظٍ خيرِ الأخِ
نأسَى على الشرقِ الرَّخى — ما زال فى رقّ وضيقْ
ودعاءُ قومىَ حفَّنى — فظفرتُ بالنُّزلِ الهنى
ورضًى من الله الغنى — هذا هو الفوزُ الحقيقْ
فالشرقُ شيخٌ سيّدُ — وبمصر شعبٌ أيّدُ
والحرُّ تأسرهُ اليدُ — فانا لهم ميتاً رقيقْ
ارجعْ لقومك حَيِّهمْ — عنى ونادِ بحيِّهمْ
أنى التمست لحيِّهمْ — إن مات منزلةً تليقْ

واذا بشخصى يجتلى قومى بهذا المحفل
جزعينَ للمترحِّلِ جزعَ الصديق بكا الصديقْ

اسماعيل سرى الدهشان



— ٦ —

دين الأحياء

(القيت فى حفلة مسرح رمسيس بالقاهرة)

دينٌ . . . وهذا اليومُ يومُ وفاء كم مِنَّةٍ للميت فى الأحياء !
إن لم يكن يُجزَى الجزاءَ جميعه فلعلّ فى التذكار بعضَ جزاء
يا ساكنَ الصحراء منفرداً بها مستوحشاً فى غربةٍ وتنائى
هل كنتَ قبلاً تستشفّ سكونها وترى مقامك فى العراء النائى
فأتيتَ ـ والدنيا سرابٌ كلها ـ تروى حديثَ الحبّ فى الصحراء
ووصفتَ قيساً فى شديد بلائه ظمآنَ يطلب قطرة من ماء
ظمآنَ حين الماء ليلى وحدُها عزّت عليه ولم تُتح لظماء !
هيمان يضرب فى الهواجر حالماً بظلال تلك الجنة الفيحاء
فاذا غفا فلطيفها ، واذا هفا فلوجهها المستعذبِ الوضاء
يا للقلوب لقصةٍ بقيت على قدم الدهور جديدةَ الانباء
هى قصة الطيف الحزين ، وصورةُ الـ قلب الطعين ، مجللاً بدماء
هى قصةُ الدنيا ، وكم من آدم منا له دمعٌ على حوّاء
كل به قيس إذا جنّ الدجى نزع الإباءَ وباح بالبُرحاء
فاذا تداركه النهارُ طوى المدا مع فى الفؤاد وظُنّ فى السعداء
لا تعلم الدنيا بما فى قلبه من لوعةٍ ومرارةٍ وشقاء

كلٌّ له « ليلى » ومن لم يَلقها ... خياتُه عبثٌ ومحضُ هباء
كلٌّ له « ليلى » يرى فى حبها ... سرَّ الدنى وحقيقةَ الأشياء
ويرى الأمانىَ فى سعير غرامها ... ويرى السعادةَ فى أتمِّ شقاء
الكونُ فى إحسانها ، والعمرُ عنـ ... ـد حنانها ، والخلدُ يومُ لقاء
يا للقلوبِ لقصةٍ محزونةٍ ... لم تُروَ إلا رُوِّحت ببكاء
خلدت على الدنيا وزادت روعةً ... ممّا كساها سيدُ الشعراء
خلدت على الدنيا وزادت روعةً ... من جودةِ التمثيل . والالقاء
من فنِّ (زينبها) ومن (علاّمها) ... زينِ الشبابِ وقدوةِ النبغاء

ابراهيم ناجى



— ٧ —

من سماء الخلود

(القيت فى حفلة مسرح رمسيس بالقاهرة)

مِنْ سماء الخلود أسمعُ حيًّا ... ردَّدَ اللحنَ فى السماء شجيًّا
شاعر الخُلْدِ يطربُ اللهَ فى الأُخرى بلحنٍ لم يَخْفَ عن أذنيّا
قُلتُ لمَّا سمعتهُ : يا إلٰهى ... قد سمعنا ندًّا له فى الدنيا
فأهاب الإلٰهُ بى : ذاك شوقي ... يقرأ الشِّعرَ فى السماء عليّا
قلتُ : لكنْ جنى المماتُ عليه ... وهْوَ فيما يقول لم يجْنِ شيئًا
قال ربى : إنَّ المماتَ وفاءٌ ... تلك عاريَّتى ورُدَّتْ إليّا
أرسلُ الناسَ فى الحياة وأُزجى ... رُسُلَ الموتِ خلفَهُمْ تتهيّا
فإذا نادَتْ المنيةُ خفّتْ ... لندَاها النفوسُ حيًّا فحيّا
كلُّكمْ سائرٌ إلى الموتِ يوماً ... ليس منكم مخلّدٌ يا بُنيّا

ومِن الناسِ ميْتٌ فى حيـاةٍ ومِن الناسِ مَنْ يموتُ ليحيـا

* * *

نحن نُجرِى الدموعَ فى مَوْقِفِ الذِّكْرَى ونبكيكَ شاعراً عبقريّا
إنْ يَكُ اللهُ فَضَّلَ النثرَ يوماً بكتابٍ قـد أعجزَ العرَبِيّا
أنت أعجزْتَ دولةَ الشِّعْرِ فى الضّادِ وسُقْتَ العزيزَ منها سَبِيّا

* * *

مِرْتُ بين القبور يا مصرُ والدَّمْعُ سَكوبٌ معذّبٌ عينَيّا
وتَبيَّنْتُ بينها جدَثَ الشِّعْرِ يُوارِى شعاعَهُ القُدُسِيّا
فبعثْتُ الشجونَ عن مصر والشَّرْ قِ فقدْ عانَيَا المصابَ سَوِيّا
قلْتُ يا ساكنَ الجنانِ أما مِنْكَ إلينَا شَوْقِيّةٌ تهيّا ؟
كم سَعَيْنَا إلى التُراب حثيثاً واستمعنا إلى الرُفاتِ مَلِيّا
فرأَيْنَا السُّكونَ يَمْشى على القبرِ كأنَّ المكانَ باتَ خلِيّا !
فسأَلْنَاكَ هل نسيتَ هوَى النيلِ وكنتَ المولَّهَ المَشْجِيّا ؟
فأَجابَتْ نداءَنا نَفَثاتٌ مِن سماءِ النُّهى وجَوِّ الثُرَيّا
هو ما زال فى غرامِكِ يا مصْرُ يُعانى من الشجونِ العَتِيّا
ولو آنَّ الآذانَ تُرْهفُ للخُلْدِ لألْفتْ حنينَهُ السرمَدِيّا !

* * *

فاتَّجَهْنَا إلى الخلودِ حيارَى نسأل الطيْرَ لحنَهُ العبقريّا
فلمحْنَا فى جَوِّه روحَ شوقى تَعِباً ، يائساً ، حزيناً ، شقِيّا
فهتفْنَا : يا ساكنَ الخُلْدِ غرِّدْ فأجابَ : البكاءُ أرْضَى إلَيّا
وَطَنى لو شُغِلْتُ بالخُلْدِ عنه لتَمنَّيْتُ أنْ يُردَّ عليّا
كيف أسْلو وقد ترَكتُ (حُسَيْنا) فى حِماه ؟ وكيف أنْسَى (عَلِيّا) ؟
كيف أسْلوكِ جنّةَ اللهِ فى الأرْضِ وأنتِ التى رَعَيْتِ بَنِيّا ؟

قد رضعتُ الحنانَ منكِ وليداً فعرفتُ الغرامَ فيكِ صبيًّا
وتفانيْتُ في الهوى أو تناهيتُ وإنْ لم يزلْ غرامُكِ حيًّا!

***

أنا يا مصرُ كمْ أحِنُّ إلى النيلِ وماءٍ له حبيبٍ لديّا
كم حملتُ اليراعَ تحت ظلالٍ كنتُ في كرْمةِ الهوى أتفيّا
وقطعْتُ الزمانَ أكتبُ ما يُو حى وما يبعثُ الغرام إليّا
أنا يا مصرُ لا أحيدُ عن العهْدِ ولكنْ أرى القضاءَ عتيّا

***

لاحَ منكَ الوفاءُ يا شاعرَ الشرْقِ يُروّي غرامَكَ الأبديّا
أسباكَ الرّدى وما كنتَ يا شوْ قي لغيرِ الجمالِ يوماً سبيّا؟
كفّنتْكَ الحياةُ في سُحُبِ الخُلْدِ فلم تحجبْ الشعاعَ السّنيّا
والذي تلمح البريّةُ منه رقّةَ القلبِ وابتسامَ المُحيّا
ورياضاً من الخيالِ تعهّدْتَ فطابتْ بنهلِ روحِكَ ريّا

***

أنا في مصر سامعٌ لوعةَ الشرقِ ودارٍ بهجتيْهِ الدويّا
يذرفون الدموعَ في مأتمِ الليلِ وفي مأتمِ النهار سويّا
ويذوبون حسْرةً والتياعاً! كلّما يسمعون عنْكَ الرويّا

***

لم يرُعنا معمَّرٌ يغلِبُ الموْ تَ ويحيا في دهرِهِ منسيّا
والذي راعَنا وراءَ المنايا أنْ تموتَ الجسومُ والذكرُ يحيا!

صالح جودت





الأمير الزارع

(رُفعت الى صاحب السموّ الملكى الأمير فاروق
ولىّ عهد المملكة المصرية)

نورُ الرجاءِ بدا ويُمنُ الطالعِ للشعبِ فى وجهِ الأميرِ الزارعِ
عش يا ولىَّ العهد وابرُزْ فى سنًى يجلوكَ من أفق السناء اللامعِ
فى الحسّ والمعنى على قدر المُنى كملتْ صفاتُك فهى عِقْدُ بدائعِ
الفضلُ فضلُ أبيكَ فى تذليله لك كلَّ صَعْبٍ فى المعارجِ فارعِ
ليست مشارفةُ الأمير لِضيْعةٍ ضَعةً وما الجهدُ المُخِلُّ بضائعِ
إنّ الفلاحةَ والفلاحَ تسلسلا لفظاً ومعنًى من نجارٍ جامعِ
فى خدمةِ الأرضِ التى هى أمُّنا يتألّفُ المتبوعُ قلبَ التابعِ
ما أرْوحَ الأملَ الذى قبضتَهُ لسوادِ أمّتك الأمينِ الوادعِ
الحارثِ الدّرِبِ العكوفِ على الثرى الكادحِ التّعِبِ الصبورِ القانعِ
مَن لم يُطالِعْهُ ويَعرِفْ داءَه هيهات يأتى بالدواءِ الناجعِ
للهِ منجبُكَ العظيمُ وما له من حسنِ تدبيرٍ ولطفِ ذرائعِ
لم يَبْنِ للدنيا أبٌ كبنائهِ خُلُقَ الرجولةِ فى فتاهُ اليافعِ
يَقِظٌ يُنبّهُ كامناتِ خصالهِ تنبيهَ معرفةٍ وخُبْرٍ واسعِ
حتى يُلِمَّ بكل شأنٍ نابهٍ فيسوسَهُ وبكلّ شأنٍ نافعِ



مَلكٌ به قِسْتُ الملوكَ فلاحَ لى شأوُ الظليعِ بهم وشأوُ الظالع
أوْفى عليهم بالحصافةِ والندى وبسؤددٍ مِلْءِ النواظرِ ناصعِ
ما أنسَ يومَ لحتُهُ ولحتُهم فى مشهدٍ بادى المفاخرِ شائعِ
فرأيتُ منه فى جلالِ رائعٍ أزهى مثالٍ للجمالِ الرّائعِ
لدْنٌ شديدٌ لا اتّضاعَ به وإنْ لم تَنْأ عنه كياسةُ المتواضعِ
هو مصدرٌ منه المصادرُ تستقى هو منبعٌ وله فيوضُ منابعِ
لا شيءَ يعزب عن مداركهِ ولا يخفى على ذاك الذكاء الساطعِ
واذا قضى أمضى فما من حائل دون القضاء وما لهُ من دافعِ
لحظَ الرمالَ القاحلاتِ فنُضِّرتْ وازّينَتْ بمغارسٍ ومزارعِ
لحظَ المدائنَ والقرى فتجمّلتْ وتكمّلتْ بمدارسٍ ومصانعِ
لحظَ الثّقافةَ للعقولِ فأخرجتْ ما طاب من ثمرِ العقولِ اليانعِ
لحظَ الرياضةَ للجسومِ فهيّأتْ نشأً جديدَ عزائمٍ ونوازعِ
لحظ العلومَ فما ترى فى روضةٍ الاّ ظماءَ الطيرِ حول مشارعِ
لحظ الفنونَ فعادَ مؤتنفاً بها ما كان من فضلٍ قديمٍ بارعِ
انظُرْ الى طُولِ البلادِ وعرْضِها تشهدْ ضُروبَ مفاخرٍ ومنافعِ
لا ينتهى ما ذاع من نبأٍ بها الاّ الى نبأٍ طريفٍ ذائعِ
ما مصرُ مصرُ وما الرّباعُ بحسنها هى غيرُ ما عهدتْه عينُ الرّابعِ
يتلاحقُ العمْرانُ لا يختارُ فى مجراهُ بين مواقعٍ ومواقعِ
وتصيبُ أطرافٌ نأتْ من قسطِهِ ما لم تصِبْ أطرافُ ملكٍ شاسعِ

***

لِيدُمْ فؤادٌ سائداً ومُصرِّفاً حُكْمَ السيّادةِ فى الزمانِ الخاضعِ
ولتزْدَهِرْ أيامُ صاحبِ عهدهِ فى ظِلِّه كالموسمِ المتتابعِ !

خليل مطران



الشعر المرسل وفلسفة الايقاع

لا جدال فى أن الموسيقى من أعظم محاسن الشعر ، واعتقادى الشخصى انها من ضرورات الشعر ، وموسيقى الشعر العربى تكون فى :

١ - الوزن

٢ - القافية

٣ - التصريع والترصيع (وهو الاسجاع) وما الى ذلك من الصناعة اللفظية

٤ - انسجام مخارج الألفاظ والحروف التى ينتخبها الشاعر

٥ - أوجهٍ أخرى لا أعرفها

والذى يعنينا هنا هو القافية . فالتزام قافية واحدة له ميزتان : الأولى الموسيقى والثانية اظهار المقدرة الصناعية .

واهمال القافية له ميزتان : حرية التعبير عموماً أو على الأقل فى بعض مجالات القول ، وثانياً السمو بالشعر عن صناعة لفظية فانية قريبة الغور ، أو على الأقل تخفيف العبء عن غير المتضلعين من اللغة تضلعاً لا يستلزمه النظم فى أى لغة أخرى .

* * *

فأما موسيقى القافية فتكون فى الايقاع أى انها تشبه القرع الرتيب بعد فترات متساوية : فقراءة البيت هى الفترة والقافية هى النقرة . والطرب من الايقاع مشاهد عند الفطريين كدقات طبول الزنج فى مراقصهم وعند الحيوان . ومنشأ هذا الطرب انه يسبب نوعاً من الاستهواء أو التخدير العصبى تنغمر فيه النفس وتصبح غير واعية وعياً تاماً ما أكسبتها اياه المدنية أى انها تتراجع كثيراً أو قليلا الى أصلها

وهو نفس الانسان الفطرى الذى كان يعيش فى الغاب على غرائزه الأصلية كالغريزة الجنسية وحفظ الذات وغيرها بغير أن يكون مكتسباً الصفات الحديثة وليدة المدنية كالنظر فى المستقبل البعيد والايثار على النفس وحب الجمال المطلق وما الى ذلك .

ولست أعنى أن النفس فى هذا الاستهواء تكون فطرية ولكنى أعنى انها تكون قد سارت قليلا أو كثيرا فى سبيل الرجوع الى الحالة الفطرية لأنه لا يمكن علمياً أن ترتد النفس الى الفطرة تمام الارتداد ، وانما تكون قد تنبهت فيها بعض المراكز العصبية الفطرية أى التى كانت قد تكونت فى النفس الانسانية العائشة على الفطرة كما تتكون جميع الانعكاسات الظرفية ثم تصير مراكز أو عقداً فى الجهاز العصبى أو لا تصير . والمراكز الفطرية هى منابت الغرائز ، والمراكز الحديثة هى الناشئة من الصفات أو الأخلاق المكتسبة كالتبصر والتذكر والاستيعاب الطويل وحب الموسيقى ومثل ذلك .

فتنبُّه المراكز العصبية القديمة غير الكامل أو حنين النفس الى الفطرة حنيناً جزئياً أو سير النفس فى طريق الارتداد شوطاً طويلا أو قصيراً حسب طبيعتها وطبيعة المؤثرات هو بعينه ذلك الطرب الخفى الناشىء من الموسيقى وهذه النظرية تفسر لنا أيضاً كثيراً من الاحساسات الغامضة كالشجن الخفىّ عند الغروب .

وكم من شاعر دقيق الوجدان مرهف الحسّ تتبع هذه الظاهرة حتى كاد يصل باحساسه الى الحقيقة العلمية فسمى هذه الحالة الحنين الى المجهول أو الطرب الخفى أو الانتقال الى عالم آخر ، وليس هذا المجهول أو العالم الآخر سوى النفس الفطرية .

وأما طرب الانسان الفطرى والحيوان من الايقاع الساذج فله كذلك سبب آخر لا يتعلق كثيراً ببحثنا ويكفى أن أقول ان الحيوان المكون من خلية واحدة حينما جرى فى مدارج الارتقاء وصار حيواناً مكوّناً من خلايا كثيرة تكوّن كل مجموعة منها جهازاً بدنياً تكوّن فيه التأثر بالايقاع لأن الايقاع ليس غير الحركة الساذجة فى أول نشوئها وهى حركة كل جهاز جثمانى منذ أول أطواره تقريباً ، وأكثر الاجهزة ما زالت حركته ايقاعية كحركة العضل أو الحركة من العصب المتأثر بانعكاس مفاجىء ونبض القلب وحركة الاوعية الدموية وحركة الامعاء الثعبانية وافراز بعض الغدد والحركة الرتيبة فى مضغ الطعام وهو يمتّ الى غريزة حفظ الذات والايقاع الذى يمت الى غريزة أخرى أساسية (وكل طفل أو حيوان من ذوات الثدى يرضع بطريقة ايقاعية)

ويوجد كذلك ايقاع فى الوسط الطبيعى الذى يعيش فيه المخلوق له عليه أثر بعينه كخرير مساقط المياه الرتيب وحفيف الريح والغصون وهى تكون فى المخلوق مراكز عصبية تتأثر من بعد مسببها بكل ما يشبهه فى طبيعة النقر والايقاع والرتابة، واذا قلت مراكز عصبية فانني اشير الى الانعكاسات الظرفية التى تتراكب حتى تصير أخيراً مراكز عصبية اى قطعة معينة من المخ والأعصاب لا تؤدى الا هذا العمل الذى كان السبب فى نشوئها . وبعض الكتّاب يترجمها (انعكاسات شرطية) وهى ترجمة حرفية للأصل (Conditioned ref lexes) تدل على أنهم يعرفون بما لا يعرفون .

واما اثبات هذه النظريات فقد قام به بالطرق الطبية التجريبية بافلوف وفانديك، ولا يمكن لمن لم يدرس العلوم الطبية ان يتوغل فى متابعة تجاريب هذين الجهبذين. وموضع المركز العصبي الذى نشأ من الايقاع بالأسباب التى اشرت اليها منذ بدء الخليقة الى الآن هو منطقة فرنيكه Vernicke فى اللفافة الصدغية الاولى من المخ . وقد قال بعض الباحثين ان موضع هذا المركز انما هو قمة اللفافة الجبهية المخية الثالثة وأنا اعتقد ان هذا خطأ تورط فيه بعض علماء وظائف الاعضاء لخروج البحث عن اختصاصهم والبحث فى ذلك يطول فى غير مناسبته ولكني اكتفى بالاشارة الى ان هذه المنطقة هى منطقة بروكا Broka الفرنسى وهى خاصة بنطق الالفاظ وتنسيقها اى باستعمال اللغة الكلامية المهذبة ، ومن هنا نشأ اشتباك اختصاص هذه المنطقة بالغناء اللفظى ، وفى الفرق بين الغناء والايقاع وقع اللبس ،والمبحث عويص دجوجى الدروب .

كنت أقول إن القافية تمتاز بالموسيقى الايقاعية وقد تم الكلام على ذلك وأثبت أثر الايقاع فى النفس . وتمتاز القافية أيضاً باظهار المقدرة الصناعية ، ولا أعنى بهذه المقدرة التمكن من معرفة الكلمات التى تصلح لقافية بعينها لأن هذا درجة دانية فى استيعاب اللغة وان كان فيها عنت على الكثيرين ، ولكني أعنى اقتدار الشاعر على ذكر مايضمره من المعنى بالضبط مع التزامه القافية . وهذا الاقتدار ليس عظيم الحظ فى الفن ولكني لا أرى بأساً فى اعتباره عملاً فنياً منزلتــه منزلة الزخارف التكميلية او الكمالية فى التماثيل أو منزلة الاتقان الشديد لأصغر تفاصيل الرسم . وقد امتازت بهذا الاتقان الصور الكلاسيكية . وكما يحدث للشعر يحدث للرسم فان

المدرسة الحديثة فى الرسم ترمى أيضاً الى التخلص من القيود كما فى الرسوم التكعيبية والرسوم التى لا يهتم فيها الفنان باجادة التفاصيل البعيدة عن مغزى الصورة ومنطوقها .

والآن فماذا يريد أصحاب الشعر المرسل ؟ يريدون حذف القافية للتخلص من القيود أو للتخفيف عن انفسهم . والرأى عندى انه لا بأس من حذف القافية اذا كان الشاعر من المقدرة بحيث يُعيضنا عن النغم المفقود بموسيقى فى اثناء البيت بله موسيقى الوزن ، ويكون الحذف لسبب فنى اى فى مجالات من القول بعينها لأنه مما لاريب فيه ان فى القافية تقييدا للشاعر - لاينكره الا غير خبير - فى بعض الشعر القصصى او الشعر الشديد العمق الذى اذا التزمت فيه القافية خرج شديد الغموض وفيه كثير من اللبس الذى لايمكن مجانبته وبه نفقد كثيراً من دقة المعنى. ومع ذلك فلاشك أن طبيعة اللغة العربية هى التى أطالت بقاء القافية فى الشعر: أولاً لأنك قد تجد لكثير من الكلمات مصدرين أو مصدراً واسماً ومرادفاً بله المرونة فى اللغة . ومما لم يتنبه له الكثيرون ان الاستعارات الكثيرة التى ترد فى شعرٍ ما قد تكون غير مقصودة لذاتها بل لأَداء المعنى . فاذا قال شاعر (تفتحت أبواب السماء) فهو قد لا يقصد الى الاستعارة فى نفسها بل يريد أن يقول سقط المطر، واذا قال (انى بت أرعى النجوم) فهو قد يريد انه شجىّ وهكذا . ولهذا ترى الشاعر اذا تمكن من اللغة تمكناً تاماً قلّت فى شعره الاستعارات الادائية أو لم ترد على الاطلاق .

وثانياً لأننا نرى أن حذف القافية فى الشعر الغربى قليل الأثر نسبياً لضعف موسيقى التقفية فيه لأن القوافى الغربية قلما تتركب من أكثر من وتد واحد وأما فى الشعر العربى فالقافية كما يعلم الجميع ليست الكلمة التى ترد فى آخر البيت ولكنها وزن بعينه قد يستغرق كلمة أو كلمتين أو أكثر أو أقل ولا يمكن أن يكون مركباً من وتد واحد ، ولذا فحذف القافية كبير الأثر .

والآن أذكر مثالاً من الشعر المرسل : نظمت الآنسة سهير القلماوى قصيدة مرسلة فلم تعوضنا عن القافية بل جاءت القصيدة متنافرة النغم وفوق ذلك لم تكن هناك ضرورة لترك القافية لبساطة المعنى ، ويمكن ايراد القصيدة بقافية مزدوجة على البداهة بتغير ألفاظ معدودة وبغير أي تغيير فى المعنى مطلقاً وللقارىء أن يقارن (وقد نشرت القصيدة فى مجلة «الرسالة» بالعدد الرابع عشر) :

ذو الفأس

متكئاً عَ الفأس في إعياء قد قوست قوامَه شجونُهْ !
ينظر في الارض بلا انتهاء فليس إلا تحتها سكونُهْ

« • »

قد أوهنت عظامَه الليالي وغضنته قسوة الزمانْ !
وقسوة المسعى وهون الحال قد أفقداه جزءه الانساني

« • »

من أطفأ الشعلة من حياتِهْ من ردَّه وثوره سواءَ ؟
لا يعرف الأحلام في غدَاتِهْ لا يعرف اليأسَ ولا الرجاءَ

« • »

ما رفعة الوجود في خيالِهْ ما الجاه ما السمو ما الخلودْ !
ما أبعدَ الهوة بين حالِهْ وبين حلم العالم المنشودْ !

« • »

أذاك من قد كوّن المقدارُ أذاك من قد أبدع الرحمنْ ؟
أذاك من قد خصّه الجبارُ بالعقل والعرفان والسلطانْ ؟

« • »

يا سادةَ العبيدِ والأَراضي هذا الذي قد صنعتْ أيديكم
اذا كفاء العفو والتغاضي والخير والرحمة من باريكم !

« • »

يا سادة العبيد والأراضي ! كيف لقاء الرب يوم الدين !
يوم مثوله أمام القاضي بعد سكون الساعِ والسنين ؟

سهير القلماوي

« ٥ »

أما موسيقى القافية فكل ناظم يظفر منها بغنم ، ولكن الذين يمكنهم ايراد قصيدة موسيقية بغير قافية قليلون .

وأخيراً هل يمكن أن تألف الآذان الشرقية الشعر المرسل بعد تقديم عشرين أو ثلاثين ديواناً منه ؟ ان هذه الألفة تستلزم أولاً تغيير طبيعة اللغة العربية فى أساليبها وامتلائها بالاستعارات وهذا عمل شاق ولكنه جائز الوقوع ، وثانياً تغيير طبيعة النفس الشرقية لأنها ألفت الاستنامة الى النغم المستطيل الرتيب ولأنها فى قرارتها تؤثر القصيد المجاد نغماً على المجاد معنى أو تؤثر الموسيقى على التفكير أو التأمل . فكيف نجعل نفوسنا تستطيب مثلا الموسيقى الافرنجية الا بعد تغيير فى ثقافتنا وأذواقنا وتحوير على ممر الأعوام ؟ انه لتطور يقوم به الزمن على السنة الطبيعية ولا يمكن تغيير الذوق الفنى أولا ، بل الخطوة الطبيعية أن تتحور الثقافة وتتطور المدنية والرقى الاجتماعى ثم يأخذ الفن سمته ويتبين اتجاهه ، لأن الفن هو الثمرة الأخيرة لثقافة النفس وثقافة النفس هى الثمرة الأخيرة للمدنية واستقرار المستوى الاجتماعى .

وأخيراً هل أنا من أعداء الشعر المرسل ؟ كلا ! إنْ هى الا خطرات افكار . وهل ما ذكرت يعتبر انتقاصاً لشعر الآنسة ؟ كلا !

ان شعرها ينبيء عن عقل هادىء التفكير ذكىّ لا تشوش عليه المشوّشات ، يتابع احساساً عميقاً وقلباً كبيراً ونفساً سامية ، الى حنان انثوى بليغ عذب المنبع صافيه ، وشجن كتيم تلتمس له متنفساً فى غير أسبابه وفيها . . .

رمزى مفتاح

ثلاثة دواوين من الشعر

تحت هذا العنوان كتب حضرة الاديب الشاعر حسن كامل الصيرفى فى العدد الأخير من مجلة « أبولو » للقراء مقالاً زأر فيه وجأر (على حد تعبيره) متناولاً بالنقد ثلاث رسائل صغيرة الحجم مهداة منى الى المجلة ولا أدرى مقصده فى تسميتها دواوين شعرية ولعله يرى كل شرفة إيواناً وكل بيت مهما صغر ديواناً وإنى لأعجب له فى تحامله الشديد وتسرعه فى النقد قبل أن يستوعب (الدواوين الثلاثة) قراءة ويتصفح أغراضها ومحتوياتها . يزأر الصيرفى ويجأر مدافعاً عن الجديد وليت شعرى ماذا يقصد بالجديد ؟ أيقصد به أن نجمل كل أفكارنا وآرائنا وأساليبنا حديثة عصرية النزعة ، أم يقصد شيئاً غير هذا ؟ إذا كان هذا مقصده فهو واجدٌ فى (الدواوين الثلاثة) ما يريد ، فهو واجد فى « الفطرة » رواية شعرية عصرية قصصية حديثة . أو ليس الشعر القصصى من أساليب التجديد التى تريدونها وترمون القديم بالخلوّ منها والبعد عنها ؟

ثم هو واجد فى أبيات هذه الرواية أحدث الأفكار والأخيلة والاساليب . ألم يقرأ بها قولى :

وأن عبثت أنملات النسيم إذا ما سرى بالفؤاد ابتسمْ
وطوراً يصافح أوتار قلبي فيرسل صوتاً شجى النغمْ
تقيم الطبيعة عرساً هنالك يزهو بآى بليغ الحكمْ

وقولى :

سعيد تكلم وجدانُه وعيناه أوحت بما قد كتمْ
وتلك تكلم عنها الحياء وترجم عما تكن الحشمْ

ثم هو واجد فى « النفس المطمئنة » (الرسالة الثانية) رسالة عصرية نثرية وشعرية وافكاراً حديثة وموضوعات شائقة وأشعاراً وتواشيح جميلة . هلا قرأ تحت صورتى :

تأمل ! هل ترى (سلمانَ) قلبي ؟ فقد تبدو العواطفُ فى الرسومِ
وأجمل ما ترى أملٌ كبيرٌ إذا ما حل فى قلب سليمِ !

وهلا قرأ تحت عنوان النفس :

غرّدت تغريدها في جنة جمعت من كل زهر وثمار
شربت خمر الرضا وهى التى برئت من كل إثم وخُسار

وتحت عنوان أحلام الصبا :

أحلام أنس مضت شتى مناظرها فى روضها مَنزهى فى طيبها عبقى
فيها تجمع لى شمل السرور كما تجمعت صور الأشياء فى الحدق
منها استمدَّ يراعى ما أسطره فانظر تجد نغم الورقاء فى الورق

وتحت عنوان المودة الأولى :

يا جنة ما خلتُ أنى بعدها أصلى بنار
روح النسيم ولطفه وشذاه منها مستعار
تهنيك فى السن الصغيرة هذه الهمم الكبار
حلو المزاح بريئه خلط البشاشة بالوقار

وتحت عنوان الحب :

لذّ له شجوه ولكن لم يدو أن الشجون تجرح
كالخمر يُنسى الخُمار منها لأنها للصدور تشرح

ومن التوشيحات الرقيقة فى كتاب النفس المطمئنة فى فصل الحب قولى :

خل للعاشق ناراً حاميه ولتدم بالانس فى روض النعيم
سيدى لم يبق لى من باقيه غير روح فى سموم وحميم
إن قلبي قبح السوء لديه ، وصراط الجد قد سارعليه ، حين أبرقت بلا سلك إليه :
أنما دينك دين لايحب الخاملين ولقدهجت الشئون والشجون او الشجون!
فجرّت فى القلب عينا جاريه حكمة الشعر وأسلوب الحكيم

وتحت عنوان الجمال ، بعد قولى فى البساتين ، فى النسيم ، فى الابتسام ، فى العيون ، فى القلوب ، فى الشعر ، الخ قولى :

فى غذاء الأرواح من كل شىء هو للروح طيب الطعم حالى
ذاك سرٌّ جَلَّ الذى زيَّن الكو ن به فاستنار (سرّ الجمال)

وقولى تحت عنوان : النفس والجمال: طائر ظمآن : العفة :

ظلت ترف عليـه حائمـة وما ترضى لهذا الصفو أنْ يتكدرا
فلتبق طائرة وتحتمـل الظما ولتبق فى حلم كأحلام الكرى

* * *

طِيرى على ماء الجمال وحاذرى يا نفس أن تقعى فينكدر الصفاء
كونى بحق نفس ندب شاعر يرتاح للحسنى وينعم بالوفاء

* * *

وهلا تصفح الكتاب جيداً فقرأ فيه موضوعات :

الرؤيا . العلم . الزواج والولد . الحظ والأمل والصبر والرضا . الناس . الكون وأعاجيبه . الوطن . الضمير . الموت ؟

وهلا قرأ فى الرسالة الثالثة « ذكرى محمد » صلى الله عليه وسلم قولى :

ليرتق الحب فى عرش القلوب فما أسماه من ملك فى عرشه صعدا
فهو المربى به تسمو للنفوس عُلاً وهو الكريم به تسخو الأكف ندى
وهو المفجر ينبوع الشعور من الـ قلوب منسجماً بالشعر مطردا
يصفيه للروح إخلاصٌ وتزكيـة فيعذب الشعر سلسالا لمن وردا
وهل كصدق شعورى حين أبعثه للمصطفى راجياً من فيضه مددا ؟

على أنى سأكتفى بما أوردته له ولحضرات القراء ، وما كان لى ان أشيد بقولى واختال به لولا تحامل ناقدى وصدوفه عن شرعة الانصاف تحاملاً جعله ينال فى قوله من أديب كبير هو مَن هو فى نخبة الأدباء والشعراء . والأديبُ الكبير والشاعر النابه السيد حسن القاياتى غنىٌّ فى أدبه ونبله وإخلاصه وتقديره وعلوّ نفسه عن أن يزكى ، فلا جَرم أنه رأى فى رسائلى الصغيرة (ولا أقول دواوينى) ما لم يرَ الشاعر الصيرفى ونظر إليها بعين منصف مقدّر لا بعين عائب متحامل، وإنا لنشكر للناقد إيراده بيت الشاعر السيد وهو :

فارسىٌّ (سلمان) بيتك ، فاحذن فى القوافى (سلمانك العربيا)

ليكون الأدباء فيه حكماً وليروا أتنكر فيه كل كلمة أختها كما يقول أم هو متعارف الكلمات سامى المعنى حلو النكتة صادر عن إخلاص وتقدير ، ولينظروا أأنصف السيد الكبير الأدب وأهله فقرأ وفكر ثم حمد فشجع وشعر فأخلص ، أم أنصف الشاعرُ الصيرفى حين مرّ بالكتاب أو بالدواوين مرّاً فراح يرمى بالجمود والقدم ماشاء له التحامل وحب النقد ، على أنى أقول لناقدى فى ختام قولى هذا بيتين من الشعر لعل فيهما اسمى معانى الرد وهما :

قد أسأتم إلى (الجديد) إذا ما … قد صدفتم عن كل شيءٍ (تليدِ)

إن فى الشعر حين توحيه للنفـــس دواعي الشعورِ روحَ الخلودِ

والسلام على الشاعر الأديب وعلى طائفة الأدباء والشعراء مثله ورحمة الله ؟

احمد محمد سالمان

(المدرس بمدرسة غمرة الابتدائية للبنات)

* * *

الأديب احمد محمد سالمان ثائرٌ عليّ لأنى سميتُ كتبه الثلاثة دواوين شعرية ، وثائرٌ لأنى لم أعدّه من المجددين وقد كتب قصة عصرية ، وثائرٌ لأنى تغاضيتُ عن صور جميلة فى كتبه أشار اليها فى رده عليّ ، وثائرٌ لأنى لم أفهم النكتة فى بيتىْ السيد حسن القاياتى ، وأخيراً فهو ثائرٌ عليّ لأنى اسأتُ الى التجديد بصدوفى عن كل شيء تليد !

عزيزي سالمان ! أتسمح لى أن أعجب من ثورتك أشدّ العجب كما عجبتَ أنت من نقدى فكنتَ ثائراً حيث لا ضرورة الى ثورة ، وحانقاً عليّ حين لا يدعو الأمر الى حنق ؟!

إننى حين تناولت كتبك الثلاثة ، أو دواوينك الثلاثة - حسبما تشاء - وقرأتها علقتُ عليها بالكلمة التى أغضبتك لم أتناولك شخصياً ولم أتناول السيد حسن القاياتى بالذات وانما تناولتُ موضوعاً عاماً ، تناولتُ وجهة النزاع القائم بين الثائرين على التجديد واهله وبين هؤلاء ، وألقيتُ شعاعاً على تلك الثورة لأتبين ما

وراء ظلماتها من حقائق أو أباطيل فبان لى ما أدهشنى ، فعجبتُ للسيد حسن القاياتى الذى يرى فى أساليب التجديد ومعانى المجددين هراءً وسفسطةً وهدماً وإفساداً - ويشترك معه فى هذا الرأي فريقٌ لهم أتباع وللأتباع أبواق - عجبت لهؤلاء كيف يرون فى اعمالنا التفاهة والانحطاط فى حين يقرأ لك السيد حسن القاياتى البيت الذى أشرتُ اليه وهو :

وما هو إلا رجاءٌ أضاء بزيتِ الرضا بيتَ قلبي وعمْ

فيقول لك ما قاله من التقريظ الذى أعود فأكرر لك انى لا أفهم فيه من حلاوة النكتة إلا ما فى البيت المشهور :

كأننا والماءُ من حولنا قومٌ جلوسٌ حولهم ماءُ !

ثم أعجب جداً لدفاعك عن السيد حسن القاياتى فى الوقت الذي لم أطعن فيه السيد وانما استغربتُ بيتيه فهل يعتبر استغرابى طعناً فى القاياتى يستوجب الدفاع عنه ويستوجب اتهامى بالتحامل والرغبة فى النيل من السيد القاياتى حبّاً فى النقد ؟ إتق الله يا سالمان فان للنقد اصولاً وللرد كذلك ...

وأما سؤالك التهكمىّ عمّا أعنى بالجديد وقولك : « أليس الشعر القصصى من أساليب التجديد التى تريدونها وترمون القديم بالخلو منها والبعد عنها ؟ » هذا القول الذى تريد به تحطيم نقدي فإنى أرد اذن عليك قائلا : نعم ياسيدى ! انما نقصد بالجديد الى ما ذكرته انت فى ردّك وهو آن نجعل كل افكارنا وآرائنا وأساليبنا عصرية النزعة ، ونعم ياسيدي ! ان الشعر القصصى الحىّ الناظر الى أعماق الحياة هو من أبواب الشعر الحديث ، وانت ترد علىّ وتقول إنى واجدٌ فى روايتك أحدث الافكار ، نعم قد تكون الفكرة عصرية ولكن اللباس الذى ألبستَها اياه قديم ، وما معنى ان شاعراً يعيش فى عصر الكهرباء ويحاول ان يشبه الرجاء الذى يلمع بالنور الساحر فيأتينا بتشبيه عتيقٍ بالٍ ؟!

وأمّا عن اتهامك إيايَ بعدم الانصاف والمرور السطحى على كتبك والتغاضى عما فيها مما أوردتَهُ فى ردك فإنى رغبةً فى تهدئة اعصابك وتسكين ثورتك لا أحاول أن أودّ المعانى الواردة فى أبياتك الى مصادرها حتى لا يكون لثورتك إلا لسان واحد ، وكفى الله المؤمنين شر القتال !

وأما عن نورتك أمت على شخصى واعتبارى مسيئاً الى التجديد فإنى لا أقابل ذلك منك الا بابتسامة التسامح لانى لم أنتقدك لأنك انت سالمان ، ولم أنتقد غيرك لشخصه. وانما انتقاداتى خالصة للفن ، فاذا نالنى من وراء هذه الرغبة الخالصة فى سبيل الفن طعن أو تجريح فلست بالساخط أو الثائر ؟

حسن كامل الصيرفى



أبو شادى فى الميزان

أعلم أن للميزان كفتين نضع فى احداهما الصنف الموزون وتقابله فى الكفة الأخرى الصنج . وقد قرأتُ هذا الكتاب « أبو شادى فى الميزان » وفى ذهنى أنى سأجد كفتين نخرجت منه ولم أجد غير كفة واحدة ! قلت لعل هذا الميزان من الاختراعات الحديثة ولعله ضرب من الموازين ذات الزنبرك الذى يقوم مقام الصنج، ولكنى أمسكت بالميزان أفحصه ، وطفقت أشد السلاسل التى تحمل الكفة علّى أجد لولباً يقاوم شدّى لهذه السلاسل فلم أهتد اليه ، فأيقنتُ أخيراً أنه ميزان ناقص ، ولكن لاحت لى بارقة أمل فجريت خلفها . . . قلت : هذه صنجة نحاسية لامعة صقيلة ذات قالب حسن فأمسكتها لأرى قدرها أهى جرام أم أقة أم رطل فاذا هى أكبر من كل ذلك ـ اذا بها (نقد وملاحظات) . . . علمت أنى أخطأت وظلمت صانع الميزان وصائغه فعلقته فى حبل شددته الى حبل النور الكهربائى المتدلى وسط سقف الحجرة وتراجعتُ للخلف قليلا كى تكون رؤيتى له أعم وحكمى أصوب، فاذا الكفة تشيل بالصنجة ، واذا الكفة الأخرى راجحة ثقيلة ، حتى خفتُ على حبل النور من الانقطاع ، فجريت اليه وأخذت الميزان موقناً الآن بنقصانه وعدم صلاحيته !

ولعل القارىء سئم هذا الهذر فلنأخذ فى الجد . . . اسم هذا الكتاب « أبو شادى فى الميزان» وليس هو من وضع شخص واحد بل اشترك فيه أربعة من الأدباء الى جانب الأديب المحاضر ، ومع ذلك فالكتاب عديم القيمة من الوجهة النقدية .

نحن لا نجهل قدر الدكتور أبى شادى ، وأحسن ما أشبهه به أنه مصنعٌ من

المصانع الحديثة الرحبة المتسعة الجوانب الحافلة بجميع أنواع الآلات ، تنتج إنتاجاً وافراً يزحم السوق ويكظّه بغير أن يجهدها هذا الانتاج الذى لا انقطاع لسيله، وهو رجلٌ خصبُ الخيال لدرجة بعيدة ، واسعُ التصوّر ، كثير المعانى ، وافر الجديد منها ، رائدٌ متقدمٌ فى منهج الشعر ، ولكنه لا يسلم من العثرات والكبوات ، فيقوم منها بنشاط ومقدرة وقد علق بردائه أثرٌ منها . وهو لسوء الحظ لا يلتفت الى إزالة هذه الآثار ، ولكنه يتقدم ويتقدم غيرَ عابىء بأنها تكدّر نصوع صفحته ، وهو لو اصطنع الريث والأناة بعض الشىء لغسلها وطهرها .

أمّا هذه الآثار فهى كما أرى السرعة : السرعة فى النظم ، سرعة الآلة وعجلتها . لستُ أعيبُ إكثاره فهذا شىء يستحق الاعجاب والتقدير ، ولكنه كما أقول يسرع بنظم القصيد ، ويخيل الىّ أنه لا يراجعه بالحذف والنفى والزيادة والاضافة والتحسين والتعديل ، وهو لو فعل لأبدع فوق إبداعه وأجاد فوق إجادته ولخرج قريضه قريبَ التمام .

وعيبٌ آخر : وهو أن أباشادى ينظم متى أراد وكيف أراد وفى أىّ موضوع خطر له ، ينظم بسرعةٍ وعجلةٍ ويسخّر اللغة لقريضه تسخيراً عجيباً ، فهو يحمّل كلمات اللغة معانى تنوء بها كالأوزار الثقال ، معانى لاتطيقها هاته الكلمات ، وقد تكون بين المعنى واللفظ صلة ضعيفة تكاد تكون منبتّةً ، ولكنه لا يحفل بذلك ، هو يزج بمفردات اللغة ويقحمها داخل ابياته ما دامت متفقة مع الوزن متسعة مع القافية ، حتى ولو كانت غلطاً محضاً ... هذا هو السبب فيما أراه من عيب ثالث : وهو تنافر الكلمات وعدم انسجامها مع المعنى ومع الأسلوب ، فهى تئن من ظلمها ومن وضعها بين أترابٍ لا تعرفهم ، بينما اللغة العربية زاخرة بالمترادفات والألفاظ التى تنطق بادائها للغرض — بل ان الدكتور يظلم اللغة بشعره ، فان أكبر ميزات اللغة العربية هو رنينها العذب وتآلف الكلمات وتأليفها وديباجة الأسلوب ، وأكاد أقول إن أبا شادى لا يحفل بذلك لأنه سريعٌ يتعجّل .

ولكننا فى هذا المعرض لا ننسى أن للدكتور أبى شادى فضلا لم يسبق اليه وخلقاً كريماً ليت أدباءنا ينصفون به (وأريد أن أكون صريحاً فاشرك معه فى هذا الفضل الدكتور طه حسين) فهذا الرجل يعرف قدر نفسه ، وهو متواضع جمّ التواضع ، متسامحٌ أكرم التسامح ، هذه نبالة خلق سام وشيمة جليلة فى هذا

العصر، وهو بتسامحه وتواضعه يحاول أن يؤلف بين القلوب ويجمع بين الادباء والشعراء فهو أحد المراكز التي تدور حولها النهضة المصرية .

ولكن هل جاء كتاب « أبوشادى فى الميزان » ليقرر هذه الحقائق ؟ اعترف بأنه أشار الى بعضها اشارة أو ذكرها بعض الذكر ، ولكنها الحقائق التى تكاد تزكي أباشادي فقط . ولو أنصف أبوشادى لأوقد المجمرة وألقى بهذا الكتاب الى النار غير آسف فيه على شيء فان رائحة البخور التى ستبعثها النار ... انها ... ماذا ؟... هل سينتشى بها ويرتاح اليها أم سيدع دخانها يذهب بدداً فى الهواء . هو بخور خير من البخور ، شادته كلها خير من الشبّة والفاسوخ وعين العفريت والصندل وما اليها من هذا المزيج، ولكن ليت له مرارته وبعض حدّته، اذن لأفادفائدة جلىّ.

وأىّ بخور أيها القارىء أحدّ عبقاً من البخور الذى ترى فى غماماته الرفيعة صورة أبي شادى كرسول كريم معصوم من الخطأ ، أُرسل للاصلاح والهدى ، فنحن نغرق فى المدح اغراقاً ، ونغالى فيه غلواً بعيداً : فاذا أعجبتنا شيمة من خلق انسان قلنا أنه أشعر الناس ، وهكذا ، وهكذا ... وعلى هذا القياس فأبوشادى نبي شاعر، وهذا القياس كثير لا يحتمله الأدب .

أما المحاضرة وهى الجزء الأكبر من هذا الكتاب للأديب محمد عبد الغفور فهى ركيكة ضعيفة . من ذلك قوله : «فنحن أمام رجل جبار الذهن يحب الحياة غاية الحبّ ويتذوّق الاستمتاع بها نهاية التذوّق» ، فما هذا التذوق للاستمتاع ؟ ثم يتساءل « مَن ذلك الشاعر الحر الذى يقبل من أى ناقد أن يحدد له مواضيع شعره» والجواب طبعاً : لا أحد ! فلا معنى للسؤال ... وليس هناك ناقد يحدّد لشاعر ما يقول وما لا يقول ، وفى أى موضوع ينظم . ثم ما هذا الشعر « الانسانى العالى » وهل هناك شعر حيوانى ؟ ثم ما هذه الوصمة التى يصم بها مصر من كونها « وطناً بائساً » ونحن فى مجال محاضرة أدبية ؟ وما كل هذا : « يتشبث كلّ التشبث بما يعتقده صواباً » و « التجديد فى التشخيص البكتريولوجى » و «الخلاصة أن شخصية أبوشادى تشمل مزيجاً من عالم مجسم وشاعر مجسم ومصلح مجسم وانسان مجسم » وقوله « فهو يتكلم ويفكر وينظم اذا شاء » وقوله « الشعر العميق الثقافة » الخ . ؟ ولا أريد أن أثقل على القارىء بزيادة الاقتباس ، ولكن يقول أبوشادى فى بيت من الشعر يستشهد به الأديبُ المحاضر :

ان الحياةَ تَضافرٌ وتَعاونٌ سيانِ بين غنيِّها والمُعْدِمِ

ولا تقول العرب على ما نعلم «سيان بين» ولكن تقول «هذان الأمران سيان» كما ذكرها الشاعر فى مواضع كثيرة.

وتقول فى بيت آخر:

روحُ الوجودِ هو الجمالُ، فما له قد شاهَ بين أذًى وخُبثٍ مُضْرَمِ؟

والخبثُ خلةٌ من طبيعتها الكمون فى النفس فكيف نصفها بتضرم النار؟

ويقول:

وجرحتِ نفسكِ بالجهالةِ مثلما فى ظُلمةٍ بيديهِ قد جُرِحَ العمِى!

فأىُّ العميان هو المقصود؟ أهو أعمى البصر أو البصيرة؟ فاذا كان أعمى البصر فسواء لديه الظلمة والنور، والأعمى لايجرح نفسه، واذا كان أعمى القلب فانه يجرح نفسه أيضاً فى النور جرحاً أعمق وأوسع منه فى الظلام!

ثم يقول عن المصريين فى واقعة رشيد (سنة ١٨٠٧):

كيف هدّوا سُفناً سارتْ لهم فى اختيالٍ فهوتْ دونَ اختيالِ!

وهذا خطأ تاريخى لأن الواقعة لم تكن بالبحر بل كانت بشوارع رشيد وكان المصريون يطلقون النار على الجنود من النوافذ وسطوح المنازل.

أما الأدباء الآخرون الذين اشتركوا فى وضع الكتاب فقد أحسنوا فى اختيار بعض الشعر الجيد لأبى شادى.

هذا ولا أدرى لماذا لم يُعرب المحاضر اسم أبى شادى فيجعله مرفوعاً ومنصوباً كما يتطلب موضعه من الكلام وهو أمر أليق بهذا الاسم الشاعرىّ ؟!

عبد المنعم دويدار

(ليسانسيه فى التربية والاداب والتاريخ)

***

نظن انه من العدل شكر «جماعة الأدب المصرى» على عنايتها بالمحاضرة عن الشعراء والأدباء المعاصرين وتقديرهم أثناء حياتهم، فليس من المفهوم إذن أن يجعل الاديب

الفاضل صاحب هذا المقال هذه العناية موضوعاً « للهذر » — على حدّ تعبيره هو — اذا ما تناولت احدى المحاضرات شعر أبى شادى أو شعر ناجى أو غيرهما من شعراء أبولو ، ولكنها قد تكون موضوع التقدير اذا تناولت صديقه العقاد مثلاً ، وانى أودّ إن أمكن بهذه السطور أن أعفى كلاًّ من « جماعة الأدب المصرى » ومحمد افندى عبد الغفور من التعليق على هذه النقطة إذ نحن مدينون لهم بهذا الفضل ولا يجوز أن يكون موضوع نقد أو جدل .

إنّ هؤلاء الأدباء يكتبون عن ايمان وعن شعور بالاشتراك فى العقيدة فلا غبار على تضامنهم الفكرى والروحى ، ولا بدع اذا كان بينهم كل هذا التجاوب والتساند لاعزاز مُثُل الحق والجمال التى يقدسونها .وقد أذعنا بأنفسنا ما يُقال ضدّنا فلماذا نلام على نشر نقيضه؟! ان هذا الميزان الأدبى ليحمل فى احدى كفتيه المبادىء الأدبية التى يدينون بها وفى الكفة الأخرى شخصية الشاعر وشعره المعبِّر عن تلك الشخصية ، ولهم بعد ذلك أن يصدروا أحكامهم عن يقين واطمئنان . وقد تكون هذه الاحكام خاطئة فى نظر مراسلنا الفاضل لأنّ المبادىء التى يزن بها جدّ مختلفة ، وهو حرّ فى أحكامه ، ولا يجوز لنا أن نسخر منه كما لا يجوز له أن يسخر من غيره . وبناء على ذلك لم أسخر أنا شخصياً من أمثال الأدباء عبدالرحمن صدقى وحافظ جلال ومصطفى كامل الشناوي الذين تباروا فى تأليه العقاد ، وعلى هذا الاعتبار أيضاً وضع العقاد كتابه « قمبز فى الميزان» لجرّد شوقى من جميع الحسنات التى يراها أنصار شوقى فيه — ذلك لأنّ العقادوضع فى كفة الميزان الأخرى مبادىء لا يؤمن بهامعارضوه وطبقها هو حسب وجهة نظره . وهذا وحده ما يُفهم بالميزان الأدبى لا ما ذهب اليه دويدار افندى . وهذا ما تراعيه لجنة النشر لمجلة « أبولو » التى لى شرفُ عضويتها .

وان ملاحظاته التى يبلسها على شعر أبى شادى وكيفية نظمه الشعر واغفال تنقيحه بعيدة عن الصواب ،ولا تتجاوزما يقوله العقاد ومقلّدوه فى مجالسهم الخاصة ، ولا يوجد فى الواقع دليل عليها ، فهى من مبهم القول الذى لافائدة من ترديده . وليست الشواهد القليلة التى تفضل بها الا خطأ فى خطأ كما سنبين بعد ؛ والى أن يتقدم حضرة الناقد أو أصدقاؤه بشواهد وافية لنا فنحن نعتبر أنه لم يقل شيئاً فى هذا الباب ، ونحن نوقن بان جهود أبى شادى لخدمة الشعر والادب عن طريق

الانتاج السليم والابداع الموفَّق هى أكيداً فى الطراز الأول من نوعها روحاً وفنّاً ولغةً وموضوعاً ؛ وهو فى غنًى عن هذه الشهادة .

انّ هــذه المحاضرة وما سبقها ولحقها من تعليقات مجموعة صالحة من الدراسة والتحليل ، والملحوظ أن حضرة الناقد يقتضب بعض العبارات اقتضاباً ثم ينتقدها فى غير جوّها وفى غير مناسبتها ، وبذلك يفسدها بل يشوّهها تشويهاً متعمــداً الاستهانة بها والاصغار منها ، فمن اضاعة الوقت إذن الرد على ذلك ، والأولى بنا توجيه القراء الى الاطلاع بأنفسهم على هذه المحاضرة والمقارنة بينها ونقد دويدار افندى ليروا الى أيّ درجة يبيح لنفسه فهمها والاقتضاب من تعابيرها ثم نقد ما يقتضبه بعد ذلك ! وليس من العجيب فى هذا الزمن أن مَن يؤمِّنون على نعت العقاد «بالفيلسوف الأكبر» يستكثرون تحليل محمد الغفور واقرانه لشخصية أبى شادى وبيان نواحى شاعريته ، ويحوّرون كما يشاءون فى معانى مثل هــذه المحاضرة القيمة ومراميها ، وينعتون بلاغة صاحبها بالركاكة والضعف ، ويعتبرون الظلال الشعرية الجميلة التى يسبغها أبو شادى على ألفاظه جهلاً وعيّاً ... !

انّ ما يخشاه دويدار أفندى من الإثقال على القارىء باقتباسه من المحاضرة يرجع الى سوء اقتباسه هو إخلالاً بمواضع الكلام ومناسباته كأنما يتعمد ذلك تعمداً ؛ فى حين انّ قارىء المحاضرة لا يشعر بغير المنطق والسهولة المتمشية فى اجزائها اطّراداً دون كلفةٍ ولا تعمُّلٍ ولا اسرافٍ ، والظاهر أن دويدار أفنــدى يفهم النقد بغير ما نفهمه — يفهمه بمعنى الإصغار لا بمعنى الفحص والتحليل ، ولذلك فهو ساخط على من اشتركوا فى هذا التأليف الأدبى ...

وبعد كل هــذا يأتينا بشواهد قليــلة تدلّ على قصوره اللغوى وضعف بصر بالشعر . فهو ينتقد مثلاً كلمة « سيان » فى هذا البيت :

إنّ الحيــاةَ تضافرٌ وتعاونٌ ... سيانِ بين غنيِّــها والمُعْـدِمِ

وقد فاته ان « سيان » متعلقة بمحذوف تقــديره « هما » كما هو ظاهر من تركيب البيت ومعنــاه .

وانتقد استعمال كلمة « خبث » فى هذا البيت :

روحُ الوجودِ هو الجمالُ فما له ... قد شاهَ بين أذًى وخبثٍ مُضْرَمِ ؟

فقال ان الخبثَ خلةٌ من طبيعتها الكمون فى النفس فكيف نصفها بتضرم النار ؟ والمعروف بالخبث أنه المكر السيء ، فكيف يعترض الناقد على هذه الصفة البارزة فى المؤامرات الدولية التى أدت تكراراً الى اشعال الحروب ؟ ان مثل هذا النقد الفقهى الخاطىء لا يمتّ بصلةٍ الى نقد الشعر ، وإن يكن عيباً متفشياً بين مَن يتصدّون لنقد الشعر بينما هم أبعد الناس استعداداً لنقده.

وانتقد كلمة « فى ظلمة » الواردة فى هذا البيت :

وجَرحتِ نفسَك بالجهالةِ مثلما فى ظُلمةٍ بيديْهِ قد جُرِحَ العَمِى!

وقد فاته — على أى تفسير أراد — انّ الاعمى الذى يجرح نفسه انما يفعل ذلك عن عجز وغفلة معنوية تحجب عنه الهداية ، وهكذا الانسانية التى تدع الجهالة تجرحها هذا الجرحَ البالغَ فى صميمها .

وانتقد الاشارة الى اصابة المراكب الانجليزية فى حين أن قصيدة « مفخرة رشيد » لا تتناول القتال فى رشيد وحدها بل تشمل المعركة المتتابعة بقسميها من الاسكندرية الى رشيد .

وأخيراً عاب حضرته على عبد الغفور افندى أنه لم يعرب اسم (أبوشادى) مع أن هذا ليس حتماً ، وقد لاحظتُ أن كثيرين من الكتاب المجيدين ينفرون من هذا الاعراب لاسم علمٍ ، واللغة تبيح لهم ذلك .

ولا بدّ لى أن أقول فى صراحة إنّ رسالة دويدار أفندى تثبت من جديد أنه لا يصلح لنقد الشعر غيرُ مَنْ جمع بين روح الشعر (وإن لم يكن شاعراً معبّراً) وبين الروح النقدية المنصفة ، وهذان العنصران لم أجدها عنده ؟

حسن كامل الصيرفى



نقد اطياف الربيع

فى طليعة النقد الذى ظهر فى الصحف موجَّهاً الى هذا الديوان وصاحبه ما كتبه حضرات الأدباء الدكتور زكى مبارك ومحمد خالد (خلدون) وصديق شيبوب ،

وقد علقنا على ملاحظاتهم بما عنّ لنا من آراء فى البلاغ والأهرام والإمام ، حُبّاً فى زيادة الفائدة الأدبية لا أكثر ولا أقل . ولكن الأديب الفاضل صديق شيبوب تشبّث باتهام لغتنا ، وإن كنا قد خطأناه فى ملاحظاته اللغوية ، ولعلّ من الفائدة أن نردّد هنا ما كتبه فضيلة العلاّمة الأب الكرملى (صاحب « لغة العرب » وعضو « مجمع اللغة العربية الملكى ») ، ونحسبه أولى بالغيرة على اللغة العربية ومدلولاتها من كثيرين ، وحسبنا تقدّمُ راهبٍ عالمٍ مستقلّ مثله يكتب من صومعته ومن تلقاء نفسه هذه الكلمات التى نحسب فيها كلّ الغنية : « ... وأنا أرى فى ما تنظمه المبتكرات المفيدة والموضوعات التى لم يسبقك اليها شعراء العرب الأقدمون ولا المعاصرون ، وكل ذلك بأسلوب ممتع ورشاقة فى التعبير ونغمة فى تناسق الألفاظ بحيث أن القارىء يشعر بنغمة اختها المجاورة لها فى كل كلمة ينطق بها ، ومن العجيب أن تدفق النظم من يراعتك لا يخرج به الى المبتذل ولا الى المكرور فهو كله مبتكر ومتين » .

وبعد ، فنظن من الانصاف أن يعطى ما لقيصر الى قيصر ، واذا كنا نرحب بالنقد الأدبى فالواجب على صديقنا الناقد أن يرحب كذلك بمناقشتنا اياه ، لا أن يعدّ هذه المناقشة السمحة الهادئة موجبةً الى التبرم والمؤاخذة ، إذْ يكون معنى ذلك ضياع الاحترام المتبادل بين الشاعر والناقد على ما فصّلناه فى افتتاحية هذا العدد ، وهذا لا يُنتظر من مثل صديق شيبوب ، ولعله لا يعلم مبلغ التقريظ الذى وافانا من نفس بيئته وأين نحتفظ بهذا التقريظ ، ولا كيف يعزّز مطران فى مجالس أبولو جُهودَنا التجديدية التى يريد صديقنا الفاضل أن يصوّرها بمعزلٍ عن جهود مطران وتعاليمه ... وما هذا يكون النقدُ ولا الانصافُ .





دنيال فى جب الاسود

مَثَلُ المكيدةِ مِنْ حَسُودْ   (دَنْيالُ) فى جُبِّ الأَسُودْ
عَبَدَ الالهَ مُوَحِّداً   لا عَنْ ثوابٍ أو وَعِيدْ
بل عن عقيدةِ مُؤمنٍ   يَكفيهِ ايمانٌ يَذُودْ (١)
وأبى له حُسَّادُهُ   الاَّ النكايةَ والجُحُودْ
جَعَلوا المليكَ مُحَرِّماً   لِسوى المَليكِ دُعا المَسُودْ
لكنَّ (دنيالَ) النبيلَ   أبى التَّحَوُّلَ بالعُهُودْ
ما كانَ عَهْدُ الرَّبِّ الاَّ   عَهْدَهُ ، فَلَهُ السُّجُودْ
ومَضَى على إخلاصِهِ   للربِّ لا يَخشَى الشُّهُودْ !

***

واذا الوُشَاةُ تعلَّقُوا   بعقابِهِ عند المَلِكْ
لم يَلْقَ عُذراً أو مَفرّاً   وهو يَشْعُرُ بالشَّرَكْ
فمضَوْا به للجُبِّ والـ   ـمَلِكُ الاسيفُ كمَنْ هَلَكْ
يَشْجَى (لدنيالَ) الحبيـ   ـبِ كما شجا (٢) داجي الحَلَكْ
ودنا الصَّباحُ فراحَ نحـ   ـوَ الجُبِّ فى جَزَعِ الفَلَكْ
ودَعَا وفيه مِنَ التوجُّسِ   والتخوُّفِ ما امتلَكْ

(١) يحميه ويصونه (٢) حزن .

فاجابه (دنيالُ) فى اطْـ مئنانٍ مَنْ لم يَرْتَبِكْ
أنا فى أمانٍ يا « مَلِـ كُ » بفضلِ ربِّى مَنْ ملَكْ !

***

فى الجُبِّ رُوِّعَتْ الاسُو دُ وقد بدَا مَلَكٌ لها
زأرتْ وكلٌّ فاغِرٌ فاهًا تخافُ مآلَها
رُدَّتْ عن الملكِ العزيـ زِ كما رعَتْ (دَنيالَها)
حرَستْهُ فى الليلِ البهيـ م تخالُهُ آجالَهـا
حتى تلَقَّاهُ المليـ كُ وقد رأى إجلالَها
فى فرْحَةٍ ، وكأنَّما أعطى البلادَ نوالَها
ولقد غدا إيمانُه إيمانَها وجمالَها !

***

ورأى المليكُ جزاءَ مَنْ خدَعوهُ نفسَ جزائِهمْ
فَلَدَى قرارِ الجُبِّ عَدْ لٌ مآلِهِمْ وثوائِهمْ
بُعِثوا اليه فما حمَى (١) مَكْرٌ وثوبَ فنائِهمْ
كم مُفسدين تورَّطوا بغُرورِهِمْ وذكائِهمْ
نال التمادِي منهمو ما نال مِنْ أشلائِهمْ
بذلوا الذى بذلوا لشرِّ النـاسِ فى غلوائِهمْ
فاذا الاذى لحظوظِهمْ واذا الرَّدَى لرجائِهمْ !

احمد زكى أبو شادى

(١) منع



الى القمــــر

قلبي تمهَّــلْ واصطبرْ سكِّنْ خفوقَكَ واستقرْ
أتجنّ من صُوَرِ الطبيعــةِ رائعــــــاتِ للنظرْ
ذكرّنَ إلفاً غائبـاً آهاً على تلك الذّكرْ!
يا عينُ هــل تجدينـه يبدو بهانيكَ الصوّرْ؟
يا عينُ لا نومٌ ولا تدرينَ ما بعد السهرْ
سلّي شجونَكِ بالنجوم عقدن عرشاً للقمرْ!
سلّي قليلا واهدئي أنُضيعُ فى الدّمعِ العمرْ
يا بدرُ قل لى بعد بُؤ سِكَ كيف صافاك القدرْ؟
لُحْ فى سمائك للعيون أو اختبئْ بين الشجرْ
أنا لا أبالى بالضيـــاء على جوانبِــكَ انتشرْ
يمتـدّ فى الآفاق أو يثوى على وجهِ الغُدُرْ
قــلْ لى وأنت خزانةٌ فى طيفها الغيبُ استترْ
قلْ لى! لعلك منجدٌ ألديكَ عن (ليلى) خبرْ؟!

* * *

(ليلى)! لقد زار البلى قلبي وطيفُكِ لم يزرْ
عصفتْ رياحُ الهجْرِ منـ ـكِ وأنت أقسى من هجرْ
وهواكِ حولَ كيـانه لهبٌ يقيه من الغِيَرْ
لهبٌ تضاعفُه الرياحُ فكلما بئت استعرْ!

* * *

عتاب

هجرتِ فلم نجِدْ ظلاًّ يقينا أحُلماً كان عطفُكِ أم يقينا ؟
أهجراً فى الصبابةِ بعد هجرٍ أرى أيَّامَهُ لا ينتهينا
لقد أسرفتِ فيه وجُرتِ حتى على الرَّمَقِ الذي أبقيتِ فينا
كأنّ قلوبَنا خُلِقَتْ لأمرٍ فمذْ أبصرنَ من نهوَى نسينا
شُغِلْنَ عن الحياةِ وغِبْنَ عنها وبِنَّ بمَنْ نُحِبُّ موكلينا
فإنْ مُلِئتْ عروقٌ مِنْ دماءٍ فإنَّا قد ملأْناها حنينا !

ابراهيم ناجي

فيكِ المُنى

فيكِ المُنَى لكنْ بأيةِ حيلةٍ لى أستطيعُ أرى لهنَّ سبيلا ؟!
كالوردِ كلُّ مُناكِ إن طافتْ بها يدُ قاطفٍ ضنِيتْ هناك ذُبولا !

* * *

عيناكِ ناطقتانِ : وحْيٌ تارةً أنا مَنْ يعيهِ وتارةً إلهامُ
خشعتْ قلوبُ الجاحدين، فيا لها من بَهْتَةٍ فى طَيِّها استسلامُ !

* * *

هل كنتِ قبلَ النور؟ فهوَ كما رَوَى قلبي شعاعُ جمالكِ القُدْسِي
نفسي تحومُ على سناكِ عبادةً وهي المطيعةُ ، فارْحمي نفسِي !

* * *

مَنْ آدَمٌ بين الجدودِ إذا انتهى لكِ عنده النسبُ السنيُّ العالى
الكونُ مِن يُمنِ الجبينِ ومِن سما حِ النفسِ ما فى الكونِ من آمالِ

* * *

قبْلَ الخلائقِ كنتِ أوْ من بعدِهم أو أنتِ لا قبْلٌ ولا بعدُ

هـذا الجمالُ وأنتِ مَصْدَرُهُ نِعَمٌ تفيضُ وما لها حَدُّ

* * *

يا بهجةَ الدنيا ونعمةَ مَن بها وعزاءَهم ولو انهم لم يَفطنوا

يا جنةَ الأُخرى ورحمةَ أهلها مَن آمنوا منهم ومَنْ لم يُؤمنوا

* * *

أنا في الغرامِ كما علمتِ وفي ظلا لك زهرةٌ ورقاتُها أحشائي

لي حاجةٌ هي كلُّ ما ارتهنتْ به عنـد اللقاء سعادتي وشقائي :

* * *

هل تذكرين وأنتِ ملءُ جوانحي نوراً ، وهذا الشوقُ ملءُ إهابي ؟

بالقلبِ لا بالعينِ كنتُ أرى الذي بكِ من جوىً فهل التفتِّ لما بي ؟

محمد الهيباوي

الى رِجتَّا الفاتنــة

في مدينة الأحلام

مُهداة إليهـا مـع أزهارِ سِحْريةٍ

من حَدائقِ الخيالِ وبساتين الشفقِ

« لا تلحّي عليّ أن أتركك وأرجع »

« عنك ، لأني حيثما ذهبتِ أذهب ، »

« وحيثما بتِّ أبيت ، شعبك شعبي ، »

« وإلـهك إلـهي ، حيثما مت أموت وهناك »

« أدفن — هكذا يفعل الربّ بي ، وهكذا »

« يزيد — إنما الموت يفصل بيني وبينك »

« إصحاح راعوث — التوراة »

ها هو الليلُ قد أتى فتعالِي نتهـادى على ضِفافِ الرمالِ

فنسيمُ المَسَاءِ يسرقُ عطراً مِن رياضٍ سحيقةٍ فى الخيالِ

« • »

صوَّرَ المغربُ الذكىُّ رُبَاها فهى تحكى « مَدينةَ الأحْلامِ »
نفحتْ فى الخيالِ منها زهور غير منظورةٍ ... مِن الأوهامِ

« • »

ووراءَ السِّياجِ زهرةُ فُلٍ غازلتها أشعةٌ فى المسَاء
نشر النَّسْمُ مِرَّها وهو يسرى فى مُروجٍ مطلولةِ الأفياءِ

« • »

ودهاليزُ مِن ظلالٍ ونورٍ صوَّرتْ سحرَها يدُ الأطيافِ
عشَّشَ البلبلُ الخيالى فيها ساكباً لحنَهُ الحنونَ الصافى

« • »

إنَّ هذى الأزهارَ تحلمُ فى الليـ ـلِ ، وعطرَ النارنجِ خلفَ السِّياجِ
وخريرَ المياهِ ، والشفقَ السحـ ـرَ ، وهمساً مِن النسيمِ الساجى

« • »

والندى ، والظلالَ تنعسُ فى الما ءِ ، وهذا الشعاعَ خلفَ الغمامِ
بعضُ ألحانهِ تأنّقَ فيها فتراءتْ فى هذه الأجسامِ

« • »

قبلَ هذى الحياةِ كنتُ أصلِّى يا حياتى لحسنِكِ المعبودِ
فيكِ أفنيتُ أدمعى فى غنائى فيكِ عفَّرتُ جبهتى فى سجودِى

« • »

وعلى مَذبحِ الغرامِ تقرَّبْـ ـتُ بروحى فى ذلةٍ وخشوعِ
غير أنى رأيتُ هذا قليلاً فتقرَّبتُ بَعْدَها بدموعى

« • »

« • »

كنتِ فى مَعْبدِ الخيال ترفّين إلَهاً .. وكنتُ مِن عبدانِكْ
كم بعثت الأشعارَ فيه مَزامِيرَ .. تجيب الحزينَ مِن ألحانِكْ

« • »

كنتِ فجراً . . وكنتُ فيه ضباباً شاعَ فى أفقه الوضيء فتَاهَا
وهبطتُ الحياةَ شعلةَ تقديسٍ . وجئتِ الحياة أنت إلَهَا

« • »

أنتِ لحنٌ . . مقدّسٌ . . عُلْوِىٌّ قد تهادَى من عالمٍ نورانى
سمعتْ وَقْعَه السماوىَّ رُوحى فأفاقَتْ فى مَعْبَدِ الأحْزانِ

« • »

أنتِ حُلمٌ . . منوّرٌ . . ذهبىٌّ طاف فى أفقِ عالمٍ مسحورِ
وتجلّى على غياهبِ رُوحى بجناحٍ من الضياءِ البشيرِ

« • »

أنت عِطرٌ مُجَنَّحٌ شَفَقِىٌّ فاوَحَ الرُّوحَ فى همودِ الذّهولِ
قد سرى فى الخيالِ طِيبُ شذاه من زهورٍ فى شاطئٍ مجهولِ

« • »

أنتِ ظلٌّ مقدّسٌ . . أنتِ كهفٌ طائفىٌّ . . فى رَنْوةِ الأحلامِ
غمرَ الرُّوحَ فى سكينتها السِّحْرُ فتاهتْ عن عالمِ الآلامِ

« • »

أنتِ كوخٌ مُعشَوْشِبٌ . . فى رُبَاةٍ مُقْمِرُ الصمتِ . . سرمدىُّ الخيالِ
نعستْ روحىَ الكليلةُ نشوَى فيه ترعى فجرِىَّ هذا الجمالِ

« • »

أنتِ صمتٌ مخيّمٌ .. ففضاءٌ فظلامٌ مكوكبٌ .. فنهارُ

فهمودٌ تدبُّ فيه حياةٌ ويُغنّى فى فجرِها النّوبهارُ

« • »

أنتِ كلُّ الحياةِ . . أنتِ كيانى أنتِ روحى ابصرتها فى شبابى
أنتِ وحيٌ مجسّداً . . أنتِ لحنى ياسماء على سماء حياتى

« • »

أنتِ أغويتنى بأن ألقاكِ خلفَ سُور الخيالِ . . فوق رُباكِ
غير أنّى بحثتُ عنكِ طويلاً وأخيراً تعسّتُ تحت ذُراكِ

« • »

أَيقظينى مِن الذُّهول . . وغنّى يا مَلاكى على طلول حياتى
وارشدينى الى الضياء . . وإلا فاتركينى أهوِى إلى ظلماتى

« • »

وعلى عالمى الشّتائىّ فيضي نورَ دفءٍ يُفنى ظلامى الحالِكْ
وارْفعينى كمعبدٍ قدسىٍّ تتهادَى به طيوفُ جمالِكْ

« • »

إننى فى الظلامِ أنصب وحدى خيمةً للغناء . . مِن آلامى
فاسمعينى فانـنى سأغنى لك « جنّا » فى وحدتى وظلامى !

م . ع . الرهمشرى



القسمات

لِلّهِ وَجْهُكِ هذه قَسَماتُهُ طُبِعَتْ عليهِ كساحرِ البَسَماتِ
لوددتُ لو أنى سلبتُكِ عدَّ ما فى ذلكَ التقسيمِ مِنْ قُبُلاتِ !

محمود أبو الوفا

لحظة فى الجنة

قد نَهَزْنا الصفاءَ مِنها اختِلاسا وشرِبنا مِن راحتَيها الكاسا
ولثَمنا مِنها الثمارَ الدوانى وضمَمنا أُملودَها الميّاسا
ورَشَفنا رحيقَها، فطَهُرنا وطرَحنا الأوزارَ والأرجاسا
وشُفينا مِن وَجدِنا، وتغنّى قلبُ مَنْ ناحَ فى هواكُمْ وقاسى
وهزَمنا عذولَنا، ولقد كانَ (م) مَريداً ما بينَنا خنّاسا
كمْ تمنّى لنا الفِراقَ، وشاءتْ قدرةُ اللهِ أنْ أراكِ اختلاسا

***

العمر حلم

أستعرضُ الماضى وما هدّنى فيه من الهمِّ، فأبكى دما
وأرسمُ الآتى هناءً، وما رسمىَ إلاّ وحىُ فكرٍ سما
ما حيلتى والفكرُ فى معزلٍ عن عالمٍ مِن بطشهِ أظلما

***

قد أرجفوا - يا بئسَ ما أرجفوا - أنّا رجالٌ نجهل العالما
إنْ كان فى تغريدِنا جهلُنا فما أحبَّ الجهلَ، ما أكرما..

***

العمرُ حلمٌ مستطيلٌ، فما أسعدَ مَن يقطعهُ حالِما
لا تنكروا ضربى به شادياً فى حينما غيرى مشى واجما
قابلتُ مِن دنيایَ تجهيمَها وقابلتْ منى فماً باسما
يئستُ من إشراقِها بُرهةً وملّتْ البسمةَ تعلو الفما
ويحسبُ الأغرارُ فى بسمتى نشوةَ محظوظٍ بدا ناعِما
والبسمةُ الحيرى بقايا أسىً فى نفسِ محرومٍ هوىً حُطِّما!

مختار الوكيل

الطيف الزائر

هفا والليلُ ممتدٌّ فأيقظ جفنىَ الساهى
ومالَ علىَّ فى صمتٍ فعانقَ جسمىَ الواهى

« • »

وألقى رأسَه لغباً على صدرى كمن أغفى
أبالاغضاء تقتلنى وتخطف مهجتى خطفا ؟

« • »

تحدَّث أيها الطيفُ فقد أحدثتَ لى شجنا
نزلت اليومَ فى وطنٍ هجرت ربوعَه زمنا

« • »

تحدَّث وابتدع لحناً يُهدِّئ ثورةَ القلبِ
ويملأ خاطرى أملاً ويُقدرنى على الحبِّ

« • »

حبيبَ القلبِ والنفسِ أتذكر ليلة البدرِ ؟
عشيةَ كنتَ تبْهَرُنى بكلِّ روائعِ السحرِ

« • »

أتذكر أننا كُنّا نسيرُ هناك فى الوادى
يحادثُ بعضُنا بعضاً برغم الرائح الغادى ؟

« • »

وكم مِن مجلسٍ عبقٍ أقمناه على الشاطئ
ونُوسع ماءه عبثًا فيضحكُ موجُه الهادئ

« • »

أتذكرُ؟ لا! فما الذكرى بُمرجعةٍ لمـا فاتا
رجاءً كنتُ أنشدُهُ وأزعم أنه ماتــا

« • »

وكيف ذكرتَ مغترباً براه الشوقُ واللهفُ ؟
أجئتَ تزوره أم جئتَ تُضنيهِ وتنصرفُ ؟

« • »

أفِقْ يا طيفَ مَن أهوى أفِقْ فالنومُ قد طالا
أتغفو ثم تتركني أقاسِي منكَ أهوالا ؟

« • »

صحا والفجرُ يرمقنا بطرفٍ ناعمٍ صاحي
وودَّعنا على ظمأٍ لِحُسْنٍ فيه وضَّاحِ

« • »

ضلالٌ هذه الدنيا تُفرِّقنا ، وتجمعنا
وتُدنينا ، وتُبعدنا ، وتُغرِّينا ، وتفجعنا

« • »

فليت الحبَّ يُسعدنا فنلقى عنده الأمنا
ولكنْ ، أينَ ما نرجو وكلُّ سعادةٍ تفنى ؟

عبد العزيز عتيق



سعادة الشقاء

عذبيني إذا رضيتِ عذابي وكِليني إلى انقضاء المحتَّمْ
لستُ أشكوكِ يا ظلومُ ولكنْ أشتكي الحسنَ ، إنه ليس يرحمْ

فاتركى لى بقيةً من شبابى ودعينى أمامه أتقدّمْ
تشتكيه إليهِ لُسْنُ دموعى ربَّ دمع لدى الجمال تكلمْ !
تشتكيه ، وتشتكينى ، كلانا ظالمٌ فى الهوَى جنى وتجرَّمْ

« • »

إمنحينى بعضَ الذى راح عنى من شبابى ، إنَّ الشبابَ محرَّمْ
ودعينى بساحةِ الحسنِ أشكو لِلْجمالِ الجمالَ ، والشوق مضرمْ
أتركينى أقول يا حسنُ إنى قد عبدتُ الجمالَ ، والحسن يكرمْ
كفرت بالجمال ناسٌ فراحت فى رياضٍ من الجهالة تنعمْ
وتبتَّلْتُ للمحبة لمَّا دانَ قلبي بما فرضت وأسلمْ
فلماذا تركتهم دون نارٍ وأذقت الفؤاد نار جهنمْ
أجزائى وقد عبدتك دهراً أننى يا جمالُ أشقى وأظلمْ ؟
أثوابى على طويل صلاتى أن ينالوا جَنَا رضاكَ وأحرمْ ؟

« • »

فاذا ما انتهتْ شكاتى فقومى بالذى شاءه الدلالُ وأبرمْ
عذبينى إذا رضيتِ عذابى وكِلينى إلى القضاء المحتمْ
اهدمى مهجتى بصدّك هدماً واسألى الحبَّ فى الفؤاد المهدمْ
حطمينى ، وحطمينى رويداً واتقى الله فى الشباب المحطمْ
حطمينى فليس ذلك شيئاً حين أسعى إلى الحياة فأهزمْ
حين تذرو الرياحُ حلمَ شبابى حين أمسى ولا رجاء يقومْ
حين تمسى الحياةُ باهتةَ اللو نِ ويمسى اليراعُ أجوفَ أبكمْ
حين أصحو من الخيالِ لذيذاً فيضيعُ الصباحُ ما كنتُ أحلمْ !

طاهر محمد أبو فاشا

قلبي

أردتُ سُلوَّه فأبى فؤادي — وعاقبني فقلتُ كفاك عتبا !
أيجزيني عن الاخلاص هجراً — وأجزيه عن التعذيب حبا ؟!
رويدك لا تمش ثملاً فاني — أراك صريع تلك الكاس شربا
وحطّمْها فما في ذاك عيبٌ — اذا جعل الحبيبُ التيهَ دأبا !
أيرضيك الذي ألقاه منه ؟ — ألا إن كنت ترضاه فتبًّا !
إليك إليكَ عني ، لستَ الا — صفاةً في الضلوع ولستَ قلبا !

الاسمر الصغير



ليلى الجديدة

(الى الممثلة الفنانة السيدة زينب صدقي)

عَجِبْتُ ...ومَنْ مِنكِ لا يَعْجَبُ ؟ — أقاسي العذابَ وأستعذبُ !
وهل دَفَعَتْني لحملِ الصبا — بهِ إلاّ عيونُكِ يا زينبُ ؟
أرى في عيونكِ صَفْوَ السماء — يلوح بانسانها كوكبُ
وفيه ملائكةُ السِّحْرِ تلهو — وفيه جنونُ الهوى يلعبُ !

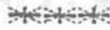
« ٠ »

كأنكِ « لَيْلَى » رأَتْ شاعراً — على النّيلِ عَذَّبَهُ الغَيْهَبُ
يَلوحُ على ناظِرَيْهِ الجنونُ — وفي صدرِهِ الأمَلُ المُتْعَبُ
أنا « قَيْسُكِ » العاشقُ المستباحُ — و « مجنونُكِ » الشاعرُ المنجِبُ

« ٠ »

إذا ذَهبَتْ بالحياة القبورُ فإنَّ غرامَكِ لا يذهبُ !
ويَبقَى جمالُكِ فى الخالدين ويَفْنَى المتَيَّمُ والمُعْجَبُ

صالح جودت



فى وصف الحبيب

خلالَ أطلالِهِ رغمَ الضنى جاسا صبٌّ طوى العمرَ وجداناً وإحساسا
ردّ الشبيبة كهلاً مِنْ مَدامعهِ ردُّ الربيع هشيم النبت حسّاسا
بكى بكاءَين من قلبٍ ومن بَصرٍ وصبَّ دمعين متلافاً ومئناسا
أحببتُ والبؤسُ تقصيني مخاوفُه فبتُّ أضربُ للأسداس أخماسا
أحببت انعمَ من حدّثتهُ : رشأ به سماتُ الهوى روحاً وأنفاسا
به شحوب يكاد الصبُّ يأكلهُ أكلا ويشربهُ دون الطلى كاسا
وإنْ تكلمَ فاسمعْ أيّما صَحَل يريكَ أيَّ جمالٍ يسحر الناسا
لو كان مقولُ (غاندى) من رخلوتهِ ما قسم الهندَ أطهاراً وأنجاسا
وان تثنى على كرسيّه ورنا فاسخر من البانِ صدَّاحاً وميّاسا

عبد الحميد الديب



مغبون ؟ !

فؤادٌ قد تعذّبَ فارحميهِ ودمعٌ قد تكلّم فاعذريهِ
وصبٌّ فى هواكِ يموت وجداً ويُحييه الوصالُ فنوّليهِ
سَلِى الصخرَ الأصمَّ لنا حناناً سليه أن يرقَّ لنا سليهِ



أبيعُ حشاشتي كي تشتريها … وبعتِ الظلمَ كيما أشتريهِ
كلانا بائعٌ غَبْناً ولكن … غَبَنْتُ مبايعي فغُبِنْتُ فيهِ
أباح لك الجمالُ شقاءَ نفسي … فتيهي بالجمال على تِيهي !

***

وما أدري وقد بعدتْ أناتي … وطاح الظلمُ فيما أرتجيهِ
أَحُبُّكِ يا حياتي يحتويني … أم الحبُّ الذي أنا أحتويه ؟ !

ابراهيم الفوال

اللحظة الأخيرة

آهِ يا محبوبتي ! شمسُ غرامي … مالتْ اليومَ الى أفقِ الفناءْ
آهِ هل مِن راحمٍ يلقى سلامي … بين أيديك شِعاراً للوفاء

« • »

عهدُ حبي قد تولَّى ومضى … وشبابي الغضّ قد ولّى وماتْ
وفؤاداً للهوى صنتُ قضى … لم يُمَتَّعْ ، لم يَذُقْ شهدَ الحياةْ
عاش من حُبِّيكِ في جمرِ الغضا … بين هجرٍ وصدودٍ وشتاتْ
كان إذ ينزُو على ضوءِ هيامي … كجناحِ الطيرِ في عصف الهواءْ
أذرفُ الدمعَ ليشفي مِنْ أوامي … فاذا بالشوق يذكيه البكاءْ !

« • »

لوعةٌ لم تمهل القلبَ قليلا … ريثما يهدأ ما بين الضلوعْ
وهوًى جرّعه السم الثميلا … فهوى بين دماءٍ ودموع
حائراً في ظلمة الصدرِ كليلا … راعه الوجدُ وما زال يروعْ
وا تِهِ يا موت عجِّلْ بالِحمامِ … وأرِحْه اليوم مِن صابِ الشقاءْ

واسقهِ شهدَ الرَّدى صافٍ الجامْ يكفيهِ ما ذاق من صاب الشقاء!

« • »

ها أنا أفنى من الآلامِ وَحْدى لم تودّعني سوى عينِ السكونْ

آهِ يا محبوبتى لو كنتِ عندِى لترَىْ فعلَ الهوى بالعاشقينْ

تقلقُ الليلَ صباباتى ووجدى ويضجُّ الكونُ من صوت الانينْ

ودبيبُ الموت يسري فى عظامِى وحياتى لم يعدْ فيها رجاءْ

وإذا مُتُّ فلا ماتَ غرامِى والهوى حيٌّ إذا صرت هباءْ!

محمود حسن اسماعيل

فى الليـــل

سكبتُ من الشوق أز كى دموعى وأرسلتُ لوعاته من ضلوعى

عنـاءً وسهدٌ وفرطُ استياقِ وهل تُسْتَساغُ كؤوسُ الفراقِ؟

« • »

وفى ظلمةِ الليلِ سِرٌّ رهيبُ إذا ما ادلهمّتْ ونامَ الحبيبُ

ينـام ولكنْ له فى المضاجعْ خيالٌ يزورَ غريقَ المدامعْ

أعانقهُ تحت سترِ الظلامِ وأتلو عليـهِ حديثَ الغرامِ

وأعتب فيه الصدودَ عتابا فألمحُ فيما رأيتُ السرابا

« • »

أسامرُ يا ليلُ فيكَ الكواكبْ وأتخذ البدرَ لى خيرَ صاحبْ

ويسمعنى الطير فى الدوح شدوًا وشدوُ الطيور عزاءٌ وسلوى

فيذكو لهيب الهوى والتصابى إذا غنَّت الوُرقُ فوق الروابى

ويُنعش قلبي الصباحُ الجميلُ ولكنَّ ليـلِ المحبِّ طويلُ

« • »

ألا أيها الليلُ قدِّرْ مصابي ولا تسقِ قلبي كؤوسَ العذابِ
وكنْ بفؤادي شفيقاً رحيما فقد ذقتُ فيكِ العذابَ الأليما

محمد محمود رضوان

ذكرى الوصال

أعندكِ للذكرى وصالٌ لنا انقضى وقد هجعَ النُّوّامُ في عالم الغيبِ ؟
قريرين في كونٍ من الحسنِ مونقٍ ترفرفُ روحانا على هامةِ الحبِّ

« • »

تطوف حوالينا السعاداتُ كلُّها وطيبُ الأماني والطبيعةُ والسِّحرُ
حياةُ خيالٍ مُدَّ في الكونِ ظلُّها بها افترَّ ثغرُ الصبح واكتحلَ الفجرُ

« • »

وذكري مموها بالخيالِ نُعيدُها ولكن يُعاصينا الخيالُ ومَنطِقُ
تُعادُ أوماكانت لِيَبْلى جديدُها وفي جنباتِ الصدرِ قلبيَ يخفق

« • »

فرُبَّ نهارٍ مرَّ بالوصلِ وانقضى يَرِفُّ هوانا في مدامعِ شمسِهِ
نهارٌ : إذا استوحيتُهُ سحرَ ما مضى تمثّل لي ، حتى أُصيخَ لهمسِهِ

« • »

ويا رُبَّ ليلٍ حثَّ فينا ركابَهُ بوصلٍ ، إلى أن بانَ واقتربَ الصبحُ
ضياءٌ لمحْنا في العيونِ انسكابَهُ على فيضِهِ من طيبِ غفلتِنا نصحُو

عبد الهادى الطويل



فى المرقص

أيشمت فىّ الخل وهو حسيبُ ؟ لعمرك إن النائبـات تنوبُ !
يعيرّ بى انى هرمتُ محبــةً وانىَ بين العالمين غريبُ

« • »

ركبتُ من الايام عشرين حجة وعشراً وما لى فى الحيـاة حبيبُ
فيطربنى مرأى الحبيبين تارةً وطوراً بقلبي لوعةٌ ولهيبُ
رويدك ! هل للفقر عندك رحمةٌ ؟ فهذا فؤادي معوزٌ وسليبُ
وعنـدك للعطشان نهلةُ محسن فما لىَ لا أروى وأنت قريبُ ؟
وما فيك الا الخير والبشر والرضا فما لىَ محضور الدموع كئيبُ ؟
وليس بمجدٍ منك حسنٌ وَدادة وان مودات الرجال تطيبُ
اذا انا لم يشبع فؤادى من الهوى فـكل نعيم فى الحيـاة معيبُ
اذا استضحك العـانى تذكر شقوةً لها بين أكفان الضلوع رسوبُ
وإن نيطت الآمالُ منى بمطلبٍ عزفت عن الآراب وهى ضروبُ
خلقت عليل القلب من مطلب الهوى ومالى سوى تلك الفتاة طبيبُ
وانى لأخشى أن أسرّ بما أرى سواها ـ فهل بعض الجنون رقيبُ
أعبد ذاك الحسن عمرى ولا أرى جمالا سواه ان ذا لعجيبُ !
أرى الحسن حولى مثل تصوير خاطرٍ يخامرنى فى فينة ويغيبُ
وكلٌ جمالٍ لم تكن فيـه ميتٌ يثوب اليه الروحُ حين تثوبُ !

« ٥ »

وجالستُها حتى انقضى اليومُ ـ ومضةً ... فواشقوتا ! ليت الزمان يؤوبُ !
نعمتُ ـ ولم أشعر ـ بساعِ قصيرةٍ ... لها مثلُ حلم النائمين دبيبُ
كأن لم تكن ساعاً وئيداً كرورُها ... وليس لها مثلَ الزمان ذهوبُ
فواعجباً ! حتى الزمان تخيّلٌ ! ... خيالٌ نماه الحب فهو خلوبُ
تطول الليالى أو تقاصر عندنا ... ويصفو شرابُ العيش وهو مشوبُ
وكلُّ جمال دون حبك عاطلٌ ... على وجنتيه فى الربيع قطوبُ
وما يَطبيني الحسنُ إنْ لم يكن له ... عليَّ حنانٌ إن دعوتُ يجيبُ
وما مَنهلُ الفنانِ الا مرنَّقاً ... وصفو الليالى مسئمٌ ورتيبُ

« ٥ »

وحيث يكون الحبُّ صفحٌ ورحمة ... ودمعٌ لدى ذكر الشقاء سكوب
(وإنى الذى يبكى على جُرحِ غيرهِ ... وما لى على جُرحى الدفينِ نحيبُ) (١)

رمزى مفتاح

أصوات الوحدة

يا وحدتى جئتُ كى أنسَى وهاءنذا ... ما زلتُ أسمعُ أصداءً وأصواتا
مهما تصاممتُ عنها فهى هاتفةٌ ... يا أيها الهاربُ المسكينُ هيهاتا !
جَرَّتْ عليَّ الأمانى مِنْ مجاهلها ... وجمّعَتْ ذِكراً قد كُنَّ أشتاتا
ما أسخفَ الوحدةَ الكبرى وأضيعَها ... اذا الهواتفُ قد أرجعن مافاتا
بَعَثْن ما كان مَطويّاً برقده ... ولم يَزَلْنَ الى أن هبَّ ما ماتا

---

(١) من شعر ابى شادى

تلفَّتَ القلبُ مطعوناً لوحدتهِ ... وأينَ وحدتُهم باتت كما باتا !
حتى اذا لم يجدْ ريّاً ولا شبعاً ... أفضى الى الأملِ المعطوبِ فاقتاتا !

ابراهيم ناجى



موت الصداقة

هجرتُ من الإخوان مَن خلتُ عهدَهُ ... مقيماً على الأيام لا يتحوَّلُ
ومَن كان فى الدنيـا مبـأئى ومرجعى ... فرِحتُ لخيرٍ أو عرانىَ مُعضلُ
كذلك عهـدى بالأخلاَّء قبلَهُ ... تبدَّلَ ظنى فيهمُ وتبدَّلوا
تغاليتُ فى برِّى به ومودَّتى ... وحِلْمِىَ عن جَهْلاته حين يجهلُ
إلى أن تراءَتْ لى دخيلةُ نفسِهِ ... وصَرَّحَ منها ضغنها المتأصلُ
يضيق بفضلى ذرعُه ، ولعله ... مُفيدٌ بذاك الفضل لو كان يعقلُ
ويحمد ضوئى وهو مَن يهتدى به ... ويحسد بحرى وهو مَن منه ينهلُ
ويرتدُّ إحسانى لديْهِ إساءةً ... ويُشقيه إكرامى له والتطوُّلُ
وألأَمُ مَنْ تلقى مِنْ الناسِ معشرٌ ... هوَاهُمْ بتنقيص الرجال مُوَكلُ
فما فاز الاَّ بالنقيصةِ كاملٌ ... لديْهِم وإلاَّ بالمذمة مُفضِلُ
ولوْ أَحرزُوا بعضَ الذى هو مُحرزٌ ... لطارُوا مُغالاةً بهِ وهوَّلُوا
تقاصَرَ عن دَرْكِ المكارم باعُهم ... فأعدَى عِدَاهُمْ مَن يَسُودُ وينبُلُ
يُريدون هَدْمَ المكرمات ليستوى ... أخيرٌ عَلى حُكم القصُورِ وأوَّلُ
فلم يظفروا يوماً بذاك وحظُّهُمْ ... من الحقد نارٌ فى الفؤاد تَغلْغَلُ

فخرى أبو السعود

الحظ العاثر

يا حليفَ الزمان أين نصيبي ؟ كلُّ ما أرتجيه غير عجيبِ
كلُّ نجم الحياة يعلو ويزهو غير نجمى بجمأةٍ ومغيبِ
سلبتنى الخطوبُ قلباً فتياً وأقامتْ مقامه كاللهيبِ
حظىَ العاثر الخطى مستديمٌ ما له فى عثاره من ضريبِ
طالما قد وهبتُ نفسى لصحبي مسرفاً بين مخطىء ومصيبِ
كلما ألمح السنا من بعيدٍ خلتُه السهم مشهراً من قريبِ
قيل أن الجدود فى طلق وجهٍ ليتنى ما رغبتُ فى التقطيبِ
أرسل الطرف فى السماء منيباً ثم أغضيه فى أسى ونحيبِ
كل من فى الحياةِ غرٌ طريدٌ يستوى كل ماجن واريبِ !

« • »

يا زمانَ الصفاء والشملُ جمع أيعود الهوى بثوبٍ قشيبِ
ويرانى الوفىُّ أحنو عليه وأراه يجود بالترحيبِ
وتعود الطيور ترهف سمعى منشدات نشيدَ وصلِ الحبيبِ
أملٌ ضائعٌ وفكرٌ طموحٌ ما له فى خياله من نصيبِ

« • »

شابَ حظى وأصبح الكونُ كهلا وشبابى كأفقهِ فى المشيبِ
يا عيونى امطرى شفيعاً مجيباً يوم لم يُجدِ غيرُ دمعٍ مجيبِ
فنطاق الحياة أضيقُ مما فات من عصره البهيجِ الرحيبِ
ربَّ جهل مع النعيم مقيمٌ وأخو العلم منه فى تغريبِ
ليس تحلو عتيقة بنتُ حظى خمرة من عصير كرمٍ وطيبِ
أيها السىء الحظوظ رويداً أنا مرآةُ كل حظ كسيبِ
حار فى جرحى الاطباء بحثاً وتحيرتُ لم أجدْ من طبيبٍ !

محمد زكى قباصه

نبل الخصومة

وما النُّبلُ ما تلقاهُ مِنْ ودِّ صاحبٍ ... ولكنّه نُبْلٌ رَمَاهُ خصيمُ
اذا طغتْ الاحداثُ جازَ امتحانَها ... كريمٌ ، ولم يَصْمُدْ وزَلّ لئيمُ
فلا نُبلَ فى وُدٍّ إذا حالَ لم يكنْ ... عزيزاً نبيلاً ، فالكريمُ كريمُ

احمد زكى أبو شادى



عدلى

عُدْ يا ابنَ مصرَ الى التُّربِ الذى قدرَكْ ... الى المغانِى التى أوْدَعْتَها زهرَكْ
الى الامانِى التى لقّنتَها سَهرَكْ ... الى المعالى التى أكسبتَها أثرَكْ
عُدْ يا زَعيماً جَحدْنا فضلَهُ زَمَناً ... حتى غَدَوْنا حيارَى فى إسارِ شَرَكْ
يا رُبَّ مَيْتٍ كأنّ الرشدَ مؤتلقٌ ... مِنْ قبرهِ، فكأنّ الرُّشْدَ قدقبرَكْ !
ما فى الحياةِ حياةٌ بين أخيلةٍ ... حِراكُها كسكونٍ والسكونُ حَرَكْ
فى موطنٍ ما ترَى للواجباتِ به ... الاّ عقوقَ لئيمٍ يَشتهى ضررَكْ
أبكيكَ لكنْ بُكائى كله حَرَقٌ ... على بلادٍ أضاعتْ ضلّةً خطرَكْ
تمشِى الحزازاتُ فيها جِدَّ ثائرةٍ ... وأنتَ تقنعُ بالحبِّ الذى غمرَكْ
مَناهلُ اللطفِ والأيمانِ رائعةً ... وعيتَها فاذا للخُسْرِ مَنْ خسرَكْ
(عَدْلِى) وما اسْمُكَ الاّ رمزُ مَنقبةٍ ... كأنما هِىَ للوحىِ الذى عمرَكْ



المغفور له عدلى يكن باشا

عُدْ يا ابنَ مصر الى حِضْنٍ أحقّ به ... وفاؤكَ السمحُ لا تهريجُ مَنْ غدرَكْ
كم مِنْ حيارى ادّعَوا إنصافَها، ولها ... مِنهمْ وبالٌ عليها طالما قهرَكْ
رُوحٌ كروحِكَ لم تُخلَقْ لمعركةٍ ... لكنْ على كلِّ سلمٍ ربُّها فطرَكْ
بذلتَها بذلَ منّاحٍ لأمّتهِ ... فعُدْ تنظُرْ مدى الحزنِ الذى انتظرَكْ
هذى روايةُ مصرٍ كلُّها شجنٌ ... الحىُّ يشقى ويَلقى ميتُها كدرَكْ !

احمد زكى أبو شادى



شجرة القطن والفلاح

الى الشجرة المقدسة، أو الى الشجرة الملعونة، أبعث بهذه الأبيات التى لم تكن الا إلهام وقفة أمامها بضواحى دمياط صيف العام الماضى وهى تسطع بين ورقها الأخضر مضمخة بزعفران الاصيل، ولقد كانت فى أبعد غايات الجمال ونهاية حسن الرونق لولا أن بدا فلاحها من بين غصونها أشعث أغبر فى أبعد غايات البؤس ونهاية الشقاء، فكان اضطراب النفس بين البشر والوحشة، ثم كانت هذه الأبيات :

نظرت لها وقد أبدتْ جناها ... فقلت : أتُنبت الأرضُ النجوما ؟ !
فيا لكِ من كواكبَ ساطعاتٍ ... مصابيحاً، وأحياناً رجوما
سنا الفلاح فى ظُلَمِ الليالى ... ورُبَّتما طلعتِ دُجًى بهيما
مُناه أو منيّته، فرفقاً ... به واستذكرى الودَّ القديما

***

أبوهُ وجدُّهُ غرسَاكِ قبلاً وكانَ كلاهما الحدِبَ الرحيما

هما سهرا عليكِ أباً وأماً يسوقان الأشعةَ والنسيما

فلما أن نهدْتِ وكنتِ قبلاً جنيناً ، أو رضيعاً ، أو فطيما

دأبْتِ فتاهما فى كلِّ عام يبثُّ ويمنح الودَّ الصميما

***

فيا (ليلى) المغارسِ مَنْ (القيْسِ) (وقيسٌ) لم يزل يشكو الهموما

أحبَّكِ ثم هام بكل وادٍ ذليلاً فى محبته سقيما

أنيليهِ كريمَ رضاكِ يحيا به فلقد حباكِ هوىً كريما

صِليهِ ليومَ يا (ليلى) صِليهِ يَرُمُّ الكوخ ، أو يكسُ اليتيما

محمد الأسمر



تصحيح تاريخى

ظهرت مجلتكم المحبوبة فكانت ورداً صافيا ومنهلا عذباً يستقى منه عشاق الأدب ومريدوه وكانت لها المنزلة الأولى فى نفوس القراء وخاصة الشباب المتعلم الذى يلذّ له فى أكثر الأحايين أن يقرأ الشعر ليغذى عواطفه الثائرة الملتهبة وليشع على أرجاء قلبه نوراً وجمالا وحكمة انفردت إلهةُ الشعر بها .

وبعد ـ لما كنت من أشد المعجبين بعروسكم (أبولّو) وكنت دائب القراءة فيها

بغير ما مال — لفت نظرى خطأ وقع بالعدد الحادى عشر الخاص بذكرى شاعر النيل المغفور له محمد حافظ ابراهيم بالصفحة رقم ١٤١١ فى رسالة الأديب طلبة محمد عبده نصه : « ومن الثانى قوله فى تهنئة الخديوى بالحج —

ولما استلمت الركن هاجت شجونه فلو انه اسطاع الكلام تكلما
تذكّر زين العابدين وجدّه وما كان من قول الفرزدق فيهما

مشيراً بذلك إلى كان من أمر الرشيد حينما رأى سيدنا على زين العابدين وهو يطوف بالبيت فتجاهله وتساءل عنه فأجابه الفرزدق بهذه القصيدة : هذا الذى تعرف البطحاء وطأته ... الخ . »

وهـذا خطأ فقد كان الفرزدق شاعر الأمويين ومات سنة ١١٠هـ . والخليفة العباسى عاش فى عصر متأخر عن هـذا العصر الذى عاش فيه الشاعر بكثير ، ولم يتجاهل الرشيد زين العابدين كذلك لم يحصل أن أنشد الفرزدق هذه القصيدة للخليفة العباسى هارون الرشيد لاختلاف عصريهما . أما صحة ذلك فهى أن الذى تجاهل زين العابدين هو هشام بن عبدالملك الخليفة الأموى فقد كان يطوف البيت ورأى الناس قد أفسحوا الطريق وتنحوا عن الحجر ليستلمه سيدنا على زين العابدين بن الحسين بن على كرم الله وجهه فتجاهل وسأل عنه فأجابه الفرزدق بالقصيدة المذكورة ؟

شمس الدين مراد



الفنان والحرية

أعنى بالفنان مَن عشق فناً جميلاً كالتصوير أو الموسيقى أو التمثيل أو الشعر أو الكتابة أو غيرها ، فيدأب على ترقيته والسموّ بما اختاره من هذه الفنون الى المثل الاعلى .

واذا درسنا الحياة العامة لمشاهير الفنانين ألفينا أن أشهرهم كان يعمل فى جوّ من الحرية وأعنى بحرية الفنان حريته فى دائرة فنه وفى دائرة شخصيته التى تميزه عن سواه ، فقد يكون الفنّان سكيراً أو ذاهلاً أو فظاً غليظاً أو مستهتراً ، وهو بالرغم من هـذه النقائص يسمو بالفن ، فيخرج الأخير طاهراً عفيفاً رقيقاً وكأنه يجد فى

السكر أو الذهول أو الغلاظة أو الاستهتار جمالا لا يدركه سواه ، وكأن هذه النقائص سر نبوغه أو شيطان فنه كما يصفه البعض .

كان بيتهوفن - أعظم موسيقى ظهر حتى الآن - اذا طرأ عليه طارىء من الالهام وأحسّ شيطان فنه يدفعه الى التلحين يسير الساعات الطوال دون وعى ، فيمضى وقت الضحى ثم وقت الظهر ولايفيق الا عند مغيب الشمس ، حيث يجد نفسه فى الضواحى النائية لطول الرحلة التى قطعها ! وقد عرف قومُه فيه هذا الذهولَ وبالاخصّ القرويين فكان اذا رآه أحدهم يتركه وشأنه فلا يحييه ولا يزعجه ، كذلك كان بيتهوفن يشذّ عن قواعد التلحين المعروفة فى عصره وقد لاحظ أستاذه هذه الخاصية فتركه حراً ولم ينبهه قط الى أخطائه التى كثرت حتى طغت على القواعد فشوهتها ، لأن ما لحنه كان بالرغم من بعده عن القاعدة أنغاماً تهز أوتار القلب وتمسّ مفارق النفس فتشعرها بنشوة من الروعة والجلال والجمال والخلود ، وسرعان ما أصبحت هذه الشواذ قواعد أساسية قلبت نظام الموسيقى الغربية فبدت برونقها الجديد البديع !

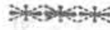
وشذوذ الفنان سواء أكان فى طبعه أم فى فنه مسالة معهودة معروفه يضيق المقام عن شرحها ، والفنان الشاذ يجب ألا يُعتب عليه لشذوذه بل يجب أن يترك حراً فى هذا الشذوذ ، وقد لوحظ أن خير ما ينتجه هو ما يصدر عنه وقت نوبات شذوذه . والفن الجميل ليس له قاعدة ثابتة يُسار عليها بل هو وحى سماوى والهام من فوق يأتى فى فترات غير منتظمة ، وما القاعدة الا وحى الفنانين الذى يعكسه هذا الشذوذ ، وكل فن جميل لا يصدر بالوحى والالهام تظهر فيه الصنعة البغيضة والكلفة المرذولة .

فالفنان والحرية بمثابة الروح والجسد إن انفصل الاول مات الثانى .الفنان بوهيمى والحرية ديدنه ، ويجب ألاّ نشحّ عليه بهذه الحرية لاننا إن فعلنا فقد وأدنا فنه وقضينا على مواهبه ، فلو لم يترك بيتهوفن حرّاً فى شذوذه لما انتفع العالم بمواهبه العظيمة .

وفى بلادنا حيث يعدّ الفنانون على الأصابع يبخس حقهم من التمتع بتلك الحرية ، إذ يتخذ بعضُ الناس من النقد متعة يشبعون بها أهواءهم وهم لا يعلمون ان النقد نزيه فهو فضيلة ، والهزء والسخرية تطرف وشطط وإحباط فهو رذيلة .

دعوا الفنّانَ فى حريته ولا توقظوه من غيبوبته! حرام عليكم إن أنتم أزعجتموه أو أقلقتموه .

الضرير عبد الله



المعارضات فى الشعر

من آثار الصناعة المألوفة فى الشعر العربى ما يُسَمَّى بشعر المعارضات ، ولكنّى أُجلّ النابهين من شعرائنا عن أن يكون غرضهم من نظمه مجرد المحاكاة ، وانما ينشأ التشابهُ فى النظم من تشابه المناسبات ومن ايحاء النشيد للنشيد « كما تبعث الطيور الطيورَا » على حدّ تعبير الشاعر المجيد خليل شيبوب ، وهذا لا يعنى أنى أنكر وجود نظم صناعى محض تفكّهاً بالمعارضة، ولكن هذا اللون من النظم لا أثر له فى الشعر الحديث . مثال ذلك الشعر رثاء شوقى الرائع لوالدته ، فان الناقد السطحى قد يعدّه محتذياً عمداً أبا الطيب المتنبي فى رثائه جدّته ، ولكن قليلٌ من التأمل فى ظروف كلٍّ من الشاعرين يُثبت لنا أنّ هناك تجاوباً روحياً بينهما ابتعثه تشابهُ الظروف . وقِسْ على ذلك السينيات الثلاث للبحترى وشوقى وأبى شادى ، فان تشابه المواقف وتجاوب العواطف وتماثل الآلام ابتعث هذه الوحدة فى القصيد وإن تأثر كلّ شاعرٍ منهم بمن سبقه ، وهذا طبعيّ .

ولو كان بيننا نقّادٌ مشغوفون بهذا اللون من الأدب لاستطاعوا امتاعنا بتحليل هذا الشعر ونقده نقداً فنياً طريفاً ، ولعلنا لانعدم من يقوم بذلك فى المستقبل من المتوفّرين على النقد الأدبى ؟

محمد عبد العاطى





جمعياتنا الثقافية

يعلم القراء مما نشرناه عن « ندوة الثقافة » أن لنا غايةً واحدةً نرمى اليها وهى إتمام حلقة الجمعيات الأدبية والعلمية التى عُنينا بتأسيسها وتكوين وحدة قوية منها على أساس تعاونى كفيل بحياتها فى الحاضر والمستقبل وتقريب اليوم الذى يستطيع فيه مؤسّسها أن يستريحَ من عناء العمل المتواصل بعد أن تقدّمتْ به السنّ واعتلّت صحته .

وكان ولا يزال دأبنا سدّ الفراغ فى حياتنا الثقافية لا معارضة أحد فليس لنا عمل واحد مسبوق اليه ولم نعمل مرة لفرديتنا وأنانيتنا ، بل أننا لم نقصّر فى تشجيع من يخالفوننا فى الرأى على تنظيم صفوفهم لما نعتقده من الخير فى المنافسة الأدبية النزيهة ، والقراء يذكرون كيف أننا شجّعنا على تكوين (جمعية عكاظ) لتحلّ بدل مجالس المقاهى التى لا تُرضينا ، فاذا كانت لم تنهض الهمم بتأسيسها بعدُ فالذنبُ ليس ذنبنا ، كذلك هم يذكرون ما بذلناه من الجهد لتوجيه موسم الشعر توجيهاً مفيداً والمؤازرة فى تكوين (جماعة موسم الشعر) لغرض أدبى صميم وابعادها عن التحزبات الشخصية التى لا تسرّ سوى من يحبون الصيد فى الماء العكر .

وقد خاضتْ بعضُ الصحف والمجلات ما بين جدٍّ ودعابةٍ فى شؤون « رابطة الأدب الجديد » وعلاقتها بنا وبغيرنا ، ولمّا كنا غير مسؤولين الا عما يُنشر من قلمنا فقد أردنا بهذه السطور أن نضعَ حدا للأقاويل .

لقد كتبَ غيرُ واحد — وعلى الأخص حضرات الأدباء والشعراء على محمد البحراوى وحسن كامل الصيرفى وصالح جودت ويوسف أحمد طيرة — فى مجلة « الصباح » عن تاريخ « رابطة الأدب الجديد » وتأسيسنا لها فى سنة ١٩٢٧ بالاسكندرية وقد ضمت كثيرين من أهل الفضل والأدب ، ثم تكوين « رابطة الادب

الجديد » بالقاهرة سنة ١٩٢٩ بدار العصور، فلا حاجة بنا الى اعادة النشر عن ذلك فى هذه المجلة ، وحسبنا أن نقول إنّ هذه الرابطة عزيزةٌ علينا لأنها أول جمعية أدبية عُنينا بتأسيسها بعد عودتنا من انجلترا ، فليس من الهيّن علينا الابتعادُ عنها ومع ذلك اضطررنا الى ذلك لمَّا وَجـدنا حضرة سكرتيرها الفاضل ينزع الى جميع الوسائل الخيالية لفصم علاقتنا التاريخية بها بل لتشويهها بذكائه البارع ، ولمنع تكوين الوحدة الثقافية التى نرمى اليها ، مع التبرع المتواصل بخلق التهم ضدنا ، واثارة الشكوك حولنا ، والايقاع بيننا وبين الأدباء ، واختراع العداوات ومحاربتنا ، وإن تظاهر بعكس ذلك أحياناً ، وكلّ هذا ينافى المودة التى نبذلها والروح الأدبية التى ننتظرها على أى حال ، فلم يكن لنا مفرٌّ من الانسحاب من مجال رابطة القاهرة متأسّين بعضد رابطة الاسكندرية التى هى الأصل وعنها نشأت « جماعة الأدب المصرى » و « جماعة نشر الثقافة » . وقد جعلتنا نصمّم على هذا الرأى ضَعفُ مجلس الرابطة فى القاهرة ومجاراة الأعضاء لحضرة السكرتير مع علمهم بأخطائه العديدة وبالرغم من امتعاضهم ، كأنما لا يعنيهم من أمر الرابطة شىء ! وما كان يمكننا أن نفعل غيرَ ذلك ، فالأدبُ تعاونٌ وليس ألواناً من التجنى والاساءة والجحود . وحسبنا شاهداً واحداً تخطِّى السكرتير للمجلس واكتفاؤه باللجنة التنفيذية الموهومة لقبول استقالتنا والادّعاء بأن الأعضاء اطلعوا على أحاديثه قبل نشرها وأقرّوها حينما لم يفعلوا شيئاً من ذلك بتاتاً !

هذه خلاصة موقفنا ، وليس يعنينا بعد ذلك ما كُتب أو ما يُكتب فى الصحف لنا أو علينا ، ولا التجنيات الموعز بها ضدنا ، كما أننا نحرص على التفريق بين العلاقات الأدبية والشخصية ، ويكفى أن يرى القارىء ما كتبناه عن مؤلفات سكرتير الرابطة (ص ١٥٦ من عدد أكتوبر) فى الوقت الذى داس حضرته على مودتنا واستغلّ وما يزال يستغلّ هيأةً عُنينا بتأسيسها وتنميتها لمحاربة جهودنا سرّاً وجهراً فى غير تورّع بشتى الأساليب ، فكان هذا التصرّف الغريب من أشجى الصور الأدبية فى مصر وكان ضربةً أليمةً لنا من حيث لا ننتظر .



أدباؤنا الأحياء

كانت « رابطة الأدب الجديد » بالاسكندرية قد سنّتْ سنةً حميدةً بالمحاضرة

عن الأدباء الأحياء شعراء وكتّاباً ، وقد تسعها فى ذلك « جماعة الأدب المصرى » ثم « جماعة نشر الثقافة » بالاسكندرية ، و « رابطة الأدب الجديد » فى القاهرة ، ونُشر جانب من هذه المحاضرات . ونحن من ناحيتنا نسرّ بإذاعة المحاضرات الخاصة بالشعراء اذا ما عُنِى أصحابها بتدوينها للنشر ، ولا يعنينا فى ذلك أىّ فريق خاص من الشعراء بل تعنينا القدرة الأدبية على المحاضرة والنقد والتحليل وحدها ، إذْ فى كل هذا خدمة الشعر العصرى بلا جدال . وقد كنا مسؤولين شخصيا عن الدعوة الى المحاضرة عن شعراء مختلفين جدّ الاختلاف كمحاضرة الشايب عن أبى الوفا ومحاضرة سيد قطب عن العقّاد ومحاضرة ابراهيم المصرى عن ناجى ، ولم نرغضاضة ولا بدعاً فى الحثّ على ذلك وتحقيقه .

واذا كانت جمعياتنا الأدبية قلّما تنشر من المحاضرات والرسائل الأ ما تتوسَّم من ورائه الرَّواجَ — خصوصاً فى ظروف الأزمة الحاضرة — فصفحات (أپولو) كانت وما تزال مفتوحةً لخدمة الشعر والشعراء فى غير تحيُّز ، وتُرَحّب دائماً بنشر الدراسات الأدبية عنهم حتى يعرف الجمهور مذاهبَ الشعر العصرى ورجاله حقّ المعرفة .

ولا يسعنا فى هذه المناسبة إلاّ أن ننعى مع الأسف الشديد صديقنا الأديب أمين رفعت صاحب « مطبعة صلاح الدين » بالاسكندرية والمدرس بالمدرسة المرقسية فقد كان يُعنى بالتعاون مع « ندوة الثقافة » وغيرها من الهيئات الأدبية وإليه عهدنا باخراج « الطائر الحائر » للآنسة الشاعرة جميلة محمد العلايلى وديوان الصيرفى « الألحان الضائعة » وديوان ناجى « وراء الغمام » ، ولكن المنية عاجلته وهو لم يتجاوز السابعة والثلاثين .

ويطيب لنا أن نقول إن المدرسة المرقسية فى الاسكندرية كانت دائماً مثابة لأدباء الثغر وكانت تضيف «رابطة الأدب الجديد» بالاسكندرية فى إلقاء المحاضرات وعقد الاجتماعات . وما دمنا قد أشرنا الى المرحوم أمين رفعت ومعاونته للمؤلفين فلا يفوتنا أن نذكر دار العصور ومكتبة الوفد وغيرها ممن توسطت لديهم « رابطة الأدب الجديد » بالاسكندرية لإذاعة المؤلفات والمترجمات المفيدة لأمثال أدبائنا الأفاضل على أدهم وطاهر لاشين وعبدالله حبيب وغيرهم . ويسرّنا التآخى والتعاون اللذان نراهما الآن بين الرابطة وغيرها من الهيئات الأدبية بالثغر ، فانّ الوحدة الأدبية من ألزم عوامل النجاح بين هذه الهيئات .



جائزة الملك جورج

عُنى جلالة الملك جورج الخامس عناية خاصة بتشجيع الشعر الانجليزى فأعلن جلالتُه رغبتَه فى أن يمنح نوطاً ذهبياً وآخر فضياً فى كل سنةٍ لخير ديوانيْ شعر أو كتابىْ شعر يصدران بالانجليزية لأىٍّ من رعايا جلالته فى الامبراطورية الانجليزية ، وقد اختار جلالته لجنة تحكيم من أعلام الأدب برئاسة المستر جون ميسفيلد شاعر الملك.

ألقاب الشعراء

منذ أكثر من ربع قرن وفى مصر معركة " طاحنة " حول ألقاب الشعراء اقترنتْ بصفةٍ خاصةٍ ولظروفٍ خاصة باسم المغفور له شوقى بك حيث لُقِّب بأمير الشعراء وحيث حرص هو على استبقاء هذا اللقب. فلمّا اختاره الله الى جواره تحركت النزوات الى إحياء هـذه المعركة ثانيةً ، فأبينا ذلك اباءً ، أبينا استمرار منافسات الألقاب حتى فى حياة المرحوم شوقى بك كما تُثبت ذلك خطتنا قبل تأسيس (أبولو) وبعد ذلك ، وهذه أعدادنا الماضية بين أيدى القراء . وما كان إباؤنا يرجع الى بخس أىّ انسان فضله فهذا ليس ديدننا ، ولكن رغبة فى اتقاء التحاسد والعداوات البغيضة التى دفعتْ ببعض الاعلام حتى الى محاربة تلاميذهم ، وحبّاً منّا لتنمية الروح الفنية الخالصة التى تعمل للفنّ وحده وتُلقى بمنتوجها فى البوتقة الفنية المشتركة للجميع بلا فارق ولا تمييز .

وقد حدث أخيراً فى اجتماع حاشد بنادى نقابة الصحافة بالقاهرة لتكريم الشاعر الفاضل خير الدين الزركلى أن لقب بعض الفضلاء مطران بشاعر الأقطار العربية — وهذا اللقب فى الواقع يرجع الى تقدير صديقنا الدكتور على العنانى لمطران

فان الدكتور العنانى هو الذى نادى به من قبل فى محفل ماسونى كبير — فسرعان ما تلقفته الأفواه وأمّن عليه الكثيرون من ممثلى الجاليات العربية المختلفة .

ولكنْ حدث بعد ذلك أن عير بعضُ الكاتبين شعراء أپولو بمخالفة تعاليمهم ، وانهم يفعلون اليوم ما كانوا ينكرونه بالأمس ، وذهب غيرُهم الى أن « اتحاد الأدب العربى » هو الذى ابتدع هذا اللقب ... والذى نعلم انه لا « جمعية أپولو » ولا جماعة « اتحاد الأدب العربى » لها شأنٌ باختيار هذا اللقب ولا بالترويج له ، وأننا ما زلنا كما كنّا حريصين عن الابتعاد عن الألقاب ومنافساتها ونؤثر عليها الديمقراطية الفنية الصحيحة ، وفى رأينا أن اسم « مطران » فى ذاته مجدٌ عظيمٌ ولن يزيد من قدره أىُّ لقب أو صفة . وحسبنا اثباتاً لخلوص طويتنا وثباتنا على مبادئنا أنّ الشاعر المعروف مرسى شاكر الطنطاوى أرسل الينا منذ شهور قصيدة يبايع فيها مطران بامارة الشعر فلم نشأ نشرها ، ونحن من أعلم الناس بطوية مطران وايثاره البعد عن جميع هذه المظاهر ، وقد صرح لنا بذلك تكراراً ، كما أننا فى الواقع نعمل فى ضوء تعاليمه .

ومهما يكن من شىءٍ فالسادة الأفاضل الذين قصدوا الى تبجيل مطران بما استحسنوه من مسلك أظهروا روحاً شريفة يُشكرون عليها ، ودفع ما وُجِّه الينا من نقد ، لا مؤاخذة أحد ، فلكل امرىءٍ ما نوى وعلينا جميعاً أن نتسامح فى تقرير وجهات النظر المختلفة .

ذكرى المتنبى

يُعنى الأدباء السوريون بفكرة الاحتفاء بمرور عشرة قرون هجرية (أى الف سنة) على وفاة شاعر العربية العظيم أبى الطيب المتنبي حيث قُتل فى رمضان سنة ٣٥٤ هـ . ، وستحين هذه الذكرى بعد سنتين وشهرين ، وهى جديرة بأن تكون الحفاوة بها عالمية .





وفاء

يا هاجراً في حُبِّه أرعى الهوى وإنْ غدرْ
قلبي الوفيُّ لعهده إن غاب عني أو حضرْ
إنا أفتديهِ إنْ أقا مَ على ودادي أو هجرْ
هَبْهُ استبدَّ ، فهل أنا إلاّ المطيعُ لِمَا أَمَرْ ؟
عانيتُ مِن سحرِ الجفو نِ ونال من قلبي الحَوَرْ
يا حبذا سحرُ الجفو نِ ومَن بطرفيْهِ سحَرْ
تهتاجني ذكرَى الريا ضِ يُظلُّنا فيها الشجرْ
نتبادل القُبلَ العِذا بَ أمام حُسّادِ الزَّهرْ
مُزِجَتْ بخمرٍ من شفا هِ يشتهيها مَنْ سَكر
يَنسَى ويُنكر ما مضى ما بال قلبي قد ذكرْ ؟
أوّاه ما أشقى الفؤا دَ إذا الهوى فيه احتضرْ !
أبكى إذا غنّى الحما مُ وإنْ شدا صوتُ الوترْ
ولكم أرقتُ ، فساهرتْ عيناىَ في الليل القمرْ
يا غاضباً ! هلاّ عذرْ تَ ، وأنتَ أوْلى من عذرْ
هلاّ رَحِمْتَ متيّما في الحب أضنتْه الفِكرْ ؟
يُبقِي هواكَ وأنت لا تُبقِي عليه ولا تَذرْ
ويحٌ لقلبي ! كلما أمعنتَ في الهجر غَفَرْ

اهديك ما مرَّ النسـ ـيمُ لواعجَ الشوقِ الاحَرّ
وأبثُّ وجدى فى هوا كَ بماء دمعى المنهمِرْ !

حسين عفيف
المحامى



ذكرى برومانا

إذا ما زرتَ لبنانا فلا تنسَ برومّانا
لهـا جو يعيد الشِيـ ـب والأشياخَ شبانا
فان كذبتنى فأسألْ أبانا الشيخ (زيدانا) !

***

هبطنا فندقاً فيها فأطعمنا وروّانا
رآنا (رزقُ) صاحبَه فرادَى فيه وحدانا
فألطف فيه عزلتنا وأحسن فيه لقيانا
وآنس فيه وحشتنا وأكرم فيه مثوانا
نسينا فيه غُربتنا وصار الكلُّ إخوانا
ترى النزلاء قد تخذوا من النزلاء خلانا
وما كنَّا لنتركه وننسى منه ما كانا
سوى أنَّا لنا وطن عزيز ليس ينسانا
وأهلٌ ليس يشغلهم سوى تحنان ذكرانا

قد اشتقنا لرؤيتهم أو اشتاقوا لرؤيانا

حسن الحطيم



البرغوث فى الأذن

برغوثة دخلت ليلاً الى أذنى تظنها لفنون القفز ميدانا
حتى اذا حاولت قفزاً بساحتها ظلت تصادم كثبانا وجدرانا
وكم هوت وهى حيرى ضمن أودية حتى اكتست من صماخ الأذن قمصانا
ضلت عن الباب لا تدرى الطريق لها حارت باذنى ومنها عدت حيرانا
تحاول المشى فيها ثم يمنعها تعودُّد القفز أشكالاً وألوانا
لا تحسن القفز أو مشياً وليس لها عكاز سير تحاكى فيه عميانا
ولو حوت أى عكاز أينفعها إن ظل يخبط ودياناً وكثبانا ؟!
وهل سينفعها العكاز إن زلقت فى سفح وادٍ فلاقت فيه وديانا
وربما حفرت عكازها جدثاً بين الصماخ فتكسى منه اكفانا
حتى تجىء ليوم الحشر مضحكة من حمر أثوابها أهلا وجيرانا
ظللت أصرخ منها وهى فى أذنى لا كانت الأذن ، والبرغوث لا كانا !
يعيي عن القفز حتى يرتمى تعباً حتى إذا كدت أغفى هاج غضبانا
يبقى يحرك رجليه وإن عجزا حينا عن القفز حتى ظن وسنانا
يروم مص دمى حيناً فيمنعه مر الصماخ فيلقى منه أشجانا
يروم مص دمى ظلما بلا ظما فالحقد أشعل فى جنبيه نيرانا

كأنما أنا قد أدخلته أذني ظلماً لأُبقيه فى السجن أزمانا !
فثار للسجن يبغى أن يمصَّ دمى إذ خالنى حولَ باب السجن سجّانا
لو قيل لى ما هو البرغوثُ قلتُ لهم : لا يشبهُ الإِنسَ لكنْ يشبه الجانا !

طرابلس الشام : أحمد الصافى



مسعود

قصة شعرية مسرحية مصوَّرة فى أربعة فصول مع مقدمة وتلخيص ،
تأليف محمود ابو النجاة . ١٣٠ صفحة بحجم ١٢ × ١٥½ سم .
طُبعت بمطبعة دمنهور الصناعية . ثمنها خمسون مليماً .

المؤلف الفاضل صاحب هذه الرواية من الشعراء المحافظين الذين يُضرب لنا بهم المثل فى البراعة والغيرة على اللغة العربية كلما أُنكر علينا روح الابتكار ، وقد حاول أن ينظم دراما ولكن خانه الحظ فأخرج مجموعة من الشعر الفكاهى من غير أن يشعر ...

عند ما يريد الناقد نقد القصة الشعرية المسرحية عليه ان يقسم نقده إلى قسمين : (١) الحبكة المسرحية و(٢) الشعر وأسلوبه ولغته .

(١) الحبكة المسرحية :

أورد المؤلف فى ذيل قصته ملخصاً منثورا للقصة يقع فى ثلاث صفحات ،وعندى ان القصة غير صالحة للمسرح ، وأحسب انها حكاية ريفية صغيرة . وما كان أجدر بمؤلفها ان يكتفى بنشر هذا الملخص المنثور فى إحدى الصحف الاسبوعية على أنها قصة ريفية معتادة على الأكثر ، فيكفينا مؤونة قراءتها ونقدها . فالقصة خالية من

المواقف العنيفة والمفاجآت التي هي أهم اركان الدراما . وانى اعتقد أنه لو وُفِّق المؤلف إلى ايجاد الفرقة التي تقبل تمثيلها فلن يستطيع ايجاد الجمهور الذى يقبل مشاهدتها إلى النهاية ! وإلى القارىء بعض العيوب المسرحية التي يأخذها الناقد على القصة :

(أ) من ابرز الشخصيات فى القصة سعد وسعيد وسعدى ومسعود ، وهذا الأمر إن لم يخلق خلطاً بين الشخصيات فلا أقل من أنه نوع من التفكه يذكرنا به (زقزوق وظريفة) أو (زعيط ومعيط) .

(ب) موضوع القصة خامد فاتر — رجل يستدين فتضيع املاكه فى سبيل الدين وله ولد يحب ابنة جارهم ويزورها فى جنح الليل فيُضبَط فيدعى أنه سارق فيُسجن ، فيعلم فى السجن ان حبيبته ستُزف إلى آخر فيحاول الفرار لمنع الزواج فيُقتل بيد الحارس . هذه هى القصة !

فهى مفككة رثة ، وفكرة إدعاء السرقة — وهى محور القصة — مسروقة من حادثة واقعة نشرتها جريدة « الصباح » تفصيلا منذ تسعة شهور .

(ج) يقول المؤلف ان الأسرة تجلس إلى المائدة لتناول الطعام وهى صامتة ، ثم يتناولون حواراً لا يستغرق اكثر من دقيقة واحدة ! المعروف ان الأسرة إذا جلست إلى المائدة فلن تقوم قبل خمس دقائق ، فاذا سكتت اربعاً منها وأضاعت الخامسة فى حديث قصير تافه فما لذة المتفرج فى مسرح صامت ؟ الا ان تكون الدقائق الصامتة حداداً على موت المسرح على يد المؤلف الفاضل !

(د) يخيل إلىَّ ان المحكمة التي حوكم أمامها انما هى من محاكم الأخطاط : فالمحامى يكتب مرافعته فى الجلسة ويستمهل المحكمة حتى يتم كتابتها . ومرافعةَ النيابة أشبه شىء بشويعر يصف حديقة غناء — وسأسوق جزءاً منها فيما بعد !

(هـ) ويأبى المؤلف — بعد أن يرى قصته خالية من المفاجآت — الا ان يحشر مفاجأة غير موفقة — فاذا كانت الساعة التي يصمم السجين على الهرب فيها لمنع الزفاف يتفق أن تسقط مفاتيح السجن من السجان !! ولو ان المؤلف صور السجين وهو يسرق المفاتيح خلسة لأنه عرف بميعاد الزفاف لكان هذا التصوير — على ضعفه ايضاً — اكثر تناسقاً من تصويره ومثل هذا الاسفاف يتكرر فى القصة .

(٢) الشعر ولغته واسلوبه :

قبل أن أتوغل فى موضوع الشعر أعرض للمقدمة التى وضعها المؤلف فان فيها افتئاتاً على الحقيقة التاريخية ـ يقول : « ان شوقى هو الذى وضع الحجر الأول فى بناء الشعر المسرحى » ويظهر ان المؤلف شاعر مطبوع لا يطلع قليلا ولا كثيراً ! وإلا فكيف تناسى الشاعر الموهوب نجيب الحداد الذى كان يضع روايات الشيخ سلامة حجازى ؟ وكيف تناسى اسماعيل عاصم وما خلد من آثار فى الشعر المسرحى ؟

قلت فيما سبق ان القصة مجموعة كبيرة من الشعر الفكاهى وإنى لسائقٌ إليك شيئاً منه ـ غير انى اريد ان أنبه الى ان المؤلف قد فطن لأول وهلة الى اول نقد يحتمل يوجهه إلى القصة ـ اللغة ـ كيف يصور الفلاح يتحدث باللغة العربية الفصيحة، ورد على ذلك رداً لا يشبع من جوع بيد انه لم يدرك لا العربية ولا العامية ـ استمع إلى نماذج من أحسن شعر القصة :

مسعود : ما العشاء الليلة ؟

سعيد : إنه جبن وعدس !

مسعود : كنتُ أرجو الفرخة

زينب : ماتت الفرخة أمس

أرجو أن لا يعتقد القارىء أن هذه فكاهة، فكل شعر القصة (ويقول المؤلف انها تراجيديا) من هذا النوع ـ إستمع له :

وحب الشباب مجون ولهو وأمرٌ أراه كلعب العيال

أو قوله :

لقد كانت تساعدنى وكاد الثور ينطحنى
لجاءت تلك تنقذنى ولولاها لأهلكنى !

أو قوله :

طارت ضروسُك يا خفيرْ هل أنت فى صنف الحميرْ ؟!

أو قوله :

هل رأيتَ العسكرى كيف يُوشى يا خفيفْ ؟

كما أسوق للقارىء بعض أبيات من القصة ليكون حَكَماً بين اللغة وبين المؤلف وليدرك مبلغ عامية القصة أو عربيتها :

وأتيتُ من فوق السطو ح وراعنى ذاك النواح

ورَدَ هذا البيت على لسان فتـاة نزلت من سطح منزلهـا لـترى أمراً ما . ولـكن المؤلف لعاميته يعتقد أن السطوح مفرد وهو رأى العامة ، والصحيح انها جمع سطح .

ويقول : ضبطتكما ضبطتكما بعينى قد رأيتكما

ويقول : إغمز المحضر الظريفَ بشىء

ويقول على لسان القاضى مخاطباً المحامى :

أليس لديك يا أستاذ « شيئاً » ترد به مرافعة النيابهْ

فنصب اسم ليس . ويقول على لسان العمدة :

الحدُّ من جهـة الشمالْ أرض مسطحـة بوارْ

والصحيح (أرض بور) ويقال (بار الشى بوارا) ـ ويستمر الحوار :

العمده : والشرقُ لست بعارفٍ

المحضر : تمم حدودك يا حمارْ !

الخفير : أنا عارف ... ماذا هو ؟ قد كان فى ذهنى وطارْ

وفى موضع آخر تقول :

سعدى : سيدى السجانْ

السجان : ماذا ؟

سعدى : انى أرجوك

السجان : لا ! لا !

يمنع القانونُ هذا

سعدى : استلم هذا الريالاَ

مسجون :

هل رأيتَ العسكرى كيف يُرشى يا خفيفْ

مسجون آخر :

ان الـكلاب حقيقة من يبلعون بلا حساب

ثم اسوق للقارىء بعض أبيات ليرى كيف كانت القافية والوزن يورّطان المؤلف الفاضل .

ويقول وكيل النيابة عن المتهم :

يدّعى زوراً وميناً كدعاوى الـكاذبينْ

وكل البيت لا يزيد عن معنى الكلمتين الأولين (يدعى ميْـنا) أو قول المتهم :

قسماً لا أقول إلا صوابا وبعينا بالله ربى تعالى

ما فائدة الشطر الثانى وكل ما يعنيه فى الشطر الأول ؟

أو قول سجين آخر :

يا رب اسألك السلا مة فى القضاء وفى القدَرْ

والوصل فى اللغة فى مثل هذه المواضع يدل على المغايرة فهل هناك مغايرة بين لقضاء والقدر ؟

وأخطاء المؤلف فى العروض كثيرة ، منها :

إذا ما سرتَ فى ريفٍ رأيتَ أمامك العجبا
دروب كلها رُصفت ودُكّت قشاً أو حطبا

ومنها قول

المسجون الجريح :

(مزّقتَ جسمى بالرصا ص فبالمنيـة داونى

وبحره : (مستفعل مستفعل مستفعل مستفعل)

مسجون آخر :

أقتلتَ يا يامصمود آ هِ يا خليل تعالَ عندى فاسقنى

وبحره : (مستفعل مستفعل مستفعل مستفعل مستفعل)

ومنها :

قد كنتُ أحلم بالسعادة والمنى وأريد عيشاً ناعماً غضّ الاهاب
فاذا قصورٌ من خيال شدتُها وإذا السعادة يا خليلُ سرابْ
قلبي يدق دمى يسيل جوانحى فيها لهيب منه أحشائى تُذابْ

فالشطران الأخيران من البيتين الأول والثالث بحرهما

(مستفعل مستفعل مستفعلات)

والشطر الأخير من البيت الثانى بحره (مستفعل مستفعل مستفعل)

والمؤلف فضلا عن ذلك مفقود الحاسة الموسيقية الشعرية . وهناك غلطات لغوية غير التى ذكرناها فى مواضع سابقة — منها :

ومرعىً فى الحب خصبٌ خصيب

أليست كلمة (خصب) هنا صفة للمرعى ؟ وإذاً فلماذا قال (خصيب) أيضا ؟

القافية ! ويقول :

إن بنك العقار دارُ خرابٍ يَلهمُ المالَ كالحريق التهاما

وان غفرنا له استعمال (بنك) لشهرتها فلن نغفر له (لهم إلتهاما) وانما يقال (التهم التهاماً) ولا معنى للتجوز اللغوى فى تبادل المصادر اذا كان فى ذلك إفساد للموسيقى .

ويقول على لسان سجين ينصح سجينا آخر بالعدول عن الفرار :

وَهبْك فررتَ يا مسعود قل لى ألم تَكُ فى الحياة فتًى طريدا ؟

ويريد (ألم تكُ) للمستقبل بمعنى (ألاَ تكون مطاردا من العدالة إذا فررت)

ولنا ملاحظات من وجهات أخري منها قول المؤلف :

والطيور صادحات كغناء الآنسات

وهل كل الآنسات جيلات الصوت ؟ لعن الله القافية فقد جاءت بالتشبيه مقلوباً !

والأدهى من ذلك أن يسأل القاضى المحامى عما إذا كان لديه ما يدفع به التهمة فيقول المحامى :

نعم يا سيدى القاضى سأدلى بقولى بعد إتمام الكتابَهْ !

هل رأيت يا سيدى القاريء محاميا يكتب المرافعة فى الجلسة ويستمهل المحكمة حتى يتمها ؟ ومن الوجهة النقدية القانونية كان يصح أن يؤجل القاضى الجلسة ويكلف المحامى بتقديم المذكرات ! ثم ليسمع القاريء مرافعة النيابة وهى كما قلت قصيدة شويعر يصف روضة غناء !

يقول وكيل النيابة للمحامى :

لقد كنتَ يا أستاذُ كالطير شادِيا يرجّع صوتاً فى الخمائل عالياً
فطوراً يغنّى بالأناشيد مطرباً وطوراً ينوح الطيرُ بالغصن شاكيا
ولكنه طيرٌ مَهيضٌ جَنَاحُه أراه ضعيفاً فى الأغاريد خاويا
فلم ير منى حين غرَّدَ سامعاً ولم يشف هذا الطيرُ باللحن مابيا

ما هذا ؟! أيتغزل النائب فى المحامى ؟ اسمع رد المحامى :

خففْ الوطأ واتئد فى الخصامِ واحترمْ سيدى شعور المحامى !

وهل رأيت يا سيدى القارىء سجانين يتناقشان فى الاقتصاد السياسى ويتحدثانِ فى حل الازمة بطرق لا يفكر فيها إلا أحمد باشا عبدالوهاب أو طلعت باشا حرب؟

يقترح السجانان الاقتصاد فى الكماليات والتدبير وإلغاء الديون العقارية أو تأجيلها إلى أمدٍ بعيد وعقد مؤتمر اقتصادى (كمؤتمر اتاوه Ottawa طبعاً مكون من جميع الأحزاب وأخيرا يقرران أنه يحسن ارجاء النظر فى المسألة حتى تقوم(حرب ضروس) دولية تستهلك أكداس التجارة العالمية !

أعود الى أول الكتاب — يهدي المؤلف قصته الى سمو الأمير عمر طوسون ويقول له : إليك أهدى قصتى شعراً ينير كالدرَرْ

بيوتها من حكمة صيغت وعن بعد نظرْ

ترى اذا قرأتها فى طيها آى العبرْ

وكم اشفق — بعد أن قرأتها — على سموّ الأمير من قراءتها !

أما أنا فلم أجد فيها بيتا واحدا من الشعر — اللهم الا :

هل رأيت العسكرى كيف يرشى يا خفيفْ ؟

صالح جودت



ديوان فرحات

نظم الياس حبيب فرحات ، فى ٢٨٧ صحيفة مقاس ٢٣ × ٢٦سم

طبع بمطبعة مجلة الشرق فى سان باولو (البرازيل)

هناك فى الدوحة الوارفة الظلال الكريمة الأصل التى انتزعتها الحياةُ من احضان لبنان ونقلتْها الى العالم الجديد فازدهرت أغصانها وأينعت ثمارها ، هناك فى تلك الدوحة طيورٌ صدّاحةٌ لاأملَّ سماعها تغرِّدُ نائيةً ، وتسجع حنيناً وشوقاً.

وبين هذه الطيور هزارٌ حُلو الرنين يمتاز مع قليل من هذه الأطيار على باقيها بمتانة الأسلوب وان كانت سرعته فى النظم تحول فى أحايين قليلة بينه وبين التدقيق فى بعض الألفاظ . . هذا الهزار هو الشاعر اليــاس حبيب فرحات ، وإن أعجب فعجبى لشعراء العربية التائهين فى العالم الصاخب المائج الراقص على رنين المال ودوىّ المصانع والثَّمِل بنشوة الحركة الدائمة وتقلبات الأسعار والمتأمّل فى دخان المعامل عما تسخّره العقول الانسانية لارادتها من قوّى أضعفها الحديد وأقواها تسيير

باقى القارات برغبته ، اعجب لهؤلاء الشعراء الذين يعيشون فى ذلك الجو وتحت مضض الغربة والنأى هاتفين أجمل الأنغام ، ولكننى عندما أطالع أشعارهم أجد فى كل كلمة منها ما وجدتهُ فى ديوان فرحات من رنات تنسلُ أوتاراً وقلوبٍ تذوب أنغاماً ، ونظرات عميقة الى باطن الحياة فنسمعه فى قصيدته « الراهبة » قائلاً :

أخيَّةَ يهنيكِ هذا السموُّ وهذا البهاء وهذا الرِّضى
ولكنْ أما كان اشهى لديك جوار الأَزاهير بين الرُّبَى
تحوم عليك بنات القفير وتسعى اليكِ صبايا القُرى
وتُسمعكِ الطيرُ إنشادها ومنه الحجاز ومنه الصبا
لأنتِ تعيشين فى عُزْلةٍ فلا فى السماء ولا فى الثرى
لمَنْ خلق الله هذا الجمالَ ومَنْ يتنشق هذا الشذا ! ؟

هذه الفلسفة العميقة النظرة التى يبثها فرحات فى هذه الأَبيات التى يصوّر فيها مناجاة زهرة مرّتْ بها الراهبة ثم يهزُّ أعصاب ريشته مرةً أخرى فيرينا المرارة التى تحتويها فلسفة النسك ويرسم لنا الراهبة وقد خلت الى نفسها فيقول :

وفى الليل سارت الى خدرها وفى قلبها مثل نار الغضا
ولما نضتْ ثوبها لتنام تبيَّن من حُسْنِها ما اختفى
فمدّتْ الى صدرها كفّها وقد فُتِّح الورد تحت الندى
وقال لها قائلٌ صامتٌ وكان الذى قيل رَجْع الصدى :
وأنتِ تعيشين فى عُزْلةٍ فلا فى السماء ولا فى الثرى
لمَنْ خلَقَ الله هذا الجمال ومَنْ يتنشق هذا الشذا ! ؟

ونسمعه فى قصيدته « يا نجمة الليل » يسائل النجوم فى السماء وقد برم بما فى الأرض من مساوىء قائلاً :

وهل عندكم من يدوس أخاهُ لأجل ما رَبهِ الفاسدَهْ
وهل للنضار هناك عبيدٌ تظلُّ محاسنه عابدَهْ

وهل يستر القرشُ عارَ اللئيم فيخفى عن الأعينِ الناقدَهْ
وهل فى السماء كما فى الثرى شرورٌ تُرَى أبداً سائدَهْ
إذا كان هذا الذى فى السما فنفسى به وبها زاهدَهْ

ولفرحات نظرة تسامح تري الأَخلاق قبل المذاهب أول ما يجب على النفس الانسانية معرفتها فهو يرى أن لا عار فى أن تتزوج فتاة متدينة برجل ملحد ما دامت نفسه عامرة بالاخلاق فليس عمار النفس بالايمان كافياً لجعل الرجل صالحاً فهو يقول :

زوّجوا الحرّة الكريمة للحرّ ولو كان عابدَ الأوثانِ
كافرٌ يعشق المكارمَ خيرٌ من لئيم يغوص فى الإيمانِ

ونسمعه فى قصيدة « وداع العزوبة » يلعب بريشته فينفض على القرطاس ألوانا بديعة وهو يناجى الليل أن يأخذ بيده العزوبةَ بعد أن قاسى منهاومن الليل ماقاسى وكانا « ذئبين ينهش واحد قلبي وآخر أضلعى » فيقول :

أنا واقف فى موقف حارت به فِكرُ الورى
أرنو الى مستقبلى فأري الكثير ولا أرى . . .

***

ما هذه الأنوارُ تلمع من ورائك يا ظلامْ
ما هذه الأزهارُ تهزأ بالقرنفل والخزامْ
ما هذه الأطيار يكسو ريشَها تبرُ الغروبْ
ما هذه الأنهار تجرى فوق حبّات القلوبْ
ما هذه الطُرُق الحسانُ بتربها ونباتها
ماء المحبّةِ والحياة يفيض من جنباتها
ما هذه الأنغام هل هى من ملائكة السماء
أم هذه نِعَمُ الزواج تدفّقت فى ذا المساء ؟

***

يا ليل ، ماهذى الغيوم تلوح من خلف الوجودْ
ما ذى العواصف والرياح وذى الصواعق والرعودْ
ما هذه الصحراءُ لا ماءٌ يفيض ولا نباتْ
ما هذه الحيّات يفسد سُمُّها ماءَ الحياةْ
ما هذه الأحزانُ ، ما هذا التذمّرُ والعبوسْ
ما هذه الأشواكُ تدمى حافر البغل الشَّمُوسْ
ما هذه الأصوات هل ضوضاءُ سكان اللحودْ
أم هذه نِقَمُ الزواج وتلك صلصلة القيودْ !

ويرى نفسه حائراً ويحس أن الليل غاضب عاتبٌ عليه هذه الحيرة فى البتّ فى أمره فيقول :

يا ليل لا تعتبْ ولا تغضبْ فما أنا بالغضوبْ
إن كنتُ قد أذنبتُ فالآتى غداً يمحو الذنوبْ

ثم تفتنه الأنوار الزاهية ، تفتنه نِعَمُ الزواج فيهتف بالليل :

مهما يكن يا ليل من أمرى ومن أمر الغدِ
ودِّع ، وضعْ يدك التى تَسَع البريّة فى يدى

بمثل هذه الروح يكتب الياس فرحات فنحس فيما يكتب روح الشعر ونتنسم نفحته فهو يغرق نفسه فى الجمال ثم يصوّر ،كما اغرق نفسه فى الريف ثم صوّر لنا جماله والليل يغمره فقال :

جمالُ الليل فى هذى المراعى   حقائقُهُ ، وفى المُدُنِ الرسومُ

وفى ديوانه الضخم صُوَرٌ فتّانة لا يتسع المجال هنا لاستعراضها فأحيل القارىء على ديوانه ليتأملها بيد انى انقل بيتا واحداً يصوّر فيه فرحات ضعف الأمم وما يصيبها من جراء هذا الضعف وإن كانت منيعة :

ورُبَّتَ أمّةٍ بالحقّ حُبْلَى   لفرط الضّعف أسقطتِ الجنينا

وانى انتهز هذه الفرصة التى أتاحت لى كتابة هذه الكلمة عن ديوان فرحات

فى « أبولو » فأختم بما ختمت به دراستى لهذا الديوان فى « المقتطف » من أمدٍ بهذا الرجاء الى اخواننا أدباء المهجر وهو « أن تكون تلك النسمات التى تهبُّ الآن على العالم العربى خالدة النَّفَس وأن يشرب أبناء هؤلاء الأدباء وأحفادهم حبَّ لغة الأجداد حتى نظلَّ نسمع تلك الألحان العذبة خالية من العجمة والأخطاء فلا تحرم الأجيال القادمة أن تنهل من كؤوسها خمراً صافية معصورة من قلوب أبنائها لا من قلوب الماضين » ، وإنا على تحقيق هذا الرجاء نعقد الآمال فان فى قلوب هؤلاء الأدباء من المحبة للعروبة ما تفخر به العروبة فى أقطارها ؟

حسن كامل الصيرفى

مجلة الصباح

فى سنتها الثانية عشرة

استقبلتْ زميلتنا مجلة (الصباح) سنتها الثانية عشرة بعددها الصادر فى ٦ اكتوبر الماضى وقد أصبحت فى حجمها بمثابة مجلات فى صورة مجلة واحدة ، ومثلى الذى ربطته صلاتُ المودة والزمالة الصحفية بصاحبها الغيور سنين طويلة لا يسعه الا أن يحيي فى هذه المناسبة عصاميته واقدامه ، وان يذكر نصيب (الصّباح) المشكور فى خدمة الشعر العصرىّ وتشجيع المبتدئين على الأخصّ ، وهى لا تزال تحوى ديواناً أسبوعياً للشعر ذا ألوان شتى . وهذا مثالٌ من شعر (الصباح) بعنوان « صحوة » للشاعر فخرى :

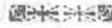
صَحَوْتُ فى ليلِ سُكرٍ ما كنتُ منه أفيقُ
أين الكرامُ صحابى أين الشفيقُ الشقيقُ ؟
راحوا وأمسيتُ وحدى يرنو لىَ الابريقُ !

وهى تُعنى كذلك بالزجل الى جانب الشعر العربى السليم . فنهنىء (الصباح) باشراقها المتواصل ونرجو لها العمر المديد فى خدمة الأدب العصرى ؟

يوسف أحمد طيرة

شعر الوطن

تُعنى مجلة «المقتطف» - بمؤازرة الأَديب الناقد المعروف محمود محمد شاكر - بجمع ودراسة أشهر الشعر الوطنى العربى الحديث ، وحضرات الشعراء فى العالم العربى مدعوّون الى ارسال منتوجهم فى هذا المجال مع بيان ظروفهم الخاصة الى حضرة الأَديب الناقد بادارة المقتطف بالقاهرة .



الرســـالة

ابتداءً من يوم السبت ٢ ديسمبر تصدر مجلة (الرسالة) أسبوعياً ، وسيُضاف إلى أبوابها المعتادة أبواب أخرى كالنسائيات والأخبار الأدبية والعلمية والسينما والمسرح ، وستُعنى بالقصص والاقتصاد والاجتماع والسياسة العالمية . ونحن الذين رحبنا بالرسالة قبل ظهورها يسرنا تكرار الترحيب بهذه الخطوة الجديدة المباركة فقد أثبتت هذه المجلة الفتية أنها من مفاخر ثقافتنا المصرية ، ومن الخير أن تقوى وأن يتسع انتشارها ونفوذها .



الإمـــام

مجلة أسبوعية جامعة مصورة . صفحاتها ٣٦ مع غلاف ملوّن ، بحجم ٢٣ سم × ٣٠ سم . ثمن العدد ٥ مليمات خلاف البريد ، واشتراكها السنوى ٣٠ قرشاً مصرياً فى مصر والسودان و٥٠ قرشاً مصرياً فى الخارج

تصدر الآن عن الاسكندرية صحيفة (الامام) الأُسبوعية نظراً لحاجة عاصمة القطر الثانية الى مثل هذه المجلة الشعبية التى تخدم أدب الخاصة والعامة على السواء ، ويشترك فى تحريرها الأُديب الزّجال الشهير محمود بيرم التونسى ونخبة من « جماعة الأدب المصرى » وكثيرون من رجالات الأدب والشعر والفنّ المشهورين . وهى تطبع بعناية ومصورة بسخاء ، ولها اهتمام خاص بالنقد الاجتماعى والمسرح والسينما

والقصص والأغانى والأدب الرشيق . وتبعا لتوزيع الأعمال والتعاون الصحفى لا نتولّى شخصياً مسؤولية التحرير فى هذه المجلة ، فنى أدباء الأسكندرية الغنية الكافية وهم متكفلون بذلك ببراعة واتقان .

وقد ذاعت (الامامُ) سريعاً فى شتى الاوساط فى العالم العربى . وهى تطلب من ادارتها رقم ٣٨ بشارع سعد زغلول بالاسكندرية ، وتوجد لدى الادارة مجاميع من معظم أعدادها السابقة وسيعاد طبع ما نفد منها .



مرآة السودان

مجلة أدبية أخلاقية اجتماعية أخبارية نصف شهرية تصدر عن الخرطوم . ٣٢ صفحة بحجم ٢٠$\frac{1}{2}$×٢٨$\frac{1}{2}$ سم . صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسؤول سليمان كشه . بدل اشتراكها ٤٠ قرشاً فى السنة ، وثمن العدد قرشان

تُعَدُّ هذه المجلة الأدبية من طراز « الرسالة » فى مصر ، فهى رسولٌ كريمٌ من رُسُل الثقافة ، ولذلك نرحب بها أخلص ترحيب ونعدّ انتشارها من العوامل المفيدة للنهوض الأدبى بالقطر الشقيق . وقد سرتنا عنايتها بالشعر العصرى وعلى الأخص بالشعر السودانى ، كما ارتحنا الى ما فيها من دراسات عديدة منوعة . ويسرنا فى غير تحفظ أن ندعو قراء «أبولو» الى الاشتراك فيها فانها متعة جديرة بالاقبال عليها .



السلام

مجلة شهرية مصوّرة جامعة تصدر عن تطوان (المغرب الأقصى) ، ص . ب . رقم ٦٦ . صاحبها ورئيس تحريرها محمد داود . صفحاتها ٥٦ بحجم ١٧ × ٢٤ سم . سنتها عشرة أشهر وبدل اشتراكها ٥٠ فرنكاً فى المغرب واسبانيا و٦٠ فرنكاً فى بقية الأقطار وتقدم الى المشتركين هدايا فى مقابل الشهرين الباقيين من السنة .

هذه المجلة الطريفة رمزٌ آخر للنهضة الأدبية فى المغرب ، ونحن كلما تلقينا أمثال

هذه المجلة («كالنهضة الحضرمية» في الشرق، و«الضياء» في الهند) طربنا لهذه الغيرة الشريفة على اللغة العربية الى جانب الغيرة على نشر التربية والتعليم وتقوية الروح المعنوية فى أنحاء العالم العربي. وهذا اللون من الصحافة الجدية المهذبة أولى من سواه بالتشجيع والعناية، فهى غذاء فكرى نفسانى لا يُقدَّر بثمن.

و«للسلام» عنايةٌ مشكورةٌ بالشعر المغربى، فهو يعطينا مرآة صادقة له لا غنى عنها لمن يريد أن يتتبع تطورات الشعر فى هذا القطر العربى العظيم.

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٧١	١	أغلية	أغلبية
١٧٤	٣	قصيدة	قصيده
١٨٠	٢	: قوم	قوم :
١٨٧	١٩	ألحياة	الحياة
١٨٩	١٢	الدَوِيّا	الدَّوِيّا
١٩٩	٢٠	فجرّت	فجّرت
٢٠٠	١١	للنفوس	النفوس
٢٠٥	١٣	أنه	إنه
٢٠٨	١٠	الغفور	عبدالغفور
٢٠٩	١٥	الكتات	الكتاب
٢٠٩	١٩	أجدها	أجدهما
٢١٠	١٤	اياة	اياه
٢١١	٧	محرّماً	محرّماً
٢٢١	١٠	وتغرّينا	وتغرينا
٢٢٥	١٨	عجَّل	عجّل
٢٢٦	١٢	يزورَ	يزورُ
٢٢٧	٢	فيك	فيكَ
٢٢٨	١٣	ومالى	وما لى
٢٢٨	١٦	أعبد	أأعبد
٢٣٠	١	وحدتهم	وحدته ؟
٢٣٠	١١	ويحمد	ويخمد
٢٣١	٨	أنّ	إنّ
٢٣٧	١٨	يأنى	يأتى
٢٤٣	١٥	ودفع	وغرضنا دفع

فهرس



أبولو

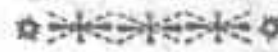
مجلة فنية لخدمة الشعر العربي

لسان حال جمعية أبولو

تصدر مرة فى كل شهر

وسنتها عشر اشهر

ديسمبر سنة ١٩٣٣



صاحب الامتياز ورئيس التحرير أحمد زكى أبوشادى

الادارة: بشارع الملك المعز رقم ٩ بضاحية المطرية بمصر

التليفون: ١١٩٦ زيتون و ٤٠٤٥٦

مطبعة التعاون



حافظ وشوقى

عُنيتْ الجالية السورية اللبنانية بأمريكا عنـاية فائقة بذكرى شاعرى مصر العظيمين حافظ وشوقى لمناسبة مرور سنة على وفاتهما ، وقد أحسنت أيّما احسان في الجمع بينهما فى صعيد واحد ، لأنّ من السماحة التجزّب الشخصى لأحد الفقيدين بعد فقدهما اذا جاز مثل ذلك فى حياتهما ، واخواننا اللبنانيون والسّوريون أكيس من أن يقعوا فى مثل الخطأ الذى وقع فيه المصريون نحو الشاعرين الفقيدين .

ان السماحة الأدبية بل الرجاحة الأدبية تحول دون هذه التحزّبات فى كل وقت ، وعلى الأخصّ فى أمة فقيرةٍ الى الرجال تحتاج كل الاحتياج الى الانتفاع بمواهب الجميع وعرفان أقدارهم . والمؤرّخ الذى يُراجع أعمالَ كلٍّ من حافظ وشوقى يجـد أنّ الحـكم على كلٍّ منهما يختلف بين وقت وآخر ، فقـد كان حافظ مثلاً كثيرَ الانتاج كثيرَ الجيد من شعره منذ ربع قرن مضى ثم وهن فى أواخر أيامه ، بعكس شوقى الذى كثر إنتاجه أخيراً وإن لم يبلغ تفوّقُه فى عهده الأخير مستوى تفوّقه فى منتصف حياته . ولـكن كل هذه مباحث أكاديمية ، ولا يجوز أن تُتّخذ ذريعة لانتقاص فضل أحدهما ، كذلك من الواجب تـنـاسِى الشخصيات التى هى مِلْكٌ للتاريخ ولا فائدة الآن من ترديدها ، مهما كانت المواقف أثناء حياة الفقيدين لتقويم معوجٍّ أو لتصحيح خطأ أو لدفع مغالاةٍ ضارّةٍ كما هو ديدنُ النقـد البرىء لانَ أم قسا .

إنّ شعر حافظ وشوقى تراثٌ أدبىٌّ لنا لا يجوز أن نستهين به ، لأنه ركن شامخٌ فى بناء الشعر الحديث ، ولا يجوز أن تشغلنا عن دراسته الواجبة المناقشاتُ المعهودةُ حول الأمور العرضية والشخصيات ، فقـد آنَ لمثل هذه المناقشات ودواعيها أن تذهب الى غير عودة .

حرية الجمال

يقول الشاعر توماس كامبيون من شعراء القرنين السادس عشر والسابع عشر : « أعطِ الجمالَ جميعَ حقِّه فانه لا يتقيَّد بصورةٍ واحدةٍ ، وكلُّ صورة تعطى حبوراً طيباً حيثما استقرّ كمالُها » . وبعدَ مروراً أكثر من ثلاثة قرون على وفاته لا نجد أصفى مبدأ للشعر والشعراء من أنشودته الجميلة « الجمال الحرّ » :

Beauty Unbound

Give beauty all her right !
She's not to one form tied ;
Each shape yields fair delight
Where her perfections bide :
Helen, I grant, might pleasing be,
And Rosamond was as sweet as she.

Some the quick eye commends,
Some swelling lips and red;
Pale looks have many friends,
Through sacred sweetness bred :
Meadows have flowers that pleasures move,
Though roses are the flowers of love.

Free beauty is not bound
To one unmovéd clime ;
She visits every ground
And favours every time.
Let the old loves with mine compare;
My sovereign is as sweet and fair.

نحن نريد أن نجلوَ جميعَ ألوان الجمال بريشاتٍ مختلفة لأعلامه وأنصاره ، فما معنى هذا الاسراف فى النقد والتثبيط حينما الأذواقُ والطباعُ تختلف جدَّ الاختلاف ؟ وأىّ جدوى لنا من أن يكون شعرنا العصرىّ لوناً واحداً من الفنّ لا مزيد عليه ؟ لو تدبَّر النـقّاد هذه الحقيقة باخلاصٍ ونزاهةٍ لآمنوا معنا بأن فى الانجاب المتنوّع

الأصيل والمترجَم ذخيرةٌ لشعرنا العربيّ يجب أن تقابلَ بالترحيب والتشجيع ، وكلّ ما عداها هو تسبيحٌ بفقرنا الفنّى !

نقد أبولو ومحررها

فى العدد الأخير من مجلة « النهضة الفكرية » نقدٌ لهذه المجلة يصحّ أن يُعَدّ مثالاً للنقد المستقلّ ، وإنْ كنّا لا نقرّ كاتبه الفاضل على بعض آرائه ونستنكر غيرها ، ولكننا نشعر على أىّ حال بامكان التفاهم معه وفى ذهننا قول الامام محمد ابن ادريس : «ما ناظرتُ أحداً قط فأحببتُ أن يخطىء ،وما كلمتُ أحداً الا أحببتُ أن يُوَفَّقَ ويسود ، وما كلمتُ أحداً الاّ وأنا لا أبالى أن يُبين الله الحقّ على لسانه أو لسانى ، وما أوردتُ الحجة على أحدٍ فقبل منى الاّ سقط من عينى ورفضتُه » .

ولكننا بازاء ذلك نطّلع بين وقت وآخر على نماذج من النقد فى صحف أخرى يندر جداً أن نلمح فيها غير صُوَر الحماقة والإسفاف وحبّ الاساءة وما هى من النقد الفنى فى شىء ، ومن العجب أن يشترك فيها رجالٌ يقال لنا إنهم مسؤولون ولكن تعميهم السياسة والاهواء الحزبية فيهرفون بما لا يعرفون ، أو يتعمدون تشويه سمعة العاملين المخلصين ، بينما حضراتهم يتنعّمون بالعظمة المصطنعة ويتخبطون فى المقاهى والملاهى !

نحن ننادى بأعلى صوتنا أن جميع أعمالنا قامت وما تزال تقوم على أساس كبير من التضحية ، وكلّها تمتّ بصلات الى هيئات علمية أو أدبية كريمة وليست بالاعمال الفردية ، ونحن نتحدّى أىّ مكابر أن يثبت لنا عكس ذلك ، أو أن يتعرض لسيرتنا أو لجهودنا بأىّ تصرف يَشينها ، وبعد هذا لا يعنينا الهراء الذى تملأ به المجلات الحقيرة المأجورة صفحاتها طوعاً للحاسدين والمغرضين الذين لا ينعمون الاّ بحياة التصنع أو ببذر بذور الشرّ والايقاع يُمنةً ويسرةً فكل هذا سوف يرتدّ عليهم فى النهاية.

نحن أيها الأذكياء البسلاء نهزأ بكم لنقدكم الأجوف العظيم ، ولمغالطاتكم واختلاقاتكم الجليلة التى تفضح حسدكم وغروركم ، ولكم أن تستمروا فى هذا التخريف الأدبى بقية حياتكم ، فانّ لنا من سعة الصدر ما يحتمل هزلكم الطويل، ولكن اذا كانت فيكم ذرةٌ من الرجولة فصرّحوا بأىّ شىء يمكن حقاً أن يشين شرفنا واستعدّوا لمجابهة القضاء كما جابهتموه صاغرين من قبل ، فلن نغفر مثل هذا التهجم على شرفنا لأحدٍ كائناً من كان ، والاّ فعليكم أن تتأدّبوا مع أسيادكم ، وكفى وصمةً للصحافة المصرية أن ينتسب اليها العاطلون أمثالكم .

نتحداكم مرة أخرى أن تدلونا على صحفي أو أديب يشجع أو يحتمل النقد الأدبي الشريف الحرّ كما نحتمله نحن ، وكلكم أطفال جامدون تبكون منه وتولولون وتحشون أحبابكم وأذنابكم على الانتقام لكم من ناقديكم بما توحون به من الشر والدسائس ... فاذا أردتم أن تنالوا احترامَ النـاس ـ وما أنتم ببالغيه بهذه الطباع الخسيسة ـ فاعرفوا معنى النقد الأدبي وحدوده ، ولا تتهجموا على أعراض الناس وأخلاقهم بهذا الباطل الذي يروّجه المأفونون من رُوّاد المقاهي .

ولماذا أيها السادة تحمّلوننا مسؤولية تحرير « الامام » وأنتم تعلمون علم اليقين أننا لا نكاتب بيرم ، ولا نوعز اليه بشيء ، ولا نطلع على هذه المجلة التي تصدر في الاسكندرية الا بعد صدورها إذ لسنا بالنسبة اليها اكثر من حملة امتيازها ، وقد أعلنّا ذلك تكراراً من قبل ، وهي موقوفة أصلاً على خدمة عاصمة القطر الثانية في رعاية هيئة محترمة من هيئاتها الأدبية وبمعاونة غير واحد من الأدباء الممتازين في العاصمة وغيرها ، فهل من الممكن أن نكون أوصياءَ على كل هؤلاء الأدباء ونراقبهم وللمجلة رئيس تحريرها المسؤول تعاونه هيئة تحرير من الأدباء النابهين ؟ نؤكد لكم أنكم لو كنتم تركتم « الامام » وهيئة تحريره وأديبه بيرم على حده ، واكتفيتم بمهاجمتنا شخصياً بما يحلو لكم لما تعرض لكم « الامام » بكلمة ، فاننا كفيلون وحدنا بردّ كيدكم اذا ما دعت الحاجة الى ذلك ، ولكنّ سفاهتكم هي التي جنت عليكم ، والآن تعودون فتتمحكون فينا وفي ذنوبنا الموهومة بما يُمليه الخيالُ الفاسدُ عليكم من تفاسير ، وتتجاهلون أن « الامام » يتكفله محرروه بحرية تامة لا نرضى أن ننتقصها ولا يجوز لنا أن نتدخل فيها ، وقد ينشر لذلك من الآراء أحياناً ما لا نوافق عليه شخصياً ولكننا نحترم حرية محرريه المسؤولين .

وبعد كل هذا يقال لنا إنّ الصحافة الاسبوعية في مصر ومحرريها أمثالكم بلغوا الغايةَ من النهوض الأدبي والاتقان ، فيا سوءَ ما يحكم به التاريخُ النزيهُ على هذا النهوض ! ... انّ ذخيرة الشتائم التي تُكال لنا اسبوعياً نثراً ونظماً في المقاهي والصحف أبلغُ دليل ، ودليلٌ آخر أنّ كلَّ طفل يناوئنا ينال لقبَ البطولة ، وكلّ رجل نابه يناصرنا ينال الاصغارَ ولا يسلم حتى من الطعن في أخلاقه وفي ذمته ، ولا يُستثنى من ذلك مطران ومحرم والرافعي وناجي والكرملي ومصطفى جواد والصيرفي والبحراوي وأمثالهم . . . وان كل ايثار وكل تعاون أدبي من جانبنا لا تحلمان بهما يصبحان رذيلة ، وكلّ أنانية فاضحة وكل صغار من جانبكم يصبحان آيةَ الفضائل !

وليحيى الأدب والأدباء !



الشعر النسائي الحديث

من آثار الثورة الأدبية فى القرن العشرين قيام المرأة لمزاحمة الرجل فى ميدان القلم شعراً ونثراً - ولعل هذه الظاهرة قد أينعت فى هذه الأيام وازدهرت ازدهاراً بعيداً عن الأحلام - فقد ظلت المرأة فى خدرها لا تحمل القلم من أجل بعيد حتى كانت عائشة التيمورية - ثم مرت عليها الأيامُ وأصبحت ذكرى لبنات جنسها - ثم كانت أيامنا هـذه فقامت المرأة بأجلّ قسط فى المعمعة حتى أصبحنا ننظر إليها على الأقل نظرة الندّ للندّ - ومن ذا الذى يستطيع أن يقارن شعر التيمورية بشعر الآنسة سهير القلماوى مثلاً ؟ كلاّ فانّ الكلاسيكية التى قيدت الأولى قد حُطِّمت على يد الثانية - فجاء شعر سهير كاللحن الجميل المعنى ، الرائع الأسلوب والمبنى .

وسنحاول فى هذه الكلمة استعراض ثلاثة نماذج متباينة من شواعرنا المجددات : هنّ الآنسة سهير القلماوى والآنسة جميلة محمد العلايلى والآنسة رباب الكاظمى .

ومن الغريب أننا نقف حائرين أمام النماذج الثلاثة ، فليس بينهن إلاّ صلة الأنوثة، ولكنهن يختلفن فى النزعات النفسية تمام الاختلاف . ولنبدأ بالآنسة سهير .

تختلف سهير عن زميلاتها فى نزعتها الانسانية ، ويُخيَّل إلىّ - وأنا لم أرها - أنها حائرة فى نظام الكون — ولمَ نُولد ، ولمَ نشقى فى الحياة ثم نموت — ولمَ يصعد قومٌ على أعناق قوم وكلهم أبناء آدم وحواء — ويُخيَّل إلىّ انها دائمة الاطراق بعينٍ تتأمّل مصائب الأرض — دائمة الطموح إلى السماء بعينٍ أخرى تتساءل عن هذه المعميات ! ثم يُخيَّل إلىّ انها صغيرة لا تفكر فيما تفكر فيه بناتُ



الآنسة الشاعرة سهير القلماوى

(صورة حديثة)

سِنِّها ، لا تتطلع إلى حب ولا ترنو إلى أمل من آمال الصِّبَا ولا تشترك فى أحلام الشباب لأن لها نفساً أكبر من نفس الشباب ، وعقلا أبعد مرمًى من عقله - وأمامى ثلاث قصائد لها .

فهى فى قصيدتها الأولى «إلى الحرب» تتأمل جندياً فى طريقه إلى الحرب يتمثل الموت منتظراً لقاءه فى ساحته فينشد أنشودة الفناء — ويقف فى حيرة بين نداء الشباب ونداء الوطن فيقول :

صرخةٌ للموتِ فى أعماقِ قلبي هل أَفى بالوعدِ ذا الوعدِ المريعْ
داعيَ الموتَ أَتدعو فى شبابى ويُمنّى بالشفا القلبَ الوجيعْ
ايهِ يا داعى أتدعونى لأنى ليس لى فى هذه الدنيا شفيعْ ؟
انما الموتُ يناديني وحتماً سألبىّ مَنْ ينادى ... سأطيعْ
سأوافى الموت فى الميعادِ ليلا عند سفح التلّ فى فصلِ الربيعْ

فلسفة وأية فلسفة ! ليتأمل القارىء كيف تقف الشاعرة وفى يدها جندىّ على أبواب الموت . وليتأمل القارىء أية نزعات خلقتها الشاعرة فى صدر الجندى المسكين ! نزعة نحو ألم العيش وأنين القلب الذى يرى فى الموت الشقاء ، ونزعة نحو الحياة وإشفاق من الموت ، ونزعة نحو النزول على إرادة القدر الظالم ، ثم نزعة نحو الواجب واستهانة بالموت ! كل هذه العوامل تخلقها الفيلسوفة الشاعرة فى صدر جنديها المجهول .

وأما قصيدتها الثانية فرثاء لأختها ، وعنوانها «هى ماتت» ، فانظر كيف تسوق إليك فلسفتها وحيرتها فى المهزلة الانسانية التى تجرى على الارض - كما حدثتك منذ حين - فى خمس شطرات :

لِمْ خُلقنا ؟ لِمْ نعيشُ ؟ لِمْ نموتْ ؟ وعَلام السَّعْىُ والسَّعْىُ يفوتْ ؟
أَتُرَى نأتى ونمضى فى سكوتْ ليس فينا مَن جلا سرَّ البقاء
لِمْ ولَنْ نعرفَ معنى الانتهاءْ !

ثم تنظر إليها وهى تسائل أختها لتحدثها بما وراء الحياة :

أَتُرَى قُدِّرَ للنفسِ الخلودْ ؟ كلُّ مَنْ يدري يُوَلى لا يَعود



الآنسة الشاعرة جميلة محمد العلايلي

قد عرفتِ اليومَ ما سرُّ الوجودْ فارحميني ! خبريني ! ما الفناء ؟
إنَّ نفسى فى عذابٍ وشقاءْ !

وأما قصيدتها الثالثة فأحب ان أتعرض لها لأمرين: أولهما أنها تبين هذه الناحية الثائرة من نفسها ـ ناحية الثورة على القوم الذين يرتقون غيرهم إلى الشمس تاركين هؤلاء يعانون ما يعانون من ألوان الشقاء ـ تصور لك الفلاَّح فى حقله تحت لهب الشمس وفوق الأديم الجاف يعمل فينساب جهده إلى مولاه الناعم البال المشلول اليمين ـ وهذه القصيدة ترسم لك صورة فنية Portrait ولكنها تختلف عن الشعر الذى ينظمه الرجعيون والكلاسيكيون فى عدم تقيدها بالقافية بالمرة ـ وهذا هو الأمر الثانى الذى أريد التعرض له ، فقد جاء بالعدد الماضى من أبولو فى مقالة للشاعر العاطفى الدكتور رمزى مفتاح ان هذه القصيدة متنافرة النغم ـ ولكنى لا أرى ذلك بل أرى فى القصيدة لوناً جميلا من الفن الانسانى ولكنه حرٌّ كالعصفور الطائر إذا أردت التمتع بمرآهُ فاتبعه بعينيك حيث يطير ، وإن أردتَ الخمول فاقتنع بقصيدة كلاسيكية مقيدة كالعصفور فى قفصه تضعه امامك لتوجه نظرك إليه بلا حراك . على ان سهيراً قادرة على القافية كما انضح لنا من قصائدها الأولى ولكنها ثائرة على كل ما هو جامد ومعهود .

ولننتقل الى شعر الآنسة جميلة محمد العلايلى .

تختلف جميلة عن سهير فى أمر العاطفة ؛ فسهير انسانية وجميلة ذاتية تريد لنفسها أمراً ليس فى طاقة البشر وتبحث وراء صورة من « يوتوبيا »(طوبى) أوكبير الآلهة فى « الأولمب » فان لم تجده عادت تتأسى ببعض صغار الآلهة كأبولو إلـه الفنون واطمأنت إلى الشعر والموسيقى والتصوير والفنون اليدوية . فاستمع إليها فى قصيدتها « الساحر » حين تقول :

أعطنى بالقلب شعراً إنه روحٌ طهورْ
أيها الشادى ، بنفسى شعرك الحىُّ المنيرْ
انما الشعر حياة لمُنَى القلب الكسيرْ

وتردَّد فى قصيدة « حب المحال » نفس هذا اللحن :

سلنى مليكَ عواطفى المحبوبا سلنى عن الحب المذيب قلوبا
حب المحال أصاب معقل مهجتى فعرفتُ فيه الصفو والتعذيبا



الآنسة الشاعرة رباب الكاظمي

(صورة حديثة)

لكننى أهوى الفنون لأنها تحيا بمشكاة الخلود لهيبا
وأظل أُفْتَنُ بالجمال لأنه روحُ الكمال ، فهل عشقتُ عجيبا ؟

وأخيراً تنكر جميلة هذا الطموح الذى استولى عليها فتتحرق الى ما هو دون المثل الأعلى وتحاول ان تقنع نفسها بالتيمم فى غيبة الماء فتقول لقلبها فى قصيدتها « الروح الظامىء » :

ما ذا يَضيرُكَ لو رويتَ ظماءَ روحٍ لا يميلْ
ما دام حبك لافحاً هيهات يُطفئه القليلْ
قامِرْ بكلِّ عواطفى ولسوف يُرضيكَ البديلْ

وكم وددنا لو ظلت الآنسة جميلة فى سمائها وعالمها العبقرى لا تتنزل إلى عالمنا ولا ترضى بواحد منه .

وجاء دور الآنسة رباب الكاظمى .

فمَن هى رباب ؟ — هى ربيبة بيت الشعر والفضل وابوها السيد عبد المحسن الكاظمى الشاعر الجليل — تأثرت رباب بروح أبيها ، لولا تلك الأنوثة الرقيقة التى تبدو فى شعرها ، ولكن ديباجتها العربية هى من النماذج العالية للشعراء لا للشاعرات فحسب . قويه اللغة ، رصينة القول ، عذبة التعبير ، ولكنها تنزع إلى الحزن والشكوى — شكوى العيش وآلامه وقصيدتها (فى المعترك) هى من أجمل آثار الشعر العربى لا سيما مطلعها الذى نكبره من فتاة فى مثل سنها :

أدبى لدى الأيام جُرمى وجريرتى فى الدهرِ عِلمى

وتقول عن أبيها وهى أبيات بديعة :

أمّا أبى فلقد أبَى عند القوافى غير حكمِى
لم يألُ جهداً سعيه فمن المهمِّ إلى الأهمّ
يبكى على أوطانه وينوح فى نثرٍ ونظمِ
فاذا فرغتُ إلى رجا هُ فرغتُ من همٍّ لهمّ

وتمتاز بالصراحة كما تتميز بالرصانة والوقار — أنار الله لها الدنيا وأسعد أمامها طائر الجد .

هذه هى ثورة الأدب — بل ثورة الشعر عند فتاة القرن العشرين .

صالح جودت

أبو شادى فى الميزان

ردّ الأديبُ الصيرفى على النقد الذى نشرته لى مجلة (أبولو) فى عدد الشهر الفارط وأنا ألاحظ على رده ما يأتى : —

(١) الشاعر صاحب الرد هو أحد أعضاء لجنة النشر بالمجلة وقد أباح لنفسه أن يسقط بعض نقدى فقد ذكرت به أن كتاب (أبى شادى فى الميزان) هو من قطع كتاب (شوق فى الميزان) للعقاد فاستحل الناشر أن يبتلع هـذه الجملة واستحل لنفسه أن يفهم من خلالها إنّ خطأ أو صواباً شعورى وميلى الأدبى ثم استحل لنفسه أخيراً أن يردّ على شىء لم يثبته . ولعل القارىء قد دهش لذكر العقاد وللتجنى علىّ ولم تصدر منى اشارة ولا تلميح للعقاد ! وما الذى أغضب الصيرفى ؟ لقد فهم انى من المسبحين بحمد العقاد المؤمنين بتأليهه والناعتين اياه بالفليسوف الأكبر ، وهو فهم أشكره له وهو من دواعى الفخر للانسان .

(٢) ولكن هل معنى ذلك أننى أنكرت أبا شادى ، أو أننى غبنته وبخسته فضله . لقد أبديت إعجابى بأبى شادى الرجل وأبى شادى النشيط وأبى شادى الشاعر ، ولكنى لم أغض عينى على القذى ولم اشأ أن أتحدث بغير عاطفة صادقة وشعور مخلص . فأخذت على المحاضرة أنها ركيكة ضعيفة ، وأنها كانت قصيدة منهارة من المدح الجاهل ، وأن هذه المحاضرة إساءة الى أبى شادى وإساءة كبيرة الى الأدب فالمحاضر لم يفهم شاعرية أبى شادى ولم يفطن الى مواضع الجمال من شعره بل ساق أمثالا من الشعر هى فى ذهنه من خير ما نظمه أبو شادى وهى فى صميمها من الكلام المنظوم الذى ننبه أباشادى الى إصلاحه أو حذفه .

وما هكذا ينبغى أن تلقى محاضرة عن الشعر وما هكذا ينبغى أن نفهم الشعر ونعرض له بالتحليل وما هكذا ينبغى أن تخلف ميراثاً سيئاً للاجيال القادمة من صديق يتكلم عن صديق شاعر ، إذ أننى لا أستريب كرجل بعيد عن الصديقين أن الشاعر يرضى عن صديقه المحاضر وعما قاله فيه وأنه يشكره له وأنا أكبر أبا شادى عن ذلك واقول أخيراً إن هذه اساءة للشاعر ولأدب الشاعر وللأدب عامة .

(٣) وصفنى الصيرفى فى ردّه على المآخذ التى أخذتها على بعض شعر أبى شادى بقصورى اللغوى وعدم بصرى بالشعر وعدم صلاحيتى لنقده وأنا ذلك القاصر أسألك أيها القيّم الراشد كيف أخطأت ؟ وكيف دافعت دفاعاً لا أساس له ولا

دعامة تدعمـه ؟ وكيف تدع القـاصر الضعيف يعود ليقول لك بكل جرأة وثقـة أنك أخطأت ؟

(أ) لقد انتقدت جمع سيان وبين فى البيت الآتى :

ان الحيـاة تضافرٌ وتعاونٌ سيان بين غنيِّهـا والمعدمِ

فرميتنى بالغفلة إذ فاتنى أن سيان متعلقة بمحذوف تقديره هما ولـكنى أزيدك وضوحاً وأضع أصبعك على موضع الخطأ وقد ضلّت عنه : (فبين) لفظ للتفريق والمقارنة وهى لا تستعمل لوصف شيئين بصفة واحدة ، ولـكن لصفتين جدّ مختلفتين مع شتان فماذا تقول فى ذلك ؟

(ب) لقد أجهدك السير وبعدت جداً وشارفت القطب لتستخرج هـذا المعنى (الخبث مضرم) فى البيت :

روحُ الوجود هو الجمالُ ، فـما له قد شاه بين أذى وُخبثٍ مضرَمِ ؟

فالشاعر هو الذى يصف الخبث بالضرام ولا يصفه بانه موقد النار وموجج الحروب

(ج) واذا كان الأعمى يجرح نفسه فى عجز وغفـلة معنوية فما حاجة الظلام له ؟ أن إدرا كى يكلّ عن الجرى وراء التخريجات الغريبة .

(د) وما كنت أحب لك أن تضيف الى خطأ المحاضر خطأ آخر ، نخذها عن ثقة اذا أعوزتك مراجع التاريخ : إن موقعة رشيد ومن قبلها الاستيلاء على الاسكندرية لم تصحبها معركة بحرية وقد عادت سفن الأسطول البريطانى من الأسكندرية كما جاءت اليها ولم تعد منهزمة بل عادت بناء على التعليمات الصادرة اليها بالعودة ،وأضيف الى ذلك أيضاً أنها لم تستول على الاسكندرية فى الأصل لغرض فتح البلاد وغزوها واحتلالها ولـكن مجرى السياسة الأوروبية هو الذى يقتضى فقط هذه المناورة الحربية للضغط على سلطان الأتراك وان كانت أصابت الحملة هزيمتان متعاقبتان برشيد .

وانى هنا لا أعنى ان أباشادى يجهل هذه الحوادث فأبوشادى واسع الاطلاع عليم بتاريخ بلاده وان جهلها بعض الناس .

(٤) طلبت منى أن أسوق بعض شواهد أخرى وبرغمى أضعها أمامك غير مختار.

ماذا يقصد أبو شادى بهذا البيت وهل هو يستوي وشـعره ؟ (ص ٣٥) من « أطياف الربيع » فى عبادة الحزن :

تاهت بدنيا الحبّ فهى غنية بالحبّ حين سقامُها كسقامى

فهو بيت لا معنى له ولا طعم، ولكنه يبدع بعد ذلك إذ يقول :

وتخيَّلتنى عاطفاً ومواسياً أحنو بكأس هوى وكأس مدامِ

وكذلك فى نفس القصيدة :

فى كل حالٍ منك ألفُ معبرٍ عما يكتّمهُ الجمالُ الحاكى
يدرى به العشاق إن لم يَدرهِ من لم يذق مَرآكَ أو معناكِ

فكيف يكون الجمال كاتماً وحاكياً فى آن واحدٍ وكيف يذوق الإنسان مرأى الشيء .

ويقول فى الضاحك الباكى :

يا قلبُ ما أنت إلا طائرٌ غردٌ نشأتَ فى السجن تبكى عمركَ الباقى !

فكيف ينشأ فى السجن ويبكى ما تبقى من العمر ؟ هما معنيان متناقضان ، وهو إما لا يبكى بالمرة لأنه نشأ فى حياة اعتادها وإما يبكى عمره كله ما تقدم منه وما تأخر .

ما قولك فى هذا ؟ واذا شئت زدتك .

(٥) أعتذر للدكتور أبى شادى عن سوق هذه الأمثال ، وما أريد من ورائها الا التدليل على ما قلته من أنه سريع فى نظمه ، سريع تأتى اليه بدائع المعانى وأبكار الخيالات ارسالاً فلا يُقابلها بما تستأهله من لفظ خُلقَ لها ، ولكنه يُلبسها كلمات فضفاضة واسعة أو ضيقة تكاد تتمزق ، وهى بحالتها هذه لا تبدو كما نريد لها من جمالٍ لائق .

فهو يستعمل اللفظ فى غير ما أراده العرب له ، وكثير من الكلمات التى يُركّب منها شعره متنافرة غير محدودة المعنى أو واضحة القصد ، فالقارىء مضطر أن يلائمها أو أن يكدّ ذهنه ويتعب نفسه يصطاد لها من المعانى ما قد يتفق وما لا يتفق معها ، منها ما قد يكون أراده وما قد يكون بعيداً عن خاطره بل ما قد يكون أنسب للبيت وأليق مما ذهب إليه من معنى .

وهذا التنافر الذى يتخلل أشعاره هو كالغصص تكدّر عذوبة الماء وسلاسته ، ونحن نريده سائغاً سهلاً .

وإنى أرجو أن أعرض لشعر أبى شادى الجيد بالتحليل والتعريف ، وأتمنى أن تتاح لى الفرصة قريباً ؟

عبد المنعم دويدار

***

عزيزى دويدار أفندى ! — هل أنت فى حاجة لأن نؤكد لك أننا لم نرم أبداً الى إضعاف حجتك ، وانّ حذف الجملة التى تشير اليها لم يكن من شأنى وحدى بل من شأن لجنة النشر مجتمعةً ؟ لقد ذكرتَ ما يُفهم منه انّ كتاب (أبوشادى فى الميزان) تقليدى فى حجمه ومظهره لكتاب العقاد (تمييز فى الميزان) فاستغربنا طبعاً لهذه الملاحظة الدالة على جهل بتطور الطباعة فى مصر، وبرغبة شاذة فى الاعلان عن كتاب العقاد على حسابنا ، فانّ هذا الحجم والمظهر قديمان ، ومن السهل أن يقال إنّ العقاد يقلّد من سبقوه كمحب الدين الخطيب وأحمد شوقى بك بل والدكتور أبوشادى نفسه فى مؤلفات قديمة مثل « حدائق الظاهر » التى كان يخرجها قبل أن يكون للعقاد أى اسم فى عالم الأدب وذلك منذ ٢٥ سنة . وأما عن ذات التسمية « فى الميزان » فهى عتيقة ترجع الى عهد المويلحى الكبير . . . إذن فاللجنة لم تكن متعمّدةً اضعاف حججك ، وانما هى تشطب عادةً ما قد تراه لغواً لا صلة له بالموضوع ، ومع ذلك فقد نبّهتُ حضرتك الى ذلك بواسطة صديقنا وصديقك الأديب الفنّان شعبان زكى الذى كان الواسطة فى تلقّيها ردّك السابق ، فلم تتلقّ اعتراضاً منك . وما أحسب أنّ فى هذا خلافاً بيننا الآن ، ولكنك تزعم أن اشارتى الى العقاد مدهشة بعد ذلك الحذف وانها جاءت تجنياً منى عليك ، ونحن لا نرى فيها ما يدهش ولا مما يشعر بالتجنى لأنها فى مقام التصوير لموقفك ونفسيتك . وزيادة فى البيان للقارىء أذكر ان شعبان أفندى زكى كان واسطة تبليغك لنا منذ شهور أننا اذا لم نكفّ عن نشر نقد العقاد فى أبولو فستقاطعها بشدة ! وقد كانت صورتك النفسية هذه فى ذهنى حينما كتبتُ ملاحظتى التى لم ترضَ عنها ، وها نحن نسجل بكل سرور — حرصاً على سمعة منبرنا الحرّ — ماتتشبث باثباته على غير فائدة لك ولا للقراء!

ثقْ يا عزيزى الفاضل بأننا أبعدُ الناس عن الرغبة فى إغفال فضل الناس دعْ عنك انتقاصهم ، والعقاد له مكانته فى نفوسنا ، ولكننا نلاحظ بحق عليه وعلى صحبه روحاً من التحزّب البغيض : فكلّ ما يخصّهم جميل ، وكلّ مَنْ يتحزب لهم عظيم

وأما من عداهم فنكرات وعجزة وأطفال و « أو شاب من السوقة » ونحو ذلك ، وما هكذا يكون أهل النقد ولا أهل الأدب الصميم ... وقد ذكرتُ أننا نشجّع بانفسنا نشر ما يوجَّه الينا من نقدبل انتقاص أدبى، فلماذا يؤخذعلينا مايذاع عنامن حسنات؟! ويتغالى المغرضون فيستغلون حتى الصحف الوضيعة البذيئة لخلق المثالب والتهم ضد شعراء أبولو وضدّ محررها فنتغاضى عنها ، ومع ذلك تُستكثر علينا حفاوة بعض زملائنا الأدباء بمجهودنا ونُلام على نشره ، كأنما الفضيلة كل الفضيلة فى إذاعة ما يكال لنا من مَثالب الحسد والحقد والأنانية وحدها ! . . . فهل أؤمل بعد هذا أن تثق بخلوص طويتنا وبأن نقدنا هو للفنّ وحده ، إذ نحن من أعداء الخصومات الشخصية ولن نرضاها بحالٍ من الأحوال ؟

تقول ياعزيزى إنّ محاضرة عبد الغفور افندى « قصيدة منهارة من المدح الجاهل » وكان يجب علىَّ فى هذه الحالة أن أتنحَّى عن الردّ وأدع لعبد الغفور افندى أن يتكلم لولا أن اللجنة رأت حصرَ مجال الأخذ والردّ حرصاً على فراغ هذه المجلة ومنعاً لما يتطور اليه الحوار عادةً من خصومات بين المتناظرين ، ومن أجل ذلك أوقفنا نشر ردود شتى موجهة اليك بعضها شديدُ اللهجة ... تأكدْ يا أخى بأن عبد الغفور افندى يُجمل ويُلخّص آراء كثيرين من الشعراء والأدباء من مريدى أبى شادى فى مصر والأقطار العربية ، وأنه من أجدر الأدباء بالكتابة عن أبى شادى بعد صحبة عشر سنين ، وأنه من أصرح النقاد بدليل تعقيبه القيّم على محاضرة محرم التى حلّل فيها ديوان « الشعلة » ، وقد أفهم أن تقول إن أسلوب محاضرته فقهى أو مدرسىّ ، وأما أن تنعتها بأنها « قصيدة منهارة من المدح الجاهل » فشططٌ عظيم منك .

وأراك تعود مُصِراً الى نقدك لهذا البيت :

إنّ الحياة تضافُرٌ وتعاوُنٌ سِيّانِ بين غنيّها والمُعْدِمِ

ومعاذ الله أن أريد إصغار أدبك ، إذ أنّ كلّ ما أعيبه هو أنّ طبيعة نقد الشعر أو الاندماج النقدى فى الشاعر وتعرف روحه العميقة ليس من فطرتك على ما يلوح لى . . . أنت لا تقبل ردّى فهل لى أن أُحيلك على أحد اعلام اللغة من المشهورين المستقلّين كالعلاَّمة مصطفى جواد نزيل القاهرة الآن فهو كغيره يعزز ملاحظاتى على نقدك . انّ كلمة « سيان » دليل المساواة ، وكلمة « بين » دليل التبادل ، والجمع بينهما فى هذا البيت وبهذه الصياغة لا غبار عليه لكل ذى بصر بفنون القول الشعرى وطواعية اللغة .

إنّى لم أُجهدْ نفسى فى تفسير « خبث مضرم » فى هـذا البيت فانه غاية فى الوضوح لى :

رُوحُ الوُجودِ هو الجمالُ ، فما له قد شاهَ بين أذًى وخُبثٍ مُضرَمِ ؟!

وإنما يشقّ عليك يا أخى تتبُّع هذا التعبير الرمزى وليس ذلك من ذنبى ولا ذنب الشاعر... ولماذا تستنكر هـذا الخبث المُضرَم الذى يُغير على الانسانيـة فى صورة الحروب ويأتى على الأخضر واليابس ويشـوّه جمال الوجـود ؟ ومثل ذلك استنكارك هذا البيت :

وجَرَحْتِ نفسَكِ بالجهالةِ مثلما فى ظُلْمَةٍ بيديْهِ قدجُرِحَ العَمِى

ولا حيلةَ لى فى استنكارك لهـذا التصوير الشعرى البديع ، فانّ الذى يجرح نفسه بيديه لن يفصل ذلك الاّ وهو أعمى الشعور سواء أكان عماه عن حادثة أم غفلةٍ فهو فى ظُلمةٍ معنوية داهمة ، وما أشبه الجهالة الشاملة بها — تلك الجهالة التى تجعل الانسانية تصرف مئات الملايين على أذاة نفسها وتضنّ على يُسرها وحَياتها بجزء محسوس من ذلك !

وآراك يا عزيزى تأخذ بحرفية التاريخ فى الشعر مع أن الغرض من البيت المشار اليه الالماع الى اندحار الانجليز بعد أن تظاهروا براً وبحراً ، وهل انسحابهم الاضطرارى بسفنهم وجندهم الاّ صورة من صور الاندحار ، وهو ما يُفهم من مراجعة « الخطط التوفيقيـة » التى هى من أهمّ مراجعنا التاريخيـة الحديثة ، فلا غبار على ذلك التصوير الشعرى الموجز البليغ .

وقد تفضّلتَ بذكر شواهد أخرى على ما لا يُرضيكَ من تعابير أبى شادى فقلت عن بعضها إنه لا معنى له ولا طعم ، وأنت معذورٌ فى هذا الحكم لأنك تنظر الى سطحية الألفاظ لا الى معانيهـا الشعرية العميقة ، ولو عرفتَ أباشادى كما أعرفُه لتبيّنتَ الشاعر الذى لا يُلقى بألفاظه جزافاً والمتغلغل الحسّ والشاعرية ، فالطبيعة والحياة والحوادث هى فى صميم وجدانه يحسّ بها أيّما احساس ويعبر عنها من دخيلة نفسه فى الوقت الذى يصفها كمَشاهد أو ذكريات .

تسأل مثلاً عن معنى أبيـات فى قصيدة « بين المروج » أو « عبـادة الحزن » (ص ٣٥ من ديوان « أطياف الربيع ») إذ يقول الشاعر :

جَلَسَتْ تفكّر فى خيالِ غرامى وتُطِلُّ فى غيبي وفى أحلامى
وتَعُبُّ مِن شعرى ووحىِ صبابتى خمراً مِنَ الأنغامِ والآلامِ
فتهزّها مثلى وتُسكِرُها كما بالفنّ تَسكرُ ريشةُ الرسّامِ
تاهتْ بدنيا الحبّ ، فهى صبيّة بالحبّ ، حين سقامُها كسقامى
وتخيّلتنى عاطفاً ومواسياً أحنو بكأسِ هوًى وكأسِ مُدامِ
حتى اذا ما قد ذكرتُ شقاوتى ومناحةَ المفقودِ مِن أيّامى
وغرامىَ الماضى الذى كفّنتهُ بدمى وأُودِعَ فى فؤادى الدّامى
غلبَتْ علىَّ مِنَ الشجونِ عواصفٌ فسقطتُ فى كنَفِ المَرُوجِ أمامى!

الى آخر هذه الانشودة القصصية الرمزية المؤثرة ، وكأنك تريد أن تنقلنا بأسئلتك الى أبجدية النقد . . . وأىّ غرابة فى قوله : « جلستْ تفكر فى خيال غرامى » وهو يتحدث عن نفسٍ أخرى شاعرة تحنُّ الى الرؤى والأخيلة ، مولعة بالصُّوَر الرمزية ومناجاة المجهول ؟ انّ سؤالك يعزّز قولى بأنه لابدّ للناقد من الاندماج فى نفسية الشاعر ، ومن معرفة ظروفه وطبيعته وميوله ومواهبه وتاريخ حياته ، وبذلك يأمن العثارَ والتخبُّط فى نقده وشروحه التى تقال بصيغة الجزْم والتحقيق بينما تكون بعيدة كل البعد عن جوّ الحقيقة .

ومن أغرب النقد مؤاخذتك الشاعر على هذين البيتين من قصيدة « الرشاقة » (ص ١٩ من ديوان « الشعلة ») وهما موجَّهان الى راقصة رشيقة :

فى كلّ حالٍ منكِ ألفُ مُعبّرٍ عمّا يكتّمهُ الجمالُ الحاكى
يَدْرِى به العُشّاقُ إنْ لم يَدْرِهِ مَنْ لم يَذُقْ مَرْآكِ أو مَغْناكِ

فقلت : كيف يكون الجمالُ كاتماً وحاكيا فى آنٍ واحدٍ ؟ وكيف يذوق الانسانُ مَرْأى الشىء ؟

ولاجواب لى يا صاحبي الاّ أن هذا هوشعورُ الشعراء المتصوّفين وإن لم تحسّه أنتَ . . حدّثنى الأديبُ الفاضلُ على افندى محمد البحراوى سكرتير « جماعة الأدب المصرى » بالاسكندرية ان المرحوم شوقى بك كان معجباً جداً بهذه القصيدة ولم يكن سمع غير زهاء نصف أبياتها فطلبها البحراوى من أبى شادى وأرسلها أبوشادى

بواسطة البحراوى الى المرحوم شوقى بك مع أبيات ودّية لطيفة لا أذكر منها الآن الا مطلعها :

ندبتُ أخى (علىّ) لكلِّ نُبلٍ وإنْ يَكُ فضلُه فوقَ انتدابى

وكان المرحوم شوقي بك فى ظرفه المحبوب يحن" الى مشاهدة راقصة كازينو الشاطبي الرشيقة التى أوحتْ الى أبى شادى بإملاء هذه القصيدة الشائقة والتى جعل منها رمزاً للرشاقة . وهذه هى القصيدة المبهمة فى عرف الأخ عبد المنعم دويدار...

ويحيّر ناقدى قول أبى شادى فى قصيدة « الضاحك الباكى » (ص ١٠٩ من ديوان « الشعلة) :

يا قلبُ ما أنتَ الاّ طائرٌ غَرِدٌ نشأتَ فى السجنِ تَبكى عُمرَك الباقى!

فأين التناقضُ فى الصورة والمعنى لحالة السجين الحزين الثائر الذى لم يَرْضَ أبداً عن حياة الاسر ؟ وهل النفسية الفلسفية الشاعرة كنفسية أبى شادي هى التى تُتَّهم بالتناقض والتشويش حتى فى صورة بسيطة كهذه ؟! مثل هذا يقال عن شعراء الرنين والالفاظ الجوفاء وحدهم .

لم أكتبْ مقالى التحليلى المسهَب « فى صحبة أبى شادى » (ديوان « اطياف الربيع » ص ١٢٠) الا بعد أنْ خالطتُ الرجل وعرفتُ تاريخ حياته ونفسيته وأهواءه ومذهبه الفنّى وكيفية نظمه وأساليبَ أدائه ، ولكنك ياعزيزي تتسرع فى أحكامك ولم تتح لك بعد ما أتيح لى ولغيرى من نقّاد أبى شادى المنصفين من فرص دراسته عن كثبٍ .لو عرفتَ مبلغ عناية أبى شادى بفقه اللغة ومدلولاتها لترددتَ كثيراً فى أحكامك الجامحة ، ولوجدتَ نفسك أمام شاعر بصير بفلسفة الالفاظ وتوليد المعانى المستحدثة منها بمهارة نادرة، وقد أكسبنا بذلك العديدَ من الظلال الشعرية الجديدة لألفاظ كانت فى حكم الجامدة أو الميتة ، وهذا ما يقدّره الشعراء والأدباء المجدّدون ورجال اللغة النابهون وإن لم يقدره دويدار افندى .

وبعد ، فأرحّب بالنموذج الدراسى الذي سوف تقدّمه عن حسنات أبى شادى الشعرية وعن تحليل شعره وأتمنى بكل ارتياح أن تكون دراستُكَ أفضلَ من كل ما تقدّمها من الدراسات سواء أكانت لى أم لغيرى ؟

حسن كامل الصيرفي

حول رواية مسعود

فى عدد أبولو الماضى نقدُ الأديب صالح جودت لرواية «مسعود»، وقد أعجبت بنقده وأحللته محلَّه من التقدير، غيرَ أنى أعود فأنتقد حضرة الناقد المحترم فأقول له:

تعيب على الشاعر المؤلف أنه جعل أسماء الشخصيات البارزة متقاربة الحروف وتقول إنّ هذا الأمر إن لم يخلق خلطاً بين الشخصيات فلا أقل من انه نوعٌ من التفكه يذكرنا بـ «زقزوق وظريفه» و«زعيط ومعيط».

وهذا فى الواقع ليس بعيب ولا يعرف ما هو العيب، لأنه ان لم يكن امتحاناً للقارىء فلا تأثير له فى قوة الرواية وضعفها.

ثم تنتقد موضوع القصة فتقول إنه خامد فاتر، والواقع غير هذا، لأننى وإن كنت لم أقرأ مسعود الا أننى فهمت من تلخيصك لها أن موضوعها قوىّ، وقوى جداً، واذا كان يظهر لك انه خامد فهذا من الأسلوب لا من الموضوع، إذ الأسلوب يغير وجهة نظر الانسان فى بعض الأحيان. ثم تقول ما يشعر بأنها منتحلة من جريدة «الصباح» منذ تسعة شهور، والواقع ان الصباح ليست أول من ذكر مثل هذا، فاقرأ كتاب «ألف ليلة وليلة» لتعلم وتتأكد مما أقول، فى حكاية خالد بن عبدالله القسرى مع الشاب المحب.

ثم تنتقد عليه المفاجأة الآتية:

ضاعت مفاتيح السجن من السجان وقت أن أراد السجين أن يهرب!

فأقول لك هذا جائز، وقد تكون هذه المفاجأة درة فى روايته اذا أحاطها بظروف تجعلها كذلك.

ثم تقول له إن السطوح جمعٌ للسطح لا مفرد، والواقع أن السطوح — وإن كانت تدل على معنى المفرد الآن، والألفاظ بدلالتها — لا تحدث أى عيب فى المعنى، لأنها انتقلت أو هو انتقل الى سطح غير سطحه أو سطحها فهناك سطحان، وأقل الجمع اثنان عند بعض اللغويين.

أما انتقادك عليه نصب اسم ليس فهذا ليس من النقد الأدبى فى شىء، ودعك من هذه النظرات الشكلية.

ثم تنتقد عليه استعماله كلمة بوار مكان بور . والواقع ان كلمة بوار تدل على معنى بور وتزيد عنه . اسمع لأستاذنا السكندرى : زيادة اللفظ تدل على زيادة المعنى ، واسمع لمختار الوكيل القصيدة التى أرسلها الىّ والتى يقول فيها :

إن الصداقةَ كلُّ ما أبقت لنا   مِن بعد أن عبثت بنا الأقدارُ
فاذا عفتْ فالعيشُ عندىَ هيّنٌ   وجميعُ آمالِ الحياةِ بوارُ !

ثم تقول نسوق أبياتاً لنبين بها كيف كانت القافية والوزن يورّطان المؤلف :

يدعى زوراً وميناً كدعاوى الكاذبين

والواقع ان هذا البيت ضعيفٌ نوعاً ما ، ولكن ما لنا انتقادٌ على المؤلف ما دام يتحصن فى ان الشطر الثانى موضّحٌ نسبيّاً للشطر الأول ، وهذا كلام قد يكون مقبولاً .

ثم تنتقد عليه عطفه القدر على القضاء فى هذا البيت :

ياربِّ أسألك السلا   مةَ فى القضاء والقدَرْ

وتنسب هذا لضعفه . . لا . . لا ، اسمح لى أن أصرح لك انك أنت الضعيف فى نقدك وليس هو بالضعيف فى تأليفه ، لأن اللغة — التى اتهمتها أنت — تسمح وتسمح ألف مرة بالوصل هنا ، ولا داعىَ لتفهيمك كيف يكون ذلك . انما أودّ أن أقول لك إن مثل هذا ورد فى كلام النبى نفسه كثيراً ، فراجع البخارى أو مسلم أو الموطأ اذا شئت .

ثم تنتقد المؤلف فى العروض ، والواقع أن هناك أبيات مكسورة ولكنى أود أن أنصحك باخلاص فأقول لك : لا تنتقد فيما لا تعلم ، فاذا قلتَ لى كيف يكون ذلك؟ قلت :

انك تزن : مزقتَ جسمى بالرصا   ص فبالمنية داونى

فتقول : مستفعل مستفعل مستفعل مستفعل

والواقع خلاف ذلك ، لأن وزن البيت :

مُتفَاعِلنْ مُتفَاعِلُنْ مُتفَاعِلُنْ مُتفَاعِلُنْ

فوزنته على أنه من الرجز وأنت خاطىء كل الخطأ لأنه من الكامل إذ دخلته تفعيلة واحدة منه وهى آخر المصرع الثانى .

فاذا قلتَ لى إننى أقصد تنوين اللام ، ولكن توفيق أفندى - رئيس مطبعة التعاون - جازاه الله ! لم يضع الضمتين ، فأقول لك :

ليس هناك من ضمتين فى العروض ، أو ليس هناك تنوين ، إذ التنوين عند العروضيين نون ساكنة تثبت فى الكتابة . ثم انقدك ايها الناقد فأقول إن غلطات اللغة غير غلطات الأسلوب وغلطات المعنى ، فقوله « ومرعى فى الحب خصب خصيب » ليس بالخطأ اللغوى ، وإنما هو - على ظنك - خطأ أسلوبى ، على أن هذا الشطر ليس فيه ما يمكن أن ينقد إلا عند قوم - مثلك - يحرمون التوكيد بالمترادفات .

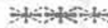
ثم تعيب عليه قوله : « يلهم المال كالحريق التهاما »

وأنا أقول إن هذا ليس بمصدر أصلى وإنما هو مفعول مطلق . ألم تقرأ فى كتب النحو : « وينوب عن المصدر مرادفه كفرح جزلا » ؟ ضع موضعَ «يلهم» «يلتهم» وعلى هذا يستقيم البيت ولا معنى لنقدك ، ولم تفسد الموسيقى ياصالح على هذا ! أو ان ذوقك يخالف أذواق الناس جميعاً ؟

على أنه اذا قال « يلهم المال كالحريق التهاما » وكانت القافية والوزن حكما عليه بذلك فلا لوم ولا تثريب .

وأخيراً أهنئك على براعتك المُتَجلِّية فى هذا النقد وأمد يدى مصافحاً لك مهنئاً ، وتحيتى لك ؟

دار العلوم العليا : — **العوضى الوكيل**



الأدب فى نظر ابن رشيق

يعجبنا كثيراً ما نراه من النهضة الحديثة التى أخذت تدفع بالشباب الى تعقب الأدب العربى والتشوف الى ضربه على المقاييس الحديثة .

ولكننا يستلفت نظرنا كثيراً بين كل فترة واختها ما نراه من عدم الاتزان فى تلك « المقابلات » ومن النزوات الغريبة التى يفاجئنا بها هؤلاء الباحثون.

نقصر حديثنا هذا على مقال رأبناه لحضرة صديقنا الأديب محمد الحليوى

فى العدد العاشر من المجلد الأول من «أبولو» حول ابن رشيق أتى فيه بمزاعم غريبة ، هى وان دلت على حسن أسلوبه الكتابى ، الا أننا كنا نود لو كانت مصحوبة بشىء من الرصانة والدراسة الجدية .

فابن رشيق ليس بالنكرة ، وكتبه لا تزال بين أيدى الناس . فلماذا يتسرع دون روية ، ويقوّله ما لم يقله ، ويحمل كلامه ما لا يحتمله ! بل يتهمه بالاخلال ، والتخلف عن التعرض لاشياء خصّص لها كتبه وكرّس لها حياته !

نعم ، نحن ليس لنا أن نطالب الأديب الحليوى بأن يدرس ويكرس وقته على دراسات لا تلائم طبعه ، ولكننا نرجوه أن يتنحى عما لا يمكنه أن يستوعبه ، ولو تصفح كتاب « العمدة » وحده أو حتى لو طالع رسالته « قراضة الذهب » لغيّر رأيه كثيراً ، وعدل عما كتب .

بدأ مقاله بانه لما أخذ يطالع كتاب «العمدة» كان تحت تأثير التنويه الذى خصّه به كبار النقاد والادباء منذ القدم ، وهو يؤمل ان يرى فيه « مذهباً شاملا وطريقة محكمة ونظرة عالية الى وظيفة الشعر والشاعر ... وبالخيبة خرجت منها يائساً » .

وفى الحقيقة ان السيد الحليوى لايمكن أن يخرج الا يائساً ما دام يبوح لنا فى مقاله بانه اخذ الكتاب وعكف على تقليبه « ظهراً لبطن وبطناً لظهر » ! ولكننا سنقدم له نتفاً صغيرة مما اشتاقه وإن لم تكن فى ظهر الكتاب ولا على بطنه ، لانها فى باطنه وخلال أوراقه .

أخذ على « ابن رشيق » - كما يأخذ على جميع كُتّاب القرون الخمسة الاولى - كثرة النقل،والتشتُّت ، والبلبلة ، والتمثيل للنظرية بما يناقضها، والتداخل،والفوضى والخروج عن مواضع الحديث ، والاستطراد فى غير محله .

ولو أجهد نفسه وأتانا بمثال على كل نقيصة من تلك النقائص لاضطرنا أن نبرهن له على انها شواذ لا يمكن ان يقر مطّلع على أنها صفات غالبة على هذا الكتاب الفريد . ولكن السيد الحليوى لم يتمكن من أي برهان أو مثال ، واكتفى بهذا القذف المشين غفر الله لنا وله .

ثم قال : « وقد ساءنى من ابن رشيق بالخصوص رأيه فى الشعر والشعراء ،فالشعر هو آلة المدح والفخر وتحصيل المقام عند الملوك . . . ثم هو لايقول لنا ما هو الشعر . . . »

وابن رشيق يقول فى باب الشعر والشعراء « وإنما سُمي الشاعر شاعراً لأنه يشعر بما لا يشعر له غيره ، فاذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه ، او استظراف لفظ وابتداعه ، أو زيادة فيما أجحف فيه غيره من المعانى ، أو نقص مما أطاله سواه من الألفاظ ، أو صرف معنى الى وجه عن وجه آخر ، كان اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقة ، ولم يكن له الا فضل الوزن ، وليس عندى بشيء ، مع التقصير» (جزء ١ ص ٧٤ : العمدة)

وافتتح « باب حد الشعر وبنيته » بقوله :

« البنية من أربعة أشياء هى : اللفظ ، والوزن ، والمعنى ، والقافية » وقد عقد الأبواب لهاته الاربعة مع استعراض نقدى جميل لمختلف المذاهب الأدبية التى دونها سابقوه من النُقّاد وعلماء الأدب . فليراجعه السيد إن شاء فى أبواب الكتاب اذا تصفحه غير مكتف بادارة الكتاب فى يده ظهره لبطنه وبطنه لظهره ! وإنما ليسمح لنا ان نقف به على الفقرة التى افتتح بها باب « اللفظ والمعنى » قال :

« اللفظ جسم وروحه المعنى ، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم ، يضعف بضعفه ويقوى بقوته ، فاذا سَلِم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصاً للشعر وهُجْنة عليه ، كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعور وما أشبه ذلك ، من غير ان تذهب الروح . وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ ، كالذى يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح ، ولا تجد معنى يختل إلا من جهة اللفظ وجريه فيه على غير الواجب ، قياساً على ما قدمت من أدواء الجسوم والأرواح، فان اختل المعنى كله وفسد بقى اللفظ مواتاً لا فائدة فيه وإن كان حسن الطلاوة فى السمع ، كما ان الميت لم ينقص من شخصه شيء فى رأى العين ، الا أنه لا ينتفع به ولا يفيد فائدة ، وكذلك اذا اختل اللفظ جلة وتلاشى لم يصح له معنى لأننا لا نجد روحاً فى غير جسم البتة » (ج ١ ص ٨٠ العمدة)

وهذا ما يقوله ابن رشيق فى الشعر ولكن السيد الحليوى لا يتورع أن يدعى على ابن رشيق بانه « حدد » لنا الشعر بقصيدته التى لم يذكر منها السيد الا البيتين الأولين ، وهى :

الشعرُ شيءٌ حسنٌ ليس به من حرَجْ

أقلُّ ما فيه ذهابُ الهمِّ عن نفس الشجى
يحكم فى لطافة حلّ عقود الحججِ
كم نظرةٍ حسَّنها فى وجه عُذرٍ مهيجِ
وحرقةٍ بَرّدها عن قلب صبٍّ منضجِ
ورحمة أوقعها فى قلب قاسٍ حرجِ
وحاجة يسّرها عند غزالٍ غنجِ
وشاعرٍ مطرّح مغلق باب الفرجِ
قرّبه لسانه من ملكٍ متوّجِ
فعلموا أولادكم عقار طبٍّ لمهجِ 1

فالشعر إذاً عند ابن رشيق «عقار طب المهج» لأنه «آلة المدح والفخر وتحصيل المقام عند الملوك» كما انه لم يضع القطعة لتحديد الشعر تحديداً علمياً بل نراه ساقها فى العمدة فى باب من رفعه الشعر ومن وضع.

وهنا ليسمح لنا السيد بتصحيح فهم عرضى استظهر به هنا ولم يبح لنا بانه نقله عن «الراجكوتى» (النُّتف ص ١٩) إذ قال «إن لدينا حداً شعرياً صنعه ابن رشيق بأمرولى نعمته ابن أبى الرجال» وعبارة ابن رشيق «وقد كنت صنعت بين يدى سيدنا عن أمره العالى زاده الله علواً» (ج ١ص ٢٣ من كتاب العمدة) فاذا ألمّ صديقنا بتاريخ ابن رشيق وتأمل كيف ذكر ابنُ رشيق ابن أبى الرجال فى الأحد عشرموضعاً التى تعرض له فيها من كتابه هذا «العمدة» الذى أهداه له، ثم اذا لاحظ مع ذلك البيت التاسع أمكنه أن يجزم بان ابن رشيق انما عملها بامر — وفى مجلس — مخدومه ومخدوم ابن أبى الرجال «الملك المتوج» المعز بن باديس كما صرح به رواة أشعاره. وربما غلّط الراجكوتى قوله فى «العمدة» زاده الله علواً.

فليحفظ هذا على الهامش.

عرج الحليوى على مسألة طالما أثارت النزاع بين كتاب العربية ونقاد الأدب القديم وبين نفس القدماء، كما نجد هذا التآخذ على حده ونراه صريحاً فى نفس الكتاب المنقود.

تلك هى مسألة تحسين « الكذب » فى الشعر ، رغم اجماع الناس على تقبيح الكذب .

واذا رجعنا لمذهب ابن رشيق نجده على عكس ما تبادر لذهن الصديق ، لان ابن رشيق يكره كل ما خالف الحقيقة أو تجاوزها ، حتى انه لا يحب الغلو والمبالغة، وحتى انه اذا عرض لبسط حجة دعاة الاغراق أوجزه دون إجحاف ، فى حين أنك تراه يتبسط عند الحديث على مذهب مناقضيهم الذى لا يخفى عنا اندماجه فيهم وانتماؤه اليهم وكأنه يلتذ بتبسطه ذاك فيقول :

« ومن الناس مَن يرى أن فضيلة الشاعر انما هى فى معرفته بوجوه الاغراق والغلو ، ولا أرى ذلك الا محالا ، لمخالفته الحقيقة وخروجه عن الواجب والمتعارف. قال بعض النقاد الحذاق :خير الكلام الحقائق ، فان لم تكن فما قاربها وناسبها .. » (ج ٢ ص ٤٩ : العمدة) .

ذلك هو مذهب ابن رشيق . فالسيد الحليوى ـ اذاً ـ يحارب زعماء مذهبه ، ولا جرم لهم إلا انهم قدماء !

وانما أورد ابن رشيق مذهب كُذاب الشعر فى تيار المفاضلة بين الشاعر والكاتب على اننا اذ راجعنا القائلين « أعذب الشعر أكذبه » لانجدهم يريدون به التسفل بالنقيصة بل يقصدون من « الكذب » الى الخيال والتعبير الفنى الذى يقابل الصريح والحقيقة المجردة ، وربما عدنا الى الموضوع اذا سمحت الظروف .

على ان مذهب الحقيقة فى الشعر ليس هو الراجح ، ولا يمكن لدعاته تطبيقه بدقة ، الا اذا ارادوا ان تبور تجارتهم بين الادباء لأنهم ينكرون اذاً سر الفن لغايتهم التى لا تتحقق .

انما الحليوى يتأثر طريق العقاد ، ولو رجع لديوان العقاد لأمكنه ان يرى كثيراً من « التعابير الجميلة عن أضراب من الشعور الفنى الذى لا يمت الى الحقيقة الا بحبل من الخيال » ولعله يتمتع اذا قرأ ص ٣٤ من العدد ١٠ من « الرسالة » فان فيها ما يمت لهذه النظرية بصلة .

وأخيراً نرى الحليوى قد ظفر بما يأخذه على نقاد الأدب العربى ، ذلك أن ابن رشيق قال فى باب منافع الشعر ومضاره فى سياق حديثه عن الذين بطش بهم الامراء « ماللشاعر والتعرض للحتوف ... » (ص ٤٥ ج ١ من « العمدة») .

ولا شك ان كل اجتماعى يشم للدمقراطية ريحاً ولم تقتل روحه حياة القصور

وعطايا الامراء ، يكبّر لهاته الصيحة التى أرسلها صديقنا ضد تلك النزعة .

ومع هـذا فهل غلطُ ابن رشيق فى هاته الناحية الاجتماعية يمسُّ من مقامه كناقد أدبى ؟

هذا ما نخالف فيه . ونذكر هنا قصة صغيرة حكاها ابن رشيق عن عبد الكريم النهشلى الذى يعتبره ابن خلدون على رأس ناقدى الآداب العربية فى القرن الثالث بتونس، قال : إن بعضهم كاشف عبدالكريم بأن بعض الناس يستبلهونه ! فقال : وهل أنا أبله فى صناعتى (يعنى الشعر) ؟! قال : لا ! فقال عبدالكريم : وما على الصائغ أن لا يكون نساجاً !

ولكن السيد الحليوى تمادى فى طريقه فآخذه أيضاً لقوله (ص ١٤٩ ج ١) عند تعرضه للشعراء الذين خانهم الحظ فنبذوا ممدوحيهم عفواً عند ما أرادوا مدحهم والذين ذكر من بينهم ابا النجم الذى دخل على هشام فأنشده :

والشمس قـد كادت ولمـا تفعلِ كأنها فى الأفق عينُ الأحولِ

وكان هشام أحول ، فأمر به فحجب عنه مدة ! فعلّق ناقدنا على هذا الضرب من السقطات بقوله :

« وانما يؤتى الشاعر فى هذه الاشياء اما من غفلة فى الطبـع وغلظ ، أو من استغراق فى الضعة وشغل هاجس بالعمل يذهب مع حسن القول أين ذهب .... والفطن الحاذق يختار للاوقات ما يشاكلها وينظر فى أحوال المخاطبين فيقصد محابّهم »

وهذا صريح فى موضوعه فلماذا يُريد أن يحمله الحليوى مسؤليات أخرى؟! وهل يريد من ابن رشيق أن يحبذ للمادح أن يتغفل حتى يذم أو ينبذ ممدوحيه ؟! أو أن الامر بلغ السيد أن يجرح القرون العربية قاطبـة اذا كانت تمدح وتريد من المادح أن يكون متأدباً مع ممدوحه ؟!

تونس : ز . السنوسى





الراهب المتمرد

الراهب :

أيها الكاهنُ شاقتني الحياهْ وسئمتُ العيش في جوف الفلاهْ
أبعدْ المزمارَ عني ساعةً أيها المغني شبابي في الصلاه
واتركْ القلبَ على أهوائه لاتضيِّعْ ما تبقى من صِباه
طال باسم الله ما عذَّبتهُ ذلك التعذيبُ لا يُرضى الإله!

* * *

خلِّني يا كاهنُ الدير إلى نضرةِ الأيام اجتاز القفارْ
أنت أفنيتَ شباباً راحلا لم أمِّيزْ فيه ليلاً من نهار
أجلالٌ في صلاتي ؟ نَحِّهِ ! أوقارٌ ؟ ما لمثلي والوقار ؟
أإلى النار إذا عِفتُ التُّقى ؟ إنها أهوَنُ من طول اصطبار !

* * *

كلما فاضَ الأسى علَّلتَني أيها الكاهنُ يوماً بالثوابْ
فلتحُلْ أخراكَ عنِّي ، إنها عالم الشك ودنيا الارتياب
سوف ألقى سرمَدَ النومة في ظُلمةِ الرمسِ فأرثي للشباب
وعلى الحالين هبني ساعة في نعيمٍ — وخلوداً في عذاب !

* * *

أيها الجاني على قلبي الصغيرْ أنا في شكٍّ مِن اليوم الاخيرْ

هَبْهُ - إنْ لاقيتُ حتفى - لم يكُنْ ؟ فانا الباكى على عمرى القصير
أكْبَرُ الظنّ إذا آذننى هاتفُ الموت ونادانى النذير
سوف يدوى ضحكُ الأيام فى أذُنى - إذْ كنتُ فى لدير غرير !

* * *

إتَّئِدْ يا كاهنَ الديرِ الذى يُنكر الدنيا ويخشى الموعدَا !
بين جَنْبَيْنا قلوبٌ خفقتْ للجمال العبقرىّ المفتدَى
فاذا اللهُ - كما قلتَ لنا - خلقَ الناس لتقوى وهُدَى
لا لُحبّ وجمالٍ وهوًى أتراه خلقَ الحسنَ سُدَى ؟!

* * *

ما ذواتُ الحسنِ إلاّ آيةٌ من إلٓهى وشُعاعٌ مِن سناه
فاذا نَصْبُو لحسناء فلا فتنةٌ فيها ولكن فى الآله
والهوَى خيرُ العبادات فلا تُثقل القلبَ بصومٍ وصلاه
انما الحسناء فى فتنتها هى ظل الله فى تلك الحياه !

* * *

عند ما تَدْوى نواقيسُ الرَّدَى فتلبيها الجموعُ الزاخره
حيث نَلْقَى الموتَ فى كهفٍ له أشفقتْ منه العظامُ الناخره
يُشرف الكون علينا ساخراً من أمانينا الكِذَابِ الساخره
فكأنّا ننكر الدنيا على أملِ ذى رِيْبَةٍ فى الآخره !

* * *

فاذا أخطأ ظنّى وانتهتْ كلّ نفسٍ لنعيمٍ أو جحيم
هل لمثلى أنْ يرى النار قذى وهى وَعْدُ الغيد والحسن الرحيم ؟
أو يرى الجنة نعمى - وبها كاهنٌ مثلك ذو رأى سقيم ؟
قُوتِلَ الايمانُ ! - دعنى اغتنمْ لذّةَ الدنيا ففى الدنيا النعيم !

* * *

الكاهن :

يا بُنَىَّ احذرْ إلهاً سامعاً كل ما قُلتَ وحاذر نقمتَهْ
كم ضجيجٍ ضجَّ — مِن قبلُ — فما أن أتاه الموتُ حتى أخفتَه
إنما الدنيا سرابٌ زائفٌ خاله الصادى مُقِلاً ظمأته
حفرَ الشيطانُ فيها هُوَّةً غُشِّيَتْ بالوردِ فاحذر هُوَّته !

* * *

ما مكانُ الفرد فى الدنيا ؟ وما قيمة الانسان فى الكون الكبيرْ ؟
صَوْتُكَ الصاخب ما غَيَّرَ من قوة الله ! ولا هَدَّ العمير !
فاذا آذنَكَ الموتُ انتهتْ نفسُكَ الحَيْرَى إلى اليوم الأخير
حيث تَلْقَى الله يُجزيكَ بما كنت لا تؤمن من قول النذير !

* * *

الراهب :

مَن هو الله ؟ وما صورتُه ؟ أَهُوَ الشمسُ لظاها وسناها ؟
أنكرَ ابراهام لمَّا أَفِلَتْ أن يكون الآفِلُ الذاوى إلَها (١)
أَهُوَ الأرضُ التى ذلَّلَها عمـلُ الانسان واحتلَّ قواها ؟
أهُوَ البدرُ وما البـدرُ سوى تابع للأرض ظِلاً واتجاها ؟

* * *

أمْ هو الموتُ ؟ وكم بَدَّدَ مِن أَمَلٍ فينا ! وكم فضَّ سعادَهْ !
وكم امتدَّ إلى مُعْتَزِلٍ أثقلَ الأرض صلاةً وعباده !
وكم استكثر لذَّاتِ الدُّنَى فأتانا اللحد من بعد الوساده !

(١) اشار الى ذلك حافظ ابراهيم فى قصيدته « الشمس » .

يا لَقُبْحِ الموتِ ! لا أحسَبُ أَنْ يُسْلِسَ المُبْدِعُ للقبح قيادَهْ !

* * *

أَمْ هو الحسْنُ ؟ وقد حَرَّمْتَهُ أيها الكاهنُ فى الدير عَلَىّ
كلما أُصْغى إلى ترتيلهِ صَدَّ ترتيلُكَ عنه أذُنَىّ
وإذنْ فالنارُ مثواكَ فكم سِرْتُ للفتنة أدعوها إلىّ
فإذا أدْرَكْتُها أدرَكْتَنى فنفضناها وأَخليتَ يَدَىّ !

* * *

أم هو الرعدُ ؟ وكم آذنَنَا من سماء الكون بالأمر الخطيرْ
فانتظرْنَا فرأينا وعده ما بدا منه سوى يومٍ مطير
وَشَّعَ الأرض بأزهار الرُّبى فأذاعت فى الرُّبى طِيبَ العبير
فَهْوَ ربٌّ مازحٌ مستضعَفٌ لا يدانى قدرَه لُبى الكبير !

* * *

أم هو الاعصار فى ثورتهِ طار بالأزهار أو فَضَّ الشجرْ ؟
أو سطا ظلماً على نافذةٍ ، أو رمى العابرَ ظلماً بالحجر ؟
فإذا ما أبرق البرقُ انزوى فارقاً يشفق من كيد المطرْ (١)
نَحِّهِ عنى فلن أنعَتَهُ بالَهٍ ، ذا الالَهَ المحتقَرْ !

* * *

الكاهن :

اتَّئدْ فى فكرةِ الكون وفى صورة الله وفى دار البقاءْ !
هى أسرار تساوى عندها رأى ذى الجهل برأي العلماء
أيها الحائر فى المرِّيخِ هل فيه عيشٌ ونشوءٌ وارتقاء ؟
خالقُ المرِّيخ سرٌّ غامضٌ لا تَسلْ فى الأرض عن أهل السماء !

---

(١) اشارة الى سكون العاصفة بتأثير المطر.

« • »

كل ما نعلم من أنبائهم ساقه للناس أصحاب الرساله
قرؤوه فى كتاب منزل يتجلى الله كالنور خلاله
كم رأيت الله روحاً طائفاً - فى صلاتى - فتوسمت جماله
وتبينت على موكبه رونق الحق وعنوان الجلاله

« • »

هو فى السير وفى البيد وفى سبل الدنيا وملء العالمين
ملك ما الأرض فى دولته غير نجم والذي فيها قطين
لا ترى الخالق إلا أنفس فنيت فى الله والعهد الأمين
ما أتاها الشك فى سلطانه لا ولا تهواه عن غير يقين

« • »

الراهب :

انما الله كما صورته أيها الكاهن ذات من عيون
مستبد ... فى يديه قلم خط ما كان وما سوف يكون
مالنا إن أنزل الله بنا حدثاً قلنا طغت فينا السنون
إنما الطاغى هو الله فلا تسكنى يا نفس يوماً للظنون

« • »

وإذا الله كما قلت لنا قدر الأعمال فى سفر الأزل
كيف يعزو للورى آثامهم وإلى النار ... إذا حم الأجل ؟
هل من الإنصاف أن يأخذهم بقضاه ؟ لا أرى الله عدل !
أيها الكاهن . . . إنما خطل بات فى رأسك . . . أم أنت ثمل !

« • »

الكاهن :

آه من وسوسة الشيطان فى أذن الدنيا وأذهان البشر
طاف بالجنة حيناً وانبرى للورى يطرى لديهم كل شر

ثم أَلْقَى الرَّحْلَ بالدير فلمْ تَلْقَهُ يا صاحِ فى بعض الحَذَرْ
ما تَفَلْسَفْتَ ولكنْ فكرةٌ كلها إفكٌ وقلبٌ قد كفرْ

« • »

الراهب :

أيها الكاهن هَبْنى كافراً قاصرَ العقل دَعِىَّ الفلسفهْ
لم يَهِبْنى الله تفكيراً به أعرف الله تمام المعرفهْ
زَلَّةٌ لله لا أغفرها إذ أتانى فكرةً مستضعفهْ !
كلما أرغب عن إنكاره شاء هذا الضعف أَن استأنِفَهْ !

« • »

قلتَ لى يا كاهن الدير : « لقد غَرَّكَ الشيطان إذ وسوسَ لكْ »
من هو الشيطان ؟ لا أعرفه !

الكاهن :

هو شرِّيرٌ وقد كان مَلَكْ
يتمشَّى بيننا مستخفياً فى مُسوحٍ مخفياتٍ كالحلكْ
يوغر الناس على خالقهم والذى يتبعه منهم هَلَكْ

« • »

إنه من زَيَّنَ الدنيا لكم فاتبعتُمْ يا أولى الدنيا هواهْ
فى حياةٍ أضعَفَتْ فيكَ الهُدَى حينما أنساكَ ما بعد الحياهْ !

الراهب (فى ثورة) :

أهوَ الشيطانُ مَنْ زَيَّنَ لى هذه الدنيا ؟ إذاً فهو الالَهْ
وعلى دِينِكَ يا شيخُ ! فما لىَ بعد اليوم معبودٌ سواهْ

« • »

إيهٍ يا شيطانُ يا ربَّ الهوى ! يا إلَهَ الدهر ! يا سِرَّ الوجودْ !
أنا لا أومِنُ بالبعثِ ولا أحسب السرمدَ فى غير اللحودْ

أنا لا أومنُ بالله الذى قد كنَى الكاهن عنه بالخلود
ديرُكَ الدنيا نخُذْنى راهباً ليس لى فى فتنتى منها حدود !

« • »

الكاهن (ساخطاً) :

لعنة الله على شيطانكم

الراهب :
تلعن الله الذى نعبدُ ؟ وَيْلكْ !
قد تجرّأتَ على شيطاننا لعنة الشيطان يا شيخُ عليكْ !

الكاهن :

أيها الراهب إنى مشفقٌ لك إنْ تلقَ الردَى من ملكيك
إنّ مَنْ تعبدُ مخلوقٌ أبى طاعة الله ... فقُمْ وانفُضْ يديك

« • »

الراهب :

هَبْهُ يأبى طاعة الله ... أَمَا قلتَ إنّ الله يقضى ما يشاءْ ؟
لمَ لا يقضى على شيطاننا ؟ لمَ لا يهديه .... إنْ كان أساء ؟
لمَ لا يردَعُه عن غيّه ؟ لم لا يُرجعه من حيث جاءْ ؟
يا لهذا الله من مُستضعفٍ كيف ألّهتَ عليك الضعفاء ؟

« • »

الكاهن :

حكمة لله فى سَبر الهدَى والهوى عند تقىٍّ وظنين
إنما الأنفس من خالقها فوق أرجوحةِ شكٍّ ويقين
دُوَلُ الشيطان فى الشكّ ومَنْ رجَّح الشك له يومٌ مبين
والذى رجح دولاتِ الهدَى أَسعدته النفسُ فى دنياً ودين

« • »

الراهب :

لا أرى للهِ أتباعاً سِوَى قلقٍ لم تَدْرِ ما معنى الحياةْ

« • »

فاشهدْ الشيطان فى موكبه إنْ تنادى لبّت الدنيا نِداهْ
سار فى الأرض وسارت حوله زُمَرُ العالم تُزْرى بالالَه
جبروتٌ لستُ أدرى كنهه وجلالٌ لا أرى أين مداه !

الكاهن :

راهبٌ فى الهند ناجَى ربَّه قال يا ربِّ لقد حُيِّرتُ فيك !
فأَقِمْ لى آيةً لا ينتهى لمداها الشكُّ حتى أصطفيك
فأجاب الله من عليائه : « آية السابك إبداع السبيك »
فاتّخِذْ يا راهب الدير ولا تتخذْ للهِ فى الصنعِ شريكْ !

« • »

الراهب :

آمَنَ الهندىُّ بالله الذى زعموه ؟ ! ليتنى كنتُ مَعَهْ !
لأُنَبِّئ الله عن رأىِ الحِجى فيه كى يقنعنى أو أُقنعَهْ
سخر الله بذا الهندىِّ . . . يا لغباء الهند أهل الصومعة !
آيةُ المبدعِ فى إبداعه ؟ سَلْ إلَهَ الكون عمَّنْ أبدعه ؟ !

« • »

الكاهن :

ويح نفسى من سؤالٍ لا يُرَدّ ؟ وارتيابٍ ما له فى الكون حَدّ
ويح نفسى من أضاليل التُّقَى وظنونٍ لم يُبَيِّنْها أَحَدْ !
أيها الراهب... إنى حاملٌ شرعة الايمان من غير عُمُدْ
أيها الراهب ... إنى فارقٌ لعبَ الشكُّ بقلبى ثم جَدّ

« • »

زعموا انّ إلَهى بارئى ومقيمى فى حياةٍ فانيهْ
وادّعوا انّ الَهى ناشرى ومعيدى لحياةٍ ثانيهْ
فاخو التقوى سيَلْقى جنةً دوحةُ الآمالِ فيها دانيهْ

وأخو الشيطان فى الأخرى انتحى دارةَ النارِ وبئس الناحيه !

« • »

الراهب :

كل ما يُقضىَ على الكونِ جَرَى بيدِ الله .... كما قيل لنا
فاذا أفسَدَنا شيطانُنا فَهْىَ من قد أفسدت شيطاننا
ثم ألقتهُ الينا فمضى ينشر السُّخط عليها بيننا
واذا أَفْسَدَ نفسى مرَّةً فلِمَ النارُ ؟ وما ذنبي أنا ؟

« • »

الكاهن :

أيُّها الراهبُ قد كشَّفْتَ لى حُجُبَ الكون فزعزعْتَ اليقينْ
أَنت هدَّمْتَ بقلبى دولةً شادها الايمانُ دهراً واليمينْ
فسلاماً أيها الدير على عهدكَ الماضى . . . وداعاً يا سنينْ
سيقول الناس عنّى . . . قد عصَى طاعة الله إمَامُ المتَّقِينْ !

« • »

أإذا تدوى النواقيس انتهى ساكنُ الدير إلى محرابهِ ؟
يقطع العمر شقِيًّا . . . ويرى لذّةَ الدنيا على أبوابه !
عجَباً ! حملت وجدانى الشَّقى وتهلَّلْتُ لِمَا أشقى به !
أيها الراهب هيًّا . . آنَ أنْ نتركَ الديرَ إلى أصحابهِ

« • »

(يصيح منادياً رُهبان الدير)

أيها الرهبان : إنْ دوَّتْ نواقيسُ الصلاهْ
فأعِدُّوا الركبَ للدنيا وغنُّوا للحياهْ
واتركوا الهيكلَ فى الصحراء ينعى مَنْ بناهْ
واعبدوا الشيطانَ فالشيطانُ فى الدنيا إلَهْ !

« • »

(ينشق سقفُ الدير وتنْبعثُ أشعة من النور ثم يهبط ملاك الموت باسطا يده على رأس الراهب المتمرد فيسود السكون)

أنشودة الموت

الراهب :

يا ملاكَ الموت آمنتُ بموتٍ وهجوعْ
يا ملاك الموت آمنتُ ببعثٍ ورجوعْ
يا شعاعاً يكشف الأسدافَ عن عيشي المرُوعْ
ورسولاً يبعث الأيمانَ في قلبي الجزُوعْ

« • »

يا ملاك الموت آمنتُ بسلطان الالَهْ
أيها الكاهن قُدْني لمحاريب الصلاهْ
فالَهُ الكون يدعوني إلى غير الحياهْ
خلِّني أفني الهنيهاتِ البقايا في هواهْ

« • »

يا ملاك الموت إنْ قابلتَ ربَّ العالمينْ
قُلْ له قد جاءك الراهب مصدوعَ اليمينْ
لابساً في موقف الموت مُسُوحَ النادمينْ
فلقد علَّمْتَهُ بالموت ما معنى اليقينْ !

« • »

يا ملاك الموت إنَّ الروحَ كم يخشى مَعادَهْ
ها هو اليومَ إلى بارئهِ يُلقى قيادَهْ
قل لربِّي إنني أفْنيتُ عمري في العبادهْ
لا تُقدِّرْ لي شقاءً ...لم أذُقْ طعمَ السعادهْ

« • »

(يسقط الراهب ويصعد ملاك الموت بروح الراهب)

« الكاهن والرهبان سجود »

الكاهن :

يا ملاكَ الموت آمنتُ بسلطان الآلـهْ !

الرهبان :

يا ملاك الموت آمنّا بسلطان الآلـهْ !

صالح جودت

* * *

قرأتُ هذه القصيدة الرائعة لصديقي الشاعر الممتاز صالح جودت .

وصالح جودت هو أحد الشعراء المجددين الجريئين ، الذين لا يبالون فى سبيل الحرية الفكرية بأى عقبة ولا حائل ، وهو لذلك ماضٍ الى الامام دائماً ، مضطردُ التقدم ، وعقله الخصب ، ونبوغه الوافر ، كفيلان بأن يضمنا له سبقاً وتجلية فى الميدان الذى اختاره لابداء مواهبه الكبيرة .

سيجد المحافظون فى قصيدة « الراهب المتمرد » لوناً جديداً من التفكير ، وخطوة لم يألفوها فى مواجهة المعضلات التى خشى الناس أن يواجهوها .

وانى لواثق انه سيجد كثيراً ممن يخالفونه ، وما أشبهه فى ذلك بالشاعر شللى ؛ لقد كان فى صباه لا يبالى أن يبدى أفكاره ، ويصرح بعقيدته ، وقد استهدف فى ذلك لغضب كثير من أعز أصدقائه ،... ولكن الأدب الانجليزى يعدّه من مفاخره اليوم وربما كان الأدب الانجليزى سيذكر له أبداً تلك الجراءة ، وذلك الفكر المتحرر الطليق . فنحن نرحب بصالح جودت ، وشعر صالح جودت ، ونرجو أن يكون لنا عصبة من أدباء الشباب تذكرنا بشللى وكيتس وتلك الطاقة الرائعة التى بقى عبقها الطيب ناضراً حياً على الزمن ؟!

ابراهيم ناجى





برسى بيش شلى

١٧٩٢ — ١٨٢٢م.

(١)
تقدمة

برسى بيش شلى اسم يقترن دائماً باسمى شاعرين آخرين: هما بيرون وكيتس. فهؤلاء الثلاثة كان لهم أسلوب جديد فى الحياة ووجهة نظر خاصة فى الشعر، فقد تغلغلت مبادىء الثورة الفرنسية فى نفوسهم وامتزجت بدمائهم لا سيما فى شلى وبيرون.

ولد شلى عام ١٧٩٢ ومات عام ١٨٢٢م.

ثلاثون عاماً قضاها شلى بين انجلترا وإيطاليا ينشد الشعر ويتغنى به، ثم ودّع العالم بعد أن ترك فيه آثاراً خالدة تبقى ما بقى الانسان. وليس لى الآن أن أتحدث عن شلى وهو صبى، أو أتكلم عن جمال وجهه وأنوثته، أو عن شلى المجنون كما كان يلقبه زملاؤه فى «إيتن» أو عن طرده من الجامعة لرسالة كان قد كتبها عن «ضرورة الالحاد» أو عما لاقى من اضطهاد والده له أو عن حبه السامى وبحثه عن المرأة السامية، أو عن مأساة غرقه فى لجهورن بايطاليا، وحرق جثته إلا قلبه الكبير الذي بقى سليماً وسط النيران. فليس هذا مجال التحدث عن ذلك ولكنى أقول كلمة موجزة عن أثر «شلى» كشاعر خالد...

إن قصائد «شلى» الغنائية «مناجاة القبرة» «ومناجاة الريح الغربية» وغيرها أسمى ما فى الأدب الانجليزى من شعر غنائى ودرامته «The Cenci» لا تقل جودة وإتقاناً عن أروع درامات شكسبير.

إنك تحس وأنت تقرأ شعر شلى أنك انتقلت إلى عالم آخر غير العالم الأرضى: عالم كله جمال.

إن الفائدة الحقيقية التي نخرج بها من دراستنا لشلي في حياته وكتبه لا ينبغي أن نبحث عنها في تعاليمه ، ولكن في جهاده وإيمانه القوى بالمساواة والمثل العليا وسعادة الانسانية .

وشعر شلي كطبيعته يجب أن يُتذوّق عن طريق الفهم والاعجاب لا عن طريق النقد ، فهو كقنبرته يسمو عن هذا العالم كسحابة من نار ، وأنشودته تهبط علينا من العلا .

ولو كانت طبيعتنا تستطيع أن تسمو إلى طبيعته لأمكننا أن نتغلغل في ذلك الفضاء المضيء العميق الذي تمرح فيه روحه وتنشد أناشيدها .

ولكي نفهم شلي يجب أن نتجرد من كل أهوائنا الحسية وأن نصرف فكرنا عن كل ما هو دنيوي حتى إذا ما أدركنا أن الشيء المألوف أصبح غريباً وأننا اقتربنا إلى العالم الروحي أمكننا حينئذ أن نمعن النظر في عالم شلي السامي الجميل .

أما هذا الدفاع الحماسي الملتهب الذي وجهه شلي إلى كل عدو للشعر فلا أظن أن كاتباً أو شاعراً قديماً أو حديثاً انجليزياً أو غير انجليزي قد بلغ من البلاغة في الافصاح عن رأيه في الشعر وتقديسه له كما بلغ شلي .

فانك عند ما تقرأ هذا المقال تحس بأنفاس الشاعر الملتهبة خلال سطوره ، وتشعر أن روحه ونفسه السابقتين قد لونتا كل كلمة من كلماته وصبغتاها بصبغة ثابتة لن تتغير وطبعتاها بطابع الخلود .

فانك لا تقرأ مقالاً أو كلاماً ألف في حالة خاصة لغرض من الأغراض ، ولكنك تقرأ كلام شخص يدين بدين الشعر ولا يدين لسواه ، ويقدس المثُل العليا في الشعر ولا يقدّس غيرها .

فهو يرد هجمات أعداء الشعر الذين قصروا عن إدراك ما فيه من جمال ويشرح لك في قوة لا تخلو من جمال وفي إثرة لا تبعد عن قواعد العقل والمنطق أثر الشعر في الجمعية الانسانية منذ الأزل ، وكيف أن الشعر هو جوهر حياتنا والعامل المنظم لمجتمعنا ، ولولاه لفسد العالم وضل سواء السبيل ...

وجملة القول : هذا مقال يتمنى كل من يقرأه أن يكون شاعراً إن لم يكن ذلك من قبل .

﴿ الذود عن الشعر ﴾

للشاعر الانجليزى الخالد برسى بيش شلى

اذا نظرنا من ناحية معينة الى حالتى العقل اللتين ندعوهما التفكير والخيال أمكن أن نعتبر الأولى العقل متدبراً العلائق بين فكر وآخر مهما يكن منشؤها ، والأخرى العقل يعمل فى هذه الأفكار فيلونها بلونه الخاص ويكوّن منها — كما يكوّن من من العناصر — أفكاراً جديدة يحمل كل منها فى ثناياه مبدأ كماله الخاص .

فاحداها تسمى مبدأ التركيب لأن اغراضه تضم تلك الصور المعروفة جيداً للطبيعة العامة وللحياة نفسها ، والأخرى تدعى نظرية التحليل التى تهتم بالعلائق بين الاشياء — كمجرد علائق — والتى تنظر الى الافكار لا كوحدة كاملة ولكن كالعلاقات الجبرية التى تؤدى الى نتائج عامة حتمية .

فالتفكير هو إحصاء المقادير أو الكميات التى عرفت تماماً . والخيال هو الشعور بماهية هذه الصفات متفرقة ومجتمعة . يهتم التفكير بالفوارق ويعنى الخيال بوجوه الشبه بين الاشياء .

التفكير من الخيال كالاداة من الفاعل ، وكالجسم من الروح ، وكالظل من المادة .

ويمكن أن يعرّف الشعر بوجه عام بأنه المعبر عن الخيال ، والشعر يتصل بأصل الانسان ، والانسان آداة تأثرت كثيراً بالتأثيرات الداخلية والخارجية كالتأثيرات التى تحدث من حركة المزهر محدثة نغمات دائمة التغير ...

ولكن الجنس البشرى ينبنى على أساس داخلى بل ربما كان هذا الاساس موجوداً فى كل المخلوقات الحساسة : هذا الاساس هو الذى يؤثر فى القيثارة ولا يولد نغمة واحدة بل نغمات متوافقة بوساطة ضبط داخلى للاصوات أو الاهتزازت التى أثيرت بتلك التأثيرات ، كأن تعد القيثارة خيوطها وفق الاهتزازت التى تلمسها فى نظام صوتى متناسب كما يعد الموسيقار صوته وفق صوت القيثارة ...

والطفل أثناء لعبه يفصح عن ابتهاجه بصوته وحركاته ، وكل حركة فى النغمة تحمل معها علاقة قوية بالمدلول الموافق فى التأثيرات التى أيقظتها ، فهى الصورة المنعكسة لذلك التأثير ...

وكما أن القيثارة تهتز وترن بعد مرور الريح كذلك يحاول الطفل باطالة صوته

وحركاته إبقاء هذا الأثر ليطيل أيضاً الشعور بالباعث، لذلك كانت هذه الافصاحات بالنسبة الى تلك الأشياء التى تبهج الشعر بمثابة الشعر الى الأغراض الأكثر سمواً ...

فالرجل الهمجى - لأن الهمجى للأجيال كالطفل للأعوام - يعبر عن عواطفه التى تولدت فيه بما يحيط به من أشياء متجانسة، واللغة والحركة مع التقليد السهل أو التصورى تصبح صورة لذلك التأثير المرتبط بتلك الأشياء.

والانسان فى المجتمع بكل أهوائه ولذاذاته يصبح ثانياً هدفاً لأهواء ولذاذات الانسان: فنوع اضافى من العواطف يولد كنزاً آخر من الافصاحات - واللغة والحركة والفنون التقليدية سرعان ما تصبح الطريقة والوسيلة، القلم والصورة، الأزميل والتمثال، الوتر والنغمات المتوافقة.

والميول الاجتماعية أو القوانين التى منها أو من عناصرها وُجِد المجتمع أخذت فى الارتقاء من تلك اللحظة التى وُجد فيها اثنان معاً، والمستقبل مخبوء فى جوف الحاضر كالنبات فى جوف الحبة. والمساواة والتباين والاتحاد والتناقض والحياد والاستقلال أصبحت وحدها الأسس الكفيلة بتقديم الدوافع التى بالنسبة لها اقترنت ارادة الانسان الاجتماعى بالعمل بقدر ما هو اجتماعى والتى تعين اللذة فى الاحساس والفضيلة فى الشعور والجمال فى الفن والصدق فى التعقل والحب فى مخالطة النوع.

لذلك أخذ الناس حتى فى طفولة جمعيتهم البشرية يرعون نظاماً خاصا فى كلامهم وأعمالهم بعيداً عن تلك الأغراض والتأثيرات التى تظهر بواسطتها، وكل الافصاحات خاضعة لتلك القوانين التى أوجدتها. ولكن دعنا نبعد عنا تلك الاعتبارات الأكثر شيوعاً التى تورّطنا فى البحث عن نظريات المجتمع الانسانى ذاته ونحصر وجهة نظرنا فى تلك الطريقة التى يظهر الخيال فيها جلياً.

فى شباب الدنيا كان الرجال يرقصون وينشدون ويحاكون الاشياء الطبيعية مراعين فى هذه الأعمال كما كانوا يراعون فى غيرها نظاماً خاصاً - ومع أن جميع الرجال كانوا يحاكون شيئاً متشابهاً لكنهم لم يتقيدوا بنظام خاص فى حركات رقصهم وفى نغمة غنائهم وفى ربط كلمات لغتهم وفى محاكاتهم للمناظر الطبيعية، لأنه يوجد نظام خاص يلازم كل طبقة مقلدة فى تمثيلها الذى منه يستمد السامع والمتفرج سروراً أعمق وأصفى من أى نظام آخر - وهذه الحاسة القريبة لهذا النظام أطلق عليها الكتاب المحدثون لفظ « الذوق »، فكل انسان لاحظ فى مهد الفن نظاماً تتفاوت

فى القرب من ذلك الذى يثير أسمى أنواع اللذة ، ولكن لا يكفى ملاحظة الاختلاف ، كما أن تدرّجه يجب أن يشعر به الا فى تلك الحالات حيث تكون قوة الجمال عظيمة جداً ـ اذا جاز لنا أن نطلق هذا على العلاقة بين أسمى لذة وبين الباعث لها .

فأولئك الذين يتوفر لديهم هذا الى درجة عظيمة هم الشعراء على حد أعم فى معنى هذه الكلمة ، واللذة الناتجة من الطريقة التى يشرحون بها أثر البيئة الاجتماعية أو أثر الطبيعة فى عقولهم ترتبط بآخرين وتكسب لنفسها قوة مضاعفة بهذا الارتباط .

فلغتهم حية التشبيهات أى أنها ترمز الى ما قبل الروابط غير المدركة من الأشياء وتخلد إدراكها حتى تصبح الكلمات التى تعبر عنها رموزاً لأجزاء أو مراتب لأفكارنا بدلاً من أن تكون صوراً لأفكار كاملة ، وعلى ذلك اذا لم يقم شعراء جدد يحددون تلك الرسائل التى فسد نظامها فستعجز اللغة عن أداء أشرف أغراض المجتمع. هذه المشابهات أو العلائق قد عرفت جيداً بواسطة اللورد بيكون بأنها « خطوات الطبيعة ظاهرة فى شئون العالم المتعددة ، وهو يعدّ الملكة أو القوة التى تشعر بها بأنها مخزن لمبدأ عام لجميع أنواع المعرفة » .

فى مهد الجمعية البشرية كل صانع شاعر بالضرورة لأن اللغة نفسها شعر ، ولكى تكون شاعراً يجب أن تفهم الحق والجمال وبالاختصار الخير الذى يوجد فى هذه العلاقة التى وُجدت أولاً بين الحياة والشعور وثانياً بين الشعور والافصاح عن هذا الشعور . وكل لغة مبتكرة قريبة من أصلها كانت خليطاً من قصيدة دائرة ـ واتساع المعجم والاختلافات فى القواعد هى من عمل العهد الأخير ، وهى مجرد قائمة أو فهرس وصورة لمبتكرات الشعر ـ ولكن الشعراء أو أولئك الذين يتصوّرون ويفصحون عن هذا النظام الأول ليسوا فقط مؤلفين لغة أو موسيقى أو رقص أو بناء أو تماثيل أو تصوير بل هم منشئو قوانين وواضعو نظام المجتمع الانسانى وموجدو فنون الحياة فهم الأساتذة الذين يعيشون فى كنف الحق والجمال القادرون على فهم عمل العالم الخفى الذي يدعى الدين .

لذلك كانت الأديان الأولى رمزية أو متأثرة بالاستعارة ومثل Janus لها وجهان: أحدهما زائف والآخر حقيقى ، والشعراء بالنسبة لظروف العصر والشعب الذى ظهروا فيه عُرفوا فى العصور الأولى بالمشرعين أو الأنبياء . فالشاعر فى جوهره يحمل هاتين الصفتين ، لأنه لا يمعن النظر فى الحاضر كما هو ويخرج القوانين التى تتناسب

ونظام الأشيــاء الحاضرة ولـكنه ينظر الى المستقبل فى خلال الحاضر وأفـكاره هى أصول الزهرة وثمرة العصر الأخير .

أنا لا أزعم أن الشعراء أنبياء بأوسع معانى هــذه الـكلمة أو انهم قادرون على التنبؤ بما يقع مؤكداً كتأكدهم من الاخبار عن روح الحوادث قبل وقوعها ، فهو ادعاء خرافة ذلك الذى يجعل الشعر داخلاً فى النبوة من أن يجعل النبوة داخلة فى الشعر ، فالشاعر يساهم فى الأزل والواحد يحدّ المحدود بقدر ما يتصل بشعوره ، أما الزمان والمـكان والعدد فلا يمتّ إليها بصلة فكرية .

والصور الأساسية التى تعبر عن حالات الزمان واختلاف الأشخاص وتباين المـكان قابلة للتغير بالنسبة الى أسمى أنواع الشعر بدون أن تجحف بحقه كشعر .

وجوقات إيسكيلوس وكتاب أيوب وفردوس دانتى كفيلة بتقديم أمثلة لهذه الحقيقة دونها سائر أنواع الـكتابة الأخرى لو كانت صدور هــذا الموضوع تسمح بالاستزادة .

ومنتجات النحت والتصوير والموسيقى صور لا تزال أكبر شاهد على ذلك ؟

نظمى خليل





شاعر الملك

كان لما نشرته أبولو عن (جائزة الملك جورج) لشعراء الامبراطورية البريطانية أثرٌ بليغٌ فى الاوساط الادبية فى مصر ، ولعلى صادقٌ فى الاعراب عنه بهذه الـكلمة .

كان المغفور له احمــد شوقى بك يشغل نظير هــذا المنصب فى مصر أيام سمو الخــديو عباس ، ولمـّـا خُلع سمو الخديو ونُفى شوقى بك بقى هــذا المنصب شاغراً بالرغم مما تجلّى من عطف عظمة الســلطان حسين ثم من عطف صــاحب الجلالة

الملك فؤاد الأول على الفنون عامةً وعلى الشعر خاصةً ، وقيل إنَّ ذلك راجعٌ الى اعتبارات سياسيــة لا غير ، حتى اذا انتقل المرحوم شوقى بك الى جوار ربّه ومضت سنةٌ على وفاته عُـدنا نسمع فى الأندية الأدبية عن اهتمام صـاحب الجلالة الملك بتشجيع الشعر والشعراء فى اختيار أحـد أعلامهم لهذا المركز الأدبى على ما هو معهودٌ فى انجلترا . وقد كان بعضُ الأدباء يتصوّر أنّ شاعر الملك ليس سوى مدّاح مأجور ! وهذا تصوُّرٌ خاطىءٌ ، فقد لا ينظم شاعرُ الملك فى حياته قصيدةً واحدةً تعنى الملك مباشرةً فضلاً عن مدحه ، وإنما المقصود اليه بهذا اللقب الرمز الى إجلال الشعر والشعراء فى شخص الشاعر الحامل لهذا اللقب مَدَى حياته .

واذا سمحتْ لى (أپولو) فانى بـكلّ تواضع أذكر فى هـذا المقام ثلاثةً من أعلام شعرائنا الأحياء وهم مطرانٌ ومحرم والجارم ، وقد اشتهر هؤلاء الثلاثة ــ وإنْ كنتُ لا أخصّ هذه الشهرة بهم وحدهم ــ بالألمعية والغيرة القومية والنزاهة المطلقة : فهذا مطران رئيس (جمعية أپولو) فى طليعـة مَنْ حملوا رايةَ التجديد والابداع فى الشعر الحديث وعاش دائماً بعيداً عن التحزّبات والشخصيات والمنافسات ، وهذا محرم أروع شاعر حىّ فى صفائه وموسيقيته وقد آثر بشممه أن يتوارى على أن يبيع قلمَــه لأىّ حزبٍ أو لأىّ زعيمٍ ، وهذا الجارم الشاعر الغنائى العربى الصميم ورئيس (جماعة موسم الشعر) من أكرم شعراء العربية ومن أحبهم الى قلوب الـكثيرين .

ولستُ بحاصر التبجيلَ أوالترشيح فى هؤلاء الشعراءالنابهين وحدهم فعندنا عبد الرحمن شكرى وابراهيم ناجى وعلى محمود طه وسواهم من المبرزين المنجبين ، فلو اختير أحدُ هُم «شاعراً للملك» لـكان فى ذلك الغُـنية والشرف لفنّ الشعر . وشاعرُ الملك اذا أُعطى مكافأةً سنويةً مأثورةً تسـاعدُهُ على الانقطاع لخدمة الشعر والشعراء كان مركزاً قوياً لعونِ الفنّ الشعرىّ ولمؤازرة الشعراء ، وعلى الأخصّ اذا كان من الرجال البعيدين عن الأنانية والتحزُّب .

وقد كان لصاحب الجلالة الملك فضلٌ مأثورٌ على نهضة الموسيقى والتصوير فى مصر ، ولن يكون الشعرُ مَـنسياً عند جلالته وهو الذى يَـعمل لجعل مصر مركـزاً لثقافة رائعة فى القارة الافريقية والعالم العربى ، كما كان والده العظيم يعمل لجعـل مصر مركزاً لأمبراطورية عظيمة ؟

يوسف أحمد طبره

دواوين الشيوخ

كان من جراء الحركة الأدبية لاحياء الشعر التى قامت بها (جمعية أبولو) أن نشط الشعراء للانتاج القيّم ثم لطبع دواوينهم إمّا من تلقاء أنفسهم أو بنفوذ الجمعية الأدبى لدى الناشرين ، ولكن يؤسفنى أنى أجد الشيوخ من شعرائنا ما يزالون متخلّفين . وكنتُ سمعتُ فى زيارتى للقاهرة أخيراً أن الجمعية تسعى لاذاعة دواوين مطران ومحرم من الأحياء واسماعيل صبرى ومصطفى نجيب وإمام العبد من السابقين فلعلّ مساعيها تُكلّل بالنجاح .

انى شخصياً من المعجبين بشوقى ومحرم اعجاباً لاحدّ له ، وقد قيد الله لشعر شوقى عنايته الشخصية به فى حياته ثم عناية أسرته به بعد مماته ، ولكن محرم بعيدٌ عن الاهتمام بطبع ديوانه ، وانّ اعتداده بشعره حين يقول :

لا تُريدوا بعد (شوقى) غيرَهُ   إنَّ خيرَ الشّعرِ شعرُ (الاحمدينْ)

لا يَتعدَّى الكلامَ ، فهو يعيش عيشة الزاهد المتصوّف الذى لا يعنيه من الدنيا شيء . ولو ملكَ مواهبَه أحدُ المتبجحين لملأ الدنيا صياحاً عن عبقريته وجبروته ! ولذلك أرى أنّ هذا الشاعر الوطنى الكبير أوْلى بالتقديم لاخراج ديوانه لا لفائدته الشخصية التى يزهد فيها كل الزهد بل لفائدة الأدب والأدباء ، فنحن أحوجُ الى استنشاق عبير الأدب ممن تحلى بأدب النفس مثل أحمد محرم الأستاذ المتواضع والألمعى المتوارى ؟

محمد توفيق بشرى



موسى فى اليمّ

أنقذته من شاطىء اليمّ، واليمُّ حريصٌ عليه حِرصَ الأبُوَّة
بِنتُ فرعونَ فى رعايةِ خلاّقٍ يُراعى بالحُبِّ رُوحَ النُّبُوَّة
أنقذته فى سَلَّةٍ وضعته فى حِماها وفى حِمى العُشبِ أمُّه
إنّ عدلَ الأقدارِ أن يمنحَ المظلومَ عدلاً بل مُنتهى العدلِ خصمُه
كلَّلَ اللوتسُ النَّقىُّ جبيناً مثلما كلَّلَ القميصُ قواما
رَمزا بالبياضِ للطُّهرِ، والطهرُ عريقٌ بنفسها إلهاما
وبدا الجوُّ فى حَنانٍ غريبٍ بين نُورٍ وصبغةٍ وابتسام
وبدا العُشبُ فى اخضرارٍ حَبيبٍ كانتعاشِ الرجاءِ عند السلامِ
وتلوحُ النخيلُ منفرداتٍ فى مِثالِ الهيا كلِ المنثورَة
وكذاكَ الأتباعُ حاكوا التماثيلَ خشوعاً وروعةً مستورة
وترائى النِّيلُ الوفىُّ بلألاءٍ رشيقٍ وساكنُ الشطِّ ساجى
فهو فرحانُ بالوليدِ ولكن ذلك الشطُّ مُنذِرٌ لا يُداجى
فرحةٌ ثَمَّ فى ارتيابٍ وخوفٍ وضياءٍ بظلمةٍ فى سُباتِ
هكذا جانبَ المنيةَ (موسى) وهو طِفلٌ مشرَّدٌ فى المهاتِ
لَعِبَت دَورَها المقاديرُ حتى خلقَت حولَهُ مِنَ الرَّوعِ أَمْنَا
إنَّ لهوَ المقاديرِ والحَظِّ فنَّانٌ جرىءٌ، وكم حبا الشِّعرَ فَنَّا!

احمد زكى ابو شادى



مهمة الشاعر فى الحياة وشعر الجيل الحاضر

– همس الشاعر – الهيام

أمَّا عن الكتاب الأول وهو « مهمة الشاعر فى الحياة وشعر الجيل الحاضر » فهو رسالة فى ٧٢ صفحة من الحجم المتوسط بقلم سيد قطب قرأتها بلذة وطويتها على نية أن أعود الى قراءتها عند ما تتاح الفرصة لأستمتع بها مرة اخرى إذ وجدت بينها وبين رأيى تجاوباً وصدًى . وفى الحق ان سيد قطب شاعر رمزى دقيق الحس يعرف قيمة الشعر ومرتبة الشاعر فهو يطير بأجنحته فى آفاق الشعر الحىّ ويهبط الى أعماق مناجمه ليعود من ذلك بالشعر لا بالنظم ، وهو فى رسالته هذه يؤدى للناظمين واجب التعريف بالشعر ليلتمسوا وجوهه على حق ويعرفوا أغراضه ومراميه ويدركوا ما يجب نحوه وما لا يجب ، فهو يرى أن الشاعر الحقيق بهذا اللقب لكى يؤدى مهمته على الوجه الأكمل لا بد أن تتوافر فيه صفتان أساسيتان :

الأولى : أن يكون إحساسه بالحياة أدق وأعمق من إحساس الجماهير على شريطة أن لا يقطع الصلة بينه وبين الجماهير بحيث يكون ذلك الاحساس واضحاً مميزاً عن إحساس كل من الآخرين .

والثانية : أن يعبر عمَّا يحسُّه بهذه الطريقة تعبيراً أسمى من تعابير الجماهير مُظهراً فى تعبيره هذا نفسه وتأثراتها بما شاهدت وأحسّت لا أن ينقل لنا الصور كما تراها سائر العيون وبعبارة أخرى أن تكون له فى الحياة فلسفة خاصة به منشؤها إحساسه الشخصى يفسّر الحياة على ضوئها ويظهر للناس بعنوانها .

ويرى أن مهمة الخيال فى الشعر أن يكون صلة بين الانسان القاصر والحقيقة المحجّبة ليقرّبها الى فهمه ولذلك فهو يرى ان الشعر يعبّر عن الحقيقة ، غير أن

هذه الحقائق التى يعبر عنها هى من نوع آخر غير الحقائق التى تعنى بها الفلسفة لأنها حقائق الحس الخفى التى قد يختلف فى تقديرها كل فرد عن الآخر حسب الأمزجة والمشاعر . وليكون الخيال قريباً من الحقيقة يجب أن يكون متناسقاً متآلفاً ، وقد يكون تناسق الخيال وتنافره راجعاً الى ذوق الشاعر كما قد يكون للبيئة أثرها فى الذوق . ثم يتكلم عن التعبير الشعرى والتعبير النثرى وان الأول يتميز على الثانى لأنه يريك جانباً من المعنى أو الصورة ويترك للذهن استلهام بقيتها وللخيال تكملتها ، ذلك لأن الشعر يخاطب العاطفة المبهمة التى لا تعرف حدوداً أو قيوداً أكثر مما يخاطب الفكر المحدود . ثم يتكلم عن شخصية الشاعر وهو فصل مكرر بشيء من الزيادة من الفصل الثانى فى الرسالة . وهو يأخذ على القائلين بوجوب أن يكون الشاعر صورة لعصره لا لشخصه ، ويعترض على ذلك بأن البيئات تكيف مشاعر الفرد العادى الى حد كبير بله الشاعر السريع التأثر ، فاذا عبر عن إحساسه الشخصى فانما يعبر عن بيئته لأن إحساسه وليد التأثرات المحيطة ...

هذه نظرات سريعة فى رسالة سيد قطب أنصح للأدباء والمتأدبين بالاطلاع عليها سواء اتفقوا أم اختلفوا ومؤلفها الفاضل فى آرائه الفنية وكيفية تطبيقها والاستشهاد عليها .

« ٥ »

وأما الكتاب الثانى وهو « همس الشاعر » فمجموعة من النظم فى مائة وسبعين صفحة من القطع المتوسط بقلم الدكتور جورج صوايا صاحب مجلة « الاصلاح » التى تصدر فى بوانس إيرس بالأرجنتين ، نظمها الشاعر كما يقول إبان ثوارت نفسية ، وهى فى نظره نقطة أرسلها فى خضم الأدب العربى البعيد القرار فسواء ساقتها الأمواج الى الشاطىء أو ابتلعتها اللجج هابطة بها الى الاعماق فانها لن تلبث فى عرفه أن تنحل فيه انحلال الأجسام فى تربة الأجداث . ولقد أعجبنا من ديوانه بقوله :

تلوى علىّ وألوى فيلتقى الخدُّ بالخدّ
وثمّ تبعد عنى فيكمل الجزْرُ والمدّ
تُعلى وتُخفض صدراً كالموج إذ تتنهدْ
فما أحيلاه بحراً أرغى علىّ وأزبدْ !

وقوله :

ان الفضيلة بين الناس قاطبة سفينة دكّت الأنواء صاريها
والكسب فى الخلق مجذاف تقاذفهم والشرُّ باخرة ألقتْ مراسيها !

وقوله فى قصيدة « تأملات أمام الموت » :

أيها الراكبُ متنَ الغسقِ
صامتاً يخطب بين الصامتين !
هل تبيّنتَ خيوط الفلقِ ؟
هل بعيد الليل قد شِمْتَ الصباحْ ؟

وقد يعتذر الناظم عما فى ديوانه من هفوات ومن مآخذ بأن مهنة الطب التى يزاولها لا تسمح له بالوقت الكافى للغوص فى أثر لآلىء البيان ليجىء ديوانه كما كان حقه أن يجىء ، ولكنه ما دام فى نفسه باعثٌ على الشعر وباعثٌ على نشره فلابد أن يأخذ من وقته ما يسمح له بالنظر والتغيير ، فأما القصائد التى احتفظ بها فى الديوان لارتباطها بتذكارات طيبة وهو يرى أن اتلافها كان أَوْلى فمن واجبه فى مجموعة أخرى أن لا يحتفظ بمثلها مادام يقدّم فى خِضَمِّ الأدب العربى نقطة وسواء ساقها الموج الى الشاطىء أم ابتلعتها اللجج فان خضم الأدب غير خضم العدم يجب أن يلقى المرء ما يجب أن يصل الى الشاطىء ، إذ لم يقتل الشعر العربى مثل شعر المناسبات الصناعى .

« • »

وأما الكتاب الثالث وهو « الهُيام » فديوان ضخم يقع فى ٣٢٦ صفحة من القطع الكبير طبع بمطبعة الكشاف ببيروت ، بقلم عبدالرحيم قليلات . وفى هذا الديوان يتربع شعر المناسبات على عرشه ويحتمى بين صفحاته ، ويبدو لى أن ناظمه الفاضل فكِهُ الروح مَرحٌ تملك عليه الفكاهة سبيله فى كل شىء فهو يقول عند ما يتحدث عن السفور والحجاب :

وكل دولةٍ لها رجالُ وكل مهرةٍ لها خيّالُ
وكل أمةٍ لها أقيالُ وكل قمحةٍ لها غربالُ .
وكل فولةٍ لها كيّالُ والمتّقون هُمْ هُمُ الأبطالُ !

فروح الفكاهة فيه تأسره وتقوده وهو فى المواقف التى لا تجب فيها الفكاهة ! والحقيقة أن نظمه الفكاهى على غاية من الظرف ، غير أن من الواجب على السيد قليلات أن يأخذ دواوينه قبل طبعها بالدرس والتصفية وأنا زعيم له بعد ذلك اعجاب القراء ، على أن مَنْ لم يعجب كثيراً بما فى هذا الديوان فانه سيعجب بجمال طبعه وأناقتهِ فان عناوين القصائد والأناشيد كُتبت بأجمل الخطوط كما ذُيِّل الديوان بنوتات موسيقية للأناشيد ؟

حسن كامل الصيرفى

ديوان زكى مبارك

نظم الدكتور زكى مبارك . صفحاته ١٥٨ بحجم $11\frac{3}{4} \times 16\frac{1}{2}$ سم .
مع مقدمة نقدية بقلم صاحب الديوان . مطبعة حجازى بالجمالية بالقاهرة
ويُطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع
محمد على بالقاهرة . الثمن خمسون مليماً خلاف البريد

يُولَدُ الشاعرُ مطبوعاً ولن تخلقه الظروفُ وإنْ أنطقتْه وأوحت اليه ، والشاعر شاعرٌ أينما كان وكيفما كانت أحوالُه وأعمالُه الخاصةُ . ومن الجناية على الشعر أن نتحدث جدّياً عمن يُدعون بشعراء الكتاب وأن نُنكر عليهم شاعريتهم ، فالشاعريةُ تتجلّى كيفما كانت أداةُ التعبير نثراً أم نظماً ، ومهما تباعدت عن النظم فهى لن تختفى، وهى لو تخلّتْ عن كلٍّ من النظم والنثر لما فاتها أن تظهر فى صور أُخرى من الحيوية . هذا هو رأينا الخاص وإنْ دارت على صفحات هذه المجلة وغيرها محاورات شتّى تخالفه .

جرتْ هذه الخواطر فى ذهننا حينما تناولنا الديوانَ الرشيقَ الذى أتحفنا به الدكتور زكى مبارك جامعاً لمختارات من شعره في تسع وستين قصيدة ومقطوعة تتضمن سبعة وخمسمائة من الأبيات ، فى شتى الخواطر العاطفية من حب ووطنية ، وقد أحسن الدكتور زكى مبارك بتلبية دعوة أصدقائه لنشر هذا الديوان ، وليس إحسانه بالمقصور على نفسه ولا على من يشاركونه في أحاسيسه أو ينتسبون اليها ،

ولكنه يعمّ الشعراء المقلّين الذين قلما يُعنون بجمع شعرهم ولا باختيار نماذج منه ، فيفوّتون على محبّي الأدب الاستمتاعَ بعواطفهم المنظومة المرسومة فى صور شعرية جديدة بأن تُحَبَّ وتذاعَ . والحقُّ أن الدكتور زكى مبارك لم يكن أصلاً بالشاعر المقلّ وهو يعترف بذلك فى المقدمة التاريخية التحليلية البديعة التى صدّر بها ديوانه ، (بعد اهدائه الشعرى المؤثر الى رمز حبه الأول الدفين) ، ولكنه يقول فى مقدّمته إنّ شخصية الشيخ سيد المرصفى الذى صحبه سبعَ سنين وشخصية الشيخ محمد المهدى زيكو الذى صحبه خمسَ سنين أثَّرتا فيه تأثيراً بليغاً فصار يؤثر الاقلال . وتحولت شاعريته أو غالبها الى النثر الفنّى والى مظاهر أخرى أدبية ، وكان من ردّ الفعل أن أصبح شاعرنا لا يرضى عن الكثير من شعره القديم الذى لم ينشر منه فى هذا الديوان الآ نتفاً قليلة على سبيل المثال أو الوفاء ولم يرحم بعضها من نقده الشديد حتى أغنانا عن نقدها .

نُوصى قراءَنا إذنْ بالاطّلاع على مقدمة هذا الديوان بل بالامعان فيها ، فقد أرَّخ فيها صاحبُ الديوان حياتَه الأدبية وحياته العاطفية الشعرية بصفةٍ خاصةٍ ، ولولا ضيقُ المقام لآثرنا نشرها برمتها فهى من النثر الفنى الرشيق الجميل ، وهم بعد قراءتها سيتذوّقون هذا الشعر باعجابٍ أوفى وسيشاركون الشاعر فى عواطفه باخلاصٍ أتمّ

الدكتور زكي مبارك شاعر غنائى بطبعه : فلفظُه موسيقىٌّ كصوتهِ المعروف خلاّنه ، وشعره يحوم حول العاطفة ويقتات بها سواء أكانت عاطفة جنسية أم وطنيةً ، وبيننا مَنْ يُزرون بالشعر الغنائى على اعتبار أنّه لونٌ مألوفٌ من الشعر وكأنه شبهُ مبتذَلٍ ، ولكننا فى حاجةٍ دائمةٍ الى جميع فنون الجمال الشعرى إذ لا يمكن لامة حية أن يشبع نهمها ، والفنان يفتش عن الجمال أينما كان وكيفما كانت صورته ؛ والاديب الناقد يقدّر معنا أننا فى حاجة الى الشعر الغنائى لا تقلّ عن حاجتنا الى غيره من ضروب الشعر الحىّ ، فانّ تيّار الأغانى العامية يكتسح الأدبَ العربى اكتساحاً وهيهات أن يقاوِمَ ذلك التّيارُ الآ بما هو أقوى منه . والنظرة النقدية المستوعبة لن يفوتها أن ترى فى هذا الشعر ما يمثل الأدب الحديث صياغةً وروحاً ، وشاعرنا نفسه لم يفته التنبيه الى كل هذا فى مقدمته الجامعة .

لعلَّ أكثر الشعر الخالص ليس مِن تخيُّل العقل الباطن فقط بل من نظمه أيضا ، بحيث لا يكون العقل المدرك بثقافته ومَعارِفهِ الآ بمثابة مستشار للعقل

الباطن المطلق الحرية ، فالشعرُ كـكل الفنون ينحدر عن العاطفة وعن المخيلة لا عن الثقافة والمعرفة والادراك ، فهـذه تيارات ثانوية وليست التيار الأصلى القوى : تيار العاطفة المتدفقة الحارة التى منها ينبع الشعر . وليس فى هـذا الوصف نكران لمزايا الثقافة العالية يستوعبها الشاعرُ المطبوعُ فتندمج فى شعره بدل أن تسيطر عليه وتكسبه روعةً على روعة . والشعر فى ذاته جوهر فنّى أصيل له جماله الذى يحسّ به كلّ فنان أصيل كيفما كانت لغة التعبير ، فاذا اقترن بالموسيقى اللفظية الرائعـة وكان هو فى ذاته رائعاً كان التأثيرُ مزدوجاً من تمازج فنين ، ولـكن الشعر الحىّ فى ذاته له موسيقاه المعنوية التى توحيها تعابيره وتماوج عاطفته ولو لم يـكن الشاعر ذاته مشغوفاً بتنميق النظم. وان أصدقَ الشعر ما أملته شاعرية مطبوعة لا غرض لها سوى التنفيس عن نفسها سواء أأرضتْ أم لم ترض أىّ انسان ، فهى تبدع عن سماحة طبعٍ سواء ارتجالاً أو روية، فى قليل أو طويل من الوقت ، فى يسير أو كثير من صُوَر الوجود التى تستجيب اليها ، مدفوعـة بدافع وجدانى لا يمكن أن يُغالَب وإنْ أمكن تحويله الى تعابير ورموز فنية أخرى غير تعابير ورموز الشعر .

ونعود الى شاعرنا فنجده أصيلاً مطبوعاً ، تقليدىّ النزعة غالباً ،متحرراً أحياناً، غنائى الطبع دائماً . وقد كان مكثاراً فقاوم إكثاره كما أسلفنا وحوّله الى نواح أخرى واكتفى بالنظم القليل . وعندنا أن شعره الوطنى الأخير جدير بالاستثمار فان أبياته عن التمثال السجين (ص ١٣٦) التى سبق لنا نشرها فى «أپولو» فيها العاطفة المقرونة بلذة التهكم على الأسرى الميتين وتنتظم ذلك موسيقى جديدة بارعـة . فـلو عبّر شاعرُنا عن عاطفة الوطنية نظماً بدل حصرها فى نثره الفنى لـكان لنا منه ذخيرة شعرية قيمة على مدى الزمن ، وهذه الناحية من عاطفته لا يجوز أن تقاوَم لو جازت معارضة أية ناحية من نواحى الشاعرية التى ينبغى أن تبقى دائماً طليقة لا تدين بغير حريتها .

فى الديوان شعر كثير ممتاز كقصائده ومقطوعاته « بين الحب والمجد » و « على أطلال الجمال » و « القلب الذاهب » و « طفـلة الحسناء » و « الى بعض الناس » و « ليالى سنتريس » و « ثورة على الوجود » و « الشباب والمشيب » و « أحبابى » وغيرها ، وقد سبقنا الشاعر الى مؤاخذة نفسه بنفسه فيما عرضه من شعر عتيـق الديباجة أو ضعيف المعنى وإن كان متين السبك ، وما أثبت تلك النماذج من شعـره القديم الا للذته النقدية وللمتابعة التاريخية ، ولو أن هذا الديوان لا يجوز أن يُعتَبر تاريخاً وجدانياً شاملاً لصاحبه مادام مقصوراً على مختارات خاصة .

ويسرنا هنا أن نثبت نماذج مختلفة من شعر صاحب الديوان الذى نعدّه صورة لصاحبه فى روحه الغنائية وفى اعتداده بنفسه وفى حنينه التقليدى وفى نزوعه المصرى وفى بساطته الريفية وفى تأثره الأزهرى الذى يبدو حتى فى بعض عناوينه مثل « لطفك ! » و« قضاء الله » ،دع عنك بعض تعابيره التى لا نستسيغها مثل قوله (ص ١١٧) :

تذكّرها الآصالُ ما كان بيننا — فترُعَدُ منها أذرعٌ ونهودُ !

ولك بعد هذا أن تشاركنا فى نماذج من حسناته ، ونترك البحث فى الشذوذ اللغوى كاستعماله الاكهون بمعنى الكمه لمثل العلامة مصطفى جواد . يقول صاحب الديوان فى « الحبّ الشامل » :

أشجاكَ ما خلفَ الستار ، وإنما — خلفَ الستائِر لؤلؤٌ مكنونُ
والناسُ فى غفلاتهم لم يَعلموا — أنى بكلّ حِسانِهم مفتونُ !

وهو بذلك يعلن حبّه للجمال فى غير تقيّدٍ بشخوصه ، وهو فيما نرى ن شعره وفىٌّ لهذا المذهب .

ويقول فى تأنيب نفسه على طموحه ومخاطراته وخيالاته :

جَنَتْ علىّ الليالى غيرَ ظالمةٍ — إنى لأَهْلٌ لما ألقاه مِنْ زمنى
فما رأيتُ مِنَ الأخطار عاديةً — الاّ بنيتُ على أجوازها سَكنى
ولا لمحتُ مِن الآمالِ بارقةً — الاّ تقحّمتُ ما تجتاز مِنْ قُنَنِ
أحلتُ دُنيايَ معنًى لا قرارَ له — فى ذمةِ المجدِ ما شرّدتُ من وَسَنِ

وهى ذاتُ خيالٍ رائعٍ وجدّةٍ أخّاذةٍ .

ويقول فى قصيدة « ثورة الوجد » :

ألقيتُ بالنفس مِنْ هواه — فى لُجّةِ السحرِ والفُتونِ

وفى قصيدة « على أطلال الجمال » :

فاندبْ رجاءَك فى دُنيا وُعِدْتَ بها — أحالَها الدهرُ مَغنًى غيرَ مأهولِ

وفى قصيدة « زفرة » :

لعمرى لئنْ شِبْتُ قبلَ الأوانِ — لقد شاب حظّى وشابَ الزمنْ

وفى « ظلام الليل » :

وجنَّ علىَّ الليـلُ حتى حسبتُه جفاءَ كريمٍ أو رجاءَ لئيمِ

وفى « العام الفائت — ١٩١٩ » :

يقولون : عامٌ روَّعتنـا خطوبُـهُ وسالتْ به منّا الدماءُ الدوافِقُ

فقلتُ لهم : لا تُتبعوه مَلامةً فقـد بُعِثَتْ فيـه الأمانى الصَّوادقُ

وفى « شوك الورد » :

أنتَ وردٌ فهبْ مُحِبَّـكَ شوكاً أترى الوردَ عاش من غيرِ شوكِ ؟ !

وفى « تحت صورتى » :

ولمّا صار ودُّ الناس ختلاً وأوحشَ ربعُهمْ من بعدِ أُنسِ

ولم أظفر على جهـدى بحرٍّ تركتُ هواهمو وصحبتُ نفسى

وفى « زمان الصبا » :

ومَنْ لم يَنَلْ عنـد الشبيبةِ حظَّه مِنَ المجـدِ لم يخضع له المجـدُ ثانيا

وفى « فى سبيل الوفاء » :

حسبنا العلا وقفاً على كل مقتدِرٍ فضعنا وضيَّعنا الـكمالَ على الذهنِ

وفى « رثاء فريد بك » :

وخرَّ على السريرِ وحُبُّ مصرٍ على تبريحِ علّته يزيدُ

* * *

فلا يشمتْ بمنعاكَ الأعادى ولا يَفرح ببـلواكَ الحَسُودُ

فتلك بليـةٌ لم يَنجُ منها على إشراقِ عزتهِ (الرشيدُ)

ومَنْ يك مثلنـا حسَباً ومجـداً تُشجعهُ الصواعقُ والرعودُ

وفى « ثورة على الوجود » :

يا خافقَ البرقِ ترتاعُ القلوبُ له كوقدةِ الغيظِ فى أحشاءِ جبَّارِ

وفى « موشحات الجزيرى » :

مُقـطَّعاتٌ حسانٌ كفاتنـاتِ الخُـدودِ

كأنهن الغواني يَمِسْنَ في يوم عيدِ
أو خاطراتُ الأماني يَزُرْنَ قلبَ عميدِ
ما أجحدَ القلبَ إنْ لم يُحَيِّها بالسجودِ
وأظلمَ الدهرَ إنْ لم يَجُدْ لها بالخلودِ

وفى « غريب فى باريس » :

يَقتاتُ أشجانَه وحيداً فلا صديقٌ ولا قريبُ

وفى « نجوى القلب » :

سَتأسو عذارَى النيل آثارَ ما جَنَتْ عليكَ عذارى السينِ حين تعودُ

وفى « بقية وبقية » :

بقيةٌ مِنْ صباكَ الغضِّ باقيةٌ وجذوةٌ مِنْ غرامى وَقْدُها باقى
تَعالَ نُحْيِي شهيدَ اللهوِ ثانيةً ونَصرع الهمَّ بين الكأسِ والساقى

وفى « الغنى فى الرأس » :

له مالٌ وليس له رشادٌ متى أغنى الثراءُ عن الرشادِ ؟
فإنْ يك جيبهُ أضحى غنياً فما فى رأسهِ غيرُ الكسادِ !

وفى « قلب المغفل » :

لقد لامنى لمَّا بخلتُ بخاطرى عليه ، ولم آمَنْ ضلالتَه فيهِ
فقال : أتخشى أن يَذيعَ لغفلتى ؟! فقلت: أجلْ ! قلبُ المغفَّل فى فيهِ !

وفى « إلى فلان » :

تطلَّبتَ أقدارَ الرجالِ ولم تكنْ بذى أدَبٍ ، لاصانكَ اللهُ مِنْ غِرٍّ !
أتحسبُ أنَّ المجدَ سهلٌ طلابُه فتطلبُه باللؤم ، ويلكَ ، والكِبْرِ ؟!

وفى كل هذا الشعر صورٌ شتى من عواطف الشاعر وخواطره هى مرآة نفسيته ونظراته الى الحياة . ولو سُئلنا عن أروع شعر الديوان فى القوة والعاطفة البالغة الأسر لقلنا بغير ترددٍ : قصائد « نعلة الكريم » (ص ٦٥) و « ليالى سنتريس » (ص٩٢) و« ثورة على الوجود » (ص٩٦) و « غريب فى باريس » (ص ١٠٨) ، ولقد كان شاعرنا أمينا بفطرته كما قلنا فى تصوير نفسيته بهذا الشعر جميعه ، وكفى بهذا الصدق المطبوع فى التعبير فخراً لأى شاعر ، فان هذه الصفة هى الصفة الخالدة التى لن ينال منها أىُّ نقد ، والتى تُستنكر بجانبها المقارنة والتفضيل .



غـــداً

قالتْ : غداً . قلتُ : وَيْلي مِن بلاءِ غدِ ... يومُ النَّوى مثلُ يومِ العرضِ في الطولِ !
خلِّي عليَّ بمَا سَاءِ يُعلّلني ... واستعذِري لي بلفظٍ منكِ معسولِ
به أعيشُ ، فاني إن أمُتْ وأنتِ ... رُجعاكِ عدتِ لوادٍ غيرِ مأهولِ
أنا الحياةُ ! انا الدنيا تضمُّكِ في ... حَدْبِ الفتيِّ على وطفاءَ عُطْبولِ
أبثُّ بثّيَ لفظاً في مخارجهِ ... ماتَنشقينَ هواءً غيرَ مملولِ
لأحمَدُ الصمتَ في التَّوداعِ يورثني ... همَّ المريبِ فهاتي الحبَّ أو قولي
ماذا انتويتِ اذا طالتْ قطيعتُنا ؟ ... أتأسفينَ لموعودٍ وممطولِ ؟
أَم تذكرين وحسبي نيَّةٌ خلصتْ ... الى الوفاء وفيّاً جِدَّ متبولِ ؟
بالله إمَّا نزلتِ استرسلي رسلاً ... حتى أنبّأَ أنّي حل مأمولي
لاتتركيني تَركَ الطيرِ حابسَهُ ... فانني لك روض غير ممحولِ
انّي اذن انْ جهلتُ النُّزلَ مختمص ... وكيف يحيَا على أرزاق مجهولِ

* * *

ياسرحةً في خفَافي الحبِّ وارفةً ... رفّي عليها بتقوالي ومعقولي
وزوّديها بضوْعٍ في معَاطِسِها ... مِن سابقات الهوى ذكرى بمفصولِ
هاتِي تحِلّةَ ودّي ودَّ ذاتِ هوى ... أنْ تستعيدَ فتاها غيرَ مخذولِ
إنْ كان في صَمْتِها استحياءُ عاقلةٍ ... شهِدتُ أنْ مقالي قولُ مخبولِ
أو لا فانَّ وداعي همسُ محتضرٍ ... يقولُ للنفس مِمَّا مسَّها : زولي !
يادولةَ الحبِّ في شرخ الشباب ألا ... دلّي على غايتي في الكونِ أو دولي !

اسماعيل سري الدهشان

الفراشـــة

أجـلْ ! يعـلم الحبُّ أنى لظاهُ ... وتدرى الفراشةُ أنّى اللهبْ
وأنّى بدوتُ لها فى الظلام ... فرفّت بأجنحةٍ تضطربْ
وبين ذراعىّ سرُّ الحيـاة ... وفى ناظرىّ بريقُ الشهبْ
دنتْ خطوةً ثم عادت إلى ... مجاهلِـها من خفىّ الحُجبْ !
وشتّـان بين السنى والظـلام ... لعابدة للسنى عن كثبْ !
وفى صدرها لهفـةٌ للعنـاق ... وفى قلبهـا حنـةُ المغتربْ
يلوح لها شبحٌ للعـذاب ... ويبدو لها الآبد المقـتربْ
كأنْ اللظى قدحٌ من سـلافٍ ... لهـا فوقه وثبـاتُ الحببْ
فراشةَ روحى تعالىْ وثوباً ... ستلقين قلبـاً اليـكِ يثبْ
إذا ما امتزجنا احترقنا معاً ... ونلنا الخلودَ بهذا العطبْ !!

ابراهيم ناجى



الى قلبى

دعاكَ الهوى فأجبْ مَنْ دعاكْ ... وقُمْ بصبابتهِ فى صِباكْ
ودَعْ عنـك غـيرَ دُعاة الغرام ... وصَدِّقْـهُمُ واتّهـمْ مَنْ نهاكْ
ومُتْ بهوى من سباك هواه ... عسى أن تنالَ رضاه عساكْ !

« ٥ »

وما لك تشكو السهى والسهادَ ... أتنـكر ما صنعته يداكْ ؟

ويا قلبُ نشتاق مَن تشتهيه وأنت لديه فكيف جفاك ؟
ويا سقمُ ما لك فارقت جسمي أظنك لم تلق فيه قراكْ !
ويا ملكاً في جميل الصفات أناشدك العدل في (مصطفاكْ)
جرى بشقائي عليك القضاءُ فلا تجعلنّ الجفا من قضاك
فدتك النفوس ومن لي بنفسي إذا بخل الناس كانت فداكْ ؟!

طرابلس الغرب : مصطفى زكري

اليهـا .. !

ـ نائمةٌ أنتِ أم ساهره وناسيةٌ انتِ أم ذاكره ؟
وعندكِ أني سليبُ الرقادِ تغالبني مهجةٌ حائرهْ ؟
وقلبٌ يحنّ حنينَ الغريب ويهفو لطلعتك الباهرهْ ؟
ـ أجيبي فاني قليلُ الهجوع كثيرُ الوساوس ، يا ساحره
ـ وكيف تنامين ملءَ الجفون وأسهر ، لم تغتمضْ ناظرهْ ؟

« • »

وليلٍ من الوجد لم تألفيه أناجي به روحك الطاهرهْ
ـ وأهمس بالحبّ في رعشةٍ وأدعوك في لهفةٍ ظاهرهْ
فلا تسمعين دعاء الفؤاد ولا تفهمين له خاطرهْ ...
كأنك لم تفحصي عن هواك ببسمتك الحلوة الظافرهْ !!
ووجهك ، هذا العفيف ، طفتْ عليه عواطفُك الفائرهْ !!
ولم تبعثي القلبَ بعد الهموم وتحيي عزيمته الخائرهْ !!

« • »

تعالَ ، فقلبي كقلب الجديبِ يحن الى الديمة الماطره
تعالَ ، فنفسي برغم الهدوء عليك غدت أبداً طائره
تعالَ نرتل نشيدَ السماء ونُصغي لنغمَتِهِ الساحره
تعالَ نعش كخفافِ الطيور من الشطِّ ، للروضة العامره
تعالَ نهيم فوق وشى الرياض ونهفو مع النسمة العامره
تعالَ لندركَ سرَّ الخلود بعيداً عن الأعينِ الناظره
تعالَ لأطفىء نار الحنين بأنفاسك الرطبة العاطره
وأنسى بقربك عهدَ الشقاءِ وعهدَ ليالٍ مضت جائره
وعهدَ أمانٍ ثوت فى الربيع فأبقت لنا لوعةً غائره
تعالَ ، وخلِ الحياةَ تهيج وتطغى بأمواجها الزاخره
وكيف أخاف صراعَ الحياةِ وأنتِ معى قدرة قادره ؟

« • »

لأىّ المعانى ، وأىّ السمات تجنُّ بك المهجةُ الشاعِره ؟
لوجهكِ ؟ يا لجمال الوجوه كأنى به رَوضةٌ زاهره !
لقلبك ؟ يا لنقاء القلوب كأنى به النيةُ الطاهره !
لنفسك ؟ يا لسُموّ النفوس كأنى بها خُلِقت شاعره !
أحبُّكِ أنتِ ! فأنتِ الحياة وأنتِ مُنى نفسىَ الحائره !

ميت غمر : عبد العزيز عتيق





رسالة الحياة

تحيَّرَ يَعصِى دمعَه أم يُطاوعُ ... وأرَّقه يَنسَى الهوَى أم يُراجع

تجيش به الآمالُ ليس بقادرٍ ... عليها ، ولا عنها هوى القلبِ نازعُ

أفى الحقّ أن الحبَّ لم يَعْدُ فى الورى ... سوى أنه خِبٌّ وإلاٌّ مَطامعُ

وأنَّ مودّاتِ القلوبِ تحوّلتْ ... فما هى الاّ للخداعِ بَراقعُ

اذا صحَّ ما قالوا ففيمَ طيورُها ... تُغنّى بواديها ؟ وفيمَنْ تساجعُ ؟

* * *

لكَ اللهُ يا قلبى ترفرف ساجعاً ... وتخفق غرّيداً وما لكَ سامعُ !

ثوابُكَ عند الله فيما صنعتَه ... وما رُحْتَ تُزْجى للهوَى وتُصانعُ

ويَشهدُ لولا الصدقُ فيكَ طبيعةٌ ... لما جاء مثلى للهوى وهو تابعُ !

* * *

همُو يحسبُون الحبَّ ضعفاً ، وانما ... همو الناسُ مخدوعٌ وآخرُ خادعُ

يسيرون فى ركبٍ ضليلٍ ، وربما ... غدا ركبُهُمْ هذا وحاديه ظالعُ

وأحسب ان الحبَّ للناسِ قدرةٌ ... ولكنْ شعاعَ الضوءِ للعينِ رادعُ

وبعضُ عيونِ الناس تَقْوَى أشعةً ... على بعضها ، والناسُ شتَّى طبائعُ

فيا طيرُ ساجعْنى كما شئتَ فى الهوى ... وشاءتْ لنا فيه الأمانى السواجعُ

علينا نؤدّى للحياةِ رسالةً ... هى الحبُّ حتى ليس للحب مانعُ

فليس لهذا الناس داءٌ سوى القِلى ... وليس لهم شافٍ سوى الحبّ ناجعُ

كذلك أدعو الطيرَ تحيا هواتفاً ... مغرّدةً ما عاش فى الروضِ ساجعُ

محمود أبو الوفا

من القلب

ليست شعرى أمجونٌ ما أرى فيكِ يا دنيا وضلٌّ العالمونْ !
كم بذلتُ الودَّ لا أبغى له مِن جزاءٍ غيرَ قلبٍ لا يخونْ
فاذا الغدر اجزاء بعده بعض ما فيه ، حروف لا تهون !

* * *



محمود احمد البطاح

ايه يا دنيا ، نفوس من تراب ؟ مسها الطيش وآفات الجنون ؟ !
أم تراها من فسادٍ خلقتْ قد طغى اللؤم عليها والمجونْ
ليس فيهم من كريمٍ أبداً كلهم ما بين مأفونٍ ودونْ !

* * *

ليالٍ بتُّ فيها أرقاً أرقب النجم ، وتفريني السجون

كم شهدتُ الليلَ أرجو رحمةً لعيونٍ تذرف الدمعَ الهتونْ
فاذا الليلُ ، ظلامٌ عابثٌ واذا الصبحُ ، ضلالٌ لا يبين
ايه يا دنيا ، ظلام مطبق ؟ وفتون ، ليس يعدوه فتون ؟ !

* * *

كم بذلت النصح أسديه لهم فاذا هم عن سبيلى يصدفونْ
كم ضحايا فى رضاهم بذلت فاذا هم بالضحايا يعبثونْ
كم بذلت الروحَ أفديهم بها فاذا هم عن وفائى يعمهونْ
كم وقفت القلب أبقيه لمن لعدائى كل يوم يخلصونْ
قد رأيت الكون فيهم جنة ورأونى ! ليتهم ما يبصرونْ !

* * *

ليت قلبي قدّ من صخر كما قدّ من صخر قلوب العابثينْ !
ليته ما عاش فيهم أبداً ذلك المخلص فى الحب الأمينْ
قد أفاق اليومَ يرجو توبةً من شجونٍ ووفاءٍ وحنين !

محمود أحمد البطاح

خطرة الطاووس

(نظمها الشاعر فى احدى المناسبات)

خطرةُ الطاووسِ بين النرجسِ ذكّرتْ قلبي بعهدٍ دارسِ
وأعادتْ فى خيالى صُوَراً كان قلبي قد سلاها ونَسِي

* * *

ذكّرتْني يوم مرنا غَلَساً تحت أستار الظلام الدامسِ
نتهادى تحت أفنانِ الصّبَا ورياضٍ أرضُها مِنْ سُندسِ



محمد محمود رضوان

وطيورِ الروض في مجلسها حبّذا في الروض عقدُ المجلسِ
بلبلٌ قد قام فيه ساقياً وهزارٌ قام فيه يحتسي
شادياتٍ صادحاتٍ نائحا تٍ راقصاتٍ بين قرع الأكؤسِ
وظباءٍ شادناتٍ فاتنا تٍ سحرُها في كلّ طرفٍ ناعسِ
وخرير الماء من فوق الربى كصراخِ العندليبِ الأخرسِ!

* * *

ذكّرَتْ نفسي بأيام الصِّبا وعهودٍ فانياتٍ دُرَّسِ
يوم كان العيش صفواً يُجتَلى والأماني خلسةَ المختلسِ
يوم كان الغيدُ حولي والمها أرتوي مِن كل خدٍّ أملسِ

* * *

ذكّرتْني بكَ يا عهدَ الصبا خطرةُ الطاووسِ بين النرجسِ

محمد محمود رضوان

دمع المنـــازل

بِوادٍ كدارِ الخلدِ برِّ المنازلِ حييتُ فما لى لا أفوزُ بنائِلِ
أقاسى به فى ليلهِ ونهارهِ معيشةَ أفّاقٍ ووحدة ثاكلِ
وكم سألونى كيف تشقى مع الحِجى وفى شعرك الهامى عذابُ المناهلِ؟
فقلتُ بهذا الشعر بؤسى وشقوتى كما قتل الصدّاحَ زهرُ الخمائلِ
فلا تسألونى عن دمائى وسفكها سلوا بدمى الغالى جريمةَ قاتلى!
فكم مرت النُّعمى علىَّ بسيمةً فأبعدنى عنها وضيعُ الوسائلِ
ورفضُ لئيم كاشحِ القلب حاقدٍ منالى أرزاقى بهمَّةِ عاملِ
بكتْ بلدتى حزناً علىَّ وحسرةً وأحزنُ ما أبصرتُ دمعُ المنازلِ
وكم ندبتنى فى حماها ضريرة تنوح بصوتٍ خافتِ الصوتِ ذابلِ
وشيخ أبىّ الدمع إلا بمحنتى وفى ثوبهِ مجد الكرام الأماثلِ
هما والداى الصالحان كلاهما على شدة البأساء مؤئلُ سائلِ
فيارب إما نعمةٌ مِن حصافتى وإما حياةٌ فى حماقةِ جاهلِ

عبد الحميد الديب





الصـدى

مضتْ عنى عهودٌ أولعتْنى وأودعتِ الأمَى إذْ ودّعتْنى
فيا ليتَ الليالى ما تغنّتْ ولا شوقَ الصبابة عوّدتْنى
إذنْ ما كان يوحشنى جفاها إذا بالهجر يوماً آذنتْنى
فأشقى بالتى كانت هنائى وأبكى مِن عهودٍ أسعدتنى

حسين عفيف



خواطر الغروب

قلتُ للبحرِ إذْ وقفتُ مساءَ ... كم أطلتُ الوقوفَ والاصغاءَ
وجعلتُ النسيمَ زاداً لروحى ... وشربتُ الظلالَ والأضواءَ
وكأنَّ الألوانَ مختلفاتٍ ... جعلتْ منكَ روضةً غنَّاءَ
مرَّ بى عطرُها فأسكرَ نفسى ... وسَرَى فى جوانحى كيف شاءَ
وكأنى أرى بعينِ خيالى ... ساحرَ المقلتين يُغضى حياءَ
وكأنّ الوجودَ لم يحوِ الاَّ ... حُسْنَهُ والطبيعةَ الحسناءَ
نشوةٌ لم تطُلْ: صحا القلبُ منها ... مثلما كان أو أشدَّ عناءَ
انما يفهم الشبيهُ شبيهاً ... أيُّهـا البحرُ نحن لسنا سواءَ
أنتَ عاتٍ ونحن حَرْبُ الليالى ... مزّقتنا وصيَّرتنا هَبَاءَ
أنتَ باقٍ ونحن كالزبد الذا ... هبِ يعلو حيناً ويمضى جُفاءَ
وعجيبٌ إليكَ يممْتُ وجهى ... إذْ مللتُ الحياةَ والأحياءَ
أبْتَغِى عندكَ التأسِّى وما تمْـ ... لكُ رداً وما تجيبُ نداءَ
كل يومٍ تساؤلٌ، ليتَ شعرى ... مَنْ يُنبِّي فيُحسن الإِنباءَ ؟
ما تقول الأمواجُ، ما آلمَ الشمْـ ... سَ فراحتْ حزينةً صفراءَ
تركتنا وخلَّفتْ ليلَ شكٍّ ... أبدىٍّ والظلمةَ الخرساءَ
وكأنَّ القضاءَ يسخرُ منّى ... حين أبكى وما عرفتُ البكاءَ
ويحَ دمعى، وويحَ ذلة نفسى ! ... لم تدَعْ لى أحداثُهُ كبرياءَ

ابراهيم ناجى

فيضان النيل

مَنْ رأى النيل جدّ فى جريانِه ... لمحَ الرّىّ والجنى فى عنانه
ورأى فيه رحمةً إن تهادى ... وعذاباً إن لجّ فى طغيانه
إيهِ يا نيلُ ! كلّ عام نراه ... فنرى الروح فاض فى جثمانه
أحمرُ اللون كالدّم الحُرِّ تجرى ... باعثاتُ الحياة فى شريانه
يحمل الخصبَ والنماءَ لوادٍ ... حُفّ بالمقفرات من أركانه
أثقل الطمىُ منكبيه فأرغى ... مزبداً يستحثُّ من وَخدانه
كى يحيط الرحال من بعد لأىٍ ... بين فرعيه أو لدى غدرانه
لكأنى بالنيل عاشق مصر ... يصهر الحبّ فى لظى هجرانه
فاذا ما هواه فاض اشتياقاً ... جاء يبغى الوداد فى فيضانه
وكأن الخرير نجوى حبيب ... يشتكى الوجد ، أو صدى تحنانه
وكأن الماء الدفوق بمصر ... هو مجرى الدموع من أجفانه
وكأن الموج الخفوق فؤادٌ ... نابضٌ بالحياة فى خفقانه
تمخر الفلكُ موجَه راقصاتٍ ... ناغماتٍ بجوّه وأمانه
وعلى ضفتيه جنّاتُ حسنٍ ... وحقول تضىء من أقطانه
وزروعٌ يوانعٌ أنبتتها ... فأسُ فلاّحه وقوسُ فدانه
إىْ وربى ! فكل خيرات مصر ... قد نماها الفلاحُ فى غيطانه
وهو ما زال بائساً مستكيناً ... يرتضى بالقفار من رغفانه
كتب الكدّ والكفاح عليه ... وسواه ترفّ فى ألوانه
هل قدّرناه قدره فى حمانا ... فاحتفظنا بكونهِ وكيانه
هل روينا غليله ؟ هل شفينا ... داءه ؟ هل أنيلَ رفعة شانه
أنصفوه ! فذاك ركنٌ ركينٌ ... عرش مصر استوى على جدرانه

فرحات عبد الخالق

الطيور فى حديقة

على حافَّةِ النهر ، فى روْضةٍ ... من الشفقِ الحلوِ ألوانُها
مع الفجرِ، والأُفقُ يُزْجى الندى ... تسابيحَ لله تهتانُها
وبين الخمائل ، حين اغتدتْ ... تُهَيْنِم بالذكر غدرانُها
أغار عليها فُتُونُ الشبا ... ب ، وأغرى الطبيعةَ شيطانُها
فأنشأ ساقى النسيم يدو ... رُ عليها ، ويرقُص لهفانُها !
فتضطرب الدَّوْح من نشوةٍ ... بها ، ويقهقه سكرانُها
ويصدح بيْن ذراها الهَزَا ... رُ : فيطرب ما شاء غَيّانُها
ويأخذ يهتفُ فيها الصَّبا ... لَهُ ، وتُصفّق أفنانُها
وبين جداولها الجائشا ... تِ : كمعنى تكشَّفَ كِتمانُها
وبين خرير المياه ، فلا ... نشيجُ القلوبِ وتحنانُها
يقومُ على فَنَنٍ طائرٌ ... جَهيرُ العبارة رنّانُها
هفَتْ حوله الطيرُ مشدوهةً ... كما وْرد العيْنَ هَيْمانُها
كداعى الصلاة دعا ، فانبرى ... شيوخُ الصلاة وفتيانُها
فأمعنَ يَهدِرُ فى حَفْلِها ... كما خطب العُرْبَ سحبانُها
وراح يشقُّ فضاءَ السما ... هتافُ الطيور ، وإعلانُها
مُظاهِرَةٌ تستثيرُ الهوى ... ويلعبُ بالنفس وُجْدانُها

* * *

وسِربُ العصافير خُضْراً على ... جمالِ الفراديسِ فتّانُها
على سَرْحَةٍ هنّ أثمارُها ... ومن فرحةٍ هنَّ عُنوانُها
تألَّقنَ فوق براعيمها ... كما بعثَرَ الشهْبَ رحمانُها
يُهلِلْنَ (١) لله مِلْءَ الفضا ... فتعبثُ بالرُّوح ألحانُها !

---

(١) يسبحن .

وَخِلْتُ بها الطيرَ فى بانةٍ تَقَصَّفُ بالريح أغصانُها
كأنْ مركبٌ خانها يَمُّها وأمعنَ فى اليأسِ رُبّانُها
نجتْ فتهلّلَ فُؤادُها وهلّل بالحمد رُكبانُها

* * *

خواطرُ تبلغُ من شاعرٍ ويطلبُها منه تبيانُها
وتنساب فى نفسه يرتوى بها من نواحيه صَدْيانُها
فلا أوحَشَ الله مِنْ رَوضتى ولا فاتنى الدهرَ غشيانُها !

محمد زكى ابراهيم



داود بركات

عبثاً أُنَهْنِهُ أدمعى وأُكفكفُ الـ مُهراقَ مِن كبدى على آماق
فى كلّ يومٍ عاصفٌ بى يرتمى فيهُزُّنى هزّاً من الأعماق
تَذْرُو عواصفُه الهمومَ وتنثنى فتذيبُ همّى فى هموم رفاق
فيلفّنى والهمّ ليلُ مرادقٍ حُبْكاً رواقاً شُدَّ خلفَ رواق
وَأرُوح أرسلُها دماً مقروحةً طلّ الفؤادُ بها من الأحداق
فى حين أنّ الدمعَ ليس بمطفئٍ وَجْدِى ولا بمخفّفٍ أشواق

* * *



داود بركات

هـذى هى الدنيا وكلُّ همومها حاشا الرَّدى رعدٌ بلا إبراق

للموتِ ما نلقاه مِنْ أحزانه فى هـذه الدنيـا وما سنلاقى

مِنْ رحـلةٍ ذهبتْ الى لا رجعةٍ أو فرقةٍ راحت لغـير تلاق

وتخيَّر الساقى الكرامَ وليته فى الخيِّرين كـبا اختبارُ الساقى

* * *

لهفى على داود فى محرابهِ وعلى الصرير الحرّ فى الأوراقِ

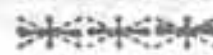
وعلى المجاهدِ لم يحـد فى موقفٍ عن شرعةِ الآدابِ والاخلاقِ

وعلى اليراع اذا جرتْ أسلاتهُ ... مَجّتْ لباب السمِّ والترياقِ
قلمٌ تودّ الحورُ لو مِنْ لفظه ... حُلِّين منه بأنفس الأعلاقِ
لهفي وما تجدي علينا لهفةٌ ... مِن بعد فقد الطيّب الاعراقِ
لما رأيتُ النعشُ سارَ وخلفهُ ... أممٌ من الذكر الطهور الباقي
متهللاً متهادياً في موكبٍ ... مما تركت من السنى الألاّقِ
والناسُ من شطيّه باكٍ بعضُهم ... بالدّمع أو بالصمت والاطراقِ
من ذاكرٍ لك في الجهاد مواقفاً ... في صدّ عاديةٍ وحسم شقاقِ
أو مُعلنٍ ما كنت تصنع صامتاً ... من دعوة يُهدَى بها ووفاقِ
أو منبيءٍ لك عن يدٍ مطويةٍ ... صانت وجوهاً من يد الاملاقِ
أيقنت أن النعش أودع خيراً ... مِنْ خير من حملوا على الاعناقِ

« • »

شيخَ الصحافة رحمة لك قدر ما ... أبلى يراعُك في حروب نفاقِ
وعدادَ ما خلدته من صالحٍ ... لك في الخلودِ وفى الصحائف باقي
عزّى الصحافة عنك ما أودعتها ... من طيّباتٍ في الزمان بواقِ

محمود أبو الوفا



النسران الشهيدان

فؤاد حجاج وشهدى دوس

جحفلَ الآمال في موكبه ... بخميس الموت في الجوِّ اصطدمْ
وسماءُ (السين) كانت حومة ... التقى الخلدُ عليها والعدمْ
طار سربُ النيل في أرجائها ... يملأ الجوّ أزيزاً ونغمْ
باسمَ الآمالِ وضّاحَ المنا ... هزّه المجد نغنى وابتسمْ

كلما هبّتْ عليه نسمةٌ خالها بالنيل مرّتْ والهرمْ
تحمل الآمالَ فى طياتها خافقاتٍ مثل ما اهتزَّ العلمْ
وخطاباً من (أبى الهول) حوى ذكر آباءٍ تعالتْ فى القدمْ
ذكريات تبعثُ الزَّهوَ وكمْ أحيتْ الذكرى رفاتاً ورممْ

* * *

طار والأقدارُ طارت خلفهُ أبداً يا مصرُ يحدوك الألمْ
وتخطى « المنشَ » فى أبهةٍ أوغرتْ صدرَ الليالى بالنّقمْ
إنه المجْدُ حباهم أنفساً لم يروّعْها ضبابٌ أو ظُلَمْ
إنها مصرٌ أهابتْ : أقدموا ! يا لها لبيكِ منهم ونعمْ !
نغمةٌ كالسحرِ فى آذانهمْ هيّجَتْ من أنسرِ النيل الهممْ
فامتطوها تسبق الطيرَ بهم وتروع النسر فى أعلى القممْ
تحت جونٍ ضلّتْ العينُ به وضبابٍ لا ترى منه الأكمْ
قلبُ « لندنبرج » منه خافقٌ لو علا المنطادُ فيه لارتطمْ
كلّما بالنفس طافت فكرةٌ خاطبوها : نحن أبناءُ الهرمْ !
ما هو الموتُ ؟ وما أسبابه ؟ حبّذا الموتُ حياةً للامم !

« • »

أيها النسرانُ ما أخفقتما لا ولا فى الجو ما زلّت قدمْ
هكذا النصرُ كما أحرزتما موتة العقبان نبغى لا الرخمْ !

عبد البر محمود سلامه

اول الضحايا

يا فضاءَ الجوّ رفقاً بنسورٍ يفخر النيلُ بهم فى العالمينْ

طلبا المجد فكانا من ضحايا * وكانا قدوة للطالبين
لم ينالا النصر لكن خلدا * فى قلوب هى مثوى العاملين
عرف الناس « فؤادا [1] » من جنود * كلهم حزمٌ وعزمٌ لا يلين
لم يموتا إنما حلا قلوباً * سطّرت مجديهما فى الخالدين
فعزاءٌ لك يا مصر عزاءٌ * من فؤاد بلت يفريه الأنين

محمود السيد المصرى





اتحاد الأدب العربى

كان لتأسيس هذه الجمعية أثرٌ طيّبٌ فى الأوساط الأدبية ، وهى الأولى من نوعها فى نزعتها الى اتخاذ الثقافة العربية وسيلةً لتوثيق رابطة الاخاء والتعاون بين الأقطار العربية وجعل مصر مركزاً لهذه الوحدة المباركة ، وذلك تمشّياً مع الرغبات الثقافية السامية التى يُبديها صاحبُ الجلالة ملك مصر الذى يُعْنَى أشدّ العناية بتبوىء مصر مكانتها بين أمم الحضارة .

وقد أدّى نشوء هذا الاتحاد الى تدعيم « ندوة الثقافة » التى أصبحت بجمعياتها ومجلاتها فريدةً فى خدماتها العلمية والأدبية للعالم العربى . وأمنية « الندوة » أن تزداد قوةً وتدعياً وأن تُصبح فى المستقبل القريب أهلاً للرعاية الملكية ، بعد أن تغدو هيئةً

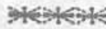
(١) الطيار فؤاد حجاج

الاجتماع الأول لاتحاد الأدب العربي بنادى نقابة الصحافة بالقاهرة

تعاونية مساهمة وفقا لقانون التعاون ، وبذلك تضمن حياتها وأعمالها لخدمة الامة والعروبة فى الحاضر والمستقبل ، غير معتمدة على وجود أحد من أعضائها ولو كان مؤسسها ولا متأثرة بذهابه .

والى هذه الغاية العامة الشريفة تسعى الجمعيات المنضمة تحت لواء « الندوة »، ويعمل رجال « الندوة » بلا كلل لتحقيقها ، فكم من أعمال جليلة عند الغربيين لم يحفظ لها بقاءها سوى روح التعاون الصحيح .

ويرجع تأسيس « اتحاد الأدب العربى » الى سبتمبر الفائت ، وقد صادقت الجمعية العمومية نهائياً على قانونه يوم الجمعة ١٣ اكتوبر الماضى فى اجتماعها بنادى نقابة الصحافة . وبفضل مؤازرة هذا النادى الموقر تقوم « الندوة » بمحاضرات قيمة شتى تلقى اسبوعياً (وأحياناً مرتين فى الاسبوع) متناولة من الابحاث الأدبية والعلمية الكثير المتنوع ، وللشعر نصيب غير قليل بين هذه الدراسات ، كما تقوم بخدماتها الاجتماعية الحميدة .





جائزة نوبل فى الأدب

قررت جمعية العلوم الأسوجية أن تمنح جائزة نوبل هذه السنة للتفوق فى الآداب الى الشاعر الكاتب الروائى الروسى إيفان بونين وهو فى الثالثة والستين من العمر وسلالة أسرة عريقة فى الحسب . وقد نال شهرة عظيمة بأشعاره الوصفية الرائعة وقصصه القصيرة التى تعد من أبلغ ما كتب نثراً . وقد نال على أشعاره الأولى التى نشرت عام ١٨٨٩ م جائزة بوشكين — وهذه من أسمى الامتيازات العالمية فى روسيا قبل الحرب . ومنح الجائزة نفسها على ترجمة « بيواثا » للنجفلوز ، وترجم أيضاً عدة مؤلفات للورد بيرون وتنيسون ، وانتخب عضواً فى الجمعية العالمية الروسية عام ١٩٠٩ م.

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٦٧	٢٨	الايجاب	الانجاب
٢٦٩	١٠	أعلنّا	أعلنّا
٢٦٩	١٤	حده	حِدَة
٢٧٢	١٣	•فى	وفى
٢٧٤	١١	ولكنه	ولكنه
٢٨٦	٢٣	مُتْفَاعِلُنْ مُتْفَاعِلُنْ	مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ
٢٨٩	٢٥	الأوليين	الأولين
٢٩٠	٩	لمهج	المهج
٢٩٢	١٢	يمين	عين
٢٩٥	٣	مُقِلاً	مُقِلاً
٣٠٦	٢٠ و ٢١	الاهتزازت	الاهتزازات
٣٠٨	٢٠	مؤلفين	مؤلفى
٣٢٤	٨	نائمة	أنائمة
٣٢٧	٢	ليست	ليت
٣٢٧	١٠	ليال	كم ليال
٣٣٦	١٧	جحفلَ	جحفلُ

فهرس

صفحة

كلمة المحرر

خواطر وسوانح

النقد الأدبى

أعلام الشعر

المنبر العام

الشعر الوجدانى

صفحة





المجلد الثانى

العدد الخامس

أپولو

مجلة فنية لخدمة الشعر الحي

لسان حال جمعية ابولو

تصدر مرة فى كل شهر

وسنتها عشرة اشهر

يناير سنة ١٩٣٤

صاحب الامتياز ورئيس التحرير | أحمد زكى أبوشادى

الادارة | بشارع الملك المعز رقم ٩ بضاحية المطرية بمصر

التليفون | ٦ ١١٩٦ و ٦ ٤٠٤٥

مطبعة التعاون



مساومة أدبية

كتب الدكتور زكى مبارك فى صفحة (البلاغ) الأدبية نبذة عن شعر المازنى قال فيها مداعباً إن المخابرات تدور اليوم بينه من جانب وبين فريق من أنصار الأدب من جانب ، فقد أعلن المازنى براءته من شعره فتقدم ناس يخطبونه لأنفسهم ، وفى ظن الدكتور زكى مبارك ان المازنى سيبيع شعره بتراب الفلوس لأنه لا يعرف قيمة ما يبيع ! وقد علم الدكتور مبارك أن أبا شادى سيشترى منه كمية كبيرة يوزعها على من يحبون أن يُنشر لهم شعر فى مجلة (أبولو) وليس لبعضهم شعر ، فيخلق بذلك مجداً لناس لا تهمهم غير الألقاب . . .

ونحن نشكر للدكتور زكى مبارك هذه الملاحظة التى جاءت فى أوانها ، فقد تفشى داء التهافت على الشهرة برغم غثاثة البضاعة الأدبية التى يعرضها أولئك المتهافتون كما تفشى داء الكراهية للنقد الأدبى من جانب الشعراء وداء الكراهية للنقد الأدبى من جانب النقاد ، وبعبارة أخرى تملأ الجوّ الأدبى الآن روح الأنانية على أرذل صورها ولا نصيب لأية مجلة محترمة تحرص على استقلالها وحرية منبرها العام غير الكراهية فى الغالب ومحاولة الانتقاص منها !

العامية والفصحى

نشر الأديب المشهور محمود بيرم التونسى فى زميلتنا (الإمام) بحثاً فى أهمية اللغة العامية فى الوقت الحاضر لتهذيب الجمهور لأن اللغة الفصحى مقصورة فى أداء رسالتها على طبقة معينة من الناس ، فاذا اكتفينا بها حرمنا الكثيرين أن تبلغهم رسالة الأدب الحديث ورسالة الاصلاح ، ومن رأيه أنه لابدّ من تلاقى العامية والفصحى آجلا .

وعندنا أن أدب بيرم محاولة جليلة للنهوض باللغة العامية ، وانّه كلما هذّب لغة أزجاله كما فعل فى زجله البديع عن «العيون» أسدى الى الجمهور والى الفصحى خدمة موفّقة ، إذ أنه فى الامكان استعمال اللغة العربية السهلة نثراً وشعراً وزجلاً بحيث يفهمها العامة ويرضاها الخاصة . وهل معظم شعر البها زهير الا من هذا الطراز ؟

ولعلّ القراء يذكرون ما نشرناه فى ديوان « الشعلة » من بعض النماذج للزجل العربى فى موضوعات حديثة جامعة بين الدعابة والجدّ مثل « حلوى العرس » (وهى مداعبة للشاعر عبدالله بكرى فى عُرس أخيه) ومثل « المصاب » (وهو جد فى مزاح لمناسبة صدور قانون مزاولة مهنة الطب فى مصر سنة ١٩٢٨) ، وفى الامكان زيادة التبسيط بحيث يمكن اجتذاب العامة الى هذا اللون من الأدب فى غير اخلال بالغرض العالى منه ولا باللغة ذاتها .

الأغانى والسينما

وبهذه المناسبة لابدّ لنا من كلمة عن الأغانى والسينما مسترشدين برواية (الوردة البيضاء) التى أخرجتها حديثاً شركة « فلم عبد الوهاب » فقد ظهرت الرواية جميعها باللغة العامية التى قد لا يتعدّى فهمها مصر والشام ، ولم تحو غير مقطوعة عربية فردة للشاعر المعروف بشارة الخورى صفق لها الجمهور كثيراً وقد لحّنت على نغم الرومبا . وليس للشركة أىّ عذر لا أدبياً ولا تجارياً ، فانّ روايات نجيب الحداد واسماعيل عاصم واحمد شوقى لم تؤلف بالعامية ، ومع ذلك فالاقبال عليها مسجّل فى تاريخ المسرح العربى فى شتّى الأقطار ، والشاعر رامى الذى تبرّع بالأغانى العامية الضعيفة لهذه الرواية كفءٌ لأن ينظم من الأغانى العربية الملائمة ما هو أقوى منها بكثير ، بدل هذا المجهود الضائع لتحويل العامية الى لغة فن فى حين أن الأولى التسامى بالعامة على قدر الاستطاعة . ومن وجهة تجارية نرى أنّ لروايات العامية التى من هذا الطراز ستحرَمُ الاقبال الكافى عليها فى العراق وتونس والجزائر ومراكش وفى أقطار عربية أخرى ، لأن اللغة العامية هى لغة محلية تقريباً فى حين ان العربية لغة أممية ورواياتها الجيدة مضمونة الذيوع والربح .

الشعراء التصوفيون

تلتبس التعابيرُ التصوفية الحرة على بعض القراء فيخالونها لونا من الالحاد ، وهذا خطأ ظاهرٌ في عصر عادت للايمان صولته بعد أن طغت الشكوكُ والالحادُ حقبةً من الزمن . والالحاد كائنٌ في كلّ عصر ، ولكننا لا نراه متغلّباً في عصرنا هذا بل نرى الايمان ردّ فعل له بيننا وأن الروحانيات أصبحت محسوسةَ الاثر . وعلى هذا فننصح للأدباء أن يحملوا على هذا المحمل ما لم يألفوه من تعابير نفسية جديدة قد تكون شاذة أحياناً ولكنها قوية في روحانيتها على أيّ حال كيفما كان موضوعُها .

الطيور الصداحة والشعر

في بحث لزميلنا العقاد في صفحة (الجهاد) الأدبية تنبيهٌ سديدٌ الى واجب العناية بطيورنا الشادية المحلية كالكروان بدل الفتنة التقليدية بالبلابل وغيرها من الطيور النادرة بيننا ... ونحن وإن كنّا قد كتبنا أغنيةَ (الكَرَوان الرسول) منذ سنين عديدة نرى أن زميلنا الفاضل قد غالَى في نقده . فالبلبلُ مثلا معروفٌ جيداً في الفيوم وفي شمال الدلتا وقد سحر كثيرين من الشعراء ، ثم ان الجمال العزيز في ذاته له جاذبيةٌ خاصةٌ وإن لم ينهض ذلك عذراً لاغفال الجمال المألوف ، ولكن للفنانين أذواقهم المختلفة التي لا يمكن أن تُغَالَبَ . ولعل زميلنا الفاضل الدكتور شرف بك يوافينا بكلمة علمية في هذا الموضوع الطريف .

الشعر المنثور

العناية بالشعر المنثور في مصر ظاهرة جديدة ومحدودة ، ولم يظهر بين الشعراء الناثرين مصري أديبٌ بارز الآن في الآونة الأخيرة ، ولعلّ أبلغ مثل لهذا الأدب كتاب (مناجاة) الذي أتحفتنا به حديثا ريشة الشاعر الناثر حسين عفيف المحامي ، وقد تناوله الشاعر الصيرفي بالنقد في هذا العدد من أبولو ، ونرى أن مثال هذا الأثر سيبدع لنا لوناً جديداً رشيقاً من الأدب العاطفي الحيّ الذي سينمو تدريجياً الى ثروة تعتزّ بها اللغة .



الرومانتيسم

فى الأدب الفرنسى

(٢)

الأدب بعد الثورة الفرنسية

مضى عهدُ القلق والاضطراب وجاءت الثورة الفرنسية فقلبت الحياة الاجتماعية والنُظُمَ السياسية رأساً على عقب ، وكان من آثارها فى الأدب والفنّ تعجيل الحركة التجديدية التى تهيأت لها النفوس وتشوفت لها الأنظار ، واتّصلت بمشاعر الشعب تلك اليقظة الرّوحية والأشواقُ الجديدة التى شاعت فى أواخر القرن الثامن عشر وبدء القرن التالى ، وأول ثمرة جناها الأدب من ذلك التغيير إقفال الأندية أبوابها وسُقوطُ نفوذها بتنفس الأدب الصعداء ، وتخلص من هاتيك الصالونات الارستوقراطية التى كانت تتحكم فيه وتجعله تحت كلكلها وتخضعه لأوضاعها وتوجهه حسب أميالها وأذواقها ، وكان القضاء على تلك الأندية المتحذلقة قضاء على مقاييس الأدب فيها ، وما عساها تكون مقاييس المجتمعات الثرثارة سوى اعتبار الأدب آلة من آلات التسلية وتزجية أوقات الفراغ ومتمماً من متممات الاناقة والظرف .

ولم يكد يمضى من القرن التاسع عشر ربعه حتى اختمرت فكرة التجديد الأدبى ونضجت فى أفكار الجيل الناشىء : جيل رُنَى وفرتر ومانفريد (١) .

وفى تاريخ الأدب الفرنسى أنّ أول عصبة التأمت للتفكير فى العمل المنظم وتوحيد الجهود وإبراز الأدب الرومانتيكى إلى حيز الوجود هى عصبة شارل نوديه

---

(١) رنى بطل رواية شاتوبريان الموسومة باسمه ، وفرتر بطل رواية جيتى الشهيرة ، ومانفريد بطل رواية اللورد بيرون ، وكل هاته الروايات أثّرت تأثيراً عميقاً فى عقول الجيل الناشىء .



محمد الحليوى

ففى ناديه كانت الأحاديث تدور على ضرورة تحرير الأدب وتحتم التجديد ، وهناك كانت تحطم القواعد العتيقة وتبنى على أنقاضها قواعد الأدب الجديد .

وكان من روّاد هذا النادى والآلفه أدباء لم يشتهروا أو لم تنضج قرائحهم وتبق من الآثار ماينكفل بتخليد أسمائهم ، وأدباء آخرون صاروا فيما بعد عمدة ذلك العصر وأعلامه السامقة .

على أنّ الحركة الأدبيــة التى ترمى إلى التحرر والتجديد لم يتوقف ظهورها على وجود هاته الاندية الحرة إذ قبل أن يتأسس نادى شارل نودبه بأربعة سنوات ظهر ديوان «التأملات» للشاعر لامرتين فحيّـا النقادُ فيه فاتحة العصر الجديد واعتبروه مكوّناً للناحية الغزليــة فى الأدب الرومانتيــكى ، وهاك ما قالت إحدى مجلات ذلك العصر المؤسسة لخدمة المذهب الجديد والدعوة اليه : « إن فتح العبقرية الرومانتيكية أصبح أمراً مقضياً فى الأدب الحاضر وفى ذلك الخير كله ، وإن لمن الواجب أن يتبع الأدب هاته الثورة التى وقعت فى النواحى الاخلاقية والاجتماعية ، وربما كان هذا الفتح ضرورياً لأنه يخلصنا من جفـاء الشعر الفلسفى وبرودة شعر مخادع

ويريحنا من ذلك التفخيم الممل والجعجعة الفارغة فى الشعر الوصفى . نعم ! لقد أزفت ساعة الخلاص . إن روح الانسان وقلبه لفى احتياج دوماً إلى الإحساسات الجديدة وليس غير العبقرية الرومانتيكية من يعطيها ذلك بملء الراحتين » (١)

وفى تلك الأحايين نشر الفريد دى فينى أيضاً شعره خصّا فيه النقد ناحية الشعر الفلسفى الرمزى ، وأخيراً نشر هيجو ديوانه Les Odes فكان له صدى بعيد وان لم يتخلص فيه بعد من الأسلوب المدرسى .

فمن أى جهة نلتفت نرى الملك حاضراً والرقاب مشرئبة إلى مجيء الملك الذى يأخذ الصولجان ، أو نزول القائد الذى يتسلم الراية .

* * *

الرومانتيسم كلمة وجدت قبل فكتور هيجو فقد رأينا مدام دى ستايل تتكلم عنها وتشرح ما يفهم منها عند الألمانيين ، ومن هنالك شاعت بين الأدباء ، وكثر الاخذ والرد فيها ، وطال القيل والقال حولها .

وكان فكتور هيجو فى ذلك الوقت شهيراً بين الأدباء بديوان قصائده ولكنه كان هو الآخر مندفعاً فى وسط المعمعة الأدبية مضطراً إلى الانحياز إلى أحد الفريقين اللذين يدعيانه ، ولم تكن له إذ ذاك آراء بارزة فى الرومانتيسم (حوالى ١٨٢٤) فنحن نراه فى هاته الفترة متتلمذاً إلى شاتوبريان ولامَرْتينه مؤمناً بالملوكية والكنيسة مستمداً وحى قصائده من النصرانية ، ثم نراه بعيد ذلك يترك شعر أندرى شَنْيِنى ويشتغل بشعراء البلياذة وأخيراً نراه يطلق تلك الحياة التى رضيت بالعرش مبدأ سياسياً وبالكنيسة مصدراً روحياً ويزهد فى أساتذته الذين كان يعجب بهم ويحذو حذوهم فى آثاره الأولى ، وما هو إلا أن تم هذا التطور السياسى والأدبى حتى نظر حواليه وفكر وتدبر وأخرج ما بين عشية وضحاها هاته المقدمة الخالدة مقدمة كرمويل فكان ظهورها خاتمة عصر التدرب والتجربة ، كما كان الحد الفاصل بين عصرين أحدهما ابتدأ والآخر انتهى .

* * *

مقدمة كرمويل ! يعجبك من هاته المقدمة سياقها المطرد وروحها القوى العاتى

---

(١) مجلة La Muse Française

وتصرف الكاتب فيها تصرف القائد الفاتح الذى يرغمك على الخضوع ويضطرك للاتّباع وقد ظهرت فيها ميزات الزعامة بكل قوة ووضوح ، فمن ثقة فى النفس إلى جرأة فى المهاجمة إلى حرارة فى المعتقد .

فكيف استطاع هيجو أن يقنع المكابر ويجلب النافر ويهدى المتردد الحائر ؟ وما هى النظريات التى بنى عليها مذهبه ؟

هاته النظريات نحاول تلخيصها فيما يلى :

« إن الفنّ ليس شيئاً ثابتاً جامداً لا يتبدل ولا يتغير ، فنحن نرى الحياة تتبدل وتتحول والأدب من الحياة بل هو الحياة فى الصميم ، فالواجب أن يخضع هو الآخر لقانونها وتسرى عليه سنّة التطور التى تسرى على الاحياء .

والشعوب تتطور أيضاً وفى كل دور من أدوارها يولد نوع خاص من الادب يوافق حالتها ويساير تطورها ، وفى العصور العتيقه كانت الشعوب وهى فى عهد طفولتها تتغنى بكل ما تراه جليلا من مشاهد الكون وذلك هو العصر الغنائى ومنه خرج سفر التكوين ؛ وفى العصور القديمة كانت الشعوب قد تشعبت فيها الحياة الاجتماعية فوقعت الحروب وظهرت بطولة الأبطال وطوّحت بهم الحوادث الى بعيد الاسفار فقصّ الشعراء مُطوّحات أولئك الأبطال ، وذلك هو عصر الملاحم ومنه خرجت الالياذة . ثم ان فى العصور الحديثة قام الاجتماع على أسس متينة فانطلقت الاميال من عقالها وتصادمت الأهواء وتداخلت الرغبات فكان عصر الدرامة ، ومنه خرجت روايات شكسبير .

ثم إن الحياة ليست وحدة قائمة الذات لا تقبل التجزئة ، ولا هى بسيطة ، بل الحياة مركّبة ذات مظاهر متباينة وصور متغايرة فانا نجد فيها الشيء ونقيضه والضد وضده فهناك مثلاً الكون والانسان والجسم والروح والمادة والعقل والحق والباطل والخير والشر والجميل والقبيح ، كل ذلك موجود فى الحياة ممتزج فى الكون فلماذا لا يكون ذلك فى الادب أيضاً ؟ على أن شكسبير وهو سماء الشعر فى العصور الحديثة قد فهم هذه الثّنوية فى الحياة فمزج فى نفس واحدة بين الجليل والمضحك والهول والهزل .

وأخيراً فالفن حر ولا يعقل أن يتقيد بقاعدة أو يخضع لقانون . فالعفاء على قاعدة الوحدات الثلاث والعفاء على قانون الذوق والعفاء ثم العفاء على المثل التقليدية والانماط المحتذاة والقوالب المصوغة ، ففى التقليد موت العبقرية ـ والعبقرية هى التى تخلق

وتبدع لا التى تقلد وتتبع ، وكل ما فى الطبيعة يجب أن يكون مادة للفن لأن الطبيعة والفن شىء واحد ، والفنان الحق هو الذى ينقل الطبيعة لا كما هى فى الواقع ولكن كما أحس بها ونظر اليها بعينه ثم يؤدى ما أحس ورأى باسم الفن وربما صوّر الفنان القبيحَ جميلا وأسبغ على الدميم حلة الفن فاذا هو يروق الانظار ويستوقف الابصار، وعلى هذا يكون الفن هو الطبيعة التى يفيض عليها الفنان من فيض عبقريته ومشاعر قلبه ما يصيرها مادة للشعر والفن »

فالقارىء يرى من خلال هاته الخلاصة الوجيزة كيف يحل الشاعر نظرية التطور فى الأدب محل نظرية الوقوف التى سنها القدماء وعكفوا عليها وانتهوا عندها، ويرى كذلك أهمية العنصر الجديد الذى أدخله هيجو فى تأليف الدرامة ونعنى به ادخال المضحك والقبيح فى الأدب وجعله مادة من مواد الفن ، ثم يرى أخيراً كيف قيد الشاعر الحرية فى الفن بقيد النظر الى الطبيعة بعين الفنان ولو نادى بحرية الفن المطلقة لكان الباب مفتوحاً الى الطبيعيين الذين يريدون من الفنان أن يقف أمام الطبيعة وقفة الآلة الفتغرافية وينقل مايراه دون أن يضيف اليه عاطفة من عواطفه أو صورة من صور احساسه .

وهكذا رمى هيجو هاته الصاعقة على رؤوس أمساخ القديم وكانت معارك هائلة ومناظرات حادة ومجادلات عنيفة ، وكم تلهى بقايا المدرسة العتيقة بنظرية المضحك والدميم وتنادروا بها وصوروها تصويراً هزلياً ولكن المعركة الفاصلة التى اندحر فيها أنصار القديم كانت يوم تمثيل رواية هرناين وفيها نودى بهيجو زعيماً للمذهب الرومانتيكى فتقدم وأخذ الصولجان وحمل الراية للميدان .

* * *

والآن ما هو الرمانتيسم ؟ أقوال متباينة وحدود كثيرة :

قيل : هو أثر الثورة الفرنسية التى غيرت شعور الناس وطرق تفكيرهم .

وقيل : هو غلبة الخيال والعاطفة على العقل .

وقيل : هو الكلف بالطبيعة والشعور القوى بجمالها ومواقع فتنتها .

وقيل : هو استعداد الروح للكآبة والتألم .

وقيل : هو حب العزلة والانفراد.

وقيل غير ذلك كثير ، وأشمل تعريف رأيناه هو الذى ذكره Seillires فى كتابه عن أدب القرن التاسع عشر حيث قال : الرومانتيسم هو غلبة غير المعقول على المعقول ، وإرادة القوة ، والاحساس المُلِحّ بالذاتية ، وثورة العاطفة ضد الذكاء ، والغريزة ضد العقل ، وهو التصوف فى الحب ، وأن تكون صوفى الطبيعة .

وقد يتساءل القارىء عن علة هذا الاختلاف وكثرة هاته الحدود التى ربما غضت من قيمة هذا المذهب وجعلته زئبقياً لا يكاد يمسك ، وعلة ذلك فيما نرى راجعة الى نفس الرومانتيسم ، فاذا كان هو ثورة على القواعد وتخلصاً من القيود فكيف يعقل أن تكون له قواعد وقيود ؟ واذا كان دعوة إلى الحرية وهرباً من العبودية فبأى حق يكون مقياساً يقاس عليه ، ونمطاً يدخل تحت التعاريف المحدودة ؟ وإذا كان فى جملته وتفيصله انتصاراً للفردية فكيف يحصر أمزجة « الافراد » ويصبها فى بوتقة واحدة ؟

ومهما يكن من الأمر فاننا إذا قرأنا منتجات العصر الرومانتيكى أعجبنا منه حديث الشاعر عن نفسه وانفعالاتها ، ولئن اهتممنا بهذا الحديث ورغبنا فى قراءته وتأثرنا وبكينا أو سررنا فما ذاك إلا لأننا أناسيّ مثله نعطف كما يعطف ، ونحسّ كما يحسّ ، ونشعر كما يشعر ، ونحمل قلباً مليئاً بالمعانى الانسانية والعواطف المتباينة ، ولا يمتاز عنا إلاّ بحدة إحساسه ومرهف شعوره ، وعمق نظرته ، وقدرته على أداء تأثراته وانفعالاته .

وقديماً أغرم العرب بالسؤال عن أشعر الناس .

وكان المسؤول ينشد البيت الفرد من شعر الشاعر ثم يقول هو أشعر الناس حتى كان كل الناس أشعر الناس .

أما نحن فنقول اليوم إن أشعر الناس هو أعمهم إنسانية وأشملهم بشرية ، وهو الذى يكون مرآة صادقة يتراءى فيها الكون وما يلقيه اليها من الظلمات والأشعة ووتراً رقيقاً تغنى عليه الانسانية أشواقها وآمالها وتلحن عليه أحزانها وآلامها ،وهو الذى ينظر إلى الكون ويضع مشكلاته على بساط البحث ويقف أمام الطبيعة ويتساءل عن العلة والنهاية ويتلمس فى ظلمات الشك والحيرة ما هنالك وراء المادة ، وهو الذى يدخل إلى نفسه ليتعرف هاته الذات التى هى أنا ، ويتشوف إلى الوقوف عن مبدئها وغايتها من الوجود ومعادها . ذلك هو أشعر الناس، وتلك هى مملكته

ومجال شعره، وهذا ما ننتظر منه إن يعرضه لنا فى آثاره ويتلمس له الحلول والشروح فى نبضات قلبه ووحى عبقريته .

ومن هذا نعرف ان الرومانتيسم لا يختص بالادب الفرنسى وحده فلكل أمة من الامم أدبها الرومانتيكى، وكل مدنية قامت فى الدنيا كان لها عصرها الرومانتيكى ، فهو العصر الذى تتصل فيه الآداب بالروح وتمتزج بالمشاعر وتجيب دواعى القلب المجهولة ، هو العصر الذى يتخطى أهله تلك الحيوات الحقيرة والمآرب العجلى ويكفون عن اعتباره ملهاة لدفع السآمة ومشغلة لأوقات الفراغ ، هو العصر الذى يحل فيه فى كل عقل تساؤل وفى كل قلب حيرة فتطرق أبواب الغيب ويوقف أمام الطبيعة وتتعرف أسرار الدين، وهو كذلك عصر المشادة والجهاد الذى لاتنهض الآداب إلا فى ظله . وهذا أدب الألمان الرومانتيكى كان أزهر عصوره عصر الاضطرابات والفوضى التى أحدثها تفكك الامبراطورية إلى دول صغيرة والحلال وحدتها ، وقل مثل ذلك فى الأدب الانجليزى والايطالى (١)

وقد كاد أن يكون للأدب العربى عصر رومانتيكى مع الشعراء العذريين ، وقد كان ذلك العصر عصر مشادة على أثر انتقال السلطان من جزيرة العرب إلى دمشق وجهاد الأحزاب السياسية العنيف وتغلب اليأس والقلق على القلوب ، فكان ذلك من أسباب ظهور الشعر الغزلى كما فصله الدكتور طه حسين بقوة فى كتابه « حديث الاربعاء » ، وقد قلت كاد لأنه كان رومانتيكياً فى روحه ومنحاه ولم يكن فى أساليبه وقوالبه التى بقيت مدرسية تجرى على سنن الشعر العربى الجزل .

واليوم كل ما فى الشرق يبشرنا بأننا على أبواب الأدب الكبير ، الأدب الرومانتيكى إن لم نكن مشينا شوطاً فى هذا السبيل ، فهناك علامات كثيرة وبذور طيبة ستؤتى أكلها بعد حين ، ومن هذه البذور الصالحة مجلة (أپولو) التى نعلق عليها كبير الآمال فى توجيه الأدب العربى الى هاته الناحية ؟

تونس : محمد الحليوى

---

(١) انظر فى هذا المعنى (حصاد الهشيم) للمازنى : الادب ينهض فى عصور المشادة (ص٥٩)



لبيكَ يا حقُّ ويا قريض !

كان الحق ولم يفتأ موجباً علينا أن نقول كلمة فى نقد أحد الادباء للدكتور أبى شاد ، ولكننا خشينا السَّلق والعداء ، لأن الحق مكروه والداعى اليه بغيض ولعمرى إنه أحق بالخشية وأولى بالجابة ، وإذ نوَّه بى الشاعر الناقد حسن كامل الصيرفى لم أجد ندحة عن أقول هذه المقالة وألبى الحق وأعضد الصدق .

يرى جماعة من المعنيين بالأدب أن النقد من المستسهلات وأن لغة العرب وشعرها شيء يقبض بالأيدى و يعقط كالكرة ، ويُتلعب به بحسب المشيئة . هيهات هيهات ، يأبى الحق ذلك ؛ بل دونه المصاعب والأهوال . لقد قرأنا من كتب الأدب واللغة والنحو والصرف والنقد القديم ما شاء الله قراءته ، ومع ذلكم يا أهل الحق ، نسير فى النقد متهيبين العثرات متخوفين الهفوات ، ولا سيما فى نقد الشعراء ، لأنهم لاذوا بالوزن والقافية واحتموا بالمجاز والعاطفة . واستذروا بالتعريض والتنويه ، فدواوينهم يتداولها الشراح على اختلاف أذواقهم ومعارفهم وعصورهم ، وآرائهم يتناولها المحللون على تباين اجتهاداتهم واستنباطاتهم ، فهم ربما اكتفوا باللمحة وقنعوا بالتعريضة واقتصروا على الكناية وتكلموا بلغة العواطف وأشاروا برموز التصوف وعموا بالتورية وأخفوا بالتجاهل والمساءلة ، ووصفوا بضرب المثل ، يعتمدون فى ذلك على نقدة البصائر وسلَمة الأذواق وأرباب الفطنة ، وعُراف الاساليب ، فكيف استجاز الناقد أن يقول فى أبى شادٍ « تأتى اليه بدائع المعانى وابكار الخيالات ارسالاً فلا يقابلها بما تستأهله من لفظ خلق لها ولكنه يلبسها كلمات فضفاضه واسعة أو ضيقة تكاد تتمزق » ويقول « ولكنه لا يسلم من العثرات والكبوات » .

كلا ، لا يجوز أحد أن يقول هذا القول إلا إذا كان متبحراً متبقراً فى العربية

وأساليبها ، وأنا لم أجد فى كتابة الناقد ولا فى نقاط نقده ما يؤهله للنزو الى هذا المرتقى الصعب ، ألا تراه يقول فى ص ٢٠٥ من مجلة (أبولو) :

١ — « ثم يتساءل مَن ذلك الشاعر » باسناده فعل الاشتراك « يتساءل » إلى واحد ، مع أن التساؤل لا يكون الا من اثنين « ساءل يكون مسؤولا ومسؤول يكون سائلا » على الأقل ، ومنه قوله تعالى « عم يتساءلون » .

٢ — ويقول فيها « ما هذا الشعر الانسانى العالى وهل هناك شعر حيوانى؟» ظاناً أن قول القائل « شعر انسانى » يراد به نسبة الشعر الى الانسان ، مع أنه منسوب الى « الانسانية » فلما اجتمعت نسبتان وكانت ياء الأولى فوق الرابعة حذفت وحلت محلها الجديدة كما تقول « فلان شافعى » نسبة الى الشافعى ، وإن يكن جاهلاً ما يراد بشعر الانسان فأمره غير موكول الينا .

٣ — ويقول فيها « بيت من الشعر يستشهد به الأديب المحاضر » ولو كان عارفاً لأساليب العرب لعلم أنّ « يستشهد » متعدٍّ بنفسه وعلى ذلك ورد فى القرآن الكريم ، ونحن لا نخطئه فى قوله هذا ، فلربما نطق به المولدون من علماء العربية ، ولكننا قصدنا الى تنبيهه على أن أساليب العرب وتوسعهم فى استعمال الألفاظ ، لا تدرك بما عنده من المعلومات .

٤ — ويقول فى ص ٢٠٦ « ولا تقول العرب على ما نعلم : سيان بين ، ولكن تقول : هذان الأمران سيان » والبيت المنقول :

إنّ الحياة تضافرٌ وتعاونٌ سيانِ بين غنيّها والمُعْدِم

فقال الصيرفى « وقد فاته أنّ (سيان) متعلقة بمحذوف تقديره هما كما هو ظاهر من تركيب البيت ومعناه » وهو قول وجيه ، ولكن الناقد رده بقوله « ولكنى أزيدك وضوحاً وأضع أصبعك على موضع الخطأ وقد ضلت عنه ، فبين لفظ للتفريق والمقارنة (كذا [1]) وهى لا تستعمل لوصف شيئين بصفة واحدة ولكن لصفتين جد مختلفتين مع شتان فماذا تقول فى ذلك » وهذا كلام لا يكاد

(١) المقارنة : صفة المقارن والقرين والقرن ، فهى المماثلة والمشابهة وليس فيها ما يدل على التفريق البتة ، ويستعملها جماعة من الكتاب بمعنى المقابلة والمعارضة ، وذلك خطأ لا سماع يؤيده ولا مجاز يعضده ، لأنه قلب للمعنى الموضوع له اللفظ .

يستقل بشبهة فكيف أرسله ارسال الحقائق ؟ أجل أيها الناقد إن « بينا » توضع بين شيئين مختلفين فى المكان ولكنها تابعة لمتعلقها فيقال « جمع بينهما وألف بينهما ووفق بينهما » فيدل الكلام على الانفصال السابق ، فاذا قلنا « الأمران سيان بينهما » فمعناه متساويان فى ما يريد الشاعر بالتساوى ، كما يقال « الأمر بينهما » أى مشتركان فيه ، ومنه قول الملك الأفضل وقد بعث به الى أمير المؤمنين الناصر لدين الله أبى العباس العباسى ، يشكو فيه عمه أبا بكر وأخاه عثمان بن صلاح الدين :

مولاى إنّ أبا بكر وصاحبه عثمان قد غصبا بالسيف حقّ على
فخالفاه وحلاّ عقد بيعته والأمر بينهما والنصّ فيه جلى

فهل يفهمُ الناقدُ من قوله « الأمر بينهما » أنهما مختلفان ؟ معاذ الله وملاذه! وهل يبقى موقناً أنّ « بيناً » لا تستعمل إلا لوصف شيئين مختلفين ؟ هذا موكول إلى مقدار حبّه للحقّ .

٥ — ويقول فى ص ٢٠٦ ايضاً « الخبث خلة من طبيعتها الكمون فى النفس فكيف نصفها بتضرّم النار ؟ » وكان أجدر أن يخطىء الشاعر الجاهلىّ فى قوله :

ومهما تكن عند امرىء من خليقةٍ وإنْ خالها تخفى على الناس تُعلَم

فالشاعر عرف ضرام ذلك الخبث بشدة نزواته من مكامنه ، وكثرة إحراقه لأحبّاء الأنسانية ، أجل أيّها الناقد إنّ الخبث خلّة من طبيعتها الكمون فى النفس ولكن الكامن قد يظهر لاحتدامه واشتداده ، والحبُّ عاطفة من طبيعتها الكمون فى النفس ولكنّها قد تظهر بأمارات لاأحسبُكَ جاهلَها ، ولعمرى لئن كان هذا نقداً للشعر لتسوأنّ عاقبتُهُ وليصبحنّ هُزُواً ولعباً .

٦ — ويؤاخذ الشاعر على قوله :

وجرحتِ نفسَكِ بالجهالهِ مثلما فى ظُلْمةٍ بيديه قد جُرِحَ العَمِى

فيقول : « فأىُّ العميان هو المقصود أهو أعمى البصر أو البصيرة ؟ فاذا كان أعمى البصر فسواء لديه الظلمةُ أو النورُ والأعمى لايجرحُ نفسه ، واذا كان أعمى القلب فانه يجرح نفسه أيضاً فى النور جرحاً أعمق وأوسع منه فى الظلام » . قلنا : إنّه أعمى البصيرة لا أعمى العينين ، فمن ألهمكَ أنه يجرحُ نفسه فى النور جُرحاً أعمق وأوسع منه فى للظلام ؟ قل لماذا ـ رحمك الله ـ ألأنه يرى الدّمَ فينتبه إلى ما عملت يده

بنفسه ؟ أم لانه يرى كيف يوجه الآلة الجارحة فيقل ضرر غباوته لجسمه ؟! أتتصور أن العمى البصيرة قد أمسك السكين لذبح نفسه وبنيت على ذلك قولك؟ أقسم عليك إلا تصورته مزاولا لعمل من أعماله فى الليل وفى يده سكين شحيذ، أفلا يعينه النور إذ ذاك على بعض خرقه وحمقه ؟ ألا يعين النور الناقة العشواء إذا سارت فى الظلماء؟ ألا يعين النور الطير على مغداها ومضطربها ومراحها ؟ كلا ، لا يقبل العقل السليم أنّ العمى يجرح نفسه فى النور جرحاً أعمق وأوسع منه فى الظلام ، فذلك من انكار البديهيات وتعكيس الأواقع [1] .

٧ — ويقول فى ص ٢٠٦ «أما الأدباء الآخرون الذين اشتركوا فى وضع الكتاب» والصواب «شاركوا فى ...» لأن الفعل «اشتركوا» يدل على التشارك ولا يجوز اسناده الى جماعه من المشتركين مع اغفال الباقين .

٨ — ويقول فيها : « هذا ولا أدرى لماذا لم يعرب المحاضر اسم أبى شادى فيجعله مرفوعاً ومنصوباً كما يتطلب موضعه من الكلام وهو أمر أليق بهذا الاسم الشاعرى » ونحن ندريه: فليعلم أن كثيراً من العرب يحافظ على صورة الكنية المسمى بها ، قال ابن عتبة العلوى إنه رأى نسخة من المصحف الكريم بمشهد عبد الله العلوى قرب مدفن الامام ابى حنيفة كتب فى آخرها « بسم الله الرحمن الرحيم كتبه علىّ ابن ابوطالب [2] » بإثبات الواو فى «أبو» على كونه مجروراً بالاضافة، وهذا شيء مفروغ من البحث فيه معروف عند المعنيين بالعربية . وأغرب ما فى أمر الناقد انه يدعو الى اعراب هذا الاسم ويقول « اسم أبى شادٍ فيجعله » والاعراب يوجب عليه حذف « الياء » من جزء الكنية الثانى فتكون الجملة « اسم أبى شادٍ فيجعله » فشادٍ اسم منقوص تخلل الكلام ولم يقترن بأل ولا أضيف ولا وقف عليه .

٩ — ويقول فى ص ٢٧٧ « رد الأديب الصيرفى على النقد » ثم قال « يرد على شيء لم يثبته » ولم يقل مثل هذا عربى فصيح فقد قالوا « ردّ على فلان نقده وردّ على فلان بكذا » فالفعل يجب ان يسلط على النقد ، فيقال « ردّ الأديبُ علىّ النقد » و« يرد شيئاً لم يثبته » .

١٠ — وقال فى تلك الصفحة « وقد أباح لنفسه أن يسقط » والفصيح المقيّد

(١) الاواقع : جمع الواقع (٢) عمدة الطالب فى انساب آل ابى طالب

« أباح نفسه كذا » قال فى مختار الصحاح « أباحه الشىء : أحله له » فالذى يتعرض للناس بالنقد والتعقب يحاسَبُ على غير الفصيح من كلامه .

١١ — وقال فى الصفحة « المؤمنين بتأليهه » مريداً : باتخاذه إلاهاً ، وهذا هو جعل اللفظ لما يوضع له ، فانّ التأليه : التعبيد فهو ضدّ اتخاذ الالَه ، والمعروف عندهم « اتخذ الاهاً » وورد فى القرآن الكريم كثيراً ، منه قوله تعالى « واذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلاهين من دون الله ؟ » وما أعرف معجماً لغويا لثقة يثبت ان التأليه هو اتخاذ الالَه ، أمّا القياس فى مثل هذا وهو ملجأنا عند الحجة والاضطرار فهو «الاستفعال» يقال « استألهه : اتخذه إلاهاً واستنبأه اتخذه نبياً واستسفره اتخذه سفيراً واستبضع الشىء : اتخذه بضاعة » .

١٢ — وقال فيها « وما هكذا ينبغى . . . » ثلاث مرات ، بفصله بين النافى والمنفى « ينبغى » بـ « هكذا » ولم يقُل مثله عربى فصيح ، فالوجه أن يقول «وما ينبغى هكذا أن تلتق ... » أو « وما ينبغى ان تلتق ... هكذا » وليذكر قوله تعالى « وما علمناه الشعر وما ينبغى له ...» وهو ناثر مختار وليس بشاعر مضطر فنعذره .

١٣ — وقال فيها « تحلف ميراثاً سيئاً للأجيال القادمة من صديق يتكلّم عن صديق شاعر » والصواب «يتكلم على صديق» فليراجع شرح بن ابى الحديد «مج ٤ : ٥٠٧ » وأمالى المرتضى «٣ : ١٦ » ولقائل ان يقول : ألا يجوز ان نضمن «تكلّم» معنى « أخبر » وما فى معناه ، فنقول : إنّ شرط جواز التضمين عدم الالتباس ، وقوله «يتكلّم عن » يفيد النيابة ، فالنواب يتكلمون عن أهل بلدانهم والمحامى يتكلم عمّن يحامى عنه ، وعلى ذلك جرى أسلوب كلام العرب ، ففى ل س ن من (مختار الصحاح) ما نصّه «وفلان لسان القوم اذا كان المتكلم عنهم» وفى ن ض ل منه « وفلان يناضل عن فلان اذا تكلم عنه بعذره ورفع » وفى جمهرة الأمثال لأبى هلال العسكرى « ص ١١٨ : فيُقاتل عن العاجز ويتكلم عن العىّ » وهو وصف لسيّد من السادات .

١٤ — وقال فى ص ٢٧٨ « واذا كان الأعمى يجرح نفسه . . . فما حاجة الظلام له » والصواب « فما حاجته الى الظلام » فهو المحتاج إلى الظلام وليس للظلام احتياج اليه ، وذلك ظاهر لكل فصيح لم تخالط عربيته العجمة .

١٥ — وقال فيها « بل عادت بناءاً على التعليمات الصادرة اليها بالعودة » وهو

من كلام الدواوين الذى يجب أن يترفع عنه ناقد الأدب ، فما ضرّه لو قال «بل أمرت العودة» فأراح واستراح ونقى كلامه من هـذا الوضر وهو فى معرض النقد بوالحساب ؟

١٦ — وقال فيها « هو الذى يقتضى فقط هذه المناورة » ونحن ما نناقشه فى استعماله « المناورة » بل فى استعماله « فقط» فقد وضعها بعد الفعل وأخر اسمها الذى يجب أن تليه ، والصواب « هذه المناورة . . . فقط » ومما يدل على صحة قولنا ما ورد فى المعاجم اللغوية ومنه ما فى المختار ونصه « تقول رأيته مرة واحدة فقط » وفى ح م م منه « وعند العامة أنها الدواجن فقط » وفى ص ح ب « لم يُجمع فاعل على فعالة إلا هذا الحرف فقط » فهى تذكر بعـد الاسم المكتفى به لا بعد الفعـل موالاةً .

١٧ — وقال فيها « وهل هو يستوى وشعره ؟ » ومن مبادىء النحو أنه « لا يجوز عطف الظاهر على المستتر المرفوع بلا توكيده بضمير منفصل كقوله تعالى « اسكن أنت وزوجُك الجنة » ولافصله عن الظاهر بفاصل لفظى مثـل « لا » فى قوله تعالى « ما أشركنا ولا آباؤنا » وكرر الخطأ فى ص ٢٧٩ بقوله « ما قـد يتفق وما لا يتفق معها » وهذا مستقبح فى كلام العرب حتى الشعر كقوله :

زعم الأخيطلُ من سفاهة رأيه ما لم يـكن وأبٌ له لينالا

وكقول الآخر :

قلتُ إذ أقبلت وهندٌ تَهادى كنعاجِ الفلا تعسفن رملا

وربما يلجأ الناقـد المنقود كلامـه إلى جعـل « شعره وما » مفعولين بالمعية ، فأبشره بأنّ ذلك لا يجوز لأن « يستوى ويتفق » من أفعال الاشتراك فلا يكونان إلا من متعدّد ، ولا يجوز النصب مـع الفعل الدال على تعـدد ، بل يجب العطف ، وليراجع كلامنا على « تساءل » فى النقدة الأولى .

١٨ — وقال فى ص ٢٧٩ « فـكيف يكون الجمال كاتماً وحا كياً فى آن واحـد وكيف يذوق الانسان مرأى الشيء ؟ » نافداً قول الدكتور أبى شادى :

فى كلّ حالٍ منكِ ألفُ معبرٍ عما يكتمه الجمـالُ الحـاكى
يدرى به العشاقُ إن لم يَدرهِ مَنْ لم يذقْ مَرآكِ أو مَعناكِ

(٤) فيقول له « من أعلمك أن الشاعر قد أراد كون الجمال كاتماً وحا كياً فى آن واحد» فليس فى قوله ما يدل على اتحاد الزمانين ، ألا يستصوب عقله أن يقال « الانسان المتكلم السامع الواقف الماشى الا كل الشارب النائم المستيقظ » فكل هذه صفات له وما فى الكلام ما يدل على اتحاد أزمانها ، ثم إن المفهوم من قول الشاعر ان هذا الجمال يحكى المثل الأعلى ، والشعراء يخاطبون من يفهم كلامهم ويستدل باشاراتهم ويفطن لتلميحتهم ويدرك موضوعهم ويستنبط ما حذف مما أثبت ، ألا يرى الناقد الى قول الشاعر الجاهلى :

نحن الألى فاجمع جمو عك ثم وجّهم الينا

فترك الاسم الموصول بلا صلة اعتماداً على نباهة السامع ، وورد مثل هذا فى القرآن الكريم ففى سورة الرعد « ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى ، بل لله الأمر جميعاً » وليس من جواب بعد «لو» فان كان هذا جائزاً فى النثر وارداً فى القرآن فلمَ لا يجوز فى الشعر المكنوف بالوزن والقافية ؟

أما قوله « وكيف يذوق الانسان مرأى الشىء » فغريب ، بل هو أشد غرابة إذا سمع ممن يقول فى الصفحة نفسها « فهو بيت لا معنى له ولا طعم » فان كان هو يذوق الشعر بلسانه فلماذا يحرم على الشعراء ذوق المرأى ؟ ويعيب على الدكتور أبى شادٍ بقوله « فهو يستعمل اللفظ فى غير ما أراده العرب له » أفهذا هو النقد ؟ ليعلم أن قول الشاعر « لم يذق مرآك » من كلام العرب وأن جهله إياه لا ينفى عنه عروبته ، فهو من باب « الاستعارة المجردة » كقوله تعالى « فاذاقها الله لباس الجوع والخوف » فمن الجاهل لكلام العرب أهو أم الشاعر ؟ فان القرآن استعار الاذاقة للباس والشاعر استعار الذوق للعين ، ولغة العرب أوسع من أن تضيق بأمثال هذه الاستعارات الوجيهة وهى هى ، ألا ترى أن العرب تقول « عطش الى فلان » بمعنى اشتاق اليه ، ولم يقل أحد أنه بمعنى « اراد أن يشرب فلاناً » فأول ما يملك الناقد أن يكون ذوقه عربياً ، وما يقول الناقد فى قوله «لدرجة بعيدة » كما جاء فى ص ٢٠٤ من المجلة ؟ وقوله فى ص ٢٧٩ منها « تكدر عذوبة الماء » فهل سمع واحداً يصف الدرجة بالبعد ؟ ويستعير التكدير للعذوبة ؟ فهذا من ذاك وخلاه ذم .

١٩ — وقال فى الصفحة « فكيف ينشأ فى السجن ويبكى ما تبقى من العمر ؟ هما معنيان متناقضان وهو إما لا يبكى بالمرة (كذا) لانه نشأ فى حياة اعتادها وإما

يبكى عمره ما تقدم منه وما تأخر » وهذا تورّك وتعجّل فى النقد، فان كون الطائر مولوداً فى السجن ونشوءه فيه لا يقتلان فيه طبيعة الحرية ومن آلاتها الجناحان، وهل يريد الناقد أن ينكر « قانون الوراثة » وهو أعظم القوانين الطبيعية للأحياء وأثبتها حقائق ودقائق ؟ والناقد الأديب يجب أن يراعى الثقافة العامة فى نقدة ، فلا يترك سبيلاً على نفسه ولا مغمزاً فى نقده ، نحن نعذر البدوىّ إن لم يفهم قانون الوراثة فهماً علمياً فا كتفى بالرمز إليه بقوله فى الذئب الذى رباه فلما كبر قتل شاته :

بقرتَ شويهتى وفجعتَ قلبي ... فمن أدراك أن أباك ذيبُ ؟
إذا كان الطباع طباع سوءٍ ... فلا أدبٌ يفيد ولا حليبُ

ولكن لانعذر الناقد ولا أمثاله فى مثل هذه الأمور ثم إن هذا الطائر المحبوس يرى غيره من الطير فيودّ أن يعيش عيشتها ، فهل فى ذلك شىء من التناقض وهل يعرف الناقد شروط التناقض ؟

أما قول الناقد « وامّا يبكى عمره ما تقدم منه وما تأخر » فتحكمٌ منه وافتياتٌ واستبدادٌ ، فان انتظار البلاء والعذاب والخسران ليشغل المنتظر عمّا فات وتحملته النفس قبلاً ، وان البكاء على الأعز ليصرف النفس عن الاهون ، وان تصور الذى سيقع هائلاً والهلع منه ليعوقانها عن شىء مضى ألمه وإن بقى فى الجسم أثره ، وان شرارة من المستقبل لآلم من جهنم فى الماضى ، ومنهم من يتحمل عذاب الزمن الذى هو فيه خشية عذاب المستقبل ، أفلم يسمع بقول عباس بن الأحنف :

سأطلب بُعدَ الدار عنكم لتقربوا ... وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

وقيل للربيع بن خيثم — وقد صلى ليلة بكمالها — : أتعبت نفسك ، فقال : راحتها أطلب ! وقد يقول الناقد : إنه الطائر ليس كالانسان فلا يتصور المستقبل ، فنقول له : ولكنه يشعر بألم السجن فى الزمن الحالى ، فان بكى فى كل ساعة هو فيها فقد بكى عمره الباقى كله من دون استثناء شىء منه ، وهذا من البديهيات ويسقط معه قول الناقد « وامّا يبكى عمره كله » إذا تعلق به . ها هنا أقف قلمى وأرجو من الناقد الكريم الأديب ألاّ يغضب من الحق فأحسن من الحق متبعه والله الهادى .

مصطفى جواد

كروانيات العقاد

أفراخ « قُبَّرةِ » شيلي . . . !

عباس محمود العقاد كاتب سياسى معروف ، ولا يمكن لأحد من قراء الصحف اليومية أن ينكر وجود شخصيته من هذه الناحية كيفما كان لونُها ، ولكن هذا الكاتب السياسى أديب كذلك ، بل هو شاعر وشاعر كبير رغم أنف الشعراء والنقاد.

أخرج هذا الكاتب السياسى مجموعة من النظم فى هذه الأيام تحت اسم « هدية الكروان » ، ضمنها قصائد اقتطع ألفاظها من جبال هملايا . . . والغريب أن كلِ ما يتعلق بالكروان فى هذا الديوان طائفة من منظومات قصيرة تدل على ضعف الشاعرية والذى يستثير الدهشة أن خيرة هذه الأبيات منقولة من قبَّرة شيلى – تلك القصيدة الخالدة ، والتحفة الرائعة الحيّة . ولا أحب أن أتكلم بدون دليل ، ولكنى أسوق للقراء على سبيل المثال بعض الشواهد فى هذه الكلمة العابرة ، معتمداً على ترجمتى لقصيدة شيلى الخالدة ، تلك الترجمة التى أذاعتها لى مجلة « أپولو » فى العدد السابع من مجلدها الأول ، فى مارس سنة ١٩٣٣ .

(١) قال شيلى فى قصيدته مخاطباً القبّرة :

اذا كان لم ينعم الناظرانْ بمرأى خيالك لمّا سَفَرْ
فيكفى أغانيك تغزو الجنانْ وفى الرَّوحِ أو حولها تستقرّْ !؟

فاسمعوا العقاد يقول فى قصيدته «على الجناح الصاعد» من مجموعة نظمه الأخيرة:

إنْ كنتَ تشفق أن أراكَ فلم تزلْ فى مسمعى وخواطرى وقصائدى !

ويبدو أنه يعشق معنى شيلى البديع فراح يلبسه الرداء الآتى :

أنا لا أراكَ ! وطالما طرقَ النهى وحىٌ ولم تظفرْ به عينانِ !

(٢) وقال شيلى الشاعر الخالد فى قصيدته يناجى القبّرة :

حباكِ الالهُ بروحِ السُّرورْ وأبعدَ عنكِ الضّنَى والضجرْ
وأخلاكِ من حازباتِ الأُمورْ وأعطاكِ سرَّ المنى والسمرْ
فلا تعرفين زمانا يجورْ ويأتى بخاتمةٍ لا تسُرّْ !

ويقول العقاد ناظراً إلى فكرة شيلى الخالدة :

لا يحمل الطيّارُ وزرَ العانى حملَ ابن آدم عثرة الإخوان
لا عالمٌ منكم ولا متعلمٌ كلا ! ولا متقدمٌ أو وانِ !

(٣) واسمعوا شيلى يقول :

يَفيضُ غناؤكِ فوقَ الأديمْ ويسمو فيلمسُ سقفَ السماءْ
ويُنشرُ فى الكون سحرٌ حميمْ يفاوحُ أرواحَنا فى الغناءْ !

فيتناول المعنى العقاد أو يتناول العقاد المعنى فى منظومته «الليل يا كروان» فيقول:

فى الارضِ بيتُكَ ثاوٍ وفى السماء افتنانُ
وبين ذلك مَلهى للحبِّ ، بل ميدانُ !

(٤) ويهيب شيلى بقبّرته هاتفاً :

بحقِّ جمالكِ يا قبّرهْ تقولين ما جال فى خاطركْ !

فلا يحب العقاد المجدد أن يفوت هذه الفكرة دون اقتناصها فيقول فى «الكروان المجدد» :

قلْ ما اشتهيت القولَ يا كروانى !

هذا ما أحببتُ أن أنبه جمهرة الأدباء والمتأدبين اليه بخصوص هذه الاستعارة الجريئة ، وأنا اتحدّى العقاد أن يقول كلمته ما دام ينتقص ويتحدّى شعراء الشباب، فان استعصى عليه الردُّ وخانته اللغة ولم تواته ألفاظ الدفاع ، فرجائى اليه أن يترك ميدان الشعر ويتفرغ للسياسة ، فهذا أَوْلى به وأَصْوَنُ لكرامته الأدبية ، وإلا فله أن يقول الازجال اللطيفة من طراز:

البيلا البيلا البيلا ما أحلى سُلْب البيلا !

فأنا أهنئه على ذلك ، وكفى ما ؟

مختار الوكيل

* * *

(يرى القراء تقريظاً لهذا الديوان فى باب « ثمار المطابع » ونموذجاً منه وتعليقاً عليه فى باب الشعر الوصفى ، ولا يَعنينا من نشر هذه الآراء المختلفة الحرة سوى الخدمة الأدبية الخالصة دون أن نكون ملزَمين بآراء مراسلينا الأفاضل ، كما أننا نرحّب بالردّ عليها ونحرص فى كل وقت على منبرنا الحرّ — المحرّر) .



برسى بيش شلى

١٧٩٢ — ١٨٢٢ م .

آراؤه فى الذّود عن الشعر

(٢)

اللغة واللون والصورة والحوادث الدينية والمدنية كل هذه مواد وأدوات للشعر، فهي يمكن أن تعتبر شعراً إذا قيست بذلك النوع من الكلام الذى يعتبره الأثر مرادفاً للسبب الباعث . ولكن الشعر حسّ أكثر قيوداً يعبر عن حالات اللغة لا سيما المنظومة التى تخلق بواسطة تلك الملكة الجبارة التى يستتر عرشها وراء طبيعة الانسان الخفية . وهذه تنبع من نفس طبيعة اللغة التى هى أقدر على الافصاح بجلاء عن أعمالنا وأهوائنا الداخلية ، والتى تحسّ بالمركّبات الأكثر دقة واختلافاً من اللون والصورة والحركة وألين وأطوع لسلطة تلك القوة المبتكرة لأن اللغة قد نشأت طليقة بواسطة الخيال ولهاصلة بالافكار وحدها ، ولكن سائر مواد وأدوات وشروط الفن الأخرى لها صلات بسائر أجزائها التى تدخل بين الشعور والافصاح.

فالأولى كالمرآة التى تشعّ ، والأخرى بمثابة السحاب الحاجب للنور الذى يعتبر كلتا الاثنتين بمثابة وسائل اتصال . لذلك كانت شهرة المثّالين والرسامين والموسيقيين — مع أن القوى الجوهرية لأساتذة هذه الفنون العظام يمكن أن تخضع بدون حد إلى شهرة أولئك الذين يستخدمون لغة هيروغليفية فى الافصاح عن أفكارهم — لن تدنو من شهرة أولئك الشعراء فى أضيق معانى هذه العبارة . وإن شهرة المشرّعين وموجدى الأديان على قدر دوام تعاليمهم تظهر وحدها بأنها تفوق شهرة الشعراء فى أضيق معانيها ولكنها قلما تصلح لأن تكون سؤالاً . لقد أدخلنا كلمة شعر فى حدود هذا الفن الذي هو أكثر اتصالاً وأتم تعبيراً للملكة ذاتها ومع ذلك فمن الضرورى أن نجعل الدائرة أضيق ، وأن نفصل بين اللغة المحدودة والغير المحدودة لأن التقسيم

المعروف إلى نثر ونظم لا ترضاه الفلسفة الدقيقة . والأصوات كالأفكار يتصل كل منهما بالأخرى والاثنتان تتصلان بذلك الذى تمثلانه ، والشعور بنظام هذه الصلات يجب أن يرتبط بشعور نظام الصلات للأفكار . لذلك كانت لغة الشعراء تظهر دائماً بلون خاص وصدى موسيقى متوافق للصوت وبدونه لم تكن شعراً بل أقل أثراً من الكلمات نفسها ، ومن هنا كان بطلان الترجمة . فمن الصواب أن تلقى ببنفسجة فى بوتقة لتكشف عن نظرية تكوين لونها ورائحتها كما تبحث عن نقل آثار شاعر من لغة لأخرى . وإن مراعاة تلك الطريقة النظامية لصدى توافق النغمات فى لغة أصحاب المدارك الشعرية مع صلتها بالموسيقى قد أوجدت وزناً خاصاً للصور التقليدية للنغمات المتوافقة واللغة ، وهى بلا نزاع جوهرية . أى على الشاعر أن يُدخل فى لغته هذه الصورة المستحدثة حتى يتسنى للنغمات المتآلفة التى هى روحه أن تظهر .

وحقاً إن التجربة عامة ومريحة ويجب أن تقدم لاسيما فى مثل هذا الموضوع الذى يشمل عملاً كثيراً ، ولكن يتحتم على كل شاعر عظيم أن يبدع على مثال أسلافه فى تأليفه الأصلى لنظمه الخاص .

والتفريق بين الشعراء والكتّاب غلطة شنيعة ، والتميز بين الشعراء والفلاسفة سابق ، فقد كان أفلاطون شاعراً ، فان صدق تصويره وروعته وموسيقى لغته وأكثر الأشياء عمقاً ودقة يمكن أن تظهر فيه . وقد نبذ حدود القصة ولم يرض بالصور التمثيلية والغنائية لانه أراد أن يحيى النغمات المتآلفة فى الأفكار عارية من الشكل وعمد الى اختراع طريقة منظمة للوزن يمكن أن تضم تحت صور محكمة خطوات أسلوبه المتنوعة . وقد حاول شيشرون أن يحاكى ألحان زمنه ولكنه لم يوفق كثيراً . وكان اللورد بيكون شاعراً وكان للغته تفعيل عذب رائع يشبع الحسّ ولا يقل عن حكمته السامية فى الفلسفة التى ترضى العقل فهى أسلوب يأخذ فى الانتفاخ حتى يغمر محيط عقل القارىء وينساب معها فى ذلك المنشأ الشاسع الذى يحوى الشعور بالعطف الدائم . وكل موجدى الثورات الفكرية ليسوا شعراء بالضرورة فقط كما انهم مبتكرون وليسوا كما تكشف كلماتهم عن التحليل الحقيقى للأشياء بواسطة الصور التى ترتبط بحياة الحق ولكن لان عهوده كانت متآلفة النغمات ومنظومة وتحمل فى باطنها عناصر الشعر . كانوا صدى للموسيقى الخالدة . وأن أولئك الشعراء العظام الذين استخدموا صوراً حديثة فى الوزن على حسب مقتضيات صورة وعمل مواضيعهم ليسوا أقل

مقدرة على فهم حقيقة الأشياء من أولئك الذين تجاهلوا تلك الصورة ، فشكسبير ودانتي وملتون « إذاعددنا أنفسنا فى زمرة الكتاب الحديثين » فلاسفة من أسمى نوع .

فالقصيدة هى الصورة الحقيقية للحياة مشروحة على حقيقتها الأبدية ؛ وهذا هو الفرق بين القصة والقصيدة لان القصة قائمة حقائق مفككة لا يجعلها متماسكة إلا الزمان والمكان والظروف والسبب والأثر الناتج ـ أما الأخرى فهى خلق حوادث بالنسبة الى تلك الصور العديمة التغير للطبيعة البشرية كما تحيا فى ذهن الخالق الأعظم والتى هى صورة لسائر العقول الأخرى .

فالأولى متحيزة وترمز فقط الى مقدار محدد من الزمان ، ومجموعة معينة من الحوادث التى لن يتسنى لها أن ترجع ثانياً ، أما الاخرى فهى عالمية وتحوى فى داخلها جرثومة الصلة بكل الدوافع والأعمال التى تتخذ لها موضعاً فى تغيرات الطبيعة البشرية الممكنة .

والزمان الذي يشوّه جمال القصة وقيمتها ذات الحقائق الخاصة والتى نزعت من الشعر الذى يمكنه أن يستثمرها يزيد فى الشعر ويضيف استعمالات جديدة وعجيبة لذلك الحق الخالد الذى يشتمل عليه .

لذلك دعيت المختصرات عنه التاريخ الحقيقى فهى تأتى على ما فيه من الشعر .

فالقصة ذات الحقائق الخاصة مرآة تخفى وتشوّه كل جميل ، والشعر مرآة تجمّل كلّ قبيح .

يمكن أن تكون أجزاء التركيب شعرية دون أن يكون كل التركيب مجتمعاً قصيدة وقد تعد الجملة الواحدة كمجموعة مع أنها قد توجد بين عدة أجزاء غير متجانسة بل قد قد تكون الكلمة بمفردها شرارة لفكر لن يخبو ، وعلى ذلك كان كل المؤرخين العظام هيرودوتس وبلوتارك وليفى شعراء ، ومع أن طريقة هؤلاء لا سيما طريقة ليفى عاقتهم ء تنمية تلك الملكة فى أسمى درجاتها فقد استعاضوا عنها بملء تلك الفسحات الضيقة فى مواضيعهم بصور حية ، وإذ قد فرغنا من ماهية الشعر والشعراء فدعنا نشرع الآن فى إظهار آثاره فى المجتمع الانسانى .

يقترن الشعر دائما بالسرور فكل الأرواح التى يهبط عليها تهيىء نفسها لقبول الحكمة الممتزجة ببهجته . فى طفولة العالم لم يكن الشعراء أنفسهم ولا المستمعون لهم عارفين تماماً عظمة الشعر لانه يعمل فى طريق سام لا يدركه إلا الوجدان .

وقد حفظ للاجيال التالية لتتدبر وبحدد السبب والأثر العظيمين فى قوة وجلال وحدتها .

حتى فى الأزمان الحديثة لم يصل شاعر إلى تمام شهرته : فاللجنة المحلفين التى تجتمع لتقضى على الشاعر الذى ينتسب لجميع العصور يجب أن تشكل من أقرانه ويجب ألا تتقيد نزمان عند اختيار نخبة من عقلاء عدة عصور .

الشاعر كالبلبل الذى يجلس فى الظلام ويصدح ليبدد وحشة وحدته بأنغامه الشجية ، والصاغون إليه كأولئك الذين سُحروا بنغم موسيقار متوافق فيحسون بأنهم اهتزوا وطربوا ولكنهم لايدرون متى ولماذا .

فقصائد هوميروس ومعاصريه كانت بهجة الإغريق الأولين إذ كانت العناصر الأولية لذلك النظام الاجتماعى الذى هو بمثابة العمود الفقرى الذى ارتكزت عليه سائر المدنيات المتتالية . فقد صور هوميروس المثل الأعلى لعصره فى صور انسانية ولن نرتاب فى أن أولئك الذين يقرءون أشعاره تستيقظ فيهم غريزة الطمع بأن يصبحوا مثل آخيل وهكتور ويوليبس بوليسيس لحق وجمال الصداقة والوطنية ودوام التعبد كل هذه كشف عنها فى هذه الآثار الخالدة . وأحاسيس المنصتين يجب أن تنتقى وتعظم بالانعطاف نحو هذه التشخيصات المحببة العظيمة حتى أنهم لفرط اعجابهم حاكوها ولأنهم حاكوها وقفوا أنفسهم على أغراض إعجابهم .

ولا يجوز الاعتراض بأن هذه التشخيصات أقدم من درجة الكمال الأخلاقى ، وبأنه يمكنها بلا واسطة أن تعتبر أسساً قويمة للمحاكاة . فكل عصر قد أكبر من غلطاته الشنيعة تحت ستار أسماء متفاوتة فى الظهور قلة وكثرة . فالانتقام هو المعبود العارى لذلك العصر النصف الهمجى ، والغرور هو الصورة التى تكسو الشر المخبوء الذى يسجد أمامه الترف والشبع . ولكن الشاعر ينظر إلى نقائص معاصريه كأنها ثوب مستعار مزين بآياته والذى يستر دون أن يخفى تقاسيم جمالهم الخالدة وجمال الطبيعة الداخلية لم يعد يخفيه منظرها الخارجى ولكن روحها تتصل بالصورة الخفية جداً وتنم عن الشكل الذى يخفيها بالحالة التى تلبسها ، فالشكل الرائع والحركات الرشيقة تكشف عن نفسها حتى فى ثوب الهمجى الذى لا ذوق له .

وقليل هم الشعراء الممتازون الذين أفصحوا عن جمال تصوراتهم فى صدق وجلال بارزين .. وكل ما يعترض على منافاة الشعر للآداب يقع فى سوء فهم السبيل الذى

يتخذه الشعر فى إبراز الاصلاح الأخلاقى للانسان . فالعلم الأخلاقى يقوم بترتيب العناصر التى يأتى بها الشعر ويعرض تدابير وأمثلة الحياة العائلية . وليس من التعاليم المحبوبة أن يضمر الناس الكراهية والاحتقار والضرر والايقاع والفتك بعضهم لبعض . ولكن الشعر يعمل فى طريق آخر أسمى فهو يوقظ ويوسع العقل بأن يجعله حاوياً لروابط كثيرة للفكر غير مدركة ، فهو يرفع الستار عن جمال العالم الخفى ويجعل الأشياء العادية كأنها أشياء غريبة عنا وان أعظم أسرار الأخلاق هو الحب أو الخروج على طبيعتنا وربط نفوسنا بالجمال الذى يوجد فى الفكرة والعمل أو الشخص ولا نملكه . ولكى يكون الانسان على جانب عظيم من الصلاح ينبغى له أن يفهم جيداً أنه يجب عليه أن يضع نفسه مكان شخص آخر بل أشخاص كثيرين غيره فتصبح آلام ولذات غيره آلامه ولذاته الخاصة . وأحسن وسيلة لصالح الأخلاق هى الخيال ، والشعر يعطى هذه الوسيلة بتأثيره فى الباعث ، فهو يوسع دائرة الخيال باشباعه بأفكار غاية فى جدة السرور ولها سلطان جذب وملاءمة سائر الأفكار الأخرى لطبيعتها الخاصة والتى تخلق فترات جديدة وفسحات ضيقة يتوق فضاؤها دائماً إلى طعام شهى .

والشعر يقوى تلك الملكة التى هى بمثابة عضو الطبيعة الأخلاقية فى الانسان كما يقوى العضو بالمران . لذلك قد يخطىء الشاعر فى إدخال شعوره الخاص بالصالح والردىء - اللذين هما من عمل زمانه ومكانه وموطنه عادة - فى نتاجه الشعرى الذى لا يتصل بأحد منهما .

فأولئك الذين ملكتهم الشعرية عظيمة إلا أنها أقل حدة كأوربيد ولوكان وتاسو وسبنسر قد تناولوا غرضاً أخلاقياً . وأثر شعرهم قد ضعف بالنسبة إلى الدرجة التى يضطروننا فيها الى أن نتيقظ الى غرضهم هذا .

وقد خلف هوميروس ومن عاصره من الشعراء فى فترة معينة الشعراء المسرحيون والشعراء الغنائيون فى أثينا الذين ازدهروا فى عصر بلغ ذروة الاتقان فى الافصاح عن جميع أنواع الملكات الشعرية من بناء وتصوير وموسيقى ورقص وفلسفة - ويمكننا أن نضيف اليها فنون المعيشة المنزلية . ومع أن خطة الجمعية الاثينية قد شابها كثير من النقائص التى قضى عليها شعر الفروسية والمسيحية من عادات ونظم أوروبا الحديثة إلا أنه لم يأتِ عصر كان فيه النشاط والجمال والفضيلة أكثر ظهوراً منه ولم تكن القوة الغشوم تخضع لارادة الانسان أو الى تلك الارادة الأقل كراهية لمستلزمات الجمال

والحق كما كانت فى القرن الذى سبق موت سقراط . وليس لدينا عصر فى تاريخ البشرية غنىّ بالوثائق والمقتطفات وعليه طابع ألوهية الانسان . ولـكن هو الشعر وحده فى صورته وفى بحثه وفى لغته الذى رفع هذا العصر على سائر العصور الأخرى ، فهو مستودع عبر لعصر خالد. وقد عاش الشعر فى ذلك العصر بجانب الفنون الاخرى وانه لبحث عقيم أن نسأل عن أيها كان مرسلاً النور وأيها كان مستقبله ، فكلها كانت بمثابة نقطة الاحتراق التى أزاحت غياهب ظلمات العصور التالية . وقد كان فى ذلك العصر الذى أشرنا اليه أن وجدت الدرامة ومهما كان من محاوله كتاب العصور التالية أن يأتوا بمثل هذه الدرامات الاثينية التى وصلت الينا فانه من المسلّم به أن الفن نفسه لم يفهم أو يطبق على حسب فلسفته الحقيقية كما فهم وطبق فى أثينا لان الاثينيين استخدموا اللغة والحركة والموسيقى والتصوير والرقص والتعاليم الدينية ليوجدوا أثراً عاماً فى الافصاح عن مُثلهم العليا فى العاطفة والقوة . وكل فرع من فروع الفن قد نال نصيبه من الجودة والاتقان بواسطة فنانين ذوى مهارة فائقة ورتب ترتيباً منسقاً جميلاً الواحد نحو الآخر .

أما فى المسرح الحديث فقليل من العناصر الزعيمة بالافصاح عن شعور الشاعر يمكن أن تؤدى مرة واحدة : فعندنا مأساة خالية من الموسيقى والرقص ، وموسيقى ورقص مجردان من أسمى التشخيصات اللازمة لهما ، وكلا الاثنين قد خلا من التدين والوقار ، فقد أبعدت التعاليم الدينية عن المسرح تماماً وإن نظام تجريد وجه الممثل من النقاب الذى ينبغى أن يفرغ فيه كثير من الملامح التى تلزم للنوع التمثيلى إلى هيأة واحدة ثابتة لاتتغير قد يناسب فقط الأثر الجزئى الغير المتزن فهو لا يصلح لشىء إلا للمنلوج حيث يكون كل الانتباه موجهاً إلى أستاذ عظيم فى التقليد الهزلى .

نظمى خليل



جون كيتس

(١)

لا يسع المولعون بالأدب الانجليزى ، وبأدب القرن التاسع عشر على وجه الخصوص سوى الاعجاب بهذه الشخصية النادرة الفذة ، شخصية الشاعر كيتس ، لا لأنه شاعر بارع مجدد فى الشعر الانجليزى فى عصره حسب ، ولـكن لـكونه نبغ وكتب آثاره الخالدة على العصور وهو فى فجر الشباب ، ومات بعد أن ترك دويا لا يزول إلا

بزوال الدنيا ، وكتب اسمه فى الخالدين ولمّا ينعم بالشباب التنعم الكافى ... وأذكر فى هذه المناسبة أننى قرأت عن كيتس أن موته المبكر كان خسارة على الأدب ، ونكبة للشعر السامى ، إذْ حُرم الناس عبقرية فذة متوقدة ربما كانت تنتج للناس العجب لو بُسِطَ لها العمر ، أما أنا فأعتقد على النقيض من ذلك أن موت الشاعر فى بكرة الشباب كان قصيدته الخالدة التى لا يجحدها جاحد . . ! واعتقدت الى جانب ذلك أن عبقرية هذا الفتى الشاعر انما جاءت فى ومض الصبى ورونق الشباب الأول ، ولم تشأ أن تبقى بعد ذلك الجمال فتبتذل وتهان ، لذلك مضت إلى ربها آمنة مطمئنة ، تسبح فى مقرها السماوى ، وتغرد حرة طليقة قوية . . . وشاعر ككيتس ، خلق للغناء والنشاط المستمر والترنم بالشباب والجمال والحرية لا يكون شاعراً — فى رأيى — اذا عاش أكثر من عمر الزهر والورد . . . فأنا اليوم إن كنت أغبط شاعرنا كيتس على شيء ، فانما أغبطه لكونه مات هذه الميتة المبكرة التى كانت من أقوى أسباب خلوده واستقرار أدبه .

والآن ، ونحن نحب الوصول إلى شخصية الشاعر الذاتية ، لا نجد هنالك ما نعتمد اليه ونركن اللهم إلا الترجمة التى كتبها الشاعر عن نفسه دون أن يدرى ماذا كان يسجل ، ويمكننا العثور على هذه الترجمة واضحة صادقة فى خطاباته التى لخصها ومحصها اللورد هوجتون ، ثم أضاف اليها التعليقات التى بلغته من (تشارلس آرميتاج براون) وأخرجها للناس فى كتاب أسماه « حياة كيتس ورسائله الأدبية » على جزئين ، وطبعه موكسون فى عام ١٨٤٨ ، ولا يزال عشاق أدب الشاعر يتلون هذا الكتاب النفيس إلى اليوم .

وكثر المعجبون بالشاعر وذهب القوم يفتشون عن آثاره ، وكان من نتائج ذلك الظمأ العجيب إلى شعره أن طبعت رسائله على حدة ، وأضيفت اليها تعليقات من قلم اللورد هوجتون ، ومن ثم كثرت كتابة التراجم للشاعر وأصبحت منزلته فى الشعر الانجليزى وعند قراء الأدب العالمىّ إطلاقاً منزلة رفيعة محسودة .

من رأينا فى كتابة التراجم لأى أديب أو شاعر أن نمزج حوادث حياته التى تفاعلت مع أدبه بآثاره التى أخرجها للناس ليرى الناس أننا لم نكن مجرد قصاصين لتاريخ حياة مفروغ منه ولا طائل من ورائه ، لذلك نحاول فى هذه المحاضرة أن نقص تاريخ كيتس على هذا النمط الجديد مؤملين أن ينال منكم الرضى والقبول .

كان شاعرنا (جون كيتس) الابنَ الاكبر لتوماس كيتس وزوجته فرانسيس جيننجز ، وكان لهما سواه من الأولاد أربعة . ولد جون فى ٣١ أكتوبر من عام ١٧٩٥ فى اسطبلات (سوان وهوب ليفرى) بفينسبرى ، وكان يدير هذه الاسطبلات جد كيتس لأمه ، جون جنينجز ، الذى استخدم لديه توماس كيتس والد الشاعر ، وقد كان شاباً هاجر من غرب البلاد مجهول النسب ، متهم الأصل . ويقال انه كان دون العشرين حينما هبط (سوان وهوب) ، ثم تزوج من إبنة سيده فى عنفوان رجولته ، وألقيت اليه مقاليد الادارة ، وراح مستر جنينجز ينفق أخريات أيامه فى هدوء وراحة ودعة .

وفى ٢٨ فبراير من عام ١٧٩٧ ميلادية وُلد جورج الشقيق الاول لشاعرنا ، وفى ١٨ نوفبر من عام ١٧٩٩ ولد أخوه توماس . وفى ٢٨ ابريل عام ١٨٠١ ولد الطفل الرابع وسمى إدوارد ، بيد انه قضى نحبه فى براءة الطفولة الاولى . وفى ٣ نوفبر من عام ١٨٠٣ خرجت إلى الوجود طفلة عمّدوها باسم (فرانسيس مارى) وفى تلك الأثناء انتقلت الاسرة من (سوان وهوب) إلى بيت بشارع جرافين خارج طريق المدينة ، ونكبت الاسرة فى السنة التالية لهذا الانتقال بكارثة عنيفة ، ذلك أنه حدث فى ١٥ ابريل أن توجّه توماس كيتس عميد الاسرة لتناول الغداء فى (سوث جيت) وفى ساعة متأخرة جداً ركب قاصداً منزله ، فسقط بهجواده أثناء السير فى طريق المدينة ، فكان أن تحطمت جمجمته وعثر به الحارس حوالى الساعة الواحدة صباحاً وكان لايزال على قيد الحياة ، بيد انه لم يكن يقوى على الكلام ، فحمله مع رجال آخرين إلى بيت قريب حيث لبي نداء ربه فى الثامنة من صباح ١٦ ابريل عام ١٨٠٤

ومضى عام على وفاة الوالد المروعة ، ثم تزوجت الأرملة من مستر (وليم دولنجز) الذى خلف زوجها فى إدارة الاسطبلات . ولما كان من المستحيل أن تقوم بين الزوجين الجديدين سعادة تبعثها المحبة المتبادلة ، فقد افترقا سريعاً .

كان مستر توماس كيتس يأمل أن يرسل أطفاله إلى مدرسة هارُو لينالوا قسطهم من التربية والتثقيف القويمين ، ولكنه كان يدرى أن مدرسة هارُو ستكلفه ما لا طاقة له به على الإطلاق ، لذلك رأى أن يعتدل فى تفكيره ، وأن يتواضع فى أمانيه ، فبعث بجون قبيل الوفاة إلى مدرسة سبق أن تعلم بها أقاربه من اسرة جننجز وكان يديرها رجل يدعى مستر جون كلارك من بلدة اينفيلد .

وكان توماس كولده جون يستطيع أن يجذب الناس الى شخصيته القوية ، وكذلك كانت فرانسيس جيننجز فى صباها ذات ملاحة ورشاقة وذكاء ... ومن روائع القصص التى تحكى عن طفولة الشاعر القصة الآتية : كانت الأم مريضة ، ونصحها الطبيب فيما نصح بالهدوء والراحة التامة ، فنصب الطفل جون نفسه حارساً لها مدة المرض ، ووقف لدى الباب شاهراً سيفاً قديماً يرهب به القوم حتى لا يحاول أحد دخول المخدع فيقلق راحتها . ويقول عنه الصديق هيدُن فى ترجمته : « لقد كان فى طفولته طفلاً شريراً ، لا يخضع لرأى ولا يهدأ لفكرة . ولقد كان فى الخامسة من عمره تقريباً حينما أمسك سيفاً عتيقاً مهملاً ، وأغلق الباب وأقسم لا يخرج أحد من الغرفة ولكن الأم كانت بحاجة الى مبارحتها ، الا أن صاحبنا هددها تهديداً فظيعاً حتى أنها لم تتمالك نفسها عن الصراخ والصياح فلم يرق قلب الطفل القاسى ، ويسمح لها بالخروج الا حينما حضر بعض الناس ، وكان قد بصر بالمرأة من النافذة فى حالتها المحرجة ، ورجاه فى ذلك ! » . وهنالك قصة أخرى يُحمد هيدن على ايرادها ، وهو فى الواقع الشخص الثقة الذى يصدق فى التحدث الينا عن طفولة الشاعر . يقول هيدن :

« سألت سيدة مكتهلة ، تدعى مسز جرافتى من فينتزبرى ، جورج شقيق الشاعر عما ينوى صاحبنا أن يعمله ، فأجابها : انه يرجو أن يصبح شاعراً ، فقهقهت قائلة : ان هذا أمر غريب ..!! » ثم يعلق هيدن على ذلك من عنده قائلا : والواقع أن طفلنا كان كلما سأله سائل عن أى شىء ، يحاول أن يجعل اجاباته منغومة فى المقطع الأخير .

وليس أمامى الآن أحسن من هذه القطعة الفنية الخالدة التى رسمها كيتس بريشته القادرة المهذبة مصوراً طفولته ، وبها يمكننا أن نستعين قليلاً على تفهم طفولة الشاعر ، الذى كان مولعاً بخوض الجداول وحمل السمك الى البيت . يقول الشاعر كيتس واصفاً الطفل كيتس فى هذه النفحة البديعة من خطاب بعث به الى شقيقته : « كان يعيش ولد خبيث ، ولد خبيث ماكر حقاً ، يعنى بجمع الاسماك الصغيرة فى أنابيب ثلاث . وكان رغم قسوة الخادمة وشراستها ، ورغم انتباه الجدة الصالحة ، يبكر غالباً فى الاستيقاظ ، ويذهب الى الجدول وبيده صنارته ، ويؤوب الى المنزل ومعه الاسماك الصغيرة التى لا يكاد يزيد حجمها عن خنصر طفل صغير ... »

أرى من الصعب على نفسى وأنا أتلو هذه القطعة الساذجة أن أهمل التعليق عليها ، فالشاعر يعنى جدولاً بذاته ، ويتحدث عنه فى عام ١٨١٧ ، مستوحياً ذكريات

الصبي السحيقة ، ولقد جعلته نفس هذه الذكريات العِذاب يكتب فى صدر (أنديميون) معترفاً إلى شقيقته (بيونا) برؤيته وجه ديانا يطلّ عليه من سماء البراءة فيقول شاعرنا متحدثاً عن تلك الطفولة المرحة الحلوة : « وكنت غالباً ما أستعيد فى ذاكرتى أيام الطفولة حيث كنت أصنع السفن من الريش الملون والعيدان والأوراق المتساقطة ويكون (نيبتون) إله البحر حامى محيطى الضحل » .

انّ ما يمكننى أن أقوله حيال ذلك الايحاء الجميل هو أن الشاعر لا يستخدم خياله الخصب وحده ولكنه يستخدم إلى حد بعيد ذكرياته السحيقة المختزنة فى عقله الباطن ، تلك الذكريات التى كان ميدانها إنفيلد وإدمونتون — أى ما بين منزل جدته لأمه فى إدمنتون وبين مدرسة مستر كلارك فى إنفيلد . ويخبرنا مستر شارلس كلارك أن كيتس ابتدأ حياته الثقافية وأنهاها فى تلك المدرسة . . ثم يضيف قوله : « لقد كان كيتس طفلاً من الاطفال الصغار الذين لم يخلصوا بعد من ملابسهم الصبيانية ، حينما قدم المدرسة ليكون تحت رعاية أبى . . . بل وربما كان أصغر طفل فى مجموعة تتراوح بين السبعين والثمانين صبياً . . » ثم يقول مستر كلارك : « لقد كان جذّاب الوجه ، محبوباً ، معروفاً لدى الجميع ، حتى ان أمى كانت تحبه . » ويتحدث كلارك هذا عن والد كيتس قائلاً : « رجل يمتاز برقته وحسن فهمه ، واحترامه لشخصيته ، وكان طفله جون نسخة أخرى منه فى ملامحه وشخصه ، ذا عينين سوداوين جميلتين ، وشعر أشقر بديع ، أما الشقيقان الآخران فكانا إلى ملامح الأم جِدّ قريبين ، طويلى القامة ، رقيقى الملامح ، بيضاويى الوجه . . . »

ويحدثنا كلارك أن جون فى مستهل حياته الثقافية ، كان فتًى عادياً ، فلم تبدُ عليه مخايل النبوغ أو الذكاء المفرط ، ولكن الذى يؤثر عنه فيما بعد هو أنه صار يسبغ على كافة الموضوعات التى كان يعالجها روحاً قويةً كشافةً جبارةً . . يقول كلارك : « لقد كان تلميذاً مجدّاً منتظم الأمور » ثم يضيف إلى ذلك قوله « كان من عادة أبى ، فى عطلة كل نصف سنة ، أن يتقدم إلى الطلاب الذين يقومون بنصيب كبير من العمل الاختيارى بجوائز كثيرة . ولقد كان كيتس واحداً من الذين حصلوا على الجائزة الأولى مرتين فى السنتين الأخيرتين اللتين قضاهما بالمدرسة. كان يتوجه للعمل قبل أن يدق الناقوس الاول (التنبيه) ، وكان ذلك فى الساعة السابعة صباحاً عادةً ، وكان غالباً ما ينفق أوقات الفراغ على هذا المنوال ، ففى الوقت

الذى يلهو زملاؤه ويلعبون كان يُرى غالباً بالمدرسة ـ منفرداً ـ يعالج ترجمة موضوع عن الفرنسية أو اللاتينية ، وهكذا لم يكن يدرى شاعرنا الخطر الذى كان يعرض له نفسه ، باجهاده عقله وجسمه : فى حينما يجب الترويح عن النفس والتخفيف عنها بالرياضة ... بل ويقال إنه لم يكن يقبل على الرياضة ، بل كان يزاولها مضطراً مدفوعاً من أحد أساتذته ...!

ذكرتُ انه كان محبوباً من الجميع ، أجل كان ذلك لروحه السامية ، وأخلاقه الرضية ، بيد أنه حينما يهتاج كنت تظفر منه بمواقف يعجز أعظم الممثلين اتقاناً لفنهم عن الاضطلاع بها ، ولقد كان كثير الشبه بالممثل الفنان إدموند كين فى صورته وعواطفه المتأججة . بصرت به مرة وقد اشتبك مع مساعد أحد الأساتذة فى معركة حامية سببها أن ذلك المساعد لطم أخاه توم لطمة قوية على أذنه . ولقد كان فى مقدور الرجل أن يحمل جون ويضعه فى جيبه ولكن جون عرف كيف يجرحه ويضربه . كان من الصعب عليه فى بعض الاحايين كبح شعوره وكبت عواطفه ، ولقد كان أخوه جورج يسخر منه حينما يحاول ضربه ، وقد كان جورج طويل القامة قوىّ البنية ، وكان جون يهتاج وتصيبه آخر الأمر نوبة عصبية عنيفة ... أما هذ الغضب الحار ، فقد كان سحابة صيف ، فجون محبوب من أشقائه محبٌّ لهم ، ولقد دلل فى فرص كثيرة على ذلك وكان محبوباً كذلك لأنفته وشممه وإبائه وكرمه ، حتى اننى لا أكاد أذكر كلمة سيئة وجهها اليه أحد ممن تعرفوا اليه ، سواء فى ذلك أصدقاء فرقته أو غيرهم ممن تقدموه .. »

ويقول ادوارد هولمز ، وهو أحد زملاء الشاعر فى المدرسة ، فى الفصل الذى كتبه عنه فى الكتاب الذى جمعه اللورد هوجتون ، ولا ننسى أن هولمز هذا هو الذى عمر حتى كتب حياة موزارت :—

« ما كان كيتس متعلقاً بالقراءة فى صغره ، وإنما كان مغرماً بالمشاجرة ، ولوعاً بالعراك ، حتى لقد كنت أحسبه على أهبة دائمة للعراك مع الناس قاطبة فى الصباح وفى الظهيرة وفى المساء . على السواء غير مستثنٍ من ذلك أخاه ! لقد كان العراك طعامه .. ولقد كان يحسب الناظر اليه أن صاحب هذا الوجه الحالم الجميل لابد وأن يصبح عظيماً يوماً ما فى الجيش مثلا ..! وأما فى الادب فلا ..! وسيلاحظ قراء هذا الفصل أن هذه الحالة ـ حالة اتجاهه الى الآداب ـ جاءت فجأة دون إعداد ... كان

متفوقاً على الدوام على أقرانه ؟ أما وقع جماله المفرط على روحي منذ اللحظة الاولى التي أبصرته فيها ، فلست أستطيع وصفه على حقيقته ـ فهذا النزوع الى العراك والشجار وهذه الأخلاق النبيلة ، وهذه العواطف الرقيقة الشريفة التي تأسرها دمعة مُرَاقة ، وهذا القلب الطيب الصافي من الأوشاب ، الذي يطرب لكل ضحكة مجلجلة ـ طرباً قوياً ـ كل هذه الصور تساعدنا في رسم الشاعر كيتس إبان طفولته ، ثم نضيف اليها جمال وجهه المتناهي وأخلاقه النادرة الآسرة ، وعندها نرى أنه خليق بمكانته السامية من نفوس زملائه .

فاذا سمعنا هذا القول من هولمز أحد زملائه في الطلب ، عدنا الى كلارك نجل صاحب المدرسة ، نستمع الى حديثه عن كيتس في آخر عهده بالمدرسة ، أثناء السنة والنصف الأخيرة . يقول كلارك إن كيتس كان يقطع ساعات تناول الغداء بالمطالعة ، ووصفه بأنه كان عظيم الذكاء جبار الذاكرة ، وانه قرأ قراءة مدهشة واسعة . يقول كلارك : « الذي يمكنني أن أذكره الآن أنه ما من شك في أنه التهمَ كل ما وعته المكتبة من الكتب والمخطوطات التي كانت تتكون من خلاصات الرحلات والسياحات مثل مجموعة هافور والتاريخ العام و كتب تاريخ روبرتسون عن اسكتلندة وأميركا ، وشارلز الخامس ، وكل مؤلفات مس إدجورث ، مضافاً الى كل ذلك أعمال أخري قيمة ، تفيد في تثقيف الشبيبة . أما الكتب التي كان يركن اليها كثيراً فقد كانت « البانتيون » لتوك والقاموس القديم للمبرير الذى كان يحفظه عن ظهر قلب تقريبا والبوليمتس لسبيز ، ومن هنا كان ابتداء صداقته للميثولوجيا الاغريقية. ولقد أغرم بالإنيادة غراماً عظيماً حتى انه ترجم منها جانباً كبيراً قبل أن يغادر المدرسة ». ويقول كلارك : «مع هذا فانني أذكر أنه عرض عليّ قبل أن يتم الرابعة عشرة من عمره آراءً له في الانيد وذكر له جملة عيوب في القصيد دهشت منه كثيراً حينما سمعتها . ولقد كان لتاريخ بيرنت والاكسامنير لليت هنت الفضل الأعظم في توجيه كيتس التوجيه الصحيح في نشدان الحرية المدنية والدينية في شعره . وفي أثناء أيامه الأخيرة بالمدرسة ساءت صحة والدته . ولقد عانت المسكينة الأمرين من روماتزم حاد أصابها في عرض حياتها ، فلما دهاها المقدار بالتدرن الرثوي لم يمهلها كثيراً بل قضى عليها وشيكاً . أما كيتس فقد فنى في خدمتها أثناء المرض المرهق المضني ، فكان يقوم الليل بتمامه بقرب فراشها ، يجهز لها الدواء ، ويقدم لها الغذاء ، ويتلو عليها القصص قصد تسليتها والتخفيف عنها . وعندما حضرتها المنية تدفق حزنه وانهمرت لوعته وتخاذلت قواه ، حتى لقد كان يستأهل الرحمة والشفقة ممن كان يقع بصرهم عليه ... »

مختار الوكيل



المرأة والشعر العاطفى

لكل فتاة مثلها العالى وعلى قدر تطلعها إلى الحياة يكون مبلغ أملها المنشود. وما من فتاة الا لها حسها الموهوب، ولكل حس نزعة تتوافق ميول صاحبته مرتبطاً بمعارفها وتربيتها وتعليمها: فمثلاً الفتاة التى نشأت فى عقردارها بين بيئة تميل إلى احترام القديم المحدود النواحى المقيد الرغبات، هذه الفتاة قلّما تنال حظها الموفور من العاطفة المرجوة وهى أبداً تطمع فى شىء محدود كل همها أن تهدأ اليه، حتى اذ جاءتها الحياة بمثيل لما ترجو فرحت واغتبطت بالعطية، على أنها اذا تركت وحدها فى الطريق تلفتت يمنة ويسرة كغريب فى دنيا جديدة، كل ما تعلمه لا يخرج عن دائرة المعارف البسيطة التى لا تؤهلها عن جدارة لإدارة بيت جديد، وهى التى حملت الرجال على استضعاف المرأة والتحفز دائماً الى امتلاك كل ما يطيب لهم.

أما الفتاة التى نالت من الثقافة والتحرر الفكرى قسطاً فهى التى تستحق بحق الدرس والتحليل لنبلغ بها غاية الكمال، وهى مناط تفكيرى اليوم.

هذه الفتاة المثقفة المستنيرة التى فى استطاعتها السمو بنفسها على ضوء شعورها وادراكها وتفكيرها، وهى التى تستطيع أن تخلق من هذه المعانى عاطفة جليلة عتيدة تحملها على الهروب دائماً من دنياها المحدودة الى دنياها اللامحدودة إذ تشعر أنها أشبه بإله صغير فى مقدوره أن يعيش لنفسه وللحياة، وفى مقدوره أن يخلق ويبدع، وفى مقدوره أن يشعر ويحس ويصور ما يريد.

هذه الفتاة التى تتعالى بنفسها إلى أعلى مراتب الحياة لا تقنعها ظواهر السطحيات بل تتغلغل فى أعماقها لتخرج مكنونها الدفين. هذه الفتاة خلقت لتريبنا مشاعر المرأة الكاملة وخيالاتها المارحة وأحلامها الساحرة، وهى التى تشعرنا بروعة العاطفة الخطيرة عن طريق خيالها الخصب من وراء فلسفتها المتواضعة، وبينا هى ترقب العوالم لترصد الافلاك تراها بجوارك كأنها حقيقة ملموسة وما هو الا خيالها يتلاعب بذهنك فى غير هوادة.

هذه الفتاة هى الفتاة الشاعرة ، وقد تختلف مشاعرها باختلاف أخيلتها ، فقد تعرضها فى شبه صور على لوح رسّامة ، أو مجسمة على حجر حفّارة ، أو على ورق بقلم شاعرة فنّانة .

هذه الفتاة التى تجتاز ربيع عمرها الشعرى فى شبه عمر المفكر الكهل يعيبون عليها « الشعر العاطفى » ولست أدرى أى معنى يعيبون ؟ أسُدّت دونهم أبواب الحقائق ؟ يالله ! بأى عين ينظرون ، وبأى قلب يشعرون ، وبأى عقل يفهمون ؟ أتراهم لا يفقهون ؟ !

أخشى ان يكونوا كذلك ونحن على عتبة جيل جديد نودّ له الجدّة فى الميول والمشاعر والعاطفة النبيلة الطهور .

ثم أى دين حرّم على المرأة الشعور العاطفى وحلله للرجل ؟

المرأة التى خلقها الله إلهة للعاطفة وحدها ، أى قدرة تنزع عنها اليوم غلالتها السحرية ومن يجرؤ على تلك المحاولة ؟

لا ! انتم الخاطئون ان حسبتم عاطفة المرأة إثماً وبهتاناً .

على أنى لا أحاول هنا تصوير عاطفة المرأة ، ولكنى أحب ان أصوّر ناحيتها الشعرية وتأثيرها فى حياتها العاطفية ، وكيف يلعب الخيال دوره بمهارة على مسرح شعورها حتى يهيب بالمتعنتين الى تصديق ما يعرض أمامهم على لوحة الشعر التصويرى .

يا لهول الحياة من المرأة الشاعرة ! انها تخضع الحياة لها فى غير تهيُّب بينا هى تخضع بدورها لخيالها الطليق الجبّار ، وعلى قدر نصيب المرأة من تذوُّق الفن يكون حظها من الشعور .

« هذه صورة فتى جميل الطلعة قوى البنية يجلس كالحبيس تحت ظل غمامة تسد أمامه الطريق ولا حيلة له غير الاطراق الكسير »

هكذا يبدو على لوح فتاة فنّانة ، أو هكذا صوّر بقلم فتاة شاعرة .

أترى صاحبة الرسم أو الشعر عاشقة ؟ أكاد أجزم ان كل من يشاهد الصورة أو يقرأ المقطوعه يعترف بذلك !

ولكن مهلاً ! دعونى أسألها معاً : علامَ اخترت يا صاحبتى هذا الشابَ رمزاً لفنك ؟ .. وتفترُّ شفتاها عن بسمة العزاء . . .

وأقسم أنها ترثى الذهن الغرور ، وبعد أن تُـلقى الفنانة محاضرة طويلة فى معنى الخيال والفن والشعور نفهم أن الرجل يماثل القوة والغمامة سحابة الأقدار ، ومنهما معاً جاءت بصورة ترمز إلى القضاء الغالب .

وها نحن أمام جوابها وتجاه رسمها نصمت اذن ! فالصور الفنية التى تبدو أمامنا ، وراءها دائماً ما وراءها من عوالم لا نراها بالعين المجردة ! بل لا بدّ من استصحاب المجهر ، ومجهرنا الفكر المحرر والخيال الخصب .

وقد تتعدد صور العاطفة المرغوبة حسب استعداد قوى المرأة المعنوية سواء أكان ذلك عن طريق قلبها أم روحها . وهناك فريق من الناس لا يفرق بين عاطفتى القلب والروح ، ولكنى أنا أفرق بينهما .

القلب عندى مولد كهربائى يمكن تحديده أضوائه حسب ما نبغى ،ولا بد من وجود المؤثّر والمتأثر .

وهل يمكن لعليل القلب أن يحيا طويلا ؟ محال ! أما الروح فهى قوة الجذب المغطسة ، قوة الجذب التى تسير الأفلاك والعوالم كلها . فنحن نعرف انها كل شىء ومع ذلك فهى « لا شىء » وهى النور والحرارة معاً نحيا بها ، وإذا فنينا يبقى السر خالداً طى الخفاء .

فالمرأة الشاعرة عند ما تجتاز حدود دنياها الى الفضاء اللامحدود تمرّ بأخيلة لا عهد لها بها ،بعضها يروقها فيكهرب أعصابها حتى تعود مأخوذة بسحره ، وعلى ضوء هذا السحر الفياض تكشف لنا ما وراء الضوء أوما يخبو خلف الظلام ، متحدثة عما تروم عن طريق نفسها كأنها هى الخيال الذى لقيته هناك ، حتى اذا قرأنا قولها حسبناه حقيقة لاريب فيها ، ولعلها صنعة جديدة لحبك الخيال ، وهى بحق جديدة لأنها تهيب بالرجال الاذكياء الى الاعتقاد بان قولها هو الحق ، بل يبلغ منها القدرة أحياناً على ان تحمل البعض منهم إلى تسمية هذا الطراز من النساء « الشاعرات الذاتية » .

وهنا أمرّ على هذا التعريب الجديد دون أن أرمقه ما دمت قد وضّحت كيف يثور خيال المرأة الى تسطير ما ترجو ، وما دام الانسان أبداً متسرعاً فى الحكم على ما لا يعرفه .

واذا كنا نجهل ماجريات الكون العادية بعد أن قطعنا أعمارنا فى تفهُّم مغزاها

ومرماها ، أيمكن للرجل – مهما كان – أن يدرك كنه امرأة وهي لغز ألغاز الكون ؟!
إن من يجرؤ على تعريف ذلك أو تحديده يكون دعيّاً !

هذه فتاة لها حظها من الشعور الموهوب تعيش على ضوء خيالها قانعة بالحياة في بهو أحلامها السمحة تحت تأثير الطبيعة أحياناً ، تواجه الشروق فيبهجها ويولد كهرباء أحلامها البهيجة فتجنح الى افق السماء ، وترتفع بنفسها الى مستوى الملائكة حيث يأخذها سحر الخيال ويروى عطش روحها الظمأى فتشعر وتدرك ، ثم تهبط الينا على شدو اعجابها بملاك !

فهل معنى ذلك أنها أحبت رجلاً وارتفعت به الى مصاف الملائكة هناك ؟
لماذا لا نقول انها تحب مثلها العالي المجهول شبيهاً بخيالها العالي ، ولماذا لا تترنم به كأنه شيء محسوس ؟ هل هناك ضير من ذلك ؟ ويمكنها أن تقول :

سَلْني مَليكَ عواطفي المحبوبا   سلني عن الحبِّ المُذيب قلوبا !

وها هي في موقف آخر أمام الغروب تبكي خيال الوداع لكل راحل ، وتتلاشى أمامها الحياة وراء اللاشيء ، فتطمئن الى دموعها وهي تنمهر في شبه نقط لها معناها لو نظمتها لكانت قصيدة رائعة ، وقد تتخيل الغروب – قلب الحياة – يخفق لآخر مرة فتودّ لو تفدى هذا القلب الكبير بقلبها الصغير وترضى بدموعها الشعرية عزاء وكأنها تقول :

أعطني بالقلب شعراً   إنه روحٌ طهورْ !

ومع أن التعبير – باعتراف شاعر ناهض – يكاد يشتبه فاني أعود وأعترف بأن المعنى غير شبيهه ، ولكلٍّ موضعُ خياله ، وسرّها طي الخفاء

وقد يبلغ الفكر بالفتاة أحياناً إلى حد مهلك فتأسى بما تسوقه الاقدارُ إلى كل عظيم النفس كبير القلب ، وتستصغر ما تعانيه نفسها الهائمة الحيرى وتخاطب نفسها :

وأحيا في الحياة ولست أدري   علامَ الفكر والأقدار تسرى ؟!

ومع اعترافها بذلك فانها تعود لتفكر حتى تتحطم قواها أو تكاد !

ورغم ذلك يحلو لها أن تفكر لأنها تعتقد أنه لابد من التفكير ما دامت تشعر ، ولابد من الشعور ما دامت تعيش . والفكر عندها وليد الشعور ، وعلى ضوئه يبدو التفكير بهيجاً ، أو حزيناً صاخباً أو هادئاً .

ثم تعود وتكرر قولد يكارت: « أنا أفكر فأنا إذن موجود » ولكنها تحرف ما يلائمها من الألفاظ فتقول : « أنا أشعر فانا اذن موجودة » ، لأن الشعور عندها هو المولّد الكهربائى لكل فكر وعلى قدر نصيبها من الشعور يكون حظ الفكر من القوة أو الضعف .

تبكى المرأة على الفقيد بينا تضحك لاستقبال الوليد ...

تودع العزيز بدموعها ،وتستقبل الجديد ببسماتها .تحب الحياة ، ولا تخشى الموت. وتحب الكبرياء ، وتحاول التواضع !

تحب الشعر لأنه يشفيها وتبغض الشعر لأنه يبكيها !

تلهو بالخيال لأنه عزاؤها ، وتصور الآلام وهى سرّ بلائها !

تلك هى المرأة ذات العواطف فلا تطالبوها بأكثر من تصوير ما يلائم عواطفها ثم غضّوا الأبصار إن تنزلت آياتها العاطفية على قلوبكم الحجرية بلا رنين ، فلكل وتر أشجانه !

هى تعزف بيد ليّنة ، وانتم تطالبونها بيد خشنة ، فاطلبوا من خالق السماوات وخالقكم أن يبدل النعومة بالخشونة لتكون الأجيال القادمة لاحسّ فيها ولا شعور .

المرأة التى أبحتم لأنفسكم استضعافها يمكنها أن تجتاز عوالم الاخيلة فى غير حقد أو ضغينة. تعترف بنبوغ القوى ، وتحترم ضعف الشقى . تحمل الأول على النهوض بنفسه ، وتعمل على مواساة الثانى . لا تحقد على ممتاز ولا تحتقر ضعيفاً ، إذ تعتقد ان فى يد الأمل مشعل الحاضر ، وفى يد الثانى مشعل المستقبل قرب أو بعد زمانه . أما أنتم يا من تفاخرون بقوتكم وعبقريتكم فكل ما يحلو لكم الوقوف على جل المكائد والمصائب والمحن ، ترصدون الهنات والسيئات وتوارون الحسنات ، وكأنه لا يطيب لكم غير الحرب والخصام !

أما المرأة فلا يحلو لها غير الأمن والسلام ، وما ضرنا لو تركنا كل شاعر يأخذ حظّه الشعرى من أى ناحية يرجوها ، وما علينا أن نقرأ شعره على ضوء خياله هو ، لا من وراء خيالنا القاصر فهو الذى رأى وتأثر وحكى وأنشد، وليكن شعره أنينا أو رنيناً !

لا تقولوا ما أضعف الشاعر وما أقواه افذلك إلحادٌ لحق مشروع ... ان الشاعر وسيط بين الفن الخفى والملموس ، فعلى الضوء العتب ان قصر وله الحمد إن أجاد .

والضوء هناك يرتكز فى قلوبكم وضمائركم وعيونكم فما ضرّكم لو قلتم : هكذا قلتَ ولكننا نحن نقول ...

ولكلٍّ اتباعه وانصاره ، وللتاريخ الأدبى كلمة العدالة المطلقة ، فلا تشوّهوها بفارغ الاقوال ودعوها للزمن .

لتكن المرأة مناط المشاعر ، ولتصوّر ما يحلو لها ما دام بريئاً فى غير كلفة أو رياء ، وليكن الرجل مناط التفكير .

وبهما معاً ترتفع الشعوب الى سماء الحق النزيه ؟

جميلة محمد العلايلى



فى ديوان الدكتور زكى مبارك

— لغته —

١ — لغته كلغة فصحاء الأمة وشعراء العصر الأموى ، وذلك شىءٌ نادرٌ فى هذا العصر مطلوبٌ غير مبلوغ ، ومما نؤاخذه عليه إفراده نعت الجمع ، على كون النعت من « باب فعلاء التى مذكرها أفعل » فى قوله — كما فى ص ٢١ :

لم تُنسنى فتنةُ الدنيا وبهجتها ما فى شمائلك « الغراء » من فِتَنِ

فالصواب « شمائلك الغُرّ » وهى لغة القرآن الكريم ولغة العرب كافة ، وليست من باب « أيام معدودات ومعدودة » .

٢ — وقال كما فى ص ٧٧ :

أو كنت رغماً من علا نى أو عُلا قومى فتاكْ

والصواب « على الرغم » و « بالرغم » و « على رغم » و « برغم » . هذا هو الوارد فى كلام العرب والمتقبله العقلُ ، فالنصب مستشكل سواء أكان المنصوب مفعولاً لأجله أم كان منصوباً على السعة ونزع الخافض . فأما الأول فلا يجوز لئلا

يكون « الفعلُ » بسبب رغم العلاء فينعكس المعنى ، وأما الثانى فمألوف فى المتعدى إلى واحد حتى يكون متعدياً إلى اثنين ، ولكن قال عبدالله الخشاب ، فى قول الحريرى « ويسيرون القلب » ما نصه : « . . . والآخر أن يكون منصوباً على المفعول به فى أنه حذف حرف الجرّ فأفضى الفعل اليه كما قال : كأنى إذ أسعى لأظفر طائراً ، أى بطائر فهذا أيضاً لا يجوز لأن حذف حروف الجرّ وافضاء الأفعال الى المجرورة فتنصبها ليس بقياس ، انما هو موقوف على السماع لا يتجاوز به استعمالهم ، قد نصّ النحويون على ذلك فى كتبهم وهو أشهر من الاحتجاج له [1] » قلنا : والذى يستخلص من كلام المبرّد والأخفش فى قول الشاعر :

تحنّ فتبدى ما بها من صبابةٍ وأخفى الذى لولا الأُسَى [2] لقضانى

بمعنى « قضى علىّ » ما يبيح حذف الجرّ — اطراداً — بشرط أن يكون فى الفعل شبه استعداد للنصب ، أى فيه قبول التضمُّن بمعنى فعل مرادف له ، كقوله « تمرون الديار ولم تعوجوا » فقد ضمّنه « تجوزون » وما أشبهه ، أما فعل الدكتور « كنت » فهو ناقص فضلاً عن فقدانه خصيصة التضمن وهى الأولى .

٣ — وقال فى ص ٩٤ :

يا مُوقدَ النار فى صدرى مؤجَّجةً ولاهياً بين أزهار وأفنان

و « مؤجَّجةً » اسم مفعول من « أجّجها » وفى الاعراب « حال » من النار ، وزمن نشوء الحال متقدّم لزمن الفعل وشبهه ، وهو هاهنا « موقد » فيكون معنى البيت « يا شاعل النـار فى قلبى وهى ملهَبَةٌ » مع أن النار لا تكون ملهَبة قبل الشعل ، لأن التهابها يبطل أن يقال فيها « شُعِلَتْ » وهى غير مطفأة ولا معدومة ، وكان الاولى أن يقول « يا تارك النار فى قلبى مؤججة » أو غير ذلك مما ينجيه من استشكال المعانى .

٤ — وقال فى ص ٩٧ :

تعالَ أهديك من روحى بعاصفةٍ تُـرْدِى الأنام ومن قلبى باعصارِ

فضمَّن « أهدى » معنى « حبا » على لغة ، واستعمل معه الباء ، ولا نرى بأساً

(١) ص ٤٧ من استدراكاته على الحريرى (طبع اصطنبول) . (٢) الاسى جمع اسوة كربية وزنى .

بذلك ونحن من المجددين ، ولكننا نؤاخذه على رفع « أهدى » على وجوب جزمه لأنه جواب الطلب ، وقد كرر الغلطة فى ص ١٢٨ فقال « تعالَ نحيي شهيد اللهو ثانيةً » فجزمُ جواب الطلب واجب لا جائز ، وهو متعين فى قول الدكتور ، والذى يبيح ترك الجزم كون الفعل قواماً لجملة نعتية أو حالية مثل « خذ من أموالهم صدقة تطهّرهم » و « ذَرْهم فى غيّهم يعمهون » وليس ذلك بمتيسر فى كلام الدكتور .

٥ — وقال فى ص ٩٨ « لو يفصح الغيبُ يوماً عن مصائرهم » وجمع المصير « مصاير » بالياء لا بالهمزة ، لأن الياء أصيلة لا زائدة ، ولعله قد حمله على « المصيبة والمصائب والمنارة والمنائر » للخفة ، ولكن المرجح عندنا فى ذلك « الواوى » كالمنارة والمصيبة ، فانه ثقيل ، والمصائب والمنائر أخف من « المصاوب والمناور » فالفصيح « المصاير » .

٦ — وقال فى ص ١٠٤ :

لعمرى لئن أمسيت بالسقم ساهراً تخال الفراش الغض من وهج الجمر

« فقد أسهرت يُمناكَ بالأمس أمةً » والصواب « لقد » لأنه جواب القسم ، ومن ذلك قول مالك بن الريب المازنى :

لعمرى لئن غالت خراسان هامتى لقد كنت عن بابَىْ خراسان نائيا

٧ — وقال فى ص ١١٣ :

كيف أصليتَنى من الهجر ناراً وحرمتَ العيونَ من أن تراكا

والفصيح المشهور « حرم فلان فلاناً كذا » فلعله قد ضمّنه معنى « منعتَ » على لغة ، وهو كثير التضمين ، ففى ص ٣١ يقول :

فاندبْ رجاءك فى دنيا وُعِدت بها آحالها الدهرُ مغنًى غير مأهول

مضمِّناً « أحال » معنى « أصار وصيّر »

٨ — وقال فى ص ٩٨ :

حار النبيّون فى تطهير فطرتهم فما عسى نفع أمثالى وأشعارى ؟

مستعملاً فيه « عسى » على لغة « عسى الغويرُ أبؤسا » وهو عندى فصيح مقبول لموافقته العقل والنقل ، وماذا يريد النحاة بعد العقل والنقل ؟ إنهم يقولون إنّ

« عسى » للرجاء وهي في هذا المثل للتوقّع البحث ، لأن قائلة المثل لم تكن ترجو أن يكون الغوير مَبْأساً ولا منحساً .

٩ — وقال في ص ١٠٧ :

تفانى في النحول فلو تبدّى   لما فطنَتْ لخطرته العيونُ

ولم يرد في كلام القدماء اسناد « تفانى » إلى فاعل واحد ، لأنه « تفاعل » للتشارك ، فان طُلب اسناده الى انسان واحدٍ باحتذاء أمثاله من كلام العرب نحو « اضطرب فلان » أي ضرب بعض أعضائه بعضاً ، فقد يكون معناه « أفنى بعض أعضائه بعضاً » أو « احترب المكروب في جسده » فكان فيه تفانٍ ، وعلى القول الأخير يتخرج كلام الدكتور على تكلف .

١٠ — وقال في ص ١٢١ : « وأرسل الزفرة الحرّاء لاخفةً » وفي قوله ضرورة شعرية هي مدّ المقصور « حرّى » حتى صارت « حَرّاء » وكان في غنًى عن ذلك بأن يقول مثلاً « وأرسل الزفرة الحرّى محرِّقة » من « حرّقت تحريقاً أي بالغت في الحرق » ومن الحق أن ليس في الشعر ضرورة إلاّ ولها مَدفع ، لكن الشاعر في وقت النظم لا يهتدي اليه ، وذلك كافٍ في الاحتجاج للاضطرار بالشعر ، وهذا آخر كلامنا على لغة ديوان الدكتور — حفظه الله — ؟

مصطفى جواد



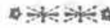
دعوة شاعر هندى

لإلقاء محاضرات في اكسفورد

جاء في برقية من لاهور أن السر محمد إقبال الشاعر والمحاضر المسلم المعروف تلقى دعوة من اللورد لوثيان بالنيابة عن نائب مستشار جامعة اكسفورد وعن أمناء رودس لإلقاء محاضرات عن تذكار رودس في سنة ١٩٣٤ وقد وضعت هذه الخطة لكي تأتي جامعة اكسفورد بالاشخاص الممتازين البارزين في الخارج فتتاح الفرصة لاعضاء الجامعة للاتصال بهم شخصياً والمناقشة معهم .

ومع أن بعض أدباء العرب قد حاضروا سابقاً بصفتهم المدرسية فى جامعات أوروبية ، فكم نتمنى لو أن أحد شعرائنا المشهورين كمطران أو ناجى أو العقاد تلقّى مثل هذه الدعوة ليساهم فى هذا التعاون الثقافى بين الشرق والغرب باسم العروبة ؟

يوسف احمد طبرة



شعر عصرى !

قال المتنبي فى قصيدته الخالدة راثياً جدّته :

ولو لم تكونى بنتَ أكرمِ والدٍ لكان أباكِ الضخمَ كونُكِ لى أمّا !

فزعم بعضُ المتعنتين أنه امتدح نفسه على حساب جعل جدّته لقيطةً ! كذلك عابوا عليه لمثل هذا التفسير المعكوس قوله فى سيف الدولة :

ويطلب عند الناس ما عند نفسهِ وذلك ما لا تدّعيه الضراغمُ !

واعتبروا ذلك ذمّاً فى مَوضعِ المدحِ وتجريداً لسيف الدولة من فروسيته ! وربما كانوا مخلصين فى نقدهم لما اتّصف به شعرُ المتنبي بالتركيز غالباً ، ولكن معنى المدح المزدوج فى هذا الشعر ظاهرٌ لكل ذى بصر باللغة وبشعر أبى الطيب .

وقد تفضل أحد الأدباء متستراً فانتقد تحت العنوان السابق بيتين من قصيدتى « موت النسور » التى ظهرت فى « البلاغ » وفى ديوان « الينبوع » على هذا النحو من النقد المتعنّت الساخر ، وذهب غيرُه فى « كوكب الشرق » الى مثل ذلك عنى وعن غيرى من اعضاء « أبولو » وان أمنيتى الى الأديبين أن يتقدما فى صراحة الى منبر هذه المجلة الشعرية بحريتها التامة فيستطيع مثلى وغيرى النقاش الحرّ الهادىء معهما لفائدة الشعر العصرى . وأمّا ما خلا ذلك من النقد الشاذ فلا يستحقّ الردّ عليه ؟

احمد زكى أبو شادى





الصباح الجديد

أسكتي يا جِراحْ وأسكني يا شجونْ
ماتَ عهدُ النّواحْ وزمانُ الجنونْ
وأطلَّ الصّبَاحْ مِنْ وراء القرونْ

* * *

في فِجاجِ الهوى قد دفنتُ الأَلَمْ
ونثرتُ الدُّموعْ لرياحِ العَدَمْ
واتّخذتُ الحياهْ معزفاً للنغمْ
أتغنّى عليه في رحابِ الزّمانْ

* * *

وأذبتُ الأسَى في جمال الوجودْ
ودحوت الفؤادْ واحةً للنشيدْ
والضيا والظلالْ والشّذَى والورودْ
والجوَى والشبابْ والمُنى والحنَانْ

* * *

اسكتي يا جراحْ واسكني ياشجونْ
مات عهدُ النواحْ وزمانُ الجنُونْ
وأطلَّ الصّباحْ من وراء القرُونْ

في فؤادي الرحيب مَعبدٌ للجمالْ
شيدته الحياهْ بالرُّؤَى والخيالْ
فتلوْتُ الصلاهْ في خُشوعِ الظلالْ
وحرقتُ البخورْ وأضأتُ الشّموعْ

* * *

ان سحر الحياهْ خالدٌ لا يزولْ
فعلام الشكاهْ مِن ظلامٍ يحولْ
ثم يأتي الصباحْ وتمرُّ الفصول .. !
سوف يأتي ربيعْ إن تَقضَّى ربيعْ

* * *

اسكتي يا جراحْ واسكني يا شجونْ
مات عهد النواحْ وزمانُ الجنونْ
وأطلَّ الصباحْ من وراء القرونْ

* * *

مِنْ وراء الظلام وهديرِ المياهْ
قد دعاني الصباحْ وربيع الحياهْ
يا لهُ من دُعَاءْ هزَّ قلبي صَدَاهْ !
لم يعد لي بقاءْ فوق هذي البقاعْ

* * *

الوداعَ ! الوداعْ ! يا جبالَ الهمومْ !
ياضبابَ الأسى ! يا فجاجَ الجحيمْ !
قد جرى زَوْرقي في الخضَمّ العظيمْ
ونشرتُ القلاعْ فالوداعَ ! الوداعْ !

ألحـــانى السكرى

قـد سكرنا بحبنا واكتفينا يا مديرَ الكئوسِ فاصرفْ كئوسَكْ
واسكبْ الخمرَ للعصافير والنَّحل وخلّ الثرى يَضُمُّ عروسَكْ

* * *

ما لنا والكئوس ، نطلب منها نشوةً ، والغرامُ سحرٌ وسكرُ ؟!
خلنا منك ، فالربيع لنا ساقٍ وهذا الفضاءُ كاسٌ وخمرُ !

* * *

نحن نحيا ، كالطيرِ فى الأُفُق الساجى وكالنحل فوق غضّ الزهور
لا ترى غيرَ فتنة العالم الحىّ وأحلامِ قلبها المسحورِ . . .

* * *

نحن نلهو تحتَ الظلالِ ، كطفلين سعيدين ، فى غُرورِ الطفولَهْ
وعلى الصخرةِ الجميلةِ فى الوادى وبين الخارفِ المجهولهْ

* * *

نحن نغدو بين المروج ، ونعدو ونغنى مع النسيم المغنى
ونناجى روحَ الطبيعةِ ، فى الكون ونُصغى لقلبها المتغنى

* * *

نحن مثل الربيع : نمشى على أرضٍ من الزهر ، والرؤى ، والخيالِ
فوقها يرقص الغرام ، ويلهو ويغنى ، فى نشوةٍ ، ودلالِ

* * *

نحن نحيا فى جنة من جِنان السحر فى عالمٍ بعيدٍ . . ، بعيدٍ . .
نحن فى عشّنا المورّد ، نتلو سُوَرَ الحبّ للشباب السعيدِ

* * *

قد تركنا الوجودَ للناس ، فليمضوا عليه الحياة كيف أرادوا
وذهبنا بلبّـه ، وهو روحٌ وتركنا القشورَ ، وهى جمادُ

***

قـد سكرنا بحبنا ، واكتفينا طفحَ الكأسُ ! فاذهبوا يا سقاةُ
نحن نحيا فـلا نريد مزيداً حسبنا ما منحتِنا يا حياةُ

***

حسبنا زهرنا الذى نتنشى حسبنا كأسُنا التى نترشّف
انّ فى ثغرنا رحيقاً سماوياً وفى قلبنا ربيعاً مفوّف

***

أيها الدهر ! أيها الزمن الجارى الى غير وجهةٍ وقرار !
أيها الكون ! أيها الفلك الدّوّار بالفجر ، والدجى ، والنهار !
أيها الموت ! أيها القـدّر الأعمى ! قِفُوا حيث أنتمُ ! أو فسيروا
ودعونا هنا : تغنّى لنا الأحلام والحب والوجودُ الكبيرُ
واذا ما أبيتُمُ فاحملونا ولهيبُ الغرام فى شفتينَا
وزهورُ الحياة تعبقُ بالعطرِ وبالسحرِ ، والصبا فى يدينَا

أبو القاسم الشابى

******



الوادى الحزين ..!

خيّمَ الصمتُ على الوادى وغشّاهُ الحِدَادُ
وخـلا الوادى من الحسِّ كأنّ الناسَ بادوا

أين ريح المجـد والقـوة ، بل أين الجهادُ ؟
أين عهـدٌ تُوِّجوا فيـه على الدنيا وسادوا ؟
أفليموا هم بنُـو القوم الأُلى فازوا وشادوا ؟
الالى دانت لهـم دهـراً عبـادٌ وبـلادُ ...؟
خُذِلَ القـوم ، فما فيهم وفاءٌ واتّحادُ ..
فشل القـومُ ، فمن بينهمُ فرَّ الودادُ
وفشى الباطل فيهم ، فهـو محبوبٌ مُعَـادُ ..
وتولى العقـلُ والحكمةُ عنهـم والسـدادُ
وتولاّهم شِقـاقٌ ، وخصـامٌ وجـلادُ
ربَّ سار الشرُّ فى الناس حثيثاً والفسادُ
فيهمو كِبْرٌ وجهلٌ ، وانحـلالٌ وعِنادُ !

* * *

يدّعون العلـمَ والجهـلُ لهم كنزٌ تلادُ
وإذا قيـل لهـم هـذا طريقُ العلمِ حادوا
يحسبون العمرَ لهواً وتصاويرَ تُعادُ
فمضوا فى غيِّهم إنْ نضبَ الكأسُ استزادوا
قـد نسوا أن حياة المرء فى الدنيا جهادُ
ونسوا أن طـلاب العـلم والمجـد رشادُ
ونسوا أن دم الشبان للأوطان زادُ
ونسوا أن الذى ينعم فى الأسر جمادُ
ونسوا أن الذى يسكن للضيم يُقَـادُ ... !

* * *

عَبَثـاً يحتضرُ الحقُّ ، متى قامـوا فذادُوا
لو أرادوا خيرَ مصرِ لتسنَّى ما أرادوا ...

لو أفاقوا من كراهم ، وافتدوا مصر وجادوا
لبنوا « للنيل » فوق النجم أهراماً وشادوا !

مختار الوكيل



بني مصر

الامَ تغيب الشمس عنا وتطلعُ ؟ ونلعب فى ظلّ الحياة ونرتعُ ؟
رضينا بخفض العيش والذلُّ حوله وما الذل إلاّ حظُّ مَن بات يَقنع
نهيمُ بهزلٍ لا نهيم بغيره ونهرب من جِدّ الحياة ونفزع
ونُحجم عن أخطارها وصعابها وتَنْهَبُنا لَذَّاتُها والتمتع
وإن نبتغِ العليا ترانا كأنما نُساق اليها كارهينَ ونُدفع
نسير على رِسْلٍ وللعصر حولنا مواكبُ فى طُرْق العلا تتدفَّع
أساغَ بَنُو الشرق الحياةَ ذليلةً وعَيشُ بنى الغرب العلا والترفع
همُ قادة الدنيا ونحن وراءهم فُضُولٌ وأذيال تُجرّ وتَتبع
رضينا بأن نحيا على الغرب عالةً كأنْ ليس فيما دون ذلك مطمع
نُدِلُّ ونَستملِى بمخترعاتهم ولا كاشفٌ مِنّا ولا ثَمَّ مُبْدِع
ونفخر بالعلم الذى هم عيونُهُ ولم نَكُ إلاّ شَرْبَهُ حيث ينبع
ونرفل فى أَعطافها من حضارة وما نحن نبنيها ولا نحن نصنع
وكم تائهٍ منّا بثوبٍ منمق وأحرَى به منه الرَّديمُ المرقع
وكم مستعيرٍ بأسهم ويخالُهُ بقوتِهِ فينا يَصُول ويَدْفَع
لهم حاضرٌ عالٍ وماضٍ مؤثلٌ وسعىٌ إلى مستقبل المجد أَرْوَع
اذا ذكروا أوطانهم نخروا بها وياحبذا نخراً ذمارٌ ممنَّع !
يطولون بالجاه العزيز تفاخراً ونُطرق مِن ذُلّ الاسار ونخشع
ونشحذُ من آبائنا وجدودنا نخاراً على أعقابهم ليس يُخلع

هُمُ دوننا أهلُ الفخار ولم يكن ... عُلُوُّ أبٍ فى حِطة الوُلد يشفع
نقيهُ بتاريخٍ لهم ومآثر ... قيام على الأيام لا تتزعزع
وما هى ما لم نحى إلاّ صحائفٌ ... بوالٍ وأطلالٌ خوالٍ وأربع
وفيمَ تباهينا بعزٍّ ورفعة ... وحاضرنا قفرٌ من العزّ بلقع ؟
تبرّأ ماضى المجد منه ولو درى ... لطاش له خوفو وأُذهِلَ خفرع
وريع الفراعينُ العظامُ وأجفلوا ... وهالَهُمُ هذا التراثُ المضيَّع
رأوْا أُمّةً تمشى وراء زمانها ... وقد عرفوها فى الطليعة تطلع
وتصنعُ مِن حظ الحياةِ بدُونها ... وقد تركوها فى الذُّرى تتربع
وأوغلَ فيها الأجنبىُّ نيوبه ... وقد عهدوها النجم أو هى أمنع
وهالَهُمُ خيلٌ بمصرَ ورايةٌ ... إلى رايةِ النيلِ المضدّاةِ تُرفع
كأنىَ أصغى من علاهم الى صدى ... يشق القرونَ الدّاجيات فيسمع
يقول : بنى مصرَ ! الحياة أو الردى ... وما لَكُمُ من دون هذين مَشْرَع
فليست حياة الشعب إلاّ سيادة ... تردّ طماع الطامعين وتردع
وليس الردى إلاّ حياة مهينة ... يقرُّ بها الشعب الذليل المضعضع
أيرضخ شعب النيل للغير راضياً ... بما بات يأباه من الزّنج أوْكع ؟!
هلموا الى جدّ الحياة ونفضُوا ... بقية هذا النوم فالعصر مُسْرِع
فما الامر لو تدرون إلا عزيمة ... تصارع شدّاتِ الحياة فتصرَع
تعاف ذَلُول العيش قد لان ملمساً ... وتضرب فى وعر الحياة وتصدَع
وأنى سلكتم فاجعلوا مصر قبلة ... وحول علاها الملتقى والتجمُّع
شريكتكم فى سرّكم وجهاركم ... وحين تغيب الشمس عنكم وتطلع
وولوا الى الأعمال لا القول همَّكمْ ... فما القولُ بالمجدِى ولا الزعمُ ينفع
وإن فاتكم منها الجَناةُ ففى غدٍ ... ستُزهر للجيل الجديد وترتع

فخرى أبو السعود



عذراء بختن

THE MAIDEN OF BEKHTEN

ذاك (رمسيسُ) والوُفودُ حواليْـهِ بأشهى الحُلىّ والعُبدانِ
والأغانى تَسيلُ فى لهفِ العيـدان حينـاً وفى حنينِ الغوانى
زِنَّ منه اليمينَ فى جِلسةِ الفنِّ كما زانَ مَطمحَ الفنّـان
وعُيونُ الاتباعِ فى شَرفِ المُلكِ تَباهَوْا بين الهدايا الحِسَان
وضِخَامُ المرَاوِحِ الجمّةِ الوشىِ تَزُفُّ النسيمَ قبلَ الأوان
ونقوشُ البَهْوِ البهيّةُ ألوانٌ تُحاكى الربيعَ فى الطيْلسانِ
والهدايا تختالُ مِنْ كلِّ رُكنٍ يَتسامى وكلِّ رُكنٍ يُدانى
والمليكُ العزيزُ ينظرُها شَزْراً وإنْ حُمِّلتْ فُنونَ المعانى
ما يُبَالى بها وإنْ أكْـبَرَتْها تُحَفٌ للجمال مِلءُ الزّمانِ
حينَ حُكامُه تفانَوْا بما أهْدَوْا وجازُوا به حُدُودَ التّفَانى
ثم لاحتْ (عذراءُ بخْـتِنَ) فى الشّفِّ فكانت حُوريّةَ المهرجانِ
هى أشْهَى ما يَستطيع أبوها مِنْ هدايا تُبزُّ سِحْرَ البيانِ
فتخلّي رمسيسُ عن عرشهِ الفخم اليها والعرشُ فى الزهوِ رانِ
جذبَتْهُ الى صِباها وكانتْ آيةَ المُلْكِ والمُنى فى ثوانِ
جَلَّ مَجْدُ الجمالِ ، فالمجدُ فى الدنيا فناءٌ ومجدُه غيرُ فانِ
ورموزُ الأربابِ شتّى ولكنْ هو ومنُ الوحْدِ الديّان



الى س . . .

جئتُ أشكو لكِ روحى وجواها   وردت ظمأى وعادت بصداها

آه من عينكِ ! ماذا صنعتْ   بغريبٍ مستجيرٍ بحماها ؟ !

تبعته تعتفى أحلامه   كلمّا أغنى أطلّت فرآها

يا سقى الله « لليلى » أيكةً   وجزاها الخيرَ عنّا ورعاها

وغذاها من أمانينا ومن   حبنا الشهدَ المصفّى وسقاها

قربى عينكِ منى قرّبى !   ظلليني واغمريني بصفاها !

وأريني زرقةَ البحر إذا ا   نبسط البحرُ جلالاً وتناهى

وأريني لجّةَ السحر التى   ضلّ فى أعماقها الفكرُ وتاها

ألمح اللؤلؤ فى أغوارها   وأرى الطيبةَ تطفو فى سناها

وأراها تخبؤ الخلدَ لمن   باع دنياه وبالروح اشتراها !

« • »

نحن أرواحٌ حيارى افترقتْ   ثم عادت فتلاقتْ فى شجاها

سوف ينسى القلبُ الآنَ ساعةً   مِنْ رضاً فى وكركِ الحانى قضاها

هتف القلبُ وقد حدثتنى   أىّ ماضٍ كشفتْ لى شفتاها ؟ !

همست فى خاطرى فاستيقظتْ   روحىَ الحيرى وأصغت لنداها

وأنا إنْ لم أكنْ توأمها   فكأنى كنت فى الغيبِ أخاها

نحن أرواحٌ حيارى ثملتْ   وانتشتْ سكرى على لحنٍ أساها

قرِّبي روحَكِ منى قرِّبي ! ظلليني واغمريني برضاها !
وتعالَيْ حدّثيني ! حدثي ! أنت مرآةُ شجوني وصداها
فهبيني ساعة الصفوِ التى تقسم الأيامُ ما فيها سواها
ثم أمضي لحياةٍ مرةٍ صُبحُها عندي سواءٌ ومساها !

الشباب الثانى

لا الروحُ غاربةٌ ولا أنا فانى انى ضمنتُ بكِ الشبابَ الثانى
اليوم أهزأ بالردى فليرمنى ما شاء انى اليومَ غيرُ جبانِ
فارقتُ عالمنا وعفتُ همومَهُ ودخلتُ عالمَ حسنك الفتّانِ
فنسيتُ آبادَ الحياة وطولها وعرفتُ أن الخلد بضعُ ثوانِ

ابراهيم ناجى



من الرمس

شَيَّعُوني ... هل دَرَوْا مَنْ شَيَّعُوا ؟ لو دَرَوْا مَنْ فى الثرى لم يرجعوا
لأقاموا عند رَمْسِي دَهْرَهم يحسدون الرمْسَ فيما أودعوا !
وتمنّوا عودةَ الروح له وهِبَاتُ الموت لا تُسْتَرجَعُ !

« ٠ »

يا حبيبي ... هَلَعَ الروضُ على موتِ ساقيهِ ... وضَجَّ المرتَعُ
كم روينا الزهرَ والطيرَ معاً وأنا السّاقي وأنتَ المَنْبَعُ
وارتوينا مِن غديرٍ سال مِنْ مُقْلتينا ... والمياهُ الأدمُعُ
وبَنَينا مَضْجَعَ العُشْبِ على ضَفّتيْهِ ... واحتوانا المضجعُ

« ٠ »

قِيلَ: لِى ألحدْتَ يا عبدَ الهوى ...! في سبيلِ الحبِّ أرضى ما ادّعُوا !
أنا لم أُنكرْ إلـهى ساعـةً بل عبـدتُ الله فيما يصنعُ
غـزَلى كان شفيعى فى الهوى أَتُراه عنـد ربِّى يَشفعُ ؟

ظمآن

أجَلْ ، ظمآنُ يا لَيْلَى وماء الحب فى نهرِكْ !.
خُذينى فى ذراعيكِ وضمينى إلى صـدرِكْ
دعينى أشرب النور الذي ينساب من شَعرِكْ
ورَوِّى لهفةَ الظمآن بالقبـلة من ثغرِكْ
هبي لى ليـلةً أثمل يا ليلاى من خمرِكْ !

« • »

تقولين : جمعتَ السحر يا ظمآنُ فى شِعْرِكْ
وأنتِ قصيدتى الـكُبرَى وهذا الشعر من سحرِكْ
أيا ليلَى رأيتُ القلبَ لا يسأم من ذكرِكْ
خيالٌ أنتِ فى فكرى فهلاَّ جُلْتُ فى فكرِكْ؟
كأنى راهبُ الفتنة يستشهد فى دَيْرِكْ
وقـد يُشرك بالله . . . وبالفتنة لا يُشرِكْ
على أنى عرفتُ الله لـكنْ حِرْتُ فى أمرِكْ !
أجَلْ ظمآنُ يا ليلَى وماء الحب فى نهرِكْ !

صالح جودت



ساعة اللقـــاء

أنتِ أنتِ التى بَعثْتِ حياتى مِنْ سبات الأَسَى فأَحْيَيْتِ مَيتا
كلُّ ما صُغْتُ فى نَوَاكِ من الشعْـ ـرِ تلاشَى فى ساعِ قُرْبِكِ صَمْتا!

* * *

حَوَّلَتْ ساعةُ اللّـقــاء كلامى غـيرَ ما كان . . . فاقتنعْتُ بعجزى



حسن كامل الصيرفى

أنا كالرُّوحِ حـين ترجعُ للأصـ ـلِ فتفنَى فيـهِ ، وتحيَا برَمْزِ

* * *

رَوْعَـةُ الحُسْن واللقاء أحالتْ فيكِ رُوحى ، فكيفأُنْشِدُ شعرى ؟
إنَّ عَيْنَيَّ تنظمانِ نشيداً فاسْمَعيهِ بخفْقَةِ القلب يَسْرِى

* * *

إنَّ رُوحى بعد المَطافِ استقرَّتْ عنـد هـذا الذى يَشِعُّ برُوحكْ
هيكلٌ فائضُ الجلالِ ، فهلاَّ تسكنُ الرُّوحُ عند بابِ صُروحِكْ ؟!

* * *

مَطْلَعُ النور عالَمٌ أنتِ منهُ فاغمريني بموجِهِ . . . أغرقيني !
عالمي مُظْلِمٌ يجيشُ بهذْيِي وشكوكي ، وحيرتي ، ويقيني

* * *

عشتُ أُلْقي — لتسمعيني — شعراً وأنا اليومَ مُشْتَهٍ لغنائكْ
ساكِنُ الأرضِ صامتٌ في حنينٍ لنشيدٍ مُرَجَّعٍ من سمائكْ

* * *

أسعديني ! فكم تُصِمُّ سَماعي هاتفاتٌ كأنها الأقدارُ !
أسْمِعيني لكي يرددَ قلبي عنكِ شعراً تعيدهُ الأطيارُ

حسن كامل الصيرفي

* * *

ولكن برغمي ؟!

أحبُّكَ لا لهواً ولا عن عقيدةٍ ولكنْ برغمي أصبح الحبُّ مَذهبي
ولو انني خُيِّرْتُ فيمن أُحبُّه وفيمنْ أعادِي ما عدَوْتُكَ مطلبي
ألستَ الذي أضنى فؤادي بحبِّه وصدَّ ، فلم يرحمْ ، ولم يترهبِ ؟

* * *

فرحماكَ ما ذنبي اذا متُّ في الهوى وإذ تشهد الدنيا بأنك مأربي
كأنك لا تلهو بقلبي وما له سواكَ ولَمْ تأثمْ ولم تكُ مُتعبي
وأيُّ امرىءٍ في الناس إمَّا تعافُهُ أحَبَّ ولم يزهدْ ولم يتقَلَّبِ ؟!

* * *

أعينايَ جُودَا بالدُّموعِ وسطِّرَا شجوني فقد عزَّتْ على كلِّ مَذْهبِ !

محمود احمد البطاح

من الماضى القريب

هىَ هذى الدموعُ إنْ كنتَ تبرَا يا فؤاداً جشَّمْتَهُ الصبرَ دهرَا
لا وحقِّ الهوى ، وحقّ عيونٍ تدعُ الشعرَ ، والخواطرَ سَكرَى
ما أردنا لكَ الشقاءَ ، ولكن كم أردْنا بحُبِّها لكَ خيرَا

« • »

وبنفسى مَنْ أسهرتكَ طويلاً وأبتْ يا فؤادُ أن تستقرَّا
صوّرَتها يدُ الجمالِ فكانتْ نغماً رائقاً ، ونُبلاً ، وطُهرَا
أيقظتْ خاطرى ، وهاجت حنانى ونفتْ عن جفونىَ الغمضَ قَسْرَا
ما عليها ورُبَّ نظرةِ عطفٍ تبردُ الشوقَ ، قد توقّدَ جمرَا ؟
كم - لعمرى - آليتُ ألاّ أراها ثم شاء الجمالُ ألاّ أبرَّا
وإذا بى أحِنُّ شوقاً إليها وإذا الحبُّ قد تمرَّدَ جهرَا

« • »

قلتُ لمّا تعاظمَ الوجدُ عندى لرسولٍ بحاجةِ القلب أدرَى :
حدثيها ، فلا أُطيق اصطباراً بعد داءٍ فى موضع الرشد قرّا
رُبَّ لفظٍ منها على البعد يُحيى أملاً ذابلاً ، ويكشفُ ضُرّا

« • »

حدّثتها عن لهفتى فى هواها فثنتْ نفسها عن القول كِبرَا
وأعادتْ لها الحديثَ ، وقالتْ : مُدنفٌ ، حائرٌ ، تحطم هَجْرَا
ليس بالمُفترى الوداد ، ولكن شاعرٌ بالجمال والحسن مُغرَى
فتجلّىْ له ، ولا تُنكريه يملأُ الكون فى جمالك شِعرَا
آهِ لو تعلمين ، أىّ فؤادٍ هُوَ هذا الذى يناجيك سِرّا

« • »

بَعد لأىٍ ، قالت بصوت خفيضٍ : أنت أوْلَى بذاك منى وأحْرَى
فيكَ فيضٌ من الجمال ، وصوتٌ مثلُ شدوِ الطيور ، نُسَبِّهْن فجرَا

ودلالٌ تحيَّرَ العقلُ فيه ... يأسِرُ الحِسَّ ، والمشاعرَ أسرا
زعموا : أنه بعينىَّ عانٍ ... يشتكى منهما فتوناً وسحرا
أبعينىَّ قد غدا مُسْتَهاماً ؟ ... ليت كلتيهما من السحرِ تعرَى

« • »

كنتُ والليلَ ، والطبيعةَ والشعرَ نروض الخيالَ سهلاً ووعرا
حينما أقبلَ الرسولُ علينا ... تتهادى فى خطوها ، قلتُ : خيرا !
هاتِ ما دار من حديثٍ على البُعدِ ، وشكراً على صنيعك شكرا
بسمتْ ، ثم همهمتْ ، ثم قالتْ ... فى اضطرابٍ : وهل تُطيقنَّ صبرا ؟

« • »

ومضتْ ليلةٌ من الهول قُدَّتْ ... خِلتُ أنى من هولها لَنْ أفِرّا
يتَنزّى الفؤادُ من صرعة الدا ... ءِ ، ويَسْرى الأنينُ فى كل مَسْرَى
والقصورُ ، التى تأنّقتُ فيها ... أخذتْ فى العفاء ، قصراً فقصرا
هكذا كنتُ ليلةَ الهولِ حيرا ... نَ ، أعانى على الخفوق الأمرّا

« • »

وأطلّ الصباحُ من شُرفةِ الشر ... ق ، بوجهٍ يكاد يقطرُ بشرا
فانتويتُ الرحيل كى أتسلى ... وأزيحَ الهوى ، وقد كان إصرا
يا لها رحلةً تجشّمْتُ فيها ... كلَّ خطبٍ أذكى الفؤاد وأورى
وهو شهرٌ قضّيتُه فى انفرادٍ ... عزَّ فيه السلوان ، والعيش مرّا
فإذا عاصفُ الظلام ترامى ... ثم مادتْ أمواجه الطلسُ مَوْرا
غلبَ الذعرُ راجح العقل حتى ... لحسبتُ القضاء قد عاد بحرا

« • »

قلتُ للطيف : أيها الطيفُ عرِّجْ ... واجعلْ السير غاية السير (مصرا)
فإذا ما بلغتها — وهْى دارٌ ... وَسِعتْ ساحُها العجائبَ طرّا —

فاسْرِ هونا فى هدأةِ الليل واقصدْ وجهةَ البيت من مباهج «شبرا»
فاذا كنت وهْى، طيفاً وروحاً وتآلفتما مزاجاً وفكرا
فتلطّف فى موقف العتْبِ ما اسطعتَ، وكرّرْ لها جوى القلب عشرا
قُل لها إن صفتْ اليك ومالتْ: رفّهى عن حشاشةٍ فيكِ حرّى
باديه الهوى بأحسنَ منه، واذكريه، كعاشقٍ، أىّ ذكرى
إنما أنت صورةٌ من أمانيه، فكونى له، يُخلّدْكِ شِعرا

« • »

عاد لى الطيفُ، وهو يعثر بالفجْرِ، ويشكو من شدةِ السير بُهرا
قلتُ: خيراً! فقال: ياليت ـ والله ـ ولكن تبدّل الخيرُ شرّا
زرتُها والكرى يُغيرُ عليها وكأن النجوم من ذاك غيرَى
وتفرّسْتُ موضعَ الحُبِّ منها فشجانى، ألا أرى لك ذكرا
وتباهتُ فى الحديث، فقالت: مَنْ تُرى ذلك المحاولُ عُسْرا؟
قلتُ: طيفُ الذى يحبك حباً لم يُطق فيه من تجنّيك صبرا
ثم حدّثْتُها الحديث، فقالتْ: أو ما زال داؤه مستمرّا؟
يا شفاهُ الالهُ من صرعة الداء، وعذراً عما تحاول عذرا!
ثم نامت وخلّفتنى وحيداً وكأنى من أمرها ضقت صدرا
ومحَا الطيفَ فى نهاية مَسْعَاه شعاعُ الصباح قد سال تبرا
فنهضنا إلى الرياض خِفافاً حيثُ بيضُ الأحلام أطلعْنَ زَهرا!

عبد العزيز عتيق

الوداع

(رحلة نيلية اعقبها فراق الابد)

شدّ الشراعَ ووثّقَ الطنبا قاسٍ يسير الوخدَ والخببا!
مهلا ـ فدتك النفسُ ـ ان لنا فى المهل عند رحيلنا أربا!

ارخِ (١) الشراعَ فأنما المرسى فيه الفراق وانه اقتربا

* * *

لم أنسَ ساعاتٍ لنا سلفت يا نيل فيك زمانها ذهبا
أيامَ يحويهنّ زورقُنا متهادياً لا يحفل العببا
فيهنّ ساذجةٌ مؤانسةٌ سمراء منها القلب قد وجبا
كم همسةٍ لى كِدتُ أهمسها فى أذنها والحب قد غلبا
والليل يكسوه السكون رضىً والبحر رَهوٌ والنسيم صبا
ثم انثيتُ وخاننى خجلى فالحب يدفع والحياء أبى !

* * *

يا قريةً بالشطّ ناعسةً هل تذكرين الحبَّ حين حبا ؟
طفلان تحت ظلالك الريّا يتعانقان ليبعثا العجبا
عانقتُها جذِلَ الفؤادِ وما أحلى عناقاً فى ظلال صِبَى !
يا لحظة فى العمر تبقى لى ذكرى تحزُّ القلبَ والعصبا
لو كنتُ أدرى أنّ غايتها شجوٌ رضيت الشجوَ والوصبا
قد عشتُ طمّاعاً برجعتها لم أدرِ ان الحب قد نضبا !
هل تذكرين هوى طفولتنا هل دال كالايام أم حجبا ؟

* * *

يا نيلُ كم أسلفتَ لى زمنا أهتزُّ من تذكاره طربا !
والآن ـ واحرَّ الفؤاد ـ لقد أصبحتُ مغدى البين ، واحرّبا !
قد كنتَ لى فى الأرض جنّتَها فغدوتَ قبحاً يبعث الكُرَبا
انى رأيتُ الأرض واحدةً سيّان روض أو سفوح رُبَى
فالروض صدّاحٌ بلابلُها قفرٌ إذا وجه الحبيب نبا

(١) اى تمهل

والقفر جنتنا إذا عرفت فيه القلوبُ الحبَّ والعتبا

* * *

هذى هى المرساةُ من خشبٍ انى لأمقتُ موقفاً خشبا
والنـاس فى المرساة فى لجب انى كرهت الناس واللجبا
لم يبقَ الا أن أودّعها وأقصَّ عن جرح الوداع نبا

* * *

بل ان سلوى الدين سخرية والـكون سخفٌ والحياة هبا!
إذ ما جنان الخـلد نوعدها أو ما لهيب النار مرتقبا؟
ان العذاب كما علمت به فى وثبـة المقـدور إن وثبـا
هيهات لى بعـد الوداع منى فى الخـلد إنْ صدقاً وان كذبا
هيهات لى بعـد الوداع رضىً فالعمر ولى والشبابُ خبا

رمزى مفتاح

الى ليلى

فى صروف الدهر عقلى نجما وسما حتى بلوتُ العالَما
فرأيتُ الكونَ أرضاً وسما ليس إلا من حبابٍ سجما

* * *

ما خلا (قيسك) يا (ليلى) فما هو إلاّ الحبّ لحماً ودما
هو يخفى الدمعَ إنْ دمعٌ همى ليت شعرى كيف يخفى السقما؟!

* * *

نازحُ الدار يرى تلك الحياةْ شربةً ساءتْ ومرّتْ مطعما
قدحاها فى سكونٍ وأناةْ ما احتسى الا الردى والعلقما!

* * *



حكمَ الله علينا بالفراقْ فاذكرى (قيساً) على بعد المزارْ
ويحَ نفسى ألنا بَعدُ تلاقْ ولنا عودٌ إلى تلك الديارْ ؟

* * *

أيهذا الدهرُ رفقاً واتّئدْ اننى بالحب والذكرى سقيمْ
لو تفقدتَ فؤادى لم تجدْ غير همٍّ فى سويداه مقيمْ

* * *

بيد أنى للأمانىِّ أحنْ والأمانى راحةٌ للعاشقينْ
فأنا فيها مقيم مطمئنْ أرقب الرحمة حيناً بعد حينْ !

الاسمر الصغير





الثوب الأزرق

لعباس محمود العقاد

الأزرقُ الساحرُ بالصَّفاء
تجربةٌ في البحرِ والسماء
جرَّبها « مفصِّلُ » الأشياء
لتلبسيهِ بَعدُ في الأزياء
مجوَّدَ الاتقانِ والرواء
ما ازدان بالأنجمِ والضياء
ولا بمحضِ الزَّبَدِ الوضَّاء
زيَّنْتِهِ بالطلعةِ الغرَّاء
ونَضرةِ الخدَّينِ والسيماء
ولمعةِ العينينِ في استحياء
إنْ فاتَني تقبيلُه في الماء
وفي جَمالِ القُبَّةِ الزرقاء
فلي من الازرقِ ذي البهاء
يخطر فيه زينةُ الأحياء
مقبَّلٌ مبتسمُ الأضواء
مردِّدُ الأنغامِ والأصداء

وقبلةٌ منه على رضاء
غنًى عن الأجواء والأرجاء
وعن شآبيب من الدأماء
وعنكِ يا دنيا بلا استثناء

« ٠ »

اخترنا نشر هذه الارجوزة البديعة من ديوان (هدية الكروان) الذى صدر حديثاً، على سبيل المثال، للاعتبارات الآتية : (١) جدّة موضوعها وطرافته (٢) روحها العصرية فى لفظها وايماءتها ، (٣) نزعتها التصوّفية العالمية ، (٤) غزلها الحيّ الشامل (٥) ندرة هذا اللّون من الشعر الى درجة استنكاره عند الجامدين روحاً وأسلوباً .



رثاء صديق

(الدكتور محمد نصر الدين)

طلقْ شجونَكَ فى ثرى الأحبابِ ... وانثرْ دموعَ العين دونَ حسابِ !
لِمَ لا تفيضُ مَدامعاً ومواجعاً ... لصديقك الثاوى بغير مآبِ ؟!
يا لوعةَ الدنيا وراء مودِّعٍ ... يَمضى الى الأخرى بألفِ ثوابِ
أسفاً لنصر الدين ! أين جَنانُهُ ... وحَنانُه الشّافى من الأوصابِ ؟
ويدٌ كعيسى كم شفتْ من علةٍ ... وأستْ صريعَ وجيعةٍ وعذابِ
يَتَجَمَّعُ الشاكون ملءَ رحابهِ ... متوافدين على أبرِّ رحابِ

فيظلُّ يدفعُ عنهمُ شَبَحَ الرَّدَى ويردُّ ردَّ الواثقِ الغلاَّبِ
ما كان فى وَهْمٍ ولا فى خاطرٍ أنَّ الردى لطبيبهم بالبابِ
أوَهكذا الدنيا وذاك مآلُها ؟! أسَفاً لغادرةٍ كلمعِ سرابِ !
تغلو الحياةُ بها الى أن تنتهى عند الترابِ رخيصةً كترابِ !
أو هكذا الدنيا وذلك حالُها ؟ أو ذاك وَعْدُ خيالها الكذَّابِ ؟
أملٌ على أملٍ وآخرةُ المُنَى نومٌ على نومٍ مَدَى الأحقابِ !

« • »

يا أيها الثَّاوى المكفَّنُ بالرِّضَى ما يَصْنعُ الملكانِ يومَ حسابِ ؟!
أىُّ الحسابِ لذاهبٍ وحياتُه علويةٌ قدسيّةُ المحرابِ ؟!
فتحت له الجناتِ واحتفل الملا ئكُ بالطهورِ الصادقِ الأوَّابِ !

« • »

أمسيتَ قربَ الحقِّ فاسمع صوتَه ذهبَ الحِمامُ بحيرةِ المرتابِ
وخلعتَ ثوبَ العيشِ وهو مهلهلٌ فالبسْ كما تهوى جديدَ شبابِ !
واظفرْ بنورِ الخُلْدِ قد بُلِّغْتَهُ أنت الجديرُ بمجدهِ الخلاَّبِ !

ابراهيم ناجى

من القبور

طيف الصديق

أرقتُ لطَيفٍ زارنى بعد هجعةٍ يحدثنى عمَّنْ قضَى وهو يافعُ
رمتْه المنايا من بعيدٍ بسهمها على الرغم من أنف الصبا فهو واقعُ
ثلاثة أعوام مضتْ بعد موته وما فتئتْ تجرى عليه المدامعُ

« • »

ألا أيها الطيف الذى جاء زائراً ... أتسرى ، ومن خلَّفتَ وسنانُ هاجعُ ؟!
فللهِ ما أقساكَ كيف تركته ... وحيداً بقفرٍ كل ما فيه رائع
ديارٌ خلتْ إلا من الذئب وحده ... يخوض بها فى ليلها وهو جائعُ
يظل بها يعوى ويرعى نجومها ... وثمَّ نجوم فى القبور سواطعُ
تراه على الأجداث يقفز فوقها ... كما دفع الهمَّ المسدَّدَ دافعُ
ويا عجباً منه إذا بات جاثماً ... عليها وفيها المرهفات القواطعُ
أخو فتكةٍ معروفةٍ وخيانةٍ ... مُرَبَّى على ثدييهما وهو راضعُ
وبين يديه فى القبور أحبة ... وبين يديه فى القبور ودائعُ !

« • »

بنفسى الذى ما زلتُ أبكى شبابه ... ومَن فجعتْنى فى صِباه الفواجعُ
ومن لم يزَلْ فى القلب مضجعُ وُدِّه ... وإن شملته فى التراب المضاجعُ

« • »

خليلىَ ، ما أنباؤك اليوم فى الثرى ؟! ... وهل أنتَ مصغٍ للرثاء فسامعُ ؟!
ويا ليت شعرِى كيف يبلَى جميعه ... وتسلم منه فى التراب المسامعُ ؟!
لعل له من روحنا من يزورنا ... فيصغى ، ورب الروح فى اللحد قابعُ
على أن أرواح العباد اذا مضت ... فهل هى فى الدنيا الينا رواجعُ ؟!
مضى مَنْ مضى فاندبْه واحفظْ إخاءه ... وحسبك سلوى حفظ ما هو ضائعُ

محمد الأسمر

دمعة ...

أنَّةٌ أوهنتْ فؤادى الجزُوعا ... قد سكبتُ الفؤادَ فيها دموعا
وشهدتُ الاحزان فيها جسوماً ... تركتْ عالمَ المعانى جميعا

وتمشت أشباحُها ساقياتٍ بكؤوس الهموم سرْباً وديعا
ورأيتُ الزمان منها دميعاً هل رأيتَ الزمانَ يوماً دميعا ؟
طرَقَتْ قلبَه وكان عتيّاً فرمته وغادرتْه صديعا
ومَشَتْ فى مرابع الحسن مَشىَ الصيف فى رائعِ الزمان ربيعا
إنّ حزناً يروع قلباً صغيراً لرياحٌ تَغول رَوْضاً بديعا

« • »

لهفَ نفسى على الفُروعِ تهاوَى وعلى الأصل يومَ ريعتْ وريعا
لهف نفسى على الطيور صغاراً يومَ أمسى أبو الطيور فجيعا
ما لسرب الطيور غير سَجوعٍ بعد أن كان فى الرياض سَجُوعا ؟
ضارباً قلبهُ الضلوعَ بأوتارٍ من الهم أو يَقُدّ الضلوعا
صابغاً حالَهُ بألوانِ حُزْنٍ فغدا اللونُ طابعاً مطبوعا
هتفَ البينُ فيه : يا لهف نفسى ! لكأنى بصوته مسموعا !

« • »

يا أخى « ابراهيم [1] » تلك المنايا زاحفات على الأنام جموعا
ذاكَ ركبُ المنون يَسعَى الينا فاتّخذْ لى لَدَى المنونِ شفيعا
عَقربا الساعةِ استماتا سباقاً يَقطعانِ الاعمار قَطْعاً ذريعا
كلما روّعاك دقّتْ وصاحت: أَذَّنَ الموتُ فاتخذْ لَكَ رُوعا !

طاهر محمد أبو فاشا



(١) الشاعر ابراهيم القوال



الشريد

مقتبسة عن الشاعر الانجليزى وليم كوبر

زَمْجَرَ البَحْرُ والسَّحَابُ تَبَدَّى   فى سَوادٍ مُحْلَوْلَكِ الجِلْبَابِ
حِينمَا لاَحَ مُعْدِمٌ قدْ طَوَاهُ   حِنْدِسُ العَيْشِ فى الدُّجى والعبابِ
فقَدَ الجُهْدَ واليقين وأَمْسَى   غارقاً فى دُجُنَةٍ واحْتِجَابِ
نَزَلَ الدَّمْعُ سائِلاً ذا اجاجٍ   وقُوَاهُ قَدْ أمْعَنَتْ فى اغْتِرَابِ
فَقَدَ البَأسَ من هُمُومٍ تَبَدَّتْ   فى ضُحَى العُمْرِ فارْتَوَى كأْسَ صَابِ

« • »

ثَارَ وهْوَ الضَّعِيفُ جُهْداً وجاهاً   وغَدَا قاسِياً كوَقْعِ الشِّهَابِ
صَاحَ فى النَّاسِ: أفْسِحُوا لى طَرِيقاً   لم أَجِدْ صَاحِباً جَمِيلَ المَلاَبِ

« • »

دَنَّ فيهمْ صُرَاخُهُ فى ظَلاَمٍ   دَاكِنٍ ذِى عَوَاصِفٍ وعَذَابِ
وسفينُ النَّجَاةِ تَمْشى رُوَيْداً   وَبَدَا الأُفق فى جَوًى واكْتِئَابِ
ضَلَّتِ المركَبُ الطَّرِيقَ وأضْحَتْ   بَيْنَ ريحٍ هُوجٍ وَبيْنَ اخْتِيمَابِ
لمْ تجِدْ شاطِىء النجَاةِ فجَاءَتْ   تعْبرُ اليَمَّ فى أسًى واضْطرابِ
وعَلاَ المَوْجُ صَاخِباً مُشْمَخِرّاً   فتَوَارَى الفَتى عَنِ الأَتْرابِ
تحمِلُ الرِّيحُ صَوْتَهُ فى صُرَاخٍ   مُمْعِنٍ فى الذَّهابِ دُونَ اقْتِرابِ

خَذلتْهُ القُوَى فأضحَى شقيّا   مُنْهَكاً سائراً لِغيْرِ مَآبِ

« • »

قَذَفَ الموْجُ بالسَّفين وأرْغَى   وَعَلا المَاءُ ثائِراً فى اصْطخابِ
ثُمَّ غابَ الرُّبَّانُ فى اللجِّ مَيْتاً   وَطوَتْهُ الأمواجُ وسْطَ العُبابِ
أطْبقَتْ صَفْحَةُ المياهِ أديماً   وتوَلّى الفتى رهينَ العذَابِ
لم يؤبِّنْهُ شاعِرٌ بقصيدٍ   وَحَياةُ الابطالِ بَيْنَ الرَّبابِ

« • »

قد بكيْتُ الشَّريدَ حِينَ توَلَّى   راثِياً نفْسَهُ تُحُطِّمَ قلبى
جهلتْه السماءُ حين تراءَتْ   فى ضِيَاها وحُسْنِهَا الخلاَّبِ
حبَسَتْ صَوتَها الحُنونَ وهذى   نغماتُ الجمالِ فى تسْكابِ

حسين محمد محمود



القيثارة الحزينة

(الساقية)

ناحتْ فلا الزَّهرُ على عودِهِ   ألقى عقودَ الطَّلّ من جيدِهِ
ولا مُغنَّى الطيرِ فى وكرِهِ   رقَّ لها وازْوَرَّ عن عودهِ
ولا رثى المطْرابُ فى أيْكهِ   مِن ساجعِ الرَّوْض وغرِّيدهِ
والعاشقُ البلبلُ فى عشّهِ   أسرفَ فى نجوى معاميدهِ
يختال فوق الغصن مستلْهِما   وَحْىَ الهوى مِن دوحِ معبودهِ

أقام للبستان عيدَ الهَوَى فراح يلهو الروضُ في عيدهِ !

* * *

لم يسمعِ النَّوْحَ لمخنوقةٍ تشكو إلى الدهر أسى قيْدِهِ
خرساءَ لكنْ صوتُها صارخٌ يذيب قلبَ الصخر مِن وَجْدِهِ
لها طنينُ النحل في قفرةٍ بَيْهاءَ لم تُبْقِ على شهْدِهِ
وهزَّةُ العاشقِ مستصرخاً أذواه حَرُّ الشوق في بُعْدِهِ
ولوعةُ النّائي بَراهُ الهوى ونال كيْدُ الدهر من وُدِّهِ
لها عيونٌ دائماتُ البكا بدمعِ كالسَّيْلِ في رفدهِ
تفنى دموعُ الناس مِن فيضها ودمعُها باقٍ على عَهْدِهِ
تحيا زروعُ الحقل مِن ريِّه مِن سَوْسَنِ النبت ومن نَدِّهِ
ويزدهي الروضُ إذا ما جَرى مُنْهَلِهَا الصافي على خَدِّهِ
يَفْتَرُّ إن ناحت .. ويَذْوى إذا لم تسكبْ الدمعَ على مَهْدِهِ
حياتُه فيها . . ولكنّهُ عقَّ الهوى حِرصاً على عودهِ !

* * *

دؤوبةُ الشكوَى على راسفٍ في الذُّل . . مفجوعٍ على جَدِّه
دارت به البلوى فما راعه إلا عَمَاءٌ غال من رُشْده
وضلّةٌ يسعى بلا رائدٍ على سبيلٍ فلَّ من جَهْده
أعمَى . . رماه البيْنُ في دارةٍ لم يدر نحسَ الخَطْوِ من سَعْده
شُدَّتْ حِبالُ الذلّ في رأسهِ وفتَّ صرْفُ الرِّقِّ في كِبْده
مَنادِحُ الضجَّة في أذْنهِ وملعبُ السوْط على جِلْده
والسائقُ الأبلهُ لا ينثني عن ضربه العاني وعن كيْده
يتلُو على آذانه سُورةً من قسوة السَّيْدِ على عبْدِهِ
كأنه الدَّهْرُ يُزَجِّي الوَرَى قسْراً إلى ما غاب عن وُجْدِهِ

محمود حسن اسماعيل

يا بحـــر !

أنتَ يا بحرُ سلوتى وعزائى بحيـاتى الشقيـةِ النكراءِ
كلما رانَ فوقَ صدرىَ ضيقٌ ونما اليأسُ مسرعاً فى النماء
كلما استحوذ الشقاءُ عليـه وكأنـ الحياةَ بحـرُ شقاء
كلما اذا غامت الهمومُ بنفسى وهمومى كـكَلَيلةٍ قرّاءِ
لذتُ يا بحرُ ساخطاً بك إذ أنتَ (م) صديقى بل أخلصُ الأصدقاءِ
أنت خدنى اذا تنكر صحبي وصحابى فى الخُلْقِ كالحرباءِ !
ليس فيهم وبينهم غيرُ غدرٍ ونفورٍ وخـدعةٍ ورياءِ
والعجيبُ العجابُ أن يتظا (م) هرَ كلٌّ لغيره بالوفاءِ !
بينما قلبُه مليءٌ بحقدٍ ونفاقٍ وأحقرِ البغضاءِ
هكذا الأصدقاءُ يا بحرُ فاعجبْ لبنى الناس معشرِ الأوفياءِ !

« - »

أنت يا بحر أخلصُ الصحب طراً أنت يا بحرُ أخلصُ الأوفياءِ
واذا قال بعضهم عنـك قولاً بادىَ اللؤم ـ والكثيرُ مُرائى !
فاطَّرِحْهُ فإنه ذو ضميرٍ مدلهمٍّ كنفسهِ السوداءِ
قال هذا ـ فالبحرُ إن ثار أودى بنفوسٍ كريمةٍ قعساءِ
دون ذنبٍ أتته أو دون عُذرٍ وطواها بجوفهِ فى الماءِ
قلتُ : فالبحرُ يا لئيمُ رحيمٌ بنفوسِ الكرامِ والأبرياءِ
هو يحنو عليهمو مِن عذابٍ وقنوطٍ وأثقلِ الأعباءِ
فتراه احتواهمو فى حنانٍ كحبيبين بعد طول التنائى !

« ٥ »

كم تمنَّيتُ أن يكون مَقرّى فيكَ يا بحرُ - هل أنال رجائى ؟
كم تمنيتُ أن أنام قريراً تحت سطح المياهِ فى الدأماءِ !

« • »

أنا يا بحرُ قد هويتك طفلا وهواك العـزيزُ ملء دمائى
كم عشقتُ الأمواجَ مصطفقا تٍ وصفيرَ الرياح والأنواءِ
وأنيناً من الروابى حزيناً كأنين الطيور فى القمراءِ [1]
علَّ فى هذه الروابى من الأسـ رارِ ما فاتَ فطنةَ الفطناءِ !
علَّ فيها من الخفايا كثيراً فهْىَ يا بحرُ بالغاتُ الوفاءِ
ليس ترضى بأن تبوح بسرٍّ ذاك أقصى الوفاءِ فى الاحياءِ [2]

« • »

تجتلى العينُ من روائك حسناً وجمالا وروعةً فى المساءِ
فيعود الفؤادُ يا بحرُ نشو (م) انَ بخمر الطبيعةِ الحسناء
أنت يا بحرُ سلوتى وعزائى بحياتى ، وأنت كلُّ رجائى !

اسكندرية : حسيبه المهدى الغنام



(١) اى فى الليلة القمراء. (٢) اشارة الى ان الروابى كالكائنات الحية ابدا فهى لا تموت.



اتحاد الأدب العربى

كان لتأسيس هذه الجمعية أثرٌ طيبٌ فى الأوساط الأدبية فى مصر والخارج حتى سارعت الى تقليدها جمعيتان أخريان فى مصر ، وفى الحق انه كان من التقصير نحو العروبة والأدب العربى التهاون السابق فى ايجاد مثل هذه الجمعية فى بلادنا التى تعدّ مركز الثقافة العربية .

وقد جرت الانتخابات لمجلسها الأول فى ٢٠ أكتوبر الماضى فكانت كما يأتى :

حضرات : خليل مطران (رئيساً) والدكتور حسين هيكل بك والدكتور على العنانى (نائبىْ الرئيس) ومحمد الهيهاوى (سكرتيراً) . وحضرات : محمد لطفى جمعة ومحمد الأسمر وعبدالعزيز الاسلامبولى وحسين شفيق المصرى ومحمود البشبيشى والسباعى بيومى ومحمود رمزى نظيم وحسين عفيف وأحمد حلمى وأحمد فهمى العمروسى بك وحامد المليجى .

والأعضاء مدعوّون للاجتماع فى نادى نقابة الصحافة بالقاهرة عند الساعة الخامسة بعد ظهر يوم الجمعة ٢٦ يناير سنة ١٩٣٤ لانتخاب مجلس الادارة لسنة ١٩٣٤ وسيكون الانتخاب قانونياً كيفما كان عدد الحاضرين .

* * *

وهذا نصٌّ قانون الاتحاد الذى اعتمدته الجمعية العمومية فى ١٣ أكتوبر الماضى :

المادة الأولى — الجمعية ومركزها وفروعها

(أ) تألفت بمدينة القاهرة هيئة لخدمة الثقافة العربية باسم « اتحاد الأدب العربى » باعتبارها وحدة من الهيئات المكوّنة « ندوة الثقافة » متآلفةً ومتعاونةً معها .

(ب) للجمعية أن تجيز انشاء فروع لها فى العالم العربى بناءً على قرار مجلس الادارة .

المادة الثانية — أغراض الجمعية ووسائلها

تتولى الجمعية خدمة الثقافة بالقلم واللسان والنشر وبالحفلات الأدبية الاجتماعية وبالدراسة والأسفار خاصة ، وبكل وسيلة مشروعة تعزّز غرضها الثقافى عامةً ، حسب ما يقرره مجلس الادارة .

المادة الثالثة — تكوين الجمعية

(أ) تتكوّن الجمعية من الأدباء والأديبات الذين يقرر مجلس الادارة قبولهم بعد أن يزكى كلاً منهم عضوان من المجلس على طلب العضوية المقدّم من كل منهم .

(ب) يُشترط فى العضو أن لا يقلّ عمرهُ عن إحدى وعشرين سنة وأن يكون من أنصار العربية ومن المشتغلين بالأدب .

(ج) كلّ عضوٍ يثبت أنه خالف بتصرّفاته قانون الجمعية أو يعمل فى غير صالحها يعتبره مجلس الادارة فى حكم المستقيل .

المادة الرابعة — مجلس الادارة

(أ) يتألف مجلس ادارة الجمعية من اثنى عشر عضواً يُضمّ اليهم رئيس «ندوة الثقافه» وسكرتيرها ، ويُنتخبُ الأعضاء سنوياً فى الأسبوع الأول من يناير بواسطة الجمعية العمومية التى تختار فى الوقت ذاته الرئيس ونائبى الرئيس والسكرتير من بين هؤلاء الأعضاء المنتخبين .

(ب) اختصاص المجلس يتناول كلّ ما ينهض بالاتحاد فى حدود تفويض الجمعية العمومية .

(ج) يجتمع المجلس مرة كل شهر على الاقلّ ، وله أن ينتخب لجاناً من بين أعضائه لانجاز قراراته وللاشراف على أعمال الاتحاد تحت هيمنة المجلس .

(د) يتولى المجلس سنوياً تقديم تقرير عن أعماله الى الجمعية العمومية ويتلقى منها ارشاداته العامة .

(هـ) يضع المجلس لائحة داخلية خاصة بتنظيم أعماله فى غير ما عيّنه هذا القانون وفى حدوده ، وله أن ينظم من وقت الى آخر كيفية التعاون مع الهيئات التى تضمنها « ندوة الثقافة » وفق نظام الندوة .

المادة الخامسة — الجمعية العمومية

(أ) تشمل الجمعية العمومية جميع أعضاء الاتحاد ، وتجتمع ـ عدا اجتماعها السنوى العام فى الأسبوع الأول من يناير ـ كلما رأى مجلس الادارة حاجة ماسة الى ذلك ، بشرط الاعلان عن ذلك قبل موعد الاجتماع بأسبوعين على الأقل فى الصحف السيّارة .

(ب) تتولّى الجمعية العمومية الاشراف العام على أعمال الاتحاد ، وانتخاب مجلس الادارة ، وتعديل القانون عند الحاجة بشرط أن لا يتناول التعديل المبادىء العامة المقررة ، وبشرط الاعلان عن ذلك قبل موعد الاجتماع بأسبوعين على الأقل.

المادة السادسة — مالية الجمعية

تتألف مالية الاتحاد من التبرعات وموارد الانتاج الادبى التى يقررها مجلس الادارة ، وليس للعضوية فى ذاتها بدل اشتراك ، وليس على الاعضاء مسؤولية فى غير ما يعتمدونه ويقررونه .



ولا بدّ لنا من كلمة تعليقاً على ما يُكتب فى هذه الأيام من أن قيام الجمعيات الأدبية ضلالٌ فى ضلالٍ ، وأن التعاون فى الادب شعوذةٌ ، وآن الأدب شخصيٌّ فلا مجال للتعاون فيه ، الى آخر هذا الهراء الذى يردّده دعاةُ الأنانية والفردية ... أما أنّ الأدب ذاتى النزعة فى صُوَرِه فحقيقةٌ لاشكّ فيها ، ولكن كيف يتعارض هذا وتأليف المدارس الأدبية التى تصوّر كلٌّ منها وجهةً خاصة وروحاً عامة معينة ؟ وكيف يتعارض هذا وخلق وحدة اجتماعية بين الأدباء بدل التنابذ والتراشق المألوف بينهم ؟ ولماذا نشأت الاندية والجمعيات الأدبية فى الشرق والغرب اذا كانت الحصافة تقضي بأن يكون من كلّ أديبٍ كائنٌ مستقلٌّ فى كلّ شىء ؟ ليكن لكلّ أديب نظرتُه الخاصة الى الحياة وأساليبُه الخاصة ، ومع ذلك توجد نُقط مشاركةٍ تسمح بتقسيم الأدباء الى مدارس ، تعمل كلٌّ منها على نشر ما تعتقد أن فيه المثلَ العالى المشترك ، وتعمل على صيانة صوالحهم المادية والأدبية ، معترفة بان الأدب يُخْدَم بتعدّد نماذجه لا بحصرها الضيق ولا بالتخاذل والأنانية . وهذه الحقائق من البداهة بحيث لا تستدعى أىّ اسهابٍ فى الشرح والتعليق بل لا تحتاج الى أى بيان لكل ذى تفكير سليم لا تسيطر عليه الأهواء الفردية .

الشاعر كافافى

ألقى فى الشهر الماضى فى أثينا الأديب المعروف جاستون زنانيرى محاضرة أدبية برعاية « جمعية رجال العلم والأدب اليونانيين فى قاعة « الجمعية الأثرية » فى أثينا أمام جمهور كبير من رجال العلم والأدب فجعل موضوعها الشاعر اليونانى الكبير كافافى، ومما قاله ان فكرة الفيلسوف تسمو على أوضاع اللغة التى يتكلم بها . فكافافى كان اسكندرياً قبل أن يكون شاعراً يونانياً . ثم وصف المحاضر المنطقة التى عاش الشاعر فيها وانها كانت تعاكس بقبح منظرها جمال بيته الداخلى الممتلىء كتباً . وكان كافافى يميل الى التكلم فى التاريخ اليونانى والرومانى والبيزنطى مضيفاً الى معارفه العميقة خبرة وافية فى الفلسفة وفى التعليم الاسكندرى . وكان معتزلاً كالنساك المصريين القدماء بنفسية نصف وثنية ونصف مسيحية . وكان شفيقاً على الناس محبّاً لهم . وقليل الوهم والغرور ، يحمل رغائب غير مفهومة من محيطه وأمالا غير محققة . ولهذا كانت على شعره فى الغالب مسحة حزينة . وقد تساءل الناس هل كان كافافى مؤمناً فكل المظاهر تدل على ايمانه . أجل انه فى البدء كان ضعيفاً لكن الدين تأصل أخيراً فى قلبه ، وقد كان محدثاً لطيف المعشر يأخذ كلامه بمجامع السامعين لكنه أصيب بداء هائل أفقده النطق فمات أبكم .



الاتحاد النسائى

أقامت جمعية « الاتحاد النسائى » فى الشهر الفائت حفلةً شائقةً لتكريم النابغات من أوانسنا المصريات المتخرجات من الجامعة المصرية وغيرها ، فألقت السيدة هُدَى هانم شعراوى رئيسة « الاتحاد النسائى » خطاباً رائعاً فى هذه المناسبة ، وقام نفرٌ من رجالنا البارزين بتقديم حضرات الآنسات الفضليات ، وألقى الشاعر الحكيم خليل مطران رئيس « جمعية أبولو » ورئيس « اتحاد الأدب العربى » هذه القصيدة الطريفة فى ختام الحفلة موجّهاً الخطاب فى مستهلّها الى السيدة هُدَى :

شبتْ غراسُكِ عن بواكير الغدِ ... وبدَتْ تباشيرُ الهُدَى للمهتدى

تتجدّدُ الدنيا فمن يبغى بها ... أن يدرك الغايات فليتجدّدِ
أنصفتِ يا نورَ الهدى، ولحكمةٍ ... أذكيتِ شعلةَ عزمك المتوقّدِ
نِعْمَ المثالُ مثالُكِ الأعلى لمن ... بكِ فى الرياسةِ والكياسةِ تقتدِى
لكِ فى كتابِ العصر أبهجُ صورةٍ ... خلدتْ وغير الفضل ليس بمخلدِ
كم من يدٍ لكِ عند قومك لا يفى ... فى شكرها - لو جاز - تقبيلُ اليدِ
عرف الزمانُ قليلَها وكثيرَها ... ما ليس منه بمسمعٍ أو مشهدِ
تكفيك إحداها فخاراً إن تقفْ ... منها على تشييدِ هذا المعهدِ

* * *

فضلٌ من الله اتحادُ نسائنا ... حين الرجالُ كزئبقٍ متبدّدِ
حاكين نظمَ عقودهنّ وفرقتْ ... أزواجهنّ خناصرٌ لم تُعقدِ
ليس المقامُ مقامَ تفنيدٍ وقد ... يدعو الى الحسنى لسانُ مفنّدِ
يا حسنَ هذا الائتلاف ولطفَ ما ... فيه من الارشادِ للمسترشدِ
بشِّرْ به عهدَ الرقىّ فانه ... ما يَستزدْ منه مآثرَ يَزْدَدِ

* * *

بوركتَ يا عهد الرقىّ وبوركتْ ... متبوّئاتُ الصدر فى هذا النّدِى
هنَّ اللداتُ السابقاتُ ثقافةً ... أخواتِهن من الملاحِ الخُرَّدِ
الغازياتُ قلوبَ عشّاقِ النهى ... بالفضل لا بمثقفٍ ومهندِ
الغانياتُ بمعنويّاتِ الحلى ... عن لؤلؤٍ بنحورهن وعسجدِ
ما بين مصعدةٍ بأجنحةٍ وقد ... عاد الثرى سجناً لغير المصعدِ
ونصيرةٍ لأولى الحقوق تصونُها ... ممن يصولُ على الحقوق ويعتدِى
وطبيبةٍ تأسو ولا تقسو فمن ... يدِها يمرّ النصلُ مرَّ المرودِ
وأديبةٍ بلغتْ مدَى مطلوبها ... فى العلمِ من مستطرفٍ أو متلدِ
زاد التأهّبَ للفخار عفافُها ... وبغيرِ ذاك القيدِ لم تتقيّدِ

* * *

سبعٌ برزنَ من الصفوفِ تواركاً للاّحقاتِ الشوطَ جِدَّ ممهّدِ
نافسنَ فتيانَ الحِمَى فوردنَ ما يَردُون والعرفانُ أسمحُ موردِ
نعمَ التنافسُ والمطالبُ حقةٌ فهو السبيلُ الى العلى والسُّؤددِ
وهو المُقِيلُ لكلِّ شعبٍ عاثرٍ وهو المُعِزُّ لكلِّ شعبٍ أيِّدِ



ديوان الرصافى

نظم معروف الرصافى — ٥٢٤ صفحة بحجم ٢٤×١٧ سم .

طبع بمطبعة المعرض ببيروت

يمثّل معروف الرصافى فى العراق الدور الذى مثّله المرحوم حافظ ابراهيم فى مصر، فكلاهما شاعر اجتماعى تظهر فى أشعاره حالة وطنه ، كلاهما صورة لشعبه بيقظته ورغبته فى التحرُّر وحيرته عند مفترق الطرق . وكما كانت تتردد على شواطىء النيل صيحات اصلاحية وتثب حياة فكرية تتناول موضوعات شتى وحافظ يوقّع هذه الصيحات على قيثارة الشعر ، كانت تتردد أيضاً على شواطىء دجلة صيحات أخرى وتوشك حياةٌ فكرية ناشئة فى النهوض والرصافى يوقع تلك الصيحات على قيثارته. وكما عُنى حافظ بالأسلوب الى درجة التخلّي عن المعنى الجيّد اذا لم يواته اللفظ الجزل ، عُنى الرصافىّ بذلك الى درجة محدودة وإن كان فى أحايين يلجأ الى تعابير ضعيفة وأساليب مهلهلة خالية من المعنى والشعر .

وأنا لا يعنينى من أى ديوان شعرى إلاّ المعنى والشعر ، الفكرة والفن ، يتلاقى مع ذلك كله الاداء البليغ وإن كان فى أبسط الاساليب وأرقّ الألفاظ بحيث

لا تشكو اللغة فيه ضعفاً ، وهذا ما عُنيت بالبحث عنه فى ديوان الرصافى . فاذا ما تركنا الشعر الاجتماعى جانباً لاننا اذا شئنا التكلم عنه اضطرنا ذلك الى التدقيق فى حالة العراق الاجتماعية وتأثيرها فى شعر الرصافى ثم تأثير شعره فيها ، والرصافىّ فى هذه الناحية جدير بزعامته هناك ، ثم تركنا وراء ذلك حريقياته ومراثيه ونسائياته وتاريخياته وسياسياته وحربياته ووصفياته وما يماثلها من أبواب الديوان ولجأنا الى ونياته وجدنا أفقاً يتنفس فيه الشعر وجوّاً يحلق فيه حيث يتمكن القارىء مع الشاعر من النظر الى الخفىّ عن أعين الناس والتعبير عما ليس فى استطاعتهم التعبير عنه . وهذا الباب من ديوانه أروع أشعاره . وانى لأسمعه فأظل معجباً بما صوّر وهو واقف أمام مشهد الكائنات ، إذ يرينا نفسه فى صورة بديعة الألوان والظلال قائلا :

كأنى وعلوىّ العوالم عاشقٌ أطلَّ من الأعلى عليه حبيبُ
فقام له مستشرفاً وبعينه تشدُّ ضلوعاً تحتهنَّ وجيبُ

وانه لحكيمٌ عميق النظرة ، بعيد غور الفكرة ، اذا ما تجرد بشعره من دنياه ، وحلّق ببصره الى أبعد آفاق الكون فاسمعه وهو يقول :

ألا إن بطناً واحداً أنتج الورى كثيرين فى أخلاقهم لرغيبُ
وإن فضاءً شاسعاً قد تضاربت بأبعاده أيدى القوَى لرهيبُ
وان اختلاف الآدميين سيرةً وهم قد تساووا صورةً لعجيبُ

ثم يرى من خلال تفكيره معرض النفوس الانسانية تحاول أن تتجلَّى فى مظاهر من الفضيلة أو الدعوة اليها فيستشفّ ببصيرته لِمَ تعمل الانسانية على ستر عيوبها ولماذا تتجنبها ، ألأنها عيوب لديها ؟ ! ... كلاّ ! فان الانسان ليعمل الخير لا لذاته ولكن ليعرف الناس انه قد عمله :

ويجتنب المرءُ العيوبَ لأنها لدى عائبيه لا لديه عيوبُ

وفى قصيدته « العالم شعر » ألوان شتى ، منها العابسة المتجهمة ، ومنها الضاحكة المرحة ، وبين هذه وتلك يبدو الرصافى لاعباً بالألفاظ والمعانى .

وانه ليقف أمام اللانهاية شاعراً غمره الكون بأسراره وجرّده من أدران الحياة وخلَّصه من صخبها وضجتها فيقول :

إنْ تسائلْ عنا فنحن هباءٌ ذُرَّ من صنعةِ القوَى بمذرَّهْ

صادفتنا أشعةٌ من حياةٍ فظهرنا وهل لأول مرَّه ؟ !
كلُّ من جاوز الأشعة منا فهو هاوٍ فى ظلمةٍ مكفهرَّه
فعلامَ الحقودُ يضمر حقداً وعلام الجهولُ يظهر كِبره ؟!

على انه فى حيرته أمام الكون وأسراره ورغم صرخته :

سارت بنا الأرض الى غايةٍ لنا وللأرض هى المرجعُ
ونحن كالماء جرى نابعاً لكن علينا خَفِىَ المنبعُ
والعلمُ قد أنكر منهاجَنا ولم يبنْ أين هو المنبعُ
خرقتَ يا علمُ رداءً لنا كنا ارتديناه ، فهل ترقعُ ؟
لقد طغت حيرةُ أهل النهى هل فيك يا علم لها مردعُ ؟
كم نشرب الظنَّ فلا نرتوى ونأكل الحدسَ فلا نشبعُ !

يعود من هذه الحيرة ممتلىء النفس فيّاض الشعور . واننا لنشعر إذ نشرب معه من كؤوس الظن ونأكل من الحدس أننا قد ارتوينا من « الكونيات » ارتواءً يسرع بنا الى الظمأ كما يظمأ الشارب من ماء البحر فهل يبلُّ صدانا شاعر العراق الكبير بمثل هذه الكؤوس ؟

الأسلاك الشائكة — العبرات الملتهبة — على مذبح الوطنية

ثلاث مجموعات نظمها الشاعر اللبنانى البرازيلى الياس قنصل — عدد صفحاته على التوالى ٦٤ — ٦٩ — ٧٦ بحجم ١٣×١٨ سم .

الياس قنصل شاعر رقيق تفيض بنفسه شاعرية وثّابة لكنها لا تقوى على المضىّ كثيراً لضعف قواها اللغوية وثروتها اللفظية ، فهو لا يعنى العناية الواجبة بأسلوبه، ولولا حرارة شعرية تصبهر ألفاظه لما تمكّن من أن يدعو المطّلع على شعره الى الاعجاب.

هو كهلٌ فى تفكيره رغم انه حدث فهو فى دواوينه الثلاثة ساخط على المادية المتغلبة على عواطف الناس ومن أجلها يسخط على العالم ، ساخر من عبودية الناس ، باكٍ على الشرق عامة ولبنانه خاصة ، على أن أحسن هذه الدواوين ديوانه « الأسلاك الشائكة » وفيه يقول :

تحدثنى نفسى أحاديث جمّة فأسمع أقوالاً واترك أقوالا
وتلفت أنظارى الى المال والغنى وتطلب منى أن أكدّ وأحتالا
وأسعى لتحصيل النضار فإنه يبدّل أحوالاً ويجلب إجلالا
دعينى أيا نفسى ، دعينى فاننى أديب ، ولم أخلق لأجمع أموالا

ويقول :

أبكى على وطنى ، وكم من شاعر مثلى عليه دموعه تنسابُ
فالظلم بين ربوعه مستوطن والشهم يخضع ، واللئيم مهابُ
والنذل يتخم والأبىّ بفاقة والوغد ينجو والكريم يصابُ
ومتى الزمان أدار ظهر مجنّه وِليَتْ على أمر الأسود ذئابُ

ولا يقال مهاب وانما يقال مهوب ومَهيب ، ويصح له أن يقول يُهابُ ، ولعل ذلك وسواه خطأ مطبعى يعنى بالتدقيق فيه فى دواوينه المقبلة . ولنا عند تقدمه فى العمر ونضوج شاعريته أمل كبير يدعونا الى الاستبشار .

مناجاة

قطعٌ متخيَّلة تشبه فى تسلسلها الرواية تتضمن تحليلات عامة فى قالب غرامى
وأسلوب من النثر الشعرى ، بقلم حسين عفيف المحامى – ١٥٢ صفحة
بقياس ١٧×١٢ سم . — مصدَّرة بصورة طبيعة فنية بالألوان
من ريشة الفنان المصرى شعبان زكى – طبع بمطبعة
سابا بمصر — ثمنه ٥ قروش

عند ما كتب أمين الريحانى وجبران خليل جبران ما كتبا بأسلوبهما المعروف كان ذلك الاسلوب فى زعم المحافظين جنوناً وهوَساً وعُجمة ولُكْنة وغير ذلك مما وسعت معاجم اللغة من ألفاظ الكراهية والتنفير ، وما كان أسلوبهما إلاّ تجديداً فى النثر العربى أو السجع الذى كان يحمل بين ثنايا ألفاظه موسيقى ميتة ، فلما خرجا على هذه الاصول وحطما السجع الممل وحافظا على الموسيقى وبعثا فيها الحياة تبعهما

على الأثر كثيرون ، وظلت هذه القافلة فى ربوع العالم الجديد تبدع وتغرّد بين نباح الساخطين وصخب المرودين الى أن تقدمت القافلة من الواحة فتقدم ذلك النوع من النثر وسرى الى النواحى التى انبعث منها السخط . وكتاب «مناجاة» الذى ألّفه الشاعر الناثر حسين عفيف المحامى نفحة من هذه النفحات .

والذى يعنينا فى هذه المجلة من هذا الكتاب انه صورة لسيطرة الشعر وموسيقاه على النثر ودليل على قدرة الشعر فى تأدية أي موضوع مادام الكاتب يمزج عواطفه بتفكيره . وهو فى أسلوبه قصيدة منظومة من العاطفة المشبوبة والتفكير الهادىء ،وبأسلوبه الاستقرائى يستطيع أن يجتذب بعض القراء فى ناحية آرائه . ويبدو فى كثير من مقطوعات هذا الكتاب تأثّر المؤلف بآراء جان جاك روسّو فى الرجوع الى الطبيعة ، فهو جدّ متشوف الى الحياة بين أحضانها حتى دعته تلك الرغبة الى اهداء كتابه الى « رعاة الغنم » لأنهم أول الناس اتصالاً بالطبيعة وأكثرهم تمتّعاً بها وفناءً فيها .

ولقد شابه المؤلف فى أسلوبه شاعرَ الهند طاغور فى كتابيه « هِبَة العاشق » و « جتنيجالى » ووُفّق فى مزج الفلسفة والشعر فى اناءٍ واحد فلا يشعر الانسان بشىء من الجفاف والخشونة فى الاسلوب ، وحافظ محافظة ظاهرة على الموسيقى ، إلا أن له تطرفاً فى بعض الآراء : فهو يصارح حبيبته بانه لا يقنع بحبها بينما يطلب منها أن يكون لها قلب واحد فيقول « لك قلب ياحبيبتى ولى قلوب ، فأحبينى إن شئت وحدى ، أما أنا فلا بد أن أشركَ فى قلبي غيركِ » ويبرّر ذلك بأن الحسن قد قُسِّم بين الحسانِ « وما الجمال الكامل إلا مجموع ما فيهن من جمال . فدعينى اذاً اتقلب بين الحسان حتى لا يفوتنى شىءٌ من الجمال الذى من أجله أحيا ، ولا تكلينى الى عبث الفناء قبل أن أحقق منه الامانى فان حياتى حلم لا يعود» . وأنا لا أرى هذا الرأى لأن الانسان لا يحب أو لا يحصر عاطفته فى امرأة بعينها إلاّ اذا وجد عندها ما يتوق اليه من أمثلة عليا فى الجمال ، لأن القلب البشرى يظلّ يتنقل باحثاً عن مهواه حتى يجده عند قلب بشرى آخر جُمّعت فيه آماله وأحلامه وتبقى كلّ حالاته الأولى بعيدة كل البعد عن أن تسمّى حبّاً لأنها وليدة حرمان وعدم استقرار. فحبيبته التى يناجيها ليست فى اعتقادى الحبيبةَ التى انتهى عندها قلبه من رحلته لأن الحبيبة التى تملك القلب تستحيل الشهوة عندها ضعفاً لتسمو الروح على الجسد .

فاذا ما نسب رغبته فى إشباع نفسه بحب الجمال فى جميع الحسان الى شهوته عنـد ما يجد أن اعترافه قد آلم حبيبته وأبكاها فيخاطبهـا قائلا : « أنا ما أحببتُ سواكِ ، لا ولن أحب غيركِ . لى قلب واحد وقد غدا مذ هويتك عبدك . جفّفى دموعك ! كم أحبّ بكاءك وكم أضنّ بدمعك !

قدست شهواتى فاستسلمت لها فما رأيت كالضعف لذة . ونظرتُ لنفسى فوجدتنى أفتى فى النهاية فتذرونى الرياحُ فأحببت الضعف فى نفسى .

لن يتاح لنا أن نتذوّق اللذة إلاّ اذا رضينا بان نتذوق الضعف. هبوا أننا تذرعنا بالقوة فقاومنا شهواتنا حتى حطمناها ، فماذ يبقى لنا بعدها لكى نعيش ! شهواتنا! هل نحن إلاّ شهواتنا ؟! »

لا ! لسنا إلاّ شهواتنا ، لـكن فى دائرةٍ والى حدٍّ معيَّن . ونحن اذا تذرعنا بالقوة فحطمنا شهواتنا وَجَدْنا أشياء كثيرة تعوض علينا ما ضيعناه.

على أن السبب الذى يحدو بصاحبنا الى هذا القلق هو أن قلبه مفعم بالحب فهو باحثٌ الى الأبد عمن يكون جديراً بافتتاح ذلك الـكنز ، ومن هنا أراه يعطف على المتسوِّل العاطل ويلقى اللوم على الهيئة الاجتماعية لا عليه لأنها لم تقدم له عملاً ، ويرى أن الفرد « ليس هو فقط الملزم بأن يتقدم للعمل وانما الجماعة أيضاً مُلزمة بأن تتقبل منه ذلك » وانها من ناحية أخرى يجب عليهـا أن تراقب الافراد حتى لا يغتصب البعض منهم فرصة العمل من غيرهم طمعاً فى استزادة أرباحهم « لأنه من الخير للجماعة أن تعيش فى حالة متوسطة من أن يكون نصفها اثرياء ونصفها عاطلين» إذ أنه « مهما ربحنا من ثرائنا فلا بد أننا كبشر نشعر ولو من طرف عقلنا الباطن بشىء من تأنيب الضمير على اغتصاب حقوق إخوان لنا فى الانسانية وهذا الشعور وحده كفيلٌ بأن يقوّض كل السعادة الموهومة التى يزيِّنها لنا ثراؤنا » . لهذا يتقدم صاحبنا الى حبيبته بما فى قلبه فقط ويعطى العاطل الذى يطارده الناس ثمن الحلوى التى كان سيشتريها لها .

فالحب الذى يغمر قلبه هو الذى يقلق باله أمام الجمال ولا يقف به عند حد ، وهو الذى يحمِّل العزوبة خوفاً من أن لا يعثر على قلب يستحق كل هٰذا الحب ، ولأن « الزواج لن يُتصوَّر إلاّ فى جوٍّ يسود فيه تقييد العاطفة ، لأن الزواج يفترض الاخلاص المؤبَّد وهو ما لن أقوى عليه ، لأنه على فرض اننى تـكلفت الإخلاص

الظاهري فانني في أعماق نفسي سوف أشتهي وأتطلع الى الجمال المنبث هنا وهناك خارج حدود زواجي ، ولذا فإنني أخون .. أخون بعقلي» ومن رأيي ان الزواج لن يميت الحب كما يظن هو فيقول لحبيبته «هيّا بنا يا حبيبتي إذاً نتزوج وليمت حبنا لتحيا الجماعة ونحيا نحن معها » لأني ما دمت قد قدّرت ان من احببتها جديرة بحبي كلّه ولنها محطّ آمالي واحلامي وكان تقديري صحيحاً فان زواجي بها ليس هادماً لحبي ولا داعياً لأن أرى أن العاطفة فيه قد قيدت ، ذلك انها مقيّدة قبل الزواج في حدود الحب ، فما الذي يلوّنها بلونٍ قاتم داخل حدود الزواج ما دام القلبان اللذان أحبّا هما القلبين اللذين ارتبطا بميثاق الزواج ؟! وما أمنية المحب خارج الزواج إلا الاستئثار بحبيبته دون سواه ، والاستئثار فيه معناه الزواج .

فالأسباب التي تدعو صاحبنا الى القلق إن هي إلا وليدة ذلك الحرمان من المثل الأعلى الذي ينشده ، وأثر من آثار ذلك القلق الذي يستولي على البيئه المصرية والحيرة التي تعانيها في شتى المناحي الاجتماعية . وعند ما تهدأ البيئة وتستقر ، او يجد صاحبنا مثله الاعلى سيكون عند رأيي ويكون الجزء الثاني من مناجاته بدء حياة الاستقرار . على ان الذي يعنينا الآن من كتابه تلك الروح الشاعرة التي تبشرنا بنهوض الشعر واجتذاب النثر الى ناحيته في عصر يرى فيه بعض الناس اننا في غنى عن الشاعرية ، وما نحن إلا في غنى عن جمودهم وتحجرهم ، فإن خلت قلوبهم وأرواحهم من عواطفها وميولها وتساميها آمنّا برأيهم ... وإني لأقدم لصديقي تهنئاتي بهذا التقريب بين الشعر والنثر والفلسفة ؟

حسن كامل الصيرفي



هدية الكراون

نظم عباس محمود العقاد . صفحاته ١٥٨ بحجم ١٢ × ١٦ سم . مع مقدمة وتذييل فى اسم الديوان بقلم صاحبه طبع بمطبعة الهلال بالقاهرة وثمنه خمسون مليماً خلاف البريد

صدر هذا الديوان الرشيق فى منتصف ديسمبر فرحب به الأدباء على اختلاف نزعاتهم لشعورهم بالحاجة إلى الجديد من الشعر وأقبلوا عليه إقبالا حسناً . وقد حسن الشاعر بتسميته « هدية الكروان » تمجيداً للطائر المصرى الصدّاح وقد خصَّه بجانب غير يسير من الديوان وصدَّره بهذه الابيات البديعة :

هتفاتُ الكرْوَانِ بالليل تَترَى ومَعانى الربيع نُوراً وعِطرا
وجمالُ الحياة حُبّاً وحسناً وشباباً يفيض عطفاً وبِشرا
بتّ اصْغِى لها ، وأقبسُ منها ثم ترجمُها لمن شاء شِعْرا

ولا شك ان العقاد سيُرضى كثيرين بما يحمله هذا الديوان من الشعر الوجدانى الكثير، فهو الى جانب بات الكروانيات الذى جرى فيه مجرى الشاعر شلى فى مناجاته القنبرة قد نفح قرّاءه بأبواب أخرى طريفة أهمها « غزل ومناجاة » . والملحوظ أن شعر التفكير والتأملات فى الديوان أقلية بالنسبة لغيره ، ولا أعنى بهذا أنى أصغر هذا اللون من الشعر الذى أراه بارزاً فى نظم المتنبي والمعرى ، ولكنى أشير اليه من قبيل البيان لمحتويات الديوان ، وإن كنت أعلم أن جمهرة القراء فى مصر لا تحفل إلاّ بالشعر العاطفى الخاص ولو جاء شعرُ التأمل أقوى وأبدع منه !

وقد تناول النُّقاد من نواحٍ شتى ديوان « وحى الأربعين » بالتحليل فى مجلة (أبولو) وغيرها من قبل . ومهما يكن من وجهات النظر ، فهذا النقد — قسا أم لان — مفيدٌ لتنشيط الحركة الأدبية ، بل انّه مفيدٌ كذلك للمؤلفين،ولا يجوز أن يتأفّف منه أيُّ أديب له ثقةٌ بأدبه ، ولعلّ ديوان « هدية الكروان » لا يكون نصيبه من النقد والتحليل دون مؤلفات العقاد الأخرى ، وإنى ألاحظ أن ما أُخذ على العقاد من قبل من ناحية جفوة التعابير الشعرية قليلة نظائرُه فى هذا الديوان، مثل قوله :

هان فقدُ المنَى التى لم تعدنا   وافتقادُ الموعود جدٌّ صعيبِ

وقوله :

ورفعت من طينة الأرض الى   عرش الضيـاء سلّمَ ارتقاء !

وقوله :

يا صديقى لنـا البكاءُ   ولك الموتُ والسـلامْ !

ومن هذا القبيل منظومته المعنونة « البيلا » فأسلوب العقاد لا يصلح لهذا اللون من الشعر ، والأَوْلَى به الشاعر الفكه الرقيق حسين شفيق المصرى أو الظريف محمد عبد المنعم بحكم مرانتها العظيمة على النظم الفكاهى السهل .

وبعد ، ففى الديوان نفائس كثيرة فى أبوابه المختلفـة التى تضم أكثر من ألف بيت ، ولعل من أبدعها قصيدته « ضياء على ضياء » التى يقول فيها :

على وَجنتيه ضياءُ القمرْ   نظيران يستبقانِ النظرْ

جمعتُهما أنا فى لثمـةٍ   أو البدر قبّله فابتـدرْ ؟

فما زال يلحظه جهرةً   ويغمزه من وراء الشجرْ

ويزعمها قبلةً من أخٍ   ففيم إذنْ قطفُها فى حذرْ ؟!

ولو شئتُ ظللتُ وجهَ الحبيـ   ـبِ ولو شئتُ كلّلتُه بالزّهَرْ

ولـكن كرمتُ فخُذْ يا قمرْ   من الزادِ ما تشتهى فى السفرْ !

فنهنى شاعرنا القدير بإنجابه المتواصل ؟

يوسف أحمد طيرة



صـــدر ديوان

الينبوع

للدكتور أبى شادى

وثمنه بعد الطبع مائة مليم خلاف البريد

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٢٧	٤	حروف	صروف
٣٢٨	١	شهدت	سهدت
٣٢٨	١٨	ورياضِ	فى رياض
٣٢٩	١	وطيورِ الروض	وطيورُ الروض
٣٣٢	٧	يحيط	يحط
٣٤٧	٢١	لروايات	الروايات
٣٥٩	٤	خرقة	خرقه
٣٦٠	٥	فوله	قوله
٣٦٢	٣	الا كل	الآكل
٣٦٢	٨	وجّهم	وجّههم
٣٦٣	٤	نقدة	نقده
٣٧٢	٥	واعتقدت	وأعتقد
٣٧٥	٢	البراءة	البئر
٣٧٦	١	يلهو	يلهو فى
٣٧٧	٧	زملائه	زملائه ،
٣٧٧	٢٥	الرثوى	الرئوى
٣٧٨	٢٠	المارحة	المرحة
٣٨١	٢	يكون	يكن
٣٨١	٦	يأخدها	يأخذها
٣٨٢	١٨	الامل	الأول
٣٨٤	٢	عبدالله الخشاب	عبدالله بن الخشاب
٣٩١	٥	حسينا	حسبنا
٣٩١	١٢	وزهوُ	وزهورُ
٣٩٢	٢٢	أراوا	أرادوا
٣٩٦	٤	تعتنى	تقتنى

فهرس

الصفحة

الصفحة


المجلد الثانى
العدد السادس
أبولو
مجلة فنية لخدمة الشعر العربي
لسان حال جمعية ابولو
تصدر مرة فى كل شهر
وسنتها عشرة اشهر
فبراير سنة ١٩٣٤
صاحب الامتياز ورئيس التحرير
أحمد زكى أبوشادى
الادارة
بشارع الملك المعز رقم ٩
بضاحية المطرية بمصر
التليفون
٦ ١١٩٦
و ٤٠٤٠٦
مطبعة التعاون



الأدب المصرى

كان تأسيسُ « جماعة الأدب المصرى » فى الاسكندرية منذ بضع سنوات خطوةً جريئة موفقةً وتنبيهاً حافزاً للعناية بأدبنا المصرىّ فى جميع مظاهره . ويسرنا أن نجد من آثار ذلك عناية صحيفتين كبيرتين بشعراء مصر وأدبائها : احداهما « البلاغ » حيث يكتب الشاعر الفاضل الشيخ عبد الله عفيفى عن « مصر الشاعرة » ، والأخرى « كوكب الشرق » حيث يعالج الأديب الفاضل محمد كامل حسين « دراسات فى الأدب المصرى » .

وفى الحقّ إنه لَتصرُّفٌ عُجابٌ أن يُكلَّفَ الطالبُ المصرىُّ بالتبحُّر فى آداب الأمم الأخرى ولا يعرف شيئاً عن آداب أمته ، اللهمَّ الاَّ نُتَفاً قليلةً عن بعض المتقدمين من الأدباء وقلما يُحْفل بأحدٍ من المعاصرين ، فى حين أن النهضة الأدبية الحاضرة فى مصر قد جاوزت سابقاتها بمراحل ، ومن الغبن للأدب العصرى وللأدباء أن يُواروا فى قبورهم كشرطٍ أساسى للحفاوة الواجبة بانتاجهم !

شعر العلم

اذا تناول الخيال والعاطفة المعارف الانسانية تناولاً وجدانياً فى النظم فلا غبار على هذا اللون من الشعر بل لعلّ فيه طرافة محبوبة . وقد نظمنا ونظم المرحوم شوقى بك تلبية لاقتراحنا فى حياة النحل نظماً أخضع العلم للخيال وللعاطفة ، فنال هذا الشعر رضاء كثيرين . ومن السهل أن يستوعب الشّعرُ طرائف من الطب والهندسة وشتى العلوم اذا وُجِدَ الشعراء الذين يتأثرون على هذا النحو ويعبرون عن مثل هذه الخوالج .

وينادى فى انجلترا الآن الشاعر هالوز (K. K. Hallowes) بوجوب استيعاب العلم فى الشعر استيعاباً مشوّقاً ومؤثراً ، وقد أصدر فعلا ديواناً أسماه «شعر الجيولوجيا» جنح فيه الى الخيال أحياناً والى التقرير المنظوم فى معظم الحالات، وهكذا لم يكن موفّقاً فى معظم نماذجه إذ غلبت روح العلم على روح الشعر .

وغرضنا من الاشارة الى هذه الحركة أن يقف قرّاؤنا على مبلغ التجديد فى الشعر الغربى . ونحن لانعترض على المبدأ ، ولكن يعنينا أولاً وأخيراً أن تكون الروح الشاعرة هى المسيطرة على كل ما يُنعت شعراً، وله بعد ذلك أن يأخذ مايشاء من النعوت وأن يستوعب ما يشاء من العلوم والمعارف .

التحويل فى الشعر

كتبنا فى هذه المجلة وغيرها عن قابلية المواهب الشعرية للتحويل الى فنون ورياضات أخرى حسب ظروف الشاعر، وأن الشاعر المطبوع لا يمكن أن يكون مُقِلاً بفطرته وإنما هو يحوّل شعره الى مَسالك أخرى فى حالة اقلاله النظمى لاعتبارات شتى قد يكون له سلطان عليها وقد لا يكون . وقد أخذ غيرُ واحد من النقاد والشعراء أخيراً برأينا هذا ولكن فاتهم الاشارة الى نقطة هامة لها خطَرُها ، وهى أنّ جانباً غير يسير من هذا التحويل مَنشؤُه التهيُّب وكثيراً ما يتبع التَّهيُّبَ صدأُ المواهب لقلة المرانة النظمية فيصبح التحويلُ عادةً ويفقد الشاعرُ السليقةَ النظمية ويكاد يخرج من ميدان الشعر ! والضحايا لهذه العادة كُثْرٌ فى مصر وفى غير مصر ، وليست علة العلل سوى مراعاة الجمهور قبل مراعاة الفنّ نفسه . وانّ اليوم الذى لا يُبالى فيه شعراء العربية بغير احياء فنونهم لذاتها لهو يومُ المجد الحقيقى للشعر العربى ، وما نحسب هذا اليوم بعيداً وإن كنا لا نزال نقرأ ونسمع عن الأمثلة المضحكة المبكية لطلاّب الشهرة والامارات الشعرية فى الأندية والصحف .

انتصار الفن

ان الفنّ الصادق هو الذى ينتصر فى النهاية مهما صادف من عقبات وجحود فى زمنه . وقد ألمعنا الى العظات المستفادة من سيرة كيتس الشاعر العبقرى الشاب فى تصدير ديوان (الينبوع) ، وهى عظات تتكرر أيضاً فى سيرة كل من الشاعرين

الشاعرين العبقريين مارلو وشلي ، وهذه العظات كافية لتشجيع شعرائنا الشباب في زمن يوحي بالاعتداد بالمواهب والعمل على انصافها برغم جميع ما يعترضها من عقبات .

لقد كان مارلو أبا التراجيديا الانجليزية وواضعَ الشعر الانجليزى المرسل بمعناه الصحيح وصديقَ شكسبير ومرشدَه في نشأته ومع ذلك لقي ما لقي من جحود واساءة في حياته وكانت الخاتمة أن يموت مقتولاً في شبابه ، ثم دار الزمن دورته فاذا بشعر مارلو وأدبه مما يعتدّ به أدباء الانجليز ، واذا بالمنصفين ينبرون للدفاع بحرارةٍ عن أدبه وسلوكه ومآثره الخالدة .

وهذا شِلي لقي من عنت بيئته ما لقي حتى أنه كان يشكو حزيناً من كتابته ونظمه لغير قراء يقدّرونه أو يعطفون على شعره ومَناحيه ، وحتى أن كثيراً من شعره كان يُنشَرُ بغير اسمه وكثيراً من مؤلفاته بقى مودَعاً زمناً طويلاً في مخازن الورق دون أن يُباع ! وتجاهله أكثر النُّقَّاد ومعظم المجلات الأدبية أو ذكروه بالسخرية . . . فكان محروماً النُّقاد والقراء وصداقة الصحف والمجلات وحتى إنصاف زملائه الشعراء مثل بيرون ووردذورث ومور وأقرانهم ! وقد دار الزمنُ دورته فاذا بشلي معدوداً في طليعة الشعراء الليريكيين في الأدب الانجليزى ، واذا بكبار النقاد والشعراء في شتى الأمم يتسابقون حتى الآن إلى دراسة هذا الشاعر العبقري الذى مات غريقاً في شبابه ، ولكنها ميتة الشمس الغريقة لتعود الى الانسانية بأشعتها المجدّدة الحياة .

مثلُ هذه الدروس اذا تأمّلها شبابُنا الموهوب غذّته بالايمان كلما افتقر اليه : فان الفنّ الصادق لا يمكن أن يُخذَلَ على مدى الزمن وليست البيئات الا أوساط وقتية ليس لأحكامها حرمة . وانّ تدرُّع شبابنا بالشجاعة الأدبية والايمان بالفن واحترام الحقّ لذاته هو أجدَى عليهم وعلى الأدب من كل تقريظ ينالونه بالباطل لقاء أعراض زائلة ، ولن تضيرهم مثقال ذرة محاولات النَّيل من أعمالهم اذا كانت هذه الأعمال في ذاتها جديرة بالحياة .

ترجمة الشعر الحديث

نعتقد أن من الخير لشعرنا الحديث ولسمعتنا الأدبية نقل حسناته الى اللغات الغربية الذائعة . وتحقيقُ ذلك ميسورٌ عن طريقين :

(١) أحدهما أن تتولى إحدى الجمعيات الأدبية المهتمة بالشعر (كجمعية أبولو) تشجيع هذه الترجمة وجمع المترجمات فى كتاب أو أكثر يُذاع فى الخارج ، وهذا يحتاج الى وقت غير قليل .

(٢) الآخر أن تكتفى بتشجيع الترجمة تاركة للشعراء أو لناشرى أشعارهم أن يتفقوا مع الأدباء المترجمين على ابراز آثارهم الممتازة أو مختارات منها إلى لغة أو أكثر من اللغات الأوروبية المنتشرة والانتفاع المادى والأدبى من وراء ذلك .

وعلى سبيل المثال نعرض للترجمة الى اللغة الفرنسية أو الانجليزية نظماً قصيدة مطران « بنفسجة فى عروة » (أنظر العدد الأول من المجلد الأول من « أبولو » ـ ص ٢٦) وأرجوزة العقاد « الثوب الأزرق » (أنظر العدد الخامس من المجلد الثانى من « أبولو » ـ ص ٤٠٧) نظير مكافأة قدرُها جنيهان ، على أن تصلنا ترجمتها فى نهاية أبريل المقبل على الأكثر . ولمجلس « جمعية أبولو » مطلق الحكم فى الاختيار واعطاء المكافأة لمن يشاء ووقفها فى حالة عدم رضائه عن نماذج الترجمة المعروضة عليه . وستعلن نتيجة المسابقة وملاحظاتنا عليها فى هذه المجلة مع نشر الترجمة المتفوقة التى تصبح حينئذ ملكاً لهذه المجلة .

ولما كان بين أدباء العربية شعراء بارعون فى اللغات الأجنبية مثل أحمد على عوض وفولاذ يكن ومحمد عبدالله مصطفى وهانى قبطى وغيرهم ، وقد عُنى بعضهم بنقل الشعر من العربية الى الانجليزية أو الفرنسية ، فمن الخسارة أن تُترك ميولهم ومواهبهم معطّلةً بينما يستطيع الشعراء أن يتضافروا معهم على خدمة أدبهم المثّل لأدب أمتهم لقاءَ مكافأةٍ معتدلةٍ يقدمها كلٌّ منهم الى الشاعر المترجم .

وقد نشرت زميلتنا مجلة (الامام) فى عددها المؤرّخ ١٤ يناير الماضى قصيدة ناجى « العودة » وترجمتها الفرنسية لفولاذ يكن فنالتا اعجاباً عظيماً ، ونحن ننشر فى باب الشعر الوصفى فى هذا العدد على سبيل المثال قصيدتنا « عند الشاطىء » وترجمتها الانجليزية لهانى قبطى ، وقد ظهرتا فى ديوان (الشفق الباكى) منذ سبع سنوات ونالتا رضاءً غير قليل عند أصدقائنا الأدباء فى الخارج .

فاذا نال اقتراحُنا هذا رضاءَ زملائنا الشعراء وعملوا على تنفيذه فما مِن شك فى أنه سيكون بعيدَ الأثر فى تنشيط الانتاج الأدبى وفى سمعتنا الفنية فى الدوائر الادبية الأجنبية ، وليست آدابُ الأمم وفنونها الا عنوانَ حياتها وعزّتها الروحية .



برسى بيش شلى

١٧٩٢ — ١٨٢٢ م .

آراؤه فى الذود عن الشعر

(٣)

والتجربة الحديثة تمزج المسلاة بالمأساة مع أنها معرضة إلى الخطأ من حيث وجهة الاستعمال إلا أنها من غير شك توسيع للدائرة المسرحية . ولكن المسلاة يجب أن تكون فى رواية الملك لير شاملة وكاملة وتصوّرية ، وربما كان دخول هذه النظرية التى ترجح جانب الملك لير King Lear على Oedipus Tyrannus أو Agammemnon أو إن أردت الثلاث الروايات التى ترتبط بها ما لم يعتبر الافراط فى قوة الشعر المنثور لا سيما فى الأخيرة كمجدّد للتوازن .

فالملك لير - لو احتملت هذه المقارنة - يمكن أن تعتبر أكمل عمل من حيث الفن تمثيلى وُجد حتى الآن على الرغم من الحالات الضيقة التى خضع لها الشاعر لجهله فلسفة الدراما التى عمّت أوربا الحديثة فكالدين Caldeon فى روايته الدينية Autos حاول أن يدخل بعض الحالات السامية فى التمثيل المسرحى التى أهملها شكسبير كأن يربط الدرامة بالدين ويلائمهما للموسيقى والرقص ولكنه يهمل ملاحظة بعض الحالات الأكثر أهمية وما يفقد أكثر مما يكتسب .

ولكنى أستطرد فأقول إن علاقة أشكال النظر بسلامته أو فساد أخلاق الناس قد باتت واضحة تماماً أى أنه قد تبين أن وجود الشعر أو غيابه فى أكمل وأعمّ صورة مرتبط بالحسن والقبح فى الأخلاق والعادات .

فالدرامة فى أثينا أو فى أى مكان إخر وصلت فيه إلى درجة الكمال تمشت دائماً مع

عظمة العصر الأخلاقية والعقلية . ومآسى شعراء أثينا كالمرايا التى يرى فيها المشاهد نفسه من خلال ستار الحادثة الرقيقة مجردة من كل شىء إلا من الكمال الأعلى والنشاط اللذين يشعران كل إنسان بأنه النموذج الحقيقى لكل ما يعرف ويعجب وما يحب أن يكونه . فقد وسع الخيال باستعذاب الآلام والميل الى الأهواء والعواطف .

وفى الدرامة الممتازة نجد قليلا من الغذاء للكراهية والبغضاء فهى تعلمنا عوضاً عنها معرفة النفس واحترامها . فلا العين ولا العقل يستطيعان أن يريا نفسيهما إلا بالانعكاس على شىء يشبههما ، وما دامت الدرامة سائرة فى الافصاح عن الشعر فهى كالمرآة الكثيرة الجوانب المنشورية الشكل التى تجمع أبهى أشعة الطبيعة الانسانية وتقسمها وتبرزها كالصور الأولية وتخلع عليها جلالاً وجمالاً وتضاعف كل ما تعكسه.

ولكن فى عصور تدهور الحياة الاجتماعية تساهم الدرامات فى ذلك التدهور فتصبح المأساة تقليداً ممقوتاً لصورة روائع الادب القديم خالية من ذلك الذى يصحب دائماً سائر الفنون . الشعر سيف براق قد استل من غمده فهو يأتى على القراب الذى يحويه اذا عاد اليه ، ولذلك نشاهد أن كل الكتابات المسرحية التى من هذه الطبيعة ليست كثيرة التصور فى درجة ممتازة فهى تؤثر فى الشعور والعاطفة اللتين كانت بخلوهما من الخيال أسماء أخرى للهوى والميل وإن عصر تدهور الدرامة ذلك التدهور المهين فى تاريخنا هو عهد حكم شارلس الثانى الذى أصبحت فيه كل الصور التى كانت شعراً قد اتخذها لنفسه سبيلا فى الافصاح أناشيد انتصار لقوة الملكية على الحرية والفضيلة . وقد وقف ملتون وحيداً يضىء عصراً غير جدير به . فى مثل هذه العصور تطغى النظرية العقلية على جميع صور الفن التمثيلى ويقف الشعر عن الافصاح عنها وتفقد المسلاة (comedy) عموميتها السامية (universality) والفحش الذى هو دائماً كفران بجمال الحياة المقدس يصبح خلال النقاب الذى يتخذه أقوى تأثيراً ، فهو وحش يلتهم المجتمع المضطرب فى غفلة.

ولما كانت الدرامة تلك الصورة التى تخفى تحتها عدداً عظيما من طرق الافصاح فى الشعر كانت الرابطة بين الشعر والخير الاجتماعى أكثر ظهوراً فى الدراما منها فى أى صورة أخرى .

ومن المسلم به أن أقصى ما تبلغه الجمعية الانسانية من الرقى يرتبط بأقصى ما يبلغه من المهارة فى الفن التمثيلى .لذلك كان انحطاط أو اختفاء الدرامة فى عصر كان قد

ازدهرت فيه حيناً دليلاً على فساد الاخلاق وتلاشى الملكات التى تعول روح المجتمع البشرى ، ويقول ما كيافلى عن التعاليم السياسية بأن الحياة يمكن أن تحفظ وتجدد لو استطاع الناس أن يهبوا لإرجاع الدرامة الى أسسها وهذا صحيح ينطبق على الشعر فى أقصى معناه فكل اللغات والتعاليم والاشكال لا يلزمها أن تظهر فقط ولكن يلزمها أن تستند على أساسها .

والحروب الداخلية التى اشتعلت فى بلاد الاغريق والغنائم التى غنموها من آسيا وفوز المقدونيين عليهم أولاً ثم الرومان ثانياً كانت كلها أمثلة على خمود او عقم ملكة الانتاج فيهم إذ كان كتاب المراعى الذين وجدوا تشجيعاً من الحكام المتأدبين فى صقلية ومصر آخر من مثّل ذلك المجد العظيم فشعرهم آية فى الموسيقى كعبيق الزنبق يغزو ويجهد الروح من فرط عذوبته بينما شعر العصر السالف كان كنسمات رياض الربيع التى تحمل فى هبوبها عبق سائر أزهار الروض مشبعاً بروحها المنعش الموسيقى الذى يهب الاحساس قوة تكسبه بهجته المفرطة - وترى رقة فى الاحساس مساوية لتلك فى التأثير العواطف والاهواء فى كتابات هريدوس وسوفوكليس ، فالأول على وجه خاص قد ألبس الصور الحية المهيجة للعواطف ثوباً جذاباً فريداً وأفضليتهما على من أتى بعدهما من الشعراء فوجد فى هذه الافكار التى تتبع ملكات طبيعتنا الداخلية وليس غريباً أن تلك الافكار التى ترتبط بالخارجى منها واجادتها التى لامثيل لها توجد فى التوافق الكلى فهى ليست التى نجدها عند الشعراء الغزليين ولكنها هى التى لا نجدها عندهم وهى سبب جضورهم لا من حيث كونهم شعراء ولكن من حيث أنهم لم يكونوا شعراء ويمكن أن يعتبروا على أى حال بأنهم قد اقترنوا وعصرهم بفساد ولو كان هذا الفساد قد نجح فى اخماد حماسة الشعور والعاطفة والجمال التى نسبت اليهم كنقيصة كان فوزه حماسياً لأن غاية فساد المجتمع القضاء على كل شعور بالجمال ومن هنا كان فساداً - فهو يبدأ عمله فى الخيال والعقل باعتبارهما القلب ويوزع نفسه فى صورة سم قتال فى سائر الميول والأهواء حتى تصبح كلها عبئاً ثقيلاً فلا يمكن للعاطفة أن تحيا بعد ذلك .

وعند اقتراب مثل هذا العصر يخاطب الشعر تلك الملكات التى تكون آخر ما يناله الفساد فيستجاب صوته الشعر . يبعث دائماً ذلك السرور الذى يكون الناس على استعداد لقبوله فهو لا يفتأ نور الحياة ومصدر كل جمال وبطولة وصدق فى عصر طغى عليه الشر والفساد .

ويجب أن يقال إن أولئك الذين استمتعوا ببهجة شعر Thocritus دون Syracuse والاسكندرية المترفين كانوا أقل جوداً وأقل حيوانية وهمجية ـ ولكن الفساد لن يخمد أنفاس الشعر حتى يأتي على دولاب المجتمع الانسانى أولاً ، إذ لن تنفصم حلقات تلك السلسلة المقدسة التى تسلسلت من عقل الى عقل وارتبطت بعقول جبارة حتى يهبط عليها ذلك المجرى الدافق الخفى فيبعث الحياة والقوة فى سائر أجزائها .

والشعر هو تلك الملكة faculty التى تحمل فى داخلها فى وقت واحد بذورها وبذور تجديد المجتمع . دعنا من تحديد آثار شعر العزليين وشعر الرعاة Bucolic فى دوائر احساس من وجه اليهم فقد يكونون فهموا ما فى تلك الآثار الخالدة من جمال وروعة فهمهم للمقتطفات والقصائد المتناثرة — أما أولئك الذين كانوا أرقى نظاماً فى معيشتهم أو وُجدوا فى عصر أكثر رخاء فيعدونها أمثلة قوية لشعر جيد ، وقد وجدت تلك الثورات فى أُفق أضيق ـ مكانها فى روما القديمة ، ولكن مظاهر وأشكال الحياة الاجتماعية لا تدل على أنها أشربت تماماً لبان الشعر ويظهر أن الرومان يعتبرون اليونان أنهم أغلى الذخائر لأحسن صور الأخلاق والطبيعة . ويظهر أنهم قد امتنعوا عن الابتكار فى تعبير قياسى — فى النحت والموسيقى وفى البناء — وكل شىء يتصل بحياتهم الخاصة بين ما يتصل بالنظام العام للعالم ، ولكن ربما كان حكمنا هذا مستنداً على دليل جزئى وربما كان فيه كثير من التحيز والمحاباة .

Accius, Pacvius, Varro, Ennius كل أولئك كانوا شعراء عظاماً ولكنهم بادواء Lucretius مبتكر بأقصى ما تحمله تلك الكلمة من معنى وكذلك Virgil إلى درجة عظيمة جداً .

فالرقة البارعة التى اختارها الأخير للتعبير كالضباب الرقيق الذى يحجب عنا قوة وغزارة إدراكه للطبيعة والشعر عند Livy غريزة ولكن Ovid, catullud, Horace وغيرهم من شعراء عصر فرجيل رأوا الانسان والطبيعة فى مرآة اليونان .

كذلك التعاليم والدين عند الرومان كانت أقل شاعرية منها عند اليونان كالظل يبقى دائماً أقل ظهوراً من الجسم ذاته فلذلك نرى الشعر عند الرومان يميل الى الظهور بعد ـ من أن يصحب ـ النضوج السياسى ورقى سبل الحياة ، فشعر الرومان الحقيقى قد عاش فى تعاليمهم ، وكل ماتوفر لديهم من جمال وروعة وصدق يظهر فقط فى تلك الملكة التى تخلق النظام الذى يشملهم وان حياة Canillus وموت Regulus وانتظار أعضاء

السيناتو فى مواكبهم الفاخرة والقواد الذين رجعوا من الغال مكللين بالظفر ورفضهم الجمهورية لتعقد الصلح مع هانيبال بعد موقعة كاناى لم تكن هذه دلائل نظام سليم يكفل للفرد سعادته فى جميع مظاهر الحياة — فى نظر أولئك الذين كانوا فى وقت ما شعراء وممثلين لتلك الدرامات الخالدة ـ والخيال الذى شاهد جمال هذا النظام ، وكانت النتيجة قيام امبراطورية والثمرة شهرة خالدة — وهذه الاشياء ليست أقل شاعرية فهى مقدمة لتلك القصيدة الدائرة التى خطها الزمان فى حوافظ الرجال ـ فالماضى كالقاصّ الملهم يملأ مسرح الأجيال الخالدة بنغماتها المتوافقة .

وعلى ذلك فالنظام القديم للدين والاخلاق قد أتم ثوراته ، وان العالم لابدّ واقع فى فوضى وضلال شاملين ، ولكن قد وجد شعراء بين واضعى أنظمة المسيحية والفروسية فى الأخلاق والدين فأوجدوا آراء وأحداثاً لم تكن معروفة من قبل أصبحت بعد أن رسخت فى أذهان الناس مرشدة لجيوش أفكارهم الضالة . وإنه ليبعد عن غرضنا الآن أن نتلمس الشرّ الذى أوجدته تلك النظم إذا لم نعلم ولدينا البراهين الراسخة أن هذا الفساد لا يمكن أن يعزى إلى الشعر الذى يحوونه . ومن الجائز جداً أن شعر أيوب وموسى وداود وسليمان وأشعيا كان له تأثير عظيم على عقل المسيح وتلاميذه فان المقتطفات المتناثرة التى وصلت إلينا بأولئك الذين كتبوا تاريخ ذاته الإلٓهية كلها مفعمة بالشعر القوى ولكن يظهر أن تعاليمه شوّهت سريعاً .

والشعرُ فى تعاليم يسوع المسيح وخرافات وتعاليم غزاة الدولة الرومانية من السِكْلتِ عاشت بعد الظلام والاضطراب اللذين اقترنا بظهورهم وانتصارهم امتزجت فى صورة جديدة من الأخلاق والمعتقدات .

ومن الخطأ أن ننسب جهل العصور الوسطى « المظلمة » إلى التعاليم المسيحية أو إلى تغلب الشعوب الكلتية ، فكل ما كان هناك من شر ففى أفعالهم التى احتوته . والتى خلت من عنصر الشعر والتى ارتبطت بنمو الاستبداد والخزعبلات ، فأصبح الناس لأمور يتعذر شرحها هنا فاقدى الإحساس ومحبين لأنفسهم فقد ضعفت إرادتهم وكانوا مع ذلك عبيدها ثم عبيد الآخرين ، فالشهوة والجبن والبخل والقسوة والمكر قد صبغت قوماً لم يكن فيهم فرد زعيم بالابتكار فى الشكل أو اللغة أو التعليم ، وهذا الشذوذ فى أخلاق هذا المجتمع لا يمكن أن يلقى عدلا على إحدى الحوادث المرتبطة به ارتباطاً مباشراً ، ومن سوء حظ أولئك الذين لا يستطيعون التمييز بين الكلام والأفكار أن كثيراً من هذا الشذوذ أُدخل فى ديننا العام .

وفى القرن الحادى عشر كانت آثار شعر المسيحيين ونظم الفروسية قد شرعت فى الظهور ، فنظرية المساواة عرفت وطبقت بواسطة أفلاطون فى جمهوريته كما أن القانون النظرى لذلك النظام الذى فيه عناصر اللذة والقوة التى جاءت بمهارة وفعل المخلوقات البشرية يجب أن يوزع بينها ، وقد أوصى هذا القانون بأن الحدود يجب أن تحدد بإحساس كل فرد أو بمنفعة الكل.

ولأتباع أفلاطون تعاليم : ففيثاغورس قد أوجد نظاماً أخلاقياً عقلياً فى تعاليمه شاملا فى نفس الوقت ماضى وحاضر ومستقبل حالة الانسان ، وجاء يسوع المسيح فأذاع للجنس البشرى الحقائق الإلهية الخالدة التى تضمنتها هذه الآراء وأصبحت المسيحية فى زبدتها التعبير الظاهرى للتعاليم الخفية لشعر القدماء .

والغاء الرق هو أساس أسمى أمل سياسى يمكن أن يتفهمه العقل وحرية النساء قد أوجدت الحب الجنسى وأصبح الحب ديناً فكأن تماثيل أبولو وعرائس الشعر قد عاودتها الحياة والحركة فتمشت بين عابديها وعمرت الارض بسكان عالم أسمى وأصبح المنظر المألوف وسير الحياة عجيباً سماوياً وقامت جنة على أنقاض جنة عدن وكما أن هذه الخليقة نفسها هى الشعر لذلك كان موجدوها شعراء وأصبحت اللغة أداة للتفاهم . وقد سبق سكان بروفنس بترارك صاحب الأشعار الشبيهة بالرقى التى تكشف عن أعمق ينبوع سحرى للسرور الذى يوجد فى ألم الحب . فمحال أن نشعر بها دون أن نصير جزءاً من ذلك الجمال الذى نتأمله . ومن نافلة القول أن نشرح كيف أن رقة العقل وسموه متصلة بتلك العواطف المقدسة تصير الناس ألطف وأسمى وأعقل وتنتشلهم من تلك السحب المتكاثفة فى عالم النفس الصغير . وقد فهم دانتى أسرار الحب أكثر من بترارك ، وروايته — Vita Nuova معين لا ينضب لصفاء الشعور وسمو اللغة فهى المثل الأعلى لتاريخ ذلك العصر ولحياته التى كرست للحب .

وإن تأليهه لحبيبته بيتريس Beatrice فى الجنة وتطورات حبه وحسن حبيبته الذى يتدرج به حتى يتخيل نفسه أنه صعد إلى عرش الخالق الأمجد هو أسمى وأروع خيال فى الشعر الحديث .

فالجنة أنشودة خالدة للحب الأبدى والحب الذى وجد شاعراً جليلا فى أفلاطون وحده دون سائر القدماء قد زفّ بجوقة من المرنمين من أعظم الشعراء من العالم

الحديث وتغلغلت الموسيقى فى صميم المجتمع ولا تزال أصداؤها تفر من صليل الأسلحة وأصوات الخزعبلات . وفى الفترات المتعاقبة نشر اريستو وتاسو وشكسبير وسبنسر وكالدرن وروسو وسائر الشعراء العظام من عصرنا الخاص سلطان الحب وغرسوه فى العقل البشرى كما لو كان تذكار نصر وغلبة على الحيوانية والبطش .

أما شعر دانتى فيمكن أن يعتبر قنطرة قائمة على مجرى الزمن الذى يربط العالم الحديث بالعالم القديم ، وإن تلك التصورات المشوهة لتلك الأشياء الخفية التى سما بها إلى العلا دانتى وقرينه ملتون ما هى إلا مجرد نقاب ولباس يمشى فيها أولئك الشعراء فى طريقهم الى الأبدية ، وانها لمسألة عويصة شاقة تلك التى تتطلب تحديد مدى شعورهم بالفرق الذى لا بد أن يكون قد وجد فى عقولهم بين عقائدهم الخاصة وعقائد الآخرين ، ويظهر أن دانتى رغب على الأقل فى رسم نهاية ما بلغه منها بوضعه Riphaeus فى الجنة وانحيازه إلى طريق ضال فى توزيعه الثواب والعقاب وقصيدة ملتون تتضمن رداً فلسفياً لذلك النظام الذى نتج عنه برهان قوى ساطع فما من شيء يسمو على تصوير الشيطان فى البراعة والفخامة كما صور فى الفردوس الضائع . ومن الخطأ أن نتوهم أن الغرض من وجوده كان لتصوير الشر المعروف ، فشيطان ملتون كمخلوق أخلاقى يسمو إلى درجة خالقه .

وقد خالف ملتون العقيدة العامة ـ اذا اعتبر هذا تعدياً ـ بعدم إظهاره ربه فى صورة أسمى من شيطانه ، وهذا الاهمال الشنيع لذلك الجانب الأخلاقى الظاهر هو أكبر دليل قاطع على سمو عبقرية ملتون . فقد مزج عناصر الطبيعة البشرية كما لو كانت موضوعة على لوح المصور ورتبها فى نظام صورته العظيمة تبعاً لقوانين القصص الصادقة أى تبعاً لقوانين تلك النظرية التى تضم سلسلة أحداث العالم الخارجى من المخلوقات الذكية الاخلاقية لتثير عطف الأجيال التالية على الانسان .

فالدرامة الإلهية والفردوس الضائع قد ألقيتا على الأساطير الحديثة صورة منظمة ، وعند ما يحين للزمان أن يضيف أسطورة جديدة لتلك التى ظهرت واندثرت ويتخذ المفسرون تفسيراً علمياً فى شرح دين أوربا يجدون بعضه قد نسى وليس كله لأنه يكون قد طبع بطابع العبقرية الخالدة . وقد كان هومرس أول شاعر قصصى وكان دانتى الثانى فارتبطت سلسلة مبتكرات الشاعر الثانى ارتباطاً مفهوماً بمعرفة شعور ودين العصر الذى عاش فيه والاجيال التى تلته تابعة لها فى رقيها ؟

(يتبع) نظمى خليل

جون كيتس

(٢)

كان لا يزال بمدرسة مستر كلارك حينما توفيت أمه فى شهر فبراير من عام ١٨١٠ م. وهو لم يعد الرابعة عشر بعدُ . وكان كثيراً ما يختفى تحت القمطر، ويروح منطلقاً مع همومه باكياً . وعيّنتْ مسز جينجز (جدته لأمه) رولاند ساندل وريشارد آبى وصيين على كيتس واخوته، ووهبت لهما جانباً كبيراً من ثروتها.



جون كيتس
تصوير هلتُن فى متحف الصور الأهلى بلندن

وفى نهاية عام ١٨١٠ ترك شاعرنا المدرسة فى تمام الخامسة عشرة من عمره، وصار مساعداً للجراح توماس هاموند فى إدمنتون على بعد ميلين من إنفيلد . يقول كلارك : « لقد رضى واقتنع بهذا المآل . فهو يقدر أن يخصص وقت فراغه من العمل فى المستشفى للاطلاع والترجمة . وفعلاً أتم الاينيد وهو عند مستر هاموند .

وتنازع كيتس ومستر هاموند وأدّى النزاع إلى فرقتهما ، وفى عام ١٨١٤ توجه الشاعر الى لندن للدراسة فى مستشفيات توماس وجاى . وسكن أول الأمر فى المنزل رقم ٨ بشارع دين فى مدينة بَرَه ، ثم أقام بعد ذلك فى غرف مع جورج ولسون ماكيرث ، وهنرى ستيفن ، اللذين كانا يطلبان الطب مثله وستيفن هذا له فضل عظيم ، إذ أدلى بمعلومات قيمة عن الشاعر للورد هوجتون وسواه . ولقد كان كيتس موضع إهتمام اخوانه مدة الطب ، وكان يدهشهم بشعره ، ويملأ كتبهم ودفاترهم بنظمه الرشيق . قال ستيفن: «لقد منعه تعلقه الشديد بالقريض من الاهتمام بغيره من الأمور ، كما عصمه من الخطيئة والإثم . »

وبالرغم من تعلقه بالشعر ، فالوثائق تقول لنا انه كان طالبَ طبٍّ موفقاً مثابراً قادراً ناجحاً ، ولقد كان فى مقدوره أن يشق سبيله إلى النبوغ كطبيب ، لو لم يكن يحفزه ذلك المؤثر القادر الغلاّب . كان يحسن القيام بالعمليات الجراحية ، ولكن خياله كان يجسم له المصير المريع لو أخفق فى تأدية إحدى العمليات على الوجه الأكمل وكذلك كانت حياته الحقيقية بعيدة عن الدنيا الواقعية ، سارية فى حقول الخيال النائية متجنبة حقائق العلوم المكفهرة ، أجل . . أخذ شاعرنا يدنو رويداً من إلهة الشعر الخالدة إلى أن سلمها نفسه جميعاً آخر المطاف . ولم يعد بعد ابن إلـه الطب Aessculapius . ولقد كان لتعرفه إلى ليت هَنْتَ وهايدون مبدأ إشعال قوة خياله الجبارة ، التى كانت تنتظر الحافز والمنشط . وعند ما استكمل الحادية والعشرين من عمره تغلبت عليه وملكت جميع مشاعره فكرة الحياة الشاعرية الفنّانة الطليقة ، وفعلاً كان فى استطاعته أن يكسب رزقه من شعره وقلمه .

والذين شجعوه بادىء ذى بدء على المضى فى طريق الأدب واتخاذ الشعر حرفة له ، هم شارلس كلارك ، باعتباره المثقف الأول له ، وليت هَنْتَ ، ثم هايدون ، وهم لاشك ينتقد عليهم تغريرهم إياه وحرمانهم إياه دراسة الطب بحضهم المتواصل على سلوك مِدَّق الأدب الشائك الملتوى .

ومن بين أصدقاء حداثته : جورج ماثيو ، وليام هازلام ، جوسف سيفرن ، شارلس ولز . أما ماثيو فلم يكن معروفاً للناس ، بيد أن أسرته كانت تحترف التجارة وكان يظهر الكرم والحفاوة بالشاعر ، حتى أن كيتس وجَّه إليه بعض قصائده الأولى ولما كتب ماثيو إلى اللورد هوجتون عام ١٨٤٨ ذكرياته عن الشاعر ، قال :

« كان موظفاً احتياطياً يكافح ويجاهد فى سبيل الحصول على مرتب ضئيل جداً ، ليسد به عوز أسرة مكونة من اثنى عشر طفلاً . وبالرغم من أننى كنت مساوياً لكيتس فى العمر ، ومن أننا علقنا بالآداب معاً ، فقد كنا نختلف من بعض الوجوه كما يجب أن يختلف شخص عن آخر . كان يتمتع بصحة جيدة ، بحيوية متدفقة . وكان مولعاً بالمجتمعات لا يكاد يطيق العزلة ، يمتع نفسه بكل لذائذ الحياة . كثير الثقة بنفسه . أما أنا فكنت على نقيضه ، محطم الروح ، متجهم الصدر حزيناً أميل الى الراحة والخمول ، أكثر التأمل والتفكير على خلاف من كانوا فى سنى . وكان كيتس كذلك من أبناء المدرسة الجمهورية : كثير الدفاع عن الافكار الجديدة التى أخذت تزدهر فى عصره ، كثير التنقيب والبحث عن العيوب والنقائص ، هدّاماً لكل قاعدة سائرة ، فى حين كنت أكره التجديد ، وأمقت الاضطراب والخروج على النظام . . وكان شديد الولوع بالتزاويق والزخارف ، عظيم النزوع إلى البهرج المطرز . وكان يبتهج إذ يقودك بين رياض وصفه البارعة ، ولكنه لم يكن ليفطن كثيراً الى السموّ ولم يكن يعنى بتحريك العواطف ، وكان معتاداً إنفاق أماس طويلة فى القراءة معى ، بيد أنى كنت لا ألاحظ فى نبراته تهدجاً وانجياشاً ، ولا كنت أظفر من عينيه بدمعة تدلنى على مبلغ حساسيته وتأثره بما كان يتلوه علىّ » .

أما وليم هازلام ، فرجل ربما كان قد كتب لاسمه الاهمال والنسيان لسوء الطالع أو لحسنه قل ما تشاء — لولا أن اسمه تردد مراراً فى رسائل الشاعر ، وفى الوثائق الأخرى ، ولكنه على كل حال يمتاز بأنه واسطة التعارف بين الشاعر وجوزيف سيفرن الذى كان لا يزال فى تلك الاثناء شاباً يجاهد فى سبيل الطموح والسمو بالفن ؛ وسرعان ما رأى فى شاعرنا النموذج الذى رسمه فى خياله للشاعرية الفذة . وهكذا خلق كيتس حوله جواً من الانصار والأحباب والمعجبين يلهجون بنبوغه وعبقريته ، قبل أن يقدم العمل الفنىّ المتين الذى يبرهن منطقياً على ذلك النبوغ وتلك العبقرية .

وشارلز ويلز كان زميلاً لتوم كيتس أثناء الطلب فى إدمونتون وكان يعيش فى تلك الاثناء مع أسرته فى هولبورن . وقد ذكره الشاعر فى أغنية بمناسبة إهدائه باقة زهر .

ومن أمتع الشخصيات المتعلقة بحياة شاعرنا ، شخصية جورجانيا اوجستا ويلى حبيبة جورج كيتس وكان الشاعر يشجع شقيقه على المضى فى غرامه ، ويساعده جدياً

وصوّر حُبَّه فى قصائد رائعة زفّها اليها ، منها المقطوعة الرائعة « فالنتين » التى يقول فيها : —

«لو كنت عشت فى العصور الغابرة ، فما هى تلك الصور العجيبة التى كانت تقص علينا جمالك الحىّ ، وتصور عينيك الزئبقيتين اللتين تتراقصان وسط جوّ من البريق المذهل فى بهر الضياء ، وضجة الأضواء؟!

.. أجل .. عيناك .. اللتان تحميهما الأهداب متعطفة .. راسمة كل معنى سحرىّ محبوب .. »

ولقد ذكرت مسز أوين فى كتابها « دراسة عن جون كيتس» أن تأثير هذه الفتاة جورجانيا فى الشاعر كان عظيماً ، وذلك راجع لاتصاله بالفتاة الفتانة ، ثم أدلت بنقطة هامة هى : « لاشك أن هذه الفتاة الصغيرة ، زوجة شقيقه ، كانت منبعاً صافياً بريئاً من المنابع العلوية التى استمد منها الشاعر صورة أنديميون ؛ وعبثاً نحاول تجاهل ظلال النموذج الرفيع المترائى بين سطور هذه الصفحات ، فان براءة العلاقات التى نشأت بين أنديميون وبيونا، لابدّ جاءت نتيجة لهذا التأثير المغبوط .. »

لست أدى كيف كان شاعرنا يجذب الناس اليه ، ويعطف قلوبهم نحوه لأول وهلة ، ولكن لنسمع (ليت هنت) يصرح لنا بذكرياته عن أول لقاء قام بينهما : « اننى مدين لمستر كلارك الذى عرفنى الى الشاعر ، ولن أقوى ماحييت على إزالة الطابع الذى ارتسم بذهنى عند ذلك اللقاء ، فلقد لمحت بريق العبقرية الأصيلة الحية فى فى الوجه الماثل أمامى ، كما توسمت مخايل النبوغ وتباشير الشهرة . ثم أصبحنا صديقين فألفيت قلب الشاعر متحمساً فياضاً كخياله . فكنا نقرأ سوياً ونخرج للنزهة سوياً كما كنا ننفق الاماسى فى نظم الاشعار فى موضوع معين .. لم نكن نغفل لذة خيالية ولا نهمل منبعاً للوحى والقريض دون أن نتلهى به . فمن ذكريات الصور الدراسية والنماذج العتيقة ، الى وصف جمال الإفطار فى فصل الصيف ، الى ملاحظة اشتعال الجمر فى مواقد الشتاء ، ثم حدث أن قرأت أشعار صديقى بعد زمن قليل على جودوين ، هازليت ، باسيل ، مونتاج فصرح الجميع بأنها قصائد مدهشة رائعة ، وما كنت أنا نفسى أحسبها كذلك .

وكانت احدى هذه القصائد أغنية عن أول قراءة لهومير ، وهى قصيدة وضّحت قوته وهدوءه وأعلنت تماماً أن شاعراً جديداً يأخذ مكانه تحت الشمس .



جون كيتس — من رسم جوزف سيفرن

لم يذهب تأثير كيتس على هنت وسواه من الصحاب ، ولقد كان هنت يميل الى التحدث كالآخرين عن مظهره وهيأته ، وهكذا راح يقول : —

«كانت قامته أكثر من المتوسط ، بيد أنه كان أنيقاً وجيهاً . وكان عريض الكتفين بحيث لم يكونا متناسبين مع حجمه ، وكان له وجه تمتزج فيه القوة بالحساسية امتزاجاً بعيداً ، قوة متوفزة كسرت من شِرّتها الامراض والعللُ . كان متناسق الملامح رشيقها ، طويل الوجه ، شفته العليا ناتئة قليلا عن السفلى . وصلابته وشجاعته متمثلتين فى ذقنه ، غائر الخدين ، متألق العينين . وكان اذا استثاره مؤثر نبيل ، جاشت الدموع بعينيه المعبرتين ، وارتجفت شفتاه وأربدتا »

. لم تكن الأعمال الشعرية الأولى التى قدمها الشاعر شعراً بالمعنى الصحيح ، وانما كانت محاولات مشكورة . وفى عصر الانتقال يلاحظ الانسان الشاعر الذى يطمح الى شق طريقه الفنى يكثر من المحاولات . . . ومع ذلك فقد كان هنالك قبس من الايحاء الفذّ يواتيه بين الفينة الفينة فى هذا العهد الأول ، كما فى مقطوعته « أول

قراءة لهوميره» التى سبق أن عرضنا لها . وعند ما امتزج برجال العلم أمثال جون هاملتون ، رينولدز ، ويب ، هوارس سميث ، شيللى ، ووردزورث ابتدأت شخصيته كشاعر تقوى وتنضج ، حتى انه فى تلك الاثناء اعتزم طبع المجموعة الأولى من شعره بعد أن أتم قطعة ممتازة من الشعر النقدى أسماها «النوم والشعر » كتبها عقب نومه فى كوخ هَنْت فى هيث. وفى مارس ١٨١٧ ظهر للناس الجزء الاول من ديوان الشاعر ، أصدره شارلس وجيمس اولير ، وكانا حديثى العهد بنشر الكتب ، وصارا فيما بعد ناشرى شيللى. ولم يقو الكتاب الصغير على جذب الانظار اليه ، ولو أن هنت أحسن التعليق عليه فى Examiner وما كان هذا الفشل المبدئى ، ليحطم آمال الشاعر الشاب ، بل ويقال انه تبارى مع شيللى فى ميدان القريض ، أن يكتب شيللى Laon & Cythna ويكتب كيتس (أنديميون) ، على أمل معرفة من منهما ينجز عمله قبل الآخر .

وفى ١٤ ابريل عام ١٨١٧ ، رجاه أخوانه واشترك هيدون معهم فى الرجاء ، أن يبارح لندن لينفرد بنفسه عساه يُصلِح شعره — حتى أنه لم يقبل دعوة شيللى التى وجهها اليه قاصداً أن يتكرم عليه بتمضية أيام معه فى (مارلو) ، كيما يكون بمعزل عن كل ما عساه أن يشغله ويلهيه عن عمله الفنىّ . واتفق فى أواخر ابريل أولير مع جورج كيتس شقيق الشاعر على التنحى عن استمرار نشر هذه المجموعة الشعرية الصغيرة وابتدأ كيتس ينظم (انديميون) فى كاريسرووك بجزيرة (وايت) وفى (مارجريت) ثم فى كانتبورى ، وكان أخوه توم بجانبه أثناء إقامته فى (مارجريت) و (كانتبورى) ، ولكنه بعد أن بلغته من شقيقه جورج خطابات كثيرة تتعلق بمسائل مالية ، رجع ومعه أخوه إلى لندن ، واتخذ له سكناً فى هامبستيد . وكان جورج فى تلك المدة خالياً من العمل ، كما أن توم كان عاجزاً عن مزاولة أية حرفة ، فكان المال يعوزهم جميعاً ، فأسرع كيتس فى الاتفاق مع الناشرين على (انديميون) ، وتناول منهم شيئاً من المال قبل طبعها .

وراح يعمل فى (انديميون) صيف ذلك العام ، وقامت الصداقة فيما بينه وبين شارلس ديلك وشارل براون ، وكانا يسكنان منزلاً منعزلاً فى الحىّ الذى كان يسكنه . وكان رينولدز هو واسطة التعارف الطيب — كان ديلك حينئذ فى التاسعة والعشرين من عمره ، يعمل كاتباً فى مصلحة البحرية ، بيد أنه كان شديد التعلق بالأدب — أما براون ، فكان فى الحادية والثلاثين ، رفيقاً طيباً ، له آثار أدبية ،

وقد أصاب ٥٠٠ جنيه بكتابته (أوبرا) ناجحة فى موضوع روسى . وكان كل من الرجلين مختلفاً عن كيتس كلية ، بل ويختلف أحدهما عن رفيقه كذلك . وصديق ثالث قدمه اليه رينولدز كذلك ، هو بنيامين بيللى ، الذى كان يقرأ فى كنيسة (اكسفورد) ، وثمة صديق رابع ، يجب أن نذكر اسمه هنا وهو جيمس رايس . وفى أثناء ذلك الصيف توجّه توم وجورج كيتس الى باريس متنزهين فى حين ذهب الشاعر الى اكسفورد ليقيم الى جوار (بيللى) مدة العطلة الطويلة وواظب فى اكسفورد على نظم (انديميون) ، وفرغ من الجزء الثالث ، وكتب رسائل مرحة سعيدة الى شقيقته فانى التى كانت بعيدة عنه صحبة مستر آبى الوصى عليهم ، وإلى جين ، وماريان رينولدز ، شقيقتى صديقه ، واللتين أصبحتا فيما بعد مسز توماس هود ومسز جرين . وعاد كيتس الى هامبستيد فى اكتوبر سنة ١٨١٧ ، وكان هيدون وهنت متنابذين متخاصمين ، كما تشاجر هيدون مع رينولدز ، وراح هيدون يحذر كيتس من صحبة هنت ، وأوصاه أن يخفى عنه شعره ، لانه إن فعل فقد يشطب له هنت نصف ما ينظم ! ولكن كيتس لم يزل متعلقاً بهنت رغم استهجانه بعض تصرفاته الشاذة ، بل وعرف كيف يدحض حجج هيدون المُغْرِضَة . وتوجّه الشاعر فى الخريف الى (بورفورد بريدج) حيث أنهى (انديميون) وبعد عودته الى هامبستيد فى فصل الشتاء راجع القصيد مرة أخرى ، ونقده وهذبه فنياً ، ونظم بعض أشعار أخرى صغيرة وحدث فى تلك المدة أن مرض توم مرضاً فظيعاً (بذات الرئة) ، فذهب به جورج فى الشتاء الى (تينموث) كما نصح الأطباء .

وقامت مشكلة أخرى : هى أن جورج اعتزم الزواج من جورجيانا وعقد نيته على الهجرة الى امريكا ، وكان توم قد تحسنت صحته بعض الشىء من جراء جفاف جو الجنوب ، وسافر كيتس الى الجنوب من أجل هذا الغرض كذلك ، وكانت (انديميون) قد تمّ طبعها ، ومقدمتها على وشك الانتهاء ، وكذلك كان قد أنهى (إيزابيلا) وبعض مقطوعات صغيرة أخرى من أحسنها ما كتبه الى رينولدز .

وأخذت حالة الأسرة تظلم منذ ذلك التاريخ ، بل أخذ جون كيتس يهمل العناية بصحته . كان يخامره داء دفين رغم مظهره القوىّ . والحق أنه كاد لا يعبأ بصحته وقوته ، وكاد جورج يعرف ذلك تمام المعرفة ، وهو لم يفكر فى الهجرة من أجل مصلحته الخاصة فقط ، بل كان يسعى اليها كيما يكون بعيداً عن أخيه الذى كان

يعتمد عليه فى انجاز حاجياته كلما احتاج الى المال ، وكثيراً ما كان يحتاج اليه . . . وقبلت مس ويللى الاقتران من جورج الشجاع ، حينما عاد كيتس بشقيقه المريض توم الى لندن مايو ١٨١٨ م .

وفى الوقت الذى اعتزم فيه جورج كيتس الهجرة بزوجته الى امريكا ، حدث حادث مؤثر فى حياة أسرة كيتس : ذلك أن براون وكيتس اعتزما القيام برحلة مشياً على الأقدام فى اسكتلندة تاركين توم المسكين فى (ويل والك) وسافر جورج وعقيلته الى ليفربول ، وودّعهما اليها جون وبراون ، وأبحر جورج وزوجته ،وعاد الآخران الى لانكستر وقد سجل كيتس حوادث هذه الرحلة الممتعة فى خطاباته الحية الجميلة . وتقدما من (لانكستر) الى (ويندرميريليك) وكانت رحلة جميلة حقاً لو لا أن كيتس أصابه برد شديد ثقل على صدره واضطره الى وقف رحلته . يقول براون : « سيتركنى مستر كيتس هنا وحيداً وأنا لذلك جد حزين.هو عاجز عن السير معى إذ أصابه برد شديد فى صدره يضطره الى السفر العاجل الى لندن . لقدتبدلت صحته وآضت حيويته هشيماً ، ويخبرنا الطبيب هنا أنه لن يشفى من مرضه الخبيث لو استمر فى رحلته على قدميه معرضاً ذاته لهذه الأجواء العاتية » . ويقول فى خطاب آخر « لقد أصابه برد شديد فى جزيرة (مَلّ) تركه فى حال يرثى لها . ويعتقد الطبيب هنا أنه أضعف من أن يتابع الرحلة . ان هذا فشل قاس لنا . فلقد كنا سعيدين باجتماعنا معاً . وأسفاه ! سأجوب أنحاء اسكتلندة وحيداً ! ولكن آلامى لا تقاس بآلامه ، فاننى وان كنت أفقد صحبته وهى خسارة جسيمة الا أنه سيحرم رؤية هذا الاقليم » .

ولقد كانت حالة شقيقه توم مما يدعوه الى الاسراع فى العودة الى لندن ، وحينما وصل نهر التيمس فى ١٨ أغسطس وبلغ هامبستيد ، كان فى حاجة قصوى الى من يرعاه ويقوم على حراسته هو الآخر . ووصفته مسز ويلك عند ما أبصرته فى أوبته قائلة « كان شاحباً شحوباً مخيفاً ، ممزق الثياب والحذاء ..الخ »

وراح شاعرنا ينشد العمل الأدبى البحت فى معاهده القديمة ، ولكنه هوجم من Blackwood's Magazine التى سبته فى مقالة سافلة ، وكذلك كتبت Quarterly Review نقدات ساقطة ، ولسنا بحاجة الى القول انه لم يعنَ بهذه المهاجمات ولم يقم لها وزناً ولا اعتباراً ، بل كان يحتقر سفالة Wilson وقاذورات من يكتب بدون إمضاء صريح فى مجلة Quarterly Review وعلاوة على ذلك فقد كان مبلبل

الذهن من جراء سوء صحة أخيه توم ، بيد أنه كان رجلا بما فى الكلمة من معنى ، ويقول عنه شقيقه چورج : « ليس جون سوى روح الشجاعة والرجولة الحقة ! » .

ويقول أحد أصدقاء كيتس الذين تعرف اليهم أخيراً بعد المهاجات الكثيرة التى جابهها من الصحف ، وهو يدعى بريان وولر بروكتر ، فى الترجمة التى كتبها عام ١٨٧٧ :

« عندى القليل أسرده عن كيتس : رأيته مرتين أو ثلاث قبيل سفره الى ايطاليا . قدمنى اليه هنت ، فوجدته كثير اللطف جمّ الوداد ، خالياً من الصلف أو التصنع فى آرائه وطباعه . من النادر أن ترى رجلاً فى مثل شمائله وجماله . كان على استعداد دائم للاصغاء لكل حديث ، وللاجابة عن كل سؤال ، كان على أهبة تامة للنقاش والمحاجة ، والجهر بالرأى ، والانغماس فى الاحاديث العنيفة المحرجة والمسائل العامة . وقد قيل أن شعره تنقصه الفحولة والرجولة ، وأشهد اننى لم أر شاباً أكثر ، منه رجولة وصلابة . . »

ولقد ذكرت أرسلة بروكتر فى تصريح واضح لها انها تأثرت كثيراً بعيون الشاعر التى كانت تحسبها تشخص فى جلال الى منظر سام . . »

وفى أول ديسمبر حانت منية توم المسكين - فى الليل - وترك كيتس غرفة الموت وطير النبأ الى براون ، وقد سجل براون هذه الزيارة فى قوله : « استيقظت بكرة يوم من الايام على أثر ضغط على يدى . لقد كان كيتس جاء يخبرنى بان أخاه قد انتهى . لم أحر جواباً ومكثنا برهة صامتين ، وعينى تنظر فى عينه . وسرعان ما انتقلت خواطرى من الميت الى الحىّ ، قلت : ألا تبق بعد الآن فى هذه الحجرات منفرداً هكذا .. ! ألاَ تقبل أن تعيش وإياى ؟ فتنهد وضغط يدى بحرارة ، ثم أجاب : (أظن من الافضل أن أفعل ذلك ... ومنذ ذلك اللحظة لم نفترق » .

وابتدأ كيتس فى هيبيريون بجانب فراش الشقيق العليل ، وشرع ينظمها فى مبدأ علاقته ببراون ، ولكن أعصابه لم تهدأ منذ وفاة أخيه الذى كان يكاد يعبده. وخير من يصف لنا حزنه الفاجع فى تلك الاثناء هو صديقه ديلك فقد جرى أرنب ذات يوم فى حديقة وينتورث فاصطاده ديلك ، فظن كيتس أن هذا الأرنب ليس سوى روح توم ! وهكذا كان يتقول ويتخيل فى كل مواقفه الهاجسة !

ولما أسى الدهر جراحه ، وأنسته الأيام آلام فقد الشقيق ، عاد الى فنه يهبه روحه

وكيانه ، ولكن مأساة بالغة كانت تنتظره لتفسد عليه الحياة : تلك انه قابل عند جاره مستر ديلك مسز براين وكريمتها فانى التى لم يكن الشاعر يحبها أول الأمر ولكنه سرعان ما أصبح مولعاً بها مشغوفا بحسنها . حاول أن يقنع نفسه بأنه لا يحبها ، ولكنه على النقيض ما كان إلا ليزيد النار اشتعالاً .. لقد ملكت عليه كل نهاه ، وقيدت قوته الطليقة الطافرة . ولم يقتصر عمله الفنىّ على هيبيرون فحسب ، بل أخذ يكتب أول الشتاء حواء سنت أجن وعند انصرام يناير سنة ١٨١٩ وهو يزور مع براون ، والد ديلك فى شيشيستر ، ومستر ومسز سنوك فى بيد هامبتون ومسز سنوك هى شقيقة ديلك — ابتدأ شاعرنا نظم قطعة النادرة (حواء سنت مارك) .

وعاد مرة أخرى الى وينورث فى فبراير ، وعندئذ ذاع حبه لفانى وأعلنت خطبتهما ، تقول الفتاة : « لقد كان لمرضه المباغت وعودته الفاجعة من رحلة فى اسكتلندة ثم لموت شقيقه توم أكبر الأثر فى نفسى ، مما دفعنى إلى الاتصال به والاشفاق عليه . كنا نتقابل على الدوام فى منزل صديقه ، ولكننى لم ألحظ عليه فى ذلك الوقت ولا بعده أى معنى من معانى البثّ والشكاية . لقد كانت رجولته كاملة عجيبة ، وكان تحمّله وتصبره غريباً ؛ كما كان سامى الخلق ، اللهم الا حينما يرى المرض يطغى على شقيقه توم ، فقد كان ينقلب عند ذلك نمراً متوحشاً » .

مختار الوكيل



زعماء الرومانتيسم

لامرتين

(١)

قال أحد جهابذة النّقد فى عرْض كلامه عن لامرتين :

« إنّ لامرتين لا كثرُ من شاعر — إنّه الشعرُ نفسُه »

ولعمر الحقّ إنَّ لامرتين لهو الشعر بكل ما فى كلمة الشعر من معانٍ ، بل هو كل ما فى الشعر من حسنٍ جميلٍ — وإذا كان أحسنُ ما فى الشعر الحلم بعوالم الجمال

والكمال والمثل الروحية العالية ، والارتفاع بالعواطف والأشواق إلى أخلص وأطهر ما تكون عليه فى القلب البشرى ، فان لامرتين كان هذا ، وكان شاعراً عظيماً فى كل هذا — فقد جال وحىُ عبقريته فى كل المبادين ، ورددت قيثارته كل النغم التى كثيراً ما كانت ذات نبرات حزينة كئيبة ؛ ولكن رفيعة سامية — وكانت روحه التى لا تنضب تكسو كل حادث عادى أو واقعة عارضة ثوباً من الجلال ، وتسبغ عليه فضل أمثلته الرفيعة وروحانيته المشعّة فى كل آثاره .



لامرتين

ذلك ان لامرتين كان روحياً بأتمّ معنى الكلمة، حتى قيل إنّه لم يكن رجلٌ مثله لا يرى من الحياة الا جانبها الجميل ، وانه يرتفع بطبعه الى التأمل الروحى حتى ليرى ديمومة الجمال فى الحياة ، وانتصاره فى آخر الأمر على ما عداه . . وإنه لم يأت فى فرنسة مَن يشاركه فى هذه الخلة منذ أفلاطون — فهو يعيش فى حلم دائم بالجمال ويعجب به فى نفسه وفى شخصه ، وفى فكره وقلبه ، ويعجب به فى الطبيعة التى يراها دوماً جميلةً ساحرةً ، وفى الانسانية التى لا يرى إلا رءوسها المكللة باكاليل الغار — وهو إذا تحدث عن بلاده وعن الانسانية وعن الاله يجعل ذلك الحديث كلَفاً ثم يجعل ما يكلف به ديناً له ما للدين من هيبة وجلالة — وأنظر إلى قصائده الموسومة بالنغمات Les harmonies أنها ليست استدلالات فيلسوف عن وجود واجب الوجود ، ولا هى تأملات متصوّف ، وإنما هى ارتفاعات وتنقلات من محاسن الطبيعة البادية إلى المحاسن المطلقة التى هى الله ، وهى أشواق غريزية لروح تراها تصعد من أسفل درجةٍ فى سلم الجمال إلى أعلاها . وإنه ليخيل اليك

وأنت تقرأ شعره أن الشر والقبح لا يوجدان فى الكون . ولم يتناول لامرتين مسألة الشر إلا فى قصيدة « اليأس » ولكنه يظهر من هاته القصيدة ومن كتابة سقطة ملاك أنه غير بارع فى تصويرهما لأنه غير قادر على تصورّهما .

على انه وإن كان يعيش فى حلم لاينسى مع ذلك الواقع فهو كما قال : « ظامىء الى العمل ومولودٌ الى العمل » . ألا ترى أن هذا الشاعر الحالم استطاع أن يكون سياسياً ماهراً وخطيباً شعبياً، ثم لما تحطمه الحوادث السياسية يرجع الى سكون وعزلته راضياً قانعاً بالعمل الشاق الذى فرضته عليه الأيام فى شيخوخته(١) .

ولم يكن لامرتين يتخذ الأدب صناعيه فقد قال « إن الشعر ليس بصناعتى ولكن حادث عارض ومناسبة سعيدة وحظ جميل أتيح لى فى حياتى » ويعترف أن لاصبر له على التنقيح والتهذيب لشعر ، بل كانت تنبعث فيه الرغبة للقول فاذا قلبه يملى وقلمه يطيع .

وشعر لامرتين موسيقى ذائبة لطيفة عذبة ، وربما ارتفع من النشيد العذب الملائكى إلى الشعر الفخم القوى الصاخب إذا دعته قوة الاندفاعات الدافقة من روحه الجياشة ، فيضيف حينئذ الى قيثارته الرقيقة وتراً نحاسياً .

والعادة التى يستعد منها لامرتين لحمة قصائده هى الحب الذى يجعل منه موضوعاً للتأمّل والذهول الصوفى، والألم الذى تجد فيه كآبته الطبعية مجالا ومراحاً، والطبيعة التى تسليه ، والايمان الذى يكون منه مخلوقاً ممتثلاً لارادة الله متغنياً بمجده وحمده وشعره فى جملته عاطفة لكنها معقدة بعض التعقيد فهى متطهرة ملتهبة إذا تكلمت عن عظمة الحب وشقاوته ، وهى متعطشة الى اليقين ظامئة الى الطمأنينة مليئة بالحيرة إذا تحدثت عن الطبيعة والموت والاله . وكل شعره مكتوب بلهجة مؤثرة وأسلوب موسيقى يلاطف الرُّوح ويهدهدها ويبعث فيها أصدية لانهاية لها .

---

(١) انتخب نائباً سنة ١٨٣٣م. ثم ترشح لرئاسة الجمهورية فظهر عليه لويس نابليون وانقلب نظام الحكومة الى امبراطورية سنة ١٨٥١ فاعتزل السياسة . وافتقر فى شيخوخته لأنه كان جواداً متلافاً وفدحته أعباء الدين فعمل خمسة عشر عاماً عمل المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة ليتخلص من دينه ومدت له الحكومة يد المعونة فلم يتمتع بذلك إلا عامين وتوفى سنة ١٨٦٩ وانظر تفصيل سيرته فى رفائيل ترجمة الزيات .

شعره الغزلى

ذلك ما يُقال على الإجمال فى لامرتين الشاعر . ولكنَّ الباحثَ فى أدبه لا بدَّ له من وَقْفَةٍ خاصةٍ فى شعره الغزلى والفلسفى إذْ كان هذان الغرضان مما غلب عليه وجالت فيه عبقريته جولاتٍ دائمة .

كان لامرتين شاعراً غَزِلاً من أبدع شعراء الغزل فى اللغة الفرنسية .

وكان غزله نوعاً جديداً لم يرَ الناس مثله فى ذلك العصر ، فقد عيل صبرُهم من غزل القرن الثامن عشر الميت ونسيبهم المتهتك ، وخابَ ظنُّهم فى شعراءَ ظهروا قُبيل لامرتين : ذلك لأنهم لم يستطيعوا أن يتخطَّوْا عصرهم ويتخلَّصُوا كلَّ التَّخلص من تلك الجفاءة القديمة والركة الموروثة .

فلما ظهر لامرتين جاء فى الغزل بشيءٍ يُشبه الخيال الافلاطونى ، والاحلام السَّاهمة والجمال المنقَّب ، ومَزَجَ ذلك بشيءٍ من الحسن الكسول ، واللطف النَّاعم .

وقد تيسَّرَ لهُ من أداة الغزل هذه الرغبة البريئةُ التى تدفع صاحبَها الى التحدُّث عن هزَّات قلبه وانفعالاته ، ثم الرغبة فى صَوغ هاتهِ الانفعالات فى كلامٍ صادق لا مؤاربة فيه ولا كذب أو تلاعب ، ثم مزيةُ الإدراك البديهى الذي يَقدر به صاحبه على التمييز بين مختلف الهزَّات والانفعالات واختيارِ أنبلها وأشعلِها وأجْدرِها بالخلود ، ثم أخيراً هذا الذوق الفنى الذى يلين من جفاء تلك الانفعالات ويلطف من جموحها ، ويخرج منها ما يشوه محاسنها عند التعبير والاداء

ومن اجتماع هاته المزايا فى لامرتين ومزايا أخري صدرت قصائده الغزلية الباقية على الدهر ما بقى فى الناس قلوبٌ خافقة .

هذه القصائد كانت كلها تعبيراً عاطفياً مصَفَّى ما أمكن من الحوادث والوقائع والأسباب التى كوَّنته أو أوحتْ به لقريحة الشاعر . وهذا التطهير أوالتصفية كانت طبيعة فى لامرتين فهو كما قيل الشعر نفسه . ومتى كان الشعر مطالباً بدقة التَّاريخ وتحليل الفلسفة ؟ بل إنّ وظيفة الشعر هى بعث الاصداء فى النفس ، وإهاجة العواطف ، وإثارة الشعور ، وترك الأثر واضحاً مردَّداً فى روح القارىء . وهذا ما كان يتركه شعر لامرتين فى أنفُس قرائه .

أنظر الى قصيدة «الوحدة» فليس هناك أثر للظروف أو الأسباب التي كانت سبب كآبة الشاعر ووحشة نفسه ، فالشاعر يذكر فيها غاباتٍ وأنهاراً ، وجبالاً وأحجاراً ، وكنيسةً وصلاةً ، وغدُوّاً وآصالاً ، ولكنه لا يقول لنا أين موضع هذا : أفى الكون كله ؟ لا جواب . وإنما يقول :

« أيها الأنهار والأحجار والغابات والخلوات العزيزةُ عليّ »

« إن غيبة مخلوق واحدٍ من ربوعكنّ جعل عامركنّ خراباً »

« وردّ أنسكنّ وحشة »

فمن هو هذا المخلوق ؟ وبأيّ خيْط يتّصل بروح الشاعر ؟ وعبثاً نتساءل فالشاعر لا يرينا مما فى نفسه ولا مما فى خارج نفسه سوى يأسه العميق وشوقه المبهم إلى مكان مجهول الإسم :

« سواءٌ عليَّ أتطلعُ الشمسُ أم تغرب »

« وتصحو السماء أم تغيم ، ويظلم الليل »

« أم ينير الصبح ، فليس لى بغيةٌ فى اليوم »

« ولا رجيةٌ فى الغد »

* * *

« وحينما ارسل عينيّ تتبعان الشَّمسَ »

« فى مدارها الرّحب القصى لا أنظر فى كل مكان »

« غير الفراغ والخلاء ! لا حاجةَ لى إلى من تظله »

« السماء ، ولا رغبةَ لى فيما تُنيره الأَرض (١) »

هذا كل ما نعرف من سبب كآبته ولكن هذا الابهام كافٍ إذا كانت الكآبة الممضّة والشعور بالفراغ الهائل والوحدة الألمة يراد تصويرها كما هى فى النفس غامضةً مبهمةً . وانظر بعد ذلك إلى قصيدته «الوادى» فليس فيها ما يدل على المؤثر الأدبى الذى أدّى الشاعر الى تلك الحالة الفكرية المصورة فى هذه القصيدة والتى يقول فيها :

---

(١) ترجمة أحمد الزيات .

« لقد رأيتُ كثيراً ، وأحسستُ كثيراً ، وأحببتُ فى حياتى كثيراً »

فالتعبيرُ عن النّصب الذى أحست به روحٌ كثيراً ما تحركت واضطربت وتصادمت فيها العواطف المختلفة ، والتعبير عن الشعور بالراحة الكبرى التى تجدها عقب ذلك النَّصب ، ثم التعبير عن هذا الصمت الداخلى الذى يشعر به الكيان كله حين ينكمش على نفسه ويريد أن ينسى ذلك النصب واللغوب . . هذا هو الصعب ، وهذا هو الذى تقف دونه الكلمات حائرةً عاجزةً لأنها لا تفلح فى أدائه على التَّحقيق ولا تصل إلى الغوص على كنهه . ولكن انظر إلى الشاعر كيف يؤدّيه ويعبر عنه بطريقته المبهمة التى تترك فى النفس أثراً مبهماً يوازى إبهام المعنى الذى تشعر به وتعجز عن حدِّه أو مسكه من يده .

قال لامرتين :

« إنَّ قلبي لفى راحة ، وانَّ نفسى لفى صمْت »

« وأنَّ ضجة العالم القصية لتضعف حين تصل إلىّ »

« فهى كصوتٍ ناءٍ أخفته طولُ المسافة »

« ثم حملته الرياحُ إلى آذانٍ موقورة »

* * *

« من هنا أرى الحياة خلال سحابة تتضاءل أمامى »

« وتتلاشى فى ظلال الماضى والحب وحده »

« بقى لى كما تبقى الصورة البارزة »

« من حلم الليل عند يقظة الصباح »

* * *

« استريحى يا نفسُ فى هذا الملجأ الباقى »

« كما يستريحُ ابن السبيل الملىء القلب بالأمل »

« حين يجلس عند أبواب المدينة (قبل أن يدخلها) ، »

« مستنشقا هنيهةً نسمات المساء الشذية »

***

« لننفض مثلهُ الترابَ عن أرجُلنا »

« فلا رجعة للانسان من ذاك الطريق »

« لنستمتع مثله فى نهاية وَحْدنا »

« بهذا السُّكون المبشر بالسلام الابدى »

هكذا عبَّر لامرتين عن كل هذه المعانى الغامضة، وهكذا يوفّق كل مرة توفيقاً عجيباً ، وهكذا تجد أغلب قصائده غارقة فى ضباب رقيق ، ملفوفةً فى نقاب شفاف منبعثة عن أثر تركته فى النفس إحدى المشاهدات

فاذا حدثك عن ذلك ترك فى نفسك أثراً مبهماً كالذى أحس به : أثر ليلة صيف سعيدة مرت سريعة تحت النجوم وكان يريدها طويلة ويأبى الزمان إلا أن تفرَّ وتذهب الى الابد ،وها هى قصيدة «البحيرة»أثر شمس صفراء كالورس فى شهر أكتوبر ابتسامة وداع الصيف ، كآبة الغروب ، كون يتأهب للرقاد ، روح فاترة ضعيفة ؛ وها هى ذى قصيدة «الخريف» إحساس بالزوال الخفى الصامت الملازم للاشياء المنقضية بانقضاء الأيام . وتوالى الاعوام ، شواطئ يخيم عليها الغسق وأمجاد ضائعة فى هاوية الماضى ، وها هى ذى قصيدة خليج بايا (Galfe de Baia) :

« . . . هكذا كلُّ شيء يتحوَّل ، وكل شيء يزُول »

« وهكذا نحنُ أنفسُنا نمضى »

« ولكنْ — واحسرتاه — دون أن نترك من الأثر »

« إلا ما يتركه على صفحة الماء هذا الزّورقُ »

« الماخرُ بِنا فى خضمّ يمّحى فيه كلُّ شىء . . . »

هذه هى ميزة غزل لامرتين ، وذلك ما يجب أن يكونَ عليه الغَزَل — فهو مُبهَم كالعواطف التى يبعثُها فى النَّفس وهو لطيف رقيق لكى يؤثر دون أن يؤلم ، ويُبلل العيون دون أن يسيل ماء الشؤون .

شعره الفلسفي

كل هاته العواطف الدافقة ، والزفرات المتصاعدة ، والأشواقُ الروحية ، قد أودَعَه لامرتين في ديوانيْه : التأمُّلات الأولى . والتأملات الجديدة .

ولكن هل من الممكن أن يستمرّ الشاعر في ذلك السبيل ؟ فمهما يكن من خُلُوّ شعر لامرتين من الأشكال المرئية والصور النائثة والمادة المتنوعة فانه لا بدّ له من وحي جديد يستمد منه إلهاماته وإلا لكان مضطراً الى الإعادة والتكرير — نعم لقد أدّاه الحبُّ إلى تناول المشاكل التي تتعلق بالانسان وماهيته فتكلم على الموت والخلود ، والأمل والإيمان ، والروح والدين ،ومجدُ الله وعنايته الأزلية ، ولكنه أحسّ بأنه قال كلّ ما يُقال في هاته الأغراض وفرغ ما عنده في الحب ولواحقه . ولذلك أخذ يتساءل أين يتجه بتلك العبقرية الفيّاضة والرّوح الجيّاشة التي لا تنضب ولا تكلّ . أليس هو القائل في قصيدة الشاعر المحتضر :

« أنا أغنّي يا صِحابي كما يتنفَّس الانسان »

« ويُغرّد الطائر ويَعزفُ الهواء ويخرّ الماء »

وفي الحين الذي كان يبحثُ فيه لامرتين عن مكان للقرار ظهرت[1] في فرنسا مُوجة قوية من تلك الموجات التي تظهر إثْر الثورات . وقد وَجَّهَ تيّارُ هذه الموجة جميعَ مفكّري العصر الى العَطف على الإنسانية والتألّم لأجل المجتمع فاتجهَ لامرتين مع هذا التيار الى الشعر الفلسفي في الوقت الذي شعر فيه من جهته بضرورة إكساء أدبه شيئاً من العواطف الخارجية objectives والخروج قليلاً من دائرة الشعر الغنائي الذاتي إلى المَلْحمة الرمزية تتجرد فيها العواطفُ والانفعالات من التعبير الداخلي الذاتي Subjective .

فابتدأ السيرَ الى هاته الغاية بتلخيص كتاب أفلاطون عن موت سُقراط وإتمام سفرة هارولد التي مات عنها بيرون . ولم يكن له فيهما من الآراء الشخصية إلا الشيء القليل . ولم يدخل حقيقةً الى الشعر الفلسفي الا بملحمةٍ كبرى في حظوظ الانسانية تصوَّرها وعمل برنامجها ولم ينظم إلا بدايتَها ونهايتها وهما : جوسّلين وسقطة ملاك[2] .

(١) حوالى ١٨٣٠ (٢) تُرجمتا الى العربية بقلم الأديب إلياس أبي شبكة .

* * *

وحوادث هاته القصيدة تتلخص فى أنّ ملاكاً سماوياً (صيبدار) أحبّ فتاة من الأناسىّ هى دَيْدَحى وقد كلِف بها كلفاً شديداً اضطره لأن ينقلب بشرياً ويَسرى عليه قانون الفناء السارى على البشرية — ورضىَ اللهُ بهذا التغيير ولكن قدّر على الملاك الساقط أن يموت ويحيا ، وتظلّ روحه تتناسخ مارة بالعصور والأجيال من مبدأ الخليقة الى آخرها ولا يزال يتطهرُ بالآلام المرضىّ بها ويرتفع بمجهوده الذاتى ويَعرج بروحه الانسانية الى الروح الكلى الذى هو غاية كل المخلوقات ، والنهاية التى تسير حثيثاً نحوها . وقد شرح هاته الفكرة الرئيسية فى الرؤيا الثامنة وفيها يقول :

« ابحث عن الله ! إنّ فكرة الإله هى علة الكائن »

« ووظيفة الكون هى التعريفُ به »

« إنّ كلّ الكائنات لتجدّ السيرَ الى مَن صدرت عنهُ . »

« وما الحركة التى تحرك العوالم الا ذلك الاندفاعُ »

« الذى يدفعها الى الأبدى ويجعلها تتسابقُ »

« الى الفناء فى ذاته »

وإذا كان الانسان يحيره وجود الشر فى صنْعة الله فليعْدلْ إلى التأمل فى الإله . فالشعر يمحوه من يهرب منه ويخلقه من يؤمن بوجوده :

« قال الحكيم (١) فى نفسه يوماً : إذا كنْتُ ابنَ السماء »

« فهل الشر كامنٌ فىّ — وهل هنالك — أيها الألم »

« قُطبان فى السماوات وروحان فى كيانى »

« والإلهان فى يَهْوَاه (٢) » ؟

---

(١) الحكيم : أى الملاك الساقط فى حالة بشريته . (٢) يهواه : هو الله بالعبرية Jéovah

« ولكنَّ روحَ الله رأى شكَّه فابتسم وعرج به »
« فى المنام إلى نقطة اللانهائى أين يمتدُّ النظر »
الإلٰهى إلى البدايات والأوساط والنهايات »
« وقال له : أنظر . »

فنظر الانسان وفهم أنَّه وهو بين الظلمة والنور يكون فى الضّياء أو فى الظلام حسب مكانه من الارتفاع أو النزول . وبعبارة أشمل إنّ الإنسان قادر على تكييف حياته علواً أو سقوطاً حسب إرادته واستعداده وانه لا وجود للشر والقبح إلا فى عقل من لا يستطيع الفهم وفى عين من لا يستطيع النظر .فالانسانية فى حيرة ضميرها القاصر ، وعدم إدراكها للحقيقة المطلقة ، وفى الخصومة بين غرائزها المتناقضة تتردد فى مهبِّ الأَهْوَاء بين الرُّوحانية والحيوانية :

« وهكذا تتصارعُ فى قلبه طبيعتان »
« وهو بنفسه سببُ عظمةِ نفسه »
« هو حُرٌّ فى نزوله ، وحُرٌّ فى صعوده »
« ولكنَّ حريته هاته تكون اما سببَ مجده أو عاره »
« فالصعودُ أو النزول هما السماء أو الجحيم »

تنزل فاذا بذلك الملاك السماوى مظلم جوانب النفس جامد الروح ، متألم الجسد وذلك هو الجحيم . وتصعد فاذا البعث ، واليقظةُ الروحيّة ، والمجد الحقيقى ، والجزاء الوفاق ، وتلك هى السماء المحصل عليها بالأَلم المرضى به والتضحية المقبولة عن طيب خاطر .

وهكذا يغلب التفاؤل على هاته الفلسفة ويدور محورها على الرِّضى بالأَلم الذى يرى فيه الشاعر أكبر باعث للجهد والنشاط وأعظم حاجز للسير نحو الكمال وخير مطهّر للنفس من أدرانها وحقاراتها :

« أنت تكوّنُ الإنسان أيها الأَلم كما تكوِّن البوتقة »
« سبيكة الذهب ، وألسنةُ اللهيب قطعةَ الفولاذ »
« . . . انّ من لم يعرفك ما عرف من الدّنيا شيئاً »
« فهو يمشى فى الأرض على روْدٍ ومَهَل » .

« ولكنه ليسَ يجيءُ فيها . »

وقد عدَّ سانت بيف تلك القصيدة ملحمةَ فرانسا ، وأمَّل أن تكون للفرنسيين كالأُوديسي لليونانيين ولكنَّ العناصر الخارجة عن الموضوع والتطويل الممل هو الذي جعل الناس يزهدون فيها رغماً عما فيها من القطع العالية حقاً سواءً في الوصف أو في التعبير عن أصدق العواطف وأعمق الحقائق ؟

محمد الحليوى

تونس :



الطيور الصداحة والشعراء

(التعريف بأهمِّها لمناسبة نقد العقّاد)

الكروان

بفتح الكاف والراء ، والأنثى كروانة . ويجمع على كِرْوان بكسر الكاف على غير قياس . وقال الفارسى : كِرْوان ليس بجمع كروان انما هو جمع كَرَاً والى هذا ذهب سيبويه وحكى انه يجمع على كراوين ، ويجمع أيضاً على كَروانات ، طائر فى قدر الدجاجة طويل الرجلين ، منعقف المنقار طويله ، حسن الصوت لاينام الليل

وذكره الدميرى قال « يشبه البط لاينام الليل يسمى بضده من الكَرَى » . وذكره ابن سيده فى مخصصه ص ١٥٥ جـ ٨ قال : هو طائر بعِظَم الدجاجة غير أنه أسبط وأطول عنقاً واطول رجلين ، رأسه بعظَم رأس الدجاجة وزِمكّاه قصيرة وعيناه زرقاوان ،

وزعموا أن الحجل فراخه (كذا) وهو أحمق طائر يقال له « أطرِقْ كرَا يُحلَبْ لك » وهو مثل فاذا قيل له هذا لبَدَ بالأرض حتى يُرمَى .

وقال ابن دريد النهار ولد الكروان وجمعه أنهرة . وقال أبو عبيد : الليل ولد الكروان . وقال أبو هاشم الطِّريق والطريق : الكروان الذكر لأنه اذا رأى أحداً سقط على الارض فأطرق . وزاد ابن دريد : يقال له أطرق فيسقط ، وذكره القلقشندي فى الجزء الثانى من صبح الأعشى ص ٧٤

هذا مجمل ما ورد فى معاجم العربية ودواوينها عن الكروان

وأخصُّ مميزات الكروان منقار أطول من رأسه ، شديد التقويس دقيق الطرف وجناحان طويلان وزمكى قصيرة مدوَّرة . ولا فرق بين الذكر والأنثى فى لون الارياش ، غير أن الانثى أعظم جرماً من الذكر .

ويقابل الكروان Curlew فى الانجليزية و Courlis فى الفرنسية ويسميه بعض أهل سواحل مصر الشمالية الكرلى وكذلك بعض اعراب القاهرة والكرلى تحريف الكلمة الفرنسية .

ويُعرف من الكراوين ثلاثة أنواع .

(١) الكروان الأغبر (Curlew (Numemius arcuata , Linnaeus (١)

وهو الكروان الأوربى المعتاد أو الكروان الكبير أو المتقوِّس ويسمى بالفرنسية Le grand courlis, le courlis cendré, وموطنه أوروبا وآسيا ويهاجر الى افريقية شتاء . وهو طائر يألف الأنهار وشواطىء البحار والبحيرات يسكن السهول والجبال وفى هجرته لا يتخذ طريقاً معيناً بل يجتاز الصحارى والجبال على السواء ، ومن طبعه الألفة فيؤلف من أشكاله جماعات صغيرة . وهو طائر كثير الحذر والحمق اذا اقترب منه عدوٌّ كان أوّل الطير زعراً وفرَّ خائفاً . وهو فى سيره على الأرض رشيق الحركات كأنه يقتاس الخطى فاذا أسرع لم يضاعف خطاهُ بل يزيدها اتساعاً ، وطيرانه سهل قليل السرعة ومنتظم . وطعامه الدود والحيوانات الهلامية الصغيرة والحشرات وصغار السمك .

ويتخذ الكروان أفحوصاً له فى أرض السواحل والبطاح وتقوم الأنثى بعمله فى

وقرة صغيرة تبطنها بقليل من الأعشاب أو فى حفرة على ربوة ثم تضع فيه ٣ أو ٤ بيضات لونها أصفر ضارب الى الخضرة .

والكروان طائر يحتمل الأسر ويقبل التدجين

وهذا النوع يُرى فى مصر زمن الشتاء ويكثر فى مصر السفلى كما خبّر بذلك المستر نيكول وكيل حدائق الجيزة وغيره ويبلغ طوله ٢١ بوصة تقريباً ، وأعلا بدنه أغبر اللون باهته ،وأرياشه رُقْش فيها بُقَع سود مستطيلة ،وأخفية الذنب سُمر وأطرافها أفتح لوناً وقوادمه تضرب الى السواد ولون هامته كلون ظهره غير أن البقع السواد فيها أصغر . ومنقار الكرلى أسمر اللون يعلوه سواد عند نهايته ، ورجلاه سمراوان .

(٢) Slender-billed curlew (Numenius tenurostris)

كروان دقيق المنقار Le courlis a Bec grêle نوع أصغر جرماً من السابق ولكنه شبيه فى طباعه ، ويغلب فيه البياض ويوجد فى مصر والجزائر وصقلية .

(٣) كروان صغير Whimbrel (Numenius Rhaeopus) نوع شبيه بالسابق فى طباعه وأوصافه غير أنه أقل عدداً منه يبلغ طوله نحو ١٥ بوصة ويرى فى مصر زمن هجرة الخريف على السواحل الشمالية لبحيرات مصر ويقل وجوده فى الربيع ولا يرى شتاءً ، ويوجد فى البقاع التى يوجد فيها النوع الأول ، أعلا بدنه أرمد غامق اللون ومُوَشَّى ببقع رُمْدٍ عريضة ، وقوادمه سود،وأسفل البدن أبيض تعلوه غبرة وصفرة فى الصدر، وهامته كلون الشوكولاته وسطها جُدَّة صفراء :

Stone-curlew (Oedicnemus crepitans, Shelley)

(١) كروان جبلى = Thick Knee

(٢) وفى اصطلاح الانجليز هو الكروان الاغبر الأوروبى المعتاد

ويقال له جُونية بالفارسية المعرَّبة (القزوينى)

ملاحظة : ذكر المعلوف باشا أن الكروان الجبلى هو الليل والنهار وينبغى اهال هذين اللفظين لعدم تخصيص مدلولهما فى كتب العرب

فالليل عند الدميرى ولد الكروان والنهار ولد الحُبارى وقال قوم هو فرخ القطاة. وقال آخرون هو ذكر البوم . وقال الفيروز بادى : « الليل الحُبارَى أو فرخها

وفرخ الكروان ، والنهار فرخ القطا أو ذكر البوم أو ولد الكروان أو ذكر الحبارى »



البلبل Bulbul

طائر أسود اللون فوق العصفور ، والحجري منه فوق ذلك ويقال له النُغَر والكُعَيْت والجُمَيل — ذكره الدميرى وابن سيده (مخصص ١٦٣ — ٨) والقلقشندى (٧٨ — ٣) وهو طائر صدّاح صغير الجسم يشبَّه اللسان الطليق بلسانه والصوت الحسن بصوته . وورد البلبل كثيراً فى أشعار العرب والعجم وقال قوم انه فارسى الأصل .

وممن قالوا ان البُلبل فى عُرف العرب يقابله بالفرنجية Nightingale (Luscinia hafizi Webster و Lane وسبب ذلك عدم التدقيق فى وصفه فى كتب العرب والصواب أن ال Nightingale هو الهزار وان كان بعضهم يسميه البلبل أيضاً .

والبلبل على التخصيص يطلق على بعض من طيور آسيا وشرق افريقية القواطع المعروفة بالعندلة أوحسن التصويت جعلها علماء الحيوان فصيلة معينة Pycnonotidae ومعناها ثخينة الظهور ، واتخذوا الكلمة العربية علماً عليه للتمييز .

والبلبل من طير الشجر يعيش أسراباً متكشكة ويأكل الأثمار والحبوب والحشرات، وموطن البلابل افريقية وآسيا الغربية، وتشبه فى طباعها الشحارير وتسكن الحراج والأحراش وحقول الورد والحدائق الصغيرة .

والبلبل طائر خفيف الحركة كثير النشاط والمرح يسهل تدجينه وتربيته فى أسر والمعروف منه نوعان :

White vented bulbul (Pycnonotus arsinoe)

(١) بلبل أبيض البطن

وموطنه افريقية وجنوب آسيا وهو نوع قليل الزعر يقع على شجر الجميز والسنط الخ ويعيش أزواجاً أوأفواجاً صغيرة طول العام ويعمل عشه بدقة فنية من الأعشاب والجذور وخيوط الخضراوات .

ويكثر فى الفيوم وشمال الدلتا .

وفى الهند يدربون ذكور البلابل على المشاحنة كما كانوا يدربون الديكة فى مصر من قبل .

(٢) بلبل أصفر الزمكى (Yellow B. Pycnonotus xanthopygus)

بلبل حجرى . . قليل فى مصر وطبعه كطبع الشحرور .

الهزار - Nightingale

(هزار دستان (القزوينى) - أبو المليح - المُسْتهِر)

الهَزَار :طائر نحو العصفور له صوت حسن ويسمى العندليب والعندليل ويسمى بالفرنسية Rosigniol

وذكره الدميرى وابن سيدة والقلقشندى (٧٧-٢)

يطلق الاسم الانجليزى على أنواع مختلفة من طيور العالم القديم الصدّاحة من الشحارير أو التردات .

والهزار طائر مستطيل البدن منقاره على قدرطول رأسه ، مدبّب الطرف له أنف اهليلجى يكاد يُسدُّ بغشاء ، وذنبه مدوّر .

وهو أغبر اللون تعلوهُ حمرة فى أعلا بدنه وصفرة فى أسفله وأعـلا منقاره أسمر تعلوه صفرة ورجلاه صفراوان .

والهزار يسكن أوروبا من الشمال الى بحر الروم وغرب آسيا وشرق أفريقية ويهاجر فرادى ليلا وتتولى الذكور قيادة الاناث وترشدها الى الطريق القويم

وهو كالشحرور طائر خفيف الحركة يقيم فى الاماكن الكثيرة الاشجار والحدائق الكبيرة والغابات بالقرب من مجارى المياه ، طعامه الحشرات والديدان الموجودة فى الماء أو شقوق الارض أوعلى ورق الشجر . مشيه على رجليه أكثر من قفزه أوتقفزّزه

والهزار طائر صداح يعندل بصوت حسن أكسبه شهرة عظيمة منذ القدم وله عندلة خاصة به ، نغماتها كاملة تتنوع فى تناسب وحسن انتساق، وعباراته حلوة لاتكرار فيها فألحانه الشجية والمفرحة تتعاقب بحسن تصرف وايقاع مما جعل بيتوفن يحاكيه فى سنفونيته .

وهزار مصر وهو philomela luscina Luscina megarhyncha, Brehm كبير المنقار يكثر وجوده أيام رحلة الربيع وكثيراً ما يسمع صادحاً . ثم يقل وجوده فى رحلة العودة أيام الخريف .

وطوله نحو ٥ر٦ بوصة اعلا بدنه أحمر قاتم وكذلك ذنبه وأسفل بدنه أبيض يعلوه لون اردوازى عند الزور وصفرة عند البطن

وهزار ايران Luscinahafizi Daulias hafyi, وهزار دمشان D. lusina

Sprosser Nghtingale - Luscna luscina philomela

الهزار الكبير magor

ويوجد فى مصر فى الربيع والخريف ، وهو أقل من السابق عدداً ؟

محمد شرف



الابداع والشعر المستعار

كنتُ ولا زلتُ من المعجبين بقول العقّاد :

قضيتُ جَنينَ السجنِ تسعةَ أشهرٍ وهاءنذا فى ساحةِ الخُلْدِ أولَدُ !

وهو بيت القصيد فى منظومته الرائعة التى ألقاها عند قبر سعد على أثر الافراج عنه بعد سجنه المعلوم . وقد لقينى منذ أسابيع أحدُ الأصدقاء فنبهنى الى أن هذا البيت مستعار من قول الشاعر الاسكندرى القاضى الأعزّ :

أقمتُ بها فى الضيق ستة أشهرٍ وذلك أقلّ الحمل ، واليومَ أولَدُ !

ثم طفق يسرد شواهد أخرى على شغف العقاد بالاستعارة (أو « بالسرقة » على حدّ تعبيره هو) من الشعر القديم عربيا كان أم فرنجيا . . . . فكنتُ ألحظُ أنّ

العقاد كان فى كل مرة يُبدع فى المعانى المستعارة ، كما كان المتنبي قديماً وشوقى حديثاً وغيرهما من أعلام الشعر يبدعون ، وقد كان هذا غنماً للشعر العربى فى جميع الأحوال وذهبت صيحاتُ النقاد هباءً !

وقد تتبَّعتُ باهتمام ما نشرته (أبولو) من نقدٍ لشعر العقاد ولمزاجه وتفسيته من حيث أثرهما فى تصرّفاته الأدبية والنقدية وفى مَناحى شعره ، وآخر ما قرأتُه من هذا القبيل ما ظهر لمختار الوكيل فى عدد (أبولو) الماضى نقداً لديوان (هدية الكروان) .

وانى مع احترامى لآراء حضرات النقاد ولمجلة (أبولو) التى أظهرت شجاعةً أدبيةً نادرةً فى الحوص على منبرها الحرّ والتسامح فيما ينشر ضدّ محرريها ، واعتماداً على هذه الروح النبيلة ، أودّ أن أبدى فى صراحة الملاحظات النقدية الآتية :—

لا أعيب على الدكتور رمزى مفتاح ولا على اسماعيل مظهر أو محمد على غريب و م . ع. الهمشرى أو مختار الوكيل أو غيرهم ممن لا يروقهم شعر العقاد أو شذوذه أو تصرّفاته النقدية صراحتهم فى النقد والمؤاخذة ، فمن الخير أن ينقد الشاعر فى حياته ليُتاحَ له ولمريديه الردّ على مخالفيه فتوضع الأمور فى نصابها ، وأعتقد أن المجاملة فى هذه الأمور أضرّ كثيراً بالأدب من الصراحة وإن تألَّم للصراحة كثيرون.

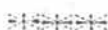
ولكنّ ما أعيبه هو أنّ هذه « الحنبلية » فى المؤاخذة — وهى تذكرنى بحنبلية النقاد الأمريكيين — ستعوق النهضة الأدبية كثيراً . . . انَّ الامريكيين مفتونون بالمؤاخذة النقدية وبتتبُّع السرقات الأدبية الى درجة الاكثار من القضايا فى المحاكم ، مما أدّى الى الاساءة البالغة الى الأدب الأمريكى ، بعكس الانجليز الذين لا يعبأون باستعارة شاعر من آخر ما دام يجوِّد ما يستعيره ، ولا أستثنى من ذلك شكسبير نفسه .

وهذا مختار الوكيل يترجم للشاعر كيتس ، فأظنه لم يغب عنه أن كيتس اقتبس من سبنسر كما استعار من ملتون وغيرهما . وهذا نفس رديارد كبلنج شاعر الامبراطورية الانجليزية العظيم أخذ عن جيرالد ماسّى بعضَ معانيه الذائعة وجوّد فيها ، فلم يُعَدّ ذلك وصمةً له . . . . ولا شك فى أن كلّ تقدُّمٍ أدبى قوامهُ الحرصُ على القديم والاضافة اليه ، وهذا ما فعله العقاد وغير العقاد من كبار شعرائنا ، زدْ على هذا أنه من الجائز جداً توارد الخواطر بين العقاد وشلى وتوماس هاردى والمعرى وغيرهم

فى مواقف متشابهة ، وأضفْ الى كل هذا أن للعقاد مبتدعاته المأثورة ومنها أرجوزة « الثوب الأزرق » التى نوَّه بها الدكتور أبو شادى فى العدد الأخير من (أبولو) تنويهاً خاصاً .

ليكتب مَنْ شاءَ فى نقد العقاد وغير العقاد ، فكلنا نستفيد من مطالعة هذه المآخذ ومن مناقشتها ، ولكنّى أكرر التنبيه الى أضرار المغالاة فى ذلك لأنها مثبِّطة لانتاج الشعراء .

سليمان درويش



الكاظمى فى شيخوخته

لا شكَّ فى أن كلَّ من قرأ القصيدة المؤثرة التى نشرتها الشاعرة النابهة الآنسة رباب الكاظمى فى (أبولو) تملّكته الحسرةُ على ما فيها من لذعة الألم وشكوى الخصاصة المرّة من قلم شاعرة تنتسب الى بيت كريم وابنة ذلك الشاعر الفحل السيد



الآنسة زينب الروبى

عبد المحسن الكاظمى الذى يُعدّ من مفاخر العراق بل من مفاخر العروبة .

ولمّا كانت (أبولو) مقروءة فى العراق ولها نفوذ فى أوساطها الأدبية الرسمية

وغير الرسمية فقد جئتُ بهذه السطور لأهيبَ بوزارة الأوقاف العراقية لتؤدّى واجبها نحو هذا الشيخ الجليل الذى كثيراً ما رفع من صيت العراق الأدبى وزيّن العالم العربى بروائع شعره .

ولا بدّ لى فى هذه المناسبة أيضاً من التوجُّه بالرجاء الى وزارة الأوقاف المصرية — وعلى رأسها سعادة الوزير الأديب الشاعر محمد نجيب الغرابلى باشا — لتؤدّى بعض الواجب نحو شيوخ أدبائنا وشعرائنا الذين يشكون الخصاصة بعدأن أفنوا أعمارهم فى خدمة الوطن ، فانّ تقديم المساعدة إلى هؤلاء مما يرفع رؤوسنا كدليل على عرفاننا لأقدار الرجال .

ولعلّ من قراء (أبولو) من يذكر كيف أنّ الحكومة الانجليزية منحت الشاعر السير واطسون مائتى جنيه معاشاً سنوياً لمّا وجدته لا يملك من موارد الرزق شيئاً فى شيخوخته . وليس هذا بالمثل الوحيد من أمثلة البرّ وعرفان الجميل المعهودة من الحكومات المتمدينة ، بينما نحن لا نعرف أقدار رجالنا الا بعد أن نفقدهم وحينئذ نتسابق الى الاعلان عن أنفسنا على حسابهم باقامة حفلات التأبين السخيفة ، وفى الوقت ذاته نترك أبناءهم يتضوّرون جوعاً !

ليست كرامةُ الأمّةِ بالنداء عليها والتظاهر الفارغ لها ، وليست حبراً على ورق ، وانما هى بصالح الأعمال ، وبصالح الأعمال وحدها ؟

زينب الرولى



استغلال الأدباء

كثرت شكاوى النّقاد من استغلال أهل التجارة للأدباء بغير اعتراف بجهود أولئك الأدباء ، وأدهشنا أن نسمع عن دواوين شعرية تُشرَحُ وتصحَّح وقصص تُترجَمُ ثم تظهر عليها أسماء لا نصيبَ يذكر لها فى مثل هذا المجهود الأدبىّ فى الوقت الذى تغفل أسماءالعاملين أو توضع فى المحلّ الثانى ، ومع ذلك يتطوّع بعض الكتاب فى المجلات والجرائد لامتداح أولئك الأدعياء الذين سمموا الجوّ الأدبى فى مصر .

ولما نبّه محرر (أبولو) الى تلافى هذه الحالة المؤسفة سلّط عليه المغرضون ألسنةَ السوء فى الصحف التجارية بما اعتادوه من ألوان الاختلاق على كل رجل عامل حرٍّ يأبى أن يغمض عينيه على القذى ! أليس الناقد الأدبى مستقلاً عن كل هذه الألاعيب التجارية بل يسوءه تفشّيها جدَّ الاساءة ؟

ومن الشواهد التى بين يديَّ نسختان من قصة (جريمة سلفتر بونار) لأناتول فرانس إحداها ذُكر عليها صراحةً أنها من ترجمة وتعريب الأديبين نعيم عازار ومحمود أبو الوفا ، والثانية اكتفى فيها بذكر الاسم الأول بناءً على رغبة الناشر الياس أنطون الياس ، بينما الشاعر محمود أبو الوفا قد بذل مجهوداً غير قليل فى حسن صياغة الترجمة فلم يكن من اللائق أبداً اسقاط اسمه بعد ذلك ، واذا لم يكن قد بذل ذلك المجهود فلماذا ذكر اسمه أولاً ؟

وانه لعجيبٌ حقاً أن يرى القارىء نسختين من كتاب « واحد » على هذه الصورة ؟

يوسف أحمد طبرة

* * *

(أبولو — ليس لدينا من تعليق على هذه الرسالة فهى تُغنى عن كل تعليق ، ولكن نرى من المناسب فى هذا المقام أن نظهر جانباً آخر من هذا الموضوع بقلم صديقنا الكاتب الاديب المتفنن أحمد الصاوى محمد صاحب مقالات « ما قل ودلّ » فى زميلتنا « الأهرام » . قال :

من أظرف وأغرب ما تلقيتُه أخيراً « مقالات ما قل ودل » موقعة بامضاء « الصاوى » بعث بها الىَّ شابٌّ يدَّعى أنه « أستاذ » ويقول فيها انه يبيعنى هذه المقالات بسعر عشرين قرشاً صاغاً المقالة لان الكاتب مهما كان مجيداً فان الفكر يخونه أحياناً .

وأنا أقول له : يا عم يفتح الله ! فقد قرأت مقاليك ولو كان فيهما خير لما رماهما الطير ! وقد يمكن الكاتب الموهوب أن يشقَّ طريقه بالسهر الطويل والصبر الجميل والدرس والتجربة والتأمل مع معين لا ينضب من الحساسية ، فاذا بلغ هذا أو بعضه فانه لا يدسّ مقالاته على كاتب آخر بل ينشرها باسمه ، ولا يبيعها بعد ذلك بعشرين قرشاً قابلة للمساومة والتخفيض الى الربع !

والدليل على أنّ هذا « الاستاذ » ليس أستاذاً ، ولا نصف ولا ربع استاذ انه لم يدرس روح الكتابة ويقف على سرها حتى يستهتر الى هـذا الحد بمبادىء الناس وأخلاقهم ويزعمهم يرضون اغتصاب الزجاج ليقدموه الى الجمهور باسم الماس ، ويظنهم قادرين على هذا الغشّ الذى لا يُرضى ذوى الكرامة ولو أفلسوا .

ومجرد هذا التفكير من جانب شباب متعلم يدل على ظاهرة اجتماعية خطيرة هى تزعزع الثقة بالنفس من جانب والثقة بالناس من جانب آخر ، ويدلّ فوق ذلك على الاستهانة بالقواعد الخلقية المقررة منذ وُجدت فى الأرض فضيلة ووجدت اخلاق ، وإلا فكيف سوّلت له نفسه أن يزعم هذا الدسّ الغريب مقبولاً مرغوباً فيه مستحقاً ثمنه . لقد كاد ينقلب ميزان كل شىء وتُريد القطط أن تستأسد ويريد البغاث أن يستنسر وتريد الدّمى الميكانيكية أن تصبح من الأحياء ... فهل هذه علامة من علامات آخر الزمان ؟ !)



التغرير بالشباب

تترامى علينا قصائد شتّى لشباب لم ينضج شعره بعد فى الغالب ومعظمهم لم تنضج أخلاقه ولا نظن أنها ستنضج ، لأنهم يتقدمون الينا بزلفى طويلة عريضة من الأمداح الشخصية شعراً ونثراً ومن دراسات الملق العجيبة ، فاذا أبينا نشرها وتقدّمنا بالنصيحة الى هؤلاء وعاملناهم خير معاملة أدبية أبوا كلّ هذا وجروا خلف من يعاملونهم معاملة السادة ، ثم رأينا نظمهم الغريب فى امتداح من يتوهمونهم خصومنا وفى الطعن فينا والاختلاق علينا تلميحاً أو تصريحاً ينشر فى طائفة معيّنة من الصحف ... وقد صار زميلنا العقّاد أكبر فريسة لهؤلاء الصغار الذين تُنشر لهم هذه الأمداح الرخيصة بعد أن نبذناهم نبذاً ، وليست بهذه الوسيلة تتكيف مواهب الشّبّاب .





تحية لمجد مصر

(القيت بالمؤتمر الطبي بالأقصر فى الشهر الماضى)

بلادَ النيلِ يا مَهدَ المعالى ... ويا وطنَ العظائمِ والجلالِ
سلمتِ لنا وعشتِ على الليالى ... وقدّسنا سماءَكِ والترابا
هنا المجدُ الذى هزَّ البرايا ... هنا أرضُ الطلاسمِ والخفايا
هنا سِرُّ الموالدِ والمنايا ... هنا النورُ الذى غمر الرّحابا
فقُلْ للمنكرين الجاهلينا ... أفيقوا : إننا نحنُ الّذينا
أتينا بالملوكِ مكبّلينا ... ونلنَا المجدَ أخذاً واغتصابا
فكم من رائحين ومن غوادى ... أتَوْا أرضَ الفراعنةِ الشّدادِ
ومختلفين من أقصى البلادِ ... لكيما يُبصروا العجبَ العُجابا
فطافوا بالمضاجع خاشعينا ... ومرّوا بالمفاخر مُطرقينا
ألسنا قد تحدّينا السنينا ... صِبانَا ناضرٌ والدهرُ شابا ؟
وقد خشعوا وقالت كلُّ نفسٍ : ... يمينَ الله لم أنزلْ برمسِ
ألم نجد الطعامَ كيوم أمسِ ؟ ... ألمْ نلقَ الموائدَ والشرابا ؟
ولمّا أبصروا الملْكَ العظيما ... رأوا قوماً كما كانوا قديماً
يُقيمُ المجدُ بينهمُ نديما ... ويحرس دورَهم باباً فبابا !
وما ذا يُنكرون عليكِ مِصْرُ ... بساطُكِ أخضرٌ وثراكِ تِبْرُ
وقلبُكِ طيّبٌ ونداكِ غمْرُ ... ووردكِ ساغ للدنيا وطابا !؟

* * *

إذا طلبوا السلامَ ففيك صَفْحُ وإنْ طال الظلامُ فأنت صُبْحُ
وإنْ سقموا أتوا مصراً فصَحُّوا وجاؤا يستعيدون الشبابا

* * *

ولن يلقوا كماء النيل ماءَ جرى شهداً وأكسبهم شفاء
وأجرى فى خدودهم الدماءَ فعادوا بعدَ ما بلغوا الرِّغابا

* * *

وأين كمثل هذا الانس أنسُ وجَوُّكَ نعمةٌ وحِماكِ قدسُ ؟
وأينَ كمثل هذى الشمس شمسُ لمن ألِفَتْ نواظرُهُ الضبابا ؟

* * *

وكم رُوحٍ وكم طيفٍ قريبُ وكم بين الجدود لكم حسيبُ
ولكنَّ الضميرَ هو الرقيبُ رقيبٌ ليس يألوكم حسابا

ابراهيم ناجى

الموازين

ما احتيالى فى بيئةٍ لم يُصَدَّرْ فى ذويها الا سليطُ اللسانِ !؟
أغفلوا الفضلَ فى الموازين حتى ليس فيها للفضلِ من ميزانِ !

محمود أبو الوفا

الى لطفية النادى

قل للذين استضعفوا مِصرًا: الآنَ وقتُ النهضةِ الكبرى !
نمنا طويلاً عن صوالحنا واليومَ قمنا نحطم الأسرا !

قنا شبابا عُزّلاً ، قَدِرَتْ عزماتهم أن ترغم الدهرا
النصر للقوم الالى عملوا لبلادهم لم يطلبوا أجرا
الفوز للشبان فى غدهم ما دام كلٌّ يأمل النصرا



إنى لمبتهج بنهضتنا ومن ابتهاجى أقبس الشعرا
قد أدهشتنى غادةٌ خُلقت للحبّ ، تسبي القلب والنظرا
أعطى لها الرحمن قلبَ فتى فحلٍ يروم المركب العسرا
هـذا الفؤاد ، وكنت أعهده كالنسم هفّافاً قد استشرى
قد هدّه التشريدُ فى بلدٍ لا يستقيم لغير من أثرى
فسما إلى الأجواء مبتسماً يبغى على عليائها الظفرا



أبناءَ مصر : تدافعوا رمزاً للمجد لا تهيبوا السفرا
صبراً إذا ما الدهر عاندنا لن يحرم المجد الذى صبرا

مختار الوكيل



دمعة بغيّ

واهاً على دنيايَ ما صنعتْ بالحسن فى كنفِ الصِّبا الفانى
فتكتْ بفتنته ، ولو عدلتْ فتكت بقلب الآثم الجانى
فى الريف فتّح للورى زَهْرى وسرى بطهرى فى مغانيه
كحمائم البستان لا أدرى مِن سفره أوهى معانيهِ
سحرٌ لعمرك كنت أرْسِلهُ عَفْـوّاً نماهُ شوقُ نظْراتى
يلهو به الرائى فيقتلهُ ويُذيبُ قلبَ الصخرة العاتى
عذراء كم لوّعتُ مشتاقا فنيتْ حشاشةُ قلبهِ الدامى

ولكم مررتُ بعابدٍ شاقا　　لثمَ الثرى من وطء أقدامى !
عصفتْ بىَ الأرزاقُ من بلدى　　فتركته .. واحسرتا وطنى !
كوخى الجميل ! وملعبى ! ودَدِى !　　ومراحىَ المحبوب ! ... واحزَنى !
ونزلتُ فى بلدٍ شهدتُ به　　قدس الحجاب ممزّق السِّتْرِ
مشتْ الفضيلة من كواعبه　　مشىَ الذليلِ بربقة الأسرِ
يسرين والأجسادُ عارية　　تُغْرِى بحسن القدّ والقامهْ
فضحتْ معاطفهن أردية　　كحبائل الصيّاد نمّامهْ
وشبابه غاوٍ قصاراه　　عن عيشه لهوٌ وتجميلُ
سلب الأنوثة من عذاراهُ　　ومشى .. عليه العارُ مسدولُ
والحبّ ما أدنى رغائبه　　بين الكؤوس ورنة الوترِ
فإذا الهوى يُرخى ذوائبه　　كان العفاف لبانة الوطرِ
ومشت على حسنى المقادير　　فوقعت فيها كنت أخشاه
عبثت بفتنته القوارير　　وصبابة الشاكى ونجواه
مرق الأثيم قداستى ومضى　　ومضيت أندب حظىَ الكابى
حيرى ! أروم القبر لى عوضاً　　عن خسّة الدنيا وأوصابى
فأبى الترابُ لما يدنّسُهُ　　من لوثة الآثامِ والعارِ
فنزلت .. ما أقذى وأنجسه　　بيت الفجور وعشّ أوزارى !
أفترّ فيه لمن يساومنى　　عرضى .. بما يلهى الطوى شبَعَا
ويدٌ تصافح مَنْ يكلمنى　　ويَدٌ تصون القلب أن يقعا
وردٌ جناه المرءُ من كمِّهْ　　واستافَ منه الرَّوْحَ للقلبِ
حتى إذا اضوّعَ مِن شمّهْ　　ألقاه مبتذلاً على التربِ
ويقال، فى حكم الورى : سقطت ..　　ونعمْ ! ولكنْ مِن خداعكمُ
لولا أذى الإنسان ما حملتْ　　إثمَ الهوى عذراءُ .. ويحكمُ !

محمود حسن اسماعيل



الناس

ما قدَّس المثَلَ الأعلى وجمَّلَهُ   فى أعين الناس إلا أنه حُلُمُ
ولو مشى فيهمُ حيّاً لحطَّمه   قومٌ، وقالوا بخبثٍ «إنه صَنَمُ» !
لا يَعبُدُ النَّاسُ الا كلَّ منعدِمٍ   ممنَّعٍ ، ولمن حاياهمُ العدمُ !
حتى العباقرةُ الأفذاذُ حَيُّهمُ   يلقى الشقاءَ ، وتلقى مجدَها الرِّمَمُ !
الناسُ لا ينصفون الحيَّ بينَهمُ   حتَّى إذا ما تَوارَى عنهم ندموا !
الويلُ للناس من أهوائهم ! أبداً   يمشى الزمان ، وريحُ الشرِّ تحتدم !

الرواية الغريبة

ضحكنا على الماضى البعيد ، وفى غدٍ   ستجعلنا الأيامُ أضحوكةَ الآتى
وتلك هى الدُّنيا : روايةُ ساخرٍ   عظيمٍ ، غريبِ الفنِّ ، مُبْدِعِ آياتِ
يمثلها الأحياءُ فى مَسرحِ الأسى   ووَسْطَ ضباب الهمِّ تمثيلَ أمواتِ
ليشهدَ مِنْ خلفِ الضَّباب فصولها   ويضحكَ مِنْها مَنْ يمثِّلُ ما يأتى !
وكلٌّ يؤدِّى دوره .. وهو ضاحكٌ   على الناس ، مضحوكٌ على دوره العاتى

أيتها الحالمة بين العواصف ..

أنت كالزهرةِ الجميلة فى الغابِ   ولكنْ ما بين شوكٍ ودُودِ
والرياحين تحسب الحسكَ الشرِّيـ   ـرَ والدُّودَ من صنوف الورود

فافهمى الناس . . ، انما الناسُ خلْقٌ … مفسدٌ فى الوجود ، غيرُ رشيد
والسعيدُ السعيدُ من عاش كالليل … غريباً فى أهل هذا الوجود
ودعيهم يحبَوْنَ فى ظلمة الإثمِ … وعيشى فى طهرك المحمود
كالملاك البرىء ، كالوردة البيضاء … كالموجِ فى الخضمِّ البعيد
كأغانى الطيور ، كالشفق الساحر … كالكوكب البعيد السعيد
كثلوج الجبال ، يغمرُها النورُ … وتسمو على غبار الصعيد !



أنت تحت السماء روحٌ جميلٌ … صاغه اللهُ من عبير الورود
وبنو الأرض كالقرود ، وما أضْـ … ـيَعَ عِطرَ الورود بين القرود !
أنت من ريشة الإلهِ ، فلا تُلْـ … ـقِى بفنِّ السما لجهل العبيد
أنت لم تخلقى ليقربَكِ الناسُ … ولكن لتُعْبَدى من بعيد ...



صوت من السماء

فى الليل ناديت الكواكب ساخطاً … متأجِّجَ الآلام والآداب :
« الحقلُ يملكه جبابرةُ الدجى … والروض يسكنه بنو الأرباب »
« والنهر ، للغول المقدّسة التى … لا ترتوى . . والغاب للحطّاب »
« وعرائس الغاب الجميل ، هزيلةٌ … ظمأى لكل جنًى ، وكل شراب »
« ما هذه الدنيا الكريهة ؟ ويلها ! … حقَّتْ عليها لعنة الأحقاب ! »
« الكونُ مُصْغٍ ، يا كواكبُ ، خاشعٌ … طال انتظارى ، فانطقى بجواب ! »



فسمعتُ صوتاً ساحراً ، متموِّجاً … فوق المروج الفيحِ والأعشاب
وحفيفَ أجنحةٍ ترفرف فى الفضا … وصدًى يرنُّ على سكون الغاب :
« الفجرُ يولَدُ باسماً ، مُتَهلِّلاً … فى الكونِ ، بين دجنّةٍ وضباب »

أبو القاسم الشابى

فلا تبتئس !

إذا حلّ هـذا الوجودَ وليدٌ فجاد على نورها بالبكاءْ
وأبصرتَ أهليـه فى غبطةٍ لديها نسوا ما مضى من شقاءْ
وأعياك ردّ الجواب على سؤاليك : كيف ؟ ومن أين جاءْ ؟
فلا تبتئسْ !

* * *

وإن لفح العـدمُ حال الـكريم فمزّق اطماره الباليـهْ
وشاهدتَ بالقرب منـه لئيماً تنفّـذ ما يرغب الحاشـيهْ
وقصّرتَ عن فهم هـذا القضاء وغاية أحكامه القاسـيهْ
فلا تبتئسْ !

* * *

وإن لامسَ الموتُ قلب امرىء فأدّت له النبضاتُ الخضوعْ
وعاينتَ أحبـابه حوله — وقد جمعوا — يذرفون الدموعْ
وحِرتَ بأمر الحِمام الغريبِ ولم تدرِ ما بعد هـذا الهجوعْ
فلا تبتئسْ !

* * *

طلاسمُ كم حيرتْ عالماً ثقيفاً ، وأبدت كلالَ حجاهْ
طلاسمُ تهزا بما يحـدث الظنُّ ، فيهـا تغلغـل سرُّ الحياهْ
طلاسمُ سوف تفضّ مغاليقها ، حـين تمسى الـهْ
فلا تبتئسْ !

عاصمة الجمهورية الفضية : الياس قنصل

عدل الظلم...

شكاتك أن تبصر العدل ظلما   وشكواى أن أبصر الظلم عدلا
شؤون الحياة سواءٌ ولكن   دعتها التقاليد غُلاً وحلا

* * *

أتلك دموعٌ ؟! أذاك ابتسامٌ ؟!   أهذا عزيزٌ ؟! أذاك ذليلٌ ؟!
وما سال دمعٌ لغير جفافٍ   وما جفَّ دمعٌ لغير مسيلٍ !

* * *

حياتك منها استمدّ الهلاك   ودنياك فيها ترى الآخرة
ولولا حياةٌ لما كان موتٌ   لقد سعدت أعينٌ باصرة

* * *

وفقرٌ غنىٍّ ثراءُ فقيرٍ   فمن ذاك هذا استمدَّ الحياة
ودنياك بحرٌ اذا ما علا   تحدّر للمطمئنّ المياه

* * *

وما هدم الدهر إلا ليبنى   وما شيّد الدهر إلا هدم
فوفّر دموعك فى النائبات   لقد عدل الدهر لمّا ظلم !

طاهر محمد أبو فاشا





ابن حمديس يرثي جاريته

قال الشاعر الوجداني الوصّاف ابن حمديس يرثي جاريةً له ماتت غريقة في المركب الذي عطب به في خروجه من الأندلس الى افريقيَّة ، وكان يحبّ هذه الجارية حبّاً جمّاً ، فأوحت لوعتُه على فقدها هـذه اليتيمةَ بين نفائس شعر الرثاء

أيا رشاقةَ غُصنِ البانِ ما هصرَكْ ؟ ... ويا تألُّفَ نظمِ الشملِ مَنْ نثرَكْ ؟
ويا شؤوني ، وشأني كلُّهُ حزَنٌ ... فُضّي يواقيتَ دمعي واحبسي دُرَرَكْ !
ما خِلْتُ قلبي وتبريحي يقلّبهُ ... الا جَناحَ قَطاةٍ في اعتقالِ شرَكْ !
لا صبرَ عنكِ ، وكيف الصّبْرُ عنك وقد ... طواكِ عن عيْنِيَ الموجُ الذي نشرَكْ ؟!
هَلاَّ ، وروضةُ ذاك الحسنِ ناضرةٌ ... لا تلحظُ العينُ فيها ذابلاً زهرَكْ
أماتكِ البحْرُ ذو التيارِ مِنْ حَسدٍ ... لمّا درى الدُّرُّ منه حاسداً ثغرَكْ ؟!
وَقَعْتُ في الدَّمعِ إذْ أغرقتُ في لُججٍ ... قد كاد يَغمرني منه الذي غمرَكْ !
أيُّ الثلاثةِ أبكي فَقْدَهُ بدَمٍ ... عميمَ خلْقِكِ أم مَعناكِ أم صِغرَكْ ؟
مِنْ أين يقبح أن أفني عليكِ أسىً ... والحُسْنُ في كلِّ فنٍّ يقتفي أثرَكْ ؟
كنتِ الشبيبةَ إذ ولَّتْ ولا عِوَضٌ ... منها ولو رَبحَ الدُّنيا الذي خسرَكْ
ما كنتُ عنكِ مُطيلاً بالهوى سفري ... وقد أطَلْتِ لحَيْني في البلَى سفرَكْ
هل واصلي منكِ الاَّ طيفُ مَيّتةٍ ... تُهْدي لعينيَ مِنْ ذاكِ السكونِ حرَكْ ؟
أعانقُ القبرَ شوقاً وهو مشتملٌ ... عليكِ لو كنتُ فيهِ طالما خبرَكْ

وددتُ يا نورَ عيني لو وَقَى بصرى
جنادلاً وتراباً لاصقاً لشرَكْ!

أقول للبحرِ إذْ أغشيتُه نظرى :
ما كدَّر العيشَ إلا شُربُها كدرَكْ!

هلاَّ كففتَ أُجاجاً منكَ عن أشرٍ
مِن ثغرٍ لمياءَ لولا ضعفها أشرَكْ؟

هلاَّ نظرتَ إلى تفتيرِ مُقْلتِها؟
إنى لأعجبُ منه كيف ما سحرَكْ!

يا وجهَ جوهرة المحجوب عن بَصرى
مَنْ ذا يَقيكَ كسوفاً قد علا قمرَكْ؟

ياجسمَها كيف أخلو مِنْ جَوَى حَزَنى
وأنتَ خالٍ مِنَ الرُّوح الذى عمرَكْ؟

لِيلى! أطالَكَ بالأحزانِ مُعْتقةً
علىَّ مَنْ كانَ بالأفراح قد قصرَكْ

ما أغفلَ النائمَ المرموسَ فى جَدَثٍ
عمَّا يُلاقى من التبريح مَنْ سَهِرَكْ!

يا دولةَ الوصلِ إنْ وَلَّيتِ عن بَصرى
فالقلبُ يقرا فى صُحُفِ الأسى سهرَكْ

لئن وجدتُكِ عنِّى غيرَ نابيةٍ
فإنَّ نفسىَ منها رَبُّها فطرَكْ

إنْ كان أسلمكِ المضطرُّ عن قدَرٍ
فلم يَخُنْكِ على حالٍ ولا غدرَكْ

هل كان الاَّ غريقاً رافعاً يَدَهُ
نَهاهُ عن شُرْب كأسٍ مَنْ بها أمرَكْ؟

وارحمتا لوَلوعٍ بالبكاء فما
يُنسيهِ ذكرَكِ دَمْعٌ بالهوَى ذكرَكْ

أما عَدَاكِ حِمامٌ عن زيارته
فكيف أطمعَ فيك النفسَ وانتظرَكْ؟

إنْ كان للدَّمعِ فى أرجاء وجنتهِ
تَبرُّحٌ فهو يبكى بالأسى خفرَكْ

وما نجوتُ بنفسى عنك راغبةً
وإنَّما مَدُّ عمرى قاصرٌ عمرَكْ



بين الحياتين

قلتُ والقول مُتعتى وثرائى
وطماحى بغُنيتى وضرارى

للذى أرتجيه وهو مع الغيبِ (م) خليقٌ بنعمةِ الأبرارِ

إذ قطعتُ الشبابَ ساحةَ فقرٍ من حبيبٍ أبثُّه أسراري :
بتّ لا أرتجي سواء شعوري صاحباً لي أبيحه إكباري
كم ترى من أخٍ أنالكَ حُبّاً وهو في الرزء إن هفا بك زارِ
أصبح الغدرُ والتلوّنُ طبعاً لا تفيه طبيعةُ الأعذارِ
إن أتى في الثراء فهو طرير أو مع الفقر لاح في اطمارِ
أعتم اللؤمُ والتظنّي حياني واشتفى الظلم هاتكاً أستاري
ما حياةُ الفتى يبيتُ على الذل (م) ويرضى ولاية الأغرارِ ؟

* * *

سكرةُ الموت راحةٌ لمُساقٍ خانه الجهدُ بعد طول سِفارِ
يوم يأتي المنون لا يتأنى في دعائي ، واذْ يحين سِراري
فلتودع أخاك أيَّ وداع بين رجع الدفوف والأوتارِ !
ولتغنّ القيان حين أسجَّى ثم إمّا مضت رقصن عواري
وابن فتياك أن يكون غسولي من خمور ، وغاسلي خمّاري !
وإذا ما احتُمِلتُ فامش طروباً ضاحكاً ، تبعثُ السرور جواري
حسبيَ الهمّ والأسى بحياتي لا يكن صاحبي بدار قراري
إنّ بؤساً فررتُ منه بموتٍ أوجع الموت ، هل يفيد فراري ؟
رُبَّ قبرٍ كأن فيه من الخلد (م) جمالَ الغرامِ والأشعارِ !

* * *

وادعُ لي مطرباً يغني ليالي مأتمي ، لا يكن وربك قاري !
ضقتُ والله بالفقيه تمطّى وابتدا مخطه بكل وقارِ ... !
أحفظَ الناس بالجُشاء وبالبصق ، وطولِ السُّعال والاقتارِ !
وهو يفتنُّ في التنطع حتى لكأني به رسول عوارِ
خلتُ بالآي وهو يأكل منه حين يتلو : علامة الانكارِ

خلتُه واجداً يصيح ويفضى : يلد الذكر ، أو يئن بطارى !
أي ذنب أتى الصحاب فيؤذ يهم ، وطوراً يحثهم لنِفارِ ؟!

* * *

واجلُ كأس الطّلا لكل مُعزّ من رفيق وعترتى وجوارى
لا تخف قط ما اجترحت حراماً فى رجاء بربك الغفارِ
أرصد العفوَ للمسىء فما لى أوثر النأى عن ذوى الأوزارِ؟
ربّما أمعن القضاء فما تغنى (م) تُقاتى ولا يصيب حِذارى
أنا لمّا أذقْ شمول حياتى فى ارتقاب الشمول بالأنهارِ
ليت شعرى أبِعتُ بعض نعيمى بادخار النعيم ، أم أنا شارى ؟!

* * *

واغرسْ الروضَ فاتناً ومُجَلّى فوق قبرى بناعم الأزهارِ
يغتدى مشرقاً لفعل الغوانى وانتهاباً لصادح الأطيارِ
علّنى شقت مَن أحب فانى بعد موتى أسوقه للقفارِ !
فهو لى الفأل إن دُعيتُ لحُسْنَى وهو حسبى إذا مضيتُ لنارِ !

* * *

كنتُ عبدَ الحياة يصرفنى العيشُ بليلى لشأنه ونهارى
كنتُ فى الأسر من قضائى ونفسى كل مسعاىَ أن يُفَكّ اسارى
وانقضت « مدةُ » السجين عليه كيف لا يحتفى بيوم نجارِ ؟!
يوم لا ظلم يحتويه ولا تعس (م) بدارٍ هناك أية دارِ
يوم لا نذل يلتقيه بوجهٍ ينسكب اللؤم فوق تل بوارِ
أو رئيساً يسومه ألم الرّقّ (م) غليظاً مُسوّماً بشنارِ
أو رقيعاً مُداوراً حَسَبَ الأجدى (م) ورعْىَ الحياء خَلّة عارِ !

* * *

انْ يوماً أراح من نكد الدنيا (م) به والأمي ليومُ نخارى
مَنْ صديقٌ كميت يتلهى في نعيم وميّت بخسارِ ؟ !
ليس يؤذيك في الرجاء وفي اليأس زعيماً بشأنه المتوارى
نعمة القبر أن يقيل شجياً مِن دعىّ وسفلةٍ ومُمارى !

* * *

لستُ أدرى إذنْ : مُنيتُ بنفسى أم حُبيتُ المُنَى بثوب عِثارِ ؟
لا ترى الضيمَ غير عجزٍ مقيمٍ يرتضى الضيمَ يقتضيه بثارِ
فاسقِنى الموتَ بالإباء مريراً إن هذا الإباء باتَ شعارى
واذكر البؤس والتحرق والشّجوَ (م) لصحبي ، فانها تذكارى !
فارتْ النفس عزةً فأنلني عن هَنَا الرّقِّ شقوة الأحرار

محمد زكى ابراهيم

حديقة الجار

حديقةَ الجارِ ما لى فيك من طمعٍ إلا كما يطمعُ الأطفالُ في النارِ
أراكِ أبعدَ ما أصبحتِ من أملى وإنْ غدوتِ قريبَ الدارِ من دارى
تحويكِ قبضةُ جبَّارٍ وواأسفى على الأزاهرِ تحوى كفُّ جبَّارِ
لو استطاعَ لعشتِ العمرَ مضمرةً فما درى بك في هذا الورى دارى
ولو تمكن ما مرّتْ عليك صَبَا كى لا يمسّ سراها عطرك السارى
فما يشمُّك يوماً غيرَه أحدٌ ولا تراكِ سواه عينُ نظّارِ
بنى عليكِ بسورٍ من فظاظتهِ ومن تقاليد أعيتْ كلَّ سوّارِ
ويلٌ له! ماهذا الحبس قدخُلِقتْ حُلى الطبيعة من زهرٍ ونوّارِ
يا للحدائق تحويها وتملكها هذى النواطيرُ من ناسٍ وأحجارِ

واهاً هناك على الرمّان مزدهراً شفّ الطياب ولم يظفر بمشتار
وللورود على الأغصان أذبلها سوءُ الجوار الذى تلقى من الجار
دعوا الأزاهرَ للزهّار يحرزها فالزهرُ يذبلُ الاّ عند زهّار
الارضُ لولا شذى الازهار لاحترقت بالناس تحملهم فى صدرها الوارى

* * *

ضلّت مساحةُ روحى عن سرائرها فيا لروحىَ كم تشقى بأسرارى !

محمود أبو الوفا



ساعة حب

يا مليكَ الحسن عزّت دولتُك ورعت آلهةُ الحب صباك
شِرعةُ الإسعادِ فينا شِرعتُك وهُدَى الاشفاق والعطف هُداك
أنت أنقذتَ فؤادى من جَواه وسقيتَ الروحَ أكواب الصفاء
آنَ أنْ ينسى فؤادى ما شجاه نَسخَ الاقبالُ أيامَ الشقاء

* * *

ساعةٌ مرّت وفى القلب هواك ساحر النَّغمةِ خفّاق الجناح
يرشُفُ اللّثمةَ فى كأس لَماك فى ظلال الأنس والصفو المتاح
سكبت نجواك فى الرُّوح الأمان وأرانى الوصلُ أسرارَ جمالك
فتمثلتُ فراديسَ الجنان ورأيتُ الخلدَ منضورَ وصالك

* * *

وقفَ النجمُ وألقى بالَهُ ... ليعُدَّ اللَّمحَ من قلبي وقلبكْ
وَيْحَ هذا النجم مما هالَهُ ... في ضمير الليل من حبي وحُبِّكْ!
غارت الأنجمُ من قلبي الطروبْ ... ما يقول الناسُ لوشامُوا غرامي؟!
أنا بالأفنان فَتَّاكٌ لَعُوبْ ... يزدهيني الغَيُّ في تِيهِ هُيامي!

* * *

شُبهةٌ في قلبك البِكْرِ يلُوحْ ... طَيفُها المرتابُ في إنسانِ عَينِكْ
أنا يا مولايَ لو تعلمُ رُوحْ ... يهصِرُ المطلولَ من مائِدِ غصنِكْ
تنظُرُ الساعةَ من حينٍ لحينْ ... ليت شعري ما الذي يستعجلُكْ؟!
إنّ هذا الوصلَ أحلامُ سنينْ ... فاتّقِ الحبَّ ودعْ ما يشغلُكْ!

زكي مبارك

الحب القاسي

عقدتْ لساني ان أبثّك لوعتي ... ذكرى بها مُلِئ الفؤادُ ضراما
ورأيت في الآفاق ثغرك باسماً ... فهويتُ باسمك أعبدُ الأوهاما
ربّاه ما أقسى الغرام شريعة ... وأضلّ عبّاد الهوى أحلاما!
أصليت نار الوجنتين بقبلتي ... قلبي الكليم فما وجدتُ سلاما

النجف الأشرف: ضياء الدين الدخيلي

الساحرة

أيُّ لحنٍ أبديّ ... هامَ في أمواجِ صوتكْ!
أيُّ سرٍّ عبقريّ ... نامَ في أحضانِ صمتِكْ!

غـيِّرى ألحانىَ الأولى وأوزانـَ حيـاتى
حطِّمى ما ليسَ فى نفسىَ حُـرَّ النَّغماتِ!

* * *

أىُّ فجْـرٍ مَلَـكىّ يغمرُ العَـالَمَ منـكِ!
أىُّ شعرٍ باتَ يرويهِ الصَّدَى للقلبِ عنكِ!
جَدِّدِينى لخيـالى نَغَمٌ فى ناىِ ربِّى
إنْ هفا لحْنىَ حيناً سئمتْ رُوحىَ قُرْبِى!

* * *

أَنشدينى هنا ، فربَّةُ أشعارى ، أنفاسُها تتجلَّى
جدِّدى لى المُـنَى ، فجَـنَّةُ أحلامى ، أغصانها تتحلَّى

* * *

أشعرُ الآن فى كِيانىَ حَرْباً بين رُوحى وبين جسمى وعقـلى
كوَّنَتْـهُ الحياةُ من شهَواتٍ وهدوءٍ ، وثورةٍ ، وتَجَـلِّى

* * *

فاغمرينى بفجرِ حُبِّكِ تستيقظُ رُوحى على صباحٍ مُـقَـدَّسْ
أنقلينى من المَوَاتِ فقد طال حنينى لعالَمٍ يتنفَّسْ

* * *

غـيِّرينى وحَـوِّلـينىَ ذاتاً تستطيعُ الخلاصَ من كلِّ قيْدِ
يصدأُ السيفُ فى السلام ويجلو فى النـضال الشديد من دون غمْدِ

* * *

أنشدينى هنا ، فظُـلْـمةُ آلامى ، أشباحُها تتبدَّدْ
جدِّدى لى المُـنى ، فجَنَّةُ أحلامى ، أزهارُها تتورَّدْ

حسن كامل الصيرفى

على رمس الهوى

أترانى كنتُ مجنوناً فتابا ؟ أم ترانى عاقلاً ضلّ الصوابا ؟
بتُّ لا أهوى كأنى شُعلةٌ فاستحالت . . . وكأنّ القلب ذابا
رقص القلبُ على رمس الهوى ساعة استودعَ بلواه الترابا
مُشفقاً من عودة الروح لها بعد أنْ ضاقت بها الدنيا رحابا

***

قلت : يا قلبي انتصفْ لى مرةً طالما جُرتَ فجوزيتَ العتابا
وتواطأتَ مع الحب على هدم آويكَ فلاقيتَ العذابا
لم تكن لى أمس . . بل كنت له فأذِقْهُ بعض ما ذقناه صابا !

***

وعلى رمسكِ يا هاجرتى كل ما أشرقَ فى دنياكِ غابا
لم أكن إلا صغيراً حَدَثاً علّمتْه عينُكِ الحبَّ فشابا
خدعَتْنا منك أحلامُ الهوى فارتضينا الذلّ إذْ كنّا شبابا !

صالح جودت

نشيد الصمت

على شفتيك همومُ الحياةِ تُطِلُّ ونارُ الأسَى تضطرمْ
وروحُك تهمِسُ فى لَوْعةٍ وتشكو الاسارَ وبرحَ الالمْ
أُصيخُ إلى همْسها فى ذُهولٍ كمُستيقظٍ غارقٍ فى حُلُمْ
وفى ضجةِ الصمت صُغْتُ النشيدَ لهذا السَّنى عبقرىَّ النغمْ
أُطِلُّ فألمحُ فى رُوحِهِ ضجيجَ الحياةِ وصمتَ العدمْ
وأقبسُ منه شعاعَ اليقينِ وألمسُ فيه الهُدَى مِنْ أمَمْ

أحمد مخيمر

فما الحب ؟!

ضَلَّ مَن يزعم أنى إلْفُه قد قضى الشوقُ اليه وعفى
وانتهى الحبُّ ، فما الحبُّ سوى ضلة المرء إذا المرءُ غفى !

* * *

أيها السَّادرُ فى عَليائه نَحِّ عنى اللومَ فالشوقُ خَبا
واستراح القلبُ من أشجانه وقضى المكتوبُ فى عهدِ الصبا

* * *

بعثتُه القلبَ فلما مَلَكا ضلَّ فى الأمر ضلالاً عجبَا
ظنَّ ما بالقلبَ لا يخبو بهِ فتمادَى ، فاستشفَّ الحُجُبَا

* * *

روَّعَتْهُ فتباكى أوْ بَكى ! ليتَ شِعرِى ليس يجديكَ البُكا
نفذَ المحتومُ منْ أحكامها لنْ أثيرَ الدَّمْعَ إنْ قلبي شكا

* * *

وَيْحَ نفسى كيفَ ضلَّت أمرَهُ ؟ وَحَياتى كيْفَ كانت ظِلَّهُ ؟ !
كلُّ شىءٍ كانَ منه ولهُ ! ليت شِعرى فى الهوَى ما ضلَّهُ ؟؟

* * *

لم يَكنْ شيئًا فريداً حُسنُه انما كانَ بعينَىَّ المَلكْ !
أيها الفاتنُ قلبى زَيفُهُ وَضَحَ الزَّيفُ لقلبِ مَلكَكْ !

* * *

نَحِّ عنى الزَّيفَ فالحبُّ انتهى وذنوبُ الأمس لمَّا تنمَحِ !
لم أكنْ يوماً ظلُوماً أبداً انما الظالمُ مَنْ لم يَسْتَحِ !

* * *

ليتَ نفسى حينَ ضحَّتْ مُلكها لم يَرُعْها من سجاياك الخداعْ !

كنت فى الحبِّ خيالى العُذرىّ فمحا الحبُّ أضاليلَ القِناعْ !

* * *

أيها المفتونُ باللوم الغَبىِّ يَهْنيكَ اللوْمُ وأوشابُ الرِّعاعْ !
خلِّ هذا اللوْمَ والدنيا معاً يُغنياكَ اليومَ عنْ حُرِّ الطِّباعْ !

محمود احمد البطاح

فى الفستان الأصفر

برزتْ فى مئزرها الأصفرْ كشهاب الصبح وقد أسفرْ
كالدرةِ ، بل منها أسنى كالزهرةِ ، بل منها أنضرْ
سنحتْ فى الشارع مارحةً فى الخزِّ كما سنحَ الجؤذرْ
بدراً يتلألأ فى شفقٍ وملاكاً يرفل فى مئزرْ
صلَّى ذو اللهو لها عجباً والناسكُ سبَّحَ أو كبَّرْ
والعاشقُ طالعَ فى دهَشٍ لجلالِ الموقف والمنظرْ
والحبُّ يلحِّن أغنيةً والقلبُ يوقِّع كالمزهرْ !

* * *

خطرتْ برشاقةِ ذى هيفٍ ما الغصنُ لديه وما الأسمرْ ؟!
مُلِئت للعين محاسنُه بهراً ، وتَناسبُها أبهرْ
لصق الفستانُ به فغدا كخضابٍ فى البدنِ الأزهرْ
فتخال طلاءً من ذهبٍ يعلو تمثالا مِنْ مَرمرْ !

* * *

حيَّتْ بتحية ذى غنجٍ نفحت نفحَ الوردِ الأعطرْ
بفمٍ - يا حسن لآلئهِ - يفترُّ الكونُ إذا يفترْ
يتمنى العاشقُ لو يَفنى سُكراً مِنْ باردهِ السكَّرْ
فيبلّ بلثمٍ منضّده قلباً يتلهَّبُ كالمجمرْ

سنقافورة: صى . ح . العلوى



الربّات الراقصات

يحيّين أبناء (رَعْ)

رَقَصْنَ ، ورقصةُ الربّاتِ مَعنًى مِنَ الالهامِ يجهلُه التمنّي
تَثَنَّيْنَ انسياباً واجتذاباً فأنطقْنَ التجاذبَ والتَّثنّي
وغنَّينَ الحياةَ جديدَ لحنٍ فصيّرنَ الحياةَ جديدَ لَحْنِ
وقد ركع الالَهُ (خنومُ) عبداً يطبّل والجمالُ له يُغنّي
تَراهُ شبيهَ مذهولٍ قريرٍ على ظنٍّ يداعبُه وظنّ
ونافخةٍ بمزمارٍ عجيبٍ يبزّ عجائبَ الوتَرِ المرنّ
فتُخلَقُ منه موسيقى خيالٍ وأخرى للخوالج قبلَ اُذْنِ
لبسْنَ من الثيابِ فُنونَ وهْمٍ فكلٌّ جسمُها أحلامُ فنّ
شُكول اللَّونِ كالشفقِ المرجَّى وكم علقَ الرجاءُ ببعضِ لونِ
وأمواجُ الحياة بهنّ نشوى كأمواجِ الصباحِ المطمئنّ
سريعاتُ التجاوُبِ للأغاني وفتنتهنّ تجعلهُ التأنّي
وهذى العُمْدُ والأصباغُ فيها تُشارفُها بروحٍ قبلَ عينِ
وهذى الأرضُ مَلمسُها خِداعٌ كلمس الحبِّ أو لمسِ التجنّي
تنكّر حسنهنَّ وكم إلَهٍ تنكّر مثلهنَّ بكلِّ حسنِ
وهبْنَ (رَعاً) قداستهنَّ لمّا سحرنَ بنيهِ بالرقصِ المغنّي !

أحمد زكي أبو شادي



القمر

لحسين عفيف

أخيالُ حالمٍ ضوءك هذا يا قمر ؟ ! فيمَ يسبح تفكيرُك وبمَ يا ترى تهمس بك أحلامك ؟ ! دَعتُكَ ، شحوبك ، ابتسامتك ، إغراقك ، كل هذا يوحي الىَّ يا قمر بأنك حالمٌ . أيا تُرى غيَّبكَ الذى غيَّبنى فهمتَ وراء الغيب واستحالت حياتك نوماً واحساساتك أحلاماً ؟ !

كأنى بضوئك الباهت طيفٌ بعثتَ به من هواجس أحلامك بعد أن غيَّب الوسنُ نورَ عيونك ! وكأنى بلونك الممعن فى الاغراق تثاؤب الأمل المنبثق كالفجر من غضون خيالك !

أيها القمر ! هلمَّ أذِبْنى فى ضوئك كى أسبح معك فى واديك وامزج هذيانى بهذيانك ! بى من الهوى يا قمر حنينٌ الى الغيب ، وبوعيى منه نزوعٌ للغياب ، فلأَنسَ دنياى اطلاقاً ولأُضعْ رشدى بتاتاً كى يستحيل وجودى وهماً وشعورى إلهاماً ! وليكنْ فى سمائك مكانى ! وليكن مِنْ سناكَ خيالى ! فانما يعيش مثلك فى الغيب يا قمر مَنْ غيَّب قلبَه الهوى .

« • »

(هذه القصيدة النثرية للشاعر الوجدانى حسين عفيف نموذج شائق لشعره المنثور فى كتابه « مناجاة » الذى تناوله بالنقد الشاعر الصيرفى فى العدد الماضى من « أبولو » . وقد أردنا بنشرها ، الى جانب التنويه بفضل الشاعر ، توجيه الأنظار الى أنّ الشعر المنثور الجيد له قيمته الفنية . وفى الواقع انّ الروح الشعرية جوهرٌ مستقلٌ وسواء أودِعَتْ فى النثر أم فى النظم فقيمتها على هذا الاعتبار واحدةٌ . وليس نظم هذا الشعر المنثور بما يزيده قيمةً من الناحية الشعرية وانما قد يزيده قيمة من

الناحية الموسيقية ، وبعبارة أخرى أن الشعر المنظوم يمثل فنين : الشعر والموسيقى ، والجمع بين الفنين قد يضاعف التأثير . ولكن حذف العنصر الموسيقى لا يُسقط من قيمة الشعر وإنْ أضعفَ أحياناً مِنْ مَبلغ التأثير فى نفس القارىء ، نظراً للاقتصار على فنٍّ واحد بدل فنّين فى التعبير ، وإن كنّا نرى أن للنثر الشعرى موسيقى رائعة خاصة به . وربّما تناولنا هذا الموضوع بالنقد فى عددٍ آتٍ) .



فى ظلام الأسر

طائرٌ فى قفصٍ من ذهبٍ ذو شجاً كالفردِ المنتحِبِ
رسم السلكُ عليه وَهَجاً كبروقٍ فى ثنايا السُّحُبِ



عامر محمد بحيرى

لم يزل يخطفُ منها خطفةً كلُّ مَنْ مَرَّ به عن كَثَبِ

باسماً وهو لهُ مُنقبِضٌ ذو جناحٍ خلِجٍ مضطربِ

« • »

مرَّ طفلان عليه غدوةً فأحبَّا أنْ يُغنى لهما
سألاه ذاك رفقاً فأبى وأشاح الوجه يخفى ألما
حسباهُ معرضاً مستحقراً وهما من صغرٍ ما علما
فرماهُ كلُّ غِرٍّ حجراً حرمة الدار عليه اقتحما

« • »

صرخ الطائرُ : هل من رحمةٍ أيها الأغرارُ شرَّ الحدَثِ ؟
فأجاباه بجدٍّ منهما ومن الجد صريحُ العبَثِ :
لا تلمنا نحن نبغى طرَباً فاذا خالفتنا لم تُنعَثِ !
فتخيَّرْ : أغناءُ القفصِ هو أجدى أم فناءُ الجدَثِ ؟

« • »

تركاه لفناءٍ أو بقا رهناه بحياة أو ردَى !
كيف يختارُ ؟ وكيف احتكما فيه ؟ أم كيف من الشر النَّجا ؟
ذلك الحبس يعانيه ، وهل يجد المحبوس للشدو هوى ؟
وهناك الموتُ إن لم يأتمر ومن الموت عذابٌ وضنى !

« • »

أنا ذاك الطائرُ الملقى به فى ظلامِ الأمر منذُ الصِّغرِ !
قد رمانى الدهرُ عن أحداثه فى الليالى السودِ أو فى النُّهُرِ (١)
أرغمتنى أن أُغنِّى ورمَتْ قُلتى من ظلمها بالحجَرِ !
سوف أبكى ثم يبكينى إذا ما لقيتُ الموتَ نجمُ السَّحرِ !

عامر محمد بحيرى

---

(١) نهر : جمع نهار .

وردتي الحمراء

وَوَردةٍ قَدْ نمتْ في روضةٍ جمعتْ كلَّ الزهورِ وأنواعَ الرياحينِ
في الليلِ يُؤنِسها مَرُّ النسيمِ وفي قلبِ النهارِ تغاريدُ الحساسينِ
وقفتُ أرمقُها والنفسُ تدفعني الى جناها وعقلي عنه يُثنيني
وكدتُ أتركُها وسطَ الرياضِ ولـ كنَّ الجمالَ كأحبالِ الشياطينِ
فجرَّني نحوَها إشراقُها وبلا ريبٍ فإنيَ مِنْ ماءٍ ومن طينِ
سلمتُ نفسي لتيَّارِ الهوى وَلَقَدْ خرجتُ عن سُبلِ الآدابِ والدينِ
ما إنْ مَدَدْتُ يدي حتى سمعتُ على قربٍ من الروضِ إنساناً يُناديني
فقالَ : لا تلمسِ الأزهارَ ! قلتُ وفي قلبي هيامٌ الى الأزهار يُدْنيني :
ما جئتُ أقطفُ الاَّ وردةً سلبتْ لُبي ولستُ بمحتاجٍ لِتزيينِ
تَلَوَّنتْ من دمي بتلاتُها وغدتْ تفوحُ من نَفَسي عطراً فتحييني
إنْ هبَّتِ الريحُ أحميها وإن طلبتْ قلبي أقدِّمُهُ مثلَ القرابينِ
فلا تزولُ من الدنيا برونقها حتى يُخلدَها شعري وتلحيني
فقالَ : مَنْ أنتَ يا هذا ؟ فقلتُ: أنا يا صاحبي شاعرٌ في ثوبِ مسكينِ
أهوى الجمالَ وما حُبُّ الجمالِ سوى سرٍ له خضعتْ كلُّ السلاطينِ
مَرآهُ يجعلني من سحرهِ ثَمِلاً كأنني شاربٌ خمرَ الدَّواوينِ
فقالَ : لا تقتربْ من وردتي أبداً هذي تَليقُ بأربابِ الملايينِ !

« • »

وبعدَ يومينِ جئتُ الروضَ مستتراً وقد ظهرتُ بأزياءِ الاساطين
فلمْ أجدْ وردتي الحمراءَ فيهِ ولَمْ أنظر سوى بلبلٍ قدْ كاد يُبكيني
تغيَّبتْ عنهُ مُذْ يومٍ رفيقتهُ فتاةً مُستنجداً بالبانِ والتين
يَشدو مِنَ الوَجدِ أنغاماً تُرَدِّدُها أصداءُ نفسي فتشجوها وتُشجيني

يَشْكُو الى الزهر طوراً مُرَّ وحدتِهِ ... وتارَةً يَختفى بينَ الأفانينِ

« ٥ »

فعدتُ مضطربَ الأفكارِ لا أملٌ ... لى فى الحياةِ ولا شىءٌ يُعَزِّينى

مَرَرْتُ قربَ غنىٍّ ساءَ مَنظرُهُ ... لهُ لحاظٌ كألحاظِ « السعادينِ »

رأيتُ فى يدِهِ بعضَ الزهورِ ومنـ ... ـها وردةٌ حَنِيَتْ نحوى تُحَيِّينى

عرفتُها ، رغمَ تغييرٍ ألمَّ بهَا ... كأنّهَا لمْ تكنْ بنتَ البساتينِ

تبعتُهُ وبوُدِّى انْ أفوزَ بها ... إن كان بالعنفِ أو إنْ كانَ باللينِ

وكدتُ أنجحُ لولا أنّهَا سقطتْ ... كأنمَا عنقُهَا قُصَّتْ بسكينِ

جمعتُ أجزاءَها من بعدِ أن وُطِئتْ ... ورحتُ أبكى المنى بلْ رحتُ أبكينى

ذرفتُ دمعى على تلكَ الرُّفاتِ أسًى ... والدمعُ فى شرعِى أوفى التآبينِ

ولمْ يَزَلْ أملى بالاجتماعِ بهَا ... فى عالمِ الحقِّ ـ فى الأُخرى ـ يُؤَسِّينى

لبنان : اديب سركيس



عند الشاطىء

(١) الاصل لابى شادى

مَرِحْنَ والماءُ أيضاً ... فى نَشوةٍ مِنْ مِرَاحْ

عَرَفْنَ للحُسْنِ فَرْضاً ... إحسانهنَّ المُبَاحْ

فكان فى الماءِ عَوْمى ... تجديدَ فانى الحياهْ

والماءُ يُغرِقُ هَمِّى ... إذا حُرِمْتُ الشِّفاهْ

قد ذاب فيه الحَنانُ ... ومُستَطابُ الضّياءْ

فشاقَ مِنهُ البَيانُ وراقَ فيهِ الرَّجاءْ !
وقُلتُ للصَّحْبِ : « هذا شِعْرٌ لِلُبِّي ونَفسِي
لا تَسألوني لماذا إحساسُكُمْ غيرُ حِسِّي
فكلُّ رُوحٍ أصابتْ مِنْ أُنسِها ما تَرَاهْ
فإنْ سَلَتْ ما استطاعتْ مِنْ قَبْلُ وَلّى سَنَاهْ !
و(الشِّعرُ) عندي الشعورُ وعَطْفُ هذي (الطبيعه)
وفي التَّفاني الحُبورُ ومُلْكُ نَفسِي الوَدِيعهْ ! »

(٢) الترجمة الانجليزية للأديب الفلسطيني هاني قبطي

AT THE SHORE

In spirits high they rolled along;
The sea, too, merry with the throng.
Their beauty fair they deemed must be
A cause for their joviality.
Then, as I swam, I too began
To feel the life long passed and gone.
My grief was drowned beneath the sea:
Grief from the lips denied me.
Affection in it was dissolved;
And hope appeared to be resolved.
For this will surely me condole;
'Tis Poetry to my heart and soul.
So do not ask me this, my friends:
Why your own feeling mine contends;
Since every soul receives of joy
What it beleives it would enjoy;
And once forgot what once held dear,
The object, charming tho', looks drear.
And Verse to me is but a sense
To Nature's sympathy, immense.
In this compound lies joy: I call
The kingdom of my modest soul,

« ٥ »

(نقلنا هذه القصيدة وترجمتها عن ديوان « الشفق الباكى » لمناسبة ما نشرناه فى افتتاحية هذا العدد عن ترجمة الشعر الحديث ، وهو موضوعٌ له أهميته ، ويودّنا أن لا يكون الاهتمام بالترجمة مقصوراً على الشعر وحده بل يشمل روائع أدبنا العصرى على اختلاف ضُروبه ، فقد طال تغافُلنا عن التعريف بأدبنا للأُمم الغربية وساعدنا بذلك التغافل على إصغار مكانتنا الأدبية. وقد تناول الشاعرُ الناقدُ محمود أحمد البطاح فى حديث له مع الشاعر الهندى المشهور السير محمد إقبال هـذه المسألة الخطيرة وأشار اليها فى دراسته المنشورة فى ديوان « الينبوع ») .



العود

شيخ المعازف طول عمـره أعصابه من فوق نحرهْ
يبـكى فيصمتُ فجأةً فكأنَّ حشرجةً بصدرهْ
ويظـلّ طـوراً نائحاً فتظنـه يبـكى بسخْـرهْ
وعلى كلا الحـالين يرعش ... يا أسى لغريب أمرهْ !
أمريض حمّى نافضٍ (١) أم واصف ضربانَ دَهرهْ
أم ريشة العوّاد آذته فبـدَّدَ كلّ صبرهْ
واهتاج ينفض نفسـه كالميتِ ينشر بعد قبرهْ .
ضربوا به كلّ اللحـون فيا له جهـلاً لقدرهْ
أتراه للأفـراح تـوّ اقـاً وذاق وبالَ أمرهْ ؟
شيخٌ يحـارب دهـرَهُ للآن لم يظفـر بنصرهْ !

مصطفى جواد

---

(١) النافض من الحمّى ذات الرعدة يُقال : أخذته حُمّى نافض ونفضته الحمّى فهو منفوض (عن المختار) .

عاصفة

(مثال من الشعر الرمزى)

عاصفهْ — فى سكون الليلْ
راجفهْ — مِن مسيل السيلْ

ردّدتْ — فى رهيب الصوتْ
ما شدتْ — آلهاتُ الموتْ

وانثنتْ — فى رُبَى نيسانْ
فجّنتْ — زهرةُ الغيسانْ

ومضتْ — تنفضُ الأزهارْ
ونضتْ — هيكلَ الأطيارْ

ها هيهْ — جُنّةُ الملّاحْ
طافيهْ — فى النوى المجتاحْ

الالهْ — قدْ أبى الرّفقا
يا مِياهْ — تشتكى الغَرقى !

صالح جودت



الساعة

وآلةٍ تقطع الأيام سائرة ... لا تبصر العين من تسيارها أثرا
كأنها تبصر الأوقاتَ راسمة ... لها وما ملكت كفّاً ولا بصرا
أرى عقاربها اللاتى تدور بها ... عقارباً كل حين تلدغ العمرا
تهاجم العمر دوما وهى ساكنة ... والعمرُ يركض منها خائفا حذرا

نعدّها من جماد وهي مدركة — من وقتنا ما اختفى عنا وما ظهرا
تطوى السنين وتجرى وهى ثابتة — وتمنح الناس ـ لكن لم تفهْ ـ عبرا
فان يكن أي سير في المكان يرى — ففي الزمان مسير جاوز النظرا
إن صاغها من جمادات حجى بشر ـ — فقد ترقّت فأضحت ترشد البشرا
كأن دقاتها في كل ثانية — دقاتُ قلب خفوق بالنوى صهرا
كأن في جوفها قلب الزمان غدا — يدقّ مستعجلاً من نفسه ضجرا
يقطع الخفق منه كل ثانية — جزء فتحسبه بالخفق منتحرا
بالخفق نحيا وذاك الخفق ينقصنا — جزءاً من العمر من أرواحنا انبترا
ليت القلوب من الساعات قد وقفت — أو ليت عقربها الجرار قد كسرا
حتى تمر بنا الأوقات سانحة — ما إن نحس لها طولا ولا قصرا
وكى نمرّ بنا الأوقات عابرة — جسر الحياة وهذا البرزخ الخطرا
ما العمر الاّ منام طال أو قصرا — فلا تقطّع مناماً في الرقاد سرى
من يصحُ من حلمه لم يلقَ غير أسى — وفاز بالعيش من في حلمه سكرا !!

دمشق : أحمد الصافي



يلومونني

يلومونني ، بعضٌ من الخلق ، أنني — أصعّد عن قلبي لهيباً يحرّقُ
وما علموا أني إذا ما حبسته — به يتلظّى ثم هيهات يخفقُ !
يلومونني ، واللوم بعضٌ من الأسى — على أنني أبكي ولا أترفّقُ
وما علموا ، عافاهم الله ، أنني — أروّح عن نفسي شجوناً وأشفقُ
يلومونني أني ، على أنني فتًى ، — أحوّم في وادي الردى وأحلّقُ
وما علموا أني ، وقد ضلّ قائدى ، — أحاول كشفاً للذى فيه أغرقُ !

أحاول أجلو عنه رعباً ورهبة فألقاه «مبدى السن» إذْ جاء يطرقُ !
أحاول إهراقَ الدّموعِ فلا يرى دموعاً بعينى إذْ يجىء يحملق !
أليس بحُبكِ أننا فى حياتنا سحائبُ ليلٍ أرعدت ثم تبرقُ
وسرعانَ ما تغدو البروق أوابداً وسرعان ما تنصبّ ماء وتهرقُ
فلا برق بالليل تسرى ولا به رعودٌ تدوّى أو سحاب يحلّقُ ؟
أليس بحُبسٍ أننا ، فى حياتنا وأنفاسنا من صدرنا تتلاحقُ
كأنغام عودٍ تسحر المرءَ برهةً وسرعان ما تفنى فلا سحر ينطقُ ؟
أليس بحُبسٍ أننا ننثنى إلى كؤوس الردى نمتصّها ثم نلعقُ ؟!
فيا لُوَّمى هل كان فيها مخلّدٌ على ظهرها أم كلّنا النوء يُغرقُ ؟

محمد أبو الفتح البشبيشى



حديث الآلهة

فى الحياة

نظرتُ لنفسى فألفيتُها تسيرُ بجوفِ العُلى تائهة
وقدْ وَصَلَتْ بعد حينٍ إلى مكانٍ تُقيمُ به الآلهة
سمعتُ الحديثَ الذى ناقشوه حديثٌ لعَمْرِكَ ما أتبهه !

كبير الآلهة : (مخاطباً كيوبيد إلــه الحب) :

كيوبيد كيفَ رأيْتَ الحياة

(كيوبيد) : ... وما ذا يُرى فى شُعاعِ الجمالْ ؟

رأيتُ الحياةَ ضياءَ الهوى ... رأيتُ الحياةَ ضياءَ الجلالْ
فيفيْها السموُّ وفيها السُّرورُ ... وفيها نعيمٌ عديمُ المثالْ
عليْها يرى العاشقونَ النَّعيمَ ... وفيها يري العاشقونَ الكمالْ
فإنَّ الحياة إذا مُحِّصتْ ... خيالُ الغرامِ ، ونِعْمَ الخيالْ
لعَمْرِكَ خيرُ الحياةِ الهوى ... وليسَ الهوى ببعيدِ المنالْ

إلــه عالم الموت (متماً) :

يسودُ عليْها الردي دائماً ... فترجع من هوله القهقرى
ويَخضعُ للموت سُلطانُها ... ويحرِمُها الموتُ مما يَشا
فانْ شاءَ أفنى جلالَ الجمالِ ... وإنْ شاءَ أفنى جَلالَ الهوي
فليْسَ عَليها نعيمٌ سوى ... بما أمرَ الموتُ أو ما نَهى
وكلٌّ جمالٍ عليها يزولُ ... إذا زال عرشُ الرَّدي وانتهى

كبير الآلهة :

إلــه الرَّدى لاتمدّ الحديث ... فما لكَ إلاّ عليها قضا
وإنا نريد صفاتِ الحياة ... ولسْنا نريدُ صفاتِ الفنا

إلــه القوة :

صِحابي أراني عليها أسُودُ ... وأحسبني لا أقول الكذِبْ
رأيت جلالىَ فوق الأديمِ ... وتحت المياه وبين الشُّهبْ
فصَوْلىَ يملأُ أُذْنَ الحياةِ ... وريحى يبعث فيها الرهب
فإن شئت أقلب صرح الهوَى ... وان شئت أقلب دوحَ الطرَبْ
يجلُّ جلالى الملوكُ العظام ... فانَّ جلالىَ عالى الرتَبْ

ويخشى صروفَ الضعيفُ الذَّليلُ ويرقب طيفىَ انى ذَهَبْ
يَدِينُ الجمالُ بِبَطْشى فلو أمَرْتُ الجَلالَ أجابَ الطلبْ
ولى كلّ ناحيةٍ ضجَّةٌ اذا ثُرت ألقى سِياطَ الغضبْ

إلـه الشعر:

صِحابىَ مَهلاً ولا تفزَعوا (فأنبغُ ما فى الحياةِ الألمْ) (١)
وأجمل ما فى الحياةِ الهدوء وأعظم ما فى الحياةِ الهِمَمْ
جمال الطبيعة لحن الحَيَاةِ ولحْنُ الحَيَاةِ شجىُّ النَّغَمْ
وروحُ الحَياةِ شعورُ القلوب وادراكها لجمال النِّعَمْ
فما (المالُ والسيفُ) روحَ الحياة وليسَ منار الحياةِ القلمْ
ولكنْ مَنارَ الحياة النهوض وروح النهوضِ كرام الشِّيَمْ

إلـه الخير (مخاطباً إلـه الشعر):

غفلت صديقىَ ذكر الشرفْ نسيتَ صديقى جمالَ الخُلُقْ
فلا تحْسبَنَّ الحياةَ الجَلالَ ولا تحْسبَنَّ الحياةَ القلَقْ
فقد لا يُصانُ عليها الجَمالُ وقد لا يَسُودُ بها مَن عشِقْ

إلـه الشقاء (مقاطعاً ومتسائلا) :

ومَاذا ترَى فى حَياةِ الشقىّ أيصفُو جَلالٌ بها مِنْ رَنَقْ ؟

إلـه الخير :

صَدِيقىَ ا لَيْسَ يدُومُ الشقاء فانّ الشقاءَ عنالا طرَقْ ؟
ومَا هُوَ إلاّ سَحابٌ كثيفٌ يُرَى بَعْدَ حِينٍ وَرَاء الشفقْ

كبير الآلهه :

سمِعتُ حَدِيثَكمُ كله فما راق لى منه شئٌ يَسُرْ

(١) شطر هذا البيت للمغفور له أحمد شوقى بك فى مجنون ليلى

فصفْ لى الحيـاة إلـهَ الحِـكمْ وأعْطِ الحَياةَ أتمَّ الصُّوَرْ
إلـه الحـكم :
مُحيطٌ نعُومُ بأحْشائهِ ولا نَحْن ندْرى إلامَ السفرْ
ومرْعًى فَسيحٌ وأرْكانه جُذور النباتِ ورُوح البشرْ
وأغلى وأثمنُ ما فى الوُجُودِ وأهْوَنُ ما تحتَ سَيفِ القدَرْ
وما هى إلاَّ سِراج يُنار ويطفا فى المَوْعِدِ المُنتظرْ
وعهدِى بأوَّلهـا مبهجٌ وإذْ تنتهى زال ذاكَ الأثرْ
فكمْ من صُرُوفٍ وكم مِنْ مُنًى وكم من عظاتٍ وكم مِنْ عِبرْ
حَياةُ النفوسِ لها سَاعةٌ ومَوتُ القلوبِ كلمحِ البصرْ
فهذا الحديث الذى نافشوه حَدِيثٌ لعمرك ما أنبهْ !

محمد سعد السحراوى



أدب بيرم

الشاعر الناثر الزجّال الشهير محمود بيرم تونسيّ الأصـل ولـكنه شرب من ماء النيل وترعرع فى مصر ، أو على الأقل ترعرع أدبُه الباهرُ فى رياضها ومغانيها ، فدانَ بانتاجه الأدبي الى هـذا الوادى الممرع الخصيب ، ولبث وفياً له ولأهله ، شأنه شأن الشاعر الخالد عمارة اليمنى الذي تعلق بمصر وبالفاطميين ولبث على هـذا الوفاء طول حياته .

ونحن نتمنّى لأديبنا العبقرى محمود بيرم العمر الطويل والانتاج الباهر المتواصل، ولا أرى أنى أهلٌ لتزكيــة أدبه الغنىّ عن التعريف به ، وبحسبه ما كتبه فحولُ الأدباء والنقّــاد عنه فى جيلٍ بأكمله ، وتكفى الاشارة الى الدّراسة التى نشرها عنه فى « البلاغ » شاعرُنا المجيد محمود رمزى نظيم .

ما أردتُ من هذه السطور شيئاً من هذا ، فهو تحصيلُ حاصلٍ ، وانما أردت أن أنوّه بما يسميه بيرم رسالته الى الشعب : فهو كــكل عبقرىّ مصلح يشعر بما على عاتقه من واجب نحو الجماهير التى لا تفهم اللغة الفصحى ، لغة الخاصة بل لغة الاسلاف الذين درسوا ودرس عهدهم . ولذلك يخاطب بيرم الجماهير بالأسلوب الذى يصل الى أعماق قلوبهم، وهو أسلوبٌ راقٍ ولــكنه بعيد عن الحذلقة ، أسلوبٌ يرفع به من مستوى الشعب ويحاول به أن يمهّـد لتلاقى العامية بالفصحى . ومهما يكن من عدم رضائــكم عن العامية فقد اعترفتم بأن بيرم فى نهجه هــذا يؤدّى فى النهاية أجلّ الخدمات الى لغة قحطان ويعمل كثيراً لتهذيب الشعب من أقوم طريق .

لقد اشتهر شعر بيرم ونثره وزجله على السواء شهرة ليس بعدها مزيدٌ فى العالم العربى بأسره . ومَن منا ينسى كتاباته الفاتنة ونظيمه الرائع فى صحيفة « الشباب » سابقاً ومجــلة « الامام » حاضراً ؟ مَنْ منّــا يسلو « السيد وامرأته فى باريز » ، ومقاماته الفــكهة الحلوة و « خطبة الامام » التهــذيبية اللاذعة وقصصه المدهشة وأزجاله الخالدة التى تردّدها الجماهــير فى أقطار العروبة ؟ وأين أين الأديب الذى يبزّه فى شجاعته الأدبية وقوة بيانه وغــيرته العظيمة على الاصلاح الاجتماعى التى تناول بها عشرات المسائل الخطيرة ؟

تُعاب على بيرم حدّته أحياناً فى مهاجمة الباطل والفساد ، ولــكن تشفــع له فى ذلك غيرته واخلاصه ونزاهته وطيبةُ قلبه . ولقد كاد له حاســدوه كثيراً وبذلوا ما بذلوا من السعاية لاساءة تفسير أزجاله فى ظروف سياسية معيّنة ، فأبعــدوه عن مصر كما أُبْعِــدَ المرحوم شوقى بك ، وساعد على إبعاده أنه تونسىُّ الأصــل فلم يــكن له حظ المرحوم شوقى بك فى العودة الى وطنه الثانى ، ومع ذلك فالجميع يحبُّونه ويقدّرونه، وبحسبك أنّ أروع ما يمثل وينشد فى الصالات الفنية بمصر هو من انشائه، وأنّ فرقة السيدة فاطمة رشدى التى تعضّدها الحــكومة لم تمثل رواية جذّابة ناجحة مثل رواية (ليلة من ألف ليلة) التى تهافتت الطبقات المختلفة على رؤيتها ولا أستثنى

من ذلك الوزراء وكبار رجال الدولة . ولذلك أرى أن نشر أدب بيرم والإشادة الصادقة بعبقريته هى إشادة بحسنات بارزة للأدب المصرى وليس انصافاً لبيرم فقط .

وانى أستأذنكم فى أن اذيع على قراء (أبولو) ثلاث قطع من أشهر ما رسمته يراعة بيرم (وقد ظهرت من قبل فى مجله « الإمام ») فهى نماذج للفن الأصيل : الأولى فى تحية جلالة الملك بعيد جلوسه ، والثانية عن الفنّ ، والثالثة فى شكوى حظه :—

أبو الفاروق

يأبو الفارُوق لمّا اسكندرْ   حكمْ على الدنيا ودَبّرْ
شاف المداينْ والمخيّرْ   اسكندريه وسمّاها

« • »

يُونانى ويحبّ الغارَهْ   ورحره مثله امّ مَنَارهْ
جبّار وعاشق جبّارَهْ   طَلَعْ هَواه وفِق هَواها

« • »

واسكندر اللى بجنُودُهْ   الشرق والغرب فى إيدُه
والانس والجِنّ عبيدُهْ   « باسكندريّهْ » يتْبَاهى

« • »

وافقيتْ عظمته وجبَروتهْ   لا يفُوتها لحظه ولا تفوتهْ
الامبراطورْ فى تَابُوتهْ   نَايمْ هنا تحت ثْرَاهَا

« • »

يأبو الفاروق يسعد عَصرِكْ   دى اسكندريه هلال مصركْ
والنجمه راس التين قصرِكْ   وإنت فى النجمه ضياهَا

« • »

أمّا احنا ياسكندرانيهْ   طالعين عموماً شضليّهْ
طبيعهْ فى الطين والميّهْ   مترَكّبه تحت سماها

« • »

لسْكَنْدَرَانى امّا يصَافِحْ يغلط ساعات ويروح ناطحْ
وَرثها عن ْ جِدُّه الفاتحْ فَحل الملوك اللى حمَاهَا

« • »

لِسْكندرانى اذا اتخلّقْ « جَلَنْفْ » ، لكن له مَبْدأ
يغواه لحـدّ ما يتزحلق فى نُقره أبليس يخشَاهَا

« • »

لِسكندرانى اذا اتحمّسْ ينسى اللياقهْ ويتطلسْ
لحدّ ما يروح مِتكوبسْ فى نابيه عمره ما ينسَاها

« • »

لكنْ يقوم يغسل وشّهْ ويروح يجيب اللى غشّهْ
فى خلقته ويروح نالشُهْ راسين يعيش مُسخه بعاهه

« • »

ونا اللى جيتْ من سَيّالهْ فيهـا العِيَـال والرّجاله
شُجعان ولكن بهبالهْ يا رِنْتِيصِرْ يا أكلناهـا

« • »

والحقّ نقطع له روسنا نقطعها احنا بأنفسنا
ما دام مليكنا وريسنا عالدّفهْ حافِظْ مجراهَا

« • »

ومينْ يا ريسنا يفوقَكْ دم الملوك مالى عروقكْ
وَصَل جدودك بفاروقك وَرَعْرَعْ الشّجره ايّاها

« • »

من أصلها الأصْل الغالى لفرعها الفرع العالى
مظـلله النّاس عُقبَالى ما أعيش واموت تحت نَدَاها ا

الفن . . .

الفن ياهل المحبة :
روح تخاطب روحْ — بلَمْاها
والفن ياهل البصاير :
عين تكلم عينْ — بنباههْ
والفن ياهل القلوب :
صوت من سكوت الموت — أحياها
يا طالب الفن
افتح لك كتب فى الفن — تقراها

« • »

يامطوّل الشعر ومشلشل بدَلـْدُولتينْ
ومبلّمْ
شوف النجوم فى السّما متوجهه على فين
واتعلمْ
وشوف بكا العين وضحك الفم فى الاتنينْ
واتكلمْ
واسمع نغم من عواطف جمّعت إلفينْ
على سلمْ

« • »

ورد الخدود فنّ — فيه الفن يتغيَّرْ
طول القدود فنّ — فيه العين تتحيَّرْ
وكل شىء فى الحياة بالفن متسير — يا طالب الفن

حياتى

الأوّله آه . . . والتانيه آه . . . والتالته آه . . .

الأوّله مصر . قالوا تونسي ونفونى
والتانيه تونس . وفيها الأهل جحدونى
والتالته باريس . وفى باريس جهلونى !

« • »

الأوّله مصر . قالوا تونسي ونفونى — جزاة الخيرْ
والتانيه تونس . وفيها الاهل جحدونى — وحتى الغيرْ
والتالته باريس . وفى باريس جهلونى — وأنا موليير !

« • »

الأوّله مصر . قالوا تونسي ونفونى . جزاة الخير — وإحسانى
والتانيه تونس . وفيها الاهل جحدونى . وحتى الغير — ما صافانى
والتالته باريس . وفى باريس جهلونى . وأنا موليير — فى زمانى !

« • »

الأوّله شربتنى من فراقها كاسْ — بمرارهْ
والتانيه آه فرّجتنى عالجمال يندماسْ — يا خسارهْ !
والتالته ياناس ياريتنى كان لى فيها ناس — وإدارهْ

« • »

الأوّله اشتكيها للى أجرى النيلْ
والتانيه نوحى عليها حزّن الباستيلْ
والتالته لطّشتُ فيها ممتثل وذليلْ
الأوّله آه . . . والتانيه آه . . . والتالته آه . . .

* * *

هذا هو الفنّ الذى نطأطىء له الرأس إجلالاً ، ولن يصغر من قدره مثقالَ ذرة أنّه بلغةِ الجماهير ، ويكفى بيرم شرفاً أن رجال الأدب وخاصة الخاصة يتهافتون على كتاباته ومنظوماته المنوّعة ويحتفظون بها كأنفس الأعلاق قبلَ عامة الناس ؟

عبد السلام صوانى

عثرات الينبوع

لأبي شادي على الشعر العصري فضلٌ عظيمٌ لا يقل عن فضل مطران وشكري والعقاد إن لم يزد عليه ، والذى يتصفح دواوينه يجد أن هذه حقيقة لا ريب فيها مطلقاً .

والينبوع الذى صدر أخيراً خير هذه الدواوين جميعها فى خياله الوثاب الجامح وشاعريته الخصبة المتدفقة وعبقريته النادرة المثال ، غير أنا وجدنا فيه عثرات شتى من لغوية إلى عروضية . وهى وإن كانت لا تؤثر فى قيمة الديوان الفنية إلا أن السكوت عنها ضياع للحقيقة التى ننشدها جميعاً .

أما اللغوية فقد سبقنا الشاعر الناقد مصطفى جواد إلى الإيماء اليها ، وأما العروضية فسنبينها فى هذه الكلمة راجين من الدكتور أن يبين لنا رأيه فيها :

فأول ما نلاحظه على القافية فى شعر أبى شادى هو متانة رصفها حتى فى المنوّع منها ، غير أن سرعة النظم وعدم الرجوع بعد نظم الشعر الى اصلاحه توقع الدكتور فيما يسمى فى عيوب القافية « بسناد الردف » ففى قصيدة « الصبا المبعوث » ص ٢ يجد القارىء الغبن مع السكون والبين مع الحسن، وفى قصيدة «عيون المنصورة» ص ٥ يجد « الفتنِ » مع «الفنّى» وفى قصيدة «الأم الحنون» ص ٦ يجد «لاعبتها» مع « صوتها » مع « ذاتها » ، وقس على ذلك ما تراه فى قصيدة «طائر الحب» ص ١٢٦ و«أرفيوس ويورديس» ص ٢٦ و«ماهل العرب» ص ٢٧ و«موت النسور» ص ٦٢ و«عباد الشمس» ص ٨٣ و« الفنان البائس» ص ١٢٩ ولعمرى لَتنويع القافية خير عندى من وقوع فى مثل هذا العيب الذى يفسد الموسيقية . ولقد كانت السرعة فى النظم أيضاً سبب وقوع الدكتور فى خطأ وزنى فى ابتداء قصيدة « الوفاء الذبيح» ص ٨٦ حيث يقول :

مدحتُ ما مدحتُ لكن هيهات أن أنظم الهجاء

فالقصيدة من مخلع البسيط وتفاعيله هى : مستفعلن فاعلن فعولن (مرتان)

ولكن وزن مصراع البيت هو : مستفعلن فعِ ، فعولن ، وهذا لا يجوز

وكان الأولى أن يقول ليستقيم الوزن : مدحته ما مدحت لكن ...

وفى آخر بيت من هذه القصيدة يقول الدكتور « فها كهُ » والصواب فهاكهُ

ولنفرض أن هذه غلطة مطبعية ، فلماذا لم يبينها فى الغلطات وهو الذى يبين النقطة والشدة ؟ !

وفى « نشيد النيروز » ص ٦٥ يقول الدكتور :

«أقبل النيروز» ووزنه : فاعلاتن فَعْلُنْ ثم يأتى فى البيت الذى يليه ويقول :

«هو عيد عزيز» : ووزنه: فاعلاتن فعولنْ ، وهذا لا يجوز لأنه التزم « فاعلاتن فعولن » فى ابتداء النشيد فكان الواجب أن يستمر على هذه التفاعيل حتى نهايته .

وفى قصيدة « طالب القوت » ص ٢١ يقول الدكتور :

نبغت حقداً أضعافَ ما قد نبغت بين الأنام حمدا !

وزن الشطرة الأولى هو : مستفعلن فَعْلاَتُنْ فعولن ، وهذا خطأ لأن القصيدة من مخلع البسيط كما سبق ، ولا تأتى فاعلن على فعْلاتُنْ قط .

ومثل هذا الخطأ واقع فى قوله من هذه القصيدة أيضاً :

أأصبح الفضل رهن حرب وبات صاباً ما كان شهدا

وفى قصيدة « ديمقراطية الجمال» ص ١٣ يقول :

ونظلّ نحن العابدينك على أسى ما بين حرمانٍ ويأسٍ صخورٍ !

والكسر فى مصراع البيت ظاهر فلا داعى للابانة .

هذا وفى كثير من الأبيات يكثر الدكتور أبو شادى من تكرار بعض الألفاظ تكراراً مملا . فمن أمثلة ذلك تكراره لفظة « منه » فى قوله :

قد صرتما لى صورتى حبي الذى منه نفيت ، ومنه منه الغبنُ

ولفظة « أين » فى قوله :

أين التجرد ؟ أين أين تخلق بالنبل ؟ أين شجاعة الأبطال ؟

ولم أجد لفظة مكررة خفيفة الظل يقبلها الذوق كلفظة « أرنو » فى قوله :

« أرنو وأرنو ثم أرنو مثلما يرنو الى الأم الحنون رضيع

وفى الختام أحيي الدكتور وأرجو أن نرى ديوانه «فوق العباب» قرياً خالياً من مثل ما ذكرناه والسلام »

احمد مخيمر



(نشكر لحضرة الشاعر الناقد ملاحظاته ونجيب عليها بارتياحٍ تلبيةً لدعوته :

فأمَّا عمّا نَعَتَهُ بأخطاء لغوية ففى نفس « الينبوع » تعليقنا عليها ، وهو تعليق محترمٌ له مَراجعُه وحيثياته . وأمَّا سناد الردف الذى يعدّه عيباً فى القافية فقد قضى على هذا التقليد كثيرون من الشعراء المجيدين فى عصرنا وعدّوا ذلك تعنّتاً لا موجبَ له . وأمَّا الاباحات الوزنية التى يسيغها الذوقُ الموسيقى العصرى والتى يعدّها حضرة الناقد « عثرات » فنحن نعدّها غير ذلك ، وقد أعلنا عن رأينا هذا منذ سنين ، كما أننا فى الوقت ذاته لا نستسيغ ولا نتبع كثيراً من الاباحات القديمة المعهودة ، ولكلِّ عصرٍ موسيقيتُه وذوقُه .

وأشار حضرة الناقد الى تصحيح كلمة «فها كه» ... ويكفينا أن نقول لحضرته إننا ننشر له هذا «التصحيح» تسامحاً منا فقط ، فهو لن يجد مثل هذه «الغلطة» فى دواويننا السابقة ، وكذلك «تصحيحه» كلمة العابديك — ولن يجد موجباً لهذا التصحيح فى معظم نسخ الديوان — ونحن نعتب عليه من أجل ذلك ، ففى الديوان أخطاء مطبعية أخرى فاتته وفاتتنا وفاتت غيرنا ممن راجعوا مسودات الديوان ، وجلَّ من لا يسهو .

وأمَّا عن « نشيد النيروز » فتنويعُ الوزن متعمَّدٌ فيه فليراجع مقاطيعه ، ولسنا ملزَمين باتباع التقاليد .

وأمَّا عن التكرار فى بعض الألفاظ فهو متعمَّدٌ لمناسبة التعبير والتأثير وحبّ الايغال فى المعنى وتجسيم الموقف ، وأمثلةُ ذلك معروفةٌ فى أرقى الشعر العربى الصميم وفى الشعر الفرنجى وليست أمثلة « الينبوع » التى من هذا القبيل بالتى تستحقّ أن تذكر فى ديوان يضمّ أكثر من ألفَىْ بيتٍ .

وأمَّا عن اشارته الى أننا لا نرجع بعد النظم الى إصلاحه فغيرُ صحيحٍ ، وانما نصحّح شعرنا ونحن متأثرون بمجموع العوامل التى تمليه لا بالنزعة الصناعية التى تتغلب على الشاعر بعد أن تزول تلك العوامل ، وهكذا كان يفعل الشاعر كيتس) .



باريس

تأليف وجمع أحمد الصاوى محمد — عدد صفحاته ٤٠٦ بحجم ٣/٤ ٢٤×١٧ سم مزدانة بالرسوم — طبع مطبعة دار الكتب المصرية

أحمد الصاوى محمد شاعر انفرط عقد لآلئه وهو فى طريقه الى ربة الشعر، وكان لانفراطه موسيقاه العذبة، وانتثر فكانت اللؤلؤة منه قصيدة وهاجة المعنى.

والصاوى رسام الى جانب ناحيته الأولى، يضرب بريشته ضربات غير مقيدة بحدود، فيترك من الظلال ما لا يتقلص من ذهن القارىء.

وله أسلوبه الذى امتاز به، والذى مكنه من تكوين جيش من المعجبين يحسون فى أصداء الصاوى نفساً موسيقياً وقيثارة قوية تتألف من أوتارهم الحساسة التى يعزف عليها بمهارة، فهو عنصر جديد فى الصحافة العربية.

و « باريس » تلك الفاتنة الساحرة، تلك النغمة الحلوة فى اذن الدهر، تلك الماسة اللامعة على جبين أوروبا، تلك المدينة العالمية ذات الاسم الشعرى الفاتن، تجد فى قيثارة الصاوى لحنها الذى يضم أصداءها ويؤلف أنغامها ويرجعها.

ولقد قام الصاوى نحو المدينة التى سحرته وفتنته ببدائع قرائح أبنائها واستهوته حتى استدرجته اليها وضمته بين أحضانها وسقته المصفى من شهدها فعاد الينا وهو ثمل، وفى نشوته جمع ما كُتب عن باريس بأقلام بعض كتابنا وكتاب الغرب ومفكرينا ومفكريه، فكانت تلك القصيدة الرائعة التى ألفها الصاوى من الأصداء البعيدة والقريبة.

وهل أدل على شاعرية الصاوى من تلك القصيدة المنثورة التى كتبها على الباخرة « لامرتين » فى أول يناير سنة ١٩٢٧ وهو فى طريقه الى باريس حيث يقول :

« ودخلنا عاماً جديداً ، ودخلنا عالمَـاً جديداً . نحن فى الباخرة وقد اختلسنا عبرات فى غفلة من المسافرين من انكليز لا يعرف التأثُّـر الى قلوبهم سبيلاً ، ومن ضباط وجنود فرنسيين تزين صدورهم الزرقاء أوسمة الشجاعة وأدلة الرجولة .

وهذا صوت غير شجى وغير منكر . . . صوت الآلة الصافرة تؤذن بقرب الرحيل ، صوتٌ مذبوحٌ كأنما اجتمع فيه كل ما صعَّده الناس من تنهُّدات وزفرات . . . صوت ناعب ، صوت الفراق !

وما هـذا السفـر الذى يصدع قلبين صداعاً أليماً ؟ عبثاً يخدع المرء نفسه عن هذا الألم الذى يعصر القلب ويحزُّ فى النفس كالسكِّين . . . أليس السفـر بعض الموت ؟ . . . إنها قسوة السنّ التى لا ترحم والتى لا تكترث والتى تلهو حتى بآلام نفسها . . . سنّ الأحلام . . . سنّ الآمال المعلّقات فى السماء . . . سن الغرور !

وارحمتا لنفس شطرتنى من ذاتها وجعلتـنى بشراً سوياً أفكر فى تركها وأتفقد فكرى وأقضى بالانفصال عنها بالبر والبحر لتحقيق غايات خفية أنا مسوقٌ اليها برغمى وهى تعذبنى وترهقنى من أمرى عسراً ! »

وبعد فهل تجد مدينتنا القاهرة والاسكندرية ريشـة ساحر كريشة الصاوى تلوّنهما ألواناً فتّـانة وتنقل ما كتب الغربيون عنهما من محاسن القـول حتى يتاح لمنصف من أبناء الغرب أن يرسم هذه الصور الساحرة معتمداً على كتاب كهذا ؟

وهل يتاح للمكتبة العربية أن تزيّن بمثل كتاب « باريس » عن جميع البلدان الاوروبية والامريكية والشرقية الساحرة بأقلام من عاشوا فيها وفتنوا بها وشربوا منها ما شرب الصاوى من باريس ؟ . . .



الأدب العربى فى المغرب الأقصى

مختارات لشعـراء المغرب الأحياء وتراجم حياتهـم

صنّفها الأديب محمد بن العباس القبّـاج فى جزءين عدد صفحات كل منهما ١٢٨ بحجم $21\frac{1}{2} \times 15\frac{3}{4}$ سم . — طبع المطبعة الوطنية بدرب الفاسى بالرباط

ليس بيننا وبين الأدب القديم نزاع فهـو تراثٌ خالدٌ ، وليس بيننا وبين أرواح رجاله نفور . هذه كلمة الحق التى نجهر بها من فوق منابرنا ، فذلك الأدب خالدٌ لانه

صوتٌ لعصره الذى خُلِقَ فيه يحمل طابعه ويسير على خطاه، وعلى قدر قوة العصر يعيش أدبه أو يفنى ، وأولئك الادباء صورة لعصورهم أو مرآة للأثر الذى انطبع فيهم من تلك العصور أو من ادمان تطلُّعهم الى صورها .

أمّا اذا كان هناك نزاع فهو بيننا وبين الذين يعيشون معناً فى عصر واحد ثم لا تنطبع فى نفوسهم وأرواحهم صور هذا العصر ، واذا شاءت تلك الصور أن تسكب عليهم ألوانها وتنقلهم الى ظلالها أبَوْا واستكبروا وكانوا جامدين .

على أنهم لو فطنوا الى طبيعة الزمن لخفّفوا من حدّتهم وأيقنوا أن لكل عصر مناحيَ تفكيره وطُرُقَ أدائه ووسائله ، ولأدركوا أنهم مهما وقفوا ومهما تحجَّروا فستكتسحهم أمواجُ المدنيّة الفكرية وتفتّتهم كما فتّت ديناميتُ العصر الحالى متحجرات العصور الخوالى وبَسَطَها للناس طُرُقاً معبَّدةً وجنّات متجاورات وغير متجاورات .

فالزمنَ هو الذى يحوِّل، وليس فى استطاعتهم مهما طغوا أن يوقفوا الزمن عن دورته ، وهو الذى يجدِّد ولن يستطيعوا أن يرغموه على التقيُّد بأغلالهم .

هذه الخواطر جاشت بنفسى عند ما قرأت المقدمة الرائعة التى حلّى بها مؤلف كتاب « الأدب العربىّ فى المغرب الأقصى » وعند ما تمشّيت مع ما اختاره فى جزئه الأوّل حتى بلغت الجزء الثانى فوجدْتُ تدرُّجاً فى الرُّوح الشعرية ورغبة فى التحرُّر والنهوض حتى إذا جاوزتُ بضع صفحات من الجزء الثانى كانت صور اليقظة تطلُّ علىّ من خلال ما أقرأ .

فهناك شباب يتحمس للجديد ويخطو فى طريقه وإن كان ما يزال فيه من أصداء الأمس قليلٌ يجيش ، على أن هذا القليل من تلك الأصداء لا بدّ أن ينزل عاجلاً عن مكانه لصوت الجيل . ويوم يعلو هذا الصوت بين ربوع المغرب الأقصى سيكون الجزء الثالث من ذلك الكتاب صورة من أروع الصور ، فان فى نفوس أهل المغرب أوتاراً باقية خافية من آثار الأندلس الضائعة حملها أجدادهم معهم ، فإذا عثر شباب تلك البلاد على هذه الأوتار وحرّكوها بدقّة بعيدين عن الجناس اللفظى والتشبيهات العتيقة ودققوا فى الرنين فانهم لا شكّ سيعيدون عصراً ذهبياً لم يكد يتلألأ حتى غاب !؟

حسن كامل الصيرفى

المستقبل

قصة شعرية مسرحية فى أربعة فصول مع مقدمة . تأليف
زكريا حمودة اسماعيل، ١٤٤ صفحة بحجم ١٢×١٧سم .
طُبعت بمطبعة الشعب بدمنهور

يقول الأديب البطّاح فى زميلتنا «الامام» إنه زار دمنهور فوجد بها مائدة للأدب يلتف حولها احمد محرم وتوفيق الحكيم ومحمود أبو النجاة وزكريا حمودة اسماعيل. وعجيبٌ ! إى والله ! عجيب أن يقرن البطاح الاولين بالأخيرين ، فالأولان احمد محرم وهو غير محتاج إلى تعريف ، وتوفيق الحكيم وهو علم من أعلام القصة فى مصر ، والأخيران محمود أبو النجاة صاحب رواية «مسعود» التى كان لنا شرف تقريظها فى (أبولو) منذ حين ، وزكريا حمودة اسماعيل صاحب رواية «المستقبل» التى نحن بصددها الآن .

نحن نعتب على النقاد لاسرافهم فى القسوة ، ولكن هذا النوع من المهازل الصغيرة التى يخرجها لنا أمثال أبى النجاة وحمودة يستحق اللذع بلا رحمة .

«المستقبل» — كما يقول المؤلف — قصة شعرية تمثيلية، ولكننا والحمد لله — الذى لا يحمد على مكروه سواه — لم نجد بها قصة ولا شعراً ولا تمثيلا !

فأما القصة فتبحث فى معالجة المرضى بحب الوظيفة الحكومية وكيف تنهار أحلامهم فى لحظة مرض أو عجز ، وتدفع الشباب — أو قل تحاول أن تدفع للشباب الى ميدان العمل الحر . هذا حسن إذا جاء فى سياق متسق منطقى وعلى ضوء تفكير هادىء ونظر بعيد ، وأما أن تأخذ ما تقرأ فى الصحف والاعلانات وما تسمع فى الطرق والمنتديات فتجعل منه قصة كالمستقبل ، فهذا هذر .

ونحن نرى أننا قد أفسحنا صدرنا وصدر (أبولو) لنقد رواية «مسعود» وتحليلها من الناحية التمثيلية والشعرية لتكون درساً لأبى النجاة وأضرابه ممن يفسدون الشعر ويعبثون بالقصة — ونحن نحيل الأديب صاحب «المستقبل» الى ما كتبناه عن «مسعود» ، غير أنه يعز علينا أن لا نسوق إلى القارىء بعض ما جاء بهذه الرواية من «الشعر» !

بائع الجيلاتى :

الجـلاتى واللمون حاجـه تعجب الزبون

صنعه حلوه من زمان لو تدقهـا تقول كمان

أهلا وسهلا بالبـكوات والباقى عندى تلات بكوات

يقول لك المؤلف يا سيدى القارى ان هذا نداء رجـل أجنبي يبيع المرطبـات فاعذره لعاميته ، على اننا اذا جارينا المؤلف فى قوله هذا فـكيف يقول على لسان هذا البائع نفسه :

انى أشقّ دروبهـا من صبحها حتى العشاء

وأؤمّ بيتى متعباً متحمـلا كل العنـاء

. . . . هـذى بـلاد زاهره

انى سأدفن ها هنا وقد ابتنيت المقبره !

هذا كلام عربي سليم فـكيف تسنى لبائع المرطبـات الأجنبي أن ينطق به وهو الذى كان لا يحسن العامية منذ حين ؟

وتستمر القصة على هذا الهذر بين كبوات نحوية وعروضية ومواقف ساخرة من مؤلفها وأخرى خجلة من قارئها ـ انظر البيت الآتى :

لحق سمعنا غناء شجيا وآذاننا صدقت عليـا

والشطر الأخير مكسور ، فان قال المؤلف ان الأصل (ياعليا) وأن (يا) سقطت فى الطبع لـكانت غلطة لغوية اذ ان اسم العلم المنادى يكون مرفوعاً ويقول :

عينى تود لو انهـا لسواها لا تحوى نظر

وترانى ان رمت الذها ب لبيتها بيت القمر

أمشى ولا أدرى إلى أين اتجاهى والمقر

حتى اجدنى داخـلا بيتى ودمعى كالمطر !

فانظر ياسيدى القارىء كيف يجهـل المؤلف أبسط قواعد العروض فيقول فى

البيت الأول (لسواها) وفى البيت الثانى (وترانى) فيجود من عنده بسكون على التفعيلة ! ثم انظر كيف يقول (حتى أجدنى) فان كانت الدال مجزومة استقام الوزن وفسدت اللغة بجزم الفعل بعد حتى ، وإن كانت متحركة كُسِر البيت ، فالبيت فى الحالين فاسد . كما أن فى قوله (بيتها بيت القمر) عامية يردد مثلها فى قوله (عروس الهنا) إذ يقول :

حاقدات بالجو موكب عرس لعروس الهنا وأخت الحسان !

ولعل القارىء يذكر كيف قال أبو النجاة فى روايته :

رأيتكما رأيتكما بعينى قد ضبطتكما !

وها هو حودة يقول :

رأيتكما رأيتكما وبان خفى أمركما

ويسرنا أن يوجد هذا التجاوب النفسى بين « الشاعرين »

وأما أنا فأقول لكتابيها :

قرأتكما قرأتكما وقانى الله شرّكما !

* * *

الأسبوع

مجلة فنية أدبية تصدر فى القاهرة مرة كل يوم أربعاء . صاحب امتيازها ورئيس تحريرها ادوار عبده سعد ـ ٥٤ صفحة بحجم ٣٠×٢٣ سم

من بشائر النهضة الأدبية فى مصر اضمحلال الصحف المبتذلة التى تفسد أذواق الجمهور وقيام الصحف الأدبيــة الدسمة التى تغــذى الجمهور بالمواد الفكرية الحية ، ولا شك أن أمثال هذه الصحف ، رغم ما تلاقيه فى أول عهدها من عقبات ، لابد منتهية بالفوز وخليقة بالتقدير والاعجاب لمــا تعمل عليه من تنمية بذور الثقافة فى عقول الجمهور .

وها هى « الرسالة » و « المقتطف » و « الهلال » و « المجلة الجديد » و « المعرفة » و « العلوم » وما اليها من الصحف التى يعتزّ بها الأدب والعلم تمهد الطريق لانتشار الثقافة العاليه فى الشرق أجمع .

وأما « الأسبوع » فلا جدال فى أنها من المجلات التى يجب ألاّ تفوت الجمهور بالمرة، وقد توفرت عليها جماعة من أدباء الشباب وشعرائه فأخرجتها فى أسلوب رشيق يتميز بسلاسته ونضرته وقابليته للتجاوب مع نفوس الجمهور الخاص والعام على السواء

على أننا لا نستطيع أن نتعرض فى أپولو لغير الناحية الشعرية من « الأسبوع » فقد ساهم فى تحريرها نفر من أعلام شعراء الشباب فى مصر ، وأكثرهم من جماعة أپولو، كما أنها وجهت عنايتها إلى الأدب العربى القديم فأخذت تردد أخبار الشعراء الممتازين وتسوق من أشعارهم أرقّها وأروعها. ومما يزيدنا اعتزازاً بهذه المجلة اهتمامها بالأدب الغربى فقد أخذت الأديبة الآنسة ناهد محمد فهمى تسوق إلى قراء « الأسبوع » نماذج ممتازة مترجمة عن أعلام شعراء الغرب ، كما أننا رأينا مباراة نظمتها المجلة لترجمة قصيدة انجليزية طريفة ، وكان من دواعى العجب والاعجاب فوز آنستين مصريتين بالجائزتين الثانية والثالثة ، وهو أمر نحمده للمرأة المصرية الحديثة ويسجله لها التاريخ الأدبى .

فنتمنى للزميلة الانتشار والتقدم حتى تبلغ رسالة الشباب الذى يحررها للشرق وللعالم

صالح جودت



الينبـــوع

نظم أحمـد زكى أبى شادى ، ٢٥٢ صفحة بحجم ١٦ سم . ×٢٤½ سم .
مع صُوَرٍ فنّية بالألوان ودراسات بأقلام شعراء معروفين ، مطبعة
التعاون بالقاهرة ، الثمن مائة مليم خلاف البريد

صدر فى الشهر الماضى هذا الديوان الجامع لسبعة ومائتين وألفين من الأبيات من أحدث شعر الدكتور أبى شادى ، إذ هو يمثّل الجديد من شعره غير الدرامى حتى نهاية العام الفائت .

وجانب كبير من شعر هذا الديوان شعرٌ عاطفىٌّ صرفٌ ، وغيرُه تمتزج فيه العاطفة بالفكر كما هو ملحوظٌ فى الكثير من شعر العقّاد ، ومن أجل ذلك كان كلا الشاعرين منتَقداً عند القراء الذين يرتاحون الى شعر التسلية وحده وينفرون

تصورا تاماً من الشعر العميق المعانى أو البعيد الخيـال والتأمّـلات . وقد تناول أبو شادى نفسه هذه النقطة بتعليقه فى غـير ديوان من دواوينـه وعلى الأخصّ فى ديوانه « الشعلة » ، كما عُنى بها الأديب النـاقد محمد عبد الغفور فى محاضرته الجامعة : « أبو شادى فى الميزان » .

يشتمل ديوان « الينبوع » على اثنتين وستين ومائة قصيدة ومقطوعة متنوّعة النزعات والمرامى والأساليب والموسيقى كما هو معهودٌ فى شعر أبى شادى ، ولـكنى ألحظ أنّ معظمها قصائد وجيزة مركـَّزة مزدحمة بالمعانى والأخيلة . وقـد بلغ من حرص الشاعر على عمران أبياته وغناها عزوفهُ غالباً عن الأوزان القصيرة وعن كثرة الأبيات فيعبـّر فى أبيات قليلة عما يقوله سواه عادة فى قصيدة طويلة . وانه ليكفينا مثالاً لشعر هذا الديوان قصيدته البديعـة الموسومة « الينبوع » وهى أكرمُ تقديرٍ لجـال المرأة فى تـكوينها الذى يراه الشاعرُ فنّاً فى ذاته والينبوع الاول للحياة الانسانية :

يا جمالَ النورِ فى الظلّ الحبيبِ ... يا جمالَ الروح فى الجسم الرطيبِ
هذه الدّنيا لاحلامِ الاديبِ ... هذه غاياتُ آمالِ الاريبِ
أيُّها الينبوعُ كم ساعٍ اليكَ ... يدّعى بُغضاً لما أهوى لديك
كلُّ ما يرجوه موقوفٌ عليكَ ... فاذا الإنعامُ منكَ واليكَ !
أنت سحرٌ غامضٌ للعالَمِ ... أنت ينبوعُ الرجاء الدائم
أنت موسيقى الخـلودِ الباسمِ ... أنت وَمْضٌ للشريدِ الهـائمِ !
أيهـا الينبوعُ يا رمزَ الأبَدْ ... يا شعاعَ اللهِ فى طيف الجسَدْ
كم مَعانٍ فيكَ كادتْ لا تُحَدّ ... وعزاءٍ عن حيـاةٍ تُفتقدْ
إنمـا أرنو اليكَ فى خشوعى ... ما ابتسامى غير لونٍ من دموعى
أنا لحنٌ بين أطيافِ الربيع ... من طيورٍ وغديرٍ وزُرُوعِ
أنا أحيـا حينما أجنى رضاكْ ... حينما جسمى وروحى عانقاكْ
حينما لبيتُ مسحوراً نداكْ ... فاذا بى لا أرى العيش سواكْ

كل همّى فى حيـاتى يستحيلْ حينما أخشع للفنّ الأصيلْ
حينما أروَى من النبع النبيلْ ذاك نبعُ الحبّ فى الجسم الجميلْ

وفى جميع هذه الأبيات لا تجد كلمةً واحدةً نابيةً ، بل جميعها قداسةٌ وعبادةٌ جميلة .

وقد تضافر نخبة من شعراء أبولو على دراسة هذا الديوان وشاعرية صاحبه : فكتب الشاعر التونسىّ المبدع أبو القاسم الشابى إلمامةً رائعةً عن المدارس الأدبية المصرية ، وكتب الشاعر المصرى الرشيق حسين عفيف دراسةً عن أبى شادى الفنّان ، وكتب الشاعر السكندرى والناقد المعروف محمود أحمد البطاح بحثاً مستفيضاً عن شاعر البيئة المصرية ، واختصّ الشاعر العراقى واللغوى الذائع الصيت مصطفى جواد بالتعابير الجديدة فى شعر أبى شادى ، كما تناول شاعر دار العلوم النابغة محمود حسن اسماعيل موضوع الديباجة فى شعر أبى شادى . ومهما يكن من آرائهم الخاصة فالملحوظ أن كلاًّ منهم تناول الموضوع المشهود له بالتوفّر على درسه والتخصص فى بحثه ، كما أنّ كلاًّ منهـم شاعرٌ ممتازٌ بصير بفنون الشعر ، فروحُ التقدير هـذه من شعراء معاصرين بارزين لزميلٍ لهم لا تربطهـم به أكثرُ من رابطة الاعجاب المتبادل والاخوة الأدبية هى ظاهرة طيبةٌ من علوّ الشمائل والاخلاص فى خدمة الفنّ خدمةً خالصةً شريفةً لا يتسرّب اليهـا التخاذلُ ولا التحاسدُ ولا تقارضُ الثناء ، وذلك شعورٌ نادرٌ فى هذا الزمن .

وقد نوّه صاحبُ الديوان فى تصديره الشامل وفى كلمته الختامية بفضل زملائه ، وذكر أن قيمة هذه الدراسات هى فى ذاتها ، لا فيما شاء كرمُهم أن يوجّه اليه من نُعوتٍ وأمداحٍ ، وتمنى أن يدنو اليومُ الذى يُستغنَى فيـه عن درس شعره إذ يُصبح مألوفاً وتحلّ بدله نماذجُ جديدة أخّاذة من شعر الشباب الحىّ ، وهـذه أيضاً عاطفةٌ نبيلةٌ نسجلها بارتياح للدكتور أبى شادى نصير الشباب .

وصفوةُ القول ان ديوان «الينبوع» من خير ما نظمته يراعةُ أبى شادى ، ومن أبدع ما لحّنته قيثارته ، وهو بشعره ودراساته — فى غير مجاملةٍ ولا تحيزٍ منى — تحفةٌ فنيةٌ رائعةٌ ، وحسنةٌ بارزةٌ من حسنات هذا الجيل ؟

يوسف أحمد طبرة

ملاحق أبولو

ذكرى حافظ وشوقي

يوزّع مجاناً مع هذا العدد من أبولو ملحق خاص بذكرى حافظ وشوقي تنويهاً بالجهد الأدبي العظيم الذي قامت به الجالية السورية في أمريكا الجنوبية . وسنوزع مع كل عدد في المستقبل ملحقاً من هذا القبيل وَقْفاً على موضوع خاص ، كما أننا سنعلن عن مسابقات أدبية لخدمة النهضة الشعرية بين وقتٍ وآخر . وأملُنا أن نجد من زياده إقبال القراء ما يشجعنا على مواصلة تحسين المجلة ومضاعفة خدماتنا لهم ولأغراضها الأدبية .

تحت الطبع

(تقويم الأطفال) — الكتاب الذهبي السنوي للأطفال

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣١٢	١٧	لهو المقادير	لهو المقدار
٤٢٥	١٨	سابا	سبادة
٤٢٩	١٣	بات	باب
٤٣٠	٣	ورفعت	رفعت
٤٤٦	٢٥	العبقربة	العبقرية
٤٦٦	١٥	ابن سيده	ابن سيدة
٤٧٣	١١	لخصاصة	الخصاصة
٤٨٠	٢٣	إم	إثم
٤٨٦	٩	يقروا	يقرا

فهرس

صفحة

صفحة





المجلد الثانى

العدد السابع

أپولو

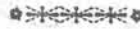
مجلة فنية لخدمة الشعر العربى

لسان حال جمعية ابولو

تصدر مرة فى كل شهر

وسنتها عشرة اشهر

مارس سنة ١٩٣٤











صاحب الامتياز ورئيس التحرير | أحمد زكى ابوشادى

الادارة | بشارع الملك المعز رقم ٩ بضاحية المطرية بمصر

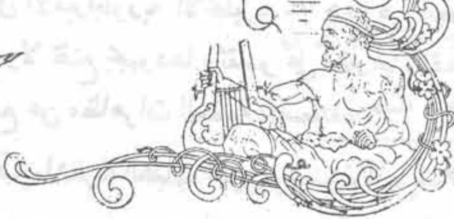
التليفون | ٦١١٩٦ و ٤٠٤٥٦











مطبعة التعاون



حب المحال

لا يوجد أديبٌ عصريٌّ يجهل مَنْ هو وليم بتلر ييتس (W. B. Yeats) الحائز لجائزة نوبل فى الآداب سنة ١٩٢٤ ، فلعله أعظم شعراء الانجليزية على الاطلاق وإنْ لم يكن شاعر الملك .

هذا الشاعر الارلندى العظيم الذى ناهز السبعين يعتبر أقسى ناقدٍ لنفسه حتى أنه لم يتردد فى تنقيح شعر صباه واظهاره فى طبعة جديدة بعد تحوير وتعديل كثير . وهو على عظمته الفنية وتفوّقه فى النظم والنثر وفى التأليف الدرامى أبعد الناس عن الرضاء عن نفسه . أليس هو القائل :

The fascination of what's difficult
Has dried the sap out of my veins, and rent
Spontaneous joy and natural content
Out of my heart.

فهو مفتونٌ بالصعب وإنْ جفّ له دمُه ، وإنْ انتزع الحبورَ الذاتى والقناعة الطبيعية من فؤاده . وليس هذا الصعب سوى المحال ، سوى المثل الأعلى البعيد .

هذا هو رمز النهضة الشعرية فى الامبراطورية الانجليزية — هذه هى العظمة المتواضعة التى تتطلع أبداً الى المحال ولا تقنع بجهودها وتقسو على آثارها بالنقد فى غير انتظار للنقد الخارجى وفى ترفّع عن مظاهرات العظمة المصطنعة :

وهذا هو درسٌ آخر بليغ نزفّه لشعراء الشباب الذين يتمنون أن يساهموا فى نهضة الشعر العربى .

الأساليب التقليدية

ولكن العظات الأدبية التي نستفيدها من سيرة و . ب . ييتس لا تقتصر على هذا : فالرجل من أبرع حملة الأقلام بين الأدباء ، وقد جال جولات موفقة بأساليبه الكلاسيكية فى شبابه ثم انتهى الى التحرّر الكامل الذى تجلّت فيه شخصيته أبهى التجلى ، فصار مثال الأديب الفنان بأقوى معانى هذا الاصطلاح .

وكم من مرّة نقرأ فى نقد الشعر العصرى ما لا ينتقص من قيمته الشعرية بتاتاً ، ولكن تستوقفنا العبارة المألوفة « انّ أسلوب هذا الشعر غير عربى » . . . وعبثاً نحاول أن نجد تحديداً بيّناً لهذا الانتقاص أو لهذا الاتهام ، فقد نجد الشعراء المنقودين أكثر تضلعاً بفنون العربية من ناقديهم ، وأوسع اطلاعاً على أسرارها ، وأوفى مرانة على استعمالها ، وأكثر غيرة عليها من منتقصيهم ، وكلّ ما يعيبهم مرونتهم الانشائية وشجاعتهم الفكرية والبيانية وقدرتهم على الابتداع الذى يزيد من ثروة الأدب ويفسح للغة آفاقاً جديدة لا يتصوّرها ناقدوهم الذين قلما يعرفون من الأدب غير المحاكاة الببغاوية . . . مثل هذا النقد السخيف أصبح كالمرض المُعدِى، وصار مجرّد ذكره دليلا على فقر صاحبه الأدبى فى زمن لا يجهل أساليبَ العرب واستعمالها غيرُ الأميّين . وشتان بين الترقى بهذه الأساليب وتكييفها بروح العصر وبين الجهل بها أو العجز عن استعمالها ، فى حين أن استعمال التعابير العربية القديمة فى هذا الزمن استعمالا تقليدياً محضا دليل على تحجّر الفكر وانعدام المواهب الأدبية فضلا عن فقدان روح الابتداع وهى الروح السارية فى الحركات الأدبية . ومن كان فى شك من ذلك فليرجع الى كتاب (النثر الفنى فى القرن الرابع) الذى أصدره حديثاً الدكتور زكى مبارك ليرى كيف كان أعلام العربية فى ذلك العهد يتفنّنون ويبتدعون فى النثر — فضلا عن النظم — ويخلقون منه شعراً حياً يبقى على الزمن .

شعر التصوير

كتب أحد مريدينا الفضلاء — الشاعر محمد زكى ابراهيم — يؤاخذنا على اغفال شعر التصوير فعدنا ننشر نماذج جديدة منه ، وإنْ كنا لا ندّعى أن جميع القراء يتذوّقون هذا اللون من الشعر ، بل عرفنا من بعض النقاد تحاملاً غريباً

عليه أوْحَى الينا قصيدة « شعر التصوير » (ديوان « الشعلة » ص ٢٤) وقد قلنا فيها :

حكتْ النقوشُ وقبلَها الأطلالُ ... فتماثلَ البنّاءُ والمثالُ
هذى تهاويلُ الحياةِ بما وعَتْ ... فى اللوحِ تعمرُ فنّها الآجالُ
أيَصُدُّ عنها الشعرُ وهى بروحهِ ... خلِقَتْ وتجذبُ وحيَه الأطلالُ؟
فى كلّ لونٍ بل ونفضةِ ريشةٍ ... للعبقرىّ تَكلُّفٌ وسؤالُ
يَستنطقُ الاصباغَ وهو مقدّرٌ ... أنّ الحياة أشعّةٌ وظلالُ

وهل ثمة أغربُ مِنْ أن يقول قائلٌ إنَّ التجاوبَ بين فنىْ التصوير والشعر مضعف للروح الفنّية ، وان الحال غير ذلك اذا كان هذا التجاوب بين النحت والشعر ؟ . . . للشاعر أن يُعْجَبَ بمشهدِ هيكلٍ فيصوغ فى ذلك قصيدة رائعة ، ولكن ليس له أن يعجب بلوحةٍ من التصوير الحىّ اعجاب الشاعر المفسّر العبِّر !

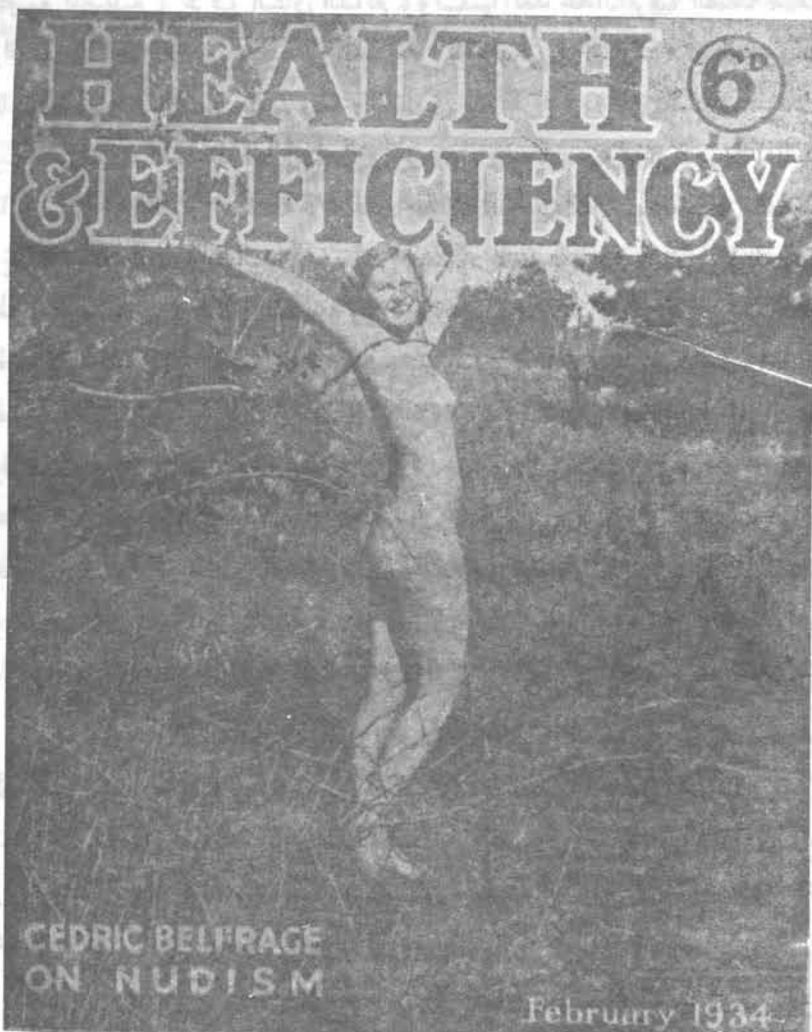
أليس مثل هذا النقد الغريب من أمثلة التعنت فى محاباة التحرر الفنى والابتداع؟

المرأة والفن

بين روائع ما قرأناه عن المرأة وأثرها فى الحياة عبارة شعرية لهرجريف Hargrave خلاصتها « أن النساء شعرُ العالم : أى فى نفس المعنى الذى نعدّ فيه النجومَ شعرَ السّماء . . . فهنّ بصفائهنّ وبما يمنحنه من نُور وبتناسقهنّ يقمنَ مقامَ الكواكب السيَّارة التى تسودُ مآل الانسانية » . . . .

والفنانون – أو معظمهم – فى طليعة مَنْ يؤمنون بهذه العقيدة ، ولذلك نجد كلّ فنَّان أصيل يعمل غالباً على احترام المرأة بل على تقديسها روحاً وجسماً ويأبى التفريق بين كيانها ووجدانها ، ويعدّ امتهان جمال المرأة البدنى نوعاً من الرياء بل من المرض النفسى .

وقد أخذت هذه الروحُ تقوى فى الغرب وتنتقل من الفنّانين الى آلاف من المتثقّفين العاشقين للفطرة السليمة حيث تساعد الطبيعة على جمال الجسم وصفاء الروح وكمال الصحة . ونشأت من ذلك حركة التجرّد (Nudism) حيث تقترن بالآداب الرفيعة اقترانها ببساطة الطبيعة ، وهى آدابٌ لا تعرف عُرفَ



﴿ مثال للثقافة العصرية فى الأدب الأنجليزى ﴾

وهذه العناية الصريحة بأدب الحياة الواقعية من صحة ومعيشة لم يكن لها وجود فى العصر الفكتورى ، ومع ذلك لا يزال الشعب الانجليزى موسوماً برزانته المشهورة ونقاء طباعه ، بل قد ساعدت هذه الروح الجديدة على التسامى بتلك الخصال

المجتمع المصطنع ، عُرفَ النفاق الشائع ، ولكنها بعد هذا عُرفُ الصحة للعقل والطبع والبدن . وليس يعنينا فى هذا المقام الدفاع عن « التجرد » أو الدعوة اليه، اللهم الا فى حرية التعبير الفنى وتقدير الجمال فى طلاقة تامة . والذين يعيبون علينا ذلك ليس لهم الصفاء الذين يدّعون أنهم يدافعون عنه ، ولو كان عندهم شئ من هذا الصفاء لما تورّطوا فى ظنون سقيمة . وأغلب هؤلاء العائبين الذين يتصنعون الفضيلة ويخلطون بين الفن والتقاليد هم من أهل الشذوذ الذين نقاومهم أشدّ المقاومة ونرفع المرأة بالرغم عنهم فى مكان القداسة روحاً وجسماً . فتظاهرهم بالدفاع عن الفضيلة حينما لا يعرفون الا الفضيلة النظرية ، وهذا التحمس المصطنع بين وقت وآخر على حساب الفن ، فما لا يقبله أىّ فنان حرّ الضمير ينبض قلبه بالاخلاص للمثل الأعلى.

ولكننا من باب التسامح نكتفى بكلمة واحدة ردّاً على هؤلاء وهى توجيههم الى صحافة أمة من أرقى الأمم فى الآداب والأخلاق وهى الأمه الانجليزية ، وننشر اكراماً لهم فى هذا العدد صفحة الغلاف من مجلة (الصحة والقدرة Health & Efficiency) لشهر فبراير الماضى حتى يروا بأى منظار ينظر الانجليز المتقفون الى الجمال الجثمانى وإن كنا شخصياً لا نعتبر النموذج المعروض نموذجاً ممتازاً .

وهذه الروح الفنية البريئة — روح المتعة الفطرية السليمة — قد تَسرّبتْ الى مصر تسرباً طبيعياً تبعاً للتهذيب العصرى ، فاصبح كلُّ فنّان أصيل معرّضاً للتأثر بها ، وصار حتماً علينا أن نبث الشجاعة الأدبية فى التشبث بها والحرص عليها. ولولا هذه الروح الجديدة لما عُرضت فى مصر « أنشودة الأناشيد » ولما تمتعنا بمشاهدة ذلك التمثال الجميل المأخوذ عن مارلين ديتريش .

ونحن نشكر للجنة مراقبة السينما هذه الحرية الفنية — شكر من يقدر أن الفنون الجميلة هى المسئولة أساسياً عن تهذيب العقل الباطن ، وأن الأمة التى ترقى بعقلها المفكّر ولا ترقى بعقلها الباطن هى أبعد الأمم عن الرقى الحقيقى .

الشعر والعقائر

فى مقدمة ما يتمناه كلُّ ناقدٍ غيورٍ وكلُّ مؤرخ أدبى أن تتاح للفنانين حرية التعبير لنقف على تطوُّرات أفكارهم وعواطفهم ولنستعين بذلك على دراسة النفسيات فى هذه الطبقة من الموهوبين . وكمْ نأسف أشد الأسف على أن أحكامنا على كثيرين

من رجال التاريخ هي فى حُكم الخاطئة لأنهم كانوا يلجأون الى التقية وكانوا أسرى التقاليد والعادات ، فضاع علينا عرفان مذاهبهم الحقيقية وخوالج نفوسهم ، وبذلك خسرنا جانباً عظيماً من تاريخ الانسانية النفساني .

ونحن الآن فى عصر النور ، فيجب أن نتسامح ازاء الفنانين : يجب أن نشجعهم على إعلان عواطفهم وافكارهم لندرسها وننقدها نقداً فنياً خالصاً ، لا أن نحاول تكميمهم وتجريحهم والطعن فى كرامتهم وأخلاقهم .

ومن البديهى أن رجال الفن لا يمكن أن يعدّوا بالمعنى العملى من رجال التبشير ، فلا موجب إذن لأن يتحمَّس ضدهم من يخالفهم فى مذاهبهم ، بل من حقهم على الجميع التسامح الذى تعودته الفنونُ من أهل الثقافة حتى لا يجبنوا فى التعبير عن خوالجهم فتضيع علينا باحجامهم فوائد شتى من الوجهة الفنية . لندع للفنانين حرية التعبير ، ولنتجنب التشويش عليهم ، ثم ليعارض من يشاء مذاهبهم بمذهبه معارضةً فنية صرفة لا معارضة الزراية بهم والتحامل عليهم واغراء الدهماء بهم باسم الدين مرة وبحجج أخرى واهية مرات أخرى ، فان مثل هذا التصرف الذميم لا يعدّ الا رمزاً لتربيتنا الناقصة ولن يعودَ علينا إلا بالفقر الأدبى والخسارة الروحية .





دقة السماع

منذ خمس وثلاثين سنة

كنّا فى سامر بالحلمية القديمة .

السامر كاد يبطل فى هذه البلاد ويا للأسف بعد أن كان من أجمل العناوين على الكرم المصرى ومن أبهج مظاهر التآخى بين الناس وارتفاع الكلفة فى مجالس السرور على اختلاف الطبقات مع بقاء الرعايه للحرمات لا تنتقص منها المباسطة .

السرادق المنصوب واسع شاسع تتحدّر إليه الأنوار من مصابيح ضخمة ثرثارة الألسنة ، تضاحك ألوان الذهب والحرير الممتزجة فى التكآت والمقاعد ، وتداعب الصور الفرعونية البيضاء بين الرقع البنفسجية والصفراء والحمراء المبطّن بها كساء ذلك السرادق الضخم ، أو تلاعب الخطوط والنقوش العربية المخضرمة بين العهد الأقدم والعهد الذى استحدثه بعده الفتح الاسلامى . كل أولئك يهىء للأبصار زينة شائقة ويفسح للأفكار مجالا رحيباً كثير الشعاب فى عالم الخيال .

أما الناس فجتمعون ألوفاً ، بين الانتظام دوائر والاتساق صفوفاً ، يتحادث متوقروهم بالكلمات الهادئة الخافتة ويرتفع للفتية النزقين منهم ضجيج ، وأحياناً تخترق كثافة تلك الجلبة العامة نكات يتجاوب بها متنادران متباعدان : نكات تثب صُعُداً كالسهام النارية ثم ترتمى صَبباً متهدلة الجوانب بالأضواء الملونة البهيجة ، فتعقبها قهقهات يتلقاها بها الجمهور الفرحون . ويلى ذلك صمت لا ركز فيه إلا رنات الأقداح تدار على العطاش بالماء القراح أو فناجين من القهوة يسعى بها خدم محتشمون.

أما تخت الآلات فهو مشترف قد احتلّه بضعةُ رجال فى أكسية احتفال .

هذا أحمد الليثى ، أشهر عوّاد فى زمنه . نحيف الجسم قد علتْ سنه وقلّ الماء فى اسالة عارضيه الرقيقين وكأنما اجتمعت قواه فى سباطة أنامله العصبية البيضاء ، اذا أجال ريشته إثار الأنغام إثارة عنيفة ، ولكنها مقدورة ، تهيء من النبرات الأولى بها أسباباً دقيقة كنسيل الحرير لتبلّغ لطائف قراراتها الى الأذن وكأنها تتناولها من الظن .

وهذا محمد العقاد ، أشهر ضارب على القانون رفيق «عبده» من صباه وأشبه الناس سحنة به . ربعة مكتنز مشرّب الوجه بحمرة مشرق الأسارير تتمشى أصابعه الغضة على الأوتار فيخرج من مجتمعها ومتفرقها ، من عاليها وواطئها ، من بعيدها وقريبها ، فى أدنى من لمح الطرف تلك الألحان المتأصلة المتفرعة الجهيرة المنخفضة القابضة الباسطة التى تلج النفوس وتحرك فيها كوامنها بمثل الحركات التى تتلقاها هى من تلك الأصابع

وهذا أحمد حسنين ، المساعد الأول لعبده ، أو حنجرته الثانية ، معتدل البدن اسمر الأديم فى احدى باصرتيه ضعف ولا دلالة خاصة فى ملامحه ، كان الحافظ الأمين والحاكى الصادق لما يأخذ عن رئيسه وأستاذه ، لم يبتكر شيئاً ولكنه أحسن الأداء وأجاده حتى ليقول فى الطَّلَق من الغناء (وعبده قد سكت) فما يشك سامع فى أن القائل هو عبده . وربما تغنى وحده بما هو ملقن فما يرتاب من لا يشاهده فى ان القائل هو عبده .

وهؤلاء هم الأعوان الآخرون من عوّاد ثان وقانونى ثان ومساعدين صوتيين أجيد اختيارهم ، ولكل منهم سيكون شأن بعد أن ينفضّ تحت عبده بوفاته . غير أننى سأخصّ بالذكر منهم الرقّاق يومئذ وهو محمود رحمى ، فقد جعل هذا النقاد الجهبذ لرقّه دولة لا يشعر بها الجمهور ولكنها دولة . سمحٌ مرهف أداته الرّق يضبط به الكليات والجزئيات محكم الضبط فاذا وقعت هنة أو هفوة فى الايقاع شهدنا أنامله وقد تحركت حركة مَن مسّه سوط أليم .

وفى النهاية هذا عبده . هذا محبوب الأمة والمعبر أصدق تعبير عن السجية المتأصلة فى جبلّتها المتشبعة بها كل جوانحها : سجية الطرب . هذا هو الرجل الذى لا تفلُّ منزلة خلقه وخلقه وأدبه عن منزلة إبداعه فى فنه وتفوقه بصوته وطربه . مغنى الملوك ونديم الامراء وسمير الكبراء ومعشوق الأوساط والعامة والدهماء . هذا الذى لم يدان مغنٍّ فى قومه مرتبته فى قومه .

تبوأ المنصة والبشر بادٍ على الوجوه ، ثم استوى ومكانه مكان الفريدة من العقد ثم أخذ بذاك المحيا الطلق وتلك اليد المرتفعة إلى أعلا الرأس يحيي من عرف أو يردّ تحيات الأودّاء بأحسن منها ، ثم أسرّ إلى من بجواره ما يستحسن البدء به وأشار إلى التخت بالاستعداد فطفقت النغمات تهب من كل جانب شاردة وواردة في طلب التوافق بينها بالمقام ، حتى إذا تم التناسق والانتظام وضرب البشرف وهيئت المسامع للحن المروم اندفع كل مَن في التخت يضرب ويعزف ويتغنى وفي خلال لايقاع يعلو صوت عبده فيعطي خلاصة الطرب بين الجواب والقرار . ولا تسل عن سكون الأشهاد وحسن إنصاتهم ثم لا تسل عن انفجار الصيحات من صدورهم وقد أثخنت بالجراح اللذيذة تستزيد منها وتستعيد .

انقضى الفصل الأول على ما تمنّت النفوس من عبده ومن أعوان عبده ولم يبخل الناس عليه ولا على أحد منهم بامارة من أمارات الاستحسان والاعجاب .

والناس في ذلك العهد مفطورون على حب الغناء وفوق ذلك على حبه شرقياً عربياً مصرياً خالصاً من الشوائب . وعلى قدر ما كانوا يهتزون للنغمة الصحيحة الواقعة في موقعها الحق كانوا تارة بصمتهم الرهيب وطوراً بإيماءات إنكارية من عدة جهات يعاقبون المفرط أو المتسامح أو الذي لم يعنه ذوقه على الضبط المطلوب في أي جزء من أجزاء النغم .

وكان مما ألفه الجمهور في كل ليلة كهذه أن يفاجئه عبده بشيء جديد يزيده به شغفاً ولفنه إكباراً . فلما كان الفصل الثاني صعد عبده الى المنصة متثاقلا وظنه الأكثرون ثملاً فأخذ التخت بإيقاعه وعبده يجاريه مجاراة التعب وربما دارى صوته بصوت احمد حسنين في لباقة لم تخف على الفطناء . حتى إذا مضت ساعة وحان الفراغ من دور متقن بديع فعل في النفوس أفاعيله وإن قل فيه ما بذله عبده من المجهود أومأ هذا النابغة العجيب الى التخت فسكت واندفع هو وحده ينشد ، وهو وحده الذي كان قادراً على الانشاد بانفراده من غير استعانة بأدنى إشارة ممن في التخت لرده الى النغم الأصلي إذا أبعده عنه التنقل والتفريع . فظل نحو نصف ساعة يشدو شدوَ البلبل ويحلق تحليق النسر ويجول جولات الصقر مدانياً مباعداً وصيحات الاعجاب تعلو ثم تعلو ، حتى إذا جنح إلى القرار أخذ به محيراً ... فههنا صمت السماع وأخذتهم الرعدة إذ خيل اليهم أن عبده قد أضل موقع التسليم من نغمه وبعضهم التفت عنه أسيفاً وآخر أطرق

واجماً . وكان كلٌّ منهم يقول فى نفسه : ياللخسارة ! إن عبده على وشك السقوط من أريكة الامامة على اللحن والملحنين . غير أن عبده استقال قبيل العثار ونهض كأنه هائم حائم حول غرض لايتبينه ، ثم لم تكن إلا اسفافة أخرى ووثبة حتى دوّم على رشد بيِّنٍ من أمره ووقع بآخر النبرات من صوته مطمئناً غيرَ مترددٍ على الصميم الصميم من موضع التسليم .

ولله تلك الدقيقة ما كان أروعها وأعظمها ! فبعد تلك المخافة على ملك الغناء يتقلقل على عرشه، وبعد ذلك الوجوم والاطراق تسامت الأبصار اليه، وعلت صيحات السرور والاعجاب به ، وعرف الكبير والصغير أن عبده قد لعب لعبته وأجادها حتى بلّغت الطرب من النفوس ما لم يبلغه من قبل .

هذه أقصوصة مشهودة سُقتها ليعلم هذا الجيل منها كيف كانت دقة السماع فى مصر منذ خمسة وثلاثين عاماً وما آلت اليه اليوم من حالة عجب بقى فيها أحد المغنيين ، وهو الأليم، من معانى الطرب ؟

خليل مطران





برسى بيش شلى

١٧٩٢ — ١٨٢٢ م .

آراؤه فى الذّود عن الشعر

(٤)

وكلا الاثنين دانتى وملتون قد نفذا فى صميم الدين القديم للعالم المتقدم فان روحه تحيا فى شعرهما وربما بنفس النسبة التى بقيت عليها صوره فى تلك العبادة الفاسدة فى أوربا الحديثة .

فأحدهما سبق حركة الاصلاح والآخر أتى بعدها ـ بفترة متقاربة غالباً ـ فكان دانتى أول مصلح دينى وقد فاقه لوث فى الغلظة والفظاظة لا فى الجرأة والتشهير على استبداد البابوية .

كان دانتى أول منقذ لأوربا الغارقة فى سباتها فخلق لغة فيها موسيقى وفيها اقناع من عماء الهمجية المتنافرة وكان الحاشد لتلك الأرواح العظيمة التى أشرفت على نهضة إحياء العلوم ، فكلماته ذاتها طبيعية للروح : كل كلمة شرارة وذرة مشتعلة لفكرة باقية أبداً .

وكل شعر سامٍ لا يحدّ فربما أزيح ستار عقب ستار ولا نصل إلى جماله الحقيقى . والقصيدة الرائعة ينبوع متدفق بمياه الحكمة والاجتهاد وبعد أن يستنفد الشخص أو العصر كل قوته الإلهية التى تتيحها له الروابط الخاصة يخلفه آخر ثم آخر وتتجدد العلائق دائماً وتصبح مصدر سرور غير مدرك . وقد عنى ذلك العصر الذى تلا عصر دانتى وبترارك وبوكاشيو بالتصوير والنحت وفن البناء ، وقد أمسك تشوسر بالالهام الالهى وقام الأدب الانجليزى على أنقاض الأدب الايطالى . ولكن دعنا لا نحيد عن

الذود إلى تاريخ نقدى للشعر وتأثيره على المجتمع فيكفى أن ألمحنا بتأثير القراء بكل معنى الكلمة فى عصورهم والعصور التى تلتها . ولكن الشعراء هوجموا من طريق آخر ليتخلوا عن عرشهم إلى رجال العلم والعقل . فمن المسلم به أن استخراج الخيال يبعث السرور كثيراً ولكن استخدام العقل أنفع . دعنا نشرح على هذا الفرق ما الغرض هنا من المنفعة ؟ فاللذة أو الحس فى معنى أشمل هو الذى يدأب للحصول على وجدان كل رجل حساس ذكى ، وعند الحصول عليه يكتفى . فهناك نوعان من اللذة إحداهما عامة باقية ومستمرة والاخرى وقتية خاصة . والمنفعة لابدائه تتخذ سبيل إحداهما ، فالاولى زيادة على مصاعفتها وتهذيبها وتوسيعها للخيال وإلباسها روحاً جديدة للحس فهى نافعة . ولكن ربما يتبادر إلى الذهن معنى أضيق لكلمة منفعة بأن تقتصر على التعبير عن ذلك الذى ينيلنا كل ما تتطلبه طبيعتنا الحيوانية وجعل الناس فى أمن ودعة . ومما لاشك فيه أن ناشرى المنفعة على هذا المعنى لهم مكانهم الخاص فى المجتمع فهم يتتبعون آثار الشعراء وينقلون مقتطفات انتاجهم إلى كتاب الحياة العامة ، ومساعيهم سامية ما دامت تربط قوانا الطبيعية الدنيا بحدود قوانا العليا . ولكن عندما يهدم الشاك تلك الخزعبلات المتراكمة عليه أن يحذر أن يشوه — كما شوه قبله الشعراء الفرنسيون — الحق الخالد الذى صبغ خيال الناس ، وعند ما يشرع المهندس الميكانيكى فى تقصير المسافة ويوجد العمل رجل الاقتصاد السياسى فعليهما أن يتنبها إلى ارتباط تأملاتهما بالنظريات الأولى التى هى من عمل الخيال .

ومن الصعب أن نعرف اللذة فى أسمى معناها ، فان التعريف يتضمن عدداً عظيماً من المتناقضات الظاهرية لأنه من النقص الغامض فى تكوين الطبيعة الانسانية أن الألم الذى يصيب أجزاءنا الدنيا تتبعه لذة فى أجزائنا العليا . فالحزن والخوف والألم واليأس نفسها هى السبل المختارة لتقربنا من الخير السامى . وشعورنا بالعطف فى المأساة يقوم على هذه النظرية : فالمأساة تدخل علينا السرور بعرضها علينا ظلاً من السرور الذى يوجد فى الألم . وهذا أيضاً أساس الحزن الذى لا يمكن فصله من أعذب الألحان . واللذة التى توجد فى الحزن أقوى من اللذة التى توجد فى اللذة نفسها ، وعلى هذا قد قيل « الأفضل أن تذهب الى مأتم من أن تذهب الى عرس » وليس ذلك أن النوع السامى من السرور لابد أن يقترن بالألم ، فان الابتهاج بالحب والصداقة والافراط فى اعجابنا بالطبيعة وسرورنا بادراكنا الشعر تخلوا منه خلوّاً تاماً .

فادخال اللذة وتقويتهـا فى أسمى معناها هو منفعة حقيقية . وأولئك الذين يجلبونها ويحفظونها شعراء أو فلاسفة شعراء .

وإن جهود لوك وهيوم وجيبون وفليتير وروسو وتلاميذهم فى اسعاد الانسانية الضالة المظلومة قد أوجدت شعور الاشفاق بالجنس البشرى (ومع أن روسو وضع هكذا فقد كان فى قرارة نفسه شاعراً . أما الآخرون حتى فليتير فكانوا مجرد علماء) ومع ذلك فمن السهل أن نقف على مقدار التقدم الأخلاقى والعقلى الذى كان يمكن للعالم أن يكون عليه لو أن هؤلاء لم يوجدوا . وإن شيئاً واحداً يطرق خيـال كل واحد وهو تصور حالة العالم الأخلافية إذا كان أمثـال دانتى وبترارك وبوكاشـيو وتشوسر وشكسبير وكالدرن ولورد بيكون وملتون لم يظهروا على مسرح الحياة وروفائيل وميخائيل انجلو لم يوجدا ، أو أن الشعر العبرى لم يترجم ، أو ان العودة الى درس الأدب اليونانى لم تحدث ، أو أن آثار النحت القديم لم تصل الينا أو أن الشعر الذى فى دين القدماء قد باد . فانه ما كان للعقل الانسانى ـ إلا بوجود هذه المحفزات ـ أن يستيقظ الى اختراع هذه العلوم المتشعبة وأن يدخل قوة العقل النافذة فى اضطرابات المجتمع التى تحاول الآن أن تسمو على التعبير المبـاشر لملكة الاخـتراع والابتـكار نفسها . فلدينا حكمة أدبية وسياسية وتاريخية أكثر مما نعرف كيف نوجهها الى العمل ، ولدينا معرفة علمية واقتصادية أكثر مما يتناسب مع التوزيع العادل للانتـاج الذى يضاعفه . فالشعر فى هذه النواحى من التفـكير يختفى وراء الحقائق المجتمعة والفروض المتعددة ، ولـكننا فى حاجة الى ملكة الابتـكار لنتصور الشىء الذى نعرفه ، وفى حاجة أيضاً الى الحافز العظيم لعمل ماتتصوره . نحن فى حاجة الى شعر الحيـاة فقد سـبق تقديرنا ادراكـنا وأ كلنا أكثر مما نقوى على هضمه ، وإن استثمار تلك العلوم التى وسعت حدود سلطة الانسان على العالم الخارجى لفى حاجة شديدة الى الملكة الشعرية حتى نقف على كنه العالم الداخلى . فالانسان مع انه استعبد العناصر الطبيعية لا يزال عبداً ، ووظائف المـلكة الشعرية مزدوجة فتخلق باحداها موادا جـديدة للمعرفة والقوة واللذة وتولد بالأخرى رغبة فى العقل لنشر هذه المواد من جديد وترتيبهـا تبعاً لنظام خاص يمـكن أن يطلق عليه الجمال أو الحسن .

والحاجة إلى الشعر لا تطلب إلا فى أوقات ـ عند ما يقهر تزاحم المواد الخارجية من الافراط فى حب الذات والانشغال بالماديات ـ تلك القوة التى تحولها إلى قوانين داخلية للطبيعة الانسانية فيصبح الجسم حينئذ ثقيلاً على ذلك الذى يبعث فيه الحياة .

والشعر فى الحقيقة شىء إلسَمى فهو مركز ومحيط دائرة المعرفة . وهو الذى يدبر سائر العلوم وهو فى نفس الوقت زهرة التفكير . هو الشكل الذى يتدفق منه الكل والذى يزين الكل . وهو الذى — إذا لفحه لافح — أهلك فيه الثمرة والبذرة ومنع الغذاء عن شجرة الحياة وعاق نمو أغصانها . فهو أبدع وأتم زهرة لجميع الأشياء .

وهو فى رائحة ولون الوردة لا فى حياكة العناصر التى تتألف منها . وهو فى شكل وروعة الجمال الحى لا فى الوقوف على دخائله وأسراره .

ماذا تكون الفضيلة والحب والوطنية والصداقة ؟ بل قل ماذا يكون جمال هذا العالم الذى نعيش فيه ومن يكون عزاؤنا على جانب هذا القبر وماذا تكون رغائبنا بعد أن نودع فيه اذا لم يكن الشعر قد صعد ليستحضر نوراً وناراً من تلك الارجاء الخالدة حيث ملكة العقل لا تجرؤ على التحليق فيها ، ولو استعارت أجنحة نسر ؟ !

والشعر ليس كالعقل ملكة يمكن إجهادها نزولاً على رغبة الارادة . فلا يستطيع إنسان أن يقول « لابد أن أنشىء قصيدة » . فان أعظم الشعراء يستطيع أن يقول ذلك لأن أثر العقل فى الابتكار كأثر القنديل الذابل الذى يضىء وقتاً ما بعامل خفى كريح غير دائمة الهبوب . فهذه القوة تتولد من الداخل كلون الزهرة التى تذبل وتتبدل عند ما تأخذ فى النمو . والأجزاء الشعورية فى طبيعتنا غير منبئة سواء فى قربها أو بعدها . فلو كان هذا التأثير مستمراً فى صفائه وقوته لما استطعنا أن نتنبأ بعظمة النتائج . ولكن عند البدء فى الكتابة يكون الالهام قد انطفأ . ولذلك فان أروع أنواع الشعر الذى ارتبط بالعالم ربما كان ظلاً ضعيفاً لمشاعر غريبة للشاعر . وإذا نظرنا الى أعظم شعراء هذا العصر نجد أنه من الخطأ أن نقرر أن أروع صحائف شعرهم كانت وليدة الاجهاد الفكرى . وان الكد والابطاء اللذين امتدحهما النقاد يمكن أن يفسرا بأنهما لا يعبران عن أكثر من ملاحظة دقيقة لدقائق الالهام ، وقد فهم ملتون الفردوس الضائع جملة قبل أن يبرزها أجزاء . فأمامنا سلطته الخاصة على آلة الشعر وهى تملى عليه أنشودته من غير تعمل أو قصد . فمثل هذه المنتوجات للشعر كالفسيفساء للتصوير .

والغريزة وفطرة الملكة الشعرية لا تزالان أكثر ظهوراً فى الفنون السهلة التصويرية ، فالتمثال الفخم أو الصورة البديعة تأخذ فى التطور كما ينمو الطفل فى بطن

أمه . فالشعر هو سجل دوّنت فيه أحسن وأسعد ساعات لأحسن وأسعد العقول .

الشعر كما كان تفسير الطبيعة أسمى وأقدس فى داخلنا . وهذه الأشياء وغيرها التى تتصل بالوجود قد أفصح عنها بكل جلاء أولئك الذين وهبوا حساسية زائدة وخيالاً خصباً . وليس الشعراء خاضعين لقوانين فهم أرواح من أرق وأسمى نوع . يلوّنون كل ما يتصل بهم بألوان شفافة، فالكلمة صورة فريدة فى تصوير منظر أو عاطفة تمسّ الوتر المسحور وتحيي فى أولئك الذين طالما أفصحوا عن عواطفهم صورة الماضى الدقيق . ولذلك يهب الشعر الخلود لأجمل وأحسن ما فى العالم . فهو ينتشل من يد الفناء الزّورات الالـهية فى قداسة الانسان .

وهو يبدل كل شيء الى حسن فهو يسمو بجمال أجمل الاشياء ويهب الجمال أحقرها وهو يزوج الابتهاج بالهلع، والحزن بالفرح، والابدية بالتغير وهو يوحد تحت سلطانه الخفيف كل الاشياء المتنافرة وهو يغيركل ما يمسه،وكل صورة تشع فى داخله تتحول بحيلة غريبة الى لباس للروح التى يخلقها . فكيمياؤه الخفية تحول تلك المياه السامة التى يصبها الموت على الحياة الى ماء عذب فى أكواب ذهبية .

وهو ينزع عن العالم نقاب الالفة ويعرض ذلك الجمال العارى الناعس الطرف الذى هو روح صوره . وقد وجدت جميع الاشياء كما أدركت أو على الاقل كما أدركها الشاعر . والعقل ذاته يستطيع أن يخلق جنة فى مكان الجحيم وجحيماً فى موضع الجنة . ولكن الشعر يكسر ذلك القيد الذى يضطرنا الى الخضوع الى التأثيرات المحيطة بنا .

وسواء أكان ينشر ستاره الرمزى أم يزيح النقاب الاسود للحياة عند النظر الى الأشياء فهو يخلق وجوداً داخل وجودنا ويجعلنا سكان عالم يحسب هذا العالم المألوف عماء ويستعيد العالم العام الذى نحن أجزاؤه وشعراؤه . وينقى بصرنا من غشاوة الالفة التى تحجب عناصر وجودنا وجلاله . وهو يضطرنا الى أن نشعر بما ندركه وأن نتخيل ما نعرفه .

وهو يخلق العالم من جديد بعد أن تلاشى فى عقولنا بمعاودة الآثار التى بلدت بالتكرار، وكما أن الشاعر هو الموجد لأسمى أنواع الحكمة واللذة والفضيلة والمجد ينبغى أن يكون أسعد وأعقل مشاهير الرجال . أما عن المجد فدع الزمن يكشف لنا عما إذا كانت شهرة أى مهذب آخر للحياة الانسانية تنازع شهرته . وكونه أعقل وأسعد وأحسن الرجال، وكونه شاعراً شيئان متلازمان لا يحتاجان الى إثبات . فأعاظم الشعراء

كانوا أكبر رسل للفضيلة على أكمل وجوهها . ولو أمكننا أن نقف على دخائل أرواحهم ألفيناهم أسعد الناس حظاً وربما نستثنى أولئك الذين وُهبوا ملكة شعرية سامية ولكنها ليست بالغة فى السمو ، ولكنهم على أى حال يحافظون على القانون بدلاً من أن يأتوا عليه . دعنا نصدر حكماً أو شهادة بدون محاكمة بأن بعض بواعث أولئك الذين يجلسون فى ذلك المكان الذى لانجرؤ على التحليق فيه تستحق اللوم. دعنا ندعى أن هوميروس كان سكيراً وأن فرجيل كان متملقاً وهورس كان جباناً وتسو كان مجنوناً ولورد بيكون كان مختلساً وروفائيل كان خليعاً وسبنسر كان مأجوراً ولا يليق بنا الآن أن نعلن عن شعرائنا الأحياء ولكن أخلافنا سيصدرون حكماً أشمل مع أصحاب هذه الأسماء فقد قدرت غلطاتهم ووجدت غباراً دقيقاً فى كفة الميزان .

فلو كانت خطاياهم حمراء كالقرمز فهى الآن بيضاء كالثلج قد غسلت فى دم الزمن لفادى الغفور ، انظر كيف امتزجت تلك التهم الصحيح منها والباطل فى حالة مشوهة مثيرة للضحك بالافتراء ضد الشعر والشعراء ،وانظر ما أحقرها عند ظهورها! فالأجدر أن تنظر إلى بواعثك الخاصة ولاتحكم وإلا حكمت على نفسك . والشاعر ـ كما قيل ـ يخالف العقل فى هذه الناحية ، أى أنه لا يخضع لسلطان قوى العقل الناشطة .

لقد ظننت أنه من صالح الحق أن آتى بهذه الملاحظات تبعا لذلك النظام الذى هيّأه لها عقلى ومن حيث الموضوع ذاته بدلاً من الأخذ بالصورة الظاهرة للجدال المنطقى . فاذا كان الرأى الذى تضمنته صحيحاً عادلاً فستبقى لتدحض حجج الذين يكرهون الشعر .

والجزء الأول من هذه الملاحظات قد اختص بالشعر فى عناصره ونظرياته وقد ظهر بقدر ما سمحت به تلك الحدود الضيقة التى حددتها ان ما يطلق عليه لفظ شعر فى معنى مقيد له اتصال عام بجميع أنواع النظام والجمال التى نظمت سائر مواد الحياة وهذا هو الشعر فى معناه العام .

أما الجزء الثانى (وهذا لم يكتب قط) فسيكون غرضه تطبيق هذه النظريات على الحالة الراهنة لتهذيب الشعر ورد تلك المحاولة التى تسمو إلى العلا بتلك الصور الحديثة للأخلاق والآراء وتخضعها إلى الخيال وملكة الابتكار،لأن الأدب الانجليزى

بذلك الرقى السريع الذى سبقه أو صحبه شيء كثير من الرقى القومى والحرية الفردية قد هبَّ قوياً نشيطاً كأنما عاودته حياة جديدة .

وعلى الرغم من الحقد الدنيء الذى ينقص من شأننا الآن فان عصرنا سيبقى مذكوراً بالتفوق العقلى ، واننا سنحيا بجانب أولئك الفلاسفة والشعراء ، واننا نربأ بأنفسنا من أن ننزل الى درجة أولئك الذين ظهروا منذ حركة الجهاد القومى الأخيرة لأجل الحصول على الحريتين المدنية والدينية .

وإن أعظم نذير جدير بايقاظ شعب عظيم ليحدث انقلاباً نافعاً فى الآراء والتعاليم هو الشعر . وأولئك الذين سكنت فيهم تلك القوة كثيراً ما يكونون أقل ارتباطاً بروح الخير والحسن التى يسيطرون عليها وهذا يرجع إلى طبيعتهم . ولكنهم حتى فى انكارهم وابتعادهم عنها تراهم مضطرين إلى خدمة تلك القوة التى تربعت على عرش قلوبهم . ومحال أن نقرأ ما كتبه مشاهير كتابنا اليوم دون أن تصيبنا رعشة من تلك الروح المكهربة التى تحترق خلال كلماتهم ، فهم يقيسون محيط الطبيعة الانسانية ويقفون على أعماقها بروح نافذة ، وربما كانوا أنفسهم أعجب مظاهرها الحقة فأرواحهم ليست أقل من أرواح عصرهم قوة ونفاذاً .

الشعراء هم شرّاح الالهام الالـٰهى . وهم المرائى لتلك الظلال الكثيفة التى يشعّها المستقبل على الحاضر . وهم الكلمات التى تفصح عن شيء لا تفهمه، والأبواق التى تعزف للمعركة ولا تشعر بما تبعثه ، والمحرّك الذى يحرك ولا يتحرك .

والشعراء هم مشرعو العالم وإن لم يُعترفْ بهم ؟

نظمى خليل



جون كيتس

(٣)

ونظم كيتس أحسن أعماله فى ربيع عام ١٨١٩ تحت تأثير ذلك الحب الجارف نذكر، منها «الى بلبل» و«الحسناء القاسية» و«الكسل» وكثيراً من قصائده ومقطوعاته الجميلة.

واختلف مع صديقه هيدون فى تلك الاثناء ، ذلك أن الرسّام كان بحاجة الى مبلغ

من المال فأعطاه كيتس ثلاثين جنيهاً، ولما كانت حال كيتس قد أخذت تسوء فقد طلب إلى صاحبه أن يسدد ما عليه من دين ، فلم يحقق هذا رجاءه ، ومن ثم نشأ النزاع . ولكن براون أعطى كيتس ما يحتاج اليه من المال ليقضي صيفاً بهيجاً . وفي الثالث من يوليو ودّع كيتس (فاني) الى أيام يقضيها في شانكلين ، حيث اقتسم المسكن مع جيمس ريس الذي قصد المكان نفسه للاستشفاء . وكان كيتس كذلك ضعيفاً في تلك المدة ، ورغم ان الرجل الذي كان يعاشره في تلك الرحلة من أذكى خلق الله ، إلا أنه لم يقوَ على انتشال الشاعر من سباته وذهوله - ولحق براون بالمريضين بعد قليل ، وعندها سافر ريس واختمرت في ذلك الوقت فكرة (لاميا) القصيدة الخالدة في ذهن شاعرنا . وأخذ عن براون موضوع مأساة مسرحية باسم (أوتو الأكبر) . وكان على كيتس أن ينشىء المحادثات . وبينما كان هذا العمل سائراً في طريق النجاح ، انتقل كيتس وبراون الى وينشستر في الاسبوع الثاني من اغسطس وعند انتهائهما من الفصل الخامس ، أعفى كيتس بروان من الرواية ، وأنهاها هو بمفرده ! وكذلك أتم (لاميا) ، وأبتدأ مأساة انجليزية تاريخية باسم (الملك ستيفن) أعطاه براون موضوعها !

وفي أوائل سبتمبر توجه براون الى بدهامبتون ليقيم مدة مع مستر ومسز سنوك. وفي تلك الفترة راجع الشاعر (حواء سنت اجين)وعمل قليلا في (حواء سنت مارك) وكتب (الى الخريف) ، وعند ذلك فكر في الرجوع الى العاصمة حيث يحترف الصحافة ، وحصل ديلك على مسكن له بشارع الكلية رقم ٢٥ في الثامن من اكتوبر ، وعاد براون إلى بيته وحيداً في وينتورث . ولقد كانت صحة كيتس المتخاذلة الواهنة وحبه العميق (لفاني) وحزنه على أخيه المتوفى وقلقه على الآخر المهاجر ، كانت تلك الامور جميعها تؤثر في نفسه وتهدّ أعصابه وقواه حتى صيرته خيالا هزيلاً فانياً ، أضف الى ذلك عمله المتواصل في الصحافة والادب حتى أنه في الثالث من فبراير تجلى به المرض المميت واضحاً قاضياً . يقول براون : « لقد عرفت أن لا فائدة ترجى منه بعد الآن ، ان ما تبقى مخيف مرعب . سألته عند ما رأيته على هذه الحال : ماذا دهاك ؟ لعلك محموم ؟ فأجابني : أجل ... أجل . لقد أصابني بردٌ شديد أرهقني . ولكنني لا أشعر الآن بأثر له في جسمي ، محموم ؟ أجل . . لعلي محموم بعض الشيء .. ! واستسلم وتداعى ثباته ، وقدته الى الفراش برغمه وتبعته بالعلاج الممكن ، ودخلت مخدعه وهو يتهيأ للنوم ، وسمعته يسعل ويبصق

على الأوراق التى كانت على صـدره ـ وبلغ اذنى صوته يقول : هذا دم أبصقه من فمى ... فهرعت نحوه ، فوجدته يختبر نقطة من الدم تناثرت على الورقة ، قال : قرِّب الشمعة يابراون ، عساى أرى الدم ، وبعد أن فحصها باهتمام نظر فى وجهى فى جمال ويقين لن أنساها ، ثم قال : « إننى أعرف لون الدم الذى بصقته ، لن اخدع فى تمييزه ، ان هذه النقطة من الدم نذير حَيْنِى ، لابد أننى سأموت عن قريب » .

وتقول فانى عن هذا المرض الخبيث إنه « ابتدأ بتدرن الرئتين من البرد ، وكان إذا سعل ملأ اناءً من الدم ، ويظهر أن مرض التدرن هذا كان وراثياً . . . »

وبعد أسابيع قضاها فى عنـاية تامة فى وينورث ، ابتدأت صحتـه تتحسن ، وراح يجد فى نفسه القدرة على الخروج فى ٢٥ مارس سنة ١٨٢٠ لرؤية عرض صورة هيدون (عن دخول المسيح بيت المقدس) وعاد اليه صفاؤه واتزانه ونقاء قلبه ، ونسى ما كان بينه وبين هيدون . ويقرر هيدون فى ذكرياته ان المعرض كان غاصاً بالناس وكان كيتس وهازليت فى ناحية يتحادثان فى ابتهاج وحرارة . وقال له الأطباء فيما بعد إن شتاء واحداً يقضيه تحت سماء انجلترة قد تكون منه خاتمته . وكتبت ماريا جبسون فى ١٢ يوليو تقول : « لقد تألمت جداً عند رؤية جون المسكين ، انه ينتظر كلمـة الاعدام من فم الطبيب (لامب) . وكتب شيللى اليه من بيزا خطاباً يدعوه الى السفر الى ايطاليا ليكون الى جانبه هنالك . بيد أنه اعتذر عن تلبية الدعوة شـاكراً له تفضله العظيم ولكنه أراد السفر الى ايطاليا ، وصمم جوزيف سيفرن على مصاحبة الشاعر اليها ، وكان قد ربح وسام الأكاديمى الملكية الذهبي لعـام ١٨١٩ ، وفى ١٨ سبتمبر أبحر الشابان على ظهر الباخرة (ماريا كراوثر) الى نابلى . ولقد صادفا فى الطريق مصاعب جمة ، وهبت زوبعة عند خليج مسكاى أطارت الأمن من قلبيهما .

وأخيراً وصلا ايطاليا ، وكتب منها الشاعر الى براون فى أوائل نوفبر ، وقبـل منتصف هذا الشهر بلغ الشابان رومة وأقاما فى مسكن فى Pazza di Spagna ، أنيق للغاية ، وبقى كيتس تحت رعاية الطبيب كلارك وعنايته ، وكتب آخر خطاب فى ٣٠ نوفبر الى براون ، وعند ذلك ساءت صحته فجأة ، وصار يبصق الدم ويتقايأ بغزارة حتى ارتاع صديقه وزميله الأمين الذى لازمه كظله واعتنى به طولَ مرضه وأخلص له حتى الرمق الأخير ، وامتدّ هذا العذاب المريع الى ١٣ من فبراير . ويحـدثنا سيفرن عن الخاتمة :

« لقد انتهى امات بغاية السهولة . لقد كنت أحسبه مقبلاً على نوم عميق ... فى الساعة

الرابعة دنا منه الموت ، فقال لى : سيفرن . . . أيها الصديق الوفى ، ارفعنى قليلاً — إنى أموت — سأموت مرتاحاً مطمئناً ، لاتخف،كن ثابتاً، واشكر الله على أن عجل بوفاتى ... فرفعته بين ذراعىّ . وكانت روحه تفارقه ، فهدأ وكنت لاأزال أحسبه ينام ... لايمكننى أن أطيل الآن لقد تحطمت أعصابى من سهرى عليه هذه الليالى الأربع ، لم يغمض لى جفن خلالها ، ولقد ذهب ... ذهب عزيزى كيتس ...ولقد شق صدره منذ ثلاثة أيام ، وأُخرجت الرئتان . ويعجب الأطباء هنا ، كيف أمكنه أن يعيش هذين الشهرين بهاتين الرئتين المحطمتين. .! تبعت جثمانه العزيز الى قبره يوم الاثنين وسط رهط من الانجليز المقيمين هنا . انهم يهتمون بى كثيراً . أرى أنه ربما أصابتنى حمى ، ولكنى الآن أحس حالاً » .

دُفن فى رومة فى مقبرة البروتستانت ، ودفن الى جانبه بعد أجل طويل صديقه المخلص الأمين سيفرن ... ولم يسمع شيللى فى بيزا بفاجعة رومة إلا فى ابريل ، فتألم الشاعر الكبير ألماً بالغاً ، إذ كان يحب كيتس ويجلّ شاعريته الصافية التى كان ينكرها ويحاربها الكثيرون من أهل عصره ، فكتب قطعته الملتهبة (أدينوس) ووهبها روح الشاعر العظيم (جون كيتس) .



هذه ترجمة عاجلة سريعة للشاعر الكبير أردنا نقلها لجمهرة المتأدبين فى اللغة العربية ليقفوا على حياة تلك النفس الشاعرة الكبيرة ، أما النقد الأدبى لشعر كيتس فموضوع ليس هذا مكانه وانما يجب أن نقصر عليه دراسة خاصة به لأهميته ، وربما حاولنا ذلك لوساعدتنا الظروف ، ومع هذا فنسجل مع هذه الكلمه نظرة سريعة فى شعر كيتس للفائدة العامة :

لا يمكننا أن نقرأ شعر كيتس إلا إذا أحطنا بظروفه كلها ، وعرفنا كيف كان يفنى ويحترق فى سبيل الفن الخالص الصادق . وان الذى يجرؤ على الكتابة عنه لابدّ أن يكون قد أحاط خبراً بالفلسفة الشعرية والميثولوجيا الاغريقية التى كان كيتس مولعا بها إلى حد العبادة ، والواقع أن كيتس كان على حق حينما كتب الى أخيه جورج يقول انه لابد سيصبح « علماً من أعلام الشعر بعد موته » . ولم يخل الشاعر مع ذلك من هنات بسيطة لا تعد سقطاتٍ اذا قيست بالجمال الفنى الرائع الشائع فى كل شعره ، وإذا قيست كذلك بأخطاء الشعراء القدامى الفاحشة . ولقد كان سبنسر

عظيم التأثير فى روحه كما يلوح لنا من مذكراته فى (أنديميون) ، ورغم ذلك فانى أرى روح تومسون غالبة على شعره الأول .

ثم لا ننسى أنه مدين للآداب القديمة ، فهى دائماً مذكورة فى شعره و(انديميون) فيها ثقافة خيالية بارعة ، وإن متانة حبكتها واسترسال جمالها لا يسمحان للمرء بالتفكير فى نقدها لحظة واحدة . وهناك غير (أنديميون) قصائد كثيرة ، بارعة سامية الخيال خصبة التفكير ، قلما يعثر على أمثالها المرء فى الشعر الانجليزى الحديث ، فهناك : الى بلبل ، وإلى الخمول ، وحواء سنت مارك ، والحسناء القاسية، تعتبر جميعها بين عيون القصيد .

أما الميثولوجيا فقد تحدّث عنها الشاعر بما لم نعهده قبلاً من سواه . وفى رسالة الى جورج ماتيو يقول :

« فى ساعة سعيدة
هبطت (ديانا) من مقصورتها المظللة » . . الخ .

وفى أخرى الى جورج كيتس يخبرنا الشاعر عما يراه فى السماء بجانب القمر :

« آه ! . . أجل . . كائنات كثيرة تسبح فى نوره
وأشباح الليل وشياطينه
انى لأراها رأى العين ، وسأقصّ عليك قصصها التى ستنتزع طرافتُها صيحةَ الاعجاب من فؤادك » ... الخ .

ويقول فى رسالة إلى كلارك:

« وحينما يبسم القمرُ فى ليلة الصيف الغراء
ويُضفى أشعته فتخترق السحب وتشقها » . . . الخ .

ويقول مرة أخرى لجورج كيتس :

«ظهر القمرُ بجلاله مخترقاً أستاره الذهبية
مخفياً نصفه عن عيون حاسديه » .. الخ .

والواقع أنه أدمن الكتابه عن القمر ، حتى حسبه قوم أنه عاشقه !

ومن العجيب أن هذا الشاب استطاع أن يخلد اسمه بكتاباته بين العشرين والخامسة والعشرين فقط ! كتب كيتس الى شقيقه يقول : « انى أظن أن سيدرج اسمى

بين الشعراء بعد موتى . . . » ولكن أرنولد قال « إنه مع شكسبير » . . . والواقع هو ذلك ؟

المصادر

The Literary Pocket-Book
Leigh Hunt's London Journal
The Poetical Works of John Keats
The Life and Letters of John Keats
Wordsworth, Shelley, Keats, and Other Essays
The Papers of a Critic
Benjamin Robert Haydon.
John Keats. A study (Owen)

مختار الوكيل

بشار بن برد

(١)

مقدمة : لعلي أستطيع أن أتحدث الى قراء (أبولو) عن شيخ المخضرمين وحامل لواء الشعر الرصين ، وحجة اللغة والأسلوب المتين ، بشار بن برد الذى ظلمه الدهر حياً ومَيْتاً . فقد عاش والناس يخطبون وده ، لا شفقة عليه ، ولا رحمة به ، بل خوفاً منه ، وتفادياً من لسانه . ومات ، والكل فرح بموته . فلم يشيعه الى مثواه الأخير ، الا عجوز شمطاء ، هى جارية له سوداء . ولم يجد عليه بكلمة رثاء مَن كان يجزل لبشار العطاء ، أو يتظاهر له فى حياته بالرعاية والولاء . ولم تذرف عليه دمعةً أيةُ غانية أظهرت له الوفاء ، وقد مدحها فى شعره ، فارتاحت للمدح والثناء ؛ وقضى ضرباً بالسياط وألقى فى سفينة حتى مات . واستلت حياته من يد الأجل ولم يخلف لنا ديوان شعر نستنير بهديه ، ونستشهد به على جودة شعره . وله من قلائد عقيانه ما لم نفز منه الا بالقليل . واذا صح ان له ديواناً فى احدى المدن الاسلامية ببلاد المغرب ، وأن نفراً من أساطين الأدباء يعملون على نشره ، كان

لنا ما يعيننا على تعرف ما استغلق علينا فهمه ، من شخصية هذا الشاعر المجيد ، ولعلى أستطيع أن أضع شعره بين كفتى ميزان لنحكم له أو عليه . ولعله يجد من القراء النصفة ، بعد أن سامه بغضاً له ، وموجدة عليه ، واجحاداً لفضله ، اسحق ابن الموصلى ، الذى قال عنه إن ذاكرته مهوشة ، وشعره مضطرب غيرُ متناسق ، وإن غثّ شعره أقل مرتبةً من أى شعر ردىء ، مستشهداً بقول بشار :

انما عظمُ سليمى حبَّتى قصبُ السكر لا عظمُ الجملْ
فاذا أدنيتَ منه بصلا غلبَ المسكُ على ريح البصلْ !

فهل فى شرعة الانصاف ان نذم شاعراً ألف اثنى عشر ألف قصيدة ، جلها جيد متين ، من أجل بيتين ضعيفين ؟ إذا كان كذلك ، قلت على الشعر العفاء ورحمة الله على جميع الشعراء ! لا معصوم بحق الا الله .

سيرته : هو أبومعاذ ، بشار بن برد . أبوه من فرس طخارستان ، أحد الاقسام الجنوبية من التركستان . ولد بالبصرة بالعراق سنة خمس وخمسين هجرية ، ونشأ فى بنى عقيل فشب فصيح اللسان ، قوى الجنان ، مرهف الذهن ، متين البيان . قال الشعر فى السابعة ، وفى رواية أخرى فى العاشرة . فهو شاعر مطبوع أجمع الرواة على أنه أشعر أهل عصره . جمع شعره بين جزالة البدو ورقة الحضر وبين المعانى الدقيقة والأخيلة الرقيقة . وسنرى أنه أشعر الشعراء فى زمنه ، وأولهم فى البديع ، وأسبقهم الى الغزل الرقيق وإن كان أكثرهم مجوناً واستهتاراً ، وأقلهم مبالاة واعتباراً .

بشار وأبو العلاء وجون ملتون : ولد بشار أعمى البصر ، نافذ البصيرة . لم تكتحل عيناه بمرأى الضياء ولكنه وصف من الاشياء بما عجز عن وصفه البصراء . كان بشار كأبى العلاء : كلاهما أعمى ، وكلاهما متشائم . أولهما شانىء مشنوء ، وثانيهما مبغض غيرُ بغيض . كلاهما مرهف الذهن حقاً وصدقاً ، وكلاهما متهم بالزندقة ، إن ظلماً وإن عدلاً . أولهما يشكر الله على عماه حتى لا ترى الناسَ عيناه ، وثانيهما يحمد الله الذى لا يحمد على مكروه سواه ويتبرم بالعيش والحياة . كان بشار فى عماه وذكائه كالشاعر الانجليزى العبقرى جون ملتون الذى عاش من سنة ١٦٠٨ إلى سنة ١٦٧٤م . والذى ألف فى عماه « الفردوس المفقود » و « الفردوس المردود » . كلاهما شاعر مفلق وكلاهما غزير المادة فنان عبقرى . أولهما عمى فى طفولته ، وثانيهما عمى فى كهولته . كلاهما يحمد الله على عماه . أولهما لكيلا يرى

شخصاً سواه ، وثانيهما حباً فى حمده ، واذعاناً لقضائه وقدره، وطمعاً فى ثوابه وأجره .

بشار ولدوج فان بيتهوفن : ليس غريباً أن يكون بشار أعمى البصر ، مرهف الذهن متوقد البصيرة . فقد كان بيتهوفن فخر المانيا ونابغة الموسيقى أصم محروماً حاسة السمع فلم يحل صممه دون قدرته الفنية الموسيقية . فقد عاش من سنة ١٧٧٠ لغاية ١٨٢٧ م . وأصبحت حياته بموته وعبقريته فى سماء الخلود . وبلغ قمة مجده فى ابان صممه ، وفى أثنائه ألف كثيراً من القطع الموسيقية والألحان ومنها «سوناتا باسيوتيكا » و « باتيتك سوناتا » و « المارش العاشر » .

أخلاق بشار : كان بشار قوى الجسم ، ضخم الجثة ، دقيق الحس ، رقيق النفس ملتهب العاطفة ، قوى الشعور ، متكالباً على اللذة ، يحوم عليها حومان النحلة على الازاهر كما كانت الناحية الخلقية فيه مشوبة بالضعف والنقص . ولكل امرىء محاسنه ومساوئه .

شعره فى الميزان : فلنضع شعر بشار بين كفتى ميزان ، لنرى الكفتين أيتهما الراجحة ، ولننظر فيما أجاد من فنون الشعر وأغراضه ، نر أنه كان نابغة الفن ونبراس البيان . وكان متين اللفظ قوى الأسلوب ، كما كان شاعراً مطبوعاً ذكياً ، مجيداً كل الاجادة عبقرياً . ذلك لانه ضرب فى كل أغراض الشعر بسهم وافر ، واذا عرفنا أن أغراض الشعر فى زمنه ثمانية هى : المدح والحكم والوصف والفخر والرثاء والاعتذار والغزل والهجاء ، وقد يجيد كل شاعر بعضها دون الآخر ، أيقنا أن بشاراً ، اذا أجادها ، جلها أو كلها ، كان شاعراً مفلقاً ، لم يسبقه سابق ، ولم يلحقه فيها لاحق .

بعض الآراء فى شعره : يعتبر شعر بشار حلقة الاتصال بين الشعر القديم والشعر الحديث . قال الجاحظ : «كان بشار خطيباً صاحب منظوم ومنثور ومزدوج وسجع ورسائل . وهو من المطبوعين أصحاب الابداع ، المتفننين فى الشعر ، القائلين فى أكثر أجناسه وضروبه » وقال عنه عبد الله بن محمد بن شرف القيروانى : « هو أول المحدثين ، وآخر المخضرمين وممن لحق الدولتين . عاشق سمع ، وشاعر جمع . شعره ينفق عند ربات الجمال وعند فحول الرجال . فهو يلين حين يستعطف ، ويقوى حتى يستنكف . وقد طال عمره ، وكثر شعره ، وطما بحره ، ونقب فى البلاد ذكره» .

وسئل عنه الأصمعى فقال : « هو خاتمة الشعراء . والله لولا أن أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم . لقد سلك طريقاً لم يُسلك وأحسن فيه وتفرد به وهو أكثر تصرفاً وفنونَ شعرٍ وأغزر وأوسع بديعاً . وهو يصلح للجد والهزل » .

مدحه : أجاد بشار فى المدح ، وسما بالممدوح الى أوج الكمال . فكان مدحه كثيراً ، ورزقه ميسوراً ، فمن أمدح شعره قوله :

لمست بكفى كفه أبتغى الغنى ... ولم أدر أن الجود من كفه يعدى
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى ... أفدت ، وأعدانى فأتلفت ما عندى !

وقال يمدح خالداً بنَ برمك بقصيدة أعطاه عليها ٣٠ ألف درهم :

لعمرى لقد أجدى علىّ ابنُ برمك ... وما كل من كان الغنى عنده يجدى
حلبت بشعرى راحتيه فدرّتا ... سماحاً كما درّ السحاب مع الرعد
اذا جئته للمجد أشرق وجهه ... اليك واعطانى الكرامة بالحمد
مفيد ومتلاف سبيل تراثه ... اذا ما غدا أو راح كالجزر والمدّ
أخالدُ ! إن الحمد يبقى لأهله ... جمالاً ولا تبقى الكنوز على الكدّ
فأطعمْ وكلْ من عارةٍ مستردّةٍ ... ولا تبقها ... ان العوارى للردّ !

وقال ايضاً :

حذا خالدٌ فى فعله حذو برمكٍ ... فمجد له مستطرف وأصيل
وكان ذوو الآمال يدعون قبله ... بلفظ على الاعدام فيه دليل
يسمّون بالسؤّال فى كل موطن ... وإن كان فيهم نابه وجليل
فسمّاهم الزوارَ ستراً عليهمُ ... فأستاره فى المهتدين سدول

ومن غرر قصائده ما قاله فى مدح عمر بن هبيرة احد القواد :

جفا وده فازورّ أو ملّ صاحبه ... وأزرى به ألاّ يزال يعاتبه
يخاف المنايا ان ترحلت صاحبى ... كأن المنايا فى المقام تناسبه
فقلت له ان العراق مقامه ... وخيم اذا هبت عليك جنائبه

حكمه : ومنها فى الحكم

اذا كنت فى كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه
فعش واحداً أو صل أخاك فانه مقارف ذنب مرة ومجانبه
اذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت ، وأى الناس تصفو مشاربه؟
ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعدّ معائبه !

ولكن ، ليت شعرى ، أما كان الأجدر ببشار ان يقرن هذا القول بالعمل ، فلا يسرف فى بغض الناس حتى يعيش معهم فى سلام ووئام؟ لقد كان أولى به . فأولى أن يعرف نفسه بنفسه ، فينصحها قبل ان ينصح غيره . وما له لم يجده ذكاؤه نفعاً ولم يستخدم هذا الذكاء فى التحبب الى الناس ليكون محباً لهم محبوباً منهم لعل له عذراً ونحن نلوم . ولعل الناس أرهقوه من أمره عسراً ، وساءوه بايذائهم، فأساء بلسانه اليهم . ولو لم يلق منهم ايذاء ، لما كان سليط اللسان هجاء. لقد أدى بشار رسالته على موجات الأثير ، كما يؤدى جهاز الراديو رسالته . وقد يكون بشار جباراً ، وكل ذى عاهة جبار . وقد يكون عليه حرج ، وليس على الاعمى حرج . وقد يكون مظلوماً أفسده المجتمع ، وأساء اليه الناس باعناتهم ، فخرج شيطاناً رجيماً ، بدلا من أن يكون ملاكاً كريماً . قد يكون ظلمه غيره وقد يكون ظلم نفسه . وياويح امة ابتليت بشاعر استمرأ مرعى البذاءة ، أو صاحب محطة للراديو يصدع آذان المستمعين بهجر القول وفحش الحديث ! وتبعاً لذلك ألوم الذين ساعدوا بشاراً ، لا رحمة به ، بل خوفاً منه وهرباً من لسانه الذى (لو سلط على شعر لحلقه ، أو على حجر لفلقه) ! وسأؤاخذ بشار فى هجائه المقذع ولسانه المرهف .

نصائحه : من أروع ما قال فى النصيحة

اذا بلغ الرأى المشورة فاستعن برأى نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فان الخوافى قوة للقوادم
وما خير كف أمسك الغلّ أختها وما خير سيف لم يؤيد بقائم
وخل الهوينا للضعيف ولا تكن نؤوماً ، فان الحزم ليس بنائم
وحارب اذا لم تعط الا ظلامة شبا الحرب خير من قبول المظالم

وأدن على القربى المقرب نفسه ولا تشهد الشورى امرأ غير كاتم
فانك لا تستطرد البهم بالمنى ولا تبلغ العليا بغير المكارم
اذا كنت فرداً هرّك القوم مقبلا وإن كنت أدنى لم تفز بالعزائم

كأني به قد عرف نفسية الأفراد والجماعات ، وكأني به ينطق بلساننا ويشعر بشعورنا ويعيش بين ظهرانينا ! وقد صدق ابوعبيدة إذ قال : «ان ميمية بشار هذه أحب الىّ من ميميتى جرير والفرزدق » . لعلنا طربنا لما قال ولعلنا نطرب إذ نسمع :

وما كل ذى لب بمؤتيك نصحه ولا كل مؤتٍ نصحه بلبيب
ولكن اذا ما استجمعا فى يد امرىء فحقّ له من طاعة بنصيب

(للبحث بقية) **متولى نجيب**





نقد الينبوع

(١)

أشرنا من قبل الى اعيياد الشعراء والأدباء عامة أن يتعالوا على النقاد ، والى نزوع الأخيرين مثل هذا المنزع ، بحيث صار كل فريق يعدّ نفسه دكتاتوراً أدبياً لا مردّ لقوله ! وقد بذلنا جهدنا سنين لبثّ روح الاحترام الواجب التبادل بين الفريقين ، وروح التسامح واحتمال المناقشة ، ما دام الغرضُ من النقد والنقاش خدمةَ الحقيقة خدمةً خالصة .

ونحن لا نعدّ من النقد بطبيعة الحال ما تُمليه الأهواء الحزبيـة والسياسية من التقريظ والمجاملات المصطنعة أو من التحامل والاصغار، وإنْ عددنا من صميم النقد ما يُمليه الاعجابُ المتبادَلُ بين أديبٍ وأديبٍ ما دام هذا الاعجاب لا ينطبق عليه قول الشاعر « وعين الرّضى عن كلّ عيبٍ كليلةٌ » .

من أجل هذا رحّبنا بما وُجّه الى ديواننا الأخير من نقد ، وأغفلنا متسامحين ما وُجّه الينا من تحامل إذ ليس من عادتنا الاهتمام به ، وعُـنينا فيما يأتي بالردّ على أسئلةٍ بعض حضرات النقاد وملاحظاتهم شاكرين لهم غيرتهم الأدبية :—

انتُـقِدَ علينا هذا البيت فى قصيدة « يوم مروعٌ » (الينبوع ، ص ٣) :

كأنَّ السُّحبَ جمَّعها بخورٌ بمجمرةٍ لها سحرٌ عجيبُ !

على اعتبار انّ بخور المجمرة ذات السحر يبعث فى النفس الهـدوء والطمأنينة بخلاف السحب المتجمعة فى اليوم المروع . . .

وبَدهىٌ أن هذه القصيدة لم تُـنْـظَم من باب التسلية الصناعية كما يفعل كثيرون من الوصّافين الذين نـكبوا الشعرَ العربيَّ بالنظم المفتعل البعيد كلّ البعد عن الصور المشهودة ، وانما نظمتْ فى جيرة البحر ذاته أمام مَشهدِ الأُفقِ الأغبرِ المروّع للنفس ، فسرى شعورى الى هذا الشعر :

يَلوحُ الافقُ أغبرَ فى دُخانٍ وهذى الشمسُ تُحْرَقُ إذْ تغيبُ !
كأنَّ السُّحْبَ جمَّعَها بخورٌ بمجمرةٍ لها سِحرٌ عجيبُ !
يَضيقُ الأُفقُ فى قلبي ونفسى وما يُغنى المُنَى الأفقُ الفسيحُ
اذا اكتـأبَ الوجودُ فانّ نفسى تَئنُّ وكلُّ محمودٍ قبيـحُ !

الى آخر هـذه الأبيات التى تصوّر حالةً نفسيةً خاصةً لعلّ حضرة الناقد كان يشاركنا إياها لو كان فى صحبتنا ، وما ننتقده اذا خالفنا فلـكلّ نفسٍ مرآتُها وتفاعلها الخاص . وليس كلُّ سحرٍ عجيب بالذى تهدأ له الأعصابُ ، وليست مجمرةُ الافق المربدّ بالتى ترتاح اليها النفس التى تحسّ القلق والروعَ والشـذوذ فى ذلك المشهد .

وانتُقِدَت علينا قصيدة « البحر الصغير » (ص ٤) التى نظمناها فى صحبة الفنان شعبان زكى وقد كان مشغوفاً مثلنا بهذا المشهد الريفى الحضَرى فى المنصورة وفيـه نقول :

هنيئاً أيُّها البحرُ الصغيرُ ! تُنيرُ بكَ السفينُ وتستنيرُ (١)
وتجرى فيكَ أمواجٌ خفافٌ وكلٌّ روحها طفلٌ صغيرُ
تطوفُ على الحقولِ وأنتَ تُسْدِى حياةً ليس يشبهها النظيرُ
أيا ابنَ النيلِ أنتَ أبوكَ لوناً وخُلقاً تستعزُّ ولا تضيرُ
تبنّتكَ المدينةُ وهى أهلٌ فسرتَ وأنتَ مَزْهُوٌّ قريرُ
تُضيفُ الوزَّ ألواناً وتجرى بكَ الأحمالُ يُزجيها الخريرُ
وتختلط الحياةُ لديكَ شتّى فينظمُها لك الحسنُ القديرُ
ويحيا فيكَ نوتيٌّ وطيرٌ كما يحيا بك النّورُ الأسيرُ !

ووجهُ النَّقد تصويرنا لهذا المشهد بما فيه من سفين وألوان وأضواء وحياةٍ متنوعةٍ ، لأنّ التقليدَ قضى بأن يُعابَ على الشاعر أن يتحدّث عن مثل ذلك ولو أنصف الحقيقةَ واحساسَه ... فى حين أن الشعرَ الغربيَّ الحيّ لا يؤمن الاّ بصدق الشعور وصدق التعبير. ولمّا حاضر فى الجامعة المصرية الشاعرُ الانجليزىُّ درنكووتر فى العام الماضى أسمع أدباء مصر من نفس شعره ومن شعر غيره نماذج رائعة من هذا القبيل. كذلك عِيبَ علينا أن نقول « النور الأسير » فى مشهد لا يفارقه النورُ المصوّبُ والمنعكس ليلاً ونهاراً ، وما سرُّ النقد الاّ أن الناقد يتناول هذا الشعر تناولاً منطقياً لا تناولاً شعرياً ، والتناولُ المنطقى لا شأن له بالشعر وهو بدلاً من أن يؤدّى الى الصواب تراه يؤدّى الى مَزالق هادمة للصواب ، لأنه يعارض « الحقيقة الشعرية » بدلاً من أن يعزّزها .

وانتُقِدَتْ علينا قصيدة « اللهفة الخالدة » (ص ٥) لأن حضرة الناقد بمقياسه غير الشعرى لا يستطيع أن يفهم كيف تكون اللهفةُ خالدةً ولا يستطيع أن يدرك كيف تجوع النفوس والمُهَج ... وهو يعيب التكرار فى هذا البيت :

أرنو وأرنو ثم أرنو مثلما يرنو الى الأمّ الحنونِ رَضيعُ

بينما هذا التكرار هو وحده الذي يصوّر غايةَ التصوير نفسية الشاعر وحالته فى ذلك الموقف ، فهو تعبيرٌ طبيعيٌّ يقتضيه الحال ، وكل ما هو طبيعيٌّ لا غبارَ

(١) اشارة الى انعكاس الأضواء من سطح الماء على السفين .

عليه . ويا ليتَ جمهرة شعرائنا يلتفتون الى علم اللغة والى التضلّع منها فى أوقات مطالعاتهم ، حتى اذا انصرفت نفوسهم الى قرض الشعر أطلقوا نفوسهم حرةً تعبر عما تحسُّ به فى غير تكلف ولا التفات الى التقاليد ، وحينئذ يجيء شعرهم طبيعاً طليقاً لا أثر للصناعة فيه ، واذا جاء فيه أيّ تكرار لفظى يكون هذا التكرار صدى ما توحى به طبيعة الموقف .

ويُنْتَقَدُ علينا فى قصيدة « الى مودّعتى » (ص ٦) هذا البيت :

أنتِ التى معها لثمتُ جمالها ... فالقلبُ لا يَرويهِ هذا اللثمُ !

إذ يرى الناقد الفاضل فى هذا الشعر تَدَلّياً لا يليق بذى عفة وصيانة ، وهذا خروجٌ ظاهرٌ على النقد الشعرى نعيب عليه نُقّادَنا أشدّ العيب .

كذلك تُنتقد علينا أبيات « العيون المتكلمة » (ص ٧) وهى :

شاهدتُ نهدَيْها وقد خفقَ الهوى ... بهما كما قد رفَّ مِنْ خدّيْهما

ونظرتُ هذا الجسمَ أجملَ ما اشتهى ... ربٌّ وأفتنَ ما ادّعاهُ لديْهما

فعرفتُها مَعْنَى الألوهةِ قُدِّسَتْ ... فوقَ الحياةِ وقد حَوَتْ رُوحيْهما[1]

أطلتُ مِن نظرى اليها حائراً ... فى وَحْى هذا الظلّ من نَهْدَيْهما

فتكلمتْ لغةُ العيونِ بما حكتْ ... مِن قبلُ حين رنا الالهُ اليْهما !

فيحار الناقد فى الصلة التى بين العيون وبين نَهْدَيْ هذه الفاتنة ، ولذلك آثرنا نشر الأبيات كما هى ليتأمّلها القارىء ويحكم . وهذه تنبهنا الى ظاهرة فى كثيرين من حضرات النقاد الذين يتورّطون فى مثل هذا النقد على اعتبار ان الشعراء المنقودين فى حاجة الى أمثال هذه المؤاخذات ، كأنما هم بلهاء يلقون بشعرهم جزافاً ولا يفهمون شيئاً عن الأسباب والنتائج فى الحياة !

وانتقِدَ قولنا فى قصيدة « رثاء الجمال » (ص٧) :

مَنْ هذه الغادةُ الهيفاءُ ساحرةً ... بناظرٍ ذاهلٍ كالفجرِ وسنانِ ؟!

فقيل : إنّ فى هذا الوصف قبحاً ، وكيف يكون هذا الناظر كالفجر ؟ أفى بياضه أم فى ماذا ؟!

---

(١) روح الوجود وروح الفن .

أصحيح أيها القارىء أن صورة السِّنة والذهول لا تجمع بين ناظر هذه الحسناء الناعسة وبين الفجر الذى لم تتم يقظته ؟ وهل حتم علينا أن نتناول بالشرح أبسط مظاهر الشعر الرمزى التصويرى ؟

وانتقدَ من قصيدة « فى حِمَى الموج » (ص ١٣) هذا البيت :

أعيشُ ببيئةٍ كالصخرِ موتاً وكم فى الصخرِ تحنانٌ عجيبُ

فيقول الناقد : تأمّل هـذا جيداً — كيف يكون الصخر ميتاً وكيف يكون فيه ذلك التحنان العجيب الذي يدّعيه الدكتور أبو شادى ؟

والبيتان التاليان يغنيان عن هـذا السؤال لو أن حضرة الناقد قد التفت اليهما وهما :

أنِستُ الى الجماد ففيه عطفٌ ومَزّقنى المصاحبُ والقريبُ

وأصبح لى القريبُ قريبَ مَوْجٍ يُداعِبُنى ، وصادقنى الغريبُ !

وهكذا صار الانسان جماداً ميتاً، وصار الجمادُ الذى يأنس به الشاعرُ صديقاً حيّاً.

وانتَقِدَ من قصيدة « الجمال النبيل » (ص ١٦) هذا البيت :

يَلوحُ نَداهُ بالإشراقِ لُطفاً كرُوحِ الفجرِ فى جسمِ الأصيلِ

فقيل : وما هى الصلة بين الفجر ووقت الأصيل ؟ والصلة أنّ هذا البيتُ يقال فى جمال فتاة رشيقة « قمحية اللون » فوصف روحَها بروح الفجر المشرق وجسمها بجسم الأصيل الذى يوحى - لوناً ومَعنًى - ما تخيله الشاعرُ فى مَرآها .

وما هو وجهُ العجبِ فى هذا البيت :

فما الدُّنيا سوى نُورٍ وظِلّ وقد خُلِقَا كخلقِ المُستَحِيلِ

لو أنّ حضرة النـاقد تحاشَى الاقتضابَ ، فانّ أجزاء القصيدة مفسّرٌ بعضها لبعض ، وحسبنا أن نذكر منها هذه الأبيات الثلاثة :

ذَرينى أرشفُ السّاعاتِ منه مَعانى الضَّوْءِ والظلِّ الظّليلِ

فما الدنيـا سوى نُورٍ وظِلّ وقد خُلِقَا كخلقِ المستحيلِ

وقد جُمِعَا لديكِ على انسجامٍ كوقعِ النُّورِ فى اللحظِ الكحيلِ !

وانتقدَ هذا البيت :

وتبسَّمت ْ لجذبتُهَا ووهبتُهَا في ثغرها شَغفاً يَعيش طويلا !

فقيل : كيف يُوهَبُ الشَّغَفُ وكيف يعيش طويلاً فى ثغرها ؟ ومن الانصاف أن نذكر أبيات « قبلة الابتسام » (ص ١٨) ليرى القارىء كيف يؤدى مثل هذا الاقتضاب الى النقد الخاطىء ، وهذه هى :

وأتى الوداعُ فرحتُ ألثم راحةً أشبعتُها مِنْ مُهجتى تقبيلاَ
وتبسَّمتْ لجذبتُها ووهبتُها فى ثغرها شَغَفاً يعيشُ طويلاَ
فكأنما قبَّلتُ إذْ قبَّلتُها مَعْنى التبسُّمِ حالياً ونبيلاَ
وكأنَّ روحى قد حكتْهَا بسمةً لمَّا رشفتُ حُبورَها المبذولاَ

وبعد هذا ننصح لناقدنا الفاضل ولكلّ ناقد مثله أن لا يسلك الآن مسلك النقد الشعرى ما دام يتناول الشعر بالنقد ، وأما النقدُ المنطقىُّ العلمىُّ فله أبواب الحياة الأُخرى .

وانتقد علينا هذا البيت من قصيدة « التجدُّد » (ص ١٨) التى نوَّه بها الشاعر التونسى المعروف أبو القاسم الشابي :

مَنْ كان يَشعرُ دائماً بشعُورِى فى اللَّيلِ أو فى الفجرِ أو فى النُّورِ

وتفضَّل حضرة الناقد فقال إنه يذكر البيت بدون تعليق ، سائلا عذر القارىء فى ذلك لأنه لم يفهم البيت...فكان شأنه شأن القائل « لاتقربوا الصلاة .. » والواقع أنّ هذا البيت مرتبطٌ كلَّ الارتباط بما بعده ، واليك الأبيات الأربعة الأولى من هذه القصيدة :

مَنْ كان يَشعرُ دائماً بشعورى فى اللَّيلِ أو فى الفَجْرِ أو فى النُّورِ
ويُصاحبُ الأجرامَ فى حركاتها ويجوزُ عيشَ الناسِ كالمسحورِ
وجَدَ التجدُّدَ دائماً إلفاً له فى النَّفسِ أو فى العالَمِ المعمورِ
ورأى الحياةَ بما تُجدّدُ دائماً أسْمَى من الافصاحِ والتعبيرِ

أفهمتَ يا حضرة الناقد ؟ !

واعتُبر من الخلط الذى لا تسيغه العقول الأبيات التالية التصوفية عن الريف، وهى من الخواطر التى أوحتها نافذةُ القطار (ص ٢٠) :

وَتَرَى السوائمَ فى تحرُّرِ مَرْحِهَا بين الحقولِ تفوقنا إيمانَا
تَمْضِي منعَّمةً وتَنْسَى عَيشها نِسْيانَها الانسانَ والديَّانَا
والناسُ تحرمُها الخلودَ كأنّما وُجِدَ الخلودُ لجنسنا إحسانَا !

ولناقدنا الفاضل أن يصرَّ على اعتبار هذا الشعر من الخلط اذا شاء ، ولكننا نعرفه من صميم خواطرنا النفسية ، وللقارىء أن يرجع الى القصيدة المشار اليها فناقدنا لم تعجبه أبيات أخرى قوامها التصوف والاندماج الكونى حتى حسب سامحه الله أن هذا مظهرٌ من مظاهر الغرور واتهمنا بهجدّ الاتهام، ولو تدبر لوجده مظهراً من مظاهر الحنين الى الألوهةِ والافتقار الدائم الى الاتصال بها ، فهذا الشعور الوجدانى هو عكس ما يتوهمه ، ولكنه يأخذ بظاهر الألفاظ أخذاً لغوياً ساذجاً أو أخذاً منطقياً صرفاً ولا يتأثر بالروح الشعرية التى تطلّ عليه من وراء ذلك بل يغمض عينيه دونها.

ولقصيدة « زهر الحبّ » (ص ١٩) نصيبٌ غير قليل من النقد . فهذه الأبيات مثلاً معيبة :

وَقَفْتِ وشَعْرُكِ الذَّهَبيُّ زاهٍ كتاجِ الشمسِ أو كيدِ الإلَهِ
وجسمُكِ كالرسالةِ مِنْ نَبيٍّ وقد بلغَتْ قداستُها التَّناهى
فتحفزُنا إلى أسمَى الأمانى إذا حفزَتْ الى أشهَى التَّلاهى
فواكهُهَا قُطُوفٌ دانياتٌ لإمتاعِ العواطف والشِّفاهِ

والنقدُ مقصورٌ على وجوب استبدال كلمة « تاج » بكلمة « قُرص » وعلى خطبة منبرية عن عدم لياقة مثل هذا الوصف . . . . ونحن نحيل القارىء على الصورة الفنّية للفنّان الفرنسى هنرى مانويل فانها الموحية بهذا الوصف الشعرى، وله بعد ذلك أن يشاركنا أو لا يشاركنا فى تأمّلاتنا .

وأما عن كلمة «تاج» فهى طبيعية فى موضعها وصفاً للشعر الذهبي لهذه الحسناء ، وكلُّ مطلعٍ اطلاعاً علمياً يعرف أن للشمس تاجها ، فوجهُ الحسناء فى هذه المناسبة هو الشمسُ وشَعْرُها هو ذلك التاج (أنظر مثلاً «مجمل العِلم» The Outline of Science — للاستاذ أرثر طمسن) . وهل من النقد الأدبى أو من الذوق الأدبى

فى شىء أن يقول قائل : « جميل منه أن يصف جسمها بأنه كالرسالة النبوية ، فهذه الرسالاتُ فوق أنها تحتوى على القداسة الواجبة فيها تحمل فى طياتها أيضا مسالكَ البول وما يدخل فى معناها من اللزوميات الكريهة التى تكون للأجسام ، الا ان هذا خيال مظلم . ولكن دعنا من هذا وانظر فى البيت الثانى وافتنى فى معناه وفيما أراد الشاعر أن نفهم من شعره ، وكيف يتفق عنده أنّ هذا الجسم يحفز الى أسمى الأمانى كما يحفز الى أشهى التلاهى . وهناك بونٌ شاسعٌ بين الشهوة والسمو ، كما أن التلاهى المشتهى ليس له ضابط : فهناك نفوس تتنزل بشهوتها الى الحضيض وهى النفوس التى لا ترضى من أحبابها باللثم والتقبيل ، بل تذهب فى الطمع باللذة المشتهاة الى أقصى من ذلك » .

كلاّ ! ليس هذا من النقد الأدبى ولا من الذوق الأدبى فى شىء ، ويقيننا لو أن حضرة الناقد درس علم النفس وعرف مبلغ صلة الشهوة بالفنون الجميلة بل بنفس العقيدة الدينية لما تورّط فى مثل هذه الملاحظات الغريبة والتعابير السقيمة .

ويأخذ علينا فى قصيدة « طالب القوت » (ص ٢١) هذا البيت :

أتشترى الذمّ : ذمٌّ مثلى أنا الذى لا أمىءُ وغدًا ؟!

ويتنامى ما بعده :

أنا الذى أشتهى حياتى تسامُحًا شاملاً ورِفدًا ؟!

فيقول سامحه الله : « لعلّ الشاعر يخاف عدوان الأوغاد فهو لا يسيئهم ولكنه يسىء الى الأفاضل آمناً عقابهم لهوانه» . ولا ندرى كيف يدخل هذا المعنى المريض الى ذلك الشعر الا من باب المغالطة ، فلندع إذن هذا المعنى لصاحبه الفاضل ...

وانتقدت قصيدة « جناية الأجيال » (ص ٢٢) فزعم حضرة الناقد أن فيها فلسفةً كاذبةً وسفسطة وغباوةً ، وكان بودّنا لو أراح نفسه من التعليق عليها ما دام ينظر اليها هذه النظرة ، فقد يرى فيها أهل التصوف ما لا يراه .

ويُعاب علينا افتتاننا بالأنوار والظلال والأطياف ، ويعدّ ناقدنا الفاضلُ ذلك من باب الحشو واللغو وعدم البصر بمواضع الكلام ، وينسى حضرته أنّ لكل شاعر أهواءه وفنونه وأن ما لا يرضيه من شعرنا قد يستهوى كثيرين غيره من الأدباء وقد يعدّونه من عيون الشعر ، ونحن انما نعبر عن ذوقنا الخاص وشعورنا لا عن

مزاج حضرة الناقد . ولو أننا ألقينا الكلام كما يلقيه لقلنا إن نقده هذا « من باب الحشو واللغو وعدم البصر بمواضع الكلام » ... ومن هذا القبيل انتقادُهُ هذا البيت :

يأبى القناعة ، فالقناعةُ ميتةٌ للفنّ ، بل يعتزّ بالإغراقِ

إذ يقول « إن الاغراق فى أى شىء هو تجاوزُ الحدّ فيه ، وتجاوزُ الحدّ خروجٌ عن الاعتدال الواجب فى كل شىء » ولكن لسان الحال فى قصيدة « أورفيوس ويوريديس » التى عبثَ فيها هذا البيت (ص٢٢) ينادى بعكس ما تذهب اليه ، فلا جدوى من مؤاخذتك أيها الصديق .

وانتقد هذا البيت :

رشفَ النَّدَى والضوءَ والظلَّ الذى يحنو عليه ، كأنّ منه نسيمَهُ !

فقال الناقد : «لستُ أفهم كيف يرتشف الانسانُ الندى والضوء والظلّ؟ قاتل الله العيّ والحصَر فما أثقل ظل القائل ! » ونحن نشكر له أدبه أولاً ، ثم ننصحه مادام لا يستطيع أن يتذوّق هذا الشعر الرمزى البسيط أن يكفّ عن نقده ويدعه لمن يفهمه أو على الأقل يضبط قلمه ... وماهى قيمةُ النقد إذا لم يكن هناك تجاوبٌ بين الشاعر والناقد ، أو على الأقل اذا لم يكن لدى الشاعر استعدادٌ لفهم من ينقده . ومن هذا القبيل نقد هذه الأبيات من أناشيد تلك القصة :

(١) ومَضى يتابعُها فأنقذَها الرَّدَى والموتُ ينقذ خلَّه وخصيمَهُ

(٢) فاذا بجثة (يوروديس) أمامَهُ فى الغابِ شبهَ غريقةٍ بسباتها

(٣) واحتال ثانيةً بلا جَدْوَى له فأذاب فى الألحان نجوى رُوحهِ

فتعجب لأن يكون للموتِ حبيباً وخصماً ، واستنكر استعمال الباء فى «بسباتها» ولم يفهم معنى الاكتفاء الفنى فى ترك القصه شبهَ مبتورةٍ كما وضعها أساتذة الفن من الاغريق أنفسهم ... وكل هذا النقد الواهى مردودٌ بطبيعته إذ لا يدعمه الاطلاعُ الواجبُ .

وعلى أيّ حال فنحن نشكر لكل ناقدٍ نزيهٍ حفاوته بالآثار الشعرية سواء أكانت لنا أم لغيرنا ، وكل ما نرجوه التدبُّر قبل الاقدام على النقدِ وتنزيه الأقلام

عن التهوّر الجارح ، فالناقد من ناحيته الخلقية فى منزلة القاضى العفيف . وإن منبر (أپولو) الحرّ لَمِلْكٌ لكل متضلع غيور على خدمة الشعر عن طريق النقد النزيه .

* * *

وقال الناقد الأدبى لزميلتنا (المقتطف) : « ورأيى فى شعر أبى شادى أنه جيد المعانى ، فربما أراد هذا الشاعر معنى جليلاً ولكنه لا يأخذ نفسه بالمطابقة بين المعنى الذى أراده والأسلوب الذى يعرضه فيه ، وهو يعلم ذلك فى شعره فيحتجّ له ويدافع عنه ، ولعل الرافعى أراد ذلك حين قال فى كلمة سمعتُها منه إنّ أباشادى مبتدع طريقة» .

ونحن نشكر لناقدنا الفاضل ملاحظاته الصريحة ونقول إننا لا نعرف ما يشير اليه ولا نشعر به ، وانما كلّ ما نعرفه وندعو اليه هو سماحةُ الشاعر فى تعبيره وتحرُّره لذلك وتوفّره عليه أثناء النظم . ونحن ندعو الشبابَ من الشعراء الى التعمّق فى الأدب العربى والأدب الفرنجى على السواء استكمالاً للثقافة الأدبية ، حتى إذا استجاب أحدُهم الى إلـهة الشعر كان لعقله الباطن من الذخيرة اللغوية ومن الثقافة العامة ما يشجّعه على الابداع السمح متنزّهاً عن المحاكاة . كذلك ندعو الى ما نصفه بالأسلوب المتعادل neutral style وهو الأسلوب الفنى الصرف القابل للنقل فى مجمله من لغة الى أخرى، وهو ما لحظناه فى قصيدة «بنفسجة فى عروة» لمطران وفى أرجوزة « الثوب الأزرق » للعقاد اللتين عرضناهما فى هذه المجلة للترجمة .

فطريقتنا اذن هى طريقة تربية العقل الباطن وموافاته بأقصى المستطاع من الذخيرة الأدبية من لغة وثقافة عامة ثم تحريره من مألوف القيود والتقاليد ليبدع ما شاءت سجيته اذا ما استثارته إلـهة الشعر للابداع . وينادى بذلك رجل اصطحب « الأغانى » و « العقد الفريد » و « القاموس المحيط » وأشهر المراجع الأدبية فى زمنه منذ الرابعة عشرة من سنّه. وأغلب من يعيبون عليه طريقتهم من يؤمنون بالقوالب والرواشم العربية المألوفة منذ قرون ، كأنّ الذهنَ الانسانىّ أفلس فأعلن عجزه عن ابتداع غيرها حسب اختلاف الأمزجة والمناسبات والدوافع الشعرية . . . وأيّةُ نتيجةٍ لهذا التثبيط — لو أجدَى — سوى حرمان اللغة من تراث أدبى جديد يخلقه المجددون من الشعراء بتعابيرهم الطريفة وأخيلتهم الجديدة ومعانيهم المستحدثة؟

وشتان بين هذه الحالة وبين ما يُنْعَتُ بالمطابقة بين اللفظ والمعنى ، فما من شاعر جدير بهذا الوصف يعجز عن ذلك ، ولكن لكلّ شاعرٍ مذهبه فى

درجات «الاكتفاء» البياني وفى مبلغ مايحتمله الشعر من الاشارة والرمز والاستعارة. وليس فى هذا ما يدلّ على أيّ عجز فى المطابقة البيانية ، وانما كل دلالته لا تتعدى أن العقل الفنى — العقل الباطن — له ألوان من اللغة والبيان غير ما يميل اليه المنطق المجرد والعلم المجرد اذا ما عبَّر عنهما العقلُ الواعى ، وأن الناقد الفنى أو القارىء جدير بأن يستمتع بهذه الأساليب الفنية الطريفة وأن يتمعّن فيها ويستنتج منها ما يلذّ من تفاعل العقل الباطن والعوامل الشعرية بدل أن يقف من هذه التعابير المتباينة موقفِ الشرطى المعارض ؟ ولو أنّ النقّاد أخذوا بملاحظتنا هذه وعنوا بحياة الشاعر المنقود وبدخائل الدوافع لشعره لكشفوا عن اعتبارات فنية كثيرة تظلّ مخبوءة فى تضاعيف بيان الشاعر .

خذ مثلا مرثيةَ المتنبي الشهيرة لجدّته فقد امتازت الى جانب قوة الشاعرية بحرية التعبير التى عُرفت عن المتنبيّ فى أحسن شعره . ونفسُ مطلعها : « ألا لا أُرِى الأحداثَ مدحاً ولاذمّا » غريبٌ ، ولكنه يشعر القارىء باشمئزاز الشاعر من دنياه وقد عبَّر عن ذلك فى سذاجة صريحة . وفى هذه القصيدة يقول أبو الطيب :

وكنتُ قبيل الموتِ أستعظمُ النَّوَى ... فقد صارت الصُّغْرَى التى كانت العُظْمَى

ويقول :

ولو لم تكونى بنتَ أكرم والدٍ ... لكان أباكِ الضخمَ كونُكِ لى أمّا

وهذه التعابيرُ وأشباهُها بعيدةٌ عن المألوف ، ولكنها مرآةُ العبقرية الضخمة والشاعرية الثائرة التى ليس لها صبرٌ على الثرثرة . فهل كان المتنبي فى كل ذلك عاجزاً عن المطابقة ما بين ألفاظه ومعانيه ، أم أنّ هذه الألفاظ بطابعها الشاذ تحمل صورة حالته النفسية من أنفةٍ وسأمٍ وعظمةٍ ؟ هذا مجالٌ للباحث السيكولوجى الذى لا يقرأ الألفاظ وحدها بل يقرأ ما وراءها أيضاً ويزنها جميعاً بمختلف الموازين النفسية فى ضوء المناسبات .

ولو أنّ ناقدى الفاضل كان قد تقدّم ببعض الشواهد لما شقّ علىّ حينئذ أن أعاونه فى نقدها وأن أبيّن له أخطاءه ، ولكنه اكتفى بالتعميم وأخطأ فى هذا أيضاً كما قدّمنا ، لأنه لجأ الى طريقة نقد الشعر بروح غير شاعرة أو بعبارة أصرح بالروح اللغوية الجامدة وحدها ، وهذه لاجدوى منها مطلقاً فى نقد الشعر للاعتبارات السالفة الذكر .



وقال الناقد الأدبى للمجلة الجديدة : « قد يكون الشعر أكثر الفنون الجميلة جموداً ، فان له دائرة من المعانى والألفاظ قلما يتعداها . وهو لذلك أبعد الفنون عن النزعات الجديدة التى نراها فى الرسم أو النحت أو الرقص . فان ظهور شاعر ينزع فى الشعر نزعة رودان فى النحت أو ماتيس أو بيكاسو فى الرسم يكاد يكون مستحيلاً كما أن عبقرية بافلوفا أو ايزادورا دنكان يضيق بها الشعر لو أنها استحالت اليه . وفى اعتقادنا أن للشعر باباً ممكناً للتجديد وهو الغناء ، فلو أن الشاعر قصد بقرض الشعر الى الغناء لاستطاع أن يجدد إيقاعاً فى اللفظ وطرباً فى المعنى . ولكن هذا الباب مع إمكانه لايزال فتحه عسيراً ، ولكننا نظن أيضاً انه إن بقى موصداً فالشعر مقضى عليه » .

والواقع أن الشعر الحى أبعدُ الفنون عن الجمود ، ونحن نشير على الناقد الفاضل بأن يطلع على كتاب السير كلود فلبس « العاطفة فى الفن » ـ « Emotion in Art » بل يكفيه أن يتصفح منه الفصل المعنون « ما لا يستطيع المنقاشُ نقشَه » ليرى كيف ينظر ناقدٌ فنانٌ ممتازٌ مثل السير كلود فلبس الى منزلة الشعر بين الفنون الأخرى ، ما دام ناقدنا الفاضل يعشق هذه المقارنة . . . وهو مخطىءٌ كلَّ الخطأ فى هذه الاشادة بالشعر الغنائى وحده فانما هو بابٌ صغيرٌ فى هيكل الشعر العصرى ، وما نشرناه من الدراسات فى هذه المجلة بل فى ديوان (الينبوع) ذاته يغنينا عن الاسهاب فى الرد على تلك الملاحظة .

وكيف يمكننا أن ندعى جمود الشعر وهو الذى طفر الى حرية الأوزان والتعابير واستوعب من الأخيلة والأطياف والخواطر والمعارف ما يحير الألباب وما لا يمكن أن تبلغه الفنون الأخرى فضلاً عن تجاوزه ؟ وكيف يكون الشعر بعيداً عن النزعات الجديدة وهو الذى يتهافت على كل طريف ويحدوه الخيالُ الى أبعد من كل جديد ؟ لناقدنا الفاضل أن يأخذ على نفرٍ من شعراء العربية جمودهم أى بُعدَهم عن مجاراة عصرهم ، فضلاً عن عجزهم عن رسم المثل العليا لمستقبل الانسانية ، ولكن ليس له أن يَنعى على الشعر هذا العجز الموهوم . فقد ساهم الشعر فى النهضات الانسانية بل كان من روادها منذ عهد أخناتون الشاعر الذى تغنى بعبادة الرب الواحد الصمد ، الى عهد بيرون نصير حرية الاغريق ، الى نفس عصرنا الحاضر الذى شدا فيه الدكتور بردجز للانسانية « بعهد الجمال » .

ديوان زكى مبارك

نشر الأديب الباحث السيد مصطفى جواد عشر ملاحظات لغوية على ديوان زكى مبارك فى عدد يناير ، وقد رأينا أن نساجله بهذا التعقيب .

١ — وقف حضرته عند هذا البيت :

لم تُنسنى فتنةُ الدنيا وزينتها ما فى شمائلك الغرّاء من فتنِ

وهو يرى أن الصواب « شمائلك الغر » .

ونجيب بأن لغة اليوم تقبل وصف الشمائل بالغراء وقد سرى ذلك فى الكتب النحوية نفسها فقيل « الأفعال الجوفاء » والمعروف أن الأفصح إفراد صفة جمع الكثرة لغير العاقل ، والى ذلك تعرض الخضرى والصبّان عند البحث فى قول ابن مالك فى أول الألفية :

والله يقضى بهباتٍ وافره لى وله فى الدرجات الآخره

وفى القرآن الكريم «فيها سرر مرفوعة ، وأكواب موضوعة ، ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة » وكلها جموع كثرة ما عدا « أكواباً » وفيه أيضاً « أئذا كنا عظاماً نخرة » و « يتلو صحفاً مطهرة » و « على سُرُر موضونة » و « فرش مرفوعة » وقال السموءل :

وأيامنا فى كل شرقٍ ومغربٍ لها غُرَرٌ معروفةٌ وحجولُ

وفى هذه القاعدة يقول الأجهورى :

وجمعُ كثرة لما لا يعقلُ فالأفصح الافراد فيه يا فُلُ

وغيره فالأفصحُ المطابقه نحو هباتٍ وافراتٍ لائقه (١)

واذا كانت « شمائل غراء » ليست من باب « أيام معدودات ومعدودة » فانّا نقول إن التسامح فى ردّ الباب الى أصل واحد مما يقبله العقل ، وان خالفه النقل :

٢ — وقف حضرته عند هذا البيت :

أو كنت رغماً من علا ئى أو عُلا قومى فتاك

---

(١) الفضل فى التذكير بهذه الشواهد للسيد محمود البشبيشى

واستصوب أن يقال « على الرغم » و « بالرغم » و « على رغم » و« برغم » .

وأجيب بأن توسع العرب فى هـذه العبارة بوضعهم لهـا أربع صور أباحنى أن أضع لها صورة خامسة ، وروح النحو تجيز ذلك ، كما يعرف الباحث الأديب .

٣ — وعقب حضرته على هذا البيت :

يا موقدَ النار فى صدرى مؤجَّجةً ولاهيـاً بين أزهارٍ وأفنـان

فقال إن (مؤججةً) حال من النـار ، وزمن نشوء الحال متقدم لزمن الفعـل وشبهه ، وهو هنا موقد ، مع أن النار لا تـكون ملتهبة قبل الشعل .

ونجيب بأن النار هنا نار العشق ، وهى تلتهب قبل الشعل ، يا أديب العراق !

أما إيثارك أن نقول : «يا تاركَ النار فى قلبي مؤجَّجةً » فهو لا يغنينا عن العبارة الأولى ، لأنها أقوى وأصرح .

٤ — واعترض حضرته على البيت :

تعالَ أهديك من روحى بعاصفةٍ تردى الأنام ومن قلبي باعصارِ

لأننا رفعنا الفعل « أهدى » مع وجوب جزمه لأنه جواب الطلب .

ونجيب بأن جزم الفعل فى جواب الطلب غير واجب ، لأنه يجزم على تقـدير الشرط ، والشرط ملحوظ لا ملفوظ ، فلنـا الحرية فى الجزم والرفع ، وعلى هـذا الأساس وضعت القاعدة فى النحو الذى يدرس اليوم فى المدارس المصرية .

ولم يصب حضرته حين ذكر أننا كررنا الغلطة فى هذا البيت :

تعال نحىِ شهيدَ اللهو ثانيةً ونصرع الهمَّ بين الـكأس والساقى

فقد ثبتت الياء فى الديوان ، وكانت غلطة مطبعية وإثبات الياء لا يوجبه الوزن فى هذا البيت .

٥ — واعترض على هذا البيت :

لو يفصح الغيبُ يوماً عن مصائرهم لأقصر اللومَ قومٌ أىَّ إقصارِ

وذكر أن جمع المصير مصاير ، بالياء لا بالهمزة ، لأن الياء أصيلة لا زائدة .

ونجيب بأن الهمزة أخف من الياء ، كما كانت أخف من الواو فى المصائب والمنائر وهذا الباب يذكر بعضه ببعض .

٦ — وعاب حضرته هذا البيت :

لعمرى لئن أمسيتَ بالسقم ساهراً تخال الفراش الغضّ من وَهَج الجمرِ

وقال : « الصواب (لقد) لأنه جواب القسم » واستشهد بقول مالك بن الريب :

لعمرى لئن غالت خراسان هامتى لقد كنت عن بابَىْ خرسان نائيا

ونجيب بأنه يجوز ترجيح الشرط على القسم فى الجواب اذا اجتمعا ولم يسبقهما مايحتاج الى الخبر ، ونسب هذا الرأى الى الفراء ، كما نقل الصبان عن حواشى البيضاوى ، والى ذلك أشار ابن مالك بقوله :

وربما رُجِّح بعد قَسمِ شرطٌ بلا ذى خبرٍ مقدَّمِ

وأورد له ابن عقيل والأشمونى هذا الشاهد :

لئن منيت بنا عن غِبِّ معركة لا تلفنا عن دماء القوم ننتفل

وقال الحيقطان — من معاصرى جرير — :

لئن كنت جعد الرأس والجلد فاحمٌ فانى لسبط الكف والعرض أزهر (١)

وقال ابن المدبر فى (الرسالة العذراء) :

« ولئن قيل : كأنه الرمح الردينى ، فقد قال الكاتب ... الخ . »

وبذلك سقط اعتراض الأب الكرملى فى تعقيبه على شرح الرسالة العذراء (٢)

٧ — واعترض على هذا البيت :

كيف أصليتنى من الهجر ناراً وحرمت العيون من أن تراكا

وقال : « الفصيح المشهور أن يقال حرم فلان فلاناً كذا »

ونجيب بأنا نعدِّى الفعل (حرم) بالحرف عامدين ، لأن تعديته بالحرف لها فى النفس معنى لا يؤدى حين يُعدَّى هذا الفعل بنفسه ، وقد اتفق للدكتور أبى شادى

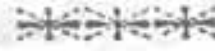
---

(١) دلنا على هذا الشاهد الدكتور بشر فارس وهو فى رسالة (فخر السودان على البيضان) ص ٥٧ طبع القاهرة (٢) راجع ص ٢٢٥ من مقتطف يولية سنة ١٩٣٣

أن عدّل هذه التعدية فى كلمة نشرناها فى (أبولو) فلما أعدنا نشرها فى الديوان رجعنا فعديناها بالحرف - لأن ذلك فى أنفسنا أدلّ وأوضح ، ونحن نعطى أنفسنا هذه الحرية فى الأداء .

أما بقية المآخذ فقد عرضها حضرة الباحث ثم دافع عنها ، فلم يبق ما يوجب التعقيب ، فاليه تحيتى وثنائى ؟

زكى مبارك





التصوير فى الشعر القديم

كثيراً ما يعنى الشعراء الفرنسيون فى قصائدهم بتقديم الصورة المحسوسة لما يتحدثون عنه .

فاذا تحدث اليك لا مارتين فى قصيدته (الوحدة) قدم اليك صورة فتوغرافية لهذا المكان الذى كان يلجأ اليه ، وهذه السنديانة القديمة التى كان يجد الراحة فى ظلها فوق جبله العالى ، وتحت أقدامه السهل المنبسط انبساط المطمئن الوادع : وعلى بعد منه قليل تستطيع أن تبصر النهر فى إزباده والتوائه تنعكس عليه الاشعة التى توشك أن تموت فتسمح لليل بالهبوط ، وللنجم بالاشراق . فانت فى هذه الصورة الحسية تكاد تثق بأنك معه فى خلوته ، تشرف على ما يشرف ، وتحلق معه فى الآفاق التى يسمو بك اليها .

واذا تحدث اليك ألفرد دى فيجنى فى قصيدته (موت الذئب) أحسست بالانقباض يشيع فى نفسك ، والأسى يغتصب منك حسك ، كأنك أنت المسؤول عن موت هذا الذئب ! تشهد احتضاره ويوجعك أنينه ، تنظر فى عينيه بريق الأمل

الخافت ، والنجدة الصارخة . تكاد لا تملك نفسك إن استطعت أن تقدم معونة الى هذه الروح المحتضرة ، التى تنسيك الفرق بينك وبينها .

ولكن لا ننس أن هذه هى الروح التى استولت على الشاعر فى شتى كتاباته ، وانه كان متشائماً فى الدرجة الأولى .

هذا هو المظهر العام الذى يسود على كثير من الشعر الفرنسى ، جعلناه مقدمة لكلمتنا التى نود كتابتها عن هذا التصوير فى الشعر العربى القديم ، ونقول القديم متعمدين قاصدين الى معناها ، تاركين الشعر الحديث ، لأن التصوير فيه يقترن اقتراناً لازماً بأبى شادى فهو الوحيد الذى كتب فيه ، فأجاد وأبدع ، فالكلام عنه كلام عن أبى شادى فلنتركه لفرصة أخرى .

ولا نودّ أن نقارن بين الشعر الفرنسى على لسان لامرتين ، وألفرد دى فيجنى وكلاهما فى القرن التاسع عشر ، وبين الشعر العربى القديم الذى تطاولت عليه العصر فالمقارنة خاطئة ، كما يقول استاذنا طه حسين ردّ الله غربته .

ولكننا نود أن نعرض الى التصوير كما تناوله الشعراء العرب فى شعرهم ، لا يهمنا أطالت القصيدة أم قصرت ، بل نتناول الصورة التى قدمها الشاعر ، ونتفهم الى أية درجة تناولتها شاعريته ، وقوته على الاخراج والتصوير ، سواء أكانت فى بيت واحد أم فى قصيدة طويلة .

ولنبدأ بشاعر قديم ، قد لا يعرفه كثير من الناس ، هو جران العَوْد النميرىّ

ولا يطمع منى القارىء فى ان أقدم له جران العود هذا ، ولا أن أدله على مولده ولا مكان وفاته وتاريخها ، فليعنَ به من يحب ! غاية ما أحب أن أعرّف القارىء به — إن كان لم يعرف — أن لهذا الشاعر ديواناً صغيراً مطبوعاً فى دار الكتب المصرية .

ولنعد الى ما نود الكتابة فيه .

قدم الينا الشاعر صورة حية ناطقة من حياته فى بيته لا يبعد أن تجدها فى كثير من بيوتنا فى وقتنا هذا ، فهو فصل من الحياة الواقعية تستطيع أن تشاهده و أن تسمع به .

حياة رجل تزوج أولا من بدوية ساذجة لم يطب له العيش معها . فنزعت نفسه الى الحضريات ، فوقع بصره على امرأة بارزة الصدر ، تتمشط وتدهن ، سوداء الشعر

بادية الزينة والحسن ، خلبه حسنها وامتلكت عليه تفكيره ، واندفع فى هواه اندفاع البدوى لأولى الحضريات اللاتى يصادفنه ، ودفعه هواه الى أن يبذل لها ماله وما تملك يداه وأن يتزلف اليها وأهلها ما وسعت الزلفى ، حتى انزلقت به الأيام الى ليلة البناء بها وفيها يتكشف الحال عن ليلة سوداء ، بشّر بها الغراب والعقاب ، وعلا صريخهما وطالت حركتهما فى الجو، كأنما يكتشفان للزوج المسكين موقع هذه الحضرية من الجمال والحسن أو مكان الجمال والحسن منها !

لقد انتهى كل شىء ودخل بها ، وعرف ما لم يكن يعرف : عرف شعرها العارية الذى فوق قفاها الكثيب كحيات البطائح سوداء متعرجة ، لا حياة فيه ولا بهاء له . عرف منها ساقيها الكريهين ودقة عظامها ، فاختار الشاعر أن يكونا فى التصوير خطافين نزع لحاؤهما ، وبدأ يظهر عليهما التحول فى طول كريه ممقوت ، فهى إن كان لا بدّ أن يكون لها شبه فى الأشياء ، فلا أشبه منها بذكر النعام فى صلابة الساق ودقته وفقر العجز وجفافه !

ثار ثائر الشاعر ، وطارت الامنية من يده كما طار المال الى بيت أبيها وخسر فى الصفقتين ، ولكن ما بقى كان أشدّ وأنكى .

وهنا يحسن أن نثبت شعر الشاعر ليشاركنا القارىء فى النظر فيعرف الصورة التى أراد الشاعر أن يثبتها :

ألا لا يغرّنّ امرأً نوفليةٌ على الرأس بعدى أو ترائبُ وُضَّحُ
ولا فاحمٌ يُسقى الدهانَ كأنه أساودُ يزهاها لعينيك أبطحُ
وأذنابُ خيلٍ عُلِّقت فى عقيصةٍ ترى قُرطَها من تحتها يتطوّحُ
فان الفتى المغرورَ يعطى تِلادَه ويعطى الثنا من ماله ثم يُفضَحُ !

ونحن نشكر الشاعر على هذا النصح الخالص فهو يقدمه فى مرارة التجربة التى نرجو أن يستفيد منها جمهرة الناس .

يخلص الشاعر من نصيحته هذه ووصفه القوى المختصر الى أن يذكر لنا أنه خسر خسراناً مبيناً فى صفقته هذه ، لأنه أصبح :

. . . يغدو بمسحاحٍ كأن عظامَها محاجنُ أعراها اللحاءَ المشبِّحُ

حتى :

اذا ابتُزّ عنها الدرعُ قيل : مطرّدٌ أحصّ الذّنابى والذراعين أمسحُ

حكم الشاعر أهلها فى ماله يصيبون منه ما حلت لهم الاصابة ، فلقد كان يظن أنه ابتاعها منهم . ولكن (ما كلُّ مبتاع من الناس يربح !)

زلّ الشاعر فى زواجه هذا فندم عليه ، وكيف الخلاص من ضرتين :

هما الغول والسّعلاةُ حلقىَ منهما مخدّشٌ ما بين التراقى مجرّحُ !

كيف الخلاص من هذا البيت الذى امتلأ بأهله وصبيانه ؟ أيفرّ الى حيث ينجو (بحلقه) ويترك لهم داره وأهله ، ويبتغى معاشاً آخر ؟!

أترك صبيانى وأهلى وأبتغى معاشاً سواهم ؟ أم أقِرُّ فأذبَحُ ؟!

لقد صانع وجامل ما استطاع اليها سبيلا ، وتقرّب بدموعه فلم تشفع له الدموع خطأ ، واحتمل العذاب عاماً كاملا فلم يزدادا الا اضراراً وعناداً .

عرض عليهما أن يذهبا بنصف ماله إن كانت تنفع هذه الحيلة فى البينونة بينهما :

خذا نصفَ مالى واتركا لىَ نصفه وبِيِنا بذمٍّ فالتعزّبُ أروحُ

فيا ربّ قد صانعتُ عاماً مجرّماً وخادعتَ حتى كادت العينُ تُمصحُ

لم تنفع الحيلة ، ولابد أن يأخذ الشاعر كل نصيبه فى هذا البيت الجهنمى ، ولا بد من (علقة) رتيبة ، يتناولها كل صباح جزاءً وفاقاً لأن الشاعر قليل الذوق كشاف عيوب .

فاذا ما اعتركا أسرعت الى ناصيته ، ولعلها كانت شعيرات طويلات كعادة العرب تستطيع أن تصل اليه منها ولا قيمة عندها لثوب العرس الذى لا يزال ينضح منه الطيب :

لقد عالجتْنى بالنّصاء وبيتُها جديد ، ومن أثوابها المسك ينفحُ

فأسرع هو الى خمارها فانتزعه من فوق رأسها فبانت (القرعة) الكبرى !

اذا ما انتصَينا فانتزعت خِمارَها بدا كاهلٌ منها ورأس صَمحمحُ

فما أسرع ما تترك ناصية صاحبنا الشاعر لتوارى هذه الرأس النكراء ؛ فيستطيع أن ينجو قليلا ، ولكنها سرعان ما تدور وراءه يقطعان البيت سباقاً وركلاً ، وعينه لا تحيد عن الهراوة وقياس البعد بينه وبينها :

تُداوِرنى فى البحث حتى تـكبَّنى وعينىَ من نحو الهِـراوةِ تَلمحُ !

اعتاد شاعرنا منها ذلك ، وتعلم كيف يموت كل يوم ، وتعوّد عنـد الموت أن يجر الى الماء جراً فيجد فيه طريقاً جديداً الى الحياة،فما يكاد يبصرحتى يجد الناس جميعاً ذاهلين واجمين . فانظر اليه يقول :

وقد علمتنى الوقذَ ثم تجرُّنى الى الماء مغشياً علىَّ أرنّـحُ

ولم أر كالموقوذِ تُرجى حياته إذا لم يرعه الماء ساعةَ يَنضَحُ .

أقول لنفسى: أين كنتِ ؟! وقد أرى رجالاً قياماً، والنساء تُسبِّحُ ؟!

وهنا كعادته يقدم لنا نتيجة اختباره فنشكره ، ونلفت اليه المتزوجين !

لقد اشتقنا الى أن نعرف الصورة التى كانت عليها هذه المرأة القاسية والى الطريقة التى كانت تتبعها مع شاعرنا المسكين .

فانظر اليه يصفها وقد وضعت الصبر فى عينيها ومن فوقها العصابة تشملهما مع رأسها وتغدو اليه مبكرة بكور الذئب حيث البوم لا يزال يضبح فى الأمـكنة المجاورة:

تُصبِّرُ عينيها ، وتعصب رأسَها وتغدو غدوَّ الذئب والبومُ يضبحُ

ولـكن رأسها ، أين هو من تصوير الشاعر ؟ فانظر اليه ينهال عليها وصفاً وايضاحاً ليعطينا الصورة الصادقة لبعض ما نجد فى رؤوس النساء من شعر قصير منـكش مفلفل أو هائج منتفش لا يحرثه المشط :

ترى رأسَها فى كل مَبدىً ومَحضرٍ شعاليلَ لم يُمشط ، ولا هو يُسْرَحُ

وإن سرحتْـه كان مثل عقاربٍ تشول بأذنابٍ قصـارٍ وتَرمَحُ

هذه هى رأسها تـكاد تبصرها أمامك فوق قامة شوهاء . أما حركتها فى الايقاع بالشاعر المصاب وسرعتها فى اللحاق به وجبهتها التى ترشح من الغيظ فيدل عليها قوله :

تَخطَّى الىّ الحاجزِين مُدِلّةً يكاد الحصى من وطئها يترضّحُ

كِناز عِفِرناةٌ ، اذا لحقتْ به هوى حيث تُهوِيه العصا يتطوّحُ

وانظر الى الدقة فى قوله (تخطى) حيث تـكاد تجد الحركة الدائمة ، والنظر الذى لا يغيب : فهى على ما أراد الشاعر أن يعطينا اياها ، تـكاد تثب فى خيال وراء هـذا

الشاعر المطارَد وهراوتها بيدها صلبة جريئة ثقيلة فى مشيها يتطاير الحصى تحت أقدامها نقتحم اليه الحواجز ، حتى (اذا لحقت به هوى حيث تهوي به العصا يتطوّح !)

ولا حيلة ولا قرار من هذا العذاب المقيم لأن :

لها مثلُ أظفار العُقاب ومَنسمٌ أزجُّ كظُنبوب النعامةِ أروحُ
اذا انفلتت من حاجزٍ لحقتْ به وجبهتها من شدة الغيظ ترشحُ
وقالت : تبصر بالعصا أصلَ أذنه لقد كنت أعفو عن جرانٍ وأصفحُ
فخرَّ وقيذاً مسلحِبّاً كأنه على الكِسرِ ضِبعانٌ تقعَّرَ أملحُ !

نتركه هنا ممداً فى اغمائه وسط البيت كأنه الضبع الذى سقط فى كمينه ، وننتقل الى صورة أطرف وآنق ، لا تتناول الشاعر وحده بل تمتدّ الى أحد أصدقائه ساقه سوء مصيره الى زيارته فى يوم (ذى قار) فناله من النصيب الموفور ما شكر الله عليه وأعقبه بالحمد على نجاته ! جاء يطلب (اللهو) عنده فكاد يخرج بسراويل مبتلة !

ولكنه وُفّق الى انقاذ ما يمكن انقاذه من هذا الصديق المشعث ، فنجا الشاعر من ضجيجها الذى يقرب منه ضجيج الحدادين ونجا هو فوق راحلته وأطلق لها العنان :

أتانا ابنُ رَوْقٍ يبتغى اللهوَ عندنا فكاد ابنُ رَوْقٍ بين ثوبيه يسلحُ
وأنقذنى منها ابنُ رَوقٍ وصوتُها لصوت عَلاة القين صلب صَميدحُ
وولّى به رادُ اليدين عظامُه – على دفقٍ منها – موائرُ جُنّحُ

بقيت صورة واحدة ألفت اليها النظر :

ولمّا التقينا غُدوةً طال بيننا سِبابٌ وقذفٌ بالحجارة مِطرحُ
أجلّي اليها من بعيدٍ وأتّقى حجارتها حقاً ، ولا أتمزّحُ
تَشُجُّ ظنابيبي اذا ما اتقيتُها بهن ، وأخرى فى الذؤابةِ تنفحُ

أوعِيتَ هذه الصورة الناطقة ، وشاهدت قفزات الشاعر اتقاء الاصابة المحققة ؟ ألا ترى تساقط الحجارة المتوالى فوق جسمه ، وكيف تمتدّ يداه ، وتتحرك رجلاه ليتقى بها الرضوض المهاجمة ، وكيف تصيب واحدة منها الرأس المعرض للخطر ؟ ألا تحسّ معى القوة فى قوله (وأخرى فى الذؤابة تنفح) ؟ إننى لأكاد أسمع طنين الحجر فى مسيره الى الرأس المنكود !

وهنا نودّ أن نترك الشاعر لانتهاء الصورة التى أردنا الكتابة عنها ولأنه قال :

خُذا حـذراً يا خُلـّتىّ فاننى رأيت جِران العودِ قد كاد يصلحُ

فنتركه يستعد !؟

عبد الحميد الشرقاوى



عثرات الينبوع

فى عدد فبراير من مجلة (أبولو) نقد لديوان (الينبوع) فى القافية والعروض أخذ فيه حضرة الناقد الأديب على صاحب الديوان بعض مآخذ عنونها بعثرات الينبوع، وقد وجدنا بذلك النقد بعض عثرات رأينا الرد عليها بما يجلى الصواب والحقيقة للقراء.

ذكر أن فى بعض قصائد (الينبوع) عيباً من عيوب القافية يسمى (سناد الردف) ، والردف هو حرف مدّ أو لين يأتى قبيل الروىّ (والروىّ هو الحرف الذى بُنيت عليه القصيدة وتنسب إليـه) ويجوز فى القصيدة الواو أو الياء ردفاً من غير قبح ، بشرط أن يكونا حرفىْ مدٍّ ولين بأن يضم ما قبل الواو ويكسر ما قبل الياء ، أو حرف لين فقط بأن يفتح ما قبلهما . وسناد الردف هو أن تردف أحـد البيتين وتهمـل الآخر كقول الشاعر :

إذا كنتَ فى حاجة مرسلا فأرسلْ حكيماً ولا توصهِ
وإنْ بابُ أمرٍ عليك التوَى فشاورْ لبيباً ولا تَعْصهِ

فالردف فى البيت الأول الواو ، والبيت الثانى غير مردوف لحلول العين محل الردف فى مقابله ، لذا قيل إن فى هذا الشعر سناد الردف . وبمراجعة القصائد المشار

اليها فى النقد وجـد أن قصيدة (عاهل العرب) خالية من سناد الردف لأن الناقد أخطأ فى ظنه أن مجرد وقوع واو أوياء قُبيل الروىّ يقال فيها ردف والصواب غـير ذلك إذ يشترط أن يكونا حرفىْ مدٍّ ولين أو حرف لين فقط كما سبق ، فالواو والياء المفتوحات ليسا من باب الردف ، والبيت الوحيد فى القصيدة الذى ذهب الى أن فيه ردفاً لم يطرد فى بقية أبياتها ، وهو :

يخطف النسرَ بالدهاء ويمضى طائراً جارحاً إذا النسرُ هوَّمْ !

فالواو المفتوحة قبل الروىّ وهو الميم هنا ليست ردفاً فانتفى وجود سناد ردف فى القصيدة ، ومثلها جاء فى البيت الثانى من قول ابن الرومى :

وصفراءَ بكرٍ لا قذاها مغيَّبٌ ولا سرّ من حلَّت حشاه مكتَّمُ
فظلّ لنـا يومٌ من اللهو ممتـعٌ وظلَّ لنا يومٌ من الحشر أيْوَمُ

ومثلها أيضاً فى البيت الثانى من قول البحترى :

أتاكَ الربيعُ الطلْقُ يختال ضاحكاً من الحسن حتى كاد أن يتكلَّما
وقد نبّه النيروزُ فى غلَسِ الضحى أوائلَ وَرْدٍ كنَّ بالأمس نُوَّما

وقصيدة (عيون المنصورة) ليس فيها ردف ولا سناد ردف فى الأبيات الأربعة الأولى وهى التى نوّه عنها الناقد ، وبقية القصيدة مردوف بالياء ردفاً سليماً . وقصيدة (عباد الشمس) ليس فيها ردف مطلقاً فالقول بوجود سناد ردف باطلٌ لا محل له .

وقد تعرض حضرة الناقد لأبيات من مخلع البسيط بالتقطيع العروضى وتخطئة الوزن ، فأخطأ فى وزن التفعيلة الأولى من بيتين قطعهما فعدّها مستفعلن والصواب متفعلن بغضّ النظر عن الوزن العام للبيت .

وفى نسخة (الينبوع) التى بين يدىّ لم أجد أثراً لما نوّه عنه فى الشطر الأول من خطأ الوزن لوجود النون التى ظهرت من الخطأ المطبعى فى بعض النسخ ، وهى بديهة أقل من أن يحفل بها ، وأقل منها كلمة (فهاكَه) التى شغلت من حديث الناقد سطرين ، فمستحيل أن تفوت معرفة خطئها المطبعى أديباً يطالع دواوين الشعر .

وفى نعى الناقد على (الينبوع) تـكرار بعض الالفاظ تـكراراً مُملاً ، ولـكن قلمه أفصح عن الميل الطبعى إلى تلك الوقفـة الشعرية الساحرة التى يقف فيها خيال الشاعر ممعناً فى التأمل أو الشغف بمرائيه أو الحسرة العميقة على ما فيها من طيوف وأحلام

سارّة كانت أم شاجية محزونة ، فيعزّ عليه فراقها ، ولا تواتيه طلبته فى إسراع التنقل من هذه الصورة المفتون بها الشاعر إلى غيرها ... فأظهر إعجابه من تكرار لفظة (أرنو) فى البيت الآتى رغم كثرته :

أرنو وأرنو ، ثم أرنو مثلما   يرنو الى الأمّ الحنونِ رضيعُ

على أن هذه الحالة قد ترد كثيراً فى النثر فى مختلف الآداب ، وقد أعجبت بصورة منها فى دراستى للادب العبرى فى (التوراة) عند ما وقف روفين الاخ الاكبر ليوسف، وكان يحبه ويعمل على نجوته من مكيدة إخوته ، على البئر التى أُلقى فيها يوسف فلما لم يجده أخذ يهتف من الحزن «أنا ..! أين أنا ..؟!» ويكرر هذا اللفظ. وفى (القرآن) الكريم فى سورة (الكافرون) قال تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم مخاطباً الكفار : « لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد» وتنزه كلام الله عن خلو فقرة من فقراته من معنى سام يختلف فى كل واحدة عن الأخرى : ففى إحداها نفى لصورة العبادة وفى الثانيةً نفى للمعبود ذاته . والشعر وهو مسرح الخيال والتأمل لا يُضَيَّقُ عليه ولا يعنَتُ هذا التعنيت والشاعر كالطائر المفتون بجمال الطبيعة فى طفاوة الضحى بين الورود والرياحين والجداول الرقراقة المتسلسلة تحت الخمائل ، يستطيب منها ما شاء ، ويلقى أغاريده حيثما يحلو التغريد على ضفة غدير أو فوق أكمام وردة ، ويطيل التأمل والامعان حسبما تقع فى نفسه فتنة الجمال .

وقد يحسّ الشاعر فى كل كلمة بمعنى جديد مغاير لما يحسه فى باقي الالفاظ مهما تشابهت صُوَرُها ، وناقد الشعر إن لم يكن شاعراً ولو بالروح والمعنى لا يشعر بهذه المعانى المختلفة التى انضوت تحت لون متشابه يظنه القارىء تكراراً وحشواً . وقديماً أخذ الشعراء بذلك اللون من تكرار اللفظ فى البيت الواحد وتأوّل لهم نقدَةُ الشعراء المتضلعون هذا بما يلتئم والبيان السالف ، من تقرير وحب للفظ المكرر من حيث تأديته معنى محبوباً فى سريرة الشاعر . فمن ذلك قول حميد ثور الهلالى الشاعر حين حظر على الشعراء ذكر النساء فى نسيبهم :

تجرَّمَ أهلوها ! لأن كنتُ مشعِراً   جنونا بها... ياطولَ هذا التجرُّمِ !

وما لىَ مِن ذنب إليهم علمتُه   سوى أننى قد قلت: ياسرحةُ اسلمى !

بلى فاسلمى ! ثم اسلمى ! ثمَّتَ اسلمى !   ثلاث تحيّاتٍ ، وإن لم تكلمى !

ولعل القارىء يحس معى بلوعة الشاعر الملتمعة خلل ألفاظ البيت الثالث . ومنه قول ابن المعتز على سبيل التقرير كما أفصح عن ذلك ابن رشيق فى عُمدته :

لسانى لِسرّى كتومٌ ... كتومُ ودمعى بحبى نَمومٌ ... نَمومُ
ولى مالِكٌ شفَّنى حُبُّه بديعُ الجمالِ وسيمٌ ... وسيمُ
له مقلتا شادنٍ أحْوَرٍ ولفظٌ سحورٌ رخيمٌ .. رخيمُ
فدمعى عليه سجومٌ سجومٌ وجسمى عليه سقيمٌ ... سقيمُ

ومنه أيضاً قول بعض الشعراء القدامَى :

إلى كَمْ وكم أشياء منكم تريبنى أغمّضُ عنها ... لستُ عنها بذى عَمَى !

وبعدُ ، فما كنت أرجو لنفسى الاغراق فى فلسفة لفظية ، أجدر بالشعر وهو غذاء الأرواح وألحان النفوس السامية أن يخلفهـا تجرجر أذيال النحو والعروض فى بطون الكتب وجماجم المتحذلقين ؟

محمود اسماعيل

الذكرى الألفية للمتنبى

كنتم أذعتم عن اهتمام اخواننا السوريين بالدعوة الى الحفاوة بذكرى انقضاء ألف عام على وفاة شاعر العربية الأشهر أبى الطيب المتنبي وذلك فى رمضان سنة ١٣٥٤هـ . أى بعد سنتين تقريباً من وقتنا هذا . وقد عهدنا من (أبولو) ومحررها عنايةً خاصةً بأدب المتنبي ، وكان لى الحظ فى الاستماع الى محاضرته الشائقة عن « الطبيعة فى شعر المتنبي » منذ أيام بنادى الصحافة ، فهل لى أن أرجو من جمعيتكم الموقرة أن تستعدَّ منذ الآن للحفاوة بشاعر العربية الأشهر عند حلول هذه الذكرى الجليلة ، فهى أولى الجمعيات بأداء هذا الواجب الأدبى نحو رمز العبقرية الأسمى فى الشعر العربى ؟

ابراهيم عبد الصمد

***

(يُعنى شعراء أبولو وأصدقاؤهم من النقاد بتلك الدعوة السديدة منذ اذاعتها ، والمنتظر أن يشترك معهم فى دراساتهم كثيرون من الأدباء فى العالم العربى ، حتى اذا

ما دنا وقتُ المهرجان أعلنَّا عن برنامجه وقمنا بتنظيم ما يلزم لهذا الحفل الكبير من خطابةٍ ونشرٍ . فليطمئنّ بالُ حضرة مراسلنا الفاضل . ونحن نشكر له غيرته الأدبيَّة على أيّ حالٍ ونبشّره بأننا سنحتفل كذلك بذكرى غير المتنبى من الشعراء العالميين فى المناسبات التاريخية ، ولن يفوتنا تمجيد الذكريات الشعرية العظيمة فى ذاتها) .

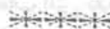


ذكرى عبده بدران

كتب الأديبُ الفاضلُ سليم بدران كلمةً طيبةً عن المرحوم الأديب الشاعر اللغوى الكبير عبده بدران المحرر بجريدة « الأهرام » قديماً ومنشىء جريدة « لسان العرب » اليومية مشتركاً فيها مع الشيخين الأديبين نجيب الحدّاد وأمين الحداد ، ورئيس تحرير جريدة « البصير » من عام ١٩١٨ إلى عام ١٩٢٤ حيث وافته المنيةُ مساء يوم ٩ فبراير سنة ١٩٢٤ ، تاركاً عدة مؤلفات أهمها معجمه المخطوط للغة العربية التى يهيب الأديبُ سليم بدران بأفاضل الناشرين للعناية بنشره. ودعوته هذه جديرةٌ بالتلبية السريعة فان نشر هذا المعجم المفيد لا يكلف أكثر من مائتى جنيه وهو يسدّ فراغاً محسوساً فى اللغة العربية لأنه مهيَّأ لأن يكون معجماً للجيب ، وهذا النوعُ من التأليف مطلوبٌ جداً فى الأوساط المدرسية خاصةً وفى الأوساط الأدبية عامةً ، فنشره عملٌ مربحٌ فضلاً عن قيمته الأدبية الظاهرة .

وما يهمّ (أبولو) بصفة خاصة هو أن للمرحوم عبده بدران فضلاً فى تنشئةِ كثيرين من الشعراء أذكر فى مقدمتهم شاعرنا اللبنانى السكندرى المجيد خليل شيبوب ، فحبذا لو عُنى تلاميذه الشعراء قبل سواهم بالعمل على اخراج آثاره الأدبية الجليلة وفى مقدمتها ديوان شعره ومعجمه النفيس ؟

عبد الستار حجازى



الابداع والشعر المستعار

كتب الأديبُ الفاضلُ سليمان درويش تعليقاً مستملحاً على ما وجّهه شاعرُنا النابهُ مختار الوكيل الى (هدية الكروان) من نقدٍ . وانى أهنىء حضرته بما توخّاه من هدوء المحاجَّة المبينة ، ولكنى بعد هذا لا أقف فى صفّه ، إذ بديهى أن الحافز

لكتابة مختار الوكيل غيرتهُ الأدبيةَ الشريفةَ وحرصُه على اعطاء كلّ ذى حقٍّ حقه وتنزيه شعرنا العصرى عن السرقة فى الخفاء من الآداب العالمية ؛ فليس من الحكمة بعد هذا أن نفتش عن المبرّرات لهذه السرقة أو لهذه « الاستعارة » كما يؤثر أن ينعتها الأديب درويش أفندى .

ان من يستعير شيئاً من الأدب الأجنبي أومن غيره يجدر به أن يعترف بمصادر ما يستعيره ، لا أن يتصنع التعالى ويختال فى « العبقرية » المزعومة ، ولا أن « يخلق من الحبّة قبة » فيسخف زملاءه الشعراء الذين يفتنون بالجمال العزيز فى البلبل والهزار بينما البلبل شائعٌ فى الفيوم وشمال الدلتا ومعروفٌ لدى الجميع وهو من طيورنا المستوطنة وكثير المشاهدة على شجر الجميز والسنط ، وبينما الهزار من أحبّ الطيور المغرّدة التى نشاهدها بيننا فى الربيع على الأخصّ . وليس الكروان المشهود فى مصر مقصوراً علينا بل هو موجودٌ أيضاً فى الجزائر وصقلية ، فليس هو بحال طائراً مصرياً خاصاً كبعض الدواجن ، فحكمه حكم البلبل الأبيض البطن الذى تغنى به الشعراء المصريون . ولكن العقاد يؤثر مبدأ « خالف تعرف » ويتصنع تسخيف زملائه الشعراء مع أنه أوْلى بذلك !

ثم ماذا بعد هذا ؟ يقول الأديب سليمان درويش إن العقاد يجوّد ما يستعيره من المعانى . . . وانى أنكر هذا ، وحسبي أن أحيل حضرة الأديب الفاضل على كتاب الأديب الشهير مصطفى صادق الرافعى المسمّى (على السفود) ففيه البيان الكافى ، وعليه أن يقرأه أولاً ثم ليناقش اذا استطاع . . .

وأقسم أنى لم أقرأ معنى شائقاً للعقاد الاّ وتبينتُ فيما بعد أنه ناظرٌ فيه الى أديب آخر ، والشاذ النادر لا يقاس عليه . ولست أجهل التقاريظ التى تنشر له مجاملة ومجاراة برغم أنفى وآناف مَنْ يرون رأيى ، ولكننا نعرف قيمة هذه التقاريظ الجوفاء : فهى أشبه بالمظاهرات السياسية الحزبية التى ينظمها الأنصار لرجلهم أخطأ أم أصاب ! وبحسبك أن يحتفى أمثال هؤلاء بتكريم العقاد لما يسمونه « النشيد الوطنى » وهو منظومةُ الركاكة والضعف التى نقدَها أحد أفاضل الادباء فى (البلاغ) نقداً حراً رزيناً قضى عليها قضاءً تاماً . . . ومع ذلك فهى موضوعٌ للتكريم !

ولا غرابة بعد هذا اذا ضحك منا المستشرقون بعد ما قالت احدى مجلاتهم فى استعراض شعرنا العصرى إن شعر العقاد كصفير الرياح فى المكان الخرب ! . . . ولله الامر من قبل ومن بعد ؟

عبد الفتاح شريف



أوزريس والتابوت

كأنَّ (ستَ) الخؤونَ وقد تمنَّى   ممَاتَ أخيه رغمَ حمى الألوهه
زعيمٌ منه قد عرفَ التجنّى   أصيلاً فى الألوهةِ والأنامِ
وأنَّ العدلَ فى الدنيا طريدٌ   طريدٌ فى حمى الذممِ النزيهة
وأنَّ الكونَ يملؤه ضبابٌ   فضلَّ الخلقُ فى مثلِ الزحامِ
وهاموا فى اصطدامٍ واصطدامِ !

أعدَّ له مخادعةً عجيباً   هو التابوتُ فى ملهًى لديهِ
وقال : وهبتُهُ لمن اصطفاهُ   اذا ما لاءمَ التابوتُ حجمَهُ
فخودعَ (أوزريسُ) منَ احتفاءٍ   وعند رقادهِ قفلوا عليهِ
وألقوه بمجرى (النيلِ) غدراً   فماتَ ، وقدَّسَ التيارُ جسمَهُ
وقُدّسَ ماؤهُ فهوى وضمَّهْ !

* * *

تأمَّلْه المعزَّزَ والمضحَّى   ودنيا المجدِ تخدعُهُ خداعا
وهاتيك المراوحُ والجواري   وهانيكَ الكؤوسُ وحاملوها
وناظرةُ النجومِ وكلُّ رسمٍ   يطلُّ عليه أو يثبُ ابتداعا
برهبةِ لحظةٍ كالحظِّ حيرى   ويأبى أن تحرّرَ خالقوها
فقد خلقَ (المماتَ) بها ذووها !

أحمد زكي ابو شادي



الدّمع

لئن ينبو بنا الزّمنُ   وحُمَّ الحادثُ الجلَلُ
وأعيا النّفسَ حادثُها   وضاقتْ بالنّهى الحِيَلُ



محمد صالح اسماعيل

تجلّتْ رحمةُ المولى   مِن العينين تنهملُ
فتغدو سلوةَ الشّاكى   لجرحٍ ليسَ يندملُ
وتغدو عُدّةَ العانى   اذا ما راحَ يبتهلُ
نصيرُ الثاكل الولهى   اذا ما راعها الثّكلُ
وذخرُ المغرمِ المضنى   اذا ما خانهُ الأملُ
وعونُ الخائفِ الرّاجى   ومَنْ أودَى به الزّللُ

رسولٌ صادقُ النجوى كذلك تصدقُ الرُسلُ
تسامتْ فى قداستها فصار محلُها المقلُ

محمد صالح اسماعيل



غروب وغروب

جثمِ المـوتُ على سَفْحِ السَّما وأناخَ الركبُ بالشمسِ أمامهْ
صورةُ الجبّار شـاقته الدِّما فدعا الغدرَ ، ونادى بالظُّلامهْ
سِيق بالعـانى اليـه بعـدَ ما أيْقَنَ العانى بأنْ يلقى حِمامهْ
مَشْهدٌ بالرَّوْعِ فى نفسى هَمَى حين بثَّ الليلُ فى الجوِّ قَتامهْ !



خفَقَ الـكونُ بجيشٍ مُطْبِـقِ مِن ظلامٍ كتهاويلِ الرُّموسْ
مَوكبُ النورِ ، وحُلْمُ المَشْرقِ قد غذاهُ الليل فى حربٍ ضَروسْ
دَفقَت أمواجُـه فى الأفُـقِ فأمحتْ منهُ دِما تلكَ العروسْ
بادماء النورِ مـلءَ الشفقِ : هكذا تجرى على السعد النُّحوسْ !



حيثُ صُبَّ الليلُ من تلك القُنَنْ كان قد صُبَّ النهارُ المُشرِقُ
والى ما صار هـذا مِن وَهَنْ سيصير الآخـرُ المُستَغرِقُ !
الهنـا والشَّجْوُ مِنْ نَبْعٍ مَعـاً والى هَلْكٍ جميعاً مُغْـدِقُ
فاسقنى الصفوَ ، وناولنى المِحَنْ قد تساوىَ المُنتَشى والمُطرِقُ !



قد رأيتُ الموتَ نابًا وفَـما ورأيتُ الشمسَ فى الأفْـق تموتْ !
أتُراهـا وهْى غرْقَى فى الدِّما ومَغانى الكوْن تبكى فى صُموتْ ،
نالت العوْدَ الى ذاك الحِمَى وكفاها الحُزنُ أسبابَ الخفُوتْ ؟

رُدَّ أيامى لدهرى مَغْنَماً ، وشبابى ، إننا للموتْ قوتْ !

***

غيرَ أنَّ الموتَ خيرٌ مُنْتَآى ومَعِينُ الموت أصْفَى للشعور
وخَيالُ الموت عذْبُ المُرْتآى وطريقُ الموتِ أزهارٌ ونُورْ
قـدَّروا الموتَ مُصاباً سيِّئا ليت شعرى أىُّ سوءٍ فى القبور
هاتِ كأسى منه صِرْفاً مُجزئاً إن جُهدَ الموت نهجٌ للسُّرورْ !

***

أوقِدُوا حَوْلى شموعَ الفَرحِ وانْضَحُوا بالعطرِ جُثمانى الطَّرِيحْ
واتقوا أن تدفعوا فى ترَحِى آيةً أخرى من الهمِّ الصَّريحْ
لَمْ أذُقْ فى العيش طعمَ المَرَحِ فأذيقونيـهِ علِّى أستريحْ
أيها الموتُ : تَعهدْ فَرَحِى إن تكنْ كاسُكَ لاتَشفى الجَريحْ !

***

ذبَلَ الحُبُّ بقلبى وذَوَى واطمأنَّتْ ريحُهُ تحت الضُّلوعْ
رحمةُ الله لأيامِ الهوَى وسلامُ الله يا تلك الرُّبوعْ
مُذْ تجافيتُ شبابى وانطوَى فى تجافٍ له معنى الولوعْ :
هانت الدنيا ، فبادلنى الجوَى واسقنى اليأس على سحِّ الدموعْ !

***

أذكرتْنى الشمسُ فى هَوْلِ الغروبْ ما أنا فى هَوْلِ آلامى الكِبارْ
قد أثرتُ العُمْرَ فى دفعِ الكروبْ ما تثير الشمسُ من ماءٍ ونارْ
وكلانا بات فى أيدى الخطوبْ خيرُ مايُمْلَى عليه الاختِضارْ
تَبعثُ الأحزانُ احلامَ الشُّعوبْ وفيوضُ الحُزْنِ فى النفس كِثارْ

محمد زكى ابراهيم



الأشجان

أظلمَ الكونُ فما يغمره غير الحلكْ
وَجَثا الهمُّ على صدرِكَ حتى أثقلكْ
وحملتَ العبءَ فى بدءِ الصِّبا لا عونَ لكْ
طالما ردَّدتَ شكواكَ ولا مَنْ يرحمُ
رُسِلُ الأنَّاتِ تتلو بعضها ... مَنْ يَعلمُ ؟

* * *

روِّحْ الأشجانَ عَنْ نفسِكَ كىْ لا تقتُلكْ
أنتَ لاهٍ عَنْ تصاريفِ القضا ... ما أجهلَكْ !
أنتَ لا تعرفُ ماذا فى غدٍ يُضمِرُ لكْ
فلقد يُصبحُ صُعلوكاً أميرٌ أو مَلِكْ
ولقد يرفُلُ فى النُّعمى فقيرٌ مُعْدِمُ !
هكذا يُصنعُ بالنَّاسِ ... ألسنا مِنهُمُ ؟

سيد ابراهيم

أنا وصورتى

أيها التائهُ ما بين الشجرْ ضاعَ عمرُكْ
بين آمالٍ وهمٍّ وفكرْ طال غمرُكْ

* * *

ما الذى أملتَ من هذى الحياهْ ثم فزتَ ؟
لم يكن حظك الا بالشفاهْ قد خسرتَ !

* * *

هذه الاعوام مرت كالسحابْ دونَ جدوى
ما الذي ترجوه من باقي الشبابْ غير بلوى ؟ !

* * *

هكذا العمر تقضى بالنصَبْ ؟ والشقـــاءِ
بالتعلات تقضى والتعبْ والرجـــاءِ

* * *

أين آمال ينمّيها الغرامْ ؟ أين ضاعتْ ؟
أترى الدهر دهاها بالسقامْ فتـــلاشتْ ؟

* * *

بين جنبيك فؤاد مفعمٌ بالغـــرامِ
خيم الحزنُ عليه ، مظلمٌ كالغمـــامِ

* * *

كان حلم ضاع فى صخب الحياهْ وتنـــاثرْ
أترى ترجع من بعد الوفاهْ والمقـــابرْ ؟

* * *

أيها البائسُ لا تبكِ على ما فقـدتَ
هو ذا العيشُ عناءٌ وبلا لو علمتَ

* * *

انما الدنيا عذابٌ وشجونْ وهمـــومُ
وشقاءٌ وبلاءٌ وفتونْ وغمـــومُ

* * *

أيها الباكى على آمالهِ كن شفوقاً
حسبُ هذا القلب من احمالهِ كن رفيقاً

* * *

لِمَ تبكى ؟ لم هذى العبراتْ ؟ قـد فنيتَ
ويحك القلب فتىً فى الحياة قـد شقيتَ

* * *

روّحِ النفسَ بأزهارِ الرياضْ تتسـلى
ودّعْ الناس على آتٍ وماضْ تتقـلى

* * *

قد أضاعوك فدعهم لا تمَلْ لـلا ناسى
لا تَمِلْ تسعد ، والا فتضلْ وتقـاسى

* * *

انشقِ الزهرَ فيكفيك العبيقْ واحفظنهـا
هى من أم وفى الأصل الشقيقْ لا تخنهـا

* * *

ربما ذا الزهر من قلبٍ وديعْ قـد تولدْ
أو فؤادٍ كان فى همٍ مريعْ وتبـدّدْ

تونس : محمود حسين الرحمى

الى أخى

أخى محمود تلميذ صغير كنت أودّ لو أكون بجانبه فى مصر حتى أتعهد فرعاً ناشئاً من شجرة أنا أحد فروعها ، ولـكن شاء الله أن أتم ثقافتى فى انجلترا بعيـداً عنه . فكتبتُ له هذه الأبيات :

محمـودُ ! غالبنى اليـ ـكَ الشوقُ واعتلجَ الحنينْ
قد كنتُ أوثر أن أمدّ كَ بالشمالِ وباليمـينْ
حتى أدلك فى الحيا ةِ على الطـريق المستبينْ
لكن ... أراد الله لا ألقاك فى الدنيـا لحينْ

* * *

محمودُ ! تلك نصيحة من ناصحٍ لك لا يمين
وفىَّ المقال أمانةٌ ما كلُّ ذى قولٍ أمين
لم أدرِ يا محمودُ ما خبَّا لك الغيبُ الجنين
فلعلَّ حظكَ قد يكو ن كما أؤمل أن يكون

***

محمود ! أمّلْ فى الحيا ة فربَّ مأمولٍ يكون
واجعلْ شعارَك فى الحيا ةِ العلمَ والخلقَ المتين
العلمُ والأخلاقُ ركنٌ يا أخى ثَبْتٌ ركين

***

محمود ! أنتَ اليومَ خا لى البال مرتاحُ الظنون
لم تَشْقَ بالعقل الذى هو يا أخى أصلُ الجنون
لم تدرِ أعباءَ الزما نِ ولا تكاليفَ السنين
لم تَمْشِ الا فى طر يقٍ من ملاطفةٍ ولين
لم تدرِ شجوَ الحزنِ يا محمودُ أو شكوى الحزين

***

محمود ! هيّا اخلعْ ردا ءَ الطفل ... لستَ به قمين
واستقبلْ الدنيا بعز مٍ فى المصاعبِ لا يلين
واجعل لمصر عليكَ حقاً فهى موئلُكَ المكين
لاتنسَ حظَّكَ فى الحياةِ ولا نصيبكَ فى السنين
لاتنسَ حقَّ الله فى الد نيا ولا حقَّ الخدين
حتى يتاحَ لك النصيبُ الحلو مِنْ دُنيا ودِين

اكستر — انجلترا :

محمد عبد الغنى حسن

مقبرة الحي

طاحتْ بِيَ الأقدارُ في غُرفةٍ يا ليْتَ لي من دونها الهاويَهْ
لم يخفقُ الصفوُ بها لحظةً ولم تَزُرْها النِّعمةُ الرّاضيَهْ
كمهجةِ الخائبِ في ذلِّها ظلماءَ مِن طيْف المُنَى خاليَهْ
تكافح الليل بها شمعةٌ ذابت من الوجد كأحشائيَهْ
كأنها والدَّجْنُ يلهو بها أمْنِيَّةٌ في يأسها فانيَهْ
دموعُها تَهْمِي ، وأنفاسها تَفْضحُ سرَّ الحُرقة الذاكيَهْ
كأكبُدِ العشّاق تخفي الضنى والدمعُ نَمَّامٌ على الخافيَهْ
يا شاكيَ الهمِّ لأيامه لقد شكوتَ البغْيَ للباغيَهْ !
أقصرْ عن الشكوى اليها فما دنياي إلاّ حَيَّةٌ غاويَهْ
إهابها يُغري . . وفي نابها لمَنْ تمسُّ الوخزةُ القاضيَهْ !
دهرٌ له في بطشه لذَّةٌ كالوحش يَفري مهجة الثاغيَهْ
قاسيتُ فيه البؤسَ مُعْذَوذِباً مرارةَ العيش وأحزانيَهْ
أنازعُ الهرَّةَ في رزقها وإنْ يكن من فَضلَةٍ نابيَهْ
ومصرُ ما ضنتْ على طالبٍ في ظلِّها النعمةُ . . واهاً لِيَهْ !
والماء . . . إذ أشربُه آسِناً ونيلُها أمْواهُهُ جاريَهْ
وإذ يَغَصُّ القوم من بطْنةٍ حَوْلي يُذيب الجوع أمعائيَهْ
غَبنٌ من الأيام . . لا رحمةٌ تحيي ! ولا صبرٌ على العاديَهْ !
ولا فناءٌ عاجلٌ أشتهي في وِرْده الراحةَ مِمَّا بيهْ !

محمود حسن اسماعيل

غرفة الشـاعر

مَهْبطُ الْوَحْيِ وَلِلْوَحْيِ شُجُونْ يَصْطَفِيهَا مُلْهِمُ الوَحْيِ الأمينْ
غُرفـةٌ أجْواؤُهَا قيثـارةٌ تُنشِدُ الآمالَ للْقَلْبِ الطَّعِينْ
وَأرِيجُ الشِّعْرِ والحِكْمَةِ فى سَاحِهَا يَشْدُو بأنْوَاعِ اللُّحُونْ

« • »

غُرْفَةُ الشَّاعِرِ فيهَا قَلْبُهُ تَارَةً يَبْكِى، وَطَوْراً يَسْتَكِينْ
جَاشَتِ الأحزَانُ فيهَا ، إنَّهَا مَنْبَعُ الثَّوْرَاتِ والحَرْبِ الزَّبُونْ
تَبْعَثُ الأنَّاتِ فى جُنْحِ الدُّجى وَهْىَ لَوْ تَدْرى سُكُونٌ فى سُكُونْ

« • »

رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ ، قَدْ بَرَت قَلْبَهُ الأحْلامُ وَالدَّهْرُ الضَّنينْ
رَحْمَةُ اللهِ عَلَى غُرْفَتِهِ مُذْ رَآها النَّاسُ وَلوْا مُدْبِرِينْ
وَهىَ سَلْوَى رُوحِهِ الحَسْرَى وكم أنْجَبَتْ مِنْ لَهْوِهِ القاسِى الفنونْ !

بروى أحمد طبانة



الذئب والجدى

مرَّ ذئبٌ تحت صرحٍ هائلٍ أرفع الذروة للنجم سما
وعلى الذروة جـدىٌ هازلٌ شتم الذئبَ مُثيراً واحتمى
هاج طبعُ الذئب وارتدّ على عقبيه . قال : يا جدىَ الحمى
لم تـكن أنتَ الذى يشتمنى إنما الصرحُ الذى قـد شتما !

بركة محمد



بحيرة طبرية

كما رآها المتنبي

لولاكِ لم أتركِ البُحيرةَ والـ ـغَوْرُ دفِيءٌ وماؤُها شَبِمُ (١)
والموجُ مثلُ الفُحولِ مزبدةً تَهْدِرُ فيها وما بها قَطَمُ (٢)
والطيرُ فوقَ الحَبابِ تَحسَبُها فُرْسانَ بُلْقٍ تخونُها اللُجُمُ (٣)
كأنها والرياحُ تَضرِبُها جَيْشَا وغًى هازمٌ ومنهزمُ
كأنها في نهارها قَمَرٌ حَفَّ به من جِنانِها ظُلَمُ
تغنَّتْ الطيرُ في جوانبها وجادتْ الأرضَ حولها الدِّيَمُ
فهْيَ كماويَّةٍ مطوَّقةٍ جُرِّدَ عنها غشاؤُها الأَدَمُ

الطبيعة والصيد

من مرتجلات المتنبي

وشامخٍ من الجبالِ أقودِ فردٍ كيأفوخِ البعيرِ الأصيدِ (٤)
يُسارُ مِن مضيقهِ والجلْمَدِ في مثلِ مَتْنِ المَسَدِ المعقَّدِ (٥)
زُرناهُ للأمرِ الذي لم يُعْهَدِ للصَّيْدِ والنزْهةِ والتمرُّدِ

بكلِّ مَسْقِيِّ الدماءِ أسودِ معاودٍ مُقوَّدٍ مقلَّدِ (٦)
بكلِّ نابٍ ذَرِبٍ محدَّدِ على حِفافَيْ حَنَكٍ كالمِبردِ
كطالبِ النأرِ وإن لم يحقدِ يَقتلُ ما يقتلهُ ولا يَدى (٧)
يَنْشُدُ من ذا الخشفِ ما لم يفقدِ فثارَ من أخضرَ ممطورٍ ندِ (٨)
كأنه بَدْءُ عِذارِ الأمْرَدِ فلم يكدْ إلا لحتفٍ يَهْتدِي (٩)
ولم يَقعْ إلاَّ على بطنِ يَدِ فلم يَدَعْ للشاعرِ المجوِّدِ (١٠)
وصفاً له عند الأميرِ الأمجدِ

* * *

نشرنا على سبيل المثال هذين النّموذجين من شعر المتنبي فى الطبيعة ، ولمن شاء من حضرات الأدباء أن يرجع الى الملحق بهذا العدد ليتعرف بنفسه موضعهما من أقسام ذلك الشعر ، وهما من أروع نظم المتنبى وقد عُنى بهما البارودى فى مختاراته.

---

(١) الغور : موضع بالشام فى جيرة البحيرة . (٢) تهدر : من الهدير وهو صوت الفحل من الجمال ، والقطم : هياج الفحل ، والمراد به هنا شهوة الضراب . (٣) حباب الماء : طرائقه وما ارتفع منه ، والبلق : جمع أبلق وهو ما كان فيه سواد وبياض ، وهى صفة لمحذوف أي خيلٍ بلقٍ . (٤) الأفود : الطويل ، والأصيد : الملتوى العنق يريد أن هذا الجبل مرتفع فى أعوجاج (٥) يريد أن هذا الجبل يسير فى طريق معقد ضيق . (٦) أى بكل كلب هذه صفته . (٧) لا يدى : لا يعطى الدية وهى ثمن دم القتيل . (٨) الخشف : ولد الغزال . (٩) العذار : شعر العارضين ، والحتف : الموت . (١٠) قوله بطن يد أى بطن يد الكلب .





لِمَ . . ؟

نحن صنوانِ هبطنا هذه الأرضَ معا
وحَبَوْنا وجرَيْنا وصَعَدْنا المطلعا
فشهدنا العيشَ كالزهرِ نَدِيًّا ممرعا
ومَشيْنا فألفناه رضيًّا طيّعا
ما طلبنا الماء إلا وأرانا المنبعا
وأظلَّ الليلُ إلا وهدانا المضجعا
نحن جسمان وروحان وكنّا أربعا
ثم كنا واحداً نشغل منا موضعا !

« • »

فلِمَ الهجرُ إذاً والهجر للحبِّ خِداعْ ؟!
ولِمَ الصُّحبة تُنْسَى ولِمَ السرُّ يُذاعْ ؟
أنسيتِ العهدَ أم آن لعهْدَينا الضّياعْ ؟
أم هو الحبُّ متاعٌ وكما يشْرَى يباعْ ؟

« • »

أنا مِن هجركِ أهويت وحطَّمتُ اليراعْ
أنا مِن جورك عانيتُ ومزّقتُ الشراعْ

ثم عرَّجتُ على الدنيا فأنكرتُ المتاعْ !

« • »

إرحميني وارحمي قلبي فقد مَلَّ الصراعْ

أوْ دَعِي القلب فما أجدر بالقلب الوداعْ !

محمد متولي بدر

بريشة الشاعر

صَاغَهَا اللهُ جلالاً في الصِّغَرْ طفلةً تبدُو بإجْلالِ الكِبرْ

طفلةٌ تنسيكَ آلامَ الكدَرْ وهي تلهُو في هدوءٍ وحذَرْ

« • »

طفلةٌ هائمةٌ بين الوجودْ والوجودُ الغفلُ عنها في حياءْ

كيف تحيا الروحُ في هذا الجمودْ ويحلّ الارضَ سكانُ السماءْ

« • »

تبعث النظراتِ في فكرٍ شريدْ وهيَ حيرى تتلهّى في عجبْ

كغريبٍ تائهِ اللبّ طريدْ يتّقِي الغدرَ فيسعى في الهربْ

« • »

وهي حيرَى بين لجّاتِ الذهولْ لا تحسُّ الكونَ إلاّ ما ترَى

وكأني بنواياها تقولْ : أيُّ شيء ذاك ؟ أو ماذا جرَى ؟

« • »

انها الروحُ التي أبصرتها في ظلام الغيب تهفو في الخيالْ

فهَبيني بغيةً أمّلتُها يا فتاةً أهدتْ الكونَ الجمالْ

« • »

كنتِ في العليا مَلاكاً طاهراً يحتويني كلما جَنَّ الظلامْ
هاتفاً في النفسِ يبدو حائراً يتمشّى في تجاويف العظامْ

« • »

فهبطتِ الأرضَ يرمزَ المنى وبودّي أن تَظَلّي في سمائِكْ
انَّ مَن في الأرضِ عُبّادُ الأذى فتعالَيْ انّني رهنُ فدائِكْ

« • »

وتعالَيْ لبئيسٍ مكتئبْ لم يصادفْ عهدُه عهدَ الشبابْ
عَضَّهُ الدهر وليداً فانتحبْ وتولّى في عبوسٍ واكتئابْ

« • »

لم يجد في الناس من يرعى الوفاءْ أو نفوساً صافياتٍ لا تُملّْ
فتعالَيْ شجِّعيني برجاءْ أرتجي فيه تباشيرَ الأملْ

« • »

انه قلبٌ جريحٌ نازفٌ لم يجدْ قلباً يلبّيه الخفوقْ
ملهبُ الحسِّ حنونٌ عاطفٌ دائم التحنانِ كالطيرِ الطليقْ

« • »

وهو يبغي الحبَّ عفّاً صافياً لا كما تبغيه أطماعُ البشرْ
ويريد النفس معنى سامياً لم تدنّسها ألاعيبُ الهذرْ

« • »

لا قصوراً كنت أحيا راغباً عن صِلات الخلقِ افضي بالشكاةْ
لا ، ولكنْ رمتُ قلباً ملهباً لم أجِدْهُ بين أفرادِ الحياةْ

« • »

ثم شاء الحظُّ أني قد وجدتُهْ قبل أن أطوى بأكفانِ الثرى
وحباني دوحَ مخلوقٍ عبدتُهْ قبلَ أن يأوي ألى أرضِ الورى

« • »

فدعيني أنشدُ الشعرَ طروبًا   بعد ما كنتُ بئيسًا يائسًا
يتقضَّى العمرُ فى الدنيا غريبًا   ويلاقى الكونَ جَهْماً عابسًا

« • »

واملئى روحى بفيضٍ من حنانْ   إننى فى الغيبِ قد قدّستُهُ
ذاك قلبي فى جراحاتِ الطعانْ   ابعثيهِ بعدَ ما كفنْتُهُ

فايد العمروسى



حزينة ...!

من ذا أذاب النورَ فى عينيكِ   وأذالهُ دمعاً على خدّيْكِ ؟!
إني لأقرأ فى محيَّاكِ الأسَى   وأراه مرتسماً على شفتيكِ
وشحوبُك الساجى الملحُّ يثير فى   نفسى التأثّرَ والحنوَّ عليكِ

« • »

يا وردةً أحسُو نسيمَ عبيرها   بالرُّوحِ ما هذا الوُجوم ُلديكِ ؟!
أين ابتسامُك أين ؟ هل غال الضنى   ما فيه مِن نورٍ يحنُّ اليكِ ؟
إنى لأصغى ثم أصغى ذاهلاً   لصراخ قلبكِ وهو فى جنبيكِ
وكأنه قيثارةٌ يلهو بها   صَبٌّ حزينٌ جُنَّ بينَ يديك

أحمد مخيمر



هدوء الحب

في سبيلِ الحبِّ ما ألقى وما سوف ألاقي
ولأجلِ الحبِّ هذا الدمعُ يجري في المآقي
عشتُ للحبِّ ولا أرجو من الحبِّ التلاقي
خفِّفوا اللومَ قليلاً يا رفاقي!
عبثاً أن يطفئَ اللومُ اشتياقي
لا، ولا القربُ ولا طولُ العناقِ
بفؤادي الحبُّ باقي
قربُها مثلُ الفراقِ
عشتُ مجهولَ النطاقِ!

« • »

هي إن بادلتْ الحبَّ أنا ما زلت صبًّا
وهي إن أبدتْ لي البغضَ فلن أنقصَ حُبًّا
وليقولوا أنا أذكى عاشقٍ أو أنا أغبى
سكنَ الحبُّ هنا روحاً وقلبا
إنْ صبتْ للبعدِ صار البعدُ عذبا
غاضبٌ إنْ هي غضبى
إن أبتْ وَصْلِيَ آبَى
لستُ للأحزانِ نهبا!

مأمون الشناوي

اغنية الوداع

بآسم ِمَن شئتِ فى الهوى غنّينى ... فعسى أن تخففّى من شجونى
بالحديث استعنتُ فى سهر الليـــل ،أطيلى الحديث ! لا توحشينى !
جاذبينى الحديثَ عند سكون الليــل ! سحرُ الحديث عند السكونِ !

« • »

قد شربتُ الدموعَ دهراً طويلاً ... فاسمحى الآن من لمـاك الضنينِ
انظمى من دموع عينىَ عقـداً ... وخذى السلكَ من عزيزِ الجفون

« • »

منعونى من أن أحب ولو همُ ... عرفوا ما الغرام ما منعونى
زعموا الحب من جنون ولـكن ... عقلهـم كان دون هذا الجنونِ

« • »

أرسلونى الى الأنام بشيراً ... داعياً للصلاح دعوى أمينِ
أنتِ عقلى لو يُصلح الناسَ عقلى ... أنتِ دينى لو ينفع الناسَ دينى!

« • »

أزفتْ سـاعةُ الوداعِ فهيّا ... لوداعى من قبل أن تفقدينى
ما لعيد اليهود عاد على العـا ... شقِ يومَ النوى ويومَ الشجونِ!

النجف الاشرف :

على الشبيبى



نعيم الحب

لنقطفْ زَهرَ الحبِّ ندىَّ الوجـهِ والقلب
لنمرحْ فى حدائقهِ بجانب نهره العذبِ
لنسمعْ شدوه سحراً على الأفنان والعشبِ
وغنى حين ينشدنا بصوتٍ ساحرٍ مصبي
فتاتى ولنطر فرحاً مع العصفور فى سِربِ
ليشرب من جداوله مع العشاق فى شَرْبِ
شراب الحب سلسال يمدّ الروح بالخصبِ
دعينا نغتبط وندعْ زِمامينا مع الحبِّ
دعينا نغتبط وندعْ عذاب الشك والريبِ
برئ حبُّنا طهرت دواعيه من الذنبِ
كلانا فى صبابتـه نظيف الثوب والجيبِ

***

حـيرة

أهيمُ بالعين وبالقلبِ وخاطرى مُمزّق بالريب
واحيرتا تملؤنى ظلمةٌ يخلط فيها الصدق بالكذبِ
تخدعنى العين باطراقةٍ أو نظرةٍ تهمس بالحبِّ
وفى حياء الوجه أو ضحكه ما يكذب القلبَ عن القلبِ
يا لوعةَ النفس وآلامها وما يزجى الليلُ من كربِ
أحب من أوقعنى أمره فى غمرةٍ تذهب باللبِّ
أين رشادُ القلب أو نوره فيكشف المسبل من حُجُبِ ؟
يا ليتنى أعلم عن قلبه مثل الذى يعلم عن قلبى

وليتنى أقرأ فى نفسه قراءتى المفتوح من كُتُبِ !
قد عجز العقلُ فما يهدى وأُخفق القلبُ فما ينبى
طبيعةٌ تنبئ عن نقصها وفطرة تكشف عن عيبِ

* * *

زائر

زائرٌ زار إذ الليلُ ستَرْ يُحسن النَّظرة فى وقت الخطرْ
لينٌ أنعم من ثوب الزهَرْ ثَمِلٌ منه الحديث والنظرْ
زائرٌ ينزل فى النفس صُوَرْ : زهرةً ، طيراً ، فراشاً يزدهرْ
خاطراً يشرق كالصبح سَفرْ ملكاً يظهر فى زىّ البشرْ
ظبية آنسة فيها خفرْ نسمة تهمس فى أذن الشجرْ !

« • »

لم يرعنا بمساحيق نُكُرْ ساذج اللون ومفطور الحورْ
آخذٌ من وقته ما لم يَضرْ محكم الجلباب مقصوص الشعرْ
ناعم الصوت كما حنّ الوترْ يصل القلب فيرمى بالشررْ
فى جلاء كلحين يُختبرْ أو أناشيد طيورٍ فى السّحرْ

« • »

يا له يحسن تسديدَ النظرْ يقصد القلبَ فما يغنى الحذرْ
إنه ذكّرنى عهد الصّغرْ يومَ لا أعرف للاثمِ صورْ
يوم أعنو للهوى ثم أخِرّ خاشعاً للحسن فى الوجه الأغرّ
إنه حلّق بى فوق القمرْ سابحاً بين شموسٍ وزُهُرْ !

عبد الباقى ابراهيم



الى روح الشاعر

القيت فى حفلة الذكرى للشاعر المرحوم طانيوس عبده بمعهد الموسيقى الشرقى يوم الثلاثاء ٢٠ فبراير سنة ١٩٣٤

موقفٌ حانَ فاغتنمْ وتخيَّرْ مِن الكلمْ
كلَّ لفظٍ أرقَّ مِنْ ضحكةِ الزَّهْرِ للدِّيَمْ
مُسْتَمَدٍّ من الرُّبى مُسْتعارٍ مِن النّسمْ
اجمعْ الآنَ طاقةً غضّةَ النور تبتسمْ
أَهْدِهَا روحَ شاعرٍ خالدٍ بالذى نظمْ

« • »

قلبى ! ما الذى لديـ كَ مِن الخيرِ يا قلمْ !
قمْ فذكِّرْ وناجِ قو مَكَ واخطُبْ وقل لهمْ :
قلْ لأهل الغناء فى كنف المعهدِ الأشمّ
ذلك الشاعرُ الذى بات فى خاطر الظلَمْ
هو منكمْ وفنُّهُ علمَ اللهُ فنكمْ

« • »

كان لحناً فصار ذِكـ راً كما يُذْكَرُ الحُلُمْ
انما الشعر مزهرٌ قد حكى قصة الأمَمْ
وبأوتاره المنى تتلاقى وتزدحمْ

هو نايٌ مرجِّعٌ لشجيٍّ وما كتمْ
هو قيثارةُ الزما نِ ونجواه مِن قِدَمْ
هو انشودة الحيا ةِ وفيضٌ من النغمْ

« • »

أيها المعهدُ الذي بلغ المجدَ واستتمّ
كلُّ لحنٍ مذكِّرٍ أشعلَ القلبَ فاضطرمْ
نظمته يدُ الأسى وقّعته يدُ السّقمْ

« • »

وأناشيدُكم وما صاغه الفنُّ مِن عِظمْ
هى أنّاتُ أنفسٍ بالمقاديرِ تَرْتَطمْ
وصباباتُ أعينٍ يشهد الليلُ لم تنمْ
وأغانيكمُ التى هى فى قمّةِ القمَمْ
هى آهاتُ شاعرٍ عرف الحبَّ والألمْ!

« • »

ذلك الشاعرُ الذى روحُه الآن بينكمْ
لكأنى أراه حَـ ياً وألقاهُ عن أمَمْ
وهو فى ذروة الشبا ب وفى خفةِ القدَمْ
غاشياً كلَّ منتدًى عالىَ الرأس محترَمْ
كلما قال شعرَه غمر السهلَ والعلَمْ
دافقاً ليس ينتهى أبداً سيلهُ العَرِمْ
باذلاً للصديق والأه لِ كلّ الذى غنمْ

« • »

زوجهُ والبنون همُ زينةَ العيشِ والوجاهْ همُ
درجوا فى ذُرَى العلا نوّرُوا فى رُبى النعمْ

نشأوا فى حِمى العفا ... فِ وجلّوا عن التُّهَمْ

« • »

حين ظنّوا بأنّ ما ... أمّلُوا فى الزمانِ تَمْ
إذ شكا الضعفَ سيدُ البـ ... يتِ خارتْ به الهِمَمْ
نام فى حضنهِ الضّنَى ... وعلى صدرهِ جَثمْ
واذا بالطيورِ قد ... دخل الموتُ وكرَهُمْ
شِبهَ لصٍّ مخادعٍ ... غشيَ البيتَ فالتهَمْ
وإذا الفاقةُ الجريـ ... ئةُ تَطْغى وتَنْتَقِمْ
صنعتْ فى رجائهم ... فعلةَ الذئبِ بالغنمْ
كأنون مسعَّرٍ ... غاضبٍ ينثرُ الحُمَمْ !
من رأى البؤسَ إنْ عدا ؟ ... مَنْ رأى الضنكَ إن هجَمْ ؟
من رأى العفةَ العريـ ... قةَ بالدهرِ تصطدمْ ؟!

« • »

امّتى ! ليس يُهزَمُ الـ ... فن فى أمّةِ الشمَمْ
أمّتى ! ليس يَخذل الـ ... جودُ فى أمّة الكرَمْ
أمّتى ! أمةُ العلا ... وأبى الهولِ والهرَمْ !

ابراهيم ناجى



من أغاني الرعاة

حلّ الشاعر في الصائفة الماضية « بعين دراهم » من الشمال التونسي مستشفياً ، وهناك فوق الطبيعة العذراء الساحرة ، والغابات الملتفة الهائلة ، والجبال الشم المجللة بالسنديان ، قضى عهداً شعرياً وادعاً ، خالصاً للشعر والسحر والأحلام . وفي القصيد التالي صورة صغيرة من صور الحياة بين تلك الجبال والأودية والغابات :

أقبلَ الصُّبحُ يغني للحياةِ الناعسه
والرُّبى تحلمُ في ظلِّ الغصون المائسه
والصَّبا ترقص أوراقَ الزهور اليابسه
وتَهادَى النورُ في تلك الفجاج الدامسه

« • »

أقبَلَ الصبحُ جميلاً ، يملأُ الأفقَ بهاهْ
فتمطَّى الزهرُ والطيرُ وأمواجُ المياهْ
قد أفاقَ العالَمُ الحيُّ ، وغنَّى للحياهْ
فأفيقي يا خِرافي ، وهلمّي يا شِياهْ !

« • »

واتبعيني يا شِياهي بين أسراب الطيورْ
واملأي الوادي ثغاءً ، ومراحاً وحبورْ
واسمعي همسَ السواقي وانشقي عطرَ الزهورْ
وانظري الوادي يغشّيه الضبابُ المستنيرْ

« • »

واقطفی مِن كَـلا الأرض ، ومَرعاها الجديدْ
واسمعی شبَّابتی تشـدو بمعسول النشيدْ
نَغمٌ يَصْعَـدُ مِنْ قلبی كأنفاسِ الورودْ
ثم يَسْمُو طائراً كالبلبلِ الشادی السعيدْ

« • »

واذا جئْنا الى الغَـابِ ، وغطَّانا الشجرْ
فاقطفی ما شئتِ مِنْ عُشْبٍ وزَهْرٍ وثَمَـرْ
أرْضَـعَـتْهُ الشَّمْسُ بالضَّـوءِ ، وغَذَّاهُ القمَرْ
وارْتَوَى من قَطَرَاتِ الطَّـلِّ فی وَقْتِ السَّحَرْ

« • »

وامْرَحی ماشئْتِ فی الودْيانِ ، أوْ فَوقَ التِّلالْ
وارْبُضِی فی ظلِّها الوَارفِ ، إنْ خِفْتِ الـكلالْ
وامْضغی الأَعْشابَ والأفْـكارَ فی صَمْتِ الظلالْ
واسمعی الريحَ تُغَـنِّی فی شماريخِ الجبَالْ

« • »

إنَّ فی الغابِ أزَاهيراً وأعشاباً عِذَابْ
يُنْشِدُ النَّحْلُ حوَالَيْهَا أهازيجاً طِرَابْ
لم تُدَنِّسْ عِطْرَها الطَّـاهرَ أنفاسُ الذئابْ
لا ، ولاطَافَ بها الثَّـعْـلَبُ فی بَعْضِ الصحابْ !

« • »

وشَذاً حُلْواً ، وسِحْراً ، وسَلاماً ، وظِلالْ
ونَسيماً سَاحِرَ الخطوَةِ ، مَوفورَ الدَّلالْ
وغصوناً يرقُصُ النورُ عليهـا والجمَـالْ

واخضراراً أبديّاً ليس تمحوه الليالْ

« • »

لنْ تملّي يا خرافى ، فى حمى الغابِ الظليلْ
فزمانُ الغابِ طفلٌ لاعبٌ عذبٌ جميلْ
وزمانُ الناسِ شيخٌ عابسُ الوجهِ ثقيلْ
يتمشّى فى ملالٍ فوقَ هاتيكَ السهولْ

« • »

لكِ فى الغابات مرعاىَ ومسعاىَ الجميل
ولىَ الانشادُ والعزفُ إلى وقتِ الأصيلْ
فاذا طالتْ ظلالُ الكلا الغضّ الضئيلْ
فهلمّى نرجعْ المسعى الى الحىّ النبيلْ !

أبو القاسم الشابي



شعر الحقول

ملولٌ بين أمواهٍ وعشبٍ يؤرّقنى السكونُ فاتّقيهِ
فسيحٌ ضاقَ صدرى فى مداهُ وعذبٌ مرٌّ غيرى يشتهيهِ
وأطيارٌ تغرّدُ فى هدوءٍ فيبكينى الغناءُ ولا أعيهِ
وأسرابُ الحسانِ تسير صُبحاً الى الغدرانِ فى مرحٍ وتيهِ
وترجعُ والجرارُ كأنّ فيها حياةً لا نميراً تبتغيهِ
وتخشى من نسيم الصبح يسطو عليهِ ، فبالسواعد تفتديه
وتحدقُها الصّبا عند التثنّى فترفع ثوبَها وتذوب فيهِ
فتضطربُ اضطراباً فى عفافٍ وتستر ما بدا سترَ النزيهِ
وترجعُ وهى تبسمُ فى دلالٍ كأنّ النهرَ روّاها بفيهِ !

السيد عطية شريف

الشاعر والليل

هبط الليلُ وبثّتْ أنجمُهْ هُوَ ذا البدرُ ضحوك مبسمُهْ
مهبط الإلهام وادينا الذى أعجز الشاعر فيما يلهمه
صور للفنّ فيها روعة ريشة الرسام ليست ترسمه



رياض معلوف

همساتُ الحور فى سلساله من يقرّب اذنه غار فمه
قبلاتُ الحب نسماتٌ سرتْ مغرم أهدى اليه مغرمه
أرّق الحب بكوخٍ شاعراً عينه تفضح دمعاً يكتمه
كل هذا الكون خمر حوله والدجى عبد لديه يخدمه
عصر الأنجم فى كاساته وارتمى البدر عليه يلثمه
غمرته بهجة الكون وهل بهجة الكون سوى ما يؤلمه
فهم البدر عذابى فى الهوى أترى بدرى أنا يستفهمه ؟!

رياض معلوف



الدين والعقل

دع عنك لومي فلن يجديك منفعةً ... فمذهبي لستُ أبغي فيه تبديلا
لا أقبل الدين حفظاً عن أئمتكم ... وأترك العقل مأسوراً ومغلولا
الدين عقلك لا شيء تلقنه ... بلا دليل تراه النفس مقبولا
كم عائبٍ راح يرمي ذاك زندقه ... وآخر راح يدعو ذاك تضليلا
ولم أبال بهم فالحق مؤتلقٌ ... وسوف أسعى إليه رغم ما قيلا
وإن أتيت لهم تبغي لما زعموا ... أدلةً أبت الأفواهُ تدليلا
لا يملكون دليلا ينطقون به ... فأينا كان عند الحق مخذولا
ولن ترى لأفين القول من حجج ... فهل ترى الصدأ المسودّ مصقولا
لم يخلق الله شرعاً لا دليل له ... ألم يقل « رتل القرآن ترتيلا » ؟
لو قلت « عقل » لقالوا فيك زندقة ... ويوسعونك تأفيناً وتجهيلا
ولو تقول سمعنا عن أئمتنا ... كالوا لك المدح تكبيراً وتبجيلا
لكن عقلي لو غذيته حكماً ... أضحى كعقلهمو فهماً وتأويلا
ما الدين قصر عليهم ، بيد أنكمو ... جعلتمو لهمو ذا الدين موكولا
ماذاك إلا لضعف فى عزيمتكم ... ولا تطيقون عنه الدهر تحويلا
كل الصعاب وإن ألفيت شدّتها ... يريك بالجدّ تسهيلا وتذليلا

عبد الرحمن احمد البدوي



دمعة على ولد

قفوا فانظروا قلبي فقد ذاب من حزني ... فأرسلته دمعاً حكى هاطل المزنِ
وها هو فى المنديل والردن نابضٌ ... تعالوا فجسّوا نبض قلبي على ردنى !
دعونى فما أبكى على فقد ذاهب ... ولكنما أبكى على فلذةٍ منى
على نجمةٍ غارت ، على زهرة ذوت ... على درة فى الدرّ نادرة الحسن
وقيثارة أحيتْ لقلبي حنانه ... فان نبضت أوتارُها خفّ للحن
على قطرة النور التى تبعث السنى ... بصدرى اذا ما اربدّ كالليل ذى الدجن
على ولد نيطت مناىَ برشده ... فأودى ولما يقض سابعة السن
لعمرى لقد وافى الكتابُ بنعيه ... فدرات بى الغبراء مما رأت عينى
وغامت على عينى الدموعُ غزيرة ... وطحتُ سليبَ العقل مرتبك الذهن
وبات فؤادى فى أنينٍ كأنما ... به طعنة نجلاء من كف ذى ضغن

« • »

بنىّ ! وحيدى ! كيف أصبحت ثاوياً ... بعيداً عن الأهلين والترب والخدْن ؟
وما لك قد وسدت فرشاً من الثرى ... وألبست بعد الخزّ ثوباً من القطن ؟
أفى غيبتى عوّضت بالقبر مسكناً ... ومن غير جرم صرت فيه أخا سجن ؟
عهدتك عن قرب صغيراً وضانياً ... فهل رحموا فيك الضنى ساعة الدفن ؟
وهل نضحت أجفان باكٍ لك الثرى ... من الدمع ، حتى بالنيابة عن جفنى
ويا عجباً إن غبت عنى ولم يزل ... خيالك فى عينى وصوتك فى أذنى
وأنت تنادى : يا أبى ! وتجيئنى ... فأعطيك مأوًى من حنانى ومن حضنى



صالح بن علي حامد العلوى

وأوليك ضماً للضلوع وللحشا ولثماً لنفسى كان أحلا من المنّ
خلقت مليئاً بالحبور فلم تكن ترى قط الا باسماً ضاحك السنّ
بدت فيك آياتُ الذكاء جلية ولاحت لعينى فيك بارقة اليمن
أبنك بالاعجاب فيك أمانياً يترجمها لحظى فتفهم ما أعنى
بثثتك أحلامى ولم أدر أنها تراقبك الولدان والحور فى عدن
أعن خيرة هدمت آمال والدٍ لبا طالما فى النفس كان لها يبنى
ولكنها الدنيا مشوب نعيمها ينالك من أشواكها ضعف ما تجنى

« • »

ويا موت فى عامٍ من الدهر واحدٍ قلبت لىَ الأحوال ظهراً على بطن
قضيتَ على ابنى بعد أخذك والدى لقد شدّ ما لاقيتُ بين أبي وابنى!

سنغافورة :

صالح بن علي حامد العلوى



محفل ندوة الثقافة

يُعنى الآن الدكتور ابراهيم ناجى المراقب العام لندوة الثقافة بتأسيس نادٍ أدبىّ لجمعياتها المختلفة فى منتصف العاصمة ، على أن يكون رسم التأسيس خمسين قرشاً وبدل الاشتراك الشهرى مائة مليم .

فلمن يريد الاشتراك فى هذا النادى من أعضاء الندوة (وبينهم أعضاء أبولو واعضاء اتحاد الأدب العربى) أن يتصل به فى عيادته فوق صيدلية حداد بشبرا مصر .

اتحاد الأدب العربى

أجريت الانتخابات عن سنة ١٩٣٤ (كما أعلن سابقاً فى هذه المجلة) فكانت كالآتى :—

الرئيس : الدكتور محمد شرف بك

نائبا الرئيس : جميل الرافعى . حسين عفيف

السكرتير : حسن الحطيم

الأعضاء : عبدالعزيز الاسلامبولى . سيدمحمد رجب . مصطفى جواد . عبدالغنى رضا . أسعد داغر . السيدة لبيبة هاشم . حسن الجدّاوى . حامد المليجى .

وقد جرت العادة بأن تُلقَى محاضرات « الاتحاد » فى الاندية الكبرى مثل نادى نقابة الصحافة ونادى الجامعة وغيرهما ، وسيؤسَّس قريباً الى جانب ذلك « محفل ندوة الثقافة » وسيكون لأعضاء « الاتحاد » نصيبٌ فى المساهمة فيه .



النثر الفنى فى القرن الرابع

جزءان : الأول فى ٣٦٨ صفحة والثانى فى ٤٠٠ صفحة بحجم ٢٩×٢١ سم . طبع مطبعة دار الكتب المصرية

حب ابن أبى ربيعة وشعره

الطبعة الثالثة فى ٣٣٥ صفحة بحجم ٢٤¼×١٦ سم . طبع المطبعة الرحمانية بمصر

ذكريات باريس

صُوَرٌ لما فى مدينة النور من صراع بين الهوى والعقل والهدى والضلال ٣١٩ صفحة بحجم ٢٤×٢٦ سم . طبع المطبعة الرحمانية بمصر

ليكنْ الدكتور زكى مبارك شاعراً شعره أقوى من نثره كما يراه قوم ، وليكن ناثراً نثره أقوى من شعره فى نظر آخرين ، أو ليكن ناقداً فحسب كما يراه غيرهم ، ولكننى أراه من ناحيةٍ أخرى غير النواحى التى ينظر منها هؤلاء جميعاً اليه : فهو باحثٌ علمىٌّ دقيق يمعن النظرة فى موضوعه فيحيط به من أطرافه . وهو فى كتابه «النثر الفنىّ فى القرن الرابع» باحثٌ متمكن من موضوعه محيط به متعمق فيه لا يدع لك مجالا للقول بأن هناك باباً لم يلجه ، ولا عجب فقد قال فى مقدمة هذا الكتاب إنه شغل به نفسه سبع سنين « فان رآه المنصفون خليقاً بأن يغمر قلب مؤلفه بشعاع من نشوة الاعتزاز فهو عصارة لجهود عشرين عاماً قضاها المؤلف فى دراسة الأدب العربى والأدب الفرنسى » وهو باعترافه أولا ، وباعتراف المطلعين عليه ثانياً ، أول كتاب من نوعه فى اللغة العربية ، أو هو على الأقل أول كتاب صُنِّف عن النثر الفنى فى القرن الرابع .



الدكتور زكي مبارك

والقرن الرابع ، فى رأى الدكتور زكى مبارك ، أول عصر فى اللغة العربية أراد فيه الكتّاب أن يستبدوا بمعانى الشعراء وألفاظهم ولهذا وجَّه فكره نحو هذا العصر فدرسه ، وكان أول همِّه فى هذه الدراسة هو المعانى والأغراض ، ولهذا أيضاً وجَّه اهتمامه الى تحليل آراء الكتاب ومذاهبهم الاجتماعية واتجاهاتهم العقلية وثوراتهم النفسية والوجدانية .

ولقد طوى المؤلف السنين القهقرى من القرن الرابع الى عهد الجاهلية فعقد فصلاً عن النثر الجاهلى بيَّن فيه أنه كان للعرب نثر فنىّ فى عصور الجاهلية ولم يستدل على ذلك بما وَعَتْهُ كتب الأدب العربى من نماذج لذلك العهد كحديث خنافر الحميرى وخطبة قس بن ساعدة الأيادى وخُطَب وفود العرب عند كسرى فتلك

منحولة وضعها الرواة بعد الاسلام لغايات شتى ، ولكنه استشهد بالقرآن لأنه فى رأيه يعطى صورة صحيحة من النثر الفنىّ لعهد الجاهلية إذ جاء بلغته وتصوراته وتقاليده وتعابيره ونزل لهداية أولئك الجاهليين وهم لا يخاطبون بغير ما يفهمون ، وبهذا الرأى دُحضت حجّةُ بعض المستشرقين ومشايعيهم القائلة بأن العرب لم يكن لهم نثر فنىّ أو وجود أدبىّ قبل عصر النبوّة بأجيال وقهرهم على الاعتراف بأن القرآن صورة من صُوَرِ النثر الجاهلى .

وعقد فصلاً آخر عن نشأة النثر الفنىّ بيّن فيه أن الزخرف عنصر أصيل فى اللغة العربية بدليل تلك الصور الفنية الموجودة فى القرآن والتى رجع مؤلّفو القرنين الثالث والرابع فأخذوا منه الشواهد المتنوعة التى يعزّ وجودها أحياناً فى الشعر والنثر عند الكتّاب المتأخرين .

ويعود فيردّ على الدكتور طه حسين رأيه فى أن البلاغة نشأت فى عهد متأخر حين اشتدت الخصومة بين علماء الكلام وأن الجاحظ هو أول مَنْ اهتمّ بالبلاغة اهتماماً جدّياً بقوله إن البلاغة قديمة سبقت القرآن وتطورت من بعده بدليل ان القرآن لم ينزل عرَضاً على قومٍ لا يتذوّقون ما فيه من بلاغة.

واذا كانت صفحات التاريخ لم تعرِ من آثار العصر الجاهلى فى النثر شيئاً يستدل به على مدى حركاتهم الاجتماعية والأدبية فانه يرى أن الحركة الأدبية والسياسية والاجتماعية فى عهد النبىّ لم تصوَّر الى الآن بصورتها الحقيقية ، وإلا فأين إذاً آثار المعارضة الشديدة التى قامت فى وجه النبى واضطرته الى الهجرة؟ كما انه يرى أن ليس من المعقول أن تمر حركة كهذه من دون أن تهبّ ألسنة الخطباء وأقلام الكتّاب وشياطين الشعراء .

ثم يتنقل بالقارىء فى هدوء بعد هذه المناقشات القوية الى موضوعه « النثر الفنى فى القرن الرابع » خطوة خطوة ، وهو بين كل هذا يكشف النقاب عن شخصية نُسيت أجيالاً ، ويطلعنا على صُوَر رائعة من الأدب العربىّ فى ذلك القرن فى مختلف الموضوعات .

على أن الذى يعنينا الآن من هذا الكتاب مادار حول الشعر ، فالدكتور زكى مبارك يتعرض لحجّة الثعالبى فى تقديم النثر على الشعر لأن الشعر تصوّن عنه الأنبياء وترفع عنه الملوك ، فهو يسخف هذه الحجة بقوله « فالشعر أقرب الفنون الى

أرواح الأنبياء وأنا لا أتصور الأنبيـاء إلا شعراء وإن جهلوا القوافى والاوزان ، لأن الشعر الحق روح صرف والنبوة الحقّـة شعر صُراح » ويرى « أن للشاعر رسالةً يؤديها الى العالم هى فهمه العميق لأسرار الجمال ثم غناؤه الساحر فى تقديس الحسن المصون » .

ويرى الدكتور زكى رأياً فى الفرق بين منزلة الشعر ومنزلة النثر ، وهو رأى لم يُسبق اليه ـ كما يقول ـ ذلك « أن الموضوعات هى التى تحـدد نوع الصياغة فليس يفترض أن الشعر صالح لـكل موضوع ، ولا أن النثر صالح لـكل موضوع فهناك مواطن للقول لا يصلح فيها غير النثر ومواطن أخرى لا يصلح فيها غير الشعر »وقد حدّد موضوعات كل منهما ، فما كان متصلا بالمشاعر والعواطف والقلوب كان يشعر له أوجب لأن لغته أقدر على التأثير والإمتاع ، وما كان متصلاً بأعمال العقـل والفهم والادراك كان النثر له أوجب لأن لغته أقدر على الشرح والإيضاح والإفهام والتبيين والإقناع .

على أن مسألة إزراء الشعر بالعلماء كما يقول الشافعى ، أو حَطِّهِ من قيمة العظماء والزعماء كما يرى الشيخ ابراهيم مصطفى ، أو كما يرى السيد عبـدالعزيز البشرى أن إباه أجلّ قدراً من أن يشرح قصيدة لشاعر ، مسألة لا تقوم على حق اذا عُرف معنى الشعر بالضبط وعُرفت رسالة الشاعر الحقة تلك التى عبر عن بعضهـا الدكتور زكى مبارك أجمل تعبير ...

هذه نظرة سريعة الى كتاب الدكتور زكى مبارك الذى يعدُّ تحفة غالية قدّمهـا المؤلف الى الادب العربى فأحسن الهدية ،وله أن يفخر بأن سنواته السبع قد أثمرت أشهى الثمار .

« • »

« الأدب كالفنّ يجب أن يسمو عن الأوضاع والتقاليد حتى لا يفتر ويضوَى بوضعه تحت رحمة المتزمتين من رجال الدين ورعاية المتحرجين من دعاة الأخلاق .

ألا ترى أنك لو عمدت الى امرأة جميلة فصوّرتهـا وهى فى لبـاس المصرية أو الفارسية أو التركية أو الانجليزية أو الألمانية لـكان لذلك اللباس أثر سيىء فى وضـع تلك الصورة فى حدود ضيقة تحبسها حيث يليق ذلك الزى ويَقبل ذلك الهندام ؟ ولـكنك لو صورتها عريانة حيث صاغها الحسن ورسمهـا الدلال لبقيت « إنسانةً » تروق الانسانية فى جميع البقاع .

ولأمر ما وضع الاقدمون « فينوس » عارية الجسم ، غانيةً عن الحلى واللباس! انهم وضعوها كذلك لتبقى مُنيةالأفئدة ونُهبةالعيون ، فى جميع الممالك وعلى اختلاف الأجيال ، وكذلك الأدب يسمو بقدر ما يتحرر من قيود الزمان والمكان » .

بهذه النظرة ينظر الدكتور زكى مبارك الى شعر ابن ابى ربيعة فى كتابه « حب ابن أبى ربيعة وشعره » وهو تلك المحاضرات التى ألقاها فى الجامعة المصرية فى سنة ١٩١٩ ثم عاد فزاد عليها وتوسّع فى طبعتها الثالثة . وكنت قرأت هذه المحاضرات أول مرة فى طبعتها الاولى فى سنة ١٩٢٣ فلما اطلعتُ عليها فى الطبعة الثالثة عرفت قدر المجهود الذى بذله المؤلف فى لَمّ شعث هذا الموضوع حتى كوّن أمام القارىء صورة تامة من حياة ابن أبى ربيعة الغرامية ومن اتصل بهن من حسان، شأن مؤلفى الغرب الذين يعنون بسرد غراميات الشعراء والفنّانين .

وفى الحق ان ابن أبى ربيعة وجميل وكثير وغيرهم قد عطّروا الادب العربى بشذى حلو تجد فيه النفس سلواها ومُتعتها ، ولوّنوه بألوان وظلال فاتنة ، وأى نفس لا يستهويها شذى الحب والجمال ولا تفتنها ما فيهما من ألوان ساحرة وظلال ؟ !

***

قال الشاعر :

فلله منى جانبٌ لا أضيعهُ ولِلَّهوِ منى والخلاعة جانبُ

كذلك نجد الدكتور زكى مبارك فى كتابه « ذكريات باريس » وانه لصورة صادقة للدكتور عند ما يخلع ثوب الباحث المساجل « المُنا كف » ويخلو ساعة الى ذكرياته العذبة أو خرائطه الوجدانية ـ كما يقال ـ فيجد فى أحلامه لذة ساحرة يقول عنها : « ونحن بالاحلام نحيا حياة طويلة مملوءة بالأنس والرغد ، ولنا من ذكرياتنا الحلوة ما ندفع به مرارة الساعة الحاضرة ، ولنا من الأمل فى طيّبات المستقبل ما نقتل به جيش التشاؤم المضجر الذى ينتابنا فى ساعات السأم والملال» . وإنا لنسمع من صرخته الحزينة فى عيد الملاح فى باريس لهفة الفنّان الحائر امام الجمال المسخَّر الساخر إذ يقول : « الجمال لئيم ، لأنه لا يؤمن بغير الجاه والمال ، ونحن قوم لم نرزق غير الشعر والادب والخيال ، فلا حظ لنا ولا خَلاق فى دولة الجمال ، فليخضع الحسن صاغراً لأصحاب المتاجر والملاهى لأنهم يملكون منابع الثروة ، ولننظر اليه لاهين شامتين بما رزىء به من التسخير الشائن فى شوارع باريس . ..

أيها الجمال ! أنت لا تعرف مَنْ يعبدك ، ولكنك تعرف مَنْ يملكك ، أنت لا تعرف مَنْ يسهر ليله ويشقى نهاره فى التسبيح بحمدك والثناء على لألائك ، ولكنك تعرف مَنْ يملأ جيبك ثم يسوقك فى مدارج الذلة بلا رحمة ولا إشفاق » .

على اننا نجد فى ذكرياته قطعةً تتمثل فيها الوطنية أقوى من كل شيء عند ما يجد فى كتاب اشتراه عنوانه « الحب الاثيم » أن مؤلفه يدل القارىء على الاماكن المشهورة بالهدوء والسكون التى تصلح لمواعيد الحب ، فاذا المكان مكان قدسيةٍ وحرمة تثير غضبة المصرى النازح الذى ينظر الى الأحياء من اهل باريس والى التماثيل القائمة نظرة التمجيد بينما يرى بعض الباريسيين يرون أن قسم الآثار المصرية فى متحف اللوفر هو المكان المنشود لخلوة العشاق العابثين فنسمعه غاضباً على باريس وهو المدلّه حباً فى جمالها وينسى امام وجه الوطن ، امام وجه العظمة المصرية الغابرة ، أمام البنوّة التى تعرف الواجب ، ينسى أمام كل هذا فتنتهُ ورغبته ويزأر قائلاً : « إنه لا ضير على التماثيل المصرية أن تشهد نزق العابثين والعابثات فى المدينة التى تسمى (مدينة النور) فستظل التماثيل المصرية هى هى خالدة ، وستفنى كل هذه اللذات المخطوفة فى أقل من لمح البصر حيث لا بقاء إلاّ للحق ، ولا كرامة إلا للخُلُق الجميل » .

فى « ذكريات باريس » صورة لزكى مبارك ، بل وفيها صورة للغريب الحامل بين جنبيه أمانىّ واحلاماً وآمالاً وآلاماً يشعر قارؤها بشيء من النشوة التى يحسّها مؤلفها كلما استعادها .

الشيخ سلامة حجازى

بقلم الدكتور محمد فاضل — فى ٣٢٦ صفحة بحجم ٢٧ × ٢٠ سم .

طبع بمطبعة الأمة بدمنهور

لأستاذنا الجليل خليل مطران فى هذا العدد من « أبولو » صورة رائعة بيّن فيها ما كانت عليه حالة الغناء منذ خمس وثلاثين سنة ، وفى تلك الصورة يتجلى لنا تقدير القوم — وقتذاك — للغناء والمغنين ، وتقدير المغنين أنفسهم لفنهم . وقد

شاءت الصدف ان نكتب عن الكتاب الذى أصدره الدكتور محمد فاضل تخليداً لذكرى المرحوم الشيخ سلامة حجازى فى الوقت الذى نطالع فيه تلك الصورة البديعة من ريشة مطران .

ولقد مثل الشيخ سلامة حجازى دوره فى الحياة والفن وترك اسمه على الألسن عذباً وفى الاسماع حلواً وراح من الدنيا صوتاً ساحراً وخلد فيها صدًى ونشوة وإعجاباً

ولقد كان موته رزءاً على الفن والأدب لأنه كان يعرف قيمة فنه ويعرف قيمة الأدب والأدباء ويقدّر ما يقدمه اليه المؤلفون فيكافئهم أجمل مكافأة ، واذا كان الأدب قد رزىء فيه بصفة عامة فان الشعر هو الذى فقد فيه ـ بصفة خاصة ـ نصيراً فلم تقم بعد ذلك للمسرحيات الغنائية قدم على المسرح ولم تهيىء الظروف مَنْ يسدّ هذا الفراغ بعده الى الآن لأن جميع المطربين مالوا ـ ويا للأسف ـ ناحية اللغة العامية واستراحوا اليها بحجة أن الجمهور لا يميل إلا إلى لغته، فكيف كان حكم الجمهور على أغانى وأناشيد سلامة حجازى التى ما زال يحفظها ويرددها ويطرب لها؟ ولست مبالغاً إن قلت أن معظمهم يفضلون أغانيه وأناشيده على ما يسمعون اليوم، ومع ذلك فان بعض تلك الأغانى والموشحات لم يكن بالغاً من الذوق الفنى مبلغاً يسمح له بالحياة لأن معظمها خال من المعنى الحىّ وصُب أكثره على قوالب تقليدية .

فاذا وجدت اللغة العربية مطرباً كالشيخ سلامة فى بُعد نظره يقدر الفن قبل أن يقدر الجمهور ويرقي بالجمهور لا أن ينزل بهم ، اذا وجدت اللغة هذا الفنان فانها لا شك بالغة مبلغ ازدهارها فى العهود السالفة ، وبذلك يكون المطرب ساعداً أيمن فى نشرها وإحيائها ولكن تهالكنا على اعجاب الجمهور يقعدنا عن أداء واجب الفن

فألف رحمة على ذلك الرجل الذى عرف الفن فجعل الناس يهتفون باسم الفن وتشرئب أعناقهم الى سمائه .

ولئن نسى الناس احياء ذكراه ، ولئن تجاهل الأقربون واجبهم نحوه، فان الخلود الذى يعرف رجاله ليجبر الأجيال على النهوض باحياء ذكرى ذلك الفنان .

وإن هذا الكتاب الذى يخرجه للناس الدكتور محمد فاضل تخليداً لتلك الذكرى، والعمل الناطق الذى قام به نحو إقامة ضريح فخم لجثمان الفقيد ، والصوت العالى الذى يردده دائماً حتى اقترن اسمه باسم الشيخ سلامة ، لأثرٌ واضح على خلود العظماء الذى يأبى إلاّ أن تحيا ذكراهم ولو بعد حين .

ولقد ضمّ هذا الكتاب الشيء الكثير عن حياة الشيخ سلامة كما ضمّ نماذج كثيرة من أغانيه وموشحاته وضمّ مراثى الشعراء والكتّاب فى وفاته وفى حفلة الذكرى التى أقيمت له ولعلّ نسبة القصيدة المشهورة :

أتيتُ فألفيتها ساهرهْ وقد حملت رأسها باليدين

الى مطران جرّة قلم فى وسط العاطفة الحيّة فى نفس المؤلف والتقدير العظيم للفقيد لم تُتح له مراجعة اسم ناظمها إذ هى من آثار المرحوم طانيوس عبده .

حسن كامل الصيرفى



ديوان صالح جودت

الجزء الأول فى ١٤٢ صفحة بحجم ١٢×١٦سم . مع تصدير بقلم الدكتور احمد زكى أبى شادى ، وهو يجمع ٣٧ قصيدة ومقطوعة فى ٦٩٨ بيتاً . طُبع بالمطبعة المصرية الأهلية الحديثة بالقاهرة وثمنه خمسون مليماً

صالح جودت أديب ذائع الصيت اشتهر بكتاباته المنوّعة منذ جيلين ، وهو عمّ سميّه صالح جودت شاعر الشباب الذى نفحنا حديثاً بديوانه الرشيق الذى تموج الألحان فى أبياته عذبةً أخّاذةً وتنادى بانتسابه الى أسرته الأدبية الكريمة .

يقول الدكتور أبو شادى فى تصديره ما خلاصته انّ هذا الديوان ظاهرةٌ لنهضة الشعر الحديث بأقلام الشباب الذين انتفعوا بفتوحات مَنْ سبقوهم فابتدأوا حيث انتهى غيرهم ، لأنهم أخذوا بنظرية الشخصية الفنية المستقلة مبتعدين عن المحاكاة التقليدية المألوفة التى أبقت الشعر العربى فى الأغلال جيلاً بعد جيل . وينوه تنويهاً خاصاً بموسيقية شاعرنا كما ينوه بطاقته الشعرية ويعدّه جامعاً لهاتين الموهبتين ، ثم يختم تصديره بقوله : « ... واذا عاب بعضُ الجامدين عليه طائفةً من ألفاظه وتعابيره كما يعيبون على جميع الشعراء المجددين ، فعلى هؤلاء أن يذكروا أن أعلام الشعر العربى كالمتنبى وأبى العلاء وابن الرومى كانوا أبعد الشعراء عن التقليد ، وقد طُبع شعرهم بطابع شخصيتهم ، وقد أكسبته الأجيال حُرمةً بعد ما كان منتقداً فى أزمنتهم . وهذا هو البحترى برغم اشتهاره بتنميق الألفاظ لا يرضى عن جميع تعابيره جيلُنا

الحاضر بسبب تطور الأذواق تطوراً عظيماً فى الصياغة اللفظية والموسيقى بله المعانى والمؤثرات . وما أعنانى بكلمة إمرسن عن كل تفسير : ان تجربة كل جيل تحتاج الى اعتراف جديد ، وتلوح الدنيا دائعـاً فى انتظار شاعرها ... »

ولستُ مقرظاً صديقى صاحب الديوان حين أقول إن شاعريته الطائرة وموسيقاه الحلوة قد أبلغتاه فعلاً منزلة عالية فى الشعر الغنائى وهو ما يزال بعد فى نهاية العقد الثانى من سنيّـه ، وان محاولاته الفلسفية فى شعره كفيلة بفتح ميادين أخرى أمامه ، وانه بهذا الأثر البديع الذى يزفّـه الى أدباء العربية يبرهن على نبوغه الذى جعـل زملاءه ينتخبونه عن جدارةٍ فى مجلس (جمعية أبولو) كأحد ممثلى الشباب .

لقد سئم غيرُ واحدٍ من المصلحين (وفى مقدمتهم الزميـل الفاضل سـلامة موسى) جمودَ الشعر العربى الذى يتحاشى أعلامه أن يكونوا روّاداً للانسانية ، وكلُّ حظهم أن يلتفتوا الى الوراء وأن يتشبّثوا بتقاليـد الماضى . ولـكن ما أظنّ هؤلاء الأفاضل الاّ مرحبين بالنزعات التجديدية فى مثل شعر صالح جودت . وماذا ينتظر من الشاعر أكثر من التجاوب الصادق مع الحياة والايحاء المتسامى لأبنائها ؟ وهذا ما نلحظه فى ابداع شعرائنا المجددين ، فمن الانصاف إذن أن لا يؤدى سخطُ النقاد على أهل الجمود الى ظلم غيرهم من المحسنين المبدعين ، وأغلبهم تؤلف بينهم (جمعية أبولو) وتنتظم جُهودَهم .

وحسبى الآن أن أختم هذه الكلمة ببعض الشواهد من شعر صالح جودت : —

يقول بعنوان « مواهب ! » :

قد قسَّم اللهُ كنزَ العقلِ من أزَلٍ   هل كان فى كَفِّـهِ إذْ ذاكَ مقياسُ ؟
كم قال غيرى كلاماً لستُ أفهمُه   وبتُّ أكتبُ ما لا يفهمُ الناسُ !

ويقول فى « أنشودة المحروم » :

أيهـا النّورُ الذى أضحى مشـاعَا   كلُّ قلبٍ نال منه ما اسـتطاعَا
ما لروحى فى الدُّجَى هامتْ ؟ وما   لفؤادى لم يَنَـلْ منكَ شعاعَا ؟
أيها الديرُ الذى رهبانُه   سجدوا فى صحنـهِ الزاهى تباعا
هل أنا الـكافر بالحُسنِ لـكى   تحرمَ القلبَ من التقوَى متاعَا ؟

ويقول فى « السكون » :

أىُّ ليلٍ فيكِ مِن أنجمه كوكبٌ يسطعُ فى ليلِ حياتى؟
أىُّ غصنٍ فيكِ مِن أطياره بلبلٌ فى الفمِ حلو النغماتِ ؟
أىُّ ديرٍ فيكِ مِن سكّانه كاهنٌ فى العينِ يدعو للصلاةِ ؟
أىُّ شمس فيكِ مِن مَغربها شفقٌ ملتهبٌ فى الوجناتِ ؟
أىُّ شرقٍ فيكِ من فتنته ساحرٌ فى الثغرِ عذبُ القبلاتِ ؟
أىُّ جوٍّ فيكِ مِن أطيافهِ زرقةٌ تعلو العيونَ الفاتناتِ ؟
أىُّ روضٍ فيكِ من أفنانهِ خفةُ الظلِّ وطيبُ النسماتِ ؟
أى ربٍّ فيكِ من آلائه أن تردّى الروحَ للجسمِ المواتِ ؟

وهذه شواهد ناطقة عن تلك الشاعرية الخفيفة الظل الطيبة النسمات ؟

يوسف احمد طيرة

حكيم البيت

مجلة شهرية طبية عائلية لصاحبها ومنشئها الدكتور ابراهيم ناجى ، سكرتير تحريرها الدكتور على شكرى ، ٤٨ صفحة بحجم ٢٤½×١٦سم.
اشتراكها السنوى ٢٠ قرشاً فى مصر والسودان و ٤٠ قرشاً فى الخارج . إدارتها بشارع ابن الفرات رقم ١٢ — شبرا مصر .

للدكتور ابراهيم ناجى طبيباً وشاعراً وقصصياً ومحدّثاً وخطيباً صيتٌ ذائع يغنى عن كل تعريف . وقد زكّى أدبه الطبى بهذه المجلة الطريفة التى تخدم صحة البيت وتمزج الخدمة الصحية بالأدب المصفّى من فكاهات وقصص ومنثورات شعرية بديعة مثل هذه المقطوعة الجميلة عن « الطبيب والله » وهى من صميم الشعر الفلسفى المنثور :



الدكتور ابراهيم ناجى الطبيب الشاعر

جلس نفرٌ من الشباب المثقفين يتكلمون فى عظمة الكون وجلال الخلق ، وأدلى كلٌّ منهم ببراهينه وحججه القوية المبنية على العلم الصحيح والعقل الراجح . وكان بينهم طبيب ، فسكتَ مطرقاً يسمع ، وعلى حين فجأة شرد لبه واستغرق فى ذهول بعيدٍ . فتضاحكوا قائلين : ماذا بك يا دكتور ؟ فانتبه كمن يستفيق من حلم عميق وأجابهم : انكم تتكلمون عن خلق الحياة وعظمة الحياة وتعدّونهما الدليل الذى ليس بعده دليل . أما أنا فتركتكم وعبرتُ الى الضفة الأخرى ـ عبرت الى وادى الفناء فرأيتُ جلال الله وجهاً لوجه !

إن الله جعل الفناء حتماً .

وتصوّروا أننا خلقنا لنعيش أبداً ! تصوّروا أننا لا نموت ! إذن لاتكون هناك حاجة للأكل والشرب لأننا بهما نتقى الموت ، فاذا انمحى الموت انمحت الحاجة للأكل والشرب ، وانمحى الجرى وراء الرزق ، وانمحى النشاط والدأب . واذا انمحى الموت لم يعد بنا حاجة للطيران ولا للقطار السريع والسيارة ، لأننا لسنا فى حاجة الى السرعة ما دمنا خالدين لا نموت ! ولا حاجة بنا الى اقتناء الثروات واصطياد الملذات ولا حاجة بنا للبيوت والثياب لأننا لن نموت عُرياً !

وتنمحى المهن كالطب والقضاء ، لأن الناس لن يتخاصموا ، لان الواحد

لا يستطيع أن يفنى الآخر ! والحكومات تندثر لأن الناس لن يتحاسدوا ولن يصطدموا !

واذن تفقد الحياة كل جمالها وروعتها !

ومن العجيب أنه على الطبيب أن يكافح هذا القانون المحتم ، قانون الموت ، وان يقف أمام القوة الهائلة التى خلقت الحياة . ولكى تستمر الحياة كان الفناء لا مناص منه ؛ أحكمته كشبكة لا يرجى منها انفلات !

وشعور الطبيب بالعجز أمام تلك القوة التى لا تصدّ هو سرّ ايمانه الذى لا يتزعزع بوجود الله وعظمته !

ثم أسرع الطبيب يتناول عصاه وطربوشه ، فسألوه الى أين ؟

قال : عندى مريض عزيز ، والمعركة ، وأنا جندى ذاهب لأؤدّى واجبى !

وخرج خروج المجاهد يحمل فوق ظهره الذى قوّسته الأحمال اعباءه المضنية التى يرفعها بايمان وصبر وثبات حتى يلقيها يوم يأذن الله له أن يستريح !

* * *

فنهنىء ناجى بهذا الميدان الجديد من ميادين نشاطه البالغ ، ونهنىء البيت المصرى بهذا الصديق الجديد الذى لن يُمَلّ .



زيادات ديوان المتنبى

جمعها وعلّق عليها الاستاذ عبد العزيز الميمنى الرّاجكوتى الأثرى بالجامعة الاسلامية فى على كره (الهند) ، صفحاته ٤٤ بحجم ٢٤½×١٦ سم.
طُبع بالمطبعة السلفية بالقاهرة ووزعته مجلة (الضياء) بالهند هديةً الى مشتركيها . الثمن ٤ أنات

قبل أن نتكلم عن هذا الأثر النفيس لابدّ لنا من تهنئة زميلتنا مجلة (الضياء) الهندية على اجتيازها المرحلة الثانية من سنىّ حياتها الطويلة النافعة إن شاء الله ، ولا بدّ لنا من التنويه بمجهودها الثقافى البديع الذى جعلها من أرقى المجلات الأدبية التعليمية الاجتماعية فى العالم العربى .

و« زيادات ديوان شعر المتنبي» للراجكوتي ثانية هداياها الى المشتركين ، أما الهدية الأولى فهي « الباكورة الجنيّة » لنخبة من طلبة دار العلوم ومتخرجيها وهي تشمل ثلاثين مبحثاً منوّعة المواضيع .

وكنا اطلعنا منذ ثمانية أعوام على « زيادات ديوان شعر المتنبي » فأعجبنا بجلد السيد الراجكوتي وهو المحقق الذي يُرجَع اليه في ما كُتِبَ عن أبي العلاء المعرّي ، كما أعجبنا بغيرة اخواننا الهنود على الأدب العربي ، واعتقدنا أن مثل هذه الرسالة -ككل ما يحققه الراجكوتي- جديرة باطلاع محبّي الأدب وبحرصهم عليها لاعتبارات أدبية وفيلولوجية وتاريخية .

يقول الراجكوتي إن « جلّ هذا الشعر سخيف في مناحٍ من أغراض الحياة معتادة وأحوال في مجالس الرؤساء طارئة فلم يتمكن الرجل من إحكام نسيجه وتثقيف وشيجه ، فأثر الفجاجة عليه واضحٌ بادٍ ، ولم يكن فيه كبيرُ فائدة لمنقب مرتاد ، إلاّ أني رأيتُ إثباتَ آثار الرجل لنبوغه ، وكتْبَ شِعْرِ الصّبي ليبلّغنا الى إدراكه وبُلوغهِ . على أنّ بعضه يهمّ من جهة تأريخ الرجل ، ويدلّنا على البيئة التي نشأ فيها وعاش فكوّنته أبا الطيب المتنبي ، أي ذلك الشاعرَ الطائرَ الصيتِ الجسورَ الإِصليتَ ؛ على أن فيه مقطعات مستملحةً مستظرفة » .

ويستند جامع الزيادات الى مصادر لا ريب فيها عن نسبة هذا الشعر أوجلّه الى أبي الطيب ، والواقع أنّ صديقه ابن جني يعترف بأن المتنبي أسقط الكثير من شعره وبقي ما تداوله الناس ، شأن الكثيرين من الشعراء المتقدمين الذين كانوا يضطرون اضطراراً — بالرغم من شاعريتهم — الى الكثير من النظم الصناعي في تشبيب وأمداحٍ ومراثٍ ، فلم تكن لأبي الطيب ندحة عن هذا الاسقاط ، وحسناً فعل . وحسب المتنبي أن المعروف له من الشعر الآن لا يقلّ عن خمسة آلاف وأربعمائة وثمانية وسبعين بيتاً .

ومن العجيب أنه لم يعش لنا من نثر المتنبي شيء يذكر مع شهادة المؤلفين بأن له نثراً لطيفاً هو لونٌ من الشعر المنثور مثل قوله وقد مرض بمصر فعاده بعض أصحابه مراراً ثم انقطع عنه بعد ما شُفي :

« وصلتَني — وصلك اللهُ — معتلاًّ ، وهجرتَني مبتلاًّ ، فإنْ رأيتَ أن لا تحبّبَ العلّةَ اليّ ، ولا تكدّر الصحةَ عليّ ، فعلتَ إنْ شاء الله » .

فمن نماذج هذا الشعر الذى بلغ نيفاً وأربعين قطعة أو قصيدة هذه الأبيات التى نقتبسها من قصيدة طويلة فى هجاء كافور :

أفيقا ! خمارُ الهمِّ نغّصنى الخمْرا — وسُكرى من الأيام جنّبنى السُّكْرا
تدركت بصرف الدهر طفلاً ويافعاً — فأفنيته عزماً ولم يفننى صبرا
ولى كبدٌ من رأى همّتها النوى — فتركبنى من عزْمها المركبَ الوعْرا
تروق بنى الدنيا عجائبُها ، ولى — فؤادٌ ببيض الهند لا بيضها مغرى
ومن كان عزْمى بين جنبيه حثّه — وصيّر طولَ الارض فى عينه شبرا
ولمّا رأيتُ العبدَ للحرّ مالكاً — أبيتُ إباءَ الحرّ مسترزقاً حرّا
ومصرٌ لعمرى أهلُ كلّ عجيبة — ولا مثلَ ذا الخصىّ أعجوبةٌ نكرا
يُعدُّ اذا عُدَّ العجائبُ أولا — كما يبتدَى فى العدّ بالاصبع الصُّغرى
ولله آياتٌ وليستْ كهذه — أظنك يا كافورُ آيتَه الكبرى
عثرتُ بسيرى نحو مصرٍ ، فلا لَعاً — بها ، ولعاً بالسير عنها ولا عَثرا
وفارقتُ خيرَ الناس قاصدَ شرهم — وأكرمَهم طرّاً لألأمِهم طُرّا
وقدّرنى الخنزيرُ أنى هجوته — ولو علموا قد كان يُهجَى بما يُطرَى !

ولعل أروع مافى الرسالة مرثية لأبى بكر بن طغج الاخشيدى التى يقول فى مطلعها :

هو الزمانُ مُشتٌّ بالذى جمعا — فى كل يومٍ ترى من صرفه بِدَعا

وفيها يقول :

لو كان ممتنعٌ تُبقيه مَنعتُهُ — لم يَصنعَ الدهرُ بالاخشيدِ ما صنعا
ذى الحتُوفَ غُلوقاً فى أسنته — لدى الوغَى وشهابَ الموتِ قد لمعا
لو يعلم اللحدُ ما قد ضمّ من كرمٍ — ومن نخار ومن نعماءَ لاتّسعا

وقد ختمها بهذين البيتين :

يا أيها الملكُ المخلى مجالسَه — أحميتَ أعيننا الاغماضَ فامتنعا
لئن مضيتَ حميدَ الأمر مفتقداً — لقد تركتَ حميدَ الأمر متسعا

وهى فى مجموعها جديرةٌ بأن تكون بين محفوظ شعر المتنبي . ولقد لحظنا فيها هذا البيت :

لو كان يستطيع قبرٌ ضمَّه لسعَى اليه شوقاً ليلقاه وإن شَسَعَا

وهو يذكرنا بقول المرحوم حافظ ابراهيم فى رثاء المغفور له مصطفى كامل باشا يوم وفاته :

أيا قبرُ ! هذا الضيفُ آمالُ أمةٍ فكبِّرْ وهلِّلْ والقَ ضيفكَ جاثيا !

فقد أخذ صديقنا الدكتور الدكتور طه حسين على المرحوم حافظ غرابة خياله فى هذا البيت ، على أن بيت المتنبي يعلن أصله العربى واتفاقه والذوق العربى ، وإن كنا لا نرتاح الى مثل هذا التعبير ونميل الى عدّه تعبيراً صناعياً محضاً لا حياة فيه .



التجديد فى الأدب الانجليزى الحديث

تأليف سلامة موسى ، ٩٦ صفحة بحجم ٢٤½×١٦ مم . طبع مطبعة المجلة الجديدة بالقاهرة . الثمن ١٢ قرشاً مصرياً .

لا يَذكر سلامة موسى الاّ وتذكر الغيرة الصادقة على متابعة التطور العالمى لخير الانسانية والعمل على الاستضاءة بهذا النبراس لانهاض مصر من عثرتها فى شتى المرافق . بهذه الروح يكتب هذا المصرىُّ الصميم فى ميادين الأدب المتنوعة ، وقد جال فيما جال بين النفسيات والاجتماعيات والاقتصاديات والأدبيات العامة ، وكان بعيداً فى كل ما كتب عن الزهو والادعاء.

وكتابه الذى بين أيدينا ثمرةٌ من ثمار اطلاعه الواسع على الأدب الانجليزى الحديث من العصر الفكتورى الى زمننا هذا ، وقد عرض فيه مناحى التقدم فى ذلك الأدب الذى استحال الى أدب اجتماعٍ وعيشٍ وعاطفة بعد أن كان منذ أربعين سنة أدب قراءةٍ وكتابةٍ . وعندنا أنّ مثل هذا الكتاب جديرٌ بالشيوع المعظم لا بين طلبة العلم وحدهم بل بين أدبائنا القدامى بصفة خاصة — أولئك الذين يعدون الأدب أدبَ اللفظ وأدبَ الرنين ، وقد حُرموا الاطلاعَ على اللغات الأجنبية فلم يفقهوا كيف أن الأدب



سلامة موسى

فى عصرنا هذا انما هو أدبُ الحياة وحدها ، وهكذا يجب أن يكون الأدب فى كل عصر وإن تبدّلت صُوَرُهُ وأشكاله .

ويعنينا من هذا الكتاب بصفة خاصة الفصل الذى كتبه عن كبلنج شاعر الاستعمار فقد قال عنه إنه نقيض من كانوا ينعتون بالمنحطين (مثل والتر باتر وأوسكار وايلد) من حيث انه يجعل الفن وسيلة لخدمة الاستعمار البريطانى فى حين انهم كانوا يجعلون الفن غاية . ويقول عنه فى موضع آخر « انه مع براعته النادرة فى قرض الشعر وسمو الخيال يكاد الانسان يخرجه من زمرة الأدباء كلما تأمل البواعث التى تبعثه على تأليف قصيدة أو قصة ، فانّ الأديب يؤمن بالحرية الفكرية إذ هى دينه الذى يجب أن يدافع عنه مدى حياته ويؤمن بالانسانية التى هى موضوع أدبه ، ولكن كبلنج يخون الاثنين : يخون الحرية ويخون الانسانية . وهو قبل كل شىء يدعو الى السيف والنار ويتغنى بالمدمرات والغواصات ، وهو فى انجلترا بمثابة تريتشكه فى المانيا مع فرق واحد وهو أن صوته لايزال عالياً لأن انجلترا خرجت من الحرب ظافرة بينما صوت تريتشكه قد خفت عند ما انهزمت ألمانيا وقلما تخلو أمة من الوطنيين الأدباء يضعون وطنيتهم فوق أدبهم ، ولكن الوطنية اذا احتدت واحتدمت صارت مرضاً يشبه الحمى فى نوباته ويدفع الى الهذيان » .

وبين شعراء الانجليز وأدبائهم من ينتقدون كبلنج لغلوّه الاستعمارى ولانغماسه السياسى وإن أكبروا فنه . فهذا الشاعر همبرت ولف يقول عنه :

The tin-car politics of Rudyard
rust in some Tooting brick and mud yard;
while, through the sacred brushwood rippling
glimmers the faun the gsdo call Kipling.

وهما بيتان آية فى كياسة النقد والتقدير . وقد كتب الكثير عن كبلنج ، ولعل من خير الدراسات الحديثة كتاب ثيرستون هبكنز فقد جمع الى ترجمة حياته تحليل العوامل التى كيفت عبقريته وفلسفته الأدبية فليرجع اليه من شاء التوسع من القراء.

ونعود الى الزميل سلامة موسى فنحيي فيه شجاعته الأدبية وثباته على دعايته الاصلاحية ونوصى القراء بالاقبال على كتابه النفيس الذى نرحب بظهوره أصدق ترحيب .



محمود حسين الرخصى

(أنظر صفحة ٥٨٩)

الطبيعة فى شعر المتنبى

نوزّع مع هذا العدد مجاناً ملحقاً عن «الطبيعة فى شعر المتنبى» متضمناً المحاضرة التى ألقاها رئيس تحرير (أبولو) فى نادى نقابة الصحافة بالقاهرة يوم ١٦ فبراير الماضى فاطلبها من باعة الصحف ، وسيصحب كل عدد من (أبولو) فى المستقبل ملحق من هذا الطراز هديةً الى القراء .

رواية اللغة

وطريقة التصنيف عند العرب

ستكون هذه الدراسة الشائقة هدية أبولو مع العدد الآتى فترقبها ، وهى من قلم الأديب الشهير عبد الحميد سالم .

فهرس المجلد الأول

وزّعنا مع هذا العدد فهرساً تفصيلياً للمجلد الأول من (أبولو) من وضع زميلنا الفاضل حسن كامل الصيرفى ، ويمكن طلبه مستقلاً من الادارة بدون مقابل .

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٨٢	١٢	الآداب	الآراب
٥٤٣	٢٨	تخلوا	تخلو
٥٥٨	١٢	اعبياد	اعتياد
٥٦١	٣	طبيعاً	طبيعيا
٥٦٦	١٨	يجثة	بجثة
٥٨٣	١١	الثي	الذى
٥٩٧	١٠	إداً	إذاً
٥٩٩	٣	يرمزَ	يا رمزَ
٦٠٦	١٩	زينةَ العيش	زينهُ
٦١٠	٨	الـكلا	الـكلا
٦١٩	٩	بشعر	الشعر
٦١٩	٢٢	نحت	تحت
٦٢٠	١٨	يقال	يقول
٦٢٢	١٣	أن	إن

فهرس

صفحة



المجلد الثانى

العدد الثامن

أپولو

مجلة فنية لخدمة الشعر العربي

لسان حال جمعية ابولو

تصدر مرة فى كل شهر

وسنتها عشرة اشهر

أبريل سنة ١٩٣٤

صاحب الامتياز ورئيس التحرير { أحمد زكى أبوشادى

الادارة { بشارع الملك المعز رقم ٩ بضاحية المطرية بمصر

التليفون { ٦١١٩٦ و ٤٠٤٥٦

مطبعة التعاون



محمود مختار

خسرت مصر بوفاة مختار في أواخر الشهر الماضي خسارةً فادحةً إذْ فقدت علماً من أعلام عبقريتها الفنية لعلّه الوحيد في فنّه ، فقدتْه في تمام نضوجه وقد



محمود مختار — بريشة الفنان اسطفان

أمّلت منه عرائسَ جديدة من روائع إبداعه جديرات بأختهنّ « عروس النيل » التي تزين قصر التويليرى في باريس بين نفائس الفنّ الأجنبي .

كان مختار مصرياً في روحه وتعبيره ، مصرياً في خلقه ، مصرياً في أنانيته التي لم تُعْنَ بتكوين مدرسة للنحت المصرى ، فبقى المثّال الوحيد الذى يُعتدّ به

حتى اذا مات ذهبت بفقده باكورةُ نهضةٍ كما ذهبت بوفاة سيد درويش النهضة الموسيقية الحديثة .

ليست مصر فقيرةً فى إنجاب العظماء ، وإنما هى فقيرة فى تعاونهم وفى تشبعهم بروح الجماعة ، وهذه الحالة الأسيفة أشدُّ وقعاً فى النفوس كلما فقدنا نابغةً من نوابغنا إذ يشعرنا الفقدان بفقرنا العظيم .

واحتُفل بجنازة الفقيد فلم نرَ الحكومة مشتركةً فيها ولم يشترك حتى طلبة الفنون ولا المرأة المصرية التى مجّدها مختار فى فنه أعظم تمجيد ، وإن اشترك بعض كبار الرجال ممن زاولوا الحكم ، وكانت جمهرة المشيعين من حملة الأقلام والصحفيين والشعراء والأدباء وغيرهم ممن تربطهم بالفقيد الرابطة الفنية العامة ، ومع هذا فلم يكن عددهم بالكثير وإن تناقلت بعض الصحف عكس ذلك شعوراً بالخجل .

لقد ساعدت الحكومة المصرية مختاراً بسخاء عظيم فى مناسبات شتّى مساعدةً كافيةً لتكوين نهضةٍ لا لتكوين فردٍ ، حتى اذا مات الرجل أثبت التهاون فى تقديره ان تلك المساعدات لم تكن لذات الفنّ بل طواعيةً لنفوذ أرباب النفوذ ، فأشعرنا فقدُهُ بمعان من الحرمان والخسارة المضاعفة والأسى العميق ، ودلّنا على أن الفنّ ما يزال غريباً فى بلادنا وإن كانت مَهْدَه الأول .

نقيب الشعراء

لقد أدى ما كتبه الأديب يوسف أحمد طيرة فى هذه المجلة عن « شاعر الملك » الى حوار عنيف فى زميلتنا مجلة « الامام » ويلوح لنا أن سبب الخلاف راجع الى تصوّر فريق كبير من القراء أن اصطلاح « شاعر الملك » معناه شاعر الأمداح الملكية . . . . فشاعرُ الملك مرادفٌ لنقيب الشعراء ، وليست الفكرة عن ابتداع هذا المركز فى وزارة المعارف مجردَ التظاهر والمجاملة للشعراء ، بل الغرض منها تعزيز النهضة الشعرية وتمثيلها تمثيلاً رسمياً فى شخص ذلك النقيب الذى يحسن أن يعطى كرسياً فى كلية الآداب للدراسات العالية للشعر العربى وللشعر المصرى بصفة خاصة ، ما دام ذلك النقيب المختار يمثل شعراء مصر ، وهذا اللون من التدريس لا وجود له الآن مع الأسف فى كلية الآداب .

وبديهيّ أن أيّ شاعر من شعرائنا البارزين المبدعين أهلٌ لأن يملأ هـذا المركز ما دام غيرَ أنانيّ النزعة يقدّر واجباته نحو فنّه ونحو زملائه، والذى يعنينا من كل هذا انما هو المبدأ لا الأشخاص ، ولا يتصل شيء من هذا بفكرة «امارة الشعر» التى اندثرت نهائياً .

منزلة الشعراء وانصافهم

كتبت زميلتنا (كوكب الشرق) نقداً صريحاً لوزارة المعارف على إغفالها قدر الأدباء الذين يعملون فى دار الكتب المصرية واستشهدت بما أصاب العلامة المرحوم



أحمد الكاشف

شاعر الريف المتوارى

الشيخ سيد المرصفى من الاجحاف بحقه اذ كان يُنقد ثلاثين قرشاً يومياً أجراً على عمله فى دار الكتب وهو أديب عصره الذى كان يشارُ اليه بالبنان . وليس حظ الشعراء الذين يعملون الآن فى دار الكتب كأحمد نسيم وأحمد الزين بأوفر كثيراً

من حظه ، ولكن الأنكى من كل هذا أن يوجد بيننا شعراء بارزون لهم آثار مجيدة فى تاريخنا الأدبى وفى تربيتنا الوطنية ومع ذلك لا تنتفع وزارة المعارف بهم رغم نضوجهم المكتمل واطلاعهم الأدبى الواسع وتضلعهم اللغوى المشهود . وحسبنا أن نذكر من بينهم شاعرى مصر الكبيرين أحمد محرم وأحمد الكاشف فانّ من الخسارة العظيمة لنا أن لا ننتفع بمواهبهما ولو فى القسم الأدبى من دار الكتب المصرية لتصحيح كنوز الأدب العربى وإخراجها .

ليست العبقريات الأدبية مقترنة دائماً بالشهادات المدرسية ، وإنه لمن سخرية الغفلة أن نحترم مَن نحترم من أعلام الشعر على اختلاف مذاهبهم ثم لا نعرف عملياً كيف ننتفع بهم لخير ثقافتنا الأدبية بحجة السنّ أو بحجة عدم ملاءمة شهاداتهم المدرسية ، فى حين أنهم يمثلون جيلاً مستقلاً من شيوخ أساتذتنا الذين لا ينبغى لنا أن نغفل معارفهم وتجاريبهم .

عودة بيرم

كتب صاحب السعادة أحمد زكى باشا فى مجلة (الامام) رسالةً بليغةً كلّها تنويهٌ بأدب بيرم وإكبارٌ لمكانته الرفيعة فى فنون الأدب وقد تمنّى سعادته أن يعيد الله لوادى النيل وجهه المحبوب . ونرى أن هذه الأمنية جديرةٌ بأن تُترجَم عملياً ، فتشترك الجمعيات الأدبية المختلفة اشتراكاً قوياً فى السعى لدى ولاة الأمور لعودته الى مصر حتى ينتفع وطنه الثانى بأدبه الخصب الجميل .

وقد عُرِفَتْ عن بيرم حدة الطبع والصراحة كما عُرف عنه الاخلاص فى أدبه ، ولئن تمكن الدسّاسون فى أيام الحرب من تشويه مَراميه والعمل على نفيه كما نُفى المرحوم شوقى بك ، فقد أثبت بيرم خيرَ إثباتٍ حُسنَ طويته ووفاءه النبيل لمصر ومليكها ، وأصبح فى أعناق جميع الأدباء أن يسعوا سعياً حثيثاً لإنصاف هذا العبقرى من زمنه العنيد . . . ولعلّ هذه الدعوة الصريحة بالنيابة عن (جمعية أبولو) تجد استجابةً شاملةً من شتى الجمعيات الأدبية فتتحرك لهذا المسعى الحميد الذى يُرجَى أن يُكلَّلَ فى النهاية بالنجاح فننصف أنفسنا بانصافه .

اشتراك الفنون وتجاوبها

لمّا أقام (المجمع المصرى للفنون الجميلة) بالقاهرة معرضه الأول فى الشهر الماضى حيّاه زميلنا الشاعر احمد رامى بهذه الأبيات موجهةً الى « المصوّر » :

تعالَ فقد سئمتْ نفسُنا من العيشِ فى غمراتِ الحضَرْ
نَهيمُ مع الطيرِ فى جوّه نمجّد ما خلقَ المقتدرْ
أردّدُ صوتَ الطبيعةِ شعراً وتنقل عنها أجلَّ الأثرْ
مَناظرُ هذى الطبيعةِ رسمٌ . وذهنُكَ أنتَ إطارُ الصُّوَرْ

ثم قرأنا فيما قرأنا عن هذا المعرض استطراداً نقدياً لاشتراك الفنون وتجاوبها ، فاذا بعناية الشاعر بأشكال التصوير واذا بعناية المصور بالمعانى والرموز واذا بعناية الموسيقى بالوصف والرسم ـ واذا بكل هذه تمثل زهداً فيما هو طبيعى وحباً فى التبديل على غير هدى وعلى غير ادراك وأنّ كل هذه حركات مضلّلة . . .

والحقيقة أن هذه أمثلةٌ للتجاوب الجميل بين الفنون ، وأن درجة هذا التجاوب تختلف اختلافاً بيّناً بتأثير عوامل شتى من الأمزجة والتقاليد وغير ذلك ، ولهذا تتباين جدّ التباين بين عصر وآخر . وليس على هذا التجاوب مادام طبيعياً أي غبار ، وانما يعاب اذا تسرب اليه التصنّع ، وما الفنون فى الواقع الا جوانب مفصحة عن وحدة شاملة للحياة ، وتآزرُها يشعرنا أتمّ شعور بهذه الوحدة الحيوية الجميلة . ومن ثمة كانت الروعة شاملةً عند ما يتلاقى التصوير والتمثيل والشعر والغناء والتلحين فى اخراج العبرات (الاوبرات) . ونحن لانتهم من شاعر يندمج فى ألوان التصوير ولا من مصور يندمج فى المعانى الرمزية ولا من موسيقار يندمج فى مفاتن الحياة الاّ روحانيات متصوفة تأبى القيود والنظرات السطحية ، فحبذا هذه « الحركات المضلّلة » وما أفقرنا اليها !

الطاقة الشعرية

يعترف النقّادُ باختلاف أمزجة الشُّعراء اختلافاً عظيماً كما يعترفون بتباين المؤثرات عليهم ، ولكنهم ما يزالون يتجاهلون أن « الطاقة الشعرية » تختلف

اختلافاً كبيراً بين شاعر وآخر من ناحية الانتاج . ونحن لا نعيب هذا الاختلاف ونأبى المقارنة التى تعنى الانتقاص بين طاقة شاعر وطاقة غيره ، ولا نعـدّ الاقلال عيباً اذا كان يتفق وطبيعة الشاعر ، كما لا نعدّ الاكثار من عيوب الشاعر المكثر اذا وافق سجيته ، وانما نعيب التصنُّعَ والتصنُّعَ وحده كما أعلنّا مراراً من منبر هذه المجلة وغيرها .

إزاء هذا لا يمكننا أن نسكت أبداً عن الدعاوى التى يقيمها كثيرون من النقاد مجاراةً للتقاليد البالية من استنكار الاكثار وتحبيذ الاقلال ، لأن هذا يجعل الشعر بمثابة البضاعة التى يُتاجَرُ فيها والتى يترتب قدرها على قانون العرض والطلب !

انّ الشاعر المجيد مجيدٌ ولو أكثر ، بل قد يكون إكثاره من العوامل المرهفة لشاعريته ومن دعائم مرانته وتجويده ، والشاعر العاجز عاجزٌ وإن أقلّ ، لأن الاتقان الفنى ليس من فطرته . فطبيعة التجويد لا شأن لها بالاكثار ولا بالاقلال ، وهى موهبة مستقلة عن الطاقة الشعرية ، وَمن كانت طبيعتُه نزّاعة الى الاتقان فلن يفسدها إنجابه ، بل قد يزيدها شحذاً وتسديداً وتألقاً ، والشواهد على ذلك كثيرة فى عالم الشعر .

ولعلّ الأوان قد حان لاندثار هذا النقد التقليدى الذى لا أصل له ولا جدوى منه ، فانّ من العيب أن يستمرّ تكراره فى صحائف النقد الأدبى .





نقد الينبوع

(٢)

* موسيقى العقل العام موسيقى خالدة أبدية ، موسيقى مبدعة خالقة ، ما فتئت منذ الأزل ترتل من وراء المادة أناشيدها القدسية فى معبد الكائنات على نحو من النغم وضرب من الشدو والاهازيج هى فوق ما تسمو اليه المادة وفوق ما تتداركه العقول .

والبشرية بطبيعتها ليست مستعدة لتلقى أناشيد الروح فى بعض معانيها السامية اللهم إلا فى بعض أفراد قلائل ارتفعت بهم الطبيعة فى الخلق والتسوية فانحدروا الى الوجود فى استعدادات خاصة أهّلتهم لاستماع ما تنغم به السماء من لحن ورنين وهزج .

وهؤلاء وإن كنت تراهم منخرطين على الصورة الانسانية إلاّ أنهم فى معنويتهم شىء غير ذلك : فهم نوع آخر من الناس يطابقونهم فى الصورة والرسم ، وينافونهم فى الدقة الوجدانية واستشفاف صُور الغيوب . وهم إذ يلقون بأردية المادة الكثيفة عن أنفسهم تُخلق لهم احساسات غير احساساتنا وأذواق غير أذواقنا وآذان غير آذاننا ، وما يلبثون أن تنار لهم ظلمات العدم وتشع لهم الموجودات وتهفو أمامهم رفارف العروش السماوية ، فاذا هم الكهنة الخاشعون فى معبد الطبيعة يستوحون ما يرفّ على جوانبها من روعة وجمال وجلال ، وما يلبثون هنا أن يستحيلوا الى مزامير وقيثارات ينفثون على أوتارها ما يحسّون به من صُور الوجود وجمال الطبيعة ومشاهد الخلق .

* * *

هؤلاء هم الشعراء ، فأمّا اذا كان هناك انسان لم تتسق له هذه الصفة ولم يستأهل بعد هذه الميزات إما عن طريق الاستعداد أو الرياضة فهذا شعره لا يعدو أن

يكون نوعاً من التقيق إن دلّ على شيء فانما يدل على ان صاحبه مظلم النفس ميت الروح ، أو هو على تعبير آخر أضحوكة بشرية ، عابثته الطبيعة فأخرجته على صورة شاعر لتضحك عليه الناس . . . وهو عبثٌ في الواقع طريفٌ قد يكون من سخريات القدر ، وقد تكون لهذه السخرية أثرها العادل الحكيم ليتبين الناس الفرق بين تغريد الكنار ونقيق الضفدع .

أما أنا فقد نشدت هذا الشاعر الغرّيد منذ ستة عشر عاماً في كتابي (المفاضلة) فلقد كان شعراؤنا إذ ذاك لا يزالون واقفين عند هذه الضروب البالية الرثة : ضروب المدح والهجاء والرثاء والغزل ، تلك الضروب التي جاؤا بها تقليداً عن أجدادنا العرب الأبرار . ومن هذا الحين فقد صدفت نفسي عن الشعر والشعراء في مصر حتى أتيح لي مطالعة (الينبوع) للدكتو أبي شادي ، فاذا هو مزمارٌ حقاً من مزامير الطبيعة وقيثارة حلوة النغم عذبة الترانيم ، واذا هو الذي ننشده وننشد أمثاله للبيئة المصرية ، إذ البيئات الاجتماعية أيّاً كانت هي أحوج ما تكون قبل كل شيء الى شعراء من هذا الطراز يفتحون لها طريق الحق وطريق اللانهاية المغلق المحجب لتستلهم معنى الحياة وحقائق الوجود ، لتتذوق بعد ذلك أنغام الكون الشجية الزاخرة وصور الجمال المقنع وطيوف الاحلام السابحة في الفضاء .

وعسيرٌ عليّ أن آتيك هنا بالموجز أو ما يشبه الموجز عن صورة (الينبوع) فهذا لا يتسع الا للكثير العديد من الصحائف . انما جهد ما نقوله إنه صورٌ منتزعة من أحشاء الكون الرائع دلت اليها الشاعر في حساسيةٍ وتوثّبٍ واقتدارٍ أتى منه بالمعجز والمطرب فيما سما اليه من براعةِ تصويرٍ وحلوِ لحنٍ وزينِ صوتٍ .

والدكتو أبو شادي فياض المعين طافر الخيال بعيد الهمة ويوشك (الينبوع) وما فيه من غزارة واتساع خيال أن يرمز الى رجل خارق في المجهود : فهو وقد أخذ يصيغه وينضح عليه من ذهنيّته وعصارة نفسه قد أتخمه بالتكاثر في شتى الصور والموضوعات حتى تعود فتتخيّله لوحة الدنيا . . . ففيها السموات والأرض والغابات والأشجار والأنهار والكواكب والنجوم ، ولكن مع هذا لا يفوت أبا شادي أن يرسم على « اللوحة » حتى الفراش وحتى الذباب والحشرات وهي ترفّ على مسارب الأرض ومسابح الفضاء ! فكأنما هو يريد أن يستوعب صورة مجلى الوجود لينفثها شعراً على صفحة الطرس !

وحقاً فأنت إذ تطالع (الينبوع) فأول ما يتجلى لك أن صاحبه كثير التحويم والتحليق فى الفضاء فهو كثير الاقامة فى السماء .... وكأنى به يستأمن لهذه السكنى فراراً من رؤية المآسى الاجتماعية على الأرض ، إذ لا يكاد ينزل اليها حتى تقلقه المهاترات الحزبية وأوهام السياسة التى تعانيها البلاد . وهذه الناحية لا يفتأ يولّيها من نفسه عنايةَ الشاعر المصلح فما ينفكّ يصبّ عليها نيران النقد الصارم ، وما ينفكّ يلفحها بشواظ السخرية والتهكم اللاذع — فهو يقول :

كم يعبث القدرُ العَتِىُّ ، وكم له لهوٌ من الأبطال والأبدالِ
يدعُ الحقيرَ يلوح أعظمَ فاتحٍ وسواه قام بدورهِ المتعالى

ويقول :

اذا استوى الناسُ فى فضل ومنقصةٍ فقد تساوَى البيانُ العذبُ والبكمُ

ويقول :

لن ينال الشعبُ آمالاً له فى حِمى التغرير أو قيد الوَسَنْ
انما الشعبُ حِمَى أفراده فاذا أفرادُهُ هانوا وَهَنْ

ويقول :

أيها الأحزابُ أنتم داؤنا د تفرّقتم حيارَى فى الزّمَنْ
فتركتم مصرَ لا تعرفُ مَنْ مِن بنيها يُرْتجَى أو يؤتمَنْ
لو وقفتم مثلَ سدّ رائع ثابتِ البنيان مرفوع القنَنْ
خشع الدهرُ لكم فى نبلكم وتخلى عن غرورٍ وضغَنْ

وهو فى هذا المجال يلغز، وليس من حقنا أن نكشف عن ألغازه ما دام هو يرى ذلك لأمرٍ ما خاصاً بنفسه .

وشاعرنا ولوعٌ بالجمال اليونانى فهو يتشبث « بآثينا » دائماً على حين أنه قلما يلتفت الى « منف » . ولعل روعة منف وما يسكب عليها من جلال الأبدية جعلته يفرّ منها ليعوذ بما ينتشر على جوانب الخيال الأثينى من أنوار الحياة وأضواء الجمال ومشاعر الحب والأمل الباسم ، ولذا فأنت تراه قد اندفع وراء الأساطير اليونانية فطفق يرسمها بريشة الشعر رسماً أدنى اليك « الميثولوجيا » فى صورة الواقع لا فى

صورة الخيال : فهذه قصة « أرفيوس ويورديس » الى جانبها « هرقل وديانيرة » و «دنيال وجب الاسود» الى «موسى فى اليمّ» مما لا يتسع المقال لتعدادها أو وصف ما اشتملت عليه من لذة الفن وطريف الوقائع .

و (الينبوع) ـ على الجملة ـ هو «مرسم» مفعمٌ بالدقيق والجليل من الصور وهى فى كلياتها تنزع الى عبادة الجمال وتغذية الروح والفن اللهم الا بعض صور قد شوشت على « المرسم » رواءه وصفاءه ونعنى بها كثرة التشكى من البيئة ، والغريب مع هذا أن نقاد الشاعر قد جاروه فى هذه اللوعة من التشكى ، وأنا لا أعترف بان هنالك مادة للبغضاء تؤثر فى نفسية الشاعر الجديد إذ ليس ثمت علاقة بين دواوين الشعر التى تنفح بالجمال والطهر وتوحى بالخيال والتسامى وبين هذه الحالات المظلمة ... ان الشاعر الذى يسبح فى الأثير ويقول :

هذى الطبيعةُ مَوئلى ومعلمى وأنا الأبرُّ بروحها الفنّان

يجب أن لا تتأثر نفسه بهذه الحشرات الآدمية التى تؤذيه وتلذعه . أجل ، يجب أن يتنزه الشعر وأن ترتفع صحائفه عن مثل هذه الشكاوى التى لا تلائم دواوين الشعر المقدس الزكى .

وقبل أن نختتم هذا المقال نحبّ أن ندل على أن شاعرنا بينا هو يصدح ويغرد مسترسلاً فى صدحه كانت تدركه «بحة» قصيرة أسرع ما تزول عنه فما تلبث قيثارته أن تستجمّ حتى تعود لها قوتها ورنينها ، ونعنى بها بعض الشطرات الأخيرة من الأبيات ، مثل :

« فانساب مِن روحى ومِن إنسانى »

ومثل : « وكأنّ هذا الريف ليس يُعانى »

ومثل : « غدر كأن اليمّ منه يُعانى »

والشطرة الأولى يدركها خلل فى المعنى والثانيتان تدركهما ركاكة التعبير . ومن حسن الحظ أن هذه المآخذ قليلة بل قليلة جداً فهى لاتكاد تحسب لندرتها لولا أننا أمام شاعر قوىّ قرأنا شعره فأجللنا فيه النبوغ والقوة والتجديد ومن ثم أشفقنا على هذا الاديم الصافى الرقراق أن تعكر عليه مثل هذه الخدشات التافهة ؟

عبد العزيز دعيبس

* * *

نشكر لناقدنا الفاضل حسن ظنه بأدبنا وصفاء قلمه البليغ . ولقد آخذنا وآخذ غيرنا من الشعراء لشكوانا من البيئة ولو كان فى ظروفنا لقدّر العوامل النفسية التى أوحت الينا بشعر البيئة ، وهو على أية حال صورة قوية من الشعر الوجدانى ومرآة لأيامنا ، فليس من الخير إغفاله . وأما عن شعرنا المصرى فهومنبث فى مؤلفاتنا وفى مقدمتها (وطن الفراعنة) . وأما عن التعابير التى أشار اليها فلعلّ نظرة أخرى الى صياغتها والى دلالتها فى مكانها من القصيد تقنعه بعكس ما ذهب اليه فى حكمه الأول، وبأنها أعمق معنى مما تلوح وأسلسُ موسيقيةً مما تبدو، وإنا لنخجل من نقاش أديبٍ فاضلٍ يأسرنا بمثل هذا التلطف والاريحية . وعلينا الآن أن ننظر فيما وجَّهه غيره من حضرات النقاد من المؤاخذات على صفحات الجرائد والمجلات .

فما أُخذ علينا ما رواه الدكتور زكى مبارك فى (البلاغ) من أننا نعتذر عن الاكثار ، وأننا لاننشر كلّ ما ننظم بل مختارات منه ، وأن لنا كل عام نحو ثلاثة دواوين ، وأنه لا مفرّ لنا من أن نعترف بأن الاجادة توجب التروّى وتفرض على الكاتب والشاعر اطالة التأمل فى سطور النزعات الوجدانية والعقلية قبل تدوين ما يصدر عن العقل أو يحيك بالوجدان ، وأن براعتنا هى فى وضع « التصميمات الفنية » إذ أننا نضع فى الاغلب عناوين قصائد وكان يكفى أن تكون حياتنا وقفاً على « تجسيم » تلك الاخيلة الطريفة التى عنونّا بها بعض قصائدنا القصار ، وأنه لا عذر لنا لأن دنيا الناس لا تسألنا أن نصدر فى كل عام ثلاثة دواوين ....

أما أننا نصدر فى كل عام زهاء ثلاثة دواوين فغير صحيح ، وحسبنا أن نعين الدواوين التى صدرت لنا فى السنوات العشر الاخيرة وهى صورة لإنتاجنا الطبيعى : ديوان مصريات (ديسمبر سنة ١٩٢٤) ، أنين ورنين (مايو سنة ١٩٢٥) ، الشفق الباكى (يولية سنة ١٩٢٧) ، مختارات وحى العام (ديسمبر سنة ١٩٢٧) ، أشعة وظلال (ديسمبر سنة ١٩٣١) ، الشعلة (ديسمبر سنة ١٩٣٢) ، أطياف الربيع (سبتمبر سنة ١٩٣٣) الينبوع (يناير سنة ١٩٣٤) . ولو فرضنا وكانت دواويننا بالكثرة التى يتخيلها الدكتور زكى مبارك لما كان لهذا أىّ شأن بالنقد الأدبي المستقل الذى تعنيه قيمة الانتاج وحده من الناحية الفنية دون أن يتعرض للتأثر باعتبارات ثانوية ، وليفرض صديقنا أن هذه الدواوين لشعراء متعددين ثم ليفس بعد ذلك أصحابها وليحكم عليها من الوجهة الفنية الصرفة .... كذلك غير صحيحٍ اننا قلنا إننا لا ننشر كلّ شعرنا بل

مختارات منه ، إذ الواقع عكس ذلك فنحن لا ننشر شعرنا ارضاءً للناس وانما ارضاءً لعواطفنا وايماننا ، فلا موجب إذن للحذف منه ما دمنا لا نقرض الشعر عن رغبة أورهبة أومرضاة للناس . والقول بأننا نعتذر عن الاكثار غير صحيح كذلك ، فنحن لا نعتذر عن شيء وانما لنا مذهبنا الذى نشرحه لمريدينا عن فلسفة الشعر وانتاجه ولا يجوز أن يسمى هذا اعتذاراً عن الاكثار .

وأما عن الاعتراف بأنّ الاجادة توجب التروّى وتفرض على الكاتب والشاعر إطالة التأمل فى سطور النزعات الوجدانية والعقلية قبل تدوين ما يصدر عن العقل أو يحيك بالوجدان فما لا يشكّ فيه أحدٌ . ومَنْ ذا الذى أخبر الدكتور زكى مبارك أننا نفعل غير ما يوصى به ؟ لقد تمرّ علينا الشهور دون أن ننظم الا شيئاً يسيراً ولكننا نستوعب ونختزن فى عقلنا الباطن شتى المرائى والمعانى والأخيلة والأطياف والأضواء والظلال حتى اذا ما وُجد الباعث الشعرى تدفقت فى أبيات الشعر وكأنها مرتجلة ولكنها فى الحقيقة غير ذلك ، وقد يكون نفس اكثارنا اقلالاً بالنسبة لتأملاتنا وللبواعث الوجدانية التى لم نعبر عنها بعد . فمن الخطر النقدى إذنْ أن يتسرّع صديقنا الدكتور الى مثل تلك الملاحظات والأحكام التى لا نتيجة لها سوى زعزعة ايمان الشعراء (وعلى الأخصّ شعراء الشباب) بطاقتهم الشعرية وفنّهم ، فيزداد فيهم التردد الشائع ويذهبون ضحايا الخوف كما ذهب غيرهم من قبل ، أو على الأقل تصدأ ملكاتهم الفنية ويذهب تأميلنا فيهم سدًى .

إن التأمل الذى يوصى به صديقنا الدكتور هو طبيعة كل نفس شاعرة بفطرتها ، حتى اذا حان لها أن تنظم تدفّقتْ بسجيتها ولم تتصنع النظم باسم اطالة التأمل كما هو دأبُ شعراء الصناعة ، فالتأمل يجب أن يكون سابقاً للحالة الشعرية عادة وهذا هو المشهود عند كل شاعر مطبوع ، واذن فالكلام فى ذلك تحصيل حاصل إن لم يكن الغرض منه تثبيط الانتاج باسم التروّى والتأمل ، ولا يوجد شاعر مطبوع فى حاجة الى مثل هذه النصيحة لأنه ينظم بسليقته ولا يطاوع غيرَ وحيها . فلم يبق الا توجيه مثل هذه النصيحة الى الناظم الصناعى ، والأولى بأى ناقد أن ينصح مثل هذا الصانع بالانصراف عن قرض الشعر ومسخه ، فهذه وحدها هى النصيحة الحاسمة الواجبة . وبعد كل هذا لا يعنى الفنّ غيرُ الاجادة الفنية ، فكلُّ ملاحظةٍ نقديةٍ عن الاكثار ضائعةٌ لأن طاقات الشعراء تختلف اختلافاً واضحاً ، ولم نسمع أنّ هذه البدعة النقدية التقليدية عندنا لها أىُّ نظيرٍ فى آداب الأمم الأخرى التى

نقرأ عن انتاج شعرائها المدهشات ولا من مؤاخذ ولا منتقص[1]... ومن العجيب أن صديقنا الدكتور يتطوع لا بداء هذه الملاحظات التي تشعر بالتأريخ الأدبي عن شاعر معاصر وهو غير ملمّ بعادات ذلك الشاعر ولا بطبيعته الشعرية مما توحي به الملازمة والمخالطة الأدبية الطويلة ، وهذه الجراءة على مثل هذا اللون من النقد من الخطورة بمكان، والأولى بصديقنا الفاضل أن يترك ذلك لألصق الناس بالشاعر المنقود فهم أحق بانصافه لأنهم أعرف بشمائله وخصاله الفنّية وبالمؤثرات الشعرية وتفاعلها معه.

وأما عن القول بأن براعتنا هي في وضع « التصميمات الفنية » إذ أننا نضع في الأغلب عناوين قصائد وكان يكفي أن تكون حياتنا وقفاً على « تجسيم » تلك الأخيلة الطريفة التي عنونّا بها بعض قصائدنا القصار فما لا ينهض دليلٌ عليه، وهذا النقد عجيب من شاعر ينادي بكراهيته للثرثرة ويفتخر بأنه ارتضى من صور الايجاز أن يصف ظلامَ الليل ببيتٍ فردٍ، فلم يزد على قوله :

وجنَّ عليّ الليلُ حتى حسبتُهُ جفاء كريمٍ أو رجاء لئيمِ

نحن نبغض الثرثرة بما لا يقلّ عن بغض الدكتور زكي مبارك لها ، وفي شعرنا الكثير من مُثُل الاكتفاء والتركيز ، ولخيرٌ لنا ألف مرةٍ أن يظهر شعرنا بهذه الصورة من أن يكون ضخماً أجوف تعدّ منه عشرات البيوت ولا يطلّ الشعرُ الاّ من بعضها ... فازدحام أي ديوان لنا بشتى الموضوعات الشعرية في إيجاز غير مخلٍّ هو مما يزيده دسامةً وقدراً ولا ينتقصه بحال من الأحوال . ويجب أن يكون صديقنا الدكتور آخر من يتحدث عن القصائد القصار والقصائد الطوال ، وليكن نقده منصبّاً على قيمة الشعر الفنية وحدها . ومهما يكن إنتاجنا فليفترضْ الناقد المستقل - كما ذكرنا من قبل - أن اسمنا لا وجود له على ما ننتجه من آثار شعرية، وليحكم عليها بعد ذلك بما تستحقه ميزاتها الفنية فحسب .

***

ومما أُخذ علينا ما رمانا به ناقدٌ أديب من «عدم الاتساق في المعاني والخيال» دون أن يذكر شاهداً يمكن أن يقف على قدميه أمام النظرة الفاحصة . مثال ذلك أن يعاب علينا من قصيدة «أرفيوس ويوروديس» (ص ٢٥) هذا البيت :

---

(١) انظر مثلا ما كتبته الجريدة السورية اللبنانية (عدد ٩ آذار سنة ١٩٣٤) ص ٧ ، وهي أكبر الصحف العربية اليومية في أمريكا .

سختْ الطبيعةُ والسخاءُ بذاتها لكننا قد لا نرى كلماتها

فيقول الناقد انه لا يفهم معنى «السخاء بذاتهـا» ، وهو تعبيرٌ يشير الى غناها والى جودها الفطرى فان تكييفها لا يشعر بالتقتير فى إبداعها ، ومذ كان مبدعُها سخياً فى تكوينها كانت هى سخية فى سجيتها ، ولا نرى أى ابهام فى هذه المعانى الضمنية . وقد خطأ قولنا « لا نرى كلماتها » لأن الكلام سبيله الى الاذن حيث تسمعه ولكن العين لا تراه إذ هو ليس من قبيل المرئيات المادية حتى تراه العين أو لا تراه ... ومثلُ هذا النقد لا يقوله الاّ جاهلٌ بالمجاز القرآنى ، فكيف يتفق ذلك وهذه الجراءة على النقد وهى جراءة شائعة مع الأسف ؟ أيشق على أىّ متذوّقٍ للأدب أن يفهم قولنا «لكننا قد لا نرى كلماتها» بمعنى «لكننا قد لا نتبين آياتها» ؟ وهذا سياق الأبيات :

سَخَتْ الطبيعةُ والسخاءُ بذاتِها لكننا قد لا نرى كلماتِهَا
فاذا تَفَننُ (أرفيوس) مثالُها إذْ ضَمَّنَ اللحنَ الجديدَ صفاتِها
بلغَ الكمالَ بهِ وعادَ كأنه غازٍ تحدّث نارهُ عن ذاتِهَا
وكأنّ إكسيرَ الحياةِ بلحنهِ وضياعُ هذا اللحن أصلُ مماتِهَا
فاذا بجثةِ (يورديسَ) أمامه فى الغابِ شبهَ غريقةٍ بسباتِهَا
فأطلَّ مِنْ فرحٍ عليها عازفاً نغماتهِ ، بل عازفاً نغماتِهَا
لكنها لم تُسْتَثرْ بنشيده وهو الذى أعطاه سحرَ حياتِهَا
فرأى المماتَ مروّعاً متكبراً فهوى يودّع روحَها برفاتِهَا

وهذا الموقف معروفٌ جيداً لكلّ مطّلع على قصة (أرفيوس ويورديس) وما تقصّه من براعة أرفيوس الساحرة بموسيقاه ، ولكن ناقدنا الفاضل شغله من كل هذا حرف جر فقال إنه لم يسمع أبداً « أن شخصاً غارقٌ بكذا ولكنه غارق فيه ، فالباء لا تستعمل فى هذا الموضع واستعمالها خطأ ... كما أن التعبير فى ذاته عامىٌّ مبتذل » .

وجوابنا على هذا النقد أن إنابة حروف الجرّ بعضها عن بعض وخصوصاً فى الشعر جائزٌ ما دامت هناك قرينةٌ كافيةٌ بل هو مستملَحٌ إذا كان من ورائه تجميلٌ للموسيقى الشعرية ، وهو الواقع فى ذلك البيت . وأما عن عامية التعبير

فلا نوافق عليها ، بل هو تعبير شعرىّ يجرى على ألسنة الخاصة كما يجرى على ألسنة الجمهور ، وهذا لا يعيبه ولا يحول دون استعماله فى مثل هـذا الموقف متى جاء طبيعياً أثناء الوصف ، وكم من تعبير شعرىّ شائع يستملح تضمينه فى الأوصاف الشعرية فيساعد على تلوينها بالروح التى يريدها الشاعر .

وانتقد حضرته قصيدة « من القلب » (ص ٢٨) فقال إنّ أولها يناقض آخرها فى حين أنها وحدة منسجمة متسلسلةُ المنطق ، وهى طويلة لا تحتمل النقل . وليس ثمة تناقض بين اندماج الشاعر فى الطبيعة التى يمدّها عزاءه وبين شكواه من بيئته التى يمدّها عند ما يُشغل بها كالمقابر ويخيل اليه أنه أحد موتاها . ولم يهجُ الشاعر نفسه بذلك وانما عبر بصدق عن احساسه فى حالتين مختلفتين وتدرَّج بالقارىء الى ذلك ولم يصدمه بهذا التباين صدماً . والشاعر الصادق التعبير عن احساساته ، الذى لا يعرف التصنع ، هو وحده الذى يحترم نفسه كيفما كان تعبيره ، ولن يكون فى ذلك معنى الهجاء بحال من الأحوال .

وخطف من قصيدة « لهو القدر » دون أية اشارة اليها هذا البيت :

ويصفّق المتفرّجون وكلّهم مَيْتٌ كتصفيق المكان الخالى !

فقال إنه حائرٌ فى تَفهُّم الروح التى أملتْ هذا الشعر وانه لا يظن فى الدنيا من يجيز عقله أن الميت يتفرج ، ولم يجد فى اللغة أن المتفرجين بمعنى المشاهدين ، كما أنه يضع جائزة على قدر حاله لمن يُفهمه كيف يصفق المكان الخالى !

ويرى القراء هذه القصيدة الفريدة فى رسمها ومعانيها بالصفحة ٣٣ من (الينبوع) وسيرون عند درسها كيف يتلمّس ناقدنا الفاضل أسبابَ النقد السطحى بينما تَغيبُ عنه الخواطر الشعرية التى استوقفت انتباهَ كثيرين من محبي الشعر ونقاده . ومع أننا لا نطمع فى ربح الجائزة التى وعدَ بها ما دامت هذه هى نظرتُـه الى الشعر ونقـده فنحن نتطوع لنقول إن البيت الذى عابه هو نهاية التجسيم لغفلة أولئك المتفرجين وهَوان حصافتهم المفقودة ، فتصفيقهم هو من الوهم كما يصفق المكان الخالى فى توهم الشاعر المتخيّل . وقد انتقد لفظة « المتفرجين » وقال إنها ليست أصيلة فى اللغة بمعنى المشاهدين ، وهى فى الواقع بمعنى الممعنين فى المشاهدة كأنما يقتنصون لها الفُرَج ، وهى كلمة قوية الدلالة سائرة على أقلام الخاصة ولا يعيبها أنها عصرية الوضع فيما نعلم .

واختطف كعادته هذا البيت من قصيدة « المهزلة » (ص ٣٦) دون اشارة اليها :

سخرتُ من بيئتى لمَّا برمتُ بها ... ونُحْتُ لـكنْ نواحى كلُّه كَرَمُ !

فقال إن هذا شئ مضحك ، فما أبعد الساخر عن النواح ، وانما الساخر من غيره محتاج لشىء من مظاهر الأمر والقوة والنواح ليس من شأنه . وكل هـذا هيّن بجانب النواح الذى كله كرم ، وما علمنا نواحاً كهذا أبداً ولو كان نواح المتنبي فما من علاقة بين الـكرم والنواح .

ونحن ندع للقراء أن يروا بأنفسهم مبلغ صحة ناقدنا فى دعاويه عنـد الاطلاع على تلك القصيدة كاملة ، ومع ذلك نـكتفى بنقل الأبيات التالية منهـا فى شكوى الدهر والبيئة :

أطلَّ دمعى وماءُ العين مضطرمٌ ... وهاج وجدى وسُخطُ القلب محتدمُ

أنا الذى فى شكاتى يزأر الشَّمَمُ ... وفى بكائى ونارى يُهزَمُ الألمُ

سخرتُ من بيئتى لمَّا برمتُ بها ... ونُحتُ ، لـكنْ نواحى كلُّه كرَمُ

لستُ الذى إن تغالَى فى محبته ... فساءه الدهرُ عُمْراً ناله النَّدَمُ

لن يُنصَرَ الحقُّ الا فى مصارحةٍ ... ولن تعيشَ على علاتها الأُمَمُ

أنا ابنُ مصر ، فما لى لا أقرّعها ؟ ... هى الطفولةُ حاكى حالَـها الهرَمُ

وقد جاء فى هذه القصيدة أيضاً هذه الأبيات :

لولا ضآلةُ مَنْ ضجُّوا ومن صخبوا ... ما عاث فينا سفيهٌ أو هوى علَمُ

أعززْ علىَّ بأن ألقى كرامتهم ... وَهماً ، وقد صغروا شأناً كما وَهَمُوا

مَنْ لم يصونوا بأيديهم كرامتهم ... فليس يجديهمو سمعٌ ولا صَمَمُ

هان الرجالُ وساد الساخرون بهم ... لولا التهيُّبُ ما هانوا ولا انهزموا

وفى هـذه الأبيـات ما يكفى لتصوير حالات الشاعر النفسية ما بين سخط وألم ونواح فى صميمه الصفح الـكريم عن الجناة ، ولـكن ناقدنا الفاضل فى دنيا ضيقة من نفسه فهو عاجز عن متابعة الشاعر فى وجدانياته والاندماج فى أحاسيسه المختلفة التى تنتظمها شكوى دهره وبيئته . وبهذه الروح الجامدة انتقد هذا البيت :

مَنْ لم يصونوا بأيديهم كرامتهم فليس يجديهمو مَيْعٌ ولا صَمَمُ

فقال : ومتى كان الصمم مجدياً ؟ شيئاً وفضَّل أن يصاغ البيت كما يأتى :

مَنْ لم يصونوا بأيديهم كرامتهم فليس يجديهم قولٌ ولا كلمُ

وهذا من أبجديات النقد الغريب الذى يولع به مَنْ يخالون الشعراء طائفةً من الأغبياء لا نصيب لديهم يذكر من الثقافة البيانية ولا من غيرها ! وإلا فكيف يقول أديب بهذا التحوير الى معنى لا يريده الشاعر بينما كلمتا « قول » و « كلم » تؤدّيان معنًى واحداً ، وبينما البيت الأصلى صريح الاشارة الى مواقف وطنية معروفة للمعاصرين ؟ ومن ذا يقول إن الصمم لا يجدى فى مواقف ؟ اذا كان صاحبنا الناقد يقول هذا عن ايمان فما أضيق خبرته بالحياة وتصاريفها !

ومثال آخر لولوعه — بل للولوع الشائع بين مَن يتصدرون للنقد الأدبى — بالأبجديات نقده لهذا البيت من قصيدة « اللحود » (ص ٣٥) :

لقد علَّمَ الدنيا الحضارة حينما تَمَشَّى بها ليلٌ من الجهلِ مُنْأَدُّ

فقال ما كان أغنانا عن تفسير كلمة منأدّ لو أننا وضعنا مكانها لفظة ممتدّ ، فهل غاب عنه أننا آثرنا اللفظة الأولى لموسيقيتها فى هذا الموضع من البيت ؟

وانتقد فى قصيدة « المستبدّ العادل » (ص ٨٠) أننا أكثرنا فى زعمه من الألفاظ الموحشة التى لا تناسب التهانىء فى شيء كلفظة أعولت ـ فتلت ـ موتى ـ قاتل — الخ .

ولا ندرى من قال لصاحبنا إننا من شعراء التهانىء والأمداح ؟ ! انّ القصيدة التى يشير اليها قصيدة وطنية اجتماعية فى صميمها تصوّر لمليك البلاد النكبة التى يعانيها رعاياه بين الفاقة الشديدة فى الريف والتناحر السياسى الذى فكك أوثق الروابط بين الاصدقاء والأُسر ، وليس لكل ذلك الا لغة صريحة تأبى المواربة والتصنع وقوامها الصدق والاخلاص ، فليهنأ غيرنا بالتصوير الخادع وبألفاظ التزويق والنعومة ... ويا ضيعة الشاعر الذى ينحدر الى مرتبة الممثل المتصنع !

وقد ادّعى سامحه الله ان القول شطَّ بنا ونأى عن الصواب حين قلنا من قصيدة « أمير الصعيد » (ص ١٢٧) :

أميرَ النيلِ والوطنِ المجيدِ لتهنأ بانتسابكَ للصعيدِ

وقال إنه كان الاولى تأدباً أن يكون الصعيد هو المنتسب للأمير فان الصعيد يتشرف بذلك الانتساب والعكس أن يكون الأمير المفدى منتسباً للصعيد . ونحن نعتبر هـذه الملاحظات من الملق الرخيص الذى نأباه كل الاباء ، فصعيد مصر هو صعيد مينا وأخنتون وهو جـدير بأن ينتسب اليه أى ملك فى الدنيـا وأى أمير . ومع ذلك فالقصيدة صافية الروح والادب وإن تجاهل ناقدنا هـذه الأبيات الختامية لها :

مَعَابدُ للفخارِ بكلّ ركنٍ ودورٌ أهلُها أهلُ الخُلودِ
فان نُسِبَتْ اليكَ فأنتَ منها بنسبتكَ الفريدُ الى الفريدِ
فتِيهى يا ربوعاً توّجَتْها أيادى الشمس بالشِّعْر النضيدِ
وعيشى للامارةِ ذُخرَ مِصرٍ فانكِ أنتِ مُلْهِمُ كلّ عيدِ

وانتقد البيت التالى من قصيدة « أنشودة الحزين » (ص ١٣٢) :

أُعْطِى زكاة حياتى ما أخلّصهُ من الحياةِ وأُعطى الحبّ مَن شاعوا

قائلاً : فالرجل يقول إنه يعطى الحب لكل راغب حتى ولو لم يكن مستأهلاً لك الحب ، فما أرخص حبه الذى يهبه من يشاء بغير تمييز ولا أحقية ... وهـذا مثال للمغالطة الشرحية والنقدية ، كما يتبين لكل مطلع على القصيدة المذكورة ، وحسبنا أن نذكر بيتين منها سبقا البيتَ الذى أشار اليه ناقدنا :

إنى لملكٌ لنوعى (١) لستُ أجحدُه ولو جزأنىَ ضراءٌ وضراءُ
فى عزلةٍ كصلاة لا انتهاءَ لها حين الطبيعةُ بكاءٌ وغنّاءُ
أعطى زكاةَ حياتى ما أخلّصهُ مِنَ الحياة وأعطى الحبَّ مَنْ شاؤوا

أرأيت كيف يفسد الشرح المشوّه والاقتباس المبتور المعانى الأصيلة ؟

وانتقـد قصيدة « وحوى ! وحوى ! » (ص ١١٥) وهى من شعر الطفولة المصرىّ الصبغة ولم يقل فى نقده شيئاً سوى أنها عبث ، مع أنها تنطق بفرحة الأبوة وبفرحة البنوّة معاً . ونحن لا نتردد فى أن نقول إن الذى لا يتمشى خياله مع الأبيات التالية انما هو فقير فى دوحه الشاعرة إن لم يكن عديمها :

---

(١) النوع الانسانى

غنّوا فرَحاً والليلُ قرير
في صَدْحَتِهمْ إلهامٌ بَشير
رمضانُ بهمْ زاهٍ وسعيدْ
فيـــكافؤُهم مِن حلوى العيد
في طلعتهـــم والدهرُ بَخيل
نِعَمٌ سلفتْ بين التقبيل
فأرى فيهـــا أمسى المحبوب
وأحيّيهـــا صيحاتِ قلوب!

وهذا ما اعتبره ناقدنا العزيز كلاماً لا معنى له !

وانتقد ما عدّه كثرة ترديدنا للفظات معيّنات كالظلّ والضوء والأطياف وما اليها من ألفاظ كانت تتكرر بمناسبة وبلا مناسبة حتى لقد تتكرر اللفظة في قصيدة واحدة مرات عديدة بِلا أدنى مبرر مما كان يجعل لها معنى ممجوجاً ووضعاً مخلاًّ بنظام الشعر .

ومثل هذا النقد لا ينهض دليلٌ على صحته فضلاً عن وجاهته ، وقوامه المبالغة الظاهرة وتجاهل النزعات المختلفة لكل شاعر . وفي الواقع انّ من خير الأدب وجود هذه النزعات المختلفة لأنها ممّا يكوّن لنا ثروةً شعريةً متعدّدة الجوانب ، فلا معنى لتحويل الشعراء عما تهواه نفوسهم هوايةً خاصةً .

وقال ناقدنا الفاضل إنه لم يتعرض لنواح عدة آثر السكوت عليها كعيوب القافية والرويّ والموازين وعلم الصناعة من بديع وبيان الى آخره ، وحبذا لو تعرض لها لعلنا نستفيد ويستفيد غيرنا كذلك من نقده .

وأراد ناقدنا أن يثبت لنا أنه من المجددين فأظهر اعجابه ببيت أستاذنا مطران في وصف الجندي التركي :

مِنْ كلّ مركوزٍ على رمحهِ كأنه البغتةُ إذْ ينبري

ودعانا الى احتذاء مطران . ولن يقول بصيرٌ بأن الفنّ الأصيل يقوم على الاحتذاء ولا يقوم على الشخصية الفنية المستقلة .

وأستاذنا مطران آخر من يرضى ذلك ، وأول من ينوه بإبداعنا الخاص في سنين طويلة .

* * *

والشيء بالشيء يذكر — لقد أخذت طائفة من المتأدبين تحسب أن من النقد الأدبي السخافة في التهزيء المصطنع في المجلات العامية ، وزعيم هذه الطائفة الشاعر مصطفى كامل الشناوي الذي يخصنا أصحابه بقسط كبير من اهتمامهم ويعطوننا أمثلة من الذكاء المضيَّع الذي لا يستفيد منه أحد لأنه يتحول الى ألوان من التهريج والبهلوانية . . . . واتفق لأحد أعضاء هذه الطائفة أن قرأ قصيدتنا « جنون » (ص ٨٦ من « أطياف الربيع ») فجنّ جنونه وأخذ يتخبط منذ شهور وما يزال المسكين الى الآن كمن به مسّ من الجنّ ، ولا يكاد يمرّ اسبوع الا وله نفثة مضحكة في جريدة من الجرائد الريفية ، وأخيراً انتقل الى مجلة (النهضة الفكرية) التي أفسحت صدرها لكل ما يكتب ضدّنا من مغالطات . . . وهذه هي الابيات التي ذهبت بعقله :

خاصمتَ روحاً حبيباً يَسُحُّ بالشعر سَحَّا
وما رعيتَ جمالاً من الجمالِ استَوْحَى
هل كان شعري سوى ما وَعَيْتُهُ عن وُجُودي
فأَلَّفَ الفنُّ منه روائعاً للنشيدِ ؟
هل الجداولُ أشهى من البحورِ وأنقى
حتى تعافَ خضمّاً يعاف خَضْراً ورقّا ؟
هل نغمةُ العُودِ أحلى من مَوكبِ السّمفونِ
حتى ترى ملءَ شِعري مَظاهراً للجُنونِ ؟
لكنْ حرامٌ سؤالى مَنْ لا يُطيق سؤالى
وَمَنْ يَعدّ حياتي شبيهةً بالمماتِ !

و « بيتُ المسّ » هو قولنا :

هل نغمةُ العُودِ أحلى مِنْ مَوكبِ السّمفونِ ؟

فراح صاحبنا الأزهرى (الذى لم يدرِ فى حياته ما هو « السمفون » لا اطلاعاً ولا سماعاً) يتعثر فى الوان سخيفة من الاستهزاء بدل أن يتواضع ويتعلم ويتفهم هذا اللون من الموسيقى العالية وصِلتَها بمثل ذلك الوصف الشعرى . فأى شجاعة معكوسة فى زمننا هذا ، تلك التى تسمح للأبجديين بهذا التطاول باسم النقد الأدبى وتجد من بعض الصحف طواعيةً لهم ؟ !

* * *

ولا نحبّ أن نختم هذه العجالة بغير الفكاهة الملائمة لأول هذا الشهر المبارك (غرة ابريل) : فقد ذكر أديبٌ حصيفٌ من أصدقاء «روبنسن كروزو» فى جريدة كُتب على غلافها « لسان الاتحاد العربى العام والشرق الأكبر المصرى » ما يأتى من كلمة خفيفةِ الظلّ بعنوان (شعر أبى شادى فى مجالس الأدباء) : —

والأروع من هذا ما ذكره أديبٌ آخر إذ قال : « كلكم تذكرون الشاعر عبدالرحمن شكرى وكيف كان لا يبالى فى اخراج دواوينه وكيف قوبل بالنقد الجارح فى قوله وفى استهتاره بفن لم يكن له أهلاً إلا قليلا . والأدباء يقولون إن عبدالرحمن شكرى ضحّى بأدبه فى شعره الذى لم يخلق له فأراد أن يصون شخصه ولهذا عوّل على أن يحرق دواوينه ما نُشر منها وما لم ينشر فبادر اليه الدكتور أبوشادى وأخذها منه وجعل يخرجها على من يحبّون كشعرٍ له ... فدهشنا فى الحقيقة لهذا القول وشكرنا لعبدالرحمن براءته من شعر قوبل بالزراية واحتفاظه بشخصيته فقط ، ولكننا أنكرنا على أبى شادى انتحاله هذا الشعر أو نسيجه ثم نعينا عليه زرايته بشخصية نفسه» . وزاد أحد الأدباء فى مجلسنا يقول : « ولكنكم لا تسمعون هذه الاشاعة المتداولة مما جاء همساً فى مجالس الأدباء فقد اتصل بى فى غير مجلس ان الدكتور أبا شادى انما جعل ادارته موئلا للشعراء الذين تأبى الصحف نشر قصائدهم فيشترى الواحدة من شعرورٍ بخمسة قروش لينشرها فى مجلة (أبولو) تشجيعاً للشعرور أو ليهذبها بما شاء هو من الاغلاط وينشرها فى ديوان يصدر له . ولهذا فأنتم اذا قرأتم أىّ أثر لأبى شادى تجدونه مختلف النواحى بين ايمانٍ وكفرٍ وعشقٍ وهجرٍ على العاشق ونصيحة غير محكمة الأسلوب ، على أن شعره مجموعة من شعاريرٍ يزيدها هو اخطاء ويضع عليها بزهو اسم (الدكتور احمد زكى أبوشادى) ... » . فدهشتُ بحقٍّ لهاتين الروايتين وآمنتُ بأنّ الدكتور احمد زكى أبوشادى جنايةٌ على الأدب ، والشعر وحسبه الله فيهما وهو نعم الوكيل !



الابداع والشعر المستعار

يقول الأديب عبدالفتاح أفندى شريف إن العقاد يسرق شعره وأدبه من الآداب العالمية . فهل الاطلاع الواسع على آداب الغير يعتبر جرماً فى نظر ذلك الأديب ؟ ! وهل كثرة الاطلاع مما يعاقب عليه الأديب ؟ وهل توافق الخواطر فى بعض الأشياء يعدّ سرقة تؤخذ على الكتاب والشعراء .

لقد قال ذلك الأديب أيضاً إنّ العقاد يتعالى على غيره من الشعراء ويستخفّ بهم . ولكن العقاد لم يفعل شيئاً مما ذكره حضرة الكاتب ، بل هو نبيل حتى فى خصومته الأدبية ، واذا كان عزوفه عن الجلبة والضوضاء مما يعتبر أو يُظنّ تصلفاً وكبرياء وتعالياً فليس ذلك ذنبه ولكنه ذنب منتقديه . أفلأنّ العقاد رأى أنّ الكروان مهضومٌ مغمورٌ مُهْمَلٌ لا يذكره أديبٌ أو شاعرٌ فى مقال أو قصيدة فسمّى ديوانه الأخير باسمه وأهداه اليه ، وألأنّه اصطحب ذلك الطائر المصرى المحبوب يحمل عليه ذلك الكاتب وغيره من الحسدة الممرورين ؟ واذا كان هذا الكاتب يعتبر شتائم (على السفّود) البذيئة نقداً فقد عرفنا مبلغ عقليته ونظرته الى الأدب وتفهّمه للنقد ، وحقّ علينا أن نرثى له بدل أن نؤاخذه ! ولا يفوتنا هنا أن نقول إن شتائم (على السفّود) لم تكتب الا تشفيّاً من العقاد لصراحة العقاد ، ولقد كان الرافعى يحترم العقاد كلّ الاحترام قبل أن ينقد العقاد كتاباً له ؟

حسين المهدى الغنام

كتاب شحذ القريحة فى المقطعات البليغة الفصيحة

فى الشعر والشاعر والفنون الشعرية

تأليف عيسى اسكندر المعلوف

(عضو المجمع الملكى للغة العربية)

هذا كتاب اشتغلتُ بجمعه وتأليفه نحو نصف قرن فرافقنى صبياً وشاباً وكهلاً ولم يذق مثلى ما ذقته من مرارة العيش وتقلبات الأيام . وضعته فى (الشعر والشاعر والفنون الشعرية) وفى صدره بيتان من نظمى هما :

بديعُ الشعر طيّ مقطعاتٍ دعوناها البليغة والفصيحه

فطالع ما تراهُ من معانٍ جمعناها بها شحذ القريحه

الجزء الأول

وهو فى جزأين مخطوطين كبيرين : (الأول) فى الشعر والشاعر والفنون الشعرية فى نحو خمسمائة صفحة بقطع الربع العريض قسمت كل صفحة منه ى قسمين فتكون صفحاته مزدوجة أى نحو الف صفحة ، يبحث فى الشعر عموماً وطبقات الشعراء وتحليل شعراء الجاهلية فشعراء العرب العرباء فالمتقدمين والمتأخرين فالمعاصرين ثم فى شعر الاعاجم وفيه نقد بيانى لاقوالهم وذكر محاسنهم ومساوئهم.

ثم يبحث فى الشاعر وآدابه ووفيات الشعراء باختصار وفى القريحة والذوق والحس والخيال والمعانى الشعرية والموازنة بين شعر المشرق وشعر المغرب العربى وصناعة قرض الشعر ثم اكتساب ملكة النظم والنثر وتفاضل الشعراء ودلالة الأقوال على الصفات والافعال واختلاف خيالات الشعراء والتقليد والتجدّد والروية والارتجال والذكاء والعبقرية والنبوغ والموازنة بين الشعر العربى والاعجمى وما ساوق هذه المباحث الطريفة والتليدة .

ثم البحث فى الفنون الشعرية وهو فريد فى بابه لكثرة ما فيه من الأمثلة الغريبة من تفنن الشعراء وصور مقطوعاتهم المختلفة ، وتصرفهم فى الوزن والكتابة والتعبير على أشكال بديعة من البناء على حرفين فصاعداً فالمقطعات فالطوال فالمربعات

وما فوقها فالقوافى المتلونة كالحرباء فالتصدير والتعجيز والمحصات والمثنيات الى المعشرات والالفيات على حروف المعجم والمحبوكات والمحصنات والمشجرات والموصّلات والمدبجات والمصحفات والمخلّعات والموزّعات والمسماة باسماء مختلفة كثيرة بالنسبة الى صورها وأشكالها والمولدات من النثر والمشبكات ...الخ ... الخ . ثم التشطير الى التعشير والتذييل والموشحات وانواعها وصورة كتابتها كالوشاح حتى سميت الموشحات والتاريخ الشعرى بحساب الجمل منذ وضعه القديم الى يومنا والقصائد التاريخية والمحاضرات والاجازات ومنها الشيوع والمفاوضة والمعارضة والمساجلة والمرافدة والامتحان والتمليط والمتر ومذاكرة الانفاس ثم فصل الحل والعقد والاخذ والاحتذاء والالغاز والمعميات والاحاجى والانتقاد والتعريب والترجمة وغرائب القوافى والاشعار والاوزان وتهذيب الكلام وتنقيحه وفوائد مختلفة عن الشعراء الذين يحتج بكلامهم وما اشتهروا به من الكنى والالقاب وما سموا به من أقوالهم وأقوال غيرهم والملاحم أى طوال القصائد .

هذه أهم موضوعات الجزء الاول وهى مرصعة بأمثلة كثيرة من أقوال الشعراء فى كل عصر قديمه وحديثه ، وتحتها مباحث لذيذة ومقدمات لطيفة وخواتم مفيدة.

الجزء الثانى

وهذا الجزء بقطع الاول يبحث فى المعانى الشعرية ومقاطيع الشعراء فى جميع الشؤون من السماء الى الأرض فالبحار فالانهر فالبحيرات فالبرك فالحيوانات ورأسها الانسان وانواعها فالنبات فالجماد فالعلوم والفنون والادوات القديمة والحديثة وأقوال الشعراء على اختلاف أمكنتهم وأزمنتهم يقع فى أكثر من تسعمائة صفحة مزدوجة أى نحو ١٨٠٠ صفحة بحقلين مثل الاول وفيه ما فيه من الاشعار الفصيحة البليغة مقتطفة من مئات الاسفار المخطوطة والمطبوعة ولا سيما شعر الاندلس وبدائعه وقلما يخطر لك معنى ولا ترى شيئاً من نظم العرب فيه واليك أمثلة منه :

فمن نظمهم فى الافلاك قول أحدهم فى أديم السماء :

لما بدا فى لازوردىّ الحرير وقد بهرْ
كبّرتُ من فرط الجمال ، وقلتُ : ما هذا بشرْ
فأجابنى لا تنكرن ثوب السماء على القمرْ

وقول أبي تمام غالب الاندلسي في البدر :

زرتُ الحبيب ولا شيء أحاذره في ليلةٍ قد لوت بالغمض أشفارا
في ليلة خلتُ من حسنٍ كواكبها دراهماً وحسبتُ البدر دينارا

وقول البحتري في السيارات :

مضيءٌ تظل العين تصبغ خدَّهُ متى تثنِ فيه لحظةً يتعصفرِ
كأن النجوم الزهر أدَّتْهُ خالصاً لزهرة صبحٍ قد تعلَّت ومشتري

وقال ابن لسان الدين الاندلسي من موشح في الابراج :

حمل المرّيخ بالكأس ظهر قارنته زهرة كالحببِ
ضرب الجوزاء سيفاً قد شهر قالت الأقمار : يا شمس العبي
سنبل الميزان وزّان الضرر يزن الراح بوزن الذهبِ
عقرب المريخ في القوس رمى حدّ سهمٍ لفؤاد المقدسِ
ضرب الجديَ بما قد حكما صادت الدلو بحوت العبسِ

وقول ابن هانيء الاندلسي في الثوابت من قصيدة :

أليلتنا إذ أرسلت وارداً وصفا وبتنا نرى الجوزاء في أُذنها شنفا
وقد فكّت الظلماء بعض قيودها وقد قام جيش الليل للفجر واصطفّا
وولّت نجومٌ للثريا كأنها خواتم تبدو في بنان يدٍ تخفى
ومرَّ على آثارها دَبَرَانها كصاحب ردءٍ اكمنت خيله خلفا
وأقبلت الشِّعرَى العَبورُ ملبَّةً بمرزمها اليعبوب تجنبه طرْفا
وقد بادرتها أختها من ورائها لتحرق من ثنيَيْ مجرَّتها سجفا
تخاف زئير الليث يقدم نثره وبربر في الظلماء ينسفها نسفا
كأن السماكين اللذين تظاهرا على لبدتيه ضامنين لهُ الحتفا
فذا رامحٌ يهوى اليه سنانه وذا أعزلٌ قد عضَّ أنمله لهفا

وقول المهلبي في شروق الشمس :

والشمس من مشرقها قد بدت مشرقةً ليس لها حاجبُ

كأنهـا بوتقـةٌ احميتْ يجول فيهـا ذهبٌ ذائبُ

وقول بعضهم فى اقتران الزهرة بالهلال :

والجوّ صاف والهـلال مشنّف بالزهرة الزهراء نحو المغربِ
كصحيفة زرقاء فيها نقطةٌ من فضة من تحت نون مذهبِ

وقول ابن الابار فى خسوف القمرِ :

ألم تَرَ للخسوف وكيف أبدى ببدر التمّ لمّاع الضياء
كمرآة جلاها الغبن حتى أنارت ثم ردّت فى غشاء

وقول فرنسيس مرّاش الحلبى فى كسوف الشمس :

أيها العـالم الشهير دع الغيظ اذا خان ذلك التلميذُ
واترك العتب إن يخن ذمة العهد فمن طبعه الردى فنعوذُ
ومن الشمس يأخذ القمرُ النورَ ومنه كسوفها مأخوذُ

وقول ابراهيم الاكرمى فى النيزك :

ما كان أهنا عيشها ليته دام ، وليت العمر فيه انقضى !
مرّت كنجمٍ قـد هوى ساقطاً لم يعتلقهُ الطرف حتى اختفى

وقول العباس بن الاحنف فى المذنب :

أحيـد عن بابـكمُ من خوف أمى وأبى
والحب قـد قيّدنى فليس لى من مهربِ
فصرتُ فى الأرض كما فى الجوّ نجم الذنبِ

وقول السرى الرفاء من أبيات فى قوس قزح :

والجوّ فى ممّسك طرازُه قوس قزح
يبكى بلا حزن كما يضحك من غـير فرح

الى أمثال هذه الروائع ؟

زحلة (لبنان) : عيسى اسكندر المعلوف



بشار بن برد
(٢)

وصفه :

وجيش كجُنح الليل يزحف بالحصى ... وبالشوك والخطىّ حُمرٌ ثعالبُهْ
غدونا له والشمس فى خِدر امها ... تطالعنا ، والطلّ لم يجر ذائبُهْ
بضربٍ يذوق الموت من ذاق طعمه ... وتدرك من نحّى الفرار مثالبُهْ
كأن مُثار النقع فوق رءوسنا ... وأسيافنا ليلٌ تهاوَى كواكبُهْ
بعثنا لهم موتَ الفُجاءة ، اننا ... بنو الموت خفّاقٌ علينا سبائبُهْ
فراحوا فريقٌ فى الاسار ومثله ... قتيلٌ ومثلٌ لاذ بالبحر هاربُهْ
اذا الملكُ الجبار صعّر خدّه ... مشينا اليه بالسيوف نعاتبُهْ

قد يحملنا بشار على تصديقه فيما أشار به بقصيدته السالفة الذكر وفى قوله :

اذا ما غضبنا غضبة مضرية ... هتكنا حجاب الشمس او قطرت دما
اذا ما أعرنا سيّداً من قبيلة ... ذرا منبرٍ صلّى علينا وسلما

ولكن لو علمنا انه كان جبانا رعديداً متردداً يخاف السيف ويخشى السوط ويرهب الناس ، وانه هجا مرة روحاً بن حاتم فأنذره فلم يخشه فأقسم روح أن يضربه بالسيف اذا رآه حتى لو كان فى حضرة الخليفة،فلما سمع بشار استجار بالمهدى فأجاره وسأل روحاً فقال انه أقسم ولن يخيس بقسمه فافتى الفقهاء بأن يضربه بعرض سيفه ففعل فكان بشار يصيح مستجيراً مستطار اللب مضطرب الفؤاد ولو علمنا انه دخل مرة الى ابراهيم بن عبدالله فأنشده قصيدة يهجو فيها المنصور فلما قتل ابراهيم خاف بشار فغير في قصيدته وبدل وحذف منها أبياتاً وجعل أولها :

أبا مسلمٍ ما طولُ عيشٍ بدائمٍ ولا سالمٌ عما قليــلٍ بسالمٍ

بدلاً من « أبا جعفر ما طول عيش بدائم » . لو علمنا كل ذلك وهو قل من كثر لأيقنّا ان بشاراً لم يكن صادقاً فى مدحه ورثائه بقدرما كان صادقاً فى هجائه، ولاعترفنا بأن بشاراً « كان أسداً علىّ وفى الحروب نعامة » وان أكثر الناس تظاهراً بالشجاعة أكبرهم جبناً وأعظمهم خوراً وأضعفهم حيلة .

وله فى صفة الصديق :

خيرُ اخوانك المشارك فى المُـرِّ وأين الصديق فى المُرِّ أينـا ؟

الذى إن شهدت سرك فى الحىِّ وإن غبت كان أذناً وعينـا

مثل سر الياقوت إن مسَّه النار جلاه البلاء فازداد زينـا

أنتَ فى معشر اذا غبتَ عنهم بدّلوا كل ما يزينك شينـا

واذا ما رأوك قالوا جميعاً : أنت من أكرم البرايا علينـا

ما أرى للأنام وداً صحيحاً صار وُدُّ الأنام زوراً ومينـا

هـذه ناحية من فلسفة التشاؤم فى شعر بشار ترينا كيف ضاق بالناس ذرعاً وتشعرنا بأن المستحيل ثلاثة منها الخل الوفى ، وتعلمنا كيف نضبت شرعة الوفاء فى عصره وكيف أذوت سموم الأثرة زهرة الاخلاص فى عهده . واذا كان بشار الذى قدره الناس حق قدره وأجزلوا له العطاء على شعره يقول هذا القول فى حق معاصريه الأوفياء فكيف به اذا عاش فى زمننا هذا فى عصر المادة والتباغض والتنافس وفى عهد يغمط فيه حق الأديب وينكر فيه فضل الشاعر ويجحد فيه قدر الفنان ويكفر فيه بنعمة العرفان وتتغلغل فيه روح الأثرة ويكثر فيه الرياء ويقل فيه الوفاء . ورب قائل يقول : ان لزاماً علينا أن ندعو لفلسفة التفاؤل لا التشاؤم ، ولكنى أقول تعالوا الى كلمة سواء بيننا وابحثوا معى على ضوء الصراحة عن الصديق الوفى ، فتشوا عنه تجدوه فاذا رأيتموه حكمتم عليه بأنه سليم النية ، ولكن كم من الأصدقاء تفنى شخصية كل منهم تفانياً فى محبة صديقه ؟ رحم الله جحا لو عاش لعدّ غنمه ، ورحم الله بشاراً فقد شعر بشعورنا وعبر عمّا فى نفوسنا . وأين هم الأصدقاء الذين قال عنهم سقراط « صديق واحد خير عندى من هذه الدنيا بأسرها » ؟ يميناً لو وجده سقراط لما تمنى هذه الأمنية ، والتمنى أبعد منالاً من الرجاء . هذا بعض ما وصل الينا من روائع آيات بشار فى المدح والحكم والوصف .

فخره : أما الفخر فقد سأله المهدى لما دخل عليه فقال له : فيمن تعتد يا بشار ؟ قال : أما اللسان والزى فعربيان ، وأما الأصل فعجمى كما قلتُ فى شعرى :

ونُبئتُ قوماً بهم جِنَّةٌ يقولون : مَنْ ذا ؟ وكنتُ العَلَمْ
الا أيها السائلى جاهداً ليعرفنى : أنا أنف الكرمْ
نمتْ فى الكرام بنى عامرٍ فروعى وأصلى قريش العجمْ
فانى لأغنى مقام الفتى وأصبى الفتاة فما تعتصمْ

الا أن بشاراً كان شديد التعصب للعجم ولا عجب فمن « فات قديمه تاه » وكان بشار يضمر الزندقة ويزعم أن الأمة الاسلامية كفرت بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم ، ولما سئل عن سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال ما قاله عمرو بن كلثوم :

وما شر الثلاثة أمَّ عمرو بصاحبك الذى لا تصبحينا

وكان يرى رأى أبليس فى أن النار أفضل من الطين ، وهو القائل :

الأرض مظلمةٌ والنارُ مشرقةٌ والنارُ معبودةٌ مذ كانت النارُ

وقال مفتخراً بذكائه :

عميت جنيناً والذكاء من العمى فجئت عجيب الظن للعلم موئلا
وغاض ضياء العين للعلم رافدا بقلب اذا ما ضيّع الناس حصّلا
وشعر كنور الأرض لاءمت بينه بقول إذا ما أحزن الشعر أسهلا

وما كان بشار ليقبل على نفسه أن يبزّه غيره . سمع مرة عقبة بن رؤبة يعيره بعدم استطاعة بشار أن يقول رجزاً فأنشد ارجوزته التى منها :

يا طلل الحى بذات الصمد بالله خبر كيف كنت بعدى
أوحشت من دعد وترب دعد سقيا لأسماء ابنة الأشدّ
عهدى بها سقيا له من عهد تخلف وعداً وتفى بوعد
الحر يلحى والعصا للعبدِ وليس للملحف مثل الردّ

ان فى البيت الأخير لحكمة وان فيه لعظة وعبرة .

اعتذاره : ومن جيد ما قال فى الاعتذار وقد حدث ان رجلاً دعاه الى أكلة فى

منزله فأكل ، ولما نهض قامت جارية للرجل تقوده الى الباب، فلما صار بالصحن أومأ اليها ليقبلها — قبحه الله — فتركته جاعلة أذناً من طين وأخرى من عجين وجعلته وحيداً يتخبط خبط عشواء فخرج مولى الجارية وسأله عما به فأجاب انه ارتكب إثماً ولا بد أن يقول شعراً تائباً معتذراً، فقال :

أتوب اليـك من السيئات ... واستغفر الله من فعلتي
تنـاولتُ ما لم أُرِدْ نيـله ... على جهل أمري وفي سكرتي
ووالله والله ما جئته ... لعمدٍ ولا كان من همتي
والا فمتُّ اذاً ضائعـاً ... وعذّبني الله في ميتتي
فمن نال خـيراً على قبـلةٍ ... فلا بارك الله في قبلتي !

كرمه : كان بشار كريماً حقاً ، وكان جواداً بطبعه . لم يكن يعبد المال بل كان مسماحاً متلافاً .

خليليَّ ان العسر سوف يضيق ... وان يساراً في غـدٍ لخليقُ
وما كنت الا كالزمان اذا صحا ... صحوتُ ، وإن ماق الزمان أموقُ
وقد كنت لا أرضى بأدنى معيشة ... ولا يشتكي بخـلاً عليَّ رفيقُ
خليليَّ ! ان المال ليس بنافع ... اذا لم ينل منه أخٌ وصديقُ
وما خاب بين الله والناس عاملٌ ... له في التقى أو في المحامـد سوقُ
وما ضاق رزق الله عن متعففٍ ... ولـكنّ أخلاق الرجال تضيقُ

رثاؤه : أما شعره في الرثاء فـكثير ، منه ما قال في رثاء ابن له توفي :

أجارتَـنـا لا تجزعي وأنيبي ... أتاني من الموت المُطِلّ نصيبي
بُنيّ على رغمي وسُخطي رُزئته ... وبُـدِّل أحجاراً وجال قليبِ
وكان كريحان الغصون تخاله ... ذوي بعد إشراق يَسرُّ وطيبِ
أصيب بُنيَّ حين أورق غصنُه ... وألقى عليَّ الهمّ كلّ قريبِ
عجبت لاسراع المنية نحوه ... وما كان لو مُـلِّيتُه بعجيبِ

وكان له خمسة ندماء ماتوا فرثاهم بقوله :

يا ابن موسى ما ذا يقول الأمامُ ... في فتـاةٍ بالقلب منها أوامُ ؟

يا ابن مومي اسقني ودع عنك سلمى إن سلمى حِمَى وفيّ احتشامُ
رُبَّ كأس كالسلسبيل تعلات بها والعيون عنى نيامُ
وفتى يشرب المدامة بالمال ويمشى يروم ما لا يرامُ
تركته الصهباء يرنو بعينٍ نام انسانها وليست تنامُ
جُنّ من شربة تُعلّ بأخرى وبكى حين سار فيه المدامُ
كان لى صاحباً فأودى به الدهـ ـر وفارقته عليه السلامُ
بقى الناس بعد هلك نداماى وقوعاً لم يشعروا ما الكلامُ
يا ابن مومى فقد الحبيب على العين قذى فى الفؤاد منه سقامُ
كيف يصفو لى النعيم وحيداً والأخلاء فى المقابر هامُ
نفستهم علىّ أم المنايا فأنامتهمو بعنفٍ فناموا

شعره الفكاهى : ولبشار شعر فكاهى كثير ومنه :

ربابة ربة البيتِ تصبّ الخلّ فى الزيتِ
لها عشر دجاجاتٍ وديك حسن الصوتِ

وجاء بشار يوماً حزيناً فسئل عما به فقال: «غلب حمارى» فمات، فرأيته فى المنام فسألته عن سبب موته وقد كنت أحسن اليه فقال :

سيدى خذ بى أتاناً عند باب الاصبهانى
تيّمتنى ببنانٍ وبدلٍّ قد شجانى
تيّمتنى يوم رحنا بثناياها الحسانِ !

هجوه : أحسب اننى أصيب كبد الحقيقة اذا قلت إن بشارا كان صادقاً فى هجوه إذ كان متشائماً متبرماً بالناس مسرفاً فى الحقد عليهم قاسياً فى هجائه فلم يعرف عصره رجلا أسرع منه الى هجر الحديث اذا هجا ولا أكثر منه ايثاراً لنفسه ولا أقدر منه تعسفاً اذا اغتاظ ولا أدرى منه بالأسلوب اللاذع .

بشار ودرايدن : كان بشار فى هجائه كالشاعر الانجليزى درايدن الذى عاش من سنة ١٦٣١ لغاية سنة ١٧٠٠، كلاهما هجّاء وكلاهما لاذع الاسلوب. أولهما هجا الوزير يعقوب بن داود وحماد عجرد وعبد الكريم بن أبى العوجاء ، وثانيهما هجا الوزير

شافتسبرى فى قصيدته ابسالوم واشيتوفل سنة (١٦٨١-١٦٨٢) متهماً اياه بأنه حرّض ابن شارل الثانى على الثورة ضد أبيه مضحّياً بالمصلحة العامة على مسرح المصلحة الشخصية، معرّضاً البلاد للفتنة والاضطراب، ثم شفع درايدن قصيدته بأخرى عنوانها «ماك فلكنو» يهجو فيها خصمه الشاعر شادويل حتى لم تقم للمهجو قائمة بعدها، وعززها بثالثة فى هجاء دوق باكنجهام.. أولها يهجو هجاء مقدعاً والثانى يتهكم تهكماً لاذعاً. كان بشار فى قوة جسمه كالشاعر درايدن سواء بسواء وكان كلاهما متين اللفظ جزل الاسلوب. أولهما يهجو حبّاً فى الهجاء وازدراء بالناس، وثانيهما يتهكم تهكماً لاذعاً بلا شفقة ولا رحمة ليعطينا رأياً عن موقف الأحزاب السياسية فى عهده. أولهما لا يتعمق فى اللفظ حتى يكون الهجاء فى متناول فهم الجميع، وثانيهما يتعرض للشخصيات بضخامة الاسلوب.

بشار وبوب : ويختلف بشار عن الشاعر الانجليزى بوب فى أن الثانى اشتهر بقصائده التهكمية اللاذعة فى فن التهكم الأخلاقى رغبة فى هدم الأخلاق السقيمة ومبتذل العادات بين الأفراد والجماعات فى قوة ابتكارٍ وفصاحةٍ وبلاغةٍ تشهد بها قصيدته «اغتصاب خصلة الشعر» رغبة فى الصلح بين الآنسة ازابيلا فيرمور وصديقه اللورد بيتر. ولبشار فى ذم حماد هجاء مقذع إن قلته كنت من انصار الأدب المكشوف ولست منهم ولذا أضرب صفحاً عما قال. ومن هجائه قوله :

ربما يثقل الجليس وان كان خفيفاً فى كفة الميزان
كيف لا تحمل الأمانة أرضٌ حملت نوقها ابا سفيان ؟ !

و من هجائه فى يعقوب بن داود وزير المهدى :

بنى أمية هبوا طال نومكمو ان الخليفة يعقوب بن داودِ
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الناى والعودِ !

فاتهمه عند المهدى بالزندقة ووشى به لديه فضرب بالسياط حتى مات، ولعلنا نطرب لشعره اذا سمعنا مناظراته فى الهجاء بينه وبين حماد عجرد، فقد كانا يتهارشان تهارش الديكة ويتماريان ويتجادلان كأنهما عدوان لدودان، فقد مرض حماد وضحك خبيث على بشار فأعلمه أنه مات فقال :

لو عاش حمادٌ لهونا به لكنه صار الى النارِ

فبلغ حماداً فى ثوب مرضه هذا البيت فقال :

يا ليتنى مت ولم أهجه نعم ولو صرتُ الى النار
وأى خزى هو أخزى لى من قولهم يا سابّ بشار !

وقال بشار يهجو عبد الكريم بن أبى العوجاء :

قلت عبدالكريم يا ابن ابى العوجاء بعت الاسلام بالكفر موقا
لا تصلى ولا تصوم فان صمت فبعض النهار صوماً رقيقا

وقال يهجو هلالا وقد استثقله :

وكيف يخف لى بصرى وسمعى وحولى عسكران من الثقال
قعوداً حول دسكرتى وعندى كأن لهم علىّ فضول مال
اذا ما شئت صبّحنى هلالٌ وأىّ الناس أثقل من هلالِ ؟!

ولو علم بشار انه صفيق الوجه وهو كل شخص طويل اللسان لما اتهم غيره بالثقل الا اذا كان الثقل نسبياً يختلف باختلاف الذوق والمناسبة ووجهة النظر والميزان ! رحم الله بشاراً وحماداً رحمته بشهاب الدين وأخيه ! لقد بلغت الخصومة بينهما مبلغاً شائناً فسعى بشار بين حماد والأمين، ودسّ حماد على بشار وقديماً كان الحقد ولا يزال شوس القلوب، ومن نكد الدنيا على الانسان فى كل عهد وزمان أن يوجد من لا عمل له الا الايقاع بين الناس إما على مذهب فرق تسد ، واما اشباعاً لرغبات نفسية دنيئة ، فقد كان بالبصرة رجل ينقل لهذا مايقوله ذاك حتى اتصل بعلم بشار قول حماد :

وأعمى يشبهُ القردَ اذا ما عمىَ القردُ !

فضحك بشار كأنه «قرد يقهقه أو عجوز تضحك» وصفق بيديه قائلاً : «والله ما أخطأ وقد صدق ، حسبك من شر سماعه، ما حيلتى يرانى فيشبّهنى ولا أراه فأشبّهه» ومن عجب أن يموت بشار فيجمعه وحماد رمسان متجاوران وهما الخصمان العنيدان ، ويشاء الله أن يكونا فى موتهما مؤتلفين متقاربين بعد أن كانا فى حياتهما مختلفين متباعدين .

غزله : ناحية من نواحى العظمة فى شعر بشار ، فقد كان مسرفاً فى التشبيب بالنساء

ونبغ فى الغزل الرقيق فلم يسبقه فيه سابق ونسج على منواله وعلى أساليب الطريقة الواقعية وعلى مذهب الـ Réaliste كثير من الأدباء الفرنسيين وشعراء المدرسة الحديثة من المصريين ،ومن فحول شعرائها المجيدين أبو شادى وعبد الرحمن شكرى وناجى، ولكل منهم جهود جبارة تذكر لهم فتشكر .

لقد أحب بشار وتغزل فى النساء على الرغم من كونه أعمى دميم الخلقة ، فكان دقيق الخيال رقيق الشعور مغرماً بوصف الجمال . سمع بجمال عبدة فأحبها وأكثر من وصفها فهل كان صادقاً فى حبه ؟ يقولون إنه أحبها وانها مالت اليه وعطفت عليه إذ أطرى جمالها ، والغوانى يغرهن الثناء ، ولا أدرى كيف لم يكن قلبه وشعره وقفاً عليها ما دام قد أحبها الحب الصريح الا اذا كان ماجناً وشعره مغرياً بالفسوق وحُبه قُلَّباً وقلبه هواء . ومن آياته فيها :

يزهّدنى فى حب عبدة معشرٌ قلوبهمو فيها مخالفةٌ قلبى
فقلت : دعوا قلبى وما اختار وارتضى فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحبِّ
وما تبصر العينان فى موضع الهوى ولا تسمع الأذنان الا من القلبِ
وما الحسن الا كل حسنٍ دعا الصبا وألَّف بين العشق والعاشقِ الصبِّ

ان الوجدان والشعور والادراك الحسى والحب والمرأة والجمال كل أولئك لغزٌ فهمه بشار وحلله تحليلاً علمياً معقولا .

ومن أغزل ما قال :

زوّدينا يا عبدُ قبلَ الفراقِ بتلاقٍ ، وكيف لى بالتلاقِ ؟!
أنا والله أشتهى سحرَ عينيكِ وأخشى مصارعَ العشاقِ

وقال أيضاً :

أعددت لى عتباً بحبكمو يا عبد طال بحبكم عتبي
ولقد تعرّض لى خيالكمو فى القرط والخلخال والقلب
فشربت غير مباشر حرجاً برضابِ أشنب باردٍ عذبِ

ومن أروع ما قال :

لم يطل ليلى ولكن لم أنم ونفى عنى الكرى طيفٌ ألمّ

وإذا قلت لها جودى لنا خرجت بالصمت عن لا ونعم
روِّحى يا عبد عنى واعلمى أننى يا عبد من لحمٍ ودمْ
ان فى بردىّ جسماً ناحلاً لو توكأتِ عليه لانهدمْ

رحم الله بشاراً على كذبه ، لقد كان ضخم الجثة وادعى انه نحيف القوام ، وكاد يخدعنا بقوله ولم يصدقنا القول . لقد شوهد ان ضخم الجثة من أمثاله تغلب عليه كثرة النوم حتى انه ينام واقفاً ويستغرق فى النوم جالساً ويأكل بشراهة أرزاً مع الملائكة نائماً ! وان ناحل الجسم أخو صبابة حليف سهاد ، ولو لم يقل بشار هذا لصدقناه ولكن يقولون أصدق الشعر أكذبه ، فلنطلب له الغفران وهو القائل :

فى حلتى جسم فتى ناحل لو هبت الريح به طاحا !

ولكنه يكاد يخدعنا مرة أخرى وأخشى أن يكون مثله مثل الراعى الكذاب الذى ادعى ان الذئب سيأكله كذباً وميناً ضحكاً على الذقون ، وأخشى ألا يصدقه الناس بعد الآن فقد بعث اليه المهدى وأمره أن يقول فى الحب شعراً مقتضباً وان يقيم الحب قاضياً بين المحبين فقال :

اجعل الحب بين حبى وبينى قاضياً ، اننى به اليوم راضِ
فاجتمعنا فقلت : يا حبّ نفسى ان عينى قليلة الاغماضِ
أنت عذبتنى وأنحلت جسمى فارحم اليومَ دائم الأمراضِ
قال لى : لا يحلّ حكمى عليها أنت أولى بالسقم والاعراضِ
قلت لما أجابنى بهواها : شمل الجور فى الهوى كل قاضِ !

يا ويح بشار السفسطائى ، بشار العاشق بأذنيه لا بقلبه ، بشار الراغب عن اطراء هذه الغادة الراغب فى مدح تلك ، الحائم حول الغوانى حومان النحلة على الأزاهر ! لماذا انتقل سريعاً من التشبيب فى عبدة الى ذكر سُعدى إذ يقول :

لقد كاد ما أخفى من الوجد والهوى يكون جوى بين الجوانح أو خبلا
إذا قال مهلاً ذو القرابة زادنى ولوعاً بذكراها ووجدانها مهلا
فلا يحسب البيض الأوانس أن فى فؤادى سوى سعدى لغانيةٍ فضلا
فأقسم إن كان الهوى غير بالغ بىَ القتل من سعدى لقد جاوز القتلا

فيا صاح خبرني الذي أنت صانع بقاتلتي ظلماً وما طلبت ذحْلا
سوى انني في الحب بيني وبينها شددت على أكضام سرٍّ لها قُفلا

ومن آياته البينات في وصف جارية مغنية لم يرها ببصره بل عرفها ببصيرته:

وذات دلٍّ كأن البدر صورتها باتت تغنى عميد القلب سكرانا:
« ان العيون التي في طرفها حَوَرٌ قتلننا ثم لم يحيين قتلانا ! »
فقلت: أحسنتِ يا سؤلى ويا أملى فأسمعيني جزاك الله إحسانا !
قالت: فهلاَّ فدتك النفس أحسن من هذا لمن كان صب القلب حيرانا
يا قوم اذني لبعض الحيّ عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا !
فقلت: أحسنت أنت الشمس طالعة أضرمتِ في القلب والأحشاء نيرانا
فأسمعينيَ صوتاً مطرباً هزجاً يزيد صبّاً محبّاً فيك أشجانا
يا ليتني كنت تفاحاً مفلّجة أو كنت من قُضُب الريحان ريحانا
حتى اذا وجدت ريحي فأعجبها ونحن في خلوة مثّلتِ انسانا
فحرّكت عودها ثم انثنت طرباً تشدو به ثم لا تخفيه كتمانا
أصبحت أطوعَ خلق الله كلهم لأكثر الخلق لى في الحب عصيانا
لو كنت أعلم ان الحب يقتلنى أعددت لى قبل أن ألقاك أكفانا
لا يقتل الله مَن دامت مودته والله يقتل أهل الغدر أحيانا

وله في وصف جميلة سوداء:

وغادةٍ سوداء برّاقةٍ كالماء في طِيبٍ وفي لينٍ
كأنها صِيغت لمن نالها من عنبر بالمسك معجونِ !

وكان بشار يرتاح الى مجالسة نساء قوم من الأعراب نزلوا بالبصرة وكنّ يتحدثن اليه وينشدهن أشعاره في الغزل فأخبره أبان بن عبد الحميد ان القوم ارتحلوا فلم يلبث حتى سمع الناس ينشدون شعراً اعتقد ان بشارا قائله وفيه:

دعا بفراق من تهوى أبانُ ففاض الدمع واحترق الجنانُ
كأن شرارة وقعت بقلبى لها في مقلتى ودمى استنانُ

كانت نفس بشار مشربة الفجور وكان غزله اغراء بالفسوق وآية ذلك قوله :

لو كنت تلقين ما نلقى قسمت لنا يوماً نعيش به منكم ونبتهجُ
لا خير فى العيش إن كنا كذا أبداً ما فى التلاقى ولا فى قبلةٍ حرجُ
مَن راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيِّبات الفاتكُ اللهجُ

أليس فى البيت الأخير حثٌّ على الرذيلة وتشجيع على الغواية وايغال فى افساد الأخلاق واغراء بالعودة الى مذاهب السفسطائيين بانتهاب اللذات وترك القانون الخلقى والعرف والعادة ؟

كان بشار يهوى امرأة من أهل البصرة فراسلها فوعدت وعداً عرقوبياً، فعاتبها فاعتذرت عن تخلفها لمرضها ،فكتب اليها :

يا ليلتى تزداد نكرا من حب من أحببت بكرا
حوراء إن نظرت اليك سقتْك بالعينين خمرا
وكأن رجعَ حديثها قِطَعُ الرياض كُسين زهرا
جنيَّةٌ إنسيةٌ أو بين ذاك أجلُّ أمرا
وكفاك أنى لم أحط بشكاة من أحببتُ خُبرا
إلا مقالة زائرٍ نثرت لىَ الأحزان نثرا
متخشّعاً تحت الهوى عشراً وتحت الموت عشرا

زاره مرةً مالك بن دينار وقال له : يا أبا معاذ أتشتم أعراض الناس وتشبّب بنسائهم؟ فقال : لا أعود ، حتى اذا خرج عنه قال فى أثره :

غدا مالك بملاماته علىَّ ، وما بات من باليهْ
فقلت : دع اللوم فى حبها فقبلك أَعْييت عذّاليهْ

لما كثر استهتار نساء البصرة وشبابها بشعر بشار نصحه الكثيرون فلم ينتصح ، فشكوه للمهدى فنهاه وأنذره بالموت فقال :

يا منظرا حسَناً رأيتُ بوجهِ جاريةٍ فديتُهْ
بعثت الىّ تسومنى ثوبَ الشباب وقد طويتهْ
والله رب محمد ما إن غدرت ولا نويتهْ

أمسكتُ عنك وربما عرض البلاء وما ابتغيتُهْ
إن الخليفة قد أبى وإذا أبى شيئاً أبيتهْ
ومخضّب رخص البنان بكى عليَّ وما بكيتهْ
ويشوقني بيت الحبيب إذا ادكرت وأين بيتهْ
ونهانيَ الملكُ الهمام عن النساء وما عصيتهْ

وقال أيضاً :

قد لامني فى خليلتي عمرُ واللوم فى غير كنهه ضجرُ
قال :أفق! قلت :لا فقال بلى قد شاع للناس منكما الخبرُ
قلت : وإذا شاع ما اعتذارك مما ليس فيه عندهم عذرُ
ماذا عليهم وماهم خرسوا لو انهم فى عيونهم نظروا
أعشق وحدى ويؤخذون به كالترك تغزو فتؤخذ الخزر
يا عجباً للخلاف يا عجباً بغى الذى لام فى الهوى الحجرُ!
حسبي وحسب الذى كلفت به مني ومنه الحديث والنظرُ
أو عضَّة فى ذراعها ولها فوق ذراعي مِن عضِّها أثرُ

وبقية القصيدة مملوءة بهجر الحديث .

وله قصيدة بكى لها الوليد بن يزيد حتى مزج كأسه بدمعه ومنها :

أيها الساقيان صُبَّا شرابى واسقيانى من ريق بيضاء رُودِ
ان دائى الظماء، وان دوائى شربة من رضاب ثغر برودِ
نزلت فى السواد من حبة القلب ونالت زيادةَ المستزيدِ
عندها الصبر عن لقائى وعندى زفراتٌ يأكلن قلبَ الحديدِ

علمنا من كل ذلك ان بشاراً كان شاعراً فناناً عبقرياً فصيح اللسان قوى النفس صادق الحس رقيق الوجدان ضارباً بسهم وافر فى جميع أغراض الشعر وفنونه وكان يؤاخذ عليه الهجاء المقذع والأدب المكشوف فى الغزل ؟

متولى نجيب

صورة من إقبال

(محمد إقبال شاعر الهند العظيم ، وفيلسوفها المتصوف ، وأحد قادتها وزعمائها الأبرار ، وقد تكلم عنه الدكتور عبد الوهاب عزام فى محاضرة له وترجم طائفة من مقطوعاته الى النثر العربى ، ووجدتنى بعد هذا التعريف مأخوذاً بسمو فكرة الرجل وعظمة نفسه ومبلغ طموحها ، معجباً به يدرس فى انجلترا وألمانيا ثم يعود وهو أشدّ اعتزازاً بشرقيته ، وأبلغ استمساكاً بقوميته ، وأنفذ زراية بالغرب فى كثير من مدنيته ، فآثرت أن أنقل الى الشعر العربى بعض هذه المقطوعات ، محافظاً طوق جهدى على حرفية الأصل ، وقد أُتيحت لى أخيراً هذه الفرصة وما أحسب أن شاعراً عربياً أحق بالاستقصاء والدراسة من شاعر شرقى كإقبال .

وهذه القطعة التى سأوردها هى من مقدمة كتابه « أسرار خودى » أو « سر الذات » وأرى أنها من أقدر نفثاته على التعريف به وعلى تصوير عالم خواطره وكشف خفايا نفسه ، ولانها تكاد تكون فى مقاصد ثلاثة مستقلة أجريت كل مقصد منها فى مجرى شعرى أكثر التئاماً مع روحه واتساقاً مع مذهبه ، وأرجو أن أكون قد وفقت الى حد فى هذه المحاولة)

(١)

أنهتْ الشمسُ طريق الليل فى غَيْبِ الوجودْ

وبكائى ينثر المـا ءَ على خدّ الوُرودْ

تغسلُ النومَ دُموعى عن عيون النرجسِ

وعلى عَزْفىَ قام الر وضُ من نومٍ قَسى !

خَبرَ الزرّاع تأثيرَ كلامى فجَنَى من غرسِ مِصراعٍ حُسامَا

وذَرا فى المرج حبّاتِ دُموعى ناسجاً روحى مع الزهر مَرامَا !

طَيّتى أضواأُ بى من « جام جَمْ » (١)

تستنيرُ ما استجدّ واستجمّ

---

(١) كأس خرافى كان لجمشيد

صدتُ بالفكر الظّبا من العدمْ
وهي شيءٌ لم يكن ، ولم يُرَمْ
زينَ بُستاني بخُضرةٍ ، ولم
يُنبتِ الخضرةَ فى الدنيا أجمْ

إن فى حجرى وُرودٌ لم تزلْ فى ضمير الغصن وهماً وغراما
أنا هجتُ من غنائى محفلا يذرع الانشادَ بَدْءاً وختاما

قد تخذتُ وترِى وعُدّتى
من عروق العالم الحييّةِ
كم صمتٌ قبل عَوْد فطرتى
ثم لم يدْرِ جليسى نغمتى
أنا فى العالم شمسُ جدّةِ
لم أرَ الدهرَ رسومَ دَوْرتى

لا ، ولم يرقُصْ شهابٌ قط فى ضَوْء وجهى ، إنه كان حراما
حيثُ لمّا يضطربْ ضوئى على صفحةِ البحرِ ، ولم يدْرِ الغماما

أنا نغمةٌ ، ولكن لا أبالى قط عُودْ
انني لشاعر الغد غناء ونشيدْ

« • »

إنّ عصرى ليس يدرى السرّ فى طريقهِ
إن يوسُفى المُعَنى : لم يكن فى سوقهِ

« • »

أنا يائسٌ ، ولكن من صِحابى القدماءْ
ها هو « الطور » تَجلى ، كى تُناجينى السّماءْ

« • »

بحرُ أصحابيَ ساجٍ ، هو قطرةُ تضيء
حينما قطرتيَ البحر ، بطوفانٍ يجيء

« • »

ان نغمتى فى عالم ، وليستْ هى له
ان انبْراسى لغير أهل تلك القافلهْ

« • »

كم رأينا شاعراً ، قد تحدّى الذكرُ حَيْنَهْ
قد أثار عيننَا ، بعد ما أغمض عيْنَهْ

« • »

يولد الشاعرُ بعد أن يموت من جديدْ
نابتاً فوق ترابِ قبره نبتَ الوُرودْ

(٢)

إن تكنْ هذه القوافلُ تَسعَى خافقاتٍ على الصحارَى عَواني
فأنا عاشقٌ : أصيحُ بشعرى طوق جهدي ، فانه إيماني !
ثوْرةُ المحشر الرّهيبة طَوْعى فاستمعْ نَغمَتى وشيْبَ حناني
ما لِعودٍ هنا بضربيَ طَوْق لا أبالى بكسر عودِ عصاني !
لا يعى مُهْدِرُ البحار مياهى ما لبحرٍ بما أسوق يدانِ
ليس للبرعم الحقير ، ولما يُضح روضاً ، بأن يرى تهتانى
أى برق ينام فى طى رُوحى ؟ كم بُروقٍ بخاطرى وجنانى !
كلٌ صحراء فى الفيافى أناختْ فهى بابٌ لمبتدا تَجوَلاني
إن تكن أنت كالصحارى جَديباً فانحُ بحرى ، ومرْ الى فيضانى
أو تكن مثل « طورِ سيناء » قدساً ذاك برق ، فقم له ، وأذاني !

إنّ ماءَ الحياةِ مِنحةُ نفسي ... إنني كعبةٌ لسرّ المعاني
هذه الذروةُ الحقيرةُ هبّتْ ... حيّةً من عنائيَ النشوانِ
ثم شقّت جناحها فإذا ها ... مِن يَرَاعِ المساء ذى الألوانِ (١)
لم يُحدِّثْ بما أحدِّث يوماً ... كائنٌ ما بهذه الأكوانِ
بل ولمّا يَثِبْ لدُرّ المعاني ... ثاقبٌ ما كفكرتي ولساني
إن تُرد عيشةَ الخلودِ فأقبلْ ... أو لك السرّ في سديد بياني
موحِيَ السرّ في السماء تدلّى ... بالذي صُغْت من جديد المثاني
كيف أخفى على نداماى سِرى ؟ ... خُنتُ عهدى إذن مع الندمانِ !
ساقيَ القوم من دنانك أقبل ... واملأ الكأس من عتيق الدنانِ
وامْح هذا العراكَ عن سطح قلبي ... ليس كالخمر في نزال الزمانِ !
خمرة الماء ماء « زمزم » منها ... شعلةٌ تغمر الفتى بالمعاني
ترتقى بالعيون في البُعد حتى ... فوق ما تدرك العيونُ الدواني
انها تمنح الحصاةَ على الأر ... ض جلالَ الجبالِ والوديانِ
تمنح الثعلب العييّ قُوَى السبع ، وتحبو الترابَ أعلى مكانِ
وهي تُضفى على السكون هياجاً ... كاصطخابِ للحشرِ في ميدانِ !
هاتها خمرةً ، وصُبّ على ليل ... جناني ضياء بدرٍ وثانِ
هاتها أرشد العميدَ الى الدا ... ر وأهدى ضلالة الحَيْرانِ
أمنح الناظرين من متع الحُر ... قة قسطاً ، ومن شكوك العيانِ

« • »

قم فرتّل « لمرشد الروم » آياً ... من كتاب العلوم عذب المجاني (٢)
خاتم السر في الحياة ، وثار ... أنا منها الضياء للانسانِ !

---

(١) اليراع جمع يراعة وهى طوير ليليّ كالذباب (٢) جلال الدين الرومى الذى ينسج الشاعر على منواله في التصوف ويستقى من فلسفته .

انه قلَّب التراب الى غَيبي ، وصاغ الغُبار حتى يرانى
فانا ذرةٌ لرمل الصحارى تنهبُ الجوّ فى اقتضاء الأمانى
تبتغى الحكم فى شعاع « ذكاء » إن إبّان صيده إبّانى
أنا موجٌ أقيمَ فى البحر كيما يظفر الموجُ بالدرارى الحسانِ
أثملتنى خمور كرْمِ « جلالٍ » بل بأنفاسه حييتُ زمانى

(٣)

وفى ليلة زادت همومى ولم أزل أفكر فى نفسى حزيناً مُسَهّدَا
رأيت « جلال الدين » عندى مسامراً يحدّثنى سمحاً حديثاً مخلدا
يقول: « إلامَ الصمت ؟ قم فانشد الشذا ولا تك كالكمّ الذى لم يرَ الندا
نواحك هذا الصامتُ الدهر فليكن صليلا من الأعضاء يُزجى مجدّدا
وانك نارٌ ، فاغمر الحفل بالضيا وأحرق دعاة الجهل ، واحفر لهم كدا
وانك ناىٌ ، قم فأبلغ رسالةً عن الغاب ، وانشرها غناءً مُردّدا
وحدّث بليلى ، صبّها وانفح الورى بصيحتك الرُّوح النشيط المؤيدا
ودونك فاسلك غير هذى طريقة وسُقْ بالذى أُغرِمْتَ قدماً الى الردى
وأدرك لذاذات المقال ، وقم على صليل نواقيس السفار ، على الحُداء »
فقمت نزعتُ الحجْبَ عن وجه فطرتى وعن سرّ ذاتى أكشف اليوم والغدا
فأدركت من اعجازها السرَّ عند ما بدت لىَ نفسى بعدُ نقصاً مجرّدا
وألحى علىّ العشقُ صقلا بمبردٍ له فى يدٍ ما تجتلى عندها يدا
وعندئذ ألفيتُنى جِدّ كائنٍ محيطٍ بما غاب اكتناهاً وما بدَا
لعمرى لكم بكّرْت ليلا ، وليس لى أبكّر ، بل للناس أبغى لهم هُدى
الى أن هتكت السر عن مر دهرهم وأدركت تقويماً لهم كان مُبْعَدا
وأبرزت هذا الليل فى زينة السها وبهجةِ بدر التمّ نوراً ومحْتدا
وانى على هذا لأقدام أمتى تُرابٌ ، ولا فخر ، انتهاءً ومَوْلدا

تراب لها من أمة رَجْع شدوها — مَلىءٌ به رَوْضٌ وِمَرْج ومنتدى
لقد زرعت زرعاً، وضمت حَصادَه — شموساً مثاتٍ من مُرَجَّى ومقتدى
أنا آهةٌ أسمو الى ما ورا السما — دخان ولكن أصطلى الجذل موقدا
وقد لا يني عشقى لهيباً معانقاً — على أنّ لى من حكمتى هدأةَ الندى

محمد زكى ابراهيم



حياة الشاعر

غداً يا خيالى تنتهى ضحكاتنا — وآلامنا تفنى وتفنى المشاعرُ
وتسلمنا أيدى الحياة إلى البِلى — ويحكم فينا الموتُ والموتُ جائرُ

« • »

جلست على الصخر الوحيد وحيدا — وأرسلت طرفى فى الفضاء شريدا
وكفكفت دمعاً .. لا بكفكف غربه — وواسيت قلباً فى الضلوع عميدا
أرى صفحة الآمال قد ضاق أفقها — ولاح على اليأس البعيد مديدا
لقد عشتُ فى دنيا الخيال معذّباً — فياليت شعرى هل أموتُ سعيدا ؟!

« • »

كأن حياتى غنوة بدويّة — شَدَتها الليالى للقرون بلا مَعنى
كأنى أنا فيها شجىّ نغماتها — أقامت لها ذكرى تحفّ بها الأذنا!
لئن فاتني عهد الشباب ولهوه — فانى بعمرى لست آبهُ أو أعنى

فربّ هواءٍ طاف فى اللحن وامَّحى ، يخلّد عن ريحٍ معمّرة قرنا !

« • »

لقد كنت فى الدنيا جمالا يزينها ، بما شاده شعرى على هذه الدنيا
خلقت لروحى سحرها . . لا لغيرها ، ومن أجلها أقضى ، ومن أجلها أحيا !

« • »

إذا ذبل النارنجُ عاش عبيرُه ، وكان له فى الوهم من نَفْحه مَحيا
ويخلد بعد البدر فى الفكر رَوْنَقٌ ، يغذّى خيال الشعر والحبَّ والوَحْيا !

م . ع . الهمشرى

القائد المدحور

إنى احِسُّ كأنَّ رُوحى قائدٌ أَفْنَى جهودَه
هدَّتْهُ أهوالُ الحروبِ بعَصْفِهاوطوَتْ جنودَه
فمضى كما يمضى الصَّدَى فى الافْقِ لا يدرى شرودَه
تدعوهُ أوْسِمَةٌ لمجدٍ ضاعَ كيما يستعيدَه
والمجدُ أسمى ما يكونُ اذا ضَمنْتِ لهُ خلودَه

« • »

هذِى هى الرُّوحُ التى رفَّتْ عليكِ بحُبِّها
كانت كدمعة عاشقٍ يأبى مرارةَ سَكْبِها
لمّا تلاقتْ تحت ظِلِّكِ بالرِّضَى من ربِّها
نسِيَتْ مراراتِ الحياةِ بمأمَلٍ فى عَذْبِها
وأتتْ اليكِ من المطافِ هنا تُقرُّ بذَنْبِها

« ٥ »

فإذا غفرتِ لهـا الإساءةَ فى لياليهـا الخوالى
غَمَرَتْكِ منها نَشْوةٌ ، وجَلاك منها كلُّ حالِ
وأعادت المجدَ القـديمَ من الشباب الى ظلالى
فسمعتِ أنغامَ الحياةِ تطوف فى أُفْقِ الجلالِ
ومَلَـكْتِ قُـدْسَ عبادتى ، وسمعتِ آياتِ ابتهالى

حسين كامل الصيرفى



القصيدة الأخيرة

(انتابت الشاعر نوبة من الندم بعد طبع ديوانه فأزمع ألا يقول الشعر ما عاش)

لا رعاكَ الله يا شعرى على الدهر ولا حيّـاك حىّ
قد تمرّدتَ على الله فحلّتْ نقمـة الله علىّ
يا إلـهى قد نفضتُ الشّعر عن قلبي وأخليتُ يديّ
وكسرتُ اليوم أقلامى وأغلقتُ بقلبي شفتىّ
وتنـكرتُ لليلاىَ التى أوحَتْ بأشعارى إلىّ
عدتُ للمسجد والتقوى وأوهنت صلاةَ ركبتىّ
وغدا القرآن فى يمناى يسترحم من نشرِ وطىّ
يا إلـهى دمعة النادم خَفِّفْ نارَها فى مقلتىّ

صالح جودت

لهفة الصبا

(نظم الشاعر هذه القصيدة فى سنّ الخامسة عشرة وذلك فى سنة ١٩١٥ م .)

غرامٌ ما يزايلنا دخيلُ ... وليلٌ ما يُبارحنا طويلُ
ودمعٌ كلما كفكفتُ منه ... شآبيباً جرت منه سيولُ
ونارٌ إنْ خبَت أذكى لظاها ... على كبدى هوًى لك ما يحولُ
وفاؤكمو دعا ودّى اليكم ... وأخلاقٌ هى الروض الظليلُ
شمائلُ تُخجل الصهباءَ لطفاً ... فتكتسى حُمرةً منها الشَّمولُ
فلو وُهِبَتْ بشاشتكَ الحميّا ... لما أمسى يحرّمها رسولُ
ولو أن الرياضَ كُسينَ بشراً ... كبشركَ لم ينل منها الذبولُ
وكم ضلّ الهوى حتى هَداه ... اليكَ الفضلُ فهو له دليلُ
وكم ظنٍّ بغيرك كذّبتْه ... تجاربُ لا تضلّ بها سبيلُ
ومضطغنين أصفيهم ودادى ... وودهمو كما يسخو البخيلُ
أناسيهم حقودَهمو وأغضى ... وبين ضلوعهم داءٌ دخيلُ
ومثلى مَنْ يفى إن ضاع عهدٌ ... ويحفظه اذا نسىَ الملولُ

أحمد الزين



شباب الخيبة

شبابٌ ذابَ بين لهيبِ جُهدِ ... نهلتُ به ربيعَ العيشِ صابا
بأحلامٍ يؤجّجها طموحٌ ... تداولنى فتوسعنى اضطرابا
أبيتُ بها على جمرات همٍّ ... وأغدو طارقاً بالجهدِ بابا

« ٥ »

سخرتُ من الذين شكوا زماناً ... أهاضَ جناحَهم وسطا فنابا

وقاسيتُ الأمرَّ فصدقتهمْ صروفٌ لم تزل تقضى عجابا
سأرسلها العشىَّ شواظَ نارٍ تلاهب فى سلاسلها عـذابا
حيـاةُ مَهازلٍ هوجاء تُمْشى وتُصبح لا ترى فيهـا صوابا !

النجف الاشرف :
ضياء الدين الرضيلى

الشاعر الهازىء

ثم قريراً لا ترتعشْ يا حبيبي كلمـا ذرّ كوكبٌ فى الأثيرِ
أو شـفا جؤذرٌ على جبـل أو لاح طيفٌ على ضفاف غديرِ
أو شـدا بلبـل على الأيك أو ما ت حزيناً فى وكره المهجورِ
ثم قريراً ، أمتَ فوق فراشٍ مِزَقٍ أم على فراشٍ وثيرِ
أم سكنت الأكواخ تأكل منّاً أم تملكتَ شاهقات القصورِ
ثم قريراً ولا تسل عن كيانى ثم قريراً ولا تسل عن مصيرى
أنا روحٌ مقـدّس صوّرته يد رسامٍ محكم التصويرِ
لست أدرى مصيره أهبـاءً يتلاشى كذرّةٍ فى الأثيرِ
أمَ شـعاع مخلّد فى سمـاء أم جناح يرفّ فوق القبور ؟!
لستُ أدرى يا صاح ، شأنك شأنى لا تفكر فالشكُّ فى التفكيرِ
أتصلّى وتنـذر الزيتَ لله وتشقى بزيتك المنـذورِ ؟
أَحسبت الخلود فى صلواتٍ وبـكاء وحرقةٍ وزفـيرٍ ؟
عجباً هل تظلّ عبد التقاليـد أسيراً وأنت غير أسـيرِ
غنّ واضحك ، سيّان خلّدتَ أم أنت تلاشيت كالهبا المنثورِ
وترنمْ . . . وخلّنى أتغلغلْ فى فضا الشعر منشداً كالطيور
أنا كالبلبـل الطروب أغنّى رغبةً فى الغناء لا للعصورِ

أتغنّى ، سيّان قلتَ مجيدٌ في سطور ومخطيء في سطور
أستمدّ الشعور من قلبيَ الشا عر القلب مصدر للشعور
يعصر الوحي روحه وأنا أمز ج روحي بروحه المعصور
فاذا النفسُ شعلة من إلهٍ واذا الشعرُ هيكل من نور

* * *

أعطني الناى يا أخي واشرب الكأ س معي بين ساحراتٍ وحور
واحيَ حراً ، علامَ تبقى سجيناً يا حبيبي كطائر مأسور ؟!
أنا أبكيك كلما لاح برق أو بدا النجم في الفضاء المنير
فاملأ الكأسَ من دموعيَ وأحرقـ ها (١) على مذبح الهوى كالبخور

بيروت : ميشال سليم المعلم



القصة الخالدة

(وهي قصة نفس في طريقها الى هيكل الجمال)

قد سئمنا العيش مَرضَى أم كذا نحيا غرضَى ؟
والليالى مدبرات تغتدى بالعمر ركضا
لم نجد فيهنّ سلوى هل نرى فيهنّ غمضا ؟!

« ٠ »

وكفاء السهد شغلٌ في ارتشاف اليأس محضا
وتوارى بمهجتي وارتضائي العيش فرضا
آيس من بعضه ان يؤاسى منه بعضا

« ٠ »

(١) أي الكأس

فقراراً من لغوب ! واعتوار الريح قبضا !
ووداعاً نشوة الأحـــلام اسعاداً ونقضا !
وليرح عمراً كما يحـــيا به الصخر فيقضى
فقصارى ما يعـــانى ان يغطى الأرض قضّا
وحمادى اليـأس منـــا ان يدوس العمر أعضا !

« • »

جفت الأحـلام والأهـــجاس والآمال غيضا
فأهبنا بخلىّ الـــعيش ان يقبل خفضا
راحـة كبرى فهل ير ضى بها الحب وأرضى ؟

« • »

فانبرى قلبٌ تنزّى بالهوى خفقاً ونبضا
يسأل النفس أتبدى للجمال الطهر مضّا
ما لها توليه إذ غا ب المنى صبراً ورفضا ؟
ليس يذوى الحسن آناً إن طموح الطرف أغضى !
فبكت من لوعة ورمت بالصبر ارضا
وتخطى راحـة اليأ س خيـال الحسن غضا
فتلقت شقوة الاحـ ساس بعد اليأس أمضى !
ما لها من منقذ من آية للسحر بيضـا

« • »

يا حبيبي قد رضينا أن نعيش العمر جرضى
نعبـد الحسن إلـهاً جاوز الاطماع نهضا
ومدى الآمال فيه ان يرى وحياً وفيضا
تنهب النظرة منه إن بدا رياً وروضاً
انما العيش حفاف وديـاجـــير وضوضا

فليدمْ لى حسنك الأسـ ـمر ريّان وبضّا
كلما لجّ بنا العمـ ـر اجتلينا منه ومضا
يحتوينا يا حبيبى فنطيق العيش مَرضَى !

رمزى مفتاح

حسرات

وَلَيسَتْ دموعُ العين إلاّ أثارةً مِنَ القلبِ يَطفو حُزنُهُ وَيُفرّقُ
وبالناس ما بى من كروبٍ كأنّنى منوطٌ بهذِى حين عُمْرىَ يُشرِقُ



بدوى أحمد طبانة

أحقاً فؤادى أنتَ للرُشدِ مؤَمَّلٌ تُحِسُّ ببؤسى الناس أم أنت أحمقُ ؟
يَشوقُكَ هذا الناس حتى كأنّهُمْ يقاسون ما تلقى فتأسى إذا لَقُوا !
وفى الناسِ من يَرجو جوادَكَ كابيا ويَسعدُ إذ يَلقى أمانيك تَخفقُ !

بدوى أحمد طبانة

الوجدان المضطرب

نُوحى على قَلَقِ الغصونِ وَرَجِّعِي يا طيرُ آهاتِ الفؤادِ الموجَعِ
واستودعى الألحانَ مِنْ حُرَقِ النوى وشجونه ما شئتِ أن تستودعى
وترفق فى الشدْو ! دُونَكِ موجعٌ أضناهُ فرطُ السقمِ حتى لا يعى
فلعلَّ ما بك بعضُ ما بى من شجىً وأسِيف دمعكِ من أسيفِ مدامعى
وأنا الفتى اللهفانُ بابْنَى الحِجَى واستلَّ قلبى من حنايا أضلعى
فلقد مَنحتُ الودَّ قوْماً لم أزلْ مِنهُمْ على مثلِ الطيوف الخدَّعِ
إنْ عاهدُوا نَكثُوا مُوثقَ عهدِهِمْ أوْ صادقُوا فلبـاقةُ المتصنِّعِ
يتهافتون على الغنىِّ بمالِهِ ويُهللونَ لكلِّ مأفونٍ دعِى
خُيَلاؤهُمْ زيْفٌ ، وصوْتُ نخارهم إنْ قيسَ لا يعدو نقيق الضفدعِ !

* * *

أصبحْتُ لا أدرى إلامَ يطُولُ بى شجنى ، ولا حتّامَ تُهرَقُ أدمُعى !
أيَبرُّنى الأغرارُ ؟ إنّ عُقولهُمْ كدرٌ ، وإنى لـلأديبُ الألمعى
عُمرى تقضَّيتُ وما أصبتُ سوى مُنىً تقضى ولمَّا أقضِ منها مطمَعى
أبكى شقاء التَّاعسين ولم أزلْ أشتاقُ فى بُؤسى الى الباكى معى !

احمد فتحى ابراهيم سليمان

الشاعر

أمرَّ نسيمُ العشية كفًّا على جبهة الشاعر الشاحبهْ
دعوه يزحزح عن قلبه بقيةَ حبّاته الذائبهْ
ولا تزعجوه لئلا تُوقّف فى صدره روحه الواثبهْ
ليستخلص الشعر من نسماتٍ تهيم فى اللجّة الصاخبهْ
ويستنزل الوحى من شعلات النجوم وأنوارها الساكبهْ
ويستنزف الدمع من طبقات الأثير فأجفانه ناضبهْ
هو الشاعر ابن إلـه الخلود وإن تكُ آماله ذاهبهْ

سان باولو (البرازيل) : شفيق المعلوف

مصرع الحظ

حَظى ومصرعُهُ فى لين أخلاقى وفَيْضُ عطفى على قومى وإشفاق
ومن حَبَبْهُ الطِّلَى أخلافَ نشوتها عدا على الكأس طوراً أو على الساق
بين النجوم أناسٌ قد رفعتُهمُ الى السماء فسدّوا بابَ أرزاق
وكنتُ نُوحَ سفينٍ أنشئتْ حرَماً للعالمين فجازونى بإغراق
وكم وقيْتُ الردى مَن بِتُّ مضطرباً فى أسره المُرِّ لم أظفر بإطلاق
يا أمةً جهلَتْنى وهى عالمةٌ ان الكواكب من نورى وإشراق
أعيش فيكم بلا أهلٍ ولا وطنٍ كميش منتجعٍ المعروف أفاقٍ
وليس لى من حبيبٍ فى ربوعكم إلا الحبيبين : أقلامى وأوراق
رِيشَتْ لحظِّي سِهامٌ من نميمتكم فصارعتنى وما لى دونها واقٍ
لم أدرِ ماذا طعمتم فى موائدكم لحم الذبيحة أم لحمى وأخلاقى ؟!
قالوا : غوىٌّ شقىٌّ ، قلتُ : يا عجباً قد امتحنتُ بكُفّارٍ وفُسّاق
وما تألمتُ من خَطْبٍ ضحكتُ له كما تألمتُ من خطبي بعشّاق
أنا على القُرْبِ منهم كلٌّ متعتهم وإن نأيتُ حبونى فيضَ أشواقٍ
فما لهم قد أشاعوا كلَّ مخجلةٍ عنى وقد أعلنوا بؤسى بأبواقٍ
كصاحب الطير لا ينفكُّ يسجنه سجنين من قفصٍ مُغْنٍ وأطواقٍ !

« ٥ »

حظِّى هو الأيكةُ الخرساءُ ذابلةً هو النسيمُ سموحاً غيرَ خفّاقٍ
هو السحابُ جهاماً والندى أسِناً هو الضياءُ لهيباً حين إحراق
كأنه أذرعٌ شلاّءُ راحتُها أو أنه أعين من غير أحداقٍ
لا تسألونيَ عن بؤسى وعِلّته سَلُوا به الحظ ميتاً فوق أعناقٍ !

عبد الحميد الديب



أيزيس والطفل الأمير

(لمّا غدر ست Set بأخيه أوزيريس Osiris ودفنه حيّاً فى التابوت أمر بالقاء التابوت فى النيل فحمله التيار الى أن بلغ شاطىء ببلوس Byblos فاستوعبه جذع شجرة ضخمة . وقد أعجب ملك ذلك القطر بتلك الشجرة الرائعة الجمال فقطعها واتخذ من جذعها عموداً من أعمدة قصره ، وهكذا بقى تابوت أوزيريس دفيناً فى أحد عُمُد القصر الملكى فى ببلوس . وحزنت إيزيس حزناً مبرّحاً على فقد أخيها وزوجها أوزيريس وشردت باحثةً عن تابوته الى أن بلغت ببلوس ، وثمة استراحت الى جانب نافورة فرأتها وصيفات الملكة وتحدثن اليها . فكلمتهنّ بلطفٍ ساحرٍ وعطّرتهنّ أنفاسُها ، حتى اذا عُدْنَ الى الملكة دهشت لما فاح من عطرهن العجيب ، فحدثنها عن هذه الحسناء الغريبة التى وفدت على المدينة . وقد أدّى هذا بالملكة الى دعوتها الى قصرها حيث اختيرت مربية لأحد الاطفال الأمراء ، وكان هذا الطفل يتغذى بمجرد مصّ إصبعها نظراً لقوتها الالهية الخارقة . . . . وفى الأبيات الآتية تصوير للموقف المرسوم فى اللوحة الملوّنة من ريشة إفلين پول Evelyn Paul)

* * *

هل تَرَى (إيزيسَ) والطفلُ الأميرْ فى حِمَاهَا كشذَا الزّهْرِ النَّضيرْ ؟

حملتْه وهو فى اطمئنانه كقرارِ الحُبّ فى طُهرِ الضَّميرْ

نشوةُ الصُّبحِ على هندامها وانكسارُ النورِ فى القلب الكسيرْ

يُلْمَحُ الحزنُ على وَجْنتها لمحةَ الأَسْرِ على وجهِ الأسيرْ

والجوارى رانياتٌ حولها كزهورٍ فى صلاةٍ حولَ نُورْ

ومَعَانى الملكِ فى ألوانها زاهياتٌ وأفاويحُ العُطُورْ

كلُّ لونٍ رائعٍ من مَلْبَسٍ ونقوشٍ هو لونٌ مِن شُعورْ
كلُّ عطرٍ ذائعٍ إلهامُـهُ شائعٌ كالفنّ فى رسمِ القديرْ
وقفتْ فى حسرةٍ من غُربةٍ غُربةِ التشريدِ والثّكلِ الخطيرْ
فى حنانٍ لاذعٍ إنْ شابَهُ ذلك الحزنُ فنُورٌ من سعيرْ
قدمت (بيلوسَ) تبغى زوجَها فى خفىّ النعشِ بالقصرِ الكبيرْ
وارتضتْ فى القصرِ تغدو مرضعاً تُرضعُ الرحمةَ للطفل الأميرْ
تُرضعُ الرحمةَ من إصبعها وتذيقُ الحبَّ فى الوجد الطَّهورْ
وتُضحّى فى ارتقابٍ وأسًى تضحياتِ الشمسِ عن قتْلَى الدُّهورْ
وكأنّ العبدَ إذْ يرنو إلى نُورها كالليل فى الحُلمِ الأخيرْ
صورةٌ والاعةٍ فى عصرٍ له حُرمةُ الفنّ ومرآةُ الصُورْ!

أحمد زكى أبو شادى



الدمع الواشى

أخفيت حبىَ فى قلبى على مَضَضٍ خوف الوشاة وخوف السرّ ينسربُ
وشاءت العينُ أن تفشى سرائره لكنّ دمعىَ أفشى وهو مضطربُ
فلا ألوم فؤادى وهو ذو خفقٍ انى ألومُ دموعى وهى تنسكبُ

المرجل الثائر

انى لأرجو كل حين غفوةً   فلعل طيفكِ فى المنام يعودُ
ولقد سكبتُ الدمعَ حتى خلتنى   من حرقة الأنفاس وهى صعودُ
كالمرجل الغضبان من ثورانه   تتصعد الزفراتُ وهو حديدُ

ثورة قلب

لو تسمعين فان كل جوارحى   هتّافة بالشعر بين يديْك
تمنى اليك النفس ملء حنينها   وتطير من طربٍ الى نهديْك
لا تستقرُّ النفس من ثورانها   الاّ إذا نظرت إلى عينيْك
إن كانت الأقدار تعبث بالمُنى   قدَرى وآمالى على شفتيْك
لو تطلبين الروح وهى ثمالة   لوضعتها جذلاً على كفّيْك
أتخيّل الماضى ومن أشباحه   ألتذُّ من روح تفيض عليْك
فأعيش فى الماضى، وفى أحلامه   أجد السعادة وهى فيض يديْكِ

أين الحقيقة ؟

أين الحقيقةُ يا رفاق فاننى   حيران جندلنى الأسى متألمُ
تبدو أشعتها ومن ومضاتها   قلبى يرفُّ وحولها أتقدمُ
فاذا اختفى نورُ الحقيقة أنثنى   من فرط آلامى دموعاً تسجمُ

يافا (فلسطين) :   مصطفى الدباغ



الأمل الضائع

وداعاً أيها الحلمُ الجميلُ   أضاعكَ مِنّىَ الزمنُ المحيلُ
ويا زهراتِ آمالى عزيزٌ   علىَّ بأن يفاجئكِ الذبولُ

ذوَتْ منكِ النضارةُ بعد جهدٍ به دافعتِ إذ خان القبيلُ

« • »

وهاتفة على أعطاف غصنى أهابت بى وقد عذب الأصيلُ
جمالٌ طافحٌ بظليلِ عيشٍ على جنباته يشجى الهديلُ
فما لك يا فؤاد وللشكايا وللأيام كرّاتٌ تديلُ
لئن عاطتْك كأسَ أسًى فيا ما زكا واعشوشب المرعى الوبيلُ !

« • »

تهدئة النفس الصاخبة

حىِّ الطبيعة قد حيّتك باسمةً عن الزهور وحىِّ البلبلَ الشادى
واترع كؤوس السرور المحض واسق بها شجىَّ نفسك ، هذا منهل الصادى

« • »

رفقاً بها ! دع هموماً كاد يتلفها لهيبها وتناسَ الجدَّ والسعدا
هــذى السعادة أنت الآن قابضها فلا تُضعها بتفكير المصير غدا

« • »

أما ترى الورق بالأغصان هاتفةً تشدو سروراً فما لى عاشق الحزَنِ ؟
ألم نكن شرعاً فى ذى الحياة فما للورق تشدو ونفسى فى لظى شجنى ؟

ضياء الدين الرخيلى





مناحة الفن

(رثاء المثّال محمود مختار)

روائعَ الفنّ ! ماتَ الفنُّ والعيدُ ... وماتتْ اليومَ فى الجوّ الاناشيدُ (١)

أنتِ اليتيمةُ والأعمامُ (٢) شأنُهمو ... شأنُ اليتيمِ ، فلا عَوْنٌ ولا عيدُ

مات الذى روحُ مصرٍ فى تفنُّنهِ ... حتى تجلَّتْ بنجواه الجلاميدُ

الجاعلُ الصخرَ حيّاً فى أناملهِ ... ونبضُه بشعور الفنّ مشهودُ

والخالقُ المثَلَ الأعلى وإنْ خُبِئَتْ ... رموزُه ، وكأنَّ الكشفَ تبديدُ

والمُبدعُ الحُسْنَ أعضاءً وأنسجةً ... تَشِفُّ ، فهى مَعَانٍ وهى تجسيدُ

رزءٌ له يخرسُ الإفصاحُ من وَلَهٍ ... فعاد يُنْطِقُهُ حُبٌّ وتمجيدُ

أنا الطليقُ بأصفادٍ .... فواعجبا ! ... وكم شجانىَ تحريرٌ وتصفيدُ ؟!

إنّ التجاوبَ إشراكٌ وإنْ بَعُدَتْ ... أسبابُه .... ليس فى التبعيدِ تبعيدُ

لئن رَثَيتُ فشعرى مِنْ مَناهلهِ ... والشعرُ كالنحتِ إحساسٌ وتخليدُ

ما بالُ شِعرى وما بالى بلا أمَلٍ ... كأنما التهمتْ تأميلنَا البيدُ ؟!

كأنما فى صحارى الدّهرِ غيبتُه (٣) ... كما تحجَّبَ مكنوزٌ ومعبودُ

واحسرتاه ! فقد ضاعتْ بضيعتهِ (٤) ... مِن ذلك السرّ آياتٌ وتشييدُ

وقد تعثر أحجانا وأحصفُنا ... كالأدعياء ، فما التسديدُ تسديدُ

(١) اشارة الى الربيع (٢) اشارة الى الفنانين الآخرين (٣) أى الامل (٤) الفقيد المرثى .

وليس كلُّ غِنانا عند حسرتنا إلاّ الخصاصة ، والتفنيدُ توكيدُ
كأنّما روحُه أرواحُنا ، فمضتْ دُنيا من الفنّ ، فالموجودُ مفقودُ !
والهفةَ الأدبِ العالى بمُلْهِمهِ ! مَضى الجمالُ ، فهل تُغنى الأغاريدُ ؟!
أيقتل الدّرَنُ (١) العاتى مجدّدَنا بالفنّ ، والفنُّ إحياءٌ وتجديدُ ؟!
لمَنْ تعيشُ (عروس النّيل) (٢) بعدَ أبِ العيشُ مِنْ بعدِهِ ذلٌّ وتشريدُ ؟
ترَى الرشاقة فيها كلّها حَزَنٌ تودُّ لو يَفتديهِ الحسنُ والجُودُ
مثّالُ (مِصْرَ) بمعناها وروعتها فاليومُ للأمسِ مِرْآةٌ وترديدُ ؟

* * *

مَشيتُ فى الموكبِ المصدوع منصدعاً وقلبُ (نهضةِ مصرِ) منه مفؤود
والنعشُ كالهيكل المرفوعِ حفٌّ به مِنَ المناجينَ ايمانٌ وتأييدُ
سِرْنا ولسنا عديداً بينما طفحَتْ نفوسُنا بأسًى يَعدوه تحديدُ
كأننا نحن (مصرٌ) رغمَ غيبتها أو أننا للأسى الصخّابِ تمهيدُ
أسًى سيشمل (وادى النيلِ) أجمَعَهُ وقد أناختْ به أيّامُه السُّودُ
أسًى ولا كالأسى ، فالفَنُّ مِيتَتُهُ أقسَى من الموتِ ، لو فى الموتِ محمودُ !

* * *

يا مُرْعِشَ الحجرِ البسّامِ فى صُوَرٍ من الانوثةِ ! ... هذا الصخرُ محسودُ !
وآسرَ النظرةِ العَجْلى بلا أمَدٍ الموتُ كالناسِ مأسورٌ ومجدودُ !
أينَ التى زدتَها وحياً وتكرمةً وكيف لم تزدحم فى المأتمِ الغِيدُ ؟
وكيف لم ينظمنَ الناسَ فى حَرَقٍ وتلك (طِيبةُ) أحزانٌ وتسهيدُ ؟
و (الرمسيومُ) كأرماسٍ بها دُفِنَتْ خواطرٌ لكَ خانتها المواعيدُ ؟
أين التى قدُّها المشوقُ ثورتُهُ فى فنِّكَ الحىّ إثراءٌ وتعييدُ ؟
ونَهْدُها ذلك الوثّابُ مِنْ حَجَرٍ وجِيدُها صخرُكَ الفتانُ لا الجِيدُ ؟

---

(١) مرض الفقيد سبع سنوات بالدرن (السلال) حتى قضى عليه فى آلام مبرحة .
(٢) أشهر تماثيل مختار ، وقد اشترته الحكومة الفرنسية ووضعته فى متحف قصر التويلري بباريس

أَحْرَى الأَنامِ بأحزانٍ وتعزيةٍ ... منّا ، فهل ردّها أو صدّها العيدُ (١)
لو تحمل النعشَ زكّاها وقدّسها ... كأنما هو تكريسٌ وتعميدُ
مُتْ الشهيدَ لمغزاها وفتنتها ... وذاك حُبُّكَ تُغنيه الاسانيدُ
ولو رُفِعتْ شهيداً فوق هامتها ... فمن سِوَى الفنِّ جبّارٌ وصنديدُ ؟
دوحٌ كروحِكَ غلاّباً ومنهزماً ... هو الكميُّ ، ومَنْ عاداهُ رعديدُ
وهو الحريُّ بمجدِ الحُبِّ إن عطلتْ ... دُنيا الأنامِ وخانته التقاليدُ

أحمد زكي أبو شادي

ريشة مختار

ريشةُ الفنِّ غدتْ بعدكَ فنّا ... أخرساً ... أطيافُه تنطق حُزْنا
حَذِرَ الموتُ وقد مرَّ عليها ... أن يُريهِ الموتَ تمثالاً مُجنّا
مسّها الجاني وكانت غَضّةً ... تسكبُ الإلهامَ في الصخرِ وتفني
لم يَغِبْ عنها وقد ضمَّ هواها ... معجزاتِ الفنّ أن توحيه معنى
فَهْوَ في إطراقها معجزةٌ ... تخذتْ من صمتها المرهوب سجنا
جَزِعَ الصَّمْتُ حواليْها وأنّتْ ... صُوَرُ الفنان في واديه أنّا
« نحو ماء النيل » سارتْ غادةٌ ... حملت قلباً وديعاً مطمئنّا
خدِرَتْ أقدامُها حزناً .. وكادتْ ... تَحْطِمُ الجرَّةَ لما غِبْتَ وَهْنا
وترى النّيلَ وقد أبدعت منه ... سارياتٍ زادها المنقاشُ حُسنا
صَخِبتْ أمواجُه حتى تراءتْ ... عالماً في مأتم الفنان جُنّا
وأبو الهول رأى نعشك يسرى ... في ركاب الدمع والآهات مضنى
يلطمُ الفنُّ على فنٍّ مسجّى ... لفّهُ الموتُ فأضحى مستكنّا

---

(١) دفن الفقيد في اليوم الثالث من أيام عيد الاضحى ، ولم تشترك بنات مصر في جنازته مع أن مختاراً وقف فنه على تمجيد المرأة المصرية .

فعرته وثبةُ المرتاعِ يبغى ... أن يَردَّ الكربَ فى باريه أَمنَا
فقسا الصخرُ ولم يُسعفْ مناهُ ... لو لِغيرِ الموت لاقى ما تمنى
يا نقوشاً فتنتْ باريسَ حتى ... أشرقت آيانها فى كلّ مغنى!
حدّثتْ عن مجد وادٍ كم رماهُ ... صلفُ الغرب بجهلٍ وبجنى !
عاهلُ المنقاش سوّاها فأبدت ... فى رُبوع الفن تَختاراً وزينَا
خَلدّتْ والموتُ أفنى مَن براها ... لن ينال الموتُ فناناً وفنَّا !

محمود حسن اسماعيل

على قبر أبى

وكان الليل حولى مكفهرّا ... وكان على القبور يموج بحرا
وكنت أزورها قبراً فقبرا ... أُغادر حفرةً وأؤمّ أخرى

بنفسٍ جمّةِ الآلام حرّى

دخلت مدينة الأموات وحدى ... وكان الليل كالزنجىّ يبدى
إهاباً أسوداً فسحبت بُردى ... علىّ وسرتُ فى رفق أؤدّى

أبى حقاً دموعى منه تترى

مشيتُ وكنت أعثر بالعظامِ ... عظام الهامدين من الأنامِ
مبعثرة تطلّ من الرغامِ ... مشيت ولم أخفْ مما أمامى

ولو أحدٌ رآنى لاقشعرّا

مشيتُ خلال هاتيك القبور ... كأنى الميّتُ قام من الحفيرِ
فصاح البوم فى صوتٍ جهورِ ... ألا يا حىّ رفقاً فى المسيرِ

لئلا توقظ الأموات طرّا

مشيتُ هناك وحدى لا أبالى ... بصوت البوم يأتى عن شمالى
تصفحتُ القبور كشأنِ تالى ... سطوراً فى قراطيسٍ بوالى

الى أن شمتُ قبرَ أبى الأغرّا

هناك هناك ملتُ على الضريحِ بقلبٍ من هوى ليلى جريحِ
فقلتُ بلهفةٍ : يا نفس بُوحى الى الموتى بسرّك أو فنوحى
من اليأس الذى فيك استقرّا

نخلتُ كأن روح أبى الضجيعِ هوت توّاً ترانى فى خشوع
أضمّ القبرَ كالطفل الرضيعِ وأذرف فوق مرمره دموعى
تحاكى إذ تسيل عليه درّا

وصحتُ لحرك الاحلاك صوتى: اذا يا نفسُ فى يوم رجوتِ
هدوءاً فى حياتك كم صبوتِ اليـه سدى فذلك يوم موتى
غـداة أنال فى قبرٍ مقرّا

أبى آنظرْ كيف خلاّنى هوايا حطامَ سفينةٍ ذهبت شظايا
على بحر الهوى إلا بقايا بهـا قذفت الى الشط المنايا
ألا بئس الهوى شطاً وبحرا!

أبى لولاك لم أرَ ما أعانى من الحزن المعشّش فى جنانى
جنيتَ علىّ يا ربّ الحنـان بقذفكَ بى الى هـذا الزمانِ
لتدرك لذة من ذاك كبرى

لو آنك لم تُحِـلْ عدمى وجودا لـكنت بقيتُ فى عدمى سعيدا
قذفت ـ فزدت للدنيا العبيدا ـ بعبـدٍ همّته منهـا القيودا
يودّ لو آنه ما زال حرّا

أبى اشفعْ لى بربك عنـد ربى ليرثى فى هوى ليلى لقلبى
وإن لم يقضها لى فليلبّ ندائى للردى ويجازِ حبى
لليلى الموتَ، نعم الموت أجرا

أبى لو كان لى من قبـل خلقى ذنوبٌ للحيـاة قضتْ برقى

لما كانت لى الشكوى بحقٍّ من العيش الذى يبكى ويُشقى
ومن دنيا تُرى يأساً وشرا

إلهى كم أنوحُ وكم أقاسى همومًا أفعمت يا ربّ كأسى
وكم أرجو فترمينى بيأسٍ وكم أضنى فلا أحظى بآسى
فأبكى قائلاً: يا نفس صبرا

عشقتُ فلم أذق للنوم طعما وكدت من البكاء أصير أعمى
ولولا أنّ لى يا رب أُمّا تكفكف منّىَ العبرات لما
تسيل لكنت أثوى اليوم قبرا

علام أريتنى (ليلى) وفيها هويتُ فلم أجد الا الهموما؟
فجسمى خيل من ضعفٍ نسيما وقلبي بات من شغفٍ سقيما
وعيشى بات مثل الصبر مرّا

ولكن ليس لى فى ذا الشقاء وفى هذى التعاسة من عزاء
سوى أنى الى دار الفناء أعود غداً فيشفى الموت دائى
وفيه يحتوينى القبر مرّا

خُلقت من التراب، وللترابِ أعود، وتلك خاتمة الكتابِ
كتاب العيش بل سفر العذاب فان يكُ للمعيشة من ثوابِ
فذاك الموت ان، النعى بشرى

مؤيد ابراهيم ايرانى





مرثية نظمت فى ساحة كنيسة ريفية

للشاعر الانجليزى توماس جراى

(تعدّ هذه القصيدة أبلغ قصائد الرثاء على الإطلاق فى الشعر الانجليزى ، وذلك لتصوير العواطف الانسانية نحو الحياة ، وما اشتملت عليه من تبيان حقيقة فلسفة الموت : وحسبك أن تقرأ ماقال المستر ١ . ف . هجتون فى تعقيبه وشرحه لتلك القصيدة : « إن ما يفيض على العقل من خيال جراى بين أرجاء القبور المتناثرة فى ساحة الكنيسة لا يبعد عن دائرة أفق عقل الرجل العادى ، لكنه قد صيغ فى لهجة نفسانية عميقه ، تصبو نفس المرء الى استعمالها ، بيد أنه لا يجد الى ذلك سبيلا »... وقد قضى توماس جراى فى كتابتها تسع سنوات فكانت قصيدته هذه ذوب العاطفة الانسانية ، وقد بدأ فى كتابتها عام ١٧٤٢ م . فى « ستوك پوجز » وأتمها فى فبراير سنة ١٧٥١ م .) — المترجم .

« ٠ »

« لقد قرع الناقوس فى الدجى ناعياً للناس أفول يوم راحل ، وسرب الأغنام الثاغية يمضى فى تؤدة فوق الكلأ ، والحارث يمم وجهه شطر داره شاقاً سبيله الوعر المنهك ، وترك الدنيا للدجى ولى ، وإن بهاء الحقول ليتلاشى أمام ناظرى والصمت باسط طنبه ، ناشر خيمته ، فلا تسمع فى الهواء نأمة أو حركة سوى صرير جرادة تثب فى الجوّ ، ودرداب النواقيس يحبب النوم إلى أعين السرب ، ونعيب البوم يدوى وهو فى قنة برج التفتّ عليه أفرع اللبلاب يشكو الى القمر المطل عبث مَن ساروا قريباً من عشه المجهول ، وأزعجوه فى ملكه القديم الوحيد . . . وتحت هاتيك الأشجار الحزينة الصامتة ، وظلال الدوح المتهدل ، يرقد الجدود رقدة الأبد مضطجعين فى لحودهم ، وان نسمة الصبح العاطرة ، أو أغرودة الطير الساحرة ، أو

صيحة الديك الحادة ، أو صدى البوق الداوى — كل ذلك — لن يحرك منهم ساكناً أو يبعثهم من مرقدهم الهادىء فى غياهب الزمن .

« لن توقد المدفأة لهم ، ولن ترى المرأة مهللة للقاء زوجها حين أوبته ، ولن يمضى الأطفال هاتفين فى لثغة حلوة يزفون بشرى قدوم أبيهم ، أو متخاطفين قبلته .

« لقد خرّت الأشجار إثر ضربات معاولهم ، وساروا بالأمس جماعات يقودون دوابهم تضحك سنهم عن بشر ، وكم أعملوا الفأس فى الأرض فأخصبت ، والآن ليصمتْ كل همَزةٍ لمزة ، ركبت نفسه من الطمع ، ولا يسخر بمسراتهم الساذجة ، ومن جدودهم التافهة الضئيلة ، ولا يهزأ الغنى حين يسمع بفقرهم فترتسم على شفتيه بسمة الاحتقار والسخرية ، وإن جلال الملك فى هذى الحياة ، وشرف المجد وسلطان الجمال وبسطة العيش ووفرة المال مآلها كلها للتراب . وأنتم يا سادة الدنيا وحكامها ، وملوكها وأقيالها ! لا تسخروا من هؤلاء الضعاف وأهل الحقول والأرياف ، فان الذكرى لترفرف عليهم بجناحيها الخفاقين ، وتنشر فوقهم ألويتها ، وقصائد المديح تردد فى البهو الفسيح إجلالا لهم ، وهل فى قدرة الضريح أن يعيد الروح الى هيكل خلَّفته ، والحياة الى جسد طلقته ، والحركة الى قلب بارحته ، وهل يستطيع الشرف الرفيع أن يحرك التراب الصامت ، أم فى مكنة الرياء أن يتملق الموت ويوصل هتافاته إلى أذن الردى الباردة ؟

« لعل فى هذا الثرى الموطأ بالنعال قلباً خفق بالأمس بنيران المجد ، ولعل فيه يداً صفقت للعلا وحنت عليه ، ولعبت بتاج الامبراطورية وأشعلت نيران الحياة فى القلوب ، ولكن المعرفة والعلم لم يرفعا بعد سدولهما عن صفحات غنية بتراث الزمن ، وكم فى أغوار المحيط المزبد وبحر الحياة اللجىّ الخضم من زهرة لم تكد تتفتح أكمامها عن عبقها الفوّاح حتى ضاعت معالمها وأذبلتها رياح الصحراء السامة ؟! وكم تحت ثرى هذه القرية من بطل صنديد مثل همدن ثار على المستبد الظالم الطائش ، وكم تحته من ملتون سحب النسيان عليه ذيوله وخلع الصمت فوقه سدوله ، أو كرمول سالت دماؤه استشهاداً فى سبيل وطنه ، وقد كبت جدودهم جميعاً ، فلم تتلألأ أسماؤهم فى صفحة الخلود ، ولم ينشروا ألوية السعادة تخفق فوق ربوع أرضهم ، حتى تبقى ذكراهم نبراساً يهتدى به المدلجون فى غياهب الزمن السحيق !

« لقد وقف الدهر دونهم جميعاً ، وأمات فضائلهم قبل أن يقوى غصنها اللدن ، وانما أبقى جرائمهم فى ثبت الذكريات ، ومنعهم من أن يسيروا وسط لجة الدماء المهراقة الى العرش ، وأغلق أبواب الشفقة والرحمة فلم يدر الانسان كيف يلجها . وكم أرهفوا أسماعهم للحق ، وهتفوا باسمه عالياً فى كل صقع ونادٍ فلم يواتهم الثراء ، واذا هم أرفع من أن يدنسوا شعلة الشعر بالمدائح والزلفى ، فمضوا يشقون طريقهم فى الحياة الدنيا فى صمت وسكون ، ولم يركبوا متن الجهالة والشطط .

« ما هذه النصب المقامة على مدافن الموتى إلا ابقاء على ما فيها من عظام نخرة من أن تلهو بها يد الدهر القاسى فتبعثرها ويحملها الهواء فى طياته ، وعلى هاتيك الأضرحة خطت أبيات الشعر الساذج يهتف بالسائرين ليرسلوها آهة من أعماق الصدور ، وهاهى المقاطيع الشعرية الجافة تسجل أسماءهم وأعمارهم ، وكم مهدت هذه الابيات القدسية للرجل الفاضل أن يلقى الموت بجنان ثابت .

« ألا خبرونى مَن هذا الذى ألقى سلاحه للنسيان وخلف دنياه ويومه الدافىء الجميل دون أن يلقى نظرة على ما ودّعه فى حسرة ؟

« إن الجسد الراحل لفى شوق الى صدر حنون يركن اليه والعين الذابلة لفى لهفة الى بعض الدموع المنسكبة ، وان صوت الطبيعة ليهتف من أعماق القبور قائلا : إن الشعور المتقد الحارّ ليصاحبنا دائماً حتى وإن كنا رمماً بالية .

« وأنت يا مَن تذكر أولئك الموتى الساذجين ! لقد سطرت فى هذه الأبيات قصة الحياة الحقيقية ـ غداً واذا أسعدك الحظ ـ ستلقى من يهتم بك كما اهتممت بهم وستدفعه الشفقة لأن يتساءل عن نهايتك وما خطه لك القدر فى حياتك ، ولعل الجد يواتيك فاذا بشيخ طاعن فى السن قد وخط المشيب شعره وكلل فوده يقول : « لقد رأيته جادّاً فى سيره حين انبثاق الفجر يزيل بقدميه قطرات الندى ليواجه الشمس وهى تسكب أضواءها وشعاعها فى ذلك السهل الفسيح ، وكم جلس تحت ظلال الدوحة الباسقة ذات الافرع الشامخة الملتفة يتفرس فى المياه الجارية ويطيل النظر اليها ، ويرهف أذنيه لا نغامها الشاردة ! وكم افترّ ثغره عن ابتسامة للسنبل النامى فى الحقول ، أو ضحك هازئاً حين تضاربت الافكار فى رأسه وكأنما آماله قد حطمت على صخرة الغرام الدامى ، وقد افتقدته ذات صباح على التل المعروف وبين الحشائش الكثيرة وتحت أفرع الدوحة المحببة الى نفسه فلم أعثر عليه ، وعبثاً ما كنت أظنه من أنى

سأجده يوما من الايام فى السهل أو الغابة التى ألفها ، وتلى الصباح صباح فاذا بنعشه يتهادى بين زمرة من خلانه يبكونه يرتلون أنشودة الموت ميممين به شطر الكنيسة، والآن فلتقرأ على ضريحه هذه القبرية (١) المخطوطة قرب السنديانة القديمة :

« هنا تحت أطباق الثرى يضطجع شابٌ مجهول الاسم عاكسه الحظ حياً وميتاً وإن صاحَبته المعرفة وصادقه الحزن والألم ، وقد سكن النعيم الابدى لما كان عليه من خلق جزل وطبيعة سمحة ولم يحبس دموعه عن بائسى الحياة وصرعاها فمنحته السماء خدناً وفيا كان مطمح آماله . فلتصمتوا يا قوم ! ولتكفوا عن أن تثيروها ضجة صاخبة حول اسمه وفضائله ورذائله ، فما أشبهها بزهرة الأمل قد سكنت فى مأواها صامتة تحت رعاية الله ! »

حسن محمد محمود



(١) القبرية : أخذنا هذه الكلمة عن السيد عيسى اسكندر المعلوف عضو المجمع الملكى للغة العربية ، حيث استعملها فى مقالته المنشورة بالمجلد الحادى والثلاثين من « المقتطف » (ص ٣٨١) لسنة ١٩٠٦ فى قوله عن القبريات ، ونظن أن أول من استعمل هذه الكلمة ابن بطوطة فى رحلته المطبوعة فى مصر سنة ١٢٨٧ هـ - ١٨٧٠ م ، (الجزء الأول ص ١١ ، ١١٢ ، ١٣١ ، ١٣٥) وكررت فى الجزء التالى مراراً ، وكأن هذه الكلمة تعريب حرفى للفظة Epitaph الافرنجية وهى يونانية الأصل منحوتة من كلمتى Epi بمعنى على Taphos بمعنى قبر



يوم باهت

لبسَ الجوُّ حُلَّةً كالبهار في أوانِ الرّبيعِ والأزهارِ
ومشَى يملأُ النفوسَ اكتئاباً فكأنى به رسُول دَمار
وغدا الأُفق أكدرَ اللّون جوناً أغبرَ الوجْه يا لَهُ من نهارِ
وبَدا الرَّوضُ ساكناً فى خشوعٍ موحشاً مقفراً من السُّمارِ
ذَبُل الزَّهرُ بعد أنْ كان غضّاً لا أرَى غير حُسنه المتوارى
وانثنى الغُصنُ بَعد أن كان ميَّا سًا بديعاً يَشعّ بالأنوار
وانزوى الطيرُ بعد أن كان يَتلو اغنياتِ الهوَى على الأشجار
سكتَ الكلُّ منْ هَزارٍ مُغنٍّ وحمامٍ مُصفقٍ هدّارِ
وانقضى الصفوُ لا ترى غيرصمتٍ وسكونٍ كوحشةِ الأديار
فكأنى بالرّوضِ أصْبح مَيْتاً باهتاً شاحباً بدا فى اصفرار
لا أرى فِيه غَيرَ عَصفِ رياحٍ سافياتٍ بما حَوتْ من غبار
مجي للرياضِ تُصْبح قاعاً صفْصفاً بعد نُضرةٍ واخضرارِ
ويزولُ النعيم عنها وتَبْدُو عابسات كدارسِ الآثارِ
أين منى الربيع طلق المحيّا ضاحك الزّهر باسم النُّوّارِ ؟
أين منى جداول الماء تجرى راقصاتٍ على غِناء القمارى ؟
أين مِنى بَلابل الرّوض تشدو فتميسُ الأغصان كالأوتارِ ؟
أين منى النسيم أرّجه الور دُ فجيّا بذَيله المعطار ؟

أين منى حمائمُ الأيك يا قلـــبُ فأقضى ما شئتُ من أوطارِ ؟
أين منى الورودُ حلوٌ شذاها   مشرقاتٍ كساطعِ الأقمارِ ؟
فتزيلُ الهمومَ عنى وتمحو   ما عرانى مِنْ ذلةٍ وانكسارِ
لم يُجب قط غيرَ أصداء صوتى   فتولَّيتُ مُسرعاً نحو دارى
واجماً صاخباً وخلَّفتُ قلبي   تائهاً فى مهامهٍ وقفارِ !

محمد محمد درويش



نهر أبي الأخضر (١)

ما أجملَ النهرَ ! ما أحلى تسلسله   بين النخيل وبين العشب والشجرِ !
كأنه غادة عريانة نعست   على بساطِ حريرٍ ناعمٍ خضرِ
والطيرُ تشدو على أشجاره فرحاً   بما حوى قلبه من رائع الصوَرِ
هذى أغاريدها فى النسم ذائبةٌ   روحى تخفّ اليها فى سنى نظرى
والغيد يعبثنَ بالأمواج فى طربٍ   والموجُ يرتدّ فى خوفٍ وفى حذرِ
والنخلُ يؤمن إيمانى بروعتهِ   حتى ليهتزّ كالفرحانِ من خبرِ
وظِله راقصٌ فى الماء منعكسٌ   كأنه حُلُمٌ فى خاطر النهرِ
حتى إذا هبت النّسماتُ موقظةً   غاقى الأوذي تلاشى الحلمُ فى الأثرِ !

احمد مجيد



نجوى القمر

أشرق فقد ساد سكونُ الدجى   ورافت النجوى ورقّ السمرْ
رمت من العزلة ما رمتـه   هل أنت مثلى شاعرٌ يا قمرْ ؟!

(١) اسم جدول يمر بقرية الشاعر

« • »

منك يشوق الواله المستهام بدر ليالى أنسه السالفه
يزهو ملاكاً ونفوس الأنام بين يدى أنواره واقفة
هذى تحييه بكل احترام وتلك باسم إلفها هاتفة
وذى تناجيه بشكوى الغرام وذى بأغنياتها عازفة
يا بدر أهلاً يا رسول السلام ويا منير الحب والعاطفة
حسنك إن لم يَصْبُ غرٌّ له فليس يدرى ما الجمال الحجر
فدعه محروماً كما يشتهى وهبه أعمى لا يرى يا قمر!

« • »

لى من أغانى الطير إذ تسمع أنشودة الحب ولحن السرور
وثم لى من وحدتى مجمع ومن ربى هذى الفيافى قصور
وخمرتى تعرفها الأدمع ومجرى سل عنه نشر الزهور
وأنت لى والأنجم اللمع فى الليل أضوائى وفى النفس نور
هنا جمال الشعر مستودع فيا خيال اسرح وثر يا شعور
مَن آثر النوم فلى ههنا أحلى من النوم بعينى السهر
أطالع الكون كتاباً على سناك يا ربّ السنا يا قمر

« • »

تجلّ يا ذا الطلعة الزاهيه واجلُ دجى همّ الفؤادِ الحزين
واكسُ الروابى الحلة الصافيه تملأ حسناً أعين الناظرين
ويا مثال النية الصافيه تحت الدجى ارحم ذا البكا والأنين
وامسح دموع الأعين الباكيه وانظر بعين العطف للعاشقين
وناجنى وحدى على الرابيه فانت لى نعم الصديق الأمين
لا اذنٌ تصغى ولا مقلة تلحظنا غير درارى السحر
أبثك الشكوى وإن لم تكن تعى شكايات الهوى يا قمر

« ٥ »

تسامَ يا ابن الأُفق وانظر الى عالمنا هـذا بعين انتقادْ
وبالشعاع افحص نفوسَ الملا تشخصُ الداء وأصل الفسادْ
كم مستهام ساهر مبتلى وآخر منغمرٍ فى الرقادْ
وبائسٍ لم يلق غير القلى والهجر من أحبابه والبعادْ
يقول يا عين اسهرى أو فلا كنتِ وبالحب استعر يا فؤادْ
ما أنت إلا سلوتى كلما بنورك الكون ازدهى وازدهرْ
فيك أرى طلعة من لم أطلْ نجواك لولا حبه يا قمرْ

النجف الاشرف :

محمود حبوبى

الشكوى

شكوتُ الى الغابات ما بى من الأسى فرُوِّعَتْ الغاباتُ من شكواتى
وطارحتُها يأسى فمدَّتْ أنينها وصعَّدت الانفاسَ والزفراتِ
وبحتُ بوجدى للعيون ومائها ففاضتْ عيونُ الماء بالعبراتِ
ونغَّمت الأطيارُ حتى بثثْتُها شجونى ، فما عادتْ الى النغماتِ
بسطتُ شكاتى والنجومُ سواطعٌ فغابت نجومُ الافق أثرَ شكاتى
ذوَى الروضُ لما بلَّلتْه مدامعى وقد كان قبلاً باسمَ الزَّهراتِ
وشاهَدت الازهارُ نفسى جريحةً فضمَّدْنَ جرحَ النفسِ بالنَّفحاتِ !

« ٥ »

فواعجبى ! تحنو الطبيعةُ كلُّها علىَّ ، وتُسلينى عن الحسراتِ
وَيهفو عليلا فى العشىِّ نسيمُها فيمسحُ باقى الدمع فى وَجناتى
وأنتِ التى أجْريتِ دمعى . . تَرينَهُ فيفترُّ منكِ الثغرُ عن بَسماتِ !

الدار البيضاء (مراكش)

محمد سعيد الخليصى



عثرات المؤلفين

ظهرت الروايات الشعرية على مسارح مصر فى الوقت الذى اختفى فيه مثل هذه الروايات عن مسارح أوروبا . وقد طالعت فصولا فى هذه الروايات فى بعض المجلات المصرية ، ثم تتبعت أخبارها وما كتبه النقاد عنها فاذا هى تسقط جميعاً ولا يبقى منها غير « مجنون ليلى » التى وقاها من السقوط بلاغة المرحوم شوقى بك . ومثلها « اندروماك » التى عاشت الى اليوم ببلاغة راسين وحدها .

للشعر جهامة تصدّ عنه النفوس أحياناً . ونحن نستشعر مثل هذه الجهامة عند ما نضع بين أيدينا ديواناً ضخما كديوان البحترى قلّ من يستطيع قراءته من أوله الى آخره بالنشاط الذى يقرأ به قصة منثورة أو كتاباً آخر ، هذه الجهامة ـ وأرجو المعذرة عن هذا التعبير ـ يجب التخلص منها دون المساس بمزايا الشعر أو تغيير ملامحه .

ويلوح أن الشاعر المسرحى يجب أن يضع حداً بين الشعر الذى يفاجىء الأسماع ويختطف انتباهها وبين الشعر الذى يتلوه القارىء من الديوان ويتأمله على مهل . وأرى أن شعراءنا الذين قدموا الروايات للمسرح قد أولعوا « بالاجادة » والصعود بشعرهم الى مستوى فحول الشعر العربى بل والتفوّق عليهم . وأىّ اجادة ؟ : اجادة اللفظ والمعنى كأنما الامر لا يتعدى نظم قصيدة تشغل القارىء أو السامع لحظة ثم تطوى ، وتصبح الرواية مجموعة من الشعر المتين تحتاج الى سامع مهذب واسع الصدر يجلس أمامها ثلاث أو أربع ساعات لسماعها واستيعاب معانيها وتفهّم بلاغتها ، ولا يتفق لكل شاعر أن يكون له لسان شوقى أو راسين كما لا يتفق لهذين أن تكون كل رواياتهم طلية الأسلوب فصيحة العبارة وإذن تكون « الاجادة » وحدها نكبة على الرواية غير ما تنكب به من الاغلاط الأخرى التى



محمود بيرم التونسي

سبق اليها مؤلفو التراجيديات ، ولم يفطنوا اليها الا بعد أن قضت على مجهوداتهم وقد تبعهم مؤلفونا فى تلك الأغلاط واحتذوا أخطاءهم بأمانة !

فمن ذلك توزيع الحوار على أشخاص الرواية بنسبة يأباها الذوق و « العدل » أيضاً : فالشخص الواحد يستبدّ بالقاء منولوج طويل قد يزيد عن العشرين بيتاً ، بينما الآخرون واقفون سكوتاً حتى يفرغ ليردّ عليه أحدهم بمونولوج مثله أو أطول منه ! وفى مثل هذا الموقف يتصاعد الفتور فى جو الرّواية ويستولى الملل على السامعين ، ولن ينقذ الرواية من السقوط براعة الممثلين مهما كانت فائقة .

ثم عيبٌ آخر لعله قاصر على رواياتنا وحدها هو الفوضى فى اختيار الأوزان والقوافى اللائقة بكل شخص وموقفه وما يخوض فيه من الحديث ، لأن للشعر العربى موسيقى ظاهرة تتنوّع أنغامها بتنوّع الأوزان ، فان لم نستطع الانتفاع بها فقدت الرواية رونقها وأجمل عنصر فى زخرفها . ثم فَوْضَى الانتقال من وزن الى آخر عند ما يشعر واضع الرواية أن شعره ثقل على السمع فينتقل الى وزن آخر ليس بينه وبين الأول صلة قرابة ولا مجاورة ويفزع الاسماع بأثقل مما كان فيه !

وبعض الشعراء يقطع البيت الواحد أو الشطرة الواحدة ويوزّعها بين الأشخاص لا أقساماً متقطوعة من مفاصلها بل أشلاء مزّقها كما يتفق ، وهذا اهمال لا يؤبه له فى ظاهر الأمر ولكن شناعته تظهر اذا فرضنا ان المؤلف خياط يحمل المقصّ بدلا من القلم !

انه لا مناص عن وضع أسلوب خاص للشعر المسرحي يستقلّ بصياغته وتركيبه عما في شعر الدواوين : اسلوب يتحرى إشباع السمع وحده . وقد يبدو تافهاً أو سخيفاً اذا سمع ممن يجهل في الالقاء كما تبدو سخيفة القطعة الغنائية يلقيها شخص فج الصوت يجهل فنّ الغناء . هذا الأسلوب متروكٌ لذوق الشاعر ولا استطيع وصفه أو تحديده لان كلّ شيء مستمدٌ من الذوق يفسده الوصف والتحديد ويبعدانه عن الأفهام .

وننظر مرة أخرى للرواية المصرية وفي أي ناحية وقف مؤلفها فنجده قد حشر نفسه في كل مواقفها ، وكتب لأشخاصها شعره لا شعرهم ، وأفكاره لا أفكارهم ، وفصل لهم من عنده ما لا يتفق مع هيآتهم ومواقفهم في حين أن واجبه نسيان شخصيته والتجرد منها تماماً ، والوقوف من روايته موقف الخادم المطيع الذي يؤدّي ما يُطلب منه ، لا موقف المسيطر المستبدّ ، وإن كانت له موهبة من فصاحة وبلاغة وقوة ممتازة فليقدم كل ذلك قرباناً لأشخاص روايته ويقف هو بعيداً ينظر مع الناظرين ، ولا خوف بعد ذلك على شخصيته من الضياع ، لان العمل برمته منسوبٌ اليها في النهاية .

وأعود فألخّص واجبات الشاعر المسرحي فيما أرى : مَنْ هم أشخاصه ؟ ما مواقفهم ؟ بأي الكلم يجب أن ينطقوا ؟ ما وقع كل ذلك عند جمهور المستمعين ؟ هل تسرّب شيء من شخصيته الى أشخاص الرواية وهو لا يشعر ؟

فهذه بعض الملاحظات التي رأيتُ وجوه الانتباه اليها عند ما سلكت هذا الطريق أعرضها ولا أفرض اتباعها على حضرات المؤلفين الذين تنفذ نظراتهم الى أعمق مما نظرت . ويجب عليهم الذهاب في البحث الى أبعد مما ذهبت لينتفع بآرائهم هذا الضرب الحديث في أدبنا ؟

تونس : محمود بيرم التونسي





ليلة مع الخيام

رباعيات مقدّمة الى روح الشاعر الفارسى

« عمر الخيام »

— ١ —

أللهُ أللهُ للربيعْ تحفّزَ البدرُ للطلوعْ
كيف أطاف الانامُ نوماً فاسلموا الجفنَ للهجوعْ
أكلُّ صدرٍ فيه عذابٌ وكلُّ جفنٍ فيه دموعْ ؟
أم أنَّ جفنَ الدموع جفنى وأضلعى أضيقُ الضلوعْ ؟!

« • »

أرى خيالاً يميلُ نحوى وَهَتْ من السُّكْرِ رُكبتاهْ
يكادُ يهوى بزقّ خمرٍ لولا عصاً وازنت خُطَاهْ
أهلاً به زائراً فهذا الخيَّامُ فى مضجعى أراهْ
إن الدّنانَ التى أراها دنانُهُ ، والعصا عصاهُ !

« • »

أهوى على منكبى هَوَيّاً واختطفَ القوسَ والرّبابْ
وصاح : يا قومُ لاتناموا هبُّوا الى اللهوِ والدّعابْ
لا تطبقوا للهجوع جفناً سنطبق الجفنَ فى الترابْ
بل فاغنموا نشوةَ الملاهى وشعشعوا الخمرَ بالرضابْ !

« • »

فقلتُ : يا بلبلاً طروباً وقعتَ منى على غُراب

إن كنتَ للهو مستنيماً فمن نساءٍ الى شراب

وخلِّ فى حالهِ كئيباً تلذُّه لوعةُ الشباب

يا صاحِ اهلُ نشوةُ الملاهى ألذُّ من نشوةِ العذاب ؟!

— ٢ —

فراح مستصحباً فتاةً فى وجهها يضحك الفجورْ

تبسامُها ملؤُهُ معانٍ ودَلُّها كلُّهُ غرورْ

عيونُها الغارقاتُ سكراً تبدو بها حمرةُ الخمورْ

فى عُرفها الحبُّ ليس الاَّ ضمَّ صدورٍ الى صدورْ

« • »

جالسها والكؤُوسُ تُودى شرارَ فسقٍ بمقلتيهْ

فتارةً ينحنى عليها وتارةً تنحنى عليهِ

قبَّلها وهى قبَّلتهُ فضمَّها بين ساعديهِ

وهينمت نسمةٌ فأفشتْ للنهر أسرارَ ضفَّتيهِ

« • »

واحمرَّت الزُّهر واستطارت نيازكُ الشُّهبِ فى الفضاءْ

لمحةَ عينٍ وكنتَ تلقى جسمين أضواهما العياءْ

ألقاهما السكرُ فوقَ عشبٍ لم يعهدِ الفسقَ والبغاءْ

فدنَّساهُ وكان قبلاً يشرب من مدمع السماءْ

— ٣ —

أما أنا فاصطحبتُ خَوْداً تفترُّ فى ثغرها الكآبهْ

سرتُ وسارت جنباً لجنبٍ نرافق النجم والسحابهْ

نعبرُ من ضِفَّةٍ لأُخرى نركض من غابةٍ لغابهْ

ويضرمُ الحبُّ مهجتيْنا فنسكبُ الأدمعَ المذابهْ

« ٥ »

ما حالُ طفلين حينَ قاما يلاعبانِ الحياةَ لِعْبا
أسذجَ منا .. فحين ترضى أأْبى ، وأرضى أنا فتأبى
تنفر عنى نفورَ غنجٍ وتسند الرأسَ وهى غضبى
ثم أراها ترنو بعينٍ مملوءةٍ رقةً وحبّا

« ٥ »

ذراعُها طوّقت ذراعى وأسندتها الى الضلوعْ
الليل ولى والجوُّ كادت تخبو بأطرافهِ الشموعْ
عدنا ومن حولنا السواقى تنشد أنشودةَ الدموعْ
والغاب لم ينْسنا ففيهِ تحفظ أسماءَنا الجذوعْ

— ٤ —

الفتاة الأولى

قم وانفُض النوم عن جفونى يا عُمَرُ فالضحى أهابْ
ان جفونى الثقالَ أضحت تعقلُها نشوة الشرابْ
حتّامَ ثغرى يبقى عليهِ ثغرُك ملقًى والنجمُ غابْ؟
جفَّ فمى أيّما جَفافٍ كأنما حَشْوُهُ ترابْ

الفتاة الثانية

الليلُ ولى وقد توارى حبى معَ الليلِ فى الوهادْ
يغمرُنى النورُ غيرَ أنى يتوقُ قلبى الى السوادْ
يا لكَ قلباً لو خيروهُ لاختارَ نارَ الهوى وسادْ
رغمَ تباريحه اذا ما زادُوا بتبريحهِ استزادْ

الفتاة الأولى

مَن أنتِ يا مَن يحلو لديها أن يبتلى صدرَها الحريقْ؟
إياكِ هذا الطريق ، إنى ضللتُ فى بُعده السحيقْ

أوّله بالعذاب عذبٌ ... آخره كاذبُ البريقْ
ليتك يا زينة العذارى ... تبقين فى أولِ الطريقْ !

شفيق معلوف



منطق الروض

فى ظلال النخيل بات يغنى ... عندليبٌ والبدر صاف المسوحِ
كان للعندليب صوتٌ روىٌّ ... فتولى اليه ظمآنَ روحى
ورأى العندليب إلفا يرجّيه ... فأشجى بجرسه الملفوحِ
وهفا الريح حاملاً فى ثناياه ... حديثَ الفريدِ بين الدّوحِ

« • »

قال : قد كنت واجداً ووحيداً ... فى سبيل الحياة أركب متنا (١)
أردُ الماءَ مفرداً وألاقى ... صادحات الطيور تأتيه مَثنى
فأدارى الأسى وأشرب مهلاً ... طافح القلب ، فى الشباب مُسنّا
وأجوب الرياض فرعاً ففرعاً ... علّ طول العناء يشفى المعنى

« • »

ثم بينا أطير يوماً حزيناً ... من خلال الزهور اسمعت لحنا
خافتاً رائقاً يسيل حنيناً ... يأخذ اللبّ والمقاليدَ أمنا
وانثنى الزهرُ رقةً ودلالاً ... إذ سرى الريحُ بينه مطمئنّا
فتبينتُ منبعَ اللحن ، إنى ... لم أعد بعد واجداً ذاب حزنا

« • »

ليس ما كان يومها بمذاعٍ ... إن ما كان يومها ليس حُلما
وتقضت بنا الليالى خِفافاً ... وجلتنا الرياض أمناً ونعمى
نرد الماءَ فى غناءٍ وشدوٍ ... ونعبُّ المياه فمّا وفمّا
ونجوب الرياضَ زوجاً سعيداً ... نستعيد الرياضَ ضمّاً ولثما

---

(١) المتن : الصعب

« • »

ثم يوماً صحوت لم أغتنمه في جواري ولم أجد له رسما
قال لى الريح إنه طار قبلى للغدير الحبيب ! حلقتُ حوما
مِن بعيد لمحت ما هدّ منى وتقدمت ، ليتنى كنت أعمى !
هاك نصفى أراه ملقى على الترب وهاك العقاب ينهش لحما !

« • »

فى جوار الغدير ملقى طريحاً مستباحاً ، ولست أملك حولاً
غير انى نفضت عنى شجونى كان هذا العقاب بالموت أوْلَى
ثم حاولتُ ما بطوقى ولكن ! هاك ما جاءنى ! فهل كان عدلا ؟!
أن يعيثَ العقاب إلفى ويأتى ينزع الريشَ من جناحىَ محلا ؟!

« • »

إن للروض منطقاً لا أراه شابه الزهر فيه أو كان مثلا
يستحلُّ القوىُّ غزوَ ضعيفٍ والضعيفُ الأقلُّ يغزو أقلاًّ
ودواليك يملى الروضُ قتلى وجناةً وليس يرهب عقلا
إننى لا أراه غيرَ هباء وهباءً أرى مجيزاً مملاّ !

محمد ابو الفتح البشبيشى

احلام مقلقة

نظرت الحياة على رغم سنّى الصغيرة نظرةَ مستفهمِ
ولا فرق فى نظرات الفتى أو الشيخ ما دام كل عَمِى
فهل فهم الشيخُ سرَّ الحياة لأخشى اذا كنت لم أفهمِ
وهل شام هذى الحياة سوى جحيمٍ بأعمالنا مضرمِ ؟
لقد حطّم الدهرُ منى اليراعَ وجفّ مدادى وأعيا فمى
ويقلقنى الليلُ فى كل يومٍ بحلمٍ كجبهته أقتمِ
فلستُ أحدّث غيرَ النجوم وهاك حديثى مع الأنجمِ :

« ٥ »

حديث مع النجوم

تمرُّ عليكِ القرونُ طوالا ... وكلٌّ يُسِرُّ اليكِ سؤالا
وأنتِ تدورين عن جانبينا ... ختامَ لم تصدقينا مقالا ؟!
فهل أنت عاشقةٌ أرضَنا ... فتعرض عنك وتأبى الوصالا
ألا فاصدمينا فتمسى الجبالُ سهولاً ، وتمسى السهولُ جبالا
وينقلب البحرُ فوق الوجودِ ... فيصبح هذا الوجودُ خيالا !
أليس الزمان كطودٍ يزاح ... وأعمارنا فى السفوحِ نمالا ؟
فانّ وجوداً كهذا الوجود ... لأخرى به أن يكون زوالا...

سان باولو (البرازيل) : شفيق معلوف



ساعة البين

هذه الشمس تُرى ماذا دهاها ؟ ... ساعة البين فولّى بضحاها
وطيور الروض ما أسكنها ؟ ... عافت الشدو وضُمّت شفتاها
ومياه النهر لم نسمع لها ... نَغم الماضى ولم نشهد صفاها
هذه الدوحة كانت غضّة ... فمشى البينُ عليها فنعاها
وقفت أغصانها فى حيرةٍ ... وذهولٍ ، تسمع اللهَ بُكاها

« ٠ »

الأماني يوم بأن ودّعتها وقف الكون حزيناً لنواها
سوف لا أغفل ليلاي وإن شردت أيامها عنها فتاها
يوم كنا نتغنى بالهوى في لحون وعت الدنيا صداها
واذا الطير سعيدٌ حولنا يحفظ الذكرى فإن ضاعت رواها !

« ٠ »

ساعةٌ تجمع قلبين معاً خطر الدهر عليها فطواها
آه لو رُدّتْ علينا لحظةٌ لرأى الدهر خلوداً يتناهى !

محمود السيد السنان

رأيتها ...

ورأيت فيها رقةً ووداعةً فعشقتُها
ورأيت فيها بغيتي ومناىَ حين رأيتُها
ولقيتُ غاية ما تتو (م) قُ النفسُ حين لقيتُها
وقد اختبرتُ خلالها فكما أحبُّ وجدتُها
منحتنى محض ودادها ووفاءَها ومنحتُها
حفظتْ عهودى مثلما راعيتُها وحفظتُها
كم قبّلتني في الهوى شوقاً وكم قبّلتُها
ولكم رشفتُ رضابها ولو استطعتُ رشفتُها
وشممتُها وكأنّ أر (م) واحَ الربيع شممتُها
لا ودّعتني أو نأتْ عنى ولا ودّعتُها
ملّكتُها قلبي ودو (م) حى ـ قلّما ملكتُها
أسكنتها بين الضلو (م) ع وفى الفؤاد وضعتُها

بغداد : أيوب صبرى القيسى

فى معبد الجمال

أنتِ نَجوَى الفؤادِ والليلُ ساجٍ … مزهرُ الصمتِ منصتٌ لِنَشيدِي
أنتِ رمزٌ لِفتنةٍ واشتِهاءٍ … أنتِ دنيايَ ، أنتِ سِرُّ وُجودِي

« • »

أنتِ قيثارةٌ اغنى عليها … أغنياتِ الهوَى فتنشى الفؤادا
أنتِ فى الليل كوكبٌ عبقريٌّ … أنتِ فى الفجر نسمةٌ تتهادَى

« • »

فتعالى نلهُو ونلقَى الأماني … هاتِفاتٍ ونطرحُ الأحزانا
وتعالى أضمُّكِ اليومَ للصدْ … رِ وننشدو معَ الهوَى الألحانا

« • »

أنا لا ألثمُ الزهورَ اشتياقاً … بل أراها كوجنتيكِ احمرارا
فاذا ضمَّنا الظلامُ وأرخَى … سُدْلَهُ فوقنا رقصْنا سكارَى

« • »

فتنةٌ أنت ابدعتْ تصويرا … وجمالاً ورقةً وشعورا
ملَكٌ أنتِ كمْ رفعتُ إليْه … صلَواتى فأفعمَ القلبَ نورا

« • »

لكِ نفسى إذا طلبتِ قصيدِى … ولكِ الروحُ إنْ أردتِ نشيدى
ولكِ القلبُ خافقاً يترامَى … فى ذهُولٍ لوَجهِكِ المعبُودِ

« • »

أنتِ لحنٌ سمعتُهُ فى الظلامِ … يستثيرُ الدموعَ والقلبُ دامِى
ردَّدَتْ وقعَهُ الملائكُ سكرَى … فشجانى نشيدُها فى منامِى

« • »

جنةٌ أنتِ فى رُبى الكون لاحَتْ … فِتنة الناس والنهى والقلوبِ
فترامَى لديْكِ كلُّ محبٍّ … فى هوَاهُ معذَّبٍ منكوب

« • »

ها هِيَ الشَّمسُ فى الغروب تراءت فى احمرارٍ مِثلَ الدَّمِ المسفوكِ
وطيورُ المساءِ تهفو غراماً حِينَ عادَتْ لِوَكْرِها تحدُوكَ

« ٥ »

وجرى الماءُ فى الجداول نجواً هامِسَ الخفقِ يُسعدُ المحزونا
واستقرَّ العصفورُ فوقَ ذرى الدَّوْ ح . . . يُناجي أليفَهُ مَفتونا

« ٥ »

أنتِ . . . هلْ أنتِ غير نورٍ تجسَّمْ وجمالٍ سَبا الفؤاد المحطَّمْ
رقصُ الشهوةُ اللعوبُ عليهِ وأنا عابدُ الجمالِ المحرَّمْ

« ٥ »

فدعيني أجنِ الثمارَ الدَّوانى فوقَ خدٍّ مُعصفرٍ كالشقيقِ
يفتنُ الناسِكَ الجمالُ فيهفو يعبدُ الله خلفَ شِفٍّ رَقيقِ !

حسن محمد محمود



الشعر الضائع

أىُّ رُوحٍ تُقيمُ بين يدَيْهَا ؟ بعد ما رفرفتْ زماناً عليْهَا !
رُوحُ مَنْ ينظم الدموعَ قريضاً فيه سحرٌ يَفيضُ مِن عينَيْهَا
يطربُ الكونَ لحنه ثم يَلْقَى حتفه هادئاً على اذُنَيْهَا
أنا ربُّ البيان لو أنَّ شعرى مستحبٌّ عَذْبٌ على مِسمَعَيْهَا
ليس يَلْقَى سوى التأمُّل بالعيـ ـن ومعنى الاغضاء من كتفيهَا
ثم صمتاً اذا انتهيتُ قليلاً فسؤالاً يَنْسَابُ من شفتيْهَا
بعد ما تُسبل الجفونَ وتُعلى فى دلالٍ وخفةٍ حاجبيْهَا
أىُّ شخصٍ تعنى بشعركَ هذا؟ وهى تَدرِى بأنَّ هذا إليْهَا
فالغرامُ الدفينُ ينفحه اللفظُ وسحرُ البيان من مقلتيْهَا

إن شعرى من دَمْعِ عينى وإنْ لم ... يَدعْ الدمعَ تاركاً مدمعيْها
هو مثلُ النَّدَى يمرّ مع الفجـــر فيسقى فى مَرّهِ وردتيْهـا
وهو كالوردِ زاهياً وجميلاً ... لو قطفت الورودَ من وجنتيها

مأمون الشناوى



الوحى الصادق

حبيبةَ القلبِ هذا وجهُكِ الضاحى ... يُملى على الكونِ أفراحى وأتراحى
إنْ بتِّ راضيةً عنى فقد صدحتْ ... نفسى بلحنٍ بديعِ الجرسِ مفراحِ
أمستْ مخلدةً آياتُ منطقهِ ... كأنه الذكر فى طيبٍ وإفصاحِ
أغدو على الكونِ مراحاً وأرسله ... مثلَ الضياء عميمَ النشرِ لمّاحِ
أو بتِّ غاضبةً مِنِّى فقد طفحتْ ... رُوحى بهمٍّ شديدِ الوقع ملحاحِ
وانثنى وسوادُ النفس ينشدنى ... لحناً حزينَ القوافى جدَّ نوّاحِ
حقيقةُ الكون فى حاليك ما برحتْ ... تبدو لعين المحبِّ الحالم الصّاحى
ضاءت على شفة الأشعار طلعتُها ... كبسمةِ الحب تعلو ثغرَكِ الضاحى
لم تخطُ قبلك أشعارى مذ انطلقتْ ... فى اليمّ تسعى بربانٍ وملاحِ
واليومَ يا فتنتى تُزجينَ زورقَها ... فى كل مُشترعٍ فى البحرِ وضّاحِ!

مصطفى كامل الجنزورى





لقـــاء ...

أقبلتْ فى هالةٍ من نورها تتهادَى فى اضطرابٍ وفَزع
خفقَ . قلبي للقاها واثباً ولهيب الشوق منه يندلعْ
صحتُ: مرحى! فأشارت لا..صهٍ إن للجدران أذناً تستمعْ !

« • »

خيم الصمتُ علينا برهةً .... ليتها دامت ولمّا تنقطعْ
غير قلبين علا خفقهما ودموعي هاميات تندفعْ

« • »

قلت : ليلى ! رحمة بى ! أشفقى ! حسب هذا الصمت منى ما صنعْ !
أرسلت من محجريها عبرة ... سجد القلبُ لديها وركعْ
ثم قالت : ويك ! ماذا تبتغى ؟ وبدا نورُ محياها يشعّ ...
ما كفاك اليوم أنّا نلتقى ؟ أكذا العاشقُ يغريه الطمعْ ؟
جئت والأخطار بى محدقةٌ لم أخف بطشَ أناسٍ كالضُّبُعْ
قلت : مهلاً ! ما بقلبي ريبةٌ فى وفاء لم تساوره خُدَعْ
أنت ما يصبو اليه شاعرٌ روحُه فوق دُناه ترتفعْ
أنت رمزُ الخلد يُحيي قلبَهُ وبريقٌ بأمانيه لمَعْ
أنت وحىٌ من إلهِ الحب لى وأنا الكافر إن لم أتبعْ
أنت تمثالٌ لكوبيد الهوى وشعاع الله فى قلبي سطعْ

أنت إلهامى ! فما استوحيتُه ليلةً إلا حنا لى وخضع
أنت فى ذكراى طيفٌ ماثلٌ شبّ فى نجواه شعرى ويفع
أنت ! .. ما أنت سوى أنشودة ردّدَ الطير صداها فسجع
صاغكِ اللهُ كما شاء الهوى فأتمَّ الحسنَ فيك وابتدع !

عبد العظيم بروى



محفل ندوة الثقافة

تضمّ « ندوة الثقافة » سبعَ جمعيات أدبية وعلمية هى جمعية أبولو واتحاد الأدب العربي وجماعة الأدب المصرى ورابطة الأدب الجديد والاتحاد المصرى لتربية الدجاج ورابطة مملكة النحل وجمعية الصناعات الزراعية وينتظر أن تتآلف معها جمعيات ثقافية أخرى فى المستقبل . ويتألف مجلس الندوة من ممثلين لهذه الجمعيات ومهمّته أن ينظر فى التعاون العام لخدمة الثقافة الأدبية والعلمية ولصيانة حياتها وضمان مستقبلها ، فالندوة صورةٌ طيبةٌ من التعاون الشريف بين هيئات علمية وأدبية منوّعة للخير العام . وتصدر الندوة ست مجلات هى الامام وأبولو ومملكة النحل والدجاج والصناعات الزراعية وحكيم البيت . والأولى أسبوعية فى ٤٤ صفحة وتعنى بالأدب والنقد والفنون الجميلة ، والمجلات الأخرى شهرية وتعنى بعلوم وصناعات لها أكبر الصلة بحياة مصر الاقتصادية والزراعية والصحية . والى جانب ذلك تعنى الندوة باصدار مؤلفات جليلة الفائدة لخدمة الثقافة العامة وتنظيم المحاضرات المفيدة الشائقة .

وتنال بعض جمعيات الندوة مساعدات حكومية والبعض الآخر ينتظر أن ينالها بعد أن تجلَّت أعمال هذه الجمعيات لولاة الامور بل لجهرة المتعلمين فى العالم العربى، كما أن النية متجهة الى تحويل الندوة فى أقرب فرصة مستطاعة الى جمعية تعاونية مساهمة لما فى ذلك من زيادة أسباب متانتها ونفعها .

وللندوة مطبعة خاصة وإدارة للنشر بالسيدة زينب بالقاهرة ومنحل نموذجى ومزرعة نموذجية للدواجن ومكتب للنشر الزراعى بضاحية المطرية ، وفكرت أخيراً فى ايجاد محفل اجتماعى لها فاستقرّ الرأى على أن يكون تأسيس هذا المحفل بالتعاون مع نادى نقابة الصحافة نظراً لصبغته الأدبية العامة البعيدة عن الشخصيات والتحزبات، وبناء على ذلك سيحتفل بافتتاح هذا المحفل فى يوم الثلاثاء أول مايو المقبل بنادى الصحافة بشارع جامع جركس حيث سيلقى الدكتور ابراهيم ناجى المراقب العام للندوة محاضرة عن (ولز) فى تمام الساعة السابعة من مساء ذلك اليوم ويلقى الدكتور أبو شادى السكرتير العام للندوة محاضرته الثانية عن «الطبيعة فى شعر المتنبى» فى تمام الساعة السادسة من مساء يوم الجمعة ٤ مايو ، وستستمر المحاضرات بعد ذلك أسبوعياً أو مرتين كل أسبوع حسب المناسبات .

ويمكن لحضرات أعضاء الجمعيات المتآلفة مع الندوة أن ينضموا الى محفل الندوة ابتداءً من الشهر الآتى نظير رسم تأسيس قدره نصف جنيه وبدل اشتراك شهرى قدره مائة مليم . وتدفع الرسوم والاشتراكات الى الدكتور ابراهيم ناجى بعيادته بشارع ابن الفرات فوق صيدلية حدّاد بشبرا ـ مصر ، نظير ايصال رسمى بامضائه .





بحث فى نقد الأدب العربى

بقلم محمد بديع شريف — مائة صفحة بحجم ½ ١٩ × ½ ١٣ سم .
طبع بمطبعة العلوم بمصر

وحى النسيب فى شعر شوقى

بقلم احمد محمد الحوفى — ٦٦ صفحة بحجم ¼ ١٩ × ½ ١٣ سم . — طبع بمطبعة العلوم بمصر

كتابان يختلفان فى موضوعيهما ويتفقان عند دائرة واحدة ، فأما تلك الدائرة فهى الصلة التى تربط بين المؤلفين : فالأول أديب عراقى ، والآخر أديب مصرى كلاهما يتلقيان العلم فى معهد واحد هو دار العلوم ، وهذان الكتابان محاضرتان ألقياها على أخوانهما الطلبة فى قاعة المحاضرات بتلك الدار .

فأما الأول فقد تعرّض فى كتابه الى النقد فى الأدب العربى من عصر الجاهلية الى أيامنا ، وهذا الكتاب وإن كان موجزاً فى موضوعه إلاّ انه يعطينا صوراً صغيرة عن ذلك الموضوع كانت تحتاج الى تبسط. فهو يقول عند الكلام على الدرجات الأولى فى النقد : «سل نفسك بعد ان تنتهى من القطعة التى تحاول نقدها : هل لهذه الصور علاقة ببيئات الأديب ؟ هل هذه الصور واضحة جلية ؟ هل استطاع هذا الشاعر أو الناثر أن يؤثر فى قارئه ؟ ما هو هذا الأثر الذى اهتزت له المشاعر ؟ هل هو جودة السبك ، أو جمال التشبيه أو نبل المعانى ، أو قوة الحجة ، أو حسن التعليل أو ابراز الحقائق بعيدة عن مكان الشك ؟ وبعد ما قيمة هذه القطعة فى حياة الجماعة من حيث العقل والتهذيب واثارة العواطف من حيث الحب والبغض ، والسرور

والحزن ، والغيرة والنجدة ، ثم ما موقف هذا الأديب من مطقوعته أكان حرّاً طليقاً أم كان متأثراً بمؤثر خارجي ؟.... »

على أن المطلع على كتب النقد فى الأدب العربى يجد أنها تدور حول الاسلوب ومتانة اللفظ وسرقات المعانى ، وأما البحث فى الموضوع ، وأما التعرض للفكرة وأثرها فى النفس ، وأما النظر فى نفسية الشاعر والكاتب والاحاطة بظروفهما فأمور كانت ثانوية فى عرفهم ، ولذلك لم يتعرضوا لهذه النواحى . ولقد بقيت هذه النظرة أو هذه النزعة فى النقد الى أيامنا هذه وإن كانت الأفكار تتجه الآن نحو النهوض بهذا الفن الى ما يجب أن يكون عليه . ولهذا اسمع فى كتاب الأديب محمد بديع شريف صرخاتٍ وأحسّ رغبة فى التغير والتجديد .

* * *

هذا هو الكتاب الاول ، أما الثانى فيحاول فيه مؤلفه اثبات وجود الحب فى شعر شوقى ، الحب بالمعنى الذى يفهمه الفنان ، ويريد أكثر من ذلك أن يرينا لهفة شوقى الى المرأة ويحاول أن يثبت أن شوقى فى غرامياته كان يخاطب القلب .

قد يكون لشوقى حبٌّ ، ولكنى لا أجد لشعر شوقى فى الغراميات أثره الذى أحسه بمن عرفوا المرأة فأحبوها الحب الذى يجعل الفنان يعرف مغاليق القلوب فيأتى اليها وينسل منها الى الأعماق .

لقد أعجب شوقى مثلاً بنونية ابن زيدون فعارضها لأنها استهوته ولأنها اتصلت بأعماق قلبه ولكن نونية شوقى جاءت صناعيةً بعيدةً عن الأثر الذى لا يمكن ادراك كنهه فى نونية ابن زيدون .

أنا لا أنكر على شوقى معرفته الحب فشوقى كان رجلا بعيد النظر قوى الاحساس عميقاً ، لكن شعره فى المرأة ليس شعر حب ولا عاطفة كما يقول الدكتور هيكل فأنا اقرأ لشوقى غرامياته فلا أحس ذلك الأثر العميق الذى أحسه فى شعر ابن زيدون أو عمر بن أبى ربيعة أو لامرتين وموسيه أو شلى وبيرون وكيتس وتاغور ، ولكن أحسُّ شيئاً آخر يملأ نفسى إعجاباً ويملكها تقديراً ، ذلك هو الجرس الموسيقىُّ القوىُّ البعيد القرار ، تلك الروح الغنائية الفريدة التى تصهر ألفاظها وتلبسها من الخيال ثوباً برّاقاً .

فالموسيقى لها أثرها القوى فى نسيب شوقى ، أما العاطفة التى يعرفها الفنان فهى مطموسة فيه . . . .

ديوان الماحى

نظم محمد مصطفى الماحى – ٢٥٦ صفحة بحجم ١٦¾ × ١٢¼ سم .

وفيه صور لشخصيات ورد ذكرهم فى الديوان – طبع بمطبعة الاخاء بمصر

أول ما يطالع القارىء من هذا الديوان أثر الأدب العربى القديم فى ديباجة صاحبه وفى صوره ومعانيه ، أما الشعر الحديث فلا أثر له فيه ، كما لا أثر فيه للأدب الغربى .

فديباجة الماحى صافية ذات روح خفيفة لا يحسّ فيها القارىء بعدآعن شخصية صاحبها اذا عرفه ، فهو وديع متواضع ولعل فى هذين البيتين أصدق صورة عنه :

فلله نفسٌ حرّةٌ لا تهيجها أذاةٌ ، ولا تفشى الخطوبُ لها سرّا
اذا رضيت كانت على الناس رحمة وإن غضبت لم تحمل الحقد والمكرا

وأسلوب الماحى غنائى له جرس بديع تجرى حلاوة موسيقاه ورقتها من ينابيع شعر البحترى وابن زيدون وشوقى ، وقصائده « يا سارى البرق » و « الحنين » و « ريحانة القلب » و « مناجاة الفجر » دليل قويّ على ذلك ، وفى قصيدة « مناجاة الفجر » يقول :

يا فجر ! هـذا البدو فاض ضياؤه وأرى صباحَ غدٍ وشيك المطلعِ
كم فيك من إغفاءةٍ لو نلتُها حمدتك عينُ معذّبٍ لم تهجعِ !
الله فى مُهجٍ يقطعها الأسى لولا الهوى يا فجرُ لم تتقطعِ
هدأتْ قلوبُ الناس إلا واحداً يلوى به ومضُ البروق اللمّعِ
وغفتْ عيونهمو سوى عينى التى سهدت ، وأنجدها عصيُّ الأدمعِ

وفى هذه القصيدة بيتان فيهما من العاطفة ما جعلا ختام القصيدة قوياً ، وهما :

خفقاتُ قلبي موشكاتٌ أن تُرى وتحسّ – منذ جفوتَ – فانظرْ واسمع
لك أن تعذّبه قادراً ، وعليّ أن أدع الملامة لا تمرّ بمسمعى !

هذه الديباجة الصافية لو يقدّر لصاحبها أن يأخذ قسطاً وافراً من وقتـه وأن يعطى الادب الغربى جانباً من اهتمامه ويترك له وللشعر العصرى منفـذاً الى نفسه لاستطاعت أن تخرج لنا صوراً جديدة فى ثوب رقيق ونفحة عاطرة من النغم الحلو، وهذا ليس عليه بعسير .

ولا يفوتنى أن أنوّه بأن لشعر الماحى على أى حال جمالاً خاصاً به هو جمـال الشعر العربى التقليدى الذى ما يزال شائعاً بعـد فى عصرنا الحاضر والى ذلك أشار مطران فى أبيات التحية التى وجّهها الى صاحب الديوان .ونحن المجددين الذين نماشى العصر الحاضر ونحاول أن نتطلع من شرفاته الى المستقبل لا يرضينا مع ذلك أن نبخس زملاءنا المحافظين مواهبهم الفنية رغم قيودها وحصرها فيما اختاروه لهـا من دوائر ضيقة .

القيثارة السارية

نظم طاهر محمـد أبى فاشا — ١٥١ صفحة بحجم ١٦ × ١١½ سم .
طبع المطبعة المصرية الاهلية الحديثة بالقاهرة . الثمن خمسون مليماً

«القيثارة السارية» صورة تامة لناظمها ، ومرآة صادقة لنفسيته : فان طاهر أبافاشا الذى استمع اليه محدثاً يمزج الجد بالهزل ، فاذا حاولت أن أتصيده من ناحية لأعاتبه فرّ من ناحية أخرى ساخراً ، هو بنفسه الذى يطالعنى من خلال شعره ، فى ديوانه فهو يمزج الجد بالهزل . ولـكن ليس ديوان الشعر مجلساً أو نادياً ، بل هو مجموعة من الصور يجب أن تعرف كل صورة موضعها ،وكل معنى محله وكل لفظ مجاله ، فبينما اقرأ له وصفه فى التماثيل القائمة فى حديقة اليابان بضاحية حلوان وأحس معه برهبة الفنّ وهو يقول :

قدّس تماثيل الحديقة ، انهـا فى شرعتى أسمى من الانسـان
أوَما تراها حول هذا النهر غسلت يديها من دم العدوان
سكنت عليـه جوائماً ترنو الى هـذا الجمـال بمقلة الحيران
سكنت سكون العابدين ورتلت فى صمتها لحنَ المحبّ العانى
وتراقصت فى ليلهـا حتى اذا هتك الصباحُ براقعَ الوديان

رجعت لجلستها الرهيبة تحتسى راح السكون ـ وللسكون معانى !

اذا بى أسمعه يقول :

يا أيها ذى الناعسات قوائماً القائمات نواعس الأجفان

أو يقول :

فتشابه الانسان بالتمثال بل فتشابه التمثال بالانسان

أو قصيدة « وصية شاعر » التى أرى أنها فى غير محلها من الديوان وكان يجب أن توضع فى الشعر الفكاهى لا الوجدانى.

ولكنه اذا اختفى فيه عبث المجون ونهض فى نفسه رجل الجد سمعناه فى قصيدة حارة عنوانها « آهة حبيسة » ثائراً يقول ما يسمى فى عرف الفن شعراً كما نسمع فى قصيدته « حب وأمل » عاشقاً يغمره الحب بلوعة تنسيه العبث.

وقد أعجبنى فى القيثارة السارية بُعد صاحبها عما نقدته بسببه فى ديوانه الأول «صورة الشباب» منذ أعوام ، فلعله فى ديوانه المقبل يعرف للعبث مكانه وللجد مكانه ! وليس معنى كلامى أن يغير الشاعر من نفسه أو يحاول طمس صورها ، ولكنى أطالبه بأن يركز غايته ويحدد موضوعه ويبتعد بقدر الامكان عن أن يجعل للألفاظ الجوفاء سيطرة عليه .

الأعشاب

نظم محمود أبى الوفا

١٢٧ صفحة بحجم ١٢ × ١٦½ سم . جامعاً ٣٩ قصيدة ومقطوعة مع تصدير بقلم صاحب الديوان . طبع مطبعة الاخاء بالقاهرة والثمن خمسون مليماً

يُهنئ زميلنا الشاعر العاطفى محمود أبو الوفا باخراجه ديوانه الجديد (الأعشاب) وهو ثانى دواوينه ، وقد ظهر فى حلةٍ رشيقةٍ تناسب ذوقه ، وصدَّره بمقدمة أنيقة اعترف فيها بأنَّ ديوانه هذا جمع بين ما قصدَ به الى ترضية الناس بجانب ما لم يقصد منه إلاّ وجه الفنّ وحده . ولو أننا استُشِرْنا فى ذلك لتمنَّينا عليه الاكتفاء

بالنوع الثاني من شعره ، فما قيمة الديوان بحجمه ولكن بمميزاته الفنية كما يعلم صديقنا الشاعر ذلك حقّ العلم ، و « ترضية الناس » كلمة لا يجوز أن يجرى بها قلم أيّ فنان أصيل كيفما كانت ظروفه ومحرجاته ، فعزّة الفن فى استقلاله وشممه ، وقد تعرض عمارة اليمنى للنكبات فلم يثنه كل ذلك عن التعالى بشعره . فاذا أغفل أى شاعر هذا المبدأ السامى فلا حقّ له بعد ذلك فى الشكوى من البيئة بل للبيئة أن تشكو منه .

إن الشعر العاطفى لمحمود أبى الوفا لا غبار عليه ، ومن الانصاف إقبال الأدباء على ديوانه فهذا هو التشجيع المعقول على إخراج ما بعده من آثاره . واذا أخذنا جانباً من شعره بالنقد كما نأخذ به غيره من الشعراء ، أصدقاءنا وغير أصدقائنا على السواء ، فلن ينهض هذا عذراً لأى قارىء فى الانصراف عن دواوين الشعر الحديثة ، وإلاَّ شُلَّتْ حركة الطبع والنشر وامتنع الشعراء عن إخراج الجديد من شعرهم فيكون الأدب العصرى خاسراً ويُغبن معه القراء ، ويضطر كثيرون من النقاد الى اتباع نهج المجاملة للمؤلفين ومخادعة قرائهم ، وإن لم نكن نحن من هذا الفريق ولن نكون .

قلتُ إنّ شعر أبى الوفا العاطفى لا غبار عليه ، وهو غنائىٌّ النزعة ، ولكن هذا الشعر قليلٌ فى ديوانه (الأعشاب) وأمّا الباقى فبين شعرِ مناسباتٍ وقتيةٍ سطحيةٍ وبين شعرِ مطالعاتٍ ، مما يجعلنا نشعر أن هذا الديوانَ دون مستوى سابقه (أنفاس محترقة) ، ولذلك كنا نودّ لو أنه تريَّث بعض التريث أو لو أنه اكتفى بالجيد الممتاز منه .

وعندى أن خير قصائد الديوان تلك التى يقول فيها (ص ١٩) :

يا قلبُ ويحكَ قد أسرفتَ فاتَّئدِ ! كم ذا وفيتَ ، وما جُوزيتَ من أحَدِ !
علَّلْتَنى فى غدٍ تسلو ، وفات غدٌ فما لكَ ازددتَ عمّا كنت ، قبلَ غدٍ ؟!
يا لائمى فى الهوى دَعْنى وما خُلِقَتْ رُوحى له ، ليس أمرى فى الهوى بيدى !
رَضيتُ حظّىَ لولا أنّ مَنْ عشقوا جميعهم وردوا ، إلاىَ لم أردِ !
ما بالُ مَنْ جرحت ألحاظُهُ كبدِى يأبَى يضمّدها ؟ أوّاه يا كبدى !
كم ذا أغنى ومنْ أهواه يسمعنى ولم يَقُلْ : إيه يا هذا ، ولا : أَعِدِ !
إن كان مِنْ صَيَدٍ عزّوا فما لهمو لم يرحموا ما أذلّ الحُبُّ مِن صيَدِى ؟!

ولا شك فى أن هذا من الشعر الوجدانى المستعذب ، ولو جرى معظم الديوان على هذا السَّنن لخصصناه بالمدح الخالص ، ولكن للأسف فيه كثيرٌ من المنظوم الذى لا جدوى فنّية منه مثل قصيدة « ثورة » (ص ٥٧) فانها ضعيفة جداً من كل النواحى ولا تشفع لبقائها صبغتها الوطنية ، ومن طرازها أبيات المديح المختلفة ، وحتى قصيدته الموجَّهة الى جلالة ملك مصر يُعاب عليها أن يأتى فيها مثل هذا الكلام الغريب :

السّينُ والتاميزُ لمَّا أبْهِرَا بكَ أوْشَكا أن يحسباكَ رسولاً !

استقبلاَ القرآن فيكَ ممثَّلا فغدا ثناؤكَ فيهما انجيلاً !

وأما شعر المطالعات الفاتر فكثيرٌ ، لأنه لا يعبر عن ايمان صاحبه به ، وانما هو يريد محاكاة غيره بنظمه ، وكنّا نؤثر لو أن شاعرنا الفاضل تخلَّى عن ذلك وعلى الأخصّ بعد النقد الذى وجَّهه اليه الأديبُ الناقد محمد شوقى أمين على صفحات « كوكب الشرق » معيّناً مصادرَ شعره المستعار فى ديوانه السابق . ولعلّ أبا الوفا لا يتعمد ذلك ، وانما يتسرب الى نظمه عفواً كما حدث تكراراً للشاعر المعروف ابراهيم عبدالقادر المازنى ، ولو أن أبا الوفا عرض ديوانه على صديق مطلع مخلص قبل نشره لينقده له فى غير مجاملة لأغناه عن أمثال هذه المؤاخذات فيما بعد .

ومن أمثلة هذا الشعر المستعار قصيدة « حديقة الجار » (وقد بين الشاعر حسين شفيق المصرى مصادرها فى مجلة « الفكاهة ») ، وقصيدة « يوم اللقاء » وهى منظورٌ فيها الى خواطر الشاعر المشهور عبدالرحمن شكرى وخصوصاً الى قصيدته « ليتنى كنت إلهاً » ، وقصيدة « الطفلة الكبيرة » وهذه منظور فيها الى «خلق المرأة فى الهند» لشوقى ، وقصيدة «بنات النيل» وهى منظور فيها الى قصيدة « الفلاحة» للدكتور أبى شادى وكذلك قصيدة « رسالة الحياة » فهى مقتطفات من خواطر أبى شادى فى دواوينه وكذلك الشكوى من البيئة ، وقصيدة « حلاقى» فانها تمتّ بصلة الى الدكتور بشر فارس .. . . وليست هذه الا أمثلةً لا حصراً ولا تفسيراً ، نظراً لضيق المقام ، فليرجع اليها من يشاء من حضرات القراء .

وقد أعلن شاعرنا الفاضل أنه سيُتبع « الأعشاب » بديوان جديد أسماه « حواء » فنتمنى أن نرى حواء الجديدة هذه فتنة للفنّ الصادق ونخراً لآدم الجديد ؟

حسن كامل الصيرفى

حياة شكسبير وعصره

سنوزع مع العدد الآتي من (أبولو) هديةً للقراء هذا البحث الممتع للدكتور ابراهيم ناجى المراقب العام «لندوة الثقافة» ووكيل «جمعية أبولو» وهو يمثل احدى المحاضرات القيمة التى تنظمها «ندوة الثقافة» فنوجه اليه الانظار سلفاً .



الطبيعة فى شعر المتنبى

كنا وزّعنا مع عدد فبراير من (أبولو) المحاضرة الأولى التى ألقاها الدكتور أبو شادى فى نادى نقابة الصحافة عن «الطبيعة فى شعر المتنبى» وسنوزع مع عدد يونيه المقبل محاضرته الثانية فى الموضوع نفسه التى سيلقيها يوم ٤ مايو الآتى فى محفل الندوة ، وسيكون العدد المذكور ختام المجلد الثانى من (أبولو) . وتستريح المجلة بعد ذلك شهرين ثم يصدر العدد الأول من مجلدها الثالث فى أول سبتمبر المقبل .

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦٤٩	١١	الفنّان	الفنّان
٦٥١	١٥	بطاقتهم	بطاقتهم
٦٥١	١٦	الأفل	الأقل
٦٧٥	٦	سؤالى	سؤلى
٦٧٧	٩	وإذا	وإذ
٦٧٧	١٠	نظروا	نظر

فهرس

صفحة

كلمة المحرر

النقد الأدبي

المنبر العام

صفحة





المجلد الثانى

العدد التاسع

أپولو

مجلة فنية لخدمة الشعر الجميل

لسان حال جمعية ابولو

تصدر مرة فى كل شهر

وسنتها عشرة اشهر

مايو سنة ١٩٣٤





صاحب الامتياز ورئيس التحرير { أحمد زكى أبوشادى

الادارة { بشارع الملك المعز رقم ٩ بضاحية المطرية بمصر

التليفون { ١١١٩٦ و ٤٠٤٥٦





مطبعة التعاون



كن أنت نفسي !

كنْ أنتَ نفسي واقترنْ بعواطفي تجدْ المعيبَ لديَّ غيرَ مَعيبِ !
شعري ـ الذي تأباه ـ أنفس مهجتي وكفاه أن يحيا بنفسِ أديبِ

بهذا الروح تقابل التحامل ، ولا شكّ في أنّ هذا الروح الانساني الصافي هو الذي جعل شاعراً مجدّداً عظيماً كأستاذنا مطران يفتّش عن صور الجمال في كل نماذج الشعر حتى فيما يخالفه مذهباً وأسلوباً فيحيي الشاعر الماحي بقصيدة من رائع شعره يقول فيها :

هل أمرُ هـذا الناس إنْ حقّقتَ الاّ عين أمرْك
تتَشاكلُ النزعاتُ في الـ دُنيا ويختلف المحرّكْ !

وقد اعترف مطران في قصيدته بأن شعر الماحي هو مرآة عصره : فهو الشعر العربي المصري الذي له المدرسة الغالبة في مصر بل في العالم العربي ، ولا يمكن للمجدّدين ونحن منهم أن نقول غير ذلك حتى الآن ، فاننا نكاد نكون بمعزل عن عالم الشعر العربي مهما كثر انتاج الشعراء المجدّدين وجلّ خطره ، وما ذلك الاّ لأن أغلبية الأدباء لا تزال تؤمن بالأدب التقليدي ايماناً عميقاً ولا يستهويها غير جماله .

ومهما يكن لنا مِنْ مَذهبٍ فنحن ندعو دائماً الى التأمّل في آثار غيرنا باحترام ومحبةٍ والاندماج في شخصياتهم قبل قراءة آثارهم ، إذ يستحيل علينا بغير تمثل شعورهم ونفوسهم أن نستوعب تماماً أحاسيسَهم ونفهم تعابيرهم فهماً فنيّاً صحيحاً فتفوتنا معاني الجمال التي يستوحونها بنظراتهم الخاصة . ولا جدال في أن ثروة الأدب لن يكون قوامها على مدرسةٍ واحدةٍ ولا على شاعرٍ فردٍ ، والأمة التي يكون ذلك حالها هي من أفقر الأمم في حياتها الأدبية .

روائع الشعر العربي

لمّا كان فى طليعة غاياتنا خدمة الشعر العربى ونقده فقد عقدنا العزم على نشر المحجوب من روائعه حتى ينتفع بها المعاصرون وحتى ننصف جهودَ السلف . وفى مقدمة ما سنعنى بنشره فى المستقبل القريب (عبث الوليد) لأبى العلاء المعرى مع مقدمة تحليلية وتعليقات بقلم الشاعر المعروف السيد عبد الله عفيفى ، وكذلك (معجز أحمد) و (ديوان ابن سناء الملك) بعد أن يقف على تصحيحهما ودرسهما الشاعر الرواية السيد أحمد الزين . وهذا فضلٌ من الأديبين القديرين ومعاونة قيمة مشكورة سنعتزّ بها دائماً لما فيها من معنى الغيرة الشريفة على تراث لغتنا وصفاء التعاون الأدبى .

جميل بنصيرسم

توفى فى الشهر الماضى صديقنا النابه محمد صبحى فأسفنا لذلك أشدّ الأسف ، وذكرتنا وفاته بعهد الطفولة حينما كان منزل والده المرحوم عبدالله بك الداغستانى بالحنفى من أشهر صالونات الأدب الارستقراطية وكانت إذ ذاك قليلة جداً فى مصر . وكان من كواكبها الساطعة المرحومون مصطفى نجيب بك ومحمود سامى البارودى باشا واسماعيل صبرى باشا واحمد شوقى بك وحفنى ناصف بك وأستاذنا خليل مطران أطال الله بقاءه ، فضلاً عن كبار رجال الغناء كمحمد عثمان وعبده الحمولى . وقد كان صديقنا الفقيد مولعاً بالأدب والشعر ونقده ، وله شخصية ظريفة مرحة أحبها كل مَن احتكَّ بها . ويسوءنا أننا لا نملك الآن أكثر من هذه السطور القليلة فى مقام توديعه وعرفاناً لأدبه الحيّ .

جماعة موسم الشعر

يذكر قراء (أبولو) ما كتبناه من أجل تحقيق الفائدة العامة من هذه الجمعية مبعدين بها عن التحزّبات والشخصيات . وبعد أن دُعيت (جمعية أبولو) لمناصرتها والاشتراك فيها وأصبحت معتبرة كهيئةٍ متخصصةٍ لاقامة موسمٍ سنوىّ للشعر

صار من الواجب علينا الحرص على وجودها وعلى شخصيتها واختصاصها . واذن فلا شأن لنا بكل ما يُعمل لزعزعة مركز هذه الجماعة أو للاغارة على أعمالها ، ولئن لم تساعدها الظروف على تنظيم موسمها هـذا العام على النمط الذى تريده فلن يفوتها تدعيمه للعام الآتى متى عُقـدت العزائم على ذلك ، وهو ما نرجوه .

أنجاب الشعراء

شكا الينا غيرُ واحدٍ من شعراء الشباب تأجيلنـا نشر شعرهِ أو امتناعنا عن ذلك ، وفات هؤلاء الأصدقاء أنّ المواد الأدبية الكثيرة المتجمعة لدينا ترغمنا على التسويف فى النشر ، كما أن حرصنا الدائم على مستوى (أبولو) يدعونا الى التدقيق كثيراً فى كل ما ننشره ، وليس ما ننشره الاّ جزءاً مما نتلقّاه من الشعر الكثير والدراسات العديدة حتى اذا ما نشرت بتنا مسؤولين عن تبرير نشرها من الوجهة الأدبية . ولذلك يسر رئيس التحرير أن يتلقّى أىَّ نقدٍ يوجَّه الى شعراء (أبولو) ، فقد يكون من الفائدة الأدبية اشتراكه فى تفسير الاعتبارات الفنية التى دعته الى نشر هذا النموذج أو ذاك ، وحتى يرى قراء المجلة الدوافع الأدبية التى تدعونا الى تقدير ما يقع عليه اختيارنا بعيدين عن كل غرض سوى خدمة الشعر لذاته وانصاف المواهب المغبونة .

وبهذه المناسبة نحيي الشجاعة الأدبى التى تُزجى الأدباء النقاد الى موافاتنا بخواطرهم النقدية لنشرها فى هذه المجلة والتعليق عليها ، فنحن نحترم النقد ونشجعه ونراه جديراً بأن يكون فى صراحة أدب المجلات الراقية بدل أن يبقى فى جُبن أدب المقاهى .

بين المحافظين والمجددين

نشط الشّعراء وتنوّع إنجابهم وبدأ هذا النشاط بالمجدّدين ثم انتقل الى المحافظين ورأى الأخيرون من حقهم الأدبى أن يطالبوا زملاءَهم والصحف بتقريظ آثارهم ، ولـكنهم قلما يفكرون فى أنّ لزملائهم بل للأدب حقاً صريحاً عليهم وهو نقـد الحركة التجديدية فى الشعر نقداً فنياً نزيهاً ولا نقول تقريظها ، فالمجددون لا يعبأون بالتقريظ وإنما يطالبون بالنقد الأدبى المستقلّ الصريح .

إنّ خدمة الأدب تدعو الى الحوار والنّقاش بين المدارس الأدبية المختلفـة ،

وقد لا يخلو ذلك من بعض الحدّة أحياناً كما قد لا يخلو ممن يسيئون تفسيرها وممن يتمضون ويصخبون ، ولكن الأدب نفسه هو القرير بكل هذا وهو المستفيد. ونحن ننكر على اخواننا المحافظين غيرتهم على الأدب مادام كلّ همهم هو البحث عن تقاريظ لأنفسهم والابتعاد عن مواطن النقاش المفيد ، بينما هو وحده الذى ينصف مبادئهم مادامت لهم مبادىء جديرة باعزازهم لها وبدفاعهم عنها.

شعر عبد المطلب

صدر فى أواخر الشهر الماضى ديوان الشاعر البدوى المشهور محمد عبد المطلب رمزاً لوفاء رفيقه وصديقه الشاعر محمد الهراوى ، فذكرنا بيدٍ لعبد المطلب فى سنة ١٩٢٧ حينما احتججنا على اغفال وزارة المعارف للشاعر العربى العظيم ابن حمديس فكان له الفضل الأول فى معاونتنا على انصاف ذكرى ابن حمديس فى معاهدنا الدراسية بعد أن كان نسياً منسيّاً .

ويرى القراء فى باب ثمار المطابع دراسةً لهذا الديوان من قلم زميلنا الشاعر حسن كامل الصيرفى ، ولكننا نريد أن ننبه هنا الى قيمة شعره من وجهةٍ مثاليةٍ ، فقد اتخذ الشاعر الفقيد من الوطنية مثالاً عالياً له فأنجب فى ميادينها أكرم شعره بينما تعثر فى معظم الميادين الأخرى التى جال فيها بنظم تقليدى لا حياة فيه . وليس معنى هذا أنّ شعر الوطنية هو وحده الشعر ، وانما معناه الصريح أنّ الشاعر لن يُجيد ولن يأتى بشعر جدير بهذه التسمية الا اذا كان أمامه مثالٌ مثيرٌ لعاطفته الشعرية ، وسواء لدى الفنّ أكان هذا المثالُ دينياً أم وطنياً أم غرامياً أم غير ذلك وأما المنظومات المختارة الألفاظ الرائعة الموسيقى فلن تخرج عن كونها ألحاناً ميتة ما دامت لا تقترن بالصور الشعرية النابضة بالحياة المثالية ، فى حين أن شاعراً بدوياً مثل عبد المطلب استطاع برغم غرابة لغته أن يأتى بشعر وطنى حى لأنه جاء مشبعاً بالعاطفة الحارة متطلعاً الى مثل أعلى ، ولا قيمة مطلقاً لشعرٍ بمعزلٍ عن ذلك .

شعراء الشباب

اذا أخذنا بمذهب برونتيير (Brunetière) فى الأدب فاننا لن نجد أدلة تعززه أقوى من شعراء الشباب بيننا ، فهم يمثلون مظهراً واضحاً من مظاهر النشوء والارتقاء

وجلّهم يبدأ بداية طيبة حيث انتهى الجيل السابق ولا ينحون منحى التقليد عادة . وقد كان الشباب فيما مضى منكور المواهب غالباً ، ولكننا جرينا على مذهب انصافه ، ويسرنا أن (أبولو) فى عاميها كانت عاملاً قوياً فى اظهار كثيرين من شعراء الشباب وفى التعريف بأدبهم تعريفاً نزيهاً مستقلاً لا يتسرب اليه غمط الفضل كما لا يتسرب اليه التغرير بالناشئين . ورجاؤنا أن يزداد الشباب قوة وايماناً برسالته، وأن يقدّر اخلاصنا الصحيح فى اعزازه وانصافه ، فيعاوننا فى غير ترددٍ ولا غرور فى عامنا المقبل كما آزرنا وآزرناه من قبل .

اطلاع الشعراء

فى خطبةٍ كريمةٍ للدكتور طه حسين ألقاها بحفلة زميلنا الشاعر الفاضل عباس محمود العقاد التى أعدّها له فى الشهر الماضى نفرٌ من الشبان الوفديين ، استوقفت نظرنا اشارتُه الى ما يفرضُه العقاد على نفسه من الاطلاع الدائم ،وهى اشارةٌ فى محلها الى صفةٍ يُحمد العقاد عليها . وما نظنّ أن الذين آخذوا الدكتور طه على مغالاته فى خطبته المشار اليها — وقد تناسوا على ما يظهر طبيعة بلادنا ومواقف المجاملة التى يندر أن يفلت منها أحدٌ الا بعد أن يغنم سخط الناس عليه ! — ما نظنهم ينصفون اذا لم يذكروا أن خطاب الدكتور منصبٌّ على تمجيد الشعر العصرى وتحية المجددين ولا يعنينا بعد ذلك أن يكون هذا التمجيد موجَّهاً الى الشعر الجديد فى شخص العقاد أو فى شخص غيره وإن كنا أنفسنا نأبى خلق الأصنام وعبادتها . ونحن لهذا الاعتبار نوجّه الى الدكتور طه حسين أخلص شكرنا ، خصوصاً وقد كان هو ونفر من أصحابه الى وقتٍ غير بعيد لا يحسبون للشعر الجديد حساباً كبيراً .

لقد تفشَّى الكسلُ بين كثيرين مَن الشعراء حتى انهم ليباهون بعدم اطلاعهم مع أن الاطلاع يوسع آفاق الحياة وأعماقها لهم ، ولا نعنى بهذا أن الشاعر غير الموهوب يمكن أن يخلق منه الاطلاعُ شاعراً مبدعاً ، فان الشعر طبعٌ أولاً وأخيراً ، والشاعر المطلع لا يرمى الى نقل اطلاعه الى شعره فهذا مفسدٌ للشعر ، ولكن الاطلاع شاحذ للشاعرية ولموضوعاتها الجليلة ، فهو بمثابة منبه أدبىّ تتجاوب معه عواطفُ الشاعر وأخيلته فيقتحم ميادين جديدة ويزداد إبداعه اتساعاً واشراقاً . ونحن لا ننكر أن كثيرين من الأدباء يطلعون اطلاعاً عظيماً ولكنهم قلما ينجبون — ذلك لأن هذ الاطلاع لا يستند الى مواهب ممتازة . ولكن اذا ما وُجدَتْ المواهب الفنية فاذا سعة الاطلاع تخدمها ولا تعوقها كما يزعم الأدباء الكسالى ، وقد جاء الدكتور طه حسين موفَّقاً فى إشادته بهذه الحقيقة .



نقد الينبوع

(٣)

كتب الأديب الحلبي (المرتيني) مقالاً طويلاً في نقد «الينبوع» بمجلة (الرسالة) المؤرخة ٩ أبريل الماضي وقد رددنا عليه في عددها المؤرخ ٢٣ أبريل. وخلاصة نقده تنحصر في ما يأتي:

(١) الادّعاء بأن شعرنا شعرُ مناسبات أي أنه شعرٌ وقتيٌّ يضيع بضياع مناسباته لا تعمق فيه ولا وشائج قوية بينه وبين الحياة، وهو الى جانب ذلك خال من التصوف، فلا قيمة له.

(٢) أننا نتعالى على النقاد، وأن هذه الصفة متفشية بين الأدباء المصريين.

(٣) انّ ما نعنى به من تمجيد جمال المرأة يمثل أدباً منحطاً.

(٤) الاستشهاد ببضعة أبيات — لم يفهم معانيها وانتزعها انتزاعاً من قصائدها — على ركاكة ألفاظنا وتفاهة معانينا.

(٥) مؤاخذتنا على ما نضعه من تعابير جديدة ومن ظلال جديدة للألفاظ، وحثّنا على حصر انتاجنا.

***

وقراء (أبولو) يعرفون جيداً أنه لا يوجد أديب معاصرٌ عُني بتشجيع النقد الأدبي في هذه المجلة وفي غيرها مثل ما عُنينا. وأننا نهتمّ بوضع حدٍّ لغرور النقاد أنفسهم، وأننا دائماً نحث على توجيه الجهود لخدمة الأدب وحده بلا اعتبار للاشخاص والأهواء. وأما الدعاوى الأخرى فمردودةٌ ومنقوضةٌ، ويكفي أن صاحبها

لا يستطيع الاستشهاد على صحتها وانما هو يلقى الأحكام جزافاً بينما أمامه المئات من أبيات الشعر لنا ، فما يقدم على الاتيان بشواهد منها . . . وردُّنا التفصيلى عليه فى (الرسالة) يغنينا عن الاسهاب هنا ، خصوصاً وقراء (أپولو) على علم بآرائنا فى الشعر وبنماذج شعرنا المنوّعة . وحسبنا أن نقول إن أىّ انسان يستطيع أن يوجه مثل ذلك الإصغار العام الى أىّ شاعر ، ولكنّ البراعة النقدية تتمثل فى الدقة والاخلاص فى خدمة الحق حسب اعتقاد الناقد وفى ابراز الشواهد المعزّزة له ، وإلا كان الناقد ساخراً من نفسه قبل أن يكون ساخراً من غيره . والتغنى بحصر انتاجنا ملهاة قديمة لا معنى لها ، فطاقات الشعراء تختلف كما تختلف طبائعهم ، وكثرة الانتاج وقلته لا يغيران شيئاً من مبلغ القدرة الفنية للشاعر ، فالشاعرُ المحسن المنجب هو هو كيفما اتسع انتاجه ، والشاعر العاجز العقيم هو هو كيفما انحصر انتاجه .

« • »

وكتب أديب أزهرى فى احدى الصحف الاسبوعية بعنوان « كيف نجدّد فى الشعر » السطور الآتية لمناسبة نقد « الينبوع » : —

« يقوم الشعر الآن على ساقين جعلاه يسير سيراً مضحكاً ، ويمشى فى ميدان الادب المخبول الذى لا يستقر على حال . ولقد أراد ذووه ايجاد متكأ يستر عليه مشيته المهزوء بها ، ولكن النتيجة كانت عكسية حيث زادوه هزءاً على هزئه ، وسخرية على سخريته . وانك اذا أنصفت الحكم الذى لا يقبل الاعتراض وقلت إن الشعراء اساءوا الى الشعر بمواصفاتهم السخيفة واصطلاحاتهم الممقوتة والتى سموها «تجديداً» وابتدعوا فيه الابتداع الذى يعترفون به وحدهم ، على أنك لو وضعت هذه اللفظة المسكينة « تجديداً » تحت مجهر التقدير لوجدت منها تبرماً شديداً ، ولأنبأتك بمبلغ تجنى هؤلاء السادة عليها ! انها تستغيث بك من شرهم ، وتتضرع اليك أن تنقذها من خطرهم ، ولكنك تراهم مع هذا قد لفوا حول عنقها حبل الاستبداد وقالوا انهم منشئوها وموجدوها فى هذا العصر الساخط عليهم ! واذا طالبتهم بابراز دليل يقوّى ادعاءهم الجرىء قدموا لك عناوين لها جرس وموسيقية وليست فيها المعانى التجديدية . أنظر الى أمثال هذه الاسماء :

« الشفق الباكى – أطياف الربيع – أشعة وظلال » ، ثم تعال معى لنسمع بكاء الشفق علنا « نشفق» عليه ونبصر هذه الاطياف التى تغدو وتروح وراء اللانهاية

ثم هذه الظلال وهذه الاشعة لن نسمع شيئاً ولن نبصر غير أوهام هؤلاء العباقرة المفكرين .

ليس التجديد فى الشعر معناه الغموض والاحاجى ، وإلا كان تجديداً أنانياً وشعراً فردياً ؛ وبقصوره على ذويه لا يصح تسجيله فى صفحة التاريخ والاعتراف به ، لان الشيء يعتبر بأثره وأثر هذا التجديد لم يحس به أحد للآن الا حضرات السادة الكرام . يقولون عند عدم فهم شعرهم انه شعر « رمزى » لا يفهمه الخاصة ولا ضرورة لان يفهمه العامة ، وهذا تهرّبٌ وتقوّلٌ غيرُ مجدٍ فان الصورة الباهرة يعجب بها العادى قبل الفنان ويبهره حسنها فيرى فيها قوة الابداع ويعترف لصاحبها بالفضل ! أما هذه الصور الشوهاء التى تدخل الروع فى ذهنه ، كما ترث الكلال لذهنه ، فانه لن يشعر بها ولن تؤثر فيه أقل تأثير فينفر من صاحبها . وهل هذا هو السر فى بغض الناس لشعر المجددين لانه لم يتصل بعواطفهم ولم يصل الى قرارة نفوسهم ، كما انه لم يعبر عن خلجاتهم تعبيراً خالصاً ؟

كان يلومنا اللائمون لمهاجمتنا الدكتور أبوشادى ويقولون اننا مغرقون فى نقده بعيدون عن طريق الصواب وهم لو رجعوا ببصرهم الفاحص لشاركونا الرأى وعاضدونا فيه . والحق ان شعر أبى شادى طريف وينزع الى تعابير عميقة تجول برأسه الكبير — ولكنه مع الأسف — لم يمكنه اخراج هذه التعابير ، وهذا ليس فيه جديد فان أقل الناس ترتسم فى ذهنه أبدع الصور ويعجز عن اخراجها من حيزها واذن يكون أبوشادى قد اشترك مع كل انسان ، فمن أين أتى بالتجديد ؟ ! انه أتى به من ناحية أسماء القطع التى يعنون بها ، وهذا أيضاً فى مقدور كل فرد لا رجل مجدد عظيم كالدكتور الفاضل .

وبعد ، فان الوسيلة الى التجديد لا تكون الا بتمييز العواطف وانها لم توجد على وتيرة واحدة فتعطى بقدر هذا التمييز ونكون قد أرضينا الأدب كما أرضينا التاريخ . أما التجاوب الروحى والشعر الرمزى فما أغنى الناس عنهما »

وملاحظتنا على هذا الكلام هى أنه سبيهٌ بموضوع انشائى لا جدوى منه فهو تمارين لفظية جوفاء لا غير . . . ومما يؤسف له أن تنعدم روح الرغبة الخالصة فى خدمة الأدب لذاته الى هذه الدرجة ، فيكون محور الكلام « المحافظين » و « المجددين » لا حقائق الأدب الصريحة . ولا بدّ للكاتب أن يكون جريئاً جداً حتى يستطيع أن يدّعى أنّ مثات القصائد والمقطوعات المنسوبة الينا تمثل

العجز الصرف ! ولو أن الكاتب عرف قدرَ نفسه وانكبّ على الاطلاع ولو كان جزءاً مما بذلناه فى سنين طويلة لفهم كيف تلوّن الثقافة التعابير ، وكيف تتنوع تنوّعاً عظيماً حسب الدوافع والظروف ، ولآمن معنا بأنّ تقدير الفنون يختلف بين بيئة وأخرى وبين فردٍ وآخر . وهو يقع فى نفس العيب الذى يقع فيه كثيرون من المبهمين أى تجنّب الشواهد أو المكابرة اذا ما لزمتهم الحجة عند تبيان أخطائهم .

انّ التجديد الذى نمضى اليه فى الشعر هو تجديدُ الطلاقة ، هو الحريةُ الفنية المسبوقُ اليها بالتضلع الثقافى ، وهذه الحرية لدى الشاعر المطبوع تولد الصياغات الطريفة والمعانى المستحدثة والموضوعات المبتكرة ، وتنزع بشعره نزعة انسانية عالمية لا تحدّها التقاليد ولا ترضخها البيئة ، بل تنتشر فى عالم الجمال الفسيح ، وفيه يحلّق الشاعر ومن محيطه يعبّ ، ثم يسكب روحه المستوعبة لكل ذلك فى أبيات شعره النابضة بالحياة العميقة . هذه هى رسالة التجديد فى الشعر تقابلها التقاليد البالية التى جعلت من الشعر أدوات لهوٍ لتزجية الفراغ أو مُثُلاً لأحاجى الذكاء والصناعة مما لا صلة له بالعواطف والوجدانيات ولا بالتصوّف فى الحياة الذى هو فى الواقع روح الشعر . ولن يعيب الرمزية فى الشعر الا جاهلٌ بمظاهر الكون نفسه ، فكم فيه من رموز ، بل هو ذاته رمزٌ للألوهة الجبارة المستترة المتطلعة الينا برغم ذلك الاحتجاب ، فأين مِنْ روعة الطبيعة الرمزية ما فى أناشيد الشاعر من تعابير رمزية لا تتعدّى نسبياً اشارات الأطفال ؟ ! وكيف ندعى الاستمتاع بمعانى الوجود ونحن نتغابى أمام رموز الشاعر المستوحى ذلك الوجود ؟

لكل ضروب الفنّ جمالها ، ولكننا قد شبعنا من الفن الساذج البسيط ونريد الدسامة والتعمق والتصوف اللانهائى سواء أكان فى وضوح أم فى رمزية . وكلُّ أديب حصيف يغار على نهضة الشعر أوْلى به أن يحاسب نفسة على كل كلمة نقدية ، فلا جدوى من النقد الطائش ولا من المكابرة التى يطلع علينا بها الكسالى من الأدباء الذين يريدون أن يقضوا عمرهم فى تشبيهات ابن المعتز وأمثالها ، ولا يعرفون كيف يفرضون على أنفسهم الاطلاع المتواصل كما يصنع المجدّدون من الأدباء ، وبعد كل هذا يعجبون لقصورهم عن تتبّع أولئك المجددين وفهمهم ، ويسارعون الى انتقاصهم بكل ما فى وسعهم من حيلة !

الواجب على الناقد كما قال سانت بيف Sainte - Beuve أن يكونَ صاحبَ عقلٍ

مطلق أى أن يكون كالقاضى المستقلّ النزيه، ولكننا نجد من معظم النقاد مع الأسف عكس ذلك ، فضلاً عن عدم استعدادهم الثقافى ولا الذاتى لأن يكونوا نقاداً ، وكل حظ الأدب العصرى منهم هى تلك الضوضاء الفارغة التى يخلقونها . كذلك لا نجد لهم مكاناً يدعو الى الاعجاب فى أى مجال آخر : فمثلا نجد فيلمان Villemain ـ وقد سبق سانت بيف الى أصول النقد الحديث ـ يعتبر المجالس الاجتماعية ذات الأثر البارز فى روح الناقد ، فهل يعتبر أديبنا الأزهرى أن مجالسه كافية لاشباعه بروح النقد الصحيح حتى يسارع الى تهزىء غيره وما عدا بيئته من البيئات ؟ واذا أخذنا بنظرية تين Taine فى ذاتية الأدب الذى هو مظهر من مظاهر التاريخ الطبيعى فى صاحبه فان النقد يمثل حتماً طبيعة الناقد المتأثرة بالجنس والوسط والعصر ، فهل يرى أديبنا الأزهرى أن حيويته الأدبية هذه هى وحدها التى حبتها الطبيعة بالوجود والاحترام وليس عليه أن يدرس حيوية غيره بالتقدير الذى يمليه بُعدُ النظر وحسن التفكير؟ ثم اذا أخذنا بنظرية برونتيير Brunetière الذى يؤمن بمذهب النشوء والارتقاء فى الأدب ، فهل لا يرى أديبنا الأزهرى أنّ من تثقفوا بثقافة عالمية واسعة وطُبعوا على الشعر منذ نشأتهم كانوا أقرب الى تمثيل خطوات جديدة فى الأدب الحىّ من أديبنا الأزهرى فى وقفته التى يطل منها دائماً على أمس البعيد ؟ لو أن صاحبنا ممن يعرفون لغات حية غير العربية واطّلع مثلاً على كتاب «السبيل الى الأدب» لأميل فاجيه لعرف قيمة الثقافة الأوروبية فى تكوين الأديب ولما سخر حينئذ من التعمق فى الشعر ولا من البيان الرمزى ، بل بكى حينئذ على قصوره هو . وقد قال المجدّدون من العرب سابقاً فى مزايا الطلاقة والاطلاع والابداع مثلما نقول الآن ، ولكن من طبيعة الحياة أن تظهر فيها وقفات عرضية فى ثنايا تيّارها العرم ، وأن يمثّل أديبنا الأزهرى وأصدقاؤه مظهرَ هذه الوقفات الضئيلة الطارئة التى لا يحسّها التيارُ الصاخبُ المتدفقُ .



النقد الحديث
وألوان الشعر

هذه كلمة حق وانصاف يعلم الله إنى لا أريد بها إرضاء صاحب (الينبوع) ولا اغضاب حاسديه ، أو بعبارة أدقّ شانئيه والحاقدين عليه .

حفزنى الى تسطيرها ما كتبه الأديب المرتينى نقداً لديوان (الينبوع) ، بيد أن نقده لهذا الديوان سواء أحسن فيه على ما سيراه القارىء بعد أم أساء لم يؤثر فى نفسى كما أثر تجنيه على الأدباء المصريين عامة واتهامه إياهم بالتأبّى على النقد وكراهيته والفرار منه ، واليك بعض عباراته فى هذا المعنى « وما عرفته (يريد الدكتور أبا شادى) وغيره من اخواننا المصريين إلا أباة على النقد يثيرون من أجله المعارك ويتسارعون بسببه الى الخصام والنزاع » .

الحق يا سيدى المرتينى أنك ظالم لاخوانك المصريين حين تنعتهم بمثل هذه النعوت التى تناقضها الحقيقة ويبرأ منها الواقع ، وظالم لنفسك حين تجشمها الحكم على بيئة لم تعش فيها وتكلفها وصف أمة لم ترها ولم تعلم عنها أكثر مما يعلمه الحلبي عن اخوانه المصريين . ولو كنت الآن معنا فى مصر أو كانت لك صلة بالأدب الحديث فيها لرأيت لكل مؤلف قيم أكثر من كتاب فى نقده — وهذا شوقى نقد العقاد والمازنى جلّ كتبه ، وهذا كتاب (الاسلام وأصول الحكم) للشيخ على عبدالرازق كتب فى نقده وتفنيد حججه معظم العلماء ، ولقد قرأت بنفسى أكثر من عشرة أسفار فى نقد الشعر الجاهلى للدكتور طه حسين . ولا تزال أعمدة الصحف المصرية على اختلاف نزعاتها ميداناً للنقد الأدبى بين العقاد وطه ثم بين العقاد والرافعى ثم بين هؤلاء وبين زكى مبارك — وقلّ أن يصل الى أيدى القراء كتاب أو ديوان شعر الا بعد أن يتناوله الكتاب بالنقد والتحليل ، ولا يزال الناقدون والمنتقدون فى مصر أصدقاء لم يتشاجروا ولم يتسارعوا من أجل هذا النقد الى نزاع أو خصام كما ادّعيت . أما عن الدكتور أبي شادى فكنت أحب أن ترجع إلى أصدقائه أو المتصلين به عن كثب فتستطلع آراءهم قبل أن تنسب اليه هذه النظرية المعكوسة، نظرية الفرار من والنقد التأبى عليه ، وحسبك أنى أكتب الآن هذه الكلمة

وبين يدى سبع مجموعات من شعره هى فى الحقيقة أربعة عشر كتاباً ، سبعة منها له وسبعة عليه — ويندر أن تجد له ديواناً خالياً من النقد البرىء الذى يلتصق بالديوان ويطبع معه فى غلاف واحد . وأنا أعرف كما يعرف غيرى أن أباشادى أول من يفسح صدره للنقد وكثيراً ما رأيته يهدى ديوانه الى أعدائه ويلح عليهم فى نقده ، ولا يزال فى (أبولو) من نشأتها باب خاص بنقده ونقد غيره وأعرف أنه ينشر مثل هذا النقد كما هو من غير نقص ولا تغيير — واذكر انه كم مرة قرأ علينا فى مدرسة أبولو قصائده قبل أن يطلع على الناس بها وكانت لآرائنا عنده من الاحترام ما تجعله يحذف من القصيدة أو يزيد عليها أو يضع لفظاً مكان لفظ وهو باسم مسرور.

وعجيب كل العجب أن تفهم يا سيدى المرتينى من قول الدكتور فى مقدمة ديوانه «واذا كنت أومن إيماناً عميقاً بأن الفنون الجميلة من أقوى عوامل السلام فلست أعنى بذلك أن تقديرها شامل فى الظروف الحاضرة — فكم تتباين الأذواق» عجيب أن تفهم من هذه القضية الواضحة المجمع عليها تبرم الدكتور بالنقد وقطع الطريق على ناقديه ! ومتى اتفق الناس يا سيدى على تقدير الأشياء المحسة بله الأخيلة الشعرية والقضايا النظرية ؟ وفى أى عهد أجمع الناس على شىء واحد واتحدت أذواقهم فيه ؟ ألم يختلفوا فى الخالق ويتفرقوا فى إدراكه شيعاً ؟ وأستطيع الآن أن أقول انك يا صاحبى لم تقرأ هذه المقدمة التى لا نخطىء كثيراً إذا قلنا انها سفر مستقل فى حقيقة الشعر وخصائصه وأغراضه ومواضع نقصه أو كماله — أجل لم تقرأها أو قرأتها وأنت ثائر متحيز ، والمتحيز لا يميز كما يقولون ، والا فكيف غابت عنك مثل هذه الفقرات :

« كذلك شجعت (يريد مدرسة أبولو) النقد الأدبى واحترمت النقاد سواء أكانوا لها أم عليها » (صفحة «ل» من المقدمة) .

اقرأ هذا واقرأ الى جانبه السطور الآتية إن كنت لم تقرأها ثم أخبرنا بعد ذلك عن النبع الذى استقيت منه آراءك فى الدكتور خاصة وفى المصريين عامة وكيف أبحت لنفسك الحكم على الناس بما ليس فيهم .

يقول الدكتور فى نهاية مقدمته للديوان : «زعم أحد أفاضل النقاد أن من عادة المؤلفين أن يقولوا إنهم ينتظرون نقداً لا تقريظاً فاذا نقدناهم عادونا أشد المعاداة. وسواء أصح هذا أم لم يصح فمثلى يبرأ الى الأدب من هذه الوصمة وأعتقد أن زملائى أعضاء جمعية أبولو يتعففون معى عن ذلك — ان النقد الأدبى جزء متمم للحركة الأدبية ولا يجوز أن يتعالى عنه الشعراء . وفى الوقت ذاته لا يحق للنقاد أن

يتغاضوا عن الشعراء . ولا يسوغ لأحد الفريقين ان يستاءمن نقاش الآخر إذ الفائدة كل الفائدة بنت الحوار الأدبى لا بنت التقرير — ومن الأسف أن يبلغ الغرور ببعض الأدباء أن يعتقدوا أن أعمالهم لا يجوز أن تنقد — ويبلغ مثل هذا الغرور وفساد الرأى بطائفة من النقاد أن يتوهموا أن النقد الأدبى ليس سوى لون من الهدم أو صورة من التشفى ،وكلا الفريقين لا ينصف نفسه ولا ينصف الأدب . وانى أرحب بكل نقد نزيه يوجه الى هذا الديوان والى شعرى عامة لخدمة الأدب فى ذاته ».

ونعود إلى ديوان الينبوع فنراك لم تنقد من الألفين والمائتى بيت التى احتواها الديوان غير خمسة أبيات أو ستة،ولا عجب فقداستنفد مقالك من «الرسالة»ستة أعمدة ونصف: عمودين ونصف عمود فى مقدمة خيالية لاصلة بينها وبين الينبوع وصاحبه بل لاصلة بينها وبين الشعر وحقيقته رغم اسرافك وتقعرك، وثلاثة أعمدة ونصف عمود فى شخصية ابى شادى وأفكاره وأخيلته ثم فى أدبه وعلمه وثقافته واطلاعه،ونصف العمود الباقى كان فى نقد الينبوع ـ أليس ذلك امتهاناً لعقول قراء « الرسالة » ؟ أليس فى ذلك تغرير بالعنوان الذى صدرت به مقالك« نقد الينبوع »؟ وسأمر مسرعاً بالجزء الخاص بصاحب الينبوع وإن كان ذلك لا يعنينا كثيراً ثم آعرج على نقدك للينبوع نفسه وأول ما يلوح للقارىء يا حضرة الأديب انك لم تقرأ الديوان رغم تصريحك بقراءته أو قرأته وأعوزك أن تجد فيه دليلا على قضاياك فارسلتهاجزافاً من غير دليل ولا برهان . ألم يكن جديراً بك أن تذكر لنا نماذج من الديوان على التواء أبى شادى فى التجديد وعلى هذا المزاج الخاص الذى ينفر الناس منه وتقدم للناس مُثلا شتى بين ضعفه فى التعبير أو تقصيره فى التصوير أو خلوه من التفكير . نقرأ للعرتينى مثل هذه القضايا المبتورة المضطربةالتى يزيدها غموضاً قوله :«وأكاد أحس بضعف لغته فى كل بيت من أبيات الينبوع» أو قوله فى موضع آخر لها : «ولا أريدان أذهب لكثير من شعر الديوان فبعضه يجزىء عن بعض » فتعجب أولا ثم لا يسعك إلا الضحك يملء فيك !

وأعجب من هذا أن يدعى أن شعر الدكتور لا يرتفع عن شعر المناسبات ولا يتجاوز الشعر الصحفى ! وفضلاً عما تعرفه من بغض الدكتور أبى شادى لشعر المناسبات وبغضه لاصحابه كما صرح بذلك فى مقدمة ديوانه (أطياف الربيع)وبعض

تصديرات (أپولو) فانا نرى أن المناسبات التى تشعبت فيها الآراء واختلف اليوم فى تحديدها الكتاب لا تعدو النوعين الآتيين :

أ ـ مناسبات حيوية أو معيشية تلجىء الشاعر الى النظم فى المدح أو الرثاء أو الاستجداء ، وأكثر ما تنزل هذه المناسبات بالمعدمين من الشعراء الذين يريدون الرق والسعادة الكاملة عن طريق الشعر ، وليس أبو شادى من هؤلاء فلديه من عزة نفسه ومركزه الاجتماعى واتساع الشهرة ما يغنيه عن إخضاع شعره لطوارىء الحياة وضرورات العيش .

ب ـ أما النوع الثانى فهو مناسبات عاطفية فابتسام الزهرة وجمال الصورة وساعة الوداع وبكاء الحسناء وفناء الشاعر ، كل هذه مناسبات ملحة تحرك عواطف الشاعر وتحفزه الى النظر ـ ومن هذا النوع الاخير شعر أبى شادى ـ وما مكان المناسبات من هذا الشعر إلا مكان السبب من المسبب أو العلة من المعلول ، واذا كانت المناسبات التى تعيبها وتعيب أصحابها هى التى أوحت الى صاحب الينبوع نظم هذه القصائد « الحسناء والهيكل العظمى ـ القلب المتفجر ـ الجنة والنار ـ الشرر الأوراق الميتة ـ المتمنية ـ الثمن المدفوع ـ الورود الحمراء » وأمثالها مما يطول حصره فنعمت هذه المناسبات ورزقنا الله أمثالها فى كل حين !

ولست أدرى بعد ذلك كيف تسمى هذا الشعر صحفياً بعد أن عرفت يا سيدى أن الدكتور قليل النشر فى الصحف رغم افتتاح صدرها له وقد صرح بذلك فى مقدمة (الينبوع) التى قرأتها ؟ ولقد ينظم أبو شادى فى الشهر أكثر من ٣٠ قطعة ولا ينشر منها فى (أپولو) مجلته الخاصة سوى قطعة واحدة فى كل شهر . وأعود الى السبعة الأبيات لتى اتخذتها مثلاً لهذا الديوان الفسيح فنراك تصرح للدكتور بعجزك عن فهم البيت لآتى :

جعلوا المليكَ محرَّماً لسوى المليك دُعَا المسودْ

وأنا أصارحك بعجزى عن معرفة موضع التعقيد فى هذا البيت فهل لك أن تدلنا عليه ـ أهو فى العاطفة وكلها سهلة لا تحتاج الى شرح ؟ أم فى معناه وهو أوضح من ألفاظه ؟

وإذا يا سيدى لم تقرأ قصة دانيال وحبسه فى الجب ، تلك الأسطورة الدينية التى تحدثت عنها الكتب السماوية وأسهبت فيها التوراة على الخصوص ، ثم تجىء الى الشعر المقيد بالوزن والقافية تلتمس منه شرحاً مفصلاً لهذه القصة فمعذرة إذا عجز مثل

هذا البيت الفرد من القصيدة عن أن يحمل لك قصة بأكملها فى ثناياه . وفى القصيدة أبيات أروع من هذا البيت الذى حسبُه غناءً أن يخبر القارىء بما فعله الملك من تحريمه على رعيته الدعاء والابتهال الا اليه ـ ولو قرأت الأبيات التى بعده لما تعصّى عليك فهم مثل هذا البيت — ألم يقل بعد ذلك : إن دانيال أوفى بعهد ربه وسجد له وابتهل رغم ارادة الملك — أما نقده للبيت الآتى :

أنا فى أمانٍ يا « مليـ ـكُ » بفضل ربى من مَلكْ !

فقد فهمت أن نقده موجه الى كلمة (من ملك) وثمة مناسبة لفظية ومعنوية بين هذه الكلمة وبين مليك التى قبلها — واخالك قد فهمت من جلال القصيدة أن المليك ينادى (دانيال) نداء المغرور بملكه المتجاهل أن فى الكون مالكاً سواه فأجابه دانيال اجابة من يريد أن يفهمه أن هناك مالكاً أعظم يملك الكون وما فيه وأنه بفضله فى أمان — إذا فهمت معى ذلك فحدثنى بربك أى كلمة كانت تستطيع أن تؤدى هذا المعنى غير كلمة (مَن ملك) التى لا تقل مكانتها من هذا البيت عن مكان أختها « صادتك المنون » فى قول شوقى من رثائه لنابليون :

يا كثير الصيد للصيد العلى قمْ تأمل كيف صادتك المنونْ !

والقطعة التى أشار اليها الناقد سواء وقع عليها اختياره أم وقعت عليها يده كما يدعى قطعة فنية جمعت الى جلال الأساطير جمال الانسجام وعذوبة الايقاع وصورت لنا عظة غالية من عظات الماضى — واسمعه يقول فى مطلعها :

مَثلُ المكيدة من حسودْ (دانيالُ) فى جب الأسودْ
عبد الاله موحداً لا عن ثواب أو وعيدْ
بل عن عقيدة مؤمن يكفيه إيمانٌ يذودْ

أما قصيدة «العودة» فيخيَّل الى أن نقد الزميل كان منصباً على قوافيها فحسب فهو يذكر هذه الأبيات :

وقفنا فى جوارِ اليمِّ سَكرَى كسكر الناظرين الى الرحيقِ
نرى فى البرِّ ألوانَ التناجى وفى البحر المشارف والعميقِ
وأبنا أوبةَ المهزوم ، لكن بنا طربٌ من الأدب الحقيقى
وتمضى الغانيات على تثنٍّ تثنى النور فى الجو الصفيقِ

ويرى أن موضع الضعف فيها انما هو تعبير الدكتور بمثل هذه الألفاظ: « سكر الناظرين الى الرحيق »،« المشارف والعميق»، و« الأدب الحقيق» و« الجو الصفيق» واسمح لى يا سيدى أن أناقشك معنى هـذه الأبيات حتى نرى نبوّها أو استقامتها وملاءمتها، وقبل أن أناقشك معناها أعرض على الشعراء والكتاب أو أذكرهم بدراستك وتحليلك لمثل هذه الأبيات : (البحر المشارف والعميق وسكر الناظرين إلى الرحيق لا يكملهـا إلا قوله الأدب الحقيق أو قوله الجو الصفيق . الحق ان البحر المشارف والعميق ، وسكر النـاظرين الى الرحيق ، والأدب الحقيق إذا زفّ بعضهـا الى بعض خرج شيء ليس فى الحسبان هو قصيدة العودة) . هذه هى دراستك الوافية وذلك هو تحليلك الواضح لهذه الابيات السابقة نقلته للقراء من غير زيادة ولا نقصان وأترك لهم بعد ذلك الحكم على هذا النوع الذى يزهو به صاحبه من النقد ...

أما مناقشة الأبيات فقد كنت أود تركهـا للقراء لولا تخبط الأديب المرتينى فى فهمها وستره العجز بالازراء :

ككل ألكن معقود اللسان رأى   أن يستر العجز بالارزاء فانتقدا !!

بأى شيء يا سيدى تشبه فرح الصديقين وهما على شاطىء البحر مسرح الأفراح ومراد اللذات ، فرحين بزيارة شاطىء مدينـة الطرب والسرور ، بأى شيء تشبه هذه النشوة اللذيذة إذا لم ترضَ تشبيهها الأصيل الجيـل بنشوة الناظرين الى الخمر فى كؤوسها ؟ !

أما البيت الثـانى فيصف احاطة الفرح بالشاعرين ومناجاة العشاق من حولهما فى البر قريبه وبعيده وفى البحر ضحضاحه وعميقـه . والبيت الثالث يصف رجوع الصديقين حزينين على فراق هذه المناظر ومغادرة هذا السرور بعد أن متعا الخيـال وتطارحا الشعر وتجاذبا الحديث — وهذا هو الأدب الحقيق .

أما انعكاس الضوء فى الجو الصفيق فأكبر الظن أنك يا سيدى المرتينى لم تدرس الطبيعة كما درسها صاحب (الينبوع) الذى قضى تحت سماء انجلترا سنين طويلة وعاش طول حياته بين أحضان الطبيعة يدرسها ويصورها فى شعره، ولو درستها لسهل عليك فهم مثل هذا التشبيه البديع. ولولا أن الدكتور ذكر معظم هـذه القصيدة فى رده الذى نشرته مجلة (الرسالة) لعرضتها كلها لقراء (أبولو) حتى يكونوا حكماً بيننا وبين هذا الأديب الشرقى .

وسأقف وقفة قصيرة بقصيدة «الينبوع» التى نقدها المرتينى إجمالاً لأنها لم تعجبه كوحدة فنية ـ وكأنى به وقد قرأها ووقف أمامها مشدوهاً لايدرى موضعاً للنقد ولا مأخذاً للتجريح فقال إنها فى جملتها بسيطة الفكرة وضيعة الغرض . وفى الحق انها تكون كذلك لو تعسف القراء فى فهمها كما تعسفت ياسيدى وأسىء الظن بمبعثها كما فعلت ، فقد زعمت انها قصيدة شهوانية مفرطة فى الشهوة ! ولست أدرى كيف انحدر هذا العقل الفلسفى الى حضيض المادة وسيطرت على احساسه حتى فى فهمه مثل هذه القصيدة الرائعة التى هى أبعدما تكون عن المادة ومظاهرها ولا يزال لهذه الصورة الفنية روعتها السحرية وجلالها الشعرى رغم عبثك بها وتصويرك لها هذا التصوير الجائر . ولقد ظلمت الفن وأنصاره وجنيت على الجمال وعشاقه حين تحبسه فى هذه الصورة الناطقة على بطن أملس فوقه جبلين تحتهما واد عميق ـ وهل رأى الناس قبل اليوم أن النهود الكاعبة تشبه بالجبال ؟ ! الحق ان وصفك ياسيدى لتلك الصورة ونقدك للقصيدة التى معها هو الشهوانى المفرط فى الشهوة :

وَمَن يكُ ذا فم مُرٍّ مريضٍ يجد مرّاً به الماء الزلالا !

ولقد قرأت قصيدة «الينبوع» التى تنصح القراء أن ينظروا فى جملتها وكأنك تؤمن فى نفسك أن فى كل بيت من أبياتها نوعاً من الجمال الفنى المستقل ـ قرأتها وأعدت اليوم قراءتها فلم ألمح فيها ظلاً لتلك المادة النجسة التى ترى فى كثير من النساء كما تدعى !

وأسألك باسم المادة التى غرقت فيها أن تضع أصبعى على هذا الموضع الشهوانى من هذه القصيدة ـ لعله فى مطلعها الذى يقول فيه :

يا جمالَ النور فى الظلِّ الحبيبِ يا جمالَ الروح فى الجسم الرطيبِ
هذه الدنيا لأحلام الأديبِ هذه غاياتُ آمالِ الأريبِ

بل لعله وسطها الذى هو عبارة عن هذه الأبيات :

أنتَ سحرٌ غامضٌ للعالَمِ أنت ينبوعُ الرجاء الدائمِ
أنتَ موسيقى الخلود الباسمِ أنت ومضٌ للشريد الهائمِ
أيها الينبوعُ يا رمزَ الأبدْ يا شعاعَ الله فى طيفِ الجسدْ
كم معانٍ فيك كادت لا تحدّْ وعزاء عن حياةٍ تفتقدْ

لا ! قد يكون فى الأبيات الآتية وهى نهايتها :

كلُّ همٍّ فى حياتى يستحيلْ حينما أخشع للفنِّ الأصيلْ
حينما أروى من النبع النبيلْ ذاك نبعُ الحبِّ فى الجسم الجميلْ

هذه هى قصيدة « الينبوع » شعراً وتصويراً وما أظنك إلا ظالما لكليهما .

والآن يا سيدى المرتينى : أما كان جديراً بك أن تتمم بحثك أو نقدك بعرض صور للانتاج كما يُتصور أو كما تتصوره أنت ؟ ! لقد هدمتَ ولم ترنا طريق البناء ، واجتزأت من (الينبوع) بضعة أبيات بترْتها من قصائدها بتراً واتخذتها كحيثيات للحكم على هذا الديوان الذى ينتظم كما قدمنا ٢٢٠٧ أبيات — فاسمح لنا الآن أن نعرض عليك وعلى القارىء بعض النماذج التى وقعت عليها يدنا كما وقعت يدك من قبل من غير بحث ولا تنقيب .

يقول من قصيدة « حياة الضجر » وهى ثورة على المجتمع المصرى ونظامه وفناء الأدباء وهوان النفوس فيه :

علامَ السرور وفيمَ النشيدُ وملء الحياةِ بمصر الضجرْ ؟
حياةٌ تغلغلَ فيها الهوانُ فما لامرىء من أذاها مَفرّْ
وشعبٌ يذلّـل بين السوا ثم حتى جهلناه بين البشرْ !

ويقول من قصيدة « ثمن الحرية » — وهاتان القصيدتان فى صفحتين متقابلتين :

سوف أعطى فوق ما يعطى الذى يتباهى بمساع ومِننْ
سوف أرضى شظفَ العيش كما سوف أرضى من تجنَّى وغبنْ
سوف أرضى ما أعانى إن يكنْ فيه من حريةِ الشعب ثمنْ
لن ينال الشعب آمالاً له فى حمى التغرير أو قيد الرسنْ
إنما الشعب حِمَى أفراده فاذا أفرادُه هانوا وهنْ

هاتان صورتان من صور النفس المهاجة الوثابة ، واليك مثلين لهذه النفس فى رقّتها ومرحها .

يقول من قصيدته « القلب المتفجر » وهى أبيات رقيقة بعث بها إلى الممثلة المعروفة زينب صدقى :

سمعتُ شكاتكِ يا غانيهْ وضحكتك الحلوةَ الحانيهْ
فهل كنت إلا فؤادى الكليم تفجر بالأدمع القانيهْ ؟
أعيدى علىَّ حديث الشجون وقُصِّى مصارعَها الباقيهْ
وزيدى تأجج نارى التى أعيش بها شعلة فانيهْ
فما النار إلا لأهل الفنون ولو سكنوا الجنة العاليهْ
أعيدى أعيدى الهوى والعذابَ علىَّ فأحياهما ثانيهْ !

ويقول واصفاً روعة الليل وجماله فى رمل الاسكندرية ووحى الشاعرية والخيال فى تلك الليالى :

قد سألنا الآمالَ عنها ولكنْ ما تزال الآمالُ عطشى سغابا
عُلِّلتْ بالغرام فيها فشابت فى ارتقابٍ وما برحن كعابا
فى ليالٍ كأننا أفقرُ النا س جميعاً ونشبه الأربابا
كم عرفنا الجمال طيفاً عجيباً وشربنا الهوى خيالاً عجابا
ثم عُدنا وما ملكنا سوى البثّ كأنا بها فقدنا الشبابا
ونظمنا له الأناشيدَ لهْفى فى خريفٍ يقضى الليالى انتحابا

هذه صورٌ من شعر أبى شادى قد لا تستبين عبقريته من ورائها لغير عارفيه تماماً — ولست أريد بعد كل هذا أن أقول للأديب المرتينى إن صاحب (الينبوع) هو منشىء مدرسة أبولو وأحد أساتذتها البارزين ، ولست أريد أن أذكره بانه قدر أدبائنا الذين وفَّقوا بين أدب الغرب وأدب الشرق وانتفع بكليهما فلم يخدعه بريق الأول ولم يأسره جلال الثانى ، وأنه من أقدر كتابنا الذين تصدَّوا لوصف الطبيعة وخدموها وترجموها للناس فى شعرهم — لا أريد أن أقول له شيئاً من هذا وأمثاله مما قد يكون تكراراً للقول أو تقريراً للواقع ، ولكنى أقول فى صراحة إن هذا الشاعر الذى يعيب اليوم شعره قد انتشر أدبه فى جميع الأوساط المثقفة وسيطر على كثير من العقول فى هذا البلد وراج انتاجه فى شتى البيئات القلمية ، فأقبل الناس عليه وقرءوه واهتموا بدراسته — هذه هى الحقيقة الواقعة ، ولعلّ

للمصريين ذوقاً لا تعترف به يا سيدى أو لعل للأدب عندهم مقاييس لا تقرّهم عليها فالتمس لهم بعض العذر ولا تكلفهم ما لا يستطيعون ؟

طلبة محمد عبده
(ليسانسيه فى التربية واللغات الشرقية)

الأدب المعرّى

كان بين بعض المشتغلين بالأدب من عهد قريب خصومة جدلية فيما كانوا يسمونه « الأدب المكشوف » وكان موضوع هذه الخصومة أن أصحاب « الأدب المكشوف » يرون أنه من الخير للأدب والفن ألاّ يتحرج عن كشف الغطاء عن وجه الغرائز الانسانية حتى لا تبقى بها خافية من خير أو شر ، وألاّ تستنكف الابانة عن عورات النفس ما دام فى ذلك كمال الصورة الفنية

ومن شأن مثل هذه الخصومات ان المتجادلين فيها لا يقرّ فريقٌ منهم رأى خصمه إذا لزمته الحجة وانتفت عنه الشبهة، فلا عجب اذا لم تَنْجَلِ هذه القضية عن رأى يرتضيه كلا الفريقين ويقرّ به أمام الناس .

ولكن اذا كانت أمثال هذه القضايا لا تنتهى فى الظاهر الى حكم تدمغ به ولم يكن بدٌّ من أن تتركَ وراءها أثراً هو أدلّ على رجحان أحد الرأيين من أى حكم بين ، فان الشواهد تدلّ على أن أصحاب « الأدب المكشوف » قد خسروا القضية لأننا لم نر أثراً أدبياً يعتدّ به يجوز أن يُعدّ من « الأدب المكشوف » .

إلا أن خسران القضية فى الماضى لا يمنع استئنافها فى أى وقت من الأوقات إذا استجدّ فى الميدان من لم يسلم بهزيمة السابقين وأنس من نفسه القدرة على اثارتها من جديد .

وقد تراءى لى أن قضية « الأدب المشكوف » قد استؤنفت لا بطريق المحاجة وانما بطريق عملىّ ، وعلى نهج آخر جعلنى أطلق على هذا المذهب الفنى اسم « الأدب المُعَرّى » وذلك لأنه استعاض عن افشاء أسرار النفس بتعرية الأجساد أمام الرائين ، وأية الأجساد أجدر بالتعرية من جسد المرأة الجميلة فى خدمة الفن الجميل ؟

وهكذا كسب أنصارُ « الأدب المكشوف » نصيراً من نوع جديد يُعْنى بظاهر الجمال الفنى وهو الدكتور أبو شادى الشاعر .

وموقفى معه فى هذه المسألة اليوم هو موقف المستنكر لمذهبه على رغم انتصارى لأصحاب « الأدب المكشوف » على الوجه الذى أوضحتُه .

ومن العجب حقاً أن أبا شادي العفّ اللسان الطاهر الذيل والذى أخذ على نفسه أن يسخّر شعره لتأدية رسالة تهذيب الأنفس الضالّة وانتشالها من أقذار الرذيلة هو نفسه الذى يستعين على أداء هذه الرسالة بما يعكس الغرض المنشود .

تعالَ وانظر أيها القارىء أجساد هذه النساء العارية التى اندسّت صُوَرُها فى تضاعيف دواوينه ، ودعك من القول بأن تأمُّلَ جسد المرأة العارية ضربٌ من ضروب عبادة الجمال الفنىّ ، فانك أيها القارىء انسانٌ من لحم ودم ، وفيك شهوةٌ آدميةٌ هى أعنف وأطغى على نفسك من أىّ تأمّل فنى ، فما لك وما لهذه الفتنة النائمة تساق اليك من حيث لا تتوقّع الا الهداية وتقديس جمال الأرواح لا الأجساد ؟

ثم بالله عليك لماذا عُرِّيَتْ المرأة ولم يعرّ الرجل ؟ أليس فى ذلك زراية بالمرأة واتخاذها سلعة فى سوق الجمال ، كما كان يصنع تجار الرقيق فى الزمن القديم ؟

ثم أليست هذه العبادة للجمال الجسدى مما انتهت به الحضارة اليونانية عند انحطاطها فكان هذا الاستمتاع الجسدى هو السمّ الذى ماتت به وهو الذى استخرجته المسيحية من أنقاض هذه الحضارة البائدة لتدفنه وتغلب عليه جمال الروح ؟

ودعنا أيها القارىء من حجة الدين فى تحريم العرى والتعرية ، فان هذه الحجة مردودٌ عليها بنسبة العجز الى صاحبها متى أعوزه دليلُ العقل .

فلئن كان أبو شادى قد عصمه الله من الفتنة فلم تقع هذه الصور من نفسه موقعاً يوقظ فيها دنيا الغرائز فلست أيها القارىء وأنا مثلك الا بشر لا حول لنا ولا قوة أمام مثل هذه المفاتن ، وخيرٌ لى ولك أن ننأى عن مصادرها من أن يقذف بنا فى نار المحنة ويقال لنا : لا تكتووا بها !

فهلاّ رفق الدكتور أبو شادى بقرّائه وباعد بينهم وبين أسباب الريبة ولاءم بين مخبره الطاهر وبيانه العفيف وبين أسلوبه فى اظهار الجمال ؟

محمد سعيد ابراهيم



ابزيس

(مثال للفن المصرى — للمثال محمود مختار)



(المحرر — يعنينا فى التعليق على رسالة صديقنا الناقد الاعتبارات الآتية :

(١) لقد تفشَّى الشذوذُ فى البيئات الشرقيــة تفشياً شنيعاً ، فالاشادة بجمال المرأة علاجٌ شريفٌ لهذه الحالة المريضة ، وشتان بين هذا وبين الأدب المكشوف الغاشم ، البعيد عن التهذيب والصقل فى كل مظاهره ، فانه مما تمجّه الأذواقُ السليمة ولن نكون يوماً من أنصاره . وصديقنا واهمٌ فى تصوّره أننا ننصر ذلك الأدب المكشوف عن طريق غير مباشر كيفما كانت نظرته الى ذلك الأدب المكشوف .

(٢) لقد كان وما يزال الجمال الانسانى موضوعَ عناية الفنانين منــذ قرون ، سواء أتناول الفنُّ جسم المرأة أم جسم الرجل نحتاً وتصويراً وشعراً . ولــكل فنان أن يختار ما يرضيه ، فالجسم الانسانى عنده يكاد يكون ذاتيةً معنويةً لا غير . وعندنا أن الشعر يجب أن يُستمدَّ من لبّ الحياة : من شخصية الشاعر ومن الطبيعة ، وللمرأة مكانتها السامية فى الطبيعة ، وحينئذ ينبض الشعر بالحياة ويشرق بنورها . ولا معنى لقبول فن المرأة من الرسام والنحات وانــكار استيحائه على الشاعر ، إلا أن يكون ذلك مجرد متابعة للتقاليد !

(٣) ليس ممــا يعاب أن يتسامى الفنان بالغريزة (sublimation) ، وليس من العيب تقديس المرأة كياناً وروحاً ومعــنًى ، بل العيب اغفال حقائق الحياة السامية ، فان هذا الاغفال يؤدّى الى ضلال النفوس والى الرذيلة المستورة . ونحن لا نعرف ما يسميه صديقنا أجسادَ نساءٍ عارية ، ولــكننا نعرف معانى رمزية فى تلك الجسوم الجميلة ، وهــذا ما نحاول دائماً أن نوحيــه فى أشعارنا مرتفعين بالقارىء عن شعور اللحم والدم . وما عليه الا أن يقارن بين ما نستوحيه من أيّةٍ من هذه الصُّوَرِ الفنيةِ وبين نظرات الشعراء التقليديين اليها فيرى الفرق الشاسع بين النظرتين .

(٤) أن إعزاز الجمال الجسدى فى اعتدال الفطرة السليمة هو ما ندعو اليــه الى جانب إعزازنا الروح الجميلة ، فليس ثمة تهالكٌ على ذلك الجمال الجسدى ولا احتقار له ، فلا خوف من استحالة هذا استحالةً هادمةً لــكيان الأخــلاق والحضارة ، بل انّ هذا الشعور الطبيعى السليم هو من مقوّمات الانسانيــة بكل ما يحمله هــذا التعبير من السلامة والصحة . ليس فى الأمر فتنة ولا ريبة ولا نحوهما ، وانما فيه قتل للرياء وللشذوذ وللتقاليد المريضة ، وتعزيزٌ لعناصر الطبيعة الصحيحة ، وتربيــة للنفوس الضعيفة التى تعوّدتْ الخوفَ من الحيــاة وحقائقها واعتبرت السلامة فى المخادعة التى تؤدّى بها فى النهاية الى مهاوى الشذوذ والدمار)

ديوان زكى مبارك

الدكتور زكى مبارك ملوم بعض اللوم لتنكر الناس له وعقوقهم : فهو لا يرأف بهم ولا يرفق حين يعرض آثاره عليهم ولا يرحمهم حين يطلعهم على مبتكر آرائه بل لا يتسع صدره لهم ولا لآرائهم فيهزأ بهم ويقسو عليهم . والدكتور معذور فى ذلك كل العذر فربما رأى ان الناس لا يفهمون ولا يحسنون القدْرَ اذا أخذوا بالرفق والتؤدة بل قد يزيدهم ذلك تنكراً وغدراً . يرسل الرأى ـ يحتاج الى الدليل ويعوزه البرهان ويتطلب التبسط ـ ارسالاً فلا يتكلف عناء تقريبه من أذهان القراء ، ويتحكم فى الأمور فهو يريد أن يكون الأمر كذلك لحاجة فى نفسه من غير أن يذكر ما يُسوّغ ذلك اعتماداً على فطنة القراء من طريق القياس على النفس ، فاقرأ رده على السيد مصطفى جواد فى نقد ديوانه فى عدد مارس سنة ١٩٣٤ من مجلة (أبولو) تجد صدق ما نقول .

قرأت هذا الرد فابتسمت لا سخريةً منه فمعاذ الله أن نهزأ بآراء الدكتور ، وإنما هى ابتسامة انتزعها الاعجاب بالمقال وما فيه من آراء قيّمة وحب للتجديد والتحرر من القيود ، وحسب الدكتور أن يعلم أن هذه الابتسامة لم يصحبها هزّ الاكتاف ولا مط الشفاه ليتحقق انها كانت ابتسامة إعجاب . ولست أكتب هذا لتأييد السيد مصطفى جواد والدفاع عن آرائه فقد يكون فى غنى عن ذلك ، انما أكتب هذا لأعرض مظاهر من علم الدكتور وفضله عسى أن يقتنع بذلك القراء ومن بينهم السيد مصطفى جواد فلا يعود لنقده ولا يعرض نفسه للرجوع الى النحو الذى يدرس اليوم فى المدارس المصرية (١) :

(١) أخذ السيد مصطفى جواد على الدكتور إفراده نعت الجمع على كون النعت من باب فعلاء التى مذكرها أفعل فى قوله :

لم تُنسنى فتنة الدنيا وبهجتها ما فى شمائلك الغراء من فِتَنِ

وقال « إن الصواب شمائلك الغرّ وهى لغة القرآن الكريم ولغة العرب كافة ، وإن هذه ليست من باب أيام معدودات ومعدودة » .

---

(١) كما أحاله الدكتور فى رده

أما الدكتور فيرى أن لغة اليوم تقبل وصف الشمائل بالغراء ، وما دامت لغة اليوم تقبل هذا ونحن أبناء اليوم فكلام الدكتور لاغبار عليه ، وخاصة حين سرى ذلك فى الكتب النحوية فقيل « الأفعال الجوفاء » .. كلام معقول ولكن ما العمل يا سيدى الدكتور اذا كانت العقول متفاوتة وهى لا تسيغ هذا الكلام وتتردد فيها هذه الأسئلة : ما لغة اليوم ؟ وما الفرق بينها وبين اللغة العربية من حيث القواعد حتى تقبل ما ترفضه العربية ؟ ثم ما الكتب النحوية التى ورد فيها ذكر « الأفعال الجوفاء » ؟ ومَن ألّفها ؟ وفى أى عصر ألّفت ؟ والى أى العصور يصح الاستشهاد بلغة القوم ؟ ولا يضيق الدكتور ذرعاً بهذه الأسئلة ولا يتململ منها فليس به حاجة الى لغة اليوم هذه ولا الى الاستبدال بـ (الأفعال الجوفاء) ما دام المعروف ـ كما ينقل الدكتور ـ ان الأفصح إفراد صفة جمع الكثرة لغير العاقل . وقد تعرض الخضرى والصبان لذلك عند البحث فى قول ابن مالك :

والله يقضى بهباتٍ وافرهْ لى وله فى درجات الآخرهْ

وما دام قد ورد فى القرآن الكريم « فيها سُرُرٌ مرفوعةٌ » و « أكوابٌ موضوعةٌ » و « نمارق مصفوفة » و « زرابى مبثوثة » وكلها جموع كثرة ماعدا « أكواباً » — فى رأى الدكتور — وفيه أيضاً « أئذا كنا عظاماً نخرة » و « يتلو صحفاً مطهرة » الى غير ذلك من الأمثلة التى ذكرها الدكتور من القرآن الكريم والشعر وهى التى أتبعها بيتى الأجهورى :

وجمع كثرة لما لا يعقل فالافصح الافراد فيه يا قل
وغيره فالأفصح المطابقهْ نحو هبات وافرات لائقهْ

ولكن ما نصنع يا سيدى الدكتور بما ورد فى القرآن الكريم « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود » و « عاليهم ثياب سندس خضر » و « حدائق غلباً » و « يلبسون ثياباً خضراً » وهى كما ترى جموع كثرة لما لا يعقل جمعت صفاتها ، والأفصح يقتضى ـ على ما نقلته يا سيدى الدكتور ـ أن تفرد . فهل تكلم القرآن بغير الأفصح ؟

أنت محقٌّ يا سيدى الدكتور فيما نقلت عن الصفة ، ولكن ما لم تكن الصفة من باب فعلاء التى مذكرها أفعل كما نبه عليه السيد مصطفى جواد فى نقده فقد ذكر المبرد فى كتابه الكامل « ١ : ٤١ » ما نصه : « فان كان نعتاً لجمعه على فُعْلٍ نحو

أحمر و حمر وأصفر وُصفر ... فان اردت نعتـاً محضاً يتبع المنعوت قلت : مررْتُ بثياب سُود وبخيل دُهْم وكلّ ما أشبه هذا فهذا مجراه » وذكر المبرد هذه القاعدة العربية العامة فى موضع آخر من الكامل ولـكنا استغنينا بهـذا عن ذاك ، بله أن القولين من المبرد كالقول الواحد فى الاحتجاج .

وحذار أن يظن القارىء ان الدكتور لم يكن يفهم هذا كله بل يعلم أن ما ذكره لا يغنيه شيئاً ولـكن عزّ عليه أن لا يذكر هذه الشواهد ليعترف على الأقل بفضل السيد البشبيشى الذى ذكره بها ويشركه فى زلته وهى فضيلة نسجلها للدكتور. وأما اعتبار الدكتور « أكواباً » جمع قلة فعسى أن يصلحه السيد البشبيشى فيذكره أنها جمع كثرة أيضاً لاعتلال عينها ، وعلى ذلك وردت فى القرآن الكريم ثم ان التسامح الذى لجأ اليه الدكتور أخيراً فى رد الباب الى أصل واحد واعتباره هذا النعت من باب «أيام معدودات ومعدودة» وقوله : «إن العقل يقبله وإن خالف النقل » ، أمور معقولة إذا كنا فى معرض وضع لغة جديدةٍ غير اللغة العربية التى نتعلمها تعلماً ، أما التسامح الذى يؤخـذ به فى اللغة العربيـة فهو ما لا يخالفه المنقول من كلام العرب يا سيدى الدكتور .

(٢) لا أريد أن أعلق شيئاً على رد الدكتور الثانى وهو قوله «إن توسع العرب فى هذه العبارة ــ أى استعمالهم على الرغم ، بالرغم ، وعلى رغم ، وبرغم ــ بوضعهـم أربع صور أباحنى أن أضع لها صورة خامسة » فانا مؤمن بفضل الدكتور وهو حر فيما يدعيه ، وفى استطاعته أن يضع لغة بكمالها إذا شاء لا أن يضع صورة واحدة لاستعمال ما ، وكل الذى أرجوه من الدكتور أن يبين لنا ــ وله الفضل ــ كيف تجيز روح النحو ذلك ؟ إذ يخيل الىَّ أن النحو نفسه يهزُّ رأسه انكاراً ، فلا الحال منه ترضى عن ذلك ولا المفعول لأجله يقبل عكس المعنى لتنضمَّ اليه كلمة .

(٣) من حق الدكتور أن يضيق ذرعاً بالنـاقد وأن يلقى اليه بلهجة فيها معنى الأسف والتعليم والاشفاق أن النار التى ذكرها فى قوله « يا موقد النار فى صدرى مؤججة» هى نار العشق وهى تلتهب قبل الشعل. نعم من حقه هذا ، ولـكنه ألح فى النقد وأسرف ، وليس من حقه كل هذا والناقد لم يلق على الديوان الا نظرة الطائر ، ولـكنى أستميح الدكتور عذراً إذا عجزت عن تقريب هذا الذى يريده من العقول إذ كيف تلتهب نار العشق قبل الشعل ؟ فسواء يا سيدى الدكتور كانت هذه النار

التي تذكرها نار العشق أو نار النبوغ فالموقف لا يتغير ما لم توضح كيف تلتهب نار العشق قبل الشمل ؟ !

(٤) شكرنا للدكتور فضله وارشاده وقلنا لعل فى الأمر ابتكاراً ، ورجعنا الى كتب النحو الذى يدرس اليوم فى المدارس المصرية كما أشار اليه لنرى كيف كان جزم المضارع فى جواب الطلب غير واجب كما قرّر الدكتور وجوّز لنفسه أن يقول « فلنا الحرية فى الجزم والرفع » فى رده على الناقد حين أنكر عليه رفعه الفعل «أهدى» فى قوله « تعالَ أهديك من روحى بعاصفةٍ » فرأينا الأمر غير ما ذكره الدكتور، والدكتور أجلّ من أن نذكر له النحو الذى يدرس اليوم فى المدارس المصرية فليرجع اذا شاء الى الصحيفة « ٢٧ » من كتاب قواعد اللغة العربية الطبعة العاشرة (سنة ١٩٢٥) . ولا أكتم الدكتور أن الشك فى علمه كاد يتسرب الى نفسى لولا أنه عاد فاعترف بان الياء قد ثبتت فى الديوان فى قوله « تعال نحيي شهيد اللهوثانية» لغلطة مطبعية و « ان حضرته (يريد الناقد) لم يصب حين ذكر اننا كررنا الغلطة » .

(٥) لا ألوم الدكتور فقد ضقت أنا كذلك ذرعا بالناقد فهو محرج حقاً لا يترك لغيره وسيلةً للرد ، ويدعوه الانصاف فيتساهل تساهلاً يعرفه الدكتور حق العلم . أنكر على الدكتور جمعه المصير على المصائر لأن ياء مصير أصلية ، وخشى أن يحتج الدكتور بعصائب ومنائر فأخرجهما وراح يعلل سبب شذوذهما عسى أن يتوسل الدكتور بنفس السبب وهو يفهم أن القدماء عدّوا هذا من أخطاء العرب، فكان له ما أراد وتوسل الدكتور بنفس السبب وهو يعلم أن الخفة وحدها لا توجب التورط فى الخطأ وان القياس على الخطأ لا يجوز .

(٦) الحمد لله لقد سررتنى يا سيدى الدكتور حين أثبتّ بالشاهد تلو الشاهد لتؤيد قولك بانه يجوز ترجيح الشرط على القسم فى الجواب اذا اجتمعا ولم يسبقهما ما يحتاج الى الخبر ولم ينقص هذا السرور أن هذا القول ضعيف أخذ به الفراء وحده ورفضه الجمهور ، وأوّلوا هذه الأبيات على أن اللام فيها زائدة وليست للقسم أو أن ترجيح الشرط ضرورة ، وكان حقيقاً أن يعدّ اللام فى بيته زائدة فيسلم على مذهبهم ، أمّا كلام ابن المدبر الذى ذكره الدكتور فليس يصلحُ للاستشهاد ، والارجح ان قولهُ هذا من تحريف النسّاخ على ما حُقّق فى (المقتطف)، ولو كانت الرسالة سالمة من مسخ النسخ ما تصدّى لاصلاحها الدكتور الكريم .

(٧) وقد زاد هذا السرور ذلك التحدّي الذي يظهره الدكتور وهذه الثقة بالنفس فانه يعدي الفعل «حرم» بالحرف عامداً لأن تعديته بالحرف فيما يقول الدكتور لها في النفس معنًى لا يؤدَّى حين يعدَّى هذا الفعل بنفسه، والدكتور لذلك يستحق التهنئة لأنه سبق الى ابتكار هذا المعنى الجديد بعد أن أغفلته القرون ، وأنا أبتهل الى الدكتور أن يشرح هذا الفرق بين المعنيين حتى لا تبقى فيه ريبة لمرتاب وحتى لا ينفس عليه الناس هذه الحرية التي يعطيها لنفسه في الاداء .

وبعد ، فان الدكتور زكي مبارك أديب كبير وبحّاثة له آثاره المشهورة ودراساته المعروفة وعالم من كبار العلماء وله في ذلك فضل غير منكور فلا يزيده أن يكون لغوياً ونحوياً، ولا ينقصه أن لا يكون لم؟

سليم الأعظمي

(خريج دار المعلمين العليا ببغداد)

ديوان صالح جودت

« إن صالح جودت بفطرته شاعر غنائي حساس ، حلو العبارة ، فياض العاطفة جياش بالمعاني العذبة الرقيقة » و « لشاعرنا أسلوب سهل سائغ مستقيم البيان » . هاتان فقرتان من رأي الشاعر العبقري أبي شادي في الشاعر الشاب صالح جودت وردتا في تصديره لديوانه الجديد . وقد قرأت التصدير بعد مطالعتي لشعر الديوان فأحببت أن أعرض للقراء صورة التفاعل الذي حصل في نفسي بين هذه الأحكام من شاعر يعدّه المنصفُ المستوعبُ لشعره زعيمَ المدرسة الحديثة في الشعر، وبين الصور الشعرية التي طالعتها بامعان ونظر مجرد عن الهوى والمحاباة والتحامل الذي أصبح دين النقاد في عصرنا هذا في كل ما ينقدون ؛ وكانت محل حكمه . ولنسلك في كلمتنا هذه الطريق الطبعي فنبدأ بالوسيلة وهي الأسلوب وننتهي بالغاية وهي المعاني . ويجب أن ندرك أن فساد أحد هذين الطرفين يخرجه عن ماهية الشعر الحي السامي الى النظم الجاف الوضيع ، فحيث لا توجد غاية سامية مبتدعة من أثر الخيال الاختراعي الناضج عند الشاعر في أي فن من فنون الحياة حيثما اتجهت أهواؤه وميوله ، لا قيمة للأسلوب مهما رصعته بألفاظ براقة أو موسيقى خالبة ، فهو حينئذ أشبه باللؤلؤ على

لجيف والزهور على القبور ، وحيث لا يسلك الشاعر فى الوصول الى غايتـه تلك سبيلاً مستقيماً لا تعقيد فيه ولا التواء ولا تعاظل فى اللفظ ولا تنافر فى الوحدات الموسيقية ولا خروج على قواعد وأصول البيان العربى الذى عبر به الشاعر من جهة اللغة والاعراب فى الحيز المسموح للشعر كفن تصويرى له حريته واتساع مداه ، لا قيمة لمعانيه التى تشبه الدرّ المغموس فى الوحل لا يفتن به أحد ولا يُعثر عليـه الا مصادفة وبعد طول عناء .

أما عن أسلوب الشاعر فى ديوانه فهو غنائى بلا شك ، تدرك ذلك حـين ترى أغلب قصائده جارية على بحور محدودة عـذبة الجرس تتواتر أنغامها فى انسجام لا يتطرق اليـه الخلل إلا فى النادر حيث أفلت من الشاعر وزن بعض الأبيات فجاءت مضطربة فى موضعين من الديوان . الأول فى قوله :

فان شئت فيه رحمة فاهدريه وان شئت لى السقم فاستنـكى

فالشطر الأول مختل الوزن . والثانى حيث يقول :

سوف ألقى سرمد النوم فى ظلمة الرمس فأرثى للشباب

وتعبيراته سهلة مألوفة تتجلى طرافة الصياغة فيها فى قصائد (الجسد العبقرى) و (ظمآن) و (بعد الرحيل) و (الـكون) ، من ذلك قوله يصف شعر الحسناء فى (استانلى باى) :

وعلى فرعك أطيافُ الأصيل المسجديّه
ذهبيّ حرم القلبَ الأمانى الذهبيّهْ

وقوله يخاطبها فى موضع آخر :

أى ليـل فيـك من أنجمه كوكب يسطع فى ليل حياتى ؟
أىّ دير فيك من سكانه كاهن فى العين يدعو للصلاة ؟
أى شمس فيك من مغربها شفق ملتهب فى الوجنات ؟

وأما بقية القصائد الأخرى فقد تخشن أحياناً عن السهولة الملموسة فى الديوان عند ما يحاكى الشاعر الأساليب القديمة ويتأثر بها كما فى قصيدة (المهزلة الـكبرى) حيث يقول :

ثم جفّـف ساعة جفنى الدّميعْ وارْدِ نوق الحزن واهتف: حيهلا !

وقد تأتى حاملة لتعبيرات عادية فاقدة جمال السبك فى مثل الأبيات الآتية المتناثرة فى الديوان :

إنما الدنيا سراب زائف خاله الصادى . . مقلا ظمأنه

« • »

هل شهدتم أفول نجم المعالى ؟ هل سمعتم نحيب أهل العراق ؟

« • »

يا أمير الطب فى أعناقهم عائلات من بنات وبنينْ

مرض الأزمة أمسى عندهم مزمناً .. والقلب موصول الأنينْ

« • »

والذى يخلع الحياة على الحب ويجنى الصدودَ يرضيه ذلكْ

« • »

وكلما بت أشكو تقول : أنت المخيَّرْ

يا أكبر الناس حسناً لا تطغ .. فالله أكبرْ !

« • »

ويرجع سبب ذلك إلى اهتمام الشاعر بذوق الجمهور ونزوله على ارادته فى التساهل المسرف فى الصياغة . ورأيى أن الشاعر يجب أن يحلق فى مستوى عبقريته فلا يتدانى للجمهور بل الجمهور هو الذى عليه أن يتسامى اليه لأن البيئة التى نعيش فيها غير منقفة لا تلتهم من الشعور إلا الغث المائع فيجب أن نروّضها على الأساليب الممتازة مهما أدى ذلك الى سخطها . وان كثيراً من شعراء الغرب والشرق من أدّى وارسالتهم فى الشعر بين نار السخط والتحامل لعدم اطرادها مع ذوق الجمهور وحالته الثقافية وأسلوب تفكيره حتى اذا فارقوا الحياة رأينا شعرهم موائد مفعمة بالمعجزات الفنية يصطرع حولها النقاد وشداة الأدب والمفكرون ، والشاعر كالمصور إن لم يطبع أخيلته الفذة على صحيفته وينقشها بريشته حتى تبدو آية فنية تخلب العقول وتغذى الأذواق فلا قيمة كبيرة لشعره ، وجمال النقش التصويرى فى الشعر يكون باظهار المعانى فى ثوب يناسبها يقوم على الابداع فى الصياغة وهجر العامى والقديم والكثير الاستعمال ، وقد ورد فى الديوان استعمال بعض ألفاظ فى غير مواضعها أو الخروج بها عن الصيغ الصحيحة الملائمة مثل (فضضت) فى الشطر الآتى فى رثاء فيصل :

« وفضضت القيد الذى أحكمته »... فاللفظ المناسب للقيد فى مجال الصراع عن الحرية والذبّ عنها هو التحطيم لتظهر قوة المعنى فلو قال : «وحطمت القيد» لكان أولى وأبلغ لأن الفضّ للأشياء العادية السهلة كالرسائل . ومثل « صبوا » فى الشطر « وأسكب دمعى على من صبَوْا » فالقافية فى القصيدة (ليلى الجديدة) باء مضمومة والباء هنا مفتوحة بعدها واو ساكنة لأن اسناد صَبَا الى واو الجماعة لا يأتى إلا كذلك وليس من ضرورات الشعر تغييره . ومثله تماماً استعمال لفظ (شكَوْا) بضم الكاف اطراداً مع القافية والصواب فتحها وإسكان الواو فى البيت :

إنما مَن كان لحماً ودماً يتشكى الهمّ من حيث.. شكوْا

ومثله تعدية (يُدْلِى) فى البيت الآتى بنفسها فى قصيدة (الفقير) :

وانتهى للأراك يلتمس الظلّ ويدلى الى الحياة الخيالا

إذ الصواب الفصيح تعديتها بالباء . قال تعالى مشيراً الى الرشوة (وتدلوا بها إلى الحكام) ؛ فكان الصواب أن يقال ويدلى الى الحياة بالخيال . ومثل استعمال كلمة (فارق) بمعنى خائف فى موضعين :

فاذا ما أبرق البرق انزوى فارقاً ... يشفق من كيد المطرْ

أيها الراهب إنى فارق لعب الشك بقلبي ثم جدّ

وهو استعمال خاطىء صوابه (فَرِقٌ) بكسر الراء لأن اسم الفاعل من فرق بمعنى خاف لا يأتى إلا كذلك، على أن استعماله بتلك الصورة الصحيحة لا يكسر البيت ، ومثل تعدية لفظ (تجنى) بنفسه فى الشطر الآتى :

(وتجنى على الليالى الضلالا)

ومثل حذف الفاء فى جواب الشرط فى البيتين الآتيين :

واذا الله كما قلت لنا قدر الأعمال فى سفر الأزلْ

كيف يعزى للورى آثامهم وإلى النار .. إذا حُمّ الأجلْ ؟

والصواب .. فكيف ، لأنهم يقولون بوجوب اقتران جواب (اذا) الشرطية اذا تلتها جملة اسمية كما وقعت هنا . ومثل استعمال لفظ (أ) فى البيت الآتى :

أيها الكاهن إما خطلٌ بات فى رأسك أم أنت غلْ ؟

لأن أم حرف عطف فى الاستفهام وليس هنا بذلك ، ولو قال أو لصح التعبير .
ومثل استعمال لفظ (أتانى) فى البيت الآتى :

زلة لله لا أغفرها إذ أتانى فكرة مسضعفة

لأن أتانى بمعنى حضر إلىّ وهو يقصد (آتانى) أعطانى ولو قال حبانى لاستقام المعنى دون خلل فى الوزن . ومثل استعمال لفظ اليمين فى الشطر الآتى لا يلتئم مع المعطوف عليه وهو الايمان (شادها الايمان دهراً واليمين) وقد ورد تكراراً لفظ بعينه أو لفظين فى أبيات متقاربة مثل (ذاب) و (العذاب) فى قصيدة (الشارد) .

نخلص من ذلك الى نقد المعانى والاغراض التى كتب فيها الشاعر ، ولعل أول ما يعترض علينا هذا السبيل قولهم : إن لكل شاعر أن يكتب ما يحسّ ، وليس من الانصاف للفن أن يجبر الشاعر على الكتابة فى غرض خاص لأن الشاعر اذا رصد شاعريته للمناسبات وانتظر املاء الأغراض عليه استغلقت دونه أبواب الالهام وكان آليّاً قاصر الابتداع محدود الخيال لأن الغرض الذى يقتنصه الشاعر بخياله أسمى من أى غرض يملَى عليه . رأى صائب الى حد بعيد . ولكننا نقول ان البيئة التى تغير كل شىء وتحول تيار الحياة النفسية فى كل أمة لا أقل من أن يتأثر بها الشاعر وهو أدق الناس احساساً ، فاذا عرفنا ذلك وذكرنا موقف البيئة المصرية وما ترزح تحته من أعباء السياسة الطاغية واغلال القيد وكبت الحرية . عاتبنا الشاعر على خلو الديوان من الروح الوطنية التى تشبُّ بالنيل وتضرم النار حول اغلال الاستعمار ، وقديماً وقف بيرون الشاعر الانجليزى قيثارته زمناً على تحرير بلاد اليونان حتى استمدت من روحه قوة طفرت بها الحرية وهتك حجاب الرق الانسانى ، وما كانت اليونان وطنه ولا طمع وهو شاعر يحمل لواء العاطفة الانسانية فى غرض استعمارى أو دسّ سياسى . والشاعر المستعبد كالطائر السجين فى قفص مظلم لا يحلو له التغريد إلا بكاءً على النور والحرية . ونحن الشبابَ أحقّ الناس بنشدان الحرية المفقودة فى وطن النيل . والغرض الوحيد الذى انتهب قلب الشاعر هو الحب ، والحب الجامح المستطير الذى دفعه الى تقديس المرأة فشبب بها وعابثها وضحى فى سبيل هواها برضا الجمهور عنه حينما أدخل ألفاظاً ومعانى غير مألوفة تُسخط البعض عليه فى سبيل عطف المرأة ورضاها :

قيل لى : ألحدتَ يا عبدَ الهوى فى سبيل الحب أرضى ما ادّعوا
أنا لم اتكر إلهى ساعة بل عبدت الله فيما يبدعُ

ورفعها الى مكان أزرى بكل ما دونه فى العالم حيث قال :

(إنما الحسناء فى فتنتها هى ظلّ الله فى تلك الحياه . .)

(أكبر الظن أنت طيف إله عبقرىّ فى عالم متسامى)

ولم أستطع ضبط غرام الشاعر فى ناحية أحكم به عليها . فهو تارة يقدس الحسن ويزهد فيه فيبدو لنا فى مسموح الرهبان لا يطمع فيها طمع فيه الماديون من عباد الشهوات إذ يقول :

أنت إلهامى ومعناىَ ووحىُ الشاعريّهْ
وأنا الزاهد فيما طمعت فيه البريّهْ

وإذ يقول فى موضع آخر :

أحبُّكِ لا للعناق فانى أخاف على قدّكِ المرهف
ولا اللثم ، إنى أخاف عليك من النفس المحرق المتلف
ولكن أحبك كالوثنىّ وأزهد فيك وإن تسرفى

وتارة أخرى يخلع عنه تلك المسوح ويسفر للحسن فيلتهمه التهاماً ويتحرق على حرمانه من منهله المادى الذى يظهر فى الأبيات :

خذينى فى ذراعيكِ وضمينى إلى صدركْ
وروّى لهفةَ الظمآ ن بالقبلة مِن ثغركْ

وحين يقول :

فاختلسْ فرصةَ الشباب ومتّعْ يا حبيبى أهل الهوى بوصالكْ

ومن القطع الرائعة فى غزلياته التى تشرق منها الروح المصرية فى عذوبة وبساطة خيال :

لك شعرٌ ذهبىٌّ ساحرٌ ضاع فى موجاته قلبى و ذابْ
لك خدان تجرّت فيهما حمرة تنساب من قلبى المذابْ
والعيون الزرق من فوقهما رائحات.. غاديات..كالسحابْ!

وكقوله من قصيدة (بعد الرحيل) :

ما عشقتُ الورد إلا أنه ... صفحة سالت عليها وجنتاكْ

وانى آخذ على الشاعر ألفته بالمعانى الساذجة فهى رغم عذوبتها لا تدل على عمق لأنها مألوفة وذلك فى بعض أبيات من قصائد الديوان ، وفى قصيدة مهرجان القرش فى أغلبها . قال من قصيدة :

بين هاتين فترةٌ من سباتٍ ... تجمع اليأس والمنى فى مكانِ

والشطر الثانى بنصه لأحمد الزين الشاعر المعاصر فى وصفه (القلب) :

مَن لقلبٍ بين الجوانح عانٍ ... جمع اليـأس والمنى فى مكانـ

وقال ، وهو من المعانى التى أخذت ضحولتها عليـه : (هل سمعتم نحيب أهل العراق؟) فان المصاب على هذا محدود ولو عممه لـكان أبلغ كما فتح شوقى رثاءه لمصطفى كامل بقوله : (المشرقان عليك ينتحبان) فلو قال الشرق فقط لضعف المعنى بَلْه قوله مصر . وقال فى نفس القصيدة :

أين كان العراق ؟ كان غريقاً ... فى محيط الظلام للأعناق !

فان تحديد الغرق إلى الأعناق فيه عدم استكمال الصورة المطلوبة .

وتتجلى فى الديوان ظاهرة قوية من مرده الفـكر إزاء سر بعض النواحى الدينية حتى أن الشاعر لم يقصرها على قصيدة (الراهب المتمرد) التى تعد من أقوى قصائد الديوان بل بعثرها فى نواح عدة كالمهزلة الـكبرى وأكذوبة الموت ، وفى خلال الشعر الغزلى ، وليس فى مجالنا متسع لنقاشها .

وبعد ، فانا نهنىء الشاعر على تلك الروح القوية وذلك المجهود الجديد الذى أرجو أن يكون فاتحة شاعرية مصرية تبشر بقوة الجيل الحديث ؟

محمود حسن اسماعيل



نظرات فى الشعر

(أ) النثر والنظم

للتعبير عما يجول بالفكر عن طريق الألفاظ سبيلان مختلفان: أحدهما يتبع قواعد اللغة المقررة ولا يحيد عنها قيد أنملة، ويجرى أسلوبه بحيث يوضح فى جلاء الأفكار والآراء المقصودة منه، وهذا ما يعرف بالنثر، والآخر يخرج على تلك القواعد حينما يضطر إلى ذلك، ويخرج كذلك على حروف الهجاء وتراكيب الألفاظ حين تضطره الموسيقى، ويعبر عن أفكاره وآرائه بأساليب تميل الى الغرابة وتدعو الى التأمل والتفكير، وهو ما نطلق عليه اسم النظم. وهنا يعنّ لنا السؤال الآتى:

أى السبيلين يتبع المرء فى التعبير عن أفكاره: الشعر أم النثر؟

(ب) النثر والشعر

ان فرجة الخلاف لتتسع كثيراً بين النثر والشعر اذا نظرنا الى كل منهما من حيث هو أداة للتعبير. فالمرء تدفعه فى حياته دوافع مختلفة متباينة لا يكاد يميز أسبابها وتأثيرها: فتارة تراه يتبع العقل ويخضع له خضوعاً مطلقاً من حيث لا يدرى لذلك من سبب مشروع، هذا والعقل يختبر الأشياء ويفحصها ببرودة وجفاف ويضغط على كل ما عساه يمتّ إلى العاطفة بسبب، ويقرر فى الأخير حالة واحدة، تستنبطها من تفكيره الصارم، ويقف حيالها لا يريم ولا يتحول، فى حين أن العاطفة تجذب المرء نحو الأمر الذى تحبذه وترغب فيه. والخيال يعرض الأشياء كما يهوى لا كما هى فى الحقيقة، ويعمل على صبغها بصور وهمية رائعة، ويضفى عليها حسناً وبهاءً لا يمتّان للواقع بصلة، ثم يخلط هذه الاصباغ والصور المبتدعة بعضها ببعض ويخرج منها بمثال غريب جديد يختلف جداً عن الصورة الأصلية. والميثولوجيا الاغريقية حافلة بخرافات جمة تذخر بالخيال الفذ: فالشمس عند الاغريقىّ لم تكن كوكباً تدور حوله الأرض لاحداث الليل والنهار كما نعرف نحن الآن، ولكنها كانت إلاهاً يدعى «فيبوس» Phébus يبرح الاولمب كل صباح، ليحمل فى عربته الخالدين ... أو هى فتاة جميلة فى ريعان الصبي تدعى «لورور» l' Aurore ذات

أنامل وردية تفتح أبواب المشرق وغدائرها الذهبية مرسلة على غير نظام ، وينتهى شوطها فى المساء فتختنق فى مياه المحيط الحمراء .

والتمييز الذى نلمسه بين العقل والخيال هو بعينه الذى نعثر عليه بين النثر والشعر فأحدها ، وهو النثر ، لغة الواقع والعقل ، والآخر وهو الشعر ، لغة العاطفة والخيال والايحاء .

(ج) المثل الأعلى

كذلك يعتبر الشعر لغة المثل الأعلى : فالخيال ، ساعة يخلص من القيد ويتحرر من الرقابة ، يجىء صريحاً جريئاً فى تصويره . فهو يُبْدِى ما يمقته ناقصاً سيئاً ، بينما يظهر الشىء الذى يقبله فى صورة كاملة مرضية . وهو يبعث ، فى صوره الكثيرة الحية ، الخير والجمال والحب الذى ينشده ويرجوه ، أو يبكيه ويأسى عليه ، كما أنه يقلب معالم الدنيا الحقيقية رأساً على عقب متأثراً برغائب القلب العزيزة ، مدركاً أن الحسن والكمال ليسا صورة معكوسة للقبح والنقص . ونحن نقصد بالمثل الأعلى الكمال المطلق الذى لا وجود له إلا فى الروح ، أو الفكرة الثاقبة البعيدة المدى العبقرية الخيال ، التى تتوجه نحوها آمال فذةٌ لا تملك من أمر تحقيقها شيئاً . بيد أنها فى نهاية المطاف ترى تحقق هذا المثل التام الكمال فى الخالق القوىّ ، جلتْ قدرته ، فهو عنوان المثل الأعلى ، بل هو الصورة الفذة له .

(د) الشعر والنظم

نرى مما تقدم أن الشعر قد يتحقق بعيداً عن الصورة المألوفة التى يظهر فيها . أجل ، إننا نلمس الشاعرية العظيمة فى مظاهر الطبيعة الغنية بالحسن ، وفى الموسيقى البارعة النغم ، وفى الصورة الفنية الرائعة ، بل نرى الشعر حياً بارزاً فى كل كتابة تغمرها العاطفة ويضىء جوانبها سنى المثل الأعلى ويغمرها الخيال الرفيع فى طيات شملته ، ولا يعنينا بعد هذا أن يكون الكلام منظوماً مقفى .

ولكن الناس قد اصطلحوا منذ القديم على أن الشعر إنما يجب أن يجىء فى صورة تميزه عن لغة الحوار والكتابة العادية ، فكان أن تدثر الشعر برداء النظم وهكذا بقى النظم الى وقتنا هذا عاملاً أساسياً فى قول الشعر . والحق الذى ليس الى إنكاره سبيل أن النظم بأنغامه الموسيقية عمل على تجميل الشعر وترقيق

تعابيره وإن كان فى الاغلب ، قيّد هذه التعابير وشوّه من معانيها ومراميها الجميلة. هذا ولا يصح أن يطوف بالبال أن كل نظم يدخل فى باب الشعر ما دام الشعر يعتمد فى نحته على النظم ، فهناك من المنظوم ما لا يمتّ الى الشعر بسبب ،ذلك لأنه خلو من العاطفة والخيال والمثل العالى ... فهذه ألفيه ابن مالك فى النحو والصرف لا يمكن أن تُعَدّ شعراً إلا اذا عددنا معها علم الطبيعة وعلم الحياة .

(ه) النثر الشعرى

هذا وكثير من الكتاب الناثرين شعراء بسليقتهم ، وبعواطفهم وبطريقة إحساسهم بالطبيعة التى تحوبهم والحياة التى تغمرهم ، وبجمال لغتهم الموسيقية العظيمة التعبير ، ومن أشهر هؤلاء عندنا المرحوم مصطفى لطفى المنفلوطى وابراهيم عبدالقادر المازنى .

ونحبّ أن نخرج من هذا البحث بأن الشعر هو كل كلام عاطفى خيالى يبحث جاهداً عن المثل الأعلى ولو لم يكن منظوماً . وأن النثر البحت هو ما كان صفراً من كل ذلك ؟

مختار الوكيل



أحمد شوقى

بين التجديد والمجدّدين

كتب الناقد الأدبى لصحيفة (الشعب) المصرية مقالاً طريفاً تحت هذا العنوان ادّعى فيه : (١) أنّ المجددين أوسعوا شاعرية شوقى نقداً وتهديماً ، لكنهم حتى اليوم لم يستطيعوا أن يملؤوا الفراغ الذى تركه لهم الشاعر ، (٢) أنّ كل النقد الذى نال أو ينال الشاعر فى حياته هو نقد قابل للاتهام بالغرض أو التأثر بفكرة معينة ،

أما نقد الرجل بعد انتقاله الى حياة الذكر فهو النقد العلمى الصحيح ، (٣) ان شوقى قد استجاب لنداء المجددين فألف الدرامات الشعرية فى سرعة عجيبة ، ومع هذا فان أحداً منهم لم يقل ولم يفكر أن يقول حتى بعد موته لقد أحسن الرجل صنعاً ، (٤) اننا كنا مغالين يوم أن حملنا على أحمد شوقى هذه الحملات كلها وأن الشاعر كان فى الواقع يستجيب لعقلية جيله الذى عاش فيه منذ بدء الشاعرية فى نفسه .

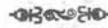
ولا شك فى أن صاحبنا خلط كثيراً فى هذا النقد ، فان شوقى مفهوم جيداً لدى المجددين ، والنقدُ فى أثناء حياته هو نقدٌ معقولٌ لأنه أعطى الشاعر الفقيد فرصة الدفاع عن أدبه وتصرفاته وهو حيٌّ يفكر ويعمل . وقد كان النقدُ الموجَّه اليه من نوعين : أحدهما فنى والآخر خلقى ، وسأشير بعد الى الأول والثانى محصورٌ فى تهافت شوقى رحمه الله على الاستئثار بالمظاهر ، ورغبته فى اخمال كل شاعر لا يسير فى ركابه حتى ولو كان من محبيه ، فالشاعر المستقل الشخصية أو الذى ينقده نقداً فنياً بريئاً لم يكن يسلم من عداوته حتى ولو أعجب به فى نواح أخرى ، بل حتى ولو كان من تلاميذه ! وقد ساعد شوقى على هذا الطغيان ما كوَّنه لنفسه من جاه وثروة أرضخ بهما أقلاماً كثيرة ، ولكن سرعان ما نسيته هذه الأقلام بعد وفاته كما كان يُنتظر . وأما النقد الفنى الذى وُجِّه اليه فقوامه تضحية شوقى بشاعريته حباً فى الرنين الموسيقى حتى كاد يتحول الى موسيقار صرف ، وما ذلك الا لولوعه رحمة الله عليه بمظاهر الهتاف والتهليل ، ولعلمه أن الشعب الذى يعيش بينه مفتون بموسيقى الرنين أكثر من فتنته بالشعر القوىّ السليم ، فهو يعبد الموسيقى الصرفة وقلما يعنى بالشعر الدَّسِم الفنى ، وهكذا جاراه شوقى فى حين لم يجاره أمثالُ مطران وأبو شادى وشكرى والعقاد ، ولهم جميعاً انجاب عظيم لا يقارن بجانبه انتاج شوقى .

لقد كان شوقى نزاعاً الى التجديد فى شبابه من أثر صحبته لمطران الذى يُعدّ بحق إمام المجددين فى العالم العربى ، ولكنّ شوقى انحرف عن هذا التجديد مطاوعةً للبيئة وهذا ما أخذ عليه بشدة لأنّ الفنان يجب أن يعيش لفنه أولاً وأخيراً لا لارضاء الجمهور فحسب . وشوقى لم يستجب للمجددين استجابة خالصة ، فرواياته لا تفضل ما وضعه أمثال اسماعيل عاصم ونجيب الحدَّاد من الدرامات الشعرية سابقاً ولا ما أبدعه أبو شادى من الأوبرات ، وقد وُفِّيتْ جميع روايات شوقى حقها من الدرس من شتّى النواحى ، بل نالت أكثر مما تستحق دراسة ونقداً ، وكان الأولى بهذه الدراسات آثار غيره من الشعراء السابقين والمعاصرين .

وقد ردَّ حضرة الأديب الناقد على نفسه بنفسه حين قال إن شوقى هو شاعر الأجيال السابقة . وقد فهمه المجدّدون على هذا النحو وقابلوا إنتاجه وتصرّفاته الاجتماعية نحو معاصريه من الشعراء بشجاعةٍ أدبيةٍ صادقةٍ محورُها الغيرة على استقلال الأدب وكرامة رجاله وانصافهم . وهذا ما يحمدون له كلَّ الحمد وعلى الأخصّ حينما لم يغمطوا ما لشوقى من مواهب وابداع وإن حُصِرَ ذلك الابداع فى دائرة معينة . فالقول بأنهم لم يسدّوا الفراغ الذى نشأ عن وفاة شوقى لا معنى له لان فقيدنا العظيم قد أدى رسالته واستراح ، وهى رسالة الماضى لا الحاضر فوفاته لم تترك أىَّ فراغ فنى مطلقاً .

هذا وما أحسبُ تيارَ (جمعية أبولو) الأ تياراً تجديدياً قوياً وقد اكتسح معه كثيرين، واختيار الجمعية المغفور له أحمد شوقي بك رئيسها الأول دليلٌ كافٍ على تقدير رجالها للجهود التى يبذلها شيوخ الشعراء وإن لم يؤمن أولئك الشيوخ كل الايمان بالحركة التجديدية ، وبرهانٌ على كياسه رجال الجمعية وحبهم للانصاف وللفن فى ذاته ؟

يوسف رمضان



الابداع والشعر المستعار

لا أعتقد أن هناك مبرراً لرسالة الأديب حسين المهدى الغنام المنشورة فى العدد الماضى ، إذ ليس من طبعى انتقاص أحد وانما غرضى الصريح الواضح هو التحقيق الأدبى لا أكثر ولا أقلّ ، وأظن أنه مما يشرف أى أديب أن لا يُخفى مصادر شعره اذا كان مستلهماً من الأدب الفرنجى ، فنحن نعيش فى عصر ثقافةٍ واسعةٍ ومهما أخفى ذلك الاقتباس فلا بدَّ من ظهوره فى يوم من الأيام ، ولن ينفع حينئذ الادعاء ولا التعالى المصطنع . وأظن أن روح الغيرة على كرامة أدبنا العصرى وأدبائنا المعاصرين واضحة فى كلماتى هذه فلا معنى لاساءة تفسيرها .

وقد أنكر علىَّ حضرة الأديب الفاضل أن العقاد يتعالى على زملائه ويستهزىء بهم ، وللقراء أن يرجعوا الى ما كتبه العقاد نفسه فى ديوانه (هدية الكروان) فى

الوقت الذى أخذ يجسّم فيه من شأن هذا الكروان المسكين تجسيماً لا يتفق مع الحقيقة فى شىء كما أشار الى ذلك الدكتور محمد شرف بك وغيره من رجال الأدب المحققين .

أما أنّ العقاد نبيلٌ فى خصومته فالدليل عليها كلمته المأثورة فى وصف نقاده من أفاضل الأدباء الذين ساعدوا على ترويج ديوانه بأنهم « من أوشاب السوقة » فى حين أنهم لم يقفوا أمامه موقف الخصومة بل موقف النقد الأدبى المفيد ، ومنهم من عُنى بترجمة الجيد من شعره ، وهذا أقبح من جزاء سنمار . . . فكلُّ أديب عاقل يشجع ناقديه ولا يزعم العصمة لنفسه لا يلقى بمثل هذه الشتائم على أهل الفضل والأدب جزاءَ عنايتهم بآثاره . ومن العبث أن يُنعَتَ هؤلاء الأفاضل « بالحسدة المغرورين » فقد خدموا العقاد أكثر مما خدم هو نفسه ، وبينهم من أسدى اليه أجل الخدم ثم قال لهم فى النهاية انه لا يدين اليهم بشىء بل هو رجل عصامى ! ومعظمهم من رجال الأدب الذين يشار اليهم بالبنان والذين يشفقون على العقاد اشفاقاً كلما تورط فى تلك التعبيرات الشاذة ، وينظرون اليه كمريض يجب أن يسامحَ على شذوذه .

أمّا عن كتاب (على السفود) فقد صرّح الرافعى فى دعابته المفتنَّة أنه تعمد كتابته بأسلوب يماثل أسلوب العقاد نفسه حتى يرى العقاد كيف تقع كلماته فى النفوس لعل ذلك يكون مصلحاً من شأنه . . . والكتاب زاخر بالفوائد الأدبية واللغوية وبالنقد الشعرى الكثير ، ولذلك نال رواجاً عظيماً فى البيئات الأدبية ولم ينظر اليه أحدٌ تلك النظرة العجيبة التى ألقاها عليه ناقدى الفاضل ؟

عبد الفتاح شريف



تضحيات أيزيس

ذكرتم فى قصيدة « أيزيس والطفل الأمير » هذا البيت :

وتُضَحِّي فى ارتقابٍ وأسًى تضحياتِ الشَّمْسِ عن قتلى الدُّهورْ

وقد قلبتُ هذا البيت على جميع وُجوه المعانى فلم أستطع أن أفهمه ، حتى قال صديقٌ ظريفٌ إنه من شعر الجِنّ لا الانس ! فما رأيكم فى هذا ؟

ابراهيم نصار

« ٥ »

(المحرر ـ تمثّل أيزيس بسيرتها الوفاءَ والمحبة والحنان كما تُمثّل التضحيةَ والعذاب في سبيلها ، وقد تجلّى ذلك في جولاتها الشريدة بحثاً عن رفات زوجها أوزيريس الذي ما يزال قتلهُ عِبرة الدهور . فهي كالشمسِ المنيرة التي تضحّي بأشعتها للحياة لتُنجب حياةً جديدةً ولتكفر عن قتلى الدّهور الذين طاح بهم قانون الوجود ، ولولا تضحياتُ الشمس هذه المستمرّة لما قامت للحياة قائمة ، فكأنما روح أيزيس المضحية هي مثلها تغذى الأحياء بالأمل والصبر فتضمن استمرار الحياة وتكافح سلطانَ الموت)



السياسة والأدب

لم تتسرَّب السياسةُ الى شيء الا وأفسدته افساداً ، وهذا ما ينطبق على صديقنا الدكتور طه حسين : فقد كنا نمتعض امتعاضاً من تهجمه على المغفور له سعد زغلول باشا تهجماً معيباً في الصحف المعارضة ، حتى اذا ما ألجأته الظروف الى الانضمام الى « كوكب الشرق » في العهد الأخير أصبح النحاس باشا هو « الرئيس الجليل » .. ولعله بهذه الروح يرى أن العقاد هو « حامل لواء الشعر العصري في الشرق العربي » على ما روت بعض الصحف من خطبته في حفلة حديقة الأزبكية ، وقد أثبت العقاد بتشجيعه هذه المهزلة أن حملاته القديمة على المرحوم شوقي بك لم تكن بريئة لوجه الشعر وانما كان الدافع اليها الغيرة الحمقاء ، فهو يفعل الآن ما كان ينتقده في شوقي حذوك النعل بالنعل .

اني أحبّ الدكتور طه حسين كثيراً ، ولذلك آسفُ جدّ الأسف لاضطراره الى تقديم أمثال هذه التضحيات المعنوية استبقاء لمكانته الصحفية عند رؤسائه من الوفديين ، لأني أعلم علم اليقين أن الدكتور طه يكره في صميم نفسه ذلك الخلط والعبث حول الزعامات والامارات الشعرية ، فاذا تقدم بهذا القربان الجديد فهو تقدم الأسير المضطرّ . . . وقد فهمت من كلام الصحف « ان الدكتور طه يعترف للعقاد بما لا يعترف به لشاعر عربي ، وانه حين يقرأ للعقاد لا يرى في القديم ولا الحديث مثلما يرى في شعر العقاد وقد ذكر نموذجين لذلك من شعر العقاد هما « مسابقة الشياطين في الجحيم أمام ابليس » و « ترجمة شيطان » مشيراً الى أن هذا

الشعر لم يعرفه العرب ولكنه عُرف فى أوروبا ، وأن العقاد مع ذلك مستقل بشخصيته يخلق للأدب العربى مثلما خلق الشعراء الأوربيون للشعر الغربى فى ماضيه وحاضره » .

أرأيت كيف تذلّ الوظائف السياسية التحريرية أقلام النقّاد ؟ أسمعت بخلط أعجب من هذا ؟ أصحيحٌ أن الدكتور طه لا يؤمن بالابداع والتجديد فى الشعر الا اذا تناول إبليس والشياطين ؟ ! أيجوز أن الدكتور طه لم يسمع عن روائع شكرى الجريئة فى أجزاء ديوانه السبعة وفيها ما يزرى بهذا النظم العقادى ؟ أصحيح أن الدكتور الفاضل لم يبلغه خبرُ ملحمة « نيرون » لمطران التى احتفت بها الجامعة الامريكية فى بيروت منذ سنوات احتفاء عظيماً ؟ أيجوز أنه لم يسمع عن «خلق المرأة» لشوقى أم أنه أصغر فلسفتها الرائعة لمجرد أن شوقى اعترف بأنه استمدها من الأدب الهندى ولم يستحلّ نسبتها الى نفسه كما يفعل غيره ممن يكرّمهم الدكتور طه اضطراراً ومجاملة؟ أصحيح أنه لم يسمع عن الأوپرا « الآلهة» لأبى شادى ولم يقرأ قصائده الفلسفية الانسانية « الرؤيا » و « مملكة ابليس » و « مامون » و «محاكمة إلـه» وأمثالها ؟ أمعقول أنه لم يسمع عن « الله والشاعر » لعلى محمود طه و « شاطىء الأعراف » « للهمشرى » و « الراهب المتمرد » لصالح جودت اذا كان لم يسمع عن الملاحم الرائعة لكبار شعراء لبنان ؟ . . . وقد يطول بى الاستشهاد اذا ما ذكرت نفائس ناجى والصيرفى وغيرهما من شعراء أپولو المشهورين بتجديدهم واستقلال فنهم، فأين أنت يا صديقنا الدكتور وأين صاحبك العقاد من كل هذا ؟ انه لخير لك ألف مرة أن تتنحى عن عملك فى « كوكب الشرق» وزميلاته عن أن ينسب اليك ما سوف ينسب حتماً ازاء ذلك الكلام الطويل العريض الذى تلقيه جزافاً استرضاء للعقاد على حساب النهضة الشعرية فى مصر وغير مصر . . . ويا ضيعةَ النقد الأدبى الذى يُصبح هكذا مطية رخيصة لأهواء السياسة ومجاملاتها المحتومة ؟

محمود الخولى

نقيب الشعراء

أشارت (أبولو) غيرَ مرةٍ الى موضوع شاعر العرش أو نقيب الشعراء والى حق الشعر على الجامعة المصرية إذ لا يوجد حتى الآن كرسيٌّ لتدريسه تدريساً جامعياً. واني أقول فى صراحة إن الرجل الفذّ الجدير بكل ذلك هو الشاعر خليل مطران، نخلفه نصف قرنٍ من الجهود الرائعة لخدمة الأدب العربى عامة والشعر العربى خاصة وهو من أكرم الأدباء خلقاً ومن أوفرهم اطلاعاً ومن أسرعهم تلبية الى نداء زملائه ومن أحرصهم على كرامة الأدب والأدباء ومن أقدرهم على حمل لواء التجديد بل قد حمله فعلا منذ خمسين عاماً ولا يزال رافعه الى اليوم.

بيد أنى شخصياً أستبعد اهتمام وزارة المعارف بهذا الفنّ الجميل ـ فنّ الشعر، فان بقية الفنون الجميلة حتى الآن لم تظفر بعناية كافية منها وإن كانت أوفر حظاً من الشعر، وهذه (أبولو) العزيزة ـ المجلة الوحيدة المتخصصة فى خدمة الشعر العربى ـ لم تظفر من وزارة معارفنا بأي تعضيد حتى الآن فى حين أن وزارة المعارف العراقية قررت توزيعها على جميع مدارسها!

نعم، يلوح لى أنّ اليوم الذى يُعترف فيه بفضل الشعر على النهضة الأدبية غير قريب، وإنْ كنتُ أتمنى أن أكون مخطئاً فى هذا التقدير، وأن أرى هذا الاعتراف ممثلا فى شخص رجلٍ جهيرٍ كخليل مطران، وأن يكون من مظاهر ذلك العناية فى غير تحيز بانتاج شعرائنا والانتفاع بمواهب الجميع، وفى المقدمة شيوخ شعرائنا الذين يُتركون الآن يصدأون كأننا لم نهتف بأسمائهم يوماً من الأيام أو لا سبيل أمامنا لاستغلال معارفهم لخدمة الأدب العصرى ... وكأن لسان حسرتهم فى بلدهم قول مطران نفسه من قصيدةٍ فى سنة ١٨٨٨م. (أى منذ ٤٦ عاماً):

يا حُسْنَهُ بلداً خصيباً طيباً ... لكنّه نهبُ الغريبِ العادِى!

احمد كامل الشربينى

فوضى يجب أن تسحق

هذا المنبرُ من «أبولو» حرٌّ صريحٌ يقول الحق ولا يخشى فيـه لومة لائم ، وهذه الفترةُ من حياة الشعر فترة نهضةٍ ذهبيَّةٍ فخمة الضياء رفـافةِ الحواشى بروح الفنّ الأصيل . ونحنُ الآن فى فجر ذلك النهار البلوريّ السنى الشعاع ، ولا بد للشمس أن تشرق بعد حين فتقضى على جرائيم الظلام الضئيلة التى تفشو الآن فى كل صوبٍ !

يجب أن تسحق اليوم فوضى التزاحم فى مقدمة الركب لحمل المِشْعَلِ وإلاَّ سقط ذلك المِشْعلُ وتحطم ، ويجب أن تُسحق فوضى توزيع الألقاب بغير حساب ولا انصاف فلا نعود نسمع بعد اليوم « بشاعر الشباب »أو «شاعر الاهرام» أو ما الى ذلك الزَّيْفِ ، ويجب أن يتلاشى الجامدون فى طيات العدمِ القاتم فلا يظهر من الشعراء إلا المجدِّدون الصافون اللامعون ، ويجب أن يفتح السبيل أمام أصحـاب الآثار الرائعة وحدهم أولئك الذين سينفحون الشعر الجـديد بمـلاحمهم الخالدة ومخلوقاتهم الجبَّارة ...

كل هذا يجب أن يكون ... وكل هذه الفوضى القائمة يجب أن تسحق ... يجب أن تصفو السماء من الغُيُوم المتلبِّدة فلا ترى العين إلا زُرْقتها الزُّجاجية الناصعة فهل « لأبولو » بعد فِصَالِ عامين كاملين أن تـكرِّى عامها الثالث وتَهَىءَ له من الآن ليـكون عام ثمرٍ بعد حَرْثٍ أو حصدٍ بعد زرع ؟

عامر محمد بحيرى



نقد عروضى

كانت مجلة « المقتطف » قـد تفضلت بنشر نقـدٍ لى على « صناجة الرياشى » ذكرتُ فيه أن الأبيات الآتيـة فيها خللٌ عروضىٌ وموسيقىٌ ، فردَّ علىَّ الصديق الدكتور بشر فارس مخطئاً نقدى ثم انتقل الى انتقاص شعرى . فلاحظتُ عليه بأن انتقاد شعرى له أوانه عند ما يظهر أحد دواوينى قريبا ، وأما الآن فنحن بصدد

شعر الرياشي لا شعر الصيرفي . وسألتُ كلاًّ من السيدين محمود البشبيشي وزكي مبارك أن يتفضلا بالتعليق على ملاحظاتي ، نظراً لما عُرِفَ عنهما من التضلع من علم العروض ، والأول مدرّس العروض في دار العلوم بالقاهرة ، والثاني شاعر موسيقي النزعة عربي السليقة باعتراف الدكتور بشر فارس نفسه حين كتب عن « ديوان زكي مبارك » .

ويظهر أن فراغ « المقتطف » لم يتسع لهذا النقاش فقفل بابه بعد أن عزز صديقي الدكتور بشر بقوله « لا ريب في أن الأبيات التي أوردها الصيرفي من صناجة الرياشي (مقتطف ديسمبر سنة ١٩٣٣ صفحة ٦٣٠) مستقيمة عروضاً ، إلا أن ثالثها فيه ضعف » .

ولما كانت « أبولو » متخصصة لخدمة الشعر فرجائي أن يتسع فراغها لنشر رسالتي هذه وما تتلقاه من تعليق عليها من السيدين المذكورين ومن أي أديب حجة في علم العروض أي من مدرّسي هذا العلم المعروفين ، ومن الدكتور بشر نفسه اذا شاء أن يساهم في هذا الحوار الأدبي المحض ،ولحضرتكم الشكر .

أما الأبيات التي انتقدتُها في (المقتطف) من « صناجة الرياشي » فهي :

وبعد قليل أتى كاهن يضيء الشموع ويذكي البخورا
ويتلو الصلاة على نعشه وهو جاثٍ يناجي الإله الغفورا

« • »

وما كان في لحمه شبع ولا كان قتل الضعيف اضطرارا

« • »

سمعت ربّات الجمال اليه يتغنى بحسنها ويجيدُ

حسن كامل الصيرفي



العقاد فى حفلة تكريمه

نشيده القومى — قصيدة التكريم

عباس محمود العقاد كاتب سياسى لا يشق له غبار وصحفى يتقد فؤاده حماسة ووطنية،أما أنه شاعر فذلك ما أشك فيه وإن كانت له فى بعض المواقف السياسية شواذ شعرية غير كافية لأن تكون مُثلاً على شاعريته .

والوفديون أذكياء لبقون ـ فهم أنبه من أن يكرموا العقاد السياسى من أجل نشيد كالذى طلع به على الناس فى عيد الوطن الاقتصادى ـ فالاجتماع إذن سياسى ، ما فى ذلك شك ، والداعون الى هذه الحفلة والمدعوون والخطباء والسامعون والذين قرءوا النشيد والذين لم يقرءوه يعلمون فى قرارة نفوسهم ذلك . أما النشيد فى ذاته فليس فيه من الروعة ولا الاعجاز ما يستحق التكريم رغم اسهاب الخطباء فى وصفه والاشادة به ـ فلم يستحث الوطن ولم يحفز العزائم ويستثيرها للحمى الحرام مستباحاً، والكريم العزيز مستذلا ، والضعيف المهضوم مستنصراً ، والغنى الخصيب مفتقراً . ولو بحثنا فى أدب المعاصرين وانتاجاتهم الشعرية لوجدنا أناشيد معمورة لشوقى وحافظ ومطران ، بل لناجى والهراوى ومحرم وأبى شادى ونسيم والكاشف، لا تقل عن هذا النشيد وطنية وحماسة ولا رقة وانسجاماً . وبين يدىّ الآن ديوان المغفور له الشيخ عبدالمطلب وفى الصفحات الأخيرة منه نشيد رائع اجتزىء منه بهذه الأبيات التى يخاطب بها النيل :

مصرُ اسلمى ـ مصرُ لك السلامْ والملكُ والدَّوْلة والدَّوَامْ

يا نيل أنت روح هذا الوادى تحميه من جدبٍ ومن فسادِ

لا زلت فى أمن من الأعادى فى مصر وحمى فؤادِ

مصرُ اسلمى ـ مصرُ لك السلامْ والملك والدولة والدوامْ !

فليس اذن نشيد العقاد السابق هو السبب الحقيقى فى تكريمه بل هو قبل هذا النشيد بازمان طوال كان خليقاً بالكرامة مستوجباً للتكريم كما صرح بذلك بعض حضرات الخطباء . وانّا لمعترفون أن له فى تاريخ نهضتنا الوطنية مواقف مشهودة كان يكفى بعضها لتكريمه، ولكن السياسة الغالبة التى حالت دون تكريمه فى الماضى هى السياسة المغلوبة العاجزة التى تختفى اليوم وراء الأدب وتستتر خلف هذه

الأبيات السقيمة من الشعر وتجمع الناس لتكريمه باسمها بعد أن مضى على نظمها زهاء النصف عام . ولقد نُظمت لهذا المهرجان الوطنى أناشيد كثيرة لا تقل عن هذا النشيد إن لم تفقه فى بابه ، يحضرنى الآن من هذه الاناشيد نشيد الدهشان ، واليك بعض ما أذكره من أبياته :

دبّ فى شبان مصر روحُ أبطال العربْ
نهضةٌ فى مصر كبرى سوف تأتى بالعجبْ

« • »

كانت الآسادُ أسرى وانتهى ذاك الاسارْ
وغدا ابنُ النيل حراً حامياً قدس الديارْ

« • »

أسٌّ الاستقلال أنا نتقوىً بالتعاونْ
ويضيع المجد منا إن لبثنا فى التهاونْ

« • »

بِعْ إلى المصرىِّ واشْرِ منه تستغنِ البلادْ
تلك حربُ السلم تسرى وعليها الاعتماد

وأرى ويرى المنصفون معى أن هذا النشيد يفضل نشيد صاحبنا من عدة وجوه ، أهمها :

(١) أن نشيد العقاد إن ناسب أطفال المدارس الابتدائية لسهولته ورقته فلن يناسب شباناً أكثرهم تربو سنه على الخامسة والعشرين ومعظمهم أتموا التعليم الثانوى. أما هذا النشيد الذى بأيدينا فهو فى قوته اللغوية والروحية يناسب هؤلاء الشبان الذين نُظم لهم ، والأناشيد تفقد روعتها وجلالها فى النفوس إن لم تتناسب مع عقول منشديها وأرواحهم .

(٢) أول ما تلمحه فى نشيد العقاد خلوه من المناسبة التى نظم لها ، وأنه لأول نظرة نشيد عام يصلح لأية مناسبة ، ومن الجائز أن يكون تحت يد صاحبنا من سنين وقد استنسب له هذا اليوم فأبرزه فيه ، أما نشيد الدهشان فكل بيت من أبياته يتجلى فيه جمال المهرجان ويتضح الغرض من إقامته .

(٣) كله فخر بالماضين وما خلفوه ، وفخر بمصر وجوها ونيلها وأهرامها ، فهو

يتكوّن من ست فواصل كل فاصلة فى بيتين ليس فيهما تشجيع للشبان ولا حفز للمستقبل ولا بعث للأمل الجديد ولا تفاؤل بنجاح الشبان فى مساعيهم ، اللهم إلا ما كان من إشارة خفية غامضة إلى كل هذه المعانى السابقة فى البيتين الآتيين فقط وهما نهاية النشيد:

فارخصى يا نفوسْ كل غال يهونْ كل شىء حسنْ !
إن رفعنا الرءوسْ فليكن ما يكونْ ولتعش يا وطنْ !

أما نشيد الدهشان فكل بيت فيه حفز للهمم وتقوية للعزائم وتفاؤل بالمستقبل وحث على النهوض ووصف للمهرجان وسر نجاحه .

وقد أنشدتْ فى هذا المهرجان كذلك قصائد رائعة أذكر منها قصيدة الدكتور ناجى التى يقول فى مطلعها :

وطنٌ دعا وفتًى أجابْ بوركتَ يا عزمَ الشبابْ
يا فتيةَ النيلِ المسا لمِ والكريمِ بلا حسابْ

ومن أبياتها القويه الرائعة هذه الأبيات :

قل للشباب اليوم يو مكمو المرجى المستطابْ
اليوم يبدو حب مصر فلا خفاء ولا ارتيابْ
إن كان إثماً يا شبا بُ فلا رجوع ولا متابْ
المال والأرواح كلٌّ ضحيةٍ ولها ثوابْ

وهى قصيدة كما ترى تفيض بالحماسة والوطنية ، تستنهض الهمم وتحفز القلوب . ندع هذا ونعود الى الغرض الذى حفزنا الى تسطير هذا المقال وهو مناداة المحتلفين بالعقاد أميراً للشعراء بعد ما ضللهم الدكتور طه وخدعهم وأدخل فى روعهم زوراً وبهتاناً أن العقاد هو شاعر العصر وزعيم شعراء مصر ، وأن شعره لم يفق شعر المعاصرين فحسب بل فاق شعر المتنبى وأبى تمام والبحترى واحتوى من الحسنات مالم يحتوه شعر هؤلاء السابقين !.... وهكذا يسرف طه فى مدح العقاد إسراف الواثق بردّ هذه الوديعة ، وديعة الحمد والثناء الكاذب اليه إن لم يكن فى حفلة تقام أو محاضرة تعدّ فعلى صفحات « الجهاد » .

ندع هذا العبث عبث الدكتور طه باللغة وألفاظها أولاً وعبثه بعقول سامعيه ثانياً ونعود الى قصيدة هذا الأمير الجديد التى أنشدها فى حفلة تكريمه والتى سلخ فى

نظمها زهاء نصف عام وكأنه كان ينحتها من الصخر نحتاً ـ وأول ما تدل عليه هذه القصيدة أن العقاد قد تردد طويلاً بين نظمها وبين الاكتفاء بالنثر، ولكنه بعد أن ورط الدكتور طه وعلم انه سيتحدث عن الناحية الشعرية منه لم يجد بداً من النظم حتى يناسب المقام . ولا ريب عندى فى أنها وليدة التردد والتورط والارتباك . سمعتها وقرأتها واقرؤها اليوم فأجد نفسى بين عاملين : إما الاعتقاد القاطع بأن العقاد الكاتب لم يكن يوماً شاعراً رغم فلتاته الجيدة بين الحين والحين ، وإما التسامح معه واعذاره واعتبار هذه من سقطاته الشعرية وما أكثرها . واعتقد على كل حال أن هذه القصيدة هى أضعف قصيدة فى شعر العقاد : معانٍ غير متسقة وألفاظ نابية يبرأ كل منها من صاحبه ويستغيث من وجوده بجانبه وتراكيب فى غير مواضعها ، وإليك بعض أبيات هذه القصيدة وتعليقنا عليها :

هذا النشيد فغيم يشكرنى قومى وقد غنى به قومى ؟

إن تقبلوهُ وتلك مفخرة عظمى فقد وفيتمو سهمى

من تقبل الأوطان قربته جادت عليه بمغنم ضخم

والذين يتذوقون الشعر يرون فى البيت الأول ـ فوق ما فيه من ركاكة وتكرير لبعض الألفاظ ـ تعقيداً معنوياً لا يفهمه الا ناظمه . أما البيت الثانى ففيه أولاً تعبير غير مفهوم ولا استعمل فى الشعر العربى من قبل هو « توفية السهم» يريد بذلك تحقيق الأمل ، لأن السهم يصوّبه صاحبه ولا يوفيه ويوصله الى الغاية أحد غيره . وهب أن علم البيان أفسح صدره لمثل هذه الكناية المعكوسة فهل آمال العقاد كلها تنحصر فى قبول الشعب لنشيده . أعتقد أن هذا القبول لا قيمة له إن لم يحدث فى النفوس إثراً فينبه منها خامداً أو يوقظ منها نائماً

وفى البيت الثالث فتور ظاهر وضآلة فى المعنى ـ أليس معناه من تقبل الأوطان جهاده كافأته بغنيمة كبيرة ؟ وكان من السهل على العقاد الشاعر أن يضع هذا المعنى فى بيت أروع من هذا ـ أضف الى ذلك أن كلمة ضخم وأمثالها فى اللغة كلمات ثقيلة نافرة لا يحسن أن يختم بها بيت من الشعر الا عند الشعراء العاجزين شعراء القوافى والأوزان . ويقول بعد ذلك :

أبنـاء مصر وأمـكم أمى يوم الفخار وهمـكم همى
أبناء مصر على هدايتـكم إن النجاح لـكم من الحتم
إن تهتفوا بنشيدكم كلمـاً فدعو القـلوب تجيب بالعزم

وأنت ترى أن البيت الأول مبتذل أجوف لا تحمل ألفاظه أى معنى من المعانى لسامعه ولا ما يقرب منها ، والا فما معنى (أمكم أمى ، وهمكم همى) ؟ هذه حقائق يعرفها الأطفال ويهتف بها الصبيان ، فهل زاد عليها أمير شعرائنا الجديد شيئاً ؟ هذا إلى ما فى كلمتى أمى وهمى من ركاكة واسفاف . وبعـد فهل ترى معى أن كلمـة من الحتم فى البيت الثانى قد أرغمها الشاعر على تكملة البيت ارغاماً ووضعها فى موضع ينبو ويتبرم بها كما يضع البناء اللبنة فى غـير موضعها من البناء ، فهى غريبة فى هذه البيئة شاكية باكية رغم اعجاب المحتفلين وتصفيقهم — ولنا بعد ذلك أن نسائل أمير الشعراء الجديد عن منزلة هاتين الـكلمتين (من الحتم) فى البيت الأول و (بالعزم) فى البيت الذى يليه من الأسلوب الشعرى . أليست كلتا الـكلمتين مبتذلة فى أفواه العامة ولا يليق يا أمير الشعراء أن تستعملها فى بيتين تغنى عنهما معاً شطرة واحدة ؟ ثم ينتقل بعد ذلك إلى مدح النحاس باشا فيقول :

هـذا خليفة سعدكم يقظٌ ماضى العزيمة وافر الحلمِ
المصطفى المختـار فى ملأ مِن وفد مصر وصحبه الشمّ

وإذا قبلنا من الشاعر (ماضى العزيمة) فانا لا نشك فى أن مثل هذه التراكيب (وافر الحلم — المصطفى المختـار — فى ملأ —صحبه الشم) قد عانى الشاعر فى نحتها الأمرين وجاءت بعد ذلك نابية لا تلائم بقية ألفاظ البيتين ولا تناسبها بحال . وإذا لم يكن صحيحاً ما ذهبنا اليـه فما معنى وافر الحلم ، وما معنى الاصحاب الشمّ فى هذا المقام ؟ الحق ان هذه ألفاظ غير شعرية ولم تجتمع الا فى ذهن العقادوحده . وانى لأقرأ البيت الثانى فيمر بذاكرتى نغمات قراء الموالد أو منشدى حفلات الذكر أو مشيعى الموتى حين يقولون :

بالمصطفى المختار حـلّ عسيرنا بالمرسـل المبعوث فرّج كربنا !

ويختم قصيدته تلك بهذين البيتين :

عقبى الطريق لمن إذا بدءوا عرفوا لأيّـةِ غايةٍ ترمى

هـذا الورود دنا فلا تهنوا … إنى أراه على مَدى سهمِ

وهنا أسأل أمير الشعراء الجديد عن معنى هذا التركيب المبهم (عقبي الطريق) فى البيت الأول أو البيت الأخير: فقد اقتبس الشطر الأخير من قوله تعالى كناية عن القرب (قاب قوسين أو أدنى) ، وبعيدٌ ما بين الكنايتين فى البلاغة والاحكام ثم فى الايجاز والفائدة .

هذه هى قصيدة العقاد الذى نودى به بالأمس «أميراً للشعراء» ! فهل رأيتم فيها بيتا واحداً من قصيدة سابقة لشوقى قالها فى حفلة تكريمه ومبايعته من أنصاره بامارة الشعر درسناها اليوم خدمة للأدب والأدباء وتبصرة لأنصار العقاد ومكرميه ؟ ! ولقد قرأت على ذكرها درة شوقى فى مهرجانه فتضاءل أمامى العقاد وأبواقه وصغر فى عينى صنائعه وأنصاره . أقول تضاءل أمامى العقاد وقريضه لأنى لم أجد فى قصيدته مثل هـذه الأبيات على تماثل المقام وتشابه المناسبة :

حسن فى أوانه كل شىء … وجمال القريض بعد أوانه
ملك ظله على ربوة الخلـ … ـد وكرسيه على خلجانه
أمر الله بالحقيقة والحكـ … ـمة فالتفتا على صولجانه
لم تَـثُرْ امةٌ الى الحق إلا … بهدى الشعر أو خطى شيطانه

وهل ظفر النحاس باشا من قصيدة العقاد مهما حاول الاسراف فى مدحه بمثل تلك الأبيات التى خصّ شوقى بها سعداً :

منبر الحق فى أمانة سعد … وقوام الأمور فى ميزانه
ذكرته عقيدة الناس فيه … كيف كان الدخول فى أديانه
نهضة من فتى الشيوخ وروح … سرّنا كالشباب فى عنفوانه
حرّكا الشرق من سكون الى القيـد وثارا به على ارسانه
وإذا النفس أنهضت من مريض … درج البرء فى قوى جثمانه

وبعد ، فلئن كان فى هذه الحفلة حفلة تكريم العقاد جمال توجب علينا الحقيقة أن نعترف به ونخصّ أصحابه دون غيرهم بالاعجاب والتقدير فذلك هو اعتذار المسيو ليم مكرم عبيد عن الحضور — فهو على وجازته أبلغ قصيدة أنشدت فى هذه الحفلة ، وهو وحده للأدب المغبون فى مثل هذه الحفلات خير عزاء وسلوان ! ؟

طلبة محمد عبرة



دلف

معبد أبولون

أتينا فى رسالة سابقة على تاريخ أبولون ووعدنا قراء (أبولو) الكرام بمقال عن معبده (دلف) وأثره البالغ فى مختلف نواحى الحياة ، وقد منعتنا موانع كثيرة عن الكتابة فى هذا الموضوع وقتها فنعتذر عن التأخير وها نحن موفون بالوعد .

لم تكن شهرة أبولون آتية عن طريق الموسيقى والشعر والحرب والطب التى كان إلـهها جميعاً فحسب ، وانما كانت له صفة أخرى تميز بها هى العلم بالغيب والإنباء به فأصبح أبولون إلـهاً يعلم بكل ما هو كائن واسمه عندهم (عالم بكل شىء) فهذه الصفة صفة الوحى هى التى تميز بها تميزاً حقيقياً ، فان أردنا أن نتعرف الوحى والكهانة وتاريخها عند الأمة اليونانية وصلنا الى أن اليونان يعتقدون أن زوس وحده تفرد بهذا الأمر بعد أن قهر أباه ، وانه اختار له شجرة من شجر البلوط فى بلاد اليونان الشمالية بالقرب من بلاد الألبان ، وكانت هذه الشجرة قائمة والى جانبها طائفة من العيون والينابيع ، وكان اليونان يعتقدون انها تخبر بالغيب لأن زوس يسكنها ، وكلما عرض لاحدهم أمر ارتحل الى تلك الشجرة فسأل الكهنة فأجابوه بما يكون ـ كذلك كان الشأن الى أوائل القرن الحادى عشر قبل المسيح ، ومنذ هذا العصر أخذ ذلك المعهد ينحط والعناية بوحى زوس وشجرة البلوط تنقص وأخذوا يتجهون الى إلـه آخر هو أبولون ومعبده .

فالسلطان الذى بسطه الدوريون كان الفضل فيه لابولون لأنه إلـه دورى كما كان لزوس السلطان فى العلم بالغيب عند الاكوبيين فلما سقط الاكوبيون قام الدوريون.

وكان أهم معبد لابولون معبد دلف ، وقد نشأ حول العيون والينابيع والأنهار ، وكان

جليل الخطر من حيث تقديسه والحج اليه . وكما ان (مكة) كانت المصدر الحقيقى لوحدة الأمة العربية حيث نشأ فيها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كذلك كانت دلف، غير أن مكة نشأ فيها رجل موجود له أثر محسوس وكان لا يزعم انه إلـه وانما كان نبياً فأثر فى الناس ، أما دلف فلم يظهر فيها رجل وانما كانت مدينة يزعم أهلها انها مقر للاله ابولون وانه هو الذى يخبر بمستقبل الأفراد والجماعات ، وكان فى دلف افراد يزعمون انهم يتحدثون الى هذا الالـه وينقلون حديثه الى الناس .

أخـذ وحى أپولون ينتشر فى دلف شيئاً فشيئاً ويظهر ان الـكهنـة الذين كانوا يقومون بتفسير هذا الوحى كانوا من المهارة على شىء غير قليل فاخـذوا يفوزون بشىء من الشهرة فى البلاد المجاورة وأخذت هـذه الشهرة تنتقل من اقليم الى اقليم حتى خضعت اليونان كلها لدلف خضوعاً دينياً ، ثم أخذت هذه الشهرة تنتشر فى بلاد آسيا ثم جاوزتها الى مختلف البقاع المعروفة حينئذ فأخذ ملوك هذه البلاد يبعثون بالوفود الى معبد دلف يسألونه عن المستقبل ويستشيرونه فى تدبير الشؤون ، ثم طارت شهرته فى أفريقيا فأصبح فراعنة المصريين يبعثون الى دلف يستشيرونه ويوفدون الوفود اليه . ثم أخذت شهرة أپولون تتجاوز آسيا وأفريقيا حتى وصلت الى أوروبا فعرفه الايطاليون وأقاموا له المعابد وبعثوا له بالهدايا حتى كاد يكون آإلـهاً عاماً للوجود ، وهذا يبين لنا الاستعداد الذى كانت تمتاز به الأمم القديمة فى ذلك العصر بحيث انها كانت دائماً فى حاجة الى الاستشارة والاستعانة بالآلهة لأنها كانت من الضعف العقلى والاجتماعى فى درجة لا تتمكن معها من الاعتماد على نفسها فى شىء ، أو قل بعبارة أخرى ان النفس تجد ارتياحاً للاستكانة والاستسلام الى عضـد قوى تصرف عنها اليه عبء العناية بالعمل أثناء القيام بعمل خطير .

ولهذا شرع هوميروس فى استمداد المعونة من ربة الشعر حين ابتدأ يـكتب الالياذة ــ وعلى أن النصرانية والاسلام لم تبقيا لربات الاغانى والأناشيد محلاً فان فريقاً من الناس يستمدّعونهن الى وقتنا هذا : فقد ابتدأ شاعر مصر الـكبير المرحوم حافظ ابراهيم بك قصيدته السياسية الخطيرة بقوله :

بنات الشعر بالنفحاتِ جُودى فهذا يومُ شاعركِ المجيـدِ

على أن هذا الاعتقاد قد تحوّل فى بعض الاعصر الى اعتقاد آخر هو أن لـكل شاعر شيطاناً يؤيده !

ومهما يكن من شيء فان أبولون قد لستغلّ هذا الضعف العام : ففى القرن الحادى عشر والعاشر والتاسع قبل المسيح وصلت أمم الشرق الى ضعف شديد وكذلك كان الاشوريون وكذلك كانت الأمة الفينيقية ، وبعبارة أخرى كانت آسيا وأفريقيا وهذا القسم من اليونان فى غاية الضعف والجهل ، فمن أهم الأشياء التى اعتمد عليها أبولون هو هذا الضعف العام ، نضيف الى ذلك شيئاً آخر هو أن هذا الضعف الذى شمل آسيا وأوروبا حمل اليونان على الاستعمار فاستفاد أبولون من كل ذلك .

كان معبد دلف منذ أوائل القرن التاسع الى أوائل القرن الثانى قبل المسيح مركزاً للتسَلُّم من جهة ولصدور مشاريع التوسع اليونانى فى الفتح من جهة أخرى ، فاذا ذهب الى دلف عظيم من العظماء أمره أبولون الى قصد مكان معين واستعماره فيستعمره ويكوّن مدينة يونانية .

ذهب عظيم اقريطشى الى دلف يستشيره فى أمر فأمره أن يستعمر أرض برقة ، وكان هذا الرجل قد تقدم فى السن فاعتذر ، فألحّ الاله عليه وأمره أن يعمل كل ما يستطيع ليستعمر قومه المدينة اذا لم يستطع أن يستعمرها هو . فلما عاد الى بلده أمر أحد عظمائها أن يسافر مع طائفة من قومه ليستعمروها ولكنهم لم يشارفوها حتى عادوا وقالوا إنا نزلنا أرض برقة فلم تطب لنا الاقامة فيها لانها مجدبة رديئة الهواء وشكوا أمرهم الى أبولون فقال لزعيمهم : « أتزعم انك نزلت الارض ؟ انك لكاذب ! أتزعم انك تعرفها أكثر منى ؟! انها جيدة الخصب ! » واضطرهم الى استعمارها. فلما استعمروها وجدوها خصبة ، وأشاع دلف ذلك وطلب من كل من أمكنه المساعدة أن يساعدهم فى الاستعمار ، فاستعمروها وكان لها فى الحضارة اليونانية فلسفة خاصة لان بعض فلاسفتها أنشأ مذهباً خاصاً فى الاخلاق .

وحينما أراد أغاممنون أن يغزو طروادة بينما كان اسطوله ينتظر الامر ليقلع الى آسيا خرج يتصيد فى غابة يظهر انها كانت مقدسة وكانت للإلهة أرطميس إلهة الغابات ، ومحظور طبعاً الصيد فى الأماكن المقدسة فاصطاد حيواناً مقدساً فغضبت أرطميس وسلطت الريح فمنع الاسطول أن يقلع فاستشار اغاممنون معبد دلف فانبأه انه أسخط الآلهة وانه لا يرضيها الا أن يقدم ضحية بشرية هي ابنته ، فتردد ولكن اليونانيين ألحوا عليه فضحى بابنته افيجيه ! وتقول الأساطير ان الآلهة رثت لها وانتظرت حتى وُضعت على المذبح فاختطفتها ووضعت

بدلها حيواناً، واختلفوا فقالوا ان الآلهة غيرتها حمامة ووضعت مكانها غزالاً، فاستبدال حيوان بافيبجيه كما يروى الساميون فى تاريخهم دليل على هذه الرقة .

ومن العظماء الذين استشاروا دلف أوديبوس أو (أوديب الملك) ، ذلك الذى خلص طيبة من حيوان يقتل الناس إن لم يجيبوا على سؤال له هو ما : هو الحيوان الذى يمشى على أربع فى الصبح وعلى اثنين فى الظهر وعلى ثلاث فى المساء ؟ فأعمل رأيه وأجاب عن هذا السؤال فقال : ان هذا الحيوان هو الانسان يحبو فى فجر حياته على يديه ورجليه ويمشى فى شرخ شبابه على رجليه وعندما يكتهل يمشى على رجليه وعصاه .

وقد زار معبد دلف فعلم من كهانه انه سيقتل أباه فتحاشى الذهاب للمدينة خوفا من ذلك وقابله فى طريقه رجل يركب عجلة وحدث بينهما سوء تفاهم فقتله أوديب ثم علم انه أبوه ،ففقأ عينى نفسه وخرج على وجهه هائماً .

إذن فقد استغله أپولون من هذا الوجه العام بأن بسط اسمه فى كل هذه الأقاليم واستطاع أن يبعث اليونانيين على الاستعمار فنشر حضارتهم فى الدنيا .

أخذ شأن دلف يعظم فأشفق ملوك تلك النواحى أن يستبدّ بها ملك واحد واتحدوا على أن يقوموا مجتمعين بكل شؤونها ، ومن هنا نشأ أول نظام فى التحالف بين الأمم وانشأوا عصبة تسمى عصبة الامم اليونانية بحيث تبعث كل مدينة نائباً أو نواباً يمثلونها ، فكانوا يجتمعون مرتين فى السنة فاذا اجتمعوا عرضت عليهم الشؤون ذات الخطر فقضوا فيها . وكان لكل مدينة من المدن صوتان سواء أرسلت مندوباً واحدا أو أكثر وليس لهذه الجماعة رئيس . وأخص ما اتفقت عليه هذه الأمم هو هذا : احترام وحماية دلف وجعلها حرماً لا يصح التعرض له وأن يكون ماحول المعبد حرماً ليس لأحد أن يتعدى عليه سواء أكان طيراً أم حجراً أم مزدرعاً وان حج هذا المعبد حق شائع للجميع، وان قاصد هذا الحج آمن على كل ما فى يده لا تؤخذ منه ضريبة ولا يدفع اتاوة ،فأية مدينة خالفت ذلك فالجماعة عليها حرب ، ومتى اضطرت الجماعة أن تعلن الحرب على مخالف فكل مدينة تبعث جيشاً ويشترك الجميع فى الحرب .

ولم تكن هذه الجماعة ضعيفة العزم أو ليست بذات خطر ،فطالما حرّقت الأمم

المحالفة وباعت أهلها ومنحت أرضهـا لمعبد دلف على أن تـكون حرماً لا تزرع ولا تستخدم .

قامت الجماعة فى ذلك بشكل جامع من القرن السابع قبل المسيح الى القرن الرابع بعده ، وفى هذا العصر أخذت بعض الأمـم تجبى الضرائب على الحجيج لخوربت أكثر من عشر سنين وحارب فى هذه الحروب والد الاسكندر المقدونى وحمـل محاربيه على أن يعتبروه عضواً من أعضاء الجماعة اليونانية . ومن ذلك العهد أصبحت مقدونية أمة يونانية وبذلك أمـكنه أن يكون رئيس الجند ، فسلطو بنشر سلطته ، ومن هنا نشأ عظم دولة المقدونى .

لم يكن أبولون ذا سلطة على الضعفاء فحسب بل كان له سلطان حتى على الفلاسفة ، فلو أننا قرأنا دفاع سقراط حين اتّـهم بمخالفة الدين وافساد الشبيبة لرأيناه فى دفاعه الذى كتبه أفلاطون يقول: « استشرت معبد دلف وكنت أريد أن أعرف أى الناس أدنى الى الحـكمة فاخبرنى الالـه ابولون بأنى أحكم الناس وأكثرهم فلسفة ، فادهشنى ذلك وأردت أن أتبينه فأخذت أغوص على الفلاسـفة والشعراء والمعلمين والصناع والأطباء ، وكلما ناقشت طائفة من هؤلاء الناس عرفت أنهم مغرورون ، فادركت أنى أدنى الناس الى الفلسفة ، ذلك لأنى عرفت أنى جاهل وشعرت بهذا الجهل واعترفت به أمام الناس » . والمبدأ الحقيقى الذى قامت عليه فلسفة سقراط فى الأخلاق والسياسة هذا المبدأ الذى وحد به سقراط بين العلم والفضيلة ـ هذه الفلسفة التى أوجدت أفلاطون وأرسطاليس إنما بناها سقراط على حكمة من حكم ابولون وجدها منقوشة على معبده وهى :

(اعرف نفسك بنفسك !)

ولما غضب عليه حفظة الدين وأرادوا معاقبته أرادوه على أن يقلع عن الاستخفاف بالدين فأبى الا أن يستمرّ فى طريقه ، وقالوا له أثناء المحاكمة : بماذا تتعهد اذا سومحت فى هذه المعصية ؟ فقال أتعهد بنشر هذا المذهب الذى أعاقب من أجله بين الناس !

وكهنة أبولون بمهارتهم قد جمعوا شيئاً كثيراً من المال ، وأخذ هذا المال يتراكم فى المعبد فلم يكن بد من استثماره ، لذلك كان معبد أبولون هو المدرسة التى درس فيها اليونان درس الربا الفاحش فقد درسته بلاد اليونان عن كهنة أبولون .

ولما كان أبولون إله الموسيقى والشعر كان اليونانيون كلما أقاموا عيداً من أعياده

أقاموا بجانبه مسابقة موسيقية غنائية شعرية يتسابقون أيهم أحسن انشاداً وغناء ـ وكلنا يعرف فضل المسابقات فى الفنون.

ومن عجيب أمر دلف انها نشأت حظيرة صغيرة مؤلفة من أغصان الغار المسمى باليونانية دفنى ، وقد أخذت تكبر حتى صارت أحفل مكان فى الأرض ، وبنى فيها الامفكتيونيا نواب أعظم ولايات أفريقيا أجلّ هيكل فى العالم وقتئذ ، حتى ان ديودور الصقلى قدر ما فى دلف من التحف بنحو ثلاثين مليوناً فرنكاً ذهباً ، وكانت تسمى مدينة الدنيا هذه المدينة التى بدأت غاية فى الصغر وانتهت غاية فى الضخامة والكبر . ظل يتحارب عليها الملوك فى آخر أيامها الى أن آل أمرها الى أن تكون قرية عدد بيوتها المتواضعة مائة بيت وصدق فيها قوله : عز وجل (ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة) .

هذا مارأيت اقتباسه من محاضرتى التى ألقيتها بالجامعة المصرية من عشر سنوات خلت ، وما لخصته لنفسى من المحاضرات الثمينة التى ألقاها على طلبة الجامعة (إذ كنتُ أحدهم) استاذنا الدكتور طه حسين وقتها . وسأقوم إن شاء الله بكتابة الألعاب الاولمبية من أول عهدها للآن هدية منى لمجلة (أبولو) عندما تشهد مصر حفلات الالعاب الأولمبية الدولية ؟

محمد حسين جبره



الغزل فى الشعر الجاهلى

محورٌ دار حوله الشعراء ، وعمود فقرى للأدب والأدباء . وما من شك فى أنه ينبوع الشعر وسببه ، وأبلغ أثراً فى النفس من ضروب الشعر الأخرى فى المدح والهجاء والفخر والرثاء ، لأنه أقوم سبيلا وأصدق قيلا . وما من قصيدة أو معلقة من معلقات شعراء الجاهلية إلا وللنسيب حظ فيها عظيم .

ولو أننا أمعنا النظر فى الحياة فى عصر الجاهلية لوجدنا للعربى فى نظام معيشته أثراً فعالاً فى تحويل وجهة نظره نحو ذلك النوع من الشعر .

لم يكن حوله غير النجاد والوهاد والسهل والوعر والجمل والناقة والسماء الصافية



الآنسة فاطمة خليل ابراهيم

والنجوم الزاهية والرمال والاطلال . فأجاد التحدث عنها فى شعره وأحسن وصفها والترنم حتى ضرب فيها بسهم وافر . وكان لابدّ له أن يرتاح الى نوع يمسّ شاعريته ويرنو اليه قلبه عند ما يستلقى على رمال الصحراء تعباً مكدوداً يرى صفحة السماء وكواكبها اللامعة فيرى خلالهــا طيف حبيبته ، ويسمع أغاريد الطير فى أوكارها فيخالها صوت من يهوى ، ويرى البدر عند تمامه فيجد فيه وجه عشيقته ، وما أجمل ليل الصحراء : انه فاتن خلاب . وبذلك يرفّـه عن نفسه ما تعانيه طيلة نهارها من لفحات الحر ووهج الشمس المحرقة .

وكذلك المرأة فى الجاهلية قلما كانت تخرج عن حــدود الأدب ، وقلما كانت ترى مع من يتغنى بمديحها ويذوب وجداً عليها ، عزيزة النفس أبية الخلق ، إلا فى الحروب والمعارك . فكانت تقف مع الرجل جنباً الى جنب ، وإلا فى المساجلة بين

القبائل والتنابذ بالألقاب والانساب فكانت تقول الشعر مترنمة بها وتساجل رجال القبائل ونساءها ، وما شعر الخنساء عن الأذهان ببعيد .

كان للمرأة فى الجاهلية مكانتها واحترامها ، وكم أثارت الحروب وحفزت الهمم ، وكم شجعت رجالا فى الحروب الشعواء ، وكم أستدرّت أكفاً بالعطاء وصبرت نفوساً على البلاء ، وكم دفعت بالأبطال الى مواطن النزال فهزموا عدواً وحموا بلاداً .

لذلك كانت جديرة بأن يفتتن بها الأبطال ويحوم حول خبائها الرجال يجهدون القرائح فى مدحها والتغزل فيها ويترنمون بما توحيه اليهم الأخيلة والعواطف .

ولقد كانت حياة الصحراء — وما تزال — باعثة على صفاء الذهن تشحذ الفكر فى سلاسته كالسلسبيل ، ولذلك فاننا نجد الغزل فى الشعر الجاهلى أصدق وأبلغ منه فى أى عصر من عصور الشعر المختلفة .

ولعل السر فى بلوغ الغزل فى الجاهلية هذه المكانة العظمى هو الحب . . الحب الطاهر . . . الذى يتبادله الحبيبان ويتغنيان به فى أشعارهما فيكون لهما محجة ومثاباً .

ولطالما تغنى الشعراء بالمنازل التى كان يأوى اليها الحبيب وقد عفت رسومها ودرست آثارها . وانك لتجد ذلك فى مستهل معلقة امرىء القيس فى قوله :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالآرام لم يعف رسمها   لما نسجتها من جنوب وشمأل
ترى بعرَ الآرام فى عرصاتها   وقيعانها كأنه حب فلفل

وما أبلغه فى قوله مما يدل على إبائه وعزة نفسه :

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل   وإن كنت قد أزمعت صرمى فأجملى
أغرّك منى أن حبك قاتلى   وانك مهما تأمرى القلب يفعلِ !؟

ثم تراه يتحدث عن ذكرياته معها فى حماسة واعجاب :

تجاوزتُ أحراساً اليها ومعشراً   علىّ حراصاً لو يسرون مقتلى
خرجت بها تمشى تجرّ وراءنا   على أثرينا ذيل مرط مرحّلِ

وانك لتجد حديث الاطلال فى مستهل ما يقوله كل شاعر منهم ، وها هو زهير يقول فى مستهل معلقته :

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها

وفى المنازل والاطلال يقول عنترة فى معلقته :

يا دار عبلة بالجواء تكلمى ! وعمى صباحاً دار عبلة واسلمى !

وما أبلغه فى غزله إذ يقول :

خطرت فقلت قضيب بان حركت أعطافه بعد الجنوب صباء
ورنت فقلت غزالة مذعورة قد راعها وسط الفلاة بلاء
وبدت فقلت البدر ليلة تمه قد قلدته نجومها الجوزاء
بسمت فلاح ضياء لؤلؤ ثغرها فيه لداء العاشقين شفاء
سجدت تعظم ربها فتمايلت لجلالها أربابنا العظماء !

أما شاعر اليمامة صاحب القصيدة اليتيمة الذى قتله صاحبه فيقول فى الوصف :

فالوجه مثل الصبح مبيضٌّ والشعر مثل الليل مسودُّ
وتريك عرنيناً به شمم أقنى وخداً لونه وردُ

واليك ما قاله عمرو بن كلثوم من معلقته :

تريك اذا دخلت على خلاء وقد أمنت عيون الكاشحينا
ذراعىْ عيطل ادماء بكر حصاناً من أكف اللامسينا

وأما الشاعر الشاب طرفة بن العبد فما يقوله فى وصف حبيبته بعد ذكر الاطلال :

لخولة اطلال ببرقة ثهمدِ تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليدِ

الى أن يقول فى وصفها :

ووجه كأن الشمس ألقت رداءها عليه نقىّ اللون لم يتخدّدِ

ولنا كلمة أخرى فى المقارنة بين الغزل والشعر الجاهلى وغيره من الغزل فى عصور الشعر المختلفة ؟

فاطمة خليل ابراهيم

تشابه

وقد يَسْتوى ، والفجرُ يَستلُّ نَصله على الكونِ ، عبدٌ صالحٌ وَطليحُ
يؤمّل هـذا رحمةَ الله جاهداً وذلك يَغـدو فى الهوى ويَرُوحُ

توفيق أحمد البكرى

الشاعر الجديد

قالوا : يَراعُكَ قدْ تنكَّبَ فى القوافى . قُلتُ : إنَّهْ
قالوا : فعَنْ نَهجِ القديمِ المُستحَبِّ ؟ فقلتُ : مِنَّهْ
ما فضلُهُ إن لم يخلِّدْ مجدَ صاحِبهِ وفَنَّهْ ؟ !
بالقافياتِ الرائعاتِ المُحْدَثاتِ فُنُونهنَّهْ
التَّاخِذاتِ مِنَ القُلوبِ وَخَفْقِهَا أنغامَهُنَّهْ
عصْرٌ تَصرَّمَ ما لنَا نَرْضَى بِبِزَّتِهِ لهُنَّهْ ؟ !
أبْلَتْ قوافِيَهُ السُّنُونُ ولم نَزَلْ نَعْنَي بهنَّهْ
ويشاءُ قَوْمٌ أنْ يكون شِعارَهُمْ وشِعارَهُنَّهْ

«٠»

عنِّي خُذُوا صِدقَ الحديثِ فلاَ هُرَاءَ ولا مَظنَّهْ !
ما شأنُنَا بفتًى بكى عِندَ الدّيارِ رُسُومَهُنَّهْ ؟ !
وَمُشَبِّهِ الوجْهِ الجميلِ ببدْرِ تَمٍّ فى دُجُنَّهْ ؟ !
وَمُشبِّهِ القَدِّ المَليحِ بغُصنِ بانٍ بين جَنَّهْ ؟ !
وَمُشَبِّهِ باللَّحظِ فى إصمائهِ وَقْعَ الأسِنَّهْ ؟ !
هـذى أحاديثٌ مَضَى كَرُّ السنين بحسنهنَّهْ
خَلّوا القدِيمَ وأبدِلوا للقافياتِ ثِيابهنَّهْ
واستحدِثوا للقافياتِ مَسَالكاً ، يَسلُكنهنَّهْ

« • »

يا ليتَ شعرىَ فى القوافى ... مَنْ عذيرُ صريعِهنَّهْ !؟
أذوَى نضيرَ شبَابِه الـ ... مَرْجُوِّ بخطبُ وُدِّهُنَّهْ ؟
فحلِّقاً بين البلا ... بلِ يستميرُ جناحهنَّهْ !
مترنّماً فى حوْمِهِ ... إمَّا شَدوْنَ بشدوهنَّهْ
ومترجماً بقريضِهِ ... إمَّا بكينَ بكاءَهُنَّهْ
قلبٌ له بنقائِهِ ... يحكى نقاءَ قلوبهنَّهْ
آسٍ جراحاتِ القلوبِ ... وخافقٌ لخُفُوقهنَّهْ
ويْحَ الضلوعِ تخذنَهُ ... حطَباً يُؤجِّجُ نارهنَّهْ !

احمد فتحي : المهندس

حديقة النصائح

حديقتى جميلةٌ إذ بها ... قد غرست أعلى شؤون الحياةْ
فيها وصيّة لأهل الحجى ... تهدى الأُلى حياتُهم كالمماتْ
ونصُّها : يا قومُ إخلاصكم ... ينقذكم حقاً ويُوهى الطغاةْ
جنيتُم الأثمارَ من دون أن ... تحموا البساتين وتُرووا النباتْ
إنْ يبست أشجاركم فاعلموا ... بأنكم لم تعملوا بالوصاةْ

« • »

هذا هو الزهرُ ذابلْ ... قد حوّطتْهُ البلابلْ
ما أمرُها بعجيبِ ... فكم هوَتْ فى الحبائلْ ؟
وإنْ دهرى غريبٌ ... يأتى بحقٍّ وباطلْ

« • »

يا عندليباً لم يزل شادياً ... على أناسٍ لم يؤدّوا الفروضْ

أغرّك الزهرُ الذى حولهم؟ فانه ذاوٍ ومأوى البعوض
تنحّ فاليوم أنى دورها باطلُها لا يعتريه الغموض
وقفت على غصنك حراً ولا ترض عصاً قد أفسدتها الرضوض
فان تغريدك لا ينبغى إلا لقوم إربهم فى النهوض

«٠»

يا قومُ شوكى جميلٌ ومُزهرٌ فتـــــانُ
ومن نفى الزهر عنــه فانه شيطـــــانُ
شموه حينـــاً تروه أريجُه الايمــــانُ

«٠»

يا قومُ قد غشوكمو فارجعوا عن مدح قوم وسّموا فى الخروق
ولا تغرنكم حنالاتهم فانها قد سقطت من شقوق
وان تروا فيهم ثباتاً على موقفهم فبعد هذا المروق
وهم إذا ذلوا أو استأسدوا فلا يحسّون بتلك الفروق
إنى وإن كنتُ بكم ضائعاً فان صمتى عن بلادى عقوق

«٠»

لو كان حظى عظيماً لكنتُ بين القبورِ
فـلا أرى مستبـداً ومعضلاتِ الأمـــورِ
لقيتُ خسفاً وظلماً من خصمىَ الزّعرورِ

«٠»

قد نشر الحقّ أحابيلهُ لكى يصيدَ الغافل الواهما
لكنّه خاب فانّ الورى تجنبوها فانزوى ناقما
كنا نصيد الحقّ فى ما مضى فصار يصطاد بنا النائما
أهكذا الأمورُ معكوسةٌ يُضحى المرجى عندها واجما؟
أهكذا الحقوقُ منبوذةٌ وكل عادلٍ بدا غاشما؟

« ٥ »

إن الغنـــاء شـجيٌّ إن كان للأوطـانِ
وإنـي لأغـــــنّي بأكثر الألحـــانِ
فالصوتُ إن لم يَرُقْـهُمْ فليذكـروا أشـجاني

« ٥ »

قد زاحمَ الغربُ طيورَ السماءْ فطار مختالاً برحب الفضاءْ
وأرهب الأرضَ بدبابة وأبدع القطارَ والـكهرباءْ
وأقلق البحرَ بغوّاصـةٍ واخترع الـكلَّ فقل ما تشاءْ
لقد بنى بالعـلم إسـعادَهُ فعاش جباراً عظيم الرجاءْ
أما بنو قومي فقد زاحمو نى : سلبونى طاقتى والرداءْ !

« ٥ »

إذا رأوا ذا شذوذٍ قالوا له : مجنونُ
فقـد يكون مصيباً واسـتخطأتْهُ الظنونُ
فقولهم من جنونٍ « وللجنونِ فنونُ »

« ٥ »

كلٌّ ينادى صارخاً هائجاً إني مُصْحِّ مصلحٌ للبلادْ
وإنما الأبرارُ برهانُهم مؤيّـد اصـلاحهم للفسادْ
وغيرهم مخادعٌ لم نجد سمياً له إلا وفيه اصطيادْ
فيوم تبيضُّ وجوهٌ فما عذرُ وجوهٍ صُبغتْ بالسوادْ
فنرقب الـكلَّ اختباراً لهم لـكننا عونٌ لأهل الرشادْ

« ٥ »

أتحصـدُ الفقرَ دوماً يا أيها الفــلّاحُ ؟
صبراً رعاكَ إلاهي فدأبُكَ الاصـــلاحُ
وهم لعيشكَ ليـلٌ وأنتَ فيهم صباحُ

مصطفى جواد



أيزيس تغادر بيلوس

(كانت أيزيسُ تُرْضِعُ بأصبعها الطفلَ الأميرَ أثناء قيامها بتربيته بالقصر الملكى فى بيلوس . وكان من عادتها فى كلّ ليلة ـ حينما يذهب الجميعُ الى مضاجعهم ـ أن تجمع كُتَلَ الخشب وتُشعل النيرانَ ثم تُلقى بالطفل وسطها ، وإذ ذاك تتحوّل أيزيس الى سنونو وتزقزق فى لوعةٍ راثيةً زوجَها الفقيد . . . وقد نقلتْ وصيفاتُ الملكة اليها اشاعات هذه الوقائع الغريبة ، فصممتْ الملكة على مراقبة مربية ابنها لترى مبلغ هذه الاشاعات من الصحة ، وعلى ذلك اختبأت الملكة فى البهو الكبير حتى اذا أقبل الليلُ جاءت أيزيسُ والطفلُ الأميرُ وفعلتْ أيزيس ما نُقل عنها للملكة ، وحينئذ هرعت الملكة الى الطفل صارخةً وأنقذته من اللهيب . . . فما كان من أيزيس الا أن وبّختها بعنفٍ قائلةَ لها إنها بصنيعها هذا قد حرمت طفلها الأمير حظّ الخلود ! وثمة أعلنت أيزيسُ عن شخصيتها وتمنَّت على الملكة أن تعطيها العمود الشجرى الحاوى تابوت زوجها وجثمانه فى القصر الملكى ، فأجيبت أيزيس الى طلبها واستخرجت هذا التابوت وعادت به الى مصر . وبقى العمود الشجرى الذى كان يحويه مقدّساً فى بيلوس . واللوحةُ الفنّيةُ تمثّلها فى بَدْءِ عودتها إلى مصر)

* * *

فى وفاءِ الحُبّ والحُزْنِ الجميلْ ... أشرقتْ (أيزيسُ) كالبَدْرِ العليلْ

وعليها الشفَّ فى ظُلمتهِ ... ظلمةُ الأحزانِ للحبّ القتيلْ

نزلتْ باسطةً ساعدَها ... بسطةَ الإيمانِ والصبرِ الجميلْ

وكأنّ الجسرَ إذْ يحملُها ... بعدَ طولِ اليأسِ جسرُ المستحيلْ

لزنتْ والمركبُ الرّانى لها ... عاشقٌ يستلهمُ الحسنَ النبيلْ

يحملُ التابوتَ قــد كأنـه زَهرُ اللُّوتَسِ فى حِرْصِ البخيلْ
كلُّها تهفــو اليهـا مثلمـا قد هفتْ فى نشوةِ الفجرِ البليلْ
وكأنّ اللوتَسَ الصبّارَ مَنْ يحمل التابوتُ فى صبرٍ طويلْ !

* * *

وقفَ الجُنْدُ وفى طلعتهمْ أسْرَةُ المُلكِ يحيّون سَنَاهَا
حيَّرَتْهمْ روعةٌ مِنْ حُسْنِهَا خفضتْ إذْ رفعتْ تلكَ الجباهَا
وتراءى صَدْرُها العريانُ فى صورةِ الرحمةِ غـذّاها أساهَا
مَشْهَدُ اللَّوْعـةِ والحُبِّ كما يتراءى الوجـدُ والحُبُّ إلـهَا
جمعَ الموتُ وفيّاً — بعـد ما غدرَ الموتُ — هواهُ وهواهَا
كم قُلُوبٍ خفقتْ فى خَفْقِهَا ودُمُوعٍ لم تكن دمعَ سِواهَا
وشَجِىّ للبَحْرِ فى أمواجِهِ وكأنَّ البحرَ أشْجَاهُ شَجاهَا
تَصرخُ اللَّوعةُ فى كلّ الذى حولها ، لكنّما الصمّتُ صَدَاهَا !

احمد زكى ابو شادى



أنشودة الجمال

(مقتبسة عن الشاعر الفرنسى شارل بودلير)

أيُّهذا الجمالُ من أىّ كوْنٍ جئتنا : هَلْ مِن السماء العليّهْ ؟
أمْ مِن الأرض قد خرجتَ جنيناً فجعلتَ الحياةَ دنيا بهيّهْ ؟

كم أرى فى عيونك النُّجْلِ دنيا مِنْ جمالِ الألوهةِ الفنّان

نظراتٌ سكبْن فينا شعاعاً بين أضوائه افتتانُ المعانى

« • »

كم تراءى الغروبُ فى ناظريْكا وشعاعُ الصباح فى مُقلتيْكا
وشذاك النَّدِىُّ فاحَ بليلٍ عاصفِ الرِّيحِ: مُسْتقِرٌّ لديْكا

« • »

هاتها قبلةً تَرُدُّ الأَمانى أشبهتْ فى الرحيقِ بنْتَ الدِّنانِ
فاذا ثغرك الجميل يُرَوِّى منِّىَ القلبَ خمرةَ الظمآنِ

« • »

أيهذا الجمالُ أنت مَلاكٌ وقلوبُ الأنام تسعى إليْكا
تبعث الحزنَ والسرورَ تباعاً فاذا الناسُ خاشعون لديْكا

« • »

فوقَ هذى القلوب تمشى مطاعاً مِشية الهازىء الكَمِىِّ الطروبِ
فاذا الحسنُ فوقَ صدرِك زاهٍ فى ابتسامٍ مثلَ الفتاةِ اللعوبِ

« • »

كم شُجاعٍ جلعتَهُ رعْديدا وجبانٍ أحلْتَهُ صِنْديدَا
سكرَ الناسُ من دِنانكَ حتى صِرْتَ للغيد فى الهوى معبودَا

« • »

أيهذا الجمالُ أنْتَ إلَــهٌ وسنا الحبِّ فوق أرضٍ شقيَّهْ
أنتَ لحنٌ مقدَّسٌ وأريجٌ ومن الله للأنام عطيَّهْ!

حسن محمد محمود





تكريم زكي مبارك

اشترك كثيرون من رجال الأدب في اقامة حفلة تكريمية كبرى للدكتور زكي مبارك بمسرح الحمراء بالقاهرة يوم الأحد ٢٩ أبريل لمناسبة صدور كتابه القيم (النثر الفنّي في القرن الرابع) ، وكانت الحفلة برئاسة الشاعر المشهور خليل مطران وتجلى الشعرُ والنقدُ الأدبي والخطابةُ والموسيقى في تكريم المحتفل به وفي الاعتراف بعصاميته وفضله على الأدب العصري . وكانت الحفلة موفقة غاية التوفيق لأنها تجردت تجرّداً تاماً عن عوامل الترغيب والترهيب وكانت جاذبيتها الوحيدة فضل المحتفل به وحده ، فكانت صورة رائعة للاخاء الأدبي الصحيح ولعرفان الجميل في وقت يعتزّ فيه الأدعياء وأصحاب الأراجيف .

ولمّا كانت صفحات (أبولو) لا تتّسع لنشر كل ما قيل في الحفلة من شعر بليغ وزجل رائع فنحن نكتفي بنشر قصيدة مطران وقصيدة ناجي وقد نالتا استحساناً عظيماً .

١ — قصيدة مطران

قرأتُ ديوانك لا أنثني ... عن مونقٍ الا الى مونقِ
كأنني في روضةٍ تزدهي ... بالمزهر الغضّ وبالمورقِ
أمُعْرِضٌ أنتَ عن الشعرِ يا ... مَنْ شعرهُ هـذا ؟ فما تتقي ؟
أو ما ترى في غايةٍ بعدَهُ ... مِن مرتقًى يبلغـه المرتقي ؟
لعلّ تيهاً منك أبديتَهُ ... مجترئاً في صورة المشفقِ !

أما الذى دبجته مُرسَلاً من الطراز الواضح الرونق
فى « نثرك الفنىّ » وهو الذى لا يُلحَقُ اليومَ ولم يُسبَقِ
بكلّ معنى بارعٍ باهرٍ وكلّ لفظٍ ناصعٍ مشرقِ
أُطلقَ والاحسانُ قيدٌ له أعجبْ بهِ من قيّدٍ مطلقِ
تجلو خبايا العلم فى حقبةٍ سبيلُها شَقّتْ فلم تطرَقِ
مستكشفاً مستنبطاً آخذاً فى الريبِ بالأثبتِ والأوثقِ
لا تقبل الرأى على علةٍ تبرزهُ عن حيز المنطقِ
بلا افتيات منك أو لوثةٍ تصدّق الزعمَ ولم يصدقِ
فذاك يا دهقانُ فى الدرّ ما حيَّرتَ فيهِ مطمعَ المنتقى
سِفرٌ أعاد الذّكر أدراجهُ الى شباب اللغة الريِّقِ
أحدثَ للضاد وتاريخها فتحاً ولم يُبقِ على مُغلَقِ !

٢ ـ قصيدة ناجى

تحتَ عين الصباحِ والأنوارِ ورقيقِ الأنداء والأسحارِ
فى حمى (سنتريس) شبَّ غلامٌ شاعرىٌّ الكلامِ والأنظارِ
أزرقُ العين هادىءُ هدأةَ البحر بعيدُ الرضى ! بعيدُ القرارِ !
ساهمٌ يلمح السحائبَ فى الأفقِ بعينٍ عميقةِ الأغوار

***

شبَّ فى جيرة النسائم والزهر وفى صحبة الغديرِ الجارى
ونضيرِ الحقول والعشب المخضلّ يكسو شواطىءَ الأنهار
ومصيخاً إلى غناء السواقى شاكياتٍ سواخرَ الأقدارِ
باكياتٍ على الصبا والأمانى والهوى والنوى وبُعدِ المزارِ
غير أن الذى شكا خطبَهُ الأهلُ وأمسى حديث جارٍ وجارِ
انَّ ذاك الفتى الوديعَ الطهورَ الـقلبِ فى رقةِ النسيم السارى
مغرمٌ بالعصا ! فلو خلف سورٍ لتخطى شواهقَ الاسوارِ

ولأجل العصا سطا على الأفرع الخضـ ـراء زانت براسقَ الأشجار
ولأجل العصا سطا على خشب البيـ ـتِ ، طموحاً حتى لِبابِ الدار
ولو انَّ العُصِيَّ عزَّتْ عليه لتمنّى حتى عصا التسيارِ !

* * *

انَّ تلك العصا لرمزٌ على القوّ ةِ في قلبِ ماردٍ جبّارِ
لا يرى القريةَ الصغيرةَ كفؤاً لـكبار الآمال والأوطارِ
ساخراً من هدوئها مستعدّاً لصراع الخطوبِ والأخطارِ
أين يمضي ؟ ! للأزهر الشامخ الرأ س ، القويّ الباقي على الأدهارِ
مُطلعٌ عبده وسعداً ورهط المجـ ـدِ والبأسِ والعُلى والفخارِ

* * *

فرح الأهلُ بالغلام الذي صا ر حديثاً في ندوةِ السُّمّارِ
عمّموه وقفطنوه فأمسى أملَ القوم ، فارسَ المضمارِ
ومضى يطلب العلومَ وحيداً موحشاً قلبهُ ، غريبَ الدارِ
ناظراً في هوامشٍ تأكل المقـ ـلَ وتبلى نواضرَ الأبصارِ
لا يبالي الطوى ولا يحفل الأقـ ـدارَ جاءت بكلّ أمرٍ ضاري
لا يبالي غداة يصغي الى الشيـ ـخ وللشيخ هالةٌ من وقار :
أحصيرٌ ممزّقٌ أم حريرٌ مقعدٌ للمجاهدِ الصبّارِ
آهِ من هاته الشدائد فهي النـ ـار تبلو القلوبَ في الأخيارِ !
إنَّ قلبَ العظيم ياقوتة تسـ ـمو سموّاً وتزدهي بالنارِ !
أيُّ شيء في الدهر كالألم الجبا رِ يجلو ضمائرَ الأحرارِ ؟ !

* * *

عجبي من «مجاورٍ» ضاق بالأز هرِ ! واحيرةَ النفوسِ الـكبارِ !
ثم أمسى مطربشاً واكتسى البذ لةَ ما بين ليلةٍ ونهارِ
ثم ضاقت بهمّه مصرُ فاشتا ق لغير الأوطانِ في الأمصارِ
ضمَّ أشياءَهُ اليه ، وأضحى في سفينٍ تجوب عرضَ البحارِ

ثم أمسى مبرنطاً يقصد (السيـ ـنَ) ويغزو مدينةَ الأنوارِ!

* * *

والذي يبعث السرورَ ويدعو كلَّ نفسٍ للزّهوِ والاكبارِ
رجلٌ ما ازدهته فتنةُ (باريـ ـس) وما فى (باريس) من أسرارِ
ظلَّ فى ذلك الحمى مصرياً عربيَّ الحياةِ والأفكارِ
كلما هبَّت الغوانى عليه ضاق ذرعاً بالغادة المعطارِ
يزفر الزفرةَ العنيفةَ ترمى مِن لظاها فحمَ الدُّجى بشرارِ
يذكر (النيلَ)، والأحبةَ بالنيـ ـلِ ويشدو برائع الأشعارِ!

* * *

كرّموا نابغيكمو واعرفوهم فضياعُ النبوغ فى الانكارِ
فزكىٌّ مباركٌ شعلةٌ فى مصر تهدى شبابَها كالمنارِ
قسماً لو يُتاح لى الغارُ كلا تُ بكفى جبينَه بالغارِ!



الى طغاة العالم

ألا أيها الظالمُ المستبدُّ حبيب الفناء، عدو الحياهْ
سخرتَ بأنّاتِ شعبٍ ضعيفٍ وكفُّكَ مخضوبةٌ من دماهْ
وعشتَ تُدَنِّس سحرَ الوجودِ وتبذر شوكَ الأسى فى رُباهْ

« • »

رُويدكَ، لا يخدعنك الربيعُ وصحو الفضاء، وضوء الصباحْ
ففى الأفق الرّحب هولُ الظلامِ وقصفُ الرعود، وعصفُ الرياحْ
ولا تهزأنَّ بنوْحِ الضعيفِ فمن يبذرْ الشوكَ يجنِ الجراحْ

« • »

تأملْ! هنالكَ، أنى حصدتَ رؤوس الورى، وزهورَ الأملْ
ورويتَ بالدَّم قلبَ الترابِ وأشربتَه الدمعَ، حتى ثمِلْ
سيجرفك السيلُ، سيلُ الدماء ويأكلك العاصفُ المشتعلْ

ابو القاسم الشابى

مصباح الحياة

ان في الأرض شقاءً وعليها تعساءْ
حملوا الهمّ وهم فيها ضيوفٌ غرباءْ

« • »

أصبح الخائن في النا س تقيّاً وأمينْ
وزمان المجد ولّى وانتهى منذ سنينْ
صاحِ ! طفْ بالكون وابحث عن اناس فرحينْ
نحن لا نسمع الا صرخات وأنينْ
نحن أبناء زمانٍ قلّ فيه الرحماءْ

« • »

ستر النفس عن النفس من اللؤم حجابْ
حبب الانسان للانسان هماً وعذابْ
فاتك من كاشر الوحش له ظفرٌ ونابْ
فهو لا يغلق للشرّ ولا للحقد بابْ
وهو للوحش مثال وهو للناس بلاءْ

« • »

يا ابن حواء لقد روّ عت كلّ الكائنات
كل جمع فيك يمنى بفراق وشتات
قد تفننت ولكن في اختراع المهلكات
قسوة القلب لها فيك شهود وصفات
كل من بات قوياً بات حرب الضعفاءْ

« • »

لم يعد في الأرض للحبّ مجالٌ أو طريقْ

لم يعد فى الناس خل ذو وفاء أو صديق
كل من تأنس فيه الخير فى الشر عريق
كلهم فى لجة الاهو اء سبّاحٌ غريق
ودعاة السلم فى الغر ب أناس أدعياء

« • »

أيها القاعدُ لا يحسـب للعيش حساب
انما الدنيا عراك وجهاد واغتصاب
وعمار الكون لا ينتج الا من خراب
وهناء الناس يأتى من شقاء وعذاب
وحديثُ السلم ضربٌ من خيال الشعراء

« • »

فجّرَ الغربُ ينابيعَ العلوم الفائضات
وجنى من غاية الهمة حلوَ الثمرات
ومشى يحمل فى يمناه مصباحَ الحياة
ولبثنا نحن نختا ل بآثار الرفات
وزهونا ببنـاء شيدته القدماء

« • »

يا بنى الشرق رويداً لا تلوموا من أساء
قوة الشعب حياة وأرى الضعف فناء
ان من عاش ضعيفاً سخرته الأقوياء
هكذا من سالف الا جيال قانون البقاء
وبنو العلم يسو دون الضعافَ الجهلاء

محمود رمزى نظيم

وداع دمشق

استقدم الشاعر شفيق المعلوف الى دمشق عند ما كان والده عيسى اسكندر المعلوف عضو المجمع العلمى العربى فيها سنة ١٩٢١ م صاحب جريدة (الف باء) الكاتب الالمعى يوسف أفندى العيسى اليافاوى نزيل دمشق فصرف شفيق نحو خمس سنوات محرراً فى تلك الجريدة الدمشقية وله فيها آثار نثرية وشعرية رائعة بعضها بتوقيع (ش) و (فتى غسان) وبعضها غفل من التوقيع . ولما نوى شفيق السفر الى البرازيل حيث أخواه فيها المرحوم فوزى وشقيقه اسكندر استقال والده من المجمع ليرافقه مع الأسرة (١) فودّع شفيق دمشق بهذه القصيدة فى صيف سنة ١٩٢٥ :

هذى يدى هلاَّ جسستَ يدى ؟ أخشى عليها النارَ من كبدى
انى اذا ما رحتُ أبسطها لشباب جلّق ، خاننى عضدى
ما كدتُ أعتزم التحمل عن (بَردى) وفيه كان مبتردى
حتى استثار جوارحى ضرمٌ متآكلٌ متواصِلُ الوقدِ
أترى بصفحتهِ تبسُّمَةً من كل نجمٍ فيه متّقدِ ؟
وترى على الموجات من أملى قطعاً مبعثرةً مع الزبدِ
انى خلقتُ على جوانبهِ أحلامَ أمسى وابتسامَ غدى

« ٠ »

ألصَّحْبُ قالوا : انت مبتعدٌ فأجبتُ : انى غيرُ مبتعدِ
مَن حمَّل التذكارَ أضلعَهُ ما كان بالمنسىّ من أحدِ
لئن اجتوانى موطنى فأنا متزوّدٌ نكداً على نكدِ
والأرضُ إن ضاقت بقاطنها لم يستفدْ فيها ولم يُفدِ
ولئن تبعنا الشمسَ هاويةً فى الغربِ بين غمائم الجلدِ

---

(١) كانت سن شفيق قبل العشرين وحدث لأسرته ما أخرها فسافر وحده الى البرازيل وهو فيها الى الآن مع أخيه اسكندر .

فلا ننا لم نهوَ مطلعَها كنَّا نياماً ساعةَ الرأَدِ
وهي الحياة يحدُّها أمدٌ يا ليتها كانت بلا أمَدِ
والدهرُ يمضي بادئاً بأبٍ فتراهُ منتهياً الى وَلَدِ
محراثُهُ يغشى الجباهَ ولا ينفكُّ يعملُ غيرَ متئدِ
هي لمحةٌ ... وترى الجباهَ بدت فيها أخاديدٌ من الجعد

« • »

الشرقُ كلٌّ بلادِهِ وطني والشامُ كلٌّ ربوعِها بلدي
والشام لو أنسى الربيع بها أنسى شبابا في الضلوع ندِي
هيهات أن أنسى بلابلَها وأنا ربيبُ البلبلِ الغردِ
كلاَّ ولا أدواح غُوطتِها الدائماتِ النَّوْحِ والميَدِ
الحانياتِ على ملائكةٍ عُلويةٍ عطريةِ البُرُدِ
تنبثُّ خافيةَ الخُطى فترى حورَ الجنانِ وجنَّةَ الخلدِ
مِن كلِّ خَوْدٍ فوقها فَنَنٌ إن يَلوِ تلوِ الجيدَ عن غَيَدِ
فتخالُ أنَّ الغصنَ قبَّلها لكنَّ ذاكَ الغصنَ لم يَكدِ

« • »

إن أنسَ لا أنسَ الشآمَ ولا زمنَ الصفا ولياليَ الرَّغَدِ
والفتيةَ الاحرارَ ما فتِئُوا متحفّزين لوثبةِ الاسدِ
متكاتفينَ ، تراهمُ حُشُداً متسارعينَ لفتيةٍ حُشُدِ
ساروا فما ألوَوْا لغاصبهم عُنُقاً ، ولا قعدوا من الجَهدِ
فاذا هجرتُ الشامَ مغترباً عنها فعندي أوفرُ العُدَدِ
أنَّ افترارَ ربيعها بفمي ولواءَ عزمِ شبابها بيدي ...

شفيق المعلوف



المعرى الشاعر والفيلسوف

(بمناسبة مرور تسعمائة سنة على وفاته)

هو أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخى المعرى اللغوى الشاعر الفيلسوف المعروف .

هو عربىّ النسب من قبيلة تنوخ من بطون قضاعة، من بيت علم وفضل وأدب .

وُلد فى (المعرة) وهى بلدة بالشام بالقرب من حلب فى السابع والعشرين من ربيع الأول سنة ٣٦٣ هجرية ، ولما توفى النعمان بن البشير الصحابى ودفن فيها أطلق عليها اسم (معرة النعمان) .

وما كاد أبو العلاء يبلغ الثالثة من عمره حتى أصيب بالجدرى على ما هو معروف فذهب ببصره وأعماه وهو لا يزال طفلاً صغيراً .

وكان نحيف البدن ، متوسط القامة ، واسع الجبهة ، فى وجهه أثر الجدرى وقد ابيضت احدى عينيه وغارت الثانية .

قرأ النحو واللغة العربية على أبيه وغيره من أئمة اللغة فى ذلك العصر كمحمد بن عبدالله بن سعد النحوى وغيره من أصحاب الأفكار السليمة المثقفة . وكان شعلة من الذكاء الملتهب ، قوى الحافظة جداً ، حتى كان يحفظ كل مايدور حوله تمام الحفظ من أول مرة . واليك مثلا يريك كيف كان ذكاؤه وقوة ملاحظته : وهو ان تاجرين اختصما على مقربة منه وكانا يتكلمان بغير العربية ولم يعرف هو غيرها . ثم اتفقا على حساب بينهما أثبتاه فى سند حفظه صاحب الدين . ومضى على ذلك خمس وعشرون سنة مات فيها الدائن وافتقد الورثة السند فلم يجدوه وسنحت الفرصة للمدين فانكر كل ما كان بينه وبين صاحبه وانه ليس عليه شىء مطلقا !

وكان أن سمع بذلك أبو العلاء فذهب توآ الى حيث كان القضاة وألقى على مسامع

الحاضرين كل ما دار من القول بالحرف الواحد وباللهجة نفسها ا فدهش القضاة وغيرهم من الحاضرين واعترف المدين بكل شيء ولم يقدر على مواجهة أبى العلاء بكلمة واحدة! فسبحان الله العظيم! وما نظن أن هناك فى بطون التاريخ من رجال وُهبوا مثل تلك الذاكرة اللهم الا قليل جداً كالامام الشافعى رضى الله عنه وأبو جعفر المنصور.

وكان المعرّى علامة عصره متضلعاً من فنون الأدب أخذ عنه الناس وسار اليه الطلبة والعلماء من كل حدب وصوب، وكاتبه القضاة والوزراء والحكماء والأمراء حتى اشتهر فى ذلك العصر بشيخ المعرة.

قال الشعر وعمره أحد عشر عاماً، وكان يحفظ كل ما يقوله حتى فاق شعراء زمانه فصاحة وبلاغة. ومن بليغ شعره ما حثّ فيه على طلب العلاء والبلوغ الى ذروة المجد والدعوة الى الفضائل ومكارم الأخلاق، واليك بعض ما قاله:

ألا فى سبيل المجد ما أنا فاعلُ عفافٌ واقدامٌ وحزمٌ ونائلُ
أعندى وقد مارستُ كل خفية يصدق واش أو يخيب سائلُ؟!

ولما بلغ عنان الشهرة قال يمدح نفسه:

وقد سار ذكرى فى البلاد فمن لهم باخفاء شمس ضوؤها متكاملُ؟!

وقد قاسى الشدائد فى حياته من صروف الدهر وتقلبات الأيام بفقد بصره وموت أبويه وهو صغير ثم عنت المعاصرين وحسد المناظرين والمنافسين والصاقهم به تهمة الالحاد والخروج على الدين، وقد قال فى ذلك:

تعدّ ذنوبى عند قوم كثيرة ولا ذنب لى الا العلا والفضائلُ
كأنى اذا طلت الزمان وأهله رجعت وعندى للأنام طوائلُ

وقد سافر أبو العلاء من المعرة الى بغداد فاقام بها بضع سنين وهناك التقى بمن صادقه وصافاه وهو أبو القاسم على بن الحسن التنوخى ثم ما لبث أن أعرض عنه وجافاه!

وعاد أخيراً الى المعرة ولزم داره فلم يبرح مسكنه وأطلق على نفسه (رهن المحبسين) يقصد بذلك محبس العمى ومحبس الدار!

وكان يدين بآراء الفلاسفة فى كثير من أمور حياته فلم يأكل اللحم، وكان يذهب

الى تحريم ذبح الحيوان وتعذيبه لفائدة الانسان ، كما يرى أن الوجود فى هذه الحياة تعب وشقاء ، وفى ذلك قال :

فياموتُ زُرْ ! ان الحياة ذميمة ويا نفس جدّي ! ان دهرك هازلُ

وكان شد الافتخار بنفسه . وهنا يقول :

ولما رأيتُ الجهلَ فى الناس فاشياً تجاهلتُ حتى ظُنّ أنى جاهلُ

فواعجباً كم يدّعى الفضل ناقص ! ووا أسفاً كم يظهر النقص فاضلُ !

وكيف تنام الطير فى وكناتها وقد نصبت للفرقدين الحبائلُ ؟!

وكان يعدّ التناسل جناية لأنه أصل الشرور والآفات ، ولهذا عاش أعزب ولم يتزوج فى حياته قط ، كما كان يكره وجوده فى الحياة . وقبل موته أوصى أن يكتب على قبره :

هـذا جنـاه أبى علىّ وما جنيت على أحدْ

ومن نوادره انه كان يمشى ذات يوم فى الطريق فقابله غلام صغير فاستوقفه . وقال له : يا شيخ أولست القائل :

واني وإن كنت الأخير زمانه لآتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ ؟

أجاب : نعم ! هو أنا صاحبه . فقال الغلام :

لقد وضع الاولون حروف الهجاء تسعة وعشرين فهل تستطيع أنت أن تزيدها لنا حرفاً ... ؟!

فظهرت على وجهه علامات الاعجاب وانصرف ولم يجبه .

وله مؤلفات منها :

(لزوم ما لا يلزم) و (سقط الزند) و (رسالة الغفران) .

ثم عُنى بعد ذلك بشرح دواوين بعض الشعراء ، فشرح ديوان أبى تمام وديوان البحترى وديوان المتنبي وكان يعجب بالأخير .

وقد توفى رحمه الله بالمعرة فى اليوم الثانى من ربيع الأول سنة ٤٤٩ هجرية بعد مرض ثلاثة أيام ، وكان فى السادسة والثمانين من عمره ما

احمد وهبة زكريا

فرانسوى كوبيه

(بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاماً على وفاته)

تحتفل فرنسا فى هذه الأيام بمرور خمسة وعشرين عاماً على وفاة الشاعر والقصصى العظيم فرانسوى كوبيه . وسوف تحتفل فرنسا على الدوام بذكرى كوبيه وغير كوبيه من شعرائها وكتابها الخالدين ، ففرنسا من أعظم الأمم تمجيداً لعظمائها لأن الشعب الفرنسى شعب فياض الشعور رقيق الاحساس ، وهو بذلك دقيق فى تخليد خدامه وبناة مجده خصوصاً مَن كان أقربهم الى طبيعته وأصدقهم تمثيلا لروحه .

ولقد كان فرانسوى كوبيه باريسياً صميماً جعل من المدينة العظيمة المصدر الدائم لفنه وأدبه : يجوب أرجاءها المختلفة ويدور بناظريه فى احيائها يدرس بعين الفنان البارع مظاهر السعادة والشقاء والغنى والفاقة ، ويستمتع بطبيعة باريس الساحرة ومناظرها الجميلة . ثم يعود الى منزله الوضيع وقد امتلأ قلبه الحساس بشتى العواطف المتضاربة فيسكبها فى شعره وقصصه بطريقة تسيل رقة وحناناً .. . فكوبيه من هذه الناحية يمتاز عن كثير من الكتاب الفرنسيين الذين لم يفهموا باريس حق الفهم ، ولم يخصصوا أدبهم لوصف مظاهر الحياة فيها من نعيم وشقاء كما فعل كوبيه. ولعل السبب فى ذلك هو أن معظم الكتاب الفرنسيين ليسوا باريسيين صميمين ككوبيه الذى وُلد ونشأ ومات فيها .

على أن هناك ناحية أخرى يمتاز بها كوبيه عن غيره من الشعراء والكتاب الفرنسيين وهوما دعا النقاد لأن يلقبوه (شاعر المساكين) ، لأن كل كتابات كوبيه تفيض بالرحمة والرثاء للفقراء والبائسين. ولقد أحسن وصفه بول بورجيه وقت ما قال عنه حين وفاته : « انك لتشعر عند قراءة مقطوعة من شعره أوقصة من قصصه انه ليس - كغيره من الكتاب - كاتباً يكتب لقراء بل صديقاً يكتب لاصدقائه ، فدقة الاحساس وطيبة القلب والأمانة الصادقة فى الوصف سواء فى شعره أو نثره والاشمئزاز الطبيعى فيه لكل تكلف أو دجل أو ادعاء هى أظهر ما يميز فنه » .

حياته

وُلد كوبيه عام ١٨٤٢ ، وكان منذ صغره معتلّ الصحة ذاوى اللون . وكان أبوه

موظفاً بسيطاً فى وزارة الحربيـة وكان مرتبـه الضئيل لا يسمح لأسرة كوبيه الا بحياة مقترة بائسة . ولما شبّ فرانسوى أرسله والده الى المدرسة فـكان يذهب اليها فى الصباح ولا يعود منهـا الا عنـد المساء فيـذاكر دروسـه الى جانب والديه وشقيقاته الثلاث . وعند ما بلغ الرابعة عشرة انتقلت الأسرة من منزلهـا وانتقل كوبيه الى مدرسة سانت لويس المجاورة للمنزل . ولم يكن كوبيه موفقاً فى حيـاته المدرسية ـ شأن كثير من التلاميذ الذين ينبئون بمستقبل عظيم ـ وكان دائم التفـكير محباً للعزلة . وكانت حديقة لـكسمبرج القريبة من منزله تفتن نفسه الشاعرة الحالمة وتلهيه بجمال مناظرها ومياهها الجارية عن متابعة دروسه .

وجاءت الظروف القاسية تترى فساعدت على هجره المدرسة ، لأن والده الذى كان قد أحيـل الى المعاش منذ عامين أصابه شلل ألزمـه الفراش مـدة طويلة وأصبحت حالة الأسرة المالية من الضيق بما لا يسمح ببقاء كوبيه فى المدرسة ، فأُخرج منها واشـتغل عنـد أحـد المهندسـين المعماريين . وكان يشتغل فى الوقت نفسه نساخاً للمقاولين كى يزيد مقدار المال الذى يعين به أسرته . وكان ينتهز ساعات فراغـه ويقضيها فى القراءة المتواصلة حتى أصيبت عينـاه بمرض من جراء ذلك . ولم ينقض وقت طويل حتى عُين كوبيـه موظفاً فى وزارة الحربيـة التى كان والده موظفاً فيها ، وظل يكدّ فى سبيل أجرٍ ضئيلٍ تافهٍ . وعند ما بلغ كوبيه العشرين مات والده فزادت اعباؤه وشعر بالمسؤولية تثقل كتفيه فكان يتعزى بالقراءة المستمرة وكتابة الشعر والقصص القصيرة والمسرحية . وابتدأ بنشر بعض قصصه القصيرة فى احدى المجلات الصغرى ، ولـكنها لم تـكن لها من الناحية الأدبية قيمة تذكر .

شعره وقصصه

وفى ذلك الوقت كانت قد ظهرت فى فرنسا جماعة البرناسيين فانضم كوبيه اليهـا وأصبح دائم الاجتماع بأعضائها وكانت الجماعة تجتمع يومياً عند الناشر ألفونس لومتر وكانت هذه الصداقة بين الناشر وجماعة البرناسيين مما ساعد على نشر مؤلفاتهم عنده فنشر كوبيه عام ١٨٦٦ مجموعته الشعرية الاولى (Le Reliquaire) وبعـد عام نشر مجموعته الثانية « الاخوان» (Les Intimites) وحتى ذلك الوقت لم تتعد شهرة كوبيه دائرة محدودة حتى كان يناير عام ١٨٦٩ اذ أخرجت الممثلة سارة برنار قصته « المار» LePassant على مسرح الاوديون فأحرزت نجاحاً كبيراً وارتفع كوبيه مرة واحدة الى مصاف الـكتاب النابغين وأصبح اسمه موضوع أحاديث الاندية الأدبية

في فرنسا وغيرها من البلاد الأوروبية ، وأعجب به نابليون الثالث امبراطور فرنسا وعرض عليه مرتباً شهرياً ولكن كوبيه رفضه مع حاجته القصوى ، على أن حالة كوبيه المالية تحسنت قليلا بعد ذلك عند ما وُظف في مكتبة مجلس الشيوخ .

وفي عام ١٨٧٢ كتب كوبيه قصة « حب في أثناء الحصار » وهي أول ما كتب نثراً وكتب أيضاً مجموعة قصصه القصيرة الاول ثم ظهرت في ذلك العام قصة « المساكين » التي بلغ فيها ذروة مجده الأدبي من الناحية الانسانية ، ثم كتب بمعاونة ارمان دارتوا قصة « حرب المائة عام » وهي مسرحية شعرية أظهر فيها نواحي من البطولة الفرنسية .

وكان اسم كوبيه في ذلك الوقت يدوي في كل مكان ، ففي عام ١٨٧٩ منح وسام اللجيون دونور .

وفي عام ١٨٨٣ كتب كوبيه قصة « سيفيروتوريل » فنجحت نجاحاً كبيراً ، وفي العام التالي انتخب عضواً في الاكاديمي فرانسيز ، وفي عام ١٨٨٥ استقال كوبيه من عمله في مكتبة مجلس الشيوخ على أثر خلاف قام بينه وبين رؤسائه الذين رأوا في بعض أعماله الادبية من الآراء ما لا يتفق مع عمله الحكومي فسافر الى أملاك صديقه وناشر كتبه ألفونس لومتر حيث تمتع بالراحة والهدوء وكتب هناك قصة « اليعقوبيين » التي مثلت على مسرح الاديون في شهر نوفمبر من العام نفسه .

وواصل كوبيه انتاجه الأدبي دون انقطاع فكتب عدداً كبيراً من القصص القصيرة شعراً ونثراً . وفي عام ١٨٩٥ كتب كوبيه قصته المسرحية « في سبيل التاج » وفي عام ١٨٩٦ كتب قصة « الجاني » وهي القصة الطويلة الوحيدة التي كتبها .

وكان كوبيه قبل كتابته هذه القصة يعاني ألم المرض المبرح ولم ينجه منه إلا عملية جراحية خطيرة ، وجعل كوبيه من آلامه في أثناء مرضه موضوعاً حياً لاحدى قصصه كعادته في تصوير فواجع حياته فكتب قصة « العذاب المذب » .

وقضى كوبيه أعوامه الاخيرة يعاني آلام المرض معتزلا في منزله الحقير مهد ذكريات حياته الأولى ، وقد أبى أن يفارقه مع الحاح أصدقائه الى أن مات فيه عام ١٩٠٨ م :

كان كوبيه شاعراً أكثر منه ناثراً ، بل ان عبقريته الشعرية — كما يقول بورجيه — كانت على حساب نبوغه كناثر ، على ان كوبيه كان واقعياً حتى في شعره ، ولذلك كان شعره مع الموسيقى العالية التي تغمره يقرب كثيراً من النثر ، لان كوبيه لم يكن يريد

الخروج عن دائرة الحقيقة فكان يصوّر الاشخاص على ما كانوا عليه بلا تنميق ولا تزويق . وكيف يستطيع ذلك وهو فى الواقع لم يكن يكتب الا صدى شعوره الشخصى ولم تكن الاشخاص التى يصورها فى شعره أو نثره الا شخصيات اتصل بها عن قرب أو عن بعد ، ففهمها حقّ الفهم وعرف ما يخالجها من مختلف العواطف والنزعات المتضاربة ؟

ان الاتجاه الجديد الذى أوجده كوبيه فى الأدب الفرنسى عامة والشعر خاصة يبدو واضحاً فى المجموعتين الأولى والثانية من شعره : فلقد بدا فى هاتين المجموعتين شاعراً مطبوعاً يريد أن ينزل بالشعر الى رسم سواد الشعب من الطبقتين الوسطى والفقيرة . وكان يرى ان الطبقات البائسة بفقرها أو بما يعتريها من أحوال الحياة القاسية أحقّ من غيرها باهتمام الكاتب والقارىء على السواء . ولذلك كانت قطعه الشعرية فى هاتين المجموعتين صوراً صادقة بريشة لحياة هذه الطبقات . فهو لا يصور (الفقراء) فحسب بل (المساكين) عامة بمافيهم الفقراء ،لأن الذين يتألمون فى الحياة ليسوا فقراء وحدهم — وإن كان ألم الفقر والجوع هو شر الآلام — بل هناك من الناس من قد يكونون سعداء من الناحية المادية ولكن الدنيا لاتعدم من الوسائل ما تنغص بها عليهم حياتهم ، وأمثال هؤلاء كثيرون مثل المرضى والخائبين فى الحب والذين فقدوا آمالهم العظيمة فى الحياة . وكذلك الأطفال الصغار فهؤلاء أيضاً يملأون جانباً من أدب كوبيه — أولئك جميعاً هم من خصص كوبيه شعره ووقته لشرح آلامهم وترى ذلك واضحاً فى قصيدة « الجدّات » وفى « قديسة » التى أهداها الى أمه . وفى قصيدة Le Banc وهى قصة حب عنيف بين جندى وخادمة ترى فيها كوبيه يبلغ الذروة من حيث دقة الوصف وصدق العاطفة ونبل القلب ، حتى ان فكتور هوجو أرسل اليه كتاباً قال فيه : « بفضلك أصبح الانسان لا يسخر من الجندى ولا من الخادمة » .

كان كوبيه يعشق باريس عشقاً جنونياً ويجد السعادة كلها فى الجلوس على شاطىء السين أو التجوال فى أحياء باريس ويسمع بأذنيه صرخات الألم والبلاء المنبعثة من بين جدران البيوت القذرة التى تكون عالماً آخر لا يتصل بباريس العابثة الماجنة بصلة . ولقد أبدع كوبيه فى رسم هذه الصورة أيما ابداع فى مجموعة الصور العشر المسماة : Promenandes et Interiers

وفى قصيدة أوليفيه Olivier تراه يصف باريس فى يوم أحد من أيام أيام الشتاء وقد تجمّع الناس وخصوصاً الفقراء فى حديقة لكسمبرج يلتمسون من جمالها وسحرها ما يخفف عن قلوبهم الكسيرة عبثها الثقيل .

وأوليفيه بطل القصيدة شاعر وزّع قلبه على كثير من النساء،وكان يشترى الحب بالمال إن أعوزه الأمر ، ولكنه فى النهاية شعر بالملل من تلك الحياة التى خسر فيها أكثر مما كسب ، فازمع الذهاب الى مسقط رأسه ليبعد عن جوّ باريس الصاخب وينزل على أحد أصدقاء والده ، وهناك يتعرف بابنة مضيفه وهى فتاة جميلة عفيفة تدعى سوزان.فتعجبه الفتاة ويبتدىء يحسّ نحوها بعاطفة خفية ، ولكنه لا يلبث يشعر بان قلبه أصبح أبعد ما يكون عن أن يتأثر بالحب العفيف الطاهر وبان الماضى الأثيم والحب الذى يشترى بالمال قد طبعا قلبه بطابع لا يمحى ، وان كل ما يشعر به نحو هذه الفتاة هو أنها تذكره بهيئتها وحركاتها بالفتاة الساقطة التى كانت تعيش معه تحت سقف باريس . وعندما يشعر الشاعر أولفييه بان غسل الماضى فوق طاقته يتعزّى بكتابة مقطوعات شعرية آية فى الروعة ينفس فيها عن آلامه ، ثم يرحل ثانية الى باريس حزين القلب منكسر الفؤاد .

وهذه القطعة الرائعة صورة صادقة لكوبيه نفسه وهى بواقعية فكرتها وصراحة رسمها تجعلها أقرب الى (آلام فرتر) للشاعر الألمانى جوته أوالى اعترافات روسو .

وكوبيه بشعره العاطفى يسمو الى مصاف أعظم شعراء العاطفة الفرنسيين الا أن بينه وبينهم خلافاً ظاهراً : فهو ليس كموسيه مثلا الذى أمعن فى وصف الحب الشهوانى الذى يعتمد صاحبه على المكر والخديعة من أجل تحقيق أغراضه ، ولا كلامارتين الذى بالغ فى تصوير الحب الطاهر حتى خرج تصويره له أقرب الى الخيال منه الى الحقيقة . لقد كان كل من موسيه ولامارتين مبالغاً فى تصوير ما أراد ، أما كوبيه فقد كان وسطاً بين الاثنين : كان واقعياً صحيحاً . كان شعره رسماً لتلك الصور اليومية التى يصادفها الشاعر فى حياته ، ولتلك العواطف التى تجيش فى أعماق نفسه . ولذلك كان شعره أبعد ما يكون عن التكلف ومحاولة خلق موضوعات لا تتفق مع الحياة الواقعية . وهو بذلك كثير الشبه بالشاعر الالمانى هنرى هينى الذى يتفق معه أيضاً فى تصويره للآلام . فالاثنان تغلب عليهما ما يسمى (أنانية الفنان) : يأبى أن يشكو ما يعانيه الا بالقدر الذى يجلب عليه العطف فلا يتذلل ولا يحاول أن

يظهر أن الآلام على مرارتها قد نالت من ارادته أو عزة نفسه . وترى كوبيه يقلد هنري هيني في ذلك ويكتب مجموعة أغانيه المسماة L'Exilée ومجموعة صغيرة أخرى بعنوان Les Mois

ولا يبنى مجد كوبيه على شعره العاطفي، شعر الحب فحسب، بل ان نبوغه ككاتب قصصي ومسرحي قد مهّد له السبيل لخوض غمار الشعر الحماسي والدعوة إلى مُثل عُليا في الحياة . وهو في هذا الضرب من الشعر نراه أقرب الشعراء إلى فكتور هوجو وفيكونت دوليل . وانك لا تلبث أن تشعر بوطنيته الملتهبة ودعوته الى أسمى الفضائل كلما قرأت له « القبران » التي يزعم فيها أن المجد الحقيقي لا يأتي الا عن طريق الفضيلة والشرف أو في « سبيل التاج » التي يمجد فيها سيادة الأمة أو « اضراب الحدادين » التي يعيب فيها الثورات وينقد نتائجها السيئة .

ولعل من العجيب أن يبدو فرانسوى كوبيه من خلال شعره الاجتماعي والسياسي كارهاً للديموقراطية ناقداً لنظامها ، مع أنه وقف شعره ووقته القصصي والمسرحي على الدفاع عن الفقراء والبائسين ، ولكن كوبيه كان يعتقد مثل بلزاك — الذي كان كوبيه متأثراً به في كثير من آرائه وأعماله الأدبية — انه لا بدّ من نظم ضيقة لكبح تلك الطبقة الفقيرة التي خرج هو نفسه منها . كان يمجد القوة ويعتقد بصلاحيتها . ألا تراه في «اضراب الحدادين» ينتقد الالتجاء الى الثورات لتحقيق المطالب ؟ ألا تراه في قصة « في سبيل التاج » يمجد سيادة الأمة وإن كان في ذلك تضحية للأفراد ولمصالحهم؟ وكذا في سائر أعمال كوبيه سواء كان في شعره أو في قصصه المسرحية أو قصصه الطويلة أو القصيرة تراه يدعو من خلالها الى القوة والسلطان وينتقد نظام سيادة الجماهير.

لقد كان كوبيه بشعره فاتحاً جديداً في الأدب الفرنسي فالموضوعات التي طرقها والشخصيات التي رسمها — تلك الموضوعات والشخصيات التي ولدتها انسانية حزينة — لم تكن معروفة عند الشعراء الفرنسيين الذين سبقوه .

فنه المسرحي

كانت أولى مسرحيات كوبيه قصة (المار) Le Passant وهي صرخة شباب

كوبيه : ذلك الشباب البائس المحتاج الممتلىء بالآمال الضائعة والرغبات المخنوقة . ولقد نحا كوبيه فى هذه القصة منحى الفن القصصى التصويرى الذاتى fantaisie الذى ابتدعه شكسبير فى « كما تريد As You Like It » وتأثر به موسيه فى «فيم تحلم البنات » Aqoui rèvent Ies jeunes filles وفى قصص « سفيرو توريلى » و«اليعقوبيين» و « فى سبيل التاج » ترى كوبيه يجمع بين المذهب الرومانتيكى والمذهب الكلاسيكى وينزع فيها منزع القدماء وأخصهم كورنيل فى أن يكون للقصة مثل أخلاقى أعلا ليجعل منها دراما أخلاقية . وهذه القصص الثلاث دعوة حارة الى تضحية كل شىء حتى العاطفة الأبوية من أجل المبادىء السامية كالحرية ومجد الوطن.

ومسرح كوبيه — كشعره — صورة كاملة لحياته الشخصية . وفى قصة Le Pater ترى شقيقة أحد القسوس الذى جرح فى أثناء الثورة الشيوعية التى قامت فى باريس بعد الحرب السبعينية ، تراها تنقذ الشخص الذى أمر باطلاق النار على الثائرين وهى تنطق بهذه العبارة : « اغفروا لنا زلاتنا كما نغفر نحن للذين أخطأوا الينا » . ولقد كانت هذه الكلمات نفسها هى آخر ما نطق به كوبيه قبل موته !

كوبيه الناثر

قلنا إن كوبيه كان شاعراً أكثر منه ناثراً ، على أن نثره مع عبقريته الشعرية وطغيانها على فنه كان يمتاز على نثر غيره من الكتاب الناثرين برقته وحرارته وبتلك الحسرة المريرة التى هى أولى خصائص أدب كوبيه . فقصته النثرية الأولى « حب فى أثناء الحصار » مع نواحى السرور والفرح التى تغمر بطليها العاشقين جابرييل وأوجينى فى مطلع القصة فانها تنتهى بصور من البغضاء والحقد يضيع فى غمرها أثر السعادة الماضية . وفى « المساكين » ترى كوبيه يبلغ الذروة فى دقة الشعور وسمو القلب والدقة الصادقة فى تصوير ضواحى باريس وفتياتها الساذجات .

وقصص كوبيه يخترقها شعاع من السخرية ، ولكنها سخرية بريئة فيها ممن العطف فهو يصف الأطفال كما يصف البسطاء من الرجال والنساء الذين يقعون فى شباك الخبثاء الماكرين . يصفهم بطريقة ساخرة فيرسم جودتهم وبساطتهم بطريقة تثير الضحك والألم فى وقت واحد ، ولكنها فى النهاية تستدر العطف عليهم والرثاء لهم .

والرذائل ... الرذائل والنقائص الأخلاقية لها من قصص كوبيه نصيب وافر . وقد

سهلت له حياته الباريسية فهم باريس فأجاد رسمها ببراعة القصصي والشاعر الفنان ، وكانت الطبقات البائسة المتـألمة هي الغالبة في جميع قصصه . وفي قصته « الاغنياء الحقيقيون» Vrais Riches ترى لوناً من الصوفية يشعّ من أدب كوبيه ففي هذه القصة تراه يؤمن بالمثل القائل : (المال لا يجلب السعادة) فالأغنياء الحقيقيون في نظره هم أولئك الذين يحتفظون في أجسامهم بالـكنز الذي لا يفنى ، ألا وهو القلب .

وقصة «الجاني» Le Coupable وهي القصة الطويلة الوحيدة التي كتبها تعتبر من أروع أعماله ، وهي قصة أب هجر ابنه وهو ثمرة علاقة بينه وبين فتاة عاملة حين كان طالباً فيندفع الولد الشريد الى الرذيلة ويصل به الأمر الى ارتـكاب الجرائم . ثم ينتهي به الحال الى الوقوف أمام المحـكمة التي يكون أبوه قاضياً فيها ، فيعترف الأب علنـاً بانه هو الذي جنى على ولده . والقصة كتبت باسلوب دامع وبطريقة لا يملك القارىء لها نفسه من البـكاء والثورة على تلك المآسي التي تحدث في كل زمان ومكان .

لقد كان فرانسوى كوبيه فاتح الطريق لأدب جديد : أدب الرحمة الواسعة والعطف الصادق على كل متألم بائس في الحياة ، ولقد صدق أناتول فرانس حين قال عنه : « اذا كانت الثقافة المتوسطة تـكفي لفهمه فانه لا بدّ لتذوقه تماماً من ذهن صادق نقي » .

علي كامل



غادة المحيط

(موسيقيٌّ أخفق في حبّه ونبا به دهره يسير على شاطىء المحيط ، ثم يجلس على صخرة مشرفة على أمواجه التي تشبه الجبال ويمسك عوده ويغني)

كوكبٌ قد لاحْ ينشدُ الاصباحْ

ونسيم هَبَّ مثل عطرٍ فاحْ



عبد الغنى المكتبي

بلبـــلٌ غنى أنعشَ الارواحْ
أوْقِفُوا الليـلا فيـه قلبى ناحْ
وبه دمعى بشجونى باحْ
مذ رأى حظى فوق أرضٍ ملاحْ

« ٠ »

أيهـا العودُ قم فحدِّثنى
بأن أحبـابى وبدا بينى
ما ديارى غـدت لهـم بديارٍ لا ولا قلبهم غدا لىَ مأوى !
قد سـلونى وكان آخر عهدٍ أننـا لا نريد فى الحب سلوى
بارك الحب فى شباب لديهـم وشبابى ثوى بعيـداً وأذوى
صاح ما صنعى فى الذى أهوى
ليت يدرى بى صاحبالنجوى!

(عند ذلك يسمع صوتاً من البحر لمغنٍّ غير مشاهد يغنى بطريقه)

أنا أهواه وإن قيـل جفا بل وأهوى معـه ذاك الصدودْ !

واذا ما فرَّ مني كان في مهجتي أو ناظري حتى يعودْ !

(فيقوم المغني ويجري من مكانه ثم يقف فيسمع من الماء) :

قـل لذي حزنٍ على الشاطيء لا تبكِ إن أخلف ذو الحب الوعودْ

ربَّ قلب زال عنـه حبه بالذي دبره يوماً حسودْ

(عند ذلك ينصت فاذا باحدى بنات الماء تحادث الأُخرى)

الأُولى :

سمعت بذا الانسي وافى ديارنا ليشكو الينا بعض ما صنع الانسُ

وهام بهـا حبّاً فخانت عهوده وحالت لياليه وطالعه النحسُ

الاخرى :

ولاقت جزاء الغـدر إذْ هام قلبها ورامت وفاءً ، فاستقلّ بها العكسُ

فها هي حيرى تندب الدهرَ حظها وتبكي عليـه كلما طلعت شمسُ

(عند ذلك يطرب الموسيقي وتأخـذه دهشة لا يستفيق منها الا بين أيديهن ، فيلاطفنه الى أن يفرخ روعه ، ثم يقول لهن متضرعاً):

الموسيقي :

أسمعوني يا بنات البحر ما عن حبيبي عندكم شاع وذاعْ

احداهن :

غننا نسمعك عنهـا عجباً علنـا نلهو زماناً بالسماعْ

الموسيقي يغني :

أسمعوني يا بنات البحر ما عن حبيبي عندكم شاعَ وذاعْ

أفِرَاقٌ ماله من ملتقى ؟ ! أم فراق بعده يأتي اجتماعْ ؟!

قد سألتُ الريح عنها فأبت وسألت البحر والأرض اليفاعْ

وسألتُ الصبح عنهـا فانثنى وغدا كالليل مسدولَ القناعْ

احدى بنات الماء :

ضيَّعتْ حظ الهوى منك لِذَا حظها عند الذي تهواه ضَاع

قدْ رأيتُ الغدرَ من شيمتها ... كِلتُ من غدر بها صاعاً بصاعْ

الموسيقى :

أسمعونى يا بنات الماء ما ... عن حبيبي عندكم شاعَ وذاعْ

يا بنات البحر فيكنّ الوفا ... يا بنات الانس فيكنّ الخداعْ

(عند ذلك تخرج احدى بنات الماء فتحيي رفيقاتها بقولها) :

بنات الماء حيّا الله موجاً ... يكنّ غداً لذى شوق عبيرَا

تبسم مذ رأى منكنّ حسناً ... وولى يملأُ الارجاء نورَا !

رفيقاتها بعد أن يقمن اليها :

وحيّا الله مالكة البرايا ... ومن فى الموج أودعت السرورَا

هى :

ألا فرح الأمير اليوم ، هيّا ... اليه نزَ المسرةَ والحبورَا

(عند ذلك يقمن فتدعو احداهنّ الموسيقىّ للنزول الى قاع المحيط قائلة) :

تعالَ الى الموج تلق السرورَ ... فكم قد غضبت من اليابسِ

فمن ضاقت الارض يوماً به ... ففى الموج تسلية اليائسِ

تعال الى الموج عهد الجما ... ل ففيه غدت سلوة اليائسِ

عليه العفاف حريص وما ... سواه لذى الحسن بالحارس

(ثم يجذبنه الى الموج فينزل معهن قائلاً) :

وكيف أعيش بغير الهواء ؟

(إحداهن) : تعيش لدنيا بروح الهوى !

(ينشقّ البحر عن ملك واسع بين جنات وأنهار، وبه حفل حاشد لحضور الزفاف ، فيدعى الموسيقى للغناء فيغنى) :

شاهدت فى ثغر لها لؤلؤاً ... والوجه منها وضحاً للنهار

من جندها الموج وإمّا بدت ... فالموج منها من صفاء يُنارْ

عرش على الثلج لها قائم ... وآخرٌ ثاوٍ بعمقِ البحارْ

تذيب صبره المرء إمّا بدت فليس للانسان عنها اصطبارْ

(يطرب الجميع فيقول أحد أبناء المحيط) :

عجباً للانس يغشون البحارا !

آخر يجيبه : قيل إن المرء فى الاجواء طاروا !

آخر يقول : ما كفاهم دنسوا الأرض فلم

ألق فى أنحائها الاّ عثارا !

ظلموا الفنان منهم فسعى نحو هذا الماء يبغى الانتحارا

(يسأل الموسيقى عن الأخير فتجيبه احداهن) :

هذا هو الفن غدا ثاوياً فينا. ورأس الفن فى ذا الوجودْ !

لمّا تغنيت بدا دمعه يجرى لحظ منك فوق الخدودْ

أبناؤه فى الكون قد شرّدوا بما أتى الواشى وقال الحسودْ !

الموسيقى يخاطب الفن :

أيها الفن كم ظلمت رجالا ! أخلقوا الحمر فيك سعياً وركضا

يهبون الحياة عن طيب نفس ثم تأبى أن تقرض العيش قرضا !

« • »

ذا مُغنٍّ بذا الوجود يغنى وهو يبكى وإن بدا فى غنائهْ

منك يبكى إذ صرت مولاه أو كنـ ت عظيماً ولم تُزِلْ من عنائهْ

« • »

أو فتى صوّر الوجود فأضحى شعره فيه نشوة السامعينا

لم يجد ما به يكون سعيداً وتولته نقمة الحاسدينا !

« • »

أيها الفنّ كم ظلمت رجالاً فطويت الامال عنهم بعيدا

بك سادوا على الوجود ولكن أصبحوا بالشقاء فيك عبيدا !

« • »

ورثوا السهدَ فيك والسكون وسنا ن ولا شيء غيرهم فيك يشقى
لم يراع الوجود عهداً اليهم الفن بالمساكين رفقا !

(الفن يوجِّه خطابه للفنان) :

أيها الفنانُ لا تأسَ وإن عشتَ طول العمر تمثال الشقاء !
قسم الحظ سواء فى الورى فلك الفن وللغير الثراء !
فوق هذى الأرض تسرى ، وسرى منك ضوء الروح فى أعلى السماء
أنت للأجيال نور وهدى كوكب فى ظلمة الكون أضاء
ربما أحييت أرضاً بلقعاً وكسوت القفر ثوباً من رواء
ربما أضحكت يوماً باكياً هو لولاك قتيل للبكاء
ربما ألفت روضاً مونقاً من حديث راح بالنفس وجاء
ربما صورت شيئاً لم يكن وأتاح الغيب تدعيم البناء
ربّ جيش نحو نصر قدتَهُ وجيوش منك سارت للفناء
أنت نور الله يسعى فى الورى هو لولاك من النور خلاء
لا يضق ذرعك بالكون الذى هو لولا فنّك العالى هباء
لك مِن فنك ملك واسع دونه يا صاح سعد السعداء
لك فن تسعد الدنيا به كيف تغدو فى عداد الاشقياء ؟!
أيها الفنان لا تأس وإن عشت طول العمر تمثال الشقاء
أنت للكل مليك وهمو رغم ما تبدى عبيد ضعفاء !

الفنان :

قد كفى يا فنُّ ما قدّمتَهُ هكذا يا صاحِ لحنُ البلغاء
أيهذا الفنّ قد خادعتنى أنا للكل على رغمى فداء
أصبح الفن لشخصٍ بأسٍ وكذا الحظ نصيب الأغبياء !
أمليك لا يرى من ناصر ؟! أصبح الملك جديراً بالرثاء !

الفن :

لا تجادلنى فليس الذنب لى هكذا يا صاحبي شاء القضاءْ
حكمة لا يرتقى العقل لها وبها ضلت عقول الحكماءْ !
أيها الفنان لا تأس إذنْ ان عند الله للفن الجزاءْ !

الفنان :

ايهِ يا فنُّ ويا حظُّ فقد ضِعتُ فى ذا الكون ما بينكما

(إحدى بنات الماء تعظ الموسيقى بالصبر ، وتعده بحسن حظه ، ثم تطلب اليه أن يغنى . فلا يذكر شيئاً من الشعر يغنيه . فيؤتى له بشاعر من صميم المقلدين فيعمل له الأبيات التالية ليغنيها) :

عفَتْ دارُها الا من النؤى وحده فما اسطعت تبيان الديار على غَطَشْ
فلما استقلَّ الركب أرسلت زفرة وما كدت عن رسم بدار اللوى أمشى

(عند ذلك تضحك بنات المحيط فتقول احداهن للشاعر) :

نحن يا شاعر فى دار اللوى ! أين منه الآن حمقٌ للمحيطْ ؟!
عِشتَ فينا مع قوم سبقوا أنت من عهدين يا هذا خليطْ !
لست منا اليوم ، بل أنت لمن دخل الخدر ومالت بالغبيطْ !
قد أفاق الكون من غفلته وأراك اليوم فى نوم غطيط !

الشاعر يردّ عليها :

سنّةُ العرب : انهم جعلوا الشعر هكذا
حبذا دارة اللوى حبذا النؤى ، حبذا !
ذى معان حفظتها كُنَّ للقول منفذا !

(يشتد اللجاج والخصومة ، فيقول أحد أبناء الماء) :

دعوه عسى الأيام تصلح شأنه فيعلم ان العصر يوماً له حكم

الشاعر :

أراكم تريدون القريض مهلهلا لعمر إلــهى ان ذاك هو الظلم

احداهنّ للشاعر :

أيها الشاعر مُتْ والحقْ بمن ... عاتبَ الأطلالَ فى سفحِ اللوى !
أنت فينا ثاوياً مبتعدٌ ... قد غدا مثواه فى كف النوى !

الفن للشاعر:

أيها الشاعر جددنى فقد ... وهن العظم وشاب الرأس منى
لا تزونى لزمان قد مضى ... كل عهد كان مخلوقٌ لفنّ
لم أكن وقفاً على سقط اللوى ... لِمَ لاتذكر بى جنات عدن ؟

(الفن يخاطب الموسيقىّ متعجباً من ذلك الشاعر مردّداً ألفاظه عن الفنان) :

أيها الفن كم ظلمت رجالا ... بىَ سمّوا ظلماً وقد ظلمونى !
أيها الفن كم قسوت على من ... أخلقوا العمر فيك ! قل أخلقونى !
جددونى تروا شبابى غضّاً ... إن عندى التقليدَ ساحُ المنونِ

« ٥ »

(بنات البحر يرقصن ويغنى لحن الموسيقى نغماً توقيعياً) :

هل لصبٍّ متيم ... من وصالِ
عصف الحب بالفتى ... والليـــــالى

« ٥ »

سائلو النجم فى الدجى ... عن غرامى
وعن القلب كم غدا ... ذا هيـــامِ

« ٥ »

زهرة البحر تيمت ... كلّ قلـــبِ
درة الموج شرّدتْ ... كلّ لبّ

« ٥ »

تحسر الموج عن ضياً ... كالموجِ (١)

---

(١) المقصود جسمها

وهى من حسنها غدت في الأوج

« ٥ »

(وعند ذلك يتقدم أحد أبناء الماء وكان عاشقاً لاحدى بنات المحيط فيقف بإزاء احداهن ويتضرع قائلاً اليها راكعاً) :

(هو) : أيها النـاقمون بالأمس منى !

(هى) : لست منـا ولو تذوب اعتذارا !

(هو) : وبرغمى ما كان !

(هى) : ليس برغم بل عن الحب قد اردت اصطبارا

(هو) : أيها الناقمون بالأمس منى !

(هى) : همت بالانس

(الموسيقى) : أصبح الانس عارا !

(هى) : كيف لا والوجود فيكم خداع؟ فيكم الحقد فى الصدور توارى

إن يكن فى الهوى خـداع وفىّ أضرم الله فى المحبين نارا !

(يخاطب الموسيقى ذلك العاشق بقوله له سراً) :

الموسيقى — بمن مِنَ الانس همتـا ؟

(ابن الماء العاشق) : بمن ضُحىّ تيمتـكا !

الموسيقى : كلا ففيها وفاء

(العاشق) : وانها خدعتـكا !

(هنا يذهل عقل الموسيقى إذ يرى أن صاحبته خانته بأن عشقت ابن الماء ، فيشعر بيد خفيفة لاحدى غادات المحيط ـ وهى التى يحبها ابن الماء العـاشق وتضرع اليها كما سبق ـ تغمزه غمزاً خفيفاً ثم تقول له) :

هام بى وهو غادرٌ فأنا اليوم غادره

دَعْـك ممن هفا لها انها منك ساخره

هو فى الطبع مثلها ما كرٌ نال ماكره !

(ثم تقبله وتأخذه بين ذراعيها قائلة) :

أنت دنيايَ فى الوري !

(هو) : أنتِ دنيا وآخرهْ !

(هنا يخرج ابن الماء العاشق فيقتل صاحبته الانسية ثم ينتحر، ويعرف الموسيقىّ الخبر فيردد لحنه) :

خبرونى يا بنات الماء ما عن حبيبى عندكم شاعَ وذاعْ
يا بنات الماء فيكنّ الوفا يا بنات الانس فيكنّ الخداعْ !

« • »

(يهذى الموسيقى بهذه الأبيات ويطرب لحبه الجديد ، فيسمع لفظه وضجيجه فى البحر حوت عظيم فيأتى قائلا) :

سمعت بإِنسيٍّ غدا فى دياركم وبى اليوم شوقٌ صارخ لدم الانس !
ومن عهد ذى النون المبارك لم أجد بذا البحر كالانسان شيئاً لدى نفسى !

(احداهنّ للحوت وهن يضحكن منه) :

يا حوتُ حسبك ! هذا الضيف صاحبنا فينا أقام لأن الانس قد فسدا
قضى لياليه فى يأسٍ وتجربةٍ وكل يوم يرى من عيشه نكدا
تطلب الرزق فى كل الاماكن أو سرى مع الشمس لم يترك بها بلدا !
يجرى على الموج موجٌ من مدامعه فأزبد الموجُ لما شاهد الزبدا ؟
ما ذا تريد وقد ضاق الوجود به ؟ ألا يرى فى نواحى ملكنا سندا !
يا بؤس للفن ! كم ضحى بشيعته لا يعرف الفن لا أهلا ولا ولدا !

(الحوت يجيب) :

منى السلام على الانسان علمه رب البرايا ، وأضحى شرّ ما وجدا
ضاق الفضاء به فانساب من ألم يهوى الى الماء نحو الموت معتمدا
ملك عريض وأرض غير ضيقة ضاقت على المرء لما فارق الرشدا

(ثم يمضى الحوت غاضباً لأنه لم يتمكن من أكل ذلك الموسيقى ويقف جانباً ، وهنا يقدم ابن الملك ويلمح الحوت فينشد القيان ما يأتى ترحيباً به وزفافاً للعروس) :

أسفر البدرُ المنيرْ   مرحباً يا ذا الأميرْ
لك عرش الثلج والمو   ج مع التاج الكبيرْ
لك درّ البحر والمر   جان والخير الوفيرْ

« • »

يا عروسَ الماء هيا   قبلى بدر التمامْ
هو نور الموج إذ يط   غى على الموج الظلامْ
يا بنات الماء قولوا   أيّد الله الهمامْ

« • »

ملك البحر يلتفت الى الأنسى فيقول :

أوَمخلوقٌ غريبٌ   فى ثنايا الموج وافَى؟

الموسيقى :

جئت يا مولاى كى أحـ   ـيي بترنيمى زفافا

هنا يأمره بالغناء فيغنى :

قلْ لوجه الصبح هل تسفر لى   ب ثنايا الليل والناس نيامْ
قرّت الأعين لما شاهدت   وجه ذاك الصبح يبدو فى الظلامْ

(هنا يطرب الملك أشد الطرب فيمنح الموسيقى الحوت قائلا) :

وهبتك هذا الحوت خذه مطية   لترقى به فى الموج أو تصل العمقا

الحوت همساً :

سلام على الانسان أصبح حاكمى !   ألا أيها الانسان بى فابتغ الرفقا
أأضحى رفيقاً بعد أن كنت سيداً !   كذا من يردْ أكل الورى يلتق الرقا !

« • »

الحوت :

ألا انه فى البحر أضحت مظالمٌ   فذا الكون صار الظلم من طبعه خلقا

على شاطىء الأمواج تلقى ظلامه وفى طيها. تلقى من الظلم ما تلقى
وفى كل هذا الكون للظلم شيعة فمن ظلموا غرباً ومن ظلموا شرقاً !

« • »

(يركب الموسيقى وصاحبته الحوت)

فيقول الموسيقى :

طاب عيشى وراق لى رقّ أو راق لى الزمان!

صاحبته :

إن نبا الحظ بالفتى عندنا يلتقى الأمانْ!

عبد الغنى السكنى



سهر الدمع بعينى

نوّحى يا طيرُ واسجعْ يا حمامْ فوق غصن البانْ — بانْ — دمعى
واستعيرى أدمعى وابكى الغرامْ فى غنى الألحان ـ حانْ ـ سجعى !

« • »

حرتُ فى قلبى الشقىّ الخافقِ من جوى الآلامْ ـ لامْ ـ حبى !
هكذا تمضى حياة العاشقِ والهوى إلهامْ ـ هامْ ـ قلبى !

« • »

سهر الدمع بعينى للصباحْ ليس لى مأملْ ـ ملّ ـ سهدى
قلبىَ البلبل مكسور الجناحْ بالهوى مكبلْ ـ بلّ ـ خدى
وبكى فوق الجراحْ

« • »

الأوتار المتقطعة *

(١)

الوتر الملهم

﴿ الشاعر وربة الشعر ﴾

اسكبي الوحى بكاسى انما الوحى مدامْ
سكر الكون وتاه النداءْ
فى الظلام ....
وأنا طوعك حاسى ردّدى الأنغامْ
خلق الخمر لكاس الشعراءْ
والغرامْ ....

« • »

﴿ نواح وجراح ﴾

قم وغنِّى يا شاعرى ورفيقى وانشد الشعرَ من أنين نواحكْ
واسجم الدمع فهو بلسم جرحٍ فعساه يكون آسى جراحكْ
وُلد الدمع فى جفونك لما نظرت مقلتاك نور صباحكْ !

* «الأوتار المتقطعة» كتاب شعري معد للطبع وهو مؤلف من عشر أناشيد وعشر موشحات موضوعها تأملات وتخيلات فلسفية من نوع الشعر الغنائى Lyripue ومزين برسوم رمزية تمثل موضوعاته وهو من الشعر العصرى التجديدى.

حطم اليأس فى يديك ربابا وأراق الصهباء من أقداحك
كل جزء تكسوه أنةُ شعرٍ كل صدعٍ دماك فيه كراحك
رافق الهمُّ عمرك طفلاً أنت تبكى ودهرك الدهر ضاحك
طرْ معى عن وادى الدموع لئلا تثقلنّ الدموع ريش جناحك !

« • »

(٢)

الوتر النائح

رمز الشقاء

كلُّ ما فى الكون همٌّ وشقاءٌ وعذاب
كل ثغرٍ خلفه بحر بكاء
وشقاء ..
ولكلّ الناس نجمٌ ساهرٌ فوق السحاب
خلق الناس على حدٍ سواء
أشقياء !

« • »

كم عشيقٍ يبكى فراقَ عشيقٍ والجفا قد يحول دون لقاه
وأديبٍ يقضى الليالى كئيباً ناظماً ما تسحّه مقلتاه !
كم يتيم له المدامع أمٌّ بيد أن الشقاء كان أباه
وشقىّ يتيه بين الفيافى فوق مهد الأشواك ألقى عصاه
كم عليلٍ يملّ عيش سقامٍ يتمنى الممات كل دواه
وفقيرٍ نحيلٍ جسمٍ شقىٍ قوتُه الدمع والغذاء دماه !
كم حزينٍ آهاتُه موجعاتٌ إن وعاه الدجى تلاهُ بآه !

(٣)

الوتر الدامع

﴿ الشاعر ﴾

شاعر في شفتيه كلمـــات منزّله
ضاقت الأرض عليه لطموحه
وخيـاله ..
جذوةٌ في مقلتيه روحــه المشتعله
قطرة من محجر الله وروحه
وجـاله ..

« ٥ »

شاعرٌ إن شدا فشدوُ نواحٍ فتخال النياط من أوتاره
ما ابتسامُ الربيع ألطف ثغراً منه حتى لو كان في أيّاره
ودموع الصباح أطهر دمعاً منه فوق الخدود من أزهاره
أين شدو الكنار في الروض منـه لا يجـاريه روضه بكنـاره
هو (محمّـد) هلا سمعت نواحاً في الليالي أرقّ من أشعاره
وهو (دنتي) هلا رأيت جحيماً بكتـابٍ حروفه جمرُ ناره ؟
(والمعري) رغم العمى «ضوء سقطٍ» يهتـدي من يضل — في أنواره

رياض معلوف





دمية عربية

(صورة قديمة لم يسبق نشرها — دمشق سبتمبر سنة ١٩٢٧)

وَكاعبٍ ملقيةٍ ردفَها الى وِسادٍ جاشَ فيه العبيرْ
قد استوَتْ فوق سريرٍ كما استوَى على المذبحِ ربٌّ قديرْ



الدكتور بشر فارس

ناعمةٍ في سُندسٍ ساترٍ أَسرارَ كَوْنٍ مستدقٍّ خطيرْ

عاصبَــةٍ جَبْهتَهــا سافرٍ : سحابةٌ تعلو الصباحَ المنيرْ
وطَرْفُها مُنسرحٌ فى الفضا كفكرةٍ جوّالةٍ فى الضميرْ
وأذنُها يُنهكها قرطُها وثديُها بين يَدَيْها أسيرْ
كأنّهُ فرخُ حمامٍ هوَى وهَمَّ من ساعتهِ أن يطيرْ
أدركه مقتنصٌ فامتلا حفيظةً ثمّ غلى واستُطيرْ
واربدّ غيظاً طرفُ منقارِهِ يمتدُّ للشكوى عبوساً نذيرْ ؟

بشر فارس

عينان

هما عينان لم يدر الشاعر ما مدى نظرتها ، وتصوّر أنها تستطيع اختراق الحجب والأستار ، وعجب أى مدًى يستنفد طاقة هــذه النظرة ، حتى ما وراء الكون ، وهذه الطاقة فى تصوّره لا يستنفدها بعدٌ من الأبعاد ، فتساءل :

إلى أى سرٍّ ، بل إلى أى طلسمٍ ؟ توجه من عينيك إشعاع مُلْهَمِ ؟
إلى مخبأ الأسرار فى نفسِ كاهنٍ تحجبها أستار دجوان (١) مظلمِ
إلى الغابر الماضى الذى ضاع رسمهُ وغيّبه النسيانُ فى تيهِ عيلمِ (٢)
إلى القابل الآتى الذى ندّ طيفهُ عن الوهم ، بل ضلته رؤيا المنجّمِ
إلى حيثما الأقدار تُمضى أمورها على خفية من وهمة المتوهّمِ
إلى ما وراء الكون والعالم الذى تحيط به رؤيا السحير (٣) المنوّمِ

« • »

لأحسست منها رغدةً إذ توجهت ودبّ لها قلبى ، وأنكرها دمى
وأحسبها قد جاوزت فى عبورها عوالمَ لم تخلق ولم تُتَوهّمِ !

سيد قطب

---

(١) مظلم شديد الاظلام (٢) البحر (٣) المسحور



الدخيل المعتدى

أرسلَ الأنّاتِ من قلبٍ أمضتْهُ السنونْ
ومضى ينظر فى سكرته طيفَ المنونْ
حائماً فوق فراش الموت فى جوف الدجونْ
كبغاثٍ هبطتْ تهزأ بالنسرِ الطعينْ

« • »

قال : «يا إحْسانُ ! ما أقصاكِ يا حسناهُ عنّى !
قد دنا مِنّىَ طيفُ الموتِ فادنىْ أنتِ مِنى
زوّدينى قبلةً أنسى بها آلامَ حَيْنى
وابسمى كالزهرةِ الفيحاء فى الروض الأغنّ»

« • »

ركعتْ قُرْبَ سريرِ الموتِ إحسانُ وقالتْ :
« يا أبى ، ما رونق الدنيا إذا دنياكَ دالتْ ؟
يا أبى ، انى فتاةٌ ، إنْ رماها الدهرُ مالتْ
هربتْ من وجهىَ البسمةُ والأدمعُ سالتْ »

« • »

كَفْكَفَ الشيخُ دموعَ الخوْد بالقبلات تَترَى
ورنا نحو السماء الجونِ والأعينُ شكرَى
ومضى يهتف : يا ربى ! ألا إنك أدْرَى

إنْ قبضتَ الآن روحى ، لستُ أعصى لك أمرا

« • »

إنما إحسان هذى ، مَنْ تُرَى سوف يراها ؟
مَن تُرَى غيرك يا من قد نماها وبراها ؟
ومن المبدأ منه واليه منتهاها
قادرٌ أن يبسط العيش لها أمناً وجاها ؟ »

« • »

لم يكد يهدأ حتى طُرِقَ البابُ طويلا
هتفتْ إحسانُ : « من يطلب فى الليل الدخولا ؟ »
قال مَن بالباب : « إنى أطلب الشيخَ العليلا
سوف أشفيه ، وأمحو ذلك الداء الوبيلا »

« • »

صاح ربُّ البيت : « أهلاً بفتى النبلِ الصحيحِ
افتحى إحسان ، قد طافتْ بنا كفُّ المسيحِ
سوف تنجينى من الموت ، وتشفى لى جروحى
عجلى ، إحسان ، هذا مَلَكُ العطفِ المريحِ »

« • »

رحَّبتْ احسانُ بالزائر لمَّا أنْ دخلْ
وجرتْ فى فرحةِ الطفلةِ نشوَى تحتفلْ
وانثنتْ لله ، فى فَرطِ خشوعٍ تبتهلْ
فى دعاءٍ خالص الأنفاس ، معسولِ الأملْ

« • »

واذا الزائرُ كالمأخوذ يرنو للفتاهْ
مثل صوفىٍّ رأى فى روعةِ الحلم الإلهْ
كاد لولا عقله الراجح يهذى بهواهْ
ومضى يهتف فى نجواه : « احسان الحياةْ ! »

« ٠ »

وانثنى ينظر حال الشيخ فى صبرٍ عجيبِ
قال : « انى منقذٌ جسمك من داءٍ عصيبِ
كاشفٌ عنك ستار العجز ، ماضٍ بالكروبِ »
صاح ربُّ الدار : « قلْ ، ماذا تُرجِّى ياطبيبى ؟ »

« ٠ »

قال : « ما أرجوه ، إحسان الفتاة الناعمهْ
زوجةً لى فى ضفاف النيل تسرى حالمهْ »
صرخت إحسان : « يا جَوْرَ الحياة الظالمهْ ،
كيف ترضى يا أبى أنْ أغتدى كالسائمهْ ؟ !

« ٠ »

ومتى كانت فتاة النيل تُشْرَى وتباعْ ؟
ومتى إحسانُ كانت تقتنى مثل المتاعْ ؟
يا أبى ! ما قيمة الأعمار والمجد مضاعْ ؟
يا أبى احاذرْ من الإِفكِ ، أَمِط هذا القناعْ ! »

« ٠ »

هتف الشيخُ : « آلا فاطلب اذا شئت سواها »
صرخ الزائرُ : ـ إنى زاهدٌ فيمن عداها
وسواءٌ رضيتْ أم كرهتْ إنى فتاها
راشفٌ منها الأمانى ، ذائدٌ عنها عداها ! »
صرخ الشيخ : « ألا فاذهب كما جئت مريعا »
فأجاب الزائر الفاجر : « إنى لن أطيعا ،
مَن يروم الآن طردى سوف أرديه صريعا

إننى سيدُ مغناكم ومن فيه جميعا . . »

« • »

بصق السيدُ فى وجـه اللئيمِ الغاشمِ
فهوى اللصُّ عليــه فى فجورِ آثمِ
منشباً فى صدره خنجرَ وحشٍ هائمِ
صرخت إحسان : « يا للمستبدّ الظالمِ . . ! »

« • »

قال : « يا إحسانُ ! إنى ذائدٌ عنك الشجون
كلُّ خطب يا فتاتى ، حينما يمضى يهونْ ! »
قالت : « اذهب سوف تصلى النار يا كفَّ المنونْ
ما انتفاعى بحيـاةٍ ، كل ما فيها مهينْ ؟ »

« • »

أمسكتْ احسانُ بالخنجر وارتاحت اليـهِ
وضعته بين نهديها ، وقد مالتْ عليهِ
هتفت والموتُ قـد قرب منهـا ملكيهِ :
« مرحباً بالموت ! صِينتْ روعة المجد لديهِ ! »

« • »

لم تَمُتْ إحسان بل سارت لـكهف الأبديهْ
حيث تبـقى صورةً صادقةً للوطنيـهْ
ومثالاً رائعاً ينفخ فى الوادى الحميهْ
ويرينا ، فى سـبيل المجـد ، كم تحـلو المنيهْ !

مختار الوكيل

(١) هذه القصيدة من ديوان « الزورق الحالم » للشاعر وهو تحت الطبع .



معنى الصورة

يا رسولَ الحياةِ للأحياءِ حين يطوَى على ثوبُ الفناءِ
ذكّريهم اذا رأوك بأنى عشتُ فى الأرض قبل عيش السماءِ
أنت أقصى الذى يخلّدُ منى ما تمتعتُ من طويل البقاءِ
فقصارى الحياةِ للمرء طيفٌ وحديثٌ بألسن الأحياءِ

حسين عفيف

الايمان بالحياة

ما كنت أحسبُ بعدموتكَ ياأبى ومشاعرى عمياء بالأحزانِ
أنى سأظمأ للحياة ، واحتسى مِن كأسها المتوهّج النّشوانِ
وأعودُ للدنيا بقلبٍ خافقٍ للحبّ والأفراح والألحانِ
ولكل مافى الكون من صُوَرِ المُنى وغرائبِ الأهواءِ والأشجانِ
حتى تحركتْ السنون وأقبلتْ فِتَنُ الحياةِ بسحرها الفنانِ
فاذا أنا طفلُ الحياة المنتشى شوقاً الى الأضواء والألوانِ
واذا التشاؤمُ بالحياة ورفضُها ضربٌ من البهتان والهذيانِ
انّ ابن آدم فى قرارةِ نفسه عبدُ الحياةِ الصادقُ الإيمانِ

***

نشيد الجبار

أو

هكذا غنى بروميثيوس

سأعيشُ رغمَ الداءِ والأعداءِ كالنسر ، فوق القمةِ الشمَّاءِ
أرنو الى الشمس المضيئة هازئاً بالسحب ، والأمطار ، والأنواء
لا ألمحُ الظل الكئيب ، ولا أرى ما فى قرار الهوّة السوداء ...
وأسير فى دنيا المشاعر ، حالماً ، غرداً ، وتلك طبيعةُ الشعراء
أشدو بموسيقى الحياة ووحيها وأذيبُ روحَ الكون فى إنشائى
وأصيخ للصوت الالـهىّ الذى يحيي بقلبي ميتَ الأصداءِ

« • »

وأقول للقدر الذى لا ينثنى عن حرب آمالى بكل بلاء :
« لا يطفئ اللهب المؤجج فى دمى موجُ الأسى ، وعواصفُ الأرزاء
فاهدم فؤادى ما استطعت فانه سيكونُ مثل الصخرة الصماء
لا يعرف الشكوى الذليلة والبكا وضراعة الأطفال والضعفاء
ويعيش كالجبار ، يرنو دائماً للفجر ... للفجر الجميل النائى
واملأ طريقى بالمخاوف والدجى وزوابع الأشواك والحصباء
وانشر عليه الرعبَ وانثر فوقه رُجُمَ الردى وصواعق البأساء
سأظلُّ أمشى رغم ذلك عازفاً قيثارتى مترنماً بغنائى
أمشى بروح حالم متوهّجٍ فى ظلمة الآلام والأدواء
النور فى قلبي وبين جوانحى فعلام أخشى السير فى الظلماء ؟
انى أنا النَّايُ الذى لا تنتهى أنغامه ما دام فى الأحياء
وأنا الخضمُّ الرَّحْبُ : ليس تزيده الا حياة سطوةُ الأنواء

أما اذا خمدت حياتي وانقضى ... عمري واخرست المنيّة نائي
وخبا لهيبُ الكون في قلبي الذي ... قد عاش مثل الشعلةِ الحمراء
فأنا السعيد بأنني متحولٌ ... عن عالم الآثام والبغضاء
لأذوبَ في فجر الجمال السرمد ... يّ وأرتوي من منهل الأضواء!»

***

وأقول للجمع الذين تجشموا ... هدمي وودّوا لو يخرّ بنائي
ورأوا على الأشواك ظلي هامداً ... فتوهموا أني قضيت ذمائي
وغدوا يشبون اللهيبَ بكلّ ما ... وجدوا.. ليشووا فوقه أشلائي
ومضوا يمدّون الخوانَ ليأكلوا ... لحمي ويرتشفوا عليه دمائي
اني أقول لهم بصوتٍ حالمٍ ... وعلى شفاهي بسمةُ استهزاء:
«إن المعاول لا تهدّ مناكبي ... والنار لا تأتي على أعضائي
حتى ولو أمسيت جسماً ميتاً ... ملقى لعصف الزعزع النكباء
فارموا إلى النار الحشائش والعبوا ... يا معشرَ الأطفال تحت سمائي
واذا تمردت العواصفُ وانتشى ... بالهول قلبُ القبةِ الزرقاءِ
ورأيتموني طائراً مترنماً ... فوق العواصف في الفضاء النائي
فارموا على ظلي الحجارة واختفوا ... خوف الرياح الهوج والانواءِ
وهناك في أمن البيوت تبادلوا ... غثّ الحديث وميت الآراءِ
وترنموا ما شئتمُ بشتائمي ... وتجاهروا ما شئتمُ بعدائي
أما أنا فأجيبكم من فوقكم ... والشمسُ والشفقُ الجميل إزائي:
مَن جاش بالوحي المقدّسِ قلبه ... لم يحتفل بحجارة الفلتاء»

أبو القاسم الشابي



أنتَ والله

بعد ما كان أوشكا يترك السرّ في الحجبْ
عـاد قلبي فأشركا ويحَ قلبي من الرِّيَبْ !

« • »

كلمـا يهتف الأذانْ أسمـعُ الله مُنشدي
وأرى كاهنَ الزمانْ قام يدعو لموعـدي
وإذا الروحُ والجنـانْ سبقـاني لمعبـدي
في سما الغيب ضاربانْ في أديم من السُّحُبْ !

« • »

قـد مررنا على الدُّنى من فقيرٍ إلى عميرْ
وتعـالتْ أكفُّنـا تسأل الرفق في المسيرْ
قال صوتٌ : قفوا هنا ها هو الشاطئ الأخيرْ
منبعُ اليأس والمنى مصدرُ الخلق والعطبْ !

« • »

وإلى الهيكل البعيـدْ قادنا السيرُ والسُّرَى
وعلى بابـه المتيـدْ وقف السرُّ مخبـرا
قلتُ : يا حارسَ الخلودْ ؟ أهُنا حيرةُ الورى ؟
أهنـا صاحبُ الوجودْ ؟ أهنا آكلُ الحقبْ ؟

« • »

أيهـا السرّ يا بتولْ رغمَ ما تهرفُ القرونْ
إفتح الباب للسّؤولْ إنما الشكّ من مجنونْ
أرْوِ لله ما أقـولْ وأكاشفهُ بالظنـونْ
آهِ من خالق العقولْ ! عجبي منه يا عجبْ !

« • »

ودخلنـا على الإلـهْ فاذا الطرفُ قد عَمِي
ووهَى الفكر ثم تاهْ وسرَى الرعبُ فى دمى
وسعى الموتُ مِن مَداهْ يسكبُ الكأسَ فى فمى
ودها القلبَ ما دهاه ونأى الروحُ واغتربْ !

« • »

بدّدَ الصمتَ والسُّباتْ باعث الحبّ والوَلَهْ
جال فى عالم المماتْ وبيمناه مشعـلهْ
ردّ روحى على الوفاتْ ودعانى فـرحتُ لهْ
وجمعنـا من الشتاتْ ما تَقضّى وما انسربْ

« • »

يا حبيبَ الزمانِ كمْ عقل مضناكَ شاردُ !
مَن أتى بى من العدَمْ إذْ طوتنى المراقدُ ؟
ألـهٌ سواكَ أمْ أنتَ والله واحدُ ؟
ربما كنتُ فى حُلُمْ يخلط الصدقَ بالكذِبْ !

« • »

يا حبيبى وفاتـنى ومُعيدى إلى الحياهْ
ما لتلك المفـاتنِ تبعث الشكّ فى الإلـه ؟
ضلّ قلبى فآتنى اية الأمن والنجاهْ !
وأزِرْ لى مواهـنى من سنى شَعْـرِكَ الذهبْ !

صالح جودت

فى عالم الأرواح

يا بضعة من خاطرى وضميرى تهفو الى أحناءِ هذا النورِ
ضجّى كما شاء الهوى واستمتعى انى جهلتُ بداءتى ومصيرى
واستطلعى سِرّ الحياةِ وكم بها من غامضٍ خافٍ ومن مستورِ
وثبى كما يثب الرضيعُ ، وفى سجو (م) فى الغيبِ رُوحِى دون ما تفكيرِ

* * *

تمضى أحاسيسُ الحياة جميعها غِبّ الحياة ، بعاصفِ التدميرِ
وكأننى فى الكونِ إذْ أمشى به ما بين أشلاءِ وبين قبورِ
حتى إخالُ كأنّ رُوحِى ساهمٌ متحيرٌ ، فى عالمٍ مسْحورِ !

محمود حسن عربشة

الرغام

اغنمْ العمر فهو أضغاثُ وهمٍ تتلاشى بسرعة الأحلامِ
وترشّف كؤوسه قبل أن تقـ ضى عليها زعازعُ الأيامِ
خُلق المرء لا ليلقى على أسمى اللذاذات حلةً من ظلامِ
ثم يخشى الدنوّ منها ويدعو خوفه نعرة من الاجرامِ
بل ليستقطرَ المسرةَ حتى من قتادِ الهمومِ والآلامِ
ويبثّ الفنون فيما يراه حوله من تجهّمٍ وقتامِ
أنت فى ميعة الشبابِ وهذا العهدُ عهدُ المراح ، عهدُ الغرامِ
وحرام عليك أن تزدريه حافراً لحده ، وأىّ حرامِ
هو يدعوك فانتبه وتمثّلْ بالجمال المجسّم البسامِ
ان ثغرى أحلى من الأهل المعسول هفّت به يدُ الالهامِ
تبعث القبلةُ الطويلة منه كلّ خافٍ من الرغابِ وسامِ

وعلى جسمىَ الرشيق تجلتْ آيةُ الله فى بديع انتظامِ
هيكلٌ من هياكل السحر تروى ضمةٌ منه كلَّ قلب ظام
فرنا الشاعر الكئيب اليها بحنانٍ ولوعةٍ واعتصامِ
طاوياً فى فؤاده حسرات دغدغت ما يضمّه من كلامِ :
أنت لا تمنحين قلباً محبّاً وأنا لست أرتضى بالرغامِ

(عاصمة الجمهورية الفضية) الياس قنصل



يا هاتف الشعر

يا هاتفَ الشعر نام الناسُ فاستيقظ وأنعشْ القلبَ مِن لحنٍ يناجينى
يا موقظَ الحبّ أسعدنى برؤيته وخَلِّهِ فى مَدَى الرؤيا يلاقينى
يا مَنْ يُغَنِّى فيحيي الروحَ فى طربٍ أقبلْ بأرغنك المحيي وغنِّينى
لقد فتحتَ صميمَ القلب مقتدراً والقلبُ هيكلُ حسنٍ دينه دينى
فاعزفْ نشيدَ الهوى يا فاتنى طرباً ومِنْ بحارِ الهوَى يا طيفُ روِّينى
وأسكرْ الرّوحَ مِن معناكَ، انّ له معنى من الخلد فى دُنيا وفى دين

ملكة محمود الراجح

العهد الضائع

أيا مَن كنتَ لى أملا وسعداً وخيبتَ الظنونَ وقد قسوتَ
أيا مَن كنت أهوى منذ عهد سلوتُكَ فانسَى فيمن نسيتَ !

وكنتَ تظنّ ان الحبّ لهوٌ نسيتك فاستمع يا من نأيتَ !

***

غدرتَ بعهدنا ومضيت تلهو فأدميتَ الفؤادَ وأنت قاسى
وكان الظنّ انك صنوُ عطفٍ شفوقٍ بالهوى للقلبِ آسى
نسيتَ دموعك الحرّى أمامى نسيتَ بكاك ...قلْ هل أنت ناسى؟!

سنية العقاد

موكب الربيع

أنصتى للفؤادِ يخفق فى اللـيـل وضوء النجوم يرقص سرّا
واسمعى فى الظلام آهةَ صَبٍّ نظمَ الضوء إثر بينك شعرا
أشْرَبَ الحسن قلبَهُ فتغنَّى ومشى فى الرياض يقطفُ زهرا
فاسمعيه فإنه صار مضنى
وَسَبَاه الجمالُ فهْوَ مُعَنَّى

أنشدينى قصيـدةَ الحبّ فجراً وانظمى لى شُعاعَهُ الوضَّاء
وتعالى لنُسكِرَ الروح بالشّـعر ونسمُو حتى نجوزَ السماء
وتعـالى لنسكُبَ اللحن فى كأ س الأمانى ونشربَ الأضواء
واسمعى القلبَ شادياً يتغنى
بأغانى الربيع إذْ صِرن لحنا

أنتِ... أَنتِ التى سبانى هواها ورأيتُ الجمالَ فيهـا تجسَّمْ
أنتِ أنشودةُ الهوى والامانى أنت معنى بخاطرِ الليـل مبهمْ
صوّرتْه يدُ الخيال فأمسى عنده الشعرُ جاثمـاً يترنمْ
قابساً من جمالك الفذّ معنى
جاعلاً فنَّه له اليوم فنّا

أقبـلى فالظلام يخفق بالصمـ ـت وزهر الربيع فاحَ عبيرُهْ

ونشيدُ الحياة قد وقعتْه فوق قيثارة الغرامِ طيورُهْ
وتغنت طروبةً إذْ سباها موكبُ الحسن حين رفَّتْ زهورُهْ

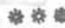
أقبلى فالظلامُ يحنو علينا
وإلهُ الغرام يرنو الينا
عازفاً للضياء حين تغنَّى
فاسمعى آهةَ الفؤادِ المعنَّى
صدَّعتْ حولىَ السكونَ فأنَّا

حسن محمد محمود



الزورق الحالم

رُوِّع الزورقُ لمَّا أن رأى شاطىء الوصل أسيراً للعذولْ
ورأى الأطيارَ لا تشدو بما ـ أمس ـ غنتْ ، فتولاه الذهولْ
وأواذى الدهر كم صلَّت لنا وتغنت بهوانا فى الأصيلْ
أمست الألحان فى ترجيعها صخباً لا يستبينا ، وعويلْ
والنسيمُ الحلوُ لا يهفو لنا وعذارى البحر ضاقت بالهديلْ



يا حبيبي .. زورقُ الحب غدا حائراً يهوى شعاعاً من جبينْ
أنا لا أشكو من الهجر ولا أتجنى ، فكلانا فى حنينْ
وكلانا فى أساه راهبٌ تخذ المحراب فى جوف الأنينْ
يرقب البحر ... فان نام الهوا عبر البحر على فلك أمينْ
يا حبيبي . . سوف أحيا ساهراً أنظم الحب قصيداً وفنونْ !

المهدى مصطفى

عواطف مكبوحة

وأريد لو أفضى له بعواجعى ... فيصدُّنى خوفُ العتاب اللاذعِ
أبداً أهيمُ به وأخفى لوعتى ... كى يطمئنّ ، وليس ذاك بنافعى
ويدى تنازعنى اليراعة ! يا يدى ... كم مرّة سالت عليكِ مصارعى !
أشكو الحياة، ولم أرد شكوى الهوى ... فيثور من شكوى الفؤادِ الجازعِ !

***

ما لى وللحبّ الذى لا ينثنى ... يطغى علىّ بموجهِ المتدافعِ ؟
فى كلّ يوم لوعةٌ مجنونةٌ ... وهوى يَشُبّ سعيرُه بأضالعى
فالامَ أخضع كالأنام ، أنا الذى ... ما كنتُ يوماً فى الحياة بخاضعِ ؟
يا ليتَ مَن اغرى الفؤادُ بحبه ... جعلَ الرضى ، حظّ المحب القانعِ !

***

آهٍ له من صاحبٍ متمنّعٍ ... أتراه يعشق أن يظلّ منازعى ؟
حتامَ أوليهِ المحبةَ والرضى ... ويطيل فى لومى ، ويوقظ هاجعى ؟
وأصوغ فيه الشعرَ وحياً ناطقاً ... فيردُّ أشعارى ، وكلّ روائعى ؟
أأظلُّ أحيا العمر بين وساوسٍ ... وحشاشةٍ حرّى ، وطرفٍ دامعٍ ؟
دنيا من الحب العفيف رجوتها ... فاذا الردى طىُّ الرجاء الخادعِ !

***

يا قلبُ شأنك والهمودَ ، وعيشةً ... تَنسَى بها خُدَعَ الجمال الرائعِ
واقتلْ حنانك ، بل عواطفك التى ... كانتْ لحينك ، كالحِمام الواقعِ
واذا يهيجك للهوى ، فاهتفْ به : ... يا طالما رَفّتْ عليك مدامعى
قرّبتَ إلى بالأمس أسبابَ الهوى ... حتى غويتُ ، ولم أجدكَ مشايعى
واليوم أقطعها ، وحسبك شقوةً ... أن كنتَ أنت الى القطيعة دافعى !

***

انشودة

يأيها القلبُ المعذَّبُ في الهوى
كم ذا تشرّقُ فى الهوى وتغرّبُ

ناموا ، ولم يرعَوْا الوُدِّك عهدَه
وسهرتَ ليلك حائراً تتقلّبُ

ما هكذا يا قلبُ تخدَعُ فيهمُ
وتظلّ تلهجُ باسمهم ، وتشبّبُ

إن الذين وقعتَ فى أشراكهم
جلبوا لحَيْنِك فوق ما قد يُجلَبُ

هم عذّبوكَ على الوفاء بغدرهم
ولو استطاعوا فوق ذلك عذّبوا

يا ليتَ تصحو يا فؤادُ عن الهوى
وتروح تلهو فى الحياة وتلعبُ

عبد العزيز عتيق

هل تذكرين ؟

هل تذكرين وأنت والأتراب فى القصر المنيرْ
نمرحن أملاكاً مجنّحةً بأفواف الحريرْ :
لما انسللت لموعدى فى روعة الرشأ الغريرْ
فنزا الفؤادُ اليك من جذل وحاول أن يطيرْ ؟

« • »

هل تذكرين : وقد ضممتك ضمةَ الصبِّ الولوعْ
ولو استطعت فتحت من حدب الغرام لك الضلوعْ
وجعلت صدرى معبداً لجمالك المرح المروعْ
يفتنّ قلبى دائباً لك فى التبتل والخضوعْ ؟

« • »

هل تذكرين : شعورنا حين التقت منا الشفاهْ
ووعيت من فيك المعطر نور أحلام الحياهْ

لمَّا عرتنا غيبة العباد تاهوا فى الصلاهْ
طارت مشاعرنا فكلٌّ من جميع الكون ساهْ ؟

« • »

ورشفت من شفتيك كأسَ الحب صافية طهورْ
وشممت من أنفاسك الظمياء أنفاس الزهورْ
وبعثتِ لى بتنهدات الحب كل سنى ونورْ
وتركتنى ثملاً بخمر الحب أعثر فى الغرورْ !

« • »

هل تذكرين هناك حين تطالعت منا العيونْ
فقرأتُ فى عينيك أسرار المحاسن والفنون
ورأيت فى جفنيك ألواناً منوّعة الفتونْ
حيناً أرى لهفَ المحبِّ وتارة رأمَ الحنونْ ؟!

« • »

وتهامس القلبان رغماً من مدافعة النهودْ !
فتبادلا شكوى الغرام وجدّدا ماضى العهودْ
والخفق شعر حاملٌ نجوى الودودِ الى الودودْ
فى كلِّ نبضٍ للفؤاد ترنّ قافية شرودْ !

« • »

ورجا فؤادى : لو له فى صدرك الحانى مكانْ
ليعيش منك منعماً ما بين ضمٍّ واحتضانْ !
فى صدرك الملكى مغموراً بعطفك والحنانْ
فهناك يدرى نعمةَ الرضوانِ فى ظلِّ الجنان

« • »

« ٥ »

هل تذكرين أخا فؤادٍ كاد يتلفه الحنينْ
فله خفوق الطير مذبوحاً وأنات الطعينْ
هل تذكرين – لذاكرٍ – ذمم الهوى هل تذكرينْ ؟
أنا حائرٌ ، أنا والهٌ ، أنا فوق ما تتصوّرينْ !

سمراء ...

سمراء نحوك هام قلبى راجياً ... لو عاش كالعصفور بين يديكِ !
راضٍ بذلّ الأسرِ حولك عمره ... عن عيشه بين الربى والايكِ
ولئن نأيتُ فكم بعثت على النوى ... روحى على ظهر الخيال اليكِ !
ترعاكِ من خلف النجوم وتارةً ... تهوى اذا يهوى الصباح عليكِ
وبعثتُ شوقى فى النسيم لعله ... عنى ينال الضمَّ من عطفيكِ
ومنحته قُبلى اليك فهل أتى ... ليزفَّ قُبلاتى الى شفتيكِ ؟!
ماكنت أدرى الحبَّ إلا انه ... لُمَحٌ سَرَتْ للقلب من عينيكِ
وعجزتُ أفقه سرَّ حسنك أو أرى ... من أين نبع السحر من جفنيكِ
لم أدرِ تقديس المجوس لنارهم ... حتى رأيت النار فى خديكِ
لا أستطيع وفاء حُسنك وصفه ... جُمِعَ الجمال ولُفَّ فى برديكِ
فاحنى على قلبٍ تعذب فى الهوى ... وأتاك مرتمياً على قدميكِ
إحنى عليه ! فما الحنان وما اسمه ؟ ... إن كان لا يُلفى الحنانُ لديكِ ..

سنغافورة

صالح بن علي الحامد العلوى

بعض العزاء

بعضَ العَزاءِ لقلبي هَبْهُ يا قاسِي ... أنت العَزاءُ وأنت الرّاحِمُ الآسي
بَعضَ الرَّجاءِ لقلبي هَبْهُ أَحْيَ بهِ ... فالصدُّ أسلَمَني للسُّقْمِ واليَاسِ

« • »

مَا لي وللدَّهرِ أَشكوهُ وَأَظلِمُهُ ... وَالدَّهرُ يَرْجُفُ من وجدي وأنفاسي
أنت الظلومُ سَلبْتَ القلبَ بَهجتَهُ ... ورُحتَ تُودِعُهُ أَحضانَ أرماسِ
إني وَهبتُكَ رُوحي والمُنَى وَهوَى ... قلبي الفَتِيِّ وَوُجداني واحساسي
وصُغْتُ فيكَ قريضي من دماءِ شجٍ ... بينَ الضُّلوعِ خفوقٍ ذابلٍ آسِي
يَشدُو بحُبِّكَ في مِحرابِ هيكلِهِ ... مُستعذِباً نَزَوَاتِ الشَّوقِ يا ناسي

« • »

إن كنتَ متّهمي في الحُبِّ فاصغِ الى ... أنّاتِ قلبي وشَدْوي بَينَ جُلّاسي
لي في الشُّحوبِ دليلٌ أنَّ بي وَلهاً ... وفي اليَراعِ اذا ما مَسَّ قرطاسي
وفي السُّهودِ وَليلي حين أقطعُهُ ... دَامِي المحاجِرِ في أَمْنٍ مِنَ الناسِ

« • »

يا رُبَّ ساعةِ أنسٍ قد ظفرتُ بها ... يا بَلسَمَ الرُّوحِ في بِشْرٍ وإيناسِ
شِمتُ السَّعادةَ فيها جِدَّ دَانِيةٍ ... والحظَّ مُؤتلقاً والدَّهرَ في باسِ
هلاَّ مَننتَ بها حتى تُعيدَ الى ... قلبي الحياةَ ، وتُهدِي النُّورَ نبراسي

محمد عبد الغني بخيت

على الشاطيء المهجور

(خواطر حبيب كان على موعد مع حبيبته على شاطيء البحر فذهب في الموعد فلم يجدها فترنم بهـذا القصيد)

وجدهُ هدىٌ ونجواه شراعْ ... وفؤادٌ ناء بالحبِّ سفينْ
لاهثٌ بين اضطرابٍ والتياعْ ... تائهٌ بين ظنونٍ ويقينْ

قسمةٌ بين التمنى والضياع ثورةٌ فيها غرامٌ وأنينْ !

« • »

يمخر اللجَّ بروحٍ حائر مثلما غنى على نايٍ حزينْ
وهو يهذى بين رأى دائرٍ : سوف ألقاها ، ولا ، لا ، بعد حينْ
يرقب الأفقَ بطرفٍ سادرٍ وهو كالغيب خيالٌ وسكونْ !

« • »

شقَّ أستارَ الخضمِّ المظلمِ وانتهى للشط يحدوه الحنين
فدعا : يا نفسى طيبى واسلمى ذلك الشط فهلا تقنعينْ ؟
ودعينى الآن أطوى علمى بعد هذا التيه فى طورسنينْ !

« • »

وامسحى الدمعَ وتيهى طربا عن عيونٍ خالداتٍ للشؤونْ
نورُها بين الليالى ذهبا آية الحب ومصباح اليقينْ
قد وجدت الصفو يبدو حَبَبا والهوى كأساً مليئاً بالشجونْ

« • »

فبدت حيرى وقالت فى وجيبْ : لا أراها بعد جهدٍ كالأنينْ
ما لنا نرسو على الوادى الجديبْ أترانا قد غدونا تائهينْ ؟
قد ثكلنا بين أحلام الغروبْ ما تمنينا فبتنا خاسرينْ !

« • »

فبكى المسكينُ للدنيا وناحْ وأحال الطرفَ بين الصخرتينْ
حيث أيام التناغى والمراحْ وزمان فى نصوع كاللجينْ
ورأى القلب مليئاً بالجراحْ فأحاط القلب خوفاً باليدينْ !

« • »

أيها الشاطىء جئنا فرجعنا رجعةَ التائه فى وادى الظنونْ
كم بكينا ورجعنا فبكينا فرسمنا صورة الحب السكينْ
إن أحداث الليالى أشعرتنا ما سكبناه على الماضى الحزينْ !

« • »

وبدا الماضى مروعاً فى بكاءْ ودَمَى الصدرَ على رأس السنينْ

ودعا : يارب ما سرّ القضاءْ فى شقىٍّ حار بين العاشقينْ

يتمارى بين غدرٍ ورياءْ من حبيب يدعى غيرى الغبينْ

ومَلامٍ من ندامى وعداءْ مِن ليالٍ بين وهمٍ ويقينْ ؟!

محمد أحمد رجب
(المحامى)

تعالى !

تعالىْ ! قد سجا الليلُ ونام الدَّوحُ والطيرُ

تعالىْ ! قـد حلا الوصلُ وطاب لنا هنا السُّكْرُ

تعالى غامزى البـدرا

تعالى نافحى الزهرا

تعالىْ طارحى الجـدولْ نشيدَ الأعصر الداوى

تعالىْ نرشف السلسلْ ونروى روحَنا الذاوى

« • »

شجتنى نغمةُ العودِ وصوتُ الناى أغرى بى

تعـالى ! أنت معبودى وهـذا الروضُ محرابى

تعالى فجِّرى قلبى

ينابيعاً من الحبِّ

تعالى عطّرى النرجسْ بعطر الوجـد والشوقِ

تعالى نوّرى الحندسْ بنور الحبِّ والعشقِ

« • »

أيا ليـلُ ألا فامهلْ معنّى فيك ذا مأربْ

فقل للصبح لا يقبلْ وقل للنجم لا يغربْ
هلمّي نفحةَ الوردِ
هلمي ربةَ الخلدِ
هلمي قبل أن يجفو ويمضى الليلُ والبدرُ
هلمي فالهوى يغفو اذا ما استيقظ الفجرُ

بغداد : برهان الدين باسم اعيان



واقفة بالباب

قولى بعذبِ لماك — وهو أليّتي — ماذا وقوفك فى الصباح أمامى ؟
هلا تركت فتى يعالج درسه يبغى الصعودَ الى المقام السامى ؟
ما زال مجتمع الخواطر ماضياً فى حلّ كل عويصة بسلامِ
حتى وقفت له ببابك والتقى نظراكما فهوى بغير حسامِ !
لما رمتني مقلتاك فأصمتا حوقلت ثمّ قلتُ : أفدى الرامى !
ووضعتُ كفى فوق قلبي شاكياً نوعاً ألذّ به من الآلامِ !
نوعاً ألذّ به . . . غريباً كنهه قلبي به دامٍ وطرفى هامِ
هلا عرضتِ وللغرام بقية أيام يهزأ بالوقار عرامى
للهوت ، ثم لهوتُ ، ثم لهوتُ ، لا أخشى لديك ملامة اللوّامِ
ولنلتِ أنتِ ونلتُ من شتى المنى أقصى مرامك فى الهوى ومرامى
ولقد تناسيتُ الغرام فجددت عيناك يا ابنة مصر نهجَ غرامى
وخطرتِ لى فى حلةٍ من سندسٍ حمراء مثل حجابِ قلبي الدامي !
أنسلتِ من شفق المغيب خيوطها ؟ أم فى دمى ضرّجتها لحامى ؟
وسمتْ نهودُكِ تحتها فى متنها صوراً ترفّ به من الأحلامِ !



الشاعر الحضرمي علي أحمد باكثير

متوثّبات ! لو توانى نحرها لوثبن خارجةً من الأكمام ؟ !

« • »

مَن كان تلهمه الرياضُ فانني عينُ الفتاة ونهدُها إلهامى !
ومَن اغتدى وابن الكروم مدامه فالخمر فى لُعْس الشفاهِ مدامى

« • »

يا آيةَ الحسن التى عزّت على شعر البليغ وريشةِ الرسّامِ
يرنو اليها الفنُّ مذهوباً بها ويظل يخطب ودّها بهيامِ
ما انتِ غير قصيدة عُلويةٍ وحُلاك غير شَجٍ من الأنغامِ
غنتكما قبلُ الحياةُ ولم تزل تشدو بلحنكما على الأيامِ
النورُ والروضُ المنوّرُ والضحى لك يا مليحةُ من ذوى الأرحامِ
أبدِي لعين (الفنّ) حسنَك كله تتقدمى (بالفنّ) ألفيْ عامِ !
فالفنُّ من عشاق حسنك يقتنى باللثم منكِ مواطىء الأقدامِ
لو شف عنك رداء جسمك مرة لشفيته من غلةٍ وأوامِ !

علي احمد باكثير



من أغاني الريف

طلع الحسنُ في ثرى الريف روْضاً حالىَ الأيكِ بالأزاهر والنَّدْ
سَرَقَ العطر منْ جيوب العذارى وحباهُ للأقحوان المنضَّدْ
وهفا بالكروم يوماً فأجْرَى ريقةَ الخمر في ثراه المُعَبَّدْ
ثملَ النبْتُ من طِلاها فرقَّتْ كلُّ ميَّاسَةٍ به تتأوَّدْ
فهُنا السُّنبلُ المرنَّحُ يهفو في مهبِّ النسيم حيناً ويسجدْ
وهنا الفولُ أبيضَ الزهر نضراً كسدُولِ العفافِ لاحت بمشهدْ
وترى الصادحَ الطروبَ من الطيْـ ـرِ يناغي أليفه المتوجِّدْ
يُنتطَى ترتيلهُ في ذُرا الدَّوْ حِ صلاةً من الملائكِ تُنشَدْ !
وكأنَّ الريحانَ من رونق الخُضْـــــــرَةِ صيغتْ عيدانه من زبرجدْ
صاغ من كمِّه العبيرُ كعذرا ءَ براها الهوى فراحت تنهَّدْ
وتخال الضحى عليهِ بروداً فُصِّلتْ من سنا شعاعٍ وعسجدْ
وقدودَ النخيل قامات غيدٍ ساكراتٍ من خمرة الطلِّ مُيَّدْ
خفقتْ حولها الدَّوالي فريعتْ وتأسَّتْ على الأسير المقيَّدْ
لطمتْ سوقَها على النور حزناً حُرَّةٌ فُجِّعَتْ على مستعبدْ !
ونزا في مراحهِ كلُّ جَدْيٍ حائرِ الرَّوْقِ، ثائر الخطو، أغيدْ
قد سقاه الربيعُ كأسَ سُلافٍ من رحيق الندى فثار وعَرْبدْ !
وإذا ما الأصيلُ أهرق فيه جامَ صهبائه العتيق المُعَسْجَدْ
شِمْتَ أغصانه ذوائبَ شعرٍ مذهباتٍ على نواصيَ خُرَّدْ

وعلى النيـل للسفائن همسٌ كطيوف الأحلام تهفو بمرقدْ
سبحت فى عُبابهِ الشمسُ تبغى الطهرَ فى مائهِ الزكىّ وتنشُدْ

« • »

جنةٌ تُلهمُ الخيالَ وتوحى عبقرىَّ الفنون مِن كل مَشْهَدْ
شغل القوم عن هواها.. وكانتْ للأُلى شيَّدُوا الحضارة معبَدْ!

محمود حسن اسماعيل

صباح الشاعر

أيها الشاعرُ! استفقْ! ذهب الليـ لُ فقم - ويك - حىِّ نورَ صباحكْ!
واستمدّ الأحلام من نوره الغنا حى ورفرف حياله بجناحكْ!

« • »

قد قضيت النهار شجواً وجئت الـ ليلَ مستسلماً الى أتراحكْ
بين يأسٍ يسود منك الأمانى وظلام يطغى على مصباحكْ
واليراع الشجى يزجى القوافى داميات تشكو غليل التياحك
كلُّ جرح قد اشتفى فالآمَ غارقٌ أنت فى دماء جراحكْ
استفقْ واغنمْ الصِّبا قبل أن يفجأك الشيبُ مؤذناً برواحكْ
قم! تملَّ الحياة واملأْ غناءً جوَّ روض ملأته من نواحكْ
واشـد بالفن للطبيعة وارسمْ رائعات الرؤى على ألواحكْ
فعـلا ما تنوح والطيرُ تشدو وزهورُ الربى اليك ضواحكْ
إن تـكن قد جنيت اثماً عظيماً أفما ذاب فى غمار صلاحكْ؟
أو تـكن قد جننت حباً فهذى صورُ الحسن ماثلاتٌ بساحكْ
ولماذا الجمال فى الخلق كثرٌ والهوى كان واحداً فى اصطلاحكْ؟!

« • »

أيها الروضُ! انني جئتُ أستو حي معانى الجلال من أدواحكْ!
استمدّ الجمالَ من حسنك الغضّ وسحر الألحان من صدّاحكْ
ما أرقّ النسيمَ فيك وما أبـ ـهى نضارَ الاشراق فوقِ وشاحكْ
يعبق الحبُّ من ثراك وتبدو صورُ الذكريات من أشباحكْ
انك السمح بالجمال وهذى زُمَرُ الغيد مظهرٌ لسماحكْ
تلهم الشعرَ من ربالك وتنشو جمة السحر من عيونِ ملاحكْ
خلنى أنتشى زهورك يا رو ضُ وأحيا سكراً بسورةِ راحكْ
فالذى أبدع الطبيعة صنعاً صبّ خمر الجمال فى أقداحكْ

سنغافورة
صالح بن على الحامد العلوى

انا والربيع

ورَاءَك يا فصلَ الربيع قضيَّةٌ بها من أعاجيبِ القضاءِ فُروعُ
لقد كنتَ مستجلى العيونِ قواعداً لهنّ قياسٌ فى الجمال بديعُ
رياضٌ كمنظومِ المجرّة ملؤها زهورٌ كمنثورِ النجومِ تضوعُ



مرسى شاكر الطنطاوى

ومالا يرفّ الظل فوقَ أديمهِ كما رفّ بالقلب التقىّ خشوعُ

ومستأنسٌ للعين فى كل مَظْهرٍ بدائعُ لا يُحصى لهنّ صنيعُ
يفيض بها القلبُ الشجىُّ مسرّةً وترقاً فيها بالشهودِ دُموعُ
فما لك تبدو لى على غير صورةٍ لها كلّ دَورٍ بالسلام طلوعُ
أنالك ما نال الأنامَ؟ كوارثٌ تبدّلَ فردٌ عندها وجموع!
فما أنت فى أفق البسيطةِ كوكبٌ ولا أنت فى حكم الفصول ربيعُ!

مرسى شاكر الطنطاوى



أغنية الحديقة

كل شىء فى الحديقهْ حولنا شادٍ ثملْ
بالأهازيج العميقهْ يتغنى فى وجلْ
فالنسيمُ الرطبُ يسرى فى تأنٍّ واتّئادِ
مسكراً من غير خمرٍ كالخيالِ المتهادى
وظلالُ الأيك تلهو بين أحضانِ الضياءْ
فى الأصيلِ الصحو تزهو فى بهاءٍ ورواءْ
وزفيرُ الأثل يحكى آهةَ الصبّ الحزين
وحفيف السرو يذكى همسُهُ نارَ الحنينْ
وقطيعُ الموج يعدو حالماً وسط القناة
والخريرُ العذبُ يشدو بأغاريدِ الحياةَ
بينما الأطيارُ تصدحْ فوق أطراف الغصونْ
إذ بنا نلهو ونمرحْ فى صفاءٍ ومجونْ
تحت صفصافِ الغديرْ نتغنّى بالأمانى
بين أنفاس الزهورْ لا نبالى بالزمانِ

احمد محمد ابراهيم ثابت



وراء الغمام

نظم الدكتور ابراهيم ناجي، ٢٠٠ صفحة ١٢، × ١٦½ سم. جامعا ٥٠ قصيدة
مع تحية شعرية للدكتور أبي شادي وتصدير بقلم أحمد الصاوي محمد
طبع بمطبعة التعاون بالقاهرة . وثمنه ٥٠ مليماً

لست أدري أمن لباقة الشاعر أم من لباقة الظروف وإحسانها إليه أن يظهر ديوانه بين هذه الدواوين الكثيرة التي ظهرت في هذه الأيام حتى يظهر بمعاصرته ومصاحبته لها في الزمان والمكان فضله، وحتى تتبين بموازنته بها ميزاته ومواضع الابداع فيه .

وأنا أعتقد على كل حال أن الشعر قبل أن يكون مرآة عامة لبيئة الشاعر وصورة صادقة للعصر الذي يعيش فيه يجب أن يكون مرآة خاصة لسرائره وصورة واضحة لنزعاته واتجاهاته الفكرية في هذه الحياة . ولقد توافد على المكاتب المصرية في هذين الشهرين كثير من الدواوين الشعرية التي تقرؤها ثم تعيد قراءتها فلا تستطيع غالباً أن تتبين من خلالها شخصية أصحابها ولا مايريدون أن يتحدثوا به الى قارئيهم. وبين يديّ الآن أعشاب أبي الوفا أقرؤه فلا أراه قد انتظم غير طائفتين من الشعر : طائفة يصور فيها احساس الناس ويسجل عواطفهم فهو في ذلك آلة متحركة تدور مع مطالب الحياة وضرورات العيش . وأما الطائفة الثانية فهي كما صرح زميلنا الصيرفي أفكار أناس وأخيلتهم ما بين عربية ومترجمة اطلع عليها الشاعر فاستعارها ونظم منثورها وشوّه منظومها حتى ضاعت معالمه . ولو انتقلت الى « ديوان الماحي » لما وجدت منه غير خصوصيات لا تهم القراء ولا صلة لها بهم فهو يستعطف أبويه ويهنىء سعاد كبرى بناته في ص ١١٨ ثم يرثي صغراهن في ص ١٢٠ ثم يذكرها بعد موتها فيرثيها مرة أخرى في ص ١٣٤، وإن كان في الديوان شيء آخر فهو دموع أناس

وابتسامات آخرين وتصوير لحوادث الزمن نظماً بعد تصويرها تصويراً شمسياً ، فهو يرثى هؤلاء الموتى : أحمد شفيق والدكتور أحمد فؤاد وعبدالحليم المصرى وشوقى وفؤاد وحجاج وداود بركات . وهو يهنىء فى هذا الديوان أبا الوفا فى ص ٩٧ ثم يهنئه ثانياً فى ص ١٠٢ ويهنىء كذلك كامل كيلانى ويمدح زكى باشا ورابطة الأدب وغير ذلك مما لا يدع فى نفسك شكاً فى أن الشاعر كان حريصاً على المناسبات العرضية يرقبها حتى تحين فيسجلها ويصوّر لها صورها . واذا كان الأدباء والشعراء لا يرضيهم هذا النوع من الشعر فان المؤرخين لا يرون مانعاً من احتسابه كتاباً من كتب التاريخ المصوّرة . أما نحن فلا نريد أن يكون شعراؤنا آلات تسجل أحزان الناس وسرورهم ، لا نريد أن يبتذل الشعر وهو أسمى الانتاجات الفكرية فى تحقيق مطالب الحياة وما أكثرها ، ولا نريد أن نأخذ صور غيرنا فيحدث فيها من التشويه والتضليل ما يبعدها عن أصلها ثم ننسبها لأنفسنا كما يفعل أبو الوفا (١) وأمثاله من الشعراء . واذا كان ثمة شعر ينمّ عن صاحبه ويشف عن إحساسه فذلك هو شعر ناجى ومن كان على شاكلته من الشعراء المطبوعين . نقول هذا وبيدنا ديوانه ، أقرؤه فأرى من خلاله صاحبه كأنما يجلس الىّ ويحادثنى فى صراحة وجلاء ، والذين ستتاح لهم قراءة هذا الديوان سيرون معى أنه مرآة لعواطفه وصورة مطابقة لوجدانه .

وأول الظواهر الواضحة فى شعر ناجى هى الرقة والحنان حتى ليخيل اليك أن هذا القلب لم تطرقه القسوة ولم يعرف الجفاء اليه طريقاً . فهو رقيق فى حبه ، تمنعه الرقة أحياناً من عناق الحبيب إشفاقاً عليه من حرّ أنفاسه ، واسمعه حين يقول :

غير أنى كلما امتدتْ يدى ... لعناقٍ خفتُ أن تؤذيك نارى !

وأحسب أن شاعرنا قد تأثر فى هذا المعنى بقول المتنبي :

وكشفن عن برد خشيت أذيبه ... من حر أنفاسى فكنت الذائبا

وقد نعته الدكتور أبوشادى من قديم (بشاعر اللهفة) لأنها الصفة البارزة فى شعر ناجى : شاعر الحب المشتعل ، حتى جعل الدكتور أبو شادي تحيته لناجى تحية لذلك

---

(١) لعل من أغرب الأمثلة لجراءة صاحبنا تهجمه على مترجمات بول جيرالدى واستيعابها فى قصيدة «حلم العذارى» ولكن لا عجب فى ذلك ما دام هو يسرق من نفس معاصريه من شعراء العربية ولا من يحاسبه الاّ نادراً !

الحبّ المشتعل الذى قامت عليه الحياة منذ بدء الخليقة ، وهذا الحبّ المشتعل هو القوة الالـٰهية المحيرة التى تتوارى خلف العبقرية ، وهـذا الشعر الإلـٰهى الساحر الفاتن الذى نعرفه ونعجز عن تعريفه هو الذى يُجنّ به الفنّانون حتى قال الدكتور أبوشادى فى تحيته لناجى :

مفاتنُ : سِحرُ العبقرية بعضُها فماذا وراء العبقرية لا يُسمّى ؟ !
لئنْ عُدّ حُبّي من جنونٍ ونشوةٍ فللفنّ حُمّى لن تقاسَ به الحُمّى !

وهذه تحية الفنان الخالص المحبة الى أخيه الفنان .

وناجى رقيق رحيم القلب تبكيه رؤية الفقير فى كفاح وكدٍّ على القوت وبجانبه الغنى تنهب سيارته الفخمة الأرض نهباً فيقول :

وارحمتاه للقوىّ الصبورْ يقضى الليالى فى كفاحٍ سخيفْ
وكيف لا أبكى لكدح الفقيرْ أقصى مناه أن ينال الرغيفْ ؟!
وهـذه السيارةُ العاتيـهْ وربُّها الجبارُ كالبرقِ سارْ
ما هى إلا شُعلٌ فانيـهْ نضيئها مثلَ شعاعِ النهارْ

ولعلّ أوضح مظهر لهذه الرقة التى حدثتك عنها هى قصيدته وداع المريض وفيها ترى الشاعر كيف حزن على مرض حبيبه وكيف كان يبكى حين يناديه باسمه فيقول :

يا هاتفاً باسمى فُديتَ منادياً ردّ النداء عليه حرّ نواحى !

وكيف بات يرعاه طول الليل بجفن صاح بين الألم والبكاء فيقول :

وموسّدٍ كالليـل صاحٍ جفنـه أمسيتُ أرعاه بجفنٍ صاحِ
أى الليالى العانيات سهرتها فى أى آلام وأى كفاحِ ؟!

وقد يتراءى لك من خلال الديوان أن ناجى محب وأن هذا الحب قد طغى على إحساسه وظهرت له نتائج غريبة فى شعره ـ فقد يحصل على الحبيب وقد يؤمن بالحصول عليه فيفرح بهذا الإيمان ويقول :

ما أعجب الإيمان يغمر خاطرى كالفجر قد غمر السماء وثيدا
مزقت شكى فاسترحتُ لأعينٍ علمننى الايمانَ والتوحيدا

وقد تمروه بعـد ذلك دهشة اللقاء ، وقد ينقلب الإيمان السابق شكاً فى هذا النعيم ،نعيم اللقاء وسعادة الأمـل المحقق فتسيل دموعه فى حضرة الحبيب كما كانت تسيل فى غيابه فيقول :

تجرى الدموعُ وأنت دانٍ واصلٌ كسيلهن وأنت فى الغيـابِ
أنـكرت بى نارى عشية لامست شفتاى منك أنامل العنابِ
وجرت يمينى فى غزير حالكٍ مسترسل كالجدول المنسابِ !

والبيتان الأخيران يصوّران لك جمال هذه المقابلة الذى ينسى فيهـا الشاعر نفسه فيبدأ يلثم يديها تارة ويُجرى يديه فى فروعها تارة أخرى كما يفعـل المضطرب المرتاب ـ واستمع اليه حين يتشكك ويتساءل بين الحـيرة والعجب وهو فى حضرة حبيبه فيقول :

من أنت ؟ من أى العوالم ساحرٌ مستأثرٌ بأعنـة الألبـابِ
ما يصنع الملك الطهور بعالم فانٍ وأيامٍ كلمع سرابٍ ؟
ما يصنـع الأبرار بالأرض التى ساوت من الأبرار والاشرارِ ؟

وسترى أن الرقة التى هى أظهر ميزاته ستلازمه حتى حين يطلب الى الحبيب وصاله ، فهو لا يقسو عليه ولا يهاجم جماله وانما يستجديه الرحمة ويستحلفه أن يعطف على فمه الظامىء وقلبه المعنى له فيقول :

قل للبخيل اذا ما عزّ مشرعه يا مانعَ الماء عنى كيف تمنعه ؟!
أنا شهيدك والقلب الضحوك اذا أدميته والمغنى إذ تقطعه !

واذا زاد عن ذلك فقد يستندى قلب الحبيب بالبين الآزف والوداع العاجل والغد المقطوع فيقول :

هاتِ أسعدنى ودعنى أسعدكْ قد دنا بعد التنائى موردكْ
فأذقنيه فانى ذاهبٌ لا غدى يرجى ولا يرجى غدكْ !

وقبل أن نغادر تحليل هذه الناحية ،ناحية الحب والغرام من نفس ناجى ، نسجل له اعترافنا له بميزتين هامتين :أولاهما اخلاصه فى حبه حتى ليقدم نفسه قرباناً لحبيبته ويبذل مهجته فداء نواظرها، يدلك على ذلك قوله :

قدمت قرباني اليك بقيـة من مهجة ضاعت على الأحباب
وأذبتُ جوهرها فداء نواظر قدسيـة عـلوية المحراب

وتراه فى موضع آخر يعتقد نفسه مذنباً للحبيب فيتوب عن ذنوبه توبة الحريص على مودته ويرى فى لقائه كل آماله فيقول :

فيا أملى النـائى إذا كنت مذنباً فقد تبت عن ذنبي اليك بآلامى !

وأى إخلاص أبعـد من أن يتصور الشاعر أن حبيبه هو الـكون فى كله وهو الحياة بأجمعها فيخاطبه قائلا :

لـكنّ حبك يجرى فى صميم دمى أنت الحياةُ وأنت الكون أجمعُه !

أما الميزة الثانية فهى عفة وقناعة ، فهو يقنع من حبيبه بالنظرة السريعة وباللقاء الخاطف ويعدّها منتهى آماله فيقول لحبيبه :

ودّعت ما أشبعتْ لى روحى ولا نظرى النّهمْ !

فاذا عزّ عليه هذا قنع بالحلم اللذيذ يهبط بذاكرته ليلاً ، واكتفى بالطيف يمر بخياله ، ويطلب الى حبيبه ذلك فيقول :

إن لم يكن لى رجاء ولا لحظّى مغنمْ
أو لم يعد لى نصيبٌ دعنى بحسنك أحلمْ !

وقد يحرم هـذا الحـلم ويعز عليـه حتى ذلك الطيف فيتعلل بالأمانى ويقنع بالأوهام وإن كانت كذاباً وتلك أسمى درجات الحب وأعلى مراتب العفاف والاخلاص. واستمع اليه إذ يقول :

تعال اسقنى خمر المواعيد والرضا وخل الأمانى البيض تغمر أسقامى

هذه أبيات قليلة أعتذر للشاعر فى اجتزائها واعتذر للشعر فى انتزاعهـا من قصائدها ، بيد أن فى هذا الديوان على وجازته قصائد رائعة رأيت من الغبن لها أن أقتبس منها أبياتاً دون غيرها ، أقف الآن منها موقف الاعجاب والتقدير ، وهذه القصائد جارى الشاعر فى نظمها غيره من الشعراء المعـاصرين الا انهم لم يلحقوه ولم يقاربوه كالبحيرة وصخرة الملتقى ، وتفرد بنظم الباقى كالتذكار ودعاء الراعى والميت الحى والعودة ، والقصيدة الأخيرة أذكر أنى قرأتها فى أربع مجلات مشهورة كانت فى مقدمتها (أبولو) .

والذى أعتقده الآن بعد هذه النظرة العجلى أن شعر ناجى أظهر ميزاته هى الرقة والسهولة كما حدثتك آنفاً ، نظمه صاحبه وهو جالس الى مكتبه أو متكىء على مقعد سيارته أو واقف يتفقد مرضاه . وتقرؤه أنت كذلك فى المركبة وفى القطار وفى الحديقة من غير أن تحمل معجماً أو تقف عند كلمة غامضة أو أسلوب مبهم . أما الموسيقية فى شعر ناجى فهى واضحة فى كل بيت ،غير أنك لأول نظرة تجزم بأنها موسيقية طبيعية لم يقصد اليها الشاعر ، وانما أوحى بها ذوقه الموسيقى وإلقاؤه لقصائده ذلك الالقاء الممتاز الذى يزيد قصائده عذوبه وقوة فى نفس سامعيه . وهو إذ يتحرر من القافية المتحدة فى شعره يريك إبداع الشاعر الحر وعبقريه الفنان الطليق .

وكثيراً ما كان يلجأ لذلك اذا فاجأته المناسبات أو باغتته الحوادث ، وترى ذلك واضحاً فى أول قصيدة رثى بها شوقى فقد نظمها فى يوم الوفاة ـ واذا التزم القافية المتحدة لم تر فى شعره عجزاً ولا تلمح عليه تكلفاً ولا قصوراً وكأنما خلقت كل قافية لمكانها وظلت باحثة عنه حتى جمع الشاعر بينهما .

وخير نصيحة أسديها لمن يريدون أن يقرءوا الأدب الغربى فى أثوابه العربية الخالصة أن يتلمسوه منبثاً فى شعر ناجى ويقرءوه مستقلاً فى القصائد الآتية :

البحيرة ـ دعاء الراعى ـ الليالى ـ التذكار

وإذا كنا الآن فى عصر أصبحت تُفرض فيه دواوين الشعر البالى على القراء فرضاً كما تفرض أوراق النصيب وتذاكر الحفلات فيتصفحها القارىء مضطراً، فحسب ناجى من شعره انه يمتزج بنفسك وتشعر عند قراءته باحساس خفى قد غمرك ووصل ما بينك وبين ناظمه وتحس بجاذبية غريبة قد تحملك على أن تسعى الى صاحبه وتتعرف الى شخصه ـــ واذا أتيح لشاعر أن يتصل بأرواح قارئيه اتصال ناجى ويخاطب شعورهم وعواطفهم مخاطبته فقد بلغ الغاية من شعره وأدى رسالة فنه الى الناس كاملة ، أما أن يرضى جميع الناس عن الشاعر من جميع نواحيه فتلك غاية لاتدرك والذين يحاولون ذلك انما يعللون أنفسهم بالأوهام ويلتمسون المحال ، فذلك ضد طبيعة الحياة نفسها ؟

طلبة محمد عبده

رسائل النقد

الرسالة الأولى : شعر العقاد ، بقلم الدكتور رمزى مفتاح ، مع مقدمة بقلم جبران سليم ، ١٤ × ١٩½ سم . مطبعة الأخاء بالقاهرة
الثمن ٨٠ مليماً

لا تُذكر النهضة التجديدية فى الشعر العربى الحديث الا مقترنةً باسم باعثها وإمامها الأول الشاعر الأشهر خليل مطران ، فقد ذاعت رسالته الرومانطيقية منذ سنة ١٨٨٤ م . كما يحدّثنا الى الآن الشيوخ من أقرانه ومريدوه العديدون وكما تحدّثنا آثاره نفسها . وإذن فقد سلخ الرجلُ نصف قرنٍ وهو يقرض أسمى الشعر الحديث هادياً معلماً حتى كوّن مدرسة للشعر العربى لم يُحلم بمثلها من قبل فى أى عصر من عصوره الزاهية وقد تأثر بأدبه الكثيرون من المجددين فى العالم العربى وقامت على تعاليمه جماعة أبولو .

لقد أنضج مطران وحدة القصيد العربى ، وقد أبدع آيات القصص ، ونادى بالطلاقة فى النظم ، وحارب الصناعة السخيفة ، وعزّز النواحى الفنية فى الشعر أيما تعزيز . وأنجب أدبُ مطران من أحرار الشعراء فى مصر زمرةً ما يزال يشار اليها بالبنان . وفى مقدمة هؤلاء الشاعران المصريان أبوشادى وشكرى ، والشاعر اللبنانى خليل شيبوب . وقد صدرت الدواوين الأولى لمطران وشكرى وأبى شادى فى أوقات متقاربة (١٩٠٩ — ١٩١٠) ونالت جميعها تحيات شاعر النيل المرحوم حافظ ابراهيم بك لروحه السمحة الطيبة . فأمّا مطران فقد اكتفى بديوانه الأول وإن بقى الى الآن على نشاطه وانتاجه الفنى العجيب ، وأما أبو شادى فقد اضطر اضطراراً الى مغادرة مصر فى سنة ١٩١٢ وبقى مغترباً عن وطنه أكثر من عشر سنين ضاع فى خلالها الكثير من مخطوطاته الأدبية . وأما شكرى فهو الوحيد الذى بقى ينشر آثاره الشعرية الرائعة من سنة ١٩٠٩ إلى سنة ١٩١٩ وقدر أصدر فى هذه المدة سبعة دواوين قيمة ، ثم تغلب عليه الاشمئزاز من البيئة المصرية ومن جحود صحبه فطلق نشر الشعر وإن لم يطلق نظمه لنفسه ، فهو بحقٍّ زعيم المجددين من المصريين فى ذلك العهد ، وهو أول من أدخل الشعر المرسل فى العربية كما أن أبا شادى أول من أدخل الشعر الحرّ فيها .

وعاد أبوشادى الى مصر فى سنة ١٩٢٢ فاستأنف ومريدوه حركة النشر لآثاره الأدبية وتعاونوا على تثقيف الشباب ، وهكذا نرى أنه وشكرى تناوبا التأثير فى النهضة الشعرية الحديثة : فنشط شكرى فى غيبة أبى شادى ، ونشط أبوشادى فى اعتزال شكرى ، وقاما بينهما بالرسالة الفنية العليا التى حمل مشعلها مطران منذ نصف قرن والتى تزجيها الآن الى الأمام مدرسة أپولو .

وقد تتلمذ على أبى شادى وشكرى كثيرون ، وفى مقدمة تلاميذ شكرى العقاد والمازنى ، فلمَّا وقع بينهم ماوقع من خلاف ربع أبوشادى لذلك وسارع الى التنويه بفضل شكرى باذلاً كل ما فى وسعه لانصاف فنــه المغبون (راجع اهداء الاوپرا « الآلهة » وقصيدة النبوغ السجين ، ص ٥٧ من « مختارات وحى العام ») كما عمل على تصفية الجوّ بين شكرى وصاحبيه . ولكنَّ شيئاً من ذلك لم يكن له أىّ أثر فى القضاء على عزوف شكرى عن البيئة الأدبية الموبوءة .

وأما خليل شيبوب فقد جمع شعره الجميل فى ديوان أصدره سنة ١٩٢١ ، ولكنه يؤثر الاعتكاف فلم يتعدّ تأثيره الأدب السكندرى ، وعندى أنه فى طليعة الشعراء المصريين المجددين ، وحبذا لو أخرج لنا ديوانه الثانى فتهاونه الحاضر لا يرضى محبيه .

وأما العقاد فقد أصدر طائفة من الدواوين القيمة ، وقد سئم المازنى الشعر (بعد أن أخرج ديوانه وفيه الكثير من جيد الشعر) فتركه وأصلح ما بينه وبين شكرى .

ولكن شكرى بقى مصرّاً على عزلته ، صادفاً عن النشر .

وقد ساير حركة التجديد فى الشعر بل سار فى طليعتها غيرُ واحد من كبار السوريين فى مصر والمتمصرين الذين لهم فضل أدبى عظيم على هذا البلد وفى مقدمتهم السيد مصطفى صادق الرافعى ، ولكنه شُغل عن الشعر المنظوم بالشعر المنثور وبالنقد الأدبى ، وهؤلاء السادة مستثنون بطبيعة الحال من هذه الالمامة التى دعت اليها مناسبات « رسائل النقد » .

ذكرتُ هذه الالمامة التاريخية لأنها وثيقة الصلة بهذا الكتاب القيم الذى أصدره حديثاً الشاعر الناقد الجرىء الدكتور رمزى مفتاح دفاعاً عن أدب شكرى وعبقريته ونقداً لشعر العقاد . وقد نشر الدكتور مفتاح من قبل أمثلةً من هذا النقد ليست غريبة عن قراء (أپولو) ، وربما آخذه بعض القراء على حدّة عبارته ، وربما لا نتفق

معه فى بعض أحكامه، ولكن لا أشك فى أن الجميع سيؤمّنون على سعة اطلاعه وثقافته وعلى غيرته الأدبية الخالصة التى دفعته الى كتابة هذا التأليف التاريخى الأدبى الغنى بالدراسات النقدية الممتعة .

وقد جاءت مقدمة الكتاب للأديب الناقد الفاضل جبران سليم شاهدة ببراعته النقدية وسلامة ذوقه ، كما جاءت فصول الكتاب التصويرية والتحليلية رائعة البيان فهى قصةٌ من أغرب القصص بل هى مأساةٌ أدبيةٌ مشجيةٌ يجهلها كثيرون من الناشئين الذين تدفعهم السياسة الى التصفيق والتهليل وهم لا يدرون من الحقائق التاريخية ولا من القيم الأدبية الصحيحة شيئاً .

وانى بلسان الكثيرين من الأدباء أشكر للدكتور رمزى مفتاح هذه الغيرة النبيلة التى دفعته الى انصاف أدب شكرى ووضع الحقائق التاريخية فى نصابها وبجانب ذلك تُغتفر له حدّته فى بعض نواحى الكتاب ، وما أقلّ مَنْ تشفع لهم الصراحة والاخلاص فى هذه الأيام ؟

محمد عبد الغفور

طيات كثيرة

Polyptcho

رباعيات باليونانية من نظم الشاعر اليونانى أبوستولى لازاريدى ، ٥٢ صفحة بحجم ١٤ × ٢٠ مم . مع بعض مترجمات عن الشعر العربى
مطبعة البطريركية الارثوذكسية اليونانية بالقاهرة
الثمن خمسون مليماً

أصدر هذا الديوان الرشيق الشاعر اليونانى العاطفى أبوستولى لازاريدى وقد صدّره بمقدمة بليغة قال فيها : « آمن أحدُ الشبان مرة بأنه وُلِدَ شاعراً .. تأمّلوا !.. وبينما كان هو يحدّث الناس عن طبيعته قال إنه آتٍ من موانىء بعيدة ليهدم شيئاً أو ليبنى ... وكان يعبر عن نفسه ذات الصور العديدة فى دفتره أحياناً وهو جالس على مقعده المدرسى وأحياناً أخرى وهو ساهرٌ الليالى ، وطلب أن يعبر بسطوره الموزونة عن الأحزان النادرة التى كان يجهل مصدرها ، والأفراح المعثرة التى كانت



أبوستولى لازاريدى (بريشته)

تحتضنه فجاءة ، والتنهدات لشىء فقده أو لم يكن عنده ، والطموح الفسيح كالسماء .. آمن بالاله وبالمحبة ، وعبد الجمال والصبا . أراد أن يستوعب فى نفسه كل شىء عظيم ، ولكن حديثه كان مقلا مثل تغاريد السنونو . تلك الأناشيد ـ ذكرها الخير ـ شابهت هذه ... »

وعلى سبيل المثال لشعر هذا الديوان نذكر الرباعية الآتية وهى الثانية : « يا رب مثلما أحببت من الأعماق أريد أن أحَب من الأعماق . وهكذا مثلما تألمت من الاعماق أريد أن يتألموا معى ! » وهذه الرباعية ساحرة الموسيقى فى لغتها الأصلية كما أن سذاجتها تحمل فى ذاتها تعمقاً انسانياً .

وهاك مثالا آخر ، الرباعية الحادية والثلاثين : « بنيت برجاً وضعت داخله أحلامى وأنا ملك الاساطير وعندى المجد والخدم والثروة حولى ، ولكنى أسير فقيراً بين الناس ! »

ونزعة الشاعر فى جميع رباعياته نزعة تصوفية ، وتبدو الرمزية فى جانب منها والابداع فى غيرها ، وكلها تتطلع الى مثل أعلى .

وشاعرنا من الادباء اليونانيين القلائل الذين عُنوا بنقل مختارات من الشعر العربي الحديث الى اليونانية نقلاً بديعاً ، ولا عجب فى ذلك فلغته رائعة الموسيقى وآية فى العذوبة والطلاقة. وقد استقبل أدباء اليونان ديوانه استقبالاً حسناً، وهو جدير بالذيوع بين الادباء المصريين الذين يعرفون اليونانية كما انه جدير بالنقل نظماً الى العربية ؟

اغناطيوس فرزلي

ديوان عبد المطلب

نظم المرحوم الشيخ محمد عبدالمطلب ، ٣٢٤ صفحة بحجم ٢٢ × ١٦ سم .
قامت بطبعه ونشره مطبعة الاعتماد ووقف على طبعه رفيق الناظم
وصديقه الشاعر محمد الهراوي وشرحه وصحّحه الأديبان
ابراهيم الابيـارى وعبدالحفيظ شلبي

كان المرحوم الشيخ محمد عبدالمطلب صادق الروح فى شعره ،للبيئة أثرها القوى فيـه ، ولطبيعته يد فى صقل أدبه وإكسابه تلك الروح البدوية التى تشعّ من خلال معظم صحائف ديوانه ، إلا فيما ندر مما كان للأجواء الجـديدة التى كانت تضمه يدٌ فى تحويله .

ففى شعره نسمع الحداء ونـكاد نلمح المطايا وهى تغذُّ السير فى البيداء ، ونحس لفحة الرمضاء ونشعر بالجو الغريب علينا الآن والذى نرى صوره فى الأدب القديم. ومن هذه الناحية أراه أقدر من يستطيع تصوير البيداء ، وفى مطلع قصيدته الدالية التى يمدح بها سلطان نجد صورة رائعة للقافلة فى الصحراء إذ يقول :

برقٌ يلوح وسائقٌ يحـدو يا شوقُ هل لك غايةٌ بَعْدُ؟!
ونوًى تشطُّ بنـا مطرّحةٌ أنا بالغُوَيْرِ ودارُهم نجـدُ

أو قوله :

أرى العيس حَسرَى ما بهن ذماءُ فمِدْهن سَلعا ، إنهن ظِماءُ

وهذه الأبيات التى ترينا صورة من البداوة أو ترينا أثر الأدب العربى القديم

بصوره ووأخيلته ممتزجاً بأثر الطبيعة الغالبة على روح الشاعر والتى تتكوّن منها شخصيته التى يتسم بها شعره وتصبغه بصبغة خاصة إذ يقول :

هل خبّرَ الركبُ ما بى ليلة اغتربوا ؟ قلبٌ خفوقٌ وجفنٌ دمعه سَربُ
بانوا عن الدار لم يرعوْا لها ذمماً ولا قضوْها من التوديع ما يجبُ
لو سلموا يوم راحوا ما أسال جوًى ذوبَ القلوب ولا أذكى الجوى لهبُ
لكنهم صارحونا بالقِلَى ومضَوْا على التجافى فكان البين والسربوا
يا ذائبَ القلب خلف الظاعنين أسًى خفّضْ عليك فأمر القاطن العجبُ !

وقوله :

اذا هزم الليلُ جيشَ النهار ومَدّ علينا رواق الدُّجى
وهبّتْ جنوبٌ يمانيةٌ تغنّت عليها غصونُ الرُّبى
ورجع من فوق تلك الغصون حمام الى إلفه قد بكى
ولاحت لعينيَ تلك البروقُ بوادى تهامة والمنحنى
ومرّت تهادى بجاريةٌ لها زفراتٌ ترجُّ العلا
ذكرت ربوعاً لسلمى مضى من العيش فى ظلّها ما مضى

على انى وجدت بين دفتى هذا الديوان أثراً للحياة الجديدة ، أثراً لبدائع القرن العشرين ، أثراً للتجديد العمرانى الذى استلزم أهل الجيل الجديد الى الابتكار فى الأدب حتى لا يقف الأدبُ دون الحياة فيحكم عليه بالموت ، وجدت الشاعر يخاطب الطيارة بهذه الأبيات البديعة :

وقفتْ لكِ الدنيا فسيرى مَسْرَى الضياءِ من الأثيرِ
يا أخت سابحة النجو م وبنت سابحة الضميرِ
مِنْ عهد آدم لم تَزلْ عذراءَ مُسْبلة الستورِ
بكراً تقلّبها أكفُّ الغيبِ فى طىّ الدهورِ
حتى جلتها للعيو نِ منصة العهد الأخيرِ

وأجد روحاً كالنسيم رقة وكأصداء النغم المذب فى الأمسيات المقمرة عنــد ما يصف أم كلثوم فى غنائها وقد أطربته بانشاد قصيدة الشاعر المصرى الرقيق ابن النبيه أبى الحسن كمال الدين على التى يقول فى مطلعها « أفديه إن حفظ الهوى أو ضيعا » وهنا دليل على تأثير الجمال فى ترقيق العواطف وتلوين محيط النفس بألوان جديدة فتانة ، وفيها ينهج نهج بشار بن برد ولكن فى قصيدة عبد المطلب روحاً وفيها عاطفة فهو يقول :

وقفت فكان على الدُّجى أن يخشعا ... وعلى الحمام الوُرْق أن تتسمعا
وتوجت فكأن أغصان الرُّبى ... سُقِيَتْ سُلافاً بالنسيم مشعشعا
تشدو وقد ملك الوفاء فؤادَها : ... « أفديه إن حفظ الهوى أو ضيعا »
لحن الى الألباب تبعثه الصَّبا ... فترى القلوب به ذوائب نُزَّعا
عذب يسير مع الحياة الى النهى ... تخذت له فى كل قلب موقعا
كالرَّوح تنبعث النفوس بسرّه ... أو كالحيا جاد الثرى فترعرعا
إذ أنشدت «ملك الفؤاد » سمعت من ... تلقاء قلبك « ما عسى أن أصنعا »
أو رجَّعت « هل فى فؤادك رحمة ؟ » ... خِلتَ النجوم لها خوافق خشَّعا
أو صوَّرت معنى الهوى فى لحنها ... كان الغرام لكل نفس مرجعا
ما إن ترى فى الجمع إلا مُوجَعاً ... « ضمَّتْ جوانحه فؤاداً موجعا »

وفى قصيدته التى يقول فيها :

نُوحى بنسات الروض أو فاسمعى ... ما أنتِ بالعانى ولا المُوجَعِ !

تصويرٌ جميلٌ فى قالب قصصى له غرضه ومغزاه استعمل فيه الأسلوب الرمزى على قدرٍ بسيطٍ .

هذه صورة مصغرة عن ديوان عبد المطلب ، ولقد قرأت المقدمة التى قدم بها السيد الهراوى الديوان فعجبت للتحامل الشديد على المدرسة الحديثة واعتبارها خطراً داهماً ! ثم قرأت مقالا عن هـذا الديوان بقلم الدكتور حسين الهراوى وفيه مثل هذه النظرة وقرأت بعد ذلك كلمة للسيد عبدالله عفيفى بمناسبة نقده ديوان أبى الوفا « الأعشاب » فسمعت نغمة واحدة من التحامل على الادباء المبتكرين .

تتردد دائماً ! فهل لأساتذتي الفضلاء أن يتركوا الابهام والضرب على الوتر الحساس للجمهور ويبينوا لنا ذلك الخطر الداهم الذي يرونه منبعثاً من المدرسة الحديثة ؟ ! وهل هو في التجديد في الفكرة ، وذلك واجب علينا بعد أن خرج الشعر من دائرته التي زج فيها بين المدح والقدح والغزل المصطنع ؟ أم هو في المعاني الجديدة ، وتلك وليدة العصر الذي نعيش فيه وأثر الحضارة والتجاوب العالمي في شئون الحياة ؟ أم هو في أسلوبنا وأنا أطالبهم بأن يثبتوا بُعدنا عن العربية الحيّة أو يقولوا لنا أي لغة نكتب نحن بها إن كانت لغتنا غريبة عنهم ؟ أمّا ترجيع هذا النغم المعروف فهذا قد ألفناه ، وما هو الا رمز التحامل والجحود لجهود المبدعين العاملين الذين لا يرضيهم النقل والترديد ويؤثرون قيادة الجمهور بدل متابعته ، والحياة هي التي تحتضن ما يستحق الخلود وتبيد ما يستحق الفناء .

وأما عن قول الدكتور حسين الهراوي من أن القصيدة العربية هي وحدة أدبية متماسكة البنيان مسترسلة الفكرة فكلام لا يثبت على ساقه لأن القصيدة العربية التقليدية هي مجموعة وحدات أدبية يكاد كل بيت يقوم بذاته تجمع القصيدة مختلف الافكار لانها لم تتجه الى فكرة واحدة اللهم إلا مدح الموجّهة اليه أو ذمه أو تأبينه فالشاعر يجتهد إذ ذاك في حشر أكبر عدد ممكن من الأوصاف التي لا رابطة بينها لتبليغ قصيدته الغاية التي يبتغي من ورائها .

ولكن ما دامت الحياة متشعبة السُّبل وما دامت الحياة متجددة الثياب متغايرة الحال فعلام وضع العراقيل في سبيل أبنائها اذا أراد فريق منهم أن يشق طريقاً جديداً وفي ميدان الخلق والابتكار متسع للجميع ، والأجيال القادمة خير حكم ؟

ديوان القوصي

شعر وزجل ، تأليف المرحوم الشيخ أحمد محمد القوصي ، ٢٧٠ صفحة بحجم $22\frac{1}{2} \times 15\frac{1}{4}$ سم . طبع بمطبعة الجلالي بالقاهرة

المرحوم الشيخ محمد أحمد القوصي من شعراء وزجالي آخر عهد الانفصال الأدبي بين حالة الأدب العربي الراهنة وحالته التي كان عليها منذ خمسين سنة .

ولقد أحسن الأديب عبد الرشيد القوصي في جمع منظومات عمه وأزجاله لتكون تأريخاً للأدب في ذلك العصر. وفي هذا الديوان صورة للطابع الذي كان عليه الأدباء إذ ذاك، وصورة للمعاني التي كانت تجول في قرائحهم والأساليب التي كانوا يتخذونها أداة لأفكارهم، واتجاهاتهم الأدبية ونزعاتهم وأغراضهم، إذ كانوا مغرمين بالمحسنات اللفظية والتشطيرات والتأريخ، وكان ذلك سبباً وقوف في الأدب وخاصة الشعر عن التقدم زمناً، كان من جرائها أن ظلّ يوسف الى أيامنا في شيء من هذه القيود لأنه ما يزال من القراء من تشبع بروح ذلك الماضي.

ولقد كان أدباء ذلك العصر معذورين في هذه الأساليب وهذه المعاني وهذه الاتجاهات إذ كان العصر عصر خمود من أثر احتلال أجنبي يعمل على قتل الروح الخافق وعلى سدّ منافذ النور، وكانت ماتزال تسيطر روح تركية على البلد فكانت معظم التعبيرات تركية أو فارسية وكانت لغة المصالح بعيدة كل البعد عن العربية الخالصة، وكان كل ذلك كافياً لاماتة ملكة الابتكار.

فأنت إذ تقلب دواوين الشعراء في ذلك العهد لا ترى الا تأريخاً لميلاد أو وفاة أو ترقية أو زواج، كأنما أراد الأدباء أن يسدّوا النقص الأدبي في مصالح الحكومة وسجلاتها التي تكتب برطانة غريبة فجعلوا دواوينهم سجلاً أدبياً لحوادث عامة جرّت على الأدب ما جرت. هذا في الشعر، أما في الزجل فقد كانت له حياة جديدة لأننا أكثرت منه وجعلته يتناول موضوعات شتى قريبة الى أفهام الجمهور، وذلك لا يضر الزجل إذ أن لغته هي لغة الشعب بقدر ما تسيء مثل هذه الموضوعات الى الشعر إذ تنزله الى أفهام الشعب، والشعب إذ ذاك على ما نعلم من ضعف وجهل

وفي هذا الديوان نرى روح ناظمه الفكهة اللاذعة النكتة التي تصوّر لنا الروح المصري في مجالسه الخاصة. ومن محاسن معاني هذا الديوان تصوير الشاعر لنفسه في بيئة جاحدة ظالمة وهو يقول:

أصبحتُ فيها مضاعاً ليس لي شرف كأنني مصحفٌ في بيت زنديق



مجلة الاندلس الجديدة

(عددها الخاص بذكرى داود بركات)

لاخواننا السوريين المهاجرين فى العالم الجديد حماسة قوية نحو القومية الشرقية واعترافهم بالجميل فضيلة فيهم يُضرب بها المثل ،وهم حدب على الادب عظيم يكرمونه ويكرمون أهله ومن يمتون اليه ، فلقد بلغت حفلات التأبين التى أقاموها لذكرى فوزى المعلوف وجبران خليل جبران مبلغاً من العظمة ، وكانت حفلة التأبين التى أقاموها لذكرى حافظ وشوقى عظيمة قوية المظهر على نحو ما فصّل فى ملحق شهر فبراير سنة ١٩٣٤ من هذه المجلة ، ولقد وافانا البريد الأميركى بعدد خاص من مجلة« الأندلس الجديدة» اكراماً لروح فقيد الصحافةالعربية داود بركات يصف تلك الحفلة التى أقامتها الجالية السورية فى النادى الفينيقى بمدينة ريودى جانيرو عاصمة البرازيل التى بلغت من العظمة ما جعلها الحفلة الأولى فى مظهرها الفخم . وافتتح الحفلة رئيس ذلك النادى السيد عقل الجرّ فشكر للحاضرين مشاركتهم بشعورهم الحىّ أعضاء النادى وتنحى عن رئاسة الحفلة الى الدكتور حبيب اسطفان معتذراً بصلتى القربى والمنبت اللتين تربطانه بالفقيد ، وطلب أن يكون آخر المتكلمين ليشكر لهم عطفهم وشعورهم السامى ، وعلى أثر ذلك وقف الدكتورحبيب اسطفان فعدّد مآثر الفقيد بعد أن ذكر عظمة لبنان فى ماضيه وما آل اليه الآن .

ثم وقف السيد شفيق معلوف فألقى قصيدة رائعة ككل شعره ، استهلها بهذه الأبيات :

نعيٌّ بمصرٍ كلَّ يوم ومأتمُ ... فهل مصرُ شطٌّ للخطوب ومَلطمُ ؟

عروسة وادى النيل ما لك حيلةٌ ... تعلِّين ما تبنين والدهر يهدمُ

سألتكِ هل داودُ إلا مهندٌ ... تألّقهُ فى طلعةِ المجدِ مَبسمُ ؟

هدية لبنان اليكِ ، وانها ... لأثمن ما يهدى اليك وأكرمُ

أيادى على لبنان للجارة التى ... نكنٌّ لها فى الصدر ما الله يعلمُ

اذا ما احتوى لبنانَ حرٌّ مُشرَّدٌ ... تجاذبه من مصر كفٌّ ومعصمُ

ونطلق فى الجو النسور فتغتدى ... وليس لها إلا المقطم مجثمُ

هو الجبل العالي الذي منه أشرفوا فهلل قبطيٌّ وكبّر مسلمِ
منابرُهم أهرامُ مصر ، وصوتهم أعاصيرها ، والحقّ لا غيره الفمُ
تهاوَوْا بصحراء الصعيد فلفهم قتامٌ وحياهم يراعٌ مثلّمُ

ثم قام السيد طانيوس أبو ياغي ملقياً بالنيابة عن يوسف افندي ناصيف ضاهر صاحب جريدة « البريد » خطبتـه ووقف بعده السيد يوسف أبوليسيني صاحب مجلة « الفانوس » فألقى كلمة طيبة ضمنها أقوال مشاهير الأدب في الفقيد ثم ناب عن الشيخ فائز السمعاني في إلقاء قصيدته العصماء وألقى بعده السيد داود سعادة خطبة جامعة ، ثم وقف نسيب الفقيد السيد عقل الجرّ رئيس النادي فالقى قصيدته الرائعة بين الدموع والحسرات متذكراً أيامه الهنيئة الى جانب الفقيد في مصر وفي يحشوش موطنهما ، وفي مطلعها يقول :

أصبّرُ عنك القلبَ والقلبُ في وجدِ وأجزرُ فيكَ الدمعَ والدمع في مدِّ
اذا ما سهامُ الخطب كنّ دوامياً فكلٌّ اتقاه بعد ذلك لا يجدي

ومنها :

أحنّ حنين الطير فارق وكره الى ساعةٍ من عيشنا الغابر الرغد
رعى الله أياماً بمصر قديمة وردت بها في قربكم أطيب الوردَ
فظللت أرجيها على طيلة النوى وأمنعها صبري ، وأمنحها سهدي
وقد كنت أشكو البين والبحر بيننا فكيف وهذا البين ليس بذي حَدّ !؟

ثم وقف السيد شكر الله الجرّ صاحب مجلة « الأندلس الجديدة » فألقى قصيدته الرائعة « بنفسجة الوادي » التي تعتبر من روائع الشعر العربي الجديد غمس فيها الشاعر ريشته من ألوان الطبيعة ورسمها على القرطاس ناطقة ، وفيها يخاطب منبت الفقيد « وادي يحشوش » قائلاً :

وادي العباقرة الكبارْ قُلْ للربيع : قضى الهزارْ !
فاخلع برودَ العيد وانـــزع عنك تيجان الفخارْ
واعصبْ جبينك بالسوا د فلا كؤوس ولا عقارْ
قل للرفاق : قضى النديـمُ فلن تشعّ ولن تدارْ !

لله ليـــلاتٌ قضيناها على الوادى قصارْ
كأس يزهزهُ بالاقا ح وآخرٌ بالجلّنارْ
وعشية لبستْ شفو فَ اللازوردِ على بهارْ
والطيرُ مثل العانس الثر ثار ليس له قرارْ
ومَراشفُ الشفق المدمّى تلتظى نوراً ونارْ
والنهرُ يرشف حولنا زَبداً كمنتثرِ النضارْ
والشمسُ عند مَدارج الأفقِ البعيدِ بها اصفرارْ
والبدرُ ممسوحُ الجبيـن على محياه اغبرارْ
وكأننا من حول داوود تلا مدة صغارْ
وفتى النُّهى يُزجى الكلا مَ مسلسلاً حول السرارْ
هَشٌّ الملامح طَلْقُها عفٌّ الدعابِ على وقارْ
فى جدّهِ عظةُ الحكيمِ وفى فكاهتهِ ابتكارْ
وعلى الحديث السحرِ كم حسدَ الدجى سمعُ النهارْ

فنشكر لاخواننا أبناء العربية فى المهجر تقديرهم لرجالها وعواطفهم نحو اخوانهم، ونمجّد فيهم هذا الشعور الذى لم يزده بعدُ المزار الا تألقاً وحدّة.

ادباء العرب فى الأعصر العباسية

(حياتهم — آثارهم — نقد آثارهم)

تأليف بطرس البستانى منشىء جريدة «البيان» - الجزء الثانى - ٤٧٨ صفحة بحجم ٢٣ × ١٦ سم. اخراج مكتبة صادر وطبع المطبعة البولسية، حريصا (لبنان)

أصبحت مكتبة صادر من المكتبات التى تنفح الخزانة العربية كل يوم بالعطر الشذى من زهرات الآداب والعلوم واشتهرت مطبوعاتها بالأناقة والدقة فى الطبع. وآخر ما طالعناه من مطبوعاتها ذلك الكتاب الذى لم يتح لنا الحظ الاطلاع على

الجزء الأول منه ، فأما الجزء الثانى فيشمل خصائص آداب العباسيين وعلومهم وميزات شعرائهم وكتابهم وطائفة حسنة من منظومهم ومنثورهم .

وهذا الكتاب الذى يشهد لمؤلفه الفاضل بالجهد العظيم الذى بُذل فيه هو من أحسن الكتب الأدبية التى تجمع الى دقة البحث حسن الترتيب . ولقد قسم المؤلف العهد العباسى الى أربعة عصور يبتدىء الأول منها بقيام الدولة العباسية وينتهى بخلافة المتوكل على الله ، أتى فيه بلمحة تاريخية عن أسباب سقوط الأمويين ونهوض العباسيين وبين ميزة هذا العصر وهى : النفوذ الفارسى ، حرية الفكر ، التساهل الدينى ، مصلحة المملكة . ونحن يهمنا فى هذه المجلة النظر الى الشعر فى ذلك العصر فالمؤلف يتكلم عن ميزة الشعر إذ ذاك فيقول « لم يكن انتقال الشعر من البداوة الى الحضارة مرهوناً بانتقال الخلافة الى دمشق وفيها القصور والجنائن والأنهار وفيها أثر كبير من حضارة الرومان . ولكن العصر الأموى كان عصر حروب وفتن فلم يهدأ هادئه ، ولم يطل عهده فيبلغ أهلوه غايتهم من الترف والعمران ، أضف الى ذلك أن خلفاء بنى أمية كانوا على تحضّرهم ينزعون الى الحياة البدوية ويؤثرون العرب الخُلّص على غيرهم من الشعوب ويرتاحون الى أساليب الجاهليين وطرقهم » :

ثم انتقل الى الكلام عنه بعد أن استقر للعباسيين الأمر وانصرفوا الى الحياة يتذوّقون نعيمها والشعر نعيم الحياة فقربوا الشعراء وجعلوهم ندماءهم تلذذاً بأدبهم وكان ذلك سبباً فى رفاهية الشعر فرقت طباعهم ورقّ شعرهم ولانت ألفاظه فجددوا فى الألفاظ والمعانى .

وأعطانا المؤلف صورةً للصراع بين أنصار القديم الذين يريدون ابقاء كل شىء على حاله وبين المجدّدين الذين أرادوا مماشاة العصر مما يعزينا فى صدماتنا الآن ، ثم تكلم عن أغراض الشعر وفنونه التى تعددت فى هذا العصر وتنوعت بتنوع أسباب الحضارة وأفرد لكل غرض كما أفرد لمشاهير شعراء ذلك العصر فصلا على غاية من الدقة فى البحث والمناقشة .

ثم انتقل الى العصر الثانى الذى يبتدىء بخلافة المتوكل على الله وينتهى بقيام الدولة البويهية واستقلالها بالسلطان . ولقد كان هذا العصر عصر ضعف وانحلال استولى عليه نفوذ الاتراك ولم يكونوا أهل حضارة وعرفان حتى يحملوا معهم الى العربية علومهم وآدابهم فيجعلوا فيها أثراً بيناً كما جعل الفرس من قبل ، ويرى أن

هذا العصر لا يختلف عن الاول فى أشياء تميز الأول عليه لان شعراءه اشتركوا مع من سبقهم فى أغراضهم إلا أن شعراء العصر الثانى كانوا قليلين ولم يظهر منهم إلا البحترى وابن الرومى وابن المعتز ، والمؤلف يميل الى رأى الآمدى فى أن هذا العصر قد كثر فيه الشعراء ولكن البحترى أخمل ذكرهم بعبقريته .

ثم انتقل الى العصر الثالث وهو يبتدىء بقيام الدولة البويهية واستقلالها بالسلطان ، وينتهى بسقوط بغداد فى أيدى السلاجقة . وكانت ميزة الشعر فيه انه « اصطبغ بألوان جديدة مازته بخصائصها ، وانبعثت فيه فنون كادت تضمحل وتنسى ، واستقلت أبواب كانت تابعة لغيرها . فاما ما استجد به فالشعر الفلسفى والصوفى . وأما ما انبعث حياً فالفخر والحماسة . وأما ما استقل فالدهريات والزهريات والاخوانيات والهزليات » . وتكلم عن كل منها وانتقل الى الكلام عن لغة الشعر فذكر أن شعراء العراق ضعف شعرهم من تغلب العناصر الفارسية والتركية على أهله الا بغداد فان شعراءها احتفظوا ببلاغتهم ، كذلك شعراء الشام فقد بقيت لهم ملكة البلاغة. أما فى مصر وهو يرى انها لم تكن موطناً للشعر قديماً وان كل ما رنّ فى ارجائها إن هو الا لشعراء غرباء قصدوها (وهنا لم يعتبر أبا تمام شاعراً مصرياً لأنه شامىّ الأصل ولأن ثقافته الشعرية قامت بين العراق والشام) حتى قامت الدولة الفاطمية فأقبل الشعراء على مصر وكثر عددهم ولكنهم لم ينبغوا نبوغ أهل الشام لقلة بضاعتهم وقرب عهدهم بالشعر وضعف ثقافتهم العلمية حيث انتشرت الفلسفة والعلوم فى العراق والشام قبل أن تدخل مصر .

وتكلم عن شاعرين من شعراء هذا العصر وهما المتنبي وأبو فراس ، وحسب هذا العصر فخراً أن يخلق فيه المتنبي فخر العربية .

فأما العصر الرابع وهو الذى يبتدىء بدخول السلاجقة بغداد وينتهى باستيلاء هولاكو عليها وانتقال الخلافة العباسية الى مصر فيرى المؤلف أن اغراض الشعر وفنونه لم تبتذل فيه فتجعل له ميزة جديدة وانما حدث شىء من التطور فى بعضها فنما وقوى كالشعر الصوفى، واتسع باب الشكوى لكساد سوق الشعر ومالت لغته الى اللين وأمعن الشعراء فى الصناعة فكثر التكلف . وفى هذا العصر دخلت الموشحات الأندلسية الى الشرق ولم يبلغ شعراء هذا العصر درجةً يعدّون فيها من الفحول .

هذه صور سريعة عما يخص الشعر فى هذا الكتاب القيم ننتظر من ورائها فى الجزء الثالث ما نهنىء عليه مؤلفه الفاضل ، ولعلنا نتمكن من نقد الجزء الأول فى المستقبل .

الملاح التائه

نظم على محمود طه المهندس — ١٥٨ صفحة بحجم ١٣¼ × ١٩ سم.

طبع بمطبعة الاعتماد بالقاهرة

أول ما يلاحظ فى شعر على محمود طه تلك الهندسة اللفظية التى تنتظم فى حدودها المعانى الشعرية ، وعلى محمود طه شاعر وصّاف تبدو الهندسة فى كل ما يصوّر لنا من مناظر فنجد بين ألوانه تآلفاً وامتزاجاً كما نجد تقارباً ووحدة .

فالطبيعة فى شعره لها المحل الأول ، غير أنه يسكب على صوره دائماً مسحة التأمّل والسهوم ، فقلّ أن تجد فى ديوانه صوراً للطبيعة المرحة الزاهية ، ولكن تجده يصور لك الليل لأن فى الليل صمتاً وراحة تبعثان على التفكير والتأمل ، فاذا أراد أن يرسم منظراً فى نهاره أعطانا فيه صورته وحيداً شريداً ساهماً ، ولذلك تراه يعمد الى تصوير البحر أو تصوير القطب . وقصيدته التى يصوّر فيها مخدع مغنيه بهذه الأبيات :

شاع فى جوّه الخيالُ ورفّ الـ حسنُ والسحرُ والهوى والمراحُ
ونسيمٌ معطر خفقت فيـ ـه قلوبٌ ورفرفتْ أرواحُ
ومُنى كلهنّ أجنحةٌ تهفـ ـو ودنيا بها يدفّ جناحُ
ومن الزهر حولها حلقاتٌ طاب منها الشذا ورقّ النفاحُ
حُملت كل باقة دمع مفتـ ـون كما تحمل الندى الأدواحُ

تدلّ على أن روح شاعرنا تميل الى الوحدة والعزلة فهو فى هذا المخدع يدخل فيلسوفا ويخرج منه فيلسوفاً فاذا الفلسفة تسكب على صوره لوناً من ألوان التأمل الحزين وهذا هو ما نجده فى قصيدة « قبله » حيث يقول :

رُبّ ليل مرّ أفنيناه ضماً وعناقا
وأدرنا من حديث الحب خمراً نتساقى

فى طريق ضرب الزهرُ حواليـه نطـاقا
ونجلى البدرُ فيه وصفا الجوُّ وراقا

« ٥ »

ولزمنا الصمتَ إلا نظراتٍ تتكلمْ
وشفاهاً عن جراح القلب راحت تتبسمْ
صحتِ لى رعباً وما راعك قلبٌ يتحطمْ
نبـأنى النفسُ بالبين غداً والنفس تُلهمْ

هذا التفكير وهذه المخاوف النفسية البعيـدة القرار فى نفس الشـاعر هى التى بعثت اليه وحى قصيدته « الله والشاعر » وفيها يهتف :

يا ضلة الشاعر أين النجـاهْ وأين أين المنزل الآمنُ ؟
أكلُّ وادٍ تركته خطاهْ طالعه منه الردى الـكامنُ ؟

ولهذا وجد فى هذه القصيدة مجالاً لتأملاته وتفـكيره فأطلق لها العنان ووقف ينظر الى العالم الارضىّ نظرة المتصوّف الحائر .

ولهذا نراه أيضاً فى قصيدة « غرفة الشاعر » يعطينا صورة جميلة للشاعر فى قصيدته فهو يفرُّ من العالم الضاحك الى غرفته الصامتة وفى هذه القصيـدة تصوير رائع ووصف دقيق حيث يقول :

أيها الشاعرُ الـكئيبُ مضى الليـ لُ وما زلتَ غارقاً فى شجونكْ
مسلماً رأسك الحزين الى الفكـ ر ، وللسهد ذابلات جفونكْ
ويدٌ تُمسك اليراعَ وأخرى فى ارتعاشٍ تمرّ فوق جبينكْ
وفمٌ ناضبٌ به حرُّ أنفا سك يطغى على ضعيف أنينكْ
لست تصغى لعاصف الرعد فى الليـ ل ولا يزدهيك فى الابراقِ
قد تمشّى خلال غرفتك الصمـ تُ ودبّ السكون فى الاعماقِ
غير هذا السراج فى ضوئه الشا حب يهفو عليك من اشفاقِ
وبقايا النيرانِ فى الموقدِ الذا بلِ تحكى الحياة فى الأرماقِ

وهى تذكرنى بصورة فنية رائعة بريشة الرسام بيرالجيه اسمهار « الحب والفن» تمثل الشاعر فى هدوئه يستقبل أخيلته فى غرفةصامتة ساكنة ولكنه الصمت الناطق والسكون المترنم .

وانى أرى أن هذا الجوّ الذى أشارك صديقى الشاعر الحياة فيه ، جوّ التأمل والتفكير وخلقها من البسيط الساذج ، هو أجمل الاجواء التى ترفرف فيها أجنحة الشعر ، والشعر الذى يبث من هذه الناحيةهو الذى تجد عنده النفس راحة وطمأنينة بعد رحلاتها المضنية فى أودية العاطفة المرحة والحياة الفاتنة المتحركة اللعوب ؟

حسن كامل الصيرفى

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦١٣	٩	فدرات	فداوت
٧٤١	٧	الرواية	الراوية
٧٤٢	١٩	واتنوّع	وتنوّع
٧٤٤	٢٦	هذّ	هذا
٧٥٠	٢٥	والنقد التأبى	النقد والتأبى
٧٥٢	١	الا خر	الآخر
٨٥٨	١٨	قدر	أقدر
٨٥٨	٢٤	فأقبل	فاقبل
٧٧١	٣	مسضعفة	مستضعفة
٧٧٢	٥	مسموح	مسوح
٧٧٢	٥	فيها طمع	فيها فيما طمع
٧٧٣	١٤	مره	شره
٧٧٦	١٨	يملئوا	يملأوا
٨٠٩	١٣	ببالى	يبالى
٨٠٩	٢٢	تحوب	تجوب
٨١٧	٤	شد	شديد
٨٢٦	٧	بأن	بان
٨٢٩	١	صبرء	صبر
٨٣٧	٩	النداء	الندماء
٨٣٩	٤	منزّله	منزَله
٨٤٢	٢	الأثنات	الأبّات
٨٦٤	١٠	الحُضْرة	الخُضْرة
٨٧٩	١	ووأخيلته	وأخيلته
٨٨١	١٠	يسحتق	يستحق

فهرس

صفحة

كلمة المحرر

النقد الأدبى

المنبر العام

رقم الايداع بدار الكتب ١٤٥١١ /١٩٩٧

I.S.B.N 977-01-5530-6



المجلد الثانى

العدد العاشر

أبولو

مجلة فنية لخدمة الشعر العربى

لسان حال جمعية ابولو

تصدر مرة فى كل شهر
وسنتها عشرة اشهر

يونية سنة ١٩٣٤



صاحب الامتياز ورئيس التحرير { أحمد زكى أبو شادى

الادارة { بشارع الملك المعز رقم ٩ بضاحية المطرية بمصر

التليفون { ٦١١٩٦ و ٤٠٤٥٦

مطبعة التعاون



خاتمة المجلد الثانى

نختم بهذا العدد المجلد الثانى من (أبولو) وكأنما هو الجزء الحادى والعشرون من دائرة معارف أدبية شعرية واسعة النطاق تعاون على إبرازها فى عامين عشرات من الشعراء والنقاد المبدعين فى العالم العربي .

وقد جعلنا ديدننا منذ انشاء هذه المجلة تشجيع الأصالة فى الشعر وإبرازها فى أصدق صورة والاضطلاع باستقلالنا الأدبي ، عازفين كلّ العزوف عن السيطرة الأجنبية وعن ذلة التبعية للقديم البالى ، داعين الى استلهام الحياة التى نلمسها ونراها قبل تلك التى نتخيلها ونناجيها . ومن ثمة تعددت أبواب (أبولو) دراسةً وشعراً ، وكان من بينها وحيُ الطبيعة وشعر الوطنية والاجتماع وأعلام الشعر وذكريات الماضى المجيدة والنقد الأدبي الحرّ .

وعددنا من الأصالة فى الشعر التعبير الطليق ، ولم نعب عليه المؤثرات الطبيعية من ثقافية وغيرها ، بل اعتبرناها من صفاته ، وساعدت خطتنا هذه على تكوين مدرسة عالمية النظرة محلية الصبغات . فلا تفوتها ملهمات البيئة والوطن والعروبة وفى الوقت ذاته يخلق لها الاطلاع الواسع والثقافة العالمية آفاقاً فسيحةً من التأملات ، فاذا بشعراء أبولو الأصيلين جمهرة من المتحررين المستوعبين للأدب العالمي وللأدب المحلى معاً الرائدين للنهضة الشعرية فى أوطانهم . ولم يجانب هؤلاء الشعراء من الوجهة الفنية الا أحد اثنين : رجعى لا شخصية له يريد أن يعيش عالةً على الأجداد مفاخراً بذلك كلّ المفاخرة ، ومتفرنج ينسى كالآخر ذاتيته كما ينسى شمائل وطنه ولا يؤمن الا بالغرب وحده . . . وكلاهما فى اعتبارنا مسرفٌ فى خطته ، وفريق الأول أكثر عدداً وأعلى ضجيجاً وصخباً ، ولكن هذا لا يئسنا منه ، بل أملنا كبير فى غزو معسكره ، متطلعين الى يومٍ قريبٍ تصير فيه مبادؤنا المعتدلة التى تتفق وروح العصر مع الحرص على تراث الماضى المجيد هى هى المبادىء المسيطرة على الحركة الأدبية

عامة ومن بينها النهضة الشعرية الجديدة ، وحينئذ نرى أدبنا متنفساً بنسمات النيل مصطبغاً بأصباغه الجميلة ، وفى الوقت ذاته غير مقصور الحدود والالهام بل متجاوباً مع الحياة العالمية . وقل مثل ذلك عن مهمة شعراء (أپولو) فى الأقطار العربية الأخرى جامعين بين نفحة الأدب الاقليمى وروعة الأدب العالمى .

هذا هو الأدب العالى الذى ننشده فى شعرنا الجديد والذى من أجله أصدرنا هذه المجلة بتضحيات جسيمة ما كان ينتظر أن تكون لولا تخاذل الأدباء والهيئات التعليمية فى مصر ، بينما تتفضل وزارة المعارف العراقية بتوزيع (أپولو) على جميع مدارسها . . . واذا كان لنا أن نستمر على هذا المجهود الكبير الذى ليس له من مثيل سابق ولا حاضر فى العالم العربى فرجاؤنا أن لا تتوانى الهيئات التعليمية فى شتى الأقطار العربية عن المؤازرة الواجبة ، والا اكتفينا باصدار كتاب سنوى لجمعية أپولو وأشهدنا الحقّ على جهودنا وما لاقته من خذلان وجحود .

السياسة والأدب

ظهر فى العهد الأخير شىء من الحوار عن طغيان السياسة على الأدب اشترك فيه السادة الدكتور بشر فارس والدكتور زكى مبارك وابراهيم عبد القادر المازنى بين مثبتٍ ونافٍ ومفسرٍ ومجوّزٍ . ومما قاله المازنى هذه الملاحظات : « وعندنا أن القول بطغيان السياسة على الأدب صحيح إذا أريد به أن الادباء — أو جلهم — يعملون فى الصحافة ، وان الصحافة تستغرق أكثر وقتهم ، وتكاد تستنفد جهدهم ، ولكنه غير صحيح إذا أريد به أن الانتاج الأدبى قل أو أنه صار أدنى قيمة مما كان . ونظن أن الدكتور بشر — وهو من العلم والذكاء بالمحل الأول — يوافقنا على أن السرعة أو التؤدة ليست هى التى عليها المعول واليها المرجع فى جودة الانتاج ، لأن هذه السرعة أو التؤدة صفة وطباع ، وليست أولاهما مجلبة ضعف ولا الثانية مصدر قوة ، وفى الناس السريع بفطرته الذى لو خلا عن الشواغل جميعاً لما وسعه أن يلتزم فى حركته الأناة أو يمضى فيما يعالج على مهل ، وفيهم المتئد الذى لو ألهبته بالسوط لما عجل ، وما كان وقت أدبائنا أفرغ قبل أن يشتغلوا بالصحافة ، ولا كان انقطاعهم للأدب أتمّ ، وقد كانوا يزاولون أعمالاً أخرى قبل أن يدخلوا فى هذه ، وكان همهم قبل عهدهم بالصحافة — كهمهم الآن فيها — كسب الرزق الحلال الذى لا يغنى فيه الأدب » .

أمّا النقطة الحسّاسة التى لم يتعرض لها هؤلاء السادة وهى ملء الاسماع فى الأندية فهى طغيان السياسة على الأحكام الأدبية ، بحيث أصبحت الأهواء السياسية ترفع وتخفض بغير حساب لرغباتها وحدها ، وفى هذا ما فيه من غمط الفضل وتكريم من لا يستحق التكريم واغفال الحسنات واختراع المحاسن والسيئات كلما شاءت الميول السياسية شيئاً من هذا أو ذاك . ونحن الذين لا نؤمن إلا بالروح القومية لا روح الحزبية ، ونضع الأدب فوق هذه الأهواء ، لا يسعنا إلاّ التنبيه إلى هذه العيوب التى لا تتفق والتربية القومية الصحيحة كما أنها تعارض الروح الأدبية الخالصة أشدّ المعارضة ، ونرى أن الواجب على أدبائنا النابهين الذين يغارون على كرامة الأدب والأدباء مهاجمة هذا الداء الوبيل قبل أن يبلغ استفحاله منزلة اليأس فى نفوسنا .

مؤتمر الشعراء فى روسيا

تنوى حكومة السوفيات عقد مؤتمر لشعرائها فى أول يولية القادم ، ويشاع أن الغرض منه استغلال أولئك الشعراء فى خدمة الحركة السوفياتية . ولروسيا بطبيعة الحال شعراؤها النابهون كما لها نابهوها من القصصيين ورجال الأدب والنقد ورجال العلوم ، ولا غبار على تضافرهم فى خدمة ميولهم الشيوعية ، ولكن إذا صحّ أن وراء هذا المؤتمر شيئاً من التكليف والارغام فلن يُنتج سوى ألوان من شعر الذكاء المصطبغ بالدعاية وهيهات أن يصل إلى مكانة الأدب العالى الصحيح، شأن الأدب القوى المطبوع .

الذكرى الألفية للمتنبى

مات أبو الطيب المتنبي مهدورَ الدم منشورَ الصّيت فى دنيا العروبة فى أواخر رمضان سنة ٣٥٤ هـ . وقد تنبه اخواننا السوريون الى الذكرى الألفية لوفاته فى رمضان الآتى ، فذكّروا الناسين بواجب الحفاوة الأدبية بهذا الشاعر العبقرى الفذّ . وقد نشرنا هذا التنبيه من قبل فى (أبولو) كما أعلنا عن عزمنا القيام بواجبنا نحو ذكراه العظيمة . ولا عجب أن يُعنى اخواننا السوريون هذه العناية بأبى الطيب وشعره . فلئن كان أبو الطيب عراقىّ المنبت فهو سورىّ النشأة ، وعن سورية تلقينا

أبدع دراسة وافية كُتبتْ عن أبي الطيب من قلم الأديب الضليع السيد شفيق جبرى.

ستذيع (جمعية أپولو) باعتبارها الهيأة المتخصصة لخدمة الشعر فى العالم العربى بيانها عن هذه الذكرى الى جانب ما أذعناه من قبل ونذيعه الآن فى هذه المجلة من التذكير بواجب الحفاوة بهذا الشاعر العظيم الذى سوف نفرد لذكراه عدداً ضخماً ممتازاً من هذه المجلة هو بمثابة كتاب ذهبى نفيس. ولذلك يسرّنا أن نتلقى منذ الآن الدراسات الناضجة عن أبى الطيب من شتى الأقطار العربيــة فضلاً عن حضور ممثلى تلك الأقطار فى الاحتفال العظيم الذى سنقوم به وسنعلن عنــه فى المستقبل القريب . ولن يفوت جمعيتنا فى المستقبل أداء مثل هذا الواجب نحو أعلام الشعر عامةً ، فهذا حقٌّ مفروضٌ علينا .

وبهذه المناسبة نقول — روايةً عن صحيفة (برافدا) الروسية — إنّ « معهد العلوم السوفيتى» قرر فى ذكرى مرور ألف سنة على ولادة الفردوسى ، الشاعر الفارسى المشهور صاحب (كتاب المـلوك) ، إقامة حفلات شائعــة فى عاصمة السوفيت ، ووضع مؤلف عن حياته وشعره ، والقاء محاضرات عنه فى « متحف الأدب » وفى الجامعة على الطلبة الشرقيين . وأمنيتنا فى غيرة معالى وزير المعارف أن تحذوَ كليةُ الآداب بالجامعة وكذلك دار العلوم هذا الحذو بصفة رسمية نحو ذكرى المتنبى ولنا مثل هذا الأمل فى جامعتنا الأزهرية ، كما نؤمل أن يعنى كل قطر عربى بهذه الذكرى عنايةً خاصةً فضلا عن التعاون الأدبى بينها ، فقد كان وما زال شعر أبى الطيب من الأمثلة العليا التى يعتزّ بهـا الشعرُ العربىُّ على الآباد ، وما يزال ديوانه الخالد انجيل الأدباء ونبراساً وضّاء لأسرار الحياة .

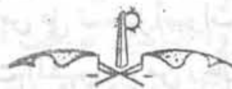
الراديو والشعر

علمنا أن محطة الاذاعة اللاسلـكية فى مصر ستُعنى كثيراً بالقاء مختارات من الشعر وأحاديث عنه باعتباره فنّاً من الفنون الجميلة وأدباً عالياً . ونحن نشكر للجنة البرامج هذه العناية بالشعر ، ولعلها تحرص على تسجيل أصوات مشاهير الشعراء عندنا كما تفعل المحطات الأوروبية نحو أحاديث المشهورين من رجال العلم والأدب والفنّ وأهــل السياسة فتعيدها على مسامعنا فى مناسبات خاصة . ويظهر أن الراديو سيصبح وسيلة من خير الوسائل لتحبيب الشعر الى الجمهور المتعلم اذا ما أحسنت المحطةُ فى اختيار

ما تختاره للالقاء متحاشيةً التطويل المملّ وشعر التقعّر والاغراب مما لا ينسجم وروح العصر لفظاً أو معنًى ومما لم يبق موجبٌ له بعد أن نشطتْ نهضةُ الشعر العصرى أبدع نشاط وصرنا نعتزّ بالانتاج المتواصل لشعرائنا المجدّدين النابهين .

الشعر الحر

تفضل أحد الأدباء فى صحيفة (الوادى) بالتعرض لنموذج من شعرنا الحرّ سبق نشره فى ديوان (مختارات وحى العام) مع نقدٍ مشوّشٍ لبعض شعرنا مهّد له بطرائف من الشتيمة والانتقاص نمرّ عليها كعادتنا مرّ الكرام احتراماً لصحيفة (الوادى) ذاتها بعد أن تولى رئاسة تحريرها صديقنا الدكتور طه حسين ، ونقصر تعليقنا على ما عسر عليه فهمه فنقول إن روح الشعر الحرّ free verse إنما هو التعبير الطليق الفطرى كأنما النظمُ غيرُ نظمٍ لأنه يساوق الطبيعة الكلامية التى لا تدعو الى التقيد بمقاييس معينة من الكلام ، وهكذا نجد أن الشعر الحر يجمع أوزاناً وقوافىَ مختلفة حسب طبيعة الموقف ومناسباته فتجىء طبيعته لا أثر للتكلف فيها . ولذلك رأينا أن الشعر الحرّ مناسبٌ جداً للمسرح خلافاً لمن يدعون الى التقيد ببحرٍ معينٍ وقافيةٍ معينةٍ على لسان كل متكلم ... وما أذعنا من هذا الشعر حتى الآن سوى بعض النماذج ، مدّخرينه للمناسبات الدرامية ونحوها فى المستقبل . فمن العجيب إذن تهافت الأدباء على الانتقاص حتى لما لم يتبينوه الى درجة أن يأتى أديبٌ ناقدٌ فى صحيفة محترمة كالوادى فيخلط ما بين سطور هذا الشعر ويقدّمها الى قرائه أبياتاً مشوّهة ! فهل هذه بلاهة الجهل أم سوء النية تجرى على أقلام الموتورين ؟ وكيف يمكن خدمة الأدب العربى والصحف تفسح أنهارها لهذه الفوضى بينما تأباها على الدراسات النزيهة المستقلة ؟ !





نقد الينبوع

(٤)

كتب الناقد الأدبي لمجلة (العاصفة) البيروتية فى عدد ١٤ أيار الماضى مقالاً طويلاً عنوانه « مع أن فى مصر شعراء . . . ديوان أبى شادى الجديد لا يبيّض وجه الأدب المصرى » ، ونحن نحبّ الزميلة النشيطة ونقدّرها ومع ذلك لا نرى فى مقالها نقداً أصيلا إلا فى مواضع قليلة ، وإنما هو فى جملته ترديد لما كتبه ناقد سابق . وعلى هذا الاعتبار لن نطيل وقفتنا عنده وانما ننوّه به فقط لاعتقادنا فى حسن نية الزميلة الفاضلة وفى غيرتها على الأدب العربى .

وليس لنا أن نزكى أدبنا ولا أن نُرغم أحداً كائناً مَنْ كان على إحلاله محلّ الاعتبار وإنما يعنينا فقط تناول المبادىء الأدبية والنقدية بالتعليق اذا ما دعت الحاجةُ الى ذلك ما دمنا نخدم هذه المبادىء :—

(١) تنتقد الزميلة الفاضلة كثرة إنتاجنا الشعرى فأين هـذا الانتاج من انتاج ابن الرومى مهيار مثلا أو من انتاج المكثرين من شعراء الغرب ؟ ثم تنتقل من ذلك الى تحتيم كثرة الإسفاف والقبح فى هذا الشعر تبعاً لكثرة الانتاج . . . وهذه نظرية خاطئة فحيثما وُجد شاعرٌ مجيدٌ فهو لا يسفّ بحكم كثرة انتاجه ، وانما تتنوّع صور شعره حسب المؤثرات المختلفة ، كما تتنوّع صُوَرُ حياته نفسها ، وهو فى جميع تلك الأحوال محتفظ بشخصيته الشاعرة التى تتجلى فى أشعاره .

(٢) ويدّعى ناقدنا الفاضل أننا ننظم للنظم وحده وكثيراً ما يكون غرضنا ارضاء القافية لا غير ! ومثل هذا النقد العجيب الذى لا يعزّزه شاهدٌ واحدٌ

لم يجر عليه ناقدٌ من قبل ،كذلك لم نسمع أن ختام قصائدنا يشعر بالضعف بل سمعنا وقرأنا عكس ذلك الاَّ فى هذه المرة . والكاتب الذى يجازف بهذه الأحكام وخصوصاً بقوله إننا ننظم للنظم فقط هو حقاً جرىءٌ جداً لأن هذه الملاحظات تدخل فى باب التأريخ لمزاج الشاعر وخواصه ، وناقدنا الفاضل لا يعرفنا فمن العجيب أن يشذّ هذا الشذوذ فى الحكم علينا . وإذا كان هذا ما يُكتب عن شاعر معاصر ما يزال حياً يرزق فكم من الأحكام الخاطئة كُتبتْ عن شعراء متقدّمين ؟!

(٣) نحن لا نتردد فى أن نسقط من شعرنا ما يقضى به التنقيح أثر النظم ، ولكننا لا نعرف ذلك الحذف والبترَ الكثير كما يفعل كثيرون من شعراء الصناعة قديماً وحديثاً ،فنحن لا ننظم عن رغبة أو رهبة وانما ننظم عن عاطفة سواء أكانت أصيلة أم متمثّلة فى رواياتنا وقصصنا ، ولذلك نأبى إباءً وأد هذه العواطف التى نعزّها ونحرص على تعابيرها . وشتّان بين هذه الحالة وحالة شعراء الأمداح والمراثى والمناسبات العرَضية .

(٤) سمعنا كثيراً عن الركاكة واللّكنة والإسفاف ولغة الجرائد وأمثال هذه الأوصاف لكل شعر مجدّد يخرج نظمه على القوالب والرواشم المألوفة وإنْ أفاد الأدب العربى بما يستحدثه أعظم إفادة . واخواننا المنتقصون الذين يلقون بأمثال هذا الكلام علينا وعلى أصدقائنا فى غير دليل ينسون أن لغة الصحافة الدارجة هى مما يأنف منه الشعراء المجدّدون وانما هم يحبون البساطة لأن البساطة من روح الفنّ . وهذه البساطة أولى بأن تدخل فى باب السهل الممتنع ، وقد شبع شعر حافظ ابراهيم وشعر الزهاوى من التصفيق لهما ، ومع ذلك فلا يوجد الشاعر المجدّد الذى يقول قول المرحوم حافظ فى وقف الجامعة المصرية :

ثلاثةٌ من سراة الريف قد وقفوا   على مدارسنا سبعين فدانَا !

أو قول الزهاوى فى طيران لندنبرج :

فى ثلاثين ساعة وثلاث   من نيويورك نحو باريس طارَ !

فهل هذا من النظم العالى الذى يتغنى به ناقدنا والذى لا يراه فى معظم شعرنا ؟!

(٥) لم يقل أحدٌ من قبل إن التسلسل مفقودٌ فى شعرنا بل قيل تكراراً إن تربيتنا العلمية ضمنت لنا هذا التسلسل ووحدة القصيدة التى كثيراً ما نبهنا إلى

أهميتها الفنية . وحتى أغنية « أنشودة المهاجر » (الينبوع — ص ٦٦) التى آخذنا عليها ناقدنا الفاضل متماسكة الأجزاء متسلسلة المعانى، ولحضرته أن لا يجد فيها معانى جديدة ولكنها على أى حال نابضة بالعاطفة ، وهذا يكفينا اذا حُرِمَتْ حظها من ابداع الذكاء ، فالذكاء عنصر ثانوى فى الشعر الوجدانى .

(٦) استنتج حضرة الناقد من تردّد الأصداء والأضواء والأحلام والفنون فى شعرنا أن شعرنا غير واسع الخيال ، مع العلم أنه يحكم علينا بديوان واحد وليس بمجموع شعرنا فى أكثر من ربع قرن . وعلى فرض أن صُوَر هذه الخوالج لا تتبدّل — وهذا غير صحيح — فالشعر العصرى يعنيه التنوع والتخصص فى الشعراء ، بيد أن الحقيقة خلاف ذلك الحكم ، وقد يوجد لنا شعر قديم يشابه فى بعض ألفاظه واتجاهاته شعرنا الحديث ولكنه يخالفه فى الدقائق والتصاوير . مثال ذلك من شعرنا القديم قصيدة « المعنى الأقدس » (أنداء الفجر — ص ١٥) حيث نقول :

حبيبتى ! أنتِ لى معنًى أبجّله ... فوقَ المعانى التى تُحكى بتعبيرى
معنًى تقدّسَ فى طُهر وفى ألقٍ ... كالنور، لكن تسامَى عن سنى النورِ
معنًى أظلُّ سنينَ العمر أنشدُهُ ... ولستُ أعرفُ منه غيرَ تقصيرى
وكلُّ مغزاه أن ألقاكِ فى شغفى ... كلاهما فى مَداهُ غيرُ محصورِ !

« • »

رضيتُ هذا الصبا قربانَ آونةٍ ... يُجيبُ فكرُكِ فيها كلُّ تفكير
ما دمتِ نائيةً عنى ففى طربى ... هَمٌّ ، وفى مَرَحى شتى الأعاصيرِ !

وقد تلمح هذه الروح فى قصيدة « المتعبد » (الينبوع — ص ١٠٣) كما نبهنا أحد النقاد حيث نقول :

لى عيونٌ مِن صَفوِ نفسى تناجيه فما يُسعف التصوّفَ طرفُ
وأنا ذلك الضعيفُ ولكنْ فى حماهُ لا يعرفُ النفسَ ضعفُ
لغتى مِنْ حَنانِ هذى المبانى والمعانى وما لها بَعْدُ حَرْفُ
لغةٌ للصموت وهو بليغٌ ، ربَّ صَمْتٍ له بيانٌ ووصفُ

فبالرغم من بعض التشابه فى الألفاظ والتأمّل فالموقفان جِدُّ مختلفين ، وكذلك

المعانى جدّ مختلفة ، وهذا هو الواقع ازاء جميع شعر (الينبوع) بل جميع شعرنا ، وإن كنا لا ننكر أن الشاعر كثيراً ما يحسّ بتجدّد الحاجة الى التعبير عن معنى من المعانى أو عاطفة من العواطف فاذا كرر المحاولة فهو لن يكرر المعنى بل يضيف جديداً الى القديم .

***

وكتب الأديب الحلبي المرتينى الى مجلة (الرسالة) مقالاً آخر نشرته فى عددها المؤرخ ١٤ مايو سنة ١٩٣٤ وعلقنا عليه فى عددها المؤرّخ ٢٨ مايو ، كما ردّ عليه الشاعر الناثر عبد اللطيف السحرتى المحامى بملحق « السياسة » الأدبى المؤرّخ ٢٦ مايو ، فليرجع اليها من شاء من حضرات القراء ، ولنقّادنا جميعاً الشكر على غيرتهم الأدبية وعنايتهم .

***

وكتب الدكتور زكى مبارك النقد الآتى فى صحيفة (البلاغ) المصرية :

اللهم إنا نستعينك ونستهديك !

يذكر القراء أنى حدثتهم مرات عن شعر الدكتور أبى شادى ، ويذكرون أنى لم أرضه ولم أرض أصدقاءه الأبرار ، ولكننى أرضيت الواجب فى انصاف هذا الصديق ؛ وهل هناك انصاف أفضل من كلمة الحق وإن ساءت من تُقال فيه ؟ انه يكفى أن يكون الناقد صادق النية ، صحيح السريرة ، وما يستطيع الدكتور أبوشادى أن يتهم مودتى ، أو يتوهم أننى أناصر خصومه الحاقدين وانما أنا رجل يكره المجاملة ، ويبغض المحاباة ، ويتمنى أن يسلم النقد الأدبى مما حلّ به من آفات الرفق المتكلف والتحامل المصنوع ، فنحن نعيش فى زمان تقسم فيه الأدباء إلى شيع وأحزاب ، وانعدم الانصاف أو كاد ، وصرنا نبحث عن السرّ فى الكلمة الطيبة ، فنجد الرفق فى النقد يستند إلى مودة ظاهرة أو خفيـة ، ونرى الحرص على سرد العيوب يرجع إلى حقد ظاهر أو مدفون ، والا فكيف اتفق للباحث فلان أن يتكلم عن شاعرين فى مقال واحد فيرفع أحدهما الى السماك ، وينزل بالثانى الى الحضيض ، على حين يأبى الحق أن يوافقه على رَفْع من رفع وخفض من خفض ، وانما هى نزوات تأخذ وقودها من مستور الأهواء ؟!

فلا يغضب الدكتور أبو شادى إن آلمناه بهذا النقد ، فنحن نشهد أننا نتخذ من شمائله حقولا للتجارب الأدبية ، ومن حسن الحظ أننا اختبرناه غير مرة ، فلم نره يزداد على المكاره الا نبلا وسماحة ، وهذا مما يقلل من قيمة الشجاعة فى نقده: فلو كان رجلا غير عف اللسان لكانت الجرأة فى نقده فضيلة عظيمة ، ولكن هكذا حرت المقادير أن تقاتل رجلا يقابل الطعنات بثغر باسم وقلب طروب .

ومما آسف له أن أهاجم شاعراً مجّدنى فى شعره النبيل ، وسأقاسى مثل هذا الاسف حين أنقد ديوان الدكتور ناجى ، وفيه قصيدة عن زكى مبارك هى عندى أنفس من الدنيا الغنية والملك العريض ، ولكن ماذا أصنع وقد احترفت النقد الأدبى ، ووضعت فيه أصولا وطرائق أخشى أن يفسدها الحرص على مجاملة الرفاق ، وأن تزيفها الرغبة فى مقابلة الجميل بالجميل ؟

أيرانى القراء أحسنت التمهيد لهذا البحث ؟ اذن فليسمعوا ، أو فليقرأوا ، غير مأمورين !

ونبدأ هذا الحديث بنقد بدعة التجاوب التى اخترعها الدكتور أبو شادى ، وهى بدعة فيها عنصر من الهدى وعناصر من الضلال ، وقد سجل هذه البدعة بقوله :

كنْ أنتَ نفسى واقترن بعواطفى تجـد المعيبَ لدىّ غيرَ معيبِ

وهذا حق ، فلو وضع الناقد نفسه موضع الشاعر حين قال قصيدته أو مقطوعته لعرف أنه ليس فى الامكان أبدع مما كان .

ولكن كيف يكون الحال لو اصطنع النقاد جميعاً هذا المبدأ الجديد ؟

ان كل الناس أشعر الناس فى هذه الحال ، لأن الشعراء جميعاً جادوا بما عندهم فى اللحظات التى نطقوا فيها بالجيد والوسط والمرذول ، والناقد على هذا متعسف فى جميع الأحوال ، لانه يتجنى على الشاعر ويتجاهل ما أحاط به من ظروف ومؤثرات .

من واجب الناقد أن يتعمق فى درس حياة الشاعر الذى يضع شعره فى الميزان وأن يجتهد فى أن يرى الأشياء بعينه ، ويدركها بشعوره ، ليستطيع وزن ما يقول . وهذا كلام نشرته منذ عشر سنين ، ولكن هذا الدرس الواجب لن ينسينا أن هناك حقائق أدبية اليها المرجع والمصير فى نقد آثار الشعراء ، وليس الناقد مطالباً بأن يطيع الدكتور ابا شادى طاعة مطلقة فيكون نفسه ويقترن بعواطفه ليرى

المعيب لديه غير معيب ، وانما يجب على الناقد أن يفهم نفس الشاعر ، وان يفهم بجانب ذلك أن هناك حقائق أدبية يحتكم اليها المختصون من النقاد والشعراء .

على أن النزاع بيني وبين الدكتور أبي شادي لا يرجع الى مسائل نفسية ، فانا أكاد أتفق معه في النظرة الى الشعر والى الحياة ، وأكاد أسايره في حياته العقلية والروحية على بُعد ما بيننا في تقدير الصُّوَر والأساليب .

وأنا أعترف بأن صديقي كله شعر ، ودواوينه جميعاً معطرة بالأنداء الشعرية ، وديوان (الينبوع) خاصة يفيض بالمعاني التي تخاطب العقل والروح . والفهرس وحده يطالعك بألوان من الفكر والخيال : كالصبا المبعوث ، والألحان الصامتة ، ورعشة الحور ، وعيون المنصورة ، واللهفة الخالدة ، والأم الحنون ، والعيون المتكلمة ، ورثاء الجمال ، والجمال النبيل ، وحمى الموج ، وقبلة الابتسام ، وزهر الحب ، وجناية الأجيال ، والحج الأخير ، والعودة ، ولهو القدر ، والعواصف ، والحزن الوديع ، والنجوم الهاوية ، وثمن الحرية ، وسجن الشرف ، وآلام الريف ، ونبل الخصومة وفندق الحياة ، وعقاب الغدر ، والقلب المتفجر ، وموت النسور ، وعيش الالوهة ، ونشيد النيروز ، والنار والجنة ، وألحان الحياة ، وأنشودة الهاجر ، وكأس الظمأ ، وقدسية المرأة ، والحكمة الخالدة ، والأوراق الميتة ، وحلم الفراشة ، والوفاء الذبيح ، والدهر الساخر ، وبائع الأحلام ، والسعادة المجنحة ، وخمر الحياة ، ومسلة المطرية ، والشروق الهائب ، والورود الحمراء ، ولصوص الخلود ، وأنشودة الفناء ، ومَرقص الخلود ، ومصر العازفة ، والحياة الذاتية ، وليالي رمضان ، والأشعة الصادحة ، وطائر الحب . . . الخ .

ولا يطوف بأمثال هذه المعاني إلا شاعر يحلق في أجواء الخيال . فالدكتور أبوشادي ينظر الى الحياة نظرة شعرية ، لا نكران لذلك . ولكن موضع النزاع هو تأدية هذه المعاني . فلندرس بعض قصائده لنرى نصيبه من التوفيق في عرض ما قصد اليه من المعاني والأغراض .

للدكتور أبي شادي قصائد ومقطوعات في وصف الشواطيء نمتحن منها القصيدة الآتيـة :

زعموا الجمالَ تمنّعاً وتحجباً   حين الجمالُ رشاقة التعبيرِ
لم يَدرِهِ المتنطعون وانما   يدريه كلُّ مغرّدٍ بشعوري

ففى البيت الأول دعوى على مجهولين ، وجهاد فى غير عدوٍّ مبين ، وإلا فمن هم الذين زعموا أن الجمال هو التمنع والتحجب ؟ وقوله (ان الجمال رشاقة التعبير) كلام ينقصه البيان ، وإن قيل إنه من الرمزيات . وفى البيت الثانى حدثنا أن المتنطعين لا يدرون الجمال ، وانما يدريه كل من يغرد بشعوره ، وبذلك قسم الدنيا إلى حزبين : حزب المتنطعين وحزب أبى شادى !

ثم قال :

يا بنتَ أفروديت حسنُكِ ماثلٌ   فى جسمك المتموّج المسحورِ

سحرتـه أمواجُ الهواء وكلُّ ما   حمل الهواءُ مِن الندى والنورِ

وهو فى هذين البيتين يجعل تلك الحسناء صنيعة للوجود ، ولا يتحدث عن أثر حسنها فى تلوين الوجود .

تمشين عاريةً كأنك شعـــلةٌ   للربّ تُستوحَى كوحىِ الطورِ

مِن كلّ جزء نفحةٌ علويةٌ   مشبوبةٌ فى قلب كلّ بصيرِ

هى خيرُ ما تهب الحياةُ لشاعرٍ   إن فاتها الموتى ولحظُ ضريرِ

والبيت الأول من هذه الثلاثة معناه أن تلك الحسناء تمشى عارية كأنها شعلة للربّ ، وهو يشير إلى نار موسى عليـه السلام ، ثم يحكم بأنها تستوحى كوحى الطور ، وهى عبارة ثقيلة جداً ، وهو يريد أنها تستوحى كما يسـتوحى الطور ، والبيت الثانى جيد المعنى ، لولا الضعف فى عبارة (قلب كل بصير) والبيت الثالث مقبول الصدر ، أما قوله (إن فاتها الموتى ولحظ ضرير) فـكلام لا يفهمه إلاّ الدكتور أبو شادى . . . ثم قال :

يا بنتَ أفروديت لا تتهيبى   وخُذِى الحياةَ مجالَ كلّ حبورِ

وتخطرى ظِلالاً لنا وأشعـةً   ما كنّ غيرَ عواطفٍ وشعورِ

نهداكِ أم ساقاكِ ما نطقا سوى   بالشعرِ فى لغةٍ من التصويرِ

وهو ينصح بنت أفروديت أن لا تخاف ، وأن تأخذ الحياة مجالاً لجميع المسرات وأن تتخطر أشعة وظلالا من العواطف والشعور ، وتلك نصيحة طيبة من رجل طيب !

والبيت الثالث بارع المعنى ولكنه سيء التركيب ، فانه لا يقال (ما نطقا سوى بالشعر) إلا عند اليأس من التعبير الفصيح . . ثم قال :

مَن ذا يحجّب نبعَكِ الحرّ الذى ... وهبته أفروديتُ للتقديرِ
وهبته كى يحيا ويُعبَدَ بيننا ... جسماً وروحاً فى مِثال الحورِ
أيذوقُك البحرُ الطروبُ مُقبّلا ... ومعانقاً فى وصلهِ المبرورِ
ونظلّ نحن العابديك على أسىً ... ما بينِ حرمانٍ وبأسِ صخورِ

و « النبع الحر » فى تلك الحسناء غير معروف ، والتقدير لم يمنعه أحد حتى يتلهف عليه الشاعر الولهان ، وحسرة صاحبنا على نعيم البحر وحرمانه هو حسرة شاعر محروم ، أما بأس الصخور فلا تفهم معناه !

والشاهد أن هذه القصيدة من النفحات الشعرية : ففيها البحر المنعم بأجسام الحور ، وفيها الظلال والأشعة والعواطف والشعور ، وفيها لغة التصوير والحياة والعبادة والطرب والوصل والعناق ، وفيها أفروديت عليها وعلى بناتها السلام ، ولكن أين القصيدة ؟ وأين الشعر ؟ وأين وحى كل هذه العوالم فى نفس الشاعر الفنّان ؟

أين ما صنعت بنت أفروديت بقلب الشاعر المحروم ؟

لقد أوحت بنت حواء الى الشعراء ، وعجزت بنت أفروديت عن إلهام أبى شادى ، فلم يتغن إلا بهذا الكلام !

ومن جيد شعر (الينبوع) هذه الابيات :

وما النبلُ ما تلقاه من ودّ صاحبٍ ... ولكنه نبلٌ رعاه خصيمُ
اذا طغت الاحداثُ جاز امتحانها ... كريمٌ ، ولم يصمد وزلّ لئيمُ
فلا نبل فى ودٍّ اذا حال لم يكن ... عزيزاً نبيلاً فالكريمُ كريمُ

والبيت الثانى واضح المعنى ، جيد التصوير ، أما البيت الأول فلفظه يقصر عن معناه ، والبيت الثالث متهافت .

كل أنواع الموجودات تصلح للشعر عند الدكتور أبى شادى ، حتى ذباب الصيف ! وانظر كيف يقول :

هجم الذبابُ كأنما ثأرٌ له هذا الهجومُ بغضبةٍ متطايرهْ
ما باله مثلُ الهموم تتابعت أو كالرشاش من الجيوش الكاسرهْ
تفنيه ، لكن لا يزال وفودُهُ فكأنما يحيا ببعثِ الآخرهْ !

ونسأل صديقنا الشاعر عن صحة التعبير فى قوله « كأنما ثأر له هذا الهجوم » فانا نلمح فيه رطانة أعجمية ، وتشبيه الذباب بالهموم تشبيه غير مقبول ، فهموم الشعراء أندى وأرق و «أنظف» من جيوش الذباب ، وحكاية البعث فى البيت الثالث غير مفهومة ، وأغلب الظن أن هذا « الحشر » قضت به القافية !

وقد يتفق للدكتور أبى شادى أن يحزن وييأس من الناس ، فيتغنى بحزنه وألمه كما يتغنى الشعراء ، وفى أمثال هذه الحال يقارب الاجادة ، كأن يقول :

اليك ألجأ يا أفياءَ صومعتى بعد الذى ذقتُ من صحبي وآلامى
هبي حياتى سلاماً منكِ أعهدُهُ ترعرعت فيه أطيافى وأنغامى
لقد سئمتُ هواءً كاد يخنقنى من الرياء وكم عانيت أسقامى
كما سئمتُ ضياءً كله ظلمٌ فعدتُ أوثر ليلى بين أوهامى !

وخلاصة القول إن الدكتور أبا شادى شاعر يتمثل شعره فى صفاء قلبه ، ولطف حسه ، وسلامة ذوقه ، وقوة اخلاصه ، ومتانة وفائه . أما دواوينه فليس فيها إلا عناوين قصائد هى رموز للشعر البليغ . ومع هذا فله أصدقاء وأنصار يرونه أشعر الناس ، ومن حسن الحظ أن يكون الأمر كذلك ، فان هذا الرجل أهلٌ لأن يكون له فى دنياه معجبون يتغنون بقصائده التى تعدّ بالالوف » .

ولا يسعنا الا أن نشكر لصديقنا الدكتور زكى مبارك كلماته الكريمةَ وحُسنَ ظنّه بنا وأن نعترف صراحةً بما عهدناه فيه دائماً من الشجاعة الأدبية وحبّ الحقّ والانصاف كما يُوحى اليه ضميرُهُ الحيّ . ولا يسرّنا نقدٌ أكثر مما نتلقاه من الدكتور زكى مبارك فان وراء نقده غيرةً أدبيةً صريحةً وذكاءً خارقاً وخلقاً متيناً واستعداداً دائماً للاقتناع أمام الحجة . لذلك يطيب لنا التعليق على نقده بهذه الملاحظات الوجيزة :

(١) ليس ما ذكرناه عن ضرورة التجاوب فى الآداب والفنون لاستشعار محاسنها بدعةً لنا ، بل هى حقيقةٌ معترفٌ بها فى مراجع النقد . وغير خاف عن صديقنا أنّ النقد بالاجمال إما أن يكون محايداً فلا يخضع لأحكام معيّنة — نظراً للتنوع

العظيم فى الطبيعة ـ ولا يتأثر بعواطف الناقد : وهذا مذهب سانت بيف ، وإما أن يكون ممثلاً لتأثير الآثار الأدبية فى نفس الناقد تبعاً لعوامل الطبع والبيئة والزمن : وهذا مذهب تين . وصديقنا يدين بالمذهب الثانى كما نفهم من كتاباته وإن لم يقل ذلك . على أن كلا المذهبين لا يمكن أن ينفى أنَّ للتجاوب النفسانى أثراً عظيماً فى تفهّم الآثار الأدبية تفهماً عميقاً وتقديرها تقديراً صافياً . ونحن إذ نقول :

كنْ أنتَ نفسى واقترنْ بعواطفى   تجد المعيبَ لدىَّ غيرَ معيب

لا نعنى شيئاً مما عناه الدكتور زكى مبارك ، وانما نعنى ضرورة تمثل ظروف الشاعر وحالته النفسية حتى يمكن الحكم الصادق عليه ، وهذا البيت والأبيات التالية له قيلت فى مناسبةٍ معينةٍ رداً على منتقدٍ مقطوعةً غزليةً لنا ، وقد أردنا محاجّته بمذهب سانت بيف . مثال ذلك : قد ينتقد مستشرقٌ فى انجلترا هذا البيت :

الفجرُ فى الأُفقِ الشرقىّ قد ظهرا   كأنما هو بركانٌ قد انفجرا !

ولكنه لو شاهد مثل هذا الفجر فى بلادنا وتصوّر شعورَ الشاعر الشرقى ازاءه لما رأى لنقده محلاً ، ولوجد ما يعدّه معيباً هو فى الواقع غيرُ معيبٍ . ومثال آخر قولنا فى « الشروق الهادىء » :

أشرقَ الصُّبحُ فى هُدوءٍ عميقٍ   كهدوءِ الحبيب بعدَ الوصالِ

فانّ هذا التعبيرَ قد يُعَدُّ مَعيباً لدَى مَنْ لا يتصوَّر مناسبتَهُ ونفسيةَ الشاعر فى حين أن تصوُّرَ كل هذا يجعله سائغاً مقبولاً من الوجهة الفنية ولو كانت للناقد وجهة نظر أخرى من الناحية الذوقية ، فدراسةُ النفسية جزء هام جداً من دراسة الشعر .

(٢) حصر صديقنا الدكتور موضع النزاع بيننا وبينه فى تأدية المعانى الشعرية لا فى هاته المعانى بالذات ، ونحن نعلم من الدكتور زكى أنه يحسن الظن بنثرنا ، وهو لا يجهل أن النظم لا يقلّ طواعيةً لنا عن النثر ، فلماذا نرضيه بالاداء النثرى ولا نرضيه بالاداء النظمى ؟ يلوح لنا أن السبب يرجع الى أمرين : أولهما جراءتنا فى كثير من تعابيرنا النظمية وهذه لا تستدعى الحيرة اذا ما جاءت نثراً ، فى حين أنه يعنينا تحرير الأسلوب النظمى كما يعنينا تحرير الأسلوب النثرى . وثانيهما ما يراه الدكتور من دسامةٍ وتركيزٍ فى طائفةٍ من هذا الشعر .

فأما عن الأول فأملنا أن يقتنع الدكتور زكى مبارك بأن نهجنا هذا هو خير ما يُخدَم به البيان النظمى تحريراً للشاعرية ما دمنا لا نقضى بذلك على موسيقية الشاعر . وأما عن الثانى فنحن غيرُ مطالَبين بأن نتمادَى وصفاً وتحليلا اذا تناولنا موضوعاً من الموضوعات الشعرية ، فنفسيةُ الشاعر قد يكون نهمُها مشبعاً فى قصائد أخرى فليست فى حاجةٍ الى ذلك التبسط فى قصيدة بالذات. والناقد المؤرخ المستقصى لا مفرَّ له من أن يعتبر جميعَ نظم الشاعر وحدةً شاملةً سواء أكان ذلك الشاعرُ على قيد الحياة أم لم يكن . وهذه مسأله نفسية لا يجوز أن تفوت حضرات النقاد .

(٣) أحسن الدكتور زكى مبارك بتناوله نماذج من شعرنا بالنقد مثل قصيدةٍ لنا فى خليج استانلى ومقطوعة فى نبل الخصومة وثالثة فى ذباب الصيف ورابعة فى صومعة الشاعر المحزون ، فليس أضرّ على النقد وعلى الأدب من الابهام ، بينما إبراز الشواهد يساعد على النقاش المثمر ويزجى الشاعر المنقود أو من يدين بمذهبه الى إبراز دقائق ذلك المذهب وتبسيطه ، وقد يؤدى ذلك الى كسب نفس الناقد فى بعض الأحايين أو الى تعديل آرائه بما يجعلها تتلاقى وآراء الشاعر .

فأمَّا عن قصيدتنا « ديمقراطية الجمال » (ص ١٢ من «الينبوع») فقد نُظمتْ لمناسبة الحملة على الفنانين المتحررين وتعاليمهم ، وقد استوحيناها من مشاهد خليج استانلى ، وخطابنا الشخصى انما هو نيابة عن جميع الذين يشاركوننا شعورنا فلا غبار على قولنا :

لم يَدْرِهِ المتنطفون ، وإنما يدريه كلُّ مفرّدٍ بشعورى

ولا عجبَ اذا قسمنا الدنيا الى حزبين : حزب المتنطعين وحزب الفنانين ، سواء أكانوا من المنتجين أم من المتذوّقين فنحن نتكلم نيابةً عن أمثال الدكتور زكى مبارك من أنصار الفنون ومن أهلها كما نتكلم اصالةً عن أنفسنا . ونحن بكل سرور نرضى له أو لغيره من زملائنا الشعراء أن ينوب عنا فى مثل هذا الموقف وبنظير هذا التعبير .

ونحن لا نعرف عن شاعرٍ معاصرٍ عُنى بالاختيار اللفظى وبالدقة الموسيقية أكثر من عنايتنا منذ نشأتنا ، واذا كان الدكتور زكى مبارك يشهد بذلك فى منثورنا كما يشهد بحريتنا فى التعبير النثرى ، واذا كان لا يجهل أن سليقتنا النظمية تسعفنا بالنظم السريع فى غير تكلف ، فهل له أن يذكر أيضاً أن ما لا يرضيه من منظومنا لا يرجع مطلقاً الى أىّ اهمال

فى النظم وانما يرجع الى جراءتنا فى التركيز من ناحية وفى تطويع ألفاظ كثيرة من ناحية أخرى مجانبين التبسط المألوف الذى كاد يرادف الثرثرة رافضين التقيّد بتعابير بدائية أو بألفاظ محفوظة تورّط بسببها كثيرون من الشعراء قديماً وحديثاً فى ألوان عجيبة من المحاكاة ومن أغرب المظاهر الحديثة أن يسطو من له ملكة البيان اللغوى الجزل على الخواطر الشعرية الأصيلة – ولا ملكة شعرية ممتازة عنده – فيأتى أصدقاؤه المزماريون ليصفقوا لابداعه الوهمى بدل عدّ سرقاته التى لا تحصى ، واذا بهم يزوّدون على التاريخ الأدبى فى غفلتهم هذه بامتداح هؤلاء اللصوص ... وكم من ناقدٍ نابهٍ قادته الغفلة الى هذا التورّط وعدّ هذه الملكة المعكوسة ملكة للابتداع الشعرى فطبل وزمر بينما الادباء المستقلون يبسمون ساخرين من هذه الغفلة أو من هذه الحزبية المريضة التى يُنسيها الرنينُ الموسيقى الملكةَ الشعريةَ الأصيلةَ ، وكيف أنّ أولئك السادة المزماريين أبعد الناس عن الشاعرية الأصيلة وما عدَوْا أن يكونوا مَرائى لشعراء كثيرين يخطفون خواطرهم البكر ثم يرصّونها رصّاً فى حلاوة توهم غير المدقق أنهم أهلُ هذه التحف .... ولا شكّ فى أنّ كل هذا لم يغب عن صديقنا الدكتور زكى مبارك ، ولذلك نرتقب منه أن يحاسب قلمه حساباً عسيراً قبل محاسبتنا ، فمثله أهل لكبح الفوضى وردّ الحقوق الى أصحابها ، وليقدّر الغاية النفسية والفنية من وراء كل تعبير لتعابيرنا قبل أن يتخيل الابهام أو الاهمال ، فكلاهما أبعد ما يكون عن طباعنا . واذا كنا قد تركنا المغرضين ليترنموا بذلك فاننا نأبى على صديقنا وأمثاله من أفاضل النقاد أن يصيروا ضحية هذا الايحاء المغرض .

وقصيدة «ديمقراطية الجمال» هذه متدفقة بشعرها : فكلماتها تتوالى كالأمواج الصافية المسترسلة فى لغة ترى للايجاز مكانه وللاسهاب موضعه ولا حاجة بها للأخير فى هذه المناسبة وهى لم تتناول الا ديمقراطية الجمال . وقد تابع الدكتور زكى مبارك كل بيت من أبياتها كما استوعب وحدتها الفنية فما الفائدة من هذا التشريح الصناعى لأبياتها ؟ وهل هذا مما يتفق والنقد الأدبى الحديث ؟ وهل عيبتْ على المتنبي بلاغته حينما اكتفى بالاشارة الى « الطور » حتى تعابَ علينا اشارتنا التى لا يجاورها أى تنافر لفظى ولا معنوى فى بيت جدير بأن يشغل النفس بمعناه بدل أن يشغل الناقد بتشريح لفظه ؟ ! ثم أليس أولئك الذين لا يتنفسون الروحَ الفنيَّ فى حكم الموتى (البيت السابع) ؟ وأليس ذلك اللحظ الذى لا يرى فى هذه الشعلة الفنية سوى ظلمات لحظ ضرير ؟ وهل نسى الدكتور زكى مبارك تلك الحملات الغاشمة التى ساقته هو فيما بعد الى نظم أبياته الرشيقة إذ يقول :

أيا حَرَمَ الظباءِ أثرتَ روحى بمشكاةٍ من الحسنِ الدقيقِ
يراكَ الأكمهونَ حِمًى مباحاً يذكرهم بأسواقِ الرقيقِ
ولو كُشِفَتْ غِشاوتُهم لقالوا صبايا الخلدِ تسبح فى الرحيقِ !

يقول الدكتور زكى مبارك إن قولنا « الجمال رشاقة التعبير » كلام ينقصه البيان فليعتبره صديقنا تعريفاً صميماً للجمال ، وهو تعريف صالح لأن يشمل جميع الكائنات ! وليس بصحيح أن هذه القصيدة تجعل بنت أفروديت صنيعةً للوجود ولا تتحدث عن أثر حسنها فى تلوين الوجود فهى شاملة لصنوف التجاوب ، وفيها مظاهر الايحاء الكافى ، فليس من الانصاف أن يقول صديقنا الناقد« لقد أوحت بنت حواء الى الشعر وعجزت بنت أفروديت عن إلهام أبى شادى فلم يتغنَّ الاَّ بهذا الكلام » ، وهذا « الكلام » — على حدّ تعبير صديقنا الفاضل — جمع ما جمع من تصوير وعاطفة وخيال شعرى ونقد للبيئة الجامدة التى وصفنا قسوتها ببأس الصخور . فماذا يعيبها بعد ذلك ، اللهمّ الا اذا كان تركيزها ووقوعها فى أربعة عشر بيتاً لا أكثر هو مما يعاب ؟ ! أو لعلّ صديقنا يطالبنا بأن نعبر فى هذه الأبيات عن جميع ما يخالجنا فى شتى المواقف المماثلة ، إذن فليرجع الى دواويننا الأخرى اذا شاء بل ليمعن فى نفس هذه القصيدة الوجيزة فيجد أجوبة أسئلته : « ولكن أين القصيدة ؟ وأين الشعر ؟ وأين وحى كل هذه العوالم فى نفس الشاعر الفنان ؟ » فليس من الضرورى يا صديقى نظم ملحمة شعرية لاثبات ذلك . . .

وقد عاد صديقنا الدكتور الى الحنين الى ذلك التبسط البدائى فى نقده « نُبل الخصومة » كما عاد إلى التشريح فى نقد أبيات « ذباب الصيف » وآخذنا على قولنا « ثأر له » فى البيت :

هجم الذبابُ كأنما ثأرٌ له هذا الهجومُ بغضبةٍ متطايرهْ

ونحن لا نرى فيه أيةَ رطانة أعجمية ، إذ يُقال ثأرَ لنفسه منه ، فهو تعبير طبيعىٌّ لا غبار عليه ، ويسرّنا أن تكون همومُ الدكتور زكى مبارك ندية رقيقة نقية ، ولكن الهموم فى جملتها غير ذلك فلا شذوذ فى وصفنا ، ويعزّ علينا أن تفوت صديقنا الفكاهة فى البيت الأخير فيحسبنا سامحه الله من أهل الحشر للقوافى . . . ورضاء صديقنا عن الأبيات الخاصة بصومعة الشاعر يعزّز رأينا فى ارتياحه إلى سهولة الاسلوب وتبسّطه وإن لم تبلغ القوة الشعرية فيه مبلغها

فى غيره . وهذه نزعة ” نفسية “ عنده ليس من السهل التغلّب عليها ، ومثلها نزعة الناقد المتديّن الذى لا يرضى عن الشعر المخالف لنظراته الدينية وإن عظمت الشاعرية فيه . ولكننا نؤمن بقدرة صديقنا الدكتور على محاسبة نفسه قبل محاسبة غيره ، ولذلك نؤمل أن يكون نصيبنا من إنصافه النقدى أوفى عند ما نحظى فى المستقبل بنقده ديواننا الجديد (فوق العُباب) . وله شكرنا القلبي على شجاعته الأدبية وعلى استقلاله النبيل الجدير بأن يطمئنّ اليه الخصم قبل الصديق .

بين الجديد والقديم

بين الجديد والقديم حرب عوان ، لا يكاد يرتدّ الجمعان منها الى الهدوء والراحة رويداً حتى تبدأ من جديد كأروع ما تكون الحروب أثراً وخطراً ، وبين أدباء الشيوخ والشباب معركة حامية الوطيس ، لن ينطفىء لها لهب أو يخبو لها أوار ، ما دام أدباء الشيوخ قد وقفوا فى الطريق لا يريمون عن أمكنتهم ، ولا يأذنون لغيرهم من ذوى العزائم الماضية أن يتقدم أو يسير . وستظل المعركة حامية دامية حتى يكتب الله لأحد الفريقين بالنصر أو تلجىء الحياة أدباء الشيوخ أن يقفوا على جانبي الطريق مفسحينها لكل طارق أو عابر دون تحكك به أو اعتداء .

والحق أن نهضتنا الأدبية ينقصها عنصران أساسيان هما عنصرا الاخلاص والتشجيع ، فكثير من رجال النهضة الأدبية والفكرية فى مصر غير مخلصين لهذه النهضة ولا يعنيهم من شأنها إلا ما يضفى عليهم ثوب الشهرة ويملأ جيوبهم . وطالما سمعت حتى من كبار هؤلاء الرجال من يشكو مرّ الشكوى من الأدب فى مصر لأن كتبه غير رائجة ولأن الجمهور القارىء ما زال يتناول هذه الكتب بشىء من الريبة والشك ، لهذا تراه دائم السخط كثير التبرم وكأنه كان — حين يؤلف هذه الكتب أو يخرجها للناس — قد قدر لها الذيوع والانتشار ، فأدباء هذه حالهم ولا يعرفون من الأدب إلا ما يكسبهم شهرة أو يجعل لهم ثروة لا يمكن أن يكونوا مخلصين بحال للنهضة ولا يمكن أن يكتب لمؤلفاتهم البقاء والدوام ، وسوف يشهدون مصرعها فى حياتهم إن قريباً أو بعيداً .

لقد ظهر — وما زال — فى جوّنا الادبى مجلات يزعم أصحابها أن طابعها هو

تجديد الأدب وخدمة الفن ، فنستقبلها خير استقبال ونحتفل بها أي احتفال حتى إذا ما ظهرت راعنا منها أن لا طابع لها اللهم الا طابع الجمود وعدم الاخلاص . وان المجلة التي تخرج للفن وباسم الفن ، هي تلك التي تزن الأدباء والشعراء بميزان آثارهم وما تحويه هذه الآثار من كمية الغذاء الصالحة لا بميزان الأسماء ، هذا الميزان المختل. وعلى هـذا الأساس نبتني نهضة قوية راسخة ، وينتعش الأدب ويتجدد ويتقدم قوم ويتخلف آخرون ، ولـكن وآسفاه ما برحنا نرى شبح الديكتاتورية يمتد كذلك على الأدب وينفث في أفقه المشرق اللامع سموم الرجعية والانحلال . فمعظم المجلات الأدبية التي تظهر الآن في مصر ليست في الواقع الا شركات بين جماعات قد اتفقوا فيما بينهم على أن يفرضوا آراءهم فرضاً على القارىء شاء أم أبى ، رضى أم سخط .فالشرط الأول لدى هذه الشركات أن يملأوا هم أنفسهم المجلة فاذا ما بقى فيها فراغ لسبب ما سارعوا لملئه بما يرد اليهم من الرسائل مؤثرين من يتقدم لهم بالوسيط أو الشفيع ولو كان ما كتبه غثاً سقيماً حتى لا تتأخر المجلة عن موعد ظهورها فيقل الدخل فتختلج الجيوب !

وليس أضرّ على الأدب في مصر من أن تسوده هذه الروح ، وتظهر فيه هذه الشركات التي أقل ما ترمز اليه أن مصر قد أجدبت ، وأنه ليس فيها إلا أولئك الأدباء الذين لا يتجاوزون أصابع اليدين عداً ، والذين لا ينقطعون عن الكتابة مشغولين أو خالين مجيدين أو مسفين . ونحن نريد أن نقولها كلمة صريحة لأصحاب هذه المجلات دون مواربة أو رياء : أيها القوم إما أن تكونوا قد أردتم بمجلاتكم خدمة الأدب حقاً وإذن فيجب أن تفسحوا المجال للأدب الصحيح وأن تجعلوا له متنفساً على صدور مجلاتكم حتى ولو كلفكم ذلك ألا تكتبوا أنتم أنفسكم كل أسبوع أو كلفكم أكثر من ذلك من نقصان الدخل قليلا فمن يبغى الحقيقة في عمله يهون عليه في سبيلها كل غال ، وإما أن تكونوا قد قصدتم بمجلاتكم الى التجارة والسهرة وتشجيع الأدب الرخيص وإذن فلكم ما ارتأيتم ولـكن يجب ألا تضللوا الجمهور أو تخدعوه باسم الأدب الصحيح ، وانما سيروا في طريقكم ـ طريق التجارة ـ متواضعين وفقكم الله !

وما كنا لنتعرض لأصحاب هذه المجلات بمدح أو بقدح لولا انهم قد تعرضوا لنا بالقدح والتشنيع لمناسبة وغير مناسبة فهم كلما التوت عليهم سبل التفكير رجعوا الى أدباء الشباب ووقفوا منهم موقف الاساتذة والمشرعين يحلون لهم ما يشاءون

ويحرمون عليهم ما يشاءون أيضا ثم أخذوا يتحدثون عنهم أحاديث السخرية والاستخفاف : فالشعر الذى ينظمونه فى هذه الأيام مائع كله شكوى ودموع وغرام لا أثر فيه للحياة المصرية ولا للبيئة المصرية ، فأين شمسنا المشرقة وسماؤنا الصاحية وأين المروج والنخيل والحقول والسواقى مما ينظم شعراء الشباب بل من الطبيعة المصرية التى ما كان أحجاها أن تلهم الشاعر تأمل الصحراء وأحلام النخيل وابتسام الصحو لا أن تلهمه ما تلهم الطبيعة الانجليزية من أمثال « الملاح التائه » و « الزورق الحالم » و«وراء الغمام» الخ هذه السفسطة الفارغة ، ونحن بدورنا نسألهم وأنتم : أليس فيكم الأديب والشاعر ؟ ولماذا لم تكتبوا أنتم عن كل ذلك فتكملوا نقصاً تعتقدونه ، أم ان المسألة مسألة مقالات تكتب عن يوم الجمعة أو يوم الاحد وغير ذلك من الاحاديث الفارغة ؟

إن ما تكتبونه أنتم أيها القوم هو ما تستأهلون عليه كل النقد ، وكل اللوم ، لأنه ملاحظات تنتهى بانتهاء وقتها ، ولا تظنوا أنكم قد خدمتم الأدب برواية تترجمونها ، أو مقالات تجمعونها ، وان ديواناً صغير الحجم من دواوين شعراء الشباب التى تظهر فى هذه الأيام لأفيد للأدب وأمرى عليه ، لأنه يوقظ ميت الشعور من الأساس من كل ما كتبتم أو تكتبون .

والعجيب أن أولئك القوم يحرمون على غيرهم ما يحلون لأنفسهم فهم يكتبون جل ما يكتبون عن المرأة والحب سواء أكان ذلك فى روايات يترجمونها أم مقالات ينشرونها ثم هم مع هذا لا يريدون من الشاعر أن يبين عما يختلج به فؤاده من حب وانما يريدون أن يقفوا منه موقف معلم الانشاء من تلاميذه يحدد لهم الموضوع ويطالبهم بالاجادة ولو أن أى شاعر بالغ ما بلغ تأثر بقولهم فراح يحدثنا عن تأملات الصحراء وأحلام النخيل دون أن تنفعل لهذه المشاهد نفسه لأعوزه فى شعره الصدق الأصيل والحياة والروح ، ذلك لأنه لا يرضى نفسه وانما يتملق القراء . فشعرٌ هذا شأنه يستحيل أن يكون له حظ من الاجادة والبقاء .

إن الشاعر وبيئته كالآنية المستطرقة فهو يشكو ويبكى حين تجبره البيئة على الشكوى والبكاء ، فاذا كانت الفضائل قد فقدت قيمتها واذا كان كل جانب من جوانب الحياة المصرية يوحى بالشكوى والبكاء والثورة والتمرد ، أفبعد هذا تعيبون على الشاعر وهو الشديد التأثر السريع الانفعال أن يشكو ويبالغ فى الشكوى أو يبكى ويتحرق فى البكاء ؟ أتطالبونه بأن يبتسم فى مواقف الألم الممضّ

والحزن الشامل ؟ لو أنه فعل لكان معتوهاً أو لكان على الأقل جامد الاحساس ، ميت الشعور ، فاقد الذوق !

ومن مظاهر عدم اخلاص هذه الجماعات للأدب أن تجترىء أيضاً على الأديب المصرى فترميه تارة بجهل اللغة العربية كل الجهل وإغفال الأدب العربى وطوراً بالعمى عن مناظر بلده ومحاسن طبيعته ومفاخر قومه ، ولو أنك سألت صاحب هذا الزعم القائل من أين لك ذلك ما حار جواباً أكثر من المداورة والهذر ، ولو أنهم كانوا يكلفون أنفسهم ولو تصفح فهارس دواوين الشعراء المعاصرين كمطران وأبى شادى وشكرى والعقاد وعلى طه وناجى وغيرهم من المجددين لوجدوا الطبيعة المصرية والحياة المصرية والتاريخ المصرى كل أولئك ماثلاً على صفحات هذه الدواوين ،ولكنهم قوم قد طاف برءوسهم طائف الزعامة ،لهم أن يفتروا ما يشاءون ولهم أن يجهلوا غيرهم ما يشاءون ،ثم ليس لى أو لك أيها القارىء أن نرفع أصواتنا ناقدين أو محتجين لأنهم ملوك الأدب وحراس كعبته ، وسدنة بيته ، والملوك كما تعلم تتسامى أقدارهم عن كل نقد أو تجريح !

وإذا كان قد تبين لك أيها القارىء مما مر بك مدى عدم إخلاص أولئك القوم للنهضة الأدبية ، وأنهم يريدونها ديكتاتورية بغيضة ، يتزعمون هم فيها ، ويتسلطون على كل صوت حتى لا يشار إلى غيرهم ، ولا يتحدث عن غيرهم - إذا كان قد تبين لك كل هذا أيها القارىء ، فانى محدثك أيضاً عن اعتلال أذواقهم الأدبية ، واختلال مقاييسهم النقدية ، وأنهم قد أصبحوا بحالة لا يستطيعون معها أن يميزوا جيد القول من رديئه وصحيحه من سقيمه ، ولايضاح ذلك رواية طريفة : فلقد أرسل شاعر ناشىء إلى أحد أصحاب هذه المجلات قصيدة أسماها « تحية سجينة » وهى قصيدة مليئة بالحيرة والحياة ولكنها لم ترق صاحب المجلة فقبرها وحرم عليها أن ترى النور والحياة وآثر عليها قصيدة أخرى مختلطة الوزن لشاعر يعرفه أو قل يتقدم إليه بالشفيع والوسيط ، ولولا ضيق المقام لنشرنا المثالين ليعرف الجمهور أن أولئك القوم ليسوا مخلصين بحال للنهضة الأدبية وأن خير الكلام نثراً وشعراً هو ما يئده رؤساء التحرير حياً لا ما ينشرونه على صفحات مجلاتهم .

ولو أن القوم أخلصوا للأدب ، ولو أنهم نظروا إلى المقول دون القائل ، لكان لنا اليوم شأن أى شأن ، ولكن القوم كما تعلم معذورون لأنهم يخلصون ولا

يودون أن يخلصوا وانما يريدون أنفسهم هم ، ومن بعدهم الطوفان !

وبعد ، فأريد أن أحدثك عن العنصر الثانى : عنصر التشجيع وموقف شيوخ الأدب منه . إن التشجيع هو فى الواقع سلم الفوز ، ومرقى النجاح ، فهو الذى يحفز الهمم ويقوى العزائم ويقدر الشاعر أو الاديب على الدرس المتواصل والابتكار. ولعلك ألا تفهم أنى أريد التشجيع بكل ما وسعته هذه الكلمة من تشجيع ! كلا فما لهذا أردت أو أريد ، ولكنى أقصد تشجيع كل ما يستأهل التشجيع والأخذ بيد من يستحق من الأدباء أو الشعراء الناشئين حتى نمكن لهم من أسباب الانتاج الحى ونغرس فى نفوسهم المنافسة المحمودة والاقدام ، ولكن كأنّ القوم يعز عليهم أن يتقدموا بشىء من ذلك خدمة للأدب أو رغبة فى بعثه فهم لا يشجعون مخلوقاً بالغاً ما بلغ وهم لا يسكتون عن شاعر أو أديب يتغلب على هذه العقبات ويخرج للناس صورة من حياته العقلية أو العاطفية فى تواضع وهدوء ، ولكنهم إما أن يهملوه اهمالاً شائناً وإما أن يقفوا منه موقف السخرية والاستخفاف والتعنيف والتجريح ورميه بالجهل طوراً وبالعمى طوراً آخر ! وبعد كل هذه المضايقات يقف أحد متزعميهم صائحاً : أين الأديب الذى استطاع أن ينسينا العقاد وهيكل والمازنى ، وأين الشاعر الذى استطاع أن يصرفنا عن حافظ أو شوقى ؟ أين ؟ لكأنكم أيها القوم تريدون أن تنشقق الأرض ، فتخرج لكم دفعة واحدة شعراء عالميين وأدباء خالدين ، ولو أن الأرض أخرجت لكم ما تريدون ما كان أولئك الشعراء أو الأدباء بأوفى حظاً عندكم من اخوانهم المغضوب عليهم بل لوقفتم منهم أيضاً موقف العرب من محمد صلى الله عليه حينما بدههم بقرآن جديد ودين جديد ، فأخذوا يصيحون به : هذا ساحر ! هذا شاعر ! هذا مجنون !

ويسرنى أن أبشرك أيها القارىء ، أن أدباء الشباب وشعراء الشباب ما كانوا يوماً بحاجة الى التشجيع أو الانصاف : فهم يعملون متواضعين ، وهم يشقون طريقهم بين الأمواج صامتين ، وهم يخدمون الأدب بدمائهم وأرواحهم وأموالهم غير متململين أو شاكين ، وهم لا يطمعون فى أن يعطف عليهم كاتب أو أديب ، وهم لا يهمهم أن يمدحهم مادح لا يسخطهم أن يتنكر لهم متنكر أو يتنمر لهم متنمر ، فهم قوم فوق الرضى والسخط واللجاجة والخصومة ، قوم لهم رسالة فى الحياة خلقوا ليؤدوها ويبلغوها مستعذبين فى سبيلها الألم والكفران ، واذا عزّ عليهم ما يلاقونه فى سبيل الدعوة

من عنت وإرهاق ، فاز من وحده هو الفيصل والمستقبل كفيل بالانصاف ، وبحسبهم نجاحاً أن قد غدا لهم صوت مرهوب وخبر منشور وان أدباء الشيوخ قد أحسوا بنشاطهم واعترفوا بوجودهم فأخذوا يرصدون لهم فى كل طريق ويطاردونهم فى كل سبيل ، وإن فى ذلك للآية الكبرى على فوز الشباب رغم إرادة الشيوخ !

***

ولعلك الآن أيها القارىء قد برمت بالقديم وأنصار القديم ، ولعلك قد مللت حديث القديم وأنصار القديم ، بل لعلك لا تكون حانقاً علىّ لأنى أضايقك بالقديم وأنصار القديم ، وما كنت لأضجرك أو أضايقك لولا أنهم هم الذين يدفعوننا الى هذا الضجر وتلك المضايقة ، ومع ذلك فأنا زعيم بأن أرَوِّحَ عنك وأبدل الضجر ارتياحاً والمضايقة انبساطاً ، وإذا شئت فتعالَ معى أيها القارىء الى دنيا الشباب لنكشف أسرارها وكنوزها ونستطلع روائعها وعجائبها ولنرى أية دنيا هى هذه الدنيا العجيبة الغريبة . ماهذا السكون السائد والصفاء الشامل والمحبة المشرقة فى سمائها؟ هى خصائص هذه الحياة ! عجباً ! وما هذه الجيوش الزاخرة تمشى فلا ضغينة بينها ولا كيد ولا حفيظة ولاشجار ؟ وما هذه الرحمة والتسامح والانسانية والتسامى ؟ هؤلاء هم جند الشباب ورسل الهداية مصابيح الدجى وتلك هى سماتهم ! أجل ، ما أروع هذه الدنيا وأفتنها وما أحقها بالخلود ، وانها لجديرة بأن تحب وأن تستثير غضب الواجدين وسخط الكسالى المتخلفين .

والحق انه اذا كان هناك من فرق بين أدباء الشباب والشيوخ فذلك أن أدباء الشباب يدينون بالابتكار لا بالتقليد وينزهون أنفسهم عن سخائم الشيوخ من أذى الآخرين والكيد بهم أو الحقد عليهم ، هم أخوة رحماء فيما بينهم يفرح كل منهم بمجهود الآخر ويفاخر به ويكاثر حتى لكأنه بضعة منه هو ، فأنا كأديب شاب لا أستطيع أن أعبر لك عن مقدار فرحى واغتباطى عند ما اقرأ قصيدة رائعة أو بحثاً مفيداً لشكرى أو أبى شادى أو العقاد أو ناجى أو الصيرفى أو سيد قطب أو على طه أو لغيرهم من أدباء الشباب ، ولو كنت أنا صاحب هذه القصيدة أو ذلك البحث ما اغتبطت كل هذا الاغتباط ، فبتلك النفوس السامية التى يغمرها الحب العام ينمو الأدب ويزدهر ويستقبل عهداً جديداً سعيداً ولو كره الغاشمون !

وإننى لأبعث على البعد الى رسل الشباب بأرقّ التحايا ، وأحيى فيهم الدأب المتواصل والجهاد المشكور ، رغم ما يعترضهم فى طريقهم من عقبات وأشواك ؟

عبد العزيز عتيق

رسائل النقد

يرى بعض النقاد ان القسوة فى النقد هى خير سبيل يُنتهج لرفع مستوى الانتاج الأدبى ، ومن هذا الفريق صديقنا الدكتور زكى مبارك ، ويذهب فريق آخر إلى وجوب التطرف فى النقد معلناً ان فى ذلك الخير كل الخير للأدب ، ومن هذا الفريق الأدباء عباس محمود العقاد (قمبيز فى الميزان) ومصطفى صادق الرافعى (على السفود) ورمزى مفتاح (رسائل النقد) . وسواء اتفقنا وهذا الفريق فى الرأى أم لم نتفق فان لكل ناقد وجهة نظر يعتقد أنها عين الصواب — وقد قرأنا فى مجلة « الأسبوع » كلمة للأديب محمد على رزق يحمل فيها على الدكتور رمزى مفتاح ويرميه بألفاظ تخرج عن النقد الأدبى والنظر الفنى ، وهو فى ذلك متشيع للعقاد ، وما كنا نحب أن يتورّط رزق فيما كتب ، لأن العقاد نفسه ممن استنّوا هذه السنّة يوم كتب (قمبيز فى الميزان) وقبلها (الديوان) لينال من شوقى بل لا شك فى أنّ العقاد هو الرائد لهذا الطراز من النقد . على ان هذه القسوة لا تكفى لهدم أعلام الأدب ، وكما بقى شوقى شاعراً جهيراً رغم طعنة العقاد ، فسيبقى العقاد شاعراً ممتازاً رغم طعنتىْ الرافعى ومفتاح .

على ان الكتاب الذى نحن بصدده اليوم ، وهو « رسائل النقد » ، يختلف اختلافاً كبيراً عن كتابىْ العقاد والرافعى ، فرسائل النقد يطوى بين صفحاته بحوثاً قلما يستطيع كاتب أن يوفَّق اليها كتحليل نظرية العقد العصبية وتخطىء فكرة وجود العقل الباطن ، ودراسة فلسفة الموسيقى ، وغير ذلك مما يلقى لنا ضوءاً على مؤلف الكتاب وسعة اطلاعه وعمق تفكيره كما تدلنا لغة الكتاب على مقدرة المؤلف اللغوية فى التعبير عن رأيه .

وللكتاب مقدمة بقلم الأديب جبران سليم جاءت بها أبيات للمرحوم طانيوس عبده نظر اليها العقاد ونقل معناها وأكثر ألفاظها نقلا لا نستطيع نسبته إلى توارد الخواطر ، فأما أبيات طانيوس عبده فهى :

أحبُّكِ لا لجمالٍ وُصِفْ ... فكان الرسولَ إلى كلِّ قلبْ
ولا لكمالٍ به تتَّصفْ ... صفاتك فى كل حدبٍ وصوبْ
ولا لذكاءٍ عجيبٍ عُرِفْ ... فكان السبيلَ إلى كلِّ عجبْ

ولكنّ هذا الفؤاد افتتنْ (بأنت) و(أنتِ) المنى والمرامْ

وأما أبيات العقاد فهى :

لست أهواكِ للجمال ، وإن كا ن جميلاً ذاك المحيّا العفوفُ

لست أهواك للذكاء ، وإن كا ن ذكاء يذكى النهى ويشوفُ

لست أهواكِ للدلال ، وإن كا ن ظريفاً يصبو إليه الظريفُ

لست أهواكِ للخصال ، وإن ر فّ علينا منهن ظلٌّ وريفُ

أنا أهواكِ (أنتِ) (أنتِ) ، فلا شىء سوى أنتِ بالفؤاد يطيفُ

ننتقل بعد ذلك من المقدمة إلى صميم الكتاب ، فأقول إنه لولا شدة المؤلف فى بعض ألفاظه لكان هذا الكتاب من أحسن كتب النقد التى أنجبتها الأقلام المصرية إن لم يكن أحسنها ، وقد ساق الينا المؤلف تمهيداً ظريفاً فى نشوء الصداقة بين عبد الرحمن شكرى وصديقيه العقاد والمازنى فى أسلوب قصصى ممتع حلو الفكاهة والعبارة ، كما ساق الينا مقدار تأثر هذين الأديبين بأخيلة شكرى وشاعريته وكيف أنهما جحدا فضله بعد ذلك ، ولكن الحقيقة أن العقاد والمازنى لا يزالان إلى اليوم يعترفان بفضل شكرى عليهما ويكبران شاعريته ، غير أن المازنى يعتقد أن شكرى هو الذى بدأهما بالاساءة .

وتطرق بنا المؤلف بعد ذلك إلى نظرية العقد العصبية وهو بحث يكاد يكون الأول من نوعه فى كتبنا الأدبية ، وقد أطال فيه المؤلف فى غير تعرض للعقاد وإن رجع اليه فى الفصول التالية وغرضه الأول من ذلك فائدة القارىء .

ثم انتقل الى تاريخ العقاد بقلمه وفيه يقول العقاد إنه لم ينل قسطاً وافراً من التعليم بين جدران معهد أو جامعة ، وقد أخذ عليه المؤلف قوله إنه غير آسف على ذلك !

فرمزى مفتاح يخالف العقاد فى نظرية الاطلاع الحرّ ، والحقيقة أن التعليم المنظم الجامعى يوسع آفاق العقل ويبنى الأساس للاطلاع الحر ، وهناك من الشعراء مَنْ لم يتلق شيئاً من التعليم فى معهد منظم ، ومع ذلك عُدّ من أعلام الشعر ، والمسألة هى أن التعليم المنظم لازم للقائد الاجتماعى والمفكر وأقل لزوماً للشاعر ، لأن هذا يعتمد أكثر الاعتماد على الابتكار والاستحداث . فاذا أخذنا العقاد كشاعر

وجدنا أنه محقٌّ فى قلة أسفه على انعدام الأثر الجامعى من حياته ، واذا تناولناه كقائد لهيئة سياسية فى مصر وجدنا أن هناك نقطة ضعفٍ فى حياته .

هناك نقاط تتأرجح بين المسألتين الخلقية والشعرية فى حياة العقاد فمؤلف الكتاب يستنبط من شعر العقاد أنه يميل إلى الغانيات اللواتى تلتفّ حولهن المجالس ويصبو الى العربدة ، ثم يقول إنه كثيراً ما يوجّه شعره الى صيغة المذكر ، ولكننا نرى أن المبدأ السائد والصحيح أن الفنّان يجب أن يسعى الى غاية الكمال الفنى لا الى غاية الكمال الخلقى .

وقد قالوا إن شكسبير كان مدمناً عربيداً صعلوكاً وقطعوا أن أوسكار وايلد كان يستوحى غلامَه ، وهذا بوديلير الشاعر الفحل يعيش فى جوٍّ من الفسق والمخدرات والخمر ، فنحن نرى أن ما يعيب الشاعر فى خلقه لا يعيب فنّه بالمرة ، بل ربما زاد فنه جمالاً وسموّاً .

هذه المذاهب الفنية كثيرة وقد يجتمع عليها نفرٌ ولا يقرّها نفرٌ آخر ، فهناك فى ألمانيا موطن للعرى يستمرؤه أهله وينكره غيرهم ، ومن الناس من يهيم بالاباحية ويؤمن بالشيوعية فى اللذات ومن ذلك قصيدة العقاد (ليلة الأربعاء) يصف بها ليلةً فى دارٍ فيقول :

فنهضنا للهوِ فى دار ذى القر نين بين الصحاب والقرناء
ووصلنا مساءها بصباح ووصلنا صباحَها بمساء !

ثم يرى الشاعر أن الحبيب يميل عنه نحو ذوى الثراء فتحرقه لوعة الفقر والحرمان فيقول :

حسبنا منك أن نراك وإن كنـ ـتَ تُميل الجفونَ بالاغضاءِ
وتجلّ الغنى وما الحسن إلا سلعة عند معشر الأغنياء !

قد يشعر القارىء بأن هذه القصيدة تنتقص خلق العقاد وهذا ما يراه المؤلف ولكننى أرى أمراً آخر — فهذه القصيدة تحتمل أحد رأيين ، فاما انها اجتماعية وإما أنها شخصية ، فان كانت الثانية فنحن نوافق المؤلف فى رأيه وإن كانت اجتماعية — أعنى انها لم تقع بهذه الصورة الاشتراكية — وانما يعنى العقاد بها لوعة الفقير حينما يشعر بالحرمان وتتحرق نفسه إلى ما فى أيدى ذوى الثراء من نعمة وطيبات ، هنا نرى أنها قصيدة ممتازة ولا شك .

وهناك قصيدة لعبد الرحمن شكرى مطلعها :

يا وضىء البسمات وجنى الوجنات

إلى أن يقول :

سألوا فى أى حال هو أحلى فى الصفات
قلت أحلى ما تراه فى حديث اللحظات
فاذا أرضى لحاظاً كان أحلى فى السبات
وهو أحلى منه إن فا ه وأحلى فى الصمات
واذا صد فـا أحـلاه جهم النظرات
فاذا لان فـا أحـلاه طلق اللمحات
كل حال منه أشهى حالة فى الحسنات

وقال العقاد متأثراً بقصيدة صديقه شكرى :

صفه لى صفه وما كا ن بمجهول الصفات
أترى ألبق منه باصطياد المهجات
صفه غضبان وصفه لاعباً بين اللدات
ضاحكاً كالصبح يمحو بالضياء الظلمات
صفه فى كل كساء صفه فى كل الجهات

ويقول الدكتور مفتاح إن العقاد أخطأ فى قوله (صفه فى كل كساء) لأن الحبيب لا يكون فى كساء غيره فى كساء آخر ، وكذلك (صفه فى كل الجهات) لأن الحبيب لا يكون فى جهة غيره فى جهة أخرى .

بيد أننا لا نوافق الدكتور على ذلك لأن من الشعراء من تفتنهم الأضواء والأطياف والألوان ، وإليه قصيدة (الثوب الأزرق) للعقاد فهى من أروع الشعر الحديث ، وإن كان لا يؤمن بشعر العقاد فاليه أبو شادى الذى لا تكاد تخلو قصيدة له من الألوان والأطياف ، على أن للأثواب المتباينة آثاراً متباينة فى نفس الشاعر فقد يتشاءم لرؤية الحبيب فى الثوب الاسود ويتفاءل للثوب الأبيض ويبتهج للثوب

الاخضر وهكذا ـ كما أن لاختلاف الجهات أثراً قوياً فى نفس الشاعر فوقف الحبيب على الشاطىء يعطى صورة غير صورته فى المخدع ، وتختلف هذه وتلك عن موقفه بين الزهور وهلم جرّا ، فهذا البيت جميل ولو كنت أنا العقاد لتوسعت فيه فهو يتضمن معانىَ جمة .

أما عن قصيدة (القريب البعيد) للعقاد والتى يقول فيها :

وأشدّ ما لاقيتُ من ألم الجوى قربُ الحبيب وما إليه وصولُ

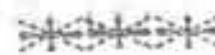
فنى عنوانها ومعناها نظر قريب الى بيت ابن الرومى :

هى فى العين وهى أبعدُ من نجـم الثريّا فهى القريبُ البعيـدُ

على أن المعنى أصبح مطروقاً متداولاً ردّده ألف شاعر ومتشاعر . يلى ذلك بحث فى فلسفة الموسيقى هو من البراعة بمكان كبير يسوقه الدكتور رمزى ولا يتعرض فى خلاله للعقاد فيتركك لقراءته بهدوء وأنت بين اعجاب ولذّة ، وهذا البحث وأمثاله هو ما جعلنا نعترف بقدر هذا الكتاب .

قد أطلنا ، ولو أن الكتاب يستحق من الاطالة أكثر من ذلك ، وكم كنا نحب أن نرى رسالة النقد فى هدوء حتى لا ينتاب الناس شك فى نية المؤلف التى لاجدال فى صفائها ونبالتها ، ففيه آراء صائبة ونظرات صادقة وفيه حدّة غير مرغوب فيها . على أن للجمهور أن يقرأ ويحكم ، فما العقاد بالرجل المجهول المكان فى عالم الأدب والشعر ، ولا رسائل النقد بالكتاب السطحىّ الضئيل القيمة ؟

صالح جودت



ديوان صالح جودت

تمهيد

بين يدىّ اليوم ديوان صالح جودت وهو الثمرة الأولى لشاعر من شعراء الشباب وبجواره بعض الدراسات التى تناولته أقرؤها وأتصفحه فأراها على اختلافها وتنوعها نظرات عامة لا تتجاوز فى مجموعها شخص الشاعر وتوثبه ونهوضه أو وداعته

وسكونه ، إلى غير ذلك من أخلاقه التى لا تعنى المتأدبين والقارئين بوجه عام بقدر ما يعنيهم شعر الشاعر واتجاهه وقيمته الفنّية .

ولست أمهد بذلك إلى أن كلمتى هذه ستعالج شعر صالح جودت من جميع نواحيه أو تستوعب مواطن الجمال فيه ، ولكنى سأقصر بحثى اليوم على نواحٍ ثلاث من شعر هذا الديوان إن لم تكن جميعه فانها أوضح ما فيه ، وتلك الأبواب الثلاثة هى الغزل والاجتماع وشعر المناسبات .

الغزل

يخيل الىّ كما يخيل لكثيرين ممن اطلعوا على هذا الديوان أن (صالح جودت) شاعر غزلى بطبعه ، وُلد فى رياض الحب وأرضع فى مهده لبانه ، ونشأ فى بيئة باسمة لم تر الحزن ولم تتعرف الى الشقاء ، فهو شاعر عاطفى دقيق الاحساس تقرأ شعره أو تسمعه فلا تشك فى أنه جزء من نفس صاحبه وقطعة من روحه لا أثر فيه للتكلف ولا للرياء — وإذا كان لبعض الشعراء أن يستتروا وراء شعرهم وأن يغالطوا قارئيهم فيقولون غير ما يفعلون ويتحدثون بغير ما يتصفون فانما بأيدينا من شعر صالح نستطيع بعد أن رأيناه وحادثناه أن نقول غير مبالغين إنه مرآة لنفس صاحبه وصورة من هدوئه ووداعته .

أقرأ الآن قصيدته (على ضفاف الزمالك) فتتمثل الىّ روعة الغروب فى تلك الضاحية الجميلة خلال الدجى حيث يرخى سوداء ثيابه على شاطئ النيل الصامت الحزين — وفى زورق صغير يمزق صوت مجدافيه اجلال هذا السكون يجلس صالح حيث يسبح خياله ويطلق اليه العنان فيتمثل فيه الحبيب ويرى شخصه من خلف الدجى فيناجيه قائلاً من غير يراعة ولا قرطاس :

أظلم الأفقُ من سماء الزمالكْ   وطوت نوره الليالى الحوالكْ
وانثنى الزورق السبوحُ بصبٍّ   يتمنى لقيا الحبيب هنالكْ
وهفت بى سفينةُ الفكر حتى   لاح خلف المزيج طيفُ خيالكْ

ثم يشرح له آلامه ولواعج شوقه ومكانته من نفسه فيقول :

أنتَ أقصى الآمال عندى فقل لى   يا حبيبى ما منتهى آمالكْ
أنت ملء النهار والليل فى الفـ   ـكرِ فهلاً خطرتُ يوماً ببالكْ !؟

ثم يشمس خياله وتطغى عليه أحلامه فيطلب الى هذا الحبيب وصاله وينصح بانتهاز الفرصة والتمتع بالشباب قبل أن تزول دولة جماله وينقضى ربيع حسنه ونضارته ويتركه بين الندم والحسرة فيقول :

أيهذا الجمالُ سوف تولى ... وقريباً يحلُّ يومُ زوالكْ
فاختلسْ فرصة الشباب ومتع ... يا حبيبي أهل الهوى بوصالكْ
سوف يمضى الجمالُ يوما فتمضى ... تتأسّى بذكريات جمالكْ

وترى صالح فى غزله يرى كما يرى شوقى أن الحياة الحب والحب الحيـاة ، فهو إذا أحبَّ أو تغزل غالى فى حبه وخلع على حبيبته جميع ما فى الـكون من كمال وجمال فهى ابتسام الورود وضوء الشمس والقمر وما كان له أن ينظر الى أولئك أو يعشقها لولا انها صورة لحبيبه أوقبس من ضوئه ، واستمع اليه حين يقول :

ما عشقت الورد لولا أنه ... صفحة سالت عليها وجنتاكْ
ما حسبت الشمس إلا أنهـا ... تتلظى يا حبيبى من جفاكْ
ما عبدت البدر لولا أنه ... لمحة تنبع من نهرِ سناكْ

ولا يقنع بذلك ولا يقف عنـده بل يذهب الى أبعـد من ذلك : فيزعم انه لم يخلص العبادة لله إلا لانه تمثله فى عيون الحبيبة ولاح له فى شخصها فصلى له وسجد، وفى ذلك يقول :

رأيتُ الالوهة فى ناظريكِ ... تلوح خلالَ الجمـال الخفى
فأسرفتُ فى صلواتى اليـك ... فما لنت للعابد المسرفِ



الحب العذرى أو الحب الفنى هو حب الجمال لذاته ، يتغزل الشاعر فى العيون السرد والشعر الذهبي والعنق العاجى والخد الوردى كما يتغزل فى الوردة الباسمة والتمثال المتقن والقمر المطل والجدول الرقراق لأنه يرى فى كل منها لوناً من ألوان الجمال وصورة من صوره تعجب النفوس الصافية وتطرب الأذواق الصقيلة السامية ، وهذا النوع الجميل من الغزل هو الذى يفيض به هذا الديوان الذى بين يدىّ على صغره . اسمعه يقول فى قصيدة (الشارد) :

لك شعر ذهبي فاتنٌ ضاع فى موجاته قلبي وذابْ
لك خدان تجرت فيهما حمرة تنساب من قلبي المذابْ
والعيون الزرق من فوقهما غادياتٌ رائحات كالسحابْ !

ولعل فى زرقة العيون نوعاً من الجمال أذكر انى لم أره ولم أقرأه . يتغزل فيه صالح جودت ولا يعدل به أى لون من العيون فى رأيه ، فهو لذلك يهدى اليه ديوانه ويرسل فيه قصيدته التى يختمها بهذا البيت :

العيونُ الزرقُ والشعرُ الذهبْ ألجأنى يا حبيبى لهواك !

ثم يذكرها بعد ذلك فى أكثر من ثلاثة مواضع من ديوانه ، يذكرها فى قصيدة (جبروت) مخاطباً الحبيب :

عيونك الزرق نامتْ عمن مَدى الليل يسهرْ ،

ويكررها فى هذا البيت من قصيدة (الشارد) وقد سبق ذكره :

والعيونُ الزرقُ من فوقهما رائحاتٌ غادياتٌ كالسحابْ !

ويكررها للمرة الخامسة فى البيت الآتى (ص ١٠٩) :

كلّ ما قدمت قربان على الصب وجبْ وفداء للعيون الزرق والشعر الذهبْ

وتعود فترى صالح يصف جسماً عارياً أو شبه عارٍ على شاطىء ستانلى فيقول فى أدب وعفاف :

لستُ أنسى لحظة الصيف وماجرّت عليه لحظهً بين غوانى الماء فى الاسكندريهْ
إذ تجردت وألقيت من الثوب بقيهْ حدثت عما طوته من ثنايا قدسيهْ
لِمَ حرّمتَ على عينى نواحيك الخفيّهْ أنت إلهامى ومعناى ووحى الشاعريهْ
وانا الزاهد فيما رغبت فيه البريهْ !

وفى البيت الأخير استدراك واحتراس جميل يرتفع بالشاعر ويسمو بنفسه ، على أنه ثمة معنى من معانى الغزل أسمى من هذا النوع وأبعد منه منالا يخيل الى أن شاعرنا قد تسامى اليه ونظم فيه : ذلك هو الحب للحب ، ولا يزال هذا النوع سراً غامضاً نحسّه ولا نستطيع تعليله ـ فقد يفنى الجمال ويبقى الحب وقد يعشق الانسان القبيحة ويمنحها قلبه وينأى عن الحسناء على مافيها من جمال . واستمع الى صالح إذ يقول :

عشقت بك الجسدَ العبقريّ وليس وراء الهوى مأربُ
كمن يشهد الخمر فى كأسها فيثمل منها ولا يشربُ !

وانظر اليه حين يقف من محبوبته موقف الحائر ويصارحها بأن موضع حبه شيء وراء الجمال يشعر به قلبه ويعجز عن وصفه لسانه فيقول :

فيك أمرٌ فوق الجمال سيبقى أبدَ الدهر حيرة الأيامِ !

ثم تأمله شاعراً رحيم القلب رقيق العاطفة يشفق على عاشقه من العناق رحمة بقده المرهف ويضن به عن التقبيل خوفاً عليه من حر أنفاسه ويقنع بحبه حب الوثنى لمعبوده يسجد له ويصلى عن كثب دون أن يمسّه أو يقترب منه ، واليك بعض قوله فى ذلك :

أحبك لا للعناق فانى أخاف على قدك المرهفِ
ولا اللثم ، انى أخاف عليك من النفس المحرقِ المتلف !
ولكن أحبك كالوثنى وأزهد فيك وإن تسرف !

وأشبه بهذا المعنى أو قريب منه قول الشاعر الذى يشفق على حبيبه من خفقان قلبه :

زحزحتُه عنى وكان معانقى كى لا ينام على فؤادٍ خافقِ

وبعد هذا كله ترى صالح جودت شاعراً قانعاً يمثل لك المحب الصادق والخِلّ الوفىّ الذى يقنع بطيف الحبيب ويكتفى منه بالنظرة يرسلها عليه فى المنام إن ضن بها عليه فى اليقظة ، فيقول :

انه الطيف سلوة المتمنى وعزاء المعذب المتهالك

ويتمنى لو يبيع لحبيبه روحه بساعة يقضيها معه ميتاً فى قبره فيقول :

هذه روحى فخذ إن شئتها إننى ألفيت شوقى اطمعك
ليتنى أملك إبدالى بها ساعة فى القبر أقضيها معك !

ولولا الخيال الجامح لقلت لصالح أى معنى فى اجتماع الميتين فى القبر بعد أن تفارقهما الروح ؟ !

وتراه شاعراً فسيح الخيال يتسع خياله الى الحبيب يهجر حبيبته فيمرض ويموت

وتنعاه الطيور فيخفف من تيهه ويحضر لزيارة قبره فترتدّ اليه الروح ويتعانقان فوق صفائح القبر ، أليس ذلك معنى الأبيات الآتية :

هاجرٌ كم صدّ عنه طائراً تاه حتى جاءه طيرٌ نعانى

فتناسى التيه وارتدّ الى هيكلى فارتدّ روحى وجنانى

وتعانقنا وأحيينا الهوى وبعثنا فى الهوى طيرَ الامانى !

وهل رأيت أرقّ من تلك العاطفة التى يقول صاحبها لحبيبته : اشربى الكأس لأمتع شفتى قبل موتى بآثار قبلاتك فيها ؟ ويصور لك البيتان الآتيان هذا المعنى :

اشربى الكأس واتركى لى فيها قبلة تستقرّ بين عظامى

قبلما يخطر النسيم فيمضى بأمانى الهوى ويذرو حطامى !

وينفس على الدموع جريانها على خدود حبيبته ، ويتمنى فى موضع آخر أن يكون دموعاً لها حتى يسيل على خدودها أو يسعد بتقبيلها تقبيل هاتيك الدموع فيقول :

شهدت دموعك فوق الخدود فيا ليتنى دمعة تسكبُ

فانى رأيت ثغور الدموع تقبل خديك يا زينبُ !

وأخيراً يذهب صاحب الديوان الى تقديس الجمال وعبادته ويرى أن له على النفوس حقوقاً أقل ما يجب علينا أن نؤديها له ذلا وخضوعاً فيقول :

كل ما قدمتُ قربان على الصب وجَبْ

وفداءٌ للعيون الزرق والشعر الذهبْ

كما يقول فى موضع آخر :

يا رسول الحسن ما أرواحنا غير قربان يغذى هيكلكْ !

شعر الاجتماع

أول ما يطالعك من هذا النوع قصيدته الرائعة التى افتتح بها ديوانه «الهيكل المستباح» وصف فيها البغِىّ وصفاً يدمى القلوب ويقطع النفوس ـ وصفها وهى واقفة بالباب تبتسم لكل قادم وتفتح صدرها لكل عشيق وقد عرضت بضاعتها فى زمهرير الشتاء على من يسميهم «قطاع الطريق» وما بضاعتها سوى ذلك الجسم الذابل والجمال المبتذل والحسن المنهوك . يقول فى مطلعها :

وقفتْ بالباب فى ثوب رقيق . تفتح البـاب لقطاع الطريقْ
كم سروقٍ نال منهـا جانبـاً ومضى ! ما أعجب اللصَّ الطليقْ !

ويقسو صالح فى قصيدته هذه على الأقدار وعلى الليالى التى ألجأتها إلى معاناة هذه الآلام فيقول :

جعلت منها الليالى سلعةً ما الليالى غير تجار الرقيقْ
عرضوها فى طريق شائكٍ ترقب المبتاعَ من أهل الطريقْ

وفى النهاية يأبى شاعرنا العف الرقيق أن يستمتع بهذا الجسم الذائب أو يعبث بهذا الجمال المعذب المنهوك ويخبرها بأنه لها صديق زكى ، ويودعها بعد أن يطلب لها رحمة الله والنجاة من عذابه قائلاً :

يا إلـهى كيف أعـددتَ لها بعد دنياها عذاباً ؟ هل تطيق ؟!
أشـقىُّ الدهر يشقى بعـده وهو بالرحمة فى الأخرى خليق ؟!

والذين وصفوا البغى فى بؤسها وشقائها ونظروا اليها هـذه النظرة العاطفيـة الرحيمة من شعراء هذا العصر قليلون، بيد أنهم على قلتهم لم يتجاوزوا فى رأيى صالح جودت بل لم يدانوه فى عمق نظراته وتغلغله فى صميم الألم والشقاء ومشاركته إياها فى إحساسه وصدق الاعراب عن شعورها. وأحسن ما بيدى الآن من هذه المثل القليلة هى قصيدة المرحوم نقولا رزق الله « إلى بغى » التى يقول فيها :

قد رأينا الجمال زهراً على خديك لـكنه اسـتحال ذبولا
وقفة يا ابنـة الهوى وأجيبي كيف صيرت عرضك المبذولا ؟!
وحماك المباح للناس طرّاً . وهـواك المضيـع المرذولا
ذكرينـا فاننا قد نسينا ذلك الوجهَ يوم كان خجولا

« • »

كم تمنى تقبيل ثغرك صبٌّ يوم إذ كان يجهـل التقبيلا
ملـكاً يوم كنت جسماً وروحاً لابساً من عفافه إكليلا
برز الاثمُ للعفـاف فالقـا • على ساحةِ الفجور قتيـلا
كنت كالبدر طلعـة وكمالا صرت كالبدر نقصـة وأفولا

هم أضلوك ثم قالوا براء نحن منها ، فهم أضلّ سبيلا
كلهم مذنبٌ اليك وما لا قيت إلا مضللاً وبخيلا
أيها الناسُ ذنبكم ذلك الذنـ بُ فكونوا اذا حكمتم عدولا

ثم ترى بعد ذلك قصائده : الحسناء الباكية ، والمهزلة الكبرى ، ومجنون أو كذوبة الموت ، ومواهب ، والسفينة الحائرة ، وسجين الليل يجنح فيها دائماً الى الفلسفة ـ فلسفة الشك والتساؤل ـ فهو فى معظم هذه القصائد كالسفينة المضطربة أو كالغريق بين الأمواج يهبط بالقارىء تارة الى حضيض الحيرة والظنون ويطفو به الى سماء الطمأنينة واليقين تارة أخرى . تقرأ له فى المهزلة الكبرى :

طفْ بوادى الموت واشهد من أممْ موميا اليأس وجثمانَ الألم

ويقول :

ما أضلّ الناس يهوون الصبا ويقولون عن الموت البلى
وهو عهدٌ دونه زهر الشبابْ

وقوله من قصيدة أخرى :

مَن رآنى على الحياة وحيداً غارقاً فى محيط نجوى وهمس
قال : مَن أنت ؟ قلتُ : إنى غريب قال : حدثت ؟ قلتُ : حدثت نفسى !

فترى شاعراً صوفياً وناسكاً زاهداً لبس مسوح العبادة وتبتل ونفض اليدين من دنياه فهو دائب العزلة كلف بالوحدة والانقطاع عن الناس . واليك شعراً أشبه بحديث النساك وعظات المتصوّفين :

رُبَّ نفس قدر الموت لها غرقت بين الندامى والقدحْ
وتناست أنها تطوى السنين ثم تلقى الموت فى رهبته

ويشتاق الموت فى هذه القصيدة ويتعجله فيناجيه :

يا ضفافَ الموت طالت غيبتى خبرى بالله أنَّى نلتقى

ثم تسمعه يتغنى على شاطىء استانلى بهذه الأبيات التى تبعث الانس وتنسى الهموم :

لستُ أنسى لحظة الصيف وما جرت عليَّهْ
لحظةً بين غوانى الماء فى الاسكندريه

إذ تجرّدت وأبقيت من الثوب بقيّه

وتقرأ له فى موضع آخر :

خُذينى فى ذراعيكِ وضمينى الى صدركْ
دعينى أشرب النورَ الذى ينساب مِن شَعركْ
وروّى لهفةَ الظمآن بالقبلةِ مِن ثغركْ
هبى لى ليلةً أثمل يا ليلاى مِن خمركْ

وتقرأ له كذلك قوله فى موضع ثالث :

كم روينا الزهرَ والطيرَ معاً وأنا الساقى وأنت النبعُ
وبنينا مضجع العشبِ على ضفتيه واحتوانا المضجعُ

فلا ترتاب فى انه شابٌ ماجنٌ مسرفٌ فى شهواته عابثٌ بالحياة وما فيها ، لا يعرف غير اللذة العاجلة ولا يحسب للغد ولا للموت حساباً ، وبين هاتين النظرتين المتناقضين والاتجاهين المتعارضين يبدو لك صالح مبعثَ الشك والحيرة ثم مبعث التفكير والامعان . وله فى الموت قصيدة فلسفية يصف القبر وحساب الملكين واليوم الآخر والروح ونهايتها ويرى فيها كما يرى غيره من فلاسفة التصوف ان الموت سفين يعبر عليه الأحياء من شاطىء الى شاطىء أهدأ وأكثر طمأنينة وسكوناً . واستمع اليه إذ يقول :

أليس فى القبر حياة امرىء تطول بالمرء الى حشره
المرء يحيا دهره أولا ثم يقضّى العيشَ فى قبرهِ
فكيف قالوا إنه ميتٌ من يوم أن غُيّبَ فى قبرهِ ؟!

وفى نهايتها يقول :

لا قال بالموت سوى كافرٍ يكذّب الأديانَ مِن كفرهِ

وإن كان ثمة مِن مآخذ على هذه القصيدة فهى اغراقه فى البيت الأخير وذكر البيتين الأخيرين (فكيف ، لا قال) إذْ لا داعى لأحدها . ندع هذا وننتقل بالقارىء الى قصيدته « الراهب المتمرد » التى استنفدت أكثر من ثلث ديوانه . نظمها على طريقة حوار سقراطى بين راهب متمرد على الدير وكاهن متبتل عالم بخالقه علم

اليقين ، وهي جديرة بالدراسة المستقلة . طرح فيها الدين والخالق وتعاليمه وتحرر من اسار العقيدة وايحائها ، ثم شرع يناقش معظم النظريات الدينية كالموت والبعث والآخرة والجنة والنار والثواب والعقاب والقضاء والقدر .

وأول ما يسترعي انتباهك في هذه القصيدة هدمه على لسان الراهب ما بناه في قصيدته السابقة من اعتقاد في الموت وما بعده فيقول :

فلتحلْ أخراكِ عني إنها ... عالمُ الشكِّ ودنيا الارتيابْ !

ويتبرم بالعبادات وحكمها قائلا :

قوتل الايمانَ ! دعني أغتنمْ ... لذةَ الدنيا ، ففي الدنيا النعيمْ !

ويمرّ الراهب في مرحلة الاعتقاد وطريق اليقين بما مر به ابراهيم في معرفة الخالق فيقول للكاهن : ماهو الله ؟ أهو هذه الأرض التي تحملنا أم الشمس المضيئة أم القمر المنير ؟ أم الرعد القاصف أم العاصفة الجتاحة أم الموت المحتوم ؟ ثم يتدرج الى الشيطان وحقيقته فيقول : أم هو الشيطان ؟ لعله هو ! واسمعه اذ يقول لصاحبه في الدير :

أهو الشيطان مَن زيَّن لي ... هذه الدنيا ؟ إذاً فهو الالهْ !

وعلى رسلك يا شيخ ، فما ... ليَ هذا اليوم معبود سواهْ !

إيه ياشيطانُ يارَبَّ الهوى ... يا إلهَ الدهر ياسرَّ الوجودْ

ولا يزال الراهب بالكاهن يشككه ويلقي عليه مثل هذه الأسئلة :

كلّ ما يقضى على الكون جرى ... بيد الله كما قيل لنا

فاذا أفسدنا شيطاننا ... فهي من قد أفسدت شيطاننا

وإذا أفسد نفسي مرة ... فلمَ النار ؟ ! وما ذنبي أنا ؟!

حتى يتزعزع إيمان الراهب وتنهار عقيدته فيقول لصاحبه :

أيها الراهبُ قد كشّفتَ لي ... حُجبَ الكون فزعزعتَ اليقينْ

أنت هدّمتَ بقلبي دولةً ... شادها الايمانُ دهراً واليمينْ

فسلاماً أيها الديرُ على ... عهدك الماضي ـ وداعاً ياسنينْ

وتدوي نواقيس الصلاة فينادي الراهب إخوانه ويرشدهم إلى عبادة الشيطان فيستمعون نصحه ويودّعون الدير معتزمين تركه في الصحراء ينعى من بناه ـ وهنا

تجد صالح الروائى المبدع والقصصى القدير ينقذ الموقف ويتدارك رهبان الدير فيهبط عليهم ملك الموت قبل أن يغادروه ويبسط ذراعيه على رأس الراهب المتمرد فيصيح بانشودة الموت مخاطباً ملك الموت :

يامَلاكَ الموت إن قابلت رب العالمين قل له قد جاءك الراهب مصدوع اليمين

لا بسًا فى موقف الموت مسوح النادمين فلقد علمته بالموت ما معنى اليقين

فليس اذاً صالح ملحداً ولا متمرداً على الدين كما حدثنى بعض عارفيه . وأكبر الظن أن الذين يحكمون عليه بالالحاد وامتهان الخالق لم يقرؤوا له سوى قصيدته « الانسان الأول » التى يقول فيها :

أفنى عظيم الحجى والترب تجربة إلا حثالةَ أضغاثٍ وأشلاء

فصاغ آدم منها وهو ممتعض بعد الأمرّين من عدمٍ وإعياء

وراح يخلق حواء فما سمحت بقيةٌ منها فى خلق حواء

فاضطر يخلقها من آدم فاذا مركب النقص فيها لهو بنّاء !

ولو قرؤوا هذه القصيدة التى نحن بصددها «الراهب المتمرد» وقرؤوا الى جانب ذلك قوله مخاطباً هؤلاء المتجنين عليه :

أنا لم أنكر الـهى ساعةً بل عبدت الله فيما يبدعُ

لعدلوا رأيهم ورأوا فيه الشاعر المتدين الذى إن تشكك فى الخالق حقيقة فانما يتشكك ليصل بهذا الشك الى اليقين وقديماً كان الشك فى مذهب سقراط وديكارت من بعده طريقاً من طرق الوصول الى الحقائق ، فهو يريد بذلك الوصول إلى إيمان أرقى من إيمان المقلدين والجهلاء ـ ألست ترى ذلك واضحاً فى قوله :

ويا إلـهى بعيدٌ علىّ نقضُ يمينك

لـكنّ قومى يودّو ن أن أدين بدينك

وأن أعيشَ جهولاً بما اختفى من شئونك

وطىّ نفسى سؤالٌ محيرٌ فى فنونك

كتمتُه الناسَ لـكنْ لم يحتجب عن عيونك

وقديماً وُجّه الى الدكتور أبي شادى مثل هذا النقد لقوله مخاطباً أستاذه خليل مطران من قصيدة :

حبّبتَ لى الطبّ كأنى به ... كفرتُ بالدنيا ولم أكفرِ
أستصغرُ العالَمَ مِنْ عزّةٍ ... بالعلمِ والجهلِ وبالمنكرِ
كأنما العُرفُ وإنكارُهُ ... سيّانِ فى الرُّوحِ وفى الجوهرِ
ما زلتُ بالباب ولكننى ... كالهاربِ التائهِ فى عَسْكَرِ
والمجهرُ (١) الكاشف لاينثنى ... يشوقنى وهماً ولا يمترى
أستنبطُ الأحياء فى نوره ... كأننى مستنبطٌ عُنْصُرى
كأننى الخلاّقُ فى دقّةٍ ... والعالمُ الأكبرُ فى مجهرى
كأنما الانسانُ فى قبضتى ... مستحدَثاً حياً لدى مخبرى (٢)
أو أنما تشريحه نفحةٌ ... تُحييهِ بالعلمِ وإن يُقْبَرِ

ولكنّ مثل هذا النقد لا تقوم له قائمة فى وقتنا الحاضر وقد اتسعت الثقافة وأدرك النقاد من معانى الفلسفة والتصوف مالم يكن يدركونه من قبل .

شعر المناسبات

أذكر أنى قرأت للدكتور أبى شادى فى الصيف الماضى مقالا نشرته مجلة (الرسالة) ينعى فيه على شعراء المناسبات ويقول إن المناسبات لن تخلق شاعراً عبقرياً ، وكأن أبغض الشعراء اليه هو أسير المناسبات وعبد الظروف ، ويرى أن المناسبات إن كونت شاعراً فان تستطيع أن تخلده ويعتقد أن هذا النوع الذى ترغم عليه البديهة ويحفز اليه الشعور لا حياة فيه ولا خير للأدب من وجوده . ونحن نخالفه فى ذلك ونقول إن جميع الشعراء مدينون فى عهودهم الأولى للمناسبات ، وأنت ترى انك نفسك أول قرضك الشعر كان فى رثاء عزيز لديك أو تهنئة صديق أو دعابة فى مجال أنس الى غير ذلك من المناسبات التى هى نهزة البديهة ومثار الوجدان .

---

(١) الميكرسكوب (٢) المخبر : المعمل العلمى الاختبارى

ونضحى بكثير من الشعر العربى ونجرده من أجل نواحيه إذا نحن وافقناك على الزراية بشعر المناسبات : فما اعتذارات النابغة للنعمان ولا مدائح زهير لهرم بن سنان ومدائح حسان للرسول والمتنبي لسيف الدولة وشوقى لتوفيق وعباس إلا من عمل المناسبات وخلقها . وأى يوم لم تكن أنت يا سيدى فى شعرك مديناً للمناسبات : أيوم رثيت سعد وحافظ وشوقى وفيصل أم يوم وقفت على شاطىء استانلى فأعجبك منظره وحرك خاطرك مرأى غوانيه فارتجلتَ فيه قصيدتك التى منها :

ردّوا شعاعَ الشمس حيث تطلّ ودعوا الحسان مكانها تحتلُّ
الخالعاتِ من الثياب أجلَّها واللابساتِ الحسنَ وهو أجلُّ

أم يوم نظرت الى راهب الدير من نافذة بيتك فناجيته بقصيدتك الرائعة ، أم يوم أطاف بك الذباب وأبصرت نسيج العناكب فتمتمت شفتاك بأبيات سجلت بها شعورك نحو كل منها على القرطاس (١) ؟

كل هذه المثُل وأشباهها مما هو مدوّن فى دواوين شعرك خلقته مناسبات خاصة وأبرزته الى العالم ظروف تختلف قوة وضعفاً — بيد أنك فى أكثر الأحايين لم تبخل على قارئيك بالتصريح فى صدر قصائدك بالمناسبات التى دعت الى مثل هذه القصائد . ألست ترى ذلك واضحاً فى مدام بترفلاى — المعبد المعتزل — طائر الطبيعة — أطياف الربيع — طالب القوت — القلب المتفجر — مصور البحر — الينبوع — راهب الدير — حارسة الفن — الطائر الحائر ؟ وهذه أهدى طريق الى خلود الشاعر ووضوحه عند قارئيه ، وكم كنت أود أن يتبعها شاعرنا شوقى بك فى شعره الذى سيقرؤه أبناء الغد فلا يفهمون ما أراد بالقصيدة ولا فى أى غرض قالها . ونعود الى شعر المناسبات فى ديوان صالح جودت بعد أن أوضحنا رأينا فيه فلا نرى منه فى ديوانه غير قصائد ثلاث اثنتان فى الرثاء وثالثة فى مهرجان القرش . فأما الأولى فهى فى رثاء أحمد شوقى بك ألقاها بمسرح رمسيس فى ذكراه الأولى وهى قطعة فنية تجلى فيها تقديره لشوقى واعترافه به وبعبقريته ، أطلق فيها لخياله العنان فمشى بين القبور باكياً حتى عثر على قبر شوقى فخاطبه وناجاه وسأله عن مصر والنيل قائلا :

---

(١) لقد نشرنا فى مجلة (الرسالة) نفسها ما يتفق وملاحظات حضرة النّاقد تمام الاتفاق ، وانما نعينا على الشعراء التعلق بالسطحيات العرضية — المحرر

مرت بين القبور يا مصر والدمـ ـع سكوب معذب عينيّ
وتبينت بينها جدث الشعـ ـر يوارى شعاعه القدسيّا
فسألناك : هل نسيت هوى النـ ـيل وكنت المولّه المشجيّا ؟
وهتفنا : يا ساكن الخلد غرّد ! فأجاب : البكاء أرضى النبيّا !

ثم يستمع الى روح شوقى بين الرموس تناجيه وتجيبه عن سؤاله بمثل هذه الأبيات :

كيف أسلو وقد تركت حسيناً في حماه وكيف أنسى عليّا ؟
كيف أسلوك جنة الله في الارض وأنت التي رعيت بنيّا ؟
قد رضعت الحنان منك وليداً فعرفت الغرام فيك صبيّا

أما القصيدة الثانية فهى دمعة على فيصل وصف فيها العراق قبله وكيف كان غريقاً مستعبداً جاهلاً فأطلق اثاره ولمّ شعثه وبذل العناية في تعليمه وكوّن منه وحدة غالية وقوة قاهرة ، فاستمع اليه إذ يقول :

أين أضحى العراق ؟ أضحى سماء من ضياء وحكمةٍ وائتلاقِ
أضحت الامة الجهولة مجرًى لرحيقِ العلوم حلوِ المذاقِ
أصبحت أمة البداوة روضاً موثقَ الزهرِ ناضجَ الأوراقِ
أصبحت أمة التنابذ روحاً في ائتلافٍ وعصبةٍ في وفاقِ

وأرى أن هذه القصيدة رغم وجازتها أقوى في باب الرثاء من اختها .

أما القصيدة الثالثة قصيدة المهرجان التى نالت الجائزة الأولى فهى مثلٌ من نهوض الشباب الذى يمثله صالح : تصوّر لنا النفس الوادعة في طموحها وهبوبها وتضع أمام الناشئين صفحة من صفحات أجدادهم وتذكر المصرى بماضيه ولا سيما النواحى الثائرة فيه فيقول :

لست أنسى في حياتى ليلةً توّج الدهرُ بها هامَ السنينْ
قد بعثنا الشعبَ من رقدته وفضضنا عنه أغلال السنينْ
هى مصر بنتُ فرعون الذى حكم الدنيا وساد المالكينْ

وأحياناً يتغنى بالحاضر وجهود الشباب فيه فيقول :

نحن شدنا مهرجاناً حافلاً وحففناه بألوان المجونْ
ونشرنا فيه أعلامَ الهدى وعرضنا فيه آيات الفنونْ
وكسونا بالرياحين الربى فتبدت فتنة للناظرينْ
وتغنينا بلحن خالدٍ وملأنا الجوّ بالشعر الرصينْ
ووردناها عليكم جنةً فادخلوها بسلام آمنينْ !

وفى النهاية يخاطب على ابراهيم باشا مدير المشروع قائلاً :

يا عليّ عونك الله ، وما خاب مَن بالله يوماً يستعينْ
أنشىء المصنعَ وافتحْ بابه واقتلْ العطلَ وآوِ العاطلينْ
يا أميرَ الطب فى أعناقهم عائلات من بنات وبنينْ

والآن وقد انتهينا من هذه الدراسة وقبل أن نضع القلم نعترف بميزة فنية ظاهرة غالبة على شعر صالح جودت : تلك هى الموسيقية العذبة ، تقرؤه رائياً أومهنئاً أو متغزلا أو زاهداً متصوفاً فتشعر بنوع حلو الايقاع يحملك على قراءته والاستمرار فى مطالعته . وفى رأيي أنه لم يتكلف تلك الموسيقى فى شعره ولم يقصدها وانما هو موسيقى بطبعه لافضل له فيها سوى اصطفاء البحور السهلة وايثار الروى المطرب . ونحن إذ نقدم الى القراء هذا الديوان فانما نقدمه كمثل من أمثلة الرقة والسهولة ، تقرأه فلا تحتاج الى معجم ولا تقف عند معنى غريب أو تركيب معقد أو أسلوب مشتبك تحتاج الى السؤال عنه ، واذا كنا قد اجتزأنا فى دراستنا بهذه الأبيات القليلة فكما يجتزىء البستانى من الروض بالزهره أو العطر بالقطرة . ولا يزال هذا الديوان على صغر حجمه حافلاً بأنواع الجمال الفنى والشعر الحىّ الذى يناجى العواطف ويخاطب الوجدان مما يجعل كل كاتب وكل أديب فى حاجة الى مطالعته واقتنائه ؟

طلبة محمد عبده



عبدالرحمن شكرى

وتضحية أدبه

أثار الجزء الأول من كتاب (رسائل النقد) الذى ألّفه الدكتور رمزى مفتاح ضجّة كبرى فى الأندية الأدبية فقد تعرض فيه لا نصاف الشاعر العبقرى عبدالرحمن شكرى بينما تناول نقد شعر العقاد بأسلوب ممتاز فى دقتـه وتحليله ، وسيبقى هـذا الكتاب من المراجع الأدبية المعدودة فى النقد الحديث كما أصبح كتاب (على السفود) للسيد مصطفى صادق الرافعى من المؤلفات التى يشار اليها بالبنان فى العالم العربى .

وكان بين من استثارهم للتعليق عليه الأديب الشهير ابراهيم عبـدالقادر المازنى فقـد كتب فى صحيفة (البلاغ) المؤرّخة ٢٠ مايو مقالاً فنياً بديعاً تحدث فيه عن ضميره الحىّ وعنف الدكتور رمزى مفتاح على حـدّته ، ولـكنه اعترف باساءته الى شـكرى وبتـكفيره عن هذه الاساءة ، واشاد إشادة نبيلة بعبقرية شكرى وبأستاذيته ، مشيراً الى المحاضرة التى ألقاها عنه وقد نشرتها (السياسة الاسبوعية) فى عددها المؤرّخ ٥ أبريل سنة ١٩٣٠ . والحق يقال إن مقال المازنى أعجبنى من أوله الى آخره بالرغم مما فيه من بعض المغالطات ، وذلك لأن روح الصفاء وحب الانصاف تتجلى فى كل سطر من سطوره بعكس ما عرفته فى العقاد من حب الادعاء والصلف والجحود والتظاهر بالعصامية نفياً لفضل من خدموه فى جميع النواحى !

ولما كنتُ قد درستُ هذا الموضوع دراسة مستوفاة منذ خمسة عشر عاماً فلعلى مِنْ أحقّ الأدباء بالتلخيص والتعليق :

(١) لاجدال فى أن العقاد هو الذى استثار شكرى للدفاع عن الأدب الحديث وأمانته متناولاً المازنى بالنقد فى مقدمة الجزء الخامس من ديوان شكرى ، ولـكنه تناوله فى أدب تامّ . وهو الذى وسوس لشـكرى بأن لا يثق بوعود المازنى ، وبأنّ

المازنى غيرُ أهل لصداقته مادام قد استحلّ أن يكون لصّاً من لصوص الأدب كما ادّعى أن كرامة الأدب عنده فوق كرامة الصداقة بمراحل !

(٢) لم تكد تقع الواقعة حتى شجّع العقاد بعض الصحف على نشر بذور الفساد وكان أكثر ما يقف موقف الحياد الذميم ، ثم انتهى أخيراً الى إشراك المازنى فى تحرير كتاب (الديوان) وشجع المازنى على كتابة ذلك الفصل الخبيث ضدّ شكرى فى الكتاب المذكور ، ووسوس للمازنى بأن شكرى هو الذى يثير ضدّه جريدة (عكاظ) وغيرها ، ولا يزال أثر هذه الوسوسة باقياً لدى المازنى حتى الآن !

(٣) لم يكد يطمئن العقاد الى إغضاب شكرى وتنفيره من الحياة الأدبية حتى عمل سرّاً على إصغار المازنى نفسه فى شتى البيئات ، وقد انتهى الأمر بالمازنى الى العزوف عن قرض الشعر أو نشره كما عزف شكرى من قبل ، وحينئذ خلا الميدان للعقاد كما توهم ، وهى الأمنية التى عمل لها طويلا على حساب النهضة الحديثة فى الشعر المصرى .

(٤) لم يكد العقاد يطمئن الى هذا الوهم حتى تناسَى كلّ ماضيه وأخذ يعتمد على السياسة فى الدعاية لأدبه ، مادام قد جعل هذا الأدب مطية للسياسة ، وقد ساعده على هذا العبث جهل الجيل الجديد من الشبان بتاريخ النهضة الحديثة للشعر المصرى ، وهذا ما أسخطه أشدّ السخط على جهود العاملين لصون كرامة الشعر والشعراء من التبعيات والاستغلال ، وما دفع به أخيراً الى مهزلة إمارة الشعر المعروفة .

(٥) يدّعى المازنى من باب الايهام باستقلاله التام ، أن العقاد لم يكتب حرفاً يسوء شكرى وأن من فضل العقاد على المازنى وشكرى اصلاحه ما أفسداه ! وهو يعنى بذلك استمرار العقاد على الانتاج الأدبى ! وهذا الكلام يمثل الطفولة البريئة فلنقرأه ضاحكين ، والمازنى نفسه يعلم علم اليقين أن الماس الصناعى الذى يقدّمه العقاد لا يقارن بجواهر شكرى ، وأن من يسهّل ارتكاب جريمة هو فى حكم مرتكبها بغير نقصان ، ولا يجدى العقاد بعد ذلك أن يتظاهر بالأصالة والبراعة والعظمة فجميعها لديه صفات مزيفة تنهار عند الامتحان ؟

محمود الخولى

ديوان زكي مبارك

قرأتُ ما كتبه الأديب سليم الأعظمي في مناقشة ما أجبتُ به السيد مصطفى جواد ، وأسارع فأقرر اني قرأتما كتبه بروح مفعم بالسرور والاغتباط لأن النقد الحقّ لا يضايقني ، وإنما يضايقني أن يتطفل الجاهلون فيتكاموا في اللغة والأدب والبيان ، والسيد جواد وبلديّه الأعظمي من الباحثين المهذبين الذين يجادلون بالتي هي أحسن فيفيدون ويستفيدون .

وأنا أجيب السيد الأعظي اجابةً بعيدةً من اللجاجة كلّ البعد ، وأرجوه أن يتقبل تحيتي وثنائي

١ — قال الشاعر :

لم تنسني فتنة الدنيا وزينتها ما في شمائلك الغراء من فتنِ

واعترض المعترضون على وصف الشمائل بالغراء ، وقالوا الصواب أن يقال « الشمائل الغُرّ » فأجبناهم بأن الأفصح في وصف جمع الكثرة لما لا يعقل هو الافراد وسقنا لذلك شواهد من القرآن ، ثم قلنا إنه لا مانع من حمل جمع أفعل وفعلاء على غيره من الجموع ، فعاد المعترضون وأكدوا ان النحاة نصوا على وجوب تبعية النعت للمنعوت في أفعل وفعلاء ، وذكروا شواهد من القرآن .

وأذكرهم بما قلت من مراعاة التطور في هذه المسألة ، لان التطور في التعبير مما يحسب حسابه عند من ينظرون ، ولا عبرة بسؤالهم عن العصر الذى ألفت فيه الكتب التى وصفت الافعال بالجوفاء ، ولم تقل الجُوف ، فانالخلاف بيننا فى المبدأ : هم يقولون بردّ جميع التعابير الى أصولها القديمة ، ونحن نقف موقف المسجل للتطورات الأدبية واللغوية والنحوية ، ونقرّ كل ما يقبله الذوق ، ولا جدال في أن عبارة « الافعال الجوفاء » أخف من « الأفعال الجوف » .

وعندى لهذا التطور شاهد كله قوة وحياة ، فقد جاء فى أسئلة امتحان الكفاءة لهذا العام ما نصه :

« صف هذا المنظر ، ثم ناج القمر مثنياً عليه بما له من مآثر غرّاء ، وأيادٍ بيضاء »

فقد جرت عبارة « مآثر غراء ، وأيادٍ بيضاء » على ألسنة جماعة من كبار الاساتذة هم أعضاء لجنة الامتحان لوزارة المعارف العمومية بالقاهرة .

ولو أنني وجدت شاهداً يقول « مآثر غراء » عند أي مخلوق من سكان البادية في القرن الأول لأقنعتكم ، ولكنني مع الاسف أستشهد بكلام رجال يعيشون في القرن الرابع عشر ، وإن كانوا أعرف بمذاهب القول وأقدر على تصريف البيان ... الاستشهاد بكلام أقطاب القاهرة في القرن الرابع عشر لا يقنعكم ، فما رأيكم اذا كان يقنعني أنا ؟ وما رأيكم اذا كان اليه المرجع ؟

يا حضرات السادة !

لا تذكروا القرآن في جميع المناسبات ، فهناك تعابير لا توسم بالفصاحة الا في القرآن الكريم ، فالقرآن يقول «زوج» في المذكر والمؤنث على السواء ، وذلك منتهى الفصاحة لأن طريقة التعبير لعهده كانت كذلك . أما اليوم فأنا ألوم الرجل الذي يقول « كلمت زوجي » و « دعوت خادمي » في مكان « كلمت زوجتي » و « دعوت خادمتي » .

وأؤكد لكم أن اللغة العامية في هذا الباب أفصح من اللغة الفصيحة ، فان العامية تراعي القياس ، على حين تقف اللغة الفصيحة عند حدود السماع . فكلمة «قِدْر» مؤنثة فتأبى اللغة العامية الا أن تقول « قدرة» بتاء التأنيث لأن المؤنث اللفظي أدل على المراد من المؤنث المعنوي ، واللغة الفصيحة تقول (رجل عجوز وأمرأة عجوز» وتقول العامية « رجل عجوز وأمرأة عجوزة » وهذا أفصح ، أي أبين وأظهر ، والفصاحة هي الظهور والبيان ، والمعاجم تقول «أمرأة سافر » والعامية تقول « امرأة سافرة » .

والخلاصة أن فصاحة القرآن مدارها الاعراب باللغة المختارة لذلك العهد ، ولو كان القرآن نزل في مثل هذه الأيام لقال « اسكن أنت وزوجتك الجنة » وقال «وأصلحنا له زوجته» ، ولو تأخر نزوله قرناً واحداً لقال « ان هذين لساحران » في مكان « ان هذان لساحران » لأن العرب في القرن الثامن للميلاد كادوا يجمعون على نصب اسم ان في جميع الاحوال .

ألا ترى الرجال جميعاً يقولون: «استشرت زوجتي» ، ولا يقول الرجل « استشرت زوجي» إلا بعد تأمل وحرص على متابعة اللغة القديمة ؟

وأنا لا أنكر أن اللغة التى نزل بها القرآن كان لها مَلحظٌ فى اطلاق الزوج على المذكر والمؤنث ، لأن كلا الزوجين متمم لصاحبه ، ولكن هذا لا ينافى القصد الى التجديد الذى يوجب التفريق بين التذكير والتأنيث .

أفهمتم أنى لا أرى الخروج على لغة القرآن ، وإنما أقف عند عصر القرآن فأتلمس ما كان فيه من ألفاظ وتعابير ؟ ان كلمة (نكاح) ترد فى القرآن بمعنى الزواج ، ومنه الآية الكريمة « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » ولكنها لاتستعمل الآن فى المجلات والصحف كالاتستعمل ألفاظ قرآنية كثيرة .

٢ — قال الشاعر :

يا ليتَ أنى كنت صِنْوَكَ أو قريبكَ أو أخاكْ
أو كنتُ رغماً من علا ني أو عُلَى قومى فتاكْ
فأرى جمالَكَ فى صبا حك يا حبيبُ وفى مَساكْ

أنكر السيد جواد كلمة « رغماً » وقال العرب تقول على الرغم ، وبالرغم ، وعلى رغم ، وبرغم ، فقلت إن توسع العرب فى هذه العبارة بوضعهم لها أربع صور أباحنى أن أضع لها صورة خامسة . فقال السيد الأعظمى إن النحو نفسه يهز رأسه انكاراً. وأنا أقول ليهز النحو رأسه كيف شاء فعليه هو أن يلتمس توجيهاً لهذا التعبير الفصيح . ولا تنسوا أيها السادة ، أن مهمة النحو هى توجيه الكلام المبين ، فالبيان يجيء قبل النحو ، واللغة توجد قبل النحاة .

وبهذه المناسبة أذكر أن السيد إسعاف النشاشيبي اعترض على قول العقاد :

« هو صفر يكتبونه بالافرنجية خيراً مما يكتبونه بالعربية »

وقال إنه لايعرف كيف يعرب «خيراً» فى هذا الموطن ، وأنا أقول: أعربها كيف شئت ، فان الجملة صحيحة وإن عجزت عن توجيهها بالاعراب !

٣ — قال الشاعر :

يا موقدَ النارِ فى صدرى مؤججةً ولاهياً بين أزهارٍ وأفنانِ

فاعترض المعترضون وقالوا إن الالتهاب لا يوجد قبل الشعل ، فقلت لهم إن نار العشق تلتهب قبل الشعل ، ولم يفهموا النكتة فعادوا الى الاعتراض !

٤ — قال الشاعر :

تعال أهديك من روحى بعاصفة تردى الانام ومن قلبي باعصار !

فقالوا إن المضارع يجزم وجوباً فى جواب الطلب ، فقلت انه يجزم جوازاً ، لأنه يجزم على تقدير الشرط والشرط غيرموجود ، فلنا أن نلحظه ولنا أن نهمله . وذلك هو النحو الذى يدرس اليوم فى المدارس المصرية ، ولكم أن تراجعوا كتاب (النحو الواضح) وهو كتاب لم يؤلف مثله من الوجهة التعليمية .

٥ — قال الشاعر :

لو أفصح الغيب يوماً عن مصائرهم لأقصر اللؤمَ قومٌ أيّ اقصار

فقالوا الصواب مصاير فقلت : إن مصائر أخف من مصاير ، والخفة أباحت العرب أن يقولوا منائر ، فقال المعترضون : الخفة وحدها لاتوجب التورط فى الخطأ ، وفاتكم أيها السادة ان الخفة هى التى خلقت القواعد فى العربية ، فالأصل فى اسم الفاعل من قال وباع أن يكون قاوِل وبايع ، وخرج العرب عن الأصل مراعاة للخفة فى النطق .

ولا تغضبوا من هذه الفلسفة النحوية فهى كل ما أملك !

وسأزيدكم ان لم يقنعكم هذا البيان !

٦ — أنكر السيد جواد جواز ترجيح الشرط على القسم فى الجواب فأتيتهم بالشواهد وسقت اليهم قول ابن مالك فجاء السيد الأعظمى يقول إن هذا رأى ضعيف أخذ به الفراء وحده . ونقول إن رأى الفراء له قيمة ، وفيه الكفاية فى الرد على السيد جواد الذى أنكر بصفة قاطعة جواز ترجيح الشرط على القسم فى الجواب . ولو أنه كان يذكر قول الفراء لما تورط فى اطلاق المنع .

٧ — عاب الناقد تعدية (حرم) بالحرف فى قول الشاعر :

كيف أصليتنى من الهجر ناراً وحرمت العيون من أن تراكا

فقلت إنى أتعمد ذلك لأن تعدية هذا الفعل بالحرف أقوى فى الاداء ، فجاء السيد الاعظمى يقول :

« الدكتور لذلك يستحق التهنئة لأنه سبق الى ابتكار هذا المعنى الجديد بعد أن أغفلته القرون »

وأنا أتقبل هذه التهنئة من حضرة الاديب ، وما أحسبه يسوقها مساق السخرية لأن أدبه أكبر من ذلك .

ثم قال مقتبساً كلمة المازنى :

« وبعد ، فان الدكتور زكى مبارك أديب كبير ، وبحاثة له آثاره المشهورة ودراساته المعروفة ، وعالم من كبار العلماء ، وله فى ذلك فضل غير منكور ، فلا يزيده أن يكون لغوياً نحوياً ، ولا ينقصه أن لا يكون » .

وما زلتُ أعتقد حسن النية فى حضرة الأديب ، وإن كان يسرنى أن يعلم أن التهكم فى غير موضعه ليس من أخلاق العلماء .

وأعود فأرجوه مرة ثانية أن يتقبل تحيتى وثنائى ؟

زكى مبارك



وحدة القصيد

السيد مصطفى صادق الرافعى علم من أعلام الأدب العربى المبرزين ، وهو جدير كل الجدارة باطراء السيد محمد عبد الغفور (ص ٨٧٥) وبأكثر منه . ولكنى ألاحظ أنه اذا تحمس فكثيراً ما يغرض وكثيراً ما يشط : مثالُ ذلك انتقاصه البالغ للعقاد فقد جرّده من كل موهبة شعرية ،وهذا كثير ... واذا كنا نعيب على العقاد سلوكه هذا المسلك ازاء من طابت له مناوأتهم من أنداده فلا يجدر بأحد من منتقديه أن يصنع مثلما يصنع هو ، وكفى ما أصاب الجو الأدبي من التعكير والفساد بسبب هذه الخطة الملتوية .

وقد لاحظتُ أن السيد الرافعى قد تورط فى أمداح طويلة عريضة لشعراء لا يمكن أن يقارنوا بالعقاد وليست مصادرُ شعرهم بالمجهولة، وما ذلك الا من قبيل ضرب شاعر بآخر ! ودفعت حماسة السيد به الى أن يقول فى موضوع « وحدة القصيد »

منتقدا للعقاد : « ... واذا سمى المقالة قصيدةً وخلط فيها خلطه وجاء بها فى سوء عرض وأقبحه وخرج الى ما لا يُطاق من الركاكة والغثاثة قال لك : هذه هى وحدة القصيدة ، فهى كلٌّ واحدٌ أفرغ إفراغَ الجسم الحيّ ، رأسه لا يكون الا فى موضع رأسه ، ورجلاه لا تكون الاّ فى موضع رجليه » . والرافعى يردّ على نفسه بنفسه فيما رواه من التدليل . أليس الرافعى هو القائل :

أنا « فلانٌ » بعدها أم أنا   قد صرتُ فى قوميَ رُكفَيلرًا ؟

والقائل :

فأتى بي الى المدارس أهلى   وجعلتُ العُلومَ فيها مَرامى

والقائل :

أيّهذا الترامُ أنتَ دليلُ الـ   أفقِ فى الأرض شرقِها والشمالِ ؟

والقائل :

والدّهرُ أطماعٌ وفيه حفرةٌ   سيانِ فيها الألفُ والمليونُ

والقائل :

رسالاتُ الالَـهِ اليكَ تترى   وهذا الكونُ صندوقُ البريدِ !

الى أمثال هذا الكلام الغثّ فى ظاهره ، ولكننا اذا أنزلناه منازله فى قصائد الرافعى كانت له مناسباته ووشائجه وقيمته ، وانتظمته وحدة القصيد . وهذا اعتبارٌ فنيٌّ معترفٌ به لدى جميع النقّاد الأصوليين فحبذا لو لم يتهافت أستاذنا الرافعى على هذه المغالطات النقدية فانه سيكون بأحكامها فى طليعة ضحاياها بينما شعرُه فى الواقع من نفائس الأدب العصرى ؟

ابراهيم خضير

المصريون والنقد

قرأتُ ما كتبه حضرات الأدباء المرتينى فى « الرساله » والمازنى فى « البلاغ » ومصطفى عبد اللطيف السحرتى فى ملحق « السياسة » الأدبي وطلبة محمد عبده فى « أبولو » ونجيب شاهين فى « المقطم » ، ثم اطلعت على « رسائل النقد » التى أصدرها حديثاً الشاعر الناقد المعروف الدكتور رمزى مفتاح فخرجتُ من كل ذلك بالنتائج

الآتية التي ألجأ الى منبركم الحرّ لنشرها على طريقتكم فى التلخيص الموجز :

(١) ليس من الانصاف رمى المصريين بالتأبّى على النقد أو بالحدّة فيه لأنّ هذا اذا صدق على العقاد وأقرانه فلن يصدق على غيرهم ، إذ أن الأدباء المصريين يرحبون بالنقد وقد خدموه كثيراً بسلوكهم الطيب وبتواليفهم القيمة . وأمامنا الصحف والمجلات السورية مملوءة بالنقاش الحادّ ، فهل يجوز لنا أن نتهم اخواننا السوريين بمثل ما اتهمونا به ظلماً ؟

(٢) ان رسائل الدكتور رمزى مفتاح تمثل خلقاً نبيلاً هو خلق الانصاف للعبقرية المضطهدة ، وهل من شك فى نبل الرجل وقد تأكّدتُ أنه لا يعرف شكرى ولا المازنى ولا العقاد حتى الآن ، وقد جمع ما جمع من بيانات تاريخية وحقائق نقدية فى شهور طويلة توفَّر فيها على دراسة موضوعه بدافع ذاتى ؟

(٣) تتجلَّى فى رسائل الدكتور مفتاح البلاغة العربية فى ذروتها وكأنما هى من نفحات أديب العربية الشهير السيد مصطفى صادق الرافعى ، وتَتجلَّى فيها المعارف النقدية الواسعة والثقافة العصرية السامية ، فهى كتابٌ من خيرة كُتب الأدب التى لا يجوز أن تخلو منها مكتبة عصرية . وقد أعجبتنى بصفةٍ خاصةٍ كلمة السيد نجيب شاهين عنه فى « المقطم » ولا عجب فهو الكاتب المخضرم البارع ، ونظراته الصائبة فى الأدب غير مجهولة .

(٤) اذا غضضنا الطرف عن حدّة الدكتور مفتاح فى بعض صفحات الكتاب فما من شك فى أن الكتاب بعيدٌ كلّ البعد عن التحامل والاعتساف . والدكتور مفتاح نفسه يظهر أسفه على اضطراره الى هذه الشدّة فى الوقت الذى انتقل التهريج السياسىّ والمغالطات السياسية الى الأدب ، حتى أصبح كتابُ المجلات والصحف يغالطون ويمالئون إكراماً لكتاب الأحزاب البارزين الذين لهم ضلعٌ ومصلحةٌ معهم ... وانى رحمةً بهذه المجلات والصحف أتورَّع عن الاستشهاد بما تكتبه من أعاجيب هى التى أدّت بالعقاد الى هاوية الغرور والجحود ، وكم كنتُ أتمنى لو أنّ الدكتور مفتاح وجَّه نقده الى هذه المجلات والصحف التجارية المهالئة قبل توجيهه الى العقاد ، فالعقاد مسكينٌ وهو بلا شك ضحية تغريرها به .

(٥) إنّ أكبر غلطة ارتكبها العقادُ تماديه فى الجحود ثم نقله السباب والقدح

من ميدان السياسة الى ميدان الأدب، ويظهر أن رمزى مفتاح يتوهم ما توهمه الرافعى واسماعيل مظهر من قبل، وهو اصلاح العقاد بالصراحة التأديبية أو على الأقل دفع شره عن الأدباء الناشئين الذين يريد خداعهم بعظمته المصطنعة واستغلالهم كحاشية له، ولكنْ هيهات! هيهات! فالنفوس لا تُغيَّر بهذه السهولة، خصوصاً اذا كانت ظروف البيئة لا تساعد على مثل هذا الاصلاح. وحسب الدكتور مفتاح فخراً تحقيقاته القيمة لانصاف شكرى، وأمّا اصلاح العقاد فأمرٌ ميؤوسٌ منه تماماً والتخلى عن مثله أجدى وأولى. واذا كان العقاد قد أساء الى شكرى فقد أساء الى المازنى أيضاً، وقد دلّ المازنى بمقاله فى «البلاغ» على أرومةٍ كريمةٍ وضميرٍ حيٍّ، فأنا أحييه باخلاص كما أحيّى رمزى مفتاح؟

السيد عطية شريف

نقد عروضى

(١)

دعانى الشاعر النابه الصيرفى على صفحات (أبولو) أن أبدى رأيى فى الأبيات الآتية من الوجهة العروضية، وبعد أن أشكر لحضرته ولمجلة (أبولو) حسن الظن بى أقول إن الأبيات كما وردت فى مجلة (أبولو) هى:

وبعد قليل أتى كاهن يضىء الشموع ويذكى البخورا
ويتلو الصلاة على نعشه وهو جاثٍ يناجى الإله الغفورا

***

وما كان فى لحمه شبع ولا كان قتل الضعيف اضطرارا

***

سمعتْ رباتُ الجمال اليه يتغنى بحسنها وبجيد

والأبيات الثلاثة الأولى من الضرب الأول لبحر المتقارب وأجزاء هذا الضرب (فعولن) مكررةً ثمانى مرات، وقد أجاز علماء العروض أن يقع الحذف فى عروض هذا الضرب بحيث تصير (فعولن) الرابعة وهى العروض (فَعُو)، والحذف فى أصله علّة والعلة إذا عرضت لَزِمتْ، ولكنهم أجروه هنا ـ فى هذا البحر ـ مجرى الزحاف الذى اذا عَرَض لا يلزم، وقد اعتمدوا فى ذلك على كثرة

ما رُوِيَ للشعراء الأولين من شعر حَصَل فيه ذلك، وهذه مسألة مقررة فى المراجع المعوّل عليها فلا نطيل القول فيها بايراد الشواهد . على ضوء هذه المقدمة الموجزة نستطيع أن نفصّل القول فى الأبيات الأربعة فنقول :

١ ـ البيت الأول صحيح الوزن بلا مراء ، وما أخاله موضع نزاع بين الشاعر الصيرفى ومناظره المفضال الدكتور بشر فارس .

٢ ـ البيت الثانى يبدو لأول نظرة سقيم الوزن فاسد التأليف العروضى ، ولكن عيبه فيما ظهر لى وللشاعر النابه صالح جودت إنما لحقه من الخطأ المطبعى ، فلو طُبع هكذا :

ويتلو الصلاة على نعشه وَهْـ وَ جاثٍ يناجى الاله الغفورا

لما لحقه العيب الذى يخيل لقارئه عند أول نظرة ، غاية ما فيه أن عروضه (فعولن الرابعة) وردت تامة لم يدخلها حذف على حين حصل الحذف فى سابقه ولاحقه . وقد تقدم أن الحذف هنا جار مجرى الزحاف ، فيجوز وقوعه فى بعض أبيات القصيدة دون البعض الآخر .

٣ ـ البيت الثالث جرى على سنن الأوله من حذف السبب الخفيف (لُن) من عروضه وزاد عليه قبض الجزء الثالث ، والقبض حذف خامس الجزء ساكناً ، فأصبح تركيبه العروضى هكذا :

فعولن . فعولن . فعولُ . فَعُو فعولن . فعولن. فعولن . فعولن

وهذا القبض موضع كلام بين علماء العروض فى بحر المتقارب فقال : بعضهم إنه أحسن من إكمال الجزء لكثرة وقوعه فى الشعر ، وقال البعض الآخر إن الاكمال أحسن لما يلزمه من كثرة السواكن التى تزيد النغم حسناً وانسجاماً ، وظاهر مما تقدم أنهم لم يختلفوا فى جوازه وإنما الخلاف فى أى الأمرين أحسن (آلقبض إم الاكمال؟) وعندى أن الاكمال فى هذا الموضع أحسن وقعاً، وقد ورد فى شعر الخنساء بيت حصل فيه مثل ذلك ، وهو :

إذا القوم مدّوا أيادَيهم إلى المجدِ مدَّ إليه يدا

بفتح الياء الثانية من (أياديهم) ، ولكن رُوِى البيت بصورة ثانية وهى اسكان الياء مع ضم الميم وإشباع الضمة) فتصير الكلمة الأخيرة من صدر البيت (أياديْهمُو)

كما سُمِع أيضاً بصورة ثالثة وهي زيادة الباء قبل (أياديهم) فتصير الكلمة (بأيديهمُو) مع تحوير صيغة الجمع ، وعلى الصورتين الأخيرتين يخلص البيت من قبض الجزء الثالث الذى أثار النزاع حول بيت الرياشي ، وكأنى بالرواة ما حملهم على ارتكاب الضرورة (بتسكين الياء فى الصورة الثانية) وارتكاب الاعتساف والتكلف (بزيادة الباء فى الصورة الثالثة) إلا عدم ارتياحهم إلى نغم البيت لصورته الأولى التى وقع فيها ماوقع فى بيت الرياشي . وبعد ، فما الذى يحول دون اعتبار البيت محرّفاً ؟ وما أكثر دواعى التحريف ! وإذن يكون أصله :

وما كان فى لحمه مشبعٌ ، ....

وفى هذه الحالة ننجو من هذا الخلاف .

٤ ـ وأما البيت الرابع فهو من الخفيف الذى أجزاؤه :

فاعلاتن ، مستفع لن ، فاعلاتن   فاعلاتن ، مستفع لن ، فاعلاتن

ومن المقرر فى علم العروض أن الخبن فى هذا البحر حسن وهو حذف الالف من فاعلاتن والسين من مستفع لن ، وقد جرى بيت الرياشي على هذا السنن ، إلا أن مستفع لن فى صدره وردت تامة ، ولا شك أن تمام هذا الجزء بعينه جائز وإن كان وروده فى شعر الفحول نادراً ، ويظهر الأمر جلياً لمن يقرأ القصائد المطولة التى وردت من هذا البحر لأعلام الشعر فى القديم والحديث ، والى القراء قصيدة ابن الرومى فى عتاب أبى القاسم الشطرنجى وأبياتها نحو الثمانين بيتاً ومطلعها :

ياأخى أين عهدُ ذاك الاخاء ؟   أين ما كان بيننا من ولاء ؟

فان هذه القصيدة على طولها تكاد تخلو من إتمام هذا الجزء مستفع لن وتنحصر مرات تمامه فيما دون العشر ، ومن ذلك نفهم أن البيت الذى هو محل الخلاف صحيح الوزن وإن كان إكمال جزئه الثانى جارياً على غير المألوف من فحول الشعراء .

وبعد ، فهل لى أن أزعم أن البيت محرف وأنه فى الأصل هكذا :

سمعتْ ربّةُ الجمال إليه   يتغنى بحسنها ويُجيدُ

وفى هذه الحالة لا يكون هنالك موضع للنزاع ؟

محمود على البشبيشى

* * *

(٢)

قرأت الشعر الذى انتقده الأديب حسن كامل الصيرفى ، والحق فى جانبه ، وليس فى جانب الدكتور فارس ؟

زكى مبارك

* * *

(٣)

اطلعت على النقد الذى كتبه شاعرنا الرقيق حسن كامل الصيرفى فى (المقتطف) لشعر الرياشى ، ثم على رد الدكتور بشر فارس ، ثم على كلمة الصيرفى فى (أبولو) عدد مايو الخاصة بمسألة العروض .

وقبل أن أتكلم فى موضوع العروض أحب أن أبدى اعجابى بنقد الصيرفى لشعر الرياشى وأسفى الشديد لتحدّى الدكتور بشر وانتقاصه لشعر الصيرفى دون مناسبة إلا ان يعتبر هو هذه مناسبة .

أما مسألة الأربعة الأبيات التى قال عنها الصيرفى إن بها خللاً عروضياً وموسيقياً واحتكم فيها الى الشعراء ومدرسى العروض فأقل ما تبرهن عليه هو جهل أدبائنا الى حدّ أن يختلفوا فى وزن الشعر وموسيقيته ! الامر يا سادتى لا يرجع الى الذوق حتى يصح فيه الاختلاف فالعروض علم صغير محدود ، والاختلاف على وزن الأبيات وكسرها انما يكون بين تلاميذ المدارس وبين الذين لا يعرفون الشعر منهم خاصة .

ولست أطيل فالأبيات الثلاثة الأولى من بحر « المتقارب » ووزنه هكذا :

« فَعُولُنْ » كل شطر أربع مرات ويجوز فى الشطر الأول فى التفعيلة الأخيرة أن تكون (فَعَلْ) وكذلك يصح فى كل تفعيلة من هذا البحر أن تكون (فَعُولُ) وعلى هذا يكون البيت الأول والثالث صحيحين ، ولو أن بيدى شعر الصيرفى لاستشهدت له على صحتها بأبيات من شعره .

والبيت الثانى شطره الاول صحيح والثانى مكسور ، ولا يصحّ الا بعد حذف كلمة « هو » ويبقى هكذا :

(وجاثٍ يناجي الاله الغفورا)

وهـذا لا أظنه يحتـاج الى أي برهان أو أدنى تأمل ، فالأمر أوضح من نفس الوضوح .

والبيت الرابع ليس من هذا البحر انما هو من البحر الخفيف وأجزاؤه (فاعلاتن مُسْتَفعِلنْ فاعلاتنْ) لـكل شطر ويصح فى (فاعلاتن) أن تـكون (فَعِلاَتُنْ) وفى مُسْتَفْعِلُنْ) أن تـكون (مَفَاعلُنْ) وعلى هـذا يكون البيت صحيحاً عروضياً

ولست أدرى فيم قول (المقتطف) : «لا ريب فى أن الأبيات التى أوردها الصيرفى من صناجة الرياشى مستقيمة عروضاً الا أن ثالثها فيه ضعف»؟ ولست أدرى ما ذا عنى بالضعف فى البيت الثالث : إن كان ضعفاً عروضياً فليس كذلك، وإن كان ضعفاً فنياً فأربعتها ساقطة !

المهدى مصطفى

نقد الشعر للشعر

دعاني لـكتابة هذه الـكلمة التى سيرى قومٌ أنها صريحة ويزعمُ آخرون أنها جريئة داعٍ لا أقصد به إلا وجـه الشعر ليستبين المنهاج وتستقرّ الامـور فى النصاب .

فى الجوّ الشعرى حركتان تستلفتان النظر هذه الأيام ، إحـداها ملحمـةٌ بين التجديد والتقليد ، ونحن نترك للأيام المقبلة الفصل فيها ، وأما الأخرى فدروس يلقيها « الاساتذة » الشيوخ على « التلامذة » الشبان يحسبون أنهم يحسون إحساس جيلهم وأحاسيس ما لغيرهم من الأجيال ! وربما كان أعجب ما فى الأمر الحاؤهم باللائمة على بعض الشباب الذى تأدب بأدب الغرب وطار بأجنحة الخيال الذهبي الى آفاق

سحيقة لم يكن لقومه بها من علم فرموهم بالالحاد والذل والعبودية العقلية للأجانب وما مقالُ « الامتيازات والأدب » في مجلة (الرسالة) ببعيد !

ونحنُ الشبان الثائرون المجددون لا يغيظُنا مثل النقد الذي يرمي الى التحطيم والتحكم . نريد أن نتخلق بأخلاق الغرب في الأدب والمعاملة ، ولا يقلْ قائل إنه إعتراف منا بامتيازاتهم فما امتيازهم علينا إلا انهم نقلوا محاسنَ آبائنا عنا ونسيناها حتى أصبحنا نراها اليوم شبحاً إذا استرجعناها منهم كنا لهم تابعين !

على أني لا أريد أن أكون متكلماً دون أن أحاجج أولئك السادة بالبرهان ، وسآخذ البرهان من أدبهم ، سأنقدهم نقداً كما ينقدون الشباب نقداً ، لكنه نقدٌ فنيٌّ خالصٌ لوجه الأدب لا لوجه الغرض ، ولا أظن أن ذلك مما يغضبهم إن لم يستبشر به الصادقون ، فان الشباب لا يقول إلا الصدق ولا يبحثُ إلا عن الحقيقة فكلما وقعت بيدي قصيدةٌ من عيون قصائدهم سأنقدها - إذا وجدتُ فيها لذلك وجهاً — والا فلا عتب عليّ ولا تثريبَ عليهم .

في يدي قصيدة أعدّها صديقنا السيد عبدالله عفيفي الشاعر المعروف لتلقى في حفلة تكريم سامي الشوّا في هذا الشهر . ومثل هذه القصيدة لا يجب أن تمر كما تمرّ معظم قصائد المناسبات : فالشاعر كبير والمحتفل به عظيم والمناسبة المنتظرة جليلة ، وفضلا عن ذلك فصديقنا الشاعر في المحافظين يتشبّهُ بالمتنبي وأضرابه السابقين من رصده الشعر لمدح صاحب العرش في المناسبات والأعياد .

القصيدة في نظري — رغم ما يلوحُ من عدم اعتناء ناظمها بها — هي خير ما نظمَ ، وتفضُلُ بكثير قصائد له في بعض المناسبات القريبة الماضية ومطلعُها :

صبوتُ وقد فاتُ عَهْدُ الصِّبَى ... وجدّدْتُ من خلّتي ما نبا

جميلٌ ، رغم كثرة ترديد هذا المعنى قديماً وحديثاً ، ومثلُ المطلع بقية الأبيات فهي نسجٌ على منوال قديم في المعنى والأسلوب ، وبعض الأبيات لم يراع في رَصْف بعض ألفاظها الى بعض معناها ولا تسلسل أفكارها ولا تداعي صورها كقوله يصف الكمان :

وآناً تسبّح في القانتينَ ... وآناً تثيرُ الهوا إنْ خبا

فأكبرُ ظني أن إنساناً لم يرَ — وخصوصاً في هذا العصر — كماناً قانتة في دقبتها مسبحةٌ !

أو قوله :

طلعت على أمريكا سناً ولحتَ بساحتها كوكبا

فانه تكرارٌ لصورة واحدةٍ لا داعى له .

وفى ختام القصيدة ثلاثة أبيات لى انتقاد منفردٌ على كل منها ، فأولها :

أبا الفنّ إن ذكروا أهله سلمت يداً ونعمتَ أبا

فانه رغم ضعف المعنى فى هذا البيت فشطره الثانى مزعزع إذ أجزاء المتقارب (فعولن) ثمانىَ مرات، وقد كثر تصرف الشعراء فى هذا الوزن حتى أخلوا به .

والبيت الثانى :

تحيِّيك فى فنِّك العبقرىّ حِسانٌ من الأدب المجتبى

وهو مدحٌ للشاعر فى نفسه ما كان أغناه عنه فى هذه المناسبة وفاءً بحق صديقه المكرّم. ولا يخفى أن هذا المعنى شائع عند المتنبي وهو مأخوذ على الشاعر محسوب عليه فى الكبرياء ، وكل من درس المتنبي لا ينسى قوله لأبى العشائر :

لم تزل تسمع المديح ولكنّ (م) صهيلَ الجيادِ غيرُ النهاقِ !

والبيت الثالث والأخير :

فسر بلوائك فى العالمين فلن يستذلّ ولن يُغلَبا

ونقدى على ذلك فنىٌّ محض : فإن الشاعر ذهب الى تصوير اللواء والذل والتغلب مما لا يكون الا فى أحاديث الحروب ولا يمكن أن يكون ذلك صورة ذلك صورة متداعية فى حفلة محظوظين لتكريم مُطربٍ ! . . . . أكبر الظن أن هذا البيت متعلق بسابقه وأن الممدوح به هو الشاعر لا المحتفل به !

وبعد ، فهذا نقد برىء لوجه الشعر الصحيح أرجو من مجلة (أپولو) أن تتكرم بنشره ، وليتفضل صديقنا السيد الشاعر أو من شاء من الأدباء بالرد على ملاحظاتى فنياً . فان كان المقصود هو المكابرة ، فما أحرانى ـ وأنا خادم الأدب المخلص ـ أن أترك هؤلاء جانباً فاعمدَ الى شاعرٍ آخر فى قصيد آخر ؟

عامر محمد بحيرى



ناجى الشاعر

أمّا أن ناجى شاعر عاطفى موهوب من الطراز الأول فحقيقة تعترف بها الأغلبية العظمى من الأدباء الذين يرون فى شعره الوجدانى حرارة نادرة المثال وتزاوجاً قوياً بين الموسيقى والشعر . وحسبنا من مواهبه هذا الابداع ، فلا يجوز أن يكون هو ولا غيره موضع مقارنات أو حملات شديدة كالتى نقرؤها لبعض النقاد فى الصحف محاولين بها رفعَ شاعرٍ على حساب آخر لا النقد الخالص البرىء .

إن النهضة الأدبية تحتاج الى جهود الجميع ، وتحتاج الى التنويع فى الأذواق الفنية والمواهب ، وبهذا التنويع وحده تزداد ثروتنا الأدبية . فأهلا بشعرائنا النابهين جميعاً ، وأهلا بجهودهم الطيبة ، ولا مرحباً بعوامل التفريق بينهم !

محمد عبد الغفور

الزعماء والشعراء

دعتنى أعمال شتى الى الاتصال بزعماء أربع وزارات فما كان يؤلمنى مثل تهافت الشعراء على تملق أولئك الزعماء أو امتداحهم فى ظروف ما كان يناسبها الامتداح ، حتى أن كلا من المرحومين احمد شوقى بك وحافظ ابراهيم بك امتدحا محمد محمود باشا وقت أن كان يصول ويجول بيده الحديدية ! فقال شوقى رحمه الله إنه لا يرى صدأ الحديد على يده ، وذهب المرحوم حافظ الى أبعد من ذلك ...

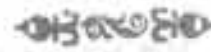
وقد أعجبنى تعفّف مطران عن كل هذا العبث . وهو فى موقفه السلبى الكريم لا يقابله إلا صيحة الدكتور أبى شادى فى موقفه الايجابى النبيل ، فان أكثر الشعر الوطنى الذى ذاع فى عهد محمد محمود باشا (وهو مسجل فى ديوان « الشعلة ») كان من نظم هذا الشاعر الوطنى . ولعلّ أجرأ موقف وقفه الدكتور أبو شادى كان فى عهد صدقى باشا فقد رفع اليه شكوى صريحة عنيفة من البيئة الجانية ومن محاربة بعض كبار ذوى النفوذ للنهضة الأدبية ولجهوده الثقافية خاصة حتى قال لصدقى باشا « انه لم يُعرف عن عهدٍ للنور يعانى فيه الأدب والأدباء الحلوكة العامة والاضطهاد

ما يعانون فى عهده » (ديوان الشعلة ص ١١٧) قد عرفت عن كثب ان صدقى باشا امتعض من ذلك أولاً ثم احترام صراحة الدكتور وشجاعته الأدبية ودعاه للمناقشة فى شكاواه ...

ولكن الأدهى من هذا قصيدة « الزعامة» التى وجهها الدكتور أبوشادى الى صدقى باشا وهو فى صولتـه يهاجم الوفد وغير الوفد فغضب شاعرنا القومى لهذا التجريح للزعماء وإن يكن بعيداً عن الاشتغال بالسياسة ووجه اليه قصيدته الآنفة الذكر فى حزم وصدق وأدبٍ بدافع غيرته الوطنية الخالصة (ديوان « الشعلة » ص ١٠٧) . وأؤكد لقرائى عن معرفة شخصية أن هذه القصيدة كانت ذات أثر عميق فى نفس صدقى باشا فامتدح قومية الشاعر واخلاصه وشجاعته الأدبية النادرة فى الوقت الذى سقط من اعتباره تهافت المدّاحين المتملقين ...

مرّت بخاطرى هذه الذكريات لمناسبة ما قرأته فى بعض الصحف عن انعدام الشعر الوطنى فى وقتنا هذا ، فحبذا انعدامه إذا كان شعراؤنا لا يعرفون من الوطنية غير تملق الزعماء وبث روح الخصومة بينهم وتقسيم الأمة طوائف وأحزاباً ؟

اسماعيل بركات



الأناشيد الوطنية

قد لا يُرضى نشيد العقاد الأديب طلبة محمد عبده وقد لا يرضينى ، وربما وُفّق العقاد الى نظم ما هو خيرٌ منه فى المستقبل ، ولكنى لا أرى من الانصاف أن يقارن طلبه افندى ما بين العقاد والدهشان ، فشتان بين الرجلين وبين نشيديهما خصوصاً وقد نُظما فى مناسبتين مختلفتين : فنشيد العقاد نشيدٌ وطنى عامٌ بينما نشيد الدهشان خاصّ بعيد الوطن الاقتصادى . ولعلّ الأديب الفاضل طلبه افندى براجع نفسه ويقرّنى على هذا التصحيح الذى يؤمّن عليه كثيرون من القراء إن لم يكن جميعهم ؟

احمد على صبرى

رد وايضاح

كتب الأديب « خلدون » مقالا فى (الاهرام) فى نقد كتابي (رسائل النقد) ولم يكن منصفاً ولا حرّ الرأى خلاف ما كنت أرتقب منه ، لأنه وقف مقاله على نقد أربعة أسطر فى مقدمة الكتاب ولم يتعرض لمادته . وخلاصة هذه الاسطر هى أن العقاد من تلاميذ شكرى . قال الأديب « خلدون »: ولا فخر فى ذلك لأستاذ ولا عار على تلميذه ... نقول هذا شيء ماتعرضنا له ، ولكن العار أن يهيء العقاد الحملة الآثمة على شكرى بكتاب (الديوان) أولا ، وثانياً لما كتبنا فى (أبولو) مقالاتنا (توارد الخواطر) وأبنّا فيها العديد من سرقات العقاد من شكرى رد العقاد على ذلك يقول:

« هؤلاء النقاد يغالطون فى التواريخ ليجعلوا السارقين منا مسروقين » فهذا هو العقوق الذى أخذنا به العقاد الى جانب اساءته الشنيعة الى شكرى .

وأخذ علىّ الاديب « خلدون » ألفاظاً رآها خارجة فى شدتها عن محض النقد فأذكره بأن العقاد كان يرد فى جريدة (الجهاد) على ناقديه اسماعيل مظهر والدكتور ابو شادى ومصطفى صادق الرافعى ورمزى مفتاح فيصفهم بأنهم « أنذال » و « أوشاب من السوقة » و « حثالة الكأس » !

فنحن إذا قسونا على العقاد فانما لنا غرض تهذيبي صريح ، ولكننا فى الحق لم نقسُ عليه أبداً .

وأما عن قول الأديب « خلدون » إن شكرى لولا توريط الصداقة لتبرأ منى فأقول إنى لا أعرف شكرى ولم أره عمرى ولا هو يعرفنى ولو كنت صديقه لما أنكرت الآن صداقته من أجل هذا الهتر البخس . وانى لآخذ على الاديب « خلدون » حملته علىّ باللفظ العيب والهجر ثم ضعفه البين : فهو يشير اشارة غامضة الى ما استحسنه فى كتابى ويخشى الايضاح خوف اغضاب استاذه المازنى ، وخوفاً من سلاطة لسان العقاد وإن تظاهر بانصاف العقاد .

ولعل الأديب « خلدون » لا يستاء من هذه الصراحة التى تعودناها والتى نقدرها كذلك من نقادنا ؟

رمزى مفتاح

الاستهتار بالنقد

لا أظن أن الاستهتار بالنقد بلغ يوما من الايام ما بلغ أخيراً ، فقد تهافت عليه الكثيرون من العجزة والمغرضين وهو هو الفن الذى يتطلب مواهب عدّة وبالأمس القريب قرأت المضحكات لمن تهافتوا على نقد الشعر الحديث ، وربما كان نصيب الشاعر على محمود طه من ذلك أوفر نصيب ، فهو شاعر وصّاف بارع ، ومع ذلك أُنكرت عليه هذه الموهبة البارزة ! وشطّ آخرون فقالوا إنه شاعر العاطفة والفلسفة مع أن شعره مجرد من كلتيهما اللهم الا فى قطع تقليدية لمعاصريه . وذهب فريق ثالث الى أنه لا يعرف شيئاً من اللغة فى حين أنه حريص على لغته كلّ الحرص . وقال غيرهم إنه شاعر سابق لزمنه بينما لا نجد شيئاً جديداً أصيلا يستحق هذا المدح الذى يكاد يشبه السخرية : فقصيدته « ميلاد شاعر » منظورٌ فيها الى قصة المولد النبي ، وقصيدته « الله والشاعر » هى من خواطر صديقنا التفتازانى وأقرانه الصوفيين ، وما « مخدع مغنية » وقصيدة « انتظار » وأمثالها الا قصائد صناعية معارضة لشعر ناجي . وذهب آخرون الى أنه سارق كثيراً من الادب الاوروبى مع أن الرجل لا يعرف الأدب الاوروبى الا عن المترجمات العربية واقتباسه منها محدود كما يفعل محمود أبو الوفا . وانتهى غيرهم فى سوريا انه استاذ الصيرفى وأقرانه مع انه هو المتأثر بشعورهم فى كثير من أوصافه فالصيرفى وناجي وأبي شادي والعقاد ورامى وفوزى المعلوف واحمد الزين وتوفيق البكرى وغيرهم يطلّون من شعر على محمود طه .

أما رأيي المستقل فهو أن على محمود طه شاعر مجيد مفتنّ فى الحسيات من طبيعية وغيرها وكذلك فى الشعر الاجتماعى ، فالأولى به أن يقصر أدبه على ذلك لأن هذا وحده هو ميدان إجادته ، كما أن ميدان إجادة ناجى هو الشعر العاطفى الخالص

على محمد البحراوى



لغة العصر

يقال إننا فى عصر حركة وتقدم ، ومع ذلك فالجمود شامل لمن يدعون الغيرة على اللغة . ومن العجيب أن هؤلاء المنافحين عن اللغة لا يدرون حتى الآن أن كبار الشعراء والكتاب هم الذين يبدعون الأساليب والمناهج ، فعنهم نأخذ الجديد وليس

عليهم على التقاليد ، فهؤلاء الرجال قد شبعوا استيعاباً للماضى ثم أصبحوا مرآة للحاضر بل نبراساً له ، ومن العبث مطالبتهم بالحصر والمحاكاة .

وما كان هذا ليعنى الاباحيةَ التى تسمح لطالب العلم الصغير بأن يدوس على كل شىء وأن يضع نفسه موضع المعلم المجتهد ، فالاجتهاد أو الابتداع ليس بمثل هذه السهولة ، وحتم على الرائد أن يكون قارئاً قبل أن يصبح مؤلفاً .

أليس بعجيب مثلا أن يشغل طالب أزهرى إحدى الصحف بحوار سخيف حول كلمة (ظمآنة) ساخطاً على التجديد والمجددين ، فى حين أنه لا يعرف شيئاً من فلسفة اللغة وتطورها والنزعة العصرية لتوسيع القياس وتهذيب النحو بل وعلوم اللغة جميعا ؟ !

كلمة (ظمآنة) يامولانا العزيز اعتمدها اللغوى الضليع الأب لويس معلوف اليسوعى فى معجمه الشهير (المنجد) - أنظر ص ٥٠٠ من الطبعة الاخيرة - وحسب مثلك ومثلى بل وشيوخك أيضاً أن نأتمّ به . وإذ لم نعتمد ما يعتمده أئمة اللغة المعاصرون المتبحرون فى أسرارها الواقفون على دقائق الذوق العصرى ، فهل يشرفنا الاعتماد على السلف الذين قلما نتفق معهم فى شىء الا الحرص على كرامة اللغة ؟

حسين واصف



المازنى وشعره

أمّا أن المازنى أديبٌ نبيلٌ فما من شك عندى فى ذلك وإن كنت لم أقابله الا مرة واحدة أيام كان يحرر فى (السياسة) من سنين ، ولكنها كانت كافية عندى للحكم على شخصيته ، وقد عزز ذلك عندى ما كَتبه أخيراً عن عبد الرحمن شكرى مُظهراً أسفه الشديد على ما جرى بينهما . فأين هذا من أمثلة الجحود الشائعة بين الادباء الذين يتغلقون بأعلام الأدب حتى ينالوا الخير والشهرة على حسابهم فاذا بهم ينقلبون ضدهم فيما بعد أسوأ انقلاب ؟ ! وما شكوى شكرى وأبوشادى وطه حسين وهيكل وأمثالهم من هذه الغمرة الشائعة ومن اضطراب أخلاق الادباء بالمنسية لدينا ... فليس من الانصاف بعد هذا القاء الحجارة على المازنى ، لأنى واثق من إن الرجل

كان ضحية لحسن نيته . ولعل الدكتور رمزى مفتاح يلاحظ ذلك عند اصدار الطبعة الثانية من كتابه (رسائل النقد) فقد أسرف فى تحامله على المازنى وكان قاسياً أيضاً على العقاد ، متناسياً أن للشباب طيشه ونزاقته . ولست أشك لحظة فى أن العقاد لا يقلّ الآن ندماً عن المازنى على تلك الحملات والجهود الضائعة وإن أبعدت شكرى مؤقتاً عن ميدان الأدب .

وأما عن شعر المازنى فهو بلا جدال من الطراز الأول ، فاذا كان هو يتطلع الى مثل أعلى ولا يرضى عن شعره فهذه مسألة أخرى . واذا كانت مطالعات المازنى تتسرّب الى شعره سهواً فهذا لا ينقصه ، وهذه الظاهرة ملحوظة أيضاً عند كثيرين غيره وبينهم العقاد الذى يعدّه الدكتور طه حسين الشاعر المصرىّ المجلى . واذا أصرّ المازنى على الابتعاد عن قرض الشعر الوجدانى فلماذا يبتعد عن نقله من الانجليزية وبراعته فى الترجمة مشهودٌ بها من الجميع ؟ وأذكر بهذه المناسبة أن الدكتور أبوشادى نوَّهَ بمقدرة المازنى فى مجلة (المقتطف) سنة ١٩١٧ فى مقال أراد به تصفية الجوّ بين المازنى وشكرى . وقد ازدادت منزلة المازنى تألقاً بمرور السنين ، فهل لمحبيه الكثيرين من أنصار الشعر العصرى أن يطالبوه معى بأن لا يقصر جهوده على خدمة النثر وحده ؟

انرداوسى بشارة



الغزل فى الشعر الجاهلى

أتحفت الآنسة فاطمة خليل ابراهيم مجلة (أبولو) بمقال عن « الغزل فى الشعر الجاهلى » وقد أعجبتنى طريقة الآنسة فى البحث والتدليل ولكننى لا أوافقها على النتائج التى انتهت اليها ورأيها فى الغزل فى الشعر الجاهلى .

أما أن « الغزل محور دار من حوله الشعراء وعمود فقرى للأدب والأدباء ، وما من شك فى انه ينبوع الشعر وسببه وأبلغ أثراً فى النفس من ضروب الشعر الاخرى » الى آخر ما جاء بمقدمة مقال الآنسة ، فهذا ما أسلم به ولا ينكره مطلع على الآداب العربية ، حتى أن أعظم كتاب فى الأدب العربى (وهو كتاب الاغانى) ليس الا دائرة معارف للشعر الغزلى وشعرائه ومغنيّيه . ولكننى لا أقرّ

الآنسة على رأيها فى أن « السر فى بلوغ الغزل فى الجاهلية هذه المكانة العظمى هو الحب ... الحب الطاهر الذى يتبادله الحبيبان ويتغنيان به فى أشعارهما فيكون لهما محجة ومثاباً » بل لا تقرها على هذا الرأى بواعث الشعر الغزلى الجاهلى ومراميه التى هى أبعد ما تكون عن الحب الطاهر بل هو لا يعبّر إلا عن الشهوة الجسدية ورغبة الرجل فى اطفائها بوصال الحبيبة ، واليك الأدلة :

استشهدت الآنسة على الحب والحب الطاهر فى الغزل الجاهلى بأبيات من معلقة امرىء القيس :

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت صرمى فأجملى

أغرّك منى أن حبك قاتلى وأنك مهما تأمرى القلب يفعل ؟!

ولكن هل قرأت الآنسة ما يلى هذه الابيات من المعلقة ؟ إنه شعر يندى له جبين الحياء تتمثل فيه الاباحية والفحش ، وإلا فما معنى قوله بعد هذين البيتين مخاطباً حبيبته ما قال من شعر إباحى مرذول ؟

أهكذا يغازل المحب الطهور حبيبته ؟ أهذا غزل يدل على أن الحبيب يحب حباً طاهراً ؟ إن امرأ القيس لا يريد من حبيبته إلا جسدها ولا ينظر اليها إلا بهذه العين التى تضطرم بالشهوة لا بالحب الطاهر .

دليل آخر يا آنسة :

تمثلت فى مقالك بالقصيدة اليتيمة لشاعر اليمامة كبرهان على رأيك فى الحب والحب الطاهر فى الغزل الجاهلى ولكن هل قرأت القصيدة كلها ؟ أكبر ظنى أنك لم تدرسيها وإلا لما ورد لها ذكر فى مقالك . ففيها أفحش أبيات الأدب المكشوف مما لو قاله شاعر فى عصرنا الموسوم بالتهتك أو فى أى بلد من بلاد الغرب المشهورة بالاباحية لسيق قائله الى المحكمة !

إن القصيدة رائعة ـ مافى ذلك شك ، صادقة غاية الصدق فى تمثيل تلك النزعة المادية فى الأدب العربى والأدب الجاهلى خاصة ، وليس لى أن أذكر ما جاء بهذه القصيدة من الأدب المكشوف .

أذكر أننى عند ما كنت طالباً أعجبتنى قصيدة النابغة الذبيانى التى مطلعها :

من آل مية رائح أو مغتدى . . . .

فكتبت القصيدة كلها فى مفكرة أحملها فى جيبى ، وفى أوقات فراغى كنت أتلذذ بتلاوة القصيدة . ولكن عندما أصل إلى قول النابغة :

وإذا طعنت . . . .
وإذا نزعت . . . .

أشعر بصدمة عنيفة فى شعورى وباشمئزاز عظيم. فمزّقت الورقة التى بها هذا الجزء من القصيدة وخجلت أن أحمل فى جيبى مثل هذا الفحش.

وفى « رسالة الغفران » للمعرى فى الملاحاة بين الأعشى الشاعر وبين النابغة الجعدى يسوق المعرى عجبه وتهكمه على لسان نابغة بنى جعدة لدخول الأعشى الجنة وهو القائل ما قال من شعر إباحى !

وغير هذه الأمثلة كثير مما يثبت أن الغزل فى الشعر الجاهلى لم يعبر عن الحب الطاهر كما تقول الآنسة بل لم يكن إلا مرآة لنفس العربى ونظرته الحسية الى المرأة وأن حبه لها ليس إلا وسيلة لاطفاء شهوته الجسدية . ففى هذه الأمثلة التى سقناها لكبار شعراء الجاهلية لم يتعرض الشاعر فى شعره لروح المرأة أو نفسيتها وعواطفها فى كثير ولا قليل ، ولا ننسى أن بكاء الاطلال والغزل فى القصائد الجاهلية كان معظمه تقليداً أكثر منه شعوراً واحساساً .

ولى على مقال الآنسة ملاحظتان أخريان :

الأولى : تقول « وهاهو زهير يقول فى مستهل معلقته :

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبّد غولها فرجامها »

والصواب أن هذه المعلقة للشاعر لبيد وليست لزهير .

والثانية : أنها استشهدت بأبيات لعنتره فى الغزل :

خطرت فقلت قضيب بان حركت أعطافه بعد الجنوب صباء
ورنت فقلت غزالة مذعورة قد راعها وسط الفلاة بلاء
وبدت فقلت البدر ليلة تمه قد قلدته نجومها الجوزاء
بسمت فلاح ضياء لؤلؤ ثغرها فيه لداء العاشقين شفاء
سجدت تعظم ربها فتمايلت لجلالها أربابنا العظماء

واني ألاحظ أن هـذا الشعر ليس من قول عنترة بل ليس من شعر العصر الجاهلي، والحقيقة انه منحول لعنترة بعد الاسلام بدليل رقة ألفاظه التي لا تتفق وألفاظ عنترة الفخمة الجزلة .

وفي النهاية أشكر للآنسة إثارتها هذا الموضوع الشائق،ولعلنا في هذه العجالة قد كشفنا عن ناحية من نواحي الأدب الجاهلي ؟

محمد فهمي شحاتة

ديوان صالح جودت

عزيز عليّ والله ، وأنا أودع الشعر وأسكب آخر قطراته من قلبي ، أن أقف موقف الجندي الذي يطمع في الانتصار ليلقى السلاح وينتحر !

بيد أني لا أترك الميدان عن شعوري بالخيبة والفشل ، وإنما عن غبن لحقني وندم لازمني ، فكان لي منهما غنية عن الشعر ، وما أحلى الشباب في معزل عن صخب الأدب وثورة الخيال ، وما أجمل الحياة حين ينتهي الأمل !

لقد كان لديوان صالح جودت حظوة عند الأديب الكبير ابراهيم عبد القادر المازني يوم أن تفضل بنقده ، غير أن أدب السرعة ـ وهو وليد العصر الذي نعيش فيه ـ شاء أن ينال مكاناً من نقد المازني فخرج نقده متعجلاً ، وهـذه العجلة أوجبت اعتبار بعض النقاط خطأ بينما هي عين الصواب . ومن أمثلة ذلك قول المازني إن صالح جودت يخطىء كثيراً في استعمال حروف الجر، كأن يقول :

سائلوا العشبَ الذي نمنا به   كيف ماتت فوقه طير الاماني؟

وكأن يقول :

أصبحتْ أمةُ التنابذ روحـاً   في ائتلافٍ وعصبةً في وفاقِ

ويرى الأديب المازني ان الصواب في البيت الأول أن يقال (سـائلوا العشب الذي نمنا فوقه) لا (الذي نمنا به) ، وفاته ان حروف الجر ينوب عن بعضها البعض كقوله تعالى (في جذوع) بمعنى (على جذوع النخيـل) وكقولهم (نامت في الفراش) أو (فوق المهـد) ، وفاته أيضاً أن البـاء هنا تتضمن معنى الاختفاء لأن

العاشقين انما يستخفون على الناس بين الاعشاب الغزيرة ولا يجلسون فوقها رأد الأبصار .

أما عن البيت الثانى فلم استطع والله إدراك الخطأ الذى يعنيه المازنى ولعله يريد أن يكون البيت (أصبحت .... على وفاق) ولـكن (فى) هنا أصح وأفصح وموقعها ظرفية وقد أيدنى فى ذلك الدكتوران بشرفارس وزكى مبارك .

ويقول المازنى إن لصالح جودت تعابير يصعب فهمها كقوله فى قصيدة الجسد العبقرى :

لمَ حرّمتِ على عينى (نواحيك) الخفيّهْ ؟

وما أحسبها إلا دعابة عذبة من المازنى ، وإلا فهل كان يريد أن أقول للجسد العبقرى (لمَ حرمت على عينى كذا وكذا ؟)

ولا أترك المازنى قبل أن أشكر له حسن ظنه وتقديره الخالص .

بقيت كلمة فى الرد على الشاعر الشاب محمود حسن اسماعيل فقد تناول هذا الديوان بالنقد فى العدد السابق من (أبولو) حيث قال إن هذا البيت مكسور :

فان شئت فيه رحمة فاهدريه وإن شئت لى السقم فاستنكفى !

وقد ظهر هذا البيت صحيحاً قبل صدور الديوان فى مجلة (الاسبوع) ، على أنه من العجيب أن يفوت ذكاء الشاعر الناقد وجود الخطأ المطبعى فى صدر البيت لأن (وإن شئت لى) مكررة فى العجز ، وصحة البيت هكذا :

فان شئت لى رحمة .... الخ

وهناك بيت آخر نشر صحيحاً فى (أبولو) من شهور قبل صدور الديوان ولـكن الخطأ المطبعى أبى إلا أن يلازمه فى الديوان فجاء :

سوف ألقى مرمدَ النوم فى ظلمة القبر فأرثى للشباب

وصحته :

سوف ألقى مرمديّ النوم ..... الخ

ويقول الناقد إن لفظة (فارق) فى هذا البيت :

أيها الراهب إنى فارق لعبَ الشكُ بقلبى ثم جدّ

خطأ لأن اسم الفاعل من فرق بمعنى خاف لايكون إلا (فَرِق) ، ولكن استاذنا السيد محمود البشبيشى يقول له : اذا أريد بالصفة المشبهة الحدوث حولت الى صيغة فاعل كقولهم :

فما أنا من رُزء وإن جلّ جازعٌ ولا بسرور بعد موتك فارحُ

ويقول الناقد إن استعمال (شكوا) بضم الكاف فى القافية خطأ ويعنى أن هناك إقواء فى البيت ، ولكنى أجيبه بأن مسألة سناد التوجيه كانت ولا تزال موضع نقاش بين العروضيين وقد جاءت كثيراً فى الشعر الجاهلى كما جاءت فى شعر شوقى (راجع قصيدة ابى الهول) ، على أن حجتى أقوى من ذلك ، والأبيات هى :

كم بكيت الناس طرّاً حينما خلتهم فى المدلهمّ اشتركوا

انما من كان لحما ... ودما يتشكى الهمّ من حيث شكوا

والذى أدهشنى أن كلما لمحوا الدمع بعينى ضحكوا

فالروىّ هنا هو (الواو) لا (الكاف) ، ولعله يقتنع .

ويقول الناقد إن استعمال (يدلى الخيال) خطأ فى هذا البيت :

وانتهى للأراك يلتمس الظل ويُدلى إلى الحياة الخيالا

إذ ان الصواب هو (يدلى بالخيال) ، وهذا خطأ إذ يقال (أدلى الدلو فى البئر) .

ويقول الناقد إن صالح جودت يتقرب بالشعر السهل إلى الجمهور ، والحقيقة أن هذا الشعر سهل الا سلوب موسيقيه بسيط اللفظ ، ولكنه عميق الخيال ، فليراجعه .

ويقول إن صالح جودت قد سرق عجز بيت من احمد الزين ، أما البيت فهو :

بين هاتين فترة من سباتٍ تجمعَ اليأس والمنى فى مكان

وبيت الزين هو :

مَن لقلب بين الجوانح عانٍ جمع اليأسَ والمنى فى مكان

ولو قارن الناقد بين القصيدتين لوجد تبايناً كبيراً فى المعنى ، أما اتفاق الألفاظ فهو أمر تحليله بسيط — فاليأس والمنى مقابلة لا بدّ منها ، وتوارد مثل هذه الألفاظ كثير فى أشعار قديمة وعصرية ، عربية وفرنجية ، على السواء . على أن الزين ليس بالشاعر الذى يسرق منه مثل صالح جودت .

أما البيت :

أين كان العراق ؟ كان غريقاً في محيط الظلام للأعناقِ

فيقول الناقد إنه ليس عميقاً إذ كان يريد أن أقول : غريقاً الى ما بعد الأعناق ، بيدَ أن الغرق الى العنق فيه صورة صارخة تطلب النجدة ، أما اذا كان الغرق تاماً فهنا تكون المبالغة كبيرة وهي انقاذ غريق ميت !

على أن آخر كلمة أقولها لجميع مَن تفضلوا بنقد هذا الديوان إنهم جميعاً أهملوا أظهر ناحية فيه يتميز صالح جودت بها عن شعراء الشباب ، وهذا عين الغبن ؟

صالح جودت



المسيء

اسأتُ الى نفسي كثيراً ، وليتني فهمتُ بأني قد أسأتُ الى نفسي

حكايةُ ظلمٍ في الزمان قديمةٌ تحدّثُ عن سعدٍ يقود الى نحسِ

صحبتُ أناساً لاخلاق خلاقهم ولا مثلما يضحون أضحي ولا أمسي

وصار عشيري من يرى غده غدي وما يومه يومي ولا أمسه أمسي

فاصبحتُ مذهوبَ الفؤادِ من الأسى وقوَّضَ أركانَ الحجى فارطُ الهجسِ

أرى كلَّ من حولي قليلا ولا أرى سوى أنني في عالمٍ فاقدِ الحسِّ

كأنيَ ميتٌ في ثيابي مكفنٌ ولكن هذا الميت يبحثُ عن رمسِ

فلا ههنا ألفي لهمي راحةً ولا ثمَّ ألفي مضجعاً مسنداً رأسي

أسمعتني صوت الحيـاة فانني ليوقر سمعي في الورى خافت الهمس
وتدمي فؤادي في الزمان إشارة ويشعرني حز المدى ناعم اللمس
ظننت بأن الكاس تشفي من الأسى لذلك قد أغرقت نفسي في كأسي
اذا بي وقد شبت بصدري نارها تقاذفني بؤس رمى بي الى بؤس
أسأت الى نفسي كثيراً وليتني فهمت بأني قد أسأت الى نفسي

خليل شيبوب

لوعة !

صديقتي ! خفّفي بلواي ! رحماك ! ماذا تمنّيت من دنياي إلاك ؟
تبّاً لدنيا خؤون مرة بخلت عليّ بالنور حلواً من محيّاك
قد فرّقتنا ، وما كنا لتفرقة كأنني لم أكن يوماً وإياك !
وأبصرت بدموع العين قانية إذا ارتوت بدماء الخافق الباكي
فأرسلت ضحكة صفراء باهتة كأنها استعذبت وجدي وشكواك
والقلب يهتف بالأيام يرجعها ليستعيد زماناً كنت ألقاك
حتى اذا لم يجب الا صداه بكى ثم استعاض عن اللقيا بذكراك !

حكمت شي ...

الشاعر الصامت

في ظلال النخلات والورود الحالمات
جلس الشاعر حيران ، كثير الحرقات
صامتاً في نفسه قد عاف طعم الكلمات
تزبد الدنيا وترغي وهو في نوم سبات

لا يبالى بعد ما عانى شديدَ الضرباتِ
نامتِ الدنيا ، أم اهتزت بشتى الحادثاتِ
دعْهُ فى صمتٍ ، كصمت الموت جهْم الطلعاتِ
ما غناءُ القولِ والشعرِ لدى قومٍ قُساةٍ ؟

* * *

يا نديمَ الشعرِ رفقاً بالقلوب الداميـاتِ
لا تهجنى - بعدَ يأسى - للأمانى الخالداتِ
طالما غنّيتُ ، لكن لم ترقهم أغنيـاتى

* * *

يا قليلَ البسماتِ ، وكثيرَ الغمراتِ
نُحْ على نفسك ، واندبْ حظَّها حتى المماتِ
عشتُ فى الدنيا ، كعيش الطير فى جوف الفلاةِ
حائراً فى الكون لا يدرى متى يوم النجاةِ
أنت - لويدرون - روحٌ أنعشتْ روضَ الحياة
أنت لويدرون - رُوحٌ ، أنعشت روض الحياةِ
ويح هذا الكون لم يحفلْ بآياتِ الهُداةِ
رُبَّ يومٍ قد سكبنا فيه دمعَ الحسراتِ
يومَ ضلّت فى فيافى الكون أقوى صرخاتى
وتلاشت فى مهبِّ الريح أندى نغماتى !

* * *

يا نديمَ الشعرِ رفقاً بالقلوب الداميـاتِ
لا تهجنى - بعد يأسٍ - للأغانى الخالداتِ
طالما غنّيتُ ، لكن لم ترقهم أغنيـاتى

* * *

وحبيبٍ مثل زهر الروض ساجي النظراتِ
يبعث الحب الى القلب على ضوء الاناةِ
لا يُطيق الحبُّ لفظاً شائعاً فى الكلماتِ
ويودُّ الحبُّ معنى ، هافياً كالنسمات
تغمر النفس بفيضٍ من سرىٍّ النشواتِ
وهى روحٌ تعمر الدنيا بطيب النفحاتِ
كلما صوّرْتُ حبي ، فى رقيق الخطراتِ
أو تغنيت بأيام الصفاءِ الذاهباتِ
أو تحرّقتُ على عهدِ الأماني المشرقاتِ
أنكرَ العيشَ وحباً فوق ذرع الكائناتِ
ومضى فى وجهه غضبانَ جمَّ الزفراتِ
ينفض الكفين من حبي وإن طالت شكاتى
وكأنا لم نكن يوماً نجيّ خلواتِ !

***

يا مديم الشعر رفقاً بالقلوب الدامياتِ
لا تهجني - بعد يأس - للأغانى الخالدات
طالما غنّيتُ لكن ، لم ترُقهم أغنياتى

***

مرحباً بالصمت يحيي ما وَهَى من عزماتى
مرحباً بالصمت أخفى فيه سرَّ النكباتِ
مرحباً بالصمت يَفنى فيه طيشُ الطائشاتِ
مرحباً بالصمت رمزاً للمعانى الحائراتِ
أسكتوا الكروانَ لما صاح فوق الربوات

بالمعانى الساميات والأغانى الشاجياتِ
ما لهم قد حرموه من رخيم الصدحاتِ
فى ظلال الشجرات وعبير الزهراتِ
ليتهم قد علموه الصمتَ من قبل الفواتِ

***

ويحهم لم يفهموا نفسى ودنيا رغباتى !
يحسبون البعثَ موتاً وبشيرَ الخدماتِ
وإذا ما رُحت أهفو كالطيور الشاردات
أو أثرتُ اللحنَ من قيثارتى بالمطرباتِ
جانبوا الصدق وصاحوا : تلك أفعال الغواةِ !

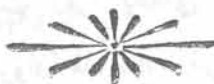
***

قد تخذتُ الصمتَ زادى وشعارى فى الحياةِ
إنّ فى الصمت عزاءً عن حياةٍ لا تُواتى
فاحترم صمتى ودعْنى أشتفى بالمهلكاتِ
آهِ من صمتى وآهٍ من جُدودى العاثراتِ

***

يا نديم الشعر رفقاً ، بالقلوب الداميات
لا تهجنى ـ بعد يأسى ـ للاغانى الخالداتِ
طالما غنّيتُ لكن لم ترقهم أغنياتى !

عبد العزيز عتيق



الذبول

دعوْنا الجمالَ فلم يستجبْ فعدنا بأفئدةٍ تضطربْ
يَنِمُّ عن الوجدِ فينا شحوبٌ ودمعٌ يَحارُ ولا ينسكبْ



حسين عفيف

وفى لحظِنا نزعةٌ للمغيب وفى شدْوِنا لوعةُ المكتئبْ
كأنّا نضىء وراء الغمام ونبعث بالنار بين السحبْ
ترانا فتحسبنا هامدين كما قرّ بعد الوثوب الحببْ

وما نحن إلا زهورٌ تجفُّ ... ونحفظ من حسنها ما ذهبْ
اذا الليل حرَّك فينا الحنين ... تفجر من دمعنا ما نضبْ
خددنا وفى القلب نارٌ تضىءُ ... فتطفىء من نورنا ما احتجبْ
ولو مسَّت الجسم منا يدٌ ... لألفت رماداً بضم اللهبْ
وما ضرَّنا أن هوينا الجمال ... فأدركنا مِنْ هواه العطبَ

حسين عفيف

القلب المجروح

فارقتها وتركت لى قلبًا ... فى حبها لمّا يزل صبًّا
أشفقت أن أحيا بغير نهى ... ففنيت فيمن شفنى حُبًّا
ما كان أحوجنى لبسمتها ... فكأن فى بسماتها طبًّا



محمد كامل البنا

أضحى الفؤاد بذكرها كلفاً ... وغدا لسانى باسمها رطبًا
أبكى اذا هجعَ الرقيبُ أسى ... وأهيم إذ ألقى لها تربا
واذا محبٌ هزّهُ ألمٌ ... مهلُ المراس حملتهُ صعبًا

وعصيت نفسى وهى تحفزنى   لحو العلا تبغى بهـا إربّا
وعلمتُ أن الدهرَ ذو غـير   يسقى العيوف صروفه عبّـا
فضحكت للأيام تهزأ بى   وجزيتها عن جدّها لعبا
واذا الفتى لم يحتمـل طربا   يأس الحياة عددته ذنبا

* * *

يا قلب ويحك ما الغرام حجى   حلب الغرام لوامقٍ لُـبّا
مالى أراك تلجّ فى شـغف   واذا دعوتك للحجى تأبى
أكذا قلوبُ الناس تقهرهم   أم أنت وحدك كنت لى حربا
قد كنت إن لاقيتها سـنة   صدّت ولـكن نفست كربا
وظللت تحيي بالمنى زمنـاً   صـدق الأمانى لم يزل كـذبا
لو كان أمرك فى يدى لما   أصبحت فى كفّ الهوى أنهبا
فارجع لرشدك لا تـكن نزقاً   واهجر محبـة من نأى جنبا

* * *

لو كانت الأيام تنصفنى   ويذيقنى من وردها عذبا
لرأت فتى مغرى بمـكرمة   يحمى الغريب ويحفـظ القربى
لـكنها طبعت على غير   وعلى النعيم شقاؤها أربى

* * *

غاض الوفاء فلا أرى أحداً   أرضيه إلا عدّها عيبّا
والعيب عند الناس نفس فتى   تأبى له أن يركبَ السحبا
وعرفتهم وخـبرت غدرهمو   فلمن أسوق اللوم والعتبا
فليفعلوا والدهر ما قدروا   لن يستلينوا مارناً صلبا
لا خير فى عيش بلا تعب   من رامه فليسكن التربا !

محمد كامل البنا

الوداع الأخير

الوداعَ الوداعْ يا ديارَ الألمْ
يا ربوعَ الفنا يا محلَّ النغمْ
يا سجونَ الفنا وجالَ العدمْ
وفيافي الأسى وقفارَ الندمْ
في ديارِ البقا قد وضعتُ القدمْ

فالوداعَ الوداعْ !
الوداعَ الوداعْ !

الوداعَ الوداعْ يا ديار العَنا
يا مِهادَ النزاعْ يا وهادَ الضّنَى
وبقاعَ السباعْ وإكامَ الأسَى
في ديارِ الوَساعْ زورقي قد رسا

فالوداعَ الوداعْ !
الوداعَ الوداعْ !

الوداعَ الوداعْ يا ديارَ الظنونْ
يا مقامَ الدناهْ يا صحاري الشجونْ
يا ديورَ الصلاهْ يا زماني الخئونْ
قد سئمت الحياهْ وأتاني المنونْ

فالوداعَ الوداعْ !
الوداعَ الوداعْ !

الوداعَ الوداعْ يا ضياءَ القمرْ
يا فجاجَ الأثيرْ يا رذاذَ المطرْ

يا هديرَ الطيورْ يا نسيم السحرْ
يا مياهَ الغديرْ يا بياض الزهرْ
فالوداعَ الوداعْ !
الوداعَ الوداعْ !
الوداعَ الوداعْ من ظلام سحيقْ
يا ديار الزوالْ يا ابن أمى الشقيقْ
قد كرهت النضالْ وطلبت اللحوقْ
من ديار الضلالْ وقطعت الطريقْ
فالوداعَ الوداعْ !
الوداعَ الوداع !

أم درمان : عبد القادر ابراهيم



هموم ثائرة

غريقٌ فى خضمّكِ يا همومى هدوءاً ! لا تثورى وارحمينى !
كفانى ما بنفسى من جروح تثير العطفَ فى قلب الضنينِ
همومى ! ما لآمالى تلاشت أمامَ جوالكِ كالطيرِ المهينِ !؟
قبضتُ على لظاكِ وصنتُ دمعى مخافةَ شامتٍ فبدا أنينى !
وزاد تحرّقى أنى عزيزٌ فقدتُ عزازتى والعزُّ دونى
كزهرِ الروضِ ينعشهم أريجى ويلهيهم رحيق عن شؤونى !

السيد عطية شريف

الرفيق المضاع !

(الى صديقى الأديبين المبدعين الشاعر صالح جودت والشاعرة
جميلة العلايلى اشارة الى واقعة حال)

عُج بالأديبة والأديبْ ... أو بالحبيبة والحبيبْ
واسألهما — فى رقةٍ — ... ما شأن خلكما الغريبْ ؟
خلفتماه وحده ... أمرٌ لعمركما عجيبْ
سأل الشوارع عنكما ... وسؤاله فيها مريبْ
حيران يمشى والدمو ... ع لها بخديه صبيبْ
لم يدرِ : حقٌّ ما رآ ... هُ قبلُ أم حلم غريبْ !

* * *

ماذا جناه فاستحقَّ ... به عقابكما الرهيبْ ؟
وهباه ذا ذنبٍ فلو ... راجعتماه كى يتوبْ
حتى اذا أعياكما ... فالودّ غفار الذنوبْ !
أفبعد ما روّحتما ... عنه البلابل والكروبْ
أو بعد ما أمطرتما ... باللطف مرعاه الجديبْ
وتنفس الصعداء من ... قلب بجنبيه كئيبْ
ورأى بلطفكما العشيرة ... والقريبة والقريبْ
خلفتماه وحده ... يدعو وليس له مجيبْ ؟!

* * *

سأظل خفّاق الفؤا ... د يهدّ جنبيَّ الوجيبْ
لا أستريح من العذا ... ب ، وعن ضلالى لا أثوبْ
حتى تجيبي يا (جميلة) عن شكاتى أو تجيبْ
قسماً بمن عطف الأديبة والأديب على الأديبْ
سأظل فى وكرى أذيب من المحاجر ما أذيبْ

وألوذ حيناً بالنشيج اذا تعبتُ من النحيب
وأفارق الروض النضير واهجر الغصن الرطيب
وأصدّ عن صافى الغدير واترك المرعى الخصيب
وأكف عن غزلى بور قائى الصغيرة والنسيب
حتى يجيبنى (الحمامة) أو يجيب العندليب!

علي احمد باكثير

ليالى ملكة

— ١ —

أيا ليــلُ غنِّ أغانى الهوى وغرِّدْ بصوتٍ شجىّ طروبْ
فتأسر مسمعَ المحبّ الشتيتِ وتحيي بشعرىَ هـذى القلوبْ

« • »

أيا ليـلُ خبّر قساة القلوبِ بأن الحيـاة غرامٌ وحُبّْ
وردد على أرغن ساحرٍ نشيداً يثير هيـاماً بصبّْ

« • »

نشيداً يرجع لى ذكرياتى من الزمن الغـابرِ الساخرِ
فقد طال فيك السكونُ الحزينُ وطال انتظارىَ للهاجرِ

« • »

تعالَ خيـالَ الحبيب البعيد فهـذا السكون يثـير الشعورْ
تعالَ أعِدْ لى الصفاء الجميل وأرجعْ جميلَ المنى والحبورْ

« • »

لقـد طال هجرُكَ حتى سئمتُ حيـاتىَ بين الأسى والضجرْ



الآنسة ملكة محمود السراج

تعالَ نبدِّدْ جيوشَ الظلام ونَنْعمْ بنورِ المنى والقمرْ

— ٢ —

مِن جدول الأحلام ذقت الهوى وفى ضفاف الحب شمتُ النعيمْ
ترفُّ أغصانُ المنى فوقنا وترقب الآمالَ فينا النجومْ

« • »

صَمتُ الدجى يحنو على سرنا ونسمة الليل تذيع الهوى
وأنجم الليل بأضوائها تقصُّ عنا خافيات الجوى

« • »

يا ليلُ كم رحنا بأحلامنا نجوب فى الصمت الجميلِ الغياضْ
نبثّ ما فينا ونشكو الهوى للنجم ، للزهر ، لعشبِ الرياضْ

— ٣ —

أيا ليلُ غنِّ ! لعلَّ الثرى تنامى لياليه ، نذّكرْ
وحرِّك جوانحه بالحنان فإن فؤادى هنا يستعرْ

« • »

أيا ليلُ غنِّ ! لعل الذى تغافل عن شقوتى يسمعكْ
لقد طال حزنى له والبكاء فسال على لوعتى مدمعكْ !

« • »

تمرُّ الليالى ، ولا ألتقى ويرخى الظلامُ علىّ الشجونْ ؟
متى يا حبيبى تعود الىّ فأنشد لحنى وأنسى الأنينْ

« • »

متى يا حبيبى تعود الى وفائك بعد البعاد الطويلْ
فنجلس تحت ظلال الكروم وننشد تحت ظلال النخيلْ ؟

— ٤ —

يا ليلُ رجِّعْ علينا أنشودةَ الذكرياتْ
عُدنا فعادت الينا شواردُ الأمنياتْ

« • »

يا ليلُ رجِّعَ علينا لحن الغرام السعيدْ
عاد الهوى بالأمانى مع الشباب الجديدْ

« • »

يا آسرَ القلب دعنى أنسى بقربكَ هجركْ
كم بتّ أشكو وأبكى وما تناسيتُ ذكركْ

ملكة محمود السراج

خمرة الألم

هاتِها كالشمس تزهُو والقمرْ مزّةً تنفى عن النفس الكدرْ
طبَعَ الحسنُ عليها طابعاً مِنْ خلالِ الكأس خلّابَ الصُّوَرْ
فهى فى الأبصار نورٌ وسنى وهى فى الاحشاء نارٌ وشررْ
جمرةٌ سائلةٌ جاء بهـا أغيدٌ من ورد خدَّيْهِ عَصَرْ
شجّها بالماء حتي امتزَجَتْ وبدَتْ فيها نجومٌ ودُرَرْ



يعقوب حنا

قلْ لِمَنْ يعزلنا فى شربها هل لمقتولٍ على الناس خطَرْ
هِيَ أنسُ الروح فى يوم الأسى ومُبيدُ الهمّ فى لَيْلِ الفِكَرْ
كم تداوَينا بها من مِحْنةٍ لو أتتْ للصخر يوماً لانفطرْ
ونسينا عندها ما عندنا من هموم العيش أو ظلم القَدَرْ
قلتُ : للساقي وقد خفّ بها مائلا يهتزُّ دلاً وخَفَرْ

باسماً عن مِثلها من لؤلؤٍ وعقيقٍ ورحيقٍ وأشرْ (١)
يملأ الكأسَ ويسقى رانياً بعيون زانها فرطُ الحورْ
أيها المرسلُ سهماً صائباً كفَّ - لا تقتلنا - إنا بشرْ (٢)
هذه الأعينُ عندى فِعلُها ليس مَنْ ينبيك إلا مَن خَبَرْ
لوْ كشفتَ الثوبَ عن صدرى بدت فى فؤادى لك آلافُ الحُفَر
مقلٌ تصليكَ بالسقم اللظى رُبَّ مِنْ سقمٍ أتى كل الضررْ

« • »

غنِّ لى يا صاح واهتفْ قائلا : إنّ عمْرَ اللهو مِنْ عمر الزهَرْ
واخدُ لى يا شعرُ أحلامَ الصبا وارث عهْداً من شبابى قد غبرْ
واسقنى يا كأسُ من بعد الطلا ماء عين دَمعها يحكى المطرْ (٣)
آهِ يا ليلَ الندامَى لا تَسِرْ أنت جَوْنُ اللونِ محمودُ الأثرْ
لك عندى نعمةٌ لا تنقضى وأيادٍ ليس تطويها غِيَرْ
كمْ قضينا قبْلكَ الليلَ على حُرْقةِ الوجدِ وأشجانِ الذكرْ
تقطعُ الحسرة فى أكبادنا مِثلما يقطعُ صمصامٌ ذكرْ
ويذيبُ اليأسُ منّا عزمة لو مَشتْ فى الماء يوماً لاستعرْ
أيها الخافقُ رفقاً بالحشا أترى الأحشاء قُدَّتْ من حَجرْ
أنتَ فى صدرى سجينٌ بائسٌ دائمُ الروع حزينٌ لا تقرْ
طائرٌ فى الأسرِ تهفو للفضا أىُّ طيرٍ نال فى أسرٍ وطرْ ؟

« • »

أنا والحظّ غريمان على كرّة الآصال أوْ مَرِّ البُكَرْ
هو معشوقٌ اذا دللتُه زاد بالتدليل بُعداً ونفر

---

(١) أشر: رقة فى الأسنان (٢) حُرِّكت اللام فى تقتلُنا للوزن (٣) الطلا: الخمر وتكتب ألف مقصورة خطأ .

وَيْحَهُ كم سامنى فى بُعده مِنْ عذابٍ وشقاءٍ وسَهرْ
جامدُ الحسّ إذا عاتبتُه وضريرُ العين مفقود البصرْ
وَهَبَ الأعداءَ منه وُدَّهُ وَحبا الجهالَ خيراً ما انحصرْ
والذى الأرواحُ مِنْ إحسانه لو رأى أفعاله قام اعتذرْ

« • »

إنما الدنيا مجالٌ للأمى ولیالى الدهر أستاذُ العبرْ
كذبتْ آياتُها أفهامنا ودليلُ الخُبْرِ يودى بالخَبَرْ (١)
علمتنا أنّ فى العقل الضنى وأرتنا أن فى العلم البطرْ
واحتملنا الصبرَ نبغى أجرَه فوجدنا الموْتَ للصبرِ ثمرْ
وقرأنا الصدق منجاة الردَى فألفْنا الصدقَ فى الناس ندَرْ
وعرفنا الخير فرضاً واجباً فاذا بالخير وَلى واندثرْ
وظننّا العفوَ نبلاً خالصاً فاذا العفو ارتخاءٌ وخوَرْ

« • »

ها هو الشرقُ مريضٌ لم يزلْ داؤه يشتدُّ سواءاً وخطرْ
كلُّ مَنْ فيه طغتْ أهواؤه فانزوى فى ظلها حتى استترْ

يعقوب حنا

---

(١) معنى الشطر الأخير أن الاختبار يكذب الخبر .



ساعة

إن دنيا الحب قد عشنا لها
وبها نحيا ونفنى ولها
ساعة فى الليل ما أجملها



مأمون الشناوى

بددت شمل تباريح النوى

« • »

شاطئ النيل تلاقينا به
فبعدنا عنده عن شعبه
وأناب الموج فى ترحابه
ثم ولى الموج واليمّ استوى

« ٥ »

ساعة فى الليل عشناها هنالكْ
قلت يا فاطمُ ما أحلى وصالكْ
أنا فى الجنة أم عند الزمالكْ
أم هنا يا جنتى أرض الهوى ؟

« ٥ »

إيهِ يا روحىَ أرجو قبلةً
من شفاه تيَّمتنى فتنةً
كدت أن أقضى حياتى لوعةً
فامنحينى شفةً فيها الدوا

« ٥ »

أطرقت أو دهشت لا أذكر !
وبدا من طهرها ما أنكروا
يرتضى عذّالنا لو قدروا
دافعَ الدمع وما الدمع حوى !

« ٥ »

قلت : هل تبكين فى يوم لقائى
يوم تدرين بحبى وولائى
أو لم يكفكِ فى البعدِ بكائى
غرق القلبُ ولكن ما ارتوى !

« ٥ »

نظرت لى غارقاً فى أدمعى
ثم أدنت ثغرها من مسمعى

وتعانقنا وما كنا نعى
وصدى التقبيل فى اليمّ دوى !

« • »

قلت : ما أبكاك ؟ إنى حائرُ
لست أدرى أفؤدى الجائر ؟
ليت شعرى أين منا الهاجر ؟
أترى الماضى وآلام الجوى !

« • »

ذهب الماضى فمن يمحوه ؟ مَنْ ؟
إنه سُطِرَ فى كتب الزمن
لم يعد يرجعه أى ثمن
ذَهَبَ الماضى وولى وانطوى

« • »

هاتِ مِن ثغركِ هذا قبلتينْ !
فأجابت : قد أخذتَ ! قلتُ : أينْ ؟
وحساب الحب أغلاط ومَينْ
وفؤادُ الصَّبِّ موصولُ الطوى

« • »

اجتويتُ (١) الكون إلاّ هاهنا
ليس يدرى أحدٌ ما بيننا
من غرام غير أنت وأنا

---

(١) اجتويت كرهت المقام ولو كنت فى نعمة .

كل مخلوق الى النوم أوى

« • »

أرسل الليل على الكون الامانا
بعد ما لوّن من لون أسانا !
كم كرهناه وهذا الكون كانا :
يرقب الليل لتجديد القوى !

« • »

هات ما أطلبهُ منْ شفتَيكِ
وارسلى عن وجهك الضاحى يديْكِ
ودعينى أرتشفْ مِن وجنتيكِ
كل ما أفهم من حسن الروا

« • »

لى صديقٌ مات لمّا طلبا
قبلةً من هواه فأبى
لهف نفسى مات فى روض الصبا
كان كالزهر نضيراً فذوى !

« • »

شرب السُّمَّ وأرضى قلبهُ
ومضى لله يشكو حُبّهُ
هكذا العاشق يقضى نحبهُ
سوف أقضى مثلما مات هوا !

« • »

فأجابت : يا لها من قاسيهْ ؟ !
سوف نمضى العمر ليست ناسيهْ
ما اسمها يا مهجتى ؟ أين هيهْ ؟ !
أى قبر نام فيه وثوى ؟ !

« • »

خذ من القبلات ما يرضيكَ منى
لك ما شاء الهوى فلتحتضنى
لم أعد أفهم ما يجدى التجنى
كل حىّ قد أحبّ وهوى

« • »

قلتُ : ماذا لو قضينا العمر وصلا !
ولماذا بلظى الهجران نصلى ؟
كلّ يوم فى الهوى نبدأ فصلا
كم سمعنا عاذلاً فيه روى

« • »

فلنعشْ كالطير ولنبقَ سويا
قبلةً مِنْ فيك أوْ من شفتيا
وعناقاً منك أو من ساعديا
قسمةُ الحب سواء بسوا

مأمون الشناوى

حزمة النور

(إلى التى أنقذتنى من الضلال فأسعدتنى وأنكرتنى
فخلفتنى فى الضلال)

تُراها تذكر الماضى ونشوة ليلة النهرِ
شعاع الحب والشعر وكأس النور والعطرِ
قضيتُ العمرَ أرقُبها ويرسم طيفها شعرى
وكم فى العمر من صورٍ ومنهـا صورة تُغرى
رأيت الدهر يرسمهـا بأنداء من الدرّ
ويجـلوها بأنوارٍ وألوان من الزهرِ
يحـاكى ساحراً ورعاً ينـاجى الله بالسّحْرِ
على كفيه أحلامى يؤلهها إلى الخيرِ
فيأتى منتهى أملى ليـدرك منتهى صبرى
وأحبوه ويحبونى بألوانٍ من البشرِ
وأفنى فى حلاوتهِ كترنيمٍ مع الفجرِ !

« ٠ »

حبيبٌ كان والدنيـا كخمرٍ ذاب فى خمرِ
ودنيـا فى وداعتهـا كحلم الورد بالقمرى
وليلٌ رائقٌ عبقٌ ونهرٌ فاض باليسرِ
دعانا طيب ساعته لنقضى ساعة العُمْرِ !

« ٠ »

ركبنا زورقاً مرحا كنشوان من البدرِ

يداعب موجة حيرى يسابق موجةً تجرى
ويحمل رغوة الماء من العبر الى العبر
رسولٌ بين شطيّه أمينٌ أينما يسرى
ويسمع قصة الليل ليتلوَها على الفجر !

« • »

قضينا ساعةً فيها حديثُ الثغر للثغر
وفيها آيةُ الحب نرتلها على الدهر
ففاقت كلَّ أيامى وكانت كلها عمرى !

« • »

وجاء الفجرُ مختالاً يداعب نائمَ الطير
فجال الدمع فى عينى وتاه الخير فى الشرّ
فقالت فى مداعبة : ملِلتَ الآن من ثغرى
علامَ الصمت والدنيا ينادى صوتها السحرى :
«تعالوا .. أرقصوا حولى تعالوا .. انهبوا خمرى !»
وضلت فى تساؤلها وناحت وهى لا تدرى
ومالت وهى باكيةٌ فأسند رأسها صدرى !

محمد أحمد رجب
المحامى

الشمس
أو
الاله المحروم

يا شامخاً بسناه لا تشمخنْ بسناكَ
فقد حُرمت جمالا منحته لسواكَ

وقـد وهبت جلالاً — لم ينسق فى عـلاك
أجـل ! فأى هتوفٍ — بفجره قـد شجاك ؟
أجـل ! وأين مـلاهٍ — ترتادها فى ضحاك ؟
وأين هالة سِحرٍ — تحوط دنيـا سمـاك ؟
من فتنةٍ فى أصيل — نمته سحراً يداك
يروقنى صمت حِبٍّ — فى جوف ليلٍ نماك
تهزنى (آه) صب — ودّعتـه فبـكاك
وأنت ؟ أنت قَصِىٌّ — عن جنـة من نداك
وأنت ؟ أنت مشوق — الى رحيق جناك !

* * *

يا هائماً فى نهار — متى يحين مساك ؟
تقضى الحياة نهاراً — فأى معنى لذاك ؟
معبودنا من قديم — وما رجونا لقاك
ماذا ترى فى حيـاة — شيدتها فى صباك
غـير الذى قد رأينـا — لُغزٌ برغم ضياك !

* * *

يا مالـكاً لا أراك — وإن رضعت هواك
لم أبغ يوماً هناء — يفوتنى فى جفـاك
ولم أرجّ عـلاء — ينالنى من رضاك
لاترمنى بجحودٍ — فما جحـدت وفاك
لاترمنى بعقوق — فقد رشفت نداك
لأنت ربُّ غرامى — فراعِ صبّاً رعاك

المهدى مصطفى

وحى سمراء

على عينيك يا سمرا ء مِصداق النبوآتِ
أقاما لوجود الله آياتٍ وآياتِ !
ترقرق فيهما نور كخمر فى زجاجاتِ
هما نفذا الى قلبي فذابت فيهما ذاتى !
هما اتخذاه محرابا لتسبيحٍ وإخباتِ
كصوفيّين فى المحرا ب لجّا فى المناجاةِ !

« • »

وفى ثغرك يا سمرا ء أصناف الحلاواتِ
يعتب القلب من سلسا له بالوهم كأساتِ
كأحلام عذارى النيـ ل فى دوح العشياتِ

« • »

وفى صوتك يا سمرا ء تحنان الرَّباباتِ !
ولحن الحُلم الماضى ! وتغريد الحماماتِ

« • »

وفى جسمك يا سمرا ء أنداء الصّبيحاتِ
كأن اللبن الخالص قد شُجّ بشُكُلاتِ !
كضوء البدر إذ ينسا ب فى وكن الخميلاتِ !

« • »

وفى ردفك يا سمرا ء ألوان اهتزازاتِ !
كقلبي حين يهتز بإعصار الصباباتِ

« • »

وفى خصرك يا سمرا ء داعٍ للمؤاساةِ !
من الأسفل والأعلى جدير بالشكاياتِ

« • »

وفى تهديك يا سمرا ء ما يقضى باسكاتى
فلا أستطيع قولاً غير أنّاتٍ وآهاتِ !

على أحمد باكثير

من حانة الفردوس اسكر ياشقى!

ودعتها ... أوّاهُ من قلبي الشقى ! وتفارق القلبان ... هلا نلتقى ؟!
أحرقت آخر قطرة من مهجتى وسفكت آخرَ دمعةٍ مما بقى
أينام قلبي بعد طول خفوقه وكأنما هو فى الهوى لم يخفقِ !
والعين ترقد فوقه ودموعها تطفى به جمر الغرام المحرقِ
ليفيق فى رأد الضحى متبسماً للفجر ، للأطيار ، أو للزنبقِ !

« • »

ان الربيع عيونه مخضرّةٌ والثوب جنة كل عودٍ مورقِ
أما الورود شفاهها أوجدتُها دعنى أموت بكمها المتفتق !
أما النهود فلا تسلنى وصفها خمرٌ معتقة لسكرى أستقى
يا قلبُ لا تصحُ ! عدمتك صاحباً من حانة الفردوس اسكر يا شقى!

رياض معلوف
(شاعر الكوخ)

خمرة أفروديت

مِن بين هذى الشفاهْ وخمرها الوهمىّ
سمعتُ صوتَ الحياهْ يرنّ فى شفتىّ
صوتٌ كوحى الإلٰهْ أصغى له كلُّ حىّ
وأدهشت كلّ آه وبان لى كل شىّ !

* * *

عيناىَ قد نامتا فى مضجعٍ من هدوبْ
يداى قد عامتا فى الزئبقِ المسكوبْ
لم تَدْر رُوحى متى فى الفجر أم فى الغروبْ ؟!

فالليلُ لما أتى كنا بدنيا الغيوبْ !

* * *

صحوتُ من سكرتى فخلتُ فى الصحو سكرا
والخمرُ عن يمنتى تهتزّ فى الكاس سكرَى
سكبتها كالتى تباع بخساً وتُشرَى
فما هوتْ مهجتى فى الخمر إلا البِكرا

مأمون الشناوى

طيف

طيْفَ الحبيبِ تمهلْ لا تكن قلقاً حتى أمتع عينى مِنْ مغانيكا
واسمحْ بترْديد أنفاسٍ كلفتُ بها علِّى أروِّى فؤادى من شذا فيكا
طيف الحبيب لكم شردت من أرق كيما أراك وأحسو من معانيكا
فاجترْتَ مَسْرَحَ أحلامى على عجل ولم تصخ لعميدٍ بات يرجوكا !

« • »

يا طيفُ سلْ نسمات الليل عن سهرى وسلْ عيون الدُّجى يا طيف تنبيكا ؟!
واسأل طيوف الكرى هل طاف مقدمها بالجفن إلا غراراً كى أناجيكا ؟!

« • »

لقاء

ترنح قلبيَ لما رآكِ وَهلَّ لما تبدَّى سَناكِ
ورتّل أنشودةً عذبةً هِمَ السحرُ لولا تجانى لماكِ
وحاكَ السرُورُ على فلذتيْه قميصاً وأوْدع فيه حُلاكِ
ووشّاهُ بالنغمات العِذا ب نماها الصفا وسقاها هواكِ

وغــذّاهُ بالنظرات السوَا حِرِ أبدع فى نسجها ناظراكِ
ودبّتْ كما دبّت الكهرُبا ءُ بطىءّ الجوانح ريّا شذاكِ
فندّت على الأضلع الصاديا ت رحيق الحياة ونجوى صفاكِ
وأحيتْ جوانحىَ الذابلا تِ وكانت تخوضُ غمار جواكِ



محمد عبد الغنى بخيت

ونثّتْ على المهجة المستها مةِ بردَ الخلودِ وصافى طلاكِ
وأفرغت الكأس كأس الهنا ءِ على كبدٍ قد شجاها جفاكِ
وأشرقت العينُ من نور جيدِ كِ لما ازدهى وازدهتْ وجنتاكِ

محمد عبد الغنى بخيت



ميلاد الفجر

(من الشعر المرسل)

وقف الليلُ خلف ضوء الصباح … وقفةَ الصامت الحزين الأسيرِ
والنـدى نائمٌ على الزهر والشمـ … ـسُ توارت وراء سحبٍ جهامِ
وعلى الغصن بلبـلٌ يترامى … لحنُهُ بين باسمِ الأزهارِ
ضاحكاً للجمال وهو وضيءٌ … هاتفـاً للضياء وهو أسـيرُ
ذاك ركب الطبيعة العـذراء … يتهـادى رشـاقةً ودلالا
موكبٌ للجمال رفّ به السحـ … ـرُ وسار الضياء تحت ظلاله
و (أبولو) يردّد اللحن شعراً … باسماً هاتفاً لنور جماله
نظرت غادتي لهذا الجمالِ … في اشتهاءٍ وفتنـةٍ ودلالِ
ثم قالت : هنا يطيب الغرامُ … فأفِضْ لحنـك الجميـلَ الطروبا
فغفونا على شعاع حنونٍ … لا نُبالي بعالمٍ مخبولِ
بين عطرٍ وبين زهرٍ نديّ … وشعاعٍ مُذهّبٍ قدُميّ
وكعـاب كأنها الفجر حسناً … رقصتْ رقصة الضياء السنيّ
وصحونا على ابتسامِ الصباحِ … قـد كسا الكون رقةً وتعالى
وهفـا الروض باسمـاً للضياءِ … واستدارت زهوره لذكاءِ
في جمـالٍ مقـدسٍ وضّـاءِ … فاذا الروضُ ضاحكٌ كالعروسِ
واذا القلبُ خافقٌ في انتشاءِ … وإذا الأفق في عجيب المرائي
وصحونا على ابتسام الصباح … قـد كسا الـكون رقـة وتعالى

حسن محمد محمود

وحى الصحراء

(مهداة الى الدكتور أبو شادى محرر أبولو)

شِعْرِى ! تألَّقْ للطبيبِ الشادى ! فنشيدُه مجدٌ له إنشادى
إنّ الينابيعَ التى فاضتْ بما أشجاه من شعرٍ يذيبُ فؤادى
قد ألهمتْ روحى العزيزَ من المُنَى فأبيتُ الاّ أن أطيعَ عِنادِى
وطفقتُ حيرَى - والمعانى جمّةٌ - فيمن أسلّمه زمامَ قِيادى



الآنسة حكمت شبارة

فاذا إلهُ الشعرِ يهبط هاتفاً : هيّا الى السحر الجميلِ الشادى
ووجدتُ فى الصحراء رجعَ مشاعرى بغموضها ، ومِنَ الغموضِ البادى !
والرّملُ منبسطٌ الى أن يلتقى بالأفق بين تهلّلٍ وتهادى
والشمسُ تبكى لوعةً ، وكأنها محزونةٌ لفراقِ هذا الوادى
والأرض تشجى والنسائم حُلوةٌ تُهدِى السّلامَ لرائحٍ ولغادى

وتقول : يا مَنْ بالجديدِ ترنموا هلاً ذكرتم لى قديمَ ودادى ؟
والآنَ والأفقُ البعيدُ قد انبرى يرنو الىَّ بقسوةِ النقادِ
أرسلتُ من قلبي تحية مَنْ رأتْ هذى الطبيعةَ عزةَ الزُّهَّادِ
وتصوَّفَتْ فى عالَمٍ لا ينتهى حتى على الآبادِ والآبادِ !

حكمت شى . . .

الألوان

(من قصيدة طويلة)

الروضُ فى أطيافهِ وشعاعهِ مَلهى لأرباب الفنون ومَرقصُ
زاهٍ بأصباغِ الربيعِ ملوَّنٌ غالٍ وأغلى ما سواهُ الأرخصُ
ما زالتِ الألوانُ تضحكُ حولهُ والطيرُ تعزفُ والأشعة ترقصُ !

« • »

والزهرُ ألوانٌ : ففلٌّ أبيضٌ يفترُّ عن بردٍ وثلجٍ صافِ
لما رآهُ الوردُ يرقصُ ضاحكاً صبغ الحياءُ خدودَهُ بعفافِ
فاحمرَّ حين اصفرَّ زهرٌ آخرٌ هو بهجةٌ للموكبِ الرفَّافِ !

« • »

وحشائشُ الروض النجيل مسارحٌ للون فيها خضرةُ الجنَّاتِ
مسحت يدُ السحر الصنَّاعِ جبينها وجفونها بخوافت النسمات
ومشتْ تنغِّمُ فوقها ألحانها زُنارةٌ مخضرةُ اللمعاتِ !

« • »

وأتى الصبايا والعرائسُ والدمَى بيضَ الصدور بأذرع من مرمرِ
تتضاحك الأثوابُ عن ألوانها فى الشمس بين مزعفرٍ ومعصفرِ
وبكلٌّ لون غير ذلك ضاحكٍ أو صارخٍ أو فاقعٍ أو أكدرِ !

« • »

فكأنه قزحُ السماء يفيضُ عن منظومة غبٌّ الغياثِ ملوّنه
هي رغم قلتها وناحل قوسها من كل لون فى الوجود مكوّنه
فكأنما المرآة قد عكست على ماءِ السحاب شعاعَ ضوءٍ زيّنه

« • »

ومضى النهارُ يفيضُ عن بلوره فأتى الدُّجى بسواده وغبورهِ
يا وَيحَ من لونٍ كأن طُموسَهُ متكسّبٌ من غدره وشروره !
ما غرّد العصفور فى إصْباحهِ إلا بكى بومُ الدجى بصفيرهِ

« • »

فى الكون ألوانٌ : فمنها ناصعٌ صافٍ أشعتهُ ، ومنها قاتمُ
والمرءُ باللوْنِ المُشعّ بريقهُ متفائل ، فاذا خبا متشائمُ
وكذلك أفئدة الورى ... فمن الورى صافى الفؤادِ أو الحسودُ الغاشمُ !

« • »

صَبَغ الالـهُ الكونَ من ألوانه فاذا الخلائق بهجةٌ للناظر
ولو انها بقيت بكوْنٍ واحدٍ لم توحِ سحرَ جمالها للشاعرِ
واذاً لظلتْ حُوّلاً مطموسةً من كل خافٍ عنصراً أو ظاهر

عامر محمد بحيرى





إبليس

« . . . قال فاخرج منها فإنك رجيم »

(قرآن كريم — سورة الحجر)

من الصلصال والطين المهين ... براه الله فى فجر الزمان
كريمَ الخلق وضّاحَ الجبين ... كبير النفس ، فياض البيان

« • »

ونادى فى الملائك : « يا عبادى ! ... خلقتُ اليوم سيدكم جميعا
عظيمَ العقل ، موفور السداد ... نقى القلب ، أوّاباً ، مطيعا »

« • »

« سجوداً يا ملائكتى سجودا ... لآدم أقوم الأرواح طُرّا
أمرتكمو ، فإن تعصَوْا جحودا ... جعلتُ لكم جهنم مستقرّا ..! »

« • »

فخرّوا يلثمون التربَ خوفا ... وحيوا طلعة النجم الجديد
وزفّوا شعرهم حبّاً وعطفا ... وضجوا بالصلاة وبالنشيد

« • »

فيا لكَ من نشيدٍ عبقريّ ... تغنيه الملائك فى السماء
لآدم والد الخلق السريّ ... ومبعوث الهداية والضياء

« • »

مضى الأملاكُ رتلاً مستطيلا يزفون التحايا من بعيدِ
سوى إبليس ، قد رفض المثولا وجاهرَ بالعداوة والكنودِ

« • »

فصاح الربُّ فى غضبٍ شديد : « ألا فاسجد كما سجدَ الجميعْ ! »
فقال لربه : « أزجى سجودى لوجهكَ لا لمخلوقٍ وضيعْ »

« • »

« من الحمأ المهين قد ابتدعتَهْ فكيف أذلّ للحمأ المهين !
وللصيد الملائكِ قد رفعتَهْ فتوجت السنى ممسوخ طينْ !

« • »

« ألا يا رب إنى قد عبدتُكْ وإنى خير خلقك أجمعينْ
وفى علوىّ خلقى قد عرفتكْ ولستُ أرى لخلقى من قرينْ »

« • »

« فلا تنقلْ علىّ فأنت أدرى بما قد قام فى نفسى الأبيهْ
ولا ترهق نهاى فانَّ شرّاً عميماً يغمر الروح النقيهْ »

« • »

« وإنى قد عصيتُك يا إلـهى لأنك سقتَ لى أمراً عصياً
وهذا الشرُّ يقبع فى شفاهى ليلعن ذلك المَسخَ الزريّا

« • »

ولمّا كفَّ إبليسٌ ، تعالت رياح السخط تزأرُ والرعودُ
وصاح الربُّ ، والأكوان مالتْ : « لُعِـنْتَ فأنت شيطانٌ مريدُ ! » .

« • »

لُعِـنْتَ ليوم بعثك يا رجيمُ فغادرْ جنتى واضربْ شريدا
فدارك آخرَ الدهرِ الجحيمُ تلاقى عند ساحتها الخلودا »

« • »

« ألا فاذهب كما تبغى كفورا فإنى قد نذرتك للسعيرِ
وطِرْ وازج المآثم والشرورا إلى رجماكَ فى اليوم الأخيرِ »

« • »

« أيا ابليسُ هل تعصى كلامى وإنى مَنْ براكَ سنًى منيرا ؟!
إذن فاهبط كشبوب الضرامِ وكن ويلاً ، وشرّاً مستطيرا ! »

« • »

وغاب النور فى جوف الظلامِ وهاجَ اليمُّ ، مرهوبَ الضفافِ
وصاحَ الشرُّ من خلف الغمامِ : « بدأتُ بهذه الدنيا طوافى ! »

« • »

« طُرِدْتُ من الجِنان ، وكنتُ فيها عظيمَ القدر ، محمودَ المكانِ »
كفرتُ وكنتُ أوّاباً نزيها وعُدْتُ بحسرتى أرثى زمانى »

« • »

« ألا فلأهدِمِ الخيراتِ طُرّاً وأبعث خلف آدم حَبلَ غِيّى
محالٌ أنْ أُضيعَ اليومَ قصرا وأتركه لذيّاك الغبىّ »

« • »

وما زال اللئيم له تبيعا عظيمَ الصبر ، موفورَ الذكاء
وآدم صاغه المولى وديعا جهولاً بالمكارهِ والدهاء

« • »

نفاه عن الجنان وراح يغوى ذراريه على مَرِّ العصورِ
ليخرجهم عن التقوى ويهوى بهم للنار فى يوم النشورِ !

مختار الوكيل



ملاك أم شيطان ؟ !

(الرسم للفنان الفرنسي ماناسيه)

(١)

الجمالُ الجمالُ في هذه الدنـ ـيا هو الخالقُ الصَّريحُ المحجَّبْ
لستِ إلاّ رموزَه لعيونٍ لمحتْ فيكِ نورَه يتوثّبْ
في مثالِ الهدوءِ جلستُكِ الحسـ ـناءُ لكنّها شعورٌ تلهَّبْ
جُمِعتْ حولكِ الطيوفُ فكانتْ كاجتماعِ الطيوفِ من حول كوكبْ
كلُّ لونٍ له معانٍ دِقاقٌ كمعانٍ الى السماواتِ تُنسبْ
أين أين الشيطانُ مِن ذلك الحسـ ـنِ ومنه الحياةُ في الكونِ تُسكبْ؟
ما نزعتِ الستارَ إلا وفاءً حينما الفنُّ للجمالِ تعصَّبْ
منكِ نستافُ نشوةَ الفنِّ ألوا نًا ومِنْ نبعكِ المقدَّسِ نشربْ
يا لآيِ الإبداعِ في ذلك الجسـ ـمِ فتنه الإيحاءُ للشعرِ يُطلبْ
هو شعرٌ ومن جناه تداعَى صُوَرٌ للخلودِ لا تتذبذبْ
كلُّ جزءٍ له نشيدٌ حبيبٌ هتافٍ وفي خفوتٍ محبَّبْ
جُمِعتْ كلُّها فكنّ عجيبًا قد حواه تصوُّفٌ فيكِ أعجبْ !

* * *

ذاك حُلمُ الجمالِ نشوانَ لا يَدْ رى نفوسًا بحلمهِ تتعذَّبْ

عصبَ الرأسَ فى جلالةِ سحرٍ ... لا يُدَانى ، وفى تحدٍّ مؤدَّبْ
واذا الشَّعرُ فى تموُّجِ مأسو ... رٍ وفى رقصةِ الطروبِ المُعذَّبْ
واذا وجهُكِ الحَيِيُّ أفانيـ ... نُ من الطُّهرِ والرَّجاء المُحبَّبْ
وتراءى نهداكِ كالحارسيْ حُسْـ ... نِكِ فى روْعةٍ تشوقُ وتُرهِبْ
وهما فتنةٌ من النَّسَقِ الزا ... هى باعجازه العتىّ المُهذَّبْ
لم يَزِدْنى تأمُّلى فيكِ إلاَّ ... صوراً من عبادةٍ لا تُخيِّبْ
أنعشتْ خاطرى وقد ذابَ شِعراً ... فى حنانٍ والدَّهرُ بالناسِ يصخبْ !

أحمد زكى أبو شادى

* * *

(٢)

مِنْ كلِّ جزءٍ فيك تنبع لذةٌ ... وبكلِّ عضوٍ لهفةٌ وشعورُ
وعلى جبينك مسحةٌ من لوعةٍ ... وعلى جفونك غمضةٌ وفتورُ
والشَّعرُ مثل الجدولِ الجارى اذا ... هبَّتْ عليه فى الأصيل دبورُ
وكأنه شفقٌ جميلٌ فوقه ... فجرٌ رقيقٌ بالحنان منيرُ
وعلى الشفاه تجمدتْ نارُ الأسى ... وعلى النهودِ من الفؤاد سعيرُ
أغرقتِ فى حُلمٍ عميقٍ حينما ... عبث الكرى بالجفن وهو قريرُ ؟
وبأىِّ شىء تحلمين ؟ أبا المنى ... أم بالسعادة والسعادةُ زورُ ؟!
كالزنبق الغيسان أنتِ وكالشذى ... جسمٌ بألوان الأسى مغمورُ
يا حسنَ جِلستكِ التى هى منتهى ... ما يبتغيه الشاعرُ المسحورُ
لا ترهبي الدنيا ولا عبث الورى ... فالفنُّ معتزٌّ بها مسرورُ !

* * *

عجباً ! ملاكٌ أنتَ شعَّ حنانُه ... أم أنت شيطان علىَّ يثورُ ؟!

احمد مخيمر



وحدة الوجود

اذا كانت الغرائز الانسانية تمتّ الى العصر الحجرى فلماذا لا تمتّ أيضاً من ورائه الى خصائص الخلية الحية المنفردة . وانه ليحلو للشاعر أن يتخيل ان خصائص الخلية الحية هى التفاعلات الكيميائية للمادة كذوب مادة فى أخرى أو ميلها الى الاتحاد بها أو نفورها منها ، لأن الكائن المكون من خلية واحدة من المادة الحية اذا قرب منه حامض أكال نفر منه وسبح مولياً وهو لا حاسة له لميزه سوى طبيعة المادة — واذا قربت منه مادة تصلح لغذائه أقبل عليها وهو لا حاسة له . فهذا الميز والادراك المجهول السرّ عندنا هو الحياة وهو بعينه التفاعلات الكيميائية للمادة .

فاذا كانت صفات الجماد هى غرائز الخلية التى هى منبت الانسان والحيوان والنبات وطبائعها الثابتة — أى الغرائز فى الانسان والحيوان — فانه يحلو للشاعر أن يفكر فى وحدة ونسب قديم من التسلسل والنشوء بين طبائعنا والصفات العنصرية للمادة .

(القصيدة)

رققتَ يا فجرُ لا روحٌ ولا بدنٌ ورقّ مثلك ما فى النفس من أمل !

هل أنت همس النعامى فى تلطّفها أم أنت صفو الجواء الجونِ فى المُقَلِ ؟

وهل ضياؤك ما يملا النفوس رضاً وراحة من نسيس طال أو ملل ؟

وهل سكونك أنغام الخلود لنا فكم صمات له شدوٌ من الرمل ؟

أم طابت النفس فالمرأىُ صورتها معكوسة عن جمال الحبّ والغزل ؟

فنسمة الريح حلمٌ والضياء رضاً وحلو صمتك ساجى الحب فى الخجل

والنفس تحلم فى ملقاك ذاهلة كلذة النفس فى سحر من القُبَل

عجبتُ يا فجرُ ، بين النفس فطرتها وبين كنهك إصرٌ غير منفصلِ !

« ٥ »

ويا نهيرُ أنامَ النفسَ وداعةً هدوءُ مائك إذ يجرى على مهَلِ
يدلى له شجرُ الصفصاف أفرعَهُ لا تستريح سوى فى مرقد البللِ
كأنهن عذارى قد حللن به غدائرا آمناتٍ نظرة الرجلِ
ولو جريت من الملح الاجاج لما رأيت منهن (١) غير الصدّ والوجَلِ
هذى الشجيرات مَنْ فى الكون علمها علم الأواخر بالبرهان والعللِ ؟!
ومثلهن أتتك النفس شيِّقة لغمر مائك إذ تنبو عن الوشَلِ
عجبتُ يا نهر بين النفس فطرتها وبين كنهك إصرٌ غير منفصلِ !

« ٥ »

ويا زهوراً ضعيفات الضمير لها فى النفس مثل وداع الآزف الاجلِ !
هل من غلائلكِ الريّا يضوع شذا الـ أحلام حولىَ أم من قلبىَ الثملِ
شجوى عليكِ عظيمٌ أن يلم بنا من الحياة خريف البين والمحلِ
فهل أخاف عليك البين أم عظة أخاف منها على شمسى من الطفلِ
يرودكِ النحل من أقصى قفائره يسرى اليكِ به جذبٌ على عجلِ
لى فى غلائلك الريّا قديم هوى ولو خلون من الآراج والعسلِ
عجبت يا زهر بين النفس فطرتها وبين كنهك إصر غير منفصلِ !

« ٥ »

وصيدحٍ من ضعاف الطير حنَّ له إلفٌ على فنن فى النهر منسدلِ
يرجع الشدو إن رقّ الحبيب له ويحسن الصغوَ مِيْهالٌ أخو عذلِ
يا طيرُ جارك مطرابٌ أخو مقة أشجاه لحن نشيد منك مرتجلِ

---

(١) الضمير يعود على الشجر وأفرعه .

أفضت الى مولد الوجدان أغنية   من ربة الريش لا من ربة الكحلِ
كأن نشوتها ذكرى نمتْ بنا   الى حياةٍ لنا فى الأعصر الأولِ (١)
فسائل النفس إن حققت نشوتها   هل شفّها نغمٌ من فارط الأزلِ
وهل تراجع المرابُ الفؤاد بها   لغابر العهد أيام الفؤاد خلى
وهل يحنُّ اليه عند ذكرته   كما يحنُّ حنينا ظاعنُ الإبلِ
فان أشاحت عن التسآل معرضةً   فربما نكبت عمداً عن الجدلِ !

« ٥ »

ما لى وما ليس يعنينى الغناء به   وانتِ قبل مناجاة الهوى شغلى ؟!
وأنت أنت مناط النفس من قِدمٍ   تعطو لك الروح فى ماضٍ ومقتبلِ
بينى وبينك حب قبل مولدنا   من دونه هالك الآباد والدولِ
كأنه وهو فى طىِّ الغيوب لنا   شوق الظوامى للقيا العارض الهطلِ
أو الضياء اذا انثالت مساربه   على الجيم وظهر الدوِّ والهملِ
من أين جاءت (٢) وما سرُّ الحياة بها   لا النبت يدرى ولا العقبان فى القللِ
علَّ الحياة مقاديرٌ مقدَّرةٌ   من الطباع وخافى سرِّها الجللِ
مثل الحديد اذا اشتد الشواظ جرى   وإن تباعد عنه النارَ لم يَسلِ
والضوء يسرى خلال النهر منكسراً   وليس يسرى خلال الصخر والجبلِ
طبعٌ بها ربما تخفيه خافية   ولست تلقى لأصل الطبع من بدلِ
كذاك حبكِ أقدارٌ مقدَّرةٌ   وليس من لفتات الجيد والميلِ
لا يزدهيك جمال لو خلقت لنا   من دونه كنت أهواكِ على عطلِ

---

(١) يعتقد الشاعر اعتقاداً راسخاً بما ورد فى هذا البيت وما يتلوه وانما ايراده على صيغة التشكك على اعتبار انه صادر من الاحساس البعيد فى تلك اللحظة عن التحقيق العلمى بمعنى أن الشاعر قد يصل باحساسه الى ما أثبته العلم بالتحقيق .

(٢) الضمير يعود على الضياء والأمطار فى البيتين السابقين .

فالحب والبغض خصلاتٌ مسخّرةٌ لسُنّة الكون سوم الأينق الذلل
ذريرة أنت فى هذا الوجود وما قطيرة فى خضمّ اليمّ منجفل

« • »

رحماك لا تغضبي من شاعرٍ طربٍ فلا يضيرك قول من أخى خطل
تلك الشكوك ، ولكنّ اليقين بنا أن بين جنبيّ جرح غير مندمل
ذاك الغموضُ ، وما سبح الخيال به سوى الضلال ولكنّ الهيام جلى
سمــــراء دعجاء مأنوس ملافظهــــا معسولة من لمى عذب على رتل
هذا اللمى زينة الدنيا وغايتها من النشوء ، وهذا ملتقى السبل
لولاه لم تلق محزوناً ولا ضمناً يأسى لدى القصر أو يأسى لدى الطلل
أين الفرار ؟ ولو شط المزار بنا فكيف دون نسيس طال مرتحلى
فسائلى الله للأيتـــام مرحمة وللمساكين فى قُدْسِ الصلاة ... ولى

رمزى مفتاح

النعش (١)

يا زَورقَ الموتِ ماذا دهاك من ذى الحياة
فرحْتَ عَجلانَ تجرى لضجعةٍ فى فلاة !

« • »

غادرتَ دنياك لم تحفل بضجّتها حولَ الركاب .. ولا بالمدمع الجارى
يمشى اليتامى بأكبادٍ ممزّقةٍ من الأسى ، ورحيل الموكب السارى
وللأرامل صرخاتٌ لها ضرَمٌ تحت الأضالع مشبوبٌ من النارِ

(١) من ديوان (أغانى الكوخ) الذى يصدر قريباً .

لاحتْ مناديلهنّ السودُ خافقة كأنما فُصّلتْ من حالِكِ القارِ
كأنهـا فى سمـاء الحزن أغربةٌ تنعى حيـاتك فى لهفٍ وإنذارِ

* * *

لفّـوكَ فى سـابِرِىّ مُـكللٍ بالزُّهُورِ
ما قيمةُ الزهرِ يزهو على طعـام القبورِ ؟

* * *

طوّفْتَ بالأرض حتى ملّ جانبها وعدتَ خسران منها نضو تسيارِ
كأنّ عـودك يوم البينِ مهتصراً ريحانةٌ فنيت فى جوفِ إعصارِ
واهاً على نظرةٍ لم يحظ مرسلهـا إلا برجع العمى من دهره الزارى !
واهاً على أعظُمٍ همتْ مصادعةً غول الردى فهوت من بطشه الضارى !
وأصبحتْ كاللّتى مُدَّتْ على خشبٍ مضمّخٍ بنفاح الطيبِ والغارِ

* * *

أيُسعِدُ الطيبُ مَيْتاً رنَتْ اليـه اللحودُ
أكفانُه عن قريب يسيل منها الصديدُ

* * *

يا عابراً هبط الدنيا فظنّ بها مراتعَ الخلد لا تُحصَى بمقدارِ
فراح يطربُ مخدوعاً بفتنتها ما بين لهوٍ وكاساتٍ وأوتارِ
حتى أدارت له الأيامُ هازئة كأساً مـبرّأةً من وصمـة العارِ
مِن كرْمةِ الدّهر.. مَن طافت بساحتهِ لا يستفيق صريعاً بين أحجارِ
وكم تزهّد لا تنفكّ سبحتُهُ مجنونة التوب من إثمٍ وأوزارِ !

* * *

حتى ثوى فى حضيرٍ وَيلاهُ من ظلماتهْ
يلهو مع الدُّودِ فيـه لهوَ البلى فى رفاتهْ

* * *

مهما سقى الوردَ ساقيهِ وأنعشهُ خمرُ الندى ، ونسيم الربوة السارى
فرفَّ تحت الضحى سَوْسانُه نضِراً فى موكبٍ من بنات الزهرِ ممطار
لا بدَّ للوردِ من ريحٍ تقصّفهُ رغم الضحى ومَعين الجدول الجارى
يا حامل النعش ! لا تعجل فانَّ أمتى من حيرة الموتِ أعيا البطش أفكارى
هذا الذى ضاقت الدنيا بمطمعهِ نصيبه كان منها عشرُ أشبارِ !

* * *

وتستوى إن تردَّتْ فى هاوياتِ الحتوفِ
جماجمُ البُلهِ فيها ومُخَّةُ الفيلسوفِ ؟

محمود حسن اسماعيل

رحلة فى عين امرأة

والتقتْ أعيننا فى لمحةٍ فاذا دنيا بعينيها بدتْ
فقفزتْ روحى لها فى سرعةٍ ورأت ما هالها فارتعدتْ

« • »

وإذاها وسط بحر صاخبٍ تصرخ الأنواء فى لجّاتهِ
وجرت مثل القضاء الغاضبِ صور الرعب على موجاتِهِ

« • »

أسلمت لله روحى أمرَها والذى ييأس ما أشجعَهُ
أغرقت والبحر يدوى حذرَها ومضت تصغى لكى تسمعَهُ

« • »

وأجالتْ طرفها فى أُفْقِهِ فاذا العالم ماءٌ وسماءْ
لست تدرى غربه من شرقهِ لا ولا تعرف من أين الضياءْ

« • »

هرب الموج إلى حيث هربْ وإذا البحر هدوء وسكونْ

وكأن الموت فى العـالم ربٌ   وصفت روحى لما سوف يكون

« ◦ »

وعلا من خلفها صوتٌ نـكيرْ   كخليطٍ من صراخ وعواءْ
وبكاء وصهيل وزئيرْ   ونهيق وصياح ومواءْ

« ◦ »

قائلاً : كيف أتيت ههنا   أيها الروح وماذا تبتغينْ ؟ !
فاجابته : أتعنينى أنا ؟   قال : أعنيك ! بصوت كالرنينْ

« ◦ »

فأجابته : لقد تهتُ فهـل لى   فيك من هادٍ وقد عزّ الهداهْ
إنمـا الحب مذلى ومضلى   كان إبليساً فهل أنت الالـهْ ؟

« ◦ »

أيها الصارخ من خلف الأفقْ   أرنى وجهك استهدى بهِ
إن تـكن قد نمت عنى فأفقْ   واطردْ النومَ إلى طلابهِ

« ◦ »

فبدى فى الأفق شيخ ماردْ   جسمه نور بذقن من شعاعْ
ولعينيه ضياء شاردْ   يكشف النور ويستجلى الخداعْ

« ◦ »

قال : هيا أيها الروح تعالى   أنا أعطيك الذى تبغينهُ
أنا من يهدى بديجور الليالى   والذى علمنى تدرينهُ

« ◦ »

فاطمأنت ومشت روحى اليـهِ   ومشت أحلامها فى إثرها
وقفت وامتثلتْ بين يديْهِ   والأمانى رقصت فى ثغرها

« ◦ »

قال : أنت الروح ، أين الجسدُ ؟ فأجابت : هو فى حضن امرأه !
صرخ الشيخُ بها يرتعدُ : لا تقولى امرأةً بل أوبئه !

« • »

إنما المرأة للكون الشقاء وهى أصلُ الداءِ فى محنتهِ
أوجدت فى الأرض خبثاً ورياء ونَضت آدمَ من جنتهِ

« • »

هى والشيطانُ أوفى صاحبين سكنت روحاهما فى جسدِ
يفهمان الحبّ للانسان شين فهما والغدر طول الأبدِ

« • »

قالت الروحُ : ومن أنت إذن ؟ أحكيمٌ هاربٌ من عالمه
فبنى فى أفْقه هذا السكن وجرى مبتعداً عن ظالمه ؟!

« • »

قهقهَ الشيخ طويلا فى غضب ثم نادى : يا لها روح غبيه !
لم يكن فى حسبها أنّى ربّ خلتها تصلح للحبّ نبيه ؟!

« • »

أيها الروح أما زلتِ جهوله ؟ أنا ربّ الحبّ فى هذا الوجود
إسمعى يا روحُ دينى وأصوله إنه باقٍ كما يبقى الخلود

« • »

بَشّرى للحسن فى كلّ مكان واعبدى آلاءه فى جسمكِ
واسجدى خاشعةً أيان كان واجعليه ربنا فى وهمكِ

« • »

أيّها الروحُ تعالى وانظرى جنّةً شيدتِها من أمدِ
حسنها نسّقتهُ فى خاطرى فاذا عينى تراها ويدى

« • »

كلُّ روحٍ عشقت ثم انقضى جسمُها تمضى اليها فى أمان
قد تناءى الحبّ عنها ومضى واستراحت فى ربى هذى الجنان

« • »

ثم سار الربُّ موفورَ الوقارِ ومشت روحىَ تعدو خلفَهُ
سمعت فى الجوّ أصوات القمارى كل قمرىٍّ يناجى إلفَهُ

« • »

وخلا فى جنّةٍ واسعةٍ لعب الحسن على ضفاتها
وبدت فى آيةٍ رائعةٍ زمرُ الأرواح فى جنباتها

« • »

قالت الروح : أيا ربُّ أجبنى هذه الأرواح أرواحُ رجال
بعضك المرأة غبنٌ أىّ غبنِ فأجاب الربُّ : ما هذا السؤال؟

« • »

إنما المرأة لا تفهم دينى . لا ، ولا تفهم معنًى للحنان
ليس للمرأة روح فى يقينى فهى إن تنفق تمت كالحيوانْ !

« • »

غَضِبَتْ روحى وقالت ثائرة : أيها الربُّ تمرّدْت عليها
أنت فى عينى فتاةٍ ساحره تشربُ الخلد هنا من مقلتيها!

« • »

ومضت ترجع من حيث أتت تركب الموجات أنا والهواء
جاهدت فى السير حتى وصلت جسمها المجبول من طين وماء !

« • »

جالت الروح بدنيا عانيه ثم عادت كرجوع النادمة
قلبت إفاقها فى ثانيه وأنا بين ذراعىّ فاطمة !

مأمون الشناوى

المقبرة

هنا باحةُ الموتى هنا ملعبُ الردى هنا الموت خطّارٌ هنا الموت جاثمُ
هنا جسدٌ بالٍ وقبرٌ مهدّمٌ هنا أمم تثوى وتثوى عوالمُ
هنا اليومَ يومٌ واحدٌ ليس بعده نهارٌ مضىءٌ أو ليالٍ قواتمُ
هنا اليومُ يومٌ واحدٌ ليس ينجلى ولا يستجدّ الدهر أو يتقادمُ
هنا نوّمٌ ناموا طويلا وما دروا وماقصّ رؤياه على الناس نائمُ
هنا نوّمٌ ناموا خليين أفرغتْ من الهمّ أحناء لهم وجماجمُ
فلا قادحاتُ الاحن تقدح ها هنا صدوراً ولا غلٌّ وليس تخاصمُ
هنا يلتقى ضدٌّ بضدٍ، وها هنا تساوى نقىٌّ فى التراب وجارمُ
هنا مطرح الغاياتِ طرّاً وها هنا قصارى أمانىّ الورى تتراكمُ
هنا الحقّ يبدو فى جلالِ اهابهِ فتبطل أوهامٌ وتفنى مزاعمُ
هنا العالمُ المجهولُ رغم احتشاده بما هو مأهولٌ به متزاحمُ
هنا كلُّ شىء فى الحقيقة واحدٌ فما ميزته عن سواه معالمُ
هنا مرٌّ هاتيك الحياة، وانما هو الموت ظلٌّ للحياةِ ملازمُ

ابراهيم زكى





الشاطئان

تعالَى في حِمَى الفجرِ   نجُلْ بين الأزاهيرِ
فهذا مَلكُ الشعرِ   يناجي ربّةَ النورِ

***

تعالَى نحن في الدنيا   كروح الله في الزهْرِ
ونحن الطيفُ في الرؤيا   وشطّا ذلك النهرِ

***

تُحيِّينا مَوَجاتُه   وتلثمنا بتَحنانِ
وتحيينا نُسيْماتُه   بتقديسِ وإيمانِ

الحياة

تعالَى نسكبْ الدنيا   ضياءً فوق ممشانا
فنروى تُرْبه ريّا   ينمّي زهرَهُ الآنا

***

تعالَى ! ليس يدرينا   اذا ما جفّت الكاس
أنلقى مَنْ يساقينا ؟   تعالَى ! كلّهم ناسُ ... !

***

فطنتِ لبعضِ ما أعنى   فهل أحسست آلامى ؟
أعيش الآن في ذهنى   وذهنى فوق أيّامى !

حسن كامل الصيرفى

حظ الفنان

بلدٌ تضيع به الحقوقُ ، ويَعتلى — فيه الدعىُّ ، ويُدْحَرُ الموهوبُ
والعلمُ والشعرُ الرصينُ مجانةٌ — حمقى ، وصيحاتُ اليراع ذنوبُ
المجدُ للهو الجرىء ، فمن خلتْ — أيامُه من طيفه فحريبُ !
فانسَ القريضَ فقد شقيتَ بنظمه — وانهلْ شرابَ اللهو فهو قريبُ
واطربْ وشَبِّبْ بالجمال كما ترى — إنّ الحياة جمالها التشبيبُ !
كن كالحياةِ مخاتلاً ومعابثاً — أو لا ، فأنت الشاعر المكروبُ !

مختار الوكيل

مناجيات
أو
قصائد فى أبيات

ديك الصباح

قلتُ يوماً للديك ساعة صاحا : — هل تغنَّى لنا نشيد الصباحِ ؟
قال : لا ، بل بكيت يوماً راحا — ومحاه من صفحة العمر ماحِ !

الذئب

قلت للذئب : أنت وحشٌ ضارِ — قال : أظفاركم شأت أظفارى !
أفعارٌ أن يقنصَ الذئب سخلا — واقتناص البصير ليس بعارِ ؟
أفزع المرءُ كلَّ شاءٍ وإبْلٍ — وأخافَ الطيورَ فى الأوكارِ
استعاذ العقابُ فى الجو منه — واتقى النونُ شرَّه فى البحارِ
ولخيرٌ للشاة مخلبُ ذئبٍ — من شفارِ المُدى وشىِّ النارِ

المطر

بدت الأرض مرة فى الشتاء — ثرّةً مثلَ صفحه الدأماء

فسألتُ الغمام : هل بك خطبٌ ... مثل خطبي حتى بكيت بكائي ؟
قال: لا! بل دنّستمُ الأرضَ بالإ ... ثم فطهّرت وجهها بالماء !

لؤلؤة

شاهدتُ لؤلؤة كالبرق تأتلقُ ... على جبينِ أميرٍ سار مختالا
فقلتُ: ما أنت ؟ قالت: إننى عرقٌ ... من جبهة الزارع المسكين قد سالا!

المصوّر الشمسى

شاهدته حاكياً يأتى على الصورِ ... كأنما يتحدّى رسمه القدرا
فقلتُ : خلقٌ بلا سمعٍ ولا بصرٍ ... فلينفخ المرء فيه الروح إن قدرا !

الغروب

قلت للشمس : يا عروسَ السماء ... إنما تغربين فى عين ماء
فلماذا لحت قرصك إذ أشـ ... رق مثل العقيقة الحمراء ؟
قالت الشمس: إننى طفت حول الـ ... غربِ والغربُ سابحٌ فى الدماء !

محمود غنيم

تشابه ؟!

(إلى الشاعر توفيق احمد البكرى (١))

وقد يستوى ـ والصبحُ سلٌّ سهامَهُ ... على الليل ـ قومٌ هُجّدٌ، ونجومُ
أضاء بهم وادى الدُّجُونِ ، كما انجلت ... بتلك دياجير جَمّتْ وغيومُ
وأسلم كلٌّ للشموسِ ذِمارَهُ ... فواقاه نورٌ ساحرٌ وعميمُ ؟!

بيروت احمد طبانة

(١) بمناسبة بيتيه المنشورين بالعدد الماضى من أبولو (صفحة ٨) بعنوان « تشابه ! »

انتحار الشمس

مفتونةٌ باللهِ في غيبهِ — تبحث عنه في ثنايا الوجودْ
وتُرسلُ النورَ نهاراً فلا — يستطلعُ النورُ خبايا الخلودْ
أعجزها مخبأ معشوقها — ولم تطقْ هجرَ حبيبٍ شرودْ



الآنسة سنية العقاد

فاسلمتْ لليأس وجدانها — وشاهدت في الغرب سحرَ اللحودْ
فاستشهدتْ في الماء حتى بدا — في مشرق الكون خيالٌ يرودْ
فدبَّ فيها الروحُ واستيقظتْ — تدعو الخيال المختفي أن يعودْ!

سنية العقاد



سيف في هباء (١)

فيم الشكاةُ من الأحداثِ والنوَبِ ولسن يعرفن معنى اللوم والغضبِ ؟!
لو اتّصفن بما في الحيِّ من خلقٍ لكُنَّ أحرصَ من حيٍّ على الغلبِ
لا تشكونّ لمن تبغى معونته فالشكوُ بئس نصيرُ الحازم الأربِ
علاج نفسك كتمانُ الهموم بها وأعضل الداء داء العلم بالكربِ
ان الحياة لحربٌ عجزُ عاجزها أردى من العجز يوم الثأر والطلبِ
لو لم يكن طبعنا فيها تفاضلنا كان العمى كالهدى والصُّفرُ كالذهبِ
ن المودّات صرن اليوم أسلحة لمن يريد فقول الغالب الشغبِ (٢)
وشيمة الغدر في الانسان باقية لو أنه في جنانٍ بالخلود حُبي
ما زلت أطلب دنيا همها نصبي حتى ذبلتُ ذبولَ الغصن ذي النجب (٣)
ومن مساوىءِ هذا العصر أن له عيناً تريه مكان الرأس في الذنبِ
تناعبت فيه غربانٌ أمدٌ لها أنَّ السميعَ قريبُ العهد بالخربِ
وللزوائفِ فيه المجد مكتسَبٌ والخالص المحض ثاوٍ غير مكتسبِ
عمى صريحٌ ولا عين يخال بها ان الضحى كالدجى والنمل كالشُهُبِ

---

(١) من قول المتنبي
وما فكرت قبلك في محالٍ ولا جربت سيفي في هباءِ
(٢) الشَّغِب بكسر الغين : المشاغب (٣) النجب حلمات في الغصن ينبت منها الورق



انّا رُزينا بأفاكين قد خلعوا … ثوب النبوغ على الأخشاب والنُّصُبِ

نوْكَى قد آئتمروا بالشعر فانتظموا … إلبآ ، ونادوا له بالويل والحرَبِ

بغوا لكى يهدموا روحاً مخلدةً … أعلى وأبقى على الأحقابِ والعُقبِ

راموا القريض فلما أخفقوا حملوا … على القريض وهذا أعجبُ العجبِ

قالوا : الجديد ! فقلت القوم فى لغطٍ … وعازبُ الفكرِ ما ألقاك فى العطبِ

هاتوا الدليل ! فما كلُّ الجديد بذى نقع ، ولا كل عادىٍّ بمجتنبِ (١)
وطلقوا اللفظ لفظ العرب والتمسوا لفظاً كدمدمةِ (الوابور) فى الرحَبِ
واللهُ والحبُّ موجودان من قدمٍ فجددوا ثم صيدوا الباز بالخرَبِ (٢)
ان السموات قد طال الزمان بها فكيف جئتم ولم تقلب على عقبِ
بل ابتداعاً وافصاحاً وتعليةً اذا بنيتم على الماضى من الحقبِ
قديم أصلٍ ولا مستحدث عرضٌ وأين نفسىَ من أثوابىَ القشبِ
وجدة الكون أبقى من مظاهره مهما تراوحن بين الخلق والشجبِ (٣)
ولو تقادم شىءٌ فى حقيقته لما استجدَّ باجهادٍ ولا دأبِ
أين اليراع الذى يجرى بلا عنتٍ كالشمس تجرى بلا منٍّ ولا صخبِ ؟
أين الصحائف تجرى فى طرائقها سوابق الفضل والابداع والذربِ ؟ (٤)
شرُّ المناظر وجه أنت مبغضه وشر رأييك ما أغواك بالكذبِ
وَغْبٌ يريد اجتنابى خوف معرفتى والحضْرمُ الفجُّ يخشى جانب العنبِ (٥)
لئن خلتُ فتبرٌ فوقه طبقٌ وإن عُرِفتُ فشعرى حليةُ اللببِ
شخيصٌ يلوح بلا طبعٍ يعازُ به كأنما هو مخلوقٌ بلا عصبِ
مهوَّم الرأس مرخاةٌ ترائبُه كأن ثوبيه قد لِيقا على خشبِ
كأيّل السهل أمسى قد تقاذفه خوفٌ من الورد أو كالثور ذى الغببِ (٦)
أعياه شعرى فلاقى الويل من كمدٍ إن الحسود لفى ذلٍّ وفى تعبِ
يرنو بعينين عن خبثٍ وسيئةٍ مصفرَّتين كعينىْ أسودٍ سربِ

---

(١) العادىّ القديم (٢) الخرَب ذكر الحبارَى وهو طائر ضعيف
(٣) الخلق : التكوين . والشجب : الهلاك والفناء (٤) الذرب : الحدة والمضاء
(٥) الوغب : الاحمق (٦) الغبب : اللحم المتدلى تحت الحنك .

يهجِّنُ القول صوتاً غير ذى نغم كما يكرُّ سِقاءُ البئر ذى الكربِ(١)
وشيمةُ الشاعر الشادى تَطرُّبهُ للمرسلات مع التقريب والخببِ
ان الأمور لفى التعقيد موضعُها فما المجىء بذا التعقيد والنصَبِ!
مَن لم يكن لبيان القول ملتمساً لم يُحسِنِ القول فى شىء ولم يُصِبِ
من أىِّ غارٍ خرجتَ الأمس منجرداً جئت تبغى منالَ الشعرِ بالكتبِ
بل ما فعلتَ الى أن صرت محتجباً بحاجب نِدٍّ عمٍّ منك أو كأبِ؟
قد كان يأمل لو أضحى بمنزلةٍ لما رآك فلم يظفرْ ولم يَخِبِ
والعبد فى العسر مثل اليسر طينتهُ أهل العقوق وأهل الظنِّ والريبِ
لا تحسبَنْ فى لئيمٍ نخوةً أبداً فحاطب الليل يلقى شرَّ محتطبِ
مصاحب الحر حرٌّ فى شمائله وصاحب العبد عبد النفس والحسبِ
وخدمة العبد كربٌ عند سيّده فكيف بالعبد يدعى قدوة الأدبِ!
يا عبدُ إلاَّ تدعْ غبنى تَشِطْ هدراً فى خاطرٍ كتيارِ البحر ذى العَبَبِ(٢)
مستوبلٌ مثل ريب الدهر وطأتُهُ فكل راقٍ به هاوٍ إلى صببِ(٣)
أكسو اللئيم شواظاً من جهنمه وألبس البرَّ ثوب الروض ذى الرَّببِ(٤)

حبيب عوض الفيومى

(١) الكرب: حبل يربط بالدلو (٢) شاط: هلك، والعبب: الموج.
(٣) الصبب: الانحدار (٤) الربب: كثرة النبت والتفافه.

فى الأزبكية

النظرة المفسرة !

فى (الأزبكيّة) والنسيمُ عليلُ والجوُّ وضّاحُ الجبينِ صقيلُ
ينساب حُلمُ العيد فى أثنائه وكأن خفق نسيمه تهليلُ
وكأنه خدٌّ أسيلٌ ، رَيّقٌ نضرٌ ، وَرجْعُ نسيمه تقبيلُ !
وكأنَّ حاليةُ العذارى أمّلت ورنت اليه ، فزانه التأميلُ !
من حسنها ودلالها وأريجها صُورٌ ترف خِلاله وشكولُ
والزهر فوق الماء مثل أوانس فى الماء عاريةٍ عليه تجولُ
يبدو جمال الطُّهر فى تكوينه ما ثمَّ إغراء ولا تضليلُ
وعلى حفافيه الزهورُ كأنها متفرجون على الضفاف مثولُ !
والماء تكنفه الغصون كأنه طفل بأيدى الحانيات عليلُ !
سرحتُ طرفى والفؤاد موزّع رانت عليه بلادةٌ وذهولُ
ووقفت أبحث عن معانى ما أرى والشك يطغى ، واليقين ضئيلُ
أترى الجمال حقيقة فيما أرى أم ذاك وهمُ العين والتخييلُ ؟!

« ٥ »

حتى بدا متمايلاً فى مشيهِ ملكٌ تدلّـله الحياةُ جميلُ !
متخايلا كتخايل الطاووس ، فى زهوٍ يداعب عطفه فيميلُ !
محض الأنوثة فى معاطف قدّه وعلى . حُلاه ترجُّلٌ معسولُ
فى كل جارحةٍ له يدعو الورى للحب والفن الجميل رسولُ
يمشى (ملاك الفن) فى آثاره متلمظاً منه اللعاب يسيلُ
ففهمت ما أرَجُ الزهور وحسنها وعلام تلعب بالغصون قبولُ !
فكأنما سرّ الطبيعة مشكلٌ وكأنه التفسيرُ والتعليلُ !

« ٥ »

يا أنتِ! يا مَن لستُ أدرى ما اسمها ! غالت فؤادى من فتونكِ غولُ
فسّرتِ لى معنى الحياة بنظرةٍ تَنّى يُبِنْ لىَ غيبُها المجهولُ
لو جئتُ مصرَ لها نحسبُ لقد كفى نظرٌ الى مرِّ الوجود عجولُ
ماذا بمصرَ ؟ وفى محاجركِ انطوت أهرامها فى قدسها والنيلُ !

« ٥ »

ويلى على شفتيكِ ! لو لىَ لثمةٌ يَنجاب عنها الوجدُ وهو قتيلُ !
أحيا شجاعاً لا أبالى بَعدَها سيّان تقصرُ مدّتى وتطولُ
تبقى حلاوتها على شفتى ، اذا أخذت عظامى فى التراب تحولُ !
واذا صَليتُ لظى - ولا أُصلِيتُها - هدأت بها النيران وهى تصولُ
واذا احتوتنى الخُلد زاد نعيمَها بَردٌ على شفتىَّ ليس يزولُ
ترشف الحورُ الحسانُ مكانها منى ، ولا يشفى لهنّ غليلُ !

« ٥ »

أوّاه للفنّان عفٌّ إزارُهُ ! كم ذا يذوب فؤادُه المتبولُ !
ظمآن ، والماء المثلّج دونه ملء الكؤوس ، وما اليه سبيلُ !
تتبع التقوى خطى أقدامه وكأنما هو وحده المسئولُ
وتراقب الأخلاقُ لحظَ جفونه وحسابها عند (الضمير) طويلُ !

على أحمد با كثير



ظلال الضنى

أغضبَ الناسَ أن أشحتُ عن النو ر ، وانى أفضتُ من عبراتى
واجتويتُ المياهَ والزهرَ البا سمَ ، والطيرَ ، والجمالَ المواتى
والشروقَ البهيجَ ، والقمرَ الحا لم ، والسُّحْب ، والتلالَ النواتى
والجمالَ المُشاعَ حيثُ رمى الطرْ فُ ، وفيما انتهى من النغماتِ
والجمالَ الخبئ يدركه الشا عرُ فيما يُحسُّ من خلجاتِ
أنكروا مدمعى العزيزَ ، ونوْحى وأنينى لضيعتى وفواتى !
لم أقصِّرْ ، وانما أفنَ الجدْ دُ فأوْدَى بمنتهى رغباتى
ثم لما غدوتُ يلفحُنى الهمْ مُ فتعوى لمحنتى حسَراتى
نُحتُ ما نُحتُ من صميم فؤادى وابتذلتُ العصِىَّ من دمعاتى
وانتهى مدمعى ، فقدمتُ قلبى فى قرابينَ لم تُقدَّمْ لذاتِ
واجتويتُ السعودَ ، لكن برغمى ثم أمسى برغبتى فى انفلاتِ !
إذ كشفتُ الحياة فى مثلثيها ثم روّيتُ بالحيـــاة مواتى
واستمعتُ الغريدَ من طىِّ نفسى واشتممتُ العبيرَ من خطراتى
ثم غُيِّبْتُ فى مخارف هـذا الـ كوْنِ تذكو بجانبى نفحاتى !
والتمستُ الطريقَ فى ظُلَمِ الغيْـ بِ التماس الطريقِ فى الصَّحواتِ
واجتليتُ المنى على ظُللِ الآلا م كالحُلْم فى عيون الغُفاةِ
واستمعتُ النداء يخفقُ حولى خافقَ الفيض فى قلوب الهُداةِ
كنتُ فى رحلةٍ ألذّ من الصفوِ ، وأشهى من ابتسام الغـداةِ
عُدْتُ منها وقد رأيتُ حياةَ الخلقِ ضربًا من افتتانِ الغُلاةِ
لا الشقاء الخصيب قسط بريئيها وليس الهنـاء قسط الجناةِ
الهنا والشقاء : ذاك اعتبارٌ ما تشأ منهما تُصِبْ فى الحياةِ

والهنا والشقاء صوتٌ تَهادَى ثم قد ذابَ في رياح الفلاةِ
حقّقْ الأمر تسترحْ : فقريبٌ مِن معانى السقوطِ معنى النجاةِ؟!

* * *

بصّرونى بما أردتم ، أصفهُ وأوانى بكلّ لحنٍ مُواتى
هذه ظلمةٌ ، ويأسٌ مُنيخٌ ودُخانٌ على ماضٍ وآتِ
ورياحُ الهموم تنعبُ فى الأفـــقِ ، وتجرى إلى مصطرخاتِ !
وطيوفُ الأمى تناوحُ حوْلى مُنذراتٍ ، فأبعدوا مُنذراتى !
ثم إنى — ولم أفُزْ برجاءٍ — جلّلَ الفوْتُ مطمحى بافتئاتِ
حاضرى فى الشقاء يربط ماضىَّ ومستقبلى بحبل الشكاةِ
وأمانىّ فى السما قدَماتٌ هائماتٌ ، وغيرُ ملتقياتِ
كلُّ حظّى لودْقِها نظراتٌ ثم أطوى لبُعـدِها نظراتى !
أثِمَ الحظُّ واستحلَّ حرامى كيف لم أحتسِبْهُ فى زفراتى ؟
ليس بالشاعر الأمينِ كذوبٌ عدّ ما لم ينلهُ من نزعاتِ
إنما الشاعرُ الأمينُ رسولٌ بلّغ الحقّ فى الشجا والهناةِ
نحن فى معشرٍ أضلّهم البهرجُ ، ما لى وما لشأن الغواةِ !
لم أنافقْ ، فكيفَ أنتقضُ اليو مَ على خلّتى ، وأنكرُ ذاتى ؟!

* * *

لم أقلْ ما أقولُ يوماً ليرضوا أو ليأسَوْا ، فما أبالى فلاتى
لو أردتُ النفاقَ قلتُ مقالاً سار مَسْرَى العبيرِ فى النسماتِ
غيرَ أنى — وقد أضرَّ بىَ الغِشُّ — حقرْتُ النفاقَ دون لداتى
والنفاقُ الحياةُ : إن يردِ المرْ ءُ حياةً تلذّ حتى الوفاةِ
مَن يكن خانهُ الزمانُ فلا جا هَ ، ولا صِهرَ عمَّ بالبركاتِ :
فالنفاقُ النفاقُ يُبلغهُ الذرْ وةَ والمجدَ فى مَدى لحظاتِ !

بعْ إن اسطعت مِصرْفَ طبعك سمحاً تشترِ الحظ غارقاً فى الثباتِ!

***

يا دياراً أضاع مِثلىَ فيها مسحةُ الفقر فى اعتداد الأباةِ
بدِّلينى ببعض علمىَ ثوْباً نابهَ اللوْنِ، ضافىَ الجنباتِ
وامنحينى ببعض خُلقىَ مالاً قاهراً فى الأنام كالمعجزاتِ
سوف تُلفينى وحوْلىَ قومٌ أكبرونى على معيبِ صفاتى
فأنا العالِم الأديبُ على جهـــلىَ بعدُ، النبيلُ فى مخزياتى!
ثم إمّا سقطتُ هبّوا جميعاً كرّمونى وقدّسوا سقطاتى!
مالأَ القومُ، إنما كرمونى والمرامى بعيدةٌ عن سماتى
لوْ حُبيتُ الغباء عِشتُ سعيداً لا أرى المضحكاتِ كالمبكياتِ!

***

داعىَ الشعر! ما لِمصرَ وللشعر، وفيها يطاحُ بالحرُماتِ؟
والخفافيشُ حين تمشى وتنزو عُذرها مؤلمٌ من المؤلماتِ
نحن قومٌ نُعِزُّ منزلة الجا رِ وحتى بأحرج الأوقاتِ
لا نبيعُ الجِوارَ والأملَ السمحَ ونشرى محارمَ المكرُماتِ
كلُّ جارٍ بأرضنا أستاذٌ ما الذى تبتغى من البيّناتِ؟
مَنْ يدُلُّ الشبابَ أنّ الى الشهرةِ باباً لهم من الهيّناتِ؟
ذيلوا شدوكم بتونس والشا مِ وحلفا، ونحو تلك الجهات.
أوْ رِدوا منهلَ المروق ونادوا إن أردتم باسْمج الفلسفاتِ
ثم قولوا: «الجديد» إن عذل النا سُ، وغنوا بمطلق الشهواتِ
أو فكونوا بطانةً لكبيرٍ واعبدوه: يُنِلكم الرغباتِ
لا أريدُ الجزاء فانطلقوا الآ نَ بنصحِ مجربٍ مِن ثقاتِ!

***

إيهِ يا شمرُ كم يلذُّ بكَ الوحيُ! فصوّرْ لنا عن الامِّحاتِ!

كلّ فسْلٍ يعود أفتكَ بالشر ق ومصرٍ منَ الأذى فى اللَّهاةِ
رجَّعَ الغربُ بين جنبيْهِ صوْتاً أبيضَ الوقع ، أسودَ المشتهاةِ
أرقَصَ الحِبُّ فوق رأس أبيه وعلى مجد كلِّ أسبق عاتِ
مِنْ بهاليلَ كلهم نفحَ الغر بَ بريقَ القنا وريقَ الدَّواةِ !
خدَّروه ، فنبَّهوه ، فكلُّ العا رِ أن نستسيغ ثأرَ العُداةِ
إنّ منْ يحقر الوراثة فيه : مات بالذُّلِّ قبل يوم المماتِ !

* * *

خلَقَ النهضةَ الحقيقة فى العا لم ذا الشرقُ ، فاهتفوا بالصَّلاةِ
مَهبِطُ الوحى ، مبعَثُ النور والعِلمِ ونبعُ الهدى ، وبيتُ الدُّعاةِ
منه موسى ، ومنه عيسى وطه مُطلِقُ الفكر ، مُعلِنُ النهضاتِ
قل لهيجو ، وشكسبير ودانتى وأناتول من سُقاة النواةِ :
هاتِ ذكرَ الرِّجال مُذْ خُلِقَ التا ريخُ فى مصرَ غُرَّةَ الشرق ! هاتِ !
واذكر العزَّ والفخار وصدق الجا هِ ، والعلم فى الفتى والفتاةِ
ثم ذكِّر به العُفاةَ من النا س وعَدِّ المثالب المفتراةِ
أيُّها المدَّعى هنالك مجداً ! ها هنا البحرُ ، ما غَناءُ القناةِ ؟
رنَّحتْنى شذا مساعى جدودى هاتِ نخبَ العُلا ودوِّرْ سقاتى !

* * *

أنت يا مَنْ حماتَ مصحف هَيْنى مقبلاً مدبراً بغير أناةِ
يلتوى بالكلام فوك فما ند رى الذى لُكْنَتُهُ من الكلماتِ
لُكنةٌ زادها تناولك « الموُ د » بمضغٍ ولا كمضغ الفُتاتِ
كل ذكرٍ مؤثّلٍ من تليدٍ أو طريف سحبتَ فى التُّرَّهاتِ
مَنْ يكنْ جاهلا بتاريخ قومٍ أنجبوهُ على طويلِ الشتاتِ
حَقٌّ ألا يكون حجةَ دعوى واضطلاعٍ بثورةٍ وافتئاتِ

وَيْلَكَ ! مَنْ هذه الحليلةُ ؟ والقطرُ به الحسنُ أروعُ القسماتِ !

حسنُ أنثى قد استفاض من القُدْ | س إلى القدس ، غير ذى شبهاتِ !
أىُّ إثمٍ أتيتَ فى حُرَمِ النو | ر ، وعارٍ حملتَ فى الظلماتِ ؟
عمرك الله ! هبْ أباك مسيئاً | هل ترى نقصهُ من الحسناتِ ؟ !
شرُّ ما يحملُ العقوقُ إذا كا | ن مِن ابنٍ مؤمّلٍ فى الحُماةِ !

* * *

مَنْ يكن « جامداً » يُطارَدُ مثلى : | حبذا جامدٌ على الطيباتِ !
ذى يدا شاعرٍ تزكى عن الحقْ | قِ على علمه بنقدِ الزكاةِ
سكنَ الريفَ والمدائنَ فرداً | ناسكاً ، لاجئاً الى الصومعاتِ
ليس يَعنيه بعدُ إن رَضِيَ النا | سُ ، وإن يسخطوا بأقسى أداةِ
قد وعدتُ السماء من كلِّ قلبي | وعْدَ حُرٍّ وَفِى بكلِّ العِدَاتِ

محمد زكى ابراهيم

بؤس الشرف

يا ذلةَ العيش بين البؤسِ والشرفِ | عيشٌ هو الموتُ فى الحرمانِ والتلفِ
إذا تناولتُ نجماً فى محاولةٍ | رأيتُه حجراً صفوانَ من خزف
ولو كشفتُ كنوزَ الأرض ما ظفرت | يداى منهـا بغير الحزنِ والأسفِ
لعنتَ يا ربِّ غـيرى واغتفرت له | هلاّ غفرت لشاكٍ غـير مقترفِ
أعيشُ فى أمة ضاقت رغائبها | بالدُّرّ وانصرفت حمالة الصدفِ
يمضى العبيدُ بها فى كل ناحيـةٍ | محملين من الأنعام والتحفِ
اذا رغبت عبيداً فالتمس ملأ | فى مصر يحيون كالأنعام بالعلفِ
أطعمت يا ربِّ هذى الناس من ذهبٍ | ونحن قيد الطوى نشتاق للرُّغُفِ
وكنتُ أولَ مَن يشدو لمؤتلفٍ | فبتُّ آخرَ مَنْ يرثى لمختلفِ

وضمّنى الدهرُ والأمواتُ فى جدثٍ ... نرجو المراحمَ من بادٍ ومعتكفِ
أبى ! وأين أبى حياً ووالدتى ؟ ... لقد حسبتهما فى صالح السلفِ
فالبؤسُ أبعدَ عنى كلَّ مقتربٍ ... حزناً وقارب منى كلَّ منصرفِ
وردّنى فى الصبا شيخاً يضيق به ... عطفَ القلوب سوى هاوٍ ومحترفِ
وأطمع الوغدَ فى تمثيل متربتى ... وأركب النوك فوق الصدر والكتفِ
أحييتُ بالشعر أمواتاً فأهلكنى ... لأنّ سلمى به حربٌ لمنتصفِ
لاهُمَّ ضاع شبابى وانتهى أجلى ... ولم أذق نهلةً من كوثر الشرفِ
معيشتى صدفةٌ والموتُ أرقبُه ... مهما يطل زمنى من عثرةِ الصُّدفِ !

عبد الحميد الديب



يا ليتها

(مختارة)

يا ليتها نظرتْ للنار فى كبدى ... الدمعُ يُطفئها والحبُّ يُذكيها
منها أغارُ عليها فى تلفتُّها ... كذلك منى عليها فى تثنيها
إنْ كان فى العمر أيامٌ مؤجَّلةٌ ... فمنيتى أن أظلَّ العمرَ أفديها

ابراهيم حسين العطار



أشعار الفارس المريض

أزيح الستار فى أواخر شهر مايو المـاضى عن النصب التذكارى الذى أقيم فى كنيسة وستمنستر تخليداً لذكرى شاعر استراليا القومى ادم لندساى جوردون بمناسبة مرور مائة عام على مولده بحضور دوق أوف يورك ورئيس أساقفة لندن .

والنصب المذكور عبارة عن تمثال نصفى من صنع المثالة الشهيرة هلتون يونج ، وقد كان لأهل استراليا السبق فى تقديمه وكان اغتباط انجلترا عظيماً بهذه الهدية وإن كان النقدة أصبحوا يمقتون فكرة اقامة تماثيل للشعراء فى الكنائس والمتاحف ويعدّون ان هذا ليس دليل العبقرية أو النبوغ .

ولكن تمثال الشاعر جوردون لا يمكن أن نطبق عليه هذه النظرية ، فشعره - كما يصفه رئيس الاساقفة - « يبعث فى النفس نشوة ، وتشعّ من جوانبه روحانية وميضة » .

وجوردون انجليزى الأصل، وقد وُلد فى جزيرة فايال والتحق فى صباه بمدرسة ولوتش الحربية ، غير أنه كان مشاكساً مغرماً بالفروسية وسباق الجيـاد والملاكمة وكافة أنواع المخاطرات ، فلم ينجح فى المدرسة وأرسـله أبوه وهو فى العشرين من عمره الى استراليا مزوّداً بكتاب توصية الى الحاكم العام ، غير أن جوردون مزق الكتاب عقب وصوله ، واشترك فى سباق الجياد والملاكمة ثم التحق بخدمة البوليس السوارى وكان شجاعاً مقداماً لا يضحك الا ساعة الخطر. فأحبه الاستراليون وأخذ ينظم الشعر، وكان نظمه يدل على أنه رجل منصرف الى العمل أكثر منه الى حيـاة التأمل أو العزلة شأن غيره من الشعراء ، ووصفه أحد النقدة بأنه الشاعر الهابط اليهم من السماء !

وتوفى والده بعد بضعة أعوام فورث عنه ثروة طائلة وأخذ ينظم حياته البيتية

فتزوج فتاة كان يحبها ، غير أنه مرض مرضاً فجائياً منعه من مزاولة أى عمل فانقطع فى هذه الفترة الى الشعر ونشر ديوانه الأول والأخير «الفارس المريض» . وكانت ثقافة الاستراليين محدودة الى ذلك الوقت فلم يستطيعوا أن يتفهموا أشعاره ولم يبع من الديوان غير مائة نسخة فى خلال ستة شهور !

ودبّ اليأس الى قلب الشاعر وأظلم الوجود فى ناظريه ، وزاد فى مرضه أن توفيت طفلته الوحيدة . وفى ذات ليلة هرب من فراشه حيث ذهب الى غابة قريبة وأطلق الرصاص على نفسه منتحراً ، وشيعت جنازته ولم يشترك فيها غير بضعة أشخاص من أصدقائه .

لقد صدق جبران خليل جبران يوم أن قال : موتُ الشاعر حياته !

فان جثمان جوردون ما كاد يتوارى فى التراب حتى هبّ النقدة يستعرضون « أشعار الفارس المريض » فى ضوء التمحيص فساءهم ان هذا الشاعر العظيم كان مغبوناً فى حياته ، لم يفهمه جيله لأنه سبقه بمراحل وان نظمه يقوم على الشعور الحادّ بجمال الطبيعة والتغنى بقومية استراليا .

والاستراليون يكرمون ذكراه اليوم لا لأنه كان شاعراً عظيماً كبيرون أو كيبلنج أو وردسورث ، بل لأنه كان شاعراً غير عاديّ له ملكة تدفعه الى التعبير عن هواجسه وأحزانه فى سهولة ورقة هى أقرب الى فلسفة الجمال منها الى استدرار الدموع أو الشعور بالندم ؟

محمد أمين حسونة



وليام وردسورث

العصر الكلاسيكى : يبدأ العصر الكلاسيكى فى الأدب الانجليزى من سنة ١٦٥٠ وينتهى فى سنة ١٧٥٠ بعد أن استمر قرناً كاملا . وقد عُنى فيه شعراؤه بوصف الوقائع الحربية والحوادث التاريخية ولم يعنوا بوصف الطبيعة . ومن بين الشعراء البارزين فى هذا العصر بوب وكامبل وكاوبر ، حتى قيض الله للأدب الانجليزى الشاعر المجيد وردسورث .

وردسورث : شاعر عبقرى نابه الذكر رائع الخيال رقيق النفس صادق الحس يأخذ شعره بمجامع القلوب لدقة أسلوبه ورقة معانيه وموسيقيته وتغلغله فى المشاعر الانسانية والطبائع البشرية .

وردسورث وشكسبير وملتن : يرى كثير من الأدباء أنه أمجد الشعراء الانجليز بعد شكسبير وملتن ، ويرى الآخرون أنه فى شعره الفلسفى وحكمته السامية ووجدانه الحىّ لم يسبقه سابق ولم يلحق به لاحق .

مقدرته الفنية : كان وردسورث يحلق فى سماء الخيال ويركن إلى الطبيعه يستلهم منها وحيه والهامه، هذا الى أنه كان شاعر الأطفال والمعمرين والمعوزين والموسرين كما كان نبراساً لهدْى المخطئين . اختلط بالجنس البشرى فألمّ بطباعه وغرائزه وميوله ومشاعره وعرف أكثر من غيره من الشعراء ـ حتى بيرون وشيلى ـ الى أى حد أثرت الثورة الفرنسية فى طباع الرجال بمختلف طبقات الهيئة الاجتماعية .

أثره فى الأدب : كان ناثراً كما كان شاعراً وكان شعره ونثره قطعة من نفسه تارة يحدوه الأمل وأخرى يعروه الوجل ، الا أنه فى النصف الثانى من حياته كان يتأثر بنقد الآخرين فينتقد ما حبّذ ويحبّذ ما نقد ! وكان لهذا تأثير فى موضوعاته وأفكاره وأساليبه . ومما لا شك فيه أن له من الفضل وحسن الأثر على الأدب الانجليزى والفكر الأمريكى فى خلال القرن العشرين ما لم يكن لأىّ شاعر أنجبه القرن التاسع عشر ، حتى أعجب الأدباء والفلاسفة والساسة وأساطين العلوم والنقاد بروحه السامية ومشاعره الرقيقة وأشعاره الجيدة . واشتعلت الحرب العظمى فكانت ترمى بشرر كالقصر فلم ينس الساسة والمحاربون أن يذكوا فى صدورهم نيران الحماسة باستيعاب قصائده الوطنية، هذا الى أنه منح الهدوء محبيه ومقدّريه وما عرف الهدوء يوماً ولا ارتاح جسمه . وسيبقى فضله ويحمد اخلاصه ونبله وتعلو مثله العليا ويحيا شعره ما دامت الانسانية والنفوس البشرية.

مميزات شعره : من أخصّ صفات شعره رقة الاسلوب وسلاسته ودقة المعنى وطلاوته ونضوج الفكر وصدق الشعور ورائع الخيال . وكان شعراء العصر الكلاسيكى يعتقدون أن التعمق فى اللغة بأسلوب فخم من مستلزمات الشعر الجيد ، ولكنه خالفهم فى هذا فكان لفظه سلساً وأسلوبه سهلاً لا أثر للتكلف فيه .

رأيه فى الطبيعة : كان مفكراً وكان فيلسوفاً يستلهم الوحى بين أحضان الطبيعة

ومباهجها ، يكشف فى مكنوناتها مستغلق السر ،ويعتقد أن الماديات والمتاعب قضت على سعادة الانسان من جراء انفصاله عن الطبيعة وعدم الركون اليها، ولديه أن الطبيعة سفر يتعلم منه الانسان ما لم يعلم من بساطة وصفاء نية ورحمة ببنى الانسان ورأفة بالحيوان وقوة الايمان بالله خالق الكائنات وموجد الموجودات، ومن رأيه أن الشاعر رسول السلام ، والشعر إلهام يأتى فى صفاء النفس وصدق الحس ، والطبيعة من صنع الله ، أما المدن وضوضاؤها فمن صنع الانسان ، ويعتقد أن كل كائن حى من انسان وحيوان ونبات يشعر ويحس ، وأن حياة الانسان تتطور الى مراحل ثلاث: فهو فى طفولته يحب الهواء الطلق وفى شبابه يقدر جمال الطبيعة وفى كهولته يفكر فى التأثر الروحى لمباهجها .

أثر البيئة فيه : كان وردسورث الابن الثانى لجون وردسورث المحامى ، وقد وُلد فى ٧ ابريل سنة ١٧٧٠ وأمضى طفولته فى منزل فخم البناء فاخر الأثاث مطلّ على الطبيعة فى أروع مناظرها ، وقد تركت له ولاخوته حرية واسعة فى الاستمتاع بهذه المناظر الخلابة البديعة. وكانت أمه سيدة مهذبة حكيمة عنيت بتدريب غرائزه وتحويلها الى غرائز اجتماعية نافعة ، وكانت شقيقته دوروثى تقاربه فى الطباع والميول والسن والغرام بالشعر. وقد ماتت أمه وهو فى الثامنة من عمره كما لحق بها أبوه وهو فى الثالثة عشرة مخلفاً الأسرة فى حالة مالية تكاد تكون عصيبة . وكان للمناظر البديعة ومباهج الطبيعة من الأثر ما حرّك مشاعر الشاعر سواء اختلفت العوامل الطبيعية أم ائتلفت . وكان للبيئة المدرسية فى صغره أثر حسن إذ كان اخوانه فى العلم يمتازون بدماثة الخلق ورقة العواطف والصراحة والسذاجة . وقد عاشر وردسورث ذوى المتربة واختلط باليتامى ذوى المسغبة فأحبهم وتألم لآلمهم .

رقة إحساسه : تتجلى فى قصيدة عربتها عنه فى هذه القصة إذ يقول: «رأيتُ فى بلاد نائية رجلاً بديناً معافى يبكى فريداً وقد لقيته فى الطريق العام والدموع تبلل خديه، وقد أظهر الكثير من صدق العزيمة ، لكن كانت تعروه عبرة ترهقه . وكان يحمل بين ذراعيه حملاً "فنظرالىّ" وتكلف اخفاء ما بقرارة نفسه عنى فلم تحل سترته دون رؤيتى دموعه فتبعته وقلت: «ما خطبك يا صاح؟ وما الذى أبكاك؟!» فأجابنى: واخجلتاه يا سيدى ! ما أبكانى غير هذا الحمل فهو آخر قطيعى : فقد كنت صغيراً ثم يافعاً فشاباً فرجلا حنكته التجارب فاشتريت نعاجاً وأغناماً ثم تزوجت وأنجبت وأثريت ، وبارك الله فى مالى وعيالى وأكثرت من شراء الغنم ترعى تلال كوانتوك

ولكن لم يبق من قطيعى الا هذه اولى ستة أطفال أعولهم وقد أصابتهم الفاقة فألحوا علىّ ببيع جزء من غنمى لأكفّ عنهم غوائل الفقر المدقع فكنت أبيع الواحدة إثر الأخرى فكانوا سعداء وكنت شقياً تسيل نفسى حسرات كلما رأيت أغنامى تذوب ذوبان الجليد تحت أشعة ذكاء. وما زلت بالأغنام أبيعها وكأننى أستنزف من نياط قلبي قطرات من الدماء، فقد كان القطيع عزيزاً علىّ كأولادى ولا زال ينقص من عشر الى خمس الى ثلاث الى واحدة هى التى أحملها بين ذراعى فهى آخر قطيعى!»

رائع خياله : وآية ذلك ما كتب مناجياً النوم إذ يقول : «رقدت ليلة متوسداً السهاد فتخيلت فى عقلى الباطن منظر الأغنام سائرة فرادى سيراً وئيداً وصوت الأمطار المتهاطلة من ميازيب السماء وطنين النحل وخرير ماء البحار وعصف الرياح. ورأيت الحقول المريعة وصفحة الماء وصفاء السماء وسمعت تغريد الأطيار على منابر الأشجار. وقد سهدت الليلة المنصرمة وليلتين أخريين فكأن بين جفنى وبينك أيها النوم حرب عوان. فلا تحرمنى الليلة اغفاءة الفجر أيها النوم الفاصل بين اليوم واليوم، فما أنت الا أمّ حنون وموئل الأفكار الحلوة والصحة التامة».

حياته المدرسية وأثر الثورة الفرنسية : تخرج فى جامعة كامبردج سنة ١٧٩١ إذ بلغت الثورة الفرنسية أشدّها فامتلأ حماسة وحمية وطنية ونزح الى فرنسا فسحره الفرنسيون بعاداتهم وحسن ذوقهم وذكائهم ولغتهم وانخرط فى سلك طائفة الجيروندبين ونجا من المقصلة التى كانت نصيب الكثيرين من أصدقائه وكان لآراء جان جاك روسو وشوسر وشعراء عهد الملكة اليزابث والأدب الايطالى والثورة الفرنسية أثر كبير فى شعره.

أهم مؤلفاته : عاد وردسورث الى انجلترة سنة ١٧٩٢ وفى سنة ١٧٩٣ نشر «رحلة الى سويسرة»، وبعد أن مكث بجنوب انجلترة ثم بغربها فترة من الزمن اتخذ مسكنه فى اقليم البحيرات وهناك كتب معظم شعره وأصدر أكثر مؤلفاته. وفى سنة ١٨٠٠ نشر «الاغانى الوجدانية» فى مجلدين وهى فتح مبين فى ميدان الأدب الانجليزى من درر القصائد مثل «البلبل» و «الصياد العجوز» و «نحن سبعة» و «أبيات فى الربيع الباكى» و «الشوكة» و «آخر القطيع» و «المسلفر» وغيرها كثير. وفى سنة ١٨٠٢ دفع الايرل لونسديل ديناً لأسرة وردسورث مبلغا قدره ٨ آلاف جنيه وتزوّج الشاعر من مارى هتشنسون، وفى هذه السنة ألف كثيراً من

الشعر الرصين . وفى سنة ١٨٠٣ أصدر « أغنية عند حصن » و «اعلان الخلود» و «نشيد الواجب» و « أخلاق المحارب» و «المقدمة» و «سلطان الموسيقى» و « سفر قصير » وهذا قليل من كثير .

آلامه : بين سنة ١٨٣٣ وسنة ١٨٣٧ عانى وردسورث ملمات فادحة ومصائب جمة قابلها بصدر رحب وعزيمة دونها همة الشباب على الرغم من شيخوخته، فقد مات صديقه ولتر سكوت سنة ١٨٣٢ وتبعه أوفى أصدقائه الشاعر كولردج فى سنة ١٨٣٤ ثم شارلس لام فى السنة نفسها وتهدمت قوى أخته دوروثى العقلية وماتت ابنته المحبوبة دورا فمزق موتها نياط قلبه وغرق الى الاذقان فى بحر من الاحزان .

أكاليل الغار : قام بسياحة طويلة الى فرنسا فايطاليا فالنمسا فالمانيا . وفى سنة ١٨٣٩ نال درجة شرف من جامعة اكسفورد . وتلتها سنوات عشر بلغ فيها الشاعر أسنى ماتصبو له نفس كل شاعر على وجه البسيطة فقد كانت أمم الغرب - كأمة العرب - ولا زالت تقدس شعراءها وتمجد أدباءها فمنحته الحكومة الانجليزية لقب « أمجد شاعر » وأعطته تبعاً لذلك معاشاً سنوياً قدره ثلثمائة جنيه وهو مبلغ ضخم بالنسبة لزمنه ما كان يتقاضاه فى عهده أكبر موظف بالحكومة.

مناجاة القبرة : هى من أروع قصائده إذ يقول ما عربته عنه حرفاً بحرف :

أيها الطائر السماوى الذى يغنى فى الهواء ويحوم حول السماء ! أتزدرى الأرض وما حوت من شقاء ، وما اتصفت به من صنوف العناء ، أم أن فؤادك وعينيك - وقد رفعك جناحاك - تحن الى وكرك على الأرض المغطاة بالندى ذلك العش الهادىء الذى يتسنى لك النزول اليه وقتما تريد بجناحيك الساكنين وموسيقاك الصامتة ؟

اصعد أيها المغنى الجرىء الى مدى البصر أو أعلى ! فان الموسيقى العازفة بنغمات الحب المتأجج بين جوانحك لصغارك - ذلك الرباط المقدس الذى لا تنفصم عروته ولا تنضب شرعته - تبعث مروراً لسكان الأرض لا يقل عن سرورك! ومما تغبط عليه انك تستطيع أن تغنى سواء أكان ذلك فى فصل الربيع بأوراقه الخضراء أم فى غيره. تلك هى قوتك التى منحك الله اياها . دع البلبل يعيش فى الغابة المظلمة بوارف الظلال واسكن أنت فى حقل من النور خاص بك ، ومنه تصبُّ على سكان الأرض شآبيب الموسيقى العذبة المملوءة بالقوة التى أعطاكها الله وحرمها البلبل. أنت كالرجال الحكماء سواء بسواء تتأجج فيك الرغبة فى البحث عن الحرية المطلقة ، وفى بحثك

عن الحرية للتفيؤ تحت ظلالها تطيع أوامر الله جل شأنه : فقد قضت ارادته ـ ولا راد لقضائه ـ أن ينعم كل مخلوق بنعمة الحرية ، ولا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

وردسورث وبيرون وشيلي : كان وردسورث رسول السلام كما كان بطل الحرية متأثراً فى ذلك كما تأثر بيرون بمبادىء الثورة الفرنسية وكان كلاهما يقدس الحرية والاخاء والمساواة ويدافع عن الحرية الشخصية ، وكان شيلي متأثراً بنظريات الثورة الفرنسية أكثر منهما. وبينما كان بيرون يكره التقاليد والانظمة فى عهده نتيجة لما لقى من معاملة سيئة وتبعاً لطبيعته الثائرة كان شيلي يعتقد أن الناس خيرون بطبيعتهم وما أفسدتهم سوى الأنظمة التى تحكمت فيها الجماعة ورجال الكنيسة كما كان اشتراكياً نظرياً وعملياً . وكان كل من هؤلاء الشعراء الثلاثة جواداً كريماً وبالفقراء رحيماً . وقد اتفقت آراء وردسورث وشيلي فى نقطتين هامتين : أولاهما أن الجماعة تبلغ درجة الكمال اذا كمل كل فرد منها، وثانيتهما ان الطبيعة أم حنون ترقق مشاعر الرجل ، وتتجلى شخصية كل من هذين الشاعرين فى قصيدته (مناجاة القنبرة) . وقد ألممنا بقصيدة وردسورث، وأرى لزاماً أن ألخص قصيدة شيلي لنوازن بين الشاعرين :فهو يشبه طيران القبرة من الأرض وقت الأصيل بملاك صاعد الى السماء وبنجم متألق تخفى ضياءه أشعة ذكاء والقمر المنير يحجبه السحاب،وأغنيتها بتألق نقط الماء فى قوس قزح. فهى فى جمالها كشاعر غائب عن الوجود محلق فى سماء الخيال أو غادة هيفاء تغنى فى حجرتها أغنية الحب أو شذى الورود فى أكمامها ورنات المثانى وقطرات الربيع. ويشبه السرور المنبعث من أغانى القبرة بما هو أروع من الزغاريد وهتافات الاجلال وأكاليل الغار . ويقدر سرور بنى الانسان وإن عظم بقطرة من غيث سرور القبرة وتحنانها لصغارها . ويعتقد أن الشاعر لو فرح فرحاً خالياً من الشوائب كما تطرب القبرة اذن لأسمع الناس شعراً رائعاً لم يسمعوه من قبل . هذه قصيدة شيلي فى مناجاة القبرة ومنها نرى كثيراً من أوجه الشبه بينها وبين مثيلتها ، فمن ذلك :

(١) الرغبة فى الحرية : ففى قصيدتي الشاعرين يبحث كلاهما عن أصل السعادة فى صفاء سماء بعيداً عن أرض الشقاء إذ يقول وردسورث: «أتزدرى سكان الأرض الذين تحيط بهم المتاعب والشواغل إحاطة السوار بالمعصم » بينما يتساءل شيلي عن موئل السعادة والسرور فى الحقول أو خرير الامواج أو الوهاد أو النجاد .

(٢) حب الوحدة : إذ يقول وردسورث : «دع للبلبل غابته المظلمة واسكن انت وحدك فى جوّ النور تصب منه على سكان الأرض غيث السعادة» بينما يقول شيلى : «ان الأرض وموجات الهواء تردد صوتك وانت فى وحدتك كما يضيء القمر بلألائه فى السماء الصافية فى سكون الليل».

(٣) روح الاستقلال : إذ يقول وردسورث «انك تغنى مستقلا عن الربيع» بينما يقول شيلى «ان القبرة مستقلة فى عملها»

(٤) المثل العليا : يرى وردسورث القبرة مثلاً أعلى يحتذيه الحكيم فى الطموح وبلوغ أسباب المجد محافظاً على لغته وقوميته وأسرته متبعاً القوانين الالهية والوضعية، ويراها شيلى قدوة لبنى الانسان فى التمتع بالحرية التى لا حدّ لها واشمال ثورة تحطم كل القيود .

شعره الوصفى : من أروع قصائده ما وصف به النرجس المائى فى قصيدة عربتها عنه فيما يلى :

تجوّلتُ يوما فريداً كما تسير السحائبُ فوق الجبالْ
وما كدتُ أنظر حتى رأيت بقرب البحيرة بين التلالْ
وتحت الشجيرات فوق المياه أزاهرَ فاقت حدود الجمالْ
رأيت الأزاهر فوق أديم المياه ، وأجملْ بماء زلالْ
رأيت الأزاهر تهتز حين هبوب النسيم بصفو الليالْ
رأيت الألوف من الزهر تهتز صوب اليمين وصوب الشمالْ
رأيت صفوف الأزاهر عند خليج تميل بأحلى دلالْ
وترقص حيناً وتهتزُّ حيناً صفوفاً صفوفاً ، ولا من كلالْ
تحاكى النجوم المضيئة فوق المجرة أو هى مثل الهلالْ
سررت لرؤية نرجس ماء بديع الجمال خفيف الظلالْ
وانى عند اضطجاعى وعند اجتيالى وحيداً ، وأىّ اجتيالْ
وحين اشتغالى بفكر عميق وحين علوّى بأوج الجبالْ

وعند خلوّى من الفكر حيناً من الدهر، لا همٌّ عندى ببال
يجول بذهنيَ منظر هذى الأزاهرُ حيناً كسحرٍ حلالْ
فيرقص قلبي سروراً كما تهزّ الأزاهر ريح الشمالْ

شعر الوجدان : من أجود ما كتبه قصيدته فى « الربيع الباكر » إذ يقول :

« جلست مضطجعاً متفيئاً ظلال الأشجار الوارفة فسمعت أصوات الطيور الموسيقية فتواردت فى مخيلتي الأفكار السارة مؤتلفة معها الذكريات المحزنة ، وأحزنني أن أفكر فيما جلبت المدنية لبني الانسان من شرور ومتاعب . وفى ذلك المكان الظليل فى الغابة زحفت الأزهار المتسلقة على زهور الربيع الباكرة، وأني موقن أن كل زهرة يجب أن تتمتع بالنور والهواء ، فهى تحسّ وتتألم كما يتألم الحرُّ اذا ارتقى اللئيم على أكتافه ، ورأيت الطيور حولى تلعب وتصدح بنغمات السرور . لقد امتدت أكمام الازهار تستنشق النسيم العليل . ان الطبيعة مقدسة وهى من صنع الله ، وأما المدنية والمخترعات الحديثة فمن صنع الانسان ، وكم فيها من مساوىء ! » .

شعره القصصى : من شعره الرصين ما عرّبته عنه فى هذه الأبيات :

ليس عندى لكم سوى أمنيةْ ذكر تاريخ سؤدد (البندقيهْ)
ملكت قوة وملكاً وطيداً وعلت رفعةً بنفسٍ أبيهْ
نالت العزَّ والفخارَ وكانت ذات حسن بما تجلت غنيهْ
كانت الذخر للتجارة والعلم وزادتْ أرباحها الماليهْ
نالت المجد والهناء وحازت كلَّ فخر بروحها الحربيهْ
وسمت سؤدداً وعاشت طويلا فى رخاء بنعمة الحريهْ
وتجلت بسلطةٍ وتحلتْ بإباء وعزة وطنيـــه
كانت الفخر للمدائن نوراً موئلا للرقيّ والمدنيهْ
كانت الحرةَ الحصانَ فلم تخضع أيَّ وقتٍ لدولة أجنبيهْ
كانت الدرة اليتيمة فى البحر فكانت بقوةٍ معنويهْ
بقيت مدةً عروساً فلما لقيت زوجها تبدتْ وفيهْ

هى لم تنتخب سوى البحر زوجاً إذ رأت زوجها نقىّ الطويهْ
وعروس الأدرات لم تك ترضى باسارٍ وذلةٍ وشكية
غير أن الزمان إن يصف يوماً فهو ينهى صفاءه برزيهْ
فقدت مجدها العروس وذلت وذوى حسنها ولاقت بليهْ
ليت شعرى ألحزن لا نشتكى الهمّ؟ ألسنا من أنفس بشريّهْ؟
إنما نحن قد خلقنا رجالا وخليق بنا رثاء الضحيهْ
نحن قوم نبكى على الطلل البالى ونرثى العلاء والبعقريهْ
عزّها دارس وكانت فخاراً لا نرى الآن سؤدد البندقيهْ

رثاؤه : قال فى قصيدته (الطبيعة والشاعر) ما عربته عنه فيما يلى :

«قديماً كنت بجوارك أيها البناء المتهدم الذى عفت آثاره فقد سكنت قريباً منك فى أحد شهور الصيف وكثيراً ما رأيت ظلك منعكساً على صفحة المياه الصافية صفاء المرآة حيث السماء مصحية والهواء ساكن والأيام غرة فى جبين الدهر، فاذا رأيت ثم رأيت صورتك منعكسة فى الماء مرتعشة ولكنها باقية ثابتة . كم كان الهدوء شاملا لا يتغير بتغير الفصول ، وكم تخيلت المحيط الصاخب أرق الأشياء وأجملها .

كم كنت أود أن أكون المصور الذى صورك لأعبر عما رأيت فيك وأضيف اليه تخيلى النورانى الذى لا يوجد فى البحر أو الأرض ذلك التخيل الساحر حلم الشاعر . كم وددت لو شيدتك أيها البناء القديم فى وسط دنيا مختلفة عن هذه الدنيا الدنية بجوار بحر دائم الابتسام وعلى أرض هادئة تحت سماء نقية صافيــة . كم وددت أن أصورك صورة تجلب الأفراح وتذبح الأتراح . لا حركة فيك إلا المدّ ومداعبة النسيم وأزاهر الطبيعة . هذه الصورة فى مخيلتى كنت أرجو أن أرسمها لأرى الأمن الشامل واليمن الذى لا تشوبه شائبة . والآن عفت صورتك فقد شعرت شعوراً آخر إذ ينتابنى الضيق والحزن ، وكلما ذكرتك تجددت أحزانى .

بومونت أخى وحبيبى ! انى أرثيك والوم ذلك البحر الصاخب والشاطىء المظلم والسفينة القديمة فى الأمواج المخيفة تحت السماء الغاضبة . أمّا

ذلك القصر الضخم المرتفع فانى أحب أن أرى منظره مرتديا درعه القوى" فى الزمن المنصرم حيث الرعد والبرق والعاصفة والأمواج الصاخبة !

وداعاً أيها القلب المنفرد الذى عاش كحلم بعيداً عن سعادة البشر ! ومرحباً بالقوة فى وحدتى وبالصبر الجميل وبالنهز التى تتيح لى رؤية ما نتجشم ونتحمل. وانى أتلقى الذكريات السيئة الماثلة أمامى بصدر رحب وإن كنت أتألم لفرق حبيبى وأخى».

وفاته : فى ظهر الثلاثاء ٢٣ من أبريل سنة ١٨٥٠ وافاه القدر المحتوم فكانت حياة الشاعر فى موته : فقد سار صيته فى حياته بطيئاً وملأت شهرته الآفاق بعد موته سريعاً ؟

متولى نجيب



أغنية للخريف

أين سنذهب فرحين للبحث عن أكاليل الأزهار

عند انتهاء العام ،

عند ما تصبح الضفاف الجافة صفراء حزينة ،

عند ما تصير الأغصان صفراء ؟

أين الأكاليل القديمة التى كانت لنا يوماً من الأيام

ومتى ستكون الجديدة فى متناول أيدينا ؟

ماذا سنصنع من أجل أكاليل الأزهار

عند انتهاء العام ؟

* * *

أيها الطفل ! هل أخبرك أين تذهب الأكاليل ؟
هل لى أن أخبرك أين تختفى الأوراق الصفراء
على الضفاف الجافة الصفراء ، حينما تهب الرياح الجامحة ،
وهى تزأر وسط الغابة الميتة الساكنة ؟
أيتها الفتاة ! حينما تزهر أكاليل العام القادم
يمكنك أن تجمعيها ثانية ، يا عزيزتى
ولكننى أذهب حيث ذهبت أوراق العام الماضى الضائعة
عند انتهاء العام !

مقطوعة

يقال إن الأزهار المغموسة فى السم
أجمل رائحة
منها لو كانت قد ظهرت فى برعم مبكر
ولم يمسها الندى القاتل !

* * *

يقال إن الرجال المحكوم عليهم بالموت
يحبون الخمر العذبة المسكرة
أضعاف ما يحبون عصير
الكرم اللذيذ الطاهر !

* * *

يقال إن فى أغانى الجنة ،

بالرغم من غلظتها وجفافها ،
يكمن تيارٌ ساحرٌ من
الألحان العذبة الرقيقة !

***

وأنا أعتقد أن صوت الشيطان
يتغلغل صداه فى الأذن
إلى مَدىً أبعد بكثير من همسة تهمسها السماء
مهما كانت طلاوتها ومهما كان وضوحها !

آدام لينجس جوردن
(تعريب مختار الوكيل)

الجمال ام الحب ام الحق

(مقتبسة عن كنوت همسون الشاعر والروائى النرويجى
الحائز على جائزة نوبل لسنة ١٩٢٠)

ذهبتُ الى البريّة فى سكون الليل ، فلم أسمع الا أنفاساً تتصاعدُ من أشياء صامتة وكنتُ جاثياً أصلى حينما هبطَ علىّ يهوه . ولما جاء يهوه فرّ الريح من أمامـه ، وارتعدتْ الاشجار والصخور !

وكلمنى يهوه قائلا : « هل أنت تدعونى ؟ » فأجبتهُ بصوتٍ متقطع : « انى أصرخ فى ضيقتى » فقال : « هل تريد أن تعلم أى شيء تختارُ فى هـذه الحياة ؟ الجمال أم الحب أم الحق ؟ » وأعاد مستفهماً : « هل تريد أن تعلم ؟ »

وعند ما قال : « هل تريد أن تعلم ؟ » لزمتُ السكوتَ لأنه فهمَ أفكارى .

ومسح يهوه عينىّ فأبصرتُ : أبصرتُ امرأة طويلة القامة عالقـة فى الفضاء ، لا يغطى جسمها العارى الا جلدُها الناعمُ البضّ المتألقُ كالحرير الابيض .

وقفتْ عارية تنظر إلىّ عنــد بزوغ الفجر ، وأشرقت الشمس وانتشر نورُها القرمزىُّ فى الفضاء .

أجلْ ، نور من الدماء أُحاط بها .

وكانتْ ممشوقةً بيضاء ذات عينين كزهرتىْ بنفسج ، كلما رمقتنى بهما اهــتزت روحى فى أعماق !

وكلمتنى بلطفٍ وجذبتنى نحوها ، وكان صوتهــا المتقطع كهمسِ الامــواج فى الشاطىء فارتفعتُ عن الارض ومددتُ لها ذراعىّ ، وكانت تفوح منها رائحةُ الولهِ والافتتان ، فتحرك شعورى فى داخــلى فأعطيتُــها شفتىّ فى وَهج الصباح . . . وأطبقتْ عيناى !

وتطلعتُ ثانية نحو العلاء فاذا المرأةُ قد شاخت وابيضّ فرعهــا ، وظهرت فى وجهها الشاحب تجعدات أشــبه بتجعدات الغيوم فى فصــل الخريف ، واذا بشعلةِ الصبا والشبابِ قد خمدتْ ولم يبق فيها الا نزرٌ قليل من الحياة وكانت الظلمةُ تنشر أجنحتها فى الفضاء .أجل ،كان الفضاء أسود كالليل ، ونظرت اليها فلم أعرفها ولم أتبين السماء حولها ، ونظرت ثانية نحو المرأة ، فاذا بها قد اختفت !

فهزلى يهوه قائلا : « هذا هو الجمال . الجمالُ يتضاءل ويزول . أنا هو يهوه ! » ومسح يهوه عينى ثانية فأبصرت :

أبصرتُ شرفة عالية بازاء قصر منيف، جلس فيها شخصان تعلوهما نضرة الشباب وغمر نور الشمس الوهاج القصر والشرفة وانحــدر فى وادٍ عميق تحت قدم القصر وتــكسر على حصى طريق متعرج ينسلُّ الى قعره .

أما الشخصان فاحدهما رجل والثانى امرأة ، وكلاهما فى ربيع الشباب الأول .

كانا يتجاذبان أطراف الحديث بلذةٍ وينظر الواحد منهما الى الآخر نظرة شوق وحنان . فقال لها الشاب : «انظرى الزهرةَ على صدرى اهل تسمعين ماذا تقول ؟» وانحنى على حظار الشرفة الحديدى « ان هذه الزهرة التى أنت أعطيتنيها تنظر اليك وتقول : محبوبتى ! مليكتى آلفيلد ، آلفيلد ! فهل تسمعينها ؟ »

فأطرقت الفتاة مبتسمة وأمسكت يده ووضعتها على قلبها وأجابت : «ولــكن هل تسمع ماذا يقول لك قلبى ؟ ان قلبى يخفق منفعلا بقوة الحب ، ويهــذى من نشوة

السرور قائلا : محبوبى ! انى أقف أمامك بخشوع ، وأكاد أتلاشى عنـد ما تنظر الىَّ ، محبوبى ! »

فاتـكأ الشاب على الحظار وهو يصعد زفرات محرقة دفعتها حرارة الحب .

وهناك أمامه كان الوادى وطريقه الوعر المتحدِّر ، فأشار الى قعره وقال : « ارمى مروحتك لاتبعها » ومكن من الحظار يديه وتحفز للوثوب .

حينئذ صرختُ ، وأغمضتُ عينىَّ .. وفتحتهما ثانية فأبصرت الشخصين ، وعلى محيّا كل منهما سيماء الكبر والشيخوخة صامتين ينظران الى جهتين مختلفتين ، كل غارق ببحر من الافكار والتأملات ، وكانا يصعدان درجات سلم القصر الابيض . أما المرأة فكانت عديمة الاكتراث ، بل كان البغضُ والازدراء يتمايلان فى عينيها الجامدتين ، ورأيته واذا الغضب والحقد ملء ألحاظه وشعرُه الشائب يحاكى لون السماء الرمادى . وبيناهما صاعدان سقطت مروحتها من يدها واستقرت على الدرجـة التى وراءهما .

فقالت بشفاه مرتجفة : « سقطت مروحتى من يدى ! » وأشارت الى موضعها : « فهل لك أن تناولنى اياها يا عزيزى ؟ » .

فلم يجاوب ، بل تابع سيرَه ونادى خادماً ليلتقط لها المروحة !

ووضعَ يهوه يده على كتفى وقال : « هذا هو الحبُّ . الحبُّ يتلاشى . أنا هو يهوه ! »

ومسحَ يهوه عينىَّ للمرة الأخيرة فأبصرتُ : أبصرتُ مدينة فى وسطها ساحة واسعة ، وفى وسط الساحة رأيتُ مقصلة ، وأصغيتُ فسمعتُ زمجرةً وأصواتاً ، واذا جموع تلغط وتحرق أسنانها فرحاً ، ورأيت رجلا مجرماً موثوقاً بحبال من جلد ، وعلى محياه علائم الانفـة والاباءِ ، وعيناه تشعان كالنجومِ ولـكنه رثُّ الثياب عارى القدمين .

واذا المجرم يتـكلم بعظمةٍ وجـلال ، فحاولوا أن يسكتوه فـلم يفلحوا ، وتابع الحديثَ بصوت عال فأمروه ثانية بالسكوت ، فلم يترددْ ولم يتعثر وجلاً ، ولما تابع المجرم حديثه صعدت اليه الجموع وأطبقت شفتيه الناطقتين ، وعند ما أشار الى السماء والى الشمس ، وعند ما أشار الى قلبه الذى لم يزل يخفقُ بحرارةٍ ، أشبعوه ضرباً !

فخرَّ على ركبتيه وبسط يديه أمامه وحاول الدلالة صامتاً ، بالرغم من اللطمات التى كانت تتساقط عليه !

وحملته الجموع الى المقصلة وعيناه تلمعان كالنجوم ، ورأيتُ فأساً تلوح فى الهواء فاصغيت واذا بصوت الضربة يخفيه هتافُ الجموع !

وتدحرج رأسُ المجرم على الأرض فاسرعوا اليه وأمسكوه بشعره ورفعوه عالياً وعاد الرأسُ الى الكلام ! وتكلم بصوت جهوري واضح ، ولم يطق السكوت حتى بعد الموت ! وأسرعوا فامسكوا الرأس بلسانه ، فتغلبوا على اللسان وأخرسوه ، أما العينان فكانتا كالنجوم ، أجل كالنجوم المتألقة ليراها كل انسان !

وصرخ يهوه قائلا : « هـذا هو الحق الحق يتكلم ولو قطع رأسه . واذا لجم لسانه فعيناه تشعان كالنجوم . انا هو يهوه ! »

وما أن أكمل يهوه كلامه حتى أطرقتُ مفكراً ، فوجدتُ ان الجمال كان بهجة قبل أن زال ، والحب كان عذباً قبل أن تلاشى ، ووجدت أن الحق باق بقاء النجوم وفكرتُ بالحقّ مرتعداً .

فقال يهوه : « تريد أن تعلم أى شيء نختار فى الحياة ؟ » وأردف قائلا : « هل اخترت ؟ » فأجبته ، وأنا لم أزل مطرقاً تتقاذفنى الأفكار : « الجمال كان بهجة ، والحب كان عذباً ، ولكن اذا اخترت الحق فلانه كالنجوم سرمديّ ! » وتكلم يهوه ثانية وقال : « هل اخترتَ ؟ »

وكانت آرائى كثيرة تتضارب فى داخلى كالأمواج الثائرة ، فأجبتُ : « الجمال كان نور الصباح » واردفت همساً : « والحبُّ كان حلواً ومنيراً كنجمةٍ صغيرةٍ فى روحى » ولكنى شعرت بعين يهوه ترمقنى وعلمت أنها قرأت كلّ ما يجول فى خاطرى ، وللمرة الثالثة سألنى يهوه : « هل اخترتَ ؟ »

ولما قال للمرة الثالثة : «هل اخترت ؟» حملقتْ عيناى رُعباً ، وفارقتنى قوتى ! وما أن قال للمرة الاخيرة : «هل اخترت ؟» حتى تذكرت الجمال ، وتذكرت الحب وتذكرتها معاً ، وأجبته قائلا : «لقد اخترت الحقّ » ... ولكنى لم أزل أتذكر !

لبنان : أديب سركيس



المســاء

للشاعر ألفونس دى لامرتين

(نقلتها نثراً عن الفرنسية الأديبة الفاضلة الآنسة فاطمة محمد حسن
ونظمها الشاعر مختار الوكيل)

هبط الصمتُ على السكون مساء   وأنا فى مجلسٍ فوق الصخورْ
والهواء الرّهوُ قد عمّ الفضاء   وركابُ الليل قد غذّ المسيرْ

***

ها هى «الزهرة» تبدو فى الافقْ   بين أتراب الدرارى النيراتْ
تبعث الأضواء حيرى تأتلقْ   فوق أعشاب المروج النضراتْ

***

إننى أسمعُ أنات الشجرْ   فى دُجى أوراقها مُعتفرَةْ
كخيالٍ لدفينٍ قد ظهرْ   راقصاً فى الليل حول المقبرَةْ!

***

يطلع البدرُ كروح مبهمهْ   مرسلاً فوق جبينٍ نورَهُ
ملقياً عنـد عيونى محُلمَهْ   فى دعاباتٍ أبانت سِحرَهُ

***

يا شعاعاً هابطاً مِن مُغرَسٍ نادرٍ   وضياءً ساحراً ، ماذا تريدْ ؟
أهبطتَ الآنَ للصدرِ المثارِ   حاملاً للروح أضواءَ الخلودْ ؟

***

أهبطتَ الآنَ كى تكشفَ منى   كلّ ما استودعه الرحمنُ خلقهْ
كمن السرُّ بأفلاكٍ ودُجْنٍ   والليالى سوف تبدى لك حقّهْ

***

يا خفيَّ السرِّ ، يا لغزَ الوجودْ أوَما تسفر للطاوين ليلا ؟
أوَمَا تلمع فى الأفقِ البعيدْ كشعاع الأملِ الحلوِ أطلَّا ؟

***

أوَهل جئتَ ترى المستقبلا لفؤاد المستهام الضجرِ ؟
أم ترى انك فجرٌ أقبلا لنهارٍ ما له من آخرِ ؟!

***

أيها الضوء لقد أشعلتَ قلبي وأثرتَ الروحَ من غير سببْ
وبَعثتَ الآن أرواحاً تلبّي أترى أبدعتها إذ تنسكبْ ؟!

***

انهـا تقترب الساعة منى آو ! ما أسعدنى إذ تقتربْ
ربما تقفز للدغل تغنى فى سرورٍ وحنانٍ وطربْ

***

آه ! لو تأتين لى كلّ مساء يا خيالاتى وأشباحى الخفوقهْ
نهجر الناس بعيداً فى العراء حيث ألقاك بأحلامى الرقيقهْ !

***

أرجعى السلمَ لروحى والغرامْ انّ روحى آدها فرطُ اصطبارِ
واهبطى كالطلّ فى جوف الظلامْ بعد قيظٍ محرقٍ طولَ النهارِ

***

أقبلى بل لن تجيئى ! انى أبصر الآن ضباباً فى حدادِ
مستفيضاً يغمر النورَ السنىْ . فاذا الكون سوادٌ فى سوادِ

فاطمة محمد حسين — مختار الوكيل





وصف بال

عُرِض فى الأوبرا بين فصول رواية (فاوست)

نُظمت سنة ١٩١٢ ، ولم يسبق نشرها

مَليكاتٌ فى عروشٍ مَلَكاتٌ فى سماءْ
نسلُ حواء وما الـ كلُّ على حدٍّ سواءْ
ساحراتٌ بلحاظٍ حدُّها فيه المضاءْ
تحت أهدابٍ ضعافٍ قد أسرْنَ الأقوياءْ
تسلب الألبابَ قهراً وتضلّ الأتقيـاءْ
مرسحُ التمثيل ذا أم مذبحٌ للشهداءْ ؟!

***

راقصـاتٍ عارياتٍ فى ضياء الكهرباءْ
ناظـراتٍ قاتلاتٍ لنفـوسٍ الأبرياءْ
مائساتٍ بقـدودٍ كغصونٍ فى سواءْ
قادماتٍ كنسيمٍ طائراتٍ فى الفضاءْ
راجعاتٍ كنجومٍ تائهاتٍ فى الجواءْ
مائلاتٍ دون سُكرٍ لأمـامٍ ووراءْ
سالباتٍ لاعباتٍ بعقولِ العقـلاءْ
ليس هذا الخلق شأن الـ خلق من طينٍ وماءْ

إنما هذا مُصاغٌ مِن لجين ٍ وصفاءْ !

***

وجنّاتٌ نارُها الجنّاتُ وعدُ السعداءْ !
عَجبــــا نارٌ لنارِ القلب بردٌ وشفاءْ !
ولمن أتعسه الحب جحيمٌ وشقاءْ !

***

تلك يا صاحِ بَغيٌ لا يَغرَّنْكَ الرواءْ
ربما كانت متاعاً لأحطِّ البسطـــاءْ
تترامى وهو يجفو ها ويصليها الإباءْ
وأميرٌ في هواها حمل الذلَّ وناءْ
ونفوراً من مهاة غرّورها بالثناءْ
ليس فيها من مشينٍ غير تلك الكبرياءْ
حكمةٌ للحبّ فيها حارَ فكرُ الحكماءْ !

***

قسمةٌ كالرزق بين النــاس فقرٌ وثراءْ
كم أديبٍ عبقريّ خانه صرفُ القضاءْ
عاشَ في الدنيا تعيساً وقضى والتُّعســاءْ
لم يرثْ عنه بنوه غيرَ بؤسٍ وشقاءْ
ها كمُ يا قومُ في الدُ دُنيا نصيبُ الأدباءْ
اكتفوا منها بقول الناس : قومٌ أذكياءْ !

***

يا جنودَ الفتنة العظمى لإهدار الدماءْ
ما لنا فيكنّ ذنبٌ غير ما جرّ السناءْ
رحمةً أقمارَ أوربّا بقومٍ ضعـــــفاءْ !

كمال الدين جوريت



الأناشيد القومية

دعت جمعية الشبان المسلمين المركزية بالقاهرة عدداً وافراً من الشعراء والأدباء والمطربين والملحنين الى حفلة شاى بدارها بالقاهرة يوم الجمعة ٢٥ مايو الماضى للتداول فى ترقية الأناشيد القومية . وقد خطب فى الاجتماع حضرات السادة عثمان مرتضى باشا وحامد المليجى وبولس غانم وعبدالله عفيفى والدكتور عبدالرحمن شهبندر ومحمد مصطفى الماحى ومحمد عبدالوهاب . وبعد المناقشة اتفقوا على تأليف لجنة مشتركة من الشعراء والمطربين والملحنين للنظر فى هذه المهمة والعمل على تحقيقها على أكمل وجه .

ولعلّ خطبة الشاعر عبدالله عفيفى والشاعر بولس غانم كانتا من أنسبها للمقام ، وقد قال الأخير فيما قال :

« جميلٌ بأبناء مصر أن ينتبهوا إلى الخطر الداهم الذى يهدد الفضيلة والأخلاق عما يتلقنه الأحداث من الأغانى السمجة المسفة ، وأجمل من ذلك أن يكون أول من تنبه الى هذا الخطر شبان المسلمين الذين يعملون على نشر الفضيلة وبث روح الثقافة والوطنية فى صدور أبناء هذا الجيل .

أجل أيها السادة ! ان الأغانى البذيئة التى تلوكها ألسنة العامة تتسرب إلى الدور والخدور فتشجع على الرذيلة، واذا تمّت الرذيلة عمّ فساد الأخلاق والاستهتار بنواهى الأديان وزواجرها بل بكل دين سماوى، وهذا الاستهتار هو الذى يفضى إلى الالحاد الذى تحاربه هذه الجمعية الشريفة ، وهذا الاستهتار هو الخطر الذى يهدّد الأسرة فى كيانها ، والأديان فى أشرف مبادئها ، والأخلاق والوطنية ، بل كل ما هو جميل ومقدّس بين الناس .

وبعكس ذلك الأناشيد القومية الراقيــة والأغانى التى يلهمهـا شاعر الوطنية والوجدان فتجرى على فم المنشد حياة تبعث الحياة فى الأمة وتنشىء جيلاً صالحاً جديراً بكل تضحية عاملاً فى جيش الوطن والأسرة والفضيلة . والشعر غذاء النفوس ومثير الهمم ورسول الوطنية ، لم يذعـه بين النفوس قديماً الا المغنون ، يغذيهم فيغذونه ، فهو الروح ، والمنشد هو اللسان والترجمان . ثم قال :

لقد انصرف الملحنون والمنشدون عن شعرنا والتغنى به ، فأوشك الشعر اليوم أن يموت ، وأصبحت جريرة القضاء عليــه واقعــة على المغنين ، وأصبحت الأمــة العربية تشعر بفراغ عظيم الى ما يزكى الحماس فى صدور أبنائها .

نحن بحاجة ماسة الى غناء راق يحيي الشعور ، ويعلم الحدث فى مدرسته ، والفتاة فى خدرها ، والجندى فى ساحة الشرف ، وينمى فى قلوب أبناء الأمة كل مروءة وأريحية وفضيلة ووطنية .

نحن بحاجــة الى أمثال (روجيه دى ليسل) واضع النشيد الوطنى أو الفرنسى يهيب بنا ونحن نيام : « الى الامام ! الى الامام ، يا أبناء الوطن فقــد أزفت ساعة نيل المجد ! »

« • »

ونحن نشكر لجمعية الشبان المسلمين غيرتها الأدبية التى نرتقبها دائماً منها فهى من أرقى هيئاتنا الأدبية الاجتماعية ولـكننا مطمئنون الى أنّ اللومَ فى عـدم شيوع الأغانى والأناشيد الراقيــة لا يرجع الى الشعراء وحدهم وانمـا يرجع معظمه الى تراخى الملحنين والمطربين . ولا معنى للتـكليف فى الفنّ : فالشاعر ينظم عن عاطفة ملحّـة ، وأناشيد العاطفة وحدها هى التى تستحق أن يلتفت اليها ، وهذه الأناشيد موجودة فعلاً وسيوجد غيرها بطبيعة الحال ، ولـكن الذى ينقصنا هو التجاوب الطبيعى بين الملحنين والمطربين والشعراء ، والرغبــة فى التسامى بالفنّ بدل التقرُّب الى العامة على حساب الأدب والفن كما وقع من غير واحد من نفس الملحنين والمطربين بل والشعراء الذين أجابوا دعوة جمعية الشبان المسلمين . فعلى هؤلاء جميعاً أن يحترموا الروح الفنية الراقية وأن يتشبعوا بها فيكون التجاوب طبيعياً بينهم ، وحينئذ ينجبون فى لذة صادقة غير محتاجين الى أىّ تنبيهٍ أو توجيهٍ . وهيهات أن ينتج التـكليف والاقتراح الصناعى أىّ أثر فنى عظيم القيمة مهما أكثرنا من الحفلات والاجتماعات .

جمعياتنا الأدبية

إزاء أسئلة كثيرين من قرائنا كنا كتبنا فى (أبولو) وفى (الأهرام) و(الصباح) كلمات عن علاقتنا ببعض هذه الجمعيات وعن تصرفاتها المحمودة والمنتقدة، وعن موقفها نحو النهضة الشعرية ومجهود هذه المجلة و (جمعية أبولو). وقد عُنيت مجلة (الصباح) عنايةً خاصة بهذه الحركة وبتلك الآراء فأوفدت الينا حضرة مندوبها الأدبى ونشرت لنا فى عددها المؤرخ ١١ مايو الماضى خلاصة حديثنا معه، ثم نشرت فى عددها المؤرخ ٢٥ مايو بياناً تقدم به اليها السيد عبد الله عفيفى رئيس (رابطة الأدب العربى) هو بمثابة ردٍ على ذلك الحديث. وقد رأينا من باب الانصاف والدقة أن ندلى بالتعليقات الآتية مع شكرنا لزميلتنا (الصباح) على ما توجهه من العناية المزدادة الى الأدب الجدّى مما يجعلنا نؤمّل كثيراً منها، خصوصاً بعد أن عنيت بإصدار الملاحق الأدبية فضلا عن تكبير حجمها الى أكثر من ثمانين صفحة يتبارى فيها كثيرون من أدبائنا المعروفين :

(١) ذكر السيد عبد الله عفيفى أن غرض الرابطة الأصلى قد عُدّل «حتى يسير الأدبُ فى طريقه السوىّ القويم ... الذى رسمه لنا أسلافنا الأمجاد وإتمام البناء الذى رفعوه» الى أمثال هذه التعابير التى لا تَعنى أكثر من أن اخواننا الأفاضل الذين تولوا ذلك التعديل بتعسف تام لا يقدّرون الفارق ما بين «رابطة الأدب الجديد» وهى عالمية النزعة تخدم أدبنا فى ضوء الرقىّ الانسانى الشامل، وبين هيئة أخرى يكيفونها تقليداً «لاتحاد الأدب العربى» بدون أى مبالاة بأبسط قواعد القانون من دعوة الجمعية العمومية والتشاور الوافى معها فى ذلك، بينما الغرض من ذلك الاتحاد هو التخصص فى خدمة الأدب العربى. فالكلام على الطريق السوىّ القويم وما شاكل هذه التعابير ليس من الانصاف للهيئات الأخرى العاملة لخدمة الأدب، وليس من الانصاف لنفس الهيئة التى يرأسها صديقنا الفاضل إذ لا تُوجَدُ سوى ترجمة واحدة لكلماته وهى أنه ترأس هيئة رجعية لا أكثر ولا أقل، وعلى هذا فالأدب العصرى لا يحتاج اليها والمكاتب القديمة تغنى عنها كلَّ الغنى.

(٢) لم يستطع ولن يستطيع السيد عبد الله عفيفى ولا غيره من أصحابه أن يدحض البيانات التى سردناها ، وليس من شك فى أنه حاول بنفوذه الشخصى أن يصلح من شأن الرابطة ازاء الاستياء والشكاوى التى انتشرت ضدّها ، وقد قدّرنا له ذلك الفضل من قبل ، ولكنه لم يسر الى نهاية الطريق ، فصحّ عليه قول الشاعر الحكيم :

ولم أر فى عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام

(٣) أعجبتنا اشارته الصادقة الى أدب النفس والى وجوب بثّ روح الصفاء بين الأدباء ، وقد قابلنا ذلك بتلبية دعوته لزيارة مركز الرابطة فى القاهرة بصحبة زميلنا الشاعر حسن كامل الصيرفى يوم ٣٠ مايو الماضى ، ولكننا نتمنى عليه وهو رجل الظرف المحبوب والأدب أن يخطو خطوات عملية الى هذه الغاية ، فنحن لا نظنّ أن كرامتنا وكرامة أصدقائنا أُنصفت ازاء ما عُرف من تصرّفات حضرة سكرتير الرابطة السابق الذى ما يزال وصحبه يتخذونها متّكأ لمناوراتهم ضدنا ، وآخر ما لجأوا اليه التحايل على طيبة السيد عبد الله عفيفى ليصفه بالأديب « المهذب » فى الوقت الذى ضج الناس من ألاعيبه ، فيذاع كتاب السيد عفيفى الخاص بغير إذنه فى الصحف ليلطم شكاوانا به ! ومثل هذا التساهل فى المجاملة ازاء « أديب » لا يتورع عن اختراع الاراجيف عنا وعن أصدقائنا وتوزيعها بغير حساب حتى لم يسلم من غدره الاموات فنسب إلى المرحوم شوقى بك بلسان أحدهم أنه قال من قصيدة بذيئة نشرتها احدى المجلات :

أبولو ! ضلةً لك يا أبولو ! فانك أنتَ للسفهاء ظلٌّ !

مثل هذا التساهل نحو أديبنا العزيز الذى لا يهدأ له لسانٌ فى الايقاع بين الأدباء بعبارته التمثيلية المنقطعة النظير ، والذى لم تسلم من افتراءاته حتى أعراضنا لا يجوز لمثل السيد عبدالله عفيفى أن ينعته بالأديب « المهذب » الا من باب المزاح العجيب ما دمنا نجلّ السيد عبدالله عن الرغبة فى التهجم على كرامتنا ... وحسب أديبنا « المهذب » هذا دفعه مَنْ دفع للدسّ ضدنا أبشع دسّ فى مستند كتابى ثابت بمصلحة الصحة وطوافه على جميع الأدباء المعروفين ممثلاً أغرب المآسى الخلقية على حسابنا ... نحن لا نطالب الا بالشدة فى الحق ، وبالبعد عن الذبذبة

والـتردّد ، وبالتعاون العملى لا الـكلامى ، وبالحرص على كرامات الرجال ، إذ من العيب أن تعود الرابطة فتفتح أبوابها لأولئك العابثين بعد أن أرغمتهم على تركها ، وفى يمين أحـدهم قصيدة هجو ضدّنا يطوف بها على المقاهى وفى يد الآخر مجموعة منظومات يحليها بمثل هذه الروائع التى يباهى فى المجالس بتطبيقها على (جمعية أبولو):

رغبتُ عن مَعشرٍ ما خلتُ فيه فتًى يجود عن رغبةٍ يوماً بمثقالِ
أستغفر الله ، بل إلاّ لزمرته فمن نديمٍ ، لقوّادٍ ، لدجّالٍ !

فهؤلاء السادة الـكرام يمثلون شخصيات غريبة منقطعة النظير فى تاريخ المجتمع المصرى ، ولا يجوز أن يفوت المؤرخ الالمـام بطرازهم ، ومن أجل هـذا نسجل سيرتهم ، ولـكنْ من الجائز جـداً لرابطة الأدب العربى بل من الواجب عليها إذا أرادت أن تـكون محترمة مشـكورة أن تقول فى صراحـةٍ للمسئ أسأتَ وللمحسن أحسنتَ ، وأن تبتعد عن الأول وتجتذب الأخير ، وأن تحكم على الناس بأعمالهـم وبأعمـالهم وحـدها فى كل وقت لا طواعيـة للأهواء ، ولا تورطاً فى مجاملات ، ولا متابعة لصداقات أثبتَ الزمنُ فسادها ، فالشجاعة فى الحق لا غبار عليها بل هى عين الـكرامة ، وهى المحور الذى يدور عليـه تبادل الثقة بين الأدباء ، ولا محور لذلك سواها .

(٤) وأعجبنا أيضاً قول السيد عبد الله عفيفى «أما اذا كان مرمى الأدباء أن يعلو بعضهم على أجداث بعض فويلٌ للأدب من هؤلاء الادباء . اننا سنعدّ الأندية الادبية أنديتنا والجمعيات الادبية اخواننا وأعواننا الخ ...» وهذا كلامٌ طيبُ الرنين ، ولكنّ الواقع أن رابطة صديقنا معروفة عند الجميع بنزعتها المنشقة ضماناً لظهورها ودعاياتها الخاصة وأن مثل هذا الـكلام لا يتجاوز ذرّ الرماد فى العيون ، وإلا ففى وسع هذه الجمعية أن تتفاهم وتتعاون مع «ندوة الثقافة» التى كانت ألصق الهيئات بها منعـاً للتفكك ولتصادم الجهود بدل تآزرها ، ومثل هذا التفاهم والتعاون مستطاعان حالاً لو وُجِدَتْ الرغبة الصحيحة فيها عند حضرات الزملاء ، ولـكنهم لا يزالون مشغولين بالتظاهر بالقيادة والعظمة والتفرّد ، مع التبرع أحياناً بأمثال تلك الـكلمات الصالحة فى الصحف نحو الجمعيات الادبية بينما تُفسَدُ مساعى تلك الجمعيات لدى الهيئات التعليمية للحصول على إعانتها وعطفها !

(٥) قد لا ترضى زملاءنا الافاضل هذه الصراحة لاننا لم نعهد إلا عكسها من معظم حضراتهم قولاً وعملاً كأن ذلك من حسن السياسة، ولكنها فى اعتبارنا أنسب ما يتفق و(أدب النفس) الذى يتحدث عنه صديقنا السيد عبدالله عفيفى ما دمنا فى بيئة تفشت فيها الذبذبةُ والرياء أيما تفشٍ ، وتفتحت آذانها للقال والقيل بدل أن تتفتح للكلمة الصريحة الحاسمة للخير العام . ولن تنفع الرابطة أىُّ اعانة من وزارة المعارف ولا أى مظاهرة تقام لها أسبوعياً فى دارها ولا فى الصحف ما بقيت متصلة بهذه الترهات والعبث ولو كرهاً منها . نحن حباً فى خدمة الأدب عامة وحرصاً على الكرامة وانصافاً لانفسنا ولغيرنا نتقدم بهذه الملاحظات الصريحة كما تقبلنا كل شكوى يمكن أن نعمل على إزالة أسبابها ، ولو لم تكن لنا بها أية صلةٍ، وتصرفنا إزاءها بكل صدق وصراحة ، ولعل كلماتنا الودية هذه لا تكون صرخة فى وادٍ ولا يُساء تفسيرها .



محفل ندوة الثقافة

نظراً لإغلاق نادى نقابة الصحافة (الذى كان فيه محفل الندوة) ابتداءً من هذا الشهر ، رأينا التوسّع فى ادارة الندوة بميدان السيدة زينب والاكتفاء بهذا التوسّع فى الوقت الحاضر عن ايجاد محفل مستقل ، وذلك مراعاة للظروف المالية الحاضرة التى اضطرت نادى النقابة نفسه الى إغلاق أبوابه .

وسيسافر الدكتور ابراهيم ناجى وكيل (جمعية أبولو) والمراقب العام للندوة إلى أوروبا فى منتصف الشهر الآتى وسيحل محلّه الأديب محمد عبد الغفور (سكرتير قسم التعاون بوزارة الزراعة) مراقباً عاماً للندوة .

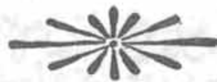


تأجير الأقلام

من الطبيعى أن يكافأ أربابُ الأقلام على كتاباتهم الحرة من الناشرين القادرين على ذلك مكافأة شريفة ، ولكن ليس من الطبيعى أن تنشأ طائفة من المتسكعين

المتطفلين على الأدب تعرض أقلامها لمدح هذا وذم ذاك لقاء قروش معدودات وقد يترق بعضهم بتحايله فيتصل ببعض الصحف اليومية وما تزال فيه هذه العادة ، فيغافل أصحاب هذه الصحف وينشر فيها العبث وصنوفاً من الاعلانات التجارية المستورة مقرونة بألقاب سخيفة لمن لا يحملون حتى شهادة الدراسة الثانوية فنسمع «بالأستاذ الكبير» وأمثال هذا اللقب ولا ندرى ماذا بقى بعد ذلك لمدير الجامعة المصرية !

ونحن لا نذكر فى مدى ثلاثين سنة بروز هذه الظاهرة القبيحة بهذه الكيفية فانها مثال بشع لعهارة الفكر (prostitution of thought) ، ولعلها أحد أمراض السياسة وقد انتقل الى ميدان الأدب فاستفحل أمره واستشرى ... وهى ظاهرة مخجلة يجب على الصحف المحترمة أن تنتبه اليها فتقضى على هذه الاعلانات المنظمة المستورة ، وعلى هذه المقالات المصطنعة المأجورة ، فان وراءها ما وراءها من استعباد النفوس ومن تشجيع الصعلكة بين عدد من حملة الأقلام المتطفلين على الأدب ، الذين لا يستحون من بيع ما يترجمونه أو يؤلفونه لينشر بأسماء غيرهم لقاء قروش معدودات ، كما لا يستحون من التزوير على التاريخ الأدبى بكل وسيلة مستطاعة . ومن العبث الاشفاق على هؤلاء الأدعياء المتشردين الذين يبيعون أقلامهم بيعاً لأى مشتر ثم يتظاهرون ومستغلوهم بمكارم الاخلاق والفضائل ستاراً للنيل من الكرماء ! وأعجب من كل هذا أن تحاول هذه المخلوقات تكوين الجمعيات الأدبية الموهومة لتنشر الفساد الخلقى والادبى معاً ، وهو أمر معدوم النظير من قبل فى تاريخ مصر الادبى .





ديوان صرّدرّ

نظم الشاعر أبي منصور عليّ بن الحسن بن الفضل الشهير بصرّدر ، مع تصدير بقلم الشاعر أحمد نسيم ، ٢٣٨ صفحة بحجم ١٨¼ × ٢٦¼ سم
مطبعة دار الكتب المصرية . الثمن خمسون مليماً .

لقد نشط القسم الأدبي بدار الكتب المصرية فى هذا العهد الأخير ، للبحث والتنقيب عن نفائس الأدب العربي ما بين مطبوع قد نفد ، ومخطوط لم يُطبع بعد ، فأعادت الدار — وما زالت — طبع كثير من هذه الكتب ، وأحدث هذه المطبوعات هو ديوان الرئيس أبي منصور على بن الحسن بن على بن الفضل الشهير « بصَرّدُرّ » .

وقد نُقِلَتْ هذه الطبعة عن نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية ، كان قد كتبها لنفسه بقلمه الشاعر محمود سامى البارودى من دار الكتب الشهيرة « بطوب قبومراى » بالقسطنطينية .

والشاعر « صردر » ولد فى أواخر القرن الرابع الهجرى ، وعاش الى أكثر من منتصف القرن الخامس . أما أين ولد فذلك ما لم نعرفه ، وما لم يحدثنا عنه واضع مقدمة الديوان ومُعرّف الجمهور به ، وإن كانت أخباره ووصف حياته قد وردت فى كثير من الكتب التاريخية والأدبية . وإنّا لنرجو أن يفطن القائمون بإخراج هذه الآثار الأدبية الى عدم اهمال بيئة الشاعر وما يلابسها من حوادث ، فلقد يكون ذلك خيراً للقارىء فى فهم الشاعر والافادة منه ، من شرح الغريب .

كذلك نرى نقصاً فى تعريف القارىء ببعض مَن مدحهم الشاعر ، وكان يحسن أن تكتب نبذة تاريخية قصيرة عن الاشخاص الذين تعرّض الشاعر لمدحهم أو رثائهم أو معاتبتهم ، حتى يستطيع القارى مسايرة الشاعر .

على أن الذى استطعنا فهمه عن بيئة الشاعر أثناء دراسة ديوانه ، أنه كان يعيش فى العراق نظراً لاختلافه الى مدح الخلفاء والوزراء .

* * *

ويحدثنا صاحب كتاب (وفيات الأعيان) عن ذلك الشاعر فيقول : انه أحد نجباء عصره ، جمع بين جودة السبك وحسن المعنى ، وعلى شعره طلاوة رائعة وبهجة فائقة . والذى يتصفح هذا الديوان ، يستطيع أن يدرك صحة هذا الكلام ، فالشاعر قوى الاداء طويل النفس ، وما أشبهه فى ذلك بابن الرومى ومهيار الديلمى . ولعل ما دعاه الى إطالة القافية ، هو تقليده لهذين الشاعرين ، وتمكنه من أسباب اللغة .

ولقد نظم الشاعر فى المدح والرثاء ، والعتاب والتهانى والهجاء ، والغزل والأخوانيات ، والاستهداء والألغاز ، الا أن أكثر شعره وأحسنه هو ما كان فى المديح ، فلقد كان يحفل بالقصائد فى هذا الضرب على عادة الشعراء المتكسبين فمدح الخليفة القائم بأمر الله ، ورئيس الرؤساء أبا القاسم بن المسلمة ، والوزير أبا نصر محمد بن جهير وغيرهم . ولكن مدحه وعنايته بالوزير أبى نصر فى حله وترحاله ، كان أكثر من مدحه وعنايته بغيره ، وكأنه كان يتوجه اليه بهذه المدائح طمعاً فى أن يقلده عملاً من أعمال العراق ، ولقد عرض عليه الوزير أبو نصر تولية عمل فى العراق فعلاً ، كما كان يطمع الشاعر ، ولكنه لم يقبل ماعرض عليه أو يرضه ، ولعل السرّ فى ذلك أنه كان يرى فى ذلك العمل حطة له وازدراء به ، ولهذا يقول :

قد حصلنا من المعاش كما قيـ ـل قديما : لاعطر بعد عروس
ذهب القوم بالأطايب منه ودعينا الى الدنىّ الخسيس
جلسة فى الجحيم أحرى وأولى من رحيل يُفضى الى تدنيس
أترانى مزاحمـاً لأناسٍ قَلّدُوها بالسيف والدبوس ؟
مَعشرٌ ليس مبلغ الدم فيهم حدّه ، إن وصفتهم بتيوس !
غاية العلم عندهم وتمام الفضل حُسن المركوب والملبوس
والغنى ليس باللجين وبالتبر ، ولكن بعزة فى النفوس

وكما أطال فى مدح الخلفاء والرؤساء والوزراء ، أجاد كذلك فى رثاء بعض ممدوحيه ، ومن جيد نظمه فى ذلك رثاؤه لأبى نصر ، الذى يقول فيه :

كلَّ يوم خلٌّ يُرحَّلُ عنا ودِيارٌ معطلاتٌ ومَغنى
وحبيبٌ فريسةٌ للمنايا تحتويه ، كأنه ليس منّا ؟

ثم يقول معاتباً الدهر :

ما عليه لو أنه كان أبقى من « أبى نصر » المهذب ركنا ؟
والداً للصغير برّاً ، وللترب أخاً مُشفقاً وللأكبر ابنا
إنْ أملناه بالمقال تلوَّى أو هززناه للفعال تثنى
ما مشت فى فؤاده قدمُ الغشّ ، ولا أسكنَ الجوانح ضِغنا
أغمِضِ العينَ بعده فغريبٌ أن ترى مثله ... وأين ؟ وأنى ؟

ولقد نظم أيضاً فى الغزل ، ولكن شعره فى هذا الباب أقل جودة من شعره فى المدح والرثاء ، وإن روح التقليد والصناعة لواضحٌ فى غزلياته :

يسائلنى ما حاجتى فى دياره غزالٌ بأوطار الفؤاد عليمُ ؟
ستشهد لى عيناه أنهما الهوى ومبسمه أنى عليه أحومُ !
أرقّعُ فيك الودَّ ، وهو ممزّقٌ وأرعى ذمامَ العهد وهو ذميمُ

ويخيل إلىّ أن هذا الشاعر كان شديد التأثر والانفعال ، وأن الفساد الذى كان يغشى البيئة التى يحيا فيها هو السبب الاصيل فى أهاجيه ، فاذا ما ضايقه ابن الحصين مثلا وافتخر عليه بكثرة وُلدِه ، راح يوجعه بقوله :

لا تغتبط يا ابن « الحصين» بصبية أضحت لديك كثيرةَ الاعداد
لا فخر فيك ، ولا افتخارٌ فيهم إن الكلاب كثيرة الاولادِ !

وهو لا يتورَّع عن هجاء الناس جميعاً حين ينامون عنه ، ويبخلون بصلته ، وفى مثل ذلك يقول :

تزاحمُ فى صدرى القوافى ولا أرى لها مستحقاً فى الزمان ولا أهلا
وكيف امتداحى معشراً شجراً إنهم عوارٍ فما تجدى ثماراً ولا ظلا
فلو شرّفوا بالعلم واطّرحوا الندى تأولت فيهم أننى أمدح الفضلا
ولو تركوا الآدابَ عنهم بمعزل وجادوا، لقلت: أمدح الجود والبذلا

ولكنهم عن ذا وذاك تزحزحوا فلم أر أنى أمدح الجهل والبخلا !

وانه ليظهر لك من هذه الصورة أيضاً أن صدره لا يزدحم بالقوافى الا عند إرادة المدائح ، وفى ذلك دليلٌ على أنه من شعراء المديح ، وأنه لا ينشط للقول إلا إذا أراد أن يمتدح خليفة أو وزيراً طمعاً فى صلته وعطاياه .

كذلك نجد للشاعر أبياتاً كثيرة متناثرة فى الديوان عن الشيب ، يصف فيها احساسه بالضعف والشيخوخة ويأسى على قرب نهايته ، ومن جيد شعره فى ذلك قوله :

لم أبك أنْ رحَلَ الشبابُ وانما أبكى لأنْ يتقاربَ الميعادُ
شَعْرُ الفتى أوراقُه ، فاذا ذوى جفَّتْ على آثارِه الأعوادُ

وبعد ، فلعلنا قد جلونا بعضَ مناحى هذا الشاعر وحبّبناه الى من يعشقون هذه الألوان الشعرية ، كما نحمد لدار الكتب المصرية عنايتها ببعث هذه الكتب والدواوين التى طال عليها أمدُ الاهمال والنسيان ؟

عبد العزيز عتيق



كتاب الاغانى

طبع دار الكتب المصرية ـ صدر منه خمسة أجزاء ـ ثمن الجزء ١٥٠ مليماً

لهذا الكتاب فى عالم الأدب العربى شهرة دونها كل شهرة ، ولمؤلفه أبى الفرج الاصبهانى من الصيت ما لا تمحوه الأيام ، وما من أديب لا يعترف بأن لهذا الكتاب أثراً عظيماً فى أدبه وفى أسلوبه .

وان رواية ابن خلكان من أن الصاحب بن عباد كان يستصحب فى أسفاره حمل ثلاثين جملاً من كتب الأدب حتى وصل اليه كتاب الأغانى فأغناه عن كل ذلك ! هذه الرواية ، وإن كان فيه شيء من المبالغة ، دليل على عظمة هذا الكتاب فى نظر الأدباء ، حتى قال عنه ابن خلدون « انه ديوان العرب وجامع أشتات المحاسن التى سلفت لهم فى كل فن من فنون الشعر والتاريخ والغناء وسائر الأحوال ، ولا يعدل به كتاب فى ذلك فيما نعلمه ، وهو الغاية التى يسمو اليها الأديب ويقف عندها ، وأنّى له بها ؟! »

ولئن اختلف فى صدق بعض روايات الأغانى ، واختلف فى الفكرة التى دعت

مؤلفه الى الاهتمام بأخبار الخلاعة والمجون فان هذا الكتاب لهو أول وآخر كتاب يُذكر بالخير وهو ليس فى حاجة لتقريظ أو ثناء ، ولكننا نتوجه بثنائنا الى السيد على راتب الذى تكفل بنفقة طبع هذا الكتاب كما نتوجه بالثناء الى حضرة صاحب العزة أسعد برادة بك مدير دار الكتب الذى وجّه جهوده نحو اخراج هذا الكتاب وغيره بالدقة التى عُرفت عن مطبوعاتها .



ديوان مهيار الديلمى

يقع فى أربعة أجزاء — طبع دار الكتب المصرية — ثمن الجزء ١٠٠ مليم

يشبه مهيارُ الديلمى فى جزالته أستاذه الشريف الرضى ، وفى طول نفسه ابن الرومى . وهو بالرغم من عنايته باللفظ والرنين دقيقٌ فى التصوير ، عميق فى الفكرة . ولعلّ هذا البيت الذى يصور لنا اليقظة أجمل تصوير إذ لم يكن فى تاج الأدب العالمى درة فهو على رأس الأدب العربى تاج ، وهو :

فوعَى فهبّ يحُلُّ خيطَ جُفونهِ بالكرهِ من كفّ النعاسِ العاقدِ !

فان فيه دقة فى التصوير وترتيباً فى مزج ألوان الصورة .

أو قوله : « والنجم يسبح فى غديرٍ راكدِ »

أو قوله :

أسٍ من الاهواء عفّى رسمهُ بيد النهى يومٌ من الآراءِ

وهذه الأبيات الغزلية فيها صورة دقيقة لليأس :

وكنتُ — وأيامُ المزارِ رخيّةٌ علىّ ورُخصُ الوصل لى فيك يُطمعُ —
أعِزُّ فلا أعطى الهوى فيك حقَّهُ من الشكر ، والمعطى مع الكفر يُمنعُ
فلما استردّ الدهرُ منى عطاءهُ وعادت شعوبٌ فى الهوى تتصدّعُ
قعدتُ مع الهجران أبكيه نادماً وأسأل عنه ماضياً كيف يرجعُ

وهذه الصورة الرائعة لهذه الانسانية الغريرة التى يرسمها لنا فى شئ من السخرية اللاذعة فى قوله :

قالوا سخطتَ على الأنام ، وانما سخطى لجهلهمُ بوجهِ رضائى

صُوَرٌ تصرّفُ أنفسُ الأموات فى أجسامها بجوارح الاحياء

هذه النظرة الدقيقة وهذا التعمق لو أنهما خلصا بالشاعر من الغمرة التى كان الشعر العربى غارقاً فيها وهى الأمداح أو لو أن مهياراً وجّه شاعريته نحو أفق بعيد عن الأمداح لأعطانا أثراً رائعاً من الأدب تتجلّى فيه البراعة البيانية ممتزجة بدقة التحليل والوصف وعمقهما . على أن لمهيار روحاً خفيفة وظلاً رقيقاً يستهويان قارىء شعره ، ولقد خرجت من ديوانه راغباً فى تلاوته مرة أخرى ، وخير الكتب عندى ما يستهوينى الى قراءته مرات .



المتنبى

بقلم شفيق جبرى بك عضو المجمع العلمى العربى بدمشق — ٢١٠ صفحة بحجم ٢٣ × ١٥ سم . طبع بمطبعة ابن زيدون بدمشق وعُنيت بنشره مكتبة الشرق

الادب العربى غنى بذخائره ، غنى برجاله، ولكنه على هذا الغنى العريض فقير ، أو قل هو ناقص ، فهؤلاء الافذاذ الذين حافظ عليهم التاريخ كما يحتفظ الانسان بالأثر الثمين لانجد عنهم فى كتب الأدب القديمة دراسات مستفيضة يشعر الانسان عند قراءتها أنه يرى هؤلاء الأبطال بالعين ، وكل ما كان يكتب كتراجمات لحياتهم إن هو الا استعراض بسيط لايتعدى فى الغالب تاريخ ميلاد الشاعر أو الكاتب أو العالم ووفاته وأنه سافر ورحل وعاد وكان فى خدمة فلان من السلاطين والامراء. أما استقصاء الغامض من حياته، أما تشريح آثاره لاكتشاف حقيقة الكاتب أو الشاعر واستنباطها الى غير ذلك من الدراسات فلن نجده ، وإن كنا نجد الشىء النزر فلا بد لنا من أن نتحمل فى سبيل العثور عليه أشد المتاعب لنستخلصه من بين أكداس الأخبار التى لا جدوى منها .

وكنت أصبو الى أن أجد كتاباً يترجم لنا عن حياة شاعر أو كاتب من هؤلاء ترجمة تكشف لنا عن سر عظمة هؤلاء الرجال حتى اهتديت الى كتاب المتنبي الذى ألفه شفيق جبرى بك عضو المجمع العلمى العربى فى عاصمة الأمويين وألقاه محاضرات فى كلية الآداب فى دمشق سنة ١٩٢٩ — ١٩٣٠ فقرأته بشغف أحسستُ

منه عظمة المتنبي أكبر مما كنت أحس ، وجلاه لعيني من نواحٍ شتى كنت أحاول أن أبحث عنها عبثاً فى بطون الكتب القديمة فينالنى الإعياء قبل أن أصل إلى غايتى .

وقد تكلم فى محاضرته الأولى عن الأدب فهو يرى أنه أُلهية شريفة لا تشبه غيرها من الألاهى وأن غايته التفريج عن النفس بخلقه لذةً فى المقول لا تساويها كثير من لذات الدنيا ، لذة هادئة لا يضطرب صاحبها ولا يقلق ، وأن فعل الأدب فى النفس هو أنه ينزع بنا عن الاثرة الضيقة أو عن الحرفة التى تغرس فينا غرائز الحيوانية . وفى المحاضرة الثانية تكلم عن دراسة المصادر الأدبية والانفراد بالرأى فى الأدب . وتكلم فى المحاضرة الثالثة عن تمازج الثقافات وأثر هذا التمازج حين تقارب العرب وبعض الشعوب الآرية كالفرس واليونانيين فانتقلت آثارهؤلاء الى العرب وفى جملتها الفلسفة التى لونت الأدب العربى بألوان جديدة . وانتقل من ذلك الى تاريخ الأدب فشرح لنا الصعوبات التى يلقاها الأديب فى هذا العصر فى البحث عن تاريخ الأدب العربى وانتقل منه الى نقد المؤرخات الأدبية والى أطوار النقد والى الاسلوب وسحر العبقرية، حتى أشرفنا على شخصية المتنبي فتكلم عن أول عهده بهذه الشخصية الفذة فى العربية على الاطلاق فحاول أن يكتشف أثر وطن المتنبي فى شعره ثم تكلم عن نسبه واتصاله بقبائل اليمن وتأثير الدم فى العبقريات ليستخلص من ذلك أن المتنبي لم تحدثه نفسه بالأمانى البعيدة من دون أن يكون منتسباً الى أهل قد حدثتهم أنفسهم بمثل هذه الامانى . ثم تغنّى المتنبى بقوميته واصالة عروبته وإن كان قد مدح الملوك والامراء والاعاجم . ثم عقد فصلا عن أثر البادية فى شعر المتنبي حتى كانت تجرى فى ألفاظه وتشبيهاته ومعانيه آثارها — ومن محاسن الصدف ان أكتب عن كتاب شفيق جبرى فى الوقت الذى أصدر محرر هذه المجلة ملحقين خاصين بالمحاضرتين اللتين ألقاها وأبان فيهما أثر الطبيعة فى شعر المتنبى — ثم يتكلم المؤلف عن نبوءة المتنبى فأورد أقوال من حكموا على دعوى نبوة المتنبي فاستخلص منها أن الاقوال فى ذلك متباينة فمنهم من قال إنه ادعى انه علوى ومنهم من قال غير ذلك، وهو يرى أن الرجل قد شغله حب الملك قبل اعتقاله فلم يبال أمام هذه الامانى بالطرق التى من نحوها يأتيه هذا الملك سواء عليه أجاءه من طريق النبوة أم من طريق آخر . ثم توسع فى الفصول التى عقدها عن حياة المتنبي وأخلاقه واحساسه وروحه فخلل أخلاقه وأرانا أظهر ما فيها وهو التعاظم وقلة المداراة ، وهاتان الخلتان هما

من أثر الامل الذى كان يملأ جنبات نفسه، ولهاتين الخلتين أثرهما ـ على ما أظن ـ فى عاطفته أو فى شعره بمعنى آخر فان العاطفة فى نسيبه كما يقول شفيق بك بعيدة عن أن تكون صادقة فضلا عن أنه كان يميل فى تصوير نفسه الى شيء من المبالغة. والعاطفة لا يحسن تأثيرها الا اذا كانت طبيعية ، أما روحه فكانت الكآبه تستولى عليه والانقباض يطلّ من خلال شعره .

ثم يستطرد المؤلف فى الكلام على فلسفة المتنبي التى استمدّها أو استنبطها من صميم الحياة وإن كنتُ أميل الى الاعتقاد بأن فلسفة المتنبي مستمدة فى بعض النواحى من فلسفة أرسططاليس ، على أن حياة المتنبي القلقة قد أفادت فى صقل مطالعاته فأكسبتها روح التجربة .

وينتقل المؤلف من الكلام عن فلسفة المتنبي الى عبقريته ويختمها بالبحث عمن أخذ عنهم المتنبي ومن أخذوا عنه ويدلى برأيه فى مسألة أخذ الشعراء بعضهم من بعض فهو لا يهمه أكان الشاعر سارقاً أم مسروقاً ولكن الذى يهمه ويعنيه هو القالب الذى صبّ فيه المعنى .

أما آخر هذه البحوث فهو البحث فى لغة المتنبي فيذكر لنا معائبه ومحاسنه ويذكر لنا كيف كان يختار ألفاظه : فهو يستضيء بأبى تمام فى وضع اللفظة موضعها وفى اعطاء المعنى حقه ، وبالبحترى فى ألفاظ الغزل ووصف الطبيعة ، وابن الرومى فى الألفاظ التى تمثل حالة من حالات النفس أو صفة من صفات الفكر ، وبأبى نواس فى الالفاظ التى تدل على هيبة الممدوح واتساع مناقبه ، وبكثيّر فى كلمات النسيب. وينتهى من ذلك كله الى أن محاسن المتنبي لا تؤلف جملة عبقريته فان فى لغته وفى شعره شيئاً لا يدرى ما هو ، ولعل هذا الشيء انما هو صورة روحه، فاذا كانت هذه الروح انما هى روح ملك جبار فالصورة التى تستهوى الناس فى شعره وفى لغته إنما هى صورة الشاعر الجبار .

هذا هو كتاب المتنبي الذى لم أقرأ عن المتنبي شيئاً أحسن منه ، فياحبذا لو توفّر السيد شفيق جبرى على اتحاف أبناء العربية ببحوث قيّمة عن الشخصيات البارزة فى الأدب العربى لتكون نواة صالحة للدراسة الأدبية التحليلية العميقة .



كواكب فى فلك

مجموعة شعر وأدب واجتماع وسياسة بقلم توفيق وهبة — ١٤٠ صفحة بحجم ٢٤½ × ١٧ سم. طبع بمطبعة جريدة البصير فى الاسكندرية

توفيق وهبه الكاتب الشرقى الذى يعيش فى باريس على أجمل ذكريات مصرية ولبنانية والذى يرى بين أضواء باريس ومفاتنها وبين هرجها ومرجها المصرىَّ أو اللبنانى فيخفّ من بين الجموع الزاخرة ليحييه وليرافقه وليطلعه على ما فى باريس.

توفيق وهبه، ذلك الذى يجمع بين مختلف الاجناس الشرقية العربية الهابطة الى باريس فيؤلف منها وحدة، هو الذى يجمع فى صفحات كتابه بين الشعر والادب والاجتماع والسياسة ويكوّن منها جميعاً وحدة.

ولقد علمته الصحافة التى يعيش فى باريس ليوافيها بأخبارها، علمته الصحافةُ بسياستها ودهائها ومكرها سياسةً ودهاءً ومكراً، فانه استطاع بترتيب الموضوعات ترتيباً فنياً أن يجتذبنى الى السياسة التى أصبحتُ أنفر من شبحها فأقرأ فصولها فى الكتاب! على أن الذى يعنينى هنا هو الشعر وما يدور حول الشعر، ولقد أعجبتنى مقالته التى عنوانها «الشاعر» وأعجبت منها بهذه الخواطر:

«الشاعر نسمة من الله أحبها كل الحب فهو عند ما شاء افتداء البشر ألقى على ابنه ثقل العذاب وثقل الصليب وساواه بالشاعر الحامل عذاب الحياة وصليب الهم»

«ولم يقتصر الظلم على الشاعر فقط بل تعداه الى الشعر ذاته فالعلم يريد الشعر مقيداً بالقوافى والروىّ والناس يريدونه حرّاً جميلاً، طليقاً وإن هو أطلق نفسه، من الاسر اتهمه العلم بالخروج وإن ظل محافظاً اتهمه الناس بالجمود»

وتكلم عن نضوب قرائح الشعراء فى فرنسا وطغيان المادية ... ومن رأيى أن المادية مهما طغت فلن تخمد فى النفوس مشاعرها ولن تقتل إحساساتها. والعالم الذى سئم الهدوء وراح يلقى بنفسه فى الضجيج والسرعة وبين صخب الآلات لابدّ عائد سريعاً الى الهدوء متطلباً الراحة الروحية وعندئذ تتنبه مشاعره واحساساته. فمن الواجب على الشعراء ألا يخافوا وألا يخشوا من عزوف بعض النفوس عن الشعر والفن أمام المادية وعليهم أن يردّدوا ألحانهم حتى تغمر الروح الجسد.

وأراني مع السيد توفيق قد تهتُ عن موضوع الكتاب ولعل ذلك من خدعته التي وجدتُها في كتابه !

ومن المقطوعات الشعرية قطعة بديعة وجهها الى مطران قائلا :

لو بعلبكّ ترى اللواتي صاغها   في الشعر من درر البديع الغالي
ووعت لراوية الزمان وما روى   عنه من الآيات والامثال
لمشى بها زهوُ الفخار وهزّها   مافي بنيها من عُلى وجلال
وتجدّد العمرانُ فوق رميمها   والباليات رجعن غير بوالي !



الروافد

مجموعة قصائد وطنية واجتماعية ، نظم شكر الله الجرّ — ٩٦ صفحة بحجم ٢٣ × ١٦ سم . — طبع بمطبعة الأندلس الجديدة بريودي جانيرو (البرازيل) — الثمن ١٠٠ غرش برازيلي

شكر الله الجرّ ، صاحب مجلة (الأندلس الجديدة) التي تصدر في البرازيل في العالم الجديد ، شابٌّ من شباب لبنان الذين ترتفع نفوسهم وتشمخ شموخ جبلهم وأرزهم ، وهو أحد هؤلاء الأحرار الذين أنفت نفوسهم الحياة بين أقفاص مذهبة الاعواد عسجدية الموطىء تضيق بالنفس الحرة وتتسع للأذلة !

فاذا عرفنا أن هذا الرجل الذي ترك وطنه بما يحمل من ذكريات مجيدة لديه ، ورغم ما يكنه في صدره له من إعزاز عرفنا أن هذا إن هو الا شاعر وإن لم نكن قد استمعنا اليه قبل ذلك ، وهو يقول :

ما هجرناك يشهد الله الا   مثلما تهجر العرينَ الأسودُ
كلما كانت النفوس كباراً   ضاق عن مطمح النفوس الوجودُ

فاذا تأملناه وجدناه شاعراً حقاً ، شاعراً في غربته ، شاعراً في صيحته ، شاعراً في هدوئه ، شاعرا في الوطنية ، تأخذه العزة ويتملكه الألم فيهتف على متن الامواج

وقلبه يعصره الحنين لارض الجدود قائلاً :

فيا ليت شعرى ! أيحظى المها جرُ ، فيما يرجّيه من هجرتِهْ ؟!
ويا ليت شعرى ! أيلقى المسا فرُ يوماً سبيلاً إلى أوْبتِهْ ؟!

ثم يغضب مرة أخرى ولكنها غضبة ممزوجة بالحسرة الأليمة فيقول :

ايهِ لبنانُ يشهد الله انا ما هجرناكِ عن قلى وصلابهْ
انما أصبح المقام بأرض الأر ز للحرِّ ذلةً ومعابهْ
كيف لا يهجر الأبيُّ مكاناً ملأ اليأس جوَّه ورحابهْ
وطنٌ نام كالنعاج بنوه نومة أيقظت عليه ذئابهْ ؟!

ثم يتطلع بعين الذكرى الى وطنه الجميل فترى شخصية الرسام تتجلى فيه إذْ يقول :

حبذا الارزُ فى الذرى يتهادى كللت أنجمُ السماء هضابهْ
تخذ السحب عرشه فارتقاها ناسجاً من ثلوجها جلبابهْ
ينتحى الطير فى ذاره مقيلاً فتوافى أسرابه أسرابهْ
خافقات الجناح تشكو عياءً خافقات الفؤاد تشكو اضطرابهْ
حبذا السفح فى غلائله الخضراء بين الجداول المنسابهْ
يزدهى بالربيع فى حلل زهـ ـر توشى من الثرى أعشابهْ
حبذا الشمس من ذوائبها الصفر اء أرخت على المروج ذؤابهْ
حبذا الازرق الجميل وكم لا غيد مع موجه حديث صبابهْ
يفتح الفجر مقلتيه عليهنَّ عرايا مدغدغاتٍ عبابهْ

أو عند قوله :

والشاطىء الوردىّ بين جوانح الاسحار هاجعْ
والموج دغدغ فى الضفاف ملائكاً جَنَتْ الخادعْ
والفجر كالزَّبَدِ المفتّحِ عن زنابقـــهِ النواصعْ

هذه صور سريعة عن هذا الشاعر الذى يغمس ريشته من دم الوطنية الحار ويحاول أن يلقى بها على القرطاس صرخات وزأرات فتمتزج واياها رقة الشاعر التى اكتسبها من وطنه الجميل فما نلبث أن نرى بين الغضب والزئير جمالاً كجمال البرق وسط الرعود!

وانى لأختم ديوانه وأرفع عينى عنه وما أزال اسمع صدى صوته يرن فى أذنى من بعيد مردداً :

يطول الحنينُ الى موطنٍ ووادٍ خضيل النبات نَدِى
وروض نجوم الدجى رصعته بمدمع أعينها السهَّدِ
فأما حصاه فمن عنبرٍ وأما ثراه فمن عسجدِ
تـلمّ الطيورُ بأفنانه وتهفو الى الجدول الاجعدِ

الفجر

مجلة شهرية ـ تصدر عن الخرطوم ـ صفحاتها ٤٦ بمقياس « أبولو » لمنشئها ورئيس تحريرها عرفات محمد عبد الله ـ صدر أول عدد منها فى شهر مايو الماضى . قيمة اشتراكها ٥٠ قرشاً عن السنة ، وعنوانها صندوق البريد رقم ٢٩٧ بالخرطوم

فى السودان الآن حركة أدبية جديدة قوية فيها من عناصر الحياة ما يضمن لها الخلود ، وفى كل يوم يفد علينا البريد بالجديد من صحفه التى تضمّ سطورها الجديدَ من الافكار .

وآخر تلك الصحف هذه المجلة الراقية التى أصدرها الاديب عرفات محمد عبد الله وضمّ الى تحريرها نخبة من شباب أدباء السودان الذين عرفنا فيهم من زمن بما كنا نطالعه لهم روحاً جديدة وإشراقاً فى المعنى والديباجة .

تخالُه الطيورُ إذا بدا فى الفَرْشِ
كأنه أمـيرُ يجلسُ فوقَ العَرْشِ

***

يا طائراً ما أجملكْ يا زهرةً فى الشَّجَرِ
أنتَ على الغصنِ تَمَلكْ مُكَلَّلٌ بالزَّهَرِ
سِرْ فى هواءٍ حَمَلَكْ وطِرْ بغيرِ حـذرِ
لولا جِهادُ الأمِّ لكْ يا طائراً لم تَطِرِ

ولا شكَّ فى أنَّ الجيل الناشىء مدينٌ الى الهراوى قبل سواه بهـذه الروح التهذيبية الصافية من رجل أصيل فى طريقـته ، كما أنه مدينٌ الى مطبعة المعارف باتقانها الفنى لمطبوعاتها الشائقة للأطفال ولغير الأطفال .

أدب المقتطف

يُعَدُّ (المقتطف) مدرسةً ثقافيةً من الطراز الاول . ولو بيدنا الامرُ لنشرناه فى جميع المعاهد الدراسية فهو رفيقٌ حكيمٌ واسعُ الخبرة والاطلاع ، وصحبتهُ لطلبة العلم غنيمةٌ أكيدةٌ لهم ، كما أن نشره فى البيوت يحمل المعرفة الجـذابة والحـكمة النافعة والتربية القويمة اليها . وقد شاقنا من هذه المجلة العظيمة عنايتها أخيراً عناية خاصة بالشعر : ففتحت له باباً جميـلاً يشترك فيه غير واحد من أصدقائنا الشعراء البارزين أمثال حسن كامـل الصيرفى والدكتور بشر فارس وعلى محمود طه وشـفيق المعلوف وسواهم . ولا عجب فمحررها الفاضل السيد فؤاد صروف شاعرىّ الروح ، وخدمته للأدب لاتقلّ عن خدمته للمعارف العامة .

فهرس المجلد الثانى

سنوزّع على القراء مع العدد الأول من المجلد الثالث (أى فى سبتمبر الآتى) الفهارس التفصيلية للمجلد الثانى من وضع زميلنـا الشاعر حسن كامل الصيرفى ، فنوصيهم بأن يؤجّلوا تجليد أعداد السنة الثانية الى أن تصدر الفهارس المذكورة .



شفيق جبرى بك

(أنظر دراسة كتابه عن المتنبي — ص ١٠٦٢)

تصـــويبات

صفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٩١٤	١٤	مفسحينها	مفسحيها
٩١٤	٢١	ولا	لا
٩٤٣	٣	التجديد	التحديد
٩٥٤	١٧	(كلمة « ذلك صورة » مكررة خطأ)	
٩٦٨	٦	للأمانى	للأغانى
٩٦٨	١٠	عشتُ	عشتَ
٩٦٨	١٣	البيت تكرار لسابقه وأصله : أنت لو يدرون ذكرى من أرق الذكريات	
٧٩٤	٢٢	الأثيرَ	الأثير
٩٧٧	١٧	هجرَكَ	هجرُكَ
٩٧٨	١١	الثرى	الذى
٩٧٨	١١	ندّكر	يدّكر
١٠١٤	١٠	تربة	تربه
١٠١٤	١١	الكأس	الكاس
١٠١٥	١٣	تغنى	تغنّى

فهرس

صفحة

الشعر الوصفى

الجمعيات والحفلات

ثمار المطابع





أبولو والشعراء

كتب حديثاً الشاعر سيد قطب بعض فصول عما دعاه الدواعي الأصلية لمعارك النقد الأدبي في مجلة (الأسبوع) وقد تعرّض فيها لجمعية أبولو في أكثر من موضع تعرّضاً مقروناً بإهانتنا وبإكبار صديقه العقاد وبزجّ أسماء أخرى كان يصح إغفالها ما دمنا قد أسقطنا حسابها إسقاطاً تاماً .

(١) فأما عن إكباره لصديقه العقاد بل تقديسه إياه فشعورٌ صادقٌ ناحيته بلا نزاع ، وهو جديرٌ بأن يشكر عليه في زمن تفشى فيه الجحودُ . ونحن من جانبنا نحبّ أن نؤكد له إن كان في حاجة الى تأكيد أننا شخصياً وكثيرين من أعضاء جمعيتنا نحترم العقاد كشاعر ونعرف له مكانته كأديب ، وقد نوّهنا بذلك تكراراً على صفحات هذه المجلة . ومن مصلحة العقاد نفسه أن نفسح بوابَ المجلة للنقد الأدبي الحرّ ، وقد جارتنا في ذلك بعض مجلات وبينها مجلة (الأسبوع) نفسها التي يكتب اليها ناقدنا . وقد ضُرِبَ المثل في غير صحيفةٍ بتسامحنا في ذلك حتى أننا ننشر ما يكتب ضدّنا شخصياً ، فخدمة الحقيقة أعزّ علينا من أنفسنا . ولم تفتنا الكتابة الحسنة عن دواوين العقاد ، والاعلان عن أحدها ، وعرض شعره للترجمة ، والتنويه بمزايا أدبه ، و رسائل تقديرية له ، والتخفيف كثيراً من النقد الشديد الذي كان يوجّه اليه كناقد وشاعر ، والامتناع عن نشر ما هو أشدّ حتى اتهمنا الشاعر الكاتب المعروف مصطفى صادق الرافعي بالتحيز الى جانب العقاد ، بدعوة سيد قطب نفسه لالقاء محاضرة عنه — كل هذا والعقاد يناصبنا العداء لما نقد موضوعه أهلُ السوء من الخرافات ضدنا — فهل من العدل أن يقال عنا نعكس هذه الحقائق وقد ضربنا أنصعَ مثلٍ في ضبط النفس والتسامح وحبّ الأدب

للأدب ومقابلة الاساءة بالاحسان ؟ ان صفحات (أبولو) بعيدة عن أيّ ظاهرة ترمى الى محاربة شاعر بآخر ، بل مبادؤنا عكس ذلك تماماً ، وقد عملنا دائماً على ابراز المواهب أينما كانت والانتفاع بجهود الجميع ، والابتعاد عن الامارات والوزارات الشعرية ، والدعوة الى تقدير الأعمال قبل تقدير الأشخاص . وسيد قطب نفسه لا يجهل كيف عُنينا بشعره قبل أية معرفة شخصية به ، فالنبوغ الفنى يستهوينا أينما كان مَصدرُهُ . ومُحالٌ أن (جمعية أبولو) — وفيها كثيرون من محبي العقاد — ترشح الدكتور ناجى مزاحماً للعقاد حينما لا يوجد أىّ مجال للمزاحمة بينهما وحينما الفكرة فى ذاتها غاية فى الصبيانية ، فلكل شاعر منهما وجهة نظره الفنية والفارق بينهما بعيدٌ ، وإذا نوّهنا بتبريز ناجى كشاعر عاطفى مبدع فليس معنى ذلك انتقاص مواهب العقاد ولا غير العقاد ، فكثيراً ما طاب لنا التنويه بمواهب العديدين من الشعراء والتعريف بهم مما كان له أثرٌ فعالٌ فى الحركة الأدبية الأخيرة . يقابل ذلك من ناحية العقاد جحودُه الذى اشتهر به وانتقاصهُ المغرضُ لأعمالنا وكهولتنا الأدبية ولشاعريتنا وخطتنا ، ومع ذلك نقابل أخطاءه الكثيرة بالتسامح المتناهى ، بل وبالعطف والمودّة مراعاة لحالته الصحية وظروفه الخاصة . فهل من الخير للعقاد وللأدب أن نسقط ذكره من هذه المجلة ؟ هذا ما نشكّ فيه وللعقاد أن يدعى الآن أنه يستنكف أن نكون فى مستواه ، ولكن يجب أن لا ينسى أننا كنا معرفة سنين حينما كان هو محض نكرة .

(٢) وأما عن الأديب كامل كيلانى فأمره هينٌ : فقد التجأ الينا لنأخذ بيده كما التجأ الى العقاد والى غير العقاد من قبل وكان هذا فى بداية سنة ١٩٢٩ . ووجدناه ودوداً ظريفاً محباً للأدب ، فأحببناه وشجعناه ، وفتحنا أمامه أبواب كثيرين من الناشرين والمجلات ، وقدمنا له ما فى وسعنا بل أكثر مما فى وسعنا من شتى المساعدات حتى كان يصرح فى امتنانه أننا خلقناه خلقاً جديداً ، كما يشهد بذلك صديقاه الحميان الشاعر الكاتب سيد ابراهيم والشاعر الدكتور عبدالله عبدالعزيز . ولا نقول هذا بروح من المنّ فان المنّ على أى حال — وفى هذا المقام خاصة — جريمة أدبية خلقية فى نظرنا ، وانما نذكره للحقيقة التاريخية وحدها وقد أرغمنا على بيانها إرغاماً . ثم يدور الزمنُ دورته فاذا بكامل كيلانى يؤثر لمصلحته الخاصة أن يحارب أعمالنا الثقافية ويخترع لذلك ما يشاء من الأسانيد الملفقة ويوقع ببراعته بيننا وبين نفس مَنْ قدمناه اليهم من الأدباء والناشرين وأصحاب المجلات ... ! ثم يتدلى خطو

خطوة وينشر ضدنا الأراجيف فى المقاهى والمنتديات ويتفنن ومن يلوذ به من الوصوليين فى ذلك وفى محاولة الاساءة الينا بكل وسيلة دون أن يعدم التظاهر بصداقتنا اذا اقتضى الحال أمام الخلصاء من أصدقائنا ! وتشبع بروح «الفتوّات» فلم يفته استعمال التليفون لشتمنا (وقد بلغنا أن له سوابق من هذا القبيل مع العقاد وغيره) والايعاز بمثل ذلك من الرسائل ، فضلا عن محاولة الاساءة الينا فى عملنا الرسمى ، وقد أشرنا الى كل هذا فى عدد يونية الماضى وقبله . وازاء هذا التدلِّى المدهش نفضنا يدنا منه نفضاً تاماً ، تاركين له الاستمرار فى جحوده واساءته وتدلّيه الى أبعد غاية يختارها ومنها اختراع المطاعن فينا ونسبتها حتى الى الأموال وبينهم المرحوم شوقى بك ،، ولا عبرة بما يقوله من الترهات عكس ذلك فالتواريخ وشهادات الكرماء لا تكذب . ونحن على أى حال لن نأسف على احسان أسديناه بنية خالصة لخير الأدب ، وإن ظهر الآن أنه كان احساناً فى غير موضعه .

(٣) وأمّا عن الشاعر محمود أبو الوفا ، فنحن لم نفتعل أىّ تكريم له ، وحفلة حديقة الأزبكية كانت انسانية محضة ، وقد كُتِبَ عن ديوانيْه فى هذه المجلة أحسن كتابة . وهو شاعرٌ وجدانى رقيق غنائى النزعة ، وقد شجعناه وقدرناه قدره دائماً ، ولا شأن لنا بما كتب نقداً له فى مجلات أخرى . فمجلة (الامام) مثلاً لم تلغ شاعريته ولم تحمل عليه وانما خدمته حين انتقدته ، والشاعر محمود حسن اسماعيل لم يكتب عنه فى ملحق (السياسة) الأدبى الا ما تعوّد أن يقول مثله دائماً عن أبى الوفا . والصيرفى لم يُشر فى مجلة (أبولو) الاَّ لعادته التى آخذناه عليها قبلاً من نظمه خواطر سابقة لغيره من الشعراء ، وقد نصحناه من قبل تكراراً بتجنُّب ذلك وبالابتعاد عن شعر التكسُّب ، وبأن يلتفت الى الانتاج الفنى وحده فهو الأجدى عليه فى النهاية . ونحن الذين شجّعناه على اخراج ديوان (الأعشاب) وأعلنّا عنه فوراً من تلقاء أنفسنا وطبعنا له هديةً دفاتر الاشتراك فيه وأوصينا مَنْ أوصينا بمؤازارته . واذا كنّا قد شجّعنا الشعراء الشباب فقد أصابه هو بصفة خاصة أضعاف ذلك ، ولكنه أبو الجحود . . . فتمرّد كما تمرّد صاحبه كامل كيلانى من قبل وأخذ يشتم وينتقص مَنْ عطفوا عليه ، حتى أصبح ولا صديق له الا مَنْ يعرفون كيف يستغلونه لامتداحهم (بعكس حالنا معه دائماً) وإلاّ مَنْ خفيت عنهم طبيعته مِنْ أنانية وتقلُّب .

(٤) إنّ (جمعية أبولو) مسؤولةٌ أدبياً عن مؤزارة أعضائها وابراز مواهبهم بل ومناصرة النهضة الشعرية عامةً ، وهذا ما فعلته وتفعله الآن وفى المستقبل لوجه الأدب الخالص حتى مع مَنْ تُزيّن لهم أنانيتهم وأهواؤهم أن يُحاربوها ، فنحن الذين نعطى درساً فى التسامح الأدبى لا من يتلقاه . وهيهات لنا أن نغرّر بأحدٍ بأية صورة من الصور ، فما يدّعيه صاحبنا الناقد دعوى باطلة من ألفها الى يائها ، والاحجام عن التمادى فى مناقشته والردّ عليه انما هو برجاء منّا صيانة للأقلام عن المهاترات الفارغة والتنابذ الممقوت . وإلاّ فأىُّ معنى لأن يأتى مثل سيد قطب فيتظاهر بالقداسة الخلقية ويخترع ما يخترع من تُهَمٍ يوزّعها على الناس ويخلط بين الحق والباطل ويطعن فى شرفنا الأدبى ، ثم يتحدّث عن الأخلاق وصيانتها كما تحدّث « البطل » التاريخى (دون كيشوت) وهو يخلط أوهاماً بأوهام ؟ ! لماذا كلّ هذه المناورات فى سبيل إظهار نفسك أيها العزيز بمظهر المقصود المرجوّ الذى يهمّ الأدباء آراؤه ونقدُه ؟ ولماذا كل هذا المنّ والكبرياء المصطنعة ؟ ومَنْ ذا منّا الذى تعلمه أصولَ الأخلاق وقد أثبتّ بما لا مجالَ للشكّ فيه أنك بتصرفاتك التى تعترف بها والتى تحاشَيْنا التحدُّثَ عنها آخر من يجوز له ذلك ، وأنك كزملائك الأعزاء الذين نحنّ اليهم مِن أحوج الناس إلى عرفان الأدب الاجتماعى ؟ لقد كنا نحسب فيك الرزانة والتعقل وصفاء النفس الى جانب ذكائك ، فاذا بذكائك وحده كاليتيم ، واذا بكل هذه الصفاقة التى كنت تسترها تزيده يُتماً على يُتمٍ .

(٥) غير صحيح أن مجلة (أبولو) سمحت لأحد أن يستبيح حرمة الأدب والفن والأخلاق على صفحاتها ، وإنما كانت جميع جهودها وتضحياتها لأجل صيانة هذه الحرمة . ولو عُرضت لنا أمثلة نقدية بالذات لما شق علينا أن نوضحها فى ضوئها الصحيح . وليثق كل من يحسن الظن بنا أننا لن نحيد عن هذه الخطة النزيهة المستقلة وأننا نحل وسنحل دائماً عقيدتنا الأدبية فوق كل اعتبار ، ولن تعنينا بعد ذلك التفاسير المغرضة أو الخاطئة اذا ما أصرّ أصحابها على خطيئتهم .

(٦) نحن نقدر النقد الأدبى ، ونشكر لكل ناقدٍ حرٍّ مخلص جهوده كيفما كانت آراؤه . ومن أجل ذلك شكرنا لسيد قطب ولغيره نقدهم لشعرنا ولشعر زملائنا ، كما شكرنا للدكتور طه حسين رغبته فى مثل هذا النقد وقد أرسل الينا ثلاث مرات طالباً دواويننا . ونحن نقبل جميع الأحكام النقدية الخالصة بكل ارتياح كيفما كانت

لأننا لن نرضى عن آراء تلقن للنقاد ، ولن يكون ذلك منا ولا من أصدقائنا . وغير صحيح إذن أننا من يقف موقف التوريط للدكتور طه حسين ولا لغيره ، وحسبنا شهادة الدكتور زكى مبارك على ذلك ، وكثيراً ما أنتجنا وأسقطنا البيئة من حسابنا فما يعنينا إلا شعورنا . وأما عن الشاعر عباس محمود العقاد الذى يقال عنه أو يقول عنّا بأن اقتران اسمنا به هو رفعنا الى مستواه ، فمثل هذا الهراء مما يضحكنا ، لأننا نعدّ كما يعدّ كثيرون من تسامحنا الأدبى أن نرضى بزمالته على ما هو معهود فيه من مغالطات أدبية وغير أدبية ، ومن ثقافة مضطربة ، ومن شاعرية ينقصها الطبع الأصيل فى مواقف كثيرة برغم حسناته ، ومع ذلك فاننا آخر من ينكر مواهبه ونصيبه الصالح فى النهضة الادبية الاخيرة . وأما الزعم بأنه مركز للنهضة الادبية وهو من هو فى أنانيته ، أو أنه فوق البيئة وهو من يعنى بالكثير من صغائرها ، فكلام مردودٌ يأباه المنطق الصحيح والواقع الملموس . ويحسن بالعقاد أن يتمثل دائماً بهذين البيتين لاستاذنا مطران لعلهما يؤثران على عقله الباطن ويصلح وحيهما من نفسيته :

حرامٌ علينا الفخرُ بالشعر إذ تقعْ نسورُ معاليه وقوعَ ذُباب
وما كبرياء القول حين نفوسُنا تجاويفُ أرضٍ فى انتفاخ روابى !؟

(٦) كتب الدكتور طه حسين وكتب الشاعر سيد قطب من قبل عن أبى الوفا بما يُشعر أن لنا أو لرابطة الأدب الجديد يداً فى اظهار أبى الوفا بمظهر الشاعر المتفوّق ثم التخلى عنه بعد ذلك ، أو أن لنا أىّ شأن فى اتصاله بدولة صدقى باشا واظهاره بمظهر الشاعر المنافح عنه . والواقع أننا عطفنا على أبى الوفا عطفاً انسانياً محضاً كما يجب أن يُعطفَ على أمثاله من الأدباء البائسين . أما تحويل هذا العطف ذلك التحويل المستنكر على حساب (الوفد المصرى) أو غيره من الهيئات السياسية فلم يكن لنا بطبيعة الحال أىّ شأنٍ به ، كذلك لم يكن لنا أىّ شأن بمقابلته لدولة صدقى باشا وما جرى فى ذلك الاجتماع ، إذ أننا رفضنا رفضاً باتاً مصاحبة من قابلوا دولته واستنكرنا كلّ الاستنكار ما جرى فى ذلك الاجتماع من إرضاخ الأدب للسياسة.

(٧) لم يحدّث سيد قطب عمداً عن الشعراء عباس محمود العقاد وعلى محمود طه ومحمود أبى الوفا وابراهيم ناجى ولا عن الأديب كامل كيلانى ولا عن غيرهم برغبة حثه على نقدهم كما نهوى أو بروح العداء أو بروح التحيز ، فنحن أرفع من كل هذا

العبث ، ولسنا فى خلوٍ من البال لشىء من هـذا الصغار ، ولا يعنينا بصفةٍ جديةٍ ما يقوله سيد قطب ولا غير سيد قطب عن هذا أو ذاك منهم . ولن نردّد نحن فى هذا المقام آراءه الشفوية أثناء أحاديثنا العرضيّة سواء أكانت تلفونية أم غير تلفونية ، فنحن نعرف معنى الكرامة الخلقية ونعرف كيف تصان هذه الأحاديث برغم التجنى علينا . وانما نقول إننا جدٌ صرحاء ، وانّ ماقلناه فنيّاً عن هؤلاء وغيرهم من الشعراء والأدباء فى هذه المجلة من قبل لا يزال قولنا ، واننا إذا وجدنا أحاديثنا يساء تناولها والتلاعب بها فحسبنا أن نبتعد فى حزمٍ وترفّعٍ عمن يحلو لهم ذلك لغاياتهم الخاصة . ويقيننا أن هذا ينطبق أيضاً على بقية زملائنـا من أعضاء (جمعية أبولو) فلا معنى إذن لذلك الكلام الطويل العريض الذى يريد صاحبنا به أن يكبر من شأن نفسه . ونحن بعد هذا نستطيع أن نلتى بالقـلم ، تاركين لأدباء القال والقيل والمناوشات أن يمرحوا فى أخيلتهم ومخترعاتهم على حسابنا كما يشاؤون ، وكلٌ انسانٍ ميسَّرٌ لمـا خُلِقَ له .





أعمال خريجى البعثات

تعدّ مصر فى طليعة الأمم التى تعنى بالبعثات العلمية : فلها مبعوثون فى فرنسا وألمانيا وانجلترا وايطاليا وسويسرا ، وللبعثات المصرية مكاتب معروفة فى لنـدن وباريس وبرلين .

ومع هذه العناية بالبعثات لا تزال الأمة المصرية محرومة من الاتصال بالثقافات العالمية فى العلوم والآداب والفـنون ، لأن خريجى البعثات — فى الأغلب — لا يهمهم غير المناصب والدرجات والترقيات . ويندر أن يشغل أحدهم نفسه بأعباء الترجمـة والتأليف ليردّ بعض الدين الذى طوقته به الحـكومة حين بعثته ليتملم فى طمأنينة من هموم المعاش .

ولرفع هذه الوصمة عن خريجى البعثات فكّر حضرة صاحب المعالى الجليل محمد حلمى عيسى باشا وزير المعارف العمومية فى مشروع الترجمة والتأليف. وهو مشروع لو نفّذ لأمكن تغذية الحياة العلمية والأدبية والفنية تغذية صالحة بنقل المهم مما ألّف علماء الغرب فى العلوم والآداب والفنون .

وقوام المشروع هو تكليف كل عضو من أعضاء البعثات بترجمة كتاب فى العلم الذى تخصص فيه ، وترجمة رسالته إن كان امتحانه يوجب تقديم رسالة ، على شريطة أن توافق لجنة البعثات على الكتاب الذى اختاره العضو للترجمة ، ولها أن تفرض ترجمة كتاب ترى ترجمته واجبة .

ولاينال العضو الدرجة التى يستأهلها الا بعد أن يقدم ما يجب عليه من ترجمة وتأليف .

وقد شكلت لجنة فى وزارة المعارف لدرس هذا المشروع فوضعت له القواعد الأساسية .

ولكننا علمنا أن خريجى البعثات لم يهتموا الا بتقديم رسائلهم ، فمن الواجب أن يتنبه أولو الأمر فى وزارة المعارف العمومية الى أن الأهم هو البدء بترجمة المؤلفات العظيمة ذات الصبغة العالمية فى العلم والأدب والفن والفلسفة والتشريع .

أليس من العجب أن يظل ديكارت وكانت وسبينوزا وهوبس وبرجسون ودانتى وملتون ومن اليهم من أعلام الفكر الانسانى مجهولين فى هذه البلاد ؟

لقد سمعنا أن هناك شيئاً من التردّد فى تحقيق هذا المشروع الجليل ، ومن واجبنا أن نذكّر صاحب المعالى حلمى عيسى باشا بأنه يستطيع أن يؤدّى لوطنه خدمة عظيمة يذكرها له التاريخ إن رعى هذا المشروع رعاية جدية تحقق آمال الراغبين فى ازدهار العلوم والفنون والآداب .

ان الحكومة تنفق ألوف الجنيهات كل عام على أعضاء البعثات ، وتنفيذ مشروع الترجمة والتأليف هو الثمرة لتلك النفقات ، وهو كذلك سناد للحركة العلمية التى ابتدأها جلالة الملك بانشاء الجامعة المصرية ؟

زكى مبارك

أهكذا يخدم الأدب ؟

تتبعتُ بشيء من التسلية والتعجب والأسف الحملة البذيئة على (جمعية أبولو) وسكرتيرها ومجلتها فى صحيفة « الأسبوع » فتأسّفتُ كثيراً لأن يندّ قلم الشاعر سيد قطب بشيء من ذلك فانى ما عرفتُ سيد قطب نفسه كشاعر الا من تنويه مجلة « أبولو » به . وقد لحظتُ أن غاية كل تلك الحملات تمجيد العقاد على حساب جميع مَنْ يعدّهم منافسيه ، وإن ذهب أديبنا الى شيء خفيف من النقد السطحى للعقاد تمويهاً باستقلاله في ما يكتب ! ولكن هذا التمويه لا يخفى على أىّ قارىء بصير . وهو بعد هذا مفتون بتمجيد نفسه بصورٍ مضحكة من الادعاء والاستنتاج الغريب .

والأديب سيد قطب نفسه حُرٌّ فى تأليه العقاد وفى تمجيد نفسه إذا شاء ، ولكن لا معنى لأن يكون ذلك على حساب النهضة الأدبية وشخصيات شعرائنا وأدبائنا ، فان جميع ما كتبه حتى الآن لا يعدو الاعلان الرخيصَ عن العقاد وعن سيد قطب ، ومحاربة زملائه بأساليب متنوعة تحمل فى طيها الايقاع بين الأدباء ... ومما يؤسف له أن صحيفة « الأسبوع » نفسها استمرأت هذا النوع من الكتابات التجارية الرخيصة ، فتحيزت لسيد قطب فيما تسميه منبرها الحر ضد صديقى الشاعر صالح جودت الذى ردّ فى صراحةٍ على تلك المفتريات . وهذا مما دعا صالح جودت الى الترفع عن الكتابة ثانية ، كما ابتعد عنها ابراهيم المصرى وعبد اللطيف السحرتى ومختار الوكيل وغيرهم من قبل ، وذلك لما رأوه من التحيز الظاهر ضدّهم إكراماً لعيون العقاد ، كأنما الغرض هدمهم بأىّ ثمن ، وهُم الذين خدموها وعززوها من قبل بالقلم واللسان !

ولكن المؤلم فوق كل هذا (وهو الأهمّ عندى) أن سيد قطب يجوس خلال المجالس ويتحدث بحرية ثم يأتى بعد ذلك فيسقط جميع أقواله النقدية عن هذا وذاك ويتنامى انتقاصه للأدباء — وقد حضرتُ شخصياً أحد هذه المجالس — ثم يبادر الى نسبة ما يحلو له من الأقاويل والتفاسير والنيات الى من أدخل فى حسابه مناوءتهم ، وهم بصفة خاصة أعضاء (جمعية أبولو) ! وكل ذلك فى عجرفة عجيبة لا تُنتظر من أديب شاب مثله يعيب على غيره الغرور فى حين أنّ غرور سواه أو اعتداده بنفسه لا يقاس بصلفه هو ! والأديبُ الذى يتصرف مثل هذا التصرف

يجرّد نفسه من أخصّ صفات الأدب ، ويدعو الأدباء الى الانصراف عنه وتحاشى مجلسه ، لأنه بمثابة الجاسوس الملفق الذى لا يؤمن جانبه .

على أني بالرغم من كل هذا أرى أن الأحرى بمثل سيد قطب الذى أحببتُ شعره الجيد وحمدتُ لمجلتكم التنويه به بين مَنْ نوّهَتْ بهم من شعراء الشباب أن يصون قلمه عن هذه الصبيانيات التى لا تليق بأديب ناشىء مثله . وله بعد هذا أن يثق بأنى ما كنتُ أكتب هذا العتاب الصريح لولا محبتى لشعره الطريف ولولا أن كثيرين يشاركوننى فى هذه المؤاخذة له ، وهو حرّ بعد هذا فى الاستمتاع الى هذا النصح الخالص أو ضمّ اسمى الى أسماء من شتمهم من قبل وأساء الى مودتهم وحسن ظنهم به ؟

السيد عطية شريف

ناجى الشاعر

فى كلمةٍ وجيزة دقيقة عبّر الأديبُ الناقد محمد عبد الغفور أحسن تعبير عن إيماننا بناجى الشاعر العاطفى الممتاز ، كما عبّر عن شعورنا الخالص نحو الأدباء والشعراء عامة ، فاننا لا نحب المفاضلات والمنافسات السخيفة كما لا نؤمن بالتوحيد فى الادب . والمتحدّث الى أعضاء « جمعية أبولو » لا يجد بينهم إلا اتفاقاً فى المبادىء الفنيـة العامة التى تساير حيوية الفن كما تماشى روحَ العصر ولكنه لن يجد تلك التحزبات الشخصية الممقوتة التى اشتهرت عن بعض الجماعات والفئات . وانى كأحد المعجبين بناجى أرحّبُ فى الوقت ذاته بجهود سواه من الشعراء المنجبين وأرى أن خير الادب فى جماع تلك الجهود ، واعتبر من أفضل خدمات أبولو للأدب وللاخلاق أيضاً الدعوة الى احترام الجهود الادبية المنوّعة فى الاجواء الفنية الملائمة لكلّ منها ، سواء أكانت لاعضائها أم لغيرهم ، فالفن فوق كل اعتبار شخصى ؟

حسن كامل الصيرفى

بين القديم والجديد

لم أختلط بجمع من شعراء أپولو الا وجدتُ الغيرة القوية على تراثنا الادبىّ العربىّ ماثلة فى أحاديثهم ، ولم أجد فرداً منهم شذَّ عن الدعوة الى دراسة القرآن الشريف والأحاديث النبوية ونهج البلاغة وروائع الأدب العربى عامة دراسة فنية عميقة ، ووراءَ ذلك إيمانٌ عميق بعظمة العروبة وآدابها . وهذا الشعورُ القوىُّ من رجال المدرسة الحديثة يعزز رأيى فى أنه لا يوجد فارقٌ أصيل بين القديم والجديد فى الادب ما دام أدباً صحيحاً ، وانما الفرق يعود الى أن المدرسة الحديثة عالميةُ الروح بينما مخالفوها ضيقو الافق محدودو الثقافة ، وهم بهذا الحصر لا يخدمون الأدب العربىّ وإن توهموا ذلك ، وكم لهم من زلات حتى فى معرفة فلسفة الألفاظ الأدبية وأسرار تطوّرها جيلا بعد جيل ، فتجدهم يتحدثون عن ماء الشعر وديباجته وقوته وما الى ذلك حتى اذا جاءوا هم بتطبيق تلك النصائح لم نجد منهم الا هراء فى هراء !

وبالأمس كنت أقرأ لاحد الشبان المتأثرين بتلك الروح الرجعية فأدهشنى أن يؤثر شاعر البادية المرحوم الشيخ عبدالمطلب على نفر من زملائه الشعراء المعاصرين وبينهم مَنْ هو فى عداد أساتذته ، ولست أدرى : أهذه رجعية صرفة أم حُبٌّ للتبعية وبُغضٌ للاستقلال الفنى الذى يجب أن يتوفَّر فى النشأة الجديدة ؟

محمد عبد الغفور

نقد عروضى

(١)

الى الشاعر الصيرفى

أبيات الرياشى مستقيمة عروضاً ، وثالثها فيه ضعف كما قال المقتطف والى حضرتك البيان :

بحر التقارب

بَعْدَ	قليلِ	أتى كا	هِنْ	يُضى ءُش	شُموعَ	وَيُذ كى ل	بحورا
مولُ	فعولن	فعولن	فعَلْ	فعولن	فعولُ	فعولن	فعولن

وَيَتلُوهُ	صَلاةَ	على نَعْ	شِهِ وَهْ	وَجاشٍ	يُناجى لْ	إلَـهَ لْ	غفورَا
فعولُن	فعولُ	فعولن	فعولن	فعولن	فعولن	فعولن	فعولن

وَمَا كا	نَ فى لحْ	ـمِهِ شَـ	بَعٌ	ولا كا	نَ قتلُ ضْ	ضَعيفٍ ضْ	طِرَارَا
فعولن	فعولن	فعولُ	فَعَل	فعولن	فعولن	فعولن	فعولن

موطن الضعف

بحر المديد

سَمِعَتْ رَبّ	باتَ لْ جَا	لِ إلَيْهِ	يَتَغنّى	بِحُسنِها	وَبِمَجيدُو
فعلاتن	مستفعلن	فعلاتن	فعلاتن	مفاعلن	فعلاتن

ثم تقول حضرتك عن المقتطف « فقفل بابه » ولفظة « قفل » اذا كانت مشددة الفاء فهي صحيحة ، والا فالصواب أقفل . والسلام عليكم ورحمة الله ؟

(٢)

الى الشاعر طلبة محمد عبده

عبتَ على العقاد قوله : « وفيتمو سهمى » فقلت : « لأن السهم يصوبه صاحبه ولا يوفيه » والمعنى الذي تذهب حضرتك اليه أورده العقاد فى بيت آخر (من القصيدة نفسها) فقال : « ... إنى أراه على مدى سهم » وأما هنا فهى مرادفة للفظة « نصيب » — قال تعالى : وإنا لمُوَفّوهُمْ نَصيبَهُمْ غيرَ منقوص . ثم قلت : « وهب أن علم البيان الخ » « وأن » لا تأتى بعد « هب » مطلقا ؟

عبد العزيز مصباح





وليم هازلت

١٧٧٨ — ١٨٣٠

وليم هازلت هو أحد أفذاذ الانجليز الذين ظهروا فى الثلث الأول من القرن التاسع عشر ، والذين لعبوا دوراً هاماً فى تهذيب الأدب الانجليزى والسمو به الى درجة قلما تجد لها مثيلاً فى سائر عصور الأدب الانجليزى . فقد كان هازلت ناقداً نافذ البصيرة ، وكاتباً من أرقى طراز ، وصحافياً لا يشق له غبار ، وفناناً نابغاً .

وكان الى جانب ذلك وطنياً متحمساً ومصلحاً صادقاً تشبع بمبادىء الثورة الفرنسية وامتزجت الحرية بدمه فعبد روسو وقدس نابليون .

ولا يتسع لى المجال لأن أتحدث عن تلك الشخصية العظيمة المتشعبة النواحى ولكنى أرى لزاماً علىّ أن أذكر شيئا ولو بسيطاً عن هازلت كناقد قد يعين القارىء المثقف على فهم تلك القطعة التى كتبها عن الشعر

لقد فهم هازلت الفن وكتب فيه الكتب التى تكشف لنا عن تلك الملكة القوية الفعالة التى وقفت على أسرار الفن العميقة والتى تدل على فهمه واحاطته بكل أنواع الجمال ، ولكنه كسائر الكُتّاب الرومانتيك قد عنى قليلاً أو لم يعنَ مطلقاً بالتفسير الفلسفى للفنون .

وقد حاول فى كل كتاباته أن يكون أمينا مع نفسه فلم تعوزه الشجاعة ليتحدث بصدق عما شعر ورأى .

وإن كان هازلت لم يعدُ فى كل ما كتب تجارب شعوره الخاص فهو على أى حال قد تحدث عما أحب من الصور لا لأنه جرى على تلك العادة التى تغرم بنوع خاص منها ، أو لأنه رآها فى معرض الجمال ، ولكن لأنه أحبها .

وقد أغرم بالمسرح الذى يقول عنه : « نحن نحب المسرح لأننا نحب أن نتحدث عن أنفسنا ، ونحن لا نحب شخصاً لا يحب الروايات التمثيلية »

وإن كان هازلت يخالف النقاد الذين أتوا بعده والذين جاءوا بنظريات ثابتة فى النقد متأثرين بالفلسفة التجريبية ونظريات التطور العلمى الحديث التى مسَّت كل أنواع العلوم ولم تترك الأدب دون أن تصيبه ببعض الشرر ، والتى كان من أثرها تحديد البيئة واظهار مقدار تأثيرها فى الشاعر أو الكاتب ، إلا أنه لم يعدم قوة التمييز الدقيقة التى ربما كانت أولى صفات الناقد الحاذق ، ولقد توفرت لهازلت صفات أخرى لم تتوفر فى أى ناقد آخر ، فقد أحبَّ الشعراء والكتاب حباً عميقاً وانكبَّ على دراسة مؤلفاتهم حتى أصبحت عباراتها مألوفة عنده تجرى على لسانه كما تجرى آيات الكتاب على لسان الواعظ .

وقد يؤخذ عليه إسرافه فى هذا الحب الذى ربما أبعده قليلا عن الوقوف على نقائص الشاعر أو الكاتب المنقود .

وطريقته فى نقد شخص أو كتاب هى أن يخبرنا عن كيفية حبه أو كراهيته له ، وفى كل نقده يحاول أن يوقفنا على اعجابه الشخصى بهذا الشاعر سواء أكان ذلك بطريق مباشر أو غير مباشر .

أما تلك القطعة التى أعرضها أمام القارىء فهى محاضرة ألقاها هازلت عن الشعر عاماً ، وهى زعيمة بإيقافنا على رأى هازلت فى الشعر الذى كان كل حياته . وقد أفاض هازلت فى شرح ماهية الشعر لأنه موضوع قلما أحاط به شخص ممن كتبوا فيه . وكما أن هازلت كان رجل حسٍّ وشعور فهو لم يرض أن يخضع الشعر لصور الكلام أو قوانين العلم .

إن هذا الموضوع دقيق التركيب فى أصله فهو ليس تأريخاً للشعر ولكنه تحليل لعناصره الجوهرية ومحاولة للكشف عن أسراره الخفية والوقوف على ما فيه من روعة وجمال ، فهو موضوع يعالج عنصراً هاماً من عناصر وجودنا بل بكل عناصره فوجودنا شاعر وحياتنا شاعرة .

فلا غرابة إنْ دقَّ التعبير فى بعض المواقف أو خفى المعنى وراء الكلمات أحيانا فان هذا راجع إلى سمو الفكرة ودقة التعبير عنها ، ولأنَّ الكاتب قد أورد تشبيهات واستخدم تعبيرات يألفها القارىء الانجليزى ولا يألفها القارىء العربى .

***

الشعر

للكاتب والناقد الانجليزى الشهير وليم هازلت

«إن أصدق تعريف يمكن أن أعرّف به الشعر هو انه الصورة الطبيعية لأى غرض أو حادثة ، فان قوته تولد فى الخيال والعاطفة حركة غير إرادية وتبعث رخامة فى الأصوات المعبرة عنها ...

وفى معالجة هذا الموضوع « الشعر » سأتكلم عن موضوعه أولاً ، وعن صور الافصاح التى يبعثها ثانياً ، وعن ارتباطه بموسيقى الصوت بعد ذلك : فالشعر لغة الخيال والعواطف ، فهو يتصل بكل شىء يبعث لذة أو ألماً فى الانسان وهو يستقرّ فى صدور الناس وأعمالهم لأنه ما من شىء يستقر فيها فى أعم وأوضح صورة إلا ذلك الذى يمكن أن يكون موضوعاً للشعر ، والشعر هو اللغة العالمية التى تصل القلب بالطبيعة .

وإن الذى يمتهن الشعر ويحطّ من قدره لا يمكن أن يقدر نفسه كثيراً أو يقدر أى شىء آخر ، فهو ليس مجرد عمل تافه كما يتوهم البعض او نوعاً من التسلية زهيداً لبعض القراء الخاملين فى ساعات الفراغ ، ولكنه دراسة للانسان وبهجته فى سائر العصور .

ويظن كثير من الناس أن الشعر شىء يوجد فى الكتب فقط ، فى تلك السطور المقفاة والموزونة ، ولكن حيثما توجد حاسة الجمال أو القوة أو الموسيقى كما فى حركة موجة البحر أو فى نموّ الزهرة التى تنشر أوراقها العطرية فى الهواء وتكرّس جمالها للشمس يوجد الشعر .

فليس الشعر فرعاً من فروع التأليف ولكنه المادة التى تكوّنت فيها حياتنا ، أما سواه فشىء منسىّ وخطابٌ مدفونٌ لأن كل شىء يسمو فى الحياة بمقدار ما فيه من الشعر .

الخوف شعرٌ ، والأمل شعر ، والحب شعر ، والكراهية شعر ، والارادة والحقد وتأنيب الضمير والاعجاب والجلال والرحمة واليأس والجنون محلّ هذه شعر . فالشعر هو أدقّ أجزائنا الداخلية وهو الذى يوسع ويرقق ويهذب ويسمو بوجودنا .

فبدونه كانت حياة الانسان تعسة كحياة الحيوان الأعجم . والانسان حيوان شاعر ، وأولئك الذين لا يفقهون نظريات الشعر وقواعده يسيرون عليها فى جميع شئون حياتهم كمثل Bourgeois Gentilhomme لموليير الذى كان يتكلم النثر دائماً دون أن يعلم بذلك .

والطفل شاعر فى الحقيقة عند ما يبدأ فى لعبة الاختفاء والبحث أو يستعيد قصة جاك القاتل الجبار ، والراعى شاعر عند ما يشرع لأول مرة فى تتويج سيدته بإكليل من الأزهار . والريفى عندما يقف يشاهد قوس قزح ، والصانع الصغير عندما يتأمل فى الورد العظيم . والبخيل عند ما يعانق ماله ، ورجل البلاط الذى يبنى آماله على ابتسامة ، والهمجى الذى يلطخ معبوده بالدم والعبد الذى يعبد سيده وسيده الذى يظن نفسه آلـهاً ، والمعجب بنفسه والطموح والمتكبر والرجل السريع الغضب ، والبطل والجبان ، الشاب والكهل . كل أولئك يعيشون فى دنيا من خيالاتهم . وليس للشاعر عمل أكثر من أن يفصح عن أفكار وأعمال الآخرين .

ولو كان الشعر حلماً كانت الحياة حلما كذلك ، ولو كان خيالا جاء من وضع الأشياء كما نرغب ، فلا توجد هناك حقيقة أصدق وأفضل . فاريستو قد وصف حب ميدورو وانجيليكا ، ولكن ألم يكن ميدورو الذى نقش اسم حبيبته على قشور الأشجار كثير الافتتان بمحاسنها كما وصفه اريستو ؟ وقد أظهر هو ميروس غضب اخيل ولكن ألم يكن البطل مساوياً الشاعر فى جنونه ؟

وقد أبعد أفلاطون الشعراء من جمهوريته لئلا يفسد وصفهم للانسان الطبيعى انسانه الآلى الذى أوجده مجرداً من العواطف والميول لا يضحك ولا يبكى ، لا يحزن ولا يغضب ، لا يؤلمه أو يبهجه شىء ، ولكن هذا لم يكن إلا ضغثا أو وهما وان عالم هو ميروس الشعرى قد عاش أكثر من جمهورية أفلاطون الفلسفية .

فالشعر على ذلك محاكاة للطبيعة ، ولكن الخيال والعواطف جزء من طبيعة الانسان . فنحن نشكل الأشياء حسب رغائبنا وأوهامنا بدون الشعر ، ولكن الشعر أكثر اللغات تثبيتا لمبتكرات العقل التى تشتمل على عناصر المتعة والجمال . فلا الوصف المجرد للأشياء الطبيعية ولا الافصاح المحدود عن الشعور الطبيعى مهما يكن قوياً فعالاً يستطيع أن يحدد غاية الشعر وغرضه دون أن يسمو بالخيال . وضوء الشعر ليس مباشراً فقط ، ولكنه منعكس أيضاً . فبينما يكشف لنا

عن الشيء ذاته يلتقي بأشعة متلألئة حوله . وان لهب العواطف باتصالها بالخيال تكشف لنا كوميض النور عن مواضع الفكر الداخلية وتتخلل فى سائر أجزائنا .

والشعر يمثل الصور كما ترتبط بصور أخرى غالبا ، أو المشاعر كما تتصل بصور أو مشاعر أخرى أيضا . وهو يبعث بروح الحياة والحركة الى العالم ، ويصف الحركة لا الجمود . وهو يحصر حدود الحس أو يحلل دقائق الفهم ولكنه يدل على خصب الخيال تحت تأثير عادي لأي غرض أو شعور .

وان الأثر الشعرى لأى شيء هو الاحساس العظيم المضطرب بالجمال والقوة الذى لا يمكن أن يبقى فى موضعه والذى يضيق بكل الحدود والذى — كما تميل النار للنار — يجدّ فى ربط نفسه بصورة أخرى من الروعة والجمال ، ويحفظ نفسه كما كان فى أسمى صور التخيُّل ، ويخفف من ألم الشعور باللذة بالافصاح عنها . ولهذا السبب كان الشعر فى نظر اللورد بيكون يتضمن معنى سامياً لأنه يسمو بالعقل إلى سماء الرفعة بترتيبه مظاهر الأشياء على حسب أهواء الروح بدلاً من اخضاعه الروح للمظاهر الخارجية كما يفعل العقل والتاريخ ... فهو اللغة الدقيقة للخيال . والخيال هو تلك الملكة التى تمثل الأشياء لا كما هى فى ذاتها ولكن كما تتشكل بأفكار ومشاعر أخرى متباينة : نحن نشبه الرجل العملاق بالبرج لا لأنه يساويه حجماً ولكن لأن زيادة حجمه على نظرائه تولد بالتناقض شعوراً أعظم بالكبر والقوة مما يولده شيء آخر فى عشرة أمثاله مع نفس الابعاد . أما شعر المآسى الذى هو أقوى أنواع الشعر تأثيراً فهو يحاول أن يأخذ الشعور الى أسمى درجات الرفعة والثورة العاطفية ويفقد حاسة الألم الوقتى بالافراط فيه ويضعف الهلع والرحمة بالانغماس فيهما ، ثم يأخذنا إلى الوراء حيث الماضى ، وإلى الامام حيث المستقبل ويستحضر أمامنا كل حركة من حركات وجودنا ، أو كل غرض للطبيعة فى نظرة مستعادة ، وفى ذلك الدور السريع لهذه الحوادث ينتشلنا من أعماق البؤس إلى سعادة الأمل فى الحياة فعند ما يتحدث لير عن ادجار فى رواية King Lear لا شيء غير بنتيه الجاحدتين قد أوصله إلى هذه الحالة ، فما أكثر حيرته والتواء خياله ذلك الذى لا يمكن أن يستحضر ليتدبر كل سبب للبؤس من ذلك الذى هوى به وامتص كل حزن آخر فى نفسه ! فحزنه كينبوع تتفجر منه الآلام .

وما أبدع رجوع ذلك الانفعال النفسانى إلى عطيل ! وما أشد امتزاج الأسف واليأس فى حرارة آلامه عند ما يودع سعادته الزائلة فيقول :

أما الآن فوداعاً إلى الأبد !

وداعاً أيها العقل الهادىء المستقر . وداعاً أيتها السعادة !

وداعاً أيها الجند ذوو الخوذات المزدانة بالأرياش !

وداعاً تلك الحروب التى تجعل الطموح فضيلة !

وداعاً ! وداعاً أيتها الجياد الصاهلة ، والأبواق العازفة ، والطبول الداوية ، ومزمار الحياة !

وداعاً أيتها الراية الملكية !

وأنتِ أيتها الكبرياء والعظمة وساعات الحروب وداعاً !

وأنتِ أيتها الآلات المدمرة التى أهلكت أنفساً تئن أصواتها يوم النشور وداعاً !

ان مجد عطيل قد ذهب ولن يعود !

وكيف أن شعوره النفسانى يزداد ويتضخم ويثور كتيار دافق فى مجرى عميق عند ما يجيب تلك الشكوك التى حامت حول حبه الذى يعاوده فيقول :

« أبداً ، ياجو ! إن أفكارى الجهنمية ستخطو الى الامام ، ولن تنظر وراءها ولن تعود للحب الرادع حتى يلتهمها ذلك الانتقام الفظيع » .

ثم تصل بنا الغيرة القوية إلى مدى عظيم فيقول منادياً الانتقام :

« وأنت أيها الانتقام الاسود الفظيع استيقظ من فراشك المخيف! وأنت أيها الحب سلم عرشك الذى تربعت عليه فى مملكة قلبي !

الى الكراهية العنيفة » .

وحالة واحدة يثير فيها المنظر المسرحى عطفنا دون أن يثير تغززنا هى تلك التى تقوى الشر وتقوى أيضاً الرغبة فى الخير ، وترقى إدراكنا للنعمة بأن تجعلنا نشعر بأهمية ما نفقده .

وعاصفة الشوق تكشف لنا عن أغنى أعماق الروح الانسانية، وكل حياتنا ومجموعه هوائنا وأمانينا وذلك الذى نشتهى وذلك الذى نخاف تعرض أمامنا بطريق التناقض . وشدة العذاب السريع تبعث فينا شوقاً أكثر مدة وتمازجاً فى الشعور أكثر اتصالا بعالم الخير وتجعلنا نغترف أكثر وأعمق من قدح الحياة الانسانية وتجذب خيوط

القلب وتفك الضيق الذى يحيط بهـا وتدعو ينابيع الفكر والشعور الى مشاهد الرواية بعشرة أضعاف القوة .

ومع ذلك فاللذة التى نحصل عليها من الشعر الباكى ليست شيئاً ملازماً له كالشعر أو أى شىء روائى أوتخيلى ، وهى ليست نقداً فى الخيال اذ تستمدمصدرها وأساسها من الحب العام ومن الثورة النفسية القوية . وكما يقول بيرك Burke : «يتجمع الناس لمشاهدة مأساة ولكن إذا كان هناك فى أحد الشوارع المجاورة منظر لاعدام شخص لسرعان ما يخلو المسرح من المشاهدين ، ونحن نميل إلى ترك أهوائنا العنيفة عند قراءتنا وصفاً عن غيرنا ، وكذلك نميل لخلق ألم من مخاوفنا كما نسعد بآمالنا فى الخير فله سئلنا لماذا نعمل هكذا كان الجواب لأننا لا نستطيع مساعدته أو تخفيفه .

فالاحساس بالقوة نظرية قوية فى العقل كالاحساس ذاته وكحب اللذة مثلا . ومظاهر الرعب والاشفاق تولد نفس السلطان عليه كما تبعثه مظاهر الحب والخيال فن الطبيعى أن نكره كما نعجب ، وأن نفصح عن كراهيتنا ومقتنا كما نعبر عن حبنا واعجابنا .

والهوى العنيف يقودنا الى حيث يحب أو يعاف ، ليس لا ننسا نحب ما نعافه ولكننا نحب أن نغض الطرف عن كراهيتنا ومقتنا له ، وأن نعلو عليه وأن نُمّحي رأينا فيه بذكاء حاد وتصوير مشبع وأن نجعله مرعبا لأنفسنا وأن نظهره للناس فى جميع مظاهر نقصه وأن نلبسه للحواس وأن نسميه باسمه وأن نكافحه بالفكر والعمل وندرع ارادتنا ضده ونعرف أردأ الأشياء لنناضله بها وننازله حتى النهايه

والشعر يترجم عن ضمير الهوى وهو أقوى صور التعبير عن ادراكنا أى شىء سواء أكان مسراً أم مؤلماً حقيراً أم جليلا مبهجاً أم محزناً . فهو أكمل مطابقة للصور والكلمات على احساسنا بالشعور الذى نملكه والذى لا يمكننا أن نتخلص منه بأى حال . ذلك الذى يرضى الفكر .

وهذا هو أساس الذكاء والتخيل ، المسلاة والمأساة ، الرزين والهائج . والخيال يعطى حرية مطلقة الى الأمانى المبهمة الملحّة على الارادة بتشكيلها فى صور . نحن لا نريد أن يكون الشىء كذا ولكننا نود أن يظهر كما هو لأن المعرفة قوة مدركة والعقل لم يعد فى هذه الحالة خدعة وإن وقع فريسة الرذيلة والحمق ، والشعر فى جميع صوره لغة الخيال والعواطف والتخيل . وما من شىء أسخف من ذلك

الصوت الذى يرتفع أحياناً من جانب أولئك النقاد الجفاة الأدعياء بإخضاع روح الشاعر الى مقياس الذوق العام والعقل لأن غاية الشعر وثمرته - قديماً وحديثاً - كانت ولا تزال مرآة الطبيعة التى ترى بوساطة العاطفة والخيال فلا تظهر بوساطة الصدق الخالص أو العقل الدقيق .

دع ذلك الشاعر الذى يريد سلب الطبيعة ألوان التخيُّل وأشكاله ، فالشاعر ليس مطالبا بذلك ، وتأثيرات الحس العام والخيال القوى ، أى خيلل الهوى الجامح وعدم الاكتراث ، لا يمكن أن تتشابه وينبغى أن تكون لها لغة خاصة بها فتمدل بينها . . . والأشياء تؤثر فى العقل تأثيرات متباينة بعيدة عن قيمتها فى نفسها على حسب حالنا فيها من فوائد مختلفة ، وكما نراها فى وجهة نظر أخرى وقربها وبعدها من الجدّة والابتكار أو بمقدار إلمامنا بها أو جهلنا لها . . . أو من تخوفنا من نتائجها أو من تناقضها أو شكلها المفاجىء . فنحن لا يمكننا أن نبعد عنا ملكة الخيال أكثر من أن نرى جميع الأشياء بدون ضوء أو ظل . فبعض الأشياء يخطف أبصارنا بنوره القوى الأخاذ والبعض الآخر يستولى على جميع مشاعرنا ويحاول أن يجعل دهشتنا تفصح عن غموضه ، فأولئك الذين يبددون هذه الأوهام المتباينة ليقدموا لنا عوضاً عنها شكلها العادى ليسوا من سداد الحكمة فى شىء .

دع العالم الطبيعى يحمل — إذا أراد — الحشرة التى تدعى (سراج الليل) فى صندوق الى منزله ثم ينظر اليها فى اليوم التالى فلا يجدها الا حشرة رمادية اللون .

ولكن دع الشاعر أو محبّ الشعر يزورها فى المساء عند ما تشيد لنفسها قصراً من النور الزمردى تحت فروع السوسن العاطرة وأشعة الهلال الباردة ، فهذا جزء واحد من الطبيعة أو جانب واحد قدمته تلك الحشرة ولكن ليس أقلها متعة أو فائدة .

كذلك الشعر جزء من تاريخ العقل الانسانى وإن لم يكن علماً أو فلسفة ، وعلى ذلك لا يخفى أن تقدم المعرفة والتهذيب يميل الى الاحاطة بحدود الخيال وإلى اهاضة أجنحة الشعر ، ومملكة الخيال تخيلية فى أصلها فهى العالم غير المعروف غير المحدود ، والفهم أو الادراك يعيد الأشياء الى حدودها الطبيعية ويجردها من دعاويها التخيلية . كذلك الحال فى تاريخ الحماسة الدينية والسياسية وكلتاهما قد نالتهما صدمة

من تقدم الفلسفة التجريبية فان الذى يوجد الخيال هو العالم غير المحدود ونحن يمكننا فقط أن نتخيل ما لا نعرفه كما ننظر فى تيه غابة متشاكلة الأغصان فنملؤها بما نشاء من الأشكال، من حيوانات ضارية ومغاور خربة وأماكن موحشة . وكذلك شأننا فى جهلنا بالعالم المحيط بنا نضع آلهة وشياطين من أول شبح يظهر لنا ولا نجعل حدوداً لرغائبنا القوية من آمال وأهوال وتصورات كما تراها عيون الشعراء عالقة فى كل ورقة ممسكة بكل فرع . فلن يتكرر حلم يعقوب فمنذ ذلك الحين والسماوات قد ذهبت بعيداً وأصبحت تابعة لعلماء الفلك يدرسون نظامها ولم تعد صالحة للخيال .
وليس تقدم المعرفة العلمية فقط هو الذى يناهض روح الشعر ولكن التقدم الضرورى للمدنية يناهضه أيضاً ، ولكن لا ينبغى أن نكون أقل تخوفاً من العالم الذي فوق الطبيعة ، ولكننا نستطيع أن نكون أكثر ثباتاً وننظر الى هذا الطريق المنظم نظرة أقل اكتراثاً .. فأبطال عصور الخرافات قد خلّصوا العالم من الوحوش والجبابرة ، والآن نحن أقل عرضة لتقلبات الخير والشر أو إلى غارات الوحوش الكاسرة أو فتك اللصوص أو الى الغضب الثائر لعناصر الطبيعة وأين الزمن الذى يقشعر فيه شعرنا المسبل من مقال عنيف قوى فيهزنا هزاً كما لو كانت حياتنا فيه . ولكن نظام المدنية أفسد كل ذلك فلا يمكننا إلا بجهد أن نتصور قتلاً فى منتصف الليل .

فمكبث لم يسمح بها فى هذه المملكة ـ انجلترا ـ الا لموسيقاها الجميلة ، وفى الولايات المتحدة حيث نظريات الحكومة الفلسفية قد بلغت شأواً بعيداً نظرياً وعملياً نجد أن أوبرا الشحاذين قد أبعدت عن المسرح وتطور المجتمع تدريجياً الى آلة تقودنا فى طريق سهل مريح .

وهذه الملاحظات التى أوردناها تقودنا الى حد ما الى حل مسألة الميزات النسبية للتصوير والنحت ، وأنا لا أقصد الى تفضيل أحدهما على الآخر ولكن يجب أن يظهر أن النقّاش الذى قام أحياناً بأن التصوير يجب أن يكون تأثيره فى الخيال أقوى لأنه يمثل الصورة فى درجة أوضح لم يثبت للبحث تماماً .

ويمكننا أن نقول بدون اعتساف كثير إن الشعر أكثر شاعرية من التصوير فعند ما يتحدث الفنانون عن قواعد الشعر فى التصوير يظهرون أن حظهم من من معرفة الشعر قليل وأن حبهم للفن ليس بالكثير ، فالتصوير يعطى الشىء نفسه

والشعر يبرز ما يحيط به مهما تكن درجة ارتباطه به ولكن هذا الأخير داخل فى مملكة الخيال .

ثانياً من حيث علاقتها بالعاطفة : التصوير يصوّر الحادثة ، أما الشعر فيصور تطور الحوادث ، فى أثناء التطور وفى فترة الانتظار والترقب عند ما تصل آمالنا ومخاوفنا الى أقصى درجات الالم النفسى نجد موطن الجمال الفنى ، ولكن بمجرد ما تنتهى الصورة ينتهى كل شىء . والأوجه هى أحسن أجزاء الصورة ولكن هذه الأوجه نفسها ليست تلك التى تذكرنا بأحسن أنواع لذاذاتنا ، ولكن ربما يسأل سائل ألا يوجد أفضل من مناظر Claude Lorraine أو رسوم Titian أو صور Raphael أو تماثيل اليونان ؟

أما عن الاثنين الأولين فلا أقول شيئاً فهما الى التصوير أقرب منهما الى الخيال وأما صور روفائيل فهى لا شك أبدع الشروح التى عملت للكتاب المقدس ، ولكن هل كان تأثيره يكون كذلك فى حالة عدم معرفتنا بالكتاب المقدس ؟ ولكن العهد الجديد وجد قبل الصور ـ بيد أنه يوجد موضع لم تعمل له صورة وهو صورة المسيح وهو يغسل أقدام تلاميذه فى الليلة السابقة لصلبه ولكن هذا الجزء لا يحتاج الى شرح .

أما تماثيل اليونان فهى أقل من الاشكال الأصلية ، فهى رخام للمس والقلب ولكنها لا تدل على شىء فى داخلها ، فهى فى جودتها التامة تحمل الكفاية لنفسها ولجمالها فقد سمت فوق العزم الضعيف والارادة الواهنة فى اللذة والألم . وقد عبدت لجمالها ولكنها لا تحمل فيها عقيدة دينية . وأشكالها أقرب الى الانسانية العادية ويظهر أنها لا تشفق علينا وأنها فى غنى عن اعجابنا بها . والشعر فى جوهره وشكله وصف أو شعور طبيعى قد امتزج بالعاطفة أو الخيال ، وفى أثناء سريانه يمزج الفائدة الملموسة باللغة بالتعبير الموسيقى .

ولكن يوجد سؤال طال عليه السكوت ولم يجب : وهو فى أى شىء يوجد جوهر الشعر ؟ أو ما الذى يحدد تعبير بعض الناس عن آرائهم نثراً والبعض الآخر نظماً ؟ لقد أوقفنا ملتون على رأيه فى الشعر وهو : « الشعر هو الأفكار التى تثير فينا نغمات متوافقة ليست ضد ارادتنا » . وكما توجد أصوات خاصة تثير حركات خاصة أيضاً وكما يتفق الغناء والرقص معاً ، كذلك توجد من غير شك أفكار خاصة

تؤدى إلى نغمات خاصة فى الصوت أو فى ترخيمه ، ونغير كلمات عطارد الى أناشيد أبولو . ويوجد مثل قوى لهذا الضرب من ملاءمة حركة الصوت والوزن للموضوع فى وصف سبنسر للآلهــة مصطحبة Una إلى مغارة Sylvanus فى روايته Fearie Queene وعلى النقيض من ذلك فليس هناك شيء موسيقى أو طبيعى فى التركيب العادى للغة ، فهى شيء عُرفى أو اصطلاحى تماماً أو هى محض عرف أو اصطلاح وليس هناك فى الأصوات نفسها التى هى شارات ارادية لأفكار خاصة وليست داخلة بأنظمتها الأساسية فى الكلام العام لنظرية المحاكاة الطبيعيــة صلة بالأفــكار الفردية أو بنغمة الشعور التى تصل بها الى الغير . وخشونة النثر وركاكته وهلهلته قاضية على فيض الخيال الشعــرى كما يشوش الطريق الكثير النجاد والوهاد أو الجواد المتعثر أوهام المسافر المكدود ، ولكن الشعر يقضى على هذه الشواذ فهو موسيقى اللغة مجيبة لموسيقى العقل .

فحيثما يوجد ذلك الذى يستحوذ على العقل بأن يجعلنا نتغلب عليه مذيبين القلب فى الرقة أو نضرم فيه شعور الحماسة ، وحيثما تطبع حركة الخيال أو العاطفة على العقل الذى به تستطيل وتستعيد العاطفة ليصحب بعضها سائر الأغراض الأخرى ولتعطى نفس حركة النغمات المتفقة القوية المستمرة أو المتباينة تدريجياً — مراعاة للحال — إلى الأصوات التى تعبر عنها كان هذا شعراً . وهنــاك اتصال قريب بين الموسيقى والعاطفة العميقة فالمجانين ينشدون حالما يصل النطق عادة الى اللحن وعندئذ يبتدىء الشعر .

وعند ما تعطى فكرة واحدة نغمة ولونا للافــكار الأخرى وعند ما يذيب شعور واحد المشاعر الأخرى فيه فهناك لا يمكن السؤال لماذا لم تمتد نفس النظرية الى الاصوات التى بواسطتها يخرج الصوت بعواطف الروح ويمزج المقاطع والأسطر بعضها ببعض ، وبالاختصار فعند ما تأخذ لغة الخيال بعيداً عن الأرض وتمكنها من نشر أجنحتها حيث يمكن لها أن تتغاضى عن بواعثها الخاصة تسبح بملكها السامى خلال طبقات الهواء دون أن توقف أو تكاد أو تقف فى طريقها العقبات الفجائية وأدوار النثر المتنافرة ، فعندئذ يعرف الشعر ، فهو للغة العامة كالمحاور للعربة وكالأجنحة للأقدام .

فى الكلام العــادى نصل إلى نغمة خاصة بتنغيم الصوت ، كذلك فى الشعر

بترتيب منظم للمقاطع ، وكل كاتب عنده طرق للوزن كثرت أو قلّت إلا الشعراء الذين عند تجردهم من التركيب الآلى للشعر يظهرون بكتابة سلبية من الألحان . ومن المسلم به أن القافية تساعد الحافظة فى عملها ، ولكن نظم بوب ممل من فرط عذوبته ووحدة الشكل ، وشعر شكسبير المرسل هو غاية ما تبلغه المحاورة التمثيلية من الجودة .

ولا يقف الوزن وحده للتفريق بين الشعر والنثر : فالالياذة لا تقف عن أن تكون شعراً - فى تعبير أدق - والنثر العام يختلف عن الشعر كأن يعالج فى معظمه إحدى هذه الحقائق المألوفة المبتذلة ، كأن لا يبعث للخيال بشىء جديد وإلا فباحدى عمليات الفهم الشاقة المضنية ، وكأن لا يرضى بتلك الارادة أو الحركات العنيفة للخيال أو الأهواء .

وسأذكر ثلاثة كتب تأتى قريبة من الشعر وإن لم تكن شعراً ، وهى : تقدم الحاج (سياحة المسيحى) وروبنسون كروزو وقصص بوكاشيو .

وقد ترجم تشوسر ودريدن بعضاً من الكتاب الأخير الى شعر مقفى ولكن جوهر الشعر وقوته كانتا فيه من قبل .

فذلك الذى يسمو بالروح بعيداً عن الأرض والذى يجرد الروح من نفسها بأشواق تجل عن الوصف إنما هو شعر فى النوع وهو يصلح عادة أن يكون كذلك فى الاسم بتزويجه بالوزن الخالد ، فمن خصائص الشعر أنه يثير الخيال ويقويه .

« فيوحنا بنيامين » و « دانيال ديفو » يمكن أن يسمح لهما بالمرور فى طريقهما فمزج الخيال بالحقيقة فى كتاب (سياحة المسيحى) لم يبارَ فى أى كتاب استعارى آخر . فحجيجه علـوّا فوق الأرض وهم مع ذلك يسفون .

وما أشدها حماسة وما أبدعه جمالاً وما أصدقه خيالاً وأعمقه شعوراً عند وصفه المسيحى وهو يعبر النهر أخيراً ! فيه تصويره أولئك الذين تسطع عليهم الأنوار الزاهية داخل الأبواب وعلى ظهورهم أجنحة وعلى رءوسهم أكاليل الورد وهم يمسحون الدموع من مآقيه .

ولكن ماذا تقول عن روبنسون كروزو ؟ وما عليك الا أن تأخذ خطبة البطل

اليونانى عند مغادرته مغارته — ومهما تـكن جميلة — ثم اقرنها بتأملات الخاطر الانجليزى فى مكانه المنعزل القصى .

فالأفـكار عن الوطن وعن كل ما انفصل عنه انفصالاً أبدياً تثور وتخفق فى صدره كما يرتطم تيار المحيط الصاخب بصخور الشاطىء ، وإن ضربات قلبه لا تزال تُسمع وسط ذلك السكون الأبدى الذى يحيط به .

ولأن قصة مخاطراته لا تنهض قصـة كالاوديسا ـ فهـذا حق ـ ولـكن القاصّ توفرت لديه عبقرية الشاعر الفذ ، وقد سئل عما إذا كانت روايات ريتشاردسن شعراً وربما كان الجواب هكذا : إنها ليست شعراً لانها ليست خيالية ، فالعطف الذى أثارته لم يكن ارادياً بل جاء متـكلفاً . وما من شىء صدر عن النفس رأساً، وهى فى حاجة الى كثير من المرونة والحركة . والقصة لا تعطى صدى لذلك المقعد الذى توّج عليه الحب ولم يفصح القلب عن نفسه كما يفصح الوتر فى الموسيقى .

ولم يَـنْسَبْ الخيال أمام الـكاتب بدون إعمال جهد فى ترقبه. ولـكنه جُرّ بعددٍ لا يحصى من الدبابيس والدواليب كتلك التى استخدمها أهل « الليبوتا » فى تقييد جليفر وجرّه الى القصر الملـكى ! نعم يوجد صدق عظيم وشعور فى ريتشاردسن ولـكن هذا قد أخذ من الظروف المحيطة ولم يأتِ من النفس . وشاعريته كروح آريل Ariel محصورة فى شجرة الصنوبر وتحتاج إلى عملية صناعية لتخرجها !

وكتابات برك ليست شعراً رغم ما فيها من قوة التصور الواضحة لأن موضوعها مبهمٌ غامضٌ جافٌ صناعى وليس طبيعياً .

فالفرق بين الشعر والفصاحة هو أن الأول فصاحة فى الخيـال ، والأخرى فصاحة فى الفهم أو الادراك . الفصاحة تحاول أن تستميل الارادة وتقنع العقل ، أما الشعر فيبرز تأثيره بمجرد الشعور البسيط . والشىء الذى يقبل النزاع لا يصلح أن يكون موضوعاً للشعر ، والشعراء فى الغالب كتاب نثر من النوع الردىء ، لأن صورهم وإن كانت حسنة فى نفسها فهى ليست كـذلك فى الغرض ولا تتسع للمحاورة.

والشعر الفرنسى تنقصه صور الخيال ، فهو شعر تعليمى أ كثر منه مسرحياً .

وبعض شعرنا الذى نال كـثيراً من الاعجاب هو شعر فى الوزن فقط وفى الفائدة المعروفة من العبارة الشعرية .

وسأختم هذه الإلمامة ببعض الملاحظات على أربع من المؤلفات الشعرية المشهورة فى العالم فى عصور متفاوتة ، وهى : مؤلفات هوميروس ، والتوراة ، ودانتى . ودعنى أضيف لهذه Ossian .

ففى هوميروس نجد نظرية الحياة وعملها ظاهرة ، وفى التوراة نظرية العقيدة والإيمان وفكرة العناية الالـهية ، وفى دانتى تشخيص للارادة العمياء ، وفى أوسيان تدهور الحياة ونهاية العالم . وشعر هوميروس بطولى : فهو مملوء بالحياة والعمل وهو لامع كالنهار قوى كالنهر ، وهو يكافح بقوة ذهنه جميع أغراض الطبيعة ويدخل فى كل ما له مساس بالحياة الاجتماعية ، فقد رأى هوميروس كثيراً من الأقطار ووقف على أخلاق كثير من الرجال وجمع كل هذه فى قصيدته .

فهو يصف أبطاله ذاهبين الى المعركة غير مبالين بحياتهم هابين بتأثير قوتهم الجسمية ، فنراهم أمامنا بكامل عددهم ونظامهم الحربى فى السهل ، والكل متحل بأوسمة الشرف كالنعام وكالطيور الحديثة الاستحمام ، لاهين كالمعز ، جفلين كصغار العجول ، مملوئين شباباً كشهر مايو ، مغمورين بالجمال والبهاء كالشمس فى منتصف الصيف ، مغطين بالسلاح البرّاق وبالتراب والدم بينما تشرب الالـهة شرابها النفيس فى أكواب من ذهب ، وقد اجتمع الشيوخ على أسوار طروادة يحيون هيلين وهى تمر بهم . وإن تجمع هذه الاشياء فى هوميروس عجيب رائع فى بهائه وصدقه وقوته وتنوعه ، وشعره كدينه شعر الرقم والصورة : فهو يصف الأجسام كما يصف أرواح الرجال ، وشعر التوراة هو شعر الخيال والايمان : فهو معنوى غير مجسّد ، وهو ليس شعر الصورة ولكنه شعر القوة . ليس شعر الكثرة ولكنه شعر العظمة فهو لا ينقسم الى كثير ولكنه ينظم الى واحد . وهو ليس شعر الحياة الاجتماعية ولكنه شعر الوحدة . فكل انسان يظهر وحيداً فى العالم لا يعيش إلا مع العناصر الأولية للطبيعة : الصخور والارض والجو . وهو ليس شعر العمل أو حياة البطولة أو المخاطرة ولكنه شعر الايمان بالعناية الالـهية السامية والتسليم الى تلك القوة التى تدبر هذا العالم .

وكما أن فكرة الله قد أبعدت كثيراً عن الانسانية وعن فكرة القول بكثرة الآلهة فقد أصبحت أكثر تغلغلاً كما أصبحت أكثر عمومية لأن غير المحدود حال فى كل مكان : فلو طرنا الى أقصى أجزاء الأرض نجده هناك أيضاً ، واذا عمنا شطر الشرق أو شطر الغرب لا نستطيع الافلات منه ، وعلى ذلك لقد عظم الانسان فى صورة خالقه .

وتاريخ البطارقة من هذا النوع فهم المؤسسون لنوع مختار من الناس والوارثون

لهذه الأرض وهم يعيشون فى الأجيال التى تتلوهم ، وشعرهم كعقيدتهم الدينية فسيح غامض غير محدود فيه تخيُّل وتظهر فيه يد خفية .

وروح الديانة المسيحية توجد فى هذا المجد الذى سيكشف فيما بعد .

ولكن فى الناموس العبرى أخذت العناية الالهية حظاً مباشراً فى أعمال الحياة .

وقد ظهر حلم يعقوب من تلك الصلة القوية بين السماء والأرض وقد كانت هى التى أنزلت سلماً على مرأى من البطريق الشاب من السماء الى الأرض بملائكة يصعدون وينزلون عليه وقد سكبت نوراً وهّاجاً لن يخبو على المكان المنفرد .

وقصة « راعوث » تظهر كأن جميع ما فى الأصل الانسانى من شوق طبيعى قد طوى فى صدرها وفى كتاب أيوب كثير من الأوصاف أكثر إسرافاً من التصوير وأكثر حدة فى العاطفة من أى شىء فى هوميروس كوصف حالة سعادته وعزّه والرؤيا التى جاءته ليلا . والاستعارات فى العهد القديم أقوى بياناً وقد تجمعت تلك الأشياء فدفعت الخيال أمامها ، وقد كان دانتى أبا الشعر الحديث ، وعلى ذلك يحق له أن يحل مكاناً فى هذه الحلقة . فقصيدته أول خطوة واسعة منذ الظلام القوطى وعهد الهمجية . وجهاد الفكر فيها للقضاء على العبودية التى كبلت العقل الانسانى أجيالاً عدة يظهر فى كل صفحة ، فقد وقف دانتى وحيداً غير هيّاب ولا وَجِل على ذلك الشاطىء المظلم الذى يفصل العالم القديم من العالم الحديث ورأى أمجاد القديم بازغة من خلال وهدة الزمن بينما أبان الالهام عن جانبها الى العالم الآخر وقد تملكه الدهش مما رآه أمامه وقد تجاسر على مباراته .

ويظهر أن دانتى مدين للتوراة بنغمة الحزن فى فكره وبغضبه الذى يشبه غضب الأنبياء والذى سما بشعره وأضرم ناره ، ولكنه يخالف هوميروس كل المخالفة فذكاؤه ليس لهباً متلالئاً ولكنه حرارة أتون متقد فهو قوة وعاطفة وارادة مشخصة .

وكل ما يتصل بالجزء الوصفى أو التصورى من الشعر لا يحتمل مقارنة بكثير من الذين سبقوه أو من الذين أتوا بعده ، ولكن توجد فى آرائه أشياء معنوية قائمة كالثقل الميت على العقل : فذهول مخدِّر ، ورعب من حدة التأثير ، وغموض مخيف كالذى يضايقنا فى الأحلام ووحدة المنفعة التى تشكل كل شىء تبعاً لرغائبها وتلبس كل الأشياء بأهواء وخيالات الروح الانسانية . كل هذه تعوضنا عن كل نقائصه الأخرى . والأشياء المباشرة التى يقدمها للعقل ليست كثيرة فى ذاتها فهى فى حاجة الى الروعة والجمال والنظام ولكنها أصبحت كل شىء بواسطة قوة شخصيته التى طبعها عليها ، فعقله يعير قوته الخاصة الأشياء التى يتأملها بدلا من أن

يستعيرها منها . وهو يغتنم الفرصة حتى من موضوعه المتجرد المقفر . وخياله يعمّرُ ظلال الموت ويفرخ فى الهواء الصامت . وهو أشد الكتاب صرماً وأكثرهم شدة ومناعة وأعظمهم تناقضاً للشيء المزهر اللامع الذى يعتمد غالباً على قوته الخاصة والشعور بهما فى الآخرين والذى يترك فضاء عظيم الاتساع لخيال قرائه . وغاية دانتى الوحيدة هى أن يفيد ويرغّب ، وهو يفيد بإثارته شعورنا بالعاطفة التى يدين لها هو نفسه .

فهو لا يقدم لنا الاشياء التى أوجدت العاطفة ولكنه يمسك بقوة انتباهنا باظهاره لنا الاثر الذى تبعثه فى أحاسيسنا . وشعره يعطى تبعاً لذلك نفس الحس الغامر كل شيء . وعدم احتمال وقوع الحوادث والمفاجأة وعدم التغير فى الجحيم بالغة الحد ولكن الفائدة لن تضعف ابداً الغيرة الدائمة فى عقل المؤلف ، وقوة دانتى الرائعة توجد فى مزجه المشاعر الداخلية بالمظاهر الخارجية . لهذا كان باب جهنم الذى كتب عليه ذلك النقش الباهت يظهر أنه وُهب الكلام والادراك وأنه يلفظ تحذيرها المروع بالشعور بالآلام الفانية . وسأذكر كاتباً آخر لا يمكننى أن أستميل نفسى لتظن أنه حديث خالص فى الاصل وهو « أوسيان » فهو شعور واسم لن يزولا من عقول القراء . وكما أن هومير أول من مثل القوة والبأس فأوسيان هو ممثل عصر هرم الشعر وفنائه فهو يعيش فقط فى الذكرى والتأسف على الماضى، وهناك أثر واحد أظهره بجلاء دون سائر الشعراء الآخرين وهو الاحساس بالفاقة وفقدان كل شيء من أصدقاء واسم طيب ووطن : فهو يكاد يكون من غير آله فى الحياة وهو يتحادث مع الأرواح الراحلة ومع السحب الثابتة الساكنة عندما يسكب نور القمر البارد لمعانه الذابل فوق رأسه ، وينظر ابن آوى خلسة من خلال الحصن المتهدم وأوتار قيثارته تظهر كأنها يد الدهر أو أن قصة العصور الأخرى قد أدركتها وهى تئن وتخشخش كأنها قصبات يابسة فى ريح الشتاء .

فالشعور بالخراب الموحش وفقد لب الحياة وفناء المادة والتعلق بظل جميع الأشياء قد صور تصويراً رائعاً .

وعلى ذلك كان انتخاب Selma لفقد Salgar أروعها جميعاً .

وإذا جاز لنا حقاً أن نعلن أن هذا الكاتب لم يكن شيئاً كانت هناك حالة واحدة لتعضيد ذلك ، فان خلوه يتبعه فراغ فى القلب ثم حصر لذلك الشعور الذى يجمله يشكو دائماً قائلاً :

« أيتها السنين المظلمة السوداء أتمّى دورانك ولا تأت بفرح أو سرور على جناحك إلى أوسيان » ؟

نظمى خليل



الجمال والفن والشخصية في الطبيعـــة

لا أحاول فى هذا البحث اللذيذ أن أضع تعريفاً للجمال أو للفن ، لأن الجمال لا يُعَرَّف ، والفن اذا عُرِّف فقد روحه . واعتقد أن الذين عرّفوا الجمال أو الفن لم يصلوا فى تعاريفهم الى روح الجمال ولا إلى جوهر الفن ، وكل ما انتهوا اليه أن أتوا بسمات للجمال وصفات للفن . وما أصدق الشاعر الفرنسى العظيم لامرتين الذى رمز للجمال دون أن يعرفه فقال :

« الجمال سر السماء . الجمال شعاع نورانى . الجمال رمز إلهى تتفقده العين وينجذب اليه القلب مثل ماتنجذب قطعة الحديد الى المغناطيس »[1] .وما أصدق الشاعر الهندى المعاصر تاغور الذى وقف قلمه لا يحير تعريفاً للفن ، وهو مؤمن بأن التعريف يضيع عصير الفن ويذهب عنه الروح [2] — ويكفى أن نقول إن الجمال هو :

كل ما استهوى العين ، وفتن الأذن ، ونفث العاطفة وأشرق بالذكاء والفن هو التعبير الحسى أو المعنوى عن تأثراتنا أمام كائنات الطبيعة الجميلة وغير الجميلة وأحداث الحياة المختلفة وأفعال الناس وأشخاصهم .

* * *

وهذا المعنى الواسع للجمال وللفن هو ما دار حوله هـذا المقال ، بمعنى أننا لم نقصر معنى الجمال على الجمال الحسى ، بل ضممنا اليه الجمال المعنوى وهو جمال الذهن وجمال الروح والعاطفة : ذلك لأن الجمال الحسى إن عد جمالا من وجهة معينة ، فهو ليس جمالا بالمعنى الحقيقى العميق ، فالطاووس مثلا إن عدّ جميلا للون ريشه الزاهى

(١) من شعر لامارتين فى « جوسيلان » (٢) مقال لتاغور عن « الفن »

فهو طائر غبي ، وهذا مما يقلل من جماله ، والزهرة المونقة التى لا تزكو بالعبير هى جميلة فى عين الرائى ، ولكنها ليست فى جمال زهرة مماثلة تفوح بالعبير ، وكذا المرأة جميلة الخلقة اذا تجردت عن الخلق الطيب والعاطفة النبيلة انطفأ جمالها وسناؤها، فالذكاء هو الضوء للجسم المتناسق ، والطيبة هى النسيم الذى يضفى على الجسم بهجته وحيويته ونشاطه . وهما فى اعتقادى من ألزم العناصر المكونة للجمال الحقيقى .

* * *



مصطفى عبد اللطيف السحرتى

وهذا الجمال النبيل يرقد فى الطبيعة التى هى فى الواقع المثل الأعلى للجمال الحسى ومصدر الالهام للذكاء ، ووحى الخلق الطيب . والطبيعة أجمل من كل جمال فنى أبدعته يد الانسان: فشروق الشمس وغروبها أعجوبة بالغة عجزت يد الفنان الى اليوم عن تمثيلهما ، والجبال الجبارة تعلو قممها الثلوج أجلّ من كل فن ، والمحيط الهائل أعظم من كل ما أظهره أيّ فنّان . وليس هناك فن خالد لم يُصِبْ الهامه من الطبيعة . وقد برزت آثارها بخاصة فى شعر الشعراء ، وتأليف الأدباء والعلماء ، ونغمات الموسيقى ، ولوحات التصوير ، وأعمال المثّالين . فلقد وسم جوت الشاعر الالمانى الطبيعة بأنها الفنانة المفردة ، وأن كل عمل من أعمالها له شخصيته القائمة ،

وكل مظهر من مظاهرها يحوز فكرة مفردة [١] . وهام الشاعر الأميركى أمرسون بمشاهد الطبيعة وانساب فى جمالها المنقطع النظير ، وغمس يده كما يقول [٢] فى أضوائها ، واستمتع فيها بالغروب وضوء القمر . وشدا الشاعر الانجليزى بيرون بمظاهر الطبيعة القوية فصوّر فى شعره الجبال الهائلة والبحار الصاخبة ، والشلالات المرغية المزبدة ، والزوبعة الداوية ، وتحدث عن أسرار الليل ورهبة ظلماته ، ومن آيات هذا التصوير الجليل قصيدته التى ناجى فيها المحيط بقوله :

Roll on, thou deep and dark blue ocean, roll !

وأطرفنا الشاعر الفرنسى برناردى سان بيير بوصف طبيعة المناطق الحارة ، وتحدث عن السماء ونبات جزر الهند . وأما الشاعر الرومانتيكى الكبير شاتوبريان فقد صوّر لنا صحارى أمريكا الواسعة وغاباتها الكثيفة بريشته المتفوقة النثرية المبدعة.

وتأثر الشاعر الاسكتلندى بيرنز بأحداث الطبيعة البسيطة فخاطب زهرة اللؤلؤ ، وفأر الغيط وغيرها . واندمج الشاعر الامريكى « ثورو » فى الطبيعة وشَرِب جمالها ، وعاش فى صحبة نباتها وحيوانها وأرضها وسمائها ومائها . وأحب كل مافيها من جميل وغير جميل ، ومضىء ومظلم ، ومبهج ومحزن ، وعرف حيل الثعلب وتحدث عن صرخة الغراب ، وهدوء البقرة الصغيرة الجميل ، ورزانة شجرة البلوط وغيرها .

واختلف بعض شعراء العرب الى الطبيعة فكان أبو تمام يتأثر بسرعة من الهامانها ويثبت تأثراته فى قصائده الفنية ، وأحبَّ ابن الرومى الطبيعة ، وأحسَّ بمرائيها إحساساً ذكياً . وكان الفرزدق [٣] ـ إذا صعبت عليه صنعة الشعر ـ يركب ناقته ويطوف خالياً منفرداً وحده فى شعاب الأرض ويطوف الأودية ، وكان كُثيِّر إذا عسر عليه الشعر يطوف فى الرياض المعشبة والرباع المجدبة ، ولعل أبرز من تأثر بالطبيعة من العرب وصوّر مشاهدها الخلابة هما ابن حمديس وابن خفاجه ، وهذا الأخير خاصة قد امتلأت عينه من جمالها عند شواطىء

---

(١) وهذا واضح فى انشودته النثرية الموسومة « بالطبيعة » التى كتبها فى سن الثلاثين . (٢) مقال إمرسون عن « الطبيعة » . (٣) كتاب « العمدة » لابن رشيق .

الجـداول ، واستجلى الينابيع وفاء إلى ظلال الأشجار وغيرها من مراعى الطبيعة الفاتنة .

***

أثرت الطبيعة بجمال مشاهدها على الشعراء والأدباء ، كما أثرت بأصواتها المتنوعة على مشاعر الموسيقيين ، فأغنية البلبل ، ونشيد الكروان ، وتغريد القبرة ، وترنيم اليمام ، وترجيع الحمام ، وزقزقة العصافير ، وموسيقى النهر الناعمة ، وهدير البحر الزاخر ، وخرير الجداول ، كلها وأشباهها أصوات بسيطة أوحت الى الموسيقيين تأليف النغمات المتجمعة المركبة . ومن شواهد ذلك أن الموسيـقى العبقرى « بيتهوفن » كان يعيش دائمـاً فى صحبة الطبيعة ويجول فى مجاليها عارى الرأس من الفجر الى الليل وكان حبه لها حباً صادقاً حتى انه كتب مرة يقول : « لا أحد على الأرض أحب الطبيعة مثلى . انى لأحب الشجرة أكثر من الانسان » (١) واعتقادى أن عبقرية بيتهوفن الموسيقية ترجع الى أنه ملأ أذنه من أصوات الطبيعة السهلة ، وصانها فى سمعه ، ونقل هذه الاصوات الى فنه ، متزاوجة مع انفعالات قلبه وعواطفه النبيلة ، فانك لتسمع فى موسيقاه دوىّ العاصفة وهزيم الرعد ، ووقع المطر وأصوات الغابة المختلفة ـ وبهذا التجاوب الوجدانى الوثيق أمكن بيتهوفن أن يخرج أناشيده الموسيقية العـذبة المشجية ـ ومن موسيقيي فرنسا البارزين الذين تجاوبوا مع الطبيعة نذكر برليوز Berlioz وهو من رُوّاد الموسيقى الحديثة ، ومن عشاق الطبيعة والجوالين فى ربوعها ، وأنشودته « دعوه الى الطبيعة » التى أخذها عن فوست هى من آياته الفنيـة الخالدة وقد استهلها بتمجيد الطبيعة . يقول : Nature immense, impénètrable et fière وقد ناجى فيها الغابات والصخور والتيارات المائية الدفاقه ، وكتب معظمها فى عدة مواطن طبيعية من أوروبا ، وأتم باقيها فى باريس حيث كان يختلف الى حديقة التويلرى وهذه الانشودة من أجـل وأفخم أناشيده وقد تلقى وحيها من الطبيعة الناطقة والصامته .

***

ولا يقتصر أثر الطبيعة على تزويدنا بالجمال المعنوى ـ الشعر والموسيقى ـ بل

---

(١) كتاب « بيتهوفن» تأليف الكاتب الفرنسى الشهير رومان رولان .

زودتنا بجمال مادى له قدره الفنى، ويبرز هذا الجمال فى فنَّىْ التصوير والنحت. وأثر الطبيعة فى التصوير بارز قوى، وأغلب كبار المصورين رجعوا الى الطبيعة ونقلوا عنها فصور النهضة الكبير ليوناردو دافينشى الايطالى كانت حياته مع الطبيعة حديثاً متصلا وكان يزوِّد صوره عن الاشخاص بمناظر الطبيعة . فانا لنراه فى آيته الفنية الفاتنة «الجوكوند» يرسم خلف شعرها منظراً طبيعياً ليضفى عليها البهاء والروعة الفتنة ، وقد جمل المصورون من بعده لوحاتهم بمرأى الطبيعة ، فالمصور الفرنسى لدى رسم صورة « جنفيف » توقظ باريز النائمة رسم عند قدميها أصيصاً من الأزهار ذات الاريج وفى أعلى الصورة رسم نور القمر المنبثق . وهذه الصورة الرائعة تزين صالة البانتيون مقبرة العظماء بباريس .

وعاش المصور الهولندى الكبير « رامبراندت » فى الطبيعة واعتبرها معلمته الكبرى وكان يسير فى ربوعها والريشة بيده ويعتبر من الزعماء الطبيعيين ومن آياته الفنية الرائعة لوحته :

La ronde de nuit

وهام المصوِّر الفرنسى واتو بالطبيعة ورسم كثيراً من مظاهر الاشجار العظيمة فى الحديقة والمياه النائمة وغابات القرية وتحدث المصور الفرنسى كوروت Corot فى القرن التاسع عشر عن الطبيعة بانفعال مؤثر وقد جال فى ربوعها وعاش فى حقول نورمانديا وغابة مونتنبلو واستمتع بمرأى السماء فى إيطاليا وكان دقيقاً فى تصوير المشاهد المختلفة ولو كانت تافهة : فهو لا يفوته رسم الدخان المتصاعد والأبخرة المتبددة الذاهبة إلى الأفق والتراب الذى تذروه الرياح ، ومن أبدع صوره الطبيعية صورة « الفجر الأسمر» . ولقد تحدث هذا المصور الى صديق له قال : « يمكننا سوياً أن نتأمل فى الطبيعة الطيبة بعض لحظات فهى تبدو جميلة وجذابة لكل من يبحث عنها» . وقد جرى فى وهمه أن نكبة سوف تطرق بابه فلم يكن يدور فى خده أن يجد ملجأ آخر غير الطبيعة فكتب يقول : «أظن أن سوء الحظ سيجبرنى على أن آوى الى قبة السماء والى الظلال الكثيفة وسيقعدنى الى موسيقى العصافير ! »

***

وفوق ذلك فقد استلهم المثّالون أشكالهم وتكوين تماثيلهم من الطبيعة . يقول

المثّال الفرنسى الشهير روردان Rodin : « انى لا أخترع شيئاً . انى لا أجـد ثانية . أفكر وأحب رموزاً معينة ولدىّ الذوق المحلِّل ، ولكنها الطبيعة التى حبتنى الذوق والمزاج » . ويرى رودان أن كل فن يخالف الطبيعة فهو فن ميت . وقد حاول أن يرسم حصاناً له رأس أ كبر من الخلقة الطبيعية فوجده ردى الهيئـة ضعيف الفن — وقد اتخذ رودان تماثيل بعض النساء من سيقان الأشجار الرشيقة المهذبة ، وقد رأينا كثيراً من المثّالين يلجأون فى تكوين تماثيلهم الى بعض كائنات الطبيعة . فان تمثال روسو البديع القائم فى هالة البانثيون بباريس يدل على تأثر المثّال أيما تأثر بالطبيعه فقد مثّل آراء روسو فى الطبيعة بسيدة ممسكة باقة من الزهر وإلى جانبها سيدة أخرى ممسكة بكتاب مفتوح تمثل فلسفة روسو والى جانبهما ثالثة فى جلسة رزينة تمثل الحقيقة الجادّة .

* * *

ولا يقتصر أثر الطبيعة على الجمال الفنى بل انها تؤثر فى شخصياتنا وتهبنا الجمال النفسى والفكرى . انها تتسامى بغرائزنا وتلطف انفعالاتنا ويطوف حولنا من روحها عواطف نبيلة ومن أعماقها تزورنا الافكار الصافية . فرأى قطيع الغنم يسير متجمعاً يقوى فينا غريزة الاجتماع والوحدة ، ومرأى النحلة الكدودة والنملة العاملة يحفزنا الى الاكتمال الغريزى ، ورؤية مياه النهر الصافية تشرح النفس ، ومشهد البحر يثير الايناس ، وبزوغ الفجر يدعو الى النفس الأنسَ والبهجة ، وهبوب العاصفة يحرك العجب والخوف ، ومنظر الزهور الحمراء ينبه الالتفات ويفتح العين ، وتلاقى السماء بالأرض على مدى العين يثير الدهشة ، وأجوبة الغروب تجعلنا نسلم بالمعجزة الالـهية ، والظلال الراقدة تهب نفوسنا الراحة والرضى ، والظلال الراقصة فى المياه المنوّرة تثير فينا النشوة ، وقد أثرت مرأى الطبيعـة فى الشخصيات الجهيرة أيما تأثير ، وأثرت على الفنانين الكبار أيضاً . يقول الشاعر الهندى الكبير « ان جمال الشروق له لذة خاصه فى نفوسنا » ويقول المصوّر الفرنسى ميليه Millet : « ان أبهج شىء عندى هو الهدوء والصمت اللذان أستمتع بهما فى الغابات » ورأى بارنى Parny الشاعر الفرنسى الحزين شعوره بالسعادة ماثلاً فى صحبة الحبيبـة وفى ازدهار الربيع وظل الزهر والغابة قال :

our être heureux, il ne faut qu'une amante
L'ombre des bois, les fleurs et le printemps .

وابتهج الشاعر الخصيب فيكتور هيجو بالفضاء الفسيح ونشد صحبة الشاطىء ليشمّ عطر الموجة المتوحشة حيث تضحك الجزيرة التي يغني فيها على صدر البحار الحزينة ، يقول :

Oh ! laissez, laissez moi, m'en fuir sur le rivage,
Laissez moi respirer l'odeur du flot sauvage !
Jersey rit, terre libre, au seins des sombres mers.

وشَعر شاعرُ الطبيعة الانجليزى وردزورث بالمسرة فى رهبة الظلام وكان يقف على صخرة فى الليل البهيم والعاصفة على وشك الهبوب ليستمع الى الاصوات المنبعثة من الارض وقد سجل هذا الشعور الغريب فى قصيدته الخالدة « الفسحة Excursion » التى يقول فيها[1] :

وتهبنا الطبيعة الى جانب التنبيه الانفعالى قوة فى التفكير وعمقاً فى التأمل وخصوبة فى التخيُّل ودقة فى الحساسية : فرأى السماء يقوى خيالنا ويطير بنا الى المجهول وما وراء المجهول ، وانعكاس أشعة الشمس الذهبية على المياه الجارية وقت الغروب يوسّع أفق تفكيرنا ، وألوان الأزهار المتوافقة فى الطبيعة الثرية بالزهر خلق لنا فن التطريز ، والنسيم الطلق العليل ينشط تفكيرنا ، وأمواج المحيط المتوثبة تثير فينا الحماسية . وأولئك الذين تصفحوا تاريخ العلوم يدركون أن كثيراً من حقائق العلم وآيات الفن الخالدة هى من بنات الطبيعة ووحيها الذكى ، فان العالم الانجليزى نيوتن لم يهتد الى حقائقه العلمية الا بعد أن انغمس فى الطبيعة وتأمل السموات ، وبحوث العلامة داروين تمتْ بسبب متين الى رحلته البحرية حول الكرة وقد يكون مرأى البحر وأشعة الشمس الذهبية من ملهماته فى هذه البحوث ، ويعزو كاشف قوة البخار جيمس واط فكرة استخدام هذه القوة الى رياضة قام بها فى الهواء الطلق . ويرجع الفضل فى كثير من التآليف العلمية الى أحداث الطبيعة الحية : فالعالم الايرلندى جون تندال John Tyndall أخرج بحثه العلمىّ عن تكوين الثلاجات وحركتها عند مشاهدة الطبيعة فى سويسرا فاستوقف

---

[1] Iwould stand,
If the night blackened with a coming storm,
Beneath some rock, listening to notes that are
The ghostly language of the ancient earth,
Or make their dim abode in distant winds.

نظره مرأى هذه الثلاجات ، وليس من شك فى أن مقالاته عن « الخيال فى العلم » المدبجة بأسلوب أدبى رائع هى من وحى الطبيعة الجميلة ، وما أخرج العالم الفرنسى الطبيعى Buffon مؤلفه العظيم عن التاريخ الطبيعى إلا بعد أن لاحظ الطبيعة فى حديقة النباتات بباريس وكان حارساً عليها ، وهذا التأليف أكسبه شهرة أدبية وعلمية واسعة . والى هذا فان الطبيعة أمدّت الفلاسفة ورجال الفن بأسمى الفكر وأصفاه : فان الفليسوف الفرنسى الكبير روسو جاءته الاحلام اللذيذه فى الحقول ونادى بترك الحدائق والاختلاف الى الحقول . وقد قضى ليلة تحت النجوم على شاطىء الرون فى طريق قريب من ليون حيث نام كما يقول على مرتفع من الارض ، واتخذ رؤوس الاشجار غطاءه ونام على أغنية البلبل الذى جعل نومه عذباً لذيذاً ، ولما تيقظ رأى المياه والخضرة والمنظر البديع فامتلأ بهجة وراح فى أحلام صافية وتفكير عميق . وقد تجلى صفاء الطبيعة وحساسيتها فى ذهن الشاعر الشاب شيلى فسمعنا منه مناجاته الغردة الذكية للقبرة وخواطره التأملية عند رؤيته « للنبت الحساس » الذى رآه نامياً فى الحديقة والريح الفتية تهزه بالندى الفضى وتفتح وجهه ليستقبل النور ، وتغطيه بقبلات الليل :

A sensitive plant in a garden grew,
And the young winds flew it with silver dew
An it opened its face like leaves to the light
And closed them beneath the kisses of the night.

* * *

وإلى جانب ما تخلق الطبيعة فينا من التنبه الوجدانى والتأمل الفكرى اللذين أتينا بشواهد بارزة عليهما نرى أن للطبيعة أثراً لا يستهان به فى أخلاقنا وعواطفنا . وهذه العواطف كما يقول الفيلسوف الشاب جييو Guyau فى كتابه « فلسفة الجمال »[١] طيبة وجميلة فى آن واحد ، ونحن فى الحق اذا تأملنا كائنات الطبيعة وما توحيه نقع على معان تقوّى عواطفنا : فرأى الشجرة المستسلمة لهجمات الريح وسيول المطر وأشعة الشمس المحرقة تعلمنا « الرواقية »[٢] . وزهرات البنفسج الزرقاء الوديعة تهدىء أعصابنا

(١) كتاب « فلسفة الجمال » Esthetique تأليف Guyau (٢) يراجع فى هذا المعنى مقال عن « الثقافة والطبيعة » فى كتاب « ماهية الثقافة » تأليف John Cowper Powys

وتبعث فينا عاطفة التواضع . والظلال الممتدة فى الأودية الصامتة تتخللها أشعة الشمس المضيئة ترمز الى الشفقة والحنان على الأرض . ومرأى القمر الوسنان السابح فى السماء الصافية آية مبصرة على الوداعة واللطف فى الطبيعة . والهواء الهفاف يهبُّ عليلاً فينعش الصدور والماء العذب الجارى يسقى الظمآى والشجر الطيب الذى نتفيأ ظلاله كلها آيات شاهدة على الكرم فى الطبيعة حافزة الى الجود والبذل . ووقفة الصخور فى وجه الموجات العاتية تهيب بنا فى صوت مكتوم الى الصبر والى الجهاد والمقاومة فى الحياة . ومرأى الغابة تذبل أوراقها وتموت ثم تحيا من جديد يدعونا الى قبول القدر والخشوع له والشعور بالخلود . واندفاع الموج وشدته ينهر نفوسنا ويحفزنا الى الإقدام والشجاعة . وسريان الضوء بين الشجر وهمس النسيم فى أوراقها ورقصة الظلال فى مياه النهر على نور القمر – كلها آيات على وحدة المحبة بين أحداث الطبيعة ، وكلها توقظ فينا عاطفة الحب البرىء . ومن عظمة هذه الكائنات وجمالها يشرق فينا الحب الالهى والنزوع الصوفى ، ومن رؤية كل كائن من هذه الكائنات مستقلاً قائماً بنفسه نتعلم البساطة والصدق من الطبيعة وهما من أهم مميزات الشخصية الفنية.

ولا ريب فى أننا إذا نظرنا الى الطبيعة على هذا الوضع واندمجنا فيها اندماجاً قوياً وحنونا عليها حنواً رفيقاً فاننا سوف نجد فيها غذاء مريئاً لشخصيتنا الفنية ، وعواطفنا النبيلة ، ولا أدل على ذلك من أن سِمات كثير من الشخصيات البارزة يرجع فى الأصل إلى الطبيعة الحنون : فالأديب الألمانى العظيم جوت لم تتجلَّ له أسرار الروح والضمير إلا فى الطبيعة ، وقد أبان ذلك فى قطعة له فى رواية « فاوست » إذ يقول مخاطباً الطبيعة : انك تقودينى الى المغارات ، وتكشفين لى عن نفسى ، وتكشفين لى أيضاً عن أسرار قلبي العجيبة [1] .

وترجع صوفية الشاعر العظيم شكسبير إلى مشاهد الطبيعة وبخاصة الى بهاء الحقول الندية تطوف بها النسمات العليلة . وفى الطبيعة أيضاً أحسَّ الأديب الفرنسى برنارد دى سان بيير بعاطفة الحب تتغلغل فى قلبه وسجّل هذا الشعور فى

(١) Tu me conduis alors dans l'asile cavernes
Tu me révèles à moi -même, et me déconvrez
Les merveilles secrètes de mon propre coeur.

روايته الخالدة « پول وفرجينى » حيث أحيا الأديب الحب بين قلبيْ هذين العاشقين فى أحضان الغابة . وفى جنبات الطبيعة أيضاً ألفى الشاعر الامريكى ثورو حريته واستقلاله وغذى إباء نفسه . وذكر الشاعر الانجليزى العظيم وردزورث أنه بعد أن طاف مدن أوربا وراعه صخبها وضوضاؤها ثم آوى الى الريف شعر بشعور جديد هو أن كل كائن من كائنات الطبيعة من شجر وطير وحجر يحمل فى نفسه روح الطيبة .

* * *

ونكتفى بهذه الأمثلة ونترك النفوس الصافية السمحة تجتلى جمال الطبيعة وتتعرف فنيتها ، فهى ولاريب مثابة الجمال الحسّى والعقلى والفكرى ، وهى خالقة الفن ، ومقوّمة الشخصية . وفيها يجتمع لنا التأثر الوجدانى والتأمل الصوفى والذكاء الخلق ، وفيها تتمثل لنا العواطف النبيلة : الحب بلا غيرة ، والجمال بلا غرور ، والقوة فى غير ما ظلم ، والسعادة فى غير ما حقد ، واللذة فى غير ما إثم ، والاحسان فى غير ما منّ ، والمعرفة فى غير ما ثمن ، والخير فى غير ما رنق ، والحقيقه فى غير مواربة ولارياء .

ولعلّ هذا المقال الموجز يحيي رغبات القارىء إلى تذوّق جمال الطبيعة ، وصحبتها والتغلغل فى صميمها ، ويبعث الكتاب على أن يتناولوا بالبحث ما عجز قلمى عن التبسط فيه ، فالموضوع لذيذ وصعب ، ويحتاج الى أقلام نابهة وكتب مفردة ؟ .

مصطفى عبد اللطيف السحرتى
المحامى





عمر الخيام

عمر الخيّام شاعر فارسي عاش فى القرن الخامس للهجرة (٤٢٣ — ٥١٧) وأدرك فجر القرن السادس . عاش الرجل فى فارس فى عهد كانت فيه فارس ضمن المملكة العربية ، ومات فتنوسى وما بقى ذكره الا فى زوايا بعض المكاتب المجهولة أو غضون بعض التآليف المدفونة ، ولعله الشاعر الشرقى الوحيد الذى يتمتع اليوم بتقديس وإعجاب الغرب . ويعجب القارىء أن يرى شاعراً شرقياً يتمتع بهذا الاعجاب وينعم بهذا التقديس على خمول ذكره وخمود مكانته فى البلاد التى يعتُّ لها وينتسب اليها .

ومات الخيام ولكنه ممات كان غفوة وهى غفوة طويلة امتدت ثمانية قرون كاملة وثب بعدها بفضل شاعر انجليزى هو : ادوارد فتزجرالد Edward Fitzgerald اكتشفه وترجم رباعياته وشادبذكره فأصبح الخيام حبيباً إلى كل نفس ، حبيباً إلى كل فؤاد .

ويذكر الخيام فلا يذكر إلا مقروناً بالشاعر الانجليزى ، كتبت لهما الصداقة فى الذكر وفى البقاء .

يقول شارلى فروللو مترجم رباعيات الخيام الى الافرنسية :

« من الجذع البالى الذى ينام فى ظلال نيسابور انفصل فرع ونما فى الغرب فاذا هو بعث لزهور فارس وبعث لعطرها الجميل » . وقد أصاب ، وهو قولٌ حقٌّ وُفِّق فيه الى حد بعيد . . . . وقد كان فتزجرالد « خياماً » فى كل شىء ، ولهذا الشبه نحن ندين باكتشاف الخيام .

ورباعيات الخيام هى كل ما بقى من شعر الخيام ولعلها كل شعره . ولها على صغر حجمها وضئيل عددها كل الفضل فيما يتمتع به الخيام من شهرة وذيوع . ترجمت إلى كل لغة تقرأ وتدرس ، وما من أحد يعنى بالشعر إلا وقد قرأ للخيام أو سمع

به . وقد كان حظ العربية من الخيام غير يسير ، فترجمت رباعياته غير مرة إما عن الانجليزية أو عن الافرنسية أو عن الفارسية مباشرة . ونتناول الرباعيات لكل الذين وصلتنا ترجمتهم فنرى تبايناً فى العدد والوحدة ، فعدد ما ترجمه محمد السباعى غير ما ترجمه أحمد رامى ، وهذا الاضطراب فى عدد الرباعيات ونحن نقرأها فى العربية هو اضطراب عددها وهى فى أصلها الفارسى .

يقول أحمد رامى : —

« وصل عددها الى ثمانمائة فى أحد مخطوطات كمبردج ، وأقدم مخطوط لها فى أكسفورد لا يحوى غير ثمان وخمسين ومائة رباعية » .

وكان من آثار اضطراب العدد اضطراب الوحدة ، ونستطيع أن نرى رأى رامى فى هذا الاضطراب فى قوله: « فعمر لم ينظم رباعياته فى دور واحد من أدوار حياته وانما نظمها فى الفينة بعد الفينة حسب ما أوحى اليه خاطره وأملى عليه وجدانه » . وهو رأى صائب فى تفسير خلوّها من التماسك والارتباط ، فالفكرة فيها تتكرر غير مرة وتتعدد فى غير مكان . ومما ساعد ولا شك على فقرها الى التماسك تناقل الألسنة لها حتى دخلها التغيير والابدال .

ونستطيع اليوم أن نتبين الخيام فلا نتبينه جزءاً جزءاً ، واضحاً كما كان ، فنتبين فلسفته ونتبين آراءه تائهة من أثر السنين .

عصر الخيام :

عاش الخيام فى عهد تدهور المملكة العربية ، وقيام الفتن والمشاحنات مقام السلم والهدوء . فما قام ملك أو دولة إلا لتقاتل ثم تخلع ، تنقرض دول وتنبعث دُوَل . فالشعوبية قضت على الوحدة العربية والأنانية قضت على كل خير ورفاهية ، فكان عهداً مات فى النفوس كل شىء ، غير الأنانية التى بقيت تعمل عملها ، وتسير سيراً جاداً ، تطارد الأمن ، وتمهد السبل للفوضى .

وكانت فوضى أشد ما يمكن أن يتصور الانسان فوضى فى الأعصر والأزمان . فالمشاحنات والفتن كانت على قدم وساق : فسيف الدولة يطارد كافور الاخشيدى ، وكافور يطارد سيف الدولة ، ومات سيف الدولة فقام معز الدولة وزحف الى البصرة فقاتل الثائر أبى القاسم البريدى ، ثم زحف الى الموصل وقاتل الثائر ناصر الدولة .

وبعد أن أعلن الفاطميون استقلالهم فى المغرب وزحفوا الى مصر وأصبحت القاهرة قاعدتهم سارت مطامعهم فامتلكوا دمشق والشام .

وقام القرامطة يناوشون الفاطميين وقطعوا عنهم كل هدوء وصفاء .

وقام الروم إلى المملكة العربية ، فقتلوا ، ونهبوا ، وعاثوا فساداً .

وقام بختيار ولعب دوراً أنانيّاً ، ونشبت سخيمة بينه وبين حاجبه سبكتكين التركى فثار ونهب دار بختيار فى بغداد ، وتولى زمام الأمر فيها .

وعلى هذا النحو كانت البلاد الاسلامية فى القرن الرابع . وكان القرن الخامس فانقرضت الدولة الأموية بالاندلس ، فانقسمت البلاد وأصبحت وحدتها الاسلامية ذكرى فى صدر التاريخ ، وقام فيها ملوك الطوائف يتقاتلون .

وقام السلجقيون فى المشرق « يريدون مكاناً تحت الشمس » فقاتلوا آل سبكتكين ، وامتلكوا خراسان وجرجان ، وظل نفوذهم ينمو وأمرهم يعظم حتى امتلك طغرول بك اصبهان وأذربيجان ، ثم وصل الى بغداد وخطب له فيها بالمُلك ، فى حين خطب فيها بالملك للفاطميين ، واستمرت هاته النغمة تتردد ، طمع ، وقتال ، والكلمة للقوة ، حتى كانت الحرب الصليبية ، وكانت تلك المعامع الكبيرة وتلك المعارك الدامية بين المسيحية والاسلام .

وذكرنا هذا أو كان يجب أن نسطر صورة أوضح وأبين عن تلك القرون الدامية . ولكن يستطيع أن يتبين القارىء مما كتبناه على إجماله تصادم الأهواء وتضارب المطامع ، وهى الفكرة التى نقصد اليها ، ونسعى لاظهارها ، كانت أشد ما يمكن أن تبدو للعين كما هى .

وذكرنا أهمّ الحوادث وما ذكرنا جميعها فاذا الأنانية هى روح ذلك العهد ، وهى روح وجدت فى ذلك العهد مرتعاً خصباً طلقاً ، لا تعثر فيه ولا اصطدام .... فكانت بفضله أبرز ما يمكن أن تبدو للعين واضحة جليَّة ، لا ظلال على جوهرها ولا غبار . وهى روح ما قبعت بالبلاد الإسلامية ، ولكنها تجاوزتها الى البلاد الأوروبية ، فقام الغرب على ما به من جهل وعبودية ، وقام الشرق على ما به من تداعٍ وانحلال . وكانت الأنانية أنانية انسانية عمت السهل والجبل ، واكتسحت العراقيل والعقبات ، وجعلت من الانسان انسانا كما أراده الله ، يتألم بأنانيته ولا يستطيع غير التألم والعناء .

فلسفة الخيام :

هذا هو عصر الخيام ، وهـذا هو العهدُ الذى عاش فيه وتألم الخيـام وتبرّم بالدنيا . وعبثاً يحاول الانسان تذوّق لذة العيش ، ورائق الحياة فى هذا العهـد الموبوء :

الدهر لا يعطى الذى نأملُ وفى سبيل اليأس ما نعمَلُ
ونحن فى الدنيا على همها يسوقنا حادى الردى المعجلُ

الخيبة منتهى كل مسلك والألم والحرمان خاتمة المطاف . ما خير أن يعنى الانسان نفسه بادراك ما يسعى اليه ، باطل الأباطيل أن يعلل نفسه بمنال الحياة بعد أن آلت الحياة على نفسها أن لا تعطى الذى نأمل — وما الانسان ؟ أيعاند الأقدار ؟

جئتُ هذا الكون كالماء سجمْ ثم أرتدُّ كأنفاس النسمْ !

والماء يمشى فهل كان يدري إلى أين يمشى ؟ ويرتد النسم فهل كان يعلم أنى يرتد ؟ والانسان ماء ، والانسان نسم ، يمشى لا مشية له فى مسيره ، لا يعلم أنى ينتهى ومن أين يأتى ، وكل ما يستطيع علمه أنه يمشى دامى الأقدام :

يا دهرُ أكثرتَ البلى والخرابْ وسُمتَ كل الناس سوءَ العذابْ

وهو عذاب الحياة ثم عذاب العبودية :

أفنيتُ عمرى فى اكتناه القضا وكشفِ ما يحجبه فى الخفاء
فلم أجد أسراره وانقضى عمرى وأحسست دبيبَ الفناء

يأس من معرفة الهناء وعجز عن إدراك القضاء ، وانقضاء العمر هباء ، فالعبودية هى نعمة السماء . هـذه هى الحياة عبودية بعد عبودية ، وعـذاب إثر عذاب ، وشقاء يتلو شقاء :

لقد أمضّ الهمُّ قلبي الجريح أين النديم السمح ، أين الصبوح ؟
هات أسقنى كأس الطلى السلسلِ وغنّنى لحناً مع البلبـــلِ

وليس الخيّام منهتكاً مع المنهتكين المستهترين :

لم أشرب الخمر ابتغاءَ الطربْ ولا دعتنى قلةٌ فى الأدبْ
لكنّ إحساسى نزاعاً إلى إطلاق نفسى كان كلَّ السببْ

وليس الخيّام أحد المتصوفة الذين يعنون بالخمر جمال القوة السماوية وسحرها ولكنه سكير ككل السكيرين ، وخمره هى خمر العنب كان يحسوها فى خلوته وفى مجالسه « ليس لأنها أقرب وسيلة ، وأخطر سبيل يسهل عليه استشفاف نور الحق من وراء حجب الكائنات ، واجتلاء سرّ الابد من خلال ظلمة الغيب » كما يزعم محمد السباعى ، ويحسوها ليس لأنه متهتك كأبى نواس ، يندفع الى اللذة ظمآن إلى اللذة ، ولكنه الرجل الحائر أمضّه الشك ، وأتعبه عقله ، وأرهقه تفكيره ، يندفع إلى اللذة ، لا لأنها لذة ولكن لأنها تدنيه من عالم أرحم وأقل قساوة من عالمنا ، ويحسوها لأن المنون يدنو بخطى جبار فيكون أشد ما يمكن ظمآن إلى الخمر لنسيان كل شيء :

سارع إلى اللذات قبل المنونْ فالعمر يطويه مرورُ السنين
وأنت كالأشجار إن قلّمت فروعُها عادت رطاب الغصونْ

* * *

وانما نحن رخاخ القضاء ينقلنا فى اللوح أنى يشاءْ
وكلُّ من يفرغ من دوره يلقى به فى مستقر الفناء

ويكون اندفاع الخيّام إلى الخمر واللذات اندفاعاً للذة ولكنها ليست اللذة التى فى طينة الرجل تحقيقها والسعى إليها ، ولكنها لذة يأوى اليها بعد أن ينفض يديه من كل لذة ، وهو اندفاع للذة وتبرُّم بالحياة وحرص على الحياة يبلغ إلى الكفر بالغيب ، وجحود البعث يثوب بعده الى رشده وينتهى مؤمناً فى استسلام :

يا قابلَ الأعذار فئنا الى ظلك فاقبل توبة التائبين

وكذلك بحث فعجز ، فتبرم ، فكفر . وينتهى الكفر ويغيض الجحود ، فلا يغيض تبرمه بالحياة ، ويبقى الخيام متبرماً كما تبرم المعرّى والذين لا يعرفون للحياة طعماً يلذُّ وجانباً يغوى ويستهوى ، ولكن تبرم الذى يحسن تذوقها ، ويحذق الاستمتاع بها وهو يتبرم منها ويعرف الالتذاذ بها وهو ناقم عليها !

هذا هو الخيّام وهاته هى فلسفته : اندفاع للذة ، واندفاع للذة تبرم بالحياة

وحرص على الحياة . وقد لا يتبرم من رُزق عناداً وصلابة فى العود وصلابة فى الكفاح ، ولكن الخيام رجل ضعيف ما خُلق للمغامرة والكفاح فكانت فلسفته نقمةً واستسلاماً : فعصره جعل منه متبرماً فى استهتاره متشائماً فى التذاذه واستمتاعه ، وضعفه جعل منه مستهتراً فى تشاؤمه ، ومستسلماً تتقاذفه أمواج الحياة أنَّى تدفعها العواصف والرياح .

يقول ابراهيم عبد القادر المازنى :

« يخيل اليك وأنت تقرأ رباعياته المترجمة إلى العربية عن الفارسية كأن الخيَّام « كأولاد البلد » أبناء الجيل الماضى فى مصر ممن كان همهم أن يحيوا الليل بالشراب والطرب والأنس ، فاذا تنفس عادوا لمخادعهم وأسدلوا الأستار ، وحجبوا الضوء وألقوا رؤوسهم على الوسادة وناموا ، ولا نعدم من هؤلاء فلسفة ، فقد تسمع منهم قولهم أن العمر قصير وأن المنايا واحدة ، وأن العصفور فى اليد خيرٌ من ألف على الشجرة ، وبعد رأسى لا كانت الدنيا ... إلى آخر هاته الكلمات التى تخطر بكل بال ، وتكاد تجرى على كل لسان ، والتى هى من الشيوع والابتذال بحيث لا تستحق تكريم الارتفاع بها الى مستوى النظرات فى الحياة » .

وقد انتبه القارىء الى هذا ولا شك وهو يتلو ما ذكرنا له . ويعجب لأن يكون للخيام الشاعر المكانة التى سمعها عنه فى الغرب فيتهم النفس الغربية بالبلادة والموت ، وما بالأمر بلادة أو موت . والخيام الذى ترجم له فتزجرالد الانجليزى غير الخيام الذى ترجم له رامى والزهاوى ، فكل ما ترجمه الأخير فلسفة ليست فلسفة مستهتر متهتك عربيد كفلسفة « أولاد البلد » — إن كانت هذه فلسفة — ولكنها فلسفة أو فقل آراء متشائم لا حرارة فيها ولا اهتياج . وليس كما يقول المازنى « ذكر الأيام والفناء والأقدار هنا وفى أمثال هذه الرباعيات يشعرك لفح الحرارة التى تحسها من رباعيات فتزجرالد وألم الجنون من عجز الشاعر عن حل الألغاز التى يعالجها وفك المعميات التى يعانيها وكشف الأسرار التى يغوص عليها » .

وترجمة فتزجرالد هى لشاعر له فلسفته ، وله نظرته ، وهى لشاعر ساخر متبرّم متهتك تحس بقوته وحياته فى أىّ لفتة من التفاتاته وأىّ حركة من حركاته . واذا علمنا أن اتفاق الزهاوى ورامى فى نضوب ترجمتيهما من الحياة هو نضوب رباعيات الخيَّام من الحياة وهى فى الفارسية ، علمنا أن فتزجرالد أسبغ على الخيَّام

من روحه دون فلسفته أو فقل نفخ فى فلسفة الخيَّام فانتبهت حيةً نابضةً ودبَّت على الاقدام ، وكان الخيَّـام شاعراً بروح فتزجرالد واليه يدين بما له من ذيوع وشهرة؛ فلولاه لما كان الذى كان ، ولبقى فى ظلال النسيان والاهمال . وندرك جيداً أن سرّ خمود ذكر الخيام فى الشرق طيلة ثمانية قرون هو فى الخيام نفسه وأنّ ذيوع الخيّـام وشهرته هو لفتزجرالد .

* * *

واليوم ينام الخيَّـام وينام فتزجرالد : الأول فى نيسابور والثانى فى انجلترا ، كُتبت لهما الصداقة فى البقاء ، صديقان لا يفترقان إلى الأبد ، اشتركا فى أثرٍ هو من أجمل الآثار التى يقرأها الانسان ويتلوها ؟

تونس : محمد عبد الخالق

بشار بن برد

أخلاقه فى شعره

بشار بن برد شاعر مجيد من شعراء الدولة العباسية ، وُلد أعمى من بطن أمه ، وقال الشعر وهو ابن سبع سنوات ، وأول ما قال فى الهجاء . وكان هجاءه مقذعاً جدّ الاقذاع وقد تفنن فى ضروبه الى أن امتدّ لسانه أخيراً الى هجاء أمير المؤمنين المهدى عم هارون الرشيد فأعلمه أحد الامراء بما قال بشار فيه وكان هذا الأمير حانقاً على بشار لأن بشاراً كان قد هجاه من قبل فأمر المهدى بأن يجلد بالسياط ولذلك سبب لا يخفى على أديب وإن كان فى نفس المهدى الانتقام منـه من جراء هجائه له فآلمه الضرب ومات بعد أن بلغ من الكبر عتيّاً وكان الضرب سبب موته . وبشار يجيد المديح كل الاجادة لأنه اتخذه وسـيلة لـكسبه وسدّ عوزه ، وكان يتردد على الأمراء وأصحاب الثراء فيمدحهم بالقصائد المحكمة الرصينة فيبذلون له المال ويعطونه ما يريد ، لا اختياراً منهم ولـكنهم كانوا يفرقون من لسانه البذىء أن يمتـدّ اليهم فيلبسهم عاراً، والويل لمن يمدحه بشار ولم يعطه شيئاً. وناهيك بشاعر يقول كلمة فلا تـكاد تخرج من فيه حتى تسمعها من وقتها وقد لاكتها أفواه العامة غاديها ورائحها ! فهو إن مدح أحداً فلسان حاله يقول : إن لم ترد حمدى فراقب ذمى !

وقد يبلغ فى مدحه أحياناً الى الغلو، مثال ذلك قال يمدح رجلا يقال له عقبة ابن سلم :

حرم الله أن ترى «كابن سلم» «عقبة» الخير مطعم الفقراء

ولك أن تتأمل فى «حرم الله أن ترى كابن سلم» فتعرف مقدار تزلفه ومغالاته فى المدح، والشواهد على ذلك كثيرة فى ما بقى لنا من أشعاره وما بقى لنا منها الا النذر اليسير. والتاريخ يقصّ علينا أن بشاراً نظم اثنى عشر ألف قصيدة فضيعها الاهمال وخيم عليها النسيان بطول الزمن فلم يبق منها غير مقطوعات وقصائد قليلة متفرقة فى بطن كتاب (الأغانى) .

ولبشار غزلٌ يسيل ظرفاً ورقة ، ويتدفق شهداً وحلاوة ، خال من كل تعقيد وكلفة ، وإن لم يخل من الاستهتار فى بعض المرات . وكيف لا يكون دقيقاً فى غزله وهو الذى راض أحوال النساء وعرف دخائلهن وهو القائل :

عسر النساء الى مياسرة والصعب يمكن بعد ما جمحا

وقد يأخذك العجب فى أعمى يحب ويهيم بالمحبوب، ويتيمه الحب ولكن دهشتك قد تزيد إذا قرأت له أبياتاً وقد وصف فيها المحبوب وصفاً دقيقاً كأنها لمبصرٍ من الشعراء المجيدين. مثال ذلك قوله :

بنت عشر وثلاثٍ قسمت بين غصنٍ ، وكثيبٍ ، وقمرْ !
دُرّةٌ بحرية مكنونة مازها التاجر من بين الدررْ

وقوله :

وما نظرت عينى غداة لقيتها بشىء سوى أطرافها والمحاجرِ
وحوراء من حور الجنان غريرة يرى وجهه فى وجهها كلُّ ناظرِ

هل هذه الأبيات لشاعر أعمى ؟! أجل : هى لبشار الشاعر الأعمى الذى يقول :

إن كان عينى لا ترى وجهها فانها قد صُوِّرت فى الضميرْ !

أو يقول : ... فبالقلب لا بالعين يبصر ذو اللبّ

ولكن ضمير بشار فى بعض المرات يكون مصوّراً ماهراً يصوّر له الحبيب بماء اللؤلؤ فى صورة فاتنة ساحرة حتى أن عينه «التى فى ضميره» اذا وقعت على جارحة من جوارح الحبيب يأمرها صفاء تلك الجارحة ورواؤها وتناسب

أعضائها فيعتريه فى الحال ارعاد فى داخل الحشا ويخيل اليه وهو ينظر الى محبوبته أن لكل جارحة من جوارحها وجهاً مليحاً فاتناً ماثلاً أمامه ، وهذا خيال بديع . قال :

تلقى بتسبيحة من حسن ما خلقت وتستفزّ حشا الرائى بإرعادِ
كأنما صُوِّرت من ماء لؤلؤةٍ فكلُّ جارحةٍ وجهٌ بمرصادِ

ويعجبنى قوله يخاطب الحبيب :

أملى ! لا تأتِ فى قمرٍ لحديثٍ وائق الدرعا
وتوقَّ الطيبَ ليلتنا إنه واشٍ اذا سطعا

غير أنه تغلب عليه الزندقة أحياناً فيخفيها .

ومهما تكن عند امرىء من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تُعلمِ

وللزندقة من الخاصية التى تعرف بها كما للطيب من الخاصية التى تظهره وتنمّ عنه فهو يقول مفضلاً ابليس على أبينا آدم وينعت الناس كلهم فاجرهم وتقيّهم بكلمة « الفجار ! » فى غير تورع :

ابليس خيرٌ من أبيكم آدمٍ فتنبهوا يا معشرَ الفجارِ !
ابليس من نارٍ وآدم طينةٌ والأرض لا تسمو سموَّ النارِ

وضرب لنا مثلا ونسى خلقه وظن أنه من مارج من نار ! ولكن زندقته لم تقف عند هذا الحد بل ذهب يتفنن فى ضروب تفضيل النار على الطين ، أو بعبارة أخرى الجان على البشر بحجة أن النار كانت إلهاً يعبد منذ ما عرفت بين الناس ، قال :

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

ولبشار ولع بشرب الخمر وإدمانها لا يقل عن ولعه بالتشبيب بالنساء ومغازلتهن فهو يقول واصفاً الخمرة وما تفعله بالعقول من قوة مفعولها :

نفحت نفحة فهزت نديمى بنسيمٍ وانشقّ عنها الزكامُ
وكأن المعلول منها اذا راح شجٍ فى لسانه برسامُ
صدمته الشمولُ حتى بعينيه انكسارٌ ، وفى المفاصل خامُ

وهو باقى الأطراف حيث به الكا س ، وماتت أوصاله والكلام !

ولكن رغماً عن ادمانه على الخمر وولعه الشديد بها لا يجهل ما تجره على شاربيها من شرور كامكان ما لا يرام ، مع ضياع ماله وعدم معاودة الكرى لعينيه من الهم الذى لحقه من ضياع المال وبكائه كالطفل حين تغيب عقله وتفقده صوابه ، قال :

وفتى يشرب المدامة بالما ل ويمشى يروم ما لا يرامُ
أنفذت كأسه الدنانير حتى ذهب العين واستمر السوامُ
تركته الصهباء يصبو بعين نام انسانها وليست تنامُ
جنّ من شربة تعلّ بأخرى وبكى حين سار فيه المدامُ

وكيف لا يكون عارفاً بتأثير الخمر فى عقول شاربيها وما تجره عليهم من ويلات مَن يقول :

قد عشت بين الندمان والراح والمز هر فى ظل مجلسٍ حسنٍ

فهو اذاً خبير لا يلتبس عليه أمر فى كل ما زعم من قول عن الخمر .

وأخيراً لا يسعنى قبل أن أختم الكلام الا أن أقول إنى لم أجد من بين شعراء العربية مَن له شعر يضارع شعر بشار سلاسة ورقة وأسلوباً سهلاً كأسلوب بشار فى أشعاره ، ولا سيما ما كان من أشعاره فى الغزل ، وكيف لا يكون كذلك من يقول عن نفسه :

وشعر كنور الروض لاءمتُ بينه بقولٍ اذا ما أحزن الشعر أسهلا!

الجزيرة أبا : السودان

بشرى السير أمين





فى معانى الدموع

آذنتنى بفعلها الذكرياتُ باكيات تطوف مبكيَّاتُ (١)
يُقتلُ الحرُّ أن يُنالَ بضيمٍ ثم تبقى ذيُوله المؤلماتُ
تحملُ النفسَ أن تقيم على الهـ ـمّ ، فتُغرى بهدمها المنكرات
وإذا المرء خانه الحظ أمسى تاعساً ، خيرُ شأنهِ سيئاتُ

***

كم مع الدمع مِن معانى تجرى وهى ذَوْبٌ من الأسى أوفتاتُ
يرسلُ المرء ناظريه ، وفيما يرسلُ المرءُ منها المحزناتُ
رُبّما نظرة تفيض على النفـ ـس فيوضاً تحار فيها الأساةُ !
رُبما نظرة تبثُّ يكون القـ ـلبُ مما تبثه والشكاةُ !
ربما نظرة تساق حديثاً ناعماً فى سياقه المغرياتُ !
كلُّ فعل العيون جدٌّ خطير حين تُلقى كأنها هيناتُ !

***

يا بقايا الهوى تسحُّ بها العـ ـينُ ، وفيها على الجوى بيناتُ
يا حديثَ القلوب يرسل قطر فيه مما شجى المعنّى سماتُ
أنت سرٌّ ثوى ، فجال دموعاً من لظى الكتم ، آيُها معجزاتُ
أنت ذكر وسلوة لفؤاد حرّقته على النوى أمسياتُ

---

(١) الرفع على الخبرية للمبتدأ المحذوف .

كل وجدٍ ولذةٍ وجالٍ أنت فيه الدلائل القيماتُ !

* * *

ليت شعري - إذا تنى ليت شعري - كيف عاش الجفاة ، أم كيف ماتوا ؟!

ثَمَّ رفق ورقة وحنان والتياعٌ ، وهذه الممتعاتُ

كل نفس دمت بها نخراب إن نبع السمو تلك الصفاتُ

* * *

كم نفوس تسيل وهى مع الدمع غشاءٌ مُهوَّنٌ أو رفاتُ

قد غزاه الهوى ، وأىُّ عصى لم يقده الهوى ؟ وحتى الغزاةُ ؟

ليس بالعار أن تثار دموعٌ تصرف الشجو ، لم تثرها الهناتُ

فى معانى الدموع هادنتُ نفسى يا معانى الدموع أنت الحياةُ !

محمد زكى ابراهيم

مدمن الألم

شربتُ الحزن من كأسى ولم أعرف مَن الساقى !

جرعتُ الهمَّ بالدنِّ لأطفى فيه أشواقى

* * *

شربتُ الحزنَ لم أبقِ على شىء من الحزنِ

وفى سكرى وإغمائى كسرتُ الكأس بالدنِّ

* * *

ولكنى وقد أدمنت خمر الألم الطاهرْ

تولانى جنونُ المدمنين افتقدوا العاصرْ

* * *

فمن لى بعصير السهد أحسوه على سهدى ؟

ومَن لى بفتات الوجدِ أغذاه ، على وجدى !

* * *

إلَـمى ! لا تدعْنى للهناء الصرفِ يودى بى
ودع آلامىَ العليا تروّينى من الصابِ

* * *

جنود البؤس أهلاً ! هى ذى نفسى تحييكم !
تعالوا نشرب النخبَ المصفّى من معانيكم !

* * *

تعالوا واسمعوا قلبى يناجيكم بآهاتهْ
ويدعوكم بناديه ليشجيكم بأناتهْ . . .

* * *

ألا هيــــا الى نادٍ بناه القلبُ للشعرِ
فشعرى من أغانيكم وأنتم ملهمو الفكرِ

المهدى مصطفى

الحياة والشعر

ألا فاضمنْ لشعرك مَن يذيعُ فان الشعر أكثرهُ يضيعُ !
مُعادُ القولِ أكثره خبيثٌ وفضلُ الشىء أجمله شنيعُ
وحيثُ أضاءت الكهرابُ داراً أُزيلت مِن زواياها الشموعُ
ونورُ الشمس بحرٌ شاطئاهُ مِن الليل الأصائلُ والهزيعُ
اذا لم تدرِ ما عُقبى أمورٍ فلا تشرعْ ، فما يجدى الشروعُ
تعالجُها فلا يشفى علاجٌ وترجعُ لا يشرّفك الرجوعُ
اذا اتّضعَ الرفيعُ فذاك سهلٌ وصعبٌ كيف يرتفعُ الوضيعُ

بلوتُ الدهرَ فى شتى أمورٍ فجفَّف نضرتى وأنا الربيعُ
فلولا أن لى شعراً رصيناً وأنى فى مُعالجهِ ضليعُ
وأنّ نوائب الحدثان طُرّاً إذا نزلت بساحى لا تروعُ
وملء القلب إيمانٌ عنيفٌ له فى كلّ مختصَمٍ صريعُ
لنالت منىَ الدنيا كثيراً ولكنى لهجمتها دفوع
فما أهرقتُ ماء العين ضَيْقاً وكيفَ وما لمهرَقهِ شفيعُ ؟
اذا ماء القلوب مضى رواحا بانفاسِ الحياةِ فما الدُموعُ ؟
ومن يجد الحياة على هَوَاهُ يجد شهداً خليتَهُ لسوعُ !

عامر محمد بحيرى

خواطر

هوّنِ الخطبَ على النفس. يَهُنْ لا تضقْ ذرْعاً بأحداثِ الزمَنْ
خُلُقُ الدهر هناءٌ وشقا ونعيمٌ وسرورٌ وشجنْ
فلكٌ يجرى ويحوى عجباً مِنْ أمورٍ جمعت مِن كلّ فنّ
وطريقٌ تارةً واضحةٌ سهلةُ السير وتاراتٍ حَزَنْ (١)
يقطع العهدَ على السلم ضحىً فاذا الليل دَجَا للحربِ شنْ

* * *

طائرٌ للحظْ عندى كم عَلا وهوى فانحط من أعلى الفننْ
غفل الصائد عنهُ فشدا ورمى بالسهم أحشاه فأنّ
غرّدُ الطائر دهراً هزجا وبكى الطائر دهراً وأرنّ (٢)

* * *

وَيْحَ قلبي ! هلْ أراه برهة أغفلَتهُ مُستجدّاتُ المحنْ ؟

(١) الحزن ضد السهل وحركت الزاى لضرورة الشعر . (٢) أرنّ من الرنين .

قاتل الله الليالى ! صفوُها هل يُرى يوماً إلى النفس سَكن ؟
كم جفونا لذة العيش بها وسلَوْنا فى الدجى حلوَ الوسَن (١)
وأذبْنا الجسمَ فى السعى إلى غاية النفس ولم نشكُ الوهن
ليت شعرى ما جنينا بعدها غير طول الوجد أو فرط الحزن !
لا يفيد الجِدُّ فى درك المُنى دون أن يسعفه الجَدُّ الحسن (٢)

* * *

نحن فى عيش تساوت عنده غفلةُ الجاهل بالحرّ الفطن
ربما أدرك قدْمٌ قصدَهُ حينما أخطأه الشهمُ اللسن

* * *

وطنى مصر ومصرٌ جنةٌ حبذا المرْبَعُ فيها والسكن
زينة الأمصار بل أم القرى وعروس الريف بل عُرْسُ المدُن
ألبسَ التاريخُ تاجاً رأسَها خضعَ الدهرُ لديه والزمن
خازنُ العرفان فى فجر النهى جمعَ الحكمةَ فيها واختزن
نيلها الكوثرُ يجرى سلسلاً سائغَ الطعم إذا الماءُ أَسِن
مَعْهدُ القوة واللطف معاً مسرحُ الرئبال والظبى الأغن
وقدودُ الغيدِ فيها شابهت قضبَ الريحان والبان اللَّدن
حاذر الألحاظ مِن غزلانها فوراء اللحظ كم موتٍ كمن !
أرضُها مهدى ولحدى ، وحلا فى رباها لى مقامى والكفن
رضع القلبُ هواها قبل أن يرضع الثغرُ من الثدى اللبن
وجرى حبُّكِ يا مصرُ كما جرت الروحُ فأحيت بى البدن

يعقوب حنا

---

(١) الوسن هو النوم . (٢) الجد الأولى الاجتهاد والثانيه الحظ .

أنتـــان

من الزمن ومن ذوى القربى

ألا يا التى مِن دأبها الهجرُ والدلُّ … سلى عن شجٍ مِن دأبه الحبُّ والذلُّ
فنى جددى عهدَ الغرامِ بنظرةٍ … تذكرنى ما تصنع الأعينُ النجلُ
ويا ربَّ سالٍ حنَّ بعد سُلوِّهِ … فعاد كأن لم يأنفِ الحبَّ أو يسْلُ
أرى الغيدَ يطلبن الذى عزَّ نيلهُ … وإلاّ فلا قُربٌ يُنالُ ولا وصلُ
شفيعُ الغوانى عنـــدهنَّ نضارةٌ … يزيّنها الإيسارُ والحسنُ والشكلُ
تولّيتُ عرشَ الحب فى ميعةِ الصبا … فلما انقضى شرخُ الصبا نابنى العزْلُ
وما عنفوانُ العمر إلا أريكةٌ … اذا جفَّ عودُ المرء تهوى وتنثلُّ
سل «الرملَ» فى «حلوان» كيف افترشتهُ … الى أن شكتْ «حلوانُ» واستصرخ الرملُ
ألا ما لأحبابى تبدَّدَ شملهم … وكنا كحَبِّ العقدِ يجمعنا الشملُ
وكم من خريدٍ حاولتَ كتمَ سرِّها … فلما التقينا هاجَهُ الوجْدُ والخبْلُ
تقول : « حبيبى ! إنَّ أمرك نافذٌ … فَمُرنى بما ترضَى به ولك الفضلُ ! »
جلستُ اليها لا الرقيبُ يروعهـــا … ولا اللومُ يثنى من هواها ولا العذلُ
وفارقتُها والليلُ تحكى نجومُه … عيونَ المذاكى وهى ماثلةٌ قبلُ
ولولا شذا روْضٍ أعانَ بنفحهِ … لنمَّ علينا ما حوى شعرُها الجثْلُ

* * *

أجدَّك لا تذكر لىَ الغىَّ بعد ما … تبين نورُ الرشد واكتملَ العقـلُ
وما هده الأيام إلا روايةٌ … إذا مرَّ فصلٌ جاء من بعـــده فصلُ
حوادثُ مثل الجيش سار كتائباً … فواحدةٌ تمضى وواحـــدة تتْلو
كفانى أسًى أن لا أرى سمَّ أبرةٍ … بجسمىَ إلاّ وهو بالسّقْم معتلُّ !
وما هدّنى الا شغافٌ ممزّقٌ … والا فؤادٌ زائفُ النبض مختلُّ
وكانت صفاتى لا تبض فأصبحت … من العَرَقِ الجارى تسحُّ وتنهلُّ
وحلَّ بعينى زائرٌ لا تودُّه … فقالت له : ياضيف قل لى متى تجْلو ؟!

عمَى نزلتْ عينىَّ منه غشاوةٌ لها اسودَّت الدنيا وأظلمتْ السُّبْلُ
ولله لطفٌ حين أدرك ناظرى تجلَّى ضياءُ الشمس وانكشف الظلُّ
وهل مثلُ نورِ العين غالٍ محبَّبٌ تهون له الدنيا ويرخص ما يغلو؟
أحييكَ يا لسانُ عينى تحيةً لها نفحةُ الريحان باكرهُ الطلُّ

* * *

يقول طبيب الحىّ: « ويحكَ لا تخفْ! » وكيف وسيفُ الموت فوقَ مستلٌ !؟
كأن بنى الدنيا زروعٌ تباينتْ وذاك الردى الحصَّادُ والعالَمُ الحقلُ!
اذا انحلَّ جسم النصل (١) بانت عروقُه وهذى قريباً سوف تعسو وتنحلُّ
فلا تخشَ بعد الموت شيئاً فانما من السلخ بعد الذبح لا يألم السّخلُ!

* * *

شيوخٌ وأطفال أحبّوا حياتهم وفى جهل مغزاها استوى الشيخُ والطفلُ
أرى عقدَ الألغاز حُلَّ عويصُها ولُغْزُ المنايا عقدةٌ ما لها حلٌّ
إلهى! خلقتَ الناسَ تبغى لهم هُدَى تباركتَ! أرشدْهم فانهمُ ضلُّوا!
ولو لا بقايا الشكِّ ما صام بعضُهم ولا نذروا حجاً اليك ولا صلُّوا!
تَرَفَّقْ بنا والمهلُ يشوى وجوهنا فأنت الذى نخشاه لا النارُ والمهل!
وهل يستوى مَنْ وَحَّدَتْكَ قلوبُهم ومَنْ كان فيهم يُعْبَدُ الثّوْرُ والعجلُ!؟
تخالفَ حتى فى الحجارة دينُهم فناسٌ لهم (ودٌّ) وناسٌ لهم (بعلُ) (٢)

* * *

إلهى! إذا حاسبتَ خلقَكَ فاحبُنى بحلمٍ يُرينى كيف يُغتفر الجهلُ

---

(١) يشير الى نظرية من نظريات التاريخ الطبيعى وهى أن جسم النصل هو النسيج الأخضر الرخو الذى بالورقة ، فاذا سقطت الورقة من الشجرة تحلل وانعدم وبقيت خيوط دقيقة كالشبكة تسمى « العروق » وهذه العروق فى مجموعها تسمى « النصل » . (٢) ود وبعل : صنمان .

وخذ بذنوبى شرَّ أهـلى فانهم ... جماعةُ ذؤبانٍ يقالُ لها : أهلُ !
عجبتُ لهم كيف استشاطت حقودُهم ... وليس لهـم وترٌ لدىَّ ولا ذحـلُ
همُ أنكرونى والزّمانُ ينوشنى ... بنصلٍ من الأحـداث يتبعه نصلُ
وهم سدّدوا نحوى نبـالَ عدائهم ... وما بيـدى قوسٌ تُشدّ ولا نبـلُ
فقدتُ سلاحى واستتمّوا سلاحهم ... ولا يستوى الشكّاك(١) والنفرُ العزلُ
عرضتُ فما همّوا الىّ بزورةٍ ... كأنىَ مجهولُ القرابة أو غفلُ
ولو أكثروا ـ شأن الصديق ـ عيادتى ... لقلتُ ـ اذا غابوا ـ لعلهم ملّوا
وجنى من الجيل القديم مسنّة ... بها لوعةُ الثكلى اذا هاجها الثّكلُ
تقول : « جفانا الأقربون تشفّياً ... وشبّت صدورٌ ملؤها الحقدُ والغلُّ
نأوْا عن عليلٍ أشبعَ الدهرُ جسمَه ... من الداء حتى شلّتْ اليـدُ والرجلُ »
فقلتُ : « وهل يُرْجَى قريبٌ لرحمةٍ ... وكل ذوِى القربى بلاءٌ اذا حلّوا
أخفُّ افتراساً منهم الليثُ ساغباً ... تجشمه الرزقَ اللبـاءةُ (٢) والشبلُ
وأسلمُ منهم حيةٌ مسَّ بطنها ... أذى الجوع فانسابتْ الى النهش تنسلُّ
أناس كداء البطن زاد صفارهُ (٣) ... فليس بمجـديه الدواءُ ولا البَزْلُ !
سقونى مِن الأوصاب كأساً مريرةً ... ككأس (يسوع) ملؤها الصاب والخلُّ !
لهـم نزقُ الصبيان خفّتْ حلومُهـم ... وأكبرهم همٌّ وأصغرهم كهلُ !
وما عالمـهم عزّى غـداة افتقارهم ... الى عائلٍ يزكو به الجودُ والبـذلُ
وكائن مـددتُ الحبلَ بينى وبينهـم ... فلمـا أساءوا شـدّه انقطعَ الحبـلُ
وليست رُقى الحاوى بمجديةٍ له ... اذا شالت « العمياء » (٤) وانقلب الصلُّ
فمن حمةٍ جوفاء سالتْ سمامُها ... الى أهرتٍ لم تنب أنيـابه العصلُ
وغرّتهمُ منى أناةُ مسالمٍ ... له خلقٌ من دونه الدمثُ السهلُ

---

(١) الشكاك : الذين تدججوا بسلاحهم (٢) اللباءة : انثى الأسد .
(٣) الصفار : ماء الاستسقاء . (٤) العمياء : العقرب .

وكنتُ لهم مفتاحَ كلِّ ملمَّةٍ ... تعسر فيها البابُ واستحكم القفلُ
أقرُّ عباد الله آلفُ وحدة ... خلا من ذوى قربى هم العبء والكلُّ
فلو كنتُ كابن الجو طرت تخلصاً ... من الأهل حيث للنسر فى جوِّه يعلو
ولو كنتُ كابن البحر غصت الى مدى ... يرانى فيه النونُ أنى له مثلُ
ولو كنتُ جوابا نزلت تنائقا ... بها ينزل الرئبالُ والذئبُ والرألُ
فراراً من الأهل الذين كرهتهم ... كراهةَ قالٍ ما له عندهم سؤلُ
فيا ليتَ أنى ما خلقت لأجلهم ... ولا آدَ ظهرى من قرابتهم ثقلُ
ولا شملتنى حاضنٌ بحنانها ... ولا درَّ لى مِن ثدى مرضعةٍ رسلُ
ضلالا لهم ! ماذا يريدون من فتى ... كريمٍ ، على الاعسار ما شأنه بخلُ
خليق بمأثور الحديثِ اذا جرَى ... من القول ما يزهى به المجد والنبلُ
وأيُّ فخار فى ثراء ذوى غنى ... خزائنهم خصبٌ وأخلاقهم محلُ ؟
علىَّ عزيز أن يغشّوا كرامتى ... كأن ليس لى فى حبهم حسبٌ جزلُ
ألم يعلموا أن المكارم والعلى ... لها دوحةٌ هم فرعها وأنا الاصلُ ؟!
يرومون منى أن أساجل هزلهم ... وما الدَّدُ من طبعى ولا شيمتى الهزلُ
أقسّم زادى بينهم ويسبنى ... على بذل زادى منهم الوغدُ والنذلُ
وما كان لى الا وفاء وعودهم ... ولى منهم الإخلافُ والشحُّ والمطلُ
سواسيةٌ فى الكيدِ حتى كأنهم ... ذئابٌ سجاياها الخديعةُ والختلُ

* * *

سيدرون ما خطبى متى لعبت يدى ... بمخصرةٌ فى طيها القولُ والفعلُ
فداك يجنون شرَّ جزائهم ... كما اقترفوا شرَّ المآثم من قبلُ
ولم يك يثنينى عن الثأر قولهم : ... ملكت فاسجحْ أيها الحاكم العدلُ
اذا ما حياضُ الودِّ كدرها الاذى ... فهيهات أن تصفو وهيهات أن تحلو
خذ الاهلَ بالتأديب تأمن غرورهم ... ومن لم تؤدبه العصا فله النعلُ !»

احمد نسيم



مناجاة القمر

في نورِكَ الحالمِ الجميلِ شذَى زهرٌ تنسمته باحسامى
مِن عالمِ السحرِ رحتَ تحمله لكل ذى لوعةٍ من الناسِ
يا حسنَ هذا الضياء منتشراً على غصون النخيل والآسِ !
أحلامه ، صمته ، تناعسه يحنو على مهجتى وأنفاسى
كأنما رفرف الحنان به فالروح من لمح ظله حاسى

***

يا بدرُ كم فى الحياة ذى ألم يودّ لو بات تحت أرماسِ
وساهمٍ قلبهُ بأضلعه يرنُّ فيها رنين أجراسِ
وساهرٍ حائرٍ ومضطربٍ وصارخٍ من حبيبه القاسى
فابعث اليهم بالنور ينقذهم من غمرة الحزن أو دجى الياسِ

***

يا بدرُ ما لى أراك مختبئاً وراء نخلٍ أغرَّ ميّاسِ
قد همست بالصلاة أغصنه ورتلتها لنورك الآسى
كأنه والنسيم يشبعه لثماً حسانٌ رقصنَ بالراسِ !

***

يا بدرُ قل للتى بذلتُ لها ما تبتغى من حبٍّ وإيناسِ
ثم نأت فالدموعُ حائرةٌ على ذراعى وفوق قرطاسى
« فؤاده ما يزال يذكركم وإن نسيتم فليس بالناسى ! »

أحمد مخيمر

فى مصيف الآلهة

فى شمال سورية تشمخ سلسلة جبال تعرف « بجبال العلويين » أو باسمها الحكومى « جبال اللاذقية » تمتد على الساحل الفنيقى مسافة طويلة ، من جبال لبنان جنوباً حتى جبال طوروس شمالا .

فى كبد هذه الجبال الجميلة أنشأت حكومة اللاذقية ، منذ ثلاث سنوات ، مصيفاً بديعاً ، يمتاز عما سواه من المصائف بأنه لا يقوم فى مكان قرية بل ، ابتناه سراة البلاد على نفقتهم ، اذا شادوا دورهم الرحبة على هضابه الخضراء وبين حراجه الكثيفة . وانشأت الحكومة فيه فندقاً فخما من الطراز الأول ، ثم شقت الطرقات ومهدتها بين جميع نواحى المكان وفى قلب غاباته المكتظة الأشجار ، وأقامت فيه ملاعبَ للرياضة ، فتم فيه جميع ما يحتاج اليه المصطاف من نزهة ومراح ، وتسلية وانشراح .

ويمتاز هذا المصيف أيضاً بكثرة أشجاره الباسقة ، وغاباته المتعددة الملتصقة بعضها البعض ، حتى ان الاسم المعروف به ينطبق عليه تمام الانطباق ، فان اسم « صلنفة » المسمى به محرّف عن « سيلفان » وهو ربّ الأشجار وآله الأدغال عند الأقدمين ، وجميع القرائن الموجودة هناك تدل على ان هذه البقعة كانت آهلة عامرة فى قديم الزمان . والباحث فى تاريخ سورية يعلم ان عبادة إله الغابات كانت شعائرها مقامة فيها ، وان أجدادنا الفنيقيين كانوا يؤمنون بها . ولما جاء اليونان والرومان سورية ، وأقاموا عباداتهم الوثنية فيها ، اختاروا هذا المكان لعبادة هذا الإله لامتياز هذا المكاق عن سواه ، أولا : بجمال موقعه . ثانياً : بتعدد مناظره ، ثالثاً : بكثافة حراجه .. وأطلقوا عليه اسم الاله ، الذى تحرف مع الزمن الى « صلنفة » .

***

هذى (صلنفةُ) ،فى الجبال حراجُها تكسو المصائفَ بهجةً وجمالا
أشجارها تحكى عمالقةَ الدهو رِ كأنها نصبتْ لهم تمثالا
متحابكات بالغصونِ ، فلم تدع حتى إلى سهمِ الشعاع مجالا

أزهى بها «الاسترك[١]» ذوالعطر الزكى ... وتنوعتْ ذات الشذا أشكالا
إن هزّ ها عصفُ الرياحِ ، حسِبْتها ... متصاولات يلتحمن قتالا
تنبيك عن قِدم الوجود جذوعها ... فتمدُّ فى طبقاتها الأجيالا
بثباتِ قامتِها ، وميلِ غصونها ... تبدى لراءٍ هيبةً ودلالا
وبظل ذى الأجمِ الكثيفة مهدوا ... دربَ التنزُّهِ قبلةً وشمالا
أسموهُ « درب العاشقين[٢] » تفنناً ... فتفنّن الشعراءُ فيه مقالا
يسرى هواهُ على الخدود بقبلةٍ ... فيُرى العناق ، تصوُّراً وخيالا
كم ظنَّ مغرورُ الهوى ، صيد الظبا ... سهلاً ، ولكن ذاك عزَّ منالا
وتُرى السما زرقاء صافية ، وخضر ... الراسيات ، بأفقِها تتعالى
ويقوم كالصرح المشيَّد ، فندقٌ ... ضاهى الخورنقَ ، رفعةً وجلالا
الزهرُ فى جنباته متناسقٌ ... وصفوفه بمدارجٍ تتوالى
فالماء من وادٍ عميق مصعدٌ ... والكهربا بسنائها تتلالا
إن قال يوماً واصفٌ : « ذى جنة ... الله البديع ، بأرضه » ما غالى !

قسطنطين يوسف

---

(١) « الاسترك » Styrax هو شجر يستخرج منه لبان جاوى ذو عطر زكى . وهو يكثر فى صلنفة وغاباتها . .

(٢) إشارة إلى الدرب الذى شقوه حول هضبة تملأها غابة عذراء، وقد أطلقوا عليه هناك «درب العاشقين» لتخييم الأشجار الباسقة عليه، ولمناظره البهجة المطلة على الأودية . ومنه يرى البحر الأبيض فى الأفق البعيد ، والساحل السورى الممتد إلى مسافة بعيدة ، وفى أوقات الصحو تُرى جبال قبرص فى كبد الأفق .

من الأعماق

(وحي البحر عند شاطىء اسبورتنج برمل الاسكندرية)

جَلستُ اليوم في شَجنٍ ... وموجُ البحر يُنشدني
قصيدَ الخُلد منبعثاً ... من الأعماق والفتن
ووحيُ البحر خمرتهُ ... إلَهُ الشعر يسقيني
هواءُ البحر نفحتُه ... كلحنٍ الماء تشجيني
ومعنى الشمس في الماء ... يزكيني ويهديني
وزرقةُ مائهِ الصافي ... بأحلامٍ تناجيني
وهذا الافقُ في سعةٍ ... كعمقٍ البحر يسبيني
ومَرْأى البحر في عِظمٍ ... كمعنى الخلد يُحييني
ومَرأى الصخر منفرداً ... كمعنى النسكِ في الدينِ
وضحكاتُ الألى سادوا ... على الشطّ تغذّيني
وهذى الغادةُ الهيفا ... ءُ تمشى في قرابين
ووثبُ الحسن في الماء ... كوثبِ النورِ يغويني
جمالٌ كلهُ فِتنٌ ... تناهت في أفانينِ

مصطفى عبد اللطيف السحرتي





هل تنظرين ...؟

هل تنظرين لمغرمٍ صبٍّ يرجو، ويأمل نعمةَ القرب ؟
أيقظتِهِ من بعد غفوته وأثرتِ فيه دواعيَ الحبِّ
وتركته من بعد هزأته حيران من جنب الى جنب !
إني لألمح منك عاطفة مشبوبة فى البعـد والقرب
ويهزني شوقاً، ويأسرني سحرٌ يموج بصوتك العـذب
ما هذه النظرات حالمـةً تسرى مهوّمة الى قلبي ؟
ما هـذه الأنوار مشرقة تزرى بنور الشمس والشهب ؟
ما هـذه القامات صـاعدة كالغصن ماس ومال من عجب ؟
ما هذه الدنيا التى سفرت فى طلعـة فتانة تسبي ؟
إني لأصبو ثم تزجرني عمـا أريد بواكر الشيب !

***

هـذا الفؤاد وقد نزلت به قد ملَّ طول الهجر والعتب
فاحنى عليه فقد غدا غرضاً أعيا الأسـاة، وخيلة الطب
وتعهـديه بـكل عاطفة تنسيـه ما عاناه من خطب
ماذا عليك لو شفقت به وقتلت فيـه بوادر الريب ؟
وجعلته فرحان مبتهجاً طلق المحيـا، دائم الوثب
وسفرت عن أملٍ له نضر مل النواء بحومة الغيب ؟
إن تأخذى بيـدىّ مرحمـةً فلأنت فى هذى الدنى حسبي !

عبد العزيز عتيق



الملوان (١)
أو
صراع الزمن

نَشرَ الفجرُ ضِياه وَمَضى بين أنقاضِ الدُّجى باهٍ فخورْ
أشعل الأفق بنيران العضا فتولى الليلُ مَدْحوراً كسيرْ
وجموعُ الطير ، تشدو طرَبَا فى نضير الرَّوْض ، أو عرْض البطاحْ
منهمُ يَبكى الليالى ندَبَا وفريقٌ سَرَّهُ نورُ الصباحْ

***

توّجَ الصبحُ رؤوسَ الأُفقِ وأعارَ الشمسَ قرْنَ الذهبِ
وَمَشى يَسحب ذيلَ الشفقِ حِليَةَ الحرب « وغار » الغلبِ
لفَظ الصُّعَدَا بفيْحٍ عبِقٍ رَقصَ الدَّوْحُ له من طرَبِ
ذاك نشرُ الفجر أو ريح الصّبا ساقها الاصْباحُ من بَعدِ الكفاحْ
صرَعَ الليلَ فولى هرَبا وأراحَ الكونَ منه واسترَاحْ

***

كان بَينَ الصبح والليلِ خِصامٌ وَصِرَاعٌ من قديم الزمنِ
قيل إن النورَ حقٌ وَسَلامٌ وَظَلامُ الليْلِ اسُّ الفِتنِ

(١) الملوان : هما الليل والنهار

ورَحَى الحرْب سجالٌ وجِمامٌ   وليالٍ أدْرجَتْ في كفنِ
طوَّحَ الدَّهرُ الليالى القشبا   كانت الشمْسُ بها كأسا ورَاحْ
وأدَارَ القوْمُ فيها ذهبا   ولقوْا فيها هناءً وانشرَاحْ

* * *

شهِدَ الليلُ عناءَ العاشقِ   وَحديثَ الحُبّ في جُنح الظلامْ
ورأى منتفضاً من خالقِ   ما أتاهُ الناسُ من شرّ وذامْ
فتوَلى سابقاً في لاحقِ   وأعادَ الدَّهرُ تاريخ الأنامْ
فاذا الصُّبْحُ أتى مرْتقبا   لبسَ السفَّاحُ أثوابَ الصلاحْ
وَمشى فى الناس يدْعو حَرَبا   لأثيمٍ بَين بُرْديه سِلاحْ

* * *

أترَى الدهرُ : نهارٌ ساحرٌ   وَدُجَنٌّ لابسٌ بُرْدَ الحِدَادْ
وصِرَاعٌ هالكٌ أو ناشرٌ   منهما الآخرَ ، والعيْشُ بَدَادْ
أم حياةٌ ضلَّ فيها حائرٌ   ليس يَدرى عقلُه أمر السدَادْ
يَنقصُ الأيامُ منا نهَبا   عمرنا الغالى كحقّ مستباحْ
نأمَلُ العيشَ قريراً طيّبا   أىُّ رغدٍ فى صراعٍ وكفاح !؟

توفيق أحمد البكرى



نقد وتعليقات

انصاف الشباب

كنا أشرنا الى الوعد الذى تلقيناه من غير واحد من أعلام الأدب بمعاونتنا على إخراج آثار السلف الصالح من شعر ونقد أدبي ، وما نزال على هذا العزم متى صحت عزيمة أولئك الأفاضل .

وقد رأينا ـ الى جانب هذا ـ المساعدة فى انصاف جهود الشباب و ُفقنا الى رصد مبلغ من المال باسم (ندوة الثقافة) ليتناوب أعضاؤها فى اقتراضه تباعاً لاخراج مؤلفاتهم القيمة ، على أن توجَّه العناية بصفة خاصة لاخراج مؤلفات الشباب الذى كثيراً ما يذهب ضحيةً لأنانية الشيوخ . وقد لاقت هذه الخطوة ارتياحاً كثيراً ، ولم نقرأ عنها الا كلمة نقد لأديب عدّ ذلك تغريراً بالشباب ، كأنما الحكمة العليا هى فى ارضاخ هذا الشباب للدعاية والاعلان لهذا الزعيم أو لذاك ، وأما صيانة كرامة الشباب وشخصياتهم الأدبية وتشجيعهم على الانتاج المجدى وفتح سبيل الرجولة الحقة أمامهم فهو التغرير بهم !

وكم ذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكا !

ألقاب الشعراء

لعلنا أول من حارب التهالك بين الشعراء على الألقاب والطنطنة ، حتى أننا أبينا على المرحوم أحمد شوقى بك رئيس جمعيتنا الأول لقب أمير الشعراء ولو أنه أحرز ذلك اللقب فى مناسبات خاصة لها دواعيها ، ولكن اللقب ابتذل وأسىء تفسيره فكرهناه ودعونا الى التخلى عنه وعن أمثاله . وقد أبينا على رئيسنا الحاضر خليل مطران لقب شاعر الأقطار العربية وعلى الشيخ عبدالله عفيفى لقب كبير الشعراء وعلى عباس محمود العقاد لقب أمير الشعراء الذى كان هو نفسه والدكتور طه حسين يستنكرانه من قبل ـ ذلك لأننا نعتقد أنّ حب الفن وحب الطنطنة لا يجتمعان ، وأن خير الشعر وكرامته فى أن تكون له جمهورية خالصة . ولقد حدث ما كنا

نخشاه فقد حوت جريدة (صوت الأحرار) البيروتية أقسى التهكم فى النقد لصبيانية الأدباء المصريين ... فالى متى هذا العبث ؟

الهواء النقر

كتب فاضلٌ من الشباب المنصورى هو الأديب عبدالفتاح حمودة مقالين فى نقدنا بجريدة (الوادى) لم يتح لنا الاطلاع الا على ثانيهما وقدختمه بهذه العبارة : «ونرجو أخيراً أن يغتفر لنا الشاعر اذا كنا قد أسأنا فما قصدنا الا الاصلاح ، فان كان كذلك فقد وضعنا فى صرح النقد الحر لبنةً ، وإن كانت الاخرى فنرجو ألا يخطئنا التوفيق مرة أخرى » .

ونحن ازاء هذه الروح الطيبة نعلق بكل صراحة على كتابته ، ونسقط ما تلقيناه من ردود شديدة على حضرته مع شكرنا لحضرات الكتاب ، وإن لم يسرنا قيام هذا النزاع حولنا على غير طائل ، راجين بعد هذا أن يتقبل ملاحظاتنا قبولاً حسناً :—

(١) نلاحظ أن جريدة (الوادى) لم يفتها نشر هذا النقد المنتقص لنا فى مكان بارز بعناوين ضخمة مع أنها أسقطت من قبل تنويهاً بأدبنا فى مقال للشاعر محمد احمد رجب وقد شكا الينا حضرته من هذه الفعلة . وبطبيعة الحال لانتهم صديقنا الفاضل الدكتور طه حسين بشىء من ذلك ، كما لانتهم أحداً من أفاضل محرريها ، ولا نقول ما يقوله غيرنا من أن الحظ فى (الوادى) هو لذلك الشاعر أو الكاتب الذى يكون له مريد أو مريدون فى قلم تحرير (الوادى) فيخلقون له دائماً جو التقريظ المنشود ولغيره عكس ذلك — لا نقول شيئاً من هذا ، وانما يكفينا أن نقول إن قلم تحرير (الوادى) يزدان بمحرر اشتهر بتزويره قصيدة من أفحش الطعن فينا وفى (جمعية أبولو) باسم المرحوم شوقى بك ، وبشرح قصيدة هجاء قذر ينظمها مثل كامل كيلانى عنا ، وحسبه أن يكون كفيلاً بتسميم جوّ (الوادى) ضدنا واغفال أبسط التقاليد الصحفية من حضرات الزملاء الأفاضل نحونا .

(٢) تدل كتابة ناقدنا الغيور دلالة واضحة على حاجته الصريحة الى الاستيعاب الطويل لأصول النقد قبل أن يغامر مثل هذه مغامرة على قلة استعداده لها . أليس عجيباً مثلاً أن يجازف حضرته بأحكام ونصائح خلقية وهو لايعرف عن كثب شيئاً عن خطتنا وأخلاقنا ؟ أليس من العيب الفاضح أن يكتب مثله عن

استجلاب الثناء « وشيلنى وأنا أشيلك » ونحو هذا الهذر الذى لا يليق أن يُكتب عن أديب يلتفّ حوله عشرات من الشعراء والكتاب ويبث تعاليم الاستقلال والشخصية الأدبية فيهم بكل ما وسعه من قوة ؟ وهل يعتقد حضرته حقاً بأننا أهل لمثل هذه الخطبة المنبرية بعد ما بذلناه بإيثار كلى لخير الأدب المحض ولو ضدّ أنفسنا ؟ إنّ كتابته هذه هى بمثابة النقد التأريخى لظاهرة اجتماعية أدبية . فكيف يبيح لنفسه هذه المجازفة وهو يجهل خطتنا كلّ الجهل ولم يحتكّ بنا مطلقاً ؟ ! إذا شئتَ أيها العزيز أن تنتقد فانظر الى الأقلام المأجورة والدعايات المكشوفة للإعلان المتواصل فى الجرائد عن تآليف هذا المهرّج أو ذاك بأساليب يندى لها وجهُ الحرّ ، ودعك من التهجم على التصانيف الأدبية البريئة إذا ما تضافر على إبرازها رجالٌ تضمهم مدرسة ثقافية واحدة وبينهم الاعجاب الصريح المتبادل .

(٣) إنّ ملاحظاتك أيها العزيز هى بمثابة ملاحظات أبجدية لا يجوز أن تتسع لها أيُّ صحيفةٍ فضلاً عن صحيفة سيارة كالوادى . أليس من المضحك حقاً أن تقول عن رجل فى العقد الخامس من عمره وله من المرانة الشعرية أكثر من مرانة ربع قرن أنه يرصّ كلماته رصّاً ويرضخ لضرورات القافية ؟ ! أليس من المدهش أنك لا تفهم حتى روح قصيدته التى يودّع فيها وطنه وأحبابه وهو على اليمّ فى سفره ؟ ! أليس من العجيب أن تعكس معانيه عكسا ثم تجىء فتنتقدها فى غير تورّع ؟! أليس كلُّ هذا مظهراً غريبا من مظاهر الغرور لافتراضك أنّ مَنْ تنتقده هو دونك ذكاءً وتأمّلاً وحساسية ؟ !

(٤) يَعُدُّ الشاعرُ المستوعبُ جميعَ شعره بمثابة وحدةٍ متماسكةِ الأجزاء ، ومنْ ثمة كان له أن يكتفى بصورةٍ عامةٍ لمشهد من المشاهد فى إحدى المناسبات ولا يرضى الا بصورة مفصّلة فى مناسبة أخرى . فكيف تبيح لنفسك أن تسخر من قدرتنا على وصف الطبيعة مع أنّ فى ديوان (أنداء الفجر) ـ على صغره وعلى طفولته ـ ما فيه من تقديس الطبيعة ووصفها ؟! هل هذا من الصدق والانصاف ؟ ! أما كان الأولى بك أن تدرس نفسية الشاعر والعوامل الوجدانية التى تكيّف شعره بدل أن تتورّط هذا التورّط الغريب فى مؤاخذات لا معنى لها ؟

(٥) يظهر أنّ حُبَّ النقد الأدبى — على غير استعدادٍ له — قد تفشّى بين أدباء الشباب كما تفشّى حُبُّ الصحافة من قبل ، وبذلك أصبحنا لا نظفر الاّ بالأبجديات وبتشويه أغراض الشعراء والمؤلفين وانتقاص فنّهم ، مع أن العيبَ عيبُ النقّاد

أنفسهم الذين ليست لهم مؤهّـلات التعمق فى نقدهم الى الدرجة الملموسة عنـد الغربيين أو إلى ما يقرب منها . وازاء هذه الحالة فالفراغُ الصحـفى الذى يُسمح به لما يُنْعَتُ بدراسات « حرّة » هو فراغٌ ضائعٌ لا محالة ، إذ لا نتيجة له سـوى التشويش على الأذهان والتعالى على حساب الأدباء المبدعين والضحك على الذقون!

رواد الشعر الحديث

أثار هذا الـكتاب الذى أصدره الشاعر الناقد مختار الوكيل فى الشهر المـاضى ضجة كبيرة فى الأوساط الادبية وخصوصا بين من يعشقون الشعر الـكلاسيكى فرأى قوم انه كان من الضرورى ذكر شوقى بين من ذكرهم المؤلف ورأى المؤلف أن شوقى رجل كلاسيكى النزعة فى جميع شعره تقريباً وهو متـأثر بمطران فيما عدا ذلك ، وأما عن مسرحيات شوقى فالمؤلف يرى أنه متأثر فيها بأدب اسماعيل عاصم ونجيب الحداد ، والجميع لم يبرعوا من الناحية المسرحية ، كما أن جميـع نظمهم كلاسيكى الصورة ، والخلاصة أن شوقى فى رأيه قنطرة بين القديم والحديث فهو بين بين . وليس فى هذا أى مطعن فى مواهبه الشعرية ، وانما فيه على اعتبار المؤلف تحديد دقيق لمزاجه ومناحيه ، وليس مجرد تأليف رواية شعرية مما يدخل الشعر فى الجو الحديث كما لا يعدّ أى وصف للمخترعات الحديثة من فنون الشعر الحديث اذا كانت الروح نفسها قديمة محافظة .

وقد سُرَّ أغلب النقاد بما ظهر به المؤلف من ضبط القـلم والرغبة الصريحة فى الانصاف فلم يفته التنوية بفضل العقاد ومواهبه بينما آخذ العقاد من قبل على بعض المنات والتصرفات فى مجلة (أبولو) وغيرها ، وانّ من روح الإيثار (self- denial) أن يكتب شاعرٌ من شعراء الشباب هذا الـكتاب النقدى رغبةً خالصةً منه فى شرح المذاهب الشعرية الحديثة وتعيين رُوّادها فى الوقت الذى اختـلط الحابل بالنابل وتفشّت الأنانية بين النقاد والمؤلفين .

معايب الانتقاد

ننتهز فرصة البداية بمجلدنا الجديد لنرحّب بكل نقد صريح يوجَّه الى تحرير هذه المجلة وإخراجها ، معتبرين ما يمـكن أن يُظَنَّ معايب أو شوائب فيهـا من ملازمات الاتقان لا الاهمال ، فان الـكمال لله وحده كما أن الآراء الأدبية والفنيـة تختلف كثيراً فى الأحكام . ومبدؤُنا دائماً التدقيق والتمحيص فى كل ما يُنشر ، ولنا بعـد ذلك غرضٌ أدبىٌّ صريحٌ من نشره .



السيرة النبوية

عُنيت وزارة الأوقاف المصرية عنايةً مشكورة بوضع جائزة مالية قدرها مائة جنيه للمسابقة فى وضع نموذج عصرى بليغ للسيرة النبوية يصلح للترتيل بدل السير القديمة المشحونة بالكثير من الخرافات .

ولما كانت صياغةُ السيرة النبوية سواء نثراً أم نظماً هى فى صميمها صياغة شعرية ، فنحن ننبه المسلمين من أعضائنا الذين ينسجم ذوقهم الفنى ومثل هذا العمل المجيد الى المبادرة اليه ، فيحسنون ويستفيدون على أي حال استفادة المصلح المطمئن الضمير بغض النظر عن المكافأة المالية الموقوفة على الفائز الأول .

لقد كان النبي ﷺ مثالَ الجمال فى تصويره وفى شمائله بشهادة التاريخ الصحيح كما كان انساناً عظيماً فى رجاحة عقله وبُعد نظره وغرّ مآثره . وهذه كلها دواعٍ نبيلة للشعر المؤرّخ الوصّاف ، وللنثر الفنى البليغ . فليتقدّمْ الى هذه المسابقة الطيبة كلُّ مَنْ آنس فى نفسه القدرة والجاذبية الى هذا العمل الفنى المجيد ، وأملنا أن يكون السبّاقُ المجلى أحدَ شعراء (أبولو) النابهين .

ذكرى اسماعيل صبرى

سنخصّص العدد الآتى من (أبولو) أو معظمه لذكرى المغفور له اسماعيل صبرى باشا لمناسبة مرور عشر سنواتٍ على وفاته . وقد تناوله بالدرس الشاعر الشهير أحمد محرم دراسةً مستفيضةً تُعدّ من أبدع ما كُتب عن الفقيد العظيم . ولعلنا نتلقى من أصدقائه بعض الصور التاريخية الجديرة بصحبة هذه الدراسة النفيسة التى نوجّه اليها سلفاً أنظار القراء .

الياذة اسلامية

يُعنى الشاعر المشهور أحمد محرم وكيل (جمعية أبولو) عناية خاصة بالتاريخ الاسلامي وقد وجّهها أخيراً الى وضع إلياذة اسلامية كبرى. وهذا العمل الجليل مما ينوء به أفراد فضلا عن فرد واحد كيفما كانت عبقريته، ولكن لشاعرنا القدير من الطاقة الشعرية واللغوية ومن المحبة البالغة للاسلام ما يجعله أهلا للاضطلاع بهذا العبء الجسيم. بيد أن من الانصاف أن نقول إنّ عملاً أدبياً اسلامياً من هذا الطراز الفذّ يحتاج الى التوفّر التام عليه، وهذا لن يكون بغير المساعدة المالية المعقولة من وزارتي المعارف والأوقاف ومن الجامعة الأزهرية، وهو ما نرجوه من صاحبي المعالي وزيريها الأديبين العالمين ومن فضيلة شيخ الأزهر، خصوصاً ومصر معدودةٌ مركز الثقافة العربية الاسلامية فمن غير المعقول أن يُخذل شاعرٌ من أكبر شعرائنا فى هذا الجهد العنيف الذى يريد به تتويج سمعتنا الأدبية فى العالم الاسلامى.





على النای

دَاعِي النَّاىَ يُغَنّ قد يُسَرِّى النَّاىُ عَنّى
إن فى جَنْبَىَّ قلباً نائحاً شبهَ مُغَنٍّ !
وعلى رأسِيَ طيرٌ قامَ يَشدُو وَيُمَنّى
رَجِّعى ألحانَ طيرِى أوْ خُذِى عَنْ لحنِ أَنّى
وَدَعِى النّاىَ يُترْجِمْ لِأَناشيدِى وَفَنّى !



هَجَعَ الناسُ وَلمَّا يكتمل بالنوم جفنى
ما نأى شخصُكِ إلا وَدَنا طيفُكِ منّى
قد يُسَرِّى البعدُ وَجدِى فيثيرُ الطيفُ حُزنى
يا لَعُمرٍ قَدْ تَقضَّى بَين يَأسٍ وتمنٍّ!
وكأنّ العُمرَ عهدٌ بَين آلامى وبينى!
لا أطيقُ المَنّ لكنْ إسمحى لى ثمّ مُنّى؟!

أحمد فتحى



البعــــد

أوحَى لعينىّ السهرْ سِحرٌ بعينيهِ استقرّ
فشكوتُهُ وشكا إلىَّ سهادنا حتى السَّحَرْ
وكم اختلفنا للرُّبى فى ظلّ ليلٍ نستترْ
ثم ارتمينا نرتوى من راحنا بين الزهرْ
لله عهدٌ ضمنا أقصاه فى الغيب القدرْ
بكت الطيورُ لبعده وله السحاب قد انفطرْ
ولقد ذوى الورد النضيــرُ وجفّ فى الروض الشجرْ
إنْ غيبوه فاننى ألقاه طيفاً فى الفكرْ
وأراه فى غيمِ الدموعِ اذا استفزتْها الذِّكرْ
أهديه ما مرّ النسيــم لواعج الشوق الأحرّ
وأنا الوفىّ لعهده إن غاب عنى أو حضرْ

حسين عفيف



وحى الشاطىء

بالله حدّثنا حديثـــك يا جمالُ بلا تقيّـةْ
ما ذا رأيت على (ستانلى باى) بالاسكندريهْ ؟

* * *

أشهـدتَ أنصافَ الـكوا مى ينتثرن على الشواطى
مثل الـكواكب فى السّماء أو اللآلىء فى البساط ؟

* * *

أأرحتَ جِسمك مِن متا عبه ، وقلبَك مِنْ أساهْ ؟
وكرعتَ من ماء الحيا ة فعدت ممتلئاً حياهْ !

* * *

أم عُدْتَ موقوذاً بسهـمٍ صوّبَتْهُ اليك عَيْنْ ؟
فعرفتَ أنّ على جفونِ الغيـــدِ حَيْناً أىّ حَيْنْ

* * *

ماذا لقيتَ من النهود ؟ وويلتاه على النهـــودْ !
متـــنزّيات فى الترائبِ كالولائدِ فى المهودْ !

* * *

نَزَقٌ يمـــورُ بها على رغمِ الصلابةِ والجمودْ !
بَرِمَتْ بدغـدغةِ الوجو دِ ، فآهِ من عبث الوجود !

* * *

مترهّبــاتٍ في حِلًى بيضٍ قلانسهنّ سـودْ !
يُرْحَمْنَ مِن طولِ القيا م وليس يَعرفن السجودْ !

علي أحمد باكثير

إمرأة . . . .

مخْدُوعةٌ وخادعــــهْ مَروعةٌ ورائعــــهْ
مَقطوعةٌ وقاطعــهْ مَبيعـــــةٌ وبائعهْ
ثائرةٌ ووادعـــــهْ مُطاعةٌ وطائعــــهْ
عِطرُ الشرورِ اليانعهْ دوحُ الجسومِ الجائعهْ
طيرُ الشّقاء الساجعهْ دَوْحُ الفتونِ الدائعهْ
شمسُ الأماني الساطعهْ صرحُ الأماني الضائعهْ

* * *

بنتَ الليـالي الرادعهْ تعـلّمي يا شائعـهْ !

مصطفى كامل الجنزوري





تكريم ناجى

أولم كثيرون من المعجبين بالشاعر الدكتور ابراهيم ناجى وكيل (جمعية أبولو) وليمة عشاء فاخرة بمطعم سانت جيمس بالقاهرة فى منتصف يونية الفائت تكريماً لنبوغه لمناسبة صدور ديوان (وراء الغمام). وقد اشترك فى التنويه بفضله غير واحد من الشعراء والفنانين بحيث لو جُمع ماقيل فى تلك الحفلة الباهرة لكان كتاباً أدبياً نفيساً لا يقل فى حجمه عن عدد ممتاز من أعداد (أبولو). ولذلك تحث لجنة الاحتفال - على سبيل الذكرى والفائدة الأدبية - على إخراج مثل هذا الكتاب الأدبى التذكارى.

وما من شك فى أن ناجى شاعر غنائى « مِثالى » تأثر به غير واحد من الشعراء الغنائيين تأثراً عميقاً وهذا من دواعى تكريمه الصادق. والشعراء « المثاليون » بيننا قليلون، وعلى سبيل البيان نذكر منهم خليل مطران وعبدالرحمن شكرى. فقد تأثر بالأول خليل شيوب وايليا أبو ماضى غاية التأثر، كما تأثر بالثانى عباس محمود العقاد وابراهيم عبد القادر المازنى. وهذه الصفة « المثالية » وحدها جديرة بالتنويه والتكريم، فضلا عن مزايا الشاعر الأخرى التى يحوم النقاش حولها بين نقاد الشعر حسب ميولهم وأذواقهم الفنية التى تختلف بطبيعة الحال اختلافا كبيراً وتختلف تبعاً لذلك أحكامهم. ولكن الصفة « الفنية المثالية » ذاتها يجب أن تكون فوق كل خلاف ولا يجوز أن تغمط حقها مهما طغت الشهوات والأهواء بين النقاد.





الألحان الضائعة

نظم حسن كامل الصيرفيّ ، ١٠٤ صفحة بحجم ٢٣½ × ١٥½ سم .
مطبعة التعاون بالقاهرة . الثمن ٥٠ مليماً

في ذمّة الفنّ ألحانٌ تضيع ، وفي أصدائها قطعٌ من قلب فنّان
تجرّع الألم الدامي فحوّله إلى ترانيم عشاقٍ وألحانِ
يُسقى العذاب ، ويسقي الناس أكؤسَهم صفواً من النور في ظلماء أشجانِ

* * *

هكذا يغني الصيرفيّ في واحته المنسية ، وهكذا تمر لوحته الخيالية بين ناظري في عزلتي بالريف ، فتنبعث منها أنّاتٌ صارخة ، هي شكوى الفنان من بيئته العمياء التي لا ترفع أجفانها إلا على قرع النواقيس يقلقنا بها عشاق الشهرة الذين لم تواتهم الطبيعة بأدب رفيع يغنيهم عن تلك الأساليب الدنيئة من طلب المجد على حساب أدب غثٍّ رخيص ، فراحوا يقيمون لأنفسهم نصباً من مدائح المفتونين المخدوعين من جهلاء القوم فيثيرون في جوّ الفن ضجيجا وصخبا يضمحلّ تحتهما مجد الفنان الأصيل الذي خلقَ ليبتدع ، وليغذى الروح الانساني بإلهام منه وقدرته ، ولكن هناك أبصاراً نفاذة تخترق تلك الدعايات الكاذبة الى ذات الفن ولبابه ، فتقدّر منه ما يستحق التقدير ، وتطرح ما دون ذلك ظهريا . وإني لأحسّ بمض من الألم كلما أمعنت في مطالعة (الألحان الضائعة) ولكنه الألم العبقري اللذيذ ، الذي يترعه الشاعر على ألحانه ، فيتطاير منها إلى النفوس العالية التي تجد في مثل هذه الحياة العميقة الهادئة لذة ومتاعاً للروح ، تشوبهما تلك الأطياف السود التي تتراءى في ظل إنسانية هوجاء طغت عليها المادية فأتلفت منها الجانب الروحي الذي لا ينهض الشعر — والفن على الاطلاق — بدونه ، والتي ينشرها الزمان على كثير من أرواح العبقريين من نوابغ الأمم فيؤدون رسالاتهم في صمتٍ وقد عزفتْ عنهم الحياة

فلم تصغِ لهم ولم تتلفتْ إلى فنهم الموهوب ، فتتحول دفة الفن من أيديهم دون أن يشعروا الى سخط على الناس والزمان ، ويخسر المجتمع شيئاً كبيراً من حضارة الفكر لو سعدوا بالانصاف والتقدير لما تخلفت منها ذرّة هباء ... اسمع للصيرفى فى قصيدة « الشاعر والزمان » :

قد هربَ الدهر فلم يستمع ... للعازف اللحنَ ، ولا الشاديهْ
وقام فى ثورة أحلامه ... يطعَنُ فى طغيانه ساقيهْ
وأنهُ المطعون فى قلبهِ ... مطموسةٌ فى الصرخة الداويهْ
ما الشاعر الموهوب إلاّ دَمٌ ... على نصالِ القوة الطاغيهْ

وأصغِ إلى تلك الألحان الجريحة التى تتدفق من أبياته فى صدق شعور ، وانسجام معنوى دقيق لا يدركه إلا ذو النظر الشعرى البعيد ، فما أنت سامعٍ إلا بكاء فنان جازع من إجحاف بيئته وعدم تقديرها لفنه ، إنها مصر ! وانه الأدب المحض اللباب يشقى فى وسطها الملوّث الدنس الذى عاث فيه جماعة من أدعياء الأدب والشعر لن تستطيع مجاراتهم فى الشهرة التى يشترونها بدسّهم وتفاقهم وملقهم ولو حملت فى يمينك روائع شكسبير أو إلياذة هومير .

أظهر ما يتجلى فى هذا الديوان نزوعه الى المعانى التجريدية التى قلما ينضجها الشباب ، وتلك ظاهرة جليلة فى الشعر الحديث نرحب بها ونمهد لها السبيل لتأخذ مكانها من نفوس الموهوبين من شعراء الشباب ، ومن أخص ميزاتها التسامى عن مدارك العاديين فلا يحس بعذوبة الفن فيها وتساميه إلا ذوو المدارك العالية لأنهم بإزاء فن عال خصيب ، لم يهيأ للتسلية واللهو الوجدانى الضحل الذى يطرب له العقل الساذج السريع التنقل ، وإنما خلق ليكون مسرحا للنظر الشاعرىّ العميق الذى يلتمس الشعرَ إنسانيا عاليا يتخلص من ربقة القيود القديمة التى استغلت قرائح الشعراء للمناسبات وأجبرتهم على النظم فيها إجباراً فبلينا من تراثنا الأدبى القديم بشعر تاريخى يسجل الحوادث تسجيلا ، أما الوتر الفنى فلقد ظلّ معطلا الى عهدٍ قريب حتى هزّه فريق من شعرائنا المجددين ، نعتبر الصيرفى من شخصياتهم الناهضة ، وقد مجّد الشعر فى رسالته بالألحان الضائعة تمجيداً غالياً يدل على أن شاعرنا مخلص لفنه يستوحيه من دقائق تصوراته ذات الصلة القوية بحياته الشخصية الخاصة ، فالصيرفىّ ذو الجسد الشاحب ، والعينين الباهتتين الغريقتين ، هو الصيرفى

الذى يكتب للربيع أغانيه السبعة فيندب فيها ضيعة شعره ، ويتوجع فيهـا للشاعر الموهوب تبتلع الحياة ألحانه ابتلاعاً ، فتارة يقول :

يا أغانى الربيع فى البلد الضاحك باكٍ لم يستمع لرنينك !

وتارةً يقول :

يا أغاني الربيع عندكِ وزنٌ للنشيد الذى تُنوسِىَ وزنهْ
كان يصبو الى سَماعك بالأمس ليصحو من رقدة الموت فنهْ
فاذا العود لا يردِّدُ لحناً واذا القلب ليس يُسْمَعُ أنَّهْ !

وتارة يقول :

قد سئمتُ الألحان ينشدها النا سُ بجهل مضاعفٍ مفضوحِ
وتطلبتُ من فؤادى شعراً غير شعر الورى بعيد الطموحِ
يا أغانى الربيع .. حوّلتُ نفسى أغنياتٍ من قلبىَ المقروحِ
هِىَ لحنى أضعتهُ فى فضاءٍ ميِّت الحس والصدى كالضريحِ

وهو الصيرفى الذى يقول فى قصيدة (دعينى) :

وماذا يفيد السكون الجميلُ اذا فقد الكونُ صوتَ المغنّى ؟
وهل تنفع العود أوتارُهُ اذا لم تُهزّ لترديد لحنِ ؟

ويقول فى قصيدة (الشاعر) وهى رسالة قيّمة تعدُّ قمة النضوج الشعرى فى ديوانه :

أيخلد الشاعر فى جنةٍ اصداؤه فى أفقها فانيهْ
ما قيمة الفردوس إن لم يذعْ فيها عبيرُ الأنفس الصافيهْ ؟!
سئمتها يا ربّ واستثقلت روحى حياة الجنة الغافيهْ

فيشعرنا بتقديسه ، وانه المرتبه الروحية العليا للسعادة التى ينشدها المنعمون فى الفردوس ، ولا عجب أن نلمس ذلك فى الألحان الضائعة وصاحبها القائل فى إبداع وسموّ تصوير :

وما العطرُ إلا أنةٌ وتوجُّعٌ كأصداء أنغامى ، ورجْع شكاتى
يغنى شجىُّ القلب والناس حوله طروبين بالإنشاد والنغمات !

وقصيدة (وحى الشعر) من روائع شعره الذى مجّد فيه فنّه وشبّبَ بأغانيه التى تنتشله من هَذَر الحياة تشبيب العشق المفتون ، ولا ينضج الفن إلا إذا انسابت فى جميع دقائقه فتنة الفنّان به ، ورضاه عنه مهما عزف الناس عن روائعه الخالدة ، فالايمان الصادر من قلب الشاعر بأغانيه هو الحجر الأول فى أساس خلوده ، ومن أروع ما قال فيها مخاطبا وَحْىَ شعره :

أيها الجاذبى منَ الهذَر الدّا وى إلى عرش ربّة الألحانِ
ومحيطى بكل ما يملأ النفْـــسَ ضياءً ، وناشراً إيمانى
أنتَ وَحىُ الشعرِ المرفّهُ عنى فى حياةٍ أجتـــازها كالأغانى
أنا أشْدو . . والجوّ يبلغُ شَدْوى وأغنى . . لـكن إلى ذوبانِ !

وأحب أن يتأمل القارىء معى فى البيت الأخير ليشعر بما فيه من زهادة روحية ، ولوعة عميقــة على تلك الألحان الضائعة التى غــنّى بها الصيرفى غير نادمٍ على تلك التضحية الانسانية التى تعدّ المبدأ الأسمى للشاعر لـكى يرقى بفنـه عن سخط الجمهور أو رضاه ، ويحلق فى سمائه معتزّاً بشعره ، متأبّيا به عن الإسفاف لتملق الجماهير العاجزة عن الطيران إليه فى آفاقه المنيعة ، وترى ذلك واضحاً فى آخر مقطع من قصائد الديوان وهو « التضحية » :

هنا فى هيكل الحبّ أحقّرُ مبـــدأ الفردِ
وأحرق عنــده قلبى بخـــوراً طيّبَ النّدّ

* * *

ولستُ بنادمٍ يوما على قربانىَ الضائعْ
أجلّ الناس مَنْ يظما ليُرضِى الظامىءَ الجائعْ !

إنّ شاعراً هذا مبدؤه لن تضيع ألحانه مهما تصامّتْ عنها الآذان، والدهر كفيلٌ بإرهاف أسماع المجتمع اليها ، تنزلق على أعراف الأذهان يوماً بعد يوم حتى تصطدم بعقول المفـكرين فترسب إلى الأعماق لتستاف عبيرَ الخلود ! فإذا كان الصـيرفى قد برع فى ذلك الفن من فنون الشعر الواسعة ، ونحى فيه مَنـحى الرمزية التى بدأت تتسرّب إلى شعرنا الحديث ، فأجاد فى كثير من قصائده أمثال « الواحة المنسية » و « السحابة المغترّة » و « عقب السجارة » و « الشجرة العارية » و « الربيـع

الباهت » فإنا نهنئه على ذلك التراث الجديد الذى أضافه الى كنوز الشباب ، ونرجو أن تنضج بقية الفنون الشعرية على يد شعراء الشباب الموهوبين كلٌّ فيما هُيِّئَتْ له عبقريته ، على ذلك المثال الجديد الذى ركّزَ به الصيرفى قوة الشعر الحديث .

وقد نوّه الشاعر فى كلمته الأولى بالديوان إلى تخلُّصه من الذّوق العروضى الى الذوق الموسيقى ، وتعجبنا منه هذه النّزْعة التى سبقه بها شعراء المهجر من السوريين الذين نغموا ألفاظهم الوديعة بمعانٍ ساميةٍ حسب ماتمليه أذواقهم الموسيقية فشممنا عبيرَ الشعر الأندلسىّ إبّان مجده ، وبودّنا لو يرتقع الشعر الحديث عن مستوى التقليد الأعمى لتراكيب العرب وصياغاتهم وأفكارهم فان لكلّ عصرطابعاً ، وأن لكل أمة سِمَةً ، وإذا فقد الشعر الحديث طابَعَ القوميّة وسِمَة التجديد الفكرىّ الذى تقضيه سنة التطوّر ، فقل عليه السلام ؟

محمود حسن اسماعيل

ما قلّ ودلّ

بقلم أحمد الصاوى محمد — جزءان عدد صفحات كل منهما ٢٣٩ بحجم ١٧ × ١٢¼ سم — طبع بمطبعة دار الكتب بالقاهرة

للصاوى أسلوبان فى الكتابة ولكن له روحاً واحدة تتلمسها قريبة ظاهرة فى كلا الأسلوبين واضحة المعالم نهتدى منها الى شخصية الكاتب .

فأسلوبه فى القصة التى يكتبها أو فى القصة التى يلخصها أو فى الموضوع الأدبى الذى يدبجه شعرىٌّ موسيقىُّ الرنين متأنق العبارة والمعنى .

أما أسلوبه فى كتابه الأخير (ما قلّ ودلّ) فهو أسلوبٌ جرَتْ فيه البساطة الى حدٍّ كبير ولكنه بعيد: البساطة ينطبق عليها الوصف الذى، كان يوصف به شعر البهاء زهير، أى انها السهل الممتنع ، ولقد حاول كثيرون أن يقلدوا الصاوى فى هذه البساطة فخرجوا عن حدود الأدب ، وبعدوا عن خفة الروح فكانت مواضيعهم تخرج جافة لا تبعث الرغبة على الاستمرار فى القراءة ، وقد استطاع الصاوى بقلمه الرشيق أن يجتذب لمقالاته أكبر عدد من قراء (الأهرام) يطالعونها أول ما يطالعون من هذه الجريدة .



أحمد الصاوى محمد

وهذه المقالات استمدّ موضوعاتها من الحوادث اليومية ومن خواطر ازدحمت فى رأسه إثر مطالعات أو مشاهدات وصاغها فى سطور قلائل دلت على قدرته فى تلخيص الفكرة واعطائها القارىء الذى أصبح عهدُ السرعة يدعوه الى أن يمرّ مروراً مريعاً بكل ما فى الحياة . على ان هذه الحوادث أو المشاهدات التى تبدو جافة



ستانلى باى

انه يتعرض لتهريب المخدرات ، ولكن لا يتعرض لتهريب النفوس ، ولا يتعرض لتهريب المخدر الأكبر : الجمال ، الحب !

استطاعت ريشة الصاوى أن تجول فى البعض منها جولات شعرية ترتدّ به الى أسلوبه الأول الذى عرفناه به أول ما عرفناه كما فى مقالاته « الفنون والجنون » و « الموسيقى » و « معنى الحب » و « أحلام طائر » و « أين قرّائى ؟ » و « الكآبة » و « الايمان والحب » و « المصير » و « دموع السماء » . ولننقل منها هذه الكلمة الشعرية :

« كلٌّ يأخذ من السماء رزقه ويأخذه حتى من دموع السماء ، ولقد شعرتُ أمس ببعض ، بكل الهناء . نسيت الدنيا بأفراحها وأحزانها وبنيت لنفسى دنيا ليس فيها الا السماء تبكى وقلبى يخفق ، فى خفوقه من الحاضر ومن الماضى ، فى خفوقه من الاحساس بجمال اليوم وروعة الأمس ، فى خفوقه من وعود الحياة ومن شجون الذكرى . هذا هو رزق الشعراء ، وقد يسخر منه بعض الناس ، وقد يعدّه البعض أضغاث أحلام ، ويعدّه آخرون خيالاً فى خيال ، ولكن الشاعر يفخر بأحلامه وخياله . فهو يعيش بها ولها . وهو يزيد الدنيا بها جمالاً . ولولا هذه الأحلام والخيالات لأصبح الوجود غليظاً كئيباً . ترى ماذا كانت تكون الدنيا بغير الشعراء ، بغير أحلامهم الجميلة وخيالاتهم النبيلة ؟ ! ترى ماذا كانت تكون الدنيا بغير سمائها التى تارة تظلم وتارة تصفو ، وتارة تختفى وراء سحبها وتارة تبدو لأن السماء لها أيضا خيالاتها وأحلامها ؟! وإلّا لماذا تذرف الدموع ؟! »

أدب الرسالة

تُعدّ (الرسالة) بحقٍّ من أظهر المجلات العربية لخدمة الآداب الرفيعة والثقافة العالية ، معبرةً باخلاص عن روح النهضة المصرية ، مصوّرة مظاهر العبقرية للأمة العربية ، مسجلةً ظواهر التجديد فى آدابها ، ويتعاون على تحريرها كثيرون من أعلام الأدب وبينهم غيرُ قليلٍ من شعراء (أبولو) ونقادها .

ومن ظواهر نشاطها الأدبى أخيراً زيادة عنايتها بالشعر ونقده . وقد وُفّقتْ كذلك الى مؤازرة الشاعر الكاتب الشهير السيد مصطفى صادق الرافعى برسائله الأسبوعية لها ، وهى رسائل فياضه بالنقد الأدبى البديع وبالذكاء اللماح والبيان الرائع .

فنهنىء الزميلة بهذا التقدّم المتواصل فى تحريرها ، ونهدى الى لجنة التأليف والترجمة والنشر والى رئيس تحريرها الفاضل تحيتنا وإعجابنا بهذا المجهود الأدبى العظيم

ديوان المعانى

للإمام اللغوى الأديب أبى هلال العسكرىّ ، جزءان : الأول فى ٣٦٨ صفحة ، والثانى فى ٢٦٩ صفحة بحجم ٢٥×١٦ سم.
عُنيت بنشر مكتبة القدس بمصر

ما أغزر الأدب العربى ، وما أبدع روائعه : هذا ما ينطق به الإنسان كلما اطلع على مافى كنوز هــذه اللغه من آثار طيبة ، وينطق به عن غيروعىٍ اذا كان الأثر قوياً فيه من عوامل الحياة مايضمن له الخلود .

هناك كتب تجمع من شوارد اللغة والأدب ومن جواهره الكثير ولكن لانحس فيها بحياة تدبّ ، فهى أشبه بالدمى الشمعية التى تُعرض فى واجهات المحال التجارية فلا تستهويك فتنشغل عنها بما عليها من أزياء .

أما هذا الكتاب (ديوان المعانى) الذى ألّفه وصنّفه الامام اللغوى الاديب أبو هلال العسكرى وقال فى مقدمته : « جمعت فى هذا الكتاب أبلغ ما جاء فى كل فنّ ، وأبدع ماروى فى كل نوع ، من أعلام المعانى وأعيانها الى عواديها وشذاذها » فهو كتاب جامع يجرى صاحبه فى البحث عن المعانى التى تكن وراء الالفاظ ويفسر من هنا قوة هذا البيت أو الجملة على البيت الآخر أو الجملة الأخرى ، كما يعرض لبيت امرىء القيس الذى هو أجود ماقيل فى الأدب العربى القديم فى وصف إخفاء الحركة عند زيارة المعشوق وهو :

سموتُ اليها بعدمانام أهلُــها سموّ حباب الماء حالاً على حالِ

فيأتى من بعده بيت وضاح اليمن الذى يقول فيه :

واسْقُــطْ علينا كسقوطِ الندى ليلةً لا ناهٍ ولا زاجرُ

ويرينا البلاغة فى البيت الثانى إذ يكمن المعنى القوىّ وراء اللفظة الساذجة ، فان سقوط الندى أخفى من سموّ حباب الماء لأن لسموّ حباب المــاء صوتاً خفياً ليس لسقوط الندى .

وقد جعل المؤلف كتابه اثنى عشر باباً خصص كلا منها لموضوع : فهو يذكر ماجاء فى الغزل وأوصاف الحسان من معانٍ رائقات نثراً أوشعراً ، ويذكر

ما جرى على ذكر السماء والنجوم والشمس والقمر ، أو ماجرى ذكره على السحاب والمطر وصفات البساتين وغيرها، وهكذا . وفى كل باب ينتقل القارىء من مونق الى مونق .

مثل هذه الثروات الأدبية التى خلفها لنا أسلافنا يجب أن يُجلى عنها غبارُ السنين وتكشف للناس بدراسات قوية تطلعهم على ما وراء الالفاظ من معانٍ قوية كامنة لا أن تخرج للناس مستورة ، فان أدبنا غنى ولكنه فقير الى الدرس ، فقير الى العناية والبحث والاستقصاء . أما عرض الأدب عرضاً تجارياً فليس بمجدٍ على الأدب شيئاً اللهمَّ الاّ تراكم الصخور فى طريقه !

رَوّاد الشعر الحديث فى مصر

تأليف مختار الوكيل — ٨٤ صفحة بحجم ١٧½ × ١٢ سم . مع صُوَرٍ ملونة طُبع بمطبعة الطلبة بالقاهرة — الثمن أربعون مليماً .

النقد الحقّ هو أحوج ما يكون اليه الأدبُ فى جميع عصوره ، ولا بدّ أن تكون للناقد بصيرة نفّاذة تنظر الى أعماق ما تريد أن تنتقده ، ويجب أن تلم بموضوعها تمامَ الإلمام ، وأن يكون لديها الاستعداد أو يكون لديها ذوق فيما تنتقده وميل الى ناحيته وتخصص فيه وترفع عن الأهواء والصغائر ، وإلا فان النقد حينئذ يكون بعيداً عما يحمل اسمه من معنى .

ولقد تصدّى الشاعر الناقد مختار الوكيل الى نقد أربعة من رُوّاد الشعر الحديث فى كتابه هذا فجلا طابع كل شخصية وما تمتاز به وما يلازمها ، وأظهر منها النواحى التى تميزها عن غيرها . وقد اقتصر على هؤلاء الأعلام لأنه جعل بحثه مقصوراً على الشعر الحديث فى مصر وعلى الشعر الحديث بكل ما تعنيه هذه الكلمة من مَرمىً وقوة .

وهؤلاء الأربعة الذين نقدهم المؤلف هم : خليل مطران وعبد الرحمن شكرى وأحمد زكى أبو شادى وعباس محمود العقاد . ونظرة واحدة الى هذه الأسماء يدرك منها القارىء أن الشعر الذى يحاول البلوغ إلى أعماق الحياة والتغلغل فى صميمها

إنما هو الشعر الخالد ، فهؤلاء الشعراء الأربعة — وإن اختلفوا فى بعض المذاهب — متفقون عند نقطة واحدة مركزية : هى جعل الشعر رسالة من الحياة الى الحياة ، فهم مفكرون قبل أن يكونوا شعراء ، وهم يعرفون من الشعر معناه لا ألفاظه ، وعمقه لا ضحله ، وغاياته وأغراضه، والمثل العليا التى خُلق من أجلها الشعر . ومن هذا كان نفوذهم الأدبي البعيد ، وحقّ للمؤلف أن يدرسهم معاً فى كتاب واحد .

وهذه ظاهرة حسنة تبشّر بإدراك ماهية الشعر إدراكاً يرفعه عن مستوى اللفظ المونق والمعنى المكرّر الضحل الذى ليس وراءه لذة روحية وغاية فكرية . وهذه دلالة على الاتجاه الجديد فى إيمان الشباب بالأدب وبرسالة الشعر الحديث .

ولعلنا نظفر من الأدباء النقاد في الأقطار العربية الأخرى — كالعراق وسورية وتونس — بأمثال هذا الكتاب المفيد عن رُوّاد الشعر الحديث فى كلٍّ منها ، فان لهذه التصانيف فائدة كبرى فى تبادل الثقافة الفنية ومعرفة التيارات الجديدة فى الشعر العربى . وقد سَنّ مؤلف هذا الكتاب سنّةً جميلة بأسلوبه المعتدل وتوخّيه الانصاف ، وبمحاولته الاندماج فى شخصية كلّ شاعر نقده . وقد نختلف معه فى بعض أحكامه وتفاسيره ، ولكن لا شك فى إخلاصه وفى رغبته الأكيدة فى خدمة التأريخ والنقد الأدبى خدمةً بريئةً لوجه الأدب وحده . وحبذا لو عُنيت المعاهد الدراسية بهذا الكتاب الفريد من نوعه فهو جديرٌ بالذيوع فى البيئات المدرسية ، وقد آن الأوانُ لدراسة الأعلام من شعرائنا الأحياء كما تفعل الأمم الغربية الراقية بدل الاقتصار على أشعار الموتى ، كأنما لا بدّ من الموت لتزكية الشاعر الموهوب قبل أن نلتفت الى مآثره !

زعامة الشعر الجاهلى

بين أمرىء القيس وعدىّ بن زيد

تأليف عبد المتعال الصعيدى المدرّس بكلية اللغة العربية الأزهرية

١٣٦ صفحة بحجم ٢٤ × ١٥ $\frac{1}{2}$ مم . طبع بالمطبعة المحمودية التجارية بالأزهر بالقاهرة . الثمن خمسون مليماً

للشيخ عبد المتعال الصعيدى جولات فى الأدب والتاريخ محمودة الأثر، فيهما من العناية بالبحث والاستقصاء ما يبوّئهما مركزاً ممتازاً فى تاريخ الأدب .

وكتابه هذا قد توفّر فيه على البحث فى شاعرية شاعرين جاهليين هما امرؤ القيس

وعدىّ بن زيد . . . وكانت الحقب تمرّ ولواء الزعامة فى الشعر العربى فى العصر الجاهلىّ مرفوعٌ لامرىء القيس، فتناول مؤلف هذا الكتاب هذين الشاعرين وأثبت الزعامة لعدىّ على امرىء القيس. ووازن بينهما فأورد ما اتفقا فيه من نواح كالبيئة إذ ان امرأ القيس كان أبوه ملكاً ، وعدىّ كان ابوه عندكسرى فى منزلة الملوك المناذرة ، وكلا الشاعرين لم يتجر بشعره . وأورد ما اختلفا فيه فأبان ما امتاز به عدى على امرىء القيس من جهات كثيرة منها « أن عديّاً تقلب فى احضان الحضارة بالحيرة والمدائن فى صغره وكبره ،أما امرؤ القيس فنشأ فى البادية فى ظل ملك بدوىّ فيه خشونة وترف . . . وأن عدياً أخذ بتربية مدرسية جمع فيها بين ثقافات العرب والفرس والروم ، أما امرؤ القيس فكان شأنه مثل شأن سائر أبناء البادية إذ يتركون لسليقتهم وفطرتهم » ، الى غير ذلك من النواحى التى امتاز بها من هدوء واستقرار لم يتح لامرىء القيس .

أما الموازنة بينهما فى أغراضهما الشعرية فقد أطلعنا المؤلف على نواحى العظمة فى شعر عدىّ التى تضمن له الزعامة على ندّه إذ كان عدىّ فى شعره « ينظر الى الكون بأسره ويؤدى رسالة عامة فى الحياة ، فهو فيه الحكيم الناصح الصادق النصيحة للانسانية عامة ، والقاصُ البارعُ الذى يجيد سبك القصة ويعرف كيف يستخلص منها الموعظة والحكمة العجيبة ، وكم ردّ بذلك ملوكاً عن طغيانها وهدى نفوساً إلى رشادها » .

والمؤلف يرفع اللواء لزعامة عدىّ فى شعره الجاهلى ناظراً الى أثر الشعر فى حياة الإنسانية وهى النظرة السليمة التى يجب أن يأخذ بها النقاد ، فما كان يعرف امرؤ القيس فى شعره إلاّ نفسه وشهواتها ولم يشعر أن عليه رسالة يجب أن يؤديها للناس وللحياة فى هذا الشعر .

ولقد أجاد المؤلف الفاضل فى بحثه واستقصائه إجادة يستحقّ عليها كل الاعجاب، وأضاف إلى بناء النقد السليم الذى ينقص الأدبَ العربىّ حجراً ثابتاً نودّ لو أضيف اليه كثيرٌ من أمثاله لنرى البناء فى عزّةٍ وثبات ؟

حسن كامل الصيرفى

أنداء الفجر

نظم أحمد زكى أبى شادى ، الطبعة الثانية مع تصدير ودراسات ، ١٣١ صفحة بحجم ١٩½ × ١٤ سم . طُبع بمطبعة التعاون بالقاهرة .
الثمن خمسون مليماً

يتشوّفُ الأدباء عامة والشعراء خاصة إلى صدور ديوان (فوق العباب) لأبى شادى ، ولكن هـذا التشوّف لا يحول الآن دون الاستعراض العام لهـذا الديوان الصغير من شعر صباه ، وإن لم يتجاوز ما فيه أربعمائة وخمسة وعشرين بيتاً جمعتها خمسون قصيدة ومقطوعة . وفى الحق كنتُ أشتهى أن يكون لى نصيبٌ فى دراسة هذا الديوان لمناسبة صدور طبعته الثانية ، كما تناولتُ بالدراسة من قبل صُوراً أخرى من شعر الصبا لأبى شادى فى مجلة (العصور) وغيرها ، فانّ لى شغفاً بشعره الأول ورأيى أن الشعر يسهل تفهّمه وتذوّقه الفنى اذا ما اقترن بدراسات من تذوّقوه وقدّروه من قبل . ومن أجل ذلك حمدتُ ما كتبه الدكتور هيكل بك من دراسة للشوقيات وما كتبه المازنى من دراسة لديوان العقاد وما كتبه العقاد من دراسةٍ لديوان شكرى ، إلى أمثال هذه الدراسات التى ظهرت فى دواوين أصحابها لأنها تساعد على خلق الجوّ الفنى اللائق لمطالعة تلك الدواوين . وليس من الضرورى أن تتفق وآراء أولئك الدارسين ، ولكن يهمنا أن نعرف ماذا يقوله مريدو الشاعر من تفاسير لفنه ولمزاجه وطبيعته الشعرية ، فكم من تفاسير خاطئة يتورط فيها النقاد فيما بعد بسبب إغفال أمثال هذه الدراسات فى أوانها . وقد أحسن الأدباء الأفاضل محمد عبد الغفور ومصطفى عبد اللطيف السحرتى وعبد العزيز عتيق بما قدّموه من دراسات ممتعة لهذا الديوان ، كما أحسن الشاعر نفسه بالفصل التاريخى الرائع « مطران وأثره فى شعرى » الذى ذيّل به الديوان ، فسيبقى هذا الفصل القيم مرجعاً من المراجع التاريخية المهمة فى تفسير شعره وتحليله . وما أحسب جمهرة الأدباء الآنَ مرتاحين ارتياحى الى هـذه الجهود الأدبية النقدية ، فشتان بينها وبين التقاريظ الجوفاء التى كانت تكال للمؤلفين فى مطبوعات الجيل الماضى وما قبله . ولن يعيب أمثال هذه الدراسات الثقافية الا المغرضون ومَن يتوهمون أن الدراسات النقدية ليست الا ألواناً من الملاكمة ، وأما ما عداها فيجب أن يُجرَّح ويُعاب ! ... ونحن على أى حال بازاء زعيم من زعماء الشعر العصرى يتلقى العشرات من التقاريظ النثرية والنظمية فيعفّ عن نشرها فى

هذه المجلة وفى غيرها ، ولا يأبه الا للدراسات الفنية وحدها سواء أكانت له أم عليه، فهو فى كلّ هذا القدوة المثلى للشعراء والمؤلفين .

أمّا عن شعر الديوان نفسه فعليه طابعُ الطلاقة والاصالة شأن الشعر المطبوع البعيد عن الرصّ والتكلف اللفظى وتعمد القوافى ، وتتجلى فيه الطبيعة والحبّ والوطنيات والوجدانيات ، وانما أمثلة كل ذلك قليلة لأن الديوان نفسه صغير . وكثيراً ما نلمح الوجدانيات ممتزجة بالوطنيات ، ونلمح جذوة الألم والحزن مشتعلةً فى ذلك الشعر بينما الشاعر لم يجاوز حينئذ العقد الثانى من عمره . ولعلّ أظهر الأمثلة على ذلك قصيدته « بعد الفراق » (ص ٢٦) وقد نظمها نازحاً عن وطنه ، عليلا مستشفياً جازعاً لحالة بلاده ، هذا الى أبيات مشجية متفرقة فى شعره مثل « عهد الصبابة » (ص ٢٥) و « الطب الحائر » (ص ٢٨) و « الدنيا » (ص ٣٣) و « عيش الحرّ » (ص ٣٦) وسواها . وقد فسر لنا الناقد الفاضل الأديب محمد عبد الغفور نفسية الشاعر وظروفه الخاصة التى جعلت حتى على شعر صباه هذه المسحة من الحزن والقلق : وشعر الطبيعة رائع التجلى فى هذا الديوان كما يتجلى فى بقية دواوينه ، ولا يُتذوّق مثل هذا الشعرُ باقتطاف بضعة أبيات منه ومحاولة تشويه معانيها كما يفعل المغرضون الذين يسمون أنفسهم نقاداً ، وانما يكون بدراسة القصيدة كاملة ، فأبو شادى يقدّس وحدة القصيد ، والانصاف الفنى يحتم دراسة كل قصيدة من قصائده دراسة شاملة لا العبث بأبيات منها باسم النقد . . . ولعل من أجمل قصائد الطبيعة قصيدته « أنداء الفجر » (ص ١٤) وقصيدة « أنفاس الخزامى » (ص ٤٩) وقصيدة « بنات الخريف » (ص ٦٧) . وأما الشعر الوطنى فتغلغلٌ فى جميع صفحات الديوان تقريباً وهو يمثل وطنية الشبان فى ذلك الوقت ، وإن كان لأبى شادى من الشعر الوطنى الى وقتنا هذا ما يجعله غير منازع أغزر الشعراء الوطنيين المصريين وأدقّهم على الاطلاق .

والناقدُ البصيرُ المستقلّ لا يفوته أن يلمح فى هذا الديوان بدايةَ الشخصية الفنية لشاعرنا ، ومنها تعابيره التى تجد فيها الموسيقى الطليقة ، فهو حريصٌ على انسجام كلماته وحروفه انسجاماً غنائياً تاماً ، ولكنه بعد ذلك لا يتقيد بالتعابير التقليدية وإن احترم جمالَ اللغة كلَّ الاحترام . فلشاعرنا منذ صباه طبيعةٌ فنيةٌ قويةٌ وقريحةٌ تسحّ بالشعر سحّاً ، بحيث تواتيه الألفاظ والقوافى الملائمة فى غير عناء ، فاذا جدّد فى التعابير بعد ذلك فانما هو تجديد المختار لا المضطر ، واذا تصدّى

لنقده بعد كل هذا مَنْ ليست لديهم طبيعة شعرية وَمَنْ لا يتذوّقون لغة الشعراء فما الذنب ذنبه وانما الذنب ذنب الصحف المتساهلة التى لا تتورّع عن نشر الهراء النقدى . وبحسبك أن يصبح كاتب ناشىء منكراً على شاعرنا خياله الجميل عن « أنداء الفجر » فى قوله :

مِنْ دُموعِ النجومِ ، مِنْ سَهَرِ العا شقِ صِيغتْ ، ومن رجاءِ الحياةِ
فى حَنانٍ ورقّةٍ وهى لا تمـ لكُ مِنْ عُمرها سوى لحظاتِ

وإذا قال الشاعر إن العفاف قد عزّ فى المجتمع وأن الجبابرة الفاتحين هم فى الوقت ذاته أسرى الشهوات ، ولكنه يفخر بعفته وطرفه الكسير وسط هذه الفوضى الخلقية وبإرضاخ الأيام له حينما تنقلب على الفاتحين الذين يستسلمون لشهواتهم — إذا قال هذا القول النبيل حاول صاحبنا الناقد الغاشم قلبَ المعانى وتجريح الشاعر بتفاسير مرذولة ! . . . وقِسْ على ذلك سوء تفسيره لقصيدة « فؤادى » (ص ٤٢) التى مايزال كثيرون يعدّونها من جيد الشعر الحديث . فليرجع اليها مَنْ شاء وليتذوّقها كل مَنْ تثقف ثقافة علمية وفهم ما معنى « صلابة الحجر الكريم » قبل أن يمسك القلم بيده مدّعياً القدرة النقدية وهو فى حاجة صميمة الى التتلمذ على أعلام الأدب طويلا ... ومن هذا القبيل نقد عناية الشاعر بدقائق الحياة وصُوَرِها فى الأشعة والظلال والأطياف والأنغام والأصداء وتمعّنه فى النفسيات والغرائز . واذا كانت مثل هذه العناية الدقيقة مما يُعاب فما ذا يا ترى يصحّ أن يُطرَى ويُحبّ ؟ ! ... وبلغ الجهل باللغة أن يقول الناقد المغرور إن قول أبى شادى مخاطباً المرحوم مصطفى كامل (ص ٤٧) :

لكَ غالٍ من الهوى غيرِ بالٍ لوفاءٍ على المَدَى غيرِ بالِ
ضَمّتْكَ اليومَ مثلُ سعيكَ بالأمـ سِ مُهيبٌ لمُخلّدِ الأعمالِ
ضَجْعَةُ الموتِ رقدةُ السُّهدِ والوجـ دِ لقلبٍ على الردى غيرِ خالِ

مأخوذ من قول أبى العلاء :

ضجعةُ الموتِ رقدةٌ يستريح الـ جسمُ فيها والعيشُ مثلُ السّهادِ

وأن هذا البيت الذى يقال فى الحبيب الحىّ الذى يودّعه فى حرقةٍ :

سلامٌ على حُسْنٍ دفنّا سهامَهُ بأضلعنا بين التكتّم والنّمّ

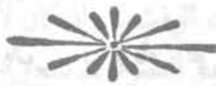
مأخوذٌ من قول نجيب الحداد في رواية (روميو وجوليت) في موقف الرثاء:

سلامٌ على حُسْنٍ يدُ الموتِ لم تكن لتمحوه أو تمحوهو آهٌ من القلب !

وهذا الهذر يُنشر في الصفحة الأدبية لجريدة محترمة يُشرف على تحريرها أديب كبيرٌ يحبه ويُجلّه الكثيرون منا . فهل أصبحت جرائدنا في حاجتها الى المادة الأدبية الى هذه الدرجة من الفقر حتى تنشر كلَّ ما يبلغها من مثل هذا الهراء النقدي باسم الأدب ؟ !

وبعد هذا ، فأنداء الفجر صورةٌ نديةٌ من شعر الصبا الحبيب الى النفوس بألوانه وأطيافه ودموعه الزكية . وما مِن شكٍّ في أنّ مريدي أبي شادي وعُشّاق شعره الكثيرين سيشكرون لمطبعة التعاون عنايتها بتجديد هذا الديوان التاريخي كما سيشكرون للأدباء الأفاضل الذين عُنوا بدراسته ما أتحفوا به الأدباء من أدبٍ رائعٍ ونقدٍ ناضجٍ وتحليلٍ نفيسٍ ؟

على محمد البحراوى



تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥	١٨	عبدالعزيز	عبد العزيز
٢٥	١٤	الوادع	الوداع
٤٥	٦	الطيبة	الطبيعة
٤٨	١٠	فقانلوا	فقاتلوا
٦٥	٢	شذّى زهرٌ	شذى زهر
٧٢	٦	وُفقّنا	فوُفّقنا



المجلد الثالث

العدد الثاني

أبولو

مجلة فنية لخدمة الشعر العربي

لسان حال جمعية ابولو

تصدر مرة في كل شهر

وسنتها عشرة اشهر

أكتوبر سنة ١٩٣٤

صاحب الامتياز ورئيس التحرير | أحمد زكي أبوشادي

الادارة | بشارع الملك المعز رقم ٩ بضاحية المطرية بمصر

التليفون | ٦١١٩٦ و ٤٠٤٥٦

مطبعة التعاون



عبد الرحمن شكرى

ثارت ثائرةُ الأدباء والنقاد حول أدب عبد الرحمن شكرى لمناسبة صدور كتابين أحدهما (رسائل النقد) للدكتور الشاعر رمزى مفتاح والآخر (رُوَّاد الشعر الحديث فى مصر) للشاعر مختار الوكيل . وكان بين من تحركوا للكتابة الشاعران ابراهيم عبدالقادر المازنى وعباس محمود العقاد ، وأما شكرى نفسه فعازفٌ كلَّ العزوف عن الحياة الأدبية العامة ولا يهمه من هذه الجلبة شيء ويأبى أن يتورط فيها!

وقد رأى المازنى أنه أساء فى حق شكرى سابقاً فكتب أكثر من مرة معلناً استنكاره لتحامله عليه من قبل ، معترفاً بأستاذية شكرى وفضله عليه، وآخر ما كتبه كان فى جريدة (البلاغ) الصادرة يوم أول سبتمبر الفائت تعليقاً على الفصل المكتوب عن شكرى فى (رُوَّاد الشعر الحديث) فكان تصرفه نبيلاً اذا ما عزَّ النبلُ بين حملة الأقلام فى هذا الزمن .

وكتب العقاد مقالاً فى (الجهاد) الصادر يوم ٤ سبتمبر فكان المنتظر منه كعادته أن يعلن أنه صاحب الفضل على كل انسان وليس لأحد فضلٌ عليه ، وقد كان ذلك ! والعقاد موفَّق فى مثل هذا الادعاء لأنه وجد من كل من شكرى والمازنى محبة خالصة وتجرداً صوفياً وإيثاراً من قبل والى الآن ، وله أن يعتمد على عزوف شكرى عن كل هذا العبث ، كما له أن يعتمد على تواضع المازنى وتجريده نفسه من كل موهبة ! ولكن الحقيقة التى يعرفها كلٌّ من اشتغل بالصحافة فى الجيل الماضى وأتيح له الاحتكاك بهذا الثالوث تتجلى فيما يأتى :

(١) ان العقاد كان دائماً نشيطاً مفكراً ، وانه حاول الاشتغال بالترجمة ولخص تلخيصات بدائية ولكن معرفته باللغة الانجليزية ودرجة ثقافته بقيت محدودة زمناً طويلا . وإذا كان التفت نحو الأدباء والمفكرين الألمانيين كمترجم وملخص فانَّ انتاجه الشخصى الممتاز لم يحن إلا بعد ذلك بزمن طويل . وكم من مترجم وملخص فى شتى

المجلات الراقية كالمقتطف والهلال وفى الصحف السيارة المشهورة فى ذلك الوقت أسدى جهوده فى غير هذه الدعاوى الطويلة العريضة التى يدعيها العقاد الآن . فاذا كان المازنى مثلاً قد التفت معه الى ماكس نورداو فحسبُ المازنى أنه وجّه العقاد توجيهاً قوياً الى ابن الرومى ، ومع هذا فلم نسمع من العقاد أىّ اعتراف بهذا الجميل وانما سمعنا عن تواريخ قديمة عجيبة هى فى صف المعجزات وشبيهة بصلته المزعومة بجمال الدين الأفغانى !

(٢) اذا صحّ أنّ شكرى والمازنى قد سايرا العقاد فترة فى التفاته الى الأدب الفكرى الألمانى ، فقد باعداه واقتصرا على الأدب الخالص بعد ذلك ، وكأنّ تجاوبهما معه من هذه الناحية معدومٌ ، بعكس العقاد والمازنى اللذين انطبع شعرهما بطابع عبدالرحمن شكرى انطباعاً قوياً الى الآن . وهذا وحده ما يعنى نقاد الشعر ، وعلى دلالته يبنون أحكامهم ، وعلى نتائجه الملموسة تكلموا عن شخصية شكرى وعن مدرسته الشعرية وزعامته الأدبية لتلك المدرسة الثلاثية زمناً طويلاً

(٣) بغضّ النظر عن الحدّة فى بعض كتابة الدكتور رمزى مفتاح وعن تصويره الخيالى فى جانب من المواقف وهو ما لا نقرّه شخصياً ، وبغضّ النظر عن الاختلاف فى التفاسير التى أدلى بها مختار الوكيل ، لا شكّ فى أن كتابيهما من مأثور النقد العصرى ، فمحاولة العقاد أن ينتقصهما ليست مثالاً للترفّع ولكنها مثالٌ لعادة معروفة عنده : وهى إصغار كلّ مَنْ لا يؤلهه ـ ولو كان كبيراً ، والتنويه بمن يقدسه ولو كان من الصغار ! على أنّ جمهرة الأدباء لا يعنيهم الا المنطق والحقائق الأدبية وحدها ، وهم يطلبونها أينما كانت ، وهم يعرفون أن العقاد كان ولا يزال متجنياً على هذه الحقائق . وليس للعقاد حُسّاد ولا خصوم سوى قلمه الذى يزلّ به زلات لا تحصى ، وهو لو تدبّر ذلك لأنصف نفسه وزملاءه .

(٤) بعد كل هذا وقبله لا يعنى الأدباء المخلصين للأدب وحده الا إنصاف ذلك الشاعر الممتاز الذى كان سكوت العقاد إن لم نقل ممالأته لتجنى المازنى عليه فى كتابيهما (الديوان) داعياً الى تطليقه الشعر بتاتاً وخسارة الأدب العصرىّ أىّ خسارةٍ لجهوده . فلعلّ العقاد يفعل ما فعله المازنى من تهدئة أعصاب شكرى وتضميد نفسه الجريحة ودفعه ثانية الى ميدان الأدب ، فهذا هو البرّ والجدّ الصحيح وأما ما عدا ذلك مِنْ دعاوى مغرضة وحكايات فلا قيمة لها أكثر من أنها من صُوَرِ الزّهو الباطل والأنانية على ما لا يستحقّ الزّهو والأنانية !



اسماعيل صبرى

بيان وذكرى

كان أول ما قرأت من شعر صبرى أبيات وجدتها فى مجموعة بخط والدى دوّن فيها ما تلقّفه من شعر أدباء عصره فى رحلاته الى القاهرة وكان رحمه الله يخالطهم ويشهد مجالسهم ، ومن هؤلاء الأدباء جماعة من الشعراء الذين جمع العنصر التركى الكريم بينهم وبين والدى ، وأشهرهم حسن حسنى الطويرانى ، وسليم رحمى . فاذا عاد من إحدى هذه الرحلات كان أول ما يتحفنى به من الهدايا ما اشترى من الكتب ، وما حمل من هذه الاشعار . وكنت يومئذ صبياً يولعنى والدى بالأدب ويجيزنى عليه ، وهذه هى الأبيات مسندة الى (اسماعيل بك صبرى رئيس محكمة الاسكندرية) وهى فى تهنئة الخديو توفيق بعيد الأضحى عام ١٣٠٦ من التأريخ الهجرى كما يؤخذ من ختامها :

إن هَيَّمَ الشعراءَ الثغرُ والريقُ ... وشاقهم كأسُ صهباءٍ وابريقُ

فلى بمدحك (توفيق العلى) كلفٌ ... لم يثننى عنه هيفاءٌ ومعشوقُ

حققتَ آمالَ مصرٍ حيث كان لها ... الى عُلاك مَدى الأيامِ تحديقُ

وشِدتَ فى مصر فخراً لا خفاء له ... فليس يُنكره فى الكونِ زنديقُ

فالعينُ ما طمحت إلا رأت أثراً ... له بتاجكَ ترصيعٌ وتنسيقُ

وهدَّ حُكمك ركنَ الظالمين ، وقد ... عدلتَ حتى أحبَّ العدلَ محقوقُ

مولاىَ ! وافاك بالاقبال عيدُ فِدًى ... بالبشرِ واليمنِ مصحوبٌ ومرفوقُ

فعش لأمثاله طولَ المدى فرحاً ... واسعد فانت بعين الله مرموقُ

واهنأ به فصفاء الوقتِ أرّخهُ : عيد الفـداء ببشر جاء (توفيقُ)

وأول مالقيتُ اسماعيل صبري الذى أصبح بعـد ذلك من ملوك الشعر وأمراء البيان ، يوم جاءنى رسوله يدعونى لموافاته بدار الحكم فى مدينـة دمنهور ، وحاكم الاقليم يومئذ محمد محمود باشا . فلمـا لقيت صبرى فى منصرفه من حضرة الحـاكم وكنت على شوق دائم اليه ، صافحته لأول مرة وفى نفسى من النهيب والانقبـاض ما انطوى وشيكاً فى ذلك البشر المتدفق الذي بدأنى به ، وما انقضت التحية حتى أخذ بذراعى يدسّـه تحت إبطه ويقول :ويحك يا محرم ، ماذا فعلت بالرجل ؟! انه لشديد الحنق عليك ، لقد روضته فما ازداد الا شراسة وغلظة !

كان بينى وبين محمد محمود باشا أمر لم يأخـذ فيـه بالحزم ولا أجراه على نظر أو روية ، وكان حوله من مشيرى السوء فئة أعانته على الشطط والتسرع ، وجاءت جولة العباس أمير مصر فى اقليم البحيرة قبل رحلته التى انقضى بها عهده فى الحـكم والامارة فبعث المدير المتحرق الصدر الى حافظ ابراهيم ببعض هؤلاء المشيرين يسألونه أن ينظم تحيةً للأمير تلقى بين يديه فى دار المدرسة الصناعيـة بدمنهور . فقـال لهم : وأين أنتم من محرم ؟ قالوا: انا معه على جفاء وفرقة، فقال: ارجعوا الى صاحبكم فنبئوه انه قد ركب أمراً عظيماً ، وإنى لبراء منكم حتى يرضى — وعلمتهـا من حافظ فشكرته وأبحته أن يكون عند رجائهم فيه ، فنظم لهم قصيدة عصماء قال فى مطلعها :

أشرق عبـاس على شعبه كأنه المأمون فى ركبه

ونظمت أنا تحيتى للأمير ثم بعثت بها الى جريدة (المؤيد) ، فظهرت فيها وركب الأمـير يودع دمنهور ، ولم تظهر قصيدة حافظ الا بعـد ذلك بيومـين ، ومطلع قصيدتى :

أوَ كلمـا سكن المشوقُ فأقصرا هاجته أسرابُ المها فتذكرا ؟

ومنها فى الغزل وقد علمت أن ألسنة الوشاة تناولتنى لدى الأمير فزعموا أنى فى عقيدتى الوطنية على انحراف :

مشت النمائمُ بيننـا فعرفتُـها وعرفتُ مِن لحظات عينك ما جرى

ومنها ، والخطاب للأمير :

صدقُ الولاءِ أمانة لكَ فى دمى يأبى لها الايمانُ أن تتغيرا

أنا مِن طبوركَ ، إذ دعوتُ مغرّداً عاد الجديبُ المحلُ روضاً أنضرا
(النّيلُ) يشهدُ أننى لم آلهُ برّاً ، ولستُ بصادقٍ إن أنكرا
لستُ الذى يرضى العقوقَ سجيّةً ويرى التقلُّبَ فى المذاهب متجرا
لو كنتُ طالبَ حاجةٍ لرأيتنى أسعى اليها فى ذراكَ مشمرا
ولو اننى ممن يتوق الى الغنى لوجدته بنَدَى يديكَ ميسّرا
ما فى الحياة على تعاظمِ شأنها ما يَستخفُّ العاقلَ المتبصّرا

علم اسماعيل صبرى من الصديق حافظ ما كان من أمرى مع محمد محمود باشا فوفد الى دمنهور يؤدّى ما فرضه على نفسه من حقّ السفارة بين أديب عرف للأدب قيمته فصانه عن مجال الملق ومعرض الدهان ، وبين حاكم اقليم يعتز بمنصبه وبيته ويرى لنفسه أن يكون السيد النافذ الأمر فى جميع الأمور ، ولم أكن على علم من قبل بأمر هذه السفارة التى لم أكن لأشير بها لو أننى خوطبت فيها ، ولكنها حمية حافظ ، ومروءة صبرى ، رحمهما الله ، وقضى عنى حقهما العظيم نعيماً وطيباً .

قال لى صبرى وهو يصف شراسة محمد محمود باشا : دعه عنك فقد أصبح أمرك بيد الأمير ، وانك عنده لبالمحلّ الذى تريد ، وقد قرئت عليه قصيدتك فاعجب بها وسترى ! قلت له : دع عنك الحاكم والأمير ، وقل لى متى يطلع علينا الرئيس بصبرية جديدة ؟ فتأوّه وقال : لقد كبرت وضعفت نفسى ، وانما الشعر أخو القوّة وصاحب الشباب ، قلت له فما بال :

لو أنّ أطلالَ المنازلِ تنطقُ ما ارتدّ حرّان الجوانح شيقُ ؟

انها وحقك لكما يقول أبو تمام :

قد أوتيت من كل شيءٍ نعمة وَدَداً ، وحُسناً فى الصبا مغموسا

فابتسم رحمه الله ، ثم نعب القطار فودعته ، وكان هذا أول عهدى به وآخره

صلتى الشعرية بصبرى

لم يجر بينى وبين صبرى قبل هذا الحادث ولا بعده شيء من المطارحات الشعرية بل ولا الكتب أو الرسائل ، غير أنه شاع بعد هذا اللقاء أنه أصيب برعاف شديد فقلت فيه ، وإخال أنى أذعتها فى احدى الصحف :

أشفقتُ من نبأ الرئيس ، وأشفقتْ دُوَلُ القريض ، فصيحُها والأعجمُ
سالَ الدمُ المسفوحُ منه مَعانياً سالتْ لروْعتها النفوسُ الحُوَّمُ
ما كنتُ أعلمُ ، والحياةُ تجاربٌ أنَّ البدائعَ مِنْ مَعانيها الدَّمُ
رُعِفَ اليراعُ ، وقد جرى برعافهِ نبأٌ تذوبُ له الصحائفُ مؤلمُ
عافاكَ ربُّكَ ، إنَّ مِنْ آياتهِ هذا الذي يُوحى اليك فتنظمُ
سُؤْلٌ أمدُّ بهِ اليدين ، ودعوةٌ نطقَ الضميرُ بها ، فترجمها الفمُ
للقوم مِنْ غُفلِ القوافى ما ترى ولكَ المشوفُ مِنَ البيانِ المُعْلَمُ
إنَّ الصحائفَ ما تزالُ مَرُوعةً حتى يصافحها الرئيسُ الأعظمُ

وعزّى صبرى صديقى الشاعر الأديب ولىّ الدين يكن رحمه الله فى وفاة والدته بأبيات قال فيها :

إنى أُعزّيكَ وأبكى مَعكْ

فقلتُ فى تعزيتى لهذا الصديق الكريم ، ولا أعلم ما ذا كانَ موقعها فى نفس الرئيس :

لقد وجدت نفسى لوجدِ (محمدٍ) أشَى جللاً ، واستشعرتْ أسفاً جمّا
أخى ، والعوادى ما تزالُ مُغيرةٌ على كل حُرٍّ لا يُطيع لها حُكما
أعيذُكَ أن تَلقَى الخطوبَ مرَوَّعاً وأنتَ الذى رَوَّعتَ أبطالها قِدْما
رَميْتَ صفوفَ الحادثاتِ بمثلها وأىُّ فتًى يَرْمى الصفوفَ ، ولا يُرْمَى ؟
يُعزّيك شيْخُ العبقريين باكياً وأبلغُ ما عزّاكَ ما جاوزَ الفَهْمَا

وسيَّرتُ الى الصديق حافظ قصيدة أطارحه فيها وهو معتقل بدار الكتب مطلعها :

رُوَيْدَ الهوى يا لَيْلَ ، لو يقنعُ الهوى بما نالَ من دمعى ، وما نلتِ من دَمى

ومنها فى ذكر الرئيس :

إذا جئتَ شيخَ العبقريين زائراً فخذْ لقريضى الإذنَ قبل التهجُّمِ

وإنْ أنتَ شارفْتَ السُّتورَ مُنيفةً فسِّحْ ، وقبِّلْ ، ثم حيِّ ، وسلِّمِ
وصِفْ من بنات الشوق كلَّ شجيَّةٍ ترنُّ رنينَ الطـــائرِ المترنِّمِ
تَطلَّعُ من حول الفؤاد ، وترتقى إلى العين مِنْ حرِّ الغليلِ بسلَّمِ
وتنسابُ تلقى كلَّ ركبٍ ، وما بها سوى أن ترى ركب (الرئيس المعظَّم)
إذا هجمتْ ذكرى صديقٍ لديكما فذودوا عن التَّهجاع ذكرى (مُحرَّم)

ولى فى الرئيس صبرى مرثية بقيت مطوية الى اليوم لسرٍّ لم أكن أعلمه ، فلما أهاب بى صديقى الشاعر الهائم ، شاعر الحب والجمال الدكتور زكى أبوشادى ، أن أكتب كلمتى هذه عنه علمت ان الأيام قد ادّخرتها لتذاع فى ختام هذه الكلمة وستأتى فى مكانها .

شعر صبرى

لم يكن شعر صبرى أوّلَ عهده بالأدب يبشر بشاعر مقتدر يُحدث أثراً يذكر فى عالم الشعر ويوقع باسمه فى سجل الخلود وجريدة الذكر ، وقد جئناك بمثال من شعره فى ذلك العهد الذى كان كلّ شاعر فيه خيراً منه ، وقد مرّ بك ذكر سليم رحمى فأنا أذكر لك بعض ما دُوِّن له فى تلك المجموعة الخطية التى نقلتُ عنها ذلك المثال السيء لتعلم أن الرئيس صبرى باشا شاعر آخر غير اسماعيل صبرى بك رئيس محكمة الاسكندرية . قال سليم رحمى من قصيدة يمدح بها الخديو توفيق ويهنئه بالعيد :

فى خِبرةِ الدهر ما يُغنى عن الخبرِ وفى الحوادثِ تذكارٌ لمدّكرِ
والناسُ كالنَّبتِ منهُ ما له ثمرٌ بغير شوكٍ ، وذو شوكٍ بلا ثمرِ
والمرء مهما سمت فى الناس رتبته فليس الاّ بما يبديهِ من أثرِ
ما شئتَ فاعمل ، فهما كنتَ مُستتراً تُعلمْ سجاياكَ بين البدوِ والحضرِ

ومنها :

وارحمتا لعلومٍ ما بلغتُ بها نفعاً ، وقد ضاع منّى أنفسُ العمرِ
هذى العلومُ التى لم تُجْننى ثمراً ما لى أذودُ الردى عن عُودِها النضرِ؟

وأيُّ فائدةٍ في النّحو أطلبها إن كان لم (يرتفع) بين الورى (خبرى)؟
وما النتيجةُ من وزن العَروض إذا لم يحوِ مَعناىَ بَيتٌ غيرُ منكسر؟

ومنها:

أستغفرُ الله إنى فى حمى مَلكٍ لن يستطيع زمانى عنده ضررى
عزيزُ مصر الذى سارت مآثره فى الخافقين مسيرَ الشمس والقمرِ
إن جال بالفكر قلت الشهبُ ثاقبةٌ أو قال، قلت خضمٌّ جاء بالدُّررِ

وقال فى الختام:

عيدٌ بساحتكَ العلياء حلَّ فان تأمره بالعودِ وافانا على قدرِ
ماذا يقول (سليمٌ) فى المديح وقد علوتَ عن كلّ منظومٍ ومنتثرِ

لا أقول إن هذا شعرٌ، ولكنى أقول إنه أشبهُ بالشعر وأقرب اليه مما كان يقول صبرى فى ذلك العهد، وصبرى منذ القديم شاعر مقلّ، فهو لا يستطيع المطوّلات ولا يكاد يجيدها، وقد نضجت شاعريته فأبدع فى مواضع كثيرة، ومواطن شتى، ولكنه بقىَ الشاعر المحدود، والفنان الذى يأخذ من الفنّ ما يعجبه، ويأبى أن يعطيه ما يحبه هو ويرضاه.

ينظم صبرى فى بعض الأغراض العامة فيتنكر لك فى كثير من شعره، ثم يفاجئك على يأس باللمحة الفنية الرائعة فتعرفه، وتحسّ أن نفساً جديدة حاوة تشمل نواحيك وتشعل جوانبك: ذلك أن صبرى لم يوهب قوة التحكم فى هذه الأغراض أو هو لم يرض نفسه عليها منذ النشأة الأولى، فهى غير مستقرة الصور عنده، ولا متمكنة الاصول والأسباب من شاعريته وطبعه. هو شاعر يهزّه الغرض النفسى فيقبل عليه، ويشوقه المعنى البديع بعينه فيطلبه فى مكانه من الشعر الطليق، ويستكثر من الشباك والحبائل يبثها حوله، ثم يتلطف فى اجتذابه اليها، فتراه وقد وقع فى يده قنيصاً غير موقوذ ولا جريح، وهو إذ يعمد الى هذا تراه فى قلق فكرى دائم، واضطراب فنى مستمر، تراه متنافراً الى أقصى حدود التنافر فى القطعة الواحدة من شعره، فهو يعطيك من مجموع هذه القطعة صورة آلية جافة، تتصايح حولها وبين ثناياها صور أخرى مضطهدة أو ملغاة لغير ما سبب سوى انه لا يريدها وانك حين تظلم الفن والذوق والعاطفة لتظفر بمعنى بديع أو صورة حسنة تغرم بها

وتحرص فى نفسك عليها لجدير أن تعرف مكانك من ذوى النصفة وأولى المعدلة ، وتتبين كم بينك وبينهم من آماد طويلة ومسافات واسعة .

من مطولات صبرى قصيدة (فرعون وقومه) وقصيدة فى رثاء أمين فكرى باشا ، وأخرى فى (مذنب هالى) وقصيدة فى تتويج السلطان حسين ، وقصيدته المشهورة (لو أن أطلال المنازل تنطق) وانا لبادئون بقصيدة فرعون وقومه ، قال :

لا القوم قومى ، ولا الأعوان أعوانى ... اذا ونى يومَ تحصيل العلا وانِ
ولستُ إن لم تؤيدنى فراعنة ... منكم بفرعون عالى العرش والشانِ
لا تقربوا النيل إن لم تعملوا عملاً ... فماؤه العذبُ لم يُخلق لكسلانِ
رِدُوا المجرّة كدّاً دون مَورده ... أو فاطلبوا غيره رياً لظمآنِ
وابنوا كما بنت الأجيال قبلكمو ... لاتتركوا بعدكم فخراً لانسانِ
أمرتكم فأطيعوا أمرَ ربكمو ... لا يثنِ مستمعاً عن طاعةٍ ثانِ
فالملك أمرٌ وطاعاتٌ تسابقه ... جنباً لجنبٍ الى غايات احسانِ
لا تتركوا مستحيلاً فى استحالته ... حتى يميط لكم عن وجه إمكانِ

يسوق صبرى هذه الابيات على لسان فرعون الى قومه يستحثهم بها على بناء الأهرام واقامة الآثار العظيمة التى نشاهد اليوم بقاياها أو نقرأ أخبارها ، وهى كما ترى من الشعر القصصى المطلق أى الذى لا يرجع الى أصل معروف . ولا يتقيد فيه الشاعر بغرض خاص أو صورة بعينها ، ومع هذا فانت لاتجد أثراً لعبقرية صبرى فى هذه الأبيات بل أنت تراه شاعراً متواضعاً يتناول أغراضه من أقرب مكان ، ويسوق شعره فى غير ما تأنق ولا افتنان ، وانك لتراه الى ذلك قليل التحفظ ، بعيداً عن الاحتراز . وهذا قوله (تحصيل العلا) أتجد فيه تلك الروعة التى تحب أن تراها فى شعر أمثاله من المبرزين ؟ ان كلمة تحصيل لا عهد لها بهذا النوع من الشعر ، وهى وإن كانت سليمة من جهة اللغة ، فانّ للشعر لغة خاصّة ، ولو أنصف صبرى لترك الكلمة لكتّاب الدواوين وعمالها من جماعة الجباة والمحصّلين ، ولأبقاها شركة بينهم وبين طلبة العلم وتلاميذ المدارس ، فما هو إلاّ تحصيل المال أو العلم ، ومتى غلب الاستعمال على كلمة تغير حكمها أو كاد يكون كذلك . ولشاعر قديم فى الباب الثانى :

أكرموا العلم وصونوا أهله عن جهولٍ حاد عن تبجيلهِ
انما يعرف قدرَ العلم مَن سهرتْ عيناه فى تحصيلهِ

حُصِّل الشيء لغة جمع ومُيِّز ، واليك أمثلة من أشعار المتقدمين تبين لك كيف ، وفي أيّ الأغراض ، كانوا يستعملون هذه الكلمة : قال البحترى فى المعتزّ بالله :

إذا حُصِّلت عُليا قريشٍ تناصرت مآثره فى فخرهم ومناقبــــه

وقال أبو تمَّام :

لَقُدِدْتُ مِن شيمٍ كأنَّ سيورها يُقددنَ من شيم السحاب المرزمِ
لو قلتُ حُصِّلَ كلها فى حاتمٍ أو بعضُها ، لدعيتُ دافع مَغرمِ

وقال الأبيوردى :

وإذا مَعدٌّ حُصِّلتْ أنسابُها فهُمُ الذُّرى والجوهر المتخيَّرُ

ليس فى هذه الأمثلة شىء من تلك الصورة النافرة التى وقعت فى شعر صبرى ، وانك حين تنتقل معى الى البيت الثانى من قصيدته لترى أنه لم يقل شيئاً ، فان العامة من الناس ليعرفون أن الملوك بالشعوب ، فليس لواحد منهم فى ذاته حول ولا طول ، وهل قال صبرى على لسان فرعون الا ما قال ذو القرنين فى قصة بناء السدّ (فأعينونى بقوّة) ؟ وما ذا ترك الشاعر لفرعون بعد قوله فى هذا البيت — إن لم تؤيد فراعنة منكم — ؟ لقد تمّ التماثل بهذا الوصف بين فرعون وقومه ، أو بينه وبين رعاياه ، وما كان فرعون ليقول مثل هذا ، فأما قول الشاعر فى البيت الثالث إن ماء النيل لم يُخلق لكسلان ، فوصفٌ عامّ لا معنى لأن يقصر على النيل أو على سواه ، وهل فى هذا الكون من شىء صغيراً كان أو كبيراً إلا وقد خُلق لذوى الهمّة والمقدرة من هؤلاء العالمين ؟

يقول صبرى فى البيت الرابع على لسان فرعون لقومه : إن كنتم من الكسالى العاجزين فدعوا ماء النيل لا تقربوه ، وهلمّوا فاصعدوا الى المجرّة تتخذونها مورداً لكم ، أو اطلبوا لكم مورداً آخر سواه . هذا ما يقوله صبرى فى البيت الرابع فهل ترى هذا ممّا يستقيم فى العقول ، أو يتألف حتى فى موضع التباين من النفوس والطباع ؟

أما والله لو قالها شاعر آخر غير صبرى لحلفنا صادقين أنه يجهل أن مكان المجرّة فى السماء ، وهل فى المجرّة ماء ، أم كان فرعون من الشعراء ؟! قال فى البيت الخامس :

وابنوا كما بنت الأجيالُ قبلكمو لا تتركوا بعدكم فخراً لإنسانُ

الشطر الأول من قول الشاعر

نبنى كما كانت أوائلنـــا تبنى ، ونفعل مثل ما فعلوا

والثاني من قول الشريف الرضى :

مِن معشر أخذوا الفضلى فما تركوا منهـــا لمن يطلب العلياءَ مُتَّركا

وللشريف فى هذا المعنى :

لهـذه كان الزمانْ يَنتظرْ لم يَبقَ مِن بَعدكَ للمجدِ وطرْ

وقال صبرى :

أمرتـكم فأطيعوا أمرَ ربّكمو لا يـثنِ مستمعاً عن طاعةٍ ثانِ

بين هذا البيت والبيت الثاني تناقض بيّن وتخاذل معيب ، فهناك يقول فرعون لقومه إنه ليس بفرعون العظيم السلطان ، العالى العرش والشأن ، إن لم يطيعـوه ويؤيدوه ، وهو يقول هنا ، أمرتـكم فأطيعوا . . . وليس هـذا فحسب ، انه ليقول : فأطيعوا أمر ربكم ، ثم يحذرهم بعنف ، ويتوعدهم فى صـلف وكبرياء (لا يثن مستمعاً عن طاعة ثانِ) ! ان هذا لفرعون آخر غير ذلك ، بل انّ صبرى عن هذه الأبيات لغائب ، قال :

فالملكُ أمرٌ وطاعاتٌ تُسابقهُ جنباً لجنبٍ إلى غاياتِ إحسانِ

لم يقل شيئاً ، فهذا هو نظام الملك منذ كان الملوك وكان الناس ، وهذا أبو تمّام فانظر ما ذا يقول فى الواثق بالله :

تُدعى بطاعتك الوحوشُ فترعوى والاسدُ فى عِرّيسها فتدينُ

فأمّا قوله فى البيت الأخير ، لا تتركوا مستحيلا إلى آخره ، فمن الصّور الضخمة فى ذاتها ، ولكنه لا شيء من جهة الفنّ ، ومن آثار عبقريته فى هـذه القصيدة قوله :

مقالةٌ قد هوتْ مِن عرش قائلها على مناكبِ أبطالٍ وشجعانِ

غير أنك إذا نظرت الى هذا البيت على حدة ، ولم يكن لك علم بالغرض الذى نظم فيه ، كان لك منه صورة أخرى ، فأنت حينئذٍ لا تشك فى أن هذه المقالة كانت حضّاً على الحرب والقتال ، وليست (المناكب) هنا بمانعة . فهى كما تحمل الحجارة للبناء تحمل السيوف الى حومة النزول وساحة الهيجاء ، قال :

مادت لها الأرضُ من ذعرٍ ودان لها ما فى المقطم من صخرٍ وصوّانِ
لو غيرُ فرعونَ ألقاها على ملأٍ فى غير مصر لعُدَّت حُلمَ يقظانِ
لكنَّ فرعونَ إنْ نادى بها جبلاً لبَّتْ حجارتُهُ فى قبضةِ البانى

فى هذه الأبيات قوّة الشعر ، وبراعة الشاعر ، ولكن قوله (حلم يقظان) فى البيت الثانى مما يتمشى عليه حكم النقد ، وإن خيل اليك أنه توسعة فى اللغة ، انها لصورة شاذة تحاول أن تعطيك معنى الأمانى المستحيلة ووصفها فتفضح نفسها ، وتريك من ذاتها لوناً عجباً من ألوان المحال ، وفى هذه الصورة شىء آخر ، هو أنّ الأحلام على إطلاقها ليست من نوع هذه الأمانى الكاذبة ، فقد ورد فى الأثر ان الرؤيا الصالحة جزءٌ من الوحى ، وذلك مما أثبته العلامة ابن خلدون فى مقدمته وعرفه الناس من أمر هذه الأحلام غناء ؛ وهذا شيخ المعرّة يقول :

إلى اللهِ أشكو أننى كلّ ليلةٍ إذا نِمْتُ ، لم أعدم خواطرَ أوهامِ
فان كان شرّاً ، فهو لا بدّ واقعٌ وإن كان خيراً ، فهو أضغاثُ أحلامِ

ودع قوله (خواطر أوهام) فتلك سجية ، وهذا وأبو تمام على ما تعلم من شأنه وعلى أنه جعل للملام ماءً فقال :

لا تَسقنى ماءَ الملامِ ، فاننى صَبٌّ قد استعذبتُ ماءَ بكائى

لم يجترىء على الأدب فيقول (حلم يقظان) وهو يذكر طلوع الشمس والليل راغم ، قال :

أما إنهُ لولا الخليطُ المودّعُ وَربعٌ خلا منهُ مَصيفٌ ومَربعُ
لرُدَّتْ على أعقابها أريحيَّةٌ من الشّوق ، وَاديها مِنَ الدَّمعِ مترَعُ
لِحقْنا بأخراهمْ ، وقد حَوَّمَ الهوى قُلوباً عَهدنا طيرها وهىَ وُقّعُ
فرُدَّتْ علينا الشمسُ ، والليلُ راغمٌ بشمسٍ لهمْ مِنْ جانبِ الخدرِ تطلعُ

نضا ضوءه صابغ الدجنة ، وانطوى لبهجتها أوب الظلام المجزعُ

فوالله ما أدرى ، أأحلام نائم ألمت بنا ، أم كان فى الركب (يوشع) ؟

وصدق أبو تمام إذ يقول فى غير هذه القصيدة (وأخو الكرى لو لم ينم لم يحلم) وليس يصح الاحتجاج بقوله :

أيقظت هاجعهم ، وهل يغنيهم سهرُ النواظر ، والعقولُ نيامُ ؟

وبعد ، فقد أخذ صبرى هذه الصورة من قول أبى جعفر الأعمى ، قال :

كم مقلة ذهبت فى الغى مذهبها بنظرة هى شأنٌ ، أوْ لها شأنُ

رَهن بأضغاث أحلام ، إذا هجعت ورُبما حلمت ، والمرء يقظانُ

أما محصل المعنى فى البيت الأول والثالث ، فينطوى فى قول المعرى :

وأقسمُ لو غضبتَ على ثبير لأزمعَ عَنْ محلته ارتحالا

قال شاعرنا :

وآزرته جماهير تسيلُ بها بطاحُ وادٍ بماضى القوم ملآن

صرف جماهير للضرورة ، وأخذ من قول الأول (وسالت بأعناق المطى الاباطح) وقال :

ويُشبهون إذا طاروا إلى عمل جنًّا تطيرُ بأمر من سليمان

برًّا بذى الأمر ، لا خوفاً ولا طمعاً لكنهم خلقوا طلابَ إتقان

يشبه قوم فرعون بالجن ، وليس هذا بالجديد ، فقد تنازع الشعراء هذا التشبيه ، واستفاضت أفواههم فيه ، فمن ذلك قول عنترة :

لا أبعد اللهُ عن عينى غطارفةً إنساً اذا نزلوا ، جنًّا اذا ركبوا

أما قوله فى البيت الثانى (برًّا بذى الأمر ... الى آخره) فيمحو كل المحو تلك الصورة التى صدّر بها قصيدته ، فقد جعل فرعون يغرق فى استفزاز القوم وإحراجهم حتى لقد كاد يطردهم من مصر ويحول بينهم وبين ماء النيل ، فماذا جرى حتى جردهم من الخوف والطمع ، ووضعهم فى هذه المنزلة من البر والطاعة ؟ لسنا بسبيل الحقائق التاريخية التى اضطهدها الشاعر فى قصيدته ، وانما نحن فى مقام الابانة عن هذا العيب الفنى الكبير ، وفى هذا البيت الهادم لصدر القصيدة تعسفٌ شديد

من حيث الصناعة ، فقد تم المعنى فى الشطر الأول منه ، إذ قال الشاعر (برآ بذى الأمر الى آخره) فلم يبق من مكان لقوله فى الشطر الثانى (لكنهم) . وثم عيب آخر هو ذكر الاتقان فى البيت وما هو بسبيل منه ، إنه لكما تراه لامطمئن الموضع ، ولا متصل السبب ، قال :

أهرامهم تلك ، حَيِّ الفنَّ مُتخذاً   من الصُّخور بُرُوجاً فوق كيوانِ
لم يأخذ الليلُ منها والنهارُ سوى   ما يأخذُ النملُ من أركانِ ثهلانِ
كأنها ، والعوادى فى جوانبها   صَرعى ، بناء شياطينٍ لشيطانِ
فَصغَّرت كلَّ موجودٍ ضخامتها   وغضَّ بنيانها من كلِّ بنيانِ
كأنما هى ، والأقوامُ خاشعةٌ   أمامها ، صحفٌ من عالم ثانِ

إنا نحيي الفن مع الرئيس المكرَّم ، ونستأذنه فى ايراد بعض الشواهد على أن ما وصف به بناء الأهرام ، وانها كالبروج المنيفة على كيوان ، ليس من المبالغات المخترعة ، وأن الشعراء لم يغادروا كما يقول عنترة من مُتردَّم فى هذا الباب ، وهذا ما يقوله الشريف الرضى :

بنوا فى يفاعِ المجد ، وهو ممنَّعٌ   بِنَى طيرُها بين النجومِ وقوعُ

وأشد من هذا إغراقاً قول السموأل فى الأبلق الفرد :

لنا جبلٌ يحتلهُ من نجيرُهُ   منيعٌ يردُّ الطرفَ وهو كليلُ
رسا أصله تحت الثرى وسما به   الى النجم فرعٌ لا يُنالُ طويلُ

بل هذا هو الفرزدق يجرى فى هذا المضمار الى أبعد غاية فيقول :

ان الذى سمكَ السماءَ بنى لنا   بيتاً دعائمهُ أعزُّ وأطولُ

يقول صبرى فى البيت الثانى ان الليل والنهار لا يأخذان من الاهرام إلا ما يأخذ النمل من جوانب ثهلان ، وهو أحد الجبال العظام ، وهذا ولاريب نمل المتنبي الذى يقول فيه :

أحبك ، أو يقولوا جرَّ نملٌ   ثبيراً ، وابْنُ ابراهيمَ ريما

فى البيت الثالث صورتان : الأولى سقوط العوادى صرعى فى جوانب الاهرام ، والثانية أنها تشبه بناء الشياطين لبعض اخوانهم الشياطين ، وليس بين الصورتين من صلة ، ومن شأن اداة التشبيه التى توهم وجود هذه الصلة أن تزيدها تنائياً وبعداً . وفى معنى الصورة الاولى يقول البحترى :

رَدَّ الحوادث ملقاة أوائلُها على أواخرها ردعاً وإيقافا

وفى معنى الصورة الثانية يقول ابن المعتزّ فى قصر، وفيه زيادة ظاهرة :

فليس له فيما بَنى الناسُ مُشبِهٌ ولا ما بناهُ الجنُّ فى سالف الدهرِ

بل لقد قال شاعر قديم فى وصف بعض الأبنية ، ولعله الغاية فى هذا الباب :

عالٍ كأنّ الجنّ إذ مردتْ جعلته مِرقاةً الى النسرِ

فأما البيت الرابع فقد قال عبيد بن الأبرص فى معناه :

لا يبلغ البانى ولو رفعَ الدعائمَ ما بنينا

وقال جرير :

ورأيتَ أبنية خوتْ وتهدّمتْ وبناءُ عرشكَ خالدٌ لم يُهدمِ

يصف شاعرنا ما يأخذ النفوس من الخشوع أمام عظمة الأهرام وجلالها ، حتى لكأنها صحف من عالم آخر غير عالمنا هذا ، وهو وصف بليغ بجعل كل خشوع فى هذا الباب أو سواه مما يقاربه أو يتصل به مجرداً عن هذه الصورة الفخمة ، واليك صورة من هذا الخشوع المجرد لتعرف ما بين الصورتين من التفاوت ، قال الشريف الرضى :

قد مررنا على الديار خُشوعا ورأينا البنى ، فأينَ البانى ؟!

هذا شىء آخر وإن كان المقام واحداً ، وإنك لتلمح نوعاً من الشبه بين بيت صبرى وقول بعضهم :

همْ يهلكون ، ويبقى بعضُ ماصنعوا كأنّ آثارهم خُطّت بأقلامِ

قال :

أين الألى سجّلوا فى الصخر سيرتهم وَصَغّروا كلَّ ذى مُلكٍ وسلطانِ ؟

بادوا وبادت على آثارهم دُوَلٌ وأدرجوا طىَّ أخبار وأكفانِ

وخلّفوا بعدهم حرباً مخلّدةً فى الكونِ ما بين أحجارٍ وأزمانِ

وزُحزحوا عن بقايا مجدهم وسطا عليهم العلمُ ، ذاك الجاهلُ الجانى

وَيلٌ له ، هتكَ الأستارَ مُقتحماً جلالَ أكرمِ آثارٍ وأعيانِ

لَلجهل أرجح منه فى جهالتهِ إذا هما وُزِنا يوماً بميزانِ

فى هذه الأبيات البليغة من العظة الكونية العامة ما يذهب فى النفس البشرية إلى أعمق غور وأبعد قرار ، وفيها من تصوير مجد الفراعنة والتنويه بآثارهم ، وذمّ العلم وهو يتهجم على تلك البقايا الغالية والذخائر الثمينة وينتهك محارمها فى غير تعفّف ولا وفاء ، ما يُريك صورة الفن الشعرى فى تسلطه قضايا التأريخ وأحكامه ، وحقائق الحياة وأوهامها ، انّ لك فى هذه القطعة وحدها لَعالما غير محدود من العبر والعظات ، وانك حين تتأمّلها لترى الرئيس صبرى وقد برزت لك فى تاجها الرفيع ، وعلى عرشها الذهبي المكين ، تكتب لدولة الفراعنة ولغيرها من الدول العظيمة كلمة الرثاء فى جبين الدهر ، وتضع فى فمه أنشودة الحياة الكبيرة ، وتحيّة العظمة البالغة ، يردّدها لفرعون وقومه ، ولمصر العظيمة ونيلها ، أمّا العلم — ذاك الجاهل الجاني — فانظر اليه وهو يحتقره ويحرض التأريخ عليه ، ثم انظر فى ناحية أخرى ترَ الجهل البرىء يرفع رأسه ، ويشير إلى خصمه العلم ، والشماتة ملءَ عينيه وفمه ، إشارة الذى يقول : هل فهمت ؟

وبعد ، فقد بالغ صبرى كثيراً وهو يقول فى البيت الأول عن الفراعنة (وصغّروا كلّ ذى ملك وسلطان) ، وانّ للدول الاسلامية لحقّاً كبيراً فى ذمة التاريخ والأدب ، وخير ما يُفسر به هذا القول أنّه خاصٌّ بالدول المعاصرة للفراعنة ، أو ما كان منها بعد ذلك الى العصر الاسلامى العظيم ، فأمّا ما ورد فى البيت الثانى عن زوال الدولة الفرعونية وما بعدها من الدول تبعاً لتقلّب الدهر وجرياً على سنّة الوجود فما لا يكاد يستوفى كثرة وانتشاراً ، ومنه قول الشريف الرضى :

درجوا كما درج القرونُ وعلمهم أن سوف يُخبر آخرٌ عن أوّلِ

وقال المتنبى :

أين الذى الهرمان مِن بنيانهِ ما قومُهُ ، ما يومُهُ ، ما المصرعُ ؟

وهى الدنيا التى يقول فيها المعرّى :

ما نال فرعون بها نعمةً ولا صفا عيشٌ لموسى الكليم

وكقول صبرى فى هذا البيت (وأدرجوا طىَّ أخبارٍ وأكفانٍ) قول المعرى:

جمالَ ذى الأرض كانوا فى الحياة ، وهم بعد المماتِ جمالُ الكتبِ والسّيَرِ

وفى معنى ما يقوله عن العلم والجهل يقول أبو العلاء :

إذا رِعلمىَ الأشياءَ جَرَّ مَضرَّةً إلىَّ فانَّ الجهلَ أن أطلب العلما

ومما يتصل بهذا الباب قول بهاء الدين العاملى فى مَن يجمع الكتب ولا يستفيد من قراءتها :

لعمرىَ قد أضلتْكَ الهدايهْ ضلالاً ما له أبداً نهايهْ

فما تُنجى النجاةُ من الضلالهْ ولا يشفى الشفاءُ من الجهالهْ

وبالارشادِ لم يحصل رشادُ وبالتبيانِ ما بانَ السّدادُ

يقول صبرى فى البيت الأخير من هذه القطعة :

وَيْلٌ له هَتك الأستارَ مقتحماً جلال أكرم آثارٍ وأعيانِ

وليس هذا بصحيح على إطلاقه فما كانت ذخائر الفراعنة وأجسادهم فى مثل هذه المنزلة التى تفوق كلّ منزلة أخرى ، ولسنا ننكر مع كلّ هذا أن قصيدة (فرعون وقومه) ستبقى من الآثار البديعة والذخائر الغالية فى عالم الشعر والأدب .

رثاء أمين فكرى باشا

وهبتُك يا دهرُ مَن تطلبُ أبعدَ أمينٍ أخٌ يُصحَبُ !

طَويتُ المودّةَ فى شخصه فأىّ ودادِ امرىءٍ أخطبُ ؟

وأىّ بديلٍ لهُ أرتضى وأىّ شمائلهِ أندبُ ؟

أمينُ اتئد فى النوىْ ، وارعنى فبينى وبينك ما يوجبُ

أتذكرُ إذ أنتَ منى النّياط من القلب ، أو أنت لى أقربُ ؟

وإذْ نحنُ هذا لهذا أخٌ وهذا لذا ابنٌ ، وهذا أبُ ؟

ومَن قال عنا من الناظرين نديما جُذيمة ، لا يكذبُ

حسبتُ بأنّك لى خالدٌ فكان الذى لم أكن أحسبُ

ليس فى هذا الشعر من دلائل الفحولة وشواهد العبقرية ما يأخذ النفس ، أو يزيد شيئاً جديداً فى الفن : فأنت ترى صبرى فى هذه القطعة يرسل القول على هينةٍ وكأنه يقص عليك حديثاً أو يطلعك على ذات نفسه فى صورة مرددة من قديم

الرثاء وجديده، وأريد هذا الجديد الذى تراه ممسوخاً وتمر به مهدماً لايعنيك منه سوى أن تجاوزه وأنت فى عافية من بلائه . يقول صبرى فى مطلع قصيدته (وهبتك يا دهرُ من تطلب) فهل لهذا من معنى فى مقام الرثاء ؟ وهل ترى بين هذه الصورة الجامدة وبين ما بعدها من الصور الباكية التى تتمثل لك فى هذه القطعة من تماون أو التئام ؟ يهب صبرى للموت مَن يحب فى هدوء شامل وسخاء عميم وهذا الشريف الرضى يقول فى رثاء أمه :

لو كان يدفعُ ذا الحمامُ بقوةٍ لتكدّست عُصبٌ وراءَ لوائى
بمدرَّبينَ على القراعِ تفيّأوا ظلَّ الرِّماحِ لكلِّ يوم لقاء

وانظر الى المتنبي وهو يتحدث بأخذ الثأر من الحمى فى موت أمه فيقول :

هبينى أخذت الثأر فيك من العدى فكيف بأخذ الثأر فيك من الحمى!

ولعلّ الأصل فى هذه الهبة المعدول بها عن وجهها قول أبى تمام :

قصدتْ نحوه المنيّةُ حتى وَهبتْ حُسنَ وَجهـه للترابِ

فأما قوله فى البيت الثانى (طويت المودّة فى شخصه) فشبيه بقول البحترى فى وصيف التركى :

فيالك من حزمٍ وعزمٍ طواهما جَديدُ الردى تحت الصفا والصفائحِ

ومنه قول الشريف الرضى يخاطب القبر :

لم يواروا فيك ميْتاً ، إنما أفرغوا فيك ذنوباً من نوالِ

وقوله وهو أفخم :

اليومَ أغمدتُ المهنّدَ فى الثرى ودفنتُ هضبَ مَتالعٍ ويَلملمِ

وليس لقوله فى الشطر الثانى من البيت (فأىّ وداد امرىءٍ أخطب؟) أىّ جمال فنىّ بل هو يكاد يعدّ اليوم من كلام العامة وأشباههم ، ورحم الله الشريف الرضى إذ يقول :

فى كلّ يومٍ مودّاتٌ مطلقةٌ قد كان زوّجنيها الدهرُ مغرورا

يقول صبرى فى البيت الثالث (وأىّ شمائله أندب) ويقول الشريف الرضى :

أبكى نداهُ العريضَ أم بِشْرَهُ اللا معَ للمعتفين ، أم وَرَعَهْ ؟

ويقول صبرى فى البيت الرابع (أمين انشد الى آخره) وهو معنى من قول الشريف الرضى فى رثاء بعض أصدقائه :

ولقد حفظتُ له ، فأين حفاظهُ ؟ ولقد وفيتُ له ، فأينَ وفاؤه ؟

فأما قوله :

أتذكر إذ أنتَ منى النياط من القلب أو أنتَ لى أقربُ ؟

فمن قول الشريف الرضى فى رثاء :

أعزُّ على عينى من العينِ موضعاً وألطفُ فى قلبي من القلبِ موقعا

وقوله فى رثاء آخر :

يا ثانيـاً للنفس بل يا ثالث العينينِ عزّا

فأما قول الرئيس فى البيت السابع إنه كان وصاحبه كنديمى جذيمة فمأخوذ من قول الشاعر :

وكنا كندمانىْ جُـذيمة حقبةً من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا

قال الرئيس :

حسـبْتُ بأنكَ لى خالدٌ فكان الذى لم أكن أحسبُ

يقال حسبتُـه وحسبتُ أنه ، فلا محل للباء فى قوله (بأنك)، وغريب أن يظن صبرى أو يحسب أن صديقه بنجوةٍ من الموت فلعله أراد أن يقول كما قال الأول :

لقد كنتُ أرجو أن أملاَّكَ حِقبةً فحال قضاء الله دون رجائيا

أو لعله نظر الى قول الشريف الرضى فى رثاء الملك قوام الدين :

وما كنت أدرى أن فوقك آمراً من الدهر يدعو بغتة فتطيع

وأعجب من هذا قول المتنبي :

ألا انما كانت وفاةُ محمدٍ دليلا على أن ليس لله غالبُ

قال صبرى :

أفى ذا الشبابِ وهـذا الاهابِ يموت الفتى الطـاهرُ الطيّبُ ؟

ويُودى الذكاء ، ويقضى الوفاء وتردى الفضـيلة أو تعطبُ ؟

عجيبٌ من الموت أفعاله وعتبى على فعله أعجبُ
بذا حكم الله في خلقه لكل امرىء أجلٌ يكتبُ

يتفجع الرئيس لموت الفقيد فى شبابه ، ويبكى فيه الذكاء والوفاء والفضيلة ، وما هى بشىء آخر فيكون لنا من ذكرها صورة جديدة قائمة بذاتها ، فأما فى المعنى الأول فيقول أبو تمام :

إنّ الفجيعة بالرياض نواضراً لأشدُّ منها بالرياض ذوابلا

ويقول الشريف الرضى :

طويتك طىَّ البُرْدِ لم يُنضَ من بِلًى وقد يُغمدُ المطرورُ وهو صنيعُ

ولسنا نتكلف ايراد الشواهد على كثرة ما قيل فى الباب الثانى ، فهو كل ما يقال فى الرثاء ، فأما قوله فى البيت الثالث إنه يعجب من (أفعال) الموت ، ويرى أن عتبه على (فعله) أعجب ، فأنت أذكى من أن ندلك على ما فى (أفعاله وفعله) من العجب ، والمعنى مأخوذ من قول الغطمش الضبيّ :

أخلاّىَ لو غير الحمام أصابكم عتبتُ ،ولكن ما على الموت مَعتبُ
بذا حكم اللهُ فى خلقه لكل امرىء أجلٌ يُكتَبُ

صدق صبرى وصدق الشيخ أبو العتاهية إذ يقول (وانّ لكل ذى أجل كتابا) وإذ يقول :

كلُّ نفس ستوافى سعيها ولها ميقاتُ يوم قد وجبْ

ولم تضنّ على الخنساء بالتحية وقد قالت :

أبكى فتى الحىِّ نالته منيّته وكلُّ نفس الى وقت ومقدار

إرعوى الرئيس بعد طول التفجع الى حكم الله وسنة الحياة فأشبه مسلم بن الوليد إذ يقول فى يزيد بن مزيد :

أحقاً انه أودى يزيدُ ؟ تأمّل أيها الناعى المشيدُ
أحامى المجد والاسلام أودى فما للأرض ويحك لا تميدُ ؟
أما والله ما تنفكُّ عينى عليك بدمعها أبدا تجودُ

أبعد يزيد تختزنُ البواكى دموعاً ، أو تصان لها خدودُ ؟
لتبكك قبة الاسلام لما وهت أطنابها ، وهوى العمودُ
فإن يهلك يزيدُ ، فكلُّ حىّ فريسٌ للمنيةِ ، أو طريدُ

قال صبري :

وَجدتُ الحياة طريق المَمات وكلٌّ الى حتفهِ يسربُ
ويعثرُ فيه الفتى بالشباب ويدلفُ بالعلة الأشيبُ

فأما ان الحياة طريق الممات ، فقد قال السموأل :

ميْتاً خُلقتُ ، ولم أكن من قبلها شيئاً يموتُ ، فمتُّ حين حييتُ

وقال الشريف الرضى :

بقاء الفتى مستأنفٌ من فنائهِ وما الحىُّ الا كالمغيَّب فى الرمسِ

وأشد من هذا ابانة عن المعنى قول البحترى :

أجارتنا من يجتمع يتفرّق ومن يك رهناً للحوادث يغلقِ

وأوضح منه قول المعرّى :

إن شئت أن تكفى الحِمام ، فلاتعش انّ الحياة الى المنيّة سُلّمُ

بل نحن ندع هذا السلم لنلتقى وشاعرنا الكبير فى طريق واحد ، قال المعرّى يخاطب الدنيا :

وجدناك الطريق الى المنايا وقد طال المدى ، فمتى نجوزُ ؟

وأما موت الشباب ، وبقاء الشيب فكثير ما قيل فيه ومنه :

يرجو الأبُ الطفلَ الصغيرَ وطالما هلك الوليدُ ، وعاش فينا الوالدُ

وقال بعضهم :

كم عُوجلت غادةٌ كعابٌ وغودرتْ أمُّها العجوزُ

والأصل فى هذا الباب قول زهير بن أبى سلمى فى معلقته :

رأيتُ المنايا خبط عشواء من تُصب تُمِتْه ، ومن تخطىءْ يعمَّرْ فيهرمِ

قال صبرى :

ألمّا تكامل نورُ الأمين وتاه به الشرق والمغربُ

وَوَفى المكارمَ ما أمّلت   وأعطى الفضائل ما تطلبُ
ودانَ له أملٌ فى الحياة   وتمّ له فى العلى مأربُ
طواه الردى علماً فانطوى   به أملٌ مقبلٌ نرقبُ ؟

عاد الشاعر الى التفجع بعد ذلك الارعواء ، وفى هذه القطعة تقليد ناطق لقول أبى تمام فى أحمد بن هارون القرشى :

أفلمّا تسرْبلَ المجدَ واجتا   بَ من الحمد أيّما مُجتابِ
وتراءته أعينُ النّاظريه   قمراً باهراً ورئبالَ غابِ
وعلى عارضيْهِ ماءُ الندى الجا   رى وماءُ الحجى وماءُ الشبابِ
أرسلت نحوه المنيّةُ عيناً   قطعت منه أوثقَ الأسبابِ ؟

قال صبرى :

فيا نائياً والهوى ما نأى   وذكراه فى البالِ لا تعزبُ
هنيئاً لدارٍ تيمّمتها   لقد زارها المَلَكُ الأطيبُ
وجاورها كوثرٌ من خلالكَ حُلوٌ مع الخلد مُستعذبُ
تنعّمتَ فيها ، وخلّيتني   لدى منزلٍ بَرْقُهُ خلّبُ
ودادُ الصديقِ به حُوّلٌ   وقلبُ الصديقِ به قُلّبُ
وصعبٌ على الحرّ فيه المقام   ولكنّ هجرانه أصعبُ

نأى أمين فكرى ، وما نأى هواه عن صبرى ولا عزبت ذكراه عن باله ولو شئنا أن نسوق اليك أسراباً متلاحقة من أشباه هذه الصورة ونظائرها لفعلنا ، فحسبك منها قول أبى تمّام :

لها منزلٌ تحت الثرى وعهدتها   لها منزلٌ بين الجوانحِ والقلبِ

وقوله (قالوا وشوقك لم يظعن ولم يبن) وقول الشريف الرضى :

شوقٌ أقام وأنت غير مقيمةٍ   والشوق بالكلِف المعنَّى أعلقُ

فأما قول صبرى (هنيئاً لدارٍ تيمّمتها) فلا طائل تحته وهو معنىً من قول أبى تمام :

بات الثرى بأخى جذلانَ مبتهجاً وَبِتُّ يحكمُ فى أجفانىَ السُّهُدُ

وانك لفى غِنًى عن إيذانك بما فى البيت الثالث من الاضطراب وشدّة القلق ، وأما قوله (تنعّمتَ فيها وخلّفتنى ، إلى آخر البيت) فمن الصّوَر التى تناولها الشريف الرضى فى قوله :

يفوز بالراحة الفقيــدُ وللفا قدِ طولُ العناء والتعبِ

نتخطّى البيت الخامس الى ما بعده ، وهو الذى يقول صبرى فيه إن الحياة فى هذه الدنيا ثقيلة على الحرّ ، ولكنّ الموت عليه أثقل ، وهذا وصفٌ عامٌّ يتمشّى على الناس كافّة ، فلا معنى هنا للتخصيص والحصر ، (تعبٌ كل الحياة ...) . قال عمران بن حطّان فى الدنيا :

أرى أشقياء الناسِ لا يسأمونها على أنهم فيها عُراةٌ وَجُوَّعُ !

لا ، فتلك قضيّة لا تُؤخذ إلاَّ من فم المعرّى ، ومنه أخذ صبرى ، قال :

وجدنا أذى الدنيا لذيذاً كأنما جَنَى النحل أصنافُ الشقاء الذى نجنى

فما رغبت فى الموت كُدْرٌ مسيرها الى الوِرْدِ خِمْسٌ ثم يشربن من أجْنِ

ولا قلقاتُ الليلِ باتت كأنها من الأين والادلاج بعض القنا اللدْنِ

وخوف الردى آوى الى الكهف أهله وعلم نوحاً وابنه عملَ السُّفنِ

قال صبرى :

ويا تربةً حَلّ فيها الأمينُ لأنت الفراديسُ أو أخصبُ

حُبِسْتِ على رحماتِ الرحيم وجادك رضوانهُ الصَّيِّبُ

ولا زالت السحبُ منهلّةً وأنت لأذيالها مَسْحَبُ

وَرَوَّتك منى دموعٌ تسيلُ تحامرها مُهَجٌ تسكبُ

ليس فى تشبيه القبر بالروضة شيء جديد ، فالمرائى حافلة بهذا ومنه قول الشريف الرضىّ :

وإن ضرّ الحكم فى الصعيد لتكسو الخبيثَ من الأرض طِيبا

وقوله فى قبر ابن الطائع لله ، وفيه صورة أخرى ولونٌ مزيدٌ :

متهللُ الجنباتِ تضحك أرضُه فكأن بين فروجها الجوزاءَ

ويقول أبو تمام :

مضى طاهرَ الأثواب ، لم تبقَ روضةٌ غداةَ ثوى الا اشتهت أنها قبرُ !

والغاية فى هذا الباب قول المتنبي :

وما ريحُ الرياض لها ، ولكن كساها دفنُهم فى الأرض طِيبا

يدعو صبرى لتربة الأمين بسقيا السحب ، فمن يصدق أن هذا من قوله ؟ وماذا تصنع السحب بالقبور ؟ ياله من تقليد جاهلى لا يكاد يرحم الأدب ، ولا أدرى كيف تقيد الشريف الرضى فى القرن الخامس من التأريخ الهجرى بهذا المذهب فأكثر من طلب السقيا للقبور ، ومنه قوله :

سقاكَ وإن كنت فى شاغلٍ عن الريّ دانى الندى صائبُ

وقوله :

أخلاىَ لا زال جمٌ البروق أجشُ الرُعودِ يطيعُ الجنوبا

يَشُقُّ المزادَ على تُربكم وَيجرِى على كلّ قبرٍ ذنوبا

وقوله :

أرمَى النسيمُ بواديكم ، ولا برحت حوَامِلُ المزن فى أجداثكم تضعُ

بقى أن نحكم حكما عاماً على هذه القصيدة فنقول فى غير مداراة ولا مصانعة إنها ليست من الشعر المأثور ، وانها قصيرة العمر قريبة مدى البقاء فى عالم الأدب الحىّ ، ومن عيوبها أنها لا تعطى القارىء صورةً واضحة عن الفقيد ، فهى مأتم يفزعك ما تسمع فيه من شدة الصخب والضجيج ، ولكنك لا تعرف عن الميت الا انه صديق عزيز ، وانه كان ذكياً وفيّاً ، تكامل نوره ، فتاه به الشرق والغرب ، ووفّى المكارم حقها وأعطى الفضائل طلبتها ، كان علماً فانطوى ، وانطوى فيه أمل : هذا هو أمين فكرى فى قصيدة الرئيس . وقد يُردّ كل ما عزى اليه من الفضائل فى ظلمة هذا الغموض الى المبالغات الشعرية فلا يبقى الا انه صديق عزيز وأخ للشاعر كريم ، وما أشجى ما يقول الشريف الرضى فى فقد الاخوان والاصدقاء :

أحبابىَ الأدنين كم ألقى بكم داءً يمضُّ فلا أُداوِى الداءَ

إلا يكن جسدى اصيب ، فاننى فرقتُهُ ، فدفنتهُ أعضاءَ !

مذنب هالى

مزع العالم كله لما كان يُتوقع من جسام الحوادث حين زعم المهوِّلون المزاعم عن هذا المذنَّب العظيم فلم يكن عجباً أن يتناول صبرى باشا هذا الحادث الكبير فيخلِّد ذكراه فى قصيدةٍ من شعره الجزل . وانَّا لبسبيل هذه القصيدة التى تُرينا صبرى الشاعر الكبير ، وصبرى العالم الفيلسوف ، وصبرى الزعيم الداعية ، وصبرى الحانق المتغيّظ ، وانك لترى صبرى الأخير فى هذه القصيدة وقد اتَّقدت عيناه ناراً ، وتدفَّق الغضب من فمه متدافعاً زخاراً ، فتذكر به نوحاً وقوله : (ربِّ لا تذَرْ على الأرض مِنَ الكافرينَ ديَّاراً ، إنكَ إنْ تذرْهم يُضلُّوا عِبادك ولا يلدوا إلاَّ فاجراً كفَّاراً) .

يغضب صبرى فى هذه القصيدة غضبته الكبرى ، لا مُتجنِّياً على العالم وناسه ، ويستنزل الموت والعذاب على هذه الأرض لا لقسوةٍ فى طبعه ، ولا لشراسةٍ فى احساسه ، ولكنَّه رأى الأمم تتَّخذ من أهوائها الظالمة وشهواتها الوحشيَّة الدنيئه أوثاناً تعبدها ، وأصناماً تعكف عليها ، ووجد مظالم البشر ومناكرهم تُثقل ظهر الأرض وتملأ جوانب العالم ، فلا حنان ولا حُبّ ولا نور ولا جمال ، وهذا ما يصفه فى قصيدته ، قال :

غاض ماءُ الحياءِ مِن كلِّ وجهٍ فغدا كالحَ الجوانبِ قفرا
وتفشَّى العقوقُ فى الناس حتى كاد رَدُّ السَّلامِ يُحسَبُ برّا
أوْجُهٌ مِثلَ ما نثرتَ على الأجْـداثِ وَرْداً إن هُنَّ أبدينَ بشرا
وَشِفاهٌ يَقُلْنَ أهلاً ولو أدَّيْـنَ ما فى الحشا لَما قُلْنَ خيرا
عمْرَكَ اللهُ هل سلامٌ ووادٍ ذاكَ ، أم حاوَلَ المسلِّمُ أمرا ؟
عَمِيَتْ عن طريقها أم تعامتْ أممٌ فى مَفاوزِ الجهل حيرى ؟
غرَّها سعدُها ومِن عادةِ السَّعْـدِ يُؤاتى يوماً ويخذل دهرا
فتجنَّت على الشعوب وشنَّتْ غارةً فى البلاد من بعد اخرى
نَسِيَتْ فى الصُّعودِ يومَ التَّدَلِّى والتَّدَلِّى بصاعد الجَدِّ مُغرَى
تَعِبَ الفيلسوفُ فى الناسِ عصراً وتولَّى السَّرائرَ الدينُ عصرا

والورى طاردٌ ازاء طريدٍ وعقابٌ يُمسى يطاردُ صقرا
عِبَرٌ كلها الليالى ، ولكن أين مَن ؟ يفتح الكتاب ويقرا ؟
أنت نعم النذيرُ يا نجم هالى زلزل السَّهلَ والرواسىَ ذعرا
ظنَّ قومٌ فيك الظنون وقالوا آيةٌ ارسلت الى الأرض كُبرى
إن يكن فى يمينك الموت فاقذِفْهُ شُواظاً على الخلائق طرًّا
أغداً تستوى الانوفُ فلا يَنْظُرُ قومٌ قوماً على الأرض شزرا ؟
أغداً يصبحُ الصّراعُ عناقاً فى الهيولى ، ويصبحُ العبدُ حرًّا ؟
إن يكن كل ما يقولون ، فاصدع بالذى قد أمرت حييت عشرا !

ظهر صبرى فى مواضع كثيرة من هذه القصيدة التى بقيت منها أبيات أخر لم نتناولها ظهوراً واضح الأثر ، ناطق الدلالة . ولسنا نزعم أنه قضى حاجة الفن كل القضاء ، وأتى من سعة التصوير ودقة الوصف بكل ما يتطلب الأديب ، فقد كف نفسه عن كثير من أطماعها الفنية ، وقنع بالنزر اليسير من تمثيل آلام الانسانية وأحزانها ، فلولا ما اشتملت عليه القصيدة من جودة النظم ، ولولا ما وعت من الحكمة وبراعة الوصف فى [illegible] الاشراق منها ، لفقدت جمالها ، ووقعت فى مكان آخر غير مكانها ، وقد يكون هذا حكمها لو لم تجى [illegible] الصورة المجملة فقد عرفنا ان صبرى يعيا بالمطولات ولا يستطيعها ، وليس لما أكره عليه الطبع من جمال .

لم تخل هذه القصيدة من عيوب فنية ، يتمثل بعضها فى الرجوع الى الشعر القديم والاستعانة به على تأدية بعض الأغراض ، ويقوم بعضها الآخر فى اغفال ما لا بد منه لاصابة الوجه واقامة المذهب . فمن الباب الأول قوله :

غاض ماء الحياء من كُلّ وجهٍ فغدا كالح الجوانبِ قفرا

وقد تداول الشعراء ماء الحياة فى حالتيه فهو يفيض على ألسنتهم تارة ويغيض تارةً أخرى ، وكذلك هم قد تناولوا خصب الوجوه وجدبها ، فأطالوا فى ذلك وأكثروا . فما قالوا فى ماء الحياة :

كثيرُ حياء الوجهِ يقطر ماؤهُ على انهُ من بأسه النارُ تلفحُ !

ومن قولهم فى الوجوه الخصيبة وهو للخزيمى :

وما الخصبُ للاضياف أن يكثر القرى ولكنما وجهُ الكريم خصيبُ

وقال ابن أبي الهيدام فى نقيض هذا المعنى :

لى صديقٌ هو عندى عوزٌ من سدادٍ ، لا سدادٌ من عوزْ

وجهُه يُذكرنى دارَ البلى كلما أقبل نحوى وضمزْ

ومن هذا قول الآخر :

لا يعملُ المِبْرَدُ فى وجهِهِ وَوَجْهُهُ يعمَلُ فى المِبْرَدِ !

ومن قول صبرى فى باب الرجوع الى القديم :

وتفشّى العقوق فى الناس حتى كاد رَدُّ السلام يُحسبُ برّا !

فان ذلك قول ابن عمار :

تناهيتمو فى برنا لو سمحتمو بوجهِ صديقٍ فى اللقاء وسيمِ .

ويقول صبرى .

وَشِفاهٌ يقلنَ أهلاً ولو أدْ . . . نَ ما فى الحشا لما قلنَ خيرًا !

وهو من قبيل قولهم :

يقولون لى أهلاً وسهلاً ومرحباً ولو ظفروا بى ساعةً قتلونى !

والياء من قوله (خيراً) فى هذا البيت من عيوب القافية ، وقد تكرّر هذا العيب فى قوله :

عَمِيَتْ عن طريقها ، أم تعامَتْ امَمٌ فى مفاوزِ الجهل حيرى ؟

وقوله (مفاوز الجهل) فى هذا البيت لا يخلو من مطعن ، ففى اللغة على وجهٍ راجح ان المفازة صفةٌ عكسيّة للفلاة المهلكة يُراد بها التفاؤل بالنجاة ، وليس المقام يحتمل هذا ، ومَرَدُّ الأمر الى فقه اللغة وأدبها ، ومن التعسُّف اللغوى قوله :

غرّها سعدُها ، ومن عادة السّعْـ ـدِ يؤاتى يوماً ويخذل دهرًا

يقال من عادته أن يفعل كذا ، فلا وجه لإسقاط (أن) . قال الشاعر :

أعادَتُها أن لا يعاد مريضُها وَسيرتُها أن لا يُفكّ أسيرُها ؟!

والمواتاة لُغةَ الموافقة ، فما هى للخذلان بضدّ ، والمعنى فى هذا البيت وقوله :

نسيَتْ فى الصعود يوم التدلى والتدلى بصاعد الجدّ مُغرى

مأخوذ من قول الشاعر :

ماطار طيرٌ وارتفعْ إلاَّ كما طارَ وَقعْ

ومن قول الآخر :

لا يأمننَّ قويٌّ نقضَ مِرَّتِهِ إنى أرى الدهرَ ذا نقضٍ وإمرارِ

ومن الخلل الوصفى قوله (والورى طارد إزاء طريد) فالوجه أن يقال وراء لتستقيم الصورة ، وفى هذا المعنى يقول الشريف الرضى :

والناسُ أُسْدٌ تحامِى عن فرائسها إمَّا عقرْتَ ، وإما كنتَ معقورا

وللمعرّى فى الناس :

هُمُ السّباعُ إذا عَـنَّتْ فرائسُها فإنْ دعوتَ لخيرٍ حُوّلوا حُمُرَا !

وله :

إذا أنتَ لم تهرب من الأنسِ ،فاعترفْ بطُلْسٍ تعاوَى ، أو ثعالبَ تَضبحُ

وقال :

والعيشُ حربٌ ، لم يَضعْ أوزارَها إلاَّ الِحمــامُ ، وكلُّنا أوزارُ

فأما قول صبرى :

عِبَرٌ كلُّها الحياةُ ، ولكن أينَ من يَفتحُ الكتابَ ويقرا ؟

فن الصور القديمة التى يراها الأديب أكداساً متراكمة فى أفنية المدرسة الشعرية الأولى ، قال عدىّ بن زيد :

كفى زاجراً للمرء أيامُ دهره تروحُ عليه بالعظاتِ وتغتـدى

وقال المعرى :

إفهمْ عن الأيامِ ، فهى نواطقٌ ما زال يضربُ صَرْفُها الأمثالا

وقال :

والدّهـرُ شاعرُ آفاتٍ يفوهُ بها للنّاسِ ، يَفكرُ أحياناً ويرتجلُ

ومن قوله فى هذا الباب :

أوَ ما قرأتَ سِجلَّ دهرِكَ ناطقاً بالهُلْكِ ،يُشْكَلُ بالخطوبِ ويُنقطُ ؟!

وقال أبو العتاهية :

إنّ الزّمانَ لَشاعرٌ وخطيبُ

قال صبرى :

إن يكن فى يمينكَ الموتُ فاقذفـ ـهُ شُواظاً على الخلائق طُرّا

أغداً تستوى الانوفُ فلا ينـ ـظرُ قومٌ قوماً على الأرض شزرًا ؟

كان الخطر المتوقع من ذنَب نجم هالى ، فلا معنى لذكر يمينه أو شماله ، وليس فى البيت الثانى أكثر ممّا قيل قديماً :

ولقد مررتُ على القبور فما مَيَّزْتُ بين العبدِ والمولى

ومثله قول المعرّى :

والموتُ يسلبُ ما فى الأنف من شممٍ تحت الترابِ، وما فى الخدّ من صعرِ

وقال الشريف الرضىّ فى الموتى :

نزلوا بقارعةٍ تَشَابَهَ عندها ذُلُّ العبيدِ ، وعِزّةُ الأحرارِ

ومن الصور الرائعة فى قول صبرى فى هذه القصيدة :

تعبَ الفيلسوفُ فى الناس عصراً وتولى السرائرَ الدينُ عصرًا

ولكنك اذا عرضت هذه القضية الضخمة على عقلك وأنت تنظر الى تاريخ البشر وأديانهم وفلسفاتهم لم تجد لها من أثر أمام الحقيقة ، فان الانسان الأول لم يهبط الى هذه الأرض الاّ ورسالة الدين فى عنقه ، فالولاية العامة إذاً على هؤلاء البشر لم تكن لشيء آخر سوى الدين فى أى عصر من العصور ، ولا يطعن فى ذلك ماكان من تلك الفترات التى تخللت مجيء الرسل والانبياء عليهم السلام ، ولست بمنكر عمل الفلسفة وأثر الفلاسفة فى حياة الأمم ولكنى أنكر تلك الصورة المحرفة التى توهم التعاقب فى الولاية بين الفلسفة والدين ، وهو مالا وجود له . وأبدع ما فى هذه القصيدة قوله :

أوْجُهٌ مثلما نثرت على الأجـ ـداثِ وردًا إن هنّ أبدين بشرا !

وقوله :

أغداً يصبحُ الصّراعُ عِناقاً فى الهيولى، ويصبحُ العبدُ حُرّا ؟!

وأنا أرجو أن تكون الصورة التشبيهية فى البيت الأول من مبتكرات صبرى .

ولعل قوله فى البيت الثانى (ويصبح العبد حراً) مما يدخل فى باب الملحقات التى لا صلة بينها وبين ما هى اليه من الكلام ، وقد اندمج هـذا المعنى فى قوله (أغداً تستوى الأنوف، الى آخره) فلم يبق له من محل ، وقد كان من حق هذا البيت البديع الذى يعدّ من الشعر الملمى ، وهو قليل فى آثارنا الشعرية ، أن يأخذ مجراه على هذا النّسق الى النهاية ، ولكنّ عين الكمال كما يقول الأقدمون أصابت شاعرنا فأتمّه بهذه الرقعة التى حجبت وراءها جمالاً كثيراً ، وانك حين تتخيّل هذا الصراع البشرى العنيف وقد استحال بعد الموت وآثاره عناقاً وضماً والتزاماً بين بقايا البشرية وأنقاضها ، أو بين مادتها المنحلة وجوهرها الدائب المتناثر ، إنّك حين تتخيل هذه الصورة الرائعة لتريد أن تلتهمها كاملة ، وانك لتراها ناقصة فى البيت ، والكمال لله وحده ، فاعذر صبرى ، وانظر ما يقول المعرى فى المرتبة الأولى من مراتب هـذا العناق وهو يصف المنايا وأحداثها :

فكم قارنٌ من رأسٍ برِجلٍ   وكم ألحقنَ مِنْ قدمٍ براسٍ !

قصيدة فى تهنئة السلطان حسين

ليس لهذه القصيدة من شأن يذكر ، ولعل هذا لأنها نظمت لضرورة سياسية ، ونحن نمر بهذه القصيدة لماماً . قال فى مطلعها :

اليوم آنَ لشاكرٍ أن يجهرا   بالشكر ، مرتفعَ العقيرة فى الورى !

ومنها :

هـذا ابنُ اسماعيلَ : نجمٌ طالعٌ   لهداية السارى ، فحىّ على السُّرى

وقد ختمها بقوله :

حالٌ اذا نظر الأديب جمالها   شكر الاله ، وحقّه أن يشكرا

فى البيت الأول اضطراب ظاهر ، وفى الثانى معنى مكرر من أشعار المتقدمين ، ومنه قول كعب الأشعرى فى آل المهلب :

نجومٌ يُهتدى بهمو اذا ما   أخو الغمرات فى الظلماء حارا

فأما البيت الثالث فشبيه بقول البهاء زهير فى الأمير مجد الدين محمد بن اسماعيل:

وغفرتُ ذنبَ الدهر يومَ لقائه وشكرتُه ، ويحقّ لى أن أشكرا

وأحسن ما فى هذه القصيدة قوله :

والنيل لم يبرح على العهد الذى أخذته قبلُ عليه ناضرةُ القرى

متهادياً بين البقاع ، مناجياً أرجاءها بالخصب يكتنفُ الثرى

لو أن اطلال المنازل تنطق

هذه هى القصيدة الرنانة التى احتلت مكاناً رفيعاً ومنزلةً سامية فى مملكة الشعر وكانت لصبرى آية ناطقة وحجة ناهضة على أنه من مهرة الشعراء وجهابذتهم ، وهى محلاة بالكثير من بدائع الفن ومحاسنه . وقد انبسطت فيها نفسه وتدفق طبعه ، على غير عادته فى المطولات فظهرت فيها قوة الباعث ونشاط الروح الشعرىّ وجاءت من المأثورات التى تستطيع الاحتفاظ بجدتها وحرارتها مدة طويلة . وفى معتقدنا أن هذا النشاط المتجدد فى القصيدة مردود الى تجدد الأغراض وترادفها فقد اشتملت على سبعة وثلاثين بيتاً : منها خمسة فى ذكر الاطلال والمنازل ومناجاة الأحباب والشكوى من الفراق ، وأربعة فى عيد الفداء وسدة الملك وما ينتظم فى هذا السلك ، واثنا عشر بيتاً فى مدح الامير وذكر الشورى ونحو ذلك ، وثلاثة عشر فى فاجعة دنشواى وآثارها ، وثلاثة وهى ختام القصيدة فى مدح العباس والدعاء له — هذا ما نعتقده ولعلنا فيه على صواب .

قال صبرى فى هذه القصيدة :

لو أنّ اطلال المنازل تنطقُ ما ارتدّ حرّانَ الجوانح شيقُ

لا ننكر على صبرى ذكر الاطلال إنكار من يرى أن هذا يعد من مهجورات الزمن القديم والحياة الاولى فان للشاعر أن يتناول كل شىء ، وليست اطلال الديار وذكرى الأحباب مما يدخل فى ذلك الباب فما تزال يد الزمن تعفو الآثار وتبلى الجديد .

لا ننكر هذا على صبرى ولا سواه من شعراء عصرنا ، بل نحن نرى أن يكون وصف الطلل من الصور الفنية التى ينبغى لكبار الشعراء أن يتناولوها ، ويتباروا فيها ، ولكن لا على تلك الطريقة القديمة التى لا تتعدّى ذكر القدم ووصف البلى

ذلك الوصف الجافّ الذي لا يفيد من الوجهة الفنية ولا يغني ، وهـذا موضع العيب في قصيدة صبري ، وثمّ موضع آخر مُقدَّم على هذا ، وهو فساد الذوق وسوء الاستعمال ، فانّ كل مقام لا يحتمل ولا يقبل إلاّ ما يناسبه من الصور والألوان ، وصبري في هذه القصيدة بسبيل التهنئة وفي مقامها ، فليس من أدب الفن ونظامه أن يبدأها بتلك الصورة المحزنة ، ولا أن يلطخ وجهها بمثـل ذلك اللون القاتم ، واليك أمثلة من الشعر القديم تريك تقليد صبري في ذكر الاطلال واضحاً ، وتدلك على قصوره وضعف قوّته حتى في هذا التقليد . قال امرؤ القيس :

قِفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ وعرفانِ ورسمٍ عفت آياته مُنذُ أزمانِ
أتتْ حِجَجٌ بعدي عليها فأصبحت كخطِّ زبورٍ في مصاحف رهبانِ
ذكرتُ بها الحيَّ الجميعَ فهيَّجتْ عقابيلَ سُقمٍ من ضميرٍ ، وأشجانِ
فسحت دموعي في الرداء كأنها كُلًى من شَعيبٍ ذاتُ سَحٍّ وتهتانِ

وصف امرؤ القيس الأطلال في هذه الأبيات فشبّـهها في دثورها وخفاء معالمها بأساطير الكتب القديمة ، وذكر ما أصابه وهو يقف فيها فيراها مُقفرة من سا كنيها ، وهو إذ تغلبه الذكرى على صبره في هذا الموقف فيبكي ، يصوِّر لك كيف بكى ، ويصف دموعه وهي تجرى سحّاً على ردائه ، فيقول لها إنها كانت كالماء يتدفق من الرقعة الواهية في السِّقاء البالي ، وهذه صورة تشبيهيّـة أخرى ، لها شأنها في باب التصوير الفني ولها مكانها ، قال زهير بن سلمى :

أمِنْ أمِّ أوْفَى دمنةٌ لم تكلَّمِ بحومانةِ الدرّاج فالمتثـلَّمِ
ودار لها بالرقمتين كأنها مراجعُ وشمٍ في نواشر مِعصمِ
بها العِيـن والآرامُ يمشينَ خِلفةً وأطلاؤها ينهضنَ مِن كُلِّ مَجثمِ
وقفتُ بها من بعد عشرينَ حجةً فلأْياً عرفتُ الدارَ بعد توهّمِ
فلمّـا عرفتُ الدارَ قلتُ لربعها : ألا انعمْ صباحاً أيها الربعُ واسلمِ

هذا وما قبله من الشعر الوصفي الذي يزيد في ثروة الفنّ ويوسِّع أُفقـه ، ومما يُنسَب الى عنترة . وفي البيت الثاني موضع كبير للشك لبعد العرب عما يُرى فيه من آثار الصناعة :

لمن طللٌ بالرقتين شجاني ... وعاثت به أيدى البلى فحكاني
وقفتُ به ، والشوق يكتب أسطراً ... بأقلامِ دمعى فى رسوم جَنانى

كان هذا شأن القوم فى العصر الأول ، وقد بقى لهـذا المذهب أثره حتى فى العصر الأموى الذى ألبس الشعر ثوباً جديداً من الحضارة . وهذا ما يقـوله الأخطل :

لمن الديارُ بحايلٍ فوُعالِ ... درستْ وغيَّرها سِـنونَ خوالِ
دَرَجَ البوارحُ فوقها فتنـكّرتْ ... بعد الأنيسِ مَعارفُ الأطلالِ
فـكأنّما هى مِن تقادم عهدها ... ورَقٌ نُشرن من الـكتاب بوالِ
دارٌ تبـدّلت النعامَ بأهلهـا ... وصُوارَ كلِّ ملمّعٍ ذيّالِ

أما جرير فيقول :

ما للمنازل لا يُجبـنَ حزينا ... أصممن أم قَدُمَ المدى فبلينا ؟

على أن جريراً خيرٌ من الأخطل ، فقد أخرج نفسه وفنه من هذا المضيق بعض الشىء فقال :

حَىِّ الديارَ كوحى الـكاف والميمِ ... ما حَظُّكَ اليوم منها غيرُ تسليمِ

بل هو قد استحدث للشعر لغةً جديدة فى وصف الديار ، فانظر الى البيت الثانى من قوله :

لمن الدّيارُ كأنهـا لم تُحْـلَلِ ... بينَ الـكناسِ وبين طلحِ الأعزلِ ؟
ولقد أرى بك ، والجديدُ الى بِلَّى ... مَوْتَ الهوى وشفاء عين المجتلى

ليس هذا هو التجديد بعينه ولـكنه الهمُّ به والنزوع اليه ، فدعنى أنتقل بك الى العصر العباسى لأريك ما جدّد الحسن بن هانى وأبو تمام والبحترى فى هـذا الباب . قال الأول :

لمن دِمنٌ تزدادُ حُسنَ رسومِ ... على طول ما أقوت ، رطيبَ نسيمِ ؟

أترى لو أن صبرى إذ لم يجد من ذكر الاطلال بداً قال مثل هذا فى مطلع قصيدته أكنت تصيبه بكثير من اللوم ؟ ان الصديق أبا نواس قد خلع على الاطلال من هذا

الوصف الشائق ما تشتهى الرياض الضاحكة أن يكون لها ، وانك لذو بصر وفطنــة ، واليك ما يقوله فى قصيدة أخرى :

ألالا أرى مثلى امترى اليوم َفى رسم   تـُغص ّ به عينى ويلفظه وهمى
أتتْ صُوَرُ الأشياء بينى وبينه   فظنى كلا ظن ٍّ، وعلمى كلا علم

ان فى هذا للوناً جديداً من ألوان الفن النواسى ّ البديع ، وانه للتجديد بعينه ، وهذا أ بوتمام وفنه ، قال :

مِن سجايا الطلول أن لا تجيبا   فصوابٌ من مقلتى أن تصوبا
فاسألنها ، واجعل بُكاك جواباً   تجـد الدّمعَ سائلاً ومُجيبـا
قد عهدنا الرُّسوم ، وهى عكاظ   للصِّبي تزدهيـك حُسناً وطيبا
أ كثر الأرض زائراً ومزوراً   وصعوداً من الهوى وصبوبا

هكــذا يقول حبيب فى الطلول وسجـاياها وسؤالها وجواب سائلهـا ، وهكذا يصوّر أيامها الأولى وحياتها البائدة فتراه وكأنما هو يصف لك دولة كانت بالأمس فى أوج مجدها وسؤددها ، ثم عصفت بها حوادث الزمن فـلم تترك منهـا سوى آثار طامسة ، ورسوم صماء ، وان أبا تمام لشاعر خصيب الفـكر غنى البيان ، وهذا صوتٌ آخر له ، قال :

على مِثلها من أربُـعٍ ومَلاعبِ   أذيلتْ مصونات ُالدُّمُوع السَّواكبِ
أميدان لهوى من أتاح لك البلى   فأصبحت ميدان الصَّبـا والجنائبِ
أصابتك أبـكار الخطوب فشتتت   هوَاىَ بأبكار الظباء الـكواعبِ

صورة جديدة لا شك فيها ، ومع أنا لسنا من أنصار البديع فى الشعر فانّ براعة الشاعر فى هذه الصورة تكاد تشغلنا عنه وعن رأينا فيه ، ومعنى هذا أنّ ما ورد فيها من أنواع البديع قد جاء متمكناً ، ووقع هادئاً مستقرّاً ، حتى لقد يضيق بنا المذهب إذا زعمنا أنّ الشاعر أراده أو قصد اليه وإن كان هذا هو الشأن ، فانّ أبا تمام مولع بهذا المذهب الذى وضع مسلم بن الوليد أساسه فى الشعر العربى وجرى فيه أبو تمام على أثره ، حتى لقــد قال بعض النقّـاد من الأقدمين إنّ أبا تمّـام يُغرم بالبـديع فيدفعه إلى المحال ، وقد يكون قوله (أبـكار الخطوب) من هذا النوع عندهم ولـكنى لا أرى فيه شيئاً :

يا منزلاً أعنقت فيه الجنوب على رسم محيل وشعب غير ملتئم
هرمت بعدى ، والربع الذى أفلت منه بدورك معذور على الهرم
عهدى بمغناك حسان المعالم من حسانة الجيد والبردى والعنم

* * *

يا موسم اللذات غالتك النوى بعدى ، فربعك للصبابة موسم
ولقد أراك من الكواعب كاسياً فاليوم أنت من الكواعب محرم

* * *

أدار البؤس حببك التصابى إلىّ ، فصرت جنات النعيم
لئن أصبحت ميدان السوافى لقد أصبحت ميدان الهموم
أظن الدمع فى خدى سيبقى رسوماً من بكائى فى الرسوم

* * *

لا تكثرن ملامى إن عكفت على ربع الحبيب ، فلم أعكف على وثن

كل هذه الصور الغضة والألوان الحلوة الملتمعة لأبى تمام ، فانظر كيف اختفت الطلول بما فيها من همود ووحشة خلف هذا الجمال الفنى وتوارت وراءه كما تتوارى القبور البالية وراء القصور الأنيقة والحدائق النضرة ، فأنت لا تعافها ، ولا تمل النظر اليها ، وحسبنا هذا من أبى تمام ، فالكلمة الآن للبحترى ،قال :

أرسوم دار أم سطور كتاب درست بشاشتها على الأحقاب ؟
يجتاز زائرها بغير لبانة ويرد سائلها بغير جواب

علق البحترى بالقديم فى البيت الأول وألم به فى الثانى ، ولكن بديباجة جديدة ولغة أخرى ، وخير من هذا قوله :

لو لا تعنقنى ، لقلت المنزل معنى تبينه ومعنى مشكل
يا دار لا زالت ربابك مجودة من كل غادية تعل وتنهل
فهمتينا دول الزمان وصرفه وأريتنا كيف الخطوب النزل
أصبابة برسوم رامة بعد ما عرفت معارفها الصبا والشمأل ؟

حتى هذه الأبيات لا تُعدّ من الصور الفنية التي هي من حق الفن على شاعرٍ كبيرٍ كالبحتري، ولعله أقرب الى الرجاء في قوله :

يا دمنةً جاذبتها الريحُ بهجتَها ... تبيتُ تنشرها طوراً وتطويها
لا زلت في حُللٍ للغيثِ ضافيةٍ ... يُنيرُها البرقُ أحياناً ويُسدِيها
تَروحُ بالوابلِ الدّاني رَوائحُها ... على رُبوعكِ، أو تغدو غواديها

ومن الجديد في هذا الباب قوله :

هبْ الدّارَ رَدّتْ رَجعَ ما أنت قائلُهْ ... وأبدى الجوابَ الرَّبعُ عمّا تسائلُهْ
أفي ذاكَ بُرْءٌ من جوًى ألهبَ الحشا ... توَقّدُهُ، واستغزرَ الدّمعَ جائلُهْ ؟

على أنّ فنّ البحتري لا يبدو لك واضحاً كما تشاء إلا حيث يقول :

أصبَا الأصائلِ، إنّ برقةَ مُنشدٍ ... تشكو اختلافكِ بالهبوبِ السرمدِ
لا تُتعبي عرَصاتِها، إنّ الهوى ... مُلقى على تلك الرُّسومِ الهُمَّدِ
دِمَنٌ مَوَاثلُ كالنجومِ، فإنْ عفتْ ... فبأيِّ نجمٍ في الصبابةِ نهتدي ؟

نستفيد من كلّ هـذا أنّ أئمة الشعر ما برحوا على توالي العصور يعالجون هذا المذهب ويستحدثون فيه من مختلف الصور والمعاني ما يؤدّي رسالة الفنّ، ويكشف لنا عن محاسنه، ومن العجز البالغ المدى أن يقوم شاعر كبير كصبري باشا فيقول في القرن العشرين :

لو أنّ أطلالَ المنازل تنطقُ ... ما ارتدّ حرّانَ الجوانحِ شيّقُ

ودع عنك قوله بعد هذا :

أمطالعَ الأقمارِ أهلُكِ أسرفوا ... في النـأى إسرافَ الغنيّ، وأغرقوا
لو أنهـم (قدْ) أنصفوكِ (منازلاً) ... ما حازهم في الكون بعـدَكِ مَشرقُ

عجزٌ وأبيك ظاهر، وتقليدٌ أبتر لا معنى له، ولا فائدة فيه، وانّ المتنبي وهو أقرب هؤلاء الأئمة عهداً بنا وبهذا العصر الذي نتعاطى الأدب فيه ليصوّب الينا من نظراته الجارحة ونحن على عهدنا من القصور ما يستفيده كلّ أديب من قوله :

بكيتُ يا رَبعُ حتى كدتُ أبكيكا ... وَجُدْتُ بي وبدمعي في مَغانيكا
بأيِّ حكمِ زمانٍ صرتَ متّخذاً ... ريمَ الفـلا بدلاً من ريمِ أهليكا ؟

أيامَ فيكَ شموسٌ ، ما انبعثن لنا إلا ابتعثن دماً باللحظِ مسفوكا

***

لكِ يا منازلُ في القلوب منازلُ أقفرتِ أنتِ ، وهُنّ منكِ أواهلُ

***

لا تحسبوا رَبْعَكم ، ولا طللَهْ أوّلَ حيٍّ فِراقُكم قتلَهْ

***

فديناكَ من ربعٍ ، وإن زدتنا كربا فانكَ كنتَ الشرقَ للشمس ، والغربا

وكيف عرفنا رسمَ من لم يدع لنا فؤاداً لعرفانِ الرُّسومِ ، ولا لُبَّا

نزلنا عن الأكوارِ نمشى كرامةً لمن بان عنه ، أن نُلمَّ بهِ رَكبا

***

أثلِثْ ، فانا أيها الطللُ نبكى ، وتُرزمُ تحتنا الإبلُ

أو لا ، فلا عَتبٌ على طللٍ إنّ الطلولَ لمثلها فُعُلُ

لو كنتَ تنطقُ ، قلتَ معتذراً : بى غيرُ ما بكَ أيها الرجلُ

أبكاكَ أنك بعضُ مَن شغفوا لم أبكِ أنى بَعضُ من قتلوا

ان الذين أقمت وارتحلوا أيّامهم لديارهم دُوَلُ

الحسنُ يرحل كلما رحلوا معهم وينزل حيثما نزلوا

هذا هو المتنبي فرعون الأدب ، وجبار الشعر ، يغزو مملكة الفكر فيستبيح معاقلها وينتهب ما يريد وفوق ما يريد من ذخائرها ، فانك لتراه فى كل صورة من هذه الصور خالقاً مبتدعاً ، يبكى الربع حتى يكاد يبكيه ، ويجود بنفسه ودمعه فى مغانيه ، ثم يقول لك يا منازل فيجاوبه الفن هكذا فليكن كل قائل ، الى غير هذا من مَعانٍ مولدة وطرائق هى له وحده ممهّدة ، فاذا قال صبرى :

لو أنهم (قد) أنصفوك (منازلاً) ما حازهم فى الكون بعدك مشرقُ

اذا قال صبرى هذا قال فرعوننا العظيم وجبّارنا الأكبر: ان الذين ... الى آخر البيتين . قال شاعرنا :

هل عند ذاك السربِ أنا بعده فى الحىِّ مِن آماقنا تتدفّقُ

أثر العبقرية فى البيت قوله (مِن آماقنا تتدفق) ، وصبرى من هذا الأثر بين حالتين : حالة البصر بأسرار الفن ودقائقه ، وحالة الاتكال على القديم واعادته فى لباس جديد من اللفظ المصقول والكلام المنمَّق ، وهذا نوعٌ من القوّة وضرب من الاقتدار ، ولكنه قليل الفائدة على كل حال . ولقد درج المتنبي على هذا فى طائفة غير قليلة من شعره ، فاغتصب كثيراً من الصُّور المعنوية الرائعة وكساها من حسن الديباجة وجودة السبك ما عجز أصحابها عنه فنسبت اليه وعرفت به ، وقد أجاز هذا علماء النقد ، ولكنى لا أراه حقاً قال الشريف الرضى فى معنى بيت صبرى :

لقد جلّ قدرُ الرزء أن يبلغ البكى مَدَاهُ ، ولو أنّ القلوبَ دُمُوعُ

وقال البهاء زهير ، وهو فى حدّه من المقاربة :

وأقسمُ ما ضاعت دموعى عليكم ولو أنَّ رُوحى فى الدُّموع تسيلُ

أمّا الصُّورة بعينها فظاهرة فى قول الشاعر :

الله فى مغرمٍ حُشاشتهُ مُنهلّةٌ فى الأدمعِ الذُّرُفِ

وقد تناول المتنبيّ هذا المعنى فقال :

أشاروا بتسليم ، فجدنا بأنفُسٍ تسيلُ مِن الآماقِ والسَّمُ أدمُعُ

السَّمُ لغةٌ فى الاسم ، وله فى هذا المعنى من قصيدة أخرى :

ليس القِبابُ على الركاب ، وانما هُنَّ الحياةُ ترحّلت بسلامِ
ليت الذى خلق النوى جعل الحصى لخفافهنّ مفاصلى وعظامى
متلاحظين نسحُّ ماء شؤوننا حذراً من الرقباء فى الاكمامِ
أرواحنا انهملت وعِشنا بعدها من بعد ما قطرت على الاقدامِ !

وقال غيره فى هذا المعنى :

ترفّق فما هذى دموعى التى ترى ولكنها نفسى تذوبُ فتقطرُ

وهذه صورة أخرى تريك شاعراً يتدفق من فمه وعينه ! وهذا المسكين هو محمد ابن قاسم النحوى قال :

لو عاينت عيناك قَذْفى من فمى كبدى ، ودمعى مَعْ دمى مسفوحُ
لرأيت مقتولاً ، ولم تر قاتلاً وعلمتَ أنى من فمى مذبوحُ !

كبدي على صدري جرت، والى متى أغدو أعذّبُ في الهوى وأروحُ ؟

وهذه صورة عكسية للمعنى تدل على براعة صاحبها واتجاهه الى التجديد . قال :

مَلَكَتْ دموعَ العين، ثمّ رددتها إلى ناظري، فالعينُ في القلب تدمعُ !

قال صبري :

أمنازلَ الأقمارِ، أهلُكِ أسرفوا في الرأي إسرافَ الغنيّ وأغرقوا

لو أنّهم قد أنصفوكِ (منازلاً) ما حازهم في الكون بعدكِ مَشرقُ

كثر القول في الشموس والأقمار، وتمشّى كذلك في هذه الكثرة الى مطالعها ومغاربها، فمن ذلك قول البحتري :

صدقَ الغرابُ، لقد رأيتُ شموسَهم بالأمسِ تغربُ عن جوانبِ غُرَّبِ

ولابن هانيء :

بانوا سراعاً، للهوادج زفرةٌ ممّا رأينَ، وللمطيّ حنينُ

لا الجوُّ جوٌّ مشرقٌ، ولوا اكتسى زهراً، ولا الماء المَعينُ مَعينُ

لا يبعدنّ اذا العبيرُ له ثرًى والبانُ دوحٌ والشموسُ قطينُ

وله من قصيدةٍ أخرى :

ما للمهارى الناجياتِ كأنّها حتمٌ عليها البينُ والعدواء

يدنو منالُ يد المحبِّ، وفوقها شمسُ الظهيرةِ، خدرُها الجوزاء

وله :

أيحسب ساري الليلةِ البدرَ واحداً وفي كِلل الأظعان ثانٍ وثالثُ

وقال الأبيوردي في هذا المعنى :

لله ما صنعت أيدي الركابِ بنا عشيةَ احتجبتْ الأقمارُ في الكِلَلِ

وله من قصيدةٍ أخرى :

منطقُ الدارِ من ترحّل عنها طالما أخرسَ الديارَ الرحيلُ

فلكٌ أطلع الكواكبَ صُبحاً وطلوعُ النجومِ صُبحاً أفولُ

فأما قول صبرى أسرفوا فى النأى اسرافَ الغنىّ ، فليس من الصوَّر الشعرية التى يتقبّلها الذوق الفنى بكثير أو قليل من الاستحسان ، وهذا مثلٌ من أقوال المتقدمين فى هذا الباب :

أَلِفَ النوى ، حتى كأنّ رحيله للبين رِحْلَتُهُ إلى الأوطانِ

وقال الأبيوردى ، وفيه مزيد من ذكر الأقمار ومنازلها :

بمنازلِ القمر اقتدَى فى بُعدهِ قمرُ المنازلِ بين رامةَ والحمى

وفى قوله — لو أنهم قد أنصفوك منازلاً — إكراهٌ عنيف لكلمة (قد) إذ لا محلّ لها فى الكلام . وقد جاءت كلمة (منازل) من الزوائد الملغاة فى ذاتها ولو أحسن الشاعر الصياغة لاستغنى عن هاتين الكلمتين ، ولكان له الخيار فى قوله (أنّهم) فهى كذلك ممّا يقع فى طرَفٍ من هذا الحكم ، وما عليك من بأس إذا قلت إنّ الجزء الحىّ فى شطر البيت كله هو قوله (لو أنصفوك) وفى معنى انصاف الديار وظلمها ، واحيائها وقتلها ، يقول المتنبي وهو مما ذكرناه له :

لا تحسبوا ربعَكم ولا طَلَلَهْ أوّلَ حىٍّ فراقُكم قتَلَهْ

وقد أخذ أبوالحسن التهامى هذا المعنى فقال :

ماتت لفقد الظاعنين ديارهم فكأنّما كانوا لها أرواحا

وللأبيوردى فى هذا الباب :

متبدّلينَ لِوَى العقيقِ من الحمى انّ التبدُّل للمصون تبذُّلُ

قال صبرى :

عِيدَ الفداء ، ألا سعدتَ بسدّةٍ أمسى يحيطُ بها الجلالُ ويُحدقُ

هلا رأيتَ بعابدين مع الملا ملكاً خلائقهُ تضوعُ وتعبقُ

وجمعتَ مِن تلك الشمائل طاقةً تزدانُ أياماً بها وتَخَلَّقُ

ورجعتَ من نُورِ الأميرِ مزوّداً حتى تعودَ وأنت زاهٍ مُشرقُ

الطاقة الحزمة ، وهى هنا بحكم القرينة طاقة الريحان ، وتخلّق الوجل تطيّب بالخلوق ، وهو نوعٌ من الطيب السائل يخالطه ماء الزعفران ، وبين هذا وطاقة الريحان أو ما يشابهه ويدخل فى معناه بَوْنٌ بعيدٌ ، وفى قوله عن الطاقة — تزدان

أياماً بها وتخلّق — انتقاص من قدر الممدوح لأن ذلك يفيد أنّ ما فى شمائله من النضارة والطيب لا يدوم طويلاً ، وقديماً قيل :

« يَبْـلَى القميصُ وفيه عَرْفُ المندلِ »

وكل ما ذكره شاعرنا الكبير عن العيد وما يستفيده من طيب سجايا الأمير ونوره انما هو من القديم المعاد ، ومما قيل فى هذا الباب :

تسعى المواسمُ كلُّها لرحابهِ إذ لا بهاءَ لهـا بغيرِ بهائهِ

ومن هـذا القبيل قوله فى البيت الثانى (ملكاً خلائقه تضوع وتعبق) . وللبحترى فى هذا المعنى :

العارضُ الثجّاجُ فى أخلاقهِ والروضةُ الزهراءُ فى آدابهِ

وقال محمد بن يزيد فى روضة :

كأن ما تجتنيهِ مِن زخارفها أخلاقُ مستحسنِ الأخلاقِ محبوبِ

ولبعضهم :

وما روضةٌ حلَّ الربيعُ نطاقَها وَجرّت بها الأنواء حاشيةَ البُرْدِ

اذا حَدرت فيها النُّعامى لثامَها ثنى عِطفهُ الحوذانُ والتفَّ بالرَّنْدِ

بأطيب نشْراً من خلائقـهِ التى تنمُّ بريّاها على العنبر الوردِ

قال صبرى :

أحرزتَ يا عبّاسُ كلَّ فضيلةٍ وبلغتَ شأواً فى العلى لا يُلحقُ

مَن ذا يجارى أخمصيْكَ الى مَدىً وهواكَ سبّاقٌ ، وعزمُك أسبقُ

إحراز الفضائل ، والاستئثار بالمحامد ، وبلوغ الشأو الأبعد ، والأمد الأقصى ، كل هذا مما حفلت به قصائد المديح ، وحفيت من طول ترديده ألسنة الشعراء ، وحسبك أن يقول مهيار الديلمى :

لا أدّعى لأبى العلاء فضيلةً حتى يسلمها اليه عِداهُ

وما أشبه الشطر الثانى من البيت الأول بقول أبى تمام : (هيهات تطلب شأوَ مَن لا يُلحَق) وفى السبق الى الغايات يقول البحترى :

ولقد جريتَ الى المعالى سابقا فأخذتَ حظَّ الأوّلِ المتقدّمِ

وله فى هذا المعنى :

طلوبٌ لأقصى غايةٍ بعد غايةٍ إذا قيل يوماً قد تناهى تزيّدا

ومن الخطأ فى هذا الباب قول صبرى : (مَن ذا يُجارى أخمصيك ؟) فانّ الملوك لا تمدح بمثل هذا ، وأوْلى بهذه المجاراة أن تكون بين العدّائين كالسّليك بن السّلكة ، والشنفرى وأمثالهما ، فليس المجد مما يُنال بالعدو على الأقدام فيكون للأخمصين حملها فيه ! قال البحترى :

إذا سؤددٌ دانَى له ، مَدَّ همّهُ إلى سؤددٍ نائى المحلِّ يُزاوِلُهْ

لم يقل مدّ قدمه ، أو طار بأخمصيه ، وهذا هو المتنبي يريك مجل الأخمصين من المدح . قال :

وما تنقم الأيامُ ممَّن وجوهُها لأخمصِهِ فى كلِّ نائبةٍ نعلُ ؟!

وله ، وفى الشطر الأول من البيت نظر :

فبأيِّما قَدَمٍ سَعيتَ الى العلا أدُمُ الهلالِ لأخمصيكَ حذاءُ

وقال :

وكيف لا يُحسَدُ امرؤٌ عَلَمٌ لهُ على كلِّ هامةٍ قَدَمُ ؟

وفصل الخطاب فى هذا الباب لشيخنا أبى العلاء المعرّى إذ يقول :

فالمرءُ يَقعدُ بالمكارمِ قائماً وَيقومُ فى طلب المعالى قاعدا

على أنّا لا نظلم المتنبي فقد قال من قبل :

وحقٌّ له أن يسبقَ الناسَ جالساً ويُدرِكُ ما لم يُدركوا غيرَ طالبِ

وَيُحذَى عرانينَ الملوكِ ، وإنّها لمَنْ قدميْهِ فى أجلِّ المراتبِ

بقىَ من البيتين قول صبرى : (وهو سبّاقٌ وعزمك أسبق) . يقول إنه اذا أراد أمراً سبق عزمه إرادته فكان ما يريد ، وهذا من المعانى المطروقة التى كَثُرَ تداولها لما فيها من غلوٍّ شديدٍ ، وإغراقٍ لا يستقيم فى العقول ، وعندى أنّ هذا النوع من أكبر عيوب الشعر وأظهر مساوبه ، وقد يشفع فيه شيء واحد هو أن

يجيء في باب الوصف المطاق، فأما في باب المديح فلا. ومن النوع المقبول عندي قول ابن هانيء في وصف الخيل:

عُرِفَتْ بساحة سَبقها، لا أنّها علقت بها يومَ الرهانِ عيونُ
وأجلُّ علم البرق فيها أنها مرّت بجانحتَيْهِ، وهي ظُنونُ!

وقول البحتري في جواد:

جارى الجيادَ، فطارَ عن أوهامها سَبْقاً، وكاد يطيرُ عن أوهامه!

قال المتنبي في معنى صبري:

اذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً مضى قبل أن تُلقَى عليه الجوازمُ!

وقال.

أمْضَى ارادتَهُ، فسوفَ لهُ قدٌ واستقرَبَ الأقصى، فثمَّ له هنا!

قال صبري:

إن يُرتجلْ عُرفٌ، فأنتَ الى الذي لم يَرتجله المالكونَ مُوفَّقُ

معنى قديم يظنه بعض المتأدبين أو كثيرٌ منهم من مبتكرات صبري، أو أن الأصل فيه قول شوقي في بعض منثوراته: (فارتجل نظرةً في السّماء)، وليس كذلك.

قال طريح بن اسماعيل الثقفي:

وقد كنتَ تُعطيني الجزيلَ بديهةً وأنتَ لما استكثرتُ مِن ذاك حاقرُ
فأرجع مغبوطاً، وترجعُ بالتي لها أوّلٌ في المكرماتِ وآخرُ

ويقول ابن هاني، والصورة واحدة:

أطافت بخرقٍ يسبقُ القولَ فعلُهُ فَليسَ لِيوْمِيْهِ وعيدٌ ولا وعدُ

وقال الأبيوردي:

جاء النَّدَى والبأسُ منكَ بديهةً لمّا كرهت الوعدَ والايعادا

وألمّ المعرّي بهذا المعنى فقال في السيف:

غِرَارَاهُ لِسَانا مَشرَفيٍّ يَقولُ غرائبَ الموتِ ارتجالا

وليس الموت قولاً، فهو انما يريد الفعل. وقال ابن عمّار:

دَوَّى ليضربَ، وابتدهتَ بضربةٍ ... انّ الطعانَ بداهةُ الفرسانِ

وقال ابن برد :

يا شاعرَ الحسنِ، بى ترفّقْ ... لا تقتلنّى كذا بديها

قال صبرى :

سدّد سهام الرأى بالشورى يُحِطْ ... بكَ منهُ فى ظُلَمِ الحوادثِ فيلقُ

واسبقْ بهِ، واضربْ بهِ، وافتح به ... ما شئتَ من بابٍ أمامكَ يُغلقُ

يذكر صبرى فضل الشورى، ويصف ما لأصالة الرأى من حسن الأثر فى تدبير الأمور، وكيف أنه يغنى غناء الجيوش ويقوم مقامها، وليس له من كلّ هذا شىء، فهو يردّد لنا أقوال الأقدمين، ويبلغنا رسالاتهم. قال بشار بن برد فى المشورة :

إذا بَلغ الرأىُ المشورة، فاستعن ... برأىِ نصيحٍ، أو نصيحةِ حازمِ

ولا تحسب الشورى عليك غضاضةً ... فانّ الخوافى قُوّةٌ للقوادمِ

فأما قول صبرى فى الرأى ووضعه موضع الجيش فمن قول بعضهم :

يُلفَى اذا ما الجيشُ كان عرمرماً ... فى جيشِ رأىٍ لا يُفَلُّ عرمرمِ

وقال البحترى :

وبعثت كيدكَ غازياً فى غارةٍ ... ما كان فيها السّيفُ غيرَ مُشيّعِ

وقال ابن الرومى :

تراهُ عن الحربِ العوانِ بمعزلٍ ... وآراؤه فيها وإن غابَ شُهّدُ

فأما ما قيل فى منزلة الرأى وأثره، وسداده وجودته، فما لا سبيل الى استقصائه وحسبك أن ندلّك على بعضه، قال المتنبي :

الرأىُ قبلَ شجاعةِ الشجعانِ ... هو أولٌ، وهى المحلُّ الثانى

ولربّما طعنَ الفتى أقرانَهُ ... بالرأىِ قبلَ تطاعنِ الأقرانِ

وقال أبو تمام :

وما شىءٌ من الأشياء أقضى ... على المهجات مِن رأىٍ سديدِ

وقال يمدح :

مجرّداً سيف رأىٍ من عزيمته للبأسِ، صيقلُه الاطراقُ والفِكَرُ
عَضباً ، اذا سلَّهُ فى وجهِ نائبةٍ جاءت اليه صُرُوفُ الدهر تعتذرُ

وقال ابن هانى :

فاذا بعثت الجيشَ فهو منيةٌ واذا رأيتَ الرأىَ فهو قضاء

وقال آخر :

وإن مضى رأيُـهُ أو حَدُّ عزمته تأخرَ الماضيان : السيفُ والقدرُ

وهل رأيت خللاً أو اضطراباً كالذى تراه فى قول صبرى عن الرأى :

واسبق بهِ ، واضرب بهِ ، وافتح بهِ ما شئتَ من بابٍ أمامكَ يُغلقِ ؟

إنَّـا إذا جرَّدْنا هذا البيت عما فيه من خطل وتشويش وجدناه يمتُّ بصلة قوية الى قول الامام الشافعىّ :

الجَدُّ يُدْنِى كلَّ أمرٍ شاسعٍ والجَدُّ يَفتحُ كلَّ بابٍ مُغلقِ

قال صبرى :

عوَّدْتُ مجدَكَ أن تنامَ وفى الحمى أملٌ عقيمٌ ، أو رجاءٌ مُخفقُ

وفى هذا المجد المعوَّذ يقول المعرّى :

أعاذ مجدَكَ عبدَ الله خالقُهُ من أعينِ الشُّهبِ ، لا مِن أعينِ البشرِ

ويقول المتنبي :

كأنَّ الردى عادٍ على كلّ ماجدٍ إذا لم يُعوَّذ مجدُه بعيوبِ

وفى معنى الأمل العقيم أو الرجاء المخفق ونحوها يقول الشريف الرضى :

وما الفخـــــرُ فى أدبٍ ناجحٍ يُضَـــافُ إلى مَطلبٍ عاقرِ

ويقول الأبيوردى فى المستظهر بالله :

يا خيرَ مَنْ ألقحَ الآمالَ نائلُهُ بمَوْعدٍ يَـلِدُ النَّعماءَ مضمونِ

ولأبى تمَّام :

نُلقّح آمالاً ونرجو نتاجَها وعمركَ مما قد نُرجّيه أقصرُ

أما معنى بيت صبرى فى قول الشريف الرضىّ :

نُعمى أميرِ المؤمنينَ حريَّةٌ ألاَّ تنامَ عن الرجاء المهمَلِ

قال صبرى :

ولُربَّ مَحْلٍ فى النهى متحكّمٍ قد كاد يحترمُ النفوسَ ويُوبقُ
أرسلتَ فيه نظرةَ ضَمِنَ الحجى والعلمُ نُصرتَها ، وقلبٌ مُشفقُ
وأخذتَ رأىَ أُولى النُّهى مستوثقاً مستوزراً ، وكذا الحكيمُ يُدَقِّقُ
حتى اهتديتَ الى الصوابِ ، ولم يزل بينَ الصواب وبين رأيكَ مَوْثقُ
وأهبْتَ ، فابتكر النضارُ سحائباً تَهمى ، وتفتقدُ المحيلَ ، وتَغدَقُ

ليس فى هذه القطعة شيء من المحاسن الفنية ، وهى كما تراها فى كثير من أجزائها ركيكة النظم ، متداعية البناء ، وموضع ذلك قوله فى البيت الثالث (وأخذت رأى أولى النهى) وقوله فى البيت نفسه (مستوزراً وكذا الحكيم يدقّق) فالجملة الأولى من السُّوقى المبتذل ، والكلمة الأولى من الجملة الثانية لا معنى لها فى هذا المقام . وسائرها من الكلام الذى يُجاء به لسدّ الفراغ فحسب ! ولا يشفع فى ذلك اطّراد المعنى فأنت ترى القلق بادياً فى هذا الجزء من البيت وهو قوله (وكذا الحكيم يدقّق) فأمّا قوله فى البيت الرابع (حتى اهتديت الى الصواب) فاتهام لرأى الممدوح وطعنٌ عليه ! ألا ترى أن الشاعر لم يغفل عن ذلك فى نفسه فاحتال لستر العيب وسدّ الخلل بقوله (ولم يزل بين الصواب وبين رأيك موثق ؟) وفى البيت الخامس من الاضطراب وسوء السياق ما تراه فهو يقول إنّ الأمير أهاب فابتكرت سحائب النضار ـ تهمى وتفتقد المحيل وتغدق ـ وما هكذا يكون الترتيب فى مثل هذه الصورة والصواب — تفتقد المُحيل فتهمى وتغدق — وقد أراد بالمُحيل الماحل أو ما فى معناه فأخطأ : فالمُحيل ما أتى عليه الحول من شيء أو صار من حال الى حال ، وهو ما يظهر لك واضحاً من قول ابن المعتز :

ألم تحزن على الرّبع المُحيلِ وآثارٍ وأطلالٍ مُحُولِ ؟

ومن عيوب هذه الصورة المبالغة فى وصف الحال والتَّجافى به عن الوجه الأمثل ، فالمعنى أن الأمير رأى الجهل فاشياً فى الأمة فأراد أن يُنقذها من غوائله بنشر العلم والمعرفة ، وليس فى هذا من غوامض الأمور ومشكلاتها ما يُثير هذه

الحركة أو يقيم تلك القيامة : يستشير الأمير ، ثم يستوثق ، ثم يستوزر ويدقّق ، ثم يهتدى الى الصواب بعد أن خفيت وجوهه ، وتنكّرت معالمه ، ما هذا كله ؟ إنه لإسرافٌ فى القول كبير ، وليته كان من نوع ذلك الاسراف الذى ورد ذكره على لسان شاعرنا العظيم فى البيت الرابع من هذه القصيدة .

الحقُّ أن صبرى قد اتّهم الأمير كثيراً فى رأيه وفطنته ، وليس هذا هو المذهب حتى فى عظام الحوادث وجلائل الأمور ، قال مهيار الديلمىّ :

ودبّر الدنيا برأىٍ واحدِ يأنفُ أن يشركه فيها أحدْ
اذا استشار لم يزد بصيرةً ولا يلوم رأيه اذا استبدّ

وقال الشريف الرضىّ :

يستمعُ الرأىَ ، وعنهُ غِنَى قد يُصقَلُ السَّيْفُ ، ولم يطبَعِ

وقال البحترى :

اذا انسابَ فى تدبيرِ أمرٍ ترافدتْ لهُ فِكَرٌ يَنجحْنَ فى كلّ مَطلبِ

ومن قوله فى هذا المعنى .

إذا ما جرى فى حَلبةِ الرأى برّزتْ تجاربُ معروفٍ له السبقُ قارحُ

وله :

تَشفُّ أقاصى الرأىِ فى بَدآتهِ لعينى وَسِترُ الغيبِ غيرُ رَقيقِ

وله :

إذا المرءُ لم تبدهكَ بالحزم والحجى قريحتُهُ لم تغنِ عنه تجاربُهْ

وقال المتنبي

قد كفتكَ التجاربُ الفكرَ حتى قد كفاكَ التجاربَ الالهامُ

وقال سلام الخاسر ، ويروى لأبى نواس :

بديهتُهُ وفكرتهُ سواءٌ اذا ما نابَهُ الخطبُ الكبيرُ
وأحزمُ ما يكونُ الدّهرَ رأياً اذا عَيَّ المشاورُ والمشيرُ

فأما قول صبرى ـ بين الصواب وبين رأيك موثقُ ـ فانا نعرض عليك من الصُّوَرِ ما يدلك على مواضعه من الشعر القديم ، قال أبو نواس :

مَلِكٌ تقصر المدائحُ عنه هاشمىٌّ ، مُوفَّقٌ للصوابِ

وقال ابن المعتز :

تنسابُ مِثلَ الأرقمِ المنسابِ كأنما تنظرُ عن شهابِ
بمقلةٍ وَقْفٍ على الصوابِ

وليس هذا فحسب فانا نميل بك ناحية هى الى الانصاف أقرب ، وبالنقد الفنى الدقيق أشبه ، وأنت ترى أن هذا الموثق الذى عقده الشاعر بين الصواب وبين رأى الأمير يجعلهما بمنزلة الحليفين أو العقيدين أو نحوهما ، وهذا أبو تمام يقول :

حليفُ ندًى ، وتِربُ علا ، إذا ما هتفتَ به ، وسَيفُ خليفتينِ

وقال :

مَلِكٌ إذا نُسِبَ النَّدى مِن ملتقى طرفيْه ، فهوَ لهُ أخٌ وحميمُ

وقال :

هذا أخوك الندى ، لو أنهُ بَشرٌ لم يلْفَ طرفةَ عين غيرَ مُبتسمِ

وهذه صورة أخرى من قول أبى تمام تمطى المعنى الذى انتحله صبرى :

مسترسلينَ الى الحتوفِ ، كأنما بينَ الحتوف وبينهم أرحامُ

فأما أن الجهل يميتُ النفوسَ كما يقول صبرى فقديماً قال المتنبي :

أماتكمُ مِن قبل موتِكم الجهلُ وجرَّكمُ مِن خفةٍ بكم النملُ

فأما قوله :

وأهبتَ فابتكر النضارُ سحائباً تهمى، وتفتقدُ المُحِيلَ، وتُغدقُ

فهو من حيث سحائب النضار ينظر الى قول بديع الزمان الهمذانى :

وكاد يحكيك صَوْبُ المزنِ منسكباً لو كان طلقَ المحيّا يمطرُ الذهبا

وقول أبى تمام :

بحرٌ من الجودِ يرمى مَوْجُهُ ذهباً حبابهُ فضة زِينتْ بعقيانِ

وأما ما ورد فى البيت عن عمل هذه السحائب وانها تفتقد المحول ـ لا المحيل ـ فتهمى وتغدق ، أمّا هذا فمن باب قول ابن المعتز فى السحاب :

لم يَدَعْ أرضاً من المحل إلا   جاد أو مَدَّ عليها جَناحا

وقال آخر يصف ديمة :

كأن عناءً لهــا أن ترى   يبيساً من الأرض لم يُبْلَلِ !

قال صبرى :

إن أمرعت تلك الموات، وأورقت   فيها الرياضُ ، فانما لك تورِقُ

وإيراق الرياض من أهون صفاتها ، وأدنى منازلها ، وقدنزل الشاعر فى هذا على حكم القافية ، وما أكثر جنايات هذا الحكم ، فلو أنّ القصيدة كانت رائية لقال :

إن أمرعت تلك الموات وأثمرت   فيها الرياضُ ، فانمــا لك تثمرُ

ولــكان هذا أجود ، وما أظن المتنبي ترك لشاعرنا شيئاً من هذا المعنى بعد قوله :

إنّ البلادَ وإنّ العالمينَ لــكا

قال صبرى فى ذكر دنشواى :

وأقلتَ عثرةَ قريةٍ حَكم الهوى   فى أهلها ، وقضى قضاءٌ أخرقُ

إن أنَّ فيهـا بائسٌ ممّا بهِ   وأرنَّ ، جاوَبهُ هنـاك مطوّقُ

جاء البيت الأوّل بعد قوله (إن أمرعت) فهو منقطع الصّلة بما قبله ، بل هو من المفاجآت المتناهية فى الشذوذ ، وأنت تعلم أىَّ مطوّقٍ يريد فى البيت الثانى ، انه يريد حمام دنشواى ، فانظر الصّلة بين هذه الصّورة وبين قول ابن هانىء :

ليالىَ لا آوى الى غـير ساجعٍ   ببينك ، حتى كلُّ شىءٍ حمائمُ

ولمــا التقت ألحاظنا وَوُشاتُنا   وأعلنَ سرَّ الوشى ما الوشىُ كاتمُ

تأوّهَ إنسىٌّ من الخِدْرِ ناعِمٌ   فأسْعَدَ وحْشىٌّ من السدْرِ باغمُ

قال صبرى :

شكرتك مصرُ على سلامة بعضها   شكراً يغرّبُ فى الورى ويشرّقُ

بيت مقفر من الروح الشعرى ، متجافٍ فى لفظه ومعناه عن أدب الفن ونظام الصناعة ، فان سلامة بعض مصر فى قول الشاعر وبقاء سائرها فى جانب آخر ليس من

الصُّوَرَ التي يصحّ أن تتمثّل فى مدارج الشكر ومواطن الثناء ، وقد ترادف ذكر التشريق والتغريب فى ميراثنا الشعري فملته النفوس ، ومنه قول البحتري :

أشرِّق أم أغرِّبُ يا سعيدُ وأنقصُ من زماعى أم أزيدُ ؟

وقول الآخر :

شرِّقْ وغرِّبْ تجدْ من غادرٍ بدلاً فالأرضُ من تُربةٍ والناس من رجلِ

وقال البهاء زهير :

وحبستُ فى مصر عليك ركائبى غيرى يغرِّبُ تارةً ويُشرِّقُ

قال صبرى :

قانون دنشاوایَ ذاك صحيفةٌ تُتلى فترتاع القلوبُ وتخفقُ

هل يُرتجى صفوٌ ويهدأ خاطرٌ والموتُ حول نصوصها يترقرقُ ؟

أباح لنفسه فى البيت الأول ما ظنّ أنه من الضرورات الشعرية فجعل حركة الشين من دنشواى ألفاً ، وقد كان له متسع لو تحوط ، فأما أن الموت يترقرق حول نصوص قانون دنشواى أو صحفته فذلك ما سبق اليه ، وهو يتمثل فى كثير من الصور كقول بعض الاعراب فى اسماعيل بن صبيح كاتب الرشيد :

له قلمَا بُوسٍ ونُعمى ، كِلاهُما سحابتُه فى الحالتينِ درُورُ

وكقول ابن المعتزّ :

كم منَايا ، وكم عطايا ، وكم حتـ ـفٍ وعيشٍ ، تضمُّ تلك السُّطورُ

ومنه قول أبى تمام فى القلم :

لُعابُ الأفاعى القاتلاتِ لُعابُهُ وأرْىُ الجَنَى اشتارتهُ أيدٍ عواسِلُ

ولسليمان بن وهب فى هذا المعنى :

إذا ما التقينا وانتضينا صوارماً يكادُ يصمُّ السامعينَ صريرُها

تظلُّ المنايا والعطايا شوارعاً تدورُ بما شئنا ، وتمضى أمورُها

بَقِي لونٌ من هذه الصُّورة يقوم فى قوله (يترقرق) وهو قائم على أشدّه فخامة وروعة فى قول المتنبىّ :

بَناها فأعلى وَالقَنا يَقرعُ القَنا وَموجُ المنايا حولها مُتلاطمُ

ومما قيل على لسان الحمامة لبعض الشعراء :

وَالموتُ يَلمعُ مِنْ جَناحَىْ خاطِفِ

قال صبرى :

لنْ تبلغ الجرحى شفاءً كاملاً ما دام جارحُها المهنَّدُ يَبرقُ

وأقرب منه الى معنى البيت قول المتنبيّ :

واحتمالُ الأذى ورؤيةُ جانِيـ ـهِ غِذاءٌ تضوَى بِه الأجسامُ

قال صبرى فى ختام القصيدة :

وَالله عوّنْك إن ركبتَ الى العلى طُرقاً تَضلُّ بها الهُداةُ وَتفرقُ

والأمرُ أمرُكَ ، لا يُشابُ بريبةٍ والحكمُ حكمكَ ، وَالالهُ مُصدِّقُ

ويقول البحترى :

أللهُ جارُكَ ، تبتغى ماتبتغى فى المكرماتِ ، وترتقى ما ترتقى

وفى معنى الطرق يضلّ بها الهداة يقول المنخّل :

وديمومةٍ قفرٍ يَحارُ بها القَطا

والقطا قلما يحار ، ومنه المثل (أهدى من القطا) ومن قول بعضهم :

تميمٌ بِطرقِ اللؤم أهدى مِن القطا وَإن سلكتْ سُبلَ المكارم ضَلّتِ

وفى هذا المعنى يقول الآخر :

يحارُ فى حافتَيْها المدلجُ الهادى

فأمّا فى معنى الخوف فيقول القطامى :

بكلّ مُخترقٍ يجرى السّرابُ بهِ يُعمى وَراكبُهُ من خوفه وَجِلُ

وفى البيت صُورة من قول صبرى — إن ركبت — وللأخطل :

وَجوْزِ فلاةٍ ما يُغمّضُ رَكبُها ولا عَينُ هاديها من الخوفِ تَغفلُ

وقال المتنبيّ :

كم مَهمهٍ قذفٍ ، قلبُ الدّليل بهِ قلبُ المحبِّ ، قضانى بعْدَ ما مَطلا

وفى معنى البيت الأخير من القصيدة يقول المتنبى :

والأمرُ أمرُكَ والقلوبُ خوافقٌ   فى موقفٍ بين المنيّةِ والمنى

وأقرب منه الى ذلك المنحى قول كمال الدين الفقية :

بَقيتَ بقاءَ الدهرِ أمرُكَ نافذٌ   وَسعيك مشكورٌ، وحُكمكَ مُنصفُ

لواء الحسن

مِن مطوّلات صبرى قصيدة رقيقة يصح أن تسمى (لواء الحسن) أو (ملك الجمال) فهى تُصوّر لنا جمال المرأة وسلطانها ، وترينا ما لها من أثر بالغ ونفوذ كبير فى الحياة ، واذا لم يكن الشاعر ترجمان الجمال فمن يكونه ؟ وهل لفنه سوى المرأة تعلمه ما هو ، وتوحى اليه كيف تكون أنواعه وفنونه ؟ وهذه هى القصيدة ، قال صبرى :

يا لواءَ الحسنِ ، أحزابُ الهوى   أيقظوا الفتنةَ فى ظلّ اللواء

فرّقتهم فى الهوى ثاراتهم   فاجمعى الأمرَ ، وصُونى الأبرياء

إنّ هذا الحسنَ كالماء الذى   فيهِ للأنفسِ رِىٌّ وشفاء

لا تذودى بعضَنا عن وِرْدِهِ   دُونَ بعضٍ ، واعدلى بين الظّماء

أنتِ يَمُّ الحسن ، فيه ازدحمت   سُفُنُ الآمالِ ، يزجيها الرجاء

يقذفُ الشوقُ بها فى مائجٍ   بين لجّينِ : عناءٍ ، وشقاء

جعل صبرى المرأة فى مملكة الجمال كاللّواء ، تثور حوله معارك الحبّ بين أحزابه وتستيقظ الفتنة فى ظلّه — والفتنة نائمة لعن الله من أيقظها الا ّ فى هذه المعركة ، وتحت ذلك اللواء — اللهُ أكبر ياثاراتِ عُثمانا — لسنا فى ثارات عثمان رضى اللهُ عنه ، وانما نحن فى ثارات أحزاب الهوى الذين دبّت الفرقة بينهم ، فايقظوا تلك الفتنة النارية الحرّى ، الفتنة التى لا تصيب الذين ظلموا منهم خاصة ، ولكنها تَلُفُّ الأبرياء ، وتغمر الصالحين والمتقين من أمّة الحبّ ورعيّة الجمال ، هو الجمال أيقظ هذه الفتنة الحامية وأثارها ، وسقى هؤلاء وهؤلاء نارها ، هم جميعاً أبرياء ، وهو هو المستبدّ العادل ، ما ظلم يوماً ولا أساء . قال أبونواس فى شأن هذه للفتنة :

ما براها الله الا ّ   فتنةً حين بَرَاها

وقال :

رشأٌ لولا ملاحته خلت الدنيا من الفتنِ

وقال :

كلُّ جزء من محاسنه فيه أجزاءٌ من الفتنِ

وليس هذا وحده ، فقدأ كثر الأولون من ذكر هذه الفتن ، وان صبرى لعلى هذا الأثر وفى ذلك السنن :

فرّقتهم فى الهوى ثاراتَهم

صدق ، فقد قيل قبل هذا :

قامت حُرُوبُ الهوى على ساقِ

فاجمعى الأمر ، وصونى الأبرياء !

ولِمَ يكون هذا وقد قال ابن الفارض :

تجمّعت الأهواءُ فيها ، فما ترى بها غيرَ صبٍّ لا يرى غير صبوتى !

وقال مسلم بن الوليد قبله فى الرشيد :

اذا اختلفت أهواءُ قومٍ جمعتهمْ على العفوِ أو حدّ الحسام المهنَّدِ

وجاء ابن هانى بعده فقال للمعزّ :

وتجمعت فيك القلوبُ على الرضى وتشعبت فى حُبِّكَ الاهواءُ

فاجمعى الأمر ، وصونى الابرياء !

هو أقرب من هذا كلّه الى قول صفىّ الدين الحلى :

لعلّ الحبّ يرفق بالرعايا فيأخذ للبرىء مِن المُلِمِ

***

انّ هذا الحسنَ كالماء الذى فيهِ للأنفس رىٌّ وشفاءْ

بين الحسن والماء مسافةُ ما بين الاسم والكنية من قرب ، بل هما إنشئت المزيد بمنزلة الجفن والهدب ، كلٌّ يحمل صفة صاحبه ، ويأبى أن يجرى عليهما حكمُ الفاعل ونائبه . الحسن ماء ، والماء حُسن ، هما فى صفة واحدة ، عملهما واحد ، يقع فى دائرة واحدة هى الحياة . هكذا يقول صبرى وما هو بمتهم ، ومن قبل قال الابيوردى :

للحسن أمواهٌ تروق بروضهِ وعلى جوانبهِ الدماءُ تراقُ

دع عنك إغارته على المتنبي في ذكر الشرف الرفيع وكيف يسلم وكن كأنك لا تعرفه ، إنما نحن بسبيل أمواه الحسن فهنا قتلى تراق دماؤهم حولها ، وهناك في بيت صبري نفوس ترويها هذه المياه فتحيا ، ولولاها لذهبت قتلى ولكلٍّ وجهة .

ولقد تظرّف الابيوردي إذ يقول في قصيدة أخرى :

يقولون ماء الحسن تحت عذاره على حاله الأولى ، وذاك غرورُ
ألسنا نعافُ الماءَ من أجل شعرةٍ إذا وقعت في الماء ، وهو نميرُ ؟

ولكن ماء صبري ولله الحمد مصون من شعر الأبيوردي لاختلاف الموردين .

ولأبي القاسم العطّار في المعنى :

رقّت محاسنُه ، وراقَ نعيمُها فكأنما ماء الحياة أديمُها

ولقد حام أبو تمّام على ماء الحسن فتناوله ، وسقى عشّاق أدبه الصافي من نميره العذب ما أراد فقال :

صَبَّ الشبابُ عليها وهو مُقتبلٌ ماءٌ من الحسن ما في صفوه كَدَرُ

وقال في لونٍ آخر من الوصف :

خاضت محاسنَها مَخاوفُ غادرت ماءَ الصِّبا والحسنِ غيرَ زُلالِ

ومن محاسن البهاء زهير قوله في هذا الباب :

ريّانُ مِن ماءِ الجمال مُهفهفٌ أرأيتَ غُصنَ البانِ كيف يميلُ ؟

قال صبري :

لا تذودي بعضَنا عن وِردهِ دُونَ بعضٍ ،واعدلي بين الظماء

يريد قسمة الماء ، وما هو بظالم ، ومن العناء أن يكون الشأن على حدّ ما قال الأوّل :

تحومُ فتغشاها العِصيُّ ، وحولها أقاطيعُ أنعامٍ تُعَلُّ وتُنْهَلُ

ولك أن تقول :

وما شَرُّ الثلاثةِ أُمَّ عمروٍ بصاحبكِ الذي لا تَصبحينا

قال صبري :

أنتِ يمُّ الحسنِ ، فيه ازدحمت سُفُنُ الآمالِ يُزجيها الرجاء

يقذفُ الشوقُ بها فى مائجٍ بين لُجَّيْنِ ، عناءٍ وشقاءْ

لهذه الصورة أشباه فى أشعار السَّلَف الأسبق ، قال بعضهم فى الدنيا :

فكّروا فيها ، فلمّا علموا أنها ليست لحىٍّ وطنا

جعلوها لُجَّةً ، واتّخذوا صالحَ الأعمالِ فيها سُفُنا

وهذه صورةٌ أخرى للسراج الورّاق

يا بنى الآمالِ قد خاب الرجاءْ وقد اشتدَّت ، وقد عزَّ العزاءْ

سُفُنُ الآمال فى بحرِ المنى وحلتْ منا ، فأين الرؤساءْ ؟

وهذه صورة ثالثة لأبى القاسم بن العطَّار :

الحبُّ تَسبحُ فى أمواجه المهجُ لو مَدَّ كَفاً إلى الغرقى به الفرجُ

بَحْرُ الهوى غرقت فيه سواحلُه فهل سمعتم ببحرٍ كلُّهُ لُجَجُ ؟

لم يبق بعد هذا من مرية فى أن شاعرنا رحمه الله لم يخترع هذه الصورة ، ولقد يُخيّل الينا أنه كان أكثر نظراً إلى قول السراج الورّاق فكما قال هذا (سفن الآمال فى بحر المنى) والآمال والمنى بمعنى ، كذلك قال صبرى (سفن الآمال يزجيها الرجاء) والآمال والرجاء بمنزلة واحدة ، وعجيبٌ أن يغفل صبرى عن مثل هذا ، ولِمَ تكون سفن الآمال عنده بين لجّين من عناء وشقاء وهى تزجى بقوّة الرجاء وعلى يده كما يقول ؟ وما هو وجه التنويع فى قوله عناء وشقاء ، وهما مِن جنس واحد ، فما بينهما من تفاوت ؟ كل هذا من الزلل أو أشدّه ، قال :

سائِقى آمالَ أنضاء الهوى بقبولٍ من سجاياكِ رُخاءْ

وتجلّى واجعلى قومَ الهوى تحت عرش الشمس فى الحكم سواءْ

فى قوله (قوم الهوى) بعد (أنضاء الهوى) أثر واضح من آثار الفقر الذهنى والفاقة البيانية ، وقد كثر لستعمال هذه الأنضاء هى ومُضافها صورة ومعنى فى أشعار المتقدمين حتى لقد صارت السلامة فى اجتنابها ، ومنه قول الطغرائى (يقتلن أنضاء حبٍّ لا حراك بها) وقول البحترى :

فان تُلفِنى نِضْوَ العظامِ فانها جريرةُ قلبي منذ كان على جسمي

أما ما أفرغه فى الشطر الثانى من البيت على السجايا من صفة القبول وهى ريح الصَّبا فكذلك هو من القديم المستعمل ، قال أبو تمام :

خُلُقٌ مُشرقٌ ، ورأىٌ حسامٌ وودادٌ عذبٌ ، وريحٌ جَنوبُ

وأدقُّ من هذا فى الوصف قول البحترى :

خُلُقٌ طَيِّعٌ إذا رِيضَ للجو دِ اثنى عِطفهُ ، وطَاعَ عِنانُهْ

فى البيت الثانى عرش الامارة ونظام الحكم ، وليس من حقّنا ونحن بسبيل الفنّ أن نداعب روح شاعرنا العظيم وهو يضع لمملكة الجمال ودولة الحب نظاماً باطلاً كهذا — إنه يريد النّصفة والسّويّة . وما بهذا ومثله يرتفع شأن المملكة أو يستقيم أمر الدولة ، لا القوة الحاكمة تستطيع الأخذ بهذا الدستور الأخرق ، ولا الرعية على ضعفها وشدة حاجتها تقبل أن تُحكم بهذه الشريعة الظالمة ، ومن اتخذ مذهباً غير هذا أوحاول أن يتخذه فقد جهل حقّ الجمال وعمىَ عن معنى الحب ، لسنا بسبيل هذا كما قلنا ، فلننظر الى هذا الملك الكبير هل هو من مؤسّسات شاعرنا ؟ كلا وإليك البيان ، قال زين الدين بن الوردى :

يا أميرَ الجمالِ قُلْ فالمراسيم تُستمعْ !

وقال أبو محمد بن سارة :

كم قد رأت عيناىَ مثلك والياً للحسن ، تنتهب النفوسَ جنودُهُ

الدهرُ طوعُ يديه ، والدنيا لهُ أَمَةٌ ، وأحرارُ الأنامِ عبيدُهُ

ويقول آخر :

فتعطف على رعاياك يا مَنْ علقت كفُّه لواءَ الجمالِ

ومن أشهر ما قيل فى هذا الباب قول ابن النبيه :

أيا ملكَ القلوب فتكتَ فيها وفتكك فى الرعيّة لا يحلّ

ومن ملح السّراج الورّاق قوله فى أحد هؤلاء الملوك وكان قد حلق حاجبه :

سلطانُ حسنٍ زاد فى عدلهِ فاختار أن لا يبقى بلا حاجب !

قال صبرى :

أقبلى نستقبل الدنيا وما ضمنته مِن معدّاتِ الهناءْ

واسفرى ، تلك حِلًى ما خُلقت لتوارَى بلثامٍ أو خباء
واخطرى بين الندامى يحلفوا أنّ روضاً راح فى النادى وجاء
وانطقى ، ينثر اذا حدثتنا ناثرُ الدرّ علينا ما نشاء

لو خلا البيت الأول من (معدّات الهناء) لكان خيراً ، وما رأيت هذه المعدات الثقيلة وقعت فى شعر قبل هذا ولا بعده . وفى الهناء خلاف لغوىّ يعذر فيه الذين ينكرون استعمال هذه الكلمة على الوجه المراد فى البيت . ولكنهم يخطئون فى قولهم ان الصحيح هناءة فالكلمتان بمعنى واحد ، وهما من المصادر لقولهم هنأ الطعام اذا ساغ ، ولم أرهما فى الفصيح المهذب من الكلام ، ولا معوّل على قول ابن نباتة .

هناءٌ محا ذاك العزاء المقدّما فما عبس المحزونُ حتى تبسّما

ولا على قول بعض المغاربة :

وفتيانِ صدقٍ عرّسوا تحت دوحةٍ وليس لهم الاّ الهناء فراشُ

فى البيت الثانى اعادة وترديد لكثير من أقوال المتقدمين ، وهذه أمثلة منها ، قال أبو تمام :

ألقى النصيفَ ، فانتِ خاذلةُ المها أُمنيّةُ الخالى ، ولهوُ اللاّهى

ولأبى الحسن التهامى :

حُطى النقابَ ، لعلّ سِربَ عيوننا فى روضِ حسنكِ يرتعين قليلا

وانظر الى منطق الشاب الظريف إذ يقول :

لك حُسنٌ وللأنامِ قلوبُ

ولغيره فى هذا المنحى :

يا أحسنَ العالمين وجهاً ما لكَ من أن تحبَّ بُدٌّ

كلّ هذا يعطى الصورة التى اشتمل عليها بيت صبرى ، وهو فى بعض لفظه ومناه يمتّ بصلةٍ قويةٍ الى قول مهيار الديلمى فى الثنايا :

لو لم تكن مخلوقةً للرّشف ، لم يُخلقن فُلْجا

شُبّهت النساء بالرياض كما شُبّه الرجال بها . وكثر ذلك فى الأدب القديم كثرة بالغة ، فليس فى البيت الثالث أمر جديد ، وقد تروعك تلك الصورة الوصفية التى تريك الروض يذهب ويجىء فى النادى ، ويزيدها روعةً فى ذاتها واستقراراً فى نفسك أن يحلف الندامى كما يقول الشاعر أنها صورة صادقة ، وقد شاء مثل هذا فى توكيدْ الخبر الوصفى أو الصورة التشبيهية فهو كذلك من آثار الأولين ، ومنه قول أبى تمام :

والسيفُ يحلفُ أنـك السيفُ الذى   ما اهـتزَّ الا اجتثّ عرشَ عظيمِ

واليك من الصوّر الأولى ما يمحو من نفسك ذلك الأثر الذى علق بها من بيت صبرى ، قال أبو تمام :

خرجن فى خضرةٍ كالروضِ ليس لها   الا الحلىُّ على أعناقها زَهَرُ

هكذا وجدت البيت ، ولا معنى للخضرة هنا الا اذا أريد بها وصف الثياب ، وهو ما لا أظنــه ، وقد جاءت الخضرة بمعنى النعومة وذلك أقرب الى المراد ، وما أظن الـكلمة الا محرّفة ، ولعلها فى الأصل (نضرة) . وقال من قصيدة أخرى :

غيداءُ جادَ وَلىُّ الحسنِ سُنَّتَها   فَصَاغَـها بيديهِ روضةً أُنُـفا

ولابن خفاجة الاندلسى :

يا بانةً تهـتزّ فينـانةً   وروضةً تنفحُ معطارا

وقال طاهر البغدادى فزاد عليه :

خطرت فـكاد الطيرُ يخطر فوقَها   إنّ الحمامَ لمغرمٌ بالبانِ

ولعلّ روض شاعرنا الذى يذهب ويجىء فى النادى أشـبه شىء بروض كشاجم أو بطاووسه العزيز حيث يقول فى رثائه :

رُزِئتهُ روضــةً تروق ولم   أسمـع بروضٍ يمشى على قدمِ !

وفى معنى المشى يقول أبو نواس :

بدرُ تمٍّ فى قضيبٍ مُورقٍ   مَن رأى بدراً على الأرض مشى؟!

وهذا هو البحترى لا يكفيه أن يأتى بالروض ماشيا فهو يسوق الربيـع كله الى ممدوحه ويضعه بين يديه ، قال :

أتاك الربيعُ الطلقُ يختالُ ضاحكاً   من الحسنِ حتى كاد أن يتكلما

نريد الاكتفاء بهذا، ويأبى ابن المعتز وابن هانىء إلا أن يكونا من هذه الجمهرة فقد قال الأول:

وقفتُ بالروضِ أبكى فقدَ مُشبهِهِ   حتى بكت بدموعى أعينُ الزَّهَر

وقال الثانى:

وما خِلْتُ أنّ الروض يختال ماشياً   ولا أن أرى فى أظْهُرِ الخيْلِ عبقَرا

انتهينا الى البيت الرابع «وانطق ...» وفى معناه يقول البحترى:

ولمّا التقينا واللّوى موعدٌ لنا   تعجّبَ رائى الدرّ منا ولاقِطهْ

فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها   ومن لؤلؤٍ عند الحديث تساقِطُهْ

وللشّوريّ:

ترى الدرَّ منثوراً إذا ما تكلّمت   وكالدّرّ منظوماً إذا لم تكَلَّمِ

وقال على بن عطية البلنسيّ:

كلمتنى نخلتُ دُرّاً نثــيراً   وتأمّلتُ عِقْدَها هل تناثرْ؟

وللأمير محمد بن منجك:

وكأنّ الحديثَ منه هو اللّؤ   لؤُ يُرْفَضُ بيننا والجُمانُ

قال صبرى:

وابسمى، مَنْ كان هذا ثَغرُه   يملأُ الدنيا ابتساماً وازدهاءْ

لا تخافى شططاً من أنفسٍ   تَعثرُ الصّبوةُ فيها بالحياءْ

ويقول أبو نواس فى معنى البيت الأول، وفيه زيادة ظاهرة:

ظبيٌ لِمَبْكاهُ ومَضحكِهِ   فينا تُنيرُ وتُظلمُ الدُّنيا

وأمّا ما قيل فى معنى العفّة وهو محصّل البيت الثانى فكثير، ومنه قول مضرّس بن الحارث المرّى:

تتوقُ اليكِ النفسُ ثمّ أردُّها   حياءً، ومثلى بالحياء خليقُ

وقال مسلم بن الوليد:

أخذتُ لطرفِ العينِ منها نصيبَهُ — وأخليتُ مِن كفّي مكانَ الخلخلِ

ولعبد الله بن المعتز :

كم قد خلوتُ بها وثالثُنا التُّقى — يحمى على الظمآن بردَ الموردِ

وقال المتنبي :

يَرُدُّ يداً عن ثوبِها وهو قادرٌ — ويعصى الهوى فى طيفها وهو راقدُ

ولغيره :

ما إن دعاني الهوى لفاحشةٍ — إلاّ عصاه الحياءُ والكرَمُ

وقال آخر :

فعصيتُ سُلطانَ الهوى — وأطعتُ سُلطانَ العفاف

وللشريف الرضيّ :

بتنا ضجيعينِ فى ثوبَىْ هوًى وتقًى — يَلُفُّنا الشّوقُ من فرعٍ إلى قدمِ

وله :

وإذا هممتُ بمن احِبُّ أمالنى — خَصَرٌ يعوقُ ، وعفّةٌ تنهانى

هذا شىء مما جاء فى معنى العفة والحياء ، وفى البيت جمال فنىّ يتمثل فى الصبوة تعثر بالحياء . وليست هذه بالعثرة الأولى تقع بين الشىء والشىء ، فان لها لنظائر كثيرة فى أشعار المتقدمين ، قال الشريف الرضيّ :

فى موقفٍ تُغضى العيونُ مهابةً — فيه ، ويَعثرُ بالكلامِ المنطقُ

وقال الأبيوردى :

أرى نظراتِ الصّبّ يعثرنَ دونها — بأعرافِ جُردٍ أو رءوسِ عَوالِ

وللقائد أبى الرضاء :

يا قالةَ الشعر قد نصحتُ لكم — ولستُ ادْهى إلاّ من النُّصحِ

صونوا القوافى ، فما أرى أحداً — يَعثر فيهِ الرجاءُ بالنجح

قال صبرى :

أنت رُوحانيةٌ ! لا تدّعى — أن هذا الحسنَ من طين وماء !

وقال شوقى :

صُونى جمالَكِ عنا ، إنّما بشرٌ من التُّرابِ ، وهذا الحسنُ روحانى

وسواء كان المتقدم صبرى أو شوقى فالوصف قديم ، والصورة ترجع الى العصر الاول ، حتى أن القرآن الكريم لم يخل منها (فلمّا رأينَهُ أكبَرْنَهُ وقطّعنَ أيديَهن وقُلنَ حاشَ لِلّهِ ماهذا بشراً إن هذا إلا ملكٌ كريمٌ)

قال شاعر قديم :

أوَ خشيةَ العينين أين لكِ الأهلُ ؟ أبالحزنِ حلّوا ، أم محلُّهمُ السّهلُ ؟

وأيّةُ أرضٍ أخرجتكِ ؟ فانّنى أراكِ من الفردوسِ ، إن فُتّش الأصلُ

قِفى خبّرينا ، ماطعمتِ ، وما الذى شربت ، ومن أين استقلّ بكِ الرحلُ ؟

فانّ علاماتِ الجنانِ مبينةٌ عليك ، وإنّ الشّكلَ يتبعُه الشّكلُ

ولأبى تمّام :

إنسيّةٌ إن حُصّلَت أنسابُها جِنّيّةُ الأبوين ، ما لم تنسبِ

وله :

ياهذهِ أقصرى ، ماهذهِ بشرٌ ولا الخرائدُ من أترابها الأُخَرُ

وقال الحسن بن هانى :

وَمُضمّخاتٍ بالعبيــ ـرِ نَزلنَ مِن غُرَفِ الجِنانِ ؟

أقبلنَ مِن بابِ الرّصا فةِ كالتماثيلِ الحسانِ

وللشريف الرضىّ :

أنا منكِ فى كمدٍ على كمدِ يومى علىّ أمرُّ من أمسِى

جِنّيّةٌ ، وقبيلُها بشرٌ عظُمَ البلاءُ بها على الانسِ

ولبعض الشعراء (أهلاً بهِ ملكاً فى زىّ إنسانِ) ولغيره :

أخرجه رضوانُ مِن دارهِ مخافةَ أن تُفتَنَ الحورُ

قال صبرى :

وانزعى عن جسمكِ الثّوبَ يبن للملا تكوينُ سُكانِ السّماءْ

وأرى الدنيـا جَناحَىْ مَلكٍ خلفَ تمثالٍ مصوغٍ من ضياء

ذهب البيت الأول بكل ما فى القصيدة من أدب القول ونزاهة النفس ، ولقد كان فى قول الشاعر « واسفرى . . . . البيت » مايكفى ولكنه أبى الا أن يتزيّد فيطلب نزع الثياب ، وعجبت لشاعرنا النافذ البصر خليل مطران كيف يُغضى عمّا فى هذا البيت من شطط خلقى كبير وهو يمتدح هذه القصيدة فى (المجلة المصرية) وينزّهها عمّا وقع لبعض الشعراء المتقدمين فى باب الغزل والنسيب من مستنكر الوصف وساقط القول ، ولقد ازدحمت المعانى فى البيت الثانى ازدحاماً يمثل لك لوحة من الصور الشمسية اختلطت فيها الرسوم والأصباغ حتى ما تكاد تستبين كلّ رسم أو لون على حدة — انّ صبرى يضع أمامك صورة الدنيا كأجمل ما يكون الحسن ، وأحسن ما يكون الجمال ، ولكنك حين تكدّ ذهنك لتفهم كيف تكون هذه الدنيا كجناحىْ ملك يقوم خلف تمثال من الضياء ، وما وجه الشبه بينها وبين هذين الجناحين ، وما هو هذا التمثال ، وما موضعه ومعناه من الصورة التشبيهية أو المجازية أو أية صورة أخرى هى ما هى — انك حين تكدّ ذهنك لتنتزع من كل هذه الصورة الجميلة فى ذاتها ، بل المتناهية فى الجمال ، صورة معنوية ذات لون خاص ، أو دلالة خاصة ، لا تستفيد شيئاً آخر سوى ما اجتمع لك عند النظرة الأولى ، فحاصل البيت أن الدنيا جميلة ، وإذا كان الشاعر بصدد المرأة فلك أن تفهم أن هذا الجمال ممثّل فيها ، واذا أنت توسّعت فى استنباط الأغراض والمعانى جعلت لجمال العفة والحياء وأدب النفس ، وهو ما ذكره فى هذه القصيدة ، مكانه فى هذه الصورة الخرساء . ولعلك واجد شبهاً بين هذا الذى يقوله صبرى وبين قول صلاح الدين الصفدى فى صفة القمر يبدو من خلال الغصون وفيه خطأ كما سيجىء :

كأنما الأغصان لمّا انثنت أمامَ بدرِ التمّ فى غيهبهْ
بنتُ مليكٍ خلفَ شبّاكها تفرّجت منه على موكبهْ

لا أقول أن الشبه تام بين الصورتين ولكنه متقارب ، فأنت حين تعكس الصورة القائمة فى هذين البيتين وتقف وراء الغصون مستقبلاً القمر وهو يطالعك من خلالها تتمثل لك تلك الصورة التى يسوقها صبرى اليك فى وصف الدنيا وتصويرها ، ففى هذه الغصون مَشابهُ من جناحىْ الملك ، والقمر هو التمثال المصوغ

من الضياء ، ومثل هذه الصلة الوثيقة بين الصورتين مما يدركه علماء النقد وينظرون اليه نظراً واسعاً ، فجائزٌ عندهم أن يقال إن بيت صبرى مأخوذٌ من هذين البيتين اللذين لم يسلم صاحبهما من الخطأ ، بل هو قد أخطأ خطأً فاحشاً من جهة الوضع التشبيهى ، فهو قد أراد تشبيه القمر وهو يبعث بأنواره من وراء الغصون ببنت الملك تطلّ من خلف شباكها لترى الموكب فأطلق هذا التشبيه على الأغصان لا عليه ، وقد نقده ابن حجة الحموى صاحب (خزانة الأدب) وأورد قول محيي الدين ابن قرناص فى تصحيح هذه الصورة :

وحديقةٍ غنّاءَ ينتظم النَّدى بفروعها كالدُّرّ فى الأسلاكِ
والبدرُ يُشرق من خلالِ غصونها مثلَ المليحِ يُطلُّ مِن شبَّاكِ

ولشاعرنا العظيم قصيدة فى رثاء بطرس غالى باشا من أبياتها :

فتّشتُ ، لمّا لم تجد مقلتى كفوًا ، عن الفضل ليبكى معى
فقيل لى : قد سار فى إثره يَوم دفنّاه ولم يرجع !

لم يقل شيئاً ، فقد أسرف الشعراء فى مثل هذا ، ومنه قول أبى تمام :

ولم أنسَ سعيَ الجودِ خلفَ سريرهِ بأكسفِ بالٍ ، يستقيم ويطلعُ ،
وما كنت أدرى ، يعلم الله ، قبلها بأن النّدى فى أهله يتشيّعُ

ولك فى هذه الصُّورة الكثيرة الوجوه والنواحى ما يدلك على اختناق الروح الفنى فى قول شاعرنا :

سار ولم يرجع ... ، ولبعضهم فى هذا الباب :

ثوى الجودُ والكافى معاً فى حفيرةٍ ليأنسَ كلٌّ منهما بأخيهِ

وقال الحسين بن مطير الأسدى :

ولمّا مضى مَعنٌ مضى الجودُ والنّدى وأصبح عرنينُ المكارمِ أجدعا

قال صبرى :

يانازلاً بَيْنَ وفودِ البِلَى آنستَهم يامُوحِشَ الأربعِ

وقال شاعر قديم :

أمّا القُبورُ فانّهنّ أوانسٌ بجوارِ قبركَ ، والدّيارُ قبورُ

ولأبي بكر بن الصائغ :

لئن أنست تلك القبورُ بلحده لقد أوحشت أقطارُهُ وقصورهُ

وعلى هذا المنهاج درج البهاء زهير في قوله يرثي بعض أصحابه :

الدّارُ مِن بعدك قد أصبحت في وحشةٍ يا مؤنسَ الدارِ

ولولا القافية وعنادها لقال يا مؤنس القبر ، وقد توسع المعرّي في هذا المعنى فقال يرثي الشريف الطاهر الموسويّ :

إن زاره الموتى كساهم في البلى أكفانَ أباجَ مكرمِ الأضيافِ

قال صبري :

عينيَ فيك اليوم (قبطيّةٌ) تروي الأسى عن (مسلمٍ) موجعِ

والشطر الأول من هذا البيت صورة ناطقة من قول ابن خفاجة الأندلسي :

عيني به عينٌ مجوسيّةٌ تعبدُ مِن وجنته نارا

ومسلم من رواة الحديث ، وهذا هو التوجيه عند البديعيين ، ومنه قول ابن نباتة المصري :

ملكٌ باهرُ المكارمِ يروى وجهُ لقياهُ عن (عطاءٍ) و(بشرٍ)

ولغيره فيه :

عن (نافعٍ) وَصْلُهُ رَوى لي كما رَوى الهجرُ عن (ضرارِ)

ومن أجود ما قيل من هذا النوع قول ابن رشيق القيرواني في الأمير تميم ابن المعزّ :

أصحُّ وأعلى ما سمعناه في الندى من الخبر المأثورِ منذ قديمِ

أحاديثُ ترويها السُّيول ، عن الحيا عن البحر ، عن كف الأميرِ تميمِ

وقد عدُّوا الغاية في هذا الباب قول علاء الدين الوداعي :

مَنْ أمَّ بابكَ لم تبرح جوارحهُ تروي أحاديثَ ما أوليتَ من مِننِ

فالعينُ عن (قُرَّةٍ) والكفُّ عن (صلةٍ) والقلبُ عن (جابرٍ) والأذن عن (حسنِ)

وبيت صبري اذا قيس بهذا المقياس وأعفي من عيب التقليد وقع في النمط الأوّل والمنزلة العليا من هذا النوع ، وليس هذا بسبيلنا فنحن نريد إطلاق الروح

الفنى وتحريره من أمثال هذه القيود الصناعية التى ذهبت بمجد الأدب ، وأفسدت ما له من قوانين وأحكام . ولقد بلغ من أمر رجال المدرسة البديعية الذين أحدثوا هذه البدع المنكرة فى عالم الشعر أن جعلوا أشعار الفحول من غير فريقهم فى المنزلة الثانية ، وحسبك من هذا العبث أن ترى ابن حجة شيخ علمائهم يبالغ فى التشيّع لفنه حتى ليكاد يقضى لصفىّ الدين الحلّى وابن نباتة على المتنبي فيما وصف به قصيدتين لهما فى معارضة أبى الطيب ، وقد جعلا موضوع هذه المعارضة قصيدتيه اللتين يقول فى مطلع احداهما :

بأبى الشّموسُ الجانحاتُ غواربا ... اللاّبساتُ من الحرير جلاببا

ويقول فى مطلع الثانية :

أرَقٌ على أرقٍ ، ومثلىَ يأرقُ ... وجوًى يزيدُ ، وعَبرةٌ تترقرقُ

فقال صفىّ الدين :

أسبلنَ من فوقِ النّهود (ذوائبا) ... فتركنَ حبّاتِ القلوبِ (ذوائبا)

وقال ابن نباتة :

ما بتٌّ فيك بدمع عينى (أشرقُ) ... إلاّ وأنتَ من الغزالةِ (أشرقُ)

وكل هذا من أجل ذوائب وذوائب ، وأشرق وأشرق ، وهم يسمون هذا النوع الجناس التامّ ويكثرون منه ، فانظر أى شيء من السموّ الفنى فى هذه الصناعة ! وإليك لونين من قصيدة ابن نباتة فتذوّقهما وارجع الى أثرهما فى نفسك لترى أيّهما هو الشعر ، قال :

يمتارُ من دمعى عليك ذوو البكا ... فاعجبْ له من (سائلٍ) يتصدّقُ

يا حبذا ليلٌ (نبيعُ) به الكرى ... لكننا (لا عَنْ رِضًى نتفرّقُ)

ما سرّنى أنّ (الكُميتَ) بحسّها ... تحوى الشّقاةُ ، وأنّ فودى (أبلقُ)

هذا هو اللون البديعى أو الصناعى ، فانظر ما يقول بعد هذا ولك الحكم :

قومٌ لذكراهم على صُحف العلى ... أصلُ الفخار ، وكلُّ ذكرٍ مُلحقُ

الملكُ بعضُ ديارهم ، فلينزلوا ... والنجمُ بعضُ جُدودهم ، فليرتقوا

هذا ولا ريب خير اللونين ، وأقوم السبيلين . ولسنا نعادى البديع فى ذاته فهو

عنصر فنى كبير الشأن ، ولكنا نكره أن يكون صناعة فاشية ، وأن يكون له مثل تلك الغلبة وذلك الطغيان . انظر الى قول عبد المطلب جدّ النبي ﷺ :

لا ينزلُ المجدُ إلا فى منازلنا — كالنوم ليس له مأوى سوى المقلِ

فذلك هو « الاستطراد » عند البديعيين ، ومنه قول القاضى الفاضل :

فكأننى ألفٌ ولامٌ فى الهوى — وكأن موعدَ وصلكم تنوينُ

هذه ملحة لا شك فيها ، ولكن أين هى من ذلك الجلال وتلك الفخامة ؟

ومن مُلح القوم فى باب الاستعارة قول ابن رشيق :

بادرْ الى اللذاتِ ، واركب لها — سوابقَ اللهوِ ذواتِ المراحْ

مِن قبل أن ترشفَ شمسُ الضحى — ريقَ الغوادى من ثغور الأقاحْ

وقول الوليد بن حيان الشاطبي :

فوق خدّ الوردِ دمعٌ — من عيونِ السحبِ يُذرف

برداء الشمسِ أضحى — بعد ما سال يُجفّف

ومن مختار ما يقع فى هذا الباب قول مجير الدين بن تميم :

وليلةٍ بتُّ أسقى فى غياهبها — راحاً تَسُلُّ شبابى مِن يدِ الهرمِ

ما زلتُ أشربها حتى نظرتُ إلى — غزالةِ الصبح ترعى نرجسَ الظلمِ

كلّ هذا مستحسن ، وجميل أن يقول ابن سكرة أحد غلاتهم :

قيلَ ما أعددتَ للبَرْ — دِ ، فقد جاء بشدّه

قلتُ درّاعةُ عرىٍ — تحتها جُبّةُ رِعده

ولكن أين هذا من قول ذى الرمّة :

أقامت بها حتى ذَوَى العودُ فى الثرى — ولفّ الثريا فى ملاءته الفجرُ

وقول الراعى :

هُمُ كاهلُ الدّهرِ الذى يتقى به — ومنكبُهُ ، إن كان للدّهر منكبُ

انظر الى الاعرابى كيف يتوقر فى شعره فيقول « إن كان للدهر منكب » وتأمل حاله وحال من يجعل من العرى درّاعة ، ومن الرعدة جبة ، وان المتنبي لمواطن يصغر فيها حتى ليكاد يزدرى ، فن هذه المواطن الذميمة قوله فى سيف الدولة :

إذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً مضى قبلَ أن تُلقى عليه الجوازمُ

ليس بهذا ومثله بلغ المتنبي ما بلغ من شرف باذخ ومجد عظيم ، وأية قيمة لهذا البيت الذي هو أشبهُ بأشعار النحاة بعرض قوله في هذه القصيدة :

وقفتَ ، وما في الموت شكٌّ لواقفٍ كأنك في جفنِ الردى ، وهو نائمُ
تمرُّ بك الأبطالُ كَلمى هزيمةً ووجهُكَ وَضّاحٌ ، وثغرُكَ باسمُ
ضممتَ جناحَيهم على القلبِ ضمةً تموتُ الخوافي تحتها والقوادمُ
بضربٍ أتى الهاماتِ ، والنصرُ غائبٌ وصارَ إلى اللبّاتِ والنصرُ قادمُ

قال صبرى :

يا مَنْ سقانى الجمَّ مِن وُدِّهِ هذا ودادى كلُّهُ فا كرعِ

وقال أبو تمّام :

ولقد أتيتك صادياً ، فكرعتُ في شِيَمٍ ألذَّ من الزُّلالِ الباردِ

وللشريف الرضيّ :

سقانى على القُربِ كأسَ الاخا ء مطلولةً بنسيمِ الصفا

فهذا كلُّهُ من منبعٍ واحدٍ ، ومن أشهر شعره تلك القطعة الرقيقة التى يقول فيها :

أقصرْ فؤادى ، فما الذكرى بنافعةٍ ولا بشافعةٍ في ردِّ ما كانا

جرى في قوله « بنافعة ولا شافعة » على مشهور قول الناس ، وقد سبقه البهاء زهير إلى ذلك فقال :

أرِحْنى منكَ حتى لا أرى مَنظركَ الوعرا
فقد صرتُ أرى بُعدَ كَ عنّى الراحةَ الكبرى
فما تنفعُ في الدّنيا ولا تشفعُ في الأخرى

ومن هذا القبيل قولهم « الفاعل التارك » ولنور الدين العسيلى في فاعل على لغة أصحاب الأعمال عندنا :

وفاعلٍ يتركنى عامداً وهو لرقّى في الهوى مالكى

أقول للناس : ألا فاعجبوا من صنع هذا « الفاعل التارك » !

ومعنى البيت كله من قول المتنبي :

ولا يَرُدُّ عليكَ الفائتَ الحزَنُ

قال صبري يخاطب فؤاده :

سلا الفؤادُ الذى شاطرتَهُ زمناً حملَ الصبابةِ ، فاخفقْ وحدَكَ الآنا

الصورة فى هذا البيت معكوسة ، والمعنى غير مستقيم ، فقد أراد الشاعر أن يقول لقلبه إن القلب الذى كان يشاطرك حمل الصبابة قد سلا ، فأجرى فعل المشاطرة على قلبه هو ، وأنت ترى أن وقوع الفعل من قِبَله يُعفيه من عناء هذا السلوّ ، ويريحه من ذلك العبء الذى كان يحمله ، وإذاً فلا معنى لأن يخفق وحده ، ومعنى البيت على الوجه المستقيم من المعانى المطروقة لاتخاذه صورة الحكاية التى قلّ أن يخلو منها شعر الحبّ ، أو تدعها السنةُ المحبّين ، فمن ذلك قول بعضهم :

أشكو الذين أذاقونى محبتهم حتى إذا أيقظونى للهوى رقدوا

وقول الشريف الرضى :

أحذاكَ حَرَّ الوجدِ ، غيرَ مُساهمٍ وسقاكَ كأسَ الهمّ غيرَ مُعاقرِ

وفى معنى شماتة الشاعر بقلبه وقوله (فاخفق وحدك الآنا) يقول عبيد الله ابن عتبة :

فَذُقْ هجرَها ، قد كنتَ تزعم أنهُ رشادٌ ، ألا فاثأرْ بما كذبَ الزعمُ

وللطغرائى فى معنى البيت كله :

يا قلبُ ما لكَ والهوى مِن بعد ما طابَ السلوُّ وأقصرَ المشّاقُ ؟

أوَما بدا لك فى الإفاقةِ ، والأُلى نازعتهم كأسَ الغرامِ أفاقوا ؟

مَرِضَ النسيمُ وصحّ ، والداءُ الذى أشكوهُ لا يُرجى له إفراقُ

وهَدَا خفوقُ البرقِ ، والقلبُ الذى تُطوَى عليهِ أضالعى خفّاقُ

وهذا ابن وكيع يقول فى معنى الشماتة بالقلب :

لقد شمتُّ بقلبي لا فرّج الله عنهُ

كم لُمتُهُ فى هواهُ فقال : لا بُدّ منهُ ؟

قال صبرى :

هلاَّ أخذتَ لهـذا اليوم اهبتَهُ من قبل أن تصبحَ الأشواقُ أشجانا

أخذُ الأهبة للامر قبل وقوعه مما كثر القولُ فيه ، ولكننا من هذا البيت أمام أمر لا يحلّ لمثله عقدة ، ولا تؤخذ له عُـدّة ، وقد يستقيم قول بعضهم :

أقول لها ، والدّمعُ يغلبُ صبرَها أعِدّى لفقدى ما استطعتِ من الصبرِ

قد يستقيم هذا ، وقد يكون مقبولاً كذلك قول ابن المعتزّ :

كلما فكّرَ فى الهجرِ بكى ويحَهُ يبكى لما لم يقعِ

فأما أن يأخذ المحبّ عدّته لسلوّ الحبيب أو لغدره فلا معنى له سوى انتقاض الحب وفساد العلاقة ، ومثل هذا وإن جرى فى القول مجرى الملح فليس بشىء فى مقام النقد ومعرض البحث والنظر ، ومن هذا العبث قول ابن رشيق والمعنى فى البيت الأول مسخر للغرض المتمثل فى البيت الثانى :

فكرتُ ليلة وصلها فى صدّها فجرت بقايا أدمعى كالعندمِ

فطفقتُ أمسحُ مُقلتى فى نحرها إذ عادةُ الكافورِ إمساكُ الدّمِ

إن حال صبرى فى هذا البيت لقريبٌ من حال ذلك الشاعر الذى يقول :

ولمّا نزلنا على زمزمٍ ونحن نريد طوافَ الافاضه

بكيتُ فقالت : على مَ البكا ؟ فقلتُ : على الودّ أخشى انتقاضه

فقالت : ثكلتكَ من عاشقٍ تُشمّرُ ذيلك قبلَ المخاضه

فقلتُ : صدقتِ ، ولكننى أُعلّمُ نفسى طريقَ الرياضه

يرى صبرى فى هذا البيت بين الأشواق والأشجان منزلة ، وأن الأولى أخفُّ محملاً ، وأيسرُ عناءً ، واذاً فقد كان قلبه يستطيع أن يتخذ العُدّة والأشواق وحدها هى الغالبة عليه ، أفهذا من جد القول وصحيح الكلام ؟ لعلّ قول الشاعر الحكيم (لايعرف الشوق إلاّ من يكابده) إنما أُعِدّ لهـذا الذى يقوله شاعرنا العظيم ، وارحمتاه لقيس لُبنى إذ يقول :

فوا كبدى من شدّةِ الشوقِ والجوى وواكبدى ، إنى الى الله راجعُ !

وهذا آخر يصف لنا الشوق فيصدق :

دَعَى اللهُ مَن هامَ الفؤادُ بحبهِ ... ومَن كِدتُ من شوقٍ اليه أطيرُ

وانظر الى الشهيد عروة بن حزام إذ يقول لناقته :

متى تجمعى شوقى وشوقَك تظلعى ... وما لكِ بالعبءِ الثقيلِ يدانِ

هو الشوق منذ العهد الأوّل ، لم يَحُل عن طبيعته ولم يتغير ، هو الذى قال فيه مسلم بن الوليد (أغرى بهِ الشوقُ ليلَ الساهرِ الرَّمِدِ) وقال فيه أبو تمام :

هذا مُحبّكَ أدمَى الشوقُ مُهجتَهُ ... فكيفَ تُنكرُ أن تدْمَى مآقيهِ ؟

ووصفه فى مكان آخر فقال :

للنَّارُ نارُ الشوقِ فى كبدِ الفتى ... والبينُ يُوقدهُ هوًى مَسمومُ

خيرٌ لهُ مِن أن يُخامرَ صدرَهُ ... وحَشاهُ معروفُ امرىءٍ مكتومُ

أنا آتيكَ بصبرى نفسه ينقض ذلك القول وينادى أن الأشواق عنصر نارى ، وأنها هى والأشجان بمنزلة واحدة ، فاسمع ماذا يقول فى قطعة أخرى :

يا مَنْ أقام فؤادى إذْ تملّكه ... ما بينَ نارَينِ من شوقٍ ومن شجنِ

الحمدُ لله ، ظهر الحقّ واستبان السبيل ، ونحن نضع الآن هذه القطعة الأنيقة بين يدى النقد ، وإنا لنرى هذا البيت كثير التطلع فى منهجه ومرماه الى قول أبى جعفر بن البنى :

يا مَن يعذّبنى لمّا تملّكنى ... ماذا تريدُ بتعذيبى وإضرارى ؟

وقد تم المراد فى هذا البيت ، وخلا بيت صبرى من كل شىء ، فهو لا يفيد معنًى فى ذاته ، ولا يعطيك صورةً مستقلةً من نفسه ، وهذا من عيوب الشعر ، وفى النارين والاستعانة بهما على تزيين الكلام وتنميقه يقول أبو نواس :

صَليتُ مِن حبِّها نارَين : واحدةً ... بَينَ الضلوعِ ، وأخرى بَينَ أحشائى

ويقول الخطيب الحصكفى :

أشكو إلى الله من نارَينِ : واحدةٍ ... فى وَجنتيهِ ، وأخرى منه فى كبدى

قال صبرى :

تَفديكَ أعينُ قومٍ حولكَ ازدحمت ... تَعطَّشى إلى نهلةٍ من وجهكَ الحسنِ

وفى معنى ازدحام العيون حول هذا المورد العذب يقول الشيخ أبو الفضل بن أبى الوفاء :

على وجنتيهِ جَنّةٌ ذاتُ بهجةٍ ترى لعيونِ الناس فيها تزاحما

ولأبى تمام :

انّ حزنى علىّ ، لا بل عليكا بل على مُهجةٍ تسيل لديكا
أنتَ تُزهى بصورة غدت الأبـ .... صارُ مِن حُسنها وراحت عليكا

وقال :

لهفَ نفسى علىّ ، لا بل عليكا أن تجولَ العيونُ فى خدّيكا
وعزيزٌ علىّ أن تجتنى الأبـ .... صارُ زهرَ الربيع مِن وجنتيكا

ولعلاء الدين الماردينى :

قد كتبَ الحسنُ على وجههِ : يا أعينَ الناسِ ، قفى وانظرى !

فأما حُسْنُ الوجوه وما فيه من ماء هو رىٌّ العيون الظماء والقلوب الحائمة ، فليس هذا بأوّل العهد به ، وهذه طائفة من أخباره . قال ابن خفاجة الأندلسى :

أما ترى الماءَ على وجههِ يجولُ ، والنارَ على وجنتيه
فوَجْهُهُ رِيّاً كطرفى بهِ وَخَدُّهُ وَقْداً كقلبي عليه

وقال :

تـرَقْـرَقُ ماءُ مقلتاىَ ووجهُهُ ويذكو على قلبي ووجنته الجمْرُ

ولبعضهم :

أشكو الصَّدَى أبداً وما ء الحسنِ فى خَدّيهِ جارِ

ومن الافتنان فى هذا الباب قول الآخر :

لم تَـرِدْ ماءَ حسنكَ العينُ إلاّ شرقَتْ قبلَ رِيِّها برقيبِ

وهل أتاك حديث « أفواه المنى » ترشف ذلك الماء ثمّتَ تصدر ظمأى وأنت تظنها رواء ؟ قال صاحب الريحانة :

ماءُ الجمالِ فى رياضِ خَدّها ورْدٌ بأفواهِ المنى مُستعذبُ

ولابن خفاجة الأندلسى :

فكاد يَشربُ نفسى وكدتُ أشربُ خدَّهُ !

ومثله أو قريبٌ منه قول الآخر :

يكاد أن يشربه اذا تبدّى نظرى !

ونحن نختم هذا الباب ببيتين قيل إنهما للمهلّبي فى غلام تركى جعله معزّ الدولة قائد جيش سيّره لقتال بنى حمدان ، والشاهد فى قوله (يروق الماء فى وجناته) ، قال :

ظبيٌ يروقُ الماءُ فى وَجَناتِهِ ، وَيَرِقُّ عُودُهْ
جَعلوهُ قائدَ عسكرٍ ضاع الرّعيلُ ومن يقودُهْ

قال صبرى :

لم تتّقِ الله فى ظبيٍ ولا غُصنٍ جرّدتَ كلَّ مليحٍ من ملاحتهِ
تَمْلِكُهُ فى أوْجهِ عبداً بلا ثمنِ فاستبقِ للبدرِ بَينَ الشهب رُتبتَهُ

الظبيُ والغصنُ والبدرُ ، أو الشمسُ حيناً ، هذا هو مَدارُ القول عند الأوّلين إذ يبالغون فى وصف الجمال . جاء صبرى بهذه المجموعة فى البيتين لكيلا يفوته شيء ، وليكون قوله فى البيت الأوّل (جردت كلَّ مليحٍ من ملاحتهِ) متناولاً كل ما يقع فى معناه ، أو يقوم تحت حكمه ، فلو لم يذكر البدر لاضطربت (كلّ) فى مكانها ، وفقدت الشطر الأكبر من قوّتها وسلطانها ، وما أظنّ البراعة فى وصف الجمال ، أو المبالغة فيه على وجه الاجمال ، قد فارقت بيت البحترى الذى يقول فيه :

أُعطِيَتْ بسطةً على الناسِ حتى هِيَ صِنفٌ ، والناس فى الحسن صِنفُ

ومِن الشعر الجامع فى هذا الباب قولُ بعضهم :

كلُّ حُسنٍ فى البرايا فَهوَ منسوبٌ اليك

وأبلغ من هذين قول عبدالله بن عبدالله :

سلمى : وما سلمى ؟ تفوقُ المُنَى والحسنَ أوصافاً وألوانا

وللبحترى فى المجرى الذى تبعه صبرى ، وهو عندى فى المحل الثانى :

فَهِيَ الشّمسُ بهجةً ، والقضيبُ الـ . . . غضُّ ليناً ، والرّيمُ طرفاً وجيدا

وله :

فى طلعةِ الشمسِ شىءٌ مِن ملاحتها   وللقضيبِ نصيبٌ مِن تثنِّيها

وقال مهيار الديلمى :

سلا ظبيةَ الوادى ، وما الظبيُ مثلها   وإن كان مصقولَ الترائبِ أكحلا :

أأنتِ أمرتِ البدرَ أن يصدعَ الدُّجى   وعلمتِ غصنَ البانِ أن يتميّلا ؟!

وهذان شاعران ، هذا يتهم موصوفه بالسرقة من الظبي والغصن ، وهذا يتهم الغزلان بالسرقة من موصوفه ! قال الأول وهو أبوالفتح بن عبد السلام المغربى :

سَرَقَ الجيدَ واللحاظَ من الظبي ، ولِينَ القوامِ مِن غُصنِ بانِ

وقال الثانى وهو القطب المكى :

ما أرَى الغزلانَ إلا سرقتْ   منكَ جيداً والتفاتاً وَحَدَقْ

ثم خافت ، فتولت شُرَّداً   كيف لا يشردُ خوفاً مَنْ سرقْ ؟

أما ما قيل فى البدر وحده ومنزلتـه من الموصوف بالجمال من قبل أن يتناوله صبري ويضعه فى ذلك المكان ، فهذا طرَفٌ منه ، قال عبدالله بن المعتز :

كِدْتُ أقولُ البدرُ شِبْهٌ لها   أجملها كالبدرِ ؟ حاشاها !

وقال الشيخ زين الدين بن الوردى :

وبى أغيدٌ مِن حُسنهِ البدرُ خائفٌ   على نفسهِ ، والنجمُ فى الغَرْبِ مائلُ

نريد أن نقترب من غرض صبرى ، ففى هذا البيت أن البدر خائف على نفسه وترجمة هذه العبارة فى بيت صبرى (واستبق للبدر بين الشهب رتبته) أى انه خائف فاعطه الأمانَ ، فبقى أن يكون عبداً ، أو عبداً بلا ثمن ! واليك ما يقوله أحد الشعراء :

نفى النومَ عنى ، يا لقومى ، مهفهفٌ   غلامٌ ، ولكنَّ الهلالَ غلامُهُ !

لعلك تقول أين الغلام من العبد ، وهل الهلال كالبدر ؟ ليس لك أن تقول هذا ، ولكنى مواتيك فذاكرٌ لك قول القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر :

وأنتَ تعظمُ عندى   أن يُمْسيَ البدرُ عبدَكْ !

سنقول وأين موضع (بلا ثمن) من الشعر القديم ؟ الجواب عند البهاء زهير ، قال :

لكم الرّوحُ والبدنْ لكم السّرُّ والعلنْ
أنا عبدٌ ملكتموهُ، ولكنْ بلا ثمنْ!

قال صبري من قطعة أخرى:

يا آسيَ الحيّ، هل فتّشتَ في كبدي؟ وهل تبيّنتَ داءً في زواياها؟
أوّاهُ مِن حُرَقٍ أودتْ بمعظمها ولم تزل تتمشّى في بقاياها

يقال فتّش الشيء وفتّش عنه، فقوله (فتشت في كبدي) خطأٌ لغوي، وقد ورد هذا الفعل على وجهه الصحيح في غير ما موضع من الشعر، قال المتنبي:

طلبتَهمُ على الأمواهِ حتى تخوّفَ أن تفتّشَهُ السّحابُ

وقال أبو الحسن التهامي:

ولربما فتّشتَ بعضَ عطائهِ فوجدتَ فيهِ السَّيّدَ البُهلولا

ولأحد الشعراء:

يا ويحَ قلبٍ ما خلا مِن شُغلهِ بصبابةٍ ومحبّةٍ مُذ كانا
لو فتّشوهُ، لما رأوا لسوى الهوى فيهِ، ولا غيرِ الغرامِ مكانا

وفي هذه الزوايا التي ذكرها صبري يقول البهاء زهير:

ويميلُ بي نحوَ الصِّبي قلبٌ رقيقُ الحاشيه
فيهِ مِن الطّربِ القديـ ـمِ بقيّةٌ في الزاويه

ولناصح الدين الأرّجاني:

تأمّلْ تحت ذاك الصُّدْغِ خالاً لِتَعلمَ كم خبايا في الزوايا!

فأمّا تلك البقايا الواردة في البيت الثاني فحسبك من قديم ذكرها ما نسوقه إليك، قال الشاعر:

وما أبقى الهوى والشّوقُ منّي سوى رُوحٍ تَرَدّدُ في خيالٍ

وقال آخر:

لم يُبقِ مِن كبدي شيئاً أعيشُ بهِ طُولُ الصّبابةِ، والبيضُ العطابيلُ

ولأبى بكر بن دريد :

انّ الذى أبقيتَ من جسمهِ يا مُتلفَ الضبِّ ، ولم يَشعرِ
صُبابةٌ لو أنّها قطـــــرةٌ تجولُ فى جفنيكَ لم تَقطرِ

وقال البهاء زهير :

لك الحيــاةُ فانى أموتُ لا شكٌ عِشقا
لم يبقَ منىَ الاّ بَقيَّةٌ ليس تبقى

وقال :

لم يَبقَ غيرُ حشاشةٍ مِن مهجتى ، وأخافُ أنْ لا !

وما أكثر الشبه بين البيت الثانى من هذه القطعة وبين قول المتنبي يذكر خروجه من أرضٍ قطعها :

حتى وصلتُ بنفسٍ مات أكثرُها وليتنى عِشتُ منها بالذى فَضَلا

لشاعرنا الكريم أبيات من جيّد شعره فى معنى الوداع ناجى فيها قلبه ، لايدرى أهو إن حُمّ الفراق ناصره ، أو هو مُسْلِمُهُ فخاذله ، ووَصَفَ ساعةَ البين يعصف بالأحباب ، وأنها قطعةٌ من العذاب ، وأنت تراه يجود بروحه فداءً لمن يرفق به فيمحو هذه الساعة الشديدة الهول من صحيفة المقدور ، قال :

أتُرَى أنتَ خاذلى ساعةَ التو ديعِ يا قلبُ فى غدٍ ، أم نصيرى ؟
وَيْكَ قُلْ لى متى أراكَ بجنبى راضياً عن مكانك المهجورِ ؟
سَاعةَ البينِ ، قِطعةٌ أنتِ قُدَّتْ للمحبّين مِن عذابِ السعيرِ
لا تَحينى - رُوحى الفداءُ لِماحِيـ ...لكِ غداً من صحيفةِ المقدورِ

يناجى الشاعر قلبه فى البيت الأول مناجاة الحاضر معه ، ثم ينظر فلا يراه ، وينصت ليسمع جوابه فلا يجد سوى صداه ! هو فى البيت الثانى غائب عن مكانه المهجور لا يعطف عليه ، ولا يرضى عنه فيرجع اليه — هذا هو التدلّه ، وانّه لشفيعٌ ووجيهٌ لمن يُصاب به فيخالف هواك ، أو يعدل بك عن السبيل ، هو التدلّه ، فان أبيتَ فهو التلاعب البيانى ما للشاعر المتصرّف فى فنون الكلام منه بُدٌّ ، ولا لك عليه من سلطان وهو يأخذك به — أفاق صبرى بعد البيت الأول من ذلك التدلّه ، أو هو قد جرى على منهاجه فى هذا التلاعب ، فاذا به يسأل قلبه

متى أنت راجع ؟ وما تصنع القلوب والجنوب بلاقع ؟ جرى صبرى فى هذا على سُنّة الأولين ، فوضع قلبه بين قلوبهم ، وضمّ جنبه الى جُنوبهم ، وهذا هو المتنبى يقول :

أنظعنُ يا قلبُ معْ مَن ظعنْ حَبيبين ؟ أندُبُ نفسى إذنْ !
وَلِمْ لا تُصابُ ، وحربُ البسو سِ بَينَ الجفونِ ، وبينَ الوسنْ ؟!
وهل أنا بَعدكما عائشٌ وَقد بان قلبى ، وبان السكنْ ؟

وللأبيوردى :

ظعنوا ، فما لكَ لا تفارقُهم يا قلبُ إن ظعنوا ، وإن حطّوا ؟

وما أشبه صبرى بابن ميّادة إذ يقول :

فوالله ما أدرى ، أيغلبنى الهوى إذا جدّ جِدُّ البينِ ، أم أنا غالبه

وفى معنى البيت الثانى يقول صفىّ الدين الحلى :

هجرتْ بَعدكَ القلوبُ الجسوما حين أمست منك الدّيارُ رُسوما

وأقربُ من هذا الى غرض صبرى قول ابن المعلّم :

سألتْ جِسمىَ عن ساكنِهِ ومِنَ الجهلِ سؤالُ الطّللِ

ومما يُنسب الى غردد الموسوس :

فلما توَلّوْا ولّتْ النّفسُ فيهمُ فقلتُ ارجعى ! قالت : إلى أين أرجعُ ؟
إلى جَسَدٍ ما فيهِ لحمٌ ولا دمٌ وما هو الاّ أعظُمٌ تتقعقعُ

وللبوريني :

مَنازلُ هذا القلب كانت أواهلاً وما هى من بَعدِ الفراقِ طلولُ !

فأما ساعة البين وانها قطعة من العذاب أو أشدّ ، فمن الشائع المتواتر ، ومنه قول أبى بكر الزبيدى :

ما خَلقَ اللهُ من عذابٍ أشدّ من وقفةِ الوداعِ !

وقول أبى تمام فى الأبيات الثلاثة :

أما الهوى فهو العذابُ فانْ جرتْ فيهِ النوى ، فأليمُ كلّ أليمِ

* * *

قالوا الرحيلُ فما شككتُ بأنها نفسى عن الدُّنيا تريدُ رحيلا

* * *

أظلَّهُ البينُ حتى أنه رجلٌ لو مات من شغله بالبين ما علما !

وقال احمد بن عبد ربه :

يا سقيمَ الجفونِ من غير سقمٍ بين عينيكَ مَصرعُ العشّاقِ

انّ يوم الفراقِ أصعبُ يومٍ ليتنى متُّ قبلَ يومِ الفراقِ

ولبعضهم :

والله ما فارقتهم لكننى فارقتُ قلبي

وللبهاء زهير :

أنتَ الحياةَ ومَن تفا رقهُ الحياةُ فكيف حالُهْ !؟

فى البيت الرابع من أبيات صبرى معنى، يبدو كأنه طريف ، فهو يبذل روحه أو (جائزة) لمن يمحو ساعة الفراق من صحيفة المقدور ، وعلى هذا الوجه فهو يؤثر أن يموت قبل أن تحين هذه الساعة ، وهنا يلتقى هو واحمد بن عبد ربه فى قوله (ليتنى متُّ قبلَ يوم الفراق) ويبقى له بعد ذلك محو الساعة من الصحيفة ، واقتطاعها من الغد أو من الزمن ، وهذا شاعر قديم يجاوز هذا الحدّ فلا يريد الا أن يزول الغد كله من مجموعة الدهر وجريدة الايام ، قال :

قالوا الرحيلُ غداً ، عدمتكَ يا غدُ !

ومن الصوَّرِ الواردة فى هذا الباب قول البحترى :

يا يومُ عرّجْ ، بل وراءكَ يا غدُ قد أجمعوا بيناً ، وأنتَ الموعدُ

ومنها قول كلثوم بن صعب ، والشاهد فى البيت الثانى :

دعا داعيا بينٍ ، فمن كان باكياً معى مِن فراق الحى ، فليأتنى غدا

فليتَ غداً يومٌ سواه ، وما بَقى من الدّهر ليلٌ يحبسُ الناسَ سرمدا

لِتبكِ غرانيقُ الشبابِ فاننى إخالُ غداً من فرقةِ الحيِّ موعدا

وهذه صورة أخرى فى آخر لابن المعتز ، قال :

طوَّلَ فى أيلولَ شهرُ الصيامْ وما قضينا فيهِ حقَّ المدامْ

واللهِ لا أرضى عن الدهر ، أو يسرق شهرَ الصوم فى كل عامْ !

فأنت تأخذ من جلاّ هذه الصور أن صبرى لم يبتدع شيئاً فى أمر ذلك المحو الذى أراده ، وهو جهدُ مارمى اليه فى تلك القطعة ، وأحب أن يذكر له ويؤثر عنه . وهذه قطعة أخرى من شعره ، قال :

تمسى تذكرنا الشبابَ وَعهدَهُ حسناءُ مُرهفةُ القوامِ فنذكرُ
هيفاءُ أسكرها الجمالُ ، وبعضُ ما أوفَى على قدرِ الكفايةِ يُسكرُ
تثِبُ القلوبُ الى الرءوسِ ، إذابدت وتُطِلُّ من حدَقِ العيونِ وتنظرُ
وتبيتُ تكفرُ بالنُّحورِ قلائدٌ فاذا دَنتْ مِن نحرِها تستغفرُ
وتزيد فى فمِها اللآلئُ قيمةً حتى يسودَ كبيرَهنَّ الأصغرُ

تأنّق الشاعر فى صياغة هذه القطعة الفنية الرائعة وتلوينها ، واستعان على تأدية أغراضه فيها بأسبابٍ لطافٍ ، ووسائلَ ما فى براعتها وحسن اتساقها من خلاف ، وانما يتمشّى النقد فى هذه القطعة على الأغراض والمعانى ، وإن كان قوله (هيفاء) فى البيت الثانى بعد قوله (مرهفة القوام) فى البيت الأوّل من فضول الكلام ، وما أرى البيت الاً صورة من قول المتنبي :

وفتّانةِ العينينِ ، قتّالةِ الهوى إذا نفحتْ شيخاً روائحُها شبّا

ولقد بدأ الشاعر القطعةَ بتذكُّر الشباب وعهده ، ومابرح هذا التذكر يستطير رنينه فى أشعار الماضين ، ويتجاوب صداه فى نفوس المتأدبين ، قال منصور النميرى :

ما تنقضى حسرةٌ منّى ولا جزَعٌ اذا ذكرتُ شباباً ليس يُرتجعُ

وقال المعرّى :

ولقد سلوتُ عن الشبابِ كما سلا غيرى ؟ ولكن للحزين تذكُّرُ

وهذا من الأغراض العامّة والمواطن المباحة ، وليس فى هذا البيت من الصُّوَر الفنّية الخاصّة أو المعانى المولدة ، ما هو من النظر بموضع أو من النقد بسبيل ، وموضع ذلك فى البيت الثانى حيث يقول الشاعر (هيفاء أسكرها الجمال) وما أبرح ما لاقت النفوس من هذا الشراب الذى أسكر الشعر والشعراء ، فألهمه اغنيّةَ الحبّ ، وعلمهم كيف يردّدون أنغامها الروحية الصافية على معازف الفن . قال البحترى فى معنى ذلك السّكر :

ويومَ تثنّت للوداع ، وسلّمت بعينين موصولٍ بلحظهما السِّحرُ
توهّمتها ألوى بأعطافها الكرى كرى النوم ، أومالت بأعطافها الخمرُ

وقال المتنبي :

وغضَبي من الادلال ، سَكْرَى من الصبّي شفعتُ اليها من شبابي بريّقِ

ومن قول ابن هاني :

منعوكِ من سِنة الكَرى ، وسَرَوْا ، فلو عثروا بطيفِ طارقٍ ظنوكِ
ودَعَوْكِ سَكْرَى ، ماسَقَوْكِ مدامةً لمّا تمايلَ عِطفُكِ اتّهموكِ !

ولبعضهم :

يرنحها سُكرُ الشباب ، فتنثني كما اهتزّ ممطورٌ من الأيكِ مائدُ

وزاد جمال الدين بن مطروح على كل هذا فقال :

نشوانُ ، ما شِربَ المدامَ ، وانما أضحى بخمرِ رُضابهِ مُتنبّذا

قال صبري فى البيت الثالث :

تثبُ القلوبُ الى الرؤوسِ ، إذا بدتْ وتُطِلُّ مِن حَدَقِ العيون وتنظرُ

حدّد الشاعر مرمى تلك الحركة التى تأخذ القلوب اذا بدت موصوفته بقوله (تُطلّ وتنظر) وهذا معنًى فاسد ، لأن القلب لا ينظر من العين ، ولسنا فى مقام البحث العلمى ، فحسبنا شهادة الشعر ، قال بشّار :

يزهّدني فى حُبّ عبدةَ مَعشرٌ قلوبهم فيها مخالفةٌ قلبي
فقلتُ دعوا قلبي وما اختارَ وارتضَى فبالقلبِ لا بالعينِ يُبصرُ ذو اللبّ
وما تُبصرُ العينان فى موضعِ الهوى ولا تَسمعُ الأُذنان الاّ مِن القلبِ

فان قيل إن بشّاراً أعمى ينتصر لنفسه ، فهذه أقوال طائفة من المبصرين حاول المعرّى أن يتعلق بها فنفيناه ، قال الشريف الرضى :

إذا توجّسَ كان القلبُ ناظِرَهُ والقلبُ ينظرُ ما لا ينظرُ البصرُ

أغار عليه البهاء زهير فقال فى المعنى :

إنى عشقتك ، لا عن رؤيةٍ عرَضَتْ والقلبُ يُدرِكُ ما لا يُدرِكُ النّظرُ
فُتِنتُ منكَ بأوصافٍ مجرّدةٍ فى القلب منها معانٍ ما لها صُوَرُ

وقال حسن بن محمد البوريني من شعراء الريحانة :

أحوّلُ وجهي حين يُقبلُ عامداً مخافةَ واشٍ بيننـــــا ورقيبِ
وفي باطني — والله أعلمُ — أعينٌ تُلاحظُه في أضلعٍ وقلوبِ

ولصاحب الريحانة :

وَتنظُرُهُ من قلبيَ الصبِّ أعينٌ عليها لِمَحْنَى الضلوعِ حواجبُ

ولِمَ هذا كلُّه ؟ أما كان كافياً أن يقال (قلوبُ العاشقين لها عيون ؟) ولقد أبصرت القلوب التي جعلها صبري تثب الى الرؤوس بشهادته هو ، وليس بعد هذا كله من دليل على فساد المعنى الذي جاءنا به ، وانظر مايقول أحمد الكيواني الشاعر الدمشقي في المأخوذين بسلطان الجمال :

قُلوبهمْ كلُّها عيونٌ وكلُّ أجسامهم قلوبُ !

لو أنصف صبري لأعفى القلوب من ذلك الوثوب ، أو لأطلقها من تلك القيود التي احتجزتها وراء العيون ، ولسنا نكتم شهادة ذلك الشاعر الذي يُوهم قوله أن شاعرنا على شيء من الصواب ، وهذا ما لا يكون إلاّ على أضعف وجوه التأوّل وأدقّ مدارج الاستنباط ، ذلك هو شهاب الدين بن رضوان الغرناطي ، قال :

يا مَن اختار فؤادي سكناً بابُهُ العينُ التي ترمقهُ
فتحَ البابَ سُهادي بعدكم فابعثوا طيفكمُ يغلقهُ !

جعل العين باب القلب ، وهذا وصفٌ صحيح في أكثره وهو يحتمل تجوّزاً أن يقال إنّ وثوب القلوب الى الرؤوس لتطلّ من حدق العيون وتنظر انما هو في حكم من يرى أمام داره منظراً حسناً أو غير حسن من المناظر التي تثير النفوس فيهرع الى الباب لينظر عن قرب ، ولكن هل يستقيم هذا المثل والوصف جارٍ على القلوب ؟

تلك إحدى الصورتين ، فأما الأخرى لحركة القلب في ذاتها وصلتها بالشعر القديم ، وليس من هذه الصورة ما قيل في القلوب تطير شوقاً أو فزعاً ، ولكنّ منها قول أبي تمام :

مَشتْ قلوبُ أناسٍ في صُدورهم لمّا رأوكَ تُمشّى نحوهم قدَما

البيت في معنى الفزع ، ولكن حركةَ القلوب فيه أشبهُ بها في بيت صبري ، فهي تمشي هنا وتثب هناك ، وبين المشي والوثب ما ترى من تجاور وقرب . ومن هذا النوع قول المتنبي :

أصبحَ حُسّادُهُ وأنفسُهم يُحدرُها خوفُهُ ويُصعدها

وقوله فى الخيل :

يُجاذبُ فرسانَ الصباحِ أعنّةً كأنّ على الأعناقِ منها أفاعيا
بعزمٍ يَسيرُ الجسمُ فى السرجِ راكباً به، ويسيرُ القلبُ فى الجسمِ ماشيا

ومنه قول ابن المعتزّ يمدح :

فما ليثُ غابٍ يسلبُ الجيشَ بأسَه بمشيةٍ وثّابٍ على النهى والزجر

الى أن يقول وهو الموضع :

بأجرأ منه حَدَّ بأسٍ وعزمةٍ اذا ما ارتقى قلبُ الجبانِ الى النحرِ

وهذه صورة أخرى من قوله تكشفُ لك عن اتجاهٍ آخر لهذا النّوع الذى تراه ممثلاً واضحاً فى بيت صبرى ، قال :

لو تستطيعُ قلوبُهم نفذتْ أجسامَهم ، فتعانقتْ حُبّا

قال صبرى :

وتبيتُ تكفرُ بالبخورِ قلائدٌ فاذا دنتْ مِن نحرِها تستغفرُ

هذا ولا خفاء معنى دقيق هو من أبعد أسرار الفن غوراً ، وأشدّها تحذراً وامتناعاً ، تناوله شاعرنا القدير فصوّر لك فيه كفر القلائد واستغفارها ، ولك أن تقول إن الكفر لا يمحى بالاستغفار ، وأن الايمان هو المطلوب فى هذا المقام — ذلك من أحكام القول وشرائطه ، وما بك من شطط حين تقولها ، ولكن دع هذه ناحية ، واذهب صُعُداً فى معنى البيت ، انك من هذا فى المطلب الأجل والشأن الأعظم ، أنت منه بين صورتين دقيقتين : صورة الكفر وصورة الاستغفار ، ولعلك تحزن معى لمجيء هذه الآية الفنية الرائعة بعد قول مهيار :

كفرتْ وُجوهَهمُ البدورُ وآمنت لأكفهم أيدى السحابِ ، فكفّرتْ

جاء مهيار بالكفر والايمان معاً ، وجاء به وبالعقوق جميعاً أبو بكر ابن القوطيّة الاندلسى إذ يقول فى السوسن والورد :

كأنما ارتضعا خلقَيْ ثديّهما فأرضعتْ لبناً هذا ، وذاك دما
جنيّانِ قد كفرَ الكافورَ ذاك وقد عقّ العقيقَ احمراراً ذا ، وما ظلما

نتعلم من هـذا أن الكفر قديم فى باب المفاضلة بين الأشياء ، فما هو من شاعرنا ببدع ، وإنا لنرى حُسناً كثيراً فى قوله تستغفر على أنها كلمة مستقلة لا يحكمها ضابط ولا يسيطرُ عليها نظام ، وما هـذا الحسن الكثير إلا ترجمة همس الحلى ووسواسة تلك الترجمة البديعة فاذا أنت منها فى لغة فصيحة ، واذا الاستغفار قائم فى هذه اللغة ، وفى هذا الهمس أو الوسواس ، يقول العجاج :

تَسمعُ للحَلْى ِ إذا مَا وَسْوَسَا والنَّجُ فى أجيادها وأجْرسَا
زفزَفةَ الرِّيحِ الحَصادَ اليبِسا

ويقول حاتم الطائى :

إذا انقلبتْ فَوْقَ الحشيّةِ مَرَّةً تَرنَّمَ وَسْوَاسُ الحُلِىّ تَرَنما

وقد جرى أبو تمام والبحترى فى هذا المضمار على غِرارَيْهما من حيث الصناعة ، فقال الأول :

وإذا مشتْ تركتْ بقلبكَ ضِعفَ ما بِحُلِيِّهَا مِن كثرةِ الوسواسِ

وقال الثانى :

إذا هِجْنَ وسواسَ الحُلِىّ تولّعتْ بنا أريحيّاتُ الجوى والوساوسِ

وأخـذ شهاب الدين الحاجبي معنى بيت أبى تمام فقال (حَلْىٌ يُوسوسُ فى صدور الناس) وأكثرُ اللفظ من القرآن الكريم على طريقة الاقتباس ، ذلك هو الاستغفار عند شاعرنا ، غفر الله له وأحسن اليه ، قال :

وَتزيدُ فى فمها اللآلىءُ قيمةً حتى يَسودَ كبيرَهُنّ الأصغرُ

معنى حسن ، ولكنه غير جديد ، قال ابن النبيه :

وما كُنتُ أدرى قبل لؤلؤ ثغرِها بأنّ نفيساتِ اللآلى صغارُها

ومما أعمل فيه شاعرنا فكره ، وراضه من الأغراض والمعانى قوله :

ولمّا التقينا قرّبَ الشوقُ جُهْدَهُ شجيَّينِ فاضا لوعةً وعتابا
كأن صديقاً فى خلالِ صديقهِ تسرّبَ أثناءَ العناقِ وغابا

يفيض لوعة ، أو يذوب شوقاً ، أو ما كان من هذا بمنزلة ، انما هو من أنضاء القولِ ، وأخلاق الكلام ، وقد وصفوا الشكوى والعتاب بالرقة ، وأفرغوا عليهما

صفة الذوبان ، فجاء شاعرنا يجرى هذا الوصف على الأشخاص ، والمتحول سهل والمسافة قريبة . وقد تناول أبو تمام رقة الشكوى فقال :

كادت لعرفان النوى ألفاظها ... من رقة الشكوى تكون دموعا!

وقال آخر :

لو كنت ساعة بيننا ما بيننا ... وشهدت كيف نكرر التوديعا
أيقنت أن من الدموع محدثا ... وعلمت أن من الحديث دموعا!

ومما ينسب إلى جحظة البرمكى :

ورق الجو حتى قيل هذا ... عتاب بين جحظة والزمان!

نريد أن ننظر الى اللغة فى البيت الثانى قبل أن نلمس المعنى ، ونحن نرى أن فى قول الشاعر «خلال صديقه ، وأثناء العناق» موضعاً للتأمل ، فخلال لغة منفرج ما بين الشيئين ، وهى من الديار ما حوالى حدودها وما بين بيوتها ، ومن السحاب مخارج الماء ، ولسنا نجد بين هذه الصور صورة واحدة تلائم ما ذهب اليه صبرى فى ذلك الوصف حتى مع قوله ان الصديقين فاضا وقوله تسرب ، وقد جعل أثناء ظرفاً فجرى فى ذلك على طريقة العابثين باللغة من جماعة الكتاب ، وأثناء الشىء قواه وتضاعيفه وطاقاته ، واحدها ثنى ، والسبيل أن يقال فى أثناء ذلك ، أى فى غضونه أو فى فترة منه ، وقد قرأت فى مجموعة شعر صبرى للأديب المعروف (محمد صبرى) أن أديبنا الكبير السيد مصطفى صادق الرافعى يرد المعنى القائم فى هذا البيت الى قول بشار :

فبتنا ولو أنا تراق زجاجة ... من الخمر فيما بيننا لم تسرب

وأنه ينكر صورة هذا العناء يجرى بين صديقين ، وبعد أن خالفه صاحب المجموعة فيما ذهب اليه قال إن صح أن هذا المعنى مأخوذ من أحد وجب رده إلى (مونتين). الفيلسوف الفرنسى الذى قال فى موقف عناق (وما كنت أدرى أكان هو أم أنا) !

صدق الأديب (محمد صبرى) فيما تحدث به من بعد العلاقة بين بيتى صبرى وبشار ، فليس المعنى واحداً فيهما ، وأصح ما يقال أن بيت بشار يمهد للمعنى الذى أفرغه صبرى فى ذلك البيت ويهىء له الخاطر ، وأكثر منه تمهيداً له

وإعانةً عليه قول ابن الرومي :

أُعانقهُ والنفسُ بَعدُ مَشوقةٌ إليهِ ، وهل بعدَ العناقِ تَدانِ ؟
وألثمُ فاهُ كي تزولَ حرارتي فيشتدّ ما ألقى من الهيمانِ
كأنَّ فؤادي ليس يَشفي غليلَهُ سوى أن يرى الرُّوحين يمتزجانِ

وقد أنكر الأديب محمد صبري على الرافعي ما أثاره من الشبهة حول ذلك العناق ولكنه لم يدفع هذه الشبهة التي ما تزال قائمة بشاهد لغويّ أو دليل شعريّ ، فكان معنى ذلك أنه لا يرى مانعاً من وقوع العناق بين الصديقين - من الرجال - على الصورة الواردة في البيت ، وليس هذا هو الوجه ، فالصديق صفة تطلق على المرأة كما تطلق على الرجل ، ومن ذلك قول جميل :

كأنْ لم نحاربْ يا بثينَ لو انها تَكشّفُ غُمّاها وأنتِ صديقُ

وقول ابن المعتز :

برغمِ البينِ ، لا صارمْتُ شِرّاً ولا زالتْ وإنْ بَعدتْ صديقا

فأمّا أن الشعر العربي خالٍ من ذلك المعنى ، وأنه اذا كان صبري قد سُبق اليه فلا يكون سابقه سوى ذلك الفيلسوف الفرنسي — أمّا هذا فبعيدٌ عن الحق والصواب ، وهذه طائفة من الشواهد : قال ابن المعتز ، ونسبه بعضهم الى خالد الكاتب :

كأنني عانقتُ ريحانةً تنفستْ في ليلها الباردِ
فلوْ ترانا في قميصِ الدُّجى حسبتنا في جَسَدٍ واحدِ

وقال ابن عبدوس :

لا ، والمنازلِ من نجدٍ وليلتنا بُعَيْدَ إذ جَسدَانا بيننا جَسدُ
كم رامَ فينا الكرى من لطف مسلكه عيناً ، فما انفكَّ لا كفٌّ ولا عضدُ

وقال ابن بشر الكاتب :

ولم نزلْ ، والظلامُ حارسُنا جسمين مُستَوْدَ عينِ في جسمِ

ولابن عبدون :

وما أنسَ ليلتنا والعناقُ قد مزجَ الكلَّ منّا بكلّ

وهذا صالح بن موسى يستعين بالحمى على تصوير هذا المعنى بلونٍ آخر فيقول :

لى سيّدٌ ما مثله سيّدٌ تصدّت الحمّى لهُ فاشتكى
عانقتهُ عند موافاتها فلم تجدْ ما بيننا مَسلكا !

أبَعْدَ هذا كله يقال إن المعنى غريب عن الشعر العربى ، وانه لا شبيه له الا فى قول صاحبنا الفرنسى (وما كنت أدرى أكان هو أم أنا ؟) فأين كان الأديب محمد صبرى مِن كل هذا ؟ بل أين هو مِن قول الشاعر :

أنا مَن أهوى ، ومَن أهوى أنا نحن روحانِ حللنا بَدَنَا

وقول الآخر :

بكمُ اتحدتُ هوًى ، فلوْ حييتُكم قلتُ السلامُ علىَّ إذ أنتم أنا

لا أخشى أن أتهم بالمغالاة فى تلمّس المآخذ اذا أنا اتخذت ناحيةً أخرى فى هذا المجرى وزعمت أن المعنى الذى أتتبّع مواقعه وأتمثل صوره قد يتيسر انتزاعه من هاتين الصورتين على ما بينها وبينه من بُعدٍ فى ظاهر الحال ، وهذه إحداها ، قال الشاعر :

وتحدّرتْ مِن كأسه فى ثغرهِ كالشمسِ تغربُ فى هلالٍ من قمر

فأما الثانية فقولُ الآخر :

أقولُ والكأسُ على فيهِ قد تصوّبت كالكوكبِ الثاقبِ
ذا كوكبٌ يغربُ فى كوكبٍ وَيلى على الطالعِ الغاربِ !

لم يذكر صبرى أىّ الصديقين تسرّب فى الآخر ، فجاء الوصف على هذه الصورة مشوّشاً ، بل هو يوهم أن هذين الصديقين شخصان آخران غيره هو وصاحبه ، واذاً تكون الصورة وصفية محضة ، أى أنها لا تفيد معنى الأمر الواقع على حدّ ما أراده الشاعر .

قال صبرى فى معنى عقوق الاخوان والبُقيا عليهم :

اذا خانني خِلٌّ قديمٌ وعقّنى وفوّقتُ يوماً فى مقاتلهِ سَهمى
تعرّضَ طيفُ الودّ بيني وبينه فكسّرَ سهمي ، فانثنيتُ ولم أرمِ !

المعنى غير مستقيم فى البيت الأول لما اشتمل عليه من الخطأ اللغوى فى قوله « وفوّقت فى مقاتله » إذ معنى فوّقَ السهمَ جعل له فُوقاً وهو موضع الوتر منه ، وقد أتى الشاعر بهذه الكلمة فى موضع سدّدْتُ أو صوّبتُ ، والحكم فى ذلك أن يقال إلى مقاتله ، لا فيها ، فالخطأ ظاهر ، وهو آتٍ من طريق الوهم ومجانبة التثبّت ، وعندى أنّ تعرّض طيف الودّ فى البيت الثانى مما يستفاد من قول البحترى :

حبيبٌ نأى ، إلاّ تعرُّضَ ذِكرهِ لهُ ، أو مُلِمٌّ طائفٍ مِن خيالهِ

وفى معنى البيتين يقول الشريف الرضىّ يعاتب أخاه :

تهضَّمنى مَن لا يكون لغيرهِ مِنَ الناس إطراقى على الهُون أوْ غَضّى
أُفوّقُ نبلَ القولِ بينى وبينهُ فيؤلمنى مِن قبل نَزْعى بها عِرضى
وأرجعُ لم أُوليغْ لسانىَ فى دمى ولم أدمِ أعضائى بنهشى ولا عَضّى
شفعتُ إلى نفسى بنفسى ، فكففتُ من الغيظ واستعطفتُ بعضى على بعضِ

ولآخر فى المعنى :

فداوتهُ بالحلمِ ، والمرءُ قادرٌ على سهمهِ ما دامَ فى كفّهِ السّهمُ

وقال أبو عبد الله بن الفخّار المالقى :

إذا ما خليلٌ نبا مرّةً وقد كان فيما مضى مُجمِلاَ
ذكرتُ المقدّمَ مِن فعلهِ فلم يُفسدِ الآخرُ الأوّلا

وللشريف الرضى فى معنى التعرُّض :

وإن نا كرتنى خِلّةٌ من خلالهِ تعرّضَ قلبي يفتديها من الحقدِ

الأمير (عمر طوسون)

لشاعرنا الكبير قصيدة وجّهها إلى صاحب السموّ الأمير (عمر طوسون) أيام الحرب البلقانية بين تركيا القديمة ودولة اليونان ، يذكر فيها نجدته العالية ، وحميته المأثورة ، قال فى مطلعها :

لك الامارةُ ، والأقوامُ ما برحتْ بكلّ حالى الذُّرى فى الكون تأتمرُ

يقال ائتمر الأمر امتثله ، وبه أمَرَ نفسه ، وائتمر فلاناً شاوره ، وبفلانٍ همَّ به ، ومنه فى القرآن الكريم (إنَّ الملأَ يأتمرون بك) ولم يرد ائتمر به بمعنى اقتدى أو اتَّبع أمره ، فالاستعمال فاسد فى البيت كما ترى ، والمعنى قريب من قول لبيد فى معلَّقته :

ولـكلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وإمامُها

وبعد هذا يقول صبرى :

لو لم تَرِثْها لما ألقتْ أعنَّتها | إلاَّ إليكَ خِلالٌ كلُّها غُرَرُ

غريبٌ مَنحى الشاعر فى هذا البيت الخادع ، والحقُّ أنه قد خُدِعَ فى إيراده على هذا الوجه ، إذ كان مراده القول إن الأمير حفظه الله جمع بين الامارة التى ورثها عن بيته العظيم وبين العظمة الخاصة المستفادة من اجتماع خلال الخير والمعروف فيه فأخطأ المراد ، وفصلَ بين الموروث والمكتسب على وجه التفريق ، فجعل الأوّل قائماً ، وترك الثانى معلقاً ، وانظر إلى الشريف الرضى إذ يُفصح عن هذا الغرض بقوله :

قد زاده اللهُ على عظم الخطرْ | مكارماً ذات حُجولٍ وغُررْ

ومن قوله فى هذا المعنى :

لو لم يكن عالى الأصول ، فقد وفى | شرفُ الجدودِ بسؤددِ الأجدادِ

الجدود جمع جدّ ، وهو الحظ والاقبال والعظمة ، ولأبى تمام فى معنى البيت على الوجه المستقيم :

وهل يُساميكَ فى العلا ملكٌ | صَدرُكَ أولى بالرحبِ من بلدهْ ؟
أخلاقُكَ الغرُّ دون رهطك أثـ .... رَى منه فى رهطه وفى عدده !

نعلم من هذا أن شاعرنا لم يُرزق التوفيق فى هذا البيت ، وانه أخذ المعنى من الأقدمين ، قال :

يا ابن الألى لو أطلوا من مضاجعهم | يوماً عليك ، لقالوا : إيه يا عمرُ !
أعدتَ أيامهم فى مصر ثانيةً | حتى توهَّمَ قومٌ أنهم نُشِروا
ومررتَ سيرتَهم ، حتى كأنهمُ | اذا خطرت بارضٍ مرّةً خطروا !

معنى البيت الأول مأخوذ من قول الشريف الرضىّ فى الملك بهاء الدولة :

لو أن عينَ أبيك اليوم ناظرةٌ تعجّبَ الأصلُ مما أثمرَ الطرفُ !

ويصحّ أن يُردّ الى قول أبى تمام فى محمد بن يوسف الثغرى :

رَأىُ الحميدَيْنِ ألقحتَ الأمورَ به مَنْ ألقحَ الرأىَ فى يوم الوغى نتجا

لو عاينَاك ، إذنْ قالا ، وما ظلما أبرحتَ ، أيْسَرُ ما فى العرق أن يَشِجا

وللشريف الرضىّ فى معنى البيتين الثانى والثالث :

رأيتُ فتى فى كفهِ سِمةُ الندى وفى وجههِ شبهٌ من الأبِ والجدّ

إذا ما احتبى فى الحىّ وامتدّ باعهُ رأيتَ أباه حين يحكم أو يُجدى

وقد وقع هذا المعنى فى صور أخرى منها قول ابن نباتة المصرى :

ظعن الكرامُ الأوّلون وأقبلت أيامُهم ، فكأنهم لم يظعنوا

وفى شرف الأبناء يقول البحترى ، وهو أوسع معنى وأبعد أثراً :

وكم أنافت من الأبناء مكرمةٌ مشهورةٌ ، تدعُ الآباءَ حُسّادا

قال صبرى :

لله درّك ، كم نبّهتَ من هِممٍ تُثنى على أهلها الآصالُ والبُكرُ

وكم تعهّدتَ جَرحَى من أسود وغًى إن يَكشرِ الدهرُ عن أحداثه كشروا

ليس فى البيتين معنى جديد أو أثر للنشاط الفكرى الذى يجب أن يثور ويطرد فى النفس الفنيــة الطامحة : فلله درّك ، وأسود وغًى ، ويكشر الدهر ، كل هـذا من الصور التى ذهبت نضارتها مع الذاهبين الأوّلين ، فاذا لم يكن بدٌّ من استعمالها وجب أن يكون الى جانب كلّ صورة منها شىء جديد من المعانى المولدة ، والأغراض الفنية التى تخرجها من دائرة الجمود الى دائرة أخرى من الحركة والتصرف . وما أبعد ما بين قول الشاعر — كم نبهت من همم — وبين بقية البيت الأول ، فالسّياق الفنى مُعطل فى هـذا البيت على أنكر الحالات وأسوأ الوجوه ، والوحدة المعنويّة التى كان ينبغى أن تقوم فيه وتنهضُ به لا موضع لها ولا وجود ، وليس الشعر أن تأتى بصورة الفعل أو هيئة الحال جامدة كثيفة منقطعة الصلة عمّا بعدها من الكلام كقوله : نبهت من همم ، بل عليك أن تُرينى كيف تهبّ هذه الهمم من رقادها ، وكيف كانت وهى نائمة ، فى صورة فنية رائعة ، لأعلم

أنك شاعر وأنك تقول شعراً ، فأما أن تقول لى — تُثنى على أهلها الآصال والبُكر — فانصرافٌ عن الشأن ، وخلطٌ سيءٌ بين ضرب وآخر من ضروب الكلام ، قال :

مُستنجداً من بنى مصرٍ أولى شمم اذا رأوا ثلمة فى حوضهم جبروا

مُستهمياً هامياً ، والنيلُ فى وجلٍ من أن تجود به أيمانكم حذرُ

نقصر النقد على البيت الثانى ، ففى معنى قوله (مستهمياً هامياً) يقول أبو تمام فى محمد بن يوسف الثغرى يذكر إمداده إياه بماله وجاهه وجرّ المنفعة اليه :

أنضرت أيكتى عطاياكَ حتى صار ساقاً عُودى ، وكان قضيبا

ممطراً لى بالمالِ والجاهِ ما ألْ . . . . تاكَ إلاّ مُستوهباً أو وَهوبا

ويفسر أبو تمام ذلك فيقول :

فاذا ما أردتَ كنتَ رشاءً وإذا ما أردتَ كنتَ قليبا

فأمّا قوله فى البيت الثانى للأمير الجليل : ان النيل من أن تجود به أيمانكم حذر ، فيقع تحت حكمين اثنين من أحكام النقد ، حكم الغلو يجاوز الحدّ فيمجّه الذوق والعقل ، وحكم المدح يضلّ السبيل فينزلق الى الضدّ ، ومن الأول قول المتنبي : يا من إذا وهب الدّنيا فقد بخلا . وقوله :

إنكَ مِن مَعشرٍ اذا وهبوا ما دُونَ أعمارهم ، فقد بخلوا

ومن ذلك قول أبى سعيد الرستمى فى الصاحب بن عبّاد يهنئه بدار بناها بأصبهان :

ووالله لا أرضى لكَ الدهرَ خادماً ولا الغيثَ مُنتاباً ، ولا البحرَ نائلا

ولا الفلكَ الدوّار داراً ، ولا الورى عبيداً ، ولا زُهرَ النجومِ قبائلا

وقول شهاب الدين محمود الخفاجى فى الأمير محمد بن منجك ، وفى البيتين من فساد اللغة ما ترى :

قد بشرتك بمصرَ بعضُ مَعاشرٍ لم يعلموا الأقوالَ فى تأويلها

مصرٌ أقلُّ ندًى أياديكَ التى مِن فيضِ نائلها أصابعُ نيلها

أما المعنى القائم فى وجل النيل وحذره فمنتزع من قول المتنبي فى ثياب أبى العشائر ، قال :

مُستحيياً مِن أبى العشائر أن أسحبَ فى غير أرضهِ حُلَلَهْ
أسحبَها عنده لدى ملكٍ ثِيَابُهُ مِن جليسهِ وَجِلَهْ

والمتنبي يخاف على نفسه من كرم ممدوحه :

قد لعمرى أقصرتُ عنكَ، وللوفـ . . . . ـدِ ازدحامٌ ، وللعطايا ازدحامُ
خِفتُ إنْ صرتُ فى يمينكَ أن تأ خذنى فى هِباتِكَ الأقوامُ !

ومن باب المدح يضلّ السبيل فينزلق الى الضدّ ، ما يستفاد من جود الأمير الجليل (عمر طوسون) بالنيل ، فهذا الجود الذى لا تستطيعه نفسه الكريمة ، ولا تحب من يستطيعه أو يحدّث به نفسه ، وهو الذى علّمنا كيف نحبه وأمرنا أن نبخل به كل البخل — هذا الجود الفظيع المخزى ليس مما يُحبّ أو يُمدَح صاحبه . وما أضلّ المتنبي رأياً وأشدّه ذهولاً وغفلة إذ يقول فى هذا الباب لسيف الدولة :

كريمٌ متى استُوهبتَ ما أنتَ راكبٌ وقد لقِحتْ حربٌ ، فانك نازلُ

وإذ يقول لكافور :

فقد تَهَبُ الجيشَ الذى جاء غازياً لسائلكَ الفردِ الذى جاءَ عافيا

ليس هذا الذى يذكره المتنبي من الفضائل فيصدق ما أجراه عليه أو ما أراد أن يُجمّله به من ثناءٍ ومدح . ومن جنونه فى هذا الباب قوله فى أبى شجاع فاتك :

تُمسى الضيوفُ مُشهّاةً بعَقوَتِهِ كأنّ أوْقاتها فى الطّيبِ آصالُ
لو اشتهتْ لحمَ قاريها لبادَرَها خرادلٌ منه فى الشّيزَى وأوصالُ !

انما يعرف وجه الأمر ويجرى على حكم الصواب مَن يقول :

يجودون للراجى بكلّ نفيسةٍ لديهم سوى أعراضِهم والمناقبِ

قال شاعرنا :

حتى تفاهمتْ الأرواحُ وادّكرتْ ما بينها الأهلُ والخلاّنُ والاسَرُ
وآذنَ البِرّ بالسّقيا وما بَرِحتْ منهم ومنك صنوفُ البِرّ تنتظرُ

وحرّكت كلَّ كفٍّ بالندى مِقَةً   حتى تعجبتْ الأنهارُ والغُدُرُ

يكثر الناس من ذكر التفاهُم ولا وجود لهذه الكلمة فيما نعلم من كلام الأقدمين ، شعراً كان أو نثراً ، وقد راجعنا ما عندنا من المعاجم فلم نجدها فى مَظانّها ، وما نحسبها إلا من مخترعات كُتّاب الصحف ، وليس لتعارُف الأرواح أو لتفاهمها كما يقول الشاعر بالمعنى المعروف اليوم لهذه الكلمة من محلٍّ يقبلها أو يتسع لها فى مثل هذا المقام ، وقد ازدحم الشطر الثانى من البيت بالأهل والخلان والأسر ازدحاماً لا معنى له ولا فائدة فيه ، ففى الأهل على حدة غناء ، وما بعد الأسر من زيادة تُطلب أو علاوة تضاف ، وليس الوجه أن يدّكر المصريّون ما بينهم على حد قول الشاعر الكبير فحسب بل وما بين اخوانهم الترك من الأواصر السياسية وغيرها ، وهذا ما أراده ولكنه لم يقله أمّا تعجّب الأنهار والغُدر فى البيت الثالث فليس ببعيد من قول المتنبي :

فلم نرَ قبل ابن الحسين أصابعاً   إذا ما هَطلن استحيَتْ الدِّيَمُ الوُطُفُ

قال صبرى :

والناسُ إن قام يستسقى الكريمُ لهم   سحائبَ الفضلِ بشرٍّهم فقد مُطروا

لا يعدو هذا البيت ما قيل فى الاستسقاء وهو كثير ، فمنه البيت المشهور :

وأبيض يُستسقى الغمامَ بوجههِ   ثِمالُ اليتامى ، عصمةٌ للأراملِ

وقول الفرزدق : خليفة الله يُستسقى به المطر — ومنه قول البحترى :

مَليُّون أن تُسقى البلادُ غِياثَها   بأوجههمْ حتى تسيلَ فِجاجُها

وقول الرقاشى فى آل برمك :

أُصبتُ بسادةٍ كانوا نجوماً   بهم نُسْقَى اذا انقطع الغمامُ

قال صبرى :

يأبى عَلاءُ (سعيدٍ) أن يشابهه   إلا (ابنُ دوحتهِ) إن قام يفتخرُ

ما زال بمجده رائيكَ مدّكِراً   والأصلُ بالفرع إن حاكاه يُدّكرُ

هذا هو ختام القصيدة ، وقد رأينا أن نعفى هذين البيتين من النقد ، وإن كان معناها شائعاً فى هذا الباب من الشعر ، ولهذه القصيدة من شرف موضوعها

وجلال ذلك المقام الرفيع الذى وُجّهت اليه ما يجملها أميرة شعر صبرى وسيدة قصائده ، حفظ الله للاسلام والشرق أميرنا العظيم (عمرطوسون) وبارك فيه وفى سلالته الطاهرة .

معارضة ياليل الصب

أقريبٌ مِن دنفٍ غدُهُ ؟ فالليلُ تمرّدَ أسوَدُهُ
والتفتْ تحت عجاجتهِ بيضٌ فى الحىّ تؤيدهُ
حربٌ عندى لمسعّرها شوقٌ ما زلتُ أردّدُهُ
هل مِن داقٍ لصريعِ هوًى؟ هل مِن آسٍ يتعهدُهُ؟
حتى مَ يساورهُ كمدٌ يبلى الأحشاءَ تجدّدُهُ
والى مَ يصارعهُ ألمٌ إن هَمّ يقومُ ويُقعدهُ ؟
فى القصرِ غزالٌ تُكبرهُ غزلانُ الرّملِ وتحسدهُ
صفرتْ كفى منه ومضَى وقد امتلأتْ منى يدهُ
كم صُغتُ التّبرَ له شركاً وقضيتُ الليلَ أنضّدهُ
وأشاورُ شوقى ، بل أدبى هل أقصرُ ، أم أتصيّدهُ
مولاىْ ! أعيذكَ مِن ضرمٍ لا يَرحمُ قلباً مُوقدهُ
أدركْ بحياتك مِن رمقى ما بات هواكَ يهدّدهُ
قد بان الحبُّ لذى عَيْنَيْـ .... نِ ، وهذا الشوق يؤكدهُ
(شوق) ! جوّدْ فى الشعروقل آمنتُ بأنك أوحدهُ !

عارض شوقى وصبرى وولى الدين يكن والأميرنسيب أرسلان قصيدة الحصرى هذه (يا ليل الصب متى غده ؟) فقال الأول فى مطلع قصيدته :

مُضناكَ جفاهُ مَرقدهُ وَبكاهُ وَرَحّمَ عُوّدُهُ

وقال ولىّ الدين :

الحسنُ مَكانكَ مَعبدهُ واللحظُ فؤادى مَعْمدهُ

وقال الأمير نسيب :

مُضناكَ عَصاهُ تجلدُهُ هل أنتَ بعطفكَ مُنجدُهُ ؟

فنحن نرى أن هذه المطالع الثلاثة لم يلمس واحدٌ منها ذلك المعنى الذى استهلّ به الحصرىّ قصيدته ، وأن صبرى تناول هذا المعنى قائماً فى بعض صوره اللفظية بلا تحرج ولا احتياط ، ثم جرى على هذا النهج فى كثير من أبيات قصيدته ، حتى لقد يُخيل الى من يجهل أحكام المعارضات الشعرية أن تنازُعَ الأغراض والمعانى مما يُطلب فيها ، أو مما يباح لأصحابها ، وليس هذا بحقّ ، قال الحصرى من قصيدته :

رَقدَ السُّمّارُ ، وأرّقهُ أسفٌ للبينِ يُرَدّدُهُ

وغداً يقضى ، أو بَعدَ غدٍ هل مِن نظرٍ يتزوّدُهُ ؟

نَصَبتْ عيناىَ له شركاً فى النّومِ فعزَّ تَصيُّدُهُ

لم يُبقِ هواكَ له رمقاً فلتبكِ عليهِ عُوَّدُهُ

خدّاكَ قد اعترفا بدمى فعلامَ جُفونُكَ تجحدُهُ ؟

هذه أبيات خمسة سُقناها على غير ترتيبٍ لنذلك على ما لها من الصلة من جهة اللفظ والمعنى بقول صبرى :

حَربٌ عندى لمسعّرها شوقٌ ما زلتُ أردّدُهُ

هل مِن راقٍ لصريع هوًى هل مِن اسٍ يتعهّدُهُ

كم صُغْتُ التّبرَ له شركاً وقضيتُ الليلَ أنضّدُهُ

وأشاوِرُ شوقى ، بل أدبى : هل أقصرُ ، أم أتصيدُهُ ؟

أدركْ بحياتك مِن رمقى ما بات هواكَ يهدّدهُ

قد بانَ الحبّ لذى عينينِ ، وهذا الشوقُ يؤكدُهُ

ولقد ضاق الوصف على شاعرنا وهو يذكر الليل فى الشطر الثانى من مطلع قصيدته فلم يزد على قوله (فالليل تمرّد أسوده) ثم عزّ عليه أن يترك هذا السواد قائماً وحده ، فعمد إلى مذهب البديعيين وجاءنا فى البيت الثانى بقوله (بيضٌ فى الحيّ تؤيّده) ثم أوحت اليه كلمة (تؤيده) فى هذا الشطر وكلمة (محاجته) فى الشطر الأول من البيت ، أن يجعلها حرباً مُقامة عليه ، واذا بالغبار ينجلى فى البيت السابع عن

(غزال القصر) فنحن نشهد اذاً صورةً مزوّدةً تنبىء بالعجز عن ضبط الغرض ، وتصوير العاطفة قائمة فى حدود الفنّ باتزان ، مقبلة على شأنها فى هُدًى وعرفان ، يقول صبرى فى غزال القصر :

صفرتْ كفى منه ومضى وقد امتلأتْ منّى يدهُ

ما زال الشعراء قبلنا يلوكون هذه المُضغة الجافة ، مضغة فراغ الأيدى وامتلائها . فنهم الشريف الرضيّ يقول فى رثاء صديق له :

فرغتْ يدى منه ، وقد رجعت به أيدى النّوائبِ والخطوب مِلاء

وله فى غيره :

راجت وفودُ الأرضِ عن قبرهِ فارغة الأيدى ، مِلاء القلوبْ

ولابن المعتز :

ما فى يَدِى منه غيرُ عَضّ يَدى ورُبّ بخت فى الحبّ مبخوسِ

ومن قول بعضهم — قد كنت أحسبُ أنى قد ملأتُ يدى — وللبهاء زهير :

ما لقلبي منكَ يا بَدْ رُ سوى خُفَّىْ حُنَيْنِ
ويَرى الحُسّادُ أنّى منكَ ملآنُ اليدينِ

قال صبرى :

كم صُغْتُ التّبرَ له شركاً وقضيتُ اللّيلَ أنضّدُهُ
وأُشاورُ شوقى بل أدبى هل أقصِرُ أم أتصيّدُهُ ؟

لا معنى لهذه المشاورة بعد مدّ الشراك ونصب الحبائل ، وما أكثر هؤلاء الصيادين عندنا ، ولكن يأبى أدبنا الا أن يزيد سوادهم وإلا أن يكون لكل مائة (خِراش) غزال واحد أو ظبيةٌ واحدةٌ ! قال الشريف الرضى :

كم قد نَصبْتُ لك الحبائلَ طامعاً فنجوت بعد تعرّضٍ لوقوعِ
وتركتنى ظمآنَ أشربُ غُلّتى أسفاً على ذاك اللّمى الممنوعِ

وقال ابن الوردى :

ورُبّ غزالةٍ طلعت بقلبى وهو مَرعاها
نَصبتُ لها شِباكاً مِن لُجَيْنٍ ثمّ صِدْناها

هذه شباكٌ من فضة ، فأما شركُ التبر الذى بات شاعرنا ينضّده والمراد به الذهب فانك واجده فى قول الأمير منجك (باشا) على لسان من يحبه :

لا تنقضى لكَ حاجـةٌ عندى بشعرٍ أوْ طَرَبْ
إن رُمْتَ صيدى فى الهوى فانصبْ شراكاً مِن ذهبْ !

قال صبرى :

قد بان الحبُّ لذى عينين ِ وهذا الشّوْقُ يؤكّدهُ

فى البيت نكاية شديدة للذوق الفنى السليم وموضعها قوله (لذى عينين) فان هذه الكلمة الخشنة فى روحها ومغزاها تجعل البيت قطعة من الكلام الجدَلى وليس هذا بموقعه ، وليس الشاعر وهو يأخذ فى مثل هذا الجدل قد أنصف المنطق فى قوله : وهذا الشّوْقُ يؤكّده - فان الشّوْقَ دعوى والدعوى مفتقرة الى البيّنة . وانظر ما يقول الأبيوردى :

ومِن بيّناتِ الشّوْقِ أنى على النّوى أموتُ لذكراهُ مراراً وأُبعثُ

ومن قول الشيخ الشبراوى :

قضيّةُ الشّوْقِ فى فؤادى بُرهانُها بالضنى مُسَلّمْ

نأخذ من هذا أن شاعرنا الكبير أقام الدعوى مقام البيّنة ، وهو الذى مارسَ القضاء طويلاً ، وعرف من أمره ما لا نعرف ، ولقد أكثر الشعراء من ذكر بيّنات الحبّ وشهوده ، فن ذلك قول بعضهم :

سأعدُّ ما ألقى ، فان كذّبتِنى فسلى الدموعَ ، فانها لا تكذبُ

وقول أبى المواهب البكرى :

لا أذوقُ الكرى ، وَسَلْ أنجُمَ اللّيْـ ...... لِ ، وهذا السّقامُ مِن بيّناتى

واليك شهود المتنبي ، قال :

شيبُ رأسى ، وذلّتى ، ونحولى ودموعى على هواكَ شُهودى

الحياة والموت

إن سئمتَ الحياةَ فارجعْ الى الأر ضِ تنَمْ آمناً من الأوصابِ

تلك أمٌّ أحنى عليك من الأمِّ التى خلفتك للأتعابِ
لا تخفْ ، فالمماتُ ليس بماحٍ منكَ إلا ما تشتكى من عذابِ
كلُّ ميْتٍ باقٍ وإن خالفَ العذ... وانُ ما نُصَّ فى غضون الكتابِ
وحياةُ المرءِ اغترابٌ فانْ ما تَ ، فقد عادَ سالماً للترابِ

هكذا قال صبرى فى الحياة والموت ، وتعدّ هذه القطعة من أجود شعره وأشهره . وأكثرُ ما يأخذه الأدباء منها ما ورد فى البيت الأخير من اغتراب المرء فى الحياة ، ورجوعه سالماً الى التراب ، وإن نسبَ غيرُ واحدٍ من الأدباء هذا البيت الأخير الى المرحوم مصطفى نجيب بك ، ولعلك مُدركٌ ما فى النقد من فائدة حين ترى أن شاعرنا الكبير لم يزدنا شيئاً من عنده ، وأن الناس قد يؤخذون من قِبَل أنفسهم في كثير من الأمور ، وأن المقاييس الصحيحة للأدب والموازين العادلة للأدباء لم تقم الى يومنا هذا فى بلادنا وبين قومنا ، وما أبرحَ ما تجد الفنون والصناعات من أناس لو أنهم أوتوا أو رُزقوا المعرفة لتبينوا أنهم خاطئون .

وبعد فان أظهر ما يبدو لك من عيوب هذه القطعة قول الشاعر فى أواخر الأبيات الأول : الأوصاب ، والاتعاب ، والعذاب ، فان هذه الثلاث مؤتلفةٌ معنى وإن اختلفت لفظاً ، وما برح الرؤساء من أرباب الصناعة يتحامون ذلك . وما أعلم أيجدُّ شاعرنا أم يهزل فى قوله ـ إن سئمت الحياة فارجع الى الأرض — لا أعلم أين هو من المحصلتين فما كل من يسأم الحياة بميت ، ولا كل من يحبها ويرغب فيها بناجٍ من الموت ، أتظنه يشير بالانتحار ويحرض عليه ؟ هذا ما أفهمه مُكرها وإن لم يرده وأين الذى يسأم الحياة أو عِلّها ؟ أيغرّه قول زهير :

سئمتُ تكاليفَ الحياةِ ، وَمن يَعشْ ثمانينَ حولاً ـ لا أبا لكَ ـ يَسْأمِ !

على أن زهيراً لم يسأم الحياة ، وإنما سئم تكاليفها ، وقد أغنانا المتنبي عن مثل هذا التفسير بقوله :

واذا الشيخُ قال أفٍّ ! فما مَلّ حياةً ، وإنما الضعفَ ملّا

ان ذلك النوم المريح الذى يريده صبرى فى البيت الأول هو بعينه ما تراه فى قول المعرّى :

ضجعةُ الموتِ رقدةٌ يستريح الـ ....جسمُ فيها والعيشُ مثلُ السهادِ

وانظر ما يقول فى هذا المعنى :

أخفى المنازلِ قبرٌ يُستراحُ به   وأفضلُ اللبسِ فيما أعلمُ الكفنُ

* * *

لعمركَ ما الدنيا بدارِ إقامةٍ   ولا الحىُّ فى حالِ السلامةِ آمنُ

* * *

اذا عُدَّتْ الاوطانُ فى كل بلدةٍ   لقومٍ سُجوناً ، فالقبورُ حصونُ

* * *

متى أنا للدارِ المريحةِ ظاعنٌ   فقد طال فى دار العناء مُقامى ؟

ولبعضهم :

جزى اللهُ عنّا الموتَ خيراً فانه   أبرٌّ بنا مِن كل برٍّ وأرأفُ

يُعجّلُ إنقاذَ النفوسِ من الأذى   ويُدْنى مِن الدار التى هى أشرفُ

وهذه أبيات أُخَر لشيخ المعرة تُريك من أين أخذ صبرى معنى البيت الثانى :

والتربُ تَقليهِ ظلماً ، وهو والدُنا   وكم لنا فيه مِن قُربى ومِن رحمِ

* * *

نفضتَ عنّى تراباً ، وهو لى نسبٌ   وذاك يُحسب من قطعِ الفتى الرَّحِما

* * *

ووالدُنا هذا التراب ، ولم يزل   أبرَّ يداً من كلِّ منتسبيهِ

يؤدّى إلى من فوقهُ رزقَ ربِّهِ   أميناً ، ويعطى الصَّوْنَ محتجبيهِ

* * *

أتعلمُ الأرض ، وهى أمٌّ   خفَّ زمانٌ فما ازدهاها

بأىِّ جُرمٍ ، وأىِّ حُكمٍ   سُلّطَ ليثٌ على مَهاها ؟

قال صبرى :

لا تَخفْ فالمماتُ ليس بماحٍ   منكَ الا ما تشتكى مِن عذابِ

لا أقول إن هذا البيت بكثر من الالتفات الى قول الشريف الرضىّ :

فان لم يكن فرجٌ فى الحياةِ   فكم فرجٍ فى انقضاء العُمُرْ

ولكني أقول إنه يلتقي في فم المعري حيث يقول — العيش داءٌ وموت المرء عافيةٌ — ولقد قال المتنبي قبله : كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا — والمعري يردد هذا المعنى :

إذا غدوتُ ببطنِ الأرضِ مضطجعاً فَــثَمَّ أفقــــدُ أوصابي وأمراضي

* * *

اذا طَفِئَتْ في الثرى أعينٌ فقد أمنتْ مِن عمًى أو رمَد

قال صبري :

وحياةُ المرء اغترابٌ فان ما تَ ، فقد عادَ سالماً للترابِ

وقال أبو السعادات الحسيني :

نحن في دارِ غـــربةٍ كلَّ يومٍ يَتقضَّى جيلٌ ، ويحدثُ جيلُ
وكأنّا في ذاك ركبانِ : ركبٌ مُزمعٌ رحلةً ، وركبٌ قُفولُ

أمّا المعرّى فيقول مردّداً هذا المعنى في صور مختلفة :

قد طال سيري في الحيا ة ، ولي ببطن الأرض منزلْ

* * *

فان تكُ هذى الدارُ منزلَ ظاعنٍ فدار مُقامى عن قليلٍ اوافيها

* * *

إنّا ضيوفُ زمانٍ ما قِراهُ لنا الا المنايا ، ونحن الآن في اللُّهَنِ

جمع لُهْنَة ما يتعجله الانسان من الطعام يتعلل به ، ـ هذا في معنى الغربة ، والعودة الى الوطن ، أمّا في معنى قوله : عاد سالماً ، فقد قال بعضُ الأوائل : رجعنا سالمينَ كما بدأنا — على أنّ ثمة غربةً أخرى بعد الموت هي ولا ريب شرُّ الغربتين ، فيا ويح الانسان ، وما أشدّها عظة أن يقول فيه لشيخنا المعرّى إذا مات :

لعلّ إناءً منه يُصنعُ مَرّةً فيأكلُ فيه مَنْ أرادَ ويَشربُ
ويُحملُ من أرضٍ لأخرى ، وما دَرى فواهاً لهُ بعد البِلَى يَتغرّبُ !

وانظر ما يقول في من يُقيم لنا البيوت ويرفع القصور :

لعَلَّ مَفَاصِلَ البَنَّاء تُضْحِي طِلاءً للسَّقيفَةِ والجدار

أرى بعد هذا أن قطعة صبرى وكلّ ما قيل أو يقال فى معناها مغالطة ظاهرة للنفوس ، وقد تكون تعزية نافعة لبعضها ، فان طبائع الحياة وحقائق الموت أشدّ قوّة وأعظم سلطاناً من أن تذعن لأمثال هذه المغالطات ، وقديماً قيل - كفى بالموت نأياً واغترابا .

الشباب والمشيب

لم يدرِ طعمَ العيشِ شُبّا ن ، ولم يدركهُ شِيبُ
جهلٌ يُضِلُّ قُوَى الفتى فتطيشُ ، والمومى قريبُ
وقُوَى تخورُ اذا تشبَّـ ـثَ بالقُوَى الشّيخُ الأريبُ
بَيْنَا يقالُ كَبَا المغفـ ـلُ ، إذ يقالُ خَبا اللبيبُ
أوّاهُ ، لو عقلَ الشبا بُ ! وآهِ ، لو قدرَ المشيبُ !

هذه إحدى آيات صبرى ، وإنا لنرى الصورة العامة فى هذه الأبيات تنبيء باختلال كبير فى التصوّر ، وشطط غير متقارب الحدود فى وصف الحياة ، وكيف تكون فى الشبّان والشيب . ولو صدقت هذه الصورة لخربت الدنيا ، وسقط العالم فى مهاوى الفناء . وماذا تريدُ من شباب ضالّ ، ومشيب عاجز ؟ إنّ شاعرنا الكبير يحبّ الكلام لذاته ، ويتصرّف فيه على هواه ، ولئن ذهبنا نصانعه ونقول معه إن الشباب ضلال محض وجنون صرف ، وأن المشيب عجز خالص وجمود بحت ، أتُرانا نستطيع الاعتداء على سنن الحياة فنزعم أنّ ضعف الهرم - الضعف التامّ الذى يصفه هو - يُعقب قوّة الشبيبة ونشاطها مرة واحدة . وفى يوم واحد ؟ كلاّ إنك لتعلم أن بين شرّة الشباب ووهن المشيب فسحة كبيرة من العمر ، ومسافة غير قليلة من الزمان ، فاذا العقلُ والمقدرة ، وإذا السداد والمضاءُ والقوّة المدبرة ، ولسنا نستعين بالشواهد الشعرية على إثبات فساد هذا المذهب وتعسف شاعرنا الكبير فيه ، ولكنا نستشهد التأريخ ، حوادثه وأبطاله من الفريقين - الشبان والشيب - ومن كل هذا نعلم أن الصورة القائمة فى هذه الأبيات ليست من الحقائق العامة كما أراد الشاعر أن تكون ، وهى لا تصدق الاّ اذا أجريناها مجرى الحكاية

الخاصة فى تمثيل حياةٍ بعينها لشخصٍ معين ، وإنك لترى هـذه الحياة ماثلة فى الشخص الذى تستفيده من قول أبى العتاهية :

دَبَّ فِيَّ الفناءُ سِفْلا وعِلوًا وأرانى أموتُ عُضواً فعضوًا
ذهبتْ جِدَّتى بطاعةِ نَفْسى وتذكرتُ طاعة الله نِضوًا

هذا حكمنا على الصورة العامـة فى الأبيات من الناحيـة الوصفية للحياة ، فأما الناحيـة الفنية فيهـا ، فأنت ترى أن قول الشاعر ـ لم يدر طعم العيش ـ فى البيت الأول مما لا معنى له ولا طعم فى مثل هـذا المقام ، فالعهدُ أن يقال هـذا فى لذة العيش أو ما ينافيها ، لا فيما ينبغى له من أدبٍ ، أو يُكرهُ فيه من شطط وازورار . وليس من جديد يُستفاد فيما تحمله أبياتُ صبرى من صفةِ الشباب فى غروره وقوته وحال المشيب فى اتئاده وضعفه ، قال العتبى :

قالت: عهدتكَ مجنوناً،فقلتُ لها: إن الشبابَ جُنونٌ برؤهُ الكِبَرُ

وقال بهاء الدين العاملى :

قُواكَ وَهَتْ عِندَ وقتِ المشيبِ وما كان من دأبها أن تَهِى
وباينتَ نفسك لما كبرت فلا هِىَ أنتَ ، ولا أنتَ هِى
وإن ذُكرت شهواتُ النفوس فما تشتهى غيرَ أن تشتهى

وانظر ما يقول أبو العلاء :

سُقياً لأيامِ الشبا بِ ، وما حَسَرْتُ مَطيَّتيّا
أيامَ آمُلُ أن أمَسَّ الـ ـفرقدَينِ براحتيّا
فالآنَ تعجز همتى عمّا يُنال بخُطْوَتيّا

جهنم – وأين تقام ؟

يا ربِّ ! أينَ تُرى تُقامُ جَهنمٌ للظالمينَ غدا ، وللأشرارِ ؟
لم يُبقِ عفوُكَ فى السَّماواتِ العلَى والأرضِ ، شبراً خالياً للنارِ
ياربِّ أهلني لفضلكَ واكفنى شططَ العقولِ وفتنة الأفكارِ

ومُرِ الوجودَ يشفُّ عنكَ لكي أرى غضبَ اللطيفِ ورحمةَ الجبارِ
يا عالمَ الأسرارِ ا حسبي محنةً علمي بأنك عالمُ الأسرارِ
أخلِقْ برحمتك التي تسعُ الورى ألاّ تضيقَ بأعظمِ الأوزارِ

فى البيتين الأول والثاني من هذه القطعة التى رفعها صبرى الى الله فى معرض الثقة وحسن الظن ما لا ينتظم فى سلك الأدب الدينى ، ولا يلائم النظام الشرعى الذى ينبغى لكل مؤمن أن يتقيد به ويرعاه ـ يرى الشاعر أن لا مكان لجهنم تقام فيه ، بل هو قد اطلع فلم يجد شبراً واحداً يتسع حتى لموقدٍ واحدٍ صغير من مواقد هذه النار ـ انّ هذا من شاعرنا لكثير ، وما هو من الثقة وحسن الظنّ بسبيل ، إنا لنؤمن معه بسعة عفو الله ورحمته ، ونعلم أنه يؤمن معنا بأن (منطقة جهنم) قائمة بأقطارها الواسعة ، وحدودها المترامية ، لا ينقصها ذلك العفو شيئاً ، ولا تطوى هذه الرحمة منها جانباً أو بعض جانب ، ذلك أن من الذنوب ذنوباً لا يعفو الله عنها ، ولا يرحم جناتها — يؤمن شاعرنا الكريم بهذا إيماناً صادقاً ، فما باله يأخذ هذه الناحية ، وماله وهذا المسلك الوعر ؟ لقد أكثر الشعراء قبله من ذكر رحمة الله وعفوه ، فما بلغ أحد منهم حيث يقول أبو نواس :

تَكثَّرْ ما استطعتَ من الخطايا فإنك بالغٌ رَبّاً غفورا
سَتبصرُ إن وَردتَ عليه عفواً وتلقى سيّداً مَلِكاً كبيرا
تَعَضُّ ندامة كفّيك ممّا تركتَ مخافةَ النارِ السرورا

هذا ولا ريب أقربُ الى حسن الأدب وسلامة العقيدة من قول صبرى ، ولأبى نواس فى هذا الباب شعرٌ كثيرٌ منه قوله :

ياكبيرَ الذّنبِ عَفْوُ الله .... هِ مِن ذنبكَ أكبرْ

* * *

يارب إن عظمت ذنوبى كثرةً فلقد علمتُ بأنّ عفوكَ أعظمُ

* * *

ومما ينسب الى عبيد سيفان العكلى :

يا ربّ قد حلَفَ الأعداءُ واجتهدوا أيمانهم أنّنى من ساكنى النارِ

أيحلفون على عمياء ؟ ويحهمُ ما ظنّهم بعظيمِ العفوِ غفّارِ ؟

ولعبد الرحمن بن عمادالدين الشامى :

إن قيل أيُّ سفينةٍ تجرى بلا ماء وليس لأهلها من زادِ ؟

قُلْ رحمة الرحمنِ مَنْ أنا عَبْدُهُ تَسَعُ العبادَ فمن هو ابنُ عماد ؟

وانظر أدبَ المعرّى وحكمته إذ يقول :

تَغشى جهنمَ دمعةٌ من تائبٍ فتبوحُ وهى شديدةُ الايقادِ

يذهب صبرى مذهب المتصوفة فى قوله :

وَمُرِ الوجود يشفّ عنك لكى أرى غضبَ اللطيفِ ، ورحمةَ الجبّارِ

فهو يريد ان يرى الله ، ولكن لغير ما يريدون هم ، القوم يطلبون المشاهدة لذاتها ، أما شاعرنا فيريدها ليشهد نوعاً خاصاً من الجمال ، وحالة بعينها من العظم والجلال ، هو يريد أن يرى الغضب قائماً فى اللطف ، والرحمة ماثلة فى الجبروت ، وإذ كنا فى مقام التصوّف فلا مناص لنا من القول أن أدب القوم ينكر هذه العلة ويسىء معاملتها ، ثم ان هذا الذى يريده الشاعر هو من شأن الصفات الالهيّة وآثارها الشائعة فى هذا الكون . أما الذات وشهودها فشأن آخر ومطلب مستقل . ومن الاضطراب الظاهر فى البيت قول الشاعر — ومر الوجود يشفّ عنك — فالعقل والعلم الالٓمى على اتفاق فى أن هذا الوجود بنوعيه من كثيف أو لطيف لا يقوى على أن يحجب الله جلّ شأنه ؛ بل هو كما قال العارفون مرآة قدرته ، ومظهر صفاته ، ولعل ورود ذكر الحجب فى أقوال الذين طلبوا المشاهدة من عشّاق الذات العليّة هو الذى جرّ شاعرنا إلى هذا الاضطراب ، ولو علم — رحمه الله — أن القوم لم يعنوا بهذه الحجب سوى ما يكون على القلوب من أغشية أو أكنّة لاستقام له الأمر ونجا من هذه السقطة ، وما أراه فى قوله — غضب اللطيف ورحمة الجبار — ببعيد من قول صاحب البردة :

ولن يضيق رسولَ الله جاهُكَ بى إذا (الكريمُ) تحلّى باسمِ (منتقمِ)

فأمّا قوله :

يا عالمَ الأسرارِ ! حسبي محنةً علمى بأنّك عالمُ الأسرارِ !

فشبيهٌ بقول ابن عمّار فى المعتضد :

قنعتُ بما عندى من النِّعَم التى يفسّرها قولى : قنعتُ بما عندى !

عرف صبرى أدبَ الثقة بالله وحدَها بعد الذى كان من شطط وفتنة ، فقال فى ختام كلمته :

أخلقْ برحمتكَ التى تسع الورى ألاَّ تضيقَ بأعظمِ الأوزارِ

جولةٌ عجلى فى بعض شعره

يقول صبرى من قطعة فى الرثاء :

ألا يا تجارَ العصرِ هل فيكم امرؤٌ يبيع على صرعى الهمومِ عزاء ؟

يقال باعه الشيء وباعه له ومنه ، فأمّا يبيع عليه فليس من لغة العرب ، وانما يقال باع عليه القاضى إذا باع على كرهٍ منه ؛ فهو خطأ من شاعرنا ، وبيع الصبر أو نحوه ليس من المخترعات الفنية ، فقد أكثر الأوّلون من عرض هذه البضاعة وطلبها ، كما أكثروا من ذكر البيع والهبة والاعارة ونحو ذلك ، قال عبد المحسن الصّورى :

هلمّوا اسألوا عن سُلوٍّ يُباع واستخبروا عن كرًى يُكترَى

هل الناسُ مثلى ؟ وإلاّ فما أشدَّ القلوبَ ، وما أصبرا

ومن المشهور قول بعضهم :

ألا موتٌ يُباعُ فأشتريهِ فهذا العيشُ ما لا خيرَ فيهِ

وقال البحترى :

وما سرّنى أنّ قلبى أُعيرَ عزاء النفوسِ وسُلوانها

وللمتنبى :

وَهبْتُ السُّلوَّ لمنْ لامنى وبِتُّ منَ الشَّوْقِ فى شاغلِ

وقال الشريف الرضىّ :

وخُذِ النَّوْمَ مِن جفونى فانى قد خَلعتُ الكرى على العشّاقِ

وقال التهامي :

حليليَّ هل من رقدةٍ أستعيرها ؟ لعلى بأحلام الكرى أستزيرُها

وللشمردل بن شريك اليربوعي :

وكنتُ أعيرُ الدَّمعَ قبلكَ من بكى فأنتَ على من مات بعدكَ شاغلهْ

ولصفيّ الدين الحلي :

واقترضنا منها الدموعَ ، فقالت : كلُّ قرضٍ يجرُّ نفعاً حرامُ

وللعباس بن الأحنف :

يا أيّها الرجلُ المعذِّبُ نَفسهُ أقصرْ فانّ شفاءكَ الإقصارُ

نزفَ البكاءُ دُموعَ عينكَ فاستعرْ عيناً لغيركَ دمعها مدرارُ

مَن ذا يعيركَ عينَهُ تبكي بها أرأيت عيناً للبكاء تُعارُ ؟

ومن المقايضة في صورة البيع قول صاحب الكبد المقروحة :

ولي كبدٌ مقروحةٌ ، مَن يَبيعني بها كبداً ليست بذاتِ قروحِ ؟!

أباها عليَّ الناسُ ، ما يشترونها ومَن يشترى ذا علةٍ بصحيحِ ؟

وقال ابن خازن الكاتب :

وَافى خيالكِ ، فاستعارت مقلتي من أعينِ الرقباءِ غُمضَ مروّعِ

وأظنّهم فطنوا ، فَكلٌّ قائلٌ : لو لم يَزُرْهُ خيالُها لم يهجعِ !

قال صبري بعد البيت المتقدم :

إذا دلني منكم على مثلهِ فَتى خلعتُ عليهِ ما يشاءُ جزاء

يريدُ من يبيع العزاءَ فلا معنى لقوله على مثله ، ولا ندرى لِمَ يقصر جزاء من يدلّه على ما يُخلع ؟ لعله استبقى سواه مما يملك ليكون ثمناً للعزاء يؤديه الى التاجر (. . .) قال :

يخالهم الرائي سُكارى من الأسى فيبكي عليهم رحمة ووفاء

وقال الله تعالى (وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكنّ عذاب الله شديد)

وللمتنبي :

عَليلُ الجسم ، مُمتنعُ القيامِ شديدُ السكر مِن غيرِ المدامِ

وله :

أفيقا ! خُمارُ الهمّ بَغّضني الخمرا وَسُكرى من الأيام جَنّبَنى السكرا

ولبعضهم : (سكرانُ من خمر الفراق معذّب) . وقال مهيار الديلمى :

لا سَكرةُ البلوى ببابلَ بعدكم تصحو ، ولا ليلُ البلابل يُصبحُ

قال صبرى :

لو انّ قلوبَ الناس طوعُ إرادتى قلبتُ الأسى فى بعضهنّ (هناء)

ولو طاوعتنى كلّ عينٍ قريحةٍ لما ذابَ بعضُ الثاكلينَ بُكاء

ندع قوله (هناء) فى البيت الأول معلقة ونضع جانباً قوله : طوع ارادتى ، وطاوعتنى فى هذا البيت والذى بعده ، وننظر الى المعنى من حيث هو ، فالشاعر يريد فى البيتين أن يكون رحيماً بالناس فيفرغ الصبر على ذوى القلوب الجريحة ، ويمسك الدمعَ أن يسيل من عيونهم ، ولكنه يميل من مراده مأخوذاً بقوةٍ لا نعلم ماهى ، فاذا هو يخصّ بهذه الرحمة بعضاً من الناس ، واذا هو يصغر ويتضاءل فيدعك حائراً لا تدرى كيف تجمع شطريه ، وتؤلف بين رأييه ، ولِمَ يكون بعض الناس أولى بالرحمة من بعض والمصاب واحد ، وباعث الرحمة فى نفسك هو ما تجد من ألم المصابين وتحسّ من عذابهم ؟ وما كان لمن يريد أن يصيب بعض الناس برحمته ويصرفها عن الكثيرين منهم أن ينزع الى أن تكون له الولاية على كل القلوب والعيون كما هو الحال فى البيتين ، ولقد كان الأمر يستقيم له ـ وهذا شأنه ـ لو انه طلب أو تمنى أن يكون الصبر فى يده فيسكبه برداً وسلاماً على قلوب من يشاء من صرعى الأحزان وجرحى الهموم ، وليس هذا ثم ينتهى الأمر ، فقد نسىَ الشاعر نفسه ، وتجرّد فى هذين البيتين عن شاعريته ، بل هو قد فعل ذلك وجرى عليه وهو يستهل كلمته يسأل التجار عن بائع الصبر ، ويطلب أن يدلوه عليه ! أىّ صبر هذا الذى ينشده صبرى الشاعر العظيم ، واذا كان الصبر لا يؤخذ من فم الشاعر ويرتشف من بين شفتيه فمن يأخذ اذاً وأين يوجَد ؟ ولِمَ لا تكون قلوب الناس وعيونهم وكلّ جوارحهم وقواهم حيث يحبّ ، وكيف يشاء ؟ نريد التلطف ، ويأبى لسان النقد الا أن يقول « بلادة » ـ ورحم الله صبرى ، وما أبعده فى هذه القطعة عن نفسه . قال من قطعة أخرى غرامية :

أبثّكِ ما بى ، فإنْ ترحمى رحمتِ أخا لوعةٍ ماتَ حُبّا
وأشكو النوى ، ما أمرَّ النّوى على هائمٍ إن دعا الشوقُ لبّى
وأخشى عليكِ هُبوبَ النسيم وإن هو من جانبِ الرّوض هبَّا
واستغفرُ اللهَ مِن بُرهةٍ من العمرِ لم تلقنى فيك صبّا
تعالىْ نجدّدْ زمانَ (الهناء) وننهبْ لياليَهُ الغُرَّ نهبا
تعالىْ أذقْ بك طعمَ السلام وحسبى وحسبك ما كان حربا !

فى البيت الأول رَجُلٌ مات ، وشأن من مات أن يقول ما قال شرف الدين ابن عبد العزيز الانصارى :

ذُبتُ شوقاً ، فعالجونى بقربٍ ! مُتُّ عشقاً ، فحنّطونى بقُبْلهْ !

أقول الجدّ ، إنى لا أعرف ما هذا الموت الذى يكثر الشعراء من ذكره وادّعائه ؛ فصبرى يموت ويُبعث فى بيت واحد ، والمتنبى يموت مثله ويُبعث فى بيته الذى يقول فيه :

فلم أرَ بدراً ضاحكاً قبلَ وجهها ولم تَرَ قبلى ميّتاً يتكلّمُ !

والأبيوردى يموت مراراً ويبعث مراراً فيما يقول :

ومِن بيّنات الشّوْق أنى على النَّوى أموتُ لذكراها مراراً وابعَثُ !

أما صاحبنا البهاء زهير رحمه الله فيقول :

أنا الذى متُّ حقّا تعيش أنتَ وتبْقى

أعلم أنهم يريدون معنى الموت وأثره قائمين فى صورة أخرى من الحياة المريضة أو المعطّلة إلى حدّ ، ولكنى لا أحبّ أن يشيع هذا الصدأ الأكّال فى الشعر وأن يكون كأمرٍ لا بدّ منه فى كلّ موطن من مواطن العنف الوصفى لحالات الحب أو ما يشابهه ، ولقد استلذّ جرير هذه النغمة — أو سخر بها وهو أقرب — فقال :

كاد الهوى يوم سلمانينَ يقتلنى وكاد يقتلنى يوماً بنعمانِ
وكاد يقتلنى يوماً بذى خشبٍ وكاد يقتلنى يوماً بسلمانِ !

ذكروا عن الأصمعىّ أنّ أعرابياً سمع جريراً ينشد هذين البيتين فقال : هذا رجل أفلت من الموت أربع مرات فلن يموت أبداً ! وبعد ، فليس فى البيت الثانى

من أبيات صبرى سوى مرارة النوى وتلبية الشوق اذا دعا ، وهل ترك الأوائل من هذا شيئاً لقائل ! لقد قدّمنا من قبل ألواناً كثيرة من هذه المرارة ، وهذا مثال مما قيل فى هذه التلبية وهو حسبك — دعانى الهوى فيه فلبّيتُ طائعا — يقول صبرى :

وأخشى عليك هبوبَ النسيم وإنْ هو مِن جانب الروضِ هَبَّا

إمّا أن تكون هذه الخشيه التى تأخذ شاعرنا خشيةً مطلقةً باعثها الحنان ورقة القلب فهى إذاً من النوع الذى يُستفاد من قول حطّان بن المعلّى :

وإنما أولادنا بيننـــــا أكبادُنا تمشى على الأرض

لو هبت الريحُ على بعضهم لامتنعتْ عينى من الغمض

وإما أن تكون حالاً من الغيرة التى يولع بها المحبُّ ، فهى لا تعدو حال ابن هانى فى قوله :

أغارُ عليه أن تجاذبَهُ الصّبا فضولَ بُرودٍ ، أو ذُيولَ غلائلِ

ويقول ابن سهل الاسرائيلى فى المعنى :

وَجْهٌ أرقُّ من النسيمِ ، يُغيرُنى مَرُّ النسيمِ بحسنهِ وهُبوبُهُ

وعلى كلا الوجهين فلا جديد فى البيت ، ولك أن تضم الى هذا القديم قول الشاعر :

خطراتُ النسيم تجرح خدّيْـ ـه ، ولمْسُ الحرير يُدمى بنانَهْ !

وفى القطعة مآخذ أخر تصرفنا العجلة عنها ، قال صبرى :

يا وامضَ البرقِ كم نبّهتَ من شجنٍ فى أضلع ذهلتْ عن دائها حينا

فالماءُ فى مُقَلٍ ، والنارُ فى مُهجٍ قـد حار بينهما أمرُ المحبّينا

لولا تذكرُ أيام لنـا سـلفت ما بات يبكى دماً فى الحىّ باكينا

يا نسمة ضمّخت أذيالها سحراً أزهارُ أندلسٍ هُبّى بوادينـا

ذلك شعرٌ هرم ، عليه وسمٌ من الأيام والقِدم ؛ ولقد جُنُّوا بالبرق فهو يضحك لهذا الجنون ، ويعجب كيف صار حديث الأجيال وذكر القرون ، فأما الماء والنار فبئست الصلة ، ولا كان الجوار ! لقد قال الأولون ـ عفا الله عنهم ـ ما جاوز الحد ، فما بال شاعرنا الكريم يأبى الا أن يزيدنا ؟ قال الشريف الرضى :

الماءُ فى ناظرىَّ ، والنارُ فى كبدى إن شئت فاغترفى ، أو شئت فاقتبسى

وقال :

إذا تلفّتُّ فى أطلالها ابتدرت للعينِ والقلبِ أمواهٌ ونيرانُ

وقال أبو الطريف شاعر المعتمد العباسى :

واحرَبا من فراقِ قومٍ هُمُ المصابيحُ والحصونُ

والأُسدُ ، والمزنُ ، والرواسى والأمنُ ، والخفضُ ، والسكونُ

لم تتنكر لنا الليالى حتى توفّتهم المنونُ

فكلُّ نارٍ لنا قلوبٌ وكلُّ ماءٍ لنا عيونُ

وفى حدّ ما قيل فى هذا الباب كثرةً قولهم فى النسمات وأذيالها ، ومن ذلك قول ابن معتوق :

وتنفّسَ النّسرينُ عن عبقٍ منه بأذيالِ الصّبا عطرُ

وقول سيف الدين بن المشدّ :

وصَباً سرت من قاسيونَ ، فسكّنتْ بهبوبها وصَبَ الفؤادِ البالى

خاضت مياهَ النّيرَبينِ عشيّةً فأتتك ، وهى بليلةُ الأذيالِ

قال صبرى من قطعة أخرى :

يا مقرَّ الغزال قد صحّ عندى ال ..... يومَ أنى اقتحمتُ منكَ عرينا

ينظر شاعرنا فى هذا الى قول ابن منجك :

بىَ ريمٌ كناسهُ المُرّانُ ما لقلبى من ناظريهِ أمانُ

أو إلى قوله وهو أقرب :

أفديكَ ظبياً أرنجيـ .... كَ وأتّقى سطواتِ باسكْ

تخشى الأسودُ مهابةً من أن تمرّ على كِناسكْ

كلمة الختام

ينزع صبرى فى شعره الى طريقة الكتّاب ، وهم على تصرفهم فى مذاهب القول وفنونه ، وتأنقهم فى أحكام الصناعة ، قلما تسمو بهم منازلهم الى مَن فوقهم من

الشعراء المبرّزين ، وهو يسير على قدمهم فى تناول الصُّور والمعانى وتلوينها بعد أن يجاد سبكها ، وتحكم صياغتها، وانّ منها َلَما يكون لغيرهم، وانك لتجد فى جديدهم من حلاوة ولذة ما يكون كالرشوة لك على إجازة ما تناولوا من ذلك القديم ، وقد امتدح شيوخ الأدب هؤلاء الكتاب وأثنوا عليهم ، فقيل انهم (دهاقين الكلام) ومن رؤسائهم ابراهيم بن العباس الصولى ، والحسن بن وهب ، ومحمد بن عبدالملك الزيات ، وسعيد بن حميد ، فمن قول ابراهيم فى الفضل بن سهل :

لسهلِ بنِ فضلٍ يدٌ تقاصرَ عنها المَثَلْ
فباطنها للنّدى وظاهرُها للقُبَل
ونائلها للغِنى وسطوتُها للأجلْ

ولابن الزيّات :

قامَ بقلبي وقعدْ لمّا نبى عنّى الجَلَدْ
يا صاحبَ القصرِ الذى أسهرَ عينى ، ورقدْ
واعَطشى الى فمٍ يمجُّ خمراً مِنْ بَرَدْ !

وله :

ما أعجبَ الشّيءَ ترجوهُ فتُحرمهُ قد كنتُ أحسبُ أنى قدملأتُ يدى !

ذلك حيث ينزع صبرى ، وانه على ما ترى من أمره لشاعر ، وانما أنت منه بين بيتين ان شئت فقولُ البحترى :

ولربما عَثَرَ الجوادُ ، وَشأْوُهُ متقدّمٌ ، ونبا الحسامُ القاطعُ

واذا شئتَ فقولُ المعرّى :

والإنسُ مثلُ نظامِ الشعر ، كم رجلٍ يُفدَى بجيشٍ وكم بيتٍ بديوانِ

رحم الله صبرى ، وغفر لنا وله ، وهذا مارثيته به :

صدَعتَ قُوى الحدثانِ ، فانهاض كلكلُ وَخفّ من الأعباء ما كنتَ تحملُ
تحوّلتَ ترتادُ المنازلَ سمحةً فطابَ لك المرتادُ والمتحوّلُ
ديارٌ تُجافيها الهمومُ ، وجيرةٌ كهمّكَ ، لا جافٍ ، ولا متنقّلُ
تناهتْ خطوبُ الدهرِ عنكَ مروعةً وولّتْ على أعقابها ، وهى جُفّلُ

لكَ المعقلُ الراسى على الدهر، إن هوتْ شماريخُ راسٍ ، أو تزلزلَ معقلُ
اذا احتلّهُ ذوالضعفِ، لم تُغنِ عندهُ سلاهيبُ جُردٌ ، أو مغاويرُ بُسّلُ
ترى الأرضَ ما لاذتْ به فى مفاضةٍ من الأمنِ ، تُضفيها السماواتُ من عَلُ
تُشيرُ ، فيستخذى بها كلُّ طامحٍ ويَعنو لهـا جبّارُها المتوغّلُ
سواءٌ عليها مستبـدٌّ وعاجزٌ وسِيّانِ فيها ذو سلاحٍ وأعزلُ

* * *

أمنزلَ (اسماعيلَ) جوُّكَ طيّبٌ وواديكَ مأمونٌ ، وجارُكَ مُجْمِلُ
تزيّـلكَ عصرٌ للأعاريبِ كابرٌ وضَيْفُكَ جيلٌ للنوابغِ أمثلُ
هوى القائدُ المقدامُ فيكَ ، وغالنا لدَى الكرِّ ما جرَّ السّلاحُ المفلَّلُ
ضجيعُكَ مجـدٌ للمالكِ باذخٌ وأنتَ لمُلكِ (الضادِ) مثوًى ومنزلُ
يلوذُ بكَ (التاجُ) المعفرُّ ضارعاً ويهفو حوَاليكَ (السّريرُ) المُعطّلُ
أرى دولةَ الآداب زُلزِلَ صَرْحُها وباتت صياصيها العُلَى تتهيّلُ
ورُوِّعَ من أبطالها كلُّ مِحْرَبٍ وطاحَ المرجَّى للحفاظِ المؤمّلُ
فتى البأسِ، لا رثُّ السلاحِ اذا انتحى ولا هو بالوانى ، إذا نابَ مُعضلُ
فما كان من صُنعٍ جيلٍ نَحِدْتُهُ على الدّهرِ إلاّ صُنعُهُ هو أجملُ
حَمَى سُؤددى بالغيبِ ، فارتدَّ مُوعدى وأقصرَ عنى ذو التمّيم المضلّلُ
فأصبح (ذو التاجَينِ) قد ثابَ رأيهُ وأصبحتُ ما فى جانبي متعلّلُ
كبا الجدُّ بالواشى المخيّبِ سعيُه وطاح بعزجيهِ الحديثُ المهلهلُ
وما كان إلاّ أن ضننتُ بذمتى كما ضنّ قبلى بالدروع (السموألُ)
لئن بزّ أعلامَ البـلاغة قائلاً فأبلغُ مما قال ما كان يَفعلُ
منَ القومِ ، سادُوا بالرّوائعِ جُوّلاً تُسايرُها منهم صنائعُ جُوّلُ
إذا القولُ لم يَنصرهُ خُلقٌ مهذّبٌ فلا تكُ منْ أنصارهِ حينَ يَخذُلُ
إذا ما التمسنا الصّبرَ ، نرجو ثوابَهُ أبتْ أنفسٌ منا مجازيعُ ثُكّلُ

هَوَى السَّابحُ الضافى الجناحين، وارعوى عَن الأمـدِ الأقصَى الأغرُّ المحجَّلُ
أفولُ (لإِسماعيلَ) إذْ خَفَّ رَكبُهُ وأزعجهُ داعٍ مِن البين مُعجِلُ
عليكَ سَلامُ الفاضلين مُباركاً فانكَ أنت العبقرىُّ المفضَّلُ
مَضى الشّعرُ يهوى فى رحالك، وانطوى سَنـَا الوحى فيهِ، والبيانُ المفصَّلُ
وإنك إذ تَفْتَنُّ فى معجزاته لذُو بيِّناتٍ بالأعاجيبِ مُرسَلُ
كأنَّ التماعَ البرقِ فَيْضُ شُعاعِهِ إذا اسْتَنَّ فى إيماضِهِ يتهلَّلُ

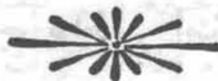
***

ذوى الرَّوضُ، حتى ما تُحيِّيهِ ناضرٌ وأقفرَ، حتى ما يغنِّيه بلبلُ
إذا هاجَهُ سِربٌ مِنَ الطيرِ ناعبٌ تداعى به سِربٌ يرِنُّ ويعوِلُ
يُناشدُ أنفاسَ الصَّبا، يستزيرُها فتأبى، ويستسقى الغمامَ فيبخلُ
إذا ما دَنتْ مِنْ جانبيْهِ، تنكبتْ تحيدُ، ومَرَّتْ خِفيةً تتسللُ

***

سكتَّ، فما تَزهى البلابلَ بالضحى مِراحٌ، ولا يغشى الخمائلَ أخيَلُ
لصَوْتكَ حادى الدهر، إنْ شَفَّهُ الونى وهاديهِ، إن أعيَا على الركبِ مَجهلُ
ولن تنقضَ الأجيالُ ما أنتَ مورِثٌ وإن جَلَّ ما تمتاحُ منهُ وتبذلُ
يزيدُ ويؤتى فضله كلَّ معتفٍ وإنْ لجَّ مِتلافٌ وأفرط مُجزلُ
لجليلكَ فيها نِعمةٌ لم يَجُدْ بها على قومهِ ذو النعمةِ المتطوّلُ
تظلُّ إذا استسقتْ أساكيبَ جُودِهِ تُعَلُّ بمعسولِ النِّطافِ وتُنهَلُ
إذا ما ذكرنا الأولين لواجبٍ مِنَ الحقِّ نقضيهِ، فذكرُكَ أوَّلُ

أحمد محرم





الفردوسى الشاعر الفارسى

ان الاحتفال بمرور ألف سنة على حياة الفردوسى شاعر الفرس الشهير ومؤلف (ملحمة الشاهنامة) فى هذه الأيام قد طبق الخافقين فقام الناس وقعدوا لتكريم رجل فى الشرق من نوابغ الشعراء وجاء الاساتذة والدكاترة من اطراف أميركة الشمالية الى بلاد ايران لحضور المهرجان الذى تقيمه طهران احتفاءً بمولد كبير شعرائها .

والشاهنامة هى الملحمة البديعة التى بقيت أشبه بالياذة أوميروس دستوراً للادب الفارسى وقد عنى الدكتور محمد آغا أوغلو أستاذ الفن الاسلامى فى جامعة مشيغان الاميركية ومدير القسم الشرقى فى متحف الفنون الجميلة فى مدينة ديترويت بهذا الشاعر وتعريفه للغرب بما نشره من المقالات فى الصحف الاميركية جرائد ومجلات وهو صديق الدكتور النطاسى وطنينا وصديقنا لطفى السعدى رئيس معاينة الأمراض الداخلية فى جامعة هاربر (ديترويت) وكاتب البحوث المفيدة فى مجلات أميركة عن الطب العربى وفنونه وأعلامه فرافقه الى بلادنا واقترن بفتاة مهذبة فان سكتت الصحف عنه فقد نطق فضله بآدابه . . وان أهملنا نحن ذكر علمائنا أحياءً وأمواتاً فنشكو أمرنا الى الله الذى يلهمنا معرفة قدر الرجال الذين يجب الاحتفال بهم وهذه كلمتى فى الفردوسى .

توطئة

اتصل العرب بالفرس من زمن قديم ووقفوا على آدابهم واقتبسوا من آثار أفكارهم وبنات أقلامهم . فالفرس أمة قديمة اشتهرت بآثارها وشعوبها وآداب لغاتها كما تدل العاديات المكتشفة والتواريخ المنقوشة على الصخور وفى بطون الاوراق والآجر ، من ذلك كتاب كليلة ودمنة الذى نقله الينا ابن المقفع من الفارسية المعروفة بالبهلوية وهو مشهور ومعروف بأدب القصة وحسن المغزى واجادة السياحة .

ونبغ من الفرس أطباء مثل ابن سينا ، ونُحاةٌ مثل سيبويه ، وشعراء مثل بشار بن برد وبديع الزمان الهمذانى ، ولغويون مثل الكسائى والفراء وأبى عبيدة ، وكتّابٌ مثل ابن قتيبة ، ومؤرخون كالبلاذرى والدينورى والثعالبى ، ومترسلون كالخوارزمى ، وجغرافيون كالاصطخرى وابن خرداذيه ، وفلاسفة كالفارابى والغزالى واخوان الصفا وفقهاء مثل أبى حنيفة النعمان ، ورواة مثل حماد ، وكلهم كانوا من رجال النهضة ولهم مؤلفات وكتب هى مرجع الطلاب ومنتجع الأدباء ولبعضهم آثار أقلام بلغتهم الفارسية مما لامحل لتفصيله ولطالما اقتبس شعراؤنا من المعانى الفارسية وتحدى كتابنا ومؤلفونا أساليبهم ونقلوا أفكارهم وافتخروا بنتاج عقولهم .

نشأة الفردوسى وشاهنامته

كان العصر الذهبي للآداب الفارسية بين القرنين العاشر والحادى عشر للميلاد فأزهرت العلوم والفنون ولا سيما الشعر فنبغ فيه كثير من الشعراء والكتاب والعلماء وبينهم الشاعر العبقرى (الفردوسى) الذى أفقت شهرته وذاع صيته وتناقل الناس آثار أقلامه وبنات أفكاره .

(فالفردوسى) هو نصير الدين الطوسى نسبة الى مدينة (طوس) الفارسية التى أنجبته فوُلد فيها سنة ٩١٦م (٣٠٤ هـ) واشتهر بعبقريته وجودة قريحته وقوة بادرته فى النظم فنال منزلة عظيمة فى عيون القوم وأقبلوا على منظوماته ولا سيما (الشاهنامة) الملحمة الطويلة التى صرف ثلاثين سنة فى تأليفها فضمنها تاريخ ملوك ايران منذ أول عهدهم الى زمن خسرو ابرويز واسترسل فيها الى وصف أساطيرهم وخرافاتهم وخيالاتهم مما يتعلق بأخلاقهم وعاداتهم حتى أجاد ما شاءت بلاغته فى تصوير أصول الدول وشؤونهم والشعب ومزاياه وسرد الحوادث أجمل سرد ببلاغة ورشاقة حتى كانت ملحمته هذه ستين ألف بيت من الشعر الفارسى المتين فكانت أبلغ ما نظم بالفارسية بل جاءت حداً فاصلاً بين الشعر الفارسى الصرف والشعر الفارسى الملمع بالكلام العربى الكثير الشائع إذ ذاك .

وقدمها الفردوسى الى السلطان محمود ابن سبكتكين الغزنوى فذهب المؤرخون فى خبر هذه التقدمة الى رأيين :

الأوّل — أن السلطان الغزنوى كافأه بدينار عن كل بيت فنال ستين ألف دينار وذلك فى أوائل القرن السادس للهجرة .

فرأى الفردوسى الجائزة كبيرة وكان لم يسبق له عهد بمثلها قبل ذلك فاستولى على عقله خبال أدّى الى اختلاله فمات من ليلته لشدة ذهوله .

والثانى — أنه لما قدم ملحمته هذه للسلطان المذكور لم تنل هديته الحظوى لديه فأساء معاملته وفرّ الى بغداد وهجاه بقصيدة بليغة . فاضطر السلطان الى استرضائه باستقدامه اليه نادماً على تسرعه بعدم تكريمه واجازته ، فلم يلبّ الفردوسى طلبه بل مات غريباً عن وطنه وترك ابنة وحيدة له نزل فيها ضيق ذات اليد فأصبحت فقيرة يتيمة .

فلما نمى خبره الى الغزنوى وعرف ما هى عليه ابنته من الحاجة والفاقة أجازها على منظومة أبيها الآنفة الذكر بمال كثير ، على أنها لكبر نفسها ولبرّها بوالدها أرجعت اليه المال آبية التمتع بعد أبيها بمال حظر عليه فى حياته ، فعجب السلطان منها .

عناية الغرب بالشاهنامة

ولما وقف الافرنج على آداب الفرس وعصرهم الذهبي فى ذلك العهد كتبوا مؤلفات عنهم واعتنوا بدرس الشاهنامة وترجمتها والوقوف على أفكارها مع أن جيران الفرس من العرب وغيرهم لم يحفلوا بها ولا احتفوا بها تلك الحفاوة الواجبة لما فيها من البدائع والأفكار الشرقية والصور الخيالية وحسن الانسجام والرصف .

وممن اعتنى بها فى القرن الماضى جول موهل المستشرق الالمانى المتوفى سنة ١٨٧٦ م . فطبعها فى باريس بغاية الضبط والدقة والترتيب فى سبعة مجلدات ضخمة ونقلها الى الفرنسية وذيلها بالحواشى والتفاسير فجاءت آية فى الابداع ووقف الأوربيون على أفكار الفردوسى وحسن تصرفه بالمعانى وسرد الأخبار .

وجاء بعده المستشرق الروسى نيكولا خانيكوف المتوفى سنة ١٨٧٩ فكتب فى آداب الفرس وشعرائهم وأفاض فى وصف الفردوسى وشاهنامته هذه لأنه كان قنصل دولته الروسية فى تبريز فعرف الفارسية وتعمق فى فهمها حتى كشف حقائق غامضة عن الشاهنامة .

وعقبه آخرون فى هذه الدروس من المستشرقين مثل ادورد برون الانكليزى الشهير فوضع كتاباً انجليزياً فى تاريخ آداب اللغة الفارسية ونوابغ الشعراء والكتاب

والأدباء على اختلاف طبقاتهم وفيه تفصيل وافٍ عنهم وعن شاعرهم الفردوسي وملحمته الى غير ذلك مما لا محل للافاضة فيه بهذه اللمعة .

شاهنامة تركية

ولما كان الشيء بالشيء يُذكر نشير هنا الى منظومة تركية لناظمها الفردوسي الطويل باسم الشاهنامة فى عهد السلطان بايزيد العثمانى بلغ عـدد أبياتها المليون أو أكثر على قول أحدهم تحدي فيها الناظم شاهنامة الفردوسي فانتقى منهـا ثمانين مجلداً فأهداها الى السلطان المذكور فلم يجزه عليها بشيء فغادر البـلاد العثمانية الى خراسان آسفاً على ما أصابه من الفشل .

هذا ما رأيت الآن ذكره باختصار من درس مطول لى فى شعراء الفرس بكتابى « التذكرة المعلوفية » ذكرى لهذا الاحتفال والسلام ؟

زحلة (لبنان) **عيسى اسكندر المعلوف**



أبولو والشعراء

قرأت أخيراً فى مجلتكم تحت هذا العنوان كلاماً ، أحسب أن لى الحق فى التعليق عليه ، على الأقل باسم ماترددونه كثيراً من تسامحكم الأدبى ، وافساح المجله لما قد يوجه اليكم من النقد ! وعلى غير عادة أحتفظ بنسخة أخرى من هـذه الكلمة اذ أننى لا أثق كثيراً بما يذيعونه عن تسامحكم وترحيبكم بالنقد .

وأظنكم تعترفون معى أنكم فى بعض ما كتبتم قـد وصلتم إلى مستوى أعلى أسفى وعجزى معاً عن مجاراتكم فيه ، فان أخلاقى التى يطيب لكم الآن — فقط —

أن تغمزوها ، تأبى علىّ الهبوط إلى مستوى الشتائم القــذرة التي هي في متناول كل الأقلام ، ولا يشرفكم ،كما أنه لا يشرف أى إنسان ، أنه يستطيع صف عشرات من هذه الشتائم بعضها بجانب البعض ، كما أننى أعتقد أنها ليست جزءا من البرنامج الواسع الذى تسعى (أبولو) فى تحقيقه ، فهذا على ما يبدو لى أول درس فى برنامج جديد ، أو الدرس الثانى فقد كان لزميلكم « صالح جودت » فضل الابتكار !

وأنا أستعير بعض سماحتكم وترفعكم ، فأتسامح وأترفع عن التعليق على هذه الشتائم ، وأبيح لكم ولمن تبيحون لهم صحيفتكم ، أن تتناولونى بشتم جديد على حساب الأخلاق الفاضلة إذا عنّ لكم ، فحينما نصل المسألة إلى تبادل كلمات « الصفافة » ومثل سيد قطب ، والحاجة إلى عرفان الأدب الاجتماعى ، حينما تصل المسألة الى تبادل مثل هذه الكلمات تخرج من الأدب والمجلات الأدبية إلى مجال آخر يتسع لهذه الألفاظ !

ويبقى إذن بعد هذا أمران قد يكونان « أنظف » من تلك القـذارات وهما أن مجلة (أبولو) عرفتنى للناس ، وأننى أتظاهر بمظهر المقصود المرجو الذى يهم الأدباء اراؤه و نقده .

فأولاً أريد يا سيدى أن تذكر ، وأن يذكر كذلك أولئك الذين يتبرعون بمعونتكم كلما ظهر لكم خصم أن أول قصيدة نشرتها لى « أبولو » لم أكن قد أرسلتها اليها ، ولكنها نقلتها عن « الأهرام » . وصحيفة الأهرام ، ولا شك، توزع أعداداً لا تقل عما توزعه أبولو !

وأود أن تذكروا كذلك أنها لم تكن أول قصيدة بالأهرام ، كما أنه قد سبقها ما نُشر منذ عام ١٩٢٤ بالبلاغ اليومى والأسبوعى وكوكب الشرق والوادى والمصوّر وسواها من الصحف التى لا يقلّ ما توزعه عن مجلة أبولو الواسعة الانتشار !

وأثقل عليكم بأن تتذكروا أننى لم أنشر فى أبولو الا ثلاث قصائد بعـد ذلك ثم امتنعتُ عن النشر ، مع تكرار طلبكم لبعض المقطوعات ، وقد رأيت لأشياء خاصة لاحظتها فى جوّ « أبولو » ألاّ أنشر فيها شيئاً ، كما منعتنى هذه الأشياء نفسها أن أقبل الانضمام إلى جماعة أبولو — مع تكرار دعوتكم لى أيضاً — أظنكم تنكرون ذلك بعد ما صرحتم أنتم به أمام بعض الاخوان ومنهم زميلنا عبدالعزيز عتيق .

وإذن فالفضل الذى تريدون أن تعرفوه لأپولو علىّ ، آسف لأننى لا أستطيع أن أتشرف به .

بقى أننى أتظاهر بمظهر المقصود المرجوّ الذى يهم الأدباء آراؤه ونقده وما أريد أن أقص عليكم شيئاً من الخارج ، ولكننى أريد أن أذكركم بعدة حوادث وتصريحات لكم شخصياً ، وأنا متنازل عنها إذا خطر لكم أن تصدروا عنها بلاغاً رسمياً كالبلاغات التى نشرتموها فى كلمتكم الأخيرة تقولون فيه « غير صحيح بالمرة » فهذه خطة لا تكلف أصحابها شيئاً !

أريد أن تذكروا أنكم رجوتم فى إلحاح - أن أكتب دراسة لديوانكم (أطياف الربيع) وأنكم أرسلتم لى الكتاب فى أثناء طبعه « ملزمة ملزمة » لدراسته ، ولكنى لم أستطع أن أنهض بهذه المهمة .

وأن تذكروا كذلك أنكم طلبتم مثل هذا الطلب — فى تلميح هذه المرة — عند إعادة طبع ديوانكم الأول « أنداء الفجر » فاعتذرت لكم بأننى أفضل الكتابة بعد ظهوره فى الصحف ، وإن كنت لم أستطع أن أنهض بهذه المهمة كذلك .

وأن تذكروا انكم عرضتم علىّ مرات أن أقوم بدراسة لمؤلفاتكم واكتب عنها محاضرة كالتى ألقيتها عن العقاد ، وبعض هذا العرض كان مرات أمام زميلنا « فايد العمروسى » فى دار مجلة أپولو ، حتى لقد هممت أخيراً أن ألبى هذه الرغبة الملحّة وأن أدرس آثاركم جميعاً وأخذت فعلاً فى هذه الدراسة على كثرة ما يصرفنى عنها .

وأن تذكروا أيضاً انكم أشرتم الى أن أكتب دراسة عن « الألحان الضائعة » لزميلكم الصيرفى لتطبع بالكتاب ، وأن هذه الاشارة كانت لزميلنا عبدالعزيز عتيق وقد أبلغنى إياها ، وعبدالعزيز أصدق منى ومنك على أقل تقدير فى هذا الموضوع ! ولابد أنك تذكر يا دكتور حكاية الاعلان الذى كنت قد نشرته عن مجلتكم « أپولو » فى الأهرام ، فاذا بى أجده فى مجلة « الامام » منشوراً بامضائى وتذكر اننى غضبت لهذا التلاعب ، وقلت لك : إننى لست من عشاق الامضاءات الذين يوقعون على كل ما هبّ ودبّ لتنشر أسماؤهم وتذكر ، ولا شك ، ما حاولت أن تسترضينى به من أنكم تعتزون بمثل هذا التشجيع الكريم وتودون تكرار الكلمة ، وأن هذا هو الذى حملكم على اعادة نشرها بامضائى ، ويمكنك أن تستعين بذاكرة الزميل محمود حسن

اسماعيل » إذ الظاهر يا دكتور أن الصيف وحالة « أبولو » التى بسطتها لمعالى وزير المعارف تؤثر على ذاكرتك وأعصابك فى هذه الأيام .

***

وبعد هذا يا سيدى الدكتور فانى كنت أود لك ، ألا يخونك قلمك فتهوى إلى مثل هذا المستوى ، وأن تظل مالكاً لأعصابك ، متظاهراً بما ظللت تتظاهر به من التسامح والبعد عن المهاترات .

ومهما كان أثر كلمات « معركة النقد » وما خشيتم أن تحدثه من تعويق لكم فى مطالبكم أمام معالى وزير المعارف — كما صرحتم لبعض الزملاء — فانه لم يكن ذلك فى حسابى ولم أرم اليه ، ولم يكن يجمل بكم أن تنفعلوا هذا الانفعال ، وأنا لا زلت أتمنى لكم هدوء الأعصاب وانتظام الميزانية لخير الأدب ، ومعونة وزارة المعارف والسلام عليكم ورحمة الله ؟

سيد قطب

***

(لا يا دون كيشوت[1] ! نحن لن نُحجم عن نشر أدبك البارع فهو فريدٌ فى طرازه وقد ينتفع به سرفانتس آخر ، وإن كنا نحجم طبعاً عن نشر ما هو أخصُّ لأنه يهمنا أن لا تُفسد عليكَ مظهرَ البطولة التى فتنتكَ أنتَ وزميلك السيد فايد (سانكوپانزا) . . . .

حقيقةً نحن آثمون فى أن ننسب اليك أيها البطل طبيعةَ الصَّفاقة ، فانما هى شجاعتك الباهرة فى قلب ما نظنه نحن حقائق ، لأن . نظرك الثاقب يرى غيرَ ما نرى وقلمك الجرىء يؤمن بمذهبك الحكيم : « إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت » ! . . وما الحياء فى مذهبك الحكيم إلاَّ نوعٌ من الرذائل القديمة ، وما الصدق المألوف فى فلسفتك الجديدة إلاَّ هذرٌ فى هذر ، ولا شك فى أنك مصيبٌ فى كل هذا بدليل انتصاراتك الباهرة وآخرها معركة الطاحونة الشهيرة ! ولعلها ما جعلتك تمرح فى الأوصاف النقية التى تزدان بها رسالتك المهذبة الأصيلة .

---

(١) تطلب سيرة دون كيشوت بالعربية من المطبعة السلفية بشارع اللبودية بالقاهرة .

إنّ مجلة « الأسبوع » الغراء ميسورة وكذلك عدد « أبولو » الماضى فليراجعهما القرّاء ليروْا إذا كنّا تجنّينا عليك فى شىء ، أو أننا بعد حِلمٍ طويلٍ وبعد تنبيهٍ صريحٍ لك دافعنا عن شرفنا لحسب ازاء تفننك المدهش فى اختراع الاتهام . ولكن عذراً لغباوتنا ، إذْ كان يجب أن نقدّر على أىّ حال أن اتّهامك لا مِرية فيه ، وأنّ مجرد تنازلك لاتهامنا بأخسّ التّهم هو تشريفٌ أكيدٌ لنا ! ألستَ دون كيشوت المظيم ؟!

نحن لم نطلب منك أيها العزيز أن تكتب شيئاً مطلقاً عن أى مؤلَّف من مؤلفاتنا فنحن لم نحلم أبداً بمثل هذا الشرف من تلقاء أنفسنا ، ولكنك أنتَ العظيمُ الذى تفضّلتَ بعرض ذلك ، وألححتَ فيه تكراراً ، وتمّقتْ لنا أحاديثُك ما شاء كرمك من تقاريظ كثيرة لدواعٍ نبيلةٍ أنت أدرى بها ، ولكننا لغباوتنا وسخافتنا لم نعرف كيف نتتفع بهذا الفضل ، كما لم نتتفع بتلك التقاريظ الكثيرة والدراسات التى تحت أيدينا ممن يدعون غروراً أنهم أفضلُ منك . . .

كذلك لم نطلب منك أيها العزيز أن تكتب شيئاً عن « الألحان الضائعة » وقد خانتك ذاكرتك تماماً وفاقاً لقانونك الأدبىّ الجديد ! لقد صدر هذا الديوان بعد أن كشفتَ عن شخصيتك النبيلة فى مجلة « الأسبوع » على أثر اعتقادك بأن كلاّ من « الإمام » و « أبولو » قد انتهى أمرُهما ، وكلُّ ما وقع منا أننا رجونا صديقنا الشاعر عبد العزيز عتيق أن يوافى « الأهرام » بتصديرنا للألحان الضائعة من باب التنويه بهذا الديوان الجديد قياماً بالواجب نحو زميل نابه . ولكن لابدّ أننا غير صادقين ما دمتَ أنت تقول ذلك أيها البطل !

نحن لا نمنّ عليك يا دون كيشوت فالمنُّ ليس من خصالنا ، ونحن نقرُّ بصراحة أنك كمعلمك الشهير من أصحاب الفضل على الجميع وليس لأحدٍ فضلٌ عليكما أبداً ! وصحيح أن مجلة « أبولو » نشرت قصيدة لك عن « الأهرام » وعُنيتْ بالتنويه بها تنويها فنياً استأهل تنازلك لشكرنا بعد أن كان شعرك مغفلاً فى البيئات الأدبية ، ولكن من حقك طبعاً إلغاء هذا الشكر ففروسيتك تقضى بذلك الآن بعد أن انقضى الزمنُ الذى كنا نتوسط لك فيه بالخير عند رئيس تحرير « الأهرام » وهذه (أبولو) عرفت بأدباء يقال إنهم أفضل منك كثيراً ، ولكن هذا القول هو بلا شك هراء فى هراء !

وأما عن ترشيحك فى « جمعية أبولو » أيها العزيز لخلوّ مركز أحد شعراء

الشباب فأمرٌ اعتيادى لم نذكره لك إلا مرة ، وأكبرُ معناه تسامحنا واحترامُنا لشتى البيئات الشعرية ولا نعرف له معنى بعد ذلك ، ومع هذا فتفسير دون كيشوت لابدًّ أن يكون هو الأرجح والأصوب ... واذا بُلِّغ دون كيشوت شيئاً بصفته محرراً فى جريدةٍ محترمةٍ كما يبلَّغ غيره (وجميعُ محرريها بحمد الله من أصدقائنا) وجبَ أن نعتبر احترامه هو الأصل ، وأما الجريدة العظيمة فتابعة له كما يقضى بذلك المرسوم السكيشوتى! ولابد أن يكون هو المقصود لذاته دائماً فهو ربّ الشأن أولاً وأخيراً!

وأما عن كلمتك فى « الأهرام » عن مجلة « أپولو » فصحيح أننا قلنا إننا نعتز بها ما دامت من صديق ، وقلنا ذلك باخلاص أكيد وتقدير لمحبتك الظاهرة لنا ، ويؤسفنا أننا كنا مخدوعين فى ذلك أو على الأقل برهنا على أننا لسنا أهلاً لطراز صداقتك العالية وفلسفتك الأخلاقية العالية التى تجعلنا نرى العالم كالجمجمة المنخوبة على رأى استاذك الجليل الذى تعمل لحسابه ضدّنا . ولو أن لنا بعض النفوذ لاقترحنا على وزارة المعارف التى أصبحتم من رجالها الأفاضل أن تسند اليكم تدريس مذهبكم العبقرىّ الجديد فى « الأخلاق » فى الجامعة فليس أقل من ذلك جديراً ببطلنا دون كيشوت !

وأما عن توجُّهنا الى صاحب المعالى وزير المعارف فلا شأن له بحملاتك العبقرية ومعاركك الدموية ، فهما أصابنا منها فلا حرج علينا اذا قابلنا معاليه مجروحين مثلومين ، فمَن نكون نحن بجانبك يا دون كيشوت ؟! ولكننا بحمد الله غير مثلومين ، فى شىء وقد تعففنا عن الكشف عن جراحاتك ــ جراحات البطولة طبعاً !

وبعد ، فثق أيها العزيز أن كل من خبرك خبرة كافية بل كل عاقل لا يحمل لك غير الشفقة وحبّ الخير ، ونرجو من عظمتك أن تتنازل فتعدّنا بين العقلاء وحينئذ نجعل هذا الردّ آخر ما بيننا وبينك ، فحرامٌ أن نقسو عليك ونشدّ أذنك أكثر من اللازم أو أن نُشغل القراء بقصص بطولتك ومغامراتك بينما نريد اجتذابهم الى الشعر والأدب الحىّ ، وإن كانت شخصية دون كيشوت ومعاركه بلا شك أمراً خطيراً فى هذه الدنيا المقلوبة . وما نود أن نتدلى فنشرح حقائق هذه المعارك الوخيمة وعناصر بطولتك تفسيرا لما نعتّه بالقاذورات ونحوها ، وتيسيراً لشرّاح أدبك فى المستقبل ، وفى مقدمتهم الشاعر الناقد صالح جودت الذى خصصته باشارتك فان لنا فى الأدب رسالة غير كل هذا ، والسلام ــ المحرر) .



تكريم زكي مبارك

أشرنا من قبل الى تكريم الدكتور زكى مبارك فى القاهرة تكريماً باهراً لإصداره كتاب (النثر الفنى فى القرن الرابع) الذى لا يُعَدُّ كتابَ العامِ فحسب بل الكتاب الممتاز من طرازه منذ أعوام . وقد أبت الاسكندرية إلاَّ أن تساهمَ فى الحفاوة بنبوغه الأدبى فأقامت له (جماعة الأدب المصرى) حفلةً شائقةً فى مسرح نادى موظفى الحكومة مساء يوم السبت ٨ سبتمبر الماضى ، وانما قامت بهذا الواجب الذى اشترك فيه أكثر من شاعر لثلاثة اعتبارات : أولها أن مؤلّف الكتاب أديبٌ مصرى ممتاز ، وثانيها أنه لم يفته فى كتابه نقد جانب هام من الأدب المصرى فى ذلك العصر ، وثالثها أنه عالج كذلك نقد الشعر والمقارنة بينه وبين النثر الفنى فاستأهل من أجل هذا حفاوة الشعراء بفضله .

وقد كان طابعُ الحفلة الاخلاصَ الشديدَ والصدقَ الأكيدَ والاعجابَ الصحيحَ ، وهى صفاتُ المخلصين من أصدقاء الأدب .

وكان أوّل المتكلمين فى هذه الحفلة الباهرة الأديب على محمد البحراوى سكرتير (جماعة الأدب المصرى) فأشار الى أن التكريم هو نوعٌ من النقد وأن المؤلف لا يُكرَّم إلاَّ بعد أن يكون النقدُ الأدبى قد انتهى من تصفيته والحُكم بوجوب تكريمه . ثمَّ تكلَّمَ عن أدب زكى مبارك وشمائل تصنيفه الجليل والمعيَّته الحقَّة ، واغتباط (جماعة الأدب المصرى) بالنيابة عن أدباء الاسكندرية بتنظيم هذا الاحتفال .

وألقى بعده الشاعر عِثمان حلمى قصيدةً عصماء جاء فيها :

ما على القائلين أحسنتَ عيبٌ لمجيدٍ ، والعيبُ عند مَلامه
غيرَ أنَّ الحسودَ آلَمُ قلباً مِنْ فؤادِ المحسودِ رغمَ سقامه



الدكتور زكي مبارك وسط لجنة المحتفلين به من الأدباء في الاسكندرية قبل ابتداء الحفلة

ما له لا يَرَى الضياءَ بطرفٍ أظلمَ الحقُّ فى دُجى إظلامِهْ
دونَه لو رأى الضياءَ كتابٌ تتجلَّى الجهودُ فى أحكامِهْ
هو ذخرُ الأديبِ لو شاء ذخراً وهو يكفى لو كان كلَّ حطامِهْ
كرِّموا النابغين فى الشرقِ حتى يتجلَّى بانيهِ مِنْ هدَّامِهْ

ثم ألقى بعده الأديب على حافظ من أعضاء الجماعة ومن رجال التعليم خطبة قيمة تكلم فيها عن حياة مؤلف (النثر الفنى) فى الأزهر وفى الجامعة المصرية وفى جامعة باريس ، الى أن قال : « وقدَّم الى السوربون رسالة لنوال الدكتوراه فنالها بتفوُّق يشهد له بالنبوغ ، وكانت رسالته الأولى من نوعها وهى كتاب (النثر الفنى) الذى يجلّ الوصف عن حصر معانيه بل يقصر البيان عن تبيان محاسن مراميه ... ذلك كتابٌ سلخ المؤلفُ سبعَ سنين فى تأليفه هى من أنضر أيام حياته ، وكلُّ أمله أن يصوغَ لعالم الأدب درّةً ثمينةً فى تاريخه فبذل جُهدَ الجبابرة ودأبَ على مواصلة العمل دون كللٍ أو مللٍ حتى وُفّقَ الى نوال ما كان يصبو اليه » .

وتبعه الشاعر عبد المعطى حجازى سكرتير لجنة الاحتفال فألقى قصيدة ممتعة طويلة .

ثم ألقى بعده الشاعر محمد فضل اسماعيل قصيدة رائعة فى تقدير المحتفل به ، ثم تبعه الدكتور أبو شادى باستعراضٍ شاملٍ لمواد الكتاب ومزاياه معرّفاً بمكانته الأدبية الفذّة .

ثم تكلم الأديب كليم أبو سيف سكرتير لجنة القاهرة الذى لم يتمكن سابقاً من حضور حفلة العاصمة بسبب مرضه ، فكانت كلمته آية فى الوفاء لصديقه المحتفل به ونفاذاً الى معانى أدبه .

وأخيراً تكلم المؤلف الفاضل فشكر أدباء الاسكندرية وعدّ حفاوتهم الكريمة كما عدّ من قبل حفاوة أدباء القاهرة به مؤاساة روحية له فى كفاحه الطويل لخدمة الأدب . ونوّه بفضل الشعب المصرى الذى لا يفوته تقدير المخلصين العاملين إن عاجلاً أو آجلا كما يدلّ تاريخ نهضته الوطنية . ومما زاده غبطة أنه لا يعرف من الخطباء السكندريين سوى سكرتير الجماعة ، فرابطة هذا الاحتفال إذن رابطة أدبية محضة عنوانها الاخاء الأدبى الخالص ولو على غير معرفة شخصية بحضرات الأدباء المحتفلين به .

وقبل انتهاء الحفلة قدم سكرتيرها بالنيابة عن أدباء الاسكندرية الى المحتفل به لوحة

فنية كتبَ فيها اسمَ المحتفل بالخط الكوفى الأديبُ محمد حلمى مدرس الرسم بمدرسة طاهر بك الاميرية بالاسكندرية ، كما قدَّم اليه الطبعة الفرنسية والطبعة العربية من كتابه مجلدة تجليداً فاخراً ، قائلا إن (جماعة الأدب المصرى) لم تجد أجمل ولا أكرم منهما هديةً لائقةً بالاهداء اليه . وفى يوم الاحد ٩ سبتمبر أعدَّ الأديب اسماعيل برعى وليمة غداء شهية لأدباء العاصمة عند الشاطىء حيث استوحى الدكتور زكى مبارك ذكرياته الشعرية العزيزة فى قصيدته « بعد فراق الشاطىء » المنشورة فى ديوانه .



البشبيشى الشاعر

فقدت أسرةُ (أبولو) فى هـذا الشهر (سبتمبر) عضواً من خيرة أعضائها الشباب ألا وهو الشاعر محمـد أبو الفتح البشبيشى صاحب قصيدة « فى ليلة ... » (أبولو ، م ١ ، ص ٧٧٤) التى كأنما كان يرثى فيها نفسه المتطلعة الطموحة ويرثى معها حظَّ النبوغ فى هذه الدنيا . وهذه النزعة الحزينة منعكسة كذلك فى ترجمته لمرثيةٍ عن شكسبير (أبولو ، م ١ ، ص ١٠٠٨) .

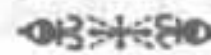
وقد كانت لوفاته رنّةُ حزنٍ عميقٍ فى (ندوة الثقافة) ، ولا عجب ففضلُ المرء لا يقاسُ بسنهِ ، وإن النبوغ المبكر المقترن بالأخلاق الفاضلة والفكر الرَّزين لمما يُحسّ فقدانه بألمٍ ممضٍّ عميقٍ .

وفى مجلدىْ (أبولو) الماضيين نماذج مختلفة من شعر البشبيشى تتجلى فيها القوةُ والجراءةُ ، وهى كافية لأن تدحضَ ما يقوله جزافاً بعضُ شيوخ النقاد من أن شعر الشباب فجٌّ وبعيدٌ كلَّ البعد عن عناصر الإرضاء ، فالحقيقةُ أن ما يظهر لشعراء الشباب فى هذه المجلة يتسم بالنضوج ، بل كثيرٌ منه يبتدىء حيثما انتهى شعرُ فريقٍ من شعراء الشيوخ ، وهى حقيقةٌ يعترف بها كلُّ ناقدٍ مستقلٍّ نزيهٍ

بعيدٍ عن التيارات العدائية الموجَّهة الى (جمعية أبولو) ومجلتها ، وهى تيارات ما كان يجوز وجودُها لولا الأنانيـة التى تجنى على جميع مظاهر الحيـاة فى مصر وتُضحك العالم منا !

ولذلك أنجزُ فى الوقت الذى أعزّى فيه آل الفقيد الكريم بالنيابة عن « ندوة الثقافة » فأشير عليهم بطبع مجموعةِ شعره تذكاراً لهذا الأدب اليانع الذى اختطفته قسوةُ المنية اختطافاً قبل الأوان وفجعتنا فيه ؟

محمد عبد الغفور
(مراقب ندوة الثقافة)



الشعر الفرنسى الحديث

فى مقالةٍ شائقةٍ للأديب الناقد دافيد جاسكوين استرعى انتباهى ماذكره عن التوجّه القوىّ فى الشعر الفرنسىّ الحديث الى استمداد النّبع الشعرىّ من عناصر اللاعقلىّ irrational وتحويلها الى أدبٍ إنشائىٍّ . وقد يكون هـذا الأدب أحياناً منسّقاً فى نشيد غنائىٍ مختار الألفاظ الموسيقية ، ولكنه غالباً يتابع الأخيلة التى تفاجىء الشاعر مدفوعةً بقوة اللّبيد فيصوّرها بالالفاظ الشعرية التى توحيها ارتجالاً فى غير تعمّدٍ للاختيار ، وهكذا تأتى كحُلمٍ متوالٍ حتى يبلغ غايته الطبيعية . وهذا يفسر ماتحتويه هذه القصائد الجديدة المطبوعة من أخيلة الشهوة والموت والنار ونحوها ، كما يُفسّرها نظمُها الفطرىّ الحرّ الذى يجعل الشعر فنّاً طليقاً لاصناعةً مقيدةً ؟

عبد الفتاح فرحات



ذكرى بلاكوود

فى السادس عشر من شهر سبتمبر سنة ١٨٣٤ تُوفّى الأديب الناقد والناشر الايقوسىّ الشهير وليم بلاكوود الذى اشتهر بحملاته على الشاعر الوجدانى العظيم

وليم كيتس فى (مجلة بلاكوود) حتى أنه نُسِبَ الى تلك الحملات القاسية الأثر السيء البليغ على صحة كيتس فعاجلته المنيةُ فى شبابه ، وقد أشارَ الى ذلك شيلى فى قصيدته « أدونيس » .

ولكن بلاكوود - برغم جريرته هذه - كان كثير الحصافة فى آرائه النقدية ، وكان عظيم التشجيع للناشئين من المؤلفين والشعراء ، فكان ينشر لهم الكثير من التصانيف والدواوين التى كان يعدّها شيوخ النقاد فى لندرة فجة لا تستحق النشر ولا الالتفات اليها ، والتى كان يتبين هو محاسنها بروحه الفنية الحرة . وبذلك خدم الحركة الأدبية فى بريطانيا أعظم الخدمات فى القرن التاسع عشر ، فتنوسيت إساءته العظيمة الى كيتس بجانب تلك الحسنات الباهرة التى أخرجت الى عالم الادب عشرات من الادباء الموهوبين المغمورين . ومن أجل هذا كان قدوةً صالحةً ووجب على محبي الادب الذين طالما نعموا بحسناته تلك أن يحيوا الآن ذكراه لمناسبة مرور قرن على وفاته ؟

أحمد محمد مظهر

رسائل النقد

أُخذ على كتاب « رسائل النقد » مآخذ طفيفة لم تمسّ الصميم ولم يتعرض ناقدٌ لمادته : من ذلك أنّ ماورد بالفصل الأول يخالف الوقائع . أقول أولاً إنى لم أسردها سردَ الحقائق ولكن سُقتها سياقَ القصة ، وثانياً ذُكر فى مقدمة الكتاب انها خيال فى حقيقة ، وثالثاً كيف تكون هذه المحادثات الطويلة حقيقية ؟ فهل يمكن أن يذكرها أحد أصحابها ؟ وهل يفهم بالبداهة عنها إلا أنها خيال ؟ ورابعاً يفهم الأديب أن هناك جوهراً وعرضاً فالعرض هو الصبغة القصصية الساذجة كالمحادثات والوقائع التافهة والتواريخ المتعلقه بالوقائع التافهة ، والجوهر هو الحالة النفسية والعلمية التى كان عليها العقاد فى ذلك الوقت أو فى شرخ نشأته الادبية . قد يحسب بعض الادباء أن تاريخ مقابلة شكرى والعقاد له خطره إذ يميط عن العلاقة الادبية بينهما . وليس للتاريخ ذلك الخطر . والأجدر بالتفات الباحث الناقد هو أنّ ديوان شكرى الاول طُبع سنة ١٩٠٨ وديوان العقاد سنة ١٩١٦ ، فشكرى هو السابق والعقاد يتأثر خطاه

ويقلّده . وأمام مآخذ العقاد الكثيرة من شكري التي أوردتها في كتابي يرى الناقد نفسه حيال أمرين : الأول أن يسلم بسطو العقاد عليه وهو الواقع ، والثاني أن يتسامح ويتغابى فيقول إنه تأثر به وانفعل بفنه وأفاد منه .

وأمّا أن يقول الناقد إن العقاد ليس بتلميذ شكري ولم يسرق منه لأنه لم يعرفه معرفة شخصية الا بعد صدور ديوانه الأول فدفاع مردود بداهة ، فاني أسلم بداهة بأن العقاد لم يعرف شكري في السنة التي عينتها بل عرفه في سنة أخرى بل لم يعرفه مطلقاً ولم تقع بينهما جفوة ... فهل هذا يدفع عن العقاد تهمة السطو ؟!

وانه لواضح لكل أديب فنان أن الفصل الأول فني محض لم أرد به ذكر ماضي العقاد الأجوف من حيث يبعد عن مقصدي تنقصاً له وإقذاعاً ، وانما أوردته على سبيل قصة فيها نداوة وهوادة عليه أردت بها تحليل نفسه والمازني فاقتصرت من حياة العقاد على أقل قدر ، إن لم يكن حدث في السنة التي عينتها فقد حدث في غيرها ، وانسقت الى ذكر المازني لارتباطهما معاً . وأفاجيء القاريء بأن ما ذكرته عن المازني قد أخذ من فم العقاد نفسه ! وبرهاني في يدي وهو أن العقاد يشفع تنقصه للمازني ونيله منه (وذلك في مجالس عامة ينقل الينا حديثها بعض أصحابنا) بذكر أمور لا يعرفها إلاَّ هو والمازني وأخصّاؤهما : منها قول العقاد عنه ما ذكرته في « رسائل النقد » ، ومنها ادّعاؤه أن المازني يأخذ حديث العقاد إذا تحادثا فيصوغه مقالاً يفخر به ، وأن صديقاً لهما يبحث عن كل مقال يكتبه المازني فيجد له أصلاً في الكتب الأجنبية وأنهم يسمونه من أجل ذلك « قلم المباحث المازنية » ، ونسب اليه مثالب أخرى لا أستصيب ذكرها . فأنا أخذت إذن من فم العقاد صفة المازني ، حتى كتب المازني مقاله واعترف بفضل شكري عليه وإساءته إلى شكري وندم عليها ، وانه لخاق نبيل وهامة نفس مصرية . وأما إنكار شكري فضله على العقاد فقد أراد به نفي سعاية الساعين بينهما الذين اغتنموا هذه النهزة لمآرب لهم أخر . وأمّا بعض الحدّة التي وردت في كتابي فكيف لا يصفح عنها كلّ من استوعب هذه القصة وفطن إلى حرمان الأدب العصري من آثار شكري بسبب تلك الحملات الأثيمة ؟

رمزي مفتاح

عبد الرحمن شكرى

لا يستطيع الأديبُ كتمَ اعجابه بالشاعر عبد الرحمن شكرى لمناسبة ما كتبه فى الصحف متبرئاً من أىّ فضل له على زميليه العقاد والمازنى حتى ولافضل « عريف القرية المفضول » ناسباً لهما وحدهما خلود الذكر والعلم السابق والمواهب الأصيلة الخ . الخ .، معلناً أنه تنحّى عن الاشتغال بالأدب نحو سبعة عشر عاماً زهداً فى الجوّ الأدبى المتشبّع بالكيد .

ومن الظلم أن توصَف هذه الروح بالضعف فانما هى روحٌ متصوّفةٌ ساميةٌ وقد لحظتُ ما يماثلها عند الشاعر خليل مطران : فبقدر ما كان المرحوم شوقى بك يتحدث لنا فى مجالسه عن فضل مطران العظيم على الشعر العصرى وعلى جميع الشعراء النابهين كان مطران يتبرأ من ذلك كلّ التبرؤ ، وحتى من أىّ فضل له على تلاميذه ، حتى ليكاد يجعلك تتخيل أنه هو وحده المدين بالفضل للجميع !

ومهما يكن من شىء فهذه الروح المتجردة المتصوفة أفضل عندى ألف مرة من روح الادعاء والكبرياء المصطنعة التى سمّمَتْ الجوّ الأدبى ، وخلقت الضغائن والحزازات ، وعملت على تسخير قوى الشباب للتطبيل والتزمير حول هذا الأديب أو ذاك بدل الأدب الانشائى الجدير بكرامتهم . أمّا نقادُ الأدب ومؤرخوه الأُمناء فيعرفون جيداً ما هو فضل شكرى وما هو فضل مطران على الأدب العصرى وعلى زملائهما وتلاميذهما وما أثرهما البعيد فى تكييف الثقافة الشعرية الحديثة ، وإنْ تبرّءا هما من هذا الفضل وعكسا الآية .

وبعد ، فلا يحسن بنا السكوت على ملاحظة أبداها شكرى بشأن الكيد فى الجوّ الأدبى ، لأنى أعتقد أن هناك من البيئات الأدبية ما يترفع عن ذلك كبيئة (أبولو) وبيئة (جماعة الأدب المصرى) ، وان من الخسارة الأدبية العظمى أن يستمرّ شكرى على هذا التنحّى الذى لم يبق فى اعتقادى أىّ موجبٍ له ؟

على محمد البحراوى

* * *

(نلاحظ مع كثير من السرور أن من نتائج النقاش حول شكرى والمازنى والعقاد أن عادت أخيراً المودة بينهم الى سابق عهدها . وقد فهمنا أنّ شكرى لن يحجم

عن نشر شعره الحديث متى وجد أنّ الظروف مواتية لذلك ، ولعل هـذا يتحقق فى المستقبل القريب . وهو يلاحظ أنه أولى بالأدباء والنقاد أن يقتلوا شعره القديم دراسةً ونقداً قبل أن يطالبوه بنشر شعره الحديث ، وهو يرى أنّ الأديب المحترف أوْلى بأن يُقدَّم على الأديب الهاوى لأنه أقدر من الثانى على خدمة الأدب . وقد كان شـكرى وما يزال محباً للعقاد وللمازنى برغم ما حدث بينهم ، فمن اللياقة إذن أن نقفل باب النقاش حولهم مادام قد انتهى الى هذه النتيجة السارة التى يغتبط لها جميعُ محبى الأدب والتى نرجو من ورائها الخير للأدب ذاته ، ويسرنا كثيراً أن يكون لنا أثر فعّال فى بلوغ هذه الغاية الحميدة — المحرر) .



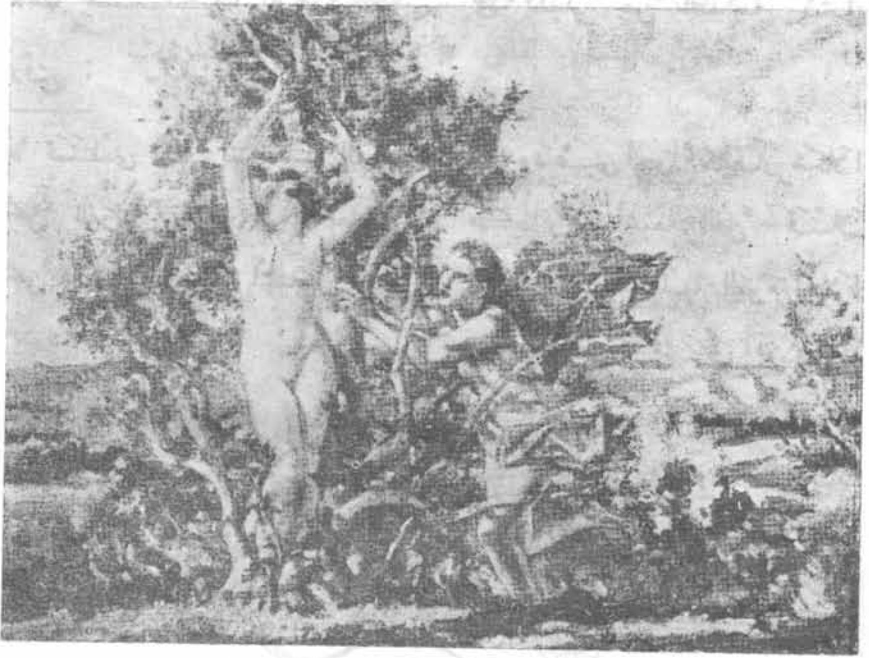
أبولو ودفنى

(دَفْنى هى الحوريَّةُ الحسناء التى أحبَّها أبولو إلـهُ الشعر ، وقد تبعَـها فلمـا أدركها استحالت الى شجرة الغار [1])

أبولو

يا حياةَ الفُـنونِ ! ياحُسْنُ ! مَهْـلاً ! لستُ للصَّدِّ يا مُمَـلَّكُ أهـلاَ
ها أنا عبدُكَ الذى يُنْشِدُ الشّعْـ ـرَ مَعانيكَ ، فامنحْ الشعرَ وَصْلاَ
أنا لهفـانُ يا جمالُ ، ولـكنْ لهفتى كالصلاةِ مَغزًى وأصْلاَ
لا تَخَفْ يا جَمالُ ! لستُ سوى الحا نى على سِرِّكَ المَصُونِ المُعَلَّى

(١) عن ديوان (فوق العباب) الذى يطبع الآن.



(أبولو ودفني — من تصوير الرسام دي جلن W.G. De Glehn فى الاكاديمية الملكية بلندن)

كيف تخشى تهافُتى ؟ كيف تأبا ... نى حبيباً ؟ وهل ترى الصدّ سهلا ؟
كلُّ إعجابىَ الذى أنتَ تخشا ... هُ ورُوحى عواطفٌ تتملّى
قد يرَاها الجُهّالُ معنًى سقيماً ... ومِنَ الغَبْنِ أن تُطاوعَ جهلاَ
كم أباحُوا الحرامَ باسمِ حلالِ ... وأباحوا عجائبَ الظُّلمِ عدْلاَ
لا تُصِخْ يا جمالَ (دَفْنِى) اليهمْ ... أو تَذَرْ هذه العواطفَ قتلى
هى دُنيا النّفاقِ يا حُسْنُ لا تَرْ ... ضَى عن الفنّ مخلصاً مُستقلاً
عابداً فيكَ عبقريّتكَ العُظْ ... مَى ، ومستوحياً سناها الأجلاّ
تَدّعى لهتى إباحيّةَ الجا ... نى وتَنْسَى لها خداعاً وختْلاَ
كلُّ شوْقى إليكَ يا حُسْنُ ألحا ... نٌ وأنتَ الخُلُودُ نُوراً وظِلاّ
كلُّ شوْقى إليكَ معنًى مِنَ الفنّ عزيزٌ ، ومِنْ جنى النَّحْلِ أحْلَى
ليسَ فيهِ خُشونةٌ أوْ ضَلالٌ ... بل هو(الذَّوْقُ) ما بَنَى الكونَ قبْلاَ

قاطفاً مِنـــــــكَ للوجُودِ نعيماً في نشيدٍ مِنَ القداسةِ يُتْلَى

دفني :

لا تَنَـلْني الأَ لتتويجك الفخـ ـمِ ، ودَعْـنِي أحولُ كالفَارِ شكلاً !

نحنُ للفنِّ ، غير أنَّا نُعادَى كعدوَّين أشبعا الفنَّ قَتْلا

نحنُ في عالَمِ الحياةِ غريبا نِ ، فيا بِئسَ أهلُها اليَوْمَ أهلاً !

أحمد زكي أبو شادي



الزورق الحالم

(القصيدة الاولى من الديوان الموسوم بهذا الاسم وهو الآن تحت الطبع)

إلى الضفافِ البعيده يا زورقي الذهبيّ

إذهبْ بروحي السعيدهْ لِوَكْرِها الأبديّ

على تخومِ الوجودْ !

***

سَكِرتُ مِن جامِ شَعْرٍ يَرِفُّ بين شِفاهي

وتِهْتُ مِن فيض سِحْرٍ يهفو كوحيِ الإلَهِ

بالنورِ والظلِّ يصفو في حُسنهِ المتناهي

***

مالتْ عَلَيَّ برأس مُكلَّلٍ بالنُّضارِ

وعربدتْ عند صدرى بمبهمِ الأسرارِ
تَجُنُّ حُبِّي بقلبي وغاب عنى اصطبارى

***

قبَّلْتُها بعيونى فى ثغرِها الرفَّافِ
وقلتُ لمَّا تلاقتْ أبصارُنا فى الطوافِ :
هاتى شفاهَكِ ! هاتى ! وَقرِّبى ، لا تخافى !

***

الشعْرُ منكِ دَفوقُ والشعْرُ قلبى الخفوقُ
والشعْرُ شعْرٌ جميلٌ والشعْرُ وَجْهٌ طليقُ
والشعْرُ ثغرٌ نديٌّ أذوقُه فأفيقُ

***

الى الضفافِ البعيدَهْ يا زورقى الذهبىّ
اذهبْ بروحى السعيدَهْ لوكرِهَا الأبدىّ
على تخوم الوجودْ !

***

يا حُسْنَ ليلِ الوصالِ ـ لو أنّ وصلاً يدومْ ـ !
عانقتُ جسمَ الجمالِ فيه ، وشِمتُ النعيمْ

***

يا زَورقى قد تعبنا وما بلغنا الضّفافْ
والموتُ أنَّى ذهبنا يرنو ولسنا نخافْ !

***

الموتُ ؟ هل هو إلا نومٌ هنىءٌ عميقْ ؟
يُعانقُ الرُّوحَ ليلا فلا تَعِي أو تفيقْ !

* * *

يا موتُ جئنا نُغَنّى إليكَ فوق العُبَابِ
وقد أطِلنا التمنّى فلا تُطِل فى الغيابِ

* * *

الحُسْنُ والشِّعرُ عندى فى زورقى والغرامْ
كلٌّ تَقدَّمَ يُهدِى أشواقَهُ للحِمامْ

* * *

يا موتُ فاهبطْ اليها جَذلانَ، وقتَ الأصيلْ
وابسمْ وردِّدْ عليها لحنَ الفناء الجميلْ !

* * *

الى الضفافِ البعيدهْ يا زورقى الذهبىّ
اذهب بروحى السعيدهْ لوكرِها الأبدىّ
على تخوم الوجودْ !

* * *

خلصتُ مِنْ ذكرياتى ودّعتُ آلامَ حُبِّى
سِيّانِ عندى حياتى والموتُ مادمتِ قُرْبى

* * *

زَوْرَقُنا مِن نُضَارْ شِراعُنا مِن شُعاعْ
غَرامُنا مِثلُ نارْ مشبوبةٍ فى يَفَاعْ

* * *

الموجُ يُنشدُ شعرى فى نغمةٍ عبقريّهْ
وفُوكِ يَلثمُ ثغرى فى لهفةٍ أبديّهْ !

* * *

والشمسُ ترنو الينا مِن وكرِها فى الشَّفَقْ
غَيْرَى ، تَصُبُّ علينا شُعَاعها ، كالحُرَقْ !

* * *

يا شمسُ ! لا تَحسدينا ، إنّا سنمضى هباءْ
ونسمةً تحتوينا مصيرُها للفناءْ !

* * *

هذا الضياءُ ، اذا ما هجعتِ يهربُ منّا
وزورقُ الشعرِ إمّا نهوِن يَغرق حُزْنا

* * *

الى الضفافِ البعيدهْ يا زورق الذهبيّ
اذهبْ بروحى السعيدهْ لوكرِها الأبديّ
على تخوم الوجودْ !

* * *

يا زَورقاً فى الدُّموعْ لغيرِ قصدٍ يسيرْ
سئمتُ منكَ النزوعْ إلى خفيِّ الأمورْ

* * *

أرهقتَنى بالنواحْ أسقمتَنى بالخيالِ
أثخنتنى بالجراحْ سلَّمتنى للجبالِ

* * *

علَّمتنى ما الغرامْ سلَّحتنى بالبيانِ
صَيَّرتَنى فى الأنامْ رَبَّ الهوى والحنانِ !

* * *

كلِفتُ بالحسنِ ، أرعَى أطيافَهُ ظمآنا

وهِمْتُ بالشعرِ، أسعَى إليه آناً فآنا !

* * *

يا زورق لستُ أدرى علامَ أهوى الشفاهْ
لَئِنْ تَبَيَّنْتَ سِرِّى كشفتَ سِرَّ الحياهْ !

* * *

إحلمْ كما شئتَ، إنى يا زورق بِتُّ أحلمْ
وبِتُّ أرقبُ حَيْنِى وخاطرى يترنَّمْ !

* * *

إلى الضفافِ البعيدهْ يا زورق الذهبىّ
إذهب بروحى السعيدهْ لوَكرِها الأبدىّ
على تخوم الوجودْ !

مختار الوكيل

ملك

يا ملَكَ الرحمةِ فى الأرضِ مَنْ علمكَ القسوةَ ؟ مَنْ علَّمَكْ ؟
نبعَ حنانٍ كنتَ بين الورى مَن ذا الذى بالظلم غذَّى دمَكْ ؟
أصميتنى ظلماً بسهمِ الهوى عُدنى حناناً واحبنى بلسمَكْ
عُهدتَ بالعطفِ، ولو للعدى فكيف تغدو قاتلاً مغرمكْ ؟
أخوك هاروتُ مضى، والذى ألهمه سحرَ الورى ألهمكْ
طِلَّسمُ هاروت دراه الورى وأنت لمَّا يكشفوا طِلسمكْ !

* * *

برزتَ فى الحسنِ لنا آيةً باهرةً، جلَّ الذى هندَمَكْ
أفرغكَ الخالقُ فى قالبِ للحسنِ قد مازَ به ميسمَكْ (1)

(1) الميسم : الحسن والجمال

صبَّك جسماً من شعاع الضحى | وشقّ من إصباحه مبسمكْ !
وزاد للبدر سنى نُوره | وصاغه وجهاً به تممكْ
بهرت بالحسن ، فمن ذا رأى | جمالكِ الفذّ ، وما أعظمكْ ؟
(فينوس) لو شامتك يوماً هوتْ | ساجدة ترغب أن تخدمكْ !

***

ظلت بك الألبابُ فى حيرةٍ | مشدوهةً تجهد أن تفهمكْ
هل كنتِ فيها ملكاً مُنزَلاً | مِن نوره رب الورى جسّمكْ ؟
أم أنت من فردوس جناتهِ | أنموذجاً من حورِها قدّمكْ ؟
أم من عذارى الجن من عبقرٍ | للناس شيطان الهوى استقدمكْ ؟
ما زلت معنى من معانى السما | لم تلق بين الناس مَن ترجمكْ !
حيّا بك الشعر فهما انطوى | للشعر وحىٌ عاد فاستلهمكْ !

سنقافورة : صالح بن على الحامد العلوى



الذروة

(عن ديوان « فوق العباب » الذى يطبع الآن)

ضَجرى زلّتى وزُهدىَ مَرْبَا | وَهُدّىِ أرتجيهِ أو أتقيّا
يا إلـهى ! دُنياىَ حُسْنٌ بلا حـ | ـدٍّ ، اذا ما عرفتُ حُسْنَكَ مَلجأ
كم نَقَدْنا ونحنُ فى الجهلِ حَيرَى | لا نَرَى الحقّ وهو أمْنَى وأضوأ

ما اندَمجنَا ، وما انطوَينا على الرُّو ح ، فلم نُدرِك الخلودَ المهيَّأ
حُسنُكَ الحرُّ ماثلٌ لنفوسٍ قد تناهتْ اليك نَشوَى لتهدأ
فى انسجامٍ يَستشرفُ الحُبَّ فى الكو نِ حميماً ونابضاً يتلألأْ
ما صلاتى إلا خشوعى لِنَجوا كَ وإفنادُ زلَّةٍ تتهيَّأْ
مُستمِدّاً مِنْ عقلىَ الباطنِ العِلْ مَ بما فى الوجودِ عُقْبي ومَنشأْ
نَبْعُ إلهامكَ الذى يَتناهَى لمحيطِ الألُوهةِ المُستمرَأْ
فاذا بى مِنْ رُوحكَ الخالدِ السّامى قريبٌ ومن فُيوضِكَ أمْلأْ
عرفَتْ عندها مِثالىَ نفسى ومِثالَ الإنسانِ رُوحاً ومَبدأْ
وحياةَ الآبادِ حتى كأنى ذروةَ الكونِ مُشرِفاً أتبوّأْ

احمد زكى أبو شادى



السعادة

قلْ ما تشاء عن السعادة غابطاً مَن كان ينعم فوق ليِّن مَهدِها
وابحثْ عليها فى التصابى والهوى أو فى التى يهفو البخيلُ لعدِّها
أو فى اشتهارِك بالفضائل والتُّقى أو فى اهتمامك بالعلوم ومجدِها
أو فى اكتفائك بالذى قسم القضا ورضاكَ عن صاب الحياة وشهدِها
قل ما تشا عنها ، فلستَ بمقنعى يوماً ، ولست بمانعى من نقدِها
إن السعادة لا تسرّ بوصلها أحداً ولا ترنو اليه بودِّها
فاذا سعدتُ وما عرفتُ بأننى أمسيتُ أرتشف المنى من رفدِها
فالجهلُ فى حالى التعاسة كلها تطفو على قلبي بكامل حقدِها
وإذا عرفتُ بأننى قد نلتُها أصبحتُ فى همٍّ مخافةَ فقدِها
والخوفُ من فقد السعادة خاطرٌ يكفى إذا لمس الفؤادَ لوأدِها !

عاصمة الجمهورية الفضية :

الياس قنصل



قيثارة الدمع

قِيثارةٌ فى جُفونى ، لحنُها عَجَبُ ... وجَرْسُ أنغامِها فى العينِ مُضطربُ
صَدّاحُها الهمُّ ، لا ينفكُّ يَضربُها ... بريشةٍ مِن أسَى الأحزانِ تنتحبُ
مُوَلَّعٌ بالدُّجَى إنْ ذابَ فاحمُهُ ... تَفيضُ من قلبهِ الألحانُ والطربُ
إلهامُهُ مِن جَوَى قلبي ، وثورتُهُ ... من الضلوع .. عليها الوجدُ يلتهبُ
إذا براني الأسَى يَلهو على كبدٍ ... مجروحةٍ مَزّقتْ أفلاذَها النوَبُ
فلا يسيغُ من القيثارِ اغنيةً ... إلا وقلبيَ أذكى نارهُ العَطبُ !
لله ما صَبَّ فى جفنيَّ مِنْ نَغَمٍ ... مُلوَّعٍ ماجَ فى أنّاتِهِ اللّهَبُ !
حسوتُها فى الدُّجى خمراً معتّقةً ... فى مُقلةٍ دَنُّها قد كاد ينشعِبُ
بَيضاءُ لامعةٌ لونُ اللآلىء ، فى ... طيّاتها أسوَدُ الأطيافِ مكتئبُ
كم وسْوَستْنيَ فى ظلِّ الأمى : لهفى ... على شبابِكَ قد أوْدَى بهِ التعبُ !
فقلتُ : خلِّ أغاريدى منغمةً ... مِن الدموعِ ... فما لى دُونها أرَبُ

محمود حسن اسماعيل



حجرتي الأولى

(وهى بالمنزل الذى قضيت فيه أحلى أوقات الصبا وقد عدت اليها بعد غيبة طويلة)

سلاما حجرتى مِنْ قلبيَ الذاوى وإجلالاَ
سلاماً أنتِ يا ميناءَ رُوحٍ فِي الدُّنَى جالا

وشاء الله ما شاء فراحَ يهيمُ ترحالا
وما عهدٌ مضى فيك بسحرٍ، آهِ لو طالا!
أذِى نافذتى حيثُ إذا اسدِلَ إسدالا
سِتارُ الليل فوقَ الأفقِ واسترسلتُ تسآلا
لبدرٍ تاه فى طلعتهِ السمحةِ واختالا
رفيقُ الجنّ والأرواحُ تدخل فى تحياتٍ!؟

* * *

يَرفُّ جناحُها حولى وأسمعُ غامضَ السحرِ
كأنّ حفيفَ أفنانٍ سَرَى من حائرِ الشجرِ
وأطلقُ فيكِ يا حجرتىَ الغراء مِن فِكَرى
تُداعبُ جبهتى النسماتُ فى مِثلِ شذى عطرِ
أحدّقُ فى منامِ الكونِ والاظلامِ بالبصرِ
وطاب لفرقة الضفدع والكروانِ من ذكرٍ
نقيقٌ أو نشيدٌ ربما أذِّن بالفجرِ
وأرسِل للصباح الغضّ مِن أوّل لمحاتٍ!

* * *

أهذا مكتبي حيث لرأسى حينما مالا
حنونٌ ضمّ مبهوراً من الحبّ وآمالا
وما أسطرُ من شعرٍ بمزج جوانحى سالا
وما تلفتنىَ «ليلى» بحسنِ العُودِ ميّالا
بشرفتها، وتبعثُ لى من الرّنوات إدلالا
وقبلاتٍ إلى قلبي فحلت فيه إبلالا
وأحلاماً كنورِ النّجم فى الظلمة ما والَى

يهدى هائما فى التيه من صحراء إعنات !؟

* * *

سلاماً حُجرتى من قلبىَ الدّاوى وإجلالا

سلاماً أنت ياميناء روحٍ فى الدُّجى جالا

وشاء الله ما شاء فراح بهيم ترحالا

وما عهدٌ مضى فيكِ بسحرٍ ... آهِ لو طالا !

محمد عبد الحكم الجراحى

تحت صورتى

(بعث بها الشاعر الى صديق تحت صورة أخرى غير هذه)



صالح بن على الحامد العلوي

هذه صُورتى اليك فلا تع جب إذاً من بشاشتى وابتسامى

حاربتني أيامُ دهرى فضحكى حَذَرٌ مِن شماتةِ الأيامِ !

هـذه صورتى لديك ستبقى غضّةً فى شبابها كل عامِ
سوف تبقى ذكرى الشباب اذا شِبتُ ، وذكرى الحياةِ بعد حمامى
واذا ما ممتُّ فى عالم الرو ح ستحيا فى عالم الأجسامِ

صالح بن على الحامد العلوى

الوهم

أمِنَ الأشجانِ آلٌ وسحابْ ومِنَ الدّمعِ ندامَى وشرابْ ؟!
وكذا الدُّنيا شُجونٌ لا تَنى ودُموعٌ لا يَنى عَنْها انسكابْ
لا أرَى فى الرَّوْضِ إلاَّ صادحاً مُرْسِلَ الألحانِ يحدُوهُ انتحابْ
أىُّ وَهمٍ لم يَزَلْ يحفِزُنا فعلى الوهمِ صِراعٌ وَغِلابْ ؟!
كم سَحابٍ لمْ يَجُدْنا غَيْثُهُ خطفَ الأبصارَ بالبَرْقِ وغابْ !



احمد فتحى

وكلامٍ نَحْسَبُهُ دِبشتْ قَنَى هُوَ فى ظاهِرِهِ شَهدٌ مُذابْ !
والذى نَحْسَبُهُ رِىَّ الصَّدَى هُوَ مَهما قد روى الصادى سَرابْ

كم شَكا الغُلَّةَ مِنّا ظامِئٌ فشفتْ غُلّتهُ جرْعةٌ صابْ !
وَسَعى للصَّيْدِ مشغوفٌ به وهْوَ شاةٌ ، لوْ دَرَى ، بين ذئَّابْ !
فِيمَ نحْيَا بالأمَانِي خُدَعاً والمنَايا آخِذاتٌ بالرِّقابْ ؟!
نسَجَتْ كفَّاهُ أكفَانَ الورى ناسجٌ ثوبَ الأمانيّ العِذابْ !

« • »

أيُّهذا المُدْلجُ السَّارى الى أملٍ يحْدوهُ أقصِرْ فى اطِّلابْ
ألى الآمالِ كَدْحٌ قاتِلٌ وإلى الآمالِ ظعنٌ واغترابْ ؟!
ما أرَاها باعثاتٍ مِنْ بِلىً أوْ مُعيداتٍ الى الشيبِ الشبابْ
صاحبُ الحاجةِ ذو همٍّ بها فاذا أدْركها هانَ المُصابْ
ضَيعةٌ للرَّأىِ تُذْكى نارَها أفنةٌ فى المرء مُذْ شبَّ وَشابْ !

« • »

شامخٌ بالأنفِ من أوهامِهِ لم يزل ينشُدُ أطباقَ السحابْ !
حسبَ الكونَ رهيناً بالذى يشتهى وهو رهينٌ بكتابْ
آهِ من ضمةِ قبرٍ موحشٍ وثواءٍ بينَ دُودٍ وتُرابْ
إنما التُرْبَةُ أصلٌ ولها غايةُ المَسْعى ومحتومُ المآبْ !

احمد فتحى
(المهندس)

ليتنى

ليتنى كنتُ صغيراً أبدل الهمَّ هناءْ
ليتنى كنتُ كناراً أملأ الدنيا غناءْ

ليتني كنتُ غديراً أهبُ الأزهارَ ماءَ
ليتني كنتُ صباحاً أغمرُ الكونَ ضياءَ
ليتني أصلح دُنيا كلُّ ما فيها أساءَ !

***

عهد الطفولة

أحنُّ إلى الطفـولة وهي حُلمٌ وأشمى الذكرِ للحُلمِ البعيدِ
وفي تحنانيَ الوافي وفاءٌ لعهدٍ كان تتويجي وعِيدي
أحنُّ كعـابدٍ يدعو ويدعو : وددتُكِ يا طفولةُ أن تعودي !
وددتُكِ ، إيْ وربي ، أن تعودي الى وكرى ، الى قلبي الودودِ
إلى رُوحي التي أحيَتْ صباها مظلَّلةً بحبِّكِ في الوجودِ
فأنعم بالحياةِ ولا أُبالي بدنيا في التناحرِ والوعيدِ !

محمود السيد الصنادي

الكبر

كلُّ حولٍ يمرُّ يزعج نفسي بغضونٍ تلوح إثرَ غضونِ
وبياض المشيب في كل رأسٍ لي مُلحٌّ بكَبرةٍ تعتريني
أتمنى لو يجمد النجمُ حتى ما تحسُّ الحياةُ كرَّ السنينِ !
أتمنى لو يصبح الدهرُ لوناً واحداً من غضارةٍ ثم لينِ
إنَّ ضعف الشيوخ يملأُ نفسي هلعاً أو يثير حرَّ شجوني
إنَّ في تلكمُ الخُطا تتلوّى لنذيراً يلوح بين جفوني
مُشفقاً من ذُبول قلبي إذا ما غاض مائي وأنكرتني عيوني

ورأيتُ الجميلَ غيرَ جميلٍ ... ليس يرتاحنى ولا يَزدهينى
ودعوتُ الصِّبا جنوناً وحُمقاً ... مرضاً فى ثياب عقلٍ رزينِ
وسئمتُ الكفاحَ فى غيرِ سلمٍ ... مُستكيناً لمطمحٍ مُستكينِ

عبد الباقى ابراهيم



يا نيـــل!

(نظمت لمناسبة ثورة النيل بفيضانه هذا العام)

يا نيلُ! رفقاً بالبلادِ وكنْ لها ... عوناً، فمصرُ ترى السعادةَ فيكَ
خفّفْ يربكَ مِن تدفّقك الذى ... يدنو بها نحوَ الهلاك وشيكا
وارفق بمن بك هللوا واستبشروا ... وبحسنك افتتنوا، وكم عبدوكَ
فلمَ العداء تصبّه فى قسوةٍ ... وتُريق ماءَك مهلكاً واديكَ؟
ماذا جنته كنانةُ الدنيا على ... وحى الجمال؟ لعلهم ظلموكَ؟!
فاقبلْ نداءاً صارخاً مِن أمةٍ ... غرقى ترى كلَّ السعادة فيكَ!

حكمت شبارة

أنشودة الصباح

كواكبُ الليل قد ملّت من الأرقِ ... فبادرت تختفى فى معبد الأفقِ
ترى السماءَ التى انشقّت دُجنتها ... سوداءَ قد برزت فى ثوبها المَشِقِ

كأنما الليلُ قد شابتْ ذوائبُه ... وعن قليل يُخلّي رُفقةَ الغسقِ
اذا الصباحَ انجلت أنوارُه شرعَ الطـيرُ المسجّعُ فى تغريده النسقِ
لاحت مخائلُه بين السماء كما ... لاح النغامُ على موسومةِ الحرقِ
واستيقظ الطيرُ فى أوكارها وبدتْ ... تسرى نسيمُ الصَّبا فى كل منخرقِ
وصادت الشعراءُ الفائقون إذاً ... أوابدَ الشعر لم تُدْرَكْ ولم تطقِ
ما أطيب الوقتَ إذ سار الحدوج بنا ... بين الاكام تحاكى السفن فى الغدقِ
وخلّت الطير أوكاراً لها ومضت ... الى المشارب وُحداناً وفى حلقِ
حتى استوت بعد ما جاءت على نَهر ... عُوجَ الخناجر نحو السلسل الدفقِ
تَبُلّ من فرحٍ أجسامَها وبها ... ظِماً فتنفضها كالشادنِ الحرقِ
اذا ارتوت كلها طارت مغرّدةً ... ما بين مختلف منها ومتفقِ
كأنما الطير فى تغريدها فِرَقٌ ... قد أسكرت بخمورٍ أُرهقت عُتُقِ
الى رياض بدتْ تهتز من بللٍ ... بسامةٍ طلة منشورةِ العبقِ
بها شذاها امتطت ريح الصبا وسرتْ ... تحيي القلوبَ التى ماتت من القلقِ
إنْ هزتِ الريحُ قضباناً لها بلل ... يصافح البعضُ بعضاً ثم يعتنقِ
كأنها راكعات فى تمايُسها ... وتاليات خشوعاً سورةَ الفلقِ
والنرجسُ الغَضُّ يرنو نحوها عجباً ... والوردُ يَطلع من أكمامه النسقِ
حمرٌ ملابسه صفرٌ ترائبه ... خضرٌ عرائشه يفترّ بالأنقِ
كأنما قطرات الطلّ فى خُضَرٍ ... كواكبٌ طلعت فى أول الغسقِ
يا ربّ فُضّ ختامَ النوم إذ نعستْ ... كواكب الفلك الدوّار من أرقِ
يا راقدَ الليل ختام الرقادُ وقد ... مدّ السّنا عنقه من كُوّة الأفق
قم واستقم واعبد الله الذى خلق الـأشجار من حبةٍ والانسَ من علقِ
أليس يسجد لله الرياحُ مع الـأشجارِ قانتة من أبدع الطرقِ؟
ألستَ تسمع ما قال المؤذّن فى ... تأذينه بكرةً للنائم الحبقِ؟!

الهند : السيد نبى الحيدر آبادى
(استاذ اللغة العربية بالكلية البلدية بحيدرآباد)

(نشكر للاستاذ الشاعر الفاضل ما وجّهه مع قصيدته الى «أبولو» من اطراء عظيم نعتذر عن نشره ، وحسبنا أن نرى من أعلام الأدب فى العالم العربى مثل هذا التقدير لخدماتنا للعروبة ولغتها الشريفة وهذا الاجماع على المستوى العالى لتحرير هذه المجلة وشعرها — المحرر) .

صدى النور

النورُ ؟ ما النورُ ؟ وما ضلاله ؟ وما الهدى ؟
إنّ الحياةَ كلها لذلك النور صدى !
فالسّحرُ فى الأجفان نو رٌ قد سجا واتّئدا
والبلبلُ الشّادى سنًى غناؤه اذا شدا
وظلمةُ الليل سنًى لراهب تهجّدا
وقبلةٌ من وجنتيـ ك إن هما تورّدا
أو فيكِ ! وهو منهلٌ يظمىء مَن قد وردا
والماء نورٌ ، واذا لم يَكُ ما بَلّ الصّدى !
والشعرُ نورٌ فى النهى من قبل أن يُرَدّدا
والنورُ خمرٌ يُسكر الرُّوحَ العميدَ أبدا
النورُ ؟ ما النورُ ؟ وما ضلاله ؟ وما الهدى ؟

العوضى الوكيل

نور القمر

يا بدرُ نورُكَ حالمٌ فوق الزروع الحالمهْ
يبدو رقيقاً ساهماً كالروح تبدو ساهمهْ
وكأنه إشعاع أحلام النفوس الواجمهْ

« • »

يا بدرُ أصغِ الى الجدا ول بالخرير مترنمهْ
واسمع صلاة النحل والقطن المفتّحِ والذّرهْ
يُنشدنها زلفى لنو رك فى الليالى المقمرهْ

« • »

أجِلْ به أنفاسَ حُو ... رٍ فى الجنان نواعسِ
فبهِ ضريرُ جداولٍ ... وبهِ عبيرُ فرادِسِ
وحفيفُ أجنحةٍ مرفرفةٍ وصيحةُ حارسِ !

« • »

يا بدرُ يا قوتَ المشا ... عرِ والقلوبِ الجائعهْ
أتراكَ نافذةً رنتْ ... منها الغيوبُ الرائعهْ ؟!
وسناكَ أحلامُ الملا ... ئكِ فى الطبيعةِ شائعهْ

« • »

كم مِن طيوفٍ أيها القمـ ... ـرُ المطلُّ على الفضاءْ
فى نورك الوسنان تر ... قص أو تثرثر بالغناءْ
مَن ساقها منْ عالمِ الـ ... أرواح فى هذا الضياءْ ؟!

« • »

ما أشبه الجوَّ الذى ... فى خاطرى بجوائكا !
حتى كأنِّى ناظرٌ ... فى ضوئه لضيائكا
يا هل تراه وذيلةً (١) ... عكستْ جمال فضائكا ؟!

« • »

يا للطبيعة ! فهى خا ... فيةُ المرائى والسَّنى !
وكأنما هى تحلم الـ ... ذِّكرَ الجميلةَ والمُنى
والنورُ ذلك رفَّ فى ... أحلامها واستوطنا !

« • »

يا للطبيعة ! فهى أجْـ ... ـملُ ما رأت عينانِ
كم تشعر الروحُ الحز ... ينُ بألفةٍ وحنانِ

(١) مرآة .

ونضمه ضمَّ الحبيـ ... بة للحبيب العاني

***

إنى لفرط تعلقى ... بجمالها المتألِّقِ
شعشعتُ فيه تألمى ... وأذبتُ فيه تحرُّقى
ورويتُ روحى مِن ثما ... لة كأسه المترقرقِ

***

وتخذت منه معبداً ... لتبتلى وتصوُّفى
يقضى به أيامَهُ ... وحياتَه القلبُ الوفى
فى عُزلةٍ عن ضجة الـ ... دنيا التى لم ترأفِ !

أحمد مخيمر

على ضفاف الغدير

دُميةٌ أنتَ من جمالٍ وفتنه ... حار فى حُسنك العبادُ وتاهوا
صاغك اللهُ للمحاسن جَنَّهْ ... فاستقى الكونُ من جداك حُلاهُ
لستَ كالناس من ترابٍ وماءٍ ... أنت من ريقةِ الخلودِ خُلقتا
فيك ما فيه من طلاً وضياءٍ ... غير أنَّ الخلود جاد وذُدْتا

« • »

ها هو الماء باسمٌ لك يرنو ... فى حنوٍّ ونشوةٍ واشتياقِ
أسكرته قسامةٌ لك تعنو ... لبهاها القلوبُ فى الأعماقِ

« • »

يا إلهَ الجمال هيّجتَ وجدى ... وقليلٌ علىَّ إنْ ذبتُ وجدا
أنت رمزُ الكمال فى الحسن عندى ... وفؤادى مِن المشاعرِ قدَّا
ما أُرانى لوصفِ حسنك أهلا ... أنت جاوزتَ فى الفتون الشموسا
كلُّ قلبٍ رآك ينشد : مهلا ! ... قد تفرَّدتَ فاستلبتَ النفوسا !

* * *

أنظرى المساء خافقاً يتمنى — يا مُنى القلب أن تَنُضّ إزارك
وانظر القوم حانقين عليه — عند ما ضمّ فى العباب عذارك
حولك الناس مطرقين خشوعاً — فى ذهولٍ وغبطةٍ من جمالك
يلفظون النفوسَ وهى مَراثٍ — لقلوبٍ تحرّقتْ من دلالك

* * *

يا خليلىّ لا تبينا فانى — شاردُ اللبّ للمحاسن صادى
ودعانى ولا تلوما فعينى — لم تمتّع بحسنه ، وفؤادى
أوفسيرا وخليّانى ألبى — داعىَ الحسن من ضياء جبينه
واتركانى هنا فقد ذاب قلبى — وشجانى بخفقهِ وحنينه

* * *

خليّانى فقد شقيتُ بقلبى — وقبستُ الشجونَ من ناظريّا
ودعانى أذيع فى الكونِ حبى — وأروّى الجمال من شفتيّا

محمد عبد الغنى نجيب



الشيخ النائم فى المشرب

(نظمها الشاعر على أثر رؤيته شيخاً نائماً على أنغام الموسيقى فى «كافيه رويال» بمدينة ليون بفرنسا)

سَرَتْ فى صفاء الخمر آياتُ أنغامٍ — وطارت بنا نشوَى إلى عالمٍ سامٍ
وقصّتْ علينا فى حديثٍ مسامرٍ — دَرَى حكمةَ الدنيا أقاصيصَ أعوامٍ

فكان لها منّى فؤادٌ يضمّها ... وينهل منها مثلما ينهل الظامى !

***



محمد عبد الحكم الجراحي

وشيخٍ مهيبٍ فى جوارى ورأسهُ ... محا الدهر منها الشعرَ فى لهوظلاّم !

ولحيته بيضاءُ زانت بصدره ... أغانىّ أفراحٍ وآهاتِ آلامِ

لقد نام هذا الشيخ تحدوه نغمةٌ ... كأمٍّ صغيرٍ فى حنانٍ وإكرامِ

ألاَ ما رُؤى ذاك المنامِ وما الذى ... تترجمه الأنغامُ فى سفر أحلامِ ؟

أما هو مثل الطفل أحلام سادرٍ ... تناجيه فى لونٍ من الطهرِ بسّامِ ؟

أو انّ رؤى حُبٍّ أطافت بقلبهِ ... وذكرى شبابٍ لا يعود لإضرامِ

وحُسن فتاةٍ رطبةِ العود فتنة ... كباقةِ زهرٍ أو كلمحة إلهامِ

أو انّ رؤى أخرى إخال سعيدة ... تخامره فى مثل سحرٍ وإيهامِ

ويحلم إذ يغدو بخلدٍ جزيرةٍ ... بُعَيْد عباب الدهر والزمن الطامى

وليس ليرثى ما مضى من سنينه ... وما برحت تضنيه رحلةُ أيامِ

***

فنم هادئاً يأيها الشيخ هانئاً ... لعلّ صباحاً ضاء فى طىّ إظلامِ

ونَمْ مُسعَداً روحاً إلى صدرِ أنغامٍ ... تطير بنا نشوى إلى عالمٍ سامٍ
ويزهو بها منّا فؤادٌ يضمها ... وينهل منها مثلما ينهل الظامى !

محمد عبد الحكيم الجراحى



مقتطفات من جيتانجالى

للشاعر الفيلسوف ابندرانات تاجور

عند ما تأمرنى بالغنـاء ، يخيل إلىّ أن قلبي يتحطم كبرياء ، وأصعّد ناظرى فى وجهك ، وتغرورق عيناى بالدموع .

وإن كل ما هو صعب فى حياتى ليستحيل سهلاً إثر أغنية رخيمة ، كما أن إعجابى يَصُفُّ جناحيه كطائرٍ سعيدٍ ، يخفق فى الجو ، ويحلق فوق أديم النهر .

وإنى لأعرف أنك تشعر بالسرور حينما أنطلق مغنياً ، وأعلم أنى أقترب منك حينما أشدو فقط ، كما أن جناح أغنيتى الممتد لتمسّ أطرافه قدميك اللتين أتوق إلى الوصول إليهما .

* * *

ياحياةَ حياتى :

سأحاول جهدى أن أحفظ جسدى نقيّاً موقناً بأنك ترعانى وتحوطنى ، وسأكون بمعزل عن الأكاذيب فلا تتسلط علىّ ، لأن روحك : الصدق يضىء لى سبيل الحياة .

وسأنقّي قلبي من أوضار الشرور ، وأحفظ حبي في الزهرة ، لأني أعلم أنك تتربع في صميم الفؤاد وفي أقدس بقعة فيه .

وسأحاول بجهودي أن أكشف عنك في حركاتي لأني أعلم أن روحك تهبني قوة أعمل بها .

* * *

لقد تجرّدت أغنيتي من البهرج الزائف ،

وإنّ الزخرف المموّه ليفصم عرى مودتنا ، ويقف حائلاً بيني وبينك ، إذ تتلاشى أنداؤك في طنينه

وإنّ تيهي كشاعر ليتبدّد خجلاً أمام مرآك ، آه يا مولاي الشاعر !

إني أجلس تحت قدميك ، وكل ما أبغيه منك أن تهب لي الهدوء والطمأنينة ، وأن تجعلني كعود الناي تنفخ فيه أنغامك الموسيقية .

* * *

أيها الأحمق !

يا من تحاول أن تحمّل نفسك عبء الحياة .

أيهذا السائل يا من تحاول أن تسأل الناس عند باب دارك : ألق أعباءك كلها على ساعِدَيْ من في استطاعته أن يحمل الجميع ، ولا تأسف على ما مضى !

إنّ أنفاس شهوتك لتطفىء ضوء المصباح حين تهبّ عليه ، فلا تأخذ عطاياك من أيدٍ دنسة ، ولا تقبل إلاّ ما يقدّمه إليك الحب المقدّس .

* * *

إنّ الأغنية التي جئت لأنشدها ، لا تزال حبيسة في صدري إلى اليوم ، وها أنذا أمضيت أيامي أهيىء لها الأوتار وأصلحها ،

ولكن ميعادها المنشود لم يحن بعد ، وإني لأحسّ بنزوعٍ شديدٍ إلى انشادها وبرغبةٍ تتردّد في صميم الفؤاد .

ها هي ذي الوردة لم تتفتح عن أكمامها بعد ، ولكن الريح تصفر حولها هامسة !

إنى لم أرَ قط وجه من أُحبُّ ، ولم أسمع صوته أبداً ، وإنما يتردّد فى أذنى صدى وقع أقدامه الجميلة فى الطريق الممتدّ أمام منزلى.

إنى أعيش فى الحياة أملاً فى لقائه ولكن حينُ اللقاء لم يحنْ بعد!

* * *

يا إلـهى !

ها هى ذى صلاتى التى أتوجّه بها إليك :

هبنى قوة من لدنك لأُتحمل سرورى وآلامى

امنحنى القوة ليبقى حُبّى لك زاهراً إلى الأبد

مدّنى بالقوة التى تمنعنى من أن أزدرى الفقراء أو أجعلهم يركعون عند قدمى أمام جبروتى الطاغى

هبنى يا إلـهى قوة أستطيع بها أن أرتفع بتفكيرى فوق مستوى أوشاب الحياة .

* * *

أنا لا أدرى كنهَ غنائك ، وانما أستمع اليه فى سكون ودهشة

وإن إشعاع موسيقاك ليضىء العالم

وأنفاس ألحانك تخفق من سماءٍ إلى أخرى

وجدول أنغامك المقدّسة يندفع متخطياً كل عقبة فى سبيله ، وينساب فى جريانه

وقلبى توّاق لأن يشاركك الغناء ، ولكن عبثاً ما يحاوله من رفع صوته ،

ومهما حاولتُ الكلام فلن يصير غناءً ، وإذ ذاك أُغْلَبُ على أمرى

آه ! . . . لقد جعلتَ فؤادى أسير أنغام موسيقاك السرمدية !

* * *

هيّا لا تتردَّدْ فى قطف هذه الزهرة الصغيرة وأخذها فانى أخاف عليها أن تذبل وتسقط فى الطين ، ولربّما لم تجد لها مكاناً فى اكليلك .

ولكن أذقْها السعادة فى ألمٍ تحدثه لها يدك بقطفك ايّاها ، وانى لأخشى أن يمضى النهار قبل أن أصحو فأرى أنه لات حين تقديمها !

ولذا فلونها ساذج ، ورائحتها ضعيفة ، فخذها اليك واقطفها حين يجىء وقت الحصاد ؟

حسن محمد محمود

نقد وتعليقات

روح الفقيه وروح الشاعر

قرأنا نقداً بقلم أحد مشايخ الفقهاء لديوانٍ من الشعر العصرى فقال فيما قال إن الشاعر أخطأ خطأ فاحشاً لأنه قال « نجمة » فى حين لا توجد هذه الكلمة فى اللغة بمعنى « نجم » . أما الشاعر فقال إنه فى الموقف الشعرى الذى استعمل فيه هذه الكلمة تخيل فى ذلك الجسم النورانى الساحر روحَ الأنوثة فلم يرَ إلاَّ أن يسميه « نجمة » وما يحسب أنه أخطأ فى أمانته للفنّ ، وقد أنصف بذلك لغة الشعر وأحسن الى أدبها .

وجاء هذا الفقيه ثانيةً وقال إن الشعراء المعاصرين مفتونون بالوثنية اليونانية والرومانية ، إذ كثيراً ما يستعملون تعابير نابية مثل « روح الألوهة » فى الجمال و « حُلم الاله » ونحو ذلك . أما الشاعر فقال إنه لا يؤمن بشىء من هذه الوثنية وانّ زملاءه فى الأمم الراقية لا يؤمنون كذلك بها ، ومعظمهم يعيش فى أوساط دينية تأبى هذه الوثنية كلَّ الإِباء ، ومع ذلك فهم يستعملون مثل تعابيره التى لا يفهمها سيدنا الفقيه ، ذلك لأنها تعابير رمزية صوفية فى معظمها ، وفى بقيتها لا تمثل أكثر من العقل الباطن الطفل الذى أبدع ما أبدع فى الأدب الأوربى باطلاق الخيال له فى الأساطير وغيرها ، بينما عجز وتقهقر فى الأدب العربى بسبب حذلقة أمثال سيدنا الفقيه تلك الحذلقة التى عاشت دائماً تكأةً للدسّائس على توالى الأجيال ، ومعاذ الله أن يمكَّن لها فى هذا الجيل المتنوِّر .

وجاء هذا الفقيهُ ثالثةً وادّعى أن المجدّدين يحتقرون الشعرَ العربىَّ والأدبَ العربىَّ وتمنَّى على أصحابه الفقهاء أن يشدّوا أزره فى دفع هذه العادية ! فقال لسان الحال : بل لم يعرف قيمةَ الأدب العربى الفنية ولم ينصف الشعرَ العربىَّ أحدٌ مثل أولئك المجدّدين يا سيدنا الشيخ ! فكم لهم من دراسات وشروح وتواليف زادت من ثروة هذا الأدب وأنصفت عبقريات السابقين واللاحقين ، بينما سادتنا الفقهاء يهرفون بما لا يعرفون ويلقون بالتهم جزافاً تمجيداً لأذهانهم الكليلة وأهوائهم العليلة !

غرور الشباب

قالوا إننا أسأنا الى الشباب إساءةً عُظمى فقد صحبتْ موجةَ التآليف الجديدة موجةٌ من الغرور الذى لا يَعرف حُدوداً ... ومع أننا نأبى هذا الاتهام الشامل للشباب فنحن نؤثره ألفَ مرةٍ على روح التبعية والاستكانة التى كانت تجعل مِن كثيرين من الناشئين خوَلاً وأغوات لبعض المتزعِّمين .... وسنستمر على خطتنا فى بثّ روح الاستقلال والاعتزاز بالذاتية والاعتماد على النفس فى الشباب النابه مع الوفاء لفضل السابقين والمعلمين ، ولو صحبَ ذلك بعضُ الغرور أو بعضُ الجحود من هذا أو ذاك ، فانما ننظر نظرةً عامةً الى اطراد الحركة الأدبية ونهضتها دون أن نتأثر بالحوادث الفردية السيئة ما دام للانسانية ضعفُها على أىّ حال . وما كلُّ جيل الاّ قنطرةٌ لمن يليه فى اطراد الفكر الانسانى ، وهيهات أن تتغلب أىُّ أنانيةٍ على هذا التقدم الطبيعى وإنْ عاقته أحياناً . وحسبنا أن نشيد بهذا المبدأ الحقّ وأن نعمل على تحقيقه وإعزازه ولو جوزينا أحياناً جزاء سنمار حتى من بعض تلاميذنا وممن تأثروا طويلاً بأدبنا .

روّاد الشعر الحديث

أثار هذا الكتابُ الصغيرُ وما زال يثير اهتماماً كبيراً ما بين مدحٍ وقدحٍ فيه وفى مؤلفه وفينا وفى (جمعية أبولو) ! وبلغت الوقاحةُ بأحد المنتسبين ظلماً الى الصحافة أن يَنسب الينا ألفاظاً مهينةً لمؤلفه مختار الوكيل وينسب اليه ألفاظاً مهينة لنا ، وهذا كله محضُ اختلاقٍ ... ومختار الوكيل نفسه يعتزّ بكتابه ويتحمل مسؤولية كلّ حرفٍ فيه ، فكلُّ حرف فيه وليدُ تفكيره وارادته وإذنه ، ولو شاء أن يبدّل أىَّ رأى فيه الآن أو بعد الآن لما ترددنا فى نشر ذلك فى هذه المجلة حتى ولو نقض نقضاً تاماً ما هو مكتوبٌ عنّا فيه ، فنحن لا نحجر على آراء الناس ولا نستجدى الأمداحَ ولا التقدير من أىّ مخلوق ، ولم يأت مختار الوكيل فى هذا الكتاب بشيء جديد عنّا لم يقله هو أو لم يَقله غيرُه مِنْ قبل . وأما عن استعفاء مختار الوكيل من (جمعية أبولو) فقد اقترنَ بأحسن التمنيّات للجمعية وبالتقدير لخدماتها ، ولم نفهم الاّ أنه وليدُ رغبته فى اعتزال الجمعيات على أثر اعتلال صحته

الطويل الذى أثر على أعصابه ، وهو لا يريد أن يكون عضواً غير عامل بكل معنى الكلمة ، وهذا مما قد يضطره الى السفر الى أوروبا مراعاة لصحته من جهة وللتخصص فى الصحافة التى له شغف خاص بها من جهة أخرى . ونحن كذلك نتمنى له أحسنَ التمنيات فى مستقبله الصحفى مما يتفق ومواهبه الأدبية .

أدب شكرى

فى كلمةٍ كريمةٍ للشاعر الفاضل عبد الرحمن شكرى بجريدة (البلاغ) المؤرخة ٦ سبتمبر الفائت نجده يذكر فى صراحةٍ أنه لم يقل لأحد إنه أنشأ مذهباً جديداً فى الأدب ولا أن العقاد أو المازنى من تلاميذه ، ويؤكد أنه ليس بينه وبين العقاد أو المازنى تنافس على شهرة أو حرفة أو رزق ولا يحمل لأحدهما ضغينة ، كما أنه لم يحرّض أحداً على نقد العقاد أو على اتهامه بالأخذ منه بل كان دائماً ينفى ذلك كما يشهد خصومُ العقاد أنفسهم ، الى آخر هذا الكلام الطيب الذى يدل على نفس زكية طيبة يعنيها أدب النفس قبل أدب الكتابة . وهو بهذه الروح الوديعة وضع العقاد بلطف فى محله حينما ذكّره فى آخر كلمته بثقافته فى انجلترا العامّة فى ذلك الوقت فضلا عن وقتنا هذا . والخلاصة أن كلمة شكرى لم تنم عن أدبه فقط بل عن محبته كذلك للعقاد وللمازنى بالرغم مما صدر منهما ضدّه سواء بالفعل أو بالتواطؤ .

ولكن فاتت شكرى نقطةٌ هامّةٌ ، ولا فائدة له ولا للأدب من تجاهلها ، كما أنه لا فائدة من احتجاجه على مَنْ يشتبكون مع العقاد بسببه : تلك أن محبّيه الكثيرين يعتبرون العقاد مسؤولاً عن تواريه وعزوفه عن الأدب والأدباء ، فلا عجب اذا لجأ بعضهم الى الحدّة الشديدة فى نقد العقاد . وإذن فيجدر بشكرى أن يترجم محبته لصاحبيه القديمين (بعد ما أعلنه المازنى من الأسف الشديد لتحامله عليه سابقاً) بترك عُزلته الأدبية الطويلة والعودة الى نشر آثاره الشعرية والنقدية التى تقرُّ بها عيونُ محبيه ، وهكذا يَضَعُ حدّاً لهذه المأساة . ويقيننا أن أمر ذلك بيده وحده لا بيد أحد سواه ، وأملنا أن يصحّ عزمه بعد الآن على تلبية هذا الرجاء المعقول الذى يُنصف به نفسه ويُنصف سواه فى آنٍ .

نعم ، لقد انتهت الى غير عودة ظروفُ عزلته الأدبية ، ومن حقّ الشعراء والادباء عليه التطلّع الى ظهور أدبه الناضج الذى يُعَد فى طليعة ما تعتزُّ به الثقافة الشعرية فى هذا العصر ومن مفاخر الأدب العربى على الاطلاق .

الشباب والادب

تُعنى وزارة المعارف عنايةً جدّيةً بأن يضع الطلبةُ دروسَهم فى الموضع الأول من اعتبارهم ، ولهم بعد ذلك أن يُعنوا بالأدب كهواية صالحة لهم اذا شاؤوا ، نظراً لما تفشّى بين بعض الطلبة من إهمال الدراسة متخيلين أن روح الأدب تتمشى مع هذا الاهمال وهذه الفوضى ! وبقدر تشجيعنا لأدب الشباب قد عملنا دائماً جُهدَنا لتعزيز الثقافة واحترامها ، فالثقافةُ العاليةُ من أقوى أدوات الشباب سواء عُنى فى حياته العملية بالأدب أم بغير الأدب . ولاخير فى ذلك الشباب الذى يعرض نفسه لاهمال دروسه قانعاً بأن يكون حاشية من حواشى المتزعمين الذين يريدون أن ينزلوا بالأدب الى مستوى السياسة ، وأن يسخروا الشباب فى هذا التضليل كما سُخروا من قبل فى أهواء السياسة وهم الخاسرون فى كلتا الحالتين دروسَهم ومستقبلهم. فالى دروسكم أولاً أيها الأعزاء وقد بدأ الآن الموسم الدراسى ، ثم الى الشعر أو غيره من فنون الأدب فى غير أوقات دراستكم اذا ما وُجدتْ عندكم رغبة صحيحة فيه . وأما الاضطراب والاهمال والفوضى باسم التحرير الفنى فليس من ورائها غير الفشل وأىّ فشل !

شعر الصيرفى

من أظهر الدواوين الشائقة التى غنمها الأدبُ العصرىُّ فى هذا العام ديوان (الألحان الضائعة) للشاعر حسن كامل الصيرفى ، فان أصالة الشاعر تتجلى فى كل صفحة من صفحاته . وقد انتُقدَ عليه ما فيه من كآبة ورمزية كثيرة ، ومع أن شيئاً من هذا لا يجوز أن ينقص من قدر هذا الشعر فالمعروف أن ديوان (الألحان الضائعة) يمثل فترة من حياة الصيرفى قد انتهت ، إذ ليس فيه شىء من نظمه الحديث بل ان شعره متداول منذ سنين ما بين مطبوع ومخطوط ، ونفس الديوان بحالته الحاضرة كان مهيأ للنشر منذ سنة ، ولقد تأثر به غير واحد من شعرائنا النابهين وفى مقدمتهم الشاعر الوصّاف على محمود طه صاحب (الملاح التائه) . ولعل التقدير الذى لاقاه الصيرفى يشجعه على المبادرة باخراج بقية دواوينه الممتعة .

عتب وزير المعارف

كتب الدكتور طه حسين فى صحيفة (الوادى) مقالاً طويلاً عن فوضى الثقافة فى مصر نقرّه على معظم ما ورد فيه ونعزّزه ، وقد ألمعنا نحن من قبل فى شتى المناسبات الى شيء من ذلك ، فنحن من خصوم الزعامات المصطنعة وما يتبعها من مفاسد ، وقد قاومنا دائماً فكرة استغلال الأدب للسياسة وتسخير الشباب فى ركاب المتزعّمين وتضييع مستقبلهم ، وفى الوقت ذاته لم نقصر فى بثّ روح الشخصية والكرامة فى نفوسهم ، كما يعلم ذلك كل مَن له صلة وثيقة بنا وتتبع جهودنا الثقافية ، فلا حاجة بنا لشرح ذلك فى هذا المقام .

أما الذى يعنينا بصفة خاصة فهو أن الدكتور الفاضل قد شطّ به قلمُه فى حماسته فتطرق الى نقد زيارتنا لصاحب المعالى وزير المعارف للتشاور معه فى معاونة مجلتنا الفنية هذه . واذا لم يكن وزير المعارف المهيمن الأعلى على التعليم والثقافة فى مصر هو الذى يُقصد لذلك فمن ذا الذى يُقصد ؟! نحن نعرف أن هناك جفاءً شديداً بين الدكتور طه ووزارة المعارف ، ولكن هذا الجفاء لا يجوز أن يبرّر له بحال من الأحوال اساءة الظن بالأدباء واساءة التفسير لأعمالهم الطبيعية فى شدة واسراف منه ، خصوصاً والدكتور طه يعلم علم اليقين أننا أحببناه وقدّرناه فى جميع الظروف التى تقلَّبَ فيها ، فهل له على الأقلّ أن يحترم أخلاقنا واستقلالنا ؟ ... ليكنْ للدكتور طه حسين رأيه فى معالى وزير المعارف وهو حرٌّ فى هذا الرأى ولن يخطر ببالنا تجريحه ، ولكن ليذكر أيضاً أننا أحرار فى فهم شخصية معالى الوزير وفى تقديرها وفى عرفان فضله على الثقافة العصرية ، وأننا لسنا من يجعل شيئاً من هذا تحت رحمة الأهواء والظروف سواء أ كانت سياسية أم غير سياسية ، فان مركز وزير المعارف يجب أن يكون دائماً فوق الحزبية والسياسة . والدكتور الفاضل يعلم جيداً أن المجلات الفنية الصميمة بمصر فى حاجة ماسة دائماً الى معاونة الحكومة لها خصوصاً ومتعهدو الصحف والمجلات لن يساعدوها على الرواج ، فهل حرامٌ أن تتّجه هذه المجلات المصرية الى الدولة لمؤازرتها بينما تقتصر المساعدات على الأجانب وأعمالهم ؟ ! كان أ كبر ظننا أن الدكتور الفاضل يحاسب قلمه ولا يشط هذا الشطط خصوصاً ونحن لم نلق منه ذرة واحدة من المساعدة ولا نريد أن نشير الى عكسها ، ولذلك نعتب عليه أشدّ العتب .

كبير « الادباء »

كتب الينا صديقنا الشاعر عبدالرحمن شكري رسالة ظريفة يشير علينا فيها بدل مطالبته بالخروج من عزلته أن نمتنع نحن عن نشر شعرنا سنين طويلة فنزداد شهرة على شهرة ، لأن الناس مجبولون على الخلاف «وأحبُّ شيء الى الانسان ما مُنِعَا » كما أن فى هذا الامتناع تنحياً عن الجوّ الأدبي الموبوء بالكيد واللؤم !... وفى نفس هذا الموضوع كتب رسالته الشائقة « الشهرة والخلود » التى نشرتها صحيفة (المقطم) يوم ١٤ سبتمبر الماضى .

وقد يرى القراءُ مثالاً من هذا الكيد واللؤم فى تهافت غيرُ واحد من طلاب الشهرة على الاشتراك فى أعمالنا الأدبية نقداً أو تفسيراً ، فى حين أننا لا نعهد بذلك الا الى خاصة أصدقائنا أو مَنْ تربطنا بهم روابطُ الاعجاب المتبادل ، ثم اذا ببعض أولئك المتهافتين يتظاهر بأنه المطلوب لا الطالب إمعاناً فى الكيد لنا وخدمة خصومنا الذين يتآمر معهم على حساب سمعتنا الأدبية ! ولكن هيهات ... ولعلّ أغرب الأمثلة من هذا القبيل أن يلحّ أحدُ المتأدبين إلحاحاً فى وضع كتاب عنا فلما نصرفه عن ذلك بلطف ليشتغل بما هو أجدى ينقلب ضدنا ويلجأ للتآمر مع من لا يهدأ له بال الا فى الكيد لنا وهذه الحادثة معروفة مشهورة .

ونحن الآن نُعنى باخراج ديواننا (فوق العُباب) ومع تقديرنا لمحبة مريدينا الأفاضل الذين ودّوا الاشتراك الأدبي والمالى فى اخراج هذا الديوان كما تفضل بعضهم بمثل ذلك من قبل ، نعلن أننا دفعاً لكيد الكائدين ـ وتصرفاتهم فى البيئات الصحفية التى يخلطون فيها بين الأدب والسياسة معروفة ـ سنكتفى باخراج هذا الديوان مجرّداً عن كل دراسة سوى تصديرنا الوجيز ، كما أننا سنكتفى باهداء بعض النسخ الى المكاتب العامة ، وباصدار طبعة خاصة محدودة النسخ ، ولن نقدّمه الى الصحف للكتابة عنه ، وسنتبع مثل هذه مع الخطة ازاء جميع مؤلفاتنا المستقبلة ما بقى الجوّ الأدبي فى مصر على هذه الحالة . ولا نحسب أننا نخسر بذلك شيئاً ، ولعلنا فى الوقت ذاته نساعد على تنقية الجوّ الأدبي وردّ كيد الكائدين الذين يعادون كلّ مَن يقاوم أنانيتهم وعبثهم ، ولعلّ هذا يكفيهم لأن يفهموا أنّ آثارنا الأدبية هى لأنفسنا وخلصائنا أولاً وأخيراً وليست للبيئة المسمومة .

شعراء أبولو

تضمّ « مدرسةُ أبولو » كثيرين من الشعراء فى العالم العربى ما بين محترفين وهواة على اختلافٍ فى السنّ والمكانة ، وقد ربطتهم رابطةٌ متينةٌ من الرغبة الحارة فى الحرية الفنية الصحيحة وإنصاف اللغة العربية الشريفة باثبات مسايرتها للزمن وقدرتها التامة على شتى التعابير العاطفية والفكرية بما لا تبزّها فيه أية لغةٍ حية . وقد أشار الى هذه الغاية الهامة أستاذنا خليل مطران فى تصديره لسنتنا الثالثة .

وبهذه الروح شجعت (أبولو) إخراجَ الآثار الشعرية فكان لجهود هذه المجلة وما صحبها من الدواوين الجديدة فى السنتين الأخيرتين أثرٌ بليغٌ جداً فى خدمة النهضة الشعرية وابراز مواهب جديدة كانت خافية ضائعة .

من أجل هذا نقرأ أحياناً من النقد الموجَّه الينا ما يُثير دهشتَنا أو ابتسامَنا، وقد تورَّط فى ذلك غيرُ واحدٍ من أفاضل الأدباء إمّا تسرُّعاً أو استماعاً منهم بحسن نيةٍ الى عبث الهازلين بينما هم لا يتصلون بنا على الاطلاق ، واحتراماً لحسن ظننا فيهم نكتفى بهذه الاشارة الآن لوثوقنا من أن مثل هذه الآراء المرتجلة لا يمكن أن يتعلقوا بها أمام الحقائق الناصعة .

ومما قرأناه من النقد لمناسبة صدور ديوان (الألحان الضائعة) أننا باستنكارنا تهافت النقاد على المسائل النحوية وما شاكلها نعادى سلامةَ اللغة العربية ! والحقُّ أننا من أحرص الأدباء على سلامة لغتنا الشريفة وانما نلاحظ فقط أنّ نقد الشعر فى مصر هو غالباً نقدٌ غيرُ فنى يُعْـنَى بالعَرض ويُسقط الجوهر ولا يتفهّم الروحَ الشعرية .

كذلك أخذ علينا أديبٌ فاضلٌ استعمالنا كلمة « أصيل » بمعنى original وادّعى سامحه الله أننا لم نستطع تفسيرها له مع أننا لم نذكر له المقابل الفرنجى إلاّ من باب الاكتفاء لعلمنا أنه يعرف الأدب الفرنجى ، فعاد الآن يقول إن الكلمة العربية اللائقة هى « مطبوع » لا « أصيل » ، وشجعه هذا على اتهام شعراء أبولو (وبينهم أعلام فى الأدب واللغة) بالعجز اللغوى والتفريج الخ . . وهذا فى الواقع عكس حالتهم : فانشعراء أبولو يخدمون اللغة الفنية الأدبية

عن طريق الشعر أجل خدمة ، وهم يأبون التقليد سواء للأدب العربى أو للأدب الفرنجى ويعززون الطلاقة الفنية والتعبير عن ثقافة العصر بما تحتويه من عناصر مختلفة عربية وفرنجية على السواء . فمن الخطل إذن مثل هذا التسرع فى الأحكام على قوم يعرفون من أدب لغتهم الكثير ، ويعزّون هذا الأدب ، ويعملون على تطويع اللغة للتعبير عن شتى الخواطر والهواجس والآراء والمباحث العصرية ، بدل أن يقنعوا بحفظ الببغاوات... مثل هؤلاء أيها الصديق يستحقون الاحترام ولا يجوز أن يوصف أدبهم المتحرر الناضج بأنه فجٌّ قاصرٌ لمجرد أنه مخالف للتقاليد ، فمثل هذا الحكم المتعسف أولى بأن يطبق على النثر العصرى قبل النظم العصرى .

أما عن وصفنا الشاعر بأنه « أصيل » فمعناه أنه راسخُ الأدب مجيدٌ لا يعتمد على غيره (وهو ما يُستمَدُّ من مادة أصُلَ أصالةً) .

أما الشاعر « المطبوع » فهو الذى يأتى بالشعر من دون تكلف . فالأول شاعر مبتكر له شخصية مستقلة ولا يقلد أحداً ، وهو غالباً شاعر مطبوع ، إذ يوجد أحياناً الشاعر الأصيل الذى لا يستطيع أن ينظم بسهولة ولكن شعره فى النهاية يستحق الاحترام لأصالته الممتازة ، كما يوجد الشاعر المطبوع الذى ينظم بسهولة مدهشة ومع ذلك لا يكون أصيلاً نظراً لتأثره بشاعر يحتذيه ، فلا يمكننا أن نضع شعره فى المستوى العالى الذى نضع فيه شعر الشاعر الأصيل ولو لم يكن مطبوعاً . فمن هذا البيان يرى الناقد المنصف أننا خدمنا اللغة باستعمال كلمة « أصيل » منذ زمن بعيد فى هذا المعنى ولم نسىء اليها أية اساءة ، ولم يجىء هذا الاستعمال مظهراً للعىّ بل مظهراً للتأمل الدقيق فى فقه اللغه ، فان لم نُشكر عليه فنحن على الأقل لا نستحق من أجله اللوم!

وأمّا تصديرُنا لديوان الصيرفى فلا يدعو الى ما ذهب اليه ناقدنا الفاضل ونحن ندع للصيرفى نفسه واجب الدفاع عن شعره كما تركنا ذلك من قبل لغيره من أعضائنا. ومع هذا فواجبٌ أن نقول إن صاحب ديوان (الألحان الضائعة) كان يريد أن يُسقط مقطوعةَ « عقب السيجارة » فأبينا عليه ذلك ، فلسنا إذن مَنْ يصغر هذا اللون من الشعر كما يقال ، خصوصاً ولنا شعرٌ من هذا القبيل فى ديوان (الشفق الباكى) وغيره . كذلك لم يكن من الحتم أن نشير الى جميع شعره الرائع فهو كثير ، وحسبنا أن نضرب بعضَ الأمثلة وفى مقدمة ما ذكرناه منها ملحمته عن « الشاعر » . واذا كان الناقد الفاضل لا يشعر بالفصول فى مصر فالشعراء يحسّون بها تمامَ الاحساس وخصوصاً بالربيع ، ولا يفوتهم ما يعدّه هو من التوافه أو النوادر كموت البلبل

وجفاء الطبيعة ، فهذه الحوادث العرضية للرجل الاجتماعي هي حوادث كبرى للشاعر الحسّاس وقلما يفوته التعبير عنها اذا ما التفتَ اليها . ونحن لا يرضينا من شعرائنا صدأُ الطبع أو الخمول ، فلا نقبل أن نقول لهم دعوا هذه الطوارىء المؤثرة على فرض أنها نادرة الحدوث لمن يعيش بين أحضان الطبيعة أو يلتفت اليها الالتفات الكافي . ولعلّ نظرة من حضرة الأديب الناقد الى ما كتبه الناقد المعروف صديق شيبوب عن الحياة الأدبية وديوان صالح جودت والألحان الضائعة في جريدة « البصير » يوم الجمعة ١٤ سبتمبر الفائت تشعره بالبون الشاسع بين ماخطر له في عجلة أحكامه وبين ماخطر لناقد قديم أكثر صلة بالنهضة الشعرية والحركة الأدبية في مصر مثل صديق شيبوب .

انصاف الشباب

أشرنا في العدد الماضي (ص ٧٢) الى المؤازرة الموجَّهة الى أعضائنا الشباب لإخراج مؤلفاتهم تباعاً ، وكان في مقدمة هذه المؤلفات (روّاد الشعر الحديث) للشاعر الناقد مختار الوكيل . وقد تلقينا تشجيعاً وثناءً على ذلك ، ولهذا تأسفنا غاية الأسف لأن تسمح زميلتنا مجلة (الأسبوع) بنشر ما ينتقص ذلك ، وأن يندّ قلم الأديب اسماعيل كامل بهذا الانتقاص والتشويه لغاياتنا الثقافية ، وقد كان يشافهنا من قبل بحسن ظنه فينا وفي أعمالنا ... وما قيمةُ الأدب الذي ينتهي شأنه الى مثل هذه التخرّصات الفارغة والقال والقيل محاربةً لجمعية تبذل جهدها لخدمة الشعر العربيّ خدمةً خالصةً بعيدة عن التحزبات والشخصيات ؟ ! وكل ذلك لأنها تأبى أن تسير في ركاب هذا أوذاك !

وليس سراً مكتوماً أن بين مختار الوكيل وبين صاحب « الاسبوع » وبعض محرريه سوء تفاهم شديد لمسألة شخصيةٍ محضةٍ لاشأن لنا بها بتاتاً ولا شأن لها بالأدب ، كما أننا لا نتحمل مسؤلية الآراء في كتابه الجديد بل نخالفه في جانب منها ، فما يؤسف له جدّاً أن تتورّط هذه الزميلة في مثل هذا الطعن القبيح في ذمة مختار الوكيل وفي ذمتنا وهي التي كانت الى وقت قريب تمدحه غاية المدح ، وأن تجعل صفحاتها مسرحاً لهذا الكيد لنا ولأعضائنا وأصدقائنا بأقلام لا نعرف الصدق ولا الخجل اعلاناً عن أصحابها وبرّاً بأصحاب « الامارات » المصطنعة على حساب الأدب والأدباء . . .

ولو تدبّر هؤلاء الكائدون لرأوا أنّ جميع مناورانهم مكشوفة ، فنحن لن نتخلّى بأيّ حال من الأحوال عن رسالتنا الأدبية فى هذه المجلة وغيرها ، كما أننا نستطيع أن نستغنى استغناءً تاماً عن كل تنويه بتآليفنا الشخصية ، فلا نحن نعمل للربح المادى ولا نحن فى حاجة الى التصفيق والتهليل ، وانما لذتنا الأدبية لذة الهواية الصرفة قبل كل اعتبار آخر ، فمن أراد ثمار أدبنا فعليه أن يسعى لها فلن نكون نحن الساعين اليه ، وان دفن هذا الأدب لأهون علينا من تصنع الأخلاق الكريمة والمنّ السقيم الذى تنضح به تلك النفوس المريضة المفسدة للجوّ الأدبى فى مصر . وقد ضجّ الأدباء المخلصون من جعل الأدب مطية للسياسة ومن تشويه سمعة الأدباء النقاد باسم السياسة كلما قالوا كلمة الصراحة والاخلاص ، والأنكى من هذا أن يدسّ هذا المنزعمّ أو ذاك سفيراً له فى معظم المجلات والجرائد السيارة لمحاربة خصومه وعرقلة النشر لكلّ ما لا يرضيه ولو كان أدباً ناضجاً ، فلا عجب بعد ذلك اذا تألم معالى وزير المعارف وجميعُ الغيورين على حرمة الأدب من هذا الاضطراب المسيء الى سمعة مصر الأدبية فى العالم العربى .

الدكتور ناجى

شَقّ علينا كثيراً ما بلغنا فى الشهر الماضى عن إصابة صديقنا الدكتور ابراهيم ناجى وكيل (جمعية أبولو) فى حادث اصطدام بمدينة لندن إصابة خطيرة نُقِلَ من أجلها للعلاج فى مستشفى سانت جورج . ولكن يسرنا أن نعلن الآن تماثله للشفاء وأنه سيعود الى مصر فى أواخر هذا الشهر . وهذه بشرى تزفّ الى محبيه الكثيرين فى العالم العربى الذين يجلون أدبه ويعشقون لطفه .

وبهذه المناسبة نأسف لما قرأناه من تحامل على الدكتور ناجى حتى فى غيبته وأثناء مرضه ، بينما ناجى لم يدافع عن نفسه الاّ الدفاع المعقول المشروع . وعندنا أنه ما كان يجوز له الاستياء من الدكتور طه حسين بصفة خاصة ، ففضل الدكتور طه على النقد الأدبى قديم معروف ، ولكنه فى ظروفه السياسية الحاضرة التى غرق فيها الى أذنيه لا يملك الوقت الكافى للدراسة العميقة ، كما أنه لا يملك الاستقلال الذى يخوّل له أن يكون ناقداً أدبياً جريئاً ، أى قاضياً عادلاً بعيداً عن المحاباة . فأحكامُ الدكتور طه الادبية فى الوقت الحاضر تُقبَلُ لما فيها من معالم الذكاء لا غير ،

لا لأنها أحكام عادلة ، إذ كثيراً ما تكون بعيدةً عن ذلك . ولكنَّ الدكتور طه ساحرُ العبارة حتى ليفتننا بحيثيات حكم الاعدام علينا أو على واحد من أصحابنا ! وهو يبحث فى الشعر المنقود لناجى جاهداً عن كلمة «خرجت من الأزهر الشريف» حينما يتغاضى عن عبارات الحشو الثقيل فى شعر العقاد التى لا نعرف ولا يعرف الشيطان من أين خرجت !

ضجة مفتعلة

كتب الشاعر عباس محمود العقاد بامضاء أحد أتباعه مقالةً من مقالاته المستورة فى جريدة (الوادى) المؤرخة ٢١ سبتمبر الماضى بعنوان « ضجة مفتعلة » كلها تهجمٌ عنيف علينا . وقد خطر فى بالنا أولاً أن نهمل التعليق عليها — خصوصاً وقد ظهرت ونحن على وشك اصدار هذا العدد — ثم رأى فريق من زملائنا غيرَ ذلك حتى يرى الأدباء النقادُ من أين يأتى حُبُّ الانقسام والاساءة الى الأدب والأدباء حتى بأقلام مَنْ ينتسبون الى مهنة التعليم وهم أبعدُ الناس عن رُوحها وأخلاقها . وقد رأى القراءُ كيف أننا دائماً نقف موقف الدفاع الشريف ، وحتى هذا الموقف لا نقفه الا اضطراراً بعد استنفاد كل ما لدينا من حِلم ، وانما نقفه دفعاً للتزوير على التاريخ الأدبى ودفعاً للاساءة الى النهضة الشعرية الحديثة . بيد أن صفحات هذه المجلة الشعرية لا تتسع لمثل هذا الأخذ والردّ ، ولذلك فقد نضطر فى المستقبل الى الكتابة فى زميلتنا (الإمام) التى ستستأنف ظهورها فى القاهرة ابتداءً من منتصف هذا الشهر. وقد كان بودّنا أن ننفى نسبة هذا المقال الى العقاد كما ننفى نحن نسبة كلّ ما يُظنّ أنه من قلمنا اساءةً لأحدٍ ، وكلمنا فعلاً بعض مريدى العقاد فى ذلك ليتنصل من هذا العبث ، ولكن سعينا فى ذلك كان على غير جدوى .

اهتمَّ العقادُ كعادته فى مستهلّ هذا المقال الذى شغل نهرين من (الوادى) — وهو واحدٌ من سلسلة المقالات المنتظمة لمحاولة النيل منّا ، على مثال ما كانُ يتبع ضدّ عبدالرحمن شكرى منذ عشرين سنة — اهتمَّ بالتهوين من شأننا والتعظيم من شأن نفسه ، وهى طريقة مبتذلة فى الكبرياء المصطنعة أصبحت تمجُّها حتى بيئاتُ التهريج ... ولو أراد العقاد راحة نفسه لترك التقدير الذى يتهافت عليه للتاريخ والنقد الفنى الخالص ، ولتخلى فى سنّه الحاضرة عن أمثال هذه الاعلانات الرخيصة

المضحكة ! ولكن هى الغيرة الحمقاء من كلّ أديب نابه لا يسير فى ركابه وله رسالته الخاصة ، وآخرُ غرائبها الحملة التى نظمها على الكاتب الاجتماعى النابه أحمد الصاوى محمد فى أكثر من صحيفة .

ونقرأ بعد ذلك كلاماً عن رجولته المكتملة ، وأنه رجل صراع وطنى وأدبى تحاربه قوات مجتمعة ومتفرقة فيصمد لها جميعاً ! وأما نحن ففى هدوءٍ من البال وطراوة النعيم ، الخ ... وهذه الكلمات آية فى التبجُّح لقلب الحقائق ، ونحن لا نزكى جهودَنا المتنوّعة وكفاحنا المتواصل فى ميادين شتى منذ أكثر من عشرين سنة فهى لا تحتاج الى تزكية ، وما تحياه من حياة النضال المستمر والتقشف والتعب المتواصل أشهَرُ من أن يُعرَّف به لكلّ ذى منطق سليم ، وأما رجولةُ صاحبنا العزيز المكتملة ومَثلُهُ الأعلى فى الصراع الذى يصحّ أن يقال فيه « مكرَهٌ أخاكَ لا بطل » فموقفه الخزى أثناء محاكمته ، وهروبه من ميدان الأدب الى ميدان السياسة ليحارب زملاءه بأسلحتها الحقيرة . ولا نعرف أنّ هناك قوى تُحاربه فهذا تهويل فى تهويل وجعجعة فارغة ، بل انما يتعرّض له من متاعب ترجع الى رعونته وسلاطة لسانه أقل بكثير مما تعرّض له زملاؤه الصحفيون المجاهدون الذين لا يضجون مثلَ هذا الضجيج لفتاً للأنظار وتظاهراً بالبطولة . وأما الصراعُ الوطنى الذى يتحدّث عنه فاننا لا نفهمه كما لا نفهم هذا الكفاح الذى يتشدق به ، وانما نفهم منه فقط أنه ضحك على الذقون ! فهذا كاتب يتناول مرتباً حسناً من (الجهاد) ومكافأة مالية من (الوفد) وكلّ جهوده مقصورة على مقالة سياسية يومية – هى غالباً عريضة شتائم فارغة للتأثير على الدهماء – ومقالة أدبية أسبوعية ، وله الكثير من الوقت لمرحه ومتعه ، بينما نعانى نحن ما نعانى من المشقات والتضحيات المتنوعة والمسئوليات الكثيرة وصنوف المحاربات عاماً بعد عام . ومازال صاحبنا يتوهم أن فى ظهوره بمظهر الصّنم وفى لطمه ذوى الفضل عليه وفى تشبيهه زائريه ومجتمعهم بحديقة الحيوانات وتسجيله ذلك فى شعره مايكسبه الرجولة والعظمة والاحترام ، فيعيرنا بوداعتنا وهوادتنا ويحاول أن ينتقص رجولتنا ، ولكن كل من عاش فى البيئات المثقفة فى أوروبا وخالط رجال الأدب والعلم فيها يعرف انّ أخلاق الاجلاف ليست من العظمة أو الرجولة ولا من احترام النفس فى شىء ! وبحمد الله لم يجن الشباب الذى امتزج بنا الا الشعور التام بالرجولة والاستقلال والاباء وشمم النفس وأمثال هذه الصفات التى نبثها فيه ولو ثار بعضهم علينا — وقد أشرنا الى ذلك من قبل — وليس مثل هذا ما يستطيع أن يباهى به العقاد نحو

مَن عاشروه من الشبان . ومن يتردد علينا منهم الا أبناء البيوتات الطيبة ، فما يقوله ذنبٌ آخر من أننا نعول هذا أو ذاك هذرٌ في هذرٍ ، فان إنفاقنا على العلم والأدب لا على الأشخاص وليس لغايات شخصية ، والعكس كلّ العكس حال خصومنا .

وأما عن آرائنا الفلسفية وتأملاتنا الفكرية فتغلغلة في دواويننا ومؤلفاتنا وهي من صميم خواطرنا لا من آثار مطالعاتنا وحدها . فلا تدفع بصاحبك المسكين الى العيب في شعرنا قبل أن تحرم عليه انتهابه ، اذا كنت أنت تريد التظاهر بالتعفف عن مثل ذلك ، وهذه احدى قصائده الأخيرة « النفس الضائعة » المنشورة في مجلة (الرسالة) المؤرخة ١٧ سبتمبر الماضي منهوبة الخواطر والمعاني من قصيدتنا « أقصى الظنون » (ديوان الشفق الباكي — ص ٣٠٠) واذا غفرنا لك ماتنتهبه أنت بجانب ما لك من حسنات فلتحسن على الأقل اختيار من توكل اليهم مسؤلية مهاجمتنا بهذا الأسلوب الرقيع ! وأما عن شعرنا الذي يتمثل فيه تقديسُ المرأة روحاً وجسماً ومعنى فهو أبعد ما يكون عن الإباحية لدى من يفهمه ، وانما هو صورة التسامي والطبيعة النقية ، ولم يقل أحد عنا ذلك لمجرد وصفنا شتى الاحوال النفسية ، بل نحن نغار على قدسية المرأة أشد الغيرة ، وتفسيركم هو صورة نفوسكم المريضة . وانما هذه الاباحية بل الشذوذ البغيض هو مما يُطلّ من ثنايا شعرك ، ونحن لانعرف النفاق الذي تعرفونه أنتم أيها العمالقة المتصنعون وأنصار الفضائل الموهومة !

وأما الحقد الكظيم فشيء لانعرفه أيضاً ، لأن أشهى ماعندنا أن نعيش للجمال بما فيه من حرية وسلام وقد نقدنا أدبك وقدرناه فوجدناك لاتقنع بأقل من التأليه فرأينا من الخير بعد ذلك أن نتركك وشأنك إذ لاخير في مثل هذا الغرور والأنانية . ولولا تعرضك لنا بالسوء وطعنك في شرفنا وأخلاقنا ، ولولا المناسبات الأدبية التي تقضي الأمانة بذكرك فيها ، لأغفلناك اغفالاً تاماً . ونحن نتحدى أي انسان يقول إننا أصغرناك عند مَنْ قسوا في نقدك ولم نكن منصفين لك من وجوه شتى .

ونحن لانعرف أحداً يختلط بنا الا من ذوي الفضل والمكانة والشباب المثقف ، ومن عداهم فلا صلة لهم بنا ، وقد تكون لهم بك هذه الصلة بالمعنى الذي تذكره . وقد نساعد بعض البائسين أحياناً على قدر طاقتنا كما ساعدنا صاحبك الشتام الجاحد ، وهو آخر من ينبغي له التحدث في هذا المعنى ، وليتقدم أو لتتقدم أنت نيابةً عنه بسداد ما اقترضه وما يقترضه يمنةً ويسرةً من الكثيرين ثم يدّعي بعد ذلك أنه مَن تُعرض عليه النقود في حين أنه لا يُعطى لأحدٍ فرصةً لمثل هذا العرض ! . . . ولكن هي

الصفاقة المتناهية وطبيعة الاختلاق التى تسترها الليونةُ والابتسامُ الى أن ينفضح أمره وتظهر خديعته ورياؤه، وحينئذ يثور ويتكلم عن « القاذورات » وأشباهها كأنما هذا من لغة معلمى المدارس التى ينتسب اليها !

ولم يخجل ذلك القلم السّليطُ من الحطّ من أدب مطران وشكرى وتصوير التنويه بهما ضجةً مفتعلةً ، وأمّا سخافة « امارة الشعر » التى تورّط فيها الدكتور طه حسين (كما يتورط الآن عن حسن نيةٍ فى مقالات كثيرة مغرضة بتأثير مَنْ حوله من الموسوسين) فليست من الضجة المفتعلة فى شىء !

إنّ مطران يا هذا ملء الأسماع والأبصار بأدبه الناضج منذ نصف قرن ، وهو فى غنًى تام عن كلّ ضجة مفتعلة، فلا توهموا القراء بأنه مجرّد شاعر صادفته الشهرة ، وخطّتنا فى هذه المجلة كانت دائماً معارضة الزعامات المفتعلة حتى رفضنا تلقيبَ مطران بأمير الشعراء وشاعر الأقطار العربية كما رفضنا أن ننشر الأمداح الموجَّهة الينا قبل أن يخطر فى بالك التعلّقُ بهذا الصغار . . . ولا نودّ أن نقول إنك عُدْتَ الى ذكر شكرى مضطراً فى الوقت الذى نريد أن نختم بسلام هذه المأساة ، فمن الخير أن لا تعود الى الغمز فى أدب شكرى وأخلاقه وأنت تعلم محبتنا القديمة له التى لا شأن لها بك ، ولا الى الطعنَ فينا وفى وزارة المعارف لمثل هذا التظاهر الرخيص بالبطولة الذى تقوم به من وقتٍ الى آخر ، وما أرخص هذه البطولة العرجاء فى بلادنا المسكينة !

***

وتظهر الامضاء الشريفة ورمزها مرةً أخرى فى مجلة (الأسبوع) الغراء بعددها المؤرّخ ٢٦ سبتمبر الماضى كأنما لم يبق غير هذا الاسفاف ضماناً لرواجها . ونعود فنقول إننا لا نعرف التهجّمَ على أحدٍ ، فكيف نُلام بعد هذا إذا وقفنا موقفَ الدفاع الصريح عن شرفنا وأدبنا ازاء الكاتب المتحامل وازاء المجلة التى تقضى خطتها التجارية بمالأته ؟ قال  : الدنيا جيفةٌ وطُلاّبها كلابٌ ، فمن أراد منها شيئاً فليصبر على معاشرة الكلاب ! ونحن لا نريد شيئاً من دنيا هؤلاء ، ولكنهم يتخيلون دائماً ذلك فينغّضون أنفسهم ويشنّون من الغارات ويبتدعون من الاختلاقات ما ينافى أبسط مبادىء الأخلاق والانسانية ، ولكن ما لهم وللأخلاق والانسانية ودنياهم من غير هذا الطراز ؟ ! يحاولون الايقاع بيننا

وبين ناجى وهو مَنْ هو بيننا فى المكانة والإعزاز . ويحولون دون نشر رسالة مختار الوكيل ردّاً على مزاعمهم الكاذبة وافتئاتهم وقد سلَّمَ الينا نصَّها بخطه وسننشرها فى مجلة (الامام) الصادرة يوم ١٥ أكتوبر ليرى القراء مبلغ افتنان هؤلاء الأفاضل فى التزوير على الأحياء . ويدّعون أننا كتبنا الى (البلاغ) مقالة عن « النور فى شعر أبى شادى » بامضاء مختار الوكيل بينما نحن نزهد فى نشر ما نتناوله من أمداح وتقاريظ من أدباء معروفين ، ومختار الوكيل حسن الخطّ ولذلك نجزم بأن مقالتـه ذهبت إلى (البلاغ) بخطه هو ، فليُسأل عنها (البلاغ) . وأما وجود « دار ذى القرنين » فى الاسكندرية فأمرٌ جائز ، وهذا لا ينفى الشعر الاباحى المستنكر ،وما هو بالفريد من نوعه فى شعر العقاد، ولذلك لم يأثم لا رمزى مفتاح ولا صالح جودت فى استنكاره ولم تأثم مجلة (أبولو) فى نشر ذلك الاستكار ، فانّ تقدير الجمال وتحليله الذوقى شىءٌ والاباحية شىء آخر . وأمّا عن آراء اسماعيل مظهر فليسأل عنها هو فشواهدها عنده . وأما عن عزيزنا كامل كيلانى فحسبه أن يداوى اللطمة التى أخذها أخيراً من المازنى لتفنّنه فى اصطياد مواد مؤلفاته من الأدباء البائسين ، ويكفيه أن يطوف على المقاهى بأهاجيه لنا ، وبمقالات تقريظه على الصحف سواء مباشرة أو بالواسطة . ونحن لا نعمل سرّاً فى أى مجال بل حولنا من حولنا من أدباء شهود يعرفون إذا كنا نعمل لأنفسنا أم نعمل لغيرنا ، ونخترع الأمداح أم نتعفَّف عنها وننشد النقد الصريح النزيه . وعدد (الأسبوع) الأخير كله هوسٌ وجنون فى مهاجمتنا فى صفحات متوالية الى درجة الاشارة الى ماضينا ، كأنما كنا من متشرّدى القلعة وقهوة الشيشة وغيرهما أو من مهرِّجى قلعة ابى جبل أو من صعاليك الصحافة الأوغاد . . . وهكذا يكون النبل وسادتنا النُّبلاء !

عبث

كنا كتبنا فى العدد الماضى كلمةَ مؤاخذةٍ صريحة للأديب عبد الفتاح حمودة على نقده لشعرنا الذى جعله فى الواقع طعناً فى ذمتنا وأخلاقنا قبل أن يكون نقداً فنّياً ، وهذه عادة سيئة ذائعة بين النقاد لا تقلّ عنها سوءاً أن يعتبر الناقد المنقودَ أقل منه أدباً وفكراً فيتورط فى أبجديات نقدية لا معنى لها . وأما النقد الأدبى الخالص فعادتنا الترحيب به ومناقشته فى هدوء ، والشواهد الماضية كثيرة على اخلاصنا فى ذلك ، بل نحن نشكر الناقد الأدبى الصريح ولو تحامل علينا مادام يكتب بحسن نية .

وقد جاء الأديب الناقد فى جريدة (الوادى) المؤرخة ٢٨ سبتمبر الماضى برد ليس فيه ذرة من الانصاف والاعتراف بالخطأ أو الاستقلال الذى يدعيه، بل فيه مافيه من زيادة التهجم علينا ، وحسبنا إنصافاً له ولأنفسنا أن نوجِّه اليه أنظار القراء ليتبيَّنوا بأنفسهم روح الكاتب الفاضل ومراميه، ثم ليحكموا له أو عليه وعلى غيره ممن يتفضَّلون بتجريحنا فى جريدة (الوادى) رعايةً من هذه الجريدة المحترمة لصديقها العزيز عباس محمود العقاد ومَن يلوذون به ، بعد أن أصبح الدكتور طه حسين لا يتحرز من التأثيرات الشخصية والعصبية السياسية حتى ولو كانت ضدّ رجل مايزال يحترمه ويحسن الظنّ به ولا شأن له بالعصبيات السياسية كمحرر هذه المجلة .

أينا المغرر بالشباب ؟

لقد دفع سخطُ العقاد وأذنابه علينا (لأننا أبينا إباءً التغرير بالشباب ودفن مواهب الرجال المبرِّزين الذين حاربهم) الى الالتجاء الى راية السياسة كما أشرنا من قبل، واستغلال الصحف التى تجامله لمناوأتنا بكل وسيلة ومنها اتخاذ الشباب للاختلاق ضدّنا واساءة تفسير جميع أعمالنا وبين هؤلاء مَن لم يبرحوا أول سلم الأدب ... فمن ذلك أننا اذا ضننا بفراغنا فى (أبولو) لدراسات تخصّنا ونشرناها مستقلة لم نكن مشكورين على هذا الايثار بل كان ذلك جريمة وأى جريمة ، ووجب شتيمة من يقدرنا ولو كان مثل خليل مطران أو أحمد محرم اللذين ترجع علاقتنا الأدبية بهما الى سنين بعيدة ! ومن ذلك أن يقال إننا نستجدى التقريظ ونحن الذين نأبى نشره فى هذه المجلة وغيرها ، وبينه ما يتشرَّف غيرُنا باذاعته كما يفعل العقاد فى « الجهاد » وسواه ، بينما نحن الذين كنا ولا نزال القدوة المثلى فى نشر النقد الصارم كما فعلنا فى نشر مقال صديقنا الفاضل محمد سعيد ابراهيم فى ديوان (الشفق الباكى) فى حين يولول غيرُنا لأىّ معنى من مَعانى النقد ! ومن ذلك أنّ اتّباعنا نسق النشر الذى آثره صديقنا الأديب الصحفى المطبوع حسن الجداوى أو تعاوننا الأدبى مع مريدينا من جمعيات وأفراد معناه انعدام شخصياتهم فى كل هذه الآثار الأدبية التى تخصنا ! ويكفى عندهم دليلاً على ذلك ارتباطنا بمطبعة واحدة مشهورة خدمتنا وخدمت أصدقاءنا سنين طويلة فتماثل الحروف والنسق فى اعتبارهم الحكيم معناه انعدام الشخصية !

والاظرف بعد كل هـذا أن مَنْ يوكّل بنقدنا مِن الناشئين هم بين مَنْ نُصلح لهم أشعارهم وأدبهم ، ومع ذلك يدّعي خصومُنا أن هؤلاء نقادٌ ناضجون مستقلون ! ها هى مجلة (أبولو) فى سنتها الثالثة مزدحمة بانتاج العشرات من الشعراء والنقاد ومع ذلك فنصيبنا الشعرى فيها قليل ، ولم يُعرف عنا أننا استغللنا جهودَ أحدٍ منهم للاعلان عن أنفسنا، بل كان ولا يزال كلّ همنا أن نكون عاملين فى المؤخرة وأن ندعَ الصدارةَ كلَّ الصدارة للشباب المنجبين ، نُشغلهم بالخير المحض بينما يُشغلهم سوانا بالتحزبات الشخصية والمنـازعات ... ولقد أراد الدكتور رمزى مفتاح أن يضع كتاباً عنّا فصرفناه عن هذا الجهد الكريم ، وأراد مثل ذلك العوضى الوكيل فأبينا عليه هذا الفضل ، وأراد مختار الوكيل أن يكتب دراسة طويلة لديوان « فوق العباب » فشكرناه معتذرين ، وقد تطول بنا القائمـة اذا سردنا الأسماء الكثيرة . فأينا بعد هذا يغرر بالشباب أيها العابثون ؟ !

أدب أم قلة ادب ؟

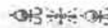
قد تمرّ بنا أشياء كثيرة لا أهمية لها فى ذاتها ، ولكن لهـا أهميتها فى تأريخ التيارات الأدبية فى وقتنا الحاضر ، وهذا مادفعنا الى كتابة هذه التعليقات المختلفة. مثـال ذلك أن تعلن صحيفة نحترمها عن قرب اشتراك أحـد مريدنا فى تحرير صفحتها الأدبية ، ثم اذا بكل هذا يُعدَّل سريعاً فيحال حتى دون نشر أدبه ويحل محله آخر لاصلة له بالأدب ، ويكفى أنه موظف تجارى لا أكثر ولا أقل ولا ثقافة أدبية خاصة له ولا مرانة كتابيـة قوية عنده ، وكل ميزاته أنه أحـد أذناب العقاد المنزلفين يحمل له فى كل يوم جمعة صينية الكبيبة ، وينضم الى من يسميهم العقاد أعضاء « جنينة الحيوانات » ، متسلياً العقاد بهم ومستهيناً بشأنهم ، وهو المقدّس المشكور منهم على أى حال ! وهذا الإبدال له الثناء الواجب حتماً ، والثنـاء الواجب يتشكل طبعاً بمهاجتنا لا مهاجمة فنية ولكن مهاجمة من قلة الادب لحمتها وسداها الطعن فى الذمم بقلم أسير يتصنع الصدق والحرية . . . وبعد هذا ندع الكلام للشاعر الناقد صالح جودت فى صحيفة « الامام » التى ستصدر فى منتصف هذا الشهر ، فانّ له خبرةً خاصة بهذا الصنف من المتطفلين .

ويتحدّث ذنب آخر عن تعففه عن ذكر ماضينا الذى نفخر به كل الفخر ، والاولى

به أن يذكر القراء بماضيه هو فى الصعلكة والتسكع، وبما كتبه المهياوى فى « الاخبار » وعبد القادر حمزه فى « البلاغ » عن ماضى العقاد من جهتى السياسة وغيرها ، حتى يحذر قليلاً فى ما يريد خلقه من عصبية سياسية موهومة ضدّنا ، بينما نحن نحتقر هذا الاتجار بالسياسة كلّ الاحتقار ونتحدّى أىّ مخلوق يدّعى ما يدّعيه العقاد من أننا نعمل بايعاز أىّ سلطة أو بمكافأة أى سلطة لمناوأته المزعومة كما أوهم أحد أذنابه فى كتاباته ، وكما ذكر العقاد نفسه تكراراً فى مجالسه إيهاماً بعظمته وطعناً فى شرفنا بهذا السلاح الخسيس ، بينما شرفنا الوطنى وشرفنا الشخصى كلاهما أسمى من أن ينال منه أىّ انسان على الاطلاق فضلاً عن مثل العقاد وأذنابه .

الى أصدقاء ابولو

وبعد هذا ، نعلن أصدقاء (أبولو) بأننا تلقّينا ردودا شتى على ما وُجّه الينا من حملات ، ولكننا آثرنا أن نكتفى بملاحظاتنا المتقدمة التى نجعلها الأخيرة من نوعها فى هذه المجلة وأن ننزّه صفحاتها تنزيهاً مطلقاً عما يجوز أحياناً فى الصحف اليومية ، فان فى تأييد وزارة المعارف المصرية ووزارة المعارف العراقية والمعاهد العلمية فى الشرق والغرب لهذه المجلة معنًى سامياً لا ينبغى تكديره بالدخول فى المنازعات التى لا تسلم غالباً من أوضار الأحقاد .





ذكرى المتنبى

أذاعت طهران اقامة تذكار للفردوسى شاعر الشاهنامة كما سبق القول ، والان تذيع الأقطار العربية الاحتفال المرتقَب بذكرى المتنبي ، فأقول فى ذلك :

تمهيد

ان المتنبى الشاعر المشهور الكندى ترك لنا آثارا شعرية ليست بأقل مما تركه

غيره من شعراء الأعاجم، فاذا لم يكن قد نظم ملاحم كالياذة اوميروس وشاهنامة الفردوسي وكلستان السعدى وفردوس ملتون وروايات شكسبير وتأملات لامرتين وقصائد هيكو وكوميدية دنتي ومنظومات سرفنتس وغيرها فقد ترك لنا ديوان شعر ملأه بالحكم والحماسة والاوصاف البليغة والافكار الرائعة فى وصف الحروب والأسد وغيرها مما خلد له الذكر وحمل كثيراً من العلماء على شرح ديوانه حتى كان شراحه أكثر من أربعين وآخرهم الشيخ ناصيف اليازجى فى (العرف الطيب) مما طبعه ولده الشيخ ابراهيم، الى غير ذلك مما يدل على مكانته الكبيرة فى عيون العلماء قديماً وحديثاً ، وفى السنة الآتية يمر على وفاته ألف سنة وهو رفيع القدر ذائع الذكر.

من هو المتنبي ؟

سمى بذلك لأنه ادعى النبوة فى بادية السماوة وأسر وحبس . وهو الشاعر العربى اللغوى الجميل الطراز فى أساليبه والفيلسوف المبدع فى حكمه فقد ملأ حلب الشهباء بمدائح سيف الدولة بن حمدان حاكمها وسار الى مصر فلم يقصر فى أوصافها وأجاد فى كل ما نسجته يراعته وابتدعته فكرته وأنتجته مخيلته ومثلته بلاغته مما تناقلته الرواة فى كل عصر وأكبرته العلماء فى كل مصر حتى فى الاندلس والمغرب فلقبوا بعض شعرائهم باسمه تيمناً مثل ابن هانىء (متنبي المغرب) ؛ فهو أبو الطيب أحمد بن الحسين الكندى الذى طار ذكره بين الشعراء وكان مولده فى الكوفة سنة ٣٠٣ هـ (٩١٥ م) وتوفى قتيلا سنة ٣٥٤ هـ (٩٦٥ م) فلو عمر أكثر من ذلك لما ترك مقالاً لقائل ولا مجالاً لجائل ، وكان سبب قتله قوله مفتخراً :

أنا الذى نظر الأعمى الى أدبى وأسمعت كلماتى من به صممُ
الخيلُ والليلُ والبيداء تعرفنى والسيف والرمح والقرطاس والقلمُ

آراء الكتاب فيه

ومما يروى عن الشيخ ناصيف اليازجى شارح ديوانه كما سبق أنه رأى أحدهم وقد كتب على نسخة من ديوان المتنبي هذين البيتين :

أسأل الله إله العر ش ذا الأفضال ربى
حسنَ لفظِ الأرجا نىّ وحظّ المتنى

فكتب تحتهما من نظمه :

قد تمنى حسنَ حظٍ فأرانا حسنَ لبٍّ
طلبَ الممكنَ إذ لم يَرجُ نظمَ المتنبي

وكان اليازجي مولعاً بالمتنبي وشعره حتى تحداه بمنظومه وكان يحفظ أشعاره ، ومن آثار ذلك أنه لما وقف على طبع معجم (محيط المحيط) لبطرس البستاني وكان بمدرسته الوطنية ملأ المعجم شواهد من المتنبي مما وعاه فى حافظته النادرة ! وكثيراً ما كان يقول : المتنبي يمشى فى السماء والشعراء على الأرض !

ومع ذلك فقد انتقد المتنبي بعضهم وهجوه حسداً مثل ابن لنكك البصرى النحوى وشاعر آخر عيره بانه كان سقاء بالكوفة بقوله :

أىُّ فضلٍ لشاعرٍ يطلب الفضلَ مِن الناس بكرةً وعشيا
عاش حيناً يبيع فى الكوفة الماء وحيناً يبيع ماء المحيا ؟!

وكتب بعضهم فى مدحه وهجائه ونقده ، وردَّ آخرون عليهم أقوالهم ، وذلك مما لم يسبق لغير المتنبي من هذه العناية الفائقة بشعره .

وقال ابن الأثير فى محاسن المتنبي بمثله السائر :

« وأحسن من هذا قوله فى قصيدته التى مطلعها (عقبي اليمين على عقبي الوغى ندم) :

فما تركن بها خلداً له بصرٌ تحتَ التراب ولا بازاً له قدمُ
ولا هزبراً له من درعهِ لبدٌ ولا مهاة لها من شبهها حشمُ

وهذا من المليح النادر فالخلد استعارة لمن اختفى تحت التراب خائفاً ، والباز استعارة لمن طار هارباً ، والهزبر والمهاة استعارتان للرجال المقاتلة والنساء من السبايا » (اهـ) .

وعقد باباً للمفاضلة بين المتنبي والبحترى فى وصف الأسد وأورد أبياتاً من القصيدتين البائية للبحترى واللامية للمتنبي ثم عقب على ذلك بقوله :

« وسأحكم بين هاتين القصيدتين والذى يشهد به الحق وتتقيه العصبية أذكره ، وهو أن معانى أبي الطيب أكثر عدداً وأسدّ مقصداً . ألا ترى أن البحترى قد

قصر مجموع قصيدته على وصف شجاعة الممدوح فى تشبيهه بالأسد مرة وتفضيله عليه أخرى ولم يأت بشيء سوى ذلك ؟ وأما أبو الطيب فانه أتى بذلك فى بيت واحد وهو قوله :

أمعفِّرَ الليث الهزبر بسوطهِ لمن ادَّخرتَ الصارمَ المصقولا ؟

ثم إنه تفنن فى ذكر الأسد فوصف صورته وهيأته ،ووصف أحواله فى انفراده وفى حبسه ، وفى هيأة مشيه واختياله ،ووصف خلق بخله مع شجاعته وشبه الممدوح به فى الشجاعة وفضله عليه بالسخاء . ثم انه عطف بعد ذلك على ذكر الأنفة والحمية التى بعثت الأسد على قتل نفسه بلقاء الممدوح ، وأخرج ذلك فى أحسن مخرج وأبرزَه فى أشرف معنى .

والبحترى وإن كان أفضل من المتنبي فى صوغ الالفاظ وطلاوة السبك فالمتنبي أفضل منه فى الغوص على المعانى ،ومما يدلك على ذلك أنه لم يعرض لما ذكره فى أبياته الرائية لعلمه أن بشرا [1] قد ملك رقاب تلك المعانى واستحوذ عليها ولم يترك لغيره شيئاً يقوله فيها ،ولفطانة أبى الطيب لم يقع فى ما وقع فيه البحترى من الانسحاب على ذيل بشر لانه قصر عنه تقصيراً كثيراً . ولما كان الأمر كذلك عدل أبو الطيب عن سلوك الطريق وسلك غيرها فجاء فى ما أورد مبرزاً .

واعلم أن من أبين البيان فى المفاضلة بين أرباب النظم والنثر أن يتوارد اثنان منهما على مقصد من المقاصد يشتمل على عدة معان كتوارد البحترى والمتنبي هنا على وصف الأسد . وهذا أبين فى المفاضلة من التوارد على معنى واحد يصوغه هذا فى بيت من الشعر وفى بيتين ويصوغه الآخر فى مثل ذلك ، فان بعد المدى يظهر ما فى السوابق من الجواهر وعنده يتبين ربح الرابح وخسر الخاسر . . . » اه .

وأنشد المعتمد بن عباد اللخمى صاحب قرطبة واشبيلية فى الاندلس يوماً ما فى مجلسه بيت المتنبي من قصيدة :

إذا ظفرت منك العيونُ بنظرةٍ أثاب بها معيي المطيّ ورازمهْ

---

(١) يريد بشر بن أبى عوانة فى قصيدة قتله للأسد التى مطلعها :

أفاطم لو شهدتِ ببطن خبتٍ وقد لاقى الهزبرَ أخاكِ بشرا

وقد شطرها محمود قبادو التونسى تشطيراً زادها سلاسة ومعانى وحسن وصف

وجعل يردده استحساناً وفى مجلسه أبو محمد عبد الجليل بن وهبون الاندلسى فأنشد ارتجالاً :

لئن جاد شعرُ ابن الحسين فانما تجيد العطايا واللّهى تفتح اللها
تنبأ عجباً بالقريضِ ولو درى بأنك تروى شعرَه لتألّها !

ومن بلاغات المتنبي الفائقة انه وصف ببيتين ما وصفه أوميروس كبير شعراء اليونان فى الياذته بأبيات ، وكان للمتنبي براعة بديعة فيهما ، وهما :

صدمتهم بخميسٍ أنت غرته وسمهريته فى وجهه غمم
فكان أثبت ما فيهم جسومهم يسقطن حولك والأرواح تنهزم !

وهذان البيتان مما فات سليمان البستانى ذكرها حاشيته على قول أوميروس كعادته فى الالياذة العربية .

ومن أولى ما نختم به كلمتنا عن المتنبي علمه باللغة واطلاعه على غريبها وحوشيها حتى كان يستشهد بكلام العرب نظماً ونثراً فى كل ما يسأل عنه ، وسأله الفارسى عن الجموع على وزن فعلى فقال له فى الحال : ليس عندنا إلا جمعان وهما حجلى وظربى ، فبحث الفارسى ثلاث ليال فى كتب اللغة فلم يجد لهما ثالثاً !

ومن نثره قوله فى رسالة موجزة : وصلتنى وصلك الله معتلاً وقطعتنى مُبِلاً ، فان رأيتَ أن لا تحبب العلةَ الىّ ولا تكدر الصحة علىّ فعلت إن شاء الله تعالى (اهـ) الى غير ذلك ؟

زحلة (لبنان) عيسى اسكندر المعلوف





تربية الذوق

ربما أتيح لنا أن نضع كتاباً فنياً مصوَّراً عن جمال المرأة وتحليل عناصر ذلك الجمال ، لأننا نعتقد أنّ كتاباً من هذا الطراز مما يساعد على تربية الذوق الفنى والنظر الى المرأة نظرةً فنيةً . وقد لاحظ أصدقاؤنا كيف أنّ جميع الشعر الذى تناول المرأة ونشرناه فى هذه المجلة أو فى دواويننا الخاصة كان يحوم حول تقديسها وحول تربية الذوق الفنى المتطلع اليها ، كيفما كان الموضوع الذى تناوله ذلك الشعرُ خاصّاً بها . وبعبارة أخرى أننا كنا نحارب بهذا الشعر الخشونةَ المتوحّشةَ وشعورَ الاحتقار للمرأة والشذوذ والشهوة السقيمة ، كما كنا نربّى الذوقَ الفنى العام . فاذا لغَط بعد ذلك مَن لا يفهمون شيئاً من أصول الفنّ ، أو مَن يعميهم الحسدُ والغرضُ بتفاسير يمجُّها كلُّ أديب مهذب « كالاباجية » ونحوها ، فيجب أن ترتدَّ تفاسيرهم الى نفوسهم ، فانما نحن نعتمد على أرقى النماذج الفنية ومنها ما اعتزّتْ به الأكاديميةُ الملكية فى لندن وصالون باريز وماتعتزّ بأمثاله المعارض الفنية المصرية نفسها التى ترعاها هيئات محترمة . فابعدوا عن الأذهان أيها السادة تفاسيرَكم المريضة ، واحتفظوا بها لأنفسكم إذا شئتم ، فأنتم وحدكم أهلٌ لها !

ذكرى الفردوسى

فى الثانى عشر من شهر أكتوبر الجارى يقام فى مدينة (مشهد) بايران — حيث مرقد الشاعر المشهور الحكيم أبو القاسم الفردوسى صاحب كتاب « الشاهنامة » الاحتفال الرسمى العظيم بمرور ألف سنة على ميلاد الفردوسى . وقد دعت اليه الحكومةِ الايرانيةُ كثيرين من أهل العلم والأدب من انحاء العالم ، كما دعت ثمانين مستشرقاً من مختلف الأمم الغربية . ويمثّل مصر فى هذا الاحتفال الفخم الاستاذ عبد الوهاب

عزّام ناشر ترجمة «الشاهنامة» الى العربية ، وهو فى مقدمة المصريين المتضلعين من الأدب الفارسى ، وستسبقه احتفالات أخرى أولها بمدينة طهران فى الرابع من أكتوبر . وتعنى الحكومة الايرانية بترميم قبر الشاعر على مثال أبنية ملوك الايرانيين القدماء قبل البدء بالاحتفال .

وفى الوقت نفسه تشترك الحكومة الروسية بذكرى هذا الشاعر العظيم ، فحبذا لو استطاعت الجامعة المصرية — على مابين مصر وإيران من صلات قديمة — أن تقوم من جانبها باحتفال مستقل توطيداً لما بين الأمتين من الروابط الثقافية القديمة وتكريماً للعبقرية الأدبية .

الطلبة والجماعات

كثيراً ما شكا رجالُ التعليم من استغلال رجال السياسة — على اختلاف أحزابهم — لشباب الأمة ، وعلى الأخصّ لطلبة المدارس ، فى تنفيذ برامجهم السياسية ، لأن نتيجةَ هذا الاستغلال كانت التفويتَ على كثيرٍ منهم دراساتهم والاساءة الى مستقبلهم ، فأنّ السياسة أولى بأن تُترَكَ للزعماء السياسيين ولرجالات الوطن الذين حنكتهم التجاريب وأنضجتهم الحوادث ، لا أن تكون ألعوبةً فى أيدى الناشئين الذين يصيرون حتماً ضحايا الأحزاب السياسية .

وقد انتقل هذا المرضُ — للأسف الوافر — من ميدان السياسة الى ميدان الأدب ، أو على الأصحّ الى شيعةٍ منه تؤمن مجازاً بعبادة الأصنام وبالخلط بين الأدب والسياسة ، واذا بهذا الشباب يُسَخَّر للهتاف لهذا المتزعم أو ذاك هتافَ الخناجر الا سيرةِ وهتافَ الأقلام الذّليلة .

ولحظنا ذلك منذ سنين فأبينا هذه المذلةَ والامتهانَ لشباب الأمة . وأفسحنا صفحاتنا للمختار من آثار الشباب الموهوبين ، إذ ليست المواهبُ الأدبيةُ بما يقاس حتماً بالسنّ ، وفى الوقت ذاته جعلنا شعارَ ندوتنا أمامهم تقديمَ الدرس على الانتاج الأدبي ، وجعلنا محفلنا صيانةً لهم من المقاهى وأمثالها ومن التذبذب بين الأحزاب ، فمن خاب منهم بعد ذلك لم ترجع خيبتُه الينا وانما الى دورانه حول أمثالهم والى إضاعته الوقت فى عبثهم . وقد استحقت خطتنا هذه تقدير معالى وزير المعارف عند ما تشرف وفد (جمعية أبولو) بمقابلة معاليه فى الصيف الماضى .

ولمّا عرَفَ خصومُنا هذه الحقيقة أخذوا يضللون فوق أضاليلهم ويتظاهرون بالغيرة على الشباب ، وتناسوا كيف غرّروا به ، وكيف ما زالوا يغررون ، ما بين إشعاره بروح التبعية بدل روح الشمم ، وما بين قتل مواهبه الأدبية بدل إظهارها ، وما بين تقسيمه الى فِرَقٍ يحارب بعضها بعضاً ، الى آخر هذه المهازل المشجية ، فى حين أن (ندوة الثقافة) وجمعياتها ليست لها صلةٌ خاصةٌ بالشباب ، وانما صلتها أدبيةٌ وثقافيةٌ عامةٌ بجميع أهل الأدب على اختلاف طبقاتهم ، وغايتها إبراز المواهب الأدبية وتشجيعها أينما كانت فى غير إسراف ولا تغريرٍ بأحدٍ . فلا غرو إذا حمد لها العقلاء جهودَها النزيهة ، وحاربها المغرضون فحاولوا اتهامها بجناياتهم المشهودة وتشويه غاياتها الشريفة ، ولكن المغالطات لا تدوم ولابدّ أن تنكشف كما انكشفت مناوراتهم المفضوحة .

فى الشعر الجديد

(نقرأ حواراً عجيباً عن ابتداع شعر الأوبرا فى اللغة العربية وشعر التصوير والميثولوجيا بألوانه الجديدة التى عرفها القراء عن آثارنا ، ويُتعب أحدُ أفاضل الأدباء نفسَه فى نفى ذلك عنّا ! والأمر لا يحتاج الى كلّ هذا الحوار فأسبقيةُ آثارنا هذه لا تحتاج الى تدليلٍ وتأثيرها فى أدباء العربية مشهودٌ لمن يطلع على المجلات السورية وغيرها) والذين يريدون أن يعطوا غيرَهم دروساً فى النقد النزيه أوْلَى بهم أن يَفهموا معنى ضبط النفس وضبط موازينهم كيفما كانت الظروف ، وبذلك يحترمون أنفُسَهم ويستحقّون احترامَنا لهم دائماً .

ويُقالُ إنَّهُ ليس لنا ولا قصيدة واحدة فى الشعر العلمى تشرّفنا بينما تزخر دواويننا بهذا الشعر وعلى الأخصّ ديوان « الشفق الباكى » وبينها قصيدة « جنة النحل » التى كان يُعجب بها المرحوم شوقي بك كما يُعجب بها الى الآن رئيس تحرير (المقتطف) وغيرهما من كبار رجال الأدب . ومثل هذا الحُكم هو نتيجة عدم الاطلاع الشامل على آثارنا المختلفة .(وأمّا عن شعر الميثولوجيا فحسبنا أنَّ فى جَمعِهِ بين الأساطير والخيال والعاطفة وتفسير الحياة والتعبير عن الحوادث المصوَّرة ما يجعله الى الآن فريداً مستقلاً ، ولم يستطع منتقصونا مجاراته فضلاً عن التبريز علينا فيه) ومع ذلك فنفسُ هؤلاء المنتقصين كثيراً ما تغنَّوْا بعكس

هذه الاغنية من قبل ، ولكن يظهر أنّ للخريف تيارات خاصة ! وأما عن الحكم على شعرنا الفلسفى فالأولى به رجل كالدكتور على العنانى أستاذ الفلسفة فى دار العلوم ، فليس هذا اللون من الشعر فى متناول كل ناقدٍ وخصوصاً من ليست لديهم ثقافة فلسفية ولا روح فلسفية .

وعِيبَ علينا استعمال بحور الزجل مع أنها تكسبهُ روحاً مصريةً رشيقةً ، وقد قلّدنا فى ذلك غيرُ واحد من الشعراء المشهورين بعد أن كانوا يتهكمون علينا فى البداية كما يقع كثيراً ازاء كل جديدٍ غريبٍ .

الشعر والسياسة

كثيراً ما نادينا بترفُّع الشعر عن السياسة ، وأن الوطنية غير الحزبيــة ، وأن من العيب تسخير الشعر لأهواء السياسة بدل خدمة القومية الخالصة . وهذا المبدأ ظاهرٌ فى جميع شعرنا قديمه وحديثه على السواء ، وأحدثه ديواننا (فوق العباب) الذى يعرف أصدقاؤنا الكثير من شعره الوطنى الذى ننتصر به للديمقراطية وحقوق الشعب وبعضه شائع فى الأندية .

لذلك نأسف جدّ الأسف لادعاء محررٍ فى (الوادى) اشتهر بمغالطته واشتغاله بالدسائس ضدّنا أننا نظمنا شعراً ضدّ (الوفد المصرى) مستشهداً بأبيات منصّبةٍ على مشاحنات الأحزاب ولا تعبر الاّ عن الحسرة على هذا الشقاق المصدّع لوحدة الأمة ، وأىّ فائدة من الصعود بالبناء اذا جاء مصدّعاً مهدّداً بالدمار ؟ ومثل هذا الشعر جرى على ألسنة الكثيرين من شعراء الوطنية فلا معنى لاساءة تفسيره . ولكن لا عجب فى ذلك ما دام القائم بهذا الدسّ ضدنا مَن زوّر قصيدةً على المرحوم شوقى بك طعناً فى (جمعية أبولو) مما دعا سكرتير الفقيد (بالنيابة عن أسرته) الى توبيخه أشدَّ التوبيخ ، ومع ذلك عاد صاحبنا يكرر هذه الفرية فى (الوادى) مستغفلاً رؤساءه !

ولم يكتف بذلك بل راح يصف قصيدة وجّهناها الى دولة اسماعيل صدقى باشا بصفته رئيس الوزارة السابقة وصفاً لا يتفق مع الواقع فعلاقتنا بدولته علاقة صداقة عائلية ترجع الى الخال والوالد ولا شأن لها بالسياسة بتاتاً ، وقصيدتنا الى دولته لم يكن لها أىّ علاقة بالسياسة بل كانت بثّ ظلامة مما عانيناه فى عهده من محاربات واساءات لأعمالنا الثقافية التى كان دولته شخصياً يقدّرها ، ومع ذلك فقد شغلت دولته السياسة عن إنصافنا .

وأما عن المرحوم شوقي بك فقد كان يحتفي بجمعية أبولو الى قبيل وفاته وبرّ الاعضاء بذكراه كل البرّ ، وكان الفقيد يقدر روح التسامح والمودة عندنا وهو فى حياته لم ينظم هجواً فى أحدٍ مطلقاً



سرّ الفصاحة

تأليف الأمير أبي محمد عبدالله بن محمد سعيد بن سنان الخفاجى الحلبي

٣٢٠ صفحة بحجم ٢٤ ٣/٤ × ١٦ ١/٤ سم — طبع بالمطبعة الرحمانية على نفقة مكتبة الخانجى بالقاهرة

هذا الكتاب ذخيرة من ذخائر تلك اللغة الشريفة ، ودرّة يتيمة من كنوزها الغالية ، يمتزج فيه العلم بالأدب ويدلّ على ثقافة واسعة وعقل مفكر راجح التفكير مدقق عميق البحث والاستقصاء ، فيه من روح الأدب خفّتُه ومن عمق العلم واتساعهِ دِقّتُه ورزانته . يبدأه المؤلف ببحث علميّ دقيق عن الأصوات وماهيتها يخيل اليك وأنت تقرأه انه عصريّ التأليف فتتملكك الدهشة ويستفزك الاعجاب الى تمجيد ذلك الكنز الغالى من أدبنا العظيم ، يثبت فيه أن الصوت معقول لأنه يدرك بحاسة السمع ولذلك فهو عرض وليس بجسم لأن الأجسام متماثلة والإدراك انما يتعلق بأخصّ صفات الذوات والاّ كانت الأجسام جميعها مدركة بحاسة السمع ،وان الأصوات تدرك فى محالها ولا تحتاج الى انتقال محالها وانتقالها وكونها اعراضاً مُنع من انتقالها .

ومن هذا البحث الدقيق ينتقل فى دقة الى الحروف ،فالكلام، فاللغة ،وبمثل الاستقراء الذى بيّناه من بحثه فى الصوت يبحث فى مواضيع الكتاب المختلفة . ولننقل للقارىء

قطعةً من الفصل الذى عقده عن الاستعارة فى الكلام على شروط الفصاحة التى تستوجب وضع الألفاظ موضعها ، ومن هذه الشروط أن لا يكون فى الكلام تقديم وتأخير كقول الفرزدق :

وما مثله فى الناس إلاّ مملكاً   أبو أمّه حىٌّ أبوه يقاربُهْ

أو كقوله أيضاً :

فليست خراسان التى كان خالدٌ   بها أسدٌ إذ كان سيفاً أميرُها

أو مقلوباً كقوله أيضاً :

وأطلس عسّال وما كان صاحباً   رفعت لنارى موهناً فأتانى

وفى هذا الفصل يقول : « ومِن وَضْع الألفاظ موضعها حسن لاستعارة وقد حدّها أبو الحسن على بن عيسى الرمانى فقال : هى تعليق العبارة على غير ما وضعت فى أصل اللغة على جهة النقل للابانة ، وتفسير هذه الجملة أن قوله عزّ وجلّ : « واشتعل الرأس شيباً » استعارة لأن الاشتعال للنار ولم يوضع فى أصل اللغة للشيب ، فلما نقل اليه بان المعنى لما اكتسبه من التشبيه لأن الشيب لمّا كان يأخذ فى الرأس ويسعى فيه شيئاً فشيئاً حتى يحيله الى غير لونه الأول كان بمنزلة النار التى تشتعل فى الخشب وتسرى حتى تحيله الى غير حاله المتقدمة . فهذا هو نقل العبارة عن الحقيقة فى الوضع للبيان ولا بدّ من أن تكون أوضح من الحقيقة لأجل التشبيه العارض فيها لأن الحقيقة لو قامت مقامها كانت أولى لأنها الأصل والاستعارة الفرع ، وليس يخفى على المتأمل ان قوله عزّ اسمه « واشتعل الرأس شيباً » أبلغ من « كثرشيب الرأس »وهو حقيقة هذا المعنى . وقول امرىء القيس « قيد الاوا » أبلغ من « مانع الاوابد عن جريها » والاصل فى ذلك ما أفاده التشبيه فى الاستعارة من البيان . فان قال قائل : فما الفرق بين الاستعارة والتشبيه اذا كان الامر على ما ذكرتم ؟! قيل : الفرق بينهما ما ذكره أبو الحسن وهو أن التشبيه على أصله لم يغير عنه فى الاستعمال وليس كذلك الاستعارة لأن مخرج الاستعارة مخرج ليست العبارة له فى أصل اللغة ، على أن الرمانى قال : إن التشبيه فى الكلام بأداة التشبيه وهو يعنى كأن والكاف وماجرى مجراها ، وليس يقع الفرق عندى بين التشبيه والاستعارة بأداة التشبيه فقط ، لأن التشبيه قد يرد بغير الألفاظ الموضوعة له ويكون حسناً مختاراً ولا يعده أحد فى جملة الاستعارة لخلوّه من آلة تشبيه . ومن هذا قول الشاعر :

سفرن بدوراً ، وانتقبن أهِلَّةً   ومِسْنَ غصوناً ، والتفتنَ جآذرا

وقول الآخر :

وأسبلت لؤلؤاً من نرجسٍ فسقت   ورداً ، وعضّت على العنّابِ بالبَرَدِ

وكلاهما تشبيه محض وليس باستعارة وإن لم يكن فيهما لفظ من ألفاظ التشبيه ، وانما الفرق بين الاستعارة والتشبيه ماحكيناه أوّلاً » .

هذا الفصل أنموذجٌ لما وضع عليه هذا الكتاب النفيس الذى يجب أن يطالعه الجيل الحديث فيجد ثروة طائلة لم يكن يظن لها وجوداً .

وقد ذُيِّلَ هذا الكتاب باستدراكات قيِّمة قام بها صديقنا الفاضل الباحث المدقِّق محمود محمد شاكر الذى أشار أيضاً بالحاق اعتراضات ابن الأثير فى كتابه « المثل السائر » عن كتاب « سرّ الفصاحة » به ؟

حسن كامل الصيرفى



تنبيه هام

يتشرف مراقب « ندوة الثقافة » باعلان جمهور الأدباء أنه فيما عدا المبادلات الصحيفية الضرورية وأعضاء مجلس (جمعية أبولو) لايستطيع الموافقة على إهداء هذه المجلة الى أحدٍ ما حرصاً على حياتها المادية . وهو من أجل ذلك يدعو جميع أنصارها الى شرائها أو المبادرة الى الاشتراك فيها . ولا يمكن مخالفة هذه القاعدة بحالٍ من الأحوال ؟

محمد عبد الغفور

(مراقب ندوة الثقافة)

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣	١٣	كلتى الخطّتين	كلتا الخطتين
١١	٨	الأموال	الأموات
١٧	٧	الاستمتاع	الاستماع
٦٥	١٤	من حب	من هوى
٩٥	٢٠	الهوى غيرِ بال	الهوى غيرُ بالٍ
١٠٣	٨	مَرُوعة	مَرُوعةٌ
١٠٣	٢٣	فخذْ	نخذْ
١٠٧	٨	لقـدِدْتُ	لقُـدِدْتُ
١٠٧	١٧	تؤيد	تؤيدنى
١٢١	١٢	تُربسكم	تُربكم
١٢٤	٩	فأن ذلك	فمن ذلك
١٢٧	٢٢	الملهب	المهلّب
١٣٧	٢٣	الفرينة	القرينة
١٤٢	٩	يُغلِق	يَغلُق
١٤٧	١٣	صحفته	صحيفته
١٤٧	١٣	رهو	وهو
١٤٧	١٥	بوس	بؤس
١٥١	٨	الفاسم	القاسم
١٥١	١٥	هذ	هذا
١٥٢	٦	خات	خاب
١٥٢	١٩	تجلـِّى	تجلـَّىْ
١٥٣	٢٣	أن لا يبق	أن يبقى
١٥٨	٤	قطْمن	قـطّمن
١٦٣	٢٠	دوى	ذوى
٢١٥	١٣	نحجحجم	نحجم
٢١٦	٢٦	خصصتة	خصصته
٣٢٣	١	وليم كيتس	جون كيتس



المجلد الثالث

العدد الثالث

أپولو

مجلة فنية لخدمة الشعر العربي

لسان حال جمعية ابولو





تصدر مرة في كل شهر

وسنتها عشرة اشهر

نوفمبر سنة ١٩٣٤







صاحب الامتياز ورئيس التحرير { أحمد زكي أبوشادي

الادارة { بشارع الملك المعز رقم ٩ بضاحية المطرية بمصر





التليفون { ٦١١٩٦ و ٤٠٤٥٦







مطبعة التعاون



حافظ وشوقى

انقضت سنتان على وفاة شاعرىْ مصر العظيمين وشاعرىْ العروبة محمد حافظ ابراهيم وأحمد شوقى ، وقد أراح نفوسنا فى موقف الألم أن يَظلاّ فى منزلة الذكر والتقدير . ويذكر قراء (أبولو) أننا لم نتوانَ قبلاً فى أداءِ واجبنا الأدبى نحو الفقيدين العزيزين باصدار عددٍ خاصٍّ عن كل منهما فى وقتٍ شاءت السياسة اللعينةُ أن تحفل بأحدهما وتنسى الآخر ، وهكذا ما تطرقت السياسةُ الى الأدب إلاّ وحاولت إفسادَه .

وكم كان بودّنا أن تقترنَ هذه الذكرى المجدَّدة باظهار المنسىّ أو المتروك من آثار هذين الشاعرين الكبيرين مع التوسع فى دراستهما فى كتبٍ جديدةٍ ، إذ لا فائدة تذكر من المقالات الصحفية المألوفة التى قد تكرر مثيلاتها عاماً بعد عام دون أن يكون لها أثرٌ جدىٌّ فى إفادة الشعر ونقده الفنى . وتحقيق ذلك يترتب على معاونة آل الفقيدين وغيرتهم لأنّ إقبال الأدباء مضمون وهذا غاية ما ُينتظر منهم.

رحمهما الله رحمة واسعة عداد حسناتهما للأدب والعروبة ، ووفقنا جميعاً الى البر الدائم بذكرهما .

أبولو وجمهورها

الشاعر الظريف مصطفى كامل الشنَّاوى فى غنًى الآن عن التعريف به ، وجمال شخصيته هو فى أن ُتحمل على ظرفها لا أن ُتحاسب محاسبةً جدّيةً عسيرةً كما كنا نفعل سابقاً مخطئين ، مهما كتب أو فعل .

وقد تفضل على محبي فكاهاته — ونحن بينهم — بمقالٍ شائقٍ كلّه عبثٌ

يلائم فصل الخريف المضطرب ، وذلك فى صحيفة (الوادى) الغراء المؤرخة ١٧ أكتوبر الماضى ، فرأينا أن نلمّ به لقرائنا ، أو بالأحرى رأينا أن نستخلص بعض الدروس الجدية من هذا اللهو البرىء أو غير البرىء ، ونرجو أن ينتفع ناقدنا الظريف وصحبه بهذه الدروس فليس اللهو وحده كافياً لغذائهم الفكرى :

(١) انّ خطة هذه المجلة وجماعتها هى أن نخدم مبادئها فى هدوء ، بعيدة عن مهاجمة أحد ، وصفحاتها سجلٌ صريحٌ لهذه الحقيقة . ونحن لا نتعرّض لأحد كائناً مَنْ كان الاّ دفاعاً عن آرائنا وكرامتنا ، فان لنا رسالة أدبية خالصة هى فوق كل اعتبار شخصى . فمن الخير له أن يعترف بذلك ، وسواء شاء أن يراجع نفسه فى ذلك أم لم يشأ فتكفينا شهادةُ الكلمة المكتوبة ومناسبتها وتاريخ صدورها ، فلا نخشى بعد هذا من أىّ اتهام ٍ لأنّ البراهين المثبتة حُسنَ طويتنا ووقوفنا موقف الدفاع الصريح والاصلاح البرىء ثابتةٌ لنا ودامغةٌ خصومنا الأنانيين ، والمكاتب العامة ميسورة بحمد الله للقراء الذين يعنيهم متابعة هذه الأمور وموازنتها بعد الاطلاع الكافى .

(٢) انّ نشر ديوان (الألحان الضائعة) للصيرفىّ أمرٌ طبيعىٌّ ، ولا نفهم لماذا يدّعى صاحبنا العزيز أنّ ظهور ديوان (الملاح التائه) لعلى محمود طه هو الحافز لاخراج ديوان الصيرفى فهو ادّعاء عجيب لم نسمعه قبلا من أحد ، مع أن على محمود طه اطلع على ذلك الديوان من قبل نشره بشهور وقد أُعلن عنه حينئذ . واذا كان هذا الديوان كثير الشبه بالملاّح التائه فسيكون أكثر شبهاً به ديوان الهمشرى الذى يُهيّأ الآن للطبع . ونحن نسمع فى بعض المجتمعات أن الهمشرى يتأثر على محمود طه وأن الصيرفى كذلك تأثره ، ولعلّ من الخير الأدبى أن ندع لهؤلاء الشعراء الأفاضل اطلاعنا على الحقائق فى هذه المسألة واعلان تواريخ قصائدهم المنشورة فلا لذة لنا فى أن نكون مخطئين غامطين فضلَ أحدٍ .

(٣) يظهر أن صاحبنا الفاضل مفتون بخلق ميثولوجيا عصرية ، فانّ ما يذكره من « الوقائع » لا أصل له ولا قيمة الا فى التفكه به ، فبيئة (أبولو) من أنقى وأرقى البيئات وإن كان بابها مفتوحاً للزائرين من الأدباء ، وقد يكون بعضهم غير متجانسٍ معها فسرعان ما ينقطع عنها ، وهى بيئةُ شعر وثقافةٍ لا بيئة مَشارب وقالٍ وقيلٍ وتنابذٍ ، فانّ وقتنا وطبيعتنا وجهودنا جميعاً لا تسمح بشىءٍ من هذا . واذا كان بين زائرينا مَن لا يرضيه فليست زيارته خاصة بنا ، وعليه أن ينظر حوله

أولا ! وليست نوادر الشذوذ بالتي تُنقص من مجالسنا وانما مجالها المعروف مجالسُ العقاد العجيبة .

(٤) يقول صاحبُنا المحقق المدقق إن دواويننا تزخر بالمطولات فى مدح صدقي باشا (كذا) وفى الوقت نفسه يعطينا درساً ظريفاً فى فلسفة الأخلاق ! فنقول لصاحبنا المحقق المدقق — سامحه الله — إننا لسنا من شعراء الأمداح وإنه لا يوجد فى دواويننا غير ثلاث قصائد تعنى صدقى باشا — واحدة منها قومية عتاباً له على انتقاص قدر الزعماء والتفريق بينهم ، وهذه منشورة فى ديوان « الشعلة » (ص١٠٧) والثانية شخصية محضة موضوعها بثّ ظلامة من محاربة الحكوميين لنا وهى موجّهة الى صدقى باشا لا بصفته رئيس الحكومة فقط بل بصفته صديقاً قديماً لأسرتنا ، كما هو حال المغفور له سعد باشا وكما هو حال النحاس باشا ، وكلٌّ منهم خاطبناه بصيغة « العم العزيز » لأننا — ونحن بعيدون عن السياسة كلَّ البعد — نأبى لها أن تطغى بحالٍ من الأحوال على الصداقات العائلية ، ونبكى على حالة التطاحن والفتنة الحاضرة ، كما لا يرضينا بحال من الأحوال ارضاخ الأدب للسياسة ، وقد نادينا بذلك فى جميع الظروف ، وهذه القصيدةُ منشورةٌ فى ديوان « الشعلة » (ص ١١٧) . وأما عن القصيدة الثالثة فقد نُظمت عند استعفاء صدقى باشا ، وهى منشورة فى ديوان « فوق العباب » (ص ٤) ، وشعر هذا الديوان الأخير متناقَلٌ كذلك وإن كنا لم نُصدره بعد . وليس فى شيء من هذا الشعر أىُّ طعن فى الوفد ولا فى غير الوفد ولا أىّ خذلانٍ للديمقراطية المصرية بل الأمر على عكس ذلك . واذا أراد صاحبنا مثالاً بارزاً لامتداح صدقى باشا ثم الانقلاب عليه ، وللطعن المقذع فى الوفد ثم امتداحه ، فليسأل عنه الدكتور طه حسين نفسه ، وأما مجاراته للمغرضين الكائدين فما لا يجوز أن يتّفق وروحُ الظرف الذى اشتهر ناقدنا بها ، كما لا يتّفق ومهمته الجديدة فى القاء دروس عن فلسفة الأخلاق ! ويحسن به أن يسأل أعلام الوطنية المصرية عن نصيب أسرة (أبى شادى) فى النهضة بدل هذا التحكك المضحك بفردٍ من أفرادها ليس أقلها معرفة بواجباته الوطنية . وانّ تقلب سادتنا الصحفيين المحترمين للسياسة لأشهر من أن يُعرَّف به ، فعلام اذن كل هذا الهذر ؟!

(٥) إن تقديرنا لأدب العقاد معروفٌ كما أن تحامله وتحامل تابعيه علينا أمرٌ ذائعٌ محسوسٌ . وحقيقةً نحن شخصياً نعتبر العقاد مثال الشاعر المفكر ، كما نعتبر شوقى مثال الموسيقار المغنى . ولكننا لم نقل إننا لا نعدل بالعقاد شاعراً من شعراء

مصر ولا يمكن أن نقول ذلك . وقد ذكرنا من قبل إن الطبيعة أرادت أن تخلق من شوقى موسيقاراً فجاء شاعراً ، كما أرادت أن تخلق من العقاد متأمّلاً مفكراً فجاء أيضاً شاعراً . ولكننا لا نرضى بعد هذا عن روح الأنانية الهدّامة من هذا الشاعر أو ذاك ، ونأبى إباءً تضحية شعر الشباب الممتاز حامل الشعلة ترضيةً لأهواء الشيوخ الأنانيين ، ونرى من الواجب علينا أن نضع الأمور فى نصابها ولكنْ فى رفقٍ وهوادة . فالعنفُ الذى نُتَّهم به إنما هو عنفُ المدافع عن شرفهِ الأدبىّ وكرامته ازاء المتهجمين والكائدين الذين لم يتورَّعوا عن أى وسيلة لمحاربتنا .

(٦) لقد خلقنا : (جمعية أبولو) ومجلتها حركةً اصلاحيةً عظيمةً لها شواهدُها العديدةُ فلا يضيرنا بعد ذلك الكلامُ عن شعرنا «الفجّ» ، فهذا نقدٌ مبهمٌ لاقيمة له . ولا يضيرنا اتّهامنا بنفس ما نُساءُ به من كيدٍ مسجّلٍ فى صُحُفِ خصومنا المغرضين ، فمن السهل على أىّ ناقدٍ مستقلٍّ أن يراجع الصحفَ وتواريخَها ويتتبّع ما يُدبَّر ضدنا من حملات وكيف نقف موقف الدفاع منها دون أن يكون لنا أىّ حول ولا قوة سوى قوة إيماننا وتعلقنا بمثلنا الأعلى .

وبعد ، فنهنىء صديقنا الشناوى بهذا البخور المبتكر ، ولو سأل عقله الباطن عن الداعى اليه لقال له على الفور : إنّ تأليه العقاد وانتقاص مَنْ لا يرضيه ضريبة لا مفر منها لمن يريد استبقاء مودة « الفيلسوف الأكبر » ... ولعله يوافقنا على منطقٍ بسيطٍ جداً : وهو أنه لولا تعرضه لنا لما نشرنا هذه السطور . وهذا هو موقفنا دائماً من العقاد وغير العقاد ، إذ لا مصلحة لنا ولا لذة فى التهجم على أحد ، بينما سلسلة الاساءات المتوالية لنا جزاء استقلالنا مسجَّلةُ الحلقات وستبقى خزياً دائماً لخصومنا .

الطلاقة اللفظية

لقد تناولنا غيرَ مرّةٍ موضوع الطلاقة الفنية وأثرها فى خدمة الفن ، ونريد الآن أن نقول كلمة فى الطلاقة اللفظية التى لا تنفصل عنها حتى لا يتوهم أحدٌ أن إهمال اللغة عنصرٌ من عناصر الطلاقة الفنية التى ننادى بها ، خصوصاً وقد قال مَن يحلو لهم الانتقاصُ من كتّاب الدعاية إن فى شعر الشباب الحاضر « الفوضى والشطط والغموض والرغاوة ، وكذلك ضعف الأداء والتقصير اللغوى وعدم الدقّة فى

التعبير » وأمثال هذه التهم ، مع أن شعراء الشباب الحاضر له نظائره فى شعر الشيوخ والكهول ويفوق بمراحل شعر الشباب فى القرن الماضى وفى مستهلّ هذا القرن ، وقد اعترف بذلك أخيراً الدكتور طه حسين .

ونحن ننكر أن فى شعر الشباب شيئاً من تلك الصفات يستحق كل ذلك التهويل أو يجعله فجّاً مهيناً ، ولكنّنا فى الوقت ذاته نطالب الشباب بالتطلّع المتواصل الى المُثُلِ العليا والدأب المستمر فى سبيل بلوغها ، وبهذه الروح نحافظ على نهضتنا الفنية . وبينما ندعُ لكلّ شاعر من شعراء الشباب القديرين - (وهم وحدهم الذين نعنيهم بإشارتنا ونحفل بنشر أدبهم من بين زملائهم) - الدفاع عن شاعريته ازاء التهجم المغرض سواء أجاء مكشوفاً أم ملفوفاً ، لا نودّ أن تفوتنا الاشارة الى أنّ ما يعيبه السطحيّون أو المغرضون على شعر الشباب هو فى الواقع « طلاقته اللفظية » التى بلغت الآن غايتها فيما يلوح لنا ، وأمثلة هذه الطلاقة ملحوظةٌ فى شعر المبدعين من الشعراء المتقدمين ، ولا نقول هذا الا تقريراً للحقيقة لا تغريراً بأحدٍ ، فنحن أعداء الغرور والتصنع والدعاوى الباطلة ولن نكون يوماً من أنصارها .

إن الطلاقة اللفظية الصحيحة يجب أن تكون أولاً وليدة الثقافة لا وليدة الغرور والجهل ، وفى الواقع لم نجد شاعراً ذا طلاقةٍ لفظيةٍ الا وكان منقفاً تثقيفاً جيداً فى الأدبين الشرقى والغربى وكان بعيد النظر واسع الأفق جريئاً . وهذا ما يدعوه الى مخالفة القواعد أحياناً لاعتبارات فنية تسمو فوق القيود ، فلا الخليل بن أحمد ولا سيبويه بمن يؤبه له حينما يتغلب على الشاعر المبدع اعتبارٌ فنيٌّ قويٌّ فى الصياغة أو فى الموسيقى أو فى إيحاء الألفاظ بتركيب معين يدعوه الى مخالفة المألوف ، والشواهد التاريخية على ذلك كثيرة فى شتى اللغات .

أما هذه المخالفة فهى فى عُرفهم عينُ القوة والابتكار اذا ما جاءت فى نظم شاعر معروف يتملقونه ، ولكنها عكس ذلك فى نظم أىّ شاعرٍ قديرٍ متوارٍ ، شاباً كان أم غيرَ شاب ! وليس معنى هذا أننا ندعو لمخالفة القواعد والعبث بالتقاليد الأدبية فانّ للغة حرمتها عندنا ، وانما نقول فى غير مواربة إن جلالة الشعر الفنية هى فوق الاعتبارات النقدية السطحية ، وخصوصاً ما كان منصبّاً منها على لفظ من الألفاظ أو على صورة من صُوَرِ الأداء .

ولولا الطلاقةُ الفنيةُ روحاً ومعنى ولفظاً لما كان لنا شعرُ المتنبي العظيم ، ولولا تقدير الفن من حيث هو فن بغضّ النظر عن سنّ الشاعر لما كان للشعر الجديد

آثار بيرون وشيلي وكيتس وروبرت بروك وأمثالهم ، ولما كان شعرُ وليم بليك الذي رفع به شبابه شعلة التجديد فى القرن الثامن عشر ، فالتغنى بالفوضى « والشطط والتفكك والغموض والرغاوة » الخ . انما هو تعالٍ وتمحُّك لا معنى له ، وليس أدلّ على ذلك من صدور هذا النقد ممن لا يسمو أدبُهم فوق مستوى أدب الشباب المبرّز ، وهو وحده الذى يعنينا إذ لسنا من أنصار الضّعف والتعثّر والتّميع . واذا كنا ندافع عن أدب الشباب فانما هو دفاع الحق لا دفاع التغرير ، واذا كنا نأبى الألقاب الجوفاء للشيوخ والكهول فغيرُ معقولٍ أن نتبرع بها أو بمعانيها لشعراء الشباب .

ولولا محاربة الطلاقة الفنية لما قال مثل الأستاذ المرصفى فى (الوسيلة الأدبية للعلوم العربية) - ج ٢ ص ٤٦٨ - هذا الحكم العجيب على المتنبي والمعرى : « . . . الشعرُ له أساليب تخصّه لا تكون للمنثور ، وكذا أساليب المنثور لا تكون للشعر ، فما كان من الكلام منظوماً وليس على تلك الأساليب فلا يكون شعرا ، وبهذا الاعتبار كان الكثير ممن لقيناه من شيوخنا فى هذه الصناعة الأدبية يرون أن نظم المتنبي والمعرى ليس هو من الشعر فى شيء ، لأنهما لم يجريا على أساليب العرب من الأمم عند مَنْ يرى أن الشعر يوجد للعرب وغيرهم ، ومَنْ يرى أنه لا يوجد لغيرهم فلا يحتاج الى ذلك ويقول مكانه الجارى على الاساليب المخصوصة » .

هذا ما يقوله أستاذ الأدب العربي بدار العلوم لنصف قرنٍ مضى ، ناسياً الشواهد الرائعة التى تخالف ذلك لأبى تمّام وابن الرومى وغيرهما من الفحول ، وكتابه (الوسيلة الأدبية للعلوم العربية) هو الذى قال فيه أحد كبار شعرائنا السابقين — عند ما سأله الدكتور هيكل بك أن يدلّه على أثرٍ عربيّ يشغله عن الآذاب الأوروبية — إنّه ذلك الكتاب ! وقد تطوّر كثيراً رأيُ شيوخ دار العلوم الأجلاء فى شعر المتنبي والمعرى وإن بقيت هذه الروحُ القديمة - روح الفقهاء - عند نفرٍ من خريجى دار العلوم والأزهر . وهل ثمة أعجبُ من تجريد المتنبي والمعرى عن شاعريتهما لا لسبب سوى أنهما لا يلجآن الى الأساليب التقليدية فى تعبيرهما ؟ ! أمّا الآن فكلُّ أديبٍ مثقفٍ يعلم أن هذه الطلاقة اللفظية هى جزءٌ من عبقرية الشاعرين .

وليست تلك العيوبُ الغريبةُ التي ذكرناها في صدر هذه الكلمة من قلم أحد الشعراء وأحد النقاد الفقهاء وقد وجهها الى شعر الشباب ـ ليست تلك العيوبُ الا صورة من الطبيعة الأسيرة التي اذا تحرَّرتْ أحياناً فسرعان ما تعود الى القيود التي تعوَّدتها ، وهذه الطبيعةُ الأسيرةُ تتصوَّر عناصرَ الطلاقة اللفظية عند شعراء الشباب في تلك العيوب ، وما تلك العيوب الا مرآة الأسر والاضطراب عند تلك الطبيعة المغلولة كما ألمعنا وهي تحاها في غيرها !

ان شعر الشباب الحاضر ليس فجاً وليس جامعاً لتلك العيوب التي لا تحصر بل هو صورةٌ جديدةٌ من التحرّر المثقف المتعدّد الألوان ، وإن كان لا يرضينا أن نكتفي بما بلغه من تجويد واتقان ، فطلابُ المثُل العليا لا يعرفون القناعة ولا الغرور ، وهم كلما بلغوا أمانيهم استمرّوا في تطلعهم الى ما هو أبعد منها سواء في اطلاعهم أو في انتاجهم ، تشغلهم الكليات الفنية بينما تشغل سواهم همزة وصل أو إباحة عروضية !

الفلسفة والصوفية في الشعر

سمع أحدُ مريدينا عن قصيدتنا « الانسان الجديد » فقال إن مثل هذا الشعر مما لا يوجد استعدادٌ لقبوله في الجيل الحاضر . ولا ندري كيف يقال هذا وأمام محبي الاطلاع منذ أجيال ديوان « اللزوميات » وكتاب « الانسان الكامل » . ان الفلسفة والتصوّف عنصران ضروريان للشعر العالي وإن صيغ بعبارة الطفولة الساذجة كما في مقطوعة « الانسان الأول » لصالح جودت ، وما من شكٍّ في أن اليقين وليد التأمل والبحث ، فكل أدب يشمل هذا التأمل والبحث ـ كيفما كان اتجاهه ـ هو أدبٌ جديرٌ بالاحترام .

يقول صالح جودت في ديوانه (ص ١١٢) :

في حِجرِ دنياكَ والأكوانُ ناشئةٌ والله طفلٌ لها[1] بالطينِ والماء
مصوِّراً منها الانسانَ في صُوَرٍ لم يَرْضَ عنها مُناهُ الطامحُ النائي
أفنَى عظيمَ الحِجا والتربَ تجربةً إلا حُثالةَ أضغاثٍ وأشلاء

(١) لها : عبث .

(البقية على الصفحة ٣٤٦)



أبو نواس

الحسن بن هانىء

شاعر خرجت الأغانى لا تحمل ترجمة مفردة له ، ولست أدرى أهو صاحبنا أبو الفرج الأصبهاني الذى تغافل عنه فأسقطه من حسابه ، أم أسقطت ترجمته بعد أن تداولتها أيدى النسَّاخ . عُرف بلقبه دون اسمه واشتهر به حتى صار علماً يطلق عليه فى كل أطوار حياته . أثر مرآه الخارجى فى مستقبله ، وكان عدته فى تقدمه إلى أن برز ونبغ ، واستهتر ولم يتستر، وبات اللهو والمجون والتبذل علانية صفة له لا تبرحه ، وقد يكنى بها لو قدرت له هاته الكناية . . . . واختلف الرواة فى أول ما قاله من الشعر اختلافهم فى نسبه ، وتباينهم فى أبيه ، وتفرقوا عند الحديث عن أمه ، وترك كذلك نهباً بينهم عند تحقيق ميلاده ووفاته وسنه !

وقد ترى فى هذا عجباً وقد تدهش أكثر إذا علمت أن الرجل مات فى السادسة والأربعين من عمره فى زعم البعض ، والثالثة والستين فى زعم آخرين ، وفى التاسعة والخمسين على ما حققته الغالبية ومنهم ابن خلكان صاحب وفيات الأعيان ، على أنى أذهب الى أن سبب هذا هو استهتار أبى نوّاس وإسرافه فى التبذل وكثرة ما غلب على شعره من الهزل ، فاضطر كثير من الرواة الى أن يغفلوا شعره ، أو أن يذكروه إلماماً على هامش سواه . فكانت أكبر ترجمة له لا تزيد عن الورقتين أو الثلاث ، وكان الرجل الوحيد الذى تحدث عنه بافاضة ودرس شعره وأسرف فى تقييده هو ابن منظور المصرى صاحب « لسان العرب »[1] .

---

(١) الكتاب الذى صححه وضبطه الأستاذ محمد عبدالرسول ابراهيم بدار الكتب .

وصاحبنا هو الحسن بن هانىء بن عبد الأول بن الصباح ورجع به ابن خلكان فى وفيات الأعيان(١) الى الجراح بن عبد الله الحكمى والى خراسان على أنه جده فنسبه اليه ، وإن كان أكثر المؤرخين يقولون إنه من مواليه ، وأبوه هانىء قيل كان كاتباً لمسعود المادرانى على ديوان الخراج ، وقيل كان يرعى الغنم ، وقيل بل كان حائك ثياب، على أنه ـ كما حققه صاحب« وفيات الأعيان» ـ كان من جند مروان ابن محمد آخر خلفاء بنى أمية . أصله من دمشق وقدم الأهواز للرباط بها والشحنة ، وتزوج بها وولد له فيها أبو نواس ، ثم نقلته أمه الى البصرة وهو بعد فى السادسة من سنى حياته .

وتستطيع أن تدرك من ذلك أن أبا نواس عباسى نشأ مع دولة العباسيين وعلى مقربة من حاضرتهم بالبصرة ، ونبه فيها ، ثم قضى وشمسها فى الذورة ، فكأنه عاصر أيامها الذهبية . وعلى هذا القياس يجب أن تنظر الى شعره وتنقد مدار حياته .

على أن أبا نواس — وإن انصرف الى القصيد — عاش غالبية حياته فى المجون واللهو ، وأسرف فى الخطيئة اسرافاً ، ولم يترك موبقة الا وارتكبها ، وزاول الرذائل جملة حتى عافت نفسه هاته الخطايا ورجع عن عصيان ربه فندم على ما فات وتحسر لما أتاه فى أيامه الأولى ، فنسك وزهد وبات إماماً حكيماً ينطق بالحكمة البالغة والموعظة الحسنة . وكما نبغ فى شعر اللهو والمجون نجح فى شعر الزهد والتوبة ، ولذا ترى لأبى نواس طورين متباينين من حياته يجب أن تدركهما عند مطالعة ديوانه ، وأن ترقب شعره تحت ضوء هاته الحقيقة حتى لا تسرف فى خلطهما لئلا تخرج بتناقضه هو الآخر كبعض من تبعه من العباسيين .

والغريب أن موقفك من ديوان أبى نواس يشبه الى حدّ ما موقفك من ديوان بشار : فانت مرغم إرغاماً على مطالعة هزلياته فقد تدرك منها شيئاً عن المؤثرات التى أحاطت بالرجل فنهضت به وسيرت نبوغه فى مسار أقبل عليه ولم يبرحه ، وأنت مرغم كذلك على ايرادها دون حذف لأنك لو أسقطت هزليات أبى نواس وإسفافه ومجونه من شعره لخرج ديوانه مهزولا محلولا إلا فى بضع قصائد قالها فى المديح والرثاء والعصبية لليمن ، وفى قسوة لا تعدلها قسوة — لا بالرجل — وانما بأدب العصر الذى عاش فيه .

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ١٦٨

ودُعي صاحبنا (أبا نواس) لذؤابتين كانتا له تنوسان على عاتقيه ، وسُئل مرة فقال : أنا كنيت نفسي بذلك لأني من قوم لا يشتهر فيهم الا من كان اسمه فرداً ، وكانت كنيته لسبعة (١) ولعل صاحبنا يقصد الاذواء وهم الذّوون ملوك اليمن من قضاعة وهم ذو يزن وذو رعين ، وذو قائش ، وذو جدن، وذو نواس، وذو أصبح ، وذو كلاع وهم التبابعة . وروى حمزة بن الحسن الاصبهاني جامع ديوانه أن خلف الاحمر هو الذي كناه بها تعصباً لليمنية ، « فقال له يوماً أنت من اليمن فتكنَّ باسم ملك من ملوكهم الاذواء . فاختار ذا نواس فكناه أبا نواس بحذف صدره وغلبت عليه (٢) » .

ونشأ أبو نواس بالبصرة وقرأ القرآن على يعقوب الحضرمي حتى حذقه وأضحى اقرأ أهل البصرة ، وشب أبو نواس فاسلمته أمه الى براء يعمل في عود البخور فعمل معه حيناً ولكنه لم يلبث أن تأدب وتعلم الكلام ، وكان لزاماً عليه أن يترك حانوت البراء يوماً لبعد ما بين الصناعتين صناعة العود وصناعة الكلام ... ، إذ ذاك بدأ أبو أسامة والبة بن الحباب الأسدي في سماء حياته فاصطحبا ، وكان أبو نواس كما قدمت لك حسن الوجه رقيق اللون أبيضه ، حلو الشمائل ناعم الجسم ألثغ الراء يجعلها غيناً ، وكان نحيفاً في حلقه بحة لا تفارقه ،عظيم الرأس وشعره دائم الانسدال على وجهه وقفاه ... فجن به والبة ولم يتركه وقضى في صحبته حيناً يتعلم الشعر عليه الى أن قوي عوده فسأله الخروج الى البادية ليتعلم العربية والغريب ، فأخرجه مع وفد بني أسد فأقام بالبادية سنة . وكانت هذه الفترة من حياته فترة التثقيف بحق فقد اختلف فيها الى أبي زيد فكتب الغريب من الألفاظ ودرس نحو سيبويه وقرأ الحديث على كثيرين منهم عبد الواحد بن زياد ، ويحيي القطان ، وجلس الى الناشيء محمد بن حبيب الراوية فقرأ عليه شعر ذي الرمة .

وفارق أبو نواس والبة ورجع الى البصرة فتتلمذ على خلف الأحمر . . وكان هذا بحق أكثر أساتذته تأديباً وتخريجاً له ، أجهد نفسه فيه إجهاداً تتحسسه لو عرفت أن خلفاً لم يسمح لأبي نواس بنظم الشعر إلاّ بعد أن حفظ ألف مقطوع للعرب ما بين أرجوزة وقصيدة ومقطوعة ، وروى لستين امرأة شاعرة منهن الخنساء وليلى ... ولما حفظها وقضى في انشادها له أياماً ، أمره بأن ينساها . . . فخلا بنفسه في أحد

---

(١) ابن منظور ص ٣ (٢) خزانة الأدب للبغدادي ج ١ ص٢٣٧ الشاهد ٥٣

الأديرة الى أن نسيها. وعندئذ أذن له بنظم الشعر فنظمه(١) ونبغ فيه الى درجة أن حبيب بن أوس الطائى كان يقول «أبو نواس ومسلم بن الوليد اللات والعزى وأنا أعبدها ! على أن أبا نواس رغم ذلك إنما سَفَلَ عمّن تقدمه من الشعراء وعلا عمن عاصره، وهذا يكفيه».

وكان ابن الاعرابى يقول «ما يمنعنا من رواية شعر أبى نواس الا نبذله وسخفه» — وكان أبو عمر الشيبانى الكوفى يقول «أشعر الناس فى وصف الخمر ثلاثة: الأعشى والأخطل وأبو نواس».

وكان أبو عبيدة يقول: «أبو نواس للمحدثين مثل امرىء القيس للمتقدّمين، وشعره عشرة أنواع، وهو مجيد فى الكل. ومازال العلماء والأشراف يروون شعره ويتفكهون به ويفضلونه على أشعار القدماء(٢)».

وقال أبو عمرو الشيبانى: «لولا أن أبا نواس أفسد شعره بهذه الأقذار — يعنى الخمور — لاحتججنا به لأنه كان محكم القول لا يخطىء».

وكان أبو نواس لا يقول الشعر الا اذا كان فى بستان مونق وعلى حال يرتضيها، إما من صلة وُصل بها أو وعدٍ بصلة، وكان لا يرضى عن الشعر الذى يقوله فى غير ذلك

---

(١) كان أبو نواس قد نظم القصيد قبل هذا والذى فى (وفيّات الأعيان) و (عيون الأخبار) أن أول شعر قاله أبو نواس كان عند ما قدم بغداد مع والبة ابن الحباب وهو:

حاملُ الهوى تعبُ يستخفه الطربُ
إنْ بكى يحقّ له ليس ما به تعبُ
تضحكين لاهيةً والمحبّ ينتحبُ
تعجبين مِن سقمى صحتى هى العجبُ !
كلما انتهى سببٌ منك جاءنى سببُ

وإن كان ابن منظور ساق قصيدا اخر، ولكن هذا أصحّ على التحقيق.

(٢) الخزانة للبغدادى ص ٢٣٨ ج ١ — راجع أيضاً أعلام الكلام لابن شرف القيروانى ص ٢٣ فستجد به رأياً عن صاحبنا لا بأس من الاطلاع عليه.

والواقع أن أبا نواس لم ينظم شعر الخمر الا وقت نشاطه ، وكان يعمل القصيدة ويتركها أياماً ثم يعرضها ثانيــة على نفسه فيسقط منها أغلبهــا ويترك صافيها ، ولذا كان شعره على البديهة ليس بالجيــد ولا بالدون ، ولم يكن فى نظم الشعر بالبطىء ، وما كان كذلك بالسريع بل كان وسطاً فى كل شىء . وكان يقول عن نفسه : أشعارى فى الخمر لم يُقَلْ مثلها ، وأشعارى فى الغزل فوق أشعار الناس وهما أجود شعرى ، إن لم يزاحم غزلى ما قلته فى الطرد . رأيت اذاً أبا نواس يشهد لشعره فى الخمر بالسبق على قصيده كله ، ولك أن تعرف أيضاً أنه انفرد دون العباسيين بالحديث عنها ووصفها . وسترى أنه أسرف فى ذلك اسرافاً دفعه الى الاجادة فى هذا الضرب من القصيد ، ومن جيده :

فقلتُ لشيخ منهم متكلم ... له دينُ قسيس وفى نطقه كفرُ
أعندك بِكرٌ مُرَّةُ الطعم قرقفٌ ... صنيعة دهقان تراخى له العمرُ ؟
فقال : عروس كان كسرى ربيبها ... معتقة من دونها الباب والسترُ !

وله فى وصفها أيضاً وهذى كسابقتها من شعره عند ما تعاجم :

تدار علينا الراح فى عسجدية ... حبتها بأنواع التصاوير فارسُ
قرارتها كسرى وفى جنباتهــا ... مها تدَّريها بالقِسىِّ الفوارسُ
فللخمرِ ما زرّت عليه جيوبهم ... وللماء ما دارت عليه القلانسُ

وكان الرجل قد تحسس لوم الناس ، فأكثر من ذكر اللوام وتعنيفهــم والدفاع عن شعره ، قال :

لائمى فى المدام غير نصوحِ ... لا تلمنى على شقيقة روحى !
لا تلمنى على التى فتنتنى ... وأرتنى القبيحَ غيرَ قبيحِ !
قهوة تترك الصحيح سقيماً ... وتعير السقيمَ ثوبَ الصحيحِ
إنّ بذلى لهــا لبذلُ جوادٍ ... واقتنائى لهــا اقتناء شحيحِ

ومن جيِّــد قوله على ما رواه يحيى بن زكريا :

لا تخشعنّ لطارق الحــدثانِ ... وادفع همومك بالشرابِ القانى
أوَ مَا ترى أيدى السحائب رقَّشت ... حلل الثرى ببدائعِ الريحانِ

وفى ختامها يقول :

فاذا الهمومُ تعاورتك فسلّها بالراح والريحان والندمانِ (١)

ثم نهى أبونواس عن ذكر الخمر وشربها . نهاه الرشيد فلم يقلع ، ونهاه الأمين وتوعّده ، وكان الأمين قد ضاق بمجونه ذرعاً لأن الناس يحسبونه فى حاشيته ويعدّونه من المقربين لديه ، ولكن كانت (الخمريات) أول ما تفنن فيه صاحبنا وكان قد أكثر من ذكرها والحنين اليها ، وجاء هذا الوعيد وخشى صاحبنا أن يناله الجزاء ولكنه لم يستطع الانصراف عن ذكرها جملة ، فجاء بها على هامش ترديده لهذا الوعيد . وسترى فى هذا جديداً فى شعر الرجل ، ونحس شيئاً من حنينه عند ما يقول إن أكبر ما يتوق اليه أن يراها وأن يشم نسيمها إن هى دارت ، وستراه يشبه نفسه بالرجل الذى يأبى الشىء ومع ذلك يستحسنه لسواه ويجلس للتحكيم فى ذلك ، قال :

أيها الرائحان باللوم لوما لا أذوق المدام إلاّ شميما

نالنى بالمدام فيها إمامٌ لا أرى لى خلافه مستقيما

فاصرفاها الى سواىَ فانى لستُ الا على الحديث نديما

كبر حظى منها إذا هى دارت أن أراها وأن أشم النسيما

فكأنى وما أزين منها قعدىٌّ يزيّنُ التحكيما

كلّ عن حمله السلاح الى الحر ب فأوصى المطيق أن لا يقيما

وكان المجون ـ كما قدمت لك ـ يشغل الجانب الأكبر من حياته ، واضطر صاحبنا لمجونه أن ينقل صفات الأنثى فى الغزل الى المذكر فخرج بذلك عما ألفه العرب ، واستنّ سنة جديدة للشعراء الذين تبعوه ، إذ أرغموا ارغاماً على أن يمزجوا شعرهم بالكثير من إسفافه وضروب مجونه ، وأنا مرغم كما حدثتك على أن أسوق لك أمثلة من قوله ، ولا أستطيع أن أسقط هذا الضرب من شعره ، ولكن لك علىّ أن أتعفف فى اختياره ، واسمعه يقول :

---

(١) تجد فى كتاب ابن منظور ص ٢٠٣ وما بعدها نماذج كثيرة من شعره وصف الأشربة وآداب المنادمة إن أردت مزيداً .

مَن كان تُعجبه الأنثى ويعجبها   مِن الرجال فانى شفَّنى الذكَرُ
فوق الخماسى لما طرّ شاربه   رخص البنان خلا من جلده الشعَرُ

ومن جيِّده أيضاً :

وعاذلةٍ تلوم على اصطفائى   غلاماً واضحاً مثل المهاةِ
وقالت : قد حُرمتَ ولم توفّق   لطيبِ هوى وصال الغانياتِ
فقلت لها : جهلت فليس مثلى   يخادع نفسه بالترّهاتِ
دعينى لا تلومينى فانى   على ما تكرهين الى المماتِ
بذا أوصى كتابُ الله فينا   بتفضيل البنين على البناتِ !

ولكن هل نسى أبونواس الأنثى ؟ لا ! وما أظننا نستطيع أن نغفل (الجنان) ولا غرامه (بنرجس) وقد قال فيها :

ما قرأ فى السماء مسكنه   ونرجس الارض فى البساتين
يا يا سمناً بالمسك مختلطاً   يا جلّناراً فى طيب نسرين
خُلقت من مسكة مزعفرةٍ   أشبه شىء بالخرّد العين

وقد تدفع هذا بالعاطفة،ولكن خذ مثلا أيضاً من صناعته فى حديثه عن الانثى

قالوا : عشقتَ ا صغيرة فأجبتهم   أشهى المطىّ الىَّ ما لم يركبِ
كم بين حبّة لؤلؤٍ منقوبةٍ   نُظمتْ وحبة لؤلؤ لم تنقبِ

وشعر أبى نواس فى حب النساء والتوله بالغلمان كثير، تجده فى كتاب ابن منظور المصرى صاحب «لسان العرب»،وقد ساقه صاحبنا دون أن يبوبه حتى لا يقتطع منه أو يفصل الكتاب دونه .

واتصل أبو نواس بالرشيد للسمر والحديث ثم انقلب منه الى منادمة الأمين فنادمه وبقى فى صحبته حتى ولى العرش ، فأباح دمه مرة وحبسه أخرى فاستجار بالمأمون وهو فى سجنه ولكن المأمون لم يدركه ، ومن هنا تدرك أن أبا نواس عرف أيام الرشيد ومات قبل أن يلى الأمر المأمون ، وفى هذه الفترة من أيام العباسيين نبه شأنه فكان شعره بما فيه من مجون وعبث مرآتها : تشبيب بالجوارى

والغلمان ، ولغز بالشعر فى المحصنات ، واستهتار فى الشهوات مع العمل للوصول اليها من أى سبيل .

وفى هذه الفترة أيضاً كانت ثورة أبى نواس على عرب البصرة واليمنيين وهجو هاشم بن حديج . قال يهجو عرب البصرة :

ألا كل بصرىّ يرى انما العُلى ... مُكَمهةٌ سُحْقٌ لهن جَرينُ
فان تغرسوا نخلاً فان غِراسَنا ... ضِرابٌ وطعنٌ فى النُّحور سخينُ
فإن أك بصرياً فان مهاجرى ... دِمَشْقُ ولكنَّ الحديثَ فنونُ
محاورُ قومٍ ليس بينى وبينهم ... أواصرُ الاَّ دعوةٌ وظنونُ

وقال يهجو اليمنيين وهاشم بن حديج :

ما منك سلمى ولا أطلالها الدُّرُسُ ... ولانواطقُ من طيرٍ ولا خُرُسُ
يا هاشم بن حديج لو عددت أبا ... مثل القلمس(١) لم يعلق بك الدنسُ
إذ صبح الملك النعمان وافده ... ومن قضاعة أسرى عنده حبسُ
فابتاعهم بأخاه الدهر ما عمروا ... فلم ينل مثلها من مثلهم أنسُ
أو رحت مثل حُوَىٍّ فى مكارمه ... هيهات منك حُوَىٌّ حين يلتمسُ

وكان أبو نواس قد قدم النزارية هنا ، ولكنه سرعان ما انقلب على النزارية عند ما هجاه ابن قنبر المازنى ، وندم على هجاء اليمن واعتذر الى هاشم بن حديج من هجائه ومدح اليمن فقال :

أهاشم خذ منى رضاكَ وإن أبى ... رضاكَ على نفسى فغير مَلوم
فأقسم ما جاوزت بالشتم والدى ... وعرضى ، وما مزقت غير أديمى

---

(١) القلمس أحد بنى كنانة نسّاء مشهور، وكان يقف عند جمرة العقبة ويقول: اللهم انى ناسىء الشهور وواضعها مواضعها ولا أعاب ولا أجاب ؟ ! اللهم انى قد أحللت أحد الصفرين وحرمت صفر الآخر ، وكذلك فى الرجبين (يعنى رجب وشعبان) انفروا على اسم الله تعالى . قال تعالى : « انما النسىء زيادة فى الكفر » . راجع القاموس مادة قلمس .

الى أن قال :

وإن امرأً أغضى على مثل زلّتى وإن جرحت فيه لجدٌ حليمِ

تطاول فوق الناس حتى كأنما يرون به نجماً أمام نجومِ

إذا امتازت الاحساب يوماً بأهلها أناخ الى عاديّةٍ وصميمِ

الى كلّ معصوب به التاج مِقْوَلٍ إليه أيادى عامرٍ وتميمِ

وأبدع ما كتب أبو نواس ـ اذا جاز لنا أن نترك الى حين شعره فى وصف الخمر ـ شعر النسيب ، واستشهد ابن رشيق صاحب (العمدة) بكثير من شعر أبى نواس عند الحديث عن هذا الضرب من القصيد فى كتابه . وقد روى أن جماعة من الكتاب وردوا على العتابى وهو بحلب وفى يده رقعة قد أطال فيها النظر والتأمل فقال: أرأيتم الرقعة التى كانت فى يدى ؟ قالوا نعم ! قال : لقد سلك صاحبها وادياً ما سلكه غيره فلله دره وكان فى الرقعة قول أبى نواس :

رسم الكرى بين الجفون محيلُ عفّى عليه بُكاً عليك طويلُ

يا ناظراً ما أقلعت لحظاتُه حتى تشحط بينهنّ قتيلُ (١)

وكان أكثر ما كتبه أبونواس من الغزل تشبيبه بجنان جارية آل عبدالوهاب بن عبدالمجيد الثقفى وهو لا يعرفها عند ما مرت به وهو جالس فى المربد ينشد الشعر . ثم عرفها وعاشر الثقفيين من أجلها وراسلها حيناً طويلا وهى تردّ رسله بالسبّ. وامتنعت عنه حيناً طويلا ثم رقّ قلبها عليه يوم أن شكته لسيدها فسبه وشكاه الى بعض اخوانه خشية أن يهجوه ، ولكن صاحبنا كان قد توله بحبّ جاريته فقال :

من سبنى من ثقيف فإننى لن أسبهْ

أبحتُ عرضى ثقيفاً ولطم خدى وضربهْ

وكيف ينكر هذا وفيهمو لى أحِبَّهْ

وله فيها أيام امتناعها عن مراسلته والانصات لحبه :

يا ذا الذى عن جنان ظلّ يخبرنى بالله قل واعتبر يا طيبَ الخبرِ

قال : اشتكت ثم قالت ما بليت به أراه من حيثما أقبلت فى أثرى

---

(١) العمدة ج ٢ ص ٩٦.

ويعمل الطرف نحوى إن مررت به حتى ليخجلنى من حدّة النظر
وإن وقفت له كيما يكلمنى فى الموضع الخلو لم ينطق من الحصر
ما زال يفعل بى هذا ويدمنه حتى لقد صار من همى ومن وطرى

وقيل له يوماً إن جناناً قد عزمت على الحج . قال : أما والله ما يفوتنى الحج والمسير عنها ، ثم سبقها إلى الخروج بعد أن علم أنها خارجه . ولما عاد قال :

ألم ترنى وقد أفنيت عمرى بمطلبها ومطلبها عسيرُ
فلما لم أجد سبباً لديها يقربنى وأعيتنى الأمورُ
حججت وقلت قد حجت جنان فيجمعنى وإياها المسيرُ !

* * *

وكان من الضرورى أيضاً أن يسلك أبو نواس هذا الضرب من القصيد الذى يفتقر اليه شاعر يتكسب بالشعر . بل كان بحكم انصرافه الى المنادمة والسمر مرغماً على أن يكثر القصيد فى مديح الأمراء والولاة وأن يتفنن بالتبعية لهذه الكثرة .

كان ابن الاعرابى يقول إن مديح أبى نواس جيد يطرب ، وأمدح بيت لمولد قوله :

تغطيت من دهرى بظل جناحه فعينى ترى دهرى وليس يرانى
فلو تسأل الايامُ ما اسمى لما درت وأين مكانى ، ما عرفن مكانى !

وقد ذهب أبو نواس فى هذا مذهباً لطيفاً يخرج له فيه بعض العذر والتأويل ، والا ّ لو نوقش على أساس ما ورد فى بعض النسخ (فلو تسأل الأيام عنى ما درت) لما كان فى وصف النحول أشد مما وصف نفسه به !

ومن جيد شعره فى المديح :

تقول غداة البين احدى نسائهم لىَ الكبد الحرى فسر ولك الصبرُ
وقد خضبتها عبرة فلدمعها على خدها خدٌّ وفى نحرها نحرُ
وقالت : الى العباس ! قلت : فمن اذاً وما لى عن العباس معدى ولا حصرُ
أهل يكفلن الا براحته الندى وهل يزهون الا بأوصافه الشكرُ ؟

وقال فى مدح الأمين من قصيدته الميمية :

واذا المطىّ بنا بلغن محمداً فظهورهن على الرجال حرامُ

وهذا لعمرك غاية المديح .

وقد سلك أبو نواس سبيل المتقدمين فى بدء قصائد المديح بالغزل ، وقد نجح مراراً فى التخلص من الغزل الى المديح رغم صعوبة هذا ، ونرى هنا مثلا منه فى قصيدته التى مدح بها الخصيب ، فقال بعد أن أكثر من الغزل :

تقول التى من بينها خفّ مركبي عزيزٌ علينا أن نراك تسيرُ
أما دون مصر للغنى متطلب بلى ، ان أسباب الغنى لكثيرُ
ذرينى أكثر حاسديك برحلة الى بلد فيها الخصيبُ أميرُ

رأيت الى هنا أمثلة من وصفه للخمر وتغزله بالصبيان والجوارى ، ورأيت قطعاً من مديحه ، وقد تريد أن تسمع شيئاً من هجائه . أجل قد هجا أبونواس — هجا جنان وهجته ، وهجا اليمن وهجا النزاريين وهجا هاشم بن حديج . ولكن له غير هذا كثير أغلبه مملول . ولكن خذ مثلاً هنا من تهكمه بالرقاشى ، قال :

شرابك فى السراب اذا عطشنا وخبزك عند منقطع التراب
وما روّضتنا لتذبّ عنا ولكن خفت مرزبة الذباب

وكان هارون الرشيد يضحك كلما سمع هذا ويقول ماهجا اعرابى ولا مولد بأحسن من هذا !

والحقيقة أن أبا نواس نجح على أساس استحداثه للمعانى ، وقد ذكر المبرد بضعاً من قصائده لم يسبقه الى توليد معانيها شاعر ، منها :

أيها الرائحان باللوم لوما لا أذوق المدام إلا شميا

ومنها :

بنينا على كسرى سماء مدامة مكللة حافاتها بنجوم

ومنها :

لست أدرى أطال ليلى أم لا ؟! كيف يدرى بذاك مَن يتقلى ؟!
لو تفرغت لاستطالة ليلى وترعّى النجوم كنت مخلا

وكان أبو نواس كذلك قد أحسن فى ابتداء كثير من قصائده . ويروى ابن رشيق فى العمدة مجموعة طيبة من شعره كأمثال على حُسن الابتداء منها :

رسمُ الكرى بين الجفون محيلُ عفّى عليه بُكاً عليك طويلُ

وقوله :

دع عنك لومى فان اللوم إغراءُ وداونى بالتى كانت هى الداءُ

ولكن أبا نواس كان يفقد تقديره أحياناً فتخرج قصيدته قوية قد أفرغ جهده فى تنميقها ونسى أو تغافل عن بدايتها فتجىء مليئة بالتشاؤم والتطير . ومما يروى أن بعض بنى برمك بنى داراً جديدة واستفرغ فيها مجهوده ثم انتقل اليها وجاءه الشعراء يهنئونه وكان بينهم أبو نواس فقال قصيدته التى مطلعها :

أرْبَعَ البلا ! إن الخشوع لبادِ عليك ، وانى لم أخنك ودادى

وختمها أو كاد بقوله :

سلامٌ على الدنيا إذا ما فقدتمُ بنى برمكٍ من رائحين وغادى

أراد أن يمدح فهجا ، ودخل ليسر فشجى ، وليس فى هذا حسن ابتداء ولا جمال ختام بل تشاؤم وطيرة ، وخاصة لأنه ما كانت الا فترة حتى أوقع الرشيد بالبرامكة !

ومن سوء ابتدائه أيضاً مطلع قصيدته التى مدح بها الأمين فقال :

يا دارُ ما فعلت بك الأيامُ ؟ لم تبق فيك بشاشة تُستامُ !

وافتتاح المديح بذكر الديار ودثورها مما يتطير منه لاسيما فى مواجهة الخلفاء والملوك ولهذا يختار فى ذكر الأماكن والمنازل ما رقّ لفظه وحسن النطق به .

رأيت الى هنا كثيراً من نواحى حياة شاعرنا : سمعته يصف الخمر ويحنّ اليها ويرددها وهو يذكر وعيد الأمين إذ نهاه عن شربها ؛ وقرأت معى كثيراً من شعره فى المديح والغزل والهجاء ، ورفعت معه علم الثورة ضد اليمنيين ثم نكصت معه على عقبيك وهو يمدح هاشم بن حديج ويعتذر عن هجائه لليمنيين . ولكن بقيت ناحية من حياة شاعرنا قد يكون لها أثر كبير فى شعره ، وبقيت كذلك ناحية من قصيدة لها قيمتها عند بحث هذا القصيد والحديث عنه .. اما ناحية حياته فهى مجونه وأقاصيص هذا المجون كثيرة ، ولكن الناس أسرفوا فيها إسرافاً وأضافوا

اليها من تآليفهم الكثير المبتذل . أجل كان صاحبنا سكيرا يشرب الخمر ويتغزل في الصبيان ويتكسب بالشعر ، ولكن هل كان هو كما صوروه في تلك الأوراق الصفراء والخضراء التي يقرأها العامة اليوم ويتفكهون بها في مجالس السرور ؟! لا ! وانما كان هذا من نتائج اسراف الرجل في الاستهتار ، ثم كانت الفترة التي سبقت عصر النهضة الأخيرة في اللغة وضعف الانتاج الأدبي ورأى البعضُ اقبال الناس على سماع المجون وروايته وترديده فأضافوا الى شعر صاحبنا الكثير من الهزل وأسرفوا في صوغ الأقاصيص الماجنة الساخرة ! وهذه ناحية مفروغ منها ولا محل لها في هذه الصفحات .

أما الناحية الأخرى من شعره فهي شعر التوبة عند ما رمي بالزندقة وشعر الزهد عند ما حسنت توبته وصدقت : فقد رمي صاحبنا بالزندقة أيام الرشيد ثم ولي الأمر الأمين فاتهمه الناس بها ، وحبسه الأمين لشربه الخمر علانية ثم أطلقه من سجنه بعد شهور ثلاثة ، ولكن الناس عادوا للحملة عليه واتهامه بالكفر فقبض عليه وجيء به الى الأمين فأنشد صاحبنا على البديهة :

أصلي صلاة الخمس في حين وقتها وأشهد بالتوحيد لله خاضعاً

فأطلق الأمين سراحه ، ثم رمي به مرة أخرى وكادت تذهب به هذه المرة فقال لمن أمسكوا به بين السيف والنطع دعوني أصلي ركعتين : فأفرجوا عنه فتهيأ للصلاة ثم رفع رأسه الى السماء وصلى ركعتين وقال :

سبحان من خلق الخلق من ضعيف مهين
فساقه من قرار الى قرار مكين
في الحجب شيئاً شيئاً تحار دون العيون
حتى بدت حركات مخلوقة من سكون

فقال الأمين : ما هذا زنديق ! اعطوه ألف درهم واخلعوا عليه! فأعطوه وخلعوا عليه ! والواقع أن أبا نواس قد أفلح أكثر من مرة في الفكاك من الموت ، على انه لم يكن زنديقا ولا متشككاً ، وانما هو رجل أفرط في اللهو واستطابه في عصر أطلقت فيه الشهوات للناس إن سراً وإن علانية ، فتابع القوم في غيهم ثم بزّهم ، فكان مجمل رأيه في الحياة ما جاء في قوله :

تـكثر ما استطعتَ من الخطايا فانك بالـغٌ رباً غفوراَ
ستبصر إن وردت عليه عفواً وتلقى سيداً ملـكاً كبيراً
تعضّ ندامةً كفيك مما تركت ـ مخافة النار ـ السرورا

وتجد فى ذلك شيئاً لم تعد نفسك لسماعه . فالرجل حقـاً قد أسرف فى المجون ولـكنه لم يتشـكك ولم يتابع معاصريه من الفلاسفة بل بقى مؤمناً يلهو إلى أن أحسّ بالندم فتاب وتجد اعترافه بالذنوب والآثام واضحاً فى قوله :

ولقد نَهزت مع الغُواة بدلوهم وأسمت سرح الحظ حين أساموا
وبلغت ما بلغ امرؤٌ بشـبابه فاذا عصارة كل ذاك أثامُ !

وترى توبته ستجد رجلاً يطمع فى الغفران ويرجوه :

أقـلنى قد ندمت على الذنوب وبالاقرار عدت من الجحود
أنا استهديت عفوك من قريب كما استعفيت سخطك من بعيد

وأرغم أبو نواس عند ما انصرف عن اللهو وتاب عن المجون على أن ينظم الشعر فى الزهد ، وقد أعجب المـأمون بشعره فى وصف الدنيا حتى روى ابن منظور أن المأمون كان يقول لو سئلت الدنيا عن نفسها فنطقت لما وصفت نفسها كما وصفها أبو نواس فى قوله :

ألا كلّ حى هالك وابنُ هالك وذو نسبٍ فى الهالـكين عريقِ
اذا امتحن الدنيا لبيب تـكشفت له عن عدوٍّ فى ثياب صـديقِ

وشعر الزهـد حجر الزاوية فى قصيد أبى نواس ، وكان أبو العتاهية يقول : سبقنى أبو نواس الى ثلاثة أبيـات وددت أنى سبقته اليهـا بكل ما قلته فانه أشعر الناس فيها ! ومنها قوله :

يا كبيرَ الذنب عفو الـــــله مِن ذنبك أكبرْ

وقوله :

مَن لم يكن لله متهماً لم يمس محتاجاً إلى أحدِ

وقوله :

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تـكشفتْ له عن عدوٍّ فى ثيابِ صديقِ

ثم قال : قلت فى الزهد ستة عشر ألف بيت ، ووددت أن أبا نواس له ثلثها بهذه الأبيات .

واجتمع أبو العتاهية وأبو نواس عند اسحاق بن ابراهيم بن ميمون فقال له : كيف قلت فى اعتذارك الى الرشيد ومدحك الفضل بن الربيع فأنشده الشعر الذى يقول فيه (١) :

ما من يدٍ فى الناس واحدة الا أبو العباس مولاها
قد كنتُ خِفتك ثم أمننى من أن أخافك خوفك الله !

رأيت الى هنا نماذج من شعر صاحبنا ، حدثتك بالجيد من شعره وبقى أن تعرف اراء النقاد فيه . ففى بعض نسيبه خشونة . كما فى قصيدته التى مدح بها الخصيب أمير مصر :

أجارةَ بيتينا أبوك غيورُ وميسور ما يُرجى لديك عسيرُ
فان كنتِ لا خلاً ولا أنت زوجة فلا برحت منا عليك ستورُ
وجاورت قوماً لا تزاور بينهم ولا قرب إلا أن يكون نشورُ

وقد قال أبو عبيدالله محمد بن شرف القيروانى (٢) لم أسمع بأوحش من هذا التشبيب وذلك قوله إن لم تكونى لى زوجة ولا صديقة فلا برحت منا ستور التراب عليك ولا كان جارك ما عشنا نحن الا الموتى الذين لا يتزاورون ولا يتواصلون الى يوم النشور .

والغريب أن أبانواس مع كثرة المعانى التى استحدثها لم يترك معنى سبقه اليه معاصر الا أخذه عنه . قال أبو الشيص :

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى متأخّرٌ عنه ولا متقدمُ

فقال هو :

فما جازه جود ولا حلَّ دونه ولكن يسير الجود حيث يسيرُ

والغريب أن أبا نواس رغم نضال أصحابه عنه من أجل هذا البيت كان يقول : (ما زلت أحسد أبا الشيص على هذا البيت حتى أخذته منه (٣)) .

---

(١) ابن منظور ص ٦٧ (٢) أعلام الكلام ص ٤١ (٣) أعلام الكلام ص ٤٢

ويزعم البعض أنه أخذ قوله « وداونى بالتى كانت هى الداء » من قول الأعشى « وأخرى تداويت منها بها » وقوله « إن الشباب مطية الجهل » من قول النابغة « فان مطية الجهل الشباب » !

وفى شعر أبى نواس أيضاً بضعُ سقطات لغوية . خذ مثلاً منها وصفه للخمر :

كأن صغرى وكبرى من فواقعها ... حصباء درٍّ على أرضٍ من الذهب

والخطأ واضح لا غموض فيه لأن قول صغرى وكبرى غير جائز فان فعلى أفعل لا يجوز فيها حذف الألف واللام منها ، وانما يجوز حذفهما من فعلى التى لا أفعل لها نحو حبلى الا أن تكون فعلى أفعل مضافة وهى هنا قد عريت عن الاضافة .

هذا هو شاعرنا على علاته . نشأ فى ضحى أيام العباسيين وصحب أيامهم وشمسهم فى الذروة ، عاشر الرشيد حتى قربه اليه وأدناه منه ، عرفه للسمر والحديث وأدناه منه للشعر والأدب ، ثم صحب الأمين وعاش مقرباً منه كما كان فى أيام أبيه . وجاء وسوق الأدب قائمة فزاد من نهضتها وأعلى قبابها . وعاش فى بغداد والناس فيها يجمعهم اللهو وتربط بينهم الصداقة أواصر المجون ، فاسترسل معهم مستسلماً إلى شهواته كما استسلموا . ثم عافت نفسه وقد حانت منيته هاته الشهوات واللذَّات فرجع إلى ربه . تحسر وبكى ، وانطلق لسانه بالندم والتوبة وطلب الغفران ، نسك وتعبد ونطق بالحكمة ، ولكن كان الأجل المحتوم قد شارف على الوصول اليه فقضى نحبه على ما قيل سنة ست وتسعين ومائة وكان عمره وقتذاك تسعاً وخمسين سنة وأسدلت الستار على حياته الحافلة بمتباين النزعات ونسيه من أعجبوا به ، وإن كان معاصروه قد اغتصبوا أغلب تركته . . وترك ديوانه نهباً حتى وصلت يد الضياع الى الكثير منه . ومات الرجل وكأنه لم يكن ، وكان أحقّ بأن يكتب أصحابه على قبره ما رثى هو به محمد الأمين(١) .

وكنت عليه أحذر الموت وحده ... فلم يبق لى شىء عليه أحاذرهُ !

---

(١) هذا على زعم أنه مات بعد وفاة الأمين بسنة وهو رأى حمزة الأصبهانى جامع ديوانه ، ولكن فى ابن خلكان أنه مات سنة ست وتسعين ومائة وهذا ما أخذنا به ، ولذا تكون قصيدته هذى فى رثاء شخص آخر غير محمد الأمين — راجع الوسيط ص ٢٥٧ ، ابن منظور ص ٧٠ ، ابن خلكان ص ١٦٨

مراجع البحث

وفيّات الأعيان	لإبن خلكان
أخبار أبي نواس	لابن منظور المصرى
خزانة الأدب	للبغدادي
العمدة	للحسن بن رشيق
عيون التاريخ	لصلاح الدين بن شاكر الكتبي
الأغانى	لأبى فرج الأصبهانى
قراضة الذهب	للحسن بن رشيق
أعلام الكلام	لابن شرَف القيروانى
الوسيط	للاسكندرى وعنانى
أبو نواس أخباره وشعره	لعبّاس مصطفى عمّار

محمد عبد الفتاح ابراهيم





يوم فى سنتريس

(مهداة الى الصديق زكى مبارك ذكرى زيارتنا لسنتريس يوم الجمعة ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٣٤)

يا يومَ إيناسى الذى لم يَنْفَدِ ... ما زلتَ فى خَلدِى وإنْ لم تُخْلَدِ
بل أنتَ فى الخُلْدِ الأَتَمِّ مُشَعْشَعاً ... فى الذكرياتِ موزَّعاً فى المَشْهدِ
نشوانُ مِنْ لُقياكَ، لم أبرحْ كما ... لاقيتُ أنسكَ فى سناك السَّرْمدِى
جعلَ الصديقُ بك الضيافةَ نعمةً ... لا تنتهى ، وما ثراً للمفتدِى
خُلِقتْ من الاحسانِ حتى أننى ... أُنسيتُ ما يجنى الزمانُ المعتدِى

* * *

يا يومَ إيناسى الذى لم يَنْفَدِ ... ما زالت فى خَلدِى وإن لم تُخْلَدِ
جئناكَ أشباهَ العُفاةِ هوايةً ... للحسنِ ، لا كالبائسينَ القُصَّدِ
فاذاه (١) يُنْهَلُ فيكَ بين مُذَوَّبِ ... شَبِمٍ ، ويُلْمَسُ فيكَ بين مُجَسَّدِ
والحُسْنُ أكرمُ ما يكون لكارمٍ ... والحسنُ أبخلُ ما يكون لمجتدى
مَثلتْ معانى الصَّفْوِ فى قسماته ... وجَرَى الهوى جَرْىَ المعانى الشُّرَّدِ
ما نالها إلاّ التصوّفُ وحده ... بِنُهَى الالَهِ العبقرىِّ الأوحدِ
هذى (الطبيعةُ) فى جلالةِ مُلكها ... إنَّ الجلالة بالسذاجة تبتدى
بسمت الىَّ فكان فى بسماتها ... مِنْ عالمِ المجهول آيةُ موجِدِى

(١) أى الحسن .

بسمتْ ورتَّلتْ الحيــاةَ نشيدَها وكأننى بنشيدِها فى مَعْبَــدِ
أنّى التفتُّ فُتِنْتُ مِنْ أطيافها ولمحتُ ملءَ الغيبِ ما لم يُوجَدِ
وأصيخُ للذّرةِ التى وقفتْ كما وقَـفتْ جنودُ الدّهرِ للمتمرّدِ
فتنمُّ عن أسرارهِ فى صَمْتِهَــا وتحنّ مثلى للخفىّ المُبْعَـدِ
وأراقبُ الريّاحَ (١) يزخرُ موجُهُ بالذكرياتِ وبالحنينِ الى الغدِ
ونَمُرُّ فى الطُّرقِ الوديعةِ صانها مِنْ شامخ الأشجارِ كلُّ مُجَنَّدِ
والجدولُ الجارى كمرآةٍ لها وبهِ من الآبادِ ما اشتاقتْ يدِى
غسلتْ عذارَى الريفِ جيرة شَطّهِ حُللاً كأصباغِ الخريفِ العسجدِى
متضاحــكاتٍ والخريرُ كأنّه أصداء فرحتِهنّ فى الماء الصّدِى(٢)
ونزورُ ساقيــةَ الصّـديق وعندها للذكرياتِ مَدامــعٌ لم تُعْهَدِ
ونرى الصبابةَ فى النواحِ وطالما بالأمسِ غنتْ بالنشيدِ المُسْعِدِ
ونعِصُّ مِنْ قصَبٍ يطيب لنا كما تلهو الطفولةُ فى رضًى متجدّدِ
ونزورُ مِنْ تلك المنازلِ وادعاً لـكنما خلقتْهُ عِزّةُ سَيّدِ
ونرى الجمالَ كأنما إفصاحُهُ عينُ الغموضِ لباحثٍ متفقّدِ
نَـدريهِ بالحسّ الخفىّ وإنْ يكنْ ملءَ النواظر والمسامع واليـدِ
نَـدريهِ مِنْ رُوحِ البصيرة قبل أن يُدْرَى بلحظِ عاشقٍ متوددِ
فاذا الجمــالُ هو الحيــاةُ ، وسرُّه هَدْيُ الموفقِ أو ضَلالُ المُلحِدِ
واذا الألوهــةُ لا تَلوحُ لجاحــدٍ وتلوح للمتلهّفِ المتعبِّدِ !

* * *

يا يومَ إينامى الذى لم يَنْفَـدِ ما زلتَ فى خلدِى وإنْ لم تُخْلَدِ
حَفلَـتْ بمجدِكَ (سِنتريسُ) وعيَّدتْ فى كل ما يهواه قلبُ معيِّدِ
قد جئتَ مِنْ وطنِ الجمالِ مفوَّفاً بأشعـةٍ ومنمّـقاً بزبرجدِ

---

(١) رياح المنوفية (٢) الظمآن الهين .

فاذا بأهليها غَنوا عن كلّ ما ... يُغنى سوى شرف النهى والمحتِدِ
حتى النباتُ له اوِدهاءُ مُشوَّدٍ ... ولو انه يَلقى عناءَ مُصوَّدِ
والبركةُ الخضراءُ آسِنُ مائها ... فى عِزّةٍ مِن شوقنا المتردّدِ
ومِن الديوكِ على السطوحِ مؤذّنٌ ... وكأنما هو فى صلاةِ المهتدى
ومِن السوائم ما يُجَلُّ فتونُه ... بالمنظر الحالى وبالعُشبِ الندى
حتى رجَعنا فى غِنًى لم يَنفدِ ... ملءَ العواطف والنُّهى متعدّدِ
لم نفتقده (١) وإن نكن نؤنا به ... كأحبِّ ما يَطغى الهوى بعصفّدِ
سكنتْ الى الرّياحِ غيرَ أسيرةٍ ... بينا انطلقنا فى هَوَى المُستعبَدِ
والليلُ كالمسحورِ حيث تُقِلُّنا ... سيّارةٌ طارتْ كطيرٍ مموّدِ
تتراقصُ الأشباحُ فى أفيائِه ... ما بين عزّافٍ وبين مُغرِّدِ
ومنسّقُ اللبخِ المهيبِ برهبةٍ ... هى كالتأمّل للأبىّ الأيّدِ
وتعودُ ألوانُ المفاتن بعدَ ما ... ذهبَ الغروبُ بها ذهابَ مُبدِّدِ
فكأنّها بُعِثتْ مِن الأبدِ الذى ... طاحتْ اليهِ على الخيالِ المُزبِدِ
وكأنّها غمرتْ جميعَ كياننا ... فرجَعْتُ فى حُلمى بأروعِ سُؤددِ
حُلمٌ طوَى صُحفَ الدّهورِ ولم يَدَعْ ... عنـد الطبيعةِ ما استسرَّ بجلمدِ
أو ما تحجَّبَ كالظّنونِ مخاطرٍ ... للكونِ فى هذا الأثيرِ المُفرَدِ (٢)
حُلمٌ هوَ الفنُّ الجميلُ وإن يكنْ ... إبهامَ إحساسٍ برُوحٍ مُخلَّدِ
والنّاسُ ترقبُنا فتلمح نشوَةً ... كبرى فتتبعُها ظنونُ الحُسّدِ
وكأننا عُدْنا نُبشِّرُ بالهوى ... والحُسْنِ فى دنيا العقوقِ لتهتدِى

* * *

يا يومَ إينامى الذى لم يَنفَدِ ... مازلتَ فى خَلَدى وإنْ لم تُخلَدِا

أحمد زكى أبو شادى

---

(١) يريد سنتريس (٢) المفرد : المستقل المتحرر

دنيا الخيال

دَعْنى أعيشُ مع الخيالِ منعَّماً — ذكرى الحياةِ تَهيجُ حُلوَ منامى
وأروضُ فكرى فى سماءٍ حرّةٍ — فى عالمِ المجهولِ والأحلامِ
وأهيمُ كالطيرِ الطليقِ محلّقاً — بين الضياءِ ودعشةِ الأنغامِ
وأحدّثُ الزهرَ الجميلَ بفرحتى — وأعُبُّ مِن وحى الجمالِ السامى
وأشاركُ الأسماكَ فى سبحاتها — وأطالبُ الأفلاكَ بالإلهامِ
لا أُنسَ فى دنيا الحقيقةِ يُجتنَى — والأُنسُ كلُّ الأنسِ فى الأوهامِ

مصطفى عبد اللطيف السحرتى
(المحامى)

شاعر الريف الباكى

نعِسَ الليلُ على مَرْجِ الربيعْ — وانحنى النورُ عليهِ فى خشوعْ
جِنوةُ الثكلى على الميتِ الصريعْ — غمرتهُ فى دموعٍ وقُبَلْ

* * *

والقرى خرْساءُ فى غفوتِها — تقتدى بالليلِ فى هجعتِها
ماتتْ الضوضاءُ فى رهبتِها — فهى مِنْ مقبرةِ الموْتى أجلْ

* * *

وطيورُ الأيكِ فى أوكارِها — تُفعمُ الرّوحَ بباكى شعرِها
ويذوبُ اللحنُ فى قِيثارِها — فيسودُ الصّمْتُ فيها والوجَلْ

* * *

رَصّعَ الطلُّ زهورَ الياسمينْ — بنضارٍ ذابَ فى بحرِ السكونْ
فبدَتْ تختالُ بين الهامدينْ (٢) — كاختيالِ الراشفِ الكرْمَ الثّمِلْ

* * *

والفتى الشاعرُ فى جَفنِ الظلامْ دَمعةٌ حَيرى على بؤس الأنامْ
قام يبكى والورَى طراً نيامْ بعصاراتِ الفؤادِ المندملْ

* * *

راعهُ اليأسُ ، وأضناه الأملْ وهوَ فى ريعانه لمَّا يَزَلْ
والمنى واليأسُ كم لا تُحتملْ ! رحمة الله عليهِ تنهملْ

* * *

نظرَ الشاعرُ فيما حَوْلَهُ علّه يمحو الأسى أو علّهُ !
فمحا ماحى الأسَى آمالهُ ! وطغى اليأسُ عليه فاسْتهلْ (١)

* * *

أنشأ البُلْبُلْ يشدو ويَنُوحْ والفتى الشاعرُ يبكى ويصيحْ
هكذا كلٌّ له قلبٌ جريحْ وله فى عَيْشِهِ خَطبٌ جَلَلْ

* * *

إيهِ يا ليلُ ! ترفّق إنّ لكْ فى صميم القلب عرشاً جلَّلَكْ
أنقذ الشاعرَ مِن ذا المعتركْ حَسْبُهُ يا لَيْلُ هَمّاً لا تُطِلْ !

* * *

أنصتَ الليْلُ لشكوى الشاعرِ وصداها فى لهاة الطائرِ
وهوَ فى حُلمٍ عميقٍ غائرِ فأطارَ النَّوْمَ عنه (٢) والملَلْ

* * *

أيقظ الدِّيكُ نسماتِ السَّحَرْ فسرتْ تَلْهُو على ضوء القمرْ
ثم مرّتْ فوق أغصان الشَّجَرْ فتأوَّدْن لها كالمبتهلْ

* * *

وترامَى البَدْرُ فى غَرْبِ الافُقْ وهو كالميْتِ شُحوباً والشفَقْ

---

(١) استهلّ الطفل : بكى صارخاً (٢) الضمير يعود على الليل : أى أطارَ الليل عن نفسه الملل والنوم .

بعدَ ما تمَّ جمـالاً واتَّسقْ　　فانبرى الفجرُ وضيئاً كالأملْ

* * *

هتفَ الداعى لتمجيدِ الالَهْ　　فـنِيَ الليلُ فهبُّوا للصلاهْ
وأنابَ الطيرَ عنهُ فى الفلاهْ　　فأزيل النَّومُ عن كلِّ المُقَلْ

* * *

أيُّـهذا الصارخُ الباكى كفى　　عبراتٍ مُلْهبَاتٍ وُكَّفـا
ها هُوَ الليل قضى إلاَّ شفا　　فادفعْ الأوْهامَ دَفعاً والعِلَلْ !

* * *

حَطِّمْ النَّـاىَ الحزينَ الباكيا　　وانشد اللحنَ طروباً صافيا
وانهـل الحبَّ رُضاباً شافيا　　فـكأىّ مِن شجٍ منه أبَلّ

عبد العظيم بدوى

القمر فى الصباح

أراكَ الآنَ مكتئباً　　حزيناً أيها القمرُ
وحيـداً بائساً قلقاً　　إلى الاشفاقِ تفتقرُ
تناجى ملكَكَ الماضى　　وتشكو ما جنى القدرُ
بصوتٍ صامتٍ خافٍ　　ونفسٍ عمها الضجرُ
وترنوُ كاسفَ البال　　بعين خانها النظرُ
الى الاصباح منبثقاً　　ونورُ الشمس ينتشرُ
وتمشى ساهماً وجلاً　　الى الأعماقِ تنحدرُ

« ٠ »

تأمَّلْ ! هل ترى أحداً　　هَدَاه نحوكَ البصرُ ؟
فنورُكَ قد غدا أثراً　　وسِحرُكَ ما له أثرُ

وهذا ضوءك الصافى ... ضباباً راح ينـدثرُ
وبات أشعةً ماتت ... وأمست ما لهـا خطرُ
وهذا الطلُّ منتثراً ... على الأوراقِ يحتضرُ
دمـوعٌ أنت تذرفهـا ... على ماضيك يا قمرُ !

احمد محمد ابراهيم نار



أناشيد السواقى

لحنُ السواقى فى الحقول كأنما ... هو آهةُ الولهان من أحزانهْ
نفثاتُ مشتاقٍ يئنُّ صبابةً ... مِن فرط لوعته ومِن أشجانهْ
شهدتْ محاسنَ ذا الربيع فعادها ... شغفٌ إلى الرشفات من وجدانهْ
وتذكرت عهداً قضتْـه ونضرةً ... وتذكرت عهدَ الصبا بجنانهْ
فبكت على الماضى النضيرِ وعهده ... والزهرُ يكسوها بعقد جمانهْ
ناحتْ لتروى مِن مدامعها الحقو ... لَ وترضع الريحانَ فى بستانهْ
قيثارةُ الريف استحال نشيدُها ... أحلامَ وسنانٍ بغدرِ زمانهْ
أحلامَ وسنانٍ بطيفٍ مرعبٍ ... هدمَ الكرى وطغى على ألحانهْ
قيثارةٌ شابت وحطَّمها الضنى ... وعـــداً على أوتارها ببنانهْ
قيثـــارةٌ قد أُشعلت فدخانها ... ترديدُ محزونٍ صدى وجدانهْ
ألحانُها عادت بخوراً مسكراً ... فى مأتم المصروع مِن أحزانهْ !

محمد رشاد راغب





السجينة

وتركتُ نفسي طعمةَ الأقدارِ ووهبتها ما كان من أوطاري
ومشيتُ أخبط في الشعابِ وحيدةً في حيث تُسلمني الى الأخطارِ
ما لي ارتطمتُ بصخرها ووهادها فغدوتُ كالظبي الضرير الساري؟!



الآنسة جميلة محمد العلايلي

ما لي شغفتُ بكلِّ ما هو متلفٍ شَغفَ الفراشةِ بالشعاع الواري؟!
أسرِي ولا أدري أسائرة إلى دنيا الظلام، أم الظلام نهاري؟!

* * *

مأوايَ ما بين الخيالِ وتارةً بين الجبالِ على الرُّبَى المعطارِ

وبدا لىَ الوحىُ المنوّر وجهه وعليه أطيافٌ من الأسحارِ
ناديتهُ فاستوقفتنى نظرةٌ حَوَت الفنونَ ومتعةَ الأنظارِ
وسمعتهُ والصبحُ يعدو نحوه والكونُ ملتفعٌ بثوبٍ نادى :
«أنتِ السجينةُ كيف ترجين الصفا وبظلِّ شعبٍ ماشَ رهنَ إسارِ ؟
أيهونُ عندكِ أن يصوّركَ الورى فى شبهِ فاتنةٍ بغير دثارِ ؟
تلك الحياةُ تريك طابعَ سحرها متلفعاً بالقبح والأوضارِ !
خُلقت نفوسُ الشرِّ قبل زماننا يا لهفَ نفسى من دُنا الأشرارِ !
فى ظلِّ سجنكِ يا صغيرةُ سجِّلى صدرَ الحياةِ بريشةِ الأشعارِ
هذى هى الدنيا فعيشى بينها كيما ترين غرائبَ الأسرارِ
مَنْ نال سِرَّ الغيبِ أدركَ حقَّه ولعلَّ حقَّكِ ليس بالمتوارى
ولعلَّ حظك سوف تُشرقُ شمسُه ما دام فى وسع القضاء الجارى ! »

***

قضت الحياةُ بأن أجىء الى الورى وقضى الورى ألا أقرَّ بدارِ
فرغبتُ عن دنيا الأنام وما بها مِن كل مُنْدِيَةٍ وكلِّ صَغار.
ومشيتُ فى دنيا الأمانى أبتغى حظَّ السعيدةِ بعد طول عثارِ
فاذا الأمانىُّ العذابُ خوادعٌ واذا همومُ النفس جِدٌّ كثارِ !

***

عجباً ! أأسجن ها هنا فى قسوةٍ وسواىَ يحيا فى دُنا الأحرارِ ؟
يلهو ويمرح ما يشاء منعَّماً وأنا سجينةُ هاتهِ الأغوارِ ؟ !

جميلة محمد العلايلى

ولدى .. ؟ !

رفَّ فى خاطرى وذابَ بنفسى صورةً حلَّقتْ بفكرى وحِسِّى
هو طفلٌ فى باطن الحسِّ يلهو لم يَصِرْ بَعْدُ فى الوجودِ ويُمسى

هوِ وحيٌ يرفُّ فى عالم الوهم ... أيغدو فى عالم الاحياء ؟
وخيالٌ يطوف بالفكرِ ، هلاَّ ... سيصير الخيالُ حُكمَ القضاء ؟
طُف بفكرى كما تشاء ولكنْ ... لا تكنْ قطُّ فى ربوع الحياةِ
واحتجبْ فى الخفاء ! إياكَ إيا ... كَ وجوداً فى هذه الكائناتِ !
أنا قد ذقتُ من حياتى شقاء ... وترانى به كليماً وحائرْ
ليس ما فى الوجود يرضيك... حاذرْ! ... لا تخاطرْ فتهبط الأرضَ... حاذرْ!
فاحتجبْ فى الخفاء يا طفلُ واعلم ... ان هذى الحياةَ ناءت بشرٍّ
هكذا نحن فى الوجود حيارَى ... فهنئاً لك الخلودُ بفكرى !

محمود السيد المصرى



مصرع الفتاة

(تزوَّج شيخُ طريقٍ بالريف فتاة من مريداته ونقلها إلى اقليمه ، فاقتحم عليها دارَها رجلٌ من أبنائه ، وقد شُغل الناس بصلاة الجمعة ، فكمَّ فاها وأحكم غلَّها وحطم عضدَيها ، ثم صبَّ عليها زيت الحجر وأشعل فيها النار ، فقتلت شر قتلة .
وقد كان ذلك باقليم القليوبية فى يولية سنة ١٩٣٤)

متى ترقأ الأجفانُ يا دولةَ الغدرِ ؟ ... أما لدياجيرِ المطامع مِن فجرِ ؟
ويا نزواتِ الغيِّ ، غشَّاكِ صيِّبٌ ... هو المطبقُ الرَّجَّاسُ ، ينهلُّ بالجمرِ
فكم من نفوسٍ كالشموسِ هدايةً ... يسير بها فتكٌ الى ظلمة القبرِ
ورُبَّ كَعابٍ ليس يرحم حسنَها ... ولا ضعفَها ، قلبٌ أشدُّ من الصخرِ



ربيبةُ طُهرٍ، صاغها الحسنُ فتنةً ... كوحي خيالٍ جالَ في خاطرِ الشعرِ
تبدَّت لدى شيخٍ، بصيـــد بدينه ... وكم من ثيابٍ للخديعة والمكرِ
فشبَّ غرامٌ في فؤادٍ مهدَّمٍ ... وعاد شبابُ الشيخ في أرْذل العمرِ
ومدَّ شراكاً من أحابيل موسرٍ ... ينال ثراء المال عفواً بلا عسرِ
وحسبـــك منه غزوه الدور قائداً ... لجيش كثيف من دراويشه الغرِّ !
يجوس خلال الدار، والجمعُ حوله ... وكلٌّ فراشٌ حول نار، وما يدري
إذا ما غزا داراً فويلٌ لحبها ... وويلٌ لما فيها من الشاء والطيرِ
يُسَعَّرُ كانونٌ، وتُشحذ شفرةٌ ... ويقذف تنورٌ بما شئت من مَيرِ
ويُنحر قربانٌ، وتُهدى موائدٌ ... وتستبق الأشـداقُ في الكرِّ والفرِّ
ترى الشيخَ طعانَ الدسائع جاثماً ... وقـد خفقت من فوقه رايةُ النصرِ
فينهض مختالاً، ويجـــأر داعياً ... ويهتزّ كالمشدوهِ في حلْقةِ الذِّكرِ
له عادةٌ قد شيَّد الجهلُ صرحها ... ينال بها ما شاءَ في العسرِ واليسرِ
يسمونه شـيخَ الطريق، وإنه ... ليقطع طرقَ الله بالختلِ والخترِ !
يعيش بفضلِ الجهلِ جذلانَ ناعماً ... ينال الغنى، باسمِ التصوّفِ والفقرِ



وما زال يغري الصيدَ حتى أصابه ... وطار به من عُقر دارٍ إلى عَقرِ
تزوَّجها الشيخُ المدلُّ بنفسه ... فيا لكِ من عصفورة في فم الصقرِ !
تزوَّجها رغم البنين وأمِّهم ... ولم يك منهم حينذاك على ذُكرِ
فكانت بدارٍ زعزعتها عواصفٌ ... من البغض والشحنـاء والهم والذعرِ
وليس لها في وحشةِ البين مؤنسٌ ... سوى طلعةٍ للشيخ ناضبة البشرِ
ترى بغضونِ الشيخ أطلال هيكلٍ ... ألحَّ عليـه هادماً معولُ الدهرِ !
تَفحُّ لها الأفعى، وتنفث سمهـا ... وتستلهم الشيطان بدعاً من النكرِ

وينـــــــذرها الأبناء بالويل جهرةً وأكبر مما أظهروا مضمرُ الصدْرِ
وكلهمُ فى الشرّ صِـــلٌ مُدَرَّبٌ بصيرٌ بطرق المكرِ والفتكةِ البكرِ
فَعِيلَتْ فتاة الدارِ صبراً ، وشَيخُها يَئِنُّ لما يلقى من الضيمِ والقسرِ
فنضَّد أحمالا ، وأزمعَ هجرةً وقدَّر ، والأقدارُ رغم الهوى تجرى
دعته صلاة ، فاستجاب مودّعاً وداعَ لقاءٍ ، لا وداعاً الى الحشرِ !

* * *

غلا مرجلٌ للغيظ فى صدرِ ضرّةٍ تقيس تراث الشيخ بالشبر والفترِ
تثور لماضٍ فاض بالشيخ أنسه وتحذر عـلاتٍ ، فتحتال للبترِ
وقد خيّمَل بظهر عروبةٍ فلبي عباد الله مكتوبة الظهرِ
فشمر للجلى بنوها ، وأسرعوا الى الجُرم إسراع الرزايا الى الحرّ
وأقبل غاويهم الى الدار طارقاً وكان أثيماً ، دامىَ النابِ والظفرِ

* * *

خلا الجوُّ للفسْل الدنىء ، ولن ترى مطوقةً تقوى على مخلب النسرِ
هنا يقشعرُّ الجلدُ من هولِ مصرعٍ يفتت أكباداً ، وإن كنّ من صخرِ
لقد كمّ فاهاً ، ثم أحكم غلها وأمعن فى التنكيلِ والوكزِ والكسرِ
وصبّ لعابَ الموتِ ظمآنَ صادياً يحاول أن يشوى الجسوم وأن يفرى
وأشعل فيها النارَ ، لا عونَ مسعفٍ ولا قول ، إلا قول ألسنة الجمرِ
لقد بذّ فى اللؤم اللئامَ بأسرهم وسجّلَ ما تندى له أوجهُ الغدرِ !

محمد عبد الحليم العفيفى



الشكوى

أكلما لاقيتُ انساناً أراه شاكيا ؟!
يشكو مصائبَ الزمان رائحاً وغاديا
قد سئِمَ الأسرةَ والخلانَ والنواديا
وراحَ يطلبُ الحقولَ والهواءَ الصافيا
فربما تخيَّل (النيلَ) حزيناً باكيا
فقال : ما للنهرِ فاضَ بالدُّموع جاريا ؟!
مكتئبٌ يرَى الخُطَى فى سعيهِ مَهاويا
لا يعرف اليُمْنَ ولا البِشرَ ولا التهانيا
ولا يرَى شمساً ولا بدراً مُنيراً هاديا
وعينهُ كقلبهِ ترَى النهارَ داجيا
يتّهمُ الأعوامَ والأيامَ والليالِيا
والأرضَ والسماءَ والعمرانَ والبواديا
الناسُ نصفُهمْ غدا لنصفِهم أعاديا
الكلُّ مظلومٌ فمنْ يُدْعَى الظلومَ القاسيا
وقلَّ مَنْ رأيتهُ عن الحياةِ راضيا
كأنهم قد خُلقوا ليُنشِئوا المراثيا
فى كلّ أرضٍ نكبةٌ تستنزف المآقيا
وتترك الحلوَ مَريراً والجريحَ داميا
أما رأوْا طيراً على الغصن قريراً شاديا
فى عشّهِ قد جمعَ الأقواتَ والأغانيا
مَلبَسُهُ الريفُ فما يدرى الحريرَ الغاليا
لا يَجمع الكنزَ ولا يرهبُ لصّاً عاديا

قد هجرَ الانسانَ والأوْطانَ والمغانيَـــا
ورضىَ البستانَ داراً ونعـــيماً كافيَا
وعاش فى حريةٍ ... ياليتَ مثلهـــا ليَا

***

أما كنُ الأغصانِ طيرٌ ينشدُ التآخيَا
وما كنُ البستانِ إنسٌ يخلقُ الدَّواهيَا ؟!
يا ربِّ ! مَنْ يُرْجعُ للنَّاسِ الاخاءَ ثانيَا ؟!

الصاوى على شعلان



بين اللانهايتين

تقدمـة

كان شاعراً بائساً ، جاءه نداء الموت ، فأذعن له بعد وداعٍ حارٍّ ، فانه و... مشرّدٌ فى حياته يرجو أن يبقى عليها لأن أمامه من الآمال والمطامع ما... على ذلك .

وبعد أن يسلم روحَه يبدأ بوصف رحلته فى ركاب الموت الى « وا... الذى تستقرّ فيه أرواحُ الموتى حتى يوم البعث ، ثم يرى على بعـ... كرويٍّ عظيمٍ أنجماً وغيوماً فيسأل عنها الملاك فيجيبه أنها ... والـ... ثم يستمرّ فى وصف ما شاهده فى « وادى الأرواح » من ملائكة

وأطيافٍ جميلةٍ . وهذه الأطيافُ هى ما يشاهد أثرها العميق فى الحياة . ولكنها فى هذا الوادى « وادى الأرواح » ترى بصورة مغايرة للصورة التى ترى عليها فى الحياة ، ثم يسمع وهو ذاهل من سحر « وادى الأرواح » صوتاً عذباً صادراً من « وادى الأعراف » فيطير وملاك الشعر اليه حيث يقف الشاعر فى سوره المعظم فينظر الى أسفل ويرى زورقَ الحياة فى بحر الموت الأثيرى الكروىّ العظيم غيرَ ثابتٍ تتلاعب به الأمواجُ والأنواء .

وينظر الى يمينه فيرى الجنة وما أُعِدّ فيها من نعيم وملائكة مرحة طروبة .

وينظر إلى يساره فيرى غيماً كثيفاً يتبين منه بصعوبةٍ شياطينَ الجحيم الشريرة الخاملة ويرقب جزءاً يسيطاً مما أعدّ فيه فيبكى ، غير أن الملاك يخفف ألمه واصفاً له صقعاً آخر من أصقاع الجحيم الخسيسة .

والى هنا تنتهى مرحلة الشاعر فيهبط من « وادى الاعراف » الى « وادى الأرواح » حيث تستقرّ روحه الى يوم البعث .

« ٠ »

القصيدة

كم تذكرتُ فى الخيال غرامى ... وتخيَّلتُ فى المنام نعيمى
كم تناسيتُ فى الخيال شكاتى ... وهمومى ، وشِقوتى ، وجحيمى
كم صحبتُ المُنى ، لكنّ قلبى ... يشتكى الذُّلَّ للعزيزِ الحكيمِ

« ٠ »

طِرتُ فى عالمِ الخيالِ لعلى ... أرقبُ الخيرَ فى اطّراحِ همومى
غالبَتنى الأوهامُ بينا تناهَى ... بىَ شوقٌ الى الخلودِ العظيمِ
أرتقى بالخيالِ فى عالم المو ... تِ ، لألقى المجهولَ بينَ النجومِ

« ٠ »

أرسَلَ البدرُ فى الخيالِ شُعاعاً ... مُستخِفّاً ، وروعةً ، وجمالا
وتهادَى مِلءِ الشُّعاعِ نداءٌ ... رنَّ فى أُذنِ شاعرٍ ، وتعالى

فانحنى طائفُ السماء خُشوعاً ... يُنشدُ الشعر للردى إجلالا

« • »

(الشاعر مذهولا)

أرى شَبَحاً يرفُّ فخبِّرونى ... أهذا الموتُ ، أم هذا خيالُ ؟!

وأسمعُ فى صميم القلب لحناً ... يُدَوِّى فى نواحيهِ الجلالُ

« • »

أرى قلبي يئنّ ولستُ أدرى ... أللأحزانِ فى قلبي مَحلٌّ ؟

(يتهادى رسول الموت : مجيباً الشاعر)

أفِقْ يا شاعِرَ الأهوالِ ! إنى ... رسولُ الموتِ، لِلفِرْدَوْسِ ظلٌّ !

« • »

(الشاعر واجماً ، يستعطف رسولَ الموت)

رفقاً بقلبي ، فانّ الذُّلّ مُضنيه ... والهمُّ ما زال يجرى فى مَجاريهِ

ماذا تحاول من قلبي وشقوتهِ ... أجئتَ تقتلهُ أم جئتَ تُحييهِ ؟!

إنى أحسُّ دبيباً فيه يُرعشنى ... إنى أحسُّ اختلاجاً فى نواحيهِ

« • »

(رسول الموت ، داعياً الشاعر)

بنيَّ عجِّلْ ، فانَّ البحرَ مضطربُ ... والريحَ قاصفةٌ والرعد مصطخبُ

غداً ستنظرُ فى وادى الردى عجباً ... وأنت فى الزورقِ المسحورِ ترتقبُ

« • »

(الشاعر كأنه فى حلم عميق لرسول الموت)

أهوى الحياةَ لأنى أعشق الأملا ... فلستُ أرضى بغير العيشِ لى بدلا

أأصحبُ الموتَ والآلامُ تركبنى ... حتى يقالَ ذليلٌ قد قضَى وجلا ؟

(الشاعر فى الحشرجة ، وقد أفاق مريعاً من حُلمه)

خُذ يا رسول الردى روحى لخالقها ... فقد رضيتُ بأن أقضى بك الأجلا

« ٥ »

قضيت عُمريَ فى لهو وفى مرَحٍ والیومَ أسلمُ روحى متعباً جزعا
قدّمتُ قلبي لنيرِ العيش مبتهجاً واليومَ أنهى حياتى بائساً هلعا
لله معركةٌ للموت ، قد غُلِبتْ فيها الحياةُ ، فضاعت ، والردى انجمعا
صفقّوا الشّموعَ على روحى لمولدها فاليومَ أولدُ فى الفردوس مرتفعا
فرحمةُ اللهِ نورُ الروح إن بزغتْ ورحمة الله نبراسٌ لنا سطعا

« ٥ »

(الشاعر ، وهو فى نهاية معركة الحياة والموت)

ما لى وللذكريات الآن أسردها وقد تبعتُ حياةَ كلها حلُمُ !!
كانت حياتى بوادي العيش سخريةً لكنها عظمت ، والموتُ يحتكم
فهكذا الميتُ والأحياء فى ألمٍ فالكلُّ للذلِّ والأرزاء مغتنمُ !

« ٥ »

(رسول الموت فى ندائه الأخير للشاعر)

هيّا الى الركب فى صبرٍ وفى جَلدٍ وانعم بلذّةِ عيشٍ لم تُنل بيدِ
دع عنكَ ذكرجلالالعيش فهو ندى من جنّةِ الخلد لا من رقعة الكمدِ
هيّا الى الرّاحةِ الكبرى وعزّتها وانعم بلذةِ عيشٍ لم تُنلْ بيدِ

(يسلم الشاعر الروح)

(يصف الشاعر فى القطعة التالية الطريق الى عالم الأرواح)

(تتراءى أشباح ويبدو آخرَها ركبُ مَلاكِ الموت)

أمرَ الطيفُ صحبَهُ فأصاخوا لصدى أمرِهِ الجليلِ الشّجيّ
فسما الطيفُ طائراً بعد ما احتثّ خُطى مركب الفناء البهيّ
ودنتْ بعدَهُ الىَّ طيوفٌ تتهادَى من الخلودِ العليّ
وعلى هامةِ الطيوفِ تراءى لى شعاعٌ من الهُدَى القدسيّ

(مركب ملاك الموت)

هالةٌ تُرعشُ الفرائصُ منها لضياءٍ من الملاكِ القويِّ
هالةٌ من شُعاعِ نورٍ وأخرى من شعاعٍ بين الجلالِ سنيِّ
ذا مَلاكُ الفناءِ ما بين أعوا ذِ غلاظٍ من الوجودِ الخفيِّ
جاء من عالم الممات ليعلو بى الى الخلدِ فى العُلى العلويِّ
جاء من عالم الممات ليهدى نورَ روحى الى الطريق السويِّ
بهرَ الرُّوحَ طائفٌ مِن جلالِ لملاكِ الرَّدى العزيزِ الفتيِّ
وطيوفُ الفناء طارت خشوعاً تتغنَّى بلحنهِ العبقريِّ
قام من رَكبِهِ الملاكُ فخرّوا سُجَّداً رهبةَ الملاكِ العليِّ
سَجَدَ الكلُّ بُرهةً فى جلالِ وخشوعٍ للمشهدِ الروحيِّ

« • »

هبطَتْ رحمةُ الملاكِ على رُو حى وصَبَّتْ حَنانَهُ الأبويَّا
باركَ المَلْكُ لى جلالاً وأعطا نى لباساً من العُلى أبديَّا
فأزاحَ الشقاءَ والحزنَ عنِّى إذ كسا الروحَ ثوبَهُ القدسيَّا

« • »

(رحلة ركاب الموت حتى « وادى الأرواح »)

أمرَ المَلْكُ بالمسيرِ فساورا ودَوَى الأمرُ منه عَذْباً شجيَّا
فتراءت طيورُهُ فيه تَنْشِيـ ـنا غناءً يجاوبُ الرُّوحَ حيَّا
وتبدَّت طيوفُه فى سماء الـ ـبحرِ ، حَيَّتْ مَلاكَنا اللوذعيَّا
وابتدا الركبُ بالمسيرِ جلالاً مالئاً عالمَ الخلودِ دويَّا

« • »

سار ركبُ الممات سيراً حثيثاً فوقَ موجِ الأثيرِ ثبتَ العمادِ
مركبٌ للفناء فذٌّ عجيبٌ يحمل الرُّوحَ بينَ وادٍ ووادِ

يبهر الحسَّ سحرُهُ وسناهُ وطيوف مِن مجده المتهادي

« • »

صرتُ في عالم الفناء خيالاً بعد أن ماتَ في الوجود فؤادي
عدتُ حيَّ الفؤاد حِسّاً ومعنًى طائرَ الروح في سما الإخلادِ
لبست حليةَ التجرّدِ روحي وأزاحت ماديّةَ الآبادِ

« • »

(مركب ملاك الشعر)

قابل الركبُ بعد حين ملاكاً حاملاً معزفَ القلوب الشوادي
ذا ملاكُ الشعر العزيز يغني شعرَه فوق نايهِ المستجادِ
طار ما بين صاحبيه مهمل الشا طيء يسعى لمركب الاسعادِ
جاء من عالم الفناء سَبوحاً يُنشد الشعرَ في الجلال الهادي

« • »

(هنا يرى الشاعر نجوماً بارقة عن بُعد فيصيح مستفهماً)

ويحَ عيني ! ماذا أرى يا مَلاكَ الـ شعر؟! ما هذه النجومُ الزواهرْ؟!
روّعتني ومسَّ قلبي خشوعٌ وانحنت للجلال مني المشاعرْ !

« • »

(ملاك الشعر)

تلك يا شاعرَ الحياةِ حياةٌ ونعيمٌ للمتقين الأكابرْ
سبقت عالمَ الفناء جلالاً فهي مَثوًى للصِّيدِ لا للأصاغرْ

« • »

(الشاعر مفكّرا)

سبقتْ عالمَ الفناء جلالاً فهي مَثوًى للصيدِ لا للأصاغرْ؟!

(شاعر الحياة البائس يردد اطمئناناً)

يا ترى للشقاء يا مَلكَ الشعـ ـرِ على هذه النجوم مقامُ ؟

« • »

(ملاك الشعر)

شاعرى ! تلك جنةُ الخلدِ ، والفر　　دوسُ فيها الهوى ، وفيها المرامُ
ليس فى هـذه النجوم شرورٌ　　كلٌّ ما ضُمِّنَتْ هُدًى وسلامْ
وهناءٌ ورفعةٌ وحَنانٌ　　وضيـاءٌ لا يعتريه ظلامُ !

(الشاعر سائلا عن الطريق اليها فى بشر)

ملكَ الشعر والخلود ! أبِنْ لى　　عن طريقٍ علَّى أطير اليها !
كنْ رسولى الى الجنان فانى　　سوف ألقى صفوَ النعيم عليها
كنْ رسولى الى الجنان فانى　　ألمس الخلد فى ربى شاطئيهـا
تلك دارُ النعيم يا ملكَ الشعـ　　ـرِ ! فيا خلدَ من يرى شرفتيها !

« • »

ذا طريقُ الفردوس يا صاح لكنـ　　ـنى أرى الموتَ ذا الطريقَ القويما
أنت فى مركب الفناء فامّا　　رحت فى عالم الخلودِ ... كريما
أو رأيت النيرانَ ترمى حميماً　　من لظاها أو تستثار جحيما

« • »

(يوجه الشاعر نظره لملاك الردى سائلا عن مصيره)

يا ملاكَ الممات ! أين سبيلى ؟　　لست أبغى غيرَ الخلود سبيلا
يا ملاكَ الممات ! كيف مصيرى　　ومتى يبتغى الركاب وصولا ؟
كنتُ فى العيش خيِّراً وجليلا　　أترى فى الممات أحيا جليلا ؟
يا ملاكَ الممات أين سبيلى ؟　　لست أبغى غيرَ الخلودِ سبيلا

« • »

(ملاك الموت مطمئناً الشاعر ومجيباً)

قد أتاكَ الحياةَ يا شاعرى طيـ　　ـفان قبلى ، فى روعةٍ وثباتِ
وهما ، شاعرى ، لسانى وحِسِّى　　بلـغانى أعمالَكَ الفضليات

كنتَ يا شاعري جراداً جليلاً وكريماً منوّرَ الصفحاتِ
لكَ في الخلدِ يا صغيري مكانٌ زينٌ بالمحسنين والمحسناتِ !

« • »

(الشاعر مسروراً)

لكَ في الخلدِ يا صغيري مكانٌ زين بالمحسنين والمحسناتِ !

(الشاعر شاكراً)

ليت شعري ماذا يقول مَلاكي سوف أحيا بعد الشقاء سعيدا
سوف ألقى بعدَ الجحيم نعيماً وألاقي بعدَ العذاب خُلودا
يا مَلاكَ المماتِ شكراً وحمداً لا عدمناكَ خيّراً ومجيدا

« • »

(يصل الركب في أثناء ذلك إلى أدنى طبقات «وادي الأرواح» ، وفي طبقاته العليا التي سينظرها الشاعر ويعلو إليها «سور الاعراف» الذي يفصل النجوم البارقة عن الغيم الكثيف المجاور لها - الجنة والنار اللذين رآهما الشاعر ، وهو هنا يصف ما في الطبقة الدنيا لوادي الأرواح)

قد بدا الجوُّ ساحراً في احمرارٍ قبل أن يبلغَ الركابُ الجنانا
وبدا الركبُ في خضمٍّ عظيمٍ كلُّ ما فيه يسحر الوجدانا
ذاك نهرُ النسيان يبدو جميلا وغريباً .. محيراً .. فتّانا

« • »

(الشاعر لملاك الشعر مندهشاً مما رأى)

يا مَلاكَ الشعر هذا عن رُبى الموتِ غريبُ
قد بدا لي اليومَ مَرأىً هو في العيشِ كئيبُ
مَشهدُ الموتِ عظيمٌ وجميلٌ وعجيبُ

« • »

(يبدو ملاك الفنون محيياً ركبَ الموت بهذا النشيد)

مركبَ الموتِ سلاماً ! بلّغ اللهَ التحيّة !
انما الخلدُ شعاعٌ مِن مَرائيكَ البهية

« • »

جئتُ من دار الفناءِ . قاصداً دارَ البقاءِ
فى خشوعٍ وهناءٍ وجلالٍ وسناءِ

« • »

مركبَ الموتِ سلاماً ! بلّغ الله التحيّة !
انما الخلدُ شعاعٌ مِن . مرائيكَ البهية

« • »

أنتَ للخلدِ لسانٌ أنت للبشر كيانٌ
أنت للسحرِ مكانٌ فيه حُبٌّ وافتتانٌ

« • »

مركبَ الموت سلاماً ! بلغ الله التحية !
انما الخلدُ شعاعٌ مِن مَرَائيكَ البهية

« • »

(ملاك الشعر للشاعر)

هذا إلـهُ الفنّ يُشجى الفؤادَ الصادى
يَفتنّ فى كلّ لحنٍ بالسحرِ والانشادِ

• • •

(تبدو أطياف «وادى الأرواح» ، وهذه الأطياف هى ما يشاهدأثرُها العميقُ فى الحياة : فهذه أطياف الغرام ، والحسد ، والقنوط ، وغيرها . .)

﴿ مشهد أطياف الغرام ﴾

(ملاك الشعر)

تلك أطيافُ الغرامْ تنشد الحبَّ الجميلا

وملاكُ الحبِّ يلقى لحنه السامى الجليلا

« • »

إنَّ فى الخلد غراماً وهياماً وحنانا
غيرَ أنَّ الحبَّ فيه ليس ذلاًّ وامتهانا

« • »

إنما الحبُّ هناءٌ للنفوسِ الصافيات
ونعيمٌ وشِفاءٌ للقلوبِ الداميات

« • »

﴿ يمر طيف الحسد يتبعه طيف القنوط ﴾

(مشهد طيف الحسد)

وترى هذا الحسودا خافضَ العينين حزنا
كان فى العيش مسوداً فرأى فى الموت هونا

« • »

(مشهد طيف اليأس)

وبدا اليائسُ فانظرْ وتأمَّلْ مركباتِهْ !
ذلك الطيفُ طروبٌ ليت شعرى ، فى مماتهِ ؟!

« • »

كان فى العيش ذليلاً وحقيراً ومُهانا
ويرى فى الخلدِ سحراً وجلالا ومكانا

« • »

(تنزل روح الشاعر واقفة أمام «وادى الأرواح» ، ثم تطير فى ركب ملاك الشعر الى أعلى طبقات هذا الوادى قبل أن تشرف على «وادى الأعراف» ، وفى هذه الطبقة العليا مستقرُّ الأرواح)

(الشاعر واصفاً)

نزلتُ الى وادى الجلالة طائراً ... وقد جُلتُ فى وادٍ من الغمراتِ
نزلتُ فألفيتُ العجابَ فاننى ... غريبٌ، من الدنيا الشقيةِ آتِ
رأيتُ نعيماً يبهر الطرفَ حسنه ... وشاهدت آياتٍ تهزّ ثباتى !
فلم أرَ دوراً أو رياضاً على الثرى ... ولم أر فيها شامخَ الهضباتِ
فكان أثيرُ الجوّ للقوم مضجعاً ... وكان أديماً واسعَ الجنباتِ
فحلوا البحارَ المفرغات وقد بنوا ... بساحاتها الأمصار والفلواتِ
لهم فى عنان الجوّ أخصبُ مرتعٍ ... فهم يسكنون الجوّ، وهو موآتى !

***

(ذكريات الحياة فى « وادى الأرواح »)

فراقبتُ مجداً فى المات، وعزّةً ... وعشتُ حياتى، ما عرفتُ حياتى
يعذّبه قلبى فى الحياة لأنه ... فؤادٌ شريدٌ واسعُ الخطواتِ
فنارٌ من التفكير بين جوانحى ... وأخرى من الآلام والحسراتِ
فهل من حياةٍ لا مذلة بعدها ... وعزٍ لغير الذلّ والزفراتِ ؟!

***

(يطير الشاعر فى ركب ملاك الشعر الى « وادى الاعراف » حيث يرى الجنة والنار، وهذا الوادى هو أعلى أودية السماوات، فتحته كما رأينا « وادى الأرواح » وتحت هذا بحر الموت الذى يتصل أثيره بالحياة وبالجنة والنار)

(وقفة بين اللانهايتين)

(الشاعر)

أىُّ مرأى تراه روحىَ يبدو ... عند أسوارِ شاطىء الاعرافِ!
مشهدٌ مفزعٌ ومرأى طروب ... بين وادى الشقا ووادى التصافى
فترى أنهرَ الجلالةِ تجرى ... فى هدوءٍ أمامَ وادٍ جفافِ

***

(الفردوس)

وترى في الجنان أيّ نعيم ... يتراءى بأجمل الأوصافِ
تسبح الطيرُ ساربات على نهـ ... ـر الأمانيّ فذّة الأصنافِ
تتغنى على الغصون بلحنٍ ... مستطابٍ منمّقٍ زفزافِ
وتُرى فيه عابثاتٍ ، وتلهو ... بجميلِ الانشادِ في استخفافِ
فالهزارُ الجميلُ لا يبرح النهـ ... ـر مكبّاً كعاكفٍ لِرُعافِ
وتبدّى الشحرورُ فيه يغنّي ... عابراً لجّة الخلودِ الصافي
ويُرى السوسنُ الحبيبُ بسيماً ... فوق هام الورودِ داني القطافِ
تتدلّى أزهارُه في جمالٍ ... وهي في الخُلدِ جمّة الألطافِ

« ٠ »

(جنة الشعراء)

إنّ للشعرِ في الخلودِ مكاناً ... صاغه اللهُ منحةَ الشعراءِ
ولهم فيه راحةٌ وهدوءٌ ... يدفع الصدرَ في شعاب الهناءِ
فنسيمُ الخيال فيه هنيٌّ ... يرتع الحسُّ عنده في دواءِ
فترى في المياه تبراً مشاعاً ... وترى الزهرَ زاهياً في صفاءِ

« ٠ »

(ملائكة الجنة)

فملاكُ الطبيعة السّمْحُ يَسعى ... في رُبى الخلدِ ليلَه ونهارَهْ
وملاكُ الجلال يلقى جلالاً ... في نواحيه جهده واقتدارَهْ
وملاكُ التغريد يشجي قلوباً ... خافقاتٍ بحكمةٍ ومهارَهْ
وملاكُ الغرام يُعطي قلوبَ الـ ... ـعاشقين المتيمين شعارَهْ
وملاكُ الشعرِ العزيزِ يغني ... في صفاءٍ ويجتلي أشعارَهْ
يَتراءى بين الجنان طروباً ... وترى الخلد قطبه ومَدارَهْ

« ٠ »

فسرت نسمةُ الجلالة منها لرُبانا فزعزعت أطيارَهْ
ليت شعرى : هذا خلودٌ عزيزٌ فمتى يدخل الكرام ديارَهْ ؟

« • »

(نظرات)

كنتُ فى روضةِ الجلال فما لى لا أرى بعدها خيالاً طروبا
فبوادى الأعرافِ ألقى انشراحاً وبوادى الأعرافِ ألقى قطوبا
وأرانى أجوب تلاً كبيراً تحته زورق الحياة يسيرُ
وعلى يسرتى عذابٌ أليمٌ وعلى يمنتى جـــلالٌ ونورُ

« • »

(ينظر الشاعر الى أسفل فـيرى زورقاً فيسأل ملاك الشعر عنه)

(الشاعر)

يا مَلاكى ! .. ماذا أرى يا مَلاكى ؟ ما ترى ذلك الخضمُّ العميقُ ؟
ما نرى فيه أنجمٌ وغيومٌ ويرى زورق عليـه غريقُ

« • »

(ملاك الشعر)

شاعرى ! ذاك زورقُ العيش يجرى فى خضمٍّ الردى القوىِّ الزاخرْ
يسبح الركبُ كلَّ يومٍ وليلٍ فى فضا البحرِ بين شـطٍّ وآخرْ

« • »

مركبُ العيش فى المهات مَتاعٌ يتـلاشى فيه رويداً رويدَا
كان لونُ الركاب جمَّ ابيضاضٍ وتراهُ المغبَّشَ المســوداً
قد بلى فى الماتِ روحاً ولوناً هل تَرى للمماتِ فى العيش رَدَّا ؟

« • »

تحسبون الحياة ركناً منيعاً وترون الحياةَ سحراً وخُلدا
إنما الموتُ للخـلود طريقٌ غير أنى أراه سهلاً مُعقـداً
(يتأمل الشاعر الزورق ، ويقول مسروراً)
وأرى حبلَ زورقِ العيش قد قا ربَ من صولة الردى أن يُشَدَّا

« ٥ »

(ملاك الشعر)

هو واهٍ وكان فى سالف العهـ ـدِ قوياً مقوِّمَ العودِ مُجدَا

« ٥ »

هو فى اللانهايتين مجـــدٌ تاه ربانه الفتى فى سمائه ؟

قاده الموجُ فى ضجيجٍ الى البعـ ـث وقد كان حالماً فى ارتقائه !

يزدهى ثم يستحيل رماداً ثم يُذرَى بالبعث فى أجوائه

زَوْرَقٌ عابرٌ لبحرٍ كرىٍّ الردى والنعيمُ عند انتهائه

تصل اللانهايتـــين حياةٌ بين موتِ انتهائهِ وابتــدائه

« ٥ »

(ينظر الشاعر الى يساره فيرى ضباباً كثيفاً)

(الشاعر)

يا مَلاكى ! أرى ضباباً فماذا تنظر العينُ فى الضبابِ المقيمِ ؟!

« ٥ »

(ملاك الشعر)

ذاك يا شاعرى حجابٌ كثيفٌ يختفى خلفه جحيمُ الهمومِ

سترَى فيه مَشهداً يقبض الرو حَ عبوساً يعلوه جوٌّ سَمومِ

سترَى ناره تشعّ لظاها وكفى انها عذابُ الجحيمِ !

« ٥ »

(سير ركاب ملاك الشعر الى الجحيم)

(الشاعر واصفاً)

ودنونا من الجحيم رويداً ودخلنا بين الغيوم الكثيرهْ

وهنا لاح مَشهدُ النار تلقى فى رُبى ذلك الجحيم سعيرهْ

فاذا ما نظرت هالك مَرأًى تنظر العينُ شرَّه ونكيرهْ

واذا ما طلبتَ ماءً مساغاً كان غسلينُ ذا الجحيمِ غديرهْ !

« • »

هى دارٌ تصفّقُ الروحُ فيها تتلوّى على أسًى وتأسّى

ولقــــد راعنى ضياءٌ لظاها وسنًى يؤلم القلوبَ ويخسى

فضجيجُ الفنــــاء فيها علىٌّ ولصوتِ الشقاء أوقع جرسِ

وعويلُ الفناء فيها زئيمٌ وهو عندى من الأخسّ الأخسّ

« • »

(شياطين الجحيم)

فالشياطينُ تقذف النارَ شرّاً وشراراً وتستعدُّ لنحسِ

فأرى مرسل الهموم مكبّاً فى شقاءٍ من الهمومِ وبؤسِ

وأرى باعث السموم مقيماً ينفخ السمَّ بين نابٍ وضرسِ

وأرى صاحبَ الشرورِ ذليلاً يذرف الدمع بين همٍّ وتعسِ

« • »

(ملك ابليس)

ذاك ابليسٌ اللعينُ يغنى ويناجى الجحيمَ بين لظاهُ

فلابليس فى الجحيم مكانٌ فاض بالشرّ فهو حامى حماهُ

ويُرَى اليومَ فى الجحيم هنيئاً فهو ملكٌ ، والملك أقصى مناهُ

« • »

إنّ وادى الجحيم وادٍ عميقٌ لستُ أدرِى أنّى يُرَى منتهاهُ

فاذا حاولتُ الوصولَ لجوٍّ علنى قد أرى عجيب سماهُ

أو إذا حاولتُ الوصولَ لأرضٍ علّنى قدْ أرى عجيبَ ثراهُ

لا أرى غيرَ نارِ همٍّ وغمٍّ وسمومٍ تهبّ فوقَ علاهُ

« • »

يستقى البائسونَ منهُ مياهٌ صاغها الله بينهم غسلينا

صاغها مِن جُلودهم ، ونفوسٍ ضُمِّنَتْ فى القلوب شرّاً مُبينَا
يرعدُ الجوُّ منهمُ بدَوِىٍّ كانَ فى هذه النواحى كمينا
وبريقُ الدوىِّ فيهِ شَرارٌ لو همَا فى الورى أمات المئينا !

« • »

فوقَ شَطِّ الجحيم بعضُ خلودٍ للآلى خلّدوا الحياةَ وسادوا
يَحْسبونَ المماتَ بعضَ غناهم فاستحالوا عن الطريق وحادوا
وغداً تسبحُ الحياةُ إلى المو تِ ، وما للحياةِ فيه عمادُ
وغداً يعلمُ الذين أبادوا النا سَ بالظلم أىَّ قومٍ أبادوا
وغداً يكشفُ المماتُ عن الما ضى ، وما صانَ سِحرَهُ الآبادُ

« • »

إن للبائسين بعضَ قلوبٍ كوّنتْ من شرورهم فى الحياةِ
خلقوا فى هياكلٍ وحواسٍّ فطواها الجحيمُ فى المعمياتِ
سبحوا فى عوالمٍ من شقاءِ كفّنَتْهَا مقابرُ الحسراتِ
وانتهى أمرُهُمْ الى عالم الشرِّ فذاقوا الشرورَ والويلاتِ

« • »

(يبدأ الشاعرُ فى العويل من منظر الجحيم الذى يقبض الروح)

(الشاعر)

ويحَ روحى .. وويح عينىَ .. آهاً! تدمع العين من شرور المماتِ

(ملاك الشعر)

كفكفِ الدمعَ شاعرى ! إنَّ هذا خيرُ أصقاع عالمِ الأشرارِ !
ذاك يا شاعرى مكانٌ جليلٌ فالمكانُ الخسيس بين الضوارى
حيث تلقى به الوحوشَ حيارى تتلوّى فى النارِ والأحجارِ
وتراها مِن المذلةِ تعوى هائماتٍ فى غيرِ ما استقرارِ

« • »

(النهاية والرجوع إلى عالم الأرواح)

(إلى المقرّ الأبدىّ حتى البعث)

قُمْتُ وادى الآلام والحزن حتى لاح ضوء الجنان يهدى وقاره
وملاكُ الطبيعة السَّمْحُ يسعى فى ربى الخلد ليله ونهاره
وملاكُ الجلال يلقى جلالاً وترى السحر قطبه ومَداره
وملاكُ التغريد يشجى قلوباً خافقاتٍ بحكمةٍ ومهاره
وملاكُ الغرام يُعْطِى قلوبَ الـ ـعاشقين المتيمين شعاره
وملاكُ الشعرِ العزيزِ يغنى فى صفاءٍ ويجتلى أشعاره

« • »

فسرت نسمةُ الجلالة منها لربانا فزعزعتْ أطياره
ليت شعرى هذا خلودٌ عزيزٌ فمتى يدخل الكرام دياره؟!

محمد سعيد السحراوى



أغنية

للشاعر شيلى

جلس الطائرُ يرنو للفضاء فوق غُصْنٍ جفَّ من بردِ الشتاء
ذاهلاً يبكى حبيباً راحلاً لم يمتعه به صرفُ القضاء
حين هبت فوقه عاصفةٌ تحمل البردَ وذرَّاتِ الهباء

وجرى تحت ذُراهُ جدولٌ ساهمٌ جَمَّدَهُ قرُّ الهواءِ

***

لم يكن فى الغاب يبدو ورقٌ أخضرٌ، أو غصنٌ نضرُ الكساءِ
أو زهورٌ فوق أكتافِ الرُّبى ضاحكاتٍ للضحى أو للمساءِ
وسجا الجوُّ فلم يهفُ صدًى لضجيجٍ أو هتافٍ لنداءِ
غير طاحونٍ سرت ضجتُهُ من بعيدٍ.. مثل همسٍ فى الفضاءِ !

احمد مخيمر

طيف — Un Fantome

عن شارل بودلير

(١) الظلمات Les Ténèbres

فى أقبية الكآبة المبهمة حيث زوانى القدر، حيث ليس يسرى شعاعٌ وردىٌ بهيجٌ، وحيداً مع الليل مضيفى العابس، أنا مثل رسَّام قضى عليه إلهساخر أن يرسم — يا أسفاً — على الظلمات، أو كطاهٍ طعامه لمأتم أغلى قلبى وآكله، يشرق لحظةً ويستطيل وينتشر طيفٌ من البهاء والسناء. وحين يكتمل فى مِشيتهِ الشرقية الحالمة، أعرف زائرتى الجيلة: هذى هى ! مظلمة ومنيرةٌ معاً !

(٢) العطر Le Parfum

أيها القارىء هل تنسَّمْتَ فى نشوَةٍ ونهمٍ رائحةَ البخور تملأُ كنيسة، أو نشر مِيكٍ أصيل ؟ الفتنة والسِّحر، منهما نسكر فى الحاضر والماضى المجدَّد ! هكذا المحبُّ لهيكل معبود يقطف من الذكرى زهرةً نضيرةً. من شَعرها اللدن الثقيل، وسادةٌ حية، وجامٌ للمضجع، وينطلق أرجٌ وحْشىٌ أصهب، ومن ملابسها الحرير والقطيفة مشربَّةً بشبابها النقى يسطعُ عطراً !

(٣) الاطار Le Cadre

مثلما يُضفى إطارٌ على الصورة — وإن كانت من ريشةٍ ممدوحةٍ — ما لست أدرى من عجيبٍ وفاتنٍ ما فصلها عن الطبيعة السَّرمدية، هكذا الأحجار الكريمة

الأثاث ، الذهب ، وجمالها الفريد ، لا شيء يحجب كمالَ نورها ، وكلٌّ لها حواشٍ .
وربما قيل إنها تعتقد أن الكلَّ يرغب في حبها ، لقد أغرقت جسدها العارى الجميل مليئًا بالرعدات في قبلات الشيطان والأثواب ، وفي حركاتها كسولةً أو هوجاء تبين ظرف طفل قرد .

(٤) الصورة Le Portrait

المرض والموت يصنعان الرَّماد من كل النار التي سطعت لنا ، من هاته العيون الواسعة ترنو في حرارةٍ ورفقٍ ، من هذا الثغر حيث أُغرق قلبي ، من هذه القبلات قويةً كبلسم ، من هاتي اللمحات أكثر حيــاةً من الأشعة . ما الذى يبقى ؟ آه ! روحي ! لا شيء غـير قدرٍ شاحب بثلاثة أقلام ، والذى مثلي يموت في الوحـدة ، فالوقت ، العجوز الشتام ، يَعركه كل يوم بجنـاحه الخشن ... أيها القاتل الأسود للحياة والفن ، لن تقتل أبداً في ذاكرتي تلك التي كانت فرحي ومجدى !

***

أمنحك أنت هذا الشعر ، وإذا بلغ أسمى لحظٍ سعيدٍ ببيدِ الحقب ، وصنع الأحـلامَ مساءً للعقول البشرية ، كمركب تدفعهـا ريح شمال ، فان ذكراك مثيلة الخرافات المبهمة ، ما أتعبت القارىء كالدُّفوف ، ستبقى معلقة إلى فواقٍ الشامسة ، كائناً ملعوناً لا شيء ما عدايَ يجيبه من الهاوية السحيقة إلى أعلى السماء - آه أنت يا من ، كشبح سارٍ على أثرٍ عافٍ بقدمٍ خفيفة أو نظرة صافية ، حكم الأغبياء الفانون بفسادك ، يا تمثالا بعيون الكهرباء وملاكاً رائماً بجبهة من الشبهِ !

ليون (فرنسا) محمد عبد الحكيم الجراحي

عشرة الورد

(عن الفارسية للشيخ السعدي الشيرازى)

مررتُ على أوراقِ غصنٍ أصابـها ذبولٌ فلم تثبت على الغصنِ في مَهْدِ
ولـكنّـها رغمَ الجفافِ يَزينها عبيرٌ كريمُ النفح أزكى من النَّدِّ

فقلتُ لها : هل كنتِ فى هذه الرُّبَى وُروداً تزيد الحسنَ فى حمرةِ الخدّ ؟
أجابت بوجدٍ : لستُ ورداً وانما كسبتُ الأريجَ العذبَ من عشرةِ الوردِ

***

الشباب

(عن الهندية)

مَعْشَرٌ مرّوا بأجيــالِ الدّهورْ ما لهم هاموا بتقويسِ الظّهورْ ؟
فقدوا درّةَ أيامِ الشبابْ فانحنوا للبحثِ عنها فى الترابْ !

الصاوى على شعلان



الملاك النائم

« . . . لقد وَهبَتْهُ هذا الجمالَ الناعمَ الجديدَ ، وكانت هى التربة التى نمت فيها أزهارُه الغريبة ، بيــد أنها — هى الأخرى — قد راعها أن تنبت فيها مثل هذه الأزهار ؟ » (من قصــة « المخطىء » The Trespasser للشاعر القصصىّ الانجليزى الـكبير د . هـ . لورانس D. H. Lawrence)

لم يزل يقرع النوافذَ قطرٌ أطلقتــــــه نافورةٌ فى السماء
والضبابُ الـكثيفُ يَسرى مع النســـــم الهوينا فى ساحةِ الجوزاء
وأنا أجتلى جبينَــــــكِ بدراً مُشرقاً فى غيــــاهبِ الظلماء

لائمٌ ذلك الجبـــينَ ، وقد أمسيتُ في سَكرةٍ من الأضواء
لاهثٌ أضرج التنفسَ بالضـــوء ، وأطويكِ لذةَ الأعضاء
ظامئاً ، لا أملُّ مِن متعـــةِ الحُبِّ ، وإذ كان في المتاع فنائي
راغبٌ أن يدوم هذا العناقُ الحـــلوُ للبعثِ ، لا لبعثِ ذكاء !
حائرٌ ، مُجْهَدٌ ، وقد وَدَّعَ النومُ جفـــوني ، واستيقظتْ أهوائي

* * *

إيهِ يا واحةَ الفؤادِ المُعَنى وملاذَ الخواطرِ الهـــوجاء
لكَـفي القربُ منكِ نُعْمَى ، وحسبي لَثْمُ هذي الأضواء لَثْمَ الهواء !
إنَّ جسمي ظمآنُ ، والروحُ لهفَى لِسناكِ المُشَعْشَعِ الوضّاء
حبذا أنتِ تَظْفرين مع الحُـــلمِ بكونٍ من الخيـــالاتِ نائي
ترسلينَ الأنفاسَ وَسْنَى كعينيكِ ، على وَجْنَـــتيَّ كالأنداءِ !
وأنا جاثم حيـــالكِ أرعَى كنزكِ الحيَّ رِعْيَةَ البُخلاء
لاهجٌ بالصلاةِ طوراً ، وباللهفـــةِ حيناً ، وتارةً بالغنـــاء
هاتِفٌ كالصغيرِ بالشعرِ تسبيحاً بحمـــدِ الملاحةِ العذراء

* * *

أبداً أرتجيكِ يا حاجةَ الروحِ عزاءً في النكبةِ النـــكباء
انَّ يوماً أقضيه عنكِ بعيـــداً لهو يومُ الهلاكِ ، يوم انتهائي !

مختار الوكيل





القوة والضعف

فى الشعر الحديث

ان علماء العروض والقوافى لم يصيبوا فى تعريفهم الشعر بأنه كلام مقفى وموزن ، وهل كل كلام مقفى وموزون يُعدُّ شعراً ؟ وهل الشعر على هذا التعبير يؤدِّى رسالة الشاعر للناس قوية المناحى كما يجب ، دقيقة التعبير كما ينبغى ـ الشاعر ذى الاحساس الرقيق والحب الصادق والخيال الواسع ، الشاعر الذى يحلق فى جو ليس فى مقدور العامة أن تحلق فيه ؟ !

ان الشعر إن لم يكن الباعث على قوله نفس حفزها الوجدان ، وأملى عليها الخاطر ما جاس فيه وتلاطم داخل طياته من خواطر لم يجد الى احتجازها سبيلا ، فانسابت تلك الخواطر آخذة طريقها الى المسامع كما ينساب الجدول بالماء العذب النمير لا يعوق سيره عائق ولا يكدره مكدر ـ أقول إن لم يكن الباعث على قول الشعر احساس صادق لا أثر فيه لتكلف أو تعمل فهو كما يقول علماء العروض والقوافى « كلام مقفى وموزون » .

واذا كان قول العقاد :

والشعرُ من نفس الرحمن مقتبسٌ والشاعرُ الفذّ بين الناس رحمنُ

أصاب كبد الحقيقة لتعريف الشعر والشعراء ، فانا لم نر فى هذا الزمان على الخصوص ـ مع استثناء بعض الشعراء المطبوعين الموهوبين ـ الا شياطين اقتبسوا أشعارهم من شياطين الهاماتهم ـ لا من الرحمن ـ وقد سخرت منهم فألهمتهم كل غث مرذول يغاير صور الحياة تمام المغايرة ويباينها كل المباينة . ولعل السبب فى ذلك انهم يقلدون القدماء ويبكون معهم الاطلال حيث لا اطلال تبعث البكاء فى عهد العمران هذا ،

ويجدون معهم العيس حيث أصبحت العيس فى هذا العصر ـ عصر البخار والمدنية تعرض على أنظار الجمهور فى جناين الحيوانات بقصد التسلية .

ولعل سبباً آخر هو من أهم العوامل التى تجعل الشاعر مقلداً أكثر منه مبتكراً أو مبتدعاً وتجعل على شعره مسحة من التكلف الممقوت الذى يغض من قيمته . وهذا السبب هو الجمهور ، لأن بعضاً من الشعراء يجهد نفسه ليرضى الجمهور بكل ما أوتى من قوة ،إذأن الجمهور لا يقبل على شىء أو يستحسنه حتى يكون وفق هواه ، وارضاء الجمهور وتنفيذ رغباته يفقدان الشاعر منزلته الممتازة وينزلانه من مرتبة الخاصة الى مرتبة العامة . والشاعر الذى يربأ بنفسه أن ينزل مع الجمهور فى حلبة واحدة هو وحده الصادق الذى يعبر عن شعور صادق ، وهو وحده المضمون لشعره البقاء لأن للأيام دورة تميز فى أثنائها الخبيث من الطيب ويذهب فى خلالها الزبد جفاء ويمكث ما ينفع الناس فى الأرض .

ان المتنبي لم يمت ولا ضمه قبر ولا حواه رغام وله قريض تغنى به الزمان وأعجب به الأدباء جيلاً بعد جيل . أجل : ان المتنبي لم يمت كما مات كثير من الشعراء الذين نبه ذكرهم فى أول عهد ظهورهم ثم أبرم عليهم الزمان حكمه العادل بالموت الحقيقى الذى لا حياة بعده ولا نهوض حتى لم يعد لهم ذكر لدينا كما نذكر المتنبي وأضرابه من شعراء العربية كأبى تمام والبحترى وابن الرومى وابن المعتز وغيرهم . فلو كان الشعر قولاً مقفى وموزوناً كما يقولون ، ولو كان من ذكرنا أسماءهم وما لم نذكرها من أعلام الشعر ينزعون الى تقليد من سبقهم من الشعراء لما بقى لنا من شعرهم شيئاً نفتن فى تقليده ومجاراته . واذا بقى شىء منه فما أظن أننا نجد حافزاً يحفزنا الى تقليده ومجاراته لافتقاره الى صدق فى اللهجة . وقوة فى المعنى .

على أن للشعر الذى يمتاز بالقوة فى أدائه وجودة التعبير فى ائتلافه ، وبروح من الفن يرفرف من بين معانيه، قوة سحرية خفية هى أشبه بالمغناطيس تجعل الشاعر يتأثر بمعانيه بمجرد تلاوته له الى حد بعيد وينجذب نحوه انجذاباً لا يشعر به الا حين ينظم معانى ذلك الشعر العبقرى الذى تلاه فى شعره . ويجدر بنا فى هذه الحالة — حالة تأثر الشاعر بغيره — أن نقتصد فى اللوم فلا نوجه اليه الا بقدر ينبهه من غفوته ويردع الذين يتحدون التقليد ، وأن نلتمس له بعض العذر لأن توافق الخواطر فى الأفكار كثير الحدوث بين الناس . ونقدر أن نقول إنه لا جديد

فى المعانى مطلقاً ، لأن القدماء — سامحهم الله — لم يتركوا جديداً لمجدد . فما علينا والحالة هذه الا أن نلتمس التجديد من صور الحياة نفسها ، لأن الحياة ليست كالماء الراكد ولكنها فى تجدّد مستمر ، ولن تزال الى أن تبدل الأرض غير الأرض — خصوصاً فى هذا القرن الحالى — القرن العشرين — القطار . الطيارة . الغواصة . اللاسلكى . السينما . الحاكى . الخ . كل هذه صور من الحياة جديدة لم تكن معروفة عند أجدادنا القدماء ، ولم يسمعوا بها إلاّ فى حكايات ألف ليلة وليلة التى ابتكرها خيالٌ جبّار فى ذلك الزمن . وهذه الصورة الجديدة قديرة أن تحرك شاعرية مَن ينشد التجديد ويعشقه — ويجب على كل شاعر أن ينشد التجديد ويعشقه — فيتدفّق من فيه الشعر الساحر النفيس ، ومن لم تحرك شاعريته هذه الصور المرئية الواضحة التى تمثل روح العصر الحاضر أصدق تمثيل وتبرزه للعيان أوضح بروز ، فلا إخال شيطان إلهامه إلا من الذين قال الله لهم بغضب ونقمة « اخسأوا فيها ولا تكلمون » !

أما ان الشاعر يتأثر ببيئته تأثراً لا يخفى على فَطِن حينما يقرأ شيئاً من شعر ذلك الشاعر فهذا أمر بديهى يعرفه كل مولع بدراسة الشعر ونقده ، إذ أن مَثَل البيئة فى ذلك كمثل الجو وتأثيره على الجسم إذا كان الجو وخماً مشبعاً برطوبة مفرطة أو بسموم لافح تبعاً لتقلبات الجو ، وبالعكس يظهر نفعه على الجسم إذا كان الجو معتدلاً رقيق الهواء .

وثمت طوارىء أخرى غير البيئة تجعل الشاعر ينهج منهجاً آخر فى شعره كان من الممكن أن لا ينهجه اذا لم تحدث هذه الطوارىء المفاجئة : فمثلاً بماذا كان يتشكل منهجُ جميل بثينة أو كُثَيِّر عزة أو قيس بن الملّوح فى أشعارهم لو لم يروا محبوباتهم فى حياتهم ويفتتنوا بهن حباً وظلوا طيلة أيام مكوثهم أحياء لا يتيمهم رشأ بريش سهامه الى صميم القلب فما يخطىء المرمى ؟ أو كيف كان يبدو منهج المعرى فى شعره لو لم يصب بالجدرى الذى أعماه فى صغره ؟ كيف كان يبدو منهجه فى أشعاره لو عاش بصيراً يتمتع بثروة واسعة ؟ حقاً ان للطوارىء أوفرُ نصيب فى تغيير حياة المرء وتوجيهها الى غير الوجهة التى كان يجب أن تتّجه اليها لو لم تحدث هذه الطوارىء ، والانسان كما وصفه الله تعالى — وقوله الصدق — « إذا مسّه الشر جزوعاً وإذا مسّه الخير منوعاً » .

قال العتابي : (١) من قرض شعراً ، أو وضع كتاباً فقد استهدف للخصوم واستشرف للألسن ، إلا عند من نظر فيه بعين العدل وحكم بغير الهوى ، وقليل ما هم .

يجب على الأديب الناقد أن يكون منصفاً لمنقوده حتى ولو كان من أعدائه الألداء بأن يذكر الحسنات بجانب السيئات والفضائل بجانب الرذائل ، وبالاختصار بأن يضع كل شيء في نصابه حتى يتبين للناس الحق من الباطل والخطأ من الصواب . أما الناقد الذي يقوده الهوى ويستولى على حجاه الحنق والحسد والموجدة على منقوده فيتغاضى عن ذكر حسناته ويبالغ في تعديد سيئاته فان نقده لا يلبث حتى يعود وبالاً عليه أو شراً من الوبال . ولا يلحق المنقود من ذلك ضرر لأن الحقيقة مهما طال اخفاؤها ستكشفها الأيام وتظهر للناس واضحة جلية كفلق الصبح .

ان الشاعر الذي تكتنفه زعازع من النقد الذي لا غرض له سوى الهدم لكالصخرة الجاثمة وسط شلال ضيق المسرب قوى المجرى عميق الغور . فإما أن تقتلع هذه الصخرة الأمواج وتخلى منها المكان إذا لم يكن لها أصل متغلغل في أعماق الثرى ، وإما أن تصمد في بسالة لصفع الأمواج المتواصل وهجومها الذي لا يعرف الانحدار اذا كان لهذه الصخرة أساس غائر الى طبقات الثرى السفلى . وصخرة الشاعر ذات الأساس المكين التي يغالب بها تيار النقد الجارف هي اليقين والوثوق بالنفس هما وحدهما اللذان يخلقان من نفس الشاعر نفساً تشع نوراً وتتقد حيوية وتتوثب طموحاً الى أعلا درجات الفن . وهما وحدهما اللذان يبلغان بالشاعر حد الاجادة ويجعلان على شعره طابع الخلود بما يسبغانه عليه من صدق اللهجة وتوضيح الغرض في صراحة ، والصراحة هي من الأمور المهمة التي يجب أن تكون شيمة في الشاعر الحر – الحر في أفكاره ونظراته في الحياة ، بله الحر في معتقداته .

لكن للنقد الأدبي الذي يقصد به الى خدمة الأدب والفن لوجه الأدب والفن شأناً غير شأن النقد المغرض ، لأنه يدل الشاعر على مواطن الضعف والركاكة في

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه الجزء الأول صحيفة ٣

شعره بأدلة محسوسة وبراهين معقولة يقبلها المنطق ولا تأباها الحقيقة . والشاعرُ أمام هــذه الحقائق الواضحة — اذا لم يكن مغالطاً — لا يسعه الآن أن يتسامى بشعره فى المستقبل الى أعلا درجات الجودة والاتقان . ولهذا النوع من النقد البرىء فضل على الشعراء لا يجحد . وحبذا لو قام النقاد بما يفرضه عليهم واجبهم نحو خدمة الأدب على العموم والشعر على الخصوص ، وحبذا لو قابل المنقودون الانتقاد البرىء بالارتياح وحسن الظن ، إذاً لنبضت فى الشعر الحـديث روحٌ من الحياة الخالدة أكثر مما هى نابضة الآن .

ويجب أن لا ننسى — ونحن نتكلم عن أسباب قوة الشعر الحديث وضعفه — ما للسياسة اذا ما انسابت أفاعيهـا وتفاقمت بلاويها من تعويق للشاعر عن أن يؤدى رسالته للناس كاملة غير منقوصة ، ويبلغهم إياها بوضوح كما يجب أن يبلغ الرسالة للناس بوضوح الرسول الصادق الأمين . وما عهـد شوقى « شاعر القصر » عنا ببعيد ، فلو لم تقيده السياسة بقيودها وتكبله بأغلالها وتستغله لخدمـة أغراضها زمناً ليس بالقليل لخلف لنا تراثاً ادبياً لا تخلق جدّته الأيام بل هو يخلق جـدة الأيام ويشمخ على الأحقاب شموخ المدلّ المتصلف . على ان الله أراد بالأدب خيراً فخرج شوقى أخيراً من محبسه ، وتحرر من قيود السياسة وأوضاعها ، وانطلق البلبل يغرد بصوت مرخم رقصت له نفوس أهل الفن طرباً ، وانتشت الأدواح من خمرته الالـهية المعتقة ، فهى لا تزال ترقص وترقص ما دام فى الـكأس بقية من خمر .

ان بعضاً من الشعراء يفخر ويتشدق لأنه قال الشعر وهو ابن عشر سنين . ولو علم ما جناه على الأدب لـكفّ عن فخره ولعلم أنه بافتخاره هـذا يذم نفسه ويطلع الناس على مقدار جهله التام بالشعر ، لأنه يجب على الشاعر قبـل أن يقول الشعر أن يدرس الشعر القديم والحديث درساً وافياً تحت ضوء المعرفة ، وأن يكون ناقداً حصيفاً نافذ البصيرة يعرف مواطن الضعف والقوة فى القصيد من اللمحة الأولى .

وأحجى بالأديب الناشىء الذى تتوق نفسه لقرض الشعر أن يحفظ نخبة صالحة من أشعار القدماء والمحدثين حتى يستطيع أن يكوّن له مادة غزيرة من الألفاظ والتعابير ، وحتى يستطيع أن يخرج للناس شعراً جيداً رصيناً قوى الديباجة قوى المعانى واضح التعابير ، وأنا إذ أقول يجب على الأديب الناشىء أن يحفظ نخبة صالحة من الشعر حتى يـكون غنيـاً بالألفـاظ والتعابير لا أعنى بذلك أن يـكون مقلداً

بحيث اذا قال قصيدة أطلّت من خلال سطورها رؤوس شتى لشعراء في أزمان متفاوتة كأنهم قد دعوا الى وليمة ! لا ، لست أعني هذا ، ولكني أعني أن تكون للشاعر ملكة قوية وفي مقدرة فائقة لقول الشعر ، حتى يستطيع بفضل هذه الملكة وتلك المقدرة أن يعبر بسهولة عما جاش في نفسه من خواطر وما اضطرب فيها من خوالج وما احتدم فيها من انفعالات نفسية يستحيل كبتها في قرارة الضمير ، وأخيراً أن يكون معبراً عن روح عصره أدقّ تعبير وممثلاً له أصدق تمثيل .

ان التخلي عن شعر الأمداح في هذا الزمن - أكثر من ذي قبل - من أكبر العوامل على تقوية الشعر الحديث وإن كنا نودّ له قوة أكثر من قوته الحالية ، لأنه متى سقط عامل واحد من عوامل الضعف سيحدث فراغاً لعامل من عوامل القوة ليحل فيه ، وحبذ لو تخلى شعراؤنا الأمجاد عن ضروب شعر المناسبات الأخرى لتتم القوة وتتحد المنعة .

إن الشعر لا يصلح لتسجيل الحادثات ، كلا ولا لتدوين الاجتماعات وما يدور فيها من مناسبات . الشعر فرقان المحبين وأسمى لغة يعبر بها العاشقان عن مكنون ضمائرهم . الشعر لغة العواطف المتسامية عن أدران الرذائل الأرضية المبتذلة ولا يجوز أن يُستخدم في مثل هذه الأغراض .

ولكي يعاد للشعر العربي سابق مجده التليد كما كان أيام خلفاء بني العباس - بشرط أن يكون مطبوعاً بطابع العصر الحاضر - يجب أن يكون الشعراء على تفاهم تام بينهم ، حتى يتكاتفوا جميعاً على تقوية أساس الشعر ورفع بنيانه على أمتن ما يجب أن يرفع البنيان على الأساس المتين ، فلا نعود نسمع بصديق قاطع صديقه وجعله مضغة الأفواه في النوادي والمجتمعات متناسياً المودة والاخاء ، أو عن تلميذ عقّ أستاذه وأنكر فضله عليه وتكوينه له .

وبعد ، فهل نرجو من شعرائنا أن يستوحوا الهاماتهم من صور الحياة الراهنة يدفعهم الى ذلك فيض من الوجدان وإملاء من الخاطر وصادق من الاحساس !؟ هذا ما نتمنى تحقيقه في القريب العاجل ؟

(الجزيرة أبا - السودان) بشرى السيد أمين

الفلسفة والصوفية فى الشعر

(بقية المنشور على الصفحة ٢٨٨)

فصاغ آدمَ منها وهو ممتعضٌ بعدَ الأمرّين مِنْ عُدْمٍ وإعياء
وراحَ يخلقُ حوّاءً فما سمحتْ بقيّةٌ منها فى خلق حوّاء
فاضطرَّ يخلقها مِن آدمٍ فاذا مُركّبُ النقصِ فيها هُوَ بنَّاء

ولا يقول الجاهل بفنون الشعر إن صاحب هذه المقطوعة من الملحدين ، فهو انما يصوّر بنفسية الطفل مبدأ الخليقة الانسانية وسر عجز المرأة . والعقل الباطن الذى سمع عن « مركب النقص » أبى إلا أن يصوّر لنا هـذا التصوير الطريف المفسّر . فكيف نلوم هذا العقل الشعرى الطفل بدل أن نتذوق فنه باسمين ؟ وهل لكاتب هذه السطور أن يسخط على طفله الصغير وقد عرضَ عليه رسمَ الخالق جل شأنه فى صورة معلم جالس فوق السحب يحاكم الأولاد الأشقياء ويعاقبهم ؟ وهل أخطأ ناظر مدرسته فى الحرص على هذه الصورة الفنية فى فكرتها وتفصيلها ؟ إن ما يصوغه العقل الباطن من فن لا يجوز للعقل الواعى أن يعترض عليـه ، بل له فقط أن يتأمله ويتذوّقه ، وله أن يضحك منه إذا شاء ، وأما السخط عليه فأمر لا يجوز وخصوصاً عند من ينتسبون الى الآداب والفنون ويدّعون معرفة علم النفس واحترام الفلسفة والتصوّف .

أبو القاسم الشابى

فى فجر التاسع من شهر أكتوبر المـاضى فاضت روحُ الشاعر التونسىّ المبدع أبى القاسم الشابى أحد أعضائنا النابهين بعد مرضٍ طويلٍ هـدّ قواه ولم تنفع فى درئه العنايةُ والعلاجُ . وقد جاءنا نعيه (مع كتاب منه قبيل وفاته) وهذا العدد على وشك الصدور ، فلم نستطع أن نوفيه حقه من الرثاء والتقدير ، وحسبنا الآن أن نعزّى الأسرة الشابية وأدباءَ تونس بل وأدباء العربيـة عامةً فى هذا المصاب بشاعر من صفوة الشعراء المجددين قلّ أن يُعوّض .



الدرامات الشعرية

ما دام المنصفون من المؤرخين لم ينسوا فضلَ اسماعيل عاصم ولا نجيب الحداد فى خلق الشعر المسرحى الحديث ، فمن العدل الأسبق أن لا ننسَى الفضل الأول للشاعر خليل اليازجى منشىء مجلة (مرآة الشرق) فى مصر سنة ١٨٨١ (وقد احتجبت عند ظهور الثورة العرابيـة) وصاحب ديوان (نسمات الأوراق) الشهير ، فانه بتأليفه رواية (المروءة والوفاء) الشعرية - وهى مبنيَّةٌ على حكاية حنظلة والنعمان - فى ألف بيت من الشعر ، متحدّياً كبار مؤلفى الغرب ، قـد كان رائداً جباراً لهذا اللون المستحدث فى الأدب العربى . وقد مُثلتْ روايته هذه فى بيروت سنة ١٨٧٨م . وظهرتْ طبعتها الأولى هناك سنة ١٨٨٤ م . ، ثم طبعتْ طبعة ثانية فى مصر سنة ١٩٠٢ م . أى بعد وفاته بسنوات لأنه انتقل الى رحمة الله فى سنة ١٨٨٩ م . وهى ما تزال معدودة من ذخائر الأدب الجديد الى وقتنا هذا ؟ .

أحمد محمد مظهر



معايب الاتقان

فى العدد الأول من المجلد الثالث من (أبولو) كتب الدكتور أبوشادى مرحّبـاً بـكل نقدٍ صريح يوجَّهُ الى تحرير هذه المجلة وإخراجها، معتبراً ما يمكن أن يُظنَّ معايب أو شوائب فيها من ملازمات الاتقان لا الاهمال .

فنحن بناء على هذا الترحيب نـكتب اليه بملاحظاتنا على ضوء الاخـلاص للفن وحده .

ظهرت هذه المجلة وشقت لنفسها طريقَ الحياة فى جوٍّ مكفهرٍّ عاصفٍ خَوَى فيه شهابان ثاقبان من شُهُبِ الشعر وأعنى بهما حافظ وشوقى ، وقد كانا قبلة كلِّ ناظرٍ فزعم البعض أن الشعر قد مات بموتهما ، وانه لم يبق منه إلا نقيق الضفادع ، والحق انه كان فى الجوّ شعراء ممتازون لم يصلوا بعدُ الى درجة حافظ أو شوقى ، كما كان فى الخفاء عددٌ من شعراء الشباب يغالبون الظهور ويغالبهم .

أما الممتازون فناصروا (أبولو) أوّل الأمر قليلا ثم خذلوها أبدا ، وأما الشباب فناصرتهم (أبولو) ونبهت اليهم باخلاص حتى عُدَّ محررها بحق نصير الشباب فى وقت حقر جهودهم فيه شيوخ محترمون ونظروا اليهم بأنصاف أعينهم نظر المستهزئين !

ومن ذلك خلا للشباب وجه (أبولو) يكتبون فيها ما شاءوا . ومحرر(أبولو) مخلص ودقيق حقاً فى تمحيص كل ما ينشر بالمجلة ، ولكن ها قد مضى على المجلة عامان وهى فى أيدى الشباب فهل أحسنَ هؤلاء أم أساءوا ؟

الحقُّ انهم أساءوا كل الاساءة ! وهذه شهادة أحدهم ! فبينما كان يجب عليهم أن ينتهزوا هذه الفرصة لصدِّ الهجمات الموجهة اليهم من كل صَوْبٍ بالدراسة الوافرة والاطلاع المتشعب والانتاج الغزير فى شكل من التضامن الروحى والخلق الجميل ، إذا بهم يشاحن بعضُهم بعضاً ويحاسدُه ويظلمه ظهوراً على حسابه ومكراً به ، فاذا سألته بعد ذلك ماذا أعدَّ من انتاجٍ يواجه به هجوماً على الشباب عنيفاً وَجدْتَهُ خِلْواً جُفاءً لا ينفع بشىء !

وما هى مجالس الشباب ؟ هى سوامر يلتقى فيها أتفه الحديث عن فلان وفلان ، أما الدراسة الأدبية المجدية فلا ذكر لها فيها ولا نصيب !

وإنما أذكر هذا السَّرْدَ المتألم الكثير لعلمى بتأثيره على تحرير المجلة وإخراجها ، وهو ما يريد الدكتور أن نُصارحه فيه الرأى ، فقد أدَّى ذلك إلى ضعفٍ عام فى روح الشعر المنشور بالمجلة ، وإن الناقد البصير ليرى معنا أنه لولا بعض نماذج قليلةٍ موهوبةٍ لما كان يعدو هذا الشعر أن يكون صُوَراً متكررة يتناقلها الشعراء من بعض إلى بعض فى الأعداد المختلفة ، مع أن الشعر الفذّ الموهوب الذى له الحياة غير ذلك ، والعارفُ لا يُعَرَّفُ !

لقد حدثنى الدكتور الفاضل فى الصيف الماضى بأنه نوى أن يقصر معظم المجلة على

الدراسات النقدية المجدية والإقلال من الشعر إلا الفريد ، وأذكر حينئذ أنى حبذتُ هذا الرأى وقلتُ إنه عينُ الصواب ، فلو أخذت المجلة به حقاً لكان لها من ورائه غنمٌ عظيم - و(أبولو) فى الحقيقة معذورة فى ذلك لانشغالها دائماً بتقديم شباب جديد كان مختفياً من قبلُ ، ولكننا نستطيع أن نقول لها فى صراحةٍ انه لها الشكر على ما فعلت حتى الآن ويكفى أن يَظْهرَ الشاعر بعد اليوْم انتاجُهُ الفذُّ وشجاعته ومقدرته ، فان (أبولو) قد أظهرت فيما أظهرت الى اليوْم شعراء بشعرٍ ضعيفٍ لا يرفعهم الى الصفّ الأوّل !

سيأسفُ الشبابُ على هذا القول ، ولكنّا نقول له أنْ لا أسَفَ ، فهذا قولُ شاب أيضاً مثلك ، ولكنه عرف حقاً قيمة الدراسة المجدية والاطّلاع الفنىّ ، وأىّ ثروةٍ يجنيها المرء من من وراء ذلك بدل المكابرة بالباطل وصرفِ الوقت الثمين فيما لا يفيد ، فالإخلاصُ للمبدأ هو لبُّ كلّ فضيلةٍ ووسيلة كلّ نجاحٍ . فليتعاون الشباب إذاً تعاوناً روحياً خالصاً لحمته وسداه الدراسة المتواصلة والانتاج الموهوب ، وليتصافَوْا خيراً لهم ، فما أحد ببالغٍ الا مجهودَهُ ، ولا يعتزّ أحد بشىء من انتاجه بالغةَ ما بلغت قيمته فأنهُ ليأتِيَنَّ عليه يوْمٌ يشعر فيه أن لم يكن لذلك الانتاج من قيمة ! وليعلم الشباب أن الفنان يموت فى سبيل بلوغ مَثَلهِ الأعلى وهو موقن أنه لا يزال قَصِيّاً

ومع كل ذلك فنحن نشعر أن كثيراً من الضعف ناشىءٌ من التحوُّل المذهبى الجديد ، ولذلك فلنا أملٌ قريب فى ظهور الانتاج القيّم الذى لا تشوبه شائبة من النقص فى صفحات المجلة ، والكمال لله وحده .

أما من جهة الدراسات والنقد الأدبى فنؤكد أنها سائرة فى طريق التقدم الحق ، ولكن لا بدّ من الإكثار منها وأن تُصاغ فى أساليبَ مُحببةٍ الى النفوس . وقد قرأنا من هذا النوع فى عدد سبتمبر الفائت مقالين قيّمين للأديبين السحرتى ونظمى خليل مما يُعَدُّ مثلاً أعلى لبلوغ المجهود ، كما نلحظ الاهتمام بباب « ثمار المطابع » الذى نرجو أن تزداد العناية به وأن يبقى تحريره دائماً للأيدى الضليعة المقتدرة .

ورجاؤنا أخيراً أن يُصْرَف النظر عن المخاصمات الشكلية وألاَّ يُرَدّ الا على الرأى الفنى بردّ مثله ، وأما ما عدا ذلك فليس له قيمة حقيقية فى نظرنا .

ولا نشك أخيرا فى صدق الدكتور نصير الشباب والفنّ واخلاصه وفنائه فى سبيل مذهبه ومبدئه، ولذلك جئنا له فى صراحةٍ يعهدها لدينا بهذه الملاحظات التى نَعدّها حقّاً من معايب الاتقان ، مخلصين فى إذاعتها مرتقبين الردّ عليها قولاً إن كان فيها مَوْضعُ خطأ وإلا فالرد العمليّ أصوبُ والسلام ؟

عاصر محمد بحيرى

* * *

(المحرر — أحسنَ الكاتبُ الفاضلُ بما وَجّهه من نصحٍ عامٍّ الى الشباب ، ونحن نعمل من جانبنا على الحيلولة بين بيئة أپولو وبين « أدباء » القيل والقال ، عاملين دائماً على إقصائهم عنّا . وأمّا عن أدباء الشيوخ — ومعظمهم أصدقاؤنا — فقد آثروا أن يتّجهوا اتجاهَنا فى تشجيع الجيد من أدب الشباب ونشر نماذجه المختلفة ، تدعيماً لأدب الحاضر وتهيئة لأدب المستقبل ، ولذلك أفسحوا المجالَ لأولئك الشباب . ونحن لا ننشر ما يشاء الشباب ولكننا ننشر ما نختاره نحن من أدبهم بعد النقد الدقيق والتهذيب عند الضرورة ، وقد أشرنا من قبل الى طريقتنا فى ذلك . ونعتقد أنّ ما ننشره من النماذج كثير التنوّع فى المرامى والمعانى والأخيلة والأساليب وليس كثير التشابه كما يظن حضرة الناقد ، وكم كان بودّنا لو وَجّه نقدَه فى صراحةٍ إلى قصائد معيّنة ، فالفائدة كل الفائدة فى النقد التدليلى الصريح . وأمّا عن قصر اهتمامنا على النقد الفنى الذى يُوَجّه الينا دونَ المبالاة بما عداه فهو خطتنا العامة ، ولم نخالفها أحياناً إلا لاعتبارات ضرورية تتصل بجهودنا الأدبية وعلاقاتها ببيئات الأدب مما يستحقّ البحث والتسجيل)

شعر الشباب

إذا كانت الآداب والفنون فى مصر الآن لم تتقدم عما كانت عليه فى الجيل الماضى فان هذا يسمونه التدهور والانحطاط — ولكننا نشعر أننا نرتقى سلم الزمن رافعين معنا الأدبَ والفنّ ، ونشعر أن الجيل الحاضر أرقى من الجيل الماضى فى كلّ شىء.

ولقد قرأتُ فى صحيفة (الأهرام) بتاريخ ٢١ اكتوبر سنة ١٩٣٤ قطعة شعرية لشاعر صغير أعرف أنه لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره — قطعة لم يستطع معظم شعراء الشيوخ أن يقولوا مثلها وهم فى سنه ، ومع هذا فان أنصارهم يقولون بجرأة وثبات أن شعر بعض هؤلاء الشيوخ هو شعر الجيل القادم ! ما معنى شعر الجيل القادم ؟ لا نستطيع أن نؤوّل هذه العبارة إلا بأن الذين يؤمنون بها وإما أنهم لا يفهمون شعر هؤلاء الشيوخ ولذلك يتركونه للجيل القادم يفهمه ويقدره ، وإما أنهم لا يؤمنون بتقدّم الفنون مع الزمن ! وفى اعتقادى أن أى مخلص بين هؤلاء الشيوخ لا يقبل هذا الكلام على شعره وإذا قبله فهو مسرفٌ فى غروره ، كريم فى اعطاء شعره ما لا يملك إعطاءه !

وأحبّ أن أقول بعد هذا كله أن شعراء الشباب إن لم يكونوا أقوى من شعراء الشيوخ الآن فغداً سيكونون ، وأن الشعراء الناشئين فى غدٍ سيكونون أقوى من شعرائنا الشبان . وهكذا يتقدم الفنّ مع الزمن ولا تعوقه ضوضاء الجهلاء وصراخ المجانين ؟

مأمون الشناوى





وراء الغمام

نقد وتحليل

يقول صمويل بتلر Butler: «إذا كان مخترعو الآلات قد أضافوا الى النوع البشرى أشياء هى بمثابة الأعضاء المساعدة لجسمه، فان الشعراء قد منحوه منحة أشرف وأسمى إذ فتحوا نوافذ جديدة فى أرواحنا».

ومما لا شك فيه أن بتلر لم يعن كلّ الشعراء وانما أراد فئة قليلة منهم هى التى تشعر بما حولها من أشياء، تلك الأشياء التى قد يراها الناس جميعاً فلا يحسون بها وإن لم يستطيعوا أن يوصلوا هذا الاحساس للآخرين. فكلنا شعراء ـ الى حدٍّ ما ـ كلنا نشعر بما حولنا ونحسّ بوجودنا كل على حسب استعداده لهذا الشعور والاحساس. فالفلاح فى حقله يحس بجمال الطبيعة ويشعر بالغبطة والسرور وهو ينظر الى سنابل القمح وأعواد الذرة وشجيرات القطن ولكنه لا يستطيع الافصاح عن هذا السرور فيبقيه فى نفسه بين جوانب صدره يخفق به قلبه ويتمايل منه جسمه وتنشرح له أسارير وجهه. وقد يحسّ الفلاح بهذا الجمال ويسرّ منه، ولكن هذا السرور مشوب بشىء من المنفعة. فاغتباط الفلاح برؤية براعم القطن وهى تتفتح آتٍ من شىء دفين فى نفسه وهو حبه لأرضه وحبه لما تنتج وترقبه لهذا الانتاج. فهو إذ يسر ويطرب لرؤية هذه البراعم فانما يسر لأمل كان يتحقق ولثمرة تعب أو شكت أن تنضج، أما سرور الشاعر لرؤية هذه البراعم فانه سرور بالجمال الخالص — الجمال الصافى الذى يحسه ويتبينه فى هذه البراعم الخضراء وهى تخرج أحشاءها بيضاء ناصعة.

قد يكون إحساس الفلاح بالطبيعة عميقاً وصادقاً كاحساس الشاعر، ولكن الشاعر أقدر منه على توصيل هذا الاحساس الى قلوبنا. ومن أجل ذلك كان أعظم الشعراء

ذلك الذى يحسّ بالأشياء التى تحرك قلوب الناس ويستطيع أن يمس قلوبهم جميعاً . ومن أجل هذا أيضاً نرى شكسبير الذى أخذ قلبه من قلب الانسانية جمعاء ونطق لسانه بلسان جميع الناس يجلس فوق عرشه باسماً لا يدانيه انسان ومن أجل هذا أصبح يدعى شبيه الآلهه.

أحسستُ بهذا كله عند مطالعتى لديوان الدكتور ناجى . وكنتُ قبل ذلك أعتقد أن ليس عندنا من الشعراء الذين وهبوا حساسية غزيرة وقدرة فائقة لا على الافصاح عن شعورهم فحسب بل على تحريك قلوبنا لنشاركهم هذا الشعور . فناجى فى قصيدة « قلب راقصة » لا يفصح عن مشاعره وميوله فقط بل يدفعنا نحن دفعاً لأن نشاركه مشاعره وميوله ، فكأنه وقد ضاق بما حوله وقصد إلى ذلك الملهى الحافل بفنون اللهو والطرب فى شغف وشوق عظيمين وقد رأى القوم وما هم فيه من طرب وصخب وضجيج وعجيج :

ومصفقين علت أكفهم فوارة فكأنها الزبدُ

قد هاله هذا المنظر ولعبت بلبه تلك الأنوار الزاهية فدفعته لأن يصيح عالياً من فرط غبطته وسروره :

لم لا أثور اليومَ ثورتهم لم لا أجرّب ما يحبونا ؟
لم لا أصيح اليومَ صيحتهم لم لا أضجّ كما يضجونا ؟

وهو فى صيحته هذه يغرينا بل يدفعنا إلى أن نصيح معه قائلين :

لم لا نثور اليوم ثورتهم لم لا نجرب ما يحبونا ؟
لم لا نصيح اليوم صيحتهم لم لا نضجّ كما يضجونا ؟

كثيراً ما رأينا مثل هذه المراقص والملاهى وكثيراً ما شاهدنا حفلات حية زاخرة بفنون الطرب والسرور ، ولكنا قلما أحببناها مثلما أحببنا هذه ، وقلما اندفعنا اليها كما اندفعنا إلى هذه ونحن سكارى من خمر الشعر . كثيراً ما شاهدنا مثل هذه الملاهى ولكننا لم نفطن لجمالها : هذا الجمال المستتر الذى لم تستكشفه إلا عين شاعر نافذة فأبرزته لنا فى أحسن صورة وفى أنغام موسيقية واضحة كاملة النغمات منسقتها فى كلام منتظم لا يحتمل تحويلاً ولا تبديلاً .

ثم يصوّر الشاعر تلك الراقصة تصويراً دقيقاً بارعاً ويصف ما هى عليه من جمال طبيعى وحسن فاتن كأنها الطير يثب من غصن إلى غصن وقد علق فؤاده بها :

كالطير من غصن الى غصن وثابة وثبَ الفؤادُ لها

ثم يصفها وقد أحاط بها عبادُ الشهوة وأفعم الحزن قلبها وعلا وجهها الوجومُ وهى تنظر متألمة لحالها ، حانقة على ما هى عليه من سعادة ظاهرة ونعيم خلب كاذب . ثم لا يكاد يتحدث اليها حتى تأخذه الشفقة عليها ويختم قصيدته باكياً لمأساة هذه الراقصة المسكينة التى تعايش على كواذب الآمال وخوادع الأماني :

أفديك باكية وجازعة قد لفها فى ثوبها الغَسَقُ
ودعتُها شمساً مودّعة ذهبت وعندى الجرح والشفقُ

ولقد أحسّ وأنا أتلو هذه القصيدة بشيء غريب لم آلفه قبل الآن فى الشعر العربي وهو هذا الاسلوب الشعرى الدافق الذى يقترن دائماً بتلك الحركة السريعة التى يفصح عنها .

ولست أشك فى أن القارىء لهذه القصيدة سيشاركنى شعورى هذا ، ولست أشك فى أنه سيحسّ بالقوة الفعالة الحية لروح الشاعر التى تكمن فى كل بيت من أبيات الديوان .

وإنى أرى أن هذه القصيدة أبدع مثال للمطابقة بين الموضوع وصداه .

وثمة نقطة أخرى جديرة بالبحث وهى استقصاء الصلة بين روح القصيدة ووزنها وبحرها لنرى كيف تشكل الروح الجسم :

كل إنسان فى الغالب يجد لذة فى الموسيقى ، إلا أن البهجة والسرور فى الشعر متعة قد لا يتبينها إلا أولئك الشعراء القلائل . وإن أكبر الخطأ أن نغفل أن الشعر قد وُلد من الموسيقى وأنه صورة منها ، فان تأثيره الاول يصل الى العواطف عن طريق الأذن مباشرة ، وهو من هذه الناحية أسمى لغة عالمية كسائر الفنون الرقيقة .

وللموسيقى القوة الكافية لأن تصل عاطفة الشاعر بغيره بعيداً عن المعنى الحرفى للكلمة . ولقد أثبتت التجارب العديدة أن الأطفال لا يتمتعون فقط بسماع الموسيقى الشعرية فى لسان غير لسانهم ولكنهم يحسون نداءها العاطفى ويتأثرون به .

قرأتُ مرة أن رجلا قرأ قطعة شعرية عن هوميروس لصبية لا تزيد سنهم على الاثنتى عشرة ولم يكونوا يعلمون غير لغتهم الأصلية فأصغوا إليه بآذان مرهفة وأخيراً أخبروه بأنه كانت هناك معركة حامية ثم نشيد الانتصار، وهو بعينه مادة القصيدة !

فالوزن والقافية هما أظهر العناصر فى موسيقى الشعر . ومن أجل هذا كانت القصص الشعبية Ballads تأخذ أصلها من الأصوات الخارجة من روح الشعب رأساً وإن لم تدل على شىء .

قد تكون هناك قصائد محتوية على شعر جيد لكنه يعجز عن أن يكون شعراً سامياً لافتقاره إلى الموسيقى . وعلى هذا كل من يقرأ الشعر لمعناه ولما فيه من أفكار يكون مجحفاً بحقوق الموسيقى ، وشعر ناجى غنى بموسيقاه كما هو غنى بصوره ومعانيه .

فكل من يقرأ قصائده «العودة» و«الحياة» و«الوداع» و«الغد» يحس موسيقى النظم والقافية . انظر إلى هذا الكلام المنسجم الجميل :

فركبنا الوهم نبغى دارها وطوينا الدهر والعالم طيا
فبلغناها وهللنا لها ونزلنا الخلد فيناناً نديا

فهنا موسيقى أدق وألطف من الوزن والقافية . هذه الموسيقى نتبينها فى اختيار الشاعر للألفاظ الموسيقية فى نظامها المتسق الدقيق ، وهذا السحر المشترك بين النظم والنثر هو سر عظمة الأسلوب فى الاثنين . ولكن هذا الجمال دقيق للغاية ، كما أن تفهمه يعتمد فى الغالب على التنغيم الكامل وطريقة النطق بالمقاطع فليس المعنى هو الذى يحركنا ويهز مشاعرنا ولكنه القول . ليس الموضوع ولكن طريقة عرضه له وتمثيله . فالشاعر فى هذه القصائد قد عرض علينا جانباً من شىء وليس الشىء نفسه ، وهو الذى كما يقول أفلاطون « لا نستطيع أن نراه على حقيقته » .

وليس لنا أن نطالب الشاعر بشىء معين أو أن يأتى لنا بالصور التى نحبها ونشتهيها وإن كان فى قدرة الفنان العظيم أن يخلق من الأشياء الجافة الخشنة سحراً عجيباً . بيد أنه لا يُعنى بصدق الشىء كما هو ولكن بذلك الأثر الذى يتركه فى نفسه . فاذا تألم الشاعر لهذه الراقصة :

أفديكِ باكيةً وجازعةً قد لفها فى ثوبه الغسقُ
ودعتها شمساً مودعة ذهبتْ وعندى الجرحُ والشفقُ

وجب علينا أن نتقبّل منه هذا القول ما دمنا نشعر أنه مخلص فيه . وليس لنا أن نتحرّى الصدق فى هذا الكلام ، فالاخلاص شىء والصدق شىء آخر . ونحن

يمكننا أن نطالب الفنَّانَ بالاخلاص لفنه وليس لنا أن نطالبه بالصدق ، لأن الفن تعبير عن حالة الفنان وليس تمثيلاً لحقيقة معيَّنة . فقد يرى الشاعر وهو فى دور المحب الوامق البحر يبسم له فى فرحة ويسمع الرياح تهمس باسم حبيبته ويرى النجوم تنظر إليه بمين راضية محبَّة ، وقد يرى نفس الشاعر فى دور المحزون نفس البحر يتجهم له ويقسو عليه ويسمع الرياح تسخر من تأوهاته ويرى النجوم الباردة تنظر إليه بعين الازدراء والمقت المرير !

إن واجبنا الآن هو أن نكشف عن تلك البهجة التى نجدها فى استيعابنا جمال هذه الأوصاف ، وواجبنا هو أن ندرس الفن الذى أبدعها . فاذا قرأنا :

وجرت يمينى فى غزيرٍ حالكٍ مسترسلٍ كالجدولِ المنساب

أو :

وأنفقَ فيه قلبه وشبابه فلم يبق إلا الجرح والشفق الدامى

نجد أن أجلَّ صفات هذه الصور الشعرية الجميلة هى دقتها التامة ، وهذه راجعة أولاً الى تحديد الصورة وجعلها واضحة ، وثانياً الى احساس الشاعر الفطرى ، وثالثاً الى حسن اختيار الصفات والتوافق التام بين الجرح والشفق . هذه مزايا قد يستعصى علينا شرحها أو إدراكها على حقيقتها ولكننا نحسها ونتأثر بها .

بهذه المزايا جاء شعر ناجى واضحاً جلياً لا يحتاج الى شرح ولا تفسير . ومن أجل ذلك نشعر بجمال هذه الأبيات عند ما نتلوها لأن عاطفة الشاعر الجياشة وإحساسه الغزير قد اتخذا صوراً مناسبة لها . وهذا ما يجب أن تكون عليه كل الاساليب الشعرية . فاذا اتخذت العاطفة شكلا غير فنى كانت النتيجة لا شعراً ولا نثراً ولكن نوعاً من صدى الشعر والنثر . وعلى ذلك عند ما نقرؤها لا نتأثر بها لأن صدى أى شىء لا يوقظ إلا ظلاً ضعيفاً جداً من العاطفة أو الشعور المريض .

ففى قصيدة « العودة » يبلغ الشاعر من قوة الوصف ودقة الافصاح عن ذلك الشعور السامى والحنين القوى لدار أحبابه القديمة فهو لا يقف أمام هذه الدار وقفة العابد أمام محرابه فى وحدته وثباته يرنو الى هذا البيت الخرب كما يرنوا العابد الى الالـه المقدس ، بل اذا ذكر هذه الدار فانما يذكر صلاة الحب التى كان يقيمها فيها ثم لا يقف عند هذا بل يصف ذلك التجاوب القوى والامتزاج التام بين نفسه ودار أحبابه :

هـذه الكعبة كنا طائفيها والمصلينَ صباحاً ومساءَ
كم سجدنا وعبدنا الحسنَ فيها كيف بالله رجعنا غرباءَ !؟

هذه الوقفة شبيهة بوقفة الشاعر العربي القديم أمام أطلال حبيبته من حيث صدق الشعور والاحساس : فـكما أن الشاعر القديم كان يشكو تهدم الديار وإقفارها ورحيل أحبابه عنها ، كذلك يقف شاعرنا اليوم من هذه الدار وقفة الشاكر العاتب عليها ، فهي لم تلقه ولم تبسم له كما كانت تلقاه وتبسم له .

ولا يقف شاعرنا عند هـذا بل يعود إلى قلبه الذي يرقص من الألم بين جنبيه يهدئه ويواسيه ، فلا القلب يتئد ولا الجرح يلتئم ولا الدمع يرقأ ، بل يبقى في حيرة وألم وسخط على هذه الحالة التي وصل إليها ويتمنى لو أنه لم يكن قد عاد إلى هذه الدار ويتمنى لو أنه فرغ من هذا الحنين والألم الى فراغٍ كالعدم !

وهو مصور بارع يصور لنا البلى :

والبلى أبصرتُه رأي العيانْ ويداه تنسجان العنكبوتْ !

ويشفق على هـذه الدار من هـذا كما يشفق عليها من الاقفار والخلو فيصيح صيحة الوجل المشفق :

صحتُ : يا ويحك ! تبدو في مكانْ كلُّ شيء فيه حيٌّ لا يموتْ !

ثم يطول به الطريق فيلقى جعبته على باب داره حزيناً مطرقا :

وطني أنت ولكنى طريدْ أبديُّ النفس في عالم بؤسى
فاذا عدتُ فللنجوى أعودْ ثم أمضى بعد ما أفرغ كأسى !

***

وناجى شاعر رومانطيقى من حيث الشعور بالدهشة sense of wonder والشعور بالحزن والألم sense of melancholy :

عبثتُ بالدنيا وأسرارها وما احتيالى في صموت الرمالْ
أنشد في رائع أنوارها رشداً فما أغنم إلا الضلالْ !

وهو يقف من هذه الحياة حائراً ، ثم هو يشك في قيمة هذا الجمال الذي يراه ويتمادى به الشك فيجعله يزهد فيه ويزدريه ، فلا يرى فيه إلا نذيراً بالفناء والعدم :

وانظر إلى سيارةٍ كالأجلْ مخطف خطفاً لا تبالى الزحامْ
هذا الردى الجارى اختراعُ الرجلْ هل بعد صنع الموت شيءٌ يرامْ ؟!

فهو يسخط على الحياة ، ويسخط على الانسان وما يأتيه من أعمال مدمرة مهلكة. يضيق بهذا كله فيعيش فى ألم وتنغيص لأنه وقف على حقيقة هذه الدنيا :

مزّقت عن عينى هنىّ السنينْ لأنني مزّقتُ عنك القناعْ ؟!

ثم هو ينظر إلى الحياة ومشاقها وما يلاقيه الناس من ظلم واضطهاد فى سبيلها نظرة انسانية شاملة كلها عطف واشفاق ، ثم يتساءل أخيراً :

يا حسرتا مما يلاقى العبادْ ! أكلُّ هذا فى سبيل الحياةْ ؟!

والشاعر قد يتبرم أحياناً مما حوله ويضيق بالناس فيأوى إلى مكان منعزل يضرب فيه الظلام ، فهو شاعر رومانطيقى تساوره القلاقل والشكوك ، وهو فى هذا يشبه شيلى ذلك الشاعر الحالم الذى ضاق بالدنيا فأراد أن يعيش فى جو من خيالات روحه الحالم . فهو يزهد فى الحياة الحقيقية ، الحياة الواقعية الصخّابة ويتمنى لو أنه استطاع العيش فى ظلال الوهم والخيال :

يا حقبةَ الوهم والخيــــال هلاّ تمهلتِ للأبدِ ؟!

أو :

دع النفس تمرح فى خيالٍ وأوْهامٍ وخلِّ لأجفانى كواذبَ أحلامى

وفى قصيدة « الميعاد » يفصح الشاعر عن تلك العاطفة القوية السليمة ، عاطفة الحب الراسخ الثابت الذى لا يقيم وَزْناً للصد أو الهجر ، سيان عنده الرضى أو السخط ، وسيان عنده المودة أو البعد . فهو حب قد نبت فى قلبه وتغذّى بدمه يستحيل الانفصال عنه :

إن عدت أو أخلفت لم تَعُدِ أنا إلفُ روحك آخر الأبدِ
ظمأ على ظمــــأ على ظمأ وموارد كثر ولم أردِ

فان هذا الظمأ فوق الظمأ مع وجود كثير غير من يحب ، وهو مع ذلك لا يلتفت الى هذا العدد الكثير بل يصبو قلبه دائماً الى حبه الأول ، لشاهدٌ قوىٌّ على توكيد هذا الشعور الصادق والثبات فى الحب .

بيد أن العاطفة وحدها ليست شعراً ولكنها روحه التي تدفعها الى قراءته والتي نحسها فتأثر بها . وهذه العاطفة لا يظهر أثرها قوياً كاملا الا اذا أخذت لها ثوباً فنياً جميلاً . هذا الثوب الجميل هو الاسلوب الشعري الموسيقي الذي يصل الى أوتار القلب فيهزّها هزاً . وسيجد متصفح الديوان كثيراً من هذا التمازج القوى بين العاطفة والأداء الجميل مثل هذا الاستهلال الرائع في قصيدة «رجوع الغريب» :

عادت لطائرها الذي غنّاها وشدا فهاج حنينها وشجاها

أى الحظوظ أعادها لوفيها ونجيّ وحدتها وإلف صباها

وناجي في قصيدة « خواطر الغروب » يقف أمام البحر ويطيل الوقوف والاصغاء الى صوت أمواجه المزبدة الصاخبة ولكنه يعجز عن فهمه والكشف عن أسراره وأحاجيه ، فهو يشعر أمامه بشعور الاجلال المصحوب بالخوف والروعة المصحوبة بالضعف والاستكانة :

انما يفهم الشبيهَ شبيهٌ أيها البحرُ ! نحن لسنا سواء

أنت باقٍ ونحن حربُ الليالى مزّقتنا وصيرتنا هباء

أنت عاتٍ ونحن كالزبد الذا هبِ يعلو حيناً ويمضى جفاء

هذا الشعور صادق لأن ناجى لم يألف البحر ولم يتعود ركوبه . فهو إن رآه أكبره ولكن في خوف ، وهنا يذكرني بالشاعر الانجليزى المحبوب بيرون ـ والشيء يذكر بنقيضه كما يذكر بشبيهه ـ لأن « بيرون » يقف أمام البحر وقفة الرجل أمام الشيء المألوف عنده فهو يجله ولكنه لا يخشاه ، بل يقبل عليه في طمأنينة وابتسام ويمر يده على لبده المتكاثفة كأنه الشبل قد أوى الى ليثه . فيقول : « اصطخب أيها المحيط الأزرق العميق ! اصطخب ! إنك المرآة البديعة التي تظهر عظمة القادر في العواصف والزعازع ، في سائر العصور وفي كل الأمكنه ، في الاصقاع القطبية وفي المناطق الحارة . أنت رمز الأبدية وعنوان مجد الله في سكونك واضطرابك . أيها المحيط لقد أحببتك ، وعلى صدرك كانت ملاعب صباى ومواطن سرورى . كنت أعبث بأمواجك صبياً ، فقد كان ذلك أعظم سرورى . فان جعلها البحر الزاخر رعباً فما أحبه رعباً . كنت ألجأ إليك كأنك أبي ، وأخلد الى أمواجك القريبة والبعيدة وأمرّ بيدى على لبدتك المتكاثفة كما أفعل هنا الآن .

فبيرون اذا أوى الى البحر فانما يأوى إليه كما يأوى الطفل الى أمه أو أبيه حيث يجد فى صدره سلوته وعزاءه ، واذا ركبه فانما يركبه كأنه يركب جواده الأصيل الذى اعتاد ركوبه . فهو يقول :

« مرة ثانية الى المياه ! مرة ثانية والامواج تقفز تحتى كأنها جواد يعرف راكبه ! مرحباً بزائير البحر ! فليكن الطريق ناعماً ليناً حيث أذهب كعود يابس يسبح فى لجج المياه دفعته الصخرة الى المحيط المزبد ، فلأبْحَرْ حيث الموج العظيم يتلاطم وعاطفة القلب تشتدّ وتقوى » .

أما ناجى فاذا أوى الى البحر فانه لايشعر بذلك التجاوب الذى يشعر به بيرون بل إنه يعجب من ذهابه إليه :

وعجيبٌ إليك يممتُ وجهى إذ مللتُ الحياةَ والأحياء
أبتغى عندك التأسى وما تم لك ردّاً ولا تجيب نداء

ولكنه على كل حال صادق فى شعوره مخلص لفنه ، وليس لنا أن نطالبه بأن يكون شعوره مطابقاً لشعور بيرون فيرى البحر كما يراه بيرون . ليس هذا مانطالبه به ولكننا نطالبه بالاخلاص لشعوره الشخصى ، الاخلاص لفنه الخاص ، وهذا ما نحسه فى هذه الأبيات وهذا هو عمل الفنان العظيم ؟

نظمى خليل
(بكالوريوس فى الأدب الانجليزى)





في مولد السيدة زينب

ضحكنا للهمومِ وقلتُ هيّا ... نُضِلُّ هُمومَنا بين الزّحامِ !

فسرنا في مواكبَ حاشداتٍ ... تَدفّقُ كالظلام على الظلامِ

ولا يُجدى عليها النورُ الاّ ... كما يُجدى تهاويلُ المنامِ

فودّعنا التنفّسَ حين سِرْنا ... فكيف إذنْ بتوديعِ الكلامِ ؟!

وأظمأنا الزّحامُ فما شربنا ... سوى فرط الأُوامِ على الأُوامِ

وكنا قد نسينا السُّحبَ حتى ... رأينا البدرَ يَسبح في الغمامِ

ويَشرب راحَه ، ولكم شَربنا ... من الأضواءِ راحَ المستهامِ

ولكنْ هذه ساعاتُ وَهمٍ ... تخلّتْ عن تعلاّتِ الغرامِ

وقد ثار الغبارُ فصار مَعنًى ... لغيرِ السّلمِ في مثل القَتامِ

ونحن نسيرُ إعجازاً كأنا ... خُلِقنا للزحامِ بلا عظامِ

نسيرُ ويدفعُ التيّارُ دفعاً ... جُسوماً في مواجهةِ الجسامِ

كأنّ (النيل) فاض فكان خَلقاً ... وكان حطامُهُ صُوَرَ الطّغامِ

وكم مِنهم وَليٌّ في ثيابٍ ... مضمّخةٍ بألوانِ الحرامِ

يَشقُّ الجمعَ مَزهُوّاً فريداً ... وليس سواه من أهل « المقامِ »

كأنّ مَعالمَ الزينات قامتْ ... تتوّجه على المُهَجِ الدّوامي

يبارك كلَّ مكلومٍ عليلٍ ... ومِنْ أمثالهِ عِللُ الكِلامِ

وتُلْثَمُ راحتاه ، وليس أوْلى ... بلثمهما سوى حَدِّ الحُسامِ

مَهازلُ فى المواسمِ صارخاتٌ كأنَّ الرُّشدَ نُهزةُ الانتقامِ
إذا راجت بها الأسواقُ كانت رواجاً للرذيلةِ والتهـــامى
مواكبُ ما لها عقلٌ وإلاَّ فأحلامٌ تنوءُ بالاصطدامِ
كأنَّ البعثَ أخرجها تَرَايا لأنواعِ الخصومةِ والوئامِ
تَميرُ ويزخرُ الميدانُ حتى ليزخرُ بالكرامِ وباللئامِ
قد انسجموا على صُوَرِ اضطرابٍ فساءت فى اضطرابٍ وانسجامِ
وألوانُ الطعامِ تفوحُ حتى تُخالَ سلاحَ أعداءِ السَّلامِ
« فللأحشاءِ » ما شاءَ المنادى تهـــاويلُ الدعايةِ للحمامِ
« وللأرزِ » المفلفلِ فى صَوانٍ صِيـاحٌ جرَّ أنواعَ الخصامِ
« وللحلوى » على العرباتِ نجوى لشوقِ الأمِّ أو شوقِ الغلامِ
تموجُ الطَّرقُ بالآلافِ موجاً نشاوَى أو ضحايا للسقامِ
فليس بهمْ لمبتسمٍ مكانٌ فإن يَبْسِمْ تَعَثَّرَ فى ابتسامِ
وتنبحُ بينهم بالزَّمرِ شتى من العرباتِ أو قُطُرِ الترامِ
كأنَّ الحشدَ أرهقها جُنوناً فلم تعبأْ بمعنى الاحتشامِ
تعلَّقَ كلُّ منكوبٍ عليها فما لاحوا بها مُثُلَ الأنامِ
وطبلُ غيرِهِمْ والرَّقصُ يَدْوِى وأعلامُ المشايخِ فى احتدامِ
وأمواجُ الجموعِ تُصَبُّ صَبَّاً الى حَرَمِ الزِّيارةِ فى هُيامِ
وأخرى فى تدفُّقِها حَيارَى وقد أوْدَى بها عَبَثُ الحرامى
وهذا القردُ يلعبُ فى سرورٍ كأنَّ سرورَهُ سُكرُ المدامِ
وهـذا البهلوانُ الطفلُ يمشى على رأسٍ تدحرجَ فى الزِّحامِ
وهـذى الطفلةُ الحسناءُ تلهو برقصٍ للأنوثةِ فى اضطرامِ
مفاتِنُها بعينيها تراءت فكيف إذا رأت دَوْرَ الظلامِ !؟
وكم من باعةٍ مرحوا وكانوا شُكولَ النابغين من اللئامِ

وكم فوق الحوانيت ابتهاجٌ بأضواء كأوسمةٍ سَوامى
وعند الجامع المعبود شتىً من الزينات مشرقةُ النظامِ
يَضيع جمالُها وكأنَّ مَرأى مفاتنها حُطامٌ فى حُطامِ
كمَرأى الجائعين وقد تَهاوَوْا على قِصَعِ الدنىء مِنَ الطعامِ
ومَرأى كلِّ فلاحٍ شَرودٍ فما يدرى الوراءَ مِن الأمامِ
ومَرأى كلِّ غانيةٍ لعوبٍ أحقّ مِن المَهارةِ باللجامِ
ومَرأى كلِّ راضعةٍ وباكٍ وساقِي الشربِ كالموتِ الزؤامِ
ومَرأى كلِّ شحّاذٍ أصيلٍ يلوح بعزّةِ البطلِ الهمامِ
ومَرأى اللاعبين وانّ منهم لأحلامَ الطفولةِ كلّ عامِ
ومَرأى التائهينَ وليسَ فيهمْ سوايَ أضلُّ فى هذا الزحامِ !

أحمد زكى أبوشادى



موكب التراب

فى يوم من أيام الصيف الشديدة الحرّ كان الشاعر جالساً مع بعض أصحاب له أمام داره فهبت ريح شديدة أثارت الغبار وعقدته فى الفضاء كالسرادق . وكان فى مشهد الغبار ما حمله على التفكير فنظم القصيدة التالية :

مِنْ أينَ جئتَ ؟ وكيف عُجتَ ببابي يا موكبَ الأجيالِ والأحقابِ ؟
أمِنَ القبورِ ؟ فكيف مَنْ حلوا بها ؟ أهناكَ ذو ألمٍ وذو تطرابِ ؟
ولهم صباباتٌ لنا ؟ أم غودروا فى بَلقعٍ ما فيه غيرُ خرابِ ؟



أمرَرْتَ بالأعشابِ فى تلك الرُّبى وذكرتَ أنكَ كنتَ فى الأعشابِ
حوْلَ الصخورِ النائماتِ على الثرى وعلى حواشى الجدولِ المنسابِ ؟
وعلى مَ تصعدُ كالسحابةِ فى الفضا وإلى الترابِ مصيرُ كلِّ سحابِ ؟

لمَّا طلعتَ على الشعاع موزَّعاً · مترجرجاً كخواطرِ المرتابِ
وذهبتَ في عَرْضِ الفضاء كخيمةٍ · رُفِعَتْ بلا عُمُدٍ ولا أطنابِ
قال الصحابُ لىَ استترْ ! وتراكضوا · للذعرِ يعتصمونَ بالأبوابِ
وهَبْ اتَّقيتُكَ بالحجابِ فانني · لا بدَّ خالعهُ وأنتَ حجابي
كم مارحٍ في غابةٍ عندَ الضحى · جاءَ المساءُ فكان بعضَ الغابِ
ومصفّقٍ للخمرِ في أكوابهِ · طرباً وطيفُ الموتِ في الأكوابِ
أنا لو رأيتُ بك القذَى محضَ القذى · لسترتُ وجهي عنكَ مثل صحابي
لكنْ شهدتُ شبيبةً وكهولةً · ومُنَى وأحلاماً بغيرِ حسابِ
والشاربين بكلِّ كأسٍ والالى · عاشوا على ظمأٍ لكلِّ شرابِ
والضاربين بكلِّ سيفٍ في الوغى · والخانمين لكلِّ ذى قرضابِ
والصَّارفينَ العمرَ في سُوقِ الهوى · والصَّارفينَ العمرَ في المحرابِ
والغيدَ بين جيلةٍ ودميمةٍ · والعاشقين — الصبّ والمتصابي
والعبدَ في أغلالهِ وحبالهِ · والملكَ في الديباجِ والأطيابِ
آبوا جميعاً في طريقٍ واحدٍ · الخاسر المسيّ مثلُ السابي
فضحكتُ من حرصي على ملك الصبا · وعجبتُ كيف مضى عليه شبابي
ووقفتَ أنتَ على ترابٍ ضاحكٍ · لما وقفتَ عليَّ في جلبابي
وكذاكَ أشواقُ الترابِ مآلُها · ولئِنْ تقادمَ عهدُها لترابِ !

ايليا أبو ماضي

أخلاقهم

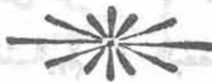
يشمخُ قومٌ بمالهم ولقد · سيموا به ذِلةً فما شمخوا
وانتفخوا مرةً فمذ بَصروا · بالسيف ناموا له فما انتفخوا
تطلَّبوا خُطةً وليس لها · في الناس الا غطارفٌ رُسُخ

ومَن رأى السيفَ ثم لانَ له ... فالرأسُ منه لابد مُنشَدِخُ
تلاوذوا يطبخون أمرهمو ... فكان للخسر كلٌّ ما طبخوا
واحتضنُوا بيضةً مذ افترخت ... سالت ، ألا ساء ما بها افترخوا !
وانسلخَ الليلُ والنهارُ فما ... فاتوا عماياتهم ولا انسلخوا
واقتعدوا الأرضَ وهى ليس بها شىء عن الشغل ثمَّ منسلخُ
ففوقها الريحُ والسحائبُ والـ ... نارُ وفيها المنابعُ النُضُخُ (١)
تعللوا بالسماء تمطرهم ... رزقاً وباتوا للذلِّ قد رضخوا
لم يَدفعوا للعُلى فكان لهم ... خطوٌ ولم يَنتخوا لها فنخوا
إنَّ الجمادات إذ تُرادُ على الـ ... إذعانِ تُلفَى هناك تُرتضخُ
فتُجهدُ المعملى سواعدهم ... فهى بفرطِ الاجهادِ تنفضخُ
وهم لفى إن أرادهم شكسٌ ... على اهتضامٍ تزايلوا ورخُوا
كأنهم وهيةٌ قد انسربت ... عن عنكبوتٍ تُطيرُها النفخُ
ولم يكن ذلهم وهم شِيَخٌ ... لكنهم أذعنوا وهم شُرُخُ (٢)
وهمُّهم نفخةُ الوظائفِ والـ ... فارغُ فى القوم كان ينتفخُ
لو لم يكن فارغاً لما امتلأت ... حقواهُ حتى لكادَ ينفسخُ
تلقى الفتى منهمو يُخال أخاً ... وهو اذا ارتشتَ لاحُصصتَ أخُ (٣)
يخون ذا الصدقِ والوفاء ولن ... ينبتَ بقلاً على الحيا السَّبَخُ (٤)
يُضحى نقىَّ الثيابِ مونقها ... والعرضُ منه بالذامِ متّسخُ
مستعظمٌ وهو غيرُ ذى نمرٍ ... كما تعالى واستعظمَ اللبَخُ
تشابهَ الكلُّ فى مثالبهم ... فالبعضُ منهم عن بعضهم نُسَخُ
لهم خِلالٌ لو صُوِّرت قَبُحت ... كأنهم فى خِلالهمْ مُسِخوا

(١) نضخَ الماء تفجر من جوف الأرض . (٢) شيخ كعنب جمع شيخ .
(٣) المحصوص الذى نتف ريشه (٤) الحيا بالقصر المطر .

كم نقضوا من يَدىْ محالفهم عقودَ ميثاقهم وكم فسخوا
أقول مستصرخاً وأعلمُ أن ليس لحُرٍّ فى القومِ مُصطرَخ
بالله والله قاهرٌ أبداً به تظلُّ الأمورُ تنفسِخ
ليحذروا غبَّ ظلمهم ، فدمُ الظلم يوماً بثوبه لِطَخ
لا بدَّ مِن ساعةٍ بها يسأل الأقوامُ ما فرّطوا وما بذخوا
فيا أناسٌ همُ الأذلةُ فى الرَّوعِ وهمْ فى السلام همْ شُمُخ
انى لألقى الدنيا فأبصرها وجهاً نقيّاً أنتم به وسَخ
لا تحقرُوا القردَ إنَّ خِلقته أصلٌ صحيحٌ وأنتمو مِسَخ
مَثلٌ الألى يوقدون خامدَكم فانهم فى الرمادِ قد نفخوا
والشَّيْخ(١) مِن غيركم يُظنُّ فتًى بأساً وأنتم فتاؤكم شَيَخ
أين الذى يُرتجى لمعضلةٍ فى الأمر منكم والأمر مؤتلخ(٢)
لا يُذكر الفضلُ بينكم ، ومتى يذكرْ لديكم يُكرَّمِ البذخ
ما للسجايا الحسانِ مَفخرةٌ فيكم فكلٌّ بغيِّه جفِخ(٣)
دواءُ قلبي مصيبةٌ عَمَمٌ طخياءُ منها الآذانُ تنضمخ(٤)
تأتى عليكم فالكلُّ منعفرٌ مُلقى على القاع شِلوهُ زَنِخ
أو تُصبحوا رفعةً لمرتفعٍ يعلو بكم قَدرُه وينشمخ

حبيب عوض الفيومى



(١) الشيخ كالقصب الشيخوخة (٢) مؤتلخ أى مستحكم (٣) الجفخ الفخور
(٤) طخياء ثقيلة مدلهمة ، وتنضمخ تصمُّ .



الشاعر البشبيشى

كلما دار الفكرُ وتُرِكَ له العنان تعود الذكرى ، ويا لها من ذكرى !

هى ذكرى شقيق العزيز الراحل ، الشاعر محمد أبو الفتح البشبيشى ! مات الأخ الوفىّ ! مات الشاعر ! مات الأديب ! مات الرسّام ! تمهلْ أيها القلم ولا تجزع ! كان أخى زهرة فى روضة الحياة سرعان ما ذبلت ، فانطوت صفحته البيضاء ، واستوت بين طيات التراب ، حيث فارقته روحُه الوثابة للعلا ، ذاهبة إلى السماء ، لتهدأ فى جوار الرحمن ، ولترتل أشعارها العذبة السلسة العميقة الغور والمعنى هناك !

مات شاعرُ الفناء والحزن ! لا تعجب أيها القارىء ، فلقد كنا نسمع دائماً من قيثارته ، على شبابه وصرح نفسه ، نغمة الفناء بادية ظاهرة ، كأنما كان يرثى نفسه ، ويحسّ بدنوّ ساعته ! وهذه قصيدته « فى ليلة » المنشورة فى (أبولو) يدرك منها القارىء همومَ فكره ، وآماله التى هدّها المرض ، وطاف بها نذيرُ الموت ، ويعرف منها عمق نظره فى الحياة ، وتبرّمه بأرزائها :

يرى ظلاماً شاملاً داجياً يضمُّ مَن نام ، ومَن لم ينمْ
يرى شباباً ضائعاً خافتاً وفيضَ نورٍ قد خطا للعدمْ
يرى شهاباً لامعاً ثاقباً وفى فضاء الكون قد ينعدمْ !

وقد يميل بشعره فيعتب على الأرض وأهلها ، ويصفهم بالغدر والجحود فيقول :

شكرانهم نكرانهم . . والذى قد جعل الهمَّ بقدرِ الهِمَمْ
فذاك أمرُ الأرضِ من يومها وذاك أمرُ الكونِ منذ القدمْ
يَتيه ربُّ العلم فى بؤسها ويكتسى الجاهلُ ثوبَ النِّعَمْ

يرحم الله شقيقي ! لقد كانت له أفكارُ الجبابرة مع لطفه ودَعته ، كانت له مواهبُ العظماء مع صغر جسمه ، كان يتمثل فى خلقه الهدوء والسكينة ، وينبعث من عينيه الواسعتين تيارٌ عاصفٌ يسحق كلَّ معترض له ، ولكن ! قد سحقه الموت ! فانطفأت شعلة طمح الى المثُلِ العليا ، وسُحقت قدمٌ ثابتةٌ كانت تخطو إلى الرفعة فى ثبات واتّزان . لا اخال ذا قلبٍ رحيمٍ يقرأ له هذه الأبيات من قصيدة (حينما) فى وصف الأرض عن لسان طيفٍ شال به فى الفضاء إلا راثياً لشبابه ، ومستمطراً الرحمة على جسده :

هل تريد الأرضُ نوراً شاملاً ؟ حسبها الآن دخانٌ ولهبْ !
أتظنّ النورَ يبدو كاملاً فوق أرض مِن خداع وكذبْ !؟
فوقَ أرضٍ لقنتْ فتيتها : «خُن أخاك اليوم فالنيل اقتربْ !»
وأشاعت بينهم حكمتها : «لك عيش اليوم إن الغد خِبّ !»

وهكذا الى آخرها يصف بقلمه العذب الارضَ وخداعَ من عليها . يصف فيها غدر الأخ لأخيه حباً فى المال وجنوناً بالعظمة التى سوف تطوى يوماً من الأيام تحت التراب كما طُوِيَ جثمانه الطاهر الصغير الواسع الفكر .

إن للفقيد آيات رائعة فى هذه الناحية من شعره أو مما وقع عليه اختيارُه وتجاوبت معه نفسهُ ، كقوله فى ترجمة مرثية لشكسبير :

إنّا إلى الأرضِ جميعاً من غنيّ وفقيرْ
لا تخشينّ الآنَ شمساً ملهبهْ
ولا شتاءً ريحُه مضطربهْ
رسالةً أديتَها منتخبهْ
وعُدتَ تسعى للأصول المتربهْ
إنا إلى الأرض جميعاً سوف تحوينا القبورْ !

وكانت له جولات فى شعر الغزل لها حظ من رقته وظرفه ، مثل قوله :

بين وردِ الربيع فى الروضِ أشجى بلبلٌ جائمٌ يحدّثُ بلبلْ
فى وجيبٍ ، ورقةٍ ، والتياعٍ وغرامٍ ، والبدرُ بادٍ يُعلّلْ

فعبيرُ الورودِ فيه ، وفيه همساتُ الغرام كالخمر يُثمِلْ !

إلى أن قال :

فتلاقتْ بنا الشفاهُ قليلاً وحديثُ الشفاه جِدُّ مُطَوَّلْ !

كذلك قال رحمه الله فى قصيدةٍ غزليةٍ :

غنِّنى فى الغرام أنتِ ، وغنِّى أنتِ فى الحب والهوى ترجمانى

ترجمى عالياً عن الوجد دوماً أنتِ فى الوجد والغرام لسانى

أنتِ نورُ الحياهْ

أنتِ رُوح النعيمْ !

ما ذا تقول فى شاعرٍ جمع بين سموّ الخلق ، وسلاسة الأسلوب ، وعذوبة العبارة وأصالة المعنى ؟

أجل ، ما ذا تقول ؟ وما ذا تؤمل لمثل هذا الشاعر الشاب لو كُتِبَ له طول البقاء ، يرسل أشعاره هنا وهناك فى هدوء وسلامة ذوق ؟ ولكن ضاع الأمل ، وانطوى بين صفحات القبور ، وترك عالمنا الصاخب إلى عالم الهدوء ، إلى الراحة الأبدية ، أجل ! ولَّت الأحلامُ ، وولَّت الليالى التى قضيناها معاً فى سرور ، وهنالك سوف يذكرنى الشاعر ، سوف يذكر أخاً وفيّاً طالما ابتغى البقاء بجواره ، قريراً بأخوّته ، قريراً بفنه .

لئن تكن الأيام فرّقْنَ بيننا لقد بان محموداً .. أخى حين ودّعا !

أخى ! إنه الموت نهاية الكون ، وآفة العمران : الموت حاصدٌ بارعٌ ، رائع الاختيار ، ينتقى من الشباب خياره ، ومن الأزهار جميلها ، يرفرف على الكون بأجنحته المخيفة ويرسل شعاعاً يخترق الكون باحثاً عن صاحب آمال ليحول بينه وبين غايته ، فإنا لله ! لقد حقّ للنفس أن تذهب حسرات ، ولكن ما ذا عسى يجدى الأسى ؟

أيتها النفسُ أجملى جزعا إن الذى تحذرين قد وقعا !

وهكذا حال الانسان : طفولةٌ وهى عهد المرح ولكنها قصيرة الأمد ، وشبابٌ سرعان ما يذبل ثم يهوى بين طيات القبور !

أجل ! ليس للفناء الأبدىّ من دواء سوى الصبر الجميل ! رحماكَ أيها الشاعر الراحل النائى الى عالم الأبدية ! أبعث اليك سلامى مع هبات النسيم تحت جنح الليل علّها تخترق قبركَ الطاهر وتخبرك أن على الأرض أخاً لك مخلصاً فقد النور بعدك ! أخى ! إننى عجزتُ عن احتمال الصدمة ولا أقوى اليوم على بيان أدبك وتحليل شعرك ، فأرسلُ اليك من أعماق قلبي صوتاً محبّاً حزيناً . فهل تسمعه ؟ وهل تتقبله ؟

حسن البشبيشى



رثاء الشابى

أبا القاسم الشابى ! أبا القاسم الشابى ! مَكانُكَ فى الاخرى مَكانةُ أربابِ

أَبِى الخالقُ الفنّانُ جلّتْ فُنونُه لمثلكَ الاّ الخُلدَ فى دارِ أحبابِ

وما المبدعُ الفنّانُ إلا أشعّةٌ مِن الله لم نرجعْ كرجعةِ غُيّابِ

متقتنا رحيقَ الفنّ صِرفاً وودّعتْ فأين مُذابُ النّورِ يملأ أكوابى ؟

وأين الجمالُ العذبُ ألحانَ شاعرٍ خوالجُها للفنّ أسبابُ أسبابِ ؟

وأين الذى يدرى خفايا نُفوسِنا على البُعْدِ وصّافَ الحياةِ بإسهابِ ؟

وأين الذى آياتُهُ فى تصوّفٍ فواتنُ أقطابٍ تفانَوْا وأقطابِ ؟

مضتْ ومَضَى ! يا هَوْلَ مأساةِ عالَمٍ عجائبهُ (١) كادت تقوّضُ إعجابى

(١) عجائبه : غرائب شذوذه ونقائضه .

كأنَّ جمالَ الفجر لمَّا تركتَه (١) تَشَكَّلَ فى رُوحٍ كروحِكَ وثَّابِ
فعلَّمنى نَوْحَ الخريفِ ووَجْدَهُ وأسهبَ فى معنى من الشعرِ خلّابِ
وأشبعنى حُزناً عميقاً مجدَّداً بأصباغهِ الحسرى وإنْ يَلِنَ تَرحابى
وناولنى هذا الرثاء أشعَّةً حبيسةَ ألفاظٍ ، طليقةَ آرابِ
تبشّر بالحبِّ الأريج ، وحَظُّها جمالٌ من الأحلام والفكر والدّأبِ
لها لَهْفَةٌ مثلى ، وكم عند لهفتى مِنَ الأدبِ المعبودِ غايةُ أنسابِ
فكلٌّ عن الباقين يَبكى بكاءَهم وكلٌّ له دمعٌ دفينٌ بتسكابِ
تغلغلَ فيهِ الشَّجْوُ صِرْفاً كأنّما يفيض بوحىٍ من غنائِك منسابِ
أنوبُ عن الراثين مثلى ولم أنبْ كذلك مَنْ نابُوا فليسوا بنُوَّابِ
تَنوَّعَتْ الأحزان فيمن حياتُهُ وإنجابُه أنواعُ حزنٍ وإنجابِ
وما الفقدُ للفنِّ الجميلِ بهيّنٍ فمن عُمرهِ عُمْرٌ لدنيا وأحقابِ

***

أتانى كتابُ الودِّ منكَ وطيَّه نَعيُّكَ ! يا للرَّوع يَنسفُ أعصابى !
أيُفرحنى دهرى ويُحزننى مَعاً ؟! نعم ! هو جائرٍ لا يُبالى بإغضابِ
لقد هدمَ الدَّولاتِ مِنْ قبلُ هازئاً ولم يَخشَ مِنْ خصمٍ وغضبةِ حَسَّابِ
وقد عاندَ الآمالَ حتى تعثرتْ فلم يبق للدنيا سوى الأملِ الكابى
وما (تونسُ) الخضراء بعدكَ جنةٌ ولا نجمُكَ الخابى سوى نجمها الخابى
ولكنْ للشعرِ العظيمِ على المدى مِنَ الثأرِ ما يَقضى على عَسفِهِ الآبى !

***

صديقى ! صديقى ! أىُّ حزنٍ ينالنى وأىُّ شجونٍ تَستهينُ بإرهابى ؟
كأنَّ أغانى الكونِ قد ذالها الثرى فطاحت كما طاحت أناشيدُ ألبابِ !

---

(١) توفى الفقيد فى فجر اليوم التاسع من شهر أكتوبر الماضى .

ألستَ الذى ناجَى الطبيعةَ كلها ... وترجمها سحراً سَرِيّاً لآدابِ ؟
ألستَ الذى غنَّى الأنوثةَ كلَّ ما ... يُعبر عن أسمى الصلاةِ بمحرابِ ؟
ألستَ الذى قد عاشَ فى الناس ساخطاً ... وفى الفنِّ مسروراً وحيداً بأوصابِ ؟
ألستَ الذى قد ماتَ فى غربةِ الضَّنى ... وبَشَّرَ بالعَوْدِ القريبِ لمرتابِ[1] ؟
وما حجَّبتهُ عن رُؤَى الحكمةِ الورى ... إذا خذلَ الأحلامَ سَطوَةُ حُجَّابِ ؟

***

رحلتَ صديقى بعد ما جئتَ موصياً ... بشعركَ، فارحلْ غيرَ خاشٍ وهَيَّابِ !
أنا حارسُ الفنِّ الذى أنتَ ربُّهُ ... وهيهات خِذلانى مواهبَ وَهَّابِ
ولكنَّ لى فيما نظمتَ مَدَامعاً ... قصائدَ لم تُعْلِنْ ـ وإن أعلنت ـ ما بى
تَلوحُ بأثناءِ السطورِ لشاعرٍ ... فرُوحى مِنْ نفسى وأرواحِ أترابى !

أحمد زكى أبو شادى



ديوان عتيق

نظم عبد العزيز عتيق ـ الجزء الأول، ١٦٠ صفحة بحجم ١٩ × ١٣ ½ سم.
مطبعة العلوم بالقاهرة . الثمن خمسون مليماً .

أخرج الشاعر عبد العزيز عتيق ديوانه الأول منذ أربع سنين وهو على عتبة حياته العملية، وهو ديوان ملىء بالقصائد الجيلة ذات الموسيقية المنغومة، سجَّل به عهداً من عهود حياته الأولى ومغامرات حبه العفيف، وأثبت فيه خواطره

(١) كانت هذه اخر كلماته عند وفاته .



عبدالعزيز عتيق

الفتية ، وأفكاره الأولى المتأثرة بالأدب العربى الرصين ، وبشعراء العرب المبرّزين ، مع طائفة من أفكاره الأصيلة التى جاد بها وقته الضنين .

والمتصفح لهذه الباكورة الشعرية يلاحظ غلبة الشعر العاطفى على الديوان ، واحتفاله بعاطفتىّ الحب والصداقة بصفة خاصة ، ويشارف فى أغلب الديوان روحاً قاتماً ونفساً ساخطة برمة بالحياة وأحداثها ، والصداقة ونزعاتها ، فيحسب مَن لا يعرف شخص الشاعر أن هذه الروح هى روحهُ الغالبةُ وأن مزاجه هو مزاجُ الديوان المتشائم ، فى حين أن هذا الشاعر الشاب متفائل أزهر التفاؤل ينظر الى الدنيا نظرات وردية ، ويحنّ الى الجمال حنينَ الطفولة البريئة ، وكل ما سجّله فى ديوانه انما هو تسجيل لحالات عارضة لنفسه ولمزاجه ، فاذا رأينا هذا الشاب يثور على المحبة أوعلى الصداقة ، فانما هى ثورةٌ يرمى بها لغايات طاهرة نبيلة هى تطهير الحياة من رجسها ، وتجريد الأصدقاء من العواطف الدنيئة كالنفاق والرياء والغدر والختل ، ولا أدلّ على هذه الروح المثالية من قوله فى قصيدة بارعة له جاء فيها :

فالذى شوّه الوجودَ بعينى وأثار القوىّ من صرخاتى

أن ترى النـاسَ لا وفاء لديهم وترى الختلَ باتَ رأسَ السّماتِ
وترى الحقّ زاويا فى امتهانٍ وترى الجورَ مستطيل القناةِ

ومما يزيد القارىء اقتناعاً بروح هذا الشاعر المتفائل ما جاء فى قصيدته « أنا وقلبي » بآخر الديوان ، وهى تفصح فى أجلى بيان عن إشراق نفسه ، وعودته لطبيعته الأصيلة ، وهجرانه عبارات التبرم الجهمة ، وألفاظ اليأس وشكوى الزمان وتوديع هذا العهد إذ يقول :

سأعيش بعد اليوم لا أشكو الشقاء أو الشجونا
سأعيش كاللحن الرقيق يثير فى الكون الحنينا
سأعيش كالحلم السعيد يزور دنيا الحالمينا
أمّا التبرمُ بالحياة فان ذلك لن يكونا
عهدٌ أودّعه . وانى لا أزال به ضنينا

والمفهومُ من هذا القصيد أن الشاعر كانت تعتلج بنفسه فكرة عدم نشر شعره الأول ، الذى حوَى ذمّ الحياة ، والضجر من الصداقة ، ولم يحفزه الى نشره الا تسجيل عهد الصبا الذى يقتات على بعض ذكرياته ، ونحن نسجل اعجابنا بهذا الشعر على اعتبار انه عمل فنى يعبر عن حالات الشاعر العارضة لا باعتباره مسجلاً لشخصيته ، ونذكر من نماذج هذا الشعر قصيدتيه « نفثة » و « مناجاة طائر » ففى الأولى تمنى الموت ودعاه لزيارته ، وفى الثانية حكم على الوجود حكماً غير حبيب للنفوس المتصوّفة . يقول فى نفثته :

أوّاه من نفسى ومن زمنى معاً أواه لو تجدى إذن آهاتى
يا موتُ زر فلبئس داراً لم نجد فيها سوى اللوعاتِ والأناتِ
ولربّ موتٍ يستريح به الفتى من شرّ عيشٍ لجّ فى الإعناتِ

وقوله يناجى الطائر ، وهو يكشف بهذا القصيد عن أدجان خواطره وجهامة نفسه فى هذا الوقت كما يقول :

يا طائراً يتغنّى فى خميلته خفّض بربك ! قد جددتَ أشجانى
أذخر دموعَك لا عطفٌ ولا أملٌ بين الأنام سوى بغضٍ وعدوانِ

وقد ذم الصداقة فى جملة مواضع من ديوانه ودعا الى هجر الاصدقاء ، وهذا ما لا نوافقه عليه ، ولا يقبل من مثله أن يذم عاطفة عزيزة مثل هذا الذم ، وكيف

نذمّ الصداقة وهى ملاذنا اذا ضاقت فى وجوهنا الحياة ، وآدت نفوسنا الهموم ، كما أنها الكاشفة عن عذوبة الحياة والموحية بالفكر الجميل ، وأسمح لنفسى أن أقول أن هذا الخطأ العاطفى هو أثر من آثار الكتب المدرسية العتيقة الفياضة بهذه النازعة ، ومن أمثلة ما جاء فى ديوانه فى ذمّ الصداقة قوله :

لا تكلنى الى الصداقة أفنى فى هواها فما ترقّ لما بى
هى فى عالم الحياة فتاةٌ صاغها الله شُعلة من عذاب

وقوله :

إيه يا قلبُ عش ـ كما كنت ـ فرداً نعمةُ العيش فرقةُ الأحبابِ
نشترى الودّ بالرفيق من النبـ ـل فنجرى عليه مرّ العتابِ

والذى يبدو لى أن شاعرنا يصبو الى صداقة سامية مثالية كلها نبل وكلها طهر وكلها قداسة ، وهذا لن يكون ، ولا يمكن تصوّره فى عالمنا الدنيوى ، ومن أدلة ذلك قوله :

ان وداً يُبنى على غير نُبلٍ لهو ودٌّ مَصيرهُ للضياعِ

وقوله :

قد سئمتُ المقامَ بين وجوهٍ كوجوه القرودِ والحرباء
فاصدقونا الوداد عفاً شريفاً أو دعونا من الطلا والرياء

***

وشاعرنا الشاب لا يتجاوز السابعة والعشرين من العمر ، ولكنه ناضج الرأى ذكىّ الفؤاد كأنما هدف الى الأربعين ، وهو شاعر وجدانى مطبوع يبحث عن الجمال والحب أينما وجدهما ، يبحث عنها لذاتهما ولارواء شاعريته ، حتى لنكاد نلمس تلهفه الوجدانى ، وتوثبه الطفولى ، وظمأه الدائم للحب وللجمال ، وتحمسه لحبٍّ جديدٍ اذا خاب الحب القديم ، وها نحن نكاد نسمع نبضات قلبه فى قصيدته الوجدانية البديعة « الريفية الطائشة » والتى يقول فيها :

تعالى أرينى ذلك الوجهَ علّنى أرى فيه آمالى إذ العيش أنكدُ
ألا وامنحى مِن ثغرك العذب قبلةً لعلّ بها نار التشوق تبردُ
وهيا اغمرينى بالحنانِ فاننى سئمتُ تجرّبه وما زلت أنشدُ
ولا تسألى عمن يذم ومَنْ يشى اذا نحن أرضينا الضميرَ وندّدوا

بهذه الفرحة يلاقى شاعرنا الشاب حبيبته . فاذا لم تفهم حبه العفيف وضربت الأيام بينه وبينها وتحوّلت عنه ، أخذ قلمه وأرسل صرخات الألم ، ونفثات صدره الكليم ، واذا به يسمعنا صدى هذه الفورة النفسية فى قصيدته « خيبة » والتى جاء فيها قوله :

جَنِّبانى حديثَها جنِّبانى وارفقا بى فقد فقدتُ الأمانى
ها هو اليوم قد تبدّى سراباً أملٌ كانَ ثابتَ الأركانِ

ويقول أيضاً فى هذا الحب الخائب :

عظمت خيبتى وصرّح يأسى ودهانى من خيبتى ما دهانى
إنّ دائى الذى أصاب فؤادى ناشبٌ فى الفؤاد كالسرطانِ

وتأكد للشاعر خيانة هذه الحبيبة ، بعد تشكك ، فأرسل قصيدته القوية الموسومة « بالرياء فى الحب » ينعى فيها الحبّ الشهوانى الدنىء ، ويندم على ذكريات هذا الحب الضائعة فيقول :

أجزَاءُ الذى اصطفاكِ وأفنى فيكِ لو تدرى عمرَهُ وشبابه
ورأى مِن صفاء حسنكِ روضاً يبهر الشعرَ ظله فاستطابهْ
أن تجازيه بالخيانةِ غدْراً ثم تُهدى إلى الذئابِ ثيابهْ
ليتَ لى مثلهم فؤاداً غليظاً يعشق الفتكَ والدماء المذابهْ

وبعد هذه الصدمة العاطفية لا نجده مثل كثير من المحبين ، يسترسل فى التوجع ويخلد الى اليأس ، ولكنه بما طبع عليه من مزاج دموى متفائل مرح ، ينسى هذا الحب ، ويوسده فى قبره كما يقول ، ويتلفت إلى حب جديد يلهم فى صدره ويوحى إلى فنه ، فاسمع اليه يقول لحبيبة ثانية :

فكالأملِ المحبوبِ ثغرُكِ حينما تقرّبنى منه الشفاهُ الهواجسُ

وصفوة القول إن شاعرنا الشاب شاعر متفائل طلق الوجه ، يطير فى الدنيا كالعصفور الرقيق المتوفز يحط من فنن إلى فنن ، ويغنى على كل نبت بنغم متنوع ، وشعر ناصع ، وذهن صاف — ولم يقتصر شعره على الناحية الوجدانية والعاطفية ، ولكنه عالج كثيراً من المناحى الشعرية الأخرى ، وبخاصة شعر الطبيعة والشعر

الاجتماعى والشعر الفلسفى ، وله فى هذا الديوان قصائد عدّة رصينة السبك ، ومن نماذج شعره فى الطبيعة قصيدته اللطيفة عن « زهرة الفلّ » التى جاء فيها :

زهرةٌ كالأملِ الحلوِ وأحلى ... تسكر النفس وتودى بالشجنْ
هاتها ألهو بها أو أتسلَّى ... عن هوىً أهفو اليه وأحنْ

ثم قال فى نبض قوى :

زهرةٌ تبسم عن ثغر رقيقْ ... سكن الحسنُ بطيات لمَاها
هاتِها يا صاحِ ! إنى لا أطيقْ ... أن أراها ثم لا ألثم فاها !

كما تغنى أيضاً بأحداث الطبيعة فى قطعتيه « الشجرة الذابلة » و « حديقتنا » ، وناجى اليمامة فى شعر حديث ، وتحدث أيضاً عن مظاهر الريف — وبهذا يسجل ديوانه الأول اتساع أفقه الشعرى واستعداده الفطرى المطبوع ، ولا شك فى أن آيات ذلك تجلت فى قصائده الجديدة التى نشرها « بالأهرام » و « أبولو » و « بالرسالة » من مثل قصائده « ليلة الزورق » و « وداع الشاطىء » و « الملاك النائم » — وقصائده الأخرى التى لم تنشر والتى سيزين بها صدر « الامام » والمجلات الأخرى مثل قصيدة « الشمس الجديدة » و « صخرة الملتقى » و « البحر » وغيرها من القصائد ، وكلها لاقت اعجاب أصدقائه وعارفيه وقارئيه .

ولعلى بعد هذا البيان الموجز أكون قد نبهت تنبيهاً بدائياً الى نفسية هذا الشاعر الشاب فى باكورته ، وإن كنت لم أتناول شاعريته الا عرضاً للتدليل على مزاجه وروحه المتفائل ، وانى أحب أن يتناول الشباب الحديث بالدرس هذه الشاعرية المطبوعة فى ديوانه المنشور وفى قصائده التى ينشرها على الناس فى فترات الفراغ ؟

مصطفى عبد اللطيف السحرتى

نشرة الاتحاد الدولى

للرسم والتربية الفنية والفنون العملية

العدد الأول من السنة الثانية — تصدر ثلاث مرات فى السنة — الاشتراك السنوى ١٥٠ مليماً — الادارة بشارع الكوة رقم ١٣ بالظاهر بالقاهرة

بين الفنون المختلفة وشائج عميقة لا شك فيها ، وهذا ما يدعونى الى التنويه

بهذه النشرة التى أعتقد أنها بين ما يستأهل مطالعة الشعراء وعنايتهم . وفى هذا العدد الذى بين يدىّ (وهو واقع فى ٣٢ صفحة من حجم «أبولو» ومطبوعٌ طبعاً فخماً بمطبعة الاعتماد بالقاهرة) موضوعات فنية شتى كلها جمال وطرافة مثل باب بدائع الفن من تصوير ونحت ، وتربية عادة الابتداع فى الرسم ، وخيال الأطفال ، ونحو ذلك .

وقسم « بدائع الفن » فى هذه النشرة مما يهمّ الشعراء بصفة خاصة وخصوصاً مَنْ يحفلون بشعر التصوير . خُذْ مثلا صورة « اللاقطات » Les Glaneuses من عمل الفنّان الفرنسى ميليه فى القرن التاسع عشر ، فالمحرر يشرح هذه الصورة البديعة بقوله : (تريك هذه الصورة ثلاث نساء يجمعن ما تخلف بعد الحصيد من سنابل القمح ليقتتن به . وانك لترى على سيماهنّ مخايل الصبر واحتمال المشاقّ فى سبيل العيش وسدّ العوز ، تلك الفضيلة التى لن تراها بأجلى مظاهرها فى غير طبقة الزراع . نشأ ميليه زارعاً ملماً بأعمال الزراع دارساً لطبائعهم ، عالماً بنفسيتهم وشعورهم عارفاً لآلامهم وأحزانهم . يرى الجمال فى تمثيل الطبيعة الوادعة غير المتكلفة ، تستهويه موضوعاتها الحزينة فينقلها عن فهمٍ وخبرةٍ ، فقد كتب مرةً الى صديق له يقول : « اننى لا تستهوينى نواحى الحياة السارة ولا مشاهدها المفرحة فانى لا أعرفها ولم يسبق لى أن عرفتها فى حياتى » ، وربما كان له العذرُ فى ذلك فانه ظلّ طول حياته معدماً ، وقد كان فى بعض الأيام لا يجد ما يتبلغ به . ومن الغريب أن صُوَرَهُ التى كان يبيعها بثمنٍ بخسٍ دراهم معدودة تُقدَّر الآن بمئات الآلاف من الفرنكات . وقد أُهديتْ هذه الصورة الى متحف اللوفر بباريس سنة ١٨٨١ م . وهى به الى الآن) .

وقد استوحى هذه الصورة من قبل الدكتور أبو شادى (راجع قصيدة « جامعات الجُزاز » فى ديوان « أشعة وظلال » ص ٣٣) وفيها يقول عن أولئك اللاقطات :

يجمعْنهُ فى زَهوهنّ كأنّه ... أوْلَى بأنْ يُختَصّ بالتكليلِ
وَحَنَيْنَ راضيةَ الظهود بلا وَنًى ... فى حينِ لا تُحْنَى لغيرِ جليلِ
وحَرَصْنَ طيَّ مُلاءةٍ فى حفظهِ ... حِرْصَ المُضيفِ على حياةِ نزيلِ
وتَعُدُّهُ سيقانَ نبتٍ ميّتٍ ... وَعَدَدْنَهُ أثراً لِرُوحٍ نبيلِ !

ولا يسعنى الا تهنئة مكتب القاهرة للاتحاد الدولى للرسم والتربية الفنية والفنون العملية على مواظبته على إخراج هذه النشرة النفيسة ، ولعلَّ ازدياد الاقبال عليها فى المستقبل مما يساعد على الاكثار من إصدارها ليزداد الانتفاعُ بها ؟

محمد عبد الغفور

فحول الشعراء

يجمع دواوين : الفرزدق ، النابغة الذبيانى ، جميل بثينة ، ذو الرمة ، أمية ابن أبى الصلت فى ٥٢٠ صفحة بحجم ٢٢ × ١٥ مم . عُنيت بنشره المكتبة الأهلية فى بيروت . الثمن ١٥٠ مليماً

لقد أحسنت ادارة المكتبة الأهلية فى بيروت الى الأدب العربى إحساناً جميلاً خالداً بجمعها درره اللامعة وطبعها ونشرها بين الأدباء ، وهذا الكتاب الجامع لشعراء خلدت آثارهم هو أحد تلك المآثر التى قدمتها هذه المكتبة ، وقد عهدت بتنسيق كل ديوان منها ومراجعته وشرح ألفاظه الى أدباء نابهين .

غير أنى وجدت أن ديوان الفرزدق لم يضم بعض قصائده كقصيدتيه فى هجو جرير التى يقول فى مطلع احداها :

ألا استهزأت منى سويدة أن رأت   أسيراً يدانى خَطْوَهُ حلقُ الحِجلِ

وفى مطلع الأخرى :

إن الذى سمك السماء بنى لنا   بيتاً دعائمه أعزّ وأطولُ

كما ورد بيته المشهور :

والشيبُ ينهض فى السواد كأنّه   ليلٌ يصيح بجانبيه نهارُ

مفرداً فى الديوان بدون البيت الذى يسبقه وهو :

قالت : وكيف يميل مثلك للصِّبا   وعليك من سِمةِ الحليمِ وقار

ولم يذكر فى الديوان الاكتفاء بقصائد دون قصائد كما ذكر ذلك فى مقدمة

ديوان ذى الرمة حيث قال جامعه إنه اقتصر فيه على ما هو أكثر نفعاً وأرقّ أسلوباً وألفاظاً ، على أنى أرى أن من الفائدة جمع هذه الاشعار برمتها لتكون أثراً جامعاً للشاعر .

وما لحظتُه فى ديوان الفرزدق من ترك قصائد لحظتُه فى ديوان أمية فقد تركت قصيدته التى يقول فيها :

يا نفسُ ما لكِ بعد الله من واقِ وما على حدثانِ الدهرِ من راقِ

ووجدتُ فى ديوان النابغة ولاحظتُ تقديماً وتأخيراً فى أبيات بعض القصائد وحذف أبيات من البعض الآخر .

وأرى أنه كان من الواجب أن تنشر الروايات المختلفة التى وردت فى بعض الأبيات فان فى ذلك فائدة عظيمة .

ولعلّ ناشرى هذه الدواوين يتّبعون ذلك فى الدواوين الأخرى التى يقومون باخراجها أو فى الطبعات الجديدة للدواوين التى قاموا بنشرها ليكون كلُّ ديوانٍ شاملاً لشعر الشاعر فى مختلف مرائيه .



هبة الأيام

فيما يتعلق بأبي تمّام

تأليف الشيخ يوسف البديعى من علماء القرن الحادى عشر — ٣١١ صفحة بحجم $\frac{1}{2}$ ٢٣ × $\frac{1}{2}$ ١٥ سم . طبع بمطبعة العلوم بالقاهرة . الثمن ١٥٠ مليماً

قام الأستاذ الفاضل محمود مصطفى أستاذ الأدب بكلية اللغة العربية احدى كليات الجامعة الأزهرية بنشر هذا الكتاب النفيس الذى ألّفه قاضى الموصل يوسف البديعى المتوفى سنة ١٠١٣ مؤلف كتاب « الصبح المنبي عن حيثية المتنبي » الذى يعتبر من أنفس ما كُتب عن هذا الشاعر . وقد قام الأستاذ الفاضل بتعليق الحواشى على كتاب « هبة الأيام » مع الشرح والنقد وتحليل ما ورد به من شخصيات والافاضة فيما أُشير اليه من تاريخ وأدب ، وقام بضبط الشعر المروىّ

والمفاضلة بين رواياته . وقد حدا به الى إخراج هذا الأثر النفيس من مخطوطات دار الكتب المصرية أنه رأى أن طريقة المؤلف فى كتابه هذا وفى كتابه عن المتنبي « هى الطريقة المثلى فى دراسة الأدب القديم التى يتفق فيها القارىء بين أفنان القول ويستجلى من أنوار الأدب ما اختلفت ألوانه ويتشمَّم من عبيره ما تنافست فى الطيب نفحاته ، فهو ينتقل بالقارىء من خبر مستطرف الى معنى مستظرف » فالمؤلف قد بنى كلامه فى هذا الكتاب « على شرحٍ لحياة الشاعر الخالد أبى تمَّام ، فعرض على القارىء برداً يمانياً كثير الطرائق مطرز الحواشى » .

ولننقل للقارىء صورتين من هذا الكتاب احداهما للمؤلف والأخرى للناشر يناقش الثانى فيها الأول فى فهم معنى « غيور » فى قول أبى تمام :

لئن أرقأ الدمع الغيور وقد جرى ... لقد رويت منه خدودٌ نواعمُ

فالمؤلف يقول: « ولما ولى ابن أبى دؤاد المظالم قال أبو تمام يمدحه ويتظلم اليه:

ألم يأنِ أن تُروَى الظماء الحوائمُ ... وأن ينظم الشملَ المبدَّدَ ناظمُ ؟

لئن أرقأ الدمعَ الغيورُ وقد جرى ... لقد رويتْ منه خدودٌ نواعمُ

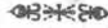
كما كاد ينسى عهد ظمياء باللوى ... ولكن أملّته عليه الحمائمُ

يقول لئن أرقأ دموع أحبتنا مخافة الرقيب الغيور لقد رويت خدود الأحبة من الدمع . وظمياء اسم جارية . يقول نسيت هذه الجوارى عهدنا كما كدت أنسى عهد هذه الجارية حين سمعت الحمائم تترنم فذكرنى الهوى وأملت علىّ ما كنت نسيته لحفظته » .

ويقول الناشر فى مناقشة المؤلف : « فهم المؤلف « الغيور » بمعنى الرقيب فاضطرب عليه المعنى لأنه جعل الباكى فى الحالين من الحبائب ثم جعل فاعل ينسى فى البيت الذى بعده للمحب ولم يتقدم له ذكر ، ولكننا نفسر تفسيراً آخر يتفق ومنهج الشعراء فى كلامهم ويساوق لفظ الأبيات من غير حاجةٍ الى تأوّلٍ أو تعسف فنقول الغيور هنا المحب ولا تكون الغيرة الا نتيجة لشدة الحب وتناهى الكلف ، وأرقأ الدمع رد غربه ، وأمل الكتاب أملاه . والمعنى إن ارعوى المحب عن البكاء فان المحبوبة بكت طويلا حتى ارتوت خدودها الناعمة فكان ذلك أدعى لشدة تعلقه بها كما كاد ينسى عهد تلك المحبوبة المسماة ظمياء ، ولكن بكاء الحمام ذكره بالحب وأملى عليه ما كان نسيه وحاول التخلص منه » .

هذا النموذج من الكتاب يدلّ على دقته تأليفاً وتعليقاً ، مما يهيء له مكانته في نفوس القراء ومما يشجع على ابراز محاسن الأدب العربي مجلوة في مثل هذا الثوب القشيب من الدقة في البحث والاستقصاء ؟

حسن كامل الصيرفي



الحديقة

مجموعة أدبٍ بارعٍ وحكمةٍ بليغةٍ وتهذيبٍ قوميّ ، جمعها ووقف على طبعها محب الدين الخطيب ، الجزء الثاني عشر ، ٢٨٨ صفحة بحجم ١٦ × ١٥½ سم . طبعت بالمطبعة السلفية بشارع اللبودية (درب الجماميز) بالقاهرة . الثمن خمسون مليماً

صدر حديثاً الجزء الثاني عشر من هذه المجموعة الأدبية التي تؤلف « مكتبة الجيب» وهي جامعةٌ للكثير من طرائف الأدب والحكمة نثراً ونظماً من أقلام المشهورين وغير المشهورين ، فهي مكتبةٌ مدرسيةٌ تهذيبيةٌ من الطراز الأول . وجامعها الفاضل من أشهر أدباء العربية ومن أعلام المسلمين المصلحين ومن أخلص أنصار العروبة . ومَنْ منا ينسى جهوده في مجلة (الزهراء) الأدبية وفي مجلة (الفتح) الاسلامية وسعيه لتأسيس حركة (جمعية الشبان المسلمين) ؟ ولا عجب بعد هذا إذا أجرى إهداءه لهذا الجزء من الحديقة بالسطور الآتية :

«من أهم ما يحتاجُ اليه الناطقون بالضاد في حياتهم الأدبية والقومية أن يكون لمفاخرهم ديوانٌ شعريٌّ عظيم يتغنى بأمجادهم ويترجم عن مواطن العظمة في يومي سعدهم وبؤسهم وفي موقف نصرهم وانكسارهم وفي صفحات استعمارهم بلاد الناس واستعمار الناس بلادهم . إن العظمة التي واجهها هوميروس لما نظم الالياذة ، أو التي واجهها الفردوسيّ عند ما نظم الشاهنامة ، لا تُعدُّ شيئاً مذكوراً في جانب العظمة التي يواجهها الشاعر العربي البليغ اذا أراد أن يدوّن صفحات العظمة والمجد في تاريخ العرب والاسلام . ولقد كنت حريصاً على أن يكون هذا العملُ المجيدُ من نصيب أمير الشعراء شوقي ، وسعينا لذلك أكثر من مرة ، ولكننا أردنا وأراد الله غير الذي

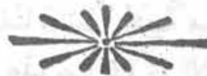
أردنا ، لأنه ادّخر هـذه المأثرة الكبرى لشاعر آخر لا يزال اسمه محجوباً عنا وراء سُجف الغيب . فالى الشاعر الذى اختاره الله لكتابة إلياذة العرب أهدى هذا الجزء من حديقتى » .

والكتابُ جامعٌ حقيقةً لأزهار ورياحين كثيرة متنوّعة الألوان والعبير ، ونصيبُ الشعر منها غيرُ يسيرٍ . وأقول فى اخلاصٍ إنّ « مكتبة الجيب » هى مكتبةُ المدرسة أيضاً ، وانها قمينةٌ بالذّيوع بين طلبة المدارس الثانوية وطالباتها فى العالم العربى ، لما أعرف أفضلَ منها مجموعةً للتدريب على الانشاء المهذّب وعلى بثّ روح الفضيلة العربية ومآثر التاريخ الاسلامى . ولعلّ من خير ما تضمنته من الشعر هذه المقطوعة بعنوان « شاعر متعفّف » وهى من نظم شاعر مصر الشهير أحمد محرّم . قال لا فُضّ فوه :

أيريبُ عينَكَ أن ترانى كالذى ... سقطَ الجرادُ فغالَ ناضرَ غَرسِهِ ؟
أو كالذى صحبَ السنينَ ، فبعضُهُ ... عانى الحياةِ ، وبعضُهُ فى رَمْسِهِ ؟
ما ذا تظنّ بشاعرٍ متعففٍ ... لا يَسْتعزُّ بأمةٍ من جنسِهِ ؟
المرء يُسألُ عن عوارفِ علمِهِ ... وأراهُ يُسألُ هاهُنا عن فَلسِهِ
أرِنى أديباً صافحتْ يدَهُ الغِنى ... أوْ فاضلاً صَدَقتْ أمانى نفسِهِ
إصبرْ إذا دارَ الزّمانُ بسىّءٍ ... فعساه يوماً أن يدورَ بعكسِهِ
لو أنّ دهرَكَ دامَ طالعُ سَعْدِهِ ... فى العالمين لدامَ رائعُ نحسِهِ

وقد اعتادت المطبعةُ السلفيّةُ ومكتبتُها أن تُصدر سنوياً جزءاً أو جزءين من « مكتبة الجيب » هذه ، وما من شكٍّ فى أنها أهلٌ للتشجيع الكبير من المعاهد الدراسية خاصةً ومن الأدباء عامةً ؟

زينب الرّوبى



نقد وتعليقات

فى الشعر الجديد

زعمَ أحدُ شعراء الشباب فى جريدة (الوادى) أنّ أقصوصتنا الشعرية الاجتماعية (عبده بك) هى أقصوصة غثة عديمةُ القيمةِ . فأما عن قيمتها التهذيبية فى دائرتها الاجتماعية فغيرُ خافيةٍ على أىّ منصفٍ ، وقد أشار الى ذلك غيرُ واحدٍ من النقّاد المستقلين وأما قيمتها الفنيةُ ففى ترويض الشعر العصرى على الذوق المصرى الصرف فى أسلوب كلامى عرفه النثرُ الحديثُ وما زال يُحرِّمُهُ النظمُ بسبب تهيُّب الشعراء ، كأنما حتمٌ عليهم أن يكونوا مقلدين للأساليب القديمة وللروح الكلاسيكية ، وكأنما محرّمٌ عليهم أن يأتوا بشىء من القصص الشعبىّ كما فعلنا فى هذا النموذج ، فان فعلوا تعرّضوا لأمثال هذه النعوت المنتقصة التى تُكال لنا !

ومتى يؤمن الشعراء بأنّ الفن يجب أن يكون خالصاً للدواعى الفنية واعتبارها ، لا راضخاً لدكتاتورية النقاد ولا لأهواء الجمهور ؟ ومتى يقدّر النقّاد أن عناية الشاعر بالأدب الشعبى مرةً أو مرات ليس معناها عجزه عن الشعر الانسانى العالى أو عدم حفاوته به ، فان نفسية الفنان تتطلب التنويع ، كما أن الفنان ينظر الى جميع آثارهِ كوحدةٍ كبرى .

وزعم حفظه الله أننا من الداعين الى عبادة الأصنام وأننا بين هذه الأصنام ، ولسانُ الانصاف يقول إنه لا يوجد أديبٌ حاربَ هذه العادةَ المرذولةَ فى مصر كما حاربناها ، وأننا نؤثر دائماً أن نكون عاملين كالجندىّ المجهول فى الجيش الزاحف حتى ولو حملنا له العلَمَ .

ثم حار جنابُه فى كثرةِ تآليفنا وإنتاجنا وأن يخلقَ كلُّ هذا مدرسةً جديدةً تُعنى بأدبنا وأدب زملائنا ودراسته ، وأن يكون لنا نصيبٌ وافرٌ من النقد الفنى المستقلّ ، وأن تنشأ من تواليفنا مكتبةٌ أدبيةٌ مستقلةٌ كما قال الكاتب الناقد أحمد الصاوى محمد — حار مِن كلّ هذا ومن التآزر الأدبى والفكرى بيننا وبين مريدينا وتحمسهم لأدبنا ، فراح يطعن فى ذوقهم وذوقنا وراح يدّعى أننا من أهل الرأسمالية

الذين يشترون الأمداح ، الى آخر هذا الهذر ! ولو كان عقلهُ فى رأسه لفهم ظروفنا المالية القاسية ولأدرك أننا من أبعد الناس عن الرأسمالية وأننا لم نعرفها فى حياتنا بل اننا عشنا دائماً عيشة الاستقلال والكفاح فى شبهِ عصاميةٍ . وبديهىٌّ أن كلَّ هذا التهجُّم علينا ليس من النقد الفنى فى شىء ، فاذا ما استحال الى شىء من ذلك القبيل رأينا صاحبنا ينتقد بيتاً فى قصيدة « الربّات الراقصات » (أبولو ، م ٢ ، ص ٤٩٦) وهى من شعر التصوير الذى لن يفهمه مثلُ صاحبنا الناقد ولو تأمَّل سنين فى الصورة الفنية المصاحبة للقصيدة . وأمّا البيت الذى ينقده فهو من صميم الصورة فنقده نقد لذوق الفنان المصوّر وللقصة الميثولوجية ذاتها ، وقد عالجناها فى شعر موسيقى لاغبار عليه ، فقلنا فى أول قصيدتنا :

رقصنَ ، ورقصةُ الربَّاتِ معنى من الالهامِ يجهله التمنى
تثنَّين انسياباً واجتذاباً فأنطقن التجاوبَ والتثنى
وغنَّينَ الحياةَ جديدَ لحنٍ فصيَّرنَ الحياةَ جديدَ لحْنِ
وقد ركعَ الالَه (خنومُ) عبداً يُطبِّل والجمالُ له يغنى
تراه شبيهَ مذهولٍ قريرٍ على ظنٍّ يداعبهُ وظنِّ

والشاهد النقدى فى البيت الرابع ، أمّا النقد الذى يريده فلم يستطع أن يلفظ به والصورة الفنية المصاحبةُ للقصيدة تردُّ كلَّ نقدٍ من هذا القبيل عن هذا الشعر الدقيق الصادق . وألفاظه هى ما يتطلّبها الموقف تماماً وليس فيها ما يُعاب الاّ فى عُرف أهل النعومة المتحذلقين ولو أفسدوا الفنَّ افساداً بالمداورة والتصنّع اللفظى .

***

نقد الشفق الباكى

ثم يتّجه النقدُ إلى ديوان (الشفق الباكى) ولكنه نقدٌ غير رفيع ولا فن فيه ، ومع ذلك فلنمتحنه فلعلنا نستفيد منه بعض الفائدة ، ولعلنا نفيد بالتعليق عليه .

يرى الناقدُ الفاضلُ أن قصيدة « النهضة إرادة » — اولى قصائد الديوان — خربة أو أن مطلعها خراب ، ويُسْرف فى انتحال الأسباب والتفاسير ! ونرى من

الواجب نشر القصيدة المنتقدة ثم نعلق على هذا النقد ليعرف القراء ذوق الناقد الذي يقال إنه يعبر عن رأي فريق من الأدباء السكندريين . واليك نصّ القصيدة :

وطني ! لحسنك ما نظمتُ جواهرا وبفضل وحيك أن أعدّ الشاعرا
أُسقيتُ فيك هواي منذ طفولتي وخلقتَ وجداني هُدًى ومآثرا
وشقيتُ من حُبي فكنتَ مُعللي ونقمتُ من جبلي فكنتَ الغافرا
فعليّ حقٌّ أن أفيك مبرّةً وأنا الشكورُ وإن لحتُكَ شاكرا
عهدي : بياني لن يُسخَّرَ ضلةً للعابثين ولن تكون الخاسرا
أبداً يرفّ بحكمةٍ وبرحمةٍ تهدي الأنامَ ولا تخيّبُ عاثرا
وأظلّ أدأبُ في سبيلك ناشراً مَوْتى الارادةِ مُسْعِفاً ومحرّرا
والناقدون بلفظهم وبنحوهم يلهون لا يدرون حِسّاً قادرا
والشاعرون ينمّقون بيوتهم عبثاً ، فلا يُحيون بيتاً عامرا
جهلوا الحياةَ بأصلها ومجالها فتسابقوا وهماً يُميت الخاطرا
ولو انهم درسوا الحياةَ حقيقةً وصفوا الحياةَ نتيجةً وعناصرا



وطني ! صفحتُ عن الهنات كثيرةً أمّا الارادة فهي تخلقُ كابرا
والشعبُ إن تخذَ الارادةَ عُمدةً قتلَ الزمانَ إذا تهجّمَ صابرا
الجهلُ أَوْلى أن يكون شِعارَنا من أن يُضيعَ العلمُ حزماً وافرا !
فاذا التمستَ من الارادةِ قوةً فلقد كُفيتَ مدافعاً وذخائرا
وبنيتَ بالصبرِ الحصينِ معاقلاً ورفعتَ من أسّ الثباتِ منابرا
اوسخرتَ حولك بالصعاب تدوسها حتى تهون فلا تردّك صاغرا
ليس الحماسةُ غير مبدأ نهضةٍ أمّا الارادةُ فهي زادُك آخرا

هذه هي القصيدة التي تحاشى الناقدُ أن ينشرها كاملة — برغم إيجازها — حتى لا يشعر القراء بوحدتها الفنية وبارتباط أبياتها ومعانيها وبروحها الوجدانية الوطنية

الشاملة ، ثم أخذ بعد ذلك يتلاعب بمرامي ألفاظها ذلك التلاعب الذي لا يصعب على أيّ متنطّعٍ أن يشوّه به جمال أي شعر، ولكنه تشويه لا ينطلي إلا على السطحيين .

فهل صحيحٌ مثلاً أن الشاعر الذي يعترف بفضل جمال وطنه ووحيه على شاعريته لا وطنية عنده وانما يُعنى بجمال الوطن فقط ؟ أرأيت مغالطة أبعد من هذه ؟ أليس البيت الثاني متمماً ومفسراً للبيت الأول ؟ وهل صحيح أن كلمة « الشاعر » تعني أنه لا شاعر غير صاحب الديوان في مصر ؟! وهل يوجد أديبٌ متذوّقٌ للشعر العصري يحتم قصر كلمة «الوحي» على الالهام الرباني ؟! وهل استعمال كلمة « أُعَدّ » في مطلع القصيدةِ معيبٌ حينما الشاعرُ يريد أن ينسب مواهبه الشعرية الى جمال وطنه ومحبته الموحية اليه ؟ أهذه وداعة أم غرور كما يقول حضرة الناقد ؟ وهل الناقد الذي يجهل أو يتجاهل سيرة الشاعر منذ صباه يجوز له أن يسخر من مثل هذا البيت :

وشقيتُ من حبي فكنتَ معللي ونقمتُ من جيلي فكنتَ الغافرا

مع أنه لو ألمّ بترجمة حياته لما وجد أيّ مجال للحيرة ؟ فهل له أن يفهم الآن قيمة الدراسات النقدية والشروح للشعر من مُريدي الشاعر ؟

ويعجب ناقدنا العزيز من عدم ظهور الفتحة بعد «أن» على الفعل في قولنا :

فعليَّ حقٌّ أن أفيكَ مبرّةً وأنا الشكورُ وإن لحتُكَ شاكراً

مع أن شواهد ذلك كثيرةٌ في الشعر ، لأنّ (أن) هنا مهملة حملاً على المصدرية ومن أشهر الشواهد على ذلك قول ابن الدمينة (١)

ولي كبدٌ مقروحةٌ مَنْ يَبيعني بها كبداً ليستْ بذاتِ قروحِ
أبى الناسُ ـ ويحَ الناس ! ـ أن يشترونها ومَنْ يشترى ذا علةٍ بصحيح ؟ !

وهل يأثم مَنْ يشكر لوطنه بِرّه به ، وإن وجَدَ هذا الوطن شاكراً له وفاءه ؟ ! وهل مَنْ يعبر هذا التعبير يستحق أن يوصف في الصفحة الأدبية لجريدة محترمة (كالوادي) بأنّ مِن طبعه « عدم العرفان بالجميل واللؤم ... » (كذا) ؟! وأين الخطأُ اللغويّ في استعمال كلمة « لحَ » يا هذا وهي تُشعر بأنّ مجرد النظرة الخفيفة كافية لتبين شكران الوطن لوفاء الشاعر ؟ أرأيتَ مبلغ عجزك في البيان بالرغم من أساليبك العتيقة في النقد ؟

(١) أنظر كتاب (الضرائر) للألوسيّ ص ٢٧٤

لو تلففتَ فى كساء الكسائى   وتفرّبتَ فروةَ الفرّاء

لأبى اللهُ أن يعدّك أهلُ الـ   ـعلم الاّ من جملةِ الاغبياء !

ثم ماذا ؟ ثم تشاء بطولةُ الناقد أن يزجّ بنا فى ميدان السياسة مدّعياً أننا كنا بمدح سياسة اسماعيل صدقى باشا ، وهذا من التزوير بمكان : فليست لنا بدولة صدقى باشا غير علاقة مودة عائلية قديمة كما أن لنا نفس هذه العلاقة بدولة النحاس باشا وبدولة زيور باشا وبالمغفور له سعد زغلول باشا . وليرجع القراء الى ما كتبناه فى هذا الشأن بعدد ا كتوبر سنة ١٩٣٤ فى مجال الكلام عن « الشعر والسياسة » (ص٢٧٦) وما نشرته مجلة (الامام) فى عددها المؤرخ ١٥ أكتوبر الفائت ، ولعلّ فى ذلك الكفاية لصفع هذا المتخرّص وأمثاله من المتاجرين بالوطنية على حسابنا . ولا ندرى لماذا لا يحاسب هذا المضلّلُ دولةَ النحاس باشا مثلاً على امتداحه لدولة محمد محمود باشا بعد ما صدر من الأخير ضدّه وضدّ الحياة الدستورية منذ سبع سنين مما لا تزال له عواقبهُ ... ولكن ما لنا وللسياسة ، قاتلها الله ! أمّا نحن فلم تُعرَف عنا كلمةٌ واحدةٌ ضدّ الوفد ولا ضدّ الديمقراطية المصرية ، بل على العكس ليست لنا الا وجهةٌ قوميةٌ خالصةٌ تأبى أن تخلط بين الأدب والعلم والسياسة ، وحسبنا ما اخترناه من ميادين لخدمة وطننا . فهل من النبل مثل هذا التشكيك فينا والتحامل علينا وعلى كلّ مَن يأبى أن يكون آلة من آلات السياسة ؟

ولنعدْ الى النقد الأدبى الذى يتبرع به صاحبنا فهو لا ترضيه كلمة « ترفّ » فى البيت السادس مع أنها تشعر بالحياة فى ذلك الشعر ؛ فانّ « رفّ » هنا بمعنى « لمع » ، وغير صحيح أن هذه الكلمة مقصورة على الطائر !

ويستنكر الناقدُ مرةً أخرى إدخالَ أداة التعريف على كلمة « الخامر » ، فى حين أنّ الخطاب بين اثنين والسياقُ يدعو الى ذلك ، كما يستنكر قولنا « تهدى الأيامَ ولا تخيّب عاثراً » فيقول خيّبهُ الله انّ معنى ذلك أنها تساعد العاثر على عثرته ! ومثل هذا الفهم لا يفهمه الاّ كلُّ ذهنٍ مريضٍ ، فكلمة « خيّبَ » معناها لم ينله مطلوبه . وهل مطلوب العاثر زيادة عثرته أم إقالته يا حضرة الناقد الحصيف ؟

وأما عن استنكارنا من قديم عبثَ النقاد اللفظى فأمرٌ يبرّره الواقع الى الآن ، وحسبنا مثال ناقدنا الفاضل الذى تفسح له جريده (الوادى) صفحتها الأدبية

بارتياح عظيم ، كذلك استنكارنا لشعراء التنميق والعبث وإن لم يبلغ حضرة الناقد حتى منزلة هؤلاء .

ولا يستطيع صاحبنا أن يفهم العبرة النفسية من قصيدة « النهضة إرادة » فيروح يملأ أنهار (الوادى) بعجائب اعتراضاته على ما يجهله . لا يفهم صاحبنا أن فقدان « الارادة » الشعبية هى كبرى المصائب ، فالهنات والعيوب الكثيرة تُحتمل وتغتفر وأما ضياع تلك « الارادة » الشعبية للنهضة فمعناه الانتحار ، ولا قيمة للعلم بجانب ذلك الانحلال .

وينتقد صاحبنا الجاهل باللغة استعمالنا كلمة « أضاع » ويؤثر عليها كلمة « ضيّع » مع أن كلتيهما مستعملة فى لغة التخاطب وفى لغة الكتابة ، ولا معنى لهذه الحنبلية . وأنى لمثله أن يعرف قول العرجي :

أضاعونى وأىّ فتى أضاعوا ليوم كريهةٍ وسدادِ ثغرِ !

ويُزهى ناقدنا الهمام بعثراته هذه فينتقل الى نقد مقطوعة « اضطهاد الرأى » ، واليك نصّها :

أسفى على عهدٍ به يَجْنى الجبانُ على الجريحْ
ويَسومُه أقسى الهوا نِ فيُقتلُ الخلُقُ الصحيحْ
باسمِ السياسةِ حُلِّلَ الـ إجرامُ والعيشُ القبيحْ
حتى تَبرَّأ كلُّ ذى فضلٍ من الفضلِ الصَّريحْ
كيما يَصونَ حياتَه كيما يُريحَ ويَستريحْ
أسفى على عهدٍ به إنكارُ بطرس للمسيحْ(١) !

وصاحبنا الواهم المغرور يقول إنه كان الأَوْلى بنا تغيير القافية حتى نقول بدل ذلك :

أسفى على عهـــــدٍ به يَطْغَى القوىُّ على الضعيفْ

---

(١) تظاهر الرسول بطرس بانكار علاقته بالسيد المسيح اتقاء للاضطهاد ، وقد نُظِمَتْ هذه الأبيات لمناسبة «الحركة الانكارية» الاضطهادية فى أوائل سنة ١٩٢٥

أو :

أسفى على عهـــــدٍ به يجنى الكبيرُ على الصغيرْ

أو ابقاءها مع القول :

أســـفى على زمنٍ به يجنى الطغـــاةُ على الصريحْ

ولو أنه راجعَ حوادث سنة ١٩٢٥ الاضطهادية لأغنته عن شروحٍ لا يسمح بها مبدأ هذه المجلة ولما تقدَّم بذلك التعديل السخيف .

ويتهم البيت الثانى بالركاكة وهو تمحل نقدى قديم عندالعاجزين ، وأما القول بأن الجبان لا يسىء إلى جريح فكلام مردود ، فذلك عين الجُبن وعينُ الجبن فى أساليب السياسة خاصة . وناقدنا الغيور على اللغة يحدثنا فى عباراته المفككة عن النسر « المهاب » ولا نعرف نحن نسراً مهاباً وانما نعرف النسر « المهيب » أيها المعلم ! وقد شبهنا سعد زغلول باشا بالسيد المسيح ، وشبهنا أحد كبار رجالات الأمة الذين اضطرّوا الى التخلى عن الزعيم الأكبر بالرسول بطرس ، ولكن ناقدنا الهمام لم يفهم شيئاً من هذا ، أو سمحت له ذمته النقية بالمغالطات الفاحشة متجاهلاً شعر ديوان « الشعلة » وفيه ما فيه من الدفاع الحار عن الديمقراطية كما فيه ما فيه من المؤاخذة لدولة صدقى باشا فى حدود النصيحة القومية الخالصة يوم كانت لدولته ثائرة على الزعماء ـ أنظر قصيدة « الزعامة » ص ١٠٧ من ديوان « الشعلة » الذى صدر فى عهد حكمه وفيها نقول :

إنَّ الزعامةَ للتداوُل دائماً ومِنَ الرجاحةِ أن نُذيعَ صلاحَها
يتراشقُ الزعماءُ ، لكنْ فى غدٍ يتصافحون ويطلبون سماحَها
فكنْ الجرىءَ وللمروءةِ صافحاً وكنْ الزعيمَ مبدّداً أتراحَها
يتناوبُ الزعماءُ فضلَ قيادةٍ لكنْ تضافرُهُم يُعزّ سلاحَها
ليس التآلُفُ غيرَ برءِ جراحِها حين التحزُّبُ يستثير جِراحَها

فهل هذه أبياتُ رجلٍ متحزّبٍ لصدقى باشا أم صيحةُ وَطنىّ غيورٍ على الكرامة القومية والوحدة الوطنية وعلى كرامة الزعماء جميعاً أيها المزوّدون ؟ !

وهل جرأ شاعرٌ آخر على أن يؤاخذ صدقى باشا على حزبيته وتحامله كما

آخذناه نحن وهو فى إبّان مجده وسطوته ؟ ! ولكنكم تعدّون من أسمى الفضائل أن لا تعرفوا الخجل ، فمن العبث كلّ العبث أن نناقشكم مناقشة جدية يا أقطاب التلفيق !

« • »

يدّعى بعضُ المتطفلين على النقد أن أروعَ الشعر هو الشعر الذى يوحيه الشرابُ وأن الخمر من أهم ملهمات الشعر ، وغالى أحدُ المتحاملين منذ سنوات فزعم أن صاحب (الشفق الباكى) أبعدُ الناس عن الشعر لأنه بعيدٌ عن الخمر ! فكان هذا الحادث موحياً لمقطوعة «الخمر والشعر» فى ديوان (الشفق الباكى) — ص ٩٠ — التى يدّعى ناقدنا المتحمس انه لم يفهمها وأن لديه جائزة ثمينة لمن يفسر له معناها ... ولو أكبَّ هو وصحبُه على دراسة ما ينقدونه وظروفه وملابساته قبل التورّط فى النقد (وهو الذى يجب أن يكون آخر مراحل الأدب بدل أن يكون أوّلها) لأنصفوا النقد وأنصفوا أنفسهم وغيرهم ، ولكن ما الحيلة ومعظم صحفنا الأدبية تضع أنهارها تحت تصرف كل ناقدٍ بغضّ النظر عن مؤهلاته حتى أصبح كل من يحمل اليراعة يتخيل أنه سينتسبرى أو أناتول فرانس ؟ !

ومن العجيب أن ينكر علينا ناقدنا المتحذلق بعض كلمات تجرى فى شعرنا ويشاركنا غير واحد من الشعراء والكتاب فى استعمالها ، وهذا ما ينتظر ممن يبحث عن القشور دون اللباب . والأسخفُ من هذا أن ينكر علينا قولنا «الأمّ الطبيعة» بحجة أن هذا تعبير انجليزى كأنما هذا ينفى انسانيته ! ويقضى التمادى فى السخف أن يقول صاحبنا هذا إن كثيراً من كلماتنا مما استعمله شاعر انجليزى ويسمى هذا سطواً ، كأنما الرجل الذى يستوعب الأدبَ الانجليزى ويعيش فى انجلترا أحدعشر عاماً ويحرر مجلةً فيها مُحَرَّمٌ عليه أن يجمع بين الذوق العربى والذوق الانجليزى فى التعبير ! وانّ من الواجب اغفال ذكر (الطبيعة) من شعرنا بالغاً ما بلغ حبُّنا لها حتى نبرهن له ولأمثاله أننا غيرُ متصنعين !

ويعجب صاحبنا كيف يستمد الشاعر شعره « من كلّ ما يدريه» أى من تجاريبه ومعارفه وشؤون الحياة جمعاء ، ولا نعرف وجهاً للعجب إلا أن يكون الشعر عند ناقدنا وصحبه صناعة كتابية فحسب ! ولكن المسألة ليست مسألة عجب ، بل هى مسألة انتقاص رشتيمة باسم الأدب ، ولو فى صحيفةٍ يرعاها أديبٌ كبيرٌ كالدكتور طه حسين ... بيد أننا آثرنا الاكتفاء بمناقشة الآراء الفنية أو شبه الفنية متسامحين

تسامحَ الكرام ازاء الانتقاص والشتيمة ، حتى يرى القراء مبلغَ الوهم والغرور والجهل الذى يدين به أمثال هذا الكاتب ، وكيف تغرر بهم الصحف ثم كيف يغرورنهم بها !

لا نفهم كيف ينصب أيُّ انسانٍ نفسه للنقد الأدبيّ وهو لم ينضج بعد فى ملكاته الأدبية وليس له من الخبرة والاطلاع ما يؤهله لشيء من ذلك ! ثم كيف يُرضيه ضميرُه أن يكون فى موقفِ الحكم وهو من البداية متحيزٌ ضدّ الأديب المنقود ؟ فالعيبُ هنا ليس عيباً أدبياً فقط بل هو عيبٌ خلقى كذلك .

يدّعى هذا الناقد الفاضل أن أبيات « قلم الفنان » (ص ٩١ من « الشفق الباكى ») الموجَّهة الى أستاذنا مطران قد جاءت بعكس ما نريد ويتفنن فى المغالطة شرحاً لأبياتها الناصعة البيان ! وحسبنا أن مطران نفسه قدّرها التقدير الصحيح (انظر رسالته ص ٩٢) فمثله يعرف مدلولات ألفاظنا واشارات شعرنا ، واذا كان يلومنا على شيء فهو لردّنا على مثل هذا العاجز ، ولكننا لا نردّ عليه وحده بل نشمل بردّنا مَنْ يستترون خلفه حتى نُظهر إفلاسَه وإفلاسَهم وحتى نسجل للتاريخ الأدبى صُوَرَ التيارات النقدية السخيفة التى تشجعها الصحف المصرية هدماً للأدباء المستقلين .

معقولٌ أن تتضاربَ الآراءُ فى الترجمةِ لكثيرٍ من الشعراء المتقدّمين وأن تصدر عن بعض النقاد أحكام نابية فى حقهم نظراً للشقة الواسعة من السنين التى تفصل بينهم ، ولكن من غير الجائز أن يتصدّى للبحث فى كيفية نظمنا أديبٌ يعاصرنا ولا يختلط بنا فيأتى بشروح وأحكام خرافية عجيبة دون أن يستحى ! وهذا ما فعله صاحبُنا الناقد حتى قال سامحه الله إننا نتغزل فى صور الكارت بوستال ونأتى بصورة بيت فنسميه « جنة النحل » !! أرأيتَ إسفافاً بعد هذا ؟! ومع ذلك تفسح له جريدةٌ محترمةٌ كجريدة (الوادى) صفحتها الأدبية بملء الترحيب بقدر ما تقفلها فى وجهِ كلّ مدافعٍ عنا وآخر من أبلغنا ذلك الشاعر أحمد مخيمر !

لسنا نحن أيها الناقد العزيز الذين نلهو بصور « الكارت بوستال » فأنت أدرى منّا بهذا الطراز من الأدباء ، وما مِنْ رسمٍ فنىّ ٍعُنينا به الاّ وكانت له كلُّ الجاذبية الفنية لنا وكأنما هو حىٌّ مجسَّمٌ أمامنا يوحى ويُستوحَى ، وملاحظاتك انما هى دليلُ جهلك بمعنى شعر التصوير ، فحبذا لو رجعتَ الى قصيدتنا فى هذا الموضوع

(ص ٢٤ من ديوان « الشعلة ») وأما عن صُورة « جنة النحل » (ص ١٠٦ من الشفق الباكى) فهى تمثل مَشهدين من أجمل مشاهد زيلاندا الجديدة المعدودة جنة النحل ، ولكن ماذا نقول فى ذكائك الخارق وفى غباوتنا أيها العزيز ؟ !
وأما عن كثرة الانتاج كيفما كان فنحن أبعدُ الناس عن اعتبارها ذات قيمة فى تقدير الأدب والأدباء ، وقد صرّحنا بهذا المعنى تكراراً ، فلا معنى للمغالطة فى ذلك .

وراءك وصحبك أيها العزيز تجهلون حتى معانى اللام الجارة التى تأتى فى محل (فى وعنْد وبَعْد) ، ولكن ماذا نقول والذنب ليس ذنبكم وانما ذنب الصحف التى تغرّر بكم وتغررون بها ؟ ! وماذا نقول فيمن يقرأ مقطوعتنا عن « الله » (ص ١٤٢) فلا يدرى مَرجع الضمائر ويتخبط فى تفسيره وهو أجهل الناس بالتصوُّف ومَراميه ؟ ! وماذا نقول فيمن يحار لمخطبتنا أسطورة « روح الموسيقى » واستحضاره أمامنا وتمثيل ذلك المشهد فى الشعر ؟ وماذا نقول فى مَنْ يرى أسطورة « إلـهة الجمال » (ص ١٦٣) وشعرها مثالاً للعجز والسقوط ، والاشباعَ فى حركتين منكرا ، ناسياً النماذج الكثيرة التى من هذا القبيل فى الشعر العربى قديمه وحديثه على السواء ؟ ! وماذا نقول فيمن يَعيب سياقَ الحديث فى الشعر القصصى ، وهو المجال الطبيعى لسياق الحديث ؟ ! وماذا نقول فيمن يؤاخذنا لتفسير كلمة « الدرَّاجة » وهو يعلم أن غرضنا يلتبس عند من يقرأ قصيدة « راكبة الدرَّاجة » (ص ١٦٦) مِن قرائنا فى بعض الأقطار العربية النائية التى تعرف البسكليت بغير هذا الاسم ؟ وماذا نقول فيمن يقرأ مستهلَّ هذه القصيدة :

يا غادةً تَركبُ فى خِفَّـةٍ محسودةٍ لولا رشيقُ القوامْ !

فيتعثر من فوره ويسحقه الغباء فلا يفهم أنَّ فى البيت اطراءً مزدوجاً : وهو أنَّ خفتها مما يُحسَدُ لولا أنَّ قوامها الرشيق صار أجدر بذلك الحسد ؟ ! وماذا نقول فيمن يدَّعى أن البيت الثانى فى قولنا :

أتْعبْتِ ساقَيْكِ بلا مُوجبٍ يا حُسْنَ ساقيْكِ بوثبٍ يُرامْ !
هلاَّ تَسنَّمتِ ظهوراً لنا فكلّنا يحملُ عِبْءَ الغرامْ ؟ !
حَمْلُكِ مِن أحلى ثمار الهوى و « عِبْئُكِ » البِرُّ يُداوى السقامْ !

معناه دعوة هذه الحسناء الى ركوب ظهر الشاعر بدرّاجتها ؟ ! أيجوز أن يوجَد اسفافٌ فى النقد بعد هذا مع ادّعاء افساد الوزن لدى جاهلٍ بفنون الشعر والنظم ؟ !

« ٥ »

كان من جراء تغلغل السياسة فى الأدب وسيطرتها عليه ومحاباة المشتغلين بها أن ظهرت خرافات كثيرة فى الأحكام والملاحظات النقدية واتسعت دائرة الفوضى. وزاد هذه الفوضى اتساعاً أن الصحف فتحت أبوابها من غير حيطةٍ لتطفل الكثيرين من المتأدبين المتبرعين، وفرحت هذه الصحف بذلك مادام هذا يوفّر عليها النفقة لاستكتاب الأدباء القديرين، وحسبها أن تتظاهر بأن لها صفحات أدبية خاصة!

وكان تبعاً لذلك أن ازدانت تلك الصفحات «الأدبية» بأقبح النعوت لجمعية عاملة غيورة كجمعية أبولو يتقدم أعضاءها أمثالُ خليل مطران واحمد محرم والدكتور ابراهيم ناجي ومحمد الهمياوى واحمد الشايب والدكتور زكى مبارك والدكتور رمزى مفتاح وحسن كامل الصيرفى وخليل شيبوب ومصطفى عبد اللطيف السحرتى وعبد العزيز عتيق وسيد ابراهيم وأندادهم. وكان تبعاً لذلك أن الجمعية تغرّر بالشباب لأنها لم تقبل فى عضويتها سوى عددٍ محدودٍ منهم مكتفية لهم بالانصاف الأدبي العام، رافضةً لهم ولغيرهم ألقاب «الاستاذية» وأمثالها التى يمنحها غيرُها حتى لطلبة المدارس! وكان تبعاً لذلك أن يتقوّل عليها وعلى هذه المجلة الكائدون الأنانيون فى الوقت الذى نحرص أشدّ الحرص على الكرامة والاخلاق واستقامة المبادىء! وكان تبعاً لذلك تحريفُ أقوالنا والتخريجُ المعكوسُ فى تفسيرها والمغالطة فى شرحها واتهامنا بمناوأة اللغة العربية نحن الذين عملنا على خدمتها فى ميادين شتى بغيرة خالصة أكثر من ربع قرن، وأن يأتى هذا الانتقاصُ لا من أمثال السكندرى والعنانى والبشبيشى وشرف، ولكن من بائع خردوات تفسح له احدى صحفنا المحترمة أنهارها فيقول أدنه العالى عنا «هذا المخلوق»! وكان تبعاً لذلك أن ما ننشره من شعر وأدب نقدى هو فجّ وأىّ فجّ، بينما ظهورُ نظيره من نفس أولئك الأدباء والشعراء فى الصحف المغرضة التى تنتقدنا يحوّله فوراً الى أدبٍ ناضج! وكان تبعاً لذلك أن تُدبَّر ضدنا حملات واسعة النطاق فى صحف متعددة توصد أبوابها فى أوجه المدافعين عنا، ثم يأتى أولئك الآثمون فيتبجحون بكل صفاقة بأننا ـ نحن المحصورين فى مجلة أو اثنتين ـ نكيد لزعماء هذه المؤامرة الواسعة النطاق المعتزة ضدّنا بكل ضروب الاختلاق والتشهير!

هذه هى الصورةُ العامةُ لعقليةِ تلك العناصر التى لا ترتاح فى الأدب لغير التحزّب الشخصىّ البغيض لا التحزب الفنّى البرىء، وتبنى على ذلك التحزُّب ما

تشاء لها أهواؤها من افتراءات ودعاوى سقيمة ومكائد شتى وخرافات نقدية مضحكة ولكنها مع الأسف منتقصة لمستوى النقد الأدبى فى مصر .

يسأل صاحبنا الناقدُ السكندرى فى مقالة الرابع (بالوادى) نقداً لديوان (الشفق الباكى) — اذا صح أن يُسَمَّى هذا نقداً — علامَ نكثر من علامات التعجب فى أبيات « ارقصى يا غادتى ... » ويشغل من تلك الصحيفة نصف نهر فى ثرثرته ، وما ذلك الا لأنه لا يفهم روحَ القصيدة وما فيها من النداء المتوالى واللهفة . ولكن لا ذنب عليه اذا شغل القراء بأمثال هذه الخواطر ، ولا ذنب علينا فى تتبع سقطاته لا لأنه يَعنينا من أمره شىء ، ولكن لنسجِّلَ لدارسى الأدب المصرىّ مبلغَ ما انتهى اليه النقدُ الأدبى من الاسفاف فى عصرنا الحاضر بفضل الصحف السياسية المنتشرة .

وصاحبنا هذا يخلط هذيانه فى تفسير الشعر الذى لا يفهمه بالشتائم يكيلها ، فتكافئه (الوادى) الغراء على ذلك بوضع « نقده » فى المكان الممتاز من صفحتها الأدبية ، وتسمح له بأن يقول إن كلمة « أفنان » لا تأتى بمعنى « فنون » بل هى جمع « فنن » فقط ، وتلك صورة من غروره وجهله اللغوى ! وماذا نقول فى الناقد الذى لا يفهم الحالة الرّوحية والتصوّفية لشاعر يقول :

أذكرينى فى أغاريدِ الطُّيور كم تَغَنَّتْ مِن حنينى وبشرى

واذكرينى فى تحياتِ الزُّهور فهى مَغْنًى مِنْ بيانى قبلَ زهرِ !

ما ذا نقول فى هذا الناقد الذى يريد أن يزنَ هذا الشعرَ بميزانٍ هو أبعدُ ما يكون عن موازين الشعر حتى يتّهمَ الشاعرَ بالخلط والجُنون ؟! وما ذا نقول فيمن يأبى الأسماء العصرية الشائعة لصنوف من الخمور الفاخرة مثل « الككتيل » ولا يأبى أثقلَ الأسماء القديمة وان لم تكن لها مناسبةٌ فى نظمها ؟! وما ذا نقول فى الناقد الذى لا يرى التماسك فى مقطوعة « وجدان الشاعر » (ص ٢٩١) ويفصل بين الأبيات ثم ينتقصها ، ويعلق عليها بتعابير هى أشبهُ بصيحات أبناء الحوارى منها بتعليقات أديبٍ محترمٍ يكتب فى صحيفةٍ محترمةٍ ؟! وما ذا نقول فيمن لا يفهم حتى أبيات « السعادة » (ص ٣٠٧) ولا يعرف موقعَ البدل ومعناه ؟! وما ذا نقول فيمن يحسب الوطنيةَ مغالطةَ نفسه وتملقَ « الأمية الكبرى » المتفشية فى الشعب المصرى ، وهى التى يمثلها « أنصافُ المتعلمين » أمثاله الذين جنوا طويلا

على النبوغ فى مصر كأنما هو وَصْمَةٌ أو عارٌ ؟! إن الشعب المصرى فى عناصره شعبٌ كريمٌ يا هذا ، وحالته الحاضرة المشجية للغيورين الباعثة لشكوى الشاكين لم يخلقها غيرُ أمثالك من العابثين الجاحدين ، ونحن حقيقة نظلم هذا الشعب الكريم اذا جعلنا اللومَ عاماً .

* * *

هل هوايةُ الأدب وقفٌ على فريق معين من الناس بالنسبة لمهنهم المحترَفة ؟ الجواب طبعاً سلبيٌّ ، ولكن ليس معنى سلبيَّته أن كل انسانٍ فى أىّ مهنةٍ أهلٌ لأن يتناول الأدبَ تأليفاً ونقداً ، نثراً ونظماً ، اذا لم يكن لديه استعدادٌ فطريٌّ لذلك . فالفردُ الذى يتهافت على النقد تهافتاً وينصب نفسه فى منصب القاضى وهو غير مستكمل للثقافة ولا لروح النقد أو أدواته ، ثم يُصدر أحكاماً طائشة على دخائل أدباء لم يختبرهم بعد ولمَّا يحتك بهم ، ويجعل نفسه أشبه بالببغاء الحاكى لأهواء المغرضين الكائدين الذين يتزلفهم، ولا يتورَّع عن وصف أديب جهير « بذلك المخلوق » — مثل هذا الفرد لا يصحّ أن يوصف بالأدب ، فطابعه الصادق هو « قلة الأدب » أو « التطفل على الأدب » على أحسن تقدير ، وليس له أن يولول إذا قيل له يا عديمَ الأدب . . . هذا هو الرد المعقول الذى يجب أن يفهمه أديب الخردوات ما دام يتهجم على زمرة من صفوة الأدباء ذلك التهجم المعيب الذى يخالف الروحَ الأدبية الصافية . فالنقدُ الأدبى الخالصُ لا يسوءُ الا العاجزَ الضعيف ، وانما هذه الشوائب التى تُقحم فيه اقحاماً هى التى تسوء كلَّ انسان شريف .

ولكن لنعد الى نده الفاضل الذى يهاتر بفضل مناصريه فيلجأ الى انتقاص (الشفق الباكى) والى انتقاص شعرنا عامة بذلك الاسراف السخيف المعيب فى جريدة (الوادى) . فقصيدة « الجديد » (ص ٣٢٢) يجب أن تُعكس معانيها عكساً بتخريجات لا يحلم بها المجانين حتى يقال إنَّ هذا نقد عميق ، وحتى يقال إنَّ (للوادى) صفحة أدبية !

معقولٌ أن يُشجَّع الشبابُ على الانتاج ما دام موهوباً ، ولكن من غير المعقول أن يغرَّر بأمثال الغنام والعوضى الوكيل وأشباههما من الناشئين لينتقصوا أساتذتهم بدل احترامهم بأساليب لا شأن لها بالأدب وهى أبعدُ ما تكون عن الخلق الكريم .

ليكن النقدُ الأدبي مثالاً من الإنتاج التأثّرى بالمطالعة وليس أحدٌ ملزما بقبوله — كما ذكر الدكتور طه حسين أخيراً — وليس بمثابة الأحكام القضائية، ولكن ما معنى التغرير بالشباب الى هذه الدرجة وتشجيعه لا على دراسة الآثار الأدبية لمعلميه بل على الاستهزاء بهم وشتيمتهم؟! أهذا هو النقد الأدبي ولو في أيّ معنى من معانيه؟! ألا يكاد يقرب من البَلَهِ أن يعجب الغنام من ظهور اسم صاحب (الشفق الباكى) فى ذيل قصائد المراسلة داخل الديوان تمييزاً لها عن الرّدود عليها فيحيره ذلك أشدّ الحيرة ويعدّه بمثابة الاعلان الشخصى؟! أهذا هو النقد الأدبى يا أقطاب (الوادى)؟! وقِسْ على ذلك تخبّطه فى شرح مقطوعة «قوس قزَح» (ص ٣٤١) وتصوير ما يتعرض له قوس قزح من التقلبات، كتخبطه فى الجهل باشباع الضمّ على شين «الشُّعراء» فى قولنا:

فى وشيِكَ الزّاهى قد حيَّر اللاّهى
لونُ الدّماءْ!
أصباغُ نقّاشٍ جادت بانعاشى
والشعراءْ!

وإن أضاع المعنى فى سبيل حذلقته! ولا يستطيع أن يفهم ذكر كلمة «الدماء» فى هذا الوصف مع أننا قلنا إن لون قوس قزح بدأ ضاحكاً، وما ورد ذكرها إلا إشعاراً بحيرة الناظر، ولكن ماذا يقال لمن يفهمون الأدب والشعر قراءةً متعثرةً دون أن يبالوا بالطبيعة ومَرائيها ومعانيها؟! ومسكين هذا الناقد الذى لا يفرّق بين علامة النداء أو التنبيه وبين علامة التعجب!

وقصيدة «شعر الثقافة» (ص ٣٤٣) التى يعيبها أولى بأن يتدبرها ويستوعبها لعلّها تصلح من شأنه الميؤوس منه.

وأما عن المناسبات فليست مما يعيب الشعر ما دام عميق الروح لا يُعنى بالقشور فحسب، وقد نظمنا وصفاً لحفلة ذكر ولحفلة سباق ولمولد السيدة زينب ولكثير من المشاهد المألوفة فى الحياة ولا نرى عيباً فى ذلك، بل نلوم الشعراء الذين يتعمدون تجنّب هذه الموضوعات لتفاهتها المزعومة، مع أن العبرة بتناولها الشعرى لا بعناوينها.
وقس على ذلك الافتتان بإبدال لفظ بآخر وإصغار الشاعر من أجل ذلك، وهو تحايل نقدى لا يقدّم ولا يؤخر فى شيء، كما أنه جهلٌ فاضح أحياناً كما فى إنكار صاحبنا

العلاّمة كلمة «الظليم» بمعنى المظلوم ، وكما في جهله بمعنى همزة القطع في موضع همزة الوصل للتأكيد ، مثل قولنا في رثاء طانيوس عبده (ص٥٣٥) :

يا شهيدَ الألحان ! إضحكْ من الدّنـ يا وسامحْ دموعَ وافٍ معنّى !

ومن أغرب السخافات أن تُوجه الى الشاعر الذي له من القصيد المتنوّع المقفّى آلاف الأبيات «تهمة» العجز عن الوزن المقفى لمجرد تنبيهه الى الشعر المرسل والشعر الحر ونظمه بعضَ نماذجها ! ولو صحت هذه «التهمة» لما كانت مما يعاب فلكلّ شاعر أن يختار القوالب التي تلائم مزاجه مادام ينصف الشعر ، فكيف إذا كانت «التهمة» مجرد ادعاء وتحامل ؟ وشواهد الشعر العربي المرسل معروفة وقد أشار اليها غير واحد من الأدباء بينهم العقاد ، فليس من جديد إلا في التوسع بهذا الشعر وادخال الشعر الحرّ free verse ، وخيرٌ للقراء أن يقفوا على نماذج هذا الشعر جملة بدل النظر في الأبيات المبتورة التي لا تفيد أحداً سوى بهلوانية حضرة الناقد .

***

ذكرى شوقي

مما يؤسَفُ له زرايةً بالشعر أن يُعَدّ رثاء الموتى ضريبةً على الشعراء في حين أنّ الشاعر قد لا يواتيه الشعرُ أحياناً في رثاء خاصة أعزّائه وأحبابه لاعتبارات شتى ، كما وقع فعلاً للمرحومين اسماعيل صبري وحافظ ابراهيم وأحمد شوقي وغيرهم إزاء صفوةٍ من أخلص خلصائهم وبينهم غيرُ واحدٍ من المشهورين ... فمن العيب الفاضح ومن انعدام الكياسة أن يقول أحدُ المفتونين بالكيد في الغمرة الأدبية الحاضرة إننا استأنا أشدّ الاستياء من المرحوم أحمد شوقي بك لأنه لم يرث والدنا المرحوم محمد أبو شادي بك ، وأن يقالَ هذا بكل وقاحة وسماجة عند الذكرى الثانية لوفاة شاعرنا الكبير ! . . . وكلُّ مَن يعرفنا يقدّر أن هذا السبب الموهوم أبعدُ ما يكون عنّا ، فنحن نعرف المحبة الوثيقة التي كانت بين الفقيدين ونحترم ذكراها ونعرف الاعتبارات السياسية التي أرغمت المرحوم شوقي بك على الابتعاد عن أعلام الوفد زمناً ما ، فالقول بأن شوقي بك لم يحفل برثاء أبي شادي بك غيرُ صحيحٍ وسبّة لوفاء الشاعر الكبير ، ولكن هي الظروفُ التي أرغمته إرغاماً ، كما أرغمته على السكوت إزاء آخرين من أعلام الوطنية المصرية الذين فقدتهم البلاد .

أما خلافنا سابقاً مع الشاعر الكبير فخلافٌ على المبادىء الأدبية وعلى ما يتفرع عليها من أساليب ودعايات ، وبالاختصار هو خلافٌ على فكرة الفردية ضدّ الجماعة أو على فكرة الملكية ضدّ الجمهورية فى الأدب ، وهو نفسُ خلافنا مع العقاد ، وفيما عدا ذلك فنحن أبعدُ الناس عن انتقاص فضل الرجلين أو التعرض لأخلاقهما الخاصة بحالٍ من الأحوال ، ولا نستحلُّ المسائلَ الشخصية التى لا تكون لها أوثقُ الصلات بالمذاهب الأدبية . وقد رأينا فى شيخوخة المرحوم شوقى بك تحوُّلاً عن مواقفه القديمة واجتناباً لمن كانوا يتابعونه فيها ، فسرّنا ذلك وتعاوننا أدبياً مع الفقيد ، وحاولنا بمساعدة الصديق الشاعر سيد ابراهيم أن نصلح بينه وبين العقاد ، ولم يفتنا أداء الواجب نحوه حياً وميتاً . وكان حزننا وحزن زملائنا عميقاً لفقدانه ، كما وقفنا ازاءه موقفَ الوفاء والتسامح ، وجرى القلمُ بهذه الأبيات فى رثائه يوم وفاته (ديوان « الشعلة » ص ١٢٩) :

ختمتَ كتاباً للحياةِ وإن تكن ... خططتَ لسفرٍ آخرٍ منكَ عنوانَكْ

وإنْ أسرفَ اللوّامُ لوماً فانّنى ... اذا سأل التاريخُ أذكر إحسانَكْ

بكيتُ وقد جاء النَّعِىُّ يثيرنى ... بكاءَكَ فى المنفى تسائلُ أوطانَكْ

وإنى الذى يَنْسَى الاساءةَ راضياً ... وهيهات أن أنسى كغيرىَ نسيانَكْ

ومن بين هؤلاء الفضلاء الكائدين مَنْ كان يرى فى تعبير شوقى (قِفْ) و (قُمْ) معانىَ نفسية لا تتفق والرجولة الكاملة ناسباً ذلك الى أصول « علم النفس » ! فاذا بنا الآن نسمع عكس ذلك ، وأن هذه هى تعابير القوة والهمة ! ... و« علمُ النفس » المسكينُ يسخَّر الآن فى استنتاجات معكوسة لاتهامنا بمثل ما وُجِّه ضد شوقى — نحن الذين عملنا طويلاً على حسن توجيه الشباب وصيانة رجولته وكرامته والقضاء على الزعامات المصطنعة والمجتمعات المرذولة والآثار الاباحية وبيئات القال والقيل ، مكتفين بأن نعمل فى هدوءٍ واستقلالٍ وعزلةٍ ... ولكن ماذا ينتظر الآن وزمامُ النقد الأدبى غالباً فى أيدٍ هى أبعدُ ما تكون عن الخبرة بالنقد الأدبى ، وكلُّ ما يعنيها الظهورُ بأىّ ثمن على حساب الكرامات وأقدار الرجال وتسخير الأدب لشتى الأهواء ، فأصبحُ يتهم المرء منا بعكس صفاته البارزة المعروفة ؟! فهل كان شىءٌ من هذا القبيل فى مصر منذ ثلث قرنٍ قبل أن تكون لها جامعتها ومعاهدها العالية الحديثة

ومجلاتها وصُحفها الجديدة ، وقبل أن ترتقى هذا الرقىَّ الأدبى ؟! واذا كان الجواب سلباً ، فهل نحن فى حقيقةٍ نهضتنا سائرون الى الوراء أم الى الأمام ؟!

* * *

عبث الشباب

يَعرف قرّاء (أبولو) كيف نُعنى بالتعريف بشعراء الشباب خدمةً للجيل الجديد وتمهيداً لشعر المستقبل ، إلى جانب خدمة شعرنا الحاضر وانصاف رجاله . وعادتُنا أن نكتفى بالتعريف ولا نتوسَّع فى النشر لأىّ شاعرٍ من شعراء الشباب لا ينهض بشعره مهما كانت مودَّتُه لنا . وقد تحاشينا وصفَ هؤلاء الشباب «بالاستاذية» ، لا كما تفعل مجلات كثيرة فى غير مراعاةٍ منها للواقع ولا لنتائج ذلك على نفسيَّاتهم وأخلاقهم .

وقد أغضبتْ هذه الخطةُ بين مَنْ أغضبتهم الشاعر الشاب العوضى الوكيل فكتب الينا مستاءً جدّ الاستياء ثم سحبَ ما له من شعرٍ لدينا ، وكان ذلك منذ عام مضى . ومنذ أسابيع كتب الينا صديقُه الشاعر أحمد مخيمر رسالةً يُعلن لنا فيها أسفَ العوضى الوكيل وتودُّدَه المظيم الينا ثانيةً ، ويُعرض علينا قصيدته « صدى النور » للنشر فى (أبولو) ، ونظراً لما فيها من تقدُّمٍ شعرىّ لم نرَ بأساً فى نشرها . ثم أطلعنا فيما بعد على كتاب خاص اليه من العوضى الوكيل معزّزاً لرسالته السالفة الذكر .

وما كادت القصيدةُ تُنْشَرُ حتى ذهب العوضى الوكيل يصول ويجول فى جريدة (الوادى) مفتعلاً من ذلك اعلاناً شخصياً عن نفسه ومدَّعياً أننا ننشر « أدبه » بالقوة (كذا !) ، وأنه ابتعد عنّا لأسباب لا علاقة لها بالأدب !! ورئاسةُ تحرير (الوادى) ترى من الواجب أن تشجّع كلّ منتقصٍ لنا — ناشئاً كان أم غير ناشىء — على نشر مثل هذا الاسفاف والهذر . فأمّا عن الناحية الخلقية فيها فهى تخصّ معهدَ (دار العلوم) الذى ينتسب اليه العوضى الوكيل كما تخصّ مَن يتشدَّقون بالتغرير بالشباب ، وهم يجنون عليه بهذه الصورة وأمثالها ، ولهم أن يحققوا فى هذه المسألة ليعرفوا مبلغ ما انتهت اليه الأمانةُ عند مثل هذا الشاب . . . وأمّا عن ناحية الكرامة فكرامتُنا موفورةٌ ، وانما هذه المناورة تنال الشاعرَ أحمد مخيمر الذى لم يتردَّد فى الكتابة فوراً الى جريدة (الوادى)

مصحّحاً ما أدّى اليه هذرُ صاحبه من مغالطةٍ ذميمةٍ تمسّه دون أن تمسّنا، ولكن نزاهةُ (الوادى) الغراء قضت بأن لا تنشر خطابه!

الى هذا الحدّ بلغت استهانةُ بعض الشباب بشرفه الأدبى فى سبيل الكيد طواعيةً لمن يسخّرونه فى سبيل ذلك، والى هذا الحدّ ضاعت الحريةُ الصحفيّةُ تحقيقاً لذلك الكيدِ الذى يَفتنُّ فيه أنصار التحزّب الأدبى، وبعدهم الطوفان!

« • »

نقد الألحان الضائعة

قرأتُ للشاعر سيد قطب مقالاً فى (الأهرام) بعددها الصادر فى ٢٠ أكتوبر عن ديوانى (الألحان الضائعة) كنت أود لو أنه سلك به طريقَ النقد الصحيح ولم يجد به الى التجريح حتى لا يفهم منه القارىء ما فهم، لا سيما وأن بين الناقد الفاضل وبين (جمعية أبولو) التى أشتركُ فى عضويتها شىءٌ من النفور كشفت عنه مقالاته التى كتبها فى مجلة (الأسبوع) أخيراً، كما كنت أودّ له أن يقف من الحق موقفَ المعترف فلا يبغى عنه حولاً كما لاحظت ذلك فى نواحٍ كثيرة من نقده، إذ هو بينما يجد نفسه منساقاً الى الاعجاب بقصيدة أو معنى فى الديوان اذا به يريد نفسه على محاولة تغيير رأيه. ولأضرب على ذلك مثلاً قوله بعد أن نقل قصيدة «حياتى» التى قال عنها إنها نموذج لقوة أدائى ووضوح أسلوبى ودقة تعبيرى:

« ومثل هذه القصيدة الناضجة السليمة بالنسبة للشاعر » أومثل قوله عن الديوان: « ... وفى نقده نقد لشعر جميع الشبان الشعراء الذين لم ينضجوا بعد، والذين لا تزال نهضة الروح الشعرية عندهم يعوقها عدمُ الضبط والتركز وضعف الأداء والتقصير اللغوى ».

هذان المثلان نموذجان للغمزات المدسوسة على كلمة الناقد الفاضل دسّاً، وللتجريحات المكرّهة على أن تحتل مواضع لم تمهّد لها، وهذا ما كنت أود أن ينزه عنه قلمه.

هذا شىءٌ، أما الشىء الآخر فهو محاولته أن يقف من شعراء الشباب موقف مَن جاوز هذه السنّ واكتسب من تجاريب الحياة ومن تقدم العمر ما يؤهله للحكم على هؤلاء الشعراء، فى حين أن الناقد هو من بين هؤلاء الشعراء الشبان الذين

ما يزالون يتطلعون الى الكوكب الدرىّ ويضعون الأسس ، وممن تنطبق عليهم تلك الأحكام التى أصدرها على شعرهم فهو فى كلمته يكثر من الكلام عن النضوج وقلّته فى شعر الشباب ، وهو يتكلم عن ضعف الأداء والتقصير اللغوىّ وعدم الدقة فى التعبير ، وهذه الاحكام الثلاثة الأخيرة تهمة لا يمكن أن تنهض على قدم وساق لأنها نغمة تعوّدنا أن نسمعها من بعض الأشياخ الذين يخشون على مراكزهم من حركة الشباب ونهوضه . وهى أشبه شيء بالنغمة التى كانت الجرائد الانجليزية ترددها فى المناسبات المتعددة من حياتنا الوطنية : نغمة الأقلية والأغلبية فى النعرة الدينية المعروفة بين عنصرى هذا الوطن !

والذى آسف له أن يفهم البعض أن من أصول النقد التعالى على المنقود واعتباره بالنسبة للناقد تلميذاً يخطو الخطوات الأولى ، وليس هذا هو النقد . فلقد قرأت للشاعر سيد قطب شعراً ينبيء عن مستقبل طيب ، على أن هذا الشعر لا يمكن أن يمهّد لصاحبه التكلم عن النضوج بمثل ما تكلم عنه ، وكنتُ أحب لو أنه ضرب لى الأمثال على هذا النضوج بشيء من عنده حتى يمكننا أن نقتدى به ونتنافس فيه.

***

يقول الشاعر الشاب إن من مساوىء شعر الشباب التى تجتمع فى ديوانى التفكك والغموض والشطط والفوضى والرخاوة ! فأسائله عن موضع التفكك فى شعرى ، وأنا من أكثر الشعراء حرصاً على وحدة القصيدة ، كما أسائله عن هذا الشطط وهل وثبة الخيال مكروهة أو معيبة ، أم ما ذا يعنى هو بالشطط ؟! فأما الفوضى فيمكن أن تفسرها التهم الثلاث التى أشرت اليها فى أول هذه الكلمة ، وأما الرخاوة فقد استنتجت من كلامه أنه يعنى بها هدوء الشاعر ووداعته ، وهذا منطقٌ عجيبٌ ! بقى الغموض ، وهذا ما أسأل شعر الناقد عنه فهو ميّال الى الغموض ، وعلى ذلك لا يمكننى أن أقول إنها سيئة حتى لا أجرح شِعْرَه .

***

ويقول بعد أن يصفنى بالطائر المقصوص الجناح الذى « ينظر ويتأمل ويتألم ويحاول فى رفق أن يلفت الناس الى شدوه وشجوه فى نغم خافت باهت فان لم يسمعوا أو يلتفتوا لهذا الصوت الضعيف ، صمت أو أخذ ينوح ويشدو لنفسه فى سكون» . ثم يقول بعد هذا : «وفى هذا المستوى الشعورى يقف شعره فهو أبداً الطائر المغرّد

المقصوص الجناح ، أو الموسيقى الهادىء لا يسمع إلا نفسه والقريبين المنصتين ، فاذا أنت تطلبته فى الأوج أو فى غمار الحياة الصاخبة لم تكد تعثر عليه !!! »

هذه الجملة التى تذيلها ثلاث علامات تعجبية تحتاج الى تفسير . فماذا يعنى الأديب الفاضل بالأوج أو غمار الحياة ؟! أيعنى تصوير الحياة بمآسيها وأفراحها ، بضجّتها وسكونها ، أم يعنى شيئاً آخر كتصوير الحركات السياسية والدخول فى معامع الانتخابات والتهليل لكلّ حاكم ؟ إن كان يعنى التفسير الأول فديوانى به زاخرٌ ولا يستطيع أن ينكره وان كنت قد حاولت أن أرسم آلامَ العالم عن آلامى إذ أن شقاء البشر لا يختلف فيه فردٌ عن فرد وإن اختلفت وجوه الشقاء وألوانه ، فهذا لا يدعو الى الحكم بأنه لم يصل إلى أعماق الحياة وفلسفتها . أما إذا كان يعنى التفسير الثانى فلا أوجّه اليه الاّ سؤالاً واحداً وهو : كم عدد القصائد السياسية أو الصور الناطقة للحياة الوطنية فى مصر التى تضمّها دواوين العقاد على شدة اتصاله بهذه الحياة ؟

* * *

يأخذ علىّ قولى عن النفوس الخارجة إلى الكد فى الحياة بايمان وآمال هى فى ذاتها خادعة :

وكم قادَها فى شِعابِ الضلالِ سرابٌ يغـــرّر بالباصرَهْ

بقوله : « النفس لا تخلق السراب أو لا تتبع السراب إلاّ وهى مؤمنة بالحياة أوثق الايمان ، والحقيقة أننا لا نحب الحياة لأننا نؤمل فيها بل نحن نخلق الآمال لأننا نحب الحياة وننتظر أية تعلة فى القريب أو فى البعيد تسوغ لنا هذا التعلق بها ، أما حين تضعف فى نفوسنا خوالج الحياة وتفتر حيويتها فلن ينبض أملٌ ، ولن يلمع سرابٌ »

وأنا أطالب الناقد الفاضل بقراءة هذه الأبيات بدقة وتمعن فانى أصور النفوس الخارجة الى الكدّ وفيها نوازع اليأس التى تحاول هدم الايمان وتقويضه وايقاف النفوس عن الاستمرار فى طريقها بعد أن غرر بها الأمل .

كما أوجّه نظره الى أن البيت الآتى :

تئنُّ أنينَ المريضِ الضعيفِ وتصرخ كالجِنـــةِ الثائرهْ

لا تناقض فيه لأنى لا أصف نفساً واحدة وانما أصف نفوساً مختلفات خرجت

لأرزاقها ، ويمكنه الرجوع الى ذلك فى القصيدة حتى يعرف فى أىّ جانبٍ يكون الحق .

أما خطأ الأداء اللغوى الذى يراه فى قولى :

فنرجعُ مِن غمراتِ العراكِ علينا كواهلُه القاهره

بقوله « نحن لا نرجع وعلينا كواهل العراك بل نرجع وعلى كواهلنا نحن أعباء العراك . وأى مجاز سليم يسيغ هذا التعبير ؟ » ولو تدبر الصورة لعرف اننى أريد تصوير العراك بصورة المستند بكواهله القاهرة على المتعبين الخائرين ولست أصور حمل العبء لان الصورة تمثل العودة من العراك ، وهذا كقولهم « أناخ عليه بكلكله » .

« • »

يعود الناقدُ الى محاولته التى أشرتُ اليها من وضع نفسه فى مستوى بعيد ليظهر الشاعر بمظهر السذاجة التى لا تدرك شيئاً ، يعود الى النضوج الذى أراد أن يسبغه على نفسه وأراد أن يكرر اسمه بمناسبة وبدون مناسبة ، يعود الى ذلك عند الكلام عن قصيدتىّ « الشاعر » و « موت عزرائيل » فهو بعد أن يصفهما بأن فيهما طلاقة وجدة يعود فيدرك أنه ناقد وليس من أصول النقد أن يعترف الناقد بفضلٍ لمنقود ! وليس هنا مجال المناقشة فى فكرة « الشاعر » ما دام هو لا يراها الا نموذجاً لعدم النضوج والقصور عن الشأو ، كما لا مجال لمناقشته فى قصيدة « موت عزرائيل » التى يرى اننى مررت فيها سيراً عادياً وانتهيتُ الى نهاية ساذجة لا أثر فيها للعمق ولا للطرافة ! ذلك لأنه يريد أن يصف عزرائيل منتحراً أو ميتاً موتة أخرى غير التى صوّرتها أنا ولأنه كان سيموت نفس هذه الميتة ولو لم أكتب قصيدتى كما يقول !

وكيف أناقشه وأنا ليس عندى ما عنده من نضوج الفكر الذى رأى الفكرة ساذجة بعد أن وجد غيره قد اكتشفها وطرقها ، كما رأى بعض الناس أن فكرة اكتشاف العالم الجديد شىء عادى بعد أن عرفه كولمبس !

وقد شاء الأديبُ الفاضلُ إلا أن يوجّه غمزاته المعروفة فهو يقول إن بين قصيدة الشاعر وبين قصيدة « ميلاد الشاعر » لعلى طه أو قصيدته « الله والشاعر » تقارباً ، كما يرى هذا التقارب أيضاً بين قصيدة « موت عزرائيل » وقصيدة العقاد « ابليس ينتحر » ، وإن لم ير أىّ ناقد مستقل شيئاً من ذلك ولو جارينا حضرة الناقد لوجب أن ننبه على آثار وليم بليك ودانتى وملتون

وأضرابهم وهم مَن سبقونا بأجيال وتناولوا أمثالَ هذه الموضوعات ، ولكنى لا أحب انتقاصَ أحدٍ من زملائى الشعراء .

شيء عجيب ! الآن أصبح الناقدُ الفاضلُ يدين لعلى طه بالأسبقية وهو الذى كان يحدثنى مرة فى نادى الصحافة عما وجده فى ديوان (الملاح التائه) مأخوذاً منه ، فاذا كان قد نسى ذلك فان فى كل نفسٍ ضميراً يحاسبها . على ان هذا الموضوع سأتناوله أنا بالتفصيل فيما بعد .

ولكن لى أن أسأل الناقد الفاضل سؤالاً على الهامش : ألا يجوز لى أن أقول له إن قصيدته « بين الظلال » فيها لبنات من شعرى يرتكز أساسُها عليها ؟ وهل يصح لى أن أقول بعد أن يصدر ديوانه هو فى العام القادم ان بينه وبين على طه تشابهاً فى الأبيات التى ذكرها لى فى نادى الصحافة لأن ديوانه صدر بعد ديوان (الملاح التائه) ؟ !

***

فاذا تركتُ هذا كله للناقد الفاضل وناقشتُه فى اللغة التى يريد أن يجرّدنى من معرفة أصولها واظهارى بمظهر المبتدىء قلت له إن كلمة « عزف » مختلف فيها إذ لم ترد بمعناها المصطلح عليه الآن فى معاجم اللغة ، وان تهكمه على عدم وجود الفاعل فى البيتين الآتيين :

تعالى ! ليس يدرينا اذا ما جفت الكاسُ
أنلقى مَن يساقينا تعالى ! كلهم ناسُ !

يرَدّ عليه بأن جمهرة النحاة اختلفوا فى هل يقع الفاعل جملة أم لا . فبعضهم رأى انه يقع مطلقاً جملة مثل « يعجبنى يقوم زيد » وكما فى القرآن الكريم « ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين » وفى مثل آخر : ظهر لى أقام زيد ؟ وفى آية أخرى « وتبين لكم كيف فعلنا بهم » وقيل : يقع ان علق عنها فعل قلبي بمعلق . وقال الدمامينى تبعاً للمغنى تقع اذ كان التعليق بالاستفهام كما فى المثال الثالث والآية الأخيرة لأن الاسناد حينئذ فى الحقيقة الى مضاف محذوف لا الى الجملة إذ المعنى ظهر لى جواب أقام زيد ، وهذا التقدير لا بدّ منه دفعاً للتناقض إذ أن ظهور الشيء منافٍ للاستفهام عنه ، كما أقول له عن مؤاخذاته لى على فتح ياء المنقوص فى البيت الآتى :

قد واتت الآسنَ الأمانى والجارىَ الماء لم تُواتِهْ

ان (الجارى الماء) منصوب على الاشتغال لفعل محذوف يفسره قولى بعده « لم تواته » هذا وجه ، وله أن يعتبره معطوفاً على « الآسن » من وجه آخر ، وهناك وجه ثالث فى حالة ما اذا جعلنا الهاء من « تواتِهْ » هاء سكت ، وعلى ذلك يكون « الجارى » مفعولاً للفعل « توات » . أما قوله عن فتح ياء المنقوص فلا يعتمد على دليل ولا يوجد ما يؤيده وله أن يرجع فى ذلك الى باب الاشتغال فى كتب النحو .

ويؤاخذنى على استعمال الفعل « يشعر » متعدياً بنفسه ، وفى هذا أذ كّره بباب التضمين أو أذ كّره بالنصب على نزع الخافض كقول الشاعر :

تمرّون الديار ولم تعوجوا كلامكم علىّ إذاً حرامُ

وأحيله الى (كتاب درة الغواص) وشرحها للشهاب الخفاجى ففيه بحث طويل حول كلمة « ضوضاءة » ثم أوجّه نظره إلى أن « ما » الواردة فى البيت :

يمرّ فى الروض ما يُغَنّى يهز فى الروضِ مُورقاتِهْ

هى « ما » الموصولة وليست الشرطية ، وقد حدث خطأ مطبعى فى الفعل « يُغَنّى » إذ ورد فى الديوان بكسر النون المشدّدة . وعلى ذكر الأخطاء المطبعية أقول للناقد الفاضل إنه ليس من النقد فى شىء أن يلجأ الناقد الى الأخطاء المطبعية التى يمكن ادراكها ، كما حدث له أن آخذنى على أن « الرأس » استعمل بعدها فعل يدل على التذكير ولو رجع حضرته إلى بيان التصويبات فى آخر الديوان لوجد تصحيحاً لهذا الفعل .

أما عن « جولات » التى يقول إنى أخطأتُ فى فتح العين فيها لأنها غير صحيحة العين فأقول له إن علماء الاشتقاق يقولون انه إذا أريد أن يجمع الاسم جمع مؤنث سالم نظر اليه فان كانت عينه حرف علة وقبلها حركة مجانسة بقى على حاله بدون تغيير ، وإن كان ما قبل حرف العلة مفتوحاً نحو «جوزة وبيضة وحولة» ففيه لغتان : لغة هذيل وتقول بالاتباع ، ولغة غيرهم الإسكان . وعلى اللغة الأولى قرىء « ثلاث عوَرات لكم » بفتح الفاء والعين ومنها قول الشاعر :

أخو بَيَضاتٍ رائحٌ متأوّبٌ رفيقٌ بمسح المنكبين سَبوحُ

هذه بعض ردودى عليه فى الاخطاء اللغوية التى يرى الشاعر الشاب أنها من مساوىء شعر الشباب .

فأما العروض الذى يريدأن يتهمنى بضعفه لأنى كتبت قصيدة مزجت فيها بحرين فى شطرىْ كل بيت لموسيقى خاصة أستسيغها ويشايعنى فيها كثيرٌ من المعجبين بها ولا أرى فيها غضاضة وأنا أعرفها وأشرتُ اليها لكنه يحاول أن يجعلها عيباً ، فهل اذا كان ذلك يضعف من شاعريتى فهل أضعفت شعرَ العقاد تلك المؤاخذات العروضية التى أشار اليها مصطفى صادق الرافعى وغيره من كبار النقاد؟ وليس عدم ظهور الياء فى قولى « تركتنى ارتشف اللمى » أو قولى « كآبتى أفقدتنى الابتسامه » عيباً وقد وردت الآية الكريمة وفيها حذف الياء فى قوله عزّ شأنه : « وما خلقت الانس والجن إلا ليعبدونِ » أو كقول الحطيئة :

فان يصطنعنى اللهُ لا أصطنعكمُ ولا أوتكم مالى على العثراتِ

هذا ما عنّ لى كتابته على مقال الأديب الفاضل ، ولولا غمزاته وتجريحاته المقصودة ما رددتُ ، ولكنت قد تقبلتُ منه نقده كما أتقبل نقد الكثيرين باعزازٍ . والله أسأل أن يهدينا جميعاً الى السبيلِ السويّ والى خدمة الفنّ الخالصة ؟

حسن كامل الصيرفى

***

رسائل النقد

نشرت مجلة (الشرق) التى تصدر عن سان باولو (البرازيل) بعددها المؤرّخ ١٥ ايلول سنة ١٩٣٤ مقالاً عن كتاب (رسائل النقد) لمؤلفه الشاعر الناقد الفاضل الدكتور رمزى مفتاح رأيتُ أن أعلّق عليه بهذه السطور إن سمحتم .

فكاتب ذلك المقال — وهو الأديب الفاضل حبيب البشعلانى — لا يعرف الجوّ الأدبى فى مصر معرفةَ المتصل به ؛ وهو يستشهد بكلمة عامة لمجلة (المقتطف) مجاملةً للعقاد على حساب رمزى مفتاح ، ولم نسمع عن (المقتطف) كلمة استنكار واحدة لكتاب (الديوان) الذى أصدره قبلاً العقاد والمازنى على ما فيه من الهجو القبيح والمغالطات الفاحشة والتحامل البغيض . ولو كان الأديب البشعلانى فى

مصر لما استغرب لذلك ، فهذا السكوت وهذه المجاملة لهما سوابق فى تحرير غير واحدة من المجلات فى مصر . فليس له أن يأخذ بشهادة (المقتطف) النقدية فى شىء كما لا نأخذ نحن بها ، وليعلم أن كتاب (رسائل النقد) معدودٌ ذخيرةً لغةٍ وأدب وبحوثٍ نفسيةٍ قيمةٍ . وإذا كان فى عباراته بعضُ الشدّة أحياناً فهى شدة المصلح المخلص الذى ليس له أىّ غرض شخصى من وراء ذلك ، وليس بينه وبين مَن تناولهم بنقده أى خصومة شخصية بعكس حال العقاد واخوانه (راجع ما كتبه الدكتور رمزى مفتاح فى « أبولو » وآخره ما ظهر فى عدد أكتوبر الماضى) . وهذه حقيقة لا ريب فيها وليس من مصلحة أحد إنكارها .

ولولا أنَّ الأديب الفاضل حبيب البشعلانى غيرُ واقفٍ على تطوّر الشعر المصرى فى الثلاثين سنة الأخيرة لما تورّط فى ذلك الانتقاص الغريب لشعر عبدالرحمن شكرى ، ولما تعامى عن الحقائق التاريخية التى يستحيل أن ينكرها أىّ رجل مستقلٍّ تعنيه حرمةُ الأدب قبل حرمة الأشخاص ، ولا يتأثر بالتهليل والتزمير الذى يظفر به أدباء السياسة وفى مقدمتهم العقاد فى الصحف الموالية التى تجعل منها ومن أنصارها « عصبة مقدّسة » بالحق وبالباطل ... وقد تدرّج حضرة الكاتب من ذلك الى دفاع طويل عريض وهو غيرُ ملمٍّ بأصول هذه القضية ولا واقف على شعر شكرى بجملته ، بل نظر فيما كتب الى عبارات أشياع العقاد فى مصر ومعظمهم من المأجورين الشتامين . ولو أننا أخذنا بدفاعه هذا وطبقناه تطبيقاً عاماً لأصبح الانتحال والسرقة الجريئة من الأمور العادية بل المستحسنة بين شعراء العصر ! فلو لم يكن لكتاب (رسائل النقد) من فضل سوى وضع حد لهذه الفوضى لكفى به نفعاً للأدب العصرى وفخراً لمؤلفه وبعد هذا فيجب أن لا ينسى الأديبُ البشعلانى أن العقاد عاد أخيراً ومجّد شكرى أعظم تمجيد ، كما أن المازنى اعترف بخطئه فى حقّ ذلك الشاعر المجيد .

ولو تتبّع الأديب البشعلانى أعدادَ مجلة (أبولو) منذ صدورها ولم يكتف بتصفح أعداد قليلة منها لوجدها مثالَ الاعتدال الحكيم وضبط النفس والبعد عن التحزب الممقوت ، وكل غايتها خدمة الشعر المصرى الراقى وانصاف الشعراء بغير اعتبارٍ لجنسٍ أو ملةٍ أو مذهبٍ سياسىٍّ . ولكن هذه النزعة الشريفة لم تُرض العقاد فى أنانيته لأن كلّ همّه منذ سنين محصور فى التفرّد ، وحوله فئة يتعهدها لتنافح عن ذلك بكل وسيلة مشروعة وغير مشروعة ولتهدم منافسيه . فسرعان

ما حارب (أبولو) وجمعيتها بقلمه وبأقلام أنصاره محاربات عنيفة شتى فى الصحف والمجلات الحزبية الى درجة الإقذاع وتناوُل أعراض الناس ، كلّ هذا والمجلة برغم منبرها الحرّ فى النقاش لم تنكر فضله الأدبى ولا فضل غيره ـ متحملةً بصبر جميل ما تلاقيه من العنت والاساءة ، مكتفية بالدفاع الضرورى عن مبادئها الأدبية وشرف رجالها . ولا شكّ فى أنّ هذه الحالة الأدبية المؤسفة هى نتيجةُ الحالة السياسية المضطربة التى انغمسَ فيها العقاد وأصحابه أىّ انغماس ، ثم نقلوا عدواها الى مجال الأدب فأفسدوه افساداً بأساليبهم الملتوية ودسائسهم القبيحة ومناوراتهم التى لانهاية لها ، مما لا يجهله أىّ ناقد مستقل يعيش فى مصر ويتتبع بدقةٍ التطوّرَ الأدبى فيها .

وانّ مجلة (الشرق) وأنصارها ليُهنَّأون بابتعادهم عن هذا الجوّ المسموم الذى يرجع أصل الفساد فيه أدبياً واجتماعياً وسياسياً الى علةٍ واحدةٍ هى « الأنانية الحمقاء » ؟

محمود الخولى

* * *

الشعر ودار العلوم

لا نعرف الى الآن شاعراً مجيداً ولا ناقداً مبرّزاً من خريجى دار العلوم دان بألمعيته الى تعاليمها قبل أن يدين بهذه الألمعية الى طبعه أولاً ثم الى اتساع أفقه الثقافى نتيجة اطلاعه على الآداب العالمية سواء أكانت بلغاتها أم منقولة الى العربية . وليس معنى هذه الملاحظة انتقاص فضل هذا المعهد العظيم الذى نحبّه ونجله لما له من من الأثر الكريم فى إعزاز الأدب العربى وابراز كنوزه المخبوءة . ولكن معنى ملاحظتنا أننا لا نحبّ لهذا المعهد الجليل أن يتّسم بعضُ فضلائه بسمات الجمود وأن يتصوّروا فى هذا الجمود من فضائل الغيرة على لغة القرآن ما يزوّق لهم خيالهم .

وأقربُ الأمثلة على ذلك ما كتبه المربّى الفاضل محمد هاشم عطية فى عدد أكتوبر الماضى من (صحيفة دار العلوم) عن « الأدب فى نهضتنا الحديثة » فقد أخذ يلقى بأحكام غريبة على الأدباء المجدّدين تلمح من خلالها أن كلّ ذنبهم يرجع الى عدم انتسابهم الى بيئة دار العلوم وإنْ احترموها كلّ الاحترام . والمقالُ فى أسلوبه

ومنطقه ونظراته مما لا يُتصوَّر صدوره عن قلم مدرِّس معاصر في هذا المعهد الجليل لأنه نتيجةُ حميةٍ خاطئةٍ طاشت أحكامها.

وأول هذه الأحكام الغريبة أنّ الأديب العصرى لا يجوز أن تعنونَ قصائدُه بعناوين شعرية، وإلّا كانت هذه كلمات مجلوبة وألقاباً مموّهة ومظاهر لاتهام الأدب العربى! كأنما يحرّم أدبُنا العربى علينا أن تكون لنا ميول وأذواق جديدة، وكأنما تعابيرنا الجديدة لا تزيد من ثروته كما هو شأن كل لغة حية فى العالم!

ويخصنا الناقد الفاضل بجانب غير يسير من عنايته النقدية التى نشكرها له متناولاً معظم مادة نقده من ديوان (الينبوع) على مثال الأسلوب الذى عِبناه فى العدد الماضى من (أبولو) حين تحدَّثنا عن «روح الفقيه وروح الشاعر» (ص ٢٥١).

يعيب ناقدنا البيتين الأولين من قصيدة «عيون المنصورة» (ص ٥ من «الينبوع») التى نذكرها هنا بنصّها لأنها تشرح ذاتها بذاتها:

عيونٌ كلُّها فِتَنٌ ... وأصداءٌ من الفِتَنِ
أحنُّ لسمرةٍ فيها ... كسمرةِ مائها الفَنِّى(١)
فكم فيهِ تحيّاتٌ ... من الأجيالِ والزّمَنِ
وكم فيهِ عباداتٌ ... لنهرٍ روحُه وطنى
نظرتُ إلى مَعانيها ... كأنّى لستُ أدريها
فكم من سبحةٍ فيها ... لروحى إذْ تناجيها
تناجى ظلّها الحانى ... ونُوراً حائراً فيها
وكم فى الظلّ والأنوا ... رِ أحلامٌ! أناديها!

ومع هذا يقول حضرة الناقد إنّ ذكر كلمة «أصداء» بعد قولنا «كلها فتن» لا قيمة له، وأنّ «المعروف أن يترقَّى القائل فى المدح من الأهون إلى الأقوى لا العكس». ونحن نقول إن مثل هذا النقد الفقهى لا قيمة له عند مَنْ يتذوَّقون الشعر تذوّقاً فنياً ولا يحارون حتى فى المراد بعنوان القصيدة! إنّ الشاعر فى هذين

(١) ماء النيل المطلة عليه مدينة المنصورة.

البيتين الأوّلين يتحدّث عن سحر العيون السمراء التى اشتهرت بها مدينة المنصورة (أو التى اشتهر بها أهلها إذا شاء) ومن ثمّ ينتقل إلى وصف تأثيرها فى نفسه . فهو يقول أوّل ما يقول واصفاً إن هذه العيون كلها فتنٌ كما أنه تتألق فيها أصداء هـذه الفتن ، فيُخيّل اليك أنك ترى فى لحاتها أحلامَ ضحاياها ولوعاتهم ، فهى تجذبك اليها وتروعك فى آنٍ ، وهذا تصويرٌ حيٌّ لسحرها العاتى . ثم ان اشارة الحنين الى هذه السمرة المماثلة لسمرة ماء النيل الذى وصفه الشاعر بأنه فنىّ الروح هى اشارة فى محلّها يتذوّقها الشعراء وإن لم يفهمها الفقهاء ، فلا يجوز لهم أن يتعرضوا لها ولا الى الشعر جملةً

وعلى هذا القياس لم يستطع ناقدنا الفاضل أن يفهم هـذين البيتين من قصيـدة « زهرة الحب » (ص ١٩ من «الينبوع») المستوحاة من صورة حسناء زُيّن جسمها العارى بالزهر وأوراقه :

عَرضت لنا تقاسيمَ الجمالِ وإشعاعَ الحقيقةِ والخيالِ
تلألأ بالهوى القدسىّ بينا تَـدفَّقَ بالتجاوبِ لابتهالِ

فأىّ غموص فى البيت الثانى لأىّ قارئ له ملكة شعرية ؟ وكيف تـكون كلمـة « بينا » حشواً وهى فى موضع «بينما» ولا غنى عنها لاستقامة المعنى ؟ !

وأمّا عن «أنشودة الهاجر» (ص ٦٦ من «الينبوع») فهى من الشعر الغنـائى المحض ، وخيرٌ له أن يسمعه ملحّناً قبل أن يحكم على رداءة نسجه ، فسيرى حينئذ كيف تنسجم حروفه فوق انسجامها ، وكيف تـكون حلاوة التـكرار الذى يعيبه مع أنه طبيعىّ فى موضعه .

ويعيب حضرته عنوان « الالـه المتنكر » وبعض الأبيات فى ديوان (أطيـاف الربيع) – ص ١١٦ — وانما يعيب ذلك لا باسم الفن بل باسم الدين الذى هو فى غنى عن الدفاع عنه ولا تأبى روحُه مثل هذه التعابير لغايات فنية نبيلة .

والخلاصة أننا نتمنى على حضرة الناقد الفاضل لو ترك نقـدَ الشعر لأهله ، فان تحامل بعضهم على بعض لأهونُ عندنا وعندهم من مثل هذه الروح الفقهيـة ، ولا شكّ فى أن المجال فسيح أمامه لخدمة فقه اللغة أوغير ذلك من فنون الأدب العربى مما هو أقرب الى مزاجه .

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٥٢	١٧	ألفاظاً مهنية	ألفاظاً مهينة
٢٩٢	١٦	والية	والبة
٢٩٦	١٠	طيرِ	طيرٍ
٣٠٠	١٢	برمكِ	برمكٍ
٣١٠	٧	البلبلْ	البلبلُ
٣٢٣	١٥	فساورا	فساروا
٣٣٣	١٩	مياهً	مياهاً
٣٣٦	١٠	شعاعٌ	شعاعُ
٣٤٠	٣	وموزن	وموزون
٣٤٠	٨	حقرها	حفزها
٣٤٠	٩	جاس	جاش
٣٥١	٥	وإما	إما
٣٥١	١٠	أن	إن
٣٥١	١١	وأن	وإن
٣٥٥	١٩	ونشتهيها	ونشتهيها
٣٨١	٣	يتفق	يتنقل
٣٨١	٤	يتشمم	يتنسم
٣٨٦	١	عبتاً	عبثاً
٣٨٦	١٩	اوسخرتَ	وسخرتَ
٣٨٦	١٩	صاغر	صاغرا
٣٨٨	١	مججوباً	محجوباً
٣٨٨	١٠	لا قُض	لا فُضَّ
٤٠٥	٢٥	مؤاخذاته	مؤاخذته
٤٠٦	٢٣	حولة	جولة

فهرس

فهرس

شعر الرثاء

ثمار المطابع

نقد وتعليقات

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٤٥١٢ /١٩٩٧

I.S.B.N 977-01-5531-4



المجلد الثالث

العدد الرابع

أپولو

مجلة فنية لخدمة الشعر العربي

لسان حال جمعية ابولو

تصدر مرة فى كل شهر
وسنتها عشرة اشهر

ديسمبر سنة ١٩٣٤

صاحب الامتياز ورئيس التحرير } أحمد زكى أبوشادى

الادارة { بشارع الملك المعز رقم ٩ بضاحية المطرية بمصر

التليفون { ٦١١٩٦ و ٤٠٤٥٦

مطبعة التعاون



فى الميـــدان

ربما ختمنا بهذا العدد الممتاز المجلد الثالث من هذه المجلة كما نختم بختام هـذه السنة جميع جهودنا العامة الى غير عودة . وقـد أشار محرر زميلتنا (الامام) فى عددها المؤرّخ أول ديسمبر الى تصميمنا على ذلك فيما كتبه عن ندوة الثقافة والحكومة الحاضرة ، إذ أشار الى ما عانيناه من متاعب وتضحيـات كثيرة لا يقاس بجانبهـا ما لقيناه من بعض التعضيد والتشجيع من شتى الحـكومات ازاء أعمالنا العلميـة والفنية والأدبية ، فان المعـاكسات المتنوّعة والاساءات الجمـة التى أصابتنا من الحـكوميين وغيرهم فاقت كلّ حـدود الاحتمال ، ومع ذلك صمدنا لها واكتفينا بالشكوى الى دولة رئيس الحـكومة الأسبق وصبرنا الى اليوم الذى تعود فيه شمسُ الحرية الصادقة الى الظهور مرتقبين أن نُنصَفَ فيه الانصافَ الواجب .

وقد عاد هذا اليومُ وبرّأنا ذمتنا بالـكتابة فى شـأن ذلك الى الرئيس الجليـل صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا وبمقابلته مقابلةً طويلةً ومقابلة غير واحد من وزراء الدولة وكبرائها ، وبذلك مهّـدنا لختام حياتنا العامة فى هذا المجال بعد سنوات عديدة فى الخدمة الصحفية ما بين علمية وفنية وأدبية ، محتملين وحدنا الخسائر الـكبيرة والديون الـكثيرة مؤدّين جميعَ تعهّـداتنا فى غير أسفٍ على أىّ تضحية بل فى أسفٍ فقط على عدم استطاعتنا المادية على الاستمرار اذا لم ننل الانصافَ الذى نرجوه .

وقد رأى القراء كيف أننا فى أشدّ الأوقات حرجاً وبالرغم من قيودنا الرسميـة لم يفتنا الدفاع عن كرامة الزعماء والانتصار للديمقراطية والاشادة بجهد رئيس الوفد ، ومع ذلك لقينا من بين كبار أدبائنا وأذنابهم مَن لم يتعفف عن عكس الآية ومحاولة تجريح وطنيتنا باختلاقاته وأوهامه ،وكان الأَولى به أن يضرب المثل بشجاعتنا الأدبية ووفائنا وأن لا يسترسل للأهواء والضغائن فلا يخلط بين الأدب والسياسـة ولا يحتمى فى الافتراء والدسيسة .

ورأى القراء الذين اطلعوا على مجلة (الدجاج) كيف حارب بعضُ كبار الموظفين (من ذوى العلاقات المعروفة التى ضجّت منها البلاد وخلعت نيرَها أخيراً) جهودَنا الفذّة لخدمة الدجانة المصرية ، بحكم أهوائهم الشخصية ، كما يعرف قراء (مملكة النحل) كيف حُوربت أعمالنا فى النحالة محاربة عنيفة بالرغم من صادق خدمتنا وآرائنا التى نوّهت بها اللجنةُ الماليةُ لمجلس النواب الى حدّ تقريع وزارة الزراعة ، ومع ذلك لاتزال الفوضى ضاربة أطنابها ولا يستحى المعاكسون والمسيئون الينا من الاستمرار على هذه الحالة المخجلة .

ورأى القراء كيف أن مجلة (الامام) على ما لها من المزايا الأدبية وخدمة الأدب الشعبي كانت بين المجلات المضطهدة التى لم تظفر باعلانات قضائية ولا بأىّ مؤازرة .

ورأى القراءُ كيف أنّ مجلة (أبولو) بقيتْ سنتين كاملتين لا تجد ذرةً من تشجيع وزارة المعارف ، وقد أُدخل فى روع معالى وزيرها السابق أن الوزارة تعضدِّها ! ولمّا ذُكر لمعاليه أن الحقيقة عكس ذلك ، وأن من العيب أن تعضّدها الهيئاتُ الأجنبيةُ وحكومة العراق وتضنّ بذلك الحكومة المصرية حاول معاليه تصحيحَ هذه الحالة ، وبالرغم من هذه المحاولة كانت مؤازرة الوزارة لهذه المجلة محدودة جداً كأنها فى حُكم العدم ولم تتعدّ المؤازرة قيمتها المعنوية تقريباً ! ومع نصوع هذه الحقيقة لم يتورّع الأنانيون والدسّاسون عن تشويهها والطعن فى تصرفاتنا وكرامتنا بدل المناداة بانصافنا إن كانوا مخلصين حقاً للأدب ، وقد شملت حملتُهم علينا جملةَ صحف فأظهروا براعة فى حبّ الهدم بقدر ما أظهروا من عجز فى التعاون الأدبى والبناء . ولم يخجل نفرٌ منهم مِن تكريم مَن توجّه فى وفدٍ إلى صدقى باشا تقرّباً الى دولته على حساب الوفد وقد تغنَّوْا حينئذ طويلاً بشتيمة الوفد ومداهنة صدقى باشا الى أبعد حدودِ المداهنة !

ورأى القراءُ بالاجمال كيف أنّ مشروع (ندوة الثقافة) ومجلاتها يسدّ فراغاً كبيراً فى الثقافة المصرية بمصر، وكيف نال تعضيد اخواننا العرب فى سورية ولبنان وفلسطين والعراق وتونس وبقية العالم العربى ، وكيف اجتذب الكثيرين من أعلام الأدب والعلم ومن الاختصاصيين فى الصناعات الزراعية ، ومع ذلك حُرِمَ المؤازرةَ الماليةَ الواجبةَ ولم ينل الاّ جزءاً مما يستحق لا يكفى لشتى الالتزامات ، وليس رجال العلم والأدب عامةً بأهل اليسار الذين يستطيعون التكفّل بها وحسبهم تبرّعهم بجهودهم الفكرية فى كرمٍ وحماسة .

وقد كان من السهل علينا احتمال كل هذا فى عهدٍ احتملت الأمةُ ما احتملتْ فيه من أضرار ومساوىء ، وإن كان طبيعياً أن لا ننتظر المعاكسة فى أىّ وقتٍ ما دامت أعمالنا بعيدة عن السياسة وما دام الجميعُ يدّعون أنهم مناصرونا وقد كان فى مقدمة من ادعى ذلك نفس صدقى باشا مُباهياً بغيرته على النهضة الاقتصادية بل والثقافية عامة ! ولكن ليس من السهل علينا احتمال ذلك فى هذا العهد الجديد بعد أن أصبحت لمصر حكومةٌ شعبية بالمعنى الصحيح ، وبعد أن عرضنا على زعيم الأمة الذى تستند الحكومةُ الى تعضيده قسوةَ ظروفنا وحرجَ مركزنا ، فاذا انتهت شكوانا الى غير جدوى أو الى غير مناصرةٍ كافيةٍ كما كانت شكوانا الى زعيم الحكومة الأسبق بغير جدوى فلن يلومنا منصفٌ على هذا الاعتزال الذى قد نضطرّ اليه اضطراراً .

نعم ، إزاء هذه الحالة لم يكن لنا مَفرّ من القرار الذى انتهينا اليه ، وأكبرُ عزاء لنا أن الجهود التى بذلناها فى هذه السنين الطويلة — سواء فى انجلترا أو فى مصر — بعيدة الأثر الاصلاحى . واذا كنّا قد نضطر الى اعتزال الحياة العامة من جراء الظروف القاسية الأليمة التى لا قِبَلَ لنا بما تخلقه من استحالةٍ ماديةٍ ، فليس فى نيتنا التخلى عن أىّ شىء من أعمالنا المستقلة سواء أكانت أدبية أم علمية أم فنية ما دامت فينا بقيةٌ من عافيةٍ ، تاركين عند الله والوطن كلّ تضحياتنا وآلامنا .

الدكتور طه حسين

يسرنا أن نعلم أنّ الدكتور طه حسين على وشك العودة الى كلية الآداب ، فهو جديرٌ بهذا الانصاف بعد أن جنت السياسةُ جنايتها عليه وعلى غيره من أفاضل الرجال . وقد نشأت من جراء ذلك خصومةٌ بين الدكتور طه ومعالى حلمى عيسى باشا وزير المعارف السابق ، والواقع أن المسألة أبعدُ من أن تتعلق بحلمى عيسى باشا شخصياً وانما هى تنصبّ على النظام البائد بحذافيره وبما انطوى عليه من سيئات . ولا نحتاج الى الاشتغال بالسياسة لنقرر هذه الحقيقة الفنية عن التعريف فحسبنا ما نما فى ظل ذلك النظام من تنابذ وأحقاد بين رجالات الوطن حتى انتهت الحياةُ الحزبية الى فتنة شعواء وصارت كراماتُ الزعماء تداس فى غير حساب ، وبتنا نتلهف لظهور دكتاتور مصلح منقذ يردّ الامورَ الى نصابها . وقد كان هذا فى شخص صاحب الدولة محمد توفيق نسيم باشا الذى يستند حكمه أساسياً الى قوة الوفد ممثل الأمة المصرية،

كما يستند الى حسن التفاهم الصادق مع جلالة الملك الرئيس الأعلى للدولة والذى تتمثل فيه الآن صفة المستبد العادل ، الى أن يعود الحكم الدستورى الكامل على يدَيْ الوفد المصرى الأمين .

فى هذه الظروف التى نودّع فيها تجاريبَ الماضى الأليمة التى خدعت غيرَ واحدٍ من كبراء المصريين وأذكيائهم فانغمسوا طوعاً أو كرهاً فى الصراع الحزبى البغيض ، فى مثل هذه الظروف لا نرتاح لانصاف أيّ رجل مغبون أكثر من ارتياحنا لانصاف الدكتور طه حسين الذى أعلنّا تكراراً محبتنا وتقديرنا له فى جميع الظروف التى تقلب فيها . وكيف لا نرتاح لذلك ونحن نرى الى جانب انصافه الشخصى انصافاً للادب الذى يمثله بعد أن رأينا تورّطه فى السياسة التى لم يُخلق لها يُسئ اليه أبلغَ الاساءات ، ويخلق له أشنعَ العداوات ، ويجعله يتهاون فى كتاباته وأحكامه ويمهّد لارضاخ الأدب للاعتبارات السياسية شرّ إرضاخ ؟

إن من أكبر وأعجب جنايات العهد الماضى جناياته على الأدب من أنصار ذلك العهد ومن خصومه على السواء ! وقد لقينا نحن العنت الكثير من كلا الفريقين ، ورأينا كيف يستطيع أيّ صعلوكٍ يتمسّح فى السياسة وأى كاتبٍ سياسى مأجور أن يُسئ الى كرامة الأدباء المنصرفين الى الأدب ويكيل لهم التُّهمَ المختلفة جزافاً دون أن يخشى حساباً من أحد ، ما دام زملاؤه السياسيون ينصرونه بالحق وبالباطل ويجاملونه بأى ثمن ولو جنوا على كرامات الأدباء النزيهين !

فازاء هذه الحالة نغتبط لعودة الدكتور طه الى حظيرة الجامعة التى هى أولى به ، ونعدّ ذلك نصراً مزدوجاً له وللأدب والأدباء .

الشعر والثقافة العالمية

قرأنا كلمة حديثة للأديب الفاضل محمد عبد القادر حمزة فى صحيفة (البلاغ) المصرية يتّهم فيها شعراء الشباب بالتقليد الأعمى للأدب الغربى ويقول : « وقد لاحظتُ هذا التقليد الأعمى مرات كثيرة فيما قرأته من المؤلفات والدواوين الأخيرة ، وأذكر أننى سجلتُ هذه الملاحظة أثناء تعرُّضى بالحديث لبعض الشعراء الذين أخرجوا دواوينهم منذ عدة شهور ، فقد رأيتُ فى هذه الدواوين قصائد كثيرة كان النقل فيها واضحاً كلّ الوضوح رغم أنّ هؤلاء الشعراء حاولوا أن يضعوا فوق الروح الغربية التى نقلوا عنها ستراً من البيئة المصرية لتصطبغ قصائدهم

بالصبغة المصرية وليكون شعرهم ثمرة جهودهم الشخصية لا ثمرة جهود شخصيات أخرى . ولعلّ أوضح خطأ شاهدته وشاهده غيرى من النقاد هو ضعف الأسلوب واللغة التى ينظم بها هؤلاء الشعراء ، فهم فقراء فى ألفاظهم وأساليبهم يكثرون من الخطأ اللغوى فى مواضع عديدة ويفسدون المعنى القوىّ بما يسوقونه من ألفاظ عامية لا يجدون غيرها فى أذهانهم للتعبير عما يجول فى خواطرهم من معانٍ أو أفكار، وبذلك تفقد القصيدة قوتها وسحرها ويحسّ القارىء للمؤلف العطف أو الرثاء بدل الاعجاب والثناء . وهؤلاء الشعراء مسبوقون الى تمصير قصائدهم بما كان يصنع بعضُ المتصلين بالمسرح المصرى عند ما يعجزون عن تأليف مسرحيات ناجحة تمثل الحياة المصرية تمثيلاً صحيحاً متفقاً مع الواقع فتراهم يعمدون الى ترجمة المسرحيات الغربية ولكنهم لا ينسبونها لمن ألفوها بل يسندونها لأنفسهم والى البيئة المصرية ما داموا قد استطاعوا تبديلَ أسمائها بأسماء مصرية وتغيير مشاهدها أو حوادثها . فكل من الفريقين يفتعل شيئاً مصرياً ليس فيه إلا فضل النقل والتمصير . ولا شكّ أنّ قيام دولة الشعراء على هذا الأساس الخاطىء انما يضلّ بها السبيل ويجعل الشعر غير أهلٍ للتعبير عن حياة أمة كالأمة المصرية . وكيف تريد من شعر كهذا أن يلقى العناية والاحتفال فى مصر والشرق العربى وهو فى صميمه يعبر عن مجتمع آخر غريب عن مصر ؟ بل كيف نبغى من هذا الشعر نهضة أدبية وهو يحمل فى طياته الدليلَ القوىّ على فقر ناظميه فى اللغة والأسلوب والابتكار والخيال ؟ »

ورأينا أن هذا الحكم على شعر الشباب غيرُ عادلٍ لأنه نتيجة اطلاع محدود ، وأن المقارنة بين دواوين الشعر الحديثة والمسرحيات الجديدة لا محلّ لها من الاعتبار. فالواقعُ هو أن الشعر الحديث يتأثر بالثقافة العربية من ناحيةٍ وبالثقافة العالمية من ناحية أخرى ، فألوانه هى من ظلال هذا التفاعل ، وهى بناءً على ذلك ألوانٌ طبيعية لا تَصنُّعَ فيها مطلقاً، بل لها جمالُها وانطباقُها على الحياة العصرية التى يعيشها أولئك الشعراء ، وهى مزيج من الروح الغربى (وهو الغالب) ومن الروح الشرقى ، فليس تعبيرُهم الصادق عنها هو التصنعُ وانما التصنُّعُ يكون بالتجرّد عن عصريتهم هذه . كذلك كان الحال فى عهد أبى تمام والمتنبي فقد كان شعرُهم معبراً عن الروح العربية وعن الحكمة الاغريقية التى ظفر عصرُها بها والتى لم يكن لهما أن يتجاوزاها .

وان اتهامَ شعراء الشباب باستعارة الشعر الغربى وبفقر اللغة والأسلوب والابتكار

والخيال مما لا يقوم عليه أيُّ دليلٍ . وحسبُنا أن نشير على سبيل المثال الى ما كتبه عن ديوان (الألحان الضائعة) للصيرفى كلٌّ من الأدباء محمد كامل حسين فى (الوادى) وطاهر الطناحى فى (البلاغ) وسيد قطب فى (الأهرام) ، فانّ جميع مؤاخذتهم مما لم يصعب تفنيدُه علينا أو على صاحب الديوان ، فلم تقم لها أيةُ قائمةٍ . وفى اعتقادنا أن الأديب الفاضل محمد عبدالقادر حمزة لا يمكنه أن يعزز دعاواه هذه بالشواهد فان الحقائقَ جميعَها فى غير جانبهِ ، وفى دعاواه هذه تعسُّفٌ كبيرٌ . ولو أخذنا بها لوجبَ تطبيقها على النثر العصرى أسوةً بتطبيقها على النظم ، وهذا ما لا يقول به أيُّ منصفٍ .

وليس عدمُ إقبال الجمهور على الشعر الجديد دليلاً على قلةِ حيوية هذا الشعر أو على افتعالهِ ، وانما هو دليلٌ على أن الجمهور فى درجةِ ثقافتهِ هو دون الجيل الجديد من الشعراء ومن الفنانين عامةً ومع ذلك فالمستقبل لهذا الجيل الجديد ، وعليه أن يعمل فى صبرٍ وتؤدةٍ للنهوض الفنى بالجمهور دون أن يضحىَ بفنه فى مجاراة التيار العام .

الذكريات المشجية

تزدحم الذكريات المشجية أمامنا : فمن أسفٍ عميق لفقدان مصر بل العروبة شيخها العلامة الجليل احمد زكى باشا (وحفاوته بالشعر العربىِّ لم تكن بالهيّنة) ، ومن حسرةٍ على خسارتنا الفادحة بفقد شاعرىْ الشباب محمد أبى الفتح البشبيشى المصرى وأبى القاسم الشابى التونسىّ ، ومن ألمٍ لما نراه من التهاون فى حقّ النابغين والاعلام من الادباء كالكاظمى ومحرم ولسيم وما يجرُّه هذا التهاون من تثبيط عزائمهم أو القضاء على آثارهم .

وسبقت العراقُ الاممَ العربيةَ الى الحفاوة بشاعرها العبقرىّ أبى الطيب المتنبى لمناسبة الذكرى الألفية لوفاته (وموعدها فى العام الآتى) فكتب صديقنا المازنى فى « البلاغ » ينعى على أدباء العراق تهاونهم فى حقّ شاعرهم الكبير عبد المحسن الكاظمى وقصر حفاوتهم على الأعلام السابقين فى كل قطر عربىٍّ وفى مصر بوجه خاص ، وإلا فكيف يسوغ عقلاً أن تدوى الانديةُ بتمجيد شاعر مثل احمد محرم وكيف يبجله المسلمون ومع ذلك لا تتحرك مشيخة الأزهر ولا وزارة الأوقاف لمعاونة هذا الشاعر الاسلامى الفذّ على التوفر على تأليف إلياذته الاسلامية ؟

احتفل الفرسُ بذكرى صاحب الشاهنامة واحتفل الجرمان بذكرى شيلر ، ولم يكونوا متنزّهين عن بخس أعلامهم حقّهم أثناء حياتهم ، ولكن أصحاب المواهب لا يُبخسون حقهم الآن عادة فى الامم الغربية الا اذا طاشت عوامل السياسة والنعرات الدينية وتلك أحداث وقتية . وأما فى مصر فما أهون شأن العلم والأدب متى كانا خالصين لوجه العلم والأدب الى أن تسمح الظروف بارغام المجتمع على تقديرهما ، وقلما تكون الظروفُ مواتية وقلما يعيش أصحابهما فى غير العقبات والآلام ، وعلى هذا نقيس مَبلغَ نهضتنا الحقيقية .

شعر الشباب

نشرنا فى هذا العدد كما نشرنا من قبل ملاحظات نقدية على شعر الشباب لغيرِ واحدٍ من الأدباء وقد أُخذ على بعضهم تشابهُ المناحى والتأثر المتبادل ، ولا نرى هذا أمراً معيباً ما دام معترفاً به فان لتشابه النزعة والثقافة بعض الأثر فى ذلك . وانما العيبُ فى النكران والجحود وفى التنافس المزرى الذى لا يتفق والروح الفنية المهذبة . مثالُ ذلك أن يأتى أحدُهم ، وقد يكون شاعراً مجيداً بالنسبة لسنّه ومستحقاً للتشجيع ، فيغترّ بسماحةِ المشجّعين ويُجنّ جنونه ، فاذا به يُلقى الحجارة يمنةً ويسرة على مَن هم خيرٌ منه بل وعلى مَنَ يعدّون فى منزلةِ أساتذته ، واذا بنا نقرأ الاعلانات الجوفاء عن الروح الجديدة فى الأسلوب الرصين ، والشاعرية الناضجة والموسيقية الرائعة والصورة المشرّفة لشعر الشباب الممتاز ، الجامعة بين جدّة الاتجاه الفنى وكمال الأداء اللغوى ، الى آخر هذا التهريج ، حتى إذا اطلعنا على بعض هذه النماذج « المشرّفة » لم نجدها الا إغارةً وقحةً على دواوين الشعراء النابهين وانتهاباً بالجملة لمعانيهم وتراكيبهم ، ولو كان مثلهُ فى عصر صاحب (المثل السائر) لأغناه كلّ الغنى فى الاستشهاد بشعره على ضروب السرقات الشعرية ... ونحن نَبرأُ الى الفن من التغرير بأحد دع عنك هدا الشباب ، فنحن نبغض هذا الجحودَ والتبجُّحَ ، ولا نحترم الشاعرَ الذى يظنّ من العظمة النفسية أن يجحدَ فضلَ غيرهِ عليه وأن يجازيه بالاهانة وإن اعتمدَ على المغرضين من الكتاب الذى يسمون السرقة ابتكاراً وابداعاً ! ولولا السياسةُ لما كان لأمثال هؤلاء الكتاب المغرضين أىّ صوتٍ فى النقد الأدبى ، وكم للسياسةِ من جنايات على الأدب .



شعر ابن الفارض

١ – وُلد أبو حفص عمر بن الفارض بالقاهرة فى الرابع من ذى القعدة سنة ٥٧٦ وتُوفى بها فى اليوم الثانى من جمادى الأولى سنة ٦٣٢ ، وهو فى الأصل من أسرة حموية ، ولهذا الأصل أهمية فى طبع ذلك الشاعر ، فأهل الشام فى الأدب القديم تغلب عليهم رقة الطبع ، ولهم شغف بصور الجمال ، ونزعتهم الغزلية فيها لين يندر مثله فى مصر والعراق . وهذا الذى نقول به استوحيناه مما قرأنا لشعراء الشام فى المعانى الحسية والوجدانية ، وقد سبقنا الى هذا الحكم أبو بكر الخوارزمى إذ قال منذ عشرة قرون :

« ما فتق قلبى ، وشحذ فهمى ، وصقل ذهنى ، وأرهف حدّ لسانى ، وبلغ بى هذا المبلغ ، الا تلك الطرائف الشامية ، واللطائف الحلبية ، التى علقت بحفظى ، وامتزجت بأجزاء نفسى [(١)] » .

والحقّ أن ابن الفارض شخصية فريدة بين شعراء مصر ، وقد اشتركت فى تكوينه ثلاث بقاع : الشام وفيها أصله ، والحجاز واليه حنينه ، ومصر وفيها مقامه ، فهو شاعر مصر والشام والحجاز ، وله فى هذه الأقطار الثلاثة محبون يرونه مترجماً لأدقّ ما يضمرون من نوازع القلب والوجدان .

٢ – وابن الفارض مدين بخلود شعره الى نزعته الصوفية ، ولو لا التصوف لانطمس ذكره منذ زمان ، لأن له فى فنونه الشعرية أساتذة لا يُشقّ لهم غبار ، فله فى الخمريات منازع خطير هو أبو نواس ، وله فى الحنين الى الحجاز إمام لا نظير

---

(١) يتيمة الدهر ص ٨ ج ١ .

له ولا مثيل هو الشريف الرضى (١)، وله فى الصبابة سيّد هو العباس بن الأحنف، وما يكاد شعر ابن الفارض يخرج عن الصبابة والحنين والخمريات .

فالمعانى الرمزية عند ابن الفارض هى السر فى اقبال الناس على شعره ؛ ولولا ذلك لانصرفوا عنه ورأوه أخفّ من أن ينصب له ميزان .

وفى رأيى أن العناية بشعر ابن الفارض كانت فاتحة جديدة فى وزن المعانى ، بعد أن ظل الناس أزماناً طوالاً يحرصون قبل كل شىء على وزن الألفاظ ، وهو من وجهة الديباجة وقوة السبك شاعر ضعيف ، ولكنه من حيث المعانى فحل من الفحول لأنه استطاع الجمع بين الحقيقة والخيال ، والحقيقة عند هذا الشاعر هى الصورة الروحية ، أما الخيال فهو الصورة الحسية التى رمز بها الى المعنويات .

ويمتاز ابن الفارض بقوة الروح . وحسبنا أن نذكر أنه أُلهم فى منامه هذين البيتين :

وحياة أشواقى إليـ ـك وحرمة الصبر الجميل
ما استحسنت عينى سوا ك ولا صبوت إلى خليل

وهذان البيتان لا خطر لهما عند من يحفلون بجزالة الألفاظ . ولكنهما على جانب عظيم من القوة عند من يؤثرون المعانى ، وهل فى الحب أجلّ وأشرف من توحيد المحبوب ؟ إن الشاعر يقسم بأشواقه وبحرمة الصبر الجميل ـ وهو قسم لو تعلمون عظيم ـ يقسم أن عينه ما استحسنت سوى محبوبه ، وأن قلبه ما صبا الى محبوب سواه . وقوة المعنى والروح ظاهرة فى هذين البيتين ظهوراً قويّاً .

والنفس قد تلهج فى عالم الأحلام بمعانٍ شتى فليس من الكثير أن يلهج ابن الفارض فى نومه بالمعانى الشعرية ، ولكن الكثير أن يتفق لعقله الباطن أن لا يتحدّث بغير توحيد المحبوب ، وتلك شارة الصدق ، والصدق هو الدعامة الأولى لقوة الروح .

٣ ـ شغل ابن الفارض بالشعر نحو أربعين سنة ، وذلك أمدٌ طويلٌ ، فلا ينتظر مع هذا أن يصبغ شعره بصبغة واحدة ، وانما توجب طبيعة الأشياء أن يكون لشعر

(١) صح عندى أن ابن الفارض استوحى الشريف الرضى فى قصائده الحجازيات .

الصبا لون ، ولشعر الكهولة لون ، وقد كان الأمر كذلك ، فلابن الفارض قصائد تمثل الشباب ، وله قصائد لا تصدر عن غير الكهول .

والوحيُ واحدٌ في شعر ذينك العهدين ، وهو الحب ، وان كان يختلف بعض الاختلاف : فالحب فى العهد الأول كان حباً حسياً ، ومن العسير أن نقول بغير ذلك فقد كان ابن الفارض فى صباه مضرب الأمثال فى نضارة الجسم واشراق الجبين ، وكان لابدّ لمثله فى جماله وشبابه من صبوات . وكان لا بدّ أن توحى اليه تلك الصبوات بأشعار فيها ثورة وفيها حنين ... وإني لأعترف بأن من العسير أن نجد لذلك نماذج صريحة ، ولكن ماحاجتنا الى تلك النماذج ، وجمهرة شعره تؤيد هذا الرأي ؟ اننا لو غضضنا النظر عن التائية الكبرى وما نحا نحوها من شعره لرأينا الروح السائد فى الديوان يمثل شعر الشباب ، ولو ألقيت جملة قصائده فى ديوان آخر لما تنبه أحد الى تمثل الشوق الى الذات الالٓـية ، فان هذا الملحظ لم تخلقه الا التفكير فى شخصية بن الفارض ، وقد شاع فى المشرقين انها شخصية روحيه .

والحبُّ الحسى عند ابن الفارض كان أساس الحب الروحى ، وقد هدتنا التجارب الى أن المحبين فى العوالم الروحية كانوا فى بدايتهم محبين فى الأودية الحسية ، والهيام بالجمال الالٓـهى لا يقع إلا بعد الهيام بالجمال الحسى ، ولو شئت لضربت المثل بقصة ابراهيم حين رأى القمر فقال هذا ربى ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين ، والمحبون فى الأودية الحسية لا يتجهون الى العوالم الروحية إلا بعد أن تدلهم الدنيا على أن الجمال الانسانى كالظل يتحول ويزول ، وأشعار ابن الفارض فى جملتها تمثل معانى حسية ، هى فى بعض الأحوال رمز للمعانى الروحية . وهذا الرمز تفرضه سيرة ابن الفارض وقد ذاق الكأسين فعرف الحب الحسى والحب الروحى ، ويكاد يكون من اليقين عندنا أن حبه الأول هو السر فى قوة حبه الثانى ، لأننا نعرف الله أول ما نعرف عن طريق المحسوسات ، وكل جمال فى عالم الحس هو تذكير بالجمال المكنون فى عالم الروح . والمحسوسات نفسها لاتوحى الشعر الا حين تستعدّ النفس لفهم ما فيها من الدلالات الوجدانية ، وأساس الحب هو التفاهم ، فالتمثال من المرمر قد يوحى الاعجاب ولكنه لايوحى العشق إلا إن تمثلنا مايرمز إليه من الروح . والصورة الجميلة الحية قد تمرّ بلا حب ولا وجد حين تحرم التفاهم مع الشعراء . ألا تذكرون مايسمونه لغة العيون ؟ ان بعض العيون تتكلم بلا صوت فتوحى ماتوحى من الهدى والضلال .

وابن الفارض على هذا مدينٌ الى الصور الجميلة التى ألهبت حواسه وهو يغدو ويروح فى ميادين القاهرة ، وأ كاد أرى بعينى أشباحاً تختال فى قصائده الصوفية ، وهو نفسه استغلَّ الأساليب والصيغ التى اصطنعها شعراء الحب الحسى من أمثال ابن الأحنف وابن زيدون .

أليس من العجب أن تعجز جماهير الصوفية فى طوال الأزمان عن خلق لغة للحب الالـهى تستقل عن لغة الحب الحسى كل الاستقلال ؟ ولم كان ذلك ؟ لأن الحب الالهيّ يغزو القلوب بعد أن تكون انطبعت على لغة العوام أصحاب الصبوات الحسية . فيمضى الشاعر الى العالم الروحى ومعه من عالم المادة أدوات وأخيلة هى عظة فى تصوير عالمه الجديد ، ومثلهم فى ذلك مثل ابن الجهم حين غلبت عليه أخيلة البادية وهو يخاطب الخليفة فى بغداد .

ومهما يكن من شيء فابن الفارض شاعر عاشق توزعت عواطفه بين عالم المادة وعالم الروح وهو فى أكثر شعره يعبر عن نفس صافية استطاعت السيطرة على طوائف من الناس زمناً غير قليل .

٤ — وشعر ابن الفارض يتراوح بين الفطرة والتكلف ، ومن المحتمل أن يكون ماصنع ابن بنته بشعره هو سبب ذلك التكلف ، فقد سمعت أستاذنا المهدى رحمه الله يقول فى محاضراته بالجامعة المصرية إن ذلك السبط كان يضيف أبياتاً الى بعض القصائد . غير أنه يجب أن نفرق بين التكلف والضعف ، لأن التكلف كان يغلب على أكثر الشعراء فى عصر ابن الفارض ، فما وسم من شعره بذلك الطابع لايمكن أن يشك فيه كله ، وانما يتطرق الشك الى ماظهر عليه الضعف كالذى وقع فى الهمزية التى مطلعها :

أرج النسيم سرى من الزوراء   سحراً فأحيا ميت الأحياء

ففيها كثير من التكلف ، ولكنها لاتخلو من قوة ، ولننظر هذه الأبيات :

ياساكنى البطحاء ! هل من عودة   أحيا بها ياساكنى البطحاء ؟

إن ينقضى صبرى فليس بمنقض   وجدى القديم بكم ولا بُرَحائى

ولئن جفا الوسميّ ماحل تربكم   فدامعى تُربى على الأنواء

واحسرتى ! ضاع الزمانُ ولم أفز   منكم أهيلَ مودتى بلقاء

ومتى يؤمّل راحةً مَن عمره ... يومان يوم قلى ويوم تناء؟!

وحياتكم يا أهل مكة وهي لى ... قسم لقد كلفت بكم أحشائى

حبيكم فى الناس أضحى مذهبي ... وهواكمُ دينى وعَقد ولائى

يا لائمى فى حب مَن مِن أجله ... قد جدّ بى وجدى وعزّ عزائى

هلاّ نَهاك نُهاك عن لوم امرىء ... لم يلف غير منعّم بشقاء

لو تدر فيم عذلتنى لعذرتنى ... خفّض عليك وخلّنى وبلائى !

وهذا من الشعر المقبول ، ولكن هذه القصيدة ختمت بأبيات أرجح أنها من وضع ذلك السبط الذى أراد أن يزيد ثروة جده فأساء ، ولنقرأ هذه الأبيات :

واهاً على ذاك الزمان وما حوى ... طيب المكان بغفلة الرقباء

أيام أرتع فى ميادين المنى ... جذلاً وأرفل فى ذيول حباء

ما أعجب الأيام توجب للفتى ... منحاً وتمنحه بسلب عطاء

يا هَلْ لماضى عيشنا من عودة ... يوماً وأسمح بعده ببقاء؟

هيهات اخاب السعى وانفصمت عرى ... حبل المنى وانحلّ عقد رجائى

وكفى غراماً أن أبيت متيماً ... شوقى أمامى والقضاء ورائى

والديباجة واحدة ، أو متقاربة ، ولكن النفس يختلف اختلافاً شديداً يدركه الذوق ، وأخشى أن يكون تدخل ذلك السبط هو العلة فى أكثر ما وقع فى ديوان ابن الفارض من الاسفاف .

٥ – قلت ان التكلف كان كثيراً فى الشعر لعهد ابن الفارض . وكذلك نجده مفتوناً بفنون البديع من تورية وجناس وطباق ، وإن لم يسرف فى الشغف بتلك الفنون وقد اتفق له مرة أن يمعن فى التكلف ، وذلك فى قصيدته الدالية ، فان قافية الدال صعبة جداً ، ولا يقبل عليها الشعراء الا متكلفين . والذى يراجع القوافى العربية يرى الشعراء لا يتخذون الدال قافية الا فى الأبيات والمقطوعات ، ويراهم لا يقفّون قصائدهم بالدال الا فى النادر القليل ، أما ابن الفارض فقد بدا له أن يغرب ، وأن يدل معاصريه على امتلاكه لناصية تلك القافية الشَّموس ، فقال :

صدّ حمى ظمئى لماك لماذا ... وهواك قلبي صار منه جُذاذا

إن كان فى تلفى رضاك صبابةً ولك البقاء وجدتُ فيه لذاذا
كبـدى سَلبتَ صحيحةً فامنن على رمقى بها ممنونة أفلاذا
يا راميـــاً يرمى بسهم لحاظه عن قوس حاجبه الحشا إنفاذا
أنى هجرت لهجر واش بى كمن فى لومه لوُمٌ حكاه فهاذا (١)
وعلىَّ فيك من اعتدى فى حَجره فقد اغتدى فى حجره ملاّذا
غير السلو تجـده عندى لائمى عمن حوى حسن الورى استحوذا
ياما أميلحه رشاً فيه حَلا تبديله حالى الحـــلىّ بذاذا
أضحى باحسان وحسن معطياً لنفـــائس ولأنفس أخاذا

وما نحب أن ننقل القصيدة كاملة ، ويكفى أن نشير الى أنها تجاوزت الخمسين بيتاً فهى قصيدة طويلة،وطولها يشهد بما وقع فيها من التكلف . والشاعر حين يتخير قافية وعرة كقافية الذال يشغل عن المعانى ، ويتجه فكره الى البحث عن الألفاظ ، ونحن نعرف كيف تجنى مثل هذه المحاولة على الشاعر ، وتصرف روحه عن الأجواء الشعرية ، وتحوّله الى صفوف «الفعلة» بعد أن كان من الفنانين .

٦ ـ ومن الاتجاهات الفنية التى غلبت على ابن الفارض ميله الى « التصغير » وقد غلب عليه هذا الميل غلبة قوية ، بحيث نجد آثاره فى جميع القصائد ، فأهل الحى وأهل الود هم غالباً « اُهَيْل الحى وأهيْل الود » :

يا أهيـل الودّ أنّى تنكرو نىَ كهلاً بعـد عرفانى فتىّ

وفى هذا البيت وحده تصغيران .

والظبى عنده ظُـبَىّ :

هـل سمعتم أو رأيتم أسـداً صاده لحظ مهاةٍ أو ظُـبَىّ

والهوى عنده هُوَىّ :

وضعَ الآسى بصـدرى كفه قال : ما لى حيلة فى ذا الهُـوَىّ

واللمى عنده لُمَىّ :

(١) فى هذا البيت ركاكة ظاهرة ، وكذلك البيت الذى يليه .

آه ! واشوق لضاحي وجهها وظما قلبي لذيّاك اللميّ

وفى هذا البيت تصغيران .

والأُرىّ ارىّ :

وأرى من ريحه الراح انتشت وله من وَلهِ يعنو الأُرىّ

وفى هذه القافية وحدها تصغيرات كثيرة ، وكذلك الحال فى أكثر القصائد ، ربما كان ابن الفارض أكثر من اهتموا بالتصغير بين شعراء اللغة العربية وعند درس تصغيراته نراها مالت أحياناً الى التكلف أو الجناية على المعنى ، كالذى وقع فى تصغيره الهوى والأُرى . ولا يقف كلفه بالتصغير عند الأسماء ، بل يتعداه الى الاكثار من تصغير فعل التعجب كقوله :

ياما أميلح كل مايرضى به ورضابه ياما أحيلاه بفى

وكما يكثر عنده التصغير تكثر عبارة (لعمرك) وهى عبارة جاهلية فتن بها عمر بن أبى ربيعة فتنة شديده وأنس بها ابن الفارض .

٧ ـ ومما شارك فيه ابن الفارض معاصريه الغرام بالألغاز ، واللغز ليس من الشعر فى شىء ، انما هو نظم يراد به اختبار الذكاء ، ولذلك نرى اللغز بعيداً عن فن ابن الفارض الذى يعتمد على الروح

وألغازه من الوجهة النظمية فيها الثقيل والمقبول . وقد راجعناها فلم نرض فيها عن شىء ، ويكفى هذا الشاهد فى الإلغاز بحلب :

مابلدة فى الشام قَلْبُ اسمها تصحيفه أخرى بأرض العجم

وثلثه إن زال من قلبهِ وجدته طيرا شجىّ النغم

وثلثه نصف وربع له وربعه ثلثاه حين القسم

ويمكن الرجوع فى ديوانه الى الصفحات ١١١ — ١١٥ ففيها ما يكفى لتصوير هذا الجانب من فنونه النظمية .

٨ ـ وشارك معاصريه أيضاً فى الاشارات النحوية ، وإن لم يسرف فى ذلك ، وحسبنا هذا الشاهد :

نَصَباً أكسبنى الشوقَ كما تُكسبُ الأفعالَ نَصباً لامُ كَىْ

وجانس فى هذا البيت بين النَّصب والنَّصَب فلم يصل بما تـكلف إلا لمعنى هزيل .

٩ ـ وابن الفـارض كأكثر الشعراء لا يعيِّن اسم الحبيب ، وإنما يدور حول طائفة من الأسماء ، فهواه حيناً عند سعاد كأن يقول :

ماشِمتُ البَشام إلا وأهـدى   لفؤادى تحيـةً من سـعادِ

وحينا عند رُقىّ ــ مرخم رقية ــ كقوله فى اليائية :

خاطِبَ الخطبِ دع الدعوى فما   بالرُّقى نرقَ الى وصل رُقىّ

وقد جرى اسم ليـلى فى شعره مرات كثيرة ، ولـكنّ أرق الاسماء عنده اسم « نعم » وهو يدور حوله بجنان :

اذا أنعمتْ نُعمٌ علىّ بنظرة   فلاأسعدت سعدى ولاأجملت جُملُ

ومن لم يَجُد فى حب نُعم بنفسه   ولو جاد بالدنيا اليه انتهى البخلُ !

وقد ضرب بها المثل حين قال فى وصف الراح :

ويطرب مَن لم يدرها عند ذكرها   كمشتاق نُعمٍ كلما ذُكرت نُعمُ

ويتفق له أن يجمع أسماء مختلفة فى بيت واحد ، كما جمع بين «نعم وسعدى وجمل» فى البيت الذى مرّ آنفاً ، وكقوله فى الجمع بين ريا وعتبة سلمى .

عُتب لم تُعتِبْ وسلمى أسلمت   وحمى أهل الحمى رؤية دَىْ

ومثل هذا البيت يدل على أن الأسماء ليست عنده إلا إشارات مبهمة لما يرمز اليه فى عالم الروح .

١٠ ـ ولقب ابن الفارض عند الصوفية لقبٌ طريف ، وهو «سلطان العاشقين» وقد شهد لنفسه بهذه السلطنة الوجدانيـة فى مواضع كثيرة ، فجعـل نفسه إمام العشاق ، ومحبوبه إمام الملاح ، حين قال :

كل مَن فى حِماك يهواك لـكن   أنا وحدى بكل مَن فى حِماكا

فُقتَ أهل الجمـال حُسناً وحسنى   فبهم فاقةٌ الى معناكا

يحشر العاشقون تحت لوائى   وجميع المـلاح تحت لواكا

وهو معنى جيد انتهبه أحد الزجالين فى العصر الحاضر فقال :

أنا في العشاق أميرٌ وأنت في الحلوين ملك

وجعل نفسه قدوةً في الحب للأولين والآخرين حين قال :

قل للذين تقدموا قبلي ومَن بعدي ومَن أضحى لأشجاني يرى
عني خذوا وبيَ اقتدوا وليَ اسمعوا وتحدّثوا بصبابتي بين الورى

وجعل المحبين جنده حين قال :

نسخت بحبي آيةَ العشق من قبلي فأهل الهوى جندي وحكمي على الكلّ
وكل فتًى يهوى فاني إمامُه واني بريءٌ من فتًى سامعِ العذلِ

وهو في هذا المعنى بصوره المختلفة مسبوق بالشاعر الذي ألهمه فن الحجازيات ، وهو الشريف الرضي حين قال :

وإني لمجلوبٌ ليَ الشوق كلما تنفس شاكٍ أو تألم ذو وجدِ
تَعرَّضُ رسل الشوق والركب هاجد فتوقظني من بين نوّامهم وحدي

١١ - ولابن الفارض معانٍ كلف بها كلفاً شديداً ، ودار حولها طويلاً ، وأظهرُ ما اهتمّ به وصف النحول ، وقد عرض له بصور كثيرة ، فيها المتكلف والمقبول ، فتارة يحدثنا أنه ضنى حتى خفي عن العوّاد فيقول :

خفيت ضنى حتى لقد ضلّ عائدي وكيف ترى العوّاد مَن لا له ظلّ
وما عثرتْ عينٌ على أثري ولم تدع لي رسماً في الهوى الأعين النُّجلُ

وتارةً يحدثنا بأنه كاد يخفى عن نفسه فيقول :

أخفيت حبكمو فأخفاني أسًى حتى لعمري كدت عني أختفي !

وحيناً يترفق فيذكر أن جسمه ضنى حتى كاد يشف عما يضمر من أسرار الهوى وانه ما زال يفنى بالنحول حتى خفي عن برء الاسقام وبرد الأوام ، فيقول :

يشف عن الاسرار جسمي من الضنى فيغدو بها معنى نحولُ عظامي
صريع هوًى جاريت من لطفيَ الهوا سُحيراً فأنفاس النسيم لمامي
صحيحٌ عليلٌ فاطلبوني من الصَّبا ففيها كما شاء النحول مُقامي
خفيت ضنى حتى خفيت عن الضنى وعن برء أسقامي وبردِ اوامي

ولم يُبق منى الحبُّ غير كآبةٍ وحزن وتبريح وفرط سقام
ولم أدر مَن يدرى مكانى سوى الهوى وكتمان أسرارى ودعى ذمامى
لينج خلىٌّ من هواىَ بنفسهِ سليماً ويا نفسُ اذهبى بسلام !

والكلامُ عن الضنى والنحول كثيرجدّاً فى قصائد الشعراء ، ولكن إمعان ابن الفارض فى هذا المعنى جعله من خواصّه الشعرية ، وافتنانهُ فيه افتنانٌ طريف تظهر طرافته لمن يتأمل كيف قصَر الهوى على تعرف جسمه النحيل .. .وليتذكر القارىء أن أكثر الشعر فى النحول ليس الا مظهراً من مظاهر الذكاء ، وحظ العاطفة فيه قليل ، فالحسين بن مطير يجعل جسمه أضعف من أن يهتزّ له عود الثمام فيقول :

فلو أن ما أبقيت منى معلّقٌ يعود ثُمام ما تأوّد عودها

والمتنبي يزعم أن جسمه لم يبقَ من آثاره غير الصوت ، فيقول :

كفى بجسمه نحـو لاً أننى دجل لولا مخاطبتى إياك لم ترنى !

وقد بلغ أحد المولدين غاية الظرف حين قال :

عادنى ممرضى فلم ير منى فوق فرش السقام شيئاً يراهُ
قال لى : أين أنت ؟ قلت : التمسنى ! فبكى حين لم تجدنى يداهُ !

أما ابن الفارض فيجمع بين العاطفة والذكاء حين يتكلم عن النحول ، ومن التجنى أن نقول إن قطعته الأخيرة ليست إلا براعة فنية فى تلوين الخيال .

١٢ ـ وابن الفارض يشارك جمهور الشعراء فى الحديث عن طيف الخيال . ولكن صوره الشعرية فى هذا الباب تمتاز بألوان من القلق الروحانى ، لأنه يستصغر زيارة الطيف ـ وكان البحترى والمتنبي يريانها من مُتع الوصال ، ولننظر هذه الأبيات التى يصف فيها الخيال بالارجاف :

يا مانعى طيب المنام ومانحى ترب السقام به ووجدى المتلفِ
عطفاً على رمقى وما أبقيت لى من جسمىَ المضنى وقلبى المدنفِ
فالوجدُ باقٍ والوصالُ مماطلى والصبر فانٍ واللقاء مسوّفى

لم أخل من حسدٍ عليك فلا تُضِعْ   سهرى بتشييع الخيال المرجفِ (١)
وأسأل نجوم الليل هل زار الكرى   جفنى، وكيف يزور مَن لم يعرف ؟

فهو يرى الطيف لا يروى الغليل ، وقد ذهب الى أبعد غايات الشره الروحانى إذ قال :

وإذا اكتفى غيرى بطيفِ خيالهِ   فأنا الذى بوصاله لا أكتفى !

ونراه فى مكان آخر لا ينتظر طيف الحبيب فى النوم ، وإنما يتصيده وهو يقظان ولننظر هذه الأبيات :

لك قربٌ منى ببعدكَ عنى   وحُنوٌّ وجدتُه فى جفاكا
علَّم الشوق مقلتى سهر الليـــل فصارت من غير نوم تراكا
حبذا ليلةٌ بها صِدتُ إسرا   كَ وكان السهادُ لى أشراكا
بات بدرُ التمام طيفَ محيا   كَ لطرفى بيقظتى إذ حكاكا
فتراءيتَ فى سواك لِعينٍ   بك قرّتْ وما رأيت سواكا

وهذا الطيف أظرف الأطياف ، والشاعر يحدثنا بأنه يرى فى البعد قرباً ، وفى الجفاء حُنواً ، لأن محبوبه يبعد ويجفو عن عمد ، وتعمدُ الهجر صورةٌ من صور الوصال ، ثم يحدثنا بأنه يتخذ السهاد شركاً يتصيد به طيف المحبوب ، ثم ينظر الى البدر فيرى فيه خيال محياه . ثم يهتف بهذا البيت :

فتراءيتَ فى سواكَ لِعينٍ   بك قرّتْ وما رأيتُ سواكا

ومن طريف ما تلفت اليه تعلقه بطيف الملام ، حين يعزّ عليه طيف المنام ، إذ يقول :

أدِرْ ذكر مَن أهوى ولو بملام   فانّ أحاديثَ الحبيب مدامى
ليشهد سمعى من أحب وإن نأى   بطيف ملامٍ لا بطيف منامِ

---

(١) فى نسخة الديوان « تشنيع » والذى أحفظه « تشييع » وهو عندى أنسب وناشر الديوان فسر التشنيع بالتفريع .

فلى ذكرها يحلو على كل صيغةٍ وإن مزجوه بعُذّلى بخصامِ
كأنّ عذولى بالوصال مبشرى وإن كنت لم أطمع بردّ سلامِ

فهو يتذوّق اللوم ويتشهاه لأنه يصله بصورة المحبوب ، وهو فى هذا مسبوق بقول دعبل :

أحد الملامةَ فى هواكِ لذيذةً حبّاً لذكرك فليلمنى اللوّمُ !

وهذا السبق لا يغضّ من فضل ابن الفارض لأنه تناول المعنى بروح مغمور بصدق الاحساس ، ودليل ذلك أنه يعود الى هذا المعنى من حين الى حين ؛ كأن يقول فى مخاطبة العذول :

أحسنت لى من حيث لاتدرى وإن كنت المسيء فأنت أعدلُ جائرِ
يدنى الحبيبَ وإن تناءت دارهُ طيفُ الملام لطرف سمعى الساهرِ
فكأن عذلك عِيسُ مَن أحببتهُ قدمتْ علىّ وكان سمعى ناظرى !

وهو فى هذه الأبيات يجعل السمع نظراً يرى به طيف الملام . والتكلف فى الصورة تكلف مقبول ، ومن التكلف ما يُقبَل ، لأنه يمثل لنا أخص النواحى الوجدانية فى ابن الفارض ، وهو شغفه باستحضار صورة المحبوب . ألسنا نراه يشطر وجوده شطرين يحسد أحدهما الآخر ، ويجعل بصره يتمنى لو عاد سمعاً لينعم بأخبار الحبيب ، إذ يقول :

بعضى يغار عليك من بعضى ويَحسُدُ باطنى ـ إذ أنت فيه ـ ظاهرى (١)
ويودّ طرفى إن ذكرت بمجلسى لو عاد سمعاً مصغياً لمسامرى !

١٣ ـ واستحضار صورة المحبوب من أسرار العبقرية فى شعر ابن الفارض ، فهو فى أكثر شعره لايشغلنا بنفسه كما يشغلنا بذلك الحبيب ، وانه ليرى روحه أصغر من أن تقدّم هديةً لمبشره بقدوم أهل هواه :

وحياتكم ، وحياتكم ، قسماً ، وفى عمرى بغير حياتكم لم أحلفِ
لو أن روحى فى يدى ووهبتها لمبشّرى بقدومكم لم أنصفِ !

---

(١) ظاهرى هو فاعل « يحسد »

وكل شيء في الوجود يمثل لروحه صورة الحبيب : فهو يراه في ملامة العذال ، وفي لمع البرق ، وفي نغمة العود والناى ، وفي مسارح الظباء ، وفي برد الصباح والأصيل ، وفي مساقط الأنداء ، على بساط الأزهار ، وفي أذيال النسيم ، ويراه في ثغر الكأس وريق المدام، ولا قيمة للغربة ولامعنى للانزعاج مادام في صحبة المحبوب :

تراه إن غاب عني كلُّ جارحة ... في كل معنًى لطيفٍ رائق بهج
في نغمة العود والناى الرخيم إذا ... تآلفا بين ألحان من الهزج
وفي مسارح غزلان الخمائل في ... بَرد الأصائل والاصباح في البَلج
وفي مساقط أنداء الغمام على ... بساط نور من الأزهار منتسج
وفي مساحب أذيال النسيم إذا ... أهدى اليَّ سُحيراً أطيب الأرج
وفي التثامي ثغر الكأس مرتشفاً ... ريقَ المدامة في مستنزهٍ فرج
لم أدر ما غربة الأوطان وهو معي ... وخاطري أين كنا غيرُ منزعج

وقد يقال ان استحضار صورة المحبوب واضح في كل قصائد النسيب ، وهذا صحيح ، ولكنه في شعر ابن الفارض أوضح ، والصبابة في تشبيبه تبلغ غاية القوة في كثير من الأحيان ، ولا نغالى اذا قلنا ان هذه الالتفاتة الوجدانية مما تفرد به ابن الفارض ، أليس هو الذي يقول في قوة عاتية :

وقلتُ لرشدى والتنسك والتقى ... تخلَّوا وما بيني وبين الهوى خلُّوا
وفرَّغتُ قلبي عن وجودى مخلصاً ... لعليَ في شغلى بها معها أخلو !

أرأيتم كيف يسعى الشاعر لتفريغ قلبه عن وجوده الذاتى ، ويقصر خطراته النفسية على الشغل بالمحبوبة عساه يظفر من ذلك بخلوة روحية ؟

وانظروا كيف يبهركم وجه تلك المحبوبة وهو يمثل لكم لألاءه بهذه الأبيات :

جرى حبها مجرى دمى في مفاصلى ... فأصبح لى عن كل شغل بها شغلُ
فنافس ببذل النفس فيها أخا الهوى ... فان قبلتها منك يا حبذا البذل
فمن لم يجُد في حب نُعمٍ بنفسهِ ... ولو جاد بالدنيا اليه انتهى البخل
ولولا مراعاة الصبابة غيرة ... ولو كثروا أهل الصبابة أو قلوا

لقلت لعشاق الملاحـة أقبـلوا ... اليها على رأيى وعن غـيرها وَلُّوا
وان ذكرت يوماً فخرّوا لذكرها ... سجوداً وان لاحت الى وجهها صلُّوا
وفى حبهـا بعت السعادة بالشقا ... ضلالاً وعقلى عن هداى به عَقْلُ
ومن أجلهـا أسعى لمن بيننا سعى ... وأعدو ولا أغـدو لمن دأبه العذل
فارتاح للواشين بينى وبينهـا ... لتعـلم ما ألقى وما عنـدها جهـل
وأصبو الى العـذال حبّاً لذكرها ... كأنهـمُ ما بيننا فى الهوى رسل
فان حـدثوا عنهـا فكل مسامع ... وكلى إن حدثتهم ألسنٌ تتلو
تخالفت الأقوال فينـا تبايناً ... برجم ظنون بيننا ما لهـا أصل
فشنع قومٌ بالوصال ولم تصلْ ... وأرجف بالسلوان قومٌ ولم أسل
فـا صدق التشنيع عنهـا لشقوتى ... وقد كذبت عنى الأراجيف والنقل
وكيف أرجِّى وصل من لو تصورتْ ... حماها المنى وهماً لضاقت بها السُّبْل
وإن وعدت لم يلحق الفعلُ قولها ... وإن أوعـدت فالقول يسبقه الفعل
عدينى بوصلٍ وامطلى بنجازهِ ... فعندى اذا صح الهوى حسنَ المطل
وحُرمة عهدٍ بيننا عنه لم أحل ... وعقدٍ بأيدٍ بيننا ماله حَـلُّ
لأنت على غيظ النوى ورضى الهوى ... لدىّ وقلبى ساعة منك ما يخلو

وهذه القطعة لا تحتاج الى تعليق ، وقد نقلناها على طولها لأهميتها فى تأييـد ما نقول به من غرام هذا الشاعر باستحضار صورة المحبوب ، وهى فى أنفسنا حيـةٌ كل الحياة . ولا يرى فيها فتوراً أو ركاكة إلا مَن يقصُر وجدانه عن ادراك ما فيها من معانى الشوق والحنان .

ولننظر لوعةَ الوجد فى ختام هذا القصيد ، وهى تمثل ذلك المعنى أصدق تمثيل :

تُرى مقلتى ، يوماً ، ترى من أحبهم ... ويُعتبنى دهرى ويجتمـع الشمل
وما برحوا معنًى أراهم معى فان ... نأوا صورةً فى الذهن قام لهم شكل
فهم نصب عينى ظاهراً حيثما سروا ... وهم فى فؤادى باطنـاً أينما حلوا
لهم أبداً منى حنوٌّ وإن جفوا ... ولى أبداً ميلٌ اليهم وإن ملوا

١٤ — والصبابة الصادقة تواجه مَن يقرأ ديوان ابن الفارض فى مواضع كثيرة ، برغم ما يقع فيه أحياناً من التعمل والاسفاف ، وأكثر الناس يعرفون الفائيـة التى يستهلها بهذا الابتهال :

قلبى يحـدّثنى بأنك متلفى روحى فداكَ عرفتَ أم لم تعرف !
لم أقض حقَّ هواك إن كنت الذى لم أقض فيه أسًى ومثلى من يفى
ما لى سوى روحى وباذل نفسه فى حبِّ من يهواه ليس بمسرف
فلئن رضيت بها فقد أسعفتنى يا خيبة المسعى اذا لم تسعف !

ومن هذا الباب قصيدته الميمية التى يشرح فيها كيف طاب له الافتضاح ، ولذّ له الاطّراح ، وكيف رضى بالذلة بعد العزة ، وحلا له التهتك وخلع العذار وارتكاب الآثام بعد النسك والتقوى ، الى أن يقول :

أصلّى فأشدو حين أتلو بذكرها وأطرب فى المحراب وهى إمامى
وبالحج ان أحرمتُ لبيتُ باسمها وعنها أرى الامساك فطر صيامى
أروح بقلب بالصبابة هائم وأغدو بطرفٍ بالكآبة هامِ
وفى كل عضوٍ فىّ كلُّ صبابةٍ اليها وشوقٌ جاذبٌ بزمامى
ولو بسطت جسمى رأت كل جوهر به كل قلب فيه كل غرام
ولما تلاقينا عشاءً وضمنا سواء سبيلىْ دارها وخيامى
وملنا كذا شيئاً عن الحى حيث لا رقيبٌ ولا واش بزور كلام
فرشتُ لها خدى وطاءً على الثرى فقالت لك البشرى بلثم لثامى
فما سمحت نفسى بذلك غيرةً على صونها منى لعزّ مرامى
وبتنا كما شاء اقتراحى على المنى أرى الملك ملكى والزمان غلامى

وهذا المنظر بعينه مرّ بقصيدة للشريف الرضى . وكلا الشاعرين يتحدث عن العفاف . أما الشريف فيذكر أنه قضى الليل مع محبوبته فى عناقٍ عفيفٍ :

بتنا ضجيعين فى ثوبَى هوًى وتقًى يلفّنا الشوق من فرع الى قدم
وبيننا عفةٌ بايعتها بيدى على الوفاء بها والرعى للذمم

أما ابن الفارض فقد اقترح أن يبيتا على المنى ، وتلك أقصى غاية العفاف .

١٥ - ومن أهم قصائد ابن الفارض قصيدة « شربنا على ذكر الحبيب » وهى قصيدة رمزية بلا جدال . والخمر فيها خمر الحقيقة التى شغفت الصوفية وملأت قلوبهم بألحان الوجد والحنين .

ومن أجل هذا نرى مبالغاته مقبولة كل القبول حين يصفها بالقدرة على كل شىء :

وإن خطرت يوماً على خاطرى امرىء أقامت به الأفراح وارتحل الهم
ولو نظر الندمان ختم إنائها لأسكرهم من دونها ذلك الختم
ولو نضحوا منها ثرى قبر ميت لعادت اليه الروح وانتعش الجسم
ولو طرحوا فى فىء حائط كرمها عليلاً وقد أشفى لفارقه السقم
ولو قربوا من حانها مقعداً مشى وتنطق من ذكرى مذاقتها البكم
ولو عبقت فى الشرق أنفاس طيبها وفى الغرب مزكوم لعاد له الشم
ولو خضبت من كأسها كف لامس لما ضل فى ليل وفى يده النجم
ولو جليت سراً على أكمه غدا بصيراً ومن راووقها تسمع الصم
ولو أن ركباً يمموا ترب أرضها وفى الركب ملسوع لما ضره السم
ولو رسم الراقى حروف اسمها على جبين مصاب جن أبرأه الرسم
وفوق لواء الجيش لو رقم اسمها لأسكرن من تحت اللوا ذلك الرسم

وهذه الخمرة العالية هى خمر الحقيقة ، وهى الذات الالهية التى تقول للشىء كن فيكون :

يقولون لى صفها فأنت بوصفها خبير ، أجل ! عندى بأوصافها علم
صفاء ولا ماء ، ولطف ولا هوا ونور ولا نار ، وروح ولا جسم
تقدم كل الكائنات حديثها قديماً ولا شكل هناك ولا رسم

وهل فى عالم المعانى أدق وأبرع من هذا الالتفات الطريف إذ يقول هذا الشاعر النشوان :

وقالوا شربت الاثم ! كلا ، وانما شربت التى فى تركها عندى الاثم !

هنيئاً لأهل الدير كم سكروا بها وما شربوا منها ولكنهم همّوا

وهذا البيت يعين أنها خمر الحقيقة ، ولو أراد خمر أبي نواس لما صح له أن ينكر شرب الرهبان من تلك الراح ، وكيف والرهبان كانوا سادة الشاربين ، والى دياراتهم كان يحج عشاق الرحيق ؟!

والشاعر يحدثنا بأن الرهبان همّوا بشرب تلك الخمر ، خمر الحقيقة ، وهذا حق : فقد كان الصوفية يرون الرهبان أئمة التنسك لو صحّ لهم دينٌ ، وقد وردت كلمة « راهب » في مقام التعظيم فى قول الرشيد « كان أبو العباس عيسى بن على راهبنا وعالمنا أهل البيت (١) » .

وابن الفارض يمضى فيقول :

وعندىَ منها نشوة قبل نشأتى معى أبداً تبقى وإن بَلِىَ العظمُ

وهذه النشوة التى سبقت الوجود ليست كتلك النشوة التى وقعت فى قول أحد المتحذلقين :

أسكر بالأمس إن عزمت على الشر ب غداً ... إن ذا من العجبِ !

وانما هى نشوة من يؤمن بخلود الروح ويعتقد أن لها نشوات قدسية قبل الخلق وبعد الموت :

فلا عيش فى الدنيا لمن عاش صاحياً ومَن لم يمت سكراً بها فاته الحزمُ

على نفسه فليبكِ من ضاع عمره وليس له فيها نصيبٌ ولا سهمُ

١٦ - ولا يسع من يهتم بدرس ابن الفارض أن يغفل التائية الكبرى ، وهى فى نحو ستمائة بيت ، وقد نظمها تحت وحى التصوف ، وهى قصيدة يغلب عليها التكلف وفيها مع ذلك مواقف مضمخة بعبير الروح ، كأن يقول :

وما ظفرت بالودّ روحٌ مراحةٌ ولا بالولا نفسٌ صفا العيش ودّتِ

وأين الصفا ؟ هيهات من عيش عاشق وجنة عدنٍ بالمكاره حفّتِ !

وكان يقول فى خطاب الحقيقة السرمدية :

عن مذهبي فى الحب ما لىَ مذهبٌ وإن ملتُ يوماً عنه فارقت ملتى

ولو خطرت لى فى سواك ارادةٌ على خاطرى سهواً قضيت بردّتى

لك الحكم فى أمرى فما شئت فاصنعى فلم تكُ الا فيك ، لاعنك رغبتى

---

(١) تاريخ بغداد ج ١٠ ص ٥٠

١٧ - والمتأمل فى شعر ابن الفارض من الوجهة الفنيـة يراه تأثر بعض التأثر باللغة المصرية ، فهو يجمع الفعل حين يكون الفاعل جمعـاً ، وذلك معروف عن المصريين فى لغة التخاطب ، وإن كان لا يفعل ذلك إلا حين تقهره ضرورة شعرية .

١٨ - وبمناسبة مصر نذكر أنها لا تمر فى شعره إلا قليلا ، فقد كان هواه كله فى الحجاز ، وأظهر موضع مرّ فيه اسم مصر هو قوله فى التشوق الى أهل نجد :

يا أهل ودى هل لراجي وصلكم   طمعٌ فينعم باله استرواحا
مذ غبتم عن ناظرى لىَ أنةٌ   ملأت نواحى أرض مصر نواحا
واذا ذكرتكمُ أميل كأننى   من طيب ذكركمُ سقيت الراحا
واذا دُعيتُ الى تناسى عهدكم   ألفيت أحشـائى بذاك شِحـاحا

١٧ - ومؤرخو الآدب العربى لا يرون ابن الفارض من الفحول ، وفى ظنى أنْ سيفكر فيه ناس بعد قراءة هذا البحث . على أن ابن الفارض لا ينتظر أن يحييه المؤرخون فقد حَيِيَ على ألسنة الجماهير حياة قوية ، ولا أزال أذكر كيف كان يحتشد الناس فى بيت الصواف بحىّ سيدنا الحسين ليسمعوا الشيخ حسن الحويحى ، وهو يتغنى بهذه الأبيات :

مابين معترَكِ الأحداق والمهج   أنا القتيـل بلا إثم ولاحرج !
ودّعتُ قبل الهوى روحى لما نظرت   عيناىَ من حسن ذاك المنظر البهج
لله أجفان عـينٍ فيك ساهرةٍ   شوقاً اليك وقلب بالغرام شج
عذب بماشئت غير البعد عنك تجد   أوفى محب بمـا يرضيك مبتهج
وخـذ بقية ما أبقيت من رمق   لاخير فى الحب إن أبقى على المهج !

وقصيدة « تِهْ دلالاً فأنت أهل لذاكا » يسمعها الجمهور فى « اسطوانة » للشيخ على محمود ولا تزال قصائد ابن الفارض متعة السامرين فى سهرات الصوفية .

وقد اهتم رجال من المؤلفين المشهورين بدرس ديوانه وشرحه ، وفى ذلك الحياة كل الحياة . كل شىء حىّ فى ابن الفارض حتى قبره ، وقد زرته مرة فرأيته مزدحماً بأفواج المبتهلين ؟

زكى مبارك



أبو القاسم الشابي

نظرة في شعره عامة

يتساءل الناقد الانكليزى الكبير ماثيو أرنولد فى دراسته عن كيتس «هل كان كيتس شيئاً آخر غير كونه شاعراً ؟» ولو جاز لنا أن نستعير منه هذا السؤال لقلنا «هل كان أبو القاسم الشابى شيئاً آخر غير كونه شاعراً ؟» — ذلك أن أبا القاسم كان فناناً بكل ما تحوى هذه الكلمة من معنى.

فالشاعر المطبوع هو ذلك الذى يستطيع فى لباقة وسهولة أن يصور لك خلجات النفس الإنسانية والطبائع البشرية المتباينة ويصقلها لك فى أداء وافٍ وتركيب سليم وهكذا كان أبو القاسم يعمد الى تصوير تلك الاحاسيس ويجمع ما تبعثر منها ثم يخلع على ذلك روحه وطبيعته الشاعرية الفنانة، ويتعمق فى تفسير هذه الاحاسيس الجياشة فى نفسه الكبيرة تفسيراً يجعلنا نقف معجبين بهذه العبقرية الفذّة الناضجة الممثلة فى شاب لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره. وإذا كان لنا من عزاء فهو أنه توفى فى سنّ قُبض عندها شاعر من أكبر شعراء إنكلترا الرومانتيكيين المبرّزين فى القرن التاسع عشر هو جون كيتس، وكأنّ القدَر أبى إلا أن يمثل هذه المأساة ثانيةً فى القرن العشرين فجاء الشابى من أنبغ شعراء العربية وممن كان ينتظر منهم أن يعيدوا للشعر العربى شبابه القوى، وابتلاه بما ابتلى به كيتس من قبل فراح ضحية داء أقضّ مضجعه، وعجل بركابه إلى وادى الموت فى وقت تتطلع فيه الأعين إلى مستقبل معسول الآمال، حافل بشتى ضروب التجديد والحياة على يدى أبى القاسم الشابى.

فلاعجب حينذاك إذا احسّ مطالعوه بالهوة السحيقة التى خلفها موت أبى القاسم

وليس بين أيدينا للأسف مجموعة كاملة من شعره الناضج ، بل كل ما لدينا هو هـذه النتف القليلة التى كان ينشرها فى أبولو [1] ، ومهما يـكن من ضآلتها فهى تدل على أنها إنجاب شاعر مطبوع ، وفنان قد قارب نهاية العبقرية ، وأديب يحق للعربية ان تفخر بأن اضـاف إليها ثروة من المعانى عـلى جانب كبير من القوة والتـأمل ، ولو أتيـح لهـذا الشاب ان يجـد مستشرقاً يدرس أدبه لطلع عـلى العـالم الغـربى بثروة لاشـك أنه سيهلل لهـا إعجـاباً وإكباراً ، وستصبح عبقريته وشاعريته موضع الاجـلال والعظمة ، ذلك لأن أبا القاسم لم يـكن من أولئك الشعراء الذين يسيرون على نهج من تقدمهم ، بل كان من أئمة فريق يتطلع على الدوام الى الامام ، وينظر الى محيط أعمق مما ينظر فيه شبّان اليوم ويصوّر بريشته السحرية صور عالم لا تحدّه النظرة الواحدة ، ولا يستقصى ما فيه التأمل السطحى ، بل هو عالم جيّاش بشتى من ضروب الاحساس ، فتشعر وأنت تقرأ شعره أنك أمام فيلسوف يجلو صور الحياة المتباينة ، ويسمو عن هذا العالم المـادي الى عالم عبقرى الخيال ، تدوى فيه أناشيد الوجود ، وتغنى فيه ملائكة الحبّ .

كان أبو القاسم شاعراً ، وشاعراً عبقرياً مطبوعاً ، ولـكن قبل أن نتناول شاعريته بالتحليل نقف وقفة ساذجة صغيرة ونقول : من هو الشاعر ؟ وما فائدته للعالم ؟ ماذا يكون حالته لو خلا منه ؟

هذه الأسئلة وأمثالها تدور فى خلد الـكثيرين ، ويذهبون فى الاجابة عنها مذاهب شتى متشعبة النواحى ، بيد أنا نقدم بين يدى القارىء كلمة صغيرة عن ماهية الشاعر . أول من يطالعنا من الأمم التى خلد الشعر آثارها الاغريق القدماء فنراهم يسمونه «الخالق» ذلك لأنه يعمد الى خيـاله وتفـكيره وإحساسه وتذكره ويؤلف بين أشتاتها ، ويجعلها كلها تتحد فى إبداع صورة جديدة التـكوين لم يسبقه اليها أحد ، فهم ينظرون الى الشاعر نظرة فيها شيء من التقديس والتأليـه ، وليس بعد هـذه المرتبة منزلة لطامع يتطلع الى درجات ساميـة من الجلال . ولو أنك بحثت فى شعر أبى القاسم لوجدته يبدع من خياله الفذ صوراً فتانة لم يسبقه اليها أحد وحسبك أن

(١) تفضل علينا صديقنا الشاعر التونسى صديق طاهر سعدى بكتاب يسمى (الأدب التونسى فى القرن الرابع عشر) وفيه مجموعـة لا بأس بها من شعر ابى القاسم رجعنا إليها فله خالص الشكر .

تطالع له قصيدته المسماة «صلوات فى هيكل الحب» أو «فى ظل وادى الموت» لترى أية عبقرية وأى إعجاز فى المعانى وابتكار فى الأخيلة ، والا فمن هذا الذى استطاع قبل أبى القاسم أن يأتى بهذه المعانى النادرة كقوله :

أنت ... ما أنت ؟ أنت رسم جميل عبقرىٌّ من فنّ هذا الوجود
فيك ما فيه من غموضٍ وسحر وجمال مقدس معبود
أنت روح الربيع تختال فى الدنيا فتهتز رائعات الورود
وتهبّ الحياة سكرى من العطر ويدوى الوجود بالتغريد

ولو شئنا الاستدلال على ذلك لعرضنا شعره جميعاً أمام أعين القرّاء .

لقد رأيت فيما سبق نظرة الاغريق نحو الشاعر وتعريفهم إياه ، والآن لنمض بك الى الأمة اللاتينية ، فتراها تطلق عليه كلمة Wates ومعناها (النبي)وبذلك وضعت الشاعر فى مرتبة النبوّة ، ذلك لأن كلا من الشاعر والنبي مكلف بتأدية رسالة جديدة لم يأت بها أحد قبله .

هذا هو الشاعر كما يراه الاغريق إلـهاً والرومان نبياً ، وكلا النظرتين فيها تعظيم لشأنه ، ورفعة من قدره ، واجلال له ولرسالته التى كلف بتأديتها ، ولعلك ترى تنيسون يصوّر الشاعر صورة مستمدّة من صميم نفسه ووجدانه فيقول : ولد الشاعر فى محيط ذهبي ، تتلألأ فوقه النجوم المذهبة ، وقد ركبت نفسه على حقد الحقد ، والازراء بالمكر وعشق الحب (١) وانما استدللت بهذه القصيدة بمناسبة ما قصه علىّ الزميل الكريم الشاعر التونسى صديق طاهر سعدى من أن أبا القاسم كان ناصع السريرة ، لا يكنّ لاحدٍ ما حقداً ، فلا عجب اذا بكته تونس والجزائر ، ولا غرو اذا قام الشعراء والادباء بتأبينه .

---

(١) راجع هذه القصيدة كاملة فى ديوان تنيسون تحت عنوان The Poet حيث يقول :

The Poet in a golden clime was born,
With golden Stars above;
Dowr'd with the hate of hate, the scorn of scorn,
The love of love.

* * *

كثيراً ما يتجرّد الشاعر عن مادية الحياة ، وينساب بنظره وخياله الى عوالم يصورها له الفكر ، فيرى بعقله الباطن ما تعجز العين المجرّدة عن رؤيته ، ولعلنا اذا أردنا محجة الحق وجادة الصواب قلنا إن الشاعر المبدع الخالق لابد له من إحساس قوىّ يدفعه ، ثم يعمد هذا الشعور الجارف الى تكوين الافكار التى تتكوّن منها القصيدة ولقد تحسّ بذلك قوياً وتلمس أثر هذا وصحته فى شعر أبى القاسم ، غزلا كان أم وجدانياً ، ومن مظاهر شاعريته القوية تلك الموهبة التى عرف كيف يستغلها فكانت بعض كلماته المفردة تخلق فى مخيلة القارىء عالماً آخر ، وترسم صوراً قوية واضحة كما فى قوله :

أنتِ تحيين فى فؤادى ما قد ... مات فى أمسِىَ السعيدِ الفقيد

بعد أن عانقتْ كآبة أيّا ... مى فؤادى وألجمتْ تغريدى

ثم هو يشعر بذلك شعوراً لايستطيع أن ينكره أو يتجاهله ، وكيف ينكره أو يتجاهله وهو يحسّ به كأنه الموج الصاخب الثائر يلهو بالسفينة وسط الخضم المزبد وقد ينكره وقد يتجاهله ولكن شاعريته وأحاسيسه يكشفان الستر فيقول :

فى فؤادى الغريب تخلق أكوانٌ ... من السحر ذات حسنٍ فريد

وشموس وضاءةٌ ونجوم ... تنثر النور فى فضاءٍ مديد

وربيع كأنه حلم الشاعر ... فى سكرة الشباب السعيد

ورباة لاتعرف الحلك الداجى ... ولا ثورة الخريف العتيد

وطيور سحرية تتناغى ... بأناشيد حلوة التغريد

وقصورٌ كأنها الشفق المخضو ... بُ أو طلعة الصباح الوليد

كل هذا . . . يشيده سحر عينيكِ ... وإلهام حسنك المعبود

وحرامٌ عليك أن تهدمى ما ... شاده الحسن فى الفؤاد العميد

فالالـه العظيم لايرجم العبدَ ... اذا كان فى جلال السجود

* * *

ولأبى القاسم قصيدة أسماها (الحانى السكرى) وربما أحسّ القارىء فى العنوان

نفسه شيئاً من قوة الابتكار ، وروعة التجديد فى المعنى ، وتلك من الميزات التى طبع عليها أبوالقاسم ، وان هاتين الـكلمتين لحسب لتصوّر ان لسامعهما وادياً سحريا تتغنى فيه ملائـكة الحب ، وتدوى فيه أغاريد الشباب المعسول ومثل هـذا ، غير أنا نترك العنوان ونمضى الى جوهر القصيدة ولبها فنرى الشاعر فيها يصوّر المحبين كالطائر فى الافق الساجى . ولعلـكم تتبينون الرمزية (symbolism) فى قوله :

نحن مثل الربيع نمشى على أر ض من الزهر والرؤى والخيال
فوقها يرقص الغرام ويَلْـهو ويغنى فى نشوة ودلال

وكما فى قوله :

أيها الدّهر ، أيها الزمن الجارى الى غير وجهة وقرار (١)
أيها الـكوْن ، أيها الفلك الدوّا ر بالفجر والدجى والنهار
أيها الموت أيها القدر الأعمى ققـوا حيث أنتم أو فسيروا
ودعونا هنـا تغنى لنا الأحلا م والحب والوجود الـكبيرُ
واذا مـا أبيتمُ فاحملونا ولهيب الغرام فى شفتينا
وزهور الحياة تعبق بالعطر وبالسحر والصّبا فى يدينا

وإنا لنلمح بين ثنايا هـذه الأبيات السالفة روح الثورة والتمرّد . ولـكن أيّة ثورة وأى تمرد يزأر بهما ذلك الشاب الشيخ ؟ . . . انها ثورة على كل ما فى الوجود وتمرّد الساخر بالحياة ، بل والعطف والحسرة على من فيها ، فما أشبهه فى ذلك بسقراط ، فقد سخر هو الآخر من جهل القادة وإن كان رثى لهم فى نفس الوقت ، وإنا لنحس بجانب هذا فى تلك الأبيات بعاطفة وجدانية تبعثه الى أن يصيح هذه

---

(١) لعلنا نرى مظاهر الشبه الكبير بين شاعرنا الشاب فى هذا البيت ومايليه وبين قول الشاعر الانـكليزى الشاب بيرسى بيش شلى فى قصيدته «الزمن» حيث يقول :

Unfathomed Sea, whose waves are years !
Ocean of time whose waters of deep woe
Are brackish with the salt of human tears :

الصيحة الداوية فى أذن الدهر ومسمع الحياة ، فسواء لدى الشاعر أن يقف الدهر أو يتابع سيره ، وسواء لديه الحياة والموت . ثم ها هو ذا يهزأ بالكون والموت وبكل ما على سطح البسيطة من قوى مادام هو بجانب حبيبته ، وهوَ يهتف بهؤلاء جميعاً أن اتركونا فى وحدتنا تغنّى لنا الأحلام والحبّ والوجود . ولكنه يرجع الى نفسه فيرى نفسه أضعف من أن يقف موقفاً سلبياً إزاء هذه القوى المتكالبة عليه . فيتقهقر ولكن فى تأنٍّ فيصرخ بها جميعاً إن أبوْا أن يتركوهما فى وحدتهما القدسية فليحملوهما ولهيب الغرام فى شفتيهما يؤجج فيها عاطفة الحب ويذكى مشعلها الخفاق فى قلبيهما الفنيين .

وهو فى حبه يتفانى الى النهاية فيرى أن الغرام أسمى هبة يهبها الله للشاعر ،وماذا يكون الامر لو نضب معين الحب وجفّ ورده ؟ فما الحياة الا أنفاس الحب وليست الا ألحاناً منغومة موقعة على قيثارته السحرية . انّ هذا الحب هو الذى يصفه شكسبير « بأنه وشيجة الخلود الأبدية ، لاتنال منها العواصف الهوجاء ، وهو النجمة اللالاءة للمدلج السارى فى غياهب الظلام ، وهو الذى يحمل النفس الى وادى الخلود ، حيث تظل على قيد الحياة الى الابد » .

ولسنا نعجب اذا رأيناه يتفانى فى حبه ، ويقدّس هذا الغرام الوليد ، ولسنا نلومه على أن يبكيه وقد ألقى فى لحده مسجّى تطوف حوله الذكريات الحزينة ، وتنبعث أنغامه الحنون فاذا فى الفؤاد ثورة قلّ أن تنطفىء ، وانما تخمد الى حين ، كأنها اللهب يتأجج تحت الرماد ، غير أنا نلوم الشاعر حين يقول لنا إنه يحتقر المجد وأوهام الحياة وإن كنّا نتسامح فنغفر له ذلك حين نرى فيه الاخلاص ممثلاً فى قوله :

لستُ يا أمسِيَ أبكيكَ لمجدٍ أو لجاهْ
فانا أحتقر المجدَ وأوهام الحياهْ
أو لعمر بلغت منه الليالى منتهاهْ
وتلاشت فى خضمّ الزمن الطاغى قواهْ
فانا ما زلت فى فجر شبابى أو ضحاهْ

فى هذه الأبيات الخمسة يعرض علينا صورة نفسه وقد رغبت عن المجد والجاه وكل ما يشغل النفوس ، وليس يبكى عمره وهو مازال فى فجر عقده الثالث ينعم

بالشباب الغض ، والامل الباسم ، ويأمل فى الحياة آمالاً طروبة مشبوبة بقوة الحسن. إذن فما الذى يبكيه ، وما الذى يؤلمه ، وهو ينعم بكل ماشاء ؟

الجواب عند أبى القاسم نفسه ، فهو يبكى ... ويبكى ... ولندعه يقص علينا ذلك :

إنما أبكيك للحب الذى كان بهاهْ
يملأ الدنيا فأنّى سرت فى الدنيا أراهْ
فاذا ما لاح فجرٌ كان فى الفجر سناهْ
واذا ما غرّد طيرٌ كان فى الشدو صداهْ
وإذا ما ضاع عطر كان فى العطر شذاهْ
واذا ما رفّ زهر كان فى الزهر صباهْ
فهو فى الكوْن جمالٌ علك الافق ضياهْ
عبقرى السحر مراح وديع فى سماهْ
ينسج الاحلام فى قلبي بأضواء الحياهْ
ويغنيني فأنسى فى مسرّات غناهْ
كلّ ما فى الكون من حزْنٍ وأفراح عداهْ

وقد يطلع علينا أبو القاسم فى مسوح الفيلسوف الذى ينظر الى الحياة نظرة فيها شيء من اللذة ونواح من الألم فيهتف من أعماق قلبه الفتىّ مستصرخاً هذه الجراح الدامية ، هاتفاً بها أن كفّى عن نواحك وأنينك ، ولكن أنّى لها أن تصيخ الى هذه الصرخات التى لا تلبث أن تتلاشى فى خضم الحياة ! فهو يقول :

اسكتى يا جراحْ واسكنى يا شجونْ
مات عهد النواح وزمان الجنونْ
وأطلّ الصباحْ مِن وراء القرونْ

ثم يصف لنا ما حواه هذا القلب الخافق بمعانى الحب الهاتف للجمال ، المتغنى للشباب السعيد والآمال الباسمة وربيع الحياة قد زينته يد السحر الصناع فتجلى لعين الشاعر فى صورة قدسية الخيال ، مشبوبة العاطفة فيقول :

في فؤادي الرحيبْ معبدٌ للجمالْ !
شـــيدته الحياهْ بالرؤى والخيالْ !
فتلوْت الصـــلاهْ في خشوع الظـلالْ
وحرقتُ البخورْ وأضـــأتُ الشموعْ

وكأنّ أبا القاسم في هذه القصيدة قد أحسّ بقرب منيته وأن ركبه قد تهيأ لوادي الردى ، وأن سفينة العمر وشك الاقلاع الى ساحل الممات ، حيث تنعم خالدة في ملكوتٍ صوّره لها خيالها الشعري القوي ، فنراه يعلن للملأ أن حينه حان ، وأن وقت أفول نجمه آن ، وكلما قرأت أبياته هـذه أحسست عاطفة لا أدري بماذا أصفها وكيف أصفها ، ولا أستطيع تصويرها ، هي مزيج من الألم الحاد لفقده ، والاعجاب المطلق بشاعريته حين يقول :

من وراء الظلامْ وهـدير المياهْ
قد دعاني الصباحْ وربيـع الحياهْ
يا له من دعاءْ هزّ قلبي صداهْ !
لم يعـد لي بقاءْ فوق هذي البقاعْ

ويقول في نهايتها :

الوداعَ الوداعْ ! يا جبالَ الهمومْ !
يا ضبابَ الأسى يا فجـاجَ الجحيمْ
قد جرى زورقي في الخضمّ العظيمْ
ونشرتُ القلاعْ فالوداعَ ! الوداعْ !

وهو يذكرني في هـذا الموقف بشاعر مصري ودع الحياة وهو ما زال في شرخ الصبا ونضارة العمر وميعة الشباب ، وآثر أن يختصر الطريق وذلك هو احمد العاصي فله قصيدة تتناول نفس هذا الموضوع .

ولنرجع الى أبي القاسم فنقول إن ما تحت أيدينا من شعره الذي تناول فيه هذا الضرب من الشعر قصيدتان إحداهما بعنوان « قلب الأم » والأخرى أسماها «في ظل وادي الموت» . أما الأولى فهي في رثاء طفل صغير ، وانه لمن الحق أن أقول

إنى قرأت هذه القصيدة قبل نشرها فتخيلت هذا الطفل الوليد ورثيت له ، وقرأتها مرة أخرى وثالثة فأحسست نفس الشعور الذى اصطخب فى جوانحى عند قراءتها أول مرة ، وإذ عدت اليها بعد موت أبى القاسم أحسست فيها قوّة وعاطفة جياشة متفجرّة ، وشعرت بالألم العميق يحزّ فى نفسى ، وكأنما كان شاعرنا الشابى يرثى فيها نفسه ويبكى مصرع الانسانية ، ويذكر كيف انقضى الصحاب وعادوا الى لهوهم ومجونهم ، وتلاشت ذكراه عند الجميع وأسدل النسيان عليه ستاراً كثيفاً فجعلوه دبر آذانهم ، غير أن هناك بين هذه الجموع المشيّعة كلها قلباً واحداً لم يستطع ولن يستطيع النسيان أن يجد اليه سبيلا ، أتدرون لمن هذا القلب ؟

انه قلبُ الأم !... نعم قلب الأم الذى لا يندمل جرحه .

يا له من بائس صرعته آلام الحياة ولم تبق عليه الأيام أو تذر ، بل انقضّت عليه انقضاض النسر على فريسته ، وقد أنشب فيها مخالبه المعفرة بدماء السرور ، وأوغل منقاره فى شغافه فمزقه ، وألقى به مضرّجا فى غياهب الزمن العتىّ فيصرخ أبو القاسم بهذا الميت ويقول إن قلب أمك هذا :

يصغى لنغمتك الجميلة ، فى خرير الساقيهْ
فى أنّة المزمار ، فى لغو الطيور الشاديهْ
فى ضجّة البحر المجلجل ، فى هدير العاصفهْ
فى لجة الغابات ، فى صوت الرعود القاصفهْ
فى آهة الشاكى وضوضاء الجموع الصاخبهْ
فى شهقة الباكى يؤجّجها نواح النادبهْ
فى فتنة الشفق الوديع ، وفى النجوم الباسمهْ
فى رقة الفجر البديع ، وفى الليالى الحالمهْ
فى رقص أمواج البحيرة تحت أضواء النجومْ
فى سحر أزهار الربيع وفى تهاويل الغيومْ
فى مشهد الغاب المجرّد والورود الهاويهْ
فى ظلمة الليل الحزين وفى الكهوف العاريهْ

أعرفتَ هذا القلب فى ظلماء هاتيك اللحودْ
هو قلب أمك : أمك السكرى بأحزان الوجودْ

أرأيتم الى أى حدٍّ يصف الشابى حزن هذا القلب المفجوع ، وهو يرى صورة فقيده فى كل ما تقع عليه من صور الطبيعة التى لم يفته استغلالها كمظهر من مظاهر الحزن وهى فى ذاتها مبعث السرور والجمال ، ثم هو يذكرنا بأن هذا القلب سيقضى حياته طريد الآلام والأهوال والذكرى ، كلما عصفت به الذكريات تأجّجت نيران الحزن واصطخبت أمواج الأسى ، وهو بين هذا وذاك كالسفينة تتلاعب بها الأعاصير الهوجاء ؟ ... ونحن الشباب ربما لم نكن لنشعر بهذا الحزن ، غير انى أحسسته قوياً وإن لم يكن لى ولد ، أحسست بالألم يفرى نفساً حين تذكرت أبا القاسم فخلته يبكى شبابه اللدن وقد هصرته رياح الموت ، فغيب فى قاع الثرى وهو مازال فى بُرد الشباب الغضّ ، وإن الابداع كل الابداع فى قوله يصف أمه الحزينة بأنها سكرى ؟ ولكن بماذا ؟ بأحزان الوجود !

بيد أنا نتساءل : أليس لهذا القلب الدامى مِن سلوى تنسيه هذا ، أوهلا فى استطاعته أن يتناسى فقيده ؟ الجواب عند أبى القاسم فى قوله :

لا ربة النسيان ترحم حزنه وترى بُكاهْ
كلاّ ! ولا الأيام تبلى فى أناملها أساهْ
إلا إذا ضفرت له الأقدار اكليل الجنونْ
وغدى شقياً ضاحكاً تلهو بمرآه السنونْ

وفى وصفه القلب بأنه « شقىٌّ ضاحك» صورة أبدع فى رسمها فكانت هيكلاً متجسداً ، فقد يستحيل اليأس قوة تجعل صاحبها هازئاً بالحياة ساخراً بما فيها ، فيضحك بملأ شدقيه ولكن ضحك اليأس والجنون ، ويعربد غير عابىء بما فى الكون من قوانين ، ولا عجب ، فالطير يرقص مذبوحاً من الألم !

* * *

أما قصيدته فى «ظل وادى الموت» التى أشرنا اليها سابقاً فنرى فلسفة الحياة والموت وصورة للتفكير العميق : من أين جئنا ولماذا والى أين ؟ وهذه الشواغل نفسها هى التى جالت بأدمغة المفكرين والفلاسفة منذ القدم ، غير أن أبا القاسم يمثل لنا صورة الموت كالرياح تقتلع الأطواد الشامخة والجبال الباذخة ؛ وتثير مياه

المحيط الهادئة حتى اذا تم لها ما تريد سكنت وهدأت ثورتها ... وعجيب لشاب فى الخامسة والعشرين أن يتجه تفكيره هذه الناحية المظلمة ، ولكنا نغفر له ذلك اذا علمنا أنه راح ضحيـّـة داء الصدر الذى زلزل حياته واجتثّ شجرتها المورقة الظلال، ولنسمع اليه وهو يصف هذه المسائل الثلاث فى لغة سلسة جميلة حيث يقول :

نحن نمشى وحولنا هاته الأكوا ... ن تمشى لكن لأية غايهْ ؟
نحن نشدو مع العصافير للشمس ... وهذا الربيع ينفخ نايَهْ ؟
نحن نتلو رواية الكون للمو ... ت ولكن ما ذا ختام الروايَهْ ؟
هكذا قلتُ للرياح فقالت : ... سل ضمير الوجود كيف البدايهْ ؟

ثم يقول عن آماله المبعثرة فى أباديد الحياة ، ويتساءل عن جده المنكود ، ويذكر أيامه وهو فى صحوة الصبا لم تطحنه الأيام ولم تنل من جسده الأرزاء فيقول عن قبره :

هاتِهِ ! فالظلام حولى كثيفٌ ... وضبابُ الأسى منيخٌ عليّا
وكؤوسُ الغرام أترعها الفجرُ ... ولكن تحطمت فى يديّا
والشبابُ الغريرُ ولى الى الما ... ضى وخلّى النحيبَ فى شفتيّا
هاته يا فؤاد ! انّا غريبا ... ن نصوغ الحياة فنّاً شجيّا
قد رتعنا مع الحياة طويلاً ... وشدونا مع الشباب سنينا
وعدونا مع الليالى حفاةً ... فى شعاب الزمان حتى دمينا
وأكلنا التراب حتى مللنا ... وشربنا الدموع حتى روينا
ثم ماذا ؟ هذا أنا صرت فى الد ... نيا بعيداً عن لهوها وغناها
فى ظلام الفناء أدفنُ أيا ... مى ولا أستطيع حتى بكاها
وزهور الحياة تهوى بصمتٍ ... محزنٍ مضجرٍ على قدميّا
جفّ سحر الحياة يا قلبيَ البا ... كى ... فهيّا نجرّب الموت هيّا !

ولست أعلق على هذه القصيدة أكثر من أن أقول أن ما فيها من تفكير قلّ أن يتاح الا للنادر،وهى تطلعنا على ناحية من نواحيه النفسية ليس المجال هنا لشرحها

وهو فيها أيضاً فيلسوف يبكى حظ الانسان ، ومن القصائد النادرة التى تمثّل لنا هذا النوع قصيدة تسمى «مشعلة النوتى أوالروح الذابلة » سنتكلم عنها فى حينها نرى فيها الشبه الكبير بينها وبين قصيدة الشابى .

* * *

ولأبى القاسم الشابى ولع شديد بالطبيعة ، فهو يستغلها استغلالاً كلياً وجزئياً فى قصائده الرائعة ، وانُ مطالِعَ شعره ليرَى صورة باسمةً من بلاده كما صوّرها فى شعره الفنان ، ولا يفوته أن يستشهد بالطبيعة فى ثنايا كثير من أشعاره ، وقد يقف موقف الخشوع أمام مظاهر الطبيعة القوية ولكنها وقفة الجبار المنهزم الأسير، وهو فى هذا الضرب يأتى لنا بمعانٍ نادرة قد تستعصى على كثيرين ، وإن كنا نلمح فيها الرمزية واضحة . وإن أعجب فعجبي لهذا الشاب الذى يقف أمام الليل ، وتداخله الحيرة والعجب والخشوع والاطمئنان ، ويشعر باللذة والالم ، ويجيل بصره أمام هذا الجبار العنيد كأنه لغز القرون لا تعرف له سرّاً فيقول :

أيها الليلُ يا أبا البؤس والهو ـ ل ويا هيكل الزمان الرحيبِ
فيك تجثو عرائس الأمل العذ ـ ب تصلِّى بصوتها المحبوبِ
فيثير النشيد ذكرى حياةٍ حجبتها غيوم دهر كئيبِ
أنت يا ليلُ ذرة صعدت للكو ـ ن من موطىء الجحيم الغضوبِ
فيك تنمو زنابق الحلم العذ ـ ب وتذوى لدى لهيب الخطوبِ
يهجع الكونُ فى طمأنينة العصفو ـ ر طفلاً بصدرك الغربيبِ (١)

وقد يظهر لنا فى مسوح الفيلسوف الناسك الذى خبر الحياة عن قرب فوضح له المبهم منها على الآخرين ، وافترع سرّها ولمس ما فيها من أذى وألم ، ولا تفوته الحكمة الرائعة يستمدها من صميم نفسه ووجدانه حين يقول :

لا يغرنّك ابتسامُ بنى الأر ض فخلف الشعاع لذع اللهيبِ
لا تحاول أن تنكر الشجو ، انى قد خبرت الحياة خبر اللبيبِ
كن كما شاءت السماء كئيباً أىّ شىء يسر نفسَ الأريبِ ؟!

(١) قارن بين هذه القصيدة وبين قصيدة الشاعر شلى « Night » .

أنفوسٌ تموتُ شاخصةً للهولِ في ظلمةِ القنوطِ العصيبِ؟!

وقد يثير شاعريته مرأى المساء وسكونه، فاذا بروحه تحلّق في عالم غير هذا العالم الأرضي وترتفع عن مادية الحياة، ويظل فكره هكذا منساباً في أودية الخيال تحمله على أجنحتها ملائكةُ الشعر الى مجاهل بعيدة عن عالمنا هذا، فنراه يصوّر كل هذا بريشته السحرية أبدع تصوير، وكأن هذا البيت المفرد الذي نسوقه أروع قصيدة تخلق في ذهن سامعها عالماً آخر إذ يقول:

ما سكونُ المساء الا أنينٌ ونشيدُ الصباح غيرُ نحيبِ

عجباً!... كيف يتأتى لشاب هكذا ما زال في فجر شبابه أن يرى هذه الصورة العابسة المتجهمة للحياة؟ ترى ماذا يكون حاله لومد الله في حياته الى سن الشيخوخة؟ كل ما نظنه هو أنه لو عاش لغنى لنا على قيثارته السحرية أبدع ألحانٍ يترنم بسحرها الوجود، ويطمئن الى أنغامها الحزين، ولا عجب فلهيب احتراق الشاعر هو شعلة الخلود، غير أنه يصوّر لنا حزنه الأليم في بيتين:

يا لقلب تجرّع اللوعةَ المرَّ ةَ من جدول الزمانِ الرهيب

ومضت في صميمه شعلةُ الحز نِ فغشّتْه من شعاع اللهيبِ

ويقول في قصيدة أسماها «الملل الأليم»:

سئمتُ الليالي وأوجاعها وما شعشعت من رحيقٍ وصاب

فأين الأماني وألحانها وأين الكؤوس وأين الشراب؟

لقد سحقتها أكفُّ الظلام وقد رشفتها شفاهُ السراب!

ولم ينس أن يبثّ شكواه من دائه العضال الذي استحكم فيه في كثير من قصائده وكيف لا يشكو وكيف لا يتألم وهو يرى المرض يصارعه ويسير به سريعاً الى ظلام الفناء؟ فكان يتشبث بالحياة ويودّ لو يرتشف كأسه منها كما يرتشف غيره ممن هم في مثل عمره، ونراه يشكو الى الشعر هذه العلة التي أودت به وما يلاقيه في مجاهل الزمن من أشواك تقطع نياط قلبه وتخترق شغافه فتنساب قطرات دمه الحار في نهر الحياة شعراً رائقاً عذباً سائغ المورد فيقول:

يا شعرُ: قلبي مثلما تدرى شقيٌّ مظلمُ

فيه الجراحُ النجلُ يقطر من مغاورها الدمُ

جمدت على شفتيه أرزاء الحياة العابسه

فهو التعيسُ به مرارات القلوبِ البائسه

أبداً ينوح بحرقةٍ بين الأماني الهاويه

كالبلبل الغرِّيدِ ما بين الزهور الذاويه !

ويخاطب قلبه أن تجلد فما نال لذّات الحياة الا الجسور ، ويهدّئ من روعه المضطرب ويطمئنه علّه يكفّ عن صراخه وعويله فيهتف به :

يا قلبُ ! لا تسخط على الأيام فالزهرُ البديع

يُصغي لضجّاتِ العواصفِ قبل أنغام الربيع

يا قلب ! لا تقنع بشوك اليأس من بين الزهور

فوراء آلام الحياةِ عذوبةُ الأمل الجسور !

* * *

وللشابي قصيدة نظمها وقد ذهب مستشفياً فى بلدة تدعى (عين دراهم) خلدها فى شعره وهو يصوّر فيها نفسه بين شياهه وخرافه وأسراب الطيور فوق الأفنان تلقى ألحان الهوى ويلقن بعضها بعضاً أناشيد الحياة السعيدة . فى هذه البلدة قضى الشاعر عهداً « شعرياً وديعاً خالصاً » للشعر والاحلام حيث الطبيعة العذراء والغابات الملتفة الهائلة والجبال الشمّ المجللة بالسنديان فيقول :

قد أفاق العالمُ الحيّ ، وغنى للحياه

فأفيقي يا خِرافي وهلمّي يا شياه

واتبعيني يا شياهي بين أسراب الطيور

واملأي الوادي ثغاء ومراحاً وحبور

واسمعي همس السواقي وانشقي عطر الزهور

وانظري الوادي : يغشيه الضباب المستنير

واقطفي من كلأ الأرض ومرعاها الجديد

واسمعي شبّابتي تشدو بمعسول النشيد

نغمٌ يصعد من قلبي كأنفاسِ الورود
ثم يسمو طائراً كالبلبل الشادى السعيد !

فهو فى هذه الأبيات السالفة يعرض علينا صورة مستحبة من صور الطبيعة الفاتنة وقد أخذت الارض زخرفها وازّينت ، والفجر قد انبثق عموده وغشى الوادى ذلك الضباب الرائع وما إخاله الا قصيدة ملموسة من صور الطبيعة ومما افتنّ فيه أبو القاسم افتناناً يجعلنا نقف معجبين بهذه العبقرية الرائعة . وصف العشب بأنه :

أرضعته الشمسُ بالضوء وغذّاهُ القمرْ (١)
وارتوى من قطرات الطلّ فى وقتِ السحَرْ

ولكن هذه النغمة الحزينة التى لمسناها واضحة وعرفنا السر فيها لا تلبث أن تتخذ لها مكاناً فى شعره حين يختم قصيدته قائلاً :

لن تَمَلِّى يا خرافى فى حمى الغابِ الظليلْ
فزمانُ الغاب طفلٌ لاعبٌ عذبٌ جميلْ
وزمانُ الناس شيخٌ عابسُ الوجهِ ثقيلْ
يتمشّى فى ملالٍ فوق هاتيك السهولْ
لكِ فى الغابات مرعاىَ ومسعاىَ الجميلْ
ولىَ الانشادُ والعزفُ الى وقتِ الاصيلْ
فاذا طالت ظلالُ الكلأُ الغضّ الضئيلْ
فهلمىّ نرجع المسعى الى الحىّ النبيلْ !

وبعد ، فهذه كلمة صغيرة ألممنا فيها اجمالاً بعبقرية ذلك الشاب الذى فقده الشعر

---

(١) فى هذين البيتين معنى رائع قلّ أن يتسنى الا للشاعر المفلق ، وقديماً أعجب النقاد بقول شيلى :

A Sensitive Plant in a garden grew
And the young winds fed it with silver dew
And it opened its fan-like leaves for the light
And closed them beneath the kisses of night.

ولا حاجة بنا للتعليق فالشبه قوى ، وفى هذا دليل على عبقرية فقيد تونس .

العربى وقد كان يؤمل منه أن يزيده زيادة عظيمة تتمثل فيهـا روعة المعنى وابداع التفكير مع فلسفة قوية وعدم الاكتفاء بالنظرة السطحيـة بل كان يتعمق فيما يراه ويحسه وان له فى شعره تراكيب تخلق أمام القارىء صوراً فتانة تدهش المطالع .

واذا كان من الواجب أن نلم بحياة الشاعر حتى يكون التأريخ حقـاً فمن الأسف أن ليس تحت أيدينا ما نستمدّ منه صورة حقيقية أو أقرب إلى الحقيقية بالنسبة الى أبى القاسم ، وقد طالعنا حديثاً فى مجلة (الرسالة) مقالاً بعث به الأديب التونسى حسن سياله أشار فيها إلى أن أبا القاسم إنما كان يكثر من قراءة كتابات جبران خليل جبران النثرية ، وكذلك جاء فى الكتاب الآنف الذكر (الأدب التونسى فى القرن الرابع عشر) ففيه معلومات شائقة يمكن للقارىء أن يكوّن منها صورة ولو أنهـا صغيرة إلا أنها تطلعُ القارىء على جانب من حياة أبى القاسم .

وفى هذا الكتاب نفسه يقول مؤلفه إن أبا القاسم كانت له طريقتان فى نظم الشعر : أما الأولى فحين يحاكى القـدامى وينهج على مناهجهم ، فيـأتى قصيده على روىٍّ واحد وقافية واحدة ، كما يأتى بالكلام العربى الفصيح ، أما حـين ينطلق من إسار التقليد فهو يشدو أغانى مستعذبة تحسّ فيهـا بصدى الروح الهائمة فى جنـان الخيال ، وفراديس الحسن والجمـال ، ومما يطمئن نفس القارىء أن النوع الأول من شعر أبى القاسم قليل نادر ، وأكثره ما كان يطلق فيه نفسه على سجيتها دون قيد فيغنى للحب والجمـال والحرية ، ويحلق فى أودية عميقة كلهـا سحر وفتنة ، وروعة وعظمة .

ومهما يكن من أمر الشعر فى العصر الحديث ، فلا شك انه بدأ يتخذ وجهة تخالف الوجهة السابقة التى درج عليها معظم الشعر العربى فى كثير من عصوره الماضية ، كما بدأ يتحرر من القيود الصناعية واللفظية ، ولم يبـال بصرخات الفزع وصيحـات الاضطراب المحمومة التى أرسلها أصحابها أنصار التقليد ليقيدوا من حـدّة الشباب الثائر وليكبلوه بأغلال أبى أن يظل مقيداً بها فثار عليها محطماً إياها ، ورأينا صوراً فتانة فى الشعر العربى الجديد ، سواء فى مصر أو سوريا أو العراق أو سنغافورة أو تونس، وكان لأدباء المهجر الأمريكى فى ذلك يد لا تجحد آثارها ، فها نحن ذا نلمس فى أشعارهم روح الفن متجلية فى كتاباتهم النثرية والشعرية على السواء ، وهاهى ذى آثار جبران وكتابات الريحانى وإيليا أبى ماضى وميخائيل نعيمة والياس قنصل

كلها تشهد بما عليه أولئك الأدباء والشعراء من نفس أبت إلا أن تبثّ فى الشعر العربى روح الفن موية ، فاتجهت آثارهم اتجاهاً يخالف من عارضوهم بل هم ابتدأوا من حيث انتهى غيرهم فلا عجب اذا وجدنا فى أبى القاسم هذه الروح الكريمة التى نحييها فى شعره وذلك لتأثره بأدبهم .

أجل ... إن الشعر شعر فى كل عصر ومصر ، وليس فى الشعر ما يسىء الى نهضته إلا ذلك التقليد الأعمى فى المعانى ولو اقتصر الحال على الألفاظ لكان فى ذلك جدوى وبعض نفع ولكن الامر تعدى ذلك الى الاغارة على الأخيلة القديمة ونسجها فى كلمات موزونة مقفاة ، ولا شك أن هذا يرجع بطبيعة الحال الى ضعف ملكة الابتكار وضحولة التفكير الشخصى ، والزمن يتطور والانسان تابع للعصر الذى هو يعيش فيه ، فما دامت الحال هكذا وجب أن يشمله هو الآخر هذا التطور وأن يساهم فيه بنصيب ولو قليل ، حتى يتسنى له أن يساير الحركات الفكرية التى يتأثر بها الادب ، والتى تختلف باختلاف العصور والازمنة وطبيعة الشاعر ومؤهلاته العلمية والادبية بل والبيئة التى يحيا فى ظلها لأنها تؤثر فيه تأثيراً ملموساً ، لا يمكن لاى شخص أن يتجاهله أو يتناساه .

كان أبو القاسم من ذلك الفريق الذى أبى أن يظل أسير ألفاظ وعبد تقليد ، فلم يعبأ بكل ما لاقاه من جحود فضله ، وثار على هذه المنظومات الرديئة ، وحاول أن يحلّق فى سماء الفكر العميق فكان له ما أراد ، وكانت له من ذلك ذخيرة أدبية ثمينة نلمس بعضاً منها فيما تحت أيدينا من شعره القوى ، واذا كان الرجعيون يعدونه اثراً فما ذلك الا لأنه أطلق نفسه من القيود الغثة وأرسلها على سجيّتها .

قد يسبق الشاعر جيله ، فينكر عليه مواهبه ، ويحاول أن يحطم عواطفه ، ويرسل عليه الشتائم غير مدقق التفكير ، ولو أنه نظر اليه نظرة مجرّدة عن العوامل الشخصية لرأى تحت هذا الرّماد ناراً تتأجج ، وجمراً يتقد ، وعواطف ملتهبة ، ونفساً شاعرة ، واحساساً قوياً ، وروحاً تسمو عن معالم هذا الوجود المادى ، وتعبر الحياةَ الى وادى الخيال ، فترى بين عقلها الباطن ما يستحيل على النظرة المجرّدة السطحية أن تلمسه أو تشاهده . وفى القرن الماضى أنكر البعض على شلى عبقريته ، وحارب فنّ كيتس ، بل رأينا بن جونسون يقف موقف العداء ازاء اشعار توماس جراى ، وما كتبه فى كتابه عن (حياة جراى) انما هو صورة للحقد المتغلغل فى النفس ، كما أنكر عليه قوة إبداعه فى مرثيته التى كتبها فى فنا

كنيسة بالريف(١) مع أن النقاد أجمعوا على عدّها أروع مرثية في الأدب الانكليزي على الاطلاق. وهذا الموقف الذي وقفه جونسون من جراي يقفه اليوم أنصار التقليد وأعداء العبقرية من كلّ مجدّد فنّان مطبوع ما دام لا يحذو حذوهم ولا يسلك مسلكهم... فاذا رأينا اليوم من يقف موقف الاستنكار من شاعرية أولئك المجدّدين فليس ذلك بمستكثر، وانما هؤلاء سيفضح أعمالهم ذلك الجيل الجديد حينما يأخذ في التنقيب، فيرى أية شاعرية نهبت، وأية عبقرية حوربت، كما كشفت عن عبقرية شلي وابداع كيتس وعظمة بيرون.

ولعلّنا ضربنا لك المثل بهؤلاء الشعراء لأمرين: الأول أنهم من شعراء الشباب في القرن الماضي، وها هي ذي آثارهم تفصح لنا عن عظمتهم، والثاني أنه أنكر عليهم ما حاولوه من جهود لمسنا اليوم آثارها في الشعر الانجليزي.

وأبو القاسم الشابي فنان يصوّر لقارئه صوراً من حياة سحرية الاصائل، فشعره ميثولوجيا فنية مبتكرة تدل على ما ركبت عليه نفسه من روح تأبى القيود المادية وانما تنطلق وتصور لنا أبدع الصور في أنغام موسيقية يطبيك رنينها العذب، فهو يهوى الطبيعة ويشبب بها في سفره وهو عيشة للفن والشعر والآ فكيف استطاع أن يصوّر لنا اهتزاز جسم الفتاة في قوله:

كلُّ شيء موقع فيك حتى لفتة الجيد واهتزاز النهودِ

أو قوله يصف قدّها وما فيه من الابداع يغنينا عن تبيان روعته التي يلمسها القارىء في ذلك الوصف الجميل، مع ابتكار في الخيال وجرأة في التجديد ومحافظة على اللغة:

وقوام يكاد ينطق بالألحا ن في كل وقفةٍ وقعود

لقد طالعنا له قصيدة في (الرسالة) ـ عدد ٧١ ـ فاذا هو يثور على أولئك الذين رموه بالجهل وما كانوا واصفين سوى أنفسهم فرأينا ثورة الشباب، وعواطفه الملتهبة، وخواطره نحو هؤلاء، وكما تبينا نفساً كأنها الجدول السلسال ينساب بين المروج فيميل الكلأ عليه ويقبله.

---

(١) راجع ترجمتنا اياها في صفحة ٧٠٣ من المجلد الثاني من (أپولو) وقد ترجمها شعراً الشاعر م.ع. الهمشري.

إن الشاعر المجدد المبتكر انما هو صدى وحى إلهى ، وقد لمست ذلك واضحاً حينما عرضنا عليك ماهية الشاعر عند الاغريق والرومان ورأيت أنه خالق الجمال ، ومكلف بتأدية رسالة جديدة ، والا كان صدى لمن سلفه فلا يلبث الزمن أن يطويه فى ثناياه ، وتمضى آثاره وتتلاشى ، ذلك لأنه فى هذه الحال لا تكون له رسالة يطلع بها على الناس ويفقد شخصيته أو تضعف ذاتيته المعنوية .

تختلف الأذواق وتتباين فى إدراك روعة الشعر أو عدم روعته ، وقد تتفق فى بعض الأحيان على الحط من قيمة أثر ويكون ذلك نتيجة لقاعدة درج عليها البعض ولم تكن صحيحة من جميع النواحى أو على الأصح مبهمة غير محددة، فمن ذلك مثلا أن علماء البديع يقررون أن تقارب المخارج اللفظية فى الجملة الواحدة مما يضعف أثرها فى السامعين ، ويغض من روعتها فى نفوس القارئين ، ولو جاريناهم على هذا لقلنا معهم أيضا هذا القول إزاء قوله تعالى « ولا تزر وازرة وزر أخرى » فاذا حاربنا هؤلاء الشعراء بأمثال هذه الأسلحة المفلولة لأفقدنا الأدب العربى ثروة كبيرة قد تفجر بها على أيديهم ، وما الشاعر الا نفس يردده الوجود ، فيغنى له لحن الخلود ، وينشد معه أغانى الحب ، وكثيراً ما يتناول شاعران أو أكثر موضوعاً واحداً ، ويبدع أحدهما أكثر من الآخر ، ولا شك أن هذا راجع الى تأثر المجيد تأثراً قوياً ، وملابسته الموضوع ، واستلهامه نفسه أيضاً ، وتأثر عقله الباطن بهذا الأثر أو الحادث تأثراً جعله يبرع فى حياكة هندامه ، وعمق نظرته التى لا ترضى أن تأخذ الأشياء على علتها وانما تتعمق فى البحث ، وتظهر خفاياه وتجلوها جلاء تاماً . ولعل الكثيرين من قراء الشعر ينسون أنفسهم حين يطالعون شعر أبى القاسم ، فهو يلهو بعواطفهم وخيالاتهم ، ويظهرهم على صور جديدة يجلوها للعيون ، لاشبهة فيها ولا غموض ، وهو فى تصوير آلامه من الحياة وآماله فيها يبدع إبداعاً قل أن نجد له نظيراً ، ذلك لأنه شاب والشباب فتنة وبهجة وهو يريد أن يستأثر بكل ما فى الوجود من جمال وحسن وفتنة وهو يحس فى نفسه بشعور جياش ثائر صعب عليه أن يوقفه عند حد ، ولكنه يرى نفسه وقد كبلته الحياة بقيود المرض ، وشلت من آماله ، فيأبى أن يتطامن لصولتها ويحاول أن يقهرها بما فى استطاعته من جهد ، ولكن أنى له ذلك وهى قد ألقت به صريعاً محطم الاعصاب يرى الأفنان أمامه رطبة ولا يستطيع أن يهصر عودها اللدن ؟... فليس عجيباً بعد ذلك اذا سمعنا أبا القاسم يشكو ويئن ، ويكثر من الشكوى والأنين وكيف لا يشكو الحياة ولا يئن منها وهى تصميه

بسهامها الدامية ، وتحطم على صخره الحقيقة والمرض آماله الذهبية المجنّحة ، وتبعثر هذه الرغبات فاذا هى ذرات تحملها الريح ، ويلقى بها فى جميع الجهات ، ولـكنها تلتقى وتتحد ولـكن أين ؟ فى شعره وألحانه التى كتب لها الخلود .

ثم ماذا نرى فى الشاعر ؟ أتريده أن يكون بوقاً يردد ما يقوله رجل الشارع ، وهو المكلف برسالة ساميـه جليلة ، أم تريده أن يكون ظلاً ينظم مايريده الغير ؟ كلا ولـكن الشاعر حر فيما يكتب وينظم وليس لأحد أن يقيده بوقت أو مكان بل هو كالـكروان أو البلبل أو العصفور حيثما راقته الطبيعة كان ، وأينما أثارت نفسه المرائى حن لها فغرد ، ورسالة الشاعر تتألف من ثلاث : الحب والجمال والحرية ، وإن كان هازلت يقول : إنّ أبوىْ الشاعر الحب والجمال ، فما ذلك إلا لأن أحدهما أو كليهما لا يتحقق إلا بالحرية ، أو إن شئت فقل لا تـكون الحرية إلا حيث الحق والجمال

وأين تجد الحق أو الحرية أو الجمال أو الحب ؟ وأين تجدها جميعاً ؟

فى الطبيعة والمرأة !

نعم ففى كليهما وحى ينبثق ويوحى الى الشاعر أغانى الخلود وترانيم الأبدية التى ترن فى مسمع الدهر فيخشع لوقعها ويخر ساجداً لجلالها ، وهذه هى الطبيعة التى صورها الشاعر السورى عمر أبو ريشة فى قصيدته فى رثاء حافظ ابراهيم حين يقول :

وُلِدَ الشاعر العظيمُ ملاكاً أودع الوحىُ قبلةً فوقَ ثغره
وسَعَت أمّه الطبيعة تغذو ه وتلقى سِرَّ الخلود بصدرهْ
ورمى الحبّ قلبه بنبالٍ فجرت حولها مَنابعُ شعرهْ
فسرى شعره صدًى لهواه صادقاً تلمس الشباب بوقْرهْ
ومشى فى الحياة يقرأ فيها أسطراً لم تـكن تلوح لغيرهْ

فالطبيعة مورد للشاعر لا ينضب معينه ، ومَن هذا الذى ينـكر أثرها الواضح فى شعر وردسورث حتى إنّ النقاد سمّوه « شاعر الطبيعة » بل وهـذا أثرها فى ابن حمديس وابن خفاجه وأبى الطيب المتنبي ، وكيف يتجاهل الشاعر الطبيعة وهى تلك الأم الرءوم التى تحتضنه وتسر اليه معانى الخـلد ، وترضعه لبان الهوى ، فالطبيعة بصورها الجذابة تلهـم الشاعر وتـكشف له أستارها ، فيلج بابها فاذا عالم لا يفنى كتب الخلد لمن يعبره . وبوساطتها يتسنى للشاعر أن يجلو خبايا النفس ويفضح

عن طبيعة الوجود ، ويطالع خفايا هذا العالم الذى يجرى ولا ندرى مبتداه من منتهاه ، ويجد فى كنفها بواعث الشاعرية التى تجعلها تتدفّق فى غير حدّ ، وتأبى أن تقف فى مكان خاص ، ويستطيع الشاعر الملهم حينذاك أن يصوغ ما رأى فى صورة مادية ملموسة تظهر أثر الطبيعة .

وهنا تتشعّب نظرة الشعراء اليها شعبتين ، والفارق بينهما جسيم وله خطورته ، فهما وإن كانا يبدآن من نقطة واحدة إلا أن كلا منهما ينساق فى تيار يخالف التيار الآخر كل المخالفة ، ذلك أن الفطرة الأولى التى تصوّر لك الطبيعة صورة فطرية فتذكر لك هذا الزرع الأخضر والكلأ الغضّ والأوراق الذابلة ، وتعطيك صورة « فوتوغرافية » غير منقوصة أو مبتورة للمشهد الذى تراه ، أما النظرة الأخرى فهى نظرة جديرة بالتمعن والتفكير ، وجديرة بالبحث والتنقيب على بعض أسرارها ، ذلك أنها نظرة تأبى أن تقف عند النظر الخارجى بل تحاول أن تستشفّ ما وراء هذا ، وتتغلغل فى ثنايا ما ترى تغلغلاً يمكنها من أن تطلع على العالم بمشهد رائع مبتكر غير معروف ، ومن شعراء هذا الفريق الشاعر الانكليزى وردسورث فهو فى أحدى قصائده المسماة «الشاعر والطبيعة» . يقول : « أيهذا الطلل الدارس ، لقد كنت أسكن قربك غابراً ، ومكثت قريباً منك أربعة أسابيع فى الصيف ، ويا طالما رأيت شبحك قد انعكس على أديم المياه الهادئة التى حاكت المرآة والسماء صاحية والنسيم رخاء ، والأيام بهجة فى صفحة الزمن . لقد كنت أبغى أن أكون رسامك لأصوّر ما شاهدته فيك من أنوارى الفضية . أيهذا الطلل لشدّ ما أبغى أن أقيمك وسط كون يباين كوننا هذا فى ظل خضمّ بسام . آه يابومنت يا أخى وحبيبى ! ها أنذا أبكيك وأعنّف البحر الثائر والشطوط الحالكة والجارية التليدة وسط الأمواج الهدّارة تحت قبة السماء الصاخبة » .(١)

فانت ترى من هذا أن الشاعر الانكليزى لم يقف عند وصف الصورة السطحية للبحر أو تصوير منظر السفينة وانما يستوحى من كل هذا صورة جديدة التركيب ، ويتغلغل فى تبيان عواطفه ويحللها تحليلا جميلا يأخذ بزمام النفس ، ويتلاعب بالشعور

---

(١) كتب ورد سورث هذه القصيدة الرائعة وقد شاهد صورة القلعة التى أبدعتها ريشة صديقه الفنان Beaument الذى ذكره فى سياق القصيدة .

والوجدان . وكذلك نرى هذا فى شعر أبى القاسم ، وقصيدته «من أغانى الرعاة» تظهر لقارئها أى عبقرية تنطوى تحت هذا الجسد المتهدم ، وقد أظهرنا شديد الصلة بينه وبين شلى فى هذه القصيدة وقصيدته عن «النبات الحساس » .وليرجع من شاء الى آثار أبى القاسم فكلها تفيض بهذا النوع من التحليل العميق الممزوج بالفلسفة وان كان الحزن فى كثير من الاحيان طابع الشاعر فذلك لما هيأته له الطبيعة نفسها من آلام ، والتى ينسى فى حضنها آلامه وجراحه ، ويستقبل الحياة مبتسماً هاشاً لها طروباً محيياً إياها فى شعره القوىّ الرصين ، وانه لمن الحق الذى لا مراء فيه أن الانسان ينسى متاعبه وآلامه النفسية حينما يفزع الى الطبيعة فيجد فيها موئلاً يقيه آلام الحياة ، وينسيه متاعبها ويذهب عنه ما يحطم أعصابه المرهفة ، وهنا يجد الشاعر المجال أمامه متسعاً لأن يصوّر بريشته ما يجيش فى نفسه وما يحسّ به . وقد نفرد لذلك مقالاً خاصاً نتناول فيه شعراء الطبيعة ونقارن بينهم لنعرف الى أى مدًى أمكننا أن تؤثر فيهم ،ولا شك أن لشاعرنا العبقرىّ أبى القاسم شعراً يتناول مظاهر الطبيعة ولكن للاسف ليس فى استطاعتنا أن نبحث فيه لانه ليس لدينا ، وربما سهل ذلك على الناقد الادبى حينما يفزع الى قلمه ليكتب عن شعره اذا ما وجد شعره كاملا بين ثنايا ديوان يحمل اسمه وحينذاك يتسنى لنا أن تكون هذه الاحكام أقرب الى الحقيقة مما هى عليه الآن .

ومما امتاز به أبو القاسم وحدة القصيد ، ومُطالع شعره يلمس ذلك فيرى أن القصيدة كلها متحدة الاجزاء قوية التركيب ثابتة الدعائم ، فلا تحسّ فى أبياتها نفوراً أو فى معانيها تشتتاً ، وذلك أمر يتطلب فى القصيدة .

وعلى أية حال فان العالم العربى لن يرى تلك الثغرة التى خلفها موت أبى القاسم ، ولن يلمس أثره واضحاً ، إلا حين يطلع على ديوان شعره كاملاً غير منقوص ، ونرجو أن يكون ذلك عن قريب ليرى أدعيا التقليد والقدامى أية روعة فى التجديد ، وليحسّوا بتلك الشعلة الخفاقة فى سماء الشعر والتى كتب لها الخلود والى روح أبى القاسم تحيات الاجلال ؟

حسن محمد محمود

فن الشالى

« هيا يا رعاة ! هيّا ! سيطلع القمر عما قليل وسيغمر نوره الكون وسنهتدى إلى أدونيس » ـ قالت فينوس هذا بينما كانت تتسلق شعاب الجبال الصامتة فى جهد عظيم ـ « إنه ظلام حالك أيتها الآلهة المحبوبة ، لقد دميت أقدامنا من الصخر ، وكلت أجسامنا من السير ، فلا نستطيع بعد الآن تقدّماً » .

كان طريقهم وسط الجبال قد احتجب عنهم القمر ولفهم الظلام فأصبحوا يضطربون فى سيرهم كأنهم أشباح الليل أو شياطين الدجى ، قد هبّت من نوحها ، تسرح فى عالمها المظلم الكريه .

« هيا يا رعاة هيا سيطلع علينا القمر عما قليل وسنهتدى الى أدونيس ! » ـ قالت هذا فينوس وقد كادت تلفظ آخر أنفاسها من التعب ولكنها صبرتْ وجالدت وسارت فى طريقها والرعاة يتبعونها صامتين كالظلال .

كان الطريق مقفراً حزيناً يبعث الرعب والهلع وكان الظلام يزيد فى رهبته وهوله فكان كلّ شيء ملائماً لوحدتهم وحزنهم ثم طلع عليهم القمر بلون شاحب كأنه الواجم الحزين الذى فقد حبيبته وأرسل عليهم أشعة حزينة باردة زادت أحزانهم عمقاً

كان كل شيء ساكناً فكأن الطبيعة القوية الصخابة قد ماتت فى هذه البقعة الرهيبة وكأن هذا الوادى هو وادى ظلال الموت قد حرم حتى أرواح الأموات ترفرف فى سمائه .

استلق الرعاة على الرمال وظلت فينوس تدير عينيها فيما وراء الجبال ، علها تستكشف أدونيسها العزيز ، وظلوا هكذا مغمورين بأنوار القمر صامتين ، كأن رهبة الطبيعة قد استلت منهم الأرواح وتركتهم أجساماً لا تقوى على الحراك ، ثم ما لبثوا أن قاموا يقتلعون أرجلهم اقتلاعاً وفينوس تتقدّمهم حتى وصلوا أخيراً إلى « مقبرة شاعر قد شيّدتْ فى غير أوانها لم تبنها أيد بشرية فى حنان أو إجلال ولكن بنتها رياح الخريف بما حملته من أعشاب تجمعت فوق عظامه النخرة هرماً وسط البرية الموحشة . لقد عاش ومات وصدح فى وحدته ، لقد تاق الغرباء لأن

يسمعوا نبرات صوته العذبة لقد مضى قوياً مجهولاً ، وكم تاق أناس[1] وتألموا غراماً لرؤية عينيه الفطريتين الساذجتين . ان ينابيع الفلسفة لم تبرح شفتيه الظامئتين لقد شعر وعرف كل أسرار الماضى والحاضر .

فلتبكوا يا رعاة فقد هبت العاصفة واقتلعت الشجرة وأسكت الموت شاعركم الوحيد!

فلتبكى يا خراف من كان يجيب تناديك !

فلتبكى يا طيور من كان يفصح عن أغانيك !

ولتصمتى يا رياح ، ولتقف يا نسيم فقد مات من كان يردد صداك !

أيتها الطبيعة فى الجبال والأودية ، فى البحار والغابات، فى الليل والشفق، فى النجوم والكواكب ، فلتبكِ لسانك الذى ينطق بك وقلبك الذى كان يخفق بحبك لقد جف ينبوع حياتى وكان قوياً جارفاً .

أيا بنات الوادى فلتبكين بلبلكن الذى كان يشجيكن بأعذب الالحان وحبيبكن الذى كان يسكركن[3] بصوته الحنون »

أجاب صوت من وراء الجبال : «إن أدونيس لم يمت ولكنه حى فى السماء ،انه لم يمت ولكنه ترك عالمنا الشرير ورغب فى عالم المجد الالهى حيث ينشد هناك أناشيد الخلود بجانب عرش الإله السامى وحيث قلبه لن يبرد وشعر رأسه لن يخطه المشيب » .



كل انسان له فى هذا العالم رسالة يؤديها ورسالة الشاعر هى أسمى أنواع الرسالات فهى رسالة العالم الاسمى للعالم الارضى وما الشاعر الا رسول أمين يحمل هذه الرسالة فهو الشخص الوحيد الذى يتصل بالعالمين عالم السماء بروحه واحساسه وعالم الارض بجسمه ومادته ، فما رسالة الشابى اذن ؟ ما الموضوع الذى اتخذه مادة لشعره أو بمعنى آخر بماذا نسمى الشابى ؟ أنسميه شاعر الأودية والرعاة أم شاعر الأزهار والورود أم شاعر الحب والجمال أم شاعر الطبيعة والشباب ؟! انى لا إخال هذه الكلمات الا مدلولات لشىء واحد هو القلب ، فما الازهار والورود وما الطبيعة وأوديتها وما الحب ولذائذه ؟ الا انعكاسات وأصداء ترن بين جوانب القلب الانسانى فالعالم كله قلب وقلب الانسان هو قلب هذا العالم . قلب هذا العالم الاكبر الذى فيه تجمّع ومحور

هذا الـكون العظيم قلب الانسان هو عرش الاله الذى بناه لنفسه يتربعه كلما نزل من عالمه السامى الى عالم النـاس .

ما رسالة الشابى إذن ؟ إنى أميل الى الاعتقاد بأن رسالة الشابى هى رسالة القلب الانسانى الى عالمنا الانسانى ، ولـكنى أحس بشىء من القلق وعدم الاستقرار لهذا الاعتقاد فانى أكاد لا أظفر برسالة كاملة مفصلة لهذا الشاعر الشاب . أنا لا أنكر سحر روحه وعظم تأثيرها وموسيقى أشعاره وما فيها من قوة وحركة، لا أنـكو تلك القوة الكامنة والشاعرية الخصبة الدافقة فى ذلك العقل العبقرى الشاب ولكن الموت لم يمهله حتى يستكمل نضجه فهو ينظر الى الطبيعة فى ظاهرها ولا يتعب كثيراً فى النفاذ الى قلبها ، ويلمس الطبيعة بحسه ومشاعره ولا يصل اليها بعقله وفكره ، هو شاعر يحس وليس فيلسوفاً يفـكر ، لذلك نسمع أصداء الطبيعة ترن فى شعره ونلمس آثارها تغمر ألفاظه ونعجب لتلك الجدّة والعذوبة والموسـيقى التى تفيض على شعره .

الشابى شاعر من طراز روسو وبيرون وشاتوبريان يرى الطبيعـة مأوى ومسكناً لروحه ومشاعره التى تأذت وتألمت . فاذا تغنى بالطبيعة فانما يتغنى بمظاهرها العامة : بجبالها وأوديتها وأشجارها وأزهارها ، وهو إذا قدّس الطبيعة فانما يقـدس فيها هذا الجانب الذى كنى عنه روسو « بجمال المقفرة الخالية وسحرها » ، وهو اذا أوى الى أحضان الطبيعة انما يفعل هذا زهداً فى دنيا الانسان وهروباً بمشاعره من أن تصطدم بحياة اليوم العادى :

ما لنا والـكؤوس تطلب منها   نشوة والغرام سـحر وسـكرُ
خلّـنا منـك فالربيع لنـا سا   قٍ وهـذا الفضاء كأسٌ وخمرُ
نحن نغدو بين المروج ونعدو   ونغنى مع النسيم المغنى
ونناجى روح الطبيعة فى الـكو   ن ونصغى لـكونهـا المتغنى

الشابى شاعر كبيرون يلجأ الى الطبيعة كراهية وبغضاً للانسان فـكما أن بيرون يجد فى الجبال غذاءً لشعوره وفى رؤية المدن وسماع ضجيجها أذى لسمعه وبصره كذلك يشير الشابى الى ما فى الطبيعة الصامتة من جمال وسحر إذ يقول :

لن تَملّ يا خراف   فى حمى الغاب الظليلْ
فزمان الغاب طفل   لاعب عذب جميلْ

وزمان الناس شيخ عابس الوجه ثقيل
يتمشّى في ملالٍ فوق هاتيك السهول

فالشابي يضيق بالناس وهو إن ماشاهم كان كارهاً وإن خالطهم كان حذراً ينظر اليهم نظرة ريب وشكٍ ، وهذا شعور يصاحب كلّ انسان صُدِم في أمانيه سواء كان في حب أو حظ أو شهرة ، وغالباً ما يلازم هذا الشعور الشبان الذين يخرجون الى الحياة مفعمين آمالاً فلا يكادون يخطون الخطوة الأولى حتى يصدمهم الواقع فيرجعوا ساخطين متبرمين والقويّ منهم من صمد في الميدان :

في شعاب الزمان والموت أمشي تحت عبء الحياة جمّ القيودِ
وأماشي الورى ونفسي كالقبر وقلبي كالعالم المهدودِ
ظلمة مالها ختامٌ وهولٌ شائع في سكوتها الممدودِ
واذا ما استخفني عبثُ النّا س تبسّمتُ في أسى وجمودِ
بسمة مرة كأني أستلُّ من الشوك ذابلات الورودِ

هذا الشعور بالألم النفسي والضيق بالحياة والناس ، وهذا المنظار الأسود الذي يرى من خلاله الشابي الحياة هو بعينه الذي لازم بيرون طول حياته ، ولا أستطيع التكهّن لو امتدّ بالشابي أجله : أكان يستبدل بالمنظار الأسود منظاراً ابيض شفافاً يريه العالم على حقيقته ويوقفه على ما فيه من جمال أم كان يحتفظ بمنظاره الأسود أو يستبدله بآخر أشدّ سواداً . هذا أمر ليس إلى الحكم عليه من سبيل فقد فصل الموت بيننا وبين الشابي وبين الحياة فحال بيننا وبين الانتظار، فعلينا الآن إذن أن نبحث عن سبب هذه الكراهية وهذا الضيق الذي استولى على هذا الشاعر الشاب حتى جعله يسخط على الحياة بمثل هذا السخط المرير . أكبر الظنّ أن هذه الحدّة في المزاج ، وهذه الحدّة في الشعر ، وهذه الحدّة في تلك الصيغة التي صبّ فيها هذا الشعور ، هذه الحدة التي غمرت هذا الشاعر طوال حياته القصيرة مرجعها التكوين الفسيولوجي ، فكلنا يعرف أن الرجل المريض الجسم غالباً ما يكون مريض الأعصاب فيثور لأقل شيء ويحتدّ لأتفه الأمور، وقد يكون هذا المرض أو النقص الطبيعي في الشخص سبباً في أن يجعله يضيق بالحياة بل ويكرهها. وهذا الشعور نفسه هو الذي لازم بيرون وكاد يفقده عقله في بعض الأوقات ، فالمرض أو النقص الطبيعي

ثم الاحساس بهذا النقص أو الشعور والتفكير فى ذاك المرض هما اللذان يتسلطان على الانسان وهما يستطيعان أن يخلقا من الهادىء الرزين إنساناً ثائراً متمرّداً. هذه الثورة وهذا التمرّد قد يظهران فى القول كما يظهران فى العمل ، وقد يصل هذا الشعور بالشخص لاسيما اذا كان ضعيف الارادة الى الجنون . هذه الحالة النفسية نجدها ظاهرة فى بيرون الذى كان نقص أحد قدميه ثم شعوره بهذا النقص مصدر كثير من الشقاء والألم له ، هذا الشعور بالنقص هو الذى جعله يصرخ حانقا : « اذا ابتسمت لشيء فهو لكى لا أبكى ، لقد سرت فى طريق للحياة حالك قذر ، وسلخت من العمر ثلاثاً وثلاثين فماذا أبقت لى هذه السنون ؟ لا شيء غير ثلاث سنين » . هذه الأبيات هى جماع فلسفة رجل قد استنزف كل مسرّات الحياة حتى وصل الى قرارة راسبها الشديد المرارة .

ولقد كان الشابى مصدوراً وكان يشعر بصدره دائماً يعمل فيه هذا المرض القتال فليس غريباً أن يضيق الشابى بالناس وليس غريباً أن يتبرّم بالحياة بل ليس كثيرا على شاعر غزير الاحساس يشعر فى قرارة نفسه بمصابه ويفكر فيه دائماً ، ليس كثيراً على شاعر وهب شاعرية خصبة كالشابى يرقب أفول نجمه شيئاً فشيئاً كلما تمكّن منه الداء ، ألاّ يرى فى الحياة إلا الجانب الأسود منها وأن يقول :

فاهجر الناس إنما الناس خلق مفسد فى الوجود غير رشيد
والسعيد السعيد من عاش كالليل غريباً فى أهل هذا الوجود

قلت إنّ الشابى كبيرون وروسو مفتون بمظاهر الطبيعة الخلابة كالجبال والأوديه والمراعى ولكنه لم يصل الى قلب الطبيعة العميق بل استقر على سطحها كالغريب الآيب من سفر طويل لا يكاد يجتاز عتبة داره حتى يلقى بحمله وبنفسه . فالشابى قد تأذى كثيراً من الانسان وقد أصيب فى أعز شيء لديه وهو قلبه موطن إحساسه وشعوره فهو لا يكاد يترك دنيا الانسان ويصل الى رحاب الطبيعة حتى يكون السفر قد أضناه فلا يكاد يخطو بعض خطوات فى هذا العالم الجديد حتى يلقى بحمله ليستريح ، فهو لم يصل الى ما وصل اليه وردزورث فى نظرته وشعوره للطبيعة : فوردزورث اذا أنصت الى الطبيعة فانما ينصت الى صوت الانسانية ، وهو اذا تغنى بالطبيعة فانما يتغنى بالتزاوج الحقى بين عقل الانسان والكون . الطبيعة فى نظر وردورث ليست الجبال والأودية والمراعى كما هى فى نظر بيرون والشابى ولكنها هى الروح الحقيقيه الخالدة . وردورث يرى ان الانسانية جزء من الطبيعة لا ينفصل : الانسان والطبيعة

شيء واحد وليس هناك انفصال ولا تمييز بين حياة الانسان وحياة الطبيعة . وردزورث يرى أن العالم والعقل الانساني طاقتان أوقوتاز لعالم واحد . هدان هما الجانبان الحقيقيان الضروريان للكمال الانسانى ، هما امتزاج الروح المحدود بالتجربة الشخصية ، امتزاج أفكار الأبدية بأشياء اليوم العادى .

فالشابى شاعر الطبيعة الظاهرة ، شاعر مناظرها : انهارها جبالها أصدائها ، وليس شاعر أسرارها ، فهو يكلف بهذه المناظر ويحب الا يتركها بل يود أن يصبح جزءاً منها ومن أجل ذلك جاء شعره مفصحاً عن هذه المناظر ، فهو اذا أفصح فكأن لطبيعة تفصح ، واذا أنشد فكأن العالم الطبيعى ينشد .

أحل ، لقد أفصح لنا الشابى عن أنغام الطبيعة المسموعة ، ولكن للطبيعة أنغاماً صامتة ، وهذا مالم يصل اليه الشابي وربما كانت هذه الأنغام الصامتة أعذب وأكثر موسيقى من تلك الأسجاع المسموعة .

ومن الغريب أن يستقى هذا الشاعر من تلك الينابيع التى استقى منها وردزورث فيأتى شعر هذا الشاعر التونسى قوىّ الشبه بشعر هذا الشاعر الانجليزى الذى عاش قبله بأكثر من قرن .

فكلا الشاعرين قد تغنى بالطفولة الأولى وشاد بسعادتها الحلوة العذبة ، وكلاهما قد ندم على فراقه لها . كلاهما يعتقد أن مجد الالـه العظيم قد توارى عن الأرض بذهاب الطفولة ، وأن هذا المجد ونور الالـه السماوى يأخذ فى الابتعاد عن الأرض شيئاً فشيئاً كلما أخذ الطفل فى النمو . فبعد أن يكبر الطفل ويصبح رجلا تجرفه الحياة الصاخبة فى طريقها فينسى ماضيه الجميل وأيامه الأولى السعيدة ، فبينما الشابى يقول :

قد كنت فى زمن الطفولة والسذاجة والطهور
أحيا كما تحيا البلابل والجداول والزهور
لا تحفل الدنيا ، تدور بأهلها أو لا تدور
واليوم أحيا مرهف الأعصاب مشبوب الشعور
متأجج الاحساس ، أحفل بالعظيم وبالحقير
تمشى على قلبي الحياة ويزحف الكون الكبير

إذ يقول وردزورث :

« قد أتى عليّ وقت كنت أرى فيه المراعى والحراج والجداول والأرض وسائر المرائى متشحة بالأنوار السماوية كأنها مجد وبعث لحلم ، وهى الآن غيرها بالأمس. دورى كيفما شئت ليلاً أو نهاراً . ان هذه الأشياء التى شاهدتها سوف لا أراها من جديد ، ما أحب الورد يغشيه القمر بنوره البهيج عند ما تصفو السماء من الغيوم ، وما أجمل المياه فى الليالى المرصعة بالنجوم ! إن ضوء الشمس ميلاد عظيم ، ولكنى أدرك مع ذلك حيثما ذهبت أن مجداً قد توارى عن الأرض .

أيها الطفل الصغير العظيم فى حمى ـ وليد السماء ـ الحرية التى ترفرف عليك ! لماذا تثير السنين بتلك الآلام المضنية لتجلب ذلك النير المحتم وتحارب سعادتك فى غير تبصر ؟

إن روحك سرعان ما تندمج بالأرض ، وتتسلط عليك العادة بأعبائها الثقيلة كالجليد ، العميقة كالحياة » .

صلوات فى هيكل الحب

تذكرنى هذه القصيدة « انديميون » لجون كيتس حيث يقول كيتس فى مستهلها « إن الشيء الجميل فرح دائم ، إن سحره فى ازدياد ولن يتلاشى ، ولكنه يحتفظ لنا بخميلة هادئة نرتمى تحت ظلالها ويعدّ لنا نوماً مشبعاً بالأحلام الحلوة والأنفاس السليمة الهادئة » .

يرى الشابي فى هذه القصيدة ما يراه كيتس فى مستهل انديميون أن الحب مأوى آمن من قسوة هذا العالم ومن شروره :

عذبة أنت كالطفولة ، كالاحلام ، كاللحن ، كالصباح الجديد
كالسماء الضحوك ، كالليلة القمراء كالورد ، كابتسام الوليد
أى شيء تراك ؟ هل أنت فينوس تهادت بين الورى من جديد
لتعيد الشباب والفرح المعسول للعالم التعيس العميد ؟
أم ملاك الفردوس جاء الى الأرض ليحيي روح السلام العهيد ؟
أنت ، ما أنت ؟ ! أنت رسم جميل عبقرى من فن هذا الوجود
فيك ما فيه من غموض وعمق وجمال مقدّس معبود

كل شيء موقّع فيك حتى لفتة الجيد واهتزاز النهود
أنت .. أنت الحياة فى قدسها السامى وفى سحرها الشجىّ الفريد
أنت دنيا من الاناشيد والاحلام والسحر والخيال المديد
أنت فوق الخيال والشعر ؛ والفن وفوق النهى وفوق الحدود
أنت قدسي ومعبدي وصباحي وربيعي ونشوتي وخلودي

* * *

فشعره ترجمان لما يجول فى ذلك الخاطر القوى الجبار من تصور دنيا جديدة ، دنيا بعيدة عن دنيانا ، دنيا أقرب الى دنيا الخيال منها الى دنيا الواقع . ولكنها على كل حال ليست دنيا العقل والمعنويات الدقيقة ولكنها مزاج من الحقيقة والخيال ، مزاج من الحس والفكر . فهو اذا تصور الحب لا يتصوره بين السحاب أو فى أودية القمر ولكنه يتصوره فى عالمنا . وليس عالمنا المملوء حقداً وبغضاً ،عالمنا المملوء شهوة وخبثاً ، ولكنه عالمنا النقى الذى خلص من كل الرذائل وتحرر من كل الشهوات ولم يبق فيه إلا الحب يسود ويتحكم .

فالشابي ليس مثالياً فى حبه كشلى ، وليس حسياً كبيرون ، ولكنه شاعر قد وهب احساساً مرهفاً يحس بكل ما حوله وشعوراً دقيقاً جداً يأبى عليه المكث فى هذا العالم فيلح عليه بالانفصال منه والتحليق فى واد كله جمال وسحر . هذا الجمال ليس حسياً خالصاً وليس معنوياً صرفاً ولكنه ـ كما قلت ـ فيه من الحسية وفيه من المعنوية حظ كبير .

* * *

حقاً لقد قدم لنا الشابى صوره الشعرية فى أسلوب شعر جميل حتى أصبح له أسلوب خاص مطبوع به نستطيع أن نميزه على شعراء هذا العصر : هذا الاسلوب الشعرى الخاص هو صوره وتشبيهاته الجميلة كقوله :

عذبة أنت كالطفولة ، كالأحلام كاللحن ، كالصباح الجديد

هل هذه مجرد كلمات وضعت بجانب بعضها ؟ وهل سحر هذا التعبير الشعرى موجود فى موسيقى الكلمات وحسن اتساقها وملاءمتها أو توافقها لتحدث نغمة موسيقية بله توافقاً موسيقياً جميلاً ؟

إن جمال هذا التعبير بل خلوده ليس آتياً من الموسيقى الشعرية فحسب وليس آتياً من المعنى الشعرى السامى ، هذا المعنى البرىء كالطفولة ، العذب كالأحلام ، الموسيقى كاللحن الجديد ، كالصباح ، ولكنه آت من ارتباط اللفظ بالمعنى وامتزاج الصورتين الحسية والمعنوية : هذا الامتزاج القوى بل هذا التفانى أو التلاشى أو الموافقة التامة — سمّه ما تشاء — بين اللفظ والمعنى .

***

هذا هو الجديد فى شعر الشابى ، وهذا هو الذى يميزه على شعراء هذا العصر . فهو الشاعر الوحيد فيما أعتقد الذى استطاع أن يجول فى عالمين : عالم الحس أو الواقع الذى نشغله بأجسامنا ونملؤه بحواسنا وعالم الفكر والسمو الذى ندركه أو نحاول إدراكه والدنو منه بأفكارنا وأشواقنا ، واستطاع أن يقدم لنا صورة كاملة لهذا الجمال المزيج فى كلام قوى وأسلوب شعرى دافق

***

يا ابنةَ النور ، إننى أنا وحدى مَن رأى فيكِ روعةَ المعبود
فدعينى أعيش فى ظلك العذب وفى قرب حسنك المشهود
عيشةً للجمال والفن والالهام والطهر والسنى والسجود !

***

ليس الجمال فى هذه التعابير الشعرية فى موسيقى الكلمات أو حسن وقعها فى الأذن أو سرعتها وحركتها وانسيابها أو ما فيها من حياة حية فحسب بل لما فيها من نماذج الحسّ وصوره ممتزجة بصور الذهن كقوله «يا ابنه النور» . ان هذا التعبير الشعرى الذى لم يخطر بذهن شاعر عربى على ما أذكر لا يولد فينا عاطفه حسية فقط ولا عاطفة ذهنية فقط ولكنه يبعثنا على أن نفكر ونحسّ معاً أو نحسّ ونفكر معاً حتى ندرك هذه الصورة الجميلة حقاً البديعة حقاً التى يريد الشاعر أن يتصورها . وهذه الصورة البديعة الجميلة لا يمكن للحسّ وحده أو للفكر وحده أن يهتدى اليها بل لا بدّ من اقتران الحسّ والفكر معاً .

لا بدَّ من عمل العاطفة والعقل معاً حتى نقف على هذه الصورة كاملة فى بهاها وجلالها وروعتها .

***

وبعد ، فهذه خطرات سريعة عاودتنى اليوم إذ ذكرتُ هذا الشاعر الشاب الذى لم يفسح له الزمان فى السمر فعصف به عصفَ الريح العاتية بأوراق الخريف الساقطة ، فطويت من الوجود صفحة حافلة بكل معانى الشعر والحب والجمال وسكت بلبل صداح كان يشجى العالم بأغانيه العذبة وألحانه الشجيَّة .

هذه خطرات طافت بفكرى على ذكر هذا الشاعر الشاب الذى قضى ولم يكتمل نضجه بعد ، أنشرها اليوم علها تقوم ببعض الواجب نحو هـذا الشاعر الغريب الذى لم تره عينىَ ولم تسمعه أذنى ولكن أحبَّه قلبي وكان نعيه شديداً على نفسى .

ولست أدعى أنى قمت بشىء نحو هذه العبقرية الشابة التى هوت من سماء مجدها كما تهوى جبابرة الملوك وأعاظم الدول ، فانى لأشعر حقاً بعجزى المطلق أمام هذه العظمة الخالدة ، وأعتقد فى قرارة نفسى بحرية تلك العظمة واستقلالها وغناها عن كل شرح وتمجيد ؟

نظمى خليل

(بكالوريوس فى الأدب الانجليزي)



عبد الحليم حلمى المصرى (١)

ثالثُ الشعراء الضباط ، نضج وهو بعد فى فجر أيام الشباب يطلب العلم فى المدرسة الحربية . نظم أول ما نظم فى الفخر وأكثر من ذكر العلم والسيف ، على أن صاحبنا وإن لم يقل أن الخيـل والليـل والبيداء تعرفه ، ولم يذكر الصلة الوثيقة التى تربطه



عبد الحليم حلمى المصرى

بالسيف والقرطاس فاخراً بسيفه وقلمه ، فانه اعتز بأدبه ووثق من فروسيته فى إسراف غير مملول ، وإلا فما بالك برجل لم يشهد الصراع إلا فى الصور التى تلقن له فى المدرسة ولا يستطيع أن يصول بسيفه إلا وسط الجدران الأربعـة التى تحيط بفراشه ومـع ذلك يقول من قصيدة غير طويلة :

(١) عن كتاب (شعراؤنا الضباط) الذى سيصدر فى الشهر المقبل .

ألم تهزك أشعارى ولى قلم إذا جرى هزّ تيجان السلاطين
وصارم فى الوغى لو هجته انبعثت له المقادير بين الكاف والنون ؟!

ويزعم الكثيرون أن هذه القصيدة أول ما قال عبدالحليم من الشعر وإن كان قد عاد فاقتطع بيتيه اللذين تمثلنا بهما هنا وأنشدهما فى (نونيته) التى جاء فى مطلعها :

(لا ترشدينى وخلى الشوق يهدينى لعل يدنيهمو ما كان يقصينى)

ولكنى لا أعتقد بحال ما أن هذه بداية شاعر ، بل هى صرخة شاعر فحل قد أكثر من الصياح .

والواقع أنك تجد فى شعر الطور الأول من حياة عبد الحليم نضوجاً وقوة لا تجدها فى شعر الكثيرين من أعلام القريض فى عصره ، وتكاد لهذا لا تحسّ بتبدل كبير فى شعره طوال أيام حياته ، إلا أنك ستجد أنه انصرف الى الأنين والشكوى والحنين الى مصر طوال حياته فى السودان ، فلما جاء مصر وخلا الى نفسه ليقرض الشعر حراً طليقاً بدأ الطور الثانى من حياته الشعرية فأكثر من المديح . ولعل شاعرنا أرغم على هذا من أجل الدنيا ... ولكن كانت هناك نواح كثيرة كان من الضرورى أن يساهم فيها بشاعريته الفذة ، على أن عبد الحليم قد بدأ فى أواخر أيام حياته يكتب تاريخ الخلفاء ـ أولى حلقات التاريخ الاسلامى ـ وكان هذا أثراً جميلا لو تمّ إلا انه مات قبل أن يتمه .

وشاعرنا هو عبدالحليم بن اسماعيل حسنى افندى . وُلد بناحية (فيشا) من أعمال (دمنهور) فى مايو عام ١٨٨٧ (١) وذخل المدرسة الحربية بعد أن أتم دراسته الابتدائية وهو يحبو الى سن الشباب ، وبرحها بعد عامين فى يونيو عام ١٩٠٦ فى التاسعة عشرة من سنى حياته ، وأُلحق بالأورطة السادسة عشرة المشاة فى كسلا ، ولم تستمر حياته فى السودان طويلا ، وسأحدّثك عنها عند ما تصل الى شعر الشكوى والحنين الى مصر .

والواقع أن عبد الحليم بدأ طوره الأول بالشعر السياسى الذى كان يمتلىء وطنية . وحديثه عن الوطنية والحرية ليس حديث صناعة بل من وحى روحه ، واسمعه يتحدث الى الحرية من قصيدة طويلة جاء فى مطلعها :

---

(١) الجزء الخاص بمولده ونسبه ومالم ينشر من شعره قد تفضل بكتابته حضرة شقيقه عباس حلمى المصرى المهندس .

حلا لها البينُ فانجابت عن المقل ولم تودع قبيل السير من رجل

فيقول .

عودى ! أطلى علينا ! إننا نفر إن حلت عنا فانا عنك لم نحل

الدهر غيرنا حتى اذا بعدت بنا الديارُ غدت منا على دخل

نأوى اليها بنا مما بها ظمأٌ وكلنا طلل يأوى الى طلل

أصبحت فى غير وادى النيل ثاوية والشمس فى الحوت غير الشمس فى الحمل

ماذا جنينا ونحن الواهنون كما قالوا وذو الوهن لا يجنى على البطل؟

فايه يا مصرُ إن جاروا وإن عدلوا قد ينشأ البرء أحياناً من العلل

وسترى شاعرنا يكثر من الزجر كما أكثر حافظ منه ، وسنسمعه يخاطب المصريين جملة . ولكن عبد الحليم لم يكن قاسياً ، ولن تجد السخرية اللاذعة التى عُرف بها حافظ وحدثتك عنها فى قصائده عن مأساة دنشواى وسقت لك مثالاً منها فى قوله (أمة النيل أكبرت أن تعادى — البيت) وقد تجد بعض العنف فى حملته ولكنه عنف ترضاه ولا تضيق به ، واسمعه يقول :

يا أمة أبصرت فى الصبر مكرمة أيخمد الصبر مضروماً من الشعل ؟

أراك ندابة فى كل حادثة والندب لم يجد صوب الحادث الجلل

وليس هذا إلا لأنه :

أنى زمانُ نهوض وانقضى زمنٌ كان البكاء يُرى فيه من الحيل

وإذن ماذا يجب على المصريين أن يفعلوا ؟ وأية نصيحة يبعث بها الشاعر الى مواطنيه ومصر أحوج ما تكون الى جهود أبنائها ؟ ويعرف عبد الحليم هذا كما يعرف أن مصر باتت مطمع الدول ، لكل فيها مغنم ، وكل يريد أن ينال كسباً ، فيقول :

فراقبوا الله يوماً فى كنانته إن الكنانة أضحت مطمع الدول

***

رأيت هنا عبد الحليم شاعراً من شعراء الحرية يبكى لأجلها ، ويتحدث عنها ، ويهيب بالمصريين أن يعرفوا لوطنهم حقه عليهم وأن يعملوا على تقدمه ، ولكن

صاحبنا لم يوقف شعره على مصر بل سلك سبيل البارودى وحافظ فى الحديث عن الشرق وعن «فروق» أقرب العواصم بعد القاهرة الى قلب الشاعر. وفى الاستانة كثرت المظالم وقيد الناس بالاغلال واقتيد الابرياء الى البوسفور يبعثون الى قاعه، وضاق عبدالحليم بهذا كما ضاق به ولى الدين لحمل على عبدالحميد وعهده فى قصائد طوال نجدها كلها فى الجزء الأول من ديوانه، وأروع ما تلقاه له عن هذا العصر المظلم فى حياة الشعب العثمانى قصيدته « خلع عبدالحميد » والتى جاء فى مطلعها:

ودّع وسلم فان الدهر حالان والتاجُ من رأس سلطانٍ لسلطانِ

وستجد فيها صفحة دامية من حياة الآهلين. واقرأ معى حديثه عن سيدة أحاط بها الجند فى دارها وقد انتصف الليل يسائلونها عن زوجها وكان الرجل قد فرّ من قبضة يدهم قبل أن يداهموه فى داره. وستحسّ معى بليلٍ مظلم وقد عصفت الريح بالاشجار وتساقط البرد يغطى أرض الطريق ونوافذ الدور، وفى هذا الجو الأغبر وقفت المرأة المسكينة تصطك من البرد بين جند يتدثرون بأردية سميكة، وكلهم طامع وحاقد، وقد جاءوا يحملون أمر التعذيب والاعدام للرجل فما وجدوه وهم يظنون ان المرأة قد أخفته فى ناحية من البيت وهى تقسم وهم يصدّون، وفى هذا يقول الشاعر:

الله فى ربة الخدر التى جلدت والجند ما بين فتّاك وطعان (١)

طاعت لها العين حتى صار مدمعها رياً لكل خميص البطن صديان

كم ساءلوها عن (المختار) فاعتصمت بالله فى القول من إفك وبهتان

وكذبوها فقالت: قطعوا جسدى انى ضحية أقسامى وايمانى

كلاهما صان فى الدنيا لصاحبه عهداً، فدرّهما لله زوجان

وتسير تلك القصيدة حثيثا دون أن تجد العنف الذى تراه واضحاً فى قصيدة ولى الدين عن العصر الحميدى. وستجد شاعرنا أبدا يتحدث الى عبد الحميد عن نعمائه، ويذكره بأيامه الماضية قبل أن تنزل به النكبة وقبل أن تطوح بعرشه ثورة الشعب الذى ألهبت ظهور أفراده بالسياط وشويت جلودهم بالنيران، فانقلبت الى شعلة مضيئة تقود الجحافل وراءها، وقد ضمت قصائده الى

(١) الله مفعول لفعل محذوف تقديره اتقوا الله.

مانظمه الشعراء فى الحديث عن الثورة والدفاع عنهـا فى كتيب صغير تعلوه صورة مدحت أبى الدستور ، وأسوق لك هنا مثلاً منها فى قوله مخاطباً عبد الحميد :

شاهدت حولك أسواراً تفيض دماً ... كأنما قد بناها بالدم البانى
مدججات إذا قيل القتال سعى ... مقرونة السير بنياناً لبنيان
تظلهـا ساريات قطرها عجب ... من أنسر وشواهين وعقبان
لم تبسم الناس فى (تموز) من جذل ... الا وقد عبسوا فى شهر نيسان

وختمها أو كاد بقوله :

الملك للواحد القهار لا ملكٌ ... فينا ولا دولة تبغى على شان

وكما دافع عبدالحليم عن الاحرار العثمانيين ودعى الى معاونتهم ، حثّ الشرقيين على معاونة أهل طرابلس فى صراعهم مع الطليان ، وستراه يحادث (رشاداً) صاحب الامر فيقول :

بالسيف بالرمح بالقرطاس بالقـلم ... صونوا حمى الملك واحموا حوزة العلم
يا صاحبَ التاج هذى أمة بدأت ... تدنس الأرض فاغسل أرضها بدم
فى الشرق جند اذا ناديت عن كثب ... عدا اليك على جنٍّ بلا لجم

وذكر الشاعر حياته فى الجيش وعاد يحنّ الى حومة الوغى ومزاحمة الفرسان ، وكان الشاعر قد ضاق بالحياة فى مصر كما ضاق بالحياة فى السودان فلم يصل الى بغيته عند ما جاءها يحمل عدده من النظم والقريض ، ولعل الشاعر كان يبغى الرحيـل الى طرابلس لأنه يقول من قصيدته :

فيما الاقامة فى مصر وتلك ربى ... يضيق فيهن صدرُ الرحب بالرحم
سيفى جوادى. نجادى . عدتى . زردى ... قلبى تيـابى . أناتى . سطوتى همى
لا حبذا رقدة بالنيـل ناعمـة ... وحبـذا وقفة بالجيش من أَمم
لا خـير فى العيش يطويه الفتى ألماً ... كم فرج الموت عن نفس من الألم
أستودع الله أهلى فى كنانته ... مستقصياً عنهـم مستوصياً بهم

ولم تقف جهود الشاعر عند هذا الحد فعاد يثير حمية أهل الشرق ويحرضهم على الجهاد . واقرأ معى قصيدته « تطوّع يا فتى الهيجا تطوّع » والتى جاء فى مطلعها :

سلام الله يا دار السلام ليخمد فيك ملتهب الضرام
فسيف الله فى كفّ الامام وجنـد نبيه مـلء الأكام

وفيها يقول :

تطوّعْ يا فتى الهيجـا تطوّعْ لأنت بعنبر الهيجاء مصقع
فصفها إن سلمت وقلْ وأسمِعْ (فان القول ما قالت حذامِ)
ومهلاً (أمة الطليان) مهلا أزاد بنيك حلمُ الترك جهلا
ستُمسح أرضكم جبـلا وسهلا ويخفق سعيكم بين الانامِ
سلوا (اليونان) هل بلغت مرادا وهل ردت كتائبها جوادا
وهل لم تغرس الترك الوهادا قناً لهمو وتظفر بالمرامِ ؟
سلوا (الدبّ) الذى أفعى وكرّا أألنشب فيهم ناباً وظفرا (١)
وإلاَّ كانت (الأتراك) جمرا تسيل عليه من مجرى الغمامِ ؟

واصطدم الجيشان ، وانتصر الترك والعرب وحملت الأنباء الى العـالم الاسلامى خبر هذا النصر فنظم عبد الحليم قصيدته الثالثة لذكرى هذا النصر وفيها يقول :

السيفُ يصنع ما لا تصنع الـكتبُ لا الحرب قول ولا صدق الظبي كذبُ
تخرّص القوم فى الهيجاء وارتعدت فرائص هدّ من أركانها اللجبُ
ومنتهى القول إن الحرب قائمة الترك نار لها أعداؤهم حطبُ
يا (أنور) ادع (نيازى) يصطحبك بهـا فالحرّ للحرّ فى الهيجاء يصطحبُ

* * *

والسياسة كما حدثتك هى أكثر ما نجـده فى ديوان شاعرنا النابغة ، واسمعه فى

---

(١) الدب كناية عن الروس .

قصيدته (المساجين) [١] يتوجع لحال اثنين طاح بهما الاحتلال الى السجن فيقول:

قالوا سجنا كما والنار قد خمدت تالله قد أوقدوا ما أخمدوا بكما

لو يستطيعون أن يأتوا بمعجزة فليجعلوا الأفق تربا والتراب سما

فى كل يوم سجين لو تئن له قال (العميد) أثاروا فتنة عمما

هم ينقمون علينا كل آونة فهل على الشعب من بأس اذا نقما؟

خذوا هنيئاً بلاد الله آهلة الا الكنانة والبيتين والحرما

فيا قطيني ظلام السجن لا جزعاً لا يعرف البدر حتى يقطن الظلما

وتابع عبدالحليم شعره السياسى فى حولياته وتجد الكثير منها فى الجزء الأول من ديوانه ، وقد أوقف عبدالحليم هذه الحوليات على الحديث عن مصر والشرق الأدنى ، وتستطيع أن تقول أن كلا منهـا كانت تاريخ العام وسجل الحوادث التى مرت طوال أيامه ، والغريب أن عبدالحليم لم يجمع هاته الحوليات فى كتاب واحدمع أنه داوم على انشادها فى حفل استقبال السنة الهجرية منذ عودته من السودان. وحوليات عبدالحليم أقدم المذكرات السياسية فى التاريخ المصرى الحديث ، وأسوق لك هنا واحدة منها نظمت فى حوادث عام ١٣٢٧ ، وثق اننى لم أتخيرها لك بل جاءت فى ديوانه بعد قصيدته (المساجين) ، وفى قصيدته هذه يتحدث عبد الحليم عن الدولة العلية : كريت ـ المرحوم أدهم باشا ـ العجم ـ الحالة فى مصر ـ صبح الأمير ـ الهجرة ، والقصيدة طويلة أبياتها سبعة وستون بيتاً ، واسمعه يخاطب شباب مصر فيها فيقول :

يا فتية النيل جدّوا السير تغتنموا تلك العلى فهى تدعو كل مغتنم

ولا يمت عزمكم من عثرة عرضت فصحة الرأى تمحو عثرة القدم

---

(١) تجد هـذه القصيده فى الجزء الأول من الديوان ص ١٠٨ ولكن الشاعر ساقها دون أن يذكر تاريخ قرضها ، ولعلنا لو تابعنا تنسيق ديوانه على حساب الأعوام لكان تاريخ نظمها قبيل عام ١٣٢٨ للهجرة ، ولقد حاولنا أن نلم بطرف من الحادث فلم نستطع وعسى أن نجد من أصدقاء الشاعر من يستطيع أن يوجهنا الى الصواب فى الحديث عن أسباب قرضها .

لأنتم اليوم فى نصف السبيل فلا ترد كم عاديات الحادث العمم
المجد بالباب والمذلاج بمنعه تحطموه اذا استعصى فينحطم
ويدخل المجد خطاراً بموكبه يصافح الناس فى أثواب مبتسم

وأغلب ما حدثتك به من قصيد شاعرنا حتى اللحظة نظمه فى الطور الثانى من أطوار حياته ، ولكن لعلك تتوق الى أن أعود بك القهقرى الى شعر الطور الأول وهو بعد فى فجر أيام الشباب . ستجد عنفاً وقوة فى شعر الفخر ، وستجد طراوة ورقة فى شعر الغزل ، وستقع على كثير من وطنياته المليئة باخلاصه لوطنه وجهاده من أجله ، ولكنك ستجد فى شعر هذا الأمد شيئاً كنت تظن شاعرنا براء منه وسترى أن الشاعر قد أكثر فى هذه الأيام من الشكوى والأنين والحنين الى مصر ، ومصر ليست هذا البساط الاخضر من الأراضى الذى يقف عند حلفا ، بل هى وادى النيل كله من منبعه الى مصبه .

وشاعرنا يعتقد هذا ويؤمن به ولكنه مع هذا ضاق بالسودان والحياة فيه ، ضاق به وهو لم يره بعد ولم يعرفه . وقف يودع اخوانه الطلبة عند ترقيته من المدرسة الحربية وقد شارفت أيامه فى القاهرة نهايتها فقال :

سألتنى متى يكون الرحيلُ إن دمعى على الرحيل دليلُ
ربَّ حالٍ تكون خير جواب وسؤالٍ جوابه التعليلُ
هزَّنى البين للوداع فأجريـ ـت دموعاً كأنهن (النيلُ)
لت دمعى ولامنى فيه غيرى فأنا فيه عاذلٌ معذولُ
أبدلت سعدىَ الليالى بنحس والليالى من طبعها التبديلُ
وهدتنى الى سبيل جديد وجميع الثرى لمثلى سبيلُ

ولم يقف شاعرنا عند هذا الحديث ، إذ كان قد برح به الحزن كما يبدو لى لأنه تابع شكواه وهو يقول :

يا حمام السودان تهتف باسمى أنا مهما هتفت باسمى ملولُ

ولعل الشاعر قد أدرك إسرافه فى الشكوى فأراد أن يجد لنفسه بعض العذر فيها فقال :

رُبَّ صبٍّ يرنو الىّ غراماً وفؤادى بغيره مشغولُ
إنَّ صدرى أدرى بسرى فسله كلُّ صدرٍ عن سره مسؤولُ

ولكن عبدالحليم كان يعرف أنه سائر الى السودان رضى أو رفض ، وإذن ماذا تجديه الشكوى وماذا يكسبه الأنين ؟ ولهذا عاد فى ختام قصيدته فتناسى شكواه وبدأ يتساءل عما اذا كان سيعود ثانية الى مصر، مصر بالمعنى الذى يقصده الشاعر: القرية التى ولد فيها والبلد الذى تثقف فيه ، فقال :

أيها الناعمون بالآنَ بمصر أترى يرتجى اليها قفولُ
فهى أجسادنا وما نحن إلا خلسة من ترابها أو فضولُ

وسار صاحبنا الى السودان وفيه عاود الشكوى والأنين ، وبدأ قصائده فى الحنين والتشوق الى مصر . وقف عند خور الجاش[1] يتحدث الى فتاة ، هى تهديه الطريق ولكنه لا يريد فان ما فى قلبه من شوق الى مصر يكفى ليهديه سواء السبيل ، بل لعل هذا الشوق يدنيه فيقول :

لا ترشدينى وخلى الشوق يهدينى لعلَّ يدينهمو ما كان يقصينى
وسائلى الخيل عنى وهى شاردة فى مهجة النقع أرويها وتظمينى

وترى الشاعر هنا قد خرج من حديث الشوق والحنين الى الحديث عن خيل شاردة وسط غبار متطاير بالرغم من أنها تظميه، ثم يسرف فى ذكر هاته الخيل فيقول:

يصهلن حولى فيسبقن الصهيل ولا يردن بالقوم ماءً غير مضمونِ

ثم يعود ثانية الى فتاته التى تهديه الطريق الى الماء . ولكنه يريد ماء النيل ، النيل الذى يقول عنه عند ما جاء القاهرة :

يا نيل ليت اجاج الملح فيك جرى فحلو مائك جرَّ المر والألما !

ولكنه يقول عنه عند خور الجاش :

لا تسقنى الماء إذ يجرى وبى ظمأ على يديك فليس الماء يروينى
لِى فى رُبى النيل رئم كدت أعبده فى شرعة الحبِّ لولا شرعة الدين

---

(١) خور الجاش مجرى ماء عند كسلا .

ولكن النيل الذى يحن اليه الشاعر لا يحييه ، ويمر به ساكنا لأن النيل فى مصر هو النيل عند منبعه حيث يضيق الشاعر بالحياة ، ويدرك الشاعر هذا الصمت الذى يقابله به النيل فيقول :

أبيت ليلى أحييه ومن عجب أنى أحيي حبيباً لا يحيينى

والواقع أنه يحق لك أن تحزن فما كان يجدر بشاعرنا أن يكون ملولاً من العمل فى بقعة من الأرض هى وطنه ولآبائه فى ترتبها دماء وأجساد ، ولكن خذ هذه الناحية من حياة شاعرنا على أنها فترة النزعات ، وباعتبار خواطره شعراً ، وانقده من ناحية القياس واللغة ، ثم اتركه عند ما يصل بك الحديث الى نقد معانيه وأخيلته .

وشعر الأنين والشكوى كثير جمع بعضه فى الديوان ، ويذكر أصدقاؤه الكثير منه . وستعجب عند ما تعرف أن شاعرنا قد ترك خدمة الجيش عام ١٩٠٨ ليرجع الى مصر وكأنه قد قضى فى السودان عامين اثنين ، نظم خلالهما من شعر الشكوى ما تخاله لكثرته قد قيل فى عشرات الأعوام .

ويخلو ديوان الشاعر من حديث تدرك منه سبب هذا الملل وعلة هذا الضيق الذى غمر حياته عندما حان رحيله الى السودان ، ثم فاض عند ما أدرك أنه لاسبيل الى الفكاك من هذا الرحيل العاجل . ولكن الواقع أن شاعرنا كان يتمنى - وهو بعد فى غمرة الشباب - أن يكون ضابطاً فى الحرس الخديوى ، وكانت عدته لهذا شاعريته الفذة ، وتدرك هذا من كثرة مديحه للخديوى السابق وسترى التفنن فى المديح من النماذج التى سأسوقها لك ، ومما تجده بالاضافة اليها فى ديوانه ، ولكن حال دون هذا قرب شوقى من القصر وصاحب القصر ، وفشل عبد الحليم كما فشل حافظ . من أجل هذا ضاق الرجل بحياته بعد أن فقد أمله وفشل فى أمنيته .وتدرك أيضاً أن هذا هو السبب الأول لألمه وشكواه عند ما تعود الى الديوان فتجد أن الرجل لم ينصرف عن السودان جملة ، ولم ينسه بعد أن تركه بل أكثر من الحديث عنه ، واسمعه يقول فى الاحتفال برأس السنة الهجرية (سنة ١٣٢٧) :

مالى أرى السودان طعمة آكل ؟ هل أطمعتهم مصر فى السودان؟

أنسوا أسود النيل يوم تضرجوا بدم العدى حين التقى الجيشان

متوائين كأنهم فئة القطا وعداتهم حب امرىء وسنان

متسابقين الى الحصون كأنها أوكارهم شيدت على الأفنانِ
متقاسمين العاديات كأنهم في الحرب مشتركان مختصمانِ [1]

وانتهى عبد الحليم من السودان والحياة فيه . جاء الى مصر التى قضى عامين يتشوق اليها ولكنه لم ينس الشكوى ولم ينس التبرم بالحياة ، ضاق بها فى مصر كما ضاق فى السودان ويحدثنا عن هذا من ألمّ بطرف من حال الشاعر فى حياته فيقول : « وعاد عبد الحليم من السودان فعمل فى الأوقاف ، ولم تستمر حياته فى القاهرة طويلاً ففى عام ١٩١٣ نشرت له الأهرام قصيدته (بالأعين اقتلن لا بالمشرفيات) فحملت عليه المؤيد على زعم أن ما فيها قصد به الشاعر الطعن فى أمير البلاد فحوكم وقضت دائرة مجدى باشا بحبسه شهوراً ثلاثة ، الا أنه برىء فى دائرة المرحوم عزيز باشا كحيل ، وكان يدافع عنه الهلباوى بك ، ولكنه وإن نجا من أغلال القضاء لم ينج من سلطان الادارة فنقل الى قنا [2] » ولحقه فيها عنت الحكومة . ولعله فى هذه الفترة قال قصيدته فى مديح شفيق باشا والتى جاء فى مطلعها « سميّ رسول الله منى تحية » ولم يجده هـذا نفعاً فاستقال حتى ولى الأمر السلطان حسين كامل فمدحه ، واتصل بعده بجلالة الملك فؤاد الأول .

وكما لم ينس عبدالحليم الشكوى لم ينس سيفه الذى لم يغمده مرغماً بل ابتاعه بيراع ظن أن سينال منه غاية ما يأمل من حياة مكفولة الرزق ، ولكن الحظ الذى لم يواته فى حياة الجندية لم يجئه من يراعه الذى شهره ، وستجد أنه ذكر سيفه عند الحديث عن قلمه وسترى مبلغ ثقته بأدبه فيقول :

أغمدت سيفى لا كرهاً ولا فرقاً وابتعته بيراع غير معمودِ
صلب الشباة على القرطاس ليّنها يدمى على ضعفه صمّ الجلاميدِ
إن شاء هدم أبراج النجوم وإن أراد نظم ما استودعن فى جيدِ
اليك أصرفه والطير تتبعه بالنوح طوراً وطوراً بالأغاريدِ

والشاعر هنا يمدح ولى الأمر فى عيد الفطر عام ١٣٢٧ للهجرة . ولكن لمن

---

(١) العاديات : من صفات الخيل وحلت هنا محل الأسم
(٢) من رسالة للصديق عباس حلمى المصرى شقيق الفقيد

النوح ولمن التغريد ؟ هنا ينصرف الشاعر الى نفسه بالنوح وشتان ما بين النوح والتغريد :

نوْحٌ عليَّ وتغريد اليك ويا شتان ما بين بكاءٍ وغرّيد !

ولكن أين يمكن أن يأمن كثير البكاء صروف الدهر ، وأين يمكن أن تواتيه السعادة ؟ أجل فى ظل الملك . وماذا فى الحياة بعد هذا الظل الوارف يستظل به الناس لينعموا برغد العيش ؟ ولكن :

ما أرغد العيش فى ظل الملوك إذا خلت مراعيه من عذل وتفنيد !

والشاعر كما حدثتك كان يتوق الى العيش فى ظل صاحب العرش ، ولذا ما كان يريد أجراً على مديحه غير تلك الأمنية التى ملكت عليه نفسه حتى أمرضه الجهد:

وقفٌ عليك مديحى لا أروم به أجراً ولكن مُنىً فى نفس معمود

والواقع أن عبدالحليم قضى أغلب أيامه إثر عودته من السودان يمدح ، ولم يذكر شيئاً عن تكسبه بالشعر وإن كان أكثر من مديح الخديوى السابق وتعقبه بالتهنئة لمتباين الحوادث من رحيل أو عودة ، أو عيد أوحفل خيرى . والواقع انه من الصعب أن تتقبل هذا كله على حساب أن شعراء هذا العصر قد انصرفوا الى المديح فسلك عبد الحليم سبيلهم ، على أن فترة المديح تحدد الطور الثانى من أيام حياته ، فقد قضى الطور الأولى فى السودان يشكو ويئن ويحن الى مصر ، ويقرض شعراً فى الحماسة والفخر ، وجاء مصر فبدأ الطور الثانى وانصرف فيه الى المديح ، وجاء الرثاء على هامش شعر الطور الأول كما جاء الوصف على هامش الثانى .

قلت لك إن أغلب ما نظم عبد الحليم إثر عودته الى مصر مدح به عباس ، ولكنى مع هذا أفضل قصيدته التى مدحه بها وهو على أبواب الرحيل الى السودان والتى يقول فيها :

لك اللواءان فوق الانس والجان فاخذل عداتك من قاص ومن دان

رب الاسود التى يوم الكريهة لا رون اخوانهم فيها باخوان

اذا أطلت سيوف الجيش رابية أذكرتنا مازناً فى يوم سفوان

ملكت جنة مصر وهى مقفرة وكان رضوان فيها غير رضوان

فكنت فيها (أبا بكر) باندلس وكنت فى ملك الفتح (بن خاقان)
يظلها النصر ما دامت أريكتها يظل أعطافها (عباسها الثانى)
لبثت فى أمة السكسون تقرضها عدلاً بعدلٍ وعدواناً بعدوان
وكنت كالدهر لو أغفت لواحظه له على الناس قلب غير وسنان

ولم يبرأ شعر صاحبنا من الاسراف ، ولكنك لاتضيق به بل سترضاه وستجد أنه غاية المديح فى شعر العصر الأخير . وستجد شاعراً أراد أن يمدح رجلاً فماذا يقول فيه ، وأى حديث يصفه به إن لم يقل إنه لا يختلف فى فضله اثنان ؟

لو كنت فى قوم نوح قبل دعوته لم تغرق الأرض من فيها بطوفانِ
الدين مختلف فيه ومؤتلف وأنت لم يختلف فى فضلك اثنانِ

وبقى يمدح صاحب القصر ولكنه أدرك بسرعة أنه يجب أن يصل الى بغيته عن طريق شاعر القصر ، فهو أقرب رجال القصر صلة بصاحبه ، وشوقى شاعر وبلاغته هى عدته ، ولهذا ستجده يضمه الى من فاخر الشعوب قبله بالبلاغة :

ذللت آيةَ البلاغة فاغتدت تمشى بطرسك مشية المتذلل
فاذا فخرت بها فان محمداً قدكان يفخر بالكتاب المنزل
قد جاء بالمنثور آخر مرسل وأتيت بالمنظوم أول مرسل

ثم يقارض الشاعر أمير الشعراء الثناء فيقول :

قربتنى حتى اذا استوزرتنى أكبرت منزلتى بصدر المحفل

ولكن ماذا بعد هذا التقريب والاكبار :

ولبثت تجرى فى سماعى صافياً من ماء شعرك كالرحيق السلسل
فتغض طرفك تارة عن عثرتى وتقيلها طوراً بغير تدلل
فاذا تبنيت امرأً فانا الذى يرعى الأبوة فى الزمان الحوّل

وتسير بك صفحات الديوان حثيثاً حتى تصل الى جزئه الثانى ، ولعلك تفكر فيما فعله شوقى للشاعر ... لا شىء ، إذ يعود شاعرنا فيتحدث الى شوقى إثر عودته من الاستانة عام ١٩١١ فيقول :

لقد أخلصت يا (شوقى) ودادى اليك وأنت توسعنى نفورا
فثق بيدىّ واذكرنى بخير إذا ما جئت مولانا (الأميرا)

واستند شاعرنا الى هذا الضرب من القصيد فى قضاء كل ما يعنّ له من أمر الحياة والعيش ، حتى طوحت به المقادير الى قنا كما قدمت لك وكان وزير الأوقاف أو مديرها أحمد شفيق باشا فقال من قصيدة طويلة :

سمىّ رسول الله منى تحية بأمثالها هذا الجلالُ خليقُ

وختمها أو كاد بقوله :

من الغبن أن تغضى وطرفك مبصر وتقسو على مثلى وأنت شفيقُ

وفى هذا بلا جدل نموذج رائع لمهارته فى التلاعب بالألفاظ .

***

والرثاء أقرب شعر عبدالحليم صلة بالسياسة والسياسيين ، وتحسّ بهذا عند ما يقابلك رثاء الزعيم الشاب فى بداية الجزء الخاص بالرثاء فى ديوانه . ويقصّ عليك شاعرنا حديثاً طويلاً عن هذا الرثاء ، فلقد قضى مصطفى كامل والشاعر مريض لا يقوى بصر البرء على رؤية جسمه فلما مرّ العام وأعاد الشعراء والكتاب رثاءه كان صاحبنا مقتول الخاطر مغلول القلم واليد ، ولم يكد يترك فراشه ورأى أن يقضى واجبه حتى واتاه الخيال بهذا الشطر وهو فى سنة من النوم « أقبرك أم قبر النبي أم البيت » وأغفى دون أن يجيش بخاطره الشطر الثانى ، فرأى فى نومه الفقيد العظيم يسائله « ألم تتذكرنى إلا اليوم » فأيقظته الدهشة وبدأ يكتب رثاءه فقال :

أهلاً بطيفك فى نومى يعاتبنى إن العتاب يقوى حرمة الرحم
تالله ما قصدت كفى ولا قلمى يوم الرثاء ولا أكبرت من شمم
لكن قضيت وشعرى فى طفولته واليوم تبدو عليه مسحة الهرم
فلم تكن ذلة تمحو إصابته إصابة الرأى تمحو زلة القدم

والقصيدة طويلة جاء فى مطلعها :

سمح المحاجر هطالاً عن الديم مهما كرمت فلم تحمد على الكرم

ولكن لماذا لا يحمد الزعيم على هذا الكرم لأنه :

مَن قام بالفرض إن لم يُجزَ صالحةً فحسبُه أنه ينجو من النقم
أتمت صرحاً أطال النشء قمته حتى تقاصر عنها أطول القمم
فمن تفيأ فى ظل (اللواء) فلا يخاف صرف الردى أو شدة الأزم

وخرج عبدالحليم من الحديث عن الزعيم الشاب إلى الحديث عن دعوته ، وسترى هنا خروج الشاعر من الرثاء الى المديح فيقول :

وقمت بالأمر فى عهد اذا بعثت فى أهله الرسل لم يؤمن فتى بهم
كأنما الدعوة الأولى التى ابتعث كانت طعاماً وكان الشعب كالنهم

وعاد عبدالحليم ثانية الى حديث السياسة ، والسياسة هى أول ما يجب أن يصحب رثاء المجاهد الأول ، ومن الواجب أن يتحدث الشاعر عن دعوته تذكرة للشباب :

كانوا يسومون مَرعى أنت ضيغمه فأبصروا أن مرعى الأسد لم يسم
ظنوك بالنيل ذا وهن فما انطلقت بك العناية حتى صحت فى الأجم
خرجت ليثاً فلم تترك بها ضبعاً إن الضعاف شداد فى عداتهم
غضوا العيون (بنى التاميز) إن على أرض الكنانة قصراً خافق العلم
وبالكثيب ضريحاً نستمدّ بما يوحى الينا حيال الحادث العمم
لم يدعه زائر إلا ويسمع من صفائح القبر صوتاً رنّ كالنغم

وختمها أو كاد بقوله :

قل للحجيج اذا أموا الحجاز قفوا بمصر إنّ بها باباً الى الحرم
لا يكمل الحج إلا أن يطوف به ويقرأ الآىَ فيه كلُّ مستلم

وهذا لعمرك غاية المديح وأروع ما قيل فى رثاء المجاهد الأول صاحب الصيحة الأولى للاستقلال .

* * *

على أنك فى دراسة شعر عبدالحليم ستبحث لأول وهلة عما يتصل وثيقاً بعمله ، وستجد فى البحث عن نماذج كتلك التى سقتها لك عند الحديث عن البارودى ولكنك لن تجد شيئاً منها ، فلم يصف شاعرنا المعارك ولم يتحدث عن السيف والرمح إلا على هامش الفخر ، ولم يذكر السيف والقلم إلا عند صيحته فى حرب طرابلس والتى سلك فى مطلعها سبيل المتنبي .

وأوقف وصفه على الحديث عن مصر : تحدث عن آثارها القديمة وتغنى بمشاهدها الحديثة . واسمعه يصف قصر أنس الوجود ويتحدث عن مصر يوم أن كان القصر يزدهر بأصحابه فيقول :

الدهر ملّ وآى الدهر كامنة	فى وجهك الطلق لا يبدو بها ملل
قرأت فيهن سر العالمين فيا	شتان ما بين من قالوا ومن عملوا
كانوا اذا أبصروا شمس الضحى سجدوا	لها وإن أبصروا شمس الهدى عدلوا
هنالك التاج كانت كلما سطعت	بدورة طأطأت هاماتها الدول
وكنت كالشمس برجاً حول قبته	تسعى الكواكب لاريث ولا مهل
وكانت الغيد فى نعماك رافلة	على مناكبها من سندس حلل
لحت (هوريس) تحت السيف فانتثرت	دراهم الشيب فى عطفيك والعلل
فمن يجاريك فيما شدت يا (أنس) ؟	المرء مرتحل والذكر مقتبل

ووصف الشاعر الشام وتحدث عن حفل أقيم لتكريم رجل عامل ووصف رحلة فى سفينة تمخر النيل يوم شم النسيم ، ولكنك لن تجد فى كل هذا روحاً جديدة للشاعر . ستجد الروح القديمة الحزينة التى يشغلها حديث السياسة ، وأسوق لك مثلاً من هذا الضرب من القصيد « شم النسيم على سطح النيل » ، وستجد أنك مرغم على قياسها باعتبار الضرب الذى ساقها فيه صاحب الديوان :

دع ذكر زمزم والحطيمْ	وادع المدامة والنديمْ
فالعمر يوم للسرو	ر وألف يوم للهموم
ولربما جاء الزما	ن بغير ما يرجو الحكيم
أنا لا أنوح على الديا	ر ولا على الانس المقيم

وستقف هنا لنسائل نفسك : لماذا لا ينتحب الشاعر لوطن مغلوب على أمره ؟ ولعل الشاعر قد أدرك هذا لأنه يجيبك من توّه :

إن الديار ومَن بها في ذمة الله الكريم
(مصر) لمن يشتدّ سا عده من الزمن القديم

وينصرف الشاعر عن حديث النواح الى الوصف أو على وجه أصح ليبدأه فيقول :

فدع النواح وهاتها صفراء بيضاء الأديم
راح وريحان ورو ض زانه عود وريم
نطق الجماد بكفه والميت أنطقه اليتيم (١)
وجرت على أوتاره أطرافه جرى النسيم

***

ونجد في قصيد عبدالحليم نوعاً من الشعر القصصي ، وتلقى هذا في أول الجزء الثاني من ديوانه في قصيدتيه « عبرة المقامر » و « بين القبور ميت يتكلم » كما تلقى خواطره ونزعاته في الصفحات ١٣٤ — ١٤٤ من الجزء الثاني من الديوان وأغلبها مقتطع من رسائله الى أصدقائه ولكنك لن تجد فيها جديداً يباين ما حدثتك عنه من الضروب التي نظم فيها. ولكن ثق أنك ستقف بازاء قصيدته «ياعمر» وستعاود تلاوتها مرة إثر الأخرى ، ستجد روح الشاعر النزاعة الى الخير ، واسمعه يقول :

يا عمرُ أخشى أن تطو ل وأن يكون العيش مرًّا
فأتح لعيني أن ترا جع في الشبيبة منك سفرا
حتى أرى ما خط في صفحاته خيراً وشرا
فاذا وجدت الخير أر جح من أخيه بنيت قصرا
واذا وجدت الشر أر جح من أخيه حفرت قبرا
ما أحسن الدنيا اذا صدقت لنا خَبراً وخُبرا

وأسلوب عبد الحليم سهل ، وعباراته سلسة ولا تحس بتكلف في شعره بل ساقه

(١) يقصد باليتيم عيسى عليه السلام .

على طبعه وسليقته . وقد خلا شعره من الغرابة والتعقيد ، ويدل على المكانة التى كان سيصل اليها لولا وفاته المبكرة عام ١٩٢٢ فى الخامسة والثلاثين من سنى حياته .
وكان عبدالحليم ينظم القصيد فى غير عناء ، ولكن مع هذا لم يرو على البديهة سوى بيتين اثنين عند ما راح مع جماعة من أصدقائه يزورون الدكتور يوسف طلعت باشا فقيل لهم إنه مريض فأنشد لتوّه :

قد مرضنا ولم نجد مِن دواء   غير انا نزورُ ذاك الحكيما
وشددنا الرحالَ نرجو شفاء   فوجدنا ذاك الشفاءَ سقيما

ويحفظ أصدقاؤه كثيراً من شعره الذى لم ينشر ، ويجمع الصديق الفاضل عباس حلمى المصرى الكثير من هذا القصيد لينشر فى جزء رابع يصدره من الديوان ، وأسوق لك منه هنا قصيدته « هارون الرشيد وسحابته » :

الشرقُ كان لنا ملكاً بأجمعه   ونحن كنا بروض منه معطارِ
دانت لامرتنا الدنيا وساكنها   وهاب سطوتنا ضرغامها الضارى
وطوّح الفتح بالنصر المبين لنا   فالشمس محصورة منه بأسوارِ
نمسى ونصبح فيه وهى مشرقة   كأنها شعلة فى الشكّ للسارى
وقولة قالها هرون حين رأى   سحابة عرضت حبلى بمدرارِ
أطوى السماء وجدّى السيرَ راحلة   فانما أنت فى أرضى وأمصارى
أنّى نزلتِ من الغبراء ناحية   أُبْرَّ خراجك محمولا الى دارى
فهكذا نحن كنا أهل مملكة   ليست تجدّ بأسماع وأبصارِ
إذا تلمستها لم تلق باقية   إلا أحاديث فى أفواه سحارِ
فلا تقل نحن كنا أهل مملكة   قل تلك مملكتى أو تلك آثارِى
فاليوم صرنا كأن الشرق ليس لنا   داراً ولسنا به أصحابَ آثارِ
فما لنا غرباء فى مواطننا   ونحن منها بجناتٍ وأنهارِ؟!

وممن حيّوا عبد الحليم تحيةً حارةً عند صدور ديوانه من شعرائنا الأحياء

الدكتور أحمد زكى أبو شادى ، وهذه التحية مثبتة فى ديوان أبى شادى الأول (أنداء الفجر) ، قال :

يا ناشرَ السِّحرِ فى يومٍ بكيتُ به عَذَّبْتَ خِلاًّ بحكمِ الحبِّ لم يَنَمِ
ما كان ضرَّكَ لو أمهلتَنا زمناً فرِقَّةُ الشعر تُحيي ميّتَ الألمِ
مِنَ البيانِ شِفاءُ النفس سالِيةً وما عرفتُ شفاءَ الصبِّ فى القلمِ
يهفو الجمالُ لِشعرٍ قُلتَ أعذبَهُ ويَبسِمُ الزّهرُ فى سُكرٍ وفى حُلُمُ
ورُبَّ قلبٍ — لمعنى رُوحِهُ فِتَنٌ يَحْيا الجمالُ به — ناجٍ مِنَ العدَمِ
أحنو عليه وأتلوه كأنَّ به وعدَ الحبيبِ ، وأُدنى لفظه لِفمى
فما عبستُ قليلاً فى بدايتهِ الاّ طربتُ وولَّى بعدَها ندمى
وأقدرُ الناسِ يُبكيهمْ ويُفرحهمْ مِنْ رُوحهِ الحيّ فى شِعرٍ وفى نَغمِ

وفى هذه الأبيات يشير أبو شادى الى ما انتابه حينئذ من أزمةٍ عاطفية لا تزال آثارها متمشيةً فى شعره الحديث .

وطبع من ديوان الشاعر جزؤه الاول والثانى ونشرا فى عامى ١٩١٠ و١٩١١ وكتب مقدمة الجزء الأول الكاتب الشهير محمد صادق عنبر ثم نُشر الشاعر الجزء الثالث عام ١٩١٨ . وقد تريد أن ترقب هذا الاثر النفيس يوماً ما ، وتجده فى دار الكتب الملكية برقم ٥٩١٣ آداب ولعلك تقضى فى مطالعته ساعة ثق انك لن تأسف عليها ؟

عبد الفتاح ابراهيم



المتنبي وشعره

ما اسم المتنبي بالشيء الهين يذكر دون اكتراث ، ولا صيته بالقصير المدى لا يقام له وزن أو اهتمام ، بل هو عاصفة هوجاء عصفت فى ميدان الآداب العربية ، فأثرت فيها وتغلغلت حتى أدق خلاياها ، وسيطرت على كثير من مبانيها وحواشيها .

تذكره فكأنك تذكر جباراً من جبابرة الوجود ، وتتلفظ باسمه فكأنك تتلفظ بآية من آية الخلود . وهو حقاً كذلك ، فلقد جمع فى نفسه ما لم يجمعه عدّة فى أنفسهم جميعاً ، وما كان ابن السقاء - إن صح زعم الزاعمين - إلاّ فلته فلتت فى غفلة من الطبيعة . فأعوام ألف هجرية مردن واسمه يدوى بين المتأدبين والشعراء كأروع مايكون ، وكأن رمح الاسدى قد غزّه وصرعه فى الأمس البارح ، يدوى بأشد ممن سبقه أو تلاه من قرضة الشعر وقوّالة القصيد ، وقد شغل من جهد ، واستنزف من قوى ، واستغرق قوله من نقد وتمحيص مايضنّ بشيء منه على جمعٍ كثيرٍ .

تقول المتنبي ، فيداخلك منه رهجة ، لا لما يتصل باسمه من تموجات النبوّة ، ولا لما ينبعث من طياته من نفحات ما وراء الطبيعة ، وانما لما يأخذ - ما يتركه شعره من أثر - من مكامن ذاتك ، وما يثيره فيك بطبيعته ، حتى ما كان يكذب حقيقته ، ويداجي أحواله ، ويخفى عجزه . يتباهى بالجود وهو شحيح ، ويدعى المقدرة وهو الطموح حقاً ، لكنه منها على قلة وندرة ، ويشمرك بالقوة فتخاله قائداً هصوراً صؤولا يشدّ فى ركابه العسكر المجر . فانظر اليه يمدح علىّ بن محمد بن سيار التميمى ، فيصول ويجول فى الاعتداد بقوته ، ويتوعد ويهيمن :

أقلُّ فعالى ، بله أكثره ، مجدُ ... وذا الجدّ فيه نلت أم لم أنل جدُّ
سأطلب حقى بالقنا ومَشايخٍ ... كأنهم من طول ما التثموا مردُ
ثقالٍ اذا لاقوا ، خفافٍ اذا دعوا ... كثيرٍ اذا اشتدّوا ، قليلٍ اذا عدُّوا
وطعن ، كأن الطعن لا طعن عنده ... وضربٍ ، كأن النار من حره برد !
اذا شئت حفّت بى على كل سابحٍ ... رجالٌ (؟) كأن الموت فى فمها شهد

فأنت تراه لا يتجنى إلا على وقائع الكلام ، ومعارك الألفاظ ، وانها لمحمدة فيه على كل حال ففى نفسه الكبيرة هذه المنى ، وقد كان يسعى نحوها ، وكان يتوق اليها

وكان يرجوها بكل ما فى نفسه من قوة، فان لم ينلها واخفق ، فما هو بالملوم . ألم يعبر أبو القاسم الطبسى فى وصفه المتنبي عما كان فيه من طموح :

كان فى نفسه الكبيرة فى جيشٍ ، ومن كبرياه فى سلطان [1]

ولكى نعطيك مثالاً نقول إنه جرت العادة بين الشعراء أن يعدّوا ذواتهم أدنى من ممدوحيهم ، أما هو فكان يرى ذاته واياهم سواسية إن لم يجدهم أقل منه بكثير كما عبر فى ظروف شتى غير أن الايام لم تواته ، فبسمت لهم وخذلته عن كيدٍ وحقد . لذا كان ينشدهم شعره قاعداً لا قائماً بين أيديهم مؤتماً بعادة الشعراء حتى انه عند ما أنشد سيف الدولة احدى قصائده المشهورة فى مدحه قال أحد الحاضرين ليكيده أمام الأمير: «لو أنشدها قائماً لأسمع ، فان أكثر الناس لا يسمعون» فقال المتنبي : « أما سمعت أولها : لكل امرىء من دهره ما تعوّدا ! » وهى حادثة من حوادث كبريائه العديدة . وقد رُوى عنه أيضاً : انه كان يقف لدى كافور وفى رجليه خفان ، وفى وسطه سيف ومنطقة ، ويركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق ، وهذا منتهى الطغيان والعجرفة خاصة من شاعر ، لدى سلطان كبير . ولم ينل ما ناله المتنبي أحد من الشعراء حتى الأخطل الذى كان كثير الادلال على عبدالملك ، حتى انه مرة طلب منه خمراً ، فأجابه عبدالملك : « أو عهدتنى أسقى الخمر ؟ لا أمّ لك ! لولا حرمتك بنا لفعلتُ بك وفعلت » رغم حبه الكثير له كما انه لما أنشده قصيدته التى أولها : « خفّ القطين فراحوا منك أو بكروا ... » فكان عبدالملك يتطاول لكل بيت منها ، ثم قال : « ويحك يا أخطل ! أتريد أن أكتب الى الآفاق انك أشعر العرب ؟ » ثم أمر بمولى يسير بين يديه ينادى : « هذا شاعر أمير المؤمنين ! هذا أشعر العرب ! » . ومع كل هذه الحظوة لم يكن الأخطل قادراً على فعل شيء مما كان يفعله المتنبي مع ملوك طغاة ، وكيف كان يدل بذاته عليهم وشتان بين تسامح بنى أمية وطغيان بنى حمدان والأخشيديين ! وانه لتدهشك فيه هذه القوى الاعتدادية ، وانه لتبهرك منه هذه الصفات المتينة ، ففى شعره ميزة ولكلامه وطأة ، قلما يمتاز بها شاعر ، أو قلما تصدر من سواه عن شعور صادق ، وإن صدرت ففى قصائد ، لا كما هى فى المتنبي فى كافة أقواله : فى الرثاء والمديح

---

(١) يروي أبو منصور الثعالبي فى (اليتيمة) هذا البيت عن صاحبه هكذا :

كان من نفسه الكبيرة فى جيشٍ ، ومن كبرياه ذى سلطان

(أبولو)

والهجاء والحكم على السواء . ونحن طبعاً لا نعلم ما هية صدقه فى قوله ، وحقيقة مـدى صفاته الشامخة فى طلب المعالى وحب السلطان والجاه . ففى زمانه لم يكن هنالك من يلم بعلم النفس كما نفهمه فى هـذا العصر حتى يترك لنا درساً وافيـاً أو نبذة ما ، ونحن فى هذه الأيام نتحدث عن أناس عاشوا منـذ مئات أو آلاف من السنين وليس لدينا الأدلة الوافية عن صفاتهم غير أحاديث وأخبار يعلم الله مدى مطابقتها للواقع ، فنحن نتكهن عن أحوال أولئك الناس ونكيّفها بحسب أفكارنا وقد نزيد ، وقـد نقلل ، لأننا لا نعلـم الظروف . ونحن نعلل أقوالهـم ونحللها حسب آرائنا الخاصة دون أن نعلم أحوالها وهذه الأحوال هى نور يفيض علينـا ، وينصب كاللهب فوق شخصية المرء الذى نبحث فيه ، فيبرزها لنـا واضحة جلية ، ويا لها من أحوال نادرة ! ولست أعلم كيف نحلل لأنفسنا ، حين نقرأ كلمة أو بيتاً ، أو جملة لأحد من الناس وهى مبهمة أو معقدة تحتمل تأويل عدة ، فيتسنى لنـا بعد ذلك الجزم بقصد معين لصاحبها فى قولها ، نتوهمه من ذاتنا ، والله يعـلم كم نشط عن الحقيقة ، وكم نبتعد عما عناه ! وقد يكون ذلك الشخص قالهـا عفواً ، ولم يخطر له ببال قط ما خطر لنا من مقاله ، لـكننا نريد ذلك ،ونأبى الترجيح ، ونصرّ على التوكيد وأسفاه ! ثم نحن نقول إنه فعل ما فعل ، أو قال ما قال ، لأن صفاته كانت كذا وكذا ؛ ولا برهان لدينا إلا أحاديث قليلة تكاد تـكون مبهمة لا تؤدى غاية معلومة ، لـكثرة متناقضات أحوالها . فالمؤرخ العربى كان همه الأول أن يجمع أكثر ما يستطيع جمعه من شتات الأخبار ثم يضمها سوياً لا يهمه تنافرها أو تلاؤمها ولو كان معاصرها ، وعلى قارئها أن يستخلص ما يشاء ، فلا يسعنا والحال هـذه إلا أن نحـكم على الأعمال ذاتها كما نستخلص حقائقها نحن ، لـكن دون أن نؤكد حكمنا .

لـكن يشفع فى المتنبي لدينـا حادثة ، وحادثة واحـدة ، ان صدقت دلتنا على ما رأيناه من صفاته فى أعماله الباقيـة وفى أقواله ، وعلى ما يتحدث به الناس عن طموحه وبسالته ، وتجنبه ركوب مراكب العار والشنار ، ويحقق فيه قول الطبسى . وهـذه الحادثة هى تلك التى انتهت بموته : فـكلمة العبد له عند ما أراد الفرار : « لا يتحدث الناس عنك بالفرار وأنت القائل :

الخيـلُ والليلُ والبيداءُ تعرفنى والسيفُ والرمحُ والقرطاسُ والقلمُ ! »

وردّه عليه : « قتلتنى قتلك الله » ، فكرّه على الأعداء ، وموته تلك الميتة الفظيعة ، يصدق عليه شجاعته ، وابتعاده عما يحمل عليه تحدّث الناس بالسوء وازدرائهم به وتهكمهم عليه . ويجب علينا أن نقرّ أن الرجل كان قد ناهز الخمسين وأربى ، وربما أصيب بالوهن ، وأحسّ ذلك فى نفسه فأراد الفرار ، فلو كان قد أتم نيته لما كان عتب عليه أو ملام ، ولكننا لا نود أن نتلمس له المعاذير ، من باب التكهن والرجم بالغيب ، سيما وان هذه الحادثة لا نعلم الثقة التى رواها ، ومَن سمع كلام العبد وحكاه للناس ما دام الحديث تمّ فى معركة ، وقتل المتنبي وأصحابه كلهم مع العبد ذاته ؟ ! لكن لدينا رواية هى أكثر ثقة ، وأدعم أساساً ، بل هى الوحيدة التى تجلو الغوامض فى قتله عن ثبت ويقين ، وهى تدلنا كيف أوردته كبرياؤه حتفه ، كأن راوى الحادثة السالفة قد أخذ عنها شيئاً من روحها . فقد روى أبو نصر محمد الجبلى ، كما جاء (فى الصبح المنبي) ، ما عرف عن مقتله ، وكان المتنبي صديقاً له ، ولسنا نريد أن نسرد هنا كلامه كله ، وانما نقنع بهذه السطور نقتطفها من روايته ، وكيف أراد أن يحول المتنبي عن عزمه بالسفر لئلا يقع فريسة لفاتك الأسدى ، فلم يتحول :

قال أبو نصر : فتلقيته وأنزلته فى دارى وسألته عن أخباره وعمن لقى فى تلك السفرة فعرّفنى من ذلك ما سررت به له ، وأقبل يصف ابن العميد وفضله وكرمه وعلمه ، وكرم عضد الدولة ورغبته فى الأدب وميله الى الادباء ، فلما أمسينا قلت : « يا أبا الطيب علام أنت مجمع ؟ » قال : « على أن اتخذ الليل مركباً فان السير فيه أخف علىّ » ، قلت : « هذا هو الصواب » رجاء ان يخفيه الليل ولا يصبح إلا وقد قطع بلداً بعيداً ، وقلت له : « الرأى أن يكون معك من رجال هذه البلدة الذين يعرفون هذه المواضع المخيفة جماعة يمشون بين يديك الى بغداد » فقطب وجهه وقال : « لما تريد بذلك ؟ » قلت : « أريد أن تستأنس بهم فى الطريق » قال : « أنا والجراز فى عاتقى فما بى حاجة الى مؤنس غيره » قلت : « الامر كما تقول ولكن الرأى الذى أشرت به عليك » فقال : « تلويحك ينبىء عن تعريض ، وتعريضك ينبىء عن تصريح فعرفنى جلية الامر » قلت : « ان هذا الجاهل فاتكاً الاسدى كان عندى منذ ثلاثة أيام ، وهو غير راضٍ عنك لانك هجوت ابن اخته ضبة ، وقد تكلم بما يوجب الاحتراز والتيقظ ، ومعه أيضاً جماعة نحو العشرين من بنى عمه ويقولون مثل قوله » فقال غلامه : « الصواب يا مولاى ما أشار به أبو نصر خذ معك عشرين رجلاً يسيرون

بين يديك الى بغداد ، فان ذلك أحوط ! » فاغتاظ أبو الطيب من غلامه غيظاً شديداً وشتمه شتماً قبيحاً ، وقال : « والله لا أرضى أن يتحدث الناس بأنى سرت فى خفارة أحد غير سيفى » .

قال أبو نصر : فقلت : « يا هـذا أنا أوجه قوماً من قبَلى فى حاجة لى يسيرون بمسيرك وهم فى خفارتك » فقال : « والله لا فعلت شيئاً من هذا » ثم قال : « يا أبا نصر أبنجو الطير تخوّفنى ومن عبيد العصا تخاف علىّ ؟ والله لو أن مخصرتى هذه ملقاة على شاطىء الفرات ، وبنو أسد معطشون لخمس وقد نظروا الماء كبطون الحيات ، ما جسر لهم خف ولا ظلف أن يرده . معاذ الله ان أشغل فكرى بهم لحظة عين ! » فقلت له : قل : إن شاء الله » فقال : « هى كلمة مقولة لا تدفع مقضياً ، ولا نستجلب آتيـاً » ثم ركب فكان آخر العهد به ولما صحّ عندى خبر قتله وجهت مَن دفنه ودفن ابنه وغلمانه ، وذهبت دماؤهم هدراً ! » .

ألست ترى فى هذه الرواية وهى من صديق جليس للمتنبي كيف أن أنفته جنت عليه ، وكبرياءه أزهقت روحه ؟ وألست تلمس فيها لمس اليد ما تجلى فى شـعره من ضروب العجب والزهو والخيلاء ؟

إن أكن معجباً فعجبُ عجيبٍ لا يرى فوق نفسه من مزيدِ !

لو لم يك متكبراً محباً للعظمة ، مغرماً بالصيت ، وكانت كبرياؤه تأخذ عليـه كل فج وصوب ، لما ادعى النبوة ودعى النـاس الى الايمان به ، ولما ذهب الى كافور يتمسح به أملاً أن ينال منه ولاية على مقاطعة فى مصر ، ليتسنى له من بعدها ـ (ولنعد الى التخمين والحدس إن لم يكن منهما مفر هنا نظراً للمظاهر) ـ الايقـاع بكافور ، فشعر به الاسود فماطله ، ولما تغافل عن نصيحة صاحبه الجبلى ونفر من مصاحبتـه لاحـدٍ فى تلك الفيافى الموحشة . فالتوافق الذى يبدو هنا وفى أكثر الاحيان بين قوله وفعله من حيث الاستماتة فى حب المجد والعظمة والجاه والسلطان ـ لا من حيث الجود وكثرة الجنود والبنود وهو ليس منها على شىء صحيح ـ هو ما حقق لدينا قول الناس فيه ، وانها لما لا يتناظر فيها أحد .

ونحن نود هنا أن نتحدث عن متناقضاته ثم عن صفاته ، ونتطرق بعد ذلك الى ما يستقر فى شعره من الفوائد الخلقية التى يمتاز بها عن سواه .

لعل أبرز ما فى صفات المتنبي : الادعاء ، والادعاء الـكاذب شر مقتنى وأذل مرتشد.

غير اننا ننزه شاعرنا عنه ولا نراه يدعى عن عجز ووهن فى نفسه مثل غيره ، وهذه وقائعه وأفعاله تنبئنا بشهادات كثيرة لا نعرف قرب أغلبها أو بعده عن الحقيقة ، لكن الكثيرين يؤكدون صحتها ، فان كانت كذلك ونزلنا عند رأيهم وجدنا ادعاءه وخوفه من تخرصات الناس الذى حمله على ركوب المركب الخشن وتعرضه للاذى كما قال لغلامه : « والله لا أرضى أن يتحدث الناس بأنى مررت فى خفارة أحد غير سيفى » ومهما يكن من تخوّفه من حديث الناس فلا ينفى انه كان فى قرارة نفسه شىء كثير من الشجاعة وهو القائل :

ما أبعد العيب والنقصان عن شرفى — أنا الثريا ، وذان الشيبُ والهرم !

أتراك تريد ممن يصف ذاته بالثريا أن ينحط الى الثرى الى دركات السوقة فيقنع بالكفاف من العيش أو يفر من القتال وهو الذى يدعى أنه يأبى أن يعدّ بين من يعيش بينهم من الناس أهل زمانه ولو كانوا سادة وملوكا ، وانه كالتبر لا يضيره أديم الارض الذى يحيط به :

وما أنا منهم بالعيش فيهم — ولكنْ معدِنُ الذهب الرغامُ !

أرانبُ غير انهم ملوكٌ — مفتحةٌ عيونهم نيامُ !

ولكن الذى يدهشك فيه بعد كل هذا الادعاء — وكم له من جولات فيه ! — وما كلفه هذا الادعاء فى مواطن عدة من بدء ادعائه النبوة حتى حتفه ، كما أسلف القول ، أن نشهده يرضى بالتزلف الى كثير من الأمراء ، وينشد مدائحهم ، وأنت تعجب كيف يترفع عن الدنايا ، وكيف يعود فيلحف فى طلب المال من باب مدح الملوك والعظماء ، فتراه يتدنى حتى الى ذل السؤال ، ولو كان السؤال مسبوكاً فى صيغة الفخر ، حتى لو راعينا ظروف زمانه ولجوء كافة الشعراء الى المديح واطراء الكبار ، لا نقدر أن نغفل قوله لسيف الدولة :

– أجِزْنى اذا أُنشدتَ شعراً ، فانما — بشعرى أتاك المادحون مردَّدا !

ودعْ كل صوت غير صوتى ، فاننى — أنا الطائر المحكىُّ ، والآخر الصدى

تركتُ السُّرى خلفى لمن قلَّ مالُه — وأنعلتُ أفراسى بنعماك عسجدا

وقيَّدتُ نفسى فى ذراك محبةً — ومَن وجد الاحسان قيداً تقيَّدا

إذا سأل الانسان أيامَه الغنى — وكنتَ على بعدٍ جعلنك موعدا

ومهما يكن من تغنيه بفضله ، ومضاء شاعريته ، وتهكمه على سائر الشعراء الذين يمدحون سيف الدولة ، أترانا لا ندرك فى أبياته هاته لهجة الالحاف فى الطلب وان المال هو الغاية والمنى والطلب ، وانه لولا المال لما ترك السرى خلفه لمن لا مال له ؟ انه سقوط وانحطاط على كل حال من المرتبة التى لا يود هو الانحدار عنها ، والتى لا يرضاها له أحد من محبيه . ولكننا إن عذرناه مع سيف الدولة لكثرة نعماء هذا عليه ، وعيشة الأعوام الطوال معه ، أفترانا نعذره أيضاً مع كافور الاخشيدى ؟ ان هذا التهالك على استدرار جود كافور ، وتحمّل المشاق فى طلبه من دمشق حتى ديار مصر ، لا إخاله يرفع من قدر أبى الطيب ، ومهما حاول المداهنة فى أبياته التالية ، ان المنّة ليست من خصائص كافور ، فالقصد فيها واضح وضوح النهار وبأسلوب كثير اللجوج ، شديد الضراعة ، بل فيها شىء من الرياء :

اذا الجود ، لم يرزق خلاصاً من الأذى فلا الحمد مكسوباً ، ولا المال باقيا
وللنفس أخلاقٌ تَدُلُّ على الفتى أكان سخاءً ما أتى أمّ تساخيا
أقل اشتياقاً أيها القلب ! ربما رأيتك تصفى الودّ من ليس صافيا
خُلقتُ ألوفاً لو رجعتُ الى الصبي لفارقت شيبي موجعَ القلب باكيا
ولكنّ بالفسطاط بحراً أزرْتُهُ حياتى ، ونُصحى ، والهوى ، والقوافيا

وأغرب من هذا كله انه ، وهو الذى مدح سيف الدولة وانقطع اليه دهراً ، ومدحه مدحاً عظيماً ما الى مثله من سبيل ، يعود حيال كافور فيعرّض به خفية ، بينما لا يترك فى مدح مولى بنى عباس الأسود زيادة لمستزيد ، حتى تخال السجود له أضحى واجباً :

قواصد كافور ، توارك غيره ومن قصد البحر ،استقلّ السواقيا
فجاءت بنا انسان عين زمانه وخلّت بياضاً ، خلفها ، وما قيا !

ولا يكاد كافور يماطله ، ويسوّف فى وعوده ، حتى نبصر المتنبي ينقلب عليه بأشدّ مما انقلب على سيف الدولة أو سواه ، ويغدو لا يرى كلمات تؤدى حق التأدية جميع مذمات العبد ، ولشدة غيظه وعظم اندفاعه فيه ينكفىء على مصر وأهلها ، كأنهم هم الذين أغضبوه فيصبّ عليهم جامات غضبه أيضاً ، وهذا دليل استرساله فى عواطفه الى أبعد منتهى :

انى نزلتُ بكذابين ضيفهم عن القرى وعن الترحال محدودُ
جودُ الرجالِ من الأيدى، وجودُهمُ من اللسان ، فلا كانوا ولا الجودُ
ما يقبض الموتُ نفساً من نفوسهم إلا وفى يده من نتنها عودُ
أكلما اغتال عبدُ السوء سيدَه أو خانه ، فله فى مصر تمهيدُ ؟
صار الخصىُّ إمام الآبقين بها فالحرُّ مستعبدٌ ، والعبدُ معبودُ !
نامت نواطيرُ مصرٍ عن ثعالبها فقد بَشِمْنَ ، وما تفنى العناقيدُ

الى آخر تلك القصيدة التى هى نسيج وحدها فى القدح والهجاء .

وانه ليدهشك فى هذه القصيدة أنه بدأها بالفخر ، ولست أدرى أين هذا الفخر الذى يجوب له الانسان القفار ، ويتجشم لأجله وحشة الفيافى وجفاوة الصحارى ليردَ امرءاً مثل كافور ، يعلم عنه ما يعلم ، ثم ينسكفىء عليه اذا لم يجزهِ كما يريد ؟!

لولا العُلى ، لم تَجُبْ بى ما أجوب بها وجناءُ حَرفٌ ، ولا جرداءُ قيدودُ

هذا التناقض ، لا بين القول والعمل فقط ، بل بين فعل وفعل آخر ، غريب وغريب للغاية . وانها معضلة مبهمة فى أخلاق المتنبي ، قد تدلنا على غرابة أطواره أو تجعلنا نظن أنه يتأثر ببعض عوامل فيتدبّرها ويتقيها ، لكن مَن منا يعلم اليوم حقيقة ظروفه وملابساتها الاضطرارية ؟ لكنه إن كان يعتقد ما يقوله فى شعره ، وما يؤيده فى أعماله فى ظروف شتى ، فلماذا يكذب ذاته بذاته وبالأعمال الناطقة أيضاً ؟ أكان يعرف مبلغ هاته التناقضات ، وكم هى تجلب عليه من حديث الناس وهو ما كان يتوقاه ؟ أكان يحسّ بها يا ترى ويعلم حقيقتها؟

لا أرانى إلا قائلاً ومتسائلاً ، ما عناه بول بورچيه فى مقدمة روايته (شيطان الظهيرة) عند ما قال : « ان الذى يكذب ، ويدرى كذبه يمكنه أن يمقت علّته ويصلح من شأنه ، ولكن ماذا فيمن يكذب ولا يدرى عيبه ؟ » فهل عَنى المتنبي فى مجازفته الأخيرة فى القتال اصلاحاً لأخطائه السالفة ، واثباتاً لعقيدته السامية وحدّاً لتقولات الناس ؟

أتراه أيضاً كان يجمع فى ذاته صفات الشخصيات المزدوجة ، ولا أعنى أبداً انه كان مرائياً ، بل مسيَّراً بطبيعتين جامحتين متباينتين ، أى : أكان يودّ — لو تمّ له — العيش حياة محترمة نزيهة لا يدرنها الالجوء الى هذا أو ذاك ، كما كان قصده

الأوّلى الذى دفعه لادعاء النبوّة ، فلما أخفق فيها دفعه ذات حب السيادة والعظمة والمال من حيث لا يدرى الى مدح الملوك والأمراء والوزراء والعظماء محاولاً ألا يفقد شممه واباءه ، أو يرضى التظاهر بالضعف أمامهم فى هـذا المديح والطلب ولا يقبل منهم أدنى انتقاص لقيمته ؟ أسئلة قد تبقى فى فؤاد القدر الى الا بد !

انه يلوح لنا أيضاً كأن المتنبي من الناس المتناهين فى عواطفهم يندفعون بها حتى النهاية القصوى ، يحبون كل الحب أو يكرهون كل الكره . فعنـد ما تراه يمدح أحداً يرفعه الى الطباق السبع ، وإن هجاه خفس به الأرض الى هاوية الجحيم . هكذا كان عند ما مدح سيف الدولة (ثلث شعره) وكافوراً وأبا شجاع فاتكاً وأبا العشائر وبدر بن عمـار وابن العميد ، لم يترك كلمة فى المديح إلا قالها فيهم . وهاك شيئاً من بعض أمثلة من أشعاره ، تدلك على تناهيه فى عواطفه ، واندفاعه معها فهذا سيف الدولة رجل تفرق لمرآه الملوك ، هو البحر يكنّ فى جوفه الدرر واللآلىء ، وهو عين أعياد العالم !

هو البحر غُصْ فيه ، اذا كان ساكناً   على الدرّ ، واحذره اذا كان مزبدا !
فانى رأيت البحر يعـثر بالفتى   وهذا الذى يأتى الفتى متعمدا
تظل ملوك الأرض خاشـعةً له   تفارقه هلـكى وتلقاه سجّـدا !
وتحيي له المالَ الصوارمُ والقنا   ويقتل ما تحيي التبسُّمُ والجدا
هنيئاً لك العيد الذى أنت عيده   وعيدٌ لمن سمّى وضحى وعيّـدا
ولا زالت الأعياد لبسك بعـده   تسـلم مخروقاً وتعطى مجدّدا
فذا اليوم فى الأيام مثلك فى الورى   كما كنت فيهم أوحداً كان أوحدا

واذا أردت كافوراً رأيته قد جمع فيه كافة المفاخر ، واذا العبد أشرف وأعزّ من قبائل عدنان ويعرب واليه تنتهى المحاسن فى الورى ، واذا من نتن أبطيه يخرج المسك ، واذا الغيث الهطال من بعض فضله ومنه أو أقلّ :

أبا كل طيبٍ لا ابا المسك وحده   وكل سحابٍ لا أخصّ الغواديا

* * *

قالوا : « هجرت اليه الغيث » قلت لهم : « الى غيوثٍ يديهِ والشآبيب »

* * *

ويغنيك عما ينسب الناس أنه ... اليك تناهى المكرمات وتنسبُ

وأى قبيل يستحقك قدره ... معدٌ بن عدنان فداك ويعربُ (١)

أما اذا انقلبت الى بدر بن عمار فاعجب له يؤلهه ويفضل كلامه على الفرقان والتوراة والانجيل :

لو كان علمك بالاله مقسّماً ... فى الناس ما بعث الاله رسولا

لو كان لفظك فيهم ما أنزل الـ ... فرقان ، والتوراة ، والانجيلا

هكذا هو مديحه ينطلق من عنانه حتى المنتهى ، حتى المستحيل ، وكذلك هو فى هجائه فاذا هو عندما انقلب على كافور لا يترك له رجاء فى محمدة أو ممزة فى مكرمة فقد أودع هجاءه له كلّ كلمة لاذعة من قدح وذم وجدها فى قاموس فكره ، وقد أوردنا بعضها قبلا . وأعجب له حين مات أبو شجاع كيف رثاه قادحاً فى كافور فاذا « بأبي المسك » ينقلب جيفة نتنة واذا الصادق الجواد الذى لا يعرف غير الجود عن سخاء وكرم يصير أكذب كاذب ، جوده بالقول لا باليد :

قبحاً لوجهك يا زمانُ فانه ... وجهٌ له من كل قبح برقعُ

أيموت مثل أبي شجاع فاتكٍ ... ويعيش حاسدُهُ الخصىُّ الاوكعُ

أيدٍ مقطعةٌ حوالى رأسه ... وقفاً يصيح بها : ألا مَن يصفعُ !؟

أبقيتَ أكذبَ كاذبٍ أبقيته ... وأخذت أصدق مَن يقول ويسمعُ

وتركت أنتن ريحة مذمومة ... وسلبتَ أطيب ريحة تتضوّعُ

واذ انصرف الى هجاء ابن كيغلغ كال له من ذات الكيل ، وهل تراك تريد أقصى من هذا ؟ :

يقلى مفارقة الاكفّ قذاله ... حتى يكاد على يدٍ يتعمّمُ

---

(١) ما أغرب المتنبي هنا فقد رفع كافور الاسود فوق العرب بينما لم يمنح هذا الفخر لسيف الدولة وهو من ربيعة حين مدحه بقوله :

تشرف عدنان به ، لا ربيعة ... وتفتخر الدنيا به لا العواصم

وجفونه ما تستقرُّ كأنها مطروفةٌ ، أو فتَّ فيها حصرمُ
واذا أشار محدِّثاً فكأنه قردٌ يقهقه أو عجوزٌ تلطمُ
وتراه أصغر ما تراه ناطقاً ويكون أكذب ما يكون ويقسمُ

أو أنظر اليه فى هذه الأبيات ، كيف يصف صاحبه :

كذا خلقتَ ومَن ذا الـــذى يخالف ربَّهْ ؟
إنْ أوحشتكَ المعالى فانها دارُ غربهْ
أو آنستك المخازى فانها لك نسبهْ !

فى المدح والقدح على السواء كان سبّاقاً الى التقاط كل كلمة نادرة قصوى تؤدى أشد معنى . فالوسط لا يتطرقه ، بل لا يعرفه ، ولالفاظه قوة ومضاء وعزيمة كأنها أشخاص حيَّة تتحدث وتنطق فهى أناس صُبَّت فى صور ألفاظ ، ورجال كوِّنت فى هيئة كلمات . فالناس من ملوك وكرام وامراء وعظام وعبيد ولئام وجبناء وبهائم تكاد تراهم فى شعره رأى العيان ، والصفات من بسالة وكرم ونبل وشرف ونذالة وانحطاط ودناءة وخباثة تكاد تلمسها فى ألفاظه لمس اليد ، وانه لمصور ماهر فذٌّ ، بل هو عبقرىٌّ ليس له ثان ، كما قال عنه الطبسى بحق :

ما رأى الناس ثانىَ المتنبى أى ثانٍ يُرى لبكرِ الزمانِ
هو فى شعره نبىٌّ ، ولكنْ ظهرت معجزاته فى المعانى

كان فيه أيضاً أنانية وجشع وبخل كما يروى عنه الرواة ، مع انك لا تعثر على شىء منها فى شعره إلا قليلا ، وإن علمت أنه يحب المال حبّاً عظيما من لجه فى السؤال لكنك لا ترى فيه ثناء على البخل وهو القائل :

ومَن ينفق الساعات فى جمع ماله مخافة فقرٍ ، فالذى فعل الفقرُ

وأنت لا تدرى أصادقون هؤلاء الرواة ام كاذبون فى تنادرهم بحوادث بخله ، خاصة ماجاء فى حديث أبى بكر الخوارزمى عن قطعة النقود التى تخللت خلل الحصير من المال الذى صب بين يديه عليها من صلات سيف الدولة ، فأكبَّ عليها بأجمعه يعالجها وينقرها حتى أنقذها وقد أدمى أصبعه ، ولما عوتب فى الأمر قال : « انها تحضّر المائدة » !

أماجشعه فيستدل عليه من لحاقه بكل من بسطت راحته وجادت يده ، ورجاؤه فيهم أن يكون شاعرهم الأوحد ، وهو شيء من حب الذات عظيم . وكم انقطع عن سيف الدولة عند ما كان يراه يمالىء شاعراً آخر عليه مما حمله على القول :

أفى كل يوم تحت ضبنى شويعرٌ ضعيف يقاوينى ، قصير يطاول ؟

ثم قوله الصريح لسيف الدولة :

أزلْ حسدَ الحسّاد عنى بكبتهم فأنت الذى صيرّتهم لى حُسّدا !

* * *

أدلينا هنا ببعض نوادر من حيث تناقض بعض أقواله مع بعض أعماله ، ثم تناقض بعض أفعاله مع بعض أفعاله الأخرى ، وانها لتمسّ سمعته بعض المسّ ، وتؤثر فى قوة شخصيته وعنفوانها البادى بين سائر الشعراء ، فقيمة الكلام تقاس بصاحبه ، أو بالأحرى أن ملام الشخص يزداد أو ينقص فى أعماله وأقواله ، بحسب قيمة نفسه فى عينه أو فى أعين الناس ، وما يلام لاجله امرؤ لا يؤبه له فى آخر ، وهو ما يجعل وزر المتنبي كبيراً فى تناقضاته . ومع أن أعظم عيب فى المتنبي هو ادعاؤه المفرط ، والذى لا نجد له عذراً فيه ، لكنه فى رأينا لا يضير على الأرجح القارىء المتكسب ولا يؤذيه فى شخصيته ، بل لعله يفيد الضعفاء إن علموا كيف يستغلونه عن فطنة ودراية .

ومع كل ما ارتكبه المتنبي من متناقضات فهو من جهة الاخلاق فى شعره على أعلى ذروة بين شعراء العرب القدماء ، فلم يكن للمجون والهزل اليه من سبيل فشعره شعر الجد ، شعر القوة ، شعر العظمة ، لاشعر الضعف والتخنث . وهذا ما أبعد عن صفاته الخلقية ما يشين المرء من الانغماس فى الملاذ ، بل بالأحرى أن نزاهته وعفته وكبرياءه هى التى طهرت شعره من كل عوامل الفساد ، فليس فيه ما يوحى بالحطة والابتذال ، حتى فى سؤله يحاول الترفّع ، كما أسلفنا القول ، وانه ليؤثر فى صفاته الشخصية من جهة ادعائه وكبريائه لا من جهة مستوى الأخلاق العادية . فاذا جئنا نستوضح المتنبي على وضح نور الآداب ـ والشاعر بسلامة ايحائه وصحيح نصحه ، لا برنين ألفاظه وانسجام كلامه وجزالة قصائده . فما الانسان إلا بما يوحيه الى الغير من خير أو شر ـ وبينما يجب أن نراعى ما كان يستلزم عصره ، وما هو مستوى الآداب فى ذلك الحين ، فلكل عصر ذوقه وحضارته ، ولكل زمن آفته .

يجب أيضاً أن نفحصه على نور الاخلاق كما تفهمها بعقـل الرزانة والحـكمة ، لا كما يريدها الذين يندفعون وراء العصرية الهوجاء

إنى شخصياً لا يهمنى من المرء إلا ما فى أخلاقه ، ومن النظرة الا ولى التى أوقعها عليه أريد استشفاف ماهية آدابه وكنه ثقافته ، ولا أزال به حتى أدرك غايتى فاما صداقة وإما بعاد . كذلك أنا مع الـكتبة والشعراء خاصة وعلى مناكبهم يحملون مهمة شاقة خطيرة ، وقد يكون أثرهم على ضعفاء الارادة ليس له رتق . ولعله مما يزيد قيمة شعر المتنبي خلوّه على الأغلب من كل عنصر يفسد التربية ، ويؤثر على النشأة لولا تلك الحدّة فى هجائه التى تدفعه الى الزلق أحيـاناً الى مواطن نضنّ به الى أن يصل اليها .

اذا فحصنا قصائد المتنبي فقلما نرى فيها ما يحملنا على الظن بفساد الأديان ، أو الشك بوجود الله (ومخافة الله هى أهم شىء نهتم له ، وقد قيـل : « رأس الحـكمة مخافة الله » ومن الواجب أن نبحث فى هذا العصر عن كل شىء يسمو بنـا عن المادية القبيحة التى تتردّى فى أقذر أوحالها وأن نزرع فى النفوس هذا الشىء الروحانى) فاعتقاده فيما وراء الحياة يكاد يكون مجهولاً لدينا ، لـكننا لا نظنـه كان كافراً لـكثرة ما ورد فى شعره من ذكر اسم الله الـكريم ، رغم اعتقاد البعض أنه كان من الشاكين بدليل وجود مثل هذه الأبيات التالية :

تخالفَ الناسُ حتى لا اتفـاق لهم . إلا على شجبٍ ، والخلفُ فى الشجبِ
فقيل : تخلص نفس المرء سـالمةً وقيل : تشرك جسم المرء فى العطبِ

« . »

تمتع أيدينا بأرواحها على زمان هنّ من كسبهِ
فهذه الارواح من جوّه وهذه الأجسام من تربهِ

ليست هذه الأبيات دليلا حسياً ، أو دليلاً يقيناً ، ونحن لا نودّ أن نبنى حكمنا على الحدس والتخمين من وراء كلمات قد تـكون أرسلت على عواهنها فى ساعة تأثر لأننا لا نظن أن المتنبي كان يكتم فى نفسه سراً لا يود اظهاره للناس خوف أذاهم له ، فما كان من هؤلاء الذين يأخذون بالتقية ومداراة الناس ، وهو من كان يستشعر القوه فى أعماله كلها أو أكثرها ، وما كان يأبه أن يعلن آراءه صراحة فيمن يكرههم من الناس . والذى ادعى النبوة ، لا يهاب التصريح باعتقاده فيما وراء الحياة

لو أراد وشاء . ولا نظن أحدا يبحث في المتنبي وأعماله إلا ويرى فيه هذه الصراحة فلو كان له رأى معلوم لصرح به ، غير أن أكبر الظن أنه ما كان يميل الى مثل هذه المباحثات خوف ما تثيره في النفوس من أمور قد تؤدي بالقليلي المعرفة الى الالحاد ، فضلا على انه يبدو لنا انها لم تكن تهمه بعد التجربة القاسية التي جرّبها وربما هذا ما عناه بقوله :

ومَن تفكّر في الدنيا ومهجتهِ أقامه الفكرُ بين العجز والتعبِ

وفي أشعاره ما ينبيء عن اعانه بالله ، وربما كان يعني قوله حقاً ، فقد أشار فيها بالالتجاء اليه تعالى ، لأن فيه العضد ، وفيه العون ، وأكثر ما يظهر ذلك في المراثي كما هنا :

أستغفر الله لشخصٍ مضى كان نداه منتهى ذنبهِ

« • »

صلاةُ الله خالقنا حنوطٌ على الوجهِ المكفّنِ بالجمالِ

« • »

جزاك ربُّك بالأحزان مغفرةً ! فحزن كل أخي حزنٍ أخو الغضبِ

لو دانينا بينه وبين المعري ـ وكان هذا من أشد المعجبين به ـ لوجدنا فرقاً شاسعاً ليس له التئام : فالمعري يقول بصريح العبارة أن لا دين ولا إله وما كل معتقد إلا إفكٌ وبهتان ، وحسبنا منه هذه الأبيات :

دينٌ وكفرٌ وأنباء تقصُّ ، وقرآ نٌ ينصّ ، وتوراةٌ وانجيلُ
في كلِّ جيلٍ أباطيلٌ ملفقةٌ فهل تفرّدَ يوماً بالهدى جيلُ ؟

« • »

أفيقوا ! أفيقوا ! يا غواة فانما دياناتكم مكرٌ من القدماء
أرادوا بها جمع الحطام فادركوا وبادوا فماتت سنة اللؤماء !

وكم له غير ذلك من تعريض بالانبياء والرسل وأديانهم ، مما لا نودّ الاسترسال فيه ، ومهما بدا منه في أبيات من ايمان ، فنحن نعلم انه كان يأخذ بالتقية وينصح بها فربما اضطرته في بعض الظروف أن يقول ما قال ، فضلا على أنه لم يكن كالمتنبي شاعراً عاطفياً ، بل كان شاعراً مفكراً فيلسوفاً ؛ وهنا وجه للوم عظيم . أما المتنبي فكان أعف

لفظاً وأكثر تأدباً ، عن أن يحمل ما فى نفسه الى نفوس الغير ، والذى نستخلص منه دون أن نعلق على أقواله فيما وراء الحياة كبير أهمية ـ للظروف والمناسبات الاضطرارية التى يكون قد قالها فيها أو أنها صدرت عفواً كما أوضحنا قبلا ـ أنه أبعد عن أن يؤثر فى عقيدة قارئه ، فربما أيضاً لم يكن مؤمناً فى ذاته، لكن ليس فى أقواله ما يشتم منه رائحة الشك فى ضغط وتأثير ، وربما كان المعرى مؤمناً فى ذاته ، لكن القليل من نبرته يحمل على اليقين ، بينما الكثير ينفث الشك المبين . فأى الشاعرين أفضل ، لامن جهته ، بل من جهة القراء ؟

وما دمنا قد وازنّا بين المعرى والمتنبى فيما وراء الحياة ، فلنرأيضاً بماذا يفضل فيه شاعرنا اليوم شاعر المعرة فى جهات أُخر : فالمعرى شاعر متشائم ، شاعر يائس ملول من الحياة، التى لم تمنحه إلا أتعس ما فى جرابها ، ولم يكن فى نفسه رغم فلسفته ما يحمله على السمو فوقها ، بل كان يرزح تحتها ، فيئن ويتألم ويتبرم ويكشف عن مصائبه وقلما كان ينتصر ويتجالد ، وفى كثير من أبياته تشعر به كأنه يتنفس : أُف ! أُف ! اف ! وهذا يعود الى أصل نشأته ، فقد ولد بائساً، وفوجىء فى صغره بالعمى وكان يستشعر بالمذلة من كل من يحيط به فغرست فى نفسه ، وصارت جزءاً منه . والانسان يسوغ نحو بيئته ، وإن ثار عليها بقى أثرها فيه مهما حاول التنكر لها، والمعرى فى ثورته على التقاليد المحيطة بها انما يثور لأن التقاليد الحديثة التى فيه والقديمة فى العالم هى التى حرضته على تقاليد بيئته التى أخرجته منها ، أو جعلته باعمالها يشعر انه ليس عضواً فيها .

أما صاحبنا المتنبى فلم ينله من الهوان بعض ما ناله ذاك ، وإن يكن قد دخل السجن وأصابه بعض عذابه فانه قد يعدّ هذا استشهاداً فى سبيل عقيدته ، أو على الأقل اضطهاداً له للحيلولة بينه وبين غايته الشامخة مهما كانت دوافعها الحقيقية . وهو لم يشعر أبداً بنفور بيئته منه أو باحتقارها له ، فهو شاعر القوة لا يطأطىء رأسه بل يحارب بكل قواه ويجد لذّة فى الجلاد ، وهو الذى يتمنى « ضرب اعناق الملوك وأن ترى له الهبوات السود » .

فبينما نرى اليأس متجلياً فى أشعار المعرى يتمنى الموت وهو فى ثلاثة سجون كما وصف ذاته :

أرانى فى الثلاثةِ من سجونى ... فلا تسأل عن الخبر النبيثِ
لفقدى ناظرى ، ولزوم بيتى ، ... وكون النفس فى الجسم الخبيثِ

حتى نراه يقول بيأس وحرقة طالباً الموت لكل مولود :

فليت وليداً مات ساعة وضعه ولم يرتضع من أمه النفساء !

بل انه طلب أن يكتب على قبره كلمة كلها قنوط وشكوى من الحياة :

هذا جناهُ أبي عليَّ م وما جنيتُ على أحدْ

أما المتنبي فنراه غير ذلك ، وهاك بعض أبياته :

عرفتُ الليالي قبل ما صنعت بنا فلما دهتني لم تزدني بها علما

« • »

كذا أنا يا دنيا اذا شئتِ فاذهبي ويا نفس زيدي في كرائهها قدما !

« • »

تريدين لقيان المعالي رخيصة ولا بدّ دون الشهد من إبر النحل

« • »

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود !

فرؤوس الرماح أذهبُ للغيـ ظ وأشفى لغلّ صدرِ الحقودِ

فاطلب العز في لظى ، ودع الذل م ولو كان في جنان الخلود ! (١)

ولسنا نريد أن نسترسل في سرد الشواهد من كلا الشاعرين وهي كثر ، ونقنع بالقول أن أعمى المعرة يحمل في عناه كأس التشاؤم بفلسفته العميقة الغامضة ، وهو قد لا يفيد إلا كل قوى الشكيمة ، متين العقيدة ، صلب الارادة ، لا تخدعه الألفاظ الوهاجة . بينما المتنبي ، وهو شاعر القوة ، خير صديق للضعفاء لأنه يمنحهم القوة على مجالدة الأيام ، ومقارعة الخطوب ، كما أنه لا يتعرض للعقائد . ففي المتنبي إذن تفضيل وسمو على المعرّى .

---

(١) هذا البيت كأنه مأخوذ من قول عنترة :

لا تسقني كأس الحياة بذلّة بل فاسقني بالعزّ كأس الحنظل

ماء الحياة بذلة كجهنم وجهنم بالعز أطيب منزل

وكنا كتبنا منذ ست سنوات في مجلة (الكلية) بحثاً عن عنترة وذكرنا أننا قد نقابل بينه وبين المتنبي لما بينهما من تشابه في بعض المواطن ولم نتمكن حتى اليوم ، لكن لعل الفرص تواتينا عن قريب .

من خواص شعر شاعرنا هذا ، صيغة الحزم البادية فى شعره ، فهو لا يتدنى حتى فى غزله — وهو قلّة — إلى ما وصل اليه كافة شعراء الغزل . أما المجون الذى يرفع لواء زعامته أبو نواس وبشار بن برد وأبو دلامة فهذا ما يستنكفه أبو الطيب ويأبى الانحدار اليه . وهو الذى يكره الخمر ، ويسمو بنفسه عن كافة الناس أن يفعل ما تفعله الناس ، وانّ هذا الترفع من متانة خلقه :

فؤادٌ ما تسلّيه المُدامُ وعمرٌ مثل ما تهبُ اللئامُ

***

وللسرّ منى موضعٌ لا يناله نديمٌ ولا يفضى اليه شرابُ
وما العشق إلا غِرّةٌ وطماعةٌ يعرّض قلبٌ نفسه فيصابُ
وغيرُ فؤادى للغوانى رميّةٌ وغيرُ بنانى للزجاج ركابُ

وفى شعره صفات الكرم والجود ، وقد روينا عن بخله شيئاً ، لكننا لا نراه فى قصائده ينصح به ، وهو تناقض آخر بين العمل والقول ، لكنه تناقض ممدوح ، وليس يضيرنا هذا ، فان فائدة قارئه فيما يلمحه بين السطور من الحضّ على المكرمات وان الجود محمدة ، ما دام لا يخرج عن الحدود ، كقول القائل :

ما بين تبذيرٍ وبخلٍ رتبةٌ وكلا هذين إن زاد قتلْ

ولولا شدة قدح أبى الطيب فى الناس ، وتخيّره الكلمات الثقال فى ذمهم ، ولولا الحقد العظيم الذى ينفثه نفثاً هائلا فى هجائه اللاذع لما كان فى شعره نقصٌ يذم عليه من جهة الأخلاق ، فشرٌّ مقتنى أن ينشأ الانسان على الغلّ والحقد ، وقد لا يكون المتنبي ممن يضمرون الشر لأحد ، ويحفظون الضغينة فى قلوبهم ، لكن وحى شعره فى نفس قارئه لا يدل على غير هذا ، فيا حبذا لو كان خلا من هذا الوحى النميم ، ويا حبذا !

ولسنا نريد أن ننسب الى المتنبي ما ليس فيه بمناسبة هذه الذكرى الألفية لوفاته ونطريه منساقين مع التيار ، بل نود أن نقول ما نعتقد فيه حقاً ، دون أدنى افتئات ودون أدنى تمويه للحقائق ، حين نقول إننا لا نراه إلا غرّة الغرد فى جبين الشعر العربى القديم ، ليس فقط بجزالة شعره ، ومتانة تعبيره ، وانما أيضاً بما يوحيه — باستثناء لاذع هجائه — من مكارم الاخلاق ومحامد الصفات ؟

بركات — السودان : ميشيل سليم كبر



الألحان الضائعة

للشاعر حسن كامل الصيرفي

قبل أن أتحدث عن شاعرية الصيرفي أرى من الملائم أن أرسم صورة لنفسية هذا الشاعر ومزاجه ، لأننا اذا فهمنا الصيرفي الرجل فهمنا شاعريته تمام الفهم .

وعلى قدر معرفتي الحديثة بالصيرفي يمكنني أن أقول في غير ما خطأ إنه شاب تغلب عليه الكآبة ، ويطغى عليه المزاج السوداوي ، وهذا الطبع كوّن حياته وكوّن شعره باللون القاتم . ولقد تضافرت الظروف السيئة عليه فزادت كآبته إذ أصابته في أول حياته نكبة عاطفية قاسية، وتلتها نكبة ثانية لا تقل عنها قسوة ، وهاتان الحادثتان كانتا سبباً لقتام نفسه وإدجان خواطره ، وقد تجلى هذا المزاج في ديوانه (الألحان الضائعة) في أغلب القطع ، ففي قطعة « ربيع كالخريف» يقول في أسى عميق :

هو لربيعُ ... ولكن أين بهجتهُ وأين ما كنتُ ألقى في مَغانيهِ
هو الربيعُ ، ولكن لا أحسُّ به ولستُ أشعر شيئاً مِن مَعانيهِ

ويخيم الأسى والحزن في قطعة باكية له جاء فيها :

ما أظن الحزين يطربه الشدوُ ونار الأحزان فيه تَضرّمْ
هاك قيثارة الحياةِ عليها أثرُ الدمع والأسى والتألم

وأغلب الديوان يضم مثل هذه القطع المحزونة نذكر منها قصائده « كآبتى» (ص ٥٢) ويا ذابل الزهر (٧٨) ودعيني (ص ٢٨) . وليست أحزان الصيرفي من

النوع الجافى وإنما هى من النوع السامى الذى يأتى بالمعجزات الفنية والذى يحفزنا الى التفكير الناضج ويعرفنا اللذة الحقيقة . يقول الأديب الفرنسى الكبير اسكندر ديماس « الدموع ضرورية للعبقرية » ، ويقول الفيلسوف الفرنسى ليبنتز ان الحزن السامى يجعلنا نقدر اللذة ، ويجاريه فى هذا القول الفرد دى موسيه فى «ليالى أكتوبر » .

وها نحن نرى شاعرنا الصيرفى يستشف هذا المعنى ببصيرته النفاذة دون رجوع الى أحد إذ يقول فى قصيدته البديعة « دموعى » :

دموعي .. كنتِ آمالا تَمُدُّ القلب بالبشرِ
وكانت هذه الآما لُ كالأنغام فى الفجرِ
تبدّدُ وحشة الداجى فيصحو ساجعُ الطيرِ

وأنه فوق ذلك يرى فى الحزن والألم معنى جديداً عجيباً : يرى الألم أخلد فى النفس من المسرة وأبقى من ذكريات البهجة إذ يقول فى بيت له :

إنَّ جُرح الآلام أخلدُ فى النـ ـفس وأبقى من ذكريات الصفاءِ

***

ولقد صهرتْ الآلام روح الصيرفى فأنضجتها وطهّرتها ، وأطافت بها صوفية سمحة حفزته الى تأملاته الساحبة الحنون وجعلته يرسل ألحاناً لا يفهمها إلا كل من يتجاوب مع مثله وكل من يهتز قلبه لتنفس النهر وغناء البلبل وهمس النسيم . إستمع اليه يشرح فنه فيقول :

أنشدتهم من أغانى السماء أناشيدَ تُعزف للخالدينْ
فضاع الصدى فى فضاء الحياة وذاب النشيدُ وهم يصخبونْ

وفى الحق ان مثل اناشيد الصيرفى تضيع فى هذا العالم المادى الكثيف وبين نفوس صلدة جامدة هواء . وقد عبّر عن ذلك فى كثير من الديوان فقال فى قطعة « الضحية » :

أنشدتُ كلَّ أناشيدى فما بقيت ألحانُها وتولى موتها الصخبُ

وأفصح عن ذلك فى قطعته البديعة « الواحة المنسية » إذ قال :

في ذمّة الفن ألحانٌ تضيع وفي أصدائها قِطَعٌ من قلب فنّانِ
تَجرَّعَ الألمَ الداوي تحوّله الى ترانيم عشاقٍ وألحانِ

وترنم بهذا المعنى أيضاً في وحدته إذ قال :

أرتِّلُ في الأُمى لحنى فلا يسمعني جارى

***

ولقد تدخل مزاجه في شعره ، كما ألهمت روحه المتصوفة شاعريته ، وخلعت عليها الصفاء والتأمل ، وفوق ذلك فقد امتزجت بنفسه محبة الفن ، ولهذا نراه ينظر الى الوجود بشعور الفنان ، ويسبح في الدنيا هائماً على وجهه كالفرفور السائح في ذهول ، ويحمل قيثارته يغني ألحانه الهادئة المشجية الناعمة الرقيقة المؤثرة ، يحملها اذا تيقظ الفجر أو تنفس الهواء أو غنت الحمائم ، ويطفق عليها عازفاً وصدى صوتها سابح كما يقول في الفضاء المجحود ، فاذا ما جُنَّ الليل ، واذا ما رقدت أنجمه الساهرة أغمض الشاعر أجفانه ، وجمع أحلامه ، وأنشد قصيدته « حياتي » وهي من أعذب قصائده وأزخرها بالشاعرية الحنون ، وأبلغها في التعبير عن نفسه إذ يقول فيها :

اذا الفجرُ حرَّر مني الجفون وأيقظ فيَّ القوى الخائرهْ
وهب نسيم الصباح العليل يُوَزّع أنفاسَه العاطرهْ
ورنَّت على راقصات الغصون سواجعُ كالأنفس الشاعرهْ
صحوتُ أناجي خيالا جميلاً وفي ناظريّ رُؤًى ساحرهْ
فآخذ قيثارتي في هدوء اوقِّع ألحانيَ العابرهْ

وإنا لنجد الصيرفي تدق شاعريته غاية الدقة ، تتخطف كل مرأى من المرائي الصغيرة، وتثور في إحساس عجيب لمشاهد لا يتأثر بها الا ذوو القلوب المرهفة الحس، فلقد تأثر في عودته من عمله عند ما رأى بلبلاً مصاباً برش وملقى في التراب ، فهتف على الفور بأول بيت في قصيدته « موت البلبل » قال

ما أتعسَ الفنَّ في حياته وأتعسَ الفن في مماتهْ !

وبعد أن وصف أغاني البلبل في هدأة الليل وصف ما حُتم عليه من الموت بيد الانسان الغادر ، قال :

وبينما البلبل المغنِّى يعيـد لحناً على هواته
دوى بجوف الدجى دوِىّ فرُوِّع الكون فى صلاته
وهلّـل الصائد انتصاراً وردد الليلُ قهقهاته

ونجده أيضاً يألم لرؤية الناس يهصرون الغصون فى غير مبالاة ويقطفون الزهر، وللغصن والزهر شعور وحياة فيقول :

يهصرون الغصون غير مبـالين أصمُّوا الآذان دون نواحك
يقطفون الأزهار كى ينبـذوها بعد حين والزهر ريش جناحك

* * *

واذا تصفحنا ديوان (الألحان الضائعة) وجدناه يفيض بالشعر الانفعالى الهادىء الحزين، وبالشعر الرمزى، وبشعر الطبيعة، وليس فيه من شعر الحب العاطفى الا النادر، نذكر منه قصيدة « المنـديل » وقصيـدة « عُقب السيجارة » وقصيدة « تحت ضوء القمر » ففى الأُولى ناجى حبيبةً أهدت اليه منديلا وفى هذه القصيدة زاد الصيرفى تفعيلة على الوزن الشعرى لم تؤثر على موسيقى البيت وإن أطالتـه وقد جاء فيها :

أيها المنـديلُ : قد أدركت معنى فيـك لم أدركه قَبْـلْ

* * *

أيهـا المنـديل قل لى ما الذى تدرى خيوطُكْ
أنا أدرى مرَّ إهـدائك لى !

وقصيدته « عقب السيجارة » التى ناجى فيها حبيبته هى من قصائده الفريدة ويمكن للقارىء مراجعتها (ص ٥٤ بالديوان) لأن الاقتباس منها عسيرٌ لقوة وحدتها . ومن أعـذب وأحلى قصائده العاطفية قصيدته « تحت ضوء القمر » التى هتف فيها بقوله

ما ألذَّ الذكرياتْ لو تـكونين معى !

وشعر الصيرفىّ فى الطبيعة ليس بالقليل، وقـد أتى ببعض القصائد فى ديوان (الألحان الضائعة) وانفرد من بين الشعراء المحدثين على ما نعـلم بوصف « زهرة البانسية » Pensee التى جاء فيها :

يا زهرة الذكرى ! وفيك اسمها ما أجمل الذكرى لدى مَن يصونْ!

كما أنه وصف السحابة فى قطعة له أسماها « السحابة المغترّة » (ص ٤٣) من الديوان وهى مثال فريد للشعر الرمزى ، وأنى لألمح من خلال أبياتها أنه يقصد بهذه السحابة المغترة بعض الحكام الذى ساموا مصر الخسف فى العهد الأخير :

مَرّتْ بطودٍ شامخٍ يرتنى الى عنان الجوّ فى بُعدهِ

تقدمت منه وفى صدمةٍ سريعةٍ بادت على صلدهِ

هوت من الجو رذاذاً على جوانب الطوْد الى مجدهِ

ويظهر لى أنه أتى بوصف أصيل للون الزهر وعطره فى قطعة « النسمات الساحرة » إذ شبه عطر الزهر المتصاعد بأصداء أنغامه الحزينة ، قال :

نعم ! أنت مثلى أيها الزهر مرغم وما هذه الألوان غير شِياتِ

وما العطر الا أنّةٌ وتوجّعٌ كأصداء أنغامى ورَجْع شكاتى

* * *

وصفوة القول إن الصيرفىّ شاعر مجدد هادىء الجوهر صافى النفس رقيق الشاعرية عذب الموسيقى ، يتنفس ديوانه الأسى والألم والحنان ، ويدعو قارئه الى محبة صاحبه والانجذاب اليه ، ولا يحسبنّ القارىء أن هذا الديوان هو كل شعره أو هو مقياس نفسيته ومزاجه ، فله ديوان ثانٍ هو « قطرات الندى » يضم قصائده مشرقة متفائلة ، كما أن له ديواناً آخر « الشروق » ابتدأ تأليفه فى عهد زواجه وهذا الديوان يتخلله الاشراق والابتسام والتفاؤل ، وإن كانت تجرى الكآبة فى طائفة من قصائده فذلك راجع الى طبعه أولا والى اخراج القصيدة نفسها كما لو كانت صوفية أو تفكيرية مثلاً .

وأخيراً فانى أعتقد أني لا أعدو الحقيقة اذا دعوت القارىء لأن يلتمس طمأنينة نفسه ، وسلام روحه فى ظل هذا الديوان الورف الحنون ؟

مصطفى عبد اللطيف السحرتى



الروافد

هذه المجموعة الشعرية من نظم شكر الله الجر أحد شعراء سوريا الذين هاجروا الى أمريكا وله مجلة قيمة اسمها (الاندلس الجديدة) تصدر باللغة العربية فى هذه الربوع النائية ، وتدفع عن مجد العرب ، وتخدم النهضة الشرقية الجديدة خدمة مباركة .

ولا يسعنى إلا الاغتباط بهذه الظاهرة الطيبة التى إن دلّت على شىء فانما تدل على أن الأدب العربى ينهض نهوضاً مضطرداً ويلاحق الآداب العالمية فى نشاط ودأب . ولقد كنت ولا زلت أرقب نهضة الأدب العربى خارج الديار المصرية فى اهتمام عظيم ، وكان اهتمامى أعظم بما تجود به قرائح اخواننا المهاجرين من وراء البحار ، فطربت وهللت من قبل بالمرحوم فوزى المعلوف صاحب (على بساط الريح) كما استبشرت بأبى ماضى صاحب (الجداول) وبشعر فرحات والقروى والياس قنصل .

ويغلب على شعر هؤلاء الاخوان المهاجرين النزعة العاطفية الخالصة ، اللهم إلا إيليا أبوماضى الذى يكد ذهنه ويرهف فكره فى أكثر قصائده ، ولقد سبق أن سجلتُ فى العام الماضى بهذه المجلة وأنا فى معرض نقدى لديوان إلياس أبى شبكة الأول (القيثارة) هذه الحقيقة ، ولا بدَّ أن لجو لبنان الرائق ولطبيعته الحسناء دخلاً فى هذا الخيال المتحفز النشيط ، ومن قرأ شيئاً من آثار جبران خليل جبران يستطيع أن يلمس هذه القوة المخترعة الجبارة التى يسيطر عليها ويتصرف بها الخيال والوهم . ولن يكون الخيال جباراً عظيم السلطان مالم تسنده من عالم الحقيقة مفاتن ومباهج طبيعية ، وهذا هو الحال مع اخواننا شعراء الشام . ولا مشاحة فى أن السفر والاغتراب من شأنهما أن يثيرا العواطف ، ويحركا القلوب فى الصدور ، فاذا كان الانسان شاعراً ، وشاعراً رقيق العواطف ، فهو لا شك مدهشك بابداعه وجُموحُ خياله ، وهذا ما كان من أمر هؤلاء الاخوان الأفاضل تقريباً .

ولقد كنت أحسب أول الأمر أن الرقة العاطفية التى تنتظم دواوينهم إنما تسندها موسيقى اللفظ وجرسه الرخيم بيد اننى عرفت أخيراً وبعد اختبار طويل

لشعرهم ان هذه الرقة العاطفية التى تصدر عن القلب المفطور وعلى الخيال الرائع المنسجم هى التى تسند موسيقى اللفظ والرنين عندهم وتظهرها فى ثوب كريم .

أما رقة القلب عند هؤلاء الشعراء فلا تستغل فى شعر الغزل ، كما كان منتظراً لصلةٍ ما بين القلب والحب ، وانما تستخدم فى الأغلب فى الوصف والوطنية .وأحسب انهم قد أنصفوا غاية الانصاف بشغل أنفسهم بشعر الوطنية والاجتماع والوصف وما يمتّ اليها بسبب .

بيد أن صاحب (الروافد) يقول فى مقدمته أو توطئته إن شعر الوطنية ـ وديوانا ملىء به ـ ليس مما يخلد فى عالم الأدب ، ونحن نوافقه على هذا الزعم الى حدّ ، ذلك لأن شعر الوطنية وإن كان يتحدث عن أمانٍ قومية خاصة ، ويهتم بمشاجرات «محلية» دنيوية إلا انه قد يكسب الخلود والبقاء إذا وفق الشاعر العبقرىّ الى الارتفاع بالوطنية الى معارج سامية ، بعيدة عن الاحقاد والضغائن البشرية ، وهنالك يمكن أن يقول فى الوطنية السامية الرفيعة الشعر العبقرىّ الخالد . وانى لألمس فى (الرافد) كما لمست فى (الأعاصير) للقروىّ من قبل الروح المحلية فى الشعر الوطنى وهى التى جعلت شكر الله يدلى برأيه فى شعر الوطنية كافة فى توطئة (روافده) .

ويبدو لى أن بدء الشاعر فى نظمه كان بدءاً تقليدياً محضاً ، تلمس فيه الروح القديمة واضحة بينة فى « الارز المتوج » ولكن هذا لا يضير الشاعر على الاطلاق فلابدّ من أن يبدأ الشادى مقلداً مهما كان عبقرياً موهوباً ، وأنت تراه فى قصيدته « على خرائب ببيلس » شاعراً قوياً متمرداً مفتخراً بجدوده ، اسمعه يقول مخاطباً بلاده :

أىّ شعب كشعبك الجبارِ خالدٌ فى جلائلِ الآثارِ
تقصر الريح عن مدى ما تخطى من بلادٍ وشقّ من تيارِ
ضارباً فى جوانب الأرض زهوا عائثاً بالخطوب والأخطارِ
ناشراً فى بحارها منشآت هازئاتٍ بالموج والاعصارِ
راكباً للخلودِ والمجدِ عزماً واقتداراً يفتُّ فى الأقدارِ

ثم اسمعه يتحدث عن فينيقيا ، الشام القديمة ، وعن حاضر أهلها الألم :

أمةٌ شرّد الزمانُ بنيها فذراهم على متونِ البحارِ

مدّك الله فى الشواطىء سفرا جاء فى الشرق أقدس الأسفارِ

ضم تاريخ امةٍ ، وشعوبٍ وعروشٍ مطموسةٍ وديارِ

حدث الناس أيها الشط عمن حُكموا فى أعنّة الأقدارِ

خبِّر الكون عن عظائم شعب كان ملء الاسماع والأبصارِ

قد طواه الردى وانّ عجيباً طيه بعد بسطة وانتشارِ

وأنا معجب بمعظم أبيات هذه القصيدة ، ولقد أذكر الساعة أن خليل مطران شاعر العربية قد نظم قصيدة بارعة خالدة فى « تذكار قلعة بعلبك » نوهت بها فى كتابى (رواد الشعر الحديث فى مصر) ويبدو لى أن الشاعر الفاضل يحاكى شاعر العربية فى هذه القصيدة ، ولكنه عرف كيف ينفرد بعواطفه وأفكاره على كل حال .

ويكاد يجرى أغلب شعر (الروافد) على هذا النحو الذى تحدث عنه الشاعر فى « توطئته » وخشى عليه من سرعة الفناء ، فهو يتحدث عن « غربته » وعن « تحية الشمال » و « على ضفاف بردى » وعلى « أطلال الشرق » الى غير ذلك من شعر الوطنية الملتهبة ، وأنا زعيم ببقاء شعره الوطنىّ فى مجموعاته المقبلة التى يسمو فيها عن « الوطنية المحلية » ويتحدث عن معنى الوطنى العالى تحدث الشاعر المحيط بكل شىء .

ويعجبنى الى حد بعيد الشعر الوجدانى فى الروافد ، وخاصة قصيدة « على متون الأمواج » وان فيها لوصفاً للبحر وللسفر على المراكب لا يتسنى لسوى من قاسَ هوله فى مرحلة واسعة كتلك الى بين الهافر والبرازيل ، اسمعه يتحدث عن البحر :

ويا له معصوصف فى الرياح يقهقه كالرعد فى شدتهْ

كأن اوادبه اللاعبات صلالٌ تنضنض فى فجوتهْ

ويا له من أملس ناعم بحاك الحرير على وجنتهْ

تخال المراكب فى عرضه سطورا من الشعر فى صفحتهْ

تجعّده النسمُ الساريا تُ ويصقله الريح فى هبتهْ

فهذا حديث صادق ، وكفى أن يكون الشاعر صادقاً فى وصفه ، فما تغنى ألف عبقرية أمام هذا الصدق فى التعبير .

وللشاعر إخوانيات لا بأس بها ، فهو كبير القلب ، يحيي صديقه القروى" فى «علم القريض» تحية رقيقة ، ويشكر اخوانه المحتفين به فى « قيثارة الخلود » ، الى غير ذلك . ويبدو لى ان رثاءه من أجود الرثاء فى الشعر العربى الحديث ففى رثاء الملك الحسين يبدع كل الابداع وخاصة فى قوله :

يا حسنه فى « المسجد الأ قصى » ضريحاً زانَ خدَّهْ
جدث بجيد القدس لا ينفك حجته وعقده
يندى به أفق النبوة نافحاً فى الشرق ندّه
سكبوا النفوس على ثر اه ولثموا باللثم حدّه

وهو فى رثاء فوزى المعلوف يقول

لو درى « الوادى » بكى صفصافه وتغنى النعش من عيدانهِ
كم لفوزى سجعة فى ظله ترقص الورقاء فى أغصانه
مارحاً فى الظل من أدواحه سارحاً والسرب من غزلانه
عابثاً بالرطب من عنقوده لاعباً بالغضّ من رمانه
حيث يجرى النهر فى مخضلة ريّة الأعشاب من قيعانه
منشداً والسحر فى قيثاره وارتماش الوحى فى أجفانه

وفى رثاء سعد يقول :

ما زعيم الأهرام فى الأمس إلا عدة كانَ للغدِ المجهول
كان من عثرة الزمان لمصر خير واقٍ ، وجابر ، ومقيل
أطلقتها من الاسار يداه فهى طلقى الاغلال أسرى الجميل
حسب زغلول لو حواه زمان فيه فرعون لم يرع بقتيل
رجل حارب المظالم فرداً بجنانٍ كالطود ثبتٍ ثقيل
برهيفٍ منَ البيانِ وعزمٍ نافذٍ فى الصعابِ غير كليل

وفى رثاء جبران يقول :

أين من نعشك المجلل بالمجد عروش الملوك والأمراء ؟

خالدٌ أنت في الصميم من الاجـ ـيال فوق النوابغ العظماء

***

فوق مهد الربيع تحت ظلال الأ رز بين الكواكب الزهراء
نصبٌ للجمال يرمقه البدر بعين الحنوّ والارعاء
نصبٌ للنبوغ يبقى على الدهر مزارَ الفلاسفِ الحكماء
كعبة للهدى تفيض مع الأجيال نوراً على بنى الغبراء

وفى رثاء صديقه الشاعر وديع عقل يقول :

نمْ فتى الشعر ، فما شعرى سوى أدمع المفجوع يزجيها سجاما
جمرة فى القلب ما صعّدتها رجعت تنشد فى الجفن مقاما
ما على البلبل إن ألقى على مسمع الفجر أغانيه وناما !

وفى رثاء نسيبه داود بركات يقول :

قل للرفاق قضى الند يم فلن تشعّ ولن تُدار
لله ليــــلات قضيناها على الوادى قصار
والطير مثــــل العانس الثر ثار ليس له قرار
والنهر يفرش حولنا زبداً كمنتثر النضار
والشمس عند مدارج الأفق البعيد بها اصفرار
والبدر ممسوح الجبين على محياه اصفرار
وكأننا من حول داود تلامـــــذة صغار

وأكاد أقول إن هذا الشاعر مجيد فى الرثاء أكثر من اجادته فى أى ضرب من ضروب الشعر الأخرى ، ولعل ذلك يرجع الى رقة القلب التى حدثتك عنها أول هذا الكلام .

وهو غير راض عن هذه المجموعة ، كما قدمت نقلاً عن توطئته ، ولكننى أكاد أرضى عنها كباكورة طيبة ، واحب أن أرى الابداع فيما يليها من شعره فى (الغمائم) إنشاء الله ؟

مختار الوكيل

فى معنى الانتحال

يقول بعض الناس : لقد سرق هذا الشاعر ذلك المعنى ، ويقول آخرون : لقد انتحله ، ويقول غيرهم بل هو مجرد « توارد خواطر » ... ويقول غير هؤلاء جميعاً بل ان هذا المعنى مشترك ! ويندر أن يكون لفريق من هذه الشعب المتباينة فيما يدلى به من الرأى ميزان يحتكم اليه ، أو مبرر يستند عليه !

وإذ قرأت بين ما تنشره الصحف لرهط من المتأدبين وأشباههم فى الأيام الأخيرة ما يشعر بأن أكثرهم لا يطيق التمييز بين السرقة والانتحال واشتراك المعانى وتوارد الخواطر ، عوّلتُ على كتابة هذا الفصل ليكون بياناً ينتظم كل هاتيك الأنواع الأربعة وأمثلة من بعضها مستعيناً على تحريره بما بين يدىّ من أسفار الأدب ، وما تعى الذاكرة المكدودة من شعر القدامى والمحدثين .

السرقة ـ عندى ـ هى السطو على المعنى المبتكر دون تمييز محسوس فى الصيغة التى أبدعه عليها مبدعُـه ، مثال ذلك قول أبى نواس :

فتمشّت فى مفاصلهم كتمشّى البرء فى السقم !

فقد سرقه من قول مسلم بن الوليد :

تجرى محبتها فى نفس وامقها جَرْىَ السلامة فى أعضاء منتكسِ

ومثال آخر ، قول ابن زيدون :

يا من تزينت السيا دة حين البِسَ ثوبَها
جاءتك جامدة المدا م فخذ عليها ذَوْبَها !

فقد سرقه من قول « الخليع » الشاعر :

الراحُ تفاحٌ جرى ذائباً كذلك التفاحُ راحٌ جَمَدْ
فاشرب على جامدهِ ذوْبَهُ ولا تدعْ لذة يوم لِغدْ !

ومثال ثالث قول العقاد فى قصيدته كأس الوضوء :

تَطهَّرَتْ بكَ لما أنْ طهُرْتَ بها عند المُصلى وزادت حسنَ إيماء !

فقد سرق معناه من قول المتنبى :

الطّيبُ أنت - إذا أصابكَ - طِيبُهُ والماءَ أنتَ - إذا اغتسلتَ - الغاسلُ !

واذا شاء المنافحون عن شعر العقاد زيادة الايضاح وسفور البينة على هذه السرقة الملموسة ، فليسمعوا : فالمتنبي يزعم لممدوحه أنه إن يتطيَّبْ ، فهو الذى يطيِّبُ الطيب الذى يتطيب به ، وأنه إن يغتسلْ ، فهو الذى يغسل الماء الذى يغتسل به ، وجاء العقاد فزعم لممدوحه هو ، أو ذلك الذى يتعشقه ، أنه إن يتطهرْ بكأس الوضوء فهو الذى يطهرها ، وهى التى تطهر به ، وذلك معنى المتنبي بعينه !

***

أما الانتحال ، فهو — فيما أرى — الاغارة على المعنى المبتكر ، مع الافتنان فى صياغته والتصرف فى أدائه بحيث يبرز فى غير الصورة التى أبرزه فيها صاحبه الأول ومبدعه .

ومثال ذلك قول الغزى الشاعر :

الحسن والقبح قد تحويهما صفةٌ شان البياضُ وزان الشيبَ والشنبا
ظُبا المخارف أقلامٌ مكسّرةٌ رؤوسهنّ وأقلامُ السعيد ظُبا

فان أول من أبدع هذا المعنى هو أبو العلاء حيث يقول :

لا تطلبنّ بآلةٍ لك رتبةً قلم البليغ بغير حظٍ مغزلُ
سكن السماكان السماء كلاهما هذا له رمحٌ ، وهذا أعزلُ

ومثال آخر ، قول شوقى من قصيدته عن قصر أنس الوجود :

كعذارى أخفين فى الماء بضاً سابحات به وأبدين بضّا !

فقد نظر فى معناه الى قول قيس بن الخطيم :

تبدّت لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجبٌ منها وضنت بحاجبِ

ومن أمثلة الانتحال البارع قول ابن حمديس الاندلسى :

غشيت حجرها دموعيَ حمرا وهى من لوعة الهوى تتحدّرْ
فانزوت بالشهيق خوفاً وظنّتْ حب رمان صدرها قد تنثرْ
قلت عند اختبارها بيديها ثمراً صانهنّ جيبٌ مزرّرْ
لم يكن ما ظننت حقاً ولكن صبغة الوجد صبغ دمعى أحمرْ!

فقد نظر فى معناه الى معنى قول المنازى الشاعر يصف وادياً :

يصدّ الشمس أنَّى واجهتنا فيحجبها ، ويأذن للنسيم
يروع حصاه حاليةَ العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

على أنه يجب التنبيه هنا الى ضرر الخلط بين السرقة والانتحال ، فالسارق مجترىء ساقط يسخر من عقول الناس ويهزأ بمعلوماتهم ومحصولهم فى الأدب ، فضلاً عن أنه لص يسقط على العروض الأدبية ليحاول ادعاء ملكيتها ، أما المنتحل فكثيراً ما يسقط على المعنى الذى أبدعه غيره فلا يزال به حتى يبرزه فى صورة من الأداء أخّاذة تبعث على الاعجاب ، وهذا عند أصحاب الصناعة البيانية فضل غير مجحود .

وقد يتعدى الانتحال المعانى الى شواهد الصناعة البيانية نفسها .

حدّث أبو يعقوب الخزيمى الشاعر أن بشاراً بن برد الشاعر الزعيم قال : لم أزل منذ سمعت قول امرىء القيس فى تشبيه شيئين بشيئين فى بيت واحد حيث يقول :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العنّاب والحشف البالى

أعمل نفسى فى تشبيه شيئين بشيئين فى بيت حتى قلت :

كأن مثارَ النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبهْ !

ويشترط فى احصاء السرقات الأدبية والانتحالات أن يكون المعنى بارزاً مفضلاً كأن يكون قوام بيت بارز هو بيت القصيد أو نحو ذلك ، أما إن كان معنى تافهاً ليس بذى خطر ، فالأولى إدراجه بين المعانى المشتركة ، وهى تلك التى أخلقتها كثرة تناول الشعراء واستعمالهم ، فلم يعد لشاعر فيها فضل دون الآخر بغير الافتنان فى الصياغة والتجويد فى السبك وحسن الأداء ، وهى كثيرة ليس ثمت من حاجة الى إيراد أمثلة منها فى هذه العجالة .

***

أما ما يقولون به من حديث « توارد الخواطر » فلست أرى سبيلاً الى تحديده .
نظمت منذ سنين أربعة قصيدة ميمية طويلة على أثر زيارتى لآثار الفراعنة بالأقصر ، ثم أنشدتها نفراً من أصفيائى فلما بلغت الى قولى :

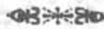
فرعونُ جبّارَ الحروب وربّها وأخا القصورِ وبانيَ الأهرامِ
كنت القوىّ على الزمانِ وصرفه ما لى أراك اليومَ فى استسلامِ ؟!

أقبل عليّ واحد من الحاضرين يقسم جهد ايمانه أن صدر البيت الأول بأكمله هو صدرُ بيتٍ لواحدٍ من شعرائنا المحدثين ، ولمّا كان يعهد فيّ أنني لا أسرق ولا أنتحل ، قال إن هذا من قبيل « توارد الخواطر » !

ولست اعلم من هذا كله أكثر من أنني لم أقرأ لهـذا الشاعر الذى التقيتُ واياه فى شطرة بيت كاملة ، شطرة واحدة من شعره ، فليس من المعقول أن أسرقه أو أنتحل شعره أو اخذ عنه .

على أنه ليس يستقيم عنـدى الا أن ما يتحـدث به بعض المتعللة من المتأدبين والمتلكئة من النقاد عن « توارد الخواطر » ليس الا مفسدة لضابط النقد ، ومهرباً للسارقين والمنتحلين من الشعراء ؟

أحمد فتحى
(المهندس)



تصحيح التصحيف

الوارد بديوان مهيار الديلمى

طبع دار الكتب المصرية

التصحيف الوارد بالجزء الأول من ديوان مهيار الديلمى

جاء بالسطر الأخير من صحيفة ٥ قوله :

أما ترون كيف نام وعى عينى الكرى فلم ينم ظبيُ الحمى ؟

وصحته : فلم تنم ، لأن مرجع الضمير الى العين .

وجاء بالسطر الأول من صحيفة ١١ قوله :

بودّى وهل يغنى عن المرء ودّه وأشياعُه فيما يحاول حزبهُ ؟

وصحة البيت :

بودي وهل يغنى عن المرء وده وأشياعه فيما يحاول (حَرْبهُ)

لأن أشياعه لو كانوا حزبه لما كان هناك مكان للتأسف .

وجاء بالسطر الرابع من صحيفة ٤٢ قوله :

وبعضُ مودات الرجال عقارب لها تحت ظلماء العقوق دبيبُ

وصحته : الغيوب بدل العقوق لأن الظلماء أدنى شبهاً بها .

وجاء بالسطر السادس من الصحيفة ٥٥ قوله :

وما زلت ترمى صفحتى بين عاضدٍ ومنحرفٍ حتى رميت بصائبِ

وصحته : عاضد ، وهو الذى يرمى بالسهام فتذهب يميناً ويساراً .

وجاء بالسطر التاسع من الصحيفة المذكورة قوله :

ولا مسبغاً فضفاضة أبتغى بها شبا طاعنٍ من حادثاتك ضاربِ

وصحته : أَتَّقِى بدل أبتغى .

وجاء بالسطر الحادى عشر من الصحيفة ١٦٧ قوله :

تلوّن رأسى صبغتين فميت وذو نبَّةٍ أو لاحقٌ متماوتُ

وصحته : وذو نِيَّةٍ أى الى الموت .

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ١٧٧ قوله :

ولدتهم الأرض التى قد أجمعت فى الأكثرين فأكيست وتنجَّبت

وصحته : قد أحمقت بدل أجمعت ، والمحمقة ضد المنجبة .

وجاء بالسطر الحادى عشر من الصحيفة ١٩١ قوله :

تَتَيَّمَ بالعمر الجذاع وخانهم فما لى أرجو ودّه حين أنزحُ

وصحته :

تتيم بالعمر الجذاعُ وخانهم فما لى أرجو ودّه حين (أقْرَحُ)

والجذَع هو الشاب الصغير ، والقارح هو المكتمل السن ، والمعنى واضح .

وجاء بالسطر السابع عشر من الصحيفة ١٩١ المذكورة قوله :

ترى الحقّ مطروفاً وتعشى لواحظٌ يراقصها هذا السراب الملوّحُ

وصحته : مطروقاً بالقاف بدل الفاء والمعنى واضح

وجاء بالسطر الأخير من الصحيفة ١٩١ المذكورة أيضاً قوله :

وسبعةُ بطنٍ جلّ ما هو محرزٌ ومطرح جنبٍ جهد ما يتفسّحُ

وصحته : وشبعة بطن جُلّ ما هو محرز الخ . والمعنى واضح .

وجاء بالسطر الحادى عشر من الصحيفة ٢٠٢ قوله :

نظرةٌ عادت فعادت حسرة قتل الرامى بها مَن جرحا

وصحته : نظرة عارت فعادت حسرة الخ ، والعائر هو السهم لا يعرف راميه .

وجاء بالسطر الرابع عشر من الصحيفة ٢٠٤ قوله :

وجرى يقتصُّ من آياته أثر المجد طريقاً وضحا

وصحته : وجرى يقتصّ من آبائه ، والمعنى ظاهر .

وجاء بالسطر الثانى من الصحيفة ٢٠٦ قوله :

ململمة لها ظهرٌ مصونٌ وبطنٌ تحت راكبها مُتاحُ

وصحته : مباح ، وهو ضد المصون .

وجاء بالسطر الحادى عشر من الصحيفة ٢٠٧ قوله :

كأن الدهر قامرنى عليها معالجة فخانتنى القِداحُ

وصحته :

كأن الدهر قامرنى عليها (معاجلة) فخانتنى القداح

والسياق يقتضيه .

وجاء بالسطر العاشر من الصحيفة ٢١١ قوله :

اذا السجايا فترت عدن نشاوَى مرْحا

وصحته : مَرْحَى بصيغة الجمع .

وجاء بالسطر السادس عشر من الصحيفة ٢١١ المذكورة قوله :

لم تدّعوا رِبابةً للمجدِ تحوى قدْحا

ولا معنى له ، وصحته :

لم تدَعُوا رِبابةً للمجد تحوى قِدْحا [1]

---

(١) الربابة : خيط أو خرقة تجعل فيها السهام .

والقِدح هو السهم العارى (الذى لا ريش عليه) وكانوا يستعملونه فى الميسر والمعنى يتضح فيما يلى .

وجاء بالسطر الذى يليه بعد البيت المذكور قوله :

إلاَّ لكم فَوْرَتُها مَنحاً بها وسَنْحَا

قال فى الشرح (الفورة : سراة الجبل ومتنه ، وهو هنا مجاز) وهو خطأ وصحته:

إلا لكم فوزتها منحاً بها وسنحا

والفوزة : إصابة القِدح المذكور فى البيت السابق . قال ابن الرومى يمدح بنى نوبخت ويصف علمهم بالنجوم :

أريتم بها المنصورَ فوْزةَ قِدْحِهِ وقد ظنَّها إحدى الدواهى الصيالم

وجاء فى السطر الرابع عشر من الصحيفة ٢٤٧ قوله :

تخدُ فى الصخر ملا طِمَ عليها تخِدُ

والوزن هنا لا يستقيم إنما الصحيح قوله :

تخدُ فى الصخر ملا طِيمَ عليها تخِدُ

والملاطِيم : جمع مِلطام وهو الذى تعود الملاطمة ويريد به خفّ الناقة .

وجاء بالسطر السابع عشر من الصحيفة ٢٥٠ قوله :

عُدِلَتْ جَويَّتُه على ابن مفازةٍ مستقربٍ أَمَمَ الطريق الأبعدِ

قال فى الشرح : (الجويَّة : الأرض غير الموافقة) وصحته :

عُدِلَتْ حَويَّتُه على ابن مفازةٍ مستقرب أمم الطريق الأبعد

والحوية · حشيّة توضع حول سنام البعير ، ويريد بابن المفازة البعير ، أما الجويَّة وهى الأرض غير الموافقة فلا يصح نسبتها الى الانسان .

وجاء بسطر الحادى عشر من الصحيفة ٢٥١ قوله :

وبكاك يومك إذ جرت أخباره ترحاً وسُمِّىَ بالعبوس الأنكدِ

وصحته :

وبكاك يومك اذ جرت أخباره (بُرُحاً) وسُمِّىَ بالعبوس الأنكدِ

يريد بالبُرُح الأخبار وهى جمع بارح ضد السانح . والبارح للشر والسانح للخير .

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ٣٢١ قوله .

يمشين مشىَ مهى الجواءِ تخللت عنهن غيطانَ النقا المتقاودِ

وصحتها . غيطانُ بالضم .

وجاء بالسطر الثانى عشر منها قوله :

ولقد سريتَ بليله وبصبحه لحماً وفى لهب البياض الواقد

وصحتها : سريتُ بالضم .

وجاء بالسطر السادس عشر منها قوله :

أعيا على ركب الصَّبا أن يظفروا بمغالق من غرزها ومعاقد

وصحتها : الصِّبا .

وجاء بالسطر الثالث عشر من الصحيفة ٣٢٢ قوله :

ومضى على غُلَـوَائهِ منسماً لم ترتفق مسعاته بمعاضد

وصحته : ومضى على غلوائه مُتَسَمِّتاً أى مستقيما على السمت .

وجاء فى السطر الذى يليه قوله :

طيـان لم يَقض البوازلَ قبـله جَذعٌ ولم يطل القيام بقاعدِ

وصحته :

طيانَ لم (يُنضِ) البوازلَ قبله جذعٌ ولم يُطلِ القيامَ (لقاعدِ)

لم ينضِ البوازل بالضاد أى لم يهزلها والنضو المهزول .

وجاء بالسطر العاشر من الصحيفة ٣٢٣ قوله :

ضنَّت بجوهرها وما فى حرزها من منفسات ذخائرِ وفوائد

وصحته : من منفسات ذخائر وفرائد .

وجاء بالسطر السابع من الصحيفة ٣٤٦ قوله :

لا تخدعنّـك بالسراب فلم تدع ظناً يرجِّم فيه وجهُ السافر

وصحته : (فلم يدع) لأن الضمير عائد الى الوجه .

وجاء بالسطر الخامس عشر من الصحيفة ٣٩٩ قوله :

بالغوطتين جبالهـــــا وببطن وجرة دارها

وصحته : بالغوطتين خيالهـــــا وببطن وجرة دارها

وجاء بالسطر الثالث عشر من الصحيفة ٤٠١ قوله :

مما أعان عليه « طيبةَ بابلٍ » أنهارُها

وصحته : مما أعان عليه طيبةَ بابلٍ أنهارُها

وجاء بالسطر الرابع من الصحيفة ٤٠٣ قوله :

فَجَّاك آفاقُ المعا لى منهمُ وبحارُها

قال فى شرح هذا البيت (فى الأصل فجال) والحقيقة أنها فى الأصل (فَجَّاك) والصورة الفوتغرافية التى بأول الجزء تثبت ذلك .

وجاء بالسطر الرابع من الصحيفة ٤٠٨ قوله :

جشّمتها الأشواق فى ساعة شقة ما تخبط السحائب شهرا

وصحته : النجائب بدل السحائب ، والنجائب النياق .

وجاء بالسطر الثالث عشر من الصحيفة ٤٠٩ قوله :

إخوتى من بنى الوفاء ورهطى — يوم أغزو — الملوكُ من آل كسرى

وصحته :

إخوتى من بنى الوفاء ورهطى يوم أعزو الملوك من آل كسرى

أعزو الملوك أنتسب اليهم والضمير فى إخوتى راجع الى الممدوحين .

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ٤١٠ قوله :

فاقتنانى تَغنُّماً وافتراطاً واستبانى قولاً لطيفاً وبِرّا

وصحته : فاقتنانى تغنُّماً وافتراصاً الخ . والافتراص : الانتهاز .

* * *

التصحيف الوارد بالجزء الثانى من ديوان مهيار

جاء بالسطر الخامس عشر من الصحيفة ٧٩ قوله :

ولا تكشف عن خفيات ما يخفيه عنك الهائب السائرُ
وصحته : الساتر بالتاء بدل الهمزة .
وجاء بالسطر الأخير من الصحيفة ٧٩ قوله :
وحَمَلَتْ بعدك جهلاتها وفر منها القامعن النافر
وصحته :
وحَلُمَتْ بعدك جهلاتها وَقَرَّ منها القامص النافر
حُلمت من الحلم وهو ضد الجهل ، وقرّ من القرار ضد الاضطراب .
وجاء بالسطر الثالث عشر من الصحيفة ١١٨ قوله :
إذا شُرُف الدين حطت به قدرنا سراها بمقداره
قال فى الشرح : (شرف جمع شارف وهى الناقة المسنة) وذلك خطأ وصحته (شَرَفُ الدين) وهو اسم الممدوح وكنيته أبو سعد .
وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ١١٩ قوله :
وهَبْ عُشُبَ الأرض للرائدين اذا ما وليت بأقطاره
وصحته : وهِبْ بكسر الهاء من الهبة ، وقوله وَلِيتَ أى أُمْطِرْتَ .
وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ١٦٣ قوله :
قل لبيضاء توسعت بها : قد تلثمتك صلاً أرقطا
وصحته : توشعت ، قال فى القاموس: (وشعه الشيب توشيعاً علاه) وتوشع به .
وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ١٦٧ قوله :
لأتركنَّ رحيلى عنكم سمة شنعاء يعلط فيها العارُ من علطا
وصحته : شنعاء من الشناعة ، وعلط يَعْلِطُ أى وَسَمَ يَسِمُ .
وجاء بالسطر العاشر من الصحيفة ١٦٧ المذكورة قوله :
فهى لمثلى مقامٌ عند مثلكم وعند سفن الفلا الارقاص والملَطى
وصحته : فهل لمثلى الخ .
وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ٢٦٠ قوله :
سقى الحسنُ حمراء السلافة خدَّه فأنبع نبتاً أخضراً فى السوائف

قال فى الشرح (السوائف جمع سائفة وهى القطعة من اللحم) وهو خطأ وبعيد عن الغزل جداً ، وصحته : السوالف بدل السوائف جمع سالفة وهى الصدغ أو جانب العنق .

وجاء بالسطر السابع من الصحيفة ٢٦٠ قوله :

عصيت على الايام أن ينترعنه بنهى عدول ٍ أو خداع ٍ ملاطف

وصحته بنهْى ِ عذول ٍ ،من نَـتَـمى يَنْـتَمى .

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ٢٧٧ قوله :

وتغيرت ريح الصبا عن خلقها وليلنها فنسيمهـا إعصاف

وصحته : فنسيمُـها إعصافُ .

وجاء بالسطر الأول من الصحيفة ٢٧٨ قوله :

وطفت نوائبها علىَّ فقرصها جَرْحٌ ومختصراتها إسرافُ

وصحته : ومُقْـتَصداتها اسرافُ

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ٢٩٠ قوله :

سنحت والقلوب مطلقة تر عى وعاشت وكلهـا فى وثاق

وصحته : وعادت وكلها فى وثاق . والراجح عندى أن القصيدة التى منها هذا البيت ليست من شعر مهيار لأنها تختلف عن أسلوبه .

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ٢٩٢ قوله :

سوى اننا نغترّ يا يومَ وبلهـا بعاجلةٍ والآجلاتُ الصواعقُ

وصحته : نغتر من يوم وبلها .

وجاء بالسطر الذى يليه قوله :

تصدت بزور الحسن تقنصنا وما زخارفها إلا ربىً وخنادقُ

وصحته :

تصدت بزُورِ الحسن تقنصنا وما زخارفها الا زبىً وخنادقُ

والزبى جمع زُبية وهى حفرة يجتمع فيها ماء المطر وتكون فى أصلها مأوًى للسباع .

وجاء بالسطر الرابع عشر من الصحيفة ٢٩٢ المتقدمة قوله :

دعوت فمالى لم اجَب إن عائقاً أصحّك عنى أن يلبي لـعَـائقُ

وصحته : أن تلبي .

وجاء بالسطر الرابع من الصحيفة ٢٩٣ قوله :

سروري حبيسٌ فى سبيلك وقفه ولذة عيشى بعد يومك طالقُ

وصحته : وقفةً . وهو تأنيث الوقف الذى هو الحبس .

وجاء بالسطر الذى قبل الأخير من الصحيفة ٣٠٧ قوله :

رمونىَ إذ أضحوا هوانا أخامصاً ذنابى وان أصبحت فى الفضل مفرقا

وصحته : وإذ أصبحت ... الخ .

وجاء بالسطر الذى قبل الاخير من الصحيفة ٣٠٨ قوله :

توم الفتى منهم حليماً فان تقُـل يقل مفحماً لدى الخصوم ومرهقا

وصحته :

يُرِمُّ الفتى منهم حليماً فان يَقُـل يَقُل مفحماً لدّ الخصام ومرهقا

يُرِمُّ أى يسكت .

وجاء بالسطر الأول من الصحيفة ٣٠٩ قوله :

بكل غلامٍ لا ترى السيف يُحتَمى ولا الموتَ فى نصر الحفيظة يُتَّـقَى

وصحته : لا يرى.

وجاء بالسطر الخامس عشر من الصحيفة ٣١٢ قوله :

أنظر وليتك مفلتٌ أشطانَ من يتعلقه

وصحته :

أنظر وقلبـك مفلت أشـطان من يتعلقـهْ

وجاء بالسطر الثانى من الصحيفة ٣١٤ قوله :

ريانـ ان يبس المرا دُ ضحىّ سقانى ريّـقه

وصحته : ريان إن يبس المِزَا دُ ضحىّ سقانى ريّـقهْ

والمزاد السِّـقـاء .

وجاء بالسطر الأول من الصحيفة ٣١٧ قوله :

يأتيك زَوْراً كلّ يوم هديّة تتسوّقه

وصحته : (يأتيك ذَوْداً كلَّ يوم هدْيُهُ تتسوّقُهُ)

والذَّوْد الابل المسوقة والهَدْيُ ما يهدى الى الكعبة . يقول انشعرى يساق اليك كالهدى الذى يساق الى مكة

وجاء بالسطر الثانى من الصحيفة ٣١٧ قوله :

يحبوك خالصتى به وسواك من أعلقه

وصحته : أحبوك خالصتى به وسواك من أعلقهُ

وجاء بالسطر الثانى عشر من الصحيفة ٣٢٣ قوله .

يغنى اللهاة رفعها وخفضها حتى يقال غَلِطا أو سرِقا

هكذا أوردت يغنى بالغين وهى هنا لا معنى لها ، وغلِطا أو سرِقا بكسر اللام فى الأولى والراء فى الثانية وهذا غلط لأن القائل واحد لا اثنين . وصحة البيت :

يضنى اللهاة رفعُها وخفضها حتى يقال غلَطاً أو سَرَقا

يضنى بالضاد بدل يغنى أى يتعب وغلَطاً أو سَرَقاً بالفتح والتنوين فى كليهما .

وجاء بالسطر الثانى من الصحيفة ٣٢٤ ما يلى :

. . . . نعيمها . . . . ظهرها والعنقا

قال فى الشرح (هذا البيت مطموس فى الأصل الفوتوغرافى ولم نتبين منه الا الكلمات التى أثبتناها) اه . وعندى انه يمكن ملء هذا الفراغ هكذا

وغادة رققها نعيمُها حتى أشفّ ظهرَها والعنقا

وذلك لأن البيت الذى يلى الفراغ فى وصف غادة .

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ٣٢٤ المذكورة قوله :

يعتجد الشملة حيطاناً اذا قرَّ ويحتشّ اذاً ما استرزقا

وصحته : يعتجر الشملة خيطاناً الخ . أى أنه يلبس الرداء حيوطاً لقدمه وبلاه .

وجاء بالسطر الثالث عشر من الصحيفة ٣٣٨ قوله :

حَنَت شطاطى وجنت ما جنت من صَدإٍ عمَّ على رونقى

وصحته : حنت شطاطى بالحاء . والشطاط اعتدال القوام

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ٣٣٩ قوله :

وما انتفاعى بحياً واسع تخفرهُ ذاتُ جداً ضَيِّقِ

وصحته : وما انتفاعى بجَبَا واسع الخ . والجبا محفر البئر وشفاها وحرفها .

وجاء بالسطر الثانى من الصحيفة ٣٤٢ قوله :

كساك منها المد فضفاضةً بغير أعطافك لم تَلْبُقِ

وصحته : كساك منها المجد فضفاضة الخ .

وجاء بالسطر الخامس عشر من الصحيفة ٣٤٣ قوله :

ناشدْ غصوناً باللوى موائلاً طوع النسيم تلتوى وتفترق

وصحته : تلتقى وتفترق .

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ٣٤٧ قوله :

يحملن كل خائض بحر الندى حتى يرى الموج عليه ينطبق

وصحته : يحملن كل خائض بحر الردى

وجاء بالسطر الأول من الصحيفة ٣٧٢ قوله :

ألا يا بشير الخير قل ـ غير مُتَّقٍ ـ متى نلت من رؤيا الوزير مناكا ؟

وإيراد البيت بهذا الشكل خطأ لأن «متى» ليست سؤالاً بل هى بمعنى اذا ، وقوله : قل فى البيت جوابها قوله توكلْ فى السطر الثالث ، فيكون رسم هذه الأبيات هكذا :

ألا يا بشير الخير ـ قل غير متق متى نلت من رؤيا الوزير مناكا ،

وأمكنك الحراس من بسط قولةٍ تبوح بها جهراً وتفتح فاكا ، ـ

توكل على من غمها فى سفارها فكم كنت فى أمثالها فكفاكا

أى يا بشير الخير قل له توكل على من غمها فى سفارها .

وجاء بالسطر الثامن من الصحيفة ٣٧٢ المذكورة قوله :

كأنك بالاقبال قد هب ثائراً فناشك فيها ثم ردك ذاكا

وصحته : فناشك منها أى أنقذك منها .

***

التصحيف الوارد بالجزء الثالث من ديوان مهيار

جاء بالسطر الثانى عشر من الصحيفة ١٤ قوله .

وقلت لها : احِسُّ بفرط حبي له فازورَّ جانبــــــه دلالا

وصحته : أَحَسَّ بالفتح بدل الضم .

وجاء بالسطر الأخير من الصحيفة نفسها قوله :

أُحِبُّ المرء ان لم تسق ريًّا يداه تعدُّراً رشحت بـلالا

وصحته : تعذراً بالذال بدل الدال .

مأخذ على الشاعر ـ قال فى السطر الخامس عشر من لصحيفة ١٩ :

فالنفس عند المعجزات بأن ترى أحرى وإن سكنت الى النُّقَّال

وهذا البيت ضعيف التركيب قاصر عن الاداء والتركيب الصحيح هو هكذا :

فالمعجزات تكون أثبت موقعاً بشهودها من منطق النُّقَّال

بشهودها أى بمشاهدتها .

وجاء بالسطر التاسع من الصحيفة ٢١ قوله .

أمن كل حظ — قل قسمى — أقله وكلُّ سبيل — ضل قصدى — أضله

ووضع هذه الفواصل خطأ وصحه رسم البيت هكذا :

أمن كل حظ قلَّ ، قسمى أقلُّه وكلُّ سبيلٍ ضلَّ ، قصدى أضلُّه ؟

يقول أكلُّ حظٍّ قليل يكون قسمى أقلَّ منه وكل طريق مضل يكون قصدى أضله ؟

وجاء بالسطر الحادى عشر من الصحيفة ٢٧ قوله :

ما كنت فيه خائفاً أن الردى من عز جانبه اليه واصل

وصحته : ما كنت فيه خائلاً الخ . أى ظاناً .

وجاء بالسطر الذى قبل الأخير من الصحيفة ٢٨ قوله :

ولمعشر طَرْقُ العلوم ذنوبهم فى الناس وهى لهم اليك وسائلُ

جعل قوله طرق العلوم من طرق يطرق وصحتها طُرُق جمع طريق يؤيد ذلك قوله (وهى لهم اليك وسائل) أى الطرُق .

وجاء بالسطر الحادى عشر من الصحيفة ٣١ قوله:

هيهات زدن سنىَّ فانتقصت قوى ودى مُتن مع الشباب وسائلى

وصحته فانتقضت بالضاد أى انقطعت والقوى الحبال والروابط.

وجاء بالسطر الثالث عشر من هذه الصحيفة قوله:

فطرحت عن أعناقهن بان ذوت منى ذوائب كنَّ قبل خمائلى

وصحته حمائلى بالحاء بدل خمائلى، وذلك أنه لما جعل نفسه سيفاً فى البيت السابق جعل لهذا السيف حمائل والبيت السابق له هو:

كنت الحسامَ جلاىَ شرخ شبيبتى عند الحسانِ وماء غصنى صاقلى

وجاء بالسطر الرابع من الصحيفة ٣٢ قوله:

واذا رجعت الى أواخر ودِّه قابلتها بوسائط وأوائل

وصحته بأواسط.

وجاء بالسطر الثانى من الصحيفة ٣٣ قوله:

حكمُ سوى مسلط اذا جنى لم يعتذر وان قضى لم يعدلِ

ضبط حكم بضم الميم وهى بهذه الصورة لا معنى لها وصحتها حكم بفتح الحاء وتشديد الكاف المكسوره واسكان الميم فهى أمر.

وجاء بالسطر التاسع من الصحيفة ٣٥ قوله:

(فيعدل فى القضية لايجابى)، وصحته لا يحابى.

وجاء بالسطر الرابع عشر من الصحيفة ٣٦ قوله:

كأن المجد لم يحزن لماضٍ مع الباقى ولم يُفجع بحال

وصحته: بخالٍ، والخالى هو الذاهب الماضى.

وجاء بالسطر السادس عشر من الصحيفة ٣٧ قوله:

فان هديةً مُثلى لتكفى مكافأة لأنعمهِ الجزالِ

وصحته: مِثلى كما هو بين، فالشاعر يتكلم عن نفسه.

وجاء بالسطر الذى يليه قوله :

وكاثرنى مجالسته تجدنى التمامَ لما حوته من جمال

وصحته : وكاثِرْ بى مجالسه الخ .

وجاء بالسطر العاشر من الصحيفة ٤٦ قوله :

مالى من صاحبٍ إلا من لم أرعه ثلم مال

صحته : بثلم ليستقيم المعنى والوزن .

وجاء بالسطر الذى قبل الأخير من هذه الصحيفة قوله :

نشاطه للوناء أضحى نشط لسانى من عقال

وصحته : من العقال ليقوم الوزن .

وجاء بالسطر الرابع من الصحيفة ٧١ قوله :

أتمنى والمنى جهد المقلّ وأقضى الدهر فى ليتَ وهلْ

وصحته :

أتمنى والمنى جهدُ المقلّ وأقضى الدهر فى ليت وعَلْ

أى ليت ولعل .

وجاء بالسطر العاشر من الصحيفة نفسها قوله :

يا بنة السعدىّ ما جَوْدٌ لكم ووفاءٌ عاد غدراً وبَخَلْ

وصحته : يا ابنة السعدىِّ ما جُودٌ لكم الخ ، أى ما بال جودكم أصبح بخلا ووفاؤكم غدراً ؟

وجاء بالسطر الثانى من الصحيفة ٧٤ قوله :

ابجي يا أرضُ لى مثلهم إخوةً أو قلديهم للهبلْ

وصحته : أو فلِديهم للهبل ، من الولادة لا من التقليد .

وجاء بالسطر الثالث عشر من الصحيفة ٧٥ قوله :

مَدٌّ حتى نالها فارسهم قلّما يذرع والرمح أشلّ

هكذا وردت قلما بتشديد اللام وفتح الميم مع التسهيل وصحته :

مدَّ حتى نالها فارسهم قلـَماً يذرع والرمح أشلّ

أى أن فارسهم كناية عن كاتبهم يفعل قلمه ما لا يفعل الرمح ، يؤيد ذلك البيت السابق وهو :

يعجز الصارم عن تبليغها ماتقول الكتب فيها والرسل

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ٧٦ قوله :

انَّ مرعًى أنت فيه رائدى لعميم البنت مأنوس المحل

وصحته : النبت بدل البنت .

وجاء بالسطر الرابع من الصحيفة ٨٣ قوله :

معى أين مالت بى من الأرض حاجة أُعَطِّفُهُ حتى كأنى مُفاصله

ضبط مفاصله بضم الميم وهو خطأ فاحش والصواب بالفتح جمع مِفصَل .

وجاء بالسطر الذى قبل الأخير من هذه الصحيفة قوله :

وخلف سجوف الرقم بَيض أكنةٍ تـكـنَّـفُهُ من جنب سلمى طلائله

قال فى الشرح : (الطلائل جمع طلاله وهو ما شخص من آثار الديار) . انتهى كلامه . والصواب ظلائله بالظاء المعجمة وسلمى اسم جبل .

ومعنى البيت أن خلف السجوف حسان كأنهن لصونهن بيض عقبان فى وكون يظلها هذا الجبل المعروف باسم سلمى وهو من جبال طىء .

وجاء بالسطر الأول من الصحيفة ٨٤ قوله :

وأغيدَ أعياه سوار يُغصُّه بخضب يديه أو حقاب يجاوله

وصحته : بخصب ، والحقاب الحزام أى أنه يملأ السوار بمعصمه لخصوبته ووفورته ويدق خصره عن الحزام فيجول فيه وسيأتى ذكر هذا البيت

وجاء بالسطر الذى يليه قوله :

حفظت الذى استودعت مِن صرِّ حبه وهاجرته بغياً وقلبي مواصله

وصحته : بُقيا ، بدل بغياً

وفى السطر التالى له قوله :

فما زال طرفى فى الهوى وسفاهه بحُلم فى حتى علا الحق باطله

ضبط بحلم بضم الحاء والصحيح كسرها ، وهو ضد السفاهة والجهل .

وجاء بالسطر السابع من الصحيفة المتقدمة قوله :

أرى المرء لا يضويه ما ردّ وجهه مصوناً ولا يعييه ما هو باذله

وصحته : لا يغنيه بدل يعييه ، ومعنى البيت أن صون وجه المرء لا يجيعه ولا يهزله كما أن بذله لا يغنيه .

وجاء بالسطر الذى قبل الأخير من الصحيفة ٨٤ قوله :

يصدّق ما قال الرواة فأسرفوا عن الكرماء بعض ما هو فاعله

هكذا وردت يصدّق بفتح الدال المشددة والصحيح بكسرها بمعنى يحقق ويؤكد.

وجاء بالسطر الثالث عشر من الصحيفة ٨٥ قوله :

اذا الدولة استذرت بأيام عزها فما هى إلا رايه ومناصله

قال فى الشرح (راى جمع رايه) وهو كلام مضحك ، والصواب رأيه بالهمز ، والمعنى واضح جداً لا يعزب عن انسان .

وجاء بالسطر الذى يليه قوله :

ولم يك كالمدلى بحرمة غيره ولا من أنالته العلاء وسائله

والصواب : ولم يك كالمدلى بحجة غيره الخ .

وجاء بالسطر الحادى عشر من الصحيفة ٨٩ قوله :

يا عاقداً صبوةَ الحصان الى الا حاجات حرصاً بغارب الجمل

وصحته هكذا :

يا عاقداً صهوة الحصان الى الا حاجات حرصاً بغارب الجمل

وصهوة الحصان مكان ما يركب الراكب ومثله غارب الجمل .

وجاء بالسطر الذى يليه قوله :

يطلب ما أمهل القضاء به من الفتى فى سَفارةِ العجَل

وردت سفارة بالتاء وفتح السين ووردت العجَل بفتح الجيم وذلك خطأ وصحته:

فى سِفاره العَجِـل . الأُولى بكسر السين وبالهاء والثانية بكسر الجيم والسِّفار هو السفر .
وجاء بالسطر الذى قبل الأخير من الصحيفة ٨٩ قوله :

دلَّ على جوده تبســـمُهُ والشرق يشرَى بالعارض الهطل

والصواب : والبرق يشرَى أى يلمع .

وجاء بالسطر الأول من الصحيفة ٩٠ قوله :

فات به أن تداس حلبته سن فتَى ورأى مكتهل

ضبط فتىً بفتحتين ، والصواب : سن فَتِىٍّ ، كهلىٍّ .

وجاء بالسطر الأول من الصحيفة ٩١ قوله :

أنعمتم لى خوض الرجاء وقد كنت أُحَلاًّ منه عن البلل

والصواب : أفعمتم لى حوض الرجاء الخ . واحَـلَّأُ أى أُمنع .

وجاء بالسطر الثانى عشر من الصحيفة ٩٣ قوله :

يتباحثون طـلاب عائرة عَصَدَت على القرطاس من نبلى

قال فى الشرح : (عَصدَت : التوت) اه . ولا معنى لها هنا ، والصواب : عضدت من عضد الرمى اذا ذهب به يميناً ويساراً .

وجاء بالسطر الثالث عشر من الصحيفة ١٠٢ قوله .

بـكم أطال الزمان درعى وأبرم الحظ من سـحيلى

وصحته : ذرعى بالذال المعجمة أى دراعى ، والسحيل الواهى .

وجاء بالسطر الثانى من الصحيفة ١٠٣ قوله :

ما بعد يومك سلوة لمعلَّـلِ منى ولا ظفرت بسمع معذَّلِ

وصحته : ظفرَ بدل ظفرت .

وجاء بالسطر التاسع من الصحيفة ١٠٦ قوله :

أين الفؤاد الندب غير مضعَّفٍ ؟ أين اللسان الصعب غير مفلَّـلِ ؟

وصحته : العضب بدل الصعب ، والعضب هو السيف الماضى استعاره للسان .

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ١٠٧ قوله :

قد كنت من قمص الدجى فى جنة لا تنتحَى ومن الحجا فى معقل

ولا معنى لقوله : قمص الدجى ، إنما الصحيح أن يقول : قمص التقى

وجاء بالسطر السابع من الصحيفة نفسها قوله :

فمن أى خرم أو ثنيـةِ غرة   طلعت عليك يد الردى المتوغل

وصحته : المتوقل بدل المتوغل أى الصاعد .

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ١٠٨ قوله :

يوم أطـل بغلَّةٍ لا يشتفِى   منها الصدى وبغمة لا تنجلى

وصحته هكذا :

يوم أطلَّ بغلةٍ لا يُشتفَى   منها الصدى وبغُمّة لا تنجلى

لا يشتفى أى لا يروى والصدى هو الظمأ .

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ١٢٨ قوله :

أولئك قومك من يعزهم   فـكيف مناقيره الأسفل

والصواب : من يَعُدُّهم ، والأولى هجاء.

وجاء بالسطر الذى قبل الأخير من الصحيفة ١٣٣ قوله :

وإماءُ الحىِّ مما اختضبت   أرضهم بيض الطلى خضر النعالِ

والصواب : واماء الحى مما أخصبت الخ .

وجاء بالسطر العاشر من الصحيفة ١٣٨ قوله :

الناس عندك من يكن أغنى يداً   فيهم وان لم تعطِ كان الافضـلا

وصحته : إن لم يعطِ .

وجاء بالسطر الثانى عشر من الصحيفة ١٣٨ قوله :

إصبع لهم مَلَقاً كما يرضونه   وتَنحَّ عنهم سامرياًّ قُلقُلا

قال فى الشرح : (السامرى القلقل : طالب السمر النشيط الخفيف) اه .

والصحيح أن السامرىَّ رجل أخرجَ لبنى اسرائيل عجـلا ليعبدوه فطرده الله قائلاً له (فاذهب فان لك فى الحياة أن تقول لا مساس) فهام على وجهه ومعه ذريته فما لا مس أحدٌ أحداً منهم الا وحُما معاً . هذا هو الصحيح ، ولو أن الشارح أخطأ لعذرناه ، أما أنه يتنحل فى شرحه فهذا عجيب . والقلقل الـكثير التنقل.

وجاء بالسطر الأول من الصحيفة ١٤٠ قوله :

تمضى أذيّتهـا اذا هى جردت   فى حيث لا تجد السيوف توغلا

وصحته : أذِبَّتها جمع ذباب وهو حد السيف واستعيرت هنا للأقلام .
وجاء بالسطر الرابع من الصحيفة ١٤٠ أيضاً قوله :
(يمضى وريقته المداد وينثى) وصحيته ينثنى .
وجاء بالسطر الثالث من الصحفة ١٤٤ قوله :

تطالُلاً ترى الطريـ ق أيدياً وأرجـلاً

وصحته : تطالُلاً تَرَ الطريـ ق أيدياً وأرجـلا

وجاء بالسطر الخامس عشر من الصحيفة ١٤٣ قوله :

تروخت عشـــاره مِلءَ الضلوع حُفَّلا

وصحته : تروحت عشـــاره مَلْئَى الضلوع حفلا

وجاء بالسطر الثانى عشر من الصحيفة ١٧٣ قوله :

نَقَضَ الرَّوسُ على أعطافه صبغةً لم تتعقبها استحاله

قال فى الشرح : (الروس نبات أصفر يصبغ به) اه . والصحيح ان هذا النبات اسمه الوَرْس بتقديم الواو على الراء وقد قلبها الشارح .

قال فى شرح البيت فى السطر السادس عشر من الصحيفة ١٧٤ ما يلى : (بهذا الشطر عيب من عيوب الشعر وهو مكرر فى هـذه القصيدة فتأمل) اه . وهو فى الغالب يظن البيت مختل الوزن والحقيقة أن وزنه صحيح وهو هذا :

والعيش لونٌ يوماً ولونٌ كلاهما صِبغـــةٌ تحولُ

وجاء فى السطر الذى يليه قوله :

وربما حنَّت الليالى ثم لها مرة غُفولُ

ولا معنى له ، انما الأصح أن يقال :

وربما جُنَّت الليالى ثم لها مرةً عقولُ

وجاء بالسطر السادس من الصحيفة ٢٢٠ قوله :

كم أصلحوا الفاسد من دهرهم وقوَّموا المـائد بالعـادل

وانى أرجح المائل بدل المائد .

وجاء بالسطر الحادى عشر من الصحيفة ٢٢٤ قوله :

وجادلكم فى حقكم متكبِّرٌ بباطله ثم المجال مجال

وصحته : ثم المحال محال .

وجاء بالسطر الثانى من الصحيفة ٢٤٤ قوله :

فلاء قد يسكن السَّحابَ ويَنحط أواناً فيسكن الادَمَا

قال فى الشرح : (كذا فى الأصل والارمام الحجارة فى المفازة ويحتمل أن تكون الأُدَم جمع أديم وهو وجه الأرض) انتهى كلامه . واللفظة الصحيحة هى الأُدَم بالدال المهملة وهو الجلد والمراد به هنا القِرَب جمع قربة وهى ما يوضع فيه الماء . وهذا يشبه قول أبى الطيب المتنبي :

ونترك المـاءَ لا ينفك من سفر ما سار فى الغيم منه سار فى الأَدمِ

اى نحن لا نترك للماء قراراً فما يسير منه فى الغيم يسير معنا فى المِزاد (القرب) عند السفر .

وجاء بالسطر الرابع من الصحيفة ٢٤٩ قوله :

عندَ برَذاياك الطِّلاح بُدَّنَا وراخٍ من حبلها وارْعَ ونم

وصحته : وراخ من حبالها ليستقيم الوزن .

وجاء بالسطر الثانى عشر من الصحيفة ٢٦٩ قوله :

ونوَّرَ الليـل وليسَتْ من ليـالى التمِّ

وصحته : ونور الليـل وليسَ من ليالى التمِّ

وجاء بالسطر الأخير من الصحيفة ٢٧٢ قوله :

وكان من حاولنى حاول جُدْرَ العُصم

قال فى الشرح : (جدر جمع جدار . العصم جمع أعصم وهو الطود) انتهى كلامه . وكلا التفسيرين خطأ وصحة البيت هكذا :

وكان من حاولنى حاول فُدْرَ العُصْمِ

الفُدْرُ بضم الفاء واسكان الدال جمع فَدَر كقلم وهو الوعِل العاقل فى الجبل . والعُصْم جمع أعصم وهو الوعل الذى بيديه أو احداهما بياض .

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ٢٧٤ قوله :

والكلم الهـاف فى نفثـة كل كلـم

وأرجح أن يكون هكذا :

والكلم الدامـل فى نكأة كل كَلْمِ

وجاء بالسطر الثامن من الصحيفة المذكورة قوله :

ونفس كل طائحٍ ونار كل وسم

وصحته : ونفس كل طائح الخ .

وجاء بالسطر الثانى من الصحيفة ٢٧٦ قوله :

ولا تزل بالشل تُرْمى فى العدا والجذم

وصحته : تَرْمِى بفتح التاء وكسر الميم .

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ٢٧٨ قوله :

فقل لمجرِّ العجب فضل عنانه توقَّ عضاض العجب فهو غذومُ

قال فى الشرح (الغذوم الذى يأكل ولا يبقى على شيء وفى الأصل غدوم) انتهى كلامه . وصحة الكلمة عَذوم بالعين المهملة والذال المعجمة على وزن رَؤوم من العَذْم وهو العض ، أى عَضوض .

وجاء بالسطر الثامن من الصحيفة المتقدمة قوله :

تبينُ فما كل النفوس عظائم اذا هنّ لم يدفع بهن عظيم

ضبط تبين بوضع ضمة على النون وصحتها تَبيَّنْ باسكان النون وتشديد الياء قبلها فهى أمر .

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ٢٨٨ قوله :

ويُشرِقُ فى الصفاح اللثم إشفاقاً من التُهَمِ

وصحته : ويُشْرَق الخ . والصفاح هنا المصافحة .

وجاء بالسطر السادس من الصحيفة ٢٩٥ قوله :

حبسنا العيشَ منه على بخيل نؤمل عنده جدوى الكريم

أوردها العيش بالشين وصحتها العِيس بالسين المهملة وهى النياق .

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ٢٩٨ قوله :

يموت الدهر من هرم وتفنى بنوه وهى باقية الرسوم

وصحته : ويَفْــنَى بالياء بدل التاء .

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ٣٦٠ قوله :

ويا رُبى سعدت من بعد ما شقيت دامت عليك فأرضت روضك الديم

وانني أرجح أروت على أرضت .

* * *

تصحيف الجزء الرابع

جاءَ بالسطر الرابع من الصحيفة التاسعة قوله :

ان الذى عن بغضةِ زاورته لونُ الصدودِ بلمتى مأدومُ

وصحته :

ان الذى عن بغضةِ زاورته لونُ الصدود بلمتى المأدومُ

والمأدوم المخلوط، ولو كانت بدون (ال) لوجب أن تكون الميم منصوبة والقصيدة مبنية على الضم .

وجاء بالسطر الأول من الصحيفة ١١ قوله :

نُسِفوا بأيدى الحادثات كأنهم وبَرٌ تطارده الصَّبا مجلومُ

والصواب : تطايره بدلاً من تطارده .

وجاء بالسطر الحادى عشر من الصحيفة المذكورة قوله :

واذا السنون أحلن أخلاق الحيا أقلعن عنهم والكريمُ كريمُ

وصحته : أخلاف بدل أخلاق جمع خلف وهو حلمة ضرع الناقة وهو هنا استعارة ، وأحلن هنا من الحيال وهو انقطاع الحمل .

وجاء بالسطر الأول من الصحيفة الثانية عشرة قوله :

سلوا لهم آراءَهم فتفرجت ومن السيوف خواطرٌ وغريمُ

وصحة البيت : سلوا لها ، والضمير عائد على الخطوب فى البيت قبله .

وجاء بالسطر الثانى من الصحيفة الثالثة والثلاثين قوله :

واسمع فان عَزَبت فلم تسمع لها أختالها فى مادحيك عرفتنى

فهذا البيت مختل الصياغة ولعله هكذا :

واسمع فان عرفت فلم تسمع الى أمثالها من مادحيك عرفتنى

يريد أن المادحين من الشعراء سيقلدون هذه القصيدة بأمثالها كما قال المتنبي :

ودع كل صوت غير صوتي فانني أنا الطائر المحكيُّ والآخر الصدى

وجاء في السطرين العاشر والحادي عشر من الصحيفة ٣٤ قوله :

فقلت دهري عدل القصية أو غير ابن أيوب فيه إنسانُ

فِدًى أخي منه حيث ليس أخو صفوٍ وخلِّي وليس إخوانُ

قال في الشرح : (ورد هذان البيتان هكذا في الأصل رسماً وشكلاً ولم نوفق الى استجلاء معناها ولا الى تصويبهما) اهـ . وصحة البيتين هكذا :

فقلت دهري عدل القضيةِ أو غير ابن أيوب فيه إنسانُ

فَهوَ أخي منه حيث ليس أخو صفوٍ وخِلِّي وليس إخوانُ

ومعنى البيت الأول ان ابن أيوب لا يوجد انسان غيره في الدهر وان وجود غيره فيه بمثابة عدل الدهر المطبوع على الظلم في قضيته ، والبيت الثاني ظاهر المعنى .

وجاء قبله بالسطر الثامن من الصحيفة نفسها قوله :

ذنبيَ في ذمة الصبا وإسا ءتي بحكم الشباب احسان

وصحته :

ذنبي في ذمة الصبا واسا أَتى بحكم الشباب إحسان

وجاء بالسطر الثاني عشر من الصحيفة ٣٥ قوله :

يَنقصُ الدهر كل زائدةٍ وأنت لا يعتريك نقصان

وصحته : يُنَقِّص بضم الياء وفتح النون وتشديد القاف مع الكسر ليستقيم الوزن .

وجاء بالسطر الثاني من الصحيفة ٣٧ قوله :

ولا تحسبنَّ الخُلْفَ يصلح بيننا فرب يمينٍ بالفسوق يمينُ

وصحته الحَلف أي القسم بدل الخلف .

وجاء بالسطر السابع من الصحيفة ٣٨ قوله :

ولما هفت أمس الحلوم بربها وشُوورَ مدخول الحفاظ صنينُ

وصحته : ظنين أي متهم .

وجاء بالسطر الرابع من الصحيفة ٣٩ قوله :

فككت وقد راجمته عنقه وفي حبالهم شكوى لهم وأنينُ

وصحته : شكوى له .

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ٤٢ قوله :

دَرَجَ الملوك بها كما درجت مع النفس السنانُ

قال فى الشرح : (كذا بالأصل ولم نتبين معناه) . وانني أرجح أن البيت هكذا :

دَرَجَ الملوكُ بها كما درجت مع النِّقْسِ البنانُ

النقس : الحبر . والبنان : الأصابع .

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة المذكورة قوله :

طلبوا الأمان فكان يؤ خذ من سيوفهم الأمانُ

وصحته : طلبوا الأمان وكان يؤ خذ من سيوفهم الامانُ

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ٤٩ قوله :

قناعة صانت لوجهى ماءه كم من حريص لم يَجُدْ ولم يَصُنْ

وصحته : لم يَجِد بكسر الجيم لا ضمها ، من الجِدَة وهى الوفر ، والمعنى أننى صنت ماء وجهى فكم من انسان بذل ماء وجهه ولم ينل شيئاً .

وجاء بالسطر الأخير صحيفة ٥٠ :

ليت البخيل القابلى والباخسى حتى كما هو مانعى يا بانى

قال فى الشرح (يريد يأبانى فسهّل الهمزة) اهـ . فانظر فكما ترى لا حاجة بالشاعر الى هذا التسهيل لأن البيت صحيح مع الهمزة .

وجاء بالسطر الخامس عشر من الصحيفة ٥٥ قوله :

إن عضنى ريب الزمان أعانه وتراه يأبى ما أصبت زمانا

وصحته :

إن عضنى ريب الزمان أعانه وتراه نابىَ ما أصبت زمانا

وجاء بالسطرين الخامس عشر والسادس عشر من الصحيفة ٥٨ قوله :

وصبرى وأخى شوبٍ اذا قلت تصافينا

اوَلى هجمة السُّود ذئاباً يتعـــاوينا

وصحة البيتين هكذا :

وصفوى وأخي شوب(١) اذا قلت تصافينا
أُولِّي هجمة (٢) الودِّ ذئاباً يتعـــاوينا

وجاء بالسطر السادس عشر من الصحيفة ٥٩ قوله :

أيا صاحبي بالخيف حييتُ مغضَباً نفرتَ ولكنى نظرت لحَيْنى

وصحته :

أيا صاحبي بالخيف حييت مغضِباً نظرتَ ولكنى نظرت لحينى (٣)

وجاء بالسطر الرابع عشر من الصحيفة ٦٠ قوله :

أدارى (بجمع) طرف عينٍ قضى البكا عليه انتشاراً أن طوى البينُ عينَه

وصحته : اقتساراً بدلاً من انتشاراً .

وجاء بالسطر الثامن من الصحفية ٦٢ قوله :

وأقسمت انى قد ظفرت ببغيتى لك الله من خل صدقتُ يمينَهُ

وصحته :

وأقسمتُ أني قد ظفرتُ ببغيتي لك اللهُ عن خلٍّ صدقتَ يمينَهُ

وجاء بالسطر الذى قبل الأخير من الصحيفة ٦٤ قوله :

لمن ظُعُنٌ سوائر لو صَحوتُ عقلتها لمنِ

وصحته :

لمنْ ظُعُنٌ سوائر لو صُحِبْتُ عقلتها لمنِ

ينظر الى قول امرىء القيس :

تقول وقد مال الغبيط بنا معاً : عقرتَ بعيرى يا امرأ القيس فانزلِ

وجاء بالسطر الثانى من الصحيفة ٦٥ قوله :

بفارغــة الحقاب مشيـ ـن مشىَ الذيلِ والرُّدُن

وهذا البيت ممسوخ مشوه : فالشاعر لم يتكلم فى القصيدة كلها الا عن امرأة واحدة فكيف يقول مشين ، ثم ما هو مشى الذيل والردن ؟ الصحيح ان البيت هكذا :

---

(١) الشعوب ضد الخالص (٢) الهجمة القطعة من الابل (٣) الحين الهلاك

بفارغة الحقاب تميس ملئى الذيل والردن

الحقاب : الحزام ، فهي فارغة الحزام لدقة خصرها وهي ملئى الذيل والردن لامتلاء معصميها وساقيها . وقد طرق الشعراء كلهم هذا المعنى فقال امرؤ القيس :

هصرت بفودى رأسها فتمايلت على هضيم الكشح ريا المخلخل

قال الشماخ بن ضرار الغطفاني :

هضيم الحشا لا يملأ الكف خصرها ويملأ منها كل حجل ودملج

وقال جران العود النميري :

مما يجول وشاحاها اذا انصرفت ولا تجول بساقيها الخلاخيل

وقال ابن الرومي :

يجيع وشاح الدر منه مجاله ويشبع مرط الخز منه ملاوثه

وقال أبو العلاء المعرى :

وبيضاء ريا الصيف والضيف والبرى بسيطة عذر في الوشاح المجوع

وقال سبط بن التعاويذى :

تروى دماجها ويغرث في موشحها الحقاب

وقال مهيار :

تطول على الصواغ حين يمدها خلاخيلة الملئى وتقصر حقبه

وقال أيضاً :

وأغيد أعياه سوار يغصه بخصب يديه أو حقاب يجاوله

وجاء بالسطر الرابع من الصحيفة ٦٥ المذكورة قوله :

تناشدني على يبرين غض الطرف تتبعني

وصحته :

تناشدني على يبرين غضى الطرف تعتبني

تعتبني أي تحقني في العتب . قال الشريف الرضي :

لو كان يعتبني الزما ن لطال بعد اليوم عتبي

وبين هـذا البيت والذى يليـه انقطاع فى السياق فأدخلت بينهما هـذا البيت من نظمى :

تقول أرى عيون النا   س بالشُّبُهاتِ تأخُذنى

والذى يليه قوله :

فصُنْ سرى وسرك ان   يكون بمطرحِ الظِّنَنِ

وجاء بالسطر الذى قبل الأخير من الصحيفة المذكورة قوله :

وأغنى الله غيبته   جزاءً من بدور غَـنِى

قال فى الشرح : (البدور : الأكياس للدراهم واحدها بدرة) اه . وهو خطأ ويريد بالبدور الحسان تشبيهاً بالأقمار ، وغنى اسم قبيلة .

وجاء بالسطر السادس من الصحيفة ٦٧ قوله :

خبرتهـمُ فعفتهُمُ   وكاثرنى فوافقـنى

وصحته : عاشرنى بدل كاثرنى وسبب التصحيف أن الكاف ترسم أحيـاناً على شكل يقرب من شكل العين والثاء تشبه الشين بنقطها .

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ٧٠ قوله يصف أرضاً كثيرة النبات :

جَمَّت فطالت ما ابتغت ومضت   عُرْضاً فخلت نباتهـا تِبْنا

والصواب : خلت نباتها لُبْـنا ، أى بناء لأن كلمة تبن لا تتفق مع ذكر الطول والعرض ويؤيده قوله فى البيت السابق :

تمشى عليها الرجل ثابتةً   مما يلاحم غصنُها الغصنا

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ٧٤ قوله :

حيث لم يُلْحَمْ عذارىّ ولا   رُجمته بعد بشهب الشيب جِنِّى

وصحته : حيث لم يَنْجُمْ عذارىّ الخ . أى لم ينبت .

وجاء بالسطر السابع منها قوله :

انما يستطرف الروعة مَن   نفَّرت منه بقلبٍ مطمئنّ

وصحته :

انما يستعظم الروعة مَن نزلت منه بقلب مطمئنّ

وجاء بالسطر الثانى من الصحيفة ٧٥ قوله :

سام بغضاً بى فلما داسها فرآها جرةً قال أقلنى

وصحته : سام بغضائى الخ .

وجاء بالسطر الأخير من الصحيفة ٧٦ قوله :

صيدتنى بالخلق الرحب وكم قد تقبّضتُ بخلق لم يسعنى

قال فى الشرح : (فى الأصل تقيضت) وصحة البيت هكذا :

صيدتنى بالخُلُق الرحب وكم قد تُقُنِّصْتُ بخُلقٍ لم يسعنى

وجاء بالسطر الأول من الصحيفة ٧٧ قوله :

ما تخيلتك حتى جبتهم باحثاً أقلبهم ظهراً لبطنِ

وصحته : ما تخيرتك حتى جبتهم الخ .

يا صاحبَي شكواى هل ناصرٌ يملك رفدى منكمُ أو معينْ

والصواب : منكما .

وجاء بالسطر العاشر من الصحيفة ٩٤ قوله :

وهم أذالوا الشيب فى مفارق بالصدّ لا عدى له الخمسينا

والراجح عندى : وهم أذاعوا أى نشروا .

وجاء بالسطر العاشر من الصحيفة ٩٩ قوله :

تفدى سواه سوقها بضروعها ودماؤها معه فدَى الألبانِ

والصواب : يفدى سواه سوقها بضروعها الخ . كان العرب فى أيام قحطهم يجرحون الابل فى سوقها ويمتصون الدم السائل منها ، ويقول مهيار إن غير هذا الممدوح يجعل دم سوق ابله فداءً لألبانها عند جفاف الضروع أما هو فانه يعقرها فيقدم لحمها لضيوفه ولو كانت تدر الألبان .

وجاء بالسطر الثانى من الصحيفة ١٠٢ قوله .

فقيّلوا ظلال كلّ روضة وهجّروا بى للجوى والحزَنِ

وصحته : تقيَّلوا أي استذروا في القائلة ، وهجروا بي أي عرضوني للهاجرة ولم يشرحها الشارح.

وجاء بالسطر العاشر من الصحيفة ١٠٧ قوله :

واعلم أن ما طلتُ بالودِّ أنني   على قـَرَبٍ لا بد تدلى له شِنِّي (١)

وصحته : واعلم أن ما طلت بالوِرد انني الخ .

وجاء بالسطر الرابع من الصحيفة ١٠٨ قوله :

وللخصم يستشرى عليَّ سفاهة   وذى الود يستعلى حَؤولاً ويستمنى

قال في الشرح : (كذا بالأصل فتأمله) ومعنى البيت أنني رشحت المرثيَّ للخصم الذى يحمَى غضبه سفاهة ولذى الود الذى يستعلى عليَّ حَؤولاً أي متحولاً عن وده ويستسنى أن يترفع من السناء أي الرفعة .

وجاء بالسطر الذى قبل الأخير من الصحيفة المذكورة قوله :

يرقبت يوماً من لقائك نجتنى   ثمار الاياب الحلو من غصنه اللدْنِ

والصواب : ترقبت .

وجاء بالسطر التاسع من الصحيفة ١٠٩ قوله :

عذيرى من أفواه دجلة بُدِّلَتْ   من الغدِقِ السلسالِ بالراكد الأجْن

وصحته : عذيرى من أمواه دجلة الخ . وقوله بُدِّلت دعاء منه عليها .

ويبدو أن المرثيَّ مات غرقاً في دجلة .

وجاء بالسطر الثامن من الصحيفة ١١٠ قوله :

ولكن نعاني فيك من لا أروعه   بسفك دم يحميك منه ولا جفن

والصواب : ولا حقن بدلا من ولا جفن ، وحقن الدم ضد سفكه .

وجاء بالسطر الذى يليه قوله :

هو الفاجع النسر المحلق بابنه   على الطود والضبَّ المنقب بالمَكْنِ

ضبط المنقب بفتح القاف المشددة والصواب كسرها أي الذى ينقب الأرض والمكن بيض الضب .

(١) القرب هنا البئر القريبة الماء ، والشن : القِربة البالية .

وجاء بالسطر الخامس من الصحيفة ١١٤ قوله :

لملمها المجد وهى منـه تبرق ما بين الراحتين

والصواب : لمعها المجد ، الخ .

وجاء بالسطر الذى يليه قوله :

ناولها خالـها أبوها بيضاءة ملساءة الجـانبين

وصحته : نوّالها خالها أباها الخ . أى ادخالها أمكن اباها حتى جاءبها كما يصف .

وجاء بالسطر الحادى عشر من الصحيفة ١١٨ قوله :

واستخلفونى والجوى بى شـاخصٌ حيران أسأل منـه غـير مبين

قال فى الشرح : (شاخص : ذاهب) وصحة البيت هكذا :

واستخلفونى والجوى بى شاخصـاً حيران أسأل منه غير مبين

أى جعلوه حليفاً للطلل الشاخص .

وجاء بالسطر الحادى عشر من الصحيفة ١٢٢ قوله :

والناسُ مَسْلاةٌ فليتك موسعاً طمعى أمرت الناس أن تسليني

وصحة البيت هكذا :

واليأسُ مسلاة فليتك موسعاً طمعى أمرت اليأس أن يُسليني

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ١٢٤ قوله :

متلثمٌ والشمس تحت لثامـه أو سافرٌ والنجم تحت جبينه

والصواب : والنجم فوق جبينه .

وجاء بالسطر الثالث عشر من الصحيفة ١٥٩ قوله :

كفيتك فى طرق الهوى أن تُعزّنى فهل أنت فى طرق العـلاء مهين

وصحته :

كفيتك فى طُرْقِ الهوى أن تُعيننى فهل أنت فى طُـرْق العـلاء معينُ

وجاء بالسطر التاسع من الصحيفة ١٧٣ قوله :

برماً بجبـات القلوب يخافهـا وتهشُّ نحوَهْ

والصواب :

برماً بجبات القلو ب يعافها وتهشُّ نحوه

وجاء بالسطر الثالث من الصحيفة ١٩٤ قوله :

توحش يوم تطلب سامريًا وتأنس يوم تجلب بابليًا

قال فى الشرح : (كذا فى الأصل الفوتغرافى والنسخة الخطية ولم نفهم معناه)

وصحة البيت هكذا :

تَوَحَّشُ يوم تطلبُ سامريًا وتأنس يوم تَحْلُبُ بابليًا

وقد أسلفنا القول عن السامرىّ وهو الرجل الذى طرده الله فهام على وجهه ، والبابلىُّ يريد به السحر ، والمعنى ان هذه الحبيبة تتوحش عند ما تطلب كما توحش السامرى وتأنس عند خلابتها فتكون ذات سحر ، والسحر ينسب الى بابل لأن بها هاروت وماروت كما ورد فى القرآن .

وجاء بالسطر الثامن من الصحيفة ١٩٥ قوله :

مؤنثة الثرى والماء يعدى بحسنِ طباعها القدَرَ الجريّا

والصواب :

مدمثة الثرى والماء يُعدى بحُسْنِ طباعه القدَرَ الجريّا

هذا آخر ما توصلت الى تصحيحه الآن من ديوان مهيار ، وهناك أبيات لم أستطع استجلاء طامسها وذلك لتكرار المسخ قرناً بعد قرن كما أن هناك قصائد لم أقرأها بعد . وبالله استقوى ؟

حبيب عوض الفيومى





المتنبي

فى بلاط سيف الدولة

لعل أبرز ما فى حياة أبى الطيب ، هى السنوات التسع التى قضاها فى حلب ، فى عاصمة بنى حمدان ، فى بلاط سيف الدولة . وما كانت حياته من قبل ذلك ، ومن بعدها إلا ترداداً لها أو رجع صدى . ففى هذا الحى غرّد المتنبي أفخر قريضه ، وغنى أجود قوله ، وفى هذا البلاط تجلت نبوّته الشعرية ، وفى هذا البلد العامر من سورية فاضت موهبته .

ما يُذكر المتنبي إلا ليذكر معه سيف الدولة وكافور ، وما يذكر العبد إلا ليردد فيه قول المتنبي :

لا تشترِ العبدَ إلا والعصا معه ... ان العبيدَ لأنجاسٌ مناكيدُ

ما كنت أحسبنى أحيا الى زمنٍ ... يسيئنى فيه عبدٌ ، وهو محمودُ

مَن علَّمَ الأسودَ المخصىَّ مكرُمةً ... أقومه البيضُ ، أم آباؤه الصيدُ ؟!

أم أُذنَه فى يدِ النخاس داميةً ؟ ... أم قدرهُ وهو بالفلسين مردودُ ؟!

لكن سيف الدولة يُذكر لأن مديح المتنبي قد ملأ الاسماع والأبصار ، وشعره فيه المتنبي ذاته ! وشتّان ما بين الهجاء والمديح ، وشتان بين قبح الصيت وحسنه حتى فى الذكرى !

ان سيف الدولة مرادف للمتنبي ، كان شاعرنا قد تنبأ فى قوله عن الصلة الدائمة بين اسميهما ، حين فخر بنفسه ، ومدح أمير بنى حمدان قائلاً :

خليليّ ! انى لا أرى غيرَ شاعرٍ فكم منهم الدعوى ومنى القصائدُ ؟
فلا تعجبا ، ان السيوف كثيرةٌ ولكن سيف الدولة اليوم واحدُ !

هذا هو أبو الحسن على بن عبدالله بن حمدان العدوى الذى تولى الملك على حلب ومقاطعتها حتى انطاكية ثلاثة وعشرين عاماً ، وقف فيها ببابه من الشعراء ، ما لم يجتمع بباب أحد غيره من الملوك ، بعد الخلفاء ، كالسرى الرفاء والببغاء والنامى والوأواء الدمشقى وسواهم لكن صيته لديهم خفت معهم ، ولم يثبت حتى الآن إلا لأن أحد شعراء الدهور وقف زمناً لديه ، وها نحن نرى اسمه خلد على المدى وسيرنّ فى الآفاق كلما رنّ اسم المتنبي رغم ما وقع بينهما من جفوة وفرقة ، وصار من وحشة وبعاد .

انها لصدفة عجيبة سعيدة أن يأتى سيف الدولة الى انطاكية ، قصبة البلدان السورية الشمالية ليزور قريبه أبا الشعائر الحمدانى ، فيقدم هذا اليه أبا الطيب ويكشف له عن نبوغه فى الشعر ، ويثنى عليه فيضمه الأمير اليه على شروط يشترطها الشاعر : أنلا ينشد الشعر إلا جالساً ، ولا يقبّل الأرض إن حضر بين يديه ، وفى هذه الشروط تتجلى كبرياء المتنبي بينة ظاهرة ، كيف يأبى الخضوع لما هو عرف متبع بين الشعراء فى حضرة الملوك ، وكيف يعدّ ذاته والملوك سواسية فى القدر والمكانة ، لولا الدهر المشاكس !

أكرم سيف الدولة مثواه بادىء ذى بدء ، وكانت هداياه لشاعره كثيرة ، وعطاياه عظيمة أسالت لعاب باقى الشعراء فى البلاط ، وأثارت حفائظهم وأوقدت نيران الغيظ على هذا الشاعر الذى جاء يخبت صيتهم وينال منهم لدى سيف الدولة ويحظى بالهدايا الفاخرة الوفيرة ، وتغدق عليه النعم العظيمة بينما هو يأبى أن يسير على سنّة الشعراء ، أو يتقيد بعاداتهم ويأتم بأحوالهم ، أو يعدّهم وإياه على قدم سواء .

ثاروا وماجوا فى أنفسهم ، وعوّلوا على أن يدخلوا فى روع سيف الدولة شيئاً بل أشياء عن شاعره الممتاز ، وأخذ جانبهم أبو فراس الحمدانى ، ابن عم الامير ، وكان ما لا بدّ أن يكون فى مثل هذه الحالات ، وانتهى الأمر بأن أصغى سيف الدولة بعض الشىء الى هذه الأقاويل التى تحف بمجلسه عن المتنبي فكان الحال كما قال فولتير أكبر كذوب فى العالم : « أكذبوا !! اكذبوا ، فلا بد أن يعلق فى العقول شىء من كذبكم ! » فكان تارة يجافيه ويعاتبهم عليه ، وتارة يحنّ الى

مديحه ، ويتوق اليه فيصله ويكرمه . وكان المتنبي من جهته أيضاً يتجاهله طوراً فيحضر مجلسه ولا يمدحه ، وطوراً يشيد بمآثره فى استعطاف ممزوج بكبرياء ، وهكذا دواليك من الطرفين . وهذا ماحمل يوماً ما أبا فراس على القول لا بن عمه : « ان هذا المتشدّق كثير الادلال عليك ، وانت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد ، ويمكن أن تفرّق مئتى دينار على عشرين شاعراً ، يأتون بما هو خير من شعره ». وعملت هذه النميمة الذميمة فى نفس سيف الدولة أى عمل فأضمر ما أضمر ، ووصل الخبر للمتنبي فاستعدّ للامر . فكانت هذه الحادثة التى تدل أعظم دلالة عما كان يجرى فى مجلس سيف الدولة من ايقاع بالمتنبي ، يقوم بحبكه أولئك الشعراء الذين أكل الحسد قلوبهم ، وملأت الغيرة قلوبهم وهى تعلّل لنا لماذا انتهت تلك الرابطة القوية بقطيعة مرّة ، رحل فيها المتنبي عن حلب رحيلاً أبدياً ، فانه لما دخل سيف الدولة بعد تلك الوقيعة من أبى فراس ، وأنشده أبياتاً لم يأبه له هذا ولوى برأسه عنه ، وكان مَن حوله يغتابونه أمامه سكت المتنبى وأسرّها فى نفسه ، وانقطع عن المجلس حتى نظم قصدته الميمية الشهيرة ، ثم جاء وألقاها ، وقد بدأ بالتظلم والاستعطاف والادلال :

واحرّ قلباه ممن قلبه شبمُ ! ... ومَن بجسمى وحالى عنده سقمُ !
مالى أكتمُ حبّاً قد برى جسدى ... وتدّعى حبّ سيف الدولة الأممُ
إن كان يجمعنا حُبٌّ لغُرّته ... فليت أنا بقدر الحبّ نقتسمُ
قد زرته ، وسيوف الهند مغمدة ... وقد نظرتُ اليه والسيوفُ دمُ

وهنا كاد بعضهم يوقعون به فى حضرة الأمير ويقتلونه ، لفرط ادلاله وسكوت سيف الدولة ، واستمر هو حتى انتهى الى قوله :

يا أعدل الناس إلا فى معاملتى ... فيك الخصام ، وأنت الخصم والحكم

فقال أبو فراس : قد مسخت قول دعبل :

ولست أرجو انتصافاً منك ما ذرفت ... عينى دموعاً ، وأنت الخصم والحكم

فقال المتنبى :

أعيذها نظرات منك صادقةً ... أن تحسب الشحم فيمن شحمه وَرَمُ

فأدرك أبو فراس انما هو يعنيه بذلك ، فثار أن يكون هُزأة ، وهو قريب

سيف الدولة ، وأن يوكزه المتنبي ، فقال : « من أنت يا دعيّ كندة ، حتى تأخذ أعراض الامير فى مجلسه ؟ » وظل الامر على هذا المنوال ، يقول أبو الطيب بيتاً ، فيقاطعه أبو فراس ، حتى إذا انتهى الى قوله :

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره ... اذا استوت عنده الأنوار والظُّلَمُ ؟

قال أبو فراس : « هذا سرقته من قول معقل العجلى :

اذا لم أميز بين نورٍ وظلمةٍ ... بعينيَّ ، فالعينان زورٌ وباطلُ !

ومثله قول محمد بن احمد بن أبي مرَّة المكى :

اذا المرء لم يدرك بعينيه ما يرى ... فما الفرق بين العمى والبصراء ؟ »

وضجر سيف الدولة ، فقذفه بالدواة ، فاستطرد المتنبي ، وثار فى نفسه لهذه الاهانة وأخذته أنفة الكبرياء ، فعوّل أن يطلق آخر سهم فى كنانته ، فقال :

إن كان سرّكم ما قال حاسدُنا ... فما لجرحٍ إذا أرضاكمُ ألمُ !

فكان هذا البيت البلسم الشافى ، واذا بسيف الدولة يرضى عليه ، ويقرّبه اليه ويقبّل رأسه ، ويصله بألف دينار ، يردفها بألف أخرى ، ويفقأ حصرماً فى أعين الوشاة الحسّاد !

هذا مثال مما كان يحدث فى مجلس سيف الدولة ، ومثال ناطق بما يفعل الحسد ، ولا ريب أن توالى هذه الحوادث وتوالى الجفوة بينه وبين المتنبي عملت فى قلب أمير بنى حمدان كثيراً ، ثم ربما كان هذا قد ملّ من الشاعر أثر تلك الوشايات ، بعد ما قضى لبانته منه ، فأراد أن يذل كبرياءه ، ويخضد من عنفوانه ، لذلك نراه يمالىء الشعراء عليه ، ويطرق عنه ، مع أن ما قاله المتنبي فيه لم يقله شاعر فى أمير ، فقصائده فيه أروع ما نظمه فى سائر حياته ، ومدائحه فيه يتحدث بها الركبان ، ويتناشد بها الناس ، بل ان مراثيه لأقرباء الأمير ، من أمه ، وابنه واخته ، ملأت الاسماع حال قولها . ألم يقل ابن العميد : « إنه يغيظنى أمر هذا المتنبي ، واجتهادى فى أن أخمد ذكره ، فقد ورد علىّ نيف وستون كتاباً فى التعزية ، وما منها إلا ما صدّر بقوله :

طوى الجزيرة حتى جاءنى خبرٌ ... فزعت فيه بآمالى الى الكذب

حتى اذا لم يدعْ لى صِدقهُ أملاً ... شرقتُ بالدمعِ حتى كاد يشرق بى

فكيف السبيل الى اخماد ذكره ؟ » .

وما هذان البيتان إلا من قصيدة رثى بها المتنبي أخت سيف الدولة ، قبل قول ابن العميد هذا بسنة من الزمن ، فطافت فى هذه المدّة أنحاء الجزيرة والعراق وفارس ، وانتهت الى أرّجان ، وحيث يقيم هذا الوزير ! ولو عاد سيف الدولة الى الحياة ، ورأى ما تركه له المتنبي من ذكرى ، لكان يندم على ما فعله أى ندم ، يحمله الى الاسراع الى الأكفان من جديد ليدارى عيبه ، ولا يفصح عن عظم خجله ومعرّته !

وكان سكوت سيف الدولة عن انصافه بعد الذى حدث فى مجلسه بين أبى الطيب وابن خالويه النحوى ، من المهاترة والشجار ، فوثوب النحوى على الشاعر ، ولطمه بمفتاح فى يده شجّ رأسه ، ما أدى بهذا أن ينفر نفوراً كليّاً من رجل أشاد هو به كل الاشادة فى أشعاره ، وترنم بها الناس فى مجالسهم فخذله ، فتركه وذهب الى دمشق ، ومنها قصد الى مصر ، وأننا نراه فى مصر ، كيف يعرّض بسيف الدولة وكيف يذكره بما كان منه من عدم الدفاع عنه أو الانتصار له ، وذلك فى القصيدة التى قالها عن اشاعة موته ، ونعيه فى مجلس سيف الدولة :

رأيتكم لا يصون العرض جارُكمُ ولا يدرّ على مرعاكمُ اللبنُ
جزاءُ كل قريبٍ منكم ، مللٌ ! وحظُّ كل محبّ منكم ضَغنُ !
وتغضبون على مَنْ نال رفدكم حتى يعاقبه التنغيصُ والمننُ !

وكانت هذه الأقوال القاسية خليقة بسيف الدولة بعد الفعل الشنيع الذى فعله ، ولكن المتنبي وإن قال ما قاله هنا وغير هنا عن ألم وحسرة وغيظ وتشفٍّ فقد كان دائماً يذكر سيف الدولة ، وبلاط سيف الدولة ، وليالى حلب ، وعيشه الرغد فيها ، ولولا فراقه لها لما صرمت حباله بهذه الكيفية المفجعة ، فيقتل وهو فى طريقه الى بغداد عائداً من لدن عضد الدولة فى شيراز ، ولكن :

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت فى مُرادِها الأجسامُ !

بركات — السودان : ميشيل سليم كمير

نوادر أبي الطيب

للمتنبي أخبار متشتتة فى تضاعيف الأسفار أشير الى بعضها فى هذه المقالة :

رحل المتنبي الى العراق بعد خدمته لسيف الدولة بن حمدان فى حلب فأقام فى البرية وسئل عن ذلك فقال : «ان بنى حمدان كدروا خاطرى فجئت أريحه».

وقيل له يوماً: «على مَن تنبأت ؟» قال: «على السفلة» ، قيل : «ان لكل نبي معجزة فما معجزتك ؟» قال قولي :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوّاً له ما من صداقته بُدُّ

وجرت مناقشة بينه وبين أبي عليّ الحاتمى فقال المتنبي من كلام طويل للحاتمى : «لقد أكثرتَ من ذكر أبي تمام لا قدس الله روحه» فقال الحاتمى : «لا قدس الله روح الآخذ منه والطاعن عليه».

وسأل أحدهم المتنبي عن قوله : «باد هواك صبرت أم لم تصبرا» كيف أثبت الألف فى (تصبرا) مع وجود الجازم فقال المتنبي: «لو كان أبو الفتح بن جنى ههنا لأجابك» وكان يثق به كثيراً حتى اذا سئل عن معنى من أشعاره يقول : «اذهبوا الى ابن جنى فانه يقول لكم ما أردته وما لم أرده».

وكان المتنبي موصوفاً بالبخل حتى انه لما أجيز على قصيدة بعشرة آلاف درهم وزنها ووضعها فى كيس وختمه ورفعه الى صندوق فى خزانة ثم رجع الى مجلسه فوجد بين الحصير قطعة تكون مقدار ربع درهم فعالجها باظافره وهو ينشد قول ابن الحطيم:

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجب منها وضنت بحاجب

الى أن أخذها فأعاد الكيس ووضعها فيه بحضرة جماعة يعرف انهم يذمّونه .

وكان أبو العباس النامى يقول : «كان قد بقى من الشعر زاوية دخلها المتنبي وكنت أشتهى ان أكون قد سبقته الى معنيين قالهما ماسبق اليهما» (أحدهما) قوله:

رمانى الدهر بالأرزاء حتى فؤادى فى غشاء من نبال

فصرتُ اذا أصابتنى سهام تكسّرت النصال على النصال

والآخر قوله :

في جحفل ستر العيون غباره فكأنما يبصرن بالآذان

وقصد السرى الرفاء سيف الدولة ممدوح المتنبي فأنشده بديهاً :

اني رأيتك جالساً في مجلس قعد الملوك به لديك وقاموا
فكأنك الدهر المحيط لديهم وكأنهم من حولك الأيام

وبعد ثلاثة أيام جاء المتنبي مجلس سيف الدولة وأنشده قصيدته التي قال في مطلعها :

أيدرى الربع أى دم أراقا وأى قلوب هذا الركب شاقا ؟

حتى بلغ الى قوله :

وخصر تثبت الأبصار فيه كأن عليه من حدق نطاقا

فقال السرى : «هذا والله معنى ما قدر عليه المتقدمون» ثم حم حسداً وتحامل الى منزله ومات بعد ثلاثة أيام .

وكان لابن جنى هوى في أبي الطيب وكان كثير الاعجاب بشعره وكان يسوءه اطناب أبي على الفارسي في الطعن عليه . واتفق أن قال أبو على يوماً : «اذكروا لنا بيتاً من الشعر نبحث فيه» فابتدر ابن جنى وأنشد :

حلت دون المزار فاليوم لو زر ت لحال النحول دون العناق

فاستحسنه أبو على واستعاده — وقال : «لمن هذا البيت فانه غريب المعنى ؟» فقال ابن جنى هو الذى يقول :

أزورهم وسواد الليل يشفع بى وانثنى وبياض الصبح يغرى بى

فقال : «والله ! وهذا أحسن ، فلمن هو ؟» قال : «للذى قال :

أمضى ارادته فسوف له قد واستقرب الأقصى فثم له هنا !

فكثر اعجاب أبي على واستغرب معناه وقال لمن هذا ؟ فقال للذى قال :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندى

فقال : «وهذا والله أحسن ، ولقد أطلت يا أبا الفتح فمن هذا القائل ؟» قال :

«هو الذى لا يزال الشيخ يستثقله ويستقبح زيه وفعله وما علينا من القشور إذا استقام اللباب » .

— قال أبو علىّ: «أظنك تعنى المتنبي ؟» قال نعم : «فقال والله لقد حبّبته الىّ» .
ونهض ودخل على عضد الدولة فأطال فى الثناء على أبى الطيب ، ولما اجتاز به استنزله اليه واستنشده وكتب عنه أبياتاً من شعره .

ومن محاسن منظومه القصيدة التى نظمها لما نعى فى مجلس سيف الدولة بحلب وقد قال منها :

يا مَن نُعيتُ على بُعدٍ بمجلسه | كل بما زعم الناعون مرتهنُ
كم قد قتلت وكم قد مت عندكم | ثم انتفضت فزال القبر والكفنُ
قد كان شاهد دفنى قبل قولهم | جماعة ثم ماتوا قبل من دفنوا
ما كل ما يتمنى المرء يدركه | تجرى الرياح بما لا تشتهى السفنُ

وقال فى وصف القلم من قصيدة :

يتكسب القصب الضعيف بكفه | شرفاً على صمّ الرماح ومفخرا
ويبين فى ما مسّ منه بنانه | تيه المدل فلو مشى لتبخترا

وقوله فى وصف عوّاد من قصيدة :

أديب اذا ما جسّ أوتارَ مزهرٍ | بلا كل سمع عن سواها بعائقِ
يحدث عما بين عاد وبينه | وصدغاه فى خدى غلامٍ مراهقِ
وما الحسن فى وجه الفتى شرفاً له | اذا لم يكن فى فعله والخلائقِ

ومن أقواله فى سيف الدولة من قصيدة :

أرى كل ذى ملك اليك مصيره | كأنك بحرٌ والملوك جداولُ
اذا مطرت منهم ومنك سحائب | فوابلهم طلٌّ وطلك وابلُ
كريم متى استوهبت ما أنت راكب | وقد لقحت حربٌ فانك نازلُ
أذا الجود أعط الناس ما أنت مالك | ولا تعطين الناس ما أنا قائلُ

وقوله من غيرها :

فدتك ملوك لم تسم مواضيا | فانك ماضى الشفرتين صقيلُ

اذا كان بعض الناس سيفاً لدولة ففى الناس بوقات لها وطبولُ

ومن حِكمه قوله :

سوى وجع الحساد داوِ فانه اذا حلَّ فى قلبٍ فليس يحولُ

ولا تطمعن من حاسد فى مودة وان كنت تبديها له وتنيلُ

ومن قوله فى الفخر :

وعندى لك الشُّرَّدُ السائراتُ لا يختصصن من الأرض دارا

قوافٍ اذا سِرن عن مقولى وثبن الجبال وخضن البحارا

ولى فيك ما لم يقل قائل وما لم يسر قمر حيث سارا

ومن حربياته قوله :

ولربما أطر القناة بفارس وثنى فقوّمها بآخر منهم

ومن تشابيهه قوله فى بستان المنية بمصر لما أوقع السيل جدرانه :

شق النبات عن البستان ريّقه محيِّياً جاره الميدان بالشجرِ

كأنما مطرت فيه صوالجة تطرح السدر فيه موضع الأكرِ

ومن قوله فى مرثية أخت سيف الدولة وكانت قد ماتت له شقيقة قبلها وهى الصغرى فعاد الموت وأخذ الكبرى :

فليت طالعة الشمسين غائبة وليت غائبة الشمسين لم تغبِ

وليت عين التى آب النهار بها فداء عين التى زالت ولم تؤبِ

قد كان قاسمك الشخصين دهرهما وعاش درهما المفدى بالذهبِ

وعاد فى طلب المتروك تاركه إنا لنغفل والأيام فى الطلبِ

ومن الحماسة قوله :

تبكى على الانصل المغمود اذا انذرها انه يجردها

لعلمها انها تصير دماً وانه فى الرقاب يغمدها

أطلقها فالعدو من جزع يذمها والصديق يحمدها

وأمثال هذه الروائع لاتحصى فنجتزىء بهذه الآن ؟

عيسى اسكندر المعلوف



الليل فى فينيسيا

يا ليلُ ! ما أعجبَ هـذى البلاد لا ليـلَ فيها ، كلُّ ليلٍ صباحْ
وكلُّ نبتٍ فى رُباها ضمادْ و(مِصْرُ) لاتُنبتُ إلاّ الجراحْ !

ابراهيم ناجى



الى قرنفلة

﴿ مهداة الىّ من شاعر العربية خليل مطران ﴾

أهديتَ للروح التى ذبلتْ روحاً يرفُّ بها الصبي الغضُ
يا حسنَـها ، زهراءَ ناعسةً أوراقها فيها الشذى المحضُ



قبلتُها وغدوتُ أنشقهـا والقلبُ من أطيابها ثملُ
وحملتها ، نشوان أرشقها فى عروتى حمراءَ تشتعلُ !



الغَـيْرَةُ الحمقـاء ، والألم والحبُّ مجنوناً من . الصدّ
ونواضرُ الآمال قد سكنت لقّـاتِها ، ولواعجُ الوجدِ



يا زهرتى ! للموت قد هدأت نفسى ، وأنتِ رهينةُ الموتِ

أحلامنا فى العيش ضائعة ونعيمنا بعد الردى يأتى

***

هذا الشذى يبقى وقد ذبلت أوراقك الشفقية النورِ
يسرى على النسمات منطلقاً فى الليل يهدى الحبّ للحورِ

***

وأنا الى التّربِ الذى نسجت أعصابنا منه أعود غدا
أفنى وأمشى فى الثرى بدداً إلا قريضاً خالداً أبدا !

مختار الوكيل

جمال الطفولة

أحببتهم وأزيدهم حُبّا صقل الفؤادَ وجدّد القلبا
ما كان أجمل أن أضاحكهم ضحكاً يزيد قلوبنا قربا
كالزّهر نُظّم فى حدائقهِ كالطير تشرب صوته عذبا
فى نضرةٍ من طهرهم لمحتْ كالماء نضّر لونه السُّحْبا
تجلو وجوههمُ ضمائرَهم مثل الأشعة تكشف الحجبا
عفّتْ نفوسُهُمُ كألسنهمْ لا يعرفون الاثمَ والعيبا
ما إن تثير إذا زجرتَهُمُ حقداً ولا تخشى لهم عُقبى
قد كنتُ أشربُ من عيونهمُ صفوَ الحنان ألذّه شربا
ويشيعُ فى نفسى ابتسامهم رُوحاً يجدّد روحىَ الخصبا

عبد الباقى ابراهيم

المصوّر الفنّان

(من قصيدة مهداة إلى الفنّان المصرى شعبان زكى)

قالوا لنا إنّ النوابغ بيننا عزّوا وليس بقطرنا فنّانُ
فأجبتهم : كلاَّ ! فنى مصر فتًى عشقَ الطبيعةَ ، والهوى كتمانُ
يختصُّها بحنانهِ وجَنــانهِ فترَى له منها هوًى وحنانُ
إنْ صوّرَتْ يدُهُ فنى تصويرهِ كلُّ الطبيعةِ ما بها نقصانُ
أو خطّ فى لوحٍ أحالَ بياضَهُ شكلاً هو الابداعُ والاحسانُ
أو جئتَ منزلهُ يروعُكَ متحفٌ للفنّ تنهلُ وحيَهُ الأذهانُ
الذوقُ صورةُ نفسهِ ، والحسنُ صو رةُ حِسّهِ ، وكذلك الألوانُ
ويجول فى سعةٍ له قد أحدقتْ بالكون بل خُلقَتْ له أكوانُ
ونحسّ مِن تصويره بحرارةٍ أنَّى يدور مع الفصول زمانُ

قسطنرى داود





الشعر المقدس

(أحبّ الشاعر فابتلى بالوشاية بينه وبين حبيبته ، فساورته نفسهُ بالميل عن الحبّ ، ولكن شعلة الحبّ المقدس اجتذبته فى النهاية)

الشاعر (فى مناجاته) :

يا بَهىّ السنا وعذبَ المحيّا ... مَن بحق الهوى سَعَى بىَ عندكْ؟
أنتَ روحى وكعبتى ورجائى ... كيف أحيا؟ وكيف أسعدُ بعدَكْ؟
كنتَ أوفى العباد براً فقل لى : ... أىُّ شىء تُراه غيَّرَ عهدَكْ
ما تحوَّلتُ عن ودادكَ يوماً ... فلماذا حرَمتَ قلبىَ وُدّكْ؟
لستُ أقوى على جفاكَ فجدْ لى ... بهلا كى ولا تُبح لىَ صدّكْ!

(بعد سكوت ولهفة) :

سائلوه مَنْ وشى بى عنده ... فتغاضى فتناسى فجفا
أشجاهم أننى همتُ به ... ورأوه فى ودادى منصفا؟
فثنوه عن محبّ واله ... طالما حنّ اليه وهفا

***

أيها الهاجرُ حَسبى محنة ... أن أرى وُدّكَ ولّى وعفا
يا حبيبى ذابت الروحُ أسًى ... وفؤادى ما تسلى أو غفا
أنا لولا نفحة مِن خَلدى ... دَرأتْ عنى الردى والتلفا

ما رأيتم غيرَ غصنٍ ذابلٍ وخيالٍ شاحب قد وجفا
فارحموا صبّاً نحيلا شفّهُ هَجرُ من يهوى فأمسى مدنفا
لا تظنوا أننى أبغضته بعد ما صدّ ووالى السّرفا ؟
أنا لا أخفرُ عهدى معه ويح مَنْ يجحدُ وداً سلفا

(ثم يخيل اليه أن حبيبته سلته ونسيت وداده فيقول) :

فقدتُ الأمانى مِن هواكِ وليتنى فقدتُ حياتى حين ضاعت أمانيا
ففقدُ حياة المرء فى ظلّ إلفهِ أحبُّ وأحلى من سُلاف اللّماريّا
وهبتك قلباً طيعاً لكِ مخلصاً يحقق ما تبغى ويجفو المعاديا
فبعتِ ببخسٍ حبّه ووداده وأسلمته للموت ولهانَ صاديا !

(وحينئذ يحنق على الجمال والحب ويتبرم بهما قائلاً) :

إلامَ خضوعى لبطش الجما لِ وصدّ الحبيبِ وذلّ السهرْ ؟
سأنسى الهوى وأروض الفؤادَ على تركِ من فاتنى بل هجرْ

(ثم يتهيأ للنوم وهو يتأسّى بهذين البيتين) :

لا تلومى إذا هجرتك ، إنى قد رأيت الهوى ظلوماً مذلا
بعت روحى اليكِ لم ارج شيئاً غير بعض الوفاء فازددت ذلاً

(ينام فيرى فى نومه كتاباً أرسلته اليه حبيبته بينما يأتى طيفها فيحلق فى سماء الحجرة مترنماً بهذه الأبيات) :

يا نائماً ما نسينا وداده وهواهْ
كم صغت فينا قريضاً تعنو اليه الجباهْ
يا فانياً فى هوانا مَن للخفاء هداكْ ؟
ترى هويت سوانا ؟ فغاب عنّا سناكْ ؟

(يصحو الشاعر ويردّد هذين البيتين) :

ما لى صحوتُ شجيّةً كبدى جمٌّ الحنينِ مضاعفَ الكمدِ ؟
من ذا أثار جوايَ ؟ واحرَقى ! وأنا الذى هصرَ الجوى جسدى ؟

(ينصت للطيف ثم يقول) :

ماذا ؟ أأسمعُ صوتاً كاد من وَلَهٍ تَدْمَى مقاطعه الريَّا من الألمِ ؟
أجل ! فذلك طيفٌ هاتفٌ غَرِدٌ لا أستبين صدًى ما حاكَ من نغمِ

(يقرب منه الطيف منشداً)

يا أطهر الناسِ قلباً وأصدقَ الناس وُدّا
وأشرفَ الناس حُبّاً وأوثقَ الناس عهدا

* * *

هتفت بحبّنا حينا وكنتَ كبضعةٍ منّا
ولذتَ مدًى بوادينا فما لك تنثنى عنّا ؟

(يردّد الشاعر البيتين الأخيرين ثم يقول) :

أطيفٌ بعدَ أيامٍ ثلاثٍ جاءنا زائرْ ؟
وقبلاً قد تمنّاه فؤادى الذابلُ الحائرْ
نسينا الحبَّ والأحبا بَ مُذْ صَدّوا وما خُنّا
كفى يا طيفُ أحزاناً وسُهداً قرّح الجفنا !

(يتهيأ للنوم وهو يتابع حديثه) :

بربّكَ خلّنى أغفو لأنسَى بعضَ آلامى
عييتُ بروحىَ الحيرى وقلبى الخافق الدامى

(يحاول الطيفُ إيقاظَه قائلاً) :

أفقْ يا صاحِ لا تَغفُ فقد هيجتَ أشجانى
أجبنى ! هل تُرى تصفو ويصفح قلبك الحانى
أفقْ يا شاعرَ الحُبّ ! وغنِّى بعضَ أسمارِكْ
وأترعْ مُهجتى الظمأى بخمرى لحنُ مزمارِكْ

(الشاعر للطيف بعد أن ينتبّه) :

بربكَ عُدْ لأهليكا وبلِّغهم تحيّاتى

وقُـلْ ذابَ الوفىُّ وما تَبقّتْ غيرُ أنّاتِ!
سيلفظها لينجوَ مِنْ شُرور العالم العاتى
ويمرحَ فى رياضِ الخلد مجهولَ النهايات
يرتل فيه ألحان التبتّل والعباداتِ
ويرشف فى خمائله أريجاً من سنا الذات (١)
ويشدوَ للملائك خيرَ أنغامٍ وآيات
ويرويَ بالنشيدِ العذبِ سكانَ السماوات
سئمتُ العيشَ من دنيـا الهموم وساحـةِ الإثمِ
وعِفْتُ النـاسَ إلا أنفسـاً عَـفّتْ عن الظلمِ
فـكم أوذيتُ من صحبى وكم حُوربتُ من قومى
أناسٌ قلمـا يدرو ن ما شجوى وما همّى
شقيتُ بهم فليتيَ ما وُلِدت ولا رأوا رسمى
ولا باتوا يرون الخَيْـرَ فى لَـوْمى وفى ذمّى!

***

ولـكن كيف أخشاهم وما قارفت من جُرمِ
سموتُ على مَداركهمْ وسدتُ على السُّها باسمى
فحاروا ... كيف لا أُعنى بما أهريق من كلمى!
وكيف أقابل الأحـدا ث فى صبر وفى عزمِ
فجـدُّوا فى مُناوأتى فلم أعبـأ ولم أصْمِ
ولم أحفـلْ بجمعهم ولا بادلتهم سهمى

(الطيف للشاعر فى ذهول):

كأنك يا رسولَ الشعر عِفتَ الحُبَّ والحُسْنـا

---

(١) الذات العلية

ولن تَرِدَ الجمالَ ولن ... نُرتِّل فى الهوى لحنا

وكنتَ الشاعرَ الفذَّ ... السبوقَ الساحرَ المغنى

فويح الحب ! مَن للحب يحييه ... ومَن يُغنى ؟

ومَنْ للحسن إن تجفو ... ه فاصدحْ واطرب الكونا

(طيف الجمال للشاعر) :

سلاماً شاعرَ الحبِّ ... مِن المضنى لا لامكْ

خَلَدْتَ بشعرك السامى ... وذقتَ السحر من جامكْ

أراكَ مبدِّدَ الأحلا ... مِ مشدوهَ النهى ثائرْ

فمن أوْرَى الأسى فى قلبك المعمودِ يا ساحرْ ؟

(يظل الشاعر صامتاً فيهتاج طيفُ الجمال قائلاً) :

عجيبٌ ! ما تُكلِّمُنا ... وكنت الهاتف الصادى

تطوفُ بنا وتعبُدنا ... وأنتَ الخافقُ الشادى

جحدتَ ولاءنا ومُنًى ... سُقيتَ رحيقها زمنا ؟

أم اشتقتَ الجمودَ على ... حياة هاجتْ الاحَنَا

(الشاعر لطيف الجمال) :

كيف أنساك والمشاعرُ ظمأى ... لحُلاك الندَيَّةِ القدسيَّهْ

كيف أسلوك والضلوعُ صوادٍ ... لأريج المفاتن العبقريَّهْ

أنتَ سرُّ الحياة أنت شذاها ... خالق الشعر فى الفؤاد الخلىّ

أنتَ نورٌ مقدَّسٌ عبقريٌّ ... يغمر الكونَ بالضياء السنىّ

أنت رمزُ السُّمُوِّ والقَبَسُ الخا ... لدُ والشعلةُ التى لا تغيبُ

خصَّك الله بالخلودِ وقد صا ... نك فينا ذاك الجلالُ المهيبُ

لست يا حُسنُ ناكراً لجميلٍ ... شيمةُ الحرِّ أن يكون وفيا

نحن مِن طينةِ الوفاء خلقنا ... وعلى الودِّ والمكارم نحيا

ما هوينا سواك يا حسنُ لكنْ ... ساءنا من ذويك أن يتجنوا

آلمونا بصدّهم فهجرنا غير ناسين ما أنالوا وأسدوْا

(طيف البغض للشاعر) :

أتهوى مَنْ وفيت لهم فضنّوا وظنوا ما أتيت به رياء
وما كنت المنافق فى هواهم ولا كنت المسيء لمن أساء
أتنشدُ مَنْ سلوْك بغير جرمٍ وباعوا حبّك السامى النبيلا
ودانوْا للوشاة وما تروّوْا وكنتَ المانح الوُدّ الجميلا ؟
كفاك من العباد أذى كفاكا وحسبُك ما لقيت من الجحودِ
عليك بعقر دارك فهو أجدى ولذْ بكتابك السَّمْح الودودِ
ولا تأسفْ على مَن ليس يفدى فؤادك بالأمانىّ العِذابِ
ولا تحزنْ على من قد تناسَى ودادك واستكان الى الذئابِ

(الشاعر لطيف البغض) :

رويدك ما عدلتَ ولا أصبنا أترمى بالجحود شعاع روحى
لعمرى قد كذبت على جمالٍ أعزّ لدىّ من قلبى الذبيح !
تنحّ فلا رأيتَ العمر خيراً أتوغر من عزاء النفس صدرى
اذا أنا بعت ودّهم فمنْ لى بمنْ يهب الوفا ويصون سرّى

(ثم يطرق ويقول فى صوت محزون) :

كل قلبٍ يعيش بالحبّ يشقى والخَلِيُّ السعيدُ فى أحلامهْ
ما عهدنا معلّقَ القلب يصحو مِنْ لظى وجدهِ ومن آلامه

(طيف الحبّ للشاعر)

حطّم اليأس وانسَ شجوكَ يا من خلد الكونُ حُبَّهُ فى كتابهْ
حَسْبُك اليومَ أن تخلدك الشعرُ وأنْ تصبحَ الفريدَ النابهْ
فبم اذا اليأسُ والحياةُ جهادٌ كيف تسمو اذا عدمتَ الشقاء
كنْ شقياً لتنعم الرُّوحُ بالطهر وغرِّد اذا فقدتَ الهناء
ليس من يطلب الحياة ليحيا فى ظلال السرور والنعماء
مثل من يطرق الحياة ليحيي أنفساً غالها نذيرُ الفناء

(الشاعر لطيف الحب) :

أنا وَحْيٌ من الخلود تجلّى ... في سماء الدُّنى وطيفٌ عابرْ
أرسل الشعرَ من دمائي لحنـاً ... يسكر الروحَ والنهى والضمائرْ
لستُ ممن يقيم للضرِّ وزناً ... أو يهاب اللئيمَ والمتنامرْ
ذقتُ حلوَ الحياة والمرَّ منها ... كيف أخشى مِنَ الجدود العواثر؟

(يسترسل الشاعر في جوابه لطيف الحب متبرماً منه) :

إليك يا حُبُّ عنى حسبُ ما بليتُ ... نفسى به من شجونٍ دونها الحرَبُ
لجأتُ للحبِّ كيما أستظلُّ به ... فأبتُ بالخسرِ واحتاطتْ بيَ النوَبُ
وقلتُ بالحبِّ يُشفى القلبُ من عِللٍ ... لاذَتْ به ويزول الهمُّ والوصبُ
فما ظفرتُ بغير الحزن يجرعهُ ... قلبى الشقيُّ الذى أودَى به العطبُ

(يثور الشاعرُ فيخاطب جوانحه بالأبيات الآتية) :

ذاب قلبي فقطعي أوتاركْ ... يا ضلوعى وهشمى مزماركْ
واندبي الحبَّ في الغروب وفى الفجرِ وشُقّى عليه حزناً ازاركْ
وانشدى السلوة العزيزة فى الروض ففى الروض منتهى أوطاركْ
بين عُشبٍ مرنحٍ ونميرٍ ... كاللجين المذاب يروى أواركْ
وطيورٍ هواتفٍ تتناغى ... بحديث الهوى فتسبى المداركْ
وجمالِ الطبيعةِ الفردِ الضا ... حك يجلو الشجونَ من أسفاركْ
فهلمي إلى الرياض لتنسى ... سالفَ الشجو وانشدى أسماركْ

(يشتدُّ به الاغراق فى الحزن فيودّع الحب) :

وداعاً أيها الحبُّ ... وداعاً قد ذوى القلبُ
وداعاً قد وهى جسدى ... وشابَ الرُّوحُ واللبُّ
كفانى دهرىَ القا ... سى وآمالاً بدت تخبو !

(يرِدّد البيت الآتى فى حسرة ولوعة) :

خداعٌ هذه الدنيا ... ومين ذلك الحبُّ !

(تثور الأطياف على الشاعر وينتهى به الأمر إلى الهاتفة ، وتهتف الأطياف بالمقطوعة الآتية) :

ظلومٌ ودَّع الحُبَّا وداعَ الحانقِ الشانى
وصامَ عن الهوى وصَبا وكان المشفقَ الحانى

(الشاعر يستنجد بخالقه):

خلقت لنا هذى المحاسنَ فتنة تلوذ بها عينٌ ويرشفها قلبُ
وصغت فؤادى من شعور مهفهف يُحسُّ أنين الروح إن راشه الهدبُ
وحذَّرتنا من أن تراها عيونُنا فكيف خلقت الحسن والحب يا ربُّ
وروَّعتنا باللائمين فأسرفوا بلومهم حتى تفاقَمَت الحربُ
يشورون إن شاموا محباً رنا إلى حبيبة نفس حار فى برئها الطبُّ
فيا ربّ ما ذنب المحبين إن رنوا لمن زانه الخلاق أو هتف الصبُّ؟
أنحيا ظماءً والمناهلُ عذبةٌ ونحرم مما قد أباح لنا الحُبُّ
حديثاً شهياً لا يُعاب وبسمةً تضىءُ دجى قلبٍ ألمَّ به الخطبُ؟

* * *

لنا أملٌ فى الصفح عندك فى غد اذا نصب الميزان واحتدم الرعبُ
وليس لنا فى اللائمين اذا لَحَوْا رجاءٌ فكم تبنا وليس لنا ذنبُ
رمونا بأنّا خائنون وصدَّقوا رواية مَفتُونٍ رأى الوُدَّ لايخبو
فما لُمْتُهمْ فاندكَّ صرحُ ودادنا وكان حصيناً لا تطاوله الشهبُ
ولكننى مازلتُ للحبّ راعياً أروِّيه من قلبى اذا ناله الجدبُ
وما ذُمَّ مَن يبقى على الود وافياً إذا نفر المحبوبُ أو هجر الصحبُ

* * *

خبرنا ضروب الحسن حتى تكشَّفت لنا حجبٌ قد حال من دونها الريبُ
فما منا صادقاً من بدا له بديعُ نظام الكون وانخذل الحبُّ
وما شعراء الحب إلا ملائكٌ رأوْا بعيون الحق ما ستر الغيبُ
فباتوا سُكارى بين رانٍ وساجدٍ وكلهمُ يشدو بما أبدع الربُّ
وروَّوْا بما جادوا نفوساً صدية إلى الحق كم تاقت وليس لها شربُ

(طيف الحبيبة يقبل على الشاعر ويصافحه قائلاً) :

كأنك ما خفرت العهد أو فرطتَ فى الحبِّ !
فذاك الرّوحُ يا أصفَى العباد وأشرف الصحب !

(الشاعر للطيف) :

سيعلم مَن أرلق دماءَ ودِّى اذا عجمَ الحياةَ ورامَ صحبا
بأنى كنتُ خيرَ من اصطفاه وانى كنتُ أسمى الناس حُبَّا
سيعلم فى الغداة إذا تراءى له غدرُ الصحاب مَن الوفىّ
ويأسف للوفاء خبا ودالت مَعالمهُ وقد عزّ الصفىّ
سأجعل ما حييت دمى فداءً لهم وأفى بأثمن ما أدينُ
وفيت لهم فكيف أحيدُ عنهم وهل أهبُ العهودَ ولا أصونُ
رُبيت على الوفاء وذاك طبعى وما من شيمتى غدرُ الخليلِ
ولا أنا جاحدٌ نِعَماً حبتها يدٌ غرّاءُ كالنسَم العليل

(الأطياف تلتفّ حول الشاعر وتنشد) :

يا لبابَ الوفاء والودادِ الفريدْ
لا عدمت الهناءْ فى جنانِ الخلود

(ثم ينصرف الجميع فى نشوة وغبطة) .

محمد عبد الغنى بخيت





توديع وترحيب

فناؤكَ يا وليدَ الظلم عيدُ ... ويومٌ قد مُحيتَ به سعيدُ
سنونٌ أربعٌ ثقلتْ وطالتْ ... تراقبك البلادُ متى تبيدُ
رجعتَ إلى الوراء بنا فبتنا ... يصرّفُ أمرَنا فردٌ عنيدُ
فيا ابن المستبدّ لقيت يوماً ... كيوم أبيك ، يابئسَ الوليدُ
أقامكَ مبغضاً من كلّ قلبٍ ... ليفعلَ تحت ظلكَ ما يُريدُ
عجيبٌ أن تعيشَ عذابشيبٍ ... تكيل له الشقاءَ ولا يَذودُ
وأعجبُ منه أن تحيا قريراً ... وغارسُ نبتكَ الدّاوى طريدُ
فيا عهداً ودستوراً تقضّى ... وأقسمَ لا يدومُ ولا يعودُ
لقد أكلتْ صنائعك الليالى ... وبدّدَ عهدَهم عهدٌ جديدُ

***

أعاد فناؤك العهدَ المُرَجّى ... فيا دستورنا عودٌ حميدُ
ويا حُرّيّةٌ انطلقى وعودى ... تحطمت السلاسلُ والقيودُ
تلقّاك البلادُ بكلّ بشرٍ ... فأنت لأهلها الأملُ الوحيدُ
ستسعى فى ضيائك للمعالى ... وسوف تنال أبعد ما تريدُ
وتبنى صرح الاستقلال ثبتاً ... وليس سِواك بنّاءٌ مشيدُ

***

رأيتكَ كالبدور تغيب حيناً ... لتجملَ فى العيونِ إذا تعودُ

أم اخترتَ البعادَ لتبتلينا   وتعلم كيف يُحترمُ البعيد ؟
ألا فاعلمْ بأنك عند مصر   مكانُ الروح منها أو تزيدُ
قديمٌ كالنجوم . . وكم قديم   تضاءل فى مقابله الجديدُ
تقلبت العهودُ عليك محواً   وتعطيلاً وعاكست الجدودُ
ونحن كما عهدنا أوفياءٌ   وأنت كما عهدت لنا ودودُ

طلبه محمد عبده



شكوك

غمرتُ قلبى بطول ظنى   فى كل ما ليس منه فكٌ
يا طيبها سلوةً لو انى   أشكُّ فى أننى أشكُّ !

***

أشكُّ فى النور حين يبدو   شعاعه فى الصباح هاتفْ
فما لآفاق كلِّ نفسٍ   تغمرها حلكةُ العواطفْ ؟
وما اصطدام المنى ؟ وهلا اهتدَتْ بما انساب فى المشارفْ ؟
أم هل تُرَى أننا خُدِعنا   وهذه ضحكةُ السوادفْ
تسخر من غفلةٍ ووهنٍ   والنور من ثغرهنَّ ضحْكُ ؟
يا طيبها سلوةً لو انى   أشكُّ فى أننى أشكُّ !

***

أشكُّ فى اللحن ، كم أراهم   يستشعرون الجمالَ منهُ

يصوغه معزفٌ شرودٌ أناملُ الفنِّ لم تَزِنْهُ
توثبوا نشوةً وغنوا بالسحر مما عزفتُ عنهُ
فهل بقيثارهم جمالٌ لكنَّ أُذنى لم تستبِنهُ ؟
أم ذلك المعزفُ المغنِّى نابٍ ، وما قيلَ عنه إفكُ ؟
يا طيبها سلوةً لو انى أشكُّ فى أننى أشكُّ

***

أشكُّ فى الحبِّ يا حبيبى هل يعرف الحبَّ غيرُ آدمْ
ولو تراءتْ حوّاءُ أخرى له لألتقى بما تقادَمْ
طبيعةٌ حكمها علينا فى كل جيلٍ وكل عالمْ
أن تفتح القلبَ للأمانى وكم ظفرنا بها ويا كمْ
عُدنا الى ساحة التمنى نشغل فى نارها فتذكو
يا طيبها سلوة لو انى أشكُّ فى أننى أشكُّ !

***

أشك فيمنْ لو قلتُ عنه بلا احتيال ، لَقيلَ كافرْ
فهل أنا ذو الغباء وحدى والناس تهديهمُ البصائرْ ؟
أم العمى مَرَّ لم يَعدْنى وعادهم يسرق النواظرْ
فأشعلوا النارَ فوق رأسى ؟ يا حيرةَ الأنفس الشواعرْ
يدكُّها جهلُهم ويثنى ما ليس يُثنَى ولا يُدَكُّ !
يا طيبها سلوةً لو انى أشكُّ فى أننى أشكُّ !

صالح جودت

آنيى

يمرُّ زمانى والاويقات تنقضى ولم أدرِ ما شأنى وما شأن أزمانى
ولم أدرِ ما كنهى فهل أنا فكرة تحسُّ بفكرى إذ تجلَّت كانسانى

يمرّ خيالى مثلما مرّ غيرُهُ ... ويطوى سجلى مثله طىّ نسيان
وما أنا ما أبدو وإن كنتُ باديا ... مثالَ الذى أبدو عليه لأعيانى
فأشعر فى آنٍ شعوراً وحسبه ... شعورا بآنٍ غيره كان فى آنِ
فها أنا «أيوب» بآنٍ وحالةٍ ... وفى حالةٍ أخرى وآنيةٍ ثانى
فما هذه الأشياء للعين تنجلى ... فتبهرها إلا خيالاتُ وسنانِ
فلو لم يكن عقلٌ لما كان غيره ... وهل يوجد المبنىّ إن لم يكن بانى
فما كان لولاه تحسّ وجودَها ... كما لم تفز دون الضياء بألوانِ
فما خارج الأذهان شىءٌ وإن بدا ... ككل الذى يبدو فتصويرُ أذهانِ
وليس وجود الناس غير تناقضٍ ... فلو لم يكن ضدٌّ لما كان ضدانِ
فلم تدرِ معنى الليل لو لم يكن ضحى ... ولا أولٌ تدريه لو لم يكن ثانى
فدعنى وآرائى وشأنى وغايتى ... فانى فى شأنٍ وانك فى شانِ
أشكّ فلا الايمان يغلب حيرتى ... وآمنُ لا التشكيك يغلب إيمانى
يقينى وايمانى وشكى وحيرتى ... سواء ، ولا قاصٍ لدىّ ولا دانى !

بغداد :

أيوب القيسى





رثاء شيخ العروبة


فقيد الأدب والعروبة أحمد زكي باشا

(١)

دال السكونُ مِن الحراكِ الدائمِ ... وأقرَّ بعدَ السهدِ عينَ النائمِ
دنيا يعودُ العقلُ فى تصريفها ... حيرانَ بين غريمها والغانمِ
حتى ليسألَ : مَنْ أضلَّها ، إذا ... ما قاسَ بين حليمها والحالمِ
إنْ تأسَ مصرُ ، فما أساها أنها ... مفجوعةٌ فى لوذعىٍّ عالمِ
أو كاتبٍ كالنيلِ فى فيضانهِ ... أو خاطبٍ كالزاخرِ المتلاطمِ

أو جهبذٍ متثبتٍ مستمصمٍ ... بالحقّ لا يلوى بلومةِ لائمِ
أو ذائدٍ عن مجدِ أمتهِ ، اذا ... عزّ النصيرُ ، وصالَ كلُّ مخاصمِ
أو باحثٍ عما طوتْ أسفارُها ... طيّ الجواهر فى بطونِ مناجمِ
تبكى أولئك كلَّهم فى راحلٍ ... راعَ القلوبَ بأىّ خطبٍ داهمِ
فتعدّدت أرزاؤها ، وتفاقمتْ ... فى رُزْئهِ المتعدّدِ المتفاقمِ

* * *

شيخَ العروبة ، أين صائن ارثها ... ومُشيدُ نضرة عهدِها المتقادمِ ؟
بل ، أينَ فى الفسطاط موئلُ أهلها ... مِن بارحٍ يُخلى المزارَ لقادمِ ؟
يَفدُ الغريبُ اليه ، وهو كأنه ... يمشى من الأشواق بين معالمِ
فالدّارُ ، مِن لطفِ الضيافةِ ، داره ... ووليُّها المخدومُ شبهُ الخادمِ
دارٌ أجدّ بها النّدى لنزيلها ... أشهى الطرائف من قِرى ومكارمِ
تَتنافسُ الزيناتُ ترحيباً به ... ويُكاثرُ الايناسُ جودَ الطاعمِ
فبعينهِ ، وبسمعهِ ، ولقلبهِ ، ... ولجسمهِ فيها فنونُ ولائمِ
فدحَ المصابُ وقد ألمّ بقسورٍ ... وردٍ ، ذكىّ الطرف ، أروعَ ، باسمِ
سُقِيَتْ نضارةُ وجههِ صفوَ الندى ... مِنْ شَيبهِ ، بعدَ الشبابِ الفاحمِ
بأصمّ ، الا إنْ تُحدّثه العُلى ... بحديثِ غاياتٍ سَمَتْ وعظائمِ
أو أنْ يُباحَ له بحاجةِ آملٍ ... أو أن تُسرّ اليه شكوى كاتمِ
بمحبّبٍ فى قلبِ كل مُوادعٍ ... ومبغّضٍ فى وجهِ كلّ مصادمِ
جَلدٍ على الآفاتِ ، لم يحرق على ... مسؤلٍ ـ اذا ما فات ـ سنّ النادمِ
وعلى التبايُنِ فى العواقبِ ينثنى ... بجديدِ فخرٍ ، أو بعرضٍ سالمِ
حسبُ المجاهدِ سَعيُهُ ، إن لم يفزْ ... شرفُ المرامِ مشرّفٌ للرائمِ
سلخَ الغوالى مِنْ سنيهِ مكافحاً ... دونَ العروبةِ ، كلّ باغٍ آثمِ
ومعاتباً أسيافَها إنْ أغمدتْ ... والغمدُ أكّالٌ لنصلِ الصارمِ
ومعالجاً أزماتِها ما أعضلتْ ... بمضاءِ مقدامٍ ، ودربةِ حازمِ .

ومقرّباً شقّ الخلاف ، وواصلاً ما قطّعتْه يدُ الشقاق الفاصم
جاهدْ عدوّك ما استطعت جهادَه أمّا أخاك ، فما استطعت ، فسالم
حقّ البلاد عليك أعلى حرمة من أن يضاع بنزوات سخائم

***

يا أمة الضاد ، التي فى حبّها بذلَ النفيسَ ، ولم يكن بمساوم
إنْ تكرمى بالحقّ ذكرى ماجد فالمجد لا يرضيه نوحُ حمائم
علم الاولى ماتوا ، وليت بنيهمو علموا ، بأنّ الموتَ ضربةُ لازم
وبأنّ عمراً يُستطالُ على القذى إنْ طال ، لا يَعدُو تمهّلَ غارم
وبأنّ خاتمةَ المطاف قريبةٌ لأخى الشقاء ، وللقرير الناعم

***

يا بانياً لله أروعَ مسجد نظم البدائعَ فيه أبرعُ ناظم
نهضَ البناءُ الى السماء ، وقوّضتْ ربّ البناء يدُ الزمان الهادم
هى حكمةٌ لله بالغةٌ ، وإنْ خفيتْ ، وذلك حكمُ أعدل حاكم
العبدُ يعطى من حطام بائد والله يجزى بالنعيم الدائم

خليل مطران

(٢)

لا الرّيثُ من شأنه ولا التّؤُدَه رام من الحتف آخذٌ عُدَدَه
لو انطوى المرءُ فى كنانته يطمع ألاّ يصيبه وجدَه
ولو تغطّى منه بصارمه ألفى غراريه عينَه ويدَه
النافذُ الندبُ من فرائسه اذا تصدّى ، والواهنُ القُعَدَه
جارٍ مع الروح فى منافذها ما ردّه حارسٌ ولا طردَه
وراكضٌ فى مُناه يصرفه عن أمره ناقضٌ لما عقدَه

يُبصرُهُ المرءُ في سلامته ... وفى دواءِ الطبيب إنْ رصَدَهْ
بينا الفتى والحياةُ ناضرةٌ ... يمرحُ في الزارعين ، إذْ حصدَهْ
سِيَّان داعى الصبي ، يُراجُ له ... والشيخُ لقمانُ إذ دعا لَبدَهْ

* * *

ها إنَّ شيخ العروبة ، انتمرتْ ... به المنايا فقوَّضتْ عُمُدَهْ
تعادتْ الكُتُبُ بعدَ مَصْرعِهِ ... واحترب الكانبون والنقَدَهْ
سِرُّ التواريخ أين أودعهُ ... مَنْ خاط أكفانهُ ومَنْ لحدَهْ؟!
يَكشفُ عنه القرونَ حافلةً ... في مستقرِّ الزمانِ مُحتشدَهْ
إنْ غاب مِنْ حادثٍ مضى خبرٌ ... حدَّثَ عنه كأنما شهدَهْ
وعَى التواريخَ منذ مولدها ... كأنما كان للزَّمان لِدَهْ
كلُّ سؤالٍ تعيا الثِّقاتُ بهِ ... جوابه حاضرٌ لمن قصدَهْ
وهو إذا جال لم تجد أحداً ... مِنْ حلبة القوم يبتغى أمدهْ
يستنُّ ما شاء فوق منبرهِ ... فى سُبُلٍ للبيانِ مُطَّردهْ
كالعارض استنَّ فى مَسايلهِ ... لا مُمسكاً ماءهُ ولا بَردهْ
برَّح بالضَّاد أنَّ مُنصفها ... أنحَى عليه الحِمامُ فاضطهدهْ
أهابَ بالبين ، ما تهيَّبه ... ولا اتَّقى شؤمه ولا نكدهْ
ثم اغتدى تزخرُ النفوسُ أسًى ... لزاخرٍ غيَّب الردى زبدهْ
لعلَّها منه نيةٌ عرضتْ ... لنازحٍ من شُقوره اعتمدهْ
ينشد مجداً نأت مَطارحهُ ... وربَّ مجدٍ لقومهِ نشدَهْ
بَدَّده الدهرُ فهو منطلقٌ ... يجمع من كل جانبٍ بدَدهْ
اذا انثنى والكتابُ فى يده ... قلتَ أخو عيلةٍ أصاب جدَهْ
وواجدُ العلم بعدَ ضيعتهِ ... كواجدِ الكنز بعد ما فقدَهْ
يأخذ مِن نفسه لأمته ... ويطلب الحقَّ عند مَن جحدهْ
ومَن رعى نفسَه وحاجتَه ... فما رعى قومَه ولا بلدهْ
آمن بالله ، فاشترى وطناً ... لولاه ـ جلَّت صفاتُه ـ عبدَهْ

مَنْ آثرَ الحقَّ لم يَصُن دمَه ... ولم يَفِرْ مالَه ولا ولدَهْ
لا يحفلُ النـاس أيةً ذهبوا ... سيّان مَن ذمَّهُ ومَن حمدهْ
النـاسُ شتى ولستَ تنصفهم ... اذا جعلتَ الاسودَ كالقردهْ
بئست حيـاةُ الرجال لا همم ... ناشطةٌ فى الأمور منجردهْ
ولا نفوسٌ أبيّةٌ أنُفٌ ... مشبوبةٌ للحفاظ متّقدهْ
العلمُ أفضى بنـا الى زمنٍ ... للبغى فيـه أئمـةٌ مردَهْ
أضعفُ أهليه عنـدهم سـنداً ... مَن يجعل الحقَّ وحدهُ سندهْ
لا يحسبون الضعيفَ منقصـة ... إنْ جدَّ جدُّ القوىِّ فازدردهْ
ربَّ صريع والحق فى دمهِ ... يطفئُ فيه الغليلُ مَن وردَهْ
أضفـاه كالدرع ما بهـا خللٌ ... فما وقى رُوحَـهُ ولا جسدَهْ

« • »

يا وادعاً والهمومُ ثائرةٌ ... مِن حولهِ ، والقلوبُ مرتعـده
ملأتَ أمس البيان منقبةً ... فاملأ إذنْ يومـه أتى وغـدهْ
علمٌ ، وتقوى ، وهمةٌ سرَف ... تُزجى الاعاجيب غـير مقتصدهْ
أحلكَ الله بين جيرتهِ ... بحيث يَجزى التقيَّ ما وعدَهْ

أحمد محرّم

طال احتجابك!

يا أيها القمرُ السخىُّ بنورهِ ... فيمَ احتجابك عن وحيدٍ سارى؟
فى ظلِّ نوركَ حـين تبدو باسماً ... أربُ النفوس ومتعةَ الأنظار
كم فى الدجى مذ غبتَ من متأملٍ ... بين النجوم يَنـوءُ بالأكدارِ
أمهدِّىءَ الأفكار إنْ جدَّ السُّرَى ... هلاَّ رحمتَ مبلبلَ الأفـكارِ؟

يا مُشرقَ القسماتِ طبعُكَ رحمةٌ — فإلامَ تتركنى لوقتِ مرادِ ؟
أنتَ الوفىُّ فكيف ترضى للذى — غادرتَ ليلَ تخبُّطٍ وعثادِ
يا باعثَ الأنوار تنتظمُ الرُّبى — والوهدِ ، طال الشوقُ للأنوارِ
قلْ لى بحقك : هل تحسُّ بغبطةٍ — فى النأى أو تشقى من الأقدارِ ؟
أمضيتَ كيما تستريح من السُّرَى — أم أنت طوعُ تصرُّف المقدارِ ؟
أفصحْ فصلٌ عزاءَ نفسى أنها — تجدُ الذى تهوى من الأخبارِ
أترى تبوح بما لديك فأشتفى — أم لا تزال تضنُّ بالاصرارِ ؟

محمود البشبيشى
(المدرس بدار العلوم)

الصباح الجديد

(مهداة الى روح أبى القاسم الشابى
فى مقرّها الوادع الأمين)

أيها المتعَبُ الذى — حطَّم النّأىَ واستراحْ
هذه غايةُ المُنى — هذه غايةُ المِراحْ
لوعةٌ بعدَ لوعةٍ — فرحةٌ ثمَّ لانتباحْ
نغمةٌ فى صميمها — آهةُ الحزن والجراحْ
عالمٌ فى مُحيطهِ — راحةُ اليأس والكفاحْ
مُبهَمٌ كلُّهُ رؤًى — تخلط الجِدَّ بالمزاحْ
جُزْتَهُ اليومَ عابراً — ظُلَمَ الهازلِ الوَقاحْ
كم تمنَّيْتَ لو بدتْ — ظلمةُ الليل عن صباحْ
فاكشفْ السِّترَ هاتفاً — عن أعاجيبهِ الصّباحْ

* * *

أيها الشاعرُ الذى — ضاق بالمسْرَحِ المُتاحْ

أرهقَ الجسمَ ثائرٌ بين جنبيهِ لا يُراحْ
راغبٌ فى انطلاقةٍ بالأمانىِّ وانفساحْ
لم يَسعْ صدرُهُ المُنى لم تجدْ فيه من براحْ
حَطَّمَتْهُ بعنفها وهى مشبوبةُ الطِّماحْ
وتولَّتْ بِرُوحهِ فى ميادينها الفساحْ
مِلْتَ عن عالمِ القيو د الى عالم السَّراحْ
فاكشفْ السترَ هاتفاً لاحَ للدُّلج الصَّباحْ

* * *

فى طريقٍ من الأسى وظلالٍ من النُّواحْ
فوق أشلاءِ بعثرتْ من أمانيِّكَ الرِّزاحْ
وصخورٍ كأنما تُنبتُ الشَّوْكَ كالرماحْ
سِرْتَ تشكو وتشتكى ألمَ الجهدِ والكفاحْ
ألمَ اليأس فى المُنى ألمَ الوخزِ والجراحْ
عشتَ تشدو لعالمٍ قد تلهَّى بكأسِ راحْ
الأعاصيرُ لهوُهُ وأغاريدُهُ الرِّياحْ
كيف يصغى لشاعرٍ وهو غرقانُ فى نُباحْ !؟

* * *

أيها المتعبُ الذى حطَّم النَّأىَ واستراحْ
نَمْ قريراً فقد سَرى لحنُكَ العذْبُ فى البطاحْ
فَجْرُكَ الحلوُ لم يضعْ بين أيامكَ الشِّحاحْ
فهو ما زال سابحاً هاتفاً خافقَ الجناحْ
إن يكن غامَرَ الدُّجى فلقد شارفَ الصَّباحْ

حسن كامل الصيرفى

بين عالمين

(إلى روح أبي القاسم الشابي)

مِن وراء الغمام ، في الأفقِ الدا هلِ ـ من حُلكةِ القضاء المغيَّبْ
طالعتْني في رهبة وجلالِ ـ لمحةٌ مِن خلاله تتوثَّبْ
عبرَتْ بي كالحلم في ليلة اليأ سِ ـ فأودتْ بكل داجٍ وغيهبْ
جاذبتْها السماء والأرض حتى لتراها حيرانةً تتذبذبْ
كلما لاح فاتنٌ يسكن الأر ضَ تغنى به حجاها وشبَّبْ
هي كالعابدِ الذي هجرَ الأر ضَ وولّى في عزلةٍ يترهَّبْ
ما لها في الحياةِ غير نواحي الـ فنٌ والسحر والأناشيد مَذهَبْ
مِن أغاني الرعاة ، من نَغَم النَّهـ ـر ، وإشراقة الصباح المحبَّبْ
وافتتانِ الآفاقِ بالشفق السا حرِ في روعة الغروب المذهَّبْ
شارفتْني ثم انثنتْ عن عيوني وهي في القلب لم تزلْ بعدُ ترقبْ

***

إيه ! مَن أنتَ أيها الجسد النـُّو ريُّ ؟ مِن أيَّةِ الفرادس تسكبْ ؟
كيف مَسراكَ ؟ أنت تشرق في الرُّو حِ ـ وفي موطن النواظر تغربْ ؟
كيف يخبو ضياكَ من ساحة الكو نِ ؟ فداكَ الضياءُ من كل كوكبْ !
أيها الشاعرُ الذي بعث النشـ وةَ في عالمٍ جريحٍ مُعذَّبْ
كلما رجَّعوا نشيدك عادوا مُهجاتٍ بلحنهِ تتطرَّبْ
أيها الساحر الذي هدهدَ الأر ضَ سناه هنيهةً وتغيَّبْ
المنيهاتُ لا يَقسْنَ خلوداً فهو كالله عمرُهُ ليس يُحسبْ !

***

يا أبا القاسم انتهيتَ الى الآخـ رَى فحدِّث بما رأيتَ وأسهِبْ

هات لحناً يهدُّ من ريبة المو ت ! أجز لى الى الحقيقة مذهب !
هل رأيت الاله والغيب والخلـ د وما ضل فيه رأيى وكذب ؟
من أغانى الحياة يا شاعر الفر دوس ان الغدير يجرى لينضب
من أغانى الحياة يا شاعر الفر دوس ان النجوم تبدو لتغرب
من أغانى الحياة يا شاعر الفر دوس ان الحياة تأتى لتذهب
فأغانى الحياة أمر عجيب وأغانى الممات لا شك أعجب
ان أناى طموح فلسفة الأر ض لأغنية الاله المحجب

***

ليتنى كنت من صفاتك فى الرحـ لة ترنو الى الدنى وهى تلعب
فاذا ما قطعت مرحلة الأر ض وشارفت كوكباً بعد كوكب
وانتهى السير والسرى لمقر سرمدى من الاله مقرب
رحت تشدو ، ومعزف الشعر فى يمـ ناك يقفوك فى رجيع مرتب
وعلى جانبيك من ملك الجنـ ة مصغ وجدانه يتوثب
وحواليك من مفاتن هوميـ ر ودانتى وزمرة الفن موكب
يا لخمر سكبته يشمل الخمـ ر ويهفو على الاله فيطرب
ليلة عند عالم عبقرى وقف الله رأدها يتعجب !

صالح جودت

أب يبكى ابنه

ويناجى روحه

مصاب له الصم الصلاد تصدع لو ان لها قلبا يحس فتجزع
رمينا به فى يوم نحس ولم نكن ليوم عبوس مثله نتوقع
فقد كانت الأيام تبسم عن منى تلألأ فى جو الحياة وتلمع

ولم نك ندرى أن فى الغيب فاجعاً ... أليماً وأن الدهر قد كان يخدعُ
الى أن بدا جيشُ البلية زاحفاً ... طليعتُه داءٌ عضالٌ مروّعُ
فسدّد ذاك الداء سهماً رمى به ... خيارَ بنينا ناشئاً يترعرعُ
فيا لك من داء سلبتَ فؤادنا ... وهل بعد فقد القلب عيشك ينفعُ ؟!
فيا رحمة الله انزلى فتداركى ... أباً قلبه المكلوم حرّانُ موجعُ
واماً لنيران الأسى فى فؤادها ... لهيب له العينان تدمَى وتدمعُ
وأنى لماء العين أن يطفىء الأسى ... تذكيه ذكرى غائبٍ ليس يرجعُ
فيا راحلاً عنا فدتك نفوسنا ... وأموالنا لو كان ذلك ينفعُ
فلا خير فى هذا الوجود وقد غدا ... ظلاماً وكان النور فى الكون يسطعُ
بُنىّ ! قد اسودّت حياتى بعد ما ... فقدتك . هل لى فى رجوعك مطمعُ
أدور بعينى فى لداتك علّنى ... أرى شخصك المحبوب فى النشء يرتعُ
فيرتدّ طرفى خائباً ثم أنثنى ... على كبدٍ مقروحة أتوجّعُ
ونار الأسى ترعى فؤادىَ كلما ... ذكرتك والأحشاء منى تقطّعُ
وذكراك يا روح الحياة وأنسها ... مثيرة حزنٍ قاتل ليس يُقلعُ
وانىَ يا ريحانَ صدرىَ كلما ... ذكرتك لا تنفكّ عينى تدمعُ

***

بُنىّ ! تكلّمْ ! ناجنى ! أنا منصتٌ ... فانك فى قلبى أراك وأسمعُ
أذقنىَ عذباً من حديثك علّنى ... أُدوّى به روحاً اليك تطلّعُ
هلمّ الى صدرى أضمك ضمةً ... لتخبوَ نيرانٌ حوتهنّ أضلعُ
هنالك يا سِرّ الحياة أُحِسّ لى ... حياةً وفى نعمائها أتمتعُ
وتصفو لىَ الدنيا واظفر بالمنى ... وإلاّ فانى راحلٌ ومودّعُ
أناجيك : أشرفْ من سمائك علّنى ... أرى وجهك المحبوب فى الأفق يطلعُ
أقلّب وجهى فى السما متنظراً ... لعلّ ستوراً عن محياك ترفعُ
كأنى بما أرجو فهاتيك هالة ... من النور فيها نورُ وجهك يسطعُ

تحفّ بك الأملاكُ من كل جانبٍ ورائحة المسك الذكيّ تضوّعُ
يسير بك الجمعُ الالـهىّ صاعداً الى جنـةٍ فيها لمثلك مَرتعُ
الى روضةِ الولدان والحور والأُلى تجلّوا بتقوى ربهم فتمتعوا
الى ساحة الرحمن ربك حيث لا لُغوبٌ ولا لغوٌ من القول يسمعُ
الى جنةِ المأوى التى لا يمسُّها فناءٌ ولا داءٌ هنالك يصرعُ

***

بُنىّ أراني سامعاً صوتك الذى عهدتُ ، فهل فى الحق أنى أسمعُ ؟
نعم يا أبي لا تحسبنّي فانياً فانّ حيـاة الروح أبقى وأرفعُ
من الأفق الأعلى اطلّ عليكمُ وبعضُ ستور الغيب عنى تُرفعُ
فأسمع نجواكم وافضى اليكم ولـكن عزيز أن نجواى تُسمعُ
فأجسادكم قيدٌ لسمعكم الذى مداه لسلطان الطبيعة يخضعُ
وقد تسمع النجوى نفوسٌ تجرّدت من العالم الأدنى فلا ستر يمنعُ
وها أنت ذا تبدو لى الآن صاعداً الى مَسْبح الأرواح حيث تجمّعُ
فأنت معى فى عالم الروح فاستمع الى ما سألتنى اننى لك مُسمعُ
أبي ! أوصِ أمّي بالتجلّد والرضا فانى أراها دائماً تتوجّعُ
وأنتم بنار الحزن ذابت قلوبكم فأدمعكم من مهجة القلب تهمعُ
أبي ! رفّهوا عنكم فقد كان ما قضى إلـهٌ حكيمٌ حكمهُ ليس يُدْفَعُ
وما هذه الدنيا بدار اقامةٍ وكل امرئٍ يوماً الى الله يرجعُ

***

بُنىّ وَددتُ الصبر لـكن عزيمتى أراها من الخطب الأجلّ تضعضعُ
بنىّ لقد صارت حياتىَ كلها مَشاهدَ تذكى نار قلبي فتوجعُ
أراك بعين القلب فى كل مشهدٍ شهدت معى إذ كان بدرك يطلعُ
فذكرى تلى ذكرى وحزنٌ مجدّدٌ وحرقةُ أحشاء ، وقلبٌ مروّعُ

***

وقالوا لي الصبرَ الجميلَ فهل ترى ... يردّ قضاء الله انك تجزعُ
وهلاّ ثواب الصابرين ادّخرته ... ليوم حسابٍ حيث لا مال ينفعُ ؟
فقلتُ لهم والرشدُ عنيَ عازبٌ ... وموطن وعي النصح مني مضيَّعُ
أروني مكان الصبر كيف يكون لي ... سُلُوٌّ ومني مهجة القلب تنزعُ
يقولون إن الدمع يعقب راحةً ... ولكنني أبكي وقلبي مصدَّعُ
فان كان في الدنيا دواءٌ يريحني ... ويطفيء ناراً في فؤادي تلذعُ
فليس سوى ورد المنية ، انه ... يبرِّد احشائي وحزني ينزعُ
فذاك دوائي قرّب الله يومه ... فليس سواه للأحبة يجمعُ
هنالك ألقى قرة العين (أحمداً) ... يقربني من ربه ثم يشفعُ
كذلك ألقى (أنوراً) و (محمداً) ... يحوطها نورٌ من الله يسطعُ
كذاك بناتي السابقات يطفن بي ... ويدعون بالغفران ربي فيسمعُ
هنالك نحيا خالدين يُظلّنا ... نعيمٌ ورضوانٌ من الله أوسعُ
فيا ربّ ألحقنا بهم وتولّنا ... بعفوك ، إنا في رضاك لنطمعُ

احمد التوى
(الدرس بدار العلوم العليا)



صمت الحكيم

قالوا : سَكتّ وكنتَ أكبرَ شاعرٍ ... جمٌّ البلاغةِ رائعَ التبيانِ
فأجبتُهم : شالَ الهديلُ عن الرُّبى ... نزلتْ بهنّ نواعقُ الغربانِ
مِنْ كلِّ أبلهَ دام صيتاً ظنَّه ... في حرفهِ النظّامِ والوزّانِ

يتناطحون على القريضِ كأنهم ... فى أرضِ (أندلسٍ) مِنَ الثيرانِ !

* * *

أكبرتُ قَدرى والهوانُ له مَدًى ... عن نَيْلِ جائزةٍ وكسبِ رهانِ

وزجرتُ نفسى عن جوائزَ لم تكنْ ... بأجلَّ مما فرَّقتْهُ بنانى

والشعرُ أحقرُ ما يكونُ اذا سعَى ... يوماً الى مُزْرٍ مِنَ الاحسانِ

عشرون عاما أو تزيدُ مَلأتُها ... بالشعرِ حتى كلٌّ منهُ لسانى

ولو اننى تاجرتُ فى السِّلعِ التى ... حقرتْ لجلَّ بسوقهنَّ مكانى

ولمن يقال الشعرُ وهو مرزَّأٌ ... بزعانفٍ خالينَ من أذهانِ ؟ !

صَمتُ الحكيم ألذُّ مِن إفصاحهِ ... فى مَعشرٍ جُبِلوا على الهذيانِ

أحمد نسيم

معبد الذكرى

« ما هذه الأنفاس الحارة التى تهبُّ
من بين ثنايا هذه الغابة الخالية ؟ آه ! انها
أنفاس الحبّ ، وهاهى ذى النباتات
يعانق بعضها بعضاً كأنها تدعونا نحن
الآخرين للعناق »

كولريدج

مَعبدَ الذكرى أتينا طائعينْ ... نسكبُ الدمع على الماضى الدّفينْ

مَعبدَ الذكرى سلاماً كلما ... هاجت النّفسَ تباريحُ الحنينْ

أين أمسِى ؟ هل مضى أمسِىَ فى ... لجّةِ الذكرى وأمواج الأنينْ ؟

أم طواهُ الحزْنُ فى ظلمتهِ ... ودماه اليأسُ فى وادى الشجونْ ؟

* * *

ذكرياتٌ بالأمس لاحت شبحاً ... طارقاً فى غفلة الدهر الخئونْ !
وكأنَّ الليل أضحى نغماً ... رنّ حسناً فى دياجير السكونْ
فأصاخ الكونُ للَّحن الذى ... ردّد الافقُ صداه بعد حينْ
وأخو الظلماء يرنو ساهياً ... يتنزّى فى ذهول النّاسكينْ

***

أيها المعبدُ إنى جاثمٌ ... فى ظلال الصمت والحبّ الطعينْ
أرْهفُ السمع لخطوات الردى ... تابعتها فى الدُّجى أسرى القرونْ
فاذا صمتك ألحانُ المُنَى ... واذا لحنك أنّات الحزينْ

حسن محمد محمود

الى أمى

وقضى زمانى بالفراق تعسُّفاً ... ما للقضاء ؟ أدأبهُ الارغامُ ؟
وأرى الحياة بغير وجهك قفرةً ... فالعين تذرف والهمومُ جسامُ
وأرى الليالى موحشاتٍ جهمةً ... سيّان عندى الضوء والاظلامُ
يا أمّ لا تبكى الفراق ولا النوى ... فلسوف تجمعنى بكِ الأيامُ
أيروم قلبك ان يحطّمهُ الضنى ... وله أعيش ، وتعذُبُ الآلامُ ؟
يا أمّ ما دنيا حياتى إن خلتْ ... من قلبك الحانى ؟ لَذاك حرامُ
أتُرى حسبت الحقّ ينصف نفسه ... والناسُ فى دنيا الشرور نيامُ
أترى ظننتِ مآل حظى فى يدى ... أبداً لعمرك ، فالحياةُ (دِرامُ) !
لا تحسبي كلّ القلوب بريئةً ... فلكم قلوبٌ دأبها الايلامُ
مَن لى بقاضٍ منصفٍ فى حكمه ... فالظلمُ يرتعُ والسلامُ يضامُ
لهفى على الأم الحنون من الضنى ... ومن الهموم ، كأنهن ضرامُ

لهفى على الكنف الظليل مَشتْ به ريح الخريف فعاد وهو حطامُ

* * *

سأظل أهزجُ للفنون سعيدةً حتى يُظلّلنى بها الالهامُ
وأنام عن دنيا الانام فما بها إلا شقاءٌ عارمٌ وخصامُ
ما فى الحياة رغيبةٌ أهفو لها إلا وعقّتنى بها الأيامُ
فلأحْيَ فى الشعرِ الخصيب جنابه فى حيث تطرق ساحتى الأحلامُ
فأرى الوجودَ على اختلاف شخوصه ملهى – على رغم الصراع – برامُ

جميل محمد العلايلي

القدَر المذل

سَلّمتُ للقدَرِ المذلّ سلاحى وجرتْ علىَّ مشيئةُ السفّاحِ
مستضعَفٌ يُحنى علىَّ كأننى يُتْمٌ يُدلَّلُ فى حُجورِ سِماحِ
يا محنةً أكل الشقاءُ شبيبتى فيها ، ومزَّقت الخطوبُ جَناحى
ولبستُ بالَيها بعزمى مكرَهاً وشربتُ آسنَها معتّقَ راحِ
جُرحان فى كبدى لفرطِ صبابتى ولشقوتى والناسُ جدٌّ شِحاحِ
ولو انهم جرحَى خطوب زمانهم مَن ذا يقيس جراحهم بجراحى ؟
لا تعتبوا بُخلى بدمعى صابراً فيضُ الدموع بمقلة التمساحِ
أنبتُّ فى الأخلاق صدقَ مجاهدٍ وجنيتُ كذب مُسيلمٍ وسَجاحِ
أشكو إلى الأخلاق غِرّاً والغاً فى الافك رغم هداية النصّاحِ
كم ذا أقلتُ عثاره ورحمتُه فارتدَّ يهجو نعمتى ويلاحى؟!
نبغ النبوغَ اللغوَ فى تهريجه ومن الطغام مهرِّجُ الأفراحِ
تخذوهُ تسلية النَّدىِّ وحسبه هزءُ الضَّحوك ونكتةُ «الفضّاحِ»

من معشرٍ أكلوا «الجراية» قُنَّعاً — بالخبز مُؤْتدماً بماء قراحِ
ظفروا على الأحداث جُندَ موفَّقٍ — للمال أو خدما لدى مسْماحِ
إنْ كان هـذا الفحش خفة روحه — فمن الحماقة خفَّةُ الأرواحِ
ما كان ضرَّك لو رعيتَ كرامتى — ورحمتَ تبريحى وطولَ نواحى
وأنا الذى لبس النجوم قلائداً — وزكا غدوِّى فى العلا ورواحى
وطلعتُ فى محْل الخلائق واكفاً — ومحا ظلامَ المُعتفين صَباحى
أيباح عِرْضى فى سفاهك بينما — عرضُ الأذلِّ الغِرِّ غيرُ مُباحِ
وأشدُّ ما ألقاه يومَ رزيئتى — أنْ أجعلَ الهجوَ الوجيعَ سلاحى
مِن قبل يوم البعث لؤمكَ باعثٌ — فى كلِّ يوم حاملَ المصباحِ
نحنُ الملائكُ والملوكُ، وحسبنا — بالشعر تزكيةً ونبلَ وشاحِ
يا محنةَ الأدب الرفيع بمَعشَرٍ — جعلوا السفاهةَ آيةَ الافصاحِ
لا يصدع الزبدُ الجفاءُ سفينةً — والبحرُ طوعُ رغائبِ الملاَّحِ!

عبد الحميد الديب

ضحك البكاء

عجباً أتبسمُ حين قلبكَ دامى؟ — إنى عجبتُ لثغرك البسَّامِ!
وتخالُ أنك تستزيد محبتى — بالبشر حين ظماك تمس أوامى
ولكم وددتُ لك السرور منزَّهاً — عن كل شائبةٍ وكلِّ عرامِ
ولكم وددتُ لك السرائرَ ثرَّةً — بالصفو مترعةً، وتلك مدامى
لكننى أبصرتُ قلبك دامياً — بين الجوانح فى جنونٍ ضرامِ!

« • »

ضحكُ البكاء عرفته وخبرتُه — وكذاك أعرفُ صادقَ الأنغامِ

ويخالنى النائى رفيقَ مسرةٍ ... وحليفَ محسود من الأحلامِ
ولوانه عرفَ الحقيقةَ لارعوى ... عن ظنه وبكى بأدمعٍ هامِ
ولقد ضحكتُ تعامياً عن مهجتى ... أكذا الجمال عن الهوى متعامِ؟!
هل بسمة يا حبُّ فى ألفافها ... تحلو الحياةُ خليّةَ الاسقامِ؟
أمّا التى ألبستَ منك حسنها ... وزعمتَ أنى عابدُ الأوهامِ
فهى البكاء بعينه ولو اكتست ... حللَ السرور بفنك المتسامى

بروى احمد طبانة



دوحة الوادى

أيا دوحةَ الوادى ! سلاماً معطّراً ... ينوب به عنى النسيمُ متى هبّا !
يضمك فى لطف الحنون مخاصراً ... ويلثم اجلالاً لرهبتك التربْا
سلوتُ عهوداً بعد عهدك عذبةً ... وما كنت يوماً سالياً عهدك العذبا
تلوحين دونى للخيال كسرحٍ ... به تعرض الأيام ريحانةً قشبا
فأشهد من ماضىَّ ساماً كأنها ... من الخلد غار الدهرُ فانتزّها سلبا
وأبصر آمالى زهوراً تفتحتْ ... وقد عاث فيها الدهر ينهبها نهبا
كأنك نبعُ الذكريات لخاطرى ... اذا ما مضى سربٌ زجوت له سربا !



فلله كم ضمّت ظلالك شملنا ... صغيرين لمّا ندر همّاً ولا كربا !
حنوت علينا كالرؤوم تعطفاً ... وأرضعتِنا فى ظلك الطهرَ والحبّا
وأفعمت دوحينا مراحاً وصبوةً ... وألهمتِنا الأحلامَ والأمل الرحبا
اليك خرجنا ننشد اللهو والصبّا ... فعدنا وكلٌّ ناشدٌ فى الهوى قلبا !

وكم ضحوة لم تصحُ الا بشمسها قد انحدرت من أوجها تلتحى الغربا ؟
وقفتُ لحسنائى بروحى وناظرى أعبُّ السنى من حسن طلعتها عبّا
ويصلى فؤادى من عوادى لحاظها قذائف سحرٍ سمُّها فى دمى دبّا
تدور لنا فى الحب نجوى شهية لها طيب عرف الزهر فى نشوة الصهبا
ونشدو بلحن الحب والطير هتّفٌ وفى الدوح عزف للصبا يملأ الشعبا
تعيد صدانا الشمُّ وهى ثوابتٌ لها من جلال الله ما يبعث الرهبا
وعشبُ الربى يهتزُّ نشواً وفوقه شعاع الضحى من حولنا راقص عجبا
وقلنا نؤمُّ الدور نرجف خيفةً على أننا لم نجن إثماً ولا ذنبا
عهود قطعناها غراماً ونشوةً سعيدين لا نألو مراحاً ولا لعبا
اذا نفرت دلاً تقدمتُ ضارعاً وإن ذهبت عدْواً خففت لها وثبا
ونبنى خصاماً فى دلال فان دنت أبيتُ ، وإن أقدم على مأربى تأبى
وألمحها تحنو علىّ بمقلةٍ أراها برغم الصدّ تغمرنى حبّا
قرأتُ عليها أنها بى صبّةٌ كما أنا لم أبرح بها هائماً صبّا
مثلتُ لها فى هيكل الحب خاشعاً وقرّبتُ قلبى عندها أبتغى القربا
وألّهتُ فيها الحسن لا عابداً لها ولكننى فى حسنها أعبد الربّا
لك الله ذوقاً قدّس الحسن رقةً وقلباً متى صاح الغرام به لبّى !

صالح بن على حامد العلوى

حرية الشاعر

حرّرونى كما تحرّرَ شعرى ! فلقد ضاق بالتقيُّد صدرى
واتركونى كما أشاء قليلاً فكفانى أنى أعيش لغيرى !

« ٥ »

وكفانى احتراق جسمىَ بالنو ر لكى أهدىَ الضليلَ لرشد

وكفاني انهدامُ حالى بنأى يوم أبنى مقاصرَ الخلدِ وحدى

« • »

أنا طيرٌ من جنّة النور والأشجار والنهر ذى الحصا الذّهبيّ
انا لحنٌ من الهوى والأماني بدّدته أوتارُ عودٍ خفيّ !

« • »

كيف يلقى باللحن فى ظلمة الحبس وانّى تشجى القلوب الحزينهْ
ظلمةُ الحبس ظلمةُ البحر والسّجا نُ حوتٌ ، ولست إلا سفينهْ

« • »

فاتركوني أجُزْ الى المرفإ الغا مضِ فى فجر لجّةِ الظلماتِ
أنزل العابرين فيه مع الصبحِ وأشجيهمُ بلحن الحياةِ

« • »

أصعدُ الناس فوق سلّم أفرا حٍ ، وأبقى بلجة الأحزانِ
تكنفُ الرعشةُ المميتةُ قلبي يوم عوّدى لبحرىَ الروحاني

« • »

فاذا كان ذاك حالى نخلو نى أعشْ فى الحياة كيف أشاءْ
أنا حرٌّ، والموت حرٌّ، ويبقى الشعرُ تهدى بنوره الأحياءْ

عامر محمد بحيرى

حزين

نفحةُ الدهر الى الهمّ أنا والمعنّى فى غيابات الشجونْ
والطريدُ العمر عن ساحِ المُنى والوجيعُ الرزء ، والجم الفتونْ
بين جنبيّ بيوتٌ للضنى بين جنبيّ مآسٍ لا تهونْ
تحت أضلاعى دُنًى ، لا كالدُّنى من غيوب الهمّ فى ريب المنونْ
داجياتٌ ، موحشاتٌ مِن سنا

خافقاتٌ ، صارخٌ فيها العنا !
ليت شعرى ما الصفاءُ ، ما الهنا ؟!
ثم ما سِرُّ الألى مرُّوا هنا
علَّنى أحيا ، ولكن فى فنا !

طائفَ الآلام ، ماذا أرجعَكْ ؟ أوَما ودَّعتَ مَن قد ودّعكْ
أنت تبكى ؟ لِمَ ؟ كفكف أدمعكْ أعلىَّ ؟ رُبَّ دمعٍ أمتعكْ !
كم بكينا ثم لم نفلح معكْ !

مَلَّنى من بعد ما جدَّ - الشجنْ حينما أنهيتُ فى كتمى شكاتى
فدعا فيمن دعا شُحمَ المحنْ ترتقى صبرى ، وترمى جنباتى
فاذا بى لستُ فى هذا الزمنْ لا ، ولا فى صرف موتٍ أو حياةِ
أترانى لم أزل أنا إذنْ أم ترانى قد غزتنى غمراتى !
نِضو بؤسٍ عاده الذكرُ فانْ
قلب الدهرُ له ظهر المجنْ
ثار بالهمّ وبالهمّ سكنْ
فتنةُ الدهر إذا الدهرُ فتنْ
أوَ لم يبق هنا شىءٌ حسنْ ؟!

يا بلاءَ المبتلى ما أوجعكْ ! مَن على نسيى بذكرى أسمعكْ ؟!
خذ بصدرى حيث ترضى مضجعكْ تِهْ علىَّ ، لا تخف أن أفزعكْ
روَّع الدهرُ صفاءً روَّعكْ !

ولقد أسرِىَ بىَ ليلاً إلى عالمٍ من عاديات الجازعينْ
سيق بى فى موكب يقفو البلا حيث يلقى البؤسُ حشدَ النازلينْ
ثم بوركتُ ، وتوِّجتُ على أمم الشجو ، ومصر البائسينْ
عدتُ من فوزى نبيًا مرسلا رغم أنفى ، وكتابى : «لاتَ حين» !
تلك آيانى من البلوى علا !

أتحدّى من دنا ومن عَلا !
كلُّ أهل البؤس جُندى فى الملا
بايعونى ، إنهم قالوا : « بلَى » !
رُبَّ عرشٍ مِن حُلَى الملك خلا

إيهِ يا قلبي ، تخيّرْ مصرعكْ حيلةٌ مّا بعد ذا لن تنفعكْ !
إن تهنْ للدهر يوماً صدّعكْ إن تصب فالجمهُ ، لا أن يفجعكْ !
حاربْ البؤسى تؤيد منزعكْ !

محمود زكي ابراهيم





الرجوع

خرجتُ مِن الديار أجرُّ سُقمى وعُدْتُ الى الديارِ أجرّ ساقى
أتدفعنى وقد هاضت جَناحى وتجذبنى وقد شدّتْ وثاقى ؟

ابراهيم ناجى



على السجية

هل آملٌ يُقضَى له مُنجِحُ أم ذاك ليلٌ ما له صُبْحُ ؟
أطلب عند الله نيلَ المُنَى والله يُرجَى عنده الفتحُ

لا مثل ما يعطى الورى مِنّةً — يُعطى ولكن منحُه المنحُ
وليس همِّى منصبٌ مَطمعٌ — أو غيضةٌ قام بها صَرْحُ
لكنها حسناء بَهنانةٌ — وسنانةٌ وجدى بها بَرْحُ (١)
أعطانها من ثِقل أردافها — تشكو فما بينهما صُلحُ
ممشوقةٌ هيفاء ممكورةٌ — لفّاء لم يُزرِ بها كدْحُ (٢)
ماجت كموج الماء أطرافها — نضارةً واهتضم الكشحُ
وغلّقتْ أجفانها فترةٌ — من سكرة الحسن فما تصحو
بلهاء ما غضّنَ من وجهها — عُجْبٌ ولا خامرها بَجحُ (٣)
لو عَرضتْ والخلد فى معرضٍ — لناسكٍ قال هى الربح
عاشقُها حِرباءُ شمسٍ له — وجْنتَها من لوعةٍ شَنْحُ
شمسُ على رمحٍ ولكنها — تفعلُ ما لا يفعل الرمحُ
تبرُقُ كالسيف وفى طرفها — قد كمنَ الإثخانُ والذبحُ
طلعتُها بُرْءٌ ، وألفاظُها — طِبٌّ ولكن صَدُّها جرْحُ
يَظلُّ مَسحورٌ بألحاظها — فى غمرةِ الحبِّ له سَبْحُ
كأنَّ قُرطيها إذا أشرقتْ — نجما سماءٍ لهما لمحُ
زادت سناً إذ حَجَّبوا حُسْنَها — والبدرُ لا يحجبه الجِنحُ
والروضة الغنّاءُ إذ حُجِّبَت — أزهارُها نمّ بها النَّفحُ
كأنَّ فاها عند تقبيلها — صهباء بالمسكِ لها جَدْحُ (٤)
كأنها ماءٌ على زُبْيةٍ — للبرقِ فى حافاتها قَدْحُ
هبّتْ به ريحٌ فريحٌ ففى — جمامهِ من عَرْفها نَشْحُ
وانسلَّ ما بين الحصى فانجلى — عنه القذى واستُخلِصَ المحُّ (٥)

---

(١) البهنانة : اللينة فى عملها وكلامها أو البسّامة الخفيفة الروح .
(٢) المكورة: المفعمة التامة الخلق .(٣) البجح :الدعوى والفخر
المزج . (٥) المحّ : خالص كل شىء ، وهو أيضاً صفار البيض .

حتى جَرى يشفى غليلَ الصدى ... مِن بَرْدِهِ التنضاحُ والرشحُ
أَشربُ ماء الحسن مِن وجهها ... بالعين والقلبُ به نقحُ
وأنضِحُ القلبَ بترشافها ... فيستثير الوقدةَ النضحُ
كأن فى صدرى خضماً من الآ ... شواق لا يُنضبه النزحُ
وإذ تلاقينا على رقبة ... أقبل صفحٌ ونأى صفحُ
قالت : أما تخشى العيون التى ... لها الينا أبداً لمسح ؟
قلتُ : متى لبّيتُ داعى الهوى ... سيّان عندى المدحُ والقدحُ
انى امرؤٌ لا أتقى شانئاً ... بسعى ولا يخيفنى المدحُ
إن كان مَنْ يعشق مَنْ يدّعى ... حباً فأنى عاشقٌ قحٌ
قد طحنَ الحبُّ عظامى فما ... يبرحنى ما طحن القمحُ
أرسَخُ منطوحٍ ولكننى ... من شيمتى الأيمان لا النطحُ
يَضرح منى الدهر فى كيده ... ملساء لا يوهنها الضرحُ (١)
أرضحُ من أرزائه عكّتا ... كالدرّ لا يقطعها الرضحُ (٢)
قد علم الناس وان أنكرت ... جهالهم أنى أنا المِلحُ
بُصّرتُ بالدنيا فمن صَرفها ... وعظٌ ومن إيجازها شرحُ
طرّحتُ فيها نظرى فاحصاً ... فغاية الضنّ بها طَرحُ (٣)
كالبحرِ يُخفى دُرّه قاعُه ... سِفلاً ويُبدى الجيفَ السطحُ
كم مر تَردحٌ وأفاعيلُها ... فبنا موَاضٍ وأنى رَدْحُ
نَحسبنا منها بمندوحة ... وأين ، لا أين بها النّدحُ ؟
ونُلقح الأحداثَ آمالنا ... وما لديها يُنتجُ اللقحُ
نمسحُ منها مُسنتاً حائلاً ... عجفاء لا يُدرّها المسحُ (٤)

ملساء : الصخرة والضرح بالضاد المعجمة : الدفع والابعاد (٢) الرضح كسر ، ولا يقطعها لا يفنيها (٣) تطريح النظر : تبعيده (٤) المسنت : التى دب ، والحائل التى لم تحمل وهى من البهائم كالعاقر من النساء .

تُسلسُ لا دَرّاً ولكنها تَختلُ حتى ينكا القَرْحُ (١)
تجنى ولا تجنى ونمن دأبنا ننسَى وما من دأبها الصفحُ
طَوَّفتُ فيها ليس في مطمحي قَشْرٌ ولا في ونبتى مجْــحُ
فكنتُ في مَنْحى لها وارداً ناضبةً حرمانها النتحُ (٢)
وها أنا اليومَ تجنبتُها لا أثبت الأمرَ ولا أمحو
دَوَّضت نفسي بعد تجماحِها فما الذى يَبْلغهُ الكَبْحُ
إليكِ يا دنيا فأنى امرؤٌ خِرقٌ بما تحوينه سَمْحُ (٣)
لا يخدعنّي منك ما يُطَّبى قد استوى رَعْنُك والسفحُ (٤)
إنى لمِن قومٍ غدا جارهم كالنهب لا يُحمى له سَرْحُ (٥)
يمزَحُ قومٌ بعد جِدٍّ لهم حيناً وهم في جِدّهم مَزْحُ
في طبعهم شُحٌ وفي لفظهم قُبحٌ ، وفي أشعارهم قُبْحُ
لم أدْرِ إذ ينشد من قدّموا أذاك شِعْرٌ منه أم سَلحُ
ينعبُ لا يعلم من جهله أهوَ نعيبٌ منه أم صَدْحُ
غرابُ أطلالٍ له عائفٌ هزلاً غدا ينحو الذى ينحو
أنصحُهمْ والغيّ في خُلقهم طبعٌ فما يُجديهم النُّصحُ
لو عَضُداً منهم أرى لاغتدى طوفانَ نوحٍ ذلك السَّحُّ
لكنني في غُربةٍ بينهم وذاك عِبءٌ حَمْلُهُ فَدْحُ
فلا يزلْ همُّهمو ناصباً ما ثمطوا أو أورقَ الطلحُ (٦)

حبيب عوض الفيومي

---

(١) نكأ القرح قشره قبل أن يبرأ (٢) النتح : رشح الماء (٣) الخِرق بكسر الخاء : المعطاء الكريم (٤) مايُطَّبى : ما يُستهوى ويشتهى ، والرعن رأس الجبل (٥) السرح : المال السارح (٦) الطلح : شجر الموز

الشاعر

يناجي مَصدرَ إلهامه

سجد الشاعرُ فى خشوع تحت قدمىْ قبس الجمال المشعّ بنور الله البهى المجسّم فى قطعة الفن المحيطة بالوجود التى تبدو أمام الرأنى كأنها محدودة فى شخص المرأة .

سجد الشاعر فى خشوع مستجدياً الرحمة من باسطة الرحمة ، من مانحة العذاب ، من نسيم الحياة ، من سموم الهلاك ، من جحيم الشقاء ، من فردوس النعيم : من المرأة .

سجد الشاعر سجود المأخوذ المذهول أمام الجمال النورانى السحرى الذى وسمه جسمٌ محدود على اتساعه ، وبينما الشاعر فى نشوة السجود والتسبيح والتبتل أمام ربة الجمال المسيطرة على الحواس والعواطف ، بينا هو كذلك اذا به يرى لهيباً تمتد اليه ألسنته فيولى مذعوراً ويتراجع الى الوراء صامتاً وتمتلىء جوانحه بالرعب . ولولا أن الذعر كم فه لندّت منه صرخة عظيمة يكفهرّ لها جو العالم ويمتلىء بالدخان الكثيف . غير أنه سرعان ما ومضت من خلال اللهيب ابتسامة أشرقت لها دنيا الشاعر المحدودة بالضياء ، الممهودة أمام تمثال الجمال والسحر فحسب . فاستأنست لهذه الابتسامة روحُ الشاعر بعض الشىء ، وهدأ رعبه تدريجياً . وسرعان ما اندفع فى فضول الشعراء يسأل ربة الجمال والسحر عن سر هذا اللهب فتجيبه بابتسامة أخرى : لا لهب ما ترى يا شاعرى ، وانما ترى العاطفة الثائرة ، عاطفة الحب ، تمتد لتعانق الفجر لتذوب فى الشمس وتمتزج مع الضياء ، فتتشكل بألوان الشمس عند طلوعها وتبسط الضياء على أرجاء الكون لتمنح كل قلب قسمته من الحب الطهور والعاطفة الملائكية ! وما هذا الوميض الذى أضاء أمام عينىْ العالم المظلم الكئيب ? هذا ابتسامى يا شاعرى أرسله على العالم كلما بصرت بادجانى يريد أن يغزوه أو حزن ممضّ يريد أن يلج صدر بائس مثلك ، ولولا هذا الوميض من الابتسام الذى تراه الآن لتخبطت فى طريق مظلم شائك يكون فى نهايته قبر مظلم ذو حسك مسموم حيث الفناء وحيث العدم يعبثان بجسمك الغض النضير ! وفجأة رنّت ضحكة عذبة مسكرة من جهة مصدر الصوت سكر من حلاوتها الشاعر فوقع فاقدَ الوعى ، وعند ما أفاق وجد نفسه فى حضن المرأة التى أمطرته قُبَلا ، وأشبعت جسمه بالضم وأضاءت جوانب روحه وألهمتها الأغانى القدسية السماوية الصادرة من إلـه الحنان والرحمة

المنسكبة مع ضياء الفجر الجميل على براعم الورود العطرية الندية التي اشتار الشاعرُ منها خلاصة نطاف أندائها ، وراح يسقي منها أرواح الناس عسلاً مصفى لذةً للشاربين؟

الجزيرة أبا — السودان بشرى السير أصيبه

خصائص شعر أبي العلاء

« ١ »

لم يقنع « أبو العلاء » بنظم الشعر العربي بما قنع به غيره من الشعراء الأقدمين ، بل اختطَّ لنفسه طريقة جديدة سواء أكان في المعاني أم في النظم : فانه حين رأى أن الشعر العربي باب من أبواب الباطل ، صمم على تركه بعد أن نظم « سقط الزند » الذي سار فيه على منهاج الشعراء المتقدمين من المديح والرثاء والهجاء والفخر وما الى ذلك ، ولهذا تراه يقول في مقدمة « سقط الزند » :

« وقد كنتُ في ريان الحداثة وجنِّ النشاط مائلا في صغو القريض أعتدُّه بعض مآثر الأديب ، ومن أشرف مراتب البليغ ، ثم رفضته رفض السقب غرسه والرأل تريكته ، رغبة عن أدبٍ معظم جيده كذب ، ورديئه ينقص ويجدب ، وليس الري عن التشاف ويعلمك بجنى الشجرة الواحدة من ثمرها ويدلك على خزامى الأرض النفحة من رائحتها » .

ثم ترك أبو العلاء هذا اللون من الشعر ولم يرجع اليه بعد ذلك ولكنَّ للمعري آراء وأسراراً لا بد أن يذيعها ويريد بعد ذلك أن يلقيها الى أسماع قوم عندهم استعدادٌ لفهمها فنظم « لزوم مالا يلزم » لعلمه أن قراء الشعر انما يكونون على الأغلب الاعمّ من سواد الخاصة ، ولا كذلك النثر ، وثمة لجأ الى التصريح تارة والى التلميح أحياناً :

« فَطِـنُ الحاضرين مَن يفهم التعريضَ حتى يظنَّه تصريحا »

واسمع اليه حين يبرر رجوعه الى نظم الشعر ثانية في مقدمة لزومياته فيقول :

« وقد كنت قلت في كلام لي قديم : اني رفضت الشعر رفض السَّقْبِ غرسه ، والرَّأل تريكته ، والغرض ما استجيز فيه الكذب واستعين على نظامه بالشبهات . فأما الكائن عظة للسامع ، وايقاظاً للمتوسّن ، وأمراً بالتحرُّر من الدنيا الخادعة وأهلها الذين جُبلوا على الغش والمكر ، فهو إن شاء الله مما يلتمس به الثواب . وأضيف الى ما

سلف من الاعتذار أن من سلك فى هذا الأسلوب ضَعُف ما ينطق به من النظام لأنه يتوخى الصادقة ، ويطلب من الكلام البرّة ، ولذلك ضعف كثير من شعر « أمية بن أبى الصلت الثقفى » ومن أخذ بغرّيه من أهل الاسلام ، ويروى عن الاصمعى كلامٌ معناه : « ان الشعر باب من أبواب الباطل ، فاذا أريد به غير وجهه ضَعُفَ » . وقد وجدنا الشعراء توصلوا الى تحسين المنطق بالكذب وهو من القبائح وزينوا ما نظموه بالغزل وصفة النساء ونعوت الخيل والابل وأوصاف الخمر ، وتسببوا الى الجزالة بذكر الحرب ، واحتلبوا أخلاف الفكر ، وهم أهل مقام وخفض فى معنى ما يدّعون أنهم يعانون من حثّ الركائب ، وقطع المفاوز ، ومِراس الشقاء » .

« ٢ »

اختط المعرّى لنفسه طريقة جديدة فى النظم أيضاً ، فانه لم يكتفِ بأن تكون قافيته على حرف واحد شأن غيره من الشعراء ، بل تعداه إلى أكثر من ذلك فقال :

سيسأل ناسٌ : ما قريشٌ ومكّةٌ ... كما قال ناسٌ : ما جديسٌ وما طسْمُ ؟
أرى الوقت يُفنى أنفساً بفنائه ... ويمحو فما يبقى الحديث ولا الرسمُ
لقد جَدّ أهلُ الملعبين فأثّلوا ... بناءً ولم يثبت لرافعهِ وَسْمُ
وفى العالم الغاوى بخيلٌ مموّلٌ ... وسَمْحٌ فقيرٌ، شدّ ما اختلف القسمُ
وكونُ الفتى فى رهطه نيلُ عزّةٍ ... على أن داء الدهر ليس له حسمُ
ويرزأ جسمُ المرء حتى إذا أوى ... إلى العنصر التربىّ لم يُرزأ الجسمُ

فقد التزم فى القصيدة كما ترى حرفى السين والميم ، ثم قال :

اذا قيل : غالَ الدهرُ شيئاً فانما ... يُراد إلهُ الدهرِ والدهرُ خادمُ
ومولدُ هذى الشمس أعياك حدُّه ... وخبّرَ لبٌّ أنه متقادمُ
وأيسرُ كونٍ تحته كلُّ عالم ... ولا تدرك الاكوان جُرْدٌ صلادمُ
اذا هى مرّت لم تعد ووراءها ... نظائرُ ، والأوقاتُ ماضٍ وقادمُ
فما آبَ منها بعد ما غابَ غائبٌ ... ولا يعدم الحينَ المجدَّدَ عادمُ
كأنك أودعتَ التماثيل أنفساً ... وأنت على التفريط فى ذاك نادمُ

وما آدمٌ فى مذهب العقل واحداً ولكنه عند القياس أوادمُ
تخالفتُ الأغراضُ : ناسٍ وذاكرٌ وسالٍ ومشتاقٌ وبانٍ وهادمُ

فانت تراه فى هذه المرة يلتزم حروف الالف والدال والميم بكل بيت ثم يقول :

طلبَ الخسائسَ وارتقى فى منبر يصف الحساب لأمةٍ ليهولها
ويكون غير مصدقٍ بقيامةٍ أمسى يمثّل فى النفوس ذهولها
ووجدتُ ليلَ الغيّ ألبس مُردها وشيوخها وشبابها وكهولها
لو قام أمواتُ العواصم وحدها ملأوا البلادَ حزونها وسهولها
فخُذِ الذى قال اللبيبُ وعِشْ به ودعِ الغواة كذوبها وجهولها

فانت تراه فى هذه المرة يأخذ نفسه بالتزام حرف الهاء والواو واللام والهاء والألفُ فى أبيات القصيدة كلها ، وانظر الى قوله :

اذا دارت الكأسُ فى دارهم فقد رحلَ الدينُ عن دارهم
فما وفّقوا عند إيرادهم ولا وفّقوا عند اصدارهم
وفى رفع أصواتهم بالغناء دليلٌ على حطّ أقدارهم
فان كنتَ خدناً لهم فاحبُهم جفاءً على قرب مزدارهم

فكم حرفاً التزم فى هذا القصيد ؟ لقد التزم حروف الدال والألف والراء والهاء والميم فى كل بيت نظمه ، وأما أعجب قوله :

يا أمةً فى التراب هامدةً تجاوزَ اللهُ عن سرائركم
يا ليتكم لم تطوا إماءكم ولا دنوتم الى حرائركم !
إن استرحتم مما نكابده فنحن مِن بعدُ فى جرائركم
قد خطب الخاطبون نسوتكم وأسكتَ الحسُّ من ضرائركم
ذرّ البلى فوقكم رمادته ولم تعودوا إلى ذرائركم
لو شاء ربى أمرٌ مقتدراً ما نقضَ الموتُ من مرائركم

فقد التزم فى هذا القصيد ستة أحرف ، والشواهد على ذلك كثيرة لا تحصى فليرجع اليها من شاء فى « لزوم ما لا يلزم » ، وذلك مما يشهد له بالتفوق فى اللغة

ومما يبطل حججَ الضعفاء الذين ينادون بعدم تقييد الشعر العربى بالقافية الواحدة فى القصيدة الواحدة ستراً لعجزهم وتبريراً لضعفهم .

« ٣ »

وكما اختص شعر أبى العلاء بلزوم ما لا يلزم حتى صار هـذا القيد شعاراً له وعلماً عليه ، فلم يستطع شاعر أن يجاريه فى ذلك مهما أوتى من القوة ، وأصبح قصارى الشاعر المجيد منهم إذا أراد أن يحاكى أبا العلاء فى ذلك أن ينظم القصيدة أو القصيدتين بعد جهد مضن ، وأين هذا الجهد الضئيل من قدرة المعرّى على نظم سفر ضخم لا تقل أبياته عن أحد عشر ألف بيت من الشعر الرائع الأخاذ؟! وليست هذه هى أكبر مزية للمعرى فى هذا الديوان الحافل بأروع ما خلقته العبقرية الانسانية ، فانك لتدهش أشـد الدهش حـين يطالعك أبو العلاء بطريقته الفذة التى سلكها فى بعض شعره ، والتى أفردته افراداً من بين شعراء العربية قاطبة ، وهى تمكنه وتلاعبه بالألفاظ والمعانى على السواء متوخياً تفسير الألفاظ الغامضة فى شعره حتى لا يسأم القارىء فتراه يقول مثلاً :

فلا يعس ِ فخّاراً (من الفخر) عائد — الى عنصر الفخار للنفع يضربُ
لعلّ اناء منه يصنع مرة — فيأكل فيه من أراد ويشربُ
ويحمل من أرض لأخرى وما درى — فواهاً له بعد البلى يتغرّبُ !

« • »

وكل أديب (أى سيدعى الى الردى — من الأدب لا أن الفتى متأدب)

« • »

نوديت ألويت فانزل (لا يراد أتى — سيرى لوا الرمل بل للنبت إلواء)

« • »

راعتك دنياك (من ريع الفؤاد) وما — راعتك فى العيش (من حسن المراعاة ِ
إن شئت ابليس أن تلقاه منصلتاً — بالسيف يضرب فاعمدْ لنجاعات ِ

« • »

يا صاع (لست أريدُ صاع مكيلة — فأضيفه لكن أرخّم صاعدا)
لا تدنوَنّ ِ من الشرور وأهلها — فتكون من أهل العلى متباعدا

« ٥ »

فزن (من الوزن) لفظاً حين ترسله وزن (من الزين) اعطاءً بترويح

« ٥ »

خيرت (من الخار) وذاك نحس وأما من خارك فهو سعد

« ٥ »

أقصرتُ (من قصر النهار) وقد أتى منى الغروب وليس لى إقصار

« ٥ »

وأنت على الأكوار (جمع الكور) والـ ـكور المسرح هذه الأكوار

« ٥ »

قرتك (من القرى) وقرت بهلك وأقرت عبأها وقرت شرورا

« ٥ »

غفرنا (وما أعنى اغتفاراً) وإنما عنيت انتكاس البرء لا كرم الغفر

« ٥ »

إن قلت صفوا بإلغاز فمعتمدى صفواً (من الصفو) لا صفو من الكدر

« ٥ »

أسنيت (من مر السنين) ولم أرد أسنيت من ضوء السنا البهار

« ٥ »

وفوائد الأسفار (جمع السفر) فى الدنيا تفوق فوائد الأسفار

« ٥ »

إذا أوجدت يوماً (من الوجد) أوجدت من (الوجد) هذا خلقها وهو أشرس

متى ما تحاول فارساً (من فراسة) فأنى من زيد وبسطام أفرس

« ٥ »

إن تراعوا (من المراعاة) ربا لا تراعوا بالروع من ذات رمض

« ٥ »

تمسكْ بتقوى الله (لست بقائل تمسك) ومعناى السوار أو المسكُ

« • »

ومعتزلىّ لم أوافقه ساعة أقول له فى اللفظ دينك أجزلُ
أريد به (من جزلة الظهر) لم أرد من الجزل فى الأقوال تاوّى وتجزلُ

« • »

ساحليون (لم أرد ساحل البحر) ولكن نسباً لاقر ساحل

« • »

هل تسمعون فانى فارس أربى (من الفراسة) إذ للحرب فرسان

إلى آخر هذه الأبيات التى تكثر فى لزومياته، وما أحسبنى فى حاجة إلى تقصّيها فى هذه الالمامة الموجزة.

وليست هذه كل مزاياه فانه كثيراً ما يلجأ إلى تضمين آراء الشعراء وأقوالهم فى شعره فتراه يقول:

مضى الأنام فلولا علم حالهم لقلت قول زهير آية سلكوا

أو يقول:

من قال صاحب لئام الناس قلت له قول ابن أسلت قد أبلغت أسماعى

ومن خصائصه النادرة تلك التشبيهات المبتكرة التى يربط بها المعانى الرائعة بالصرف والنحو وما إلى ذلك، كقوله:

أعللت علة قال وهى قديمة أعيا الأطبة كلهم ابراؤها

وقوله:

مالى غدوت كقاف رؤبة قيدت فى الدهر لم يقدر لها اجراؤها

وبعد، فان خصائص المعرى أعظم من أن تحيط بها كلمة مقتضبة موجزة كهذه الكلمة، ولكننا أردنا أن نشير اليها إشارة سريعة آملين أن نعود اليها بشىء من الافاضة متى أمكننا الوقت، وأتيحت لنا الفرصة ؟

صبر ابراهيم

ذكرى

وقفةٌ قبلَ المسيرْ ذكرُ رَمْـلٍ وزبدْ
ذكرُ نُورٍ شعٌ فى ظلمةِ الليـلِ البهيمْ
عاشَ لحظاتٍ مضت وانطفى حتى الأبدْ !

***

غريب

وُلدتُ غريباً فى الحيـاة واننى أسامر أفكار الفَـناء المعذّبِ
فياليتَ رُوحى لم تجد فيه مسكناً ولا امطرت عينى دموعَ التغرُّبِ

***

اعصفى يا رياح

إعصفى يا رياحْ
كيفما شئتِ
فانى لست أدري ما الهدوءْ
واقصفى يا رعودْ
كيفما شئتِ
واهلعى القلبَ الضعيفْ
ان قلبي ليس تغنيه رياحْ
لا ولن يهلعه قصف الرعودْ ؟

جرمانوس لطفى

طرائف العظماء

لقى غلام أبا العلاء المعرى فقال : مَن أنت أيها الشيخ ؟ فأجاب : فلان . فقال الغلام : أنت القائل فى شعرك :

وانى وان كنتُ الأخير زمانه   لآتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ

قال : نعم ، فقال الغلام : يا عمّاه ! ان الأوائل قد رتبوا ثمانية وعشرين حرفاً للهجاء ، فهل لك أن تزيد عليها حرفاً ؟ فدهش المعرى ولم يحر جواباً .

« ٥ »

كان الشاعر (شلى) يتلهى فى أوقات فراغه بتعويم مراكب تصنع من ورق الكتابة على شاطىء نهر التاميز حتى رُوى عنه أنه لما كان يعوزه الورق كان يعمد الى ورق المصارف (بنك نوت) فيصنع منه مركباً على نحو ما يصنع الأطفال ثم يعوّمه فى الماء !

« ٥ »

قيل إن (ديوجنيس) زعيم فلاسفة اليونان كان يزيف النقود فى حداثته ، ولما افتضح أمره فرّ هارباً الى أثينا خوفاً من القصاص الذى يلحق مقترف هذا الجرم ، وهناك قصد (انتثينس) ليقرأ عليه الفلسفة فرفض أن يقبله معتذراً بأنه آلى على نفسه الاّ يعلم أحد ، وأما ديوجنيس فتغلب عليه وذلك ان الأخير تهدده بالعصا إن لم يبادر بالخروج من داره فأجابه مطأطئاً رأسه : اضرب ولكن اعلم أنك ما دمت تتكلم لست أبالى بضرب العصا ! فسُرّ الفيلسوف وقبله تلميذاً .

« ٥ »

كان (وردسورث) يدرس دائماً فى الخلاء ، وروى عن أحد الناس انه جاء لزيارته ليشاهد غرفة درسه فأراه الخادم غرفة قال : انها مكتبة سيدى ، أما هو فيدرس فى الحقول !

« ٥ »

كان كليليوس الفيلسوف الرواقى مصارعاً ثم سقّاء لحدائق بعض الاشراف بأثينا وكان فيثاغورس صاحب الفلسفة المشهورة ابن صائغ وأوريبيدس الشاعر التمثيلى ابن

بستاني وديستيني ابن أحد صناع الأسلحة ، وفيرجيل ابن فاخورى ، وشكسبير ما كان أبوه الا صوافاً ، وابن جونسون كان أبوه طوّاباً ، وروبرت برنز الشاعر الظريف كان حراثا ، وجون كيتس الشاعر الخالد كان عطاراً .

وكان أبو كارليل بناء وأبو الشاعر الفحل المتنبي سقاء وكذلك أبو تمام وكان يعمل فى جامع مصر بل قيل كان يخدم حائكاً ويعمل عنده بدمشق وكان بشار بن برد رقيقاً وُلد فى الرق فاعتقته امرأة .

« ٠ »

لم تظهر على الكونت تلستوى فى صغره أى نجابة بل كان بالعكس محباً للهو واللعب والحاق الأذى بالناس يكره الدرس سريع التأثر . وقد ذكر فى كتابه (الطفولية) ان خاطراً جاش فى صدره يوماً وهو ان الموت فى انتشار الانسان دائماً فيجب على الانسان أن يغتبط بحاضره ويدع المستقبل وشأنه وانقياداً لهذه الفكرة ترك الدفاتر والمحابر والكتب وهرع الى اللهو واللعب فكثيراً ما شارك أباه الصيد والقنص ولازم الحوذى فى عربته يطوفان بالقرى المجاورة م ؟

نقولا حنا ابراهيم

انا والسعال

بينى وبينك يا سُعالُ فى كلِّ آونةٍ نزالُ
فى الصبحِ ، فى غسقِ الدجى يقسو ويشتدّ النضالُ
أشعلتَ نارَ الحرب فى جسدٍ أضرَّ به الهزالُ
وجعلتَ منى الصدرَ ميـ ـداناً يسود به القتالُ
لكَ الانتصارُ اذا الرحى دارت ولى أنا الانخذالُ
حاربتَنى ، فغلبتنى والحربُ عادتها سجالُ

***

الحربُ قائمـــةٌ على قدمٍ وساقٍ لا تزالُ

قد خُضتُها كرهاً ، فهل مِنْ هدنةٍ فيها أنالُ ؟
ما لى بحربكَ طاقةٌ كلاَّ ولا عندى احتمالُ

***



عبد الهادى الطويل

ويقولُ اخوانى وقد شهدوكَ عندى يا سعالُ :
خُذْ مدفئاً يذهب ولا يبقى له حتى الخيالُ
ثم اتّخذْ لك شملةً يقطع سعالك الاشتمالُ
فأخذتُ ما وصفوه لى وفعلتُ ما أمروا وقالوا
وشربتُ ناراً رغم نا رٍ فى الضلوع لها اشتعالُ
ثم اشتملتُ وخلتُ أن حسنتْ لهذا الصدر حالُ
فاذا بدائى فى الحشا والصـدر ليس له زوالُ
فسألت غـيرهمو فما أغنى الجوابُ ولا السـؤالُ

حتى يئستُ وخانني جَلدى وأدركنى الملالُ
وعلمتُ أنَّ البرء منـ ـها قد أصبحَ به محالُ

***

لم يبق عندى مَلجأٌ الا الرضاء والامتثالُ
فافعلْ بصدرى ما تشا ء فليس لى فيك احتيالُ
إنى اذا ما متُّ لمْ تجزع على موتى النّصالُ
لـكنْ سيندب مصرعى شعرٌ يَحفُّ به الجلالُ

عبد الهادى الطويل

ابو الطيب المتنبي

أخلاقه وصفاته

مفخرة من مفاخر الأمة العربية، وثروة غالية من ثرواتها الأدبية الرائعة، «ملأ الدنيا وشغل الناس»(١)، الشاعر العبقرى الخالد، السائر على الألسنة ما بقى الدهر. ألم يصح ما قال:

وما الدهر الاّ من رواة قصائدي اذا قلتُ شعراً أصبح الدهر منشداً
فسار به مَن لا يسير مشمراً وغنّى به مَن لا يغنّى مغرّدا
ودعْ كلَّ صوتٍ غيرَ صوتى فانني أنا الطائر المحكىُّ والآخر الصدى

***

اذا تصفحتَ ديوان المتنبي لتقرأه تلمس شخصيته فى كل قصيدة من قصائده، بل فى كل بيت من أبياته تعثر على ناحية من نفسيته الفذة التى هى مجموعة خلال وصفات تفرّد بها فكانت مثلاً أعلى للرجولة الحقة، للنفس الكبيرة العبقرية ذات الموهبة والكفاءة كما ستراها الآن.

للمتنبي نفس طموحة الى المجد، طامعة فى العلاء والرفعة، راغبة فى العظمة والخيلاء، متعطشة الى السيادة والحكم، توّاقة الى أسمى المراتب وأعلى المناصب الى مالا يفتكر فيه سواه ولا يخطر على قلب بشر.

---

(١) ابن رشيق فى العمدة

أريد من الأيام ما لا يريده سواى ولا يجرى بخاطره فكرا

وبالفعل فقد ادعى النبوة ولكنه فشل كما تعلم فالتفت الى الملك والولاية :

فارم بى ما أردت منى فانى أسد القلب آدمى الرواء

وفؤادى من الملوك وإن كا ن لسانى يرى من الشعراء

يعتد أبو الطيب بنفسه لدرجة أن لا يفضله انسان ولا يفوقه أحد :

إن أكن معجباً فعجب عجيب لا يرى فوق نفسه من مزيد

لم يضارعه أحد ولم يجد له صنوا :

أمط عنك تشبيهى بما وكأنه فما أحد فوقى ولا أحد مثلى

فخيرة أهل زمانه كما يصفهم :

أذم الى هذا الزمان أهيله فأعلمهم فدم وأحزمهم وغد

وأكرمهم كلب وأبصرهم عم وأسهدهم فهد وأشجعهم قرد

وعامة الناس عنده أشبه بالحيوانات والبهائم :

تلقى بكل مكان منهم خلقاً تخطى إذا جئت باستفهامها بمن

هو ذو همة شديدة وجلد صليب على قطع البلاد :

أبداً أقطع البلاد ونجمى فى نحوس وهمتى فى سعود

فيتعب بالراحة والاقامة ويستريح بالتعب والمشقة :

ذرانى والفلاة بلا دليل ووجهى والهجير بلا لثام

فانى أستريح بذى وهذا وأتعب بالإناخة والمقام

فمن تعوّد على القتال والطعان لا يأنس بالراحة التى تكون احياناً مدعاة للضر بجسمه :

يقول لى الطبيب : أكلت شيئاً وداؤك فى شرابك والطعام

وما فى طبه انى جواد أضر بجسمه طول الجمام

تعوّد أن يغبّر فى السرايا ويدخل من قتام فى قتام

المتنبي قوى ، جرىء ، مقدام ، بطاش لا يرهب قوة ولا بأساً ولا يجزع حتى من ملاقاة الحمام :

ذكرت جسيم مطّلبي وإنا نخاطر فيه بالمهج الجسام

أمثلى تأخذ النكبات منه ويعجز عن ملاقاة الحمام
ولو برز الزمانُ الىَّ شخصاً لخضّب شعر مفرقه حسامى ؟!

يزعم أن قوته لا تدانيها قوة الجيوش فيمتو ويسطو على العاتين والساطين :

لتعلم مصر ومن بالعراق ومَن بالعواصم أنى الفتى
وانى وفيت وانى أبيت وانى عتوت على مَن عتا

المتنبي عصامى لم يتشرف بأهله بل تشرف بنفسه :

لا بقومى شرفتُ بل شرفوا بى وبنفسى فخرتُ لا بجدودى

وعصاميته أكسبت قومه فخراً عظيماً جعلتهم مفخرة العروبة :

وبهم فخر كل من نطق الضاد وعوذ الجانى وغوث الطريد

ويكفى أن يكون لأحدهم صلة به لينال الشرف الخالد والفخر الأثيل كما قال فى رثاء جدته :

ولو لم تكونى بنت أكرم والد لكان أباك الضخم كونك لى أمّا

المتنبي لا يعرف القناعة فذو المطامع الكبيرة والآمال البعيدة والمطلب الذى لا يدرك ولا يحدّ لا يرضى بالاقلال ولا يقنع بميسور العيش :

وفى الناس مَن يرضى بميسور عيشه ومركوبه رجلاه والثوب جلده
ولكن قلباً بين جنبىّ ما له مدى ينتهى بى فى مراد أحده

المتنبي ألوف ، وفى ، مخلص ، لا يحمل قلبه حقداً ولا يوغر صدره غلا :

خلقت ألوفاً لو رجعت الى الصبا لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

يحفظ الجميل ولا ينكر المعروف ، يغفر الاساءة لصاحب الفضل :

فان يكن الفعل الذى ساء واحداً فأفعاله اللائى سررن ألوفا

المتنبي كتوم للسر لا يبوح به ولو شرب :

وللسرّ منى موضع لا يناله نديمٌ ولا يفضى اليه شرابُ

أبو الطيب صادق فى قوله وعمله :

لقد أباحك غشاً فى معاملةٍ ... مَن كنت منه بغير الصدق تنتفعُ

لم يعشق المتنبي لأن العشق مظهر من المظاهر الباطلة فضلا عن أن لحاظ الغانيات لم تنفذ الى قلبه :

وما العشقُ الا ّ غرة وطماعة ... يعرّض قلب نفسه فيصابُ

وغير فؤادى للغوانى رمية ... وغير بنانى للزجاج ركابُ

يعاشر أبو الطيب الكرام وينبذ اللئام الناقصين حتى اذا وجد من أخيه عوجاً أو نقصاً يأنف منه :

وآنفُ مِن أخى لأبي وأمى ... اذا ما لم أجده من الكرام

يصون العرض ويهون عليه كل شيء فى سبيل المحافظة على عرضه من أن يتلطخ بوزرٍ أو اثمٍ :

يهون علينا أن تصاب جسومُنا ... وتسلم أعراضٌ لنا وعقولُ

فيما سبق ظهر لك أن المتنبي ذو أخلاق عالية وخلال حسنة ينـدر أن تجتمع فى انسان كاجتماعها بشخص أبى الطيب فهو — كما بدا لك عظيماً فى شخصيته ـ عظيمٌ فى شعره ، عظيم فى أدبه .

حمص : نعيم عيسى العاقل



مصطفى نجيب

فى مستهل أكتوبر الآتى تحين ذكرى مرور ثلاث وثلاثين سنة على وفاة الكاتب الشاعر الألمعى مصطفى نجيب بك زميل المرحومين مصطفى كامل باشا ومحمد فريد بك ومن أقطاب الوطنية الذين اعتمد على اخلاصهم وتفانيهم الحزبُ الوطنى

فى كفاحه الأول ، وزميل المرحومين اسماعيل صبرى باشا واحمد شوقى بك فى المودة الأدبية وفى الروح الشعرية . توفى الفقيد الكبير فى أول أكتوبر سنة ١٩٠٢ ودفن بمدينة الاسكندرية ، وقد مرّت عشرات السنين ولا يزال أدبه غضاً ناضراً ، وحسبك أن تقرأ كتابيه (حماة الاسلام) و (أحلام الاحلام) وتراجع مقالاته الوطنية والأدبية الرائعة فى « اللواء » وكأنك أمام كاتب من أفصح كتاب العصر العباسىّ ، وحسبك أن تقرأ شعره المنبثّ فى كتب الأدب لترى الشاعرية البليغة الحيّة على مرّ الزمان .

انّ هذه الذكرى الغالية جديرة بحفاوة أهل الوطنية وأهل الأدب عامةً وأهل الشعر خاصة ، جديرةٌ بأن تسجل دراساتها فى كتاب أدبى قيم يُرجع اليه . وانى أقترح منذ الآن على شاعر العربية الجليل أستاذنا خليل مطران أن يتولى رعايته هذه الذكرى فقد كان من أخلص محبي الفقيد الكبير كما تشهد بذلك كتابته الرائعة عنه .

وليس فى إمكانى هنا أن أقوم بدراسة تحليلية لشعر مصطفى نجيب ــ وهو ما يَعنى هذه المجلة الشعرية ــ بل حسبي فى هذه المناسبة أولاً أن أنبه الى واجب تلك الذكرى المجيدة ، وثانياً أن أشير الى نماذج من شعره الرائع المتين الاسلوب البرّاق الخاطر .

قال من رثائه لصديقه المطرب الشهير عبده الحمولى :

كدَّرْتَ فى عينى السرورَ فصار لى ... فى كلِّ مَشهَدِ بهجةٍ إيلامُ
فاعجبْ لحسنٍ فى مقام مَسَرَّةٍ ... واعجبْ لحربٍ والزّمانُ سلامُ
أيقنتُ أنَّ الدهرَ بعدكَ قد عفا ... والدارَ خلوٌ والزمانَ عقامُ
ولقد أسنَّتْ مِصْرُ بعدَ شبابها ... وتناجِها وأصابَها الاعقامُ
مِنى على تلك الليالى لوعةٌ ... فسلوُّهنَّ على المحبِّ حرامُ
مَنْ كان يُدْرِكُ أنسَها ونعيمَها ... وبَكى لها أسفاً فليس يُلامُ

***

وقال فى إنكار للتفريج الأعمى الذى كان متفشياً فى ذلك الوقت بمصر :

أغرّكَ ما تلقاه منْ حُسْنِ مَلْبَسٍ ... ومِنْ شاهقاتِ الدُّور نحو السما تعلو

ومنْ عرباتٍ غادياتٍ روائحٍ ومنْ كهرباءٍ لا يُصادمُها الليلُ ؟
مَناظرُ أوهامٍ لَعمركَ كلُّها وماذا يفيدُ الزجُّ غادرَه النصلُ
مَظاهرُ تقليدٍ أقيمتْ بلا نُهىً إذا هُدِمَتْ يوماً تبوّأها العقلُ
بنَتْها يدُ الأوْهامِ حتى إذا هفتْ بها الرّيحُ أهوتْها فليس لها أصلُ
تَركنا سجايانا وهِمْنا بغيرنا غروراً ، ففى أعناقِ أكثرنا غلُّ
جهلنا نواميسَ الحياةِ ، وإنّها لأوّلُ مايدعو لها العقلُ والنقلُ
تبصَّرْ ! فليس العيشُ إلاّ معامعٌ يفوزُ بها الأقوى ويكبو بها النُّزْلُ(١)
قضتْ سُنّةُ الدنيا بهذا فلا تكنْ أسيرَ أمانٍ ، لا شعورٌ ولا حَوْلُ

***

وقال من قصيدةٍ فى وصف « الكرنك » :

أهاجَ طِيبةَ بالى رَبعُكِ البالى واستوقفَ الفكرَ فى حالٍ وفى حالِ
للهِ ما أبقتْ الأيامُ مِنْ أثرٍ شادتْه أيدى العُلا فى عصرِ إقبالِ
يا رَبعُ هل تُحسنُ الفتوَى فتخبرنا عمّا تعاقبَ فى صفوٍ وأهوالِ
أرى الملوكَ رُسوماً فيكَ ساهمةً كأنها لم تُجرِّرْ فضلَ أذيالِ
قد غيرَ الدّهرُ منها كلَّ مَعلَمةٍ وابتزَّ منها عزيزَ الملبسِ الغالى
إنْ يَبلُها الدّهرُ فالآثارُ مابرحتْ تتلو لنا سِرَّ أقوالٍ وأفعالِ
قد شادَتْ الناسُ ماشادَتهُ من حَجرٍ وشادَ ما شادَهُ مِنهُمْ بأجْيالِ

***

وقال من قصيدة طويلة فى رثاء الخديو اسماعيل :

أحُزناً ومِنْ عاداتِ طلعتِكَ البِشْرُ وقبراً وكانت تحتَ أخمصكَ الزُّهْرُ؟!
وموتاً وقد أحيا بك الدهرُ ذكره بكلِّ جميلٍ ليس يخلقه الذكرُ؟!

---

(١) النزل : القاعدون .

طلعتَ علينـا طلعةً إثرَ غيبةٍ — وزُرتَ ولـكنْ بعد ما قُضىَ الأمرُ
فلا النَّفسُ نالت حظَّها مِنْ حَبيبها — ولا شُفيَتْ نفسٌ خليلتُها (مِصرُ)
فبؤساً لأيامٍ أساءتْ صنيعَهـا ! — أكان لها فى طمسِ عينِ العلا نذرُ ؟!
وأودتْ باسماعيل : مَنْ كان فى الورى — يُنفَكُّ به عانٍ ويُنعَشُ مضطرُ
بمنتخَبٍ مِنْ ذروة المُلْكِ كلما — دَجَى الخطبُ لم يكذبْ لعزمتهِ فجرُ
وكنّا زجرنا طائرَ النَّعْىِ والأسَى — وحُمَّ القضا فيهِ فلم ينفع الزجرُ
قضَى ذاكرَ الأوطانِ فى دارِ غُربةٍ — ولا غروَ أن يشتاقَ للوطنِ الحُرُّ
فأولِىَ فى فُلكٍ حوَى المجدَ والنَّدى — وأُودع نفساً حشو أبرادها الفخرُ
فسار يئنُّ الفلكُ لمَّا ثوى به — وصَكَّ مُحيَّاه بأمواجهِ البحرُ
ومِنْ عجبٍ أن قد غدا سائراً به — ومِن فوقهِ بحرٌ ومِنْ تحتهِ بحرُ !

ومنها :

عَلاَ فوق أعناقٍ غَدتْ مِن جلالهِ — يُظنُّ بها لولا خُشوعُ الرَّدى كِبرُ
عجبتُ لهـا أنَّى استقلت بحملهِ — وأثقلها مِنْ قَبْلِ نائلهِ الغَمْرُ ؟!
أرى عارضاً للمجدِ أقلعَ مُزْنُهُ — ومَنهلَ جودٍ غاض وانقطعَ الخيرُ
فلم أدر مُذْ أبصرتُ مَشْهدَ رزئهِ — أيومُ فراقٍ أم لقاءٍ هو الدَّهْرُ ؟!
رَمَتْهُ عيونُ الناسِ حتى حسبتُهُ — سترمقُه الافلاكُ والشمسُ والبدرُ
وقد أسمعَ الناعون فيـه صراخَهم — ولـكنَّ سمع المجـد قد عاقه أمرُ
طواهُ الرَّدَى طىَّ الرداءِ ولم تزل — فواضلُه العليا يضوعُ لهـا نَشْرُ

وكلها من هذا النسق العالى ، وقد عَرضَ فيهـا مسهباً مآثرَ اسماعيل الجليلة ووفاه حقه من التاريخ الصحيح .

ومن مراثيه الرائعة رثاء عبدالله فكرى باشا وجمال الدين الافغانى ورثاء عبده الحمولى الذى أشرتُ اليه فى مستهلّ هذا المقال . وأما رثاؤه لنجيب الحداد فقد

دوّنه بخطه هكذا ، وقد عُثر عليه فيما بعد بين ما بقى من أوراقه الخاصة التى سلمت من النهب والضياع (١) . قال الفقيد الكريم :

« لمّا صدر البيانُ والضياء رأينا فيهما شعراً نفيساً باسم نجيب الحداد واشتقنا لأن نراه ونلقاه ، فقصدنا الاستاذ الشيخ ابراهيم اليازجى صاحب الجريدتين وسألناه عليه فاذا به فى شدة المرض ، ثم ما لبثنا لحظة الا" وتلغراف نَعْيه واردٌ على حضرة الاستاذ ونحن فى الجلسة فأثر فينا ذلك الحال جداً ودعت الحالة لأن نرثيه بهذه الأبيات :

سَلبتْكَ داعيةُ البعادِ ... مِنْ قبلِ انسى بالودادِ
أسْعَى لودِّكَ ، والرَّدى ... يسعى على غيرِ المُرادِ
أنّى لانسانٍ يُنَلا ... حِقُ غَلوةَ الدهرِ الجواد
حَرْبٌ لأخيارِ الأنا ... مِ فينتقى خيرَ الجيادِ
نظرتكَ نفسى فى ريا ... ضِ مِنْ لطائفكَ العِتادِ
فرأيتُ بين الشِّعرِ رُو ... حاً تستفزُّ هوَى الفؤادِ
وقصائدٍ تَرْوِى بلُطْـ ... ـفِ رويِّها المُهَجَ الصَّوادى
أودَى بك الدهرُ الخؤو ... نُ وعُطِّلَتْ تلك الأيادى
فَصّافُ أفنانِ العُلا ... قَطّاعُ أوصالِ العبادِ
أسفى عليكَ ، وانّه ... أسفٌ الى يومِ التنادى
أسفى على نارِ الذّكا ... ءِ تؤولُ منكَ الى رمادِ
ولماء ذاكَ الوجهِ غا ... ضَ ، وكلُّ شىء للنفادِ
قد كنتُ أرجو أن أرى ... بكَ جحظةً وابنَ العمادِ
فأراكَ قد ساويتَ مَنْ ... فى التربِ مِن إرمٍ وعادِ
يا قُرْبَ ما كان اللقا ... ء وطولَ عَهْدِى بالبعادِ !

---

(١) أنى مدين بهذا البيان لصديقى الأديب الفنان سليمان نجيب مجل الفقيد .

فعزاء آلِ مجيبَ للشّجنِ المبرِّحِ والسهادِ
قد طار بلبلُ روضِكم أنّى الى الآدابِ شادى ؟
إنّ البراعةَ واليرا عةَ والبيانَ مع الصِّدادِ
ولطائفَ الأشعارِ والا أخبارِ تملأُ كلَّ نادى
وأداةَ كُتّابِ البـــــلا غةِ والطّروسِ مع المدادِ
حَزنتْ وقد لبستْ على الحدّادِ أثوابَ الحِدادِ »

وللفقيد فى مناجاة القمر نظماً ونثراً آيات ساحرة ، ولولا ضيق الفراغ لنقلت احدى مطوّلاته الشعرية فى ذلك ، وهذا مثالٌ منها مستلهماً القمر :

يا لوعةً لا تكادُ تطفَى أُضحى بها دائماً وأُمسى
ومحنةً لا تكادُ تخفَى فى حالتىْ وحشتى وأنسى
ومأمَناً نِلتُ منه حيفاً كأنَّ نفسى عذابُ نفسى
أسعدَنى وهو لى شقائى أحرقنى وهو لى خليلْ
كقابِ قوسينِ فى التراثى وما إلى قُربهِ سبيلْ !

* * *

ناشدتُها قبلَ يوم بَينى فى آخرِ العهدِ بالتّدانى
بأن تَنى فى الغرام دَينى وتنظرَ البدرَ حيث كانْ
لتلتقى عينُها وعينى عليهِ وقتاً مِن الزّمانْ
فانْ حبَا العهدَ بالوفاءْ وحققَ الظنَّ للخليلْ
كان اتصالاً مِنَ السّماءْ إذليس فى الأرضِ مِنْ وصولْ !

* * *

آهٍ على فائتِ الزّمانِ والقلبُ بالقُربِ فى سُرورْ
ونحنُ فى الأمنِ والأمانى والدّهرُ فى كيدنا يَدورْ
إن غابَ عنّى وعن عيانى فانّ مَثواهُ فى الصدورْ

ما دارتْ العـينُ فى الفضاءِ إلا تَرائيهِ فى المـُثولْ
أشـهدُه دونـَ كلِّ رائى ما كلُّ مَنْ قد رأى يعيلْ (١)

وللفقيد فى وفاة الملكة فكتوريا قصيدة لاميـة طويلة جمعت بين السياسة والوصف والتاريخ لحرب البوير . وله قصيدة بليغة فى أحد تحاريق النيل تُعدُّ من أجود شعره .

ومن شعره النثرى اللطيف الذائع تحيةُ القرن العشرين ، وأوصافُه الشائقةُ المنوَّعةُ فى شتى الأغراض الفنية ، وأعدُّ منه رسائله الاخوانية ، فجميعها فوَّاحةٌ بعبقِ الشعرِ ، كما أنَّ له غيرَ قليلٍ من الأغانى المهذَّبة القديمة .

ولعلَّ فى مقدّمةِ الجديرين بانصاف ذكرى الفقيد الشاعرين الشهيرين أحمد محرم وابراهيم الدباغ ، فكلاهما عليمٌ بأدبه النفيس وجديرٌ بهـذا الانصاف فى بلدٍ « كلُّ شىءٍ فيه يُنسَى بعد حين » ؟

محمد عبد الغفور



الخــلود

أموتُ وأحيا كلَّ يومٍ مُجدَّدًا فأينَ ضلالاتى ؟ وأينَ لىَ الهدَى ؟
لقد جئتُ مِنْ فجر الزمانِ كأننى خيوطٌ به تبدا وتمضى على المدَى
ومَثَّل جسْمى فى النشوء نشوءه فتكوين جسمى رمزُ ما مَرَّ سرمدا
ملايينُ مِنْ حىِّ الخلايا كيانُهـا كيانى ، وأخرى إنْ تمتْ لم تمتْ سُدى

---

(١) يعيل : يعشق

تَطوَّرَ جسمى بل ونفسى ، فها أنا — أمثّل ماضى الخَلْقِ واليومَ والغدا
أجلْ ، ذلك الآتى البعيدُ أحسُّهُ — بنفسى وأحوى منه أصْلا ممهّدا
كما كان جسمى ذرّةً بعد ذرةٍ — ملايينَ مِنْ عُمرِ الحياةِ مُخلّدا
فما الخلدُ الا النوعُ يَمْضى مخلَّدا — وما الموتُ الا الفردُ يحيا مبدّدا
وما الرّوحُ الا كلّ معنًى نَشيمُه — من الحىّ فى شتّى الرسومِ ومفردا

***

وَمثّلْتِ لى أنتِ المعانى جميعَها — فشاهدتُ فيك (اللهَ) روحاً ومَعبدا
لئنْ عشتِ فى دنيا الأنامِ أسيرةً — فمن قبلُ قد عاش (المسيحُ) مصفدا
أبنْتِ لنا سِرَّ الخُلودِ فغرّدَتْ — حياتى وأضحى كلُّ حُسْنٍ مغرّدا
ولستُ أبالى بعد يومىَ إن أمُتْ — متى كنتُ للآتى المؤمّلِ مُسعِدا
شرحتُ له دِينَ الجمالِ فحسبُه — وحسبي إذنْ أنى أموتُ له الفِدَى

الإضمار

تأمّلْتُ فى دنياى حتى وجدتُها — نقيضةَ ما تُبدى لعينى المظاهرُ
وما كان هذا النّقضُ نَقضاً بذاته — ولكنّه فيما يُناقضُ ساحرُ
كما ألِفَ الأطيافَ ضوءٌ موحّدٌ — فغابت ومِن أمواجِها الضوءُ عامرُ
ففى كلّ شىءٍ آخَرٌ عاش مُضمَراً — فتبدو وإنْ تُحجَبْ لحسّى الضمائرُ
وما عالَمُ الذرّاتِ ماالعلمُ كاشفٌ — اذا خدعتْ كالعالمينَ العناصرُ
تَقلّبُ ألواناً رياءً مُجدَّداً — وتَخذُلنا منها النُّهى والمشاعرُ
وما بَذّها فى سُرعةِ الوثب طائرٌ — ولا فاقَها فى وثبةِ الوهمِ شاعرُ
فأحسستُ أنّ الكونَ أضعافُ ما أرى — وكلٌّ وجودٍ ضِدُّه فيهِ حائرُ
وآمنتُ بالمعنى الخفىّ فانه — مِنَ النورِ : يخفى وهو كالنورِ غامرُ (١)
تَوحّدَتْ الأضدادُ فى كلّ كائنٍ — ففى المؤمنِ المشهودِ يكمنُ كافرُ
وقد ضَلّ كلُّ الناسِ ساعةَ هدْيِهمْ — لذلك دهرُ الناسِ بالناسِ ساخرُ !

أحمد زكى أبو شادى

(١) اشارة الى أمواج النور غير المنظورة



بعـــد عام

لى حبيبٌ مِلْءُ عَينى أزرقُ العينينِ ساحرْ
حُسْنُه فوقَ التَّمَنِّى وَجْهُهُ أحلامُ شاعرْ
شَعْرُهُ كلٌّ المعانى فيه شِعْرٌ يَتَوَثَّبْ


محمد احمد رجب

فيه مِن روحِ المَثَانى فيه شمسٌ تتلهَّبْ
غابَ عنى بعدَ عامْ كان عمْراً للقُبَلْ
فتوارَى فى انْفِصامْ أملٌ بعدَ أمَلْ
قِصةُ الحُبِّ الجديدْ مثلُ أنغامِ الربيعْ
تَفْنَى والقلبُ العميدْ فى أغانيهِ يضيعْ !

محمد احمد رجب
(المحامى)

حلم

تَغَنَّتْ لمطلعها الساحرِ ملائكةُ الحبِّ فى خاطرى
فأهدَتْ إلى شَفَتى قُبلةً وقالتْ : احِبُّكَ يا شاعرى !
وراحتْ تُدَلّلنى كالصغيرِ وتغمرنى بالرِّضا الغامرِ
وتَجعلُ مِن صدرِها مخدعاً لأجفانِ مجنونها السَّاهرِ
فقلتُ حرامٌ علىَّ الكرَى إذا كنتُ فى الحَرَمِ الطاهرِ
لكم رُمْتُ اغفاءةً كى أرَى خيالكِ عند الكرى زائرى
فأمَّا : وقد ضمَّنا الملتقى فلستُ على النومِ بالقادرِ

***

ومَرَّ الظلامُ ودانَ الصباحُ وهامَ الضِّياءُ على ناظرى
فألفيتُه حُلماً قد مضَى ففسِّرْهُ باللهِ يا هاجرى !

براغ ﴿ صالح جودت



فن شكسبير

فى نظر تولستوى

عبقرية شكسبير موضع اعجاب الأمم وفخر الأدباء ، ولهذا رأينا بعضَ الأمم يتنازعون فخر نسبته اليهم ، وضاق صدر الناس حين سمعوا أن رجلا عادياً من قرية « استراتفورد » يخرج أسمى ما أخرجه عقل بشرى ! وراح فريق من الناس ينكر على شكسبير نسبة هذه الروايات الخالدة اليه ، وزعموا أن يكون هو كاتبها .

وهــذا زعم لا سند له من الحق . والحق أن شكسبير القروى كان رجــلا فذاً موهوبا ، له بديهه نادرة ، وخيــال خصيب رائع ، وكان رجلا فاضلا أحب الفضيلة وأذاعها فى رواياته ، وخُلقيته تأخذ بلا ريب لبّ القارىء أكثر من فنه .

وهذا الرجل لم يكن شخصاً واحداً بل عدة أشخاص ، ولم يكن فـكرة واحدة بل عدة أفكار ، ولم يكن رجل انجلترة وحدها بل رجل العالم كله ، أو كما قال أحد الـكتاب عنه «أراد ربُّ الدراما أن يكتب فاستحال بشراً ووجد نفسه فى لندن ! »

وهذا الشاعر الضليع موضوع درس الأدباء والفنانين من أواخر القرن السادس عشر الى الوقت الحاضر ، وقد أعجب به جيته الألمانى كما أعجب خاصـة برواية « هملت » وحللها تحليلا بديعاً ، وهذا هو الشاعر الذى اعتـبره لسنج الالمـانى « مرآة الطبيعة » ، كما أعجب به فولتير اعجاب الحـذر المشفق منـه على المسرح الفرنسى وترجم له رواية يوليوس قيصر ووشّاها بالتعليقات الطريفـة ، وأبدى محاسنها ومعايبها ، وقال عنه إنه مهد طريقاً لم يطرقها أحد قبله ، وانه خلق فيـه ولـكنه تركه غير كامل ، وهذا الشاعر هو أيضاً الذى تحدث فيكتور هيجو عن عبقريته كما لو تحدث هيجو عن نفسه واعتبره من أعظم الاذهان البشرية .

هذا الشاعر الخطير نظر اليه الـكاتب الرومى الفذ نظرة عجيبة وذهب فى تقدير فنه مذهباً مخالفاً لهؤلاء الأدباء العظام وكثيراً ماراش سهمه ووجهه نحو أولئك الذين أعجبوا بفن شكسبير ، ومن باب الطرافة نثبت هنا أقوال تولستوى وحكمه على فن شـكسبير ، قال :

« أذكر الدهشة التى مسّتنى عند ما قرأت شـكسبير لأول مرة : كنتُ أؤمل أن أجد لذة جمالية فى مؤلفاته فطالعتها مرات كثيرة . وطالعت بخاصة تلك المؤلفات التى أجمع الناس على اعتبارها آية فى الجمال والفن ـ رواية الملك لير ، ورواية روميو وجوليت ، ورواية هملت ، ومكبث ، فما طافت بى لذة بعد قراءتها ، بل شـعرت باشمئزاز وتقزز كبيرين ! فهل أنا مصيب أم مخطىء إذا اعتبرت مؤلفات شـكسبير رديئة سخيفة ، تلك المؤلفات الجهيرة التى وجد فيها العالم المتمدين الكمال الأسمى ؟!

زاد قلقى ، ورَبَتْ حيرتى ، ولم أثق بنفسى ، فطفقت أستعيد قراءة تلك الروايات فى لغات متعددة . قرأتها باللغة الروسية ، وبالانجليزية ، وبالألمانية ، ورجعت الى ترجمة شليجل كما نصحنى الـكثيرون . ولـكنى لم أغنم جديداً ولم أظفر بنتيجة ، بل

كان شعورى واحداً لا يتغير ، شعور تقزز وتضجر وتشكك ! » .... ثم قال تولستوى :

« أكتب هذا وقد بلغت الخامسة والسبعين من عمرى . أكتب هذا وقد قرأت كل مؤلفات شكسبير ، وبنفسى نفس الشعور الذى طاف بى من أول قراءتى له . وأنى لمتأكد أن تلك الخلال التى يخلعونها على الرجل ، والتى هو محروم منها ، خطر كبير ككل أكذوبة ! »

مصطفى عبد اللطيف السحرتى
(المحامى)



شعر الشباب

أقدر كل التقدير تعليقكم على رسالتى عن شعر الشباب ، وإن كنتم طالبتمونى بأمثلة صريحة على ما أرى من تشابهٍ فى النماذج فانى أرى الخير فى عدم ذكرها . فصحيح ما قلتم من أن هذا الشعر كثير التنوّع فى المرامى والمعانى والأخيلة والأساليب ، ولكن ما قصدتُ اليه هو أنه كثير التشابه فى الروح ، ولا أظن أن جميع الشعراء يتحدون فى الروح ، ولأضربْ لكم مثلا بسيطاً : كان الشاعران شيلى وبيرون متعاصرين وكانا طليعة الشباب المجدّد القوىّ فى عصرهما ، ولكنهما اختلفا فى الروح ، فكان شيلى يفنى فناءً تاماً فى حبّ الحياة والاندماج فيها بينما كان بيرون يكره ضوضاءها مؤثراً العزلة والانفراد ، حتى أن ضوضاء الحياة تكاد تقتله كما يقول شيلى نفسه معرضاً به من قصيدة (أدونيس) : « فوق الزهرة الذابلة تبتسم الشمسُ المميتةُ بالأنوار » .

فهذا هو ما قصدتُ اليه ، ومن الخير للنهضة الأدبية أن يُنبَّه الشعراء الشباب الى ذلك ، فلا يصدروا الا عن احساساتهم ، غير متأثّرين روحَ الغير ، وبذلك يكون الصدقُ عندنا أساساً فى التعبير عن الشعور ؟

عامر محمد بحيرى

الديمقراطية والأدب

أخذتُ على الدكتور أبوشادي — كما أخذ عليه غيري من أصدقائه ومريديه — ديمقراطيته المتناهية التي دلّت التجربة على أنها لا تناسب البيئة المصرية ، ولكن هذه المؤاخذة في الواقع غير معقولة لأنه من العسير جداً بل من المستحيل أن نغير هذه الطبيعة في رجل ربي تربية ديمقراطية وقضى أحدعشر عاماً في بلاد الديمقراطية الصحيحة ، فكان نصير الديمقراطية في أدبه وكان مثال الديمقراطية التامة في خلقه[1]. الرجل الذي تكتب صحيفة (التيمس) عن جهوده ، وتشيد بأعماله هيئات شتى في مصر والخارج ، في غنى عن أن يتكلف العظمة والتعالى خصوصاً بعد أن بلغ العقد الخامس من عمره .

لا أعرف أديباً بارزاً صنع ما صنعه الدكتور أبوشادي من افساح الميدان للأدباء المغمورين ومن تهيئة الجوّ للجيل الجديد ، راضياً عن طيبة خاطر أن يتسلّق شهرته الناشئون ليظهروا على حسابه ما داموا من أهل المواهب فرحاً بتكوين هذه الشخصيات الجديدة ، معتبراً مهمته الكبرى أن يناول رسالته الفنية من جيله الى الجيل التالى وأن يحقق للأدب وللوطن تميُّز هذا الجيل التالى. وهذا دليل على غنى نفسه التي تحب أن تعطى ولا تأخذ .

ولا شك أن تعاليم أبوشادي هذه وجهوده أثمرت ثمرتها فأصبح الشعر والشعراء حديث الأندية الأدبية ، وظهرت أصوات جديدة كانت في غمرة النسيان والاغفال ، ومع كل هذا فلم ينتفع أبوشادي من وراء ذلك ذرة من الانتفاع ، بل قضت صوفيته أن يستمتع أو يتفكه بتفاسير المصغرين والجاحدين قدر استمتاعه بمراقبة النهضة الشعرية الحبيبة الى نفسه . وقد هالنى ما رأيته من التقاريظ المكدسة في « ندوة الثقافة » وقد أبى أن ينشر شيئاً منها ، ولو كانت في أيدى حساده ومناوئيه لطبلوا وزمروا لها شهوراً وسنين في الصحف المتصلين بها !

على أن الطبيعة البشرية التي جعلت المتنبي يصيح من أعماق نفسه :

ومَن عرفَ الأيامَ معرفتي بها وبالناسِ روّى رُمحَهُ غيرَ راحمِ

---

[1] — راجع ما ذكرته في دراستي (أبو شادي في الميزان) — ص ٦٧

هذه الطبيعة البشرية تحتم ظهور المنافقين والكائدين والخائنين . . . ولست أجارى المتشائمين الذين لحوا أكثرية هؤلاء من طلبة (دار العلوم) وخريجيها ، فقد يكون ذلك مجردَ مصادفةٍ ، وإن قيل إن معظم أولئك من طبقة معينة تدين بالوصولية قبل كل مبدأ آخر ، فاساءوا الى سمعتهم والى سمعة هذا المعهد الجليل شرَّ اساءة بما اشتهر من ألاعيبهم ومكائدهم فى الحياة الأدبية. لاأجارى المتشائمين ما دام لى بين أولئك الأدباء أصدقاء ، وما دام على رأس ذلك المعهد الجليل ناظر حازم ومعلمون مربون من خيرة الرجال وبينهم مَن تتشرف «ندوة الثقافة» بعضويتهم. ولكنى مع ذلك لا أستطيع إنكار الحقيقة السالفة الذكر وإن كنت أميل الى اعتبارها مجردَ مصادفةٍ ، وانّ سياسة الحزم والتطهير كفيلة بالقضاء عليها تلافياً لهذا الشرّ الخلقى المستطير الذى يشوّه بلا شك سمعة هذا المعهد.

ليس عجيباً إذنْ — والطبيعةُ البشريةُ هى هى فى كل العصور — أن يظهر الدسّاسون والكائدون الجاحدون الذين يقابلون الاحسانَ بالاساءة ، ولكنّ العجيب أن لا يظهر هؤلاء . . . وقد كان منهم مَنْ بلغ غايات الخِسّة فى تصرّفاته بالرغم مما يدينون به لأبو شادى فى شتى النواحى فى توجيههم وخواطرهم الشعرية وظهور أسمائهم ومؤازرتهم المنوّعة بل وخَلقهم من العدم ، كلّ ذلك إشباعاً لشهوة الجحود والأذى والوصولية المتأصّلة فى نفوسهم ، فيهون لديهم أن يجحدوا فضلَ هذا الرجل بكلّ سماجة ووقاحة بعد أن ينالوا أقصى غايتهم منه ، ولا يعزّ عليهم أن يبيعوا أنفسهم بيعَ الكلاب لمن يستغلهم أتباعاً له، فيطبّلون ويزمرون له بالفضل الموهوم ، مضحّين بشخصيتهم وكرامتهم فى سبيل الكيد المطبوعة عليه نفوسهم، كأنما من نعم الشيطان عليهم كل هذا التلفيق والجحود !

ولا أحبّ أن أذكر أحداً من هذه الأسماء فانه تعنينى المبادىء وحدها ، وانما تَعنينى الحملة على هذا الصّغار وعلى هذه النفسيات المنحطة ، مؤثراً من باب الاشفاق على أصحابها كتمَ اسمائهم لعلهم يهتدون . وماذا تقول فيمن لم يهدأ له لسانٌ فى الالحاح باخراج كتاب عن أبو شادى حتى إذا صرفهُ صديقُنا الدكتور عن ذلك بلطفٍ ولم يجد له قنطرةً الى مودة أبو شادى الأدبية غير الانتاج الرفيع راح يكيد له بأقذر الوسائل ؟! وماذا تقول فى زميله الوصولىّ الذى يصحّح له أبوشادى ديوانَهُ من أوله الى آخره ، ويُعيره بعضَ الرّواشم المساعدة على طبعه ، ويأبى عليه أن ينشر فيه مدحةً طويلةً عنه ، ويَستجيب لالحاحه بكتابة مقدمة

له بعد أن توسّط والده لدى الدكتور فى ذلك ، فاذا به يتخذ من كل ذلك قنطرة لمؤازرة العقاد له على حساب أبو شادى ، ولا يكتفى بهذا بل يكيل وزميله الهجاء لصديقنا الدكتور الذى لم يكتب ولم يقل الى الآن كلمه هجاء واحدة ضدهما ويجعلان من المقاهى مسرحاً عجيباً لكل ذلك العبث ؟! ماذا تقول فى مثل هذا الأديب الذى تصرخ فى وجهه أبيات شعره معلنة جحوده بفضل مُلهمه ومعلمه كما تشهد كتابته إلى غير واحدٍ من الأدباء وفى مقدمتهم الشاعر مختار الوكيل ؟! على أن هذين المثلين ليسا الا أهون ما يقع فى البيئات الأدبية فى مصر بفضل سياسة الأنانية الحمقاء التى يلجأ اليها بعض المتزعمين ، مغرّرين بأمثال هذا الشاب أو ذاك ، حتى أصبح أدباء مصر بفضل هذه الحالة مضغة فى الأفواه وسخرية الأدباء فى الخارج !

وقد عرفتُ فى الدكتور أبو شادى — بالرغم من اشمئزازه لهذه الحالة المخجلة — نهايةَ الايمان والثبات ، ولكن اذا اقترنت هذه المكايد (كما هو واقعٌ فعلاً) بالاساءة المادية عند باعة المجلات وفى الوزارات المختصة بل فى كل مجال ، واضطرَّ الدكتور أبو شادى اضطراراً الى ايقاف هذه الجهود واعتزال الحياة العامة بسبب عجزه المالى بعد تضحياته الجسيمة المتوالية ، فأىُّ شرف يمكن أن يظفر به مناوئوه ؟ وأىُّ غنيمة يمكن أن يصيبها الأدب والثقافة المصرية من وراء ذلك ؟ هذا ما أدع لخصومه أن يفكروا فيه إذا كانت عندهم بقية من شهامة ووطنية ؟

محمد عبد الغفور



الشعر ودار العلوم

تحت هذا العنوان كتب الدكتور أبو شادى فى عدد (أبولو) الماضى ص ٤٠٩ كلمة رد على مقال المربى الفاضل محمد هاشم عطية فى (صحيفة دار العلوم) عدد شهر أكتوبر الماضى تحت عنوان « الشعر فى نهضتنا الحديثة » ، وفى الحقيقة كانت كلمته لمحة سريعة اقتضاها داعى الالمام والايجاز ، وإلا فما أظن أنه يتيسر لأحد أن يعبر نواحى هذا الموضوع المنفصم العرى ، ومع ذلك فقد كانت كلمته موفقة ، ولو اعتبرها الدكتور غير فنية ، وكل نقطة فى مقال الدكتور تحتاج الاطالة فى بيانه الى وقت

غير يسير ، ولعلى أستطيع فى هذه الكلمة المقتضبة أن أبين غلوّ الدكتور فى بعض أحكامه وفى تقدير كلمة الناقد الفاضل .

أول ما يقول الدكتور فى مقاله المذكور : « لا نعرف إلى الآن شاعراً مجيداً ولا ناقداً مبرزاً من خريجى دار العلوم دان بألمعيته الى تعاليمها قبل أن يدين بهذه الألمعية الى طبعه أولاً ثم الى اتساع أفقه الثقافى نتيجة اطلاعه على الآداب العالمية سواء أكانت بلغاتها أم منقولة إلى العربية » . والدكتور لا يأتينا بجديد فى النقطة الأولى، فالموثوق به أن الشاعر الأصيل موهوب بفطرته ، شاعر بطبيعته ، وليست دار العلوم ولا غيرها تصنع الشعراء أو تهب الشاعرية ، غاية الأمر أن دراسة اللغة وتعرّف أسرارها وإبداع رجالها العامل الأول فى تكوين الذوق الأدبى ، فلست أفهم ما تريد إلا بأسلوبك الماثل بين يدىّ ، وبغير ذلك لا أستطيع أن أعرف أنك ناثر أو شاعر ، ولا أستطيع أن أفهم أن معانيك جديدة فخمة جديرة بالاحتفال . ولا نعرف معهداً أدى رسالته كما أدتها دار العلوم باعتراف الدكتور أبى شادى نفسه ولا أجد مبرراً لهذا التناقض فهى حصن اللغة العربية وآدابها فى أيامها المختلفة غير مدافع ولم تكن غير ذلك فى يوم ما .

وبعد ذلك يقول : « فقد أخذ يلقى بأحكام غريبة على الأدباء المجددين تلمح من خلالها أن كل ذنبهم يرجع إلى عدم انتسابهم إلى بيئة دار العلوم وإن احترموها كل الاحترام » . ونحن نشكر الدكتور على هذا الاحترام اللائق بشخصيته الفذة ، ولكنى أقول للدكتور إن استنتاجه الأول لا يطابق الواقع ولو عرف أن استاذنا يوجِّه انتقاداته إلى أبناء دار العلوم بصفة خاصة لما قال ذلك ، وهذا منطق لأن فائدة النقد ترجع للأديب قبل أن ترجع إلى غيره فهم أولى بنقده .

وليس غريباً أن يختص الدكتور أبو شادى الذى يتزعم مدرسة بجانب غير يسير من تلك العناية النقدية ، وهو يقصد فى قوله إن كلمة (بينا) حشوٌ فى قول الدكتور :

عرضتِ لنا تقاسيمَ الجمال وإشعاعَ الحقيقةِ والخيالِ
تلألأ بالهوى القدسىِّ بينا تدفَّقَ بالتجاوبِ لابتهالى

فانها من الألفاظ التى لها الصدارة ولم تجىء كذلك فى البيت ، ولم يقصد استاذنا أنها لغو. ثم يقول «وأما عن أنشودة الهاجر (ص٦٦ من الينبوع) فهى من الشعر

الغنائى المحض وخير له أن يسمعه ملحَّناً قبل أن يحكم على رداءة نسجه» . والتجاء الدكتور إلى التلحين أمر غريب (مع انتظارنا بسرور لليوم الذى تردِّد فيه أنغامُ الموسيقى آيات الشعر) لأننا إلى الآن لم نحكم الموسيقى فى نسج الشعر .

هذه كلمة عنَّ لى أن أسطرها تعقيباً على كلمة الدكتور أبي شادي فليتقبلها إذا شاء والسلام ؟

بروى أحمد طبانة

***

(المحرر — ننشر هذه الرسالة عملاً بحرية منبرنا العام ، ولنا عليها التعليقات الآتية :

(١) إنَّ تمهيدنا الذى يشير اليه حضرة الكاتب لا تناقضَ فيه ولم يكن لغواً ، وانما هو ردٌّ منطقىٌّ على ما كتبه حضرة المربى الفاضل محمد هاشم عطية ، فليرجع حضرة الكاتب الى مقاله المشار اليه وقد ظهر فى العدد الثانى من «صحيفة دار العلوم» ، فليس الذنبُ ذنبنا إذن فى تناول هذه البديهيات . وقد جاء ذلك المقال النقدى فى أسلوب غريب أقرب الى أساليب الصحف المولعة بانتقاص الأدباء المجدِّدين منه الى الأسلوب المعتدل الذى يُنتظر من معلمى « دار العلوم » . فعلى حضرة الكاتب أن يوجه ملاحظاته هذه الى ناقدنا الفاضل بدل توجيهها الينا . ونحن دائماً من مقدِّرى « دار العلوم » وانما نحب أن توضع الأمور فى نصابها وأن يتناول الأديب بنقده ما هو ألصق به .

(٢) لا نفهم الصدارة لكلمة « بينا » الاّ لغرض المفاجأة ، وفى ما عدا ذلك فهى ظرف لا موجب لصدارته ، وهى فى البيت المشار اليه فى موضع الاضافة الى جملة ، وكلّ مطلع على مقارنة اللغات يعرف نظير ذلك فى اللغات الحية . فلم نخطىء إذن فى هذا الاستعمال حتى ولو كان من باب تعريب الأساليب الغربية ، فضلاً عن جواز مثل هذا التأخير والتقديم فى الشعر اذا ما دعا الى ذلك انسجامه الموسيقى (راجع شرح المفصل لابن يعيش) . ويعزّ علينا أن نجرد لغتنا العربية من كلمة تقابل كلمة whilst الفرنجية معنًى واستعمالاً وأن نحكم بجمودها !

(٣) نحن لم نلجأ الى التلحين دفاعاً عن « أنشودة المهاجر » التى يستطيع الكاتب

الفاضل أن يتلقّى ألحانها عن الفنّـان المعروف محمود حلمى ، وانما أردنا أن نبين أن التـكرار فى بعض ألفاظها مقصودٌ اليه وله معناه التوكيدى كما له حلاوتُه الايقاعية ولا ينافى جودةَ النسج بأىّ حال ، ولو كان النسجُ رديئاً لسقطت هذه الأنشودة من الناحية الغنائية .

(٤) نحن بعيدون عن التزعّم لأى مدرسة ، وليستلنا أكثر من صفة الأديب المنظِّم المنتج الذى يحترم نفسه ويحترم كلَّ مَن يستحق الاحترام ، وملاحظاتنا التى وجهناها الى استاذه الفاضل لا تنافى احترامنا له وانما هى منصبّة على معالجته الشعر بنقده معالجة غير فنية ، فلم ينصفنا كما لم ينصف غـيرنا من رجال الشعر الحديث . فاذا قلنا إن الأولى به الالتفات الى الدراسات اللغوية التى هى أقرب الى مزاجه وترك نقـد الشعر للشعراء الضليعين فلسنا بالباخسيه حقـه ولا بالجاحـدى فضـله ولا فضل «دار العلوم» على اللغة العربية) .



اخناتون

أ كتب هذه الـكلمة الموجزة وبين يدى إعلانٌ من إعلانات (أخناتون) أول أوپرا عربية — لم يحو الاعلان أى الفرق ستخرج هذه الأوپرا ولا فى أى المسارح سيكون ذلك ، ولا يفهم منه إلا أن هناك فرقة ستخرج أوپرا باسم (أخناتون) من نظم الدكتور أبى شادى ومن تلحين محمود حلمى .

وقبل أن أقدم للقارىء هذه الأوپرا يجب أن أقدّم كلاً من ناظمها وملحنها وهما من رجالات الفن المعروفين .

فالدكتور أبو شادى فى غنى عن التعريف وعلى الأخصّ لقراء هذه المجـلة فهو ناظم عدة أوپرات عربية وله فى ميدان الأدب جولات لا ينـكرها منصف ولا يرجع عدم اخراج أوپراته إلا لانتظـارها الملحن الـكفء الذى يعرف من الموسـيقى الشرقية والموسيقى الغربية ما يؤهله لتلحين أوپرا كاملة .

أمّـا هذا الملحن الذى كنا ننتظره منذ سنة ١٩٢٧ لتلحين أوپرات أبى شادى فهو محمود حلمى الذى درس الموسيقى النظرية بجامعة لندن بعد تخرجه من المعهـد

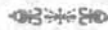
الملكى للموسيقى العربية ، وهو أول ثمرة لقسم النظريات بالمعهد . ولمحمود حلمى دراية عظيمة في فن الأوبرا ، فله عدة ألحان فى أوبرات أوروبية ، وكلنا يذكر اسمه ضمن واضعى موسيقى رواية (الحبيب) السينمائية التى عرضت فى سينما وهبي .

أما الأوبرا (أخناتون) فتدور حول حياة ملك مصر الروحانى الذى يعتقد بعض المؤرخين أنه شبه مجنون — هذا لاعتقاده أن للعالم إلٓهاً واحداً اسمه (آتون) تفانى تفانياً غريباً فى تقديسه ، وكان انحلال الامبراطورية المصرية نتيجة تهافته على مثله الأعلى وقد أدّى حبه للسلام الى استقلال أمراء الدولة بممتلكاتها .

يصور لنا أبوشادى حياة هذا الرجل كحياة رجل عظيم على أخلاق عالية ومبادىء سامية ولم يكن عيبه (فى نظر أبى شادى) سوى أنه خُلِقَ قبل أوانه .

ولا بدّ من كلمة أخيرة صريحة : تلك أنه من الواجب على وزارة المعارف الأخذ بيد الفرقة التى تتخصّص فى الأوبرات ما بين اعانة مادية ومعنوية ، أقلها السماح لها بالانتفاع بدار الأوبرا وتغطية خسائر الفرقة حتى يمكننا احياء هذا الفنّ الجديد فى مصر ، بدل أن نقف معاونتنا وتشجيعنا على الفرق الأجنبية وحدها ، إذ من الصعب جداً اخراج مثل هذه الأوبرا بنجاح تام اذا تخلت الوزارة عن المساعدة ؟

أحمد فتحى
(خريج كونزفتوار باريس للموسيقى)



بين نزاهة النقد وضعة الأهواء

نشرت جريدة (الوادى) فى عددها الصادر بتاريخ ١٣ أكتوبر سنة ١٩٣٤ مقالاً لى بعنوان « تصدير . . . » تناولتُ فيه الكلام عن المقدمة التى صدّر بها الدكتور أبو شادى ديوان « الألحان الضائعة » ، ومما يؤسف له جد الأسف أنّ رجال (الوادى) تناولوا المقال بالحذف والاضافة والتبديل بحيث أصبح مقالا لا يمتّ إلىّ بسبب !

وكلّ ما قصدته من نشر تلك الكلمة هو أن أبين رأياً لى أعترضُ فيه على قول الدكتور أبى شادى : «فليذهب عشاق التشريح والتنقيب اللفظى الى غير هذا الشعر . فليذهبوا الى شعراء الرنين وليتناظروا معهم فى استبدال لفظة بأحرى وفى أصوب

المذاهب النحوية ». وكلّ ما عنيتُه أن أناقش الدكتور الفاضل مناقشةً منطقية هادئةً نصل معها الى الحقيقة المنشودة ، فعجيب جداً من بعض صبيان الصحافة أن يدسّوا على الناس ما لم يكتبوه وأن يخلقوا الحزازات الشخصية حيث لا مدعاة للحزازات أبداً ، ولا أدرى ما الذى يدفعنى الى النيل من شخصية أبى شادى وكل ما بيننا خلاف أدبى ؟!

ولعل أكثر الظواهر الأدبية إيلاماً للنفس فى هذا البلد هى اسفاف النقد وضاعة نفسيّة النقاد الى حدّ جعلنا نؤمن أن الناقد الذى يعمل لوجه الأدب وحده لم يُخلق بعد فى مصر ، كما أنه من أسوأ ما يدل على ذلك الخور الذى يسيطر على فريق من أدباء هذا البلد عدم تفريقهم بين الشخصيات والأدب ، وهذا جعل من النقد معولاً للهدم أو بوقاً للتهريج .

فهل نكون محقين بعد ذلك اذا قلنا إن النقد فى مصر مهزلة وضيعة بفضل أولئك السماسرة الذين يحترفون السبّ والقذف إشباعاً لنزعة تمتلك نفوسهم ؟ وهل لنا أن نقول إن الأدب فى مصر سيظل كسيحاً ما دام النقد فى مصر ترهات وأباطيل ؟ كل ذلك بفضل أولئك الذين يسمّمون الجو الأدبي بنزعاتهم ونفسياتهم التى يتبرأ منها الأدب والشعر والنقد ؟

م . نصرى عطا الله

* * *

(المحرر — هذه الشكوى ليست الأولى ولا الأخيرة من طرازها ، ولعلّها تمثّل أهونَ ما نالنا ونال حضرة الكاتب بفضل أهواء المغرضين الذين يحتمون فى السياسة وفى غير السياسة للنّيل من كرام الرجال الذين يعملون لخدمة النهضة الثقافية فى شرفٍ واستقلالٍ . والعلةُ الأساسية لكلّ هذا العبث هى الأنانية المتفشّية والجهلُ بالواجب العام ، وهذه الحالة تبيح لأولئك العابثين كبارهم وصغارهم على السواء ألوان التجنّى والتزوير ما دام فى ذلك منفعتهم الشخصية التى يعبدونها ولوضحّوا فى سبيل ذلك بالخير والاصلاح وبأخلاق الأدباء)

العقاد وأدبه

لا أريد فى هذه الكلمة أن أتحدَّث عن أدب العقاد الانشائى فقد نشرت مجلة (أبولو) من وقت الى آخر تقديرات مختلفة له ولغيره ، وقد تعلمنا من صوفية محررها الفاضل أن نفتش عن الجمال فى كل عمل ، وأن نعرف للعقاد نصيبه فى الحركة التجديدية ، وأن نحمد له آثاره الطيبة ، ولكنى أريد أن أشير فى لهجة بريئة صادقة الى جانب من تصرّفات العقاد وتأثيرها فى الجوّ الأدبى وفى منزلته الأدبية إن لم يكن حاضراً (وهو واقعٌ فعلا) ففى حكم التاريخ الذى لن يرحم أحداً .

لاحظتُ كما لاحظ كثيرون غيرى أن العقاد قد جعل محوره الأدبى منذ سنوات بعيدة الأنانية المطلقة والتمجيدَ إن لم أقل التقديسَ لذاته مستعيناً بالسياسة لهذه الغاية ، والسياسة لا تبالى بامتهان الأدب اكراماً لأحد خدّامها ، ومن ثمة نشأ الفساد العميم فى الجوّ الأدبى ، وعُدنا الى العبث السخيف بامارة الشعر والى تسخير الأدباء فى هذا التهريج ! ولمّا كان مبدأ (أبولو) ومحررها عكس ذلك تماماً فقد استحق من أجل ذلك أقسى الحملات عليه من قلم العقاد ومن أقلام من يتملقونه من الشبان المغرَّر بهم ، بل استحقّ أن توقف صحف شتى على الاضرار به كالوادى والاسبوع والراديو والشبيبة وغيرها ، وأن يتمادى ذلك العبثُ الى درجة الطعن فى رجولة أبى شادى والمقارنة البغيضة بينهما مما يوقع الكتاب تحت طائلة العقاب القانونى ، فيقابل ذلك أبو شادى بالترفع والتسامح ، وما أندر تحركه للدفاع الواجب.

ولا يسعنى تقريراً للحقيقة الآنَ عرض هذه المقارنة وأتحدّى أياً كان أن يخطئها أعرضها على كره منى مادام العقاد يحبّ المقارنات ويوعز بها فى تلك الصحف التجارية.

العقاد	أبو شادي
(١) تذبذب ما بين الحزب الوطنى والوفد ، وقد فضح ذلك الهيباوى وعبد القادر حمزة وغيرهما ، وكان تصرفه تصرف الكاتب الأجير فحسب . وهو لم يضحِّ بشىء بتاتاً بل عرف دائماً من أين تؤكل الكتف ، وحتى فى حبسه كان مكرهاً لا بطلا .	(١) قضى زهرة عمره فى نصرة الديمقراطية المصرية بالقلم واللسان وبماله، كما تشهد جهوده فى انجلترا وفى مصر منذ سنين بعيدة . وتضحياتُه لذلك ولخدمة الثقافة الوطنية مضربُ المثل من شتى الوجوه .

(٢) جعل حياته وقفاً على خدمة الثقافة فى فروع متعددة خدمات ممتازة ولم يقصر جهده على نفع نفسه ، حتى قال عنه المرحوم شوقى بك فى شيخوخته : «شاب طموح نشيط مجتهد شغلته صوالح الأعمال عن طوالحها » وذلك بعد ما رآه من تسامحه الصادق وتفانيه للمبادىء وحدها

(٣) كان مثال البر بأساتذته وزملائه وإن تجنى بعضهم عليه . وتملقه عطران ومحرم وناجى والصيرفى وغيرهم فى غنى عن التعريف به ، ولم يشأ دائماً إلا أن يعدّ نفسه فرداً من مدرسة .

(٤) رفض رفضاً باتاً تهريج الالقاب وبثّ روح الديمقراطية الأدبية ، وعُنى بتنشئة الأدباء الشباب تنشئة مستقلة ، وحرص على كرامتهم ورجولتهم .

(٥) أفسح صدر مجلاته لما يكتب ضده قبل ما يكتب له ، وأبعد عنها الكثير من التقاريظ ، وعُنى بتشجيع النقد الأدبى الحرّ فى أوسع دائرة ممكنة له .

(٦) لم يتردد فى مخالفة مناصريه اذا لم يجد أن الحق لديهم كما خالف الدكتور رمزى مفتاح وسواه من الأدباء ، وفى ردّ كل غلواء مدافعاً عن العقاد فى مواقف كثيرة ، معلناً أن اسمى غاياته هى خدمة

(٢) جعل معظم حياته وقفاً على الدعاية لنفسه حتى لم يستح من المناداة بأنه شرف العربية بأدبه أكثر مما شرفها أدب المتنبي والمعرى وابن الرومى ، وذلك تغريراً بعقول الناشئين فسنّ أسوأ سنة لخلط الأدب بالاعلانات الجوفاء .

(٣) كان مثال العقوق لكلّ من خدمه مثل عبد الرحمن شكرى والمازنى والسباعى وداوود بركات ، وهذا أشهر من أن يذكر ، وكان دائماً المتهافت على التفرد والاثرة .

(٤) تهافت على الألقاب : فمن زعيم المجددين الى أمير الشعراء ، بعد ما كان ينكر ذلك على شوقى ، وجعل الشباب مطايا لأهوائه الشخصية ، فأساء اساءة بليغة الى الجيل الناشىء .

(٥) جعل كل جريدة اشتغل فيها وآخرها « الجهاد » موقوفة على مماثيه ، وحارب كل أديب مستقل بشتى الاساليب وقضى على النقد الأدبى النزيه قضاء تاماً فى بيئته وحيثما استطاع أن يبث دعاياته .

(٦) لا يعرف الا التحزب بالحق وبالباطل ، ومحورُ جميع أحكامه مبلغ تبعية الأدباء وتملقهم له ، دون أن يفرق بين الشخصيات والمثل العليا . وقد أدى به ذلك الى الاغراء بأبى شادى حتى

الحق والجمال أينما وُجدا ولو عند ألدّ خصومه ، فكان أثره دائماً فى مجال الخير.

(٧) لم يتردد فى أى وقت فى الاشادة بمواهب العقاد الادبية وكتب خير كتابة عن شعره وعرض مختاراً منه للترجمة وأعلن من تلقاء نفسه عن ديوانه، واستعان بالفنان شعبان زكى على الدكتور رمزى مفتاح ليخفف لهجة نقده ، وحذف الكثير مما تناوله ضده وأهمل سواه .

(٨) أفسح الطريق للكثيرين من أدباء الشباب النابهين وأبى تمجيده على حسابهم، وحرص على أوقاتهم وجهودهم ، وحضهم على التسامح مع خصومه وعلمهم حبّ الأدب للأدب والترفّع عن الحزازات والدسائس المزرية ، وغفر حتى للوصوليين منهم الذين يطعنون فيه جزاء إحسانه .

(٩) بالرغم من اشتغاله الطويل بالصحافة منذ سنة ١٩٠٨ حيث صدرت أولى مجلاته عاش بعيداً عن التحكك بالصحفيين واكتساب مديحهم وقلما أعلن حتى عن مؤلفاته ، ورحّب بكل نقدٍ — ولو كان مغرضاً — يوجَّه الى المؤلف فى حياته ، وحارب ما نعته بالعهارة الفكرية وتأجير أقلام الأدباء للمدح والقدح وشراء آثارهم سراً وانتحالها بأبخس الأثمان .

باقلام بعض مَن خلقهم أبوشادى من العدم .

(٧) لم يحجم عند ما تبين استقلال أبى شادى من نعته فى غير حياء بالطبيب المتشاعر ، وهو الناظر الى طائفة من معانيه واتجاهاته ، بعد أن كان ينعته بالشاعر الفاضل،ومن اغفال كل ما كان يكتب من خير عنه الى «الجهاد» ، ومن الطعن فيه بمجلات وصحف شتى باقلام صحبه وبأقلام نكرات أو شخصيات وهمية،ومن تلفيق التهم ضده فى غير تورع .

(٨) شغل أولئك الأدباء بمجالسه الليلية عن دراساتهم وجعل همَّهم الأول تمجيده بدل تكوين أنفسهم وعلَّمهم التقلب والذبذبة والاساءة الى من عاونهم إكراماً لايحائه وزجَّ بهم فى تيار الحزازات والمناورات الشخصية وتظاهر ببعض التقدير لهم لقاء أن يبقوا مطاياه .

(٩) خلق سفراء له فى ادارات الصحف المختلفة وأوجد شبكةً من التحزّب له ولمناوأة جميع منافسيه ، وابتدع مذهب « الحجر الادبى » على كلّ من لا يرضى عنهم ، ولم يتعفف حتى عن استغلال تاجر خردوات أو بائع لبن ، وجعل المغالاة فى مدحه ضريبة لامفر منها على كل من يستبقى صلاته به ، ولم يبال بما لكل هذا من العواقب الوخيمة على أخلاق الأدباء .

(١٠) عمل على استقلال الأدب عامة كما عمل على استقلال الشعر خاصة. وبذلك أصرّ على الاعتراف بالجهود الأدبية الممتازة أينما كان مصدرُها ولو خالف أصحابها في أشياء كثيرة. وبذلك صان حُرمة الأدب وكرامته وارتفع بموازين النقد الأدبي.

(١٠) احتمى بالسياسة لتطبل لأدبه وتزمّر، ولتقيه حتى من النقد الأدبي البريء، واخترع أخس التهم السياسية ضدّ زملائه ولو كانوا من أطهر الرجال ذمةً وخلقاً وأصلاً. فسنّ بذلك سنةً قبيحة سمّمت الجو الأدبي في مصر.

هذا قليل من كثير من نقاط المقارنة، وقد شاعت رجولةُ العقاد التي يتغنى بها أن يقف موقفَ النساء حينما صدر الحكم بحبسه شهوراً معدودة حبساً بسيطاً وأن يهوِّل في تصوير ذلك الحبس، وشاعت رجولة أبي شادي التي يتناساها العقاد أن يتقبل ما هو في حكم النفي ببلاد غريبة سنين عديدة عاملا لخدمة وطنه أشرف الخدمات بالرغم من كل اضطهاد.

ولستُ أرمي بشيء مما تقدَّم الى انتقاص أحد، وانما أريد أن أدلِّل على أنَّ من الخير للأدب والادباء أن يحاسب العقاد نفسه ويغير من خطته التي لا تنفعه بقدر ما تنفع وسطاء السوء؟

السيد عطية شريف

* * *

(المحرر — ننشر هذه الرسالة تلبيةً لغيرة كاتبها الفاضل الذى أبت له نخوته أن يرى الشباب يغرَّر به هذا التغرير للتطاول على الأدباء الجهيرين مجاراة لاهواء هذا المتزعم أو ذاك. وفيما يختصّ بنا شخصياً فليس لنا من دعوى أكثر من الخدمة المتواضعة قدر طاقتنا، وإذن فلسنا من يجارى أيَّ مقارنة أو يقبلها، ولسنا من يرضى انتقاصَ أحد. ونحن نسامح كل من تطاول علينا وافترى ضدنا أو خان ثقتنا أو حسن ظننا فيه أو جحد معاونتنا، ونعدّ هذا التسامح قرباناً للخير العام. والله المسئول أن يهدينا جميعاً سواء السبيل).

جولة فى شعر أبى شادى

لكل عصر طابعه الخاص ، وفى كل عصر تجد الناس مفترقين ثلاث فرق ، ما من ذلك بدٌّ : فإمّا داعٍ الى التجديد متطرّفٌ فيه ، وإمّا داعٍ الى القديم جامدٌ عليه ، وإمّا حذرٌ طموحٌ مشفقٌ على القديم راغب فى الجديد فتراه يداور ويحاور عسى أن يوفّق بينهما ، وكلا الطرفين ساخط عليه متبرم به . هذا قانونٌ صادقٌ فى كل شىء وخاصة فى أبحاث اللغة والأدب .



عبد الغنى محمود على

ولا تزال نرى الشعراء منقسمين على أنفسهم هذا الانقسام ، والدكتور أبو شادى من دعاة الطفرة والوثوب والجرى السريع فى عنان الحضارة ، فهو من المتطرفين فى الأدب ثم حامل لواء التطرف والتجديد .

أول ما يروعك من أبى شادى كثرة الانتاج حتى كأنه معملٌ يديره محرك كهربائى من أحدث أنموذج فى السرعة ، كأنما ألقى نظرة الى العالم فوجده مملوءاً بالحركة والنشاط ، فجرى ملء عنانه أنفاً أن يتخلف عن الركب ، وهو فى هذه السرعة لم يخل من سقطات وعثرات ومصادمات ومنافسات شأن المنتجين فى كل فنٍّ من فنون الحياة . وهو شاعرٌ طبعىٌّ يجرى فى ميادين الطبيعة حراً طليقاً ،

فقد يجمح به الخيال ، وقد يَتهدَّى الى وجه السداد ، وتراه يعرض نفسه على النوادى على أسلوب العصر أيضاً فى الاعلان . والناس منهم معرض عنــه ومقبل عليه وهو ماض فى طريقه لا يلوى على شىء ، ولا يبالى بالخسائر التى تصيبه ولا بالآلام التى يعانيها حتى اذا فاز فى النهاية حمد طول السّرى .

وقد هزَّنى ما رأيت من اختــلاف الناس فيه وخلاف الأدباء عليه أن أكثر القراءة فى شعره ولــكن بسرعة كسرعته لعلنى أستطيع أن أستوعب أكثر ما عنده وأن ألمح جوانبه كلها لمحاً يضعه عندى فى المرتبة اللائقة بهذا الانتاج الضخم والعمل المضنى . فأخذت أقرأ وأقرأ على جناح السرعة — كما يقولون — ففاتتنى المعـانى وبقيت الألفاظ ترن على شفتىّ رنيناً مزعجاً ، فخيل الى أن عوداً وقع على أوتاره طائر فظنه شركاً فأخذ يرفرف بجناحيه على أوتاره فتخرج أنغاماً لا موسيقى لهـا ولا جمال فيها . فجزعت على وقت ضاع فى هذا العناء الذى لا طائل فيه ولا جدوى. فألقيت خاطر أبى شادى وعصر أبى شادى وأقبلت على الشعر أقرؤه بهـدوء واطمئنان وببطء قد لا يعجب أبا شادى فانه ليس منــــه فى شىء ، فما هى إلا جولات حتى رأيت خيالى يطير معـه فى أودية شتى ويسرع فى التنقل كالطائر المذعور : فمرة أراه يرقص مع الآلهة أو يضرب الاعواد مع الرهبان فى الهياكل وتارة أراه مع الفراعين الاول يستلهم المعانى ويستوحيهم المجد والعظمـة ، وطوراً أراه « وراء الغمام » يصف ما وراء المجرة وأسمع له شعر النجوم والمريخ ينتظر « أحــلام الظلام » ، وتارة أراه بين الرياض يصف الازهار و« الأثمار » و « مخلب الطاووس » وفيضان النهر المقدس والحقول و« الاشجار الشريدة» و « الارز الطائش » عنـد سير القطار به ، فأخال انساناً يعيش فى جو من الاحلام الشعرية لا صلة له بالسياسة ولا بالمجتمع ! وما هى إلا صفحة من أشعاره نقلبها حتى نراه يحيّى ويهنىء زعيم الأمة والمجاهد الـكبير ويودِّع صدقى باشا وينعى على وزارته سيئاتها فى حادث ضريح سعد ويصف بأس الشعب ويذكر أنه مصدر السلطات ويخوض معمعان السياسـة بعاطفة وطنية صادقة ، ويسبح فى المجتمع فيدخل المحـكمة الشرعية فينتقدها انتقاداً مرّاً لاذعاً وينتقد سماسرتها بنظرة الفيلسوف الاجتماعى . ثم يقتحم الزحام فى مولد السيدة زينب فيصفه أصدق وصف إذ يقول :

فسرنا فى مواكب حاشدتٍ تدفَّقُ كالظلام على الظلامِ
وقد ثار الغبارُ فصار معنى لغير السِّلمِ فى مثلِ القتامِ

ويلاحظ التواء التعبير فى قوله « لغير السلم فى معنى القتام » كأنه يقلد المتنبي فى مثل هذا الالتواء . ويصف الولى « المطمطم » وقد سار يشق الجمع مزهواً بكثرة أتباعه . ولكن أبا شادى لا يسلم فى هذا الزحام من العثرات فانظر اليه يقول فى وصف الولى :

يبارك كل مكلوم عليل ومن أمثاله علل الكلام

فما معنى « علل الكلام » هنا ؟ وما مناسبتها إلا لتكملة البيت وموافقة القافية ؟ فإن كان يقصد الكلام بفتح الكاف فلا معنى لها هنا ولا مناسبة — وإن كان يقصد الكلام جمع كلم وهو الجرح فهذه إضافة الشيء الى مثله وهى نابية على الذوق الأدبى ضعيفة فى نظر النحوى والبلاغى . وإن قصد بالعلل الأسباب فيكون الضعف فى كلمة من أمثاله . فهذا الشى وأمثاله هم أسباب الفساد لأن منهم الاسباب فهم بأعيانهم وذواتهم وألاعيبهم فساد لا ريب فيه ولا نزاع .

والشاعر مولع بالتجديد لأبعد حد ، وقد يخرج به التجديد والسير وراء الفن عن جادة الحشمة فيصور الصور العارية أو القريبة من العارية كل ذلك لا دعوة للاباحية والفوضى الخلقية فهذا ليس من شأن الفيلسوف الاجتماعى ولكن إثارة لعواطف الشباب نحو الجمال وتقديره وتقديسه . ومن الصور ما يظهر فيه الفن الرائع ، ومنها ما لا يظهر فيها روعة الجمال ، ومنها ما يصور أساطير يونانية ورومانية وفرعونية أو يشير إلى حوادث تاريخية ، وهذا كله وإن كان خارجاً عما وقفت عليه البحث غير أنه داخل فى شخصية أبى شادى .

وأبو شادى رافع راية التجديد وعلى يديه خفيتين حيناً وظاهرتين حيناً آخر تخرّج شبان فى نظم الشعر الحديث على الأسلوب التجديدى .

ومما يعضّ النفس ، ويقذى عين الحقيقة ، وينغص فؤاد المعروف ، ويفسد حسن الصنيع ، أن من هؤلاء الشبان من يكفره ويجحد فضله .

نبئت عمراً غير شاكر نعمتى والكفرُ مخبثة لنفس المنعم

وهؤلاء الشبان وهم لا يزالون فى فجاجة وقصور يتطاولون عليه إرضاء لانسان آخر يريد أن يتزعم الشعر تزعماً لا يقره عليه من نقاد الشعر أحد ، ولكن السياسة الخرقاء تحميه من النقد ، وانتسابه لأكبر الأحزاب فى مصر يرفعه عند الناس ، ولكن عند من ؟ عند من يتغاضى وهو يعلم أن الزمن كفيل بهدم هذا الصرح المشيد

فى الهواء من الهراء . وهنا أقف وقفة الأسف والألم ، وأرفع الصوت عالياً ضد السياسة التى ما دخلت شيئاً الاّ أفسدته . وقد تعوّذ المرحوم الشيخ محمد عبده من السياسة ومن ساس ويسوس ... الى آخر ما يمكن اشتقاقه من هذه المادة .

ما للسياسة وما للأدب لولا سخرية القدر ومجانة الحظ ؟ وأىّ شأن لهؤلاء المتشاعرين بالموازنة بين الشعراء وبالحكم بينهم ؟ حسبهم أنهم يحاولون الانضواء تحت لواء الشعر محاولة ، فكان الأجدر بهم أن ينزهوا أفواههم الباغمة من مصاولة الأسود فى حرجاتها . ولكن تأبى البعوضة الا أن تطن فى أذن الفيل ، ثم تساءل : أيسمعنى الفيل ويعبأ بى ؟ حقاً أنا عظيمة لأن الفيل يحرك أذنه من أجلى !

وما زال أمثال هؤلاء يتزلفون الى الدكتور حتى ينوّه بهم ويمدّهم بالمال والخيال والفن ، حتى اذا ظنوا أنهم شىء تراموا على أعتاب غيره والتفوا حواليه ولسان الحال يردّد فى آذانهم لو سمعوا :

أعلّمه الرمايةَ كلّ يومٍ فلما اشتدّ ساعدُه رمانى
وكم علمتُه نظمَ القوافى فلما قال قافيةً هجانى !

ومن العجيب أن الدكتور قد بدأ يعبأ بهم ويقيم لهم وزناً فتراه قد أصرّ على هجر ميدان الأدب الذى جرى فيه طلق العنان أمداً بعيداً وقطع فيه مدًى شاسعاً ! لأي شىء يهجر الدكتور هذا الميدان ويتغلّب عليه اليأس وهذه قصوى أمانى حسّاده ومنافسيه ، وهو الذى ضرب المثل عالياً فى المغامرة وعدم المبالاة ، وأرغم الحساد زماناً طويلاً لذلك ؟

أتقدّم للدكتور فى روية وأناة وأزلف له نصيحة خالصة ملؤها الاخلاص والانصاف يردّدها معى جميع عارفى فضله : إنا نرى الدكتور يكثر من الانتاج ولا ينتخل ما ينتجه ، فما أجدره أن يصفى ويصفى ويحذف كثيراً ويطاوع دولة الألفاظ قليلاً ويصغى لأحكامها ولو بعض الاصغاء ، فذلك يعود على أسلوبه بالطلاوة والحلاوة ويكسوه رصانة ودقة ومتانة ، ثم لا يعبأ بعد بهؤلاء الأذناب ولا يقيم وزناً لهم ولا لمحرّضهم ومحرّشهم به ، فمن الخور والضعف أن ينكمش مثله لهذه الحملات الخرقاء التى يشنها عليه خصومه الألدّاء .

وما آخذه عليه إهماله الرواية . وفنّ الرواية فى الشعر الأوروبى قد تقدّم تقدّماً

سريعاً وشعرنا العربى لا يزال فى مهده من هذه الناحية ، وقد رسم شوقى بك خطة لا بأس بها ولا بأس بالتجديد عليها ، فلأي شيء لم يؤلف أبوشادى روايات شعرية وهى أجدى على الأدب وأجذب للقراء وأمتع للنفوس من الخيالات الشاردة التى يتصيدها ويقيدها ثم يسيرها فى الناس فلا تشق طريقها فى هذا الجيل السئوم الملول الا فى بطء وفتور كأنها بنت شعيب تمشى على استحياء ؟! ولعل هذا الصوت يسمع أباشادي فيقذف بنفسه فى هذا التيار فيخرج لنا كل شهر رواية مسرحية شعرية خالدة فالمسرح ينتظر منه ، وإذا أبى مسرح هذا الجيل فستكفر عن سيئاته مسارح الاجيال القادمة . ومن الاخطاء العربية اللغوية التى لا يبالى بها أبوشادى ولا يراعيها وأجدر بها أن تراعى قوله فى قصيدة « بأس الشعب » :

وليس العتىّ الرأى للنصر كافلاً اذا الحقّ للرأى العتىّ خصيمُ

فكلمة اذا لا يليها الا جملة فعلية وقيل فى « اذا السماء انشقت » انها جملة فعلية بتقدير « انشقت » . ولا يليها مبتدأ وخبر الا اذا كانت للمفاجأة وهى لا تصلح هنا . ومن فساد الخيال وصفه ألوان الطعام بأنها مثل سلاح أعداء السلام فى قوله فى قصيدة « مولد السيدة زينب » :

وألوانُ الطعام تفوح حتى تخال سلاحَ أعداء السلام !

واستعماله لفظ « حرامى » العامى بلا أقواس فى القصيدة نفسها :

وأخرى فى تدفقها حيارى وقد أودى بها عبث الحرامى

ويقصد أودى بها أى بنقودها أو حليها وليس بشيء أيضاً ، فهلا تمحل ومحص وروّى عساه يحل المكان اللائق به ، وعساه ينهض بالشعر الحديث الذى انتدب الى انهاضه ، فان هذه الاباحية قد تقعد به وبشعره عن بلوغ الغاية المنشودة وتحط منزلته عند أفاضل النقاد وأساطين الأدب فى هذ الجيل ؟

كلية الآداب
الجامعة المصرية

عبد الغنى محمود على
مدير (مجلة الطلبة)

***

(المحرر — نشكر لناقدنا الفاضل حسن ظنه بنا ونهنّئه باستقلاله الفكرى ، ثم نعرض عليه الملاحظات الآتية ليتدبرها تدبُّرَ الاديب المستفيد الذى لا يجوز له أن يتعالى على المعرفة أيّاً كان مصدرُها ، وما أجدر شبابنا أن يكون هذا ديدنه دائماً :

(١) من الأوهام الشائعة التي يورثها الايحاء فريقاً بعد آخر من الناس أن كثرة الانتاج الفنى توجب كثرة السقطات والعثرات، مع أن المعقول أن المرانة الفنية التي تصحب الانتاج الوفير تؤدى الى النضوج والانتاج. وللأسف لا يوجد انتاجٌ بالغٌ لاحد من الأدباء المكثرين فى مصر يقارن بانتاج أمثالهم فى الغرب، فلا معنى لأن نخدع أنفسنا بهذا الوهم ثم نتبرع بالنقد لما لا يستحق النقد. والشاعر الذى يبلغ العقد الخامس من عمره محتفظاً بقواه الذهنية وخصائصه الفنية هو أولى بالتشجيع منه بالتثبيط لانه فى سنّ النضوج المثمر، والأولى بمحبي الأدب أن يتطلعوا الى أقصى المستطاع من انتاجه الناضج فى هذه الحالة وأن يطالبوه به تباعاً، لا أن يعنفوه على نشاطه الموفَّق!

(٢) كثيراً ما يتعثر الناقدون فى وصف أساليب الفنانين ومناحيهم فينعتونها أحياناً بالسقوط والاسفاف وما الى ذلك، ومنشأ هذا التطاول راجعٌ الى تعالى النقاد شيوخاً وشباناً على السواء! ولو أنهم نظروا الى الآثار الفنية نظرة الاحترام الواجبة لتذوّقوا ألواناً منوّعة من الابداع الفنى أسلوباً وموضوعاً فى شتى المناحي، ولكنهم يكتفون بالنظرة القصيرة وبلون واحد من الفن يؤثرونه فيبخسون غيره حقَّه وتغيب عنهم آفاق كثيرة ... ان الفن حليف التنوّع والتجديد، فمن العبث الايمان بصورة واحدة من صوره والتخلى عمّا عداها!

(٣) ان ما نعرضه على النوادى الادبية من تعاليمنا الفنية بالتآليف أو المحاضرة هو أكرم أنواع العرض تلبيةً للدعوة الحميمة لا تطفلا على أحدٍ. وقد دلتنا الخبرة الطويلة على أن عملنا المستقل فى ظروفنا الاجتماعية والسياسية الحاضرة أجدى على الأدب والعلم من جهودنا التعاونية، فالتعاون مازال غريباً شريداً فى مصر يُحارَب الداعى اليه والعامل له شرَّ محاربة!

(٤) لا يوجد شاعرٌ معاصرٌ خدمَ الموسيقى الشعرية بأكثر مماخدمناها، وقد أبينا العبث الشائع بالرنين اللفظى على اعتبار انه موسيقى بالمعنى الفنى، كما أبينا تبعية الشعر لغيره من الفنون، واحترمنا الموسيقى الأصيلة المنبثة فى بنية الشعر — موسيقى المعانى الشعرية. ولم ننسَ تقسيم جول كومباريو الفنّ الى ثالوثين أساسيين مستقلين بعضها عن بعض: ثالوث فنون الابعاد أو الجمال الثابت، وثالوث فنون الوقت أو الجمال المتحرك، إذ يتألف الثالوث الأول من البناء والتصوير والنحت،

ويتألف الثالوث الآخر من الموسيقى والشعر والرقص (فن التماثيل الحية)[1] .

ونحن نقر هذا التقسيم على اعتبار الفن الموسيقى الشعرى فنّ تعبيرىّ معنوىّ وليس رنيناً لفظياً آلياً ، فالموسيقى تزدوج ببيانه المعنوى ازدواجاً مؤلفاً لوحدته الفنية التى لا يمكن تجزئتها . وعلى هذا الايمان يقوم حرصنا على الموسيقى الشعرية الصحيحة فى تعليمنا وتطبيقنا كما تقوم محاربتنا لكل زيف باطل يعرض علينا باسمها

(٥) لا يجوز أن يوصف التركيزُ والدسامةُ فى التعبير بالالتواء ، وأين الالتوا مثلاً فى البيت الثانى من هذا القول وصفاً للزحام الهائل بمولد السيدة زينب :

فسرنا فى مواكبَ حاشداتٍ تَدَفَّقَ كالظلامِ على الظلامِ
وقد ثار الغبارُ فصار مَعْنًى لغيرِ السّلم فى مثلِ القتامِ

وكيف يحار أديبنا الناقد أمام مثل هذا البيت فى وصف الولىّ :

يُبارك كلَّ مكلومٍ عليلٍ ومن أمثالهِ عِللُ الكلامِ

حينما صدرُ البيت يفسّر عجزه ؟ إن هذا البيت ضروريّ للصورة الوصفية وليس فى شيء من الحشو الذي ينافى طبيعتنا ، واذا خطته يراعةُ طبيب اطّلع على الكثير من علم النفس فانه يحمل من المعانى الضمنية كثيراً فوق رموز ألفاظه وأمثال ذلك الولىّ بلا شك من الاسباب المرَضية للجراح النفسية الخبيثة المتفشية بين مَنْ يؤمنون به ، وما أكثر هذه الجراح !

(٦) إن ما نعرضه من الصوَر الفنية حسب اعتقادنا يُرَحَّبُ به أيّما ترحيب فى فى مجال النقش والتصوير ، فكيف يعاب فى مجال الشعر ؟! أليس ذلك راجعاً إلى حكم العادة الغريبة فحسب ؟ ولو عُنى النقاد بالتبحّر فى دراسة عناصر الفنون الجميلة وعلاقة المرأة بكل ذلك لحمدوا لنا جهدنا بدل لومه ، ولما كان للحديث عن الحشمة أيّ معنى فى تلك المناسبات . كذلك لا نعرف أننا نتصيد شيئاً من الخيالات الشاردة بل جميعها من صور الحياة المواتية لنا فى سهولة طبيعية وقد توفرت لها أركان الفن الأدبى .

(٧) نحن لا نعبأ بهوس الدسّاسين والجاحدين وافتراءات المغرضين الأنانيين ،

---

(١) أنظر مقدمة كتاب (أصول الموسيقى) للاستاذ شارلس بيرس .

فكل مخلوق ميسر لما خلق له ، وإن سجلنا صُوَراً من تصرفاتهم للتأريخ الأدبى فقط فى هذا الزمن الشديد الاضطراب . وفى فاتحة هذا العدد (وكذلك فى أعداد زميلتنا « الامام » الأخيرة) شرحٌ كافٍ لموقفنا الذى يترتب على ظروفنا المادية قبل سواها ، بعد أن استنفدنا جميع وسائل التضحية وبعد أن تلقينا ما لا عداد له من المناوآت . وليثق صديقنا الناقد بأننا فى أيّ وقت نجد الفهمَ الصحيحَ والمؤازرة الكافية لمشروع (ندوة الثقافة) فاننا لن نتأخر عن تحقيقه خدمةً لوطننا وللعروبة وللمعرفة الانسانية ما دامت فينا قدرةٌ على العمل ، وأمّا ازاء ما آلتْ اليه ماليتنا من الاضمحلال وازاء الخذلان الحكومى الذى نلاقيه بالنسبة لتطبيق الاصلاحات المنشودة على الأخصّ ، فلا حيلة لنا الا فى ايقاف كلّ جهودنا العامة . وهذا وحده هو الاحتجاج العملى البارز الذى نملكه اشهاراً للفوضى السائدة فى مصر .

(٨) لسنا بالمهملين لفن الرواية الشعرية كما تدل على ذلك آثارنا المطبوعة التى لم يطلع عليها ناقدنا ، وبالرغم من حالة المسرح المصرى وانعدام الجمعيات المسرحية المشجعة (التى تبلغ زهاء الألفين فى بريطانيا العظمى) ، كذلك لا نعتقد ولا يعتقد كل فنان وثيق الصلة بنا أن لدينا من الآثار الأبية ما يجب غربلته . وهذا الرأىُ الجرىء كان يجب أن يسبقه احتكاكُ الناقد طويلاً بنا ليرعى عن كثب الدواعى الشعرية التى نتأثر بها ومبلغ حرصنا على اللغة والأداء وعلى الموسيقى الشعرية .

ولو قدَّر ناقدنا الشاب أنه يفصل بيننا وبينه ربعُ قرن من الاطلاع المنوَّع والمرانة فى اللغة والأدب والفنّ لأدرك حينئذ أنه من التطاول أن يُعطينا ذلك الدرسَ فى النحو مع أنّه نتيجةُ اطلاعه المحصور وجهله بالمدرسة الكوفية المجتهدة ، وكذلك وصفه بالخيال الفاسد اشارتنا الى الطعام القذر الشائع فى الموالد بمثل قولنا :

وألوانُ الطعامِ تَفوحُ حتى تُخالَ سلاحَ أعداءِ السلامِ

وهو بيتٌ يوحيه خيالُ طبيبٍ شاعر خَبَرَ حوادث التسمُّم البطومينى (ptomain poisoning) من مثل ذلك الطعام الذى يفتك بالنفوس الآمنة المطمئنة فى تلك المناسبات الدينية . وقياساً على ذلك نقدُه كلمة « الحرامى » وهى عربية مصقولة تناولها بالشرح استاذنا الشيخ عبدالوهاب النجار وإن وردتْ فى لغة التخاطب ، ولولا ذلك لما استعملناها ، فلسنا نحن من أنصار العامية أو الأباحية

فى شىء ، فحرية الفنّ لا تعنى الفوضى . وكلٌّ مَن خبرنا طويلا مِن أصدقائنا الأدباء كالجدّاوى والسحرتى والبحراوى وعبدالغفور والصيرفى يعترف بأننا فى شعرنا أشبه بالرسّام الصينىالخبير الذى يُنضج فى نفسه المعانى التصويرية ثم ينقشها بجراءة قوية لاتقبل التعديل لأن طبيعة فنه لا تسمح بالتعديل ، وليس معنى ذلك شىءٌ من الاهمال أو العجز بحال من الأحوال . وأما عن الزعامات الأدبية فنحن براء منها ، فما أفسد الشرق مثل التهافت على الزعامات ، وحسبنا غنماً وحظاً نشر تعاليمنا الفنية قدر طاقتنا ووسائلنا فى الجيل الجديد) .



مهازل النقـــــد

كنتُ أطالع فى الصحف والمجلات انتقادات مختلفة للمؤلفات فأجد فى الكثير منها تحاملاً لا أدرى له سراً حتى أخرجتُ ديوانى (الألحان الضائعة) فأدركتُ أسراراً !

فالنقد عندنا يصدر عن نفوس تختلف باختلاف أغراضها : فناقد يكتب عن عداء شخصى وسخيمة را كدة فى نفسه يضمرها لصاحب الكتاب ، وناقد تلهيه الغيرة فيكيل التهم للمؤلف ، وناقد يُدفع للنقد دفعاً ابتغاء مرضاة ولىّ أو نصير أو متزعّم يريد أن لا يظهر رأس غير رأسه ، وناقد يشتدّ فى الزراية بالكتاب والمؤلف ليظهر أمام الناس بمظهر العالم الزاخر بالمعرفة !

ولقد عرض لى عالم النقد صوَراً من كل هؤلاء ، خالفوا سنّـة النقد وخالفوا قوماً أدركتُ من وراء نقدهم الحقّ والطريق السوىّ، قوماً فضلاء يعرفون للنقد حرمته فلاينزلون به الى حمأة التحزُّب والاستصغار .

وقد اطلع قراء هذه المجلة فى العدد الماضى على ردّى على الشاعر سيد قطب وكان هذا الردّ معدّاً للنشر فى جريدة (الأهرام) ، فبذل الناقد الفاضل جهده فى أن يحول دون نشره فى تلك الجريدة ، وهذا منتهى الصراحة والحرية والشجاعة ! وعرضتُ فى ردّى جملاً مما بثّه الناقد فى نقده محاولاً الاصغار من شأنى ، ذلك لأنّ له ديواناً يستعدُّ لاخراجه يسير فيه على نهجى فى الشعر الرمزى ،

له معنى لم يكن ابنى الحلال ! فأراد أن يحطّ من قيمة ديوانى ليتيسر له بعد أيام من ظهور نقده أن يعلن عن نفسه بما أعلنه فى (الأهرام) وفى غيرها من أن ديوانه هو الديوان الأصيل الذى يشرّف شعر الشباب ! وأن النضوج الذي ليس للصيرفى حظ منه ولا نصيب لم يُخلق الا لسيد قطب ! وأراد الناقد الفاضل أن يطعننى من ناحية اللغة ظنّاً منه أننى بعيد عن اللغة لا أستطيع الردّ عليه وكانت انتقاداته فى حاجة الى التصحيح ، وفى الكثير منها ما أدهشنى حتى كان يعكس الحقيقة والواقع فى كلمات تجاوزتُ عن الردّ عليها رفقاً به: وذلك مثل مؤاخذته إيّاىَ على استعمال الفعل « ملأ » متعدياً لمفعولين مع أنه لو فتح أىّ معجم من معاجم اللغة لوجد هذا المثل البسيط مذكوراً بحروفه « ملأ الاناءَ ماءً » !

ولو جاز له أن يحكم علىّ بسقوطى كشاعر لأنه وجد هذه الألفاظ التى حاول إكراهها على أن تكون خطأ ولو فُقئت عينُ الحقيقة لجاز له ان يحكم على استاذه العقاد بهذا الحكم ولما كان يجوز له ان يقول إن شعر العقاد هو شعر الجيل القادم! وأنا انقل له نبذا من نقد امام من أئمة اللغة فى هذا العصر لديوان من الدواوين العصرية. فأمّا الامام فهو الاب انستاس مارى الكرملى مؤلف (ذيل لسان العرب)، وأمّا الديوان فهو (ديوان العقاد) . يقول الكرملى فى مجلته (لغة العرب) :(العقاد كاتب كبير وكنا نعتقد انه كذلك شاعر كبير حتى جاءنا ديوانه الجديد حافلا بما نظمه قديماً وحديثاً ،فاذا هو دون ما أكبره تصوّرنا ، واذا هو مشحون بالأغلاط والضرورات القبيحة ، واذا هو قبر للألفاظ الميتة دارس فيه كثير من العظام البالية ، واذا هو تافه المعانى فى الأكثر ، واذا هو فى كثير من قصيده يخرج عن الموضوع فلا تبقى فيه الوحدة المتوخَّاة منه ، واذا هو يبالغ أو يغرق فى كثير من أبياته ، واذا هو يقلد القدماء فليس فيه ما يمتّ الى الشعور بواشجة الا أبياتاً قليلة متفرقة هنا وهناك) . وبعد هذا ينتقل الى نقد لغوى فى الديوان فيقول : (وقال — أى العقاد — :

يزجى منارك بالضياء كأنه أرِقٌ يقلّبُ مقلتىْ ولهانِ

و « يزجى » يتعدى بنفسه لا بالباء .

وقال :

يشكو من الدنيا الألى لولاهمُ ما كانت الدنيا تُحَبُّ وتُرغبُ

و «رغب» فعل لازم لا يبنى منه المجهول إلاّ بحرف الجر و «رغب» لا يحذف

منه حرف الجر لأنه يتعدى بحرفين مختلفين «فيه وعنه» ويختلف معناه بموجبهما ، فأى معنى يريده منهما ؟

وقال من قصيدة « فينوس » ص ٢١ وقد عربها من شكسبير :

وتنفخ فى روع الغبيّ فينبرى فصيحاً ويغدو مدرهُ القوم أبكما

فقوله «ويغدو» معطوف على « فينبرى » وهو معطوف بفاء التفريغ على تنفخ فى روع الغبي . فكيف يكون الغبي مدرهاً ؟ واذا تسامحنا فقلنا إنه معطوف على «تنفخ» فبأى شيء يغدو المدره أبكم إذ لاتعلق للنفخ به ؟... وقال : ويسفه «فيك الشيخ إن بات مغرماً » وأحسن من قوله « إن بات » « قد بات » ليكون حالاً . وقال : «عسوفاً اذا ما الخوف قد كان أحزما» ولا تجتمع « قد » للتحقيق والشرط فلا يقال : « اذا ما زيد قد أتانى » لأن الشرط مشكوك فى وجوده فلا يناسبه التحقيق . وقال : « وأنت بأن تقسو جدير وترحما» أليس عجيباً أن لاتنصب «أن» فعل المضارع المتصل بها « تقسو » وتنصب الفعل البعيد عنها « وترحما » بواسطة العطف ؟ وهذا قبيح وإن جاز . وقال :

ويغمض أحياناً فهل أبصر الردى مقضّاً عليه أم بماضيه يحلمُ ؟

ومعنى « أقضّ » خشن ، وهو انما يستعمل فى المضجع ولعله ظن « مقضاً » بمعنى « منقضاً » !)

هذه بعض المؤاخذات اللغوية التى أخذ بها الاب الكرملى العقاد ، فهل أنقصت من قيمته كشاعر ووضعته فى الموضع الذى يريد سيد قطب أن يلقى بى فيه ؟! أنا لا أراها مؤثرة فى شاعرية العقاد إن كان ناقدى الفاضل يرى أن دعاويه التى أبطلتها فى ردى مؤثرة فى شاعريتى !

وأنتهز هذه الفرصة لأنبه حضرة الناقد الفاضل سيد قطب الى أننى بحثت عن قصيدة « ابليس ينتحر » للعقاد التى ادعى حضرته أن بينها وبين قصيدتى « موت عزرائيل » تشابهاً حتى وجدت هذه القصيدة فى ديوان العقاد (وحى الأربعين) الصادر فى سنة ١٩٣٣ فلم أجد بينها وبين قصيدتى التى نشرت فى (المقتطف) فى شهر أكتوبر سنة ١٩٣٢ شبهاً يذكر ، ولكنى وجدت هذا الشبه بين قصيدتى وبين قصيدة أخينا سيد قطب الذى نشرها فى (المقتطف) أخيراً وأسماها « الانسان الأخير »

فاذا هي صدى لقصيدتي « موت عزرائيل » فسررت جدّ السرور اذ أتاح لي َ الله أن أسمع صدى ألحاني فلا أعتقد أنها ضاعت ، فبارك الله في الأفق الذي لا تضيع فيه أصداء الناس ! ولولا ضيق صفحات هذه المجلة لنشرتُ القصيدتين ليطلع عليهما القراء الأفاضل ولكنني أهمس في أذن الناقد الفاضل منبّهاً اياه الى أن في لغتنا الكريمة مثلاً ظريفاً هو « رمتني بدائها وانسلّت ! » ، فليعتبر به وكفى الله المؤمنين شرّ القتال !

إنّ نماذج الشعر التي ينشرها سيد قطب من ديوانه الذي وعد باصداره في الشهر الآتي ما ينتسب له وما نرضى عن جودته بالنسبة لسنّه ودرجة ثقافته ، ولكن بينها أيضاً الكثير المنظور فيه الى شعر غيره ، وهو لم يتسامَ عن تسمية ديوانه من ابتكار غيره وعن ازدراد خواطر شعرية لم تكن له في يوم من الأيام كما كُشِفَ عن بعض ذلك في « أبولو » و « الامام » ، وهو بعد هذا يحدّثنا مباشرة أو بالواسطة عن ابتكاره المدهش ! ومن يدري فقد يقلد غيره أيضاً حتى في مقدمة ديوانه ثم يتظاهر بالابداع البياني كما تظاهر بالاهتمام بالنفسيات التي نبه اليها من قبل صاحب (الشفق الباكي) في مجلة (العصور) كما نبه اليها صاحب (العصور) في (أبولو) ! أما كان الأولى به أن يقتصر على جيد شعره بدل هذا الأسلوب العقيم في ازدراد شعر سواه ثم اقتناص الشهرة على حساب الغير ؟ انّ التطبيل والتزمير لا قيمة لهما في النهاية ازاء الحكم المستقلّ الذي يحكمهُ التاريخ الأدبي على الآثار الأدبية ، وكم من مجلة وصحيفة تجارية طبلت لهذا أو ذاك ونعتته بأكبر النعوت الأدبية والفلسفية ثم ذاب كل هذا مع حرارة التمحيص والبحث .

* * *

هذا وقد اندسّ الى عالم النقد مهرّجون همُّهم في الحياة أن يتطفلوا على موائد الأدباء ويخرجوا منها بفضلات يظنون فيها الدسم والغذاء ، ومن هؤلاء غِرّ يتشدق بالطعن فيّ بعد أن تطفل على مجلس ضمني وبعض اصدقائي الأعزاء في نادي الموظفين بمدينة الاسكندرية ولم أثقل نفسي بمعرفته ، واليوم أطلع في مجلة (الجمهور) على بذاءة ينشرها ذلك الفتى « حسين المهدي الغنام » يردد فيها بروح الببغاء ما قرأه طعناً في ديواني وتجريحاً له . فيتصدّى لنقده وهو يجهل معنى الشعر ويجهل معنى النقد ولا يعرف من اللغة والأدب الا ما يسمعه في المقاهي . وما كنتُ لأعنى بكلامه

لولا رغبتى فى أن يعرف القراء صنفا من الناس يريد أن يظهر نفسه وليس عنده استعداد يؤهله لهذا ، ولأظهر جهل هذا النوع من المدعين الأدب ، وليطلع القراء على أدب هؤلاء وعلى أساليبهم وألفاظهم مما يبيض وجه النقد ويشرفه !

وهل تنطبق كلمة أديب على منْ لا يذكر فى نقده إلا مثل هذه الجمل كقوله : «أما اذا نظرنا اليه ـ أى صاحب (الألحان الضائعة) ـ من جهة اللغة والعروض والموسيقى فانه من أشعر الناس جهلاً بها ، فلم تشفع له حساسيته لأنه لم يفضل العامة الأميين فى هذه الناحية » أو قوله : «أما شعره الحر والمرسل (هكذا) فهو نعيبٌ سمعناه من أبى شادى» أو «والذى يستلفت النظر فى هذه المجموعة كذلك هو كثرة استعماله كلمة الشاعر والشعر ، وفى هذا ما فيه من الغرور والدليل على الجهل ما فيه ، لأنه لا يكرر الشيء غير الخائبين فيه ، وصفوة القول انهذا شاعر لا رسالة له فاذا فقدناه فقد لا نفقد كثيراً ولا قليلا » !؟

أما « نقد » هذا المتأدب فهو ترديد لما ذكره سيد قطب ، فكل الكلمات التى ادّعى هذا أننى مخطىء فيها أعادها ذلك الناقد الجديد وزاد عليه بأن أثبت جهله بالشعر وبحوره ! فهو يرى أن الوزن الذى منه هذا البيت :

يا ظلمة الليل ردّى نجمك الزاهرْ كفانىَ اليوم أنى تائهٌ حائرْ

لا يلائم الا وزن المواليا ! فرحى ! مرحى ! بناقد يتكلم عن الشعر والعروض وهو لا يعرف شيئاً اسمه البحر البسيط ، وبعد ذلك يتبجح فيقول إن ثقافتى محدودة ومحيطى ضيق وعلمى باللغة ساذج واطلاعى على الشعر وأصوله وأحكامه وأوزانه معدوم !

ويأتى بالمضحكات فهو يدّعى أن بالديوان شعراً مرسلاً وحراً ، وهو يرانى جاهلاً باللغة لأنى قلت : «فاذاه كالصمّ من ألم النفس غريبٌ ...» والصواب فى شرعه أن أقول « غريباً » ولا معنى إذاً لوجود الخبر ! ويرى أن كلمة «حُوّ» بمعنى « خُضْر » التى لا تستعمل الا فى أمهات كتب الأدب سوقية سخيفة وكذلك يكرر كلمة «السوقية» التى يبدو لى أنها (لازمة فيه) عند تعرّضه لقولى : « فعلى مَن ندعو؟ وأيّاً نلومُ؟ » وفى قولى « أحلى الأسامى من لغات الهوى » ولو كان مطلعاً على اللغة ومعاجمها لعرف أن « الاسامى » جمع الجمع لكلمة « اسم » ولكن لغويى هذا العصر لا يرون ضرورة للبحث فى المعاجم ما دامت الكلمة فى نظرهم خطأ ! وليس عجيباً أن يصدر كل

هذا العبث منه ومن أمثاله ممن يغرّر بهم محبو الزعامات والحواشى الذين لا يتورعون عن أى تغرير وأى اختلاق فى سبيل تمجيد أنفسهم والكيد لأعلام الأدب الذين يحبون الأدب لذاته ويخدمونه خدمة بريئة. ويكرر طفيليّ النقد كعادته تلك المؤاخذة الواهية حول عدم ظهور الياء فى قولى « تركتنى أرتشف اللّمَى » مع أن هذا التخفيف الموسيقى له نظائره من الاباحة لا فى الشعر العربى وحده بل فى الشعر العالمى، ومثل هذا موجود فى شعر العقاد، وما ذكرت شعر العقاد إلا لأنه هو المثل الأعلى عند أمثال هذا الطفيلى ولأن كل هذه الشتائم التى تكال اليوم لى بعد أن كيلت لأبى شادى وناجى وكل من يتصل بجمعية أبولو عمل مقصود لحساب العقاد.

وبعد هذا يعود ذلك الفتى للكلام عن الأوزان بعد أن أثبت جهله ببحور الشعر بالتصدّى الى محاولاتى فى مزج بعض البحور اعتماداً على قرابة موسيقية تسيغ ذلك وتزيد فى ثروة الشعر كما زادته محاولات شعراء الأندلس.

هذا الفتى المتأدب لا أرى أنسب رد عليه إلا أن أنشر للقراء شيئاً من شعره الذى ألقى به على مجلة (أبولو) رجاء نشره فكانت القصيدة تأخذ بتلابيب الأخرى الى عالم النسيان حتى يطلع قراؤنا الأفاضل على شعر من يتصدّى لنقد الشعر وقد اجتهدت فى اختيار أحسن ما قذفنا به، ولم أعمل الريشة فى تصحيحه كما كنا نعمل سابقاً معه ومع أمثاله ممن يتبجحون اليوم علينا. يقول حفظه الله وأسبغ عليه نعمة الأدب النفسى قبل الأدب اللغوى :

كأنّ رضابها راح الدنانِ وخيرُ الخمرُ تقبيل الغوانى
رشفت رضابها فثملت منه وليس أشد من قبل الحسانِ
وغصت بلجة الأحلام حتى أفقت على تنهدة الجنانِ
فقد قالت : وداعاً يا حبيبى فقد آن الرحيل وقد دعانى
فقلت : أترحلين وان قلبى. يكاد يذوب شوقاً فى التدانى؟
فكيف إذا رحلتِ وإن نأيتِ حناناً — لا تزيدى فى هوانى!

***

ورمتُ بأن أطيل لها شكاتى ولكن كنت منعقدَ اللسانِ
فقدمت الجنان لكى تراه فان القلب أبلغ ترجمانِ

وقوله :

لا تَسقنى راحاً فحسبي نشوةً أنى أقبّل ثغرك الوضّاء
وأنال مِن فيك المنوّرِ نغبةً ومن اللَّمَى أرْوِى الجوى إرواء
ورضابك المعسول أنهل قرقفاً ورحيقه أمتصه صهباء

***

لا تسقنى راحاً فحسبي أننى أحظى بقربك أو أنالَ لقاء
هذا نصيبي فى الحياة — وحظنا فى العيش أن نحيا معاً سعداء
تُهْدِى شفاهى كلَّ صبحٍ قبلةً وأمتِّع العينين منك مساء
ونعيش فى جسمين روحاً واحداً ويعيش كلٌّ للخدينِ رجاء

***

وبعد هذا أسدل الستار على هذه المهازل تاركاً هذه الضجة المفتعلة لأعمل فى سكون وهدوء بعيداً عن الطنطنة والجرى وراء الشهرة ، لا يعنينى الا أن يجتاز أدبى هذا الجوّ الموبوء حتى يجد فى الربوع الطيبة أو فى الأجيال السليمة من الأغراض ما هو أهلٌ له ؟

حسن كامل الصيرفى



التحاسد الأدبى

كلمةُ رجاء

مما يؤلم نفسَ الأديب المجرّد ما يراه فى هذه الأيام من «التحاسد الأدبى» بين كبار كتابنا ونوابغ شعرائنا ورجال صحافتنا فى المهجر والوطن .

ومما يبعث على الأسف الشديد أن ذلك التحاسد ناجم فى العالم عن حزازات فى الصدر أو تحامل شخصى لسبب أو لغير سبب .

ففى المهجر نكايات وأحقاد بين حملة الأقلام وأرباب الصحف وأدباء ديار الغربة

وفى مصر مناظرات عنيفة ومصادمات كريهة وهجوٌ قاذع ونقد لاسع لاذع .

وفى سوريا كما فى لبنان أضغان تأصلت فى الصدور وتحولت الى هزء وسخرية .

ولو عقل ابن المهجر أو ابن الوطن لمدّ يده لأخيه مصافحاً ، وعاشا معاً عيشة راضية ملؤها الغبطة والعافية والحياة الهنيئة الصافية .

قال أحد المحدثين للأصمعى :

رأيت أعرابياً قد بلغ عمره مئة وعشرين سنة وهو غض الاهاب ، وعلى وجهه نضارة الشباب فقلت له : ما الذى أطال عمرك يا عماه ! ؟ فأجاب : تركت الحسد فبقيت .

فليقتد أدباؤنا بذلك الأعرابى ، وليفبذوا الحسد ليسعدوا ويبقوا الا ليسهدوا ويشقوا ، وليردد كل منهم ما قاله الشاعر بلسان احدى المنشدات :

خيراً رأيت وكل ما أملته ستناله منى برغم الحاسد

وانك لفاعل ان شاء الله أيها القارىء العزيز بعون المولى العزيز ؟

بيروت : حليم دموس



فلسفة السرقة

بين البارودى وناجى والعقاد

نقد الشاعر المعروف عباس محمود العقاد فى مقاله « دواوين شعرية » المنشور بالعدد الصادر فى ١٢ يونية سنة ١٩٣٤ من (الجهاد) ديوان (وراء الغمام) للشاعر الوجدانى الدكتور ناجى ، وقد كان من أثر الضغط الشديد فى التحامل وإنكار

الناحية الفنية فى الديوان أن زلّ قلمه بما فضح نقده ومكّن الظن فى اشباع نقده بالعداء الشخصى ، ذلك انه نسب الى الدكتور ناجى انتزاعه بعض المعانى من شعره وضرب لذلك أمثلة رأينا أن نعقب على واحد منها لتتكشف للجمهور ضلالة النظرات النقدية التى يلتفت بها كبار الأدباء بعضهم الى بعض . قال إن البيت الآتى للدكتور ناجى :

مرّ الظلامُ وأنت ملء خواطرى ودنا الصباح ولم أزل مشغولا

مأخوذ من قوله :

فاذا صحوتُ فأنتَ أول خاطرٍ واذ غفا جفنى فأنت الآخرُ

وهذه الملاحظة فاسدة من أساسها ولا أثر للانتزاع فيها مطلقاً ، من وجهين :

(١) قال البارودى ـ نضر الله ذكره راثياً زوجته فى داليته المشهورة التى مطلعها:

أيدَ المنون قدحتِ أىَّ زناد ! وأطرتِ أية شعلةٍ بفؤادى

. . . .

فاذا انتبهتُ فانت أوّلُ ذكرتى واذا أويتُ فانت آخرُ زادى

وفى رواية أخرى :

فاذا صحوتُ فأنت أول ذكرتى واذا غفوتُ فأنت آخرُ زادى

فانت ترى أن بيت العقاد بنصه وفصه مسروق من بيت البارودى . (فالمعنى) متحدٌ فى البيتين كل الاتحاد ، كلاهما يثبت سبق الخاطر ، والذكرة للمحبوب الى شعوره عقب صحوه وانتباهه ، وكلاهما يثبت أيضاً أن المحبوب هو آخر خاطر أو زاد يتزود به فى اغفائه . ومن هنا يظهر ضعف الافتراق اللفظى اليسير فى بيت العقاد عن بيت البارودى ، فالعقاد يقول (أنت الآخر) بينما البارودى يقول (أنت آخر زاد) ، ولو أن العقاد أخذ كلمة (زاد) بنصها لكان أولى من ذلك الافساد لمعنى البارودي الذى يجعل ذكر الحبيب فى خاطره آخر زاد يتزوّد به فى حياة الاغفاء وسكرة العقل ، وفى هذا شدة تعلق بالحبيب وآصرة روحية عميقة مفتقدة من بيت العقاد الذى قد يستعيض عنه هواجسَ اخر.

أما من الناحية اللفظية فأمامك البيتين ليس فيهما تغيير ذو بال فكلمة (خاطر)

أصلها (ذكرتي) في بيت البارودي وكلمة (غفا جفني) أصلها (غفوت) و (أنت الآخر) أصلها (أنت آخر زاد) وعلى الرواية الأولى لا فرق بين الانتباه والصحو ولا بين الاغفاء والايواء للمضاجع .

فبيت العقاد الذي يتَّهمُ ناجي بسرقته ليس له ، لا لفظاً ولا معنًى ، وانما هو برمَّته للباروي . والذي يحمل في نفسه مثقال ذرة من الانصاف لا يتردد في التسليم معي بجميع ما قلتُ . على أني لو سلمت جدلاً بأن البيت للعقاد فمحال أن تصدُقَ دعوى انتزاع بيت ناجي منه كما ترى .

(٢) سقطَ إذن بيت العقاد من المعركة ، فلنمايز بين بيتي البارودي وناجي ، وأكبر ظني أن الموقفين مختلفان اختلافاً بيِّناً : فالبارودي يأوي الى النوم وضجعته محفوفة بذكرى حبيبه . ولكنَّ ناجي لا ينام ، بل يظل مترقباً طول الليل ، والظلام يمضي وحبيبه ملء خواطره ، والصباح يدنو وهو قَلِقٌ مشغولٌ متشوِّفٌ الى عَوْدته . فمجرَّدُ تشابه في الغرض أو المَنْحَى الوجداني للشاعرَين لا يوهم تلبُّساً أو اشتباكاً في الصورة التي يرسمها الشاعران وهي مختلفة في التخيل والتأمل .

على أن في صورة ناجي نضوجاً وجدانياً لأن تماسك الصِّلة بين الروحين يوحي القلق والسهاد والترقب طول الليـل إلا أن يكون تصويرُ البارودي متساوقاً مع الواقع الذي يحسُّ به . واللفظ مختلف في البيتين كما ترى .

شاء العقادُ أن يَغُضَّ من شاعرية ناجي ، فوكزَ نفسه وشعره وسجَّلَ على الأدب عار الفساد في نقـده ، وعلى الجمهور عار التَّغرير به ! ولقـد سقط مستوى النقد الأدبي في مصر سقوطاً فاحشاً، هذا مثلٌ واضح منه . فمن أراد أن يقف على شاعرية شاعرٍ فلينحرف عن تلك الحملات المغرضة الى حيث يسلم النقد من الدَّخل والفساد ؟

محمود حسن اسماعيل



الأدب الميت

من الناس من يعيش ويموت فلا يؤبه له ولا يشعر بوجوده بل يقضى على اسمه بانطفاء سراج حياته وتدول معالمه كأن لم يكن له ذكر ، ومنهم من يكون حديث الناس وشغلهم فى حياته وإمامهم وقائدهم بعد وفاته — خالداً ما خلد الدهر تشيد بذكراه آثاره ومخلفاته .

وما ذاك إلا لأن النوع الأول عاش متطفلاً على موائد الغير ناسجاً على منوال من سبقه فعاش خاملاً ومات خاملاً

وأما النوع الثاني فهو الذى عافت نفسه أن تُعرّج على موارد غيره وحرم عليها أن تطأ طريقاً سبقه اليها إنسان ، فعاش في عزلة عن العالم بأفكاره وعاداته ، ونظر الناس اليه نظرة دهشة وحيرة وقدّسوا عبقريته ، وتراموا على ينبوعه يرتشفون من أدبه ومعارفه . وما يكاد يلفظ آخر نفس من أنفاسه حتى يكون اسمه قد نقش بمداد من النور على صفحات القلوب وصحائف التاريخ .

ولقد طالعنا التاريخ بأسماء كثير ممن سُجّلوا فى صحائف خلوده وكانو أئمة للفكر وقادة للبيان أمثال امرىء القيس وأبي العلاء والمتنبي وأضرابهم من الذين بَذّوا معاصريهم بابتكارهم وعلوّ أدبهم .

كما أن لنا فى شعراء العصر الحاضر شخصيات ممتازة كل منهم له طابعه الخاص فى شعره وأدبه حتى انك لتعرف اسم الشاعر بمجرد سماعك لشىء من شعره ، وهؤلاء أمثال شوقى ومطران ومحرم وأبي شادي وشكرى وناجي وغيرهم.

على أنَّ فى عصرنا الحالى مَن يدّعون الشعر وليس لديهم ما يؤهّلهم لأن يتقلدوا ذلك المنصب السامى بل كل بضاعتهم منتحلة وأخيلتهم ومعانيهم مسبوقة . وخيرٌ للشاعر أن ينسب اليه بيت واحد من شعره من أن تمهر باسمه مئات القصائد المسروقة أو المستعارة . ولقد حفزنى الى كتابة هذه الكلمة قصيدة أتيح لى الاطلاع عليها للشيخ عبد الله عفيفى أعدّها ليهىء بها جلالة الملك بعيد الفطر ، وكم تألمتُ عند ما عرفت أننى قرأت نظيرة لها لابن النبيه المصرى ، واليك أيها القارىء الكريم بعض ما اشتركت فيه القصيدتان :

أما القصيدتان ففى المدح وللممدوحان ملكان . ولقد ابتدأ الشيخ عفيفى قصيدته واصفاً هلال شوال بقوله :

بدا على الأُفق غضّ الحسنِ زاهرهُ يلوح باليمنِ والاقبالِ طائرهُ

وابتدأ ابن النبيه بقوله :

باكرْ صبوحكَ أهنا العيش باكرهُ فقد ترنم فوقَ الأيكِ طائرهُ

ثم قال الشيخ عفيفى مستمراً فى وصفه للهلال :

فى وجههِ قبسُ الآمالِ نرقبهُ وفى محيّاهُ صافى البشرِ باهره

ويقول ابن النبيه :

وكوكب الصبح نجاب على يدهِ مخلّقٌ تملأُ الدنيا بشائرهُ

ويصف الشيخ عفيفى الهلال بأنه :

رسالة الله يحظى المؤمنون بها ويفرح الخلق باديه وحاضرهُ

ويقول ابن النبيه فى محبوبته :

نبيٌّ حسنٍ أظلته ذوائبهُ وقام فى فترة الأجفان ناظرهُ

ويقول عن هذه الرسالة :

منها استمدَّ فنونَ القول ناثرهُ ومن حلاها استمدَّ الشعرَ شاعرهُ

ويقول ابن النبيه فى مدح الملك الناصر :

كلُّ الكلام قصيرٌ فى مناقبه إلا إذا نظم القرآنَ شاعرهُ

بعد ذلك ينتقل الشيخ عبدالله الى مدح جلالة الملك فيقول :

أحبَّه الله واستصفى شمائله فكان لله ماضيه وحاضرهُ

ويقول ابن النبيه :

إمامُ عدلٍ لتقوى الله باطنه وللجلالةِ والاحسانِ ظاهرهُ

ويقول الشيخ عفيفى :

فى ذروة المثلِ الأعلى مَناقبهُ ورأيهُ وأمانيه وخاطرهُ

ثبتُ اليقينُ وثيقُ الدين معتصمٌ بالحقّ فى يده العليـا أواصرُه

ويقول ابن النبيه :

تجسدَ الحقُّ فى أثنـاء بردته وتُوّجت باسمهِ العالى منابرُه

ثم يشبه الشيخ عفيفى جلالة الملك بالمسيح بقوله :

يدا المسيح يداه إن ألمّ بها على موات نمى واخضرّ سائرُه

ويشبه ابن النبيه موسى الأشرف بموسى الكليم فيقول :

بحدّ سيفك آياتُ العصا نسخت إذا تفرْعنَ يومَ الروعِ كافرُه

ويقول الشيخ عفيفى :

لولا يقينُ الورى فى عُظم قدرتهِ لقيل ذلك سحرٌ وهو ساحرُه

ويقول ابن النبيه فى حبيبته :

فلو رأت مقلتا هاروت آيتـهُ الكبرى لآمنَ بعـد الكفرِ ساحرُه

بعـد ذلك يسطو الشيخ عفيفى على شطرة كاملة ويجعلهـا فى ختام قصيدته ولا يشير الى مصدرها ، حتى ولا يجعلها بين قوسين ، فيقول سامحه الله :

لا زال جدّكَ بالفاروق مبتسماً وأنت ناهٍ لهذا الدهر آمرُه

ويقول ابن النبيه :

خذ من زمانك ما أعطاك مغتنماً وأنت ناهٍ لهذا الدهر آمرُه

هذا ما عنّ لى أن أكتبه عن هذه القصيدة ، وبودّى ألا يعود الشيخ عبدالله عفيفى الى مثل ذلك حرصاً على سمعة الأدب المصرى ؟

محمد عبدالغنى بخيت



الألحان الضائعة

تعليق على نقد

استأذن قراء (أبولو) فى نشر هذه الكلمة التى بعثتُ بها الى مجلة (الرسالة) لنشرها فيها فظهرت مبتورة وعسى أن يكون ذلك ناشئاً من ضيق صفحات تلك المجلة لا من سبب آخر ، وأرانى مضطراً الى تسجيل كلمتى هنا للتاريخ الأدبى ولحرية الفكر وليطلع عليها من اطلع على مختصرها فى (الرسالة) فيعرف ما كنت أريد أن أقوله فضاع فى الاختصار والاختزال .

***

تناول الأديب محمود الخفيف فى العدد الماضى من (الرسالة)[1] ديوانى (الألحان الضائعة) فبدأ كلمته بقوله : «قرأتُ ديوان شاعرنا الشاب ، فأحزننى لعمر الله هذا البكاء الذى لا ينقطع ، وهذه الشكوى المريرة التى تمجُّ بها قصائده ، ورحت ألمس سرّ تلك الكآبة الجازعة فلم أهتد الى شيء ، فطويت الكتاب وأنا برم بهذه النزعة من شاب فى مقتبل العمر ، أجل ربما كان الشاعر قد صادف فى حياته ما أجرى دموعه ، ولكن متى كانت رسالة الشعر النحيب والشكوى فى غير سبب معروف وفى غير ايضاح من الشاعر عما ناله ؟ على انه لو كشف سرّ بكائه لكان الواجب يقضى عليه أن يقتصد فى شكواه أو يعرضها فى صورة غير الصورة اليائسة المستسلمة » .

فالناقد الفاضل يأخذ علىّ تلك الكآبة التى لزمتنى فى عهد من حياتى وراح يتلمس سرّها فلم يهتد الى شيء مع أن هذا السرّ واضح كل الوضوح فى كثير من قصائد الديوان بل من أول قصيدة الى آخر مقطوعة فيه . ففى قصيدة « الضحية » تفسير قوىّ لناحية من تلك الكآبة يؤكده قولى فى القصيدة التى تليها بعنوان « الواحة المنسية » :

فى ذمةِ الفنّ ما ردّدتهُ أمداً فضاع لحنى سُدًى فى جوّ نكرانِ
طغى عليه ضجيجُ القوم فانطمست أصداؤه ، وفؤادى طىّ ألحانى

---

(١) العدد ٧٠ بتاريخ ٥ نوفمبر سنة ١٩٣٠ بقلم محمود الخفيف

وفى قولى من قصيدة « اللحن الضائع » :

يا أغانى الربيع ما أنا إلاّ مَقطعٌ من قصيدةٍ ضاع لحنُه
لم تلد لى الأيامُ مَن يتولى بَعْثَ لحنى ، وكيف يبزغ شأنُه ؟
أوَبين الصخور يكتمل الصو تُ ؟ محالٌ هذا ... وكنتُ أظنُّه

وفى قصيدة « اللغز » تظهر نواحٍ كثيرةٌ من سر هذه الكآبة وتظهر فيها قوة الشباب الغلاب لا اليأس المستسلم .

وأظن أن تصوير الشاعر لآلامه ليس من العيوب التى تؤخذ عليه ، وإلا فليس من الواجب أن نطالبه بالصدق فى التعبير ، وألاّ نؤاخذه على تزوير شعوره .

ولو اطلع الناقد الفاضل على « الصورة السريعة » التى كتبتها عن حياتى فى الديوان لعرف شيئاً عن سرّ الكآبة التى لازمت شعرى فى الأربع السنوات الماضية وزادها سواداً ذلك الجحود الذى لقيته فى الأدب وعبرت عنه فى معظم قصائدى ، فاننا ما نزال نعانى مصيبة لا أدرى متى ينتهى أجلها : تلك أن أدب الأديب يقاس بعمره ، فتى كان فى دور الشباب فهو فى نظر الناقد مبتدىء يحتاج الى الصقل ، وتفكيره وإن دقّ ساذج ، وأثره وإن كان فى مرتبة أدب بعض الأشياخ إن لم يزد عنه فجٌّ لم ينضج !

هذه المصيبةُ التى تجتاح الآثار الأدبية فى مصر هى من الأسباب التى لوّنت أدبى فى هذا الديوان بهذا اللون القاتم الذى حاول الناقد الفاضل أن يستشفه فلم يهتد اليه بالرغم من تعبيرى عنه .

إنّ أحكام النقّاد الأفاضل هى التى تقضى على كل أثر أدبى فى مصر بأن يأخذ لوناً من ألوان الحسرة والألم . فالسادة النقاد يريدون أن يصدروا أحكامهم على الأدباء الشباب دون أن يعرفوا مدى ثقافاتهم ، ويحاولون تجريدهم من معرفة أى شىء حتى المذاهب التى يبتدعونها ! وإلاّ فما الذى أوحى الى الناقد الفاضل أننا نتحدَّث بالرمزية ولا نعرف معناها ، وما الذى ألقى فى روعه أن هذه الرمزية فى الأدب خطر داهم وعقبة كأداء فى سبيل تقدم الشعر العصرى مع أن هذه الرمزية موجودة فى القرآن الكريم ؟!

إن هذه الأحكام وأمثالها مما لا يصدرها نقاد اليوم على أشياخ الأدب فى توافه تآليفهم والتى لا يصارحونهم بها هى الخطر الداهم والعقبة الكأداء فى سبيل تقدم الشعر المصرى وجميع فنون الأدب .

***

لقد بُليتُ فى حياتى الأدبية بصنوف من الجحود ساعد عليه انزوائى عن عالم التهريج وعزوفى عن الجرى وراء شهرة لا يتكسبها الانسان إلاّ بأشياء لا تريح ضميره بله ضمير الناقد النزيه ، فأخرجتُ ديوانى وأنا أعرف مكانه فى النقد ومكانه من رضا الناس !

إنّ النظر الى صاحب الكتاب وسنّه دون النظر إلى كتابه وما فيه ، وان محاولة الناقد أن يقف من المؤلف ـ وإن كان فى مرتبته ـ موقف الأستاذ ، وان الصراحة التى لا تظهر من النقاد إلاّ مع أدباء الشباب وتخفى مع الشيوخ ومع أصحاب المراكز الأدبية الممتازة ، لمما يجعلنى أهتف فى حرارة بقولى :

فى ذمّةِ الفنّ ما ردّدْتهُ أمداً فضاع لحنى سُدًى فى جوّ نكرانِ !

***

يرى الناقد الفاضل أن « الأديب الصيرفى قليل العناية بقوافيه وبلغته على وجه العموم (هكذا) » . هذا حكم يصدره ناقدٌ فاضلٌ لأنه عثر على بعض هنات يعثر عليها فى كثير من أشعار المتقدمين والمعاصرين ، ولأنه وجد محاولات عروضية مخالفة للسنّة القديمة وهى لم تضر الأدب فى شىء إن كان قد أصابه ضررٌ من محاولات شعراء الأندلس . . . هذه الهناتُ التى لم يذكرها والتى يمكن لكل ناقد أن يعدّها على أصابعه تجعل من صاحب الديوان رجلاً لا يهتم بلغته وقوافيه (على وجه العموم) !

إنى لأألمُ إذ أحاول التكلم عن أصول النقد وواجباته ، ومن هذه الأصول عدم الحيدة عن الحقيقة والانصاف ، وأدعو الله أن يهدينا جميعاً الى أقوم سبيل . هذا وأختم تعليقى بالشكر للناقد الفاضل على تنويهه ببعض ما وجدنى قد أحسنتُ فيه مما كان يرفعنى — أو يُرجَى منه ذلك — لو أنى سرتُ على نهجه كما يقول ! وأنا عند حسن ظنه بى يوم يتقدّم بى العمرُ حتى يتكافأ وأدبى ؟!

حسن كامل الصيرفى



وصف البحترى

أبو تمام والمتنبي حكيمان والشاعر البحترى

(١) فاق صاحبيه بالوصف

عرّف المعرى كلمةَ الشاعر ليخصصها بالبحترى فينفيها عن صاحبيه ، وقد قصر البحترى عن المتنبي فى المديح والهجاء ، وقصر عن أبي تمام فى الغوص على المعانى العميقة ، وقصر عن كليهما بالحكم ، ولم يبرز الثلاثة فى الفنون الأخرى وانما برز المتنبي فى حكمه وعظمته ، وابو تمام فى معانيه وصنعته ، والبحترى فى وصفه ، فكان شاعراً دونهما لان الشعر يعتمد على الخيال فى مادته وميدان الوصف خيال رائع .

وسنكتفى الآن بوصف الشاعر دون التعرض الى المقابلة لان الموضوع وصف البحترى .

(٢) أثر به جمال الطبيعة فى شبابه وجو العراق بعد ذلك

وُلد البحترى فى منبج وهى بلدة قرب حلب «عذبة الماء طيبة الهواء قليلة الادواء ليلها سحر كله» ، فكان لذلك الماء العذب أثر فى صحة البحترى ، ولذلك الهواء الطيب أثر فى صفاء ذهنه ورقة خياله .

وعاش البحترى فى أحضان الطبيعة فكانت لخياله أماً رؤوماً ، ودرس فى كتابها الواسع وكتاب الطبيعة أكبر معين للخيال الرائع ، وغذاه الشباب الغضّ والشباب

زمن العواطف الثائرة ، والحس المتلهب ، والشعور القوى ، واذا لم تساعد الطبيعة وكتابها ، والشباب وعواطفه ، والصحة وجودتها - أضف اليها المرأة والعقل النابغ - فى خلق الشاعر فليس فى الدنيا شاعر .

أثرت به منبج ، وجمال مناظرها ، وطيب هوائها وصفاء جوها فذكرها فى نعمته وشبه نعيمه بها ، واتخذها معيناً لرسومه ، قال :

لا أنسين زمناً لديك مهذباً   وظلال عيش كان عندك سجسج
فى نعمة أوطنتها وأقمت فى   أفيائها فكأنني فى منبج

وذهب البحترى الى العراق قبل أن تؤثر به ثقافة الشام الحكيمة فتأثر بالأدب العراقى ورق خياله فوصف فى ما وصف الخمرة وربما لم يشربها ، ولكنها الطابع الذى ألصقه أبو نواس على الشعر العراقى . قال البحترى :

من مدام تقولها هى نجم   أضوأ الليل أو مجاجة شمس
أفرغت فى الزجاج من كل قلب   فهى محبوبة الى كل نفس
وتوهمت أن كسرى ابرويـ   ـز معاطى والبلهبذ أنسى

ولعل البحترى لم يشرب الخمرة منفرداً فى الايوان ، ولعل له من همومه عازفاً عنها ، ولكننا لا نشك فى أنه وصفها وأجاد فى ذلك الوصف ، فهى نجم يضىء الليل وهى شعاع تمجه الشمس من فيها فكأنه جسم حى بلغ من قوته أن يمج الشعاع فيصل الى الأرض وأجمل الصور أحياها وهذه فى العراق أحيا منها فى الشام .

ولا تنس أن العقل عاجز الى اليوم عن ادراك تلك القوة التى تحمل شعاع الشمس الى الأرض ، وتلك القوة التى تدفع النور بتلك السرعة العجيبة ، فأين علم العلماء من خيال الشعراء ؟

والخمرة عند مدمنيها لذيذة محبوبة فكأنها مزجت بكل قلب وأفرغت من كل نفس ، وأحب شىء الى الانسان نفسه ، وأيسر شىء يحمله الى مراتب الملوك ومنازل العظماء قدح من الخمرة ، فكأنه أمير على أمير المؤمنين وكأن كسرى نديمه والبلهبذ أنيسه !

ورأى البحترى مواكب الخلفاء وعظمة المتوكل مما لم ير مثله فى الشام فوصف

ذلك وكأننا نراه ، وهنا سر عظمة البحترى : يصف فكأننا بعد ألف سنة ونيف نرى موكبَ الخليفة ونسير خلفه ودليلنا الشاعر ، قال :

أظهرتَ عزَّ الملك فيـه بجحفلٍ … لجبٍ يحاط الدينُ فيـه ويُنصرُ
خلنا الجبال تسير فيه وقد غـدت … عدداً يسير بها العـديدُ الأكثرُ
فالخيـل تصهل والفوارس تدعى … والبيض تلمع والأسنة تزهرُ
والأرض خاشـعة تميـد بثقلهـا … والجوُّ معتكر الجوانب أغبرُ
والشمس طالعة توقـد فى الضحى … طوراً ويطفئها العجاج الأكدرُ
حتى طلعت بنور وجهك فانجلى … ذاك الدجى وانجاب ذاك العثيرُ
ودنا اليـك الناظرون فاصبعٌ … يومى اليك بها وعينٌ تنظرُ

تلك الجبال السائرة وذلك الضجيج نجـــده فى معانى البحترى ، ونسمعه فى ألفاظه ، وفى تلك الصورة نرى الأرض خاشعة لمقام الخليفة تـكاد تميد بثقلها ، وذلك الغبـار يطفىء الشمس فيجلوه وجـه الخليفة حين يطلع . صور متتابعة قوية نسمع بين سطورها صهيل الخيل وادعاء الفرسان ولمعان السيوف وضجيج الجماهير حتى اذا ظهر الخليفة تهيبت الخيل اجلالاً ، وسكت الناس اعظاماً وأشاروا بأصابعهم حتى لا يبقى من تلك الصور القوية المتتابعة غير أصبع يومى بها وعين ترنو ، وحتى نـكاد نشارك القوم متأثرين ببلاغة الشاعر .

(٣) أثر به حنينه الى وطنه وحبه علوة

حنَّ البحترى الى وطنـه وانمـا حنَّ الى ذلك الليل البارد فى منبج ، والى تلك المناظر البهجة التى كانت تجود عليه بها الطبيعة ، والى أولئك الأهـل الذين عرف البحترى معهم طيب العيش وهناءه بل حن الى تلك الحرية الطبيعية الواسعة التى لا يجد بعضاً منها فى بغداد ، والى ذلك الفضاء الواسع يرسل به خياله فلا يضعفه مال أو قيود ، ولا يقف فى وجهه حسد أو وشاية ،وقد أثر ذلك الحنين فى فؤاده فاستلَّ من خياله صوراً جميلة لم يشاركه فيها شاعر وإن تحرجت فقلْ لم يدانه غير واحـد أو اثنين .قال يحن الى الشام :

شاقنى بالعراقِ برقٌ كليـلُ … ودعانى للشام شوقٌ طويلُ
ولو أنى رضيتُ مقسوم حظى … لـكفانى من الـكثيرِ القليلُ

ولقد صدق البحترى فلو لم يكن من الطمع وحب المال على جانب عظيم لترك العراق وعاد الى منبج يحيا بها حياة الهناء والسرور ، ولو عاد الى الطبيعة لرق خياله على رقته ، وزاد اتساعاً على سعته ولكن من يدرى ؟ ربما كان ينصرف الى درس الطبيعة فلا يخرج عن دور الطالب والناس ينتفعون بقليل من العلم يظهر ، ولا ينتفعون بكثير من العلم يضن به صاحبه خوفاً أو رهبة .

وأحب البحترى فى وطنه علوة فلم ينسها فى العراق ، وقد أثر به حبها وأضرم فى صدره نار الوجد ، وعلمه الشكوى ، وأثر بخياله فأرقه ، وليس كالمرأة مرق للخيال وليس كالحب الأول الثابت مؤثر فى الشعور ، وليس كحب الشباب الذى لا تجرفه الأهواء عامل فى العاطفة .

وكثيراً ما ذكر البحترى علوة فى نعيمه وكثيراً ما تشوق ، قال :

طيف لعلوة ما ينفك يأتينى   يصبو الى على بعد ويصبينى

وربما كان لبخل البحترى أثر فى اكتفائه بطيف علوة وعزوفه عن ملاهى بغداد وعبثها ومجونها ، ولعله كان صادقاً فى حبها فلم نظلمه ؟ ومهما كانت الأسباب فقد ذكرها كثيراً ، قال :

وما أنس لا أنس عهد الشبا   ب وعلوة إذ غيرتنى الكبر

وقال : عرج على حلب نحى محلة   مأنوسة فيها لعلوة منزل

(٤) البحترى صلة بين أدبين

كان فى العصر العباسى أدبان متميزان : أحدهما أدب العراق ويمتاز برقة خياله واسترساله مع الطبع وتأثره بالخمرة والغلمان وبما أدخله أدباء الفرس على الأدب العربى من أدبهم ، وبامتزاج الثقافة الفرسية بالثقافة العربية امتزاجاً نشأ منه ثقافة جديدة تبعد عن قوة الجاهلية وصلابة صدر الاسلام ، فكان هذا الأدب أدب اللهو والخيال .

والآخر أدب الشام ويمتاز بجزالته العربية — وشعراء الشام كلهم عرب — وبتثقيفه وحكمه ، وقد تأثرت بثقافة العرب فى الشام وثقافة اليونان الى حد ، ولم يعرف العرب أدب اليونان بل عرفوا علمهم وفلسفتهم ومنطقهم ، فظل أدب الشام

أقربَ الى العرب لقربه من الحجاز ولنسب شعرائه ، فكان أدبٌ الجد والجزالة والعقل .

ولسنا نفي البحث حقه في وصف البحتري اذا لم نشر الى بعده عن الطبع أحياناً، وقد تعوّدنا في أبحاثنا كلها أن نكتفي بالحسن وحده وذلك نقص .

كان البحتري صلة بين أدب العراق وأدب الشام فكان رقيق الخيال غير لاه ، وكان يثقف شعره غير صانع . أما رقة خياله فقد رسمت صوراً ناطقة ، وأما تثقيفه فكثيراً ما يظهر في خلال قصائده ، قال :

ان أيامه من البيض بيضٌ ما رأين المفارقَ السودَ سودا

وبين البيض والبيض جناس وبين البيض والسود طباق ، وفي البيت تثقيف يقرب من الصنعة ، وقال :

وما الناس الا واجدٌ غير مالك لما يبتغي أو مالكٌ غير واجد

وفيه العكس ، قال :

فليس الذي حللته بمحللٍ وليس الذي حرمته بحرامِ

وفي البيت طباق بين الحلال والحرام وفيه ازصاد ، ولكنه على نوعيه أقرب الى العاطفة من صاحبيه . قال ابن الجرجاني :

« ان البحتري لينزع من شماس المهر الصعب الجامح حتى يلين لك لين المنقاد المطيع » .

(٥) أثر به أبو تمام

والبحتري مدينٌ بصنعته لأبي تمام وقد أعجب الشاعر بأستاذه وسأله أن يوصيه فأوصاه « بتخير الاوقات واختيار الالفاظ والاستعانة بالشهوة للقول والتشبه بمن سلف ، الخ » .

فكان في شعره ريح الصنعة كما كان فيه نسيم الرقة والطبع .

وقد بلغ من اعجابه بأبي تمّام أن سطا على بعض معانيه فاتخذها أصحابُ أبي تمام ذريعة لتفضيله على البحتري ، قال أبو تمّام :

وما نفعُ مَنْ قد مات بالامسِ صادياً اذا ما سماء القوم طال انهمارُها

قال البحترى :

واعلم بأنّ الغيثَ ليس بنافعٍ للناسِ ما لم يأتِ فى ابّانهِ

وقال أبو تمام :

واذا أراد الله نشرَ فضيلةٍ طُويتْ أتاح لها لسانَ حسودِ

فقال البحترى :

ولا تستبين الدهر موضع نعمة اذا انت لم تدلل عليها بحاسدِ

(٦) وصفُه صورٌ ناطقةٌ

البحترى ابن الطبيعة باسمها يتكلم وبلسانها يترجم والطبيعة ناطقة لمن يفهمها وبرة بمن هو برٌّ بها . قال يصف الربيع وكأننا نرى أشجاره تمايل أغصانه :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا من الحسن حتى كاد أن يتكلما

وقد نبَّه النوروز فى غلس الدجى أوائل وردٍ كنّ بالامس نوّما

يفتقها بردُ الندى فكأنه يبث حديثاً كان قبل مكتما

ومن شجر ردّ الربيع لباسَه عليه كما نشّرت وشياً منمنما

ورقّ نسيم الريح حتى حسبته يجىء بأنفاس الأحبة نعما

فما يحبس الراح التى أنت خلها وما يمنع الأوتار أن تترنما

يصف البحترى الربيع فاذا هو فتاة حسناء ترنو ضاحكة حباً وحناناً والدنيا تضحك لمن يضحك لها ، وتحبّ من يحبها ، والطبيعة تبسم لمن يهواها وتحمل فى ثنايا أثوابها الجميلة السعادة لمن يطلبها عن طريقها المستقيم ، يضحك الربيع فيكاد يتكلم ، وأجمل الصور ما ظهرت الحياة بين ألوانها ، وأفضل الوصف ما تكلمت سطور شعره ، وهذا وصف البحترى صور ناطقة ضاحكة تتكلم .

ويتساقط برد الندى على أكمام الورد ينبهها آذار فتنفرج شفتاها قليلا كأنها تبثّ حديثاً كانت تكتمه وكأنها تضن به فلا يسمعه عذول أو واش .

ثم يخلع الربيع لباس الشجر عليه فكأنه وشى منمنم ويزيد فى جمال هذه الصورة وحلاوة وقعها جمال الكلمة وحلاوة جرسها فى ربيع الحياة .

ثم يرقّ النسيم فكأنه يحمل أنفاسَ الأحبة ، وكأنه يثير عواطف الشباب الملتهبة ويضرم شعوره القوى ، ويحرك أوتار قلبه الخفاق ، وأى فضل للشاعر اذا لم ينطق الطبيعة ويحرك أوتارَ عودها ؟

وفى هذا السرور ، وفى هذه النعمى ، وبين أحضان الطبيعة الضاحكة المتردية ثوب النشاط والجمال، وبين ربيع الحياة يسمعنا تغريد طيره، ويحمل الينا عبق أزهاره ويمتعنا بجمال نوره ويداعبنا النسيم مداعبته أوراق الاشجار، ويثير فينا السحر علائم القوة والنشاط،ماذا نتمنى وماذا نطلب غير راح نشربها وعود نسمع نغمات أوتاره ، ومغنية تنعمنا بصوتها ، وحسناء تلهينا بجمالها، وأى فضل للشاعر اذا لم ينطق بكل لسان ويعبر عن شعور كل انسان ؟! والبحترى شاعر الطبيعة وكفى .

وقال يصف بركة بناها المتوكل :

تنصبُّ فيها وفود الماء عاجلة كالخيل خارجة من حبل مجريها
كأنما الفضة البيضاء سائلة مِن السبائك تجرى فى مجاريها
اذا علتها الصبا أبدت لها حبكاً مثل الجواشن مصقولا حواشيها
فحاجبُ الشمس أحياناً يضاحكها وريّق الغيث أحياناً يباكيها
اذا النجومُ تراءت فى جوانبها ليلاً حسبتَ سماء ركبت فيها
لا يبلغ السمك المحصور غايتها لبعدِ ما بين قاصيها ودانيها
يعمن فيها بأوساطٍ مجنحةٍ كالطير تنفضّ فى جوٍّ خوافيها
محفوفة برياض لا تزال ترى ريش الطواويس تحكيه ويحكيها

وليس بين وصف البركة ووصف الربيع من الجمال الا ما بين الطبيعة والحضارة فالماء كالخيل فى قوته ، وكالفضة الجارية فى صفاته ، حتى اذا علته الصبا حبكته درعاً منيعاً لو جمد، ولكنه درع حى يضحك لحاجب الشمس وما أشبه تلألؤ الماء بابتسامة الطبيعة تعانق أشعة الشمس ، فاذا عانقت البركة الغيث بكى ماؤها فلا يقل بكاؤه جمالاً عن ابتسامته ، واذا تراءت النجوم فيه ليلاً فكأنه السماء بلمعانها واشراق كواكبها واتساعها وكأننا نرى سماء لا ماء !

ثم يريد البحترى أن يرضى الخليفة فيبالغ فى حجم البركة ، ثم ينتقل الى وصف السمك فكأنه طير تنفض فى الجو خوافيها ، حتى اذا جاء يصف الرياض بعث بها الحياة فكأنها طاووس ببدائع ريشه وجمال ألوانه .

وقال يصف ايوان كسرى وقد زاره فرأى فيه صورة تمثل واقعة جرت بين الروم والفرس فأحياها وكأننا نرى لمعان السيوف وعراك الرجال وكأنهم أحياء خرس:

فاذا ما رأيت صورة انطا كية ارتعتَ بين روم وفرس
والمنايا مواثل وأنوشر وان يزجي الصفوف تحت الدرفس
تصف العين أنهم جد أحيا ء لهم بينهم اشارة خرس
يغتلى فيهم ارتيابىَ حتى تتقرّاهم يداىَ بلمس

وقد أحيا البحترى صورة الجيوش حتى شك هو نفسه بها فأخذ يتقراهم باللمس لينزع شكه ، ثم يصف الايوان فيقول :

عكست حظه الليالى وبات المشـ ترى فيه وهو كوكب نحس
فهو يبدى تجلداً وعليه كلكل من كلاكل الدهر مرس
مشمخرٌ تعلو له شرفاتٌ رفعت فى رؤوس رضوى وقدس
لا بسات من البياض فما تبصر منها الا غلائل برس
ليس يدرى أصنع انس لجن سكنوه أم صنع جن لانس ؟!
وكأن الوفود ضاحين حسرى من وقوف خلف الزحام وخنس
وكأنّ القيان وسط المقاصير يرجعن بين حوّ ولعس

يصف البحترى الايوان فيبعث فيه الحياة ، وأى فضل للشاعر اذا لم يحى الميت وينطق الجماد ؟

يرسم الايوان فاذا هو حى يبدى تجلداً رغم ما عليه من كلاكل مرساة ، ويعلو مشمخراً فخوراً رغم ما أصابه من ذل ومن عز ، ويزدهى مفتخراً بشرفاته التى تبعث فى قلوب الزائرين روح الاجلال والتعظيم والذكرى لو تنفع الذكرى .

ثم يعجز البحترى على فنه أن يصور عجائب الايوان فاذا هى من صنع الجن ، والجن مصدر الغرائب ومورد قوى من موارد الخيال ، ثم يعود الى احياء كسرى وملكه وايوانه فاذا الوفود حسرى مزدحمة واذا القيان بين حوّ ولعس تغنينا نراهن ونسمعهن !

٧ — أسلوبه عربى ولفظه حلو سلس

أثرت به جنسيته وأثر به أبو تمام فكان أسلوبه عربياً جزلاً ، وأثر به جو

العراق فكان عذباً دون تعمق فى المعنى ، وأثرت به الطبيعة فكانت ألفاظه حلوة سلسة تجرى مجرى الماء .

واذا عُدنا الى وصف بركة المتوكل رأينا جزالة العروبة على الصور الحضرية ، واذا التفتنا الى وصف الربيع راينا عدوبة ورقة على غير تعمق فى المعنى ، وحلاوة فى الألفاظ فكأنها الماء النمير . وقال :

ليشوقنى سحرُ العيونِ المجتلى ويروقنى وردُ الخدودِ الأحمرُ

وفى ذلك السحر حلاوة ، وفى تلك الخدود عذوبة ، وفى ذلك الانسجام جمال ، وفى تلك المزاوجة بين سحر العيون المجتلى وورد الخدود الأحمر رقة المياه ، وبين يشوقنى ويروقنى مزاوجة شامية وجزالة عربية . وقال :

قطعنا الليل لثماً واعتناقاً وأفنيناه ضمّاً والتزاما

وبين قطعنا وافنينا وبين لثماً واعتناقاً وضماً والتزاماً مزاوجة فى اللفظ وانسجام فى المعنى وقال :

ولم أر مثلينا ولا مثل شأننا نعذب أيقاظاً وننعم هجدا

وبين نعذب ايقاظاً وننعم هجداً مزاوجة فى اللفظ على عذوبة وطبلق هو من آثار التثقيف .وقال :

فأحسن بنا والدمع بالدمع واشجٌ يمازجه والخدُّ بالخدِّ ملصقُ

وبين الدمع بالدمع واشج والخد بالخد ملصق مزاوجة فى اللفظ وانسجام فى المعنى كانسجام الدمع على الخد ،والبيت جزل وألفاظه منتقاه مختارة . وقال :

تطيب بمسراها البلاد اذا سرت فينعم رياها ويصفو نسيمها

وبين النعيم والصفاء مزاوجة وانسجام ، وبين الريا والنسيم مناسبة ، وفى البيت جزالة العروبة وحلاوة الحضارة ؟

هنا نمر
مدرس الآداب فى كلية الشرق (طرطوس)





دموع الناسك

« الى الروح التي فى السماء . . . إلى أخى مصطفى »

(دخل الناسك المعبد على دقات ناقوسه الحزين فرأى أمام المذبح شاعراً مطرقاً فهزه فى رفق فوجد إطراقه أبديّاً نخرج مرتاعاً هائماً ينشد من يعينه على حفل روحىّ يودع به هذا الناى المحطَّم)

هائمٌ بين الغسقْ مثلَ ماضىَّ الحزين
أشعثُ الشَّعرِ قَـلِقْ يَتنزَّى كالطعين

* * *

ناسكٌ واهى الجسد عاشَ فى حُبِّ الالَهْ
يتفـــــــانى فى الأبدْ بين زُهْدٍ وصلاهْ

* * *

خاصمَ الدنيا الغرورْ واختلى فى صومعه
حيثُ ينساب الغديرْ ساحراً ، ما أروعه !

* * *

يعبدُ اللهَ فيحكى زهدَهُ رَجْعُ الهواءْ
يعبدُ اللهَ ويبكى بينَ حُبٍّ ورجاءْ

* * *

طافَ والدُّنيا نِيامْ بين أحضانِ الأزلْ

مِنْ طيورٍ وأنامْ ووُحوشٍ فى الجبلْ

***

فى سُكونٍ غامضٍ فيه أنغامُ العدَمْ
وظـــلامٍ فائضٍ بالتجـــنّي والألمْ

***

يَحمِـلُ المشعلَ يحبو بين أنفاسِ السَّحَرْ
وإلى الربوةِ يرنو فى سكونٍ وخَـفَرْ

***

وأتى الربوةَ لمّا أمسك الناىَ القَـدَرْ
وهوى الناسـكُ ممّـا راعه فوق الحجرْ

***

ومشى صوتُ القدَرْ فى النسيم العاطرِ
وشدا بين الشجرْ بالنشـيدِ السـاحرِ

لحن الطبيعة فى أنشودة الفَـجْـرِ لحن الخمائل والأمواه والزّهْرِ
لحن مرى وشعاعُ النورِ يعزفُهُ على دقائق أنداء من الدرّ
لحن يُشَيِّـعُ ليـلاً طال معتسفاً على ضنينٍ بعهـد الودّ والذكرِ
ويقطع النوم — والأحـلام طَـيِّعَةٌ على الخليّ ، ويدوى أينما يسرى
لحنٌ عليـه جيوشُ النورِ زاحفـةٌ والليـلُ يدبرُ فى وهنٍ وفى ذعرِ
وطوى النورُ الظلاما فتوارى فى العناقْ

***

ورأى الناسكُ رَبَّهْ يتجلى فى الجبَـلْ
وأفاض الله حُبَّهْ فمحا عنـــه الوجَلْ

***

قام يتلو ما شَجـاه تحت أستارِ الغَلس
وهو يرنو فى بُكاه ينشد الحزن القُدُس

***

شاعرٌ غنّى وناما يا الَمى أنت أعلم !
أإلى المـذبحِ قاما فى ذهولٍ فتحطّمْ ؟!

***

شـاعرٌ غنى فغنُّوا ثم أغفى وحـدَهُ
وتراهم قد تمنُّوا أن يشيدوا لحدَهُ

***

كم بَـكى من أجلهم وهو محسوبٌ عليهْ
كم شكى من ذلهم والأمانى فى يديهْ

***

فغشى الكونَ وجومْ ودوى صوتٌ جهير
بين أشباح تحوم اسمعوا وحى القدير :
اجمعوا الأرواح زهرا من رياض العمر طرا
واسمعوا النساك ناجوا ربهم سرًّا وجهرا
وخذوا النجوى كؤوساً واعصروا الإيمان خمرا
وتعالوا فى خشوع ندخـل المحرابَ فجرا
نركب الفجر شعاعاً فى كلام الليـل سرًّا
واهبطوا الأرض خفافاً كنسيمٍ رقّ سيرا
ألبسوا الاكليـلَ هاماً أكسب الأحياء فخرا
ضمّخوا بالعطر نايًا ضمخ الأجواء دهرا
قربوا الخمرَ اليـه إنمـا القربانُ ذكرى

***

سات غريدُ الليـالى وانتهى ممـا أمر[٣]
كرموا قلباً وديماً تجدوا روحاً وفكرا

محمد أحمد رجب
(المحامى)



على الغـــــدير

نطقَ الغديرُ فكانَ لحنـا لغـةُ الهوى لحنُ الغـدير
وسمعتُه فسمعتُ معنًى هو نصٌّ ما فى ضميرى



أنا فى عُروقي مِن دمى هبـةُ الحيـاةِ لكلِّ صبٍّ
أنا كلُّ صبٍّ ينتمى عنـدى ويَستهدى بقلبي



وكذا الغديرُ اذا همَى والروضُ مُلتاحٌ مُعنَّى
وَهبَ الحياةَ ورُبَّما جعلَ المياهَ هناك فنَّا



فعلى حِفَافَىْ مائهِ للطيرِ تنغيمٌ وشكوَى
وعلى سَـنا حصبائهِ للزَّهرِ تسليمٌ ونجوَى



يا ذمّـةً للروضِ فى عُنـقى لها طَوْقُ المَـدينِ
لكِ عندَ قلبى أن يفى دينَ الغرامِ مِن الحنينِ



لمّـا استجابَ الليلُ ما أسْدَى لقلبينا سكونَهْ
وقضى الجميلَ فـكلّنا ارتَـعْنا أظلَّـتْنا يمينُهْ



بتْنَا رفيقي بدرِهِ إلفين يرعانا سَناهُ
ندعو المُنى في نورهِ والطيرُ تُشجينا مُناهُ

* * *

والبدرُ يَبسطُ ظلّهُ متراخياً بين الرياضِ
والنورُ يَنسبُ أصلَهُ يا قلبُ للحدَقِ المِراضِ

* * *

في هَجعةِ الليْلِ التي تَدْري الخفيّ ولا تذيعُ
أودعتُ ثغرَكِ قُبْلَتي مما تضمَّنتْ الضلوعُ

* * *

لكنّ قلبي كيف كا نَ على جوانبها يحومُ ؟
هي قبلةٌ نَقلَتْ مَكا نَ القلبِ حيث غدَتْ تُقيمُ

* * *

والآنَ هل تَدْرينَ يا أصلَ الجميلِ من الفنونِ
أنّ المرجّى للحيـــــــــاةِ وطيبها أن تَرحميني ؟

* * *

ما في الحياة سوى المُنى ولأنتِ كلُّ مُنَى الحياةِ
فاذا ظفرتُ بها هنا شَفَعْتُها بعدَ المماتِ

* * *

هِيَ لو علمتِ تَعبّدي والحبُّ إيمانُ القلوبِ
لو كلُّ قلبٍ يَهتدي خلَتْ الحياة مِن الذنوبِ

* * *

وَحدْتُ فيكِ صبابتي وجحدتُ فيكِ شريكَ حُبّي
وبَقيتِ أنت هي التي بجمالها وَحّدْتُ رَبّي !

* * *

وأذَقتِني حُرَقَ النّوى فكشفتِ لي سِرّ الوجودِ

وأرَيْتِني أنّ الهوَى هو وَحْدَهُ مِحَةُ الخلودِ

***

حامَتْ على فردوسهِ رُوحي وما بلغَتْ مَدَاهُ
هي نفحةٌ مِنْ جِنْهِ حَمَلَتْ إلى الدُّنيا صَدَاهُ

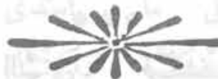
محمد الهمياوي



أحن الى الرياض

أحنُّ الى الرياض لأنَّ قلبي اذا ذكر الرياضَ غدا فتيَّا
يُسابقُ طيرَها مرحاً وشدواً وتبعث فى جوانحه الشذيَّا
وما حبُّ الرياض شغفن قلبي ولكنْ وهجُ هاتيك الحميَّا
ففى قلبي من الأحباب ذكرى وفى عيني مُنى تزدادُ غيَّا
وما فى الروض أزهارٌ ولكنْ دبيبٌ فى الثرى يَدْوى خفيَّا
يوقّعُه السحابُ على الروابى وتعرفه الصَّبا نغماً شجيَّا
فغنّي يا رياضُ غناءَ صبٍّ يجدِّدُ للهوى عهداً قويَّا

هادى عجمى



زورق الصياد

(كان أبو القاسم الشابى رحمه الله صيـاداً ماهراً يبحث فى زورق حيـاته الجميل فى بحر الوجود عن لآلىء الشعر ، وقد حطمت الآلام حياته فأنقذه زورق آخر فى الجهة المظلمة من بحر الوجود ، فالى روحه الشاعرة فى زورق الموت ، أهـدى هذه القصيدة)

رَسَا زَوْرَقُ الصَّيَّادِ فى غَسَقِ الدُّجَى ... على شَطِّ بحرٍ مَوْجُهُ مُتلاطِمُ
تُدَاعِبُهُ الأسماكُ أسرى شِباكهِ ... وصَيَّادُها فى سَاحَةِ الركبِ نائمُ
وفى جانب الصيادِ ضاءتْ ذُبالةٌ ... يُهاجمُها نَسْمُ الدُّجى فتُقاومُ
وقد بَدَّدَتْ صَمْتَ المساءِ أمامهُ ... نُباحُ كِلابٍ جاوبَتْهُ الحمائمُ
وصَرٌّ نقيقٍ للضفادعِ مُرْعِشٌ ... وتصريخُ بومٍ طيلةَ الليل دائمُ
تدوِّى رياحٌ عاصفاتٌ بقربهِ ... وليستْ تدوِّى فيهِ إلاَّ زَمازمُ (١)
زمازمُ أحلامٍ مَرَتْ بين عَينهِ ... وليْسَ لها فى مِسمعيهِ تراجم

***

لقـد هجعَ الصيادُ بعـدَ مشقَّةٍ ... تُغالبُه الأحلامُ ، والثغرُ باسمُ
تـقيهُ به الآمالُ عن غدِهِ وما ... يُسَر بهِ فى لذَّةِ النَّوْمِ حالمُ
رَسا زوْرقُ الصيادِ تحتَ شُجَيرَةٍ ... على شَطِّ بحرٍ مَوْجُهُ مُتلاطمُ
ورائحةُ الكافورِ ترْقصُ بيْنَها ... فيحلُمُ فيها باسماً وهوَ نائمُ
وتَنشدُ أوراقُ الشجيرةِ لحنَها ... اذا داعَبتها فى السكون النسائمُ
تَهُبُّ عليهِ العاصفاتُ كأنها ... صراخٌ شجيجٌ فى اللها متراحمُ
فيسْتشعرُ الصيادُ خوفاً كأنهُ ... ضِياءٌ تَبثُّ السحرَ فيـهِ طلاسمُ

***

(١) الزمازم : الاصوات الخفية التى لا تفهم .

وسا زورقُ الصيادِ تحتَ شجيرَةٍ تَظلَّلُ عليهِ — وهوَ بالماء ساهمُ
وسا الزورَقُ السروىُّ يحْلُمُ فى الدجى بماضيهِ والسَّرْوُ المبَلْبَلُ سادمُ (١)
تطوفُ به الذكرى وتعبرُ جوْفَهُ رياحٌ من السروِ الخفيِّ نَواسمُ
تَدفُّ مِيَاهُ البحرِ فى جنباتهِ فتهتزُّ أشطانٌ به ودعائمُ
وقد زَعْزعتْ ريحٌ على الشطِّ صَخرَةً ففُكّتْ قُيودُ الركبِ وهى قوائمُ
فمالَ سريعاً يَمْنةً بعدَ يَسرةٍ وصاحِبهُ فى سَكرةِ النَّوم حالمُ
وفى هدأةِ اللّيلِ البهيم تحركتْ تُهاجمهُ الأحجارُ .. وهو مُسالمُ
تَزَعزع وسْطَ الماءِ والموْجِ حالماً تُقارضُه فيهِ الصُّخورُ الصلادمُ
فأوقظَ مجنونٌ يُعربدُ ذاهلاً كشيْخٍ بَدَتْ فى ناظريه الخواتمُ
سرَى ليس يَدرى أين شَطُّ نجاتهِ وكيفَ يصدُّ الموْجَ ؟ كيفَ يقاومُ ؟
فصاحَ كسيرَ النفسِ فى كلِّ موْجةٍ ليوقظ عَيْنَ الليلِ والليلُ نائمُ
وشاهَدَ ضَوْءاً عبقرياً كأنه شعاعٌ من الوادى المقدّسِ قادمُ
فقام .. وفى القلب المبلبلِ فرْحةٌ كأنَّ السنى ضَوءٌ من اللهِ رَاحمُ
يُغنى ولا يدرى الى أىِّ شاطىءٍ تَسير أغانيهِ العِذابُ النواعمُ
أغانٍ لها وقعٌ وليسَ لها صدىً تَدُلُّ عليها فى الشفاهِ علائمُ
فقد صدرت من أرغنٍ تاهَ لحْنُه وقد عبرتْ عنها شِفاهٌ بواسمُ
وعامَ الى الضوءِ العلىِّ تزفُّه خيالاتُ آمالٍ هفَتْ وعوالمُ
ترفُّ الأمانى من بَعيدٍ كأنها ملائكةٌ فى المنتهى تتنادمُ
رأى كلَّ شىءٍ فى الضياء موَقّعاً كأنَّ ضياءَ البحرِ فى البحرِ حاكمُ
رأى الضوءَ فى ركْبٍ بعيدٍ كأنه أشعةُ بدرٍ والركابُ غمائمُ
وقد عَلقَتْ بالركبِ بعضُ هياكلٍ تُتوِّجُها فوقَ المياهِ جماجمُ
تهادى بمجذافٍ قوىٍّ تَفتّحتْ تُقلدُهُ بينَ السماكِ خياشمُ

---

(١) حزين ندمان

فلما رآهُ الركبُ ، وهوَ مشرَّدٌ يُقلّبهُ مَوْجٌ ويثنيهِ عادمُ
سرَى نَحْوَهُ حتى تضاءَلَ ظله وكلُّ مكانٍ فى الخضمِّ مُراغمُ (١)
وناداه ربّان الركابِ بلهجةٍ طوتها وأخفتها الدُّنى والعوالمُ
فلبى نِداءً صارخاً وهو طائعٌ وأذعنَ للربّانِ وهو مسالمُ
وألقى عن الصيادِ ثوْباً مبللا وأهداه ثوباً ناصِعاً وهو باسمُ

***

لقد ظنَّ أن الركبَ حَسناءُ لفَّها من الثلج أزهارٌ عذابٌ نَواسمُ
تصوّرَه قاصّاً يَقُصّ على الدُّجى أقاصيصه ، والبحرُ فى الليل واجمُ
ترنُّ به الأَلحانُ هادئةً كما تخِفُّ على رملِ الصحارى مناسمُ (٢)
تغنى مجاذيفُ الركاب ودَفّهُ بدَفٍّ مياه الركب فهى صَوارمُ
فيرتجف الصياد فى كلِّ ضربةٍ ويحسب أن الموتَ فى الماء جاثمُ

***

قضى زورق الصيادِ تحت شجيرةٍ على شطِّ بحرٍ مَوْجه متلاطمُ
وكانتْ لاوراقِ الشجرة ضَحكةٌ اذا داعبتها فى السكونِ النَّسائمُ
ولكنّها صارتْ هناكَ حزينةً على زَوْرقٍ قد حطّمتْهُ الصلادمُ

***

سيَهفو على البحر الجمالُ وتَزْدهى عليه طيورٌ بالحَبابِ هوائمُ
ويَحْمَرّ فى شمسِ الغروب عُبَابُه وتنبض فى الظهرِ المياهُ القوائمُ
ويعبث بالركب المحطّمِ مَوْجُهُ ، ولكنَّ حزن الشَّط والبحرِ دائمُ

***

قد انبلج الصُّبحُ البسمُ وحوّمت وطافتْ على افقِ السماء حمائمُ
ولاحت خيالاتٌ على الشاطىء الذى تحطّمَ فيه الزّوْرَقُ المتصادِمُ

---

(١) مراغم: مضطرب (٢)المنسم :خف البعير، ولصوت وقعه على رمل الصحارى موسيقى هادئة جميلة

خيالاتُ أطفال صِغارٍ ونِسوَةٍ ... تنادى على الصيَّادِ والبحرُ واجمُ
لقد حدَّقت في البحر حتى بدا لها ... خيالٌ بعيدٌ أبيضُ الثَّوبِ عائمُ
يلوِّحُ مِن بُعدٍ اليها كأنَّه ... شعاعٌ على أفق السماواتِ حائمُ
يُلوِّحُ للذِّكرِ المقدَّسِ باسماً ... وفي عينهِ الدمعُ السماويُّ ساجمُ

***

وغاب فردَّت غيبةَ الطيفِ صيحةٌ ... من الشاطىء المعمودِ والكلُّ ساهمُ
وناحت به الغربانُ تَنقفُ ريشَها ... وهبت لتمزيق الصخورِ ضياغم (١)

محمد سعيد السحراوي

وحي الظلام

وكم تحلو لىَ الظلماء حتى ... أجوسَ خلالها وأعيشَ فيها
وأترك هذه الأضواءَ خلفى ... لمن تغويه أو مَن يرتجيها
ففى الظلماء مسلاتى وأنسى ... وفى الظلماء مرتادٌ لنفسى
وفيها ينبع الالهامُ صِرفاً ... ومنها يستقى عقلى وحسِّى
معانى الليل فى ذهنى تُضىء ... وتنساب الخواطرُ فى المساء
اذا ما عشتُ معتزلا ونفسى ... حبتنى الوحىَ فى صفو النِّجاء (٢)

مصطفى عبد اللطيف السحرتى

نسمات الربيع

أنعمتِ روحى من شذاك الوديع ... فعاودى يا نسماتِ الربيع !

---

(١) فى هذا البيت تصوير رمزى للحزن على الصياد بحزن الحيوان (٢) المناجاة

* * *

في بُردك العذبِ وهذا الشذى   داعى التئامٍ للفؤاد الصَّديعْ !
فاشفِ فؤاداً بالجوى ذائباً   كلّف حبّاً فوق ما يستطيعْ
للشعرِ روحٌ فيه مكلومةٌ   أنتِ لها نعم الضّمادُ النجيعْ
وأبردى طرفاً ذوَى فى الهوى   بين كرًى عاصٍ ودمعٍ مطيعْ
هبِّى ! فهذا الكونُ فى منظرٍ   ضاحٍ وهذا الروضُ حالٍ مريعْ !
مرتفعٍ ، منخفضٍ ، معجب   وطيئه مبدٍ جلالَ الرفيعْ
فيه جمالٌ وحيُه فوق ما   تخيّل الشعرُ وفوق البديعْ !
صبَّ الأصيلُ النورَ فى وشيهِ   ناراً تلظى أو نضاراً يميعْ
والزهر منثورٌ كشهب السما   فى جهة شتى وأخرى جميعْ
من أحمر قانٍ إلى أصفرٍ   أو أزرق أو ذى ابيضاض نصيعْ
فالعشب وشىٌ كُمِيَتْهُ الرُّبى   والزهرُ فيه قُبُلاتُ (الربيعْ)

* * *

والجوُّ ضاحٍ بالسنى ضاحكٌ   والأفق بالألوان زاهٍ بديعْ
والسحب فى عرض الفضا يرتمى   منها قطيعٌ خفّ يقفو قطيعْ
لاحت كدوح السَّروِ منصوبةً   وانبسطت مثل هضابِ الصقيعْ
والشمسُ صفراء بدت حولها   فى جهشةِ الباكى ولون اللسيعْ
عادت الى المغرب فى موكبٍ   ضاق به صدر الفضاء الوسيعْ
كغادة عاصبةٍ رأسها   مالت على الفرش برأسٍ وجيعْ
أو مائل فى قود غطيت   عيناه عن مرأى القصاص القطيعْ
فاصفرَّ رعباً وجهه حينما   حلّ به الموت وعز الشفيعْ
والشفقُ احمرّ فهل من أسًى   يبكى على النور بكاء الرضيعْ ؟
أم استبانت شُهبُ هذا المسا   لمشهدِ الشمسِ وهذا النجيعْ ؟!

هبِّى صَباً ! لستِ سوى نفحةٍ مشبّعةٍ من سحرهذا (الربيعْ)

* * *

هبِّى ! فعندى من عهود الصبا في القلب عهدٌ لكِ حاشا يضيع
ورددِّى للنفس ذكرى صباً مرَّ بقلبي كالصباح السريع !
فى كل نسمٍ منك لى خاطرٌ يوحى لنفسى كل معنى رفيع
زفّى لىَ الأحلامَ ريعانةً واستفتحى حصنَ الخيال المنيع
وصيِّرى العالمَ فى ناظرى مفاتناً تجلى وسحراً يشيع
هبِّى ! فقلبي منك فى نشوةٍ حلَّ بها النجم وجاز الرقيع (١)
وحلِّقى بى فى سماء التقى والحبّ عن دنيا الغرام الخليع
وطوِّفى بى فى الجنانِ العلا فى زاهرٍ غضٍّ ومجنى ينيع
واصغى لقلبٍ شاعرٍ قد شكى من حبّه والدهر سوءَ الصنيع
واطوى لنجوايَ فانى أرى فيك لزهرِ الروض سراً يذيع
هبِّى ! فما أنت سوى نغمةٍ سارية من أغنيات (الربيعْ)

سنغافورة : صالح بن على الحامد العلوى

ترنيمة الذكرى

ما هذه الألحانُ يا ابنَ الربيع ؟ أفزعتَنى فى لحنك المفزعِ
ما بين أنغامك ترنيمةٌ قد جعلت قلبيَ فى مسمعى
وصيَّرتنى فاقدَ البالِ .
يا بلبلى بالله ما ذا دهاك ؟ أوضحْ ولا تخشَ هنا من رقيب

---

(١) الرقيع : السماء الأولى

إن كنتَ صبّاً تلقىنى عاشقاً أو غربةً تشكو فانى غريبْ
فلا تَخفْ يا صاح أمثالى

أوّاه ! ما يبكيكَ ؟ مهلاً فقد بعثتَ آلامى بهذا الحنينْ
لا ! يا أليفى خلِّ هذا النشيدْ وخففْ الوطأ فقلبي حزينْ
يلتمس السلوانَ بين الطيورْ

يا شاعراً للفتنةِ الهادئهْ غرِّدْ فخيرُ اللحن بين السكونْ
(أما رأيت الوجه منى ذوى والعين غامت تحت ستر الجفونْ)
والروح فى اللوعة بين الزهورْ ؟

فاجمع بنات الزَّهرِ يا صاحبي حولى وأنبئنى عن أمرى
وامسح دموعَ العين فى وردةٍ إن جاشت الأحزان فى صدرى
وفاضت العين بماء الدموعْ

وقلْ لها تنشد أحزانها تسعدنى فالقلبُ منى كليمْ
فربما خفض من لوعتى يا حبذ اللحنُ شفاء السقيمْ
أوّاه لو يعلمن ما فى الضلوعْ !

مرتضى فرج الله

النجف الاشرف : (عضو الرابطة العلمية الادبية)



ثورة الذكريات

فى حضن الطبيعة

نفحةُ السحرِ من سماء الجمالِ وعذارى القريضِ قمنَ حيالى
ملكتْنى من الطبيعةِ روحٌ ذاتُ فنٍ مؤثلِ المجد عالِ
إنه الحسنُ فى الطبيعةِ يحيي ذكرياتِ من النعيمِ البالى

قد مضتْ صُحْبةَ الزّمان وحالت في غضون الكرى كطيف خيالِ
أين بالأمسِ قاربٌ يتهادى تحت ضوء النجوم غيرَ مُبالِ؟
كنتُ فيهِ مع الحبيب وكنا خفقةَ الحبّ في فؤاد الليالي
وفنينا في قبلةٍ وعناقٍ وثملنا مِنْ سحْرِ ذاك الجمالِ



محمد رشاد راغب

وسكرنا من نشوةٍ وجنون وأفقنا في فتنةٍ وجلالِ
فعرفنا مِنَ الغرام فُنوناً وتركنا الخيالَ للأطفالِ!

* * *

أين خمرُ الهوى؟ لقد حطّمَ الكأ سَ نذيرٌ من الهمومِ الثِّقالِ!

محمد رشاد راغب

مواكب المساء

ودعى الشمسَ وأعراسَ الفضاءْ | انما مأتمها عنـد المساءْ
صعَّدت أنفاسَـها محمرّةً | كعليـل مجَّ قطراتِ دماءْ
عبق الجوُّ بها فاندفقت | تخضب الغيمَ وأنفاسَ الهواءْ
لوَّن الموج بتبر أصفر | ولجين بعد قبلات الضياءْ
وسماء أصبحت بحراً كما | أصبح البحرُ فضاءً وسماءْ
ونهار ودَّعتـه شمسنا | إنما العمر وداع ولقاءْ
ومقاذيف أكفٍّ ودعت | بشراعات منـاديل بـكاءْ
صورٌ من ريشة البارى بها | مسحةُ الفن ووحى الأنبياءْ
إنَّ يوماً مرَّ من أيامنا | هو يومٌ قلَّ من عمر الشقاءْ
جلس الناسُ إلى ندمانهم | بهجة العمر حديث الندماءْ
حشرجت فانطفأت أجفانها | وخبا كل بريق فى الفضـاءْ
نعشها فى موكب النـورِ مشى | فانطوى يومٌ بطيَّات الفناءْ !

رياض معلوف



فى المساء

كنتُ أماشى صاحبين من خيـار صحبي
نمشى الهوينى فى ظلال السَّروِ قبـل المغربِ
والمـاء يجرى سلسبيلا فى الغـدير المعشبِ
والجدول الرقراق يبـدى صفحة من ذهب
والطـير تشدو ساجعاتٍ فى كروم العنبِ
والدوحُ يهتز اهـتزاز المستهام الطربِ

ثم اختفت عنا (ذكاء) تحت طى الحجبِ
فوجمَ الليلُ وجومَ الحائر المضطربِ
ولم نعد نسمع غيرَ البلبل المنتحبِ
ينوح فى إثر الأليف النازح المغيَّبِ
وسكن الكونُ سكون الحنق المرتقبِ
ثم انتضى للثأر أسيافَ المضيم المغضبِ
وراح يُزجى للوغى كلَّ خميس لجبِ
فمن رياح عصفت الى ركام السحبِ
ومن بروقٍ خطفت إلى هزيمٍ مرعبِ
وحاول الحربَ فما استفاد غير الحرَبِ
يا رحمتا للكون ، ما أدرك غير النصبِ
فارتدَّ يبكى بدموع اليائس المكتئبِ
ثم أطلّ البدرُ فى إشراق وجه معجبِ
يفترّ فى عليائه عن رقةٍ وحدبِ
جاء يعزّى الكون عن كوكبه المغتربِ
فسكن الكون ولكن تحت نير الغلبِ

حسين محمود البشبيشى



كآبة الخريف

مرحباً جاء الخريفُ بالحيا المحيي اللطيف
كلُّ غصنٍ فى الروابى شاحبٌ بالشر أسيف
مِن خدود الورد حتى ساق أشجار خفيف

كلّ دوحٍ كجناحٍ وله دومًا رفيف
نثرت أوراقه كالريش من طيرٍ ظريفْ
قِطعٌ مثل مناديلٍ لمسلولٍ نحيفْ
خضبت من صدره بالأحمر القانى المخيفْ
بشفاهٍ كلما حرّكها سال النزيفْ
كسويدائى غيوم هى كالبحر الكثيفْ
كست الوادى رداءً أبيضَ اللون طريفْ
وخريف كرفيقٍ لى على الهمّ أليفْ
همّه همى ودمعى دمعُه مثلى ذريفْ
كله ظرفٌ ولطفٌ وله ظلٌّ خفيفْ
لن ترى عينى صديقًا صادقًا مثل الخريفْ!

رياض معلوف



السحر

فى ولوجِ الكون أبوابَ السحر
تنثنى الهاماتُ: جنٌّ وبشر
خاشعاتٍ فى سويعات العُمُر
يستحمُّ الكلُّ فى نور القمر
ويلفّ الحىَّ والميْتَ السُّهوم

* * *

تقرع الأسماعَ أنّاتُ المياه
حين خارَ اليمّ أو ثارَ الغدير

يستحيل الصوتُ موتاً فى حياهْ :
إذْ تلاشى الصوتُ كالحلمِ الغريرْ
يتداوى الماءُ كالرعدِ الرجيمْ

* * *

وتَبدَّى فى السموات السحابْ
غَضِبُ المحيا كثيفٌ ضاربُ
ذابت الأضواءُ فى ظلِّ الحجابْ
ومضى الصوتُ الرهيبُ الصاخبُ
وتنحى الغيمُ فى وادى الغيومْ

* * *

وقف البارى شهيداً مِن علاهْ
وتنحى كلّ هامٍ والقدرْ
خشعتْ حتى نجيماتُ السماءْ
وصحتْ حتى أمانىّ الشجرْ
وقفتْ جزعى بوادٍ ، لا تريمْ

* * *

سكنت ريحُ الشمال العاتيهْ
وتقضت غمغماتٌ للخريرْ
سكنتْ أثباجُ موجٍ وانيهْ
وتلاشى اللفحُ مفلولَ الصريرْ
وتراخت زفزفاتٌ للنسيمْ

* * *

رعشت فى اليأسِ أطيافُ السماءْ

وتنـدّتْ طلعـــــــةٌ للقمرِ
وتهاوتْ فى تضاعيف الفضاءْ
لمعـــاتٌ فنيتْ كالعمـرِ
ونشاكى الليل واليمُّ الحزينْ

* * *

واشرأبّتْ فيه أعناقُ الحببْ
خَلـّفَـتْهنَّ ارتخاءاتُ الفتورْ
مسَحتْها لامعاتٌ مِن شُهبْ
بدتْ الدنيا كما منذ الدهورْ :
هى غرقى العمرِ ، ما فيها قطينْ

* * *

بليتْ فى الجوّ أكفانُ السحابْ
هوأتها مرسلاتٌ لا تَلينْ
وتهادى البدرُ مهزومَ الشبابْ
يترامى نورُه الساجى الحنونْ
كعذارى فى الظلامِ المستكينْ

* * *

جاء ربُّ الشّعرِ مهرولَ البناءْ
فى رواقِ الليل غنّى آيةً
نزلت للموتِ (١) مِن كهفِ السماءْ .
أىُّ وادٍ ؟ قِيلَ : وادٍ للأنينَ
فاضَ بالدّمعِ ولذّاتِ الحنينْ !

لويس عوض

(١) موت الظلام

النّاى الأخضر (١)

(للطفولة الريفيـة فى لهوها روح خاصة من أمتعها عود البرسيم الأخضر الذى يلهو به الصبيان خلف السوائم الراتعـة فى الحقول)

زَمّارتى فى الحُقول كم صَدَحَتْ فـكِدْتُ مِن فـرْحَتى أطيرُ بها !
الجَـدْىُ فى مَرْتعى يُراقِصُها والنَّحْـلُ فى رَبْوَتى تُجاوبها
والضَّوْءُ مِن نشْوَةٍ بنَغْمتها قـدْ مال فى رأدِهِ يلاعبُـهـا
دَنا لهـا مِنْ جُفونِ سَوْسَنةٍ فكاد مِن سَكرةٍ يخاطبُـها
نَـفخْتُ فى نايها فطرَّبنى وراح فى عُزْلتى يُـداعِبُـهـا
يُغازلُ الرُّوحَ مِن مَلاحِنـهِ بنَغمةٍ فى الضحَى تُواثِـبُـها
سَـكرانُ من بهجة الرَّبيع بلا خمرٍ به رُقْرِقَـتْ سَواكبُـها
يهفو إلى مهده بمائسةٍ مِن غضِّ برْسيمهِ يُراقبُـهـا
صَبيَّـةٍ فـوَّفتْ غلائلها وطَـرَّزَتْ بالنَّـدَى جَلابيبُـها
وأشْرَقَـتْ فى الصباح لاهيةً فكلَّلتْ بالسَّنا ذوائبُـها
غَـنَّيتُ فى ظلها .. فهل سَمِعَتْ لحنى ، وقدْ ارْعِشَتْ ترائبُـها
أم زارها فى مِهادها نَسَمٌ وراحَ مِنْ فتنةٍ يجاذِبُـها ؟

محمود حسن اسماعيل

---

(١) عن ديوان (أغانى الكوخ) الذى سيصدر فى الشهر الا تى



مصر

أجلْ إن ذا يومٌ لمن يفتدى مصرا ... فمصرُ هى المحراب والجنةُ الكبرى
حلفنا نولّى وجهنا شطرَ حبِّها ... وننفد فيه الصبر والجهد والعمرا
نبثُّ بها روح الحياة قوية ... ونقتل فيها الضعف والذل والفقرا
نحطم أغلالاً ونمحو حوائلاً ... ونخلق فيها الفكر والعمل الحرّا

* * *

أجلْ ان ماء النيل قد مرّ طعمُه ... ومَن منكم بالله لم يذق المرّا؟
وروضتنا الغناء ديستْ ومزّقتْ ... تَناوشَها الفتاكُ لم يدعوا شِبرا
فدالت بها الدنيا وريعت حمائمٌ ... مغردة تستقبل الخير واليسرا
وحامت على الأفق الحزين كواسرٌ ... اذا ظفرت لا ترحم الحسن والزهرا
تحط كما حط العقاب من الذرى ... وتلتهم الأفنان والزغب والوكرا
فهلاً وقفتم دونها تمنحونها ... قلوباً ترى مصر الهوى والمنى طرّا؟
وهلا وقفتم دونها تمنحونها ... أكفّاً كماء المزن تمطرها خيرا؟
وهلا وقفتم دونها تمنحونها ... سواعدَ من صلب تصدّ بها الدهرا؟
سلاماً شبابَ النيل فى كل موقف ... على الدهر يجنى المجد أو يجلب الفخرا
تعالوا نشيّدْ مصنعاً ، ربّ مصنع ... يدرّ على صنّاعنا المغنم الوفرا
تعالوا نشيدْ ملجأ ، ربّ ملجأ ... يضم حطام البؤس والأوجه الصفرا
تعالوا لنمحو الجهل والعللَ التى ... أحاطت بنا كالسيل تغمرنا غمرا

تعالوا فقـد حانت أمورٌ عظيمةٌ ... ولا كان منا غافلٌ يَصم العصرا
تعالوا نقـلْ للعيس أهلاً فاننـا ... شبابٌ ألفنا الصعب والمطلب الوعرا
شبابٌ اذا نامت عيونٌ فاننـا ... بكرنا بكور الطير نستقبل الفجرا
شبابٌ نزلنا حومة المجـد كلنـا ... ومن يفتدى للنصر ينتزع النصرا

ابراهيم ناجى



المجنونه
أو
قيس وليـــلى

(مهداة الى روح المرحوم أحمد شوقى بك)

قِفْ أيا شوقى وكوِّ الأضلعا ... قِفْ بنـا كى ننشد الشعرَ معـا
ونلفّ الحبَّ فى أكبادنا ... قطعاً حرقى ترشّ القطعا
فخيالٌ فى الهوى ما دغـدغتْ ... جانحيه الريحُ الا أبدعا
ونبوغُ الحبِّ أوتارٌ إذا ... حركت قلباً دقيقاً رُوِّعا
واذا الأفراخ فى أوكارها ... غلغلت تشكو فؤاداً موجعا
تنقر الحبّات فى أقفاصهـا ... تغرس الأعشاب فيهـا مضجعا
فخيوط الحبِّ فى ليلاتها ... علمتهـا أن تنير المطلعـا

***

نحنُ أطيـارٌ بروض الـكون فى زقزقاتٍ نستفيض المدمعا
إنْ على الأغصان قمنا نشتـكى ضجت الدنيـا تعيرُ المسمعا
واذا ما لفظت أرواحُنا وسراج الموت ألقى برقعا
ننسج الالهـام مِن آلامنـا ونغنّى الدهرَ شعراً مبدعا !

***

نحن فى شرع الهوى قلبٌ وفى مرتع الأحـلام نبنى مرتعـا
شعرائا قلبنـا فى شـعرنا يمـلأُ الدنيـا شعورا أرفعا
وشبابٌ يحبك الآمال فى ليلة النجوى خيالا اوسعا
واذا ما قيس مجنون الهوى ضلّ فى الدنيا ، وضلّ المرجعا
واذا ليلى تلاشى عقلها وجنونُ الحبّ شفّ المدمعا
فلأن الله فى صدريهما حبَكَ الالهام سحراً مرضعا !

***

قلْ أيا شوقى أما من خمرةٍ تسكر الأرواحَ حتى تجرعا
فتطوف الروح فى أجوائها ويجن القلب حتى يصلعا ؟
ان حبّ النفس الهام ، ومَن علم النفس الهوى ما ضيّعا !
لم يكن قيس سوى حبّ إذا جنّ من حبّ يذيب الأضلعا
شاعرٌ فى قلبه ، فى روحهِ شاعر أحلامه أن يلمعا
عبقرى الحب مكلوم هوى يحمل الصحراء جمراً مولعا
فى خيام الوجد يبنى مجده فى ربوع البدو يبنى مربعا
بدوىٌّ يحرق الحب دماً من فؤادٍ كان قدماً ممتعا
ليس فى الحب جنون ، إنما شعلات الحب تلقى برقعا
فتثور النار فى بركانها وتـكوّى العقل حتى يسطعا

فيقول الناسُ : هذا عاشقٌ ... ضيَّع العقل ، فعاف المجمعا
غير أن الناس لا يدرون كم ... وضع « المجنون » سحراً مبدعا
والتوى بين الورى ينشره ... فكأنَّ « القيس » كان المرضعا !

* * *

هذه ليلى تناغى حبَّها ... تحبك النجوى وتقضى مطمعا
ينخر العظمَ هيامٌ قاتلٌ ... يجلب الموتَ إذا الناسُ وعى
وإذا ما عُرفوا فى حبِّها ... كبِّلتْ أو منعتْ أن تطلعا
فى نظامٍ صامتٍ مستوحشٍ ... أرضُ نجدٍ طلبت أن يتبعا
كالنعاج البيض والشوكُ على ... صوفها المدمى تروى البلْقَعا !
وقلوب العشق هل تعرف من ... حرمةِ القانون إلا إصبعا ؟
تنبذُ الشكوى على أقدامها ... فى عصور الظلم حتى تُبدعا
وكذا ليلى فلم تعبأ لما ... سنَّه القانون ظلماً مصرعا
إنما مالت إلى أهوائها ... لتعير القلب سمعاً أطوعا
لتـــلاقى النور مسفوحاً على ... وجنتيها فى الهوى قد طُبعا
يتعرى الفجر فى برحمهِ ... ويشفُّ البـــدر وجهاً شعشعا
لو درتْ أنَّ الهوى فى قلبهـــا ... ملهَمٌ قامت تفيض الأدمعا
لتبلَّ الكونَ من أجفانها ... فيغذِّى الحبُّ قلباً مترعا

* * *

هكذا الشاعرُ فى آلامهِ ... يحرق الأنفاسَ حتى يسطعا
كى يغذِّى الليل من أنواره ... ويحيل القفرَ روضاً ممرعا
يسلب الأنوار من قلب الدجى ... ويحيل الكونَ شعراً طيِّعا
والورى يسخر من آلامهِ ... والورى عنه يصدُّ السمعا

إنما الدنيا خلود بعد ما تُسكتُ الاقدارُ قلباً ضُعضِعا
وفؤادُ الشِّعر خفّاقٌ على بسمةِ الفجرِ يطوف الأربعا !

زحلة : ميشال كرم



النافـــذة المغلقة

(تمثل هذه الأغنية لوناً من الغناء الشعبي الايطالى ، وملحوظ فيها بساطة التعبير ، كما لوحظ فى ترجمتها الحرص على الذوق الايطالى الأصيل فى البيان الشعرى. وهى تصف حالة شاب عاشق من أهل الموسيقى اعتاد أن يقف كلّ ليلة تحت نافذة حبيبته ـ كما هو شائع فى ايطاليا ـ ليطربها على آلة المندولين . وفى ذات ليلة اتجه مع رفقة من أصدقائه الشباب الى بيت حبيبته كعادته فوجد النافذة مغلقة بعد أن كان متعوّداً فتحَها لتستمع الى أغنيــاته ، فأشجاه ذلك ، وتدفقت هـذه الخواطر الغنائية منه)

١ — الترجمة الحرفية

إذا ظلَّتْ النافذةُ مغلقة
فأطلب يا أصدقائى معذرةً
فهى ليست غلطتى .
أغنيتى المملوءة غراماً
كانت تشغلها دائماً .

الآن أغنيتى تذهب فى الشارع
فى الليلة الخفية
من غيرك أيتها الجميلة
بدون اشراق نجمك .
أغنياتى تموت

إذا لم تطلى بعد
لتسمعى صوتى .

« • »

يا نافذتها المغلقة
لماذا لا تُفتَحين ثانية
لقد أخفيتِ هيامى
هيام القلب المشتعل
أنا ثمل ، مجنون ، من الحب
من هذا القلق الذى أجد فيه لذة .

« • »

قولى لها إنى أحبُّها
ولا أزال أحبُّها .
إذا كانت تخدعنى
فان يدى لا ترتعش
وسأعرف كيف أنتقم .

« • »

أصدقائى ! أعزّائى ! مساءكم سعيد
فالأوتار كسرت
ومحالٌ أن أعزف عليها ثانية .

« • »

إذا وَلّى الجمالُ طائراً
فاتركونى هنا وحدى
اتركونى أغنّى

الغناء الأخير
بأعلى الصوت
قوياً ،
الأغنية التى تصيح كالموت
لهذه المرأة الرديئة
التى قطعت قلبي
بوحشيتها .

***

أيتها النافذة المغلقة
التى لا تُفتح مرة أخرى
فى ليلتك الفضية
اذا لم تكن موجودة
فأنا أريد أن أغنى من أجلك
ما دام شبابى باقياً

نورَ قلبي ! ... نارَ حُبي !

محمد أمين حسونة

***

٢ — الترجمة النظمية

أمنحونى أيّها الخلاّنُ عذراً ليس لى ذنبٌ بغلقِ النافذهْ
ليس لى ذنبٌ ، فكم قد مَلأتْها بغرامى أغنياتى الآخذهْ
إنها الآنَ الى الشارع تَمضى وهى مِن غيرك تفنى يا جميلهْ

هى تفنى دونَ إشراقِكَ إن لم ـلم َلمْ تنفتحى مِنْ بَعدِ غلقٍ
تَسمعينى ليلةَ الحُبِّ الظليلهْ
أيُّها النـافذةُ المخفىُّ فيهـا
وجدُ قلبي المُشعَلِ المجنونِ سُكراً بلـَّغيها أنني عبدُ هوَاها
مِنْ غرامى فى همومٍ يشتهيها ؟
أننى ما زلتُ نشوانَ محِبًّـا
إنْ تشأ خَدْعى فلى بَعْدُ يدٌ أصـدقائى وأعزّائى ! وداعـاً
لا تتقامى لم تَهَبْ حُسناً وحُبًّا
بعـد ما قد ماتت الأوتارُ كسرا
فمحالٌ مرةً أخرى لمثلى أتركونى ها هنـا فى عُزلتى !
عَزْفُـها مذ طارَ ذاك الحسنُ طيرا
ودَعُونى أنشدُ اللحنَ الأخيرْ
رافعاً صوتى قويًا داوياً قَطـَّعتْ قلبى بوحشيَّتها
وهو كالموتِ لمعبودى الحقيرْ
فاسمحى نافذةَ الحبِّ اسمحى لى
لغنائى لكِ أنتِ المنتهى
إن يدمْ روحُ شبابٍ لى منيلى

نُورَ قلبي ! ... نارَ حُبي !

أحمد زكي أبو شادي

الهوى والسلام

للشاعرة إيلا هويلر ولكوكس

مَلاكان يَنشرُ سِرٌّ الالـَ
ـهِ بروحيـْهما طيبَ ما يحملُ
هما رحمةٌ هبطتْ فى القلو
بِ ونورٌ من اللهِ يسترسلُ
ومِنْ عجبٍ أنَّ ثانيهما
يبادله النقمـــــةَ الأولَ
فما التقـيا مَرةً عند قلبٍ
وآواهما بابهُ المقفـلُ
إذا وقعتْ مُقلتا واحدٍ
على ندِّه شدَّ ما يجفلُ

وقد تنطوى فى الأسى لذَّةٌ ويحنو على البومةِ البلبلُ
وتأوى إلى اليأسِ بعضُ الأمانى ويبسمُ للشعلةِ الجدولُ
ويفنى النقيضان من كل أرضٍ ويَحْطِمُ حامِلَهُ المِعْوَلُ
فما إن يظلّ ملاكُ السلامِ يوادى ملاكَ الهوى معزلُ
يظلاَّن ما ظلَّ عمرُ الوجودِ عَدُوَّين بينهما فيصلُ
فامّا انقضى العمرُ جالَ الردَى فضمَّهما فى الثرى موئلُ

صالح جودت

سطور حزينة

للشاعر الانجليزى شلى

إنّ الريح العاتيــة تدوى وتئنّ
إنها تنعى « موت الموسيقى » بين الحقول
والدودة الباردة تنهب فى القبر
وردةَ الشفاه التى رفّت عليها القبلاتُ منذ حين

* * *

يظلّ الجنينُ آمنـاً ما دام فى الرحم
وكذلك يجد الهيكل المنحلّ راحته فى القبر
وهكذا مرجعنا إلى حيث مآلنا

عثمان فتوح البسيونى



THROUGH THE CROWD

The sacred oath we vowed
Best of lovers to be.
Across the battling crowd,
You waved your hand to me !

And I shot thro' the mass
As my heart ached for you
And my lips for the glass
Of lips as fresh as dew !

And I won you at last
By me, not in my arms.
You and time go so fast
And fly - with all your charms !

Ibrahim Nagy

فى أدب الشاهنامة

كلمة السيد عبد الحميد العبادى

فى الاحتفال بذكرى الفردوسى بمدينة طهران

لا أتعرض فى هذه الكلمة الموجزة للشاهنامة من حيث هى ملحمة رائعة بليغة فقد يكون ذلك من شأن غيرى . ولست متعرضاً لها من حيث هى كتاب تاريخ مقيد لحوادث ايران القديمة . فليس من شك فى أن التاريخ بمعناه العلمى قديماً وحديثاً لم يكن الغرض الجوهرى الذى قصد اليه الفردوسى عند ما شرع فى نظم الشاهنامة . انما أريد فى هذه الكلمة الوجيزة أن أتناول الكلام على الشاهنامة من حيث هى كتاب أدب رائع وحكمة بالغة فهى على هذا الاعتبار كتاب عالمى يتأدب بمطالعته الناس على اختلاف أحوالهم وأجناسهم وأوطانهم وأعصارهم .

* * *

ما برح فلاسفة التربية والأخلاق يرون فى الشعر عامة والقصص منه خاصة وسيلة من أقوى الوسائل فى تهذيب النفوس وتكميل الأخلاق، وذلك من طريق العرض الشعرى البليغ لموضوع رائع جليل يتضامن فى عرضه خيال الشاعر وعقله وقلبه. لذلك عول الفلاسفة على الشعر عامة والملاحم خاصة فى تحقيق المثل الأخلاقية العليا أكثر مما عولوا على غيره من الفنون الجميلة. ونحن نعلم أن ارسطاطاليس استعان فى تنشئة تلميذه الاسكندر بأن أقرأه إلياذة هوميروس، كما نعلم أن المؤدبين من العرب كانوا يروون الناشئة الشعر الحماسى الذى هو أقرب أنواع الشعر العربى الى الملاحم واستعانوا به على تلقينهم أصول المروءة التى تدنى عندهم صاحبها من كمال الأخلاق.

والشاهنامة تعدّ بحق من ملاحم الطبقة الأولى، وهى والالياذة من حيث القوة والروعة الفنية والابداع سواء، غير أن الشاهنامة عندى تربى كثيراً على الالياذة من الناحية الفلسفية الأخلاقية، فالفردوسى لا يمل أن يبدىء القول ويعيده واعظاً ومرشداً وهادياً، سالكاً حيناً طريق الحقيقة وحيناً طريق المجاز. فليت شعرى ما الأصول التى يمكن أن ترد اليها فلسفة الفردوسى الأخلاقية ؟ هى أربعة: الايمان الواجب، سلامة القلب، الزهد.

* * *

والايمان عند الفردوسى ليس ذلك الشعور الذى يخالط ضعفاء النفوس وخورة الطباع، ولكنه ايمان الجبابرة بعد الملوك والأبطال. والفردوسى يتعمد أن يظهر ملوكه وأبطاله عند استعمالهم فى الظاهر كل أسباب القوة والجبروت فى مظهر النقص والافتقار الى عون الله ومدده مبالغة منه فى توكيد ضرورة الايمان فى الحياة ورغبة منه فى كبح جماح النفوس الطاغية وكسر شرة القلب العاتية. ولا مثل لذلك فى الشاهنامة فعندما خرج الملك (كيخسرو) الى قتال (افراسياب) انتقاماً من مقتل أبيه (سياوخس) جعل يدعو الله أن ينصره عليه. يقول الفردوسى. «وبعد ذلك اغتسل الملك كيخسرو ودخل متعبداً لهم، وجعل لهم طول ليلته يتضرع الى الله تعالى ويبتهل ويعفر خده فى التراب ويستنصره على أفراسياب، ويستعين به عليه فقطع ليلته تلك بالسجود لله تعالى والدعاء». فلما انتصر كيخسرو على خصمه وفرّ خصمه من وجهه وأعيد الى كيخسرو طلابه رجع الى الله يستعينه ويستهديه تقول الشاهنامة :

(فاغتسل ذات ليلة وأخذ كتاب الزند وخلا بنفسه فى مكان خال ولم يزل طول ليلته ساجداً لله تعالى يبكى ويتضرع اليه سبحانه ويقول : « ان هذا العبد الضعيف الموجع القلب والروح طاف الدنيا فسلك رمالها وقفارها وقطع جبالها وبحارها طالباً لأفراسياب الذى أنت تعلم انه سالك غير طريق السداد وسافك بغير الحق دماء العباد ، وأنت تعلم أنى لا أقدر عليه الا بحولك وقوتك فمكنى منه إن كنت عنه راضياً ، وأنت تعلم ولا أعلم ، فاصرفنى عنه ، وأطفىء من قلبي ثائرة عدوانه وقف بى على سواء الطريق والنهج القويم ».. (وعندما غمر الثلج اسفنديار كان هو وأصحابه فى طريق (هفتخوان) ووجد نفسه وهو ذلك البطل المغوار أمام قوة لا قبل له بها فلم يسعه الا أن ينيب الى الله سبحانه . فيقول الفردوسى : (فبينا هم كذلك إذ أظلم الجو واشتدت الريح ونشأت سحابة ، أبرقت وأرعدت وأطبقت عليهم ثلاثة أيام بلياليها ، تهيل عليهم الثلج هيلا ، حتى امتلأت الأودية فصاح اسفنديار بوجه بشوش وقال : «قد اشتد علينا الامر وليس ينفعنا الآن رجولية ولا قوة ، والرأى أن نلجأ الى من لا ملجأ منه الا اليه ، فانه الكاشف للضر والقادر عليه» ، فاجتمعوا ورفعوا أيديهم وتضرعوا الى الله تعالى مبتهلين ودعوه دعوة الصادقين فسكن الهواء وانجلت السماء)

* * *

والأصل الثانى من أصول الفلسفة الأدبية للشاهنامة هو القيام بالواجب ، والشاهنامة تعنى بذلك الأصل الذى هو قوام الحياة العملية أتم عناية ، فاعظم ملوك الشاهنامة أقومهم بواجبه . وواجبه نحو رعيته العدل والحلم والسخاء وترك الاستبداد ، فاذا ما حاد الملك عن هذه السنن جفت الألبان فى الضروع ولم يأرج المسك فى النوافج ، وشاع الزنا والربا فى الخلق ، وصارت القلوب قاسية كالحجر الصلد ، وعاثت الذئاب وخربت الانس وتخوف ذوو العقول من ذوى الغواية والجهل ، ووصية كسرى أنوشيروان لابنه هرمز حافلة بتلك الآداب الملكية التى ترى فى صراحة ووضوح ما يجب على الملك نحو نفسه ورعيته .

وبطولة أبطال الشاهنامة تستند الى شعور قوى بالواجب : أنظر كيف لبى رستم طلب (جيو) انقاذ ابنه (بيزن) وكان مقيداً مغلولا فى مطمورة مظلمة بتوران وقوله له : « لا تهتم فانى لا أحط السرج حتى آخذ بيد بيزن وأضعها فى

يدك» . وانظر الى قول جيو للملك انّ : « امى ما ولدتنى إلا لطاعتك وتحمل المكاره فيما هو سبب راحتك . وهأنذا أشدّ وسطى فى امتثال أمرك ولا أسلك إلا سبيل خدمتك ولو أمطر الهواء على ناراً وتحولت الاسفار فى عينى شفاراً» وقول (كستهم) لبيژن وهو يجود بروحه جريحاً بيد الفارسين التوار نيين للذين قتلهما : «أيها الحبيب الناصح ألا تحمل على نفسك كل هذا ، فانه أشد على مما أنا فيه ، واستر جراح رأسى بالترك ، واجتهد فى حملى الى حضرة الملك فان قصارى بغيتى وغاية امنيتى أن أتزودمنه بنظرة وأقر عينى بطلعته ولو لحظة . واذا مت بعد ذلك مت وليس فى قلبي حسرة . فانى لم أولدُ الا للموت ، ومن أدرك أمله فكأنه لم يمت ، وأيضاً تجتهد فلعلك تستطيع أن تحمل هذين العدوين اللذين أهلكهما الله على يدى الى المعسكر . وان لم تقدر فاحمل رءوسهما وعدتهما حتى تعرضها على الملك ليعلم انى ما هلكت فى غير شىء» .

ثم ان روعة شخصية المرأة فى الشاهنامة تقوم على استكمالها حظها فى الأنوثة والوفاء لزوجها كما يؤخذ من نواح (تهمينه) على ابنها (سهراب) ووفاء (منيژة) لزوجها (بيژن) فى محنته .

وكما ترى الشاهنامة وجوب القيام بالواجب من حيث هو فضيلة أساسية للحياة الفاضلة فانها تدل بالأمثلة المحسوسة والوقائع المادية كيف يؤدى الواجب : فالواجب ينبغى أن نؤديه محلى باحسن آداب السلوك من جد ورفق وحلاوة خلق وضبط نفس ورقة شمائل . والحق ان بطل الشاهنامة من يعرف عند العرب من الرجال (بالكامل) وعند الغربيين (بالجنتلمان) . نعرف ذلك من الحوار الذى دار بين بطلى الشاهنامة رستم واسفنديار عند مالج بينهما اللجاج ، فهو ينم عن نبل الخلق وسراوة النفس . يقول رستم مخاطباً خصمه اسفنديار : «انى طالما كنت أتمنى على الله أن أرى الشهريار قادماً علىّ حتى أجالسه وأفاوضه واستشهد الله ولا يستشده كاذباً إلا من يكون لحبل الغواية جاذباً الى . لو رأيت سياوخى لم أسر بروبته سرورى برؤيتك . . . فنزل اسفنديار واعتنقه ودعا له وأثنى عليه . «وقال أحمد الله حين أقرّ عينى بطلعتك وكحل ناظرى برؤيتك» فاستضافه رستم وسأله اجابة دعوته واكرامه بمنادمته ومعاشرته ، فلما لم يجب اسفنديار تلك الدعوة بعد الوعد باجابتها حمى الخصام بينهما ولكن فى أدب وضبط نفس بالغين . فيقول رستم معاتباً اسفنديار : «انك تعظمت ورفعت قدرك عن المصير الى ، وكأنك تستصغرنى فى شجاعتى وتستخفّ بى فى رأيى

وأدبي . . . وأراك بتملق اليك وتواضعي لك قد ظننت الظنون وتوهمت أن فعلى ذلك عن ضراعة وعجز واستكانة ، وأنا أكره قتالك لما أرى فيك من الابهة والجلالة » . ثم انظر بأى قلب وأية شمائل يخاطب رستم الغزالة التى كان تتبعه لها سبباً فى وقوعه على عين ماء روى منها بعد أن كاد يهلك عطشاً . فهو يدعو لها ويقول : « لازلت يا غزالة الريف تفيئين الى الظل الوريف ، وتكرعين فى الزلال المعين وتتقلبين بين الورد والياسمين وأيما قوس راعك أنباضه فلا زالت منقطعة أوتاره ، فانك سددت رمقى وشفيت غلتى » .

***

والأصل الثالث من أصول فلسفة الشاهنامة الأدبية طهارة القلب وشرف العاطفة : فالفردوسى يحثنا فى غير موضع من كتابه على أن ننقى عن قلوبنا أدواء الحقد والحسد والضغينة وأن نشربها شريف العواطف وكريم المنازع . يقول رستم لاسفنديار « .... وطهر قلبك بفضيلة الرجولية من دنس الداء الدفين » . والفردوسى لا يكتفى بأن يندب قارئه الى تطهير قلبه ، بل لقد يتولى هو بنفسه ذلك فى غير موضع من الشاهنامة ، وهو يستخدم فى تحقيق هذه الغاية طريقة العرض التراجيدى التى نلحظها فى أكبر الملاحم والقصص قديماً وحديثاً ، نلحظها فى الآثار الأدبية لهوميروس وسفوكليس وإسخيلوس وشكسبير وملتن ودستويفسكى وذلك أن يعمد الشاعر الى حادث رائع منقطع فيعرضه عرضاً فنياً قوياً راجياً من وراء ذلك أن يهز قلب القارىء ويمخضه فيكون ذلك بمنزلة الدواء المر يتجرعه المريض على مضض فتكون فيه سلامته من علته ، وقد بلغ الفردوسى بسلوكه هذه الطريقة أسمى غايات الفن ، وأتى من رائع القصص ما يشغف القلب حسنه ويسحر اللب بيانه . انظر كيف يعرض قصة قتل رستم ابنه سهراب وهو يجهل أنه ابنه . تقول الشاهنامة : (... ثم تناوشا الحرب وتطاعنا حتى انتثرت كعوب رماحهما فاستل كل واحد منهما سيفه وتضاربا وكأن النار تمطر من سيوفهما . ولم يزالا حتى تكسرت سيوفهما . فمد أيديهما الى عموديهما ورفعاها وجعلا يتضاربان ويتقارعان حتى تمزقت الادراع الموضوعة على أكتافهما وتقطعت التجافيف على خيلهما ، فضعفا ووقفت دوابهما وبقيا من العرق غريقين ومن العطش محترقين ، فوقف الأب فى جانب والابن فى جانب آخر ينظر أحدهما الى الآخر . فيا عجباً ! كيف انسدت

دونهما أبوابُ التعارف ولم تتحرك بينهما عروق التناسب ؟ والابل مع غلظ أكبادها تعطف على أولادها والطيور فى جوّ السماء والحيتان فى قعر الماء لا تنكر أولادها وأفراخها . والانسان من فرط حرصه يخفى عليه فلذة كبده ويستنكر قرة عينه ولا ينزع الى ولده !) ثم يقول رستم : «لم أرَ قط قتالاً بهذه الصفة . ولقد انقطع رجائى فى رجوليتى» فاذا ما استأنفا القتال قال سهراب لرستم وهو غير عالم بأنه أبوه: «انى أرى أن تخلع الجوشن ونطرح السيف ونكف عن القتال فان قلبي يميل كل الميل اليك وان وجهى ليغمره الحياء منك» . ولكن يخيب رجاء سهراب ويعود الأب وابنه الى القتال فيغلب الأب ويصرع ابنه ثم يسلّ خنجره فيشق به حلقه ثمّ يتبين له بعد أنه انما ذبح ابنه فيشقّ جيبه ويضرب صدره وينتف شعره ويندب ولده ويحاول استنقاذه من براثن الموت فتتقد لوعة الحزن فى صدر رستم ويصيح من فرط العذاب : « من الذى أصيب بمثل ما به اصبت ؟ ومن الذى فجع بمثل ما به فجعت ؟ قتلت ولدى حين شاب رأسى وانقضى عمرى» . .) انّ القارىء ليتابع مشاهد هذه القصة الرائعة وقلبه يتوثب فى صدره فرقاً وذعراً . فاذا ما بلغ الى الكارثة الأخيرة فقد لا يملك دمعه أسًى وحزناً .

وهذا الذى قصد اليه الشاعر بهذه القصة الفاجعة الرائعة رغبة منه فى أن ينفى عن قلب القارىء الجفاء والقسوة وأن يغمره بأسمى العواطف ويمكن فيه لأ كرم المنازع .

ولا يقف الفردوسى عند هذا الحدّ من تهذيب قارئه فهو يجتهد فى أن يروض نفسه ويكبح من جماحها بأن يجلو لها فى أقوى تصوير وأبرع تعبير تقلب هذه الدنيا وتحول أحوالها وتصرفها بالناس تصرفاً قد يسوء ضعاف النفوس ولكنه لا ينال من النفوس القوية التى تعلم أن ذلك ناموس عام مطرد لا معقب لأحكامه وهو على عادته يختار أقوى شخصياته فيجعلها مناط فلسفته رامياً بذلك الى أن نأخذ الدنيا كما هى فنفرح بها اذا هى أقبلت ولا نأسى عليها اذا هى أدبرت . وان فلسفته من هذه الناحية لترجح فلسفة الرواقيين من الاغريق الذين يريدون أن نتجرد من العاطفة جملة فلا نفرح ولا نحزن ، ولا نغضب ولا نعتب . أنظر كيف يصف الشاعر مصير الملك أفراسياب عند ماقلب الزمان له ظهر المجن وتنكر له وجه القدر فآل أمره الى أن وقع أسيراً فى يد رجل عابد فشدّ وثاقه بزناره واضطره الى أن يخاطبه

بقوله « أيها العابد ! ما تريد من رجل اختفى فى مغارة ضيقة ؟ » فلما عنفه العابد بما احتقب من أوزار قال : « بهذا جرت علىّ أقلام قضاء الله فى الازل . ومن المعصوم فى هذه الدنيا الغدّارة من الزلل ؟ فارحم عاجزاً ظلم نفسه كثيراً ، واعطف على مَنْ كان ملكاً كبيراً ، فصار هكذا بين يديك أخيراً ! وإن كنت لا تمن عليه بالاطلاق فحل عنه قليلاً من الوثاق » وان مصير الملك دارا واغتيال عبديه له تقرباً بدمه الى الاسكندر ليجرى مجرى قصة افراسياب من حيث الدلالة على تقلب الدنيا ، وهو ترينا الفردوسى جبرياً يرى أن الانسان لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً بل هو رهين مشيئة الأقدار .

واذا كان ذلك دأب الدنيا فجدير بالعاقل أن يزهد فيها وألا يحرص عليها . والزهد فى هذه الدنيا هو الأصل الرابع من أصول فلسفة الشاهنامة . والفردوسى لا يألو جهداً فى أن يصرف قلوبنا عن أن تغرم بالدنيا وتفتن بزخرفها ولكن تنى غير اخلال بالواجب الذى يفرضه علينا وجودنا فيها . أنظر الى تصويره نفسية الملك كيخسرو عند ما انقبضت نفسه وأزمع التخلى عن الملك والذهاب فى الأرض فقد عهد الى ابنه مهراب وأوصاه وودع أكابر الدولة وأهل قصره (ثم سار ... وصحبه رؤوس الايرانيين ... وسار الى أن صعد الى جبل فأقاموا عليه أسبوعاً وخرج فى أثره نساء الايرانيين ورجالها زهاء مائة ألف نفس يبكون ويضجون حتى طن بصياحهم وعويلهم السهل والجبل . ثم بعد أسبوع أشار الملك على الأكابر والسادات بالانصراف من ذلك المكان ، وقال « ان أمامنا طريقاً صعباً لا ماء فيه ولا عشب » فانصرف دستان ورستم وجوزرد ولم ينصرف عنه الباقون فسار الملك وساروا معه حتى وصلوا الى ماء فنزلوا هناك وقال لهم الملك « اذا طلعت الشمس غداً حان وقت المفارقة » فباتوا ليلتهم عند العين . ولما كان فى الثلث الأخير من الليل قام الملك ودخل العين واغتسل ثم ودعهم . وقال « ان الثلج غداً يسدّ عليكم الطريق فلا تهتدون الى الرجوع الى ايران » ولما طلعت الشمس ركب الملك وغاب عن أعينهم) .

ورصف حديث الاسكندر الملك الشاب الفاتح الطموح مع أهل مدينة البراهمة المنقطعين عن الدنيا الراضين فيها بأيسر أمرها . ترى الى أىّ حد يذهب الفردوسى فى تقرير فلسفته القائمة على العزوف عن الدنيا وعدم الاغترار بخلب برقها وجهام سحابها .

* * *

ان الفردوسى ليرسم للحياة الفاضلة فى الشاهنامة منهاجاً واضحاً جلياً معالمه أربعة أمور : الايمان ، والعمل ، وطهارة القلب ، والزهد فى الدنيا

فتيات اسمرن

(عن الفرنسية من وضع لابريير)

مَدِينَةُ أَسْمِرْنَ ماذا أرى جمالٌ يفوق حدودَ الجمالِ
بها غادةٌ تَسْتَبِيح القلوبَ وتلهو بكل عقولِ الرجال

* * *

أَيمِيرُ التى حَسَدَتْهَا البدورُ على الحسنِ بل حسدتها الشموسْ
إذا خطرت فهى سِحرُ الحياة أو الخمر قد لَعِبتْ بالرؤوسْ

* * *

تُفاخر بالحسْنِ وهى الفخارُ وتضحك مِن مُبكيات الهوى
إذا لمحَتْ نحْوَها مُغرَماً تولَّت وأصْلته نارَ الجوى

* * *

وما عَرَفتْ مِن جميع البرايا صديقاً أحبَّتْهُ إلاَّ أخاها
وأخرى يُقالُ لها إفرُزينُ صديقتها كلَّ يومٍ تَراها

* * *

فتاتان بين المُنى والصفاء أقام على الوُدِّ قلباهما
ولو سَألَ الناسُ أين الأخاء لما عرف الناسُ الاَّ هما

* * *

وهامَ بها كاهِنٌ مَرَّةً فألهَتْه عن جوبِتيرَ الالَهْ

أحبَّ فردَته عن حُبِّها كما ارتدَّ سَهْمٌ على مَنْ رماه

* * *

وفاتَحها مستهامٌ عجوزٌ فأقصته حيرانَ يشكو الضنى
غنيٌّ ولكنّه جاهلٌ اذا القلبُ لا يُشترى بالغنى

* * *

ولكنّها قبلت أن تراه ويا ليتها لم تكن تقبلُ
أتى وابنه معه زائراً فتى يَسْتَنيرُ به المنزلُ

* * *

وفيرُ الشباب قليلُ الكلام فليس يُبين ولا يُخْ
لقد صدّه مِن أبيه الحياءُ أو التيهُ وهو به أجد

* * *

أيا إفْرزين ألا تذكرين فتى كان فى بيتنا زائرا
وليس يُبالى بحسنى العظيم كأنى أراه به ساخرا ؟

* * *

هنا سكتت أختُها إفرزين وغابت زماناً عن المنزلِ
وإِمْيرُ فى باطِل الكبرياء تقيم على عَهْدِها الأولِ

* * *

فأيقظها نبأ عاجلٌ وقولٌ يُشاعُ وأمرٌ يقينْ
يقولون إن الفتى (إستفون) سعيدٌ بزجته إفرزين

* * *

لقد سَعِدا أولاً بالغرام وقد سعدا ثانياً بالزفافِ
مدينة أسْمِرن تهدى الزهورَ أكاليلَ بين المنى والهتافِ

* * *

إيمـير جهلتِ الهوى يا إيمـيرُ — فذلُّ الهوى فاقَ عزَّ الجمال
يُذِلُّ الأمير بسلطـانه — ويُخضِعُ أُسْدَ الشَّرى للغزال

* * *

لقدْ ذَهَبَتْ لالتماسِ العزاء — ترومُ أخاها حبيباً لها
فأقنعَها بانقطاع الرَّجاء — وفى الحالِ سُرْعانَ ما ردَّها

* * *

لوعة إيمير

مدينة امِيرْن كونى جحيماً — ويا لجَجَ البحرِ كونى دُمُوعا
ويا عقلُ سِرْ حيثُ سارَ الفؤادُ — ولا ترْجِعا بصوابى جميعا

* * *

أنا الآنَ فى راحةٍ من جُنُونى — وعنـد انتباهى يعودُ الشقاءْ
لقدْ ضاقتْ الأرضُ عن شَكوتى — فيا ربِّ هل ضاقَ وَجْهُ السَّماءْ؟

* * *

ولولا جنايةُ كيْدِى علىَّ — لـكنت امتلـكتُ جَبينَ الزَّمانْ
فقدْتُ جميعَ المنى مِن يدىَّ — وهيهات! هيهات فات الأوانْ!

الصاوى على شعلان

ايماءات الأبدية من ذكريات الطفولة الأولى

للشاعر الانجليزى ورد زورث

(الطفل أبو الرجل ، وانى لأرجو أن ترتبط أيامى برباط التقوى الطبيعية)

لقد أتى علىَّ وقت كنت أرى فيه المراعى والحراج والمجارى والارض وسائر المرائى متشحة بالأنوار السماوية كأنها مجد وبعثُ لحلم . وهى الآن غيرها بالأمس .

دُورى كيفما شئت ليلاً أو نهاراً ، فان هذه الاشياء التى شاهدتها سوف لا أراها من جديد .

* * *

قوس قزح يبين ثم يختفى . جميـل ذلك الورد . ان القمر ينظر حوله مبتهجاً عند ما تصفو السماء من الغيوم . ما أجمل المياه فى الليالى المرصعة بالنجوم ! إن ضوء الشمس ميلاد عظيم .

ولـكنى أدرك مع ذلك حيثما ذهبت أن مجداً قد توارى عن الأرض .

* * *

والآن بينما الطيور تنشد أنشودة الفرح ، وصغار الخراف تثغو وفق أصوات الساقية ، هتف بى هاتف الحزن وحدى . ولـكن الـكلام أنقذنى من سلطان هذا الفـكر وعادت الىّ قوتى . ذلك أن أبواق الشلالات تدوى فى مساقطها . لن يعود الحزن يعكر علىّ جمال الربيع .

أسمع الاصداء تزدحم خلال الجبال ، والرياح تهب علىّ من حقول النوم ، وكل ما فى الأرض فرح طروب .

الأرض والبحر قد استسلما للفرح ، وكل الحيوانات فى قلب الربيع .

يا ابن الفرح فلتهتف حولى !

دعنى أسمع هتافك أيها الراعى السعيد !

* * *

أيتها المخلوقات المباركة لقد سمعت تناديك .

إنى أرى السماء تضحك معك فى يوم عيدك .

قلبى يطرب لعيدك وتعلو رأسى أكاليل الفرح .

إنى أشعر بكامل غبطتك . أشعر بها جميعها .

أيها اليوم المشئوم ! لو كنت واجماً ساهماً حينما الأرض نفسها تزين صباح الربيع المحبوب والأطفال يتدفقون فى كل جانب من تلك الأودية البعيدة المتسعة كأنهم أزهار نضرة والشمس تشرق دافئة ، والطفل يقفز على ذراع أمه . فانى أسمع . أسمع وأسمع بفرح وغبطة .

ولـكن هناك شجرة لـكثير لواحد . حقل منعزل وحيد قد أشرفت عليه ، كلاهما يتحدّث عن شيء مضى . زهرة البنسيه عند قدمى .

إن القصة عينها تتـكرر .

أين توارى الضوء الخيالى ؟

أين هو الآن ، المجد والحلم ؟

* * *

إن ولادتنا ما هى الا نوم ونسيان ، وروحنا التى تنهض معنا ، نجم حياتنا كانت تسـكن مكاناً آخر ثم أتت من ذلك المـكان البعيد . ليست منسية تماماً ، وليست عارية كلها ، ولـكنها جاءت تجرّ وراءها سحب المجد الذى نستمده من الاله الذى هو ملجأنا

لقد أحاطت السماء بنا فى مهدنا .

أما ظلال البيت الشبيـه بالسجن فتطبق على الطفل النامى .

ولـكنه يشاهد النور ويراه عند ما يفيض وسط غبطته وسروره .

والشاب الذى يحتم عليه أن يبتعد كل يوم عن المشرق[1] فيظل كاهن الطبيعة تحفّ به تلك الرؤيا الرائعة ، ولـكنه لا يلبث أن يشعر وهو رجل أن هـذه الرؤيا قد ذهبت وتلاشت فى ضوء اليوم العادى .

* * *

تمـلأ الأرض حضنها بمباهجها وهى تفيض بالأشواق والعطف الطبيعى . أما المربية فى المنزل فتعمل كل ما يمـكنها حتى أنها تتخذ بعض طباع الأم فى غرض غير تافه لتجعل طفلها المتبنى ورجلهـا الذى تقيم معه ينسى المجـد الذى عرفه والقصر الملـكى الذى جاء منه .

* * *

أنظر إلى الطفل وهو غارق فى سعادته الجـديدة . ستة أعوام محبوبة من عمر ذلك الصغير .

---

(١) أى ميلاده الذى يشبه بمطلع الشمس .

أنظر اليه وقد نام بين لعبه التى صنعها بيـديه وضاق بتيار قبلات أمـه وأشرق عليه نور من عينى أبيه .

أنظر عند قدميه : قد رسم رسماً أو بعضاً من أحلامـه البشرية قد شكلها بفنه الحديث عرساً أو وليمة ، مناحة أو جنازاً .

هذا ما يملك لبه ، وفى هذا ينظم أنشودته .

ثم يعوّد لسانه الى محادثات العمل والحب والجهاد .

ولـكنه لا يلبث أن يطرح هذه جانباً .

وبفرح وكبرياء جديدة يبدأ الممثل الصغير يدرس دوراً اخر فيملأ من وقت لآخر مسرحه الفكه بجميع الأشخاص حتى المجزة التى تجرفها الحياة فى طريقها ، كأن كل غرضه محاكاة مستمرة .

* * *

يا من ينمّ مظهره الخارجى على عظم روحه ! يا أحسن الفلاسفة ! يا من يحفظ تراثه ! إن عينك تستطيع أن تقرأ ذلك السر الأبدى بين العمى فى صمت وسكون وحولك يطوف العقل الخالد .

أيها النبى الجبار ! النبي المبارك الذى تستقر عنده تلك الحقائق التى نشقى حياتنا فى البحث عنها حتى تذهب بدداً فى الظلمات ، ظلمات القبر الموحش .

أنت يامن يماودك خلودك ويعلو عليك كاليوم الآخر ! سيد بجانب عبد.وجود لا يمكن أن يبارى . انك تنظر الى القبر كأنه مثوى منعزل مسلوب ضوء النهار وحرارة النور كأنه مكان للفكر حيث ننام منتظرين .

أيها الطفل الصغير العظيم فى حمى وليدة السماء ـ الحرية ـ التى ترفرف عليك لماذا تثير السنين بتلك الآلام المضنية لتجلب ذلك النير المحتم وتحارب سعادتك فى غير تبصر؟ إن روحك ما تكاد تندمج فىّ الا وتتسلط عليك المادة بأعبائها الثقيلة كالجليد ، العميقة كالحياة .

* * *

أيها الفرح المستقر فى رماد أجسادنا ! ان الطبيعة لتـذكر ما قد شرد منها وغاب ، وان ذكر الأعوام السالفة تبعث فى نفسى بركة دائمة . إنى لا أرفع أنشودة

الشكر والثناء من أجل تلك التى يجب أن تمجد الغبطة والحرية وعقيدة الطفولة البسيطة قلقة كانت أم هادئة بأمل حديث المهد لا يزال يصطخب فى صدره ، ولكن من أجل هذه الأمور المتشبثة بالحس وظواهر الاشياء وما يتساقط منا وما يتوارى عنا ، وشكوك المخلوق الزائفة تطوّف فى عوالم غير محققة وغرائز سامية تقف أمامها طبيعتنا الفانية مرتجفة كأنها شىء أثيم مذهول .

من أجل تلك المحبة الأولى وأطياف الذكريات التى هى — فلتكن ما تكون — ينبوع نور لكل أيامنا والضوء المتسلط على أنظارنا ، والتى تنظر الينا وتحفظ وتستطيع أن تجعل سنينا الصاخبة تظهر كأنها لحظات فى حياة الصمت الخالد ... إن الحقائق التى تستيقظ لا تفنى أبداً ، هذه الحقائق التى ليست كسلاً ولا نشاطاً جنونياً ، وليست رجلاً ولا طفلاً ولا أىّ شىء عدو للفرح ، تستطيع أن تنسخ أو تدمر حتى لو كنا فى فصل هادىء الطقس متغلغلين فى اليابس .

فأرواحنا التى ترى ذلك البحر الخالد الذى قذف بنا الى هنا تستطيع فى لحظة أن تذهب بنا الى هنالك ، وترى ملاعب الأطفال على الشاطىء وتسمع المياه الجبارة تصطخب أشدّ وأكثر ...

* * *

إذن فلتغنِّى أيتها العصافير ! غنِّى ، غنِّى أنشودة الفرح ! ودعى صغار الخراف تجتمع على أنغام الساقية ، فاننا سنشاركك بأفكارنا . أنت التى تصفرين وأنت التى تلعبين وأنت التى تشعرين اليوم بفرح الربيع يسرى فى قلوبك !

ومع أن ذلك الضوء الذى لمع مرة قد اختفى الآن من أعيننا الى الأبد .

ومع أنه ما من شىء يعيد الينا ساعة الروعة فى الحشائش ، والرواء فى الأزهار ، فاننا لا نبتئس ، بل إننا نجد قوة فيما تبقى خلفها فى ذلك الشعور المتبادل والعطف الأول الذى يجب أن يكون كما كان فى تلك الأفكار المسكنة التى تنبعث من الألم ، وفى تلك العقيدة التى تبرز خلال الموت ، وفى السنين التى تكوّن العقل الفيلسوف .

* * *

أيتها الينابيع والمراعى والتلال والحراج لا تنذرى أحبابى بسوء ، وان كنت أشعر به فى قرارة قلبي بسلطانك ! لقد هجرت ذلك البهاء لأعيش تحت سلطانك الدائم

إن جداول الماء التي تحفر مجاريها أحب إليّ من وطء الأرض بأطراف أصابعي .
إن البهاء البريء لليوم الجديد محبوب ، ولكن السحب التي تتجمع حول الشمس الغاربة تنتزع اللون الهادئ من العين التي راقبت فناء الانسان .
فنزع كان وأنواع أخرى تكتسب .
شكراً للقلب البشري الذي به نحيا
شكراً لرقته وأفراحه ومخاوفه
إن أحقر الأزهار التي تنشر أريجها تبعث في أعمق الأفكار التي تستدر الدموع !

***

شرح وتعليق

من الصعب أن ندرك كل ما عناه وردزورث في هذه القصيدة فهي تبدو دقيقة الفهم بعيدة الادراك ولكنها تدنو منا شيئاً فشيئاً كلما تمعنا في استيعابها .

تميل هذه القصيدة في أغراضها غير المباشرة الى الاعتقاد بأن الروح خالدة تعيش للأبد . وقد أدرك الشاعر هذا من ذكريات طفولته الأولى ودقة ملاحظاته لسائر الأطفال الآخرين .

قال بعض الناس إن وردزورث يثير فينا أعمق الذكريات فنشعر عند قراءته أننا نعيش مرة أخرى في عالم طفولتنا الغامض الجميل.

يفصح وردزورث في مستهل القصيدة عن ذلك الشعور الذي استولى عليه وهو أن الحياة كما ظهرت له في الطفولة فقدت في بعض نواحيها نورها ومجدها ، فبالرغم من أنه لا يزال يرى جمالاً في الطبيعة وفي الاشياء المحيطة به إلا أن « مجداً قد توارى عن الارض »

ثم يشرع في دراسة هذه الظاهرة التي تكشف له فيتساءل : لمَ يكون هذا صحيحاً؟ وعندما يتمكن من الاحاطة بهذا السؤال يرى سعادة حياة الطفولة حوله ويحكم بأن «هاتف الحزن قد هتف به وحده» . هو يعتقد أن هذه هي حالته الخاصة وليست حال جميع الناس ولذلك يحاول أن يتخلص من ذلك الشعور أو ينفض عنه هذا الاعتقاد وينغمس في «روح المخلوقات المباركة التي تحيط به» . ولا يلبث ـ بعد أن يقف على جانب من الطبيعة في صورها المختلفة وسعادة حياة الطفولة حيثما ذهب ـ أن ينجح في اقناع نفسه أن هذه كانت حالته الخاصة التي أتت له بخاطر الحزن.

ثم تقع عينه على شيء معين : شجرة ، حقـل ، زهرة البنسيه . ويدرك أثر كل هذه فى نفسه واختلاف شعوره تبعاً لاختلافها ، فيعتقد أنه لم يكن خاطئاً وأن مجداً حقيقياً قد توارى عن الحياة .

ثم يعجز الشاعر عن أن يفصح عن هذا التغيير فيترك القصيدة عند هذه النقطة ولا يرجع اليها إلا بعد عامين .

ففى المقطوعة الخامسة « إن ميلادنا ماهو إلا نوم ونسيان...» يتدبر الموضوع من جديد ويأتى بحل لهذا السؤال فيعتقد أن الروح ما دامت تعيش بعـد الموت فيجب أن تـكون قد عاشت قبل هذه الحياة القصيرة على الأرض ، وأن الطفل عند ما يولد تأتى روحه من ذلك العالم الجميل « ولـكن نجرّ وراءها سحب المجـد الذى نتلقاه من إلـهنا : ملجأنا » .

وعلى هذا فهو فى طفولته قريب جداً من مجـد العالم أى أن نور العالم ومجـده يحيطان به . وعند ما يتقدم به الزمن ويصل الطفل الى دور الشباب ثم الى دور الرجولة تبدأ الدنيا تمسك به وتطبق عليه ويفقد شيئاً فشيئاً المجـد الذى عرفه حتى يدرك الرجل أخيراً أن مجده قد تلاشى فى حياة اليوم العادى ثم يصف لنـا الشاعر كيف تأخـذ الأرض ابنهـا المتبنى وتدّعيـه لنفسها وعلى ذلك فهو ينسى ذلك القصر الملـكى الذى جاء منه .

فهذه الأشياء التى تحدث فى مجرى حياة الرجال والنساء تـكون شغلهم الشاغل. أما الطفل فيأخذ هـذه الأشياء كلعب ثم لا يلبث أن يقع تحت أعبائها الثقيلة كالجليد ، العميقة كالحيـاة . وهـكذا يبتعد شيئاً فشيئاً عن مجـد العالم ويقترب أكثر فأكثر من سلطان الحياة وعاداتها .

وعند ما نقترب من آخر الحيـاة ندرك جمالا أكثر جدة مما عرفنا فى المـاضى فنتبين أن سنىّ حياتنـا المضطربة ليست إلا لحظات فى حيـاة الروح العظيمة التى عاشت قبل أن تأتى الى عالمنا الأرضى وستعيش بعد هذه الحياة الأرضية .

وعلى هذا كانت هذه الايماءات للطفولة الأولى آراء وحلقات فى سلسلة الاثبات الذى يقوم على خلود الروح ؟

نظمى خليل

(بكالوريوس فى الأدب الانجليزى)



الغزل بين جرير والفرزدق

(١) غزل جرير عفة ، وغزل الفرزدق فسق

خرج جرير من طبقات الشعب وفاخر ثمانين شاعراً فغلبهم بأب كان يمص ضرع المعز مصاً لئلا يسمع صوت الحلب فيطلب الناس منه لبناً ! ومهما يكن نصيب الرواية من المبالغة فلا شك فى أن جريراً كان فقير الحال وضيع النسب ولم يكن فى أهله وعشيرته ما يفتخر به

ورأسُ مال الشريف فى الحياة شرفه يحترمه الناس لأجله ، ورأس مال الغنى ماله يحبه الناس من أجل ماله ، أما رأس مال الفقير فأخلاقه ، وأما رأس مال الوضيع فعفة يتحلى بها ، حتى اذا لم تكن رذله الناس واحتقروه ، وطمعوا به وأبغضوه. ولذلك تعهد جرير جرثومة العفة فى نفسه ورباها وتحلى بها وأنماها فكانت له زينة رفعت من قدره فى أعين العامة والخاصة .

وأحبَّ جرير زوجته ، ولعلها كانت امرأة فاضلة أهلاً للحب فأثرت فضيلتها فى حياته . والمرأة الفاضلة لا تقوّم بثمن ، ولعلها كانت تلطف من حدته وتقوده الى الفضيلة. ولنا من توبيخها ولدها عندما عقّ أباه دليل على عفتها وتأثيرها . وقد شهد الفرزدق بفسقه وعفة جرير وكفى بالخصم شاهداً ، قال : «ما أحوج جريراً مع عفته الى صلابة شعرى ، وما أحوجنى الى رقة شعره مع شدة فسقى !» فلماذا كان الفرزدق فاسقاً ؟

كان هذا الشاعر شريفاً له من شرف آبائه ما يمنع الناس من احتقاره ، ومن مجد أجداده ما يحترمه الناس لأجله ، ولم يكن فى حاجة الى العفة يتحلى بها ويتخذ منها رأس مال لحياته . وكان ينحت الشعر نحتاً فأولى به أن يقلد الشعراء ويتشبه

بقائدهم ، ولا غرو فذاك أميرٌ وهذا شريفٌ . ومن يسرق الشعر لا يعف عن سرقة مواقف الشعراء .

ولم يكن الفرزدق موفقاً معزوجه فلم يرَ في العفة حلية ، وكثيراً ما كان يفسق بلسانه فقط !

كان جرير عفيفاً يخاف كلام الناس ويخشى شكهم في عفته ، ويفرق من زيارة الطيف حتى في الليل فيرجعه بسلام على شغفه وحبه ، قال :

طرقتك صائدةُ القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلام !

وربما لم يكن في البيت عفة جرير ، ولكن فيه ما يدعو الى العفة ويغرى بها ، ويبعد عن الفسق والفجور ، وكفى بسكينة بنت الحسين شاهداً على ذلك .

واذا كان جرير عفيفاً فأولى بمن يحبه أن يكون كذلك ، وأولى أن يزوره لماماً وأن يكتفي كل منهما بالطيف ، ولعلَّ في طلب العصاميين المعالي وصعودهم درجات المجد والنبوغ ما لا يفسح لهم المجال للانهماك بالملذات ، ولعل العفة سجية يتحلى بها بعض الناس دون بعض لولا أن في ذلك تسليما والظن خير من التسليم . قال جرير :

بنفسي مَن تجنبه عزيزٌ عليَّ ، ومَن زيارته لمامُ
ومَن أمسى وأصبح لا أراهُ ويطرقني إذا هجع النيامُ

أما الفرزدق فكان فاسقاً متعهراً يزور حبيبته — وحبيبته متزوجة — ليلاً في قصرها حتى اذا حاذر دخول المساكن من أبوابها أصعدته حبالها كالسارق ! قال :

فما زلت حتى أصعدتني حبالها اليها ، وليلى قد تخامصَ آخرُهْ

حتى اذا قضى وطره أراد الرجوع فحاذر بوَّابين يحرسانها وباباً اذا فتح سمع صوت مساميره ولا يحاذر البوَّاب غير الفسقة الفجار ، قال :

أحاذر بوَّابين قد وُكلاَ بها وأسمر من ساج تئط مسامِرُهْ

فاذا دلتاه كما أصعدتاه ولى هارباً والسارق أبداً خائف ، والفاسق أبداً جبان . قال :

فقلت ارفعا الأسباب لا يشعروا بنا ووليت في اعجاز ليلٍ أبادرهْ

(٢) تغلب الرقة فى غزل جرير على الطبع
أما الفرزدق فلا رقة ولا طبع

قال جرير : « ما عشقت قط ، ولو عشقت لنسبت نسيباً تسمعه العجوز فتبكى على مافاتها من شبابها » . ونرانا نجهل مبلغ هذا الكلام من الصدق ، ونصيبه من الحقيقة المجردة . ولكننا لا نشك فى أن جريراً أحبَّ والحب غير العشق . وتأثر بجمال المرأة وفضيلتها ، والتأثر غير التحسر . وربما بكى لفراق حبيبه ولكن فنه غلب بكاءه ، ونبوغه غلب حبه . وظهر الطبع فى غزله ولكن الرقة أظهر ، وغلب الحب على شعره ولكن الفن أغلب ، قال :

ان الذين غدوا بلبك غادروا وشلاً بعينك ما يزال معينا
غيّضن من عبراتهن وقلن لى : ماذا لقيت من الهوى ولقينا ؟!

واذا تكلمت الدموع سكت اللسان ، واذا تحرق القلب غاض الدمع ، واذا كانت النفوس كباراً كتمن الحزن ، وغيضن الدمع ، واكتفين بالعتاب المر وهو على مرارته حلو ، وعلى تعذيبه لذيذ . وأظهر ما يكون الفن فى هذا الاستفهام الانكارى الذى يضم بين جناحيه كل هناء الحب وشقائه .

نقرأ هذا الغزل فيطربنا ، ونتذوق ذلك النسيب فيعجبنا . وانما تطربنا فيه تلك الرقة الحلوة ويعجبنا بين سطوره ذلك الفن الجميل . أما ألم الشاعر فبعد فنه ، وأما شوقه فبعد رقته ، وكأنه فى غزله شاعر فنان لا عاشق ولهان . قال :

لقد كتمت الهوى حتى تهيمنى لا أستطيع لهذا الحب كتمانا

وعبثاً يحاول ذو الحب كتمانه فالحب لا يقبل الكتمان ، وعبثاً تريد الجبابرة قهره فالحب لا يقهر ، ولا عار فى ذلك فسلطانه أقوى من سلطان الرشيد :

ما ذاك إلا أن سلطان الهوى وبه قوين أعزّ من سلطانى

وقوته أعظم من قوة القيصر .

ولكن الرقة فى بيت جرير على طبعه أظهر من الطبع ، والفن على حبه أقوى من الحب . قال :

لا بارك الله فى الدنيا اذا انقطعت أسباب دنياك عن أسباب دنيانا
يا أمَّ عثمان ان الحب عن عرَضٍ يصبى الحليم ويبكى العين أحيانا

والحبيب للحبيب الدنيا كلها ،ولعنها الله إن لم يكن فيها محب . ولـكن جريراً على اصابته كبد الحقيقة بسهام فنه لم يقرن القول بالعمل ولم تـكن الدنيا عنده حباً كلها.

وليس فى البيت الثانى ما يبكى العين مع رقته وجماله ، وليس فى غزل جرير كله ما يحزنك لحزنه أو يؤلمك لألمه ، نقرأه فلا نبكى لبـكائه كما بكينا لبكاء عنترة مثلا ، ولا نهتف متألمين : «ما أشقاه !» بل نصرخ معجبين : « ما أبدع فنـه وما أجمـل شعره ،وما أرق نسيبه !»

أما الفرزدق فلا رقة فى غزله ولا طبع ، أراد أن يزور حبيبته ليلا لا لأنه عاشق بل لأن امرأ القيس زارها قبله ، واذا كان امرؤ القيس قد سما اليها سموّ حباب الماء فالفرزدق يتجاوز الماء الى الجبال وكأنه لم يحب ، فكان غزله جافاً لا رقة فيه ونسيبه مصطنعاً لا طبع يحليه ، قال :

هما دلتانى من ثمانين قامة كما انقضّ باز أقتم الريش كاسره

وليس فى ذلك الانقضاض غير قوة تخيف رقيقة الحس ، وتزعج لطيفة الشعور ، وليس فى ذلك التدلى فن أو رقة . أما الـكذب فأظهر ما يكون فى تلك القامات الثمانين . ولسنا ندرى أى شيطان وسوس فى صدر الشاعر بها ، ولعل أحداً من المتنطعين لا يدَّعى بأن العرب عرفوا ناطحات السحاب قبل أميركا بدليل شعر الفرزدق !

(٣) أسلوب جرير حضريّ يعنى به

وأسلوب الفرزدق جاهليّ بدويّ

جريرٌ أمويّ نشأفى بادية اليمامة ولـكنه كانذا هبةٍ شعرية نشلتْه من طبقة العامة، ورفعتْه عن مقام أسرته ، ولولا تلك الهبة لانصرف جرير الى شأن آخر ، فـكأن الشعر طلبه ليكون شاعراً ، وكأن الفن غذاه ليخلق منه فناناً . ولذلك غرف الشعر من بحر ولم ير مظاهر الحضارة حتى أخذ بأسبابها .

لم يتعب جرير نفسه فى عمل الشعر كما أتعبها الفرزدق فـكان شعره بحراً ، ولم ينحته من صخر كما نحته صاحبه فـكان رقيقاً ، وكان من طبقة الشعب رقة تختلف عن عظمة الخاصة وشدَّتهم ،والشعب أقرب الى التطور من الأشراف وأسرع تأثراً بعوامل الحضارة منهم .

وقد ظهرت هذه الحضارة فى شعر جرير كله وتلك الرقة فى غزله ورثائه حتى غنى بذاك وندب بهذا ، ولما ماتت زوج الفرزدق ندبتها النادبات برثاء جرير فى زوجته ، وفى ذلك دليل على قرب شعر جرير من الموسيقى وأفضل الشعر لفظاً أقربه الى الغناء .

وقد أعجب الشعراء برقة جرير ، وغنت بشعره القيان ، وضمنه بشار بن برد أول المحدثين احدى قصائده ، قال :

وذات دل كأنَّ البدرَ صورتها
باتت تغنى عميدَ القلب سكرانَا :

« ان العيون التى فى طرفها حورٌ
قتلننا ثمَّ لم يحيين قتلانَا »

وفى هذا الغناء دليل على شهرة شعر جرير ورقته وحلاوته ، وفى هذا التضمين برهان على منزلة الشاعر فى قلوب الشعراء ، وفى هـذا القتل تبعثه العيون الحور لذة دونها لذائذ الحياة ، وقتل العيون فى الحب أجمل من الحياة !

وقال جرير :

يصرعن ذا اللبِّ حتى لا حراكَ بهِ
وهنَّ أضعفُ خلقِ الله أركانا

ولا يزال هذا المخلوق الضعيف يفتك بالأقوياء ويصرع العقل المعتدّ بنفسه ، المترفع عن ملاهى الحب فى زعمه .

ولـكن فى بيت جرير غير هذا المعنى الخالد ، فيـه تلك الرقة الفتانة ، وذلك اللطف الساحر ، وقد أراد ابن الرومى هذا المعنى فقال :

ومِن عجائب ما يمنى الرجالُ به
مستضعفاتٌ لنا منهن أقرانُ

ولـكن فى بيت ربيب البادية جرير الأموى من الرقة والموسيقى ما لا نجده فى بيت ربيب الحضارة ابن الرومى العباسى وربما كان فى الثانى معنى عميق مستقصٍ .

وقال جرير وقد ضمنه بشار وغنت به الجارية :

يا حبذا جبلُ الريان مِن جبلٍ
وحبذا ساكنُ الريان مَنْ كانا

واذا أحب الانسان حبيباً أحب دياره وأهله ، ونسيماً يهبّ من بلاده ، ورائحة تفوح من جهته :

وحبذا نفحات من يمانية
تأتيك مِنْ قِبَلِ الريانِ أحيانا

ولا تشعر بتأثير البيتين الا اذا أبدلت الريان وطنك أو وطن حبيبتك ، وقريتك

أو محلة حبيبتك . أما الرقة ففى لطف البيتين وأسلوبهما ، وأما الحضارة ففى صورهما على رغم اليمن والريان، وأما الموسيقى فلا أسهل من انشادهما والتغنى بهما كما تغنى القدماء .

أما الفرزدق فقد كان ارستوقراطياً صلباً ، وكان قوى الارادة صعب الشكيمة قيد نفسه بالشعر كما قيدها بحفظ القرآن ، وكان له من شرف آبائه وأمجاد أجداده ما جعله يطلب الشعر ليفتخر بهم فنحته نحتاً وأتعب نفسه فى عمله جهداً ، واذا طلب الشاعر الشعر كان الشعر قوياً صلباً واذا طلب الشعر الشاعر كان رقيقاً بديعاً، وهذا الفرزدق نفسه يرق عندما طلبه الشعر ليمدح زين العابدين فلا يزاحمه جرير فى غزله والأخطل فى خمرته .

وأعجب الفرزدق بالجاهلية ومفاخرها فكان أسلوبه بدوياً ، وكان غزله جاهلياً مع ما بين الطبع والصنعة .

قلد الفرزدق فى غزله فكان دون شعراء الطبع من العصر الجاهلى ، وكان قوياً فى نفسه ، صلباً فى ارادته ، غليظاً فى طبعه ،فكان شعره قوياً صلباً لا يمت الى الغزل بصلة ، ولا يمكن أن يغنى به . قال يفضل الأعرابية على الحضرية بشعر قوى :

لعمرى لأعرابيـة فى مظـلة تظل بروق بيتها الريح تخفقُ
أحبّ الينا من ضناك ضفنة اذا وضعت عنهـا المراوح تعرقُ

وفى الابتداء بلام القسم تتلوها لام الابتداء صنعة فى الشعر ظاهرة،وفى اضافة المثنى قوة لفظية وفى الروق والضناك والضفنة كلمات جاهلية ، ولكن فى عجز البيت التالى سهولة لعل سببها أن الفرزدق أراد به الهجاء .

وقد كان لتقليد الفرزدق وجاهليته وغلظ طباعه أثر فى وحشية صوره ،قال :

فيا ليتنا كنا بعيرين لا نرى على منهل الا نشل ونقذفُ
كلانا به عر يخاف قرافه على الناس مطلى المساعر أخشفُ

وفى هرب الحبيبين من غلاظة الناس وكيدهم وثقل دمهم راحة نستحسنها فى شعر الفرزدق ، ونعجب بها فى معناه ، ولكن فى البعيرين الأجربين صورة يمجها الذوق ، ويقذف بها قذف الناس بالاجرب .

ولسنا ندرى رأى المحبين المتيمين فى صور الفرزدق وألفاظه ، وما قول رأى محبى اللطف والرقة والجمال من الجنسين الخشن واللطيف فى مثل هذه الكلمات وتلك

الصور : نشل وعر وقراف ومساعر وأخشف ، وقد أصبح الناس يكرهون طلاء الحمرة والبودرة فما رأيهم بطلاء القطران ؟ !

وربما كان لمثل كلمات الفرزدق وصوره أثر مقبول فى عصره ، ولكن الأرجح بل اليقين أنها كانت كما لا تزال قبيحة قبح الفرزدق فى حبه ؟

حنا نمر
(مدرس الآداب فى كلية الشرق — طرطوس)



فى الشعر المرسل

كلُّ مَنْ تذوّقَ الشعر الانجليزىّ تذوُّقاً تاماً يعرف المتانه التى لاتفارق نماذجه العالية ويعرف طواعيةَ الألفاظ طواعيةً تامةً فى الشعر المرسل بصفة خاصة وكيف يتقبّل الشعراءُ ألفاظاً معبرة ، ومنها ألفاظ علمية وفنية وجغرافية وما الى ذلك ، ما دامت تأتى طبيعية فى مناسباتها .

ولكن جرى العرفُ الآمرُ المتحكم بأن يعيب علينا عائبٌ ذكر كلمة « ايطاليا » فى أحد أبيات قصيدتنا « صرّار الليل » المنشورة فى ديوان (الشفق الباكى) — ص ٧٢١ : ٧٢٢ — ولو كانت محلّها كلمة « نجد » أو « الشام » مثلا لما وجد محلاً للعيب ! الى هذا الحدّ بلغ تحكمُ العادة وعبودية الألفاظ فى بعض المتصدّرين للنقد ، ولو أنصفوا أنفسهم قبل غيرهم لتدبروا سماحة التعبير فيما ينتقدون اعتباطاً ولتبينوا معنى حرية النظم التى وراءها غرضٌ فنى صريح ولأحجموا حينئذ عن مثل هذا العبث النقدى (راجع كتاب Active Anthology جمع وتأليف إزرابا وند).

إنّ قصيدة « صرّار الليل » ذات مغزى نفسانى صريح الى جانب ما فيها من البيان الوصفى لذلك المخلوق الغريب « الجدجد » والترجمة لسيرته وأوطانه ! ولكن بعض النقاد لا يشغله شىءٌ من هذا (وانما كلّ ما يعنيه أنّ هذا اللفظ مألوف الاستعمال أو غير مألوف بغضّ النظر عن ملاءمته التامة لموضعه ومناسبته ! ومن هذا القبيل ما وُجّه الينا من نقدٍ لوصفنا أحد الأحياء الوطنية القذرة البشعة مما يدخل فى باب الأدب الواقعى ، كأنما النفاق فى الوصف هو الأشرف الأكرم، أو كأنما الأكيس لدى هولاء قول امرىء القيس :

ترى بَعَرَ الآرام فى عرصاتهـا   وقيعانها كأنه حبُّ فُلفلِ !

ومثل هذا النقد يذكرنى بمؤاخذة بعض النقاد للنحات الشهير إبستين من أجل تمثاله البديع « تأمل الرجـل — Behold the Man » لا لأىّ نقص فى مظاهره وروحه التعبيرية ، بل المجرد مخالفته المألوف من متابعة الفنّ الاغريقى أو الفنّ الحديث واستقلاله بروح طبيعية فطرية يحسبها النقاد السطحيون ضعفاً ، وما هى الا استقلال الفنان وحريته التامة حسب مزاجه فى التعبير عن فكرة تشبّع بها ، وقد اختار أن يكون فطرىّ البيان وإن كانت فكرته الفنية بعيدة الغور . وكذلك الشعر المرسل فهو فطرىٌّ النظم وإن كانت الفكرة التى يحملها من طراز آخر .

ولا نعرف ناقداً نزيهاً مثقفاً يعلم شيئاً يذكر عن مقارنة الفنون وفلسفتها يجرؤ على التورّط فى مخالفتنا إلا عن طريق المكابرة ، وهذه ليست من طباع أىّ فنان أصيلٍ مؤلّفاً كان أم ناقداً .



هواجس نقـــــدية

نعرض فى هذا الباب على سبيل المثال طائفةً من الهواجس النقدية الشائعة وتعليقاتنا عليها لأجل الفائدة الأدبية المحضة . ولولا أن التهافت على النقـــــد الأدبى أصبح عادةً متفشية بين الشبان حتى الذين لم يستكملوا بعد أهمّ أدواته ، وبين من لا تؤهلهم ثقافتهم المحدودة لنصب موازين الأحكام الأدبية ، لما نشأت أمثال هـذه الهواجس وتفشت ، وإن كنا نعترف بأن من أسباب تفشيها تغلب الحزبية الشخصية أو السياسية التى لا تستحى فى سبيل أهوائها من أىّ مغالطةٍ ومن أى تذبذب فكرى غير خاشيةٍ لومة لائم !

وقد أذاعت هذه الهواجس المفتعلة تلك المؤامرةُ المعروفةُ التى حُبكت حولنا فى شتى الصحف فى العهد الأخير دون أن تكون لها أىّ نتيجة أدبية تمسنا ، وإن كانت لها نتيجةٌ مخجلةٌ فى تصوير بعض كبار الأدباء المصريين الذين عملوا على مناوأتنا ، مما كان له وقعٌ سيءٌ فى نفوس الكثيرين من المستشرقين . ويشهد الله أن ذلك يؤلمنا وإن مَسّ من يضعون أنفسهم موضع الخصومة الوضيعة نحونا ، مستغلين مالهم ونفوذهم للتغرير حتى بالشباب الذى نخدمه ليسيء الينا بأحط الوسائل ! نعم ،

إن مثل هذه الحالة تؤلمنا أشدّ الألم لان سمعة أدبنا وأدبائنا هى عندنا فى المحل الأرفع من الاعتبار إذ أنها رمزٌ لكرامتنا القومية ولا يماننا بالشرف والنبل ، خصوصاً فى الوقت الذى تتهم فيه السياسة أبناء مصر بالغدر والجحود وتنفى مثل هذا الخلق عن اخواننا السودانيين .

فمن الهواجس النقدية التى وجهت الينا أننا ننتقص أبناء الوطن بتقريعنا ، فى حين أننا لا نرمى الى أكثر من استفزاز الهمم والتنبُّه الى عيوبنا كما كان يفعل كبار خطباء العرب وكما يفعل كلُّ مخلص لوطنه يؤمن بقول ابن حزم « صديقك مَن صدقَك لا من صدّقك » . وبهذه الروح كان ينظم المرحوم حافظ ابراهيم بك معظم شعره الوطنى المأثور وقد اتخذ من قلمه المؤدِّب كرباجاً قاسياً . والملحوظ أن أغلب مَن ينتقدون هذا النقد هم من المترفين البعيدين عن معارك الحياة ، المكفول لهم الرزق والراحة ، العازفين عن تحمّل الأعباء الاجتماعية ، الناصبين أنفسهم للنقد والمؤاخذة دون أىّ جهد انشائى يبذلونه ، فليس لهم علم حقيقى بعيوب بلادهم ومفاسدها ، أو هم يتعامون عن كلّ ذلك ليظهروا بمظاهر البرّ بها على حساب المصلحين !

ومن هذه الهواجس أن يُعابَ علينا الحنينُ الى المستقبل أسوة بالحنين الى الماضى ، والأولُ مما يوحيه العقلُ الواعى المفكّر والثانى مما يوحيه العقل الباطن المتّصل بطفولة الانسانية . فهل فُرِضَ على الشعر أن يحنّ الى الماضى وحده وينسى المستقبل العظيم بما فى ثناياه من معجزات مقدَّرة يكاد لا يلحق بها الخيالُ الجامح ؟ وكان صديقنا الشاعر الهمشرى قد أشار منذ زمن بعيد الى حنيننا القوىّ للمجهول واستكناه أسراره ، ونذكر أن أحد الأدباء وقتها عدّ ذلك ظاهرة جنونية ! ولماذا يكون هذا الحنين ظاهرة جنونية وهو ابن التطلُّع الى سرّ الحياة ومعانى الاضمار فى الكائنات والبواعث الخفيّة لكلّ ظاهرة وكلّ موجود ؟ وأىّ جنون فى أمثال قصائدنا « أقصى الظنون » و « حياتى » و « سفينة الشمس » و « الذروة » و « فى الطريق الحزين » و « الاضمار » و « الخلود » مع أنّ هذه القصائد وأمثالها بناتُ النفس الباحثة الظامئة التى تتطلع الى الكمال الفنى تطلُّعها الى أسرار الوجود فى عوالمه وفى دقائقه على السواء ؟!

ومن هذه الهواجس أن تُعابَ علينا ملكةُ التصوير الشعرى واسرافنا المزعوم فى تطبيقها للمحسوس والمتخيَّل ، كأنما الشعر وقفٌ على التصوير العاطفى وحده

وليس له أن يصوّر المظاهر الفنية فى الكائنات والأشياء ولا أن يجسّم الأخيلة الفنيـة التى هى بمثابة حقائق للشاعر وإن كانت عدماً أو وهماً لغيره ! وما يُنعَتُ بالاسراف فى هذا التصوير ليس فى الواقع الا الدقة المنوّعة فى إبراز شتى الحالات من المخيلة والوجدان فى تصاوير مختلفة نابضة بالحياة سواء أ كانت تصاوير ذاتية أم تصاوير قصصيّة .

ومن هذه الهواجس أن يسخر فريقٌ من الروح الافلاطونية فى شعرنا الغزلى حينما يسخر فريقٌ آخر من الروح الابيقورية (كما ينعتها) ، ولو تدبر كلا الفريقين ووقف على معانى الفلسفة الجنسية (أنظر مثلا «موسوعة المعارف الجنسية» Encyclopaedia of Sexual Knowledge لتذوّق كلا اللونين من الشعر ولعلم معناها الصادق ، ولابتعد عن الهراء الذى يتمشدق به عن فلسفة الغزل حتى كاد السذج يوهمون بأن الحبّ اللائق بالرجال هو نوعٌ من الاغتصاب ، وان الغزل الشعرى اللائق بالشعراء الكبار هو عبارة عن تمرين انشائى مدرسى ! أما أن يكون الحبُّ تجاوباً ، وأما أن يكون شعر الحب صادقاً معبراً عن ستى الحالات النفسية وليس عن بعضها فقط ، وأمّا أن يكون الغزل بعيداً عن الجهامة أو بعيداً عن التصنع ، فهذا مما يعدّ خارجاً عن صفات الرجولة !

ومن هذه الهواجس انتقاص شعر الفكر والعلم خصوصاً اذا امتزج بالتصوّف والفلسفة ، فهل من الكمال الفنى التعلق بشعر الوهم وحده ؟ أليست العبرة بالتناول الشعرى للموضوعات لا بالموضوعات ذاتها؟ أليست قصيدة پوب عن الانسان من أجلّ الموضوعات ومع ذلك ليست من أجلّ الشعر ؟ ألم يحن الأوان مثلا للتسامى بالتصوّف فى الشعر عن الخرافات الفرضية الكثيرة ؟ أليست مظاهر الكون وأسراره ودقائقه العلمية ملاحم شعرية تنظر الينا وتوحى بنظمها فى بياننا ؟ ألم يقرأ هؤلاء الناقدون الجاهلون ديوان (حملة المشعل The Torch Bearers) للشاعر الكبير ألفرد نويز رئيس جمعيـة الشعر الانجليزية ؟ وأى داع الى الانتقاص وأى نافٍ للشاعرية فى أمثال قصائدنا « شعر النجوم » و «البداية والنهاية» و « ما وراء المجرة» و « الأشعة الكونية » و « رُسُل السماء » ونحوها مما تمازج فيها العلم والفكر والروح الشعرية تمازجاً موسيقياً ، اللهم إلا اذا كان الجهل والأمية وتكرار خواطر السلف وأساليبهم هى البضاعة الفنية الوحيدة التى يجب أن نحفل بها ؟ !

ومن هذه الهواجس مؤاخذة الشاعر على صراحته وصدقه فانْ بكى قيل هذا ضعفٌ ، وإن تجلَّد قيل هذه كبرياء مصطنعة ! وفى الحقّ لا يُحمد الشاعر إلاَّ على صدقه كيفما كان تَصرُّفُه ، فنحن نحبّ مطران فى قصيدته « الأسد الباكى » كما نحبّ ناجى فى قصيدته « الشكّ » لأننا نشعر بالاخلاص فى شعر كلٍّ منهما وإنْ اختلفا جدّ الاختلاف . الصّدقُ أولاً وأخيراً هو ما نطالب به الشاعرَ الى جانب أدائه الفنى ، وإلا كان محضَ صانع . ولسنا نحن من يهوى تهالكَ بودلير على الشهوة ، ولكننا مع ذلك نهوى شعره لأننا نحسّ فيه باخلاصه العميق ، وهكذا لا نستطيع تجريح شعره من الوجهة الفنيّة المحضة . وبديهى أنّ أحوال النفس الانسانية كثيرةُ التقلب ، فالشاعرُ الذى يَكبت احساسه ويكتم تعابيره عن كثير منها لأجل أن يتظاهر فى المجتمع بمظهر خاص لا يستحقّ احترامَنا الفنى . . . ليست الآهاتُ والدموعُ ولا التجلّدُ والصلابةُ بما يُعاب لدى الشاعر ما دامَ وراء ذلك طبعٌ شعرىٌّ صادقٌ ، وانما الذى يُعاب هو التصنّع وحده لهذه الانفعالات والتظاهر بخلاف ما يضمر .

ومن هذه الهواجس الطعنُ فى الرمزية مع أنها من صُوَر التعبير المثقَّف ومن الأساليب الشعرية العميقة المستوعبة . مثال ذلك هذان البيتان فى « الطاووس الأبيض » وقد قِيلتا فى حسناء لبست البياضَ وجافت الأصباغَ والدّرور :

أنتَ فى الحُسْنِ مُضْمَرُ اللّونِ والخلْـ ـقِ كالنُّورِ يُضمِرُ الألوانا
إن يَعِبْكَ الذين لم يشعروا بَعْـ ـدُ فيكفى اجتذابُكَ الفنّانا

والواجب على هؤلاء المنتقصين أن يقرؤوا كتاب (الرمزية — معناها وأثرها : Symbolism, Its Meaning and Effect) للدكتور هوايتهيد أستاذ الفلسفة فى جامعة هارفارد ليروا بأعينهم أىّ حكم قاس يحكمه ذلك الأستاذ العبقرى على الكافرين بالرمزية !

ويطول بنا التعليقُ لو تتبّعنا الهواجسَ الأخرى (وما أكثرها !) فحسبنا ما ذكرناه على سبيل المثال ، وهو شاهدٌ كاف على أن النقد الأدبى فى مصر لا يزال فى بداية السلم تعبث به الأهواء ذات اليمين وذات اليسار فيعوقه ذلك عن الصعود المرموق ، وأن معظم جرائدنا ومجلاتنا تترك صفحاتها الأدبية تحت رحمة الأدعياء وتلاميذ المدارس حينما يُشغل أصحابُها بمسائل السياسة وبمواردها المالية !



جمال والوحش

Beauty & the Beast

القصة

كان لأحد تجار الشرق ثلاث بنات دُعيت صغراهن بـ (جمال) لما لها من جمال مفرط لا يُكيَّف . وفي ذات يوم اعتزم والدهن رحلة إتجار، فمضى يودعهن سائلاً كلاً منهن عن التحفة التي تشتهيها ليختارها لدى جولاته . فاشتهت الكبيرة عقداً يخطف اللحظ من نفيس اللآلىء ، واشتهت الوسطى ماسة غلت تغزو بها النجوم الغوالي ، وأما بنته الصغرى فلم تنشد سوى محض وردة بيضاء فقد كانت مشغوفة بالأزهار مفتونة بجمالها ورموزها .

ومضى التاجر في رحلته مجداً غانماً واستطاع أن يظفر بما اشتهته كل من بنتيه الكبرى والوسطى ، ولكنه خاب في إحراز وردة بيضاء لبنته الصغرى ، فأنساه حزن فؤاده لذلك ما غنمه في رحلته ، وأبى إلا أن يثابر على بحثه في صفو (جمال) أماني حياته . وهو أنى مضى مسائلاً عن وردة بيضاء كان يقابَل بالضحك والسخر ، لأن الناس في تلك الجهات لم يسمعوا قط عن وردة بيضاء ، فأمنيته في نظرهم إنما هي ضرب من إعجاز السحر . وهكذا نولته الحسرة لفشله فأضلته سبيل الرجوع في وسط غابة ، فاذا به يرى فجأة قصراً هناك ، واذا به فجأة يلاصق بابه . وينفخ بوقه فاذا بالباب ينفتح وتبدو كالسحر دهة قصر دون أن يرى أحداً ، ويزداد حيرة حينما تمتد اليه يدان سحريتان من غير جسم تقودانه بعطف وود الى غرفة الطعام حيث يأكل ما طاب من شهي الاطعمة بعد صومه وجوعه الشديد ، ثم الى غرفة النوم حيث ينعم بنوم عجيب هنيء . وفي اليوم التالي يجد هاتين اليدين

السحريتين مهيأتين لخدمته المنوعة وإيناسه وتسليته ، فتقودانه الى الحديقة الجميلة حيث يرى وردة بيضاء ، فيهتف فرحاً بها ولا تمنعه كبرياؤه من قطفها وفاء بعهده لابنته (جمال) ، وقد تخيّل أن مضيفه الكريم صاحب هذا القصر السحرى يسره قطفها تحفة لابنته . ولكنه ما يكاد يفعل ذلك حتى يصم سمعه زئير أسد عات وقد ظهر أمامه منذراً بالهلاك ، فارضاً عليه الموت جزاء قطفه تلك الوردة البيضاء ! فيروّع التاجر الأسيف ويرجو الوحش أن يصفح عنه ، إذ أنه ليس باللص وانما أراد إسعاد ابنته بمثل هذه الهدية ، ولم يكن يعلم أن هذا مما يغضبه أو أن القصر له ، ولو علم لما سعى الى موته بهذه الصورة . . . ثم يسأل الأسد الحانق اذا كان هناك سبيل لصون حياته وهو يتعهد له بما يريد ؟ فيجيبه الوحش بأنه لا منقذ له سوى التعهد بالعودة بعد شهر من سفره صاحباً أول من يلقى عند عودته الى بيته، وإلا فانه لن يفلت من يديه . وفى حالة رضائه بذلك يمكنه أن يأخذ معه تلك الوردة البيضاء هدية لابنته . أما اذا رفض فله أن يعتبر لحمه حلالاً للآكل ! ويقبل التاجر شرطه ويسافر عائداً إلى بيته ، آملاً أن يكون أول ما يصادفه عند العودة كلباً من كلاب الطريق فتهون الضحية وينقذ حياته ويسعد بناته.

عاد التاجر إلى بيته فقضى سوء طالعه أن تكون بنته الصغرى الوفية المتطلعة إلى رؤيته أول من يلاقيه ، وقد هرعت الى لقائه شوقاً وحناناً. فبكى حزناً وأسفاً وأطلعها على ما جرى له ، وأخيراً صرح لها بأنه لا ينوى الوفاء بوعده لذلك الوحش الذى قد يكون ما لها عنده العذاب أو الموت الكريه . ولكنها أبت عليه هذا الشعور بل لامته على هذه الرغبة فى النكث بالعهد وأعلنت تصميمها على الذهاب اليه آملة أن تستطيع بالتحايل أن تغنم حظاً من الحنان لديه .

ويجىء موعد الرجوع فيسافران الى ذلك القصر المسحور فيجدان كل شىء من الحسن والمجد على ما عهده والدها من قبل . وبعد تناول الطعام والاستراحة يسمعان طرقة ، واذا بالأسد يدخل عليهما كالموت يبدل الأمن ذعراً ! وقد جاء فى كساء مزين ، وراح بعد التحية يجلس مزهواً مسائلاً التاجر عن (جمال) . فيخبره التاجر أنها كانت أول من التقى به أمام بيته ، وقد أتى بها اليه براً بوعده ، وأنه يرجو أن يكون السلام فى ذلك . فيطمئنه الأسد ، ويخبره أن كل ما فى القصر طوع لابنته (جمال) ، ويسأله أن يرحل فى الغد ويدعها لصونه .

وجاء الفدُ الرهيبُ فودّع الأبُ ابنته وداعا مشجياً ، وقد أخذ كلٌّ منهما يؤسّى الآخر أمام الخوف من المخاطر البادية . وما كاد يذهب والدُها حتى رأت فى كلّ شىء حولها عزاء لقلبها الحزين بين الكثير من الأغانى والأزاهير الفوّاحة والأثاث المنمق والرسوم البديعة . وهكذا مرّ وقتها هنيئاً فى ذلك النهار الذى بدأته ملبّداً بالغيوم . ثم جاء الليل فاذا بالأسد الطارق يعود لزيارتها فى حبور مذهباً روعها بفرط حنانه وحديثه مما لم يكن فى تقديرها . وهكذا أصبحت تحنّ اليه وتراه زميلها المحبوب وغدت تشتهى سعادته الكبرى كما خصّها بأحنى القلوب .

وذات يومٍ سأل الوحشُ (جمالاً) : « هل تكونين زوجتى يا (جمال) ؟ » فأجابته سلباً ، ولكنها أكدت له بقاء وفائها لسعادته وأنها لن تغفل واجبها نحوه بروحٍ رشيدةٍ . فتولته حسرة آلمتها وقد صرّح لها بأنها اذا أصرت على رفض الزواج منه فالموت عقباه ولا دافع لهذا المآل !

ولم تكن (جمال) فى كل مامضى بالتى تسلو أباها لو أنه قدسلاها ، وتمنّت رؤيته فرأته فى مرآتها السحرية طريح الفراش مسجى فى نضال الآلام مما يعانى . فبكت غاية البكاء ، وباحت لمضيفها وصديقها الأسد بأشجانها فارتضى سؤلها بزيارة والدها اذا ما وعدته بالرجوع فى القريب لا أن تهجر قصره هجراً . فوعدته بذلك وأعطاها لتيسير رحلتها نفحة من السحر فى وردةٍ ، ثم ودعها ومضى ... فاشتهت لقاء أبيها وسرعان ما كانت فى بيته ، فهرعت اليه شوقاً وحناناً ، ففرح أىّ فرحة بلقائها بعد أن أسقمته الهمومُ والقلقُ عليها . ومن فرحتها بهذا اللقاء نسيت وعدها للأسد ، وقد أخذت تلك الوردة السحرية تجفُّ وكاد حسنها يغيب ، فتجلى لها عهدُها ، فشاءت الرجوع كما وعدت ، فحققت لها الوردةُ ذلك فى ثوانٍ .

عادت (جمال) الى القصر السحرى فوجدت ثمة كلّ شىء على حاله القديم الوسيم ، ولكنها لم تجد اللحن الجميل الذى تعوّدته ، فانه قد تولّى ولم تدرِ لماذا ؟ كذلك كان حالها كالسقيم . ولحظت غيابَ الأسد وهو الذى يعشقها ولم يكن ليغيب ، فمضت الى الحديقة تبحث عنهْ بين خوفٍ ومأملٍ ووجيبٍ ، وأخيراً رأته فى رقدة الموت على العشب فى سكونٍ أليم ، فجرت نحوه يبددها الحزن وتوبيخ قلبها المكلوم لتأخرها فى العودة اليه ... ورآها الأسدُ فقال لها : إيه يا (جمال) ! انك لم تبرّى بوعدك المحبوب ، وعَودُكِ هذا ما هو الا عَوْدُ النسيان لا عَوْدُ البرّ الصحيح ، فلم يبق لى الا الموتُ عزاء بعد أن فقدتُ عزاء القلوب !

وكان هذا الموقف شاقاً جداً على (جمال) التى ودّت أن تفتديه بأىّ ثمن وفاءً له وتبرئة لضميرها ، فقالت له : حاشا أن تلاقى المهات قربى يا أسدى الغالى ! خبرنى أى فرض تزيد حتى أؤدّيه ولو أننى أضحى بحبى ؟ فأجابها الأسدُ فى نزعهِ : ذاك أن تقبلى زواجى ! فقالت : لك هذا ! فقد رضيتُك زوجاً !... وما كادت تلفظ هذه الكلمات حتى استحال ذلك الوحشُ انساناً جميلا يرجو هواها ويُرْجَى ! ففرح كلٌّ منهما بحظه من الآخر فرحاً عظيماً . وصرّح لها بأنه كان مسحوراً بفعل ساحرة أنذرته بالعذاب الأليم فى كلّ آنٍ حتى تُتاحَ له الزّيجةُ بالحسنِ من فتاةٍ فريدةٍ ، وقضى حسن حظه بأن تستجيبَ (جمال) الى مناه ، وهكذا أنيلا معاً حياةً سعيدة .

مرامى القصة

لهذه القصة الخرافية اللطيفة مَرامٍ أدبيةٌ عاليةٌ تُلخّص فيما يأتى :

(١) التنويه بالمتعة المعنوية وقيمتها فى سرور النفس (ورمزُ ذلك فى القصة الوردة البيضاء) ، وأن الحصول على هذه المتعة قد يستوجب متاعب وتضحيات كثيرة ولكنها تستحقّ ذلك .

(٢) تصوير الحبّ الأبوىّ فيما عاناه التاجر فى جميع أدوار القصة من أجل بنته (جمال) ، وتصوير الحبّ البنوى فى برّ (جمال) به ، وتصوير العاقبة الحسنة لكلّ هذا .

(٣) تصوير غاية الكدّ والسعى الشريف من النجاح والتوفيق ، وتصوير عامل الاتفاق أيضاً فى تهيئة ذلك ، إذ أن الحياة ليست مجرد أسباب ونتائج بسيطة بل لها عوامل مركبة كثيرة تؤثر فيها وتكيفها .

(٤) تصوير عاطفة الحبّ وأثرها فى تجميل الحياة والتغلب على الشدائد والمخاطر من حيث لا يُرجى القضاء عليها .

(٥) الاشادة بالوفاء مهما غلا ثمنه وتصوير نهايته الجميلة ، والاشادة بعرفان الواجب وأدائه وإن حفّ به الهلاك .

(٦) أن التضحية المشتركة مع تجاوب الاخلاص جديرة بالمكافأة المشتركة .

التصوير الشعرى

هى أغْلَى البناتِ للتاجرِ المُشْرِقِ فى المجدِ والغِنَى والجلال
خُلِقَتْ مِنْ مَلاحةٍ لم تُكَيَّفْ فدعَوْها (جمالَ) دُنيا الجمالِ
كانَ طَبْعُ الحنانِ مِنْ حُسنها الصَّافى وأَجْمِلْ بالحسنِ رمزَ الحنانِ
وتَفانَتْ فى حُبِّ والدِها حُبًّا هو الصِّدْقُ وحْدَهُ فى التفانى

* * *

ذاتَ يومٍ قُبَيْلَ رحلةِ إتجارٍ مضَى يبتغى وداعَ بناتِهْ
سائلاً أىَّ تُحفةٍ تُرْتجَى منه ليختارها لدَى جولاتِهْ ؟
فاشتهت بنتُه الكبيرةُ عقدًا يَخطفُ اللحظَ مِنْ نفيسِ اللآلى
واشتهتْ ماسةً غلَتْ أختُها الوُسْطَى لتغزو بها النجومَ الغوالى
حينما بنتُه الصغيرةُ لم تَنْشُدْ سوى محضِ وردةٍ بيضاءْ
كاسمِها طبعُها النقىُّ فلم تَحفِلْ بغيرِ الملاحةِ الزَّهْراءْ

* * *

ومَضَى التاجرُ الحصيفُ مُجدًّا غانمًا كلَّ ما أباحَ الرَّجاءْ
حالفَ الظفرُ حظَّهُ حينما خابَ باحرازِ وردةٍ بيضاءْ
نسىَ الغنمَ كُلَّهُ مِنْ أساهُ قلبُه المشتهى رضاءَ بناتِهْ
وتَولَّى فى البحثِ لابنتهِ الصغرى ففى صَفْوِها أمانى حياتِهْ
وهو أنَّى مَضَى يسائل لم يغنم مِن الناسِ غيرَ ضحكٍ وسُخْرِ
ما رَأوْا مثلَ ما تمنى مِن الوردِ فما يشتهيهِ إعجازُ سحرِ
وتولتـه حسرةٌ فأضلَّتْهُ سبيلَ الرُّجوع فى وَسْطِ غابَهْ
فاذا فجأةً يَرَى ثَمَّ قصراً ، واذا فجأة يلاصقُ بابَهْ
نافخاً بُوقَهُ فينفتحُ البابُ فتبدو كالسِّحرِ ردهةُ قَصْرِ
زُيِّنتْ بالنفيسِ مِنْ كلّ ما تَهوى فنونٌ لكلِّ عينٍ وفكرِ !

* * *

حارَ فيما رأى وأعجبُ منه أنه لم يجد هنالك فردا
إنما قد رأى يدين بلا جسمٍ تقودانه ولاءً وودّا
ورأى غرفةَ الطعام وقد مُدَّ خِوانٌ بمستطابِ الطعامْ
فمضى يغنمُ الشهىَّ مِن الأكلِ وقد جاع أىَّ جُوعٍ وصامْ
ثم قادتْه نحو غرفةِ نومٍ هُيِّئتْ للجمالِ والأحلامِ
فتلاقى والنَّومَ فوقَ سريرٍ مِن نعيمٍ ومِنْ أغانى السّلامِ
واذا باليدينِ فى يومه التالى يَدا خدمةٍ وبِرٍّ جميلِ
قادتاه الى الحديقةِ فيما قادتاه الى الجمالِ النبيلِ
وهنا صاح فى سرورٍ وقد لاحتْ له وردةٌ زهتْ بيضاءْ
خلقتْها يدٌ مِنَ السحر جادت بالنعيم المفرّدِ الوضّاءْ
ومِن الفرحةِ التى غلبتهُ ما حمته عن قطفها الكبرياءْ
بل تراءى له الوفاءُ بها زهراً مِن النورِ ناصعاً كالرجاءْ
ودعاه الغُلوُّ فى الوهمِ أن يحسبَ فى قطفها رضاءَ مُضيفِهْ
كيف لا وهو مَنْ حَبَاهُ جزيلاً مِنْ نعيمٍ ما زال بين رفيفِهْ
عند هذا أفاقَ مِنْ نشوةِ الفرحةِ إذْ صُمَّ سَمْعُهُ مِنْ زئيرْ
وتجلى أمامَهُ أسَدٌ عاتٍ يَروعُ الكمىَّ قبلَ الأسيرْ
مُنْذِراً بالهلاكِ : « يا أيها التاجرُ كيف استبحتَ ما قد خطفتَ ؟
إنما الموتُ ما يُجازَى به مِثلُكَ ، فلْتَلْقَ شرَّ ما قد صَنَعْتَ ! »
رُوِّعَ التاجرُ الأسيفُ وقال : « الصفحَ ! إنى أردتُ إسعادَ بنتى
ولو آنى عرفتُ أنكَ ربُّ القصرِ ما كنتُ قد سعيتُ لموتى !
لستُ لصّاً ، ولستُ غيرَ أبٍ حانٍ على مُشْتَهى ابنةٍ لا يُرَدُّ
هل سبيلٌ لكىْ تصونَ حياتى ولكَ العهدُ فى الذى قد تَوَدُّ ؟ »
قال : « كلا ! ما لم تَعِدْنى بأن تَرجعَ بعدَ ارتحالِ شهرٍ اليّا

صاحباً مَنْ تراه أوّلَ مَنْ تَلْقى ، والاّ فلن تفوتَ يَدَيَّا !
فاذا ما قبلتَ فارحلْ وخُذْ أيضاً الى بنتِكَ الهديةَ منى
واذا ما رفضتَ فلتعتبرْ لحمَكَ أكلى ... وليس هذا بغبْنِ »
فارتضى التاجرُ الرحيلَ بهـذا العهدِ : عهدِ الصديقِ نحو الصديقْ
راجيـاً أن يكونَ أوّلُ ما يَلْـقى لدى العَوْدِ مِنْ كلابِ الطريقْ
فتهون الضحيةُ التى يَرتجيها ذلك المُعْتِـقُ الخيفُ القديرْ
ومَضَى نحو بيتهِ فى حُبورِ ليس صفواً مِن مطمئنِّ الحُبورْ

* * *

أسفاً ! كانَ أولَ مَنْ لاقته فى العَوْدِ بنتُهُ المحبوبهْ
هَرَعتْ للّقاء مِنْ شوقها الجمِّ فأبكتْه ! . . . يا لَوَقْعِ المصيبهْ !
قال : « يا بنتىَ الحبيبةَ قد جئْتُ بما شئْتِ . . . يا لذنبي الخطيرْ !
إنما قد غنمتُ بالثمنِ الفادحِ ما شئْتِ مِنْ جمالٍ عسيرْ
هو وَعدِى المصدوقُ للأسَدِ المالكِ تلك الحديقةَ الغناهْ
أنْ ينالَ الذى أقابلُهُ الأوّلَ فى عودتى . . . . فيا للجزاءْ !
ذاكَ عهدٌ لا بُدَّ مِنْ أنْ أفيهِ ، وعزيزٌ علىَّ أنى أفيهْ
قد يكون المآلُ فى صحبةِ الوحْشِ عذاباً أو المماتَ الكريهْ »
ثم أفضى لها بكلِّ الذى مرَّ عليـــــــــه فى الرحلةِ المشؤومهْ
وأخيراً أبى عليها وفاءَ الوعْدِ ، لـــــــكنها رأتْ أن تلومهْ !
وأجابتْه : « كيف يا أبتى تنكثُ بالعهـدِ ؟ سوف أمضى اليهِ
رُبما استطعتُ بالتحايُلِ أنْ أغنمَ حظّاً مِنَ الحنانِ لديْهِ ! »

* * *

وأتى موْعِدُ الرُّجوعِ ، فلمّا عادَ للقَصْرِ حافظاً صِدْقَ وَعْدِهْ
وجدا مثلما تراءى له قبلاً مِنَ الحُسْنِ والتناهى بمجْدِهْ
واستطابا الطعامَ ، حتى اذا ما فرغا منه واستراحا وقرّا

سمعا طرقةً مِنَ الأسدِ الداخلِ كالموتِ يُبدل الأمنَ ذُعْرَا !

***

فى كِساءٍ مزيَّنٍ دخلَ الوحشُ وَحيًّا وراحَ يجلسُ زَهْوَا

سائلاً عن (جمال) ... قال له التاجرُ : « تلك ابنتى كوعدىَ قبْلا

مِنْ حَنانٍ تطلّعتْ للقائى حيث كانت أُولى الذين لَقيتُ

فأنتْ فى وفاء عهدى ، فأرجو أن يكون السلامُ فيما أتيتُ »

فأجاب المُضيفُ : « لا تخْشَيا شرّاً ، ولن تعدمَ الجميلةُ عوْنى

كلُّ شىءٍ فى القصرِ طوْعٌ لها ... فارحلْ إذن فى غدٍ ودَعْها لِصوْنى »

ثم جاء الغدُ الرَّهيبُ وما أقْسَى وداعيهما أمامَ المخاطرْ

غَلبَا الخوفَ بالتأسّى ولكنْ يغلبُ الخوفُ فى المدى بأسَ صابرْ

ومَضى الوالدُ الحزينُ وفى النفسِ شجونٌ جازتْ معانى الشجونِ

فرأتْ بعدَ أن مَضى كلُّ شىء حولها بسمةً لقلبِ الحزينِ

كم أغانٍ وكم أزاهيرَ فاحتْ وأثاثٍ منمّقٍ ورُسُومْ

وكذا مَرَّ وقتُها فى نهارٍ بدائه ملبَّداً بالغيومْ

وأتى الليلُ ... حينما الأسدُ الطارقُ قد عاد زائراً فى حُبورْ

مُذهِباً روعَها بفرطِ حَنانٍ وحديثٍ ما كان فى التقديرْ

وكذا أصبحتْ تحنُّ اليه وتراهُ زميلَها المحبوبْ

وغدتْ تشتهى سعادتَه الكبرى كما خصَّها بأحْنى القلوبْ

***

سأل الوحشُ ذاتَ يوم (جمالا) : « هل تكونين زوجتى يا (جمالْ) ؟ »

فأجابت سلباً ، ولكنها قالتْ : « وفائى باقٍ على أىِّ حالْ

سترانى دوماً أهشُّ لما ترجو مِنَ الأنسِ فى حياةٍ سعيدهْ

لستُ أنساكَ ما حييتُ ولن أغفلَ عن واجبى بروحٍ رشيدهْ

فتولَّته حسرةٌ آلمتها ، حسرةٌ ضوعفت بهذا المقالْ :

« إنْ أبيتِ الزواجَ فالموتُ عقبايَ ولا دافعٌ لهـذا المآلْ »
وهي في كلِّ ما مضى لم تـكن تسلو أباهـا لو أنه قد سلاها
وتمنَّتْ مَرآهُ حتى رأته في مَجالى مِرآتِهـا عيناها
قد رأته على فراشِ مُسَجّىً في نضالِ الآلام مما يُعانى
فبـكتْ غايةَ البـكاء وباحت للصـديق المضيف بالأشجانِ
وتمنت عليـه رؤيته حتى تؤدّى فروضَها نحو برّهْ
فارتضَى سُؤلَـها اذا وعدته في القريبِ الرجوعَ لا هجرَ قصرهْ
فأجابتْ بما اشتهى ، ثم أعطاها لهذا الرحيلِ سحراً بوردَهْ
قائلا : « هذه دليلك ، لـكن أذكرى الوعدَ ، يحفظ الحرُّ وعْدَهْ »
ومضى ... فاشتهت لقاءَ أبيها وَمَرِيعـاً كـانت بدار أبيهـا
فجرتْ نحوه بفرحة طفل واحتواه للحبِّ ما يحتويهـا



كان فى السُّقم ِ مِنْ همومٍ عليها فأزالت تلك الهمــــومَ يداها
ومِنَ الفَرْحَةِ التى شملتْها نَسِيَتْ وعــدَها وما قد عداها
نَسِيَتْ وعدَها وقد جَفَّتْ الوردةُ أو كاد حُسنها أنْ يغيبْ
فتجلى لها ، فشـــاءت رُجوعاً ، فاذا العَوْدُ فى ثوانٍ قريبْ !

***

وَجدتْ ثَمَّ كلَّ شىءٍ لدى القصر على حالِهِ الوســيمِ القديمْ
انما اللحنُ قد تولَّى ولم تَدْرِ لماذا ؟ وحالُها كالسقيمْ
ولقد غاب ذلك الأسدُ العاشقُ عنها ولم يكن مَنْ يغيبْ
فمضت تسأل الحديقةَ عنـــه بين خوفٍ وتَأملٍ ووجيبْ
وأخـــيراً رأتْهُ فى رقدةِ الموتِ على العشبِ فى سكونٍ أليمْ
فجرتْ نحوه يُبدِّدُها الحزنُ وتوبيخُ قلبها المكلومْ
ورآها فقال : « ايهِ (جمالُ) ! لم تَبَرِّى بوعدك المحبوبْ
ذاك عوْدُ النسيانِ ، والموتُ لم يبقِ سواه العزاء بعدَ القـــلوبْ ! »
فأجابتْ : حاشاك يا أسدى الغالى تُلاقى المماتَ ، حاشـــاك قربى !
أىَّ فرضٍ تريدُ حتى أؤدِّيه ولو أننى أضحِّى بحبِّى ؟ »
قال : « أن تقبلى زواجى » فقالت : « لك هذا ! لقد رضيتك زوجا ! »
عندها صار ذلك الوحشُ انساناً جميلاً يرجو هواها ويُرجَى !
فتناهت بفرحةٍ وتناهى بعد أن كان شـــبهَ ميتٍ يعانى
سحرتْه شيطانةٌ أنذرتْه بالعذابِ الأليمِ فى كلِّ آنِ
أنذرتْهُ حتى تُتاحَ له الزَّيجةُ بالحسنِ من فتاةٍ فريدهْ
فاستجابتْ الى مُناهُ (جمالٌ) وانيلا معاً حياةً سعيدهْ

أحمد زكى أبو شادى



يوماه

اليوم الأول

(على الشاطىء)

هى : ما لعينيكَ يا رهيبُ تثيرا ن طيوفَ الأوهام حولَ أمانى

هو : أنا يا فتنةَ الوجودِ ؟

هى : أجَلْ أنتَ !

هو : وكيف اتَّهمتِ ؟

هى : مجنونتانِ !

فيهما حيرةٌ وغمرةُ شكٍّ ومَعانٍ ما تُرجمتْ بلسانِ

كم علتنى غشاوةٌ عند لقيا كَ فأنكرتُ رؤيةَ الانسانِ

لستَ كالناسِ !

هو : هل أكون ملاكا ؟

هى : حيرتى فى الملاك والشيطانِ !

هو : أنتِ يا مَنْ سكبتِ خمرة إلحا دى وأترعتنى من الايمانِ

عند عينيكِ تنتهى أعينُ اللـــــه فانِّى مضيتُ شارفتانى

سهدُ جفنيهما من السرمدِ الخا لدِ مهما يطول لا يغفوانِ

غير أنى أحسُّ سِرًّا دفيناً وهما دون سرِّهِ مغلقانِ

هى : ثم ماذا ؟

هو : أهواكِ يا هيكلَ الحسنِ !

هى : وماذا أعددتَ للقربانِ ؟

هو : كل ما شئت لا يعزّ وإن كا ن محالاً فانه لك دانِ

هى : قم بهذا الكراز أنضب لىَ البحر !

هو : وهل أستطيع ما فوق شانى ؟

هى : خلِّه عنك ! قم وأنضبْ من الشا طىء بعضَ المياه !

هو : يختلطانِ !

هى : كاختلاط الشهوات بالأثرة العمياء فى لجةٍ من الوجدانِ
واختلاط الغرام — عندك — والعقل فتبنى من المحال الأمانى
أوَما قلتَ إنه لىَ دانِ مالك الآن نؤت بالبرهانِ ؟

هو : لستُ ربّاً !

هى : وما أنا ؟

هو : أنت عندى ربّةٌ فوق عالم الفنّانِ

هى : كيف تبغى اذا هواى وما أنت بصنوٍ ، مكانه مِن مكانى ؟

هو : اجعلينى فيما ملكت قطيناً أو هبينى موكّلاً بالجِنانِ

هى : هل رأيتَ الجنانَ ؟

هو : فى جسم أنثى عبقرىّ الظلالِ والألوان
جسدُ المرأةِ الجميلةِ أنأى مُتمنّى النّساكِ والكهانِ
فعلى صدرها الثمارُ وفى الثغرِ مِن الخمر سلسبيلُ المعانى
وعلى شعرها المذهّبِ أشبا حُ قُصورٍ ما شيدتها يدانِ

اليوم الثانى

(هى وهو خارجان من الصومعة)

هى : كنتَ فى الليل راعياً فى الجنانِ !

هو : ليلُ أمسٍ فى ذمّةِ النسيانِ
كنتِ فيه السّهةَ !

هى : ما أنا الساعة ؟

هو : لا شىء ، أنتِ كالجثمانِ
أنت مخلوقةٌ تعيشين بالجسم وتُفنيكِ شهوةُ الحيوانِ

هى : قبلةً !

هو : ماوراءها ؟

هى : هى معنًى

هو : هتكتْ شهوةُ الجسومِ المعانى
ونضتْ سترَ ناظريك وذاع السرُّ فيما فقدت من أكوانِ

هى : أوَ أنزلتنى عن العرش لمّا ذاع سرى لديك ؟ أىّ بيانِ !

هو : ليس بين الاله والناس الا سرّه المنطوى الخفىّ المكانِ
ظلّ فى معزلٍ عن الناس حتى لا يُدانى الخفاء منهم مُدانى

هى : كيف ؟

هو : سرٌّ لو أنهم عرفوه بات قدرُ الالهِ كالانسانِ !
وأنا مَن يقيم عندك بالجسم ويحيا بالروح فوق الزمانِ

هو : غادرٌ أنتَ !

هو : نحن للفنّ نحيا ونراكم له من القربانِ
فنضحى بكم على مذبح الفكر ليهدَى بالفكر جيلٌ ثانِ

صالح جودت





الصمت

أيها الصمتُ ! أيها الصاحبُ العا　　قلُ ، دعنى أعِشْ بدنياك دعنى !
الجأتنى اليك أحداثُ دنيا　　أسلمتنى الى شقاءٍ وغبنٍ !
قد سئمتُ الكلامَ فى فارغ العيش ، وفى كلِّ مأملٍ ليس يُغنى
ما غِناءُ الكلام ؟ رُبَّ كلامٍ　　زادَ فى لوعتى ، وأطلق حزنى

* * *

أيها الصمتُ ! أيها الصاحب الوا　　دعُ دعنى أنمْ بظلك دعنى !
فالصحارى التى أطوِّفُ فيها　　لم أجد فى فجاجها أيَّ أمن
أيها الصمت ! خلِّ هذا المُعَنى　　يتلَهَّى بروضكَ المُرْجَحِنِّ
ما أحبَّ المُقامَ فى ظلكَ الوا　　رفِ ، بين المُنى وبين التمنى

* * *

أيها الصمتُ ! أيها الصاحبُ الحا　　نى أنلْنى بعضَ العزاءِ أنلْنى !
طرق الشك ساحتى مستبداً　　مِن أناسٍ قد خيَّبوا اليوم ظنى
طرق الشك ساحتى يا لضيفٍ　　تركَ القلبَ فى وساوس تضنى
فاحمنى مِن قساوة الشك لِّى　　أجدُ الآنَ ما يُرَفِّهُ عنى
فى سبيل الضلالِ ما ضاع منى　　من جهادى ، ومن شبابى وسِنى

عبد العزيز عتيق

عيـــد البائس

مرّوا على الدّار يومَ العيدِ ضيفانا ... يستمطرون نداها كالذى كانا
والدارُ حين رأتهم مقبلين لهـا ... تعاورتْ فى البـكا أهلاً وبنيانا
لم يترك الدهرُ إلا شيخة عكفوا ... من فاجعات الردى صُمّاً وعميانا
ليت العبـادَ كلابٌ ! إن كلبتنا ... لمّا تزلْ لحفاظ الودّ عنوانا
تحمّلتْ قسطها فى البؤس صابرةً ... لم تشك جوعاً ولم تستجدِ انسانا
مَن كان يحسدنى فليرتقب سحراً ... أنى على الجوع أطوى الأرض حيرانا
ليلتمسنى لدى الخمّار يحبسنى ... بالقسم (١) انا وفى حانوتهِ آنا

* * *

فى غرفتى

أفى غرفتى يا ربّ أم أنا فى لحدى ... ألا شدّ ما ألقى مِن الزمنِ الوغدِ !
وهل أنا حىّ أم قضيت وهـذه ... إهابةُ إسرافيل تبعثنى وحدى ؟
لقد كنتُ أرجو غرفةً فأصبتُـها ... بناءً قديمَ العهدِ أضيقَ مِنْ جَدّى
فأهدأ أنفاسى تـكاد تهدّها ... وأيسرُ لمسٍ فى بنايتـها يُردى
أرى النمل يخشى الناس إلا بأرضها ... فأرجلهُ أمضى من الصّارم الهندى
تساكننى فيها الأفاعى جريئة ... وفى جوّها الأمراض تقتلُ أو تعدى
ترانى بهـا كلّ الأثاث فمعطفى ... فراشٌ لنومى أو وقاءٌ من البردِ
وأمّا وسادانى بها فجرائدٌ ... تُجدّدُ إذ تُبْلى على حجرٍ صـلدِ
تعلمتُ فيها صبرَ (أيّوب) فى الضنى ... وذقت هزال الجوع أكثر من (غندى)
جوارُك يا ربى لمثلىَ رحمـةٌ ... فخذنى الى النيرانِ أو جنة الخُلدِ

عبد الحميد الديب

(١) قسم الشرطة



إليها

أيها الماضي الذي أودعتُه حفرةً قد خيَّم الموتُ بها
أيها الشعرُ الذي كفنتُه مقسماً لا قلتُ شعراً بعدها !
أيها القلبُ الذي مزقتَه صارخاً : عهدُكَ يا قلبُ انتهى!
قسماً ما مات منكم واحدٌ إنها رقدةُ يأسٍ ! إنها !
آهِ لو قام رسولٌ ضارعٌ أو شفيعٌ منكمو يمضى لها !
آهِ مَنْ يخبرها عن طائرٍ نَسِيَ الاوكارَ إلا وكرها !

* * *

كأس كوكتيل

وفى الكأس من ماء الخدود عصارةٌ أحلَّ الهوى للعاشقين شرابها
وما كنت أدرى قبلها أن وجنة تنفَّسُ فيها عاشقٌ فأذابها

* * *

بعد الحب

أرى سمائى انحدرتْ وانطوتْ لا تحسبْ النجمَ هَوى وَحدَهُ
فيا نجومَ الليل لا نجمَ لى ولا أرى لى أفقاً بَعْدَهُ

ابراهيم ناجى

القبلة الممنوعة

يا غلة الصدر من حرِّ الجوى زيدى أبتْ شفاهك حتى بالمواعيدِ
سحريَّة الفمِ لو مستْ بقُبلتها فمَ العييِّ لحلَّتْ كلَّ معقودِ
تكاد من رقةٍ تغرى مقبِّلها أن يحتسيها رحيقاً غير موردودِ
قد صاغها اللهُ لما أشركت أممٌ به، وقال : اشهدوا برهانَ توحيدا!

قل للبخيلة: جودى لا لقيت جوًى ! ... إن كان يشفع لى قولى لها: جودى!
وساعة تحت أفياء الهوى سلفتْ ... يا ساعة تحت أفياء الهوى عودى !
ما ضرَّ لو أنها فى قبلةٍ سنحت ... مَنّتْ بوعدٍ وإن ضنّت بموعودِ ؟
هل حاذرت حرَّ شوقى حين ألثمها ... أن تذبل الورد أنفاسى بتصعيدِ ؟
رحماك لليائس المطول يقنعهُ ... من الوجود خيالٌ غير موجودِ
ظمآن لا رشفاتُ الماء صافيةٌ ... تروى صداه ، ولا بنتُ العناقيدِ
شفاؤه قبلةٌ لو أنَّ محتضراً ... داوى بها الموت ردت غير مردودِ
فكم أقبّل ثغر الزهر من شبهٍ ... بثغرك العذب فى حسنٍ وتوريدِ
عينٌ من الخلد من ينهل بكوثرها ... وردَ الحياة يفز منه بتخليدِ
صوتٌ من القلب أمليه على فمها ... وعهد حبٍّ على الأيام ممدودِ
وللقلوب لغاتٌ ليس يدركها ... سوى فؤادٍ بنار الوجد معمودِ
حديث شوقٍ بلا حرف ولا كلمٍ ... تفضى به شفتى للخدّ والجيدِ
معنًى من الحبّ يسمو أن أؤدّيَهُ ... بكلّ لفظٍ من الألفاظ محدودِ
اللفظُ ينقل بالترديد موقعُه ... وتلك تحلو معانيها بترديدِ
دع الرسائلَ فيما لا تحيط به ... تلك اللغات ودعْ صوغَ الأناشيدِ
فللشفاهِ على أمثالها لغة ... أحلى على السمع مِن مزمارِ داودِ
أدّت على القلب ما يعيا اللسانُ به ... كمنطق الطيرِ غرّيدٌ لغرّيدِ
كم قبلةٍ لا أرى الدنيا لها ثمناً ... فلا تَبعْ غير معدودٍ بمعدودِ !

أحمد الزين

فتنة الروح

الى فتاة الاحلام الباذخة العلو

يا طريرَ الشبابِ فى مَيعةِ العمرِ ... وريحانةَ الأمانى البهيّةْ !
مَنْ أذابَ الجمالَ والسحرَ فى فيك ... وهذى البدائعَ القدسيّةْ ؟

شهدَ الحسنُ ما عبدتُ سِواهُ في خُدُودِ فتانةٍ خمريَّهْ
جُمِّعتْ حولك المفاتنُ تُغرى وتغنتْ لحونُها الأبديَّهْ
أنت ضوءٌ منغمٌ سرمديٌّ طافَ بالروح في سماء عليَّهْ
أنت صهباءُ شاعرٍ باتَ يزجى لك أنشودة الغرام السنيَّهْ
أنت فجرٌ معطرٌ لؤلؤىٌّ ذائبُ الطلِّ في الزهور النديَّهْ
أنت لحنٌ موقَّعٌ في الدياجى فوق نايِ المحاسنِ العُلويهْ
رنَّ في حالكِ السكونِ صَدَاهُ مُستثيراً منى الدموعَ العَصيَّهْ
أنت يا موقظ الغرامِ ملاكٌ صِيغ مِنْ رقَّةٍ لروح شقيَّهْ
أنت فجرُ الحياةِ في صَفحةِ الحبِّ وذكرى مِنَ المُنى الذهبيَّهْ

حسن محمد محمود



انداء القلب

(إن أقلّ العاشقين حباً يظل سيد الآخر)

مهدُ الغرام معطّلٌ (بالمنيلِ)[1] وصمدتَ أنتَ اليه لم تتحوّلِ
ودعاكَ صحبك للمسير فلم تشأ عيناك بُعدَ حنانه المتمثّلِ
وتركتَ نفسك بالخيال حياله تطويه طيَّ التائهِ المتعجّلِ
أسوان كالأمل المخيَّب تائهاً في نفس مَنْ أمّ السراب ليجتلى
حيران .. تبسمُ ثم تبدو عابساً كالومض في جوف الظلام المسدَلِ
وتُخال بسّاماً وأنت محطّمٌ كالورد جفَّ وطاف ذكرُ البلبلِ
لولا اختلاجُ العين منك وأنةٌ لحُسِبتَ تمثالاً لروح المبتلى
عتبٌ يفيضُ وداعةً وعذوبةً كالزهر مال الى النسيم المقبلِ
وتفيضُ تحناناً شجياً ماثلا في دمعةٍ كندى الصباح المرسلِ
وتئنُّ كالصوت الحزين وقد جرتْ ريحٌ خلال الشاطىء المتأكلِ
أو صوتُ إعصارٍ يهبُّ محطماً في الليلِ صومعةَ الحزين المختلى

محمد اصحد رجب
(المحامى)

(١) المنيل : جزيرة المنيل المشهورة بالقاهرة

ثورة القلب

لكَ يا حبيبَ الروحِ ما تَـهواهُ فارحَمْ محبَّكَ واستمعْ نَجواهُ
يا فتنةً للناظرينَ وساحراً تاهتْ عُقولُ الناسِ فيكَ وتاهوا
قدَّمْتَ لى كأسَ الهوى فشربتُه وشربتُ من خمرِ الرِّضا أحلاهُ
لكم التقيْنا يا حبيبي والهوى فى نفسنا يسرى بها مَسْرَاهُ
بين المروج الناضراتِ يضمنا صدرُ الحنين وقلبهُ ويَداهُ
كم مَرَّةٍ والليلُ أرخى ستره والبدرُ أرسلَ للوجود سناهُ
والكونُ نام وكلُّ شيء هاجعٌ وأنا وأنتَ سواهرٌ والله
والنيلُ يسبحُ هادئاً متباطئاً تحنُو عليه مروجُه ورُباهُ
وكأنَّ أعناقَ النخيل تمايلتْ طرباً لسحرِ جمالهِ ورُواهُ
ما أجملَ الليلات فى ظلِّ الهوى ورياضه ونخيله وسماهُ
بدْرٌ يطلُّ ونحْنهُ إلفان حوْ(م) لهما رُبًى وحدائقٌ ومياهُ
لمَ يا حبيبي لم تصن عهدَ الهوى؟ أنسيتَه وقريبةٌ ذكراهُ؟
يا شدَّ ما ألقى وأكتمُ زفرتى وأقولُ إنى فى غدٍ سأراهُ
بعد الغدُ المنشودُ وانقطع المنى واليأسُ شاع بمهجتى معناهُ
عد للمحبِّ يعــــد اليه هناه قد طال يا روحى عليك نِداهُ
كم كنت تضحك إن سمعت وشاية مِن عاذلٍ واليوم .. وا أسفاهُ!
اليوم تتركنى فتترك مقلة تبكى، وقلباً خافقاً بجواهُ
يا هاجرى آمنتُ أنك ساحرٌ سلبت رقادَ نواظرى عيناهُ
ما كنت قبل هواى الا دمية مجهولة واليوم قيل إلهُ
قد كنتَ مغموراً وحسنك نائياً قصرت عيون الناس عن مرآهُ
لما عشقتــك منحتَ الدنيا لنا وتحدثت بجمالك الأفواهُ

أنا من أشدتُ بحبك السامى أنا وجَلوْتُ فى شعرى لهم معناهُ
وزففتُ حسنك للوجود يحفه نغمُ القريض وسحرُهُ وضياهُ
أسبلت من شعرى عليك غلالة فتطلعتْ لك أعينٌ وشفاهُ
يا هاجرى أخشى عليك من النوى فتعالَ قبلَ وقوع ما أخشاهُ
فى القلب بركانٌ وإنْ يك هادئاً فغداً سيطلق نارَه ولظاهُ
وغداً تثور جوانحى بسعيرها وغداً يضلُّ القلبُ عنْ مثواهُ
وغداً ستعلم ما هوايَ وقدره وغداً ستذكر كلَّ ما تنساهُ
وغداً ترى الدنيا عليك تقلبتْ وتكاثرت مِنْ نوْعك الأَشْباهُ !

مأمون الشناوى



امس !

يا حبيبى بَردُ العِقدُ ولم يبرد على الرشف — صداىْ
وانقضى أو أوْشكَ الليلُ ولمّا أقض مِن فِيكَ مُناىْ !

* * *

آه ما أحلاكَ فى قلبى وعينى وذراعى ولسانى !
ليتنى أفنى بعينيك فأحيا فى نعيمٍ غير فانٍ !

* * *

لو عبرْنا الدّهرَ ضماً واعتناقاً لا أرى يُشفى غليلى
ياحياتى ! ساعةٌ تعدل منك الدهر ليست بالقليلِ !

* * *

أنت دنياى ودينى ومعادى وضلالى وهداى
ليت شعرى عنك يا روحى أنفسى أنت أمْ أنت سواىْ ؟

* * *

يا حياةَ الرُّوح هل صاغك ربّي من فؤادي وهواهْ
أم براني الجسدَ الهامدَ مَنْ أودعَ لي فيكَ الحياهْ ؟

* * *

ذاك أوهذا فانا مهجةٌ واحدةٌ في جسدينْ
فاذا نحنُ أعتنقنا فتُصَلِّ ضمَّ لله اليدينْ !

* * *

واليوم !

وانطوى العهدُ ، وأفردتُ لأشقى عائشاً في نصف روحِ
ليته نصفٌ سليمٌ غير ممنيٍّ بأشتاتِ الجروحِ !

* * *

فلأمتْ بعدكَ كي ألقاكَ ، أو فلأحْيَ بالذكرى لحين
وعزائي في يقين أنني ألقاكَ في دار اليقينْ

علي احمد باكثير

في بيداء الذكرى

تبدّتْ شموسُ الوجدوانمحق الصبرُ وأطربني ماضٍ يهيّجه الذكرُ
ولاحت رسومُ الحبّ حمراً كأنها مقاييسُ نيرانٍ بليلٍ ولا بدرُ
فهل من دم العشاق تُروى رسومُه وهل من سنا الآهات يلتهب القفرُ ؟
هنالك ريحانُ الشباب ممزّقٌ وثَمَّ فِضالٌ للفتوة مُنْطَرٌ
قضينا به حيناً نُداري به الهوى وشِمنا به حسناً يخِرُّ له السحرُ
يذيع رسولُ الحب فينا رسالةً : عزوفٌ عن التقبيل في شرعها كفرُ
وتعمى عيون لا ترى الحسن نورها ويحرق قلبٌ ما عليه له قسرُ

أقمنا منار الشوق والحبُّ مدلجٌ فلم يعره عسرٌ ولا نابهُ هجرُ
إذا الدهر عادانا ففى الحب ناصرٌ أو اللهو ناداناتنزى بنا الصبر
لنا من مُسباحات الطبيعة شافعٌ ومن دولة العشاق ذو شوكة ٍ بَر
ومن عنفوان الحبِّ هادٍ وحافزٌ اذا نحن أذنبنا وضاق بنا الأمرُ
فكم من ليالٍ أغمض الدهرُ عينه بها عن مَلاهينا وفى قلبه جمرُ
تشبُّ بها الأشواق شبّاً مروّعاً فتطفأ حتى ما يحسُّ لها إثرُ
عناقٌ وتقبيل وضمٌّ ورقة وسكر حديث ليس يشبهه سُكرُ
فنثمل حتى لا نرى غيرَ جنةٍ جناها الهوى الريانُ والملتقى الزهرُ
يُصيخ الينا الدهر من برج سجنه فيسمع ما فيه السعادة والنصرُ
كففنا عداءَ الدهر عن أمنِ حبنا وأهنأُ حبٍّ ما يكفُّ به الدهرُ

* * *

يقولون لى :بالغت فى وصف حبها فقلت لهم : كل الذى قلتهُ نَزْرُ
أغار عليها أن تكلم واحداً وإن بسمت للناس أدركنى عسرُ
وتظلم نفسى إذ تغيب فانها أضاءت لىَ الدنيا فطاب لىَ العمرُ
وربتما ثار الدلالُ برأسها وأيّده روحُ الشبيبة والمكرُ
فتنفر منى كى أراها عزيزةً وأسمع عنها ما يراد به الزجرُ
ويظهر لى منها إباءٌ وقسوةٌ وتمنعُ حبي أن يكانفه اليسرُ
وما كنت بالمغضى اليها توددى ولكنها ودَّت فكان لها الأمرُ
وأحسبها جدَّت فأنصاع تائباً وأهجرُها فاللومُ يأنفه الحرُّ
وآسى على ما قد أضعت بحبّها وأطفىء قلبي كى يقرَّ به الصبرُ
فتغضب منى غضبةً لا أرى لها مُزيلاً سوى أن يوقد القلب والعذرُ
فأصبح ذا ذنبٍ وقد كنتُ معذراً وأرجع مهزوماً وكان لىَ النصرُ
وتظهر لى حباً يرينى خُلوجَها لنلمي فيهتاج التشوّقُ والجبرُ
فأغفرُ ما قالت وأنسى الذى أتت ويدرك حبي بعد موتتهِ النشْرُ

* * *

أخادع نفسي بالتناسي لعلهـــا ... يهون عليها الحبّ أو يبدل الأمرُ
وأصرف بالي أن يطور بذكرها ... مخافة أن أشقى ويطغى بيَ العسْرُ
فوالله مُذْ خادعت نفسيَ أمعرفت ... بتحنانها المضنى وزاد بهـا الشرُّ
فقولوا لها إنْ تحتمل شدَّة النوى ... فانى لذو حزنٍ يهونُ به القبرُ



مصطفى جواد

أهان عليها أن يرى الناس أنني ... على حالةٍ يأسى لهـا الشامتُ الغرُّ
هو الحبّ لا نارٌ فأرجو خمودها ... هو الشوق لا قصدٌ يعين به الصبرُ

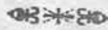
* * *

شيباتي المبتسرات

لُحنَ مثل النجوم فى الظلماء ... فهـدينَ الأسى الى سرّائى
ولقد كنتُ قبلهنّ منيعاً ... فتداعَى حصنى وطاحَ لوائى
لم أجد من بياضهنّ شـفيعاً ... فبياض الأكفانِ للأرزاء

حُجج لانقضاء عهدِ شبابى ناطقات لدى احتجاج القضاء
كلما رمت خضبها أوعدتنى بنماء يزيل ستر الرياء
هن فى موطن النُّهى[1] كسيوف مصلتاتٍ لقطع كل هناء
إن تنزّى فى القلب لهو فأبرة ن له خزٌ صاعق الاغماء
نذر الهمّ واقتراب المنايا وارتحال الصّبا وبعد الفتاء

باريس : مصطفى جواد



عهد المياه

(مهداة الى الدكتور ابى شادى)

تظلُّ تعاودنى الذكرياتُ وترقص فى خاطرى كل حين
وتضحك فى القلب مجنونةً بعهدِ المياه ! فهل تذكرين ؟

* * *

هناك على الشاطىء اللؤلؤىّ وتحت مظلتك الوارفهْ
جلسنا نغنى نشيد الغرام على نغم الموجة العازفهْ
وتسعى الينا قلوبُ الميـاه ، لتسمع ما تنشد العاطفهْ
تودُّ المويجات لو داعبتنا وفاضت على روحنا الهاتفهْ
فتلقى مؤامرةً فى الرمال فترتدّ للبحر كالخائفهْ
وتشتعل النار فى جسدينا وتلهبها الشهوةُ العاصفهْ
فنمضى لنطفئها فى المياه فتهتزّ فينا اهتزاز الحنينْ
وتضحك فى القلب مجنونةً بعهدِ المياه ! فهل تذكرين ؟

* * *

فذوّبتُ قلبيَ فى قطرةٍ وذوّبتِ قلبكِ فى أختها
ووحدتْ الشهوةُ القطرتين فبدّدتا السحب عن كبتها

(١) هو الرأس كما جاء فى شعر أبى تمام.

واطلعتـــاها مجوســـــيةً تحشرجت النارُ في صوتها
فرحنا إلى صخرةٍ في المياه أجادت يد البحر في نحتهـا
ولم نُبقِ ساكنةً في النوازع إلا عـدونا على بيتهـا
نكفر عن عهد حرمانهـا ونصرخ بالبعث في ميتها
فغنتْ مع الصيف حتى انتهى فعادت الى يأسها تستكين
وتضحك في القلب مجنونةً بعهدِ المياه ! فهل تذكرين ؟

* * *

فيا جسداً أفرغ الله فيــه أجـــلّ نهاه وألوانهِ
وأنزله نـيراً كالرســـول وأوحى اليـــهِ بقرآنهِ
سجدتُ لتمثاله العبقريّ وطهّرتُ روحى لفنـانهِ
فكم آية في ثنـايا العيونِ تردّ الشرودَ لايمـانهِ
ويا هيكلا للهوى والشبابِ وهبتُ الحيـاة لأوثانهِ
وأحرقتُ روحى وقرّبتهـا بخوراً يهيـــم بأركانهِ
تعـاودنى خطرةٌ عـذبةٌ تجوس خلال مكانى الحزين
وتضحك في القلب مجنونةً بعهدِ المياه ! فهل تذكرين ؟

صالح جودت

البيت الموحش

تحدّثْ وثُرْ يا بيتُ ثورةَ حانقٍ وجدّثْ ففى قلبي رنينُ الخوافقِ
تحدّثْ عن الذكرى وقصّ حديثها ففى قلبيَ المكلومِ زفرةُ وامقِ

* * *

لئن كانت الذكرى تقرّبُ ساعتى وتحبس أنفامى وتخرس ناطقى
فانى فداء الحب والموت أرتجى لعلى أرى في الموت راحةَ عاشقِ!

محمد مصطفى المليجى

الزورق المحطم

(من ديوان « الغمائم » المعدّ للطبع)

بكى الشاعرُ بهذا الموشح زورقاً كان مسرحاً لملذاته ونزهاته مع حبيبة قضى عليه أن يهجرها ، وقد حطمت العواصف هذا الزورق الصغير على صخور جزيرة الحب (إيليادوس اموريس) وهى من الجزر المشهورة بجمالها فى عاصمة البرازيل يؤمّها العاشقون للنجوى

طافياً والريح فى تحطيمه لاتنى ـ والموج يرغى ويفورْ
كافح التيارَ حتى لم يَعُدْ من سبيلٍ يتقى سوءَ المصيرْ
فاحتواه الشطُّ ، لكن قِطعاً بعثرتها الريحُ مابين الصخورْ
تهمس الأمواجُ فى أخشابهِ همسات الفأس فى الغاب الكبيرْ
رُبَّ سرٍّ صانه الموجُ الى زمنٍ باح به للزورقِ
انما الناس سفينٌ تائهٌ فى عباب الدهر رهن الغرقِ !

***

أيها الزورق ! كم من نزهةٍ فى حواشى الليل تُغرى الشفقا
كنتَ للذَّة عشاً دافئاً كنتَ للآمال روضاً مورقا
كنت دنيا الحبّ بل جنَّتَها لحبيبين عليك اعتنقا
قطع الفجر شراعاك اذا صفقت كفُّ النسيم اصطفقا
والمنى أغنيةٌ مسكرةٌ يختفى فيها أنينُ الألمِ
والهوى كأس لذيذ ، انما فى قرار الكأس طعم العلقمِ !

***

كنتَ كوخَ الحب بل قصر المنى يوم زيّناك بالشىء العجبْ
يوم ليلى عقدت من شعرها بمجاذيفك أسلاك الذهبْ

وحبتك الورد فى ألوانه ... حُللاً تسطع بالشمس لهبْ
زينةً فى عُرُس الوصل على ... قُبَلٍ تسترقص الموج طربْ
يا لها من ذكريات حلوة ... تختفى (ليلاى) فيها وتعودْ
فيرينيها الهوى ماثلةً ... تحت ضوء البدر فى الشاط البعيد!

* * *

ها بناءُ الفجر فيما زركشت ... فوق بُسْط الرمل من شتى الصُّوَرْ
والمجاذيفُ التى خطَّت على ... لوحة الأمواج آياً وسُوَرْ
والتماثيلُ التى شِدنا على ... مذبح اللذة فى ضوء القمرْ
قد محاها الليل فى قسوته ... فتلاشت أثراً بعد أثرْ
هكذا الأحلام فى عهد الصِّبا ... بعد ما حنطها القلب الكئيبْ
قد توارت فى دجى الذكرى كما ... تتوارى الشمسُ فى نعش المغيبْ!

* * *

أيها الزورق فليطغ الدجى ... وليئنّ الموج ولتعوِ الرياحْ
هل ترى الصياد يخشى بللاً ... بعد أن اعياه فى اللجّ الكفاحْ
هل يبالى الطير والزهر ذوى ... ان غدت أنغامه الفرحى نواحْ
ما عَنى الروضة إن جردتها ... من سناها ـ غاب أم لاح الصباحْ
أيها الزورقُ ما أوجعنى ... انّ أحلامىَ ولّت كالربيعْ
مثلما أوجعنى أنى أرى ... كهف لذاتىَ محطوماً خليعْ!

ريودي جانيرو : ... شكر الله الجر

(صاحب الاندلس الجديدة)



ذكريات

حينما كنّا على عرش الهوى وتعلقنا بأذيال المُنى
هتف الليلُ بنا أنْ أسرعوا قبل أن يأتيكمُ عهدُ الضنى

***

شهد الليلُ علينا أننا في رياض الحب كنا راتعينا
شهد النجمُ علينا أننا في انتهاب السهد كنا مسرفينا
شهد الروضُ علينا أننا من زهورِ الوجدِ كنا قاطفينا
فغدا الليلُ صباحاً مسفراً يخجل الشمس ضياءً وسنا
فنود الليلَ يبقى سرمداً ونهاب الصبح إن وافى لنا

***

حينما بتنا على عرش الهوى فغدا العالمُ لا شئ لدينا
ليس الا الحبّ فيه ماثلاً نعبد اللقيا ونخشى بَعدُ بينا

***

أقبلت تحت الدجى من خوفها تسرع الخطوَ وتخشى الرقباءْ
وبدا ثغرٌ لها فى بسمةٍ جعلت ذاك الدجى صبحاً أضاءْ
رحمة الله لها مِن مهجة فقدت غير فؤادى الرحماءْ
فرض الناس عليها رأيهم ورأت فى صدّها كذباً ومينا
وافقتهم فى خداعٍ وانثنت لتقول الحبُّ ياذ الحب أينا!!

***

حينما بتنا على عرش الهوى صمتَ الكونُ وكنا ناطقينا
شفّها ماشفّ جسمى من جوى فالتقينا وافترقنا خائفينا

***

كلما آلمنا جرحُ الهوى ضحك لحسنُ وكلٌّ فى عناده

كلنــا من جرحــه فى ألمٍ ويرى الحَينَ على كفٍّ بعادهْ
نفـذ الصبر فصرّحنـا ولم يتمكن ذو رشادٍ من رشادهْ
فغرقنــا بدموعٍ لججٍ مذ غـدونا بهوانا عالمينـا
لست أنسى ليلة بتنا بهـا بكؤوس الوجـد غرقى ثملينا

***

حينما بتنـا على عرش الهوى صمت اللفظ وناجتنى العيونُ
أسفاً ! لم أدر يوماً أن ما أوحت الألحاظ للقلب المنونُ

***

نظرت نحوى وأوحت بالوداع نظرة طالت وطالت واستقرتْ
فتنهـدت ولم أملك دموعاً هى فوق الخد كالغيث استهلتْ
عجباً للوصل كم ولى سريعاً ولياليه سنا البرق تولتْ !
وانقضى العهد فلا شىء سوى ذكرياتٍ هى فى القلب شجونُ
ذاب منها الجسم يا صاح جوىً قائلاً للحين : أيان تحينُ ؟

عبد الغنى السكنى





تكريم الدكتور ناجى

(هذه هى القصيدة التى ألقاها الدكتور ابراهيم ناجى وكيل جمعية أبولو فى الحفلة التكريمية التى أقيمت لمناسبة صدور ديوانه وقد أشرنا اليها من قبل)

يا صفوةَ الأحبابِ والخلانِ ... عفواً اذا استعصى علىّ بيانى
الشعرُ ليس بمسعفٍ فى ساعةٍ ... هى فوق آىِ الحمد والشكرانِ
وأنا الذى قضّى الحياةَ معبراً ... ومترجماً لخوالج الوجدانِ
أقفُ العشيةَ بالرفاق مقصّراً ... حيران قد عقدَ الجميلُ لسانى
يا أيها الشعرُ الذى انطلقت به ... روحى وفاض كما يشاء جنانى
يا سلوتى فى الدهر ، يا قيثارتى ... مالى أراكِ حبيسةَ الألحان ؟!
أين البيانُ وأين ما غنيتنى ... أيام تنطلقين دون عنانِ ؟!
نجواكِ فى الزمن العصيب مخدّرٌ ... نامت عليه يواقظ الأشجانِ
والناسُ تسأل ، والهواجسُ جمةٌ : ... شعرٌ وطبٌّ ، كيف يتفقان ؟!

* * *

الشعرُ مرحمةُ النفوسِ وسرُّهُ ... هبةُ السماء ومنحةُ الديانِ
والطبُّ مرحمةُ الجسومِ ونبعهُ ... من ذلك الفيض العلىّ الشانِ
ومن الغمامِ ، ومن معينٍ خلفهُ ... يجدانِ إلهاماً ويستقيانِ

* * *

يا أيها الحبُّ المطهّرُ للقلو ... بِ وغاسلَ الارجاس والأدرانِ
ما أعظمَ النجوى الرفيعة كلما ... يشدو بها روحان يحترقانِ !

أنِفا من الدُّنيا وفي جسديهما ... ذلُّ السجين وقسوةُ السجّانِ
فتطلعا نحو السماء وحلّقا ... صُعُداً الى الآفاق يرتقيانِ
وتعانقا خلفَ الغمام وأترعا ... كأسيهما من نشوةٍ وحنانِ

* * *

أكتُبْ لوجهِ الفنِّ لا تعدلْ به ... عرضَ الحياة ولا الحطامَ الفاني
واستلهم الأُمَّ الطبيعةَ وحدها ... كم في الطبيعة من سريِّ معاني؟
الشعرُ مملكةٌ وأنتَ أميرها ... ما حاجة الشُّعراء للتيجانِ؟
(هومير) أمَّره الزمان بنفسه ... وقضت له الأجيال بالسلطانِ

* * *

اهبطْ على الأزهار وامسح جفنها ... واسكب بذاك لظامئٍ صديانِ
في كلِّ أيك نفحةٌ وبكل روض ... طاقةٌ من عاطر الريحانِ

ذكرى الشابي

في التاسع من شهر اكتوبر المنصرم مات بذات الصدر أبو القاسم الشابي شاعر تونس الفذّ ومن نوابغ شعراء الشباب في العالم العربي. وُلد أبو القاسم في «توزر» ودرس القرآن في جامع الزيتونة، وحصل على شهادة الحقوق من كلية الحقوق التونسية وقضى حياته كلها في تونس لم يبرحها، ومنحها عصارة روحه وذهنه في روائع قصيده في الوطنية والحديث الى الشعب بآلامه وآماله، حتى وهو في (طبرقة) يصارع الدّاء الذي صرعه. ولكن الشابي مع ذلك لم يكن فقيد تونس بمفردها لتبكيه، بل كان فقيد العالم العربي بأجمعه، فكان لزاماً على مصر والعراق وسوريا وبلاد العرب أن تبكيه كلسان من ألسنة الشرق التي وقفت للغاصب، وهبطت من عليائها لتتحدث عن الحرية وتدعو اليها. ولكن العالم العربي الذي بكى الشابي يوم أن نعاه النعاه نسي الشابي عند ما مرت بموته ساعات، ونسيت كل أمة بضحاياها فقيد

العرب ، وكان كل ما قدمته تونس للشاعر الفيلسوف حفلين أقيم أولهما فى الحادية والعشرين من أكتوبر والثانى (موسم تأبينه) فى الثالث والعشرين من نوفمبر ، وكان نصيب الشاعر الفيلسوف حفرة من الأرض فى الوطن الذى ضاق به ، وكانت هكذا نهاية الشاعر الذى قال :

« فتهافتُّ — كالهشيم ـ على الأرض »
« وناديتُ : « أين يا قلب رفشى ؟ »
« هاته ، علّنى أخطُّ ضريحى »
« فى سكون الدجى ، وأدفن نفسى ! »

وقد وافانا بريد تونس الأخير بحديث طويل عن الحفلين فى رسالة وُسمت بعنوان « ذكرى الشابى » نشرها صديقه الأديب الطيب العنابى خريج جامعة الزيتونة الأعظم ومدرسة ابن خلدون . . وعدد من مجلة (العالم الأدبى) التى يصدرها الصديق الألمعى زين العابدين السنوسى . وفى العالم الأدبى قرأنا حديث حفل التأبين : الموسم الذى جمع أدباء تونس وشعراءها للاحتفال بذكرى الشاعر النابغ . وفى ثانى الحفلين — موسم التأبين — ساهمت الأمم العربية فرادى فصدح صوتٌ من القاهرة نيابة عن جماعة أبولو ومحبى الشابى بمصر فى قصيدة رائعة للصديق الشاعر مختار الوكيل فأشجى سامعيها ، وغرّد صوتٌ من لبنان فى قصيدة للشاعر حليم دموس فأبكى ، وقرئت رسالة سورى من القاهرة بعث بها الصديق الأديب الناثر حبيب جاماتى فناب قلمه عن قدمه وتحدثت كلماته بعبراته .

وقد أقام الحفل الأول جماعة الشبيبة المدرسية التونسية فرع جمعية قدماء الصادقية وافتتحها السيد الصادق المقدم رئيس الشبيبة المدرسية بكلمات مؤثرة فى الحثّ على تخليد ذكرى الشابى ، وخطب فى الحفل السادة محمد العربى أحد طلبة جامع الزيتونة والصحفى الطيب بن عيسى صاحب « الوَزير » الغراء ، والصادق حمادة ، ومصطفى خريف ، ومصطفى التملاغى ، ثم قرئت كلمة نثرية للشاعر محمود ابى رقيبة وقصيدة للشاعر السيد مفدى زكريا ، وارتجل الشيخ مصطفى المؤدب المتطوع بجامع الزيتونة بحثاً بليغاً عن مظهر البؤس فى شعر الراحل الكريم ، وتحدث عن تبرُّم الشابى بالحياة فى قصيدته التى جاء فى مطلعها :

يا صميم الحياة ؟ انى وحيدٌ مدلج تائهٌ فأين شروقك ؟

يا صميمَ الحياة ! أنى فؤاد ضائعٌ ظامىءٌ فأين رحيقُك ؟
يا صميمَ الحيـاة ! قد وجم النايُ وغام الفضا فأين بروقُكَ ؟
يا صميمَ الحيـاة ! أين أغانيك ؟ فتحت النجوم يصغى مشوقُكْ

والتى جاء فيها :

سأمٌ هـذه الحياة مُعادٌ وصباحٌ يكرُّ فى إثر ليلِ
ليتنى لم أفد الى هـذه الدنيـا ولم تسبح الكواكبُ حولى
ليتنى لم أزل كما كنتُ ضوءاً شائعاً فى الوجود غيرَ سجينِ

ووقف الأديب الفاضل عند هـذا الحديث من التبرم والضيق ، وهـذا التبرم كبير الصلة بما رُمى به الشابى فى حياته من زندقة وما اتهم به من الحاد . فالناس لم يفهموا فلسفة الشابى حيـاً ؛ فلمـا مات نسوا زندقته وإن كانوا لم يفهموا فلسفته بعد ، فأقيمت له حفلات التأبين وأشيد بفضله على الشعر فى عصر التطور والتجديد .

وأقيم حفـل التأبين فى القاعة الكبرى لمسرح الجمعيات بشارع باريس فى تونس وخطب فى هذا الحفل السادة محمد الصادق ما زيغ وزين العابدين السنوسى ومحمد الفائز القيروانى ومحمد الحليوى ومحمد عبدالخالق البشروش ومحمد بدره والبشير القرنى ، وأنشد الشعراء الأفاضل محمود بيرم ومحمود أبو رقيبه وجلال الدين النقاش ومحمود الرخصى ومفدى زكرياء مراثيهم ، ثم تلقيت مراثى أدباء الأمم العربية الذين احبوا الشاعر حياً فتوافروا على رثائه ميتاً ، من ذلك جاء فى قصيدة الشاعر مختار الوكيل :

يا صاحبَ الناى الذى أنغامهُ فِتَنُ الربيعْ
ومحرك الآمال والآ لام باللحن الرفيعْ
ومعانق الشفق المذهّب فى خيالات القصيدْ
هجبى لصمتك والصباحُ ضياؤه يُغرى الفنونْ
والصادحاتُ الوادعاتُ طفرن ما بين الغصونْ !

وبعث الشاعر حليم دموس من الجبل مرثيته وفيها يقول :

الى تونس الخضراء من أرز لبنانِ لواعج أشجانٍ وآيات تحنـانِ
سلامٌ عليهـا فهى دارُ أحبة ومجمعُ آدابٍ وشرعةُ عرفانِ

* * *

أبا القاسم الشابي عليك تحيةٌ من الأرز من سنين من أرض لبنانِ
ومن كل مصرٍ يعشق الضادَ أهلُه ومن كل قطرٍ يزدهي باسم عدنانِ
فنم في ظلال الخلد فاسمك خالدٌ يردده التاريخ في العالم الثاني

وكان خير ما قيل في رثاء الشابي الدراسة القيمة التي ألقاها السيد محمد الحليوى ، وقد جاء فيها عن قدسية الشعر : « وليس في ديوان الشابي بيت واحد قاله فى غرض من الأغراض الزائلة أو فى مطلب من المطالب العارضة أو فى خصوصية من الخصوصيات أو فى شخصية من الشخصيات بينما لا يخلو ديوان معاصريه فى الشرق العربى من قصائد فى الاخوانيات والخصوصيات ، هذا إن لم تكن فى توديع المسافر ، واستقبال القادم ، وتكريم الممثلة والمغنى ، والبانى والمتصدق ، وحتى الناجح فى مباريات لعب الكرة . وهذا هو فضل الشابي على الشعر العربى الحديث وعظمة قصيده كانتاج شاعر فرد ، فقد ضرب الشابي للشعراء أحسن الأمثال فى الخروج بالشعر عن الأغراض الدنيوية ، وايقافه لحديث السياسة ، وبثّ روح الوطنية فى قلوب أبناء الوطن المنكوب للدفاع عن حريته ، ولم ينصرف الشابي الى الدنيا حتى فى حديثه عن المرأة . وللمرأة فى شعر الشابي نظرة جديدة : فالمرأة فى الأدب العربى ملهاةٌ يجد الرجل عندها متعة الجسد ، والشاعر فى الأدب العربى القديم والحديث اذا ما تحدّث عن المرأة ذكر الخصر والردف والقامة والعينين والفم والوجه ، ولكن الشابي رآها النصف الجميل الذى يحمل فى قلبه رحيق الحياة . وجمال المرأة فى نظر الشابي طيف من ضوء الجمال الكلى فى الوجود . واسمعه يقول فيها :

أنتِ ! ما أنتِ ؟.. أنت رسمٌ جميلٌ عبقريٌّ من فنِّ هذا الوجودِ
فيكِ ما فيهِ من غموضٍ وعمقٍ وجمالٍ مقدّسٍ معبودِ

وقد عرض السيد محمد الحليوى الى أثر لامارتين فى شعر الشابي وخرج بهذا على زعم أن الشابي قد قرأ كل ما عرب للامارتين وخصوصاً (روفائيل) وقاس الصلة بينهما بقياس التشبيه الذى تماثلا فيه قال : « فالشابي شبه الطبيعة بالمعبد ولامارتين شبه السماء بالمعبد والسحاب بالبخور والنجوم بالشموع التى تضىء ذلك المعبد ، على أنى أعتقد أن الصلة بعيدة فالشابي كان أبداً أسمى معنى من لامارتين ، فهذا يقول فى

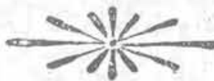
قصيدته (البحيرة) : « أيتها الأرض فى دورانك ، وأنتِ أيتها الساعات فى جريانك ودعينا نتمتع بعاجل لذاتنا وننعم باجمل أيام شبابنا ! » ولكن الشابى يقول فى قصيدته (ألحانى السكرى) :

قد سكرنا بحبنا واكتفينا   طفح الكاسُ فاذهبوا يا سقاةُ !
نحن نحيا فلا نريد مزيداً   حسبنا ما منحتِنا يا حياة

وأعتقد بالاضافة الى هذا أن روح الشابى لم تتصل الا بروح جبران ، وأن الصلة لم تبد بينهما الا فى الأحزان . وأذكر أننى قلت عن هذه الصلة فى مقالى عن أبى القاسم الشابى الذى كتبته لمجلة (الامام) : « وقلت لك إن الشابى وجبران روح واحدة فى جسدين ، ولكن ليس معنى هذا بحال ما أن الشابى نما على مائدة جبران ، وقد تكون الصلة التى ربطت بين آرائهما ووجهتهما فى الحياة أن كلا منهما عاش حائراً فى الوجود ، وتقرأ للشابى قصيدته (الأشواق التائهة) وتطالع لجبران مقطوعته المنثورة « الشاعر » فتدرك لهذه الحيره عواملها وأسبابها .. »

وبهذين الحفلين انتهت ذكرى الشابى التى دُعى لها فى العالم العربى بأجمعه ، وقد حملت الينا الصحف فى الشهر الماضى بضعة أحاديث عن شعر الشابى لجماعة من أدباء تونس وشعرائها ولكن هذا كله فى مجموعه لا شىء الى جانب جهاد الشابى من أجل العرب والعربية ، وهى تقدمة تافهة مدت يدها بها تونس لشاعرها الفذ بعد أن وُورى فى أشبار من الأرض كانت هى كل نصيبه فى الحياة الدنيا ! رحم الله الشابى ، وعزاء لتونس ، وعزاء للغة الضاد ؟

عبد الفتاح ابراهيم



ندوة الثقافة

مـــذكرة

مرفوعة إلى أصحاب الدولة والسعادة وزراء الداخلية والزراعة والمعارف والمالية

تتشرف ندوة الثقافة بعرض ما يأتى : —

تشمل هذه الهيئة جمعيات مختلفة لخدمة الصناعات الزراعية والاقتصاد والشعر والأدب الشعبي ، ومن أجل ذلك تصدر خمس مجلات هى أبولو والامام ومملكة النحل والدجاج والصناعات الزراعية .

وقد لقيت هـذه الهيئة شيئاً من المعاونة من الحكومات المصرية المختلفة لأنَّ صبغتها الثقافية المستقلة جعلتها دائماً أهلاً لذلك ، ولـكن هـذه المساعدة لم تـكن كافية لموازنة ماليتها فكانت النتيجة بعد مرور هذه السنين تراكم الديون عليها مما يجعلها مضطرة الى ايقاف جميع أعمالها ابتداءً من سنة ١٩٣٥ اذا لم تجـد المناصرة الكافية من الوزارات والمصالح المختصة سواء باعانة مالية أم باشتراكات كافية فى مجلاتها التى هى الوحيـدة من طرازها فى العـالم العربي وتسدّ فراغاً محسوساً فى الثقافة العربيه المنوّعة .

وهناك عامل آخر هامّ له كلّ الاعتبار فى استمرار أعمال الندوة أو ايقافها : ذلك أن مشوراتها الفنية كانت ولا تزال تجد مقاومة عنيفة فى بيئات بعينها من الموظفين بسبب البيروقراطية المتفشية ، على أن أكبر الأمل أن تتحوّل هـذه الحالة فى العهد الجديد الى ما هو أصلح منها ، فلا يرى ذلك الطرازُ من الموظفين أن من الواجب عليهـم تستُّر بعضهم على بعض ولو ضاعت المصلحة العامة ، ولا يرى أىّ غضاضة فى التعاون المشترك بين الفنيين داخل الوزارة وخارجها لخير الوطن .

ولا تتعدّى مالية الندوة اشتراكات المجلات والاعانات المحدودة وكلُّها توضع فى بوتقة واحدة يُنفق منها على جميع أعمالها ، فاذا جاء التقصيرُ فى بعض نواحيها فذلك بسبب قـلة الموارد نسبياً . وأما المحررون وبينهـم سكرتير الندوة فيتبرعون بجهودهم بدون أىّ مقابل . وانَّ هدفنا هو تحويل الندوة الى هيئه تعاونية مساهمة

تحت اشراف قسم التعاون ضمانة لشمول منافعها واستمرارها وأسوة بما هو جار في مملكة الدنمارك بصفة خاصة ، وهذا لا يتحقق قبل أن تنال الندوة ما يكفي أولا من المؤازرة الاعتيادية من فنية ومادية من شتى الوزارات والمصالح المختصة .

لذلك نتشرف بعرض هذه المذكرة على حضرات أصحاب الدولة والسعادة وزراء الداخلية والزراعة والمعارف والمالية تمهيداً لمقابلة وفد من أعضاء الندوة لحضراتهم وكلنا أمل أن تنال العناية التي يستحقها موضوعها وجهودنا في السنوات الماضية وهي خير تزكية لنا ؟

السكرتير العام لندوة الثقافة



نقد وتعليقات

نقد الشفق الباكي

(٢)

يرى الدكتور طه حسين أن النقد الأدبي هو تعبير تأثري يقوم على «الفوضى» وليس أحكاماً قضائية واجبة الطاعة . وكنا نؤثر أن يضع كلمتي «الاستقلال والحرية» في موضع «الفوضى» فالحرية روح الفن الذي تدعمه المواهب والقدرة ، والشخصية عنصر حيوي للفن ، ولكننا لا نستطيع أن نتصور الفوضى من عناصر الفن كما لا نتصور أنه يخدم بترحيب الصحف بكل من هب ودب .

فنحن مثلا نتذوق كتابة الدكتور طه حسين ولوجاءت ضدنا، لأنه أستاذ في نقده له دراساته وله نضوجه، فمهما تكن المؤثرات الوقتية عليه فآراؤه بلا شك جذابة في أسلوبها ، حتى ولو لم تكن مطابقة للحقيقة ، ونستطيع أن نتقبلها ونناقشها . ومثله في مكانته أهل لابداء الرأي النقدي كما أن للصحف أن تحفل الحفاوة الواجبة به مهما تكن ظروفه .

والعكس هو ماينطبق على الشباب الذي يغرر به لتسفيه معلميه . ولكن جريدة

(الوادى) لها نشوة خاصة فى الترحيب بهذا العبث ضدنا . ونحن اذا غفرنا لأحد محرريها المشهورين بالمناوشة والممازحة قوله عن « آراء فى الشعر » : « وهناك رأى ثالث يقول بتحرير الشعر من الوزن والقافية والمعنى واللغة ، وصاحب هذا الرأى وعلى الأصح أصحاب هذا الرأى جماعة أبولو » ـ اذا غفرنا مثل هذا الكلام الذى يقال جزافاً وما يتفرع عنه لانه أبعد ما يكون عن الجد ، فكيف نغفر لصحيفة محترمة مثل (الوادى) تسويد صفحتها الأدبية بكتابات الناشئين المتهجمين عن جهل وغرور على معلميهم ؟ !

ونحن اذا تناولنا بعض هذه الكتابات بتعليقنا فانما ذلك للفائدة الأدبية العامة، لا لأن الكتابات ذات قيمة أدبية فى عناصرها ، راجين فى الوقت ذاته أن نقنع رجال هذه الصحف بخطأ التهاون ازاء ما يسمى بالنقد الأدبى من أقلام الناشئين ، وما هو إلا عين الفساد الأدبى والفوضى والتغرير الجانى على الشباب المفتونين ببارغ الشهرة من أهون سبيل ، ولو على حساب أساتيذهم !

* * *

يلهو ناقدُ (الشفق الباكى) فى جريدة (الوادى) بالكلام عن الشعر المرسل والشعر الحرّ مقتطعاً التعابيرَ اقتطاعاً لتظهر سخيفةً لا رابط لها ولا معنى ثم لينعت ذلك « باللعب الفارغ » ، وهو بين الفينة والأُخرى يبكى على همزة وصل أُبدلت بهمزة قطع دون أن يفهم أنّ فى هذا لفتاً للذهن وتوكيداً خاصّاً لمناسبات فنّية توجب ذلك كالاشارة الى اسم الجلالة (ص ٨٠٣) .

وعزيزُنا هذا يرى أن « ترنيمة أتون » (وهى من نظم الفرعون الشاعر العظيم أخناتون) قد بلغت من التفاهة مبلغاً عظيماً ، وما ذلك الا لجهله بروحها التصوفية التى أكسبتها شهرة عظيمة . و « زيَّن » جهلَه بانتقادِ كلمةِ « حالٍ » فى مطلع هذه الترنيمة (ص ٩٦٣) :

تَبَلَّجُ الفجرِ حالٍ بأُفقِ هذى السَّماءْ

فقال حرسه الله إنّ صوابها أن تُكتبَ « حالياً » كأنما لم يسمع فى حياته بوجوب رفع خبر المبتدأ !

وهو يلعن قصيدة « مملكة إبليس » (ص ١٠٢٣) ويلعن وسْمَها الفلسفىّ ومَراميها لا لذنبٍ جَنَتْهُ سوى طُولها وبُعْدِها عن النظم الايقاعىّ المعبود !

ولو فرضنا أنَّ جميعَ الشعرِ المرسلِ والحرّ الذى فرضناه لم يكن شيئاً مذكوراً فليس هذا بالذى ينهض عُذْراً للسخرية من جميع شعرنا على اختلاف نماذجه ، حتى أدّى التغريرُ بصاحبنا العاجز هذا الى اعتبار قصيدتنا فى « الربيع » (ص ٥٧٤) خاوية « ليس فيها بيتٌ واحدٌ جميلٌ يُشعرك بأنَّ هنالك ربيعاً حقّاً ، بل هى تشعرك بشتاء موحلٍ قذرٍ » فليرجعْ اليها القراء ليروا الى أىّ حدٍّ تهبط الأحكام الأدبية ويبلغ إسفافُ الرأى ، فهذه إحدى قصائدنا التى نوّه بها غيرُ واحدٍ من كبار الأدباء .

وتجىء قصيدة «الشفق الباكى» (ص ٦٤٢) المصوِّرة لمشهد الغروب فى جهةٍ أثريةٍ ، وقد جاء فى مطلعها :

لا الشعرُ شِعرٌ ولا الأوزانُ أوزانُ إنْ فاتَهُ مِن شُعورِ الكونِ ميزانُ

فشاءت ألمعيَّةَ الناقد أن ترى فى البيت خطأ قبيحاً باعادة الضمير فى (فاته) على الشعر ، وأن الأصحّ أن يعود الضمير على الأقرب أو يشملها جميعاً فيقال « إن فاتها من شعور الكونِ ميزانُ » .. ولو تدبر حضرتُه لوجد أنّ فى هذا التوجيه الى « الشعر » معنى الحفاوة الخاصة بروحه قبل «الأوزان » التى تأتى تابعةً .

وفى هذه القصيدة وصفٌ لبعض الآثار عند الغروب كقولنا :

وذلك الهيكلُ المصدوعُ يملؤهُ حُزْنٌ ، وتطفو على مَرْآه أحزانُ
وهذه العُمُدُ — اللاّتى يُشقّقُها ذِكرٌ ووجدٌ — بَرَاها الآنَ تحنانُ
لها الشعاعُ غذاءٌ تستعينُ به على الزمانِ ، إذا لم يَقْوَ إنسانُ
وهذه الشمسُ فى الأجيالِ تحرسُها كأنما هى بَعْدَ الله رحمنُ !

فهل يصدّق أىُّ قارىء له مسكةٌ من الشعور والروح الادبية أن ناقدنا هذا تبلغ به السخافةُ أن يقول إنَّ هذا البيتَ الاخيرَ مسخٌ لبيت العقاد :

والشعرُ مِن نفسِ الرحمنِ مقتبَسٌ والشاعرُ الفذُّ بين الناس رحمنُ

لا لسببٍ سوى أنّ كلمة « رحمن » وردت قافيةً لكلٍّ من البيتين وإنْ اختلف المعنيان كلَّ الاختلاف ؟! ومثل ذلك قوله إنَّ بيتنا فى ذكرى دنشواى (ص ٧١١) :

صادوا النفوسَ كأنهنَّ حمائمٌ واسترسلوا فى الموبقاتِ وجارُوا

مأخوذٌ من قول حافظ ابراهيم :

إنما نحن والحمامُ سواءٌ لم تغادر أطواقُنا الأجيادا

والبيتُ الأول يشير الى صيد النفوس كصيد الحمام ، والبيت الثانى يشير الى حالة الأمر التى عاناها المصريون . والاشارة الى « الحمام » طبيعية فى الموقفين وليست تقليدية ، كما أنّ المعنيين مختلفان لكل ذى بصرٍ بالشعر .

وقضَى تمحُّكُ ناقدنا الألمعى بأن يرى فى مستهلّ قصيدة « النقد السليم » (ص ٧٣٠) انتهاباً لشعر أبى الأسود الدؤلى . فأمّا مستهلُّ قصيدتنا فهو :

إنْ تَطلبْ النقدَ السليمَ فلا تكنْ متحاملاً أو جاهلاً وعجولاً

إبْدَأْ بنفسكَ مرشداً ومهذّباً وتَلقَّ مِن درسِ البيانِ أُصولاً

واعلمْ بأنّ الفنّ غيرُ روايةٍ للفظِ كم نُشِرَتْ عليكَ فصُولاً

تَتعاقبُ الاجيالُ وهى بعينها وتَدومُ مُلقاةً عليكَ فضُولاً

وتنوّعُ الاصباغَ وهى مَريضةٌ فيَخالُ مظهرَها الغبيُّ جميلاً !

وصاحبُنا العزيزُ يَرى أنّ البيتَ الثانى أو شطره الأول مأخوذٌ من قول أبى الاسود الدؤلى :

إبدأ بنفسكَ فانهَها عن غيِّها فاذا انتهتْ عنه فأنتَ حكيمُ

وفاته تقدير التعابير الانسانية المشتركة فى المعانى العامة التى ليست من صميم الشعر ، ولكن حيلة العاجز المتعنّت أن يتمسّح بالنقد كما يفعل صاحبنا غافلاً عن الروح الشعرية المسيطرة على القصيدة وعن غاياتها !

ويروقه أن يؤاخذنا لترجمة البيت الأول من قصيدة كبلنج القصصية الشهيرة (ص ٧٤٦) التى يقول فى مطلعها وفى ختامها :

Oh, East is East, and West is West, and never thetwain shall meet,
Till Earth and Sky stand presently at God's great Judgment Seat;
But there is neither East nor West, Border, nor Breed nor Birth,
When two strong men stand face to face, tho' they come from the ends of the earth!

وقد أسخطه أن نترجم كلمة «twain» بالتوأمين قائلاً إن الصواب « الاثنان » لا « التوأمان » لأن التوأمين دائماً متصلان (كذا) ، وكما فاته معرفة صحة هذا الشعر الانجليزى فنشره مشوّهاً مُثبِتاً أنه لم يقرأه فى حياته ، فكذلك فاته أن يعرف أن « twain » تأتى بمعنى « شطرين » وأنّ روح القصيدة تُملى الترجمة التى لم تعجبه ، وانّ هذه الترجمة اعتمدها من قبل غيرُ واحدٍ من الأدباء الضليعين فى اللغة الانجليزية ولها صبغة شعرية ، بعكس كلمة « الاثنان » ، فالترجمة إذن ليست خطأ وإنما هى أدقّ مما يتوهم صاحبنا المسكين ومَنْ يوسوسون له .

ولا عجب بعد ذلك اذا شقّ عليه أن يفهم معنى هذه الأبيات فى قصيدة « لغتى » (ص ٧٤٧) :

قلْ للذى ما دَرى ما عبرت لغتى ... بهِ عن النفس مِنْ حِسٍّ وتفكيرِ
وَ الِ ذلك زنديقٌ بلهجتهِ ... خففْ مَلامَكَ!... لا تلجأ لتكفيرِ!
لعلنى أفهمُ الرّحمنَ خالقنا ... فهماً جديراً بالهامى وتفسيرى
أعيشُ عيشةَ صُوفىٍّ بمهجتهِ ... فى كلِّ آنٍ ، وحسبى روحُ تعبيرى
وكم دَعِىٍّ بتفكيرٍ وفلسفةٍ ... وكلُّ أحلامه أضغاثُ تغريرِ!

ولا عجب اذا قال : « إن هنا نفسية تشهد بخطئها ولكن فى أسلوب سقيم » .

ويعود صاحبنا المسكين الى حيرته فى استعمال علامات النداء التى قد تحل محلها علامات الوقت القصيرة فى اللغة الانجليزية والى حيرته فى الجوازات العروضية وفى معنى الحال ونحو ذلك من المسائل البديهية ... ويدفعه جهله بأسرار البيان الانجليزى الى تخطئة ترجمتنا لقصيدة الشاعر الغنائى و . ه . ديفز « تعالىْ ! تعالىْ ! حبيبة قلبى » تخطئة مضحكة فليرجع القارىء الى الترجمة والأصل فى الديوان (ص ٧٥٨ — ٧٦٠) . ولكنه معذورٌ على هذا التبجُّج مادام يجد من صحيفةٍ كبرى التشجيع الكلى لانتقاصنا بما يتفنن فيه من تعابير سمجة وقحة كما وجد غيرُه من بعض المجلات والصحف التشجيع العظيم للنيل من أخلاقنا وشرفنا فى حركة عدوانيةٍ واسعةِ النطاق خدمةً للمغرضين العابثين الذين لا يجدون منا نصيراً لأنانيتهم الحمقاء .

وحسبك من هذا العاجز الذى تعتزّ جريدة (الوادى) ببطولته فى الهذيان والشتائم بين من تعتزّ بهم من أمثاله — حسبك منه إظهاراً لملكته الشعرية عجزه عن تفهم قول الشاعر ديفز لحبيبته : بادرى الى رؤية الصباح الجميل المنتظر افتردُّ علينا المعية هذا الناقد العجيب بقولها : « لا يعنى الشاعر أن يقول لحبيبته إن الصباح انتظر ! أوهو

منتظراً ولكنه يقصد أن يقول: تعالى قبل مضى الصباح لنمتع نظرنا بسحره! هذا ما يريد الشاعر الانجليزي أن يقول، ولكن أبا شادى يمسخه ويريد أن يغير أحكام الطبيعة!..»

أما الشاعر فلا يعنى هذا قبل أن يعنى أن الصباح الجميل يترقبها وينتظر رؤية جمالها، وهذا المعنى الضمنى الذى توحيه كلمة « ينتظر » أقرب الى الروح الشعرية من ترجمة كلمة « waits» بمعنى « لا يزال » .

وعاب علينا الناقد الحصيف أن نقرض الشعر فى مناسبات شتى، وتفضل علينا فلقبنا « بشاعر المناسبات » . وهذا تنازل عظيم منه لا نظن أننا نستحقه، فكم من شاعر عظيم هو أولى منا بهذا اللقب، وليست المناسبات بالتى تنفى الشاعرية العظيمة وانما هى الروح السطحية الفجة كروح ناقدنا الهمام .

وقد هدته ألمعيته الى اكتشاف غلطة لغوية فى أبيات صديقنا الشاعر عبدالله بكرى « كهرباء الحياة » (ص ٨٤٩) إذ يقول مداعباً :

إن (شم النسيم) فى المعمل البكـ ـتريلوجى يا صديقى العزيز
فى هدوء وراحة تفحص الميكـ ـروب بالمجهر الذى كم يميز
فأنا عامل التلغراف يضنيـ ـنى من الكهرباء دوماً أزيز
فمتى أيها الصديق سنغدو فى غنى عن وظيفة وتفوز !؟

والشاهد هو كلمة « العزيز » التى ظنها صاحبنا صفة لكلمة « صديق » وفاته أنها خبر « إن » ، وقد كان الشاعر يقارن بين حالتنا وحالته فى اضطرار كل منا الى العمل الرسمى فى يوم شم النسيم وكان ذلك بمدينة بورسعيد سنة ١٩٢٦ ، هو بمكتب التلغراف وصاحب (الشفق الباكى) بمعمل بور سعيد البكتريولوجى وقد رددنا عليه حينئذ بهذه الأبيات :

يا صديقى العزيز ! أسعدك الله بشم النسيم فهو المجيز
رب حبس يعد حظاً سنياً يعرف الحبس قبلنا الابريز
كن صبوراً ! كذا الحياة احتجاب وانطلاق ، وكم سجين يفوز
يسجن الجسم بينما الفكر جوا ل له فى الوجود ملك عزيز
إنما العيش كله كهرباء ومثال الحياة ذاك الأزيز
أنت فى سمعه وفى الرد كالحا لق روحاً لقدرها التعزيز !

وقد اعترض على لفظ « المجيز » في البيت الأول ولم يفهم معناه الذي يدركه أيّ ناشيء مطلع على الأدب العربي : فالمجيزُ انما هو المعطى الكريم ، وقد تأتى هذه الكلمة بمعنى المعين على اجتياز العقبات ، وكلا المعنيين صحيح في هذا الموضع .

كذلك اعترض على رفع كلمة « شعر » في البيت الأول من قصيدة « تذكرة طبيب » وكنا قد وجّهناها الى صديقنا الأديب الفاضل الشيخ عبدُ العظيم حجاب أثناءَ مرضٍ مُنهكٍ ، وهذه بعض أبياتها :

وسُئِلْتُ تذكرةَ الطبيب فهاكَها ! شعرٌ من الأدب السليمِ مُذابُ
ردِّده ترديدَ المُدامِ ، فطالما شُفِيَتْ ببعضِ سُلافِه الألبابُ
وتأسَّ . . . صومُك كالزكاة وربَّما في الصومِ — إنْ لجَّ السَّقامُ — ثوابُ
أنتَ الأديبُ ، وللأديبِ مَناعةٌ ولديهِ عن صِغَرِ الزَّمانِ حِجابُ
ليسَ الفِراشُ بحابسٍ لك هِمَّةً روحُ الأديبِ لها الوجودُ رحابُ
ومِنَ النفوسِ حرائرٌ وثوائرٌ ومِنَ النفوسِ إسارُها الجلبابُ
والناسُ منهم في سجونِ جسومِهم بينَما يُقِلُّ النابهينَ سحابُ

هذه الأبياتُ وأمثالها هي صورةُ السخافة البارزة في نظر ناقدنا الألمعي فلا تستحقّ شيئاً من تقديره ، وأمّا الذي يستحقّ اهتمامَه فهو رفعُ كلمة « شعر » في البيت الأول ، وفاته أنّ ابتداء الشطر الثاني بجملة جديدة على تقدير « هي شعرٌ من الأدب السليم مُذابٌ » فيه تنبيهٌ قويٌّ مما يُكسب المعنى قوة على قوة ، ولكنْ أنّى لحضرته أن يفهم الأساليب البيانية ودقائقها وأسرار اختيار الشاعر لها ؟

ولعلّ الحسنة الوحيدة في مقاله هذا الذي نعلّق عليه (وقد ظهر في جريدة « الوادي » المؤرّخة ٣ نوفمبر الماضي) هو ختامُه بأبياتنا « الببغاء وطفيليّ النقد » (ص ٩٧٢) ونحن بكلّ ارتياحٍ نهديها اليه !

* * *

أشار الشاعرُ الناقدُ طلبة محمد عبده في بحثه « النقد الحديث وألوان الشعر » (أبولو م ٢ ص ٧٥٢) الى بُغضنا شعر المناسبات السطحي وإن كنا لا نحتقر المناسبات العاطفية والتصويرية لقرض ألوان شتى من الشعر العالي . فمن العجيب بعد هذا أن يدّعي ناقدنا الذي يريد أن يتّسم بنزاهة الأدب أننا لا نعنى الا بشعر المناسبات

السطحية ، مستشهداً بأبيات متفرقة لها مواضعها من شعر الدعابه المستملح فى جملته ، ولكن ناقدنا العزيز لا يريد منا الا الصرامة والجهامة ، وما عدا ذلك فليس الا سوقية فى رأيه الارستقراطى الذى يُعَدّ من أمارات هذا الزمان المقلوب !

وهو يحتقر أن تكون لنا مواويل فصيحة — وكان قد أشار الى عنايتنا بالأوزان الشعبية الدكتور زكى مبارك فى (البلاغ) — ولكننا نعذره على مبلغ فهمه كما نعذر ذلك الأديب الذى راح يُعلق على كلمة الدكتور زكى مبارك ويتهمنا بافساد اللغة العربية لا لسبب سوى أننا أبينا أن يستأثر شعراء العامة بتلك الأوزان المحبوبة وأردنا أن لا يخلو شعرُ اللغة الفصحى منها !

ثم تتساءل أرستقراطيةُ ناقد (الوادى) حرسه الله عن هذين البيتين من قصيدة « الأحياء والأموات » (ص ١٠١٢) :

لا تَنهروا الأحياءَ : مَنْ فُتِنُوا بها ... وسَمَوْا ولبّوْا داعياتِ هبابِها
العاشقينَ جمالها ، الناشرينَ جلالَها ، الساجدين لِذاتِها

ومن أىّ وزنِ البيت الأول ، ومن أىّ وزن البيت الثانى ؟ فهل خلا قلم تحرير (الوادى) ممن يبلّغ عظمتَه أنهما من بحر واحد ؟ وهل لا يوجد لدى الزميلة الكريمة مَن يُفهمه القيمة البيانية التوكيدية من استقلال مقاطع البيت الثانى ومن استعمال همزة القطع فى موضع همزة الوصل ما دام يكاد يجنّ هذا المسكين بجهله سرّ ذلك ؟!

ومثالٌ آخر لسطحية هذا الناقد مؤاخذته لنا لاستعمالنا كلمة « خياراً » فى أحد الأبيات الآتية من قصيدتنا « يوم بيروت » التى وجهناها الى الاستاذ جبر ضومط فى يوبيله الخمسينى :

وهو العظيمُ بعلمهِ وبطبعهِ ... ما زال يُنكرُ بِرّهُ إنكارا
ويعدُّ أكرمَ ما أفادَ ضريبةً ... للعلمِ يدفعُ قسطها مختارا
ويعافُ ألقابَ الامارةِ والعلى ... شرفاً ويصحبُ للنبوغ خِيارا
هو جمعُ أسفارٍ لديه (١) ونُخبةٌ ... فى الطالبين تقدّس الاسفارا

فبرغم هذا البيان الواضح يفوت الناقد النابه أن «خياراً» هنا هى بمعنى «أخبار»

---

(١) اشارة الى مؤلفات المحتفل به .

ومفردها «خير» وليست بمعنى «اختيار» . وقد انتقل كعادته من هذا الخطأ الى ما هو أقبح منه ما بين مؤاخذة وسوء تفسير !

ومثالٌ آخر لأبجدية الناقد أنه يرى البيت الثانى من قصيدة «كروانه المسرح» (ص ١٠٤٠) مكسوراً ولا نرى الكسر الا فى ذوقه الموسيقى الخائر، واليك مستهلّ هذه القصيدة :

ملكتِ تقديرَ أهلِ الفن فى وطنٍ   الفنُّ أعلامُه أصحابُ تيجانِ
مَنْ نالَ ما نالَ (كاروزو) بصدحته   فيه، وما نال (دانـنْزْيُو) بأوزانِ ؟!
وما أُتيحَ (لبُنْشينى) ودولته   وقد بَنى ما بَنى من مُلكِ ألحانِ ؟!

وقد فاته كيف تُنْطَقُ تلك الأسماء الفرنجية وإدغامُ حروفها !

وقد صوَّرنا فى قصيدتنا «مقابر الأحياء» (ص ١٠٦٤) سوء حالة مواطنينا المنكوبين فى كثير من الأحياء الوطنية بينما ينعم أمثالُ ناقدنا المترف، فهل تراه خجل من هذا التصوير الواقعي خجلَ الوطنى الغيور على الاصلاح ؟ كلا وألف كلا ! وانما كلُّ ما عناه أن يعيبَ هذا التصويرَ الواقعىَّ الذى يشترك فى «جريمته» عشراتٌ من كبار الأدباء فى الغرب لأنهم يفهمون كما نفهم أن الأدب ليس مقصوراً على الترف وحده، وليس الذوق الشعرى محصوراً فيه .

وانتقد رفعنا كلمة هاوٍ فى قولنا : «فاذا به هاوٍ بغير رجاء» محتماً نصبها، وهو مخطىء فى ذلك كعادته (أنظر «شرح المفصّل» لابن يعيش ج ٤) .

وقد برع ناقدنا الهمام فى الاختلاق الذى عُرف به العجزة أمثاله فقال حرسه الله إننا ننعت الوفد والوفديين «بالأمّـية الكبرى» وهذا كلام لا يقوله انسانٌ له عقلٌ فى رأسه يقرأ شعرنا وكتاباتنا فى مجلاتنا المختلفة برغم ظروفنا الرسمية المقيدة، ولكنه غير غريب من حضرة الناقد فله أسوة بمن سبقوه من الآبقين الى التهم السياسية المختلفة بعد هزيمتهم فى ميدان الأدب، فلا يستحون من الطعن فى وطنية أمثالنا وفى اتهامنا بالقدح فى ممثلى الديمقراطية المصرية التى يزخر (الشفق الباكى) بالدفاع عنها وعنهم كما تزخر مجلاتنا المختلفة، وفى ديواننا التالى (مختارات وحى العام) قصيدتان من خير شعرنا فى تكريم صاحب الدوله مصطفى النحاس باشا : أولاهما «ولىّ سعد» (ص ١٨) والثانية «صوت الحرية» (ص ٨٠)، وفى ديواننا (فوق العباب) قصائد وطنية أخرى لا تقلّ روعة وقوة . ودولة رئيس الوفد أعلم

الناس بغيرتنا الوطنية وغيرة أسرتنا عامة ومناصرتها التاريخية للوفد ومحبتنا الشخصية لذاته ولأنصاره الامجاد ، فما شأن هذا الفضولى وأمثاله بكل ذلك ؟ وهل نحن الذين نتعرض للسياسة فى كتاباتنا أم نحن الذين ندفعها دفعاً عنا ؟

ولو كنا ممن يقبل التقرب للحكوميين على حساب المبادىء الوطنية لما لقينا ما لقينا من العنت والخذلان من أولئك الحكوميين ، ونحن نحن الذين دافعنا عن كرامة الزعماء فى أشد ظروف الدكتاتورية السياسة ، ولم نقبل أى مبرر لانتقاصهم ولم نسمح للصداقات العائلية على خطرها بأن تقف فى سبيل صراحتنا . وقد أوذى أقرب الناس الينا فى عهد صدقى باشا ، دع عنك أن دولة النحاس باشا عضوٌ جهيرٌ فى ندوتنا ، ولم يغنم محرر هذه المجلة كموظف حكومة أىّ غنم فى العهد الماضى بل قد مضى عليه أحد عشر عاماً فى درجة واحدة !

وراح صاحبنا يتخبط فى تفسير قصيدة « الزعيم » (ص ١٠٧٣) تفسير سياسياً ، مع أنه ليس لها بالسياسة أدنى شأن ، بل هى صورة اجتماعية لبيئة من الادباء البوهيميين ! وكان الأولى به أن يقصر همَّه على اظهار أخطاء العروض حيث لا توجد أخطاء عروضية ، أو على عيوب النحو والصرف بينما هو أجهلُ الناس بها وبجوازات الأساليب الشعرية ! ولسنا نحن الذين قلنا :

فألفيته غيرَ مستعتبٍ ولا ذاكرَ الله إلاَّ قليلا

فحذفنا التنوين من « ذاكر الله » ، وانما هو من صميم الشعر العربى القديم . فليذكر ذلك ناقدنا العزيز قبل أن يهرع الى نقدنا .

وقد ختم مقالاته السبعة فى نقد (الشفق الباكى) بالتعرُّض لقطوعة « الصرصور » (ص ١١٠٠) ، ولو أنه ممن يعرفون شيئاً عن « الهيكوات » اليابانية ، وعن الشعر الضِّمنى الذى يُقرأ ما بين السّطور ، لفهمَ على الفور أنَّ الغرضَ من هذه المقطوعة تصويرُ سخرية القدر بالانسان فى أهون وقائع الحياة تصويراً لا يخلو من الرَّمزية الى تَصرُّفِ المقادير فى شؤون الوجود الكبرى برغم حيطة الانسان . ولكنَّ ناقدنا النابغة — الذى يفصل بيننا وبين أمثاله جيلٌ من السنّ والثقافة والخبرة — أبى بفضل تغرير العابثين به الاَّ أن يجعل نفسَه سخريةَ النقاد ، وحسبنا نحن أن ندلِّل بما كتبنا وما نكتب على مَظاهر ذلك ، محاولين أن نستخلص بعض الفوائد الأدبية على قدر الامكان ، ولولا اعتبارنا لكلِّ هذا لتركنا

هؤلاء العابثين يصولون ويجولون كيف شاؤوا بين التبجح والتلفيق والدعاوى الفارغة التي اشتهروا بها .

* * *

ولا نريد أن نُلقى القلمَ بعد هذا التشريح لنماذج النقد السخيف التي يوجّهها الكائدون الينا دون أن نقوم بأمانة التبليغ عن صاحب مكتبة معروفة فى الاسكندرية أغار عليه أحدُ المتطفلين على الأدب وأخذ منه كتباً شتى (بينها بعضُ تآليفنا) بقيمة جنيهات ، ومرّت الشهورُ وهو يتهارب من دفع هذا الحقّ ، وأخيراً استنجد صاحبُ المكتبة بزميلينا الأديب على محمد البحراوى سكرتير (جماعة الأدب المصرى) بالاسكندرية والشاعر حسن كامل الصيرفى عضو مجلس (جمعية أبولو) . ونحن إشفاقاً على ذلك المسكين نكتفى بهذه الاشارة ، لعله يجد من الكرامة — ولو فى هذه الساعة الأخيرة — أن يسدّد حقّ صاحب المكتبة بدلَ أن يتهافت على النقد الأدبى الذى لا تؤهله له مواهبه وتعليمه المحدود ، وبدلَ اختراع النقائص لمن لا يرتضونه فى عداد تلاميذهم !

وليس هذا المسكينُ الاّ أحد الضحايا الكثيرين الذين يحسبون نبعَ الأدب فى أركان المقاهى وعلى موائد المغرّرين الذين كثروا فى هذا البلد كثرة مصائبه وهمومه ! إن الكرامة الأدبية الحقة هى فى احترام الأدباء بعضهم لبعض ، وفى غيرتهم على انصاف بعضهم لبعض ، وفى تعشّقهم لخير الانتاج الأدبى فلا يقف بعضهم حجرَ عثرةٍ فى طريق البعض الآخر ، ولا يَقِفُ جهودَه على أساليب الكيد الخسيس بدل التشجيع النبيل الكريم . إن تاريخ مصر الأدبى مملوء بعواصف الحزازات والدسائس الشخصية ، وكم لها من أثر سيء فى تعطيل النهضة الأدبية ، وكم لها من وقع أليم فى نفوس الأدباء المستقلين ومؤرخى الأدب الحديث . وهذه العواصفُ الجديدةُ تنقضى كما انقضت سابقاتها ، ولكن يبقى الحكمُ المخجلُ بأن المجتمع الأدبى فى مصر منحطٌ ، وأنّ انحطاطه أساء الى الوطن شرّ اساءةٍ ، ولو لم يكن منحطاً لكان مَبعثاً للمُثُل العُليا بدل أن يكون مَسرحاً للسفاسف والمكائد وتجارة الألقاب على حساب الأدب وأنصاره المخلصين وعلى حساب النهضة الوطنية .

الثقافة الانجليزية العربية

أنسنا بزيارة جناب المستر كراير المدرس بكلية الآداب بالجامعة المصرية لدار (أبولو) وقد وجدنا جنابه حريصاً مثلنا على تبادل الثقافتين الانجليزية والعربية. وقد تحدّث اليه محرر (أبولو) عن الحاجة الى اخراج مجلة أدبية عامة باللغة الانجليزية لتحقيق هذا الغرض فوجد عنده استعداداً كبيراً للسعى الى ذلك. وكنا سمعنا نقداً لهذه الفكرة على اعتبار أنها تشغل أدباءنا عن العناية بالأدب العربى، وهذا نقد لا نفهمه فالتعريف بالادب العربي للانجليز لا يعدّ انصرافاً عنه، فضلاً عن أهمية الثقافة الانجليزية لنا من الوجهة العالمية الشاملة.



امام دار جمعية أبولو

من اليمين الى اليسار : الأدباء حسن محمد محمود، محمد احمد رجب
المستر كراير، احمد زكى أبوشادى، مختار الوكيل

وفى الواقع ان اصدار مجلة أسبوعية من هذا القبيل نافع لتبادل الثقافتين إذ لا توجد مجلة تسدّ هذا الفراغ، ولا توجد فى مصر سوى مجلة The Sphinx الاسبوعية الانجليزية، وهى مجلة انجليزية محضة وإن كانت محلية الصبغة الى حدّ ما، وليست موضوعاتها الأدبية بذات خطر.

فلعل المستر كراير وزملاءه من الادباء الانجليز وأصدقاءهم لمصريين المتأثرين بالثقافة الانجليزية كناجي وأبى شادى والمازنى وعبدالله مصطفى وسلامة موسى والعقاد وعلى أدهم وغيرهم يوفقون الى تحقيق هذه الأمنية ؟

محمد احمد رجب
(المحامى)



غربلة الشعر

هذا واحدٌ من التعابير الجديدة التي ينادى بها مَن يتصدّرون للنقد وهم ليسوا أهله ، فالنقد يجب أن يكون آخر مراحل الأدب لا أولها ، ولكنه فى مصر مما يتسلى به لا طلبة المدارس ومتخرّجوها الأحداث فحسب بل كلُّ عاطل يعرف القراءة والكتابة !

إنّ المنطق يعترف بأن كلّ شاعر ناضج له الذوقُ المنقحُ لشعره من تلقاء نفسه ، فيخرج الشعرُ بعد ذلك فى طابعه الخاص لا طابع غيره . فلم يبق «لغربلة» الشعر معنى بعد هذا سوى التخلى عن نماذج من الشعر لا يرضى عنها الناقد حينما هى متممةٌ لشخصية الشاعر ومصورةٌ لبعض حالاته النفسية . وكيف يستطيع أديب مثقفٌ غيورٌ أن يدعو الى هذه «الغربلة فى الوقت الذى يهمنا فيه أن نعرف عواطف الشاعر وتفكيره وتفاعله مع الظروف المتباينة وفى شتى المواقف وازاء أعظم الأمور وأحقرها على السواء ؟! إذن ليست هذه «الغربلة» سوى دعوة من الدعوات العامية التي تتلقنها الببغاوات وترددها فى غير وعى انتقاصاً للشعر المنجبين وحباً فى التعالم الرخيص !

أيها النقاد الأعزاء ! أريحوا الناس من هذا الهذيان ، وابدأوا بأنفسكم فعلموها وثقفوها التثقيف الأتم ، ثم بعد ذلك راجعوا ماتكتبون الآن وانقدوا إذاكانت لديكم موهبةُ النقد الأدبيّ ، فستكونون أنتم أول الساخرين حينئذ من فتاواكم الحاضرة !

محمد عبد الغفور

الأدباء المعاصرون

مما يجدو بنا تسجيله مغتبطين اهتمامُ الكتاب بالأدباء المعاصرين بالرغم مما نلحظه من التحزُّب أو التحامل فى كتابات معظمهم . وشتَّان بين هذا التحوُّل وما كان مألوفاً فى الجيل الماضى من التهالك على سِيَرِ الأدباء القُدامَى فقط . ولكن فى سبيل الصدق والأمانة وفى سبيل الأدب ذاته أقول أيضاً إننا فى حالةٍ غريبةٍ من الفوضى الأدبية سببُها التحزُّبات الشخصية التى قد تفتح البابَ للطلبة فى صحيفة كبيرة وتصدّه فى وجهِ أديب عظيم ! ومن علامات هذه الفوضى أن يجروَّ على الكتابة عن الأدباء المعاصرين مَنْ ليس منهم ، وأن يكتب كتابة المليم عمّن لا صلة له بهم على الاطلاق ، حتى اذا تأمّلتَ كتاباته تبيّنتَ أن الغرض من كلّ هذه الجلبة خدمة أديب أو اثنين على حساب الآخرين فيفخّم الأولين ويتجاوز عن عيوبهم ، ويتحامل على الآخرين ويخترع لهم العيوبَ كما يسمح له الخيال المريض وحاجاتُ نفسه !

وأصحابُ هذا الطراز من الأقلام المأجورة معروفون فى مقاهى العواصم المصرية ، وقد لوّثوا الحركة الأدبية فى مصر ، وأصبح الأديبُ الذى يقف موقفَ التحدّى أو الخصومة ازاء هذا الفساد — كما فعل محرر (أبولو) — عرضةً لأن تُلْقَى عليه صنوفُ الموبقات دون أىّ رادع لأولئك الطغام من حياء أو كرامة ! وقد بلغنى عن أحد شعراء الشام الذين زاروا مصر حديثاً أن هذا المرض الخُلُقى يسمَّى فى بلادهم « المرض المصرى » . . . . فيا للعار !

إنى أفهم أن يكتب أنطون الجميّل بك عن خليل مطران ، ومصطفى عبد اللطيف السحرتى عن أحمد زكى أبى شادى ، وابراهيم المصرى عن ابراهيم ناجى ، وعبد الرحمن صدقى عن عباس محمود العقاد ، وأحمد الصاوى محمد عن توفيق الحكيم ، وأحمد الشايب عن طه حسين ، وأحمد حسن الزيات عن أحمد أمين ، فكل أولئك من ذوى الصداقة المتينة بالأدباء المؤرَّخ لهم ، وكلّهم من ذوى المقدرة الأدبية ، ولكنى لا أفهم كيف يجرؤ بائع أحذية أو تاجر لبن محدودُ الثقافة منبوذٌ من صفوة الأدباء ومأجورٌ لذوى الأغراض على الظهور بمظهر الكاتب الناقد المحقق الحصيف كائنةً ما كانت صفاقتُه ! هذا « المرض المصرى » يجب أن نتبرأ منه ويجب أن نحاربه أشدَّ المحاربة ؟

محمد محمد عبد الرحيم

فوضى الألقاب

منذ عشر سنوات أو أكثر وأنا أطلع بانتظام مجلة John o'London's Weekly الأدبية الانجليزية ، ولا أذكر أنها تورطت مرة فى مثل ماتتورط فيه معظم صحفنا ومجلاتنا من فوضى الألقاب حتى استبيحت نفس الألقاب الجامعية وضاعت كرامتها فى بلادنا . وكذلك حال جميع الصحف الانجليزية بل والغربية عامة فى تعففها ورصانتها.

ولن يُنسى فى تاريخ الصحافة العربية موقف (أپولو) المشرف ازاء هذه الفوضى فى مصر ، فقد أبت هذه الألقاب لنفس رجالها بالرغم من مكانتهم الوطيدة فى عالم الأدب وكانت خير رائدة بتصرفها الدقيق الحكيم . وهذا أحد أسباب التطاول عليها من أقلام الادعياء والمأجورين ومَن يُغرَّر بهم من طلبة المعاهد إكراماً لخاطر المتكالبين على الزعامات الفارغة حتى انتقل المرض الى كتبة الدواوين الحكومية وصار بينهم مَن يطمح الى أن يعدّ عميد الادباء اوبات بين مصححى الطبع فى الصحف مَن لا يقنعون بأقل من وصف العباقرة والفلاسفة نظماً ونثراً ! فانا لله وانا اليه راجعون !

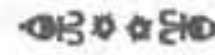
وعلم الله لست من يقف فى طريق الشباب الناهض ولا من يثبط ملاحظاتهم الأدبية النقدية ، ولكن كثيرٌ جداً أن نرى بعض أقلام الشباب تسخَّر باسم النقد الأدبى لتجريح أعلام أدبائنا تجريحاً سفيهاً من باب الكيد الخسيس لمصلحة هذا الاديب المتزعِّم أو ذاك. فهل سمع أحدٌ فى مصر عن شىء من هذا الصَّغار يحدث بين أدباء الانجليز أو الألمان أو الفرنسيين أو غيرهم من الشعوب الراقية ؟ وهل سمع أحدٌ فى خارجِ مصر عن مثل المناورات المفضوحة التى تجرى فى الصفحات الأدبية لجرائدنا حيث يتحكم فيها صنائعُ هذا المتزعِّم أو ذاك فيفتحون أنهارَها حتى لمالئيهم من طلبة المدارس ويغلقونها فى وجوه كرام الكتاب المستقلّين ؟! أىُّ زعامةٍ هذه وأىُّ أدبٍ هذا ؟! إنَّ الزعامات لا تُفتعل ولا تُشترى ، والأدب الحقّ ليس مجرَّد حبر على ورق بل هو سيرة الأديب نفسها قبل تحبيره ، وهو تعلُّقه بمثله الأعلى لا الانحدار الى السفاسف .

لقد جرَّتْ فوضى التهافت على الألقاب — الى درجة عمل رواشم ثابتة لها — شرَّ النتائج على أخلاق الأدباء فى مصر ، وأساءت بصفةٍ خاصةٍ الى الجيل الناشىء الذى أصبح يُستَغلُّ مطايا للشهرة ، دع عنك مناورات الصحف الوضيعة التى تعتمد

فى غنمها على الاعلانات القضائية والتهريج . وقد نشأ عن هـذه الحالة مَرضُ «لوصولية» بأحطّ معانيها ، تلك «الوصولية» التى لها أن تضحى بمكارم الأخلاق فى سبيل الصيت الكاذب . فكم من تلميذ جحود صار يستبيح مَنْ هُوَّ الطعن فى أساتذته والتنكّر لهم قولاً وكتابةً ، وذلك ليصعدَ على أكتافهم أو ليبيع نفسه ووفاءه لقاءَ دراهم معدودات أو لقاء مدائحَ وهمية شفاءً لغليل حاقد موتور !

هذه حالةٌ شنيعةٌ لا يكفى احتقارُ ممثّليها ، بل يجب تأديبُهم فى صراحةٍ تامةٍ وشجاعةٍ ، وتطهير الجوّ الأدبى من سُمومهم . وهذا الواجبُ التأديبى يقع على عاتق أدبائنا وصحفيّينا النزهاء المستقلين ، فالى أقلامكم المسنونة أيها السادة !

علي محمد البيداوي



المرأة والادب

مِن المظاهر الاجتماعية لنهضة الامة حرصها على كرامة المرأة . وقد كان هـذا شأن الأمة العربية إبان مجدها (أنظر كتاب «المرأة العربية» للأديب المعروف السيد عبدالله عفيفى) . وقد كانت مصر الى الجيل الماضى تذكر أديباتها بكل اجلال ولا تسمح لسيرهنّ بالتسرب الى الصحف لا بالحق ولا بالباطل ، وذلك مبالغة فى إعزازهنّ . ثم ظهر التطوّر فى المجتمع كما ظهر فى الأدب فرأينا الكاتب الشهير احمد الصاوى محمد يقف معظم جهوده على التنويه بالمرأة المصرية والدفاع عن قضيتها ، وقد تعرض بالخير لسير نابغات الأمة وفضلياتها ضارباً بهنّ الأمثال ، وجهودُه الرائدة فى هذا السبيل مما يسجَّل له بالشكر الدائم فى الادب المصرى .

وحدث أخيراً أن تزاحمَ العاطلون على موائد الصحافة ، وبينهم مَن هم أولى بغيابة السجون ، فافتتنوا باثارة القال والقيل حباً فى ترويج الصحف الكاسدة التى لولا الاعلانات القضائية لماتت غيرَ مأسوف عليها . وشُغِلَ هؤلاء الأوغاد باتخاذ أقلامهم مدى ومسدَّسات لتهديد الأديبات وللاختلاق عليهنّ وعلى الأدباء المعروفين ! وانتقل شرُّهم حتى الى الجامعة المصرية فلم يتعففوا عن اختراع الأباطيل تعريضاً بالطالبات ظلماً وعدواناً ، مما أسخط أساتذة الجامعة فضلاً عن طالباتها وأولياء أمورهنّ أشدَّ السخط على هذا الانحطاط الاجتماعى الشائن .

إنّ نهضتَنا الأدبية موصولةٌ باحترام المرأة كلّ الصلة ، وتركُ التحرير الصحفي الشعبي فى أيدى الأوشاب الذين لا يتورّعون عن الكيد للأدباء والأديبات أمرٌ يؤسَفُ له أشدّ الأسف وجديرٌ بالاهتمام الكلّى من قلم المطبوعات ما داموا يتحايلون على مداراة القضاء ؟

أحمد كامل الشربينى



الأدب التونسى فى القرن الرابع عشر

جمع ونشر زين العابدين السنوسى — جزءان عدد صفحات كلٍّ منهما ٣٢٠ صفحة ، بحجم ١٤×٢٢ سم . الثمن ٣٥ قرشاً مصرياً . طبع مطبعة العرب بتونس مع تصدير بقلم محمد البهلى النيال ودراسة عامة لكل شاعر

أخذت الحركة الأدبية فى العصر الحاضر يشتدّ ساعدها ويقوى عودها اللدن كما أخذت تتجه اتجاهاً جديداً فى الاساليب والخواطر والمعانى والأخيلة ، وكان لشعراء مصر وسورية فى ذلك نصيب وافرٌ . ومن الامثلة لذلك الكتاب الذى بين يدىّ ، فقد جمع فيه ناشرُه الفاضل مختارات لصفوة من شعراء تونس المبدعين ، فأرانا ناحية كنا نجهلها أو نكاد نجهلها من هذه الحركة الفنية . وحسبك أن تعلم أن بعض ما اختاره لبعض الشعراء يكاد يكون ديواناً مستقلاً ، فهو بذلك أدى للحركة الادبية خدمة لا تنكر . وهذا السفر الرائع الحافل بأشعار الوجدان والحب والطبيعة والرثاء أطلعنا على اتجاهات شعراء تونس المحدثين . وقد أعجبنا بما فى ثنايا بعض أشعارهم من روح شعرية نابضة بالحياة ، وطبيعة قوية أخاذة بأسباب السموّ تتطلع الى الكمال . واذا قارنا بينهم وبين شعرائنا ألفينا بوناً شاسعاً من ناحية التفكير ، واتجاهاً خاصاً

يميز كلاً من الفريقين عن الآخر ، ولكن يجب أن نذكر أن تباين الثقافة عامل من عوامل الاختلاف . واذا كان لنا من نقد لشعراء المغرب على العموم فهو كرهنا لهذه الروح التقليدية التى تجلت فى كثير من كتاباتهم وإن كنا نحمد لبعضهم نزعة التحرر من القديم البالى من الأخيلة والخواطر . ومن بديع ما انبثّ فى هذا الكتاب قول الشاعر سعيد أبى بكر (ص ١٠٤، ج ١) :

أينَ عينٌ كلّما لحَنَنا لها   أحرقتنا ؟
أين كفّ كلما لُذْنا بها   فرّقتنا ؟

وكذلك قوله فى صفحة ١٢٥ :

غالطى الناسَ يا حياتى اذا ما   أخبر الناسُ بعضَهم بمماتى
واسكتى يومَ يرفعون على الألـ   ـواح جسمى ، وكفكفى العبراتِ
بعدَ حينٍ سيجعلون فراشى   مِن ترابٍ ومَسندى مِن حصاةِ
ثم يلقون بى هناك وحيداً   وحياتى هناك خيرُ حياةِ

ومن الشعراء الذين أعجبتُ بآثارهم الأدبية فى هذا الجزء حسين الجزيرى والهادى المدنى وأبو القاسم الشابى واحمد خير الدين وعلى النيفر ، وأرجو أن تتاح لى الفرصة فى القريب لأتناول شاعرية هؤلاء بشىء من التحليل والنقد حتى يتهيأ للقارىء المصرى أن يطلع على صورة من صُور الشعر فى بلاد تونس الخضراء التى آلمنا موت فقيدها النابغة الشابى رحمه الله .

وإنى لأقدم للأديب زين العابدين السنوسى أخلصَ الشكر على أن تفح عشاقَ الأدب بهذا السفر الشامل الذى أرجو أن نرى أمثاله عن كلّ بلدٍ من بلدان العربية ؟

حسن محمد محمود



المشوّق

تأليف الخورى إيسيدورس فتّال مدير مدرسة الروم الكاثوليك فى حلب
خمسة أجزاء مصوّرة للصفوف المتوسّطة والعالية ، بأحجام مختلفة .
طُبع بمطبعة القدّيس بولس فى مدينة حريصا (لبنان) .

مؤلّفُ هذا الكتاب من أفضل المعلمين للغة العربية ، وقد كان زمناً مدرساً لها بمدرسة القدّيسة حنة الاكليريكية فى القدس ، وهو الآن يشغل منزلة محترمة فى ادارة التعليم بحلب ، فهو من أخبر الرجال بالتأليف المدرسى . وسلسلته (المشوّق) من أجل كتب المطالعة ، ومنها ما يخص المدارس الابتدائية والصفوف الأوّلية ، ومنها ما يخصّ الصفوف المتوسطة والعالية . وهى ستة أجزاء صدرت منها خمسة حتى الآن وقد راجت رواجاً عظيماً نظراً لغزارة مادّتها الأدبية التعليمية ، وهذه الأخيرة هى التى تهمّ قراء (أبولو) .

وفى هذه الأجزاء الخمسة التى بين يدىَّ موضوعات منوّعة وفيرة تجعلها بمثابة دائرة معارف للناشئين ومَعرض مختارات جميلة لكثيرين من كُتّاب العالم العربى وشعرائه مع صُوَرهم وترجمة سِيرهم وصور كثير من الموضوعات فى غير تعصّب لبيئة أو معهد ، وذلك مما يجعل لها مكانة عامة من الاحترام ، ومما يكسبها قوة وروعة وإذا التفتنا الى المختارات الشعرية التى تعنينا بصفة خاصة وجدنا المؤلف الفاضل موفّقاً فى اختيار معظمها بالنسبة لقوتها وأصالتها وإنْ لحظنا على البعض الآخر الضعفَ والتقليدَ ، وربما اعتذر عن ذلك برغبته فى التمثيل للأذواق الأدبية المختلفة . وخيرُ ما أُعرّف به الجانبَ الشعرىَّ من الكتاب لقرّاء (أبولو) أن أنقلَ بعضَ النماذج الجميلة التى لا شيوعَ لها فى مصر .

فمنها قصيدة إلياس طعمة المعنونة « إلى أمّى » (ج ١ ، ص ٩٥) :

كنتُ يا أُمّاهُ أرعَى الأنجُما وإذا ثَغرُكِ فيها ابتسَما
فتشوّقتُ إلى قُبلاتهِ إنّها كانت لجُرْحِى بلسَما
وكذا عينُكِ فيها سطعتْ فأنارتْ من فؤادى ظُلَما
ففؤادى بشعاعٍ عالقٌ خافقٌ ما بين أرضٍ وسَما
كنتُ وحدى ساهراً فى روضةٍ وإذا فيها النسيمُ تَمْتَما

فتذكَّرتُ غناءً مُطْرِباً فوقَ مَهْدِى وأحاديثَ الحِمَى
ذلك الصوْتُ الذى علَّمَنى مثلَ شِعرى وشعورى انسجاما
وله بين ضلوعى نغمةٌ أصبحتْ بين شفاهى نغما
ليتَ لى فى البُعْدِ تقبيلَ يَدٍ يَجْلُبُ السَّعْدَ ويَشفى الألما
إنَّ صرفَ الدَّهرِ لا يَسمَحُ لى فأنا أشكو على ماء الظَّمه
فاقبلى مِنّ وَلدٍ أحببتِهِ رَسْمَ قلبٍ فوقَهُ الدَّمعُ همَى
واذكُريهِ إنْ تُصَلِّى فى الدُّجَى فله قلبٌ يُحِبُّ الأنجُما !

ومنها قصيدة « أغنية المغيب » لالياس أبى شبكة (ج ٢، ص ٦٨) :

أُسْجُدِى للهِ ، يا نفسى ، فقد وافى المَغيبْ
واستريحى مِن عناءِ الفكرِ ، فالفكرُ رهيبْ
واستُرى الآلامَ حيناً بابتسامات الحبيبْ
فغـــداً ترجعُ آلامُكِ والآتى قريبْ !

***

هو ذا الفلاَّحُ قد عادَ مِن الحقْلِ الجميلْ
فى يديْهِ المِنْجَلُ الحاصدُ والرَّفشُ الطويلْ
وعلى أكتافِهِ حِمْلٌ مِن القمْحِ الثقيلْ
فهو منهوكٌ وفى عينيه آثارُ اللهيبْ
أُسْجُدِى للهِ ، يا نفسى ، فقد وافى المغيبْ !

***

إستريحى فترةً قُرْبَ مياهِ الجدْوَلِ
وانظرى المَعَّازَ يرتاحُ بِسَفْحِ الجَبَلِ
والقطيعُ الشاردُ الهائمُ مِثْلُ الابِلِ
أُنظريهِ تائهاً كالفكرِ فى الوقتِ العصيبْ
سْجُدِى للهِ ، يا نفسى ، فقد وافى المغيبْ

* * *

أسجدي لله واسْلَىْ فترةً ذكرى العذابْ
قبلما تزحفُ فى الوديانِ أشباحُ الضبابْ
واستعيدى ذكرياتٍ لا وبقاتٍ عِذاب
لم يكنْ ماضيكِ كالحاضرِ دمعاً ونحيبْ
أسجدى للهِ ، يا نفسى ، فقد وافى المغيب !

* * *

اسمعى الأجراسَ مِن قُبَّةِ دَيْرِ الراهباتْ
حمَل الوادى صداها للنفوسِ الزَّاهداتْ
فهى أنّاتُ صدورٍ وبقايا زفراتْ
صَعَّدَتْها ساكناتُ الديْرِ قُدَّامَ الصَّليبْ
اسجدى لله ، يا نفسى ، فقد وافى المغيبْ !

ومنها قصيدة « بكاء الأطفال » لنقولا فياض (ج ٣ ، ص ١٥٥) :

أسمعتَ الأطفالَ يا صاح تبكى ... قبلَ أن تعرفَ الأسى والشقاء ؟
كلُّ طفلٍ فى حضنِ مَنْ وَلدتْهُ ... يَتعزَّى لو كان يرضَى العزاء
لعصافيرُ فى الرياضِ تغنى ... ونُغاءُ الظّباءِ يحكى الغناء
وابتسام الأزهار كلَّ صباحٍ ... بشذاها يعطّرُ الأرجاء
إنما الطفلُ وَحْدَهُ يا صحابي ... ماتَ يبكى ويستلذُّ البكاء
هل سألتَ الطفل الصغيرَ لماذا ... راحَ يبكى ، ودهره ما أساء ؟
يَذرفُ الشيخُ دمعهُ لشبابٍ ... ضَيَّعَ الصَّبْرَ بَعدَهُ والرجاء
وغصونُ الأشجار تحزنُ ، إذ تخْـ ... لَعُ أيدى الخريف عنها الرداء
وجراحُ الأبدانِ تؤلمُ ، إنْ قصَّرَ طولُ الزمانِ عنها شِفاء
إنما الطفلُ وحدهُ لستُ أدرى ... ما الذى فى البُكا له يتراءى
إنَّ فى أدمعِ الصغارِ لَسِرّاً ... لقَّنَتْهُ أرواحُها الشعراء :

« أرضُكم غُربةٌ ، ونحن صِغارٌ ولنا أرجُلٌ تحاكى الهواءَ
ما مَشينا عليكِ يا أرضُ إلاّ خطواتٍ ، وقد سقطنا عياءَ
فتى نستريحُ ، والقبرُ ناءٍ ومِنَ العُمرِ ما يطيلُ العناءَ ؟
فسلوا الشيخَ ما دواعى بكاهُ لا صِغاراً فى أرضهمْ غُرباءَ
راحةُ القبرِ للشيوخِ ولكنْ نحن جئنا هنا نقاسى البقاءَ ! »

ومنها قصيدة « فتّش لقلبك عن رفيق ! » لميخائيل نعيمة (ج ٤ ، ص ٧٠) :

عَجَباً يروّعكَ الظّلامْ فتبيتُ مرتجفَ العِظامْ
ويودّ قلبُكَ لو يَنامْ فى صدرِكَ النومَ الأخيرْ
أفما لقلبكَ مِنْ جليسٍ أو سَميرْ ؟

والفجرُ إذْ يبدو يَراكْ أبداً بِهمٍّ وارتباكْ
فيميلُ عنكَ الى سِواكْ وسِواكَ يَفهمُ ما يَقولْ
أفما لقلبكَ تَرْجُمانٌ أو رسولْ ؟

وتخوضُ ميدانَ الكفاحْ وَسْطَ النّهارِ بلا سلاحْ
فتخِرُّ مِنْ ألمِ الجِراحْ وتئنُّ ، لكنْ لا مُجيبْ
أفما لقلبكَ مِن مؤسٍّ أو طبيبْ ؟

وَتجُولُ وحدَكَ فى القِفارْ وعليكَ سِترٌ مِن غُبارْ
كمسافرٍ يبغى الدّيارْ لكنّهُ فقدَ السّبيلْ
أفما لقلبك فى مسيركَ مِن دليلْ ؟

آسَى عليك ، فلا الذّهابَ سَهْلٌ عليك ولا الايابْ
ستظلُّ تخبطُ فى ضبابْ حتى يُنيرَ لك الطريقْ
قلبٌ يكونُ لقلبك الواهى رفيقْ !

ومنها قصيدة « خيال سوريّا » لرشيد سليم الخورى (ج ٥ ، ص ١٦٠) :

رأيتُ النهرَ هدّاراً طليقا وقد داسَ الشرائعَ والحقوقا

فكدتُ أضمُّ للتيار نفسى كأنى قد لمحتُ به غريقا
لأنَّ خيالَ سوريَّا أمامى !

رأيتُ النار مستعراً لظاها كنفسى، حين جدَّ بها جَواها
فكدتُ الى اللهيبِ أمدُّ كفى لأُنقذَ مَنْ سبى نفسى هواها
لأنَّ خيال سوريَّا أمامى !

رأيتُ نوادباً تَذرى الجمانا وقد بلَّتْ مدامعُها البنانا
فلم أعجبْ لترجيع الثكالى ولم أحزنْ لأنَّاتِ الحزانى
لأنَّ خيـــال سوريَّا أمامى !

وليس الكتابُ وقفاً بأجزائه على الأحداث المبتدئين القراءة ولا على تلاميذ الصفوف المتوسطة والعالية بل هو حديقة أدبية لكل أديبٍ تشوقه القراءةُ المنوعةُ فجاء مصداقاً لاسمه، وجاءت طريقته التى شرحها المؤلفُ الفاضلُ فى مقدمته من خير ما كتب فى بابها لارشاد المعلمين. وقد أعجبتنى صراحته وصدقه فى قوله: «لا يزال السواد الاعظم من أدبائنا أنفسهم دون مستوى الأدب الغربىّ، لأنهم لم يتلقنوا فى المدرسة أصول الأدب التى لا تتغير بتغير الزمان والمكان وسائر ظروف الحياة، لأنها ثابتة مطابقة لنواميس علم النفس والمنطق وفلسفة الكلام، وكل هذه لا يطرا عليها أدنى تغييرٍ جوهرىّ». فليبارك الله جهودَ هذا المعلم العامل الذى لا يقتصر فضله فى تكوين الجيل الجديد على قطرٍ دون قطرٍ من أقطار العالم العربى، ولا على طائفة دون أخرى، ولا يعرف أدبه معنى للعصبيات المذهبية التى تُعدُّ للأسف من الأمراض المفسدة للأدب المصرى بما لا يقلّ عن إفساد الحزبية السياسية له ؟

محمد عبد الغفور

الجمهور

مجلة أسبوعية سياسية اقتصادية فنية تصدر عن مدينة الاسكندرية. بدل اشتراكها السنوى ٣٠ قرشاً فى مصر والسودان و ٥٠ قرشاً فى الخارج

يُهنأ الكاتبان الفاضلان حسن صبحى وأحمد على عوض بتعاونهما على إصدار الجمهور) فى الاسكندرية. وسيساعد على ترويجها قسمها السياسىّ الوطنىّ، وهو

ما لم تكن تملكه مجلة (الامام) لمّا كانت تصدر فى عاصمة القطر الثانية إذ أن الأخيرة أدبية اجتماعية فقط . وقد سرّنى أن تتمكن (الجمهور) من نشر الجديد من شعر عبدالرحمن شكرى فضلا عن مختارات لطيفة لبيرم . وشعر شكرى وحده كاف لاقبال محبي الادب عليها فهو معدود فى الطبقة الاولى من الشعر العصرى . ولعل (الجمهور) يُوفَّق الى نشر الجزء الثامن ديوانه والى إعادة طبع الاجزاء السبعة القديمة، فمن الخير لأدبنا ابرازهذه النفائس المستورة ، خصوصاً بعدأن انقضت نهائياًالدواعى القديمة الى سترها . وقراء (أبولو) يسرّهم بصفة خاصة أن يمتعوا عواطفهم بقراءة هذا الشعر الجديد ، وهذا مثال منه بعنوان «العودة» وهى قصيدة ترحيب شكرى بعودته الى الاسكندرية . قال هزارنا الغرّيد :

عاود الروضَ فى الصباح هزارُهْ ثم غنى ففتّحتْ أزهارُهْ

ثم غنى للورد وهو على الغصـ ـن خَجولاً فزاد منه احمرارُهْ

ثم غنى للفلّ فانتعشَ الفـ ـلُّ طروباً وطار عنه وقارُهْ

وحبَا نسمة الصباحِ من العطـ ـرِ زكياً فى روحهِ أسرارُهْ

ثم غنى للباسماتِ مِن الزهـ ـرِ فأغضى ولاحَ منه افترارُهْ

فكأنَّ الصباح يسمعُ أنغا مَ معنّ فى صوتهِ أوتارُهْ

حين سادته هداَةٌ وسكونٌ لم يَشبها بالصاخباتِ نهارُهْ

غير صوتٍ يطنّ من طرب الطيـ ـرِ اذا داعبته ثَمَّ صِغارُهْ

ساعةٌ تلك فى الزمان تملاَّ ها فؤادٌ مِن حُسنها أشعارُهْ

وكأنى أنا الهزارُ وروضى بلدٌ فيه للهزارِ شعارُهْ

بَلدٌ عُدْتُها فعدتُ الى الخلـ ـدِ ، وقدكان ملءَ قلبي ادّكارُهْ

وسواءٌ علىّ أن يتجنّى أهلهُ أو يودّنى سُمّارُهْ

فله فى الضميرِ أخلصُ ودّ لم يُثرنى لريبةٍ إضمارُهْ

محمد عبد الغنى بخيت

أحسن ما كتبت

بأقلام طائفة من خيرة العلماء والأدباء فى الشرق العربي ، ١٩٥ صفحة بحجم ١٦ × ٢٤ سم . عُنيت بنشره دار الهلال بالقاهرة . الثمن ١٥٠ مليماً .

دار الهلال ومطبوعاتها أشهر من أن تُعرَّف ، وقد أخرجت فى هذا العام هديةً لمشتركى مجلة (الهلال) ولمحبي الأدب العربي الحديث هذا الكتابَ الممتع حقاً بما فيه من مختارات كثيرة ما بين نظمٍ ونثرٍ ، بيد أنى مع ذلك لا أرى مطابقة العنوان للكتاب ، وأوثر أن يسمَّى (من أحسن ما كتبت) لأنَّ المؤلفين أنفسهم لا يدّعون ولا يمكن أن يدَّعوا أنَّ ما فى هذا الكتاب هو أحسن ما كتبوا على الاطلاق .

وقد اجتمع للناشرين فيه ثلاث وسبعون كلمة فى موضوعات شتى لسبعة وستين كاتباً وشاعراً من المعروفين ، ولم تسمح الظروف للناشرين بأكثر من هذا القدر وهم مشكورون على أيِّ حال لهذه العناية والفضل فى تسجيل هذه النماذج ما الأدب العصرى ؟

السيد عطية شريف



مطبوعات ندوة الثقافة

أشارت هذه المجلة غيرَ مرَّةٍ الى مطبوعات (ندوة الثقافة) المنوَّعة التى كانت مزمعةً إصدارَها الى جانب مجلاتها لولا الاعتباراتُ المالية ، ومن هذه المطبوعات « مدرسة البيت » و « تقويم الأطفال » و « راديو الأطفال » ، غير المطبوعات الفنِّية المختلفة ، وغير طبع المخطوطات العربية المفيدة وأخصُّها بالذكر الدراسات الشعرية والدواوين القيِّمة المنسيَّة مثل « ديوان ابن سناء الملك » و « معجز أحمد » و « ذكرى حبيب » .

وأمرُ كلّ هذا متوقفٌ على نجاح مشروع (الندوة) ، فاذا أصابت النجاح المنشودَ فى العام المقبل (أنظر المذكرة المرفوعة الى حكومة جلالة الملك —

ص ٧٦٢) فسيكون تحقيق هذه الأمنية فى مقدمة برنامجها ، وستتوسّع (الندوة) فى ذلك لخدمة المؤلفين وفى التعاون مع المجلات الأخرى المحترمة على نشرها فى السوق بدل تركها تحت رحمة الأمّيين من الموزّعين الذين يتعمّدون قبرها .

أمّا اذا كانت المؤازرة التى تنالها غيرَ كافيةٍ فرجال (الندوة) يؤثرون الاستغناء عنها ، لأنّ مثل هذا المشروع الثقافى وحدةٌ لا تجزّأُ ، فامّا أنْ ينفّذ كاملاً بحذافيره وإمّا أن يتخلى عنه ، فليس ثمة جانبٌ منه أهم من الآخر ، وما على رجال (الندوة) الا أن يعتبروا حينئذ أنّ مشروعهم سابقٌ لأوانه ، وإنْ آمنوا أنه يسدّ فراغاً فى الثقافة الفنّية والادبية لا غنى للبلاد عن سدّه ، ولكن روح التضامن الثقافى وما يدعو اليه من تضحية وتآزر مايزال معدوماً ، فلا الشعب يحسّ به بعد فى الناحية الاجتماعية الثقافية كما أحسَ به فى الناحية الوطنية ولا الحكومة أيضاً تحسّ به ، وفى هذا الجوّ ضاعت وتضيع الجهود الاصلاحية والتضحيات الفردية ؟

محمد عبد الغفور
(المراقب العام لندوة الثقافة)



فتح الأندلس

تأليف فؤاد باشا الخطيب : ٩٦ صفحة بحجم ١٥ × ٢٢ سم . طبع مطبعة ابن زيدون بدمشق ، مع مقدّمة نثرية بقلم خليل مطران

مؤلف هذه الرواية المسرحية أديب من كبار أدباء العربية فى العصر الحاضر وعلم من أعلام الشعر وكاتب تلمح فى كتابته التعصب للعروبة واجلالها . وقد عمد فؤاد باشا الخطيب الى التاريخ فقلّب صفحاته ، فاذا به يقف هنيهة وقفة الاعجاب أمام تلك البطولة العربية التى تجلتْ فى فتح الاندلس وكيف تغلب العرب على اوربا المتحفزة للوثوب عليهم ، واذا بهذا الاعجاب يطغى على نفس المؤلف فيملؤها إكباراً للعرب ، ويستحيل هذا الاكبار الى ونظم هذه الرواية التى تعدّ سفراً تاريخياً قيماً لمن يريد أن يقف على تطوّر الحوادث حتى تمكن العلم العربى من مرفرف فوق تلك البلاد ، وأن يتخذ مكانه تحت شمس أوربا .

فالدرامةُ تبحث عن ناحية خاصة من نواحى التاريخ الاسلامى ، وقد استفاض المؤرخون فى التكلم عن هذه الموقعة وما أظهره العرب من بطولة وشهامه لم تزل الى اليوم يرن صداها فى آذاننا فيملؤنا عجباً وتيهاً .

وقد استطاع فؤاد باشا الخطيب أن يوفّق بين الحوادث بعضها وبعض ، ويجعل منها هذه الدّرامة التى يقول فى مقدمتها خليل مطران : « على أن ما ضاق به التاريخ من معجز فتح الأندلس قد وسعته رواية شعرية عنونت باسمه ، وفتح الله على ناظمها بوحى سلسل فيها الحوادث كأحسن مايستحبُّ تسلسلها وبشعر وافق لغة أولئك الأبطال فى ذلك العصر أجمل موافقة فلا يستطيع مَن يقرؤها الا أن يقول تلقاء هذا الفتح الأدبى كما قال أشهاد ذلك الفتح العربى : الله أكبر ! »

وقد كتبت هذه الدرامة على نسق جميل ، وان تسلسل الحوادث فيها لما يشوق المرء الى نهايتها حتى اذا كان فى النهاية ودّ لو كان لم يزل بادئاً فى تلاوتها. وقد صيغت فى أسلوب عربىّ قويم ، ولا غرو فناظمها أحد أعلام لأدب العربى فى العصر الحاضر ، وشاعر فحل تتسابق اليه القوافى فيجمع شاردها ، ويؤلف بينها فى أداء خال من التكلف أو العجنة .

وقد اشتملت الرواية على كثير من العظات الغاليات ، والحكم الثمينة : ألا ترى المفترين وقد حكموا الشعب رغم ارادته ، وتقوّلوا عليه باطل الأقاويل فيقول على لسان ناصر بن مزيد وهو ملحق سياسى فى حاشية طارق (ص ٢٠) :

يقولون قال الشعب ، والشعب لم يقل وإن هىَ الا فرْيَة وتشدّقُ

كما يقول على لسان طارق بن زياد تلك الحكمة الغالية :

وما عرف التاريخُ كالظلم آفةً تدمر أخلاقَ الشعوب وتسحقُ

يجرّعهم موتين : موتَ نفوسهم بذل ، وموتَ الأرض بالفقر تمحقُ

وقد وفّقَ فؤاد باشا الخطيب كل التوفيق فى نظم خطبة طارق بن زياد ، تلك الخطبة العصماء والدرّة اليتيمة التى وجهها الى جنوده البواسل حين حطوا رحالهم بالأندلس ، وذلك يفصح لنا عن مهارة الناظم وشاعريته المتدفقة ، حتى لتثار فيك النخوة والحماسة وأنت تقرؤها ، فيقول (ص ٨١) :

ألا أين يا قومى المفرّ !؟ وما العذرُ وقد كشرتْ عن نابها الفتكة البكرُ ?

أمامكم الاعداء والبحرُ خلفكم وليس لكم الا العزيمةُ والصبرُ
وأنتم مِن الايتام أضيعُ موقفاً بمأدبة القوم اللئام وهم كثْرُ
تلبَّب بجتاب الدِّلاص عدوّكم له الوفرُ والاقواتُ والجحفلُ المجْرُ
وما القوتُ الا ما ابتززتم مِن العدى فتطعمكم مِن جنبها البيضُ والسمرُ

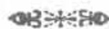
ويقول فيها أيضاً :

أجل أنا منكم لستُ عنكم بنجوةٍ وإن أدع لم أحجم ولم يلونى الزجرُ
وسوف أشقُّ النقع أبداً قبلكم بنفسى ، فامّا الحتفُ فيه أو النصر

وينتهى مؤلفها الفاضل بدخول طارق ، وهو ينادى جنده أن هيَّا الى طليطله من شِعب جيّان ! وهذا الختام الذى اختاره فؤاده باشا الخطيب هوأروع وأوفق ما تختتم به مثل هده الرواية ، حتى يذكر القارىء بهذه الروح العربيــة التى لم تكن تَرهب شيئاً غيرالله ، ولا تخشى غير جبروته ، وقد وهبت نفسهاف سبيل الله والوطن فخلدت على صفحات التاريخ ،وطاطأ الغرب هامته إعجاباً بهذه النخوة الكريمة .

فليقرأ الشباب العربى تلك الرواية ،ليتعرّف منها كيف كان صناديدالعرب وكيف كانت مطامعهم ، وليقرأ فيها صفحة من صفحات الاسلام وعدله فى الاندلس، فهى مرآة صافية قد انعكست عليها صور التاريخ الاسلامى ، وان القارىء حين يختتم هذه الرواية الجميلة لا يملك نفسه من أن تهتف «فلتحيا العروبة» ولا يملك نفسه من أن تحبس دمعة تطفر فى المآقى أسفاً على مجد العرب البائد...فليفخر الأدب العربى (بفتح الاندلس) وليفخر فؤاد باشا الخطيب بروايته ؟

حسن محمد محمود



يتيمة الدهر

للامام أبى منصور عبدالملك الثعالبي النيسابورى ، أربعة أجزاء عدد صفحاتها ١٦٣١ بحجم١٦ × ٢٤سم .طبع بمطبعة الصاوى على نفقة حضرة على أفندى محمد عبداللطيف صاحب المكتبة المصرية

اسمان توأمان لهما فى سجل الأدب العربى مكانتهما الجليلة ، ولهما أثرهما فى

تاريخ ادباء هذه اللغة ، هما أبو منصور الثعالبي وكتابه (يتيمة الدهر) . وليس أبو منصور فى حاجة الى الكلام عن أياديه التى قدّمها لهذه اللغة المجيدة ، وكفاه هذا الكتاب وكتاب (فقه اللغة) أثراً قيماً وفخراً مؤثلاً .

(يتيمة الدهر) مَعرِضٌ حافلٌ للأدب العربى فى عصر آل حمدان وآل بويه والدولة السامانية ، عرضه أبو منصور الثعالبي بأسلوب هو درّةٌ من درر الأدب أناقة وصقلاً .

يُعنى بشعر الشاعر أو أدب الكاتب ومنزلتهما وما دار بين الشاعر أو الكاتب وبين معاصريه مِنْ تَقارُض الهجاء أو الثناء . وفى خلال ذلك ينقد لنا ما يعرض من منظوم القول ومنثوره متعقّباً المعانى بتبيان المسروق منها وردّه الى أصوله والتفريق بين المستحسن والمستهجن منها ، وقد فرد فى كتابه قسماً كبيراً للمتنبي أورد فيه كثيراً من شعره مع دراسة تحليلية قيّمة له كما عنى بشعر أبي فراس والشريف الرضى عناية خاصة ، ونحن ناقلون جزءاً من مقدمة المؤلف ليطلع القراء على عناية أبي منصور بألفاظه ومعانيه ، وليتعرفوا الى العناية التى بذلها فى تأليف يتيمته ؛ قال :

« وقد سبق مؤلفو الكتب الى ترتيب المتقدمين من الشعراء والمتأخرين ، وذكر طبقاتهم ودرجاتهم ، وتدوين كلماتهم ، والانتخاب من قصائدهم ومقطوعاتهم فكم من كتاب فاخر عملوه ، وعقد باهر نظموه لا يشينه الآن الا نبوّ العين عن إخلاق جدّته ، وبلى بردته ، ومجّ السمع لمردّداته ، وملالة القلب من مكرراته . وبقيتْ محاسن أهل العصر التى معها رواء الحداثة ، ولذة الجدّة ، وحلاوة قرب العهد ، وازدياد الجودة على كثرة النقد ، غير محصورة بكتاب يضمّ نشرها ، وينظم شذرها ، ويشدّ ازرها ، ولا مجموعة فى مصنف يقيد شواردها ، ويخلد فوائدها . وقد كنت تصدّيت لعمل ذلك فى سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، والعمر فى اقباله والشباب بمائه . فافتتحته باسم بعض الوزراء مجرياً إياه مجرى ما يتقرب به أهل الأدب الى ذوى الأخطار والرُّتب ، ومقيماً ثمار الورَق مقام نثار الورِق . وكتبته فى مدة تقصر عن اعطاء الكتاب حقّه ولا تتسع لتوفية شرطه . فارتفع كعجالة الراكب وقبسة العجلان ، وقضيت به حاجة فى نفسي وأنا لا أحسب المستعيرين يتعاورونه والمنتسخين يتداولونه حتى يصير من آنفس ما تشحّ عليه أنفُس أدباء الاخوان ، وتسير به الركبان الى أقاصى البلدان . فتواترت الأخبار ، وشهدت الآثار بحرص أهل الفضل على تحصيله ، وعدّهم إياه من فرص العمر وعِرَره ، واهتزازهم لزهره وافتقارهم لفِقره

وحين أعرته على الأيام بصرى وأعدت فيه نظرى تبينت مصداق ماقرأته فى بعض الكتب : « ان أول ما يبدو من ضعف ابن آدم أنه لا يكتب كتاباً فيبيت عنده ليلة الا احب فى غدها أن يزيد فيه أو ينقص منه » ،هذا فى ليلة واحدة فكيف فى سنين عدة ؟ .. ورأيتنى أحاضر بأجواب كثيرة مما ينسب فيه وقعت بآخرة الى، وزيادات جمة عليها حصلت من أفواه الرواة لدى . فقلت : إن كان لهذا الكتاب محل من نفوس الأدباء ، وموقع من قلوب الفضلاء كالعادة فيما لم يقرع من قبل آذانهم ، ولم يصافح أذهانهم . فلم لا أبلغ به المبلغ الذى يستحق حسن الاحماد ، ويستوجب من الاعتداد لوفر الأعداد ؟ ولم لا أبسط فيه عنان الكلام ، وأرمى فى الاشباع والاتمام هدف المرام ؟ فجعلت أبنيه وأنقضه ، وأزيده وأنقصه ، وأمحوه وأثبته ، وانتسخه ثم أنسخه . وربما أفتتحه ولا أختتمه ، وأنتصفه فلا استتمه ، والأيام تحجز ، وتعد ولا تنجز ، الى أن أدركت عصر السن والحنكة ، وشارفت أوان الثبات والمسكة . فاختلست لمعة من ظلمة الدهر ، وانتهزت رقدة من عين الزمان ، واغتنمت نبوة من أنياب النوائب .وخفة من زحمة الشوائب ، واستمررت فى تقرير هذه النسخة الاخيرة وتحريرها من بين النسخ الكثيرة ، بعد أن غيرت ترتيبها ، وجددت تبويبها ، وأعدت ترصيفها ، وأحكمت تأليفها . وصار مثلى فيها كمثل من يتأنق فى بناء داره التى هى عشه ، وفيها عيشه ، ولا يزال ينقض أركانها ويعيد بنيانها ، ويستجدها على أنحاء عدة وهيئوت مختلفة ويستضيف اليها مجالس كالطواوس ، ويستحدث فيها كنائس كالعرئس ، ثم يقورها آخر الأمر قوراء توسع العين قرة والنفس مسرة ، ويبدعها حسناء تخجل منها الدور ، وتتقاصر عنها القصور » .

* * *

هذه هى يتيمة الثعالبي التى تولى اخراجها فى ثوب قشيب حضرة على افندى محمد عبد اللطيف صاحب المكتبة المصرية ،ولعله يدقق فى تصحيحها اذا أعاد طبعها حتى لاتكون الاغلاط المطبعية عثابة تقوب فى ثوب جميل شأنه فى معجم (المحيط) وغيره من الكتب التى أخرجتها هذه المكتبة فى دقة وأناقة بالغتين كل حد .

وقد أحسن حضرة الأديب محمد اسماعيل الصاوى الذى تولى تصحيحها فى كتابة المقدمة التى عرض فيها الى الكلام عن اليتيمة فأحسن .

ونرجو أن ينال هذا الكتاب من أنفس القراء ما هو جدير به من الحرص والتقدير .

الأدب العربي وتاريخه

في العصر الجاهلي

تأليف محمد هاشم عطية — ٣٧٣ صفحة بحجم ٢٤ × ١٦ سم .
طبع بمطبعة العلوم بالقاهرة

العصرُ الجاهليُّ بحث مفروغ منه ، وكل بحث قرأته هو بعينه صورة من سابقه الا كتاب الدكتور طه حسين الذى اتجه وجهة أخرى ، ولكن للمربى الفاضل محمد هاشم عطية المدرس بدار العلوم طريقة فى البحث طريفة : فهو يعرض الصورة ثم يستعرض أجزاءها ودقائقها ويبنى أحكامه بعد ذلك ؛ فترى أنك متفق معه فى كثير من الاحايين فى حكمه على هذه الدقائق أو هذه الاجزاء .

وكتابُه هذا هو بحث فى تاريخ الأدب فى العصر الجاهلى عرض فيه فى مقدمة الكتاب أقوالَ العلماء فى هذا العصر بعد أن عرّفه بكلمة . ثم انتقل الى الكلام عن الادب وتاريخه وفائدته وعلاقته بالتاريخ العام، ثم نشأته . ثم ينتقل الى اللغة العربية وأصلها وعوامل نموها وخصائصها . ثم يتكلم عن النثر الجاهلى والشعر وأيهما أسبق من صاحبه ، وفى هذا الباب يناقش آراء القائلين بأسبقية الشعر ويرى أن النثر كان السابق بدليل أن القرآن انما أنزله الله معجزة لقومه يتخذون النثر صناعته والقرآن نثر ابتزّ فيه الشعر، إلا ان خلود الشعر دون النثر انما كان سببه تلك الحدود الموسيقية التى قربته الى الاسماع ومكنته من الحافظة فخلد ... وهو بعد الكلام عن النثر الجاهلى ينتقل الى الشعر الجاهلى ونشأته وشاعرية العرب الخ .

وبعد أن يعرض المؤلف للمعلقات السبع الممتازة عن سائر الشعر الجاهلى بأوليتها وسعة قوافيها وأغراضها المتنوعة وأسلوبها البدوى المشتمل على اثارة من الحسن فى الجزالة والرقة مع المعانى الكثيرة والأدب الشعرى الذى كانت هذه القصائد خير مثال منه مضى فى أثره الشعراء من بعد ، ينتقل الى الكلام عن أوصاف الشعر أو مميزاته فيقول : « أما من حيث اللفظ فهو كما ترى تغلب عليه الجزالة ويكثر فيه الغريب وخاصة عند تعاطى الوصف للشىء من حيوان وجماد وطير ونبات ، وهو أيضاً لفظ معرَّب لاترى فيه لحناً ، وقد قدّمنا أن ذلك كان جبلة وكان طبعاً ، والمعروف انه لم يؤثر عن واحد من أهل هذه الجاهلية لحن يذكر . ومن أوصافه

الالفاظ أنها كانت غالباً تستعمل فى معانيها الحقيقية كما أسلفنا فى النثر، الا ما كان فى باب الوصف والغزل وبعض المهادح من التشبيهات البارعة المصوّرة وبعض الكتابات الرائعة الحسن مثل نؤوم الضحى فى قول امرىء القيس وان كانت نؤومة الضحى قد أصبحت ، وعسى ألا تعجب أهل هذا العصر النشيط المتحرك ، إلا أنها مع ذلك كانت ولا تزال تدل على مقدار النعمة والفراغ . . أمّا معانى الشعر الجاهلى فأظهر أوصافها أنها كانت معانى فطرية قريبة التناول متزحزحة عن هذه النزعات الفلسفية وذلك الاستقصاء العميق فى استخراجها من مظانها ، وكانت فى الغالب بريئة من المبالغات المفرطة المفوّتة لمحاسن الكلام مفرغة فى هذه الزاهية من الصراحة والصدق تكتسب من هذه السذاجة الظاهرة فى ترتيبها وقلة الاكتراث لتحقق التناسب الظاهر بينها لوناً آخر من جمال الفطرة المحبوبة » .

ثم يختم الكتاب الاول فيبدأ فى الكتاب الثانى عن النقد ونشأته وأثره ومعناه وأركانه وتاريخه، ثم ينتقل من ذلك الى الترجمة لتسعة شعراء من شعراء ذلك العصر ، وذلك فى أسلوب هادىء وتفكير منظم .

الشرق

مجلة جامعة مصوّرة : تصدر عن سان باولو بالبرازيل مرتين فى الشهر ؛ سنتها عشرون عدداً — اشتراكها خارج البرازيل ليرتان انكليزيتان

الأندلس الجديدة

مجلة جامعة مصوّرة : تصدر عن ريودى جانيرو بالبرازيل — اشتراكها خارج البرازيل ليرتان انكليزيتان

لاخواننا السوريين واللبنانيين فى المهجر نشاط يدعو الى التقدير والاحترام ، ويدعو الى الدهشة والعجب : الدهشة لقوم يحافظون على لغتهم فى وسط بعيد عن هذه اللغة وينشرونها بينهم وبين أبنائهم بحرارة وايمان ، والعجب لصحائفهم التى يخرجونها فى أثواب قشيبة قد لا تتاح لمجلات كثيرة تصدر عن بلاد اللغة العربية.

وأكبر دليل على ذلك هاتان المجلتان الراقيتان البارزتان وكل منهما تعنى بالأدب

عناية فائقة وتجعل من صحائفها رياضاً نضرة تنفح الأدب العربي بشذى الورود الجميلة المتفتحة فى العالم الجديد .

ولا عجب فمجلة (الشرق) يحرّرها موسى كريّم وهو رجلٌ حرٌّ بمعنى هذه الكلمة يعطى الشرق من حبه ومن الدفاع عنه ما يجب على أبنائه نحوه ، وهو أديبٌ مثقفٌ يعنى الى جانب الأدب بالمسائل الحيوية فى شئون الحياة الوطنية والاجتماعية والاقتصادية فى البرازيل .

ومجلة (الأندلس الجديدة) يحرّرها شاعرٌ معروفٌ هو شكر الله الجرّ صاحب ديوان (الروافد) الذى تكلمتُ عنه فى عدد سابق. وهذه المجلة كشعره لوحة مجلوّة حافلة بصور جديدة للأدب العربي ، ولمحرّرها الفاضل جولاتٌ طيبةٌ فى السياسة الشرقية يدبج مقالاتها قلمٌ رائعٌ يقظ .

وفى هاتين المجلتين نطالع روائع أدباء المهجر ومفكريهم الذين نقدّرهم التقدير اللائق ونعتز بأدبهم الحيّ كشفيق المعلوف والشاعر القروى والياس فرحات ورشيد أيّوب وعقل الجرّ وحبيب اصطفان وحبيب البشملانى ويوسف البعينى وفائز السمعانى والياس قنصل وسليم نادر وأنطون سليم سعد ويوسف كرباج و ومى الحداد وغيرهم ممن يخدمون لغتهم فى تلك البلاد النائية خدمة طيبة .

وفى طليعة الواجبات على كل أديب فى الأقطار الشرقية أن يكون على صلة تامّة بالفروع الممتدة فى أقاصى العالم وأن يساعد مثل هاتين المجلتين بالاشتراك فيهما حتى يعرف مدى تطوّر هذا الأدب ، فان من المؤلم أن نكون على اتصالٍ دائمٍ واطلاعٍ مستمرٍّ على نتاج الآداب العالمية ولا نعرف شيئاً عن فروع أدبنا !

حسن كامل الصيرفي



فهرس المجلد الثالث

نُلحقُ بهذا العدد الممتاز من (أبولو) فهرساً تفصيلياً شاملاً للمجلد الثالث إذ رأينا أخيراً على أيّ حال أن نختم المجلد الثالث بهذا العدد ، حتى اذا قُدّر لهذه المجلة أن تستأنف صدورها بدأ مجلدُها الرابعُ من أوّل العام الميلادى الجديد .

ومن أجل هذا أصدرنا هذا العدد الختامى فى حجمٍ كبيرٍ توفيةً لحقوق المشتركين . وقد تفضّل بوضع هذا الفهرس الشامل زميلنا الشّاعر الفاضل حسن كامل الصيرفى ، كما تفضّل من قبل بوضع فهرسىْ المجلد الأول والمجلد الثانى .



وحى الهدهد

مِن الطيورِ التى شاقتنا فوصفناها أو ناجيناها « الهدهد » ، وهو من أرشق الطيور وأشجعها ، ولكن لقنزعته فى الأدب العربى خرافة غريبة جعلت الشعراء على ما يظهر يصدفون عنه ، وجعلت بعضَ النقّادِ المحافظين يعتبر قصيدتنا « الهدهد فى القرية » من أحط الشعر بالرغم مما حوته من الصُّوَر والتأملات وحبّ الطبيعة ! ولو أنصفوا الشعرَ الحديثَ لوجَّهوا الشعراء المحافظين وجهتنا ، ولنصحوهم بتجنّب الصور التقليدية المفتعلة ولحببوا اليهم الأخذ عن جمال الطبيعة مباشرة ، وليس الهدهدُ بأهون عناصرها إيحاءً .

ومن عادتنا الضنّ بفراغ هذه المجلة على ما يخصنا شخصياً ، ولكنّ أصدقاءنا الأدباء يرون فى نشر هذا الشعر غير ما نرى ، ويعنيهم ديوعُ مناله ، فتلبية لرغبتهم ننشر هنا هذه القصيدة :—

مَرْحباً بالهدهدِ الوافى الأَبَرّْ ... ملأَ القريةَ حُسْناً وخَطرْ !

عدَّ كلَّ الناسِ أتباعاً له ... غيرَ أهلِ الشعرِ أو أهلِ الصُّوَرْ !

جاءنى منه رسولٌ كلُّهُ ... فى شُعاعِ الشمسِ نُورٌ ما استقرّْ

حائماً حولى ، وفى ترحيبهِ ... مِنْ بُهى الشمسِ وَمِنْ معنى المطرْ

جمعَ الأصباغَ فى زينتهِ ... مِنْ حُلى القوس[1] ومن وحى السحرْ

ثم ولى مُنبئاً رِفقتَهُ ... فاذا هُمْ مِلء فِكرى والنظرْ

لابسو التيجانِ أبهى زينةً ... مِنْ نُضارٍ هو أضغاثُ البشرْ

(١) قوس قزح



الهدهد فى القرية

عن (سليمانَ) لهم حِكمتُهمْ حينما عافوا الغرُورَ المحتقَرْ (١)
وأبوْا تيجانَ تبرٍ مرهِقٍ فاذا التيجانُ ريشٌ وشَعَرْ !

* * *

مَرْحَباً بالفنّ فى أعلامهِ بين آدابٍ غوالٍ وصُوَرْ
كلُّ فردٍ منكمو مُهجتُهُ وحُلاهُ مِنْ ضياء وزَهرْ
تُنفقون العمرَ فى البحثِ ، فكم تشتكى منكم حقولٌ وحَجرْ
دائمى التنقيبِ حتى جلسةٌ لكمو فى الشمسِ ما فيها ضررْ
كلُّ ما حولكمو فيه وَطَرْ بينما ليس لكم فيهِ وَطَرْ

(١) اشارة الى قصة الهدهد وسيدنا سليمان

صُورةُ الفنّانِ فى أخلاقهِ كلما نالَ أمانيهِ نَفَرْ

* * *

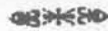
مَرحباً يا هُدهدى ! حسبي اذا زُرْتُ هذا الريفَ مَرآكَ الابرّ

نحن صنوانِ بروحٍ ودَمٍ وحنانٍ وأمانٍ وذِكر

غيرَ أنى رهنُ جسمٍ آسرٍ بينما أنتَ عزيزٌ ما أُسِرْ

وأنا الباكى على عُمرٍ مضى بينما تضحك مِن معنى العُمْرْ !

لك دينٌ أوحَدِيٌّ خالدٌ حينما المؤمنُ منا قد كفرْ !



التجاوب فى الحب

مما تمليه الأهواء على بعض النقاد المغرضين سخافات كثيرة لا يعدمون ببغاوات لترديدها ، وأظهرُها أخيراً أن شعر الغزل الملائم للرجولة يجب أن يكون فى صورة التهجم أو فى صورة الخطبة التى تتحدّث عن فضائله : وأمّا ماعدا ذلك فخنوثة !

ونظنّ أن جانباً من قرّائنا لم يفتهم أن يلحظوا فى الأغانى التى تذيعها الامبراطورية الانجليزية (ولا نظن أن الخنوثة من صفات أهلها الذين سيطروا على بلادنا !) ما يناقض ذلك تماماً ، وهذا شيلى الشاعر الانسانى الثائر الكامل الرجولة نعطى للخلود أبياته التالية :

O lift me from the grass !
I die ! I faint ! I fail !
Let thy love in kisses rain
On my lips and eyelids pale,
My cheek is cold and white, alas !
My heart beats loud and fast; —
Oh ! press it close to thine again,
where it will break at last .

ولكن ماذا نقول فيمن يتصنَّعون الغزل وفلسفة الغزل الجوفاء ثم يلقون بحجارتهم على شعراء الغزل المطبوعين كناجى والصيرفى وصالح جودت ، دون أن نجد موسيقاهم وعواطفهم صدى فى تلك القلوب المتحجرة وإنما تنال الانتقاضَ وحده من ألسنتهم البذيئة !؟